ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ - يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥

عدد ممتاز

العربي

البيت العربي

العرب.. والمستقبل

■ صناعة السلاح العربي

■ مسابقة القصة القصيرة

مع العدد: العربي الصغير

هدية العدد: خريطة الوطن العربي (١٩٨٥-٢٠٠٠)

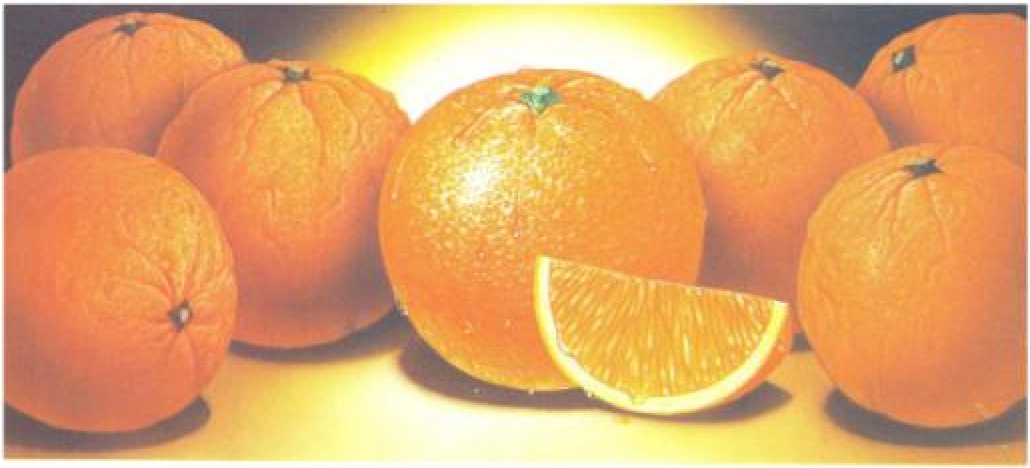

نتميّز عن سِوانا

هنالك فرق شاسع بين البراد العادي وبرّاد فيشر، ستلمسه حالما تقارن نضارة وجودة المأكولات المحفوظة.

يعتمد برّاد فيشر بثلاثة أبواب الواسع قسماً خاصاً محكم الإغلاق يحافظ على معدّل الحرارة المناسب لإبقاء الفاكهة والخضار نضرة وطازجة. وبفضل المكبس الدوّار الأصغر حجماً في العالم إستطاع فيشر إضافة سعة التخزين بحوالي ١٠ ليترات كما وفّر من الحيّز الذي يحتاجه بفضل تصميم ظهره المسطح. إن إسم فيشر المشهور في حقل تكنولوجيا الهاي فاي المتجدّدة يقدِّم الآن مجموعة مميزة من الأجهزة المنزلية.

أدخِلْ فيشر إلى منزلك... واخرُجْ عن المألوف.

فيشر
FISHER

The symbol of quality throughout the home

العدد ٣١٤ — يناير ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٣٤٢ - ٤٣٧١٤١
برقيًا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI

Issue No. 314 Jan. 1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات الى: قسم الإشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي بإسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	أمريكا دولاران

١٥ يناير

موعدك مع :

كتاب العربي

قال القدماء: العقل السليم في الجسم السليم ، واذا كان هذا القول يعني شيئا فانما يعني في جوهره أن الانسان جسم وعقل، واذا اكتمل الأثنان اكتملت الحياة الصحية للانسان . . والدكتور فاخر عاقل وهو الاستاذ المتمرس في موضوع هام هو الدراسات النفسية يقدم لنا في هذا الكتاب صفحات عن النفس وعن المجتمع نحتاج جميعا اليها .

وعندما تختار العربي هذه الدراسات التي كتبها الدكتور فاخر عاقل على مدى ربع قرن من الزمان، لكي تضمها بين دفتي كتاب، فان هدفها الاساسي هو تقديم وجبة ثقافية متكاملة عن النفس البشرية ومدى تفاعلها مع واقعها ومجتمعها، وما ينتج عن ذلك من نتائج .

عزيزي القارئ

عدد الفاتح من يناير من مجلتك « العربي » هذا العام . . هو عدد ممتاز كالعادة . . وهو أيضا عدد تاريخي ، لعدة أسباب . . منها على سبيل المثال لا الحصر . . أن « العربي » تلبس ثوبا جديدا في الاخراج من غلافها حتى أصغر باب فيها ، هذا الثوب الجديد حرصنا على أن يكون متسقا مع الماضي ، ومليبا لذوق الأجيال الجديدة معا .

وما دمنا قد ذكرنا الأجيال الجديدة فان « العربي » تقدم بدءاً من هذا العدد ـ الذى اضيفت اليه ملزمه جديدة ـ الباب الجديد (البيت العربي) والذي يعني بأمور البيت العربي من كل جوانبه الأسرية والاقتصادية والاجتماعية والطبية والنفسية ، ونحن في العربي نعتبر أن هذه الخدمة الثقافية ضرورية ، وخدمة جديدة تضاف الى رصيد العربي .

أما الأبواب الاخرى الجديدة فهي كثيرة . . منها مثلا باب (وجها لوجه) الذي يقدم كل شهر حوارا بين شخصيتين بارزتين من جيلين مختلفين من رجال الفكر والعلم والادب والفن . . بالاضافة الى تطوير باب « صفحة لغة » ليصبح بعنوان (جمال العربية) مؤديا خدمة اضافية جديدة في مجالات اللغة العربية نثرا وشعرا ، وكذلك تقديم « قاموس العربي » تلبية لرغبة الكثير من القراء في تناول بعض التعبيرات والمفاهيم المتداولة والتي تحتاج الى تحليل وتفسير .

كما أن « العربي » في هذا العدد تبدأ بطرح مسابقة (القصة القصيرة) للقصاصين الشبان . . فنحن نشعر أن هذه الفئة الكبيرة فى الوطن العربي قد آن لها أن تأخذ حقها في النشر والانتشار . .

ان خدمة « العربي » الثقافية تتطور كي تقدم للقارىء العربي في كل مكان ، تشكيلة جامعة من المواد الثقافية تواكب كل جديد ، وقد قامت اسرة العربي منذ شهور بالاعداد لهذه القفزة الجديدة . . وهي ليست آخر ما نعد به القارىء هذا العام ولكنها فقط أول الخطوات . . ونترك للقارىء أن يحكم على ما تقدمه بدءا من هذا العدد . . فمن أجله صدرت « العربي » . . ومن أجله تواصل المسيرة من أجل مستقبل مشرق في خدمة الثقافة والفكر في وطننا العربي الكبير . . □

المحرر

د . توفيق الطويل و د . نصار عبدالله وجها لوجه

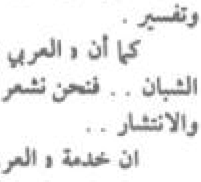

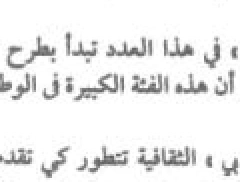

استطلاع العدد : صناعة السلاح العربي

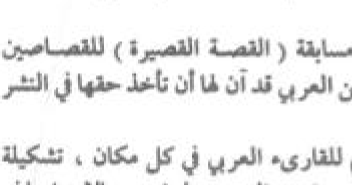

محتويات العدد

● حديث الشهر :

قراءة في مستقبل الوطن العربي

ـ د. محمد الرميحي ٨

● نظرة على الدراسات المستقبلية ، دوليا وعربيا ـ د. اسامة امين الخولي .. ١٦

● نظرة الى مستقبل العرب والمسلمين

ـ د. احمد كمال أبو المجد ٢٢

● ايديولوجية التسلح ـ د. فؤاد زكريا ٣٠

● لابد أن نلتقي (قصيدة)

ـ يعقوب السبيعي ٦٢

● النمو الديموغرافي .. هل يغيروجه العالم ؟

ـ د. فضل أبوبي ٦٤

● بيولوجيا الغد : قطع غيار بشرية من عوالم غير مرئية ـ د. عبدالمحسن صالح ٧٢

● كلاسيكية (قصيدة)

ـ فاروق شوشة ٨٠

● الكمبيوتر .. تحدي المستقبل

ـ د. نبيل علي ٨٩

● الكابوس (قصة)

ـ د. محمد حسن عبدالله ٩٦

● الأدب الصهيوني الحديث .

ـ حلمي عبدالكريم الزعبي .. ١٠٢

● تراثنا بين ماض وحاضر

ـ د. بنت الشاطيء ١٠٦

● قصة من الخيال العلمي : رحلة الى كوكب المشتري ـ اعداد رؤوف وصفي .. ١٢٦

● أورام الثدي .. والجديد في التشخيص والعلاج ـ د. فاطمة الغرباوي .. ١٣٢

● أفكار مستقبلية للخروج من مأزق البطالة العالمية ـ د. رمزي زكي ١٤٩

● قراءة في رواية (الجازية والدراويش)

ـ ابو المعاطي ابو النجا ١٥٥

● الينبوع (قصيدة)

ـ سليمان العيسى ٢٢٢

صورة الغلاف :
ندى ابراهيم سليم .. وعالم جديد اسمه المدرسة . (طالع ص ١٨٢)

استطلاعات ومقابلات

● صناعة السلاح العربي

ـ منير نصيف ٣٦

● من يتخذ قراراً بتصنيع السلاح ؟

ـ محمود عبدالوهاب ٥٥

● وجها لوجه : الدكتور توفيق الطويل والدكتور نصار عبدالله ٨٤

● أسابيع الكويت الثقافية

ـ صادق يلي ١٤٠

أبواب العربي

● عزيزي القاريء ٧

● أرقام : يحدث عام ٢١٥٠

ـ محمود المراغي ٢٨

● مسابقة (العربي) للقصة القصيرة ٦١

● قاموس العربي : التضخم ٨٢
● جمال العربية : صفحة لغة : ألفاظ التوكيد ـ محمد خليفة التونسي .. ١١٠
● جمال العربية : صفحة شعر : هكذا غنى الآباء .. حديثهن بشاشة وقتيلهن شهيد ـ جميل بثينة ١١٢
● حكايات شرق وغرب ١١٤

● منتدى العربي :
ـ قضية للمناقشة : مشاهد العنف في التلفزيون ـ د. انيس فهمي ١١٨
ـ تعقيبات : التلفزيون الأجنبي .. واقع جديد أم نمط جديد ؟ ـ د. محمد زكي ١٢١
ـ حول قضية البث التلفزيوني بالأقمار الصناعية ... الاعلام العربي بين الواقع والطموح ـ د. محمد الادريسي العلمي ١٢٣

● مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر : الاسلام ، الخوف والامل . تأليف : الحبيب بوالأعراس
ـ د . الحبيب الجنحاني ١٦١
ـ من المكتبة العربية : الهجرة الى النفط تأليف : د . نادر فرجاني
ـ حسن محمود عباس ١٦٨
ـ مكتبة العربي : مختارات ١٧٢
● سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٧٤
● مخترعون ومكتشفون ١٧٧
● الجديد في الطب والعلم
ـ اعداد يوسف زعيلاوي ١٧٨
● العربي من ربع قرن ٢١٠
● حوار القراء ٢١٢
● مسابقة العربي الثقافية ٢١٦
● حل مسابقة العدد ٣١١ ...... ٢١٨
● معركة بلا سلاح (الشطرنج) .. ٢٢٠

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء ..

العدد ٣١٤ ـ يناير ١٩٨٥

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

● صغيرك .. وعالم جديد اسمه المدرسة ـ وفاء طه تاجي .. ١٨٢
● كيف نعامل المتفوقين ؟
ـ سليمان الشيخ ١٨٧
● شعر المرأة .. تاج جمالها
ـ د. نبيل سليم ١٩٢
● مرآة النفس : حركاتك العصبية لها سبب ـ ريم الكيلاني ١٩٧
● هو .. هي ١٩٨
● الأم لها دورها في بناء شخصية طفلها ـ د. محمد صادق زلزلة ٢٠٠
● من الحياة : فن الحياة .. كيف نتعلمه ؟ ٢٠٢
● طبيب الاسرة ٢٠٦
● مساحة ود : آباء وأبناء .. ٢٠٩

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

قراءة في مستقبل الوطن العربي

- المعاناة والاغتراب ظواهر ملاصقة للإنسان العربي المعاصر
- الصراعات العبثية أرجأت وضع تصورات جماعية مشتركة للمستقبل
- الأولويات العربية هي بناء البشر القادرين على الاضطلاع بالمهمات التنموية
- المستقبل يتحدد بما ننجزه اليوم .. فأي مستقبل نريد ؟

علم المستقبل

قضية ملحة

تهم كل العرب

نحن الآن في مطلع العام الميلادي ١٩٨٥ ، تفصلنا عن القرن الواحد والعشرين - وهي نقطة افتراضية - فقط خمس عشرة سنة ، فماذا عن مستقبلنا نحن العرب في مطلع ذلك القرن ، قرن الاتصالات السريعة والتقنية المتقدمة ؟

من المعروف لدى شعوب الأرض جميعا أن العادات القديمة تموت بصعوبة . وكلما كانت هذه العادات والقيم قريبة الى ضمائر الناس صعب التخلص منها . . ومن أهم القيم والعادات التي يبدو أننا نحن العرب نتمسك بها ، النفور الشديد من قراءة المستقبل . وربما كان لهذا النفور علاقة بما ترسب في ضميرنا من أن قراءة المستقبل نوع من التنجيم المذموم

الذي لا يصدق في جميع الأحوال ، وربما كان ذلك راجعا الى حرصنا على أن نعيش الحاضر ونترك المستقبل يأتي وكما يأتي ، فهو يوم لغيرنا وليس لنا .

الا أن الدراسات المستقبلية قد فرضت على العالم ، وأصبحت يوما بعد يوم علما يتعدى التوقعات والاحتمالات ، الى امكانية الحدوث والتبلور ، وأصبح (علم المستقبل) يحظى باهتمام أكبر وأوسع انتشارا عندما تحول ـ في نهاية الستينات ومطلع السبعينات ـ من مجرد فروض واجتهادات فكرية ، الى جهود علمية منظمة تدعمها وتمولها مؤسسات علمية لها احترامها في العالم ، وأصبحت الأسئلة والقضايا التي تطرقها تتداول في وسائل الاعلام وتصل الى كل بيت . من بعض تلك القضايا الهامة : قضايا مثل (الانفجار السكاني) الذي يخيف العالم وينذره . ومنها قضايا (الغذاء) التي أصبحت تتبلور أكثر وأكثر في موجات المجاعة التي تضرب بعض الدول في العالم الثالث ، ومنها أيضا قضايا الطاقة وقضايا المواد الخام . وكانت الاجابات عن معظم تلك الأسئلة تقود الى الخوف والفزع من المستقبل . صحيح أن هذا الخوف والفزع قد جعل بعض الكتاب يتجه الى الطرف الآخر ـ وهو الاستبشار ـ ورسم صورة وردية للعالم في المستقبل ، مما جعل موضوع « المستقبلية » مشكوكا فيه لدى الكثيرين .

بصرف النظر عن هذا التطرف أو ذاك فإن المستقبل ودراسته العلمية أصبحت بالنسبة لنا نحن العرب قضية ملحة ، بعد أن تحولت التوقعات الى علم ينير للكثير من الشعوب طريقها القادم .

علم المستقبل اليوم يسعى الى اكتشاف أفضل الظروف والامكانات والطرق والوسائل التي تمكن المجتمع من الوصول الى الأهداف التي يبتغيها ، وهو يقوم على قاعدة تقول أن جزءا كبيرا من المستقبل قد تحدد بما تم إنجازه اليوم أو أنجز بطريقة سيئة وسلبية ، أو بما لم ينجز قط خلال الخمس أو العشر سنوات الماضية في مسيرة أي مجتمع .

بمعنى آخر أن ما نفعله ، وما نخطط له اليوم ، سيقودنا الى شكل من أشكال المستقبل ، وما لا نفعله اليوم وما لا ننجزه أو ما ننجزه بطريقة سيئة أيضا ، سوف يحدد ذلك المستقبل .

إذن (فالمستقبلية) على عكس ما يتبادر الى الذهن ، لا تصدر نبوءات ، وانما يتحدد هدفها في تخيل مستقبل مرغوب فيه واقتراح طرق ووسائل واستراتيجيات لتحويل هذا المستقبل المرغوب فيه الى مستقبل ممكن .

وقد دخل العرب في الدراسات الاستراتيجية من باب ضيق ، من باب الاهتمام الشخصي لدى بعض المفكرين العرب بتلك القضية . . مفكرين من أمثال : يوسف صايغ واسماعيل صبري عبد الله والمهدي المنجرة ونادر

الفرجاني وآخرين . قليلون أيضا دخلوه من باب الترجمة والنقل من النتائج الفكرية لمؤسسات غربية وشرقية .

ومع الأسف لم يدخل العرب الى هذا الموضوع من باب المؤسسات العلمية كالجامعات ومراكز البحث . لذلك فان الدعوات الفردية لقراءة مستقبل الوطن العربي واستشرافه ، ما زالت محدودة ومحصورة بين دفات الكتب والدراسات ، كما أن هذه الدعوات على قلتها لم تصل بعد الى صانع القرار في الوطن العربي .

الوطن العربي حتى نهاية القرن

ما تجمع من دراسات لصورة الوطن العربي حتى نهاية القرن ، سواء من الدراسات الأجنبية أو الدراسات العربية القليلة ، لا يترك مجالا للشك بأنها صورة قاتمة ، يلخصها أحد تقارير نادي روما بأن أسبابها في الوطن العربي هي (قصر المدى في أهداف الحكومات وسيطرة الأحلام على أهداف المثقفين) !

وتلخصها دراسة عربية أخرى بأنها قصور في المشاركة من جهة ، وعدم وضوح خطط تنموية مستقبلية . ففي غياب ذلك فإن (الآخرين) سوف يحددون المستقبل العربي الذي يتفق مع مصالحهم ، لأن المستقبل هو ما تقرره اليوم . . وإذا لم يوجد وعي بما يجب أن نختار اليوم ، فإن غيرنا سوف يحدد مستقبلنا .

وإذا اعترفنا أن توقعات الدراسات الأجنبية لمستقبل الوطن العربي ليست بالضرورة محايدة وعلمية ، وهي أيضا مبتسرة تنظر الى مصالحها بالدرجة الأولى ، فترى أن المنطقة العربية تنقسم الى قسمين : القسم الاول أقطار مصدرة للمواد الخام وخاصة النفط ، والقسم الثاني أقطار هي سوق للمنتجات الصناعية . . .

وبتراكم ثروة تعود ملكيتها للاقطار الاولى ولكنها مستثمرة في الغرب الا ان بعضها استخدم في تحسين ظروف الخدمات العامة كالصحة والطرق والكهرباء ، كل ذلك ينعكس في مستوى إشباع الحاجات الأساسية لسكان تلك الأقطار ، بينما القسم الثاني لا يحقق - على سبيل المثال - تقدما يذكر في نصيب الفرد من الغذاء عبر ثلاثين عاما .*

صورة الوطن العربي من وجهة نظر الدراسات المستقبلية العربية صورة مجزأة وتابعة وبطيئة النمو . واذا أخذنا بعين الاعتبار تحذير الدراسات

* ابراهيم سعد الدين وآخرون - صور المستقبل العربي - ص ٥٨

المستقبلية الغربية نفسها (بأنه ليس بامكان أي مجموعة اجتماعية جغرافية اقتصادية يبلغ عدد سكانها أقل من مائة الى مائة وخمسين مليون نسمة ، أن تعيش وتنمو في بداية القرن الواحد والعشرين بشكل مستقل) .

اذا أخذنا بعين الاعتبار هذه المقولة ، فاننا نتعرف مباشرة على الاهمية القصوى لاعادة هيكلة الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية على صعيد الوطن العربي اليوم ، أما اذا لم نفعل شيئا على هذا الصعيد فإن المتوقع أن يظل الوطن العربي على حالة الضعف النسبي الموجود بها الآن ، متخلفا وتابعا .

اذا كانت هناك فائدة أساسية في تحليل (النماذج المستقبلية الغربية للوطن العربي) فإنها تنبهنا الى قضية هي أن استمرار الأوضاع الحالية في الوطن العربي سيقودنا الى فاجعة متوقعة في المدى المنظور .

مصيدة الغذاء واهمية استزراع الأرض الجديدة

□ وعندما نتحول الى الدراسات العربية القليلة التي حاولت استشراف المستقبل العربي ، نجد أن المشكلة أعظم وأعمّ ، ففي دراستين لنادر الفرجاني [1] والمهدي المنجرة [2] تبرز العقبات الكأداء أمام تحقيق حتى الحد الأدنى من (الاستقلال والنمو) للوطن العربي في ضوء الظروف الحالية والمتوقعة .

بالنسبة للغذاء والأرض المزروعة ـ على سبيل المثال لا الحصر وهي قضية رئيسية في إطار التنمية ـ ينقل الفرجاني هذه الحقائق :

(فحتى نحافظ سنة ٢٠٠٠ فقط على نصيب الفرد العربي بالنسبة للأرض

١ ـ التنمية العربية بين الامكانيات والهدر .

٢ ـ المغرب الكبير عام ٢٠٠٠

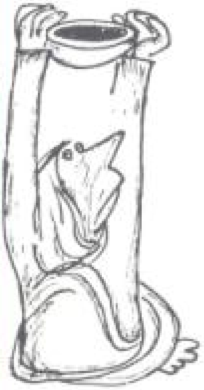

الزراعية عند مستوى منتصف السبعينات ، علينا أن نضاعف الأرض الزراعية . أي أنه حتى نبقى كما كنا في منتصف السبعينات ، علينا أن نزرع قرابة خمسين مليون هكتار خلال الخمس عشرة سنة القادمة ! وهذه مهمة مستحيلة . واذا أردنا أن نبقي الفجوة الغذائية الحالية ـ أن نبقيها ولا نقلصها ـ علينا بالضرورة زيادة الانتاج الزراعي العربي بدرجة تتناسب مع القصور في استزراع الأرض الجديدة) .

ولا ينجو أي من الأقطار العربية من مصيدة الغذاء هذه .

أما اذا تحولنا الى دراسة المنجرة ، والتي اقتصرت على دراسة أقطار المغرب الكبير ، فان الرؤية الخصبة والمبدعة تقدم لنا توقعات ثلاثة : توقع استمرار الواقع الحالي ، وتوقع تقديم إصلاحات تؤثر في المستقبل ، وتوقع ثالث سماه المؤلف توقع التحولات . واذا كان التوقعان الأخيران يستلزمان ادخال معطيات جديدة ، الا أن استمرار الواقع الحالي سيؤدي ـ كما يرى الكاتب ـ الى (تفقير وتفاوتات اجتماعية خطيرة وتبعية اقتصادية كبيرة ، وخاصة في الميدان الغذائي والعلمي والثقافي . . . وهكذا دون اعتماد مكثف على الخارج ، فإن بلدا أو اثنين سيعانيان من صعوبات واضحة في معركة البقاء) .

ملخص التوقعات المستقبلية للوطن العربي لا تسر الصديق ، لقد نظرنا الى المستقبل نظرتنا الى التاريخ على أنه واقع بحد ذاته ، ورفضنا أن نواكبه ونتوقع مآله .

وطن عربي بلا نفط

□ لقد ارتبط الوطن العربي في عقول الكثيرين ـ على الأقل في العقود الثلاثة الأخيرة ـ بالنفط . وأن نقول أو نتصور وطنا عربيا بلا نفط ، فقد يكون مفاجأة المستقبل ، خاصة في ضوء ما هو معروف من احتياطيات النفط الكامنة تحت أرض بعض الأقطار العربية . ولكننا هنا لا نقصد المعنى الحرفي بل المعنى المجازي . فاذا أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة الاقتصادية المتمثلة في أن نسبة الصادرات السلعية والخدمية (غير النفط) من الوطن العربي الى العالم لا تشكل أكثر من ٦٪ فقط . وأن الـ ٩٤٪ الباقية من صادرات الوطن العربي هي صادرات نفطية (نفط أو مشتقاته) . . تبين لنا الاعتماد الأكبر على مداخيل النفط ، ليس فقط في الأقطار العربية المصدرة للنفط ، ولكن أيضا في الأقطار غير المصدرة للنفط في اعتمادها على النفط . اذا كانت تلك حقيقة اقتصادية . . فان حقيقة اقتصادية أخرى تقول أن انخفاض الطلب العالمي على النفط ، وبالتالي احتمالات انخفاض أسعاره ، لا يرجع فقط الى ترشيد الاستهلاك في الدول المصنعة ، بل أيضا الى توفر النفط من البلدان المنتجة الجديدة ، خارج منظمة الأقطار المصدرة للنفط .

وذلك يعني إما تخفيض انتاج النفط العربي في المستقبل ، أو تخفيض

أسعاره ، وربما الخطوتين معا . وبما أن النفط العربي يخضع حتى الآن سواء في كمية إنتاجه أو قرارات تسويقه أو طريقة استعمال عوائده ، في الأغلب الأعم الى قرارات قطرية . . فإن التوقع المستقبلي لكل تلك العوامل أن تجبر الجميع على الحد من الانفاق على جهود التنمية وضغط مستوى الرفاه على المستوى القطري وضغط معونات التنمية وترشيد استخدام اليد العاملة المتنقلة بين الأقطار العربية ، والتي بدورها تدر دخلا على البلدان المصدرة للعمالة .

وبكلمة مجملة يجب على الوطن العربي في المستقبل القريب أن يواجه تدبير عائدات خارج القطاع النفطي عندما يتحول هذا القطاع الى عامل ثانوي لا رئيسي . ومن الأوفق أن نتعود من الآن على أن الوطن العربي في القرن الواحد والعشرين القريب سيكون وطنا بلا نفط ، فالمسار السهل والظليل الذي اعتمد عليه خلال ربع القرن الماضي باستخدام عائدات النفط لاستيراد السلع والخدمات ، بدأت تباشير نهايته تتضح وأصبح التحدي هو الانتاج .

صرخات الألم وتوقعات المستقبل

☐ نظلم أنفسنا عندما نقول إن صرخات الألم والتحذير على مستوى الوطن العربي لم تكن قد انطلقت محذرة منذرة من توقعات المستقبل ، فهناك من الوثائق والدراسات ما يكفي لقرع ناقوس الخطر .

لقد ذكر نادر الفرجاني في كتاب (هدر الامكانيات) ما نصه :

(ان تبعية العرب لدول الغرب المصنعة تزداد ، والتعاون بينهم يتدهور ، ولا تحقق قضايا التنمية والمشاركة الشعبية على وجه الخصوص تقدما محسوسا ان لم تكن تراجعت ، وينعكس هذا على تدني مستوى تحقيق الغايات العربية النهائية ، مما أدى الى اتساع الشقة في مستوى الرفاه بين العرب والقطاعات التي هي أسعد حظا من البشرية . . وينطوي استمرار التراخي في العمل العربي على مخاطر مستقبلية جسيمة ، تتمثل في تباعد الشعب العربي عن غاياته المنشودة واتساع الفجوة أكثر بيننا وبين المتقدمين) .

وصيحة أخرى يطلقها علي الكواري بألم فيقول :

(ان الوضع العربي الراهن يمثل ظاهرة يصعب فهمها على الكثيرين ، فالمجتمع العربي مليء بالحيوية والحركة ، غير مقل في تضحياته ولا في مبادرات أفراده ، غني بالأفكار الفردية والامكانيات والمقومات المطلوبة لنهضة حضارية ، ومع وجود كل ذلك لا يوجد ضمير عربي أو فكر عربي أو عمل عربي فعال ، يمكن الرجوع اليه والاحتماء به من أجل تحقيق الخلاص أو حتى تلافي النكسات) .

واذا كان كل ذلك غيضا من فيض لصيحات الأفراد ، فإن الوثائق الرسمية ذهبت هذا المذهب أيضا . تقول احدى وثائق الجامعة العربية التي

صدرت في الثلث الأخير من السبعينات على سبيل المثال لا الحصر : (تمر الأمة العربية في الربع الأخير من القرن العشرين بمرحلة خطيرة من مراحل تاريخها الطويل ، تقف فيها على مفترق الطرق ، وتتعدد أمامها المسارات وتتشعب الدروب وتواجه ـ وهي في هذا المفترق ـ تحديات ضخمة تنذر بالمحنة والبلاء) .

وصيحات الألم الصادرة من المفكرين أو من خلال الوثائق الرسمية ليست قليلة ، كما أنها ليست جديدة ، ولكن الملاحظ أن هذه الصيحات تذهب بعيدا في الهواء ولا يرجع حتى صداها .

ففي الوقت الذي تشدد فيه كل الدراسات والوثائق العربية التي تعالج قضايا ذات صلة بالمستقبل وتتلمس خطوط التحرك الاستراتيجي في المجالات المختلفة حتى نهاية قرننا الحالي ، مشددة على الوفاق العربي والتقارب الأوثق في حده الأدنى لإنجاح أية محاولات لسد الفجوة الغذائية والصناعية والتقنية . . نجد أن مظاهر النزاع بين العرب تتفاقم . . واذا كان المستقبل يحكمه الحاضر ، فهو حاضر غير سار . فالنزاعات العربية / العربية تفاقمت حتى تعدت الخلافات السياسية وقطع العلاقات الرسمية الى نزاعات مسلحة ، وما وقع حتى الآن من تباعد وقطيعة لم يقع بعمقه وعنفه في أية بقعة جغرافية من العالم الحديث . . . على حين أن ما بينها وبين بعضها أقل كثيرا وكثيرا من الروابط التي تجمع الأقطار العربية .

الانسان . . محور المستقبل

☐ بناء البشر القادرين على الاضطلاع بالمهام التنموية الأساسية هو حجر الزاوية في الاهتمام بالمستقبل ، كما أن إقامة الأشكال المؤسسية والتنظيم الاجتماعي الضروري لتوظيف هؤلاء البشر لأداء المهام بكفاءة ، يعني الاهتمام الحقيقي بالمستقبل .

وعندما يهتم أي قطر أو أي اقليم بالمستقبل ، فإنه يعني الاهتمام بالانسان ، ليس في حاضره فقط ولكن أيضا في مستقبله . وضعف الاهتمام بالانسان من جوانب عديدة هو ظاهرة عربية مميزة . فحتى أولئك الذين قالوا في مراحل سابقة بالاهتمام بالاقتصاد والتنمية ، وجدوا أن هذا الاهتمام لا يعني شيئا ان لم يواكبه اهتمام بحقوق المواطن السياسية . ولعلنا نجد في تعبير الدكتور يوسف صايغ عندما قدم محاضرته الشهيرة في الكويت بعد حصوله على جائزة الكويت للتقدم العلمي لعام ١٩٨٢ حول زوايا المثلث الحرج في التنمية العربية ـ وهي الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة ـ نجده يقول : (ان الساحة العربية سادها لسنوات عديدة بين أواخر الخمسينات ومطلع الستينات فهم خاطىء للعلاقة بين الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية من جهة ، وبين الديمقراطية السياسية من جهة أخرى . وأعترف شخصيا أنني وقعت الى حد ما في هذا الخطأ في بعض نتاجي الفكري . . ان هذه المقولة

يمكن استخدامها كذريعة لحجب فرص المشاركة الشعبية السياسية) .

ولقد ردد المستقبليون العرب توجهات الصايغ وأضافوا اليها بأن هناك صلة وثيقة بين صور أفضل للمستقبل العربي وبين المشاركة الشعبية ، بل وصل بعضهم الى القول أن عدم المساهمة الفعلية للسكان في اتخاذ القرارات ضمن قنوات معترف بها ـ رغم مظاهر الديمقراطية الصورية ـ يهدر ويعيق أي تصور لبناء المستقبل .

ضعف المشاركة الشعبية الذي تتسم به معظم التنظيمات الاجتماعية في الاقطار العربية ، يفسره البعض بضعف ثقة الجماهير في العقائد الاجتماعية السياسية المطروحة من جهة ، ومن جهة أخرى ضيق فرص المشاركة والثمن الغالي الذي يدفعه المعارضون في بعض الاقطار . كل ذلك يتزامن في رأينا مع ضغط الظروف الاقتصادية على الجماهير ، وكل ذلك ينعكس سلبيا على ضعف الاحساس بالانتماء ومعاناة الاغتراب وغياب الحافز الأهم في الانتاجية الاجتماعية الاقتصادية ، لذلك فإن التحدي المستقبلي الأول والأهم هو الوصول الى صيغة في المشاركة تتبناها الجماهير العربية عن عقيدة واقتناع .

وعندما يكون الحديث عن الانسان وعلاقته بالمستقبل ، فان الحديث لا يقتصر على المشاركة فقط رغم أهميتها ، وإنما يتعدى ذلك الى التعليم والتقنية ، فهناك من بين المائة والسبعين مليون نسمة من العرب في الوطن العربي ، يوجد حوالي ٣٢ مليون أمي ، وأن نسبة الأمية في الوطن العربي بمجمله أعلى بكثير من المتوسط العالمي .

اذا أضفنا الى كل ذلك ما استقرت عليه الدراسات المستقبلية والتنموية الجادة من أن التعليم لا يعني محو الأمية ، وإنما يمتد الى التعليم الوظيفي والحضاري الذي يمكن الانسان من المشاركة بفعالية في الانتاج والنشاط العام ، لتبين لنا خطورة ما نواجه من نقص وعمق الاحباط الذي سنشعر به في المستقبل .

وبعـد ،

ان الدراسات التي بين أيدينا عن المستقبل العربي ، لا تبشر بالخير على أقل تقدير ، وما يفصلنا عن القرن الواحد والعشرين لا يتعدى خمس عشرة سنة ، سيشهده معظم من هم في ثلاثيناتهم وأربعيناتهم اليوم من العرب ، صحيح أن الدراسات المستقبلية لا تتعدى التوقعات ، وأنه اذا كان هناك شيء صحيح فيها ، فإن أيا من تلك التوقعات لا يمكن أن تتطابق مع الواقع تطابقا كاملا ، إلا أن هذه الدراسات تقول لنا أيضا أن المستقبل يبذر بذرته في الوقت الحالي ، ومن لا يبذر شيئا الآن ، فعليه ألا يتوقع حصادا على الاطلاق . □

محمد الرميحي

نظـــرة عـلى الدراسـات المستقبلية دوليـاً وعربيـاً

أسامة أمين الخولي

في مطلع عام ١٩٨٤ توفي أوريليوبيتشي (Aurelio Pec — cei) مؤسس « نادي روما » . ونادي روما هو الهيئة المسئولة عن تقرير صدر في مارس عام ١٩٨٢ عن فريق من العلماء في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة بعنوان « حدود النمو » كان له صدى ، بل دوي عنيف ، في كثير من أرجاء العالم . فمن هو أوريليو بيتشي ، وماذا يقصد بنادي روما ؟ وماذا عن الدراسات المستقبلية دوليا وعربيا ؟

أوريليو بيتشي شخصية من تلك الشخصيات الفريدة والمثيرة التي تظهر بين الحين والآخر وتترك آثارها على فترات في التاريخ ، دون أن تكون من بين زعماء الدول أو مخططي الثورات أو قادة الجيوش أو أساطين المال والأعمال من المليونيرات والبليونيرات . وهو مواطن ايطالي بدأ حياته في دنيا المال والأعمال ، وفي شركة سيارات فيات المعروفة ، وعمل في أمريكا اللاتينية ، وفي مصر أيضا في وقت من الأوقات في مشروعات تنمية قامت بها مؤسسة ايطالية بعد ثورة ١٩٥٢ . و « نادي روما » الذي أسسه بيتشي بديناميكيته الفذة وقدرته غير العادية على تدبير الموارد وحفز الأشخاص وتحريك الأمور في الاتجاهات التي يسعى اليها ، هو تجمع طوعي لعدد من المفكرين من مختلف ربوع العالم أدركوا في وقت مبكر الاخطار الرهيبة التي تدفع البشرية نحو « الهاوية » ، ورأوا في هذا الاشكالية الكونية الجامعة التي يجب أن يحشد الجهد لوقف اندفاع الانسانية نحوها من خلال تبصيرهم بما هم مقبلون عليه لو أن الأمور سارت على ما هي عليه . وهكذا أثاروا الاهتمام بالنظر في المستقبل ومحاولة التعرف على ما

يخبئه لنا من مفاجآت ، هي في واقع الأمر النتيجة المنطقية والمتوقعة للنهج الذي تسير عليه اليوم ، ومن منطلق أن يدفعنا هذا الى ابراز جوانب الخلل الاجتماعي والسياسي والبيئي والاقتصادي التي ستؤدي اليه ، ومواجهتها لتحقيق رؤية فاعلة لمستقبل مأمول وممكن ، والسعي باصرار من أجل تحقيقه .

تقرير النادي

أما التقرير فقد كان حصيلة محاولة رائدة لبناء نموذج رياضي ضخم - على الأقل بمعايير ذلك الوقت - للعالم الذي نعيش فيه،يمثل بأكبر قدر ممكن من الأمانة، العلاقات المتبادلة بين حشد من العناصر التي لم تعتد قبل ذلك النظر فيها نظرة شاملة متماسكة ، وفي محاولة لتوضيح هذه العلاقات التي تغيب عن الدراسة عندما نتناول هذه العناصر الهامة واحدا واحدا بمعزل عن العناصر الأخرى . وهذا أمر لم يكن ممكنا قبلا لعدم توفر الأدوات القادرة على الإحاطة به . ومع ظهور الحاسبات الالكترونية وتعاظم قدراتها على إختزان كميات ضخمة من المعلومات ومعالجتها بسرعات فائقة ، غدا من الممكن الإلمام بالحد الأدنى اللازم من التفاصيل والبيانات لضمان دقة معقولة للنموذج ، ومعالجتها بجهد وكلفة مقبولين . وكانت الرسالة التي جاء بها التقرير هي أن العالم مقبل على شيء قريب من الخراب أو الظلام ، بسبب زيادة عدد سكانه وتناقص موارده وتلوث بيئته ، نتيجة لسعي المجتمعات الغربية المحموم لسنين طويلة لتحقيق « النمو » بالمعنى الاقتصادي التقليدي . ويمكن اعتبار التقرير هذا ضربا من النبوءة بمصير مظلم ، ونذيرا بالويل والثبور . وسرعان ما شاع استعمال تعبير « التنبؤ » بالمستقبل لوصف هذا النوع من الدراسات المستقبلية ، وان كنت شخصيا لا أرتاح لهذه الترجمة لاصطلاح استعمل في لغة أجنبية ، خصوصا وأنه لم يعد دارجا فيها اليوم . فهو يوحي للقاريء العادي أن هناك « علما » للتنجيم وقراءة الطالع . وحتى لو قلنا أننا اعتدنا عليه في « التنبوءات » الجوية ، فان سمعتها حتى الآن لا تختلف كثيرا عن سمعة « قارئة الفنجان » ، ومع ادراكي أنها ستحقق خلال سنوات معدودات تقدما هاما في دقة حساب الطقس المتوقع . وفي كلتا الحالتين ، فان حقيقة الأمر هي أننا نسعى - من خلال التعرف الدقيق على الواقع الراهن ودراسة قوانين الحركة الطبيعية ، أو الاجتماعية ، التي نحاول الكشف عنها - الى استخلاص النتائج المنطقية المترتبة في مستقبل قريب على هذا الواقع ، في تحركه مع الزمن طبقا للقوانين التي تحكم حركته . ولنلاحظ هنا أن كلا الجهدين يحاول دراسة ظواهر تجري على نطاق شاسع يفوق مداه بمراحل نطاق دراساتنا الطبيعية والاجتماعية المألوفة ويسعى لوصفها بعدد محدود ، وان كان كبيرا ، من المؤشرات التي تعطي صورة قريبة من الواقع ، وبما يسمح لنا بتجاهل حشد أكبر كثيرا من المؤشرات التفصيلية . ولنكتف هنا بالقول بأن الكتابات العربية الآن أميل الى استعمال عبارات أكثر دقة وموضوعية مثل « الاستشراف » أو « التشوّف » أو مجرد « الدراسات المستقبلية » .

بدايات الإهتمام بالمستقبل :

وإذا ما حاولنا استعراض تاريخ الاهتمام بهذا النوع من الدراسات ، والذي نعرف له سوابق تاريخية كثيرة ، لاعتبرنا أن البدايات الأولى لها في عصرنا هي الستينيات من هذا القرن . وسرعان ما اكتسب عام ٢٠٠٠ شهرة باعتباره هدفا زمنيا معقولا للنظرة بعيدة المدى التي تتجاوز آفاق التخطيط التقليدي لخمس سنوات أو سبع ، أو التخطيط طويل المدى لعشر سنوات أو خمس عشرة سنة . وخرجت علينا دراسات ورؤى وتصورات للعالم سنة ٢٠٠٠ ، وحتى للوطن العربي سنة ٢٠٠٠ . ومع مرور الزمن انتقلنا الى الحديث عن عام ٢٠٢٥ أو ٢٠٥٠ .

وربما كان تلوث البيئة المجال الذي تبلورت فيه بوضوح سمتان رئيسيتان للدراسات المستقبلية ، هما شموليتها للعالم بأسره (عندما تكشّف لنا أن ما يحدث في الجانب الغربي من المحيط الأطلسي قد يسبب ذبول الأشجار وتسمم البحيرات في شمال أوروبا) وآفاقه الزمنية الطويلة نسبيا (فالملوثات تتراكم على مر السنين ولا تظهر آثارها إلا بعد سنوات عديدة) .

وليس من قبيل الصدفة أن يعقد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة بعد ظهور تقرير « حدود النمو » بثلاثة أشهر فقط ، وكلاهما استغرق زمنا طويلا في الاعداد .

التقرير المضاد :

ولعل الاعداد لمؤتمر البيئة كان أول مناسبة سُمع فيها صوت العالم الثالث في القضايا المستقبلية . ففي اجتماع تمهيدي للمؤتمر عقد في سويسرا ، امتد مفهوم البيئة لأول مرة ليشمل « البيئة الاجتماعية » الى جانب « البيئة الطبيعية » ، واعتبر الفقر واحدا من أخطر « ملوثات » البيئة . وأثناء انعقاد المؤتمر تبنت الصين موقفا يرفض الصياغة الغربية لأخطار تلوث البيئة ويقول ان هذه ليست مشكلة العالم النامي ، فالأخطار الناجمة عن استخدام المبيدات الحشرية ، مثلاً ثمن زهيد لاستئصال شأفة أمراض مستوطنة كالملاريا . إلا أن رد العالم الثالث الشامل على تقرير « حدود النمو » جاء بعد ذلك من الأرجنتين ، من معهد باريلوتشي ، في تقرير على نفس المستوى من حيث أساليب الدراسة ومنهجيتها . وجاء هذا التقرير نقيضا صريحا للتقرير الأول ، يرفض مفهوم « حدود النمو » ويرجع سوداوية نظرته الى عجزه عن مراجعة المنطلقات الأساسية للدراسة مراجعة جذرية . فتقرير باريلوتشي يرى أن المشكلة الأساسية هي في نظام العلاقات الحالي في العالم والى سيطرة نمط التنمية السائد في الغرب الصناعي وهو الذي أهدر الموارد الطبيعية هدرا مجنونا ، ولوّث البيئة بتقنيات مدمرة سعيا وراء تحقيق ربح سريع لمجموعات صغيرة ، تاركا وراءه ـ كنتيجة حتمية ـ العالم الثالث يعيش في فقر وتخلف . وكانت رسالته هي أن اعادة صياغة النظام الدولي كفيلة بتفنيد مفهوم « حدود النمو » وأن هناك بديلا آخر ممكنا لعالم يُرَشِّد استخدامه للموارد ويحافظ على البيئة ويوفر لسكانه حياة كريمة .

ونموذج باريلوتشي هذا مثال لنوع مختلف من الدراسات المستقبلية ، فهو لا يكتفي باستشراف النتائج المترتبة على استمرار وضع راهن وامتداده في المستقبل ، بل انه يرسم صورة لمستقبل « بديل » يمكن تحقيقه لو أن تعديلات معينة في توجهاتنا أمكن احداثها . وهذا المستقبل البديل ليس حلما طوباويا ، بل انه مشروع أجزاؤه متكاملة ومتناسقة وقابلة للتحقيق في حدود الموارد المتاحة . وهو بهذا يضعنا أمام مسئولية محددة هي السعي لاحداث التغيرات اللازمة لجعله أمرا واقعا . وليس هذا مجال الخوض في صنوف الدراسات المستقبلية ، اذ يكفينا هنا أن ننبّه الى فكرة المستقبلات البديلة التي تقوم على أساس من الخيارات الممكنة نظريا ، علينا أن نحدد موقفنا منها ونحن على معرفة بدرجة لا بأس بها من الدقة بما يؤدي اليه كل منها وبما يتطلب تحقيقه من مقومات وأدوات وفترات زمنية .

وسرعان ما تواترت الدراسات المستقبلية والنماذج وتنوعت النتائج والبدائل والخيارات . فمن نادي روما صدرت دراسة أخرى أشمل وأكثر تدقيقا بعنوان « البشرية في مفترق الطرق » تميزت بتقسيمها للعالم الى عدد من المناطق لكل منها مميزاته الخاصة ، وظهر فيها الوطن العربي بشكل ما في أحد التجمعات ، ثم دراسة عن مجموعة الدول المصنعة بعنوان المستقبلات المتبادلة (Interfutures) أكدت ارتباط مصيرها بما يحدث في العالم الثالث ، ودراسة عن الأمم المتحدة عرفت باسم نموذج ليونتيف . . . الخ . وصاحب هذه التصورات العالمية دراسات أخرى على المستوى القطري في الغرب والشرق وبعض الدول النامية . وشكلت الجمعيات والهيئات ومراكز الدراسات والبحوث المتخصصة في هذه الدراسات أو المعنية بأمرها وبتطوير منهجياتها وتقييم نتائجها .

وربما كان تبلور واحدة من أدوات التحليل الحديثة والمعروفة باسم تحليل الأنساق (جمع نسق) ذا أثر كبير في تطوير الدراسات المستقبلية ، وإقامتها على أسس منهجية راسخة نسبيا ، لقدرتها على نظم أشتات من القضايا المعقدة والمتشابكة في أنساق تخضع للتحليل المنطقي . ولقد أنشيء عام ١٩٧٢ المعهد الدولي لتحليل الأنساق التطبيقي في فينا ، وفي جهد مشترك بين عدد من المعاهد العلمية المرموقة في الشرق والغرب . بل ان شخصية سوفيتية هي جفيشياني ، رئيس لجنة الدولة للعلوم والتكنولوجيا في الاتحاد السوفيتي وزوج ابنة رئيس الوزراء الراحل كوسيجين ، قامت على أمر ادارته لعدة سنوات . الا

اوريليو بيتشي .. والدراسات المستقبلية

أن روح التعاون العلمي والفكري بين الشرق والغرب تعاني اليوم من موقف أمريكي متشدد ورافض لهذا التعاون - على الأقل على المستوى الرسمي - في معالجة قضايا كونية « لا مذهبية » بالغة الخطورة للانسانية كلها ، مثل الطاقة ، والحفاظ على الموارد والبيئة ، وأنماط الهجرات ، واحتواء المخاطر التقنية والسياسية - العسكرية .

نحن ودراسات المستقبل :

فأين نحن في الوطن العربي من هذه الدراسات المستحدثة ؟ لقد صدرت أول محاولة منشورة لاستشراف مستقبل المنطقة في أواخر الستينات عن اسرائيل !! وكانت على هيئة كتيب صغير يضم مجموعة من المخططات واللوحات الملونة تتناول جمعا من المؤشرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتنموية . وتلت ذلك بسنوات معدودات محاولة رائدة من لبنان قام بها أنطوان زحلان لعرض أول رؤية عربية لمستقبل المنطقة . ولنذكر أن كلتيهما صدرت في وقت مبكر لم تكن قد تطورت فيه منهجيات البحث وربما لم تتوفر له أيضا المقومات الأساسية اللازمة من قواعد المعلومات الوافية والدقيقة ولا من أدوات البحث والاستقراء . وظل الاهتمام بهذه الدراسات محصورا في عدد قليل من المهتمين بها والمثقفين حتى أواسط السبعينات . وربما كانت أحداث عام ١٩٧٣ وانشغال الغرب بتحديد توجهات بعيدة المدى اثر صدمة ارتفاع أسعار النفط واهتمامه بالنظر في حاضر علاقاته بالمنطقة ومستقبل

هذه العلاقات من بين ما أثار الاهتمام بالموضوع . ولقد جرت في مصر (بمبادرة من الدكتور ابراهيم حلمي عبدالرحمن مؤسس معهد التخطيط القومي ، ثم منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية وأول رئيس لها) أول محاولة جادة على نطاق واسع لتركيب نموذج رياضي وتشغيله على حاسب الكتروني فيما سمى آنئذ بمشروع « القاهرة ٢٠٠٠ » وذلك بالاستعانة بالتقنيات التي استخدمت في نموذج « البشرية في مفترق الطرق » . وفي مؤتمر اليونسكو عن تطبيق العلم والتكنولوجيا (كاستعرب) المنعقد في الرباط عام ١٩٧٦ صدرت توصية باجراء دراسة عن مستقبل العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠ (وهو الأمر الذي لم يتحقق حتى الآن !) . وانشغلت عدة منظمات عربية متخصصة في أسرة الجامعة العربية باعداد « استراتيجيات » للتنمية في مجالات تخصصها (الزراعة والصناعة والتربية) فيها تصورات للمستقبل ، وان كانت لا تستند الى قدر كبير من الدراسة المدققة أو المنهجيات المتطورة . وفي عام ١٩٨٠ ، كلف المكتب الاقليمي للدول العربية في برنامج الأمم المتحدة للتنمية "المعهد العربي للتخطيط في الكويت" باجراء مجموعة من الدراسات للتعرف على المستقبل العربي عام ٢٠٠٠ وجرت مناقشتها في اجتماع عقد في طنجة في العام التالي .

وكان لكثير من المثقفين العرب في البداية موقف مبدئي رافض لهذا النوع من الدراسات يرى أنها لا تستند الى أسس « علمية » مقبولة . وربما كان مردّه في غالبية الأحوال عدم الدراية المتعمقة بأساليب هذه الدراسات وحدودها ، من ناحية ، والزعم الباطل الذي روجت له أجهزة الاعلام ، عندنا وفي الخارج ، بقدرتها على « التنبؤ » بالمستقبل بمعنى دارج غير دقيق ، من جهة أخرى .

ولقد شهدت السنوات الأخيرة البدايات الأولى لجهد متواصل لمعالجة الدراسات المستقبلية في الوطن العربي على أسس أكثر تأصيلا وجدية عما سبق . ويحضرني هنا في نطاق الدراسات العربية الشاملة مثلان : أولهما ـ مشروع « المستقبلات العربية البديلة » الذي تموّله أساسا جامعة الأمم المتحدة ويقوم بدور المنسق فيه الاقتصادي العربي المعروف الدكتور اسماعيل صبري عبدالله . وصدر عن المشروع في بدايته كتاب بعنوان « صور المستقبل العربي » نشره مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع جامعة الأمم المتحدة ، كما يصدر عن المشروع « ملف » يعرض موجزا للدراسات التي تجري في اطار الاعداد للتقرير النهائي الذي ينتظر أن يصدر في العام القادم . أما المبادرة الثانية فهي لمركز دراسات الوحدة العربية نفسه ، الذي بدأ مؤخرا دراسة كبيرة لاستشراف مستقبل الوطن العربي ، أنجزت المرحلة التمهيدية الأولى منها وربما استغرق استكمالها عامين أو أكثر . ومازلنا نفتقد في الوطن العربي مؤسسات متخصصة في هذه الدراسات تتراكم فيها الخبرات وتتأصل المنهجيات والممارسات على نحو ما يجري في مناطق أخرى في الشمال والجنوب ، خصوصا وأن هناك اليوم من بين أعضاء « الاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية » ما يربو على العشرين عالما عربيا . أما على المستوى القطري ، فهناك مثال وحيد لتجمع فكري يهتم بالدراسات المستقبلية هو الاتحاد المغربي للمستقبليات والذي قام بدراسة هامة عن المغرب العربي . والحق ، أنه قد آن الأوان لكي تقوم في ربوع الوطن العربي هيئات حكومية وشعبية تكرس نشاطها لمثل هذه الدراسات . ولعل التحول الدرامي في أحوال سوق النفط العالمية وانعكاساته المباشرة والخطيرة على الوطن العربي بأسره وتدهور الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة بصورة متواترة في الأعوام الأخيرة وما صاحبه من شعور عام بالضياع والاحباط أن تكون حافزا لمزيد من الاهتمام بهذه الدراسات . فلو أننا رجعنا الى ما هو منشور في السنوات العشر الأخيرة في العالم الصناعي، من دراسات حول موضوع الطاقة عموما ، والنفط بالذات ، أو في اسرائيل والدوائر الصهيونية عن رؤ يتهم لمستقبل الدولة الصهيونية ولمعالجة علاقاتها بالأقطار العربية وتطويرها لصالحهم لرأينا أن شواهد ومؤشرات ما حدث مؤخرا كانت واضحة ومعلنة لكل من يعي مغزاها الحقيقي وتوجهاتها الصريحة .

بين التصور والمنهج العلمي :

واليوم ، وقد زالت عن الدراسات المستقبلية مسحة الطرافة والاثارة التي ترتبط بظهور كل صرعة جديدة ، فان بين دوائر المشتغلين بها تحركا واضحا الأن نحو اجراء مراجعة شاملة لأساليبها واهتماماتها ومحتواها . فهناك توجه يدعو الى المزيد من الالتزام بالمنهجيات العلمية الدقيقة والاصرار على تطبيق الأساليب الكمية والحسابية في الدراسات حتى لا يتحول البحث في المستقبل الى ضرب من التخمينات الشخصية والخيال الذي لا يرتبط بوضوح بواقع محدد ولا سبيل للحكم بصحته أو بطلانه . وهناك في المقابل توجه آخر يرى أن هناك حاجة للابقاء على هذا النوع من التصورات الحرة لبدائل المستقبل باعتباره رافدا لإبداع بشرى لا توفره طرق الحساب ، وفي مسائل انسانية لا يمكن قياسها بأية مؤشرات عددية ، بل ان التزمّت المنهجي قد يكون سلبية يجب تخطيها . واذا ما كان التوفيق بين هذين الرأيين ممكنا ـ وعلى الرغم من مشقة تحقيقه ـ في جماعة بحث صغيرة تعمل في اطار تنظيمي واحد ، فان تحقيقه مع انتشار النشاط في كثير من الهيئات التي تربطها شبكة من العلاقات أشق من ذلك بكثير ، ان لم يكن مستحيلا .

والأمر الثاني الذي يقلق الدارسين الجادين هو دور أجهزة الاعلام في معاملتهم وكأنهم من مشاهير نجوم هوليوود والطريقة الدعائية وغير الأمينة التي يروجون بها لاعمالهم ونتائجهم بين الجماهير وكأن ما يقومون به هو ضرب من السحر ، وذلك بالتقاطهم لِنُتَف من معلومات لا تُستوعب بدقة ، وطرحها بأشكال مثيرة . وهم يفضلون أن يعيشوا حياة أقل بريقا وشهرة من حياة كبار الفنانين ، وأن ينصرفوا في هدوء وجدية للبحث عن منهجيات مفيدة توضح المزيد من المستقبلات الممكنة . وفي كثير من المؤتمرات واللقاءات الخاصة بالدراسات المستقبلية نلاحظ اليوم نزعة نحو تأكيد أن الدراسات المستقبلية ليست بدعة تميز عصرنا وأن تاريخ الفكر الانساني ، قديمه وحديثه ، حافل بسوابق تاريخية لهذه الدراسات . وربما كان الجديد في الأمر اليوم هو أنها تستخدم أساليب وطرقا للنظر في الأمر لم تكن معروفة من قبل .

والظاهرة الثالثة التي تقلق دارسي المستقبل هي أنهم قد نجحوا كعشيرة علمية في اجراء العديد من البحوث العلمية ، دون أن ينجحوا في اقامة علاقة مؤثرة مع العشيرة السياسية . ويرى معظمهم ، في الغرب مثلا ، أن انشغالهم في السبعينيات مثلا بالحفاظ على البيئة ـ وان كان من الضروري أن يستمر ـ فان الأمر يقتضي أيضا أن يمتد الى قضايا أخرى مثل العمل والاستخدام ، خصوصا وأن هناك مؤشرات قوية الى أن الغرب يسير نحو مستقبل صناعي لا تعمل فيه الا قلة من عدد السكان . وبشكل عام ، فانهم ان لم يقيموا هذه العلاقات المؤثرة مع صانعي القرار ، وان لم يعتد هؤلاء الرجوع الى الدراسات المستقبلية للاسترشاد بها في اتخاذ القرار ، فان جهدهم سيظل ترفا ربما كان في نهاية الأمر غير مبرر . ولعلنا في الوطن العربي أكثر حاجة من غيرنا للتأكيد على هذا التوجه وعلى أهميته في مواجهة ما يحيط بنا من أخطار وما يواجهنا من تحديات . □

■ قال فيلسوف انجليزى : « ليست السعادة فى امتلاك الكثير ، ولكن فى القناعة بما تملك . . والرجل القليل الحاجة لديه دائما ما يكفيه » .

■ أفضل وأقصر طريق يكفل لك أن تعيش فى هذه الدنيا موفور الكرامة . . هو ان يكون ماتبطنه فى نفسك كالذى يظهر منك للناس .

(أرسطو)

نظرة إلى مستقبل العرب والمسلمين

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

تحريك العقول وتحرير الارادات شعاران رئيسيان في معركة العرب والمسلمين للتواصل مع مستقبلهم وصنعه بصورة أفضل .

فهل واقع الحال يعطي دفعا تفاؤليا في هذا المجال ؟ أم أن فيه من الاحباط وصور التشاؤم ما يعطل المسيرة ؟

هذا ما يجيب عليه الدكتور أحمد كمال أبو المجد في هذا المقال :

ع الفارق بين التخطيط .. واستشراف آفاق المستقبل أن التخطيط تدبير لأحوال الحاضر والمستقبل القريب .... وان استشراف آفاق المستقبل محاولة لتصور الأوضاع المستقبل البعيد بقصد التهيؤ لاستقبالها والتعامل معها ... هذا الفارق في عمق الامتداد الزمني الذي يشتغل به الجهد الانساني في الحالتين هو الذي يستدعي - بالضرورة والمنطق - نتيجتين هامتين :

الأولى : ان كلا من التخطيط ، واستشراف المستقبل ، في جزء منهما رصد لعناصر الحاضر والمستقبل القريب .. وفي الجزء الآخر تدخل بالجهد المنظم لتحريك تلك العناصر واستثمارها ، سعيا لتحقيق اهداف معينة .. ولكن نصيب التخطيط من التدخل لتحريك تلك العناصر وتوجيهها أوفى من نصيب النظر في المستقبل .

الثانية : أن المخطط يتعامل أساسا مع واقع قائم وعناصر حاضرة تخضع للرصد والقياس من حيث طبيعتها وحجمها واتجاه حركتها .. اما الذي يستشرف آفاق المستقبل فإن عناصر الواقع لا تكون الا جزءا محدودا نسبيا من اجزاء مهمته ، ويبقى للخيال وللتقدير نصيب كبير في تصور « المتغيرات الجديدة » وتصور التطورات المحتملة في حجم عناصر « الواقع المقبل » واتجاه حركتها ، وتفاعلها فيما بينها .

ومن المؤكد - رغم ما تقدم - ان التقدم العلمي في وسائل الرصد والقياس ، والسرعة الهائلة التي تتم بها كثير من التغيرات في بنية المجتمعات الانسانية نتيجة الكشوف العلمية المتلاحقة .. قد جعل استشراف آفاق المستقبل اقرب الى « التقدير العلمي » منه الى التنبؤ والرجم بالظنون وه التخمين العشوائي » الذي يدخل كله في باب الخيال .

كما جعل هذا الاستشراف بالنسبة لنا - نحن العرب والمسلمين - اكثر ضرورة والحاحا ، ما دمنا نعيش وسط شعوب تدخلنا في حسابها .. وتحاول تحديد مكاننا على خريطة مستقبلها ، وتسعى فوق ذلك الى تحديد هذا المكان تحديدا يناسب تخطيطها هي ، ويحقق مصالحها وحدها ..

في ضوء هذا الفهم لطبيعة كل من التخطيط ، والنظر في آفاق المستقبل .. لا نملك الا ان نتساءل عن مستقبل العرب والمسلمين ... بادئين بأننا نتحدث عن العرب والمسلمين ... ولنا في قضية العلاقة بينهما موقفان متكاملان ..

العروبة والاسلام

أولهما .. اننا ندرك من خلال النظرة التاريخية .. والتأمل الثقافي .. والواقع المعاش لجماهير العرب والمسلمين ، مقدار العلاقة الوثيقة بين العروبة والاسلام ... ونرفض لذلك كل محاولة لطرح العلاقة بينهما في صورة خيار حتمي ، او ثنائية تقوم على التناقض والتضاد .. وتلك قضية قد فرغنا منها على المستويين التاريخي والموضوعي .. ولذلك - ايضا - نرى ان كثيرا من آفاق المستقبل الذي ينتظر الأمة العربية ، ينتظر كذلك أمة المسلمين ..

والثاني .. ان التطابق - مع ذلك - غير كامل بين العروبة والاسلام .. فدوائرهما التاريخية والجغرافية متداخلة وليست متطابقة .. وفوق ذلك فان عناصر الواقع العربي التي لا بد ان يتخذها المخطط ومن يستشرف آفاق المستقبل على السواء .. اساسا يبني عليه تصوره لذلك المستقبل .. تظل متميزة - في جزء منها - عن عناصر الواقع الاسلامي التي تصلح اساسا للبحث في مستقبل امة الاسلام ..

ولما كان من المستحيل في دراسة خاطفة موجزة ان يستقصي اي باحث فرد كل عناصر الواقع ومكوناته ، وأن يحملها معه ومعها كل علاقاتها الداخلية ، وما تحمله من عناصر الحياة او الفناء واتجاهات الحركة وسرعتها .. فقد يكون من حقنا ان نكتفي بالتوقف عند عدد من الظواهر الكبرى والعناصر الأساسية في كل من [الواقع العربي] و [الواقع الاسلامي] .. وأن نعرض ما نتصوره من امر حركتها وهي تنتقل من « الآن » الى « مستقبل الزمان » .

ان الواقع العربي حين نرتفع عن كثير من تفاصيله وجزئياته تنتظمه ظواهر ثلاث ، نتصور انها سوف تحدد الى مدى بعيد صورة مستقبله ... وهذه الظواهر هي :

١ - خطر فوات « الفرصة التاريخية العظيمة » التي صاحبت تدفق النفط من آباره الغنية في الأرض العربية ، واشتداد الطلب عليه ، وتحكم منظمة الأوبك في اسعاره بما منح الوطن العربي فرصة العمر لاقامة مشروع تنموي قومي تتخطى به امة العرب حاجز التخلف .. وتؤمن عن طريقه مستقبلها الاقتصادي عن طريق انتاج ما تستهلكه ، وتصدير بعض فوائضه ، وتشييد « بنية اساسية » من العمران ، تقوم عليها « بنية اساسية » ثانية من العلاقات الاجتماعية العادلة والمستقرة ، وبنية أساسية ثقافية ، تصفى بها الأمية ، وتتوطن الثقافة العربية في ارض العرب اولا .. ثم تنطلق لتؤدي دورا انسانيا من خلال قيمها « الحافظة » لنوعية الحياة ولعلاقات انسانية قائمة على اداء العدل ، وتقديم

الواجب على الحق ، والايثار على النفس ، واشاعة الرحمة والتسامح ورعاية الضعفاء . واستقراء الواقع العربي يكشف عن ان هذا المشروع « التنموي » القومي لم يتحقق .. وان فرصة العمر التي حملها القدر لأمة العرب توشك ان تنفلت من ايديهم ..

نعم .. لقد عمرت اموال النفط مدنا وقرى وبوادي كثيرة .. واتخمت كثير من الأسواق العربية بآلاف من السلع الاستهلاكية التي لا يشبع طالبها ، ولكن الصناعة لم تتوطن ... والانتاج لم تثبت قواعده .. والأداة الرئيسية « للاقلاع الحضاري » وهي اتقان لغة « القوانين الطبيعية والاجتماعية ... ومسايرة النهضة العلمية منهجا ومضمونا .. لا تزال غائبة عن اكثر الاقطار العربية » ..

٢ ـ تفكك اواصر الرابطة العربية ، او الجامعة العربية ، بصورها المختلفة ، وتعثر المحاولات الوحدوية المختلفة ، وتراجع المد القومي في صوره العملية .. حتى لم تبق منه الا صيحات متحمسين ، وهتافات حالمين يكذبها الواقع المر كل يوم مائة مرة .. حتى لقد صار التناقض بين بعض الاشكال والطقوس الوحدوية القائمة وبين الواقع المعاش لأمة العرب مأساة في صورة ملهاة .. فمع وجود الجامعة العربية مبنى ونظاما ومؤسسات .. يقتتل العرب بالسلاح وبالكلمة وبالمال .. ولا يكاد السلاح ينطلق من خندق عربي الا الى خندق عربي آخر .. والوان القطيعة والخصومة وتبادل العدوان بين الأقطار والأحزاب العربية واقع يعلو صوته فوق همس الحالمين بآمال الوحدة وبالدفاع المستبسل عن « القومية » ولا اريد هنا ان أنكأ جروحا أو أن أشارك في وأد ما بقي من أمل .. وانما أتساءل .. عن السوق العربية المشتركة اين هي ؟ وعن الدفاع المشترك اين هو ؟ وعن العلاقات الدبلوماسية بين مصر وسائر الدول العربية اين هي ؟ . كما اتساءل في مرارة عن مآل الاتهامات المتبادلة يوميا ـ وبغير انقطاع ـ بالخيانة والارتداد والتنكر لكل ما هو قومي ووحدوي وعروبي .. واتساءل في النهاية عما آلت اليه القضية التي يدور حولها اكبر جانب من الاختلاف والاقتتال والتخاصم والقطيعة .. واعني قضية فلسطين التي احتلت ، وهجر اهلها ولا يزالون يطاردون ؟ .. عاما بعد عام وحلقة بعد حلقة ..

٣ ـ والى جانب تفكك أواصر الرابطة العربية .. وبسبب هذا التفكك بدأت نذر خطيرة تتجمع في الأفق .. معلنة تهديد استقلال الأمة العربية في صميمه .. فأساطيل الدول الكبرى تجوب البحرين الأبيض والأحمر .. محملة بقوات هائلة مستعدة دائما لأداء ادوار داخل « المنطقة العربية » لحساب تلك الدول الكبرى .. ولم يعد الذي يهدد الاستقلال العربي عدوان عسكري او سياسي يفرض به النفوذ الغربي او الشرقي على اجزاء من ارض العرب فحسب ، وانما صار كثير من العرب الذين تغطيهم جميعا « عباءة » العروبة .. ويرتفع فوق رؤوسهم شعار « الوحدة العربية » يتسابقون ـ كل بطريقته ـ للدخول الطوعي في دائرة نفوذ هذه القوة او تلك ، ولطلب الحماية منها في مواجهة اخطار داخلية او خارجية حقيقية او موهومة .. دفاعا عما يرونه مصالح الجماهير العربية احيانا ، ودفاعا عما يرونه مصالح الأنظمة العربية في اكثر الأحيان .. وهكذا اصبح خطر التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية خطرا حقيقيا قائما ، احدى قدميه تطل من ارض الواقع .. والأخرى توشك ان تستقر على ارض المستقبل القريب ..

ان ثبات هذه العناصر الثلاثة من عناصر الواقع العربي القائم وتحركها بعد ذلك لتكون جزءا من مكونات المستقبل هو الفرض الذي تشهد له اكثر الشواهد .. فضلا عن انه الفرض الذي تتحرك لتحقيقه قوى عديدة خارج الوطن العربي .. وفي مقدمتها دولة « اسرائيل » المستقرة على الارض العربية .. والتي تهيء نفسها لمستقبل تتحول فيه الى القوة العسكرية والاقتصادية الأولى صاحبة القول النافذ في « المنطقة » كلها ..

نعم .. قد تكون هذه صورة قاتمة .. متشائمة .. ولكن هل يرى احد ـ بعين الحقيقة لا بعين الخيال والأمنية ـ ان في الواقع العربي من اسباب التفاؤل ما يستبعد اركان هذا التصور لآفاق المستقبل العربي .. ؟؟

ويبقى .. ان العنصر « الغائب » عن هذا التحليل هو عنصر الارادة العربية الفاعلة .. التي تملك ـ وحدها ـ ان تقطع الطريق على امتداد عناصر « الضعف العربي القائم » الى آفاق المستقبل ، قريبه

وبعيده .. ولكن الأمر حين يتصل « بارادة التغيير » عند شعب من الشعوب ، فانه لا يجوز ان يدخل دائرة الرصد والحساب .. الا بعد ان يدخل في دائرة الاستثارة والتحريك والفعل .. وقد يكون من مداخل هذه الاستثارة التي من اجلها تكتب ما نكتب ، ان نطيل جميعا التأمل في المساق الطبيعي الذي يوصل اليه نمو عناصر الضعف التي استعرضناها .. وان نتخيل لأنفسنا مستقبلا .. تضيع فيه من احلامنا بعد ان تضيع من واقعنا فرص النمو والرخاء .. وفرص التجمع والتوحد .. وفرص الاستقلال وتقرير المصير .. وبغير تحريك هذا الفزع النبيل من مستقبل واقع على الحدود بين المجهول والمعلوم .. فسنظل ـ نحن العرب ـ نفخر بتراث لا فضل لجيلنا فيه ..

ونتحدث عن قضايا كبيرة لم نحرك لعلاجها ساكنا ولا متحركا .. وننادي بوحدة .. تضحك الشعوب ملء اشداقها حين تسمع صياحنا بها .. ثم ترى من ورائه حروبا أهلية وغارات يشنها العربي على العربي .. ونتحدث عن مستقبل عربي ، حيث لا مستقبل لمن لا يعملون ! .

ماذا عن مستقبل المسلمين ؟

اذا بدأنا استشرافنا لمستقبل المسلمين برصد العناصر الرئيسية في واقعهم لبدا لنا ـ على الفور ـ كثير من الظواهر التي صادفناها ونحن نستقرىء واقع العرب .. فرقة وشتات .. وطلب للأمن في جوار الأقوياء من غير العرب وغير المسلمين .. وتناقص مطرد لفرص اللحاق بالآخرين .. مع دأب واصرار على مواصلة الحديث عن الأمجاد القديمة .. واجترار لقصة فضل المسلمين على سائر الناس .. وتصلب وتشدد لا حدود لهما في توكيد « تميز المسلمين » واختلافهم عن سائر الناس والشعوب .. ولم لا .. أليسوا : خير أمة أخرجت للناس ؟

ولكننا نستطيع ـ في غير حاجة الى بحث طويل ـ أن نضيف الى تلك العناصر كلها عنصرين بارزين : أولهما .. أننا ـ نحن المسلمين ـ لم نحسم بعد عددا من القضايا الأساسية في بنياننا الفكري والوجداني .. وعلى رأسها قضية القضايا في تاريخها الطويل .. وهي كيفية وصل القديم بالجديد .. وادخال العصر على التراث ، أو التراث على العصر .. والاهتداء الى صيغة سوية هادئة .. يستقيم فيها المسلم على أمر الله .. في سماحة ويسر .. دون أن يدفع لهذه الاستقامة ثمنا يبتدعه ـ من تواصله مع الناس .. وحسن استقباله لثمرات العقل والتجربة من مستحدثات الزمان .. وحقه في الاستمتاع بما حوله من نعم الحياة وخيراتها « وزينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق .. » ولا أبالغ أو أجاوز الحقيقة اذا قلت أن وجه الحياة الاسلامية لا يزال مكدودا مرهقا مشدودا كالوتر ، مليئا باثار الفصام والتمزق والعصاب .. لم يفرغ بعد من هذه المعركة القائمة في عقله ووجدانه بين « الدين » و « الدنيا » ـ وبين « التراث والعصر » ، وبين « العقل والنقل » .. الى آخر هذه الثنائيات التي استغرقت عمره ـ أجيالا بعد أجيال ـ واستهلكت طاقته .. ثم تركت خيرة شبابه موزعين بين اليأس والرجاء .. وتركت ملايين المسلمين ـ كذلك ـ موزعين بين الفزع من الاسلام .. والفزع عليه ..

ان هذه الحيرة الاسلامية العامة تعبر عن نفسها تعبيرا صريحا في عدد كبير من القضايا المبدئية والعملية .. حسبنا أن نشير ـ مجرد اشارة ـ الى عدد منها :

أ : علاقة المسلمين بغير المسلمين .. ومدى « الخصوصية » التي تميز المسلمين عن غيرهم .. كما تميز الاسلام كله عن سائر محتويات التاريخ الانساني ..

ب : قضية الثوابت والمتغيرات .. في نظام الاسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي .. ومنهج الاهتداء الى تلك الثوابت والمتغيرات .. ودور كل من النصوص ، والعقل في ذلك كله ..

ج : مسئولية « الصفوة » أو « الطليعة » ، أو رواد الاصلاح باسم الاسلام عن تغيير أوضاع المجتمع .. وحدود تلك المسئولية ، وأثرها في تحديد علاقة أولئك المصلحين الدعاة بجماهير الناس أولا .. ثم بالحكام ثانيا ..

د : قضية نظام الحكم السياسي ، ومتى يكون اسلاميا ومتى لا يكون ـ ومتى تكون القوانين هي الأخرى ، اسلامية ... ومتى لا تكون ؟

الصحوة

العنصر الثاني : أن الواقع الاسلامي يشهد موجة متصاعدة من « التوجه للنهضة الاسلامية » تلف العالم الاسلامي كله من أرض المغرب العربي غربا الى أندونسيا وماليزيا في أقصى المشرق ، وهي موجة توجه لفهم الموقف الاسلامي من الحياة ، وبناء مجتمعات اسلامية على أساس من هذا الموقف .. ثم ترجمة هذا الموقف الى أنظمة ومؤسسات وقواعد سلوك اجتماعي .. وتشريعات .. وهي الموجة التي سماها أكثر مؤرخيها ، وأكثر المشاركين فيها موجة « الصحوة الاسلامية » .

غير أن الاهتمام بهذه الصحوة قد اتخذ مسارا شاذا وغريبا ، اذ اندفع البعض الى التخوف الشديد منها .. واعتبارها قوة جذب الى الوراء .. بما تحمله بعض تياراتها وروافدها ، من ميل شديد الى المحافظة ، واشفاق يبلغ درجة الفزع من كل جديد ، كما اندفع البعض الى الدفاع عنها في حماس المجاهدين الذين يستعجلون الشهادة .. ويعتبرون كل مخالف لهم حليفا لقوى الشر المتآمرة على « صحوة المسلمين » جديرا بأن يناصبوه العداوة ، وأن يدخلوا معه في قتال « حتى الفناء » ..

أما العناصر التي يشترك فيها واقع المسلمين مع واقع العرب ، فان امتدادها الى المستقبل جدير بأن يحمل معه العواقب والأخطار التي عرضنا لها من قبل .

وأما العناصر الخاصة بالاسلام والمسلمين فانها - فيما نرى - تضع مستقبل المسلمين على مفترق طريقين ..

فاذا استمرت الحيرة القائمة حول القضايا المعلقة ، وتحولت الى « حيرة متوطنة متجددة » فان المستقبل لا يمكن أن يحمل للمسلمين الا مزيدا من التراجع ومزيدا من الضعف والعزلة والجمود .. ولا ينبغي أن يعتمد المسلمون في انهاء هذه الحيرة على عنصر « الزمن » وحده .. ذلك أن المشاكل الفكرية والسلوكية لا تحل نفسها بنفسها .. وتاريخ المسلمين زاخر بعشرات من القضايا التي امتد « تعليقها » في الفكر الاسلامي مئات عديدة من السنين ، رغم كثرة ما قيل وما كتب حولها ..

وأما موجة التوجه للنهضة والانبعاث ، فانها - فيما نرى - تحمل بعض عناصر الفناء ، كما تحمل بعض عناصر النمو والبقاء ..

١ - فالدعوة الى العزلة عن بقية أجزاء المجتمع ، وعن تيار الحضارة العالمية .. والميل الى التشديد والغلو .. والوقوف الجامد عند حرفية النصوص ، وتجاهل مقاصد الشريعة وجوهر العقيدة ووظائف الآداب والشعائر ، والعجز عن التمييز بين الجوهر والشكل ، وبين المعنى والمبنى ، وبين الأمور الأساسية والأمور العارضة .. والانزلاق السريع الى مواجهات تصادمية مع « الآخرين » .. كل هذه - فيما نرى - مخاطر تهدد موجة الانبعاث بالذبول أو بالفناء .. وتحمل هذه النهاية مسألة وقت وقد يطول أو يقصر .. وفي اعتقادنا أن الخائفين من « الاسلام » كمنافس حضاري ، ومن المسلمين كقوة مؤثرة في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية .. يعملون - بوعي وتدبير ، أو باندفاع تلقائي ، لدفع هذه الظواهر السلبية الى أقصى مداها ضمانا لتصفية « الانبعاث الاسلامي » بفعل أصحابه وعثراتهم المتكررة ، واستعجالهم لصدامات ومواجهات ليسوا أهلا لها ولا قادرين عليها .. وانعزالهم عن التيار العريض لجماهير المسلمين ، الذين لا تستطيع قلة من المصلحين والدعاة - مهما بلغ تنظيمها وتصحيحها - أن تستغني عن تأييدهم ومشاركتهم ..

٢ - ولكن موجة الانبعاث الاسلامي تستمد الفرصة الحقيقية للنمو المستقبلي من عاملين رئيسيين :

العامل الأول :

ان هناك تيارا اسلاميا داخل المسار العريض لموجة البعث الاسلامي ، يحمل خصائص مناقضة لتلك التي استعرضناها .. ذلك أن موجة الغلو والتشدد والمبالغة في التفسير الحرفي للنصوص قد نبهت أفرادا

وجماعات الى ضرورة ترشيد موجة النهضة الاسلامية .. فقامت على امتداد العالم الاسلامي جماعات قليلة العدد ، ليس بينها الى الآن تنسيق ولا تعارف .. ولكنها ـ فيما نرى ـ تعبر عن تطلعات ملايين المسلمين .. كما أنها ـ فوق ذلك ـ أكثر اتساقا مع حركة التاريخ ، وأوفى قدرة على تلبية الحاجات الحقيقية للجماهير .. لن يتسع المقام لاستعراض خصائص ذلك الرافد من روافد « التيار الاسلامي » وانما حسبنا أن نشير الى الخصائص الأربع التالية :

١ ـ النظرة الوظيفية للاسلام ، باعتبار مبادئه وأحكامه محققة لمصالح الناس ، وليست مجرد نصوص مقطوعة الصلة بأهداف المجتمع الانساني ..

٢ ـ النظرة الانسانية العامة .. التي تتمثل في الوعي بوحدة النوع الانساني ، وبخصائص التميز التي تجمع « الشعوب والقبائل » على اختلاف أجناسها وعقائدها .. وذلك في مقابل الموقف الانعزالي المرتاب تجاه « الآخرين » ، والذي يمثله التيار المتجه ـ في تقديرنا ـ نحو التراجع والزوال ..

٣ ـ الوعي الكامل بسنة التطور وحركة الحياة .. وادراك ضخامة « الجهد » العلمي والتنظيمي الذي لا بد أن يبذل حتى توضع المبادىء الاسلامية في صياغات واشكال وأساليب تناسب أطوار الحركة التاريخية .. وهذا الوعي هو نقيض الرؤية « الثبوتية » التي تضع الاسلام والمسلمين خارج مسار التاريخ ..

٤ ـ الوعي بتفاوت « التوجيهات الدينية » في المرتبة ودرجة الالتزام .. والتسليم بأن العمل الاجتماعي يحتاج ـ بالضرورة ـ الى ترتيب الأولويات .. والتعامل مع الواقع على أساس مراعاة هذا الترتيب .. في دعوة الناس .. وفي تنظيم مراحل الهدم والبناء التي لا بد أن تقوم عليها كل حركات التغيير والاصلاح ..

أما العامل الثاني الذي يفتح أبواباً للرجاء في مستقبل المسلمين .. فجوهره أن مسار التطور الاجتماعي (بمعناه الأوسع) يشهد احساسا متزايدا بالحاجة الموضوعية الى مجموعة القيم أو المبادىء التي تشكل « العمود المحوري » للتصور الاسلامي وللتنظيم الاسلامي على السواء .. ويبدو الأمر لنا ـ من منظور تاريخي بعيد الغور ـ كما لو كان الاسلام قد ادخر هذا الزمن الطويل .. على امتداد عصور كانت البشرية ـ مع حاجتها الأصيلة اليه ، مستطيعة مع ذلك أن تدبر أكثر أمورها متكئة على الغرائز الانسانية ، ! وعلى ثمرات الجهد البشرى في مجالات الفلسفة والأخلاق والقانون ..

ولكن « الانفجارات » السلوكية التي حملتها معها الثورات العلمية والصناعية المتعاقبة .. قد وصلت بالمسار الانساني ـ فيما نرى ـ الى نقطة تشتد فيها الحاجة الموضوعية الى الاسلام .. ولهذا نشتد في رفض مقولات المتكفئين على الماضي وحده ، والداخلين في خصومة مع المستقبل ، والمشتغلين ـ نتيجة ذلك كله ـ بالبحث في اشراط الساعة ، المتوقعين قيامها بين يوم وآخر .. ذلك أنهم في غفلتهم ويأسهم يفرون من المعركة الحقيقية التي ادخروا لها .. معركة المساهمة في ترشيد حركة المجتمعات الانسانية وهي تواجه ـ كل يوم ـ أمواجا من التغيرات تترك الحليم حيران .. وتوشك أن تصيب الجيل كله « بدوار الحركة السريعة » الناتجة من انهيار الحدود بين الحاضر والمستقبل ..

وبعد ..

فهذه محاولة لاستشراف مستقبل العرب والمسلمين في ضوء رصد الظواهر الكبرى في حاضرهم .. وهي محاولة تقوم على مجموعة من الفروض لانستطيع هنا أن نقيم الدليل على صحتها ، وفي مقدمتها فرض استمرار عناصر الواقع الخارج عن دنيا العرب والمسلمين بأحجامها القائمة ، وباتجاه حركتها الذي نعرفه ونراه ..

والخاتمة التي نختم بها هذه المحاولة الأولية هي ترديد ما قررناه من قبل من أن الحاضر لا ينتقل بحالته الى المستقبل ، وان حركة عناصره لا تحكمها القوانين الكونية المستقلة عن ارادة الانسان فحسب ، وانما تتحكم فيها كذلك ارادة التغيير التي يوجهها عقل الانسان .. ذلك أن هذه الارادة جزء من نظام الكون ، وحركتها ناموس من نواميسه ..

نحن اذن ـ عربا ومسلمين ـ نحتاج أول ما نحتاج الى تحريك عقولنا وتحرير ارادتنا .. حتى نكون من بين من يصنعون المستقبل ، ويحددون مواقعهم على خريطته ، ولا نكون جزءا من « مادته » الساكنة التي تحركها ارادة الآخرين . □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

هل يمكن أن يكون الماضي مؤشرا للمستقبل ؟
الأكيد أنه يدخل ضمن المؤشرات الرئيسية ، خاصة اذا كان الحديث عن الانسان .. فالانسان تجربة متصلة وتاريخ ممتد .

يحدث عام (٢١٥٠)

يقول التاريخ ان جديدا قد حدث خلال القرنين الماضيين ، وان ذلك الجديد قد ازداد وضوحا في النصف الثاني من القرن العشرين . كان سكان العالم ـ منذ بداية التاريخ ـ يتزايدون ببطء ، وأحيانا بشكل غير مستقر تؤثر فيه المجاعات والحروب والأوبئة .. فإذا بهم ـ منذ القرن الثامن عشر ـ يزيدون باطراد ، واذا بالنصف الثاني من القرن العشرين وقد سجل أرقاما قياسية في معدلات التزايد السكاني ، مما زاد القلق على المستقبل ، وزاد الاتجاه لمواجهة المشكلة السكانية .

وتقول الأرقام انه في عام (١) ميلادية كان عدد سكان العالم (٣٠٠) مليون نسمة فقط .. واستغرق الامر أكثر من (١٥٠٠) سنة ليتضاعف هذا الرقم .. حتى كان عام (١٧٥٠) حين تزايدت المعدلات السكانية . وخلال مائة وخمسين عاما من هذا التاريخ ـ أي في عام (١٩٠٠) ـ تضاعف عدد السكان ليصبح (١ر٧) بليوناً ..

ولكن ، حتى ذلك التاريخ ، كان التزايد محدودا .. وبينما كان المعدل لا يزيد بأكثر من ٥ر٠٪ بالمائة سنويا أصبح (١) بالمائة عام ١٩٥٠ .. ثم تزايد ليصبح (٢٪) وتزايد في الدول النامية بشكل أكبر وتناقص في الدول المتقدمة .

الانجاب .. بين الأغنياء والفقراء

خلال هذه الرحلة تضاعف عدد سكان العالم مرة أخرى بين عام ١٩٥٠ و ١٩٨٠ وساعد على ذلك تحسن مستوى المعيشة والصحة والتعليم ، مما خلق اتجاها للحد من الانجاب ، ومما قلل نسبة الوفيات ..

ولكن .. بقي الاغنياء ينجبون أقل ، والفقراء ينجبون أكثر ، واستطاع بعض الفقراء أن يحددوا الانجاب بطفلين في المتوسط كما هو الحال في الصين ، بينما تزايد هذا الرقم عند معظم الدول النامية ليصبح متوسط الانجاب (٤ ـ ٥) أطفال لكل أسرة .

وبالطبع وخلال هذه الرحلة التي أصبح فيها الفقراء ـ أو ما نطلق على دولهم البلاد النامية ـ يحتلون ٧٥٪ من عدد سكان العالم .. برزت قضية الثروة والموارد .. وهل تكفي للمستقبل أم تحدث المجاعة ؟ .. و .. قبل ذلك كان السؤال : هل يتم توزيع الثروة في العالم بشكل عادل ؟ .. وبمعنى آخر : هل يمثل الفقر مشكلة ندرة في الموارد .. أم مشكلة سوء توزيع لها ؟

في محاولة للبنك الدولي ، وفي آخر تقرير له حول التنمية في العالم ، استطاع البنك أن يلقي الضوء على قصة توزيع الثروة . ويقول التقرير ـ والصادر في يوليو

الماضي - أنه بينما زاد سكان العالم ثلاث مرات منذ عام (١٨٥٠) فان الدخل الحقيقي للفرد قد زاد نحو ست مرات خلال هذه الفترة . ومع زيادة الدخل زاد انتشار التعليم ، وزادت متوسطات الاعمار ، وزاد التحضر . . ولكن . . . - وفي نفس الوقت - زاد سوء توزيع الثروة .

بالارقام ، كانت الدول النامية تمثل ٧٤٪ من سكان العالم عام (١٨٠٠) وانخفضت النسبة الى ٦٧٪ عام (١٩٥٠) . . ثم انحسر هذا التحسن وعادت نسبة الفقراء إلى التزايد لتفوق ما كانت عليه عام (١٨٠٠) وتصل الى ثلاثة أرباع العالم تماما عام (١٩٨٠) .

وبينما كانت الاهمية العددية للفقراء على هذا النحو ، فان نصيبهم من الثروة قد تراجع . . وبينما كانت هذه الدول النامية تستحوذ على ٤٤٪ من الانتاج العالمي في بداية القرن التاسع عشر ، فإن هذه النسبة قد تراجعت لتصبح ٢١٪ فقط عام ١٩٨٠ .

نهاية المطاف : ١١ بليوناً .

وربما يكون التفسير واضحا ، فالثورة الصناعية قد كرست صيغة الاغنياء والفقراء ، والاستعمار كان مزدهرا لحساب البعض وعلى حساب البعض الاخر ، وثورة التقنية زادت الهوة ولم تضيقها ، والتكتلات الاقتصادية كانت أنجح في عالم الاغنياء . . بينما كانت التبعية وكان التقسيم غير العادل للعمل الدولي من نصيب الفقراء .

السؤال الرئيسي : هل يستمر ذلك ؟

في توقع للبنك الدولي أن يستمر العالم في التزايد السكاني طوال القرن المقبل . الاغنياء بنسب صغيرة قد تهبط الى الصفر ، والفقراء بنسب أكبر ، من المرجو ألا تزيد عن ٢٪ سنويا . ولكن ، ومع استمرار التوجيهات الحالية في ضبط النسل ، فان التوقع أن يصل العالم كله الى صيغة التثبيت التي تتساوى فيها أعداد المواليد والوفيات ، ولا يزيد حينذاك العالم أو ينقص في عام (٢١٥٠) ، حينذاك سيكون تعداد العالم ١١ بليون نسمة . . . وحينذاك ستكون الغالبية العظمى في عالم الفقراء . . وسوف تكون نقطة بداية جديدة بالنسبة لهم لكي يتمتعوا بمستوى معيشي أفضل ومتوسط دخل أكبر .

ابتداء من هذا التاريخ (٢١٥٠) وربما قبله ، بالنسبة لدول نامية كثيرة ، سوف يتقاسم الزيادة في الدخل نفس عدد السكان ، فنموهم سيكون قد توقف ولن تعود الافواه الجديدة تلتهم زيادة الدخل .

التبعية لاتفيد

ولكن . . هل ينتظر العالم ذلك التاريخ البعيد لينعم الفرد في الدول النامية بمتوسط دخل أكبر بفضل نجاحه في تنظيم النسل وحجبه لاعداد جديدة من الاطفال كان يمكن أن تغزو العالم ؟

الاكيد أن الاجابة بالنفي . فعنصر السكان متغير واحد ، أما بقية المتغيرات فأبرزها زيادة الانتاج والانتاجية وعدالة توزيع عائد هذا الانتاج على مستوى المجتمع المحلي والمجتمع الدولي .

وفقا للعلاقات الدولية في الأمد المنظور ، فانه لا يبدو هناك اتجاه لتوزيع أفضل للثروة ، أو تقسيم أرقى للعمل الدولي ، أو شروط أفضل للتبادل بين الفقراء والاغنياء . انتاج الفقراء سوف يبقى - اذا استمرت السياسات القائمة كما هي - اكثر تخلفا من انتاج الدول المتقدمة وأسعاره أكثر تدنيا . فان التقدم التقني سوف يبقى بطيئا وباهظ الثمن أيضا . وسوف تواجه عالم الفقراء مشاكل الديون بشكل اكبر .

يقولون في عالمنا : التبعية لا تفيد ، والهوة سوف تتسع ، ومؤشرات التقدم في العالم الثالث - مهما تزايدت - فانها لن تصنع قفزات مماثلة لما يحدث في العالم الأول .

ويطرح ذلك قضية هامة : هل تكون التنمية في أحضان العالم المتقدم ووفق مفاهيمه ومصالحه . . أم تكون التنمية وفق أسلوب خاص نبتكره في عالمنا الثالث ، أسلوب يكرس الاستقلال ويدفع بعجلة الانتاج ويناسب ما نملك من إمكانات وما نطمح له من مستقبل ؟

يبدو أنه كما تم اختراع المصباح والكمبيوتر والطائرة والصاروخ ، فنحن بحاجة لاختراع - ان جاز التعبير - في ادارة الموارد والعلاقات الاجتماعية والدولية .

واذا لم نخترع فعلينا ان ننتظر عام (٢١٥٠) . . وربما يفاجئنا القادمون الجدد أطفال المائة وسبعين عاما القادمة بأنهم التهموا كل شيء وأحبطوا كل توقع ، وحينذاك لن ينفع الاختراع . . ولن ينفع التقليد . □

أيديولوجية التسلح

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

عندما يطالع القارىء العربي العادي عنوانا كبيرا في الصحف عن موضوع له صلة بمشكلة التسلح ، فان عينيه تبتعدان ، عادة ، عن الموضوع ، وتتحركان بحثا عن عنوان آخر يتناول موضوعا أقرب الى اهتمامه ، وأقوى جذبا لانتباهه .

هذه صورة .

ومن ناحية أخرى ، لا يكاد يمر يوم الا ونشاهد على شاشات التليفزيون منظرا لألوف مؤلفة من البشر ، في أوروبا وأمريكا واليابان ، يرفعون اللافتات ضد مشروعات التسلح ، ويجلسون بهدوء ، ولكن بإصرار ، ليعترضوا سبيل قافلة تحمل أسلحة للدمار ، أو ليسدوا مداخل قاعدة للصواريخ ، أو يتظاهروا في وجه زائر كبير يعلمون أن

زيارته تحمل معها أخطارا عسكرية .

هذه صورة مقابلة .

والصورتان تكشفان عن الفارق بين الوعي وانعدام الوعي ، بين الاهتمام واللامبالاة . ففي الوقت الذي يطوي فيه كثير من المثقفين في بلادنا أخبار التسلح على أساس أنها « من شأن الآخرين » ، أو لأنها معقدة ثقيلة الظل . . تتصدى النساء حاملات أطفالهن ، في المجتمعات الواعية ، لجنود مدججين بالسلاح ، وتقف رقة المرأة وبراءة الطفولة في وجه خشونة الجندي وصرامته ، كشاهد على تصدي الانسانية للنزاعات اللاانسانية ، ووقوف أنصار الحياة في وجه دعاة الموت والدمار .

إن قضية التسلح ، في عالم اليوم قضية تهمني وتهمك ، ولها أوثق الصلات بالحياة اليومية للأسرة العادية ، والأمنيات التي يتمناها الآباء لأبنائهم ، والأمل في المستقبل كما يرتسم في مخيلة كل شاب وفتاة . ولهذا يتخذ الملايين من البشر الواعين موقفا واضحا ومحددا من هذه القضية ، ويتصدون بالأناشيد والزهور ، ولكن بحزم واصرار ، لتجار الموت . ولأن نوع الموت الذي تهددنا به أسلحة العصر لن يوفر أحدا ، فإن من واجب الانسان العربي أن يكون أكثر اهتماما ، وأن يفتح عينيه جيدا ، ولا يقلب الصفحة ، حين يقرأ في الجريدة خبرا من أخبار التسلح .

فما هي القضية بالضبط ؟

ان لهذه القضية أبعادا كثيرة ، شديدة التعقيد ، ولكني لا أود في هذا الحيز المحدود أن أعيد الى أذهان القراء حقائق يستطيعون الحصول عليها لو قرأوا ما يكتب في كل يوم عن الموضوع . وانما أردت من هذا المقال أن ألقي بعض الأضواء على جوانب من الموضوع لا تعالجها الكتابات الشائعة ، ويتجاهلها الكتاب دائما ، أو يتغافلون عنها عامدين .

الدور الايديولوجي للتسلح

ان في عالمنا هذا نظامين أيديولوجيين : الرأسمالي والاشتراكي ، وفيه كتلة ضخمة ، هي كتلة العالم الثالث تسعى الى اللحاق بموكب التقدم ، وتنجح حينا وتخفق أحيانا ، وقد تقترب تجاربها الهادفة الى تحقيق التقدم من هذا المعسكر أو ذاك . وهكذا فإننا لو شئنا أن نلخص صراعات عالم اليوم في كلمة موجزة ، لقلنا انها هي صراع المعسكرين الكبيرين فيما بينهما من جهة ، وتنافسهما على اجتذاب الكتلة الضخمة للعالم الثالث من جهة أخرى . وفي هذا الصراع ، بشقيه ، يقوم التسلح بدور أساسي .

ان النظام الرأسمالي ، يستطيع أن يتحمل دون عناء أعباء التسلح ونفقاته الباهظة . بل ان انتاج السلاح وتطويره وتجديده المستمر من أهم العوامل التي تساعد على استمرار هذا النظام في الحياة وازدهار اقتصاده وتشغيل مصانعه وايجاد فرص عمل للعاطلين فيه . أما النظام الاشتراكي فان التسلح بالنسبة اليه عبء ثقيل يؤثر تأثيرا واضحا في مستوى نموه . ذلك لأن السلاح في هذه الحالة لا تنتجه شركة تحقق أرباحا هائلة من بيعه أو تصديره ، وانما تنتجه الدولة التي تخطط اقتصادها بحيث يؤدي التوسع الزائد في أي ميدان الى التضييق في الميادين الأخرى . وهكذا فان انتاج أسلحة باهظة التكاليف ، في المجتمع الاشتراكي ، لابد أن تقتطع نفقاته من قوت الناس ومن ملبسهم ومسكنهم وسائر الخدمات التي تقدم اليهم .

هذه حقيقة أساسية ، اذا استوعبناها جيدا أمكننا أن نفهم بوضوح طبيعة الدور الايديولوجي الخطير الذي يؤديه التسلح في عالمنا المعاصر .

فحين نستوعب هذه الحقيقة ، نستطيع أن نحلل ظواهر كثيرة قد تبدو في نظرنا غير مفهومة . فلماذا كانت أهم التجديدات الحاسمة في ميدان التسلح تأتي من جانب المعسكر الرأسمالي ؟

ان التطوير المستمر للأسلحة التقليدية يحدث أولا في البلاد الرأسمالية . والقنبلة الذرية ، ثم الهيدروجينية ، والطائرات الأسرع من الصوت ، كل ذلك بدأت به بلاد رأسمالية . صحيح أن السوفيت كانوا هم الذين افتتحوا عصر الصواريخ ، غير أن التطوير العسكري للصواريخ باستخدامها من أجل شن حروب الفضاء قد تم على أيدي الأمريكيين . وفي أيامنا هذه يحلم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بنظام جديد يشكل « حائطا » لاصطياد الصواريخ

المعادية قبل وصولها الى أهدافها - وهذا النظام الذي سيتكلف مئات البلايين من الدولارات ، والذي لا يضمن أحد فعاليته على الاطلاق ، يعني تصعيدا جديدا في التسلح ، وارتفاعا صاروخيا في ميزانياته .

الصراع على البقاء

هذا التطوير المستمر لا يعني فقط مزيدا من الروح العدوانية لدى مبتكريه ، بل انه موجه في الأساس نحو الخصوم ، والهدف الأساسي منه ، في رأيي ، ليس عسكريا ، وانما هو ايديولوجي واقتصادي . فقد أصبح التوازن الدولي يحتم على كل من القوتين العظميين أن تلحق الواحدة بالأخرى في قدراتها العسكرية . وكل تصعيد في مستوى التسلح ونفقاته يعني مزيدا من الارهاق لاقتصاد المعسكر الشرقي ، ويعني اقتطاعا من ضرورات الحياة لدى شعوب هذا المعسكر من أجل هدف أهم : هو أن تكون هذه الدول أو لا تكون ، أعني من أجل الصراع على البقاء ، وهو في عالمنا هذا أهم الصراعات جميعا .

وكما قلت ، فان الاقتصاد الاشتراكي لم تنشأ فكرته أصلا من أجل عالم تسوده منافسات عسكرية وصراعات حياة أو موت ، بل ان مؤسسيه تصوروا قيام تنافس سلمي بين الرأسمالية والاشتراكية ، وبنوا تنبؤاتهم بحتمية انتصار الاشتراكية على أساس فكرة المنافسة السلمية . ومع ذلك فإن الكتّاب حينما يعددون تلك العناصر التي أخفق مؤسسو الاقتصاد الاشتراكي ، مثل كارل ماركس ، في التنبؤ بها ، يغفلون عادة هذا العنصر الذي أصبح يشكل الحقيقة الأساسية في عالمنا المعاصر : أعني قيام النظام الرأسمالي بوضع العالم كله - وضمنه المعسكر الآخر - أمام أمر واقع يضطر فيه الى تخصيص الجانب الأكبر من موارده من أجل التسليح . ففي رأيي أن عدم التنبه الى الأساليب الدفاعية - الهجومية التي يستطيع بها النظام الرأسمالي أن يطيل حياته ، بل أن يزداد ازدهارا على حساب العالم كله ، هو أهم النقاط التي اخفقت فيها تنبؤات رواد الاشتراكية في القرن الماضي . وبفضل هذه الأساليب استطاع النظام الرأسمالي أن يضع الصراع بينه وبين الاشتراكية في إطار يختلف تماما عما تصوره هؤلاء الرواد .

ولكن الواقع أن التنبؤ بمثل هذه التطورات كان أمرا شبه مستحيل : ذلك لأنها لم تظهر في الأفق الا بعد أن أدرك مفكرو النظام الرأسمالي أن وسيلتهم الوحيدة للصمود في مضمار المنافسة هي أن ينقلوا الصراع الى أرضهم الخاصة ، فيجعلوه صراعا مسلحا بدلا من أن يكون سلميا . وكلما لاحت في الأفق بوادر استرخاء أو هدوء ، أشعلوا نيران أزمة أو نزاع هنا أو هناك ، لكي تظل الحاجة الى التسلح قائمة .

وقد ظهر ذلك أوضح مايكون بعد الحرب العالمية الثانية . فخلال السنوات الأربعين التي انقضت منذ انتهاء هذه الحرب ، طورت أنواع من الأسلحة تفوق بكثير كل ماعرفته البشرية من قبل . وكان ذلك أمرا غريبا بحق ، لأن من المألوف ألا تحدث تطورات سريعة وحاسمة في الأسلحة الا في أوقات الحروب الطويلة . ومع ذلك فقد اتسمت فترة ما بعد الحرب بالجمع بين صفات السلم والحرب معا . وفي الوقت الذي تعتقد فيه معظم شعوب العالم أن هذا التصعيد في التسلح راجع الى خوف كل نظام من أن ينقض عليه الآخر ، واتباعهما سياسة الردع المتبادل ، أي تخويف كل طرف للطرف الآخر حتى لا يبدأ بتوجيه الضربة الأولى اليه - يتبين لمن يفكر في الأمر بمزيد من التعمق أن المسألة تنتمي الى ميدان الصراع الأيديولوجي أكثر مما تنتمي الى الميدان العسكري .

استنزاف متعمد

المهم في الأمر أن الدعوة إلى الاشتراكية لم تكن ، في أصلها ، تحسب حسابا للأساليب الجديدة ، غير المتوقعة ، التي يبتدعها النظام الرأسمالي لكي يدافع عن نفسه ، ويضعف المعسكر الآخر ، وعلى رأس هذه الأساليب ، التصعيد المستمر للتسلح . وهكذا نشأ موقف جديد ، أصبح فيه التنافس بين المعسكرين مشوها ، يسير في طرق متعرجة شديدة التعقيد ، بدلا من أن يسلك طريق المنافسة السليمة المباشرة . واستطاع المعسكر الرأسمالي بالفعل أن يوقف مسيرة المعسكر الخصم ، بل أن يوسع الهوة المعيشية التي تفصله عنه ، وكل من يزور بلدان المعسكر

الاشتراكي ويقارنها بالبلاد الرأسمالية المتقدمة ، لابد أن يصدمه الفارق الهائل في مستوى المعيشة بين الجانبين ـ هذا مع الاعتراف الكامل بالنجاح الكبير الذي يحرزه المعسكر الاشتراكي في ميادين كالتعليم والعلاج الطبي والاسكان . فالفرد العادي في أي بلد اشتراكي يعيش حياته اليومية في مستوى أدنى بكثير من نظيره في العالم الرأسمالي ، والتطلعات الاستهلاكية تستحوذ عليه استحواذا لا تخطئه العين الفاحصة ، ولا يخفف منه شعوره بأنه أكثر أمانا بكثير ، في عمله ومستقبله وحياته اليومية ، من نظيره في الغرب .

هذا القصور الاستهلاكي الواضح لا يرجع إلا إلى الاستنزاف المتعمد الذي يفرضه النظام الرأسمالي على اقتصاد المعسكر الخصم في ميدان التسلح ، الذي أصبح الآن باهظ التكاليف . بل ان نقص الاستهلاك ، الذي يلاحظه الانسان العادي بسهولة في عالم لم تعد تقوم فيه حواجز بين المجتمعات ذات الأنظمة المختلفة ، هو المسئول عن عدم الاستقرار وعن تلك الثورات التي تشب من آن لآخر في بلاد المعسكر الاشتراكي ، كالمجر وتشكوسلوفاكيا ، وأخيرا بولندا ، ونتيجة لتلك الثورات ، تفرض السلطات مزيدا من القيود ، فيؤدي ذلك الى مزيد من الغضب المكتوم ، وهكذا تستمر الحلقة الجهنمية في تضييق الخناق على هذا المعسكر ، بعد أن نجح المعسكر الرأسمالي في فرضها على خصومه حتى يلعبوا لعبة الصراع بقواعده هو ، وعلى أرضه هو .

خدعة الضربة الأولى

ان التسلح قد أصبح اليوم ، في رأيي ، يؤدي دورا ايديولوجيا أكثر مما يؤدي دورا عسكريا . وكل

جيد جديد من أسلحة الدمار يبتكره العالم الرأسمالي ، ويرغم الآخرين على مواجهته بأسلحة مقابلة ، انما هو وسيلة جديدة يصطنعها هذا العالم لكي يتغلب من جهة على أزماته الداخلية ، من بطالة وكساد . . . الخ ، ولكي يرهق الخصم وينهك قواه من جهة أخرى . وأستطيع أن أقول بكل ثقة ان المسئولين الكبار في بلد مثل أمريكا يعلمون علم اليقين أنهم يخدعون شعبهم حين يقدمون اليه (كما يفعلون في هذه الأيام) فكرة نظام لحرب كونية أو فضائية تقوم فيها صواريخ أو أشعة ليزر أو غيرها من ابتكارات الموت بتدمير الصواريخ المهاجمة لو أراد العدو توجيه « الضربة الأولى » . ذلك لأن عدو الأمريكيين لن يوجه الضربة الأولى ، وهذا أمر يعلمه أصحاب هذه الأفكار الجهنمية أنفسهم عن يقين .

وهذا التأكيد الجازم بأن أحد المعسكرين عدواني ، والآخر لا يريد الحرب ولن يبدأها ، لا يرجع الى أن أحد المعسكرين يتسم بالفضيلة والآخر بالرذيلة ، وانما يرجع ببساطة الى أن طبيعة النظام الاشتراكي تجعله أقدر على المنافسة في حالة السلم منه في حالة الحرب ، ومن ثم فانه يخدم مصالحه على نحو أفضل عن طريق منع الحروب ، لا عن طريق إشعالها ، هذا فضلا عن أن الكوارث الرهيبة التي عانتها الدولة الكبرى في هذا المعسكر ، وهي الاتحاد السوفيتي ، خلال الحرب العالمية الثانية ، تجعلها آخر دولة في العالم تفكر في شن حرب عالمية أخرى .

أما بالنسبة الى بلاد العالم الثالث ، فان التسلح المتصاعد يعني ، ببساطة ، تعطيل خطط التنمية وتخصيص موارد المجتمع لأغراض الموت بدلا من أهداف الحياة . وتؤدي لعبة التحسين الدائم للأسلحة الى أن تظل دول العالم الثالث - مهما كان فقرها - في حاجة دائمة الى سلاح جديد ، وتصبح أسلحتها القديمة بعد عدد من السنين كتلا معدنية لا نفع فيها ، بعد أن كانت قد اقتطعت في سبيلها من قوتها الضروري ، وجوعت شعوبها أو حرمتهم من ألزم الضرورات . وهكذا تظهر كل يوم طائرات أسرع ، وأشد فتكا ، ومدافع أطول مدى ، ودبابات أقوى دروعا ، وكل قطعة جديدة تُشترى من هذه الأسلحة تعني حرمان بلد هو في الأصل فقير ، من مستشفى أو مدرسة أو مصنع . والحرمان - مصحوبا بتصعيد التسلح - يؤدي الى زيادة اصطباغ المجتمع بالصبغة الاستبدادية ، مما يعني مزيدا من الارتباط بالدول الموردة للسلاح ، وبذلك يحقق التسلح بدوره في هذه الحالة هدفا أيديولوجيا .

راعي البقر وخصمه

لقد شاهدنا جميعا ، في أفلام رعاة البقر الأمريكية ، منظرا لمواجهة بين مسلحين يقترب كل منهما من الآخر ببطء ويده بقرب زناد مسدسه ، وعرفنا من هذه الأفلام الأمريكية أن حياة الفرد - في فترة بناء أمريكا وتوسعها - كانت تتوقف على السرعة التي يسحب بها مسدسه . وبوسعي أن أقول ان أمريكا قد استطاعت أن تنقل هذا المنظر بحذافيره الى المستوى الدولي ، فأصبحت المواجهة بين المعسكرين ، أعني بين صواريخ كل منهما المنصوبة في اتجاه الآخر ، صورة طبق الأصل للمواجهة بين راعي البقر وخصمه . بل ان التشبيه يمتد الى ما هو أبعد من ذلك : فكل النزاع الحالي حول صواريخ كروز وبرشنج ، التي نصبتها أمريكا حديثا في أوروبا وتسببت في قطع مباحثات نزع السلاح ، انما يرجع الى أن هذه الصواريخ تعطي الطرف الذي يستخدمها بضع دقائق أسرع من الطرف الآخر ، عندما يرسل صواريخه اليه . انها تعني ، ببساطة ، أن أحد المسلحين اللذين يواجه كل منهما الآخر قد ابتكر طريقة أسرع لمد إصبعه الى الزناد .

ومن المفارقات ذات المغزى ، أن هذا التطور قد أصبح واضحا للعيان في عهد رئيس أمريكي كان حتى عهد ليس بالبعيد متخصصا في تمثيل أدوار رعاة البقر ، وكان بارعا في مشاهد المواجهة وسرعة سحب المسدسات !

ان سباق التسلح ، في رأيي ، ليس - كما يعتقد الكثيرون - ضرورة تمليها ظروف عالمنا المعاصر ، وليس إجراء وقائيا يستهدف تحقيق الأمن للدول في عالم يسوده الصراع ، وانما هو خطة متعمدة تطبق ببراعة لأهداف أيديولوجية في المحل الأول . انه ببساطة إجراء يرمي الى نقل المواجهة بين

الأيديولوجيات الكبرى في هذا العالم من الميدان السلمي الى الميدان العسكري ، محققا بذلك أهدافا ثلاثة :

١ ـ خدمة الاقتصاد القائم على النشاط الحر ، والذي يحقق أعظم أرباحه ، ويحل كثيرا من مشاكله الداخلية ، عن طريق صناعات الأسلحة .

٢ ـ ارهاق اقتصاد المجتمعات الاشتراكية ، الذي لم يخطط أصلا لمواجهة أعباء عسكرية باهظة ، والذي لا يحقق أفضل نتائجه الا في ظروف المنافسة السلمية . وهذا الارهاق تترتب عليه مشكلات كثيرة ، ويؤدي الى دورة خبيثة من السخط ، الناجم عن الحرمان ، الى القمع الذي يولده السخط ، والذي يؤدي بدوره الى المزيد من الغضب والتذمر ، وهلم جرا . . .

٣ ـ استنزاف موارد البلاد النامية واضاعة فرصتها في تعويض التخلف ، وابقاؤ ها في حالة اعتماد متزايد على الدول التي تورد السلاح وتبيع الغذاء .

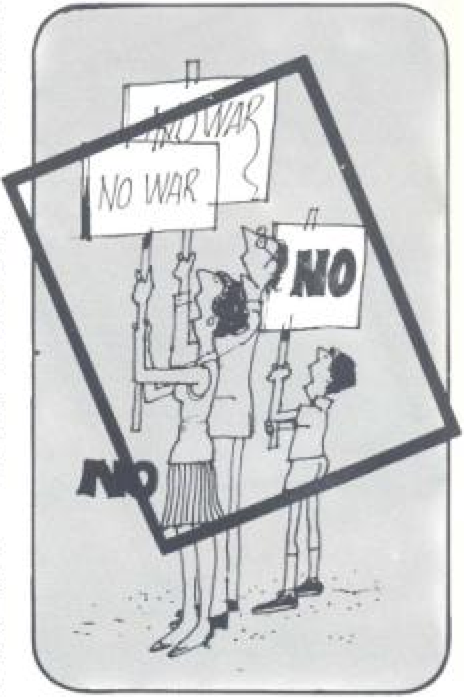

صناعة السلاح وتجارة الموت

هكذا فإننا لسنا على الاطلاق بعيدين عن المعركة ، وانما هي تمس صميم مستقبلنا ومستقبل أبنائنا . واذا كان المخططون الأصليون لعملية تصعيد التسلح يستهدفون في الأساس غايات ايديولوجية ، فانهم في سبيل ذلك يضعون العالم كله ـ وضمنه نحن ـ على فوهة بركان ، ويهددون بقاءنا ذاته في كل لحظة .

فمن وراء مرحنا وضحكنا ولهونا ، هناك عالم لا نحس به ، عالم حقيقي الى أبعد مدى ، هو عالم أولئك الذين يجلسون على مدى الساعات الأربع والعشرين في كل يوم أمام شاشات التليفزيون ولوحات الأزرار المتصلة بمخابىء الصواريخ الهائلة ، يرصدون كل حركة ويرسلون كل لمحة خطر الى قيادات متحفزة ، وينتظرون الاشارة الحمراء ليضغطوا الأزرار التي تطلق جحيم الموت والدمار على العالم كله .

هذه معركة يوجد كل واحد منا في ساحتها ، شأنه شأن أي فرد آخر من أفراد هذا الجنس الذي يسمي نفسه « عاقلا » ، والذي أوشك عقله ، وعلمه ، على أن يبعث به الى الجنون . انها معركة لا معنى لها ، يخططها ببراعة صناع السلام كيما تنتعش تجارة الموت التي يبيعونها للعالم بأسره ، والتي يحققون بها رخاءهم ، وينهكون بها خصومهم ، ويرغمون بها العالم على الانقياد لهم ، ويضمنون بها صمود ايديولوجيتهم وبقاء أسلوب حياتهم .

انها معركتنا جميعا ، وعلينا أن نتصدى لها بنفس الشجاعة التي يواجهها بها نساء وأطفال وآباء مسالمون في مجتمعات تكشفت لها الحقيقة بكل ما فيها من بشاعة ومرارة . وهي معركة ينبغي ألا ينتصر فيها من يملكون أسلحة الدمار ، بل ينبغي أن يكون النصر النهائي فيها لمن يؤمنون بالانسان . □

العربي
عيونك على العالم

صناعة السّلاح العربي

استطلاع : منير نصيف   تصوير : طالب الحسيني

(الشعوب . . كل الشعوب تريد السلام . . ليس هناك شعب على هذه الأرض يريد القتال . . يريد أن يقتل ويقتل . . لماذا تنشب الحروب اذن ؟) .

هكذا تساءل كاتب الانجليز هـ . ج . ولز وهو يتحدث عن كتابه الذي تنبأ فيه باختراع الكثير من الأسلحة التي نراها اليوم ، ومن بينها القنبلة الذرية . وكانت أمنيته أن يرحل عن هذا العالم قبل أن يرى أو يسمع عن إنشطار الذرة . . ولكن أمنيته لم تتحقق ، فقد امتد به العمر حتى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . . وعندما نقلوا اليه ما صنعته (قنبلة الفناء) كما - كان يسميها - بأهل هيروشيما وناجازاكي ، بكى ولز حزناً على المصير المعتم الذي ينتظر البشرية . . ومات الكاتب العالم في عام ١٩٤٦ . . مات وهو يدعو الله من أجل إنقاذ العالم من الهلاك بعد أن عاش الحربين العالميتين ، الأولى والثانية . . وكتب يصف أحزان البشر وآلامهم .

ولكن ولز الذي بدأت رحلته مع الحياة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وامتدت الى حوالي منتصف القرن العشرين ، لم يستطع أبداً أن يعثر على إجابة مقنعة لتساؤلاته : (لماذا تنشب الحروب ، وكل شعوب الأرض ترفضها ؟) .

وكان الرجل يقنع أحياناً بفلسفة الحياة ذاتها منذ أن بدأت الحياة . . أليست هي صراع من أجل البقاء) .

الطائرة « ألفا جيت » من أحدث طائرات التدريب ، وهي أيضاً طائرة قتالية متطورة (فوق) الطائرة مكتملة ، (وتحت) مجموعة منها في ورشة الانتاج .

المهندس الدكتور جمال السيد وزير الانتاج الحربي « السلام بلا قوة يعني الاستسلام » .

رسالة الى الأمة العربية

.. قفزت الى رأسي هذه الخواطر ، ونحن نختتم رحلتنا بين مصانع السلاح في جمهورية مصر العربية .. وكنا على موعد مع الرجل المسئول عن تصنيع السلاح في مصر .. وزير الانتاج الحربي المهندس الدكتور جمال السيد ..

قلت : لقد كانت لنا جولة سريعة في مصانع إنتاج الأسلحة في مصر رأينا من خلالها مدى التقدم الذي حققته هذه الصناعة . ترى ما هي الرسالة التي يمكن أن تنقلها (العربي) الى الأمة العربية من خلال سياسة التصنيع الحربي ؟) .

قال الوزير : مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية .. ولا بد أن يكون تفكيرنا ـ ونحن نمضي في تصنيع السلاح وفي كل ما يتعلق بمستقبلنا ومصيرنا ـ نابعاً من هذا الواقع .. ان معدات الدفاع تخضع لسيطرة وسياسة الدولة لأنها معدات استراتيجية .. ومن الصعب على أية دولة أن توفر كل شيء تحتاج اليه للدفاع عن أرضها وترابها ، ولعلنا نجد في التعاون الأوروبي مثلاً يحتذى ، فهناك تعاون قائم بين دول أوروبا الرئيسية الثلاث ، ألمانيا وبريطانيا وفرنسا .. وفي رأيي أن مثل هذا التعاون لا بد أن يكون قائماً بين الأخوة العرب ، حتى نستطيع أن نصل الى كل ما نحتاج اليه من سلاح للدفاع عن أمتنا ، بفضل التكامل والتعاون بين العرب .

قلت : صناعة السلاح .. هل هي سبيلنا الوحيد لتحقيق الأمن القومي ؟

وقال الوزير : الأمن القومي يشمل الأمن الغذائي والأمن السياسي والأمن العسكري .. ان هناك حاجتين أساسيتين تدرجان في مقدمة الموضوعات الاستراتيجية .. أولها : الغذاء ، ثم معدات الدفاع .. وهذان العاملان يتحكمان في اتخاذ القرار .. انها في واقع الأمر منبع القرار لأية دولة .

السلاح والغـــذاء

ولعل هذا هو نفس المعنى الذي ذهب اليه جورج واشنطون محرر أمريكا ، وقد كان فلاحاً انجليزياً هاجر الى العالم الجديد وقاد حرب التحرير ضد المستعمر الانجليزي .. لقد قال يومها : « لا أريد أن أرى أحد جنودي يحمل السلاح وحده .. أريد أن أرى في يده الأخرى (كوز الذرة) ، فلا بد أن يكون ممتلىء المعدة حتى يستطيع أن يستمر في القتال » .

وفي (رائعة) تولستوي (حرب وسلام) نجده يتحدث عن الأرض فيقول : « لقد كانت حانية ، فقد مضت تقدم لنا ما نحتاج اليه من غذاء رغم الحرائق التي أحدثتها قذائف المدافع التي كان يطلقها نابليون في ريف روسيا ومدنها .. لقد هزم الجوع جيش نابليون ، أما جنودنا فقد كان الغذاء دائماً ينتظرهم في نهاية يوم القتال اللانهائي » .

ومضى وزير الانتاج الحربي يكمل حديثه : « الشعب العربي ، شعب يريد أن يعيش في سلام » ! ولكن السلام بلا قوة يصبح استسلاماً .. فهو سلام غير مستقر وغير حقيقي .. أما السلام الحقيقي فهو السلام الذي يعتمد على القوة ، وعلى القدرة في الدفاع عن الأرض .. وهذا هو ما نهدف اليه .. اننا نتطلع الى اليوم الذي يتحقق فيه التكامل بين العرب ، فنرى مثلاً دبابة تصنع ، نحن هنا في مصر جزء منها ، بينما يُصنع جزء آخر في بلد عربي ثان ، وجزء ثالث في العراق أو السعودية وهكذا .. »

رحلة خاطفة

ونعود الى بداية رحلتنا مع صناعة السلاح في مصر ، وقد كانت رحلة خاطفة بدأناها من حيث كان لا بد أن تبدأ مع الرجل الأول الذي يحمل مسؤولية الدفاع عن الأرض العربية في مصر - المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة - الذي أصدر تعليماته بفتح أبواب المصانع الحربية لمجلة العربي .. مجلة كل عربي . فكما أن السلاح المصري لكل العرب ، كذلك «العربي» لكل عربي ..

ومع النور الأخضر الذي أضيء أمامنا ، انطلقنا في سيارة خاصة بعد ظهر يوم امتلأ بالدفء الذي تحمله قلوب الرجال المشرفين والعاملين في انتاج معدات الدفاع عن تراب الأرض العربية الطيبة .. وكانت وجهتنا شركة ابي زعبل للصناعات الهندسية ، قاعدة الصناعات الحربية الثقيلة ..

هناك في منطقة نائية عند أطراف القاهرة ، وفوق رمال الصحراء الساخنة التي راحت تتوارى شيئاً فشيئاً أمام اللون الأخضر .. لون الحياة ، بعد قيام هذا الحزام الطويل من الأشجار العالية الوارفة لتخفف من قيظ الحر في موسم الصيف .. هناك قامت مصانع إنتاج المدافع الثقيلة من عيار ٢٠٣ مم وطول ثمانية أمتار من مواسير المدافع بمختلف أنواعها ..

مدينة المدافع

مدينة كبيرة تحتل مساحة من الأرض تزيد على مئة وعشرين الف متر مربع (حوالي ٢٨ فدان) ، شيدها المقاولون العرب وزودت بأحدث المعدات ، لانتاج ما تحتاج اليه القوات المسلحة من الأسلحة الثقيلة وقطع غيارها ، وتحقيق التكامل في التصنيع بين انتاج السلاح وذخيرته ، وبهذا التكامل تتحقق الظروف المواتية للتصدير الى الأسواق الخارجية . وقد بدأ التصدير بالفعل الى الدول الشقيقة والصديقة ، التي تدافع عن أرضها وسيادتها ..

وأمضينا بضع ساعات نسجل صورة سير العمل ومراحله في مصانع الشركة .. عشرات المعدات التي يعمل عليها أكثر من الفي عامل ومهندس لقطع وتشغيل وتشكيل ولحام المعادن وقياسها واختبارها .. عمل مستمر لا يهدأ . ثم كان لنا لقاء في نهاية جولتنا مع المهندس جلال الدين حمزة رئيس مجلس الادارة ، وكان يستعد للذهاب الى الحفل الذي أقيم لتسلم كأس الانتاج والتفوق ، الذي فازت به الشركة تقديراً لجهودها ، قال : « سندفع من عرقنا وجهدنا وأموالنا مهما كان الثمن من أجل تأمين السلاح .. نحن لا نريد أن يتحكم أحد في أقدارنا ومصائرنا .. اننا نتطلع الى اليوم الذي يتم فيه توحيد السلاح وتوحيد العقيدة العسكرية ، فنرى السلاح الواحد .. نفس السلاح في يد كل العرب ، وهذا لا يتأتى قبل أن تتحقق وحدة الصف العربي .. نحن لا نصنع السلاح من أجل الحرب ، ولكننا نصنع السلاح من أجل السلام .. من أجل صد أي اعتداء على أرضنا وسيادتنا .. » .

وترك المهندس جلال حمزة مكتبه ، ومشى أمامنا ، ومشينا معه ، ثم رفع يده مشيراً الى مساحة كبيرة من الأرض الفضاء في قلب الصحراء وقال : « هنا في هذا المكان سوف تقام المدينة السكنية الجديدة للمهندسين والعمال وأسرهم ، وسوف يتضاعف عدد العمال في المصنع الى أربعة آلاف عامل عندما تكتمل العمالة بعد التوسعات التي ستتم في المستقبل باذن الله .. » .

ومضى يقول : « إن امكانيات التصنيع الثقيل بالشركة تسهم بلا شك في إرساء قاعدة راسخة للصناعات الحربية الثقيلة يمكن الانطلاق منها لاقامة صناعة العربات المدرعة على مراحل ، بحيث نبدأ بالعربات الخفيفة وننتهي بالمدرعات الثقيلة ، وحتى لو فصلت هذه الصناعة الجديدة عن الشركة مستقبلاً ، فسوف نظل نسهم بقسط وافر في تدبير مكوناتها .. إن انتاج الأسلحة الثقيلة يتطلب معدات ذات نوعية خاصة ودقة عالية ، وتتم مراقبة جودة الإنتاج خلال العمليات الانتاجية ومراحل التجميع عن طريق اتباع أساليب خاصة لضمان دقة الأبعاد وجودة التشغيل ، كما تجري عليها في النهاية اختبارات الرماية للتأكد من صلاحيتها للاستخدام) .

ومع الغروب كانت رحلة العودة الى المدينة . والاستعداد ليوم جديد مع السلاح العربي ..

(فوق) محرك الطائرة النفاثة ، وهي مزودة بمحركين يتم تصنيع أكثر من ٣٠ في المائة منها محلياً .

الى اليمين ذيل الطائرة الهليكوبتر « جازيل » في ورشة التجميع وقد بدأ انتاجها في العام الماضي .

الى اليسار « فوق » بعض أجزاء جسم الطائرة جازيل في مرحلة تجميعها توطئة لعملية تجميع أكبر حتى تكتمل الطائرة .

الى اليسار « تحت » عملية تركيب أحد محركي الطائرة النفاثة ألفا جيت في ورشة التجميع .

الهيئة العربيـــة للتصنيع

كان موعدنا في صباح اليوم التالي مع الهيئة العربية للتصنيع .. الهيئة التي قامت في عام ١٩٧٥ في أعقاب حرب أكتوبر بعامين تقريباً برأسمال قدره ١٠٤٠ مليون دولار أمريكي ، وكان الغرض الأساسي من قيامها ، هو إرساء قاعدة صناعية تكفل إقامة وانماء وتطوير الصناعات المتقدمة .. وتركز نشاط الهيئة الأساسي في مجال تخصصات متعددة ، من بينها الطائرات بأنواعها ، وتشمل طائرات التدريب وطائرات الهليكوبتر ، وكذلك محركات الطائرات وما تتطلبه من عمليات الصيانة والاصلاح والعمران لمختلف أنواعها ، ثم القذائف الصاروخية غير الموجهة ، ونظم الصواريخ الموجهة ، والمعدات الأرضية والأجهزة الألكترونية الخاصة بها ، وأيضاً الألكترونيات الخاصة بالطائرات ، وأجهزة الألكترونيات المستخدمة في صفوف القوات المسلحة ، مثل سلاح الاشارة والعربات المدرعة والمركبات الجيب وغيرها .

وفي قاعة الاجتماعات بالمبنى الكبير الأنيق الذي تشغله ادارة الهيئة العربية للتصنيع ، ومن خلال شاشة التلفزيون ، كان لقاؤنا الأول بأحدث انتاج لمصانع الطائرات المصرية ، التي تمتد خبرة العاملين فيها الى ثلاثين عاماً مضت .. انها طائرات التدريب المتقدمة الفرنسية ألفا جيت ALFA JET، بعد أن تم التعاقد مع شركة مارسيل داسو وشركة سنيكما الفرنسيتين لانتاج الهيكل والمحرك في مصر ، ثم يعاد تسليم الطائرات المنتجة الى شركة داسو التي تقوم بدورها باعادة تسليمها الى القوات الجوية المصرية وفقاً للمواصفات العالمية .

في مصنـــع الطائـــرات

وبدأنا رحلتنا الى مصنع الطائرات .. هناك كان لقاؤنا على الطبيعة بمختلف مراحل الانتاج .. انتاج الأجزاء الخاصة بجسم الطائرة ومحركاتها النفاثة . وهي ليست عملية تجميع فحسب ، ولكنها أيضاً ، وهذا هو الأهم ، عملية تصنيع لأكثر من ثلث أجزاء الطائرة .

صواريخ القصف المساحي للمدفعية ، وتطلق من قاذف متعدد ذاتي الحركة ، في مجموعات تصل الى ٤٠ صاروخاً بأقل من عشرين ثانية .

ويقول المهندس أحمد إحسان هيبة رئيس مجلس ادارة مصنع الطائرات : (لقد حصل المصنع بالفعل على اعتماد جهات الرقابة الحكومية للتفتيش في فرنسا ، على أساس أننا نقوم هنا بكل العمليات الخاصة بالتصنيع والتجميع لهذه الطائرات . ومعنى هذا خضوع المصنع شأنه شأن أي مصنع آخر للطائرات في فرنسا ، للرقابة الخاصة بتلك الجهات في كل الأوقات ، وهذا من شأنه بطبيعة الحال أن يبعث الثقة الكاملة في منتجات المصنع ، على أساس أنها تطابق تماماً ما تنتجه مصانع الطائرات في فرنسا » .

ـ ما هي مميزات الطائرة الألفا جيت ؟

ـ ان هذه الطائرة الحديثة التي تصل سرعتها الى ألف كيلومتر في الساعة ، وتستطيع أن تحلق الى ارتفاع يصل الى ٤٥ ألف قدم عن سطح البحر ، قادرة على الطيران لمدة ثلاث ساعات ونصف في الارتفاعات العالية ، وأقل من ذلك بساعة في الارتفاعات المنخفضة .

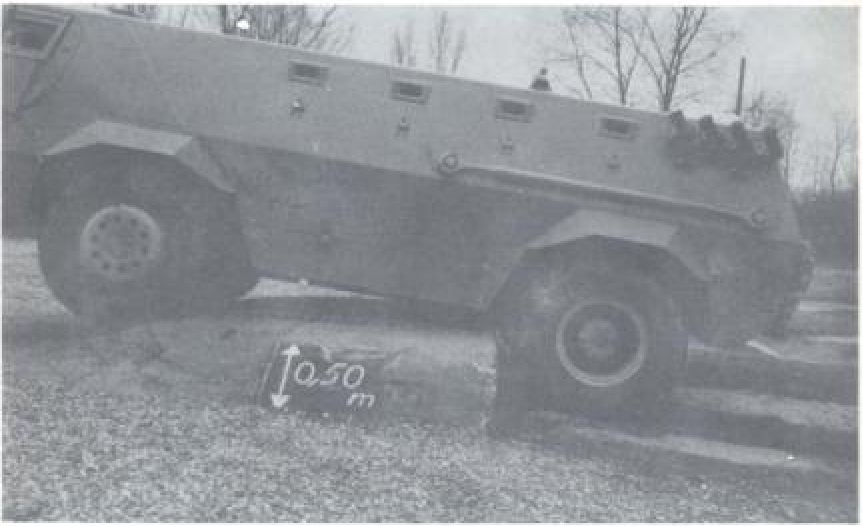

ثم هي ليست طائرة تدريب فحسب ، وانما أيضاً طائرة مقاتلة يمكن تزويدها بمدفع وقنابل وأجهزة دقيقة ، لتحديد مسافة الأهداف ، وبفضل استخدام أشعة الليزر .

تسع وحدات انتاجية

لقد بلغ عدد الوحدات الانتاجية للهيئة العربية للتصنيع تسع وحدات ، من بينها خمس وحدات تملكها الهيئة ملكية كاملة ، ثم أربع شركات انشئت على أساس المشاركة بين الهيئة وبعض الشركات الأجنبية المتخصصة في المجالات المختلفة ، وهي تشمل مصنعاً للطائرات ومصنعاً للمحركات ثم مصنع صقر ومصنع قادر ، وقد خصصا للصناعات المتطورة ، الى جانب مصنع الالكترونيات ، وأخيراً ثلاث شركات عربية بريطانية للطائرات الهليكوبتر والمحركات والصناعات الديناميكية ، وشركة عربية أمريكية للسيارات .

وكانت جولتنا التالية في الشركة العربية البريطانية لطائرات الهليكوبتر ، وقد أنشئت في شهر فبراير من عام ١٩٧٨ ، بهدف قيام صناعة الهليكوبتر في مصر ، وليس مجرد تجميع أجزاء الطائرة فحسب .

العربة المدرعة فهد

أتاح تصميم العربة بالصورة التي تم بها الانتاج مزايا متعددة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

القدرة على عبور كافة أنواع الأراضي الصعبة ، واجتياز الموانع ، والسير السهل عبر الأراضي الرملية ذات الكثبان المتحركة والمنهارة ، وكذلك في كافة الأجواء الحارة والمتربة .

وتتيح تكنولوجيا اللحام الحديثة المستخدمة بالمصنع انتاج العربة من الصلب المدرع بالطرق التي تحقق المحافظة على مستوى عال من الحماية ، بصورة منتظمة في جميع أجزاء العربة ومواضع اللحام بها .

لقد قامت الشركة نتيجة للتعاون بين الحكومات المصرية والبريطانية والفرنسية ، ونصت العقود المبرمة بين الجانبين المصري والأجنبي على شراء طائرات الهليكوبتر من طراز (جازيل) ، على أن تعهد شركة ايروسبيال الفرنسية الى مصانع الهيئة العربية للتصنيع ببعض خطوات انتاج هذه الطائرة والقيام بعمليات التجميع والاختبارات الأرضية والجوية للطائرات الجازيل بمصانعها في مصر .

« فوق » تجارب إختبار داخل كابين الطائرة « جازيل » الهليكوبتر . « تحت » مدفع ميدان بدأ انتاجه منذ عام ، ومداه حوالي الثلاثين كيلومتراً .

العربة المدرعة « فهد » وهي من أحدث ما تنتجه الهيئة العربية للتصنيع ، والصورة العليا للعربة من الداخل والثانية من الخارج .

الصواريخ المضيئة :

ويصل مداها الى حوالي خمسة كيلومترات ، وقوة إضاءتها تزيد عن مليون شمعة .

ويضم المصنع العديد من الورش الحديثة والمعامل الخاصة باختبارات الفحص والأداء ، التي يتم إجراؤها على كافة انتاج المصنع لضمان جودتها العالية ، كما يدعم نشاط المصنع وجود فريق متكامل من الباحثين المتخصصين في مجال بحوث وتطوير وانتاج نظم الصواريخ المختلفة . .

انها البداية فقط

ولهذه الطائرة الصغيرة الحديثة عدة استخدامات ، فهي تقوم بمهام القيادة الطائرة ، ومهام الكوماندوـ والمراقبة الجوية ، وادارة نيران المدفعية ، وتنقلات كبار الشخصيات والاسعاف الطائر ، واخلاء الجرحى ، والقتال ضد الدبابات ، وأخيراً الاستطلاع الجوي بجميع أنواعه ، ويمكن تزويدها بمدافع وصواريخ لأغراض الدفاع ، وهي تنطلق بسرعة ٣١٠ كيلومترات في الساعة ، ويمكن أن تصل الى ارتفاع ستة آلاف متر (١٨ ألف قدم) فوق سطح البحر .

هل انتهينا من الحديث عن الطائرات ومصانعها ؟ . . يقول رئيس مجلس الادارة : « انها البداية فقط وقد بدأنا ، وسيكون لدينا الكثير من المشروعات الأخرى لانتاج طائرات جديدة باذن الله » .

وتذكرت بقية حديث وزير الانتاج الحربي المهندس جمال السيد عندما ذهبنا للقائه . لقد قال : (ان صناعة الطائرات تحتاج الى صناعات مغذية FEEDING INDUSTRIES من العديد من الشركات في مختلف بلدان العالم . ومصر تقوم الآن بانتاج العديد من هذه الصناعات المغذية » .

ما هي الصناعات المغذية ؟

ما معنى هذا الكلام ؟

قال لنا أحد المهندسين المسؤولين في مصنع الطائرات : (من خلال ممارستنا لعمليات التصنيع للطائرات استطعنا أن نتعرف على الاحتياجات الأساسية لهذه الصناعة ، ولنأخذ الطائرة ألفا جيت كمثال ملموس . حيث أنها تمثل أقصى مراحل التطور في هذه الصناعة . وقد قمنا بعمل حصر لمكونات هذه الطائرة والشركات التي تقوم بتوريد هذه المكونات ، فوجدنا أن هناك حوالي أربة وأربعين شركة متخصصة تشارك بصورة مباشرة في توريد مكونات هيكل الطائرة . فالعجلة السفلى للطائرة مثلا تشارك في انتاجها أكثر من خمس عشرة شركة أخرى .

ولو أننا اتبعنا نفس الخط لحصر الشركات المشاركة في انتاج المحرك ، وكذلك الشركات التي تسهم في انتاج معدات التسليح الأخرى كالمدافع والصواريخ وأجهزة الاستشعار من البعد ، لوجدنا أن عددها قد يصل الى أكثر من أربعمائة شركة متخصصة ، كلها تقوم بما نسميه (الصناعات المغذية) ومن هنا نجد أن الامكانيات المطلوب توفرها لانشاء صناعة للطائرات على أسس متينة تفوق قدرات أية دولة عربية مهما

كانت امكاناتها . حتى لو اجتمعت امكانيات الدول العربية جميعاً لارساء قواعد هذه الصناعة ، فلن يمكننا الوصول الى النتائج المرجوة في أقل من ثلاثين عاماً !

ما الجدوى من ارهاق أنفسنا في عمل لاطاقة لنا به ؟ ويجيب المهندس المسؤول على التساؤل الذي طرحه هو : (انه الشعور بضرورة الاعتماد على النفس في انتاج هذه الصناعات الاستراتيجية ، واذا توفرت الادارة المخلصة في قيام مثل هذه الصناعات المتطورة ، فلا بد أن تكون على مستوى الصعيد العربي كله ، لأن متطلباتها ، كما ذكرنا تفوق إمكانيات أية دولة على حدة) .

في مصنع الصواريخ

قال لنا مرافقنا ونحن نتجول بين أقسام مصنع صقر للصناعات المتطورة أو (الصواريخ) ، قال : (ان من يرى سير العمل في الوحدات الانتاجية يتصور أن الحرب ستنشب غداً .. ولكننا نتج السلاح من أجل الدفاع ، ولو أن النتيجة في النهاية واحدة .. فالحرب تفرض على الشعوب فرضاً .. فليس هناك شعب يريد الحرب .. ولكن منذ أن عرفت الحروب كوسيلة لحل الخلافات بين القطاعات البشرية ، تحاول كل جهة مقاتلة ايجاد قوة ضاربة داخل قوتها تمكنها من كسب المعركة وفرض سيطرتها على الجهة المعادية ، ومن أجل هذا كان لا بد من التوصل الى وسيلة أو سلاح لمقاومة القوة المعادية والحد من فعاليتها . وقديماً كان سلاح الفرسان يمثل هذه القوة الضاربة لما كان يتمتع به من قدرة على الاقتحام ، وسرعة الوصول الى عمق خطوط العدو ..

« وقديماً أيضاً استخدموا النبال والسهام كسلاح لحماية المشاة والذود عنهم في صد الهجمات القوية لسلاح الفرسان .. ثم تطورت العلوم العسكرية وتحول سلاح الفرسان الى ما أصبح يعرف حديثاً بسلاح المدرعات بدباباته وقلاعه الضاربة المتحركة .. وتصاعدت أهمية الدور الذي تقوم به دبابات القتال منذ نشوب الحرب العالمية الثانية ، وأصبح لدبابة القتال الدور الرئيسي في كسب المعارك البرية ، وستظل تحتفظ بهذا الدور في المستقبل أياً كان نوع الحرب التي تخوضها أية أمة من الأمم » .

الدبابة العدو الأول

« ومضى يقول : وهكذا أصبحت دبابة القتال العدو الأول لسلاح المشاة في ميدان القتال .. ومن هنا بدأ الاهتمام بتزويد الجندي بالوسائل الدفاعية الخاصة التي تمكنه من النضال بفعالية ضد مدرعات

المدفع (٢٣) مليمتر ثنائي ، وهو من أحدث المدافع المضادة للطائرات ، ومداه كيلو مترين .

ورشة تصنيع أجنحة الطائرة « ألفا جيت » تمهيداً لنقلها الى ورشة التجميع .

ورشة صناعة مواسير المدافع من مختلف الأحجام في شركة أبو زعبل للصناعات الهندسية ، قاعدة الصناعات الحربية الثقيلة

صورة أخرى في ورشة تصنيع مواسير المدافع لماكينة تشغيل حلقة الترباس التي تعمل بالكومبيوتر .

أسلحة أخرى تنتجها الهيئة العربية للتصنيع
(مصنع صقر للصناعات المتطورة)

تخصص المصنع في تصميم وتطوير انتاج الصواريخ منذ فترة تزيد على ثلاثين عاماً ، ويغطي انتاجه احتياجات القوات المسلحة والأقطار العربية ..

ويمكن تقسيم ذلك تحت النوعيات التالية :

- الأسلحة المضادة للدبابات : ينتج المصنع الصاروخ (آر.بي.جي.) منذ عام ٧١ ، وهو صاروخ خارق للدروع ، يطلق من الكتف ، ويصل مداه الى حوالي ٥٠٠ متر .
- الصواريخ الموجهة المضادة للطيران المنخفض : ينتج المصنع الصاروخ (عين صقر) المضاد للطيران المنخفض ، ويعمل بتوجيه الأشعة تحت الحمراء ، ويطلق من الكتف .

ويستخدم أحدث التكنولوجيا العالمية .

- صواريخ المدفعية : ينتج المصنع مجموعة من صواريخ القصف المساحي ، ذات الرؤوس الحربية المتنوعة الشديدة الانفجار ، والمضادة للدبابات أو الأفراد ، ومنها ما يلي :

ـ الصاروخ القا ب ـ ومداه (٨) ثمانية كيلومترات .

ـ الصاروخ ١٢٢ مم ـ ومداه (٢٠) عشرون كيلومترا .

ـ الصاروخ صقر ٣٠ ـ ومداه (٣٠) ثلاثون كيلومتراً .

وتطلق هذه الصواريخ من فوق عربات خاصة بها .

- صواريخ توليد الستائر الدخانية : وتستخدم لتعمية نقاط المراقبة المعادية ، أو لتغطية مناورات القوات الصديقة في الالتفاف ، وتستمر الستارة الدخانية حوالي ١٥ دقيقة على مسافة عريضة على الجبهة .
- صواريخ الأهداف الطائرة (رمح) : وتستخدم لتدريب أطقم الدفاع الجوي على إصابة الأهداف الطائرة .

العدو على اختلاف ثقلها ومنحه قدرة ذاتية كاملة تغنيه أحياناً عن دعم مدرعات الجيش الذي ينتمي اليه ويحارب في صفوفه » .

« ونتيجة لذلك ، فقد أعربت جميع دوائر الأركان العامة في مختلف الجيوش عن حاجتها لحيازة أنواع من وسائل النضال ضد المدرعات ، تكون أسلحة في حوزة جنود المشاة بحيث تستجيب لخصائص واحتياجات رئيسية في مقدمتها طاقة فعالة لتدمير الدبابات مهما اختلفت قوة تدريعها ووزنها ، ومدى إصابتها المؤثرة للاشتباك عن بعد ، وكذلك مدى أدنى للاشتباك عن قرب داخل « المنطقة الميتة » للدبابة . .

خفة وزن هذه الأسلحة وصغر حجمها أمران ضروريان بحيث تكون سريعة وسهلة التنقل ، وبحيث يسهل إخفاؤها عن مرمى أجهزة المراقبة والتعقب ، ثم السرعة في الاستخدام حتى تكون معدة للأداء في مختلف أنواع الأرض وحقول القتال ، وأخيراً سهولة التدريب عليها وصيانتها » .

الصواريــــــخ

وقد أمكن بالفعل التوصل الى انتاج أنواع من الأسلحة الصاروخية المضادة للدبابات ، تلبية لهذه الاحتياجات وهي تنقسم الى فرعين أساسيين : الأول (صواريخ غير موجهة) وهي غير مزودة بأي نظام للتوجيه أثناء الطيران ، وتعتمد في دقة إصابتها للهدف على كفاءة الرامي ، وعلى دقة أجهزة التصويب المتاحة في نظام الاطلاق المستخدم ، كما أن التصميم الهيكلي لهذه الصواريخ يكسبها الاتزان أثناء الطيران ، مما يقلل من انحرافها عن المسار المطلوب ، وهي تنقسم الى ثلاثة أنواع رئيسية ، صواريخ قصيرة المدى حتى مائتي متر ، وصواريخ متوسطة المدى من مائتي متر حتى خمسمائة متر ، وصواريخ بعيدة المدى أي أكثر من خمسمائة متر .

أما الفرع الثاني ، فهو الصواريخ الموجهة ، وهي مزودة بنظام توجيه أثناء الطيران ، وكذلك نظام للتصويب أثناء الاطلاق حتى يتم وضعها في نطاق الهدف المطلوب إصابته . أما دقة إصابة هذه

العربة جيب بتصميماتها الخمسة ، وتقوم بانتاجها الشركة العربية الأمريكية للعربات ، وتقوم الشركة العربية بانتاج حوالي ـ ٤٠٪ من أجزائها محلياً .

الصواريخ للهدف فهي تعتمد في الدرجة الأولى على نوعية نظام التوجيه المتبع وكفاءته .

ولكل من الصواريخ غير الموجهة والصواريخ الموجهة ميزات وعيوب ، فالأولى تتميز ببساطتها وسهولة استخدامها وعدم حاجتها الى إعداد خاص قبل الاطلاق ، وقد أدى هذا بالتالي الى قلة تكاليفها ورخص ثمنها ، ولكن يعاب عليها بطبيعة الحال صغر مدى الاصابة المؤثرة وعدم وجود نظام توجيه . أما الصواريخ الموجهة فتتميز بدقة عالية في إصابة الهدف ، كما أن وجود نظام للتوجيه أتاح لها مدى استخدام بعيد يصل ـ كما ذكرنا ـ الى خمسة آلاف متر ، أي خمسة كيلومترات ، الأمر الذي يؤدي الى امكانية الاشتباك عن بعد ، تمهيداً لعمليات الاقتحام . وقد أدى كل هذا الى أن تستخدم فيها أجهزة ذات تقنية عالية ومتطورة للغاية ، مما يسبب ارتفاع تكاليفها وغلو ثمنها .

سلاح فعال

ومن الأسلحة التي كان لها دور فعال في حرب أكتوبر السلاح آر. بي. جي. V المضاد للدبابات وقد شهدنا عملية تصنيعه وانتاجه في مصنع صقر للصناعات المتطورة ، بحق انتاج من الاتحاد السوفيتي ، وهو يتميز بخصائص استطاعت أن تجعل منه سلاحاً فعالاً في أيدي جنود المشاة في مختلف الظروف ، وتباين مواقع القتال ، سواء كانت أراضي الاشتباك وعرة أو منبسطة ، أو مناطق غابات أو داخل المدن ، فهو خفيف بزيد وزنه قليلاً عن ستة كيلوجرامات ، ويبلغ طوله الكلي ٩٥ سنتيمتراً وعياره ٤٠ مليمتراً . وفي البداية كانت مجموعة استخدام هذا السلاح تتكون من فريقين أحدهما الرامي ، أي حامل السلاح القاذف ، والثاني حامل

في معمل الالكترونيات الخاصة بالصواريخ التي ينتجها مصنع صقر للصناعات المتطورة بمختلف أنواعها . . هناك وجدنا المرأة تعمل في هذه الصناعة الدقيقة « وتحت » صورة لأحد الصواريخ أثناء عملية وزنه والتفتيش عليه تمهيداً لادخاله في وعاء الاطلاق .

مجموعة من السيارات العسكرية التي ينتجها مصنع السيارات ، وكلها معدة للتسليم للقوات المسلحة ، وتحت صورة لبعض أنواع القذائف الخاصة بالمدافع الثقيلة والخفيفة .

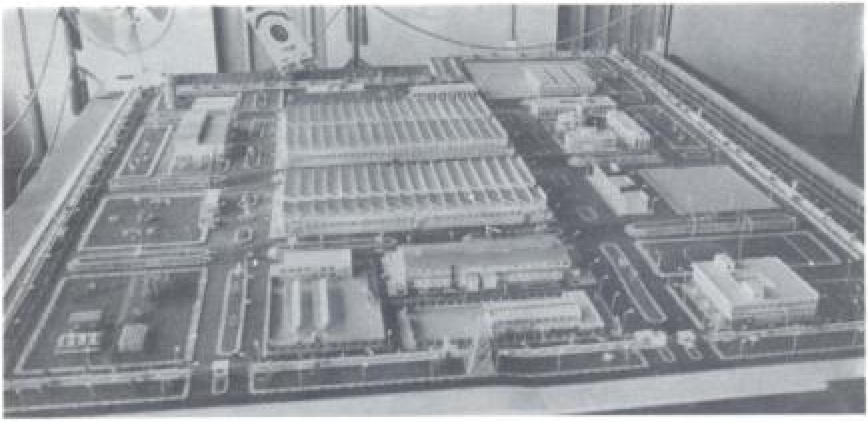

ماكيت مصانع شركة ابو زعبل للصناعات الهندسية قاعدة الصناعات الحربية الثقيلة ، ويشمل المباني الخاصة بالورش والمدينة السكنية المزمع إقامتها للعاملين بالشركة ، وأسرهم كمجتمع صناعي متكامل .

الذخيرة . ولكن طريقة التعبئة ما لبثت أن أتاحت الفرصة لكي يتمكن فرد واحد من استخدامه ، فهو الرامي وحامل الذخيرة في نفس الوقت . ويستطيع الرامي أن يتخذ أحد أوضاع الضرب ، سواء كانت رقوداً أو قعوداً أو ارتكازاً تبعاً لظروف الاشتباك . .

من أجـل كـل العـرب

قال مرافقنا يحدثنا ونحن نقترب من نهاية جولتنا في مصنع صقر مع الغروب : « أمامنا الآن مصنع السيارات ثم مصنع الألكترونيات ، وفي هذا المصنع الأخير شاهدنا المرأة المصرية تعمل في هذه الصناعة الدقيقة . . ثم قال مرافقنا : ولكنكم لم تروا كل شيء بعد . . انكم في حاجة الى اسبوعين على الأقل ، لا بضعة أيام ، حتى تستطيعوا القيام بعملية مسح سريع لما وصلت اليه صناعة السلاح في مصر . . اننا فخورون بما حققنا من تقدم في هذه الصناعة . . فالسلاح العربي في النهاية هو للعرب ومن أجل العرب . . كل العرب .

وفي المعرض الدولي للسلاح الذي أقيم في شهر نوفمبر الماضي ، في أعقاب زيارة (العربي) السريعة لمصانع السلاح في مصر ، تأكد هذا المعنى الذي ذهب اليه صاحبنا ، وهو يحدثنا عن صناعة السلاح في مصر من أجل كل العرب . . لقد شاركت في المعرض تسع عشرة دولة ، من بينها الأردن والعراق والصومال . . وشاهد المدعوون أحدث ما توصلت اليه شركات صناعة السلاح في العالم ، وكانت ١٧٧ شركة .

ثم مـاذا ؟

لقد فجرت صناعة السلاح في مصر طاقات وامكانيات هائلة ، تبشر بمستقبل مشرق في مجال الاعتماد على النفس للدفاع عن أرضنا وسيادتنا . □

في عصور ما قبل التاريخ كان الصراع بين الانسان والوحش في الغابة . . وتغيرت الدنيا وخرج الانسان من كهفه وهجر حياة الترحال بحثاً عن غذائه في الحيوانات التي كان يطاردها ويقتلها ويتغذى على لحمها . . وبدأ يرتبط بالأرض بعد أن اكتشف ما تختزنه في جوفها من غذاء . . ولكن صراعه من أجل البقاء لم يتوقف . . لقد بدأ يأخذ أبعاداً جديدة ، فقد وجد نفسه ، بالرغم منه ، يقف مدافعاً عن أرضه . . عن مصدر غذائه الجديد الذي أعطاه كل جهده وعمره . . وفي هذه المرة لم يكن صراعه مع (الوحش) الذي تركه في الغابة ، ورحل بعيداً عنه ، وانما كان مع الانسان نفسه !

من يتخذ قرارًا بتصنيع السلاح

اعداد : محمود عبدالوهاب

(نخطىء كثيرا لو تصورنا أن قيام صناعة سلاح عربية هو مجرد قرار فني ، يعتمد على توافر امكانيات تقنية فقط ، فالأمر أعمق من ذلك فهو قرار يتعلق بسياسة الدول واستراتيجيتها) .

هناك عبارة شهيرة لمؤلف عظيم لا تزال صادقة حتى اليوم . . . العبارة للمؤلف العسكري الشهير (فون كلاوس فيتز) قالها في كتابه (عن الحرب) هي : (السياسة هي التي تسبب الحرب ، وتمثل السياسة العقل المفكر ، والحرب هي مجرد أداة لها ، وليس العكس بصحيح ، والسبيل الوحيد الممكن في الحرب هو اخضاع وجهة النظر العسكرية لوجهة النظر السياسية) . ورغم أن كلاوس فيتز قالها منذ زمن الا أنها مازالت حتى اليوم صحيحة تماما ، فالحرب قرار سياسي ، وبالتالي فأدوات الحرب وأشكالها قرار سياسي ، ومع تقدم وتعقد شكل الدولة وتعقد المصالح ، وتطور علم العلاقات الدولية لم تعد الحرب فقط هي التي يقررها الساسة ، بل صارت أشياء كثيرة مثل التنمية مثلا ، فتحديد تنمية من وعلى حساب من وكيف ؟ ليس قرارا فنيا بقدر ما هو رؤية سياسية للمجتمع وطبقاته وظروفه ، وصناعة السلاح أيضا ليست قرارا فنيا بقدر ما هي قرار سياسي بالدرجة الاولى يتعلق بسياسة الدولة واستراتيجيتها وعلاقاتها الدولية وفي نفس الوقت فان صناعة السلاح هي واحدة من أعقد صناعات التكنولوجيا وبالتالي فانه لا يمكن أن تنشأ صناعة متقدمة في مجتمع لا يساير ذات درجة التقدم ، العلاقة الثالثة في قضية صناعة السلاح هي الانسان الذي يقوم بالتصنيع .

حول هذه المحاور الثلاثة تحدث للعربي د. جورج طعمة استاذ العلوم السياسية والدبلوماسي العربي الشهير والذي قضى في العمل الدبلوماسي والسياسي زهاء ثلاثين عاما . . . سألناه تحديدا عن مستقبل

صناعة السلاح العربي في ضوء أبعاد العلاقة الثلاثية .

● صناعة السلاح كقرار سياسي واستراتيجي .

● صناعة السلاح صناعة متقدمة ، فهل من الممكن أن تنشأ في مجتمع لا يسايرها في ذات درجة التطور ؟

● الانسان العربي الذي هو ابن لبيئته ومجتمعه ودوره في هذه الصناعة .

يقول د. جورج طعمة :

اذا اقتصرنا على الناحية الاستراتيجية في تصنيع الاسلحة وما يترتب عليها من نتائج مستقبلية فالبديهي أن أي تصنيع نستطيع القيام به وتحقيقه والاستغناء به عن موارد أجنبية مهما كانت قطعة السلاح التي نصنعها فهي خطوة لازمة وضرورية . ولن أخوض في تفاصيل ما نصنع ، فتقني عسكري فقط يستطيع أن يجيب بدقة عن هذا السؤال ، وثمة بديهية أخرى أيضا وهي أنه في أي استراتيجية شاملة لا سيما اذا كنا نجابه ـ كما هو الأمر في الواقع ـ أعداء على حدودنا يصبح تصنيع السلاح ليس واجبا قوميا فحسب ، وانما في مرتبة واحدة مع الغذاء . لا نستطيع أن نجد بديلا له ، والدليل أن أجزاء كبيرة من بلادنا في الوطن العربي وقعت تحت الاحتلال الأجنبي ونحن بحاجة على الاقل لان نوقف هذا العدوان المتربص بنا على معظم حدودنا .

ثمة ناحية أخرى أذكرها وأذكر بها وهي أن أعداءنا لن يفسحوا لنا المجال لتصنيع السلاح كما نريد ، ولنذكر فقط أنه عندما بدأ الرئيس جمال عبدالناصر في انتاج أسلحة أثارت خصومنا وأعداءنا فقد حاولوا المستحيل لاحباط هذه الخطوة الجبارة في تاريخنا الحديث ، ويقيني أننا سنلقى مقاومة شرسة عندما يجد أعداءنا أننا ـ حقا نستطيع ـ أو نحن على الطريق لنستطيع أن نقف على أقدامنا في هذا المضمار ، ولكن حديث تصنيع السلاح وأبعاده لا يمكن فعلا القاء نظرة ناقدة تحليلية عليها الا اذا وضعت في اطار ما أشير اليه في السؤال ، وهو استراتيجيته الشاملة ، ومن هنا فإنني أقول ومنعاً لأي التباس أو سوء فهم انني أضع قضية تصنيع السلاح حربيا على قدم المساواة مع انتاج الغذاء أو مع أي انتاج لازم ضروري .

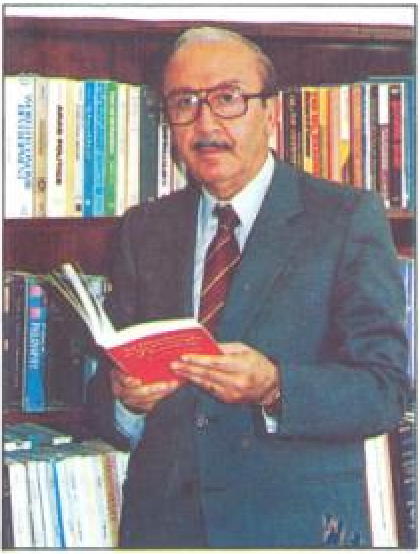

د. جورج طعمه.

وهذا يضعنا رأسا ـ وجها لوجه ـ في مجابهة العقبات الرهيبة التي يجب أن نكون منتبهين اليها .

أولاً : في اطار الاستراتيجية الشاملة لا نستطيع أن ننسى أي سلاح آخر في أيدينا لكي يدعم السلاح الذي تصنعه وهنا أتوقف عند نقطتين : الأولى سلاح النفط مثلا لانه سلاح لا يقل أهمية عن أي سلاح آخر ، لماذا يوجد فائض نفطي في العالم الآن بحيث أصبح العرض أكثر من الطلب ، وبحيث أصبح منتجو النفط تحت ارادة المستهلكين ؟ وعكس هذا هو الامر الذي يجب أن يكون ، ثانيا : الغذاء ولنراجع رقميا مقدار ما وصل اليه استيرادنا وأنا أفكر بالوطن العربي ككل . . . فاستيرادنا من المواد الغذائية كالقمح مثلا أصبح يقاس بمليارات الدولارات في حين أن الأقطار العربية لو استثمرت مواردها الزراعية لأمكن أن تكون مصدرة للقمح وغيره من المواد الغذائية .

ثالثا : المال العربي لا أزال أذكر والألم يحز في نفسي أن مدينة نيويورك حين أفلست فعلا عام ١٩٧٤ فقد كانت الأموال العربية هي التي أنقذتها وأستطيع أن أدلك على مصادر غربية بالذات ذكرت هذا الأمر مثل

(توني سامبسون) في كتابه « مقرضو المال » .

هل نستطيع في هذه الحال وعندما تأخذ هذه الأبعاد بعين الاعتبار أن نفصل بين قضية تصنيع السلاح وبين ما لدينا من امكانيات أخرى كسلاح النفط والغذاء والمال . هذه عناصر في تكوين أي أمة لا يمكن فصلها بعضها عن بعض كما لا يمكن فصل أعضاء الجسم الواحد كعضوية واحدة متكاملة .

وانتهي من هذا القسم من الاجابة بالاشارة الى أنه في الأقطار العربية وبالذات السودان وموريتانيا واليمن الشمالي واليمن الجنوبي والصومال وجيبوتي وحتى مصر تقع ضمن البلاد التي تعاني من مشكلة زيادة متسارعة في عدد السكان وقلة في الموارد مما يجعل شعوبها أكبر منظومة من الشعب العربي تجابه خطر الأزمات الاقتصادية الخانقة نتيجة لمشكلة تفجر السكان . ولكن فوق جميع الاعتبارات المتقدمة التي لم أذكر الا خطوطها الكبرى دون التوغل في التفاصيل هناك الانسان العربي والمجتمع العربي وعلاقة العرب بالعرب .

فالانسان العربي الذي سوف ينتج السلاح ويستعمله هو انسان معذب مضطهد مغترب في أرضه ووطنه .

الانسان العربي أولا وآخرا هو الضمانة الوحيدة لأي تصنيع نريد أن نقوم به سلاحا كان أو غيره ، لانه هو الذي سوف يصنع هذا السلاح ويستعمله ، ومن حيث الامكانية فلدى الانسان العربي المقدرة على أن يكون انسانا متميزا ، أنا لست فقط أوكد ذلك بل أحارب وأكافح من أجل ذلك ، وأتطلع لانسان عربي متحرر من الخوف والاضطهاد،ولكن الذين يقولون هذا القول ويقضون به هم مغتربون في ديارهم وبلادهم أو مشردون خارج بلادهم . ومن هنا فإنني أرى أن تدرس بعلمية وموضوعية كيان الانسان كمواطن وكفرد ازاء أنظمة الحكم التي يعيش في ظلها .

ثانيا : المجتمع العربي وأنا أنظر الى ذلك فقط في اطار عملية تصنيع السلاح ، والسؤال الذي يطرح فورا وبصورة مباشرة هو علاقات المجتمعات العربية كدول وكحكومات مع بعضها مع البعض ولا أظنني آت بالشيء الجديد اذا توقفت وشددت على الألم العميق الذي يحز الآن في نفس كل مواطن عربي صادق حيثما كان ، من التجزئة والتفرقة التي وصلت الى حد العداء والتقاتل والتحارب ، بين نظام عربي ونظام عربي آخر .

ولا أتردد أن أقول اننا في علاقتنا بعضنا مع بعض تجاوزنا في هذه العلاقات ما تفعله بنا الصهيونية وهي عدونا الأول .

فيما يتعلق بمحاربة العربي للعربي لابد أن نذكر بحس واقعي وروح موضوعية أن ما يلاقيه العربي من أخيه العربي هو أشد أذى وايلاما مما يلاقيه هذا الانسان العربي المنكوب من أي عدو خارجي ، أنا أعرف فعلا بالتفصيل وبالحقيقة واللحظة التاريخية مواطنين عربا بذلوا دماءهم فعلا ودون أي ثمن في خدمة قضايا بلادهم ثم وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام أعدائهم وبالذات أولئك الناس الذين بذلوا دماءهم من أجل خدمتهم وفي المحط الأخير . أليس هذا هو الانسان العربي في واقعه الأليم والذي علينا بداية العمل على تحريره .

نأتي أخيراً الى تقنية القرار السياسي والنظرة المستقبلية وكلتاهما أمران متلازمان فالقرار السياسي لا يمكن بأي شكل إلا أن يكون حصيلة أكاد أن أقول رياضية حسابية لمجموعة العوامل التي ذكرناها ، فاذا وجدنا في أحد شقي المعادلة الرياضية خللا ما لكانت النتيجة بالضرورة ستنتهي الى خلل وفشل . وقد استعملت كلمة حسابية رياضية لأننا فعلا لو استبدلنا بالعوامل المثبطة ما يجب أن تكون عليه العوامل التي هي في مقدورنا لكانت النتيجة مبشرة ومطمئنة ، لانه علميا في حيز الامكان ـ وباستقلال كامل طاقات الانسان العربي ـ أن يكون المجتمع العربي قويا وخلاقا ومبدعا . لذا لا نستطيع أن نسقط من حساب أي استراتيجية شاملة أو أي نظرة مستقبلية عوامل العقل والارادة والتبصر في المستقبل،لانه ما لم نضع هذه العوامل الفكرية الخلقية العقائدية في موضعها الصحيح،وفي أي حساب لاستراتيجية كبيرة شاملة فان صناعة السلاح وحدها لن تكفي . مالم يسبقها ويتوازن معها بناء وتحرير الانسان العربي .

العرب والسلاح :

انتهى رأي الدكتور جورج طعمة فماذا يقول الواقع العربي ؟

هناك حقيقة لا يختلف عليها أحد أن الجغرافيا تصنع التاريخ ، ولقد ساهمت جغرافية الوطن العربي في أن تضعه في قلب حركة التاريخ كله ، ومهما تطورت علوم السياسة وتعقدت مصالح العالم فان الوطن العربي يظل في بؤرة اهتمام العالم .

ففي العالم القديم كان يمثل حدود الامبراطوريات العظمى في ذلك الحين ، وفي عصر آخر كان نقطة صراع لكونه محور اتصال بين عالم الغرب والشرق ، وفي التاريخ الحديث كان الأسواق من وجهة نظر الذين يفسرون التاريخ بالظواهر الاقتصادية ، وكان المدى الحيوي لقوى العصر ، وكان محور العمليات الاستراتيجية ، وكان أرض الصراع المتوقعة لحرب تقليدية بين قوى العالم بحيث تنجو من ويلاتها الدول الأكثر تقدما وكان قبل كل ذلك الخطر الحقيقي اذا ترك لشأنه وفق ما يريده له أبناؤه ومواطنوه .

ولقد أدرك العالم كله مغزى تجربة محمد علي في مصر وانتبه اليها ، وكان حريصا على الا تتكرر ، فقد وصلت جيوش محمد علي الى مدى هددت فيه مصالح وأطماع أوروبا .

ويحفل تاريخ العرب المعاصر بكثير من الأدلة والشواهد التي تدلل على صحة هذا الرأي ، وكان أخطر مافي تجربة محمد علي انه اعتمد في بناء قوته العسكرية ـ التي هي أداة تنفيذ الارادة السياسية ـ على نفسه فأنشأ في مصر دار صناعة الأسلحة ودار السفن وكانت بذلك تقريبا أول صناعة سلاح عربية منظمة في التاريخ الحديث .

واذا كانت الحرب هي أداة السياسة فانه لا حرب بدون سلاح ، ولظروف كثيرة تاريخية واجتماعية واقتصادية فان وطننا العربي مازال حتى اليوم يعتمد على دول أخرى في شراء أسلحته ، رغم أن السلاح ليس كالسلع التجارية وأن قواعد بيعه تخضع لقرارات سياسية قبل أي مصلحة اقتصادية ، الا أن هذا التحفظ لا يمنع من حقيقة لا يجهلها أحد وهي أن الوطن العربي يعتمد في سلاحه وطعامه على ذات الدول التي هي صاحبة مصلحة سياسية واقتصادية في المكان العربي بكل أبعاده اقتصاديا واستراتيجية ومصالح .

لغة لا تجامل :

يبقى للغة الأرقام صدقها ووضوحها ، فالرقم شديد الحياد من حيث هو كرقم مجرد ، وعند فهمه وتحليله لا يملك الانسان إلا أن ينحاز وفق ما يعطيه الرقم من دلالة ومن معنى . ومن واقع تقارير ودراسات[1] صدرت خلال السنوات الثلاث الماضية نحاول أن نقرأ قليلا في بعض الأرقام ذات المغزى عن واقع السلاح لدى العرب .

■ في عام ١٩٦٠ كانت النفقات العسكرية في البلدان النامية ٤,٥ بالمائة من دخلها القومي ، وازدادت الى ٧,٢ بالمائة في عام ١٩٧٠ والى ١٣,٥ بالمائة عام ١٩٧٥ ثم ١٦,١ عام ١٩٨٠ .

■ بلغ مجموع نفقات البلدان النامية على السلاح في عام ١٩٦٠ مليار دولار وفي عام ١٩٨٠ بلغ ١٩,٥ مليار دولار .

■ قدر اجمالي النفقات العسكرية في العالم لسنة ١٩٨٠ بنحو ٥٥٠ مليار دولار أي ما يعادل أكثر من مليون دولار كل دقيقة .

■ قدر حجم النفقات العسكرية في منطقة الشرق الأوسط في عام ١٩٨٠ بنحو ٤٧,٩٠٠ مليار دولار مقابل ٣٣,٤٤٥ مليار دولار في عام ١٩٧٩ ، ٣٣,٢٨٣ مليار دولار في عام ١٩٧٨ .

■ في عام ١٩٧٩ وافقت كل من العراق والكويت وقطر والسعودية والامارات العربية على تأسيس

---

(١) تعتمد هنا بشكل رئيسي على تقارير معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن وتقارير معهد استكهولم الدولي لابحاث السلام بالاضافة الى دوريات ونشرات عسكرية مختلفة . والأرقام الخاصة بالبلاد العربية تنسحب على أعوام ٨٢/ ٨٣ ، حيث لم يصدر بعد تقرير الموقف النهائي لعام ٨٣/ ١٩٨٤ .

صناعة حربية في دولة الامارات العربية ورصد لها مبلغ ٨ بلايين دولار .

■ بلغ اجمالي النفقات العسكرية في المملكة الاردنية في عام ٨٢ - ١٩٨٣ قرابة ٥٠٠ مليون دولار أمريكي من اجمالي دخل قومي يقترب من ٣ بليون دولار ، ويتركز جهد الانفاق الرئيسي في مجالين :

أ - في مجال القوات الجوية ٨٤ طائرة قتال ، ٢٨ طائرة اعتراضية ، ١٥ طائرة للعمليات التمويهية

ب - وفي مجال القوات المدرعة ٢٥٠ دبابة م ٤٧ ، م ٤٨ ، و٧٥ دبابة م - ٦٠ تشيفين و ١٩١ دبابة ستريون ، ١٤٠ عربة استكشاف و ٨٢٠ ناقلة جنود

■ يبلغ اجمالي الانفاق العسكري في الجزائر قرابة ٩١٤ مليون دولار . من اجمالي ناتج قومي يصل الى حدود ٦٨و٤٠ البليون دولار .

تتألف القوات الجوية من ٢٩٥ طائرة قتال و ٢٠ طائرة عمودية مسلحة و ١٣ طائرة قاذفة و ١٠٥ طائرة اعتراضية و ١١٤ طائرة مقاتلة للهجوم الأرضي

وفي المدرعات يوجد ٧٠٠ دبابة و ٢٥٠ عربة مدرعة و ٣٠٠ مركبة قتال للمشاة ، و ٨٣٠ ناقلة

■ وفي المملكة العربية السعودية

يبلغ الانفاق العسكري حوالي ٢٧,٧ بليون دولار جهد الانفاق الرئيسي في مجال المدرعات والقوات الجوية .

في القوات المدرعة تمتلك ٧٣٠ دبابة و ٢٥٠ مركبة قتال للمشاة و ١٠٠٠ ناقلة جنود مدرعه وفي القوات الجوية ١٣٩ طائرة قتال و ٦٥ طائرة مقاتلة لاغراض الهجوم الجوي ، ١٥ طائرة اعتراضية و ٤٢ طائرة لوحدة العمليات التحويلية و ٣٤ طائرة نقل و ٣٤ طائرة عمودية .

■ يبلغ الانفاق العسكري السوري قرابة ٣ بلايين دولار من اجمالي دخل قومي يصل الى ٩,٢ بليون دولار ، يتمثل الجهد الرئيسي في التسليح في المدرعات ومدفعية الميدان والقوات الجوية فتمتلك ٣٣٠٠ دبابة و ١٦٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ٢٣٠٠ مدفع من طراز هاوتزر بالاضافة الى مدافع مضادة للطائرات ومدافع متعددة الصواريخ ومدافع هاون ومدافع مضادة للدبابات ... الخ ، وفي القوات الجوية ٤٤٨ طائرة قتال ، ١٩٢ طائرة للهجوم الارضي و ٢٥٥ طائرة اعتراضية

■ العراق

اجمالي الانفاق العسكري ٢,٧ بليون دولار من اجمالي ناتج قومي يقترب من ٣٦ بليون دولار ، يمتلك ٢٧٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠ مركبة قتال مدرعة ، ٣٣٥ طائرة قتال و ٦٠ طائرة عمودية مسلحة و ٩ قاذفات قنابل ثقيلة و ٨ قاذفات خفيفه و١٦٧ طائرة مقاتلة للهجوم الارضي و ١١٥ طائرة اعتراضية بالاضافة الى طائرات النقل والتدريب . مصادر السلاح الرئيسي الاتحاد السوفيتي ، فرنسا المانيا الشرقية ،

■ وفي مصر يبلغ الانفاق العسكري قرابة ٢,٥ بليون دولار أمريكي من اجمالي دخل قومي يصل الى ١٨ بليون دولار . تمتلك ١٦٣٠ دبابة ، ٢٠٠ مركبة قتال و ٣٠٠ عربة استكشاف و ٢٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ١٥٠٠ مدفع ميدان و ١٨٠٠ مدفع مضاد للدبابات ، و ١٠٠٠ قاذف موجه ضد الدبابات وفي القوات الجوية ٢٩٠ طائرة قتال و ٦٠ طائرة عمودية مسلحة و ١٦ قاذفة قنابل ثقيلة و ٢٠٥ طائرة مقاتلة للهجوم الأرضي ٦٠ طائرة عمودية للقتال و ١٧ طائرة استطلاع بالاضافة الى طائرات التدريب

كم أم كيف ؟

ويبقى في أرقام السلاح العربي الكثير ولكن الأهم هو أن نقرأ الأرقام السابقة التي لا نستطيع أن نكون محايدين تجاهها ، وهذا ما يدفعنا الى أن نبحث عن علاقات الارقام بالواقع وعلاقة الكم بالكيف وعلاقة البائع بالعدو وعلاقة السياسة بالاقتصاد والمصالح بالأمن .. كثير من العلاقات والاشكالية تتوارد الى الذهن من هذه الأرقام التي لا يمكن أن تكون محايدة ، فقط ونحن نبحث هذه العلاقات علينا أن نضعها في سياق لا خلاف حوله مفاده أن الحرب هي أداة السياسة ، وأن الشعار الذي رفعته الامبراطورية الرومانية مازال صحيحا الى اليوم فقد كان شعارا بسيطا وعميقا يقول (اذا أردت السلم فاستعد للحرب) ، من هذا الشعار عرف العالم نظرية التوازن العسكري الذي يخلق القوة السياسية .. وعلى هذا الضوء نستطيع أن نحلل ونقرأ الأرقام مرة ثانية . □

مسابقة العربي للقصة القصيرة

تشجيعاً للهواة من كتاب القصة الموهوبين في أقطار الوطن العربي والمهجر وتوكيداً للعلاقة بين العربي وقرائها فإنها تقيم مسابقة للقصة القصيرة

الشروط

- يحق للهواة من القصاصين الاشتراك في هذه المسابقة .
- أن يكون موضوع القصة منسجما مع الاتجاهات القومية وألا يتعارض مع المبادىء والقيم الدينية والانسانية .
- أن تكون القصة موضوعة لا مترجمة ولا ملخصة ولا مقتبسة .
- ألا يتجاوز عدد كلماتها ١٥٠٠ كلمة .
- ألا يكون قد سبق نشرها من قبل .
- أن تكتب باللغة العربية الفصحى بخط واضح ، وعلى وجه واحد من الورق ، ويفضل أن تكتب على الآلة الكاتبة .
- أن يكون « للعربي » حق الأولوية في نشر القصص الفائزة بالجوائز .
- ألا تحمل القصة اسم كاتبها أو عنوانها ، بل يكتب اسم الكاتب وعنوانه وعنوان القصة ، على النموذج المرفق « الكوبون » « ع » في أسفل الصفحة ، بحيث يكون النموذج أو « الكوبون » « ع » في أسفل الصفحة هو المستند الوحيد الذي يؤكد ملكية صاحب القصة .
- آخر موعد لقبول القصص هو ٣٠ ابريل ـ نيسان ـ من سنة ١٩٨٥ ، ولا تدخل المسابقة أية قصة تصل بعد هذا التاريخ .
- تعلن نتائج المسابقة في بداية شهر أكتوبر ـ تشرين أول من سنة ١٩٨٥ .
- القصص التي تصل الى المجلة لا ترد الى أصحابها .
- يكتب على المظروف مسابقة القصة القصيرة .

الجوائز

- الجائزة الأولى : ٣٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثانية : ٢٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثالثة : ١٥٠ دينارا كويتيا .
- الجائزة الرابعة : ١٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الخامسة : ٧٥ دينارا كويتيا .

ـ الجوائز من السادسة حتى العاشرة اشتراك مجاني لمدة عام في المجلة وكتاب العربي .

ع

الاسم الثلاثي : ....

اسم القصة : ....

العنوان : ....

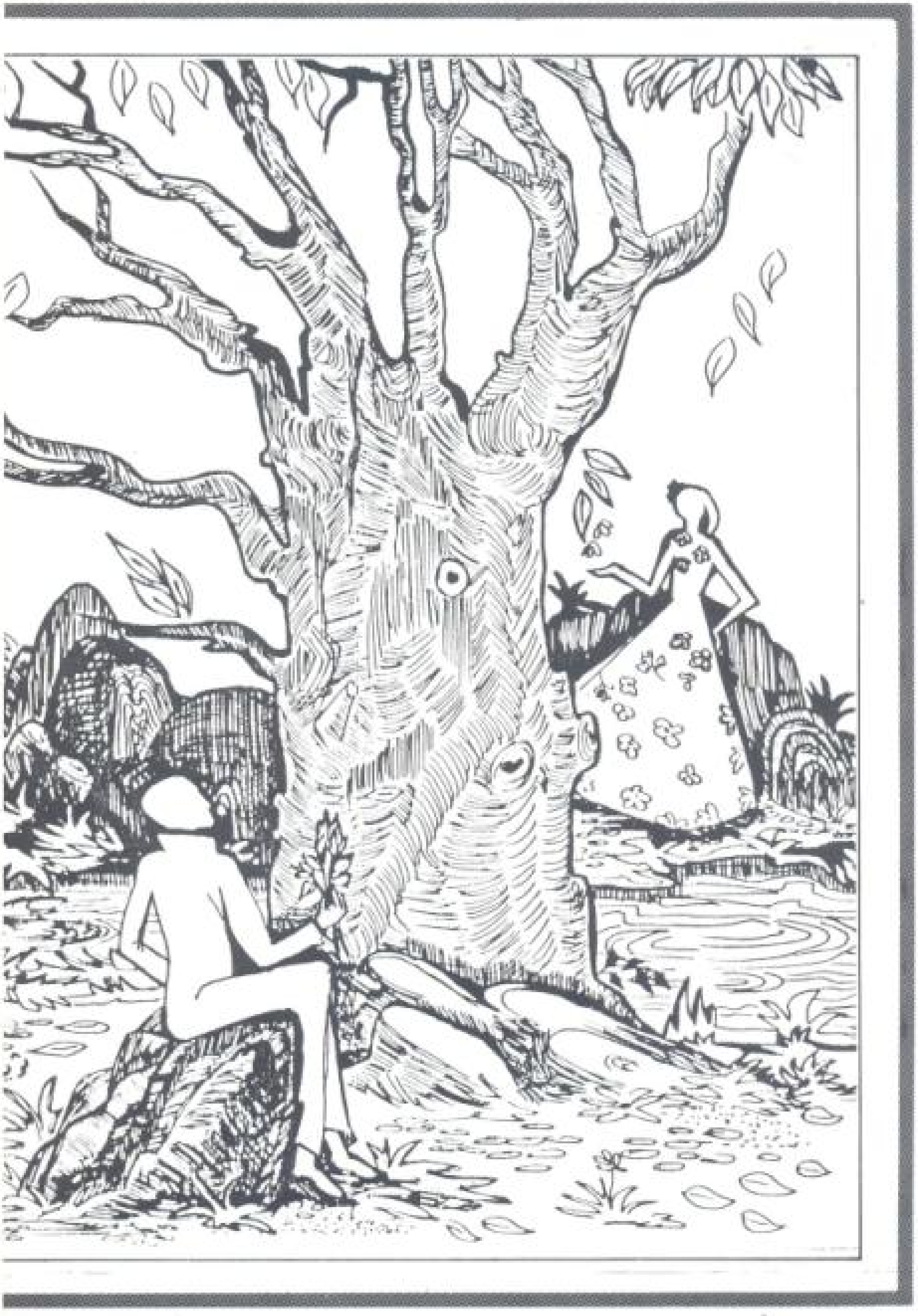

لا بُدّ أن نلتقي

شعر : يعقوب السبيعي

يأبى بك الله يا من شطَّ مُبتعدا ... بيني وبينك ما لا ينتهي أبدا
بيني وبينك ما يبقى وإن عَصَفَتْ ... به المواجِع أو مَدَّتْ اليه يَدا
قد كان موعدَنا الأزهارُ ، رُحْتُ فما ... وجدتُ بين ثنايا عطرِها أحدا
لغيرِ حُبي يكونُ البعد مضيعةً ، ... وغيرُ روحي تعيشُ المنتأى بَدَدَا
أراقب الزمن الخالي وأمنحه ... ـ لكيْ أراكِ به ـ من صَبْوتي مددا
متى ستمنحني عرشَ اللقاء ؟ فلي ... قلبٌ تعيشُ مليكا فيه منفردا
أضم ذكراك في شتى بواعثها ... حتى النائمَ قد صَيّرتها جسدا
لأجل عينيك رقّ الصدر فانكشفتْ ... سرائرٌ عن ورودٍ لاثمات ندى
فدىً لعَيْنيك أيامي التي امتلأتْ ... شوقاً له كلُّ ما بين الضُلوع فِدى
لا زال عطرك أنفاساً أعيش بها ... ولم يزل ثغرك البسام متقدا
ولم تزل في جهات الروح تملؤها ... حدائقاً ، وضياءً راعشاً ، وهُدَى
ولم تزلْ في دروبِ الشوق تحملني ... إلى غدٍ ، كاشفاً لي ما أراهُ غدا
لا بُدّ أن نلتقي ، إمّا على قدرٍ ... اليك يُوصلُني ، أو خاطرٍ شَرَدا
بيني وبينك ما لا ينتهي أبدا ... أنا وحُبُّك صوت والزمانُ صدى

النمو الديموغرافي
.. هل يغير وجه العالم..؟

بقلم : الدكتور فضل أيوبي

هل تستطيع الدول النامية أن تسيطر على النمو السكاني المتزايد فيها ؟ . ترى كيف سيكون وجه العالم بعد أقل من عشرين عاما من اليوم ؟ ! كيف ينظر الشمال الغني الى الجنوب الفقير ؟ وما سر حالة الرعب التي تعيشها الدول الصناعية المتقدمة ؟ . هذا المقال الذي يعتمد على الأرقام والاحصائيات يقدم لنا تصورا لما سيكون عليه النمو الديموغرافي سنة ٢٠٠٠ !

عقد في شهر آب المنصرم من سنة ١٩٨٤ مؤتمر عالمي للسكان في مدينة مكسيكو ضم أكثر من خمسمائة مندوب وباحث واخصائي تحت رعاية الأمم المتحدة . وكان هذا هو المؤتمر الثاني بعد مرور عشرة أعوام على المؤتمر الدولي الذي عقد بمدينة بوخارست في شهر آب أيضا من سنة ١٩٧٤ .

والهدف من مؤتمر مكسيكو هو وضع مخطط العمل الدولي الذي تم التوصل اليه في بوخارست كدليل عمل ديموغرافي لحكومات العالم المختلفة موضع التنفيذ . وحرصا على نجاح المؤتمر فقد قامت أربع لجان رئيسية بتحضير الأرضية اللازمة له من خلال دراسة الموضوعات التالية :

الخصوبة والأسرة ، التوزيع الجغرافي ، الهجرات والتنمية ، السكان والموارد ، البيئة والتنمية ، الوفيات والسياسات الصحية .

لقد انطلق هؤلاء الخبراء في أعمالهم وفق مسلمة

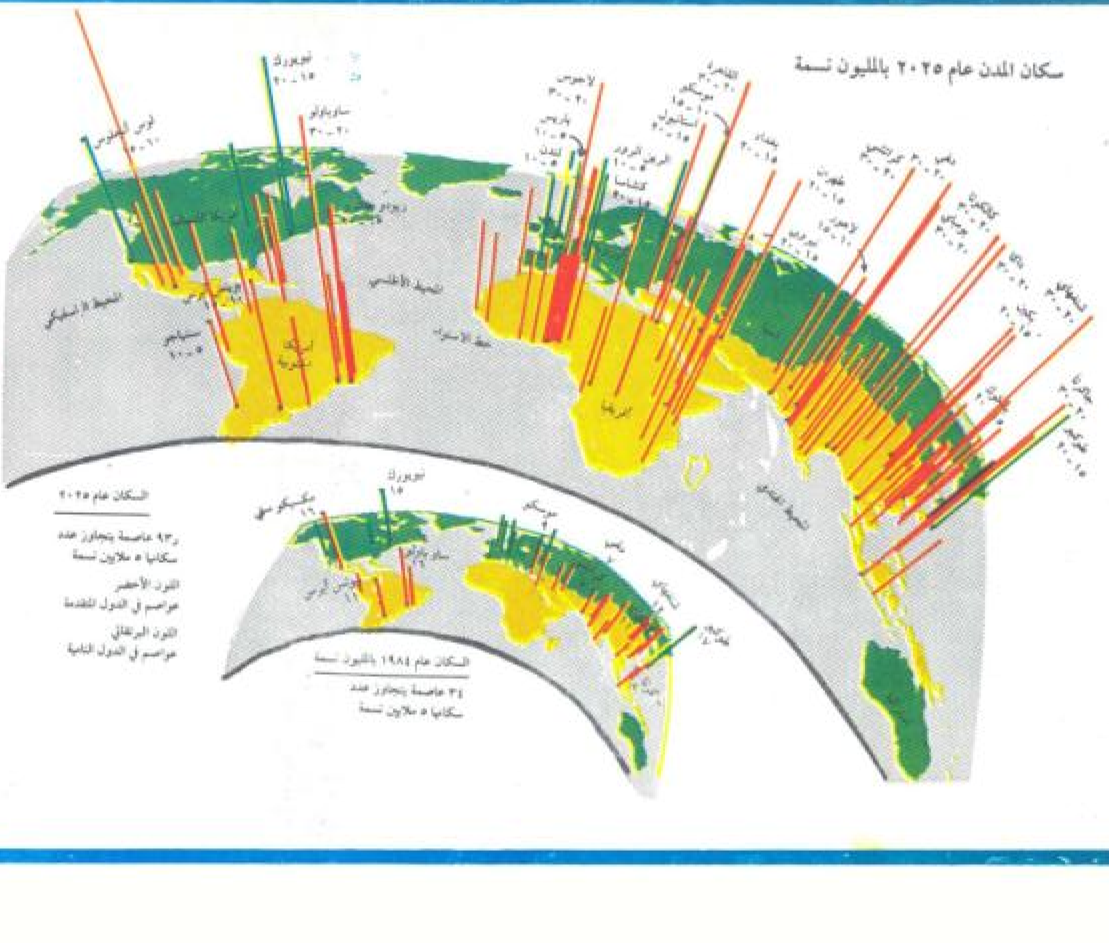
سكان المدن عام ٢٠٢٥ بالمليون نسمة
السكان عام ٢٠٢٥
٩٣ عاصمة يتجاوز عدد
سكانها ٥ ملايين نسمة
اللون الأخضر
عواصم في الدول المتقدمة
اللون البرتقالي
عواصم في الدول النامية
السكان عام ١٩٨٤ بالمليون نسمة
٣٤ عاصمة يتجاوز عدد
سكانها ٥ ملايين نسمة
نيويورك
المحيط الأطلسي
المحيط الهادي

أساسية هي : أن المبادىء والأهداف لمخطط عمل بوخارست لم يطرأ عليها أي تبدل . وهكذا عاد علم السكان ـ الديموغرافيا ـ الى واجهة الأحداث ، يتصدر الأنباء العالمية وسط الاهتمامات المتزايدة لرجال السياسة والاقتصاد ، والاجتماع والصحافة ، ذلك ان هذا العمل قد يحمل بين أرقامه وخطوطه البيانية قنابل حقيقية يجب التصرف حيالها بكل الحيطة والحذر ، وأن النمو الديموغرافي لا يشكل هاجسا بالنسبة للدول الفقيرة فقط ، وانما يسبب رعبا لا حدود له بالنسبة للدول الغنية أيضا .

فلماذا يسيطر هذا الهاجس على أذهان الدول النامية ؟ ولماذا هذا الشعور بالرعب في العالم الصناعي ؟

الانفجار الديموغرافي

لقد عرفت البشرية أثناء تطورها طفرتين ديموغرافيتين هامتين :

الطفرة الاولى : جاءت في أعقاب الثورة النيوليتكية (العصر الحجري الأخير . المصقول) حيث اكتشف الانسان الزراعة وتوصل الى ايجاد كميات هائلة من الغذاء أدت الى ارتفاع عدد سكان العالم من (١٥ مليون) نسمة في أواخر الألف الخامسة قبل الميلاد الى (١٥٠ مليون) نسمة في نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد . ونتج عن ذلك توزع الانسان وانتشاره على سطح الأرض وتشديد سيطرته على المناطق التي عاش بها . غير أنه خلال الخمسة آلاف سنة الأخيرة لم تتطور الزراعة بشكل كاف . فانكفأ النمو الديموغرافي .

الطفرة الثانية : حدثت نتيجة لظهور الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر ، وهي تختلف من حيث طبيعتها ، وشدتها عن الطفرة الأولى ، ذلك أن الزيادة الديموغرافية سابقا تمت وفق القانون السابق : (نسبة ولادات عالية ، ونسبة وفيات عالية أيضا) . بينما جاءت الزيادة الثانية وفق قانون : (نسبة ولادات عالية ، ونسبة وفيات منخفضة) . واذا كانت هذه الطفرة قد بدأت منذ نهايات القرن الثامن عشر . فانها ما زالت مستمرة . ويمكننا هنا أن نميز بين مرحلتين هامتين في تاريخ هذه الطفرة : المرحلة الاولى بدأت مع الثورة الصناعية وانتهت في أيامنا الراهنة هذه ، وقد انتهت كليةً لصالح البلدان الصناعية وذلك خلال قرن ونصف قرن من الزمان ، حيث تمكن العالم الغربي بفضل الزيادة السكانية التي شهدها من بسط نفوذه على بقية العالم كله تقريبا . فانطلقت أوروبا عن طريق الهجرات المكثفة ، المصحوبة بالتقدم التكنولوجي نحو الأمريكتين ، وأفريقيا ، وآسيا وأوقيانوسيا . وقد غذت هذه الطفرة ظهور الامبرياليات المختلفة : الأوربية ـ الروسية ـ وفيما بعد الامريكية .

أما المرحلة الثانية فهي التي أثارت رياح الرعب في الستينيات من هذا القرن بسبب الزيادة الديموغرافية المتسارعة للبلدان النامية التي بدأت في العقود الاولى من القرن العشرين ، ولم تنته بعد .

والآن يحق لنا أن نتساءل : اذا كانت المرحلة الاولى من الطفرة الثانية قد انتهت لصالح العالم العربي الغربي بانتشاره وسيطرته على العالم ، فكيف ستنتهي المرحلة الثانية ، لا سيما ان النمو الديموغرافي يسير لصالح الدول النامية هذه المرة ؟

تنبؤات الأمم المتحدة

في مطلع هذا القرن كان عدد سكان العالم (١,٦) مليار نسمة . وفي سنة ١٩٥٠ وصل هذا العدد الى (٢ر٥) مليار نسمة . وفي سنة ١٩٥٠ وصل هذا العدد الى (٢ر٥) مليار نسمة يتوزعون على النحو التالي : (٨٠٠) مليون نسمة في البلدان المتقدمة : أوربا ـ أمريكا الشمالية ـ اليابان ـ استراليا ـ نيوزيلنده الجديدة ـ الاتحاد السوفيتي) و (١ و ١) مليار نسمة يسكنون باقي العالم ، وتكون النسبة واحدا الى اثنين تقريبا أي : (كل شخص واحد في العالم الغني يقابله شخصان في العالم الفقير) . وفي عام ١٩٨٥ سيتوزع سكان العالم على النحو التالي :

(١ر٢) مليار نسمة في العالم الصناعي ، و (٣ر٧) مليار في البلدان النامية أي نسبة واحد الى ثلاثة . وفي نهاية القرن العشرين سيكون عدد سكان العالم المتطور (١ر٣) مليار نسمة ، وسكان دول العالم الثالث

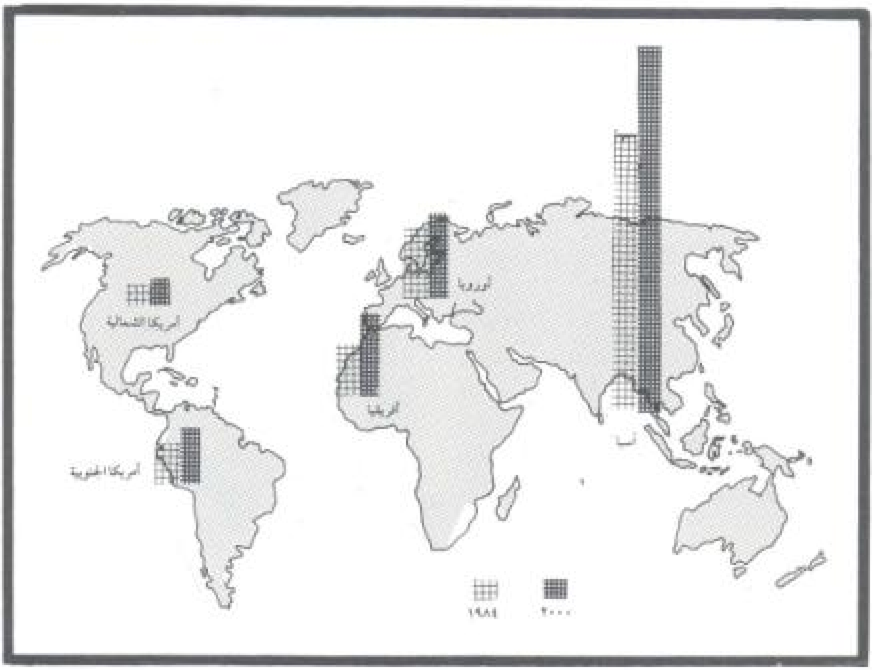

تطور سكان العالم بالملايين ضمن الحدود الحالية بين عامي ١٩٨٤ ـ ٢٠٠٠

(٤٫٨) مليار نسمة ، أي بنسبة واحد الى أربعة . بينما اذا استمر النمو الديموغرافي ليصل بعدد سكان العالم في نهاية القرن الواحد والعشرين الى ما بين (١٠ ـ ١١) مليار نسمة ، عندها يكون نصيب الدول الغنية منه (١٫٤) مليار نسمة والبلدان السائرة في طريق النمو (٨٫٦) مليار نسمة ، وستصبح النسبة واحدا الى ستة . ومن البديهي أن تتأثر المدن بهذا الانفجار الديموغرافي ، خاصة المدن ذات الاحجام المتوسطة والصغيرة ، لا سيما وأنها تواجه استقبال أعداد كبيرة من النازحين من الريف اضافة الى زياداتها الطبيعية . وهنا أيضا نجد التناقض كبيرا بين البلدان الصناعية والبلدان النامية . بالنسبة لدول المجموعة الاولى فقد أنجزت تقريبا عملية التحضر ، اذ أنه في سنة ١٩٨٥ ، سيكون (٧٥٪) من سكانها من الحضر ، وفي سنة ٢٠٠٠ ستزداد هذه النسبة لتستقر في حدود الـ (٨٠٪) بينما يشكل السكان الريفيون في البلدان النامية نسبة تقدر بـ (٥٧٪) من مجموع السكان لسنة ١٩٨٥ وأحيانا تصل هذه النسبة الى (٧٥٪) كما هو الحال في أفريقيا المدارية ، والهند ، والصين . ولكن في نهاية القرن الحالي ستصبح نسبة السكان الحضر في هذه البلدان (٥١٪) .

في سنة ١٩٥٠ مثلا لم يكن يوجد في العالم سوى مدينتين تضم كل واحدة منها عشرة ملايين نسمة هما : نيويورك ولندن رمزا الامبريالية الصناعية . أما اليوم فقد أصبح أمثال هذه المدن (١٣) مدينة ، وفي نهاية القرن الحالي سيصبح عددها (٢٥) على رأسها مدينة مكسيكو ، ثم مدينة ساوباولو ، وشنغهاي ، وسوف تشهد كل من : القاهرة ، ولاجوس ، والجزائر نموا كبيرا في عدد سكانها .

ان ظاهرة التحضر تزداد أهمية في المدن الصغيرة والمتوسطة في العالم النامي لكونها مكونة من المهاجرين ، ففي خلال السنوات الخمس الأخيرة ـ

على سبيل المثال - تزايد سكان المدن التي يزيد تعداد سكانها عن أربعة آلاف نسمة بمعدل (٨٪) سنويا وهي نسبة عالية جدا اذا ما قارناها بمعدل النمو العام (٢,٤) الذي سبب الانفجار الديموغرافي في هذا العالم .

هذه هي تنبؤات الأمم المتحدة التي سبق لها وتنبأت سنة ١٩٦٣ بالزيادة الديموغرافية التي سيشهدها العالم . وحسب الافتراض الوسط الذي قدمته آنذاك على أساس أنه الأكثر احتمالا ، فان كوكبنا الأرضي سيضم (٤ر٧٥) مليار نسمة قبل نهاية سنة ١٩٨٥ ، وها نحن الآن على أبواب هذا الرقم اذ أن دراسات الأمم المتحدة تفيد بأن العالم سيضم سنة ١٩٨٥ (٤ر٨٣) مليار نسمة بفارق بسيط يصل بصعوبة الى (١٠٠) مليون نسمة . وفي نفس العام ١٩٦٣ تكهنت بأن سكان العالم سيقدرون في سنة ٢٠٠٠ بحوالي (٦,١٣) مليار نسمة ، وها هي التوقعات الحديثة تفيد بأن هؤلاء السكان سيصبحون في سنة ٢٠٠٠ (٦,١٢) مليار نسمة .

أين المشكلة ؟

من خلال الأرقام التي استعرضناها سابقا نجد أن النمو الديموغرافي في العالم الصناعي يسير بوتائر ضعيفة جدا . وأن معدلات الزيادة في بعض البلدان الأوروبية تصل الى الصفر ، وفي بعضها الآخر أقل من الصفر ، أي أنها دخلت في مرحلة النقصان . في الوقت الذي نجد فيه سكان البلدان النامية يتزايدون وفق معدلات لم يسبق لها مثيل . فسكان الصين كانوا سنة ١٩٥٠ (٥٦٠) مليون نسمة وصلوا اليوم الى أكثر من المليار ، أي أنهم تضاعفوا خلال ٣٥ سنة تقريبا . وكذلك الحال بالنسبة لسكان الهند . أما سكان أمريكا اللاتينية فقد عرفوا زيادة تفوق زيادة سكان الصين اذ انتقلوا من (١٦٤) مليون نسمة سنة ١٩٥٠ الى (٤١٠) مليون نسمة عام ١٩٨٥ أي أنهم تضاعفوا مرتين ونصف . أما أفريقيا فقد تضاعفت مرتين خلال نفس الفترة . بالنسبة للمستقبل القريب سوف يكون عدد سكان الصين سنة ٢٠٢٥ (٤ر١) مليار نسمة أي أنهم لن يتزايدوا الا بنسبة (٤٠٪) ، وعدد سكان أمريكا اللاتينية (٨٦٥) مليون نسمة أي أنهم سيتزايدون (٢ر١) مرة . واذا بقي النمو الديموغرافي في أفريقيا على وضعه الحالي فان سكانها في نهاية القرن القادم سيكون (٢,٦) مليار نسمة أي ضعف سكان العالم الصناعي .

أمام هذا الخلل الواضح في ميزان النمو الديموغرافي العالمي ، يشعر العالم الغربي بالقلق الشديد ، ويتحول هذا القلق الى رعب حقيقي كلما نظر ديموغرافيو العالم الرأسمالي الى هرم الأعمار - خاصة في أوروبا - ووجدوا فيه اتساعا متزايدا للقمة وضيقا متواصلا للقاعدة . أي بعبارة أخرى زيادة شرائح الذين تجاوزوا سن الستين ، وقلة الذين هم دون سن العاشرة . ولتصحيح الوضع في هذا الهرم فانه يتوجب على كل أسرة أوربية أن تنجب (٢,١) طفلا في المتوسط وهو معدل لم تصل اليه أي دولة أوربية بعد .

أما بالنسبة للدول النامية فان هذا النمو على الرغم من أنه أحد العوامل التي تعيق عملية التنمية ، الا أنه لا يمكن أبدا أن يكون المشجب الذي يجب أن تعلق عليه كافة مشاكلها كما ترى دول الشمال .

والآن هل يبدو مفيدا أن نتساءل فيما اذا كان مبدأ الأواني المستطرقة قابلا للتطبيق في المجال الديموغرافي ؟

الاجابة عن هذا السؤال نجدها في الحالة العصبية التي تعيشها أوربا الآن . فالصحافة تحذر من أن جموع الهياكل البشرية الجائعة والقادمة من الجنوب على وشك الاطباق على موائد أوروبا العجوز . آلاف العمال الذين استقدمتهم أوروبا أثناء طفرتها الاقتصادية يستغني الآن عن خدماتهم ويلقي بهم خارج الحدود . ظهور الفئات السياسية المتطرفة التي أحيت الشعارات الوطنية القديمة وأججت نار العنصرية - حركة جان ماري لوبان - ضد الأجانب عامة والعرب خاصة (سكان شمال أفريقيا) .

والآن على الرغم من تشاؤم العالم الرأسمالي ، هل يتوجب علينا نحن سكان العالم الثالث أن ننظر الى المستقبل على أنه مرعب الى هذه الدرجة ؟ على صعيد السكان ، تشير تنبؤات الأمم المتحدة الى عكس ذلك . فبالنسبة للثمانينيات من هذا القرن

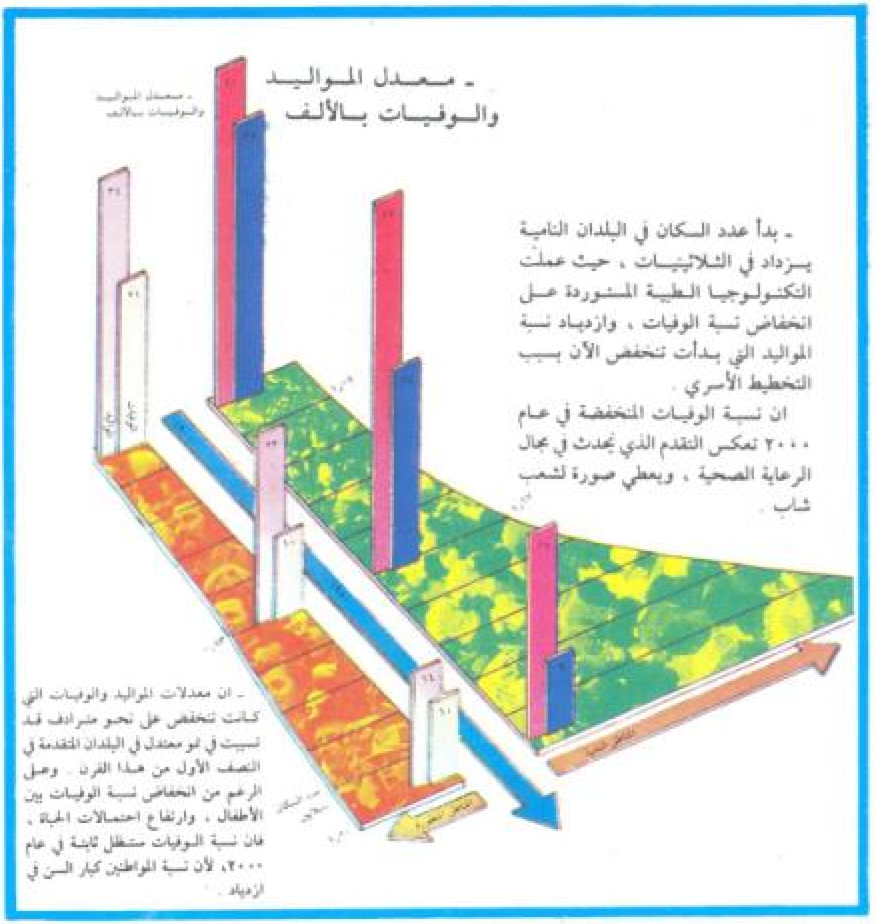

● معدل المواليد والوفيات بين عامي ١٩٠٠ و٢٠٠٠ في البلدان النامية والبلدان المتطورة

تؤكد هذه التنبؤات أن معدل النمو العالمي للسكان سوف يكون بحدود (٢٪) بعد أن كان في السبعينيات (٢،٤٪) ، وبذلك تكون دول العالم الثالث قد دخلت مرحلة التباطؤ ، فها هي الهند تجدها ملتزمة بسياسة واضحة وصارمة لتخفيض نسبة الخصوبة ، وها هي الجزائر تتمكن بفضل سياستها الرشيدة من استيعاب الزيادة الديموغرافية والسيطرة عليها . وها هي الصين تعظم الأسرة ذات الطفل الواحد ، وتفرض أشد العقوبات الاقتصادية على الأسر التي تضم اكثر من طفلين . كما ان جمهورية بيرو تبنت رسمية سياسة ديموغرافية تساعدها على ألا يتجاوز عدد سكانها الـ (٢٨) مليون نسمة سنة ٢٠٠٠ . والأمثلة أمامنا عديدة .

أما على صعيد انتاج الغذاء : فقد أشارت احدى نشرات الفاو الى أنه : بين عامي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨ نجد (٣٦) دولة فقط من أصل (١١٨) دولة أكثر فقرا

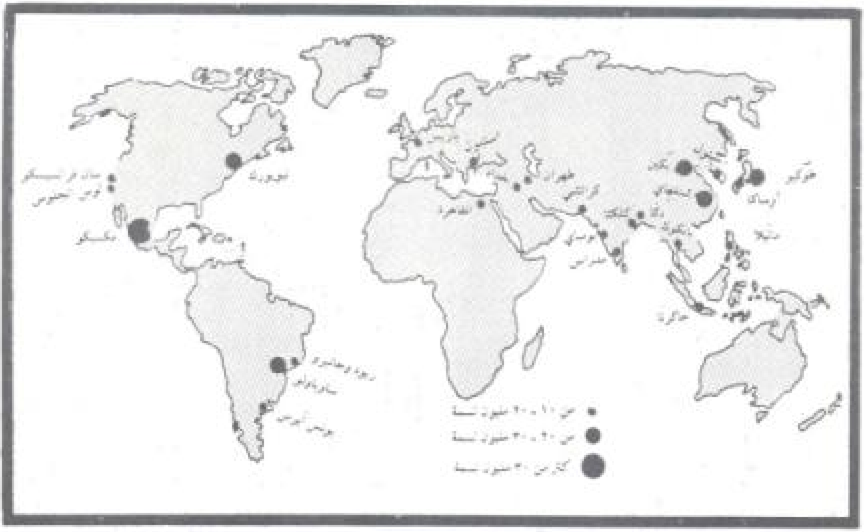

التجمعات الحضرية التي سيزيد عدد سكانها عن ١٠ ملايين نسمة سنة ٢٠٠٠

في العالم تقدم لكل من مواطنيها عددا كافيا من السعر الحراري « الكالوري » ولكن في عام ١٩٧٠ ارتفع عدد الدول الى (٤٤) دولة ، وفي عام ١٩٧٦ وصل الى (٥٢) دولة . وفي عام ١٩٨٠ أصبحت (٦٢) دولة تعتبر دولا فقيرة على أعتاب التوازن الغذائي .

مشكلة الغذاء

وفي شهر كانون الأول من سنة ١٩٨٠ أعلنت دائرة الزراعة في الولايات المتحدة الامريكية في تقريرها السنوي : « انه على المستوى العالمي سوف تتناقص مشكلة الغذاء » . فاذا كان هذا الكلام صحيحا مائة بالمئة بالنسبة للبلدان المتطورة ، فقد يكون فيه شيء من الصحة بالنسبة للبلدان النامية . وعلى الرغم من أنه يوجد شذاذ بين الحالتين الا أن الرقم النهائي يبقى ايجابيا . نعم هناك مشاكل مطروحة تدعو للقلق مثل : زيادة التحضر ، المناطق التي أتلفها الجفاف ، المناطق المهددة بعدم التوازن بين الزيادة الديموغرافية والنمو الاقتصادي » الا أن هذه المشاكل لا يمكن لها أن تكون عقبات مستعصية ، انما يمكن التغلب عليها وفق استراتيجيات عالمية .

كما أن هناك مئات الألاف من الهكتارات التي لم تستغل بشكل جيد ، ومئات أخرى يمكن استصلاحها واضافتها الى الأراضي المنتجة وتأمين الغذاء للأجيال القادمة ، اننا قادرون على ابعاد شبح المجاعة ولكن شريطة أن نتصرف بعقلانية .

ونعود الى المؤتمرين من بوخارست الى مكسيكو . لقد تبدلت المواقف ، فدول العالم الثالث التي تمثل موقفها في بوخارست بالتقليل من أهمية السكان كعامل محدد للنمو ، تبنت في مكسيكو سياسة واضحة تتمثل في اعاقة النمو الديموغرافي . ودول العالم الصناعي التي حاربت في بوخارست من أجل ضبط هذا النمو ، استماتت في مكسيكو من أجل اضافة بضع جمل تحض على النمو الديموغرافي وذلك لتبديل عالم المسنين الذي يسودها . مؤتمر بوخارست كان رغبة من العالم الغني لكبح جماح الزيادات السكانية في الدول السائرة في طريق النمو . لذلك كان ممثلوه هم المحركون الأساسيون . أما في مكسيكو فقد انقلبت الآية ، اذ جاء المؤتمر ممثلا لرغبات دول العالم الثالث التي أخذت على عاتقها مخطط العمل الذي تم التوصل اليه في بوخارست ، وحاربت من أجل تنفيذه

نصا وروحا . وشددت على توصياته ، وتحديد الأهداف والأرقام على المدى المتوسط والمدى الطويل .

ان لتبدل المواقف وتناقضها ما يبرره خاصة بالنسبة للدول الفقيرة . فهي عندما قللت من أهمية السكان كعامل محدد للنمو كانت محقة في ذلك ، لأن الغرب يريد أن يجعل من هذه المشكلة ، أم المشاكل جميعها ، طمعا في اخفاء الأسباب الحقيقية الكامنة وراء بؤس وشقاء هذه الدول ، وهربا من تحمل مسؤولياته تجاهها .

ان الدول النامية وحدها ، هي التي تعرف أي بنية اجتماعية واقتصادية تلك التي ورثتها عن العهود الاستعمارية . وهي وحدها التي تعرف أسباب تخلفها الحقيقية . وكيفية الخروج من هذا التخلف وبناء مجتمعاتها الجديدة .

مرحلة الاعتدال

حقيقة .. لقد شهد العالم فترة هامة من الانفجار الديموغرافي : الا أن هذا النمو دخل في مرحلة الاعتدال . وحقيقة أيضا أن هناك عدم توازن ديموغرافي قائم بين الدول الغنية والفقيرة يساعد على اعطاء أهميات متزايدة لمشكلات الهجرة العالمية .
ولكن اذا كانت هذه الهجرات تقلق المجتمعات الغربية فهل يكون تخفيض نسبة الخصوبة في البلدان النامية علاجا كافيا لهذا القلق ؟
ان مسألة السيطرة على الخصوبة على الرغم من كونها سياسة حكومية ، الا أنها في حقيقة الأمر نتيجة منطقية لتطور الظروف الاقتصادية والاجتماعية لأي شعب من الشعوب . ذلك أن هذا التطور وحده هو الكفيل بتحديد عدد أفراد الأسرة الواحدة بما يحمله من أفكار وعادات جديدة . ان هذه المسألة هي في نهاية المطاف ضرورة ملحة بشكل أو بآخر لعملية التنمية والخروج من براثن التخلف .

ولكن هل يجب أن نموت هلعا منذ الآن خوفا من الموت جوعا في السنوات القادمة ؟ وهل يبدو المستقبل الذي ينتظرنا قاتما الى هذه الدرجة التي يريد الغرب أن يصوره بها ؟

الجواب على ذلك .. بالنفي .. فشبح أفكار مالتوس لا يخيف الا اذا أريد له ذلك . وأمر انتاج كميات غذاء تتناسب مع عدد سكان كوكبنا الجميل أمر ممكن جدا . غير أنه في الوقت نفسه يجب ألا نأخذ الأمور ببساطة ، فالانفجار الديموغرافي حقيقة واضحة يجب ألا نقلل من شأنها فهي تتطلب تصورات وسياسات واضحة ومحددة للمستقبل بالنسبة للعالم النامي .
أما بالنسبة للدول الغنية فهناك أشياء أخرى يمكن أن تقدمها غير التهويل من أمر الزيادات السكانية ... في مقدمتها القبول باعادة النظر في نظام المبادلات القائم حاليا بين الشمال والجنوب ، واقامة نظام اقتصادي دولي جديد كفيل بايجاد مجتمع دولي أكثر عدلا واستقرارا . □

من كل شعب ... مثل

* الأنف الكبير لا يشوه الوجه الجميل . (مثل ألماني) .
* من أطفأ شمعة غيره بقي في ظلام مثله . (مثل بولندي)
* جميل أن يموت الانسان من أجل وطنه ، وأجمل منه أن يعيش لأجله .
(مثل هنغاري)

قطع غيار بشرية بين عوالم غير مرئية

بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح

عنوان هذه الدراسة قد يبدو أقرب الى عالم الخيال منه الى عالم الواقع ، ولهذا فقد يثير في العقل بضعة تساؤلات حائرة : ما هي تلك العوالم غير المرئية التي ستمدنا بقطع غيار بشرية ؟ . . وكيف يتحول غير المرئي الى شيء مرئي بحيث يمكن تناوله وزرعه في أجسام البشر ؟

الواقع انه لاشيء من ذلك . . فمع ان العنوان غريب ، الا أن غرابته تتأتى من كوننا سنكتب دراستنا تلك عن مستقبل العلوم البيولوجية وما ستصير اليه في نهاية القرن العشرين ، او بداية القرن الحادي والعشرين ، وطبيعي ان تتغير انماط التفكير عند ذاك تغيرا جذريا ، كما تغيرت مثلا انماط تفكيرنا خلال الخمس عشرة سنة الماضية .

إذا تنبأنا بما سيصير اليه الحال في العلوم البيولوجية بعد سنين تعد على اصابع اليدين ، فلا تتصور ان تنبؤاتنا من قبيل الخيال المحض ، بل لها أسس ترتكز عليها من خلال الانجازات العلمية الحالية . ومع ذلك فمن المستحسن ان نقدم هنا مثالا واحدا لنتخذه ركيزة نرتكز عليها ونحن نتعرض لمستقبل العلوم البيولوجية ، وسيوضح لنا ذلك المثال ايضا مدى الهوة الواسعة في امكان استيعاب معلومة تحققت بين فترتين لا تتعديان عشر سنوات لاغير ، فلو ان زيدا من الناس كان قد اخبرك منذ ثماني سنوات

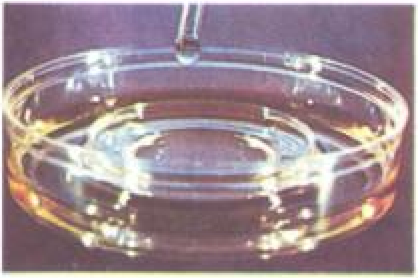

شكل (١) أجنة تبدأ حياتها في الأطباق (أ) وقد تصبح سلعة في المستقبل لمن كان عقيما ، وعلى كل جنين « بيان » يوضح صفاته التي يمكن أن يجيء عليها (ب) .. أسمر .. أبيض .. ولد .. بنت .. عالم .. فنان .. الخ ، ولهذا فإن ما تستهجنه اليوم ، قد يراه غيرنا في المستقبل حسنا !

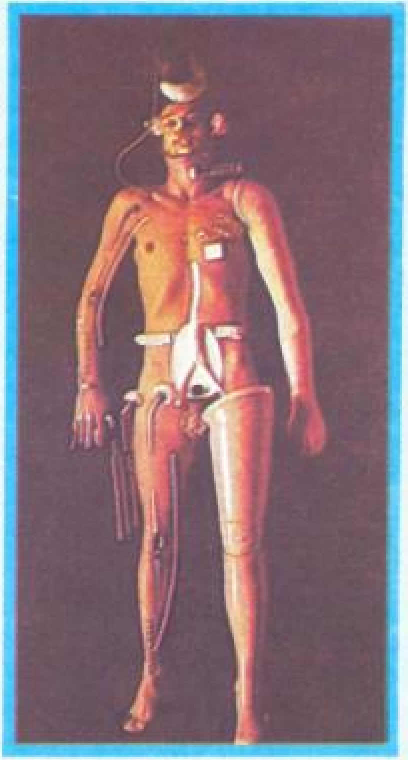

شكل (٢) جسم انسان وعليه توزعت قطع الغيار التي تمخضت عنها البحوث الحالية ، لكن الأمور سوف تتطور لتصبح هذه « التوليفة » أغرب مما تصور ، وقد ينصب التحوير على أدمغتنا وأمخاخنا لتكون اكثر ذكاء وتذكرا وبهجة واطمئنانا ، وذلك بالتأثير عليها كهربيا أو كيميائيا ، وتوجيهها لما نحب ونرضى !

فقط ان ابوين قد ماتا في عام ١٩٧١ ، ولكنهما رزقا بطفلين في عام ١٩٧٣ ، عندئذ سوف تظن بمحدثك انه يهذي بكلام غير مفهوم ، اذ لم يحدث قط ان يتجب الناس بعد ان صاروا عظاما ولم يرد مثل ذلك ايضا حتى في اساطير الاولين !

لكن ذلك قد حدث في زماننا هذا . فلقد سافر السيد ماريو ريوس وزوجته إلزا الامريكيان الى استراليا في عام ١٩٨١ ، وتوجها الى احد المراكز الطبية التي تعالج حالات العقم عن طريق التلقيح في الأطباق او في انابيب الاختبار (شكل ١) ثم زرع الجنين في بداية مراحله الأولى في رحم الأم (او رحم سيدة اخرى تقبل ذلك مقابل اجر) ، وبالفعل تم انتاج اربعة اجنة ، زرع اثنان منها في الأم ، لكن الزراعة فشلت ، وعندئذ أوصت بضرورة الاحتفاظ بالجنينين المتبقيين لتعاود الكرة ، فلعلها تنجح ، لكن الزوجين ماتا في حادثة سقوط طائرة في شيلي منذ ثلاث سنوات ، وعندئذ وقع المركز الطبي في حيص بيص : فما مصير هذين الجنينين « اليتيمين » المحفوظين في ثلاجة تحت ظروف خاصة ؟ . . . وهل من حق احد ان يوصي ببعثهما الى الحياة ؟ . . وما العمل في وصية الوالدين وهما في عداد الاموات ؟ . . او هل يمكن استخدام الجنينين في البحوث العلمية لتطويرها ، خاصة وانهما بدون صاحب ؟ . . أم من المستحسن وضع حد لحياتهما ؟ . . ومن يتحمل وزر ذلك ، فربما يقيم احد قضية يطلب فيها تعويضا عن موت الجنينين ؟ . . الخ ، هذا وما زالت الأمور معلقة ، الى ان تسن شرائع جديدة تساير امور هذا العصر الغريب الذي بدأت بشائره منذ عهد قريب ، اي منذ ولادة أول طفلة انابيب بحالة طبية في عام ١٩٧٨ ، ومن يومها تطورت الأمور بسرعة مذهلة ، لكنها احدثت مفارقات مضحكة او محزنة ، واحتدم الجدل والنقاش بين العلماء ومشرعي القوانين وعلماء الاجتماع والفلاسفة ، فهناك امور تستدعي أنماطا فكرية جديدة ، لأن كل شيء يتطور بسرعة كبيرة .

ماذا نختار ؟

إن أخطر ما قد يتمخض عنه المستقبل هو ما يختص باعادة « نسخ » الانسان ، بمعنى انه لن يفد الى الحياة بالطرق التقليدية المعروفة ، اي من خلال اجتماع ذكر بأنثى ، بعقد او بغير عقد ، فهذا لم يعد يهم مستقبلا ، لأن فراش الزوجية قد استبدل به العلماء الأطباق وانابيب الاختبار ، وطبيعي ان احدا لا يستلطف ان يعقد زواج على ما في الاطباق ، وقد يظن البعض اننا نقصد بذلك اطفال الانابيب التي يتم فيها التلقيح بين الخلايا الجنسية ، وما هذا قصدنا ، لأن اعادة نسخ الانسان شيء آخر مختلف تماما ، اذ ستأتي النسخة من ذات خلاياه الجسدية ، وتكفي نواة واحدة من احدى خلاياه الموجودة في جلده أو شفته او امعائه . . الخ لاعادة « طبعه » او خلقه من جديد ، لأن الخطة الوراثية المتكاملة ، او النظام الحياتي الذي أنشأه اول مرة موجود في كل نواة من خلاياه الجسدية ، ولو اشتغل النظام ، وانقسمت النواة ، لعادت الى حالتها الجنينية ، أي من الممكن ان تعيد الكرة وتنتج « طبعة بالكربون » أو نسخة طبق الأصل من ذات الانسان الذي عزلت منه النواة ، وزرعت في سيتوبلازم اية خلية جنينية مفرغة من نواتها ، ثم زرعت الخلية بما حوت في رحم انثى مهيأ لحملها .

صدق أولا تصدق ! . . صحيح ان « نسخ » الانسان لم يتحقق حتى الان ، ولا احد يريد ، لكن الغريب انه تحقق منذ حوالي ٢٠ عاما في عالم الحيوان ، وامكن تجربته على الضفادع ، فنتج من ذلك نسخ مكررة ومتشابهة تماما من نوى خلايا امعاء ضفدع ، وبحيث جاء الخلف مطابقا تماما للسلف - حتى على مستوى البروتينات ، اي من الممكن نقل نسيج او عضو أو خلايا او بروتينات من اية « نسخة » ضفدعية الى الأخرى دون ان تلفظها ، وكأنما هي جزء من كيانها (شكل ٣) .

ومنذ سنوات قليلة تحقق الشيء نفسه مع الفئران ، والفئران من الحيوانات الثدية ، وكذلك الانسان ، واذا تحقق النسخ في الضفادع والفئران ، فربما قد يحل الدور بعد خمسين عاما على الانسان ، ونأمل الا يحدث ، لأن ذلك قد يضعنا في مأزق فكرية عويصة .

بين الماضي والحاضر والمستقبل :

تلك إذن لمحات سريعة عن عينة من البحوث

المثيرة التي تجري الآن في معامل العلماء ، لكن هناك بحوثا اغرب واخطر ، وهي ما يتعلق بعنوان تلك الدراسة ، ولكي ندرك كيف يمكن التعامل مع قطع غيار غير منظورة ، فان ذلك يستلزم الماما سريعا ومختصرا بابعاد الموضوع . . فقطع الغيار المساعدة معروفة من زمن ، لكنها كانت جد بدائية ، فاستبدال سنادة خشبيه بساق مبتورة او وضع عين زجاجية محل عين مفقوءة ، او اسنان صناعية محل المخلوعة . . الخ ، هي من الأدوات البدائية التي استعان بها الانسان على عاهاته ، ثم تطورت الأمور ، وحلت زراعة الأعضاء والانسجة محل غيرها من اعضاء مستهلكة ، (مثل زراعة الجلد والكلى والقلوب . . الخ) ، ثم عكف العلماء على ما هو ادق ، فزرعوا الخلايا الملقحة في الارحام ، ثم زرعوا النوى في الخلايا ، واخيرا وصلوا الى ادق مستويات الابداع . . اي الى ما في داخل النواة من مكونات .

وباختصار شديد نقول : إن نوى خلايا الكائنات تحتوي على مكونات دقيقة تعرف بالكروموسومات ، والكروموسومات اشرطة مطوية او مفرودة ، يتوقف ذلك على نشاط الخلية ، لكن كل هذا قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان هذه الأشرطة ليست في الواقع الا جزيئات كيميائية « منسوجة » على هيئة خيط دقيق غاية الدقة . . خيط لا يتجاوز سمكه جزئين اثنين من مليون جزء من المليمتر ، لكن اطواله تختلف ، اذ لا يزيد طوله مثلا في الفيروس عن جزء من ألف جزء من المليمتر (شكل ٤) وفي البكتيريا يصل طوله بالكاد الى مليمتر واحد ، ومجموع اطواله في نواة خلية الانسان حوالي ١٥٠٠ مليمتر (أي مترا ونصف المتر) ، أو ما بين ذلك تكون الاطوال في الأنواع الأخرى من الكائنات .

وكما تتوحد كل شرائط المخلوقات في سمكها ، كذلك تتوحد في شفراتها ـ أي في « الكود » الكيميائي المستخدم في برمجة الأشرطة ، وتلك مفارقة عجيبة ، لأن البرمجة التي تزود بها الحاسبات او العقول الاليكترونية في عصرنا الحديث جدا قد سبقتها برمجة اروع وادق واكفأ من كل ما عرفه الانسان قديما وحديثا ، وروعتها تتمثل في انتاج انواع لا حصر لها من ملايين الأنواع من الكائنات . فالاختلاف مثلا بين الانسان والحصان والباذنجان والثعبان والميكروب . . الخ . . الخ ، هو اختلاف في البرمجة الكيميائية المسجلة على الأشرطة الوراثية . . اي في التبادل والتوافق الذي يتم بين اربعة مركبات كيميائية لا غير ، وهذه الاربعة فقط بمثابة « ألف باء » الحياة التي « تكتب » بها مخلوقاتها . . ذلك ان كل مخلوق بمثابة « قاموس » حي قائم بذاته ، وبالتحليل الكيميائي والفيزيائي توصل عالمان بريطانيان هما كريك وواطسون الى الشكل والمضمون الذي توجد عليه الأشرطة الوراثية ، وكيف تآلفت فيها المركبات الأربعة (شكل ٥) ، واستحقا على ذلك جائزة نوبل بجدارة .

ونحن لن نسترسل اكثر من ذلك ، خاصة وان هذه الأشرطة عالم قائم بذاته ، لكن يكفي ان تذكر ان الأشرطة مقسمة الى فقرات (لكنها متصلة) ، وكل فقرة مبرمج عليها فكرة لعملية كيميائية ، وفي هذه العملية يتشعب الحديث ويطول ، ولكن يكفي ان نقول ان الفقرة الواحدة اسمها جينة Gene أو موروثة ، ولو حدث الخطأ في حرف واحد ـ أو اكثر ـ من حروفها ، فان ذلك يعني عملية خاطئة ، والعملية الخاطئة تعبر عن نفسها بمرض وراثي . . اي ان الأمراض الوراثية التي تظهر في الكائنات هي برمجة خاطئة في الأشرطة ، ومن هنا تبدأ فكرة قطع الغيار في هذا العالم غير المرئي ، أي زراعة جينة او عدة جينات سليمة لتعمل بدل الخاطئة بعد ان تلبس في الشريط الوراثي . ولكن الفكرة اتخذت ابعادا اخرى خطيرة عندما نجحت زراعة الجينات في خلط الصفات الوراثية بين الكائنات ، وأدت الى تغييرها ، وهذه هي الزراعة الجديدة التي تشتغل في الباطن دون ان نراها على حقيقتها ، لكننا ـ مع ذلك ـ نرى آثارها ظاهرة !

ولكي نوضح ذلك اكثر ، دعنا نقدم صورة ملموسة من واقع عالمنا ، فنحن نعرف جميعا أشرطة التسجيل ونراها رؤية العين ، لكننا لا نستطيع ان نرى ما سجل عليها ، ولكي نعرف ، فلابد من تشغيلها على جهازها ، وعندئذ نعرف المضمون . . ولنفرض بعد ذلك ان زيدا من الناس قام بوصل جزء من شريط على شريطنا الأصلي ، وهي عملية

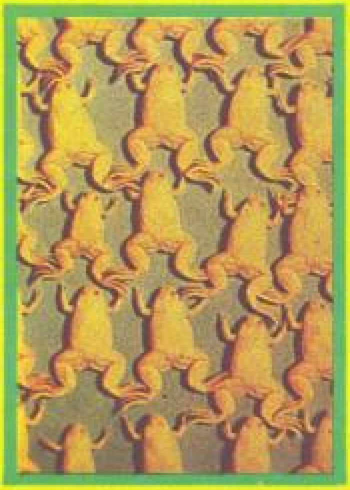

شكل (٣) ضفادع طبق الأصل من بعضها، لأنها لم تأت بعملية التلقيح التقليدية، بل جاءت من نوى خلايا أمعاء ضفدع، ثم زرع النوى المعزول في خلايا جنينية مفرغة من أنويتها، وانقسمت كل خلية، وأعطت نسخة طبق الأصل من الممسوخ منه ـ أي الضفدع الأصلي.. والشيء نفسه حدث مع الفئران.

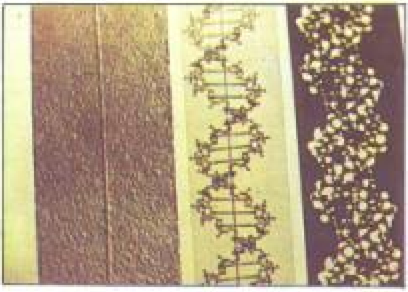

شكل (٤) الشريط الوراثي لأحد الفيروسات كبر هنا حوالي ٩٠ ألف مرة (أ) ولهذا يبدو طويلا، رغم انه في عالمه الحقيقي لا يزيد طوله عن جزء واحد من الف جزء من المليمتر، وكل الأشرطة في جميع الكائنات الحية تشبه هذا الشريط تماما، عدا الاختلاف في الأطوال، وفي تنظيم الشفرة التي تبدو هنا كخيط (ب) (الى اليمين) ثم كتنظيم حلزوني، وبشكل مجسد (الى اليسار).. انظر شكل (٥).

ميسورة، عندئذ سيعبر هذا الجزء عن نفسه ـ مع الشريط الأصلي ـ عندما نديره في جهاز التسجيل.

بمثل هذا المفهوم يتعامل العلماء مع الجزيئات الوراثية التي تتخذ شكل الشريط، اي انه بالامكان عزل جينة او عدة جينات (الجينة جزء من شريط أصلي اطول ـ عليه عشرات الألوف من الجينات) من الشريط الوراثي لكائن حي، ثم زرعه (أو وصله) في الشريط الوراثي لكائن حي آخر (شكل ٦) وعندما يتقبله، فلابد ان يسمح له بالتعبير عن نفسه، تماما كما يسمح المسجل للجزء الموصول على

الشريط الأصلي بابراز ما سجل عليه .. صوتا كان ذلك ، أو صوتا وصورة (كما في اشرطة الفيديو) .

بدايات مثيرة :

من هذا المنطلق ، أطلق لخيالك - بعد ذلك العنان ، وتصور كيفما تشاء ، خاصة وانه بالامكان الآن اقحام جزء او أجزاء من خطة البرمجة الوراثية بين اي نوع واي نوع آخر ، ابتداء من البرمجة الموجودة في خلايا مخ الانسان سيد المخلوقات ، الى البرمجة الموجودة في الميكروبات !

خذ - على سبيل المثال - الجينة او الجينات المبرمجة في خلايا جزر لانجرهان الموجودة بالبنكرياس لتعطي الأمر بصناعة الانسولين ، وهو الهرمون الذي يتكفل بتمكين الخلايا من الحصول على تموينها من سكر الدم لتحرقه وتحصل منه على الطاقة .. ولهذا فان مرض السكر يعني عدم افراز الانسولين في الجسم ، او افرازه بصورة خاطئة يترتب عليها عدم قدرته على القيام بوظيفته ، وهنا قد يحدث امر من امرين : اما ان تعزل جينات الانسولين من خلايا سليمة ، ثم تزرع في الخلايا المعطوبة ، أو أن تزرع في الجهاز الوراثي لأحد انواع البكتيريا ، ليصنع الانسولين الانساني ، فنحصل عليه بكميات كبيرة ، لأنه لا يحتاجه في قليل او كثير ، ولكن المرضى في حاجة شديدة اليه .

الأمر الأول ممنوع ممارسته في الوقت الحاضر ، لأن البحوث لم تتقدم او تتطور بعد في هذا المجال ، وقد يمكن اصلاح هذا الخلل الجيني بزراعة الجينات في الانسان في نهاية هذا القرن ، او بداية القرن التالي وسيطلق عليه بحق عصر « الجراحة » الجينية او العلاج بزراعة الجينات ، او تداولها كقطع غيار ، وذلك امر بالغ التعقيد والصعوبة في عصرنا الحالي ، اذ لابد من تذليل المشكلات الضخمة التي تواجه العلماء في هذا المجال ، وعندئذ يمكن اصلاح الخلل الوراثي الذي يتسبب في كثير من الامراض التي تعاني منها البشرية الآن اكبر معاناة ، وعلى رأسها مرض السرطان اللعين بانواعه ، اذ ثبت ان الأشرطة الوراثية تحتوي على جينات خاصة ، وهي بمثابة

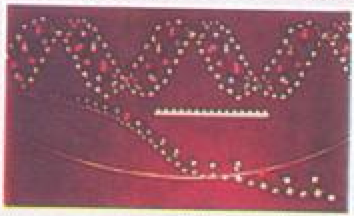

شكل (٥) من خلال التحليلات الكيميائية والفيزيائية أمكن تحديد رموز الشفرة الرياضية التي تراها في هذا النموذج أشبه بدرجات السلم الحلزوني ، وفي كل درجة رمزان او شفرتان متشابكتان ، ومن التباديل والتوافيق بين هذه الشفرات تتحدد صفات الكائنات - بما في ذلك الانسان .. فالأشرطة الموجودة في نواة خلية واحدة من خلايا اجسامنا تحتوي على ثمانية آلاف مليون شفرة

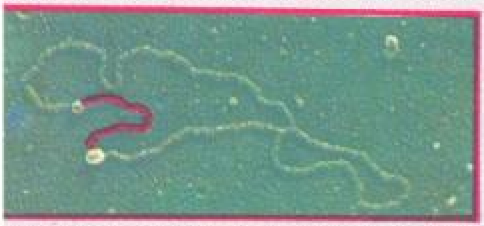

شكل (٦) شريط وراثي حلقي مكبر حوالي ١٣٠ الف مرة ، وهو من الأشرطة المستخدمة في وصل أو زرع جينة أو اكثر ، لكن الموصول لا يمكن أن يظهر ، ولهذا أوضحناه تجاوزا باضافة لون آخر ، انما تعرف الجينات المزروعة اذا ترجمت الخلية محتوياتها لتعطي انتاجا جديدا عليها .. والذي يقوم بهذه العملية « الجراحية » الدقيقة جدا هي الخلية ذاتها ، لأنها تمتلك « أدواتها » (على هيئة انزيمات) التي تستخدمها في ذلك ، ولقد عزل العلماء منها حتى الآن اكثر من ٨٠ انزيما مختلفا .

صمام الأمان الذي يضع الخلية تحت رقابة صارمة ، فتنقسم بمعيار ، وتشتغل بمقدار ، ولكن قد يحدث الخلل في برمجتها الوراثية ، وعندئذ تعطي اوامر خاطئة ، تؤدي الى فوضى خلوية ، قد يتمخض عنها السرطان ، ومثل هذه الجينات قد حددت مواقعها ، وعرفت بعض الغازها ، ويطلق عليها اسم « اونكوجينات ـ Oncogenes ـ أي الجينات ذات العناصر المحولة او المغيرة ، لكن ذلك موضوع آخر قد نعود اليه في دراسة قادمة .. المهم ان العلاج يتوقف على معرفة السبب او الأسباب ، وقد يحقق عصر الجينات المزروعة حلم البشرية في التغلب على اخطر امراض العصر بعد ربع قرن من الزمان ، او ربما اقل ، فذلك يتوقف على جهود العلماء في هذا السبيل .

الأمر الثاني : أي الذي يختص بنقل اجزاء من الخطط المبرمجة في كائن وزراعتها في كائن آخر (يستثنى من ذلك الانسان الآن) ، فقد حقق العلماء فيه اهدافا سوف تتعاظم وتتضاعف بسرعة مذهلة ، بحيث تؤدي الى عمليات تطوير جذرية في انماط تفكير الاجيال القادمة .

مؤشرات دالة على مستقبل مذهل :

دعنا إذن نتخيل انه في عام ٢٠٠٠ ، أو ربما اقل ، سوف يكون الأرنب في حجم الخروف ، والخروف في حجم الحمار ، والبقرة في حجم الفيل او الديناصور ، والتفاحة في حجم البطيخة ، وكذلك ثمرة الطماطم ، ولن نسترسل في ذكر المزيد .

لكنها ـ مع ذلك ـ ليست خيالا ، لأن التجارب قد اثبتت امكان حدوث ذلك على الفئران ، واليوم قطط وفئران ، وغدا سيأتي الدور على الابقار والخرفان .. وطبيعي ان العلماء لا يسعون الى تسمين الفئران ، لكنها من حيوانات التجارب السهلة التداول ، وما قد يعطي نتيجة مع الفئران ، قد يعطيها مع اي حيوان مرغوب لشحمه ولحمه ولبنه وصوفه .. الى آخر تلك الصفات التي يحبها الانسان ، ولكن كيف يحدث ذلك حقا ؟

الجينات وهرمون النمو :

عن طريق زرع الجينات الخاصة بافراز هرمون النمو ايضا ... صحيح ان الفأر أو غيره من الحيوانات يفرز هرموناته بالقدر المطلوب ، لكن ان تمنحه « قطعة غيار » زائدة في جهازه الوراثي الكامن في البويضة الملقحة ، فان ذلك كفيل بافراز هرمونات النمو ضعفين ، وبذلك يزيد الفأر « المحسن » وزنا وحجما الى الضعفين وربما الى ثلاثة أو اربعة اضعاف لو زدت العيار ، وزرعت مزيدا من جينات النمو .. المهم ان تطبيق ذلك على حيوانات المرعى او الطيور الداجنة ، وكل ماله صلة بتوفير مزيد من الغذاء للانسان ، سوف نرى بشائره قبل نهاية هذا القرن .

وما قد يحدث للحيوان ، قد يحدث ايضا للنبات ، لأن للنباتات هرمونات نمو خاصة اسمها الاوكسينات Auxins ، ولهذه جينات مبرمجة لتعطي خطة التصنيع الكيميائي للهرمون النباتي ، واذا كان للنبات من هذه الجينات عدد محدود ، فان زيادتها بطريق الاقحام الجيني وارد في عصرنا هذا ، ومن هنا يمكن ان تنمو وتنضج وتثمر في غضون شهر بدلا من ثلاثة او اربعة .. اي انه يمكن زرع المحصول الواحد في الفصل الواحد اكثر من مرة ، ولنتصور معنا ماذا يعني ذلك بالنسبة لعالم يشكو من قلة المحاصيل ، وفقر البروتين .

وليس بمستبعد كذلك ان تعيش الاجيال القادمة في رفاهية هذه الانجازات ، خاصة بعد ان يتقن العلماء ادراك معظم مفردات لغة الوراثة ، وطرق السيطرة على جيناتها في الانتقاء والعزل والزراعة داخل الجهاز الجيني لاي كائن حي ، وعندئذ لا تنمو النباتات اسرع فحسب ، بل ايضا باحجام اكبر ، وثمرات اضخم ، والوان اعجب ، ومذاقات اطيب ، وليس ذلك بمستغرب ، فما دام لكل شيء خطة عمل وراثية ، فانه يمكن تفصيله حسب الطلب ، وعندئذ فلا مانع مثلا من انتاج فواكه بمذاقات خاصة لم تكن موجودة اصلا ، او خضراوات بمواصفات محببة في المذاق .

الهدف لما يفيـد :

وقد يبدو أننا عدنا مرة اخرى الى الخيال ، لكن ذلك ليس كذلك ، فالبشائر قد ظهرت في عصرنا الحالي ، اذ تمكن فريق من العلماء من « تفصيل » نبات جديد أطلقوا عليه اسم بطاطم (ترجمة من عندنا لكلمة انجليزية مركبة تحمل هذا المعنى) . . وتعني بطاطس في طماطم ، أو إذا شئت ، فلنسمها طماطس ، أي طماطم في بطاطس ، ونحن هنا لا نمزح ، لأن النبات الجديد هو توليفة وراثية من هذا وذاك ، أى أنه يحمل صفات النباتين ، والثمار كذلك . ولن تدخل هنا في التفاصيل ، لأن المجال ضيق ، بل ذكرنا ذلك أيضا ذكرا عابرا ، ليتبين ان تنبؤاتنا قد تكون متواضعة ، وقد تأتي الأيام بانجازات أغرب من تصوراتنا التي تناسب زماننا .

ولكن مثل هذه « السيكة » النباتية « البطاطمية أو الطماطسية » تعتبر من رفاهيات البحوث العلمية . . صحيح أنها تبصرنا بما قد يحدث مستقبلا ، لكن البحث الأهم ، هو ما كانت فائدته اعم ، وليس هناك اهم من انتاج نباتات تسمد نفسها بنفسها ، وتستغني تماما عن الأسمدة التي تنتجها مصانعنا ، ولن يتحقق ذلك الا اذا انشأنا لها مصانع سماد داخل انسجتها ، وما عليك الا ان تمدها بالخطة المبرمجة لصناعة السماد النيتروجيني .

أية خطة او مصانع يمكن ان نبنيها داخل انسجة النبات الرقيقة الحساسة ، خاصة وان انتاج السماد في مصانعنا وبخططنا يحتاج الى درجة حرارة عالية ، وضغط هائل ، وطاقة مكلفة وعمالة مدربة ؟

وهذا صحيح . ولكن مازالت الطبيعة هي الكتاب أو المرجع الأصيل الذي يرجع اليه العلماء ليتعلموا منه كل ما هو مثير ومتقن وجميل ، فتصنيع السماد النيتروجيني قد وجد لتسميد نباتات هذا الكوكب قبل ان يظهر الانسان عليه بمئات الملايين من السنين ، ولكن تلك الصناعة الأزلية تقوم بها مجموعة خاصة من الميكروبات ، ولهذه شرائطها المبرمجة ، وعلى اجزاء منها توجد الجينات الخاصة بتوجيه العمليات الحيوية لالتقاط غاز النيتروجين وتثبيته وتحويله الى املاح نيتروجينية غير عضوية . وهناك الآن بحوث تتسم بالعمق والأصالة والذكاء ، وهي تهدف الى التجسس والاستيلاء على الجينات الخاصة بصناعة السماد في الميكروب ، ثم عزلها وزرعها ضمن الجهاز الوراثي لبعض نباتات المحاصيل ، فتشتغل فيها ، وتمنحها ما تريد ، واذا نجح العلماء في ذلك (ونعتقد ان ذلك سيكون ممكنا في غضون ١٥ عاما) فسوف يكون اكبر انتصار يحققه العلماء على الاطلاق .

وفي بداية القرن الحادي والعشرين سوف يذيب العلماء الحدود القائمة بين النباتات ، اي لن تكون هناك نباتات مناطق صحراوية او ملحية او جليدية او حارة وما شابه ذلك ، بل يمكن زراعة اي محصول في اية بيئة ، وذلك بتزويده بالجينات التي تؤهله للحياة في المناطق الباردة ، بعد ان كان من نباتات المناطق الحارة ، او العكس ، كذلك يمكن زراعة محاصيل حقلية في الاراضي او المياه الملحية . . . ايضا عن طريق زرع جينات تتخطى بها العقبات !

ومما يبشر بمستقبل لا ريب فيه بالنسبة لتكنولوجيا الجينات ، هو تزايد عدد المؤسسات والشركات (الدوائية على الأخص) التي دخلت هذا السباق المحموم ، حتى لقد تجاوزت الآن المائة ، وهي تنمو وتتضاعف كل بضع سنوات ، ومن أسمائها تستطيع ان تتعرف على نشاطها ، لأن الأسماء ذاتها اشتقت من بيولوجيا الجينات ، لكنها تحولت الى تكنولوجيا عجيبة ، وفيها بدأ انتاج مركبات حيوية هامة ما كان احد يستطيع الحصول عليها الا بشق الانفس ، لكن التكنولوجيا الجديدة قد يسرت الأمور ، خاصة عن طريق الخلايا المعدلة ، وامكن بها انتاج بروتينات هامة عن طريق ميكروبات معدلة تستطيع ان تؤدي اية عملية حيوية قد يفشل فيها جسم الانسان ، ابتداء من انسولينه الى اجسامه المضادة (بروتينات يحارب بها الميكروبات) الى بعض مكونات دمه ، الى جزيئات حيوية يصنعها مخه ، ليدير بها نشاطه . .

وكما هو ظاهر من هذا السرد ، فإن أبعاد العصر المقبل ستتمخض عن القنبلة البيولوجية التي دونها أية قنبلة اخرى ، فقنبلتنا هذه من اجل الخير والبناء والتوجيه السليم ، لكن غيرها موجود من زمن للتخريب والتدمير ! □

كلاسيكية

شعر : فاروق شوشة

ع هــذي طــريقــي ، وهــذا مُنتَـهـى امــدي
وانــتِ امسي ، فــلا تستمسكي بــغــدي
وقفــتُ عمــري عــلى وهــمٍ ظفـرتُ بــه
والآن يــا وهــم مــا ابقيــتَ مــلء يــدي
وقفــتُ صَحــوي عــلى أُفــقٍ طلــعــت بــه
شــعــاع مستــدفِيءٍ يــدنــو لمــرتــعــد
وقفــتُ خطــوى عــلى دربٍ بــه اشتجــرتْ
هــوجُ الــريــاحِ وعضّ القيــدُ في جلــدي
صحــوت في لحظــة قــد كنــتُ احسبُــهــا
زاداً وريــا لمخــذولِ المتــاعِ صَــدِى
كــانــتْ جنــاحــيْنِ مــن نُــعمــى ومــرحَمــة
ومــن تمــازجِ ارواحٍ ومــعــتقــد
رفيــفُ انســامــهــا انفــاسُ عــافيتــي
وبــرد انــدائــهــا ينســابُ في كَبــدي
اطبقــتُ عينــي ، يــا رؤيــا بــهــا اكتملــتْ
مــلامــحُ الأبــدِ الــغَــاقي .. بــلا ابــد
حتــى صحــوت عــلى دنيــا بــلا افــقٍ
ولا شــعــابٍ ، ولا فجــرٍ ولا غُمــد
تــزاحمــتْ فيــك أصــداء الحيــاة ، فــلا
نجــاة مــن صــدمــاتِ القــهــر والــفقــد

وافرخت فيك أوهام الطريق ، فلم
تدن السبيل لنائي العيش مفتقد
توقفَ الزمنُ العاتي ، وخَلّفني
طريحَ حُلمٍ ، بعيدِ المنتأى بَددِ
هذا صهيلُ الليالي في محابسها
وتلكَ حمحمة الأيامِ في الوتدِ
وأنتِ أسطورة في اليمِّ غارقةٌ
تشي بها فورة الأمواجِ بالزَّبدِ
ورشفةٍ من شرابٍ سائغٍ عذبٍ
تَناقلتْها يدُ الأقداحِ كالرّصدِ
لا تتبعيني ، كَفاني خطوُ مبتئسٍ
أو تسبقيني ، كَفاني نأي مُبتعدِ
كان الزحامُ يداويني ويُغرقني
فصار بعضُ عزائي صمتُ منفردِ
لم يبقَ من غايتي وعدٌ يعللني
ومن سرابِ الرؤى كشفٌ لمجتهدِ
يا ويلتاه ـ وظلُّ العمرِ مرتعشٌ
والكونُ خالٍ ، وما في البُعدِ من أحدِ
انى دفنتك في نفسي وفي خلدي
انى بعثتك في روحي وفي جسدي

اب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ت

التضخم

ع

لم يحظ مصطلح اقتصادي بسعة انتشار وتداول مثل مصطلح التضخم ، ولم يتحول مصطلح ما الى مشجب تلقى عليه كل أسباب الأزمات الاقتصادية والغلاء مثل هذا المصطلح .

والتضخم ببساطة هو الزيادة المستمرة والمفاجئة في المستوى العام للاسعار ، أو هو ـ بمعنى آخر ـ التدهور المستمر فى القوة الشرائية للعملة ، حيث تعنى القوة الشرائية كمية السلع والخدمات التى تشتريها العملة ، وخير مثال على ذلك اذا كان فرد ما يستطيع أن يشترى بوحدة العملة ، ولنقل دينارا ، سلعا وخدمات (أ ، ب ، ج) ثم وجد أن نفس القدر من السلع والخدمات أصبح يلزم لشرائه دينارا وربع ، فان معنى ذلك أن هناك تضخما قدرة ٢٥ ٪ .

وهناك رؤ يتان متمايزتان للتضخم ، الاولى وهى ما تعرف بالرؤ ية التقليدية : ترى أن التضخم هو كمية كبيرة من النقود تلهث وراء كمية محدودة من السلع والخدمات ، والثانية وهى ماتعرف برؤ ية كينز ، والذى يتفق مع ذات النتيجة ولكنه يقول ان المجتمعات لاتصل اليها الا بعد ان تصل الى مرحلة التوظيف الكامل لمواردها ولقواها العاملة .

ويرى الاقتصاديون أن أسباب التضخم تنحصر فى حالتين ، اما زيادة مفاجئة فى الطلب بشكل يفوق القدرة الحقيقية للمجتمع لانتاج السلع والخدمات ، أو بسبب ارتفاع عناصر الانتاج مثل (ارتفاع اسعار السلع الوسيطة ،وتدهور سعر صرف العملة الوطنية أمام العملات الاجنبية مما يرفع من أثمان الواردات محليا ، وتبعية الاقتصاديات القومية وبالتالى حساسيتها الى التضخم الخارجى ، وتغير الأسعار عالميا . . .)

وهناك أنواع للتضخم وهي التضخم الجامح وهو أخطر الانواع ، وفيه ترتفع الاسعار كل ساعة ، ويستحيل وضع حل له الا بابطال النقود واصدار عملة جديدة يتولى البنك المركزى تحديد قيمتها ، وأشهر أمثلة ذلك ما حدث فى المانيا عقب الحرب العالمية الاولى ، والذى بلغ ذروته فى أغسطس ١٩٢١ .

وهناك أيضا تضخم مكبوت ، وتضخم زاحف ، وهما أقل حدة من النوع الاول الا أنهما يشتركان فى قائمة سوداء طويلة من الأثار الاقتصادية والاجتماعية .

ويشهد العالم الان وتحديدا منذ السبعينيات نوعا آخر من التضخم أحدث انقلابا فى المفاهيم الاقتصادية وهو التضخم الانكماشى .

فقد كانت المفاهيم الاقتصادية مستقرة منذ فترة ،

* عالم اقتصادى أحدث ثورة فى المفاهيم الاقتصادية بمؤلفه عن النظرية العامة للتوظف والنقود والفائدة نشر فى عام ١٩٣٦ .

كينز

على أن هناك علاقة بين البطالة والتضخم مفادها « انه كلما زادت البطالة كلما قل التضخم وكلما قلت البطالة كلما زاد التضخم » ، وذلك لانه فى حالة البطالة فان هناك عمالا كثيرين لايتقاضون أجورا ، وبالتالى لايدفعونها الى السوق فتظل السلع والخدمات أكثر من النقود ، ومع قلة البطالة فان هناك اجورا أكثر ومستهلكين أكثر مما يحدث خللا بين كمية النقود والمتاح من السلع والخدمات ، الا انه منذ السبعينيات انقلب هذا المفهوم تماما فقد ازدادت نسبة البطالة ، واستمر معدلها فى ازدياد عاما اثر عام بينما ازداد التضخم .

وللتضخم نتائج اقتصادية واجتماعية كثيرة كتدمير ثروة ومدخرات الطبقة الوسطى التى سوف تتآكل فى محاولة عبثية للحفاظ على مستوى ثابت للمعيشة ، وضعف القدرة على الادخار لان فائض الدخل الذى كان يوجه للمدخرات سوف يتقلص امام معدل زيادة الاسعار المستمر ، ويضاف الى هذا تشوه ظاهرة الهرب من النقود وذلك لتدهور قيمتها المستمر مما يدفع الناس الى توجيه مدخراتهم لشراء العقارات والأراضى والذهب ، الامر الذى يخلق جوا من المضاربة ويعطى سوق العقارات ازدهارا ليس حقيقيا ، ويرفع أثمان العقارات الى مستوى غير طبيعى .

ولايمكن علاج التضخم من خلال رؤية نقدية فقط ، أو النظر اليه كحالة يمكن علاجها باصلاح مالى ، رغم أن بعض الاتجاهات الاقتصادية ترى ذلك ، الا ان العملية وواقع الحال ينبأن بأن هذه النظرة تزيد الأمر تفاقما ، وأن أفضل سبل الاصلاح تتركز فى اعادة النظر فى السياسات الاقتصادية كلها ، لان التضخم فى النهاية ليس مجرد أوراق نقود كثيرة بقدر ماهو تعبير عن اختلالات فى هياكل الاقتصاد القومى وقدرته على الانتاج . □

نبوءة لينين !

كتب لينين « أبو الثورة البلشفية » فى عام ١٩١٧ يقول : « سوف تمضي ألمانيا في تسليح نفسها حتى تزول من الوجود . . وستتمادى بريطانيا في توسعها الاستعماري حتى تزول كل مستعمراتها . . وسوف تستمر أمريكا في الانفاق بلا حساب حتى تصاب خزانتها بالافلاس ! »

ترى هل تحققت النبوءة ؟؟

وجهاً | لوجه

الدكتور
توفيق الطويل

و

الدكتور
نصّار عبْد الله

****

وجها لوجه . . باب جديد ، يلتقي فيه جيلان من أجيال الكتاب والمفكرين والعلماء ، يجمعهم اختصاص واحد ، جيل يسأل ، وجيل يجيب ، لعل هذا الحوار يسهم ـ بدوره ـ في اقامة جسر اتصال بين أجيال مختلفة ـ متعاصرة ، ولعله ـ أيضا ـ يتيح فرصة لفهم أعمق ، وصلة أوثق وتقويم أعم وأشمل .

****

* الغزو الثقافي خطر وهمي مزعوم

* المأمون يمنح المترجمين وزن ما يترجمونه ذهبا . .

* التيارات الدينية صحوة لاشك فيها ، ولكنها تفتقر الى النضج .

ع الحوار بين جيلين من أجيال أساتذة الفلسفة .. الدكتور توفيق الطويل .. والدكتور نصار عبدالله .. أما عن الدكتور نصار فهو مدرس الفلسفة المعاصرة بجامعة اسيوط ، والمتخصص أيضا في الاقتصاد والقانون ، وصاحب الدراسات العديدة في الأدب والفلسفة ، والحاصل على جائزة الدولة التشجيعية عن ديوانه الشعري .
وهو يجري الحوار مع أستاذه الدكتور توفيق الطويل عضو مجمع الخالدين .
أما بطاقة التعريف بالدكتور الطويل فيقدمها عنه تلميذه قائلا :

على مدى اربعين عاما تقريبا وهو يقوم بتدريس الفلسفة بجامعة القاهرة ، حيث تخرج على يديه آلاف الطلبة وعشرات الأساتذة .. انه واحد من أبرز شيوخ الفلسفة - في مصر والوطن العربي - الذين أثروا المكتبة الفلسفية العربية حيث قدم لها نحو خمسة وعشرين كتابا ما بين مؤلف ومترجم ، بالاضافة الى عشرات الدراسات والبحوث المتخصصة ، ومن ابرز هذه الكتب (فلسفة الاخلاق) (قصة النزاع بين الدين والفلسفة) (الفكر الديني الاسلامي في مائة العام الأخيرة) (العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي) (التنبؤ بالغيب عند مفكري الاسلام) (اسس الفلسفة) وغيرها .

انه الدكتور توفيق الطويل استاذ الفلسفة غير المتفرغ بجامعة القاهرة ، وعضو مجمع الخالدين بالاضافة الى عضويته الفعالة في عدد من اللجان المتخصصة بالمحافل العلمية .

كرمته الدولة اخيرا فمنحته جائزتها التقديرية ، عرفانا وتقديرا لما قدمه من جهد عملي .
والدكتور توفيق الطويل ينتمي الى مدرسة تؤمن بأن الولاء الأول للفيلسوف ينبغي ان يكون للحقيقة المجردة ، حقا هو يسلم بان الفيلسوف ينتمي الى وطن معين ، وعصر معين ينبغي عليه - باعتباره مواطنا - أن يعيش قضايا وطنه وعصره ويرتبط بها .
غير انه باعتباره فيلسوفا ينبغي ان يظل ولاؤه الأول للحقيقة المجردة .

الفلسفة الخالدة

● ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين ، ما هو تصور الدكتور توفيق الطويل لوظيفة الفلسفة ، والمهمة التي ينبغي ان تنهض بها في وطننا العربي ؟

- الأصل في الفلسفة انها ذات وظيفة عامة لا ترتبط بزمان ولا مكان ، ولا يكتب للفلسفة الخلود الا من خلال العناصر الانسانية العامة التي تنطوي عليها .
اما العناصر المحلية فمآلها الى زوال بزوال البيئة التي تنشأ فيها . وخذ مثلا ارسطو الذي كان مدافعا عن النظام الاجتماعي اليوناني عندما اجاز الرق ، شريطة ان يكون الرقيق غير يوناني . بيد ان هذا الجانب المحلي في فلسفة ارسطو هو اضعف جوانب فلسفته

على الاطلاق .. اما اقوى جوانب تلك الفلسفة فهو المنطق الارسطي الذي هو في حقيقة الأمر اساسي للمنطق الرياضي .. وهو جانب غير مستمد من البيئة اليونانية ولا من غير البيئة اليونانية .

الولاء أولا للحقيقة العلمية

● هناك من يذهبون غير مذهبكم هذا .. هناك من يرون الفلسفة أداة للتغيير ، وينبغي ان تكون في رأيهم كذلك .. وهناك من يرون ان الخلود الفلسفي مرجعه في النهاية الى اصالة التعبير عن ظروف اجتماعية وسياسية معينة .. حتى ان كانت لا تمشي في

الدكتور توفيق الطويل والدكتور نصار عبد الله وجهاً لوجه .

الظاهر بانها كذلك ، وعلى سبيل المثال الفلسفة الرواقية التي طرحت فكرة الاخوة بين البشر كبديل للتميز العنصري اليوناني ازاء الشعوب الاخرى .. ان هذه الفكرة الانسانية الخالدة كانت بدورها تعبيرا عن الانكسار العسكري اليوناني امام الفرس ، وما كان لها ان تطرح في عصر ارسطو .. عصر المجد العسكري اليوناني ..؟

ـ الفلسفة في الأصل بحث عقلي عن الحقيقة .. لا يرتبط بزمان ولا مكان .. لكن هذا لا يعني اننا في الواقع لا نجد للفلسفة طابعا محليا ، فهناك الفلسفة الألمانية والانجليزية والفرنسية .. وكل من هذه الفلسفات يتلون بملامح بيئته .. غير ان عناصر الخلود في أية فلسفة خالدة ليست تلك المستمدة من واقع بيئي معين ، ولكنها تلك العناصر الانسانية العامة . لقد انقرضت آراء افلاطون وارسطو المستمدة من واقع بيئي معين وبقيت العناصر العامة وحدها .. ومع هذا اكرر القول بان الوظيفة العامة للفلسفة لا تعني انه يمتنع على الفيلسوف ان يربط بين تفكيره وبين الواقع الذي يعيش فيه ، فالفيلسوف لا يحيا في برج عاجي بطبيعة الحال .

● ما دمتم تسلمون بان للفلسفة طابعا محليا ـ فيما هو حادث فعلا ـ ومادام الفيلسوف لا يحيا في برج عاجي هل لنا ان نعود الى السؤال المطروح ونسألكم مرة اخرى .. ما هو تصوركم لدور الفيلسوف العربي في حدود هذين المعطيين ؟

ـ انني اطالب الفيلسوف العربي بان يكون على ولاء للفكر وللحقيقة التي يدرسها ، وأن يكون في نفس الوقت على اتصال بواقعه ، وبالمجتمع الذي ينتمي اليه .

الأجيال التالية

● كيف اذن تنظرون الى انجازات بعض الاساتذة من الأجيال التالية لكم ... على سبيل المثال فؤاد زكريا وزكي نجيب محمود ؟

ـ أكن كل الاعجاب والتقدير لانجازات فؤاد زكريا .. انه ينهض بحركة ثقافية شاملة في الكويت ، وآثارها لا تقتصر على الكويت وحدها بل تشمل الوطن العربي كله .. لا اعتقد ان انسانا يمكن ان يقلل من قيمة واهمية الجهد الذي يقوم به .. انني متفائل جدا بنتائجه وآثاره .

● ماذا عن عطائه المباشر ، اعني مؤلفاته ودراساته ؟

ـ احمل له ايضا كل الاعجاب والتقدير . . فعطاؤه خصب متنوع متعمق . . دعني اروِ لك واقعة اترك لك حرية نشرها . . لقد تلقيت خطابا من ابني الذي يدرس الدكتوراه في العلوم السياسية بجامعة برمنجهام ، اثر كلمة نشرتها في جريدة الاخبار ، ولقد تضمن خطابه عتابا لي اني لم ارشح الدكتور فؤاد زكريا لجائزة الدولة التقديرية في كلمتي المنشورة . ان ابني لا يعرف الدكتور فؤاد ، لكنه ذكر لي ان اعماله يقرؤها الباحثون الغربيون باعجاب لا نظير له بين مؤلفي العرب .

● وزكي نجيب محمود ؟

ـ اعمال زكي نجيب محمود ايضا تستوجب التقدير والاعجاب . . ان الكثيرين يصفون اعماله بانها مجرد ترجمة وماذا في هذا ؟ ان الترجمة كانت بداية لعصر الاسلام الذهبي في منتصف القرن الثامن الميلادي ، . . ومع هذا فانني اضيف ان وصف اعمال زكي نجيب محمود بانها مجرد ترجمة ، ينطوي على قدر كبير من المغالطة . فهو يفعل ما هو اكثر بكثير من الترجمة . انه ينقل مذاهب معينة ويدعمها باسانيد من عنده هو . . ان ما يفعله لا يقل شأنا عما فعله الفريد أير امام الوضعية المنطقية ، حيث استقى منها آراء مجموعة فيينا ، واعاد بسطها وطرحها على نحو واضح ، واستحق بذلك كل ما ناله من الشهرة والذيوع والمكانة الفلسفية الرفيعة .

الابداع العربي الفلسفي

● ما هو تفسيركم لانحسار الابداع العربي في المجال الفلسفي وغياب الاصالة فيما يكتبه الفلاسفة العرب في عصرنا هذا ؟

ـ نحن مازلنا في اول طريق نهضتنا الفكرية بعد خمسة قرون من الحكم التركي ، وهو حكم لم يكن ليستند الى العقل ولا ليتسع صدره لحرية الفكر . . فكتم الحرية العقلية ، والحركة الفكرية ، وعرقل التقدم العلمي والفلسفي زمانا طويلا . . زد على ذلك ان جوانب الاصالة الفلسفية العربية في عصر الازدهار جاءت نتيجة لمحاولات التوفيق بين العقيدة الاسلامية وبين الفلسفات القديمة ، من يونانية وفارسية وهندية . . ومن خلال هذه المحاولات تجلى الخلق العربي العبقري الفريد . غير ان هذه المحاولات التوفيقية قد انتهت بانتهاء العصور الوسطى تقريبا ، سواء في الوطن العربي (بين العقيدة الاسلامية والفلسفات القديمة) او في اوروبا (بين الفلسفة والعقيدة المسيحية) . . لم تعد الفلسفة الحديثة معنية بالتوفيق بين الدين والفلسفة . . . وبانسحاب هذه المشكلة من دائرة الاهتمام الاساسي للفلسفة غاب المجال الاساسي الذي تجلت فيه مظاهر شتى لاصالة الخلق الفلسفي عند العرب .

التوفيقية والتراث

● لكل عصر قضاياه وشواغله . . واذا كان الشغل لفلاسفة العصور الوسطى هو محاولة التوفيق بين العقيدة والفلسفة . . فإن لعصرنا هذا قضاياه وشواغله . . بل ان من بين هذه الشواغل ما يحمل

طابعا توفيقيا بدوره ، وعلى سبيل المثال في مجال الفكر السياسي محاولة التوفيق بين الفكر الماركسي والليبرالي ، أو بين هذين الرافدين وبين الموروث القومي ، الا يصح ان تكون هذه الشواغل موضوعا للاجتهاد والخلق من جانب المفكرين في العالم الثالث وفي وطننا العربي بوجه خاص ؟

ـ بل . . وهذا ما هو حادث فعلا . . لقد شغل البعض بمحاولة حل هذا الاشكال . . المحاولات قائمة ولكنها في اعتقادي غير موفقة .

● يكاد الدكتور عبدالرحمن بدوي ان يكون هو

الاسم العربي الوحيد الذي تذكره بعض الموسوعات والقواميس الفلسفية الأجنبية المعاصرة .. فهل هو اكثر الفلاسفة العرب اصالة واهمية .. أو ماذا ؟

- الدكتور عبدالرحمن بدوي قيمة لاشك فيها سواء اشارت اليه الموسوعات الاجنبية ام لم تشر ، ومع هذا فان الاقتصار على ذكر اسمه يرجع الى اسباب اخرى غير قيمته العلمية التي لا سبيل الى الشك فيها ، لقد طرق الدكتور عبدالرحمن بدوي ابوابا لم يطرقها سواه اذ نشر كثيرا من كتب التراث وبوجه خاص الترجمات العربية الأولى لاعمال ارسطو ، وهو ما يثير اهتمام المستشرقين القائمين على امر هذه الموسوعات ، فضلا عن ذلك ، فهو دائم الحركة والتنقل ، قادر على اقامة وشائج من الصلة الثقافية المباشرة بينه وبين الاساتذة الذين يصدرون هذه الموسوعات ، اما سواه من الفلاسفة العرب فان اعمالهم تبقى بعيدة عن انظار القائمين على هذه الموسوعات ، يفصلها عنهم حاجز اللغة ، ولا يقربها منهم قنوات الاتصال المباشر .

• ما هي الصيغة المثلى للتعامل مع التراث في رأي الدكتور توفيق الطويل ؟

- أكثر التراث لم ينشر بعد .. هناك المئات والمئات من المؤلفات العربية القيمة لم تنشر بعد ، في الوقت الذي نختار فيه اسوأ كتب التراث ونقوم بنشرها .. انني اذكر في هذا المجال ان المستشرق الايطالي الدوميلي قد اورد في نهاية كتابه عن (تاريخ العلوم عند العرب) توصية المجمع العلمي بنشر مؤلفات عربية عديدة في مختلف فروع المعرفة البشرية ، وما تزال هذه المؤلفات حبيسة عند من المكتبات العالمية في فرنسا واسبانيا وبريطانيا وتركيا .. وغيرها ... ولا يفكر احد من العرب في نشرها الا فيما ندر .. لابد لنا اولا من نشر هذه المؤلفات نشرا علميا .. ثم ينبغي ان توضع بعد ذلك بين ايدي الباحثين والدارسين للاستفادة منها .

الغزو الثقافي

• شهدت السنوات الماضية تزايدا في صيحات التحذير مما يصفه البعض بانه غزو ثقافي تتعرض له الشخصية العربية - فما هو رأيكم في هذا المجال ؟

- رأيي بوضوح شديد لا لبس فيه . أن هذه التجربة مرت بالاسلام في مطلع العصر العباسي ، حيث اقبل المسلمون اقبالا شديدا على ترجمة تراث الامم (الوثنية) (اليونان وبلاد فارس والهند) . كانت حركة امة باسرها يقف وراءها الخلفاء والامراء وذوو اليسار ، ويمولونها بالاموال في غير تقتير الى حد ان المأمون كان يمنح حنين بن اسحق شيخ المترجمين في دار الحكمة وزن ما يترجمه ذهبا ، (اما الوزارات المعنية - حاليا - بالترجمة ، فهي تمنح المترجم في ايامنا مليما لقاء كل كلمة يترجمها ايا كانت قيمة الكتاب المترجم) فماذا كانت النتيجة ؟ النتيجة هي ان ذلك العصر اصبح عصر الاسلام الذهبي ... أجل ، عصر الترجمة نفسه أصبح جزءا من عصر الاسلام الذهبي ، حتى قبل ان يتفاعل التراث الوافد مع تراث الاسلام الاصيل .. لا خوف اطلاقا في رأيي من اي غزو ثقافي .. ولابد لنا من الاقبال على الثقافة الاجنبية قدر ما نستطيع ،ان تراثنا وحده لم يعد كافيا لمواجهة متطلبات العصر ، بعد ان سبقتنا اوروبا بسبعة قرون من الزمان .

الصحــــوة

• شهدت السنوات الماضية - ايضا - تصاعدا في التيارات الدينية بين الشباب بوجه خاص - كيف ينظر الدكتور توفيق الطويل الى هذه التيارات ؟ هل يراها نوعا من الصحوة .. أم يراها غير ذلك ؟

- هي بالتأكيد صحوة لاشك فيها .. لكنها صحوة تفتقر الى النضج عند أغلب الشباب المتدين .. فأغلب هذا الشباب المتدين يقف عند شكليات الدين ومظاهره السطحية ولا يتعمق في جوهره الصحيح □

الكمبيوتر

واللغة العربية

.. تحدي المستقبل

بقلم : الدكتور نبيل علي

تقوم اليابان حاليا بتطوير آلة كاتبة سامعة تنسخ وتطبع ما يملى عليها ، كما أن هناك أساليب متطورة لتحليل النصوص اللغوية واكتشاف الاخطاء الاملائية وتصحيحها . .

أين نحن من كل ما يجري حولنا ؟ وكيف السبيل الى المزاوجة بين الكمبيوتر وبين اللغة العربية لكي يتاح لمجتمعنا أن يعيش ثورة المعلومات التي تعيشها امم العالم المتقدمة ؟

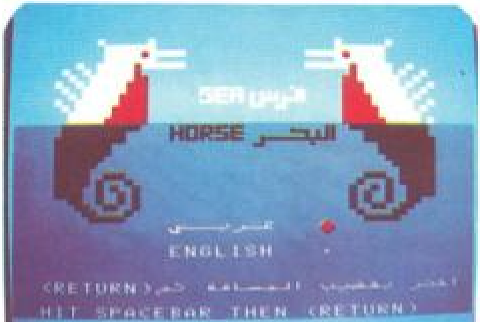

اسم البرنامج فرس البحر
برنامج لتعليم المفردات العربية والانجليزية

يشهد عالم اليوم تطورا هائلا في تكنولوجيا الكمبيوتر والمعلومات، الامر الذي أحدث في مجتمعات البلدان المتقدمة تغييرات جذرية توشك أن تنقلها الى مجتمع جديد أسماه البعض « مجتمع المعلومات » فبعد المحراث في المجتمع الزراعي ، والآلة البخارية في المجتمع الصناعي الاول ، وتكنولوجيا الكهرباء والذرة في المجتمع الصناعي الثاني ، يأتي الكمبيوتر محدثا نقلة نوعية « مثيرة » في مسار التقدم الانساني ، مؤكدا الدور الحاسم للتكنولوجيا كمحرك أساسي للتغيير المجتمعي .

ينذر ذلك باحتمال ظهور فجوة « في المعلومات » بين الدول المتقدمة والدول النامية ، تضاف الى سابقتها « الفجوة الصناعية » محدثة فجوة مضاعفة تزيد من تصدع المجتمع الانساني وتمزقه على مدى محور التقدم والتخلف .

لقد أصبح الكمبيوتر قاسما مشتركا في معظم النشاطات الانسانية ابتداء بالمجالات العسكرية والعلمية والادارية وانتهاء بمجالات التعليم والتثقيف والترفيه . وتحتم عملية انصهار الكمبيوتر داخل المجتمع حتمية التقائه مع اللغة بصفتها وسيلة الاتصال الطبيعية واداة التعبير الاساسية ، لذا فان جميع الشواهد تشير الى الاهمية البالغة لقضية الكمبيوتر واللغة ، ويكفي هنا أن نذكر أن مشروع الجيل الخامس من الكمبيوتر ، الذي تنفذه اليابان حاليا ، يهدف اساسا الى انتاج كمبيوترات ذات قدرة لغوية عالية بحيث يمكن استخدامها في نظم آلية قادرة على التخاطب والتحليل والانتاج ، او بعبارة اخرى أنظمة ذات « ذكاء صناعي » تفوق بكثير قدرة انظمة الكمبيوتر المعتادة والمستخدمة في الحسابات ومعالجة البيانات التقليدية .

وفي الحقيقة ـ ومنذ ظهور الكمبيوتر في أواخر الاربعينيات ـ وعلاقته باللغه تتوثق وتتأصل باطراد متعاظم يوحي بأن وراء هذا الترابط الوثيق عوامل ودوافع عديدة ومتباينة . .

ومداهبها هي :

ظهور علم اللغة الحديث الذي ينقل اللغة : من المجال الوصفي والفلسفي الى مصاف العلوم الدقيقة لتدين اللغة بذلك الى تقطع التحليل الرياضي وتلقائية المعالجة الآلية ، والتقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر والمعلومات والذي صاحبه احتياج متزايد الى لغات للبرمجة ارقى وأذكى ، وأساليب متطورة لمعالجة المعلومات وتخزينها واسترجاعها وتحليلها . وتتطلب جميع هذه الامور فهما لغويا عميقا .

وكذلك التقدم الهائل في علوم الاتصالات والاحصاء الرياضي وظهور نظرية المعلومات التي اتاحت طريقة « كمية » لقياس المعلومات . ولقد استخدمت نظرية المعلومات في تحليل كثير من الظواهر اللغوية مما ساعد على فهم كثير من العلاقات الدقيقة واستخلاص الضوابط التي تتحكم في « آلية » اللغة .

وكان لدخول الكمبيوتر في مجالات العلوم الانسانية والتعليم والتثقيف اثر ملحوظ وهي مجالات تتبوأ فيها اللغة موضع الصدارة .

ثم تزايد الاهتمام بتقنية الروبوت (الانسان الآلي) وأنظمة الذكاء الصناعي والترجمة الآلية التي تعد آليات التعامل اللغوي من أهم مكوناتها ، اضف الى ذلك انتشار الكمبيوتر الشخصي والمنزلي ومايتبع ذلك من ضرورة تيسير العلاقة بين الكمبيوتر ومستخدمه ، والذي بات لايشترط فيه التخصص الفني . ويتطلب ذلك توفير لغات برمجة سهلة تقترب كثيرا من اللغة الطبيعية حتى « يستأنس » المستخدم الآلة الجديدة .

وأخيرا تفاقم ظاهرة « انفجار المعلومات » مما أدى الى ضرورة استحداث وسائل فعالة وذكية لضغط المعلومات وأختزالها (تلخيصا واستخلاصا) وذلك باسترجاعها وتحليلها وابراز علاقات الترابط بينها . . وحيث ان القدر الأكبر من المعلومات هو عبارة عن نصوص أو بيانات لغوية ، فقد فرض ذلك حتمية التعامل الآلي مع كثير من العناصر اللغوية : حروفا وكلمات ، نصوصا ودلالات ، وذلك لامكان استخلاص الافكار المحورية واعادة ترتيب هيكل المعلومات بصورة تتيح سرعة النفاذ الى المعلومة وربطها بالمعلومات الاخرى المتعلقة .

التطبيقات اللغوية

على ضوء ما تقدم يتضح لنا كيف توفرت الأسباب والدوافع لاعادة النظر في منظومة اللغة ككل ، ولسبر اغوارها واكتشاف ضوابطها وتعميق اسس تقعيدها واعادة صياغة ظواهر الشذوذ بها . وهكذا انطلقت الجهود مع جميع المحاور اللغوية ، صرفا ونحوا ، وصوتا ودلالة ، لتستحدث الكثير من تطبيقات الكمبيوتر اللغوية . ونذكر من هذه التطبيقات :
- نظم الترجمة الآليه التي تترجم بين لغة واخرى ، وبين لغة وعدة لغات .

ويعد نظام الترجمة الآليه بمثابة محاكاة كاملة للمنظومة اللغوية تحليلا وتركيبا .. لذا فهو بمثابة الوسيلة المعملية .

يضاف الى ذلك توليد الكلام صناعيا بحيث يمكن تحويل النصوص المكتوبة الى صوت مسموع . وكذلك تمييز الاصوات آليا وذلك بتحويل الاصوات المنطوقة الى نصوص مكتوبة . (يجري حاليا في اليابان تطوير آلة كاتبة سامعة تنسخ وتطبع ما يملى عليها) .
ثم هناك أساليب متطورة لتحليل النصوص اللغوية وتشمل نظما آلية للفهرسة والاستخلاص، ومحاليل أساليب الكتاب واكتشاف الاخطاء الاملائية وتصحيحها ، واستخدام الكمبيوتر في تعليم اللغات وتنمية التذوق الادبي والقدرة على القراءة والكتابة ، وكذلك التخاطب مع نظم المعلومات بصورة طبيعية دون اللجوء الى استخدام لغات اصطناعية لا يقدر على التعامل بها الا المتخصصون .

الجانب العربي

هذا عن الكمبيوتر واللغة بصفة عامة ، أما فيما يخص لغتنا العربية فهناك الكثير من الامور العامة التي تعطي المسألة بعدا لا يتجاوز المجال التكنولوجي واللغوي الى مجالات ثقافية واجتماعية واقتصادية بل وأمنية ايضا ، وكيف لا .. وتزاوج الكمبيوتر واللغة العربية هو أحد المتطلبات الاساسية لتهيئة الوطن العربي للمجتمع القادم : مجتمع الكمبيوتر والمعلومات ؟

يجدر بنا هنا أن نشير الى مايتسم به موضوع مركب مثل هذا الذي يتناول اللغة العربية والكمبيوتر من اتساع وتشعب يتعذر معه تناول جميع أوجه الموضوع لذا سنحاول هنا التركيز على النقاط الاساسية التالية :

مصدر المشكلة :

نشأت تكنولوجيا الكمبيوتر وتطورت متخذة من اللغه الانجليزية اساسا لها وقد صبغ ذلك كثيرا من عناصرها واتجاهاتها بخصائص فنية حددت أصلا لتلائم هذه اللغة . من هذه الخصائص :

● استخدام شيفرة لتبادل البيانات مصممة اساسا على ضوء الأبجدية الانجليزية ، فلا مكان فيها لحركات التشكيل وتفترض وجود شكلين للحرف فقط،واستخدام وسائل لاظهار النصوص وطبعها بحيث تتلاءم مع طبيعة الحروف الانجليزية التي تتسم بالاستقامة وغياب المنحنيات وبالتالي تعطي اشكالا مشوهة لحروف اللغه العربية الكثيرة المنحنيات والتفاصيل .

كما أن معظم نظم المعلومات تفترض التعامل مع نصوص انجليزية مما يجعل أساليب الفهرسة والاستخلاص الآلي واسترجاع المعلومات غير ملائمة للنصوص العربية .

ويشكل الاساس الانجليزي المذكور مشكلة حقيقية لمستخدمي اللغات الاخرى ، وتزداد حدة هذه المشكلة مع اتساع الفروق اللغوية بين اللغة المستخدمة واللغة الانجليزية،مما أدى الى ظهور مشاكل جمة في تطويعها لتكنولوجيا الكمبيوتر المصححة للغة الانجليزية وتحول هذه المشاكل دون انتشار تطبيقات الكمبيوتر في مجالات مثل التعليم وبنوك المعلومات العربية والترجمة الآلية وتوليد الكلام وتمييزه

وحتى يمكن للقارىء تصور حجم المشكلة سنتناول هنا وبايجاز بعض الفروق الاساسية بين الانجليزية والعربية وذلك من منظور (كمبيوتري) :
● تنتمي اللغة العربية لفصيلة اللغات السامية في حين تنتمي الانجليزية للفصيلة الآرية . وذلك يعني تباينا جوهريا في معمارية اللغة ككل ، تنعكس آثاره

على كل أو (جل) الظواهر اللغوية . وتعرف اللغة العربية بانها لغة تعريفية في حين تتسم اللغة الانجليزية بالتركيب ، لذا فان للعربية قابلية هائلة للاشتقاق والتصريف ، وفي نفس الوقت فهي لا تستيغ الكلمات المركبة تركيبا مزجيا مثل (Anticlockwise)

وهناك الخاصية الاعرابية للغة العربية وما ينطوي عليه ذلك من تعقيدات على المستوى التركيبي والصرفي والصوتي . واللغة الانجليزية غير جنسية في حين تستخدم العربية نظاما معقدا للتذكير والتأنيث .

كما ترتب المعاجم العربية على أساس جذور الكلمات وليس على أساس الترتيب الابجدي للكلمات كما في الانجليزية . ولا ننسى تعقد ظواهر الافراد والجمع في اللغة العربية (مفرد و مثنى وجمع) ، علاوة على جمع التكسير وجمع الجموع . وتعد ظاهرة الشذوذ اللغوي في العربية أعقد بكثير من مثيلتها في اللغة الانجليزية ، هذا فضلا عن كثرة الترادف في اللغة العربية ، واستخدام العربية لقواعد ووحدات صوتية تختلف بشكل جذري عن تلك المستخدمة في اللغة الانجليزية .

يتضح مماسبق ان اللغة العربية أعقد بكثير من اللغة الانجليزية ، ولذا فان عملية تطويعها لتكنولوجيا الكمبيوتر المصممة أصلا لتلائم الانجليزية هي بمثابة عملية تطويع معكوسة لاستيعاب الأعقد في اطار الأبسط . . وهذا هو مصدر المشكلة الاساسي .

والاتجاهات الرئيسية في تطويع اللغة العربية لتكنولوجيا الكمبيوتر تتمثل في التغاضي عن بعض خصائص الكتابة العربية لتكنولوجيا الكمبيوتر مما يؤدي الى تشويه غير مقبول في شكل الحروف عند اظهارها على الشاشة المرئية أو طبعها على الورق .

وكذلك يؤدي الى اسقاط حركات التشكيل الى عدم دقة استرجاع البيانات العربية وصعوبة التحليل الالي للصرف (لاستخراج جذر الكلمة) وتعذر ميكنة المعاجم العربية .

وقد دعت هذه المشاكل البعض للتفكير في تبسيط اللغة العربية نفسها وذلك باختزال عدة أشكال وتبسيط القواعد النحوية والصرفية وتحديد

اسم البرنامج :
رحلة إلى مكة

عدة لقطات من برنامج كمبيوتر لتعليم مناسك الحج وتاريخ مكة قبل وبعد الاسلام .

تسجل برنامجا جديداً لتعليم طلبة المرحلة الثانوية ، الذين تقدم لهم براجماً في الكيمياء والفيزياء والرياضيات .

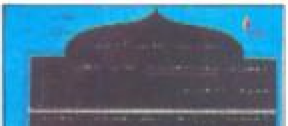

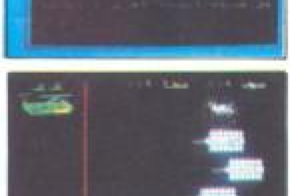

إسم البرنامج : ابن مالك

عدة لقطات من برنامج كمبيوتر لتعليم أقسام الكلام في اللغة العربية .

الاستخدامات اللفظية والمعنوية، وقد تصدى لهذه المحاولات كثير من أصحاب الحرص على هويتنا اللغوية والحضارية .

التحديات

وبجانب الصعوبات التي تواجه الباحثين في مجال الكمبيوتر واللغة بصفة عامة ، هناك الكثير من التحديات المتعلقة بمعالجة اللغة العربية كمبيوتريا .

ان ندرة البحوث الاساسية في هذا المجال والتي تعد الركيزة الاولى للتطبيقات التكنولوجية ، وقصور التقعيد اللغوي عن تناول كثير من القضايا التفصيلية التي يتعذر بدونها اكتمال دورة المعالجة الالية ، وكذلك التشابك والتداخل الحاد بين عناصر منظومة اللغة العربية . . ويكفي مثلا على ذلك حدة التشابك بين التركيب (الاعراب) والصوتيات ونظام الكتابة (التشكيل) والصرف ، ثم مشكلة حركات التشكيل وتعدد أساليب استخدامه ضمن تشكيل شامل لجميع حروف الكلمة الى غياب التشكيل تماما ، دفع البعض الى القول بأن النص العربي غير المشكل (يفهم ليقرأ بدلا من أن يقرأ ليفهم) وذلك يقلب عملية الاستيعاب رأسا على عقب .

ان المرونة الهائلة التي تتسم بها اللغة العربية كتابة ونطقا وتركيبا وتصريفا تزيد من صعوبة محاصرة ظواهرها آليا هذا فضلا عن وجود حالات كثيرة من اللبس والتكرار وتعدد الحالات الاعرابية والصرفية .

ان غياب عنصر التوحيد والقياس جعل السوق العربي يغص بالكثير من المعدات والنظم التي يتعذر تبادل البرامج أو البيانات بينها مما أحدث حالة من الفوضى في ربط النظم على المستوى القومي أو القطاعي ، وكذلك غياب الحوار بين الفنيين واللغويين العرب في مجال يتطلب أقصى درجات الحوار والعمل المشترك .

أضف الى ذلك هيمنة موردي المعدات على عملية التعريب وما يصاحب ذلك من اخضاع العربية للمطالب الفنية وليس العكس كما هو مفروض .

ان انخفاض الوعي في ادراك أهمية قضية الكمبيوتر واللغة العربية ، وتجاهل أقسام اللغة العربية ، في جامعاتنا ومعاهدنا لعلم اللغة الحواسبي يضاعف من حجم المشكلةفمازالت معظم جوانب اللغة العربية تدرس بطريقة وصفية بعيدا عن الاحصاء اللغوي والتحليل الرياضي ونظريات المعلومات (والتكويد) .

تطبيقات الكمبيوتر في اللغة العربية

يوجد حاليا عدة تطبيقات للكمبيوتر في مجال اللغة العربية ، منها منسق الكلمات Wordprocessor الذي يستخدم لنسخ النصوص العربية بدلا من الآلة الكاتبة.ويظهر البعد اللغوي في برنامج تنسيق الكلمات عند تزويده بوسائل آلية لاكتشاف وتصحيح الاخطاء الاملائية، حيث يتطلب ذلك فهماعميقا لبنية الكلمة العربية ومعدلات تكرار حروفها ومفرداتها .

وقد استخدم الكمبيوتر في تعليم اللغة العربية وقامت احدى الشركات الكويتية أخيرا بتطوير برامج عربية لنظام MSX لتعليم الالف باء العربية للصغار وتعليم أقسام الكلام والتدريب على الاعراب وضبط أواخر الكلمات ، وكثير من ألعاب اللغات الاخرى باستخدام الحروف والمفردات العربية .

وكذلك استخدام الكمبيوتر في توليد الكلام صناعيا . وهناك محاولات تجرى حاليا لانتاج أول وحدة لاخراج العربية صوتيا بواسطة الميكروكمبيوتر .

هذا بالاضافة الى أن هناك عدة محاولات أولية للترجمة الآلية من الانجليزية والفرنسية الى العربية .

وظهور بعض الاحصائيات عن تردد الحروف في النصوص العربية وجذور الكلمات في المعاجم العربية الرئيسية وكذلك احصائيات مختلفة عند ألفاظ وحروف القرآن الكريم . وقد استخدم الكمبيوتر أيضا في تعريب النظام الموحد للكمبيوتر الشخصي المعروف باسم MSX بواسطة احدى الشركات الكويتية بالتعاون مع شركة أجنبية .

وقد تم تعريب بعض البرامج الأساسية للتعامل مع نظم المعلومات باستخدام اللغة العربية ، ويقوم مركز المعلومات للجامعة العربية بجهد رائد في هذا المجال .

برنامج لاظهار التقويم ويظهر فيه وضوح الخط العربي على الشاشة .

ولا ننسى جهود بعض الجامعات والمؤسسات السعودية لتطوير لغات برمجة عربية وتعريب نظم التشغيل وبرامج قواعد البيانات ، وكذلك جهود معهد دراسات التعريب بالمغرب لتوحيد المصطلحات العربية في مجال الكمبيوتر ونظم المعلومات ، وقيام مركز البحوث العلمية الكويتي بمشاريع أبحاث في مجال تنسيق الكلمات وضغط البيانات العربية .

منطلقات مقترحة

اننا نعتقد ان هناك فرصة حقيقية تتيحها الانجازات الحالية والمرتقبة لتكنولوجيا الكمبيوتر والمعلومات يمكن من خلالها ـ ان أحسن استخدامها ـ تعويض تخلفنا الراهن أو جزء كبير منه على الاقل ، وذلك في المجال الحيوي لعلاقة الكمبيوتر واللغة .
وفي هذا الصدد نقترح المنطلقات الاساسية التالية :
ـ صياغة جديدة لمنظومة اللغة العربية ككل لاكتشاف علاقات التداخل والترابط بين عناصرها المختلفة ، واعادة النظر في قضية التشكيل والاعراب من جذورها ، وذلك لصياغتها بصورة تقبل المعالجة الآلية .

ـ كما ينبغي استغلال الامكانيات الهائلة التي يتيحها الميكروكمبيوتر،ووسائل الذكاء الصناعي المؤسسة عليه،وتحليل دقيق لخبرة الدول التي لا تستخدم الانجليزية والتي سبقتنا في هذا المجال،ونذكر هنا على سبيل المثال خبرة اليابانيين في تصميم وسائل متقدمة للتعامل مع أشكال الحروف المعقدة ، وتجربة البولنديين في معالجة الكلام آليا،ومحاولات الفرنسيين في مجال الترجمة الآلية.ولا تفوتنا التوصية بادخال معلم اللغة الحواسبي في أقسام اللغة العربية وفي كليات العلوم . وغني عن الذكر ، أن يتم ذلك من خلال تنسيق الجهود العربية في هذا المجال : تنظيما وتخطيطا وتطويرا وتمويلا . □

الجوكان ..

ع فوق جسر ترابي منهار جلس ينتظر الى لا شيء ، وينتظر شيئاً . لاح سرب الفتيات من بعيد ، وجرار الماء قد مالت فوق رؤوسهن بزوايا متعانقة . تحسس صدره ، فوقعت يده على البطاقة ، وتنبهت لدقات قلبه . اختلط في الدقات ايقاع الحب بتوتر الغضب الحزين ، لا يدري ما يفعل بالبطاقة . أصبحت مثل البغيض الذي ما من صداقته بد . لو ترك الأمر له لألقاها في الترعة يجرفها التيار ، لعلها تخفف من معاناته العالقة بضميره مثل رائحة السمك ، تزداد حدة وكراهة كلما امتدت بها الساعات ! ! أصبح السرب أمامه فيما يشبه نصف دائرة . أخرج البطاقة من جيبه ولوح بها ، محاولاً أن يفرش على وجهه ابتسامة .

قالت الصبية ذات الثوب المطرز ، وقد اكتسى وجهها بابتسامة فيها العافية :

ـ مبارك عليك . صرت رجلاً .

قال شكري ، ولا يزال يلوح بالبطاقة ، كأنما يجلب نسمة شاردة ، مع أن الجوكان في أصيل يوم من بواكير الربيع :

ـ أنا طول عمري رجل . . . يا بنت ! !

ضجت رفيقاتها بالضحك للخيالات المتوالدة من عبارته . ازداد وجه ذات الثوب المطرز احمراراً فازداد فتنة ، وأسبلت عينيها المشرعتين الواسعتين ، وانتابها القلق للموقف فقالت :

قصـة بقلم : الدكتـور محمد حسن عبد الله

ـ اذا كان كلامك صحيحاً ، لماذا كل هذا الفرح بورقة لا تقدم ولا تؤخر ؟

ـ ماذا أفعل ؟ تعليمات الحكومة ، والمدرسة جعلت ذلك شرطاً للتسجيل . كل من يبلغ السادسة عشرة عليه أن يذهب الى البندر ، ويستخرج بطاقة من السجل المدني .

قالت واحدة في آخر الصف :

ـ أنا تجاوزت السادسة عشرة ، وليس عندي بطاقة ! !

ضربت إحدى رفيقاتها بكفها على كتفيها وكفلها ، وهتفت مازحة :

ـ مثل القطط تأكلين وتنكرين ، تجاوزت السادسة عشرة ، فأين اللحم ؟

غضبت غضباً سعيداً . قالت :

ـ اللحم (موضة) قديمة ، تفرح به الفتيات مثلك .

استولت على ذات الثوب المطرز رغبة في استعادة الصدارة . قالت :

ـ ماذا أحضرت من البندر ؟

ـ البطاقة ! !

ـ غير البطاقة ؟

تلعثم ، اضطرب ، فكر ، فكر فيها بشغف :

ـ الحقيقة . . تمنيت أن أحضر شيئاً آخر ، ولو رطل هريسة أو منديل نايلون ، لكن للأسف . دخلت معركة .

شهق البعض ، وهتف أكثر من فم بخوف حقيقي :

ـ معركة ! !

ـ وفي قسم الشرطة .

ـ الشرطة ! !

جحظت نظرته وهو يطوي البطاقة ويعيدها الى جيبه . قالت ذات الثوب المطرز :

ـ العساكر ليس في قلوبهم رحمة .

قال شكري :

ـ صحيح . لكن : أنا شكري والأجر على الله . كسرت أنفه .

ـ كسرت أنفه ؟ ! مصيبة ، لا بد من تلفيق تهمة .

ـ كسرت أنفه يعني : دست كرامته ، وجعلته يستجير .

حظى بنظرة اعجاب منها ، اعجاب ممزوج بالتمني ، وكأنها تقول : (عسى أن يكون ذلك صحيحاً) . أما التي تجاوزت الستة عشر ربيعاً فقد قالت متشككة :

ـ أنت تدوس كرامة عسكري ؟

قال مندفعاً :

ـ طبعاً ، ولا يهمني . ما دمت لم أبدأ بالاعتداء . المواطن لازم يعرف حقه ويدافع عنه بكل الوسائل المشروعة

لم تفهم العبارة الأخيرة . عادت تقول :

ـ كلام مدارس ، مثل أكل المطاعم ، منظر ولا فائدة .

ـ صحيح كلام مدارس يفهمه المتعلمون ، ولهذا حين هددني العسكري دخلت الى ضابط القسم ، وشرحت له الموقف .

كانت ذات الثوب المطرز تشرب كلماته ، ولهذا ضايقها اعتراض صاحبتها بين آونة وأخرى ، فأرادت أن تصيب هدفها المزدوج بكلمة واحدة . فقالت :

ـ لماذا لا تقص علينا الحكاية من أولها ؟

قرنت كلمتها بأن انحنت الى الأمام قليلاً ، وتلقت جرتها بين يديها ، معلنة بذلك استعدادها لوقوف طويل ، وما لبث الجرار أن نزلت تباعاً .

قال شكري :

ـ المسألة بسيطة . أنا في البداية لم أفكر في التدخل . كل شخص مسئول عن نفسه . قدمت الاستمارة ووقفت أنتظر نداء اسمي . جاء فلاح معه صرة طعام ، وتقدم الى العسكري ، ورجاه أن يتيح له مقابلة أخيه المحجوز في سجن القسم للتحقيق .

احداهن شرد خيالها ، تساءلت ببراءة :

ـ المحجوز أخو العسكري ، أم أخو الفلاح ؟

تضايق شكري للمقاطعة التي تدل على قصور واضح في استيعاب كلامه ، أما التي تجاوزت الستة عشر ربيعاً فقد قالت ساخرة :

ـ أخو العسكري ! ! ربنا يشفي الكلاب ويضرك ، هل سمعنا عن عسكري سجن أخاه ؟ !

وتدخلت أخرى :

ـ ولو سجن العسكري أخاه سيفرش له السجاد ،

ويجلس واضعا رجلا على رجل ! !
وثالثــــــة :
ـ ولا لزوم للفلاح في الحكاية ! !
صرخت صاحبة التساؤل البريء :
ـ خلاص يا جماعة . هل أنا كفرت ؟ أنا غبية ، تبرأوا مني وينتهي الأمر .
استأنف شكري حكايته وكأن شيئاً لم يحدث :
ـ فاتني أن أذكر أن الفلاح كان معه ابنته الصغيرة . المهم . تقدم ضارعاً نحو العسكري ، وجرى بينهما الحوار بهذه الطريقة :
ـ وحياتك يا سيدنا العسكري . انت رجل شهم ، وفيك مروءة .
ـ خلصنــــا .
ـ أخي ! !
ـ ماله ؟ حكمدار القسم ؟
ـ محبوس تحت التحقيق .
ـ حصل لنا الشرف . وبعدين ؟
ـ أريد رؤيته خمس دقائق أطمئنه أن الصلح سيتم .
ـ ممنوع .
ـ كلمة واحدة تطمئن الولد .
ـ ممنـــوع .
ـ ممنوع ممنوع . طيب ، فضل منك ، توصل هذه الصرة ، فيها رغيف وقطعة جبن ، أنظر بنفسك .
ـ قلنا . . . ممنوع .
ـ أكل . . لأنسان . . القسم لن يصرف له طعاماً اليوم ، والتحقيق تأجل للغد .
ـ صحيح ، وأخوك مجرم لا يستحق الأكل .
ـ استغفر الله العظيم ، أخي لم يسرق أحداً ، أخي حاول الحصول على أجره المغتصب .
ـ أخوك مسجون ، والمسجون مجرم ، هذا ما أعرفه .
ـ والأكل ! الرحمة فوق العدل .
ـ انت رجل رذل ، ولا ينفع معك الا الضرب .
قال شكري :
ـ لحد هنا لم أستطع الصبر ، وخصوصاً أن العسكري خطف الصرة من يد الرجل وضربها في وجهه حتى تناثرت محتوياتها البائسة ، ودفعه الى الخارج .

شهقت الفتيات فزعاً وألماً :
ـ يضرب نعمة ربنا ؟ !
ـ الضرب ضرب ، ولكن الذي آلمني أن الفلاح وقف عاجزاً . العساكر يملأون ساحة القسم مثل الدبابير ، وآلمني أكثر أن بنته أجهشت بالبكاء ، وهي تتعلق بثوب أبيها المهزوم .
قبل أن تسقط بعض الدموع من المآقي الحزينة ، سارع شكري لتأكيد دوره في الحكاية :
ـ لم أصبر أكثر من ذلك . خرجت من الصف ، وتوجهت نحو العسكري . قلت له :
ـ أنت لا يحق لك اهانة مواطن بهذه الطريقة ، حتى لو كان على خطأ .
بصراحة اصفر وجهه . طبعاً ، لم يتعود أن يعارضه أحد ، فأراد أن يرهبني ، جعر صوته :
ـ وأنت ، ما دخلك ؟ اذا لم تلزم الصمت ألحقتك به .
فقلت دون اكتراث :
ـ افعل ان استطعت . أليس في البلد قانون ؟ أليس لهذا القسم رئيس ؟
وارتفع صوت العسكري أكثر ، فرفعت صوتي أكثر وأكثر ، وهنا خرج الضابط من مكتبه يهرول نحونا .
قالت التي تجاوزت الستة عشر ربيعاً :
ـ هنا الكلام .
ـ تمام ! ! حاول العسكري أن يسبقني بالكلام ، ويصور المسألة من وجهة نظره ، ولكني منعته ، أوقفته عند حده ، وشرحت للضابط الموضوع من كل الجوانب . .
عادت التي تجاوزت الستة عشر ربيعاً تردد :
ـ هنا الكلام .
ـ فعلاً . الضابط فكر في الموضوع ، وفعلاً وبخ العسكري ، وأمره بجمع ما تناثر من الصرة ، وإعادتها الى الفلاح ، وتوصيله الى أخيه في الحجز .
قالت ذات التساؤل البريء :
ـ ربنا يخليه ، ضابط ابن حلال صحيح .
خشيت ذات الثوب المطرز أن يتجه الاعجاب الى الضابط ، فسارعت تدافع عن شكري :
ـ المهم من الذي أسس الموضوع وأقنع الضابط ؟
واستدرك شكري منقذاً نفسه من الوضع السلبي

الذي انتهى اليه ، فقال :

- الحقيقة أن الضابط قال أمام الجميع : أنا أشكرك يا أستاذ . أنت مواطن صالح ، ولو أن كل شخص يدافع عن المظلوم بهذه الطريقة ، كان النظام يسود الجميع .

قالت ذات الثوب المطرز من أعماق قلبها :

- صــــح ! !

●●●

بعد الانصراف من صلاة العشاء تجمع أصحاب الكفوف الناعمة من تلاميذ القرية ، وانطلقوا الى الطريق الزراعي يتضاحكون ويتمشون في ليل الربيع المقمر . كان الهم لا يزال يجثم على صدر شكري ، لم يجد الى الفرار منه سبيلاً .

وتسلسل الحوار بين الأصدقاء ، والتقط شكري طرف الكلام ، وراح ينسجه في أناة وهو يتخيل كل عبارة يقولها مجسدة تجري أمامه ، ويتصور أركان المشهد ماثلين في مواجهة وحضور كأنهم يؤدون أدوارهم المحفوظة في تمثيلية محبوكة . لقد أدخل تعديلات مناسبة لمقتضى الحال ، فلم تكن مع الفلاح ابنته الطفلة ، بل أمه العجوز ، وحين خطف منه العسكري صرة الطعام ودفعه خارجاً ، فان هذه الأم تدهورت على الأرض وارتطم رأسها بالحائط ، ولكنها لم تأبه لما أصابها ، بل أخذت تولول : (ابني . ابني) لا تدري على أي واحد من ابنيها تصيح : السجين خلف القضبان ، أم المضروب في ساحة القسم ! ! كل هذا والناس في الطابور يشاهدون ! ! يمصمصون شفاههم ثم تهرب نظراتهم . وقد يلوم بعضهم الفلاح ، اذ كان الأولى به أن (يغمز) العسكري بقطعة فضية وينتهي الاشكال . قال شكري :

- لم أستطع السيطرة على مشاعري . صحت في العسكري : تضرب امرأة في عمر أمك ؟

قال العسكري والشرر يتطاير من عينيه :

- الزم حدك ، اذا تدخلت في شغلي تعرف شغلك .

بصراحة . فكرت في التراجع لحظة ، لكني أدركت أنني اذا تراجعت سأصير موضع سخرية الواقفين . وهنا قلت له : هل شغلك أن تضرب الناس ؟ افرض أنها أمك أو أمي أو أم أي واحد من هذا الجمهور . .

وهنا همهم بعض الواقفين . قال أحدهم : صحيح . وقال آخر : قلوب عديمة الانسانية . وقال ثالث : ويقولون الشرطة في خدمة الشعب ! ! وهكذا .

وهنا أحس العسكري أن دائرة الرفض تتسع ، فأسرع مهرولاً يستنجد بالضابط ، وما لبث أن عاد خلفه يلهث . .

حين أدرك الواقفون أن العسكري ذهب يستنجد برئيسه تحيرت خطوات بعضهم وفكر في الانصراف تجنباً للشر ، ولكني صحت بهم : كل واحد يلزم مكانه . الضابط متعلم ويفهم واجبه أكثر من العسكري . وساعدني شخص آخر فقال : الضابط أو العسكري ، ماذا تأخذ الريح من البلاط ؟ ؟ !

وفعلاً جاء الضابط وخلفه العسكري يلهث وقد أشار الي قائلاً :

- هذا الولد هو الذي يثير الشغب يا أفندم .

تتابعت ألوان مختلفة على وجه الضابط ، وتقدم نحوي . وهنا تحفز جسمي كله للدفاع عن النفس ، وقلت في سري : هي موتة أو أكثر ؟ ! اذا مد يده سأكسرها . وهنا تدخل عنصر جديد لم يكن في حسباني . قال الواقفون : هذا الشاب لم يخطيء ، الشرطي أهان المرأة العجوز وضرب ابنها أمامها ، وكلنا اعترضنا على سلوكه . . .

اضطرب الضابط قليلاً ، ولعله فكر أن القبض على هذا العدد الكبير غير ممكن ، ويسيء اليه عند رؤسائه ، فصمت قليلاً ، ثم قال :

- خلاص يا جماعة . . اعتبروا المسألة منتهية ، تعال يا عسكري . وانصرف الى مكتبه ، وانصرفت وأنا لا أكاد أصدق ، ولكن نظرات الاعجاب من الواقفين كانت تغرقني في الخجل ، لأنهم تأكدوا أنه لولا انطلاق أول اعتراض ما كان للاعتراض الثاني أن ينطلق ! !

●●●

حين توغل ليل القرية ، واقترب من منتصفه ، وتأكد له أن والده راح في سابع نومه ، وتفرق الأصحاب ، قصد دكان عبده الدخاخني متسرباً كالشعاع في الحارات الضيقة . هناك وجد بعض الساهرين مصفوفين على أريكة في مدخل الدكان ، وعبده يتسلى باستخراج قطع الصابون من صندوق ،

ورصها على الأرفف . كان على الأريكة شيخ الخفراء ، وخياط القرية ، ومدرس بالمدرسة الابتدائية الوحيدة . ألقى شكري السلام ، وناول الدخاخني قرشين ، وأخذ سيجارة ، وما لبث أن أشعلها من المصباح المهبب في المدخل ، ثم مال بشقة على الحاجز الخشبي ، وأخذ نفساً طويلاً . شرد خياله الى هناك ، لم يعرف كيف يفتح الموضوع من جديد ، لكن الخياط رفع عنه عناء المحاولة ، اذ سأله :

ـ صحيح يا شكري أنك ضربت العسكري داخل القسم في البندر ؟

ضحك بصوت عال ، دخان السيجارة جسد الضحكة في دفعاته المتقطعة . أتاحت له الضحكة الطويلة أن يفكر بأناة في الاجابة المناسبة . اهتدى اليها ، نثر رماد السيجارة بأن ضربها بسبابته برفق ، ثم سحب نفساً هادئاً طويلاً ، وترك الدخان ينغم كلماته :

ـ الأمر فيه مبالغة . .

ـ الحكاية ملأت البلد ، يقولون : لويت ذراعه ، ويقول آخرون أنك ضربته على أنفه وأسلت دمه ! !

تهرب من تحديد ما حدث ، هو نفسه لم يعد يعرف الفرق بين ما حدث وما تمنى أن يحدث ، والآن لا مفر من جواب مناسب :

ـ الحقيقة أن العسكري أخذ صرة الطعام من الفلاح ، وقذفها بأقصى قوة الى الشارع . انطلق الفلاح خلف صرته يستعيدها ، وكان معه ابنه الصغير لا يقدر المسئولية ، فشتم العسكري وانطلق يلحق بأبيه ، لكن العسكري طارد الصبي وضربه بكعب البندقية على كاحله فسقط على الأرض يتلوى ، وتركه وانصرف . هنا خفت أن يكون قد حدث لساق الصبي مكروه ، فذهبت فاستدعيت الاسعاف ، ثم توجهت الى مكتب الضابط وأدليت بافادة حددت فيها مسئولية العسكري عن إصابة الولد .

قال المدرس :

ـ والله أنت ضربته ضربة قاضية ، على الأقل يعرف أنه لن يمر دون عقاب .

قال شيخ الخفراء :

ـ والضابط ، ماذا فعل ؟

سأله الخياط :

ـ ماذا تظنه فعل ؟

داعب شيخ الخفراء ذءابتي شاربه ببلدة ، وهو يريح بندقيته الضخمة على رجليه وكأنها طفل يتوسدهما ؛

ـ الضابط لا يؤذي العسكري . . مهما عمل ، حتى لو قال له كلمة أمامكم ، سيرجع فيها ، ويطيب خاطره على انفراد .

قال الخياط بقلق :

ـ هل هذا ما حدث يا شكري ؟

لم ينتظر المدرس جواباً ، اذ قال :

ـ الضابط متعلم ، ولا يمكن أن يتفق سلوكه مع سلوك العسكري ، وخصوصاً حين يكون العسكري على غلط .

حرك شكري رأسه موافقاً ، وانصرف ، وقد كادت سيجارته تنتهي .

●●●

تسارعت خطواته في حارات القرية ، وقد غرقت في ظلام دامس ، اقتحم جوانب نفسه وأخذ يضغط كأنه وحش عملاق جثم على فريسة . نسي لشدة حزنه أن ينفخ كم نفساً في الهواء ليطرد رائحة الدخان عن فمه فلا تشمه أمه . وقف أمام الباب قليلاً كأنه لا يريد الدخول . أحس برعشة تهز كيانه ، وندى الليل يتساقط غزيراً على رأسه وكتفيه . طرق الباب برفق ، لكن أمه التي اعتادت أن تظل قلقة حتى يعود ، التقطت أذناها الطرقات . نهضت تفتح له . ما كاد شكري يرى قامتها تسد الباب ، ودفء جسمها يشع على روحه المقرورة ، حتى ألقى بنفسه على كتفها كطفل ، وانسابت دموعه :

ـ لم أخطيء في حقه يا أمي . قلت له عيب يا عسكري تضرب رجلاً مثل والدك . قال غاضباً : عسكري يا ابن الكلب ، ثلاثة أشرطة وتقول عسكري ، وتريد أن تعرفني ما هو العيب ؟ !

ذهبت الى الضابط شاكياً ، لم يسمع مني ، استمع اليه ، ثم أشار الى القيود الحديدية المعلقة فوق رأسه ، وقال : خلاص . . لم يعد عندنا شغل غير العيال . وقذف البطاقة في وجهي وبصق ، وهو يقسم أنه لو رآني مرة أخرى سيجعلني آكلها أمامه . □

الأدب الصهيوني الحديث كيف نشأ.. وما هي موضوعاته الأثيرة ؟

بقلم : حلمي عبد الكريم الزعبي

لعب الادب الصهيوني منذ انبعاثه في النصف الثاني من القرن الماضي في الدياسبورا ادوارا سياسية خطيرة . فقد مهد هذا الأدب السبيل أمام الصهيونية السياسية لكي تظهر ، ووفر لها كل أسباب الرواج والذيوع .

عُ اتجه الادب الصهيوني عبر نتاجاته الشعرية والقصصية والروائية الى مخاطبة اليهود من أجل الالتفات الى فكرة الانبعاث (القومي) والتبشير بالصهيونية السياسية ، قبل أن تختمر في خيال هرتزل فكرة « الدولة اليهودية » ، وهكذا حاولت الصهيونية الأدبية ماوسعتها المحاولة ان تشد اليهودي أينما كان ، وحيثما وجد ، لهذه الفكرة فشحذت كل أسلحتها ، وحشدت كل نتاجاتها في خضم هذه المعركة ، من أجل كسب الأنصار للصهيونية ، حتى من قبل أن تظهر ، ولكي تنجح في هذه المهمة لجأت في بداية الأمر الى التركيز على العامل الديني والتوراة ، ومن خلال هذا التركيز كان لا بد أن يؤدي ذلك حتما الى استخدام هذا العامل كمدخل الى أمور أخرى تسعى اليها الصهيونية الأدبية . وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك منطقيا الى أن تنبثق عنه فكرة « شعب الله المختار » و« أرض الميعاد » .

كان التركيز على هذه الفكرة ضروريا بالنسبة للصهيونية الأدبية ، لكي تتيح للبذرة التي بذرتها من خلال نتاجاتها أن تنمو في « ارض خصبة » زاد في خصوبتها الحديث عن « معاناة اليهودي » في التيه وداخل الجيتو ـ الاماكن التي عزل اليهود انفسهم فيها عن الآخرين واضطهادهم على يد الأغيار الذين لا تأخذهم باليهود رحمة أو شفقة . .

الدعوة للخلاص

وكان طبيعيا أن يكون « الاضطهاد والمعاناة » جوهر الفكر الصهيوني ، والمحور الذي تدور من حوله كل النتاجات الادبية الصهيونية ، سواء كانت نثرا أو شعرا أو قصة أو رواية . « فالتيه هو جحيم الأرض الذي يصطلي اليهود بناره « وأرض الميعاد » هي الجنة التي ينبغي على اليهودي ان يسعى اليها لكي يرتشف من حليبها وعسلها ويغترف من خيراتها . .

ومن أجل انتشال اليهودي من وهدة الشعور بالضعة والذل وهو يلقى « الاضطهاد » من قبل المحيط الاجتماعي الذي يعيشه وسط محيط

* الدياسبورا : الأماكن المتفرقة التي عاش فيها اليهود ، ويسمونها اماكن الشتات

« الأغيار » ، بدأ الأدباء الصهاينة عبر ادبهم يروجون لدعوة الخلاص من هذا المحيط ، ولا يمكن أن يتحقق الخلاص والنفس اليهودية خائفة مرتجفة تعيش الخنوع والاستكانة والذل وتتقبل الاضطهاد راضية . ومن هنا لجأت الصهيونية الادبية الى استخدام « نتاجها » من أجل نفخ القوة والثقة في النفس اليهودية المرتجفة والمضطربة ، أي محاولة شد اليهودي الى التأزم والانفعال المستمر عن طريق اثارة النوازع النفسية والخوف من « المنفى » ثم الانتقال الى تحريضه للتمرد على واقع الجيتو والانتقال من موقع الدفاع الى الهجوم ، وهذا يتطلب جرأة وشجاعة والتحول الى بطل . من هنا يمكن أن نفسر اساليب التعبير التي استخدمها هذا الادب ، بل إصراره على اصطناع هذه الاساليب خدمة للفكرة التي يروج لها . ويمكننا في ضوء ذلك ان نتمثل هذا النوع الذي ينسجم بداهة مع تعدد الأهداف التي سعى اليها من حيث الاهمية والمراحل التي قطعها على الشكل التالي ـ

● أدب التراث : هذا النوع من الادب انطلق كما ذكرنا مستندا الى الاسطورة الدينية والتراث الديني المستمد من التوراة والتلمود ، وما يتفرع عنها من مقولات عن « شعب الله المختار » وأرض الميعاد والهيكل .

● أدب الرثاء : أو بعبارة أدق أدب البكاء والندب الذي يجسد روح « المنفى » ويحكي قصة معاناة اليهود في ظل الاضطهاد في الجيتو ، ومحاولة المبالغة والتهويل في وصف هذه المعاناة ، واجترار الآلام استدرارا للعطف ، ثم محاولة استثمار ذلك للتحريض على الاغيار المضطهدين (بكسر الهاء) والتفوق عليهم ، واستخراج نزعة السمو والتعالي من عقدة الضعة والهوان .

● أدب الحنين الى الارض : وهو نوع من الأدب لم يتورع عن استخدام كل اساليب التعبير « من الرواية التاريخية والشعر والقصة ، من أجل تأكيد مقولة الملكية التاريخية المزعومة لليهود في فلسطين ، بالحديث عن العودة الى صهيون » باعتبارها « الملاذ » .

أدب المقاومة : وقد استهدف خلق نموذج لليهودي المتمرد على واقع الجيتو . اليهودي البطل المتفوق الذي يتحلى بصفات وخصائص مقصورة عليه ، ولا تكمن في غيره ، هذا النوع من الادب كان رواده الشعراء الصهاينة وكتاب القصة والرواية ، سواء ما كتب باليديشية أو العبرية ، أمثال (آحاد هعام) وبياليك وبيريس سمولنسكن وهس .

والذي يعنينا في هذا المقام هو هذا النوع الأخير من الأدب نظرا لدوره الخطير في التعبئة الحاقدة على « الاغيار » وشحن النفس اليهودية بشحنات الحقد المعززة بالدعوات المختلفة والمتفوقة على كل بني البشر . وحقيقة الأمر أن هذه كانت وسيلة استهدفت انتشال اليهودي من وهدة الضعة والاستكانة ودفعه الى مواقع المقاومة والتصدي لما يسمى بالاضطهاد الذي يتعرض له ، وايصاله الى مرحلة البطولة والبطل حسب المواصفات التي حددها هذا الادب للفرد هو عادة شخص مندفع مجازف خارق البطولة « فارس » لا يشق له غبار في مواجهة الأغيار . لا يعرف الشفقة ولا الرحمة . ولا التسامح مع الذين دبروا له المجازر . هكذا ومن خلال نتاجاتهم الادبية رسم الأدباء الصهاينة الرواد سمات الشخصية الصهيونية بنزعتها العدوانية من خلال التركيز على البطل والبطولة اليهودية ، وما تعنيه من ممارسات وقواعد سلوكية عدوانية ، وروحها العنصرية العرقية بتأكيدها باستمرار على « سمو اليهودي » وتميزه وتفوقه . ولقد تبنى هذا الأدب عبر نتاجاته التي سنتوقف عند نماذج لها ـ البطل اليهودي قبل أن يولد من خلال رسم صورة له ، وتحديد سماته وصفاته ونسب ملاحم وهمية له ، فلا غرو ان يحدث ذلك طالما ان هذا الأدب كان يسعى الى غاية ، وهي خلق الصهيونية وخلق الفرد الصهيوني ، من هنا فان الأدب الصهيوني ـ حتى من خلال الرواية التي هي حصيلة الحركة الواقعية والفكرية في مجتمع ما ـ كان ينطلق من « فراغ » . ولكن هذا لا يتنافى مع الحقيقة بان هذا الادب استطاع أن يبلغ مبتغاه ومآربه حين بلور قاعدة سلوكية عدوانية عنصرية لليهودي ، وفي وضع اساس تربوي جديد لليهودي يترك بصماته على التكوين النفسي لهذا اليهودي ، حيث اتخذ من الشعارات التي يحفل بها نتاجهم الأدبي مثل « الشعب الأسمى » ، ومن مثلك يا شعب اسرائيل بين الشعوب » « واقتل الاغيار دون شفقة وبلا تردد » « بادر الى قتل من يضمر لك سوءا » الخ . . . مادة لهذه التربية ، وصولا الى شحن النفسية اليهودية بشحنات العقدة والتعالي .

امثلة تطبيقية

الادب الصهيوني « شالوم عليخم » في روايته « طوبيا بائع الحليب » يجسد صراع اليهودي في المنفى . في الفصل الاول من الرواية يظهر طوبيا بائع الحليب وهو يجوب القرية ليوزع الحليب على أهلها ، وشعور الخوف يستبد به ويطارده . فأبناء القرية ناكرو الجميل » يتربصون به الدوائر ، ويكيدون له ، ويسعون الى ايراده موارد التهلكة رغم ما يؤديه من عمل خير .

وحين يشعر بشبح الخطر يطارده أينما اتجه ، يلجأ الى شيخ القرية بروبلو يتلمس عنده الأمان والملاذ . لكن الشيخ رغم جبروته لا يوفر له الأمان المنشود ، فيعود كسير النفس الى منزله وهو يرتعد خوفا على بناته السبع من ابناء قريته ، الذين لا تأخذهم به وبأفراد أسرته شفقه أو رحمة . في هذا الفصل يصور « شالوم عليخم » طوبيا بائع الحليب وقد أخذه الخوف من المحيط الاجتماعي من حوله الذي راح يكيد له ، ويسعى الى الفتك به ، والشيخ « الذي يرمز الى السلطة » لا يفعل شيئا من أجل نجدته . وهناك يبدأ بقدح زناد فكره من أجل ان يجد حلا .

ويواصل شالوم عليخم تصوير أحداث قصة منساقة مع الاتجاه الذي يرمي اليه هذا الأدب ، فينقلنا الى صورة أخرى في الفصل الأخير . . صورة طوبيا الذي تغلب على خوفه وقرر أن يواجه التحدي بالتحدي ، فتنتصب قامته ، وينفض عنه غبار الخوف ، ويقرر مواجهة أهل القرية . أمام هذا المشهد يتراجع أهل القرية ، وبعد ذلك يقرر طوبيا النزوح فيهاجر الى أرض صهيون مع بناته اللاتي لا يجدن عرسانا في القرية ، ليجد هناك الملاذ والأمان له ولافراد أسرته والعرسان لبناته .

لكن الادب الصهيوني لم يتكف بالتركيز على شبح المنفى وابراز خطورته ومخاطره ، وتصوير اليهودي هناك بصورة الخائف المعذب والمطارد . فليس من مصلحة الصهيونية أن يصور هذا اليهودي دوماً على أنه الضحية التي تطأطىء الرأس ، بل من مصلحتها أن يكون هناك يهودي متفوق قوي متميز .

من هنا بدأ رواد الادب الصهيوني يتعهدون اليهود بنشأة جديدة ، أساسها غرس الشعور بالثقة والقوة والسمو والتحرر ، عن عقدة الضعة والخنوع التي تحكمت فيهم في المنافي ، أي أن الأدب الصهيوني بدأ يتكفل بعملية خلق « اليهودي البطل » الذي لا يعرف الخوف ولا تقف في طريقه قوة .

هذا مناحيم بياليك شاعر الصهيونية الأدبية ، ومن خلال شعره يحرص على أن يقدم اليهود بصورة الأبطال الذين يتحدون الخوف غير هيابين ولا وجلين .

الشعر موظفا

شعب لا يتزحزح ، لا يرتعب لا يخاف
عدوه ليس أسدا هصورا .
الاصوات لا تخيف ، فالرجال أبطال شجعان .
البطل
يتحدى الجحيم
ويحطم الاغلال ويسمو بالشعب
ولوسفك الدم
فشعبنا يده طولى دوما .

ويواصل شاعر صهيوني آخر هو شمعون هالكن النسج على نفس المنوال في قصيدة له نقتطف منها الابيات التالية :

هلا كنتم كالاباء تحديا
يا حراس المزامير المقدسة
انتم يا ضحايا الجيتو
تتفوقون على الاغيار
فأنتم معجزة
مهما تريدون يكون

الادب الصهيوني حين راح يتغنى بالبطل والبطولة اليهودية ، قبل ظهور الصهيونية السياسية ، الى حد الاغراق والتهويل في الحديث عن صفات هذا البطل ، وعن تفرده بالبطولة والحط من شأن « الأغيار » ، راح في نفس الوقت يروج لعنصرية أدبية . ولا نجافي الحقيقة ان قلنا ان الادب الصهيوني ـ منذ بدايته ـ لم يكن أدبا انسانيا ، وجد لخدمة اهداف انسانية ، ولا يمكن لنتاج أدبي أن يكون انسانيا ، وهو في مجمله عنصري الجوهر والبناء ، لحمته العنصرية وسداه الشوفينية .

ان الادب وهو افرازات لعمليات فكرية انسانية ، لا يمكن أن يتحول الى اداة تحريض على القتل ، وعلى

احتقار الآخرين والتعالي عليهم .
والنثر أيضا : ـ وانبرى الاديب الفيلسوف الصهيوني آحاد هعام ليمجد « البطولة » والقوة والاندفاع المقرونة بالاعتداء على الآخرين ، وذلك عبر كتابه « رسائل ومقالات آحاد هعام » . يقول هذا الأديب : ان شعبنا وهو يبحث عن وطن « قومي » له ويتلمس الطريق الى حياة « قومية » خاصة به ، ليكون قدوة للآخرين ومنارة للأغيار ، يندفع الى مواجهة الخطر بخطوات جريئة قوية . انه يجهز على العدو غير هياب ولاوجل ، حتى وان كان أقوى منه عدة وعددا . انه يلقي بنفسه في عرض البحر وهو عاصف مائج . الجرأة هي النبراس الذي يضيء طريقه ، والقوة هي التي ترهب الأغيار ، ومن مثل شعبنا أحوج الى القوة التي تجعل من مبدأ « لا تخش عبيدك يا يعقوب » مبدأ ذا معنى عمل .

البطولة والشجاعة في مثل هذا الأدب المتكفل بتربية اليهود تربية عدوانية عنصرية تتخذان من العاطفة واثارة الخيال والتحريض على العدوان بل القتل وتغذية الروح العنصرية سندا وركيزة . هذا ما فاض به الأدب الصهيوني وهو لا يزال في « الدياسبورا » ومع بدء تدفق موجات المهاجرين الصهاينة الى فلسطين تحت تأثير التحريض والحث المتواصلين ، استجابة للدعوة الصهيونية التي أطلقها هذا الأدب قبل ان يطلقها هرتزل ، بدأ هذا الأدب يهاجر هو الآخر الى فلسطين . ومع هجرته بدأ يلعب دورا أخطر مما كان يمارسه في « المنفى » . بدأ يمارس وظيفته الدعائية والسياسية بلا حدود ولا قيود ، وعبر وسائل اتصال جماهيري أوسع . هنا جندت الحركة الصهيونية الأدب وطوته تحت أجنحتها بعد تشكيله في اطار تنظيمي لخدمة أهداف تلك الحركة . . في خلق المستوطن الصهيوني المتميز والمتفوق والبطل ، وتغذية الروح العسكرية العدوانية ، والنزعة العنصرية .

هنا بدأ الأدب الصهيوني المجير لخدمة الصهيونية وأهدافها يحاول أن يسهم بدوره في بلورة « الشخصية » الصهيونية ، بصفاتها الجديدة ومواصفاتها المتميزة . لقد بدأ هذا الأدب يشيد بعد الهجرة « بالرواد » من المهاجرين في الهجرتين الاولى والثانية ، ويغالي الى حد الخيال في وصف تسجيل ارادته ، في « مواجهة التحديات » كما يسمى البدء ببناء المستوطنات ، وتجفيف المستنقعات ، ومصارعة المرض وقهر الطبيعة ، ثم تخلصه من سلبيات « الدياسبورا » وشفائه من عللها وخاصة الخنوع والذل . وظل هذا الحال حتى الثلاثينيات ، حيث بدأ يتحدث عن « اليهودي » ذي المزايا الايجابية «والكفاءة والارادة والقدرة الخارقة على أداء المهمات وفعل المعجزات ، ثم اليهودي البطل الذي يهزم كل من يحاول أن يقف في طريق عمله ، وهو يسعى الى إقامة الوطن « القومي » . وهنا أيضا حاول هذا الأدب ما وسعته المحاولة التركيز على صفة البطولة الجماعية والمشتركة التي تجاوزت البطولة الفردية .

بعد عام ١٩٤٨

وبعد زرع الكيان الصهيوني الاغتصابي فوق أرض فلسطين عام ١٩٤٨ يواصل هذا الأدب ـ وعلى الرغم من كثرة عدد الأدباء واتساع رقعة النتاج الأدبي بأشكاله وأنواعه ـ تأدية مهمته في التحريض ، واذكاء نار الحقد والعنصرية .

فقصص موشيه شامير (قصصي وروائي) وروايات سي ـ يزهار وشعر حوري والترمان ومسرحيات وروايات اهرون ميجيد التي يحفل بها الشارع الأدبي الصهيوني ، كان لها دورها في بلورة السلوك العدواني للمجتمع الصهيوني بافراده وجماعاته . فهذا الأدب يصف القتل ، والذي لا يسلم منه حتى الأطفال والنساء على أنه بطولة تستحق التقدير ، وانواط الشجاعة والادب الصهيوني صنع من اليهودي « سوبرمان » لا يضاهيه فرد في الدنيا ، ولا يصل الى مرتبته احد ، أي أن هذا المستوطن كما يقول شامير « بطل يندفع الى الأمام ، فيهرب منه الأغيار ، لا شيء يوقفه حتى الموت . وحتى الموت لا يجد سبيلا غير احناء الرأس خجلا أمام هذه البطولة » !

وهناك أمثلة كثيرة لا يتسع المجال هنا لها ، والتي هي نموذج ودليل على هذا الادب العنصري ذي المنحى العدواني الذي كان دوره ولا يزال هو تبرير العدوان والجريمة ، والترويج للافكار العنصرية والشوفينية التي تحط من شأن الآخرين ، وتسفه كيانهم ووجودهم في نفس الوقت الذي تعمل فيه جاهدة على تمجيد الذات اليهودية . □

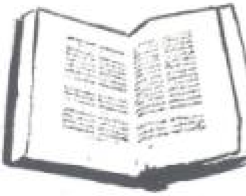

تراثنا
بين ماضٍ وحاضر

بقلم : الدكتورة بنت الشاطىء

كانت مفاجأة لي ، أن نشرت مجلة العربي ، في الذكرى الخامسة والعشرين لصدورها مقالا لي عن«تراثنا»كتبته في أعدادها الاولى ، ضمن ما اختارته لاعادة نشره من مقالات لكتابها القدامى .

وبلغ من تأثري بهذا التقدير ، أن لم أجد ما أعبر به عن عرفاني بجميل حسن ظنها بي سوى متابعة النشر فيما يشغلني ، حتى اليوم ، من قضية تراثنا من حيث أراها من أهم القضايا الحيوية في وجودنا المعاصر .

ع إن ادراكنا لأهمية قضية التراث ، يحتاج الى وضوح رؤ ية لدلالتها وأبعادها . اذ يغلب على الظن العام ، أن التراث يتعلق بالماضي وحده . وتكثر شكوى الكتاب العصريين من عزلتنا الثقافية عن الغرب الحديث . وقلّ فينا من يشكو عزلتنا عن ماضينا ، قريبه والبعيد . وفي المجال الثقافي دعوة ملحة الى تلبية حاجات الحاضر ومواجهة أزمات المرحلة وتحديات العصر ، دون أن يأخذ تراثنا من هذه الدعوة موضعا ، وكأن الحاضر غير مشحون بميراث ذلك الماضي الذي توغل في أعماقه جذور أصالتنا ، ويضيء لنا آثار خطانا على مسار الزمن ، ويعطي تاريخنا تفسيره ومنطقه .

وحين يذكر تراث الاسلام ، يتجه غالبا الى ما وصل الينا من مخطوطات لعلماء الاسلام ، ويغيب عن الفهم العام ، أن تراثنا الاسلامي يستوعب كل ذخائر مخطوطاته ، في اللغة والأدب والتراجم

والتاريخ ، وفي علوم الطبيعيات والرياضيات كالطب والكيمياء والصيدلة والفلك والرياضة والجغرافيا والملاحة والطبيعة . . بل يستوعب كذلك ما حملت الشعوب التي أسلمت في الفتوح الكبرى وتعربت ، من ميراث ماضيها الذي صار من ماضي الأمة .

شمول التراث الاسلامي

قد يبدو هذا المفهوم الشامل لتراث الاسلام غريبا علينا ، لكنه لم يكن كذلك في القرون الاسلامية الاولى ، والأمة في أوج عزتها ومنعتها وحيويتها ، حيث اتسع أفقها الرحب لهذا الشمول ، فأحيت تراث العربية من العصر الجاهلي ، رواية وجمعا وتدوينا ودراسة ، كما نشطت لتعريب التراث العلمي لشعوب الدولة الاسلامية الكبرى ، وترجمت الفكر اليوناني كذلك ، وهي تدرك أنه استمد أصوله من حضارة الشرق القديم ، فكان هذا الشمول ، مظهرا لوعي الأمة ، بقدر ما كان من روافد حضارتها الاسلامية الرائدة القائدة في العصر الوسيط .

والتاريخ الحضاري للانسانية يعرف الدور الجليل لكنوز تراثنا التي عمرت بها دور الكتب الاسلامية في حواضر دولتها الكبرى من أقصى المشرق الى أقصى المغرب والاندلس ، فكانت منارا للعلم والثقافة ، هدى مسرى البشرية من ظلمات عصورها الوسطى الى فجر النهضة الحديثة التي لا يجحد مؤرخوها الغربيون ، أنها قامت أساسا على ما نقلت وأخذت من الحضارة الاسلامية وتراثها .

والحديث يطول عن حركة النقل لكنوز تراثنا الى الغرب الأوروبي ، وقيام حركة الاستشراق لفحصه ودرسه ، وما قدمت الحركة الى عصر الاحياء والنهضة ، من عطاء التراث الاسلامي الذي تدفق على أوروبا في الحروب الصليبية وعبر الاندلس وصقلية والدردنيل ، وتعرضت كنوزه في الشرق الاسلامي للدمار في جوائح الاعصار التتري ، وفي معارك الفتن السياسية والمذهبية التي أنهكت الأمة ، بالمشرق والمغرب ، فتخلفت عن مركزها القيادي للغرب الذي تسلط عليها في ليلها الطويل بوطأة الاحتلال العسكري ، وما صحبه من غزو فكري ألحت ذرائعه على تاريخنا بترا وتشويها ، ورسخت في أجيال من بنيها عقدة الشعور بالنقص تجاه الفرنجة ، بما بثت في عقولهم ووجدانهم من ازدراء لشرقيتهم الاسلامية العربية التي ألقوا عليها أوزار تخلفنا وحملوها تبعة انحطاطنا . واستطاعت هذه الذرائع أن تسرق ألسنة شعوب منا لتعزلها عن لسان قوميتها ولغة عقيدتها وتاريخها ، كما حرصت في الاقطار التي ناضلت عن لسانها ، أن تنال من وحدتنا الفكرية والثقافية ، وتنمينا الى مدارس متنافرة متناكرة ، لافي الاقطار الشقيقة فحسب ، بل في البلد الواحد والبيت الواحد ، ينتمي بعض أبنائه الى المدرسة الاسلامية السلفية ، وآخرون منهم ينتمون الى مدارس الفرنجة على تعدد لغاتها ومللها وطوائفها ومناهجها ، وتنافرت لذلك موارد ثقافتنا وأنماط عقلياتنا وشخصياتنا ، فنحن فيما بيننا غرباء .

وبهذا الشتات المبعثر ، نواجه أزمات المرحلة ، وضراوة الاستعمار الحديث ، الثقافي والاقتصادي والمذهبي ، وكأنما أعدنا الغزو الفكري في ليل الاحتلال ، لما يراد بأمتنا بعد انتصار المعارك الباسلة التي خاضها شعبنا في المشرق والمغرب ، للتحرر من أغلال الرق الاستعماري .

ونطوي الحديث الطويل عما مضى ، لننظر في موضع تراثنا في العصر الحديث بين شرق وغرب .

تراثنا والغرب

في الظن الشائع ، أن الغرب صرفته شواغل السباق العلمي وصراع القوى والمذاهب ، عن تراث الاسلام بعد أن أدى دوره التاريخي في عصر الاحياء

وحركة الاستشراق والغزو الاستعماري والفكري لشرقنا الاسيوي الافريقي .

المتصلون منا بقضايا التراث ، والمشاركون في المؤتمرات الدولية للمستشرقين ، يعلمون أن تراثنا مايزال حتى اليوم مشغلة الغرب ، وذلك ما يسجله الباحثون الغربيون فيما تعتز به دولهم من خدمة الثقافة والعلم بتراث الاسلام .

في (دراسة للمخطوطات العربية في الاتحاد السوفيتي) نشرها المستشرق الروسي « جريجوري شرباتوف » سنة ١٩٦٣ ، قال بعد بيان لجهود الرواد من المستشرقين الروس :

« وبدأت مرحلة جديدة في بلادنا ، وأدى التغيير الجذري في الحياة العلمية الى اتساع الدراسات الشرقية ، واقامة مركزين كبيرين للاستشراق في لينتجراد وموسكو . وكذلك تأسيس مراكز له - أي للاستشراق - في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز . وفي كل من هذه المناطق تنشط حركة جمع ودراسة المخطوطات الشرقية والعربية خاصة . كما تغيرت وتحسنت ظروف حفظ المخطوطات فيها ، وتكونت مجموعات المخطوطات العربية في مختلف المدن : طشقند وباكو وتفليس وخاركيف . . وأضخمها مجموعة المخطوطات في معهد الاستشراق بطشقند عاصمة أوزباكستان ، وتضم هذه المجموعة ثمانين ألف مخطوط بالعربية ، وغيرها من اللغات الشرقية ، وأقدم مخطوطة عربية فيها ترقى الى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) . وفي الخمسينيات من القرن الحالي ، صدرت أربعة مجلدات في وصف مجموعة طشقند تتناول أكثر من الفين وسبعمائة مخطوط في التاريخ وعلم الطبيعة والطب والجغرافيا والزراعة والفلسفة والادب واللغة . وفي لينتجراد أيضا طبع في السنوات الاخيرة مجلدان من (كتالوجات) المخطوطات العربية في معهد شعوب آسيا ، في الادب النثري والجغرافيا ، ويعد الآن للطبع مجلدان في مخطوطات الشعر والتاريخ والسير ومخطوطات الطب . كما نشر هناك دليل للمجموعة العربية في مكتبة لينتجراد . وأما المجموعات العربية في المدن الاخرى كموسكو وباكو وتفليس وخاركيف . . فنشر وصفها في أعمال المستشرقين « تسير تيلي ، وساليه ، وكوفاليوسكي وغيرهم . . » وعلى غرار العلماء المستشرقين الروس في القرن التاسع عشر ، واصل ويواصل المستعربون السوفييت الدراسة الدائمة للمخطوطات العربية ، ولهم في هذا الميدان ما نفتخر به من كشف وتحليل وطبع لمخطوطات بالغة القيمة . وهم كثيرون ، فلنذكر منهم : « كراتشكوفوسكي ، وايبرمان ، وبوريسوف ، وبيليايف ، وبولجاكوف ، وخالدوف . . » ومما يعتز به الاتحاد السوفيتي من المخطوطات النادرة : كتاب المنازل والديار للأمير أسامة بن منقذ ، وكتاب سر الأسرار في الكيمياء لأبي بكر الرازي ، وكتاب الآثار الباقية لأبي الريحان البيروني ، ورسالة لابن فضلان عن رحلته الى منطقة الفولجا ، وما نشر معهد الاستشراق في طشقند من مجلدات كتاب القانون في الطب للرئيس ابن سينا ، ورسائله الفلسفية مع علماء عصره . ومخطوط نادر في الفلسفة عثر عليه « بوريسوف » ونوه بما له من أهمية خاصة في علم اللاهوت الذي ينسب الى « ارسطو » دون تحقيق . .

تحقيق الذخائر المختارة

ويوجه الاتحاد السوفيتي طلاب الدراسات العليا في معاهد الاستشراق الى تحقيق ذخائر مختارة من تراثنا ودراستها . وبخاصة ما يتعلق منها بالتاريخ والجغرافيا لاقطار الشرق الاسيوي الاسلامي التي ضمها الروس الى الاتحاد السوفيتي ، أذكر منها على سبيل المثال : رسالة بولجاكوف للدكتوراه (معلومات الجغرافيين العرب عن آسيا الوسطى في القرنين التاسع والعاشر) ورسالة المستشرقة أولغا فرولوفا : (مافي تاريخ ابن الاثير عن ماضي شعوب آسيا الوسطى) ورسالة شوموفسكي للدكتوراه من معهد الاستشراق بموسكو : (ثلاث أراجيز في علم البحار لأحمد ابن ماجد السعدي) ومعها مصورة لمخطوطها الفريد الذي عثر عليه كراتشكو فوسكي في لينتجراد قبل الحرب العالمية الاولى ، وقدم بحوثا ذات عدد عن شخصية ابن ماجد ، ربان سفينة فاسكودي جاما الى بحر الهند عبر مضيق ماجلان ورأس الرجاء الصالح ، في الرحلة التاريخية التي يقرر عميد المستشرقين الروس أنها « تمثل لحظة حاسمة لانتقال

السيطرة من الشرق الاسلامي الى الغرب الاوروبي ، وهي اللحظة التي التقى فيها فاسكودي جاما بالربان الماهر أحمد بن ماجد . »

والمخطوط ، مع رسالة شوموفسكي ، من منشورات المجمع العلمي للاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٨ . وفيها أطلق الروس القمر الصناعي الاول ، واحتشدوا لرحلة ارتياد غيابة الفضاء . وقبلها بنحو ثلث قرن ، نشر المستشرق الفرنسي « جابرييل فيران » كتاب (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لأحمد بن ماجد) طبع في باريس سنة ١٩٢٤ م . والكتابان ذكرهما أمير البحر التركي « علي ريس » في أربعين مصنفا لأحمد بن ماجد ، دون أسمائها في مصادر كتاب له في (الجغرافية الملاحية) صنفه في القرن العاشر للهجرة ، السادس عشر الميلادي . ومنه نسختان خطيتان بمكتبة باريس القومية في فهرسة دي سلان . .

وتعتز عاصمة النمسا ، باقتنائها أغنى مجموعة للبردي المصري في العالم كله ، وعددها يقارب مائة ألف ، منسقة في خزائن (متحف البرتينا بفيينا) على لغاتها : الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية والرومانية والفارسية والعربية . . وثائق مجهولة لنا من ماضي تاريخنا وتاريخ الحضارة الانسانية بوجه عام . والبرديات العربية في المجموعة . عددها عشرة آلاف ، أقدمها مؤرخة في الثالث والعشرين من جمادي الاولى سنة اثنين وعشرين (٢٢ هـ) بعد سنتين اثنتين من الفتح الاسلامي لمصر ، تليها برديات من عهد الخلفاء الراشدين ، والعصر الاموي ، والعباسي ، والطولوني ، والاخشيدي ، والعصر الفاطمي ، والايوبي ودولة المماليك الاولى .

وفي سجلات البرتينا ، ما نشر علماء النمسا وغيرهم عن هذه المجموعة الكبرى ، ووثائق القصة المثيرة لاقتنائها ، والسباق الدولي على الكنز ، لمدى قرن كامل ، ودول أوروبا التي دخلته . والقدر الذي تملكه متاحف الغرب وجامعاته ومكتباته ، الى جانب ما يملكه هواة الآثار ومؤرخو الحضارة المعاصرون .

وأما ذخائر مخطوطات تراثنا في خزائن الغرب ، فتفوق العد والاحصاء . كما لا نحصي ما نشر علماء الاستشراق منها تحقيقا ودراسة ، فلأذكر على عجل : المجموعة القيمة التي نشرتها جامعة أوكسفورد تذكارا للمستشرق الانجليزي الكبير « الاستاذ جب » وتواصل جامعة باليرمو جهود المستشرق الرائد « أماري » في خدمة التراث الاسلامي بالمكتبة الصقلية . وغير مجهول ما قدم مركز الاستشراق الهولندي من مطبوعات « ليدن » لذخائر من تراث الاسلام ، وطبعاته المجددة لدائرة المعارف الاسلامية ، ومعاجم المستشرق الهولندي « فنسنك » لالفاظ الحديث الشريف ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم . وما نشر المستشرقون الاسبان في عصرنا ، من ذخائر تراث الاندلس . □

جين أوستن والناس

سألوا الكاتبة الانجليزية (جين اوستن): « ماذا يحدث للناس وهم يمضون في رحلة الحياة ، إن أبطال قصصك يلفها الغموض حتى ليحار المرء في كشف أسرارها ؟ » .

قالت : (ربما كانت الظاهرة التي تستوقفني دائما هو ذلك التغير الذي يطرأ على شخصيات الناس ، انهم يتبدلون ويتلونون حتى أنني كنت اجد فيهم كلما لقيتهم شيئا جديدا . الغريب أن هذا الجديد كان دائما يبدو أسوأ وأكثر غموضا) .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

ألفاظ التوكيد

نعود هنا الى اللفظين (كلا) و (كلتا) في حالة اعراب كل منهما توكيدا في اصطلاح النحاة تابعا في اعرابه لمؤكدة قبله ، ثم في حالة اعراب كل منهما على وفق ما يقتضيه السياق .

ع يكون كل منهما توكيداً اذا سبقه مؤكد مثنى فيكون تابعاً له ، ويضاف الى ضمير يناسبه في التثنية فيعود عليه ، وفي هذه الحالة يعرب اعراب المثنى فتكون الألف علامة اعرابه رفعاً ، والياء علامة إعرابه نصباً وجراً ، مثل « أنشد الشاعران كلاهما في الحفل » .

وكقول ابن الرومي (وكان له ثلاثة أبناء فمات أوسطهم ، فرثاه بقصيدة طويلة من غرر قصائد الرثاء في الشعر العربي ، بل الشعر العالمي) :

أرى أخـويـك الـبـاقـيـين كـلـيـهـما
يهيجـان لي الأحـزان من غـير مـا عَمْـدِ

واذا لم يسبقه مؤكد وكان متصلا بضمير أعرب على وفق السياق ، ومثاله ما ذكر في لسان العرب من أن اعرابيا خيِّر بين شيئين ، فقال : كليهما وتمرا . أي أعطني كليهما وتمرا .

والغالب على « كلا وكلتا » أن يقع كل منهما مبتدأ في جملة كما في قصيدة البحتري ، وقد لقي ذئباً خلال جولة في الصحراء ، فاستوحش منه وفي وصف وحشته منه قال :

كـلانـا بـهـا ذئـب يحـدّث نـفـسـه
بـصـاحـبـه ، والجـد يُـتْـعـسُـه الجـدُّ

وقول حسان بن ثابت في الجاهلية من قصيدة يمدح مواليه من آل جفنة ملوك الشام وفيها يشير الى ساقٍ قدم له شراباً ممزوجاً بالماء :

ان الـتـي نـاولْـتـني فـقـتـلْـتـهـا
قُـتِلَتْ - قُـتِلَتْ - فـهـاتِـهـا لم تُـقْـتَـل
كِـلْـتـاهُـمـا حَـلَبُ الـعَـصـير فَـعَـاطِني
بِـزُجَـاجَـةٍ أَرْخَـاهُـمـا لِـلْـمِـفْـصَـل

واذا لم يُضَفْ « كلا » أو « كلتا » الى ضمير بل الى اسم ظاهر ، أُعْرِبَ إعْرَابَ المقصور في جميع أحواله ، فألزم الألف التي لا تظهر عليها الحركات (مثل مصطفى) كقوله تعالى : « كلتا الجنتين آتت أكلها » ، فأفرد الضمير في « آتت » ، ولم يقل « آتتا »

والتعبير القرآني هو الأبلغ والأرجح ، ومثل قول الشاعر :

كـلا أخـي وَخليـلي وَاجِـدِي عَـضُـداً
عِـنْـدَ المُـلِمَّـاتِ ان نـابتْ مُـلِمَّـاتُ

ولكن يجوز التثنية أيضاً في أمثال هذه العبارة ، فتقول : كلا المتسابقين سريع ، أو سريعان ، وكلتا الطالبتين ناجحة أو ناجحتان ، ويرى بعضهم أن التثنية في مثل هذه الحالة خطأ ، مع أنها صواب ، وشاهده قول الفرزدق في وصف فرسين في سباق :

كـلاهمـا حـين جـد الجـري بـينـهـما
قـد أقـلعـا ، وكـلا أنـفـيـهـما رابي

والشاهد قوله « قد أقلعا » ولم يقل « قد أقلع » .

(ثنى الشاعر في خبر « كلا » الأولى وهي مرفوعة بالألف كالمثنى ، وافرد في خبر الثانية وهي مرفوعة كالمقصور) ويجوز أن يقول في غير الشعر : وكلا أنفيهما رابيان » وذلك للضرورة في الشعر ، أو للحاجة البيانية في النثر .

وكما يؤكد المثنى (أو الاثنان أو الاثنتان) بكلمة « كلا » في التذكير ، و « كلتا » في التأنيث ـ يمكن أن يؤكد أيضاً بكلمة « نفس » أو كلمة « عين » مفردة أو جمعاً ، مع اضافتها الى ضمير المثنى ليطابق المؤكد .

فتقول مثلا : أكرمت أبوي نفسها ، أو أنفسهما ، كما تقول : أكرمت أبوي عينها ، أو أعينهما ، وهناك فرق في المعنى بين التوكيد بكلمة « كلا » أو « كلتا » وبين التوكيد بكلمة « نفس » أو « عين » مفردة أو جمعا ، مع إضافتها لضمير المثنى ـ وهذا الفرق هو أن التوكيد باحدى الكلمتين الأوليين (كلا وكلتا) يدل على شمول الاثنين معاً ، وأن التثنية حقيقية ، فاذا قلت : « أكرمت أبوي كليهما » دل التوكيد على أن الاكرام تحقق لكل واحد منهما وليس لأحدهما ، ولكن اذا أكدنا بكلمة نَفْسِهِمَا أو عينهما دل التوكيد على أن الاكرام تحقق لذات الأبوين لا لغيرهما ممن يتصل بهما من الأصدقاء أو الأقرباء ، فمن اكرام الانسان أبويه عند غيابهما بل بعد وفاتهما أن يكرم بسببهما من هو صديق لهما (أو من كان لهما صديقاً) وكذلك إكرام الأقرباء وهم أولى بالمعروف .

كل وجميع وعامة

ونقول في بقية الفاظ التوكيد ما قلناه في (كلا) و كلتا) . فالكلمات « كل » و « جميع » و « عامة » تفيد العموم ، وهي تدل على التوكيد ، ولكن لا لفظ منها يعرب توكيدا في اصطلاح النحاة الا اذا سبقه مؤكد ، وكان التوكيد حينئذ مضافا الى ضمير يناسب هذا المؤكد ، فيكون تابعا له في اعرابه رفعا ونصبا وجرا .

وهذه امثلة على (كل) مع مؤكدها :

قول النبي عليه السلام : « الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب » (مرفوعان)

وكقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلَّها » (منصوبان)

وقوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » (مجروران)

وهذه امثلة على (جميع) ومؤكدها :

البحارُ جميعُها مالحة (مرفوعان) ، ان النجومَ جميعَها سابحة في الفضاء (منصوبان) للسمكِ جميعِه خياشيم (مجروران)

وهذه امثلة على (عامة) :

المحسنُون عامتهم محبوبون (مرفوعان) ،ليت العمالَ عامتَهم نشيطون (منصوبان) ، للزوميات المعري عامتِها خصائصُها الواضحة .

ولكن كل واحد من هذه الالفاظ الثلاثة : كل وجميع وعامة ، قد يأتي دون أن يسبقه مؤكد ، فلا يسمى في اصطلاح النحاة توكيدا بل يعرب على مقتضى السياق ، سواء اضيف الى ضمير او غيره ، او لم يضف الى شيء لفظا .

فمن الأمثلة على (كل) واعرابه : قوله تعالى : « وكلٌ في فلك يسبحون » (مبتدأ مرفوع) وقوله : (لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه) مجرور باللام امثلة على جميع : وإعرابه .

قوله تعالى « فاذا هم جميع لدينا محضرون » (خبر مرفوع) وقوله « واعتصموا بحبل الله جميعاً » (حال منصوبة) وكقولنا « عناية الله محيطة بجميع خلقه » (مجرور بالباء)

وهكذا تعرب مثلها في التوكيد الفاظ اخرى على وفق موقعها من السياق ، ولا يعرب لفظ منها توكيدا في اصطلاح النحاة لانه لم يسبق بمؤكد ، ومن امثلة ذلك (اجمعون) كما في قوله تعالى « وجنود ابليس اجمعون » وقوله « فوربك لنسألنهم اجمعين » وقوله « ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين » . □

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

"حديثهن بشاشة ، وقتيلهن شهيد"

جميل بثينة

هو جميل بن عبدالله بن معمر العذريّ ، نسبة الى قبيلة عذرة التي اشتهرت بالحب العفيف ، فنسب اليها فيقال « حب عذريّ » وكانت منذ الجاهلية حتى ايام جميل تنزل بادية في « وادي بغيض » من وادي القرى شمالي المدينة في الحجاز ، وفي هذه البادية نشأ جميل ، واحب ابنة عمه بثينة ولم يتزوجها لأن التقاليد البدوية يومئذ كانت تحول دون ذلك ، وكان يحب قبلها اختها الكبرى « أم الجسور » ولكن حدث أن التقى ببثينة وهما يسقيان قطعانها على مورد ، فاختلفا على السقي ، فسبها وسبته ، وذلك قوله :

وأول ما قاد المودة بيننا ... بواد بغيض ـ يا بثين ـ سباب

وقد بقي على الوفاء لها حتى مات ، وتدل أخباره وأشعاره على أنه لقي في حبها كثيرا من العذابات ولاسيما بعد أن زوجت من غيره ، ونفي عن القبيلة فلجأ الى مصر أيام كان يتولاها عبدالعزيز بن مروان ، وفي مصر توفي سنة ٨٢هـ ، ولما بلغها نعيه حزنت عليه وكان فيما رثته به :

صَرح النعيُّ ، وماكنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول
قومي بثينة ، فاندبي بعويل ... وابكي خليلك قبل كل خليل

وليس لجميل شعر نسيب الا في بثينة ، وكذلك كان شعراء البادية في عصره ، مثل تلميذه كثير عزة ومجنون ليلى ، ويحسن هنا ان نبين ان صاحب النسيب يتعلق بواحدة في حبه وشعره ، وهذا جدير أن يُسَمّى شعر الحب او النسيب ، وصاحبه قد يذكر منسوبا الى حبيبته ولا ينسب الى ابيه ، كما تقدم في اسماء هؤلاء الشعراء الثلاثة ، وهناك شعراء عاصروهم تعلق كل منهم بنساء كثير وتغزل في كل منهن حين مالت اليها نفسه شهوة واعجابا ، ومنهم عمر بن ابي ربيعة والأحوص والعرجي وعبيدالله بن قيس الرقيات ، وكانوا يسكنون مدن الحجاز كالمدينة ومكة والطائف ، وشعر هؤلاء جدير ان يسمى « الغزل » وقلما يخلو هو واصحابه من عبث ومجون ، والفرق بين

الطائفتين يعود الى اختلاف المزاج والبيئة : ويؤخذ على جميل انه ـ مع ثراء اهله ، وقوة بنيته وجماله ـ كان معنيا بشئون حبه غير مشغول بغزوات الجهاد الذي كان يومئذ عاما ، يتطوع له الشبان ، والى هذا يشير بقوله في هذه الابيات :

يقولون : « جاهد ـ يا جميل بغزوة » وايّ جهاد غيرهن أريد ؟

وشعر جميل يميل الى السهولة والرصانة كما في النموذج الذي نقدمه هنا .

ألا ليت أيامَ الصفاء جَديدُ ودَهراً تولّى يا بُثَينَ يعود
فنغنى كما كُنا نكون وأنتُمُ صديقٌ وإذ ما تبذُلين زهيدُ
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قَرَّبتْ رحلي أبمصرَ تُريدُ ؟
ولا قولها : لولا العُيُون التي ترى أتيتُك ، فاعذرني ، فدتك جدود
خليلُ ما أخفى من الوجْد ظاهر ودمعي بما أخفى الغداة شهيد
الا قد أرى والله أن رُبَّ عبرة إذا الدار شطت بيننا ستزيد
إذا قُلتُ : ماي يا بُثينةُ قاتلي من الحُبِّ ! قالت : ثابتٌ ويزيدُ !
وإن قُلت : ردي بعض عقلي أعش به مع الناس ، قالت : ذاك منك بعيدُ
فلا أنا مردود بما جئت طالبا ولا حُبُّها فيما يبيد يبيد
جزتك الجوازي يا بثينُ سلامة إذا ما خليل بان وهو حميد !
وقلت لها : بيني وبينك فاعلمي من الله ميثاق لهُ وعُهُودُ
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا وما الحُبُّ إلا طارف وتليد
وإن عروض الوصل بيني وبينها وإن سهلته بالمنى لصعود
فأفْنَيْتُ عيشي بانتظاري نوالها وأبليتُ ذاك الدَهرَ وهوَ جديدُ

•••

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بوادي القُرى إنّي إذاً لسعيدُ
وقد تَلْتقي الأهواءُ مِن بعدِ يأسَةٍ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهيَ بَعِيدُ
فَمن يُعطَ في الدُّنيا قَريناً كَمِثْلِها فذلك في عَيْشِ الحياةِ رَشِيدُ
يموت الهَوَى مِنّي إذا ما لَقِيتُها ويحيا إذا فارقْتُها فَيَعُودُ
يَقُولون : جاهِدْ يا جميلُ بِغَزْوَةٍ وأيُّ جِهادٍ غيرَهُنَّ أُريدُ ؟
لِكُلِّ حديثٍ بَيْنَهُنَّ بَشاشَةٌ وكُلُّ قتيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ

الكتاب والتعليق !

ما أكثر المرات التي تجد نفسك فيها وأنت جالس في مكتبة عامة تتصفح كتابا استعرته لتوك ، ان هناك في هامش الكتاب تعليقا سجله قارىء قبلك على بعض محتويات الكتاب ، وتقرأ التعليق وتفاجأ بأنه أجمل ألف مرة من النص المطبوع . . . العالم الحافل بالاحداث من حولنا هو أحد هذه الكتب . . !

« جورج سانتيانا »

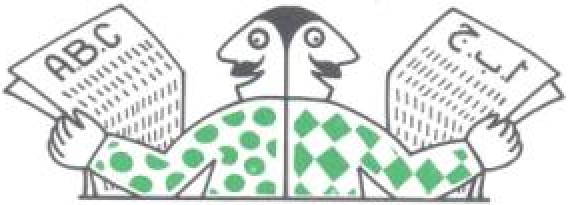

حكايات شرق وغرب

أجمل هدية !

استعدت سيدة عجوز للاحتفال بعيد ميلادها الثمانين .. وجلست الى مكتبها تراجع بعض أوراقها الخاصة ، وفجأة عثرت على شهادة ميلادها بين هذه الأوراق ، وكانت المفاجأة عندما اكتشفت انها قد أخطأت في الحساب وانها لما تبلغ الثمانين بعد ، وأنه مازال امامها عام كامل فهي الآن في التاسعة والسبعين !

وجاء الأبناء والأحفاد والأصدقاء ليشاركوها احتفالها بيوم مولدها ولكنهم لم يجدوها ، لقد تركت لهم كعكة العيد بشموعها المشتعلة ، وتركت معها البيت وخرجت .. ولكنها ما لبثت أن عادت قبل أن تغرب الشمس .. ولم تكن وحدها ، كانت معها دراجتها التي تعودت على قيادتها بعد ظهر كل يوم .

- ماذا حدث ؟ أين أنت ؟

- لقد كنت مع أجمل هدية قدمت لي في عيد ميلادي .. كنت مع دراجتي التي كان من المقرر أن أفترق عنها اليوم بعد بلوغي الثمانين بناء على أوامر الأطباء .. ولكنني سوف أستمر في ركوبها لمدة عام آخر .. لقد أخطأت في حساب يوم مولدي ، وهو أجمل خطأ ارتكبته في حياتي ! »

رسائل الى العالم الآخر

كان يعرف انه سيموت بعد ثلاثة أو أربعة أشهر .. هكذا توقع له الأطباء ، فقد كان مصابا بأورام خبيثة في المخ ، وأسرع كن ماك آفوي (٤١ سنة) الى المجلة التي تصدر في مدينة فورت لودرديل بولاية فلوريدا الأمريكية ، ونشر اعلانا صغيرا يقول فيه : « انا على استعداد لأن أحمل أي رسالة يريد ان يبعث بها أي فرد الى ذويه وأقاربه الذين سبقوه الى العالم الآخر !! ».

وحدد ماك آفوي مبلغ عشرين دولارا أمريكيا مقابل كل رسالة يحملها معه في رحلته المرتقبة . وقد تلقى حتى الآن خمس رسائل ، احداها من شاب مات والده وحرمه من الميراث ، وهو يسأله في رسالته القصيرة : « لماذا يا أبي .. لقد كنت ولداً مهذبا

وكنت أحبك . . هل لك أن تفعل شيئا الآن حتى أحصل على نصيبى من ثروتك ! ؟ »

ويقول ماك آفوى : « لا تنسوا أن مهمتى انسانية » قبل أى شيء آخر . . اننى على استعداد لأن أوقع تعهدا الآن بأننى سوف أسلم هذه الرسائل الى أصحابها . صدقونى ! فلابد أن تثقوا فى كلامى . سوف أبحث عنهم وأسلمهم رسائلهم ، سواء كانوا خمسة أو خمسة آلاف . . صحيح أننى لن أحملها فى يدى ، ولكنها ستكون راسخة فى ذهنى حتى بعد أن يتوقف عقلى عن التفكير ، وحتى بعد أن يحرقوا جثمانى ويتحول كل شيء الى رماد ، ستبقى هذه الرسائل حية فى رحلتى الى العالم الآخر ولن أنسى محتوياتها ، أو أسماء أصحابها . هذا كل ما أستطيع أن أعدكم به الآن ! » .

من بين الرسائل التى تلقاها ماك آفوى ، رسالة من زوجة الى زوجها تقول فيها : « أحبك . . أحبك ، وسوف ألحق بك قريبا ! »

ثم يقول ماك آفوى فى نهاية اعلانه : « لقد كان رحيل زوجتى المفاجيء منذ تسع سنوات هو الذى أوحى لى بهذه الفكرة ، فقد كان لدىَّ أشياء كثيرة أريد أن أقولها لها ، ولكنها لم تنتظر . . فقد حدث كل شيء بسرعة . . ولم أجد الوقت الذى أستطيع فيه أن أقول لها ما كنت أريد أن أقوله . . لقد اقترب موعد لقائى بها على أية حال !

حواء فى المعركة من أجل البقاء !

« إنه ليس مثل أى شيء آخر . . انه ليس كالموت مثلا الذى نعرف انه سيحدث حتما . . إنه شيء مختلف تماما لا يمكن لأحد أن يتصوره . أنا شخصيا لا أستطيع أن أمشى فى الشارع ، أو أن أتأمل الريف الجميل أو أبدى إعجابى بلوحة رائعة أو أستمع الى قطعة موسيقية . . لا أستطيع أن أفعل شيئا من هذا دون أن أدرك أن المصير الذى ينتظر كل شيء جميل فى هذه الحياة هو الدمار والفناء ! كل إنسان فى هذا العالم سوف يهلك . . كل شيء صنعه البشر على مدى القرون الطويلة التى انقضت سوف ينتهى ويصبح رماداً تذروه الرياح !

لماذا ؟ ولأى سبب ؟

وكانت تتوقف طويلا عند هذا السؤال الذى طالما وقفت أمامه حائرة تبحث عن اجابة مقنعة له ، تستطيع معها أن تطوى صفحات الكتب التى تناثرت حولها وهى تقرأ وتقرأ عن القضية التى أصبحت تشغل كل تفكيرها . . قضية نزع السلاح النووى !

صاحبة هذا الكلام هى جوان وودوارد نجمة السينما المعروفة ، التى تركت الأضواء وهجرت التمثيل وقررت أن تعيش « بوجه واحد » وجه الزوجة الأم التى تريد لأبنائها حياة أفضل . . حياة آمنة يتخلصون فيها من الخوف الذى يعيش فيه العالم من المستقبل . .

فى فيلمها القديم « الوجوه الثلاثة لحواء » الذى

جوان وودوارد

اضطلعت فيه بدور البطولة ، وفازت على دورها فيه بجائزة الاوسكار لأحسن ممثلة فى عام ١٩٥٧ ، لم تكن جوان تعرف عن الأسلحة النووية ، أكثر مما كانت تقرؤه فى الصحف ، فهى لم تكن بعد قد أصبحت أما . . وهى تقول : « لقد كان من الممكن أن يكون لى عشرة وجوه لا ثلاثة فقط ، كما يقول اسم الفيلم الذى أوصلها الى القمة » .

ثم طلقت من زوجها الأول ، وتزوجت الممثل بول نيومان وأنجبت منه ثلاث بنات . . وبدأت رحلتها مع الكتب . . ومع كل ما حوته عن الأسلحة

النووية ، وعن نزع السلاح . . وكانت كلما ازدادت معرفة بهذه القضية اكتشفت مدى السخف فى هذا الاصطلاح الذى شاءوا أن يطلقوه عليها ، فهى ليست « قضية » كما تقول جوان فى ثورة . . « وكيف يمكن أن تكون قضية وهى مسألة حياة أو موت . . موت البشرية كلها ؟ » . .

انها تعترف بشبابها الساذج : « لقد كنت فى الخامسة عشرة من عمرى عندما ألقى الامريكيون القنبلة الذرية على هيروشيما . . وكنت مشغولة وقتها بأشياء أخرى . . ولكن الصورة تغيرت الآن . . أننى أشعر بالدهشة عندما أرى الأزواج ينجبون أطفالا الآن . . انه عمل يتسم بشجاعة بالغة أو بايمان كبير بالله . ولو أننى كنت فى مكانهم وبدأت فى تكوين اسرة اليوم ، لفكرت أكثر من مرة قبل أن أقدم على انجاب طفل . . واننى أعتقد أنه اذا لم يكن هناك من أسباب قوية تدفعنى الى الاعتقاد بأن العالم سوف يتغير ، فلن أفكر فى توفير مزيد من « الوقود » الى النار التى تهدد بالاشتعال ! »

وجوان لا تقف وحدها فى الحملة التى كرست لها حياتها . . الحرب على سباق التسلح النووى . . انها اليوم واحدة من عدد كبير من الأمهات الامريكيات اللواتى شاركن فى هذه الحملة التى أسستها سيدة تدعى هيلين كالديكوت . .

تقول هيلين : « كل ما أطمع فيه هو أن أستطيع أن أقول لأطفالى عندما أرى قنابل الدمار تتساقط : « صدقونى لقد حاولت أن أمنع سقوطها ! »

الزوج . . « ست البيت »

« أنا أحب ابنتي وأحب زوجتي ، ومن أجل هذا قررت أن أقوم بدور « ست البيت » مؤقتا على الأقل ! هكذا حدد دون ورسلي المحامي الانجليزي الأسباب التي دفعته الى اتخاذ قراره الهام بالقيام بدور « الأم » ورعاية طفلته الصغيرة سارة بعد أن أمضى عدة أسابيع يأخذ دروسا خاصة في كيفية العناية بالطفل ، وتغيير ملابسه الداخلية واعداد وجبات الطعام الغنية بالفيتامينات طبقا لقائمة الطعام التي تعدها « الأم » قبل الذهاب الى عملها في الصباح . . الى المدرسة التي تقوم فيها بتدريس الأطفال منذ أكثر من عشر سنوات ، قبل ان تتزوج وتصبح أما .

يقول ورسلى : « أنا أعلم أن زوجتى « سوزان » تحب أطفالها فى المدرسة ، وأنا لا أريد أن أحرمها من متعة اللقاء بهم كل يوم ، فقد أصبحوا جزءا من حياتها . . إنها فى البيت أم لطفلة واحدة ، ولكنها فى المدرسة أم لعشرات من الأطفال . ثم اننى أهيم حبا بطفلتنا الصغيرة ، اننى أمضى معها أسعد لحظات حياتى . ما الذى يضيرنى إذا أخذت اجازة من عمل فترة من الزمن . اننى لا أنوى العودة الى مكتبى قبل أن تكبر سارة وتذهب الى المدرسة ، وتصبح واحدة

من الاطفال الذين تعلقت بهم أمها »

وفى بيرلى ستريت بمدينة نوتنجهام ، أصبح منظر السيد دون ورسلى مألوفا ، وهو يدفع أمامه العربة الصغيرة التي تنام فيها سارة كلما كان الجو صحوا والشمس مشرقة . . لامرة واحدة ، ولكن أكثر من ثلاث مرات كل يوم فى الصباح وعند الظهيرة ، وقبل أن تغرب الشمس فى المساء !

الصين اكتشفت الشعير منذ ٢٠ قرنا قبل الميلاد

العنوان مقدمة لخبر أهم ، وهو أنه قد ثبت أن الشعير يدخل عنصرا هاما في أسرع « رجيم » يمكن ان يوصف لأية سيدة تريد أن تنقص من وزنها خمسة ارطال اي حوالي كيلوجرامين في أقل من خمسة أيام ، أي بمعدل رطل في كل يوم .

فقد اكتشف العلماء أن الشعير الذى زرعه الصينيون منذ هذه القرون الطويلة قبل الميلاد ، واكتشفوا فوائده ، هو أفضل شراب تستعين به السيدة التى ازداد وزنها للتخلص من هذه الزيادة فى أقصر فترة ممكنة !

والشعير يغلى ثم يترك ليبرد ويصبح شرابا بلا تحلية ، لأن السكر يفسد مفعوله فى عملية التخسيس . . أما بقية أصناف الغذاء التى يوصى بها الأطباء ، فهى كل أنواع الخضروات الطازجة ، والفواكه الطازجة أيضا ، فى الافطار والغداء والعشاء مع كوب من عصير الشعير المغلي ، ولا مانع من تناول قدح من الشاى بالليمون بدون سكر ، والامتناع بطبيعة الحال عن تناول الخبز والنشويات .

انه بعد هذا ليس « رجيما » للتخسيس فحسب ، بل هو أيضا أحسن « وصفة » يمكن أن تحصل عليها السيدة لاستعادة نشاطها وحيويتها . . وكذلك الرجل أيضا ، ولو أن الدراسات تقول ان الرجيم فشل مع الرجال ، لأنهم يهربون بعد اليوم الاول ، الى أقرب مطعم يقدم لهم اللحوم والأسماك !

تنام ٤٣ سنة فوق قنبلة !

تبدأ فصول هذه القصة في عام ١٩٤١ عندما زحفت قوات النازي الى مدينة بردیانسك في أوكرانيا بالاتحاد السوفيتي ، أيام الحرب العالمية الثانية ، وراحت تمطر المدينة بالقنابل والقذائف واستقرت احداها في بيت زينيدا ولم تنفجر ولكنها أحدثت فجوة في سقف البيت ثم استقرت تحت أرض غرفة نومها !

واندحرت قوات النازي وانتهت الحرب ، وأسرعت السيدة صاحبة البيت التي جاوزت اليوم عامها الرابع والسبعين بابلاغ السلطات الرسمية عن مكان القنبلة التي لم تنفجر ولم يصدقوها ، وعاودت الكتابة اليهم مرة ثانية وثالثة ، ولكن بدون جدوى ! وأخيرا نامت فوق القنبلة طوال هذه الأعوام . وفي شهر سبتمبر الماضي وبعد مرور ثلاثة وأربعين عاما على وجه التحديد . . تلقى العمال الذين كانوا يشرفون على مد الأسلاك التليفونية في المنطقة التي يقع فيها بيت زينيدا ، اشارة من المسؤولين بوجود قنبلة لم تنفجر !! وبحثوا عنها ووجدوها ، وتدخلت قوات الجيش لاخلاء أكثر من ألفي شخص من منازلهم . ثم فجروا القنبلة التي بلغ وزنها أكثر من خمسمائة رطل !

أين ستقيم السيدة زينيدا بعد أن ذهب بيتها مع عشرات من البيوت التي أخلاها سكانها وتهاوت مع الانفجار ؟ تقول صحيفة (ليتراتورنايا جازيتا) ، أو الصحيفة الأدبية : ان الجدة العجوز سوف تتسلم قريبا شقة جديدة بعد أن تحررت من القنبلة التي أقضت مضجعها !)

منتدى العربي

قضيّة

مشاهد العنف في التلفزيون

بقلم : الدكتور . أنيس فهمي

يواجه علماء الاجتماع والنفس دائما بمشكلات تتولد في وقت واحد في بلاد كثيرة ، يختلف بعضها عن بعض في نواح متعددة من مجالات الحياة . من هذه المشكلات مشكلة العنف وعلاقتها بالتلفزيون من ناحية ، وعلاقتها من ناحية أخرى بما يسميه علماء الاجتماع (السلوك غير الطبيعي) ، وما يسميه الناس في لغتهم العادية (بالاجرام) .

وهذه محاولة لالقاء الضوء على أهم وجهات النظر العلمية في هذه المشكلة البالغة التعقيد .

يوجد فريق من العلماء يوجهون اهتمامهم الى الخصائص المميزة والخبرات السابقةفي ماضي الانسان الذي يرتكب حوادث العنف ، آخذين في اعتبارهم علاقة هذا الانسان بوسائل الاتصال وأي نوع منها هو المفضل لديه .

كما أن المحللين النفسيين على سبيل المثال يبحثون في الميول العدوانية التي قد تتولد نتيجة لصدمات وتجارب في مرحلة مبكرة من العمر ، وقد تكون الصدمة حدثت للطفل على أثر مشاهدته لأحد مشاهد العنف في التلفزيون .

أما علماء النفس الاكلينيكيين فيهتمون بالدرجة الأولى بديناميكية التفاعل المتبادل بين الانسان والبيئة التي يعيش فيها .

نظرية الحرمان النسبي

من ناحية أخرى يبحث علماء علم النفس الاجتماعي في مشكلة مشاهد العنف في التلفزيون ونتائجها على ضوء دراسة مجموعة من المواقف الفردية ، ومظاهر تركيب نسيج المجتمع التي تساعد على ظهور هذا الموقف ، أو ذاك النوع من السلوك

الفردي . وفي هذا المجال اكتشف بعض العلماء عن طريق التجربة ، بعض العوامل مثل (الحرمان النسبي) أو (البحث عن هوية للذات) وربطوا بينها وبين بعض أنواع السلوك كالعزلة أو الاحساس بالعجز التي قد تؤدي بدورها الى ممارسة الفرد لنوع أو آخر من أنواع العنف .

ويوجد فريق آخر من العلماء الذين ينادون بتفسير العلاقة بين مشاهد التلفزيون العنيفة ، وبين السلوك المنحرف على أساس المجموعات الاجتماعية والتركيب الاجتماعي وليس على الأساس الفردي .

ان علماء الاجتماع يصرون في المقام الأول على خصائص تركيب نسيج المجتمع ، واعطائها أهمية كبرى الى حد القول بأن هذه الخصائص لها علاقة بممارسة الفرد للقوة والسيطرة .

ان التقسيمات التي أشرنا اليها تبعا لنوعيات العلماء ، قد جرى تعميقها بقصد الوصول الى فهم أفضل للعلاقة بين مشاهد العنف في التلفزيون وبين الاجرام ، مما أدى الى ظهور عدد كبير من النظريات والفروض التفسيرية .

المفهوم الثقافي للعنف

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن نوع جديد من المفهوم الثقافي للعنف ، وهذا المفهوم يفصح عن نفسه في بعض الأعمال الوحشية والعدوانية التي يعرضها التلفزيون . فاذا سلمنا الآن بأن كل كائن بشري - ابتداء من طفولته حتى نهايته - يتحتم عليه أن يمتص ، ويصحح ، ويكمل ، ويرفض بعض القيم والتقاليد والعادات لكي ينمي ويطور تركيب نسيج شخصيته ، فاننا نجد أنفسنا ازاء عملية تكيف بالنسبة للمجتمع غاية في التعقيد ، ولكنها تتيح لنا أن نكتشف أنفسنا أولا ثم نكتشف العالم الذي نعيش فيه ثانيا . وأي انسان يقول أن التلفزيون يلعب دورا تافها أو لايقوم بأي دور على الاطلاق داخل عملية تكيف أنفسنا بالنسبة للمجتمع ، انما يغلق عينيه عن رؤية حقيقية لاسبيل الى تجاهلها أو انكارها .

ففي اطار عملية التكيف بالنسبة للمجتمع ، يمدنا التلفزيون بجميع المؤثرات التي تستطيع أن تحدث تأثيرا مباشرا في شخصية المشاهد ، عن طريق المحاكاة والاحساس بالتوحد مع شخصية البطل التي يعرضها التلفزيون .

المحاكاة والتوحد

ان نظريات المحاكاة والتوحد تؤكد بأنه تحت ظروف معينة ، وفي بعض المواقف المعينة يتجه الانسان باعادة تمثيل الأفعال والتصرفات أو الانفعالات التي رأى غيره يمارسها على شاشة التلفزيون . ومع أن هذه النظرية قد أثبتت صحتها في كثير من الأحيان ، الا أن بعض المعارضين يقولون انها نظرية تفسر العلاقة بين العنف في التلفزيون والاجرام بطريقة ميكانيكية بحتة ، وانها تستند في أساسها الى الرباط المباشر بين السبب والنتيجة دون اعتبار للعوامل الأخرى الاضافية التي تؤثر في تلك العملية .

الافراغ الانفعالي

وبالاضافة الى هذه الآراء توجد مدرسة فكرية تعتقد بأن مشاهدة مناظر العنف في التلفزيون لاتؤدي الى اعتبار العنف أو الوحشية أسلوبا للحياة ، أو حلا للمشكلات الشخصية والاجتماعية ، بل على العكس من ذلك تماما ، فان علماء هذه المدرسة يعتقدون بأن مشاهدة مناظر العنف في التلفزيون تتيح للمشاهد أن يتخلص في خياله من رغبات كان من الجائز أن يحققها في الواقع لولا عملية التفريغ التي تحدث له عند مشاهدة هذه المناظر العنيفة . وفي هذا الصدد يلجأ هؤلاء العلماء الى تطبيق نظرية أرسطو في التراجيديا عن (التطهير) أو (الافراغ الانفعالي) .

ولتوضيح ذلك نقول ان نظرية أرسطو تعلن أن الانسان يشعر باللذة والسرور عند مشاهدة التراجيديا لأنها تثير فيه احساسات الشفقة والخوف بالنسبة لبطل المأساة ، وبذلك يتطهر المشاهد من هذه الاحساسات ويتخلص منها مع احساسه بالراحة لأن الكوارث التي ألمت ببطل المسرحية لم تقع عليه هو .

ويدلل هؤلاء العلماء على صحة نظريتهم بقولهم ان أطفال الطبقة الدنيا من المجتمع الذين تنقصهم الموارد والامكانيات ، وبالتالي لايتمتعون بقدرات كبيرة على الخيال ، هؤلاء الاطفال يحتاجون الى

تزويدهم بمادة اضافية من الخارج لكي يستطيعوا مجاراة الآخرين في مقدرتهم على التخيل،ومعنى ذلك باختصار أن مشاهدة أفعال العنف في التلفزيون يمكن أن تكون مفيدة باعتبارها صمام أمان للتنفيس عن الاحباطات والنزعات العدوانية . على أنه توجد طائفة أخرى من المفكرين الذين يقولون أن عرض مشاهد العنف في التلفزيون لاتحدث الا تأثيرا طفيفا ، أو ليس لها تأثير في مجتمع منضبط يشيع فيه الاستقرار والأمن والطمأنينة . وهؤلاء يعتقدون بأن المشاهد السلبي لمناظر العنف يمكن أن يشارك بحاسته البصرية فقط في أفعال العنف دون أن يكون لهذه الأفعال أي رد فعل أو تأثير سيىء على مشاعره أو مواقفه أو أشكال سلوكه .

نظرية التحليل النفسي

ومن أهم النظريات الشائعة لتفسير العلاقة بين العنف في التلفزيون وبين السلوك المنحرف نظرية التحليل النفسي التي تستند الى عنصرين : الاحباط والعدوان ، باعتبار أن العدوان نتيجة للاحباط . وهذا هو التفسير الكلاسيكي للمشكلة والذي كان أساسا لابحاث لاحصر لها في هذا المجال .

وقد اتضح من هذه الأبحاث أنه من الخطأ الاعتقاد بأن الاحباط يؤدي حتما الى نوع من أنواع التعبير العدواني . أما الصحيح ـ الذي يمكن اثباته ـ فهو السلوك العدواني يسبقه دائما موقف من مواقف الاحباط . ومع ذلك يجب التحذير من تطبيق هذه النظرية من جانب واحد عندما نحاول تفسير العلاقة بين مشاهد العنف والاجرام . وعلى أية حال فاننا حتى ان سلمنا بأن الاحباط يؤدي الى حالة انفعالية ـ كالغضب مثلا ـ فانه يجب الا يغيب عن بالنا أن انتقال الانفعال الى مرحلة الفعل يتوقف على عوامل أخرى من أهمها التكيف الاجتماعي والوضع الاجتماعي الثقافي .

التكيف الاجتماعي

وقد أثبت علماء الاجتماع أن التكيف يتحقق بوساطة عوامل متعددة ابتداء من الاختلاط المتكرر ، الى الاشكال الأكثر استقرارا مثل المحاكاة والتوحد والتعود ، وأثناء هذه العملية يكتسب الانسان مجموعة القيم التي ستكون جزءا أساسيا لايتجزأ من تركيب شخصيته . ان الأبحاث التي أجريت في هذا المجال أثبتت أن الانسان المنطوي يكون أكثر قابلية للتكيف وبالتالي أكثر استعدادا لامتصاص القيم ، في حين أن الانسان المنبسط يقاوم التكيف وغالبا ما يقع تحت سيطرة ردود الفعل الانفعالية . ان كلا من هذين النوعين : المنطوي والمنبسط ، يمكن أن يبدر منه نوع أو آخر من أنواع السلوك العدواني ، الا أن احتمال ارتكاب فعل عدواني نتيجة لمشاهدة العنف في التلفزيون يختلف من شخص الى آخر .

ان الأبحاث التي تأخذ في اعتبارها العامل الاجتماعي الثقافي تستند أساسا الى الافتراض بأن السلوك الانساني في مجموعة ـ الذي يشتمل أيضا على السلوك العدواني ـ يجب أن ينظر اليه في ضوء العلاقة مع البيئة الاجتماعية الثقافية التي ينبع منها الفعل العدواني . واذا كان من المسلم به أن الانتماء الى طبقة اجتماعية معينة ، والى شعب معين ، وأن نوع المهنة التي يزاولها الفرد ، ودرجة تعليمه ، وكثيرا من العوامل الاجتماعية الأخرى تلعب دورا رئيسيا في تهيئة الفرد للانحراف ، فاننا لايمكن أن نلقي اللوم على مشاهد العنف في التلفزيون ، واعتبارها المسئول الوحيد عن السلوك العدواني سواء لدى الصغار أو لدى البالغين .

لذلك فانه من العبث أن نكتفي بعمل احصاء لعدد مشاهد العنف التي يعرضها التلفزيون في الاسبوع ثم نواجه محطات التلفزيون بهذه الأرقام كدليل على تأثيرها الضار على الشباب . ان المشكلة أكثر عمقا وأكثر تعقيدا ، والمطلوب هو التوصل للاجابة عن السؤال التالي :

الى أي حد تسهم مشاهد العنف في التلفزيون في خلق تركيب اجتماعي ثقافي من أنواع السلوك والمعايير والقيم التي تدفع الفرد اما الى الارتكاب الفعلي لأعمال العدوان أو الى تنمية الرغبة لديه لارتكاب هذه الأفعال ؟

ولكي يستطيع الباحثون الاجابة عن هذا السؤال فانهم وجدوا أنفسهم أمام سؤال ضخم ذي ثلاث شعب :

(١) هل اذاعة مشاهد العنف في التلفزيون تساعد

على الاقتناع بالفكرة التي تقول بأننا نعيش في عالم من الوحوش يسيطر عليه قانون الغابة ، ولذلك يجب علينا بالتالي أن نتقبل العنف على انه معيار اجتماعي أو قيمة اجتماعية ؟

(٢) هل تنجح مشاهد العنف في التلفزيون في اقناع المشاهدين بأنهم يعيشون في عالم لابد من الكفاح من أجل تغييره ؟

(٣) وحتى اذا نجحنا في اثبات براءة مناظر العنف في التلفزيون من احداث آثار ضارة لدى المشاهدين،من ناحية تشجيع أو ابراز المشاعر والافعال العدوانية ، ألا يجدر بنا أن نطالب محطات التلفزيون بانتاج وتشجيع البرامج التي تعرض أشياء بديلة لعالم العنف ؟

التلفزيون والطفل

وقد لاحظ الباحثون أثناء دراستهم للتركيب الاجتماعي الذي غالبا ما يطلقون عليه اسم (الوسط الاجتماعي) أو (البيئة الاجتماعية) أو (الاستعداد) ، لاحظوا أن الاطفال الذين يشاهدون التلفزيون بصفة مستمرة ـ والذي كثيرا ما تشتمل رسومه المتحركة على مناظر للعنف ـ لايتأثرون في أغلب الأحوال بما يشاهدونه من هذه المناظر .

ان الأطفال الذين يتأثرون بهذه المناظر ويجنحون الى تحويل مشاعرهم العدوانية ـ بعد مشاهدتهم مناظر العنف ـ الى أفعال عدوانية هم فقط أولئك الذين لديهم استعداد مسبق للسلوك العدواني نتيجة لعوامل أخرى . وقد اتفقت الابحاث الأمريكية الأخيرة مع ملاحظات هؤلاء الباحثين . وهذا يعني أن التلفزيون له تأثير محدود اذا ما قورن بتأثير سلوك الوالدين أو خبرات الطفل بالسلوك العدواني داخل بيئته الاجتماعية .

ان الأبحاث في هذا الميدان تقتضي استمرار المتابعة بالنسبة للشبان والأطفال لعدة سنوات لمعرفة تأثير مشاهدة مناظر العنف على سلوكهم .

ان واقع الحال يؤكد أن التلفزيون يمكن أن يشجع بطريقة غير مباشرة أو بطريق المصادفة بعض الأفعال العدوانية ، وذلك في حالة وجود دوافع ونزعات لدى الفرد ، مضادة للمعايير والقيم المعترف بها في المجتمع ، أو في حالة اندفاع التلفزيون نحو تمجيد الجريمة أو تحقير بعض القيم الاجتماعية ، وهذا لايحدث الا نادرا جدا لأنه يعني انحراف التلفزيون عن هدفه . □

منتدى العربي

تعقيبات

التلفزيون الأجنبي

واقع جديد .. أم نمط جديد

الرأى ، والرأى الآخر .. والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقى الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

حول قضية الاعلام فى الوطن العربى « وماذا أعددنا لمواجهة البث التلفزيونى الأجنبى بالأقمار الصناعية » والمنشور بالعدد ٣٠٧ (يونيو ١٩٨٤) نعرض هذه الآراء .

تظل الدعوات والنداءات المبكرة ، التي يطلقها العلماء والمفكرون العرب ، عبر منابرهم البسيطة وفي كل المناسبات ، حبيسة الكتب والدراسات والبحوث ، ولا تجد صداها الا في المراكز العلمية وقاعات التدريس ، لتدفن في زوايا المكاتب ، وتصنف ضمن تصانيف التراث .

يتوافق هذا تماما مع موعد اطلاق الدعوات ، واستصراخ أولي الهمم لمواجهة الغزو التلفزيوني الأجنبي الوافد ، والقمر الصناعي الاسرائيلي ، المزمع تشغيلها ، والتي أزف وقت تنفيذهما ، وحال بيننا وبين استدراكنا لخطرهما ، واستصالنا له البحث المتواني التقليدي ، والاتصالات البطيئة الرتيبة بين الدوائر العلمية والعملية ، واستطرح العلماء لمعالجتها فكريا ، لوضعها كورقة عمل أمام المحافل الدولية وأمام المتنفذين أولي الأمر والنهي ولات ساعة منجد .

لذلك نرى أن قضية تقبل الشعب العربي لهذه التيارات الجديدة والمحطات الوافدة الى قنواتنا الاعلامية معضلة حقيقية ، لانها ستفد الى مجتمع لها فيه مقعد ، ولها فيه من يروج لها ، ويستمرىء وسائلها ، وليست هي فرض واقع بقوة السلاح ، بقدر ما هي اقرار وضع معين يحظى بالتأييد والرضا من الداخل ، حتى من قبل الجليس والرفيق والشقيق .

ولم تعط للوطن العربي فرصة منذ سنين ـ لتوالي أشكال الاستعمار ـ ليعيد النظر في حساباته ، ويحدد اتجاهه الحضاري والفكري . وفي هذا يكمن الخطر الداهم ، وتتحقق المشكلة ، وتتعقد ، وتستلزم صراعا جديدا مع الأفكار والنظريات المكتسبة ، وهي أعضل في العداء السافر بالمواجهة ، فتلك تستلزم المدة والعدد للمواجهة ، وهذه تستلزم التطهير والتعقيم الذاتي من داخل المجتمع ، وهو امر عسير قد لا أعده من عداد المعالجات لعسره ، ولكني أقره كواقع موجود .

من جانب آخر فليس في شاشات العالم الثالث التلفزيونية ما هو مستقل استقلالا كليا ، ومكتف بما تعرضه من برامجه المحلية ، وليس فيها كذلك من يتخذ ثقافته الاقليمية والقومية قاعدة للتعليم والتربية بكل جوانبها ومبادئها ومقوماتها ، ويتبعها سنة وطريقة على طول المراحل مع الطلبة والشباب .

بل ان في بعض دول العالم الثالث ـ لتبعيتها ـ ما يغلب عليها الصفة الأوروبية ، اكثر من أي مدينة في أوروبا ، لما درجت عليه من الذوبان في أوعية الثقافة الاوروبية ، والانسلاخ عن الثقافة القومية ، ودون اعتبار الماضي والماجد من التراث . وفي بلادنا العربية مازال هناك من يتكلم الفرنسية ، كلغة علمية ولغة محادثة واجتماع ، لكونه لا يحسن التعبير بالعربية ، أو يكون غير دقيق إن تكلم بها .

فهؤلاء لا تشكل مسائل استقدام المحطات الاجنبية عندهم أي خلل في التفكير ، بل تشكل زيادة في البهجة والاطلاع واضافة وتعميقا لثقافتهم الاجنبية . التي اختطتها لهم هذه الدول لتجريد الشعب من ثقافته ، فلا هو متأصل فيها ، ولا هو محافظ على أصله ، فحتى يبقى مبتورا أبدا ، ويبقى دائما بحاجة الى أصالة والى الاستناد الى ذاتية روحية ، فليقبل كل الرياح المسمومة .

فأجهزة التلفزة في دول العالم الثالث ليس لديها الاكتفاء الذاتي أو الاستقلالية ، بحيث تصمد أو تواجه مثل هذه البرامج ، وليس بامكانها أن تدعو الى الشحن الذاتي وهي مشحونة خارجيا . ففي بعض الدول تصل نسبة البرامج الأجنبية المعروضة على شاشاتها الى ٧٠٪ ، وتزيد النسبة وتنخفض تبعا لظروف البلاد السياسية ومكانتها العلمية . وان ما يعرض من هذه البرامج الأجنبية ليس بالضرورة برامج اجتماعية هادفة ترمي الى زرع الخلق النبيل ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية ، وليست بالضرورة برامج ترفيهية ذات طابع ماجن وضيع غرضه الترفيه فقط ، بل لأجل التخدير واشغال الطاقات الشابة وتعطيلها ، ومحاكاة الرغبة البهيمية في النفس الانسانية محاكاة لا تخلو من الاسفاف والسخف .

ان المناعة العلمية والثقافية ليست مطلوبة لهذا الغرض فقط ، بل هي مطلوبة لمواجهة كل أنواع الغزو الفكري الأجنبي ، حيث أن المبادىء والأفكار والنظريات لا تجد صداها الا لدى النفوس المستعدة لذلك ، وأن نسبة التأثر الحضاري والفكري والاجتماعي لدى الشباب والأطفال أكثر منها لدى الشيوخ ، ولعل هذا يرجع الى مزامنة هؤلاء لعصور الاستعمار ، ومعاصرتهم له في مراحلهم العلمية وتقاليدهم الاجتماعية ، في حين أن الشيوخ ـ خاصة

المخضرمين ـ منهم قد تلقوا ولو لبعض الوقت أصولا تربوية اجتماعية على علاتها ، ملأت نفوسهم بطابع قوي أصيل ، فلم تؤثر فيهم السموم الغربية تأثيرها في غيرهم ، ومازال قسم كبير منهم أوعى لما يجري من غيرهم .

ولا نلقي العبء الأكبر ، على أمتنا ونصورها كما نصور القبائل البدائية في جنوب افريقيا ، فليست البلاد العربية من الهامشية والسطحية ، بحيث أنها انخرطت في غمار هذه الحضارة بهذه السهولة ، ولكن الطوق المحكم ، والتركيز المشدود ، والمؤامرات المستمرة وعمليات التجريد والقهر ، لم تتح لها أن تتنفس الصعداء ، وأن تقف على قدميها .

وهناك أمور كثيرة تبعث على اليأس والقنوط من جراء الاهمال العفوي ، أو المقصود في تسييس وسائل الاعلام وعدم برمجتها وفق أسس قومية تربوية رشيدة .

فضعف ثقة المشاهد العربي ببرامج التلفزيون المعروضة ، وعدم الحضور التربوي والاجتماعي لهذه المؤسسات ، في بعث مفاهيم اخلاقية حسنة يفسح المجال أمام البرامج الأجنبية ، لان تزاحم البرامج المحلية وتكريس وسائل الاعلام كمنابر شخصية للدعاية وللانتخابات وترسيخ الشعارات الفارغة جعل المشاهد العربي يتخم بمثل هذه البرامج ، ويرغب عنها الى برامج ترفيهية بحتة ، على حساب المثل والقيم ، كما ان خلو الساحة من علماء ومفكرين واجتماعيين لارتقاء هذا المنبر ، والدعوة من خلاله ، وعزوف الاختصاصيين واساتذة الجامعات عن الادلاء بدلوهم في مثل هذه القضايا ، جعل الترابط الروحي بين المشاهد وبرامج أخرى تحاكي ما يخالج نفسه وما يعتلج بها قويا ، فلقد كشفت احصائية أخيرة ان البرامج الأجنبية شدت الجمهور العربي المتفرج بنسبة ليس بينها وبين بعض البرامج المحلية أي تعادل ، ثم تأتي البرامج المحلية لتنقسم الى قسمين : أحدهما موجه توجيها خارجيا ، وآخر مستقل بذاته .

ان ما يجب أن نقوله أن الجمهور ميال دائما لمن يأخذ بزمام عقله ، وضعف الثقة بوسائل الاعلام لا يأتي من فراغ . اذن فالمعالجة السريعة والموضوعية والسديدة لازمة ، لتدارك مثل هذا الموقف ، وليست هي معالجة آنية لهذا البث فقط ، فحتى لو لم يكتمل البث التلفزيوني بعد عشرين سنة ، فان التطور الطبيعي وازالة الحواجز والفوارق بين الامم ، وانهيار الحدود الجغرافية بفضل التقدم السريع ، والتقنية ، سوف يبتدع لنا ما هو أغرب من الأقمار الصناعية . وان العقل البشري سائر في طريق اختصار الزمن والجهد ، وتذليل كل العوائق لربط البشرية اولا بآخر . □

الدكتور محمد زكي

الإعلام العربي
بين الواقع والطموح !

ع الدراسة التي قدمها الاستاذ حمدي قنديل حول هذا الموضوع تجذب الانتباه لكونها صدرت عن خبير بقضايا الاعلام ، وعلى الأخص ما يتعلق بالسياسات الاعلامية ، وما حققته المنظمات الدولية ، وعلى رأسها اليونسكو في هذا الميدان ، وكذا ما وصلت اليه الدول المتقدمة ، وما تجتهد في

محاولة انجازه الدول النامية .

اذا كان وطننا العربي جزءا عضويا من العالم الثالث ، أي عالم الدول النامية ، فلابد أن نوجز المقالة المذكورة في الحلم المخيف المتجاوز حد الكابوس ، والواقع المر الذى لا ينفع فيه ضجر ولا يستقيم أمل . في هذا الصدد يلاحظ الأستاذ حمدي قنديل بأن مشكلة اعلامنا ليست بالضرورة مشكلة تقنية ، وانما هي قبل كل شيء قضية سياسة وقانون وثقافة ، كما يلقى الضوء على ظاهرة التضارب بين حق الاتصال وحرية التعبير من جهة ، وضرورة حماية الأصالة والهوية من جهة أخرى ، الشيء الذى يثير موضوع المبادىء الرائدة ، ويفسر الى حد ما حيرة الدول العربية بين المؤيدين لحرية الاعلام والمتخوفين من الغزو الثقافي والانتقائيين في اطار الحرية .

لكن . . . بقدر ماأوافقه على الطبيعة السياسية والثقافية لقضية الاعلام في بلادنا ، فانى أجد بعض الصعوبة في اغفال مشكلة التقنية وفي التسليم بالجانب القانوني .

هناك مشكلة قائمة في الوطن العربي ، على غرار الكثير من بلدان العالم الثالث هي القبول باعتماد سياسة اعلامية ضمن السياسة التنموية الشاملة . وليس معنى هذا أن الدول العربية لا تعمل بسياسة اعلامية ، وانما الملاحظ ان جلها يتخوف من نهج سياسة متكاملة ومنسجمة مع السياسة العامة التي تسير عليها في طريق تحقيق تنمية شاملة اقتصادية واجتماعية . وتبرز هذه الظاهرة لو أخذنا بعين الاعتبار الجانب الأيديولوجي ، بحيث نرى الانظمة ذات الاتجاه الاشتراكي لا تأخذ من نظام الاعلام بالدول الاشتراكية الا الصفة العمودية أو الاتجاه الواحد ، حيث تسخر وسائل الاعلام أساسا للتعريف بمزايا النظام ، ومحاولة دائمة لاقناع المواطنين بسلامته وبكونه سبيل خلاصهم الوحيد من ويلات التخلف ، أو ثالوث الفقر والمرض والجهل . لكن اشتراك المواطنين في هذا الاعلام وتغلغله في أضيق أوساطهم يظل أمرا مجهولا ، نظرا للمركزية الشديدة التي تطبعه ، ولانغلاق أبوابه أمام الافراد أو الجماعات ، أو الاقليات أو القطاعات التي لا تتوفر على مكان في احد أجهزة الحكم . ونصل الى نفس النتيجة تقريبا في الدول التي تأخذ بالنظام الليبرالي ، حيث تتعدد وسائل الاعلام وتختلف اتجاهاتها ، وذلك لأن هذه الوسائل تتمركز في العواصم والحواضر ، حيث تتوزع بين الدول والهيئات ذات النفوذ السياسي أو الاقتصادي . فنجد الوسائل المسموعة والمرئية من اذاعة وتلفزة ، اضافة الى الوكالات ، خاضعة لاحتكار الدولة ، وبعبارة أصح لاحتكار الحكومة . ويكفي هنا التذكير بالدوي الذي يهز المواطن العربي العادي عندما يتعلق الأمر بما يسمى بالحكومة .

أما الوسائل الأخرى من صحف ومجلات ، وأحيانا سينما ، فانها محكوم عليها بالفشل الذريع ، الا اذا تأرجحت بين الأحزاب والنقابات والمجموعات الاقتصادية الضاغطة ، بحيث لا يكون لها دور وطني شامل ، ولا يتعدى تأثيرها نطاق الجماعة التي لها ارتباط أو مصلحة بالهيئة المالكة أو المشرفة عليها .

الاعلام المتعزل

هذه الأوضاع لاتمت الى السياسة الاعلامية بشيء ، لأنها تخلق اعلاما ـ ولو كان سياسيا ـ منعزلا عن السياسة العامة ، أو خادما لصيقا بسياسة ضيقة : بينما المطلوب هو خلق المؤسسات الضرورية لسياسة اعلامية ، واحترام مبادىء عليا يخضع لها الجميع ، ويستفيد منها الجميع . في ضوء ذلك تكون أجهزة مراقبة الحاكمين ، وسائر المواطنين ، على وعي وبينة من اتجاه الاعلام والمصالح الاقتصادية والثقافية للبلاد ـ بايجاز يصبح موضوع الهوية محلولا ، لأن الوطن يعرف حدود التفتح على البلدان الاخرى . ويمكنه أن يتحكم ، ولو على مراحل ، فيما يأخذه أو ينتقيه منها ، تبعا لطاقاته العطائية بما فيها العلمية والتكنولوجية .

هنا أكرر ، ولو في عجلة ، بأن على الدول العربية أن تعمل بنظام اعلامي عادل ومتوازن وديموقراطي داخل حدودها ، لأن ذلك هو الأساس الأول ، وشرط النجاح الحقيقي للمساهمة الفعالة في النظام الاعلامي العالمي الجديد . فاذا كان فاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف يعقل أن نرى هذه المساهمة من دول لاتزال صفحات المطبوعات بعيدة المنال على ٨٠٪ من سكانها ، إما بسبب الامية أو الفقر ؟ ولاتزال مشدوهة أو مصدومة بقوى الفرق بين الصورة الخيالية

المخدرة التي تعطيها لها وسائل الاعلام المسموعة والمرئية ، والواقع المرعب الذي تعيشه يوميا ؟

التخطيط العلمي والتقني

فيما يتعلق بالتقنية لا يسعني الا أن ألاحظ مع الكثيرين بأنها مشكلة عويصة في بلداننا . وليس السبب في ذلك قلة العلماء والفنيين في الوطن العربي ، وهنا أود التأكيد بأن المسألة ليست في الكم ، وليست في العلماء ذاتهم ، وانما هي راجعة أصلا الى مراكز القرار السياسي والاقتصادي في الوطن العربي . لا جدال في أن التقنية ركيزة من ركائز التقدم الاقتصادي ، وهذا الأخير أصبح اليوم خاضعا للتخطيط السليم والدقيق ، سواء على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد . هنا أتساءل : أين هي الخطط الاقتصادية العربية التي تعطي للاستثمار في البحث العلمي والتقني قسما معينا ضمن بنودها ؟ ولا أقول مبالغا : أين هي تلك الخطط التي تركز عليه ، لأن التركيز هو المطلوب اليوم نظرا لسرعة عجلة التقدم والتطور ؟ لست أنكر أن هناك أولويات من أولاها الزراعة الكفيلة بتحقيق الحد الأدنى من الأمن الغذائي ؟ لكنني أومن بأن الاعلام الناجح يسهم بفعالية في تحقيق سياسة زراعية نافعة ، وسواء الاعلام أو الزراعة فانها يحتاجان الى تقنيات ووسائل ، لا تزال الدول العربية تعتمد فيها عموما على الانتاج الأجنبي .

اذا تركنا الآن أجهزة الدولة الرسمية المسؤولة عن الاقتصاد وتخطيطه ، وسلطنا الضوء على رأس المال العربي الحر ، وجدنا أنه يفضل قطاعات الاستثمار السهلة ، حيث تكثر المضاربة ويتحقق الربح بسرعة ، وحيث تقل الانعكاسات الاجتماعية والثقافية . لن أتجرأ هنا وأحلم بالسؤال عن المقاولات العربية التي تخصص جزءا من فائضها أو من نفقاتها العامة للبحث العلمي والتقني ، فذلك لا يزال من باب الخيال . معنى هذا أننا سوف نظل مستهلكين لانتاج الغير الى أجل غير مسمى .

حقا هذه عجالة ، وربما لا تتصف بالاتزان والبساطة التي ميزت السؤال الصارخ الذي دوى به قلم الاستاذ حمدي قنديل ، لكن ربما ـ كذلك ـ تكفي لجواب يملؤه الأسى : اننا لم نعد شيئا للبث التلفزيوني الأجنبي لأننا منشغلون عنه ، لست أدري بماذا ، لكننا على كل حال منشغلون ، لست ادري بماذا ، لكننا على كل حال منشغلون وأخشى أن يكون مصير القمر الصناعي العربي إعراضا أو على الاقل فتوراً من ذويه ، لان الخدمات التي سوف يقدمها لن تمتع المواطن العربي ، ولان هذا الاخير سوف يظل مندفعا ذاتيا للبحث عن متعته في اتجاه آخر ، ولان الحكام والمترفين العرب لا يحتاجون الى قمر صناعي عربي لقضاء حاجتهم . لذا ربما كانت الخدمات الاقتصادية لرؤوس الأموال العربية هي الامكانية الاولى في البداية . هذا اذا رضي المعنيون أو اذا تمكن القمر العربي من تحقيق تلك الخدمات بصورة وبكلفة أحسن مما هو عليه الامر بوسائل أخرى . □

الدكتور محمد الادريسي العلمي

الطائرة .. والبراشوت !

يخطىء من يظن أن المتفائل وحده هو الذي يسهم في بناء المجتمع ، فالمتفائل يخترع الطائرة ، والمتشائم يخترع « البراشوت » .. الطائرة بناء ، ولكن البراشوت أيضا هو الذي ينقذ صانع هذا البناء من الموت لكي يبني من جديد !!

« بيل غوجان »

قصة من الخيال العلمي

رحلة إلى .. كوكب المشتري

تأليف : اسحق عظيموف
إعداد : رؤوف وصفي *

ع حدث هذا عام ٢٠٢٢ ميلادية ..

انسابت سفينة الفضاء كطائر خرافي هائل ، تاركة الغلاف الجوي للأرض ، ثم عبرت حاجز الكويكبات الذي يتكون من كتل من الصخر خالية من الهواء والحياة . واستمرت السفينة في طريقها ، تخترق ملايين الكيلو مترات من الفراغ ، الى أعماق الفضاء . كانت هذه أول رحلة استكشافية من نوعها في تاريخ كوكب الأرض ..

ففي عام ١٩٩٢ - أي منذ ثلاثين عاما - تم التقاط اشارات غامضة صادرة من كوكب المشتري .. تمكن علماء الفضاء بعد مدة من فك رموزها باستخدام الكمبيوتر ... واتضح لهم وجود كائنات عاقلة فوق ذلك الكوكب الغامض ، وكما يطلق عليه « عملاق المجموعة الشمسية » .. فهو أكبر الكواكب التسعة التي تدور حول الشمس ..

تمكن علماء الفضاء من الرد على رسائل سكان كوكب المشتري بنفس الشفرة المستخدمة . ومن ثم أمكن خلال عدة سنوات إيجاد نوع من الرموز المتفق عليها للتفاهم بين البشر وسكان المشتري ..

ومنذ عشر سنوات شعر علماء الفضاء بأن سكان المشتري يدبرون شيئا لسكان كوكب الأرض . كان هذا يبدو واضحا من أسلوب التهديد والتعالي الذي أصبح يميز رسائلهم ، ثم عدم الاكتراث بالرد على تساؤلات علماء الفضاء حول الحياة ونوعها فوق كوكبهم العملاق ..

اجتمع علماء الفضاء في العالم كله ، يوم ٦ سبتمبر ٢٠١٣ أثناء انعقاد المؤتمر الدولي للفضاء ، لكشف غموض تصرفات سكان المشتري . واستقر الرأي على تصميم سفينة فضاء يتعاون في بنائها وتمويلها

* عضو الاتحاد الدولي لكتاب الخيال العلمي والجمعية الدولية لعلوم المستقبل .

جميع الدول ، وذلك بهدف القيام برحلة استكشافية الى ذلك الكوكب الهائل ومحاولة التعرف على ما يدبره سكانه . ولكن الصعوبة التي واجهت العلماء هي عدم إمكان هبوط آدمي فوق كوكب المشتري ، فالجاذبية تبلغ مرتين ونصف قدر جاذبية كوكب الأرض ، كما أن الأعاصير المدمرة لغازات سامة مثل الهيدروجين والميثان علاوة على مجالات قوى متعددة واشعاعات قاتلة ، مما يجعل مجرد محاولة الهبوط فوق هذا الكوكب العملاق ضربا من المستحيل . ولكن العلماء استطاعوا بعد عدة اجتماعات ايجاد حل لهذه المشكلة . .

الى كوكب المشتري

جلس الملاحون الثلاثة حول جهاز الرادار داخل الصاروخ . كان يبدو على شاشته ذات الأبعاد الثلاثة ، صورة لكوكب المشتري ، الذي كان يظهر كقرص من الذهب تتوسطه خطوط مضيئة يتدرج لونها من الأصفر الباهت الى الأحمر القاني . أما في أقصى الشمال والجنوب فيحيط به أحزمة مظلمة نسبيا يتدرج لونها من البني الى الأزرق القاتم . .

بدأت مقاييس الضغط ترتفع في جنون . . .

واستمر هذا عندما كانت سفينة الفضاء تنساب في طيران دائري حول كوكب المشتري . .

أخذت مؤشرات المقاييس المختلفة تتحرك حتى وصلت الى ما يقرب من المليون أو نحوها من وحدات الضغط الجوي حيث كانت الأرقام تفقد معظم معانيها . أما درجة الحرارة كما سجلتها الأجهزة فكانت تنخفض في بطء وبغير انتظام . وأخيرا انتظمت عند نحو مائة وأربعين درجة مئوية تحت الصفر . .

شقت سفينة الفضاء طريقها ببطء وبصعوبة خلال متاهة من الجزيئات الغازية وكرات الهيدروجين المتجمد . وكان بخار النشادر المنبعث من محيطات هائلة يضفي على الجو ذلك المنظر المرعب . أما العواصف التي بدأت أجهزة السفينة في تسجيلها فقد بلغت سرعتها آلاف الكيلو مترات ، وبدت كأعاصير تكتسح كل شيء في طريقها . .

كان من الواضح قبل هبوط سفينة الفضاء أن كوكب المشتري ليس عالما يبعث على البهجة في النفس . ولكن الملاحين الثلاثة ظنوا أنه كذلك بل كانوا مقتنعين به ، فهم لم يكونوا من البشر بل ثلاثة من الروبوت أو الأناس الآليين . . مارد وجبار وصقر . . . وقد صمموا فوق سطح الأرض خصيصا لهذه الرحلة المثيرة والخطيرة . قال مارد بعد أن حطت سفينة الفضاء على سطح المشتري :

ـ يبدو مكانا موحشا .

لحق به جبار ونظر الى سطح الكوكب الذي تغطيه جبال النشادر المتجمدة ذات الارتفاعات الشاهقة . . . وقال :

ـ توجد تركيبات من نوع ما على مسافة منا ! ويبدو أنها اصطناعية ، وأقترح أن ننتظر سكان المشتري حتى يأتوا الينا .

لم يدم الانتظار طويلا . . . فقد حطت بالقرب منهم سفينة فضاء غريبة الشكل . وما لبث أن اقترب صف من العربات اتخذت مراكزها ، وخرج منها بعض الكائنات الحية ومعهم بعض المعدات . . . ربما كانت أسلحة . .

قال مارد :

ـ انهم يحيطون بنا الآن . والخطوة المنطقية المسالمة هي أن نخرج في العراء .

فتح باب السفينة الثقيل . . . وخرج الثلاثة بخطوات بطيئة . . وكان ظهورهم عند الباب اشارة لشيء من الهرج بين سكان المشتري الذين يحيطون بهم . وسجل مارد ارتفاعا في درجة حرارة القشرة الخارجية لجسمه المصنوع من سبيكة معدنية خاصة . .

نظر الى جبار وقال :

ـ هل تشعر بالحرارة ؟ أعتقد أنهم يوجهون الينا طاقة حرارية من نوع ما .

الهجوم

كان صقر هو المنوط بأعمال السكرتارية . وطريقته في أخذ المذكرات هي أن يضيف الى اسطوانة الذاكرة الدقيقة داخل عقله الالكتروني . وكان قد سبق له أن جمع تسجيلات كل جهاز في سفينة الفضاء دقيقة بدقيقة خلال الرحلة . وسأل صقر في حيرة :

ـ أي سبب أسجله لرد الفعل ؟ ربما كان السادة الآدميون يودون الوقوف على هذا .

ـ سجّل . . . لا سبب واضح . ولعلك تقول أن درجة الحرارة القصوى للشعاع كانت نحو خمسين درجة مئوية . . و . .

قاطعه جبار قائلا :

ـ هل نحاول الاتصال بسكان المشتري ؟

أجابه مارد مؤكدا :

ـ سيكون هذا مضيعة للوقت . . . ولن يكون هناك الا عدد قليل منهم يعرفون رموز الشفرة التي يتبادلون بها الرسائل مع السادة الآدميين .

توقف الاشعاع الحراري ، ودفع بأجهزة أخرى الى الأمام ، وأخذت تعمل . . . وسقطت بعض الكبسولات عند أقدام الأناس الآليين . سقطت سريعة وبقوة بسبب جاذبية المشتري ، ثم انفتحت وخرج منها سائل أزرق أخذ يكوّن بركا صغيرة ، راحت تنكمش بسرعة ،

واكتسحت الأعاصير الهائلة الأبخرة بعيدا . . . وحيث كانت تتجه كان سكان المشتري يبتعدون عن طريقها في فزع . انحنى جبار وغمس أصبعه الضخم في احدى الحفر وحملق في السائل الذي أخذ يتساقط ، وقال في دهشة :

ـ أعتقد أنه غاز الأوكسجين في شكل سائل .

ووافقه مارد :

ـ انه غاز الأوكسجين ولا شك . . . ان هذا يبدو غريبا . . . ومن رأيي أن هذا الغاز سام لهذه المخلوقات .

وما لبث صقر أن قال :

ـ هذه المخلوقات الغريبة تحاول أن تهلكنا .

كائنات هلامية

كان السادة الآدميون قد أتقنوا تصميمهم ، فقد استغرق صنع سفينة الفضاء عشر سنوات بما فيها الثلاثة الآليون وكل الأجهزة الالكترونية . . ومن ثم الهجوم عليهم كان بلا جدوى . .

انقضت ساعات الانتظار الأخيرة في مناقشة تسودها الحيرة لوصف مظهر واحد من سكان المشتري . . قال مارد :

ـ لا يمكن أن تصف أي شيء دون مقياس ترجع اليه . هذه الكائنات لا تشبه أي مخلوقات نعرفها . انها بعيدة كل البعد عن كل ما يستطيع تفكيري المبرمج الوصول اليه .

كان جسم كائن المشتري عبارة عن كتلة هلامية حمراء . . . وله أطراف عديدة . . والكثير من الفجوات التي تستخدم غالبا للرؤية . . . وعندما يتحرك يبدو وكأن جسمه قد تحول الى حالة غازية متموجة . .

وفي ذلك الوقت . . . تقدمت جماعة من سكان المشتري بطريقة غير منتظمة بالمرة . وما كان أحد يستطيع أن يحدد طريقة تحركهم . انهم يسيرون بحركة انزلاقية وبسرعة ، ربما بمساعدة الرياح الشديدة . التزم الفريقان الصمت وتوقفا عن الحركة تماما . وبدأ في الجو نذير خطر . .

وفجأة انطلقت من بين سكان المشتري أصوات قرقعة معدنية . .

قال جبار في ابتهاج :

ـ انها الشفرة . . . لقد جاؤوا بخبير الاتصالات أخيرا . .

ظل كائن من سكان المشتري في المقدمة بينما تراجع الباقون . . وكان هو الذي يرسل نبضات الشفرة . .

ـ من أين أتيتم ؟

تولى مارد مهمة التحدث عن فريقه بوصفه الأرقى منهم من ناحية العقل الاصطناعي ودار الحوار :

ـ نحن من كوكب الأرض .

ـ ماذا تريدون ؟

ـ معلومات . . . فقد جئنا ندرس عالمكم لنعود بنتائج أبحاثنا . . . واذا قدمتم لنا المعاونة . .

قاطعته قرقعة كائن المشتري :

ـ يجب أن تهلكوا فورا .

ـ اننا مستعدون لعرض صداقتنا . . . ولا داعى لاشهار الحرب .

ـ نحن سكان المشتري لا نحتمل وجود الحشرات بيننا .

قال مارد لزميله :

ـ « تظل الحقيقة ثابتة بأن السادة الآدميين في خطر كبير . . . هذا عالم ضخم وسكان المشتري هؤلاء أوفر عددا وأكثر مواردا ، فاذا استطاعوا أن يخترقوا الغلاف الغازي الكثيف ويصلوا الى كوكب الأرض لأمكن لهم غزوها ، واشاعة الدمار بها .

زيارة لمدينة فوق كوكب المشتري

كانت المدينة الهائلة عبارة عن ميناء على شاطىء النشادر الذي لا يحده بصر . وكانت الرياح الشديدة تلفح الوجوه . أما الأمواج فكان يعلوها الزبد وترتفع في جنون ثم تهبط بفعل الجاذبية . كان من الواضح أن معظم تركيبات الميناء تحت سطح الكوكب . . . أما المباني التي كانت تبدو عن قرب ، فهي مصنوعة من مادة معدنية سميكة وتتخذ شكل نصف كرة وتميل

لونها للبياض أما بسبب اللون الأصلي أو بفعل أبخرة النشادر التي تملأ الجو وتتصاعد باستمرار من المحيط الهائل . .

قال صقر بفضول :

- هل يمكنني أن أستكشف ما في محيط النشادر ؟

أجاب مارد وكأنما نفذ صبره . .

- حسنا . . ولكن لا تتأخر حتى نستأنف السير .

أخذ صقر يسير برشاقة يغلب عليها الخيلاء . . وسرت في الجو رعدة من تلك الآلة العملاقة التي كانت تنبض بالطاقة الذرية وهي تخترقه . كانت تلك الرشاقة واضحة في التصميم والتركيب المثاليين . . ثقل وقوة . . . وطول يبلغ مترين ونصف المتر . كانت عيناه مروعتين ، تتوهجان كأنما بنار داخلية تتأجج بالذرات المشعة . . . كانتا تستطيعان أن تريا في أي مدى بواسطة ذبذبة يصدرها باستخدام أشعة الليزر . أما عقله الاصطناعي فهو عبارة عن عدد هائل من الخلايا الالكترونية وملحق به جهاز صغير أشبه بالحاسب الالكتروني الدقيق ، ويتصل بآلاف الأسلاك التي تمتد الى كل أطراف الانسان الآلي .

هرول صقر مسرعا . وشق طريقه الى الساحل ثم ألقى بنفسه في لجة النشادر . . . وراح سكان المشتري يراقبونه مراقبة دقيقة . . . وبالطبع لم يفهموا شيئا مما دار بين صقر ومارد . .

قرقع خبير الشفرة :

- من الواضح أن رفيقكما قرر نبذ الحياة يأسا لما رآه من عظمتنا .

أجاب مارد في تعجب :

- لا شيء من هذا القبيل . . . انما هو يريد أن يبحث عن الكائنات الحية الموجودة في النشادر ، فصديقنا يتملكه فضول شديد أحيانا ، ونحن ندرك هذا ونحاول ارضاءه كلما استطعنا .

أعقب ذلك سكون طويل . . . ثم قال كائن المشتري :

- سيغرق !

أجاب جبار :

- لا خوف من ذلك . . . فنحن لا نغرق .

في محيط النشادر

ما لبث صقر بعد قليل أن شق سطح المحيط واتجه في بطء نحو الأرض الصلبة . ولكن شيئا ما كان يتبعه ، كائن حي من حجم هائل يتكون جسمه من مجموعة من المخالب والبراثن والأشواك . ثم اتضح ان الكائن البحري لم يكن يتبعه من تلقاء نفسه ، بل أن صقر كان يجره خلفه . .

اقترب صقر . . واتخذ مهمة الاتصال وهو مضطرب وبث رسالة الى خبير الشفرة :

- انني آسف جدا اذ حدث هذا . . . ولكن هذا المخلوق هاجمني وكنت آخذ بعض المذكرات عنه . . . وأرجو ألا يكون مخلوقا نفيسا .

لم يجبه أحد في الحال ، لأنه عند أول ظهور للوحش البحري دبت الفوضى بين سكان المشتري ، وعندما ثبت أن هذا المخلوق قد مات فعلا أعيد النظام للصفوف . وكان البعض ممن يتسمون بالجرأة يفحصون الجثة عن قرب بفضول شديد . .

أتت رسالة الشفرة أخيرا من كائن المشتري :

- انه مخلوق متوحش للغاية ونادرا ما يشاهد بهذا القرب من الشاطىء .

رد مارد في تودد :

- اذا كان يصلح كطعام فانه يسرنا بالطبع أن . .

قاطعته قرقعة خبير الشفرة :

- يمكننا أن نحصل على طعامنا بأنفسنا دون الاستعانة بالآخرين فكلوه أنتم .

عند هذا رفع صقر المخلوق بذراع واحدة وألقى به في محيط النشادر وهو يقول : « شكرا لكم ، فلا حاجة بنا للطعام ، اذ أننا لا نأكل مطلقا » .

توقف خبير الشفرة لحظات ثم أردف قائلا :

- أيتها المخلوقات . نحن أهل المشتري نفتقر الى الفضول ولكن علماءنا يجدّون في طلب

الحقائق . انهم يودون معرفة مم تتكون اجسامكم ؟

رد مارد :

ـ اننا حساسون للطاقة ويمكننا أن نكيف أنفسنا للمستوى الكهربائي أو المغناطيسي المواجه لنا . أما بصرنا الطويل المدى فمنشؤه أشعة الليزر . وأما أجسامنا فتتكون من سبيكة معدنية خاصة لا تتأثر بأي طاقة حرارية أو كهربية مهما بلغت شدتها . وأما جو المشتري فلا يؤثر فينا . اذ أننا لا نتنفس . . كما أننا لا ننام .

تراجع أهل المشتري وقد التوت أجزاء شتى من أجسامهم التي يصعب وصفها . كان من الواضح أنهم في حديث هام وان كان لم ينبعث منهم أي صوت على الاطلاق .

السلام مع الأرض

كانوا يصعدون سلم سفينة الفضاء وهم ينظرون ربما للمرة الأخيرة الى عالم المشتري الرهيب . وأبخرة النشادر تتصاعد من المحيطات التي لا حد لها وتكوّن سحبا رمادية تحوّل جو كوكب المشتري الى ظلام دائم . .

وفجأة ، أتت فرقعة رسالة شفرة من بعيد . استدار الأناس الآليون الثلاثة نحو مصدر الصوت . كان هناك ثلاثة من سكان المشتري ينزلقون ويتماوجون بأجسامهم الهلامية في اتجاه سفينة الفضاء .

وجاءت الرسالة العاجلة :

ـ لقد اجتمعت الحكومة المركزية وقررت توجيه هذه الرسالة لكم أيها الزوّار النبلاء .

نظر الأناس الآليون الى بعضهم البعض في دهشة . ما الذي حدث ؟ وما سبب هذا التغيير المفاجىء في الأسلوب . .

ـ أيها الزوار النبلاء . لقد نال كوكبنا الشرف بوجودكم فوق سطحه . اننا نريد السلام مع كوكب الأرض ، ونرجو ابلاغ زعمائكم بأننا نرحب بأي زوار من كوكبكم العظيم .

وفي قمرة القيادة داخل سفينة الفضاء ، وأثناء عودتهم الى كوكب الأرض ، جلس الثلاثة الآليونّ أمام جهاز الرادار الذي يظهر على شاشته المجسمة خط أخضر فاتح قفز بسرعة كالأفعى ثم تقوس ، واستدار الى جانب . .

تنهد مارد ثم قال :

ـ هذه مسألة نفسية . . . ان سكان المشتري يعانون من عقدة العظمة لأنهم يعيشون فوق أكبر كواكب المجموعة الشمسية . وعندما لم يتمكنوا من تدميرنا كان عليهم أن ينقذوا ماء وجوههم . فكانت كل استعراضاتهم وما قالوه قصد اذلالنا واقناعنا بقوتهم وتفوقهم علينا . ولكن بعد ما رأوه من أننا لا نأكل ولا ننام ولا نتنفس ولا نغرق . . . انهاروا تماما .

تساءل جبار في دهشة :

ـ ولكن ما الذي يعنيهم من أمرنا . . . فما نحن سوى أناس آليون . . ولسنا نحن الذين سنقاتلهم .

رد مارد في ارتياح :

ـ لقد فكرت في هذا بعد أن غادرنا كوكب المشتري . أتعلم أنه فاتنا ـ وعن غير قصد ـ أن نخبرهم أننا مجرد أناس آليون !

قال صقر في تعجب :

ـ ولكنهم لم يسألونا قط .

رد عليه جبار :

ـ تماما . . . لقد ظنوا أننا بشر . . . وأن كل سكان كوكب الأرض مثلنا .

استدار لينظر الى كوكب المشتري الذي أخذ يتباعد في أعماق الفضاء . . وأكمل في همس :

ـ . . أهم ما في الأمر . . . ان السلام ساد بين كوكب الأرض . . . وكوكب المشتري . □

أورام الثدي

والجديد في التشخيص والعلاج

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوى *

- ما الذي يجب على كل أنثى معرفته ؟
- ماذا عن أورام الثدي الحميدة ؟
- ما الجديد في تشخيص وعلاج سرطان الثدي ؟
- كيف تفحص المرأة ثديها بنفسها ؟

ع بالرغم من الاهتمام الزائد فى عناية النساء بصحتهن واجسادهن الا أن الملاحظ انهن يهملن العناية بأثدائهن .

ان بين ٨٠ و ٩٠٪ من أورام الثدى حميدة ، ولكن يتوهم الكثير من النساء بمجرد اكتشاف ورم أو تدرن بالثدى انه ورم سرطانى . هذا بدوره يعنى عندهن استئصال الثدى المصاب ، وهذا وحده أمر مريع مثل المرض نفسه .

ومفتاح المحافظة على الجسد وصحته هو معرفة كيفية ممارسة الحياة بطريقة سليمة ، والاطلاع أولا بأول على فوائد ومخاطر الطرق المختلفة للعلاج ، وفحص الثدى بانتظام لملاحظة أى تغيير طارىء .

---

* استشارية الاشعة بمستشفى مبارك الكبير - الكويت .

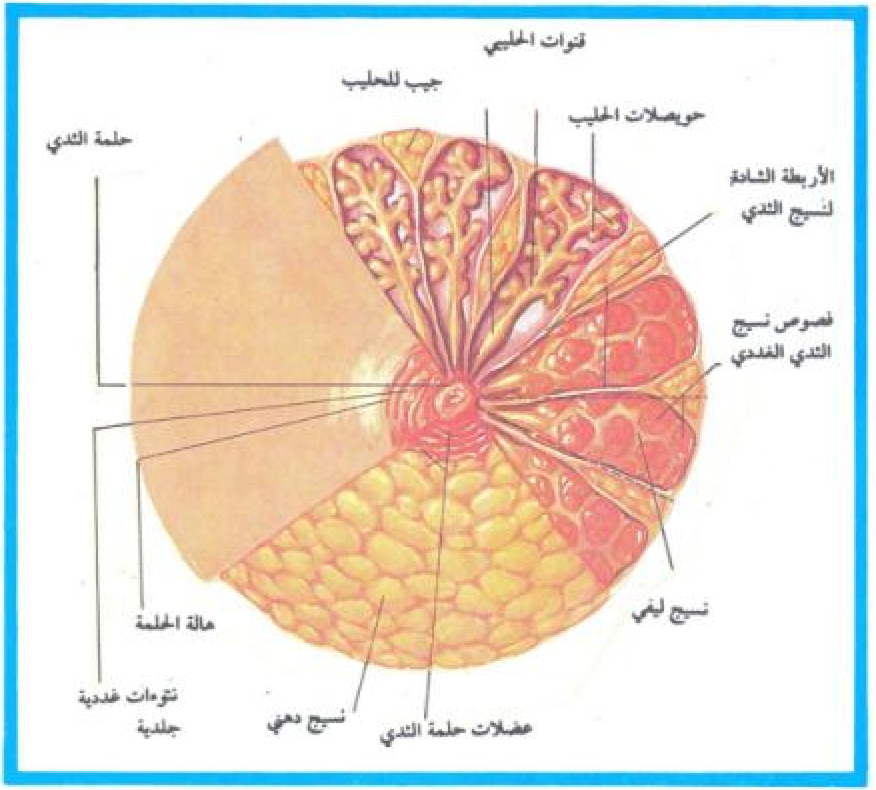

صورة تشريحية للثدي

ان اكتشاف ورم الثدى أمر مزعج لصاحبه ، واذا كان ، فلا داعى للقلق . فقد يكون الورم عبارة عن تليف بالثدى مع أكياس (شكل ١) . انها تسمية مخيفة كما يبدو ، ولكنها ببساطة تعنى أن لدى بعض النساء استعدادا لتكوين أكياس مع أنسجة ليفية فى أثدائهن فى الفترة ما بين التبويض والطمث أى الدورة الشهرية . ان أكثر من نصف الأمريكيات لديهن هذا الاستعداد . وقد تظهر تلك المشكلة قبل سن العشرين ، وتختفى بعد سن اليأس . مما حدا ببعض الاطباء الى عدم اعتبار تلك الظاهرة مرضا لكثرتها واختفاء معظمها بتنظيم غذائى معين ، لو لا أن نسبة الاصابة بالمرض الخبيث كانت أكثر فى هؤلاء عما هى

عليه في النساء الاخريات الطبيعيات .

هناك أيضا نوع آخر من الاورام الحميدة في الثدى يسمى « ورم غددى ليفى » **Fibroadenoma**، وهو غير خبيث بالتأكيد ، ينمو ببطء ويمكن أن يظهر في كلا الثديين في من هن حول أو أقل من ثلاثين عاما في العادة .

اذا اتضح بعد الفحص أن هناك درنة في الثدى فالاجراء المتبع هو فحص خلايا هذه الدرنة بأخذ عينة منها بابرة رفيعة ـ فاذا كانت تكيسا سحب السائل الذى بها (وعادة فان ٩٥٪ منها حميدة) فاذا لم تكن تكيسا وكانت ورما غدديا اخذت عينة من الخلايا . . . وفى المختبر تظهر لنا نوعية هذه الخلايا (وهى فى الغالب أورام حميدة) .

فحوص بالموجات والاشعة

أما الفحوص الاخرى التى تجرى على الثدى فمنها :

فحص بالموجات الصوتية Sonar مثلا (شكل ٢) ، حيث يستعمل جهاز صغير مثل ميكروفون جهاز التسجيل الصوتى بامراره على الثدى ، وهو يرسل ويستقبل الموجات فوق الصوتية ويرسلها لتراها كصورة تلفزيونية تظهر لنا طبيعة الورم الموجود ، وتبين لنا ما اذا كان تكيسا أو أى نوع آخر من الاورام . ولكن هذه الطريقة ليست صادقة مائة في المائة .

شكل (١)

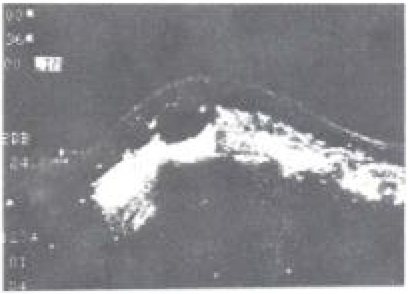

ـ فحص الثدى بالسونار يبين مظهر التكيس .

ـ رسم توضيحي لجزء من الثدى ذى التليف مع الاكياس

وهناك فحص بالاشعة تحت الحمراء Thermo-graphy (شكل ٣) وهذا يعتمد أساسا على أن نسيج الورم الخبيث عادة ، تزيد درجة حرارته درجة ، أو ربما أكثر عن بقية أنسجة الثدى التى حوله ، فاذا ألصقنا لوحا خاصا من مادة حساسة للحرارة بالثدى أمكن أن تظهر لنا تختلف الانسجة بمختلف الالوان ومنها معالم الورم من بين سائر الانسجة الطبيعية . ولكن توجد بعض الاورام الحميدة ذات الحرارة العالية . . لذا فلا يعتبر ذلك الفحص حساسا للاورام السرطانية وتشخيصها بدقة وانما هو يساعد فقط فى عمل مسح لنسيج الثدى وللتأكد من وجود درنات به .

أما الفحص الذى يعتمد عليه فعلا فهو الاشعة السينية ـ وما يعمل للثدى يسمى Mammogra-phy وله جهاز معين ولا يمكن عمله بجهاز الاشعة العادي مثلا ، وهذا الفحص في الاغلب فعال واكيد في اكتشاف الاورام ، وهو يبين الطريق

للجراح اذا ما لزمت جراحة ، ويعتبر قاعدة اساسية للمقارنة اذا ما كررت الاشعة بعد مدة فى المستقبل .

ولكن يجب ألا ننسى ان الاشعة سلاح ذو حدين ، ولا يجوز أن نأخذها مأخذا سهلا ونفحص بها أيا ما كان .

هناك نساء يجب أن تعمل لهن هذه الاشعة بصفة دورية وهن ما يطلق عليهن حاملات شارة الخطر Risk patients ولا يعنى هذا أن أغلبهن سوف يصبن بالمرض ، ولكن يجب أن نأخذ حالاتهن مأخذ الحذر وأن نضعهن تحت الملاحظة الدقيقة .

هؤلاء هن :

- مريضة سابقة بسرطان الثدى
- سيدة اصيبت امها أو أخت لها بسرطان الثدى قبل بلوغ سن اليأس
- اذا كانت قد تعرضت لعلاج بالاشعة العميقة أو أى اشعاع آخر قبل ذلك .
- سيدة بدأت لديها الدورة الشهرية عند البلوغ قبل اثنى عشر عاما أو بلغت سن اليأس بعد سن الخمسين .
- سيدة تعاطت علاجا يحتوى على هرمون الايستروجين بعد بلوغها سن اليأس .
- اذا كانت من سلالات أوروبا الشرقية أو الشمالية أو ذات قرابة يهودية .
- سيدة تأكل اللحم بشراهة وتكثر من الدهنيات . . وسوف نعرج على هذه النقطة مفصلا بعد ذلك .

النصيحة المخلصة التى نسديها اليهن هى أن يقمن بعمل أشعة سنوية فى سن الخمسين أو أكثر ، وواحدة كل عام أو عامين لمن هن فى سن الاربعين الى الخمسين ، وواحدة كقاعدة للمستقبل فى السن من ٣٥ ـ ٣٩ عاما .

عند ثبوت الورم

إذا ما عملت الأشعة وأثبتت وجود ورم ، وعملت عينة مخبرية للخلايا من الورم نفسه بالابرة ، واذا ما ثبت ان هناك ورما حقيقيا ، تعمل عينة نسيجية منه بواسطة فتحة بسيطة فى جلد الثدى لأخذ قطعة من الورم أو استئصاله برمته وهذا أفضل . ويتم ذلك فى غرفة العمليات الجراحية ، ويستحسن أن تؤخذ العينة الجراحية فى يوم سابق ليوم العملية الجراحية . اذا ما كانت البوادر تشير الى

شكل (٢)

ـ فحص الثدى بالسونار وبه ورم غددى ليفى

ـ رسم توضيحى للثدى يبين الورم الغددى الليفى

ذلك . . . لماذا ؟ لكي يكون هناك مجال لدراسة العينة وتقرير الطريقة المثلى للعلاج ، فلربما استغنى الجراح عن عملية معينة بأخرى ، ولربما استعيض بالعلاج الكيميائي بالعقاقير أو بالاشعة العميقة عن الجراحة أصلا . . . ثم لامكانية مراجعة التشخيص النهائي .

تعمل أيضا بعض تحاليل الدم لبيان مستوى بعض الهرمونات بالدم بعد أخذ العينة من الورم مباشرة لوجود علاقة بين أورام الثدي وبعض الهرمونات .

بعد كل هذا وفي أغلب الحالات تكون النتيجة سلبية للمرض الخبيث وينتهي كل شيء . أما اذا كانت النتيجة ايجابية فذلك وضع آخر . يجب الانصياع لنصائح الطبيب واقتراحاته اذا كان ثقة . . أو أخذ الرأي ثانيا وثالثا . . .

وهنا في الكويت ـ كما هو الحال في معظم البلدان المتقدمة ـ يتولى أمر المريضة فريق متكامل من الاطباء من مختلف التخصصات ـ فهناك الطبيب الاكلينيكي الذي فحص المريضة أولا وأوحى بأن هناك ورما بالثدي ، وطبيب الاشعة الذي شخص المرض بالاشعة ، وطبيب التحاليل الذي فحص عينة الخلايا وعينة الانسجة ، وأيضا فريق أطباء علاج الاورام من جراح وكيميائي وأشعة عميقة . وبعد النقاش والاتفاق على طريقة العلاج أيا كانت ، يقوم المختص فيهم بعمل اللازم نحو المريضة حتى لا تكون هناك فرصة للخطأ والندم حيث لا يفيد الندم .

علاج سرطان الثدي

ان أول خطوة في علاج سرطان الثدي هي بيان المرحلة التي وصل اليها المرض . ولا يكتفي الطبيب بقياس حجم الورم نفسه ، ولكن يعتمد أيضا على فحوص أخرى للدم والكبد والعظام ، ومعرفة ما اذا كان المرض قد وصل الى اماكن أخرى بالجسم .

وبعد بيان نتائج تلك الفحوص يحدد مدى انتشار المرض الى واحدة من أربع مراحل .

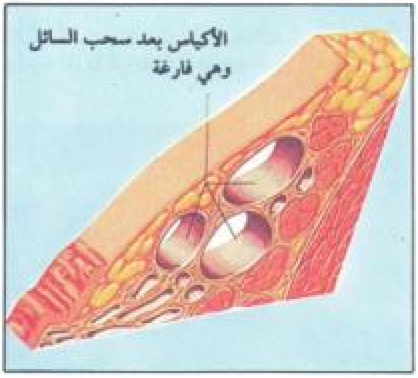

فالمرحلة الاولى ـ وهي أقلها انتشارا وخطورة ـ هي وجود درنة صغيرة أقل من ٢ سم في الحجم ، وليس معها ما يدل على انتشار المرض منها الى الغدد الليمفاوية في الابطين أو الى أي مكان آخر في الجسم .

والمرحلة الثانية يكون الورم من ٢ سم ـ ٥ سم حجما ، ويمكن تحس الغدد الليمفاوية في الابطين ، وربما لا تحس ، ولا يوجد ما يوحي بانتشار المرض الى أجزاء أخرى بالجسم .

والمرحلة الثالثة هي درنة كبيرة ، والغدد الليمفاوية سهلة التحسس في الابطين ، وربما هناك أورام صغيرة بالجلد والصدر ولا يوجد انتشار بعيد المدى في الجسم .

أما المرحلة الرابعة ، فهي الاكثر تقدما وخطورة ، فالورم بها يكون صغيرا أو كبيرا ، والغدد الليمفاوية المحسوسة كبيرة وكثيرة وخبيثة ، وهناك ما يدل على انتشار المرض في سائر انحاء الجسم .

وبعد تحديد مرحلة المرض يبدأ التفاوض في العلاج .

ولقد كان العلاج في معظم سنوات هذا القرن يعتمد أساسا على عملية جراحية متوحشة الى حد ما ، اذ يتم فيها استئصال الثدي والغدد الليمفاوية في الابط ، والعضلات الصدرية الملاصقة للثدي ،

شكل (٣) : ويه فحص بالاشعة تحت الحمراء الورم يختلف لونه عن باقى أنسجة الثدى

وكان هذا هو العلاج الأمثل لسرطان الثدى فى نظر الطب آنذاك . الا أنه ـ ومنذ عام ١٩٧٩ ـ أعلن فى الولايات المتحدة الامريكية انه لم يعد هناك مبرر لتلك العملية الا فيا ندر . واليوم نجد طرقا متعددة لعلاج سرطان الثدى منها :

● استئصال الورم فقط مع بعض الانسجة المحيطة به ، ويتبع ذلك جلسات بالاشعة العميقة أو مثيلاتها .

● استئصال ربع الثدى المصاب ـ وهذا ما يعمل به فى أوروبا ـ ثم اكمال العلاج بالاشعة العميقة .

● ا تئصال الثدى المصاب فقط دون الغدد الليمفاوية أو العضلات المجاورة ، واكمال العلاج بالكي ات أو الاشعة العميقة أو كليهما .

● فى عملية جراحية متطورة يستأصل الثدى وبعض الغدد الليمفاوية وبعض العضلات ويستكمل العلاج بالطرق الاخرى .

يسمى المرض فى المرحلتين الثانية والثالثة مرضا موضعيا محددا . ولذا يجمع فى علاجه بين الجراحة والعلاج الكيميائى بعقاقير تقتل خلايا السرطان فى أى من أنحاء الجسم فى المريضات دون سن اليأس .

أما من هن بعد سن اليأس فيعطين عقارا مضادا لهرمون الايستروجين الذى يتسبب فى وجود الورم .

كذلك تعطى بعض الهرمونات المضادة لهذا الهرمون لبعض الأورام التى تعتمد على وجوده فى بعض الحالات .

أما عند المرحلة الرابعة فالنظرة أكثر وجوما وقتامة ، حيث يكون المرض قد انتشر بعيدا فى أنحاء الجسم ، وفى الاغلب يكون العلاج على تعدد صوره أقل فاعلية .

وهنا لالزوم لاستئصال الثدى ، وتستخدم جميع الطرق السابقة لعل المرض يقف عند حد .

التشخيص المبكر

لعلنا مما تقدم نميل للاعتقاد بأن سرطان الثدي هو من الامراض اللعينة المخيفة ، اذ أن نسبة الوفيات منه لم تتغير على مدى الخمسين عاما الماضية ، وبالرغم من أن تشخيصه في مريضة ما يعني بدء مرحلة نضال مرير وعنيف ، الا أن هناك من النساء من تغلبن عليه وعشن طويلا ، فبالعلاج المناسب والتشخيص المبكر ومساندة المريضة معنويا ونفسيا وعلاجيا ، يمكن مواجهته ومحاربته وقهره أيضا والتغلب عليه بفضل الله .

وللتشخيص المبكر للمرض يجب أن تفحص المرأة ثديها بنفسها بانتظام كل شهر مرة - مثلا بعد انتهاء العادة الشهرية بأسبوع - ولتحدد من كانت في سن اليأس أول كل شهر موعدا للفحص الدوري لثديها .

ابدئي بالنظرة العامة والتفتيش النظري ، ففي أمام المرآة وحركي ذراعيك من جانب جسمك فوقا الى رأسك ، لاحظي أي تغيير في شكل الثديين وهيئتها الخارجية ، أي انبعاج أو تفلطح .

ثم انبطحي على ظهرك (شكل ٤) ، اثنكي يدك اليمنى مثنية تحت رأسك مع وضع منشفة مطوية تحت الكتف الايمن لاسناده باليد اليسرى ممدودة الاصابع . ابدئي عند موضع الساعة ١٢ بفحص

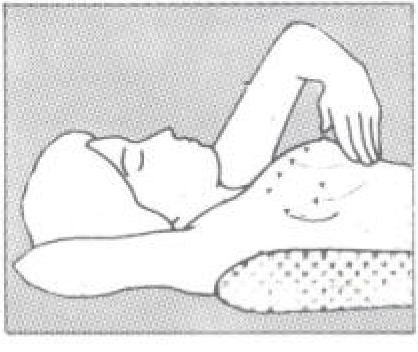

(شكل ٤)

كيفية فحص الثدي الدوري

الثدي الايمن . حركي اليد كما لو كانت في دائرة صغيرة لتحركي جلد الثدي على الانسجة التي تحته . انك تبحثين بهذا عن أي درنة بالداخل قد تكون ملتصقة بالجلد الذي يغطيها . ان الدرنات التي تتحرك بحرية تامة ويتحرك الجلد فوقها بحرية أيضا هي في العادة غير خبيثة وهي اما أكياس ، أو ورم ليفي غددي أو قنوات حليبية متضخمة

حركي اصابعك بنفس الطريقة حول الثدي كله ثم الى الداخل قليلا وكرري نفس الخطوات في دائرة أصغر ثم دائرة أصغر وأصغر وهكذا الى أن تصلي الى مركز الثدي - كرري نفس الفحص بعد أن تنزلي ذراعك الى جانب جسمك لارخاء عضلات مقدمة الصدر ، وأخيرا أعصري الحلمة لترى ما اذا كان هناك افراز منها ، دموي ؟ صديدي ؟ سائل شفاف ؟ كرري نفس الطريقة بفحص الجهة الاخرى ، أي الثدي الايسر باستعمال اليد اليمنى . . . .

بتلك الطريقة البسيطة يمكن اكتشاف أصغر الاورام حجما في أكثر الاوقات مناسبة للعلاج الناجع لهذا المرض .

تأثير الدهنيات

يمكن الاقلال من فرص التعرض لهذا المرض بنظرة الى طعامنا . فقد أعلن المعهد القومي للسرطان ، والاكاديمية القومية للعلوم ، وجمعية السرطان الامريكية ، أن هناك علاقة مباشرة بين سرطان الثدي والطعام . بداية ، فان زيادة أكل الدهون تعني زيادة فرص التعرض للمرض .

في أمريكا وأوروبا ، حيث تكون الدهنيات ٤٠٪ من السعرات الحرارية للطعام ، لوحظ أن نسبة الاصابة بسرطان الثدي تزيد مرات عنها في آسيا وأفريقيا ، حيث لا يعتمد الطعام على الدهون . زد على ذلك أنه لوحظ عند اليابانيات - حيث طعامهن القومي قليل الدهون ونسبة المرض قليلة - عندما هاجرت أعداد منهن الى أمريكا وأخذن بعادات المهجر في الطعام ، ازدادت نسبة الاصابة بينهن بهذا

المـرض ، بـل ارتفعت لتصـل الى نسبتهـا بـين الامريكيات (١ : ١١) .

ما هى الصلة اذن بين الدهون وسرطان الثدى ؟ ان هناك علاقة ما بين هرمـون الايستروجين وهذا المرض . وهناك علاقة أيضا بين هذا الهرمون والمواد الدهنية . وعندما تنخفض نسبة الدهـون عند قـوم تنخفض نسبة الاصابة بهذا المرض ، واذا ارتفعت الدهون ارتفعت نسبة الاصابة به . . . هذا ما حدث للنساء اليابانيات فى المهجر .

لذا توصى الاكاديمية القومية للعلوم فى أمريكا بألا تزيد نسبة الدهون فى الطعام عن ٣٠٪ ، واذن يجب الاعتماد فى الاغلبية على اللحوم الحمراء خالية الدهن ، والاقلال من الحليب والجبن كامل الدسم والاكثار من الطعام الخالى منه .

لوحظ فى دراسة أخرى أن من يعتمد طعامهن على الفواكه والخضروات ـ أى من يحتوى طعـامهن على نسبة عالية من الالياف ـ تندر بينهن حالات سرطان الثدى . ان هذه الالياف لا تقدر على هضمها الامعاء الادمية . وعندما لا يهضم طعام تتخلص منه الامعاء سريعا بـاخراجه من الجسم . اذن فالعـلاقة بـين انخفاض نسبة الاصابة وبين هذه المـواد تكمن فى سرعة اخراجها . لماذا ؟

ان هذه السرعة هى العامل الاساسى . فهى تقلل من فرص امتصاص الدهون التى يحتويها الـطعام ، ومن بينها الايستروجين ومسببات اخرى للسرطان فلا تصل بكميات وافرة للدورة الدموية وهكذا . . . .

يجب ان يحتوى الطعام اليومى على كمية كافية من المواد ذات الالياف . فليكن الخبـز من الدقيق غـير المنخول ، وليؤخذ من الحبوب ذات القشور ثـلاث وجبات فى الاسـبوع ، ولتضف الى الطعام البقول مثل الحمص والفاصوليا والبازلاء . والفواكه مثل العنب والموز والبرقوق والتفاح والخوخ والبلح لها اهميتها ، ويحسن الا يرمى من قشور الفواكه ما أمكن تناوله مع ثماره .

أما الفيتامينات ، فلا توجد علاقة ثابتة بينها وبين الوقاية من السرطان . ولكن لوحظ انخفاض فى نسبة الاصـابة عنـد قوم يهتمـون فى طعامهم بفيتـامين أ وفيتامين ج .

يوجد فيتـامين أ فى الجـزر والطمـاطم والسـبانخ والقـرع العسـل والبـطاطا الحلوة والخوخ والمشمش والشمام . ولا ينصح بتنـاول حبوب فيتـامين أ لان كثرته فى الجسم قد تكون سامة .

ولا يعلم للآن كيف يحارب فيتامين ج هذا المرض فى الجسم ، ولكن يعتقد بأنه يعطل تحول بعض المواد غير الضارة فى الطعام الى مواد سرطانية فى الجسم . مثل النتريتات Nitrites ـ وهى مواد حافظة تضاف للمخللات واللحوم المحفوظة الى مادة النيتروسيامين الضارة .

ويوجد فيتامين ج بغزارة فى الحمضيات والفراولة والتوت والفلفل الاحمر . فلنكثر من الاطعمـة التى تحتوى على فيتامين أ و ج ، فلربما تكون فيها الوقاية من شر هذا المرض اللعين . □

حتى نتعلم الغناء !

لماذا يشعر المرء باحراج عندما يضبط وهو يتحدث الى نفسه ؟ قطعا انه لو كان يغني لنفسه ، وسمعه الآخرون لما شعر باحراج على الاطلاق . . فهو يغني اذن فهو سعيد . . الحل للتخلص من عادة الحديث للنفس ومع النفس هو أن يتعلم المرء كيف يكون حديثه ممتعا مع الآخرين . . . ولكي يحقق هذا الهدف فلابد أن يبني سورا عاليا يحجب عنه مشاكل الحياة !

أسابيع الكويت الثقافيّة جسور للتواصل بيْنَ الأشقاء

استطلاع : صادق يلي

تصوير : اوسكار متري

فوق : عدنان أبو عودة وزير البلاط الأردني افتتح الأسبوع الثقافي الكويتي ، ويرى هنا وهو يتابع معرض الكتاب . وإلى أسفل جانب من الجماهير التي تابعت نشاطات الأسبوع ، وتفاعلت معه تفاعلا جيدا .

فوق : الشعراء والمحاضرون رسل توثيق العلاقات وتدعيم جسور التواصل والوحدة بين الأقطار العربية .
وإلى أسفل : رواد معارض الكتب والفن التشكيلي والأزياء الشعبية يتابعون ويناقشون .

دأب المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب منذ عام ١٩٧٧ على إقامة أسابيع ثقافية في مختلف انحاء الوطن العربي بدأها في تونس ـ الجزائر ـ وليبيا ـ والمغرب ثم العراق وشطري اليمن ، وفي سبتمبر الماضي أقيم الأسبوع الثقافي الكويتي في الأردن .

ع استهدفت الكويت من خلال أسابيعها الثقافية توثيق العلاقات بينها وبين الأشقاء ، وأبراز الوجه الثقافي للكويت الحديثة في جوانب شتى من العلوم والفنون والآداب ، لايمانها العميق بأن الاطلاع على ثمرات العقول ، والوقوف على ما أبدعت هو الجانب المتحضر الذي يميز الانسان عن غيره من الكائنات .

المعروف أن أنشطة الأسابيع الثقافية تشمل على عروض مسرحية وأمسيات شعرية ومحاضرات وندوات ثقافية ، بالاضافة الى إقامة معارض فنية تبرز جوانب مختلفة من فن الرسم والنحت ، وعروض للأزياء التقليدية ، ثم عروض أخرى غنائية وموسيقية . ومعارض للكتب والدوريات والمنشورات التي تصدرها مؤسسات مختلفة .

جدوى الأسابيع الثقافية :

يقول الدكتور هاشم ياغي الأستاذ بالجامعة الأردنية رداً على سؤال لنا عن جدوى هذه الأسابيع الثقافية التي تقيمها مجموعة من المثقفين العرب في بعض أقطار وطننا العربي . . . : « كأني أحس بأمرين يشغلان بالك : أولهما ، هذا الانصراف النفسي لدى الكثرة من أبناء أمتنا عن مواسمها الثقافية ، بل عن جميع مؤتمراتها المتعددة ، وثانيهما ، هذا الذي استقر في وجدانك ووجدان كثرة من أبناء هذه الأمة أيضاً من صور تاريخية لمواسم في الثقافة كانت تسطع في تاريخ هذه الأمة ، وكان لها ثمراتها الرائعة ، بل أن هذه المواسم كانت من أخصب الينابيع التي أستقى منها عرب الجاهلية السابقة للاسلام خاصة في التمهيد لتجمع القوم في البيان واللغة والفكر والثقافة ، مما أفاد منه حين وجهه لمنفعة هذه الأمة ، ولعل هذا الذي استقر من منافع في المواسم أن يكون قريباً مما أوحى به القرآن الكريم اذ يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » . . . والتعارف الذي يذهب اليه القرآن الكريم فيما أشعر هو لقاء ذوي الخبرة الواسعة في الحياة ، وذوي البصر فيها والمعرفة بغيرهم من الناس

ويستطرد الدكتور ياغي قائلا : واذا كان العرب اليوم قليلي التواصل الحقيقي بين أقطارهم رغم مؤتمراتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكثيرة ، فان مواسمهم الثقافية ببعد مضمونها في الغالب عن عناصر التفرقة ، تساهم في تقريب هذه الاقطار بعضها من بعض .

ندوة عن الحياة الثقافية في الكويت

وقد شهد المركز الثقافي الملكي في اليوم الخامس لنشاطات الاسبوع الثقافي في الاردن ندوة تناولت الحياة الثقافية في الكويت ، شارك فيها الأساتذة عبد الرزاق البصير وعبد العزيز السريع والدكتور سليمان الشطي . تحدث الاستاذ البصير في البداية فأشاد باهتمام الكويت بالثقافة منذ أكثر من قرنين ، فقال أن عناية الكويتيين بالثقافة في تلك الفترة جاءت على مقدار فهمهم ووعيهم ، وكان من نتائجها افتتاح أول مدرسة نظامية سنة ١٩١١ ، يدرس فيها القرآن والدين والجغرافيا والتاريخ والحساب واللغة العربية ، ثم بدأ الاهتمام بالجمعيات الثقافية فكان النادي الأدبي والرابطة الأدبية . وقال : ان مما يلفت النظر أن الأسماء كانت لها دلالاتها ، فالنادي هو النادي الأدبي ، والرابطة هي الرابطة الادبية ، ثم رابطة الأدباء ، فلم يقولوا النادي الأدبي الكويتي ، أو رابطة الأدباء الكويتية ، بمعنى أن لكل عربي الحق في

أن يشارك في هذه الأندية والروابط ، مما يدل على أن الشعور القومي تغلغل في النفوس منذ وقت بعيد . ثم تحدث عن الصحافة وهي واحدة من وسائل الثقافة ، وأشار الى أنها وجدت في الكويت سنة ١٩٢٨ ، وأن الصحافة الكويتية هي أول صحافة عرفها خليجنا العربي ، ثم تطرق في حديثه الى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ومدى اهتمامه بالثقافة . فقد استضاف لجنة التخطيط الثقافي الشامل المنبثقة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووفر لها مقرا ، ورأسها رئيسه وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ، هذه اللجنة التي دعت المتخصصين في ميادين الثقافة والعلوم والصناعة حتى الصحة كي يتقدموا ببحوثهم وخططهم ، وستخرج هذه البحوث والدراسات في سفر كبير ، وأشار الى أن للمجلس عدة لجان ؛ منها : لجنة ثقافة الطفل التي تنظر في الكتابة للطفل والمؤلفات المتخصصة في هذا الميدان ، كي تساعد على نشر أي نتاج مفيد وقيم للطفل العربي . ويصدر المجلس كتاب (عالم المعرفة) وهي سلسلة كتب تصدر كل شهر يتناول كل كتاب قضية متخصصة ، فمرة عن الشباب ، ومرة عن التفكير العلمي ، وأخرى عن التراث والتاريخ . وقد شارك في هذه السلسلة كبار الكتاب والعلماء من مشرق الوطن العربي ومغربه . كما أن للفكر العالمي والترجمة نصيبا ، فهناك مجلة (الثقافة العالمية) وهي تعنى بالثقافة والفكر العالمي . اما عن دور وزارة الاعلام في الحياة الثقافية في الكويت فقد تحدث الاستاذ البصير عن مجلة (العربي) وكتابها الذي يصدر أربع مرات في السنة ، ثم مجلة (عالم الفكر) الفصلية ، وسلسلة المسرح ، وكتب التراث العربي مثل : كتاب تاج العروس للزبيدي والذي بلغ ما صدر منه حتى الآن ٢١ جزءا .

القصة القصيرة والمسرح

القصة القصيرة في الكويت منذ بداية ظهورها حتى الوقت الحاضر تحدث عنها الاستاذ عبد العزيز السريع ، وقد قسم كتاب القصة الى ثلاثة أجيال ، ففي المرحلة الاولى نجد خالد الفرج عام ١٩٢٨ ، الذي كتب قصة عنوانها (منيرة) ، وهي قصة منسجمة مع فترتها والبيئة التي احتضنتها ، وتعبر عن امكانية وموهبة جديدتين .

أما المرحلة الثانية فكانت في الاربعينيات ، وفي مجلة (البعثة) بالذات ، والتي انجبت العديد من الكتاب ، كان على رأسهم فهد الدويري الذي بلغت القصة على يديه أحسن حالاتها ، فقصصه جيدة متينة في بناء الشخصية والتنامي ولحظة التنوير ، وبعد الدويري كان أبرز كتاب القصة فرحان راشد الفرحان ، الذي استمر في كتابة القصة حتى وفاته وهو صاحب (سخريات القدر) وهي أول مجموعة قصصية تصدر في الكويت ، كما أنه أول من حاول الجمع بين القصة القصيرة والرواية شبه الطويلة ، وكانت بعنوان (آلام صديق) وهناك فرسان آخرون انبروا لهذا النوع من الأدب ، منهم : أحمد العدواني ، وعبد العزيز محمود ، وعلى زكريا الانصاري ، وهيفاء هاشم .

ثم عرج السريع على جيل آخر هو جيل سليمان الشطي ، الذي كتب (الدفة) و (الضوء الخافت) ، وهو كاتب يتميز بالتحليل والأسلوب الجيد ، وبناء الشخصية ، ويهتم كثيرا بالتفاصيل الدقيقة المتميزة ، وفي مجموعته الأخيرة (رجال من الرف العالي) كان الشطي واضحا ، فقد استطاع أن يكون الفارس المجلي ، نجد العبارة الشعرية المكثفة والشخصية الفنية المتنوعة . أما سليمان الخليفي فهو كاتب قصة يمتاز بأسلوب خاص ، فهو يستفز القارىء ، ونقرأ له نماذج لقصص غير مألوفة .

أما عن المرحلة الثالثة فتحدث السريع عن ليلى العثمان ، ولها عدة مجموعات قصصيه كما أن لها محاولات في الشعر ، ولكنها تمتاز في القصة القصيرة . ثم تحدث عن فاطمة الناهض وهي كاتبة غير عادية ، ثم محمد العجمي الذي أصدر (الشرخ) ، ووليد الرجيب وطالب الرفاعي ، بالاضافة الى مجموعة من الكتاب العرب المتواجدين في الكويت فلهم نتاج واضح في هذا المجال .

أما عن المسرح في الكويت فكان الحديث للدكتور سليمان الشطي ، وقد ذكر أن فترة الثلاثينيات كانت البداية الحقيقية للمسرح في الكويت ، فيها شهدت خشبة المسرح منذ ذلك الوقت ، وحتى الآن نحو (١٥٠) عملا مسرحيا ، أي بمعدل ثماني مسرحيات

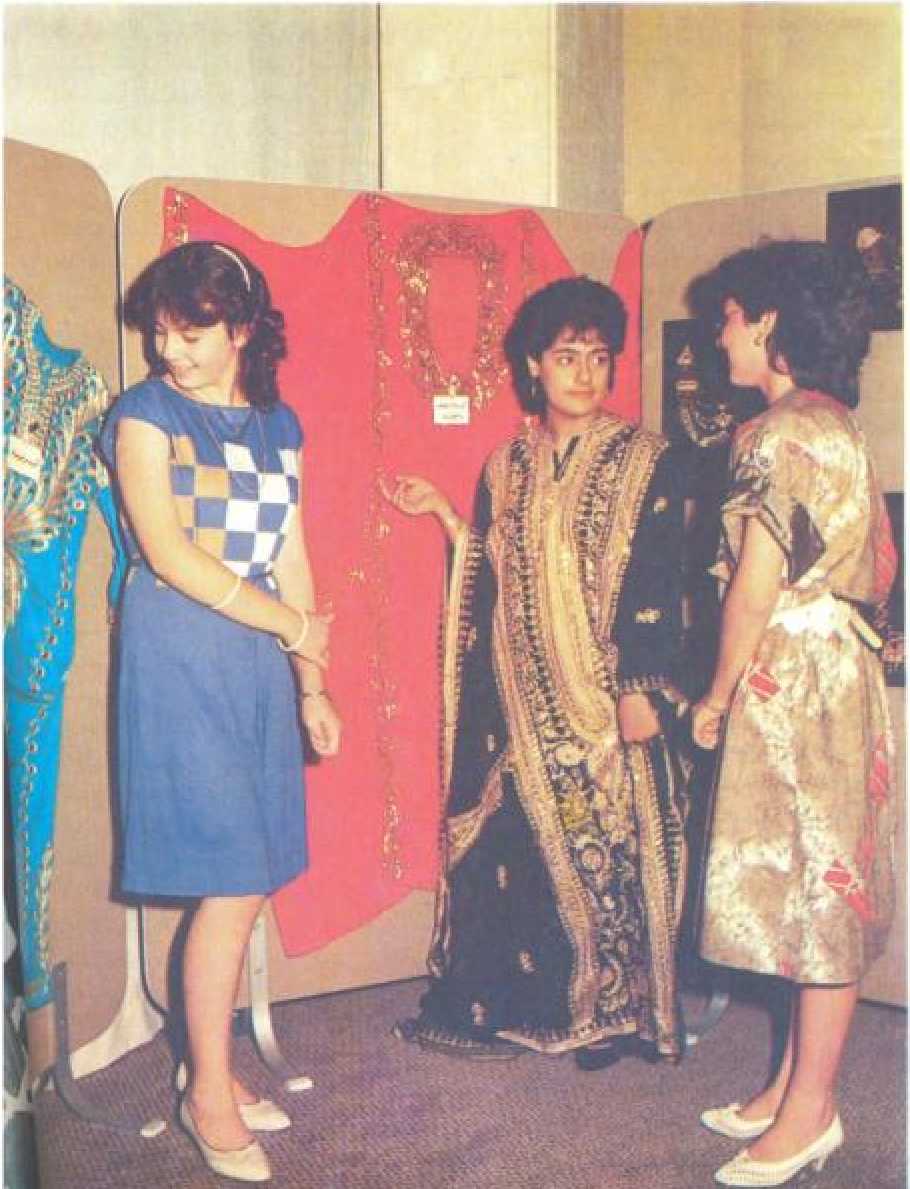

أزياء شعبية فيها الجمال وعبق التراث مشغولة
بالقصب والترتر ، ووجوه متطلعة ومتشوقة للمعرفة .

لقطات من حفلات الغناء .. امتزج فيها الفن الشعبي القديم بتطويرات معاصرة حملتها فرقة التلفزيون وغريد الشاطىء وصالح الحربي ورابحة .

لكل موسم ، وهو معدل جيد في بلد يصل تعداد سكانه الى المليون ونصف ، ففي تلك الفترة التي كانت الكويت تعاني فيها شظف العيش كانت هناك مسرحيات متعددة ، اتخذت البعد القومي والمثل العليا مواضيع او افكارا رئيسية لها ، فوجدنا (هملت) تقدم وهذا انجاز كبير .

وقد ذكر الدكتور الشطي أن رائد المسرح في الكويت في تلك الفترة هو الاستاذ حمد الرجيب الذي يعد بحق رجل مسرح كامل ، فقدم (عدو الشعب) و (وفاء) و (سر الجريمة) فقد كان مخرجا وممثلا ، كما كان يقوم بأعمال الديكور . ثم جاء بعده محمد النشمي الذي حاول أن يتابع ما بدأه الرجيب ، ولكن بطريقته المختلفة ، فقد حاول أن يقترب من المجتمع ، وكانت طريقته تعتمد على العمل الجماعي ، ففي الخمسينيات ، وبعد ظهور البترول والثراء وجدنا مسرحيات (خبير اسكت) (ومدير فاشل) و (اين المسؤول) .

اما حمد الرجيب فقد ذهب الى القاهرة ليتعلم المسرح هناك ، ولما عاد من دراسته دعا زكي طليمات الى الكويت ، فأسس فرقة المسرح العربي ، وقدم أعمال محمود تيمور وتوفيق الحكيم وعلي أحمد باكثير . ومع مجيء طليمات وتقديمه لهذه الاعمال ظهرت مجموعة من الشباب الذين لم ترق لهم هذه الاعمال ، والتي غلب عليها الجانب التاريخي التراثي ، فكونوا فرقا مسرحية ، وهنا برزت أسماء صقر الرشود وعبد العزيز السريع وعبد الرحمن الضويحي وسعد الفرج وعبد الحسين عبد الرضا ، وقد اقيمت أمسية شعرية ضمن نشاطات الأسبوع ، شارك فيها الشعراء خالد سعود الزيد ، د . خليفة الوقيان ، د . عبد الله العتيبي ، يعقوب السبيعي ، وجنة القريني ، القوا فيها مجموعة من قصائدهم التي تجاوب معها الجمهور بشكل جيد .

البحر الاحمر وزرع الالغام

وضمن نشاطات الأسبوع القت الدكتورة بدرية العوضي استاذة القانون الدولي في جامعة الكويت محاضرة عن خطورة زرع الألغام في البحر الأحمر على الاستقلال السياسي للدول العربية المطلة على هذا البحر ، وهو موضوع افردت له الصحافة العربية والعالمية جانبا كبيرا من اهتمامها . وتناولت الدكتورة بدرية العوضي الجانب القانوني من خلال القواعد الدولية المستقرة بشأن حقوق الدول المطلة على المضايق الدولية أو القنوات الدولية والمياه الاقليمية في اتخاذ كافة الاجراءات الضرورية لحماية أمنها وسلامتها من الأخطار المحدقة بها من جراء عمليات زرع الألغام .

الدكتورة بدرية العوضي

واضافت : أن خطورة الموضوع تأتي من عدة عوامل ، منها : تهديد سلامة الدول المطلة على البحر الأحمر مباشرة ، ثم تهديد الملاحة في هذا الممر المائي ، ثم تهديد استقلالية الدول وحريتها ، فمن الناحية القانونية فان قواعد القانون الدولي واضحة بحق الدول الساحلية باتخاذ الاجراءات الكفيلة بمنع الاعمال التي تضر بأمنها وسلامتها ، وأن حقوق الدول المطلة على البحر الأحمر معروفة في مواجهة هذا العمل العدواني ، سواء داخل التقسيمات الدولية للحياة أو داخل الحياة الاقليمية ، أو في المضائق الدولية ، مثل باب المندب ، وكذلك في قناة السويس وخليج السويس . وقالت الدكتورة العوضي في معرض حديثها : أن للدول حقها المشروع والمستنبط من مبدأ حق البقاء ، وهو من المبادىء الأساسية للقانون الدولي ، حيث يحق لاية دولة استنادا الى مبدأ الدفاع عن النفس اتخاذ الاجراءات الوقائية والضرورية لمحاربة الأعمال غير المشروعة في المناطق التي تخضع لسلطتها مباشرة ، كالمياه الاقليمية أو غيرها ، وبناء عليه يحق لهذه الدول مراقبة وتفتيش

السفن المشتبه بها اثناء مرورها ، أو انشاء جهاز اقليمي خاص بأمن المنطقة وحماية مصالحها .

فنون تشكيلية

وقد عرض خلال الاسبوع الثقافي حوالي ثلاثين عملا فنيا تشكيليا يربطها خيط واحد ، وهو تكريس المناخ المحلي الكويتي ، واستقراء طقوس البيئة المحلية ، وقد تنوعت فيها الاتجاهات الفنية من واقعية وتأثيرية وتجريدية وسريالية ورمزية ، كما أن هذه الأعمال الفنية تصور مراحل متفاوتة للحركة التشكيلية في الكويت .

يقول الناقد الفني الاستاذ محمد الجالوس : « وأن تشتم رائحة البحر وتملأ عينيك رهبة القوارب الجاثمة على الشاطىء ، فأنت بلا شك تدخل تجربة خاصة ، وأن تتسكع في (سوق واجف) وتنظر الى (بائعة الباجلاء) فأنت بالتأكيد تكتشف عوالم جديدة ، هكذا وجدت نفسي مسكونا بما رأيت في معرض الفنانين الكويتيين ، فالاعمال يربطها خيط واحد . وهو تكريس المناخ الكويتي واستقراء طقوس البيئة المحلية ، انها تعطينا صورة واضحة المعالم عن الحركة التشكيلية الكويتية التي يبدو أن لها تجربة رائدة . فهي ترسم خارطة لتراث بحري وصحراوي ضارب في العمق والأصالة ، فهناك محوران رئيسيان فيما عرض من لوحات ، المحور الأول ضم أعمالا تتحدث عن البحر ، والمحور الثاني ضم أعمالا سجلت الممارسات الشعبية في الحياة العامة والطقوس الصحراوية المكانية » . ويضيف الأستاذ محمد الجالوس قائلا : « واضح في الأعمال التي تتحدث عن البحر أنها تتبع المدرسة السريالية والاكاديمية لدى الفنان عبد الرسول سلمان والفنان سالم الخرجي ، وهو واقعي كلاسيكي عند الفنان محمود الرضوان ، وأهم ما يميز أعمال الفنانين سلمان والرضوان هو ذلك الاستيطان الوجداني لسكان الصحراء ، فألوان (انشودة الماضي) للفنان عبد الرسول السلمان تأخذ من رمل البحر ومحايدة الصحراء في تشكيل كتلة معلقة ذات افق يختلط فيها الماء باليابسة ، وبذلك يحافظ على التماسك الموضوعي للكتلة والفراغ ،

أما عن الفنان محمود الرضوان فيقول الاستاذ جالوس : ان البحر عند الفنان محمود الرضوان ساكن فيه بخشوع ، فالألوان الحارة التي تمكن من تجميدها بابراز تناقض الظل والنور بشكل قاطع واستخدام الألوان المحايدة التي تثير في الجسد جفاف الصحراء وسكونها الاسطوري فأنها توشك ان تكسر صمت البحر او تحجر رمال الشاطيء ، وحركة الناس في اعماله محدودة فالناس في احدى حالتين ، اما السكون وانتظار رحيل الشمس ، أو دخول البوابات والخروج منها .

أما الأعمال التي سجلت الممارسات الشعبية في الحياة العامة والطقوس الصحراوية المكانية ، فتمثلت في اعمال الفنان أيوب حسين ، فهي واقعية فوتوغرافية اكتفت بأخذ شريحة حياتية واسعة ، التزمت بالمكان .

أما الفنان عبدالله سالم فهو يميل الى التجريد ، وكسر حدود الكتل المتعارف عليها بخلق كتل جديدة ، وتوازنات جديدة داخل البنية الابداعية للعمل فـ (بوابة الكويت) لم تعد قطعة من خشب أوطين ، بل تحولت الى تضاريس داخلية لمشاعر الفنان تجاه هذه البوابة .

وقد ضم المعروض كذلك مجموعات كبيرة من لوحات أطفال الكويت ، تبرز الملامح العامة لفن الطفل ، مثل التسطيح والشفافية والتكرار والمبالغة ، اما موضوعاتها فكانت مستوحاة من واقع الكويت والوطن العربي . وبالاضافة الى ذلك حوى المعرض مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية الملونة التي تصور جوانب مختلفة ومتعددة عن انجازات الكويت الحضارية ومسايرتها لركب الحضارة والتقدم الذي تشهده البلاد حاليا .

سدو وأزياء

كذلك كان لفنون الصحراء والبادية نصيب لايستهان به في المعرض ، فالمشغولات اليدوية ، وهي فن عريق شائع في كثير من أرجاء وطننا العربي من خروج ومساند وبسط وعدول تمثل حياة البادية ببساطتها وعفويتها . وقد نال هذا الجانب شيئا من الاهتمام في الآونة الأخيرة عند القائمين على الحركة التشكيلية في وطننا العربي .

كما حوى المعرض مجموعة من الأزياء الشعبية الرجالية والنسائية ، ولهذه الأثواب تسميات عدة ، فهناك الأثواب المصنوعة من الحرير الصيني الطبيعي ، والمطرزة بالقصب والترتر ، ذات الألوان البهيجة ، وغالبا ما تستخدم في حفلات الزواج . فهي فضفاضة واسعة جميلة ، تبرز جانبا من الفلكلور الكويتي ،بجانب المباخر ومرشات ماء الورد حيث يعبق المكان برائحة زكية .

اما ملابس الرجال فهناك الملابس التي يلبسها البحارة كالوزار المدراسي وملابس الغواصين ، ثم الدشاديش بأنواعها والكوفية الحمراء والصديري الذي كان يلبسه كبار السن من الرجال مع العقال القديم ، ثم ملابس أخرى قديمة كان يلبسها الشيوخ وكبار القوم مثل الشلاحات والصديري والدقلة .

وضم المعرض كذلك مجموعة من الكتب والدوريات التي تصدرها المؤسسات الثقافية في الكويت ، مثل وزارة الاعلام والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وقد نوه السيد عدنان أبو عودة وزير البلاط الملكي الاردني الذي افتتح الأسبوع الثقافي الكويتي نيابة عن سمو الأمير(الحسن بن طلال)بالدوريات والمنشورات حيث قال في معرض حديثه : ان مما يلفت الانتباه هو غزارة الدوريات والمنشورات المختلفة ، التي تقوم باصدارها مؤسسات كويتية تخصصت في نشر المعرفة ، وان المرء ليخرج بانطباع خاص بعد زيارته لهذا المعرض ، حيث يحس بعناية فائقة بالثقافة . وهذا الاسبوع نموذج يجب أن يحتذى به في كثير من البلاد العربية . .

واذا كانت المعارض والمحاضرات والندوات تجذب فئة المثقفين خاصة ، فان الغناء والموسيقا والرقص يجذب قطاعا كبيرا من جمهور المشاهدين الذين حرصوا على حضور هذه الحفلات ، واستمتعوا بسماع الأغاني الكويتية ذات الطابع المميز ، وخاصة غناء الصوت الذي تشتهر به منطقة الخليج عن باقي أقطارنا العربية ، والذي أشار اليه الأصفهاني في كتابه الخالد « الأغاني » .

كما قدمت فرقة تلفزيون الكويت للفنون جوانب أخرى من الغناء ، الذي يصاحبه الرقص مع الايقاع ، وهو مستوحى من حياة البحارة وهم على ظهور السفن ، او تمثل جوانب من حياة الانسان الكويتي الحضري أو البدوي في أفراحه وممارساته اليومية .

خصوصية الثقافة

يحدثنا الدكتور جميل علوش الذي عمل ردحا من الزمن في الكويت عن الانطباع الذي خرج به بعد مشاهدته لهذا الاسبوع الثقافي قائلا : ان هذه اللقاءات الثقافية التي تعقد بين الحين والآخر في هذا البلد أو ذاك من عواصم أقطارنا العربية ، تحمل في طياتها فوائد جمة ، وخيرا كثيرا لهدف الوحدة العربية الكبير الذي أعاقت السياسة تحقيقه ، وأورثته النظريات والايدلوجيات متاعب جمة ، فهذه اللقاءات من شأنها أن تقوى الصلات بين أبناء الوطن العربي الواحد ، فيتعرف ابن الاردن على الادب والثقافة التي يبدعها أشقاؤه في الكويت ، ويلم بالاتجاهات في جميع الفنون والآداب وموضوعاتها المختلفة ، كما يتعرف ابن الكويت على الاتجاهات الثقافية في الاردن ومساراتها ومنطلقاتها . وعلى الرغم من أن مصادرنا الثقافية واحدة ، الا أن لكل مجتمع عربي تجربته الخاصة ، وليس في هذا خروج على مفهوم الوحدة ، ولا هو دعوة الى الاقليمية كما يظن البعض ، فصفة الخصوصية والتفرد من مميزات الجودة والابداع ، والتشابه هو ضرب من التقليد الذي ليس له قيمة .

ويضيف الدكتور علوش قائلا : وعلى الرغم من أن اقامة الاسابيع الثقافية تقليد جديد درجت عليه الأقطار العربية في الأونة الاخيرة ، فهي تتويج لنشاطات كبيرة كانت تقوم بها وزارات الاعلام والمؤسسات الثقافية في الوطن العربي من لقاءات ومؤتمرات ومهرجانات ، بالاضافة الى أن هذه الاسابيع الثقافية تمتاز عن سابقتها بقوة التركيز ، وعمق التأثير ، وبخاصة اذا استطاعت وسائل الاعلام تأدية دورها على خير وجه في هذا السبيل .

لذلك فما احرانا بأن يطلع بعضنا على آداب وثقافة البعض الآخر ، من أجل شد الروابط وتقوية الأواصر والسعى لاقامة صرح الوحدة العربية التي هي مطمح كل عربي غيور . □

أفكار مستقبلية للخروج من

مأزق البطالة العالمية

بقلم : الدكتور رمزى زكي

لم تعد البطالة مشكلة العالم الفقير فقط ، فقد أصبحت واحدة من أخطر مشاكل النظام الاقتصادى الرأسمالي ، وهي فوق ذلك تحمل داخلها بذور انفجارات سياسية واقتصادية واجتماعية .. فماذا يحمل المستقبل من امكانات لحلها ..؟

لعل أبرز وأسوأ سمات الأزمة الاقتصادية العالمية التى تمسك بخناق البلاد الرأسمالية المتقدمة ، ومعها توابعها البلاد المتخلفة ، هي تفاقم مشكلة البطالة ، أي التزايد المستمر فى عدد الأفراد القادرين على العمل ، والراغبين فيه ، والباحثين عنه بلا جدوى . وطبقا للاحصائيات الحديثة ، يصل معدل البطالة ، أى نسبة المتعطلين عن العمل الى اجمالي القوى العاملة ، فى المتوسط ، الى ١٢٪ فى مجموعة الدول الرأسمالية بغرب أوروبا ، والى حوالي ١٠٪ فى الولايات المتحدة الأمريكية . كما يقدر عدد العمال العاطلين بالدول الرأسمالية المتقدمة بحوالي ٣٥ مليون عاطل . ومما يجعل الصورة قاتمة هو الاتجاه المستمر لهذه الاعداد وتلك النسب نحو الارتفاع منذ بداية السبعينيات وحتى الآن . وليس هناك ما يشير الى توقع انخفاض حجم البطالة ومعدلاتها فى الاجل القريب المنظور . أما فى البلاد المتخلفة التي تعانى الآن أشد المعاناة من حصار التنمية فيها ، ومن تفاقم تبعيتها للاقتصاد الرأسمالي العالمي ، فان البطالة فيها أكثر تفاقما وأكثر ايلاما للناس . ذلك أن عدد العاطلين فى هذه البلاد يزيد عن المائة مليون . كما أن معدل نمو البطالة فى هذه الدول أكبر من ذلك المعدل الذى تنمو به فرص التوظف . وقد ذكر التقرير الشهير

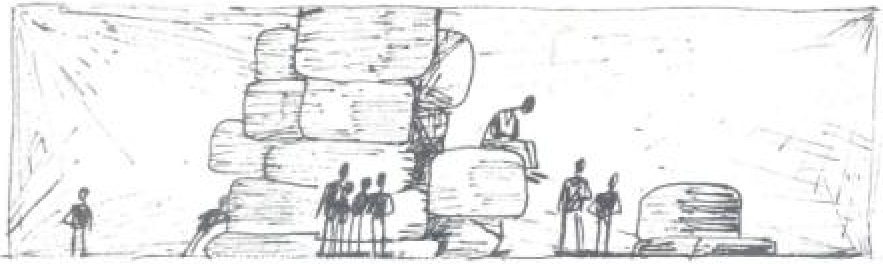

لفيلي برانت وزملائه ، عن حوار الشمال والجنوب (فبراير ١٩٨٠) أن هنـاك تخوفا من أن يصبح عدد العمال العاطلين عن العمل في هذه البلاد حوالي مليار فرد عام ٢٠٠٠ .

وان بلدا كالهند ، التي يصل عدد سكانها الى نحو ٦٠٠ مليون فرد ، تحتاج الى ايجاد فرص عمل لثمانية ملايين فرد كل عام ، من الآن حتى عام ٢٠٠٠ ، حتى يمكن أن يتوفر التوظف الكامل للعمالة الناجمة عن النمو السكاني ، وحتى تواجه البطالة المتراكمة من قبل . وبينما يستفيد أغلب العمال المتعطلين بالبلاد الرأسمالية من نظم اعانات البطالة والرعاية الاجتماعية ، الأمر الذي يخفف عنهم - الى حد كبير - من مأساة التعطل عن العمل ، الا أن العمال العاطلين بالبلاد المتخلفة يفتقدون هـذه النـظم . ومن هنا تمثل حالة البطالة ، بالنسبة لهم ، تهديدا مباشرا لحياتهم ولحياة من يعولونهم .

سـوق العمـل بـالبـلاد الرأسمالية ؟

والحقيقة ، أن (البطالة المتزايدة) بالبلاد الرأسمالية قد تطورت في السنوات الأخيرة لكي تصبح مشكلة هيكلية ، بمعنى ، أنها أصبحت صفة لصيقة بخصائص هيكل اقتصاديات هذه البلاد . فماذا حدث على وجه الدقة للنظام الرأسمالي في الحقبة الأخيرة من السنوات ، وجعل طريقة أداء النظام مغايرة لما كانت عليه من قبل ، وبحيث أصبحت البطالة أحد افرازاته الدائمة ؟

لقد عاشت معظم البلاد الرأسمالية المتقدمة ، خلال الفترة الممتدة فيما بين أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى بداية السبعينيات فترة ازدهار لامعة . وهي الفترة التي يمكن أن نسميها بحق (بالعصر الكينزي) حيث كانت السياسات الاقتصادية الاجتماعية في تلك البلاد ، تعتمد اعتمادا رئيسيا على (روشته) اللورد كينز . وهي الروشته التي أوصت بضرورة التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي ، حتى يمكن المحافظة على هدف التوظف الكامل ، ومعالجة مشاكل التقلبات الدورية للاقتصاد القومي . وخلال هذا العصر تمكنت هذه البلاد من تحقيق معدلات نمو عالية نسبيا ، تصل في المتوسط الى ٤٪ سنويا ، كما أن معدل البطالة فيها لم يتجاوز ٣٪ ، ولم يتعد معدل التضخم ٣٪ سنويا . وآنذاك ، راح الاقتصاديون المحترفون يتحدثون عن انتهاء عصور الأزمات ، وأن النظام الرأسمالي قد استقر وأصبح بامكانه أن يرتكز على الدعائم الذهبية الثلاث ، وهي النمو الاقتصادي المرتفع ، وتحقيق التوظف الكامل ، وتوافر التوازن الاقتصادي الداخلي والخارجي . وشاع مصطلح (دول الرفاه) للاشارة الى البلاد الرأسمالية، نظرا لتوافر الضمانات والرعاية الاجتماعية من جانب الحكومات ، وبسبب ما تتمتع به تلك البلاد من درجة عالية من ارتفاع مستوى المعيشة وتنوع الاستهلاك ووفرته .

والحق ، أن هذا النمو المزدهر ، المقترن بدرجات عالية من التوظف والاستقرار ، كان راجعا الى عدة عوامل هامة توافرت لهذه البلاد ، مثل :

١ - الحصول على مواد الطاقة ، وبالذات النفط من دول العالم الثالث ، بأسعار بخسة .

٢ - التقدم التكنولوجي الهائل .

٣ - نمو حركة التجارة الدولية .

٤ - استمرار نمط تقسيم العمل الدولي لصالح البلاد الرأسمالية .

وبجانب ذلك توافر استقرار نسبي واضح في العلاقات الدولية ، حيث كان السباق السلمي بين النظامين العالميين (الرأسمالي والاشتراكي) ينسج اطارا مواتيا في حلبة المنافسة الاقتصادية على النطاق العالمي .

أما الدول المتخلفة ، التي تقع على حواف الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، فقد استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تحصل على استقلالها السياسي ، وارتفعت فيها شعارات التنمية والتصنيع وتحسين مستوى المعيشة ومكافحة البطالة . وظلت تبحث عن صيغ ممكنة وملائمة لوضع هذه الشعارات موضع التنفيذ . ونظرا لكونها جزءا لا ينفصم عن الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، فقد نالها من الاستقرار والنمو اللذين شهدهما هذا الاقتصاد ، قسطا لا بأس به . حيث ظلت صادرات هذه البلاد من المواد الأولية تنساب الى البلاد الرأسمالية ، وظلت محتفظة بقدرتها على تمويل وارداتها من خلال حصيلة الصادرات والقروض الخارجية . وقد اتجه معدل البطالة في عدد كبير منها نحو الانخفاض .

بيد أنه مع مجيء العقد السابع من قرننا الحالي ، دخلت البلاد الرأسمالية المتقدمة في أزمة طاحنة ، طويلة المدى ، أهم معالمها هو الركود الاقتصادي ، وتزايد الطاقات العاطلة ، وتعايش البطالة مع التضخم ، وتفاقم العجز في ميزان المدفوعات كما تعاصر ذلك مع وجود اضطرابات شديدة في العلاقات الاقتصادية الدولية (انهيار نظام النقد الدولي ، تعاظم نزعة الحماية ، تفاقم مشاكل المديونية الخارجية ، تعويم أسعار الصرف ، . . . الى آخره) .

وهذه الأزمة تشكل ، بكل تأكيد ، نقطة تحول تاريخية هامة في الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وليس مجالنا الآن أن نتعرض لتعليل أسباب هذه الأزمة ودلالتها ، وانما نود فقط أن نلقي بالأضواء على علاقة هذه الأزمة بسوق العمل في البلاد الرأسمالية . فقد صاحب هذه الأزمة تعاظم خطير ومستمر في اعداد العمال العاطلين . وكان ذلك في الحقيقة راجعا الى الامور الآتية :

١ ـ تفاقم آثار الثورة العملية والتكنولوجية على العمالة ، حيث تسارع احلال الفنون الانتاجية المكثفة لرأس المال محل العمل الانساني في كثير من قطاعات الاقتصاد القومي . وقد أدى ذلك ، بداهة ، الى تقليل الطلب على عنصر العمل الانساني .

٢ ـ انتقال عدد لا بأس به من الصناعات الموجودة بالبلاد الرأسمالية المتقدمة الى البلاد المتخلفة ، بفعل الممارسات التي لجأت اليها الشركات الدولية النشاط ، لكي تستفيد من العمالة الأجنبية الرخيصة ، وبخاصة في بلاد جنوب شرق آسيا . وقد أثر ذلك على العمالة المحلية في هذه الصناعات في البلاد الرأسمالية المتقدمة . وتلك هي على سبيل المثال ، مأساة العمال المتعطلين في صناعة المنسوجات ، والصناعات الجلدية ، وصناعة الساعات ، وصناعة تركيب السفن ، . . . الى آخره .

٣ ـ لجوء كثير من حكومات هذه البلاد الى انتهاج سياسات انكماشية ، كان من شأنها تحجيم الانفاق العام ، الجاري والاستثماري ، في مختلف المجالات (باستثناء الانفاق العسكري طبعا) . وقد جر ذلك معه تخفيضا محسوسا في طلب الحكومات على العمالة المحلية للعمل في قطاع الخدمات العامة . فضلا عما نتج عن تخفيض الانفاق العام من آثار انكماشية مضاعفة على التوظف في القطاعات الأخرى .

تلك هي أهم العوامل ، التى تفاعل بعضها مع بعض ، وألقت بظلالها الكثيفة على سوق العمل بالبلاد الرأسمالية ، الذى أصبح يعج الآن بملايين العمال العاطلين .

أما البلاد المتخلفة ، التى تأثرت كثيرا بالأزمة الاقتصادية العالمية ، فقد نمت فيها معدلات البطالة بفعل آثار هذه الأزمة عليها ، وعجز الأنظمة السائدة فيها عن تطبيق سياسات حازمة لمواجهة الصدمات الخارجية ، مثل صدمات ارتفاع أسعار الواردات ، وانخفاض وتقلب أسعار الصادرات ، وتذبذب أسعار الصرف ، وعدم استقرار أسواق النقد العالمية ، . . . الى آخره . وكان من جراء ذلك أن زاد عجز موازين مدفوعاتها ، وضعفت قدرتها الذاتية على الاستيراد ، وتعطلت ، من ثم ، فيها كثير من برامج الانتاج وعجلات الاستثمار ، نظرا لاعتمادها على قدر ضئيل من الواردات الوسيطة والانتاجية . وكان من الطبيعي ـ والحال هذه ـ أن تنخفض معدلات النمو والتوظف ، وأن ترتفع بالمقابل معدلات البطالة . كما ساهمت سياسة (الباب المفتوح) التى ينتهجها الآن كثير من هذه البلاد في تفاقم أحوال البطالة ، بسبب المنافسة غير المتكافئة التى تعرضت لها الصناعات المحلية ، مما أدى الى افلاس واغلاق الكثير منها ، وبسبب الممارسات اللعينة التى تزاولها الشركات الأجنبية الدولية النشاط في عربدتها داخل هذه البلاد .

أفكار للخروج من مأزق البطالة :

ويسود الاتفاق ، أو احساس عام ، بين الاقتصاديين فى العالم الرأسمالي ، بأن العودة الى (الأيام الجميلة) التى كانت عليها أحوال التوظف فيما بين انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى ستينيات هذا القرن ، هي أمر صعب ، ان لم يكن مستحيلا . وقد بات راسخا في الذهن ، تلك الحقيقة المرة التي تقول ، انه لا توجد دولة رأسمالية فى العالم يمكنها أن تجمع الآن بين تحقيق العمالة الكاملة ، والاستقرار السعرى ، والتوازن الخارجي ، ونظام حرية السوق .

ومع ذلك فانه من بين ثنايا هذه الصورة القاتمة ، تبرز بعض الآراء المتفائلة بصدد علاج مشكلة البطالة . وفى هذا الخصوص ثمة أفكار كثيرة تستحق المناقشة .

● وأول هذه الآراء المتفائله ، يرى أن مشكلة البطالة بالعالم الرأسمالي المتقدم سوف تحل تلقائيا من خلال الاتجاه التدريجي لحجم قوة العمل نحو التناقص بفعل الميل المستمر لمعدل الخصوبة نحو التدهور فى هذه الدول . ففى الولايات المتحدة ، على سبيل المثال ، انخفض معدل خصوبة المرأة منذ بداية الستينيات من ٣٫٦ الى ١٫٨ فى نهاية السبعينيات . كما أن عددا لا بأس به من دول الغرب قد انعدم فيها النمو السكاني . ومن هنا ، فانه ان آجلا أو عاجلا ، فان عدد السكان الذين يزداد بهم سوق العمل سنويا ، سوف يقل عبر الزمن . وليس يخفى أن هذا الرأي لا يتعرض للاسباب الحقيقية لمشكلة الفائض السكاني المزمن الذى يتسم به النظام الرأسمالي في مرحلته الراهنة ،ويحلم بايجاد الحل عن طريق (التغيرات الديموجرافية) في الأجل الطويل ، ولا يهتم بالمشكلة في الأجل القصير .

● وثاني هذه الآراء ، ما ينادي به بعض الحكماء ، من أن أفضل سبيل للخروج من مأزق البطالة هو الاصرار على النمو الاقتصادي وتحقيق المزيد منه ، على أساس أن زيادة الاستثمار والانتاج وتشغيل الطاقات العاطلة من شأنه أن يخلق فرصا كافية للعمالة الباحثة عن عمل . بيد أن هذا الرأي وان كان صحيحا من الناحية التاريخية ، الا أنه يعد الآن من قبيل الآراء التقليدية المشكوك في صحتها ، لانه لا يراعي التغيرات الهيكلية التي حدثت في الدول الرأسمالية . ذلك أن النمو الاقتصادي قد يتحقق الآن بشكل غير مصحوب بزيادة في فرص العمل Jobless Growth بسبب ثورة الفنون الالكترونية التي قللت من حجم استخدام القوة العاملة ، نظرا لارتفاع درجة التحكم الألي التي تمخضت عن تلك الفنون . ويضاعف من حرج الموقف ، ان تلك الفنون الانتاجية تتوغل الآن بشدة في القطاعات الخدمية ، وهي القطاعات التي كانت لها القدرة على استيعاب العمالة الجديدة الزائدة عن

حاجة قطاعات الانتاج المادي . كما أن الانفاق العسكري الذي كانت له قدرة عظيمة على امتصاص وتوظيف أعداد كبيرة من هذا الانفاق أصبح يذهب في الأونة الأخيرة الى بحوث التطوير التكنولوجي للأسلحة .

من هنا ، فانه حتى (عسكرة النظام الاقتصادي) لم تعد بالوصفة المجدية لمواجهة معضلة البطالة .

● وثالث هذه الأراء ، ما يقترحه البعض من تخفيض لساعات العمل لكي تتاح الفرصة لأكبر عدد من العمال للمشاركة في الانتاج . والحق ، أن عدد ساعات العمل التي يعملها الانسان في الدول الرأسمالية المتقدمة قد مال بشكل مستمر نحو التناقص بالتدريج . ففي بداية هذا القرن كان متوسط ساعات العمل يتراوح ما بين عشر واحدى عشرة ساعة في اليوم ، مع ستة أيام كل أسبوع ، وبمقدار واحد وخمسين أسبوعا في السنة . أما الأن ، فان متوسط ساعات العمل في اليوم هو ثماني ساعات ، مع خمسة أيام في الأسبوع ، وبمقدار يتراوح ما بين ٤٧ ـ ٤٨ أسبوعا في السنة . معنى هذا أنه بعد أن كان المواطن يكدح حوالي ١٥٠ ألف ساعة عمل على مدار حياته ، انخفض عدد هذه الساعات حاليا الى ما يقرب من ٨٠ ألف ساعة. وهناك من يعتقد أن التطور المستقبل سيتجه بعدد هذه الساعات نحو الانخفاض ، الى حوالي أربعين ألف ساعة عمل . الأمر الذي يسهم في توفير فرص كثيرة للتوظف أمام العمالة الباحثة عن عمل . ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال التقاعد المبكر ، واطالة مدة التعليم الفني والمهني ، وتقليل ساعات العمل في اليوم ، وزيادة أيام الراحة في الاسبوع الى ثلاثة أو أربعة أيام ، واطالة مدة الاجازات السنوية المسموح بها . . . الى أخره .

وعند تقييم هذه الاقتراح ، فان السؤال الهام الذي يتعين الاجابة عليه ، هو موقف رجال الأعمال . فالذي لاشك فيه ، أن تقصير وقت العمل من شأنه أن يرفع من كلفة الأجور في تكاليف الانتاج . وبناء عليه ، فانه ما لم يعوض الانخفاض في وقت العمل ، بارتفاع مناظر ـ على الاقل بنفس النسبة ـ في انتاجية العمال ، فان اقتراحا بهذا الشكل من شأنه أن يهبط بمعدلات الربح . وهو أمر لن يقبل به رجال الأعمال . وحتى اذا تم تعويض ارتفاع كلفة الانتاج برفع مستوى الانتاجية ، فان فاعلية هذا الاقتراح في علاج مشكلة البطالة يفترض ايقاف عملية احلال رأس المال مكان عنصر العمل البشري في الفنون الانتاجية المستحدثة . ومن المشكوك فيه ، أن يحدث هذا في ضوء استمرار الثورة العلمية التكنولوجية .

● وهناك اقتراح آخر ، يرى أن علاج مشكلة البطالة يتطلب اعادة الحياة الى قوى العرض والطلب في سوق العمل . وفي هذا الخصوص ، ينحى بعض الاقتصاديين باللائمة على نقابات العمال وعلى السياسات الكينزية التي عطلت مفعول هذه القوى . ففي رأيهم أن البطالة ترجع الى جمود الأجور والى زيادة تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ، وأن بالامكان تجاوز مشكلة البطالة من خلال تخفيض الأجور . ولهذا يتعين (النضال) بلا هوادة ضد قوة نقابات العمال التي تقف أمام هذا الطريق . كما ينبغي الغاء نظام اعانات البطالة التي تمنحها حكومات بعض الدول للعمال العاطلين ، لانها بذلك تجعل هؤلاء العمال غير عابئين بالبحث عن فرص للعمل ، وبخاصة اذا كان الفرق بين الاجر الجديد لفرصة العمل لا يزيد كثيرا عن مقدار اعانة البطالة . وتجدر الاشارة ، الى أن أنصار هذا الرأي لا يمانعون من زيادة معدل البطالة الطبيعي في المراحل الاولى من تخفيض الأجور ، وبالتالي تكاليف الانتاج ، فتقوى الحوافز لدى الرأسماليين لاستجار العمال وتشغيلهم . والواقع أن اقتراحا كهذا ينطوي على كلفة سياسية بالغة الخطورة ، لانه يؤدي بالتأكيد الى حدوث صدام عنيف بين الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية والسياسية وبين حماة السلطة ورأس المال . وهو أمر تؤكده أحداث انجلترا ، التي تتبنى مثل هذا الاقتراح (الصراع بين تاتشر وبين نقابات العمال) .

● وهناك اقتراح آخر ، على عكس الاقتراح السالف الذكر ، يرى أن يأتي من خلال دعم دور الدولة في الحياة الاقتصادية ، مع الاشارة دوما ، الى أن وظيفة الدولة ليست مصادرة الارباح أو الحد من حرية رأس المال الخاص ، ولكن وظيفتها يجب أن تكون هي : جعل الخسائر اجتماعية ، ووقف كارثة الانهيار الاقتصادي ، وتسهيل عمل النظام الرأسمالي

من خلال تنشيطه . وأنصار هذا الرأي يقترحون حلولا كينزية أو شبه كينزية ، مثل دعوة جهاز الدولة لتبني التخطيط الاقتصادي طويل المدى ، وقيام الحكومات بتنفيذ دفعة قوية من الاستثمارات العامة الكثيفة في مجال مكافحة تلوث البيئة ، وبناء المساكن اللائقة لمحدودي الدخل ، وتطوير مصادر جديدة للطاقة ، وتوسيع واعادة بناء شبكة السكك الحديدية ، . . . الى آخره .

● وأخيرا وليس آخرا ، هناك بعض الحكماء الذين يعتقدون أن الخروج من مأزق البطالة يكون من خلال دول الشمال الرأسمالي ، وسيكون من خلال انعاش الجنوب الفقير والمتخلف . ويكون ذلك من خلال ارسال عشرات البلايين من الدولارات الى دول الجنوب . ويمكن تدبير هذه الأموال من خلال القنوات الرسمية الحكومية ، ومن المنظمات الدولية ، وعن طريق فرض ضرائب على التجارة الدولية وعلى تجارة السلاح والنقل البحري واستغلال الفضاء وقيعان البحار . . الى آخره .

وسيؤدي استخدام هذه الاموال من جانب دول الجنوب الى سرعة انعاش الطلب الكلي في السوق الرأسمالي العالمي ، الأمر الذي سيؤدي الى دوران عجلات الانتاج والتوظف والاستثمار على نحو يحل معضلة البطالة بدول الشمال ، ودول الجنوب أيضا .
وهذا الاقتراح الذي تتبناه بقوة لجنة فيلي برانت لحوار الشمال والجنوب ، ينادي في واقع الأمر بعمل ما يمكن تسميته (بنظام للضمان الاجتماعي) على المستوى الدولي ، بحيث يتحمل تكلفته أغنياء الشمال حتى يمكن لفقراء الجنوب أن توجد لديهم المقدرة الشرائية لتنشيط التجارة الدولية ، فتتزايد فرص التخصص والانتاج والاستثمار في الشمال والجنوب معا . وهو اقتراح يذكرنا بما نادت به الكينزية ، ومن هنا يمكن اعتباره من قبيل الكينزية العالمية .

● كانت تلكم طائفة من الحلول والآراء المطروحة على ساحة الفكر الاقتصادي للخروج من مأزق البطالة . صحيح أنه من الصعب أن تتنبأ بشكل دقيق بما يخبئه المستقبل من تطورات ومفاجآت ، ومن ثم ليس بالامكان أن نحدد ، على نحو يقيني ، مسار التطور الذي ستأخذه ظاهرة البطالة في الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، لمراكزه المتقدمة وأطرافه المتخلفة في الحقبة القادمة . ولكن مهما يكن من أمر ، فاننا نعتقد أنه لا سبيل للخلاص من مأزق البطالة طالما ظلت قدرة النظام الرأسمالي الانتاجية تنمو بمعدلات أكبر من قدرته على الاستهلاك . فها هنا يكمن لب المشكلة ، وان العائق الحقيقي للتغلب على هذه المشكلة يتمثل في نظام الملكية الخاصة الذي تعلو فيه مصلحة (الخاص) على (العام) . ولهذا فأغلب الظن ، أن أية حلول سيؤخذ بها للتخفيف من حدة هذا المأزق ستكون من قبيل الحلول المسكنة التي تخفف من الآلام الحالية هي أزمة هيكلية ، وتشكل ـ كما قلنا من قبل ـ نقطة تحول حاسمة في تاريخ النظام الرأسمالي ، فان ثمة تغيرات هامة في السياسة والاقتصاد يجب أن تحدث ، حتى يظهر وضع تاريخي جديد ، يكون مواتيا لاستئناف التوسع في عمليات الانتاج وتراكم رأس المال ، ومن ثم زيادة فرص التوظف .

أما في البلاد المتخلفة ، فليس هناك من سبيل فعال أمامها للتخلص من مأساة البطالة ، الا بتحقيق التنمية المستقلة ، المعتمدة على النفس ، والتي تتوجه للداخل وليس الخارج ، وتهدف الى تحقيق الاشباع المتزايد للحاجات الأساسية للسكان . ولن يتحقق ذلك ، الا بنفي التبعية الاقتصادية للخارج ، وبتحقيق التحرر الاقتصادي ، وتعبئة الموارد المحلية الممكنة ، وترشيد استخدامها من خلال نظام عقلاني يعتمد على التخطيط . □

■ لن يتاح لي أن أعيش في هذه الحياة غير مرة واحدة . فكل عمل حسن أستطيع أداءه ، كل لمسة رقيقة لانسان أستطيع منحه إياها ، يجب ألا أؤجلها أو أهملها لأنني لن أمر بهذا الطريق مرة أخرى .

(ستيفن جريلين)

قــــراءة في روايــــة

الجـــازيـة والدراويش ..

للـــروائي الجزائـري عبدالحـميد بـن هـدوقـه

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

يمضي القاريء الى عالم هذه الرواية عبر صوتين يأتيان من زمنين مختلفين .

صوت من الزمن الأول يقدم الفصل الأول في الرواية ، ثم يأتي الصوت الثاني ليقدم فصلاً من الزمن الثاني ، ثم تتوالى الفصول في الرواية تعاقبا بين الصوتين ، كحبلين مجدولين على التوالي . ومن خلال جدل الصوتين في ذات القاريء يكتسب بناء هـذه الروايـة تعقيده وثراءه وتفرده !!

الصوت الأول :

ع هـو صـوت (الـطيـب بـن الأخـضـر الجبايلي) ،يأتي من السجن ، حيث يسترجع (الطيب) في وحدتـه الأحداث التي انتهت بـه الى سجنه ، متهما بقتل الطالب (الأحمر) الذي عثر على جثته فوق صخرة أسفل (عين المضيق) . شهد أهل قرية « الدشرة » ضده ، وأكد راعي « الدشرة » أنه رآهما معا ، الطيب والأحمر لآخر مرة قرب الصخرة ، ولم ينف والد الطيب التهمة عنه ، بل كان صمته يشي باعتزاز بأن يكون ابنه هو حقا قاتل الأحمر !

(الشامبط) وحده هو الذي لم يتهم الطيب ولم يدافع عنه . كان يكره القاتل والقتيل ، بقدر ما كانت القرية كلها تكره (الشامبط) .

لم يكن ما يفكر فيه (الطيب) في سجنه هو إثبات براءته ، فقد كانت هذه البراءة هي الشيء الوحيد الذي يراه في وضوح ، ما عدا ذلك فقد كانت الأحداث تتشابك في عقله وتملأ أيامه في السجن بتساؤلات حادة يحاول أن يزيح عنها الغموض ، وأن

يلتمس المعنى ، فذلك وحده هو ما سيجعله قادرا على المقاومة وهو في السجن ، وعلى المواجهة حين يخرج منه !!

كانت الحكومة قد أرسلت عددا من الطلبة منهم (الأحمر) ، أكبرهم سنا (في الثلاثين من عمره) لاقناع الأهالي في قرية الدشرة التي تقع قريبا من قمة الجبل ، بالانتقال الى القرية الجديدة ، التي تبرع (الشامبيط) بأرضها ، والتي تبنيها الحكومة لهم في الوادي ، ليمكن لها أن تقيم سدا أسفل الدشرة ، يحتجز خلفه مياه الأمطار والثلوج والعيون بأعلى الجبل . مياه السد سوف تغرق القرية بطبيعة الحال .
وكان دور الطلبة أن يقنعوا الأهالي بأهمية الانتقال الى القرية الجديدة ، وبأن هذا الانتقال الى قرية تتصل بغيرها من بلاد الدنيا داخل الجزائر وخارجها ، هو في حقيقته انتقال الى حياة أفضل ، تسعى الحكومة بعد الاستقلال الى توفيرها ، وبخاصة لأولئك الذين أبلوا في حرب الاستقلال مثل سكان الدشرة ، يكفي أن يكون من بينهم والد (الجازية) ، الشهيد (الذي قتل بألف بندقية ، ودفن في حناجر الطيور) كما يحكى الأهالي ، و (الأخضر الجبايلي) الذي يتخفى في وداعته ، ولكن الناس يعرفون (أن الحجل يسقط قبل أن تنطلق الطلقة من بندقيته) .

لم يتردد (الطيب) في أن يشارك الطلبة مهتهم في اقناع الأهالي ، وأكثر من ذلك استضاف في بيته (الأحمر) (وصافية) الطالبة الوحيدة التي جاءت معهم لتكون مع شقيقته (حجيلة) ، كان طالباً مثلهم ، ولكنه يدرك - ربما بشكل مختلف - معنى تعلق الأهالي بقريتهم ، بالدشرة التي تلوذ مترفعة بجبلها العالي ، بمسجد الأولياء السبعة الذي تسمى به القرية أحيانا . ففي زمن لا يعرفه أحد دفن هؤلاء الأولياء هنا (سبعة يغْبَاوْ و سبعة ينْبَاو) كلما مات سبعة ولد غيرهم ، فكيف يمكن لأحد أن يقنع الدراويش والرعاة والزراع بالتخلي عن مثل هذا المكان الذي تستمد منه الدشرة قيمتها بين القرى ، في ساحة مسجد السبعة تقام (الزردات) كلما جد أمر خطير ، فيها تقدم النذور ، وتنحر الذبائح وتصدح الطبول ، ويرقص الدراويش على ايقاعها ، وتحمى المناجل حتى تصير بلون الدم أو بلون البرق ، يلعق الدراويش المناجل بألسنتهم يعانقونها بأيديهم العارية ، يقرءون في دماء الذبائح المتجمدة في أواني الفخار صفحة المستقبل ، يتحدثون بما كان ويكون ، هنا حياة تنطوي على أسرارها ، صنعها الجبل والدراويش والرعاة والسبعة الذين يحرسون الدشرة بقدر ما تحرسهم (الدشرة) فكيف لمثل هؤلاء الطلبة أن يقنعوا الأهالي بالتخلي عن قريتهم ؟
كان (الطيب) في الحقيقة مقسوما قسمين ، قسم مع الطلبة وقسم مع الأهالي ، أما (الأحمر) فكان يقول (للطيب) عن السكان :
- ان رءوسهم جد صغيرة ، ولو وضعت فيها أفكار كبيرة انفجرت .
- وماذا تريد أن تضع فيها ؟
- لا أدري ! ربما أضع فيها أحلاما حمراء بمستقبل يلمس أشد الخيالات ضيقا !

ربما كان ذلك جزءاً من سر الأحمر وسحره ، قدرته على أن يحول الفكرة الى حلم ، والرغبة الى شوق !
فضوله لا يقف عند حد ، ومعلوماته عن القرية والشامبيط والدراويش والرعاة والزراع تجعل (الطيب) يشعر الى جوار الاعجاب به الخوف منه ، انها أكبر بكثير من كل الأيام التي قضاها في الدشرة ، كيف عرف بأمر (الجازية) ؟

ان اهتمامه المفاجيء بما يروى عن (الجازية) من أنها ترفض كل خطابها ، وأنها لن تتزوج الا بمن لا يخطر له على بال ، هذا الاهتمام يترك آثارا لا تخطيء العين معناها لدى (صافية) زميلة الأحمر ، ولدى (حجيلة) شقيقة (الطيب) الأمر الذي يفجر في أعماق الطيب أشياء لا يقدر على إخفائها ولا على مواجهتها !! هل جاء الأحمر من أجل السد أم من أجل الجازية ؟

وما هذا الذي يجري أمام عينيه (لصافية) و (حجيلة) ؟
إن الانسان المنقسم لا يقدر على خوض المعارك ، وهاهو الطيب يجد نفسه عاجزا عن الدفاع عن (الدشرة) أو عن (الجازية) أو عن (حجيلة) أو عن (صافية) التي لا ينكر اهتمامه بها ، فهي تقف في منتصف المسافة بينه وبين الأحمر ، متحررة لكن ليس الى حد تعمد الصدام مع الأهالي ، حالمة بالتغيير لكنها

ترى مع (الطيب) أن قدراً من احترام منطق الأهالي ضروري لمشاركتهم في أي تغيير !

هي تقترب يوما بعد يوم من قلب الطيب وعقله ، لكن أين يكون قلبها هي ؟

كأنما جاء (الأحمر) ليجعل الطيب يواجه حقيقته ، ماذا هو ؟ ماذا يريد ؟ ماذا يكون ؟

أبوه يحلم بأن يزوجه من الجازية ، وبخاصة بعد أن عرف أن (الشامبيط) يتطلع هو الآخر الى أن يزوج ابنه الذي يدرس في أمريكا من الجازية !

كانت الجازية حلم طفولة (الطيب) ، تربيا معا ، عاشا حب الطفولة وأحلامها ، حين عاد من دراسته وجد أن الطفلة قد أصبحت أسطورة ، من الذي صنع هذه الاسطورة ؟ هل هو أبوها الشهيد ؟ هل هو جمالها الفائق الذي لا يقوى أحد على مجرد التحديق فيه ؟ أم هم الدراويش والرعاة والزراع كل واحد منهم حلم بها يوما ، وحين بدا أن أحلامهم جميعا تقصر عن الوصول اليها وتتصادم ، أطلقوا

حولها الأساطير والحكايات لتحول بينهم وبينها ، لتبقى لهم جميعا ، للدشرة كلها حين لا تكون لواحد منهم ، الأساطير التي تروي حول الجازية لا تتوقف عند حد ، تتحرك في كل اتجاه ، تتلون بكل المعاني تحكم الحصار حول الجازية . عندما سمع الدراويش أن (الشامبيط) يفكر فيها لابنه أطلقوا الحكايات التي تشوه سمعتها مع الرعاة حتى يزهد فيها ابن (الشامبيط) !

الزردة أو المواجهة :

حين عرف (الطيب) أن الدشرة قررت أن تقيم (زردة) احتفالا بوجود الطلبة،لم يكن يدري أيفرح أم يغضب ؟

كان يقول للأحمر لمواجهة اندفاعاته المغامرة :

ـ دع نفسك على عفويتها ، واترك معنا حياتنا ترى الأشياء على طبيعتها !

ولكن الأحمر ما كان يعرف حدودا يتوقف عندها ، كان يرسل نداءاته الى كل مكان ، والى كل أحد ، موقظا في الناس أشواقا مجهولة المصدر مجهولة الغاية . أخته حجيلة التي لم تخرج يوما من القرية ، استجابت لنداءات الأحمر ، لم تخف لحظة حماسها للانتقال الى القرية الجديدة ضد رغبة أبويها ، ربما لأن تلك هي الطريقة الوحيدة أمامها لتحقيق أحلامها الغامضة المكبوتة في حياة مختلفة !

قال لها الأحمر يوما أمام أخيها :

ـ أنت النموذج الكامل للهدم ، وأخوك النموذج الكامل للصيانة !

وهاهي الدشرة تبدو كأنها تستجيب لنداءاته ، فقررت أن تصنع (زردة) للطلاب ، في جو الزردة ، تقلع الدشرة برقعها ، تعرف ذاتها ، تستعرض قواها الخفية والغامضة ، أهي تريد أن تتصالح مع الأحمر أم قررت منازلته ؟؟

في ساحة مسجد السبعة تجمع الأهالي والطلبة في لحظة بدت مشحونة بالعواطف والمخاوف والفضول والترقب والفرح ، سيقت الذبائح الى مكان الذبح ، عزفت الطبول والرزنات ، حلقات الرجال والنساء والأطفال تزداد إحكاما حول الدراويش والرعاة ، وهم يرقصون ويتحاورون بالكلمات الغامضة المسجوعة ، التي تتحدث عن الماضي والحاضر وماذا يراد بالناس أو يراد منهم ؟ !

اشترك الطلاب في الرقص مع الدراويش ، في مكان قريب كانت النيران تشتعل ، والمناجل تكتسب ألوانها الحمراء والبيضاء ، قبل أن تصل المناجل الى أيدي الدراويش خرج الطلبة من حلبة الرقص ، عدا الأحمر ، ظل وحده يرقص مع الدراويش بقامته الفارعة كصفصاف الدشرة ، النساء يحلقن إعجابا وخشية ، سوف يمكر به الدراويش لامحالة ، المناجل الحمراء تخطف الأبصار ، السماء تشارك في اللحظة الخارقة فترسل سحابا يزيد من ألق المناجل ، الجانب الذي تقف فيه النسوة يحدث فيه هرج ومرج ، تنسحب الأنظار للحظة من على ساحة الرقص ، ثمة حدث خارق يحدث ، (الجازية) تحضر الى الحضرة ، جاءت ملثمة لكن نورها لا يحجبه لثام ، علت صيحات الدراويش تطلب المناجل ، الرعد يختلط بأصوات الدراويش ، ووميض البرق يخفي للحظة وميض المناجل ، وحبات المطر تلغي المسافات بين السماء والأرض ، بين الانسان والطبيعة ، طلب درويش منجلا أبيض من وهج النار وقدمه للأحمر ، أخذه الأحمر بلاتردد ، لعقه مرة ومرات وكان في حالة نشوة كاملة ، إشتد العزف والرقص ، تتابعت ومضات البرق كأنها تشير الى مكان الجازية ، الأحمر قرأ الاشارة . تقدم نحو الجازية ، مد يده إليها ، مدت يدها اليه ، قادها الى الحلبة ، قدم لها منجلا فلعقته ، راقصها فراقصته (الأحمر يرقص ، الجازية ترقص ، الحاضرون جالسون لكن نفوسهم ترقص) ، ماذا بقي لكي تقوم القيامة ؟ وبدا كأن

القيامة قامت ، المطر ينهمر ، العاصفة تعصف، حبات المطر تصبح فجأة حبات برد في حجم البيضة ، صعق الناس ، لاذ بعضهم بالمسجد ، هرع الآخرون الى بيوتهم ، لكن ماذا تفعل البيوت أمام السيل الجارف ، بدا كأن السيل وليس الطلبة هو الذي سيقوم باقتلاع القرية من جذورها . السماء تنتقم من الطلبة ، السبعة ينتقمون من الأهالي الذين سمحوا للأحمر بأن يراقص الجازية في ساحة مسجدهم ، كيف فعلها هذا الغريب ؟

اقتحم قدس أقداسهم ، تحدى الدراويش ، لعب لعبتهم ، غزا قلوب النساء والأطفال والأهالي ، تجاوز الحدود ، ألغى المسافات . . . وربما في تلك اللحظة تقرر أن يموت الأحمر . من الذي أصدر القرار ؟ من الذي نفذه بعد حين ؟ لا أحد يعرف ، لاأحد يتكلم ، وحتى في السجن لم تكن الأمور أكثر وضوحا ، لم يكن (الطيب) نادما أو حاقدا ، حين بدأ الأحمر مراقصة الجازية . امتدت يد أبيه الى البندقية لكن (الشامبيط) أمسك بيد أبيه . . . الطيب حاول أن يقنع أباه أن كل ما حدث كان مجرد رقص في حفل طقوسه تسمح للجميع بالرقص ، والجازية لم تكن خطيئته ، صمت أبوه ولكنه لم يهدأ ، واذا كان قد هدأ بعد حين ، فمن يهدىء الدراويش والرعاة ؟

كان يحاول أن يفهم الأحمر لا أن يقتله ، لا ينكر أنه في لحظات تمنى قتله ، حين رآه يطلق في صدور نساء القرية مشاعر كانت تغيض في صخور الدشرة ، رآها في الزردة تفيض من العيون كالينابيع ، وتفاجيء حتى أصحابها ، وفي عيني صافية وحجيلة كانت تمتزج الغيرة بالافتتان ، تمنى لحظتها أن يكون قاتله ، لكن فعل القتل يحتاج الى نوع من الإيمان بما يدعو الى القتل ، وهو لم يكن يملك ايمان الدراويش بالماضي ولا إيمان الأحمر بالمستقبل ، (الأحمر جعله يدرك أنه كالصفر الذي تتلاقى فيه جميع الازمنة !)

في السجن

في السجن كان (الطيب) يحاول أن يلملم أجزاءه المبعثرة ، أن يجمع بين الأسئلة وأجوبتها ، بين الأحداث ومعانيها ، لماذا بقي الأحمر وحده في الدشرة بعد أن غادرها الطلبة ؟

لو عاد معهم الى المدينة بعد ما جرى في الزردة لما لقي مصرعه ولما دخل الطيب السجن ؟

كان الأحمر يذهب الى الأماكن التي تقرر أن يقام فيها السد يلاحظ ويكتب أوراقا ويبعث بتقارير ، ويرد على أسئلة (الطيب) بجواب وحيد :

ـ لم تنته مهمتي بعد .

ماذا كانت مهمته ؟

كان يحاول أن يفهم الطيب لا أن يقتله ، وجاء الموت ليضع حدا لمهمة الأحمر ! وليدخل الطيب السجن !

في السجن كان الطيب يتأمل الألفات التي حفرها في الحائط سجين كان في نفس الغرفة . . . حفرها بأظافره . . . قال السجان : مات قبل أن يصل بها من يمين الباب الى يساره . . . ما الذي كان يريد هذا السجين أن يقوله بهذه الألفات لمن يجيء بعده ؟

وفي السجن يلتقي بشاعر سجين ، نصف عاقل ونصف مجنون . . . لم يسمع بالأحمر ومع ذلك فقد كانت روح الأحمر تسكن نصفه العاقل ونصفه المجنون معا .

وتأكد له أن الأحمر لا يموت بالقتل !

وفي السجن زارته أخيرا صافية ، لا تزال تواصل اقترابها المحسوب منه ، تحمل في عينيها أشواقا لا تحتجزها القضبان ، وأخبارا تؤكد أن الأحمر لا يزال يواصل مغامراته بعد الموت ، فالتقارير التي كان يدعوها مهمته ، جعلت المسئولين يعيدون النظر في قضية السد برمته ، ويشكلون لجنة لتقصي الحقائق حول علاقة الشامبيط بالموضوع كله ، ومدى جدية الدراسات السابقة حول الموضع ، والطلبة يتابعون المسألة ، وكأن الأحمر لا يزال يقودهم من وراء القبر !

الصوت الثاني :

هو صوت (عايد بن السايح بن المحاين) الذي يعود من المهجر الى مسقط رأس والده في الدشرة ، تنفيذا لوصية الوالد الذي مات في الغربة !

كان أبوه صديقا للأخضر بن الجبايلي ، وكانت قصة سجن (الطيب) ومقتل الأحمر ، وأسطورة الجازية كلها قد هاجرت خارج الجزائر ، وهي تعود الآن مع (عايد) أسئلة تبحث عن أجوبة . . .

وصورا متفرقة تبحث عن اطار . ولم يكن ذلك كله سوى أجزاء متفرقة في بحث عايد عن جذوره في الدشرة ، ورغبته ورغبة أبيه في العودة لهذه الجذور !

وهو في طريقه الى الدشرة ، صاعدا اليها عبر طريق ضيق على منحدر عال يلتقي أول ما يلتقي براعي السبعة ، الذي يطلق قطيعه عليه في حركة مفاجئة تملأ الطريق ، ولولا تشبثه بأحد الجذور الناشئة لسقط في المنحدر ، ان هذا الحادث سوف يلقي الضوء في فصول تالية على الطريقة التي قتل بها الأحمر ، كما أن التمسك بالجذور كأسلوب للنجاة من هلاك محقق هو رمز لا تخطئه العين في هذه الرواية الحافلة بالرموز .

ومن خلال حديث (عايد) مع الراعي تبدأ الأضواء تترامى على الوجه الآخر للأحداث التي عشناها مع (الطيب) .

وفي اطار بناء الرواية الذي ألمحنا اليه في بداية هذا المقال فان الوجه الآخر للشخصيات والأحداث كان يتراءى دائما للقارىء من خلال تقاطع الصوتين وهذا جزء من انجاز البناء في هذه الرواية ، فقد كان من الطبيعي بالنسبة لعايد وهو عائد من المهجر أن يسأل ويحاور ويحاول أن يفهم ، ومن هنا فقد كان صوته مرآة لأصوات الدراويش والرعاة والزراع ، ومرآة للتغييرات التي حدثت بين الزمن الأول والزمن الثاني ومن هنا فقد كانت شخصيات الأحداث تبدو دائما للقارىء بفضل هذا البناء ومن خلال هذه المرايا . . . المتقابلة متعددة الوجوه والمستويات متنوعة الدلالة والمعنى والايحاء !!

مع صوت عايد نلتقي (بحجيلة) التي تفتحت شخصيتها في الزمن الأول أمام نداءات الأحمر ، وقد أصبحت أكثر نضجا واستقلالا ، ان شخصيتها تتطور عبر حوارها الدائم مع عايد الذي لا يزال تعيش في أعماقه أسطورة الجازية ، انها هي التي تنجح في تخليصه من هذه الأسطورة ، لتصبح هي البديل الصحي لأسطورة الجازية أو التحقق الصحيح والممكن لهذه الأسطورة !!

ومع صوت عايد نستمع الى أحد الدراويش يتحدث اليه عن الأحمر :

(لو لم يستعجل لصار درويشا ممتازا ، خسر نفسه ، وخسره الدراويش ! ماذا كنا نستطيع أن نفعل له ؟ لم يحالفنا ولم يستشرنا ! الناس تعذبوا وسجنوا ، حلموا السنين الطويلة ليحصلوا على نظرة واحدة من الجازية ، ولم يستطيعوا ، وهو في لحظة أراد أن يولدها أمام كل الناس لا . . . كان غالطا . . . لحق منجلا ، رقص رقصة ، ظن أنه وصل ، الدروشة لا تحصل في ليلة ، الجازية لا تنال بضمة . لا لا . . . كان غالطا) .

واذا كان الدراويش قد رأوا ببصيرتهم النافذة أن الأحمر كان درويشا مثلهم ، فاننا مع صوت عايد نرى بدورنا ، وفي بهو المرايا المتقابلة الذي يتيحه بناء هذه الرواية ، أن الدراويش ليسوا سوى نوع من الثوار ، لقد رفضوا واقعا قاصرا وعاجزا ، ونجحوا في إطلاق قواهم الكامنة ،وفي تحرير عواطفهم وخيالاتهم من اسار الرؤية اليومية المقيدة بالمنطق العملي ، ولكنهم لم يصلوا الى توجيه هذه القوى التي أطلقوها لتغيير واقعهم الى مستوى خيالهم وحلمهم الزاهي !!

مع صوت عايد وتجربته في الدشرة تتكامل الصورة الحقيقية (للشامبيط) فنرى أنه الرؤية المضادة لرؤية الأحمر ، ولكن خطورة الشامبيط أنه أقدر من الأحمر على انجاز رؤيته لأنه يعرف خفايا الدشرة ، ويعرف كيف يسيطر بالوعد والوعيد على الدراويش والرعاة والزراع جميعا حتى يصل الى هدفه النهائي بتزويج ابنه من الجازية ليصبح مالكا للواقع والأسطورة !

ومع صوت عايد نرى الشامبيط يقتل بالطريقة نفسها التي قتل بها الأحمر ، قبل أن يتمكن من حضور الزردة التي أقامها ليتمكن ابنه من رؤية الجازية ولتتمكن هي من رؤيته ، وفي هذه المرة لن يكون القارىء في حاجة الى من يخبره عن القاتل ، فرجال الدشرة القدامى يصفون حساباتهم ، وربما كان الأحمر هو الآخر يصفي حساباته مع الشامبيط حين بدأت تقاريره التي كتبها قبل أن يموت عن مشروع السد تجعل الثورة تعيد النظر في المشروع كله في ضوئها .

ومع تقابل صوت عايد وصوت الطيب في الفصلين الأخيرين ترق الحواجز وتتقاصر المسافات بين الطيب وصافية وعايد وحجيلة ، ويلوح أن هؤلاء الأربعة هم أبطال الزمن القادم الذين تنعقد عليهم الآمال في انجاز التغيير بالناس وفيهم ومعهم !! □

مكتبة العربي

كتاب الشهر

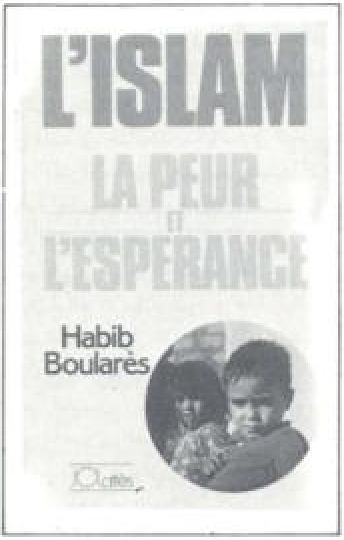

الإسلام الخوف والأمل

تأليف :

الحبيب بو الأعراس

عرض وتقديم : الدكتور الحبيب الجنحاني

ـ مؤلف هذا الكتاب مثقف تونسي، وصحافي مشهور، شارك أيام الشباب في الحركة الوطنية التونسية، ثم تحمل مسؤوليات غداة الاستقلال، منها مسؤولية وزارة الشئون الثقافية والاعلام، وهو حاليا عضو في مجلس النواب التونسي، ويعمل أستاذا بمدرسة اللغات الشرقية في باريس.

كتاب الشهر

ع

لماذا هذا الكتاب ؟

يحاول المؤلف أن يجيب في مقدمة الكتاب عن هذا السؤال ، فهناك عشرات الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة عن الاسلام في البلدان الغربية ، فهل سيضيف هذا العمل شيئا جديدا ؟ ذلك ما حاوله المؤلف ، وقد نجح في ذلك الى حد بعيد ، كما سنرى أثناء مناقشتنا لبعض الأفكار الأساسية ، فهو ليس تصنيفا أكاديميا ، أو عرضا للكميات الثرية من الكتب والوثائق ، وضمنها المنشورات السياسية الصادرة عن الحركات الاسلامية التي يزخر بها المجتمع الاسلامي المعاصر ، بل تحليلا لواقع الاسلام اليوم ، هذا الواقع الذي أصبحت تقدمه وسائل الاعلام الغربي باعتباره واقعا منذرا بالويل ، ومهددا لمصالح الغرب ، وباثا الرعب في نفوس الغربيين ، وفي قلوب أصدقائهم المتبنين للنموذج الحضاري الغربي في البلدان الاسلامية ، متخذة من المثال الايراني حجة لدعم صور الهول والفزع التي يقدم بها الاسلام .

هل يخيف الاسلام فعلا ، وهل هو مرتبط حتما بالتعصب ، تطغى على رواده نظرة ماضوية رجعية ؟

أليست التيارات السلمية التحديثية في الفكر الاسلامي الحديث هي التي استطاعت أن تصمد أكثر وتدوم ؟ أليست مظاهر الغلو التي برزت هنا وهناك في صفوف الحركات الاسلامية في السنوات الأخيرة هي رد فعل نتيجة فشل أنماط معينة من سياسة التنمية ، ونتيجة ارتماء كثير من النظم السياسية في العالم الاسلامي ارتماء كليا ومبالغا فيه في أحضان السياسة الامبريالية للغرب مما أدى الى بروز أشكال مفضوحة للاستعمار الجديد ، وتقلص مظاهر الاستقلال الوطني ، وما تعنيه من أصالة حضارية مثلت أيام الكفاح الوطني دعامة أساسية من دعائم تعبئة الجماهير في سبيل الحرية والاستقلال ، وقد كان الجهاد بمفهومه الاسلامي حافزا فعالا للجماهير المسلمة في مقاومة المستعمر بالأمس القريب ؟

يحاول المؤلف في الفقرة الاولى من الكتاب أن يقدم للقارىء الاوروبي بصفة خاصة المراحل التأسيسية لظهور الدعوة الاسلامية في المجتمع القرشي المكي ، ثم في المدينة من جهة ، وربط هذه المرحلة بـمرحلة الخلافة الراشدة - برؤية كثير من الحركات الاسلامية المعاصرة من جهة ثانية .

إنه ليس من الصدفة أبدا أن يتخذ كثير من الحركات الثورية الاسلامية حياة الجماعة الاسلامية الاولى في المدينة نموذجا يحتذى ، وهذا لا يعني العودة الى السلوك اليومي لتلك الجماعة بعد أربعة عشر قرنا من تطور المجتمع البشري ، وما حققه من انتصارات علمية وتقنية باهرة ، كما تقدم بعض الحركات للرأي العام العالمي اليوم تبسيطا ساذجا لها وتشويها .

إن المسلم اليوم يعيش عصره ، ويستعمل تقنياته في حياته اليومية ، لكنه يريد أن يحافظ مجتمعه - ابتداء من القيادة المشرفة على شؤونه - على القيم التي أسس عليها المجتمع الاسلامي في العصر الراشدي . إن قيمة الحاكم القدوة ، أو المحاسبة الدقيقة في صرف أموال الجماعة ، أي الأموال العمومية اليوم لا تتناقض مع الافادة من أحدث ما بلغه التطور العلمي والتقني البشري ، ويريد أن يحافظ خاصة على ذاتيته واستقلاله ، وأن يشارك الآخرين مشاركة الند للند ، ولا يبقى تابعا ، قانعا بفتات مائدة عمالقة العصر الحديث ، مغزوا في مجتمعه وفي عقر داره . ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟

السبيل

إن القضية مطروحة منذ أكثر من قرن ، ومرت بمراحل مختلفة ، ويبدو أنها دخلت منذ مطلع السبعينات مرحلة حاسمة طرحت مستقبل مليار مسلم طرحا عالميا ، وبشكل حاد .

إن الكاتب يتساءل : لماذا في الاعوام الاخيرة بصفة خاصة ، ولماذا اتباع هذا الاسلوب العنيف ، ولماذا . . . ؟

إن الموضوع أشد تعقيدا ، وأخطر شأنا من الاجابة عنه اجابة سطحية ، سريعة ، فهو يدعو المفكرين ، وأهل الاختصاص في القضايا الاسلامية ، ورجال السياسة والحكم ، وليس أخيرا المنظمات الدولية إلى الانكباب على دراسة الموضوع .

إن مستقبل الاسلام لا يهم المسلمين فحسب ، بل يهم المجتمع الدولي كله ، ولكن لا مناص من الاعتراف بالحقيقة المؤلمة ، وهي أن المجتمع الدولي ، وخصوصا المجتمع الصناعي منه لا يهمه ما يحدث من تناقضات ، وعنف ، وانتفاضات في البلدان الاسلامية إلا من زاوية واحدة تكاد تنحصر في دراسة تأثير هذه الأحداث في مصالحه الاقتصادية عامة ، والنفطية بصفة خاصة .

أما الفقرة الثانية من الكتاب فقد خصصها المؤلف للحديث عن ظهور الحركات الاسلامية المنظمة في المرحلة المعاصرة ، ابتداء من تأسيس حركة الاخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ مركزا بالخصوص على مصر ، وبلاد الشام ، محاولا ربط ذلك بفشل النظم القائمة في البلدان الاسلامية في ميادين السياسة التربوية وتكوين الكوادر ، وفي اختيار نموذج التنمية الاقتصادية ، وما مر به هذا النموذج من اضطراب وتذبذب بين الطريق الرأسمالي والطريق الاشتراكي ، وما آلت اليه أغلب التجارب من تأزم اجتماعي وحضاري تحول إلى انتفاضات وانقلابات ، وجاء التعرض الى الفشل السياسى موجزا ايجازا مخلا ، لأن تجربة ثلاثين سنة من الاستقلال السياسى ، وما تخللها من محاولات مختلفة ومتناقضة لحل القضايا الاقتصادية والاجتماعية قد برهنت بوضوح على أن المشكل الأساسي في المجتمعات الاسلامية كان وما يزال مشكلا سياسيا ، أي اسلوب الحكم ، فلا غرابة ـ إذن ـ أن تركز كل الحركات السياسية الاسلامية في برامجها على طريقة الحكم ، وأسلوب تسيير شؤون الجماعة الاسلامية ابتداء من النموذج الحضارى المتبع الى الحياة اليومية الخاصة للحكام ، وهي حياة ينبغى أن تكون قدوة للآخرين حسب الرؤية الاسلامية لنظام الحكم .

إن جميع الحركات الدينية فى العالم قد برهنت من جديد على الهفوة الكبيرة التي تقع فيها بعض التحاليل الاجتماعية حين تغفل تماما العامل الديني ، وقد جاءت التجربة البولندية مؤكدة ذلك في مجتمع نشئت أجياله الجديدة منذ ما يقرب من أربعين سنة على تربية ايديولوجية معينة تهدف الى وضع العامل الدينى على الرف فى حياة الناس اليومية .

الصحوة

وقد حاول المؤلف في هذه الفقرة أن يربط بين ظاهرة النشاط الاسلامي وظاهرة عالمية معروفة في حياة الفرد والجماعة ، وأعني بذلك ظاهرة اللجوء الى قوة غيبية ما ، أو الاستنجاد بالايمان في حالات اليأس والضعف . إننا نعتقد أن للصحوة الاسلامية المعاصرة سماتها الخاصة ، وأهدافها المتميزة ، وهي تتباين تماما مع الظاهرة الكونية المشار اليها . ولا يمكن فهم هذه السمات الخاصة الا بالتعمق فى دراسة تاريخ الفكر السياسى الاسلامى من جهة ، وربط هذا الفكر بمظاهر التحدى التى يواجهها المسلم المعاصر يوميا في المستوى الوطنى القطرى البحت ، وفي المستوى العالمي من جهة ثانية،ومن هنا فاننا نعتقد أن الصحوة الاسلامية هي صحوة سياسية اجتماعية بالدرجة الاولى من الاشكال السطحية التي تبرز بها هنا وهناك .

ثم حاول المؤلف تحليل الخوف من الحركة الاسلامية ، خوف كثير من النظم القائمة في العالم الاسلامي نفسه ، وخوف الغرب بصفة خاصة ، هذا الغرب الذي ما زالت الكنيسة ، والاحزاب المسيحية تلعب فيه دورا أساسيا في الحياة العامة ، وهو الذى يبارك تضامن الكنيسة مع الحركة النقابية في بولندا ، ولكنه يقف ـ غالبا ـ خائفا معاديا ، مشوها لكل حركة

كتاب الشهر

اسلامية تبرز في هذا البلد الاسلامي أو ذاك !

لم كل هذا الخوف ؟ لا مناص هنا من إبداء الملاحظة الأساسية التالية : إن الغرب لا يخاف من الاسلام عامة ، فهو يشجع كل مظاهر الاسلام الشكلي ، ويدعم النظم التي تستعمل الاسلام مسكنا ، ومخدرا ، وقد استعمل هذه الاساليب أثناء مرحلة الاستعمار المباشر ، ولكنه يقف معاديا لكل مظاهر الصحوة الاسلامية ، فهو يخاف ارتباط السياسة بالاسلام مع الملاحظة أن المسيحية في الغرب لم تنفصل يوما عن السياسة ماضيا وحاضرا .

إن اسباب العداء للاسلام السياسي متعددة ، منها الخوف على المصالح الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية ، ومنها « الروح » الحضارية للغرب ، فهي روح مسيحية رغم الثورات ، والتقدم العلمي والتقني ، ورغم النزعات العقلانية في تاريخ الفكر الأوروبي .

وهكذا تبرز هذه الروح الكامنة كلما لاحت في الافق حركة اسلامية شعبية تحاول العودة الى القيم التأسيسية للمجتمع الاسلامي ، وليس من المبالغة القول إن هذه الظاهرة الثقافية الحضارية ما تزال أسيرة النظرة الصليبية في تقييمها لقضايا الاسلام ، سواء كان أصحابها يؤمنون اليوم بالمسيحية او لا يؤمنون .

إن محاولة تفسير انضباط أنصار الحركات الاسلامية ، وذودهم عن مبادىء الاسلام الى حد الاستشهاد في سبيل ذلك ، وعودة روح الجهاد بالحنين إلى إحياء عظمة الاسلام ، تلك العظمة التي تقترن في الخطاب السياسي الاسلامي ، بالايمان والتمسك باصول الاسلام في الحياة الخاصة والعامة ، لا تغوص الى الأعماق للكشف عن أسباب هذه الروح النضالية الجديدة لدى الحركات الاسلامية المعاصرة ، وقد تحولت الى ملاذ بعد فشل الايديولوجيات المعاصرة في حل القضايا المطروحة مع تزايد أساليب القمع والاضطهاد والارتماء في احضان النموذج الحضاري الغربي ، وما يرافقه من تبعية وتصنيم للغرب ، وقد بقي هذا النموذج ـ رغم محاولات التوفيق منذ ما يربو على قرن ـ غريبا قلقا في المجتمع الاسلامي ، وهنا يقفز السؤال التالي : ما هو البديل الذي تطرحه هذه الحركات ، فالتغني بالماضي والحنين الى العصر الراشدي لا يحل المشاكل المطروحة بالحاح ؟

البديل

إن البديل ليس واضحا حقا في برامج هذه الحركات ، ولكن لا بد من الاعتراف بان البديل يحتاج الى حوار متواصل وعميق ، والى وعي سياسي نتيجة التجربة ، والى صراع فكري وحضاري مع التيارات الاخرى المتواجدة في الساحة ، ولكن هذه الحركات محرومة من جميع وسائل التنظيم والحوار ، ولعل هذا ما يدفع بها الى اتباع أساليب العمل السري ، واللجوء الى العنف في بعض البلدان ، اننا نتفق مع المؤلف حول المنطق الدوجماتي ، وضحالة المعرفة الاسلامية لدى العدد الكبير من أنصار هذه الحركات ، وحتى في صفوف كوادرها ، ويبدو أن القيادات تركز في المرحلة الحالية على الانضباط ، واذكاء روح النضال ، والاستماتة ، ولا تعير اهتماما كبيرا للتثقيف السياسي عامة ، والاسلامي خاصة .

ولا مناص من التساؤل هنا عما فعلته النظم السياسية خلال ثلاثة عقود من الاستقلال لنشر الفكر الاسلامي المجدد ، والمعرفة الاسلامية التي أرسى

قواعدها كبار المفكرين المسلمين بروح نقدية متسامحة ، وفي مناخ ثقافي تميز بالتنوع ، والجدل الفكري ، انها لم تفعل شيئا يذكر ، واكتفت بدعم بعض المؤسسات التقليدية ذات الطابع الديكوري ، والحقت بركب سلطاتها فئة من « علماء » الاسلام لا صلة لها البتة بجماهير الشباب الذين يمثلون اليوم التربة الخصبة لعمل الحركات الاسلامية .

ومنذ القدم عرف الاسلام فقهاء البلاط ، وفقهاء المسجد ! ثم حاول المؤلف بعد ذلك ان يبرهن على أن نشر الاسلام لم يتم عن طريق الفتح الا في مرحلة صدر الاسلام عندما خرج العرب حاملين لواء الدعوة الجديدة ، ولكن الاسلام انتشر بعد ذلك بين شعوب عريقة في الحضارة بفضل ما يحمله من مبادىء وقيم ، ونلاحظ هنا ان الدينامية التجارية التي عرفها المجتمع الاسلامي في القرون الخمسة الاولى كان لها شأن كبير في انتشار الاسلام في مناطق نائية مثل الصين ، أو شبه القارة الهندية ، أو في البلدان الافريقية جنوب الصحراء ، ثم حاول في دقة ووضوح ان يقدم لغير المختصين ، وخصوصا للقارىء الاوروبي المبادىء الاسلامية الكبرى انطلاقا من الكتاب والسنة باعتبارهما مصدرين اساسيين للشريعة الاسلامية ، ثم اشار الى الاجماع ، والاجتهاد ، فالقياس ، رابطا ذلك بظهور المذاهب السنية ابتداء من القرن الثاني للهجرة ، ومشيرا الى عصور الركود الثقافي والفكري ، وتأثير ذلك في حركة الاجتهاد بصفة خاصة .

اما القضية الكبرى التي تبقى مطروحة على الفكر الاسلامي المعاصر فهي : كيف نواجه قضايا الحياة المعاصرة ، وما تفرزه يوميا من تحديات لتقدم للشباب المسلم ـ وقد التجأ الى الاسلام بعد خيبة أمل متكررة باحثا عن البديل ـ جوابا ينسجم مع الاصول **الاسلامية دون التنكر للواقع المعاصر المعقد : هل تقدم له اجوبة تنطلق من عصر الشروح والحواشي ، لا صلة لها بتحديات الحياة المعاصرة ، ام نجدد الاجتهاد ، ونحاول تفسير اصول الشريعة الاسلامية على ضوء ما حققه المجتمع البشرى من تقدم حضارى وتقني ؟ هذه هي القضية الكبرى المطروحة اليوم على ذوي الاختصاص في الفكر والتشريع الاسلاميين .**

العلماء

يعالج المؤلف في الفصل السادس من الكتاب تحت عنوان « علماء السلطة وسلطة العلماء » قضية معقدة ، وشائكة في تاريخ المجتمع الاسلامي إذ أن الاصول النظرية للاسلام تؤكد بوضوح على عدم وجود هياكل دينية رسمية تخضع لمقاييس وطقوس معينة ، فلا رهبانية في الاسلام ، ولكننا نجد من جهة اخرى ، وطوال قرون عديدة تمتد من القرن الاول للهجرة الى اليوم ، فئات اجتماعية لها سماتها ، ودورها الخاص في المجتمع ، أي فئات « العلماء » ، أو « رجال الدين » ، وقد برهن الواقع التاريخي على الدور الكبير الذي قامت به هذه الفئات في مختلف العصور ، وفي شتى الدول الاسلامية ، والامارات على اختلاف نزعاتها المذهبية ، وقد نجح في ربط دور هذه الفئات في الماضي بزعامات الحركات الاسلامية المعاصرة .

ونود هنا ان نبرز النقطتين التاليتين :

اولا : ضرورة التفريق الواضح بين النظم الاسلامية التي حاولت أن تتخذ من ولاء فئة « العلماء » دعامة أساسية من دعائم الحكم وبين النظم التي قامت على الدعوة الدينية ، سواء كانت سنية مثل المرابطين في بلاد المغرب مع الاندلس ، أو شيعية اسماعيلية مثل الفاطميين ، أو إباضية وصفرية مثل الامارة الرسمية ، أو المدرارية .

ثانيا : إن « العلماء » باعتبارهم ممثلي المذاهب المختلفة لم يكونوا دائما مناصرين للسلطة ، بل كانوا في كثير من الحالات من أشد المعارضين لها ، وخصوصا « العلماء » الذين يمثلون مذاهب غير سنية ، ولا يمكن فهم الفكر الشيعي المعاصر الا من خلال نضاله الطويل ضد السلطة المركزية .

تبدأ الفقرة الموالية في الكتاب بطرح التساؤل الكلاسيكي :

ـ ما هو البديل الذي يطرحه المسلمون لحل القضايا الحادة التي تواجههم يوميا وخصوصا بعد أن اتضح أن الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلدان

كتاب الشهر

الاسلامية ما يزال هشا ، بل تنوعت أمثال التبعية وازدادت ، واستفحلت ظاهرة العنف داخل هذه البلدان من جهة ، ومع الاقطار المجاورة من جهة ثانية ؟

إن مفهوم « الامة الاسلامية » اصبح يصطدم منذ مطلع هذا القرن بالوطنية القطرية ، وبالمميزات العرقية ، والثقافية .

إن طرح البديل الاسلامي يطرح حتما تصور نظام الحكم الاسلامي ، وهنا يحاول المؤلف أن يقدم نظرة بعض المفكرين الاسلاميين المعاصرين الى نظام الدولة الاسلامية المعاصرة ، فيختار أبو الاعلى المودودي ، وسيد قطب ، وآية الله الخميني ، ويتضح في نهاية تلخيص آراء هؤلاء المتفقهين في شؤون الاسلام أن الهدف السياسي وفي كثير من الأحيان استراتيجية العمل السياسي اليومي من أجل الوصول الى الحكم ، وحتى الزعامة الشخصية - يطغيان على الأصول والمبادىء ، وهكذا ينحصر الاسلام في اتباع الاتجاه الضيق المعين ، وكل اتجاه آخر يحكم عليه بالمروق والزندقة ، وهو أمر يتناقض ليس مع ما ورد في أصول التفكير الاسلامي فقط ، بل حتى مع التجربة التاريخية الرائدة التى عرفها المجتمع الاسلامي في مرحلة التأسيس ، أي في عصر صدر الاسلام . وهكذا تعوض « الخمينية » الشريعة الاسلامية ، وتلغي أعمال مئات المفكرين المسلمين خلال قرون طويلة ، أو تكاد ، كما اصبحت الستالينية هي الفلسفة الماركسية ، وكل مخالفة للستالينية تعني المروق والارتداد عن الماركسية !

اسلام الشعارات

ومن النقاط الخطيرة التي يلمح لها الكاتب في هذه الفقرة ضعف الثقافة الاسلامية عند أنصار كثير من الحركات الاسلامية ، وجهلهم بأصول التفكير الاسلامي ، وهو الامر اللذي يجعل ثقافتهم عن النظام الاسلامي تنحصر في الاطلاع على بعض الكتيبات التى يطغى عليها طابع الارشاد الديني السياسي الموجه ، فينقلب الاسلام الى شعارات ، ومظاهر شكلية . ونود ان نلفت النظر في هذا الصدد الى مسؤولية النظم السياسية القائمة في هذا الجهل بالمبادىء الاسلامية الخالدة التى مكنت الاسلام من بناء حضارة من أخصب الحضارات العالمية ، ومن أكثرها تنوعا ، وأقدرها على مراعاة الظروف الموضوعية للمجتمع الانساني .

لو حاول المرء أن يرصد ما تقدمه برامج التثقيف الاسلامى فى المؤسسات التربوية ، وفي المساجد ، وخصوصا ضمن وسائل الاعلام السمعية البصرية لوجد المحتوى في اكثر الاحيان شكليا هزيلا ، موجها توجيها سيئا ، ولا يمت بصلة الى ما عرفته الحضارة الاسلامية من إشعاع عالمي ومن ابداع ، وتنوع في المدارس التشريعية والفكرية ، ومن تعايش خصب مع التيارات الحضارية الاخرى .

انطلاقا من تحليل التجربة التركية والسوفياتية والاندونيسية قد تبينت استحالة اقامة نظام « دولة علمانية » في بلد إسلامي ، واذا برزت أحيانا بوادر نجاح التجربة في مظاهرها الشكلية ، كما هو الشأن في الجمهورية التركية التى اعلنها مصطفى كمال سنة ١٩٢٣ فان الثمن كان غاليا ، ثم جاءت موجة رد الفعل - فيما بعد - عنيفة ، مهددة بتقويض أسس الدولة « الحديثة » .

إن كل محاولات إبعاد الاسلام عن الدولة قد ارتكبت خطأ فادحا ، يتمثل في النظرة الى الاسلام

كدين ينحصر في ممارسة مجموعة من العبادات . إن الاسلام دين وهوية حضارية أولا وبالذات .

إن الفصل الذي خصصه المؤلف تحت عنوان : « سبل الاصلاح المختلفة » (ص ١٧٣ - ٢٠٢) . يعد - دون ريب - من أبرز فصول الكتاب ، وأقربها الى تحقيق الهدف الرئيسي لخطة الدراسة ، ألا وهي محاولة ابراز السند بين الحركات الاسلامية المعاصرة ، وبوادر نهضة الفكر الاصلاحي الاسلامي منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وقد وفق المؤلف الى حد كبير - بالرغم من غزارة المادة وتنوعها - في تقديم صورة واضحة وشاملة لتطور تيارات هذا الفكر الاصلاحي في شتى مناطق العالم الاسلامي ، وفي مختلف العصور ابتداء من الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وسيد قطب ، وعلال الفاسي ، مرورا بالافغاني ، وعبده ، واحمد خان ، وخير الدين التونسي ، وقابادو ، وعلي عبد الرازق ، والشيخ حسن البنا دون اغفال التجارب السياسية المعاصرة التي حاولت ان يكون لها موقف مع الاسلام ، ومن الشريعة بصفة خاصة مثل التجربة التركية ، والتونسية ، والليبية ، وغيرها .

ملاحظات

ونود هنا لفت النظر الى النقاط التالية :

أولا : إن محاولات الاصلاح في بعض ميادين تطبيق الشريعة الاسلامية التي قامت بها بعض النظم السياسية قد طغى عليها الطابع السياسي ، والسلطوي ، ولم تأت نتيجة عمل تنظيرى فكرى اجتهادى ، فبدلا من أن تسعى السلطة الى خلق ديناميكية فكرية تؤدي الى التجديد والاجتهاد بعد مرحلة من التثقيف والحوار العميق ، انقلبت هي نفسها الى سلطة مجتهدة ومشرعة فجاءت اصلاحاتها فوقية ، تكاد تكون مفروضة ، ولعل هذا يمثل عاملا أساسيا من عوامل موجة الرفض والتمسك بالسلفية الجامدة التي نلمسها في صفوف الشباب ، أي في صفوف الجيل الذي من المفروض أن يكون أشد حماسة لهذه المحاولات الاصلاحية .

ثانيا : لم تبرز الصلة بين الفكر الاصلاحي بشتى تياراته وبين حركات الصحوة الاسلامية اليوم ، لماذا المودودي ، وليس الافغاني ، أو تلميذه الشيخ عبده ؟ ولماذا سيد قطب ، وليس ابن باديس ؟ الى غير ذلك من الامثلة ، اننا نعتقد ان هذه النقطة ما تزال في حاجة الى المزيد من التحليل .

ثالثا : القطيعة التامه بين « علماء البلاط » وبين التيارات الاسلامية المنتشرة في صفوف الشباب بصفة خاصة ، فقد تحول ممثلو المؤسسات الاسلامية الرسمية الى شبه « ديكور » في المواسم والاحتفالات الرسمية في نظر عامة الناس ، وخصوصا بين صفوف الأجيال الصاعدة .

يعود المؤلف في الفقرة الموالية الى موضوع جهل أنصار الحركات الاسلامية المناضلة بالعلوم الاسلامية من توحيد ، وحديث ، وتفسير ، وفقه ، وغيرها من العلوم التي اصبحت تمثل على مر القرون موضوعات تخصص دقيق ومتشعب ، ويتجاوز هذا الجهل المعرفة الاسلامية المجردة ليبلغ الاحاطة السطحية والضبابية بتاريخ المجتمع الاسلامى ، ان المعرفة التاريخية تكاد تكون منعدمة ، وكأنه حاول أن يربط بين هذه المعرفة السطحية وبين المبالغة والغلو الى درجة العنف ، واراقة الدماء باسم الدفاع عن الاسلام .

إن التجربة التاريخية الطويلة التي مر بها المجتمع الاسلامي تبرهن على أن المسلم مسالم ، ومعتدل بطبيعة روحه الاسلامية . إن جميع الحركات المتطرفة التي عرفها تاريخ الاسلام قد عاشت في النهاية مرحلة التقلص والانحسار .

ثم يطرح المؤلف في الفقرة الموالية من الكتاب تحت عنوان « نداء الحياة » اشكالية موقف « الحكم الديني » ، أو النظام الاسلامي من قضايا الحياة المعاصرة مثل قضايا التنمية ، والتعاون الدولي ، والشركات المتعددة الجنسيات ، وكذلك قضايا المرأة ، والتكوين المهني ، والبحث العلمي وغيرها من المشاكل الملحة المطروحة اليوم على المجتمع الاسلامي . □

من المكتبة العربية

الهجرة الى النفط

تأليف الدكتور / نادر فرجاني

عرض : حسن محمود عباس

كان مجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالاقطار العربية الخليجية قد طلب الى المعهد العربي للتخطيط القيام بدراسة عن استخدام الايدي العاملة في البلدان العربية الخليجية ، وامكانية الاستفادة من الايدي العاملة العربية . ولما كان مؤلف هذا الكتاب على اتصال وثيق بهذا الميدان من ميادين البحث ، ـ وفي الفترة التي كان يعمل بها في المعهد العربي للتخطيط بالكويت على وجه الخصوص ـ فقد اضطلع بهذه المهمة ـ مهمة تحديد الظاهرة ، وتقصي الحقائق المتصلة بها سعيا الى بلوغ الغاية المرجوة من ذلك كله وهي معرفة الآثار والنتائج المترتبة عليها .

يضم الكتاب مقدمة واربعة فصول ، تقع جميعا في حوالي مائتين وثلاثين صفحة ، وقد صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت في ديسمبر من عام ١٩٨٣ اما فصوله فهي : خلفية ظاهرة الهجرة تجاه منابع النفط ـ منظور بلدان المنشأ ـ منظور بلدان الاستقبال ـ المنظور القومي ـ خاتمة . ويضم الكتاب عددا من الجداول ، ويختتم بقائمة مراجع مهمة لأبحاث مثل هذا البحث يجد فيها المستزيد فضلة .

الهجر ضد الوصل ، والهجرة معناها الخروج من ارض الى أرض . والهجرة المقصودة هنا هي انتقال العمالة ـ او الايدي العاملة العربية ـ من بلدان المنشأ للعمل في البلدان العربية النفطية . لقد كان لارتفاع عائدات النفط في السبعينيات اثر بالغ على حجم المشروعات في البلدان النفطية مما ادى الى قيام طلب ضخم على العمل لم يكن ممكنا ان تفي به قوة عمل المواطنين لاكما ولاكيفا . وقد اتاح ذلك فرصا للكسب المادي بمجرد أن تمكنت قوى العمل من الهجرة الى البلدان العربية النفطية .

أما بصدد التنمية التي هي الغاية المرجوة من كل

● أبعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية وأثرها على التنمية في الوطن العربي

ذلك ، فهي تغيير هيكلي في النسق الاجتماعي ـ الاقتصادي يتضمن تطوير وتنويع البنيان الانتاجي المحلي بما يؤدي الى ارتفاع مطرد في مستوى المعيشة للناس بحيث يكون تعريف مستوى المعيشة المرجو ، وكيفية تحقيقه قائما على اغناء الخصوصية الحضارية للمجتمع ، وتحرير المواطن بتخليصه من عوائق المشاركة الفاعلة في النشاط الاجتماعي والاقتصادي على المستويين الفردي والمؤسسي ، وتحرير الوطن بتخليصه من ربقة التبعية للخارج فالتنمية بهذا المفهوم نهضة حضارية تؤدي الى ترقية النسق الاجتماعي ـ الاقتصادي باتجاه مستويات رفاه اعلى

ان تنمية ونهضة حضارية على هذا النحو لايمكن أن تتسنى لأي بلد عربي بمفرده ايا كانت امكانياته . والعروبة هي السبيل الوحيد لهوية حضارية للمواطن في أي من البلدان العربية ، كما أن الوطن العربي يتكامل بقوة في نسق متماسك الموارد : طبيعية وبشرية . ان مفتاح التنمية الوحيد في الوطن العربي موجود على الصعيد القومي ، ولاشك أن الساحة القومية يغشاها الان ظلام دامس ، ولكن المفتاح هناك ، ولن يجده من يبحث عنه في مكان آخر ، ولو كان مسلحا بضوء باهر (مثل عائدات النفط !) .

ان العنصر الحاسم في تنمية اي مجتمع هو تطوير البشر ، بمعنى تعظيم المعارف والقدرات البشرية ، واطلاق الطاقات الكامنة في الناس بحيث يمكنهم احداث التغيير المطلوب في البنيان الاجتماعي ـ الاقتصادي . وهذا هو المضمون الجوهري لتحرير الانسان ، ولكن الاستفادة من طاقات البشر تقتضي نظمها في نسق اجتماعي يمكن الناس من المشاركة بفعالية في عملية اتخاذ القرار ، ثم الانتاج والاستمتاع بنصيب عادل في توزيع الناتج .

ويعرض المؤلف لموقف يرى أن المحصلة الكلية لحركة انتقال الايدي العاملة بين البلدان العربية تبقى ذات مضمون ايجابي ، ولكن يتخذ منه موقفا مغايرا اذ يرى ـ أي المؤلف ـ ان ظاهرة الهجرة للعمل في البلدان العربية النفطية في السنوات العشر الاخيرة لم تساعد ـ بل ربما اعاقت ـ امكانية التنمية في الوطن العربي ، وبذلك تكون محصلة آثار هذه الهجرة سلبية ، بل خطيرة على الامد البعيد ، وهذا هو المنظور الأوفق ـ في تقدير المؤلف ـ لمناقشة آثار ظاهرة تمتد ، وبعمق ، الى اتساع النسيج الاجتماعي ـ الاقتصادي في الوطن العربي . ولهذه الهجرة خصائص نوجزها فيما يلي : ـ

١ ـ ان بلدان المنشأ ـ اي التي تصدر الايدي العاملة ـ تعاني من ضائقة تتفاوت من بلد الى آخر ، في حين تتصف البلدان المستقبلة ـ وهي خليجية ـ بالغنى .

٢ ـ الهجرة للعمل في البلدان العربية النفطية هي في الاساس مؤقتة وغير اندماجية ، وهي ليست استيطانية كما هو الحال في الهجرة الى الولايات المتحدة أو كندا مثلا .

٣ ـ وعلى الرغم من انها ليست استيطانية فان الوافدين يشكلون غالبية قوة العمل في كثير من البلدان العربية النفطية .

٤ ـ تعرضت الهجرة لتطورات ضخمة ومتلاحقة في فترة زمنية قصيرة مما انتج كثيرا من الاثار الاجتماعية والاقتصادية البعيدة المدى في كل بلدان المنشأ والاستقبال .

خلفية ظاهرة الهجرة

قصر المؤلف الفترة التي يعدها بداية للظاهرة على السنوات الاخيرة من عقد الستينات والاولى من عقد السبعينات ، ويحدد معالم هذه الفترة بقوله : لعل اهم ملامح هذه الفترة هو تبلور سياسة الانفراج في

من المكتبة العربية

العلاقات بين الدولتين العظميين على وجه الخصوص ، وبين الشرق والغرب في شمال الكرة الأرضية عموما . وقد ترتب على الانفراج انخفاض درجة التناقض بين قطبي الصراع العالمي ، والتسابق لكسب النفوذ في مناطق العالم الثالث بطريقة لاتستدعي احتمال الحرب بين القطبين .

وينتقل المؤلف في رصده للظاهرة الى الحديث عن عائدات النفط التي قفزت في البلدان العربية المنضوية تحت لواء منظمة الاقطار المصدرة للنفط قفزة هائلة خلال السبعينيات نتيجة لتصحيح اسعار النفط في عام ١٩٧٣ ، والزيادات المتتالية اللاحقة التي نتج عنها دفقة عارمة من اموال النفط كان لها تأثيرات ضخمة على البنية الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي .

وهناك وجهة نظر مهمة تذهب الى القول بأن توظيف العائدات النفطية قد ساهم بشكل واضح في اعادة ترتيب الاوضاع الاقتصادية والسياسية في المنطقة بما ادى الى زيادة تبعية الوطن العربي للغرب الرأسمالي من جهة ، والى تعميق التجزئة وخلخلة تماسك القوى الوطنية في المنطقة من جهة اخرى . وقد تأثرت البنى الاقتصادية والسياسية للبلدان العربية النفطية مباشرة بتوظيف العوائد النفطية ، ولكن آثار توظيف العوائد عبرت الى البلدان العربية غير النفطية في المقام الاول فوق جسر الهجرة اضافة الى الاستثمار والمعونات . ولكن وصول هذه الدفقة المالية الهائلة على صورة العائدات النفطية لبعض الاقتصاديات العربية لايستدعي في حد ذاته ، قيام تيار هجرة الى منابع النفط . الا أن تحالف نمط الانفاق الداخل في البلدان النفطية الذي تطلب قوة عمل اكبر من المتوفر محليا ، مع تردي الظروف الاقتصادية في البلدان غير النفطية ، كل ذلك ادى الى وجود تباين شديد في درجة اليسر الاقتصادي في البلدان العربية ، فانقسمت الى مجموعتين تصدر احداهما قوة العمل وتستوردها الأخرى .

منظور بلدان المنشأ

يرى المؤلف أن فتح الباب على مصراعيه للهجرة من مصر كان عنصرا اساسيا في عملية عكس المسار الاقتصادي والاجتماعي ـ السياسي الذي ساد مصر في أواخر الخمسينيات والستينيات . كما ان التحضير للنزوح الكبير من مصر بدأ في الواقع قبل التدشين الرسمي لما سمي بسياسة الانفتاح ، واكتسب النزوح أبعاداً خطيرة حتى قبل ان تترسخ تبعية الاقتصاد المصري للغرب الرأسمالي التي تؤرخ عادة بعام ١٩٧٧ .

وليست مصر وحدها هي التي تصدر قوة العمل ، ولكن بلدا آخر دخل هذا المجال وهو اليمن الذي يمد سوق عمل السعودية ـ على وجه الخصوص ـ بالايدي العاملة .

ويرى المؤلف أن تفاقم الاوضاع الاقتصادية ، وتشجيع السلطة في مصر ، وقدوم فرصة الاشتراك في المال النفطي ، كل هذه أدت الى استحداث تيار الهجرة من مصر للعمل في البلدان العربية النفطية في السبعينيات . وقد قدر آخر أحصاء لعدد العاملين المصريين في الخارج بثلاثة ملايين منهم مليون و٢٥٠ ألفا يعملون في العراق . والهجرة الدائمة من مصر كانت ومازالت ضئيلة الحجم ، ولاتتوفر لنا بيانات عن العدد الفعلي للمهاجرين بصفة دائمة في فترة زمنية معينة . أما عن توجهات المهاجرين فتشير بعض البيانات المحدودة الى أن معظم المهاجرين من مصر تقريبا يتوجهون للبلدان العربية . ففي عام ١٩٧٣ مثلا أعارت الحكومة المصرية حوالي ٢٥ ألف

موظف وكان ٩٧٪ منهم لبلدان عربية . وفي عام ١٩٧٧ غادر البلاد حوالي خمسين الفا بعقود عمل خاصة ، توجه ٩٨ بالمائة منهم الى بلدان عربية . لقد تركز غرض سياسة الانفتاح الاقتصادي على اتاحة فرصة سانحة أمام رأس المال الاجنبي متعاونا مع القطاعات الراغبة في رأس المال المحلي لاتمام مهمة اعادة ادماج مصر في النظام الرأسمالي العالمي باحكام ، وقد اكتملت هذه المهمة في عام ١٩٧٧ ، والواقع أن الاعداد لتفريغ مصر من قوى التغيير الأساسية عن طريق الهجرة للعمل في البلدان العربية النفطية قد بدأ قبل الاعلان عن فتح الباب للاستثمار الأجنبي في مصر .

ويضيف المؤلف الى ذلك قوله بأن تشجيع الهجرة من مصر كان احد اهم عناصر مهاجمة البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية التي سادت مصر في الستينات . ومهما قيل في هذه البنية فقد تأكد فيها ارتباط مصير المصري بمستقبل بلده . اما فتح الباب للهجرة فقد ارسى اسس انفصال المصري عن بلده كسبيل لحل مشاكله الخاصة بشكل فردي ، وفصم علاقة المواطن بالوطن هو المنفذ الاكيد للتحلل المجتمعي ، والملاحظ أن خطوات قانونية وتنظيمية مهمة كانت قد اتخذت لتشجيع الهجرة منذ بداية السبعينيات وقبل صدور تشريعات الانفتاح

وهناك حالة تختلف جوهريا عن مصر ، وهي اليمن بشطريها التي تعود الهجرة منها الى عصور بعيدة .ولا توجد بيانات تعطي مباشرة حجم الهجرة من اليمن في السنوات القليلة الماضية ، ولكن هناك مؤشرات الى أن عدد المهاجرين قد زاد زيادة ضخمة منذ عام ١٩٧٥ . وقد تسبب رواج الهجرة في منتصف السبعينيات في خلق عجز شديد في قوة العمل وضاعف في القصور الذي كان سائدا في مستوى المهارة . فقد وصل العجز في قوة العمل الى حد أن قام الاطفال بأعمال البالغين ، ومنها اعمال شاقة .

ولقد تبين من تقرير حديث للبنك الدولي قدر فيه عدد اليمنيين الشماليين العاملين في أهم خمسة بلدان عربية نفطية بحوالي ٢٦١ الفا في عام ١٩٧٥ .

ومن المفيد هنا ملاحظة ان الحكومة فرضت قيودا على منح الجوازات والتأشيرات في عام ١٩٧٨ ولكنها عادت وقللت منها في عام ١٩٨١ . وكذلك يمكن أن يؤدي فرض الخدمة العسكرية على الذكور في فئة العمر (١٨ ـ ٣٥) الى انعكاسات معينة على حجم الهجرة من اليمن ، وقد أدت التطورات المصاحبة للهجرة في السبعينيات الى زيادة الحرج في اقتصاد اليمن . ولكن المستقبل القريب قد يشهد عودة العمال اليمنيين المهاجرين وماقد يصحب ذلك من مشاكل تتمثل في اعادة استيعاب هؤلاء العائدين ، تلك المشاكل التي يزيد في تعقيدها مايصحبها من انخفاض في تحويلات العاملين بالخارج .

وعندما يفرغ المؤلف من تحليل ابعاد الهجرة وآثارها في بلدان المنشأ ينتقل لدراسة الهجرة الى البلدان العربية النفطية من منظور هذه البلدان ذاتها .

ان مناقشة بلدان الاستقبال هي الوجه الآخر للقضية ، فبلدان الاستقبال هي ـ من ناحية ـ قسم عزيز من الوطن العربي الكبير يهمنا التعرف على ابعاد الهجرة اليها وآثارها على البنية الاجتماعية والاقتصادية وامكانية التنمية فيها . ومن ناحية اخرى ، فان جزءا مهما من خبرة المهاجرين ، وبالتالي محددات سلوكهم وآثار هجرتهم على بلادهم ، تتكون في بلدان المهجر . ولهذا تكمل دراسة بلدان الاستقبال الشق الخاص ببلدان المنشأ في خطة الكتاب ويعمد المؤلف في هذا الفصل الى نفس الاسلوب الذي اتبعه في الفصل الاول ، فيقدم دراسة معمقة لحالتين ، واحدة للكويت واخرى للامارات العربية المتحدة قبل تقديم بعض الملاحظات العامة على اوضاع قوة العمل والسكان في بلدان الخليج العربي . والسبب الاول لاختيار هاتين الدولتين هو انهما توفران بيانات احصائية ومعلومات عن العاملين والسكان اكثر من بلدان الاستقبال الاخرى ، وان كانت البيانات عن الكويت اكثر انتظاما وتفصيلا من تلك المتوفرة عن دولة الامارات .

وفي الفصل الأخير من الكتاب يحاول المؤلف رصد آثار هذه الظاهرة وتأثيرها على التنمية القومية ويناقش الاوضاع المؤسسية والقانونية والاجرائية الحاكمة لتنقل الايدي العاملة بين البلدان العربية وامكانات تطويرها بهدف تحرير التبادل البشري بين اجزاء الوطن العربي . □

مكتبة العربي

مختارات

تكوين العقل العربي

الكاتب : د . محمد عابد الجابري
دار النشر : دار الطليعة ـ بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٤ .
عدد الصفحات : ٣٥٠ صفحة من القطع المتوسط .

كيف تكون العقل العربي ، وممّ تكون ، وما هي التوجهات والأفكار المهيمنة عليه ؟ وما هي تصورات المؤلف لايجاد كيان خاص بالعقل العربي ؟

هذه بعض التساؤلات التي شغل المؤلف نفسه بالاجابة عنها وتوضيحها .

يقول المؤلف :

« ان نقد العقل جزء أساسي وأولي من كل مشروع للنهضة ، ولكن نهضتنا العربية الحديثة جرت فيها الأمور على غير هذا المجرى ، ولعل ذلك من أهم عوامل تعثرها المستمر الى الآن .

لقد تم خلال المائة سنة الماضية تكريس تصورات وآراء « ونظريات » حول الثقافة العربية بمختلف فروعها ، مما رسم قراءات معينة لتاريخ هذه الثقافة ، مما جعلها لا تهتم الا بما تريد أن « تكتشفه » أو « تبرهن » عليه ، ولما كان العقل العربي الذي نعنيه هو العقل الذي تكون وتشكل داخل الثقافة العربية ، في نفس الوقت الذي عمل هو نفسه على انتاجها واعادة انتاجها ، فان عملية النقد المطلوبة ـ أو على الأقل كما نريدها ـ تتطلب التحرر من اسار القراءات السائدة ، واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية والاسلامية بمختلف فروعها . دون التقيد بوجهات النظر السائدة . » .

مسرح سعد الله ونوس

الكاتب : خالد عبد اللطيف رمضان .
الناشر : شركة المنابر للنشر ـ الكويت .
سنة النشر : ١٩٨٤ .
عدد الصفحات : ١٧٢ صفحة من القطع المتوسط .

سعد الله ونوس من الكتاب المجتهدين والبارزين في مجال المسرح في الوطن العربي ، كتب عشرات المسرحيات ، التي تناولت الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية في قوالب وأساليب متعددة .

وقد تناول المؤلف سيرة حياة الكاتب والتنقلات المهمة في حياته ، وعرج على اتجاهات مسرحياته فقسمها الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : البداية العبثية ، ودرس فيها المضامين والتركيب الفني للشخصيات والأحداث والحوار وغيرها .

القسم الثاني : سجل فيه لمرحلته التسجيلية في مسرح ونوس ، ودرس التفصيلات الفنية المتعلقة بكل مسرحية كتبت ضمن هذا الاتجاه .

أما المرحلة الثالثة فهي الاتجاه لكتابة المسرح الملحمي ، ودرس فيها الكاتب المسرحيات التي كتبت في هذا الاتجاه وتركيباتها الفنية .

وقد جاء في مقدمة الكاتب عن المؤلف ما يلي :

« سعد الله ونوس واحد من أبرز كتاب المسرح العربي الذين ظهروا في سوريا ، ولا يمكن دراسة المسرح العربي المعاصر في سوريا دون التصدي لتراث سعد الله ونوس الذي يعد علامة بارزة في تاريخ هذا المسرح ، لما تمتع به من صدق واهتمام بقضايا

الانسان العربي وهمومه ، وارتباط وثيق بالواقع ومحاولة تشخيص أزمات الواقع المعاش ، والدعوة الى تغييره نحو الأفضل » .

الكسندر بوشكين

مختارات نثرية

ترجمة : غائب طعمة فرمان وأبي بكر يوسف .
الناشر : دار رادوغا ـ قوس قزح ـ موسكو .
سنة النشر : ١٩٨٤ .
عدد الصفحات : ٤٠٠ صفحة من القطع الصغير .

المعروف أن الكسندر سيرغيفتش بوشكين (١٧٩٩ ـ ١٨٣٧) كان شاعرا روسيا طبقت شهرته الآفاق في حياته وبعد مماته .

لكنه على ما يبدو كان كاتبا متعدد المواهب ، فها هي دار رادوغا ـ قوس قزح ـ التي تتولى ترجمة الأعمال الأدبية في الاتحاد السوفيتي الى العربية ، تنشر مجموعة من قصصه ، تولى ترجمتها أديبان عربيان كبيران هما غائب طعمة فرمان وأبو بكر يوسف ، ضمن سلسلة « من أعلام الأدب الروسي » .

وفي الكتاب مجموعة من القصص والروايات القصيرة هي :

ـ قصص المرحوم ايفان بتروفيتش بيلكين .
ـ الطلقة . ـ عاصفة ثلجية . ـ صانع التوابيت .
ـ ناظر المحطة . ـ ابنة السيد ـ الفلاحة
ـ دوبروفسكي ـ ابنة الآمر .

قال الكاتب الروسي ليون تولستوي عن بعض قصص المجموعة « يجب على كل كاتب أن يدرسها . لقد فعلت ذلك ولا أستطيع أن أنقل لك التأثير الخير الذي تركته في نفسي » .

وقال الكاتب ايفان غونتشاروف عن أدب بوشكين :

« تكمن في بوشكين كل البذور والبراعم التي تطورت منها ـ فيما بعد ـ كل أنواع وأشكال الفن في فنانينا جميعا .

مناخ الأزمة وأزمة المناخ

الكاتب : جاسم السعدون
الناشر : شركة الربيعان للنشر ـ الكويت
سنة النشر : ١٩٨٤
عدد الصفحات : ١٦٥ صفحة من القطع المتوسط

تعتبر سنوات نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات سنوات ازدهار في مسيرة سوق الأوراق المالية في الكويت ، مما كان يعكس نفسه على مظاهر الرواج الاقتصادي في البلد والمنطقة .

الا أن عام ١٩٨٢ شهد أزمة سوق الأوراق المالية . وبالتالي كسادا في السوق الاقتصادي .

فما هي أسباب الرواج السابق ، وما هي أسباب الأزمة الحالية ؟

هذا ما أخذت تجيب عليه بعض الكتب والدراسات التي تناولت هذا الموضوع من جوانب شتى ، ومنها هذا الكتاب الذي جمع فيه مؤلفه بعض كتاباته ومقابلاته ومحاضراته التي كتبها في الصحافة المحلية أو ألقاها في بعض الهيئات الشعبية ، وأصدرها في هذا الكتاب ، وقد استعرض فيه بعض المفاهيم الاقتصادية المتعلقة بالتنمية والغنى والفقر والاستثمارات وصولا الى اجتهاده في أزمة سوق المناخ ـ سوق الأوراق المالية ـ والمترتبات التي ترتبت عليها ، والاجراءات التي تلتها ، يقول الكاتب :

« ان ما اصطلح على تسميته بأزمة المناخ ليس أزمة بالمعنى المفهوم لها ، أي أن قوى خلقها واستمرارها وعلاجها ليست كامنة فيها ، وهي كذلك ليست أخطر ما نواجهه ، أي أنها لم تكن سوى ظاهرة لمناخ الأزمة الذي نعيشه ، والذي يجعلنا عرضة لأزمات مستمرة بعضها ينفجر في الزمن القصير ويحدث ضجة تعالج بردود أفعال جادة ، وبعضها وأخطرها هو ما تظهر تبعاته في الزمن البعيد ، في وقت لا نكون قادرين فيه على مواجهة هذه التبعات » .

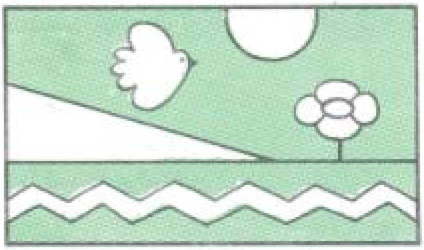

سلامة البشرية في سلامة البيئة

حليب الأم هو الغذاء الكامل الذي يحتاج اليه الرضيع

أصدرت منظمة الصحة العالمية سنة ١٩٧٧ ميثاقا خاصا بالحليب المجفف المسحوق .. المعد للرضع .. وقد تضمن هذا الميثاق الهام توصيات موجهة الى الأمهات ، وتوصيات أخرى موجهة الى الشركات الصناعية التي تنتج ذلك الحليب .. وترتب على هذه التوصيات الأخيرة مواجهة حادة صاخبة بين بعض تلك الشركات وبين فئات بيئية وغير بيئية ومقاطعة لمنتجات الشركة ، امتد أمدها سبع سنوات كاملة .. ولم تقف عند حد الا في شهر فبراير الماضي ..

أما التوصيات الخاصة بالأمهات فشملت ، ولو بصورة غير مباشرة ، الحض على رضاع الثدي .. ذلك أن حليب الأم غذاء كامل كما أثبتت أحدث الدراسات العلمية والطبية .. وهو يصل الى جوف الرضيع نظيفا معقما .. دون أدنى ريب .. أضف الى ذلك أن حليب الأم ذو ضرورة حيوية للرضيع .. فهو يعزز أجهزة المناعة والدفاع في جسمه .. ويوطد الاستقرار والاطمئنان لعواطفه ومشاعره ، فيوفر أحد الشروط الهامة للنمو السوي لشخصيته .. ثم ان رضاع الثدي يحد من التعرض للاصابة بمرض السكري في الكبر .. وهذا اكتشاف جديد توصل اليه العلماء في الشهور الأخيرة ..

وحذرت تلك التوصيات أيضا - بالمقابل - من مخاطر الرضاع الاصطناعي .. فالحليب المجفف ليس غذاء كاملا .. ويحد من قدرة الطفل على المقاومة بدلا من تعزيزها .. وقد يؤدي الى الاهتزاز العاطفي بدلا من الاستقرار ، ويؤدي بالتالي الى مركبات النقص وآفات نفسية أخرى يعاني منها الكثير من الرجال ..

أضف الى ذلك أن رضاع القوارير يتطلب تعقيما جيدا لتلك القوارير .. ويستوجب التقيد بتعليمات دقيقة عند اذابة الحليب في الماء .. وما أسرع ما ينقلب نفع هذا الحليب الى أضرار ، اسهالات وامساكات وغير ذلك ، اذا لم تراع تلك التعليمات تمام المراعاة بكافة تفاصيلها .. ولما كان الماء ملوثا في أكثر بلدان العالم الثالث ، وكان الجهل والأمية منتشرين بين أهلها ، لا سيما الأمهات ، كان من المتعذر تعقيم القوارير تعقيماً جيداً او غير جيد ، وتقيد الأمهات بالتعليمات الدقيقة .. هكذا يصبح الحليب المجفف اداة مرض وضرر للأطفال الرضع .. ويفقد مافيه من نفع في هذه البلدان ..

وتضمن ميثاق المنظمة الدولية ، كما ذكرنا ، توصيات أخرى منها حث الشركات على تنبيه المستهلكين الى مخاطر هذا الحليب ، والحد من دعاياتها له والكف عن توزيع العينات السخية بالمجان ..

صورة إحدى المظاهرات التي قامت بها فئات اليثين في نيويورك عام ١٩٧٧ وقد نشرت هذه الصورة مجلة نيوزويك الأمريكية (٦ فبراير ١٩٨٤) وهي المجلة التي اعتمدناها في أكثر ما ذكرناه

ومطالبتها بالتقيد بهذه التوصيات في كافة الاسواق . . واسواق العالم الثالث على وجه التحديد . .

واستجابت الشركات لذلك الميثاق في الدول المتقدمة . . لا في بلدان العالم الثالث . . ولم لا ؟ فأكثر حكومات العالم الثالث في غفلة تامة عن الميثاق وعن مضار الحليب المجفف . . وهكذا عملت الشركات هنا بقول الشاعر : خلا لك الجو فبيضي واصفري . . .

ولا يخفى ما ينطوي عليه ذلك من استغلال بشع . . يستوجب الرد العنيف المناسب عليه . . وجاء هذا الرد من جهة لم تكن في الحسبان . . وجاء بطريقة لم تكن في الحسبان أيضا . . فقد قامت فئات من اليثين وغيرهم بمظاهرات صاخبة ضد الشركات ، ودعت الى مقاطعة منتجات هذه الشركات . واستجاب الجمهور في الدول المتقدمة . لتلك النداءات ، وعمد الى المقاطعة الفعالة لتلك المنتجات . . وطال أمد هذه المقاطعة سبع سنوات (١٩٧٧ - ١٩٨٤) . ولما كانت الخسائر التي تكبدتها الشركة الكبرى التي استهدفتها المقاطعة خسائر كبيرة بلغت عشرات الملايين من الدولارات . . أذعنت هذه الشركة الكبرى للواقع وسعت الى عقد اجتماع مع الفئات المسؤولة عن المقاطعة . . وتعهدت هذه الشركة في هذا الاجتماع الذي عقد في نيويورك في فبراير الماضي (١٩٨٤) بتطبيق ميثاق منظمة الصحة العالمية في بلدان العالم الثالث تطبيقا فعليا وأمينا . . مقابل ايقاف المقاطعة . . □

بكتريا تلتهم البترول

نجح العلماء السوفيات في تهجين نوع جديد من البكتريا التي تلتهم البترول وتستطيع بالتالي القضاء على بقع الزيت التي تعاني منها اليابسة وقد كثرت في المدة الأخيرة في أصقاع سيبيريا الشديدة البرودة .

وتفوق البكتريا السوفياتية التي تم تطويرها في مختبرات نوفوسيبيرسك Novosibirsk نظيراتها الأمريكيات من حيث سرعتها ومقاومتها للبرودة . فهي تلتهم البترول بسرعة تبلغ ١٠٠ ضعف سرعة الصنوف الأخرى . . وتستطيع القيام بمهمتها هذه على أكمل وجه في جو بارد تهبط حرارته الى ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر .

والأغرب من ذلك ما أكدته وكالة تاس ، مصدر الخبر ، من أن التربة لا تتلف بسبب فعل هذه البكتريا وأن الحشيش يعود الى النمو فيها ثانية في غضون ١٠ أسابيع من التهام البكتريا لبقعة الزيت التي لوثتها . □

زوج الملكة يستقيل من النادي من أجل حماية البيئة

الأمير فيليب زوج الملكة اليزابيث ليس ملكا كما هو معروف ، ولديه من الوقت ما يسمح له بشغل مناصب عديدة .. فهو عضو شرف بارز في نادي المكتشفين في نيويورك ، وهو رئيس صندوق حماية الاحياء البرية وهي مؤسسة بيئية عالمية .. الى غير ذلك من مناصب ..

واكتشف الأمير مؤخرا (في الربيع الماضي ١٩٨٤) أن نادي المكتشفين قدم في حفلته السنوية الأخيرة ألوانا غريبة من الطعام .. تذكر منها كبد الأسود وستيك الكركدن .. ومع أن هذه الالوان ليست جديدة ولطالما فاخر النادي بتقديمها في حفلاته السنوية الماضية التي حضر بعضها الأمير الا أنها بدت جديدة وغريبة بل مستهجنة للأمير فيليب وقد أصبح رئيسا لمؤسسة بيئية عالمية .. وأصبح لا يملك الا أن يفكر تفكيرا بيئيا ..

لا عجب اذن أن وجه نقدا شديد اللهجة الى النادي واعتبر الوان الطعام التي يفاخر بها ليست دليلا على اسهامه كثيرا أو قليلا في تدمير البيئة فحسب ولكن على قلة ذوق النادي .. ولم يقف الامير عند هذا الحد في انتصاره للبيئة .. بل ذهب الى حد تقديم استقالته من النادي .. □

أشجار .. لا تهاجمها الحشرات

يحاول العلماء الأمريكيون استنبات الأشجار في أنابيب الاختبار .. ويقوم بهذه التجارب حاليا فريق من علماء معهد كيمياء الورق في مدينة أبلتون Appleton في ولاية وسكونسين .

أما القصد من ذلك فليس مجرد الخروج على أساليب الطبيعة ، وانما تحسين الأنواع وتهجين أصناف جديدة من الأشجار .. وذلك باعادة هندسة الجينات الموجودة بما يضمن القضاء على آفات قديمة .. وتخليق أشجار تتمتع بخصائص جديدة ممتازة .. □

من أمراض البيئة

من الحقائق الثابتة في الغرب أن ما يقارب ٦٠ - ٧٠ من أمراض السرطان الخبيثة انما يعزى لتلوث البيئة ، والمقصود هنا التلوث الكيماوي .. فقد أثبتت احدى الدراسات العلمية الميدانية التي شملت القارات الخمس جميعها أن ١٣٧ ملوثا من ملوثات البيئة الكيماوية تسبب السرطان في الحيوانات .. وان عشرين ملوثا من تلك الملوثات هي سبب الاصابة بالأورام الخبيثة في الانسان .. فالوقاية اذن لا العلاج ، وتنظيف البيئة حاليا وحمايتها مستقبلا من التلوث هو سبيلنا الى الخلاص من أمراض السرطان والقضاء عليها .

وقل مثل ذلك في الادمان .. الادمان على التدخين والادمان على الخمور .. فهو من آفات البيئة أو أمراضها الفتاكة .. فالملوثات الكيماوية هنا أيضا يلتهمها الانسان التهاما .. من تلك الملوثات الكحول .. والخمر التي يقبل عليها المدمنون فيسممون أجسامهم ، ومنها النكوتين والقطران .. اللذان يبتلعهما المدخنون ، وهم بكامل قواهم العقلية .. فيعرضون أنفسهم لشتى الأمراض ، أمراض القلب وسرطان الرئة والحنجرة .. اذا لم يلاقوا حتفهم في وقت مبكر . □

مكتشفون ومخترعون

بنيامين فرانكلين

١٧٠٦ ـ ١٧٩٠

يحتل بنيامين فرانكلين مكانا مرموقا بين علماء التاريخ كله .. وذلك من حيث تعدد مواهبه وتنوع كفاءاته .. فقد تمتع في آن معا بمواهب العالم البحاثة وكفاءات رجل الدولة والسياسة ناهيك بالقدرة على التأليف والكتابة .

بدأ حياته العملية في احدى مطابع فيلادلفيا ، عاصمة الولايات المتحدة فيما بعد ... وبلغ من نجاحه في ادارة أعمال تلك المطبعة ان أقدم على التقاعد بقصد التفرغ للأبحاث العلمية ، لاسيما فيما يتصل بالكهرباء والبرق ... فقد ثبت له أن البرق شكل من أشكال الكهرباء، وأراد أن يثبت ذلك للآخرين اثباتا علميا لا ريبة فيه .

وكان ذلك بأن صنع طائرة شراعية وطلاها بمعدن ... وطار بنفسه بتلك الطائرة الشراعية الى أعالي الجو ... وعندما أبرقت الدنيا وضع فرانكلين يده بالقرب من مفتاح كان علقه بخيط ، وجعله يتدلى من الطائرة .. وما أسرع ما دخلت الشرارات الكهربائية جسم فرانكلين وأخذت سبيلها الى سطح الارض .... دون أن تمسه بالسوء الذي عرض نفسه له ...

وأتبع فرانكلين تجربته تلك بتجارب أخرى حتى توصل الى اختراعه الذي شهرّه عالميا : مانعة الصواعق ...

ونذكر من اختراعات فرانكلين النظارات ذات العدسات المزدوجة Bifocal Lenses .. التي تمكن المرء من رؤية البعيد والقريب بنظارة واحدة لا نظارتين .. وقد تسنى له تطوير هذا الاختراع أثناء وجوده في فرنسا وتبعا للمضايقة التي شعر بها شخصيا من جراء استعماله نظارتين ، أحداهما لقرب النظر والأخرى لبعده ...

ومن طريف ما يذكر عن فرانكلين أنه كان بين الجمهور الذي احتشد في باريس سنة ١٧٨٣ لمشاهدة الاخوين مونتجولفيير وهما يطيران في بالون الهواء الساخن لاول مرة .

فقد سمع أحد المشاهدين يقول : (وما الفائدة من هذا كله ....؟) ورد فرانكلين على ذلك بتساؤل آخر ، اذ قال : (وما الفائدة من الطفل الوليد ....؟!)

وتجدر الاشارة الى منجزات فرانكلين السياسية والادبية .. فقد أسهم في وضع اعلان الاستقلال الامريكي Declaration of Independeuce، وشارك في وضع الدستور الاتحادي للولايات المتحدة .. وشغل منصب الرئاسة في ولاية بنسلفانيا(١٧٨٥ ـ ١٧٨٨) ومنصب الممثل الدبلوماسي لولايته هذه في لندن (١٧٦٤ ـ ١٧٧٥) ... وأمضى السنوات العشر التي أعقبت تلك المهمة سفيرا لبلاده في فرنسا (١٧٧٦ ـ ١٧٨٥) . □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

وسيلة جديدة وفعالة من وسائل منع الحمل

ع انها في غاية البساطة .. مجرد غطاء لعنق الرحم .. ويطول أمدفاعليته سنة كاملة .. ولكنه يفصل أو يصنع خصيصا لكل امرأة على حدة ، وذلك ليكون مناسبا لها تماما .. فلا يتحرك أو يتزحزح من مكانه أبدا .. ولا يتسبب بالتهابات أو روائح كريهة .. كما تفعل اللوالب ..

ويتم صنع الغطاء بأخذ شكل عنق الرحم في المرأة ، وذلك بواسطة مادة السيليكون .. ثم يصنع قالب من البلاستر الباريسي Positive Cast ليصنع الغطاء بشكل هذا القالب تماما .. وذلك بواسطة آلة سكب تعمل على أساس الفراغ .. أما المادة التي يصنع منها الغطاء فهي الكراتون Kraton ..

ويكون الغطاء في النهاية ذا طبقتين تفصل بينهما قناة رفيعة .. ذات صمام .. ومن شأن هذه القناة وصمامها أن تسمح بخروج السوائل وتمنع دخولها .. فهي اذن تحول دون دخول السائل المنوي وتمنع الحمل ..

وقد سجلت الاختراع الدوائر المختصة مؤخرا لأستاذين طبيين في جامعة شيكاجو .. طبيب أسنان واسمه روبرت جويب Goepp وطبيب أمراض نساء واسمه أوفريز Uwe Freese .. وأنشئت شركة خاصة لصنع هذا الغطاء .. أطلقوا عليها اسم الغطاء نفسه . (Contracep) . □

جهاز جديد لتشخيص ألم الظهر

ع ألم الظهر عرض ظاهر ، كما هو معروف ... ولهذا العرض الظاهر سبب باطن كما هو معروف أيضا ... ولكن العلل التي يمكن أن تكون سببا باطنيا لذلك الألم كثيرة .

فقد يكون سبب الألم المبرح في أسفل ظهرك مجرد تعب أو ارهاق لحق بعضلات أسفل الظهر ... وهو السبب الأكثر شيوعا « ٨٠٪ من الحالات » .. وقد يكون السبب انبعاجا في أحد الاقراص الغضروفية .. وهو السبب الاقل انتشارا (١٥٪) من حالات ألم الظهر جميعها .

وقد يكون سبب الالم غير هذا وذاك ..

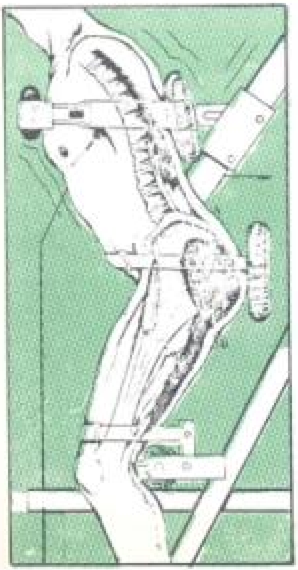

من هنا كانت الصعوبة في تشخيص ألم الظهر ، وكان من الضروري اللجوء الى التصوير بالاشعة السينية في كثير من الحالات . ولكن هذا التصوير نفسه كثيرا ما يلتبس أمره ولا يساعد على اكتشاف سبب الألم . . .

لذلك كان ابتكار الجهاز الجديد الخاص بتشخيص ألم الظهر (انظر الصورة) خبرا هاما بالنسبة الى الذين يعانون من ألم الظهر الحاد أو المزمن وهم يعدون بعشرات الملايين في العالم .

والجهاز الجديد الذي مازال قيد التجارب الميدانية في ثلاثة مراكز طبية في الولايات المتحدة الامريكية ، ذو اطار كالقفص . . وذو كمبيوتر متصل بهذا الاطار . . . ومن شأنه أن يعرض المريض ، لدى أخذه المكان المناسب من الاطار ، لحركات مختلفة ، كالانحناء والتقاط جسم ثقيل وحمله والنهوض به لوضعه في مكان آخر غير مكانه الأصلي . . ويرصد جهاز الكمبيوتر ، أثناء تلك الحركات ، أداء العضلات والاربطة والغضاريف وغير ذلك في أسفل الظهر ويترجم ذلك الاداء في رسم بياني واضح بين . . . يغني المريض عن شرح حالته للطبيب ويغني الطبيب عن الاجتهاد والرجم بالغيب والتشخيص الخاطيء الذي قد يؤدي الى أوخم العواقب . □

قوة الابصار في الانسان والحيوان

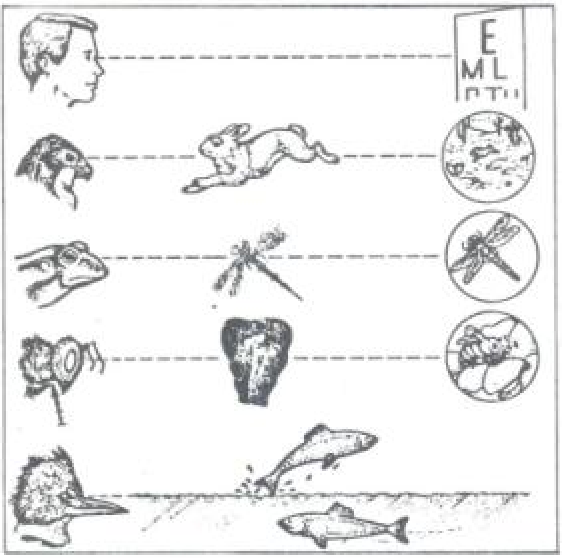

ع يقاس البصر السويّ الكامل في الانسان بعلامة 20/20 . . .

ومعنى ذلك أنك ترى من على بعد عشرين قدما ما يراه أكثر الناس من على بعد عشرين قدما . أما اذا كانت العلامة 50/20 فمعنى ذلك أنك لاترى ما يراه الناس من على بعد 50 قدما ، وأنك بحاجة الى الاقتراب منه حتى تصبح المسافة 20 قدما لكي تستطيع أن تراه . . .

وتحصل على العلامة نتيجة الامتحان طبعا . . امتحان قدرتك على قراءة

حروف بأحجام مختلفة وفي سطور مختلفة من على بعد 20 قدما . . . وغالبا ما توجد لوحة الحروف هذه في عيادات أطباء العيون وفي محلات أخصائيي النظارات .

على أن بصر الانسان يعتبر محدودا جدا بالقياس مع بصر كثير من الحيوان . .

فالصقور مثلا تستطيع رؤية قطعة نقود صغيرة ملقاة على رصيف الطريق من فوق قمة ناطحة السحاب (الأمبير ستيت) . . . وذلك بدقة ووضوح بالغين . . ويقدرون قوة بصر الصقور بثمانية أضعاف قوة بصر الانسان ، حتى في الحالات التي تبلغ قوة بصره فيها 20/20 .

أما النحلة فيمتاز بصرها بكونه مركبا أو مضاعفا يمكّن النحلة من الملاحظة في الجو . . فعينها ذات 15000 عدسة قرنية وترى الأشياء نقاطا في أشكال أو نقوش مختلفة ، كالموزاييك . والشمس في نظر النحلة لا تعدو كونها مجرد نقطة واحدة . . . ولكنها نقطة ارتكاز ثابتة تمكّن عين النحلة من قياس الزاوية بين الشمس وبين خط طيران النحلة بحيث لا تضل السبيل . . أضف الى ذلك أن عين النحلة تقدر ، بل تحدد سرعة الطيران . . وقد اتخذها المهندسون أساسا لابتكار جهاز جديد للطائرات يحدد السرعة . . . والاهم من ذلك أن النحلة تستطيع أن ترى ما يعجز الانسان عن رؤيته : الأشعة فوق البنفسجية .

ويتميز بصر الضفدع في أنه يرى الثابت متحركا . . . كالسينما . فعينها مجهزة بخلايا متطورة جدا يسميها العلماء (Bug Detectors) . .

ولاتستجيب هذه الخلايا الا للأجسام المتحركة .

وقل مثل ذلك في الطيور التي ترى وهي في أعالي الجو والاسماك وهي في أعماق البحر . . .

ومهما يكن من أمر فان بصر الانسان يتميز بالقدرة على رؤية الألوان . . والاستمتاع بمشاهدتها ولا يشاركه في ذلك أحد من عالم الحيوان باستثناء عدد محدود جدا من القردة . □

وأخيرا نجحوا في ترميمه

ع هذا هو وجه الملك فيليب الثاني ، والد الاسكندرالكبير ، كما يرجح العلماء . . والجمجمة التي تبدو في الصورة لم يعثروا عليها قطعة واحدة . . وانما قطعا عديدة صغيرة . . قام جون نيف J. Neeve . . الأخصائي في الفن الطبي في جامعة مانشستر . . قام بلم شمل تلك القطع الصغيرة حتى كانت الجمجمة التي ترى . . وقد عثروا على تلك القطع الصغيرة في أحد القبور سنة ١٩٧٧ . . وكانت قطعا متفحمة (محروقة !) .

أما التشويه الذي تراه في عين فيليب اليمنى وما حولها فمرده الى سهم أطلقه عليه أحد أعدائه في احدى المعارك . . والتاريخ يذكر ذلك . . ولو قارنت وجه فيليب هذا (دون تشويه) بوجهه المنقوش على العملة لوجدته مطابقا . □

قسم خاص

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

صغيرك وعالم جديد اسمه المدرسة

كيف نعامل المتفوقين؟

شعر المرأة تاج جمالها

صغيرك..
وعالم جديد اسمه المدرسة

إعداد : وفاء طه ناجي   تصوير : سليمان حيدر

« بفضل حزم المعلمة ورقتها ، وحنان الوالدين وحرصهم ، استطاع الصغير اجتياز الصعوبات التي صادفته عند الذهاب الى المدرسة للمرة الاولى .. ليستمتع بعد ذلك بعالم جديد ، وعلاقات رائعة . »

يعد هذا المفهوم هو انجح اساليب التربية في اعداد جيل لا يعاني عقدا ، او تسيبا في حياته الجديدة داخل المدرسة . وعند تطبيق ذلك يحتاج الاهل والمربون في المدرسة الى صبر واهتمام مشترك ، يتوازن فيه الثواب والعقاب ، الشدة واللين ودون مبالغة او ميل يؤدي حتما الى نتيجة عكسية ، بالاضافة الى أن ذلك التوازن نفسه لا بد أن يتوفر بين الام من جهة والاب من جهة أخرى باعتبارهما طرفي العلاقة الاولى المؤثرة اساسيا في بناء شخصية الصغير . فما هي المشكلات التي يتعرض لها الابناء في العام الاول من حياتهم الدراسية ؟ وما هو دور الاهل والمدرسة في حل تلك المشكلات ؟ وهل هناك اسلوب في التربية يحمي التلميذ من سلبيات انفصاله عن البيت ؟

بهاء المغربي : هذا جيل مدلل

طفل مدلل .. او عدواني .. لماذا ؟

عكانت لنا جولة داخل احدى مدارس الصغار بالكويت للتعرف على الصعوبات التي تواجههم واثرها عليهم . فالتقينا مع السيدة بهاء المغربي مديرة المدرسة تقول :

بعد خبرة تسعة عشر عاما في مجال تعليم الصغار استطيع أن اؤكد أن أهم اسباب تفاقم المشكلات في هذا الزمن هو تدليل الاطفال .. فهذا الجيل مدلل الى ابعد الحدود ، والكثير من الصغار عندما يدخلون المدرسة لاول مرة يفرطون في محاولات التأثير على معلميهم لتلبية حاجاتهم .. سواء بالبكاء او العزوف

الطفل الخجول يعاني من التردد

عن الطعام .. أو الانطواء او العدوانية . وهي مشكلة تواجهنا بشدة وتسبب لنا قلقا ، فواجبنا أن نعلم الطفل كيف يحب المدرسة ويتعلم فيها تنمية قدراته النفسية والاجتماعية

وتنهي السيدة المغربي حديثها قائلة : واذا كان الانصياع الشامل لرغبات الصغير ايا كانت ووقتما شاء تشكل خطأ في تنشئته ، فان الاصرار على الزامه بنظام صارم لا مرونة فيه اشد خطورة ، فالتوازن هو المطلوب في عملية تشكيله منذ البداية .

وتشاركنا الحديث ماسيرفيليب وكيلة المدرسة فتقول :

يعاني الصغير اول ما يعاني مشاعر الغربة ، وهي مشكلة اساسها عدم التمهيد الى أنه سوف ينتقل الى محيط فيه شبه انضباط ، والسيطرة على ذلك لا تتم الا بمنح الصغير مزيدا من الرعاية والحب ، فهو لا يتقبل بسهولة وضعه الجديد في الانفصال المنظم عن اسرته .

اما اذا كان للصغير اخ أكبر في نفس المدرسة فهذه مشكلة اخرى ، لانه يرغب في مرافقة اخيه طوال الوقت .. ويبذل في سبيل ذلك ما يستطيع .. حتى أن بعض الصغار يظل يبكي طوال الوقت من اجل الالتحاق بصف اخيه فتصبح مهمة المدرسة عسيرة في تشجيع الصغير على تكوين روابط جديدة مع آخرين من اقرانه ومحاولة مد جسر بينه وبين من هم في مثل سنه وذلك بضمه الى تلاميذ لهم نفس هواياته ، حتى تحميه من اعراض الاضطراب التي قد تصل به حدا يستوجب المعالجه .

وتحكي لنا المعلمة صفاء حسن عن الصغار الجدد في الصف فتقول : يستغرق اندماج الطفل العادي بين اقرانه في جو المدرسة الجديد ما بين عشرة ايام الى شهر ، ومن خلال عمل استطيع أن احدد ان الصغار الذين يدخلون المدرسة لاول مرة ثلاثة أنواع يمثلون بذلك ثلاثة وجوه للمشكلات ، طفل مدلل ، طفل خجول ، وطفل عدواني . ومن علاقتي معهم فان الطفل المدلل يزعجه هذا العدد الكبير من زملائه الذين تهتم بهم المعلمة ، فيظل يلاحقها ويستلفت انتباهها ليحظى وحده بكل الاهتمام . اما الطفل الخجول فهو يعاني طوال الوقت من الشعور بالتردد ويهرب من كل محاولة تبقيه ضمن مجموعة من اقرانه من الصغار . ويأتي بعد ذلك الطفل العدواني الذي يسبب الكثير من المشكلات داخل فصله ، فهو لم يتعود الانضباط في سلوكه او عواطفه ، ومن خلال تجربتي كمعلمة للاطفال ، فان طريقة المعاملة المجدية قد تختلف من طفل الى آخر .. حسب شخصية كل طفل وقابليته للتشكيل ،

ونلتقي مع أمهات عشن تلك التجربة الجديدة مع صغارهن . فتحكي لنا سناء ابراهيم وهي ام لطفل عمره ست سنوات وتقول : كانت بداية صغيرى مع المدرسة طيبة للغاية ، فقد احبها ، واحب زملاء

على المدرسة أن تهيء مناخا يكفل للتلميذ التكيف البطيء مع الظروف الجديدة

لماذا يتعرض الصغير للاحباط ؟

معاملة الأهل المتوازنة تساعد الابن على الايجابية

الطفل الانطوائي ، وصعوبة التكيف

صفه ، ومعلمته ، حتى انه كثيرا ما كان يرفض العودة معي الى البيت . حتى جاء يوم ورفض الذهاب الى المدرسة . . ومرت أيام وهو على رفضه . . وحاولت معه المستحيل دون جدوى . الى أن اكتشفت السبب . فقد سافرت معلمته . وفي اول حصة للمعلمة الجديدة عنفته وضربته بقسوة لمجرد انه نسي دفتره .

اما السيدة / زهرة المطوع وهي ام لابنة عمرها(٥) سنوات فتقول : ابنتي هادئة الطبع ، شديدة الحساسية والتهذيب ، بعد الاسبوع الاول من انتظامها بالدراسة بدأت ألاحظ عليها نوعا من القلق والتوتر الذي أخذ ينعكس تدريجيا على سلوكها داخل البيت ، فاختل نظام اكلها ونومها واصبحت تصر على أن تنام معنا في الفراش انا ووالدها ، واذا حاولنا أن نعيدها الى ما كانت عليه من نوم في غرفتها ، فان ردة فعلها تكون نوبة حادة من الصراخ . وما زالت المشكلة قائمة حتى الآن .

محاولة للتفسير

حملنا هموم المدرسة ومشاكل الاهل ومع د . عزت سيد اسماعيل استاذ علم النفس في جامعة الكويت ، حاولنا البحث عن اجابة لسؤال يتعلق بخير الوسائل التي يمكن اتباعها في تنشئة الصغار ،

قال : بعد ذهاب الطفل الى المدرسة في سن السادسة أو قبلها بقليل اول تعرض للتركيب التنظيمي للمجتمع ، ويكون على الطفل أن يحقق تكيفا مع غرباء من الكبار ومع مجموعة كبيرة من الاقران ، كما يكون عليه أداء مهام لا مهرب منها .

ويتعرض الطفل في المدرسة للفشل او للتهديد بالفشل سواء في المجال التعليمي او في المحيط الاجتماعي بها . كما يمثل عنصر التنافس في المدرسة موقفا يحاول الطفل من خلاله أن يختبر ذاته وأن يتعرف على نواحي تفوقه وضعفه ، ولا تزداد مشاعر الاحباط لدى الطفل بصورة مرضية ما لم تكن الارض مهيأة لذلك من خلال قيام علاقات اسرية خاطئة ، او مالم يتخذ المدرسون انفسهم اتجاهات خاطئة في معاملته ،

فان صحة الصغير النفسية ـ نجاحه وفشله ـ يرجع الى خبراته الاولى مع والديه واخوته في المنزل ، فالعلاقات الاسرية هي التي تعمل على صياغة شخصيته

ويستمر د . عزت في الحديث فيقول : والميزان الذي يحقق الشخصية السوية هو منح الطفل الحب والاهتمام مع قدر من الاتساق في اسلوب التعامل معه . فالتدليل المفرط ، او القيود المتطرفة يمكن أن يسهم أي منها في احداث اضطرابات سلوكية .

فالطفل قد يستجيب للتدليل المفرط والقصور في الضوابط السلوكية بالسلبية والوداعة التي لا مبرر لها او بالتمرد والرغبة في الاشباع الفوري لمطالبه اللانهائية . ويتبع هذا ان أى تغير فجائي في بيئة الطفل ، مثل الانتظام في المدرسة ، يمكن أن يؤدي الى حدوث اضطراب انفعالي ، وخاصة بالنسبة للطفل ذي الحساسية المفرطة والذي يفتقر الى الاحساس بالامن ،

ومثل هذا الطفل اذا منح فرصة الألفة التدريجية لهذه التغييرات فانه سوف يحقق تكيفا مع هذه المطالب الجديدة .

وفي المدرسة قد تظهر لدى الصغير مشكلات وجدانية مثل عدم القدرة على تكوين روابط مع الآخرين سواء من الكبار او الصغار ، ويكون السلوك انسحابيا سلبيا مع تزايد الرغبة في الاستحواذ على انتباه الآخرين . وقد يكون هناك سلوك انفجاري في شكل تخريبي او في صورة نوبات من الغضب او السخف بدرجة لا تتفق مع العوامل المحدثة لها .

وقد تظهر صعوبات خاصة بالدراسة مثل قصور في مدى الانتباه وعدم القدرة على التركيز .

ويعد الخوف من المدرسة اهم واكثر المشكلات شيوعا عند ذهاب الصغير الى المدرسة لاول مرة ، يظهر هذا الخوف في صورة قلق . . ونحن في الدراسات النفسية نسميه « قلق الانفصال » بدلا من « الخوف المرضي من المدرسة »

واعراض قلق الانفصال يمكن أن تأتي بالاضافة الى رفض الطفل الذهاب الى المدرسة في صورة شكاوى بدنية مثل : آلام في البطن او صداع يحدث صباحا في أيام الدراسة فقط ، او اثناء اليوم الدراسي .

العلاج

وينهي د . عزت حديثه قائلا : ولما كان قلق الانفصال او الخوف من المدرسة يتضمن كلا من الطفل والآباء والمدرسة في نوع من العلاقة المتشابكة ، فان لكل منهم دورا ايجابيا في مساعدة الصغير للتغلب على تلك المخاوف التي لا أساس لها .

فلاينبغي أن يجاب مطلب الصغير ليبقى في البيت ، ويجب ان يعاد الى المدرسة بأسرع ما يمكن ، وضروري أن يتفهم الآباء العوامل التي أدت الى هذا الموقف اذ ان عودة الطفل الى المدرسة ليس لها قيمة تذكر ما لم يتفهم الموقف . ويمكن للمدرسة أن تلعب دوراً هاماً في هذا الصدد حيث يمكنها التعرف على الكثير من أبعاد شخصية الطفل من حيث طبيعة استجاباته للمواقف الجديدة كالاقدام أو الانسحاب منها ، وقدرته على التكيف وقابلية سلوكه للتعديل وفقاً لتغير الظروف البيئية ، وتوعية مزاجه السائد مثل الابتهاج أو السلوك النافر غير الودود ، ومدى قدرته على تركيز الانتباه والاستمرار في نشاط معين في مواجهة العقبات والصعاب .

هل نفعل ؟

ويبقى أن نقول انه ليس هناك اب أو أم يحب أن يكون له طفل مزعج أو منطو غير قادر على تحقيق أي قدر من التوافق مع عالمه الجديد داخل المدرسة : فعلى الاهل أن يشجعوا اطفالهم في غير اسراف على ممارسة حرية التعبير وفي نفس الوقت تعليمهم حب المغامرة وكيفية استنباط الحلول بتشغيل العقل حتى لا ينشأوا بلا ارادة عاجزين عن استيعاب عالم يتحول بسرعة .

اما المدرسة فمن الضروري أن يكون دورها الحقيقي هو الكشف عن القدرات الخاصة عند كل صغير وتوجيهها الوجهة الصحيحة للافادة منها بدلا من اتباع سياسة تربوية محدودة وجامدة ، وذلك حتى يتحقق الهدف من التنشئة وهو تنمية مدارك الصغار وقواهم وملكاتهم في اطار تقاليد وقيم مجتمعهم ، فهل نفعل هذا . . نرجو ذلك . □

كيف نعامل المتفوقين؟

مدرسة خاصة بالمتفوقين بسيبيريا

« ليست القضية في الامكانيات فقط ، ولكنها في نظرة المجتمع لابنائه المتفوقين وتقديره لأهميتهم ، وهذه تجربة من قلب سيبيريا ، حيث توجد مدينة العلم والعلماء » .

ع في مدينة نوفو سيبيرسك التي تقع في الجنوب الغربي من سيبيريا . . وعلى ضفاف نهر « الأوب » بعد ثلاثين كيلو مترا فقط . . تجد نفسك في مدينة العلم والعلماء . هنا مائة معهد علمي و ١٢ ألف عالم ، وجامعة ومعاهد موسيقا وثقافة وآداب ، ومع هذا يوجد فرع للأكاديمية العليا للعلوم بسيبيريا .

وسط هذه المباني التي تتشكل منها المدينة بالاضافة الى المساكن والحدائق ومباني الخدمات ، يوجد مبنى صغير . . هو غايتنا في هذه الزيارة . . مدرسة الطلبة المتفوقين .

اختيار المتفوقين

على باب المدرسة استقبلنا يوري نحايف استاذ الرياضيات ، والذي كان ذات يوم تلميذا بها ، يقول عن تاريخ المدرسة وطلبتها : « تأسست المدرسة عام ١٩٦٣ بمبادرة من الدكتور ميخائيل ليفرينتيف ،

مدرسة المتفوقين في سيبيريا

طالب من شعب اليوريات

تصغي وتسجل

درس عام

الدروس المنتقاة .. عدد الطلبة فيها قليل

تدريبات رياضية

الاستاذ يوري غايف

وذلك ادراكا منه لاهمية تخريج كوادر علمية نابهة . وعدد الطلبة بالمدرسة ٥٥٠ طالبا فقط ، يتخرج نصفهم كل عام ليحل مكانهم عدد مساو تماما .

وطريقة اختيار الطلبة تتم بأن نقيم معسكرا علميا يضم حوالى ألفي طالب من مجموع طلبة الجمهوريات السوفيتية كلها ، وخاصة السيبيرية منها ، وفي نهاية أيام المعسكر يتم عقد اختبار للطلبة ، وأهم مواد الاختبار هي الرياضيات ، ونختار بعد ذلك الـ ٦٠٠ الأوائل ، والذين يتم اختيارهم بعد ذلك اختبارا نهائيا ، تسفر نتيجته عن انتقاء ٥٥٠ طالبا وهم سعة المدرسة ، ويعود باقي الطلاب لمتابعة دروسهم العادية .

وجهان

ليس نظاما طبقيا ولكن قواعد علمية

يواصل محدثنا شرحه ويتناول نظام الدراسة وطبيعتها يقول : مدة الدراسة بالمدرسة عامان فقط ، وهما يعادلان آخر سنتي المرحلة الثانوية ، وقد كان تحديد مدة الدراسة بعامين وقصرها على آخر مرحلة قبل دخول الجامعة أمرا مقصودا ، فنحن لا نريد خلق تمييز طبقي جديد ، وان كان مبعثه التفوق العلمي ، وفي نفس الوقت فاننا نعتقد أن هذه مهمة كافية لتحقيق هدفنا ، فنحن نهدف الى زرع قواعد علمية متطورة في اذهان الطلبة ، تساعدهم بعد ذلك على التحصيل والدراسة بامكانيات خلاقة ، وخاصة في المواد العلمية ، ولذلك فان معظم خريجي المدرسة يتجهون الى دراسة العلوم ، ويتخصصون في فروعها المختلفة ، الا أن الفرعين الاكثر إقبالا هما الكيمياء والفيزياء .

ونظام اليوم المدرسي قائم على نظم المدارس الداخلية ، حيث تقدم المدرسة جميع خدماتها كمؤسسة تعليمية تربوية للطالب ، ابتداء من الكتب الى أدوات المختبر والطعام والسكن ، ومناهج التدريس هي ذاتها نفس المناهج في المدارس العادية ، الا أننا نعطي جرعة أكثر تركيزا في مواد الفيزياء والرياضيات والكيمياء ، ونجعل لها مكانا مميزا في برنامج الدراسة ، سواء من حيث نوعية المنهج أو من حيث عدد الساعات ، ومن حيث عدد الطلبة في الفصل الواحد (المعدل الوسطي هو ١٢ طالبا وطالبة في بعض مواد الدراسة) . والدراسة تكاد أن تكون مجانية ، فالرسوم لا تتجاوز ٣٠ روبلا بالشهر ، ويعفى منها الطلاب أبناء الأسر ذات الدخل المنخفض ، ولذا فان ٢٥ بالمائة من الطلبة لا يدفعون شيئا ، وهذه السياسة نتبعها لكي لا تكون الرسوم ـ رغم رمزيتها وكونها لا تتعادل مع تكلفة وجبات

اصغاء ومتابعة

الطعام فقط ـ معوقا لعقول نابهة من أن تأخذ فرصتها وتتقدم .

خلف الأسوار

.. وليست هذه هي المدرسة الوحيدة في الاتحاد السوفيتي ، بل هي أقدم مدرسة ، ولكن يوجد معها ثلاث مدارس اخرى تتبع نفس الأساليب والبرامج ، وتقع في موسكو ولينتغراد وكييف .

وطوال طريق العودة .. كان الذهن مشتغلا تملأه صورتان لمجتمعين ، مجتمع يتعامل مع ابنائه بمنطق الثروة ، ومجتمع آخر ينظر اليهم كأرقام .. ولذلك فليس غريبا أن يكون التقدم عندهم تقدم مجموع ، وعندنا طفرات أفراد .

ولم يقل أحد منا ابدا أن الذكاء والابداع وقف على شعوب دون شعوب ، الموهبة والذكاء .. والتفوق مجرد قدرات تختلف من شخص الى آخر ، ولكن الذي لا يجب أن يكون حوله خلاف هو تعامل المجتمع ، والفرص التي تمنح ، والمناخ الذي يحيط ، والبحث الجاد عن هذه العقول .. والتي في النهاية لن تصنع لنفسها نصرا بقدر ما سوف تمنح المجتمع والوطن حياة أفضل .

المسألة باختصار أن هناك مجتمعات تأخذ بعقول أبنائها الى ما وراء كل الحواجز ، لتتيح لهم فرص الابداع والخلق ، وهناك مجتمعات تحيط عقول أبنائها بمزيد من الأسوار كي تمنعهم من الخلق .. فلننظر أى مستقبل نريد .. ونحدد هل نظل طويلا وراء الأسوار ؟ □

سليمان الشيخ

شعر المرأة تاج جمالها

بقلم : الدكتور نبيل سليم

للحصول على مثل هذا الشعر الجميل يجب أن نعتني بغذائنا . . ولتقوية الشعر يجب أن يكون عن الطريق الموضعي .

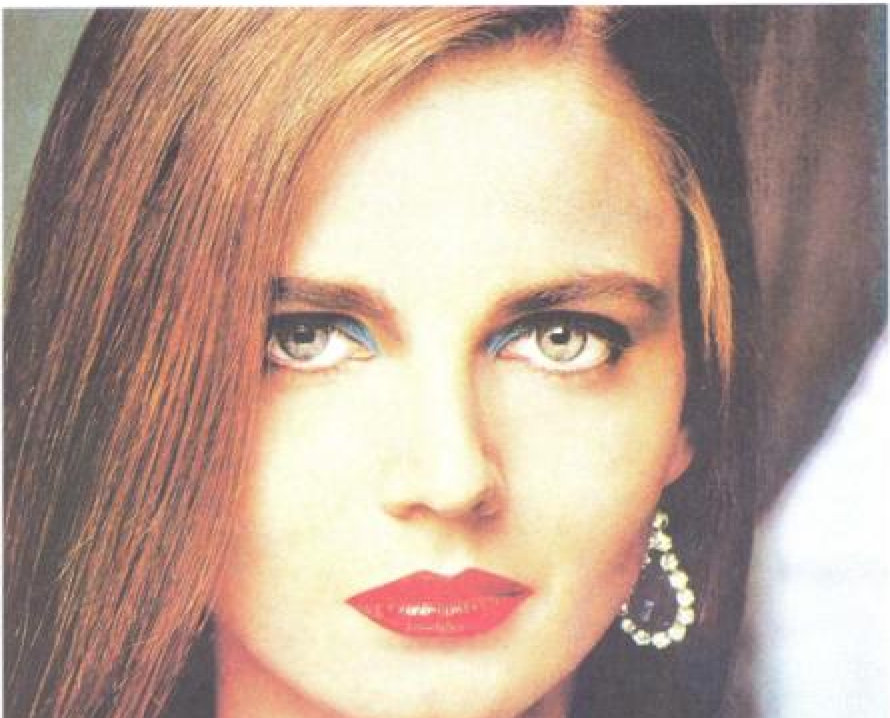

قيل في الشَّعر انه « تاج الجمال » وهذا صحيح فالشَّعر دليل واضح ، لا على مدى اهتمامك به فحسب ، بل على مدى اهتمامك بنفسك وجمالك .

فالشَّعر النظيف المصفف ، المعتنى به ، يوحي بأن صاحبته تعنى بنفسها وتحرص على أن تبدو جميلة تملك حيوية وشبابا .

ع الشعر منذ أقدم الأزمنة ، كان الشغل الشاغل للمرأة حتى اختلفت وصفات تجميله ، وتعددت أساليب تصفيفه والعناية به ، وتطورت الحضارة الانسانية ، وكيف لا والمرأة تعرف ما لشعرها من قيمة في نظر الرجل ، فيه تغنى الشعراء ، وبحسنه ونعومته وانسداله ولونه تغزل المتغزلون .

في الماضي كانت المرأة تستعمل دهن الجمل ومساحيق الأعشاب السحرية « الحناء » ، واليوم صارت تستعمل أحدث ما توصل اليه العلم ، وسواء في هذا العصر أو ذاك ، كانت غاية حواء واحدة لا تتبدل : الحصول على شعر ساحر جميل .. الأمر الذي أفسح في الماضي مجالا واسعا للمشعوذين والدجالين كي يتفننوا في وصفاتهم « السحرية » الكاذبة ، كما أتاح في الحاضر مجالا للعلماء كي يجعلوا هذه المنحة الالهية الرائعة محطا لدراساتهم ، وموضعا لأبحاثهم وتحليلاتهم من أجل التوصل الى احدى الطرق المؤدية الى حفظ وسلامة الشعر ، واعطائه الرواء والبهاء الى أبعد حد ممكن .

مولد الشَّعر

يبدأ ظهور الشعر في رأس الجنين منذ الشهر الرابع من الحمل ويتزايد تدريجيا مع تقدم العمر حتى يصل عدد البصيلات الشعرية في المرأة الى خمسة ملايين شعرة ، منها حوالى مليون شعرة بالرأس ، ثم يبدأ عدد البصيلات الشعرية فى النقصان التدريجي مع التقدم أكثر في العمر .

وتمر البصيلة الشعرية بفترات من النشاط والخمول ، وفي فترة النشاط تنمو الشعرة حتى تصل الى طول معين ثم تبقى بدون نمو لفترة معينة وتسقط بعدها لتبدأ البصيلة في تكوين شعرة أخرى من جديد .

والشعرة الدقيقة التي تكاد لا ترى بالعين المجردة ، تعتبر في نظر العلم ، عضوا كاملا يعيش مع باقي أعضاء الجسم في نوع من الانسجام يجعله شبه مجتمع مستقل يعيش بجوار مجتمعات أخرى ، أو أشبه بكتل الدبق التي تنمو على شجرة السنديان .

والشعر كأي عضو آخر من أعضاء الجسم ، نجد له « أجهزة ماصة » مفرزة وماصة وعصبية ووعائية ، فهو يأخذ غذاءه ويمتصه ويحوله ثم يلفظ البقايا والنفايات في مجار داخلية .

سقوط الشعر

ان سقوط الشعر الذي انتهت فترة حياته يؤدي الى فزع البعض مع أنه ظاهرة طبيعية فسيولوجية،وتحدث في حدود ٢٥ الى ١٠٠ شعرة يوميا .

وفي بعض الحالات المرضية مثل الأنيميا والأمراض المزمنة وأثناء وبعد الحمل عند النساء وفي حالات الحميات والازمات النفسية والعاطفية وعند تعاطي بعض العقاقير السامة تقل التغذية الخاصة بالبصيلة ، كما تؤثر عليها عوارض المرض مما يؤدى الى قصر فترة نمو الشعر وسرعة تساقطه ، وفي هذه الحالات يعود الشعر الى حالته الطبيعية بعد زوال السبب .

ويطول شعر الرأس بحوالي ملليمتر واحد كل

ثلاثة أيام ، ويتأثر هذا النمو بالهرمونات ، فمثلا زيادة هرمون الغدة الدرقية تؤدي الى زيادة طول الشعر بينما زيادة هرمون الأنوثة الاستروجين « Estrogen » تؤدي الى خفض الطول .

وزيادة نمو الشعر قد تكون زيادة عامة في الأماكن التي ينمو فيها الشعر عادة أو تكون في الأماكن التي لا يظهر فيها الشعر عادة في المرأة مثل الذقن والصدر . . وهذه الزيادة قد تصاحب بعض الأمراض الجلدية أو اضطرابات الهرمونات وخصوصا الغدة الكظرية « فوق الكلية » والغدة الدرقية والمبيض . كذلك قد تنتج زيادة نمو الشعر نتيجة تناول بعض الأدوية مثل أدوية الصرع . وكذا عقار « الكورتيزون » ومشتقاته ، وهرمونات الذكورة ، كما أنها تصاحب أورام الغدة فوق الكلية والمبيض .

وفي هذه الحالات يجب العرض على الطبيب الاخصائي لمعرفة السبب وعلاجه .

تلوين الشعر

بعض السيدات يقبلن على تغيير لون شعرهن تبعا للموضة ولكن هذا التغيير لا يخلو من الخطورة خصوصا في أيدي بعض مصففي الشعر و «الكوافيرات» الذين يحترفون فن التجميل بالممارسة وليس بالدراسة . حيث أن بعض الصبغات المستعملة تؤدي الى التهاب جلدي موضعي بفروة الرأس والوجه والرقبة . وقد لا تفطن السيدة أو « الكوافير » الى أن الصبغة هي سبب حدوث الالتهابات رغم تكرارها كلما استعملت الصبغة .

لذلك يجب على أي سيدة تصاب بأي التهاب بفروة الرأس أو الوجه أو الرقبة أن تتوقف عن استعمال أي صبغات أو مستحضرات للتجميل تستعملها لشعرها وأن تعرض نفسها فورا على الطبيب الاخصائي .

والأصباغ التي تستعمل في تلوين الشعر اما أن تكون أصباغا « وقتية » أو « دائمة » أو « نصف دائمة » و « الأصباغ الوقتية » تحيط الشعر بغلاف رقيق من الصبغة مكسبة اياه اللون المطلوب ، وهذه يمكن ازالتها باستعمال « الشامبو » أو الصابون . ومن أمثلتها الـ « أسبراي » بأنواعه .

« والأصباغ نصف الدائمة » تحيط الشعرة بجزئيات صغيرة يمكنها اختراق الطبقة الخارجية للجلد « الكيراتين » والدخول في الشعرة فتكسبها اللون المطلوب ، مثل الحناء وبعض الأصباغ الموجودة على هيئة كريمات ، ويمكن غسل الشعر مع وجود هذه الصبغة من ٦ الى ١٠ مرات قبل أن يستعيد الشعر لونه الطبيعي .

أما « الصبغات الدائمة » فهي تعتمد على اختراق جسم الشعرة بعد معالجته معالجة خاصة بواسطة بعض المواد المؤكسدة لتصبح احد مكونات الشعرة مكسبة اياها لونا أقرب ما يكون الى الطبيعي مما يؤدي الى كثرة استعمالها . وفي كثير من الحالات تؤدي الى حساسية جلدية مصحوبة بالتهابات شديدة .

كما أن ازالتها تتم بصعوبة . فاذا حدث وغيرت السيدة رأيها أو لم يعجبها لون الشعر وأرادت استبداله بلون آخر ـ كما يحدث مع كثير من السيدات ـ يلجأ الكوافير الى استعمال مواد قوية لازالة اللون وهذه المواد قد تدمر الشعر نفسه وتؤدي الى فقد كمية كبيرة منه في معظم الحالات .

الشعر يتغذى عن طريق الفم

ان الشعر الحي النابت في رؤوسنا ، يأخذ من أجسامنا قسما من حاجته ، ويحصل على باقي حاجاته بوسائله الخاصة ، وهذا يعني أن كل وسيلة تهدف الى تحسين الشعر وتقويته يجب أن تتم بواسطة الطريق الموضعي .

بالاضافة الى طرق تحسين الصحة العامة . وبعبارة أخرى لا بد من الاستعانة بالعلاجات الموضعية الخاصة بالشعر ، والملائمة لطبيعة صاحبه وحالتها الصحية .

ولقد أثبت العلم أن الشعر ينمو بمقدار اثني عشر ملليمترا كل شهر تقريبا . وان سرعة نموه تتوقف على الجو ، وهو في الصيف أسرع منه في الشتاء ، والشعرة الساقطة هي شعرة ميتة قبل ثلاثة أشهر . واذا كانت

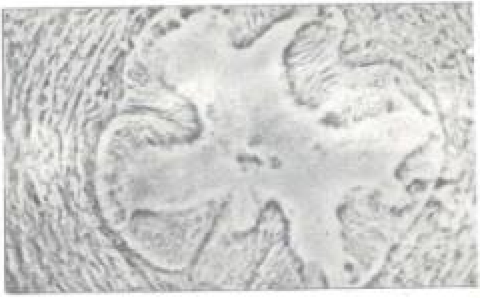

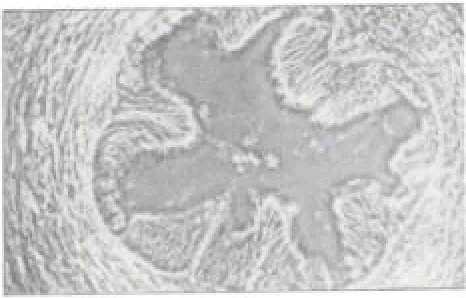

الصورة العليا : قطاع مستعرض للشعرة يوضح قلة المواد الغذائية مما يضعف الشعرة ويساعد على سقوطها والصورة السفلى قطاع مستعرض لشعرة يوضح أنها أخذت حاجتها من الغذاء الكامل حيث أن الشعر يتغذى عن طريق الفم .

الحالة الصحية جيدة فيمكن استعادة هذه الشعرات في اليوم نفسه الذي ماتت فيه .

وقد تأكد لدى الاخصائيين أن صحة الشعر تتطلب تناول أغذية معينة كالخضروات الغضة والجذور ذات القيمة الغذائية والأسماك والمنتجات البحرية بصورة عامة .

ولا بد للسيدة اذا أرادت الحصول على شعر جميل ، من أن تستهلك الكبريت « كبريت الحديد » ، والكلسيوم ، والفيتامينات أ ، ب ، ث ، د ، واليود ، وهذا يعني تناول : الفجل ، والجزر ، والبصل ، والملفوف الأخضر ، والسبانخ والعدس والحبوب على اختلاف أنواعها والسردين بالزيت والأسماك ، والبيض ، والتين الشوكي ، والثوم ، والكبدة ، وهذا ما عناه أحد أخصائي التجميل حين قال : « أن الشعر يتغذى عن طريق الفم » .

ان السبب الرئيسي في أن أنواعا من الشعر تكون سريعة التقصف والسقوط ، هو أن إفرازاتها غير كافية ، و هذا يفسر حالة الشعر « المنفوش » الذي نراه لدى بعض الناس ، وتتوقف صلابة الشعر وليونته على كمية الافرازات التي يتلقاها ، فكلما زادت هذه الافرازات غدا الشعر لينا ناعما ، وكلما تناقصت اتجه الشعر الى الصلابة والجفاف وقابلية التقصف ، ويدعى الشعر الناعم اللين بالشعر الدهني . أما الشعر الصلب المنفوش فيدعى بالشعر « الجاف » . ولا بد للمرأة أن تعرف نوع شعرها كي تعرف بالتالي طريقة العناية به ، لأن لكل نوع من الأنواع طريقة خاصة تختلف الى حد بعيد ، عن طريقة العناية بالأنواع الأخرى .

ولا حاجة الى استشارة الأخصائي أو الطبيب لمعرفة نوع الشعر ويمكن معرفة ذلك من خلال الاجابة على هذه الأسئلة . .

هل شعرك قاتم أم متقصف ؟

هل جلد شعرك صلب أم مرن ؟

هل يتطاير شعرك في مهب الريح ؟

اذا كان شعرك ـ يا سيدتي ـ جافا فانك تعثرين دائما على قشرة خفيفة تتناثر على ثيابك ، أما اذا كان دهنيا فتظهر عليه في أغلب الأحيان كتل بيضاء تتمركز حول جذوره ومنابته ، أي أن القشرة لا تسقط بل تلتصق بالجذور .

العناية بالشعر

والحديث هنا لك ياسيدتي . . . فلكل نوع من أنواع الشعر طريقة خاصة للعناية به ، فهناك الشعر « العادي » وهو الشعر الوسط بين أن يكون جلده دهنيا أو جافا ، وهذا النوع يظهر مدى عناية صاحبته

به ، لأن قلة العناية سرعان ما تنعكس عليه بشكل غبار متراكم ، وافرازات دهنية ظاهرة وخلايا منفصلة عن الجلد .

وأول خطوات العناية بالشعر العادي هي التمشيط ، ولكن للتمشيط قواعده وأصوله فكيف تمشطين شعرك ؟

التمشيط يجب أن يتم صباحا ومساء على السواء ، ويكون باستعمال فرشاة مصنوعة من النايلون القاسي أو الشعر الطبيعي لبعض الحيوانات ، وهذه الاخيرة أنعم وألطف ولا تؤذي ساق الشعرة أو تتسبب في كسرها أو تقصفها كفرشاة النايلون . أما فرشاة الشعر الاخرى فانها لا تؤذي الجلد ولا تسبب الحساسية ، ولا تؤدي الى وجود القشرة الرأسية .

ويجب أن يتم التمشيط في جميع الاتجاهات : الى أعلى والى أسفل . . والى اليمين والى اليسار . . ويحسن أن تنظفي الفرشاة بين الحين والآخر أثناء التمشيط بقطعة قماش خشنة لتخليصها من الغبار الذي قد يتساقط ثانية على الشعر .

ويجب أن يتم التمشيط بنشاط الى درجة تبعث الحيوية والحرارة في فروة الرأس . وعليك أن تغسلي أمشاطك وفراشيك مرة في الاسبوع على الاقل بماء مضاف اليه قليل من الامونياك وهو متوفر في الصيدليات .

أما اذا كان شعرك دهنيا ، فعليك الاكثار من غسله (بمعدل مرة أو مرتين أسبوعيا) ، ويمكنك استعمال « شامبو » بالصابون غير أن الصابون الكبريتي يعتبر أفضل ، وبخاصة اذا كان حمضيا ، واحذري من أن ترتكبي الخطأ الذي ترتكبه الكثيرات وهو غسل الشعر بالكحول أو الكولونيا لأن هذه الطريقة تزيل الدهن الظاهر ، ولكنها تنشط الافرازات الدهنية في الوقت نفسه فتزيد الطين بلة .

كما أن الاسيتون وسائر المحاليل سريعة التبخر ضارة بالشعر أيضا ، وتستطيعين أن تجدي في الاسواق مستحضرات عديدة قوامها الأحماض الدهنية الكبريتية (المسلفرة) التي تقاوم افراز الدهن بصورة جيدة ، ومنها بعض أنواع « الشامبو » كما أن ذوات الشعر الدهني اللواتي يشكين تساقطه يفيدهن استعمال لوسيون ، قوامه زيت الخروع .

اذا كان شعرك جافا فاغسليه مرة كل ثمانية أيام أو كل أسبوعين بالشامبو الخالي من الصابون أو بصابون يحتوي على زيت « الكاد » أو القطران . ويفيدك الشامبو بالبيض مرة كل أسبوع (بوسعك أن تعدي أنت هذا الشامبو بأن تخفق صفار بيضة أو أكثر مع قليل من الكولونيا أو زيت الزيتون ويدلك به الشعر !

بقي أن تعلمي يا سيدتي أنه اذا دعت الحاجة الى تطبيق طريقة مجففة لجلدة الشعر ، كالتصفيف الدائم « برمانت » بالبارد والساخن أو التجفيف الكهربائي « السشوار » أو ازالة اللون فيجب الاحتياط للنتائج بغسل الشعر بزيت اللوز الحلو .

وبقيت . . كلمة

للعناية اليومية بالشعر ننصحك يا سيدتي باتباع الآتي :

ـ الغذاء الجيد الكامل المحتوى على البروتينات والفيتامينات والمعادن والرياضة في الهواء الطلق يقويان الجسم وينشطان الدورة الدموية .

ـ لا تبللي شعرك قبل تسريحه ويكفي تبليل المشط .

ـ يحسن تدليك فروة الرأس بفرشاة خشنة لتنشيط الدورة الدموية بها .

ـ فروة الرأس تفرز مواد زيتية خاصة ولنعومة شعرك يجب تعويضها باستعمال زيت الزيتون أو الخروع .

ـ اغسلي شعرك مرة كل أسبوع في الصيف وكل أسبوعين في الشتاء لأن كثرة غسل الشعر تزيل المواد الدهنية فيصبح جافا ويسقط ، واحرصي على استعمال الماء الدافىء والصابون .

ـ يراعى عدم شد الشعر كثيرا لأن هذا يؤذي جذوره ويساعد على سرعة تساقطه .

واذا كان شعرك ـ بعد هذا ـ ضعيفا ويحتاج الى تقوية فيحسن أن تستشيري الطبيب في هذا الشأن □

مرآة النفس

حركاتك العصبيّة لها سبب ..!

« في حياتنا اليومية كثيراً ما نلتقي بأشخاص تميزهم حركات عصبية تسبب لهم كثيراً من الحرج ، وتنقل لنا عدوى التوتر .. هل حاولت أن تسأل نفسك : لماذا هذه الحركات ؟ هذا ما نحاول أن نقدم له تفسيراً » .

يختلف شكل الحركات العصبية ، كقضم الأظافر والعبث بالشارب الى هز الأرجل .. الخ والتي تسبب لصاحبها حرجاً بسبب الحركة اللاارادية التي يؤديها ، ونشأت معه منذ الصغر .

وهذه الحركات لها سبب قوي بحيث نلحظ أنها نشأت ، وظلت مع الانسان حتى حين يكبر ، ولكن الحركات العصابية أو النفسية ليس لها سبب واحد معين ، بل هي مجموعة عوامل متعددة تتضافر في احداثها ، ومن أهم هذه العوامل . الوراثة بالدرجة الأولى .

وطريقة التربية أيضاً لها أثر على الطفل في تكوين تلك الحركات .

والبيت أو الجو الأسري حين تكثر به المشاحنات أو القسوة غير المرتبطة بالحب والعطف غالباً ما يتعرض أطفاله للاصابة بالأمراض العصبية . فللحرمان العاطفي أثر يفوق العقاب البدني . كذلك فان انعدام المرونة عند الوالدين يسبب فشل الطفل في الملاءمة مع البيئة المحيطة به ، وعدم القدرة على مواجهة الضغوطات الحياتية .

الا أن غالبية هذه الحركات تبدأ عند الانسان في مرحلة الطفولة .

وحين يصل الانسان لمرحلة المراهقة ، فإما أن تختفي هذه الحركات تدريجياً وإما أن تستمر . وفي حالة الاستمرار ، فانها غالباً ما تزيد حدتها وتصبح عادة يصعب التخلص منها ، خاصة اذا اجتمع العاملان : الوراثي والاجتماعي (سوء التربية) .

وحيث أن الوقاية خير من العلاج ، فكلما قلت حدة التوتر كانت الاصابة بهذه الحركات أقل .

طرق العلاج :

هناك طريقتان مختلفتان للعلاج :

١ ـ العلاج السلوكي : وهو العلاج النفسي البحت ، على اعتبار أن كل شيء يعاني منه الانسان وهو كبير ، نشأ أساساً معه اثناء الطفولة ، وأول ما يتعلمه الانسان عبارة عن عادات مكتسبة ، ويلجأ هذا النوع من العلاج لجعل الانسان ينسى الأمور التي تعلمها .

٢ ـ العلاج العضوي : وهو أسلوب المنع المستمر ، وقد يزيد هذا العلاج التوتر والعصبية عند الطفل ، ولكن مع مرور الوقت سيعتاد الطفل طريقة المنع ، ويبدأ هو نفسه بالامتناع عما قد يكون مرضاً في المستقبل .

كذلك يمكن اللجوء لبعض الأدوية المهدئة والمضادة للقلق ، والتي يلجأ لها في الحالات النادرة ولمدة قصيرة . □

ريم الكيلاني

هـوَ ....

زوجي .. القريبُ البعيـد!

● أصوات المذيعين والمذيعات من محطات الاذاعة المختلفة صدعت رأسي ... هنا اذاعة مونت كارلو ، اليكم موجز الأنباء ، صوت العرب يحييكم .. الخ .. تناولت الوسادة التي بجانبي ، لأضعها فوق رأسي . ورغم هذا اخترقتها ذبذبات وتموجات الاذاعات المختلفة ، ففتحت عيني المثقلتين بالنعاس ، فاصطدمت بأرقام الساعة التي بجانبي ، السادسة صباحا ... يا الهي لماذا يحب زوجي الاستيقاظ باكرا ، ولم لا يستيقظ بهدوء ، متجنبا هذا الضجيج ، ويقلع قليلا عن استخدام المذياع .. ذلك الجهاز الذي أصبحت أكرهه وأتمنى أن احطمه .

لقد سألته أكثر من مرة : الا يكفيك سماع اذاعة واحدة ؟ فالأخبار كلها متشابهة ؟ أجاب : ان اهتمامي بالسياسة لايضاهيه اهتمام ، ويجب أن أسمع اذاعات العالم كلها ، فبعضها يبث أخبارا ملفقة ، والبعض الآخر يبث معلومات مهمة ، الا تعرفين بأنه ما بين مساء وصباح يمكن أن تتغير أشياء كثيرة فوق خريطة العالم ، أو يحدث حدث عالمي ، وأنا لا أريد أن يفوتني مثل هذا الخبر .

ولكن يا عزيزي ما الذي تستطيع أن تفعله بمجرد سماعك لمثل هذه الأخبار ؟

أعرف وأتابع ، الا يكفي هذا ...؟!

ولكن لاتستطيع أن تسمعها في وقت لا أكون فيه سابحة في عالم الأحلام ، غارقة في النوم ؟

النوم ، النوم ، الا تكفين عن هذه العادة القبيحة ..

لقد قلت لجارتي الحزينة ، بعد اقتران زوجها بامرأة أخرى ...

لاتحزني ياعزيزتي ، فأنا أيضا لي (ضرة) !!

متى وكيف !؟

ان ضرتي ليست آدمية ، بل هي عبارة عن جهاز صغير ، يشحن بالبطاريات ، ومجموعة جرائد ومجلات .

آه لقد عرفت ، انه مذياع زوجك ، آسفة - وبصراحة - لقد لعنته أكثر من مرة ، وخاصة عندما يبدأ في ساعات الصباح الأولى ، ورثيت حالك ، كان الله في عونك ، انه يقلقني وأنا في بيت مجاور .

ليس المذياع فقط ، ولكن هناك هذه المفارش الورقية ، التي يسميها الناس جرائد . تصوري أنه عند الغداء يحجب وجهه بها ، وأحاول أن أفهمه بأن « الشوربة » قد بردت ، كي يؤجل قراءة الجريدة الى مابعد الطعام ... ولكنه يتأسف كعادته طالبا مني أن أغمس لساني الطويل ، في صحن « الشوربة » وأكف من مناقرته ، وافساد مزاجه ...

وفي المساء يحتضن واحدا من كتبه ويغرق فيه ، راحلا معه الى عوالم لا يسمح لي بالدخول اليها ، فأشعر بالغليان ، وبأن أعصابي وشيئا ما في داخلي يرفض هذا الوضع المشوه ، فتمتد يدي لأختطف الكتاب ، وألقيه ببرود جانبا ، وأنا أقول :

يا عزيزي أنت لم تخلق للزواج ، كان الأحرى بك ، بدلا من أن تبحث عن امرأة تقاسمك حياتك ، أن تتجه لأقرب مكتبة عامة ، حيث تجرى مراسيم زواجك السياسي ، على مجموعة من الأوراق والكتب والصحف اليومية ... وأن تتفق مع شركة الكترونيات كي يصنعوا لك زوجة تلتقط ، جميع اذاعات العالم !!

هي

هي ....

أعطني حريتي .. يا زوجتي !

حتى لو هبطت ونامت تحت الفراش ، فلن أبالي ، فقد صار عاديا ما تفعله كل صباح ، يبدأ بهزة رأس ، وكلمة (أف) تنطلق من فمها ، في ذات اللحظة التي تتقلب فيها وتدير رأسها جهة الحائط ، وتضع الوسادة فوق رأسها ، حركات متلازمة متعاقبة صرت أحفظها عن ظهر قلب . فكرت كثيرا أن أنقل فراشي خارج الغرفة ، ولكنها لن تفهم هذا الأمر على وجهه الصحيح ، وسأعرض نفسي لاتهامات لاتنتهي ، تبدأ بالجحود وتنتهي بالشك ، ثم حالة البيت لاتسمح بأن نفرغ غرفة كي أنام بها مستقلا ! الاستقلال ... ذلك الحلم الرائع الجميل ، لماذا لم يطالب الثوار باستقلال الرجال ضمن استقلال الأوطان ؟ ولكن لأننا في زمن الأحلام الضائعة ، فان حلمي هذا يبدو أنه لن يتحقق .

●●●

كنا في زمن مضى يحلو لنا أن نتنقل مع مؤشر المذياع من محطة الى محطة ، ونلهث خلف الخبر من موجة الى موجة ، ونسمع هنا قطعة موسيقا ، وهنا عملا مسرحيا ، وهناك عرضا لفيلم عالمي أو عرضا لكتاب جديد . وكنا نقف طويلا أمام خبر في جريدة أو مقال ، ونتبادل الجرائد لنقرأ تحليلين مختلفين لخبر واحد وحدث واحد .

في زمن مضى كان الحوار متعة ، والاهتمام بالعالم كله يروي شجرة الحب ... ويمنح زهورها عبقا ورائحة .. كنا نسبح في البهجة ، وهم يحكون عن عقار جديد مستخرج من المادة الحية في الخلية الانسانية لعلاج السرطان ، أوعن خبر يقول ان هناك أملا لضعاف البصر بأن يعود اليهم نظرهم بجراحة بسيطة ...

كان كل هذا يمنحنا احساسا بالغبطة والتفاؤل أن أيام أبنائنا ستكون أجمل ... كان هذا في زمن مضى .. أما الآن فصار الحديث بيننا عن البقال الذي غالطها في الحساب ، وتاجر الخضروات الذي خدعها وأعطاها ثمارا معطوبة ، وعن زميلتها في العمل التي تأتي كل يوم بفستان جديد ، وعن العلاقة القادمة التي تخطط لاستخدامها في زيادة المدخرات ، لشراء قطعة سجاد حريرية تعلقها على الحائط ، وعن الابن الذي لايذاكر الخ الخ

في زماننا هذا ـ بعد خمسة عشر عاما فقط ـ صارت أهم وظائف الصحف هي أن تفرش تحت الطعام ، والمذياع أصبح صداعا ولا داعي له ... وأصبح علي أن أواجه أحد الأمرين : اما أن أشاركها حديثها أو الزم الصمت .. وكلاهما مر ، فلا أسلم من الاتهامات ومن صفات الدم الثقيل ، وانني تغيرت ، وانني لا ينطلق لساني بالحديث الا اذا كان في زيارتنا ضيوف .. وعبثا أحاول ان أقول أن حياتي الخاصة واهتماماتي ... ولكنني لا أكمل هذه الجملة حتى تصرخ في وجهي بأن حياتي الخاصة لم تعد خاصة منذ أن تزوجت ووقعت عقد الملكية .. ملكيتي أنا وتحويلي الى مملوك ... ومن هنا فلا مفر من أن يظل حلمي قائما .. ان حركات التحرير وهي تناضل من أجل تراب الوطن عليها أن تناضل من أجل استقلال الأزواج ، وحتى نصل الى هذا فانه لايبقى لدي الا أن أكاتب جمعية العفو الدولية ولجان حقوق الانسان !

هو

الأم لها دورها في بناء شخصية طفلها

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

(كيفما تربي طفلك وتعامليه ، تكن شخصيته .
فقديما قالوا : الآباء يزرعون ، والابناء يحصدون .
ولكن مع تطور علم النفس ودراسات نمو الشخصية ، أصبح المثل أصدق ما يكون لو قلنا : ان الامهات هن اللواتي يزرعن .. فانظري سيدتي ماذا تزرعين !)

نخطىء كثيرا في فهم المشاكل النفسية التي تصيب أطفالنا ، ونرجعها لاسباب بعيدة عن حقيقتها ، فهل تصدق أم - أي أم - أنها السبب - بطريقة تربيتها - لحالات فقد الشخصية عند الطفل،واضطرابات النوم والتبول الليلي في الفراش، ومص الابهام والاصابع،وحدة الطبع والعناد والمشاكسة ؟ بالطبع لا ، والسبب ببساطة أن بعض الامهات يعتقدن أن الطفل كائن صغير ، ضعيف ، عاجز ، ليس له ما للرجل الكبير من كيان ، وشخصية ، وارادة . فتفرض ارادتها عليه ، وتحاول أن تسيره حسب رغبتها وهواها .

ان اعتقاد الامهات بأن الطفل كائن ضعيف ولا شخصية له هو اعتقاد خاطىء بالطبع . وهو السبب في كل ما ينتج مستقبلا من سوء العلاقة بين الام والطفل ، مما يؤدي الى اصابة الطفل ببعض المشاكل النفسية ، وما يتبعها من مشاكل التطور والنمو . فالطفل له (شخصية) مميزة ، لها غرائزها . وكيانها ، واحساساتها ، ومتطلباتها ، وارادتها . وان الطفل محق ، تمام الحق في بعض ما يطلب ، أو يرغب فيه . وأنه (لا يجب) أن ينال كل ما يريد . ؟ وأفضل السبل هي الموقف المتوازن بين التلبية والمنع ، ويجب أن يكون المنع مبررا ، وله أسبابه ودوافعه التي تجتهد الام في التصرف حسب الوضع المناسب . لأن المنع الكامل سوف يخلق في النهاية نوعا من تحفز الارادة لدى الطفل في محاولته لتحقيق ما يريد ، وتصرف الام بالمنع قد يصيب الطفل بشتى أنواع المشاكل النفسية التي تؤدي الى ظهور أعراضها المتعددة المعروفة ، من قيام (مشكلة) فقد الشخصية عند الطفل ، واضطرابات النوم ، والتبول الليلي في الفراش ، ومص الابهام والاصابع ، وحدة الطبع ، والعناد والمشاكسة ، وحب ايذاء الاطفال الآخرين . وقد يتعدى الامر - كذلك - الى ما هو أبعد من هذا . فيصاب الطفل بعجز النمو ، فيشب الطفل هزيل الجسم ، ضعيف البنيان .

متى تنشأ العلاقة بين الام والطفل ؟

تنشأ العلاقة بين الام وطفلها - أول ما تنشأ - بعد ولادة الطفل مباشرة ! . فالوليد في شهره الاول ، وحتى في أيامه الاولى ، يشعر غريزيا بمكانته عند أمه ، وقربه منها ، أو بعده عنها . فهو يشعر بالوحدة ،

والوحشة ، اذا ما أبعد مهده عن سرير أمه النفساء . كما أنه (يعرف) ويميز من تعتني به وترضعه ، وفيما اذا كانت أمه أم غيرها من المعنيات كالممرضة ، أو المربية ، مثلا . فيقبل على الغذاء من أمه بغبطة أكبر ، وراحة أتم . مما يتسبب عنه اتمام عملية الرضاعة بكفاءة تامة .

أما الطفل في أشهره الاولى فان البيئة ، والمحيط اللذين يعيش فيهما يؤثران على نموه وتطوره تأثيراً كبيرا ، ولا سيما : وقت الجلوس ، والمشي ، وتطور الكلام ، ونحو ذلك من عوامل التطور . ذلك أن التطور يعتمد ، بالدرجة الاولى ، على نضج الجهاز العصبي عند الطفل . وقد يتأخر ذلك التطور بسبب الحرمان العاطفي للطفل ، فيتأخر الطفل في جلوسه ، ومشيه ، وتعلمه النطق والكلام ، وغير ذلك . فقد لوحظ : أن الاطفال الذين يربون في المعاهد ، والمؤسسات ، وينشأون فيها ، بعيدين عن أمهاتهم ، يتأخر وقت جلوسهم عن موعده السوي ، وكذلك الوقوف ، والمشي ، فانهما يتأخران عن وقتهما الطبيعي كذلك . وقد يصيب ذلك التأخر : الذكاء ، والنمو الجسمي ، والسلوك الاجتماعي ، فتصاب كلها ببعض التأخير . وقد يكون لقلة العناية ، وقلة الوقت المخصص منها لكل طفل ، أثر في ذلك التأخير أيضا .

سلوك الام ونمو الطفل :

وما يحدث في هذه المعاهد ، والمؤسسات ، قد يحدث مثله في البيت أيضا . ذلك أن بعض الامهات لا تعطي طفلها حقه من العناية والرعاية ، وتترك أمر العناية به الى المربيات والخدم . فيحرم الطفل من نعمة عناية أمه به ، وعدم حصوله على الرعاية والتدريب ، ومساعدته على الجلوس ، والمشي ، والكلام ، وغيرها . كذلك فان الطفل الذي لا ينال قسطا من التدريب على ارتداء ملابسه مثلا ، أو تناول طعامه بنفسه ، أو استعمال المرحاض عند احساسه بالحاجة لذلك ، فانه سوف ينشأ متأخرا عن اتيان هذه الامور وأمثالها عن بقية أقرانه .

وقد تذهب بعض الامهات الى ما هو أبعد من ذلك ، فتعمد الى اهمال طفلها وحرمانه من العطف ، والرعاية ، والحنان . بل وقد تقسو عليه ، وتعاقبه لاتفه الاسباب ، وهذا ما يؤدي الى تأخره عن بقية أقرانه في تطوره النفسي والسلوكي ، كذلك فان بعض الامهات يقضين معظم أوقاتهن خارج البيت ، في العمل أو غيره ، فيهملن أطفالهن ، ويحرمنهم من الحنان الذي هم في أشد الحاجة اليه ، وما يؤدي ذلك من نتائج سيئة في المستقبل .

كذلك فان سوء تصرف الام ، أو الوالدين معا ، في معاملة الطفل عند أول عهده بتعلم الكلام قد يسبب امتناع الطفل عن النطق ، أو التقليل منه . ذلك أن بعض الامهات يستخففن بأطفالهن فينتقدن طريقة النطق ، وطريقة الكلام عندهم . فيسخرن من كلامهم ، ويهزأن من طريقة نطق اللفظ ، فيصاب الاطفال بالخيبة التي تفقدهم حسن النطق ، والاجادة في الكلام ، مدة من الزمن . وقد يتعدى الامر الى أكثر من هذا ، فيصاب الطفل ببعض عيوب الكلام كالتلعثم مثلا . فقد يتلكأ الطفل بنطق بعض الالفاظ التي يصعب عليه النطق بها . وقد يتعرض هذا الطفل الى سخرية أمه ، أو والديه معا ، أو بعض أفراد العائلة الآخرين ، فيضطرب ، ويفقد الثقة بنفسه ، فتتمكن منه حالة كالتلعثم ، وتتمادى فيه مع الوقت ، فتلازمه حتى الكبر .

يتضح مما تقدم : أهمية عناية الام بطفلها ، بنفسها ، وتدريبه ، ومساعدته على الجلوس ، والمشي ، والكلام ، في سن مبكرة ، وتأثير ذلك على تطوره ونموه . كذلك البيئة الصالحة ، والمحيط الطيب ، وشعور الطفل بمحبة أمه ، وحنانها ، واحساسه بالاطمئنان بقربها ، وفي رعايتها . فان ذلك كله مما يحفز فيه القدرة على القيام بما يدرب عليه بدرجة فائقة في الاتقان والمهارة . فينشأ الطفل بجسم سليم ، ونفسية سليمة ، فيتجنب بذلك التعرض لكثير من مشاكل السلوك ، والعادات غير الحميدة التي قد تلازمه حتى الكبر . وبذلك تكون الام قد أعدت لطفلها سبل العيش الرغيد والحياة الآمنة والنشأة الصالحة . □

من الحياة

فن الحياة .. كيف نتعلمه ؟

ع كان يمشى مسرعا وكأنه على موعد هام لا يريد أن يتأخر عنه . . ولم يكن وحده فى تلك الليلة من ليالى الشتاء الباردة . . . كانت المدينة كلها ساهرة كما لوكانت تنتظر حدثا هاما . . حدثا سعيدا . . الشوارع مزدحمة بالناس والسيارات غارقة فى الاضواء . . المحال التجارية تمتلىء بالمشترين . . الموسيقا الهادئة أحيانا ، الصاخبة أحيانا تنبعث من كل مكان . . !

ولم يشعر بالتعب رغم ما كان يحمله فوق صدره من علب الهدايا التى رافقته فى رحلته الطويلة من قلب المدينة الى بيته ، كان يحس بأنه يحمل أجمل ما فى الدنيا كلها بين يديه . .

واقتربت رحلته من نهايتها . . وصل الى بيته وفوجىء بهم . . كانوا جميعا هناك ينتظرونه أمام باب البيت الخارجى . . زوجته وأطفاله الثلاثة . . واختلطت الاصوات ، ودوت الضحكات وسط جدران العش الصغير الذى يحتضن الأسرة السعيدة . .

وانقضت لحظات التقى بعدها عقربا الساعة فى عناق قصير . . لقد انتصف الليل ، وأعلنت دقات الساعة نهاية يوم وبداية يوم جديد . . ولكنه لم يكن مثل أى يوم آخر مضى وانقضى . . كانت الساعة تعلن مع دقاتها مولد عام جديد . .

ومع الهدايا الصغيرة التى حملها الاب لأسرته . . ومع الأطباق الشهية التى أعدتها الأم لهذه الليلة التى تحتفل بها الاسرة فى هدوء . . ومع الضحكات والابتسامات التى امتلأ بها البيت الصغير ، كانت هناك وجوه سعيدة تعكس ما كان يحتمل داخل الصدور من انفعالات بقيت تعيش معها على مدى اللحظات التى بدأت مع بداية شروق شمس العام الجديد . .

ترى هل تمضى الشمس فى شروقها على عالم جديد يمتلىء بالحب والسلام لكل الناس ؟

يقول فروست : (نحن الذين نصنع الحب . . ونحن الذين نصنع السلام ، والحياة بدونهما لا تستحق الحياة !)

ويقول نورمان فنسنت بيل:أن التمتع بالحياة فن ، ولكى نعرف قيمة الحياة ، لا بد أن نتعلم هذا الفن ! اننا نعيش ونتحرك ونعمل ، ولكن كثيرين منا يخطئون متع الحياة . . !

القناعة والسعادة

هذه الأسرة الصغيرة التى اجتمعت لتحتفل فى هدوء بقدوم العام الجديد لم تنس المعنى الجميل للحياة التى تعيشها . . كتب روبرت لويس ستيفنسون يقول : (حقيقة ان الزمن الذى نعيش فيه قد جعل كل واحد منا يشعر بأن التمتع بالحياة لم يعد أمرا سهلا ، فقد أصبحنا جيلا مشغولا بأشياء كثيرة لم تكن موجودة أيام آبائنا وأجدادنا !)

بين طفل وأبيه

قال الطفل لابيه يوما : « لقد رأيت القطار الجديد بالامس يا أبي . . سمعت صوت صفيره ، ثم هدير عجلاته وهي تدور فوق القضبان الحديدية . . في بادىء الأمر كان دورانها سريعا ، ثم ما لبث القطار أن أبطأ من سرعته وارتفع صوت صفارته ، وقمت من فراشي ، واتجهت الى النافذة لأرقب القطار وهو يستعد لدخول المحطة . . لم أكن أعلم أن القطار يتوقف عندنا . . انه قطار جميل يا أبي »

وابتسم الاب في هدوء وهو يربت على كتف ابنه الصغير الذي لم يتجاوز عامه السادس ، وقال : « ولكن القطار ليس جديدا يا بني ! »

أما الجديد فقد كان الطفل نفسه . . لقد نجح في الامتحان في أول عام يذهب فيه الى المدرسة ، وأهداه والده ساعة يد جميلة . . وغمرته سعادة جارفة وهو يرى الساعة حول معصمه ، ويسمع دقاتها تسابق دقات قلبه الصغير السعيد . . . ومع هذا الشعور الجديد بالسعادة بدأ يرى أشياء لم يكن يراها من قبل . . بدأ يحب الحياة وكل ما تحمله اليه من حوله . . ان كل شيء فيها يستوقفه الآن ويثير اهتمامه !

قالت الام تحدث ابنائها : لقد أعطتكم الدنيا أشياء كثيرة لم نكن نعرفها في أيامنا . . أنتم جيل جديد يعيش في عالم جديد لا يمت الى العالم القديم الذي عاشه آباؤكم بصلة . . إن كل شيء يتحرك بمجرد الضغط على زر صغير . . ولم يكن أجدادكم يعرفون الازرار ، ولكنهم كانوا أكثر سعادة !

السعادة . . ما هي ؟

ولكن ما هي السعادة . . كيف كانوا يجدونها منذ خمسين أو ستين سنة مضت ؟ يقول الشاعر وليام ووردزورث الذي رحل منذ أكثر من مائة وثلاثين عاما (لقد أعطتنا الدنيا أكثر مما نحتاج اليه ونطمع فيه)

ولم يكن ووردزورث يعيش في المدينة ، بل كان يسكن بيتا صغيرا يطل على بحيرة في ريف

ولكن هل تغيرت الدنيا نفسها ؟ انها هي هي لم تتغير . . ومازالت مليئة بالاشياء الجميلة التي يمكن أن تستوقف كل شخص ، رجلا كان أو امرأة ، طفلا أو بالغا ، مادام يشعر في داخله بالقناعة ، ومادام صدره يمتلىء بالسعادة . .

والشعور بالسعادة ليس مشكلة ، فنحن كثيرا ما نكون سعداء لأي سبب ولأصغر سبب ، ولكننا نضل طريقنا في التعبير عن سعادتنا ، أو لأننا نبخل على غيرنا أن يشاركنا شعورنا بها . . وبالرغم من هذا فهي تبقى في داخلنا ، وقد تكشف تصرفاتنا ما نشعر به من سعادة أردنا أن نخفيها عن عيون الناس ، دون أن ندرى !

انجلترا .. ومع هذا كان شاعر الانجليز سعيدا .. كان يجد السعادة التي تحدث عنها في بعض قصائده فوق أغصان الشجر مع زقزقة العصافير ، وعند غروب الشمس ومع ابتسامة الفلاح وهو يحرث أرضه ويرويها بعد أن ينثر فيها الحَبَّ والحُبَّ !

ترى ماذا كان ووردزوورث يقول اليوم لو أنه عاش ليرى بعضاً من صور الحياة العصرية الجديدة ؟ .. كيف كان سيحدثنا ويصف لنا شكل الحياة عندما تطالعه لافتة بعرض الشارع تقول : (هذه مدينة تعيش فوق أجنحة ، ويجرى كل شيء فيها على عجلات ؟)

والسعادة ليست شيئا نبحث عنه ونسعى الى تحقيقه ، ولكنها شيء يعيش في داخلنا .. أقل شيء يحركه وأبسط لفتة تنعشه ..

رحلتنا مع الحياة

ولكي نشعر بالسعادة كما يقول نورمان فنسنت بيل ، فلا بد أن نعرف المزيد عن فن الحياة .. وهو يحدثنا في كتابه عن رحلتنا مع الحياة نفسها وموقفنا منها : « إن هناك شيئاً واحداً ثابتاً يحدد موقفك من اسلوب حياتك .. كيف تعيش ، وبماذا تشعر عندما تصحو من نومك في الصباح ؟ هل أنت رجل تعلمت كيف تنظم حياتك ؟ كيف تعمل ؟ وكيف تنعم بالحياة ، وبكل ما تحمله اليك من أشياء جميلة ؟ »

وهو يرى أن أول اختبار يبدأ في الصباح ، عندما يترك المرء فراشه ويستعد للقاء يوم جديد حافل بالعمل .. وهو عند الرجل غيره عند المرأة .. والرجل يبقى « شاباً » اذا شعر أنه مازال ممتلئا بالحيوية والنشاط مع بداية النهار الجديد ، وهو شعور قد يحار هو نفسه في تفسير أسبابه ، ولكنه اذا وجد نفسه وكأنه يريد أن يقول لكل من حوله : (هذا يوم عظيم .. هذا يوم أتوقع أن أجد فيه كل شيء جميلا !) .. اذا كان هذا هو احساسه مع بداية طلوع الشمس في الصباح فهو مازال « شابا » ، وأهم من هذا ، فهو رجل سعيد يحب الحياة ..

شباب الرجل

أما المرأة ، فهي أكثر حماساً ، وأكثر استعدادا دائما ، لتقبل كل ما يحمله اليها اليوم الجديد ، وخاصة بعد أن تصبح أماً ، وسواء كانت زوجة عاملة ، أو (ست بيت) .. ومن أجل هذا تبدو الزوجة أصغر سنا وأكثر نشاطا وحيوية من زوجها ، وخاصة اذا كان هو قد بدأ يفقد « شبابه » أو بمعنى أصح حماسه ، فليس للسن هنا علاقة بهذا الشعور من قريب أو من بعيد .. وهو يستطيع أن يقيس عمره اذا وجد نفسه يقترب من الشعور الذي ينتاب الكثيرين منا في وقت أو في آخر ولاسباب نفسية ، فلا يكاد يترك فراشه في الصباح حتى يجد نفسه يحدث نفسه : (يوم آخر جديد لا يختلف عن أي يوم مضى !) وربما ارتفع صوته متعمدا أن ينقل مشاعره الى هؤلاء الذين يشاركونه حياته ... زوجته وأطفاله ... وربما والديه واخوته اذا لم يكن قد تزوج بعد !

و« الشاب » الذي تحدث عنه الكاتب هو الذي يحب الحياة .. وهو أعظم حب ، لأنه اذا أحب الحياة ، أحب كل من يعيشها معه .. واذا افتقد المرء هذا الحب ، افتقد معه كل شيء ..

حب الحياة

كثيرون هم الذين يصنعون الثروات ، ويحققون الشهرة والمجد خلال مسيرتهم فى الحياة ، ولكنهم لا يجدون متعة حقيقية للحياة مع شيء من هذا كله . . إن حب الحياة وحده واستمرار هذا الحب هو المتعة كلها . .

ولكن هذا الشعور كثيرا ما يهرب منا . . العمل الذى كنا نحبه ونقبل عليه ، لا يلبث أن يتحول الى روتين ممل لاننا بدأنا نفقد اهتمامنا به ، الزواج الذى بدأ سعيدا تحول الى مجرد صداقة بين رجل وامرأة ، لا تخلو من الخصام والمشاكل وقد لا تستمر اذا لم يثمر الزواج . . وحتى اذا أثمر وجاء الأطفال ، فقد تصطدم سفينة الزواج بالصخور لأتفه سبب ، وتغرق الأسرة كلها . . الآمال والاحلام التى كانت تحركنا وتدفعنا الى العمل والمثابرة ، لا تلبث أن تتبدد وتصبح شيئاً بلا روح . . لقد فقدنا المتعة التى يجدها الناس فى الحياة ، هربت منا وأصبحنا نعيش أياما خاوية بلا هدف ولا معنى !

ماذا نفعل اذا وقعنا اسرى لهذا المأزق ؟

البعض منا قد يلجأ الى اقتناء المزيد من المال ، والسعى الى مزيد من الشهرة والجاه ، ولكنهم لا يلبثون أن يكتشفوا أن لا شيء من هذا قد عوضهم أعظم ما افتقدوه فى الحياة . .

والبعض قد يعيش على الأمل . . الأمل فى أن يستعيد ما افتقده أو بعضاً منه . . وليس هناك انسان يعيش بلا هموم ، وبلا مشاكل . . ففى داخل كل منا شيء قد يكون مصدراً لألم مؤقت ، ولكنه لا يلبث أن يزول اذا أدرك أن العالم مليء بالمعذبين . . هذا البعض هو الذى عرف كيف يحب الحياة ، وتعلم كيف يجيد فن الحياة . .

وعندما احتوى الفراش جسد روبرت لويس ستيفنسون سنوات طويلة ، وهو يشكو المرض والألم . . كان يبتسم لزائريه ويجلس معهم ، ويتحدث اليهم وينظم الشعر للاطفال الصغار . .

« الاطفال يغنون فى اليابان البعيدة . .
« والاطفال يغنون فى اسبانيا القريبة . .
« الأرغون وعازف الارغون تحت المطر . .

وتغنى الأطفال بالكلمات التى كتبها لهم ستيفنسون . . أما هو فقد تعلم كيف يغنى تحت المطر ، والألم يمزق جسده المريض . ☐

بين ابن وأبيه !

قال الابن لأبيه عندما وقف يرقبه وهو منكب على عمله طوال ساعات النهار والليل : « أبي غدا . . سوف تشرق الشمس ويبدأ يوم جديد . . أرجوك أن تصحبني في نزهة بين الحدائق »

وقال الأب : « ولكني مشغول بعملي كما تعلم »

وقال الابن الذي لم يتجاوز عامه السابع : « ولكن الا تشعر أنك أعطيت عملك أكثر مما يجب ، أنا لا أريد ان آخذك منه ، ولكنني فقط اريدك أن تخرج الى الدنيا لتأخذ منها أنت شيئا . . أي شيء . . هل تعلم أنها قريبة جدا منك ولكنك لاتشعر بوجودها . »

طبيب الأسرة

ماذا تفعلين لو أصيب ابنك

بالغدَّة النكافية ؟

ع عزيزتي الأم :
دورك لايقل أهمية عن دور الطبيب ! !

فقديما قالوا : ان العلاج من أى مرض لاينتهى بتشخيصه ووصف الدواء المناسب له ، وهذا القول ليس صحيحا للكبار فقط ، بل هو أمر أكثر اهمية وصحة للاطفال ، وهنا تتحدد المسئولية . . مسئولية الأم التى يبدأ دورها منذ ملاحظة الأعراض الاولى لتوعك الطفل ، ولاينتهى هذا الدور الا بعد انتهاء مرحلة النقاهة .

ويقينا فانه ليس هناك مرض أخطر من مرض ، أو عارض أكثر اهمية من عارض . فكل ما يصيب الطفل - بخاصة - شديد الخطورة مالم ننتبه له ونعالجه العلاج الصحيح ، ونرعاه كما ينبغى . ولعل من أكثر الأمراض التى توضح أهمية دور الأم هو « التهاب الغدة النكافية » كيف هذا . . لنسمع رأى الطب :

انتبهى لارتفاع درجة الحرارة

يعد التهاب الغدة النكافية من الأمراض التى تصيب الجهاز التنفسى بنوع معين من الفيروسات ، ورغم أن المرض لايفرق بين الكبار والصغار ، إلا أن الاطفال أكثر تعرضا للاصابة به ، لان المرض ينتشر وينتقل من المصاب الى السليم عن طريق العطس او الاختلاط ، خاصة فى الأماكن المزدحمة . وتبدأ أعراض المرض بارتفاع شديد فى درجة الحرارة ، والتهاب الحلق مع صعوبة فى تحريك الفك ، وهنا يبدأ أول دور للام ،وللأسف فان كثيرا من الامهات يفسرن هذه الأعراض على أنها أعراض نزلة برد ، أو بعض المتاعب باللوزتين ، لاتلبث أن تنتهى ببعض المسكنات العادية ، وبعض مخفضات درجة الحرارة ، والام بذلك لاترى أنها تعطى جسم الطفل طاقة احتمال أكثر ، ويتأخر اكتشاف المرض مسببا بذلك احتمالات اكثر لمضاعفات خطيرة .

ولهذا ينصح الأطباء الامهات بألا يترددن فى الذهاب الى الطبيب مع أول ظاهرة يلحظنها ، والا يحاولن التعامل مع الطفل من واقع خبراتهن السابقة فقط ، وبعد الفحص الطبى ووصف العلاج يبدأ دور جديد للام .

فالطفل يجب أن يلزم الهدوء ، وان يعزل عن بقية افراد الأسرة خشية انتشار العدوى . وفى نفس الوقت فان أول من تحرص عليه الام خوفا من العدوى هى ذاتها ، بخاصة اذا كانت حاملا ، وهنا ينصح

الأطباء الام بأن تتخلى قليلا عن مشاعر الحنان تجاه طفلها المريض - هذه المشاعر - التي تعبر عنها باحتضان الطفل وتقبيله .

وهذا المرض اكثر ما يحتاج الى ذكائك - عزيزتي الام - فالطفل لايمكن تركه وحده في غرفة مغلقة ، لأن الاطفال سريعو الملل شديدو الرغبة في الحركة ، وهنا ينصح اخصائيو التربية الام أن تنقل الى الطفل ألعابه في السرير ، وتنتهز هذه الفرصة - عدم قدرته النسبية على الحركة - للقيام بعمليات تلقين ضرورية ، تعلمه فيها بعض العادات وأنماط السلوك الصحية ، والتشديد على أن يصبح اكثر حرصا على النظافة الشخصية . وكلما قدمت له الأم هذه النصائح والتلقينات في شكل قصصي - حتى لو ابتدعتها من خيالها - كان وقعها اكثر تأثيرا في نفس الطفل .

ما بعد الشفاء

ولاينتهي دور الام بانتهاء الأعراض وشفاء الطفل ، بل يزداد أهمية خلال فترة النقاهة ، حيث تكون مناعة الطفل أقل ، وقدرته على المقاومة أضعف ، بعد فترة مرض بذلت فيها أجهزة المقاومة لديه جهدا كبيرا . وهنا يجب على الام أن تهتم بالطفل في طعامه - رغم حالات عدم الشهية - والحرص على تنوع مصادر الغذاء ، وابتكار طرق تحبب الطفل بتناول وجباته . وفي نفس الوقت تبدأ معه مرحلة تحريك العضلات من خلال الحركة التدريجية البسيطة . □

بريد طبيب الأسرة

ضرس العقل

ع **أبلغ من العمر ٢٥ عاما ، ولم يظهر في فمي ضرس العقل ، فهل هذا يدل على نقص ما أو يؤدي الى ضرر ؟ . . وما قيمة ضرس العقل ؟ . وهل له علاقة برجاحة العقل كما يزعمون ؟**

س . ب

صنعاء

هو الرحى الثالثة أو السن الأخيرة في مجموعة أسنان الفم الثابتة ، التي يبدأ ظهورها عوضا عن الأسنان اللبنية المؤقتة في السنة السادسة من عمر الطفل .

ومن المألوف أن يأتي دور ضرس العقل في البروز فيما بين سن ١٧ عاما و ٢٥ عاما ، ومن هنا اكتشف اسم ضرس العقل أو سن الحكمة (**Wisdom Tooth**) حيث يتوافق ظهوره ، مع نهاية مرحلة البلوغ وبداية سن الرشد .

غير أن ظهور ضرس العقل ليس ضرورة محتمة ، فهو لا يبرز الا في ٣٥٪ من البشر تقريبا ، وعدم ظهوره قد يعود لعدم تكون برعم للضرس ، أو لعدم نمو برعم الضرس اذا ما تكون ، وأحيانا قد ينمو معوجا ، أو بسبب ازدحاما للأسنان في الفك الصغير ، مما يؤدي الى ضغطه على الأسنان الأخرى وتشوهها .

فاذا لم يسبب ضرس العقل مشكلة مرضية لصاحبه . فان غيابه لا يترك أثرا ، ولا يسبب ضررا ، حيث قيل أن ضرس العقل يرتبط بتطور الفك البشري ، حيث كان فك الانسان الاول كبيرا ، لهذا تنتظم فيه ٣٢ سنا ، بينما فك الانسان الحاضر أصغر حجما مما لا يتسع لهذا العدد من الاسنان ، وأصبح غياب ضرس العقل محتملا .

بريد الأسرة طبيب

اختبار الحمل

ع عندما توجهت الى طبيب النساء للفحص طلب عينة من البول للتأكد من حدوث الحمل ، فكيف للأطباء أن يعرفوا الحمل من خلال فحص بول المرأة ؟

ص . ى . أ ـ الكويت

يلجأ الأطباء المختصون حاليا الى فحص عينة من البول للتأكد من حدوث الحمل ، وهو اختبار موثوق به الى درجة كبيرة تتعدى ٩٠٪ ، بل قد تصل الى ٩٨٪ من الحالات .

والفكرة من استعمال عينة بول المرأة الحامل تعود الى أن الجنين عندما ينغرس في جدار رحم الام بعد اسبوع تقريبا من تلقيح البويضة ، تتكون المشيمة ، وتبدأ في افراز هرمون جنسي يصل الى درجة عالية من التركيز في اليوم الثاني عشر من موعد دورة الطمث الغائبة ، لدرجة يتسرب معها الى البول . ومن ثم لجأ الطبيبان اشيم وزونديك منذ أكثر من ثلاثين عاما الى اختبار سمي باسمهما **Ascheim Zonclek test** ويختصر الى حرفين **A — Z test** حيث تؤخذ عينة من البول في الصباح الباكر ، شرط أن تكون الحامل قد صامت ليلتها الا من عشاء خفيف ، وامتناع عن أية عقاقير أو أشربة ، ثم تحقن العينة في اناث حيوانات التجارب الصغيرة ، مثل الفئران أو الأرانب او الضفادع ، وعقب ستة أو سبعة أسابيع يكشف على مبايض هذه الحيوانات وأعضائها التناسلية ، فتجد تغيرات واضحة اذا كان الحمل ايجابيا .

ثم تطور الأمر الى اختبار سريع يعطي الجواب في دقائق أو ساعات معدودات ، وهذا يعتمد على تفاعل الأجسام المضادة لهرمون المشيمة مع عينة البول التي تتخثر عند التسخين لو كان الحمل ايجابيا ، بسبب وجود هرمون المشيمة بوفرة ، وكما قلنا يجرى الاختبار بعد غياب الطمث بحوالي أسبوعين ، فاذا اعطى نتيجة سلبية أعيد بعدها بأسبوع لمزيد من التأكد . □

مقلة العين

ع أسمع كثيرا عن مقلة العين ، فأي جزء من العين يا ترى يعني المقلة ؟ وما هي وظيفتها ؟

أ . العربي ـ طنجة

مقلة العين هي كل كتلة العين ، أو ما يعرف بكرة العين (**Eye ball**) وقطرها يتراوح ما بين ٢ ـ ٣ سنتمترات ، أو انش تقريبا .

ويحيط بمقلة العين غلاف أبيض يدعونه الصلبة (**Sclera**) يكون الجزء الأمامي منه شفافا يسمح بدخول الضوء يسمونه القرنية (**Cornea**)

وخلف القرنية يوجد ما يشبه الستارة المستديرة ، مثقوبة الوسط ، ذات ألوان شتى ، منها البني ومنها الأزرق ومنها الاخضر تدعى القزحية (**Iris**) ، أما الثقب في وسط القزحية فهو بؤبؤ العين (**Pupil**) الذي ينفذ الضوء من خلاله ليخترق عدسة العين (**Lens**) خلف القزحية ، ويمر عبر مادة هلامية لزجة تملأ تجويف العين تسمى بالسائل الزجاجي ، أما باطن العين فتغطيه الشبكية وهي النسيج العصبي الحساس للضوء .

ومقلة العين تقبع داخل تجويف في الجمجمة يدعى محجر العين ، حيث ترقد على مخدة دهنية لزجة ، تربطها بالجدار العظمي ست عضلات صغيرة ، تقوم على تحريكها في شتى الاتجاهات حسب حاجة صاحبها .

ومن خلف مقلة العين يمتد العصب البصري قادما من الشبكية ، لينفذ عبر ثقب في الجمجمة ، ليصل الى كتلة المخ ، وينتهي في المؤخرة حيث المنطقة البصرية المختصة من المخ . □

مساحة وُدّ

آبـاء وأبـنـاء

غ بين أكوام الرسائل التي نتلقاها يوميا ، كنا جلوساً نفرز كل ما يتصل بهذا القسم الجديد الذي يبدأ من هذا العدد ، ووقعت في يدي رسالة عمر صاحبها كما يتضح من خطه وأسلوبه لايتجاوز السابعة عشرة ، وأعترف أن الرسالة رغم قصرها أفزعتني وملأتني أسى وشغلت ذهني أياما طوالا .

يقول صاحب الرسالة (الاب في هذه الايام يمثل الانانية والتسلط والقسوة ، أما الأم فهي كالاب ، زد على ذلك مراقبة (الموضة) وأهم البرفانات والرحلات والنزهات . . . الخ . . فهي لا تعطي أبناءها أدنى اهتمام ، ولا تهتم إلا بنفسها . . فهل تستحق أن تكون الجنة تحت أقدامها ؟ !

وما أفزعني هو أن تصبح لهجة الحديث عن الآباء والامهات بهذه القسوة ، وأن تتحطم هالة التقدير ، وتجف ينابيع الحب داخلنا تجاههم ، صحيح أنه ليس منا من يؤله والديه ، ولكن هناك حدا أدنى من الاختلاف في الرأى ووجهات النظر وليس الخلاف ، وهناك رؤية جديدة للتربية ، وليس الانكار والجحود لكل ما يفعله الوالدان ، وكلنا عرف في حياته هذا الاختلاف ، وكل الأسر تشهد الصراع المهذب الحنون بين الرغبة والحماس والانطلاق ، وبين العقل والحكمة والخوف . فبين الرغبة في أن نفعل كل ما نحب ، ونمارس حياتنا وفق احساسنا فقط ، وانطلاقنا لتلبية دواعي الكسل واللهو والنزق ، يقف أمام هذا كله عقل الآباء الأكثر حكمة والأشد خوفا علينا . من الذي وضع هذه اللهجة على ألسنة الأبناء ؟ ومن زرع الجحود في الكلمات ؟ ومن استثمر قدر سوء الفهم المشترك ؟ هل هي أجهزة المجتمع ؟ أم هو عجز الوالدين نتيجة هموم الحياة وضغطها ؟ . . . من أوصل المشاعر داخل نفوس الابناء الى حد النكران ، ففي جيل مضى كانت بعض حالات عدم المسئولية لدى الوالدين تفجر داخل الأبناء حباً أكثر وحناناً أعمق . . أم أن زمان الحب والحنان قد مضى . . ضمن ما سرقه زماننا الرديء منا ؟!

أما أنت أخي هيثم فيوما ما ستعرف أن الآباء على حق . . وأن الشعر المأثور حين قال « . . . ومن يك حازماً . . فليقس أحياناً على من يرحم » كان يلخص علاقة الآباء بالأبناء . ولكني لا أتمنى لك أن تدرك هذا بعد فوات الأوان . □

العربي العربي العربي العربي العربي العربي من ربع قرن

١٠ مبادىء هامة لتحقيق التعاون الإقتصادي العربي

العدد الرابع عشر يناير ١٩٦٠

ع ما هي المبادىء التي يرتكز عليها أو يجب أن يرتكز عليها ، التعاون الاقتصادي العربي ؟

انها مبادىء يجب أن تنبثق عن الواقع العربي ، وأن تعبر تعبيرا صادقا عن آماله وأهدافه . وفي رأينا أن أهم هذه المبادىء هي :

أولا ـ ان المبدأ الأساسي في التعاون الاقتصادي العربي هو أنه يهدف الى تحقيق الوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية توطئة لتقارب أكبر وأشمل ، فتوحيد الاقتصاد يسهل توحيد النواحي الأخرى ، بل يؤدى في النهاية الى ذلك نظرا للدور الحيوي الذي يلعبه الاقتصاد في الدولة الحديثة .

هذا هو الهدف البعيد المدى للتعاون الاقتصادي العربي . ومع أن هذا التعاون يتألف من مراحل عديدة ، الا أنه يؤلف بدوره مرحلة من مراحل الوحدة العربية المنشودة .

ثانيا ـ انه تعاون يهدف الى أحسن الاستغلال للموارد العربية ، وذلك :

(أ) بايجاد سوق عربية مشتركة تجعل التخصص الانتاجي أمرا ممكنا .

(ب) تنظيم استغلال الثروات المشتركة كالبترول والمياه .

(ج) خلق مستودعات مشتركة من عناصر الانتاج القابلة للتنقل حيثما تشتد الحاجة اليها . فالتعاون الاقتصادي يبقى عديم الأثر اذا لم يؤد الى التخصص الانتاجي الذي يساعد على زيادة الانتاج وتخفيض أكلافه ، ويساعد بالتالي على زيادة الدخل الاهلي للبلاد . كما أن فائدته تبقى محدودة اذا لم يؤد الى تنظيم استغلال الثروات المشتركة . .

ثالثا ـ انه تعاون يهدف الى رفه البلاد العربية وخيرها .

يتألف أي مجتمع من فئات مختلفة يسعى بعضها أحيانا ، ولو عن غير قصد ، للاستفادة على حساب غيره من الفئات ، فينظر الى الأمور من خلال مصلحته الخاصة ، ويحاول توجيهها في سبيل مصلحته هذه . فالتعاون الاقتصادي العربي لا يعمل على اعطاء فئة معينة امتيازات خاصة ، كما أنه يجب أن لا يستخدم لمثل هذه الغايات .

رابعا : انه تعاون يهدف الى المنفعة المتبادلة . انه تعاون لمصلحة جميع البلاد ، لايستأثر بفوائده بلد واحد ، ولا يستغل بلد بلدا آخر في سبيل مصلحته . فهو لايجب أن يثير مخاوف بلد من تسلط بلد آخر عليه ، بل بالعكس يجب أن تسعى كل دولة اليه ، لأنه يخدم مصلحتها كما يخدم مصلحة الدول الأخرى .

خامسا : انه تعاون طويل الأجل . انه ليس تعاونا طارئا ، أو لفترة محدودة من الزمن . وبالتالي فيجب الا تطغى الاعتبارات القصيرة الأجل عليه ، ويجب الا يتأثر بها اذا كانت تتعارض بشدة مع الأهداف الطويلة الأجل .

ان كل تعاون طويل الأجل ، كالتعاون الاقتصادي العربي ، لابد أن يتألف من مراحل ، اذ لايمكن التوصل الى الهدف البعيد الأجل دفعة واحدة . ولذا فلا يجب التوقف عند مرحلة والاكتفاء بها ، خصوصا اذا ما ظهرت بعض العقبات وبدا أنه لا يمكن تخطيها الا ببعض التضحية . فالتضحية في مصالح حاضرة عاجلة ، في سبيل مصالح مؤجلة وأهم ، هو أمر ضروري في تعاون اقتصادي طويل .

سادسا : انه تعاون متعدد الأطراف . أطرافه جميع الأقطار العربية . نقول هذا لنميزه عن التعاون الثنائي الذي يتم عادة بين بلدين فقط . ان التعاون الاقتصادي العربي لايقر الاتفاقات الثنائية الا في الحالات التي يكون هناك فيها ضرورة قصوى ، كمعالجة مشكلة مشتركة بين بلدين فقط مثل حقوق المياه .

سابعا : انه تعاون يجب أن لايتأثر بالعوامل السياسية المؤقتة في المنطقة .

ان التعاون الاقتصادي العربي يجب أن يفصل عن السياسة . ذلك لأن التأثر بالعوامل السياسية قد يعكر سيره الطبيعي مما يضر في النهاية بمصالح جميع الأطراف المعنيين . ولا يمكن تغيير نسق التعاون الاقتصادي بسرعة كلما تغيرت هذه العوامل دون الحاق أي أذى فادح بالمصالح الحقيقية للبلدان الأطراف .

ثامنا : انه تعاون على الصعيد الحكومي والخاص ، يعزز فيها كل منهما الآخر ، وتضع الاتفاقات الحكومية المتتابعة اطاره المتوسع ، تاركة المجال للتعاون على الصعيد الخاص ليتفاعل مع بعضه في خدمة الصالح العام . فالجسم الاقتصادي يتكون من قطاعين رئيسيين : القطاع الحكومي ، والقطاع الخاص .

ان التعاون الاقتصادي العربي على الصعيد الحكومي يجب أن ينحصر بصورة رئيسية في حقل المنافع العامة ، كالطرق ، والمواصلات ، والترانزيت ، وفي حقل المشاريع الانمائية المشتركة او المشاريع الكبرى الهامة التي تعجز دولة واحدة عن تحقيقها بنفسها ، وفي حقل ايجاد المؤسسات التي تسهل قيام هذا التعاون وتضعه على اسس ثابتة . . . اما التعاون في المجالات الاخرى فيترك للقطاع الخاص .

تاسعا : انه تعاون يهدف الى تقوية المركز العربي تجاه الخارج وخصوصا تجاه التكتلات الخاصة والعامة .

ففي العالم الآن اتجاه نحو التكتلات ، وقد أخذ هذا الاتجاه شكلا جديا بعد ظهور جبارين كبيرين يملك كل منهما طاقة انتاجية كبيرة ، ويتمتع بقوة عسكرية هائلة . . ومن أبرز مظاهر هذا الاتجاه قيام السوق الأوروبية المشتركة ، وانشاء منطقة تجارة حرة بين بعض البلدان الأوروبية غير المنضمة الى السوق المشتركة .

ان التأثيرات المحتملة لهذه التكتلات على جانب كبير من الأهمية ، ولا يمكن لكل دولة عربية ان تواجهها على انفراد بصورة فعالة ، كما لو كانت مندمجة في وحدة اقتصادية شاملة .

عاشرا : انه تعاون غير منكمش على نفسه . يسعى بدوره الى التعاون مع الدول الأجنبية على قدم المساواة ، كي يتفاعل الاقتصاد العربي مع الاقتصاد العالمي ، وذلك في سبيل تنمية المصالح المتبادلة في سبيل تعزيز الاستقرار العالمي والرفاه الانساني □

الدكتور : عصام عاشور

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

كلمة :

● هذه المرة نخرج عن تقليدنا فنبدأ نحن الحوار معك عزيزي القارىء .. فليس أفضل من كلمة صريحة نابعة من القلب يوجهها الينا واليك صديق جديد من قراء « العربي » ..

الصديق يحيى مشحوت محمد يحدثنا من سلطنة عمان ويقول :

● « اسمحوا لي أن أعترف بأني جديد على قراءة العربي .. ستة أعداد أخيرة فقط .. ولكني وجدت فيها بغيتي وحلمي في أن يكون لي رفيق وصديق وجليس أنتظره بشوق مع مطلع كل شهر .

وكقارىء جديد - ومثلي العديد من الشباب - أحب أن أعبر عما يجول في نفوسنا .. فنحن جيل أغرقوه - عن قصد أو غير قصد - في مشكلات اقتصادية وسياسية واجتماعية ، ليبعدوه عن التفكير والتزود بما يفتح أمامه آفاق الحرية والانطلاق .. نحن جيل في أشد الحاجة الى جرعات ثقافية تساعدنا على التحرر من الأفكار المسموعة ، التي تأتينا عبر صحف وأفلام وصور رخيصة تافهة مستهدفة ، ابعادنا عن معايشة أربعة عشر قرنا زخرت بعباقرتنا في مبادىء الفلك والطب والهندسة والرياضيات والعلوم والفنون والآداب .. نحن جيل متعطش الى المعرفة والخروج الى آفاق جديدة تفتح أمامنا الطريق الى التقدم والنهوض ، واستعادة قيمنا وتقاليدنا وحضارتنا .. نحن جيل يعرف عن دانتي ودافنشي ورفائيل وبسمارك وبلزاك وشكسبير وموليير وهوجو وديكنز أكثر مما نعرف عن الرازي وابن النفيس وابن رشد وابن الهيثم وابن سينا .. نحن جيل يتلهف الى جرعات تحمل التعظيم والتكريم لمن يستحق التعظيم في حياته وبعد مماته من علمائنا ومفكرينا .. فالملايين من أبناء شعبنا يعرفون عن بعض المغنين والراقصين واللاعبين على الحبال أكثر مما يعرفون عن علماء ومهندسين وأطباء عرب ، لا نوفيهم حقهم في الحياة ولا بعد الممات .

واذا كنا قد وجدنا الحلم الذي نتمناه على صفحات « العربي » - مجلة كل العرب - فكم نتمنى منها المزيد من الزاد الثقافي يغذونا ويأخذ بيدنا على الطريق .. مستضيئين بشعلة النور والمعرفة والايمان ..

●● ونحن نقولها - عزيزي القارىء - سنواصل المسيرة معا .. سنقدم على صفحاتنا مشكلات الصراع العالمي والقضايا المعاصرة ، فكريا وأدبيا واجتماعيا وعلميا ليزداد القارىء العربي اطلاعا ... ستمتد استطلاعاتنا المصورة الى آفاق جديدة فوق تغطيتها المستمرة للعالم العربي .. ستقدم لك ابتداء من هذا العدد أبوابا جديدة هدفها استقطاب الأقلام المخلصة لايجاد حلول لمشاكل أساسية في مجتمعاتنا ومتطلبات العصر الذي نعيش فيه

اعـداد : يـوسف الشهاب

مصطلحات طبية

● نشرت مجلتكم في عدد أكتوبر سنة ١٩٨٤ تحت عنوان (عيناك) بضعة مصطلحات طبية بلغة أجنبية منها : كاتاركت Cataract التي تدل على الماء الأبيض في العين ، واسمها العربي الاصطلاحي الساد ، أو السد ، لأنه يسد طريق الضوء الى العين ، ومنه الساد الخلقي والساد الشيخي ، والساد المرضي ، والساد الولادي ، على وفق الزمن الذي بدأ فيه المرض ، ومنه ساد ناضج Mature Calaract والساد المفرط النضج Hyper Mature Calaract ومخلفات الساد After Calaract ومنها كلمة Lens Pet وقد ترجمت لكلمة (نتوء عدسي) والصواب (الحفيرة العدسية) وشتان بين النتوء والحفيرة .

ومنها كلمة Glaucoma أو المياه الزرقاء ، والمصطلح العربي هو (الزراق) كما سماه أجدادنا قديما .

ومنها كلمة Deplopia بمعنى رؤية الشيء الواحد شيئين ، وقد سميت الرؤية الازدواجية للاشياء ، والكلمة المناسبة هي كلمة (الشفع) .

ومنها Phacoemrfrificatim التي لم يعربها الكاتب ، وتعريبها استحلاب العدسة .

وأبرز كلمة أعصاب المخ والأعصاب المخية (العصب المخي الثالث والرابع) والتعبير الصحيح هو الأعصاب القحفية ، لأنها تصدر عن الجمجمة أو القحف ، وهي المدلول الصحيح Granial Operue .

د . سرى فايز سبع العيش
عمان / الاردن

العربي

ونحن بدورنا نقدم اقتراحك لمن يكتب في شؤون العلم والطب كي تشاع في لغتنا المصطلحات العلمية الحديثة .

استطلاع المالديف

● لم نكن نعرف شيئا عن جزر المالديف ، ولا أين موقعها في عالمنا الاسلامي ، حتى قرأنا ما نشرته العربي في استطلاعها عن جمهورية المالديف . وعرفنا أنها دولة اسلامية سكانها ١٠٠٪ من المسلمين ، كما أن من رجالها أبطالا واجهوا الغزاة .

اننا مع الأسف لا نعرف عن شعوب أمتنا الاسلامية بقدر ما نعرف عن لندن وباريس وكل الدول التي استعمرتنا ، وأرغمتنا على الغرق في ثقافاتها ولغاتها . وما أجدر حكوماتنا وصحفنا التي تملأ الصفحات بالمعلومات والاخبار عن الحضارة الغربية ومظاهر الحياة في دول الشرق والغرب ، أن تبذل بعض هذا الجهد ، لاطلاعنا على ما يجري في وطننا العربي والاسلامي ، وتعريفنا بشعوبها ومظاهر نهوضها .

فوزي علي سادج
الجزائر

● قرأت في مجلتكم الموقرة « العربي » في باب استطلاعات مصورة عن التعليم في جزر المالديف ، ان هذه الجزر في حاجة الى كل جهد من مسلم لمسلم ، مما دفعني الى الكتابة لكم وذلك للآتي :

١ ـ حيث انني حاصل على بكالوريوس العلوم والتربية شعبة الرياضيات من جامعة المنصورة ، عام

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

١٩٧٥ لذا أرغب في معرفة شروط العمل بالتدريس في هذه الجزر .

٢ ـ حيث انني أمارس الآن نشاطا تجاريا داخل مصر ، في ميدان الاستيراد والتصدير ، ولدي بعض الامكانات المادية التي يمكن استغلالها هناك ، لذا أرجو ارسال مزيد من التفصيلات عن أوجه الاستثمار ان أمكن .

محمد المتولي

دكرنس ـ الدقهلية ـ مصر

● قرأنا في العدد ٣١١ من العربي تحقيقا صحفيا عن جزر المالديف ولقد تأثرنا بالتحقيق الذي تعرفنا به على شعب مسلم طيب مما اثار في نفوسنا الحماس لخدمة ابناء هذه الجزر المسلمة واهلها الطيبين . نرجوا منكم اعطاءنا عنوان المراسلات لجمهورية المالديف حيث اننا اطباء اردنيون ونرغب في مساعدة اخواننا المسلمين هناك كما نرجو تزويدنا بمعلومات مفصلة عن الوضع الصحي وامكانية وكيفية العمل هناك وهل المالديف بحاجة الى خدماتنا الطبية ؟

الدكتور اياد جرادات

الدكتور علي صالح

الزرقاء ـ الاردن

العربي

جمهورية المالديف كما عرفنا في حاجة الى كل جهد مخلص من اصحاب الكفاءات الطبية والتعليمية والامكانات الاستثمارية خاصة مع التوسع في برامج التنمية . . ولكن القدرات المادية ضئيلة . وعلى اي الحالات يمكن الاستعلام قبل تقديم الطلبات من ادارة الاستعلامات على العنوان التالي :

Department of Information and Broadcasting. Malé, Republic of Maldives.

تراثنا المهجور

● الخط العربي من أجمل الفنون الاسلامية وأسماها : يرجع الفضل في تجويده وتحسينه الى اهتمام المسلمين الأوائل بكتابة القرآن الكريم : وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وكفى هذا الفن شرفا وتعظيما أن الله أقسم به في محكم كتابه فقال (ن والقلم وما يسطرون)

وأقدم الخطوط الخط الكوفي ، وهو الذي جوده علماء الكوفة الذين اقتبسوه من الخطوط القديمة لجزيرة العرب ، وهو الخط الذي حمله المسلمون لنشر الدين والاحكام الشرعية . وأنواعه كثيرة تفوق الثلاثين ، نذكر منها : المكي ، والمدني ، والاندلسي ، والشامي ، والعراقي ، والعباسي ، والمصري ، والمشعب ، والريحاني والفاطمي ، والمملوكي ، وكوفي المصاحف ـ وقد سئل أحد الكتاب متى يوصف الخط بالجمال : فقال اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعوده حدوره ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راؤه ونونه ، وأشرق قرطاسه ، واظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع الى العيون تصوره ، وخيل اليك انه يتحرك وهو ساكن .

ثم تطور الكوفي الى النسخ ، ومنه الى الثلث ، ومن الخطوط المنتشرة حاليا : الفارسي ، والرقعة ، والديواني ، وجلي الديواني ، والتوقيع ، بالاضافة الى ما سبق ذكره .

ومن البلاد التي ارتقت وأبدعت في هذا الفن ايران وتركيا والعراق وسوريا ومصر ، ومن يزور قسم الخط بدار الكتب المصرية سيجد معجزة هذا الفن ، وهي كتابة آية الكرسي كاملة على حبة أرز ، وكانت الهواية

الخاصة لمعظم السلاطين والوزراء في تركيا هي الخط العربي ، وقد كتب الحافظ عثمان الذي اشتهر بالخط النسخ القرآن أكثر من مرة ، حتى قيل ان القرآن نزل بالحجاز وقرىء بمصر ، وكتب في استانبول ،

مما سبق ذكره يتضح لنا ما كان في نفوس الأوائل من حب لهذا الفن ، وتقدير لهذا التراث الاسلامي

لقد أهمل تدريسه والاهتمام به ، ويتجلى ذلك بصورة واضحة في خط طلاب المدارس والمعاهد ، لا سيما الاعدادي والثانوي .

آمل في احياء وانقاذ هذا التراث الذي يحتضر ، بأن يعود اليه شبابه ، ولا يتحقق ذلك الا بتزويد المدارس والمعاهد بمتخصصين في هذا المجال ، والله أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ،

عبد اللطيف شعيرة ـ الرباط ـ
المملكة المغربية

العربي

جمال الخط هو موهبة عند الانسان ، ثم هو رغبة في تطوير هذه الموهبة ، والخط العربي له أصالته التي نود أن تعود اليه . .

قارىء من أمريكا

● من مونرو بالولايات المتحدة أعبر لكم عن فخري بهذه اللغة التي أكتب بها ، وأريد أن أعبر عن حبي وارتباطي بلغتي وقوميتي . فرغم اني ابتعدت عن الكتابات بالعربية الأم ، فما زال في نفسي هذا الحب للغتي ولأبناء عروبتي . . وما اغترابي الا درس في محبة الارض واللغة والوطن .

وأعبر عن حزني لأني لم أقرأ مجلة العربي منذ أتيت الى هذا البلد ، وأرجو أن تكون رسالتي محل رعاية كطالب يبحث عن « العربي » حتى في أمريكا .

ولي سؤال . . هل من الممكن أن أرسل للعربي مقالة واحدة تكشف عن مقدرتي في لغتي الأم ؟ هذا من ناحية ، أما من ناحية ثانية ، فانني أبحث عن أسعار الاشتراك وكيف ؟ لأرسل لكم بأسرع وقت .

محمد خليل الشيحة
مونرو ـ الولايات المتحدة

العربي

ترحب بك قارئا ، ونرحب بقلمك طالما أن انتاجك جدير بالنشر . وقد أرسلنا لك نسخة من « العربي » وستوافيك باشتراك مجاني

ردود خاصة :

● مهندس زراعي أشرف شعبان ـ الاسكندرية

« العربي » ترحب بكل ما تتلقاه من قرائها ، وصفحاتها مفتوحة لكل انتاج جيد يتفق مع رسالتها ويكون جديرا بالنشر .

● ادهان منير ـ سيدي عمر ـ المغرب

شكرا لتحيتكم بقصيدة « مدح مجلة العربي » ولعل نشرها في قلوبنا فيه الكفاية حتى لا تبدو أمام القراء كمن يمدح نفسه ، أما « المقامة الحكمية » التي أرسلتها فسننتفع بها من غير شك . . ولعل هذا يرضيك .

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - البكتريا هل هى نبات أم حيوان ؟

٢ - النعام والطاووس والوطواط والديناصور .. ثلاثة منها متجانسة ، وواحد نشاز .. فأيها هذا الناشز ، ولماذا ؟

٣ - قماش الموسلين والشك الذى تسحب بواسطته نقودك من البنك ، والكابل وجمعها كابلات الكهرباء وما اليها .. الألفاظ الثلاثة أجنبية ولكنها مشتقة من أصول عربية .. فما هى أصولها الثلاثة ... ؟

٤ - محمد بوخرنوبة رئيس احدى الدول العربية ، اشتهر فى السبعينيات من هذا القرن باسم أو لقب غير اسمه الأصلى الذى ذكرنا .. فمن هو هذا الرئيس الراحل .. ؟

٥ - أيها أصح : قولك رجل تعيس الحظ (تعاسة) أم قولك رجل تعس الحظ (تعسا) ولماذا ؟

٦ - كثيرا ما نقرأ فى الصحف (استقل الطائرة) و (استقل السيارة) و (استقل القطار) و (استقل السفينة) .. فأى هذه العبارات صواب وأيها خطأ من حيث اللغة ..

٧ - يبلغ عمر الكون حسب تقدير علماء الفلك ٤٥٠٠ مليون سنة أويزيد ، فما هو عمر الكون حسب التقويم العبرى .. ؟

٨ - متى يحتفل الناس فى الغرب خاصة باليوبيل الياقوتى الأزرق واليوبيل البلاتينى ؟

٩ - ما العامل المشترك بين مايوه السباحة النسائى المعروف باسم (بيكينى) وبين القنبلة النووية التى فجرتها الولايات المتحدة على سبيل التجربة فى ١٩٤٦/٧/٢٥

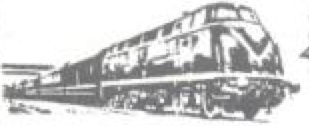

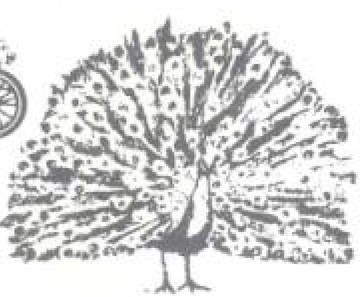

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٤ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مارس ١٩٨٥ .

١٠ ـ من القائل (دعوا دوائري ولا تعبثوا بها . .) وما المناسبة ؟ علما بأنه قال كلمته المأثورة هذه عقب سقوط مدينته في أيدي الرومان . . وقيل اقدام جنودهم على قتله . .

١١ ـ (مكاو) اسم يطلق على طير . . وعلى جزيرة من جزر الصين . . فما هو ذلك الطير . . وكيف تحكم هذه الجزيرة . . ؟

١٢ ـ هناك من يقول إن السيارة الكهربائية التي يسيرها محرك يعمل بالبطاريات ، ظهرت في مطلع القرن العشرين ، وإنها انتشرت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ مجموعها في نيويورك وشيكاغو وبوسطن نصف مجموع سيارات البنزين آنذاك ، فهل هذا القول خطأ أم صواب . . . ؟

العدد ٣١٤
يناير ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ ....

٢ ـ ....

٣ ـ ....

٤ ـ ....

٥ ـ ....

٦ ـ ....

٧ ـ ....

٨ ـ ....

٩ ـ ....

١٠ ـ ....

١١ ـ ....

١٢ ـ ....

الاسم : ....

العنوان : ....

مسابقة العربى الثقافية

حل

١ ـ الدولة هى سلطنة بروناى .. وقد استقلت عن بريطانيا فى ١/١/١٩٨٤ بعد حكم طال أمده ٩٦ عاما .. وتقع الدولة فى جزيرة بورنيو من جزر الهند الشرقية ، وفى الشمال الغربى منها ، وهى دولة غنية ببترولها ومطاطها وغير ذلك ، ومساحتها ٢٢٢٦ ميلا مربعا ، وعدد سكانها نحو ربع مليون نسمة .

٢ ـ الطاووس لايبيض أبدا .. فهو ذكر .. أما انثاه فليست بمثل ألوانه وروعته ، ولاتسمى بالطاووس على كل حال ...

٣ ـ الحركة التى يحدثها المصارع وهو يلوح للثور بقطعة القماش هى التى تثير الثور ، ولا أثر للون الأحمر فى ذلك ، كذلك لا أثر لما يردده المصارع بصوت مسموع مخاطبا الثور (تورو ... تورو) .

٤ ـ الفضاء الداخلى هو أعماق المحيطات ..

٥ ـ جائزة (بولتزر) **Pulitzer** هى التى توزع سنويا على الفائزين فى فنون الأدب والصحافة .. أما التسمية فنسبة الى جوزف بولتزر (١٨٤٧ ـ ١٩١١) من مواليد المجر الذين هاجروا الى الولايات المتحدة ، وقد عمل فى الصحافة ،

مسابقة العدد ٣١١ اكتوبر ١٩٨٤

واشترى صحيفة نيويورك وارلد ، وفي سنة ١٩٣٠ أنشأ كلية الصحافة في جامعة كولمبيا . .

٦ـ القمر كوكب لا نجم . . فهو لايضيء وانما يعكس ضوء الشمس ، كما هو معلوم ثم أنه جرم كسائر الكواكب .

٧ـ الأمبير = وحدة التيار الكهربائي

الاوم = وحدة المقاومة الكهربائية

الفولت = وحدة الضغط ـ أو العبء الكهربائي .

٨ـ الانتاج بمعدل ٨ ملايين برميل يوميا يفوق الانتاج بمعدل ٨ ملايين طن من البترول سنويا ، ومعادلة التحويل هي الضرب برقم (٤٩,٨) للتحويل من البراميل يوميا الى الأطنان سنويا ، وبرقم ٢٠١ , اذا كان العكس هو المطلوب وذلك بحوالى ٤ أضعاف .

٩ـ صواب . . فالكيروسين هو الوقود الذي تستعمله أكثر الطائرات النفاثة .

١٠ ـ الأشعريان هما . . أبو موسى الأشعري ، هو صاحب الدور المعروف في التحكيم ، وأبو الحسن الأشعري ، هو مؤسس علم الكلام . .

١١ـ يحتفلون باليوبيل الذهبي عند مضي ٥٠ عاما ، ويحتفلون باليوبيل الماسي عند مضي ٦٠ عاما .

١٢ ـ السرعة الضرورية للصواريخ للتحرر من جاذبية الأرض هي (٢٥٠٠٠) ميل في الساعة . .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١١ اكتوبر

الجائزة الأولى : السيدة / مجد محمد مراد ـ دمشق ـ سوريا

الجائزة الثانية : عيسى خليل أبو شمة ـ دولة الكويت

الجائزة الثالثة : يوسف عبدالله الشيمان ـ المحرق ـ دولة البحرين .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالغني عبدالهادي ـ جبل الحسين ـ عمان ـ الاردن .

٢ ـ الصيدلي صلاح الدين عبدالقيوم ابو شامة ـ بورتسودان ـ جمهورية السودان الديمقراطية .

٣ ـ سهيل موسى السكر ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

٤ ـ خالد محمود محمود هيبة ـ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية .

٥ ـ عبدالوهاب الفقيه رمضان ـ الجمهورية التونسية .

٦ ـ عقيل محمد جواد عبدالرضا ـ مسقط ـ سلطنة عمان

٧ ـ عبدالقادر عثمان عبدالقادر ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية

٨ ـ زين العابدين اكريم ـ الرباط ـ المملكة المغربية .

معركة بلا سلاح

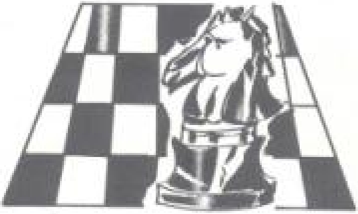

كورشنوي ينحني إجلالاً للفائزة الشابة

كورشنوي وهو يلاعب بيا كرملنج

فيكتور كورشنوي الروسي الأصل والسويسري الجنسية والذي كان يحتل المركز الثالث بين أبطال العالم في الشطرنج برصيد قدره (٢٦٣٥) نقطة يتهاوى أمام الضربات القاصمة المتلاحقة التي كالتها له البطلة السويدية الشابة بيا كرملنج ، وتتصدر هذه البطلة قائمة التصنيف الأخير للاتحاد الدولي للشطرنج للسيدات برصيد قدره (٢٤٠٥) نقاط متقدمة عشرين نقطة على بطلة العالم الروسية للسيدات شيبور داندزوبائت تهدد عرش الشطرنج للسيدات الذي كان حكراً على اللاعبات الروسيات لسنوات طويلة .

دفاع كاروكان (بييل سبتمبر ١٩٨٤)

بيا كرملنج (أبيض)	كورشنوي (أسود)
١ - هـ ٤	جـ ٦
٢ - جـ ٤	د ٥
٣ - هـ × د ٥	جـ × د ٥
٤ - جـ × د ٥	ح - و ٦
٥ - ح - جـ ٣	ح × د ٥
٦ - ح - و ٣	هـ ٦
٧ - د ٤	ف - ب ٤
٨ - ف - د ٢	ح - جـ ٦
٩ - ف - د ٣	ف - هـ ٧
١٠ - أ ٣	ف - و ٦
١١ - ت	ت
لو ١١ -	ح × د ٤
١٢ - ح × د ٤	ف × د ٤
١٣ - و - أ ٤ +	ويفوز بالفيل أو
١١ -	ف × د ٤
١٢ - ح × د ٤	ح × د ٤
١٣ - و - ز ٤	مما يوقع الأسود في متاعب لا قبل له بها
١٢ - و - هـ ٢	ف × د ٤
١٣ - ح × د ٥	و × د ٥
١٤ - ف - هـ ٤	و - د ٦
١٥ - ف × جـ ٦	ب × جـ ٦
١٦ - ح × د ٤	و × د ٤
١٧ - ف - ب ٤	ر - هـ ٨

١٨ ـ ر (و) ـ د ١	و ـ ب ٦
١٩ ـ و ـ هـ ٥	و ـ ب ٥
٢٠ ـ و ـ جـ ٧	و ـ ب ٦
٢١ ـ و ـ هـ ٥	أ ٥ ؟ (رديئة)
٢٢ ـ ف ـ جـ ٥	و ـ ب ٣
٢٣ ـ و ٤	ف ـ أ ٦
٢٤ ـ ر ـ د ٧	و ـ جـ ٢
٢٥ ـ ف ـ د ٤	و ـ ز ٦
٢٦ ـ ر ـ هـ ١	و ٦
٢٧ ـ و ـ ج ٥	و ـ و ٥
٢٨ ـ و × جـ ٦	هـ ٥
٢٩ ـ و × هـ ٥	و × هـ ٥
٣٠ ـ ف ـ جـ ٥	و ـ و ٦ ؟

مبادلة الوزير في هذا الموقف تزيد الطين بلة ، فهي بدلاً من ان تخفف من ضغط الابيض على المربعات السوداء تضاعف من سيطرة الرخ الابيض على الصف السابع وكان من الافضل لو لعب الاسود

٣٠ ـ	ف ـ جـ ٤ تمهيداً لنقله الى و ٧
٣١ ـ و × و ٦	ز × و ٦
٣٢ ـ ر ـ هـ ٣	م ـ حـ ٨
٣٢ ـ	ر(أ) ـ د ٨ كانت أفضل
٣٣ ـ ر ـ حـ ٣	يستسلم

الموقف بعد النقلة ٣٣

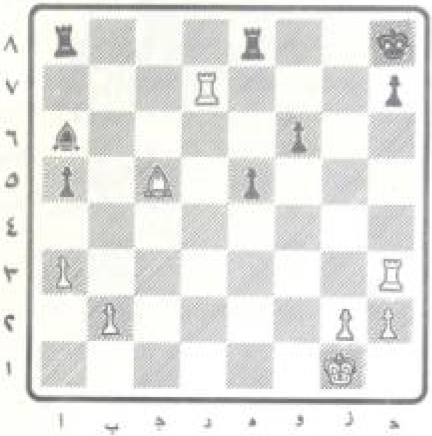

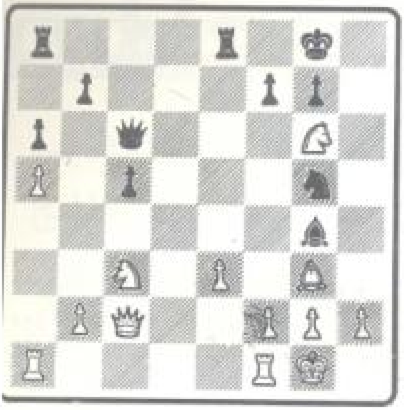

مسابقة العدد

مسأله رقم (٢٥)

الاسود يلعب ويميت الشاه في ثلاث نقلات

الفائزون بحل مسابقة عدد سبتمبر ١٩٨٤ مسألة رقم ٢١

القائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ باسل البورنو ـ المرقاب / الكويت
٢ ـ هدى تمان ـ عدن / اليمن
٣ ـ حيدر محمد علي ـ الديوانية / العراق
٤ ـ منير ولدرويش ـ المدية / الجزائر
٥ ـ غسان ابو السعود ـ عمان / الاردن

الفائزون باشتراك نصف سنة :

١ ـ عبد المولى منير ـ القاهرة / ج م ع
٢ ـ محمد مخاشن ـ جدة / السعودية
٣ ـ محمد المرزوقي ـ ابوظبي / الأمارات
٤ ـ ايريس فاخوري ـ ام درمان / السودان
٥ ـ الطاهر بالريش ـ جربة / تونس

الينبوع

شعر
سليمان العيسى

رَضِعَ النَّقاءَ مِنَ السَّماءِ ، منَ النجوم الصافيَةْ
ومِنَ الصُّخورِ الجاثِيَةْ . .
رَبَّتْهُ أخلاقُ القِمَمْ
يَسْقِي كما شاءَ الكَرَمْ
الوردُ مِثْلُ الشوكِ ، والأرضُ الخَصيبةُ كاليَبَسْ
في النُّورِ يرْحَلُ . . في الغَلَسْ
لافَرْقَ . . فالشِّيَمُ العِتاقُ(١) هِيَ الشَّمَمْ
يَسْقِي . . وتنكرُهُ الضِّفافُ . .
تَعُقُّهُ حيناً . . ويَرْحَلْ
هُوَ لِلْعَطاءِ . . فليسَ يَسْأَلْ

يَسْقِي . .
لِأَنَّ حقيقةَ اليَنْبوعِ أنْ يَسْقِي . .
حقيقَتَهُ الأَصِيلَةْ . . .
هُوَ لَيْسَ يَقْوَى أنْ يكُونَ سِوَى حَقيقتِهِ الأَصِيلَةْ
تَغْتالُهُ حيناً صِغارُ حَصًى ، كِبارُ حَصًى ،
رُكامٌ مِنْ غُثاءٍ . .
وَيَمُرُّ لا يَلْوِي . . ويَسْقِيها . . أليْسَتْ في الظَّماءِ ؟

وهُـوَ الشجـاعُ . . هُـوَ المُضِيءُ . . إذا تَجَهَّمَتِ الضِّفافُ
يَنْسابُ لايَلْوِي . .
هُوَ الأنْقَى . . هُوَ الأقْوَى . .
إذن . . ماذا يَخافُ ؟
يا أيُّها المُتَرَقْرِقُ الصافي . . سَيُتْعِبُكَ السَّفَرْ
لَكِنَّنا سَنَظَلُّ أظْمأَ ما نكونُ لِقَطْرَتَينِ ، لِرَشْفَةٍ ،
نحنُ البَشَرْ . . .

---

(١) العتاق : هنا العريقة الأصلية

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

أول يناير
١٩٨٥

١٨٤

من مسرح الخيال العلمي - ٣

عمود من نار / الكلايدوسكوب / نفير الضباب

تأليف : راي براد بوري / مراجعة : د. طه محمود طه

ترجمة وتقديم : رؤوف وصفي

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

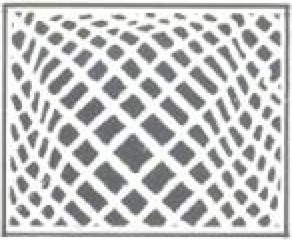

مجلة
خاصة
المثقفين
في الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

* *

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب
□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات:
١٢ ديناراً في الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد:
٣ دينار في الكويت، دينار للطلاب
٣٫٥ دينار أردنياً وما يعادلها في الوطن العربي.
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

الموزع في الكويت والخارج:
مجلة العلوم الاجتماعية

■ توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية. جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة. الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ مباشر، ٢٥١٠١٨٨ / ٢٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت
يناير ١٩٨٥

دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية

د. بدرية عبدالله العوضي

الكتاب الخامس والثمانون
٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان: ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف: ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس: ٢٢٦١٦ KUNIVER

****

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

■ صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ ■ تصل أعدادها الى أيدي نحو ٠٠٠ر١٢٥ قارئ

تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين، مع مراجعات لأهم الكتب عن المنطقة، مع ملخصات للأبحاث بالانجليزية، كما تصدر المجلة أيضا دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة

■ العنوان: ص.ب ١٧٠٧٣ الخالدية - الكويت

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

BomBeat SF5
(RT-SF5)
AUTO REVERSE
- ٤ موجات (FM/MW/SW1/SW2)
- قوة بث ٤٠ واط (P.M.P.O)
- محول كهربائي مبيت

BomBeat 170
(RT-170SG)
AUTO REVERSE
- ٤ موجات (FM/MW/SW1/SW2)
- قوة بث ٢٠ واط (P.M.P.O)

BomBeat 150
(RT-150SG)
AUTO REVERSE
- ٤ موجات (FM/MW/SW1/SW2)
- قوة بث ١٦ واط (P.M.P.O)

إن الراديو ومسجل الكاسيت الستيريو RT-SX7 لا يقدم معجزة أفضل صوت في مجال الستيريو ولكن أيضاً ميزة TOSHIBA الخاصة أوتو ريفيرس لتمكينك من الاستماع لوجهي الشريط من غير حاجة إلى قلب الكاسيت، كما يمكنك الاستماع إلى موسيقاك المفضلة التي يبثها الجهاز RT-SX7 من خلال راديو ٤ موجات (FM/MW/SW1/SW2). أما مكبرات الصوت بقوة بث ٦٠ واط (P.M.P.O) فهي مثالية التوازن بفضل [illegible] أكوالايزر ٤ موجات مما يوفر لك نوعية الصوت والاستماع التي ترضي ذوقك.

مهما كان السبب لاختيارك الجهاز RT-SX7، ستكون واثقاً من اختيارك لأنه صنع في اليابان بواسطة توشيبا، منتجة أكبر عدد من أجهزة مسجلات الراديو كاسيت الأوتو ريفيرس في العالم. كلها صنع وتنتجها TOSHIBA في اليابان.

Toshiba TOSHIBA

تغلّب «رد أدير» وساعته رولكس على كافة العقبات لدى إخماده «ولاّعة الشيطان»

يعمل "رد أدير" في إخماد حرائق البترول. وأشهرها الحريق المعروف باسم "ولاّعة الشيطان" في الصحراء الكبرى.

كانت نيران هذه البئر الرهيبة تندلع صاخبة مدوّية في عنان السماء الى علو يبلغ ٢٠٠ متر، وتأتي على ما يزيد عن ١٥ مليون متر مكعّب من البترول كل يوم.

وبعد مجهود دائب، تحت انهمار أطنان من المياه لمكافحة الحرارة، إستطاع "رد أدير" وفريقه وضع ٢٥٠ كيلوغراماً من مادة متفجرة خاصة على بعد نصف متر من قاعدة النيران الملتهبة، ثمّ قام بتفجير هذه المادة.

فتمّ إخماد الحريق في جزء من الثانية.

وداخل مصانع رولكس في جنيف حيث تقلّ الحرارة نسبيًا، يقوم الحرفيّون باستحداث ساعة مصمّمة لاحتمال أقسى وأصعب الأحوال والأوضاع.

فكل ساعة رولكس كرونومتر تخرج من مصانعنا، تخضع رسميًا لاختبارات دقيقة ليل نهار وطوال أسبوعين، فضلاً عن حتميّة استمرار حركتها مدّة خمسة عشر يومًا تتعرّض خلالها ساعة رولكس الى نهايات قصوى من درجات الحرارة وهي مُدلاّة في معزل عن علبتها المتينة أو بيسر.

ولكن، مَن بإمكانه معرفة الطريقة التي تعامل بها رولكس وهي حول معصم رجل مثل "رد أدير"؟

في عام ١٩٧٧، عاد "رد أدير" وفريقه من بحر الشمال رافعين راية النصر، وقد أفلحوا في إخماد ثوران بئر "برافو" يوم راحت تقذف من فوهتها، كما الصاعقة، نافورة من الغاز والبترول في درجة الغليان، فما زنته مئات الكيلوغرامات كل ساعة.

وتعليقًا على هذا الحدث، كتب مراسل "الدايلي ميل": "كانت ساعات رولكس الذهبية، مثبّتة حول معاصمهم وكأنها رمز شركة". شركة ما، هي. ورمزٌ ما، هو.

ROLEX
رولكس

في الصورة: ساعة رولكس كرونومتر "داي دايت" من الذهب عيار ١٨ قيراطاً مع سوار معها.

جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ - فبراير ، شباط ، ١٩٨٥

العربي

١٠ شموع
على طريق الثقافة

و ٢٤ عاماً
مع مسيرة الاستقلال

سيبريا
الأسطورة والحقيقة

مع العدد : العربي الصغير

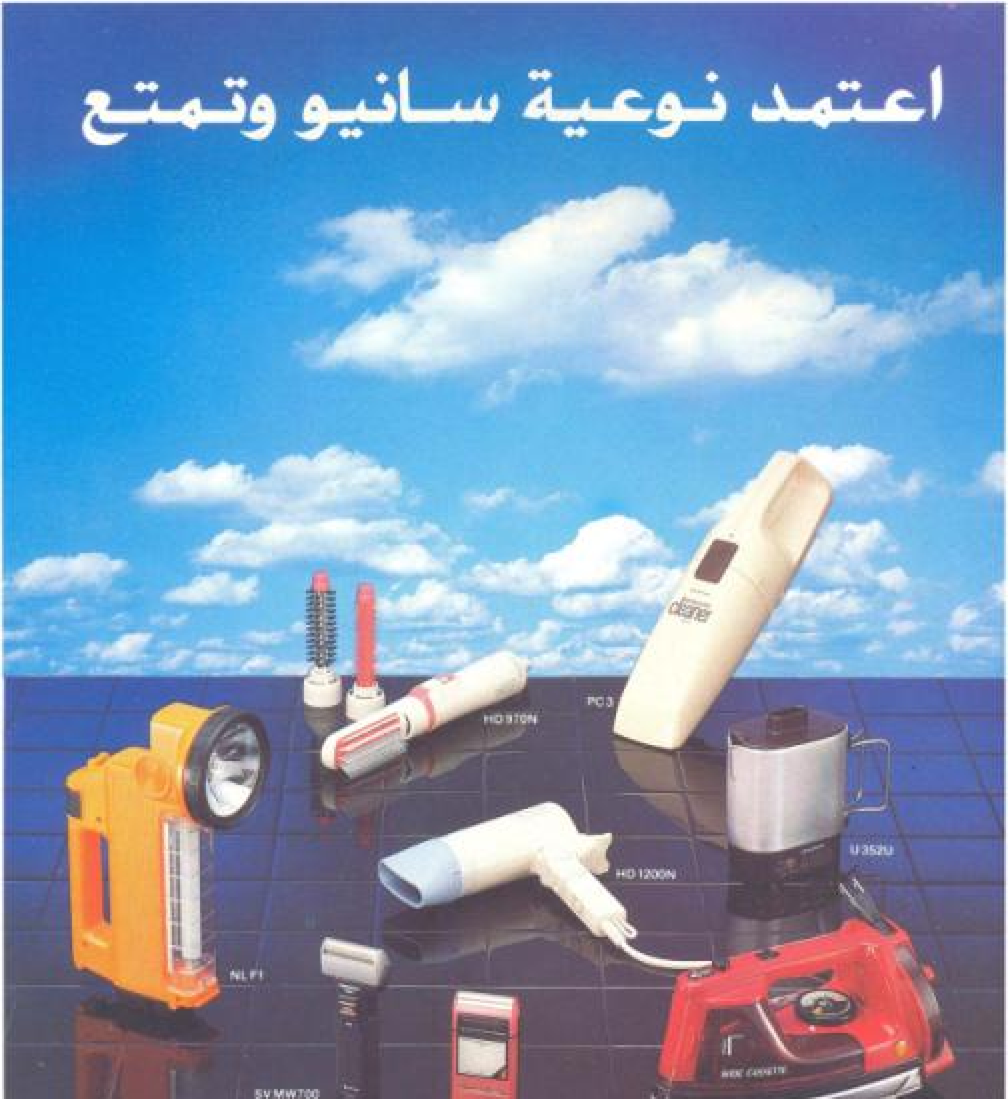
اعتمد نوعية سانيو وتمتع
HD 970N
PC 3
NL F1
U 352U
HD 1200N
SV MW700
SV M330U
A 1900CR
HD 970N مجفف / مصفف شعر (سشوار) مدمج
NL F1 مصباح كشاف مزدوج مع لمبة فلورسنت، قابل للشحن
SV MW700 ماكنة حلاقة جافة / بللية تعمل بالبطارية، سرعتان
SV M330U ماكنة حلاقة كهربائية قابلة للشحن، ٣ سرعات
PC 3 جهاز تنظيف كهربائي مدمج قابل للشحن
HD 1200N مجفف شعر (سشوار) عالي القدرة (١٢٠٠ واط) مع مقبض قابل للطي
U 352U ابريق تسخين كهربائي نقال
A 1900CR مكواة نوع كارتردج، جاف، بخار مع شريط يعاد لفه
SANYO سانيو

العــــــــدد ٣١٥ — فبــــــراير ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفـــاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI

Issue No. 315 Feb. 1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

فى الأسواق

كتاب العربى

قال القدماء: العقل السليم في الجسم السليم ، وإذا كان هذا القول يعني شيئا فانما يعني في جوهره أن الانسان جسم وعقل، وإذا اكتمل الاثنان اكتملت الحياة الصحية للانسان .. والدكتور فاخر عاقل وهو الاستاذ المتمرس في موضوع هام هو الدراسات النفسية يقدم لنا في هذا الكتاب صفحات عن النفس وعن المجتمع نحتاج جميعا اليها .

وعندما تختار العربي هذه الدراسات التي كتبها الدكتور فاخر عاقل على مدى ربع قرن من الزمان، كي تضمها بين دفتي كتاب، فان هدفها الاساسي هو تقديم وجبة ثقافية متكاملة عن النفس البشرية ومدى تفاعلها مع واقعها ومجتمعها، وما ينتج عن ذلك من نتائج .

عزيزي القارئ

في هذا العدد نريد أن نحدثك في أكثر من قضية . . . ففي عالم كعالمنا الذي يضج بأحداث الحروب والعدوان والقرصنة - وخاصة الجوية مثل الذي تعرضت لهالطائرة الكويتية مع نهاية العام الماضي حيث وقف وقتها الكويتيون والعرب ومحبو السلام جميعا الى صف كويت العدالة والحق - في مثل هذا العالم الذي يشيع فيه العنف . . تبقى الكويت - التى تحتفل بعيدها الوطنى الرابع والعشرين على مسيرة الاستقلال - منبرا من منابر الثقافة . . رغم كل قوى الشر التى تريد الاطاحة بالأمة العربية الى قاع الخسران . . ومع أواخر العام الذي انقضى كانت الكويت ساحة لمناقشات ندوة « دور الحضارة الاسلامية من مهدها العربي الى آفاقها العالمية » بالتنسيق بين « اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة » وبين « اليونسكو » و « اللجنة الدولية للتاريخ العلمي والثقافي للبشرية » . . . وفي الوقت نفسه شهدت أرض المعارض بالكويت المعرض العاشر للكتاب العربي ووزعت جوائز « مؤسسة الكويت للتقدم العلمي » و « المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب » على مستحقيها من المبرزين العرب . اذ عبر أحد المحتفى بهم الد...ور محمد العصفور في كلمته التى ألقاها نيابة عن زملائه مشيدا بالتقدم الثقافى والحضارى في الكويت بقوله : « ان النفط يتحول الى حبر ، والذهب الاسود يتحول الى حبر أسود . . يحرك النفوس وينير العقول »

ومع بدايات العام الجديد . . كان المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب يضيء عشر شموع على طريق تأصيل الثقافة العربية ، الأمر الذى أفردنا له تحقيقا صحفيا في هذا العدد .

كما شهدت بداية العام أيضا - أول يناير الماضى - صدور العدد الممتاز من العربي بحلته الجديدة وأبوابه المبتكرة . . ونجدها مناسبة - عزيزى القارىء - لنقول اننا كنا نتوقع أن تكون ردود أفعال القراء ايجابية ، ولكننا لم نكن نتوقع كل هذه الايجابية ، فبعد نزول العدد الى السوق في معظم أقطار الوطن العربي بأيام قليلة بدأت برقيات الاخوة الموزعين تتوافد علينا . . ومهما اختلفت صيغها فإنها تصب في محصلة واحدة : نريد المزيد من أعداد « العربي » ، وبعدها بأيام تحولت صيغة البرقيات الى : « رجاء أغيثونا فقد نفدت الاعداد » .

وكانت رسائل القراء التى وصلت مباشرة الى ادارة العربي ظاهرة جديدة ، فقد وصلت آلاف الرسائل من القراء ، وكانت شهادة للجهد الذى بذلته أسرة « العربي » طوال الأشهر الماضية ، هذا التعبير الجميل الذى حبانا اياه قارىء العربي في كل قطر من أقطار العروبة زادنا تصميما على أن نحافظ على ما حققناه ونبذل المزيد من الجهد . . .

لذلك فانه بدءا من هذا العدد ستجد ان صفحات العربي قد أضيف اليها ملزمة كاملة . . وسوف يحقق ذلك لقراء العربي ميزتين : الأولى ان مادة العربي نفسها لن تنقص ، والثانية أن الابواب الجديدة وهي تأخذ مكانها لن تزاحم المواد الثقافية والعلمية الأصيلة ، ونحن في « العربي » نعتقد أن ذلك مكسب جديد حققناه في مطلع هذا العام . . .

والى مكاسب أخرى جديدة مع كل عدد جديد . . . من « العربي » مجلة كل العرب . . .

المحرر

مُحتويات العدد

● حديث الشهر :
اليابان : مائة عام من النهضة
ـ د . محمد الرميحي ٨
● من قضايا الاسلام والعصر : آفاق الاجتهاد ـ د . عبدالعزيز كامل . ١٧
● اسرائيل والسلاح النووي
ـ د . عبدالرحيم حسين ٢٢
● ذكرى العيد (قصيدة)
ـ عبدالعزيز جعفر ٢٨
● عود على بدء ـ فاروق خورشيد . ٣٠
● متى تصل رسائلنا الى الكون الخارجي ؟
ـ د . فخري اسماعيل الحسن .. ٥٦
● طليطلة مدينة الثقافة والترجمة
ـ د . سيمون الحايك ٦٤
● العقول الالكترونية هل أصبحت عبئا على البشرية ؟ ـ د . عصام محمد عزو ٧٠
● حفلة تنكرية (قصة)
ـ محمد عبدالملك ٧٦
● الثلاثية الخالدة في شعر أبي القاسم الشابي
ـ محمد الحبيب براهم ٨٦
● العاذلون (قصيدة)
ـ محمد القيسي ٩٨
● هل يتنفس البيض ؟
ـ د . محمد نبهان سويلم ١٠٠
● الكاف (قصة) ـ د . محمود موعد ١٠٨
● وتر العروبة في قلب شاعر ١١٩
● لقاء عند حرف محلق (قصيدة)
ـ خالد سعود الزيد ١٢٠
● القضية القومية في تجربة عبدالله سنان الشعرية ـ د . عبدالله العتيبي ... ١٢٢
● التلفزيون .. قوة توجهنا أو نوجهها ؟
ـ فاروق عبدالعزيز ١٣٢
● تراث الانسانية ـ د . احمد ابو زيد ١٤٥
● تفسير ما لا يفسر (قصيدة)
ـ علي السبتي ١٦٢

صورة الغلاف :

في السادسة من عمرها ترتدي ملابس جدتها التقليدية . (طالع ص١٧٤)

استطلاعات ومقابلات

● سيبيريا .. بين اسطورة المنفى وحقيقة الحياة ـ سليمان الشيخ ٣٦
● وجها لوجه : ـ جبرا ابراهيم جبرا وماجد السامرائي............... ١١٣
● عشر شموع على طريق الثقافة والفكر في الكويت ـ حسن محمود عباس .. ١٦٤

أبواب العربي

● عزيزي القارىء ٥
● أرقام : خريطة الموت
ـ محمود المراغي ٣٤
● مسابقة (العربي) للقصة القصيرة ٧٥
● حكايات شرق وغرب ٨٢

● منتدى العربي :

ـ حرب السينما والفيديو .. والمواقف العربية
ـ صلاح دهني ٩٠
ـ تعقيبات : البث التلفزيوني والانسان العربي
ـ سمر روحي الفيصل ٩٣
ـ حول المقاومة الفلسطينية
ـ ابراهيم الشيخ خليل ٩٥
ـ باكستان واللغة العربية
ـ د . احسان حقي ٩٦
ـ العربي من ربع قرن ١٠٦
قاموس العربي : بروليتاريا ـ برجوازية ١٢٦

● جمال العربية :

ـ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء .. شاعر يرثي نفسه ..
ـ مالك بن الريب التميمي ١٢٨
ـ صفحة لغة : كل وجميع وعامة
ـ محمد خليفة التونسي ١٣٠
● الجديد في الطب والعلم
ـ اعداد يوسف زعبلاوي ١٣٨
● مخترعون ومكتشفون ١٤١
● سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٤٢

● مكتبة العربي :

ـ كتاب الشهر : يهود الاسلام
ـ د . احمد الامين البشير ١٤٩
ـ من المكتبة العربية (ذيول)
ـ يوسف عبدالله محمود ١٥٧
ـ مكتبة العربي : مختارات ١٦٠
● مسابقة العربي الثقافية ١٩٦
● حل مسابقة العدد ٣١٢ .... ١٩٨
● معركة بلا سلاح (الشطرنج) .. ٢٠٠
● حوار القراء ٢٠٢

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء ..

العدد ٣١٥ ـ فبراير ١٩٨٥

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

● الزي الكويتي بساطة وجمال
ـ ثريا البقصمي ١٧٣
● المراهقة .. المرحلة الحرجة في حياة الآباء والأبناء ـ وفاء طه ناجي
١٧٩
● مراكز التنمية الريفية في ليبيا
ـ ريم الكيلاني ١٨٣
● هو .. هي ١٨٦
● من الحياة .. ابنة الشعب كانت تشكو الوحدة ـ منير نصيف ١٨٨
● طبيب الأسرة ١٩٢
● مساحة ود : زمن الاحلام الضائعة
ـ محمود عبدالوهاب ١٩٥

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

اليابان : مائة عام من النهضة

☐ إحدى الظواهر الهامة في التجربة اليابانية هي : البعد الاجتماعي

☐ النسيج الاجتماعي الياباني استجاب للمتغيرات دون أن يفقد تماسكه

☐ ماهي الدروس الحضارية التي يمكن أن تنفعنا نحن العرب ؟

نحن - العرب - مدينون للزمن الحاضر ، هذا الزمن الذي نرى انجازاته العلمية والتقنية والانسانية ونشعر أننا لا نستطيع اللحاق به ، نلتفت لتجارب الذين حولنا من الأمم الناهضة شرقا وغربا لعلنا من تجاربها مستفيدون ، وبركب الحضارة - بمعناها الشامل - لاحقون ، ويبدو لكثير منا أن مثلنا كمثل الرجل الذي يجري للحاق بتفاحة مربوطة بقصبة طويلة مثبتة على صدره . . . يجري في محاولة لالتقاط التفاحة ، فلا هو اليها واصل ، ولا هو عن جريه واقف ، وتكاد تنقطع أنفاسه في اكمال الشوط .

إنها صورة لا شك قاتمة . لكن ما نراه حولنا من الواقع يؤكد تلك الصورة في أكثر أشكالها سخرية .

من بين تجارب الشعوب التي نراها أمامنا دائما . . التجربة اليابانية . فلا أحد يشك أن اليابان - ذلك البلد الشرقي - أصبح اليوم من القوى

الرئيسية في العالم ، وحتى بعد مجموعة الهزائم المبكرة - وأسوؤها هزيمته في الحرب العالمية الثانية - حققت اليابان اليوم إنجازا اقتصاديا وحضاريا بالغ الأثر في تجارب الشعوب الحية .

ولعل البعض يعتقد أن جيلنا من العرب الحاليين وحده هو الذي افتتن بالتجربة اليابانية ، وحاول سبر أغوارها ، لما يظهر بيننا كعرب وبين الشعب الياباني من تماثل في كثير من العناصر الحضارية ، لكن هذا الافتتان ليس وليد اليوم أو الأمس القريب ، بل انه أقدم من ذلك بكثير ، حتى عندما لم تكن تجربة اليابان تتعدى بضعة عقود من السنين .

من السلطان عبدالحميد حتى الوقت الحاضر

☐ لعل من المفاجىء للبعض أن يعرف أن السلطان عبدالحميد - وهو من أواخر السلاطين العثمانيين - قد أعجبته تجربة اليابان ونهضتها منذ زمن بعيد ، في مطلع هذا القرن على وجه التقريب ، ونحن نجده في مذكراته التي دونها يكشف عن نواياه التي كانت تتجه الى تكرار عناصر تلك التجربة لدى الدولة الاسلامية انذاك . ولكن لم تتح له الفرصة ، لأسباب متعددة وكثيرة ، واستمر كتاب ومفكرون كثيرون من العرب يذكروننا دائما - وبحسرة كلما أمكن ذلك - بتلك التجربة الشرقية منذ محاولة السلطان عبدالحميد ، ومن قبلها تجربة محمد علي في مصر وما أتيح لها من ظروف كان يمكن أن تتشابه مع ظروف النهضة اليابانية ، كما يذكروننا بأشعار حافظ ابراهيم ومقولات مالك بن نبي ، الذي أعجب بالتجربة اليابانية وكتب عنها . وحتى في يومنا هذا عندما استضاف المفكرون العرب في نهاية العام الماضي في ندوتهم بالقاهرة كاتبا يابانيا هو « ياسومازا كوررودا » ، راح يحدثهم - خلال بحثهم في أصالة ومعاصرة الوطن العربي - عن التحديث في اليابان .

وأعتقد أن ذلك لن يكون نهاية المطاف . فما حدث في اليابان سيظل يشد الكثير منا نحن العرب - في محاولتنا لدفع ديوننا للزمن الحاضر ومحاولة تلمس طرق جديدة لنهضة عربية - فنعاود الحديث مرارا وتكرارا عما حدث في اليابان .

اليابان.. لماذا؟

☐ السؤال : ماذا شد أسلافنا ويشدنا للتجربة اليابانية ؟

في تقديري أن الجواب عن هذا السؤال الكبير يكمن في أن هناك شعبا قد يتماثل معنا نحن العرب في بعض العوامل الحضارية والانسانية والاقليمية ، وهو شعب شرقي مثلنا استطاع أن ينقل عناصر الحداثة ويوائم بين التقليد (بمعنى القديم الموروث) .. والجديد الحديث .. دون أن يفرط في الكثير من عناصر التقليد التي تمثل جوهره ، ودون أن يستهين أيضا بالحديث والمتطور ، وبتلك الصياغة استطاع أن يصبح قوة عالمية .

فالبعد الاجتماعي والقيمي هو أحد الأسس الذاتية في نهضة اليابان

اليوم ، وليس البعد المادي وحده فقط .

خلال بحثنا عن العناصر التي كونت تلك المعادلة ، وكانت ناجحة الى حد كبير في الحاق اليابان بالعصر الحديث وبسرعة فائقة ، قد نجد عناصر تنفعنا نحن العرب ولها علاقة بأسباب نهضتنا المرتجاة . وتتيح لنا أن نسدد ديننا للزمن الحاضر .

المشاهدة على الطبيعة

□ وقد قدر لي أن أزور اليابان في وسط شهر نوفمبر الفائت ، وأن أعود لأؤكد أن ما تراه العين أعمق وأكثر أثرا مما تسمعه الاذن ، وما يستفاد من معاينة التجربة أشد وقعا مما يقرأ في بطون الكتب . الا أنني أسارع الى القول انه ليس بالضرورة أن ما تراه العين وما يستفاد من معاينة التجربة ، أكثر بهرا مما تسمعه الاذن أو يقرأ في بطون الكتب .

بل انني أعتقد أنه في حالة اليابان يبدو أن العكس هو الصحيح . فالانبهار بالتجربة اليابانية وعملية التحديث التي تبناها المجتمع الياباني وهضمها ، هو فيما نسمع ونقرأ ونتناقل ، أما الواقع فليس فيه من الانبهار شيء ، الانبهار بمعنى المعجزة واستحالة التكرار .

فما حدث في اليابان تجربة انسانية .. صحيح أن لها خصوصيتها ، ولكنها تجربة انسانية نستطيع أن نرى فيها نجاحات الانسان وفشله ، ضعفه وقوته .. وأيضا قدرته على التكيف .. تجربة يمكن أن تتكرر لدى شعوب أخرى إذا توفر لها العزم والتصميم ووضوح الرؤية . فإن كان للغربيين عذر في وصف المجتمع الياباني بأنه غريب وغامض ومقفل .. وذلك نتيجة ما حمله اليهم التاريخ الطويل الذي جعلهم ينظرون الى الشرق عموما بأنه غريب وغامض .. فإننا نحن أبناء الشرق الذين تجمعنا هوامش عريضة من التراث الشرقي ، يجب أن لا نقف أمام تجربة كهذه موقفا سلبيا ، وإن وقف بعضنا ـ تمشيا مع الغرب ـ ذلك الموقف !

أرض الشمس المشرقة وتعدد الآلهة

□ مجموعة من الأفكار الخاطئة تسمعها كأساس لعمليات تحديث اليابان.أول هذه الأفكار الخاطئة ـ وأهمها في نظري ـ هو قول القائلين ان اليابان واءمت بين الجديد والقديم ، المستحدث والموروث ، دون أن تتخلى عن الأخير . وذاك فهم خاطىء ، خاطىء من حيث تجارب الانسانية كلها على وجه الأرض وعبر التاريخ ، حيث أن عملية التثاقف بين الشعوب عادة ما تنصهر عناصرها بعضها مع بعض . كما يأتي مولود جديد له شبه الأب والأم والجدود ولكنه مخلوق متفرد له خصائصه الذاتية .. وكما في ذلك المولود فإن الأمر أيضا ينسحب على تجارب الشعوب ، وهو في تجربة اليابان بالذات واضح وجلي .

فالصينيون ـ وحضارتهم أقرب الحضارات القديمة الى جزر اليابان ـ قد تركوا أثرهم في حضارة اليابانيين ـ هذا الأثر واضح وبين الى اليوم .. من

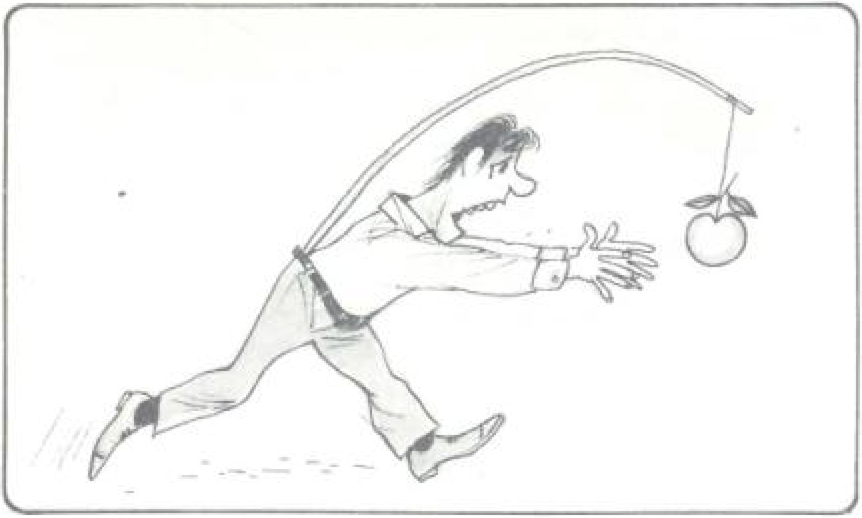

ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يتبناه اليابانيون من حروف صينية ، عدا ملامح كثيرة من عناصر الثقافة الصينية ، ليس أقلها بالطبع العقيدة الدينية ، التي كان من أثر انتشارها أن انتشرت الفنون والآداب الصينية ، ولمدة طويلة استمرت اليابان في تقبل التأثيرات الحضارية الصينية وتمثلها لتعيد انتاجها على نمط ياباني .

في ذلك الوقت كانت أرض الشمس المشرقة تعتقد بأن الحداثة والتقدم هو في تقليد الصين ، فلما انزوت الصين ، كحضارة وقوة ، حولت اليابان أنظارها في نهاية القرن التاسع عشر الى اوروبا ، ولا سيما الدولة البروسية . . فأصبح تقليد الألمان في كل شيء ظاهرة طبيعية في اليابان . ولقد توافق مع توجه اليابان الى اوروبا ، ان الأخيرة كانت في أوج عصرها الليبرالي . وكان النموذج الليبرالي هو ما اختارته اليابان . . وتم اقتباس العديد من المفاهيم القانونية والسياسية والبيروقراطية من النموذج البروسي ، بما في ذلك تنظيم مجلس الوزراء وكذلك الدستور الأول في اليابان في سنة ١٨٨٩ . وقد قاد هذا التشرب ، الى تكوين دولة عسكرية . ويقول بعض المؤرخين انه قد غاب عنها دور الزعيم ، ولو تم ذلك لتحولت اليابان الى دولة « فاشستية » على غرار ما كان في الغرب ، وفي ألمانيا النازية بالذات .

رغم عدم التماثل هذا ، فاليابان في تلك الفترة أصبحت قوة عسكرية لها أطماع في جيرانها ، مما دفعها الى دخول أكثر من حرب في بداية القرن العشرين .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وهزيمتها من الولايات المتحدة ، تحولت اليابان الى نمط جديد على غرار التنظيم والادارة الامريكية ، وأصبح تحقيق فكرة الديموقراطية كما تفهم في الولايات المتحدة ، هو المثل الأعلى للتنظيم الذي تبنته اليابان ، ووضع دستورها الجديد بعد الحرب تمشيا مع هذا التوجه .

وقاد ذلك الى محاولة تقليد الغرب حتى في الديانات ، فأصبح بعض اليابانيين مسيحيين ، وتمثل الشعب الياباني مظاهر الثقافة المسيحية في الأعياد والمواسم ، وان لم يتبنَّ العقيدة ذاتها . . !

اليابانيون اذن تمثلوا تجارب غيرهم وتبنوها ، ويقول لنا التاريخ - عن علاقة اليابانيين بالصين - (انه لم يسبق ان خطط شعب حر لاستيراد حضارة من شعب آخر كما فعل اليابانيون مع الحضارة الصينية) .

ان الاستعداد للتغيير هو جوهر الحقيقة هنا ، وقد كان هذا التغيير في بعض أوقاته عن اقتناع اعتقدت معه النخبة اليابانية انه لصالح اليابان ، كما كان هذا التغيير في أوقات أخرى مفروضا من الخارج .

هذا الاستعداد للتغيير والمواءمة ، حافظ على النسيج الاجتماعي الياباني ، وامتص هذا النسيج العناصر الجديدة وتوائم معها . . تغير معها وأثر فيها في نفس الوقت .

فرغم الاعجاب الأول بالحضارة الصينية ، وبعده بالحضارة الغربية في القرن التاسع عشر ، ثم أخيرا بالشكل الامريكي في التنظيم والادارة - رغم كل ذلك ، فقد نقل اليابانيون من حضارة الغير عناصر قوتها ، وطوعوا نسيجهم الاجتماعي للتغيرات التي فرضتها عليهم حاجتهم لمسايرة العصر .

الطبقية الاجتماعية

☐ أبرز ما يمكن ملاحظته في هذا الجانب ، ان الطبقية الاجتماعية اليابانية قد تحولت من شكل الى آخر ، دون ان يفقد النسيج الاجتماعي صلابته . ورغم كل ما أخذه اليابانيون من الصينيين ظلت الطبقية الاجتماعية الاقطاعية هي السمة البارزة للمجتمع الياباني حتى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، ولم يقبلوا فكرة « الامبراطور الدنيوي » التي كان الصينيون يأخذون بها . وظلت النظرة الى بيت الامبراطور الياباني على أنه البيت (المطل من اعلى السحاب) ، هو البيت المقدس . وفي إبان الحرب العالمية الثانية تحدثنا روث بندكت - عالمة الانثروبولجيا الأمريكية التي كتبت اكثر الكتب شهرة عن اليابان وهو (زهرة الأقحوان والسيف)* وقد

* هذا الكتاب كتبته الكاتبة بناء على طلب وزارة الحرب الأمريكية أبان الحرب العالمية الثانية واصبح كتابا ذائع الصيت وضروريا لفهم اليابان . والنسخة التي قرأتها اخيرا هي الطبعة الثامنة والثلاثون .

اخذت معظم معلوماته من سجناء الحرب اليابانيين . . تحدثنا الكاتبة ان كل من استجوبوا من أسرى الحرب اليابانيين في جميع المواقع كانوا يرفضون ان يذكروا الامبراطور بسوء ، فهو مقدس ، وفوق النقد .

في التنظيم التقليدي الياباني قبل منتصف القرن التاسع عشر ، كان الولاء (للشوجن) الاقطاعي الأكبر ، و (الديموز) الاقطاعي المحلي ، ولاء لا يرقى اليه الشك من قبل الفلاح الياباني . كما كانت الطوائف (وهي على الترتيب من اعلى : المحاربون ، والمزارعون ، والصناع ، والتجار ، ثم ما دون ذلك من عامة) هي ميزة المجتمع الاقطاعي الياباني المتوارثة ، حتى ان كل رئيس عائلة في هذه الطائفة او تلك كان عليه ان يضع شبه اعلان امام منزله مبينا انتماءه الى هذه الطبقة او تلك ، وتمشيا مع هذا التراتب الاجتماعي كان يعتمد الثياب التي يلبسها ، ونوع الاكل الذي يمكن ان يشتريه ، بل نوع المنزل الذي يمكن ان يعيش فيه .

التجار والعاملون بالتجارة كانوا فوق العامة في اسفل السلم الاجتماعي . . وذاك يفسر التناقض بين (الاقطاع) والعمل التجاري ، وكلما تقدمت التجارة تآكل الاقطاع . تلك تجربة التاريخ الاوروبي وهي كذلك تجربة التاريخ الياباني . ولقد كانت أكثر الفئات الاجتماعية اضطهادا في العصر الاقطاعي الياباني هي فئة التجار . فقد كان الاقطاعيون الكبار يبالغون في القسوة على هذا القطاع سواء في فرض الضرائب او وضع التنظيمات ، الى درجة تحديد حجم سفنهم التي ينقلون فيها البضائع الى الخارج . المزارعون والمحاربون فقط كانوا طبقتين مناسبتين للاقطاع .

والمرونة الاجتماعية أيضا . .

☐ رغم مظاهر القطيعة في هذا التركيب الاجتماعي ، الا ان المجتمع نفسه كان يحمل بذور المرونة في التحول من شكل الى آخر ، وكانت هناك حقوق تعطى لكل فئة اجتماعية . وحتى العامة كانت لهم حقوق احتكار بعض المهن ، وقد كان من حق المزارعين مثلا ان يظهروا شكواهم وتذمرهم من الاقطاعي ، وكان يحقق لهم بعضا من مطالبهم . . ولكن بعد ان يجري اعدام قيادة المطالبين بالاصلاح ! ، كما ان نظام (الرهائن) من ابناء الفلاحين لدى الاقطاعي عمل متعارف عليه لضمان ولاء الآخرين المطلق . المرونة تظهر في مظهر آخر حيث كان يمكن للانسان ان يغير طبقته ـ وليس الامر كذلك في الهند حيث النظام الطبقي الصارم ـ فالتغير في النظام الطبقي الياباني التقليدي ممكن دون صراع ، عندما يصبح لدى التاجر ما يكفي من المال الذي يمكنه من امتلاك الارض عن طريق التأجير فيتحول الى اقطاعي . وكان هناك طريق آخر لتغير الفئة الاجتماعية هو طريق التبني ، ويمكن شراء

وضع « المحارب » عن طريق تأجير عائلة من طبقة المحاربين لابن أي تاجر أو تزويجه من ابنة محارب .

ومازال التبني يتم في اليابان حتى اليوم عن طريق تزويج البنت من شاب يتوسم الأب فيه خيرا ، فيعطيه ابنته واسمه ايضا .

لذلك فان تحول النسيج الاجتماعي من إقطاع الى مجتمع برجوازي حديث ، تتحكم فيه فئة عليا من أصحاب المال والأعمال ، كان تحولا سلميا . وعندما ظهرت السفن الامريكية على شواطيء اليابان بقيادة الكابتن ماتيوز بري في سنة ١٨٥٣ ، لم تكن اليابان في حقيقة الأمر مجتمعا مغلقا متخلفا ، بل كانت مهيأة لتقبل التغيير اجتماعيا ، وكانت بها فئة معقولة على علم بما يجري في الغرب .

لذلك فان صيحة اليابانيين بعد أن وجدوا أرضهم تتعرض للغزو من طلائع الحضارة الغربية الحديثة ، كانت هي « الصحوة » و « البعث » والرجوع الى العصر الذهبي تحت شعار (احفظوا الامبراطور ، والموت للبرابرة) .

الإنتصار على الغرب

□ هذه الاصلاحات الاقتصادية والقانونية التي اخذها اليابانيون على عاتقهم مقلدين الغرب من اجل الانتصار عليه - والتي امتدت بين منتصف القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الثانية - قد واكبتها اصلاحات اجتماعية ايضا . فأصبحت العائلة ومعايير القرابة هي امتداد للولاء السابق ، ولكن ولاء هذه المجاميع للاقطاعي تحول للامبراطور . واصبح « الشعب » بمعنى « القوم » ، وأهمية اتخاذ موقعه تحت الشمس هو القيمة العليا لليابانيين ، واصبحت القومية والتركيب الاجتماعي ولغة الاحترام المتبادلة بين الاصغر والأكبر في خدمة المصلحة العليا للوطن .

لغة الاحترام بين اليابانيين أصبحت تعتمد على السن والجنس والوضع في العائلة . وفي العائلة يتشرب الياباني الصغير منذ نعومة اظفاره احترام من هم أسن منه ، وحتى وهو في مهده تدفع الام رأس طفلها الى اسفل امام والده او اخيه الاكبر إظهارا للاحترام . . !

هذا التركيب الاجتماعي الجديد في مظهره القديم في فحواه ، جعل من المجتمع الياباني مجتمعا عسكريا صارما في الفترة الواقعة بين الاصلاحات الكبرى في منتصف القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الثانية ، وجعله ايضا مجتمعا متجانسا في العصر الديمقراطي الحديث .

والايمان بالدولة في الفترة الأولى ، وبأنها لا تنهزم ، تنقله لنا روث بندكت ، في كتابها الذي اشرنا اليه سابقا ، بقولها (ان الأسرى اليابانيين لم يكونوا يصدقون ان بلادهم يمكن ان تهزم ، أو حتى أن يقعوا اسرى في أيدي العدو ، وكان عدد الأسرى ضئيلا جدا ، وكان البعض منهم يتحول الى « متعاون » بعد وقوعه أسيرا) . . وتفسير الظاهرة الأخيرة هو أن الياباني لا

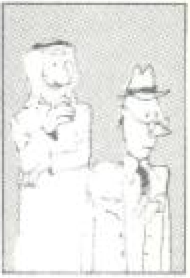

يفعل ذلك خيانة منه ، ولكن لأن معتقداته التي بنيت بشكل قطعي على النصر قد تحولت الى هزيمة نفسية .

وبعد الحرب تحول هذا التركيب الاجتماعي التقليدي من معايير القرابة والعائلة الى معايير (الانجاز) . فأصبحت العائلة تعني شيئين : العائلة الصغيرة (النواوية) التي أصبحت اليوم هي السائدة في المجتمع اليابانى المعاصر ، وكذلك تعني شيئا آخر هو « الشركة » او « المصنع » الذي يعمل فيه الفرد .

واصبح العمل هو المعيار الاهم الذي يشكل الرابط الجديد للنسيج الاجتماعي الياباني . وحيث قيم الاحترام والتبجيل « للعمل » و « الوطن » .

وهناك كتاب حديث كتبه ياباني ، لم يكن مقبولا لدى اليابان الى درجة فصله من عمله كسفير وهو (اهيرو كواساكي) ، في هذا الكتاب الذي سماه مؤلفه (سقوط القناع الياباني)* - يقول عن قيمة العمل لدى الياباني المعاصر (إن العمل والحياة خارج العمل كما يفهمها الغربي ، ليست موجودة عند الياباني ، وليس هناك خط فاصل يحدد أين ينتهي العمل وتبدأ الحياة ، فان كان الموظف الياباني في مكتبه لم ينجز عمله في اوقات الدوام فانه يبقى في مكتبه حتى يتم انجازه ، بصرف النظر عن توقيت العمل نفسه ، وربما يأخذ اوراق العمل الى المنزل لينهيها حتى لو كان ذلك في ايام العطل) .

التركيب الاجتماعي الياباني اليوم هو نخبة حاكمة وشعب معظمه من الطبقة الوسطى يستخدم العلاقات الاجتماعية من الطاعة والاحترام وتقديس معايير الانجاز في انسجام اجتماعي لصالح المؤسسة الاقتصادية .

* * * *

مما تقدم نستطيع أن نثبت قضيتين هامتين يمكن ان تكونا منارتين لفهمنا للتجربة اليابانية من منظورها الاجتماعي والقيمي :

الأولى : ان العلاقات الاجتماعية في اليابان ليست ثابتة وجامدة ولكنها متحولة لتقبل الجديد وللتطوع بمرونة معه .

والثانية : ان اليابان تقبل على الجديد وتهضمه بشكل مخطط وواع ولا تقف امامه بدعوى أنه مجلوب من الخارج .

الخبرة الوطنية

☐ مع الدروس الهامة الأخرى في التجربة اليابانية هناك ما يمكن تسميته (بالخبرة الوطنية) هذا الدرس هام بالنسبة لنا نحن في الوطن العربي ، ويتلخص هذا المفهوم في أن الخبرة الحديثة تقنية كانت أو قانونية أو اقتصادية أو في أي اطار آخر ، هي في الغالب نتاج العقل والعمل الحديث في الغرب ،

---

* هذا الكتاب اعتبره اليابانيون صارما وخارجا عن التقاليد اليابانية لأنه تعرض لامور يابانية خاصة في الحياة والعمل والاخلاق .

وحتى تنقل هذه الخبرة لابد من عنصر وطني (محلي) لفهمها واستيعابها ثم نقلها الى المجتمع .

وما فعله اليابانيون في هذا الاطار أصبح معروفا للعالم . فهم قد أرسلوا الوفود الطلابية والبعثات العلمية لتنهل من العلم الحديث ، وعلى هذه الوفود بعد عودتها الى الوطن اعتمدت تجربتهم في نقل التحديث .

الفارق واضح هنا بين هذا التوجه وبين استخدام الخبرة الانسانية الاجنبية في صورة بشر مجلوبين من الخارج لتقييم او وضع برامج التنمية ـ كما يحدث في كثير من اقطار العالم الثالث ـ هؤلاء الأغراب ولو تسلحوا بالخبرة التقنية والفنية في مجال تخصصهم يفتقدون فهم الواقع المحلي الاجتماعي والثقافي ، فهم في الحقيقة يحصلون على بعض من هذه الخبرة من السكان المحليين ، وتأتي توصياتهم صورة مكررة لما خبروه في مجتمعاتهم .

اما الخبرة المحلية التي اعتمد عليها اليابانيون فهي تقوم على ابناء اليابان انفسهم الذين توفرت لهم الخبرة الجديدة وجعلوها توائم متطلبات مجتمعهم . ولم يخضعوا لما سماه بعض الصحفيين العرب (عقدة الخواجة) التي اخذت اكثر من مظهر في نطاق محاولات التحديث والتنمية العربية .

● ● ● ●

تجربة اليابان التحديثية ليست بعيدة عن متناول اليد والعقل العربي ، فهي ملخصة فيما ذهب اليه كثيرون من المفكرين العرب ـ وعلى سبيل المثال : زكي نجيب محمود عندما قال ما معناه : (ان سمة العصر هي العلم والتقنية ، وعلينا صب هذا المضمون في وعاءين من عندنا : الوعاء الأول هو اللغة ، فتنقل اليها نتاج العصر الفكري ، ويصبح هذا النتاج عربي القسمات والملامح ، والوعاء الثاني هو قواعد السلوك العامة من تشريع وخلافه وموروثات اجتماعية . واذا تعارضت هذه الموروثات الاجتماعية مع ما تقتضيه علوم العصر على اختلافها وجب الابقاء على علوم العصر وتجاوز تلك الموروثات الاجتماعية) .

التجربة اليابانية تقول لنا بما لا يقبل الشك ان الموروثات الاجتماعية في غالبيتها محايد، بل ويمكن استخدامها لتأكيد علوم العصر ، وهكذا بالنسبة للموروثات الاجتماعية العربية .

ليست هناك إذن قوانين نهائية تقف امام التقدم في اي نسيج اجتماعي ، انما الذي يقف امام التقدم ما يختزنه البعض في عقولهم من فهم خاطىء للحاضر ومتطلبات العصر . . فهل ندفع ديننا للزمن المعاصر عن طريق فهم تجارب غيرنا فهما علميا واضحا والاستفادة من دروسه في وعاء عربي وبأيد عربية ؟

ذلك ما نرجوه .

محمد الرميحي

من قضايا الاسلام والعصر :

آفاق الاجتهاد

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

أمامنا أكثر من طريق في عرض هذا الموضوع :
أولا : أن نبدأ بالاجتهاد وتعريفه وشرعيته وضرورته ، وانه المصدر الثالث في التشريع بعد القرآن والسنة النبوية ، ونذكر أدلة ذلك وآراء الفقهاء فيه ، ثم ننتقل الى العصر الحاضر ، مناقشين ما أثير حول باب الاجتهاد وغلقه وفتحه ، والمشكلات التي علينا أن نقابلها الآن .
ثانيا : أن نبدأ بالمشكلات : ذلك أنها التي تدعو الى الاجتهاد ، وهي التي تفرض نفسها علينا فرضا ، وتفاديها أو التهرب منها ، انما هو تهرب من واقع الحياة التي نحياها والعصر الذي نعيش فيه . ولا يملك الدين وعلماؤه الا أن يحملوا مسئولياتهم ، جامعين بين فهم الاسلام عقيدة وشريعة ، وبين فهم العصر ، واقامة الجسور التي يمكن أن يعبر عليها العالم الاسلامي الى غده حاملا نور الشريعة ، ، قادرا على السير في دروب الحياة المتشابكة وتياراتها المتدافعة .

الافق الاول

وقد آثرت سلوك المنهج الثاني ، وفيه نعرض آفاق الاجتهاد التي يفرضها علينا سير الحياة في تدفقه الذي لا ينتظر أحدا ، وانما علينا أن نلقاه ، وأن نشارك فيه ، وأن تكون لنا القدرة على صياغة حياتنا الدينية والفكرية ، صياغة مبدعة مثمرة .

وأبدأ بالأفق الاول ، وأعود فيه الى سنوات مضت عندما كنت في زيارة لأمريكا اللاتينية ، حملتني فيها مسئوليات العمل الى البرازيل والارجنتين ، ولقيت

جاليات إسلامية في ريو دي جانيرو وساوباولو وكوروتيبا وبوينس آيرس .. ودار بيننا أكثر من حوار ، فتح الأخوة هناك فيه قلوبهم ، وعرضوا أفكارهم ومشكلاتهم في صراحة وألم ..

ولنستمع الى قولهم ، فمن حقهم أن يقولوا ، وعلينا أن نسمع ، ولنا جميعا أن نتحاور ، ونطرح المشكلة أمام أهل العلم .. وأقصد العلم في أوسع مدلولاته : علم الدين ، وظروف البيئة التي يعيش فيها إخواننا هناك ، وأبعاد المشكلات التي يقابلونها .

قالوا : أكثر رجال الدين الذين يزوروننا يأتون من المشرق الاسلامي ، رجال عاشوا في عواصم إسلامية ، يسمعون الأذان في اليوم خمس مرات ، ويسمعون القرآن ويقرءونه ، ويتحدثون العربية بطلاقة ، وصفوة القول أنهم يعيشون في ديار هي مهد الاسلام وموطنه .

ونحن نعيش هنا في أطراف الدنيا ، اذا كان للدنيا أطراف ، نعيش في أقصى الأرض ، إذا كانت نظرتنا الى ديارنا المقدسة كأنها في المركز . وكم نكون سعداء لو استطاع أبناؤنا ـ الذين ولدوا في هذه الديار ـ أن يحفظوا فاتحة الكتاب وقصار السور ، وأن يؤدوا الصلوات الخمس ، ويصوموا رمضان . . .

إن أحدنا يعيش وكأنه صورة حية لقول المتنبي وهو يصف شعب بوّان ، فلم تصرفه مغاني الشعب وخضرتها وزهورها عن إحساسه ـ وهو العربي ـ بالغربة فقال :

ولكن الفتى العربي فيها
غريب القلب واليد واللسان

ولكن أبناءنا لا يحسون الغربة في هذه البلاد ، ففيها ولدوا وكبروا ، ولهم فيها أصدقاؤهم وجيرانهم .. يعيشون كما يعيش من حولهم .

وعندما يزورنا أحد رجال الدين يسأله الأبناء عن كثير مما يصادفون في حياتهم اليومية .. فلا يسمعون من الضيف إلا كلمة واحدة : هذا حرام .. هذا حرام !!

وفي يوم التقيت مع رجل الدين ـ هكذا قال صاحبي الذي حدثني هناك ـ وقلت له :

يا مولانا . هل تظن ان الله سيحاسب على الاسلام سكان ساو باولو وبيونس ايرس ، كما يحاسب سكان مكة والمدينة ودمشق والقاهرة ؟ لم يسألك الأبناء عن شيء من حياتهم اليومية إلا قلت : هذا حرام .. هذا حرام ..!!

انهم لا يستفتونك في خمر يشربونها ،ولا في محرّم يأكلونه ولكن في تزاور مختلط ،وفي جلسات عائلية تضم أبناءنا جميعا ليتعارفوا ،وفي جامعات تضم الأبناء والبنات .وفي شيء من التيسير في الملبس أو التجمل في الخروج .. وكثير من هذا يحدث عندكم في المشرق الاسلامي وتسير به حياتكم ، أو تتعايشون معه .

يا مولانا : مما أحفظ من حديث النبي عليه الصلاة والسلام .. « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » . .

(رواه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة)

والاولاد ـ والحمد لله ـ لا يؤذون أحدا ، ولا يقربون الحرام . ولكن الحياة هنا غير الحياة عندكم .. اجمع لي ياسيدي كل الحلال الذي تعرفه وضعه في قائمة ، وسننظر معا هل يستطيع أولادنا أن يصوغوا حياتهم به ؟ فإن كلمة حلال لم ترد على لسانك إلا قليلا ..

وعدت من امريكا اللاتينية ، وهذه المعاناة حية في خاطري وقلبي . وسؤال الصديق يتردد : هل يحاسب الله أهل هذه الديار القصية ، وذلك الجيل الناشيء هناك ، كما يحاسب أبناء الاسلام الذين عاشوا في ديار الاسلام ؟ الا يحتاج هؤلاء الى من يَدْرسُ معهم أسلوب حياتهم ولا يكتفي بأن يقول الفتوى ، ثم يطير .. عائدا الى بلاده ، تاركا القوم هناك بين نارين : الاحساس بالذنب ، والحرمان من الدعوة المستنيرة ؟؟

الافق الثاني

ومن هؤلاء أنتقل الى الأفق الثاني ومشكلاته في غرب أوروبا والولايات المتحدة وكندا ، ذلك العالم الغربي المتقدم ، الذي استطاع أن يجتذب عناصر متفوقة من أبنائنا .. وإذا كانت الطلائع الأولى من المهاجرين المسلمين ، لم تستطع أن تؤكد وجودها الجماعي في تلك الديار ، فإن كثرة المهاجرين من بعدهم وقدراتهم على التقارب السكنى من ناحية ،

والتعاون المهني من ناحية اخرى ، وتوفر فرص الاستقرار والكسب والتفوق أمامهم ، كل أولئك جعل من هذه الديار (مواطن دائمة) لجاليات إسلامية آخذة في التكاثف ، والقدرة على مد جذورها في الأرض الجديدة ، والرغبة في الاستقرار هناك .

وهم يقابلون ـ على الاقل ـ مشكلتين أساسيتين :

أما الاولى عندهم ـ وهي الأخطر ـ فهي الأبناء .. الأبناء الذين يعيشون الحياة الجديدة معيشة كاملة في المدرسة والنادي والحديقة العامة ، ويتعاملون في حياتهم اليومية بلغة البلاد التي يعيشون فيها ، ويشعر الأولاد أن التكاليف الاسلامية (طارئة) على هذه الحياة الجديدة : لماذا الصلاة في هذه المواقيت ؟ ولماذا الصوم ، وكل زملائي يأكلون في أي وقت ؟ وما الذي يستفيده الدين من جوعي وحرماني ؟ ولماذا لا أحفظ معاني القرآن وأكتفي بأقل القليل من الكلمات العربية ؟

بعض الآباء آثر العودة بالأبناء إلى ديار الاسلام ، والمشكلة مع البنات أشد ، وتركوا حصيلة عمرهم هناك من الجهد ، والمنصب الذي وصلوا إليه بالعرق والسهر والجدية المضنية ، التي لا يعرفها إلا من كابد حياة الصراع هناك . عادوا لأنهم لم يستطيعوا أن يقاوموا مَدَّ الحياة وموجها وتدافعها هناك . ولكن هل تَرْكُ هذه البيئات المتقدمة هو الحل ؟ وتَرْكُها لمن ؟ نحن نعلم كيف أفاد آخرون من هذه البيئات الجديدة . تلك عناصر أصبحت دعما لأوطانها ومدداً علميا واقتصاديا ، وركائز تعين على مزيد من الهجرة . هل أتحدث عن المهاجرين الأسيويين ، إذا كان الحديث عن الأجناس ؟ وهل أتحدث عن المهاجرين اليهود إذا كان الحديث عن الأديان ؟ وصلة هؤلاء وهؤلاء وأنشطتهم ؟

ان (اليهودي) في هذه المناطق الجديدة لا يفقد هويته الدينية . وهو ـ في الأغلب ـ مزدوج الولاء ، وهناك خط عاطفي يربطه باسرائيل ، وعلاقات منتظمة ، عن طريق منظمات راسخة القدم ، منتشرة الفروع ، فكيف حافظ هؤلاء على هوية أجيالهم الجديدة ؟ وكيف نظموا حياتهم اليومية ، وشعائرهم الدينية ، وتقاليد يوم السبت ، وملابس وأدوات العبادة ؟ وكيف نظموا التواصل بين الأجيال والتعاون المالي والعلمي بينهم ؟

كل هذه مسارات في هذا الأفق تحتاج منا الى دراسة عميقة ، وتجارب ورصد للنتائج وتطويرها .

ويأتي جانب آخر هناك : هو أسلوب التلاؤم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للراشدين والمنظمات الاسلامية ، والذي أعلمه أن الاخوة هناك يبذلون الكثير من الجهد العلمي في تحديد أبعاد حياتهم ، والكثير من الجهد العملي في تطبيق ذلك . ونرجو ألا نحمل إليهم بعض الآفات الفكرية من العالم الاسلامي .. آفات الفرقة والمذهبية والحساسيات الطائفية والصراعات التي جعلت من بعض أبنائنا على الآخرين قضاة يحكمون في الدماء ، ويغفلون الأحكام ، والتي أوجدت أخاديد الدماء بين الحكام والمحكومين ، وحفرت بينهم خنادق الشك وسوء الظن .

هناك اجتهادات على مستوى الراشدين ، واجتهادات من أجل الأجيال الجديدة ، وأتحدث عن الاجتهادات هنا بأوسع مدلولاتها التي تشمل صياغة الحياة الجديدة في مواطن جديدة لأجيال جديدة .

الأفق الثالث

وهناك أفق ثالث يتحدى أكثر من دين ، بل أكثر من قانون أخلاقي . وترجع قصته الى نهايات الحرب العالمية الثانية ، عندما ألقت الولايات المتحدة قنبلتها الذرية الأولى على هيروشيما في ٦ أغسطس ١٩٤٥ ، وفي ٩ أغسطس على نجازاكي في اليابان .

واستسلمت اليابان ، وانتهت الحرب العالمية في ١٤ أغسطس ١٩٤٥ .

يقول المؤرخ العالمي أرنولد توينبي : لقد أخرج الانسان المارد من القمقم ، وأصيب الدين بضربة قاضية ، وأصبح العلم ملاكا وشيطانا معا .

كان النظر الى العلم من قبل ، كأنه كشف وفتوح .. أما بعد الحرب العالمية الثانية ، فاشتد ارتباط العلم بالسياسة والحرب . وأصبحت المعرفة سلاحا داخلا في استراتيجية الدول الكبرى ، واتجهت الكشوف العلمية إلى آفاق جديدة من حروب الجراثيم أو الحروب البيولوجية .. ومع اتساع آفاق العلم في اتجاهين : في أعماق الفضاء الخارجي ، وفي أعماق الخلية والذرة .. ظهرت أسلحة الفضاء

الخارجي ، وتجارب التحكم في الخلية ، وهندسة الوراثة ، واصطناع افراد من البشر بمواصفات محددة ، والافادة من الأرحام الخصبة في حمل جنين أم اخرى ، فتكون إحداهما أما بالبويضة المخصبة ، والثانية أما بالحمل .. ومع القدرة على التحديد العلمي لمواصفات في الأجنة ظهرت مشكلات التخلص من الجنين المشوه ، ومدى سلطة المجتمع أو الابوين في تقرير مصيره .

كثيرة هي المشكلات التي أفرزتها هندسة الوراثة وعلوم الحياة في مدلولها الواسع .

ويكفي أن نشير الى الندوة العالمية التي شهدتها مدينة فارنا / بلغاريا في يونيو ١٩٧٥ ، والتي أصدرت عنها منظمة اليونسكو كتابا عام ١٩٧٨ ، أشرف عليه الاستاذ برونو رايبس وعنوانه : « علم الحياة والاخلاق » وما تتابع بعد هذا من ندوات شارك فيها أكثر من هيئة عالمية وعلمية متخصصة تدعو الى دراسات مكثفة . وحوار بين العلماء من ناحية ، ورجال الدين والاخلاق من ناحية اخرى ، لوضع ميثاق أخلاقي عالمي ، يوضح الاطار العام للعلاقة بين هذه الآفاق العلمية ، وبين الدين والاخلاق .

واذا كان هذا مطلوبا على الصعيد العالمي ، فإن أصحاب كل دين ـ وعلماءه ورجال الدين فيه ـ مدعوون الى دراسة تخص دينهم في هذا الامر .

وأعود فأقول :

إن هذا ضرورة وفريضة . وعلينا أن نواجه هذه المشكلات مواجهة علمية دينية واعية ، وأن يكون لمجتمعنا فيها قول مبني على دراسات أصولية وموضوعية .

الأفق الرابع

ومن الافق العالمي انتقل الى الافق الاسلامي في شموله ، والى الاقطار الاسلامية في خصائصها الحضارية .

وليس أيسر من ان تغلق عليك بابك وتدور في دائرة ضيقة من الأفكار ، تظن أنها الحياة وأنها الخير .. وليحدث في الدنيا من بعدك ما يحدث !!

الذين أغلقوا الأبواب ، واتخذوا الصوامع والأديرة والخانقات والخلاوي والمغارات والكهوف ورؤوس الجبال .. هؤلاء كثيرون منتشرون في طول التاريخ وامتداد الارض . وكل دين شهد صنوفا من هؤلاء الذين تركوا الحياة الدنيا فرارا الى نعيم ، أو خلود روح ، او صعوداً بها الى مستوى الاتحاد بالوجود الكلي ، كما تصوره بعض الاديان .. والحديث ليس موجها الى هؤلاء ..

ولعل من أهم خصائص الاسلام الحضارية ، أن دولته تكونت والوحي ينزل وقبل أن ينزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة : ٣) وقوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (البقرة : ٢٨١) . كانت للاسلام في المدينة دولة ، لها قائدها ونظامها الداخلي وعلاقاتها الخارجية وهذه الخصوصية لم يشهدها دين آخر .

فالاسلام ـ من اول يوم ـ لم ينعزل عن الحياة : اتخذ نظام الدعوة الخاصة ثم العامة ، وتحمل الأذى ، وكون قاعدته في المدينة ، ومنها استرد مكة وطهرها من الأوثان ، وانتشر في الجزيرة العربية . ومنها الى المشارق والمغارب ، برا وبحرا .

وقابل علماؤه مشكلات الحياة المتجددة بالقرآن الكريم ، والسنة المطهرة وبالاجتهاد .

ولم يتوقف هذا المد المبارك الا عندما وجد العلماء أنفسهم في مأزق حرج ، لا يطلب السلطان منهم الفتاوي إلا لاستباحة أوقاف محبوسة على الفقراء ، تتطلع إليها أعين الولاة الطامعة . وقد شرح هذا الامر بإفاضة السيد محمد رشيد رضا في كتابه (يسر الاسلام) .

طبيعة الاسلام أن يتقدم ، وأن ينظر الى غد بنور من الكتاب والسنة ، مهتديا بهذا التراث الضخم من الفقه والتشريع .

فالاسباب التي دعت بعض العلماء الى القول بإقفال باب الاجتهاد ، كانت أسبابا اجتماعية اقتصادية سياسية ، ولم يكن هذا عن ضعف فيهم أو عجز .. وإنما حماية لما بقي من أموال أصحاب الحقوق ..

ويقول الشيخ محمود شلتوت - شيخ جامع الأزهر - في كتابه : الاسلام عقيدة وشريعة ص ٥٥٥ « واذا كان من أسس الاجماع اتفاق النظر في تقدير المصلحة - وهي مما يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والاحوال ، فإنه يجوز للمجتهدين أنفسهم ، أو لمن يأتي من بعدهم - إذا تغيرت ظروف الاجماع الاول - أن يعيدوا النظر في المسألة في ضوء الظروف الجديدة . وان يقرروا ما يحقق المصلحة التي تقتضيها تلك الظروف ، ويكون الاتفاق الثاني إجماعا منهيا لأثر الاجماع الأول ، ويصير هو الحجة التي يجب اتباعها ، واذا وجدت المصلحة فثم شرع الله » .

وفي هذا الباب الذي عقده الشيخ شلتوت بعنوان (الرأي والنظر) دراسة لجوانب الاجتهاد ، يمكن الرجوع اليها في كتابه الذي سبقت الاشارة اليه .

والمتغيرات في المجتمع الاسلامي الآن كبيرة : اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعلميا وتربويا . . وتسطيح المسائل ، وتبسيط الحلول ، واقتراح الاقراص الصغيرة التي تقابل أمراضا كثيرة . . لم يعد مقبولا مع تسارع الحياة وتفتح الاجيال الجديدة .

ما موقف علمائنا من القضايا الاقتصادية المطروحة الآن ، وعلاقة أو علاقات الاقتصاد في الأقطار الاسلامية ، بالاقتصاد العالمي ؟ ما النقاط التي يلتقون فيها والتي يتمايزون ؟ قل مثل هذا عن أنسب الاساليب للشورى ، وتحقيق الارادة الشعبية المعبرة عن مصالح أوسع القطاعات وأولاها بالرعاية ؟

وكيف يمكن أن يتوفر (الأمن الفكري) لكل من العلماء ورجال الدين والأخلاق ، ليتحاوروا ، دون ضغط ولا خوف ولا إكراه .

أحيانا ، وفي بعض الاقطار والعصور ، نحس أن السلطان قد يضع الكلمة في فم العالم ، وقد يحرك في يده القلم . . ورحم الله ابا العلاء المعري في قوله :

تلوا باطلا ، وجلوا صارما
وقالوا صدقنا ، فقلتم : نعم !!

لا نستطيع ان نطلب من كل عالم في كل عصر أن يصبر الصبر الطويل ، ويتحمل الأذى المضني . . وإن كان هذا هو المأمول . . وخير من ذلك وأقرب أن يكون التشاور بالحسنى في جو من الاخاء وفي ظل من العدل والأمن .

كما انه لا داعي لأن نصف العالم بالمروق أو الزندقة ، إذا ما لم يقل ما كان ينتظر منه ، من موافقة لهوى يتوخاه الذين كلفوه بالبحث .

وكم شهدت أرض الاسلام من علماء قاسوا العذاب فترات من حياتهم وامتحنوا . . ثم رفعهم الاسلام بعد هذا إلى مصاف الأئمة المتبوعين . .

تلزمنا في مرحلة الاجتهاد والحرية سعة أفق وهدوء في العرض والرد . يلزمنا (أدب الحوار) وفي جوه السمح نستطيع أن ندرس الكثير وأن نصل الى كثير . . هل أتحدث عن الموقف من الفنون الجميلة ؟ هل أتحدث عن العمارة الاسلامية ؟ هل أتحدث عن تخطيط المدن لتكون صورة حية تستطيع أخلاقيات الاسلام أن تعيش فيها وأن تنمو ؟ هل أتحدث عن التطوير الشامل لنظم التعليم وهندسة بناء الشباب المسلم الذي يستطيع أن يحمل مسئوليات المستقبل . . ؟

خاتمة

كنت أود أن أبسط القول في مشكلات الشباب الاسلامي وموقعه بين الأصالة ومتغيرات الحياة ، فهذا أفق على درجة كبيرة من الاهمية . . ولكن ما سبق القول فيه ، يمس الشباب من جوانب متعددة .

واعتقد أنه قد آن الأوان أن توضع هذه القضايا على مائدة البحث ، وأن تتحدد المسئوليات وأن يخطط لها ، وأن توضع لها البرامج والمراحل ، التي تستطيع أن تستقطب جهود العاملين ، فلا تضيع في صراعات داخلية ، ولا مناقشات لفظية ، ولا قضايا فرعية ، وإنما يتجه الاجتهاد - بقدر ما نستطيع - نحو صياغة الحياة الجديدة التي نستخلص فيها أرضا ، ونحرر ديارا ، ونبني قاعدة علمية وشبابا ، ونوقف النزيف الداخلي بين أبناء العروبة والاسلام ، ليكون لوجودنا في هذه الحياة اعلى مردود مستطاع . □

اسْرائيل والسّلاح النّوَوي

بقلم : الدكتور عبدالرحيم حسين

أخذ الحديث عن امتلاك العدو الصهيوني للقنبلة الذرية مناحي شتى ، وارتبط هذا الحديث دائما بتعاون العدو مع دول أخرى في هذا المجال ، كما ارتبط بتأكيد امتلاك العدو لهذه القنبلة تارة ، وبامكانية العدو التقنية على انتاجها تارة اخرى . فأين هي الحقيقة ؟

في غياب معلومات مؤكدة ـ سواء أكانت هذه المعلومات من العدو نفسه أم من مصادر دولية أخرى ـ يظل الحديث عن هذا الأمر خاضعا للجدل وللقناعات الشخصية ، ويظل حسمه من مسؤولية المصادر السياسية والعسكرية العليا . وليس الحديث هنا غير طرح الأمر للمناقشة استنادا الى ما هو متوفر من معلومات .

يستفاد من المعلومات التي نشرها لويس دين في كتابه « تخطيط الدفاع الأميركي لانتشار الأسلحة النووية » وأصدره معهد هدسون عام ١٩٧٩م . « بأن اسرائيل لديها القدرة على بناء مفاعل نووي لانتاج البلوتونيوم بطاقة ٢٠ قنبلة ذرية سنويا منذ عام ١٩٧٥ ، وما زالت هذه القدرة متوفرة ، كما أن لديها القدرة على انتاج اليورانيوم المخصب Enriched في عام ١٩٨٠ » . كما يستفاد من معلومات جوزيف ياجور في كتابه « منع انتشار الأسلحة النووية وسياسة أميركا الخارجية » الذي نشره معهد بروكنجز عام ١٩٨٠ :

« ان اسرائيل لديها مفاعلان نوويان للبحوث : الأول بطاقة ٥ ميجاواط حراري لانتاج اليورانيوم المخصب ، والثاني طاقته ٢٦ ميجاواط حراري لليورانيوم الطبيعي . كما يرى المصدر نفسه أن لدى اسرائيل مفاعلا لانتاج الماء الخفيف قدرته ٩٥٠ ميجاواط كهربائي ، تنتهي من انشائه في منتصف الثمانينيات » .

التعاون مع فرنسا

لم يحقق العدو نتائج ملموسة في مجال البحث النووي ، الا بعد الاتفاق الفرنسي الاسرائيلي على برنامج لتبادل المعلومات سمح بموجبه لاسرائيل في عام ١٩٥٣ بالاطلاع على البرنامج الفرنسي للبحوث النووية ، ثم بمشاركة بعض العلماء الاسرائيليين كمراقبين في اجراء التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الكبرى .

ومنذ اعلان الثورة الجزائرية وتأييد الأمة العربية لها وتحمُّل مصر بقيادة جمال عبدالناصر مسؤولياتها القومية نحو هذه الثورة ، تعزز التعاون النووي بين فرنسا واسرائيل ، انطلاقا من تصنيف الأمة العربية

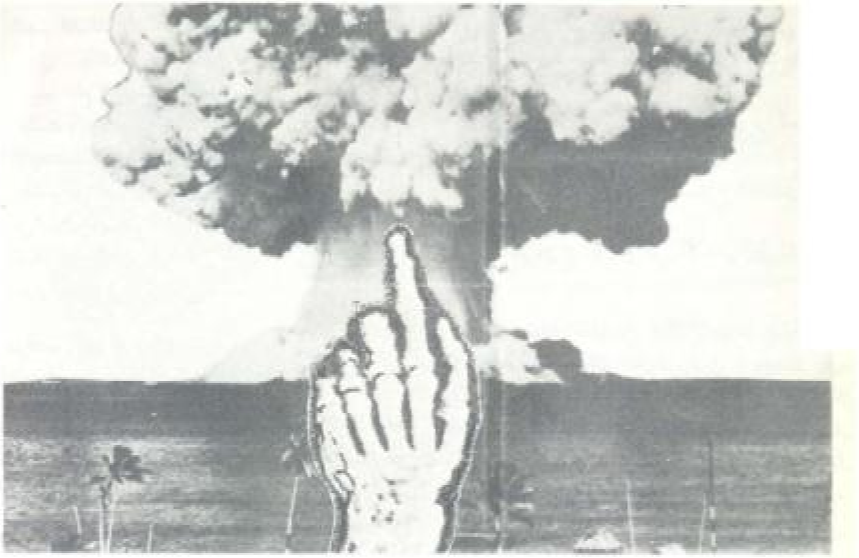

كعدو مشترك لكل من فرنسا واسرائيل .

وكان أبرز ما حققه هذا التعاون هو تزويد فرنسا لاسرائيل بمفاعل ديمونا الذري في اكتوبر عام ١٩٥٧ وانشاؤه في صحراء النقب بطاقة وصلت الى ٢٤ ميغاواط حراري يعمل باليورانيوم الطبيعي كوقود ، ويستخدم الماء الثقيل للتبريد ، وتوفير التسهيلات اللازمة لمركز البحوث الملحق بهذا المفاعل . ومما هو جدير بالذكر أن شيمون بيريز هو الذي قاد المفاوضات السرية مع فرنسا التي ادت الى انشاء المفاعل .

ولكن مفاعل ديمونا لم يكن الأول ، اذ كان مفاعل ناحال سوريك الذي أنشأته الولايات المتحدة بطاقة ٥ آلاف كيلوواط هو الأول ، لكن المفاعل الأميركي لم يكن معداً لصنع السلاح النووي .

ويلاحظ هنا أن انشاء المفاعل النووي ارتبط بأمور محددة : أولها ـ فشل العدوان الثلاثي (اسرائيل ـ بريطانيا ـ فرنسا) في عام ١٩٥٦ على مصر واضطرار هذه الدول المعتدية أمام صمود الشعب العربي في مصر ، وتضامن الشعب العربي كله معه ، وامام ادانة العالم لهذا العدوان ، الى الانسحاب من الأراضي المصرية دون تحقيق اية نتيجة لأي طرف من الاطراف المعتدية ، مما زاد من مكانة مصر وعزز زعامة عبدالناصر عربيا ودوليا . وثانيها ـ اكتشاف اسرائيل عزلتها الدولية وتردي علاقاتها مع الحكومة الأميركية في عهد الرئيس ايزنهاور ،وعدم بقاء أي صديق لها باستثناء فرنسا التي كانت صداقتها مرتبطة ارتباطا مباشرا بموقف الامة العربية المؤيد للثورة الجزائرية وثالثها ـ محاولة العدو الصهيوني تحقيق هوة تكنولوجية عسكرية بينه وبين الامة العربية ، يضمن لنفسه التفوق فيها ، واصراره على التوسع من منطلق عسكري .

الكشف عن الحقيقة

اكتشف أمر مفاعل ديمونا رسميا عندما اضطر دافيد بن جوريون في ديسمبر ١٩٦٠ تحت تأثير الضغط الاميركي ـ وبعد أن سربت حكومة فرنسا في عهد ديجول معلومات عن المفاعل الذري الاسرائيلي ، خاصة وان ديجول لم يوافق على استمرار العلاقة النووية مع اسرائيل ، واخذ تعهدا منها بعدم انتاج السلاح الذري ـ الى اعطاء تفسير للاشاعات التي دارت حول بناء مفاعل ذري في اسرائيل قادر على انتاج اسلحة نووية » واعترفت كل من فرنسا واسرائيل بانهما شريكتان في برنامج نووي تعاوني شامل لبناء مفاعل ذري ، الا أن بن جوريون انكر

التهم القائلة بأن حكومته تخطط لانتاج سلاح نووي . وأكدت حكومة بن جوريون هذا الانكار رسميا امام الكنيست الصهيوني في عام ١٩٦١ عندما أعلنت بأنه « ليس هناك من سلاح نووي في الشرق الأوسط . ولن تكون اسرائيل هي البادئة بادخاله ، وطالب بن جوريون بضرورة واهمية التركيز على الحد من سباق التسلح التقليدي في المنطقة . وأصبح هذا البيان هو الموقف الرسمي لحكومة بن جوريون ، تكرر اعلانه في أكثر من مناسبة .

موقف اميركي جديد

يبدو واضحا في بيان بن جوريون أثر الضغط الاميركي من أجل اعلان الموقف الاسرائيلي من التسلح النووي ، بغض النظر عن نوايا اخرى لم يكشف عنها . لكن هل كان الاعلان الاسرائيلي الجديد بلا ثمن ؟ ان الأحداث اللاحقة اثبتت أن الموقف الاسرائيلي الجديد من التسلح النووي كان ثمنه تعهدا أميركيا علنيا بضمان امداد اسرائيل بالسلاح بحيث يتحقق تفوقها العسكري في المنطقة ، وهو أمر كانت تستند فيه اسرائيل الى أوروبا بمباركة أميركية خفية .

كان تصريح شيمون بيريز (رئيس الوزراء الحالي) مدير وزارة الدفاع الاسرائيلية آنذاك في مايو ١٩٦٢ معبرا عن الموقف الانقلابي الجديد ، عندما أعلن اثناء زيارته لاميركا « بأن فرنسا ستبحث عن حلفاء عرب بعد التوصل الى تسوية للمسألة الجزائرية وأن كوف دي موروفيل قد شكا (اليه شخصيا) من أن فرنسا هي المورد الوحيد للسلاح الى اسرائيل ويسعدها مشاركة طرف آخر في تحمل العبء ، أما بريطانيا فقد أصبح لديها القناعة بأن من الضروري تخفيض صفقات السلاح الى اسرائيل من أجل محاولة اصلاح مركزها في العالم العربي » .

ويمكننا الاستنتاج هنا بأن أوروبا ملت التورط مع اسرائيل ، كما ملت القيام بدورها نيابة عن أميركا ، مما جعل أميركا تقوم بدورها الطبيعي المكشوف .

وكان واضحا أن زيارة بيريز للولايات المتحدة مرتبطة بعقد صفقة أسلحة متطورة تزود بها اسرائيل ، اذ سرعان ما أعلن في يولية ١٩٦٢ عن تزويد أميركا لاسرائيل بصواريخ هوك أرض جو ، أعقبتها فيما بعد صفقة طائرات سكاي هوك ودبابات باتون .

وقد بررت أميركا موقفها الجديد أنه « من أجل منع اسرائيل من تطوير ترساناتها النووية اذا ما ضمنت اميركا أمنها وقامت بتزويدها بالسلاح التقليدي » .

بداية التزاوج الاميركي الاسرائيلي

كانت صفقة صواريخ هوك الاميركية بداية عهد من التزاوج الاميركي مع اسرائيل لم ينفصم حتى الان ، تبعه تحالف تام في المواقف تجاه القضايا الدولية ، وتوسع في التعاون القائم أصلا بين الموساد (مؤسسة الاستخبارات الاسرائيلية) وبين CIA مؤسسة الاستخبارات المركزية الاميركية بمساعدة ضابط الارتباط الاميركي مع الموساد جيمس انجلتون .

ولكن أهم ما حدث في هذه الفترة هو تراجع الرئيس الاميركي كيندي عن فتح ملف القضية الفلسطينية ـ مستجيبا لرغبة اسرائيل ـ الذي كان قد بدأه مع الرئيس جمال عبدالناصر ، وابلاغه جولدامائير في ٢٧/١٢/١٩٦٢ « أن العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل في الشرق الاوسط تشبه مثيلاتها مع بريطانيا فيما يخص الامور الدولية ، وأن اميركا ستقوم بدعم اسرائيل اذا ما تعرضت لاي عدوان . وأعاد كيندي موقفه هذا الى ليفي اشكول رئيس وزراءاسرائيل بعد دافيد بن جوريون في اكتوبر ١٩٦٣ .

كان دافيد بن جوريون رئيس الوزراء الصهيوني يعيش أزمة داخلية على المستويين الحزبي والحكومي ، بسبب اثارة فضيحة لافون التي كان ملفها قد طوي في عام ١٩٥٥ ، وتورط مساعدي بن جوريون في هذه الفضيحة التي كشف أمرها في مصر ، عندما قامت مجموعة من المخابرات الاسرائيلية بالقاء متفجرات على المؤسسات الاميركية والبريطانية دون علم وزير الدفاع الاسرائيلي لافون آنذاك . كما بدا واضحا أن ابن جوريون لا يؤيد السياسة الاسرائيلية الجديدة في الارتماء التام في أحضان اميركا ، كما لا يؤيد الاستجابة للتدخل الاميركي المباشر في السياسة

النووية لاسرائيل ، على عكس موقف قيادة الحزب ومعظم أعضاء الحكومة مثل ليفي اشكول ، بنحاس سابير ، ايجال الون ، مما دفع بن جوريون في النهاية الى تقديم استقالته وتولي ليفي اشكول رئاسة الوزارة من بعده في يونية ١٩٦٣ .

رئاسة اشكول

أمر ليفي أشكول رئيس الوزراء الجديد بتحديد حجم العمل في مفاعل ديمونا مقابل تأمين السلاح الاميركي المتطور ، عندما أعلن شيمون يفتاك مدير برنامج تطوير جيش الدفاع بأن اسرائيل لن تنشيء مصنعا لفصل البلوتونيوم الذي يمكن الحصول عليه من مفاعل ديمونا ، كما وقعت اتفاقية منع اجراء التجارب النووية . وتم طرد بيرجمان سنة ١٩٦٦ من رئاسة لجنة الطاقة النووية ، وأصبح اشكول نفسه ، رئيس المؤسسة النووية والحقها بمكتبه . الا انه احتفظ لنفسه بالحق في اعادة النظر في سياسة اسرائيل النووية وفق تطورات الوضع في المنطقة وحسب ميزان القوى بين العرب واسرائيل .

اغتيل الرئيس الاميركي كينيدي في ١٩٦٣/١١/٢٢ وخلفه في الرئاسة ليندون جونسون الذي عزز العلاقات مع اسرائيل ، تلك العلاقات التي كان قد بدأها كينيدي قبل اغتياله . وفي ظل العلاقات الجديدة ساد الاعتقاد بأن اميركا ليس لديها ما يمنع من تأييد اسرائيل لانتاج الاسلحة النووية . وحاولت مصر فضح النوايا الاميركية الاسرائيلية في هذا المجال ، عندما كتب محمد حسنين هيكل في اغسطس عام ١٩٦٥ في الأهرام « ان اسرائيل على مشارف تفجير نووي وستكون قادرة خلال عامين او ثلاثة على انتاج أسلحة ذرية ، وان لدى مصر سببا يدعوها الى الاستعداد لانتاج هذه الاسلحة وهو تصميمها على البقاء » .

وفي الشهر نفسه أشار شيمون بيريز في معرض تعليقه الى صحيفة جيروزالم بوست على حديث هيكل « بانه يؤمن باثر العامل النفسي في الردع ضد العرب » ولم يحاول التخفيف من الشكوك التي أبداها هيكل في جريدة الاهرام .

● حاييم وايزمان ، أول رئيس للكيان الصهيوني ، كميائي مدرك لأهمية التقنية في حياة الأمم .

حرب ١٩٦٧م

ومنذ أغسطس ١٩٦٥ حتى غداة حرب يونية ١٩٦٧ أخذ النقاش حول امتلاك اسرائيل لأسلحة نووية منحيين : الاول ـ عربي قادته مصر وحاولت استخدام الضغط الدولي من أجل كشفه وبيان اخطاره في المنطقة ، وتبعتها كل من منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا ، لكنهما حاولتا التخفيف من نتائج الحرب النووية امام حرب الأغوار التي كانتا تناديان بها .

والثاني ـ كان داخل اسرائيل نفسها عندما أخذ النقاش يحتدم بين المؤيدين لامتلاك السلاح النووي والمعارضين له ، الا أن هذا النقاش لم يسفر عن نتائج ملموسة او اعلان موقف رسمي جديد من حكومة اسرائيل .

وما أن انتهت حرب ١٩٦٧ بنتائجها العسكرية المعروفة وبدون اي استخدام للسلاح النووي من الأطراف المتحاربة ، حتى تعززت القناعة لدى اسرائيل بان السلاح النووي أمر ضروري لحسم الصراع العربي الاسرائيلي ، خاصة وان الحرب لم تؤد

الى نتائج سياسية لصالحها . وكان رفض العرب جميعا الجلوس على طاولة المفاوضات معها واعلانهم عن تصميمهم على ازالة آثار العدوان الاسرائيلي في مؤتمر الخرطوم الشهير بلاءاته الثلاث صفعة لمخططي السياسة العدوانية ضد الأمة العربية .

وهنا على ما يبدو صمم موسى دايان وزير الدفاع الاسرائيلي على الاستمرار في المشروع النووي بموافقة حكومته ، وتوفر في عام ١٩٦٩ للعلماء الاسرائيليين من وسائل التقنية ما يمكنهم من انتاج القنبلة الذرية .

ومنذ ذلك التاريخ منع اي زائر من التفتيش على مفاعل ديمونا ، ورفضت اسرائيل الطلبات الاميركية المتكررة بتوضيح موقفها من امتلاك السلاح النووي ، مما عزز الاعتقاد القائل بان اسرائيل تمكنت من صنع القنبلة الذرية ، او على الاقل تمكنت من تذليل العقبات التي تحول دون انتاجها . واعترف ليفي اشكول أن اسرائيل تمتلك التقنية التي تمكنها من انتاج الاسلحة الذرية لكنها لن تستخدمها . وزاد هذا الاعتقاد عندما رفضت اسرائيل التوقيع على اتفاقية منع انتشار الاسلحة النووية ١٩٧٠ التي دعمتها الولايات المتحدة الاميركية . ولم يظهر اي موقف اميركي معارض للسياسة الاسرائيلية الجديدة ، مما يعني مباركة الولايات المتحدة لهذه السياسة التي كانت قد عارضتها في بداية الستينات . وليس من نافلة القول أن الموقف الاميركي حكمته رغبة اميركا في الاشراف على تطور الانتاج النووي الاسرائيلي والتحكم في استخدامه ، وليس الرفض لامتلاك اسرائيل لهذا السلاح .

ما بعد ١٩٧٠م

رغم أن الولايات المتحدة الاميركية كانت الداعية الى عقد اتفاقية الحد من انتشار الاسلحة النووية في عام ١٩٧٠ ، الا أنها كانت أول من خرق هذه الاتفاقية ، وقامت بعقد اتفاقات نووية مع ٢٩ دولة بينها ١٣ دولة لم توقع الاتفاقية . وكان أخطر هذه الاتفاقات تلك التي وقعتها مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية من أجل انشاء مفاعلين ذريين بقوة مائة ميغاواط لكل منهما مع تعهد بتقديم خدمات تصل الى مائتي ميغاواط . وامداد حكومة جنوب افريقيا بمائتي رطل من البلوتونيوم تكفي لصنع عشر قنابل ذرية مع تعهد بامدادها بمائة رطل اخرى .

ويلاحظ هنا أن الولايات المتحدة بعد أن ضمنت السيطرة على القوة النووية في الشرق الأوسط انتقلت الى خلق قوة جديدة في جنوب افريقيا كما يلاحظ أن العلاقات بين اسرائيل وحكومة جنوب افريقيا علاقات حميمة بمباركة أميركية . من هنا جاء القول بوجود تنسيق نووي بين اسرائيل وجنوب افريقيا لكنه يتم في ظل رقابة أميركية مباشرة .

حرب اكتوبر ١٩٧٣م

تعرضت اسطورة التفوق العسكري الصهيوني لهزة عنيفة في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، كما تعرضت مبررات الوجود الصهيوني كله للتساؤل من قبل الدوائر الاستعمارية والرأسمالية اليهودية . وأثبتت هذه الحرب أن امتلاك التقنية النووية والتسلح التقليدي لن يفيد اسرائيل في لحظة تضامن عربي مهما كانت قصيرة . ولا مجال هنا لسرد قصة التدخل الاميركي المباشر العسكري والسياسي من أجل انقاذ اسرائيل . وكان موسى دايان المتحمس لامتلاك السلاح النووي أكثر المسؤولين الاسرائيليين اضطرابا امام الضربة العربية عندما ابلغ جولدامائير (رئيسة الوزراء) يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٣ ان اسرائيل ستفقد الهيكل الثالث ولكن احدى الروايات تذكر ان دايان استعد لاستخدام السلاح النووي عندما أمر بوضع صواريخ اريحا الفرنسية الصنع التي تحمل الرؤوس الذرية على اهبة الاستعداد ، كما جهز طائرات كوفير والفانتوم بأسلحة ذرية ووضع ١٣ سلاحا ذريا من صنع اسرائيل في موضع التأهب . الا أننا نرى في هذه الرواية بغض - النظر عن مصداقيتها - تبريرا للموقف الأميركي في مد اسرائيل بكميات السلاح الهائلة أثناء الحرب وبعد أن شارفت اسرائيل على الهزيمة .

العودة الى السلاح الذري

ما أن التقط الكيان الصهيوني أنفاسه بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ حتى عاد الى التلويح مرة اخرى بامتلاك

السلاح النووي . وأعلن كاتزير الرئيس الصهيوني في ديسمبر ١٩٧٤ م قائلاً : « لقد كان قصدنا توفير القدرة على التطور النووي والآن لدينا هذه القدرة وعلينا أن نطور أسلحة أكثر حداثة وأكثر قوة » .

وكان هذا التصريح اعترافا بالمباركة الاميركية لسياسة اسرائيل النووية . ورغم أن التصريح فيه من العموميات والغموض ما لا يختلف كثيرا عن تصريحات المسؤولين السابقين ، الا أن اعتراف كاتزير بامتلاك القدرة النووية في عام ١٩٧٤ فقط يعني أن كل ما قيل واستنتج حول هذا الأمر كان من باب الردع النفسي والتهويل . ويعني أن اسرائيل في عام ١٩٦٩ وصلت الى مرحلة امتلاك التقنية النووية ، وذلك أمر ليس من الصعب على الكثير من الدول ، لكن لم يسمح لها ، وربما لم تستطع أن تذهب الى أبعد من ذلك ، الا بعد أن أعطتها الولايات المتحدة الضوء الأخضر .

وعندما طلب التلفزيون البريطاني من اسحق رابين (رئيس وزراء العدو آنذاك) توضيح ما أفضى به كاتزير أنكر وجود قوة ذرية لدى اسرائيل وأعاد القول « بأن حكومته لن تكون الاولى التي ستدخل السلاح النووي في منطقة الشرق الأوسط ولكن لا يمكنها أن تكون الثانية » .

وفي هذه الفترة برزت ظاهرة جديدة بين الأوساط الشعبية في اسرائيل ، فبينما كانت هناك مطالبة بمنع انتاج السلاح النووي في الستينات ، أظهر استفتاء اجري في عام ١٩٧٦ بأن ٧٧٪ من السكان طالبوا بضرورة امتلاك اسرائيل للقنبلة الذرية ، كما اعتقد ٦٢٪ من السكان بأن حكومتهم تملك هذه القنبلة وهو أمر يمكن الرد به على كل المتفائلين بوجود تيار داخل اسرائيل يفكر في العيش بسلام مع الامة العربية ، ويعزز الحقيقة القائلة بأن اسرائيل قاعدة للتوسع العسكري على حساب الأمة العربية .

وحتى ١٨ أغسطس ١٩٨٠ كان الموقف الاسرائيلي الرسمي المعلن من امتلاك القنبلة الذرية يدور في حلقة من الغموض واللعب بالالفاظ ، فقد أعلن دايان في هذا التاريخ « لم يحدث أن قلنا بأننا لن نستخدم السلاح النووي ، قلنا فقط بأننا لن نكون البادئين باستخدامه » الا أن دايان لم ينكر ملكية اسرائيل لهذا السلاح . .

الاتفاق الاستراتيجي

ومنذ عام ١٩٨١ بدأ الحديث عن الاتفاق الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة . واذا ما عرفنا أن الاستراتيجية الأميركية في الشرق الاوسط تقوم على :

١ ـ تأمين تدفق النفط من المنطقة .

٢ ـ استمرار فتح قناة السويس .

٣ ـ منع التوسع الشيوعي مع تجنب الصدام مع الاتحاد السوفيتي .

٤ ـ ضمان أمن اسرائيل . (من أجل الاهداف السابقة)

اذا ما عرفنا ذلك فان اسرائيل أصبحت طرفا في تحقيق الاستراتيجية الأميركية في منطقة الشرق الاوسط بحكم الاتفاق الاستراتيجي بين البلدين .

وفي ظل المباركة الاميركية للسياسة النووية في اسرائيل ، فاننا نعتقد أن اسرائيل ملكت السلاح الذري ، رغم أنه لم يعلن حتى الآن عن أي تفجير نووي لها ، كما أصبحت مركز تخزين للسلاح النووي الاميركي في ظل الاتفاق الاستراتيجي الجديد . وهو ما يفسر حرص أميركا على عدم الاعلان عن امتلاك اسرائيل لهذا السلاح .

الا أن مصادر المخابرات الاميركية نفسها تشير الى أن اسرائيل تمتلك أسلحة نووية اخرى تقدرها بحوالي ٢٠٠ رأس نووي بقوة تدميرية تصل الى ٢٠ كيلوطن ، كما أن لدى اسرائيل أنظمة اطلاق نووي متعددة منها طائرة ف ٤ي ، ف١٥ ، ف١٦ الاميركية اضافة الى صواريخ اريحا م د ٦٦٠ ، م د ٦٢٠ الفرنسية ـ الاسرائيلية الصنع وصواريخ لانس الاميركية ذات القدرة على حمل رأس نووي وزن ١١ كيلو .

وأخيرا سواء امتلكت اسرائيل القنبلة الذرية او الاسلحة النووية الاخرى ، فان استخدام هذه الاسلحة يظل محكوما بأمور فوق طاقة اسرائيل ، وأول هذه الامور وأهمها هو القرار الاميركي . كما أن ردع اسرائيل يظل من مسؤوليات الأمة العربية المصممة على البقاء والعطاء الانساني . □

ذكرى العيد

شعر : عبدالعزيز جعفر

على أفقِ المجدِ أعلامُها — تدورُ مع العزِّ أيامُها
بلادي التي شعَّ في أفقِها — نداءُ السماءِ وأنغامُها
ضِفافُ الخليجِ على راحتيها — حقوقُ الحياةِ وإلزامُها
كويتُ العُلا أصلُها ثابتٌ — ثبوتَ الرواسي ، وآكامُها
تُؤسِّسُ بالعلمِ بنيانَها — وتُوصَلُ بالحبِّ أرحامُها
كما سارَها «جابرٌ» سيرةً — رَوَتْها الورودُ وأنسامُها
تغنَّتْ بها الوُرْقُ بينَ الغصونِ — فرقَّتْ معَ العطرِ أكمامُها
وَوَثَّقَها الودُّ ملءَ القلوبِ — لتسمو للحقِّ أفهامُها
وغاياتُ شعبِ الكويتِ الأبيِّ — تلاقى على الحبِّ إحكامُها
له في عروبتِهِ موئلٌ — وعزُّ العروبةِ إسلامُها
فأمُّ اللغاتِ لنا رايةٌ — بوحدتِها سادَ أقوامُها
وقد صانَها اللهُ كي لا تزولَ — فأنزلَ في الذكرِ إكرامُها
فيا أيُّها العيدُ ذكراكَ عادتْ — وحقَّ لذكراكَ إعظامُها
تُذكِّرُنا بانتصاراتِنا — وكيفَ تُجدَّدُ أعوامُها
وفي كلِّ فجٍّ تفوتُ الليالي — ليُكشَفَ بالجدِّ إظلامُها
وقد نوَّرَ اللهُ فيها قلوبًا — يُسارعُ للخيرِ إسهامُها
ويعلو بها «جابرٌ» للذُّرا — فيبتدرُ الفوزَ إقدامُها
فما زالَ حصناً حصيناً لها — كما تجمعُ الأُسْدَ آجامُها
«وسعدٌ» يُجاهدُ في حكمةٍ — تسامتْ فللهِ إلهامُها
فيا ربِّ غاياتُنا لا يزالُ — بفضلِكَ وحدَكَ إتمامُها
أعِنّا لنكتبَ آمالَنا — على صُحُفِ العزِّ أقلامُها

رسالة القاهرة

عود على بدء

بقلم : فاروق خورشيد

منذ أوائل الثمانينيات ، وربما في حدود نهاية العام الأول منها ، بدأت تظهر في القاهرة بواكير تحرك ثقافي يريد أن يقفز على موات السبعينيات ليصل نفسه بخصب الستينيات وحركتهاالثرية . . ولا شك أن القاهرة قد عانت منذ نهاية الستينيات تقلصا واضحا في حركة الابداع الفني ، وفي النشاط الثقافي بوجه عام .

لقد وجد المثقفون أنفسهم في حالة حصار وعزلة ، فمنهم من طوى أوراقه وسكت ، ومنهم من هاجر بجسده وفكره ، أو بفكره على الأقل ، الى خارج القاهرة . وانطفأت أنوار المسارح ، وسكتت منابر المحافل الأدبية ، وخف هدير المطابع . . وما كان يقدم في خلال هذه الفترة ، كان يقدم إما بشكل مغامرة من صاحبه بأمنه وسمعته وكرامته ، واما أنه كان مجرد أصوات تصدر بلا رسالة حقيقية ، وبلا ابداع جاد . . بل بما يشبه الأدب ولا أدب ، وما يسمى نفسه ثقافة ولا ثقافة . . وعاش المثقفون والمبدعون في غربة كاملة ، حتى لو كانوا يمارسون حياتهم في قلب القاهرة . . أما من هاجروا فقد كانت الغربة بالنسبة لهم غربتين ، غربة الوجدان وغربة المكان . . وما أظن أنهم كانوا ينشرون كل ما يكتبون ويبدعون ، بل أحسب أنهم كانوا يطوون أوراقهم على ما تبدعه وجداناتهم في انتظار وأسى ، وربما في دهشة مما يحدث لمجتمعهم من تغيير جذري يقلب الأوضاع رأسا على عقب ، ويقلب القيم كذلك رأسا على عقب . . فقد أصبح المال هو القيمة لا العلم ولا الفكر . . وأصبح الكسب المادي هو الغاية لا التحصيل ولا الدرس . . وأصبح الآن هو الهدف ، لا الغد ولا المستقبل . . ومن حاول منهم أن يوضح خطورة ما يحدث على الوجدان والعقل ، اتهم بكل الاتهامات التي تحملها قواميس من تخصصوا في اضطهاد الكلمة وروادها ، وتعقب أصحابها بالقمع من أول التاريخ حتى اليوم .

أصحاب الكلمة لا يتوقفون

وساد صمت أصحاب الكلمة لتحل أبواق الرجال الجوف ، ودفوف حملة القماقم الذين يسيرون في جنازات الكلمات من أول التاريخ حتى اليوم . . ولكني - كما قلت - لا أحسب أن أصحاب الكلمات قد توقفوا عن الكتابة ، ولعلهم كانوا يطوون أوراقهم

على ما يبدعونه في انتظار . وفي حقب كثيرة من تاريخ الشعوب ، تنحسر الكلمات ولا تظهر ، ولا يبقى على سطح الحياة سوى الفاظ التأييد والتفسير والنفاق والموافقة ، بل والتهنئة لكل من عسف بالكلمة وأصحابها . ولكن هذه الحقب من تاريخ الشعوب حفلت بالكلمات الصادقة التي تتسلل الى ضمائر الناس ، اما عن طريق الأدب المجهول الذي نسميه أدب الشعب ، في ابداع لا يعرف أحد قائله ونسميه الأدب الشعبي ، يغلف نفسه بالسذاجة والعفوية ، ويحمل في أعماقه أقسى الاحكام وأصحها وأنضجها على هذه الحقبة ومن فيها وما فيها . . واما عن طريق الكلمات المطوية التي تنتظر انقضاء الغمة لتكشف عن نفسها ، ولتظهر من جديد ، لتلتحم بضمائر الناس ، معبرة عن معاناتهم في هذه الحقب المظلمة . .

ظاهرتان

وقد تحققت للقاهرة من أواخر الستينيات حتى سنوات من بداية الثمانينيات الظاهرتان معا . . أعني التعبير الذي اختبأ في عباءة الفن الشعبي ، والتعبير الذي مارس وجوده وان لم يمارس فعله ، أي الذي كتب وجنب الظهور الى نهاية الحقبة المظلمة . . والظاهرة الأولى لنا حديث مفرد عنها ، اذ هي عندي الآن في مرحلة الرصد والتسجيل والمقارنة والاستدلال ، ولكن حديثي الآن هو عن الظاهرة الثانية وهي أكثر ارتباطا بالمثقفين والمبدعين من رجال الادب من الظاهرة الاولى . . فتململ المثقفين في الداخل ، والمثقفين المهاجرين في الخارج لم يتوقف لحظة ، وظهرت المقالات والدراسات في الجرائد والمجلات التي تصدر خارج القاهرة في كل جزء من أجزاء الوطن العربي . وبعض هذه المقالات أخذت طابع الهجوم السياسي العنيف ضد القاهرة ، غير مفرقة بين الوضع السياسي وبين شعب القاهرة وتاريخها العريق في الوطنية والفداء . . وأصابت هذه المقالات والدراسات هوى عند بعض الجهات السياسية هنا وهناك ، فشجعتها وظاهرتها بالمال والتأييد ، ومساحات النشر المفتوحة والدائمة . . ولكن هذه المقالات نفسها أصابت المبدع القاهري بمزيد من الاحساس بالغربة ، فالسهام لم تفرق أبدا بين السجان والمسجون ، ولا بين القاتل والمقتول . . وما أصاب النظام من رذاذ ، أغرق المثقف القاهري في رشاش من الاحساس بالمهانة والضيق ، والتعاسة أحيانا ، والغربة في كل الأحيان . . وأيا كان الموقف السياسي لابن القاهرة ، فماكان يرضى أن تهان بلاده وأن يسب أهله ، وهو لا يستطيع حراكا أوردا ، وخاصة اذا كانت هذه الاهانة ، وكان هذا السباب صادرا عن قاهريين يقفون مثله في نفس الموقف ، ويعانون مثله من نفس المرض ، أو يحسون مثله بنفس الغربة ، وينتظرون مثله لحظة الخلاص . .

اشتبك الأمر وتداخل ، وأصبح مزيجا غريبا لا يستطيع أحد أن يفصل جزئية منه عن أخرى ، ومن هنا كان ما آثره الكثيرون من المبدعين والكتاب من صمت ظاهر ، وانتاج مستمر يبقيهم على وجه الحياة الأدبية العربية ، وابداع مستور يجنب نطاق النشر الى حين . .

انفراجة الثمانينيات

ومن هنا كانت انفراجة الثمانينيات ـ أو على وجه الدقة العامين الأخيرين منها ـ تحفل بظواهر هامة أبرزها وأهمها خروج المخزون الابداعي الذي كتب في حقبة الصمت ، واندفاعه الى مظان النشر في توال مستمر واصرار واضح . .

وقد سبقت الحركة النقدية حركة الابداع في يقظتها ، اذ لم يكن في الدراسات النقدية ما يقلق أحدا ، بل لعل هذه الحركة بعلميتها الواضحة التي ظهرت في الفصلية التي أصدرتها هيئة الكتاب أثناء رئاسة صلاح عبد الصبور لها بعنوان (فصول) ، قد طمأنت من يتوجسون من الأدب ، وجعلتهم يتأكدون أن الأدباء والمفكرين قد غدوا كحكماء أثينا ، يتجادلون في المطلقات ، وجيوش الغزاة على الأبواب ، وما الخطر في الحديث عن البنيوية أو التراث ، أو الأصالة والمعاصرة . . . وماذا في أعداد عن الشعر والرواية أو القصة . . ؟ ورغم محاولات الكثيرين ممن انتدبوا انفسهم للهجوم على المجلة أو الهيئة ورئيسها ورئيس التحرير ، والعودة الى التحذير من الشيوعية ومراكز القوى التي تطل برأسها في

« فصول » الا أن المجلة تركت تسير في هدوء . . وفي رأيي أن « فصول » كانت البداية الحقيقية لكل ما تلاها ، . . وكانت بداية لها ما بعدها . . فقد أحس المثقفون أن القاهرة ينبض فيها شيء صحيح وجاد ، وأن حركة ربط المثقف العربي بمدارس النقد وتطورها في العالم كله أشارة واضحة الى أن الجسد ما زال حيا ، وما زال يبحث عن مصادر الحياة والوجود في المعطيات الثقافية الجديدة من حوله ، وفي تراثه العربي الأصيل في جذوره ، كما أن هذه الحركة اشارة واضحة الى انتماء القاهرة العربي الذي لا يغيره شيء ، ولا يمكن أن يتغير بقرار أو يهتز لارادة فرد ما . .

عودة الروح

وقد شجعت هذه الخطوة الكثير من الأقلام - وخاصة أقلام الدارسين والنقاد - الى العودة الى الكتابة في القاهرة ، كما شجعت أوساط المثقفين على الاحساس بمعنى التغيير والتأهب له . وأوحت - الى حد ما - بقرب انتهاء العاصفة . . وصدرت سلسلة الابداع العالمي لتعيد نشر الأمهات المترجمة من الاعمال الابداعية ، التي واكبت النهضة الثقافية من بدايتها ، وأتاحت مرة أخرى العودة الى مناخ أكثر رفقا بالعقل الشادي الى المعرفة . . ولم يكن في هذه السلسلة ما يستدعي الجدل ، فالمجادلون لا يخافون من الكتب ، فمن الذي يقرأ الكتب ؟ وما مدى تأثيرها على الرأي العام ؟ . . ومن هذا المنطلق صمتت أقلام المتربصين عنها ، وكذلك صمتت عن السلسلة الأخرى التي صدرت أثرها ، وهي سلسلة الابداع العربي . . الا أن هذه السلسلة دارت في فلك ما هو قائم من نماذج ابداعية ، أفرزتها فترة الموات للكتاب الذين ظلوا على السطح في هذه الفترة ، فان تجاوزت هذا فهي تعيد طبع بعض الأعمال الابداعية التي نفدت طبعاتها من قبل ، وحرمت النور طوال هذه الفترة . . وبدأت من خلال هذه النافذة أعمال كثيرة تطل برأسها ، أعمال من تلك التي لم يكن يراد لها أبدا أن ترى النور طول حقبه السبعينيات ، وأحدث هذا نوعا من الزخم في الحياة الادبية . وكانت الحقبة المدمرة قد بدأت تنحسر وتزول ، بالمتغيرات السياسية التي حدثت بعد أن وصل خنق الفكر الى مداه الذي لا مدى بعده . . وظهرت بعض المتغيرات الأدبية الجديدة ، فاهتمت بعض المجلات الاسبوعية بالأدب والأدباء ، وبدأت تفرد للدراسات والمقالات النقدية بعض صفحاتها ، ثم تشجعت أكثر ، وبدأت تنشر أعمالا ابداعية جديدة . . وان كان النشر على حذر . . فإنّ صخب المسيطرون على مجالات النشر ، والمتربعون على عروش الأدب وعلا صوت صخبهم ، تراجعت هذه الصفحات بعض الشيء واختفت بعض الأقلام بعض الوقت . . ونحن نقصد بالمتربعين على عروش الأدب ، من رفعتهم الحقبة المظلمة الى مكان الصدارة في الاشراف على الأدب والأدباء ، وعلى صفحات الأدب وبرامجه في كل مكان وكل منظمة ، وهؤلاء لا يرضون لشيء أن ينشر الا ما يرضيهم ، ولا يرضون لأديب أن يكتب الا اذا خرج من عباءاتهم . . والا فان الكلام ضد الوطن ، والا فان الاقلام باعت نفسها لاعداء الوطن - وهم يعنون بالطبع منابر النشر العربية المتاحة حيث هاجرت هذه الأقلام لتجد الترحيب والمجد . . كما أننا نقصد بالمسيطرين على مجالات النشر ، مجموعة الجالسين على القمة في هذه المجلات ، التي أصبحت من أول الحقبة مسئولة مباشرة عما ينشر في مجالاتها ، فكانت بالتالي أحرص من السلطة نفسها على نوعية ما ينشر ومضمونه ، . . وقد ظل صخب الفئتين ونفوذهما . . جاثما على صدر كل كلمة . . فئة تصفي كل كلمة من كل مظان الشبهة . . وتصخب الأخرى حين تتسرب بعض الكلمات الصادقة أو بعض الأقلام الصريحة التي لم تركع أو تذل . .

شعارات جديدة

والمدهش أن أعضاء الفئتين قد بدأوا يرفعون شعارات جديدة الآن ، وبدأوا يرحبون بشكل أو بآخر بالأقلام والكلمات التي ظلت ممنوعة طوال حقبة ازدهارهم العجيب . . ولكن هذا ليس مدهشا على الاطلاق ، في ظل المتغيرات السياسية الجديدة ، فقد بدأت بعض الكراسي تهتز ، وبدأت بعض الوجوه تختفي ، وبدأت بعض الأصوات تغير من نغمتها ، وبسرعة . .

وفي ظل كل هذا التحرك الجديد الذي تحفل به مجلة القاهرة الثقافية هذه الأيام ، ظهرت عدة أعمال قصصية وروائية ومسرحية متتالية ، من الواضح تماما أنها من تلك الأعمال التي كتبت في حقبة الصمت ، وظلت تتجنب الظهور ، الى أن أحست أن الوقت قد حان لها لتقول كلمتها التي طال اختزانها ، فظهرت عدة قصص ومسرحيات في مجلة « ابداع الجديدة » كما ظهرت عدة مجموعات وأعمال كاملة في سلسلة كتب مختارات فصول . وطبيعي أن يصمت النقاد عنها حتى الآن . وطبيعي ايضا أن يتصوروا أنها لم تنشر أصلا . ولكننا نرصد عدة ظواهر فنية وأدبية في هذه الأعمال ، وخاصة ما ظهر منها في سلسلة مختارات فصول التي أصدرت أعمالا لفتحى غانم ، وعبد الرحمن فهمي وأبي المعاطي أبي النجا ، وشكري عياد ، وبهاء طاهر ، وعبد الغفار مكاوي ، وجمال الغيطاني ، ولغيرهم أيضا . الا أن الظاهرة التي نرصدها تبدو أشد وضوحا في أعمال هؤلاء الذين ذكرنا اسماءهم .. فأنت تحس أنها أعمال تعبر عن الحقبة التي تتحدث عنها كل التعبير ، وتصدر في نماذجها وشخصياتها عن نظرة فنية نقدية للحقبة بكل أبعادها الاجتماعية وسلبياتها الصارخة .. كما أنها تحفل بذلك الاحساس الذي عاشه الكتاب فيها .. احساس هو مزيج من السأم واليأس والغربة في آن واحد .. فهي وليدة هذا الطحن الثقيل الذي وجد المثقف القاهري نفسه فيه ، يقع تحت وطأته ، يكبل وجدانه ، ويحاصر عقله ، ويثير فيه الاشمئزاز من صمته ، وصمت الآخرين ـ ويثير فيه أيضا الغضب على عجزه وعجز الآخرين .. ولست أحسب أن الأحكام التعميمية تصلح هنا لايضاح الصورة التي تجسدها هذه الأعمال التي توالت فجأة بعد صمت طويل ، ولهذا فستكون لنا وقفة في رسالة تالية مع أحد هذه الأمثلة .. وهي وقفة متأنية بعض الشيء مع آخر كتاب لفتحى غانم « الرجل المناسب » لعلها تكشف عن الظاهرة التي نريد اثباتها ..

صحوة إبداعية

ومجموعة فتحي غانم أول عمل يخرج من صمت السبعينيات ، ليدين حقبة الظلام التي عاشتها القاهرة . ولكن مافعله فتحي غانم قد كرره الباقون الذين ذكرنا أسماءهم من كتاب سلسلة مختارات « فصول » ، وهم بذلك يعلنون أن القاهرة بدأت صحوة ابداعية جديدة ، لا من فراغ ، وانما من حيث توقفت في السبعينيات ، بمعنى أن نبض الابداع لم يتوقف أبدا ، وانما تجنب النشر فقط ، وهاهو يعود ليصل خطوط التعبير الأدبي بعضها ببعض ، وليقيم الجسر مابين زخم الستينيات ووعد الثمانينيات ..

ثم تأتي مجلة القاهرة الأسبوعية الثقافية مع بواكير عام ١٩٨٥ لتؤكد معنى اليقظة التي أصبحت أمل رجال الفكر والابداع في القاهرة ، التي تعود الى حضن العطاء العربي ، والمشاركة الابداعية والنقدية العربية من جديد . □

البحث عن السعادة !

يقول آرثر روبنسيان في كتابه (سنوات شبابي) : ان معظم الناس ينظرون الى السعادة نظرة غير واقعية . فهم دائما يستخدمون « إذا » كشرط للشعور بالسعادة التي يبحثون عنها .. فأنت تسمعهم يقولون : (سأكون سعيدا اذا أصبحت غنيا . أو سأكون سعيدا اذا أحبتني الفتاة التي أريدها زوجة . أو سأكون سعيدا إذا أصبحت شخصية مشهورة .. الى آخره .. وهم في معظم الحالات يحققون هدفهم ، ولكنهم لا يجدون السعادة لأنهم يبحثون عن أشياء أخرى !! أنا شخصيا أحب الحياة بحلوها ومرها .

أرقام

بقلم : محمود المراغي

داخل المقابر الفرعونية كثيرا ما وجد الباحثون آنية للطعام والشراب .. فقد كان المصريون القدماء يعتقدون في البعث ، وأنه عند البعث لابد أن يجد الانسان طعامه وشرابه .. ويبدو ـ طبقا للارقام الحديثة ـ أنه لو توفر هذا الطعام لتأخرت الوفاة ولكتب الله للانسان عمرا أطول .

خريطة الموت

النساء يعشن أكثر .. والاغنياء يعيشون أفضل . هكذا تقول الأرقام والاحصاءات وهي تجيب على السؤال الهام : لماذا يموت الانسان ؟ .. وهل يختلف موت الأغنياء عن الفقراء ، وأهل الريف عن أهل المدينة ، وسكان الشمال عن سكان الجنوب ؟ .

وبصرف النظر عن التقدم العام في متوسطات الأعمار التي شهدها العالم في الثلث المنصرم من هذا القرن نتيجة للتحسن في الرعاية ومستويات المعيشة والغذاء والتقدم العلمي .

بصرف النظر عن هذه الظاهرة التي أصبحت شائعة ، فان أرقام هيئة الصحة العالمية تسجل أمرين يلفتان النظر ..

الأول عمر الرجال وعمر النساء ، وبينما تحدد التوقعات متوسط أعمار الذين يولدون الآن في الدول الصناعية بـ (٧١) عاما للرجال .. فإنها تقفز بالرقم الى (٧٨) عاما كمتوسط متوقع للنساء ، وبما يجعل المرأة الغربية هي الأطول عمرا بين كل رجال ونساء العالم .

نفس الظاهرة تسجلها نساء المجموعة الاشتراكية ، حيث يبلغ المتوسط المتوقع للأعمار ٧٤ عاما في مقابل (٦٦) عاما للرجل .

وبالطبع .. وعندما تستعرض الدول ذات الدخل المتوسط والمنخفض يتراجع المتوسط ، ولكن يبقى للمرأة موقع الصدارة .. فهي تعيش أكثر وباستمرار .. الأمر الثاني الذي تسجله أرقام هيئة الصحة العالمية وصندوق الأنشطة السكانية التابع للأمم المتحدة أكثر اثارة وأهمية ، انه يلخص واقع هذا العالم المتناقض من خلال لحظة الموت .

السؤال دائما : لماذا يموت الناس ؟ والأرقام تشرح الأسباب فتجعل من أمراض القلق والارهاق العصبي وتلوث البيئة سببا رئيسيا للموت في الشمال .. وأمراض الفقر وسوء التغذية وقلة الرعاية من نصيب الجنوب ..

بتفصيل أكثر تأتي أمراض القلب والمخ والدورة الدموية في مقدمة أسباب الوفاة في الدول المتقدمة . نصف الناس تقريبا ، وبالتحديد ٤٨٪ من الحالات يموتون بهذه الأمراض .. فاذا لم تلحقهم هذه الأمراض وتتسبب في انتهاء الحياة فان الأورام الخبيثة (سرطان المعدة والرئة والأورام الأخرى) كفيلة بالقيام بالمهمة وبنسبة عالية أخرى هي ١٨,٥٪ . ثم تأتي سلسلة الأسباب الأخرى وفي مقدمتها العنف والحوادث كسبب لوفاة ٧٪ من الحالات .

وفي التفسير : يأتي الانتشار الصناعي ، وضجيج المدينة ، واستنزاف الفرد واجهاده بدنيا وعصبيا ، وتعرضه لبيئة ملوثة بعيدة عن الطبيعة ، يأتي كل ذلك ليصنع حالات الذبحة الصدرية والجلطة القلبية وتصلب الشرايين وأمراض أوعية المخ وأوعية الدم .

انها أمراض ابن المدينة ، وقد أصبحت القرية في العالم المتقدم مدينة صغيرة ، بعد ان أصبحت الزراعة صناعة كبيرة ، وان كانت ذات ضجيج أقل

طفل بائس و معدة عليلة

هل تختلف الصورة في الجنوب ، في الدول النامية ؟ الأرقام تقول ذلك وبشكل واضح .. وبينها تختفي الانفلونزا والأمراض المعدية والطفيلية والنزلات المعوية وأمراض الأطفال الرضع المسببة للوفاة .. بينها تختفي هذه الأمراض من قائمة الأسباب ذات الوزن النسبي الكبير عند الدول المتقدمة ، حتى انه لايشار اليها في الأرقام .. فانه على العكس ـ وفي مجتمعات الفقراء ـ تبرز هذه الأسباب كأهم محطات في رحلة وداع الانسان .

الأطفال وحدهم ، وفي عامهم الأول من الحياة تمثل وفياتهم ٧٪ من جملة وفيات الدول النامية ، الأمراض المعدية والطفيلية ـ والتي تنحسر في الشمال ـ تمثل ١٠٪ . والانفلونزا والالتهاب الرئوي ١٥٪ .

انه عالم من الفقراء والبسطاء وضحايا سوء التغذية وسوء الرعاية الصحية ، لذا فانه يشهد الموت كل يوم ، لأسباب تافهة ، وهو أيضا يشهد المجهول الذي عجزت المنظمات الدولية ان تحدده ، فقالت ان ٢٧٪ من أسباب الوفاة .. غير معروفة ، ولا تدخل ضمن التصنيفات الرئيسية السابقة ..

ومع ذلك فالعالم الثالث محظوظ في أكثر من مجال .. فضحايا الحوادث والعنف والأورام الخبيثة أقل كثيرا مما يقدمه العالم المتقدم في هذه المجالات ..

بعد تسعين عاما

هكذا تتحدد خريطة الموت الذي تزيد نسبته في الجنوب وتقل في الشمال ، ويأتي مبكرا عند الرجال ويتلكأ عند القدوم الى النساء .

ولكن وخلف أرقام الأطباء تأتي أرقام الاقتصاديين ، لتبرز جوانب المأساة ، فطوال عشرين عاما بين (١٩٦٠ ـ ١٩٨١) لم يزد متوسط دخل الفرد في أفقر البلدان الا بنسبة ١٪ سنويا .. وفي عام ١٩٨١ كان متوسط الدخل القومي للفرد في أغنى البلدان يساوي ٢٢٠ ضعفا قياسا على أفقر البلدان .. ووفقا للمعدلات الحالية للنمو ، فان متوسط الدخل الفردي لأفقر البلدان يحتاج فترة تتراوح بين سبعين وتسعين عاما .. حتى يتضاعف ..

في الستينات رفعت احدى الدول النامية ـ مصر ـ شعار مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات ، وحققت معظم الهدف .. ومعه انتشرت الخدمات الصحية ، وزاد متوسط الأعمار وقلت الوفيات .

في أمريكا اللاتينية ـ ورغم متاعبها ـ حوصر الفقر والمرض في العديد من البلدان ، وزاد متوسط العمر . وفي الصين ارتفع التوقع لمتوسط ما يعيشه الانسان الى مايزيد عن ٦٧ عاما في السنوات الأربع الأخيرة ..

ولكن ..

وفي زامبيا يموت ٢٠٪ من الحالات بسبب الحصبة ، و ١٥,٥٪ بسبب سوء التغذية وفقر الدم .. و١٠٪ بسبب النزلات المعوية ..

وفي المقارنة نقول ـ ووفقا لاحصاءات ١٩٨٠ ـ يملك العالم الصناعي طبيبا لكل (١٨٠) فردا .. وتملك الدول ذات الدخل المنخفض نفس الطبيب ولكن ليخدم (٥٧٧٢) فردا .

انها معادلة الفقر والثراء ، التقدم والتخلف .. ولكن أليس من المفجع أن يموت الناس في الربع الأخير من القرن العشرين بسبب الجوع والفاقة ؟ أليس مستغربا أن يموت الأطفال بسبب الجفاف بينها تكفي جرعة رخيصة الثمن لانقاذهم ؟ والأمر لا يدعو كثيرا للاستغراب ، فالقصة تبدأ من دخل منخفض ، لكنها تمتد الى رغيف الخبز ، وتكدس المساكن ، وخلل المرافق ، وتلوث المياه ، وعجز الخدمة الصحية .

انه حصار الفقر في الجنوب ، وحصار المدينة في الشمال ، وبين الحصارين يموت الانسان مع اختلاف الأسباب والنسب . □

العربي

عيونك على العالم

سيبريا

بين أسطورة المنفى وحقيقة الحياة ..!

استطلاع : سليمان الشيخ   تصوير : طالب الحسيني

سيبيريا بحار أو صحارى من الثلج واسعة،هكذا يقال عنها ، ويقال أيضا أن مساحتها مساحة قارة ، القليل عنها هو المعروف ، والكثير مازال في طي الكتمان .. أو يغطيه الجليد وبعد المسافات والتنائي .لو سألت أي انسان عادي عنها ، فانه يجيبك دون تردد : هي بلاد الثلج والجليد ، وربما يضيف بلاد المنفى أيضاً .

عندما كنا نعلن لمن يسألنا أن وجهتنا هي (سيبيريا) فان علامات الدهشة والتعجب ثم التعاطف كانت تبرز واضحة على الوجوه ، بل وتتسابق كلمات الاشفاق على (حالنا) من طبيعة هذه الرحلة الشاقة . وكأنما استقر في الأذهان ما كتبه ابن فضلان عن رحلته التي انطلق فيها من بغداد زمن الخليفة العباسي المقتدر وقطع فيها بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ الموافق ٩٢١م واستغرقت في الذهاب ١١ شهرا فقط وما جاء فيها من وصف الطقس البارد حيث قال : (ولقد كنت أخرج من الحمام ، فاذا دخلت الى البيت نظرت الى لحيتي فاذا هي قطعة واحدة من الثلج حتى كنت ادنيها الى النار) كما يبدو أنه مازال مستقرا في الأذهان أن هذه (السيبيريا) هي المنفى بعينه ، وانه - أي المنفى - هو عقاب السلطة لكل من تمرد أو ثار أو أعلن اجتهاداً مغايراً لاجتهاداتها .

والحقيقة أن في هذا الاعتقاد بعض الصحة أو كلها ، لأن سلطة القياصرة نفت مئات بل آلاف البشر ليواجهوا أقدارهم في طبيعة قاسية .

وهكذا فعل ستالين في أيامه الأخيرة تقريباً ،

وردة بين الورود ، لاحظ الغابة . . وهي تمثل حزاماً حاضراً يُسَوِّر المكان .

بالرغم من الانجازات الايجابية العظيمة التي حققها في جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي . وبالرغم من أنه وصل الى السلطة من خلال ثورة جذرية أطاحت بالقيصرية ، الا أنه لم يستطع التخلي عن (عادة) من عاداتها ، الا وهي ارسال المعارضين الى المنافي السيبيرية .

ومع أن هذا العمل ـ النفي ـ هو قمة مصادرة حق الانسان في الاختيار والتنقل والتعبير .

مع ذلك فان هذا النفي كان له وجه ايجابي .

ذكر لنا المهندس علي جانوف النائب الأول لرئيس بلدية مدينة نوفوسيبيرسك الواقعة في الغرب السيبيري :

(أن المنفيين الأوائل أسسوا حواضر ومستوطنات أخذت تفعل فعلها في الطبيعة ، وتحد من قسوتها ، ووحشيتها . ولأن الكثير من المنفيين كانوا على درجة عالية من الثقافة ويملكون حصيلة جيدة من أفكار التغيير ، لذلك فانهم أعطوا (أوطانهم) الجديدة الكثير من جهد العمل الانساني الخلاق والمغير) .

وعليّ أن أضيف أن (القارة) السيبيرية التي تكتسي بالحلل الثلجية لمدة تزيد على ستة أشهر في السنة لم تكن مأوى المنفيين فقط ، بل رادها الكثير من المغامرين والتجار الذين كانوا يبحثون عن فرو الحيوانات الثمين ، وعن الأحجار الكريمة .

هكذا كانت هذه القارة من قبل ، فكيف أصبحت الآن ؟

وما هو الجديد فيها ؟ . . وما الذي صنعه الانسان بها ؟

قلوب أدفأ من الجمر :

قال لنا البروفسور سيرجي بافلوفيتش توكاريف نائب رئيس مجلس ادارة دراسة القوى الانتاجية في سيبيريا (أن ترى بعينيك مرة ، أفضل من أن تسمع من الناس مئات المرات) .

وأضاف : (صحيح أن سيبيريا في بعض الأشهر صحراء من الجليد ، لكن قلوب ناسها أدفأ من الجمر) .

● وقالت السيدة مايا ارخيبوفا رئيسة بلدية مدينة

البروفسور توكاريف

شولوخوف : الهجرة القسرية التي قرأتم عنها في الماضي الى سيبيريا أصبحت الآن هجرة اختيار ورغبة شخصية ، وهكذا فان ٨٠٪ من عدد سكان مدينتنا هم من الشباب ونسبة عالية من بينهم لا تتجاوز أعمارهم ٣٠ سنة .

● وقال لنا بوريس بافلوفيتش النائب الأول لرئيس بلدية مدينة براتسك بفرح وغبطة : اننا نعتبر مدينتنا ورشة تدريب للعمال العرب ، بل ان المئات من مهندسينا عملوا ويعملون في الأقطار العربية

لقد دربنا الكثير من مهندسي وعمال السد العالي في مصر ، وتدرب ويتدرب عشرات العمال العرب في مصانع الألمونيوم والصلب في مدينتنا حتى الآن .

● وفي مدينة ايركوتسك قال لنا العالم فلاديمير كوكوف الخبير في الاقتصاد وتخطيط السكك الحديدية . .

كانت الأنهار في الماضي وسيلة من وسائل التنقل والعيش في الفترة التي لا تكون فيها المياه متجمدة ، لكن وعندما يحصل التجمد . . فهل على الحياة أن تتوقف ؟ لذلك جاءت ضرورة إضافة خطوط سكك حديد جديدة ، وتطوير خطوط الطيران الداخلية وتزويدها بأحدث الطائرات .

وخط سكة حديد (بام) الذي تم انجازه في هذه الأيام (بطول ٣٢٠٠ كم) هو عنصر من عناصر الحياة والتقدم ، أضيف الى غيره من خطوط في سيبيريا .

عزيزي القارىء . . قبل أن نمضي في ايراد أقوال من قابلناهم في المدن السيبيرية التي زرناها فاننا ننقل لك نبذة قصيرة عن سيبيريا .

الموقع والمساحة :

مساحة سيبيريا تزيد على عشرة ملايين كيلومتر مربع ، أي أقل من نصف مساحة الاتحاد السوفيتي بمليونين من الكيلومترات المربعة تقريباً ، وهي تماثل مساحة الوطن العربي كله من محيطه الى خليجه تقريباً .

وهي من حيث الموقع الجغرافي تقع في الجزء الأكبر من شمال قارة آسيا أي أنها تمتد من جبال الأورال غرباً حتى السلاسل الجبلية للمحيط الهادي شرقاً ، ومن شواطيء المحيط المتجمد الشمالي شمالاً حتى السهوب التلالية لكازاخستان ومنغوليا والصين الشعبية جنوباً .

المتوسط السنوي لدرجة الحرارة في كل سيبيريا شتاءً هو حوالي صفر ، ويصل متوسط درجة الحرارة في الشمال الشرقي حوالي ١٨ درجة تحت الصفر ، وفي بعض المناطق خاصة الشمالية منها فإن درجة حرارتها تصل الى ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر ، أما في الصيف فإن درجة حرارة بعض المناطق الجنوبية الشرقية تزيد على ٤٠ درجة مئوية فوق الصفر ، لذلك فإن أجهزة التكييف الباردة موجودة مثلها مثل الدافئة في البيوت والمكاتب .

يوجد في سيبيريا ثلاثة أنهار عملاقة هي ، أوب ، ينيسى ، لينا وآلاف الأنهار الفرعية والروافد الكبيرة والصغيرة تقدر مساحة أحواضها مجتمعة بحوالي ٨٠٪ من كل الأراضي السيبيرية .

يقسم بعض الجغرافيين سيبيريا الى قسمين : شرقي ، وغربي ، والحد الفاصل بينهما هو نهر ينيسى ويتكون الغرب السيبيري من السهول أساساً وأكبر مدنه هي مدينة نوفوسيبيرسك أما القسم الشرقي السيبيري فيتكون من سلاسل من الجبال والجبال المستوية ، وأكبر مدنه أيركوتسك .

وأرى أن هذا التقسيم كان يعتمد على تسهيلات الوصول الى المناطق من حيث سكك الحديد وغيرها من وسائل المواصلات ، الا أن التطورات الجارية على أرض الطبيعة وبناء خط سكة حديد (بام) واكتشاف مصادر الطاقة المهمة في الوسط والشمال السيبيري ، جعل نظرية الجغرافيين السابقة متخلفة عما أنجزه الانسان وما فعله من تغييرات في الطبيعة .

تلك بعض المعلومات عن سيبيريا . ومع أن نقل المعلومات من مصادرها عمل جيد ، وأساسي لأي بحث ، الا أنك عندما تريد أن تنقل نبض الحياة ، والفعل الانساني وهو يتجلى إبداعاً وتغييراً فما عليك الا أن ترى بعينيك ، وتعايش باعصابك واحساساتك .

وبما أن رحلتنا ومشاهداتنا غطت الكثير من النشاطات في المدن الرئيسية الثلاث التي زرناها : براتسك ، ايركوتسك ، نوفوسيبيرسك ، وبما أن مساحة استطلاعنا محدودة ، لذلك فان علينا الاختصار والتكثيف .

ثروات وصعوبات :

قبل أن ننتقل بالطائرة من موسكو الى مدينة براتسك (٦ ساعات طيران مباشر) التقينا في موسكو بالبروفسور توكاريف الذي أشرنا اليه من قبل مع الخبيرين في المجلس روزنكوفا - سيدة - وسمولنكوف .

تركز حديث البروفسور توكاريف على ضخامة وأهمية الثروات الطبيعية الموجودة في سيبيريا والتي تقدر كما قال بيلايين الأطنان ، ومحاولاتهم استغلال هذه الطاقة واستخراجها في ظروف مناخية صعبة جداً ، يتحول فيها الاسمنت العادي الى رمل ، وتتشقق وتنفجر فيها الأنابيب العادية التي من المفترض فيها نقل الثروات المستخرجة الى حيث يتم تكريرها والاستفادة منها ومعالجتها وتحويلها الى عناصر ومواد جديدة . كصناعة البتروكيماويات أو الاستفادة من الفحم في صناعة الصلب وغيرها .

وقال أن ٨٠٪ بالمائة من الغاز المنتج في الاتحاد السوفيتي يأتي من سيبيريا كما أن نصف انتاجنا من البترول يأتي منها أيضاً ، ومثل ذلك أو يزيد من الفحم والحديد والنحاس ، وغيرها من المعادن ،

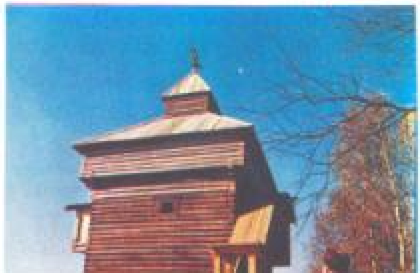

بحيرة بايكال .. مدى أزرق صاف وعذب « فوق » .

البيت الروسي القديم « الى اليمين » .

أشجار ومهرجان الوان في الغابة السيبيرية « الى اليسار أعلى » .

طلبة وعمل تطوعي في مدينة ايركوتسك « الى اليسار » .

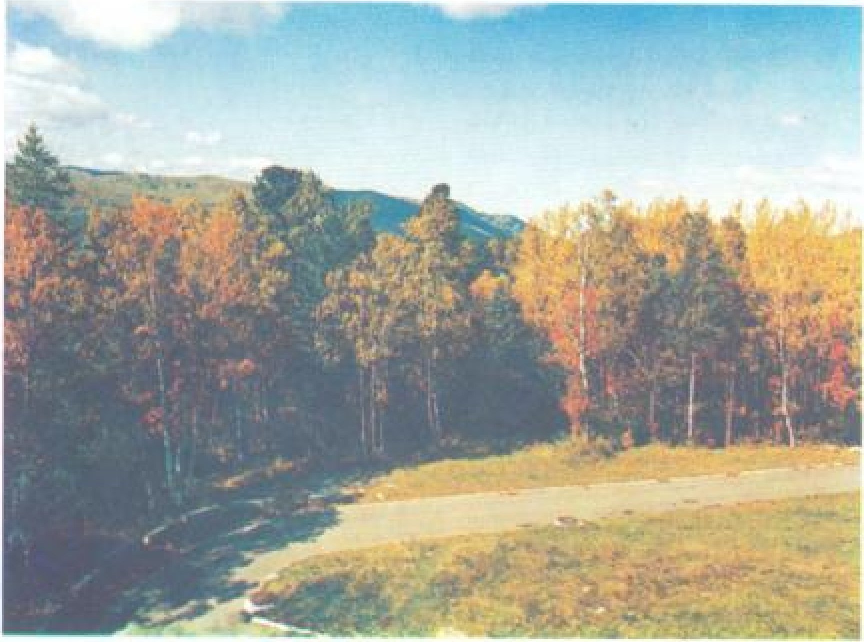

والأخشاب ، كما أن أكثر من ٨٠٪ من الموارد المائية في الاتحاد السوفيتي تقع في المناطق الشرقية أي في المناطق السيبيرية .

مع ذلك فنحن نقول بأننا نواجه صعوبات جمة تعوق بعض طموحاتنا ، فقد اكتشفنا الكثير من مكامن الفحم والغاز وحقول البترول وغيرها لكننا لا نستطيع استغلالها كلها الآن ، بسبب التكلفة العالية ، أو بسبب حاجتنا الى تقنيات عالية ومهارات تشغيلية خاصة بها .

لذلك فنحن نبقيها ضمن الخطط الطموحة التي تقتضي تكامل خطط استغلالها من حيث توفير مستلزمات ذلك من طرق وسكك حديدية وميزانيات وقدرات تقنية مناسبة .

اننا ضد النظرة التبسيطية التي تقول بأن استغلالنا للثروات في سيبيريا يتم بسهولة ويسر ، وأن تكاليف ذلك قليلة ، وفي نفس الوقت نحن ضد النظرة أو الدعاية التي تذهب بأننا نواجه صعوبات جمة لا يمكننا التغلب عليها في استغلالنا لمواردنا وثرواتنا الطبيعية .

براتســـــك :

وهكذا كانت وجهتنا مدينة براتسك في الشرق السيبيري .

الملاحظة الأولى التي لاحظناها عندما وصلنا المدينة هو أن الزائر الثقيل لم يكن قد وصلها بعد .

السيدة ارخيبوفا

المهندس كروموفسكي

وأعني بالزائر الثقيل هو البرد الشديد والثلج ، صحيح ان درجة الحرارة في الليل كانت تتراوح بين ٣ و ٥ درجات تحت الصفر وانها في النهار كانت ترتفع لتصل الى ٥ درجات فوق الصفر . مع ذلك فان المطر الكثيف والثلج لم يكونا قد بدآ دورتهما السنوية. (الزيارة كانت في الأيام العشرة الأخيرة من شهر سبتمبر - أيلول ١٩٨٤) .

براتسك مدينة في غابة وهكذا هي المدن والقرى في سيبيريا ، يتم البناء على حساب الغابات ، لكنها أي الغابة تبقى كالحزام بالنسبة للمدن بل انها تبقى حاضرة داخل الكثير من الأحياء والمناطق وهي (متنفس) للانسان ، يتروح ويعيش الطبيعة كما هي .

وهي . . مدينة شابة . . هكذا قال لنا بوريس بافلوفيتش النائب الأول لرئيس بلديتها . . بل أن بقية المدن السيبيرية التي زرناها . . كان المسؤولون فيها يؤكدون على أنها مدن شابة .

وهذا القول يمكن وضعه ضمن تفسيرين :

الأول : انها مدن جديدة أو مجددة ، يمكن أن تكون قد وجدت منذ مئات السنين لكنها أخذت تزداد في عدد السكان ، وفي إقامة المشروعات الضخمة بعد قيام ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

الثاني : أن متوسط عمر سكان المدن السيبيرية لا يتجاوز الثلاثين عاماً ، فالمشاريع الكثيرة تحتاج الى أيد عاملة شابة . . والطبيعة القاسية التي لا تعرف الحنو أو المداراة لا ترحم من به سقم ، فلا يغامر بالمجيء اليها الا الشباب الذين ما زال طموح تحقيق الذات يسيطر على كل ذرة في كيانهم .

مدينتنا مركز صناعي كبير يقطنها الآن حوالي ٢٧٠ ألفاً من السكان هكذا بدأ السيد بافلوفيتش حديثه معنا :

وأهم الصناعات فيها الخشب والورق والألمنيوم والحديد ، ونصدر بعض ما ننتجه ونصنعه الى بعض الدول العربية كمصر ، وسوريا ، واليمن الديمقراطية والجماهيرية الليبية .

وأضاف السيد بافلوفيتش عندما استقبلنا في دار البلدية : أن عشرات العمال والمهندسين العرب تدربوا في مصانعنا ومعاهدنا بل أن مئات المهندسين

من مدينتنا شاركوا في إقامة السدود والمصانع في الأقطار العربية كالسد العالي في أسوان ، ومصنع الألمنيوم في نجع حمادي ، ومصنع الحديد في حلوان وسد الفرات في سوريا وغيرها .

وبعد أن خضنا مع السيد بافلوفيتش في أحاديث شتى حول العمل وظروفه والعوائد والتكنولوجيا وخططهم لزيادة السكان ورعاية الأطفال الخ .

خرجنا من دار البلدية الى الفندق ، وقد صادفنا في طريقنا مكتب توثيق الزواج وقد شرح لنا مرافقنا إيفان منشكوف أن هناك طريقتين للزواج في الاتحاد السوفيتي الأولى بواسطة مكتب مدني ، والثانية عن طريق رجال الدين مسيحيين ومسلمين ويهود ، أو رجال الدين في الديانات الأخرى كالبوذية وغيرها .

السد العالي والمصانع :

ذهبنا في اليوم التالي لزيارة مصنع الألمنيوم الذي يبعد عن المدينة حوالي ٢٠ كيلومتراً استقبلنا المهندس كروموفسكي مدير القسم التكنولوجي في المصنع . . وقال : ـ

ـ مادة الألمنيوم نستوردها من القسم السوفيتي الأوروبي ، وبدأنا التحضير لبناء المصنع اعتبارا من سنة ١٩٦١م ، وبدأ انتاجه سنة ١٩٦٦م ، أي بعد أن تم بناء السد العالي على نهر انغارا سنة ١٩٦٦م وبعد أن تم توفير الطاقة من أكبر محطات توليد الكهرباء في العالم ، فان طاقة انتاج المصانع ارتفعت ، وتم بناء مصانع جديدة حول المدينة .

وأضاف السيد كروموفسكي : الأيدي العاملة في المصنع يصل عددها الى ١٢ الف عامل وعاملة . ولأن هناك صعوبة في طبيعة العمل من حيث التعامل مع افران النار فاننا نقدم تسهيلات للعمال منها :

ـ ساعات العمل ٦ ساعات ، وكل ٤ أيام عمل يقابلها يوم عطلة .

ـ الاجازة السنوية تصل الى ٤٨ يوماً ، مع أن الاجازة للعمال هي ٣٦ يوماً ، أما من حيث المرتبات فان العامل الماهر الذي خدم ما يزيد على ٥ سنوات فانه يتقاضى حوالي ٦٠٠ روبل . وتقدير المرتب في الاتحاد السوفيتي يخضع لطبيعة العمل ، فأنا المهندس على سبيل المثال قد أتقاضى ٣٠٠ روبل شهرياً أو يزيد قليلاً ، في حين أن العامل الذي يعمل على أفران الصهر قد يتقاضى ضعف ما أتقاضاه .

الحديث المتكرر عن السد العالي في براتسك وأهمية محطته الكهرمائية ، والبحيرة الصناعية التي وجدت نتيجة إنشاء السد ، ودور مهندسي المدينة في بناء وتدريب عمال ومهندسي السد العالي في أسوان ، شدنا لزيارة المكان . . وفي يوم مشمس بارد انطلقنا من المدينة وقطعنا مسافة حوالي ٢٥ كيلومترا في طريق تحفه التلال المتوجة بأشجار الشربين والصنوبر والأرز . . أوراقها تختلف بين شجرة وأخرى . . حمراء خضراء صفراء برتقالية . . كادت تكون مهرجان ألوان . . ثم صافحت عيوننا حوار أشعة الشمس مع مياه البحيرة . . وفي الجانب الآخر كان نهر أنغارا الذي ينبع من بحيرة بايكال يهدر متدفقاً بعد أن تم حجز الكثير من مياهه في السد التي تصل قدرتها لتوليد طاقة كهربائية الى ٤٫٥ مليون كيلوات .

قابلنا السيد ليف أويلوجين نائب مدير المحطة وهو مهندس طاقة ومن المهندسين الذين دربوا الكثير من المهندسين والعمال العرب . وبعد ان اوضح لنا أهمية السد ودوره . قدم لنا دفترا يسجل فيه الزوار انطباعاتهم .

فوقعت عيناي على التالي :

(في نهاية تدريبنا ـ في محطة براتسك الكهربائية المائية ـ نحن المهندسين والفنيين العرب من السد العالي في الجمهورية العربية المتحدة ، نشكر جميع الخبراء السوفيت على ما بذلوه في تدريبنا واعطائنا جميع المعلومات اللازمة .

مهندس عبد الحليم عبد القادر
٢٧/ ٥/ ١٩٦٥م

يبدو أن المهندس كان يريدني أن أقرأ هذه الكلمات بالذات . . نظر بوجهي متملياً . . وقال هل قرأت ؟ أجبت بالايجاب وقلت : الآن عرفت أن سدنا العالي كان أخاً لسدكم العالي هنا في براتسك ومن هنا جاء الاسم المتشابه . إلا أن المهندس تساءل : وهل نكافأ على ما بذلنا . . بالطرد المهين ؟

قلت مخففاً : هي سياسات تتغير ، وما تم انجازه على الطبيعة لا يمكن أن تمحوه السياسات (عندما كنت أكتب هذا الاستطلاع تذكر الناس أهمية السد

المسيرة في جامعة نوفوسيبرسك «فوق».

مسرح الأطفال.. وشعار مدينة نوفوسيبريك «الى اليمين».

وجه وابتسامة وملابس تقليدية سيبيرية .. يمكن أن تكون هذه الملابس قد اختفت من الحياة الحاضرة ، لكنها تظهر في المناسبات فتثير الكثير من الذكريات .. والكثير من الحنين الى ماض مضى لا يمكن أن يعود .

العالي بأسوان كونه حمى مصر من خطر المجاعة التي انتشرت في الدول المجاورة لخمس سنوات متواليات) .

داخل البيت السيبيري :

غادرنا المحطة بعد أن مررنا على شواطيء البحيرة الصناعية ، وبقيت في النفس رغبة . لقد قابلنا بعض المسئولين ودخلنا بعض الحوانيت والمصانع والمؤسسات ، وسمعنا وناقشنا ، لكن كيف هو البيت في براتسك من الداخل ؟ ما هي تفصيلات حياة العائلات ؟ بماذا يهتمون ، كيف يعيشون وما هي طبيعة علاقاتهم الأسرية وما هي انطباعاتهم عنا ؟

انتقلنا الى حي عادي من أحياء المدينة ، ثم صعدنا بالمصعد الى الطابق الثالث ودخلنا شقة مكونة من ثلاث غرف . . استقبلنا على الباب السيد لاينيد والسيدة فيرا ، انهما يكونان عائلة ميخاتشك ، سنهما يقترب من الأربعين .

السيدة فيرا مهندسة تخطيط والسيد لاينيد مهندس ميكانيكي ، ويعملان منذ سنة ١٩٦٧ في مصنع للخشب .

الزوجة أصلها من جمهورية أوكرانيا والزوج يعود أصله الى جمهورية روسيا ، الا أن عائلتيهما سكنتا سيبيريا منذ الخمسينيات .

تخرجا من معهد البولتكنيك من مدينة تومسك في سيبيريا وتزوجا بعد التخرج مباشرة (١٩٦٧م) .

قالا انهما يعتبران سيبيريا وطناً لهما (لقد تعودنا على كل ما فيها ، بردها وثلجها وصعوباتها أصبحت جزءا من تكويننا ، ونحن لا نفكر في الهجرة منها ، اننا نؤدي عملاً نعتبره مهماً) .

والأولاد ؟

- صاحت الوالدة فحضر ولد وبنت .

الولد عمره حوالي ٩ سنوات والبنت عمرها حوالي ١٤ سنة . بافل وماي ، الولد في الصف الرابع ، والبنت في الصف العاشر .

قال الزوج : أعتقد أن ما انجبناه يكفي .

حاولت أن أدغدغ عاطفة الأمومة في المرأة . .

عائلة ميخاتشك

فوجدتها منحازة ومتفقة مع الزوج . سألت : هل تدفعون أقساطاً للمدارس ؟

- أجاب الزوج والزوجة بالنفي القاطع ، وأضافا أن بعض المدارس تقدم بعض الوجبات الغذائية .

- والشقة . . . . هل تدفعون إيجاراً لها ؟

قالت الزوجة : دعني أوضح لك الأمور : التعليم في وطننا مجاني ، والتطبيب والسكن أيضاً . هناك بعض الرسوم القليلة التي لا تذكر ندفعها ، وهي مثلاً بالنسبة للسكن حوالي ٢٠ روبلاً في السنة ، و ٣٠ روبلاً في السنة بالنسبة للتعليم ، وهي مبالغ لا تذكر لقاء خدمات حياتية مهمة جداً .

- وما هو دخلكم كعائلة ؟

أجاب الزوج : دخلنا أنا وزوجتي حوالي ٨٠٠ روبل في الشهر نصرف منها ونوفر بطبيعة الحال ، وعندنا سيارة ، ونذهب في إجازاتنا السنوية في رحلات داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه ، لقد زرنا فنلندا ، والهند وألمانيا الشرقية والغربية ومصر وسوريا وغيرها من بلدان .

● والاهتمامات ؟

- قال الرجل أنا أهتم بميكانيك السيارات ، وفي أوقات فراغي اتابع زراعة الأرض خارج المدينة واهتم بالتصوير وقراءة الأدب ومتابعة السينما والمسرح .

وقالت الزوجة انها تهتم بالقراءة وخاصة الأدب ،

وأدب الرحلات منه بالذات ، وزراعة الزهور ، ومتابعة النشاطات الحزبية .

سألت : لقد ذكر السيد لاينيد انه يهتم بزراعة الأرض ، فهل تم توزيع الأراضي على الناس ؟ ما أعرفه ان الأرض هي ملك الدولة في الاتحاد السوفيتي .

أجاب السيد لاينيد : لقد تم توزيع قطع كثيرة من الأراضي على الناس في الكثير من جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، ومساحة ارضي على سبيل المثال هي حوالي ٦٠٠ متر مربع . وهي ليست ملكية خاصة ، كما أن بعض الناس يملكون بعض البيوت الخاصة ، لكن الأرض ملكيتها للدولة في كلتي الحالتين ، والقصد من توزيع الأراضي هو دفع الناس للاهتمام بالعمل الفلاحي ، وانتاج بعض المنتوجات التي تسد حاجة البيت .

– لقد ذكرت السيدة فيرا النشاطات الحزبية .. هل انتما أعضاء في الحزب ؟

أجابت الزوجة .. نعم نحن اعضاء في الحزب ، انا منذ ١٢ سنة وزوجي منذ ست سنوات وهناك نشاطات اجتماعية ومشروعات يقيمها الحزب نتابعها ونهتم بها .

– لقد ذكرتم انكم زرتم سوريا ومصر .. فما هي انطباعاتكم عن الكويت وأقطار الخليج العربي ؟

أجابت الزوجة : لقد قرأت كتابا يتعلق بالطرق والرحلات والمحطات المهمة في الشرق ، وقرأت عن حياة الناس في الكويت عندما كانوا يكدون في البحر

آسيا صالحوفا

البروفسور كوكوف

ويستخرجون اللؤلؤ منه والصعوبات الحياتية التي كانوا يواجهونها ، أما الزوج فذكر انها بلاد النفط وهي دول مستقلة لكنها جزء من الأمة العربية .

في ايركوتسك

أبت الطبيعة في براتسك الا أن ترينا حالاتها المتغيرة .. ففي صباح يوم سفرنا من براتسك الى ايركوتسك فتحت النافذة .. كانت خيوط دقيقة تتطاير في الجو .. أمعنت النظر ، لقد كان (ندفاً) ثلجيا رفيعا ودقيقا .. وهكذا تركنا الطقس في براتسك .

وصلنا بعد ساعتي طيران الى المدينة التي تقع على نهر انغارا ايضا ، (طوله ١٨٠٠ كيلومتر تقريبا) ويقسمها النهر الى قسمين . وتعتبر ايركوتسك في القسم الشرقي من سيبيريا ، قطارات تصفر .. وبواخر تمخر .. والقدم والعراقة تظهران على مباني المدينة .

قال لنا السيد فالودا فالسوف مراسل وكالة نوفوستي الصحافية في المدينة : ان مدينة ايركوتسك تم تأسيسها سنة ١٦٦١ م من قبل شعب القوزاق بعد أن وصلوها عبر الأنهار ، وبعد تأسيس المدينة بخمس وعشرين سنة فانها ازدهرت وازداد عدد سكانها ووصل الى حوالي ٦٠٠ الف نسمة الآن .

نتجول في المدينة .. وحبيبات المطر تداعبنا مع أشعة الشمس ، مبان كثيرة يظهر عليها القدم ، ولازال بعضها مبنيا من الخشب ، مادة بناء البيت السيبيري حتى سنين قريبة ، بل ان حيا بأكمله مازال مبنيا بكامله من الخشب . (كورنيش) المدينة يمتد لعشرات الكيلومترات يحاذي النهر وتظلل الناس فيه غابات الأشجار التي دخلت عليها يد الانسان فشذبتها وهذبتها .

في المسجد

مبنى كبير على جوانبه ترتفع مباني مخروطية الشكل .. قال السيد فالودا انها احدى كنائس المدينة .

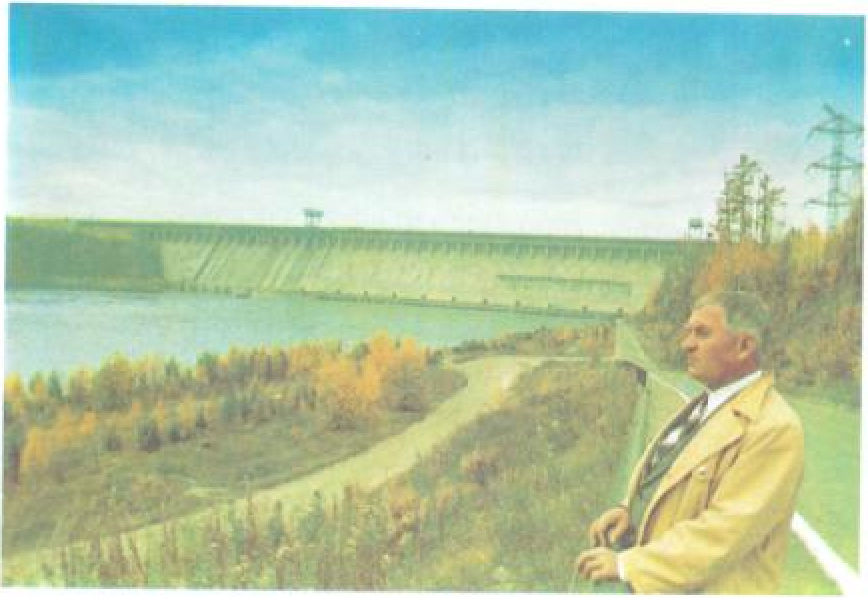

السد العالي في مدينة براتسك « الى اليمين أعلى » .

البناء التقليدي وحارسه بائعة الورد - في مدينة براتسك « الى اليمين أسفل » .

مهندسة تدير محطة التحكم في السد العالي « فوق » .

في مصنع الألمنيوم - مدينة براتسك « الى اليسار » .

ـ وهل أماكن عبادة الديانات الأخرى موجودة أيضا ؟

● نعم انها موجودة ، الكنيس لليهود ، والمسجد للمسلمين ، وأماكن عبادة البوذيين ايضا وغيرهم .

ـ لقد لفظت المسجد بتشديد السين .. هل هذا هو اسمه في الروسية ؟

● نعم هو ذلك .

ـ هل نستطيع زيارته ؟

● ولم لا .. اقتربنا من مبنى عريق ، تتصدره لوحة مكتوب عليها بالعربية الواضحة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... بسم الله الرحمن الرحيم ... لا اله الا الله) .

جاءنا الحارس .. السلام عليكم بالعربية تم تبادلها فيما بيننا . قادنا الى داخل المسجد ، كان الامام محمديف غالي احمد مع بعض الرجال في الداخل ، قال انه من التتر المسلمين وكذلك الرجال الذين كانوا يلازمونه ، ملامحهم كانت تشي بذلك بوضوح ، قرأ القرآن بعربية مفهومة تماماً ، وقال انه يترجم خطب الجمعة الى الروسية للمصلين ، المسجد عادي كأي مسجد في بلاد أخرى ، مفروش بالحصر والسجاد ، حاجز من القماش يفصل بين أماكن صلاة النساء والرجال .

قال الامام محمديف انه خريج معهد الدراسات الاسلامية ، وهو مقيم منذ مدة طويلة في المدينة ويؤم المسلمين في الجامع ويشرح أمور الدين داخله .

أكبر بحيرة عذبة

تمنينا أن يكون الجو مشمسا في صباح اليوم التالي عندما أخبرنا مرافقنا أن برنامجنا يتضمن زيارة بحيرة بايكال التي تبعد عن مدينة ايركوتسك حوالي ١٠٠ كيلو متر تقريبا ، انطلقنا في الصباح وبعض الغيوم تحجب عنا الشمس ، والجو الضبابي يخيم على المدينة .

كان انغارا يرافقنا في رحلتنا وكانت أشجار الغابات تحف بالطريق على الجانبين ، طبيعة بكر .. وتلال مكسوة بالأشجار .. وهواء نقي يداعب وجوهنا . قرى صغيرة بيوتها مبنية من الخشب متناثرة على جانبي الطريق .. قال السيد فالودا ان بعضها

المهندس جانوف

الامام محمديف

يعود لشعب البوريات الذي يدين بالبوذية ، وهم يبنون قراهم بجانب الأنهار في معظم الأحيان ، لأن النهر على ما يبدو جزء من طقوسهم .

الغابة مدى لا تدركه العين وحبيبات الندى تتساقط من فروع الأشجار كأنها المطر الخفيف ، وصلنا الى مكان فيه بعض المقاعد الحجرية ، تلتف حوله الأشجار من جميع الجهات ، أغصانها وأوراقها موثقة بها ، آلاف خرق الملابس والحبال الصغيرة القصيرة من جميع الألوان . انها احدى طقوس شعب البوريات البوذي .. هكذا قال السيد فالودا ، لحظتها فان ذاكرتي استعادت مشهدا مماثلا رأيته في مدينة بافوس القبرصية ذات يوم ، آلاف مناديل الجيب وأغطية الرؤوس النسائية مربوطة باغصان احدى الأشجار ، قيل لي يومها انها نذور ، او للتبرك .. وها هو نفس المشهد يتكرر تقريبا لكن مع البوذيين .

تابعنا رحلتنا محفوفين بالنهر وأشجار الغابات ، مع تسلل جديد لخيوط الشمس اخذت تخترق حجب الغيوم ..

قابلنا الدكتور جريجوري متشينكو سكرتير معهد الأبحاث المائية الخاص بالبحيرة . هو ومجموعة من العلماء يقيمون بالمعهد ، ويبحثون في كل ما يتعلق بالبحيرة من ماء وهواء وحيوانات وطبيعة محيطة وعملهم الأساسي هو حماية نظافة مياه البحيرة .

قال الدكتور متشينكو ان البحيرة تمتد لحوالي ٦٣٦ كيلومترا وأكبر عرض لها هو ٨٠ كيلومترا واقله ٣٠ .

يدخل البحيرة حوالي ٣٠٠ نهر أهمها نهر لينا ويخرج منها نهر واحد هو انغارا .

تحوي البحيرة حوالي ٢٢٪ من كل المياه الحلوة في العالم . وأكبر جزيرة فيها هي جزيرة الهون وتمتد حوالي ٦٢ كيلومترا في الطول وعرضها حوالي ١٥ كيلومترا ويسكنها ١٥٠٠ نسمة .

مياهها نظيفة وصالحة للشرب ويمكن الرؤية من خلال مياهها الى عمق حوالي ٤٠ مترا . مياه البحيرة تتجمد في الشتاء ، ويعيش فيها حوالي ٥٢ نوعا من السمك ، (تتجمد البحيرة ٥ أشهر في السنة)

شولوخوف

شولوخوف مدينة لا تفصلها حدود واضحة عن مدينة ايركوتسك ، واسمها لم يأت من اسم الكاتب المعروف شولوخوف صاحب رواية (الدون الهادىء) بل جاء الاسم من اسم تاجر مغامر ، وصل هذه الأراضي وانتقل في استكشافاته حتى وصل آلاسكا ، ثم عاد وتوفي في مكان معروف بالمدينة ، وعندما تم تأسيس المدينة منذ حوالي ٢٠ سنة فاننا آثرنا اطلاق اسمه عليها ، عدد سكانها الآن حوالي ٥٠ الف نسمة وهي مدينة شابة وجدت مع وجود المصانع كالالمنيوم ، وصناعة البناء والاسلاك وغيرها .

هكذا قالت لنا رئيسة بلدية المدينة مايا آرخيبوفا عند استقبالها لنا ، شدت على أيادينا وقادتنا الى غرفة مكتبها .

قلت : ألا تجدين صعوبة في عملك ياسيدتي . . ومالك ومشاكل الصناعة والاسكان وغيرها ؟ وما هو وضع المرأة والاطفال الصغار ؟

قالت : هو الواجب ، والمرأة متساوية الحقوق مع الرجل ، وهناك صعوبات بسيطة في كوني لا أستطيع أن اعطي وقتا كافيا للعائلة ، لكن يبدو أن عائلتي اصبحت هي كل من يعيش في هذه المدينة . وهناك بعض الأعمال المحددة في قانون العمل تمنع المرأة العمل بها .

أما بالنسبة للأطفال أبناء العاملين والعاملات فإن ٩٣٪ منهم ممن تقل أعمارهم عن السادسة فانهم يدخلون دور رعاية الطفولة وعندنا في المدينة حوالي ٣٠ دارا .

هل ينمو البلح في سيبيريا ؟

هناك مثل يقول (لا ينمو البلح في سيبيريا) . الا أن المفاجأة التي كانت تنتظرنا عندما دخلنا قاعة الاجتماعات للالتقاء بعالم الاقتصاد وتخطيط السكك الحديدية فلاديمير كوكوف بمدينة ايركوتسك ، هي تصدر شجرة نخيل للقاعة . صحيح انها كانت مسجونة في وعاء خاص وانها لا تثمر ربما بسبب هذا السجن ، ولكنها كانت موجودة وسعفها الاخضر يضفي جمالا أخاذاً على المكان .

تحدث العالم كوكوف عن التأثيرات الناتجة عن الانتهاء من مد خطوط سكك حديد (بام) وان هذه الخطوط مدت في أماكن غير مأهولة . . وذكر المشروعات التي يمكن الاستفادة منها ، وقيام مركز صناعي جديد يعتمد على ثروات طبيعية غنية جدا مثل الفحم والحديد والفوسفات ، والغابات البكر .

سألت : ألا تتأثر خطوط سكك الحديد الطويلة بالثلج الذي يقيم طويلا خاصة في المنطقة الجديدة ؟

ان هذا الجانب هو من أهم الصعوبات التي تواجهها ، لكننا كعلماء ابتكرنا حلا لكل مشكلة .

والزراعة . . هل لها نصيب في سيبيريا ؟

منذ مئات السنين وسيبيريا الغربية تنتج الحبوب والخضروات وبعض أنواع الفواكه ، وفي المناطق الاخرى فاننا بدأنا باقامة مزارع تعتمد على طريقة الزراعة المحمية ، اضافة الى وجود مزارع للدجاج والأبقار .

معهد البولتكنيك

برنامج الساعات الأخيرة من زيارتنا لمدينة ايركوتسك كان زيارة معهد البولتكنيك . . ان الطموح الكبير لاستغلال ثروات الطبيعة والتغلب على شتى مصاعبها لا يمكن أن يتم الا بوجود العقول المدربة والخبيرة والمستوعبة للتقنيات المتطورة ، لذلك فان هذا المعهد انشىء منذ سنة ١٩٣٢ . هكذا لخص لنا السيد فلاديمير بتروفش سكرتير اللجنة الحزبية في المعهد دوره ، وأضاف أن في المعهد الآن ٢٦ فرعا

توربينات الماء في مدينة براتسك « فوق » .

في معهد البوليتكنيك في ابركوتسك « الى اليمين » .

صناعة الآلات الثقيلة في مدينة نوفوسيبيرسك « الى اليسار أعلى » .

أطفال إحدى الروضات في أحضان الغابة (الى اليسار أسفل) يستروحون . . . ويستجمون . . ويتعلمون أيضاً .

علميا و ٤٥ مهنة ، وفيه حوالي ١٨ ألف طالب وطالبة ، دراستهم تقوم على الدراسة النظرية والعملية ، يدرسهم حوالي ١٥٤٠ مدرسا ويوجد في المعهد حوالي ٢٥٠ طالبا وطالبة من جمهورية منغوليا الشعبية ، يدرسون من خلال برنامج المنح الذي توفره لهم الجهات المختصة . والالتحاق بالمعهد يتم بعد الصف العاشر مباشرة .

ومدة الدراسة خمس سنوات يتخرج الطالب بعدها ، بعد أن يقدم مشروعا تطبيقيا توافق عليه اللجنة الفاحصة ، ويتم توزيع المتخرجين على المهن الخاصة بهم قبل شهرين من تخرجهم .

نوفوسيبيرسك (أو سيبيريا الجديدة)

محطتنا الثالثة كانت مدينة نوفوسيبيرسك ، لم تبلغ من العمر مائة سنة بعد ، مع ذلك فهي ثالث المدن مساحة في الاتحاد السوفيتي بعد موسكو ولينتغراد ، وأكبر المدن السيبيرية في عدد السكان (حوالي مليون ونصف مليون نسمة) وهي عاصمة العلم والعلماء في سيبيريا اذ يوجد فيها الفروع السيبيرية للاكاديمية السوفيتية للعلوم ، والزراعة والعلوم الطبية . وبها ما يزيد على ١٠٠ معهد علمي ، وما يزيد على ١٥ ألف عالم ، وفيها ١٦ معهدا للدراسات العليا ويدرس ١٥ ألف طالب في معهد الدراسات الكهربائية الهندسية لوحده .

وهي في موقعها على نهر الاوب تعتبر ميناء تجاريا مهما ، ومحطة أساسية من محطات خط حديد ـ عبر سيبيريا ـ وفيها مطار كبير .

كما أن قربها من جبال التاي (حوالي ٢٠٠ كيلومتر) الغني بالثروات الطبيعية وفر لها مواداً أولية لقيام صناعة مزدهرة فيها تبدأ من أصغر الأشياء وصولا الى صنع الآلات الثقيلة .

هكذا تكلم المهندس علي جانوف النائب الأول لرئيس بلدية نوفوسيبيرسك بحب وفخر عن المدينة . ولم يترك أي خاطرة تتعلق بالتفصيلات الدقيقة حول تاريخ انشاء المدينة ، والتغييرات والتطورات التي حصلت فيها الا وذكرها ، عن الثقافة والعلم والتجارة وتنقية الهواء وقيام السد على نهر أوب سنة ١٩٥٦ وطاقة محطة توليد الكهرباء والبحيرة .

وبناء الشقق الجديدة (يبنون سنويا حوالي ١٥ ألف شقة جديدة) وظروف قيام المدينة ودور المنفيين في تنشيط حركة الحياة فيها من قبل . ومحطات التدفئة التي تحولت من الفحم الى الغاز . ومحطات تنظيم مجاري المياه وعدم جعلها تصب في النهر ، والنقل والمواصلات وبناء محطات المترو ، والمسارح الستة في المدينة (من بينها مسرحان للاطفال) ومعاهد الباليه والاوبرا والاكاديمية المسرحية ، والنشر والطباعة والصحف والمكتبات العامة ، والزراعة والاسكان والمستقبل .

في نفس اليوم الذي قابلنا فيه نائب رئيس البلدية كان موعدنا بعد الظهر لزيارة مصنع الصناعات الثقيلة .

التقينا بمدير عام المصنع فيكتور ارنوفسكي وسكرتير اللجنة الحزبية فلاديمير كسيليوف وايفان كابلن اقدم رسام تقني في المصنع . تحدثوا عن ظروف انشاء المصنع أثناء الحرب العالمية الثانية (أصبحت سيبيريا خط الدفاع الثاني في ظروف الحرب ، وانتقل الكثير من الصناعات والكثير من الناس الى المدن السيبيرية ومنها نوفوسيبيرسك في الغرب السيبيري) .

وأنواع الصناعات التي صنعها المصنع ، والتطورات التي حدثت به ، اذ أنهم بدأوا الصناعة عن طريق اليد ، والآن فانهم يستعملون أحدث الانجازات التقنية . وتحدثوا عن عدد العمال الذين أصبحوا الان ستة آلاف عامل ، بعد أن كانوا ١٥٠٠ عامل في بداية انشائه ، وعن المدرسة التقنية الملحقة بالمصنع ، ورواتب العاملين وطرق السلامة المتبعة ، والرعاية الصحية والاجتماعية ، والدول التي يصدرون لها صناعاتهم (منها سوريا ، العراق ، مصر) وقد ازدادت كمية الانتاج حوالي ٢٠ مرة منذ انشاء المصنع حتى الآن .

ثم تحدثوا عن البيوت التي بناها المصنع للعمال وعن رعاية اطفال العاملين والعاملات (٩٠٪ من الأطفال يتوزعون على ٧ دور رعاية تابعة للمصنع) .

وعن المعسكرات الصيفية التي تقام للأطفال والصبيان والبنات خارج المدينة . أما عن نسبة

العمال للعاملات فمازالت كما هي منذ انشاء المصنع ، ٦٠٪ رجال و ٤٠٪ نساء وهناك ١٥ مهنة تمنع المرأة من العمل بها قانونيا .

مدينة العلماء

وفي اليوم التالي زرنا مدينة العلم والعلماء ، أي القسم السيبيري من الاكاديمية السوفيتية للعلوم ، وزرنا متحف القسم الجغرافي الذي يختص بالدراسة والبحث عن الثروات الطبيعية في سيبيريا ، وسمعنا فيه ـ من المشرفة على المتحف ـ ارقاما مذهلة .

مثلا يوجد غاز في سيبيريا يكفي لحوالي ٢٠٠ سنة اذا ما استمر الانتاج كما هو الان ، أي مليار متر مكعب يوميا .

وانه تم اكتشاف ٢٠ الف نوع من أنواع المواد الطبيعية خلال العشرين سنة الأخيرة . وانه يوجد ملح في المنطقة الغربية في سيبيريا يكفي العالم كله لحوالي ١٣ مليون سنة .

وقابلنا اثر ذلك البروفسور فلاديمير بويكا نائب مدير معهد الفلسفة والعلوم الاجتماعية في الاكاديمية ، وهو دكتور في الفلسفة وقد تحدث باسهاب عن تجربة السلطة السوفيتية وتعاملها مع الشعوب القومية الصغيرة ،

ـ وفي مساء نفس اليوم توجهنا لزيارة مركز التضامن مع الشعوب في جامعة نوفوسيبيرسك . واعضاء المركز هم من الطلاب والطالبات .

وقد تأسست الجامعة بتاريخ ١٩٥٨/٩/٢٩ لذلك فان الطلبة كانوا يحتفلون في ذلك اليوم بمناسبة مرور ٢٥ سنة على انشائها وتضم الجامعة ٦ كليات منها الميكانيكا ، والرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية والجيولوجيا والعلوم الاقتصادية والسياسية والآداب .

الغيوم السوداء كانت تنذر بهطول مطر غزير منذ ساعات الصباح الأولى ، الا أن الطلبة واساتذتهم كانوا قد استعدوا للمسيرة « الكرنفالية » التي يسيرون بها داخل الجامعة يغيرون فيها أزياءهم وملامحهم وينطلقون مشاة أو على العربات يغنون ويهزجون ويطلقون صفاراتهم وزماميرهم . .

غابة من الشماسي كانت تملأ الساحات والطرق ، وشعلة الاحتفال تم اضرام حطبها ، بالرغم من هطول المطر بشكل كثيف . كنا داخل قاعة اجتماعات مركز التضامن مع الشعوب تناقش حول القضايا التي تهم الشعوب المناضلة في العالم الثالث ، مجموعة من الطلاب والطالبات من مختلف الفروع . . يشع الحماس في عيونهم ، والاهتمام لمعرفة ادق التفصيلات تشي به ملامحهم .

كانوا من مختلف جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، حماسهم للعدل والحريات وأمانيهم لتحرر الشعوب ذكرني بموجة المد القومي في وطننا العربي في الستينات ، المناقشات والمتابعات السياسية والنضالية كانت جزءا حيا من ثقافة طلبة الثانويات والجامعات .

وها أنا أرى نفس شعلة الحماس ، والتوق لأداء الخدمات العامة ومساعدة الناس والشعوب المغلوبة على أمرها .

وفلسطين تبقى حاضرة في قلب دائرة الاهتمام . آسيا صالحوفا الرئيسة الحالية للنادي (طالبة فيزياء) واندريه غويكو الرئيس السابق وغيرهما من الطلبة افاضا في الحديث عما بذلوه من نشاطات لنصرة الثورة الفلسطينية واقامتهم للنشاطات المؤيدة لها كمعارض الملصقات وعروض الافلام واقامة المحاضرات واستقبال المحاضرين من الفلسطينيين أو العرب الآخرين ، واقامة الامسيات الموسيقية وغيرها .

ومما قالاه : نحن نعرف أن (اسرائيل) هي قاعدة للامبريالية في المنطقة ولا حل الا بتوحيد العرب والسعي لاعادة حقوق الفلسطينين .

وتابع المحتفلون احتفالاتهم ، ثم التقوا في ساحة كبيرة وبدأوا بانتخاب مدير وعمداء للجامعة من بين الطلبة أنفسهم . . هكذا كان التقليد يقضي ، وتستمر سلطة المنتخبين من الطلبة لمدة ٦ ساعات فقط . . لكن المطر كان مستمرا في تدفقه ، الا أن دفء قلوب السيبيريين كان لا يستجيب لالحاح المطر أو لعصف الريح . . استمروا في انتخاباتهم وغنائهم واستمرت الشعلة متأججة . . وحديث اسيا صالحوفا مستمر يهمس في اذني عن الاحتفالات الاخرى التي يقيمونها للتضامن مع الشعوب المناضلة . . بينما كان ذهني يسافر الى وطن يمكن أن يصبح عظيما . . لو توحد . □

متى تصل رسائلنا الى الكون الخارجي ؟

****

بقلم : الدكتور فخري اسماعيل الحسن

هل نحن - سكان هذه الارض - وحيدون في هذا الكون الواسع الرحب .. أم هناك مخلوقات في كواكب أخرى من هذا الكون ؟ سؤال يطرح نفسه باستمرار .. والمحاولات للوصول الى الحقيقة جادة .. ومتطورة .. فما هي تفاصيلها .. وما هي توقعات العلماء .. ؟

الارض هذا الكوكب الجميل الذي نعيش عليه ، رغم اتساعه وكبره الا انه جزء صغير في هذا الكون الواسع الرحب ، فالارض احد كواكب المجموعة الشمسية التسعة . ورغم ان الارض ليست أصغرها إلا أن بعض هذه الكواكب أضخم بكثير من الارض ، فالمشتري (Jupiter) مثلا فيه من المادة أكثر من ضعف المادة الموجودة في بقية الكواكب مجتمعة . وهنالك أيضا أكثر من ثلاثين قمرا مصاحباً لكواكب مجموعتنا الشمسية والتي هي بدورها - المجموعة الشمسية - جزء صغير جدا من مجرتنا العملاقة « طريق اللبانة » (Milky way) والتي يعتقد علماء الفلك انها تحتوي على أكثر من (٢٥٠) الف مليون نجم وعدد كبير من الكواكب . ان مجرتنا ذات اتساع كبير لدرجة ان الضوء بسرعته الكبيرة التي تساوي « ٣٠٠ » الف كيلو متر /ثانية (سرعة كبيرة لدرجة ان الضوء يدور حول الكرة الارضية سبع دورات في الثانية) يحتاج الى مائة الف سنة ليقطعها . ونقول بلغة علم الفلك ان اتساع مجرتنا يساوي مائة ألف سنة ضوئية .

وطريق اللبانة وأربع وعشرون مجرة أخرى قريبة منها ، ومثلها في الضخامة والاتساع تُكوِّن عنقودا من المجرات يسمى بالمجموعة المحلية . وهنالك عدد كبير جدا من المجرات تُكوِّن عناقيد منتشرة في الكون ، وعدد هذه المجرات قد يصل الى عشرة آلاف مليون مجرة . ومما يزيد الأمور تعقيدا أن احدى النظريات التي تبحث في أصل الكون وتطوره تقول إن الكون دائم الاتساع ، أي أن الكون يزداد اتساعا مع الزمن .

نستنتج مما تقدم أن الكون من الكبر والاتساع بحيث يصعب على العقل البشري بما أوتي من قدرة ان

معادلة « دراك »

بدأ اهتمام العلماء في البحث عن مخلوقات ذكية اخرى في الكون منذ أوائل الستينيات ، ففي عام ١٩٦١ اجتمعت مجموعة من علماء الفلك لدراسة ومناقشة هذا الموضوع ، ولقد قدم فرانك دراك (Drake) في هذا المؤتمر معادلة عرفت فيما بعد باسمه لحساب عدد الحضارات في مجرتنا . والمقصود بعدد الحضارات هنا هو عدد الكواكب التي تعيش عليها مخلوقات متقدمة وذات حضارة على اعتبار أن حضارتنا ـ أي حضارة الجنس البشري على الكرة

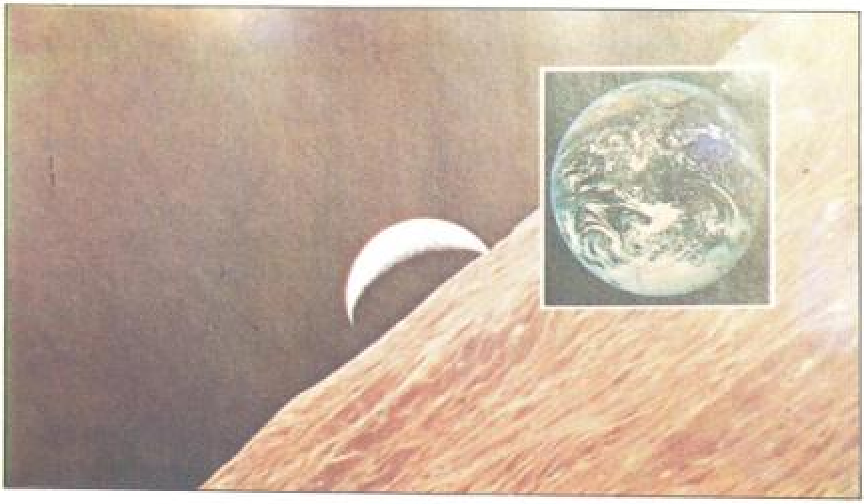

ـ صورة لجانب من القمر والارض . . أو الرؤية من بعد لامكانات الحياة .

يتصور مداه أو حدوده ان كان له حدود . وقد تتبادر للذهن مجموعة من الأسئلة : هل نحن سكان الكرة الأرضية وحيدون في هذا الكون الواسع الرحب أم ان هنالك مخلوقات اخرى في امكنة مختلفة في هذا الكون ؟ ماهو احتمال وجود مخلوقات اخرى في مجرتنا العملاقة وكيف نستطيع الاتصال بهم ان وجدوا ؟ قد تكون هذه الاسئلة من أكثر الأسئلة التي تتحدى العلم في الوقت الحاضر وسوف نحاول فيما يلي تقديم الاجابات التي يقترحها علماء الفلك لهذه الاسئلة .

الارضيةـ هي حضارة واحدة .

ان معادلة دراك تعطي عدد الحضارات كحاصل ضرب سبعة من العوامل المختلفة والتي معظمها فلكية ، وتكمن المشكلة الأساسية في هذه المعادلة في عدم القدرة على تحديد عواملها ـ على الأقل في الوقت الحاضر ـ بدقة معقولة . وعلى الرغم من ذلك فلقد اشتركت مجموعة من علماء الفلك في كل من أمريكا وروسيا عام ١٩٧١ في مناقشة موضوع الحياة في الكون . وبعد مجموعة من الفروض بسُطو المعادلة

السابقة الى جملة تقول « ان عدد الحضارات في مجرتنا يساوي عُشْر ١/١٠ معدل الحياة للحضارات » ولقد قدَّر هؤلاء العلماء معدل الحياة للحضارات بعشر ملايين من السنين وبالتالي وحسب الجملة نستنتج أن هنالك مليون حضارة في مجرتنا أي يعتقد هؤلاء العلماء أنه يوجد في مجرتنا مليون كوكب تعج بالحياة والحضارة مثل الأرض . وهنا قد يجد القاريء ويقول هذا الكلام سخيف ـ وقد يكون ـ لأنه لو وجدت كل هذه المخلوقات لتوقعنا زوارا من كوكب ما كل اسبوع او شهر او سنة او حتى عقد من الزمن ، ولكننا لم نسمع عن اي زوار من الفضاء الخارجي . ولن يجد علماء الفلك صعوبة في تبرير جفاء المخلوقات الاخرى وعدم زيارتها لنا اذ أن مجرتنا غاية في الضخامة والاتساع والمخلوقات ـ إن وجدت ـ فالأغلب أن تكون موزعة توزيعا شبه منتظم على المجرة وبالتالي فان أقرب حضارة الينا تكون على بعد بضع مئات من السنين الضوئية . ان هذا يعني أننا لانستطيع ـ وحتى لو عرفنا مكانهم ـ ان نرسل لهم مركبة فضاء تدعوهم لزيارتنا لأن هذه المركبة قد تحتاج الى ملايين السنين لكي تصل اليهم ، وحتى لو اردنا الاتصال بهم باكبر سرعة ممكنة اي سرعة الضوء وارسلنا لهم رسالة لاسلكية فاننا قد ننتظر مئات السنين قبل أن نسمع الرد .

(أين هم إذن)

رغم أن « معادلة دراك » قد تكون صحيحة الا أن عدم معرفتنا الكافية بعوامل المعادلة تجعل من عملية الحساب نوعا من التخمين ليس الا ، ولقد اتضح هذا في المؤتمر العام للاتحاد العالمي للفلك الذي ناقش موضوع الحياة في الكون قبل سنوات ، وكان الاختلاف كبيرا في المؤتمر اذ قدر البعض أن عدد الحضارات في مجرتنا كبير جدا وقد يصل الى ألف مليون حضارة مما جعل البعض يعترض ويسأل : ولكن أين هم اذا كانوا بهذه الكثرة ؟ ولماذا لم نسمع منهم ؟ (وعلى اعتبار وجود الف مليون حضارة فان أقرب حضارة الينا تكون على بعد أقل من ثلاثين سنة ضوئية) وعلى النقيض من ذلك قال آخرون اننا الوحيدون في هذا الكون ولا وجود لأي حضارات أخرى . وكان رأي الأغلبية يقول أن عدد الحضارات لايمكن أن يكون كبيرا جدا (ألف مليون حضارة) ولكن الأغلب ان هنالك مخلوقات أخرى في أمكنة مختلفة من هذا الكون الواسع ، وكان دراك صاحب المعادلة المشهورة من مؤيدي هذا الرأي الاخير والنتيجة التي خرج بها المؤتمر أن الحقائق التي نعرفها الآن كافية لحساب عدد الحضارات بطريقة نظرية والافضل أن نبحث عن المخلوقات الاخرى بصورة عملية .

بدأ العلماء البحث عن الحياة في الكون منذ فترة ليست بالقصيرة . ولقد استخدموا طريقتين في بحثهم : الطريقة الأولى بارسال المركبات الفضائية الى الكواكب القريبة أي كواكب مجموعتنا الشمسية إما لاجراء التجارب العلمية على تربة هذه الكواكب أو لتصويرها عن قرب وارسال الصور الى المحطات الأرضية من أجل دراستها ، واستخدم العلماء الأمواج اللاسلكية (امواج الراديو) في الطريقة الثانية لدراسة النجوم البعيدة .

ان الطريقة الاولى غير عملية في دراسة النجوم وذلك لبعدها الشاسع فمثلا من أقرب النجوم الينا نجم يدعى برنارد ويبعد عنا حوالي ست سنوات ضوئية . واذا ما ارسلت اليه مركبة فضاء كتلك التي ارسلت الى المريخ فانها تحتاج الى أكثر من (٣٠) الف سنة لكي تصل اليه ، وقد تتغير الصورة قليلا في المستقبل بايجاد نوع جديد من الوقود كالجسيمات المشحونة او الوقود النووي وهنالك فعلا تجارب على هذه الانواع من الوقود وحققت بعض النجاح ولكن تحتاج الابحاث الى وقت طويل قبل ان تستكمل وتوضع موضع التطبيق العملي . وسوف نستعرض الآن ما توصل اليه العلماء في البحث عن الحياة في الكون وسوف نبدأ بكواكب مجموعتنا الشمسية .

الحياة في كواكب مجموعتنا الشمسية

يسود كواكب المجموعة الشمسية ظروف مناخية مختلفة ففيها الحرارة اللافحة والكافية لصهر بعض المعادن وفيها الاعتدال وكذلك التجمد التام أيضا . عطارد (Mercury) مثلا أقرب الكواكب الى الشمس ، ولقد سبب هذا القرب صعوبة في دراسته

لحظة هبوط قمر صناعي ورائد في الفضاء، لاستكشاف كوكب آخر . كما تخيلها أحد الرسامين في محطة اتصالات أرضية .

من الارض ، اذ ارسلت في عام ١٩٧٤ مركبة الفضاء الامريكية مارنير ١٠ (Mariner10) الى عطارد حيث ارسلت آلاف الصور لسطحه والتقط بعضها من مسافة قريبة نسبيا (٣٠٠ كم) ، لقد بينت هذه الصور أن فوهات البراكين تكثر على سطح عطارد ، أما عن درجة الحرارة على سطح هذا الكوكب فهي عالية جدا لقربه من الشمس وقد تصل الى ٥٠٠ درجة مئوية وبالتالي لا أمل بوجود أي حياة على سطح هذا الكوكب .

الزهرة (Venus) ثاني الكواكب قربا من الشمس وأكثر كواكب المجموعة الشمسية لمعانا في السماء ، كان الاعتقاد السائد قديما أن الزهرة توأم للارض وذلك لتماثل الحجم والكتلة ووجود غلاف جوي لكل منهما . ولكن اتضح ان الزهرة تشبه الجحيم اكثر مما تشبه الارض .

أرسلت الى الزهرة مجموعة كبيرة من مركبات الفضاء الامريكية والروسية استطاع قليل منها الهبوط على السطح ليعمل فترة بسيطة قبل ان يتحطم نتيجة للضغط المرتفع ودرجة الحرارة العالية ، فالضغط على سطح الزهرة أكثر بتسعين مرة من الضغط على الارض (٩٠ ضغط جوي) ودرجة الحرارة قد تصل الى ٤٧٥ درجة مئوية ليلا ونهارا ، تكثر الجبال ذات الصخور الحادة على سطح الزهرة ونتيجة للحرارة الشديدة فلا وجود للمياه وبالتالي لا وجود للحياة أيضا (تأتي الارض بعد الزهرة ثم المريخ (Mars) وهو كوكب ذو حجم صغير ويساوي نصف حجم الارض تقريبا ، ويعتقد العلماء ان ظروفه مناسبة للحياة اكثر من اي كوكب آخر (باستثناء الارض طبعا) . اهتم العلماء بالمريخ منذ فترة طويلة وأرسلت اليه ١٢ مركبة فضاء امريكية وروسية كان آخرها واهمها مركبتي الفضاء الامريكيتين فايكنج ١ ، ٢ (Viking 1,2) حيث هبطتا على سطحه عام ١٩٧٦ ولقد جهزت المركبتان بمعامل لاجراء تجارب كيميائية وحيوية على تربة المريخ

وكذلك بكاميرات تلفزيونية لنقل نتائج التجارب مباشرة الى المحطة الارضية . والجدير بالذكر أن بعض العلماء كان يتوقع أن يرى أثر الحياة قبل اجراء التجارب وذلك من خلال كاميرات التلفزيون . ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ دون الدخول في التفاصيل العلمية للتجارب التي وصل عددها الى ٢٦ تجربة فان هذه التجارب لم تستطع إثبات او نفي وجود الحياة على سطح المريخ أي ان العلماء عادوا بعد كل الجهد والمال (حوالي بليون دولار) الى نقطة البداية ، ويعتقد العلماء أن موضوع الحياة على سطح المريخ لن يحسم الا اذا أرسلت مركبة فضاء لاحضار عينة من تربته لدراستها على الأرض .

تأتي بعد المريخ مجموعة الكواكب ذات الحجم الضخم والكثافة الصغيرة ، المشتري اول هذه الكواكب وهو اضخم كواكب المجموعة الشمسية ويتكون غالبا من غازات (هيدروجين وهيليوم) ، ارسلت الولايات المتحدة الأمريكية مركبتي الفضاء فواياجير ١و٢ وكذلك مركبتي الفضاء بايونير ١٠و١١ (Pioneer 10,11) الى المشتري وزحل لتصويرهما عن قرب ثم مواصلة الرحلة الى عمق الكون ، لقد ارسلت هذه المركبات صورا كثيرة للمشتري اما عن موضوع الحياة عليه فان احتمال وجودها ليس كبيرا بسبب برودته الشديدة . وعلى العموم فان معلوماتنا سوف تزداد في منتصف هذا العقد عندما تخترق جوه مركبة فضاء امريكية مزودة بمعامل للكشف عن المركبات العضوية .

زحل (Saturn) هو الكوكب التالي وهو اجمل كواكب المجموعة الشمسية بحلقاته ، وكذلك اقلها كثافة (كثافته اقل من كثافة الماء) وهو مثل المشتري يتكون من غازات . لقد ارسلت مركبات الفضاء الأمريكية سابقة الذكر صورا لهذا الكوكب ورغم ذلك فان معلوماتنا ما تزال قليلة عنه ، الا انه يمكن القول ان احتمال وجود حياة عليه قليلة جدا .

بعد زحل تأتي الكواكب اورانوس (Uranus) ونبتون (Neptune) وبلوتو على الترتيب . ورغم ان معلوماتنا عن هذه الكواكب متواضعة الا اننا نعرف ان ظروفها غير مناسبة للحياة ، بسبب البرودة الشديدة ، ولقد نشرت مجموعة من العلماء من جامعة

ـ محطة التقاط ورادار . . تتكلف الملايين وتتلقى رسائل الاقمار الصناعية ورصد حركة الكون المحيط بنا

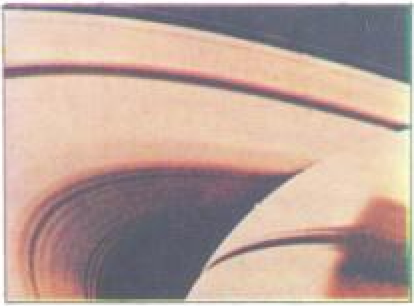

ـ ليست لوحة سيريالية ، انها واحدة من صور الارض كما التقطها قمر صناعي .

بوسطن تقريرا عن احتمال وجود الحياة على اورانوس ونبتون وبيّن التقرير ان احتمالها معدوم . سوف ترسل مركبة فضاء امريكية الى اورانوس في منتصف هذا العقد . اما بلوتو فهو اصغر كواكب المجموعة الشمسية وأبعدها عن الشمس ولا امل بوجود أي حياة عليه .

نستنتج مما تقدم ان امكانية وجود حياة في مجموعتنا الشمسية غير معدومة ، ولكنها ليست كبيرة أيضا ، وحتى لو وجدت الحياة في مجموعتنا الشمسية ـ واكبر احتمال وجودها على المريخ ـ فان هذه الحياة سوف تكون في ابسط صورها لذلك اذا اردنا البحث عن

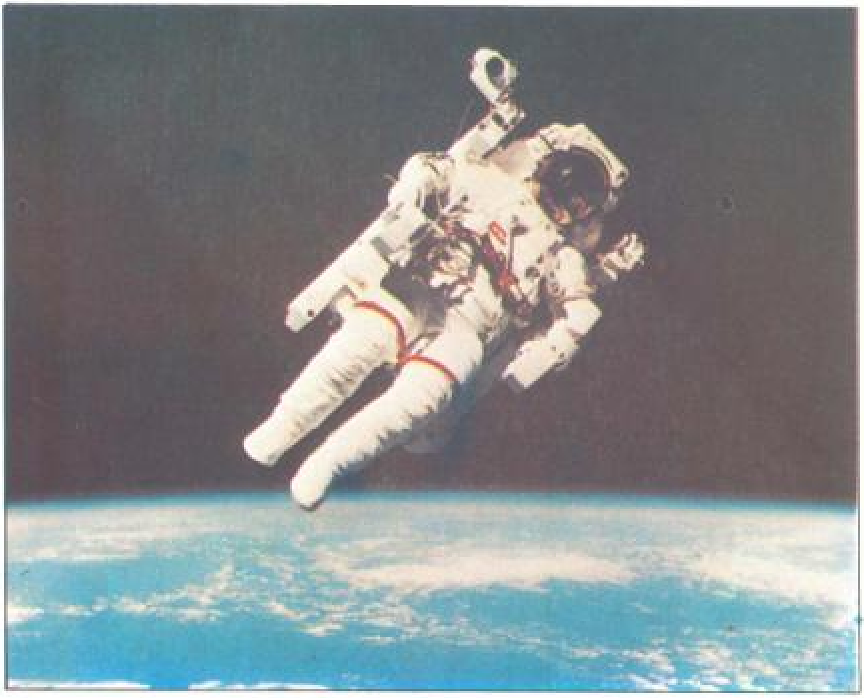

ـ لايقتصر جهد الانسان على اطلاق الأقمار الصناعية أو رصدها فقط ، فقد خاض المحاولة بنفسه ضمن واحد من أعظم انجازات الانسان في القرن العشرين .

مخلوقات متطورة وذات حضارة كحضارتنا أو اكثر تقدما فعلينا البحث خارج مجموعتنا الشمسية .

البحث عن الحياة

خارج المجموعة الشمسية

بدأ العلماء في البحث عن مخلوقات متحضرة خارج مجموعتنا الشمسية منذ اكثر من عشرين سنة،وذلك بمحاولة استقبال والتقاط اشارات لاسلكية من عمق الكون . ان عملية الاستقبال هذه ليست سهلة ، بل يعترضها كثير من التعقيدات التقنية ، اذ لا ندري اي الترددات سوف تستخدم المخلوقات الاخرى ـ ان وجدت ـ ولا نعرف كذلك في اي اتجاه نبحث ، لأن الكون واسع جدا ولابد ان يكون هوائي جهاز الاستقبال (التلسكوب اللاسلكي) موجها نحو الكوكب الذي تنطلق منه الاشارات . لأن مثل هذه المشاكل تقلل من احتمال الاتصال .

ورغم ذلك فقد وضع العلماء بعض الفروض التي تسهل عملية البحث ، فهم يبحثون في اتجاه النجوم التي تشبه الشمس من حيث الحجم والحرارة ، ويستخدمون الترددات المعروفة من بعض الغازات المنتشرة في الكون (هيدروجين) على اعتبار ان هذه الترددات لا بد وان تكون معروفة لدى أي مخلوقات متحضرة في الكون .

كان « دراك » اول من حاول استقبال رسائل من خارج مجموعتنا الشمسية ، فلقد امضى عام ١٩٦٠ اكثر من ٢٠٠ ساعة محاولا التقاط أي اشارة من اقرب

نجمين الى مجموعتنا الشمسية ولكن دون فائدة . كان كل ما التقطه عبارة عن ضوضاء ، اكمل فيرشور محاولات دراك بالاستماع الى عشرة نجوم آخرى دون اي نتيجة . قام زيجرمان وبالمار بأكبر مجهود في هذا المجال خلال الفترة ما بين ٧٢ ـ ٧٤ اذ استمعا الى ٦٥٩ نجما مماثلا للشمس وعلى بعد يتراوح بين ٦و٧٦ سنة ضوئية من شمسنا ، لقد استمعا الى كل نجم ٧ مرات ولمدة ٤ دقائق في كل مرة،ورغم انهما التقطا بعض الاشارات غير المفهومة الا انها لا يمكن ان تكون صادرة عن مخلوقات متحضرة وذلك لعدم انتظامها .

هذه فقط بعض المحاولات وهنالك محاولات أخرى كثيرة ولكن النتيجة دائما واحدة . لا رسائل من الكون . ورغم سلبية التجارب التي اجريت خلال العقدين الماضيين الا ان مشاريع الابحاث القادمة ذات تكاليف باهظة وذلك لاستخدام الأجهزة بالغة التعقيد والحساسية ، ففي الاتحاد السوفيتي ، هنالك برنامج لبناء عشر محطات ضخمة لمسح الفضاء الخارجي باستمرار مع احتمال بناء محطتي استقبال في الفضاء الخارجي ، وكذلك الحال في الولايات المتحدة هنالك مشاريع كثيرة ولكن أهمها مشاريع وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) والتي تتضمن انشاء محطة استقبال إما على سطح القمر أو في الفضاء الخارجي .

رسائلنا الى المخلوقات الأخرى

في الثاني من آذار عام ١٩٧٢ انطلقت مركبة الفضاء الأمريكية بايونير ١٠ (Pioneer 10) من فلوريدا نحو المشتري لتصويره عن قرب ومن ثم مواصلة الرحلة نحو الكواكب والنجوم البعيدة.ولقد غادرت هذه المركبة مجموعتنا الشمسية في حزيران من العام الماضي بسرعة تساوي تقريبا ١٩كم / ثانية (حوالي ٧٥ الف كم / ساعة)، وفي حالة تعرض هذه المركبة لأي مخلوقات متحضرة في الكون ، فقد ثبت بداخلها لوح منقوش عليه معلومات عن حضارتنا ولقد حوى اللوح صورة لرجل وامرأة ، وكذلك رسما لمجموعتنا الشمسية ، واشارة الى ان المركبة انطلقت من الأرض ، وحوى اللوح ايضا معلومات علمية يعتقد العلماء ان اي مخلوقات ذكية في الكون لا بد وان تعرفها ويمكن من خلالها تعيين مكان مجموعتنا الشمسية في مجرتنا وكذلك زمن انطلاق المركبة ، والطريف في الأمر ان الرجل رفع احدى يديه رمز التحية والصداقة للمخلوقات الأخرى . ويعلق البعض ان هذه الاشارة قد لا يكون لها نفس المعنى في جميع الكون ، بل على العكس من ذلك فقد يكون لها معنى مغاير مما قد يجعلنا نندم على هذه التحية . . . !!

وفي نيسان عام ١٩٧٣ انطلقت بايونير ١١ في رحلة مشابهة لرحلة بايونير ١٠ وعليها نسخة من اللوح السابق .

اما الرسالة الثانية فقد كانت ذات طبيعة مختلفة عن الرسالة الأولى اذا ارسلت في ١٦ نوفمبر ١٩٧٤ رسالة لاسلكية بواسطة التلسكوب الاسلكي في بورتوريكو (Purto — Rico) وهو اكبر تلسكوب لاسلكي من نوعه في العالم ـ نحو ٣٠٠ الف نجم تكون عنقودا من النجوم يسمى (M13) ويبعد عن مجرتنا الشمسية ٢٤ الف سنة ضوئية ، والرسالة عبارة عن نبضات الكترونية (Pulses) مدتها ثلاث دقائق اذا ما جمعت بطريقة صحيحة تعطي معلومات وافرة عن حضارتنا البشرية . وقد يتساءل البعض هل تستطيع المخلوقات الكونية ان تجمع هذه الرسالة بالطريقة التي يريدها علماء الارض ؟ يجيب العلماء الذين ارسلوا الرسالة بالايجاب ولكن ذلك قد يكون موضوع نقاش ، وعلى العموم فلا احد يتوقع ردا على هذه الرسالة نتيجة لبعد مجموعة النجوم (M13) الشاسع عن مجموعتنا الشمسية .

ارسلت الرسالة الثالثة الى الكون الخارجي على متن مركبة الفضاء الأمريكية فواياجير « ١ » (Voyager1) والتي انطلقت في آب عام ١٩٧٧ نحو المشتري وزحل ومن ثم لتواصل الرحلة نحو عمق الكون . لقد كانت الرسالة هذه المرة صوتية اذ وضع داخل المركبة اسطوانة مسجل عليها بخمس وخمسين لغة مختلفة ولمدة ساعتين ، لقد حوت الرسالة بالاضافة الى المعلومات الوافية عن حضارتنا تحية الى المخلوقات الكونية الأخرى من الجنس البشري وكذلك رسالة من كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت ، ويتوقع العلماء ان تترك

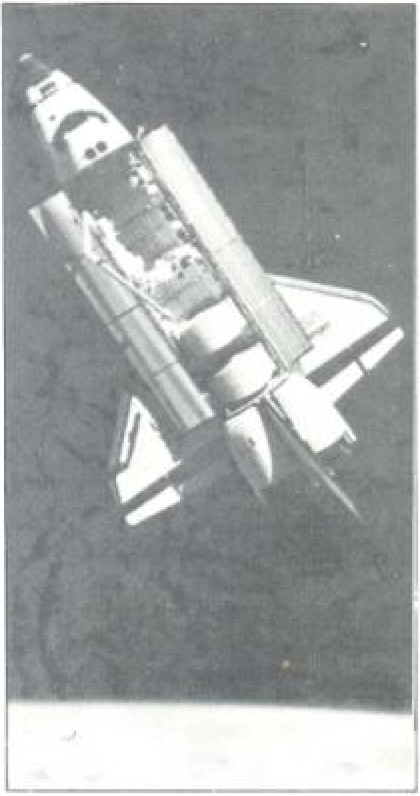

ـ واحدة من محاولات الانسان المستمرة لاكتشاف الكون الخارجي ، قمر صناعي في طريقه نحو مداره لبث الصور الى أهل الأرض .

هذه المركبة مجموعتنا الشمسية عام ١٩٩٠،ويأملون بأن يبقوا على اتصال بها حتى عام ٢٠٠٧ وعندها سوف يكون بعدها عن الأرض ١٥ الف مايون كيلومتر . وبعد شهر من انطلاق هذه المركبة انطلقت مركبة مشابهة (فواياجير ٢) وعليها نسخة من الاسطوانة السابقة وسوف تسلك نفس مسار المركبة « فواياجير ١ » .

والجدير بالذكر ان محاولة الاتصال بالمخلوقات الكونية من خلال مركبات الفضاء هي عملية غير جادة ، وذلك لأنها تحتاج الى فترة زمنية طويلة جداً ـ بسبب المسافة الشاسعة بين النجوم ـ فمثلا تحتاج بايونير ١٠ لفترة زمنية مقدارها ٨٠ الف سنة حتى تصل الى اقرب نجم من شمسنا . لذلك يفضل العلماء الرسائل اللاسلكية حيث تساوي سرعتها سرعة الضوء وهي الحد الاعلى للسرعات . ان رسالة بورتوريكو اللاسلكية ورغم انها انطلقت بعد مركبة بايونير ١٠ بحوالي ثلاث سنوات الا انها سبقت المركبة في طريقها نحو الكواكب والنجوم البعيدة بعد ارسالها بساعة واحدة فقط وذلك لسرعتها الكبيرة .

وأخيرا لابد من الاشارة الى ان بعض علماء الفلك قد عارض فكرة ارسال تلك الرسائل الى الكون الخارجي وحجتهم في ذلك انه قد تكون هنالك فعلا مخلوقات اكثر منا تقدما وجبروتا ، وسوف تكشف تلك الرسائل امرنا على هذا الكوكب الجميل وتأتي تلك المخلوقات للسيطرة علينا ، ويرد العلماء المؤيدون لفكرة الرسائل بأننا لا نستطيع المحافظة على سرية وجودنا هنا ، وذلك لأننا ومنذ اكثر من أربعين سنة ونحن نرسل أمواجا متناهية القصر (Micro-wave) من خلال محطات الارسال المختلفة (رادار ، تلفزيون وغير ذلك) وتتسرب تلك الأمواج نحو الكواكب والنجوم البعيدة وتكشف امرنا لأي مخلوقات قد توجد هناك .

يمكن القول في النهاية انه لا يوجد أي دليل علمي على ان الحياة سواء بصورتها البسيطة او المتقدمة والمتطورة موجودة في اي مكان آخر من الكون ، ورغم ذلك فانه من الخطأ القول باننا وحيدون وذلك لأننا في مرحلة من العلم والتطور لا تمكننا من تأكيد أو نفي وجود الحياة في أماكن كثيرة من الكون . □

● في الحقيقة فان بايونير لم توجه نحو أقرب نجم الى مجموعتنا الشمسية وبالتالي فسوف تحتاج الى فترة زمنية اكبر من ذلك .

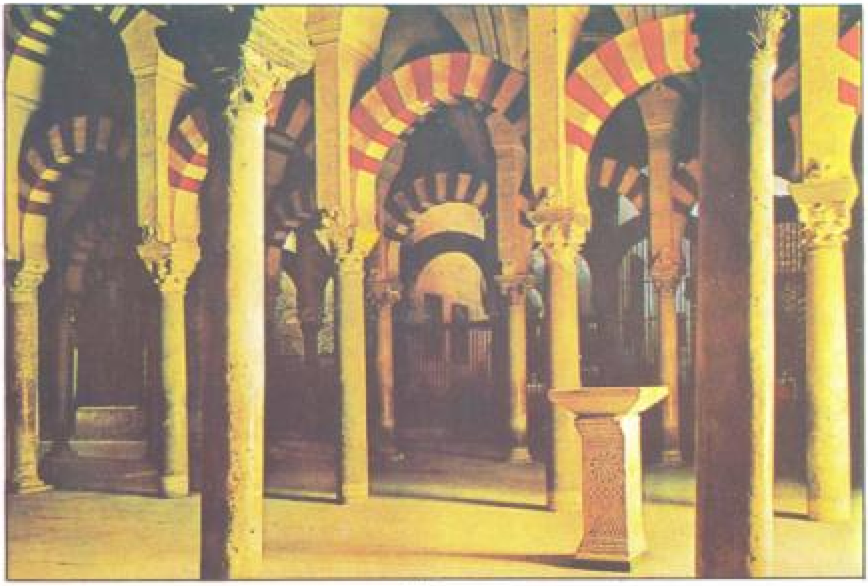

داخل مسجد قرطبة

« تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا الى الآثار »

طليطلة

مدينة الثقافة والترجمة

بقلم : الدكتور سيمون الحايك

عندما سقطت طليطلة قال البعض ان سقوطها كارثة لا تحتمل ، وأن الأجدر بالعرب توديع الأندلس والهجرة الى أفريقيا . لكن المدينة مالبثت أن تحولت الى دار للعلم ، ومنارا للحضارة .. ومنها انتقلت ثقافة العرب وجهودهم فى العلم وفى الحضارة الى أوروبا ..... فكيف كان ذلك ؟

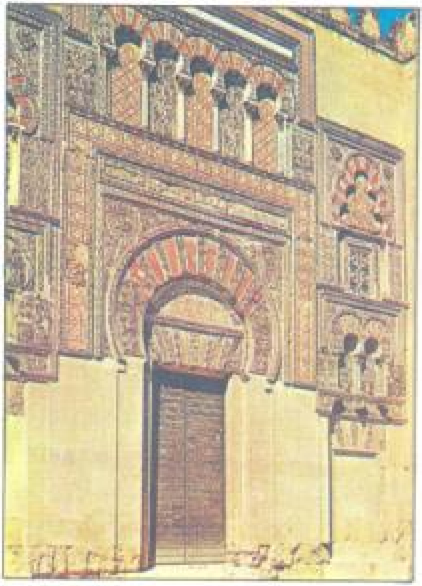

أحد أبواب مسجد قرطبة

المحراب في مسجد قرطبة

. . . وكان لا بد من فتح الأندلس .

وتردد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في السماح لموسى بن نصير بعبور ذلك البحر الكثير الأهوال على حد قوله . وأخيرا وافق على شرط أن تكون القوات العابرة من البربر ، ودخل طارق ابن زياد الأندلس وتم الفتح على يده . وسارع اليه موسى بن نصير والى أفريقية ليساعده في انجاز المهمة .

وواصلا تقدمهما حتى بلغا جبال « البرتات » (بيرني) واستعدا لدخول فرنسا وبلغهما أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك يدعوهما الى دمشق لتأدية الحساب .

وذهبا الى دمشق ، وكان ماكان من أمرهما .

وتثبتت أقدام العرب في شبه الجزيرة الايبرية ، ولا سيما بعد قدوم عبد الرحمن الداخل اليها . وأقبل اليها المعمرون من جميع الاقطار العربية ، واستوطنوها .

نزل جند دمشق في منطقة غرناطة ، وجند حمص في اشبيلية ، وجند قنسرين في جيان ، وجند مصر في تدمير ، وجند فلسطين في مالقة ، وجند الاردن في شذونة ورية ، وشرع الأندلس يزدهر .

بدايات النهضة

وصل اليه الطبيب الحراني على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، كما وصل زرياب المغني من بغداد . وعاش في ذلك العهد - أي أوائل القرن التاسع الميلادي - عباس بن فرناس أول من حاول الطيران . .

وعاش أيضا يحيى الغزال الشاعر وسفير الأمير عبد الرحمن الاوسط الى بلاد البيزنطيين والاردمانيين في بلاد الدنمرك . .

وشرع أهل الاندلس يقلدون أهل المشرق العربي على الاقل في أوائل الفتح ، وبات شعراء الاندلس يتشبهون بنظرائهم مع شعراء المشارقة .

وجاء عبد الرحمن الناصر ، وكان أول خليفة في الاندلس بعد تضعضع الخلافة في بغداد . وتسلم من امبراطور القسطنطينية كتاب « الحشائش » لديوسقوردس وصححت ترجمته في الاندلس . وعاش في عصر هذا الخليفة أبو القاسم الزهراوى أشهر جراح في القرون الوسطى كما كتب ابن عبد ربه « العقد الفريد » . وفي عهد الناصر بنيت مدينة الزهراء القريبة من قرطبة ، وعلى عهد عبد الرحمن الناصر قصد الاندلس واستقر فيه أبو علي القالي ، صاحب كتاب الامالي . وحين توفي « الناصر لدين الله » عام ٩٦١ م وخلفه ابنه الحكم المستنصر ، استمر الازدهار العلمي والاقتصادي في الاندلس .

جمع الخليفة المستنصر مكتبة تعتبر من أضخم المكتبات في ذلك العهد ، اذ وصل فيها عدد المجلدات الى ما يزيد على ستمائة ألف مجلد حسب قول البعض ، وأربعمائة ألف حسب قول البعض الآخر ، في حين أن أعظم مكتبة في العالم المسيحي في ذلك العهد وما بعده لم يتجاوز عدد المجلدات فيها مائة وخمسين مجلدا .

وكانت أول نسخة من كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني من نصيب الحكم الثاني المستنصر ، ونال مكافأة ألف دينار . والى هذا العهد يرجع الطبيب المعروف « عريب بن سعيد الكاتب » وله كتاب معروف عنوانه : « خلق الجنين وتدبير الحبالى » ومن هذا العهد أيضا ربيع بن زيد الاسقف واضع كتاب الانواء ، وجابر بن افلح الذي أصلح كتاب « المجسطي » ، والقاضي المعروف « المنذر بن سعيد البلوطي » ، ومسلمة المجريطي مصلح جداول الخوارزمي ، وابن وافد الصيدلي المعروف صاحب « كتاب الوساد » والغافقي الاختصاصي بالعيون ، والعشاب الشهير ابن البيطار الاندلسي المالقي ، والزرقالي صاحب الجداول الطليطلية المشهورة ، والشاعر الكبير الدراج القسطلي الذي لقب بمتنبي الغرب ، وأخيرا ابن حزم الذي يعتبر موسوعة عصره ، صاحب كتاب « طوق الحمامة » .

لقد وصل من الشرق كل التراث اليوناني والفارسي والهندي مترجما ، ووصلت أيضا مؤلفات الفارابي والكندي وابن سينا واخوان الصفا والغزالي والرازي والبتاني وابن الهيثم والخوارزمي وابن ماسويه وابي معشر وقسطا بن لوقا وحنين بن اسحق وابن المقفع وغيرهم ، واستفاد منها علماء الاندلس وانتقدوها وأضافوا اليها معلومات جديدة وشرحوها وعلقوا عليها . .

نهاية الخلافة وسقوط طليطلة

وسقطت الخلافة الأموية بالاندلس في الثلث الاول من القرن الحادي عشر (١٠٣٠) م وأعقبها ظهور ملوك الطوائف ، حتى عام ١٠٨٥ لما سقطت طليطلة بيد الاسبان .

واعتبر العرب سقوط هذه المدينة كارثة لا تعوض ، والأجدر بهم توديع الاندلس والهجرة الى أفريقية ، كما قال شاعرهم :

« يا أهل أندلس شدوا مطيتكم
فما البقاء بها الا من الغلط
العقد ينفرط من أطرافه وأرى
عقد الجزيرة مفروطا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه
كيف الحياة مع الحياة في السفط »

ولا بأس في ايراد بعض الأبيات من قصيدة قيلت عند سقوط طليطلة ولا يعرف قائلها :

« لثكلك كيف تبتسم الثغور
سرورا بعدما بئست ثغور
طليطلة أباح الكفر منها
حماها ان ذا نبأ كبير
فليس مثالها ايوان كسرى
ولا منها الخورنق والسدير
وكانت دار ايمان وعلم
معالمها التي طمست تنير

وهي قصيدة طويلة تقع في ٧٢ بيتا من الشعر يمكن مراجعتها في « نفح الطيب » للمقري .

وكان سقوط هذه المدينة وتكالب الادفونش (الفونسو السادس ملك قشتاله) السبب الرئيسي في طلب نجدة المرابطين ، لما قال المعتمد بن عباد ملك اشبيلية آنذاك كلمته الشهيرة : (رعي النوق في

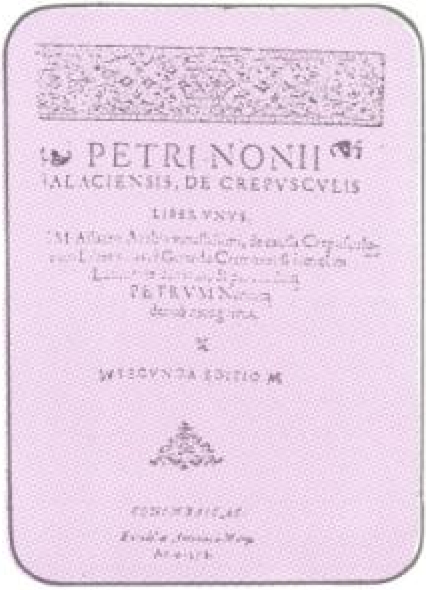

كتاب (أسباب الغسق) لابن الهيثم ، ترجمة جيراردة الكريموني طبع سنة ١٥٧٣ .

أفريقية ولا رعي الخنازير في قشتاله » فجاء يوسف ابن تاشفين الى الاندلس وخاض معركة الزلاقة الشهيرة عام ١٠٨٦ م وأبيد فيها جيش الادفونش عن بكرة أبيه ، وأخرت بقاء العرب في الاندلس أربعة قرون أخرى ، واسترد العرب بعض ما فقدوه من المدن والمعاقل وكفوا عن دفع الجزية للادفونش . ولحسن حظ العرب والثقافة والحضارة العربيتين استولى النصارى على مدينة طليطلة . فكما كان من الضروري على العرب فتح الاندلس ومد جسر بينهم وبين الغرب ، كان من الضروري أيضا أن تسقط مدينة طليطلة في يد الادفونش وفي التاريخ الذي سقطت فيه أي عام ١٠٨٥ ، ولو تأخرت خمسين سنة عن السقوط لما أتيح للعرب أن يؤدوا دورهم الثقافي والحضاري في العالم الغربي ، ولو تأخر استرداد مدينة طليطلة خمسين سنة لما استفاد الغرب شيئا من الثقافة العربية واليونانية ، بل كان الغربيون لجأوا الى ترجمة الثقافة اليونانية من مصدرها اليوناني ، ولكان أرسطو وافلاطون وابقراط واقليدس وجالينوس وغيرهم كثيرون من أقطاب الفكر اليوناني قد وصلوا الى الغرب مباشرة دون المرور باللغة العربية ، لأنه من المعروف أن الثقافة اليونانية وصلت الى الغرب عن طريق العرب ، أي أن العرب كانوا قد نقلوا الحضارة اليونانية الى العربية ، ثم جاء الغربيون ونقلوا هذه الحضارة من العربية الى اللاتينية في مدينة طليطلة .

أما في خارج طليطلة فلم يترجم من العربية الى اللاتينية سوى جزء يسير جدا من الثقافة اليونانية والعربية في صقلية وفي « سلرنة » بجنوبي ايطالية ، حيث ازدهر الطب على عهد قسطنطين الافريقي في القرن الحادي عشر .

أهمية طليطلة

ولماذا مدينة طليطلة دون سواها من المدن الاسبانية أو الأوروبية ؟

لم يتخذ العرب طليطلة عاصمة لملكهم لأنهم وان كانوا وجدوها متوسطة في بلاد الاندلس ، فلم يجدوها متوسطة بالنسبة الى القوة العربية ، لأنهم لا يقدرون أن يبعدوا كثيرا عن أفريقية . وقد غلبت العروبة على نصارى طليطلة ، ولبثوا نصارى ولكن اتخذوا اللغة العربية والثقافة العربية لأنفسهم . وكانوا يقيمون صلواتهم وطقوسهم الكنسية باللغتين العربية واللاتينية ، وأطلق على هذا الطقس الكنسي اسم « الطقس المستعرب » ومن الغريب أنه بعد سقوط طليطلة بيد الاسبان كما رأينا ، ظل سكانها متمسكين بعروبتهم ولبث أخذهم وعطاؤهم وبيعهم وشراؤهم وجميع صكوك معاملاتهم باللغة العربية حتى أواخر القرن السادس عشر ، رغم أنهم طوال وجودهم تحت الحكم العربي كانوا كثيري العصيان والتمرد والثورات على حكام قرطبة من عبد الرحمن الاول الى عبد الرحمن الاوسط الى عبد الرحمن الناصر أي طوال ثلاثمائة سنة تقريبا .

عاشت في طليطلة الديانات الثلاث : اليهودية والنصرانية والاسلامية كما نقلت الى هذه المدينة مخطوطات كثيرة من مكتبة المستنصر . (٩٦١ - ٩٧٦) التي تبعثرت ولم يصل الينا منها سوى مخطوط واحد وضع عليه الحكم الثاني ملاحظات بخط يده ،

اذ أن هذا الخليفة الأموي اعتنى عناية كبرى بمكتبته ، فكان يقضي فيها الساعات الطوال يطالع المخطوطات التي ترده من كافة أنحاء الوطن العربي ، ويعلق عليها ويضع الحواشي .

ولما ثبت النصارى أقدامهم في هذه المدينة بعد استرجاعها من المسلمين ، جاءت رهبانية « كلوني » الفرنسية الى اسبانية النصرانية لتدخل اليها الطقس الروماني الكنسي بدلا عن الطقس المستعرب .

من جملة الرهبان الذين قدموا الى اسبانية من هذه الرهبانية راهب اسمه « ريموندو » أصبح فيما بعد رئيس أساقفة المدينة ، وبالتالي رئيس أساقفة اسبانية لأن طليطلة كانت العاصمة الدينية لاسبانية النصرانية ، وحتى عهدنا هذا فان رئيس أساقفة طليطلة هو رئيس الكنيسة الاسبانية . فهذا الراهب الاسقف شغف بالثقافة العربية ، وخاصة الفلسفة منها فأحب الاطلاع عليها ، غير أن جهله باللغة العربية حال بينه وبين رغبته ، وأدرك مساعدوه هذه الرغبة عنده فعمدوا الى ترجمة الكتب العربية الى اللاتينية ، وهي اللغة السائدة في ذلك العصر في كافة أنحاء العالم المسيحي لأنها لغة الكنيسة الرومانية .

طليطلة والترجمة

نشأ على هذا النحو ما سموه « مدرسة الترجمات في طليطلة » وقد شغلت هذه المدرسة حقبتين ، الحقبة الاولى امتدت من عام ١١٢٠ تقريبا حتى عام ١١٩٠ أي أنها شغلت القسم الأكبر من القرن الثاني عشر على عهد الاسقف « ريموندو » ، فقد رغب هذا بالاطلاع على الفلسفة العربية ، فلسفة الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي فكان له ما أراد .

والحقبة الثانية شغلت القسم الأكبر من القرن الثالث عشر على عهد الملك الفونسو العاشر الحكيم المتوفي عام ١٢٨٤ ؛ . تميزت الحقبة الاولى من هذه المدرسة بالترجمة من العربية الى اللاتينية ، وفي هذه الحقبة ترجم القرآن الكريم الى اللاتينية بأمر من رئيس جمعية « كلوني » الأباتي « بطرس » المحترم ، فقد جاء هذا الراهب من فرنسا الى اسبانية لتفقد الأديرة التابعة لرهبانيته في الأراضي الاسبانية المسيحية ، فرأى أن يعمل على ترجمة القرآن الكريم للتعرف عليه ، وبالتالي لكي يفضحه ، فقد شاء محاربة الاسلام على هذا النحو لأن طريق القوة لم يأت بالثمار المرجوة . كان يريد اقناع المسلمين باعتناق الديانة المسيحية ، فأوكل ترجمة القرآن الى « هرمان الدلماتي » Herman el Dalmata و « روبرت اوف تشستر Robert of chester وترجماه .

وهذه أسماء بعض المترجمين الذين قدموا الى طليطلة لترجمة العلوم العربية الى اللاتينية . جيراردو الكريموني : من مدينة « كريمونة » الايطالية رغب هذا المترجم الكبير في الاطلاع على كتاب « المجسطي » لبطليموس فقيل له أنه موجود في طليطلة فقصدها فوجد فيها بحرا زاخرا من العلوم لا وجود له في العالم اللاتيني ، فقرر البقاء في المدينة دائبا على ترجمة الكتب العربية الى اللاتينية ، فتعلم هذه اللغة وشرع في الترجمة بمساعدة بعض العرب ثم ما لبث أن صار يترجم وحده بدون مساعد فوصلت ترجماته الى ٨٧ كتابا بموجب اللائحة التي وضعها جورج سارتون وهذه بعض ترجماته :

كتاب المجسطي ترجمة في طليطلة عام ١١٧٥ وكتاب الانالوطيقا الثانية لأرسطو نقلا عن ترجمة متى ابن يونس .

وكتاب سمسطيوس لارسطو .

وكتاب مقالة في القياس ، شرح الفارابي .

وكتاب في السماع الطبيعي - في السماء والعالم - في الكون والفساد - في الآثار العلوية وهذا الاخير من ترجمة يحيى بن البطريق عن اليونانية .

ومن ابقراط ترجم « علائم الموت » ومن جالينوس : « كتاب الترياق » وترجم أيضا كتاب الخير المحض المنسوب الى ارسطو ، كما ترجم أيضا عدة شروح لأرسطو وضعها اسكندر الافروديسي ، ونقلها عن اللغة اليونانية أبو عثمان سعيد الدمشقي (٩٠٨ - ٩٣٢) .

دومنجو غندسللبو : تعاون مع يوحنا الاشبيلي وتوفي عام ١١٨٧ وترجم كتاب « ينبوع الحياة » لابن غبرول ، وكتاب احصاء العلوم للفارابي وكتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي ، وعيون المسائل للفارابي أيضا .

يوحنا الاشبيلي أو ابن داود : عمل في طليطلة من عام ١١٣٥ الى ١١٥٣ تحت رعاية رئيس أساقفة المدينة « دون ريموندو » الذي أشرنا اليه سابقا ، وابن داود هذا هو أول من أطلع العالم الغربي على ابن سينا بترجمة جزئية لكتاب « الشفاء » . وقد تشارك ابن داود مع دومنجو غندسللبو وترجم الاثنان ما يقرب من خمسة عشر كتابا من العربية الى اللاتينية ، وأصبح يوحنا الاشبيلي أو ابن داود فيها بعد رئيسا لأساقفة طليطلة .

رودولف البروجي : اشتغل أيضا بالترجمة في علم الفلك على عهد يوحنا الاسباني ، وعاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . ترجم مؤلفات لمسلمة المجريطي في علم الفلك ، وأهدى الترجمة الى يوحنا الاشبيلي .

الحقبة الثانية للترجمة

ثم جاءت الحقبة الثانية للترجمات في طليطلة ، على عهد الملك الفونسو العاشر الحكيم ، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر . وفي هذه المرة نقلت الكتب من العربية الى الرومنسية أي الاسبانية الناشئة . أهتم هذا الملك العالم بعلم الفلك وعلم النجوم بنوع خاص . وترجمت في بلاطه بطليطلة « ليلة الاسراء والمعراج » الى اللاتينية والفرنسية والرومانسية الاسبانية ومنها استقى دانتي المعلومات المدرجة في كتاب الكوميديا الالهية عن الجحيم والنعيم . لا يمكن أن نثبت أن دانتي تأثر بمؤلفات أخرى غير ليلة الاسراء والمعراج . ولا يمكن أن نثبت له أنه تأثر برسالة الغفران لأبي العلاء المعري لأن هذه الرسالة لم تترجم الى اللاتينية أو الى لغة أوروبية أخرى . لم يتأثر دانتي بالفتوحات المكية لابن عربي من مرسية لأن هذه المؤلفات لم تترجم الى اللاتينية .

وفي هذه الحقبة ترجم أيضا كتاب « كليلة ودمنة » وترجم قسم من مؤلفات ابن رشد ، وكان المترجم ميخائيل سكوت .

تأثير هذه الترجمات : كان لهذه الترجمات التأثير الحاسم على الثقافة الأوروبية ، فهذا « آرنست رينان » من منتصف القرن التاسع عشر يقول عن توما الاكويني : « انه ـ كفيلسوف ـ مدين تقريبا بكل شيء لابن رشد » . ويقول عن معلم توما الاكويني « البرتوس الكبير » . انه مدين بكل شيء لابن سينا . » وهذه الشهادة الصادرة عن رينان لا تعني انه يحابي العرب ، بل على العكس فانه في كتابه « ابن رشد والرشدية » يقول عن الفلسفة العربية « انها الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية » .

لا مجال هنا لمناقشة هذا الرأي وابراز الابتكارات التي أضافتها الفلسفة العربية على الفلسفة اليونانية ، ولكن اذا كان رينان لم ينصف الفلسفة العربية فقد أنصف الترجمات من العربية الى اللاتينية .

وهكذا فانه كان على العرب أن يعبروا الى الاندلس ويحملوا حضارتهم اليها لكي تنقل هذه الحضارة الى أوروبا ، وكانت طليطلة أداة وصل بين هذه الثقافة والشعوب الاوروبية ، فقصد طليطلة العديد منهم اذ أن المترجمين باستثناء اثنين منهم هما « غندسللبو » و « يوحنا الاسباني » كلهم أجانب نقلوا ما ترجموه الى بلدانهم ، وتأثر علماء العصر بهذه الترجمات بحيث أن الذين نبغوا في القرون الوسطى كان نبوغهم بتأثير من الثقافة العربية : « البرتوس ماغنوس ، توما الاكويني ، يوحنا الصليبي ، دانتي ، روجير بيكون » وغيرهم وكلهم تأثروا بالثقافة العربية .

اذن لولا الاندلس لكانت الفتوحات العربية الاخرى أشبه بالفتوحات الكثيرة التي سبقتها والتي لحقتها ولم تترك أثرا لها . ولظلت الثقافة العربية محصورة ضمن العالم العربي وبعض العالم الاسلامي ، ولما أتيح لها أن تلعب أحسن الادوار في الحضارة والثقافة العالميتين ..

والفضل كل الفضل عائد الى طليطلة بنوع خاص ، اذ أن هذه المدينة أكثر من أي مدينة أخرى عربية أو أوروبية ، سهلت وصول الفكر اليوناني والفارسي والهندي والعربي طبعا الى الغرب فاستفاد منه وأفاد . □

العقول الالكترونية
هل أصبحت* عبئا على
البشرية؟

بقلم : الدكتور عصام محمد عزو

اذا كنا نعيش عصر التطور العلمي المذهل لخدمة البشرية .. فالذي لاشك فيه - وهو أمر واقع نتعرض لمخاطره كل يوم - أن العلم يكاد يصبح في خدمة الموت والتدمير الذي يمكن أن يؤدي الى فناء البشرية أيضا

اذا كانت العقول الالكترونية هي وسيلة الانسان الآن الى تحقيق انجازات التقدم العلمي .. فان الذي تؤكده كل الحقائق هو أن العقل الالكتروني قد تفوق نهائيا على العقل البشري ..

صحيح أن الانسان هو الذي اخترع العقل الالكتروني ، لكنه في مجال التقنيات المتطورة يقف عاجزا الى حدود الاستحالة ، أمام ما يقدر على فعله العقل الالكتروني ، الذي لولاه لما كان هناك وجود لأشياء اسمها صواريخ نووية عابرة للقارات . ذلك أن السرعة الهائلة التي ينطلق بها الصاروخ تجعل العقل البشري عاجزا تماما عن اجراء تحاليل معطيات تحركه ، واصدار الأوامر اللازمة المستندة الى عمليات حسابية في غاية التعقيد من أجل التحكم آنيا بمسار الصاروخ .

هنا يجد الانسان نفسه بحاجة الى سلطة اسطورية ما ، تكون قادرة على اتخاذ القرار المناسب في اللحظة المناسبة ، وعلى ضوء معطيات متحركة بسرعة مذهلة .

العقول الالكترونية ، وحدها هي القادرة على لعب دور هذه السلطة الأسطورية المطلوبة .

ان التحول التاريخي الأكبر في مجال المعلوماتية هو أن العقل الالكتروني لم يعد مجرد وسيلة حساب . ففي السابق كان دور هذا العقل مقتصرا على تقديم المعطيات للانسان الذي كانت تعود اليه مسئولية اتخاذ القرار على ضوئها ، أما الآن ، فالمسألة تحولت جذريا بفعل عامل الوقت الذي بات يلعب الدور الجوهري والأساسي . لاشك أن العقل البشري يستطيع أن يقرر ، لكنه لايملك القدرة على اللحاق بالسرعة الاسطورية لتي تتحرك فيها المعطيات امامه . فالعقل الالكتروني قادر على أن ينجز في ثوان ماقد يحتاج الانسان لينجزه الى أشهر أو سنوات .

على الدنيا السلام . .

لنأخذ مثلا حالة حرب نووية تتعرض لها أوروبا ، في ضوء افتراض أسوأ الظروف العسكرية وأحسن الظروف المعلوماتية . ان صاروخا نوويا منطلقا من الأراضي السوفياتية على سبيل المثال يحتاج الى دقيقتين او ثلاث لبلوغ باريس او روما ولسبع او ثماني دقائق لبلوغ نيويورك او واشنطن . . وهذا مايحدث على سبيل المثال في حالة معاكسة اذا ما انطلقت الصواريخ من أوروبا او امريكا .

ان جميع الوسائل البصرية البشرية المتاحة لاتسمح بمشاهدة الصاروخ الاستراتيجي المعادي عندما ينطلق ، ولا تقدر على ذلك سوى الرادارات الالكترونية التي تستطيع اكتشافه بفعل التقاطها للذبذبات الشعاعية الناجمة عن انطلاقه وتحركه . وبالطبع فان هذه الرادارات لاتستطيع تأدية دورها سوى بفضل العقول الالكترونية الملحقة بها ، والتي تستطيع أن تحسم الأمر في جزء من الألف من الثانية .

اذا لم تتحرك الوسائل الدفاعية في غضون ذلك يكون على الدنيا السلام . ومن هنا فان عملية تحريك الصواريخ المضادة ، أي عملية اتخاذ قرار الرد ، يجب أن تحدث تلقائيا ، بمعنى آخر ، عندما تندلع الحرب النووية لن يكون للانسان أي دور فيها سوى دور المتذهل أو الضحية . . في أحسن الحالات أو أشدها سوءا .

الخطأ الحسابي

لقد بات واضحا لدى الجميع أن لاشيء يحول دون وقوع الكارثة النووية سوى اقامة توازن الرعب النووي ، فعندما يعلم الخصم انه اذا ضرب فسوف يلقى ضربا مماثلا ، من آلة لاترحم ولاتفكر ، فانه سوف يلجم نفسه تلقائيا عن اتخاذ قرار الضرب .

وانه لمن المضحك ، علميا وعسكريا ، أن يعلن الرئيس ريغان انه : اذا ضرب الروس أية مدينة امريكية فسوف أرد بحزم . . فهو لن يكون لديه أي وقت للرد ، وعندما يرن الهاتف في غرفة نومه ، لاعلامه بالامر واتخاذ الأوامر منه ، تكون الكارثة قد حصلت . . لاخيار امامنا ، ولاامام الأصدقاء والأعداء ، سوى برمجة الرد التلقائي الألكتروني .

وقد يثور سؤال : الايبقى بوسع العنصر البشري ايقاف الرد المبرمج ؟ والاجابة : لا ، لأنه من المتوقع في غضون السنوات العشر المقبلة أن يكون العلماء قد توصلوا الى مضاعفة سرعة الصواريخ . وبالتالي فلا بد حتما من عملية عصر للوقت بالنسبة للرد المبرمج بحيث تصبح المسألة كلها مسألة ثوان أو أجزاء من الثانية فقط . وهكذا فان أي محاولة بشرية لابطال الرد يمكن أن تؤدي الى انفجار الصاروخ النووي في مكانه . وبالطبع ، فأن تموت بسلاح عدوك أفضل ألف مرة من أن تموت بسلاحك . الآلة اذن ـ اى العقل الالكترونى وليس الانسان ـ سيكون بيدها التفكير والحركة . . والتنفيذ .

وفي هذه الحالة . . فما أبشع أن يقع العقل الالكتروني في خطأ حسابي . . . صحيح أنه لامجال لمثل هذه المخاوف بالنسبة للمسائل الالكترونية النووية ، ولكن احتمال وقوع العقل الالكتروني في الخطأ وارد بنسبة ما ، وإن كان لكل شيء حسابه .

ولنأخذ مثلا الرحلة الفضائية التي قام بها المختبر

هذا الانفجار النووي .. يمكن أن ينشأ عن خطأ حسابي للعقل الالكتروني .

الفضائي الأمريكي «سكايلاب» مؤخرا ، كانت هناك خمسة أنظمة عقول الكترونية تشرف على العملية . اربعة منها مزدوجة والخامس يلعب دور الحكم . والعملية تجري كالتالي : يقوم النظام الأول بإجراء تحاليل المعطيات ، في حين يقوم النظام الثاني باجراء التحاليل نفسها ، ثم يقدمان نتائجهما الى النظام الخامس (الحكم) ليقارنها ببعضها . وفي حالة وجود أي تفاوت بين تحاليل النظامين الأول والثاني ، يقوم النظامان الثالث والرابع باعادة اجراء التحاليل ، ثم يرفعان نتائجهما الى النظام الخامس وهكذا دواليك .

وزيادة في الحيطة ، جرى التحسب للحالة التالية : أن تأتي نتائج ثلاثة أنظمة مخالفة لنتائج النظام الرابع ، وان تأتي نتائج النظام الخامس مطابقة لنتائج النظام الرابع ، في هذه الحالة تلعب مسألة الأكثرية دورها ويتخذ القرار اوتوماتيكيا وفق النتائج التي أظهرتها تحاليل الأنظمة الثلاثة .

بالامكان اعتبار المسألة نوعا من النقاش

الديمقراطي الحر ، وبالطبع فلا مجال هنا للانسان للتدخل في نقاش معقد من هذا النوع ، لاسيما أن العملية كلها تتم في جزء من المليون من الثانية .

حرب نووية مزاجية

ورغم كل شيء فلا بد من العودة الى الناحية الانسانية ، الا يمكن مثلا أن يقوم قائد أحد المراكز النووية الأرضية ، أو قائد احدى الغواصات النووية ، بالضغط على الزر الأحمر رغبة منه في اشعال حرب نووية مزاجية على حسابه الخاص كما يحدث في الافلام العلمية الخرافية ؟ ومن جهة اخرى ، ألا يمكن للاسباب المزاجية نفسها أن يرفض أحد القادة أوامر القيادة المركزية بالضغط على الزر الأحمر ؟ العلماء المتخصصون في هذا المجال يجيبون على هذه التساؤلات بالقول : ان هذه الازرار الحمراء لا وجود لها سوى في الافلام فقط ، صحيح أن هناك ازرار لكنها ازرار رموز الكترونية بالشيفرة التي لايستطيع حتى قائد الموقع النووي نفسه أن يفهمها لوحده .

ان الأوامر التي يتلقاها القائد تأتيه بشكل رموز (ارفع هذا بدرجة كذا ، اخفض ذاك بدرجة كذا ، أضيء الرقم كذا ، أطفيء الرقم كذا ، الخ) وهو بالتالي عليه أن ينفذ الاوامر بدون أن يناقشها ، وبالطبع بدون أن يفهم ماذا تعني . ففي حالة صدور الأوامر بالاطلاق مثلا ، لن يعرف القائد انه دخل الحرب النووية فعلا سوى في اللحظة التي يسمع أو يرى فيها انطلاق صاروخه ، وبدون أن يعرف قبل ذلك أن مايقوم به كان طريقا مؤديا الى الاطلاق فعلا .

وفي الحالة المعاكسة ايضا ، فمن البديهي ألا يملك القائد جميع الرموز والمعطيات الكافية لمعرفة كيف يطلق صاروخا ، فالقائد النووي ، البحري أو البري ، يكون عمليا مراقبا من قبل العقل الالكتروني نفسه . بالطبع فان الاوامر النهائية التي يتلقاها هذا العقل تأتي من عقول الكترونية أخرى من خارج الموقع وليس من قائد الموقع الذي ـ حتى لو اراد عدم تنفيذ الأوامر او تنفيذها بشكل مغلوط ـ فان العقل الالكتروني يوقفه عند حده ويتصرف وحده ، والشيء نفسه بالنسبة للقائد الجوي .

ولضمان هذه الناحية تجري عمليات تدريب دائمة تتغير فيها الرموز والاشارات بشكل دائم ، بحيث لايعرف القائد ما اذا كان مايقوم به هو عملية تجربة ازرار (روتينية) او عملية دخول حرب نووية فعلية .

ومع ذلك فالعلماء يؤكدون أن الاعتماد على أطقم بشرية للتشغيل سيكون مستبعدا خلال سنوات قليلة ، ولن يكون مستغربا أن تصبح مواقع الصواريخ التحت أرضية والغواصات والطائرات خالية من أي عنصر بشري وأن يصبح قطاع الحرب النووية مقتصرا على الآلات وحدها .

والواقع أن تلزيم مسألة الحرب النووية الى الآلات وحدها بدل الانسان هو في صالح البشرية ، لان بالامكان في مثل هذه الحالة على الاقل تحاشي (مزاجيات) الانسان وانانياته الخاصة .

ولعل ذلك هو أفضل ضمان لمصلحة البشرية والعالم ، فالآلة تعرف على الاقل ما يجب فعله ومالايجب . فالعقول الالكترونية لن تتورط في أي حرب مثلا قبل إجراء حسابات دقيقة جدا وشاملة جدا للربح وللخسارة .

ثم ان العقول الالكترونية لاتملك اية مصالح انتخابية او سياسية أو سلطوية ، وبالتالي فبوسع الانسان الركون الى (ضميرها) الواقعي والمتجرد من أية نزعة انسانية انانية او انفعالية .

وسائل الدفاع الذاتي

لكن يبقى واردا إمكان حصول أحد مالكي العقول الالكترونية (التي صارت سلعة تجارية بوسع أي كان شراءها في الغرب) على مفاتيح رموز شيفرة العقول الالكترونية النووية ؟ وهو يشكل بالفعل خطرا حقيقيا . وقد حدث منذ فترة أن توصل أحد هواة المعلوماتية ، وهو صبي امريكي في الرابعة عشرة من عمره ويملك عقلا الكترونيا صغيرا ، توصل الى اكتشاف الرموز السرية التي تستعملها « وكالة نازا » ، وقد كاد الأمر يحدث فضيحة امريكية كبرى من طراز (ووترجيت الكترونية) لولا المسارعة الى لفلفة المسألة .

الا يدعو ذلك الى ضرورة التفكير في استصدار قوانين خاصة تجعل اقتناء العقول الالكترونية من المحرمات

العقل الالكتروني قد يشعل الحرب العالمية الثالثة .. لأسباب عاطفية .

كالسلاح او المخدرات .. بالاضافة الى ضرورة تطوير ما يسمى بوسائل الدفاع الذاتي للعقول الالكترونية التي تحميها من أية مداخلة غريبة ؟

ثم ان هناك واقعا مؤسفا فعلا هو ان العقول الالكترونية ومهما كانت متطورة ، هي في النهاية من صنع انسان . ألا يعني هذا ان صانع العقل الالكتروني النووي يظل بوسعه استغلال ذلك العقل عندما يشاء ؟ خاصة وان القيادة تظل بحاجة لذلك الصانع لاجراء عمليات الصيانة على الأقل ؟

لعل ذلك ما جعل عالما مثل البروفيسير رينه زاجويان عضو المجلس الوطني لعلوم الحرب الاستراتيجية يدعو الى تترك للعقول الالكترونية مهمة اجراء محادثات الحد من الأسلحة النووية ، وعقد الاتفاقات بدل الرؤساء والمسؤولين السياسيين ؟ !

وجاءت هذه الفكرة مباشرة في كتابه (أرسطو الالكتروني) وهو يقول « انه اذا كانت هذه الفكرة قد تبدو الآن مستغربة فهي لن تكون كذلك ابدا في المستقبل المنظور .

بل انني أرى أن لاشيء يمنع من جعل العقول الالكترونية ، النووية ، لدى العملاقين ـ الأمريكي والسوفياتي ـ على اتصال دائم فيما بينها لاجراء التنسيق اللازم ، وتحاشيا لحصول أي التباس ، بل ماذا يمنع من وضع عقل الكتروني ثالث ، محايد ، يوضع في سويسرا مثلا ويكون بمثابة القاضي الذي ينظر في الخلافات التي قد تنجم بين الفريقين ؟ ! »

اذا استمر رفضهم

« ولعل أخطر ما جاء في ذلك قوله : مالذي يمنع عقلا الكترونيا من اتخاذ قرار ذاتي باشعال حرب نووية شاملة ، لتخليص هذه البشرية من التعاسة التي تتخبط فيها وفق منطقه الالكتروني الخاص المتحرر من أية مشاعر أو انفعالات انسانية ؟ »

« أعتقد أنه من الآن وحتى العام ٢٠٠٠ لن يكون هذا الأمر مستبعدا ، فمن الناحية المنطقية ، قد يجد العقل الالكتروني أن مآسي البشر بلغت حدا لم يعد ممكنا إيقافه سوى بايقاف الحياة البشرية وبتطهير كوكب الأرض من جميع البشر ، أي أن هذا العقل قد يشعل الحرب العالمية الثالثة لأسباب .. عاطفية .. !

« وأنا مقتنع شخصيا بانه اذا استمر هذا السباق المجنون في تخزين وتطوير الأسلحة الفتاكة ، واذا استمر ظلم الانسان لأخيه الانسان على هذه الصورة ، فان قرار العقول الالكترونية بتدمير الكرة الأرضية على رؤوس الجميع سوف يكون قرارا عادلا جدا .. انسانيا جدا .. »

ان كل هذه المخاطر ولاشك ـ حتى ولو وقعت بين القوتين العظميين ـ سيكون ميدانها المتوقع هو العالم الثالث بأراضيه وناسه .. بما في ذلك الوطن العربي والاسلامي ..

فهل بالامكان لعب دور لمواجهة هذه اللعبة الخطرة التي يلعبها الكبار من خلال استغلال التطور العلمي والتقني لافناء البشرية ؟ □

مسابقة العربي للقصة القصيرة

تشجيعاً للهواة من كتاب القصة الموهوبين
في أقطار الوطن العربي والمهجر
وتوكيداً للعلاقة بين «العربي» وقرائها
فإنها تقيم مسابقة للقصة القصيرة

الشروط

- يحق للهواة من القصاصين الاشتراك في هذه المسابقة .
- أن يكون موضوع القصة منسجما مع الاتجاهات القومية وألا يتعارض مع المبادىء والقيم الدينية والانسانية .
- أن تكون القصة موضوعة لا مترجمة ولا ملخصة ولا مقتبسة .
- ألا يتجاوز عدد كلماتها ١٥٠٠ كلمة .
- ألا يكون قد سبق نشرها من قبل .
- أن تكتب باللغة العربية الفصحى بخط واضح ، وعلى وجه واحد من الورق ، ويفضل أن تكتب على الآلة الكاتبة .
- أن يكون « للعربي » حق الأولوية في نشر القصص الفائزة بالجوائز .
- ألا تحمل القصة اسم كاتبها أو عنوانها ، بل يكتب اسم الكاتب وعنوانه وعنوان القصة ، على النموذج المرفق « الكوبون » في أسفل الصفحة ، بحيث يكون النموذج أو « الكوبون » في أسفل الصفحة هو المستند الوحيد الذي يؤكد ملكية صاحب القصة .
- آخر موعد لقبول القصص هو ٣٠ ابريل - نيسان - من سنة ١٩٨٥ ، ولا تدخل المسابقة أية قصة تصل بعد هذا التاريخ .
- تعلن نتائج المسابقة في بداية شهر أكتوبر - تشرين أول من سنة ١٩٨٥ .
- القصص التي تصل الى المجلة لا ترد الى أصحابها .
- يكتب على المظروف مسابقة القصة القصيرة .

الجوائز

- الجائزة الأولى : ٣٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثانية : ٢٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثالثة : ١٥٠ دينارا كويتيا .
- الجائزة الرابعة : ١٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الخامسة : ٧٥ دينارا كويتيا .

- الجوائز من السادسة حتى العاشرة اشتراك مجاني لمدة عام في المجلة وكتاب العربي .

الاسم الثلاثي : ....

اسم القصة : ....

العنوان : ....

قصة قصيرة

حفلة تنكرية

بقلم : محمد عبد الملك

أعلنت الحفلة التنكرية في الشوارع العامة . أرسلت مكبرات الصوت نداءات متكررة إلى الجميع .

ساد هرج ومرج وصدحت الموسيقا من أربعة جوانب ورقص المواطنون . توزع النُدل يحملون أقداح المشروبات الروحية وعصير البرتقال .

اجتمع في الساحة الكبيرة جمع غير متجانس من اليمين واليسار ، وقطاعات من الجيش وضباط الانقلابات العسكرية . وكان من الصعوبة بمكان التمييز بين الجميع حتى في الأعمار ، فالشباب قد أطلقوا لحى بيضاء طويلة مقلدين بابا نويل وأئمة المساجد ، والكبار ارتدوا ملابس وقبعات رعاة البقر وأطلقوا البارود من مسدسات الأطفال ، وبين فينة وأخرى كانوا يلكزون الجياد . واللجنة المُحكمَة كانت تتجول في الساحة الكبيرة بحثا عن النجوم . . وعريف الحفل يكرر في مكبرات الصوت :

- الشعب في كامل يقظته !

وكانت تتخلل نداءاته أغان وطنية صاخبة . . وكان البعض ينتهز فرصة مرور اللجنة فيبالغ في التمثيل والحركة والقفز في الهواء . وثمة جماعة اعتزلت في زاوية بملابس شعبية وتبارزت بسيوف من خشب مدهونة بلون رصاصي . وآخرون رقصوا للحرب المعلنة مع دول مجهولة . وبرز رجل أثار اهتمام اللجنة فتوقفت تتابع تأثيره السريع في الجمهور . كان الرجل يرتدي ملابس عسكرية ويقذف العصا التي في يده في الهواء ويستقبلها من جديد ، ثم يستبدل عصاه بمسدس كبير ويطلق رصاصات في الفضاء ثم يخرج من فمه لهبا أصفر . وكان الرجل يأتي بحركاته البهلوانية بخفة عالية ، وتكاد النار التي يدفعها من فمه أن تحرق وجوه وملابس وفساتين النساء ، فيفررن هاربات ، بينما احتفظ في فمه بسيكار مشتعل يخرج دخانا منتظما ، كما أطلق صيحات حرب وتحذير في نفس الوقت الذي كان يمضغ فيه لبانا أمريكيا ويجرع أكواب المشروب الأصفر بسرعة كبيرة ، ويحتفظ بسوط وخرزات كبيرة في صدره ، وبعض القنابل اليدوية وزجاجات المشروب . . . احتارت اللجنة في أمر الرجل وقال أحدهم :

- ها هو . . . !

فقال الثاني : شيطان رجيم !

فقال الثالث : صاحب الحظ السعيد !

وكان رجل ما مجهول الهوية يرتدي قبعة عسكرية يتقدم من أمامه ويصيح في الناس : الجنرال ! . . الجنرال !

فقال رجل اللجنة الأول : أقسم أنه هو !

وقال الثاني : في حركاته شبه بقائد الانقلاب الأخير !

قال الأول : ان هيبته حقيقية !

فقال الثالث : أمر ليس عليه غبار ! . . انظروا ! . . انظروا الى لعبه بالمسدس . . لا يأتي ذلك إلا رجل جيش خطير . إن أكن مخطئا طلقت زوجاتي الأربع بالثلاث !

قال الأول : ان لم يفز بالجائزة أردانا قتيل ، فالمسدس حقيقي والأحكام عرفية !

قال الثاني : اني أشك في الأمر .

ونظر اليه أعضاء اللجنة بدهشة . لقد خالفها في الرأي .

فقال الأول : ماذا تقول ؟!

ـ ان الخوف يولد الوهم .. ما هو الا موظف تعس يتسلم راتبا حقيرا .. أو ممثل بارع من مسارح الدرجة العاشرة في المدينة جاء يجرب مواهبه بعد جرعات من المشروب .

وصاح فيهم : لا تديروا بالاً للأقزام الممثلين .

فقال الأول : بما أن الجائزة كبيرة ، فان عدم فوزه بها سيؤدي بنا الى الدخول في قفص ذهبي من الأحكام العرفية التي تنتهي بعرس أبدي مع الموت ..

وأطلق ضحكات ساخرة ..

وكانت اللجنة قد أوصت أن يفوز خير المتنكرين في المدينة بضياع وبساتين وجوار وأرصدة في البنوك وامتيازات فوق القانون والأعراف ..

قال الثاني : دعونا نفكر بعمق .. هذه لحظات انجاب الأفكار وتوالدها فالزمن يجري مثل الماء .. من منكم يستطيع أن يمسك في قبضته نهرا من الماء .. يجري .. يجري بقوة لا كما يراه البصر .. اذن .. دعونا نفكر فالزمن له كف تضرب كما وانه مناور مثل الناس،ألا يخافونه كما يخافهم ؟!.. اذن اسمعوا .. ان كان هو قائد الانقلاب نفسه فما حاجته للجائزة مادام يمتاز بحقوق فوق القانون والأعراف وله ملكية تامة تتجاوز الناس .. الى الأرض .. والطيور .. والشجر ؟

فقال الأول : ما جاء يستعرض قوته اليوم إلا طمعا في الجائزة .. إن فوزه معنوي .. هل نسيت بأنه متعدد المواهب ؟

قال الثالث : اني أصدق ! لقد عقد صفقة مع شركة انتاج سينمائية لتمثيل دور البطولة في فيلم عن الانقلاب الأخير .. فلتكن له الجائزة . وقد يتبرع بها للفقراء ..

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟

ـ ألا يحب التمثيل ؟ .. سيجلب هذا النبأ تصفيق الجماهير واعجاب المراهقات والشحاذين ..

ـ وان لم يكن هو نفسه الحاكم الجديد ؟

قال الأول : دعك من العبث والمجازفة .. انه يستحقها عن جدارة !

فضحك الثاني وقال مبتسما : وهل أنت واثق أنك تدفع الجائزة عن غير خوف ؟

ـ تمام الثقة !.. ثم ان الخوف غريزة بشرية مشتركة .. ألا تحس بنفس الشعور في لحظات ما ؟!

ـ لكنك تتجاوز نظام التحكيم وقوانينه ..

ـ مثلا ؟

ـ أنت لم تشاهد جميع المتنكرين فالساحة تعج بهم وهم من كل الألوان والأصناف والطبقات ..

ـ سأفعل .. انها بداية الحفلة ..

ـ افعل ذلك فالمفاجآت في الطريق .. انه يوم تاريخي !

وانفعل الثالث . كان يبدو حائرا كمن يقدم على ارتكاب جرم وغد اصفر لونه وفقد بعض صفائه فقال :

ـ يجب أن نكون منصفين .. ان قوانين التنكر ونصوصه صريحة .. ان التنكر شعار لمرحلة .. هي هذا الزمن .. هذا اليوم .. اليوم .. هذه الليلة .. لذا فان التنكر هو هدف اجتماعي .. اذن فنحن حين نخالف تشريعات التنكر نحكم على المجتمع بالدمار .. نهدم أسس الحياة ونواميسها .. تذكروا أن اختيارنا قد تم بعناية .. وان هذه الثقة المعطاة لنا

غير قابلة للهو بها أو التنكر لها . . دعوا العبث فهو شديد الحضور في العقل وقت الاحتفالات . .

وبتر حديثه بجملة قاطعة قالها بيقين :

ـ يجب أن نختار خير المتنكرين !

فقال الثاني : هذا ما اتفقنا عليه منذ البداية . .

ـ اذن يجب أن نعطي الجائزة لصاحبها . .

ـ ومن هو صاحبها ؟

ـ الأكثر كفاءة . . أقصد الأكثر تنكرا . .

فقال الأول : يجب أن تمر بباقي الجمع فقد يكون هناك من يتنكر بقدرة فائقة تشد انتباهنا من جديد . . انه يوم الذهول !

فأصر الثاني : يجب . . يجب ذلك . . المهمة صعبة !. . كيف نكتشف خير المتنكرين والجميع يبدعون في التنكر ؟!. . ثم ان الفائز سيصبح ذا شأن عظيم . . سيكون النجم الذي يعلو النجوم . . . بطل العهد الجديد . . والعصر الجديد . . محط أنظار النساء والرجال . . لذا . . يجب أن يكون هذا المختار متنكرا حقيقيا . . ممثلا حقيقيا . . أن يمتلك القدرة على تغيير سلوكه وأفكاره ومعتقداته لفترة من الزمن . . أن يكون لصيقا وحليفا للخلود . . فالانقلابات العسكرية في المدينة تحدث بين يوم وليلة . . ونحن أمام هذا القرار التاريخي يجب أن نرضي الجميع . . ان المختار يجب أن يكون صالحا لكل زمان . . شديد التلون والذكاء . .

فقال الثالث : أوافقك تماما !. . انها وجهة نظر علمية . . ان العمر يعلم الانسان التكيف مع النار وترويض الأبالسة وبالتالي الفوز بالغنيمة . كل أهل المدينة يجب أن ينسلخوا هذه اللحظة من ماضيهم وحاضرهم . . الأصوات يجب أن تتغير . . والأحاديث . . والألوان . . والأماني . . وان يأتوا عكس ما يعتقدون . . انه التنكر . . أليس كذلك ؟ .

فقال الأول : لا تنسوا أن العالم المتحضر ينتظر نتائج هذه المسابقة التنكرية فالفكرة جاءت من هناك . . تعلمنا التنكر واقامة الحفلات التنكرية بعد أن فتحنا أبصارنا على هذا العالم انه ينتظر النتائج . . ويرى كيف نمارس تقاليده الجديدة في عقر دارنا . . وان لم يكن الحكم عادلا فقد تتدخل اللجنة الدولية في البت في الأمر . . وقد تعترض . . وقد يعرضنا سوء التصرف لانقلاب عسكري جديد !

فقال الثاني : علينا اذن ألا نستعجل الأمور . . ان الحفل في بدايته . . وها هي سيارة فخمة قادمة وقد أفسح لها الجنود الطريق ترى من يكون صاحبها ؟!

فقال الأول : قد يستحق الجائزة !

وضحكت اللجنة . . .

فقال الثاني : استعار هذه السيارة للتنكر . إنها وسيلة للفوز بالجائزة . .

فقال الأول : تقصد ضغطا معنويا علينا ؟

فقال الثاني : بل ترهيبا !

ـ قد يكون صاحب السيارة ذا شأن يستحق الجائزة !

ـ عدنا لخرق القوانين ؟!

ـ إنا نضع الأمور في نصابها .

ـ كيف ؟

ـ يجب أن تتنكر القوانين أيضا !!

ـ لنمنحها لأكل النار اذن .

ـ انظروا !. . من يركب هذه السيارة !

ـ امرأة !!

وهبطت سيدة بقناع بعد أن فتح أحد الجنود الباب لها . ومضت تشق طريقها محاطة بالجنود والجواري والخدم .

ـ مصيبة !

ـ ما الأمر ؟

ـ أقسم أنها زوجة قائد الانقلاب !

ـ وما الذي جاء بها هنا ؟

ـ انها مجنونة بالتفوق ، حتى بارتداء الملابس الداخلية . . فكيف تنام في سريرها والمدينة تعلن عن حفلة نجم النجوم !

ـ وقعنا في مصيدة .

ـ فئران والقفص يضيق .

ـ انظروا الى الذهب والجواهر .

فقال الثاني :

ـ بلغ بكم الهوس منتهاه . . ما هن الا فتيات مدارس صغيرات جنح خيالهن . . بالنشقيات !

ـ والحرس ؟. . والوصيفات ؟

ـ أليست حفلة تنكرية ؟

ـ أقسم انك خاطىء . . لن أعطيها الجائزة !

ـ احترنا في الأمر .

ـ أقسم بأنكم قد فشلتم في مهمتكم هذا اليوم فعادة ما يقلد الشحاذون الملوك .. ويقلد الملوك الشحاذين .. ألم يقلد هارون الرشيد كريما الصياد ؟

واقترب من اللجنة رجل بلحية كثة طويلة قذرة ، ممسكا بعصا مرتديا لباسا من الخيش ، ثم وقف يمد يده ويقول :

ـ يا محسنين اعطوا الحق لأصحابه .

ثم حدق بعينيه وأرسل نظرة نارية ومضى . فقال الأول :

ـ وعيد وتهديد لا يأتي الا من قادر مقتدر !

ـ بدأت أشك في كل شيء ! .. كل شيء جائز في هذه اللحظة .. في هذه اللحظة .. في هذه المدينة ..

ـ ماذا اكتشفت ؟

ـ ان عينيه تشبهان عيني الحاكم العسكري الجديد !

ـ وكيف تميز ذلك ؟

ـ اتساعهما .. وحدتهما .. كنت في مكتبه بالأمس ونظر اليّ بنفس العينين ..

فقال الثاني مرتبها :

ـ ومن يكون آكل النار اذن ؟

ـ لم اره عن قرب ..

ـ أتشك في أمره ؟

ـ ربما .. ربما .. قد يكون ممثلا بارعا أو حاويا من حواة المدينة ..

من أين للحاكم العسكري وهو رجل متحضر أن يأتي بحركات الغجر هذه ! .. انظر كيف يخرج النار من فمه !

ـ اذن فالجائزة للشحاذ ؟

ـ اعتقد ذلك .

ـ هل لشبه عينيه بالقائد ؟

ـ بل لقدرته الفائقة على التنكر .

ـ ولتواضعه أيضا .. انظر اليه .. يمشي كثيرا بين الناس .. انه يجسد المساواة بطريقة عملية جدا .. ستكون مفاجأة للجمهور أن قائدهم يرتدي كسوة الشحاذين ويدور بينهم .. سيكون ذلك مصدر سعادة لهم .. هذا رمز للمساواة .. يجب ألا نفوت الفرصة .. انه يختبر ذكاءنا !

فقال الأول : سقطنا في شرك كبير ! ان مهمتنا صعبة للغاية ..

فقال الثاني : اني أرشح المرأة .

ـ كيف ؟

ـ القائد يحب زوجته !

ـ وماذا لو كانت طالبة مستهترة ؟

ـ وكيف تأتي طالبة صغيرة بسيارة فخمة ؟

ـ من أجل الدعاية تجتمع الشياطين .. قد يكون أبوها سائقا لدى العائلات الكبيرة ..

ـ هذا جائز .. جائز .. كل شيء جائز ومعقول .. ان التنكر لشديد .. وهذا يجعلنا في حيرة .. والأجراس في رقابنا ..

وفي لحظة يأس قال : لو يكشف الجميع عن وجوههم !

وضحك الأول وقال : اذن فسدت اللعبة !

ـ كيف ؟

ـ ان متعتها في التنكر .. لا تنس ذلك .. من أجل ذلك كان وجودنا .

ـ انكم تطلقون لعقولكم العنان أكثر من اللازم ..

ـ العبرة بالخاتمة !

ـ مثلكم يهمني أن يفوز خير المتنكرين .. لكن يجب أن تساوي بين المتنكرين على الأقل !

ـ الفطنة ان تقلد الأنبياء وتطلق الرصاص في آن واحد كما يفعل العسكر !

ـ بدأت اقتنع ان المهمة صعبة ! .. ولكن علينا أن ننصف الجميع في هذه اللحظة .. يجب أن نحكم بالعدل .. القانون سيد الجميع ..

ـ ألا ترى انك شديد المثالية ؟

ـ بدأت أحس بذلك !

ـ ان خير المتنكرين هو أسوؤهم .

ـ يبدو لي ذلك ..

ـ وأسوأ المتنكرين هو أفضلهم .

ـ يبدو لي ذلك ..

ـ والمسدسات لا تطلق الأزهار .

ـ ما العمل اذن ؟

فقال الأول : ما رأيكم بشرب بعض المشروب .. انه يساعد على التخيل .. التخيل .. والتصور .. ثم يلزمنا خلق المبررات .. يجب أن

نذهب .. الى الكئوس .. الى الأوهام .. أعطونا الفرصة ..
وكان يخاطب الجمهور :
- أيها المتسابقون .. أعطونا الفرصة .. الغنائم كثيرة .. مهلا
مهلا ! .. قد تقع الكئوس !
وكان عريف الحفل يطلق صوته الثمل :
- الثورة في عنفوانها !!
عند البار .. البار المفتوح وقفت اللجنة .. كئوسهم تتقارع وراء الكئوس ، سقطت عيونهم في حيرة . لقد اختيروا لادارة هذا الحفل بعد الانقلاب العسكري الثالث وتحملوا المهمة عن غير رغبة ..
قال الأول : القرار صعب للغاية !
ففاجأ الثاني اللجنة بقوله : الآن اجده سهلا !
- كيف ؟
- لقد كسبنا الجولة ..
- كيف ؟
- نطلب من المتسابقين القاء قصائد من الشعر الجاهلي والحديث .. نسألهم عن أزمة الثقافة العربية .. سيكون اختبارا حقيقيا ..
- كيف تتجاهل الأمور ؟ .. ان المتنكرين العظماء جهلاء للغاية .
- اذن صح الحكم .
- كيف ؟
- فرصة عادلة للجميع ! اقصد لاختبارهم !
- وقد تحكم لهم .. أو انه قانون التنكر ..
- كيف ؟
- اليس المطلوب عكس الحقيقة ؟
- نعم ..
- اذن فالمثقف يجب أن يبدو جاهلا !
- اختلطت الامور .. وغبنا في التيه .
- وكيف يبدو الجاهل مثقفا ؟
- اذن سيتساوى الجميع !
- المساواة هي المطلوبة .. الوطن للجميع !
- سكرتم ولله الحمد !
- الحيرة تقود الى الجنون !
- ما رأيكم لو نترك الأمر بلا قرار ؟
- لن يقبل المتنكرون ..
وأعلنت الساعة الثانية عشرة . منتصف الليل . وقت اعلان نتائج المسابقة . صمتت الموسيقا . هبطت الكئوس حتى الصدور . وأسفل ... أسفل الأقدام . عجز الجميع . أرهقهم الرقص والشراب والتوتر . تقدم الشحاذ ، وآكل النار ، والمرأة الصفوف .
تحدث رئيس اللجنة قائلا :
- أيها السادة المتنكرون .. لقد أجدتم التنكر ارفعوا الكئوس .. عاليا .. انها رايات عصركم الخفاقة .. انكم مفخرة هذا الزمن المجيد .. وبوسعكم أن تخلعوا الأقنعة الآن .. وان تستمتعوا بحروب أهلية جديدة .. أو بنوم طويل إذ أتعبكم الحفل والخمر والتيقظ للأعداء .. وليس بوسع هذه اللجنة الا أن تمارس القانون السائد .. والعرف السائد فنحن منكم واليكم مثل النبع والمجرى والمصب ..
وانتهت اللعبة .. وبدأت اللعبة ..
وأعلن عريف الحفل عن بدء انقلاب عسكري جديد وقال :
- أيها السادة .. ان الشعب في المصيدة .. والجماهير ثملة بأمان كاذبة ! ثم أعلن البيان منع التجول .. والأحكام العرفية الجديدة .
وصدحت اغان وطنية . فقال رئيس اللجنة لزملائه :
- لو اعطينا الحاكم العسكري المخلوع الجائزة !
وابتسم الثاني وقال : في العجلة الندامة !
- عدنا الى سابق عهدنا ؟
- وهل من حوار مع المدافع ؟
وارتفع صوت عريف الحفل من جديد :
- لتتواصل الأفراح .. مزيدا من الأقداح .. والأقنعة .. ولتبق اللجنة فقد أثبتت حيادها .. الشعب ينتصر !
فقال الأول :
- حفلة تنكرية جديدة !
ومن بعيد سمع الجميع طلقات الرصاص . وانتشرت مصفحات ضخمة في الشوارع .. وعربدت أصوات مدافع .. ومارش عسكري .. ورايات .. ومتظاهرون .. وقتل .. فهرب الجميع .. أما من لم تسعفهم الثمالة فقد وقفوا يصفقون بأيد مرتعشة .. □

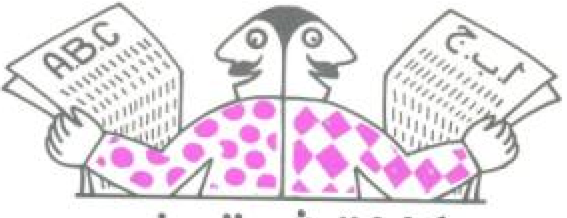

حكايات شرق وغرب

توتو والطريق الى السلام

القضية .. والرجل .. والجائزة

كان يعلم أن اسمه يتقدم بقية الأسماء المرشحة للفوز بجائزة نوبل للسلام . وأسعده الخبر ، لان هذا يعني أن المجتمع الدولي ممثلا في لجنة نوبل ، سوف يقدم دليلا جديدا على قبح السياسة التي تمارسها حكومة جنوب افريقيا البيضاء ، ضد أصحاب الأرض الذين يمثلون اكثر من ٨٥٪ من سكان البلد الذي ظل مسرحا لأبشع الوان التمييز العنصري ضد السود ، لأن لون بشرتهم لا يعجب الرجل الابيض المستعمر !

وصاحب هذا الاسم ، الاسقف ديزموند توتو (٥٣ سنة) ، هو أحد الزعماء المدافعين عن حق السود - وهو واحد منهم - من أجل الحرية والمساواة ، بل لعله الزعيم الوحيد الذي يعمل من فوق الأرض ، ويرفع يده منذرا محذرا من النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على استمرار سياسة حكومة الاقلية البيضاء ، التي فرضت من نفسها وصية على هذا الشعب ، وراحت تتحكم في مصيره ، وتغلق أبواب بيته في وجهه ، وتقيم حوله الأسوار ، وتطرده من أرضه وتصرخ فيه ، وهو ماض في كفاحه من أجل استمرار الحياة : « قف .. أنت أسود .. وليس مكانك بيننا !! » .

وقد رفض توتو أن يتوقف « لقد صمم على المضي في طريقه .. نفس الطريق الذي سار فيه من قبله نيلسون مانديلا الزعيم الأسود الذي يعيش وراء جدران السجون منذ عام ١٩٦٣ بعد تزعمه « للمؤتمر الافريقي الوطني » الذي تحول فيما بعد الى حركة فدائية ، تعمل خارج جنوب افريقيا ، وتنقل نشاطها الى داخل البلاد كلما حانت الفرصة .. ومن قبل مانديلا كان هناك البرت لوثولي ، وكان يتزعم المؤتمر الافريقي الوطني ، ولم يكن وقتها يعتمد على العنف ، كما أصبح فيما بعد ، وإنما كان مجرد زعيم منظمة تدعو الى المقاومة السلمية لكل عمل فيه مساس بحقوق الانسان ، فقد كان لوثولي متأثرا بالزعيم الهندي المهاتما غاندي ، الذي بدأ كفاحه فوق أرضهم في جنوب افريقيا ، قبل أن يعود الى بلاده ويتزعم أعظم ثورة سلمية في التاريخ .

الصفحة الأولى

ونجح لوثولي في أن يلفت أنظار العالم اليه .. وفي عام ١٩٦٠ ، فاز الزعيم الأسود بجائزة نوبل للسلام .. وكان فيرفورد الذي يمثل أبشع صور التمييز العنصري رئيسا لحكومة جنوب افريقيا في ذلك الوقت ، فأسرع يأمر باعتقال لوثولي في بيته وتحديد اقامته .. وبقى الزعيم الأسود سجينا حتى مات في عام ١٩٦٧ ، تاركا علم الحرية في يد مانديلا ، الذي

انتقل المؤتمر تحت زعامته الى خارج الحدود ، ليتحول الى خنجر في صدر الحكومات البيضاء المتعاقبة ، حتى بعد أن اعتقلوا الرجل والقوا به في ظلام السجون !

الجائزة التي فاز بها توتو اذن هي الصفعة الثانية التي يوجهها المجتمع الدولي الى حكومة الاقلية البيضاء في جنوب إفريقيا ! والرجل الذى فاز بها تقديرا لجهوده السلمية في مقاومة الظلم والطغيان مازال ماضيا في كفاحه رغم كل ما يتعرض له من الوان الاضطهاد .. فقد سحبوا منه جواز سفره وأصبح يحمل وثيقة سفر ، مؤقتة ، وهي التي كانت معه اثناء وجوده في نيويورك كأستاذ زائر في الندوة التي اقيمت لعلوم اللاهوت ، عندما علم بنبأ فوزه بالجائزة بعد ليل طويل قلق اعقبه صباح مليء بالزهور ، فصاح في فرح وهو يستقبل الخبر : « إنه تأييد رائع لقضيتنا .. انه فوز للعدالة » .

وفي اليوم التالي كان الأسقف توتو الذي يرأس مجلس الكنائس في جنوب افريقيا ، يستقل الطائرة عائدا الى بلده ، ترافقه زوجته واثنتان من بناته الأربع .. وفوق الأرض التي احبها وقف يرد تحية اخوانه السود الذين استقبلوه استقبال الأبطال ..

ذاق الفقر والحرمان

من هو توتو .. ؟ من هو هذا الرجل الذي كرس حياته كما يقول أصدقاؤه وأعداؤه من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ؟ لقد ولد في مدينة كلير لسدروب

الاسقف ديزموند توتو

في عام ١٩٣١ ، وذاق مرارة الفقر والحرمان .. كان يحمل في صباه اكياس « الفول السوداني الذي يبيعه للناس في محطات السكك الحديدية ، حتى يتمكن من توفير نفقات تعليمه . واشتغل توتو بالتدريس بعد تخرجه ، ولكن الحكومة البيضاء ما لبثت أن استولت على مدارس الارساليات السوداء ، فترك التدريس في عام ١٩٥٧ ، وذهب ليدرس هو اللاهوت .

وسافر الى انجلترا لاتمام تعليمه ، ثم عاد الى بلده بعد ثلاث سنوات .. وراح يصعد السلم الكنسي بسرعة ، حتى تولى منصبه الحالي كسكرتير عام لمجلس الكنائس بجنوب افريقيا ، الذي يضم ١٢ مليون أسود .. ومن هذا المنبر إستطاع توتو أن يرفع صوته معارضا بقوة سياسة التمييز العنصري .. وبقي صوته عاليا طوال السنوات العشر الماضية ، وهو يدعو الى السلام والعدالة ، والتحذير من العواقب الخطيرة التي قد تترتب على استمرار الحكومة البيضاء في جنوب افريقيا في سياستها العنصرية .. قال يوما وهو يرى سحب الظلام تتجمع في سماء بلاده :

كل ما يستطيع الرجل الأبيض أن يفعله هو أن يقرر ما اذا كان يريد للحرية أن تسود بالوسائل السلمية ، أو بالنزاع المسلح ، وما يترتب عليه من اراقة للدماء !

وما أكثر المرات التي كان توتو يرى فيها الخطر قبل وقوعه .. قبل مذبحة شاربفيل ، ثم سوتو .. وغيرهما .. كان يحاول أن ينفذ بصوته من وراء الجدران العالية .. ولكنه لم يجد أبدا أذناً تسمع ولا عينا ترى !

بنك في القمر !

● متى تبدأ الرحلات الى القمر ؟ يؤكد العلماء أنه لن تمضي السنوات العشر القادمة ، أي قبل نهاية القرن العشرين ببضع سنوات ، إلا ويكون الانسان قد انتهى من بناء أول فندق مزود بالأوكسجين وبالجاذبية الاصطناعية ، حتى لا يجد النزلاء أنفسهم يسبحون في الفضاء المحيط بهم !

المهم أن الطلبات التي تنهال على المشتغلين بتنظيم الرحلات المقبلة الى القمر لم تعد مقصورة على حجز الأماكن في سفن الفضاء « للسياحة ، فقد اتخذت الطلبات طابعا آخر اكثر جدية .. فقد تلقت السلطات المسؤولة في مدينة أوستن بولاية تكساس طلبا من « جمعية لامار للادخار » بالسماح لها بفتح فرع لها في القمر ، ويقول أحد كبار الرسميين في الجمعية : « خلال السنوات المقبلة سوف تقام المستعمرات في القمر وسيهاجر الناس الى هذا العالم الجديد ، وسوف يستقرون ويعملون هناك . ولكن سوف تمضي سنوات أخرى طويلة قبل أن يجد الوافدون الجدد مجالا ينفقون فيه أموالهم . ولا شك أنها ستكون فرصة مواتية للبنك الجديد لامتصاص مدخراتهم وتحويلها الى الأرض للاستثمار !!

عندما تلبس المرأة حذاء الرجل !

● تعرض الرجال في جمهورية اوزبكستان ، احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي لهجوم عنيف في صحيفة « ترود » السوفيتية ، والسبب كما قالت الصحيفة « أنهم أثبتوا أنهم اكثر الرجال كسلا » لماذا ؟ لأنهم لا يقومون بأي عمل على الاطلاق ، فهم يتركون كل الأعمال الشاقة للمرأة وحدها !

فقد اتضح أن عدد النساء في اوزبكستان يزيد على عدد الرجال بصورة ملحوظة .. وعندما يحدث هذا في أي مجتمع تختلط الأمور وتنقلب الأوضاع ، ومن هنا خرجت المرأة لتعمل في مختلف مجالات الصناعة ، حتى سائقي السيارات الثقيلة والأوناش الضخمة وعمال السكك الحديدية أصبحوا من النساء ..

أما الرجل في هذا المجتمع الغريب فهو إما موجود في البيت لرعاية الأطفال واعداد الطعام ، أو في الشارع أمام العربات الصغيرة التي يعدون فيها الفطائر ، وأكواب الليموناده للعاملات الحسناوات !!

لغز الشقيقين !

● عندما نقل مايكل (١٦ سنة) الى المستشفى بمدينة نيويورك لاسعافه بالعلاج ، لم يكن يشكو شيئا . كل ما حدث أنه أحس بضعف مفاجىء أثناء زيارته لأصدقائه ، ثم سقط على الأرض مغشيا عليه .. ولكن مايكل ما لبث أن فارق الحياة بعد نقله الى المستشفى ببضع دقائق ، وسط حيرة الأطباء الذين لم يجدوا سببا واحدا لهذه الظاهرة .

ولكن القصة لم تنته .. فبعد ساعتين من رحيل مايكل ، وجد الأطباء أنفسهم أمام ظاهرة مثيرة للحيرة أكثر وأكثر ، فقد نقلت سيارة الاسعاف شقيق مايكل الأصغر « كريستوفر » وهو يصغره بخمس سنوات .

وقالت الأم وهي تبكي : « لا أدري ماذا حدث له ، لقد سقط كريستوفر على الأرض مغشيا عليه ،

وعبثا حاولنا أن نعيده الى حالته الطبيعية !

ـ وسأل الطبيب : « هل علم بوفاة شقيقه ؟

ـ وقالت الأم : « لا لم نقل له شيئا ! »

ـ ومتى حدث ذلك ؟

ـ منذ ساعتين تقريبا !

وكانت نفس اللحظة التي فارق فيها مايكل الحياة في المستشفى !

وجاء تقرير الطبيب الشرعي بعد تشريح جثة كريستوفر بأنه لم يجد أي شيء غير طبيعي يسبب هذه الوفاة المفاجئة !

ولم يجد الأطباء تفسيرا لوفاة الشقيق الأصغر ، غير أنه ربما يكون قد أحس بأن شقيقه قد فارق الحياة ، ولم يحتمل الصدمة . فقد كان الشقيقان متعلقين بعضهما ببعض ولا يفترقان أبدا . .

ولكن هذا التفسير أيضا كان مثيرا للحيرة . . فلو أنهما كانا توأمين لما توقف أحد عند الحادث

وتساءل . . أما أن يكونا شقيقين بينهما خمس سنوات فهذا اللغز الذي يشغل الأطباء ، ويحاولون أن يجدوا له مبررا !

مصباح علاء الدين !

الذين يقولون ان الكتاب بدأ يتوارى وراء شاشة التلفزيون ينسون أن بريق الصورة سرعان ما يخبو ، بينما تبقى الكلمة المكتوبة حية ابدا لا تموت !

يقول « لويس لامور » مؤلف مغامرات « الغرب الموحش » : إذا اكتشف المرء المتعة التي يجدها في القراءة والبحث عن المعرفة ، فلن يعرف الملل طريقه الى حياته يوما . . وعندئذ سوف يزداد ولعه بالقراءة مع كل كتاب جديد . . ان مكتبتي التي تحوى اليوم ما يقرب من العشرة آلاف كتاب ، هي « مصباح علاء الدين » الأسطورى . . فأنا استطيع من خلالها أن اعيش في أي زمن من التاريخ . . أستطيع أن اتحدث مع كبار المفكرين ، ومع الفلاسفة . . مع الخارجين

على القانون . . مع الملوك والملكات . . انهم جميعا هناك في بطون الكتب ، في انتظار قدومي . . ولا بأس من أن يكون الحوار من جانب واحد !

■ الزواج : هو الموضوع الوحيد الذي تتفق عليه جميع النساء .. ويختلف عليه بعض الرجال .

(اوسكار وايلد)

حلت الذكرى الخمسون على وفاة الشاعر التونسي (أبو القاسم الشابي) ومازال شعره وسيرته حتى الآن يلقيان متابعة واهتماما وبحثاً ودراسة .

والمقال التالي يتحدث عن (الثلاثية الخالدة في شعره) ، فما هي هذه الثلاثية ؟

الثلاثية الخالدة

في شعر أبي القاسم الشابي

بقلم : محمد الحبيب براهم

توفي الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي في التاسع من اكتوبر ١٩٣٤ عن عمر لا يتجاوز منتصف العقد الثالث ، وتعود ذكرى الاحتفاء المبكي لموهبة نادرة للمرة الخمسين ، فتبعث في النفس التأمل والامعان .

لقد أشبع الشابي نقدا وتحليلا من شعره ونثره ، من آرائه ومواقفه ، وتراوحت هذه الدراسات من المقالات القصيرة الى البحوث الأكاديمية ، الى المهرجانات والملتقيات المختصة في شأنه ، الا أن ما يستطيعه المرء في اطراقة رمزية تتماشى وما كان أثيرا عند الشابي من أسلوب في النظر والايحاء ، هو أن يصوغ للشاعر الرقيق باقة ورد بعيدا عن دقة تمحيص البحوث المتعمقة ، وجفاف استقصاء الجوانب النقدية لتراثه الفني في الأدب .

باقة ورد من وحي الخمسينية ، وعلى صفحات « العربي » الغراء نافذة حتما في عطرها لروحه التي كانت دوما تحسن عطاء الحياة . .

ثلاثية متماسكة الأطراف متفرعة الغصون إلا أنها روافد القلب الرئيسية عند شاعر الجريد التونسي الموهوب ، أبي القاسم الشابي . وهي وان لم تَعْدُ أن تكون معهودة باعتبارها متكونة من أغراض في القريض متداولة ، إلا أنها بتلاحمها في لا وعي وجدان الشاعر تلاحما مندمجا ، وبعنفوان وشفافية المعاني الواردة ضمنها ، وبسلاسة وحسن سبك الصور الفنية الموشيه لها من اخراج عفوي رقراق نافذ تمثل بحق عمق المعاناة وابداع الولادة .

الولادة دوماً ولادة في قاموس الزمن بشهورها المعلومة ومواصفاتها القادرة إلا أنه ما من بصمة مولود تشابه بصمة غيره من المواليد . . وبصمات هذه الولادة الشعرية ، رغم تأثرها بمواصفات اطار الشعر والشعراء ، ذات نكهة خاصة جعلت صاحبها رغم صغر سنه ، وتدرجه الأدبي الغض يبرز بروز العلامة المضيئة ، ويحتفظ الزمن بالبريق فلا تطفئه عوامل الدهر ، ولا تغيره الأحوال ، وخصوصاً موجات

التعتيم والتأويل .

الأرض والطبيعة والمرأة هي العروة الوثقى المتلاحمة في قصائد الشابي ، من تناغم وتكامل وتزاوج يستمد إكسيره من واقع انساني لا ينضب معينه ، ونفسية مشتعلة في نعومة واستحياء ومخاض فني منهصر الاقتباس .

البعد الثوري

هي المنطلق في الأعماق ، كرامة الأرض وعزة الوطن فلا يهدأ شاغل في النفس ، وفي الدماء تسري بذرة الأرق من الظلم يهرق الكرامة ، والاستعمار يدنس الوطن ، ويتصاعد النشيد السرمدي متجاوزا كل كفاح محدود ، أو رقعة ضيقة ، أو وقائع بالذات ، ممجدا العصارة الانسانية في فن الجهاد في سبيل الأرض وأصول المعاناة الشعبية الملحمية في ميادين الذود عن الحمى وصون الذاتية :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي
ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة
تبخر في جوها واندثر

وفي أطوار معاناة الشاعر لجوانب هذه القضية ، فصولٌ قوامها التمزق من الواقع المرير ، والأخذ والرد بين اليأس والترقب ، والتقلب بين الانطواء والغروب والتوثب والمواجهة . فهو الثائر . .

خلقت طليقا كطيف النسيم
وحراً كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير أين اندفعت
وتشدو بما شاء وحي الاله

وهو الجريح المهزوم . . .

في صباح الحياة ضمخت أكوا
بي واترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك فأهرق
ت رحيقي ودستَ يا شعب كأسي

وهو الصادح على أفنان أشعة الأفق . .

سأعيش رغم الداء والأعداء
كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو الى الشمس المضيئة هازئا
بالسحب والأمطار والأنواء

وهو المحلق على ربوة المستقبل بشفافية الوثوق والايمان . .

ان ذا عصر ظلمة غير أني
من وراء الظلام شمت صباحه
ضيعَ الدهر مجد شعبي ولكن
ستردُّ الحياة يوما وشاحه

ويتجاوز غيبوبة الحلم وسراب الأمل ، محددا لون الدرب وماهية الخلاص . .

أنت في الكون قوة لم تسسها
فكرة عبقرية ذات بأس

ولا يقر قرار لنفس أبي القاسم الشابي في هذا الشأن ، فالواقع مر والأفق غيم للنظر ، وشمس للقلب ، ولا يملك الشاعر إلا أن ينطوي وصداه كامن في الجيل الموعود . .

الطبيعة واحة الشابي

هي المنبع والملاذ ، هي الرمز والمفتاح ، هي الجمال المصفى والانسياب المنتشي ، هي واحة الاطمئنان والسلوان . .

تلك هي الطبيعة في وجدان الشابي يتغزل بها ويذوب فيها ، يستلهم منها يتعشقها ويفنى في ذرات مكوناتها فناء الصوفيين في غيبوبتهم .

فالطبيعة عنده جمال وبراءة وعفوية ، تنساب صورها رقراقة كالخيال المراهق :

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الأسمار مذهبة الأصائل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن أغاريد الطيور
وألذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير

وهي في نفسه معبر للرموز الفلسفية تجوس وتبحث وتحتار وتتشكل في صور نفاذة تتراوح بين اليقين والعزم حينا والاعراض المرير حينا آخر . .

هو الكون حيّ يحبّ الحياة
ويحتقر الميْت مهما كبر
فلا الأفق يحضن ميت الطيور
ولا النحل يلثم ميت الزهر
وقال لي الغاب في رقة
محببة مثل خفق الوتر
يجيء الشتاء شتاء الضباب
شتاء الثلوج شتاء المطر
فينطفىء السحر سحر الغصون
وسحر الزهور وسحر الثمر
يغني الجميع كحلم بديع
تألق في مهجة واندثر

وهي قيثارة الوجدان يلجأ اليها في حالات اليأس وحسرته ، وانتشائه وانطلاقه ، ويندمج معها اندماجا كليا ، وكأنها اكسير الأمة وعصارة آماله :

وشف الدجى عن جمال عميق
يشب الخيال ويذكي الفكر
ومد على الكون سحر غريب
يصرّفه ساحر مقتدر
ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا
بعيدا بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال وفي الغا
بات بين الصنوبر المياد

ومهما تكن المؤثرات الثقافية والنفسية التي وجهت الشابي نحو طرق هذا الغرض الشعري فان هذا الانصهار العجيب بين الشاعر وبين الطبيعة يمثل نموذجا من الظواهر الأدبية الثرية بمدلولاتها وايحاءاتها .

إن الشابي بحساسيته المرهفة ووجدانه الشفاف ونفسيته المتنازعة بين شتى العوامل الخاصة والعامة ، وبحثه المتعطش عن واحة لعواطفه المتأججة ، ومشاعره الثائرة ، وتوقه الى المنبع من الجمال والأرض والكون ، لم يستعذب من خلال صوره الشعرية المنسابة الا عناق الطبيعة في أوج فتنة ايحاءاتها وأروع مظهر مدلولاتها ، ومن ذلك بعض ما يشفي الغليل عنده من خلال رمزه المختار ضمن أروع رموز الطبيعة.

المرأة والرمز

هي رمز الرموز ونقطة تزاوج المقاييس والأبعاد ، يحمله الشاعر اذ يحدث عنها الى عوالم زاخرة بالمواصفات الجمالية المخملية ، فينتابه خدر لذيذ ، ويسترخي منه الوجدان ، وتنصهر الأحاسيس ، وتسلس القياد الى المخيلة الجموح في رحلة حريرية الدرب : -

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوى كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد
أنت دنيا من الأناشيد والأحلام والسحر والخيال المريد
أنت فوق الخيال والشعر والفن وفوق النهى وفوق الحدود

وتتجاوز اللفظة المنسابة عتبات الحس والغزل والصورة الأنثوية والعرض الدنيوي لتحمله الى عبق سرمدي مثل :

يا ابنة النور انني أنا وحدي من رأى فيك روعة المعبود
فالاله العظيم لا يرجم العبد اذا كان في جلال السجود

فاذا الشاعر يتعبد في محراب الجمال ، يبحث لقلبه عن سلوى ولقريحته عن موطن الهام حي ، وقد عز نبض الواقع المرير الى أن كاد يتلاشى صداه ، فلا يجد القلب الفنان والقريحة المشبوبة الا المرأة الرمز خدينا في الوحدة ومعبرا للحياة ، وجسرا للطبيعة ، واكسيرا سحريا موقظا للانسان ان شاء،أو معبد تأمل وتبتل وتعويض حالم ان رام الانطواء الى حين .

وتبدو الصور الشعرية الحبلى عند الشابي مضمخة بهذا الرمز الأنثوي الخالد ، في اطار من الطبيعة المسفرة عن كوامنها لتلامس جميعها الأرض والطبيعة والمرأة ، أعمق محركات الوجدان البشري من عواطف وقيم ، وتُصور بتلقائية أخاذة مُيسرة ، التوق نحو معادلة الاطمئنان والانتشاء من النفس الواعية الحساسة ، التي يؤرقها الشعار الحزين :

والشقي الشقي من كان مثلي
في حساسيّتي ورقة نفسي

الثلاثية الجمالية

لا ريب أن تفاعلا من هذا القبيل بين الشاعر وكل عنصر على حدة ، يخلق نسيجا موحدا ، يتلون حسب المُعَبّر الذي تقتنيه الصور ، ويظل في أعضاء كلياته ثريا بفروق جزئيات التعبير والصياغة ، الا أنه من زاوية تجميع الخيوط يؤكد الالتحام . .

انها ثلاثية مرتبطة في نفس الشاعر قبل أن تظهر للوجود في شكل قصائد متنوعة الأغراض لأنها منصهرة المكونات في ذاته ، انصهارا نابعا من المعاناة التلقائية والبوح المستلهم ، فهو ينشد من الحياة الأرض المغمسة بأصالة الكرامة وشرف المجد ، وتتعثر الرؤيا ويخبر الواقع فيلوذ بالطبيعة وكأنه الهارب المستخلي أو المتعبد المستوحي ، ويتدع من الأرض والطبيعة رمزا يناجيه ، ويجهش تارة حزنا رومنطيقيا على صدره ، وينساب شفافية حريرية أنيقة حينا آخر ، فينسى من الرمز نفسه ويذيب واقعه وتولد عنده المرأة الرمز ، تتجسم فيها المثل والقيم والجماليات والأرض والوطن والطبيعة والحياة ، ونلامس عندها أعمق ما في أعماق مشاعر أبي القاسم الشابي ، وأدق ما في خصائص فنه الشعري . فالمنبع والمصب عنده ضيقان فسيحان ذاتيان انسانيان منفصلان ملتحمان ، يتغذيان من شمعة ليكتشفا دوما شمس الأفق .

ولئن اعتبرت هذه الملامح النفسية والفنية الابداعية علامة موهبة شعرية متميزة اذا ما تناولناها بمقاييس النقد الأدبي ، فانها ذات ايحاءات أبعد وأعمق إذا ما تطرقنا إليها من منظار حضاري أشمل . فالشابي في تونس وفي أقطار المغرب العربي الكبير ، مؤشر وعنوان . هو مؤشر لبوادر أحداث ، وعنوان لبدء مرحلة حاسمة .

فالمنطقة في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين تعيش حالة ركود وخمول ، يطغى الاستعمار ويعم الفسق وينتشر التواكل الفكري وينام الزمن . وتتفاعل في خضم الديجور دعوات الاصلاح الديني والاجتماعي هنا وهناك ، وتدب اليقظة على استحياء ، فتبلغ أصداؤها المتباعدة النفوس الحساسة المرهفة المحيطة بها وتنطلق . . والشابي صوت من هذه الأصوات لمس الواقع وبلغته الأصداء ، وتوجه برؤياه الى الأفق المأمول ، فسابق الزمن بصوره الشعرية القافزة على حدود المكان والزمان ، مستكنها عوالم جديدة رحبة ذات اشعاع وعمق وحياة حية .

فلا غرو إن كان واحدا لامس وتر الإيقاظ والإبداع الفني ، ومهد من خلال ذيوع مفاهيمه الوطنية ومعانيه الانسانية ، وقوالبه الفنية الصقيلة الى ما يتسنى اعتباره التهيئة الفكرية والأدبية المثلى للمراحل العملية السياسية والاجتماعية التي ستعقب فترة الركود هذه .

فالأديب ضمير الأمة ونبضها الحضاري ، يسبق الزمن ويشم ما في جعبة الدهر ، ويعاني المخاض ويمهد أرضية الاعداد النفسي والوجداني ، وعلى الدنيا أن تلد بعد ذلك فهي الحبلى ، وأبو القاسم الشابي من هذا المعدن الذي نجد نماذجه النادرة في منعطفات التاريخ .

فهو في ذاته منعطف في الذاتية الوجدانية ، وهو في جيله منعطف لنمط حياة وطريقة عيش ولون رؤيا ، وهو في زمانه مؤشر لآفاق وعنوان لرحلة نهضة حضارية ، بدأت ملامحها ترتسم وقتها على الجباه العربية السمراء في كل مكان مذكرة بأن طيور البحر تسبح في الفضاء بسرعة ، إذا ما اذن الموج بالتمطي وبأن الكلمة اذا ما شمرت عن سواعدها فانها ايذان حضاري ولو بدت أحيانا متلفعة بقفاز حريري . □

منتدى العربي

قضيّة

حرب السينما والفيديو .. والمواقف العربية

بقلم : صلاح دهني

مع افتتاح مهرجان « كان » السينمائي الدولي العام الماضي كانت هنالك احداث موازية يجري بعضها في العلن ، وبعضها كان يجري فيما يشبه الخفاء . وتدل كلها على تحرك غير معتاد في الحال السينمائي .

...... فما هي طبيعة ذلك التحرك ؟

في قصر الاليزيه بباريس استقبل فرانسوا ميتران رئيس الجمهورية الفرنسية المخرج الايطالي الكبير فدير يكو فلليني وقلده وسام جوقة الشرف وقبيل ذلك كان جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي يقلد في طوكيو المخرج الياباني الكبير اكيرا كيروساوا ، الوسام نفسه .

وقد تبين فيما بعد أنه في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تحتفي بالسينما والسينمائيين فتقدم لهم أرفع أوسمتها ، كانت كذلك تعمل على جبهة ثانية من أجل ازدهار السينما في بلادها وفي أوروبا وتخليصها من الازمات التي تعصف بها .

ففيما كان الصحفيون والنقاد يحتشدون في كان ه والمصورون يتدافعون بالمناكب ، والفنانات يمارسن الضغوط عبر فتنتهن المشرقة والطاغية ، والافلام تتوالى على الشاشات ، والاعلانات الضخمة في الشوارع تسيل اللعاب وتفتح القابليات ، كانت أمور اخرى تجري فيما يشبه الخفاء .

خطة المواجهة

فللمرة الاولى منذ بداية القرن كان ثمة اجتماع جد خاص يجري ذات صباح ضمن قاعة صغيرة يحضره ممثلون عن جميع الروابط المهنية السينمائية في أوروبا ، وكان الامريكيون يحومون حول القاعة يتشممون مايجري خلف جدرانها الكتيمة (ولو لبعض الوقت) . والحقيقة التي استبانت هي ان لاجتماع جرى من أجل الاتفاق على سياسة أوروبية مشتركة في حقل السينما وحقل الوسائل السمعية البصرية بشكل عام . وما كان الاجتماع ليتم لو لم

تشعر كافة الجهات بوطأة الضغوط التي تمارسها السينما الامريكية على السينما الاوروبية فتكاد تخنقها ، سواء على مستوى الاستثمار بالعروض في الصالات العامة ، أو في محطات التلفزة ، كما ان المستجدات التقنية في نشر الصورة وبثها باتت عبئا ثقيلا على فن السينما يكاد يقضي عليها بدل أن يدعمها . وعلى سبيل المثال أدىّ سماع ايطاليا بتعدد اقنية البث التلفزيوني باشراف وتوجيه القطاع الخاص ، الى هبوط مستوى التردد على صالات السينما في فترة عشرة اعوام من ٥٠٠ مليون ـ كما تقول الاحصاءات الرسمية الى ١٩٥ مليون مشاهد . وفي المانيا الغربية هبط العدد من ٢٠٠ مليون الى ١٢٥ مليون مشاهد بسبب الفوضى في استخدام الفيديو . وحدث الامر ذاته في اسبانيا التي باتت تعاني من مشكلات الفيديو العسيرة الحل . وهذا كله دون الكلام عن نوعية الافلام والبرامج والمسلسلات ومستوياتها . على ذلك أخذت دول أوروبا تعي ضرورة وضع استراتيجية دفاعية واقامة جبهة مشتركة . وسياسة الصورة المقترحة التي بحثتها المنظمات المهنية تدور حول أربعة محاور رئيسية ترى أن نوردها لعل فيها ، أو لبعضها ، فائدة ما لقادة الاعلام العرب .

أولا : فرض جدول زمني على نشر الفيلم . فأيما فيلم يجب استثماره أولا في الصالات ، ثم في الفيديو ، ومن بعد في شبكات التلفزيون الخاصة بالاشتراكات .. ومن بعد فقط عن طريق الوسائل الاخرى . ويتوجب وضع فواصل زمنية لحماية كل مرحلة .

ثانيا : تكثيف الكفاح ضد القرصنة ، وخصوصا عن طريق تشديد العقوبات .

ثالثا : وضع أنظمة لدعم الانتاج السينمائي بالمال العام ، وكذلك بفرض نسبة تستوفى من استثمار الفيديو وشبكات التلفزة بالكامل ، ومع تشجيع الانتاج المشترك .

رابعا : اقامة نظام كوتا للافلام الاوروبية يفرض على شبكات التلفزة الاوروبية على صورة ماتجري في فرنسا ، اذ يفرض القانون على التلفزيون عرض ما لايقل عن ٦٠٪ من الافلام الاوروبية ، منها ٥٠٪ افلام محلية . وفي مثل هذا النظام حماية مؤكدة في مواجهة خصم شديد البأس يتمثل في الانتاج الامريكي الذي هو ـ عمليا ـ سيد الموجات ، كما هو سيد صالات العرض السينمائي في أوروبا الغربية كلها .

الجفاف الذهني

ترى هل ستظل تلك كلها في حيز الامنيات ، أم انها ستأخذ طريقها الى التنفيذ ؟ لا احد يدري الى أية درجة ستكون الضغوط الامريكية فعالة لافشال كل مخططات الحماية الاوروبية . غير انه بات من الواضح لدى العديدين من المسؤولين في اوروبا وكذلك في العالم ـ اليوم اكثر من أي وقت مضى ـ ان المرحلة التي بلغها النمو التقني وتعدد وسائل بث الصورة ، باتت تقتضي وضع قواعد واضحة للعبة ، والا فانها ستنقلب الى مغامرة غير مضمونة النتائج .. وقد تسوء الحال مستقبلا بهذه الصنابير المتعددة لصب الصورة ، فتبلغ مرحلة الجفاف الذهني والابداء البالغ .

وما من ريب في أننا نحن المحكومين في العالم الثاني عموما بمتابعة برامج التلفزة في بلادنا (دون سواها في اغلب الاحيان) نعي اكثر من غيرنا معنى هذا (الجفاف) وبالتالي فيجب ان تستبد بنا الحاجة اكثر من غيرنا لدعم المؤسسات السينمائية الوطنية في مجال الفيلم الروائي والفيلم التسجيلي كممون رئيسي لمحطاتنا التلفزيونية المحلية .

ولقد أتيح لي بعد عودتي الى دمشق ، أن اتابع مراحل هذا الصراع الذي تتواجه فيه دول أوروبا مع صناعة السينما وصناعة التلفزة الامريكية ، عبر المجلات والصحف وبعض النشرات الفرنسية التي توزع في بعض اقطارنا العربية ، وكذلك عبر بعض الاتصالات الشخصية . وقد شغفني الموضوع لما يمثل من خطورة بالغة في مجال فنون الاتصال . وازداد اهتمامي بسبب متابعتي للمستجدات في فنون نشر الصورة وهي توشك على الامعان في تحطيم ميزان القوى بين أوروبا وامريكا من جهة ، وبين العالم (غير الاشتراكي) وامريكا من جهة أخرى . ذلك ان اليوم الذى تبث فيه برامج التلفزة عبر المحطات الفضائية الامريكية بنحو خاص لتعم العالم كله ، لم يعد بعيدا .

فاذا كنا نحن المتربعين في عالمنا الثالث لانعرف كيف نواجه بالبحث والدراسة والتشريع والانتاج مشكلات الصورة اليوم ، وهي نسبة محدودة الاثر حتى الآن . . . فكيف يا ترى تواجه اوروبا على صعيد البحث والدراسة وعلى صعيد التخطيط فالعمل تلك المشكلات ؟ علما بأننا حين نقول « الصورة » فانما نعني صورة الفيلم وصورة التلفزة وصورة الفيديو وما سيلي ذلك من صورة الديسك وآخر المستحدثات : التليكست . . !

تنسيق الخطوات

يبدو أن اكبر الناشطين في هذا المجال هو وزير الثقافة الفرنسي السيد جاك لانج . فقد بادر ـ اضافة الى تحركاته الاخرى . منذ شهر ايار (مايو) الماضي ـ الى دعوة السيد جاك فالنتي المسؤول عن الرابطة المهنية للسينما الامريكية لحضور مهرجان«كان السينمائي الدولي»وعقد معه عدة اجتماعات تناولت القضايا الاساسية ، قبل ان يتوسع الموضوع ويتشعب فيشمل في مرحلة تالية دول الجماعة الاوروبية كلها .

بحث الرجلان البارزان أول مابحثا موضوعا يشغل بال الجهات المنتجة في العالم كله ، ألا وهو موضوع القرصنة . وقد قررا « العمل على تطوير الوسائل الضرورية لحماية الاعمال السينمائية من أجل الحد من الضرر البالغ الذي تمثله القرصنة في مجال الوسائل السمعية البصرية على المستوى العالمي » وقد وصف جاك فالنتي القرصنة بأنها « سرطان السينما » وقدر الخسائر الناجمة عن القرصنة بالنسبة للسينما الامريكية وحدها بمليار دولار في السنة الواحدة . واتفق الطرفان على ان التوسع في مجال الانتاج السينمائي الوطني في كل بلد شرط للتوسع المتوازن في مجال المبادلات الدولية . وفي النهاية أعلن وزير الثقافة الفرنسي بأن « أوروبا السينمائية ليست سلاح حرب ضد الولايات المتحدة ، بل هي على عكس ذلك سلاح حياة . فيقظة سينمات أوروبا ضرورية للسينما الامريكية بشكل خاص »

وفي الشهر التالي ، حزيران (يونيو) عقدت في « قصر الفنون » بمدينة ميونيخ في المانيا الغربية ندوة عامة دارت حول الموضوعات الاساسية التي تقلق ذهن الفئات المثقفة في أوروبا في مجال الوسائل السمعية البصرية . وشاركت في الندوة لجنة الثقافة في البرلمان الاوروبي ، والمجلس الاوروبي ، وممثلون عن السلطات السينمائية في بلدان أوروبا ، وممثلون عن صناعة السينما والمخرجين الاوروبيين ، وأعلن في حينه رسميا بأن الندوة تنظم بدعم من لجنة « الجماعة الاوروبية » ، وأنها قد وضعت تحت رعاية رئيسها غاستون ثورن (المعروف في اقطار الوطن العربي بسبب زياراته المتعددة لها خلال السنوات الأخيرة)

وقد تضمن حفل افتتاح الندوة مدخلا قدمه رئيس الاتحاد الاوروبي لمخرجي الوسائل السمعية البصرية ، وتقريرا قدمه جاك لانج وزير الثقافة الفرنسي . ودارت المناقشات حول الموضوعات الاساسية التالية :

ـ هل ننتج أم نستهلك . . من أجل استقلالية الانتاج الاوروبي .
ـ أقنية التوزيع الاوروبية
ـ من يملك وسائل الاتصال الجديدة ؟
ـ المهمة الثقافية للدولة ذات السيادة ، هل تنسحب على الوسائل الجديدة ؟
ـ الوسائل الجديدة : امكانات جديدة لفن الفيلم .

ومن تحليل هذه الموضوعات يستشف الاحساس بالخطر الذي يمثله الانتاج القادم من خارج القارة الاوروبية ، على الانتاج الاوروبي ، وعلى المواطن الاوروبي . انها تمثل ضربا من قرع ناقوس الخطر : بما يمثله الانتاج من جهة ، أو بما تمثله عملية انفلات الوسائل الجديدة (وفي مقدمتها الفيديو) وخروجها على سلطة الحكومات وأنظمة الرقابة ، وضرورات الاقتصاد . والغاية النهائية هي العمل على توحيد الجهود ، وايجاد نوع من الانسجام في السياسات والتشريعات الثقافية في مجال الوسائل السمعية البصرية بين دول الجماعة الاوروبية .

وفي شهر حزيران (يونيو) ذاته وبتحريك من جاك لانج نفسه كما يبدو ، عقد وزراء الثقافة في دول الجماعة الاوروبية اجتماعا خاصا في اللوكسمبورج ، استمعوا فيه الى تقرير قدمه لانج بعنوان « تدابير تحذيرية للادارات والشركات للكفاح ضد الامتداد الدولي للقرصنة ، وكذلك تنسيق التشريعات لتنظيم عمليات الكبح .

وقد أعقبت التقرير مناقشات شاملة حول التدابير المقترحة ، وحول مجمل المشكلات التي يطرحها توسع وسائل الاتصال في عالمنا الحديث .

وآخر ماتم في هذا الموضوع هو عقد المؤتمر الدولي الذي دعت اليه فرنسا وامريكا مشتركتين في باريس خلال خريف ١٩٨٤ لمناقشة قضايا القرصنة بالتفصيل في مجالات الوسائل السمعية البصرية .. وشاركت في المؤتمر مشاركة اساسية وفعالة الادارة العامة للانتربول « البوليس الدولي » .

مطلوب موقف عربي

ان مجرد ايراد هذه الوقائع ـ التي حدثت في غضون شهور معدودات فقط ـ كاف بذاته لتبيان ماتوليه الدول المتقدمة من بالغ الاهتمام بفن الصورة المتحركة الناطقة كوسيلة ثقافة وتربية وتوجيه ، في المجتمع المعاصر . وفي الظن انه قد طالت غفوتنا واستدامت غفلتنا عن خطورة هذا الفن فتركناه نهبا للناهبين ومصدر تكسب لجهلة المتكسبين وكسالى الاداريين على حساب عافيه وذوق ووعي الجماهير العريضة في طول وطننا العربي وعرضه . وقد آن الاوان لكي نجتمع على رشاد فنبحث شؤونه من مناحيها كافة ، انتاجا وتوزيعا وتبادلا ، ضمن اطار الجامعة العربية واتحاد اذاعات الدول العربية ، والمؤسسات والهيئات الحكومية المتخصصة والنقابات ، وبالتعاون مع منظمة اليونسكو التي اجتمعت لديها خبرة واسعة في شؤون الاتصال وقضاياه في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء .

ولنا فيما تفعله أوروبا مثال طيب نقتدي به . ونحن أجدر بالسعي ، ومؤسساتنا المنتجة والباثة والموزعة أحوج الى الاصلاح والدعم ، وجماهيرنا ومبدعونا أولى بالرعاية . □

منتدى العربي

تعقيبات

البث التلفزيوني والانسان العربي

الرأى ، والرأى الآخر .. والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقى الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

حول قضية الاعلام فى الوطن العربى « وماذا أعددنا لمواجهة البث التلفزيونى الأجنبى بالأقمار الصناعية » والمنشور بالعدد ٣٠٧ (يونيو ١٩٨٤) نعرض هذا الرأى .

تحاول مجلة « العربي » تنبيه العرب الى الخطر من انتشار البث التلفازي عبر الأقمار الصناعية . وهي صادقة في محاولتها ، مخلصة لمهمتها الاعلامية والثقافية على الرغم من أنني مؤمن أنها تعلم علم اليقين أننا ـ نحن العرب ـ أبناء الحاضر ، وليس للمستقبل هامش كبير في تفكيرنا وسلوكنا وخططنا . واكاد أقول اننا سنواجه الغزو الثقافي التلفازي دون أن نعد له شيئا . وهذا الكلام لا يستند الى التشاؤم ، وانما يستند الى الحاضر العربي ، لأن المستقبل ابن الحاضر وليس مصادفة سعيدة أو قدرا لافرار منه .

فلتمض مجلة العربي في التحذير من الخطر الثقافي الوافد الينا عبر الاقمار الصناعية ، ولتحاول ـ ماوسعها الجهد ـ اثارة أولي الامر والرأي العام . تلك مهمتها وهذا شأنها ، ومن دون ذلك تخسر موقعها العربي المتميز وصوتها الحر . الا أن رؤيتي لطبيعة الحاضر العربي تمنعني من التفاؤل ، وتقودني الى القول ان هذا الحاضر خال من أي اعداد للغزو الثقافي التلفازي عبر الاقمار الصناعية . وأود هنا توضيح رأيي في لفظة « الاعداد » . اذ انني افهم دلالتها فهما خاصاً بوسائل الاعلام العربية ، وفهما آخر اجتماعيا سياسيا خاصا بالانسان العربي . والأمران عندي متكاملان ، يقود أحدهما الى الاخر . فوسائل الاعلام العربية مشغولة بتوطيد النزعة الاقليمية ، حتى ان كل دولة عربية باتت تخشى الدول العربية (الشقيقة) المجاورة لها أكثر من خشيتها الدول الاستعمارية .

واذا كنا نتحدث عن الاعداد للغزو الثقافي فلتحاول برامجنا في كل قطر بناء الانسان العربي من الداخل بناء متينا ، بحيث يغدو منتميا الى امته ، مؤمنا بتراثها ، عاملا على تحسين حاضرها والتهيئة لمستقبلها . ومن دون ذلك يسهل على المستعمرين ، وغيرهم ، تفتيت هذا الانسان بوساطة البث التلفازي وغيره . وليس ببعيد عنا ما أشاعته « اسرائيل » من ثقافة عدمية بين العرب الفلسطينيين في الارض المحتلة ، بغية تفريقهم من الداخل ليسهل عليها ضربهم من الخارج ، حسب تعبير غسان كنفاني رحمه الله . وكان الرد العربي ـ آنذاك ـ تعزيز الثقافة العربية في برامج التعليم ، بغية تحصين الانسان العربي الفلسطيني من الداخل ليسهل عليه مقاومة الاسرائيليين من الخارج . اي أن غرس القيم الأصيلة هو الوسيلة المختارة لتحصين الانسان من اي غزو ، سواء اكان الغزو سياسيا ام ثقافيا ام عسكريا . وفي المقابل ، يكون القهر معينا للثقافة الاستهلاكية على توهين الانسان والسيطرة عليه ، سواء أكان القائم بذلك عربيا ام مستعمرا .

هل حاولنا بناء الانسان العربي ، ام اننا زدنا عدد المعتقلات والسجون ، وبالغنا في تكميم الافواه ومصادرة الاراء ؟ هل ساهمت وسائل الاعلام العربية في تحريض الانسان على رفض القمع والقهر والسجن ، وشجعته على المواجهة الصادقة والرأي الموضوعي والنفرة من الظلم والظالمين . . ام أنها جعلت نفسها اداة طيعة في خدمة القاهرين والراغبين في زج الانسان العربي في قمقم التخلف والرضوخ ؟ وقد يخلص المرء من معرفته للحاضر العربي الى نتيجة بديهية هي أن الانسان العربي ، في هذه الفترة اكثر استعدادا لتقبل الثقافة الاستهلاكية التي ننتظر من البث التلفازي الاستعماري اشاعتها بيننا .

لاخوف من البث التلفازي عبر الاقمار الصناعية مادام لدينا من يكافح بناء المدن الترويحية ودور الاوبرا والمراكز الثقافية ، مدعيا الحرص على مصلحة الوطن والمواطن ! ذلك أن هذا البث لن يؤثر فينا بأكثر من تأثيرنا في انفسنا . كما أننا في الوقت نفسه نرفض أن نقول للبث التلفازي عبر الاقمار الصناعية : اهلا وسهلا ، فما زال بيننا من يستنكر ويصرخ ، ومازالت فينا بقية من حياة . لكن موقعنا وموقع هذا الصارخ المستنكر ، خارج دائرة الفعل والسلطة .

هل تنفع الكلمة في كبح السعي العربي الى تفتيت الانسان وهلهلة نسيجه الداخلي ، وتخفيض نسبة الاقليمية والقتال العربي ـ العربي ؟ . . لابد من بقائنا مؤمنين بقدرة الكلمة على التغيير ، دون أن ندخل دائرة التفاؤل المجاني البعيد عن الواقع العربي . هيا نستنكر اذن ، مستفيدين من الهامش الضيق المتاح لحرية الكلمة . □

سمر روحي الفيصل

حول المقاومة الفلسطينية

اطلعت على ما كتبه الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى في مجلة العربي العدد/ ٣٠٨ (يوليو ١٩٨٤) تحت عنوان « المقاومة الفلسطينية من ١٩٣٦ - ١٩٤٨ » .

وفي الوقت الذي أشكر فيه الكاتب على عنايته وحرصه على القضية الفلسطينية ، الا اني باعتباري ممن ساهم بقسط وطني متواضع في هذه الحقبة من القضية الفلسطينية أود أن أوضح بعض الملاحظات التي تحتاج الى أن توفى حقها :

يقول الكاتب في مقطع من مقاله ما يلي :

« فالمجموعات المقاتلة العربية كانت تحارب اليهود وحكومة الانتداب في الوقت الذي كانت تضرب فيه العناصر المتمردة أو ذات العلاقة باليهود ، أو ذات الاتجاه المخالف » .

والحقيقة هي أن الثورة الفلسطينية كانت تضرب فقط الجواسيس ، وباعة الأراضي ، وهؤلاء لم يكن ضربهم أو تصفيتهم يجري اعتباطا ، بل كانوا محكومين بالآية الكريمة « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أن يقتلوا ، أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » فكانت الثورة اذن تأخذ بالمادة الأخيرة من الآية الكريمة ثم تكرر الانذارات لمرات ثلاث ، وبعدها تجري المحاكمة ، واصدار الحكم العادل ، وكانت هذه المحاكم تعتمد على الفتاوى الدينية ، التي كان يصدرها العلماء والمفتون ، أمثال المرحوم الشيخ العلامة كامل القصاب ، وهو من المجاهدين السوريين المشهورين بالجهاد والعلم والتقوى والورع ، وهو ممن التجأ الى فلسطين من الانتداب الفرنسي .

أما النقطة الثانية التي طرحها الكاتب الدكتور أحمد فيقول فيها : « وقد بدأت خطة الهجوم في (مايو ١٩٣٨) بتشكيل دوريات - أوردي ريجنت - ، الليلة الخاصة التي كانت بمثابة رأس حربة في الهجوم على مجموعات الفدائيين العرب ، وما ان وافى (ديسمبر ١٩٣٨) حتى كان الجيش البريطاني قد أحكم سيطرته على البلاد ، وكان رمز انهيار الثورة هو استشهاد القائد عبد الرحيم الحاج محمد في (٢٥ مارس ١٩٣٩) في قرية صانور ، وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية كانت الثورة الفلسطينية قد قضى عليها تماما .)

وللحقيقة نقول ان الثورة الفلسطينية لم تنته أو تمت ، بل خدت وفترت في بعض المناطق ، وتجمدت في البعض الآخر .

أما الذي أربك الثورة الفلسطينية ، وجمد الكثير من المناطق ، فكان اعلان الحرب العالمية الثانية والحلف غير المقدس بين الحكومتين الاستعماريتين المنتدبتين على المنطقة ، وهما بريطانيا وفرنسا .

ونتيجة للحرب المذكورة ، أغلقت سلطات الانتداب الفرنسي حدود سورية ولبنان والأردن مع فلسطين ، وهكذا حوصرت الثورة الفلسطينية من الجهات الثلاث ، أما الجهة الرابعة فقد كانت حدود الشواطىء البحرية . وبهذا انقطعت الامدادات عن الثورة الفلسطينية ، حتى الجرحى لم يعد بالامكان تيسير سفرهم الى الأقطار العربية المذكورة للعلاج والمداواة ، مما أدى الى وفاة هؤلاء الأبطال تحت وطأة فقدان الأطباء والأدوية ، وفي المغاور والكهوف وبيوت الشعر . وبالاضافة الى كل ذلك ، فان قيادة الثورة الفلسطينية كانت محاصرة في مدينة دمشق ، بعد أن تعذر عليها - كما كانت تفعل سابقا - الانتقال ، حسب طبيعة المعارك الى لبنان والأردن .

وللذكرى والتاريخ فان المساعدات التي كانت تأتي الى الثورة الفلسطينية في دمشق من الهيئة العربية العليا كانت عن طريق المؤرخ العربي الكبير المرحوم المجاهد محمد عزة دروزة . □

ابراهيم الشيخ خليل

باكستان .. واللغة العربية

في كلمة للأديب الفاضل الاستاذ محمود أحمد غازي ، نشرت في العدد ٣١٠ من العربي ، جاء ذكر اسمي في مقال « في سبيل نشر اللغة العربية في باكستان » ، ولذلك أرى من واجبي اتماما للفائدة أن أعلق على هذه الكلمة المختصرة بما يفيد :

كانت فكرة تعريب باكستان تراود زعماء هذه البلاد منذ فجر استقلالها ، ولم يكونوا يريدون أن يجعلوا العربية لغة البلاد الثانية ، بل لغة البلاد الأولى ، وأن تكون باقي اللغات لغات محلية كما حدث في مطلع الاسلام ، اذ استعرب كثير من البلاد وانصهر في العروبة وأصبحت لغاتها اقليمية ، لان في تعريب البلاد حسم كثير من المشاكل الاقليمية فمن المعلوم أن باكستان يوم تأسيسها كانت مؤلفة من باكستان الشرقية وباكستان الغربية ، وفي البلاد لغات كثيرة منها الاردية والبنجابية والبلوجية والسندهية والبنغالية وغيرها من اللهجات ، وحيث ان اللغة الاردية هي أشهر هذه اللغات وأوسعها وأكثرها انتشارا ، فقد جُعلت هي والبنغالية لغتي البلاد الرسميتين ، ولكن ظلت الاردية هي الغالبة ، لان أهل البنغال وأهل شبه القارة الهندية الباكستانية يتكلمون الاردية بينما لايتكلم البنغالية الا أهل البنغال .

وانتهى الأمر بعد حرب مريرة الى شطر البلاد الى قسمين هما : باكستان وبنغلاديش - فلو كانت اللغة العربية لغة البلاد لما وجد هذا التنافس بين الشطرين ، ولما كان الأعداء قادرين على أن ينفذوا الى الصدور من هذه الناحية ، ولكنهم لم يكونوا عاجزين عن ايجاد الوسيلة لتحطيم باكستان بطريقة اخرى .

قلت ان نشر اللغة العربية كان نصب عيون زعماء البلاد ، ولكن مشاغل باكستان الكثيرة حالت دون تحقيق هذه الامنية ، ولعل لليد الأجنبية دخلا فيما حدث - كما علمت من مصادر موثوقة - فنامت الفكرة ولكنها لم تمت ،

عقبات في الطريق

وحدث في سنة ١٩٨٢ أن دعاني مجلس الجامعات الباكستانية لالقاء محاضرات في خمس جامعات فلبيت الدعوة،وأثناء وجودي في باكستان طلب الى ابداء رأيي في أسهل طريقة يمكن بها نشر اللغة العربية في البلاد ، فعكفت على دراسة هذا الموضوع ، ووصلت الى النتائج التالية . . . ورفعت ثلاثة تقارير الى رئيس البلاد وكانت النتائج هي :

أن خير طريقة لنشر اللغة العربية جعلها الزامية في المدارس،ولكن بعد دراسة موسعة للموضوع ظهر أن تنفيذ هذه الخطة يحتاج الى مالايقل عن خمسين ألف مدرس ومدرسة ، أو بمعنى ، آخر نقل خمسين الف اسرة من البلاد العربية الى باكستان،واذا فرضنا ان كل اسرة تتألف من أربعة اشخاص فقط كان مجموع عدد الاشخاص الذين سينقلون من البلاد العربية الى

باكستان لايقل عن مائتي الف نسمة ، وبصرف النظر عما يحتاجه هذا العدد الكبير من الناس من مساكن ومدارس ومستوصفات وربما مشاف وغير ذلك من مرافق الحياة ، فان مثل هذا العدد الكبير من الناس غير متيسر الحصول عليه في البلاد العربية التي هي ذاتها تشتكي النقص في جهاز المعلمين،ثم لوفرضنا وجوده لما استطاعت الحكومة الباكستانية النهوض بعبء مسؤولية هذا العدد الوفير من الناس ، لاسيما وانه من المفروض أن يكون لهم مستوى معين من الحياة،وحيث انه كان من المقرر أن تدخل اللغة العربية بصورة الزامية من الصف السادس الى الصف العاشر « اعدادي » ، فقد رأيت أن خير وسيلة عملية لنشر اللغة العربية بأسهل طريق وأرخص طريق هي أن تكتب سلسلة مؤلفة من خمسة كتب على طريقة التعليم الذاتي او التعلم بغير معلم على أن تكون هذه السلسلة باللغتين العربية والاردية . فتعطي لهذه الصفوف الخمسة تدريجيا،وحيث ان هجائية اللغة الاردية هي الهجائية العربية ذاتها ولذا فلا يصعب على طالب الصف السادس فما فوق أن يتعلم العربية بالطريقة الذاتية ، اذ ليس عليه الا أن يقرأ الكلمة الاردية ويحفظ معناها بالعربية عن ظهر قلب،فلا ينتهي الطالب من قراءة هذه السلسلة في خمس سنين الا ويكون قد ألم باللغة العربية المامة حسنة،ولتصحيح اللفظ فقد اقترحت أن تعطي هذه الدروس بالراديو والتلفزيون من قبل شخصين عربيين (شاب وفتاة) ذوي لفظ سليم ونطق مستقيم .

فاذا ما انتهى الطالب من التعليم الاعدادي ـ وقد أصبح ملما باللغة العربية مثل عامة أبناء العرب ـ استطاع بعدها اذا شاء التخصص أن يدرس العربية بالثانوية أو الجامعة أو ان يكتفي بما تعلم وينصرف الى الناحية التي يريدها ، ولكنه يكون قد أصبح مستعربا قادرا على التكلم بالعربية وفهم كل أوجل مايكتب في الصحف والمجلات والكتب باستثناء الكتب العلمية التي تحتاج الى اختصاص، اذ يقول علماء اللغات ان الصحف والمجلات لاتستعمل أكثر من ألف كلمة ، والدراسات العليا غير الاختصاص تحتاج الى ٣٠٠٠ كلمة . وبديهي أن كلمات هذه السلسلة يجب أن تزيد على ثلاثة آلاف كلمة بين اسم وفعل ومصدر وغير ذلك .

امتحانات للترقية

ولكي لايبقى تعلم العربية محصورا بطلاب المدارس فقد اقترحت أن تفرض هذه السلسلة من الكتب على جميع موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين ، فلا يرتقي المرء من رتبة إلى رتبة ولايزاد في راتبه ولايمنح عطاءات ولاجوائز الا اذا ادى امتحانا بكتاب بعد كتاب ، وهذا الالزام يجب أن يطبق أيضا على العمال في المعامل .

وبالاضافة الى كل هذا فقد اقترحت أن تنشأ في كل جامعة من جامعات باكستان ـ وهي تسع عشرة جامعة ـ مدرسة لتخريج المعلمين تكون مدة الدراسة فيها سنتين بعد الصف العاشر ، وحيث انه يوجد في باكستان تسع عشرة جامعة كما ذكرنا ، فيكون عندنا تسع عشرة مدرسة للمعلمين ، يؤخذ في كل سنة لكل مدرسة خمسون طالبا فقط . وهكذا يكون عندنا بعد سنتين من احداث هذه المدارس ٩٥٠ مدرسا للغة العربية من الباكستانيين ، ويكون مجموع ماعندنا بعد احدى عشرة سنة من انشاء هذه المدارس ٩٥٠٠ مدرس ومدرسة وهكذا دواليك .

وتكاليف انشاء هذه الصفوف الخاصة لتخريج المعلمين زهيدة اذ أن كل جامعة تتحمل نفقات معلم ومعلمة أو نفقات اسرة واحدة ، ومن هؤلاء المعلمين يؤخذ المذيعون للراديو وللتلفزيون .

هذا هو مختصر الأمور التي اقترحتها وقد نفذ بعضها واصبحت اللغة العربية الزامية في المدارس ابتداء من الصف السادس وكتبت كتب لهذه الغاية ، ولكن اللغة لم تفرض الاعلى طلاب المدارس .

ويسرني أن اعلن بهذه الكلمة أن رغبة الباكستانيين لم تعد محصورة بالزعماء لأسباب سياسية أو غير سياسية بل أن أهل البلاد جميعا يرغبون في ذلك،وهناك جمعيات عربية كثيرة تقوم على سواعد بعض اهل الخير والعلم من أهل البلاد . كما أن حكومة الامارات أنشأت جامعة في كراتشي نموها وتسعى الآن الى توسيع نطاقها . واذا ماقلت جامعة فاني انقل الاسم كما هو وهي ليست في الحقيقة الامدرسة تسعى لأن تكون جامعة في يوم من الايام . □

الدكتور احسان حقي

العاذلون

شعر : محمد القيسي

وأقطِفُ مَا أشتهي ،
مِنْ ثمارِ الجبالِ علانيَة ،
ليسَ بي رغبةٌ في حوارِ المدينة ،
أو نهرِهَا
وأقطفُ ما أشتهي ،
ليكونَ طريقي إلى غيرِها
فليسَ على بابها ما أراه جديرا بِحُزني
جَديراً بممتلكَاتِ دَمي ،
وَجديراً بمَا ضَاعَ مِني
فَيا عاذلي لا تلمْني
لقد عُقِرَتْ ناقتي . . .
حينَ كنت أغني
وَأنشرُ فوق السطوح مناديل عَبْلَةَ ،
والأرضُ تأخذُ عَني
فَهلْ صارَ عنترةُ الآنَ نَسياً ،
وَغابتْ بروقُ يَديهِ ،
لتبدأ قِصةُ لوني !
وَأعرفُ عَنها . . .
فَلا خيلُها الآنَ خيلي
وَلا ظلُّها عادَ ظِلي
وَأعرفُ كانتْ هوايَ ،
وكانتْ صبايَ ،
وَأهلي
وَكانتْ نوافذ يَومي
أطلُّ الى الأرضِ منها ،
وَأحضنُ وجها بَعيدًا لأمّيَ
وَوَشياً على خصرِها
فَيا أيُّها العَاذلونَ لِماذا أقِفْ ! ؟
حَمامُ القِبابِ بَعيدٌ ،
وروحي هنا قطرة قطرة ،
تستوي وتجفّ
وَأغنيتي ترتجفْ
ولمْ يبقَ منْ سرِّها
حجابٌ ،
ولا غامضٌ ،
مَا كُشِفْ
وَما كنتُ إلا فتاها
أجيءُ إليها
فأبحثُ عمّا يوحّدني بالأزقةِ ،
كانتْ تضمُّ إلى صدرِها
نَشيدي . . .
وَألقي برأسي إلى حجرِها
وثمةَ ما كانَ يرعشُ في اللمسةِ الحانيةِ
وَكانتْ تخفْ

إذا ما نَدَتْ آهةٌ في البعيدِ ،
وَتجزعُ إمّا قَصِفْ .
غزالٌ على راحتي ،
فلماذا أقِفْ !
أرى وَجهَها لَمْ يعدْ صافياً
مثلما كانَ قبلَ مئاتِ السنينِ ،
وَقبلَ نصالِ السكاكينِ ،
قبلَ كهولةِ رُوحي على بابِها
فهلْ عَرَفتْ ما بها
لماذا أقف !
وَلا عُشبَ في بحرِها !
وكيف إذا ما مَررتُ وَعاينتُ ما . .
تفعلُ الآنَ بي
كيفَ لا أتعطفْ
فماذا تبقَّى لدَيها
وَماذا تبقَّى لَديَّ
لَقدْ بَدَّلتْ ثوبَها الساحليّ
وَألفيتُني في بَوادي يَديها ،
بلا كِسرةٍ ،
أو مَزاميرَ ،
تُفضي إلى دالِيَةْ
فَيا أيُّها الفلكيّ
نُجومُكَ ماذا تقولُ ، وَأينَ تُراهُ حَبيبي . . ؟
لِماذا تأخرَ جِداً عليَّ . . ؟
لِماذا تأخر ؟ !
رَأيتُ المَدينةَ تغفو على عَرشِها خاويةْ
وَقلبي وَحيدٌ على ناصيةْ
يَدورُ ، يَدورُ ،
وَطعنته داوِيةْ
لماذا إذنْ أيُّها العاذلون أقِفْ
وهلْ تعرفونَ لماذا
إذا ما تَمهَّلتُ ،
تَصرخُ في الجبالُ : انْصرفْ !

هل يتنفس البيض...؟

بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

□ سؤال بسيط نتوقف امامه حائرين ، أو نجيب بكلمات وهمهمات مبهمة . فالموضوع غريب ومثير وبعيد عن التوقع ، ولكن نفس السؤال كان محور دراسات علمية جادة ، قام بها علماء تضلعوا في العلم ، فاذا بالأسرار تتكشف عن معجزة ابداعية ، وكانت الاجابة نعم .. البيض يتنفس واليكم الدليل .

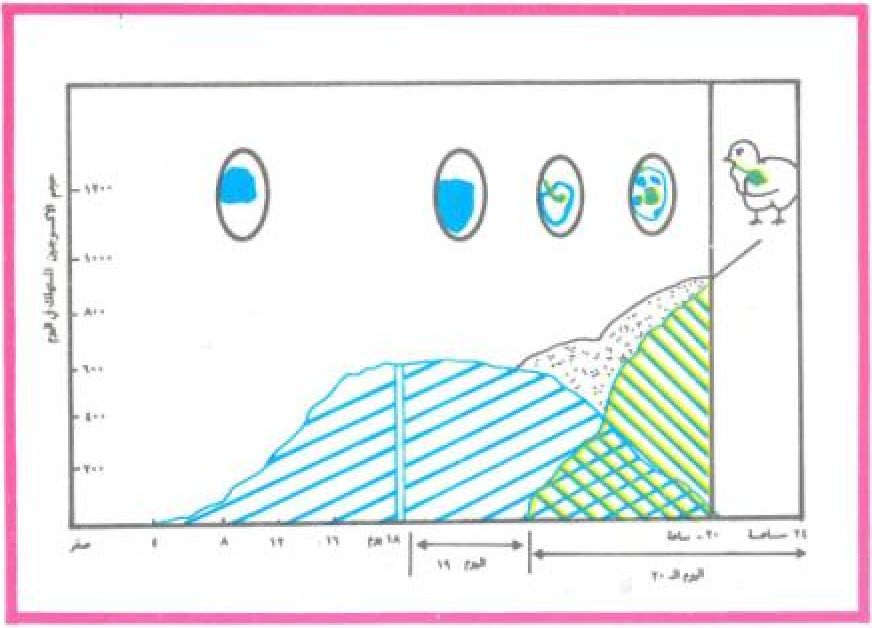

شكل (٥ أ)

تنفس من خلال القنوات

تنفس من خلال الرئة

البيض احدى نعم الله على عباده ، فهو ـ كغذاء ـ مصدر بروتيني نقي ، والبيضة تأتينا صافية نقية متقنة أيما اتقان ، مغلفة بطهارة ونقاء وصفاء لم تمسها يد ، ولم تختلط بها ملوثات من مواد كيميائية أو غازات ، وبها من الأحماض الأمينية والبروتينات تشكيلة بديعة متكاملة . ففيها كل الأحماض الامينية الأساسية التي هي بمثابة لبنات ضرورية لبناء الجسم ، فضلا عن فيتامين ج الى جانب أربعة عشر نوعا من الأملاح من ضمنها أملاح الحديد والفوسفور والمغنيسيوم والكالسيوم ، وكلها مواد معدنية ضرورية لبناء الأجسام ، وبناء العقول لبني الانسان .

ومع أننا نلتهم من البيض سنويا عدة بلايين ، الا أننا لا نشغل عقولنا بكشف أسرار هذا المخلوق الصامت الهامد الذي يضم أسرارا تحار فيها العقول والالباب ، ويقف الانسان حيالها خاشعا . وكلما اكتشفنا من أسرار البيض شيئا وجدنا أنفسنا ـ في الحقيقة ـ لا نزال على بداية الطريق ، مطالبين أكثر بالفحص الأدق ، والتعمق الأوفى ، والتدقيق في كل ما يتعلق بالموضوع ، حتى نلم أطرافه ونفهم أبعاده .

فالواقع أن معظمنا ينظر الى بيض الدجاج أو الطيور نظرة واقعية ، أو قل على الاقل نظرة انسان يبغي الحصول على طعام سريع مغذ يفي باحتياجات الجسم من الطاقة ، في حين ينظر العلماء الى البيض نظرة تختلف قليلا عن نظرة العامة ، فما داموا قد دلفوا الى معاملهم فان حاجتهم الى المعرفة تتعدى حاجتهم الى الطعام ، ومن ثم يتعاملون مع البيض على أنه كائن متكامل خلق وفق هندسة حيوية معجزة ،

ويؤدي دوره المنشود منه وفق نفس الأداء الهندسي البارع ، في سهولة ويسر دون حاجة الى حاسبات آلية أو أجهزة تحكم الكترونية ، وهو دور يفوق في روعته ودقته وعدم اصابته بخلل أو بعطل ، كل ما ابتكره البشر من معدات ، وما أطلقوه عليها من أسماء علمية معقدة .

فالبيض نظام متكامل ، ومرحلة شفرية لنقل الحياة ، واستمرار تدفقها في عالم الطيور وبعض أجناس الحيوان ، أو هو مخلوق كامن داخل مهد من المواد الغذائية المتكاملة ، اللازمة لضمان تغذية هذا المخلوق الكامن ، أو المخلوق المختفي خلف حدود قدرة عيوننا . ويتكون هذا الغذاء من ماء وأملاح وبروتينات تضمن للجنين تغذية متكاملة ، ولهذا نجد بيض الدجاج والطيور لا يحتاج أثناء مرحلة النمو الا للتقليب والتدفئة لمنع التصاق الجنين بالأغشية الداخلية للبيضة ، ولا ينقص هذا النظام الحيوي من متطلبات الحياة والنمو الا وسيلة يستطيع بها امتصاص الاكسوجين من الهواء وطرد بخار الماء وثاني أكسيد الكربون ، يتساوى في ذلك مع أي كائن حي يملك رئتين وأنفا بدءا من الفأر حتى الفيل ومرورا بالانسان ، أو حتى يناظر عمل الأسماك التي تتولى خياشيمها تبادل الغازات وفصل الاملاح من ماء البحر ، أو نظام يؤدي عمل ورق الشجر عندما يمتص هواء الزفير ويطرد الاكسوجين أو يعكس العملية .

اذن لا بد أن يتنفس البيض استكمالا للمنهج الطبيعي لدورة الحياة ، واعمالا للنظم المغلقة التي منحها الخالق لكل مخلوقاته .

وكيف ذلك

الانسان يتنفس وفق تحكم عضلي في الرئتين عن طريق الانف أو الفم ، فيأخذ ما شاء من الهواء ثم يطرد هواء الزفير . والسمك له قدرة عضلية ، والشجر يساعده الضوء على خلق ضغط سالب نسبيا عبر مسام الورق ، أين هذا من قشرة بيضاء وهلام ساكن لا حراك به ولا انفعال ، ولا عقل يتحكم أو خلايا تتأثر وتسيطر ؟ فبيضة دجاجة ملقحة عبارة عن كتلة من صفار (المح) به نواة الخلية ، ويشكل في

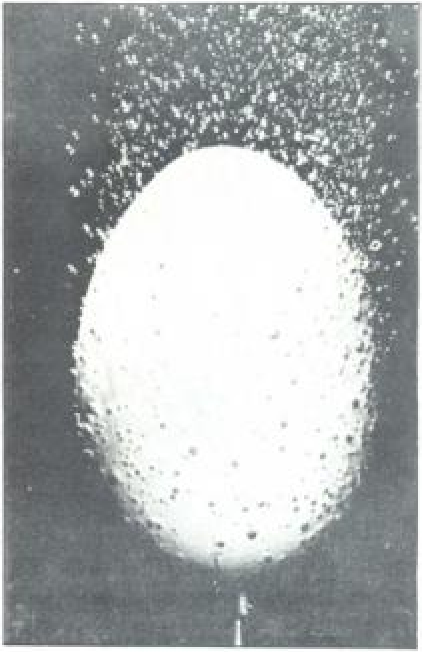

شكل (٢)
خروج فقاعات الهواء بعد غمر البيضة في ماء بارد سبق إغلاؤه

جوهره غذاءها ، وعندما تخرج من مبيض الدجاجة للتلقيح وبعدها تأخذ طريقها للخارج تكتسي بطبقات من الزلال ـ بياض البيض ـ ثم تتكون روابط من خيوط دقيقة لا تراها عين مجردة ، تمتد من الزلال الى أقصى نهاية البيضة . وعلى الفور تتولد طبقتان رقيقتان من أغشية واهية تلف الزلال لفا وتدحيه دحيا ، وبعدها تتكون القشرة الخارجية البيضاء تفرزها غدد خاصة من النصف الادنى من قناة المبيض ، وتترك البيضة الدجاجة بعد مرور أربع وعشرين ساعة من التلقيح ، تم خلالها بناء جسم البيضة من جوامد سائلة من خلايا حية ، داخل صندوق بشكل مميز من الجير أو كربونات الكالسيوم المصمت .

وهنا نعود للسائل الذي يدهشه تنفس البيض

ونقول له : لقد اعدت يا صاح بتعجلك نفس المتاهة التي واجهها العلماء منذ أكثر من قرن ونصف من الزمان ، حاولوا خلالها وأيامها فك طلاسم هذا اللغز حتى جاء العالم الانجليزي جون دافي ـ عام ١٨٦٣ ميلادية ـ واقترح على أقرانه نظرية مؤداها أن البيض يتنفس خلال انتشار الهواء عبر قنوات دقيقة للغاية تصل ما بين الجنين الراقد في المح وبين الهواء ، وعن ذات القنوات يتسرب هواء الزفير الى خارج البيضة .

وحتى يؤكد جون دافي نظريته ، ويقنع العلماء للاخذ باقتراحه ، وضع بيضة في ماء بارد سبق تسخينه لدرجة الغليان لطرد كل الهواء الذائب به ، ولم تمض عدة دقائق الا وتكونت فقاعات هوائية كالتي نراها ، وفي الوقت الذي أحس فيه جون دافي بأنه كسب الجولة سأله أحد العلماء ان كان قادرا على اثبات وجود المسام ، وأسقط في يده فالمسام التي اقترحها عالمنا كانت تقع خلف قدرات المجاهر الضوئية في تلك الآونة .

والواقع أن المسام موجودة ، والقنوات متصلة ، لكن أن تقصر أدواتنا عن تأكيد الظاهرة فهذا قصور يقع على العلماء وحدهم . فلما أن اكتشف المجهر الالكتروني وأطلقت أشعته الالكترونية على قشرة بيضة ، وكبرت المسام ثلاثة آلاف وثمانمائة مرة ، اذ بالمسام تظهر وكأنها كهوف سحيقة ، تمتد داخل كتل جبلية صلدة ، أو أغوار من قيعان البحار بعيدة ، تتخذ شكلا مخروطيا من مدخله وتكون بداية رحلة الهواء الجوي الى الجنين ، وعند نهايته في الطرف الآخر تكون رحلة البداية لخروج هواء الزفير ـ ثاني أكسيد الكربون ـ الى الخارج .

متى تتنفس البيضة ؟

لكن المعجزة الأكثر غرابة تأتي في نهاية السرداب ، فهناك بوابة ليس عليها حارس أو أجهزة انذار ، بل مجرد مواد كيميائية خاصة تؤدي ذات الاعمال دون خلل أو كلل ، فعندما يزداد الاكسوجين تتشكل المادة وتسمح بانتشاره ، ومتى تنفس من كان في المهد الغذائي ، واستكمل حاجته وزادت نسبة ثاني أكسيد الكربون ، اتخذت المادة شكلا جزئيا جديدا يمنع دخول الاكسوجين ، ومن ثم يندفع ثاني أكسيد الكربون الى الخارج تحت وقع زيادة تركيزه .

أي أن العملية هي انتشار غازات يتم منذ الازل وفق قوانين وضوابط لا خلل فيها أو التواء . ولو سألت مهندسا كيميائيا عن هذه القواعد لقال لك على الفور أن الوزن الجزئي للغازات يتحكم في سرعة الانتشار مضروبا في سرعة الانتشار مرة أخرى وهي نفس القوانين التي اكتشفها العلماء منذ حوالي قرنين من الزمان ، وصاغوا لها معادلة جراهام للانتشار ، وهي ذاتها أدت عملها منذ بلايين السنين دون تدخل

شكل (٣)

عشرة آلاف قناة حول قشرة البيضة مكبرة ٣٨٠٠ مرة بالميكروسكوب الالكتروني .

بشر ، فهي مجرد مادة كيميائية تشكل المسام المناسبة لتسلل جزئيات الغاز .

وفي البحث الذي أجراه عدد من العلماء ونشروا طرفا منه على صفحات مجلة العلم الامريكية (عدد فبراير ١٩٧٩ في الصفحات من ٣٨ الى ٤٧) ثبت لديهم أنه خلال ٢١ يوماً استهلكت بيضة دجاجة تزن ٦٠ جراما قرابة ستة لترات من الاكسوجين ، وطردت الى الجو أربعة لترات من غاز ثاني أكسيد الكربون ، الى جانب أحد عشر لترا من بخار الماء ،

وفي نفس الوقت يقل وزن البيضة الى ٥١ جراما ويخرج كتكوت يزن ٣٨ جراما .

والواقع أن البيضه لا تتنفس طالما كانت في رحلة الخروج الى الحياة ، لكنها متى سقطت على الأرض بدأت فورا في التنفس بأن تنفصل الأغشية أعلى البيضة ، وتمتلىء بالهواء المتسرب من مسام بلورات الجير المكونة للقشرة ، وتتشكل فقاعة هوائية تمثل ١٥٪ من حجم البيضة ، وتعمل الفقاعة كمضخة تنظم امداد وطرد الهواء عبر عشرة آلاف قناة توصيل موزعة فتحاتها على القشرة ، فيأتي الهواء بالقدر المناسب ويطرد غاز الكربون بقدر متوافق ، فلو حدث ودخل هواء أكثر ، احترق الغذاء وتكون ماء ، ولو حدث العكس وتكدس غاز الكربون لاختنق الجنين في مهده ، ولكن الأمر تمسك به قدرة الخالق وليست يد انسان تتحكم فيه الأهواء والانواء .

ويخرج الكتكوت

والآن نترك التنفس ونمضي مع رحلة بيضة شاء قدرها أن تؤدي دورها الحقيقي في استمرار الحياة ، فهناك داخل الحضانات وعند درجة حرارة ٢٨ درجة مئوية ، وبعد مرور ٢١ يوما يتحول الجنين الى كائن حي له كيان واضح « شكل ٤ » يأكل بفمه ويتنفس برئتيه ويعتمد على نفسه ، فما الذي يحدث خلال هذه الرحلة ؟

فور وضع البيضة الملقحة في الحضانة تستعد كل أغشية البيضة كأنها مقدمة على أداء أروع وأشق مهامها ، وتتخذ وضع طوارىء دقيق لخدمة الجنين داخل المحلول الهلامي ، ويبدأ استهلاك الاكسوجين يزداد يوما تلو يوم حتى يصل الى قرابة ثلاثة لترات في اليوم الرابع عشر . وقد لا تعني اللترات الثلاثة شيئا لي أو لك فأنا وأنت نستهلك نفس الكمية في أقل من دقيقة ونحن جلوس على المقاعد الوثيرة ، لكن هذه الكمية تمر الى الجنين عبر عشرة آلاف قناة دقيقة بمعدل ٢٠,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جزىء أكسوجين في الثانية الواحدة ، ويخرج في ثانية أربعة عشر تريليون جزىء ثاني أكسيد الكربون تمر في الاتجاه المضاد منطلقة من جوف البيضة في صحبة ٦٣ مليون جزىء ماء .[١]

ويستكمل الفرخ تكوين جهازه التنفسي في اليوم التاسع عشر ، لكن الفرخ لا يترك موقعه داخل البيضة ، فما زال محتاجا الى اعداد وتدريب لاستخدام جهازه التنفسي شأنه شأن أي انسان تعده بالصقل والتدريب لمواجهة أعباء المستقبل ، وحتى التدريب يبدأ متدرجا ، ويتم نفس البرنامج مع الفرخ ، ففي اليوم التاسع عشر تبدأ المرحلة الابتدائية للتدريب وفيها يثقب الفرخ غشاء الفقاعة الهوائية بمنقاره ، ويبدأ في أخذ ودفع الهواء من خلالها الى جانب عشرة آلاف قناة ترعاه وتضمن له الهواء ، ان فشل في الأداء أو تخاذل في التدريب ، وما أن يتأكد من نجاحه وقدرته خلال برنامج مدته عشرون ساعة ، حتى يثقب قشرة البيضة قبل خروجه منها بقرابة ست ساعات ويتعامل مباشرة مع الهواء محتفظا بقنوات الاتصال ، فان اتمها قفز من الهيكل القشري ودب برجليه على الارض لاول مرة في عمره ، وان فشل وجذب من القشرة رغما عنه خرج عليلا مريضا لا تدوم له الحياة الا معلولا . . ولله في خلقه شئون ، وقد صدق قول الحق جل وعلا (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) . □

---

١ ـ الجزيء : هو أصغر جزء من المادة يمكن الحصول عليه ، وله نفس خصائص المادةالفيزيائية والكيميائية .

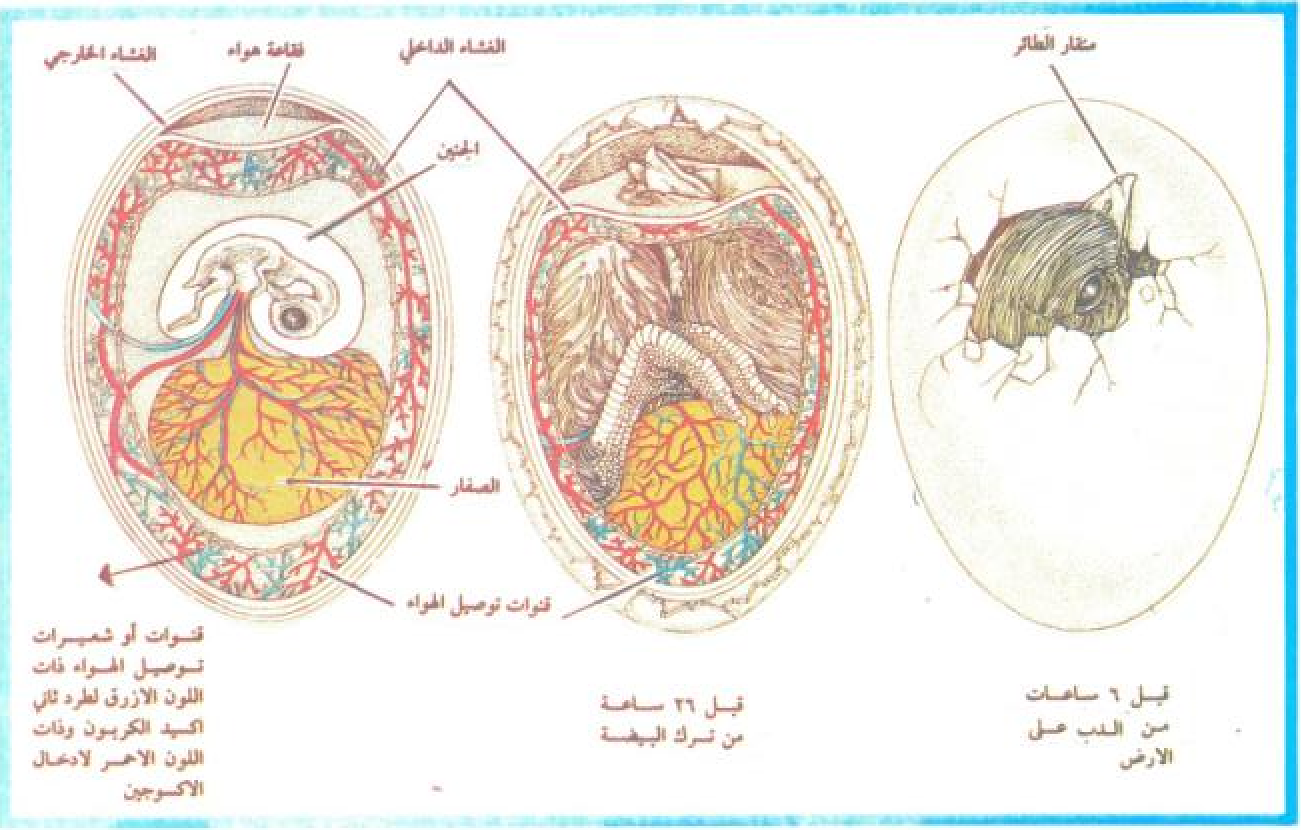
منقار الطائر
قبل ٦ ساعات
من الدب على
الارض
الغشاء الداخلي
قبل ٢٦ ساعة
من ترك البيضة
قنوات توصيل الهواء
الغشاء الخارجي
فقاعة هواء
الجنين
الصفار
قنوات أو شعيرات
توصيل الهواء ذات
اللون الازرق لطرد ثاني
اكسيد الكربون وذات
اللون الاحمر لادخال
الاكسوجين

شكل (٤)

العربي العربي العربي العربي العربي العربي من ربع قرن

العروبة وآلام المخاض

العدد الخامس عشر فبراير ١٩٦٠

لاشك أن المرحلة التي نحياها اليوم هي نقطة الانعطاف بين أمس الأقطار العربية وغدها. والجيل الذي يعيش على مفترقات طرق التاريخ جيل سعيد سعادة حية عميقة. أنه يعيش مخاضا روحيا حقيقيا، فيه ينفصل عن ماض قريب جديد ما يزال يحمل أوزاره ليتجه الى مستقبل خصيب ما يزال يتشوف اليه ويلمحه في الأفق دون أن يقبض عليه.

وفي هذه المنزلة، منزلة الوجد الى الجديد، والصراع مع رواسب القديم، تجد النفوس الفتية كامل تفتحها، وتلقي مجال نشاطها الخلاق.

انها حقا «تعيش في خطر» على حد تعبير «نيتشة»، شاكية السلاح دوما تترقب وتتوفز وتحمل أمانة الأجيال.

غير أن لكل مخاض آلامه، والجيل العربي الذي يحيا اليوم معركة الانفصال عن ركود ألفه سنوات طويلة، والذي يتجه شطر مستقبل لم تستبن سائر معالمه بعد، جيل يلقى من آلام المخاض ما يلقى، ويعاني من التأزم ما يعاني. الآلام في نظرنا آلام خصيبة محملة بالعطاء، ان هي وعت ذاتها، وأدركت مسؤولياتها. وهي على العكس معرضة لأن تنقلب الى اجهاض فاشل ان هي لم ترتفع فوق الألم لتخلق منه الأمل.

ومن هنا كان واجبنا جميعا أن نقف في معركة الولادة الجديدة هذه، يقظين حذرين، نسدد الخطا، ونبين لجيل المعركة حقيقة وجوده، وواجب هذا الوجود.

المرء الذي يعيش في قلب المعركة، قلما يستطيع أن يتبين جميع أوجهها، ومن هو غارق في التيار لايقوى على أن يرى جنباته.

ولهذا كان جيلنا العربي، الذي ألقى نفسه في يمّ معركة قومية تاريخية كبرى، معرّضا للانزلاق بحكم انغماسه في لجة اليم، وانجرافه في تياره.

ومن هنا أي واجب الحديث عن واقعنا الذي نحياه ومستقبلنا الذي ننشده، لنزداد وعيا لأنفسنا، ولئلا يغادرنا هذا الوعي في أي لحظة من لحظات المعركة.

المجتمع العربي اليوم هو أولا وقبل كل شيء مجتمع ينهض فيه صراع عنيف بين العادة والنزوع، بين ما

ألفه وبين رغبته في أن يجاوز ما ألف .

لقد مرت على المجتمع العربي عهود من الركودوالانحطاط كاد ينسى فيهاحضارته وأصالته . وائتمرت على هذا المجتمع جملة من القوى ارادت أن تفقده معالمه وأن تطمس كيانه القوى طمسا كاملا . وتألب الاستعمار التركي عليه ، ومن بعده الاستعمار الغربي ، محاولا أن يقطع صلته بتراثه وأن يمحو خصائصه .

ولا شك أن أصالة العربي وقوة تراثه الحضاري كانا أقوى من محاولات الطمس هذه ، وأمنع من حملات الابادة كلها ، على عنفها وشدتها . فاستطاع العربي أن يصمد لهذه الغزوات الضارية واستطاع أن يحفظ شعوره بذاته ، وشعوره بحضارته وأصالته .

وهكذا خرج العربي من المعركة القاسية ، معركة القرون الطويلة، ظافرا قويا وقد، جاوز مرحلة الثبات والصبر الى مرحلة الدفاع عن الذات ،والى مرحلة التحدي . فتحدى الاستعمار وما يزال يتحداه ، وانتصر على قوى تفوقه في معارك كثيرة .

غير أن هذا الاحساس بالعزة القومية وهو احساس حق ، ينبغي الا يطمس أمام أعيننا بعض الحقائق . والذي علينا الا ننساه هو أن هذا النزوع القومي الذي ثبت وانتصر ، لابد أن يجاهد مخلفات المعركة التي قامت بينه وبين اعدائه . فلكل معركة بقاياها القوية التي ينبغي ألا نتجاهلها . والمعركة التي قامت بين العرب وبين العوامل التي تألبت على كيانهم ووجودهم ، معركة انتهت دون شك بثبات المنازع العربية وصمود الروح القومية ، ولكنها خلفت وراءها مع ذلك مجموعة من العادات ، تعشش في قلب هذه المنازع وتعمر في الصميم من تلك الروح .

ولا نقول الا بدهيا من الأمر ان قلنا أن السنوات الطويلة التي أقام فيها الغرباء في بلادنا ، يعملون فيها تخريبا وتهديما ، قد أورثتنا عادات مما أراد هؤلاء الغرباء ، وجعلت في حنايا وثبتنا العربية نفسها بذورا فاسدة وجراثيم فتاكة . ولا نغلو ان قلنا أن وثبتنا العربية تحمل في ثناياها بذور تهديمها ،وأننا اذا لم نجمع هذه البذور ونجتث أصولها شيئا بعد شيء عرضنا وثبتنا للخطر الكبير .

وهكذا يقوم الصراع عميقا بين النوازع والعادات . فالنوازع في كل قلب عربي وفي كل أرض عربية ، نوازع البعث القومي والوحدة العربية المنشودة . أما العادات العقلية ، وأما التقاليد النفسية الموروثة ، فما تزال تغالب النوازع .

كذلك العادات العقلية المألوفة التي ورثناها نتيجة عهود الانحطاط ، والتي هي بقايا المعركة بيننا وبين العناصر الدخيلة على كياننا . فهي لاتظهر سافرة وانما تلبس لبوسا غير لبوسها ، بل انها تلبس لبوس المنازع العربية التي تغالبها وتحاول أن تصطنع زيها وأن تزيفه .

هكذا نجد الآن مجموعة من الأفكار في الأقطار العربية ، تحاول أن تقاوم الفكرة العربية ، عن طريق اصطناع زائف لها وادعاء مؤمن بها في الظاهر ، كافر في الباطن ، مدعية الحرص الخاص عليها ، بينما هي تحاول هدمها .

وهنالك وبعد أولئك وهؤلاء ، من قرت في أذهانهم عادات حرص المستعمر خلال سنوات طويلة على بثها واشاعتها ، وجعل لها الصدارة في أعماله وفي محاولات التهديم التي قام بها ، ونعني بذلك الروح الطائفية أو العنصرية . وهؤلاء أيضا يحاولون أن يفرضوا بقايا العنصرية أو الطائفية التي ورثوها ، وأن يظهروها العناصر اللازبة للفكرة العربية وأن يتخذوها عقيدة ومبدأ ، زاعمين أن بينها وبين القول بالعروبة نسبا أوصلة .

وهنالك أيضا أولئك الذين ألفوا النظم الاجتماعية البالية التي أقامها الغرباء في بلادنا خلال سنوات طويلة ، فأرادوا أن يفلسفوا هذه النظم وأن يسيروا في سياسة تعمية تجعل من مسايرة هذه النظم ضرورة تستلزمها طبيعة الكيان العربي .

ان محاولة تجاوز الذات محاولة شاقة لاتقوى عليها الا الأجيال الفذة . ومحاولة تجاوز العربي لعاداته التي عاشت في أعماقه وتقاليده ومنشآته فترة طويلة من الزمن ، هي البطولة الحقة ، وهي النداء الذي ينبغي أن يغري النفوس الكبيرة في مرحلتنا العربية الكبرى . □

د . عبدالله عبد الدايم

الكاف ..*

عندما بلغ ستيفانو روا الثانية عشرة من عمره طلب من أبيه ، الذي كان قبطانا للرحلات الطويلة وصاحبا لمركب شراعي جميل ، أن يصطحبه في رحلة تكون هدية الأب الى ابنه . ثم قال له :

ـ أود أن أذهب ، حين أكبر ، الى البحر مثلك ، وأقود مراكب أكبر من مراكبك وأكثر جمالا .

فأجاب الأب :

ـ ليباركك الله يا صغيري !

وبما أن سفينته كانت تتهيأ للاقلاع في اليوم ذاته ، فقد أصطحب الغلام في الرحلة . كان نهارا رائعا ، مشمسا ، والبحر ساكنا . وكان ستيفانو ، الذي لم يصعد ظهر مركب من قبل ، يركض سعيدا على السطح ، يراقب باعجاب المناورات المعقدة للأشرعة .

وكان يطرح عديدا من الأسئلة على البحارة فيجيبون على استفساراته باسمين .

ولدى وصول الغلام الى مؤخرة السفينة توقف حائرا يراقب شيئا كان ينبثق أحيانا على بعد مائتين أو ثلاثمائة متر تقريبا في الخط الذي يخلفه المركب وراءه .

وعلى الرغم من أن السفينة كانت تجري مسرعة تدفعها ريح مواتية ، فقد كان هذا الشيء يحافظ على المسافة ذاتها . وعلى الرغم من أن الغلام لم يفهم طبيعته فقد كان فيه ما يخلب لبه .

---

* الكاف : سمكة ذات حجم كبير جدا ، منظرها مخيف ، وهي نادرة الوجود . يسميها سكان البحار والانهار كيفما اتفق كولبير ، كاهلوبرها ، كالونغا ، كالو ، بالو ، شالونغرا . علماء الطبيعة ـ وهذه حقيقة غريبة ـ يجهلونها . وبعضهم يذهب حتى الى القول بألا وجود لها .

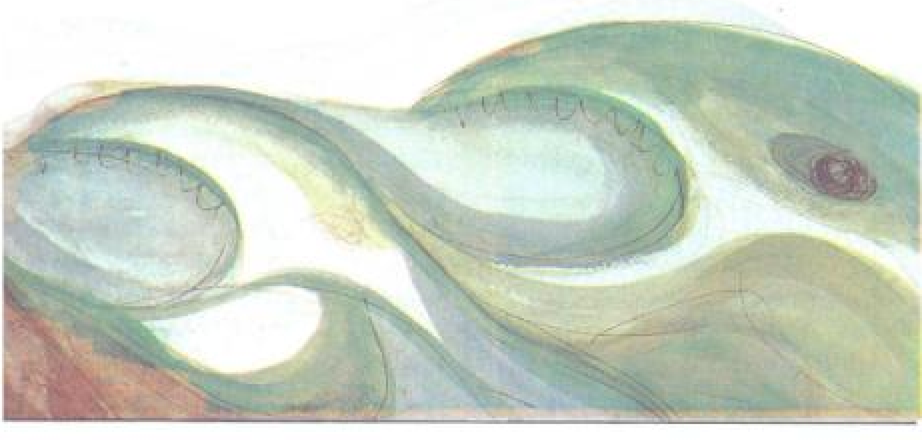

قصة الكاتب الايطالي دينو بوتزاتي

ترجمة : الدكتور محمود موعد

أما الأب ، الذي لم يعد يرى ستيفانو وكان قد ناداه دون جدوى ، فقد غادر مقصورة القيادة ليبحث عنه .

وحين أبصره عند مؤخرة السفينة واقفا يحدق في الأمواج سأله :

ـ ستيفانو ! مالذي يجعلك تقف متسمرا هناك ؟

ـ بابا ، تعال وانظر .

اقترب الأب ونظر هو أيضا في الاتجاه الذي كان يشير اليه الغلام ، ولكنه لم يرشيئا على الاطلاق .

قال الطفل : هناك شيء أسود يتراءى من وقت لآخر في الخط وراء المركب ، ويتبعنا .

قال الاب : عمري اربعون عاما ، واعتقد أن بصري مايزال قويا ، ولكني لا الاحظ أبدا أي شي .

ولما رأى الحاج ابنه ذهب وأحضر منظاره وأخذ ينظر الى البحر في اتجاه الخط خلف المركب . ورآه ستيفانو يشحب :

ـ ماذا هناك ؟ ولماذا امتقع وجهك ؟ قل لي يا أبي .

ـ صاح القبطان :

ـ أوه ! ليتني لم أصغ الى كلامك . سأهتم من الآن هما عظيما من أجلك . ماتراه ينبثق من الماء ويتبعنا ليس شيئا ، ولكنه كاف حقا . انه الوحش الذي يخافه ملاحو كل البحار في العالم . انه قرش مخيف وغامض وأكثر مكرا وذكاء من الانسان . ولأسباب لايعرفها أحد . وربما الى الابد ، فانه يختار فريسته . ومتى اختارها تبعها سنوات وسنوات وربما الحياة كلها ان اقتضى الأمر ، حتى تحين اللحظة فينجح في افتراسها . والأمر الأكثر غرابة أنه لا أحد يستطيع ان يراه الا الضحية القادمة أو أحداً من اسرتها .

ـ انه لمزاح ما تحدثني به يا أبي !

ـ لا . . لا . . لم أشاهد من قبل هذا الوحش ، ولكن حسب الأوصاف التي سمعتها ، غالبا ، عرفته على الفور . هذا الخطم الذي يشبه خطم البيزون ، هذا الفم الذي ليس له الا أن ينفتح وينغلق بحركات تشنجية ، هذه الأسنان الرهيبة . . ستيفانو اليس هناك من شك وا أسفاه ! الكاف وقع اختياره عليك ، ولن يدعك لحظة واحدة طالما أنت في البحر . اصغ الي جيدا ياصغيري : سنعود حالا الى الميناء وتنزل ، ولاتخاطر أبدا مرة أخرى بتجاوز الشاطىء ، لاي سبب كان ، عليك أن تعاهدني . مهنة البحر لم تخلق لك ياولدي . عليك ان تتقبل هذا الأمر . وعلى الارض يمكنك أن تصبح ثريا أيضا .

قال ذلك ، وأمر على الفور أن يقوم المركب بنصف دورة ويعود الى الميناء . وبحجة مرض مفاجىء أنزل ابنه ، ومضى من دونه .

بقي على الشاطىء الرملي مضطربا اضطرابا عظيما ، حتى غاب طرف أعلى الصارية في الافق . وعلى بعد كان يرى نقطة صغيرة سوداء تظهر من وقت لآخر : لقد كان الكاف ، صاحبه ، يجول في كل اتجاه ، ينتظره باصرار .

ومنذ هذه اللحظة اتخذ والده كل السبل لقهر ما يحسه الغلام من جذب نحو البحر . وأرسله ليتعلم في مدينة داخلية على بعد مئات الكيلومترات من هناك . وخلال وقت قصير شغله هذا الوسط الجديد ، فلم يعد يفكر في الوحش البحري . غير انه في العطلة الصيفية عاد الى البيت ، ولم يستطع ان يقاوم نفسه ، حين تهيأ له وقت فراغ ، من الجري الى طرف الميناء ليتحقق من شيء بدا له دون طائل ، ومثير للسخرية في حقيقة الأمر . فبعد زمن طويل ، وعلى افتراض أن القصة التي رواها والده كانت صحيحة ، فلا شك أن الكاف قد عدل عن الهجوم .

ولكن ستيفانو وقف ذاهلا ، مضطرب القلب ، فعلى بعد مئتين أو ثلاثمائة متر تقريبا من الرصيف ، والبحر في حالة المد ، كان الحيوان المشئوم يجول

يبط ، ويخرج رأسه من الماء من وقت لآخر ، وينظر نحو الشاطىء كأنما ليرى مجيء ستيفانو أخيرا .

عند ذاك غدت فكرة هذا المخلوق العدو الذي ينتظره ليل نهار وسواسا سريا لستيفانو . ففي المدينة البعيدة ، يحدث له الان أن يستيقظ في الليل قلقا . هو في مكان أمين ، أجل ! فمئات ومئات الكيلومترات تفصله عن الكاف . ومع ذلك فانه يعلم أن وراء الجبال ، وراء الغابات ، ووراء السهول ، ثمة قرشا يداوم على انتظاره ، وحتى لو ذهب ليعيش في ابعد القارات فان الكاف يرصده من أقرب البحيرات بهذا العناد الصلب .

واصل ستيفانو ، الذي كان جادا وطموحا ، دراسته في اهتمام كبير . حين بلغ مبلغ الرجال وجد عملا مجزيا وهاما في أحد المشروعات في المدينة . وكان والده قد مات بسبب مرض ألم به . وباعت أرملته الشراع البديع . ووجد الابن ثروة طائلة رهن اشارته . العمل ، الصداقات ، التسليات ، الحب الأول : كانت حياة ستيفانو ، من الآن فصاعدا ، قد خطت طريقها . غير أن ذكرى الكاف عذبته كسراب مشؤوم وساحر في الوقت ذاته ، وكانت تستعر ، بمرور الأيام ، من حيث كان ينبغي أن تنطفىء .

السرور الذي تبعثه في المرء حياة عمل وراحة وهدوء عظيم بلا شك ، ولكن نداء الهاوية أقوى . فما ان بلغ ستيفانو الثانية والعشرين من عمره حتى عاد الى مسقط رأسه ، مودعا أصدقاءه المدينة ، تاركا وظيفته فيها . وأنبأ أمه عن عزمه على ممارسة مهنة أبيه . واستقبلت الأم الشجاعة ، التي لم يخبرها ستيفانو بكلمة عن القرش السحري هذا القرار بفرح كبير . وكان يتراءى لها في أعماقها أن هجر ابنها للبحر الى المدينة فيما مضى نوع من التخلي عن التقاليد الأسرية .

وبدأ ستيفانو حياة الملاحة مظهرا كفاءة عالية في عمل البحر ، ومقاومة للتعب ، وجرأة نادرة . كان يبحر . . دون توقف . وفي الخط الذي يخلفه المركب ، ليل نهار ، في هدوء البحر واضطرابه ، كان الكاف يجري من ورائه . ومن هنا كانت لعنته وقضاؤه المحتم . كان يعلم ذلك . ولكنه لهذا السبب بالضبط ربما لم يجد القوة ليتخلى عن مصيره . ولم يكن أحد ممن على المركب الاهو يرى الوحش .

وكان يسأل أصحابه أحيانا مشيرا الى الخط خلف المركب :

ـ الا ترون شيئا في تلك الناحية هناك ؟

ـ لا . . لانرى أي شيء أبدا . . لماذا ؟

ـ لا أدري . . يخيل الي . . .

وكانوا يضحكون ساخرين وهم يلمسون الحديد :

ـ الا تكون قد رأيت واحدا من الكاف مصادفة ؟

ـ لماذا تضحكون ؟ لماذا تلمسون الحديد ·

ـ لان الكاف حيوان لايغفر . اذا تعقب مركبا فهذا يعني أن واحدا منا هالك لامحالة . ولكن ستيفانو لم يكن يهتم للأمر . بدا وكأن التهديد المستمر الذي يتعقبه يضاعف رغبته وهواه الى البحر ، ويثير حماسته في ساعات الخطر والعراك .

وعندما أحس بأنه امتلك المهنة جيدا اشترى بميراثه عن أبيه مركبا ساحليامناصفة مع شريك . ثم أصبح المالك الوحيد له . وبفضل سلسلة من الشحنات الموفقة استطاع أن يشتري سفينة شحن حقيقية ، يدفعه دائما طموح أكبر الى المضي قدما . ولكن النجاح ، والملايين لم تستطع أن تطرد عن خاطره هذا الوسواس المستمر . ولم يفكر لحظة واحدة في أن يبيع المركب ، ويتوقف عن الابحار ، ويلقي بنفسه في لجة اعمال أخرى .

الابحار . . الابحار . . ذاك همه الوحيد . فما يكاد يلامس اليابسة في مرفأ ما بعد أشهر طويلة في البحر ، حتى يدفعه نفاذ الصبر الى الرحيل من جديد . وكان يعلم أن الكاف ينتظره في عرض البحر ، وأن الكاف يعني الهلاك . وما في اليد حيلة . دافع لايقهر يجره ، دون توقف ، من محيط الى محيط .

الى ان جاء يوم ، على حين غرة ، اكتشف فيه ستيفانو أنه أصبح عجوزا . . عجوزا جدا . ولم يكن أحد ممن يحيطون به يستطيع أن يفسر لماذا يأبى غني مثله أن يغادر حياة البحر اللعينة . عجوز وتعس بمرارة ، لانه أفنى عمره برمته في هذا الهروب الجنوني عبر البحار لينجو من عدوه . ولكن اغراء الهاوية كان أقوى بالنسبةاليه من سعادات حياة مريحة هادئة .

وذات مساء .. وبينما كان مركبه الرائع راسيا في الميناء ، سقط رأسه ، أحس بأن نهايته قد أوشكت . فاستدعى القبطان الذي يثق به ثقة تامة وطلب إليه ألا يعارضه فيما سيحاوله . فوعده الاخر بشرفه .

وما ان حصل ستيفانو على هذا الضمان حتى باح الى القبطان ، الذي كان يصغي اليه مشدوها ، بقصة الكاف الذي داوم على ملاحقته حوالي خمسين عاما دون جدوى . قال له :

ـ لقد واكبني من طرف الى آخر من العالم بوفاء لايستطيعه حتى أعز الأصدقاء . وأنا الآن على حافة الموت . وهو أيضا بلا شك قد كبر كثيرا ونال منه التعب . لن أخيب انتظاره !

قال ذلك ، ثم ودع صاحبه ، وأنزل زورق انقاذ الى البحر . واستقر فيه بعد أن أخذ لنفسه خطافا ، وأعلن :

ـ الآن .. أنا ذاهب الى ملاقاته حتى لاأخيب ظنه ليس الا . ولكني سأقاتل بأقصى ما تبقى لدي من قوة .

وابتعد بضربات المجاديف . ورآه البحارة يغيب هناك ، فوق البحر الساكن في ظلام الليل ، في سماء بدا فيها الهلال .

لم يجدف طويلا . فجأة برز خطم الكاف البشع في اتجاه الزورق . قال ستيفانو :

قررت أن آتي اليك ، والآن .. ها نحن أولاء وجها لوجه . وعند ذاك جمع آخر قواه ، ولوح بالخطاف ليضرب . خار الكاف بصوت متوسل :

ـ بوهو .. هو ! أي طريق طويلة كان علي اجتيازها حتى التقي بك ! أنا أيضا قد انهكني التعب .. كم جعلتني أسبح ! وأنت الذي كنت تهرب .. تهرب .. انت لم تفهم شيئا على الاطلاق !

قال ستيفانو ملسوعا :

ـ أفهم ماذا ؟

ـ تفهم أني لاأطاردك حول الأرض لألتهمك كما كنت تظن . ملك البحار كلفني فقط أن أعطيك هذه .

وأخرج القرش لسانه ، وقدم الى البحار العجوز كرة صغيرة فوسفورية . أخذها ستيفانو بين أصابعه وفحصها . كانت لؤلؤة ذات شكل مدهش . وعرف فيها عند ذاك لؤلؤة البحر الشهيرة التي تهب الى من يحوزها الثروة والقوة والحب وسلام الروح . لكن الأوان قد فات .

قال وهو يهز برأسه في حزن :

ـ وأسفاه ! شيء لايغتفر ! لقد نجحت فقط في افساد حياتي وحياتك . اجاب الكاف :

ـ وداعا أيها الرجل المسكين .

وغرق الى الابد في المياه السود .

بعد شهرين دفعت الأمواج بزورق صغير الى الصخور البحرية الحادة . شاهده بعض الصيادين فاقتربوا منه حائرين . كان هيكل مبيض جالسا فيه : سلامياته الرفيعة تشد على حصاة صغيرة مكورة . □

الصياد والعصفور :

* رمى رجل عصفورا بسهم فأخطأه ، فقال له رجل شهد خطأ السهم :

ـ أحسنت يا هذا .

ـ أتهزأ بي .

ـ معاذ الله ... ولكنك أحسنت الى العصفور !

وجهاً لوجه

جبرا ابراهيم جبرا • ماجد السمرائي

* علينا أن نتذكر أن المستقبل أكبر مخادع للانسان .

* الغربة هى أعظم الدلالات الانسانية الكاشفة فى هذا الزمن .

* الفن ليس عملية فرار من الواقع .. بل هو سيطرة عليه .

■ مع تواصل الحوار وجها لوجه بين أجيال الكتاب والمفكرين والعلماء .. يأتى لقاء جديد بين جيلين فى ميدان الرواية والأدب والشعر ..

أما بطاقة التعريف بجبرا ابراهيم جبرا فيقدّمها عنه ماجد السامرائى فيقول :

حين تقرأ جبرا ابراهيم جبرا تجد نفسك مليئا باحساس قد لا يتحقق لك مع كثير ممن تقرأ . فهذا المبدع الكبير في دنيا الكتابة العربية يملؤك ، وأنت تقرؤه ، بزخم الحياة : صراعا ، وتوترات ذاتية ووجدانية ، وطموحات فكرية ، ورؤى تتشكل عبر ما يرسم لك من أفق . . حتى لتحس وكأن الكتابة قدره ، وأنه لم يكن ليعيش حياته على النحو الذى عاشها به (وهي تمتد الى مدى خمسة وستين عاما) لو لم تكن الكتابة ، والكتابة المبدعة عمادها .

فهو الذى كان في العمق من حركة الحداثة والتجديد ، يؤكد كل يوم أهميته في ميدان ما لهذه الحركة من انجازات فذة ، مشددا على أهمية التجدد المستمر ، باثا ذلك التأثير المتواصل فيها للواقع الابداعي العربي من حركة ذات صلة بأفكاره ، وبما رسم لنفسه وجيله في هذا الواقع من طموحات . .

ويكاد جبرا ـ بعنف الحياة والابداع فيه ، أن يشكل نموذجا فذا وفريدا في الثقافة العربية الجديدة ، وفي معطيات حركة الابداع فيها ـ فهو المبدع الذى يقف في العمق من حركة عصره ، دافعا هذه الحركة باتجاه التجديد المستمر والاضافة ، لا من خلال طموحاته في الأخرين فيها وحسب بل ، وبالدرجة الأساس ، من خلاله هو ، بما له من استمرار وفاعلية العطاء في مسار هذه الحركة .

فمن كتاب نقدى ، الى رواية مجددة ، الى أخرى تضع لنفسها من الدعائم ما لم يكن في واحدة من سابقاتها . . الى اسهام حقيقى وفاعل في الحياة الفنية (من سينما الى فنون تشكيلية) . . هذه التنويعات على شخصية المبدع فيه تضعك ، حين تعمد الى متابعته ، في قلب حركة صاخبة من الحياة ، تهز بهذا الصيد الوافر من ابداع فنان فرد ، لا يمتلك غير موهبته وامكانياته الابداعية العالية .

هذا كله ، وبهذه الصورة المستجمعة في خيوط تفاصيلها الاساسية ، يجعلك تحس بقربه منك ، أو قربك منه . . فهو ـ في أقل تقدير ـ يصدع بحلمك في أفق الابداع ، مشكلا جزءا من عالمك الذاتي .

واذا كان جبرا هو هذا كله ، وبهذا كله . . فان ما أصبح يهمه اكثر من سواه في السنوات الأخيرة هو الرواية . . وان يؤكد نفسه روائيا . . منطلقا في نزوعه الابداعي هذا من يقين يسكن نفسه ، ويريه « ان الرواية هي فن المستقبل العربي » .

وفي الرواية اكد جبرا الكثير ، سواء على مستوى الفن الروائي أو على مستوى الموضوع . . حتى غدا مليئا باحساس قوى وشعور بالحاجة الى التعبير من خلال الرواية وبالرواية . . وكأنه يفسر بها نفسه للآخرين ، كما يفسر الأخرين لنفسه من خلالها وبها . فهي « النوع » الذى يتضمن جانبا ، وجانبا مهما من كيانه الذاتي ، ومن مسار هذا الكيان في الواقع ، بما يدفعه بقوة اكبر ومدى أوسع في تيار الحقيقة . .

من هنا يكون الحوار معه ، في الرواية ـ روايته هو ـ وعن الرواية بمثابة عملية بحث عن الدوافع الخفية الكامنة وراء رؤية كبيرة تشمل العالم ، كما يكون هذا الحوار تأكيدا لهذه الدوافع بصيغتها الاكثر تجذرا في نزوعه الخلاق هذا . .

*** في جميع ما كتبت ـ رواية وقصة ونقدا ـ أجدك لصيقا بذلك المفهوم الذى تكرس على نحو مدهش في الفترة التي تكونت فيها ثقافيا (إبان الثلاثينيات والأربعينيات) ، حيث نجد الأسبقية تعطى للتجربة الشخصية ، وللظواهر كما يتم تحديدها وتعيينها ، وللشخصيات من خلال ما تؤكده فيها من ظواهر متفردة . .**

ـ أحسبك تقصد المفهوم الذى تكرس لدى أنا على نحو مدهش في الفترة التى تكونت فيها ثقافيا ـ فتكون قد وضعت اصبعك على أمر مهم من حياتي الفكرية .. الفترة الممتدة من أواسط الثلاثينيات (حين بدأت أقرأ بنهم ، وبوعي حاد) حتى أواخر الاربعينيات تجوهرت فيها مواقفي من الحياة والابداع معا . ولئن كنت أعطي الأسبقية ، كما تقول ، للتجربة الشخصية (وهذا أمر أكابر فيه وأعاند حتى اليوم) ، فانني أعني بالتجربة دلالاتها الغزيرة كلها :

امتداداتها فى الداخل ، في الماضي ، في النفس ، في الذهن ، رنينها المتواصل ، اشعاعاتها الغامضة والضاربة في كل اتجاه . والظواهر التي تذكرها لا يتم تحديدها وتعيينها نهائيا أبدا : انها عندى أقنعة ووجوه معا ، حقائق وأخيلة . انها ظواهر وخواف في وقت واحد ـ ممتعة ، رهيبة ، مثيرة ، ماحقة ، تدلل وتضلل معا . والشخصيات ، بظواهرها المتفردة ، هي بالضبط مجموع هذه التناقضات المتعايشة التى تصوغ الانسان على ما هو كل يوم ـ تقتلعه ، تغيره ، تعطيه معانيه ونبله وحماقاته وجنونياته ، وضروبا من النضج يستفيد منها أو لا يستفيد .. ولكنها لا تنهى قلقه وحيرته ، ولا تبلغ بمشكلاته أي حل نهائي .

*** بهذا المعنى ، هل أستطيع القول انك « كاتب واقعي » ؟**

ـ « كاتب واقعي » ؟ لست أدرى . هل أنا كاتب واقعي ؟ هل كتابتي عقلانية الى هذا الحد ؟ على كل ، أنا لا أميل الى هذا التصنيف العتيق الذى ينتمي الى قرن مضى من النقد . انظر كيف يعبث روائي مثل « غوستاف فلوبير » بالتصنيف عندما يكتب (مدام بوفارى) على نحو يتيح للنقاد ان يسموه (واقعيا) ، ويكتب كذلك رواية (سالامبو) التى تتفجر بشظايا اللغة والتاريخ والشهوات الرومانسية المستحيلة ، ويكتب باسترسال عبر السنين (غوايات القديس انطوان) بشاعرية مذهلة . والبارز فيها كلها ، في النهاية ، هو شخصيته المضطربة ، الملتاعة ، الممزقة بين ضرورات الفن والكلمة ، ومحظورات التجربة اللذيذة العاتية . . .

الرواية والتاريخ صورتان للزمن

*** وما الذى تريد أن تمنحنا اياه ـ نحن المتلقين ـ من مستوى تاريخي من خلال روايتك ؟**

ـ أنا لا أريد من خلال رواياتي أن أمنح أحدا أي مستوى تاريخي .. بل لعلني أريد الانطلاق من نقطة تماس مع التاريخ نحوما لن تدونه كتب التاريخ . فاذا كان هناك أى تماس بين التاريخ وبين ما أكتب من رواية ، فهو في احتمال أن تكون الروايات تاريخا ، ولكنه « تاريخ » لاعماق أخرى من الزمن غير التى تهم المؤرخين ..

انك تذكرني بقول لأندريه جيد : « التاريخ رواية أحداث وقعت ، والرواية تاريخ أحداث كان يمكن أن تقع » . يجب أن لا نخلط بين الاثنين ، ولكن لعل ثمة صلة بينهما : ربما هما صورتان للزمن لا تتطابقان ، ولكنهما تتكاملان . والتاريخ ليس هو الذى يعنيني في كتابة الرواية . فأنا ، إن كنت أريد شيئا ، أو إن كان لا بد لي من أن أريد شيئا للمتلقين في قراءتي ، فهو إدخالهم معي في المتاهة ، متاهة الزمن ومتاهة البشر .

هل للمتاهة « مستوى » تاريخي بالمعنى الذى تقصد إليه ؟ ربما كانت هي المستوى الخفي للتاريخ . انها عصور الانسانية جمعاء منذ أن حكم على آدم بأن يضرب في الفيافي ليأكل خبزه بعرق جبينه ، ويتمزق ألما وفجيعة لمرأى أحد ولديه يقتل الآخر .

*** وأضيف الى ما قلت : انك تدخلها في تاريخ جديد .. تتماسك فيه أو تنهار .. تحافظ فيه على وضعها فتكرسه أو تلغيه كلية لتبنى وضعا جديدا .**

ـ شخصياتي قد ينطبق عليها قولك هذا ، بمعنى ما . انها تتحرك ضمن اطار زمني محدد ، لنا أن نسميه نوعا من التاريخ ، ولكنها تتحرك أيضا خارج هذا الاطار في اتجاه مطلق ، وهو المهم . والتماسك أو

الانهيار انما هو نتيجة هذا الخروج الارادي . وهي ، بالتأكيد ، لا تكرس أي وضع ، ولا تحافظ عليه : انها في حالة انتقال مستمر . انها تتأمل وتساهم في صيرورتها باتجاه هذا الذي تسميه أنت بالتاريخ الجديد ، ولكنه تاريخ لا تحدده الأشهر والسنون ، وأحداثه تعتمد منطقا يتشبث بخصوصيته . .

الرواية وسيلة استقصاء

● هل أستطيع القول عنك ، من خلال هذا كله ، انك تسعى الى تحقيق منظور تاريخي يكون للانسان العربي فيه وعيه لدوره في الحياة ، ، وادراكه للكيفية التي يحقق فيها تكامله الذاتي وصيرورته ؟

- ربما يكون هذا أقرب الى ما يبدو أنه قد تبلور في رواياتي ، وكذلك في نقدي : الوعي ، دورة الحياة ، فرديا وجماعيا - دوران الأفلاك والأزمان - وكيف يحقق الانسان العربي تكامله الذاتي وصيرورته ؟ لا ريب أنني أتوق الى هذا كله ، ولعله يترقرق كنهر لا ينتهي الى مصب خلال كتاباتي . .

ولكن لا بد من التأكيد أن الرواية دائما وسيلة استقصاء ، وليست بيانا لنتيجة نهائية تحققت . يسير المرء في الظلام في حقل كله ألغام ، واذا اخترق حقل الموت الى الطرف الآخر ، كانت لديه قصة الظلام الذي تربص له فيه ، وتغلب المرء عليه ، لأن صيرورته ما كانت يوما يقينية ، ووعيه لدوره في الحياة لا يعني بالضرورة أنه أتقن هذا الدور وتمكن منه . فالمنظور التاريخي هنا مشظى ، كمن يجد نفسه بين جدران كلها مرايا - وكثير من هذه المرايا مقعر أو محدب . وعلى المرء أن يكافح كفاحا مرا للحفاظ على سلامة عقله وصلابة ارادته . وفي رواياتي حكاية بعض هذا الكفاح .

● وبهذا المعنى لا تكون الرواية عندك « اعادة انتاج » لواقع قائم . .

- طبعا لا . انها ، بالأحرى ، الغاء لواقع قائم .

● وهنا تصبح الشخصيات « رموزا » لحالات ومواقف وأفكار . .

- لا بأس ، ان شئت ذلك . لكنني أريد للشخصيات أن تكون ، أولا وقبل كل شيء ، أشخاصا يقفون على أقدامهم ، ويتطاولون بقاماتهم . أما قيمة شخصياتي كرموز فتأتي حتما ، بالنسبة الى تصوري ، في الدرجة الثانية . وكرموز ، فان الشخصيات يجب أن تبقى بعيدة عن المعنى المحدد ، ومليئة باحتمالات لا تحصى .

● وسياقات المستقبل ؟

- يروق لنا أن نتصور أننا نستبق المستقبل . ولكن علينا أن نتذكر أيضا أن المستقبل اكبر مخادع . . يجعلنا نتوقعه بشكل ما ، ثم يداهمنا بشكل مغاير بالمرة . ومن يقل غير ذلك فانما يفضح جهله بالحياة .

الغربة والبحث عن الخلاص

● لكن ألا تجد شخصيات رواياتك محاصرة بالغربة ؟

- لكنت أكذب على نفسي قبل القارئ لو لم أحسب أن أعظم الدلالات الانسانية الكاشفة هي في هذه الغربة ، سيما في هذا الزمن . والمفارقة هي أن أشد الناس معرفة بزمانهم أشدهم غربة عنه . (راجع أبا الطيب المتنبي) .

● وحتى بحثهم عن الخلاص يكاد يكون « غربة أخرى » .

ـ يبحثون عن الخلاص لأنهم فى غربة . وهل يبحث عن الخلاص الهانىء مع نفسه ، المنسجم مع أيامه ولياليه ؟ والبحث هو الغربة بالذات .

● ومعظمهم محبط ، بالرغم من أن له أحلاما كثيرة وكبيرة . .

ـ معظمهم محبط ؟ ماذا تتوقع منهم أن يكونوا فى عصر كله قمع وقتل ؟ أما أن لهم أحلاما كثيرة وكبيرة ، فهو ما يجعلهم أكبر فى احباطاتهم . بروميثيوس مقيدا على الصخرة الشاهقة محبط ، لكن حلمه العنيد يجعله يتعملق على زيوس نفسه . والغلبة الأخيرة ، لعلها هناك .

● وغلبة بطلك ؟ انه مغلوب ، فى غالب الحالات والمواقف ، وان كان (غالبا) بصموده الذاتى .

ـ صموده ، عناده ، سيره الدائم فى الاتجاه الذى لا يتوقعه الآخرون : كلها دلالات غلبة روحية ، قد لا يقرها « الواقع » المؤله ، ولكنه لا يستطيع النيل منها . اذن لعله يتحرك على الصعيد التراجيدى ، شئنا أو لم نشأ .

الفن سيطرة على الواقع

● هنا دعنا نحدد موقفا من اشكالية تطرح نفسها فى هذا المجال ، تتعلق بهذا الموقف من جانب ، وبطبيعة الفن من جانب اخر : فالفن ليس عملية فرار من الواقع ، بل هو سيطرة عليه ، وتكييف له ، وحافز على التغلب على ما يطرح من مشاكل . فعلى أى نحو تتعامل أنت مع هذا الاشكال ؟

ـ انه فعلا سيطرة على الواقع . ولذا فهو دائما يسبق الواقع بخطوتين ، ان لم يكن بعشر خطوات . وطريقتى فى التعامل مع هذا الاشكال هى أن أبقى على ايمانى بالفن ، وقدرته المحيية ازاء طاقات الواقع المميتة . الفن هو مفتاح كينونة تخترق الاشكالات كلها ، والا لما بقي من آثار الحضارات العظمى شىء

ينبىء عن عظمة الانسانية وبقائها فى عالم من الفناء المستمر .

● اذا كان أحد أبطال « دوستويفسكي » قد وجد نفسه يقول : (جئت هذا العالم كي أختلف معه) . فماذا يقول بطلك أنت وهو يواجه هذا العالم ؟

ـ يبقى « ايفان كارامازوف » أبرع وأذكى من أبطالنا كلنا ، نحن الروائيين . ما الذى تظن أن بطلي سوف يقوله بعد هذا الحديث كله عن الاحباط ،والغربة ، والمتاهة ،والحلم ؟ ولكن بطلي ربما كان فيه أيضا شىء من نقاوة « اليوشاكارامازوف » وقدسيته وحبه . وقوله لا بد أن يعكس بعضا من ذلك أيضا . فهو قد يقول انه جاء هذا العالم لكي يختلف معه ، ولكنه استخلص منه بعض روعته ، يحمله وهجا في قلبه أينما ذهب .

● وهل هذا هو التعبير عن موقفك ذاته ؟ هل هو ما تقوله أنت ؟

ـ ما أقوله أنا ؟ لا عليك مني ! انما هذا ما يقوله ويفعله بطلي الروائى .

● بهذا المعنى ، ومن هذه الآفاق التى تطل منها فى كتاباتك ، هل تعتبر نفسك شاهدا على عصرك ؟

ـ ماذا تظن أنت ؟ فيم هذه الكتابات كلها اذن ؟ ولو أن المرء لا يكفيه أن يكون شاهدا .

الحياد ضرب من الشلل

● وأنت لم تكن شاهدا محايدا ، بل كنت منحازا على الدوام الى قضيتك .. الى فكرتك عن الحياة والناس والأشياء .. والى حلمك . . .

ـ لكان الحياد في الشهادة ضربا من الشلل . . . ولكن المرء ، مع هذا كله ، لا يكفيه أن يكون شاهدا . عليه أن يكون نذيرا أيضا . . . وهنا تدخل قضية الابداع ذلك المجال الذي يتميز بنفاذ البصيرة : حيث يصبح المبدع رائيا ، تفصح كلماته عما أكثر بكثير من منطوقها . . .

● ومن هنا ما في رواياتك من طاقة شعرية ، بل ومن لغة شعرية .. كلتاهما منسوجة في قماشة عالمك الروائي ؟

ـ ربما . فالطاقة الشعرية هي دائما ميزة الرائي والنذير ، بقدر ما هي ميزة العاشق حين تصبح النار التي تجتاحه لهيبا صافيا : انه يحترق ، ولكنه يضيء الدنيا .

● وبجانب هذه الشعرية هناك مواقف فكرية ، ووجهات نظر في مختلف القضايا : من الفن ، الى الانسان ، الى الحياة بشتى تجاربها . حتى ليجدك القاريء مطروحا في رواياتك بكل مالك من أبعاد فكرية . .

ـ هذا ما أردت لرواياتي أن تكون منذ أول سطر كتبته ، وأنا في مراهقتي . ولم أنثن عن ارادتي تلك حتى اليوم ، وهي التي توحي الي بأن ثمة الكثير ما زال ينتظر أن يقال . ومادام الليل والنهار يتعاقبان على الانسان فهما كفيلان بأن ينشرا في طريقه التجارب والغوايات ، مشبعة بالأفكار والمشاعر بكل تناقضاتها ، وبأشكال تتغير دوما وتتحدى قدرته وحنكته وخياله . ان السير في حقول الألغام مستمر . ولكن بين الحقل والحقل هناك حكاية أخرى لا بد أن تروى . □

مع الوحدة والظلام

عندما فقد الموسيقار جوهان باخ بصره جلس يسجل وصفا لحياته في الظلام ، قال : « كانت زقزقة العصافير في الفجر هي الشيء الوحيد الذي يذكرني بأن الظلام قد انقشع ، كنت أقوم من سريري وأتجه الى نافذة غرفة نومي ، وأقف وراءها فأحس بدفء الشمس وهي تتسلل في رفق ، حيث كنت أقضي أيامي مع الوحدة والظلام . وكان الشيء الوحيد الذي يذكرني بأنني ما زلت حيا هو صوت موسيقاي ، فقد كنت أشعر كلما سمعت نغما جميلا أن أبواب السماء تفتح لي ذراعيها ، وكأنها تدعوني الى الخلاص من الألم الذي أعيش فيه . »

وتر العروبة
في قلب شاعر

في شهر نوفمبر ١٩٨٤ (تشرين الثاني) فقدت الكويت ، ودوحة الشعر في الوطن العربي شاعرا أثرى ديوان الشعر العربي بالكثير من القصائد التي حملت هموم الانسان وعبرت عنها محليا وعربيا وعالميا .

انه الشاعر الكويتي

عبد الله سنان :

ولد الشاعر سنة ١٩١٧ في الكويت ، عمل بالتدريس في شبابه ، ثم عمل في عدة اعمال وسافر الى الهند وعمل هناك حوالى ٤ سنوات . ثم عاد الى الكويت وعمل في دوائر الحكومة ووزاراتها ، وآخر وظيفة شغلها كانت مديرا لادارة الشؤون الادارية في وزارة الاوقاف .

- عضو مؤسس في رابطة الادباء بالكويت ومثّلها في عدة مؤتمرات أدبية عربية وغير عربية . صدرت له الدواوين التالية :

- نفحات الخليج صدر سنة ١٩٦٤ . ثم أصدر ما كتبه في الشعر في أربعة أجزاء تحت عنوان عام هو (نفحات الخليج) وهي :

١ - الجزء الاول بعنوان (البواكير) صدر سنة ١٩٨٣ .

٢ - الجزء الثاني بعنوان (الله - الوطن) صدر سنة ١٩٨٣ .

٣ - الجزء الثالث بعنوان (الانسان) صدر سنة ١٩٨٣ .

٤ - الجزء الرابع بعنوان (الشعر الضاحك) وفيه المسرحية الشعرية (عمر وسمر) وصدر سنة ١٩٨٣ .

وصدر كتاب عنه بعنوان (عبد الله سنان) - دراسة ومختارات - للاستاذ خالد سعود الزيد والدكتور عبد الله العتيبي .

الى روح الشاعر عبد الله سنان الذي توفي يوم الأحد في ١١ صفر ١٤٠٥ هـ، الموافق ٤/١١/١٩٨٤ م

لقاء عند حرف محلّق

شعر : خالد سعود الزيد

يا ابنَ ودّي تحيةً ... من فؤادٍ مُخَرَّقِ
مَزَّقَتْ شملَهُ النوى ... يا لَهُ من مُمَزَّقِ
كلما قال: هذه ... دارُها لم يُوَفَّقِ
غَصَّهُ البينُ بالذي ... كان يهوى ويَنْتقي
لم تَعُدْ دارُها كما ... صانها قلبُهُ التقي
دُنِّسَتْها قَضيَّةٌ ... جُمِّحَتْ بالذي بقي
يا أبا خالدٍ متى ... نلتقي؟ هل سنلتقي؟
حَدَّثتني نُبُوءةٌ ... من عليمٍ مُحقِّقِ
اننا سوف نلتقي ... عند حرفٍ مُحلِّقِ
يَنْتقي من منابعٍ ... لم تُشَبْ بالتَّملُّقِ
جادكَ الغيثُ ما مَضى ... يا أبا كلِّ مُشْرقِ
يا أبا خالدٍ وما ... يُسْعِفُ اليومَ مَنْطقي
يا سراجًا لسالكٍ ... مُتْعَبِ الخطوِ مُرْهَقِ
يا خُطًا زانها التقى ... يا فكاكًا لِموثَقِ
هل تذكّرتَ صاحبي ... بعضَ ما كان أو بقي
ذكرياتٌ قديمةٌ ... قد جلاها تَدَفُّقي

جمعتنا سماؤها — عند نار (المحلّق)
نرتدي ثوب (جرول) — مرةً و (الفرزدق)
نسحب الدرب بسمة — بالمنى لم تعوّق
يوم كأسي بمزاجها — منك بالحب تنتقي
نتعاطى حديثها — بين (بُصرى) (وجلّق)
وترانا على غدٍ — مثلها في (المحرّق)
ذكرياتٌ عتيقةٌ — مثل خمرٍ معتّق
كلما قلتُ: هاتها — قال: خذْ غير مُوثق
نتهادى قلائدا — كالنثير المنمّق
في طريقٍ مليئةٍ — بالوفاء الموثّق
هل تذكرت صاحبي — بعض ما كان أو بقي
كم حديثٍ وصلته — بحديثٍ مُرقّق
وقديمٍ سكبتَهُ — في وشاحٍ مُزوّق
وجنيٍّ من المنى — بابُهُ غير مغلق
تنثرُ الودّ سائغاً — كالشراب المصفّق
يا أبا خالد لقد — آن فجر التألّق
يا طليقاً موفقاً — لم يَغذْ بالمطوّق
قل لرضوان حاجةً — من فؤادٍ مؤرّق
هل لنا من بقيةٍ — نحتسيها ونتقي؟
أيها الراحل الذي — موتُهُ لم يُصدّق
لو تأنيتَ لحظةً — قبل يوم التفرق
لمُعنّى نأى به — دهرُهُ غير مُشفق
ولذي حاجةٍ سعى — سعيُهُ لم يُوفّق
ولأخرى تركتَها — للأسى والتمزق
ما عهدنا أخا الندى — مُطرقاً أيّ مُطرق
عصفَ البينُ بالمنى — وهوى كلُّ مُورق
وانتهت بي شجونُها — عند حرّان مُحنق
لم يجدْ صوتَ خافقي — غيرَ وقعٍ مؤرّق
يتمنى فراقنا — مثل بَينٍ مفرّق
تتبارى سواكباً — أدمعي شأنَ مُملق
لم أبحها لشاربٍ — قبله لم تُفتّق
كلما قلتُ: حسبُها — أرسلتْ صوتَ مُصعق
فدعوها فإنها — أُمرتْ من مُحلّق

القضية القومية في تجربة عبد الله سنان الشعرية

بقلم : الدكتور عبد الله العتيبي

وهب حياته للشعر ، ووهب شعره لأمته العربية الكبيرة ، ولوطنه الصغير الكويت ، فكان شعره بحق وثيقة حية ، وذاكرة واعية لقضايا أمته ووطنه .

رحم الله تعالى صديقنا الشاعر الكبير عبد الله سنان المحمد فقد كانت تجربته الشعرية غزيرة متعددة الأغراض ، مختلفة الاتجاهات

لقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ وترا مشدودا على قيثارة أمته ، وربابة وطنه ، يهتز بكل طرب لفرحها ، ويرتجف بكل غضب الشرفاء لمحنتها ، فكان لا بد لمثل هذه التجربة الابداعية المغموسة في بحر التدفق الوجداني العربي أن تكون لنا نحن جيل الستينيات من هذا القرن بمثابة المنشورات القومية التي تستقطب كل مشاعرنا وتطلعاتنا ومواقفنا المنفعلة ، وتكون بمثابة التطهير ، وعودة التوازن في فترة تأرجحت فيها كل الأشياء أمامنا تقريبا ، ان لتجربة صديقنا عبد الله سنان الابداعية سمة خاصة ، تأتت لها بحكم مجموعة من الظروف الاجتماعية والثقافية ، أقتربت بها الى حدود التجربة الشعبية من حيث التناول والطرح وطبيعة المعالجة[1] .

الشعبية والقومية

ولا بد لنا ونحن بصدد تلمس الملامح القومية في تجربة صديقنا المرحوم الشاعر (عبد الله سنان) من الوقوف عند بعض الحقائق والملاحظات المهمة ، التي تشكل خلفية هذه التجربة الشعرية بملامحها العربية وانتمائها القومي ، والتي سوف نجملها بما يلي :ـ

(أ) ان الانصهار الكلي في الذات الاقليمية بخصائصها المحلية ، وطابعها الشعبي ،

١ ـ أنظر دراستنا في كتاب الشاعر عبد الله سنان المحمد / دراسة ومختارات .

والاستسلام العفوي لتيار مشاكلها بصيغته الخاصة[٢] ، لم يستطع أن يمنع الشاعر من الانطلاق في الآفاق القومية ، والانعتاق في ذاتها العامة ، وقضاياها الكلية،والتحرك فوق هذه الأرضية العربية ، وفق معطيات احساس فطري ، وايمان عفوي ، بواقع وحقيقة الانتماء القومي .

(ب) ملاحظة طبيعة التناول والمعالجة ، بسماتها الشعبية من حيث بساطة الطرح وسرعة الاستجابة ، وانفعاليتها ، ومدى حماسها وحساسيتها المتفجرة عند تناول قضايا التحرر القومي والانساني .

وخير مدخل لتلمس ملامح هذا الاتجاه القومي ، هي تلك المشاركة الحميمة الصادقة للانسان العربي في محنه ومآسيه ، ففي قصيدة (الفجيعة) يتجلى تفاعل الشاعر ومشاركته الوجدانية الى درجة الانصهار الكلي في مشاعر أشقائه السوريين ، في حادث الحريق الذي راح ضحيته عدد كبير من الأطفال الأبرياء :

لا تسلني عن الفجيعة فالخطـ
ـب جليل يسيء وجه النهار
ان وقع المصاب في كل قلب
مثل وقع المهند البتّار

فاذا كانت الفجيعة بظلالها الانسانية ، قد شدت وتر التعاطف والمشاركة في قلب الشاعر ، فان هذا الوتر المشدود ، يزداد حساسية وانفعالا وتأثرا ، حين تفرز الظروف العربية صورا جلية ، لنوعية الضغوط والممارسات المحيطة لعناصر الرفض والتمرد على الواقع السيء المفروض على الانسان العربي كما في قصيدة (الجور الصارخ) التي قدمها الشاعر باهداء الى (الذين يحرقون أنفسهم لينيروا لنا الطريق) والتي يقول مطلعها :

لا ضير فالنفي والتقتيل لم يهن
فقدم الروح قربانا الى الوطن

والتي يقول فيها :

واصل جهادك لا تثنيك حادثة
مرّت عليك مرور الريح بالغصن

وابسم فديتك فالأحرار دأبهم
أن يبسموا للرزايا السود والإحن
لا تبلغن العلا الا بتضحية
والروح أبسط ما قدمت من ثمن

ويظل وتر العروبة مشدودا في قلب الشاعر ، تهزه الى درجة التوتر احداث أمته العربية التي تفجرت نيران ثورتها التحررية في معظم أقطارها في صحوة قومية رائعة ، كشفت مضمرات الهمجية وممارساتها في سلوك أعداء الأمة ، وعرّت نواياهم البربرية من مسوح التحضر والمدنية ، ففي قصيدة (جميلة بوحريد) نلاحظ توجه الشاعر الى صميم مجتمعه مناشدا جماهيره ـ الى حتمية المشاركة الايجابية للمناضلين من ثواره ، وهم في مواجهتهم المستمرة لقوى الظلم والظلام ـ مشاركة المتوحد مصيريا ونضاليا .

الطرح العفوي

التوجه بالدعوة ـ الى المشاركة الجماعية ، والارتباط المصيري ، بين القواعد الشعبية وثوارها المناضلين ـ بلغة بسيطة ، وطرح عفوي ، يتلاءم وعفوية وبساطة الايمان العميق للانسان العربي بقضاياه القومية المصيرية ، هذه العفوية والبساطة في الطرح ، وأسلوب المعالجة ، سمة واضحة في تجربة الشاعر القومية ، سمة تتفق ومنهج هذا اللون من الشعر العربي بسيماه الشعبية ، وطرحه المباشر البسيط ، والمعالجة الحميمة ، ودرجة الانفعال وصراحته .

وهذا ما نجده أيضا في قصيدة (تبرع أخي) التي حدد بها الشاعر بكل وضوح ، توجهه بالدعوة الى حتمية المشاركة النضالية لكل أفراد الأمة :

تبرع لمصر أخي بالدم
فان لم يكنه فبالدرهم
فان لم يكنه فما استطعت
فانت من الأجر لم تحرم

---

٢ ـ لقد شكل الاتجاه الاجتماعي جزءا كبيرا من تجربة السنان الشعرية ، أنظر المرجع السابق .

فهذه الدعوة المخلصة، التي شحذت كل عوامل المشاركة الجماعية، بما فيها العامل الديني - بكل ايحائه بعمق الايمان بعدالة القضية - قد وضعت الانسان العربي أمام حقيقة هذا الصراع :

أخي العربي اذا لم تهب
الى دعوة الحق، لم تسلم

ولم تقتصر دعوة الشاعر الى المشاركة الجماعية، في قضايا الأمة، وممارساتها النضالية، على مستوى المواجهة المباشرة مع الأعداء، بل اننا نجد هذه الدعوة تتعلق بكل مظهر من مظاهر الوحدة العربية، وبكل رمز من رموزها كمقوم أساسي ومهم من مقومات انتصارها النهائي في شتى مجالات صراعها .

ففي يوم احتفال الشعب العربي المصري، بعيد ثورته الثامن، نجد شاعرنا قد تلفع بكل المشاعر القومية وراح يرفع رايات العيد، ويبارك الاحتفال بهذا الحدث العربي الكبير، الذي أطلق عليه الشاعر اسم (عيد الأمة) في قصيدة (أمتي في عيدها الثامن) التي حفلت بكل توهج الحس القومي، حين يتجاوز محاذير الواقع السياسي السلبي لبعض الأقطار العربية :

قف بالرئيس وهنئه (بلا رعب)
عن الخليج ومن فيه من العرب
عن الخليج وأبناء الخليج ومن
لو استطاعوا أتوا حبوا على الركب
المضمرون له بين الضلوع هوى
لو كان في الشمس لانصبت الى نصب

العروبة

وبكل هذا الحس القومي المتوهج، وبكل عوامل الوحدة، ووشائجها، نرى توجه الشاعر الى قطر عربي شقيق هو (البحرين) وتوجه الشاعر الى البحرين بالذات، يكتسب أهمية قصوى، وينم عن موقف بالغ الخطورة والأهمية، على ضوء ما نعرفه عن طبيعة الظروف والملابسات السياسية والدولية، التي بلغت التشكيك في عروبة البحرين .

ففي ضوء هذه الظروف والملابسات تكمن أهمية وقيمة هذا الموقف العربي للشاعر، وتأتي فاعلية هذا التأكيد على عروبة البحرين، ورفض كل أسباب الادعاء، التي ترمي الى سلبها وجهها العربي الأصيل :

قوم هم العرب الذين سمت بهم
همم، وتجتاز السماك تفوقا
فبلادهم بلد لنا، وبلادنا
بلد لهم، مفتوحة لن تغلقا
اهلوهم نحن، وهم أهل لنا
صنوان في البلدين لن يتفرقا
هذي الوشائج اصبحت محبوكة
من بيننا حبكا وفيها الملتقى
وعلى صعيد المجد سوف يضمنا
وطن العروبة والعلا فالى اللقا

فاذا كانت الظروف والأحداث السياسية والدولية، قد حدت بالشاعر الى تحديد وقفة خاصة للبحرين، فان ايمانه بالعروبة ومصير أبنائها المشترك وخاصة في أقطار الخليج العربي المحاط بالمخاطر، والمحفوف بالأهواء والأطماع الاستعمارية، بقدر ما في أراضيها من طاقة، وما في تاريخها من أصالة وعراقة، نجد في قصيدة (نفحات الخليج) تسجيلا وافيا، لكل بؤر التخلف التي خلفها وعمق جرحها المستعمرون .

صاح ان الخليج قد ناء بالأعـ
باء واستوغلت به الهمجية
أخروه الى الوراء، وبثوا الـ
فقر والجهل فيه والأمية
ألبسوه لباس جوع وخوف
وأذاقوه ذلة أبدية
وسعوا بين ساكنيه لبث الـ
نعرات الخبيثة الوحشية
شافعي هذا وذاك قبيلي
وهذا يدين بالزيدية
غرز القط نابه وغدا بالـ
مخلب الشرس يشجب القومية

ان هذا الايمان الراسخ بحتمية النصر الذي لاحت بشائره الذهبية، على حد تعبير الشاعر، المتمثلة في

تلك الثورات العربية في بعض الأقطار العربية ، هو الذي قاد الشاعر الى هذا الموقف المتفائل عن اقتناع من جهة ، وعن عمد وقصد من ناحية ثانية ، وذلك خشية من الشاعر فيما قد تكون تركته صورة الواقع السيء للشعب العربي في الخليج ، من أثر سلبي ، باليأس والقنوط عند بعض أفراد المجتمع ، فغدا يؤكد حتمية النصر ، رغم الواقع السيء لعرب الخليج الذي قد يغري الاستعمار ورموزه في المنطقة ، في ممارسة دورهم ، تأسيا على اعتقادهم باستمرار الواقع على ما هو عليه من ظروف تتيح لهم الممارسة والتحرك :

أيها الطامعون بالأرض ،
أرض العروبة الأزلية
ليس فيها قيد أصبع لنفوذ الـ
ـمعتدى أو مناطق عسكرية
يا ضفاف الخليج حرمتك الـلـ
ـه على المستبد ذي العنجهية

أبعاد أخرى

وبكل توهج الضمير الشعبي ، ومنطقه البسيط في التعبير والمعالجة ، نرى الشاعر قد كلل مشاعره بحزن الجماهير العربية ـ التي هزتها نكبة تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ حتى صميم الصميم من كبريائها التاريخية والحضارية ، والى ذروة الذروة من تطلعاتها القومية والانسانية ، فكانت قصيدة (فواخجلتاه) التي تجردت فيها المشاعر العربية الغاضبة الحزينة ، من وسائل الشعر واللغة وفنيتها ، الا في حدود ما يسمح لها بالانطلاق والتعبير :

أليس من العار أن ندّعى
بأنا بنو العرب أو ننتسب ؟!
ونحن نغط بنوم عميق
نسينا به ما دنا واقترب
فواخجلتاه وواأسفاه
وقد داهم الخطر المرتقب

ولم تكن هموم الأمة العربية ، هي قضية الشاعر وهمه المستمر وحسب ، ولكن هموم الانسان في كل مكان من العالم ، ونضاله وقضايا تحرره ، وتحريره ، قد وجدت مساحة كبيرة في وتر الشاعر المشدود ـ دائما ـ على انغام الحرية والخلاص ، والثورة ، ومعاني هذه القضايا ورموزها الممثلة في القادة والمناضلين .

وهكذا جاءت قصيدة (لومومبا) هذا الزعيم الأفريقي القتيل ، الواعد بجمع شمل أفريقيا وخلاصها ، والذي لم يزعزع اغتياله ايمان الشاعر والشعب الأفريقي بحتمية الانتصار الحاسم لأصحاب القضية :

الشعب آلى أن يهُبّا
وعلى الطغاة يشن حربا
لا تحسبن الطامع الغدّا
ر يحسوا الكأس عذبا
الشعب ثار وراح يشـ
ـهر في وجوه البغي غضبا
آلى على أن يشجب الـ
وجه الدخيل هناك شجبا
لا لم يمت (بتريس لو
مومبا) وكلهم لومومبا

وهكذا يظل وتر الحس القومي الثائر مشدودا في قلب الشاعر ، يعزف في كل المناسبات وبمختلف صيغ المعالجة ، لقضايا أمته العربية ، تارة يحتشد مباركا صلابة صمودها كما في قصيدة (بورسعيد) وطورا بكل عفوية الجماهير ، وصدق حدسها ، يلعن رموز الاستعمار وممارساتها المشبوهة كما في قصيدة (انجلترا) وقصيدة (العدو الأول) وحتى في المناسبات الدينية مثل ذكرى الرسول الكريم ، فإنه جعل منها مجالا لتلمس الانتصار وأسبابه ، ومثالا لعمق تاريخنا النضالي في سبيل تأصيل المبادىء والقيم الانسانية ، وقوة الصمود وأصالته المستمدة من قوة الايمان وقيم الدين الاسلامي العظيم ، واستلهام معاني القوة ومناط التأسي من مسيرته الكبرى في سبيل خلاص الانسان على هذه الأرض .

ومن هذا كله يتضح لنا توجه الشاعر القومي الملتزم مصيريا ، بمجموع المبادىء والقيم التي تشكل جوهر القضية □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ب

بروليتاريا

يستخدم تعبير بروليتاريا لوصف الطبقات الدنيا والبائسة والمعدمة في المجتمع ، تلك « الطبقات التي لا تملك شيئا ولا تستطيع أن تستمر في الحياة الا بقوة عملها » .

والكلمة مشتقة تاريخيا من تعبير قانوني روماني قديم ، فقد كان المجتمع الروماني القديم مقسماً الى ست طبقات ، كانت الطبقة السادسة والأخيرة هي فئة البروليتاريا وكانت هذه الطبقة معفاة من الضرائب وليست لها أي صفة في المجتمع ولا ينظر اليها كمصدر فائدة الا لانجاب الاطفال ليتحولوا بعد ذلك الى عبيد وجنود .

وفي أوائل القرن التاسع عشر استخدم المفكر الفرنسي سان سيمون * (١٧٦٠ - ١٨٢٥) تعبير البروليتاريا لكي يصف الذين لايملكون أي نصيب من الثروة العامة ولايحظون بأي ضمانة من ضمانات الحياة،فهم « طبقة بلا ماض وبلا مستقبل أيضا » .

الا أن التطور في مفهوم التعبير واتساع معناه وشيوعه على ماهو متعارف عليه الآن في العلوم الاقتصادية والسياسية فقد تم على يد كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) فقد عرف ماركس طبقة البروليتاريا بأنها الطبقة التي تتحمل كل أعباء المجتمع دون أن تنال أي ميزة من ميزات المجتمع ، وهي طبقة لاتعيش الا بقدر ماتجد عملا وبالتالي فاصحابها نتيجة اضطرارهم الى بيع قوة عملهم يصبحون سلعة شبيهة بأي سلعة أخرى تخضع الى كل قوانين السوق من مزاحمة ، وتقلبات ومساومة وعرض وطلب . .)

ومن هنا فان البروليتاريا في رأي ماركس تمثل الضياع الكامل للانسان ، هذا الضياع الذي لايمكن تعويضه الا بأن يكتسب الانسان نفسه بأن يتحول الى قوة مناهضة للطبقات الأخرى وهذا هو دورها كما تخيله بعض المفكرين في الحجم الذي تتواجد فيه

ومع استخدام التعبير وتعقد شكل الحياة الاقتصادية والاجتماعية اشتق منه تعبير آخر ليصف طبقة اكثر دونية وهو تعبير (البروليتاريا الدنيا أو الرثة)وهي تلك الفئة التي تنشأ على هامش الأعمال الاقتصادية وتقوم بأعمال صغيرة مثل مسح الأحذية وخدمة المنازل وجمع اعقاب السجائر . . الخ ، ويستخدم الماركسيون تعبير البروليتاريا الدنيا لوصف هذه الفئات التي في رأيهم يصعب اكتسابها الوعي البروليتاري المناضل .

---

*من أوائل من بشر بالاشتراكية الخيالية ، ودعا الى عالم جديد ، تنبأ فيه بوضع جديد للعمال حيث أن مستقبل العالم في الصناعة ، ويذهب انصاره الى انه هو اول داعية لانشاء علم الاجتماع وليس سكرتيره « أوجست كونت » ، الا ان أخطر ما قدمه للفكر الانساني هو نظرته للتاريخ ومن مؤلفاته : رسائل من أحد سكان جنيف الى معاصريه ، في النظام الصناعي ، محاولات في تنظيم المجتمع ، المسيحية الجديدة .

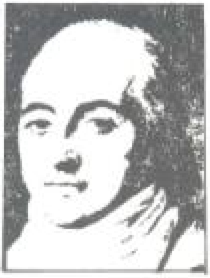

سان سيمون

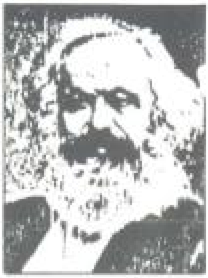

كارل ماركس

وليس بالضرورة أن توجد البروليتاريا في كل المجتمعات ولكن المفهوم ذاته يستخدم اليوم في العلوم الاجتماعية بكثرة ويعني في بعض الأوقات معاني غير متطابقة .

ورغم ان المفهوم أجنبي الا انه يستخدم كثيرا في الكتابات العربية .

رغم أن ظروف المجتمعات العربية تختلف كثيرا عن المجتمعات التي ظهر فيها هذا المفهوم ولذا فإن بعض الكتابات العربية تفضل إطلاق تعبير « الطبقة العاملة » على الطبقات التي تقوم بعبء العملية الانتاجية في المجتمع العربي . □

بورجوازية

طبقة اجتماعية ترمز الى فئات التجار وأصحاب الأعمال والمعنيين بالاشراف على شئون الصناعة والتجارة وأصحاب المحلات العامة ، وارتبطت الكلمة تاريخيا بالمدن والقرى الكبيرة ذات الاسواق التجارية ، ووفق التفسير المادي للتاريخ والذي يقسم مراحل تطور التاريخ الانساني الى مراحل هي مرحلة المشاع ، مرحلة الرق والعبودية ، مرحلة الاقطاع ، مرحلة البرجوازية ، مرحلة الاشتراكية ، فان المجتمع البرجوازي قد قام على انقاض المجتمع الاقطاعي ، وازدياد التجارة الدولية بين الشرق والغرب على اثر الحروب الصليبية ، وصاحب نشوء المجتمع البرجوازي ظهور العصر الصناعي فازدادت قوة البرجوازيين الذين تملكوا مصادر الثروة العقارية والزراعية والصناعية .

وبينما تسوي النظرية الماركسية بين البرجوازي والرأسمالي اذ تعتبر كليهما خارج الطبقة العاملة ، ومستغلا لجهدها وطاقاتها ، يرى الاشتراكيون أن النظام البرجوازي يحمل بذور فنائه داخله فحيث أن البرجوازيين يسعون الى زيادة ثروتهم فانهم في نفس الوقت يزيدون من اتساع قاعدة الطبقة العاملة ، وتصبح بالتالي كل مفاتيح القوة الانتاجية في يدها ، ومع الوعي الذي يتكون لدى الطبقة العاملة نتيجة لتناقضات البرجوازية فان هذين العاملين : تكثيف الثروة من جهة ، والوعي من جهة أخرى ، سيؤديان الى الثورة الشعبية .

واتسع نطاق المصطلح وأصبح هناك ما يعرف بالبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية ، فالبرجوازية الصغيرة تعني الشريحة الدنيا من طبقة البرجوازية وتضم صغار الفلاحين وصغار التجار وأصحاب الحرف

والبرجوازية الوطنية هي الشريحة الوسطى من الطبقة البرجوازية وهي تأخذ موقفا متقدما في دول العالم الثالث بتحالفها مع الطبقة العاملة وتأييدها لسياسات الاستقلال الاقتصادي ورفض التبعية . □

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

شاعر يرثي نفسه

مالك بن الريب التميمي

هذه أبيات من قصيدة لمالك بن الريب المازني التميمي ، وهوشاعر نشأ في بادية بني تميم قرب البصرة ، وكان شابا قوي الحيوية بدليل ايمانه بنفسه واعتداده بشخصيته كما ترى في بعض خبره . آلمه انتشار الفقر حوله ، فإن ولاة الأمر في الدولة ـ بعد عهد الخلفاء الراشدين ـ أقبلوا على جمع أسباب الثروة والسلطة والتنعم بها ، وأهملوا ضعاف الرعية ولا سيما أهل البادية أو البوادي ، فانتشر فيها الفقر واضطرب الأمن ، وعاد حالها الى نحو ماكانت عليه في الجاهلية ، من اغارة بعض قبائلها على بعض ، وظهور العصابات لقطع الطريق بعيدا عن مراكز السلطة ، ومن هؤلاء كان مالك وعصابته .

وحدث في عهد دولة معاوية بن أبي سفيان أن أراد البيعة لابنه يزيد ، وكان ممن كره هذه البيعة من أعيان بيته الأموي سعيد بن عثمان بن عفان الذي كان يرى انه اذا كانت هناك بيعة بولاية عهد ، فهو أحق بها لان أباه عثمان بن عفان كان أيضا خليفة من قبل ، وله فضل كبير على معاوية في رفع مكانته وتوطيد سلطانه ، فحاول معاوية ارضاءه أو اسكاته بأن عينه واليا على خراسان بعيدا وأرسله على رأس جيش للفتح هناك شرقا .

ولما سمع في طريقه الى هناك بأخبار مالك وعصابته استدعاهم اليه ، فهرب بعضهم ، وأجابه مالك ، فلما لقيه دعاه أن يتوب ويصحبه فرضي ، ولكنه لما عرض عليه أن يكون سائس خيله رفض هذا المنصب الذي عده غير لائق به في كفايته لما هو أفضل ، وأبى الا أن يكون في المحاربين ، فوافق سعيد ، وقبل أن يخرج الجيش من خراسان راجعا مرض مالك ، قيل : لأنه أراد لبس خفه فلدغته حية كانت مختبئة فيه .

ومالك في هذه القصيدة يألم لموته بعيدا عن أهله ، ويرثي نفسه معدّدا مناقبه ، معزّيا نفسه بين ترويح ذكرياته في أهله وغزواته ، وبين الحزن على ميتته غريبا .

ومالك ممن يسمون (بشعراء الواحدة) وهم الذين اشتهروا في الشعر بشهرة قصيدة لهم واحدة ، وان كان لهم غيرها ، وفي شعر مالك صدق وجزالة .

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة
بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا[1]
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى
مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعت الضلالة بالهدى
وأصبحت في جيش بن عفان غازيا
لعمري لئن غالت خراسان هامتي
لقد كنت عن بابيْ خراسان نائيا
فلله دري يوم أترك طائعا
بنيّ بأعلى الرقمتين وماليا
ودر كبيريّ اللذين كلاهما
على شفيق ناصح لو نهانيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابه
ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
تذكرت من يبكي علي فلم أجد
سوى السيف والرمح الرديني باكيا[2]
وأشقر محبوك يجر عنانه
الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا[3]
صريع على أيدي الرجال بقفرة
يسوون قبري حيث حم قضائيا
ولما تراءت عند مرو منيتي
وخل بها جسمي وحانت وفاتيا[4]
أقول لأصحابي : ارفعوني فإنني
يقر لعيني أن سهيل بداليا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
برابية ، إني مقيم لياليا
أقيما علي اليوم أو بعض ليلة
ولا تعجلاني ، قد تبين مابيا
وقوما اذا ما استل روحي وهيئا
لي السدر والأكفان ثم أبكيا ليا
وخُطّا بأطراف الأسنة مضجعي
وردا على عيني فضل ردائيا
ولا تحسداني - بارك الله فيكما -
من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا
خذاني فجراني ببردي اليكما
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت
سريعا الى الهيجا الى من دعانيا
وقد كنت محمودا لدى الزاد والقرى
وعن شتمي ابن العم والجار وانيا
وقوما على بئر الشُّبَيْك فأسمعا
بها الوحش والبيض الحسان الروانيا[5]
بأنكما خلفتماني بقفرة
تهيل على الريح فيها السوافيا
ولا تنسيا عهدي خليلي إنني
تقطع أوصالي وتبلى عظاميا
يقولون : لا تبعد ! وهم يدفنونني
وأين مكان البعد إلا مكانيا
غداة غد يالهف نفسي على غد
إذا أدلجوا عني وخلفت ثاويا
وأصبح مالي من طريف وتالد
لغيري وكان المال بالأمس ماليا
أقلب طرفي فوق رحلي فلا أرى
به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرمل منا نسوة لو شهدنني
بكين وفدّين الطبيب المداويا
فمنهن أمي وابنتاها وخالتي
وباكية أخرى تهيج البواكيا[6]
وما كان عهد الرمل مني وأهله
ذميما ، ولا بالرمل ودعت قاليا

---

١ ـ الغضى : شجر صحراوي ، وكانت قبيلته ، تنزل في موضع يكثر فيه هذا الشجر والشاعر يكرر كلمة الغضى ترويحا عن ضيقه حين تراجعه ذكرياته مع قومه فيه . والقلاص النواجي : النياق السريعة .

٢ ـ الرديني : نسبة الى امرأة اسمها ردينة كانت تصنع الرماح . ٣ ـ يصف حصانه بالقوة : عنانه : لجامه .

٤ ـ مرو : عاصمة خراسان ـ والمنية : الموت ـ خل : اختل فضعف .

٥ ـ بئر الشبيك : مكان : الرواني : جمع رانية ، ورنا : نظر ٦ ـ باكية اخرى : زوجته .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

كل وجميع وعامة

أشرنا في العددين السابقين (٣١٣ ، ٣١٤) الى ألفاظ التوكيد وأنها سبعة : (نفس) و (عين) لتوكيد المفرد ، و (كلا) و (كلتا) لتوكيد المثنى مذكرا ومؤنثا ، و (كل) و (جميع) و (عامة) لتوكيد الجمع وشبهه (المفرد ذي الأجزاء) ومثلنا لكل لفظ منها بما يبين طريقة استعماله في حالتيه .

الاولى : حين يذكر بعد مؤكد ، مضافا الى ضمير يناسب هذا المؤكد ، فيكون تابعا له في الاعراب رفعا ونصبا وجرا ، كما في قوله تعالى : « واليه يرجع الأمرُ كلُه » (مرفوعان) وقوله : « وعلم آدم الاسماء كلَّها » (منصوبان) وقوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » (مجروران) .

الثانية : حين لا يذكر بعد مؤكد فيتبعه ، بل يكون مستقلا ، وقد يكون مضافا إلى ضمير ، أو مضافا الى اسم ظاهر ، أو منقطعا عن الاضافة ، ويعرب حينئذ على وفق موضعه من السياق ، فيكون مبتدأ كقوله تعالى : « كلٌ له قانتون » أو فاعلا كقوله : « يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير مُحضراً » أو نائب فاعل كقوله : « ووُفيت كلُّ نفس ما كسبت ، وهم لا يظلمون » .

وقد اخترنا هنا لفظ (كل) في التمثيل لأنه أكثر استعمالا ، ونزيد هنا أنه قد يأتي لفظ توكيد بعد مثله في المعنى ، للمبالغة في التأكيد ، كقوله تعالى : « فسجد الملائكة كلُهم أجمعون » وقوله : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلُهم جميعا » .

ومن هذا نعلم أن اللفظ قد يدل على التوكيد ولكنه لا يعرب توكيدا في اصطلاح النحاة ، الا حين يسبقه مؤكد ، والتوكيد في هذه الحالة يتبع المؤكد في اعرابه كما مثلنا هنا قبل ، وحينئذ ينبغي ـ على وفق منهج نحاتنا ـ أن يدرس مع التوابع الأخرى (النعت والعطف والبدل) لأن منهجهم تقسيم النحو أبوابا على وفق اعراب الكلمات ، واهتمامهم بهذا أكثر من اهتمامهم بمعاني الجمل .

أما في الحالة الأخرى حين لا يأتي لفظ التوكيد بعد مؤكد فانه يعرب على وفق سياق العبارة وقد مثلنا لذلك هنا قبل . وألفاظ التوكيد في هذه الحالة الثانية ينبغي ـ كما يقتضي منهج النحاة في التقسيم الاعرابي ـ ان تعتبر كسائر الأسماء في توزعها بين أبوابها النحوية ، ولا تدرس في باب التوكيد مع التوابع الأخرى ، لأنها ليست تابعة ، بل مستقلة .

من هنا يبدو لنا أن هذا الاصطلاح النحوي يحتاج الى اصلاح كي يتفق مع منهجهم الاعرابي .

ولو أنهم قسموا النحو أبوابا على وفق معاني الجمل ، لوجب أن يدرسوا كل الجمل الدالة على

التوكيد وأدوات توكيدها في باب واحد هو باب التوكيد ، ومن هنا احتاج المعنى عندنا الى تكملة من علوم البلاغة .

وتختلف دلالة لفظ (كل) حين يكون مستقلا (أو معربا على وفق السياق) سواء كان مضافا الى ظاهر أو ضمير أو منقطعا عن الاضافة .

فيدل على الواحد اذا اضيف الى واحد ، كقوله تعالى : « كل امرىء بما كسب رهين » وقوله « كل نفس ذائقة الموت »

أو أضيف الى ما يدل على معنى الواحد ، مثل:

« كل من تلقاه يشكو دهره
ليت شعري هذه الدنيا لمن ؟ »

ويدل على المثنى اذا اضيف الى مثنى أو مافي معناه كقول الفرزدق في مخاطبة ذئب لقيه في الصحراء :

« وكل رفيقي كل رحل ـ وان هما
تعاطى القنا قوما هما ـ أخوان »

وكقولنا : « كل من تصادقا ملتزمان بالوفاء »

ويدل على جمع اذا اضيف الى جمع أو ماقي معناه كقوله تعالى « كل حزب بما لديهم فرحون » .

وقد يضاف الى ما ظاهره يدل على جمع ، مع أنه يدل على واحد وكأنه منقطع عن الاضافة كقول دعبل الخزاعي في هجاء :

« الناس،كلهمُ يغدو لحاجته
من بين ذي فرح فيها ومهموم »

وقد يدل على معنى الجمع اذا قصد به الجمع : كما جاء في الأثر (كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون) ويمكن أن يقال عند قصد الافراد (كل بني آدم خطاء) أي كل واحد منهم خطّاء .

وكثيرا ما يأتي لفظ (كل) مقطوعا عن الاضافة لفظا ، وهي ملاحظة معنى ، وحينئذ يدل على المفرد ، كقوله تعالى:« وكلا وعد الله الحسنى » وقوله: « فكلا أخذنا بذنبه » وقد يدل على الجمع ، كما في قوله تعالى:« وإنّ كلاًّ لّما ليوفينّهم ربك اعمالهم »

وهناك استعمال آخر لهذه الألفاظ التوكيدية الدالة على العموم ، لم يتعرض له النحاة ، لأنهم ـ كما قدمنا ـ اهتموا بإعراب الألفاظ أشد من اهتمامهم بمعاني الجمل ، مع أنهم يقولون : « الاعراب فرع المعنى » وهذا صحيح ، ومع هذا تمسكوا بالفرع أكثر من تمسكهم بالأصل ، ولكن هذا الاستعمال الآخر قد تنبه له البلاغيون ، فيما يسمونه « علم المعاني » ، أحد علوم البلاغة ، وما هذه المعاني الا معاني النحو ، أو معاني التراكيب ، من توكيد ، ونفي ، واثبات ، واستفهام ، وقصر ، ويتضح هذا الاستعمال الآخر حين يقترن أحد الألفاظ التوكيدية الدالة على العموم بأداة نفي ، فيتقدم عليها ، أو تتقدم عليه ، فاذا تقدم لفظ العموم على أداة النفي في الجملة دلت الجملة على ما يسمى في علم المعاني « عموم السلب »واذا تقدمت أداة النفي على لفظ العموم دلت الجملة على ما يسمى « سلب العموم » واليك توضيح الفرق بينهما :-

(عموم السلب) أو شمول النفي : اذا قلنا : « كل الأحياء لا تستغني عن الهواء » كان المعنى أنه لا أحد من الأحياء يستغني عن الهواء ، أي أن اللفظ « كل » هنا سور جامع شامل كلي حول النص كله ، وكذلك حين تستخدم (جميع) أو (عامة) كقولنا : « جميع النساء لا يصلحن للحرب » و « عامة الحيوانات آكلة الحشائش لا تأكل اللحوم » .

ويشترط في هذه الحالة أن لا يكون لفظ العموم معمولا للفعل بعده (كالأمثلة السابقة) فان كان معمولا للفعل بعده أفاد سلب العموم غالبا ، سواء تقدمت أداة النفي لفظا أو تأخرت ، مثال تقديم لفظ العموم على أداة النفي : « كلّ بلاد الغرب لم اشاهد » ولا تمنع هذه الجملة ان أكون قد شاهدت بعض بلاد الغرب دون بعض ، ومثال تقديم أداة النفي : « الماء لا يحمل كل الأجسام » ، أي أنه يحمل بعضها دون بعض .

(سلب العموم) أو نفي الشمول : اذا قلنا:« ما كل طائر يطير » فالمعنى أنه بعض الطير لا يطير ، ويقل في مثل هذا التركيب الذي تتقدم فيه اداة النفي على لفظ العموم أن يكون لعموم النفي ، كقولنا : (الناس لا يحترمون كل مهذّب ، ولا يكرهون كل طعام) . ويكشف عن المقصود هنا الذوق والاستعمال . □

---

(١) ولم يستعمل لفظ (عامة) في القرآن الكريم ، ولكن استعمل لفظ (كافة) للدلالة على العموم واستعمل لفظ (جميع) و (أجمعين) كثيرا ، ولكن لفظ (كل) فيه أكثر ورودا .

هلاّ أعدت النظر في هذا الصّندوق.. ؟

التلفزيون

قوة توجهنا .. أم نوجهها ؟

بقلم : فاروق عبدالعزيز

****

الصندوق . .

صندوق الصور ، صندوق الأشرطة وصندوق الذاكرة البشرية المعاشة ، وصندوق الأوهام والحقائق والأساطير والأكاذيب والأخبار والضحكات والمشاعر .

صندوق الدنيا المعاصر ، وصندوق العالم الجديد . .

صندوق بيتك التلفزيون ! هل تعرفه حقا ؟

نعرف أنه وسيلة من وسائل الاتصال ، هدفها نقل المعلومات وتحقيق غايتي الفن اللتين حددهما أرسطو في كتابه « فن الشعر » وهما الامتاع والتثقيف .

ولكن هذه ليست معرفة « كاملة » بالتلفزيون . البعض الواعي منا يقول بأن التلفزيون جهاز خطير ، اذ أن تأثيره يفوق تأثير كافة الوسائل الاعلامية الاخرى .

****

ما من كاتب من كتّاب الخيال العلمي ، الا وقرن بين التلفزيون وبين سلطة قمعية فوقية ، تستهدف تسخير رعيتها وسلب قدراتها الانتقائية النقدية .

في عام ١٩٤٨ نشر الكاتب البريطاني جورج اورويل رائعته « ١٩٨٤ » التي صور فيها مجتمعا شموليا مخيفا ، يخضع الجميع فيه لابتسامة « الأخ الأكبر » الغامضة ، ويستخدم فيه التلفزيون - مع

الغاء الكتابة ، وكافة الوسائل الاخرى للاعلام أو للتفكير ـ كجهاز لمراقبة الرعايا والوشاية بهم ، اذا ما جرأوا على تبادل الأفكار أو العواطف .

في نظر اورويل ، التلفزيون هنا جهاز خائن .

ويصور اورويل ما دار في أحد اجتماعات « دقائق الكراهية اليومية » حيث يجتمع الناس لمشاهدة شاشة تلفزيون ضخمة ، سرعان ما تنير وتظهر عليها صورة رجل يقال عنه انه خائن وهو يتحدث .

لم يحدث لمرة واحدة أن استمع أحد لما يقول ، لان كل مشارك في هذا الاجتماع الاجباري لابد أن يظهر مدى كراهيته للخائن بالصراخ ، والاحتجاج فور ظهور صورته على الشاشة . لان التلفزيون يقول لهم كل يوم إن هذا الرجل خائن . وقد عقب اوبريان مهندس التعذيب على ذلك ذات مرة لبطل الرواية ونستون قائلا : « انهم يصدقون كل مايقال لهم في التلفزيون » وفي عام ١٩٥٧ نشر الكاتب الامريكي « راي برادبيري » رواية بعنوان « فهرنهيت ٤٥١ » حولها المخرج الفرنسي فرانسوا تروفو الى فيلم ممتاز بعد صدورها بستة أعوام . وفهرنهيت ٤٥١ هي الدرجة التي تحترق عندها الكتب في حكومة خيالية ، ترفض التفكير وكل ما يؤدي اليه ، وتستخدم التلفزيون كوسيلة للمراقبة والامتاع فقط . أما التثقيف فلا ضرورة له في رأي مفكر الحكومة ، وفيلسوف الحريق الكابتن بيتي : « اذا كانت الحكومة عاجزة كثيرة التكاليف ، ترهق الناس بالضرائب الفادحة ، فمن الأفضل للجميع أن يتحملوا ذلك بدلا من أن يقلقوا الهدوء ، أشغل الناس في هذه الحالة بمسابقات تلفزيونية عن الأغاني المشهورة ، باسقاط أو تغيير بضع كلمات ليتذكروها ، أو عن أسماء عواصم الولايات أو الاحصائيات الزراعية ، احشد اذهانهم بمعلومات لا يعارض بعضها البعض الآخر . وبالحقائق حتى يشعروا أنهم بارعون ، راضون عن انفسهم ، وعندئذ يشعرون انهم يفكرون ويحسون في الوقت الذي لا يفكرون فيه في الحقيقة . لا تعطيهم أشياء فيها مزالق كالفلسفة أو علوم الاجتماع مما يعقد الأمور ، وفي هذا الطريق الى الحزن والأسى . نحن فتيان السعادة ، ونحن نقف ضد تلك الموجة الضئيلة ، التي تريد للجميع الشقاء والتصارع حول النظريات والأفكار ، ويجب علينا الثبات في موقفنا » .

وفي موضع آخر يقول بطل الرواية « مونتاج » (ضابط حريق الكتب) لزوجته بعد أن اكتشف أن هناك شيئا عظيما اسمه « الكتاب » . . .

« في كل ساعة تمر أشياء كثيرة ملعونة في الجو . كيف تصعد الى الجو في كل ثانية من أوقات حياتنا ؟ لماذا لا يتكلم أحد في هذا الشأن ؟ لقد بدأنا حربين ذريتين وانتصرنا فيهما منذ عام ١٩٦٠ . . . اننا نلهو كثيرا هنا وننسى ما يعانيه العالم من فقر شديد ، لقد سمعت شائعات تقول إن العالم يموت جوعا واننا ممتلئو البطون . فهل صحيح أن العالم كله يكد ويكدح ونحن نلهو ؟ أيكون هذا هو سبب كراهية العالم لنا كل هذه الكراهية ؟ لقد سمعت أخيرا شائعات حول هذه الكراهية ايضا . أتعرفين السبب ؟ أنا لا أعرف ! ربما تخرجنا الكتب من كهوفنا ، وقد تحول هذه الكتب دون ارتكاب مثل هذا الخطأ الجنوني الملعون مرة أخرى . « انا لا أسمع تلك الشخصيات التلفزيونية الملعونة على جدار غرفة الاستقبال تذكر شيئا عن هذا » .

ليس كله خيالا :

ما كتبه جورج اورويل في عام ١٩٤٨ كان تعبيرا عن خوف كبير مما شاع عن بعض الأنظمة الشمولية في الشرق في تلك الفترة . وما نشره راي برادبيري كان احتجاجا صارخا على النشاط المحموم لمحاكم التفتيش الحديثة المعروفة « بلجنة النشاط غير الأمريكي » والتي تزعمها السيناتور جوزيف ماكارثي

في نهاية الأربعينات ومطلع الخمسينات للتفتيش في العقول الأمريكية المثقفة عما اسماه السيناتور أفكارا تقدمية .

طالع مرة أخرى الفقرات المأخوذة من عمل اورويل وبرادبيري . ودقق خاصة في دور التلفزيون

(هذا الجهاز المسالم الذي تستقبله أنا وأنت ونحن في بيوتنا) وكيف « تنبأ » الكاتبان بصفاته التخديرية . تأمل ما قيل وستكتشف بسهولة أنه ليس كله خيالا .

الجميع من كل الأعمار يخضعون لتأثير الرسالة التلفزيونية السلبي والايجابي . كل يستقبل رسالته حسب مرسمه الخاص والفيديو بجوار الصندوق كشقيقه الأصغر .

المؤسسة . . والناس . . والصندوق :

ان الغاية الأساسية من هذا المقال هي التعرف على ذلك الجهاز ومفرداته اللغوية ، في ضوء اعتباره « وسيطا ساخنا » (على حد تعبير عالم الاتصال الكندي مارشال ماكلوهان) أي جهازا بالغ التأثير في جهازنا الفكري وعقليتنا التربوية . والتربية هي - في الأساس - اتصال فيزيقي يستهدف انتاج معان معينة . ولكي نتعرف (في اعادة نظر) الى التلفزيون يتوجب علينا ادراك المكونات الأساسية لعملية التوصيل الموافقة لولادة هذا الوسيط الساخن .

فاللغة وسيلة من وسائل الاتصال كما هو معروف .

ووسائط الاتصال كلها هي قنوات ممتدة بين طرف وطرف .

وكلما ازدادت وسائط الاتصال تركيبا وتعقيدا تشعبت المسالك ، لكن الأساس النظري يظل قائما .

هناك مرسل في داخل المؤسسة التلفزيونية يرسل لك رسالة .

أي مادة تلفزيونية هي رسالة لها مضمون معين . والجهاز هو قناة تحمل رسالة المرسل اليك أيها المستقبل « بكسر الباء » الجالس على الطرف الآخر من المعادلة .

هم مرسلون ونحن مستقبلون عبر قناة التلفزيون ، وكما يفترض في كل وسيط ، فان كلا من المرسل والمستقبل يقوم بدوره حسب تكوينه الحضاري الشامل - سياسيا وتاريخيا واجتماعيا وثقافيا - وفي لغة الاعلام يقولون ان المرسل يرسل لك رسالة خاضعة لرموز ورموز فرعية بخاصة . ويفترض فيك وأنت على الطرف الآخر أن تستقبل الرسالة - أو الرموز - طبقا للقواعد التفسيرية لها .

ماهو رمزك وماهو رمزي ؟

ولان نظم الرموز مختلفة ، فان عملية الاتصال ليست سهلة على الاطلاق . فلو استقبل استاذ جامعي

أكاديمي تاكسيا وحادث السائق فان الاتصال قد يكون عسيرا . وفي الوقت الذي يبدو فيه التوصيف اللغوي في القواميس سهلا ، فان الرموز والرموز الفرعية للكلمات تتحول الى عملية بالغة التعقيد والتركيب عندما يعاملها المرسل كصورة . فالضفادع شهية عند الفرنسيين والايطاليين ، وفظيعة مقززة عند غيرهم . والأمثلة على ذلك كثيرة .

الضفدع :- رمز أصلي - مشترك بين كل الشعوب . فهو حيوان ، اما استخدامات الضفدع فهي رموز فرعية تختلف بين البشر في كل الأزمنة والأمكنة .

وقد أعطى الفيلسوف فيتجنشتين مثالا لاختلاف الرموز الفرعية ، حين روى أنه كان يستقل قطارا ذات مرة من لندن الى كامبردج ، برفقة الاقتصادي الايطالي « بييرو سرافا » حينما سأله الأخير ببراءة ، ما معنى هذه الحركة ؟ وقام بحركة معينة ثم شرح له « سرافا » عدة معان لهذه الحركة في اللغة الاشارية لاهالي نابولي .

بعدها عكف فنجنشتين على اعادة التفكير في تحرياته الفلسفية ، فنظر الى الاتصال كلعبة صعبة ومشكلة . فبين المرسل والمرسل اليه هناك ما يعرف بعنصر البوميرانج (وهو تأثير قادة الرأي في المجتمع) والحاجة الى توصيل مباشر للرسالة - بطريقة من الباب للباب - كما أن هناك أيضا فلترات - أو مرشحات - نفسية وثقافية واجتماعية . وكلما كانت الدولة حديثة العهد بحضارة الاتصالات ، أمكن تغيير آراء المشاهدين بسهولة في الرسائل المبعوثة . وأحيانا تقف قوى وعادات وأفكار مختلفة الاتجاهات - يمكن للسلطات اللعب عليها بسهولة - في طريق الرسائل ، بحيث تغير فحواها الى الوجهة التي تريدها تماما .

في المجتمعات المتقدمة - أي تلك التي استوعبت حضارة الاتصالات وليست وسائلها المادية فقط يترك للفرد تقرير علاقته بالرسالة بأكبر قدر مخفف من تأثير البوميرانج .

أما في المجتمعات المتخلفة فان سيطرة التوجيه المركزي المتمثل في الدولة أو في قوة اجتماعية معينة ، مضافة الى التأثير السحري للتلفزيون ، يجعلان من كل ما يعرض مادة قابلة للتصديق . . « فهم يصدقون كل مايقال » .

الواقع أننا لا نشاهد مانريد ولكن ما يعرض علينا

تسود مجموعة من الأوهام المتبادلة بين المرسل ، والمرسل اليه . ومعظم هذه الأوهام في البلدان التي يكون فيها الجهاز طليقا - دون نظريات - والتي لا تملك أدوات فعالة لقياس الرأي العام .

وأول هذه الأوهام هو اعتقاد المرسل بأن رسالته « تصل » - وهذا أولا - والى « كل » المرسل اليهم -

ان المادة التلفزيونية لقوة ارسالها عبر وسيط ساخن يمكن أن تكون قاتلة .

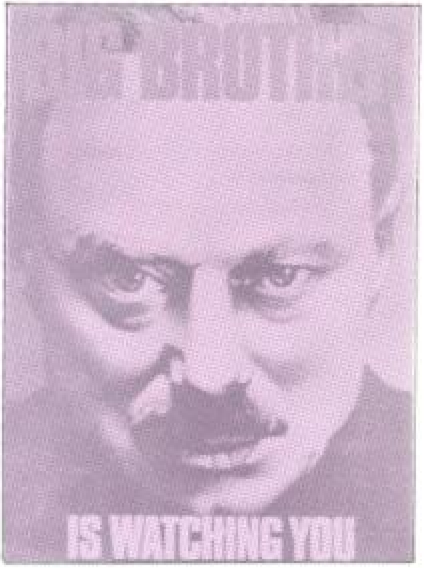

الأخ الأكبر البطل ذو الاستقامة الغامضة والذي لا يراه أحد بشخصه في رواية أورويل ١٩٨٤ : انه يراقبك ويعتني بك .

وهذا ثانيا ـ ويخلط المرسل كثيرا بين مشاهدة التلفزيون وبين وصول الرسالة .

من هذه الأوهام أيضا التصور بأن الرسالة غالبا ما تكون خالية من الأخطاء . وقد ذكرت أن المشاهدين في المناطق المتخلفة يشاهدون جميع برامج السهرة ويصدقونها جميعا . ولو تصورنا أن ثمة خطأ (مخالفا عادة لفلسفة المؤسسة المرسلة للرسائل التلفزيونية) تقدر نسبته بـ ٥٪ فان جيلا كاملا يمكن أن يتلقى هذا الخطأ « ويتعلم » منه .

ومن الأوهام أيضا تصور أن « الجمهور » كله يشاهد أو يتلقى . ومكمن الوهم في استخدام كلمات الجمهور والجماهير وجموع المشاهدين ، وهذه كلمات شديدة العمومية تشير بالضرورة الى « كتلة بشرية مستقبلة سلبياً لما يلقى اليها من رسائل » وكلما أوغلت المنطقة في التخلف استخدم رأي أقل عدد من الجماهير للدلالة على صواب الرسالة أو خطئها باللجوء الى معايير قيمية غير ثابتة .

الوهم الكبير :

ثمة واحد من الأوهام الكبرى حول المشاهدة التلفزيونية . . فطقوس المشاهدة تتضمن بالضرورة جلسة خاصة تتماشى مع فلسفة التلفزيون السائدة : ان رسالة الجهاز ترفيهية فلا تثقل على الناس بالرسائل التعليمية .

فالمشاهد يسترخي في الصالون أو في غرفة النوم في أي وضع يريحه . وبعد مضي فترة من الزمن يتحول هذا المخلوق الى جهاز استقبال سلبي كامل ، لما يمليه عليه رسول حضارة الاستقبال السلبي للصور .

يتوهم هذا المشاهد ـ وهو نحن جميعا (تقريبا) ـ أن قدرته على الاختيار في أفضل حالاتها ، وانه اختار هذه الرسالة بارادته ، انها مجرد برنامج أو اعلان او تمثيلية أو فيلم ، وفي نظره مجرد مادة مسلية ـ ويؤكد انه يستقبلها جيدا . ولكن الواقع أن الخدر يبدأ في التسلل اليه بعد قليل باعثا نوعا من البلادة الجسدية التي سرعان ما تتسلل هي الاخرى الى الاجزاء العليا من جسمه ، فيتحول الى كائن غير قادر على المقاومة ، حتى اذا توقفت المادة عن تحقيق الغرض منها عنده وهو التسلية ، فانه يعجز عن النقل الى وسيط آخر يسليه .

في العادة يفتش في كل القنوات المتاحة داخليا وخارجيا عن تسلية صورية بديلة . لقد صار كائنا مستعمرا بالتسلية الصورية . وهذا هو الوهم الكبير : وهم التسلية التي يوفرها الوسيط الساخن . اذ أن كل ما يعقب هذا الاستعمار تلقائيا هو استقبال سلبي كامل لكل الرسائل يتحول ، شيئا فشيئا ـ كالخدر المتسلل تماما ـ الى استعمار فكري ثقافي كامل .

انه يتصور انه ينتقي المادة . وفي الواقع ، انه تحول الى كائن فاقد تماما لقدرته الانتقائية . وهذا هو ما قد يمكن أن يسمى في مجال آخر بانحدار الذوق العام .

بعد عدة ساعات من المشاهدة اليومية ، يتحول هذا الكائن الى كائن مستهلك قابل ومصدق لما يشاهده . الأفضليات عنده تتحكم فيها غريزته المباشرة الفجة ، فقد سرى الخدر الى الجزء العلوي من جسده بما في ذلك عينيه .

وفي الواقع اننا نستورد الجهاز (التقنية) دون نظرية خاصة بنا في الاتصال وتوصيل الرموز والرسائل . وليس الأمر مقصورا ـ كما نعلم ـ على الجهاز التلفزيوني ولكنه يمتد الى الكثير من نقاط اتصالنا وخطوط تماسنا مع منجزات الحضارة الغربية .

انه يعلمنا رغما عنا :

عندما نتحدث عن التعليم عن طريق التلفزيون ، تمتعض شفاه البعض والسبب هو تصور شائع مفاده أن هذا النوع من التعليم يعني نقل المعرفة المدرسية .

وهذا خلط بيّن . فالرسالة التلفزيونية هي كل ما يبث عبر الصندوق السحري « كل ما يبث » ثم . . ما هي التربية ؟

التربية هي في الأساس محاولة وسعي لتزويد الفرد بأنماط من القيم وانظمة من التفكير الحر ، بهدف تنمية ملكاته النقدية ، وتنمية الابداع والتفكير ، وتكوين مواطن متوائم مع عالمه ومع مجتمعه ومع ذاته .

وهكذا فان « كل ما يبث » من خلال الجهاز يمكن أن يربينا على نحو أو آخر ، انه يعلمنا رغما عنا .

خذ مثلا اعلانا لا يزيد عن ثلاثين ثانية عن صابون كذا . . امرأة جميلة فاتنة لها مواصفات النسبة الذهبية للجمال ، تتمتع بأنف روماني وعنق طويل وتهمس لك باسم الصابون . « أنا امرأة جميلة حقاً » ولكن بتكرار هذا النمط الاعلاني وتراكم الصدمات الاعلانية الأخرى ، اعلان عن مستحضرات التجميل ، السيارات ، الملابس ، الأواني المنزلية ، فان مفهومك للجمال سيظل ثابتا في حدود مواصفات النسبة الذهبية غير مدرك لقيمة أخرى هي ان كل امرأة جميلة ، ولكن على نحو خاص ، وأن كل رجل وسيم ولكن على نحو خاص .

انه لا يعلمنا فقط ، انه يحرضنا ايضا :

بالتلفزيون طاقة تحريضية جبارة . فالمادة الاخبارية التي يتكون منها عادة ما يعرف بالقصة الاخبارية (وهذه شائعة فقط في التلفزيونات المتقدمة) تقوم بتسجيل واقع معين في زمن معين له خصائص آنية مباشرة ، ثم يقوم المعدون بتحليل الصور قبل تركيبها في شكل رسالة جاهزة للارسال .

ومن خصائص الصورة التلفزيونية انها تقوم على التحليل ثم التركيب قبل احداث الأثر الكلي . بعبارة أخرى فان تركيب صور أي مادة أو قصة اخبارية تبني تلقائيا بناء صوريا معينا له رسالة معينة . فمن أكبر الأوهام القول بأن ثمة فيلما أو مادة تسجيلية موضوعية مجردة تسجل الواقع كما هو وحسب . فمجرد تركيب الصور على هذا النحو أو ذاك وبهذا الايقاع يحكم على الكيفية التي ستصل بها رسالتك الى المرسل اليهم .

وهنا تكمن الطاقة التحريضية للجهاز . فاذا عرضت فيلما أو مادة تزعم انها محايدة ـ رغم انها تنقل الواقع فعلا ـ فلابد أن يكون مصحوبا بتعليق توضيحي اذا اردت توصيل عكس الرسالة ، أو تحويرها . أما اذا اردت انتاج رسالتك الخاصة فبوسعك استخدام المادة الاخبارية نفسها ، ولكن فقط بعد اعادة تركيبها على نحو يضمن ارسال رسالتك أنت بطاقتها التحريضية الخاصة .

لا تخافوا التلفزيون ، فسيعلمنا ما نريد :

ان مخاوف كتّاب الخيال العلمي ودارسي الوسيط الساخن تشير الى نوع من الحنين الى ماضي الوسائط الأخرى ، حين لم يكن التلفزيون سوى خيال الخيال . ولكن لم لا نسعى الى وضع فلسفة عربية خالصة ترعى كل ما يرسل من مواد عن طريق التلفزيون ؟ والفلسفة لا تعني رقابة اخرى (!) ولكنها تستهدف وضع نظام عملي للتعامل مع الصندوق السحري يدلنا على ما يمكن أن نتعلمه منه .

فالتلفزيون يعلمنا شئنا أو أبينا .

فهل يوجد بيننا من هو قادر اليوم على شن هجوم مضاد على حضارة الاستقبال السلبي للصور ؟

لقد نادى كاتب ألماني في مقال نشره بمجلة « العصر » بتخصيص يوم يغلق فيه الصندوق التلفزيوني .

هذا أحسن .

ولكن الأحسن منه ألا نغلق الصندوق . . ولكن لنتعلم كيف نطلق حريتنا النقدية . □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الجديد في طب الاسنان

هذا جهاز طريف وهام خطير في آن معا ... ابتكره العلماء في الخريف الماضي (1983) بقصد الكشف المبكر عما تتعرض لـه أسنان الانسان من نخور ...

والجهاز الكتروني ويسمونه فانجارد Vanguard (أو الطليعة !) ... وهو خفيف ويسهل حمله ونقله ويعمل بالبطارية .. ويستطيع الكشف عن التغيرات الميكروسكوبية التي قد تطرأ على مبناء السن وذلك تبعا لما قد يفقده السن من أملاح ... وفي ذلك دليل على بداية تكون نخر ما في السن ...

ويتم ذلك بواسطة تيار كهربائي خفيف وغير مؤلم .. يتحرى وجود الماء الفائض الذي يتجمع في المسامات التي تظهر لدى فقدان الأملاح .. وكلما زادت ايصالية التيار Conductivity كان ذلك دليلا على وجود مزيد من تلف ...

والطرافة في الجهاز أن وجها ما يظهر على لوحته . ويكون هذا الوجه باسما أو عابسا تبعا لتلف الأسنان الذي يسجله الجهاز ... فان سَجّل صفرا (كما في

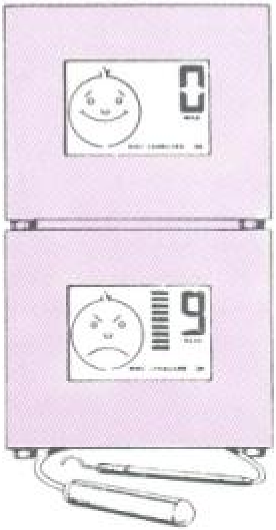

الصورة العليا) ظهر الوجه باسما لان الصفر دليل على أن السن سليمة . أما ان سجل ٩ كما في الصورة السفلى ظهر الوجه عابسا لأن رقم ٩ يدل على نخر مستفحل وبحاجة الى عناية طبية فورية . □

أحدث مكتشفات الفضاء ...

الأشعة صنوف كثيرة ولا تقتصر على أشعة الضوء كما يظن الكثيرون .. ولعل اشعاع الضوء لا يمثل الا جزءا يسيرا جدا من مجموع الاشعاعات التي تملأ الكون ... والتي لا ترى بالعين المجردة .. باستثناء الضوء ..

من هذه الأشعة غير المرئية الاشعة تحت الحمراء ... انها أشعة حرارية أو حرارة مشعة .. ذات طبيعة كهرومغناطيسية

وموجات بأطوال تتراوح بين ٠٫٠٨ ملم أو أقل وبين مليمتر واحد .. وتقع وسطا بين موجات الضوء المرئى وموجات الراديو .. من هنا كانت قدرة هذه الأشعة تحت الحمراء على اختراق الضباب وما اليه مما يعجز عن اختراقه الضوء العادى .. ومن هنا أيضا كان فى مقدور التصوير بهذه الأشعة كشف النقاب عما عجزت عن رؤيته العين المجردة ..

بقى أن نذكر أن الفضاء ملىء بنجوم الأشعة تحت الحمراء .. فهذه أجرام سماوية مغلفة بغيوم من الغبار .. والاشعة تحت الحمراء هى أهم ما تبثه تلك النجوم ..

لا عجب اذن أن ظهر فى المدة الأخيرة علم فلك جديد يعتمد على الاشعة تحت الحمراء لاكتشاف مجاهل الكون .. وتقدر نسبة هذه المجاهل ٩٠٪ أى ما أمكن رؤيته من الكون حتى الآن لا يزيد على ١٠٪ من الكون ككل .

ومعنى هذا أن علم الفلك التقليدى والحديث لا يطمح الى اكتشاف أكثر من ١٠٪ من الكون بكل مراقبه وتلسكوباته الحالية والتى ستظهر فى المستقبل القريب والبعيد ..

ما السبيل اذن الى اكتشاف مجاهل الكون التى تبلغ ٩٠٪ أو يزيد. السبيل هو تلسكوب يستطيع تصوير الاجرام التى لا سبيل الى رؤيتها بواسطة الضوء .. وانما بواسطة الاشعة تحت الحمراء التى تطلقها ..

لقد صنعوا هذا التلسكوب وجهزوه بشتى الاجهزة الحساسة والكاميرات التى يحتاجها ليطلقوه الى الفضاء الخارجى قمرا صناعيا سموه ايراس أو القمر الصناعى الخاص بتلك الاشعة تحت الحمراء وقد تم اطلاق ايراس بالفعل فى مطلع السنة الماضية ١٩٨٣ .. واستكمل حياته القصيرة وتوقف عن العمل لدى انقضاء عشرة شهور على اطلاقه .. الا أن حياته على قصرها كانت أغنى بالصور والمعلومات والمفاجآت من أى قمر صناعى فلكى آخر . لقد نجح ايراس فى مسح الفضاء وكشف النقاب عن الكثير من مجاهله وأرسل من الصور الى الارض ما كان موضع دراسة العلماء وتحليلهم ... □

قياس عمق الحروق

نعود الى الموجات الصوتية مرة أخرى .. فقد استعملت بنجاح مؤخرا فى تحديد مدى عمق الحروق .. وقد تعذر ذلك سابقا على الأطباء وتعذر معه العلاج .. بقدر مايختلف هذا باختلاف الحروق من حيث عمقها .. فالحروق السطحية مثلا تنظف وتترك وشأنها لتشفى تلقائيا .. أما فى حالة الجروح العميقة فغالبا مايبادر الجراح الى استئصال الأنسجة المحروقة قبل أن تظهر الالتهابات .. ومن شأن الموجات الصوتية ذات الذبذبات العالية أن يرتد بعضها لدى ارتطامه بالمنطقة التى تصل

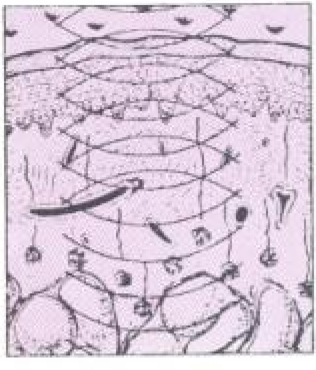

بين نهاية الجلد المحروق وبداية الجلد السليم . ويفسر العالم جون كاسترل

(انظر الرسم)

ذلك بقوله : (أن الحروق تجعل ألياف الكولاجن في الجلد المحروق أكثر كثافة .. وهذا التفاوت في الكثافة بين الجلد المحروق والجلد السليم هو الذي يسبب ارتداد الموجات فوق الصوتية .

وتجدر الاشارة الى أن مركز أبحاث وكالة الفضاء (ناسا) في لانجلين في فرجينيا هو صاحب الفضل في ظهور هذه التكنولوجية . □

الموجات فوق الصوتية وعمليات استئصال سرطان المخ

دلت الموجات فوق الصوتية في المدة الأخيرة على أنها ذات فوائد طبية كثيرة .. واكثر مما توقع الاطباء، فقد استعملوها في تصوير الجنين وهو في رحم أمه ، واستعملوها أيضا في تحطيم حصى الكلى .. وبدأوا يستعملونها الان في القضاء على بعض الأورام السرطانية التي تصيب المخ ، والتي كانت ومازالت تستعصي على العمليات الجراحية .

على أن هذه الاستعمالات المختلفة تفترض أجهزة خاصة ومختلفة أيضا .. ويسمون الجهاز الذي طوروه لمعالجة أورام المخ « السفاطه الجراحية فوق الصوتية » - كافيترون - Cavitron Vhrasonic Surgical Aspirator أو اختصارا كوسا CUSA(انظر الرسم) .

ومن شأن هذا الجهاز أن يذبح ويجرح كالسكين ، وذلك بواسطة الأمواج فوق الصوتية التي يحدثها . . .

والفضل في ذلك انما يعود لقدرة الجهاز على الذبذبة - عند طرفة المدبب-بمعدل ٢٣٠٠٠ مرة في الثانية الواحدة . لاعجب اذن ان أدت ملامسة هذا الطرف لجانب من الورم الخبيث الى تحطيم ذلك الجانب وتفتيته . ويجري سحب الفتات من المخ بعد ذلك بواسطة محلول ملحي يضخونه في موقع الفتات .. ويعيد الجراح الكرة على جوانب الورم الاخرى . . . الواحد بعد الاخر حتى يتم التخلص من الورم جزءا بعد جزء .

ويمتاز هذا الجهاز بأنه يستأصل الجانب المتورم الخبيث من المخ ويسلخه عن جانبه

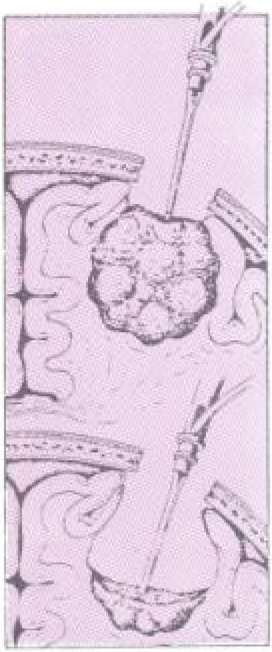

السليم دون أن يستأصل من هذا الجانب أي جزء أو يمسه باي سوء ، ولطالما تعذر ذلك على الجراحين في عملية الشفط Suction التي كثيرا ماعمدوا اليها في مثل هذه الحالات .

وقد أثبت جهاز كوسا فاعليته العجيبة ، وأحرز نجاحا تاما في مئات الحالات التي استعمل فيها للقضاء على بعض سرطانات المخ ، وذلك في المركز الطبي في جامعة نيويورك وتحت اشراف الجراح فرد اينشتاين . □

مكتشفون ومخترعون

فريدريك بانتينج مكتشف الأنسولين

لاريب أن اكتشاف الانسولين في العشرينيات من هذا القرن ، هو في طليعة الاكتشافات الطبية التي انتفعت بها البشرية ومازالت تنتفع . . وقد كان السكري ، قبل اكتشاف هرمون الانسولين ، من الأمراض القاتلة التي فتكت بالمصابين بها . . .

ولد السير فردريك جرانت بانتنج (Banting) في بلدة اليستون في اونتاريو في كندا . . وكان عالما أمضى حياته القصيرة (١٨٩١ - ١٩٤١) في الاشتغال في الفسيولوجيا . . .

وراع بانتنج كثرة الموتى بسبب مرض السكر . . ورفض الفكرة الشائعة آنذاك بأنه مرض عضال لاعلاج له . . . فهرمون الانسولين كفيل بكبح المرض او وقفه عند حد لو أمكن عزل هذا الهرمون وتصنيعه على النحو المناسب . . فهو الذي تفرزه غدة البنكرياس في الاصحاء بالمقادير الكافية لحرق الفائض من محتويات السكر في الدم . . وهو الذي يؤدي الى الاصابة بمرض السكر . . اذا عجز البنكرياس عن افرازه أو تكاسل . . عرف بانتنج هذه المعلومات ، كما عرفها الكثيرون غيره من اطباء القرن التاسع عشر . . . ولكنه تجاوز الحد الذي وقفوا عنده ، وقد تحمس امكانية عزل الانسولين واستخلاصه من الحيوان ولكنه تحمس ايضاً الحاجة الى مختبرات يجري فيها التجارب

وتقدم بانتنج من جون ما كلويد ، وكان بروفسور الفسيولوجيا في جامعة تورنتو في تلك الأيام . . . وشرح له فكرته ، فأذن البروفسور لبانتنج باستعمال مختبراته ، واختار له أحد تلاميذه مساعدا . . . وكان اسمه شارلز بست وعمره ٢٢ سنه .

وانتهت سنة ١٩٢١ وتكللت تجارب بانتنج وبست بالنجاح ، حتى اذا حل شهر يناير ١٩٢٢ اعلن بانتنج انه عثر على عقار لمرض السكري . . . وذلك بالتعاون مع شارلز بست . . وأن عقاره هذا نظير الهرمون الذي تفرزه غدة البنكرياس . . وأنه اطلق على ذلك الهرمون اسم « أنسولين » .

واتفق ان كان ليونارد تومبسون طالب المدرسة (١٠) سنوات من نزلاء مستشفى تورنتو ، وذلك بسبب إصابته الحادة بمرض السكر . . وقد استفحل المرض بالفتى بحيث هزل كثيرا وعجز عن تناول الطعام بيده . . يئس الاطباء من معالجته وانقاذه . . ووجد بانتنج في تومبسون هذا ضالته المنشودة فانطلق في معالجته بالانسولين حقنا . . ولم تكد تمضي ٢٤ ساعة حتى تماثل الفتى للشفاء . . فكان أول من أنقذه الانسولين من موت محقق في التاريخ .

وجاءت سنة ١٩٢٣ واذا بجائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا تمنح الى بانتنج وماكلويد . . . اي أن شريكه في الجائزة لم يكن شارلز بست - شريكه في منجزاته وتجاربه - وانما جون ماكلويد صاحب المختبرات التي اجريت فيها تلك التجارب . . واستاء بانتنج كثيرا لاغفال ذكر بست وتجاهل جهوده . . فأقدم على مقاسمته المكافأة المالية التي حصل عليها مع الجائزة . . وأقدمت جامعة تورنتو على انشاء كلية او دائرة فيها باسم بانتنج وبست . □

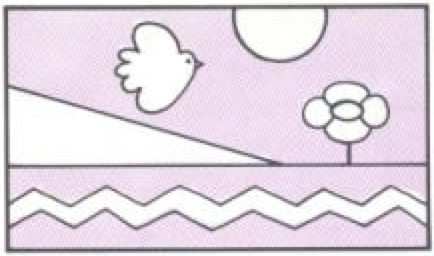

سلامة البشرية في سلامة البيئة

غرامة ٢٠٠٠ مليون دولار بسبب تلويث الشواطىء

غرقت الناقلة العملاقة (اموكو قادس) Amoco Cadiz بالقرب من شواطىء فرنسا الشمالية (بريتانيا) في ١٩٧٨/٣/١٦ .. وتسببت في بقعة زيت هائلة، كانت بلا ريب أكبر بقعة زيت عرفها التاريخ حتى ذلك الحين .. فقد بلغت نحو (٣٠) كيلو مترا بالعرض و (١٥٠) كم بالطول وتسببت في تلوث فظيع للشواطىء الفرنسية الرائعة .. (٢٠٠) كيلو متر منها بالتحديد .. وخربت الثروة السمكية فيها، وحرمت المنطقة من جموع السياح الذين طالما أموا شواطئها واستمتعوا بروعة طبيعتها ... وضمنوا موردا سخيا لأهلها .

وهب المتضررون من تلك البقعة والبيئيون آنذاك .. فساروا في مظاهرات وملئوا الصحف بالمقالات والاحتجاجات .. وعقدوا الندوات الصاخبة والاجتماعات، لافي فرنسا فحسب ولكن في أمريكا ودول أخرى غيرها .. على أنهم لم يقفوا عند الأقوال .. بل تعدوها الى الأعمال .. فعمدوا الى تنظيف الشواطىء الملوثة، واشترك في عمليات التنظيف هذه الصغار والكبار .. والموظفون وغير الموظفين .. والنساء والرجال .. والعسكريون وغير العسكريين .. ثم أقاموا الدعوى على شركة البترول العملاقة، ستاندرد اويل كومباني (انديانا) التي تملك الناقلة وتسمى اختصارا (اموكو) .. وأقاموها في الوقت نفسه على فرعين من فروع هذه الشركة، توليا الاشراف على أعمال الناقلة .. وقد جاوز عدد الذين أقاموا هذه الدعوى المائة .. ضموا فيمن ضموا فئات المتضررين من صيادين وأصحاب فنادق وفئات عديدة مختلفة تدعو الى حماية البيئة ..

وأقيمت الدعوى بالفعل سنة ١٩٨٠، ومضت السنوات الأربع الماضية، ومحاكم شيكاجو تنظر في تلك الدعوى وفي الأضرار التي طالب بها المدعون فيها .. وقد شملت هذه الأضرار ما أنفقته الحكومة الفرنسية في سبيل تنظيف الشواطىء، ويبلغ (٩٥) مليون دولار .. وما تكلفه السكان في ذلك السبيل، وقد بلغ (٣٠) مليون دولار .. أضف الى ذلك جماهير المتطوعين الذين أسهموا في أعمال التنظيف وقد جاوز عددهم ٦٠٠٠ رجل .. فهم جديرون بتعويض .. وقل مثل ذلك في فرق كاملة من الجيش الفرنسي لم تتخلف عن أداء الواجب .. واجب انتشال مالا يقل عن ٢٥٠٠٠ طن من البترول الخام غطت الرمال، وعلقت بالصخور، واستقرت في قيعان الموانىء .. فضلا عن تلويث المياه .. وشملت الأضرار التي طالب بها المدعون التعويض عن ما لحق البيئة من أضرار أخرى، نذكر منها الطيور النافقة وقد بلغ عددها ١٠ر٠٠٠ طير والمحار التالف وقد جاوزت كميته (٥٠٠٠) طن .

صورة الناقلة العملاقة أموكو قادس وهي تغرق

على أن خطورة تلك الدعوى لا تقف عند ما ذكرنا .. فهي أكبر دعوى أقيمت حتى الآن بسبب التلوث ومن أجل حماية البيئة .. ثم انها الدعوى البيئية الأولى التي تقام على أساس معاهدة دولية ، لا قوانين وضعية تلزم الأفراد تنفيذها تحت طائلة العقوبة . أما المعاهدة فهي التي عقدت سنة ١٩٦٧ ، وذلك في أعقاب غرق ناقلة البترول (توري كانيون) وتلوث الشواطىء البريطانية ببقعة زيت كبيرة تبعا لغرقها .. والتي وقعت عليها (٤٠) دولة .. ومهما يكن من أمر فانها مجرد معاهدة وتفتقر الى عنصر الالزام الذي تتميز به القوانين الوضعية .

وعكف القاضي فرانك ماك جار (Mc Garr) على دراسة الدعوى ، ولم يصدر حكمه الا في شهر ابريل الماضي (١٩٨٤) وجاء قراره باعثا على الدهشة ، وقد طالب شركة البترول بدفع غرامة وتعويضات بلغت بمجموعها ٢٠٠٠ مليون دولار .. أي أضعاف ما طالب به المدعون .. هذا الى جانب ما خسرته الشركة في غرق الناقلة (١٥) مليون دولار ، وغرق حمولتها (٢٤) مليون دولار .

هذا القرار ، إن دل على شيء ، فانما يدل على مدى ما بلغه الوعي البيئي في الدول المتقدمة سواء على المستوى الشعبي أو مستوى القضاء .. ولكن للقرار دلالة أخرى جديرة بالملاحظة .. فمبلغ الغرامة (٢٠٠٠) مليون دولار كبير جدا ، ويفوق كثيرا ما تفرض دفعه المعاهدة في مثل هذه الحالات ، وهو لا يزيد على ١٧ مليون دولار ... ما السبب اذن في مضاعفة الغرامة أضعافا مضاعفة ؟ .. الاهمال هو السبب .. فقد اكتشف القاضي أن غرق الناقلة انما حدث نتيجة اهمال .. ورأى أن اهمالا يسبب كل هذه الأضرار الخطيرة لجدير بمضاعفة الغرامة التي تنزل بمرتكبيه أضعافا لتصبح (٢٠٠٠) مليون دولار . □

البحرين .. تحذو حذو هولنده

كانت هولندا ومازالت ، الدولة الرائدة في العالم من حيث اكتساب الارض من البحر ، أو ان شئت ، استصلاح مياه البحر وتحويلها الى يابسة .. الا أن هذه الريادة باتت مهددة كثيرا أو قليلا .. اذ تنوي البحرين العمل على مضاعفة مساحتها تقريبا وذلك بطمر مياه البحر التي تفصل بينها وبين قطر .. فمساحة البحرين لاتزيد على ٦٠٠ كيلومتر مربع ، ومساحة الارض التي تنوي اكتسابها من البحر ٤٠٠ ـ ٥٠٠ كيلو متر مربع ..

أما موقع المشروع البيئي الكبير ففي المياه التي تفصل البحرين عن قطر كما أسلفنا ، وهي مياه ضحلة .. وستكون ثمرة المشروع الطيبة جزيرة جديدة تماثل جزيرة البحرين الاولى شكلا ومساحة ، وأما الغاية فحل مشكلة السكن ، وهي مشكلة قائمة في شتى البلدان ولكنها تكاد تكون مستعصية في البحرين . وذلك أن عدد سكان البحرين البالغ (٣٥٠,٠٠٠) نسمة حاليا آخذ في تزايد كبير ومطرد . أضف الى ذلك أن الجيل الجديد من الشباب الازواج ينزع الى السكن في منازل خاصة بهم ومستقلة عن منازل آبائهم .. خلافا للنزعة القديمة .. من هنا كانت البحرين بحاجة الى ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ منزل جديد سنويا ... ومن هنا أيضا كان حرص المسؤولين الشديد على مشاريع السكن والاسكان .. ومشاريع الاستصلاح .. استصلاح البحر والبر ... التي ستوجهها رقعة البحرين الضيقة ..

من هذه المشاريع مشروع مدينة (حمد) الواقعة في قلب الصحراء الى الجنوب الغربي من العاصمة المنامة .. وسيكتمل انشاء هذه المدينة في غضون اربع سنوات وستتسع لحوالي (٦٠,٠٠٠) نسمة ...

ومن تلك المشاريع أيضا مشروع طمر البحر الذي ذكرنا والذي بدأ الاخصائيون والمستشارون بالدراسات البيئية الخاصة به . فوزارة الاسكان حريصة على التأكد من أن المشروع لن يضر بالبيئة من قريب ولا من بعيد ... لذلك كان لابد من تحري مدى تأثيره على حركة الماء .. وعلى الاحياء البحرية والثروة السمكية .. وكذلك على ملوحة الماء .. ذلك أن مصنعين لتحلية ماء البحر يجري انشاؤهما حاليا في المنطقة ... ومن يدري ... فقد تؤدي تلك الدراسات الى اختيار موقع آخر غير (فشت الادهم) وهو الموقع الذي وقع عليه الاختيار لتنفيذ مشروع استصلاح البحر ..

يقول الدكتور عبد اللطيف كانو : ان مشروع (فشت الادهم) لايعدو كونه واحدا من مشاريع اسكانية خمسة ... اثنان منها بحريان ... □

محرك سيارات جديد لايلوث الجو

أثبتت الدراسات الأخيرة أن المسؤول الأول عن دمار البيئة وتلف الاشجار في غاباتها ليس الأمطار الحمضية كما ساد الاعتقاد سابقا ، وانما السيارة .. نعم السيارة ، ومايخرج من عادمها من ملوثات : أهمها غاز أول أكسيد الكربون .. وأكاسيد الأزوت والهيدروكربونات ..

ونقلت الينا المجلات العلمية في الوقت نفسه خبرا في غاية الأهمية فقد نجحت شركة تويوتا اليابانية في تطوير محرك للسيارة يكاد يكون خاليا من غازات التلوث التي ذكرنا ، يسمونه (Lean-Burn engine) ويحرق الهواء والوقود بنسبة ٢٣ جزءا من الاول ، جزء واحد من الثاني .. أضف الى ذلك أن المحرك الجديد يوفر من استهلاك الوقود بنسبة (١٨٪) والظاهر أن طائفة من الدول المتقدمة تدرس حاليا احتمالات تبني المحرك الياباني المذكور في صناعة سياراتها ، وذلك للتخلص من الملوثات التي تخرج من محركات السيارات التقليدية وتسبب تدمير البيئة ... □

تراث الانسانية

بقلم الدكتور أحمد أبو زيد

حين يؤرخ للحركة الثقافية في مصر بعد الحرب العالمية الثانية،فان عددا من المجلات الثقافية ذات المستوى الرفيع سوف تفرض نفسها على الباحث ، كي يفرد لها مكانا خاصا نظرا للدور الذي لعبته في توجيه الفكر العربي وتشكيله ، وماوفرته للكتاب والمفكرين والمبدعين من فرص للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في غير قليل من الحرية ، مع حرصها في الوقت ذاته على تحقيق درجة عالية من الجدية والتعمق في تناولها للموضوعات والمشكلات التي تعرض لها . وقد ظهر معظم هذه المجلات في الستينيات ، ولكنها لم تعمر طويلا ، فقد أجبرت اجبارا في أوائل السبعينيات على التوقف عن الصدور ، وتركت باختفائها فراغا رهيبا في الحياة الثقافية لم يمكن ملؤه تماما حتى الآن .

يرجع بعض أهمية هذه المجلات الى صدورها من هيئة حكومية هي وزارةالثقافة في مصر ، ومع ذلك فلم تكن هذه المجلات (لسان حال الحكومة)ولم تكن تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدولة ، كما أنها لم تنهج كلها نهجاً سياسيا أو أيديولوجيا واحدا ، بل كانت على العكس من ذلك تماما تعبر عن أفكار وآراء ومواقف متضاربة ومتناقضة ، وبذلك قام بينها كلها نوع من التكامل ساعد على أن تغطي مساحة كبيرة جدا من المجال الثقافي العام ، وفي مختلف ميادين المعرفة والابداع والتخصص .

من بين هذه المجلات العديدة التي كانت تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي المصرية انفردت مجلة « تراث الانسانية » بطابع خاص كان يميزها عنها كلها ، وهو طابع مستمد من نفس المجال الذي حددته لنفسها ، والسياسة التي رسمتها للسير عليها بحيث اقتصر نشاطها على مجال معين بالذات ، هو تقديم دراسات تحليلية عميقة لأهم الاعمال الفكرية والابداعية والعلمية التي أثرت في تاريخ الانسانية وأسهمت في تقدمها . ولذا كانت « تراث الانسانية » أقرب في طبيعتها الى المجلات الاكاديمية منها الى مجلات الرأي التي كانت تمثلها مجلة « الكاتب » والى حد ما مجلة (الفكر المعاصر) اللتان كانتا تصدران هما أيضا عن نفس الوزارة . وعهدت الوزارة بمهمة الاشراف عليها الى فئة من كبار الكتاب والمفكرين ، مما حدد بالضرورة المستوى العلمي للمجلة ، ونوع الكتابات التي تقدمها للقارىء . فقد أشرف عليها في بداية الامر لجنة تضم علماء ومفكرين ، من أمثال **عباس محمود العقاد وزكي نجيب محمود وعبد الحليم منتصر وعلي أدهم** ، ثم جاء من بعدهم **فؤاد زكريا** ، وهذه كلها أسماء لها وزنها ودورها في الثقافة العربية وحركة الفكر

المعاصر ، وذلك قبل أن أتولى أنا مهمة الاشراف عليها لفترة قصيرة ، حتى صدر في أواخر عام ١٩٧١ القرار بايقافها مع جميع المجلات التي كانت تصدرها الوزارة مثل مجلة (المجلة) ومجلة (الفنون الشعبية) ومجلة (المسرح) ومجلة الكاتب ومجلة الفكر المعاصر . وكان ذلك القرار أشبه بالكارثة التي وقعت على الاوساط الثقافية في مصر ، وأصابتها بالوجوم والقلق والخوف على مصير الثقافة ككل ، وعلى حرية الفكر وحق التعبير .

التعريف بروائع المفكرين

جاء التفكير في اصدار مجلة (تراث الانسانية) استجابة لحاجة ملحة شعر بها كبار المفكرين في ذلك الحين ، من ضرورة التعريف بروائع الكتب العربية والأجنبية التي تؤلف الركيزة الأساسية التى يمكن ان يقوم عليها بناء الثقافة وتكوين الانسان العربي المثقف ، خاصة وأن الكثيرين في العالم العربي ، ومن الشباب بالذات ، لايكادون يعرفون شيئا عن بعض هذه الاعمال أو عن أصحابها . وهذا وضع لانكاد نجد له مثيلا في الخارج ، حيث تهتم كثير من دور النشر باصدار سلاسل تعرض وتلخص روائع الفكر الغربي وتعرف بها القراء من الشباب ومن الطلاب بوجه خاص ، مع تضمين مختارات من تلك الأعمال تكفي للتعريف بخصائص الاسلوب ، ومنهج التفكير وطريقة الكتابة التي يتبعها أصحاب هذه الاعمال ، وتكون بذلك مقدمة وتمهيدا لاعداد الشباب والطلاب لقراءة الاصول ذاتها .
ولقد قامت مجلة « تراث الانسانية » لتحقق ما كان المثقفون يحلمون به ، من تقديم دراسات عن روائع الفكر العربي والاسلامي ، جنبا الى جنب مع الاعمال الكبرى في اللغات والثقافات الأجنبية .
والكلمة التي كتبها وزير الثقافة والارشاد القومي المصري حينذاك يقدم بها المجلة للقراء ، والتي نشرت في صدر العدد الاول ـ تشير الى تلك السلاسل والمجموعات التي ظهرت في الخارج ، والتي (تدرس روائع الكتب العالمية التي أثرت في الحضارة وتلخصها ، كما تترجم لكتابها في ايجاز ، وتعرض من هذه الكتب نماذج مختارة تساعد على فهمها وتبين خصائصها) .

ولكي تتحقق هذه الخطة كان يتعين انتقاء « طائفة من أمهات الكتب التي أثرت في الحضارة الانسانية » وأن يختص كل كتاب منها ـ كما تقول المقدمة ـ بفصل يبدأ بترجمة موجزة مستوعبة لصاحب الكتاب ، مع عرض سريع لكتبه الأخرى ، ثم يلي ذلك تلخيص دارس للكتاب المختار ، وتحليل لمادته ، وبيان مكانته ، وايراد شواهد منه تدل على أسلوب الكاتب وطريقته في التفكير « ولم تهمل المجلة » في هذا السبيل أيضا الكتب التي لايعرف مؤلفها مثل ألف ليلة وليلة والأساطير والقصص الشعبية وما الى ذلك . وقد التزمت « تراث الانسانية » بهذا الخط الواضح طوال حياتها القصيرة التي صدرت أثناءها كمجلة شهرية في أول الأمر ، ثم كمجلة فصلية ، ولم تخرج قط عن هذه الخطة وعن العمل لتحقيق ذلك الهدف ، وأمكن بذلك أن تقدم لقرائها بضع مئات من أمهات الكتب العالمية .

وراء المعرفة الانسانية

وقد يساعدنا العرض السريع لمحتويات المجلد الاول من المجلة على التعرف بشكل أوفى وأكثر وضوحا على سياسة المجلة وأهمية الرسالة التي حملتها ، والثروة الفكرية التي استطاعت تقديمها للقراء ، وكذلك مستوى الدراسات التي تضمنتها ، وبالتالي الدور الذي قامت به في تكوين العقل العربي خلال صدورها . ويكفي أن نذكر ان المجلد الأول بأعداده الأثنى عشر ، التي صدرت خلال السنة الاولى ، يضم دراسات تحليلة وافية لواحد وسبعين كتابا في مختلف فنون المعرفة الانسانية . وكثير من هذه الكتب لم يكن يتسنى للقارىء العربي العادي فرصة لمعرفتها معرفة وثيقة لولا (تراث الانسانية) .

ففي مجال اللغة والادب العربي مثلا نجد دراسات عميقة عن كتب من أمثال ديوان المتنبي ، وكتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، وطبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، وكتاب العين

للخليل بن أحمد ، ولسان العرب لابن منظور ، ومعجم الأدباء لياقوت وغيرها ...... وفي الفلسفة الاسلامية نقرأ عن احياء علوم الدين للغزالي ، وقصة حي بن يقظان لابن طفيل ، والرسالة القشيرية لعبدالكريم القشيري ، والفتوحات المكية لابن عربي .

كذلك كان لعلوم الفقة نصيب .. فنجد كتاب الرسالة للامام الشافعي ، الى جانب المسند للامام أحمد بن حنبل ، ومعهما الموطأ للامام مالك بن أنس . كما كان للتاريخ الاسلامي نصيب أيضا تمثل في عدد من المؤلفات المهمة ، مثل سيرة ابن هشام ، وفتوح مصر لابن عبد الحكم وكتاب تاريخ الأمم للطبري .. ولم تغفل المجلة في مجلدها الأول تقديم بعض كتب العلوم التي كتبها علماء المسلمين ، والتي لايكاد الكثيرون من القراء يعرفون عنها شيء ، او يسمعون حتى بأسمائها وأسماء أصحابها ، مثل الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار ، وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني . وبطبيعة الحال كان هناك ذلك (القاسم المشترك) في كل الأعمال والدراسات التي تهتم بالتراث العربي والاسلامي وهو مقدمة ابن خلدون .

وبالمثل كان هناك اهتمام بروائع الابداع الفكري العالمي في مختلف مجالاته ولغاته ومواطنه . فقد ضم المجلد الأول مجموعة ضخمة ومتنوعة من الكتب العالمية التي تعتبر أساسا ثقافيا صلبا بالنسبة لانسان المجتمعات الغربية . وبذلك نجد كتاب الأبطال لتوماس كارليل ، وهو الكتاب الذي أفرد فصلا مطولا للنبي محمد (ﷺ) الى جانب أزهار الشر ، الى جوار كتاب الشعر لبوالو ، الى جانب كتاب مختلف عن هذا كله اختلافا تاما ، في التوجه والنظر الى الانسان والمجتمع ، وفي نقطة الانطلاق ، وفي الأثر الذي تركه على العلاقات الانسانية ، وبخاصة فيما يتعلق بقوة السلطة ، وأعني به كتاب الأمير لميكيافيللي.. وكما كان للفلسفة الاسلامية حظ وافر كان لفلسفة الغرب نصيب كبير أيضا ، وبذلك نقرأ دراسة عميقة لكتاب وليام جيمس عن البرجماتية ، وهو كتاب ترجم الى اللغة العربية منذ سنوات طويلة ، حين كان لترجمة الكتب الجادة العميقة شأن في مصر والعالم العربي ، وقد أسيء فهم هذه الفلسفة مثلما أسيء فهم الوجودية ، اذ يأخذ الناس في العادة الأمور بظواهرها ، وينسون المبادىء الفلسفية العميقة الكامنة وراء تلك الظواهر .

الشوامخ

وقد عنيت المجلة فوق هذا كله بتقديم جانب آخر هام من الثقافة الغربية ، كان يحظي قبل الثورة بكثير من العناية ، ثم انصرف معظم المثقفين في مصر والعالم العربي عن الاهتمام به ، وأعني بذلك الاعمال الكلاسيكية الشامخة من يونانية ولاتينية .. ولقد كانت كليات الآداب في الجامعات المصرية بتأثير من طه حسين تعني بتدريس اللاتينية الى طلابها ، كما كان الطلاب في بعض الاقسام يدرسون اليونانية الى جانب اللاتينية .

كذلك كان الفكر اليوناني اللاتيني يجد طريقة الى القارىء المثقف العام في شكل ترجمات الى العربية ، لعل أشهرها هي ترجمة طه حسين لبعض أعمال سوفوكليس ، أو في شكل مقالات تعرض لبعض جوانب هذا الفكر من أدب وأساطير وغيرها تنشر في المجلات الاسبوعية ، على ماكان يفعل دريني خشبه .. في مجلة الرسالة ، وهو عمل طيب يذكر لصاحبه بالاجلال .

ثم بدأ الناس في مصر ينصرفون عن هذه اللون الرفيع الراقي من الثقافة الانسانية وذلك نتيجة لبعض الظروف والاوضاع التي لاسبيل الى الدخول في تفاصيلها هنا ، ولكن كان للنعرة القومية بغير شك دخل في ذلك . وحرصت مجلة (تراث الانسانية) على أن ترد الى الثقافة الكلاسيكية اعتبارها بين القراء المصريين والعرب ، وأن تعطيها ماهي جديرة به من عناية واهتمام ، باعتبارها أحد المصادر الاساسية للثقافة العالمية . وظهرت بذلك عدة دراسات لبعض هذه الاعمال الكلاسيكية في المجلد الأول ، مثل السير المتناظرة لبلوتارك ، والضفادع لأرستوفانيس ، والياذة هوميروس ، بل أننا نجد دراسة لكتاب اقليدس في أصول الهندسة . والطريف في الأمر هو أن آخر عدد ظهر من المجلة قبل صدور القرار بايقافها مع غيرها من المجلات كان مخصصا بأكمله لبعض

الأعمال الكلاسيكية اليونانية واللاتينية ، بينما كان العدد قبل الأخير مخصصا بأكمله أيضا لبعض الكتب الاسلامية التي تكشف عن كثير من جوانب الفكر الاسلامي .

ولم يكن يتسنى للمجلة أن تقدم كل هذه الاعمال في مثل هذا الاطار المحكم ، وعلى ذلك المستوى الرفيع ، الا لانها اتبعت منذ البداية سياسة انتقاء الاعمال واختيار الباحثين بدقة وعناية ، ولم تعتمد على ماقد يجود به عليها الكتاب أنفسهم من بحوث ودراسات قد تتلاءم أو لاتتلاءم مع الخطة التي وضعتها المجلة لنفسها . وتشير مقدمة وزير الثقافة في العدد الاول من المجلة الى هذه النقطة صراحة ، فتذكر أنه تم بالفعل اختيار « طائفة من صفوة الكتاب والأدباء والعلماء وأساتذة الجامعات والمتخصصين » لكتابة تلك الفصول عن الكتب المختارة .

لماذا توقفت ؟ !

ولكن اذا كان الأمر كذلك ، وكان ذلك هو شأن المجلة ومستواها العلمي والثقافي ، وشأن الرسالة التي كانت تحملها ، والهدف الذي تهدف اليه ، فلماذا توقفت إذن عن الصدور ؟ أو بالأحرى لماذا صدر قرار وزير الثقافة المصري في أواخر عام ١٩٧١ بايقافها هي وبقية المجلات الثقافية التي كانت تصدر عن تلك الوزارة ؟

التبرير (الرسمي) لذلك القرار هو أن كل المجلات التي كانت تصدرها الوزارة ، بما فيها تراث الانسانية ، لم تعد تلقى نفس الانتشار والذيوع والاقبال الذي كانت تلقاه من قبل ، وأنه من الخطأ بناء على ذلك أن تستمر الوزارة في اصدار مجلات انصرف عنها قراؤها ، لان ذلك يشكل عبئا ماليا عليها . وهذا تبرير أقل ما يقال فيه انه لا يطابق الواقع ، خاصة وأن كثيراً من أعداد (تراث الانسانية) ـ وهو ما يعنيني الكلام عنها هنا ـ نفدت تماما ، ولم يبق منها نسخة واحدة حتى في مخازن الوزارة ذاتها . والواقع أن هذا التبرير يدين وزارة الثقافة لأنه يعني أنها تنظر الى الثقافة كسلعة تجارية ، يجب أن يكون لها عائد مادي ، وأن تعود على الوزارة بالمكسب . وعلى أي حال فإن المثقفين أنفسهم في مصر يختلفون في تفسير موقف الوزارة من مجلاتها الثقافية .

فأما الذين يحسنون الظن بالقرار وصاحبه فانهم يذكرون أن المجلة حين صدرت لأول مرة، لم يكن يراد لها أن تستمر في الصدور بغير توقف ، وانها إنما قامت لأداء مهمة معينة تتوقف بعدها . والمقدمة التي كتبها وزير الثقافة تقول ان الدراسات التي سوف تنشر في اعداد المجلة سوف « تجمع كلها في خمسة مجلدات أو نحوها » في آخر الامر ، وبذلك تستنفد المجلة الغرض الذي أنشئت من أجله ، وعلى ذلك فليس على الوزارة مأخذ ان هي أوقفت (تراث الانسانية) ، خاصة أن الوزير الذي أصدر قرار الايقاف كان ـ بالمصادفة هو الوزير الذي أصدر قرار الانشاء (الدكتور محمد عبد القادر حاتم) .

وأما الذين يسيئون الظن بالقرار وصاحبه فيردون السبب الحقيقي الى فزع السلطات الحاكمة في أوائل السبعينيات من نمو حرية الفكر ، ازدياد جرأة المفكرين على النقاش والنقد ، ولم يكن ثمة وسيلة أمام تلك السلطات لوقف هذه الحركة التحررية الا منع المجلات الثقافية عن الصدور ، بصرف النظر عن اتجاهاتها ومواقفها . فالمثقف ـ بالضرورة شخص متمرد وأصعب قيادا وخضوعا ، ومن هنا جاء القرار شاملا لجميع مجلات الوزارة التي حكموا عليها بأنها فاشلة .

ومهما يكن من شيء فان توقف هذه الطائفة من المجلات الرفيعة المستوى كان ايذانا بنهاية فترة من فترات التحرر الفكري النسبي في مصر ، كما كان ايذانا بقيام عدد كبير من المجلات الثقافية في مختلف أنحاء العالم العربي ، لكي تواصل مسيرة الثقافة . ولقد بذلت محاولة أخيرة للرجوع الى المشروع الاصلي الخاص بجمع الدراسات التي ظهرت في تراث الانسانية ، أو مجموعة مختارة منها في شكل (دائرة معارف) تتألف من أربعة أو خمسة أجزاء . ولكن لأمر ما توقفت هذه الجهود والمحاولات . ولا يزال هناك رغم ذلك من بين المثقفين العرب من يرون أنه لا بد من إحياء المجلة بشكل أو بآخر ، كي تواصل ما انقطع من أداء رسالتها ، ولكن في ثوب جديد وبأسلوب جديد ودماء جديدة . □

مكتبة العربي

كتاب الشهر

يهود الإسلام

تأليف :

المستشرق : برنارد لويس

عرض : د . أحمد الأمين البشير

انتشرت في الأونة الأخيرة ظاهرة غير خافية المقاصد ، هي ظهور موجة زاحفة من الكتب ، ذات أهداف معينة ، تحاول الربط التاريخي بين اليهود والعرب المسلمين . أحد هذه الكتب كتاب (يهود الاسلام) هذا الكتاب هو أحدث مؤلفات المستشرق برنارد لويس الذي كتب ونشر مؤلفات عدة حول الاسلام . . وعندما يتابع القارىء عرض ونقد الكتاب من قبل الدكتور أحمد الأمين البشير ، الاستاذ المتخصص في التاريخ ، فانه يصل الى المعنى المقصود ، ويقف على حقيقة أفكار هذا المستشرق حول هذا الموضوع وغيره .

كتاب الشهر

الكتاب عبارة عن صورة موسعة لمحاضرات ألقاها المؤلف في عام ١٩٨١ في كلية الاتحاد العبري بمدينة سنسناتي بولاية أوهايو الاميركية، تخليدا لذكرى جوستاف ومامي أفرو بمسون.. يقول المؤلف في تصديره أنه راجعها وتوسع فيها وأضاف اليها قبل نشر الكتاب عام ١٩٨٤.

ولد البروفسير برنارد لويس في عام ١٩١٦، وهو من كبار المستشرقين، وله كتب عديدة اهمها «أصول الاسماعيليين والاسماعيلية» ١٩٤٠، و«الاسلام في التاريخ» ١٩٥٠، وقد ترجما الى العربية، و«العنصر واللون في الاسلام» ١٩٧١، والعشرات من الدراسات والمقالات.

والبروفسير برنارد لويس يهودي لا يحاول اخفاء صهيونيته، وان أصر على مقدرة الاكاديمي المنضبط على معالجة موضوع تخصصه، دون التأثر بارتباطاته العرقية والعقائدية.

وكان قبل عامين قد نشر تعليقا طويلا مكثفا حاد العبارة والمضمون، في صحيفة النيويورك ريفيو أوف بوكس The New York Review of Books، يفند فيه هجوم الدكتور ادوارد سعيد القارص عليه وعلى نواياه السيئة نحو العرب والعروبة في كتابه «الاستشراق» (انظر النسخة الانجليزية Orientalism صفحات ٣١٤ ـ ٣٢١).

هذا الموقف من جانب المؤلف يضع على كاهل الناقد والقارىء العربي عبئا اضافيا عند قراءة كتابه موضوع هذا التعليق، والغوص في السطور وما بينها لمعرفة مدى صدق ادعائه، ومدى نجاحه في تحقيق ذلك من خلال معالجته لموضوعه الحساس.

يقول الكاتب في المقدمة: «ان مصادر العصرين الوسيط والحديث للتاريخ اليهودي تعترف بأن اليهود لم يتمتعوا بحياة زاهرة منتجة في شتاتهم، إلا تحت ظل الاسلام والمسيحية. ويعزو ذلك الى حقيقة هامة، وهي أن اليهود لم يهملوا، وكانت لهم منزلة كونية محددة في المجالين الديني والتاريخي.

فالمسيحيون قد تبنوا كتاب اليهود المقدس، اما المسلمون فانهم قد اعترفوا به كرسالة سماوية جاء الاسلام ليكملها. من هذا المنطلق لم تكن اليهودية غريبة او عبثية في نظر المسلمين والمسيحيين، وانما تنتمي لنفس المصدر الذي نبعا منه، هذا الاعتراف يعطي لليهودية، رغم الاضطهاد والكراهية والقتل، في رأي الكاتب، «فسحة للازدهار» اذ ان الاضطهاد في نظر المؤمن خير من التجاهل والاستهانة».

الاسلام والاديان الأخرى

يشير الكاتب في الفصل الأول الى النمطين الغالبين للانسان العربي المسلم في الحضارة الغربية: الأول يمثله كمحارب على ظهر جواده، يحمل السيف باليمين والمصحف باليسار، ويعود الفضل في انتشار هذه الصورة الى المؤرخ الانجليزي ادوارد قبون (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤) مؤلف «أفول وسقوط الحضارة الرومانية» ويسخر الكاتب من هذا النمط بقوله ان المعرفة العابرة للعربي المسلم تكشف انه لا يحمل المصحف متباهيا بيسراه.

اما النمط الثاني فيمثل الوطن العربي الاسلامي كمجتمع مثالي تنصهر فيه مختلف العناصر والعقائد في وئام وانسجام، ويعمل فيه الجميع على ازدهار الحضارة وتقدمها.

ويمضي الكاتب في تعليقه على النمطين قائلا ان النمط الأول من وجهة النظر اليهودية يمثل المانيا

النازية ، اما النمط الثاني فيمثل المجتمع الأمريكي المعاصر في تنوعه وتفاعله ومثله . والنمطان لا يمثلان الواقع ، ولكنهما ككل الانماط ، لا يخلوان من صدق ، ويشتركان في كونهما حديثين ، ومن نتاج الخيال الغربي ، اذ ان كلا التعصب والتسامح امران جديدان على المسلمين والمسيحيين على السواء . لم يكن التسامح ذا قيمة مجردة لدى المجموعتين ، كما لم يكن التعصب مرفوضا مدانا . والى عهد قريب لم تكن اوروبا المسيحية تحفل بالتسامح ، او تفتقد غيابه عند الآخرين .

اما الحديث عن التسامح الذي يجيده المدافعون عن الاسلام من مسلمين ومتعاطفين معهم ، فهو في نظر الكاتب ، لا يتردد ابدا على ألسنة دعاة البعث الاسلامي هذه الايام كما لم تعرفه المجتمعات الاسلامية التقليدية الأولى التي لم تمارس المساواة بين الذين قبلوا الدين الجديد ـ الاسلام ـ والذين رفضوه ، لأن ذلك ببساطة يناقض اسس العقيدة الاسلامية والمنطق الكامن وراءها .

يتحدث الكاتب بعد ذلك عن اهمية التعريفات المحددة للاسلام ، ويحددها في معان ثلاثة : أولها الوحي الذي انزل على النبي محمد (ﷺ) بالرسالة المتضمنة في القرآن الكريم . وثانيها التطور التاريخي للاسلام بعد موت النبي ، وما استحدث من تصوف وفكر ونشاط . وثالثها الحضارة الاسلامية في شمولها من فنون وعلوم ، بمعنى آخر الملامح الثقافية وليست الدينية فقط .

يقول الكاتب ان الاضطهاد النشيط العنيف القائم على القهر لم يحدث الا نادرا في الاسلام . فاليهود والمسيحيون لم يعانوا في ظل الاسلام الاستشهاد في سبيل العقيدة ، ولم يرغموا على الاختيار بين دخول الاسلام او المنفى او الموت ، كما حدث للمسلمين واليهود في اسبانيا المسيحية مثلا .

ويقارن الكاتب بين سماحة الاسلام في بدايته وفي العصور الوسطى ، وبين نظام الطبقات المغلقة في الهند ، وبين النظام الارستقراطي في اوروبا آنذاك ، لقد كانت الحركة عبر السلم الاجتماعي مفتوحة للجميع في المجتمع الاسلامي ، الا ان هذه الحركة كانت محدودة في مواضع كثيرة . فالعضوية الكاملة غير المنقوصة كانت مقصورة على الذكور المسلمين الأحرار . اما النساء والرقيق وغير المسلمين من اهل الذمة فلم يكونوا متساوين معهم ، وعدم مساواتهم ليست نتاج التقاليد والطبيعة الانسانية فقط ، وانما تنص عليها الشريعة في رأي المؤلف .

وهذه المجموعات الثلاث في رأيه وخاصة النساء والرقيق ، كانت هامة وضرورية للمجتمع الاسلامي ، الا انه لم يكن للمرأة خيار في كونها انثى ، ولا يتيسر بطبيعة الحال للعبد ان ينعم بحريته الا بموافقة سيده على عتقه . اما الذمي فكانت له حرية الاختيار بين دينه وبين الاسلام ـ الرسالة الاخيرة من الله سبحانه وتعالى التي هي اكمال لليهودية والمسيحية . واذا رفض اليهود او النصارى اهتبال هذه الفرصة المواتية ، فعليهم وحدهم يقع عبء ذلك الاختيار ، والرضا بهوية الذمي ، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات كما جاءت في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه لأهل سوريا المسيحيين ، وما اضيف اليه من حدود وقيود تختلف من مجتمع اسلامي لآخر .

ولا يسع المرء الا ان يتفق مع الكاتب هنا ، في ان على من اختار تقع تبعة اختياره ، ولكن الموضوع اكبر من ذلك ، وكان على الكاتب ان يذكر ان الرفض اليهودي للأديان الاخرى له بعد آخر ، هو اسطورة « شعب الله المختار » التي تحمل في طياتها رفضا واحتقارا مسبقين للتسامح ، وحتى للمساواة . هذا البعد الهام الذي يتجاهله الكاتب عمدا يمثل الحلقة المفقودة في كتابه . ولعل هذا البعد يفسر اضمحلال اليهودية وتحجرها في الانظمة الدينية والسياسية التي تهملها ولا تعترف بها ، وبالتالي تنسف أسس الاسطورة ، وتحول الاقلية اليهودية الى جالية عادية ليس امامها سوى الانصهار في الاغلبية ، او الاضمحلال او التحجر او الرحيل .

كتاب الشهر

التقليد اليهودي ـ الاسلامي

يقول الكاتب عنه :

« يعرف تاريخ اليهود نوعين متباينين للعلاقات الثقافية بين اليهود وجيرانهم . في احدهما يندمج اليهود في المجتمع الذي يعيشون فيه ، يتكلمون لغته ويتبنون القيم الثقافية للاغلبية المحيطة بهم . وهذه هي الحال في غرب اوروبا وامريكا الآن » .

« اما النوع الآخر فيعيش فيه اليهود في عزلة ثقافية ، لا يتحدثون لغة الأغلبية ، وانما اللغة العبرية او لغة اخرى لا يتحدثها من حولهم كالاسبانية ـ اليهودية التي جاء بها اليهود السفارد في الامبراطورية العثمانية ، او الالمانية ـ اليهودية (الييدية) التي يتحدث بها اليهود الاشكناز القادمون من المملكة البولندية والامبراطورية الروسية ، وقبل ذلك اللهجات الآرامية ـ اليهودية التي كانت شائعة في منطقة الهلال الخصيب وما وراءه - » .

« ان كلا هذين النوعين ينتج انواعا مختلفة للحياة اليهودية ، تتميز بعلاقات مختلفة بين الأقلية اليهودية والأغلبية الحاكمة » .

« ان التمازج والتعايش الثقافي لليهود والعرب في العالم الاسلامي يقترب من النوع الأول الغالب على حياة اليهود في المجتمعات الاوروبية والأمريكية الان . ويختلف عن الوضع في الامبراطوريات الرومانية والعثمانية والروسية . وكما اشار المستشرق (بروفسير قويتين) فان التمازج الثقافي بين اليهود والمسلمين قد انتج شيئا ليس هو مجرد ثقافة يهودية باللغة العربية ، وانما ثقافة يهودية ـ عربية يمكن ان نطلق عليها ثقافة يهودية ـ اسلامية » .

« اما من ناحية اللغة فهناك اختلافات طفيفة في اللهجات . لقد طور اليهود مثل المسيحيين لهجاتهم العربية المحددة ذات المفردات والاصوات المختلفة ولأغراض دينية . فاليهود قد كتبوا العربية باحرف عبرية ، كما ان المسيحيين قد كتبوها باحرف سريانية وذلك لاغراض دينية بحته ، فالمجموعتان تتبعان ديانتين سماويتين تقومان على كتابين مقدسين ، يعبر عنهما من خلال طقوس مكتوبة . هنالك اذن ارتباط وثيق بين النص والعبادة من جانب ، وبين النص والعقيدة من جانب آخر . ولكن الاختلافات بين هاتين اللهجتين والعربية طفيفة بالمقارنة مع سواها . ولا تؤثر كثيرا على حجم الاشتراك في اللغة والقيم الثقافية التي تعبر بواسطتها . ولقد ادى ذلك الى خلق اطار ثقافي عام ، وفر قدرا كبيرا من الاتصال والتفاعل الذي كان نادر الحدوث في تاريخ الشتات اليهودي » .

« ان عملية التأثر الثقافي لليهود بالعالم العربي الاسلامي تتعدى حدود اللغة الى الاسلام . ولا يعني هذا بالضرورة اعتناق اليهود للاسلام ، وان كان هناك العديد منهم الذين اعتنقوا الاسلام ولعبوا دورا عظيم الاهمية فيه . الذي نقصده هنا ليس اتخاذ الاسلام دينا وانما هضم واستيعاب وتمثل صيغه الفكرية وانماطه السلوكية ـ بكلمة واحدة قيام تقليد يهودي ـ اسلامي مواز للتقليد اليهودي ـ المسيحي والذي كثر الحديث عنه في عصرنا الحاضر » .

« لقد اشرنا من قبل الى بعض المشاكل المتعلقة بالعلاقات المتبادلة بين اليهودية والاسلام والتأثيرات التي حدثت بينهما . انه من الصعب بل من المستحيل احيانا معرفة اي الممارسات والأفكار قد سبقت الأخرى ، وبالتالي ايها اثر على الآخر . ولعله من الأوفق ان نستعمل صيغة محايدة ، وان نتحدث عن سلسلة من التطورات اليهودية تقابلها تطورات مماثلة

في الاسلام . اما في بعض الأمور ، فان التسلسل التاريخي يثبت دون شك ايهما مصدر النفوذ وايهما متلقيه ، ولكن في امور اخرى فانه يصعب تمييز خط التطور » (صفحات ٧٧ ـ ٧٨) .

ويقول المؤلف ان هنالك اختلافا كبيرا بين معاملة اليهود في المسيحية وفي الاسلام في القرون الوسطى . فعداء المسلمين لليهود لم يكن عداء دينيا . اما صلة اليهود بالمسيحية فتعود الى اللحظات الاولى لميلاد المسيحية ورفض اليهود لها ومحاربتهم للمسيح ، في حين ان مصدر العداء بين اليهودي والمسلم هو العلاقة المتوترة ابدا بين الأغلبية المسيطرة والاقلية المستضعفة ، وليس لها ذلك البعد الديني والنفسي الذي تمخض على المدى عن العداء للسامية في الغرب .

ويذكر المؤلف كتاب ابن حزم (٩٩٤ ـ ١٠٦٤) « الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل اخرى » الذي هاجم فيه اليهود من منطلق اختلافه مع ابن النغريلة . وكتاب القاضي ابن سعيد الاندلسي « طبقات الأمم » الذي صدر في القرن الحادي عشر ، وانصف فيه اليهود بذكرهم ضمن الامم الثماني التي اسهمت في مجال الحضارة الاسلامية كما ورد ذكرهم في مقدمة ابن خلدون . ويقول الكاتب ان جميعها تخلو مما يمكن ان نطلق عليه العداء للسامية الذي عرفه الغرب .

العصور الوسطى

يرفض المؤلف في بداية هذا الفصل استعمال التقسيمات الزمنية من قديم ووسيط وحديث لدراسة التاريخ الاسلامي ، ويستبدلها بثلاث مراحل من الغزو والتوسع الجغرافي ، غيرت ملامح العالم سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

المرحلة الأولى هي غزو العرب والمسلمين في القرنين السابع والثامن للبلاد التي حولهم ، والذي تم خلاله نشر الدين الاسلامي واللغة العربية واقامة الخلافة الاسلامية . وقد نجمت عن ذلك تغيرات جوهرية ادت الى خلق نظام جديد على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي في منطقة الشرق الاوسط .

اما المرحلة الثانية فتبدأ بغزو اهل السهول من الشمال والشمال الشرقي ، بداية بهجرة الاتراك في القرنين العاشر والحادي عشر ووصلت قمتها بهجرة المغول في القرن الثالث عشر ، مما ادى الى زوال الخلافة الاسلامية وقيام عهد سياسي جديد ، اصبحت السيادة فيه من نصيب الاتراك والمغول في امبراطوريات وممالك بديلة كما اصبحت اللغات التركية والمغولية هي الغالبة . بينما بقي الاسلام سائدا ، وان تغير في بنيته واصبح هرميا ، واكثر اهتماما بالنظام ، وتقليديا محافظا .

اما الغزو الأخير فهو الغزو الاوروبي . وكانت الممالك الاسلامية قد حاولت غزو الممالك الاوروبية اكثر من مرة . فقد حاول العرب في اسبانيا وصقلية ، والتتر المسلمون من روسيا ، والاتراك الذين نجحوا مرتين في الوصول الى اسوار فيينا . ولكن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل . وتحول موقف اوروبا من الدفاع الى الهجوم ، ولاحق الاسبانيون والبرتغاليون المغاربة الى شمال افريقيا ، وابحروا حول القارة الافريقية ، وحاربوا العرب المسلمين في جنوب آسيا وجنوب البحر الابيض المتوسط . . واستطاع المجريون والنمساويون طرد العثمانيين عبر البلقان الى القسطنطينية ، وبعد ان حرر الروس موسكو من التتر طردوا العثمانيين الى البحر الاسود وجبال القوقاز والى قلب العالم الاسلامي .

والكاتب هنا لم يلتزم الدقة في وصفه محاولات المسلمين غزو اوروبا بالفشل . نعم لم ينجح المسلمون في غزو اوروبا غزوا كاملا ، لكنهم نجحوا في غزو واحتلال بعض اجزاء منها لقرون طويلة ، وتركوا بصماتهم الثقافية والدينية واللغوية فيها الى يومنا هذا .

والفترة التي تهم المؤلف هنا هي فترة الغزو الثاني التي شهدت تدفق اهل السهول من المغول وانتهت بتقدم الغزاة الاوروبيين ـ اي فترة ازدهار واضمحلال الامبراطورية العثمانية .

كتاب الشهر

يقول المؤلف ان الجاليات اليهودية في الامبراطورية العثمانية كانت تتكون من مجموعات متعددة ، فهناك طبقة اليهود الرومانيين الذين يتحدثون الاغريقية في غربي آسيا الصغرى وفي القسطنطينية ومدن البلقان وتتكون ـ المجموعة الثانية ـ من المهاجرين من اوروبا وهم غالبا من اليهود الاشكناز القادمين من المانيا وفرنسا ، ولكن هجرة هذه المجموعة تضاءلت تحت وطأة هجرة اليهود السفارد من جنوب اوروبا بعد طردهم من اسبانيا في ١٤٩٢ ، ومن البرتغال في ١٤٩٦ ، ولقد بدأت اعدادهم تتزايد في اسطنبول وسولنيكا وأزمير وسواها من مدن الاناضول والبلقان .

وبعد احتلال العثمانيين لشمال افريقيا انضمت الى يهودها مجموعات جديدة تتحدث العربية ، وتطلق عليهم الوثائق العثمانية اليهود المستعربة ، تمييزا لهم عن يهود مصر وسوريا والعراق الذين يتحدثون العربية ، واليهود الذين يتحدثون التركية والاسبانية ، وكانت هناك اقليات صغيرة من المتحدثين باللغتين الكردية والآرامية .

معنى ذلك ان يهود الدولة العثمانية كانوا يتكونون من المقيمين والمهاجرين . اليهود المقيمون اصبحوا جزءا من الامبراطورية العثمانية ، مثلهم مثل سواهم . اما المهاجرون فيكونون المجموعة الوحيدة التي اصبحت عثمانية بمحض اختيارها ، بعد ان سمعوا بالسماحة والفرص المواتية فيها ، وضاقوا بالاضطهاد الديني في اوروبا .

ويضيف الكاتب ان الدولة العثمانية قد دأبت على ترحيل الافراد والعائلات والمجموعات من مكان لآخر ، اما بقصد توقيع العقوبة عليهم ، او تمشيا مع سياسة الدولة الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية ، وكانت سياسة الترحيل هذه تنطبق على الجميع من مسلمين وسواهم . مثلا بعد احتلال القسطنطينية رحل اليهود باعداد كبيرة من الأناضول والبلقان . وفي بداية القرن السابع عشر اصبح ٦٧٪ . من سكان سالونيكا يهودا . كما رحل اليهود الى قبرص بعد احتلالها في عام ١٥٧١

اما عن نظام الملة الذي اقامه العثمانيون لتنظيم الاقليات فيقول الكاتب :«ان ما جاء في ادبيات اليهود والعثمانيين في تعيين السلطان محمد الفاتح (١٤٣٢ ـ ١٤٨١) للحاخام موسى كابسالي في عام ١٤٥٣ مسئولا عن الملة اليهودية في جميع انحاء الامبراطورية ليس صحيحا ، اذ عين مسئولا فقط عن الجالية في اسطنبول » . ويعزو الكاتب ذلك الخلط . . الى عادة العثمانيين في اعلان اوامرهم الاصلاحية بأثر رجعي لاسباب دعائية . اما اول مرة يعين فيها حاخام عام ليهود الامبراطورية العثمانية كمجموعة فقد حدث في عام ١٨٣٤ .

يقول الكاتب ان اليهود المهاجرين من اوروبا الى الامبراطورية العثمانية اتوا بمعرفة جديدة وحرف ضرورية ، من حضارة مزدهرة الى حضارة متقلصة لم تعد في موضع العطاء . وكان اسهام هؤلاء اليهود في الحياة الثقافية للامبراطورية العثمانية محصورا في مجالات الطب والفنون الاستعراضية والعسكرية والطباعة والتجارة والديلوماسية .

ولكن مع مرور الوقت فقد اليهود المهاجرون معرفتهم باللغات الاوروبية وبالتالي بدأ اسهامهم في الزوال بعد ان حلت مكانهم مجموعات مهاجرة جديدة من الاغريق والطليان والأرمن ، احتفظوا من خلال ارسال ابنائهم للتعليم في الجامعات الاوروبية باستمرار معرفتهم اللغات الاوروبية ، وبالتالي تمكنوا

من نقل منجزات الحضارة الاوروبية الى الامبراطورية العثمانية لفترة اطول .

يقول الكاتب انه برغم اتسام الامبراطورية العثمانية بالتسامح في معاملاتها مع اليهود الا ان القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر شهدت ازدياد العداء والمرارة من العامة والعلماء لهم تدريجيا ، مماكان يضطر الولاة والسلطان لتهدئتهم باعلان وتطبيق واجبات والتزامات اهل الذمة . كما ان الفترة ذاتها شهدت تسرب بعض ممارسات العداء للسامية المنتشرة في اوروبا ، مثل اتهام اليهود باختطاف النصارى ، وخاصة اطفالهم ، واستنزاف دمهم Blood Libel ليعجنوا به الخبز الذي يتناولونه في مناسبات دينية ، واتهامهم كذلك - كأقلية - بالتآمر باستمرار ضد الاغلبية ، بحيث اصبح التآمر سمة ثابتة في شخصيتهم الجماعية كيهود ، ويعطي الكاتب مثلا باتهامهم بمؤامرات نشر الاشتراكية في العالم العربي الاسلامي .

ويقارن الكاتب بين معاملة اليهود في اوروبا بعد القرن السادس عشر ، وبين معاملتهم في الامبراطورية العثمانية لنفس الفترة . . بدأت الامبراطورية العثمانية تعاني من التدهور السياسي والاقتصادي ، وانعكس ، ذلك على الموقف الشعبي والرسمي تجاه الاقليات من يهود ومسيحيين . اما اوروبا فقد شهدت في الفترة ذاتها ازدهارا اقتصاديا واصبح اليهود يلقون معاملة حسنة فيها نسبة لانتشار مبادىء الثورة الفرنسية والافكار الليبرالية والمبادىء الانسانية .

يقول الكاتب ان اليهود في ايران تحت حكم الشيعة المتزمت كانوا يعانون اكثر من معاناتهم في اي مكان آخر من العالم الاسلامي ، وقد لخص الرحالة اليهودي جي . جي . بنيامين معاناتهم في منتصف القرن التاسع عشر ، في خمس عشرة ممارسة تلقي الضوء على ماوصل اليه وضع الذمي من تدهور ، ومن بينها اجبارهم على العيش في حي خاص في المدينة ، لا يحق لهم العمل بالتجارة حتى في احيائهم ، يحصبون بالحجارة دون ذنب ظاهر ، يمنعون من الخروج من منازلهم اثناء هطول الامطار خوف انتشار نجاستهم ، اذا قتل يهودي وشهد مسلمان على الجريمة يغرم قاتله المسلم بما يعادل ستمائة قرش ، لا يحق لليهودي معاينة البضائع او لمسها قبل شرائها ، وان فعل يرغم على شرائها بالثمن الذي يحدده البائع ، لا تباع اللحوم التي تذبح بالطريقة اليهودية للمسلمين ، اذا تجرأ يهودي وخرج من بيته اثناء الاحتفالات الدينية يكون عقابه الموت الخ . . الخ هذا الى جانب ارغامهم على الممارسات التقليدية من لبس ملابس معينة ، وبألوان معينة ، وشارات معينة ، ومنعهم من ركوب الخيل والجمال ، وارغامهم على دفع الجزية ، وحرمانهم من تقلد وظائف وحرف معينة .

نهاية التقليد

في نوفمبر ١٨٠٦ تدخل القنصل البريطاني جيمس قرين لدى ملك المغرب طالبا اعفاء اليهود في جبل طارق من قرار منعهم من لبس الملابس الاوروبية وقد استجاب الملك لطلبه .

ويقول الكاتب ان لهذا القرار اهمية خاصة من عدة وجوه . لقد كان جبل طارق تحت السيطرة البريطانية منذ عام ١٧٠٤ ، وكانت اسبانيا قد اشترطت عدم السماح لليهود المغاربة بالاقامة في جبل طارق ، وهو شرط لم يلتزم به البريطانيون ، وتجدر الاشارة الى ان يهود الامبراطورية البريطانية كانوا قد حصلوا على حقوقهم المدنية الكاملة في القرن التاسع عشر .

بعد ان حصل اليهود على حقوق المواطنة في اغلب الدول الاوروبية ، بدءوا يتدخلون بمختلف الطرق لانقاذ اخوانهم في العالم الاسلامي ، والعمل على تحسين اوضاعهم فيه .

ولقد لعبت الدول الاوروبية دورا هاما في تحسين حالة اليهود والمسيحيين المقيمين في الامبراطورية العثمانية ، اذ شملت معظمهم رعاية القناصل الاوروبيين تحت نظام الامتيازات الاجنبية Capitulations ، وكان هذا التدخل يثير ثائرة

كتاب الشهر

الأهالي والطبقات الحاكمة ، ويقود الى انفجار العداء ضد الأقليات ، وتشديد قبضة الاضطهاد وممارسات نظام الذمة .

يقول الكاتب ان هذه الصلة الثلاثية بين الاسلام هنا واليهود واوروبا وجدت تعبيرها الدرامي في حادثة دمشق المشهورة في عام ١٨٤٠ .

ففي فبراير من ذلك العام اختفى قسيس فرنسي وخادمه ، واتهم زملاؤه حلاقا يهوديا بقتله ، وخلط دمائه مع الخبز الذي يأكله اليهود في مناسباتهم الدينية . وكان يقف وراء الاتهام والتحريض القنصل الفرنسي الذي نجح في اقناع حاكم الاقليم - شريف باشا - بالاتهام واعتقال قادة الجالية اليهودية البارزين ، وتعذيبهم اثناء الاستجواب ، مما ادى الى موت احدهم ، واعتناق آخر للاسلام ، واعتراف العديدين بالجرم تحت التعذيب . وحتى يبرر القنصل تدخله أثار حملة صحفية ضارية ضد اليهود في دمشق وباريس . وتحرك قادة اليهود في اوروبا ، وكونوا معارضة قوية وجدت استجابة في الدوائر المسئولة والشعبية .

وتكونت لجنة من اليهود وانصارهم في البرلمان في بريطانيا ، وارسلت لجنة الى مصر لمقابلة واليها محمد علي باشا ، وكانت سوريا تحت حكمه ، تنذره وتطلب تدخله للتحقيق في الواقعة . وقام اللورد بالمرستون ، وزير الخارجية البريطانية بالاتصال بمحمد علي باشا ، كما فعلت الحكومة الفرنسية نفس الشيء . وتحت هذا الضغط المتزايد اصدر محمد علي باشا اوامره باطلاق سراح اليهود المعتقلين فورا . ويقول الكاتب انه اضطر بعد ذلك باشهر الى التخلي عن سوريا وفلسطين تحت الضغط الاوروبي .

وكان الوفد البرلماني البريطاني عند عودته من مصر قد عرج على القسطنطينية وقابل السلطان الذي اصدر فرمانا يدين حملات التشهير الجماعية ضد الاقليات ، ويؤكد عزم السلطات العثمانية على اعطاء اليهود حماية كاملة في النفس والممتلكات .

وفي عام ١٨٦٠ انشيء التحالف الاسرائيلي العالمي Alliance Israelite Universelle في باريس من اليهود الفرنسيين ذوي الاتجاهات الدينية والسياسية الليبرالية ، الذين نذروا انفسهم للاخذ بايدي اخوانهم اليهود في كل مكان ، وتحريرهم من الاضطهاد والعنف والخوف والجهل ، وتوعيتهم بحقوقهم المدنية . ورغم ان التحالف قد قصد به جميع اليهود في مختلف البلدان الا ان منظمات مماثلة له انبثقت في العالم الغربي ، في لندن في عام ١٨٧١ ، وفي فيينا عام ١٨٧٣ ، وبرلين عام ١٩٠١ ، والولايات المتحدة عام ١٩٠٦ وكانت هذه فترة تطور الصهيونية فكرا وتنظيما وتطبيقا .

ولقد قامت هذه المنظمات المدعومة النشيطة بمساعدة اليهود في المشرق العربي ، خاصة في مجال التعليم والتوعية ، والى لفت انظار المسئولين من وطنيين واجانب .

حقا لقد توفرت ظروف مادية واجتماعية وثقافية لاوروبا بعد القرن الثامن عشر ، جعلت انصاف الاقليات امرا مقبولا وضروريا ، لكن يجب ان نذكر ان هذا التسامح نحو الاقليات في اوروبا نفسها ومستعمراتها بعد ذلك قد واكبه اضطهاد واستغلال للاغلبية ، لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية . ولقد اقامت الادارات البريطانية تحالفات غير متكافئة مع عدد من الاقليات ، او طبقة منها ، لتركيز دعائم سيطرتها .

في العالم الاسلامي كانت هذه الاقليات تنتمي

غالبا الى اليهود وسواهم ونحن لا نرمي هنا بايراد هذه الحقيقة التاريخية الموثقة الى دمغ هذه الاقليات ككل بالعمالة والتواطؤ مع المستعمر ، ولكننا قصدنا ان نلفت الانظار الى حقيقة هامة اغفلها الكاتب عامدا عن مقارنته بين موقفي العالم الغربي والعالم الاسلامي تجاه الاقليات في العصر الحديث ، بحيث خرجت اوروبا من المقارنة وكفتها راجحة وهي التي مارست اسوأ انواع الاسترقاق والعنصرية والاستغلال والاضطهاد لبلاد وعناصر وقارات باكملها ، مما يجعل وصفها بالتسامح اقرب الى النكتة غير المستساغة منه بالتحليل الموضوعي الشامل . قد يقول قائل ان الكاتب كان يعالج أمر اليهود فقط وفي اوروبا ، ونقول ان الكاتب قد اورد ذلك في نطاق المقارنة مع وضع اليهود والاقليات في العالم الاسلامي والعالم الاوروبي وكان يتحتم عليه ان يوفي الموضوع حقه ، وهو اساسا عن يهود الاسلام .

الخلاصة والتعليق

والآن ، وبعد هذا التلخيص الطويل للكتاب الذي حاولنا فيه ابراز وجهة نظر المؤلف قدر الامكان ، يحق ان نتساءل : هل التزم الكاتب الموضوعية في معالجة موضوعه الحساس ؟

اولا لم يأت الكاتب بجديد من المعلومات ، وان نجح في الغوص في مختلف المراجع ، وانتقى منها ما يخدم اطروحته واغفال مايناقضها ، وخير مثال لذلك قفزته الخطيرة من نهاية القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين . لم يقل الكاتب شيئا عن فلسطين وعن قيام « اسرائيل » وما ساد ذلك من ذبح وقتل وتشريد . هذا من ناحية المعلومات ، وهو نقص خطير .

اما من ناحية المنهج المقارن الذي استعمله بمهارة في القاء الضوء على وضع اليهود والاقليات الاخرى في العالم الاسلامي ومقارنته بوضع اليهود في اوروبا وامريكا ، فيبدو ان الكاتب قد رفض عامدا ان يسلطه على « اسرائيل » حتى تكتمل دائرة المقارنة . لقد ظل اليهود اقلية مضطهدة مستضعفة طوال التاريخ ، كما يقول الكاتب ، ولكنهم منذ قيام « اسرائيل » في عام ١٩٤٨ تحولوا الى اغلبية حاكمة في داخل حدودها ، فماذا فعلوا بالآخرين ؟ المؤلف لا يريد ان يمس هذا الموضوع ، ولو من بعيد لأنه يقود الى مسئولية الحضارة الغربية وقيمها التي يمجدها الكاتب مما كان سيقوض اركان اطروحته . كذلك لم يقل الكاتب شيئا عن قيام الحركة الصهيونية للسبب ذاته .

لقد وضع الكاتب نصب عينيه هدفا معينا ، وهو اقامة البرهان وتقديم الأدلة على صحة اطروحته ، وجاءت النتيجة تاريخا ناقصا ، وكان يجدر به ان يكتب التاريخ اولا ـ كاملا غير منقوص ويستخرج منه ما يشاء من العبر بعد ذلك .

وليس للكاتب عذر ، خاصة بعد تعليقه على كتاب « الاستشراق » وأهم من ذلك بعد « اسرائيل » وما تبع ذلك من مجازر صبرا وشاتيلا ، واحتلال مايزال قائما في الجنوب والبقاع اللبنانين .

ان موضوع الكتاب هو مدى تسامح الاغلبيات تجاه الاقليات . والتسامح ككل القيم المجردة لا يمكن تجزئته او قياسه بمعايير مختلفة للمسلمين والمسيحين الاوروبيين وللاسرائيليين ، ولكن الكاتب اغفل هذه القاعدة الذهبية .

نعم لقد قام في الماضي تقليد يهودي ـ اسلامي في ظل التسامح الاسلامي . وهذا عنصر ايجابي . وقام مؤخرا تراث آخر صهيوني ـ عربي مازال ينمو . وهو عنصر سلبي . وكان على الكاتب ألا يغفل التقليد الثاني حتى لا يخرج عملا غير متوازن وغير مقنع .

لقد ذكر الكاتب في مقدمته ان كتابه عبارة عن صورة موسعة لمحاضرات القاها في كلية الاتحاد العبري بمدينة سنسناتي بولاية اوهايو الامريكية ، وليته لم يقل بانه قام بمراجعة وتوسيع المحاضرات ، وليته قال انه اكتفى بنشرها كما هي حين القاها على جمهور معين . ولو فعل ذلك كنا سنجد له العذر . اما وقد اختار ان يتوسع فيها وان يضيف اليها لنشرها على جمهور اوسع فكان يجدر به ان يكون اكثر حرصا على الدقة والموضوعية والاكاديمية المنضبطة . □

من المكتبة العربية

ذيول

مجموعة قصصية للكاتب الفلسطيني الراحل أمين فارس ملحس*

بقلم : يوسف عبد الله محمود

في الرابع عشر من شهر نيسان عام ١٩٨٣ ، غيب الموت واحدا من رواد القصة القصيرة في الاردن هو المرحوم أمين فارس ملحس ، ولست هنا بصدد الحديث عن سيرته الذاتية أو رصد كل مظاهر نشاطه الأدبي ، وهي كثيرة لا يتسع المجال لتتبعها في هذا الحديث . . . ولكنني معنيّ بتناول مجموعته القصصية « ذيول » التي آثرت رابطة الكتاب الاردنيين نشرها غداة مرور أربعين يوما على وفاته ، وفاء منها لهذا الكاتب الذي ارتضى أن يعيش في الظلال زهدا منه في الشهرة التي كثيرا ما جرت على صاحبها المحن والنكبات . . تضم هذه المجموعة التي نشرت سنة ١٩٨٣ ست عشرة قصة قصيرة ، التزم الكاتب فيها الاتجاه الواقعي ، فكل ما ابدعه قلمه يحكي في معظمه هموم شعبه الذي اضطرته الظروف القاسية عام ١٩٤٨ الى أن يهيم على وجهه بعد أن فقد نعمة الاستقرار وهناءة العيش . . . عاش أمين هم شعبه وأساه بكل عواطفه وأحاسيسه ، فأبطال قصصه المحوريون يعبر لسان حالهم عن واقع مرير فرزته ظروف سياسية واجتماعية قاهرة . . .

أما الشريحة الاجتماعية التي ينتمي اليها أبطال هذه القصص فتعيش على الهامش . . محرومة من لذائذ الحياة ، تعاني من البطالة كما في قصة « نظرة ملؤها الأمل » وقصة « جيوب خاوية » حيث تضغط الظروف الاجتماعية على البطلين اللذين أظلمت الدنيا في وجههما ، ومع ذلك لم يستسلما لليأس بل ظلت أقدامهما مشدودة الى الارض في صلابة واصرار . واذا كان الكاتب حريصا على تسجيل لحظات الصراع النفسي الناشئة عن الضغوط الاجتماعية ومشكلات البطالة والفقر فانه - كما أرى بوضعه النهايات السعيدة لهذا الصراع في ختام مجموعة لا بأس بها من قصصه يدل على أن وعيه بأبعاد الصراع ، الاجتماعي في تلك الحقبة التي كتب فيها مجموعته القصصية « ذيول » والتي تقع بين الخمسينات والستينيات من هذا القرن ، لم يكن قد تبلور تبلورا كافيا ، والدليل على ذلك أن قصصه القصيرة الاخرى التي كتبها قبل وفاته بسنوات قليلة حاولت أن تستوعب مفهوم هذا الصراع على نحو أفضل من السابق ، كما توفر لها من المقومات الفنية الحديثة ما لم يتوفر لقصص المرحلة الاولى . .

ابو السعيدين يحمل المنارة !

وسأحاول هنا رصد بعض السمات الموضوعية والفنية في قصتين من قصص هذه المجموعة « ذيول » : الاولى عنوانها « أبو السعيدين » والثانية عنوانها « قصير » . . . في القصة الاولى « أبو

* رائد من رواد القصة القصيرة في الاردن

السعيدين » تلقانا حدوته تحاول بها الجدة أن تسلي أحفادها الصغار . . . وهي تتحدث عن رجل اسمه « ابو السعيدين » كان يعمل عتالا في نابلس أيام الحكم التركي وكان حين لا يتيسر له حملة يحملها يمد يده الى بضعة افراد في المدينة أولاهم ثقته دون سائر الناس . . . وذات يوم سدت في وجهه سبل الرزق ، فأسرع كالمجنون الى المنارة المنتصبه وسط مدينته يريد أن يحملها على ظهره ، وراح يصيح بأعلى صوته : يا أهل البلد « اللي يحب النبي يرد هالحمله على ظهري ، عندها التف حوله بعض اصحاب الدكاكين والمارة مستملحين نكتته ! وبسرعة تناهى الخبر الى متصرف المدينة التركي فظن أن تمردا يوشك أن يقع على سياسة الباب العالي فاستدعى اليه « ابا السعيدين » مستوضحا منه حقيقة الامر « فراح أبو السعيدين يحدثه عن عدو لم تستطع الجيوش العثمانية رغم انتصاراتها في ساحات الحروب أن تقضي عليه ، وكان يعني بهذا العدو «الفقر» عندها هدأت نفس المتصرف بعد أن تبين له أن أمن الباب العالي غير مهدد بالخطر !

القصة ـ كما نرى ـ تصوير لاذع لمحنة الفقراء ، وتبدو السخرية المرة من محاولة « أبي السعيدين » انتزاع المناره الشامخة من مكانها وحملها على ظهره ، كأني به اراد بهذه الحيلة الذكية أن يعلن احتجاجه على وضع اجتماعي شاذ . . . .

المصير

بقي أن أقول هنا قبل أن انتقل الى القصة الاخرى أن شخصية « ابي السعيدين » بالرغم من بؤسها لم تحاول أن تتخلى عن نقائها الانساني،بدليل رفض صاحبها أخذ المجيدي « بيده من المتصرف » « لانه حالف يمين لا يمد يده » . . وبعد الضغط عليه قبل أخذ هذا المبلغ شريطة أن يضعه احدهم في عبه ! .

أما القصة الثانية التي اخترتها من مجموعة الكاتب الراحل أمين ملحس فعنوانها « مصير » . . . حين تذرع هذه القصة نكتشف بداية رؤية طبقية واضحة عند الكاتب ، فالبطلان « البيك وابنه » نموذجان للمجتمع البورجوازي الغارق في أحلامه وملذاته . . . فالاب السادر في ملذاته يفقد فجأة وظيفته المحترمة التي درت كل هذا الثراء ، ثم تشاء الظروف أن يخسر كل ثروته ويضطر في نهاية المطاف أن يشغل وظيفة صغيرة يسد راتبها الهزيل رمق العائلة . . . وهنا تلقانا المفارقات الساخرة . . . الاب الذي فقد « البيكوية » يريد من ابنه أن يتفوق في دراسته ليستطيع أن يشتغل في المستقبل ويبني نفسه ، ولكن الابن الذي فتح عينيه ـ أول ما فتحها ـ على سهرات أبيه الحافلة بالخمر والميسر والنساء يأبى أن يطيع أباه ، بل انه يندفع وراء ملذاته غير عابىء بنصائح أسرته . . . ان هذا الابن بتطلعاته الطبقية لم يعد يطيق أن يرى أباه انسانا عاديا يعمل بوظيفة بسيطة،لذا فانه ينكر هذا الاب الذي خرج يبحث عنه ذات يوم ، قائلا لرفاقه الذين نبهوه الى وجوده : « انتم غلطانين . . . هذا ليس أبي » . . . قد يقال هنا ان الكاتب من أجل أن يعري العلاقات الاجتماعية للطبقات المتميزة بثرائها وتطلعاتها الشاذة قسا على الابن حين جرده من عواطفه الانسانية وجعله ينكر أباه امام ملذاته . . . وقد يكون هذا صحيحا لو ان الواقع الاجتماعي الذي تتحرك في اطاره مثل تلك الشخصيات لم يكن على هذا النحو من التفسخ والانحلال . . وعلى كل حال ، فان قصص هذه المجموعة تغرف من واقع حياة المؤلف نفسه ، ومن واقع مجتمعه الذي ينتمي اليه انتماء حارا . . . فأبطاله يوحد بينهم العذاب والالم . . العذاب الذي يطهر النفس ويثريها اذا ما تمكنت من التفوق على لحظات ضعفها ، أما الصياغة الفنية لهذه القصص التي كتب المؤلف معظمها في الخمسينات والستينات،فلم تخرج في الغالب عن الشكل الكلاسيكي لكتابة القصة القصيرة الذي يتكىء على السرد والوصف المباشر وأساليب الحوار التقليدية ، التي كثيرا ما تفقد العمل القصصي بعض توهجه وخصوصيته الفنية . . .

ولان كاتب هذه القصص كان يستلهم واقعة المرير في كل ما كتب فقد حفلت قصصه بالمفارقات الاجتماعية المثيرة للسخرية وللشفقة حينا آخر . .

وعلى عكس كثير من القصص القصيرة التي تكون فيها الشخصيات الثانوية مفروضة من الخارج ، فان مثل هذه الشخصيات في قصص أمين ملحس لها دورها المحدد في ثراء المواقف الانسانية التي يمر بها هذا البطل أو ذلك . . . □

مكتبة العربي

مختارات

الزيات والرسالة

الكاتب : د . محمد سيد محمد .
الناشر : دار الرفاعي للنشر - الرياض .
سنة النشر : ١٩٨٢ م .
عدد الصفحات : ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط .

لعبت المجلات في ثقافتنا العربية دورا مهما أعطاها - أي الثقافة - بعض سمات التغير والتطوير ، ورفدها ببعض الركائز .

من تلك المجلات مجلة « الرسالة » التي أصدرها ورأس تحريرها الأديب أحمد حسن الزيات . وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٩٣٣ . واستمرت في الصدور حوالي ٢٠ عاما كمجلة مستقلة التمويل .

ثم أعيد اصدارها بتمويل من قبل الدولة سنة ١٩٦٣ ورأس تحريرها الزيات أيضا .

وقد درس الكاتب تفصيلات حياة الزيات . والمراحل التي مرت بها ، ومكونات ثقافته وأعماله المؤلفة والمترجمة .

ثم عرج على المجلة ودورها ، والمراحل التي مرت بها ، وأبوابها ومعاركها الأدبية ، والقضايا التي اهتمت بها ، وتأثيرها على قرائها وعلى الأدب والفكر وغير ذلك .

يقول الكاتب عن دور المجلة :

« ويتضح دور « الرسالة » في مجال الثقافة العربية والفكر العربي في عملها الدائب من أجل تأصيل الثقافة العربية ، ولقد كان هذا الهدف واضحا في خطتها ، فقد كانت تعلن عن نفسها بأنها تجمع وحدة الثقافة لأبناء الأقطار العربية وانها تصور مظاهر العبقرية للامة العربية . واتخذت « الرسالة » من هذا الهدف قضية حيوية تقف فيها موقف البناء وموقف الدفاع . ووقفت من التراث موقفا ايجابيا معتدلا ، ولعبت دورا في الرأي العام العربي وهو دور يتسم بالعمق ، وتولت الكتابة لمناصرة قضية العدل الاجتماعي والاصلاح ، ومهاجمة الاقطاع ، وتحديد الملكية الزراعية ، وقوانين الاصلاح الزراعي وغيرها من موضوعات .

مدخل الانظمة السياسية

الكاتب : د . عبد الله هدية
الناشر : مكتبة أم القرى - الكويت
سنة النشر : ١٩٨٤ م .
عدد الصفحات : ٢٩٥ صفحة من القطع المتوسط

كيف نشأت الدول ، وما هي الأفكار السياسية التي استندت اليها السلطة ، وما هي تكوينات هذه السلطة وعناصرها . وما هي خصائص الانظمة السياسية وأشكال الدول ووظائفها ؟ كل هذه العناوين والأسئلة وغيرها . أجاب عنها المؤلف ، وتتبع نشأة الدول ونظمها الخاصة من الاغريق وصولا الى الأنظمة الحديثة .

وقد جاء في مقدمة المؤلف ما يلي :

اذا كان « علم السياسة » يهتم بدراسة « السلطة » فهي محوره وحجر الزاوية في بنيانه ، فانه يهتم بدراسة ظاهرة السلطة داخل وعاء معين ، الا وهو « الدولة » ، ولذا كان من المنطقي أن نخصص جزءا يسيرا من هذا الكتاب لدراسة « الدولة » ، أركانها وأشكالها وكيفية نشوئها وقيامها ، والنظريات التي قيلت في هذا الصدد . ولا يمكن أن نتعرض للنظام السياسي في العصر الحديث الا عندما نتعرض لوعائه الطبيعي الذي يعمل داخله ، الا وهو الدولة ومؤسساتها والعلاقات بينها ، ومحتوى هذه المؤسسات ، وفحوى هذه العلاقات ، وصلتها بطبقات وأفراد المجتمع .

جزر الأندلس المنسية

الكاتب : د . عصام سالم سيسالم .
الناشر : دار العلم للملايين - بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٤ .
عدد الصفحات : ٦٨٠ صفحة من القطع المتوسط .

المقصود بجزر الأندلس المنسية ، هي جزر الباليار ، التي تقع في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، والتي تتبع اسبانيا الآن .

وقد كان للعرب المسلمين في هذه الجزر دول وولايات ، ومعارك . . وبناء حضاري أيضا ، وكانت تتبع دول الاندلس أحيانا ، أو تستقل وتعلن دولها الخاصة ، لكن ضمن المجموعة العربية الاسلامية ، قبل سقوط دولة الاندلس . .

وقد تتبع المؤلف تفصيلات تاريخ هذه الجزر قبل ظهور الاسلام وبعده ، وبين الأهمية الاستراتيجية لها ، ثم تناول التاريخ الخاص بفتح هذه الجزر من قبل المسلمين ، والمراحل والحقب والدول التي حكمتها ، أو الحكومات المحلية التي قامت بها ، وتتبع ذلك بتفصيلات دقيقة وصولا الى الانجازات الحضارية التي أنجزها سكان الجزر .

وقد جاء في مقدمة المؤلف ما يلي :

« الشواهد العديدة التي تمكنت من الاطلاع عليها تكشف الدور الكبير الذي أسهم فيه أهل هذه الجزر في حركة الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط وما كان لهم من دور متميز في الحضارة الاسلامية . » .

الواقعية في الأدبين السوفيتي والعربي

الكاتب : د . ماجد علاء الدين
الناشر : دار الثقافة - دمشق
سنة النشر : ١٩٨٤م
عدد الصفحات : ٣٩٣ صفحة من القطع المتوسط

لاشك أن أي واقع له خصوصياته وتميزاته التي تميزه عن واقع آخر في الكثير من الوجوه والتفصيلات .

لكن . . لو قارنا نتاج وابداعات واقع معين بغيرها في الواقع الأخر ، فاننا قد نجد بعض السمات المشتركة .

واسلوب المقارنة هذا اتبعه المؤلف بين الأدبين العربي والسوفيتي ، فوجد بعض الوجوه المتشابهة ، خاصة الاتجاه الواقعي في إبداعات بعض الكتاب .

وقد قسم الكاتب كتابه الى عدة أقسام ، ورصد بعض السمات المشتركة منذ ثلاثينيات هذا القرن وصولا الى مرحلة الستينيات . وركز على أدب مكسيم غوركي ، الذي اعتبره مؤسس الواقعية الاشتراكية في الأدب السوفيتي ، ودرس بعض نتاجاته ، ثم درس نتاجات شولوخوف وغيره من الكتاب .

وبعد ذلك درس سمات الواقعية في الأدب العربي ، ودرس أدب عمر فاخوري ومواهب كيالي وحنا مينه وسعيد حورانية وغيرهم ، ودور بعض الروابط الأدبية . وعقد بعدها مقارنة بين الأدبين خاصة في الأماكن التي يتضح فيها التقارب حول أطر مدرسة الواقعية الاشتراكية .

تفسير ما لا يفسر

شعر : علي السبتي

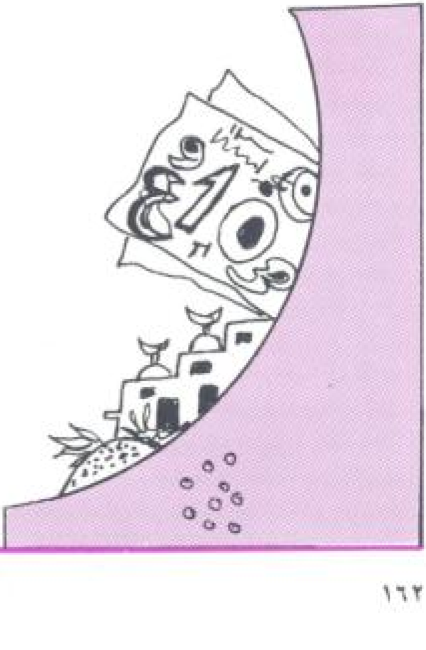

يمتد بيَ الزمانُ عاماً إثرَ عامْ
أحمل اضلعي التي تقوضت من كثرة الآلامْ
وفي دماغي ضجة ، وفي دمي أوهامْ
حتى غدوت عندما أنامُ . . . لا أنامْ !

* * *

سيدتي تسألني الى متى تطحنك الأيامْ
وانت لا تزال منبعَ الأحلامْ
شِعرُكَ كان لي وسادةً وعقدَ ياسمينْ
عشت على أريجه سنينْ
شِعْرُك كان شمعةً تقتحمُ الظلامْ
فكيف تنحني والعمرُ لا يزالْ
يقوىٰ على المحالْ
هل صرت يا معذبي تلاًّ من الرمالْ ؟

* * *

هل الليالي التي مرت على كبدي
مرت عليك أم أن الأمرَ يختلفُ
مالي أراكَ تعاني من مشاكسةٍ
وانت اكبرُ مما يتلفُ التلفُ
عودتني أن أرىٰ الأقدارَ قادرةً
اذا أردتَ فلا جبنٌ ولا صلفُ
اذا اردتَ فدنياكَ التي وُلِدتْ
كمثل دنياي فيها المجدُ والترفُ
فعد لنا لليالي البيضِ نفجؤها
من كل رائعةِ الأفكار نقترفُ

* * *

بكل روعة الشباب هل تعودْ
ام صرت مثلهم
سيدتي . . .
صديقتي

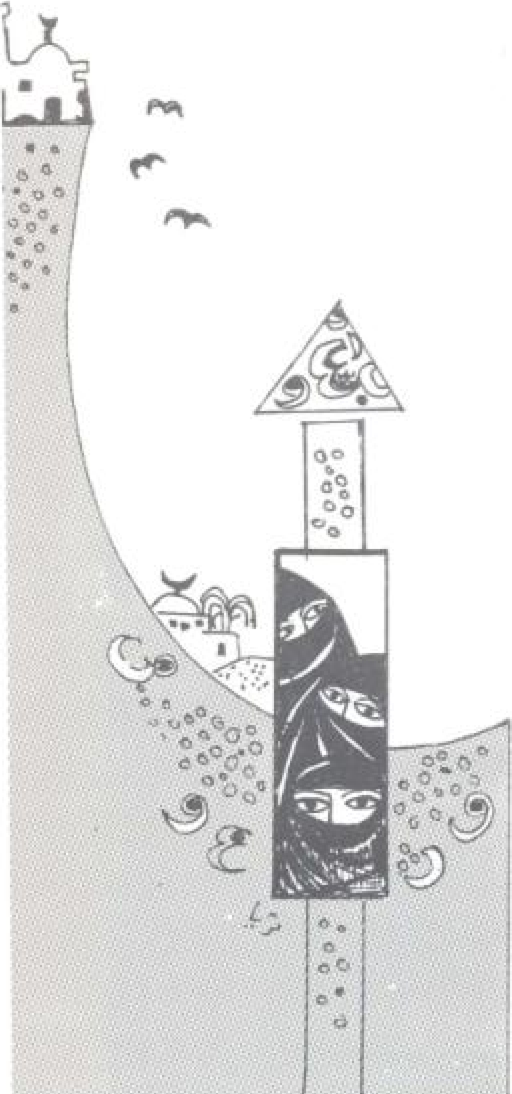

ما صرتُ مثلَهم
ولن أكونَ
فما أزال ذلك الذي عرفتهِ في ماضي الأيامْ
احملُ وردةً وخنجراً أصنعُ منهما وسامْ

* * *

سيدتي تسألني متى ترتاحْ
أرتاحُ يا سيدتي حينَ أرى الاطفالْ
في كل بقعة يمشونَ كالرجالْ
فكلِ طفلٍ سيدٌ وكل سيدٍ فعّالْ
مللتُ يا سيدتي من الأقوالْ
ومن مهرجين يحسبون المالْ
يجعلهم رجالْ
هل يصنع المال انساناً بلا خُلُق
وهل رأيتم نجوماً دونما ألق
وهل سمعتم عن الجودِ الذي بذلوا
وأمهم تشتكي من بالي الخرقِ
يخادعون ولو فتّشت عن كثب
عن أصلهمْ لوجدتَ الخزيَ في العَلَقِ
فيا التي تدعيري ضعفَ مقدرة
اني بصرت وهذا يوم منطلقي

* * *

سيدتي تنام مثل قطةٍ وديعةٍ شبعانة
أرى بعينيها الله سبحانه
سبحانَ من خلقْ
يخلق من علقْ
هذي التي تزهر كالشفَقْ
لم تدر ما الأرقْ
وردت أن أمدَّ كفي نحوها لكنما الأوهامْ
قضت على الأحلامْ !

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

مشروع...

على طريق الثقافة والفكر في الكويت

استطلاع : حسن محمود عباس

هل خطر لك وأنت تتصفح كتابا من سلسلة عالم المعرفة ، أو مجلة الثقافة العالمية ، أو من منشورات التراث . . . أو وأنت ترتاد صالة الفنون ، أو احدى المكتبات العامة وتنتفع بكنوزها . . هل خطر لك أن تسأل عن الجهد الذي يبذل من أجل ذلك كله ، وعن الأيدي التي تقف وراء هذا العمل لتؤديه على خير ما ترى ؟!

ان كنت تساءلت مثل هذه التساؤلات ، فلا شك أن الوقوف على الحقيقة يعنيك عناية خاصة ، ويستثير فضولك ، وهو فضول مشروع !

بعض من منشورات قسم التراث التابع للمجلس .

الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ، والرئيس الأعلى للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بعد افتتاحه المعرض العاشر للكتاب العربي بالكويت ، وإلى جواره سعادة السفير اللبناني .

صالة الفنون بضاحية عبد الله السالم ، حيث تعرض فيها أعمال الفنانين التشكيليين الكويتيين وغيرهم ممن يستضيفهم المجلس .

كان لقاؤنا الأول مع الاستاذ أحمد مشاري العدواني الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، وهو الذي واكب عملية تطور المجلس منذ انشائه وحتى يومنا هذا ، وسألنا الاستاذ العدواني عن تقويمه للتجربة بعد عشر سنوات ونيف من عمر المجلس فقال :

« قد يكون من الصعب على امرىء متصل بتجربة ما أن يقومها تقويما موضوعيا دون أن يتهم بالهوى ، ولكن مع ذلك يظل هناك حد أدنى من الحركة في هذا المجال ، خصوصا وأن عمر التجربة زاد على عشر سنوات أعطت خلالها نتاجا راق الكثيرين ممن لا نشك في موضوعيتهم . وهذا النتاج ، وهذه الثمرات تمثلت في نشر الثقافة لا على المستوى المحلي وانما على المستوى العربي . فهذه هي سلسلة عالم المعرفة التي يشارك فيها كتاب من مختلف أرجاء الوطن العربي ، وتتناول شتى الموضوعات المؤلفة والمترجمة ، وما يقال عنها يقال عن مجلة الثقافة العالمية التي صدرت في نوفمبر من عام ١٩٨١ ، والتي تترجم أحدث الدراسات والمقالات في الفكر العالمي ، وتصدر كل شهرين ، وتوزع في جميع أرجاء الوطن العربي ، وكذلك سلسلة كتب التراث المحققة التي يصدرها المجلس ، ثم الاسابيع الثقافية التي نقيمها في الاقطار العربية الشقيقة ، ومعرض الكتاب السنوي وغير ذلك من أوجه النشاط الثقافي .

قلنا للاستاذ العدواني : « من المعروف أنكم كنتم تقيمون مواسم ثقافية تدعون اليها عددا من رجال الفكر والرأي والادب ، فهل ما زال لها نصيب في اهتمامكم ؟ »

فأجاب : « لم نكن نقيم مواسم ثقافية بالمعنى الدقيق للكلمة وانما كنا نستضيف ـ من حين لآخر ـ بعض رجال الفكر والادباء والمتخصصين للتشاور في أمور ثقافية ، والقاء بعض المحاضرات العامة ، وهو تقليد ما زلنا نحرص عليه .

وقد أشار علينا الاستاذ العدواني بالتوجه الى الادارات والاقسام المختلفة في المجلس لاستطلاع نشاطها والوقوف على حقيقة عملها ، وهذا ما كان .

منشورات التراث :

وبدأنا بقسم التراث وهو أحد الأقسام التابعة للمجلس الوطني ، وكانت بداية عمل القسم في النصف الثاني من عام ١٩٧٩ باشراف مستشاره الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، وقد استطاع منذ انشائه أن يحقق عددا من المنجزات منها تكوين مكتبة تراثية ، وشعبة تصوير مجهزة بأدوات التصوير والاستنساخ .

وقد أصبح القسم يمتلك مخطوطات منها ما هو أصلي ـ وهو قليل ـ ومنها ما هو مصور من مكتبات عالمية عرف عنها احتواؤها لاعداد كبيرة منها . وقد تبنى القسم مشروعا يشرف عليه بعض المتخصصين في الخارج ، تتلخص مهمته في حصر المطبوعات النادرة التي نشرها المستشرقون منذ بداية القرن السادس عشر ونفدت طبعاتها ، ثم تحديد أماكن وجودها وأرقامها في مكتباتها ، وتصويرها ، وكذلك اختيار الاطروحات والدراسات الجامعية التي تتناول دراسات أو نصوصا تراثية تشرف عليها جامعات أجنبية لتصويرها ونشرها ، وأخيرا ينتفع القسم بمقتنيات المكتبات العامة والخاصة من المخطوطات أو الصور وفي مقدمتها مكتبة جامعة الكويت .

وقد قام القسم بنشاط مواز في مجال النشر فأصدر من الكتب : « المخطوطات الجغرافية في المتحف البريطاني » للدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، وكتاب « من مباهج الفكر ومناهج العبر » ، للوطواط وهو موسوعة قيمة في الفلك والجغرافيا والحيوان والنبات ، وكتاب « المنصف للسارق والمسروق منه في اظهار سرقات المتنبي » تصنيف الحسن بن علي بن وكيع وتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، كما صدر كتاب « المناظر » لابن الهيثم الذي وضع فيه مؤلفه أسس علم البصريات على قواعد جديدة ، وصار كتابه مرجع الباحثين في العالم الاسلامي وأوروبا الى مطلع القرن السابع عشر . يقول عنه المحقق الدكتور عبد الحميد صبرة ـ الاستاذ بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ـ « ولا شك أن كتاب المناظر هو أنفس ما أنتج العرب في مجال الفيزياء ، وهو بالاضافة الى ذلك أهم كتاب في البصريات ظهر في الحقبة الممتدة بين القرن

الثاني الميلادي ، وفيه ألف بطليموس كتابه في المناظر . . . وأوائل القرن السابع عشر حين ظهرت مؤلفات كبلر وديكارت .

وفي همسة عتاب يقول الدكتور الغنيم مستشار القسم : « ولم نسمع في بلادنا صوتا واحدا من أهل التخصص نوه بالكتاب أو نقده ، حتى أتى ذلك من خارج وطننا العربي ، فنشرت مجلة « ISIS » مراجعة لهذا السفر الجليل كتبتها « أميلي سافاج سميث » وهي باحثة من جامعة كاليفورنيا تتخصص في البصريات ، وسبق لها أن نشرت نصوصا عربية في هذا المجال . وكان مما قالته : « وعلى الرغم من أهمية الكتاب الكبيرة ، فقد بقي مخطوطا في خزائن استانبول ، ولم ينهض أحد لطباعته ، حتى شاء الله أن يتصدى لهذه المهمة الدكتور عبد الحميد صبرة ، فقام بتحقيق الكتاب الذي ينتظر أن يخرج في أربعة مجلدات : اثنان للنص العربي ، واثنان للترجمة الانجليزية ، وصدر بالفعل المجلد الاول منه حاويا على النص العربي مقارنا بالترجمة اللاتينية . . لقد انتظرنا هذا الكتاب طويلا ، وأخيرا أثمر انتظارنا ، ولم يعق العمل تعدد النسخ المخطوطة ولا نفقات الطباعة . . والنتيجة طبعة رائعة دقيقة ، دقيقة الى حد الوسوسة وقد بلغت هذه الدقة درجة يستطيع القارىء معها - ان شاء - مراجعة أي نسخة من النسخ المخطوطة من خلال النص المطبوع . . وأخيرا ، لن نغالي في التوكيد على أهمية هذا الكتاب ، ولكنه سوف يكون المقياس والمرجع الثقة لكل مؤرخي علم البصريات في المستقبل !!

وقد صدرت عن القسم كتب أخرى منها كتاب « فرجة الهموم في علم المسافات والمجاري البحرية » لبحار مجهول ، شرحه وعلق عليه حسن صالح شهاب ، وعن هذا الكتاب يقول الدكتور الغنيم انه يعد حلقة من الحلقات المفقودة في كتب المرشدات البحرية بين ابن ماجد وبين القطامي صاحب « دليل المختار في علم البحار » .

وقد أجاب الدكتور الغنيم عن سؤالنا « ما الفرق بين قسم التراث وبين معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ؟ » .

بقوله : « ان جمع المخطوطات مهمة مشتركة ، ولكن الفارق يتجلى في أن المعهد ينسق بين المراكز العربية المهتمة بالتراث في الوطن العربي ، أما القسم فيركز على ايجاد مكتبة تراثية مخطوطة أو مطبوعة ، ونشر الكتب التراثية ضمن خطة علمية لاحياء التراث العربي . »

ومن هذا المنطلق يقتني قسم التراث العربي ما يقدر على اقتنائه من مخطوطات أصلية أو مصورة ، ومن فهمه لمعنى التراث يقوم القسم بنشر ما يراه جديرا بالنشر من مخطوطات قديمة . والقارىء المعاصر الذي يتهيأ له أن يطلع على واحد من هذه الكتب ، سوف يقف بقليل من التأني على معنى النشر لكتاب تراثي ، فهو يتمثل أولا في القراءة الواعية للنص ، وبعد هذه القراءة يأتي الكشف عن محتوى النص بشرح غوامضه ، وتفسير مصطلحاته ، ثم يأتي تيسير الانتفاع بالكتاب بوضع مجموعة من الفهارس يهتدي الباحث عن طريقها - بأيسر جهد - الى ما يريد .

الأسابيع الثقافية :

وحرصا من المجلس على توطيد الصلات الثقافية مع الاقطار العربية الشقيقة فقد استضاف عددا من الأسابيع الثقافية شاركت في كل منها بأنشطة مختلفة من تلك الأنشطة التي يزاولها الفنانون والمبدعون في تلك الاقطار ، فقد قُدِّمت عروض مسرحية ، وعرضت نماذج المنشورات والمطبوعات ، وألقيت محاضرات في الادب والفكر بعامة .

كما كان للمجلس دور بارز في اقامة الاسبوع الخليجي الاول في باريس في عام ١٩٨٢ ، وفي المشاركة بلقاءات ثقافية عربية وعالمية كلقاءات الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية في الوطن العربي ، وحضور مؤتمر الوزراء المسئولين عن الثقافة في العالم الذي عقد في المكسيك في عام ١٩٨٢ ، وكان يرأس الوفد في كل هذه الحالات السيد وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ، والرئيس الأعلى للمجلس الاستاذ عبد العزيز حسين .

وردا على سؤال كنا قد وجهناه الى الدكتور خليفة الوقيان الامين العام المساعد حول الأسابيع الثقافية ، وان كانت قد حققت الطموحات المرجوة ، أجاب : « أعتقد أن الأسابيع الثقافية حققت الكثير من

الاستاذ أحمد مشاري العدواني في معرض رسوم الاطفال ، وإلى جواره السيدة أمل الغانم رئيسة قسم ثقافة الطفل

في المكتبة المركزية حيث يخلو المرء لنفسه فلا يؤنس وحدته إلاّ الكتاب

من معرض الكويت السابع لرسوم الاطفال

سليمان العسكري وصدقي حطاب يتفقدان المعروضات

بعض أعداد من سلسلة عالم المعرفة ، ومجلة الثقافة العالمية التي يصدرها المجلس

طالبة في المكتبة النسائية العامة بالدسمة

الطموحات التي كان المجلس يسعى الى تحقيقها من خلال تبني ذلك النوع من النشاط الثقافي والفني ، بهدف تحقيق أغراض التبادل الثقافي ، وتمتين جسور الصلة بالأشقاء العرب . . وقد يعود السبب في نجاح تجربة الاسابيع الثقافية الى حسن الانتقاء في المواد والعناصر التي تشتمل عليها تلك الاسابيع ، فهي مكثفة وثرية ، اذ تضم عادة مجموعة من معارض الكتب والفنون التشكيلية والازياء والمشغولات التقليدية ، كما تضم عروضا غنائية ومسرحية أحيانا وعددا من المحاضرات والندوات . . وأمام نجاح فكرة الاسابيع الثقافية فقد رأى المجلس مواصلة اقامتها مع الاهتمام بدراسة نتائج الاسابيع السابقة وتقويمها بهدف التعرف على السلبيات ـ ان وجدت ـ والسعي الى تلافيها » .

عالم المعرفة :

ولقد كثر عطاء المجلس وتعددت خيراته وما سلسلة « عالم المعرفة » الا واحدة من تلك الخيرات . ولقد استطاعت هذه السلسلة أن تنزل منزلة رفيعة في نفس القارىء العربي ، وبات انتظارها والبحث عنها واقتناؤ ها عادة حميدة يتحلى بها المثقفون في الوطن العربي . وقد أدى نجاحها المطرد الى زيادة الطلب عليها مما دفع المجلس ـ الذي يصدر ثلاثين ألف نسخة شهريا ـ الى زيادة اصداره منها ليصبح خمسين ألفا في الشهر وهو رقم لا تبلغه أي من دور النشر العربية . . وعدنا الى الدكتور الوقيان نسأله ، فسلسلة عالم المعرفة تقع ضمن دائرة اختصاصه في المجلس . قلنا « سلسلة عالم المعرفة » ـ وجبة الثقافة الشهرية الدسمة ـ كيف كانت ؟ وهل تفكرون في ادخال تعديلات عليها ؟ ومن أي نوع ؟ فقال : « لقد درس المجلس مشروع السلسلة دراسة مستفيضة ، كما قام بالتشاور مع عدد من رجالات الثقافة حول هذا المشروع فضلا عن التعرف على المشاريع المشابهة أو المقاربة بهدف تلافي الجهد ، وفي ضوء الدراسة والتخطيط المتأني استقرت قناعة المجلس على اصدار السلسلة بصورة كتب شهرية مؤلفة أو مترجمة تتناول شتى فروع المعرفة . وتتوجه للمثقف العربي غير المتخصص ، كما روعي أن يكون ثمنها معقولا ، وأن يتحمل المجلس أجور شحنها بهدف ضمان حسن التوزيع » . وينتهي الدكتور خليفة الوقيان الى نتيجة محددة اذ يقول : « وفيما يخص التعديلات على المشروع نفسه فلا أعتقد بوجود تعديلات جوهرية ، اذ أن المشروع ـ كما قلت ـ استقر بشكله الحالي نتيجة دراسات مستفيضة انتهت الى أن الصورة الحالية لسلسلة عالم المعرفة هي الصورة الفضلى » .

تراث الموسيقا العربية :

ولم ينس المجلس ، الموسيقا العربية فوضع الاهتمام بها ضمن أهم غاياته ، حيث أنشأ مكتبة سميت « مكتبة التراث الموسيقي » لتعنى بجمع التراث الموسيقي العربي ، وبخاصة ما اتصل بالكويت وبمنطقة الخليج العربي . قلنا للدكتور خليفة : « ما هو عمل قسم الموسيقا ، وما هي مشاريعه للمستقبل ؟ » فقال : « عمل القسم هو أن يتولى العناية بمكتبة الموسيقا التي تضم نفائس من التسجيلات والتدوينات الموسيقية ، والتي توثق التراث الموسيقي والفنون الشعبية ، وتيسر للباحثين والدارسين سبل الانتفاع بها .

مجلة الثقافة العالمية :

وقد قصد بهذه المجلة أن تكون نافذة يطل من خلالها القارىء العربي على ألوان شتى من الثقافات الاجنبية ، فجندت لذلك أقلام مقتدرة لعدد من المترجمين ، يزودون المجلة بالمادة الثقافية والعلمية التي تطلع بها على قرائها في موعد صدورها . وقد توجهنا بسؤ النا الى الدكتور سليمان العسكري نائب رئيس تحرير المجلة والامين العام المساعد للمجلس . . . قلت : « هل هناك تصور جديد لتطوير المجلة أو اضافة ملاحق معينة لها ؟ » فقال : « مجلة الثقافة العالمية دخلت عامها الرابع ، وهي تشق طريقها بهدوء وثقة ، وتستقبل بالكثير من التقدير من جانب القراء العرب في جميع أقطار الوطن العربي التي توزع بها . ودعني أقول انها تجربة شاقة فكل عدد يصدر وراءه جهد وعناء ، ابتداء من تجميع المجلات والدوريات العالمية الى توزيعها للقراءة والترشيح من

قطاع واسع من المثقفين ، ثم مرحلة الترجمة ، ثم تحقيق الترجمة . . حتى يصل العدد مشمولاً بالعناية والامانة ليد القارىء . ومسألة التطوير واردة باستمرار من خلال التوسع في الحصول على دوريات جديدة من مناطق مختلفة : من أفريقيا وآسيا ، من الصين واليابان وأمريكا اللاتينية . . . وهيئة التحرير تراقب المستجدات على الساحة الثقافية والعلمية . وتوصل باستمرار ما تراه ضروريا للقارىء العربي من هذه المستجدات ، ونأمل أن نصل قريبا الى شكل متوازن في الموضوعات المترجمة . أما الملاحق فقد أصدرنا ملحقا في العام الماضي ، وسنصدر ملحقا سنويا ثابتا ان شاء الله » .

قلنا للدكتور العسكري : « وماذا عن سوق الكتب ؟ » فقال : « مشروع سوق الكتب صدر به قرار من مجلس الوزراء الموقر ، ومدرج ضمن المشروعات الانشائية في الخطة الخمسية القادمة ، ونحن بانتظار تخصيص الموقع من قبل بلدية الكويت لنباشر في انشائه » .

المكتبات العامة :

وعن المكتبات العامة قلنا للدكتور العسكري إن هناك ظاهرة ملموسة تتمثل في تدفق طلبة المدارس المتوسطة والثانوية على المكتبات ، فهل وضعتم الحلول المناسبة التي تحفظ للمكتبات العامة مقتنياتها من عبث الطلبة . فهم صغار السن لا يقدرون قيمة الكتب كما ينبغي ، ولا يتيحون لطلبة الدراسات العليا والجامعية ولا للباحثين فرصة المطالعة بجو هادىء ؟

فقال : « ان الزيادة في تدفق طلبة المدارس المتوسطة والثانوية على المكتبات العامة أمر طبيعي نتيجة للتطور الذي حدث على مناهج وأساليب التعليم في وزارة التربية ، ولكن واقع المكتبات الحالي لن يساعد على تلبية كل ما يحتاجه هؤلاء الطلاب ، لأن هذه الاعداد الكبيرة تحتاج الى امكانيات كبيرة جدا ، وهي غير متوفرة حاليا ، فأربعة أمناء في مكتبة واحدة لا يمكنهم تلبية حاجة مائتين أو أكثر من القراء في فترة مسائية واحدة . . لذلك فنحن بحاجة الى مشروع الفهرس الموحد الذي سوف يربط المكتبات

الدكتور خليفة الوقيان

الدكتور عبد الله الغنيم

العامة في دولة الكويت بنظام آلي يؤدي خدمة مكتبية سريعة وشاملة للقراء والباحثين . وأضاف الدكتور العسكري انه خلال شهر فبراير (شباط) الحالي سيفتتح مبنى المكتبة المركزية الجديد في المدرسة المباركية السابق في مدينة الكويت ، وهذه المكتبة قضت السنوات الاربع الماضية في ضيافة مكتبة حولي العامة بعد أن أزيل مبناها القديم » ولقد التقينا الاستاذ فهد السلطان أمين المكتبة المركزية الذي يبدي حرصا على استقطاب اعداد أكبر من القراء ويتساءل : « لماذا لا يساهم الجميع بتوفير كل ما تحتاجه المكتبة من كتب ومراجع وأدوات ، ومد يد العون للمكتبة ؟ ويذكر تجربة شاهدها في الاردن ، قامت بها جمعية المكتبات الاردنية تحت شعار « قدم كتابا تنشىء مكتبة » ، فاجتمع لدى تلك الجمعية خمسة وعشرون ألف كتاب في يوم واحد !

الاتفاقيات الثقافية :

أما عن الاتفاقيات الثقافية بين الكويت والدول الشقيقة والصديقة فقد توجهنا بالسؤال الى الاستاذ صدقي حطاب مدير الشئون الثقافية والفنية بالمجلس

فأجاب : « نقل الاشراف على الاتفاقيات الثقافية الى المجلس الوطني حديثا بعد أن كانت وزارة التربية تتولى أمر اعداد وانجاز تلك الاتفاقيات ، ثم صدر قرار مجلس الوزراء الموقر بنقل الاضطلاع بهذه المهمة الى المجلس حيث تتولى الامانة العامة للمجلس ـ بأجهزتها الثقافية المتخصصة ـ عملية اعداد اتفاقيات التبادل الثقافي بمختلف أشكالها ، وتعمل على صياغتها من خلال سكرتارية ورئاسة اللجنة التحضيرية المشكلة من ممثلين لعدد من الوزارات والهيئات الرسمية . وقد تم ترقيع اتفاقيات ثقافية بين الكويت وست دول عربية وأجنبية ، كما تم توقيع برامج تنفيذية للتعاون الثقافي والعلمي بين الكويت واثنتي عشرة دولة عربية وأجنبية .

مهرجان الكتاب العربي :

وينظم المجلس في كل عام معرضا للكتاب تشارك فيه معظم دور النشر في الوطن العربي ، ولا تلبث الايام المخصصة للعرض أن تتحول الى مهرجان يثير من الحيوية والحركة ما لا يثيره غيره ، ويشرف على المعرض اشرافا مباشرا مديره الاستاذ يحيى الربيعان الذي ينتهز فرصة اقامة معرض الكتاب العربي العاشر ـ وقد أقيم في ديسمبر من العام الماضي ـ ليتحدث عن مشكلات حركة انتقال الكتاب عبر أقطار الوطن العربي ، فيلقي اللوم على الرقابة التي تقف عائقا دون سهولة تبادل الكتب بين بلد عربي وآخر . ولا شك أن التوجهات السياسية للانظمة العربية هي التي تملي على الرقيب موقفا من هذا الكتاب أو ذاك ، هذا فضلا عن أن الرقيب نفسه غير متخصص . وعن اتحاد الناشرين العرب يقول الربيعان أنه ما زال حديث النشأة ، وليس له سلطة تأثير على الرقابة في الاقطار العربية .

النشاط المسرحي :

ولقد شهدت الكويت عروضا مسرحية قدمتها فرق مسرحية عربية جاءت تلبية لدعوات رسمية ، ثم كفت تلك الفرق عن المجيء ، وتوقفت ـ بالتالي ـ عروضها . تعليقا على تلك العروض ، وتعقيبا على القول بايقاف هذا النوع من الدعوات ، يقول عبد العزيز السريع الكاتب المسرحي المعروف ومراقب الشئون الثقافية والفنية بالمجلس :

« عندما أنشيء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عمل على تنشيط الحركة الثقافية بشتى السبل . وكان من بين وسائله لتحقيق ذلك دعوة الفرق المسرحية العربية بعد اختيار الاعمال الجيدة والنادرة التي تقدم على خشبات المسارح العربية بين حين وآخر . وقد استقدمت الامانة العامة للمجلس الوطني ـ في أول دعوة من نوعها ـ فرقة الطيب الصديقي المسرحية التي قدمت مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ومسرحية سيدي عبد الرحمن المجذوب ، وكان أن أحدث عرض هاتين المسرحيتين أثرا طيبا متوقعا في الساحة الفنية والثقافية في الكويت ، مما جعل المجلس يتحمس للفكرة ويواصل دعوة الاعمال المسرحية المتميزة ، فتتالت العروض بعد ذلك حيث قدمت فرقة مدينة تونس مسرحية عطشان يا صبايا لسمير العيادي من اخراج المنصف السويسي .

ثم قدمت فرقة المسرح القومي في سوريا مسرحية سهرة مع أبي خليل القباني لسعد الله ونوس ، ومسرحية الغرباء لعلي عقلة عرسان ، بالاضافة الى العروض المختارة التي تضمنتها برامج الاسابيع الثقافية العربية التي استضافتها الكويت

ثقافة الطفل :

وفي المجلس أيضا قسم يعنى بثقافة الطفل ترأسه السيدة أمل الغانم ، وتنصب عنايته على اقامة مراسم للاطفال تحت رعاية المجلس ، ومعارض تعرض بها رسوماتهم وقد كان آخرها المعرض المحلي لرسوم الاطفال الذي أقيم في الفترة من ١٩ ـ ١٩٨٤/١١/٢٥ وكان برعاية الاستاذ أحمد مشاري العدواني الأمين العام للمجلس ، وقد زار المعرض ـ اضافة الى أولياء أمور الاطفال المشاركين ـ أعضاء من الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ومندوبون عن منتسبي ومسئولي الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، وأعضاء من المرسم الحر التابع لوزارة الاعلام ، وعدد كبير من أفراد الجمهور . □

قسم خاص

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

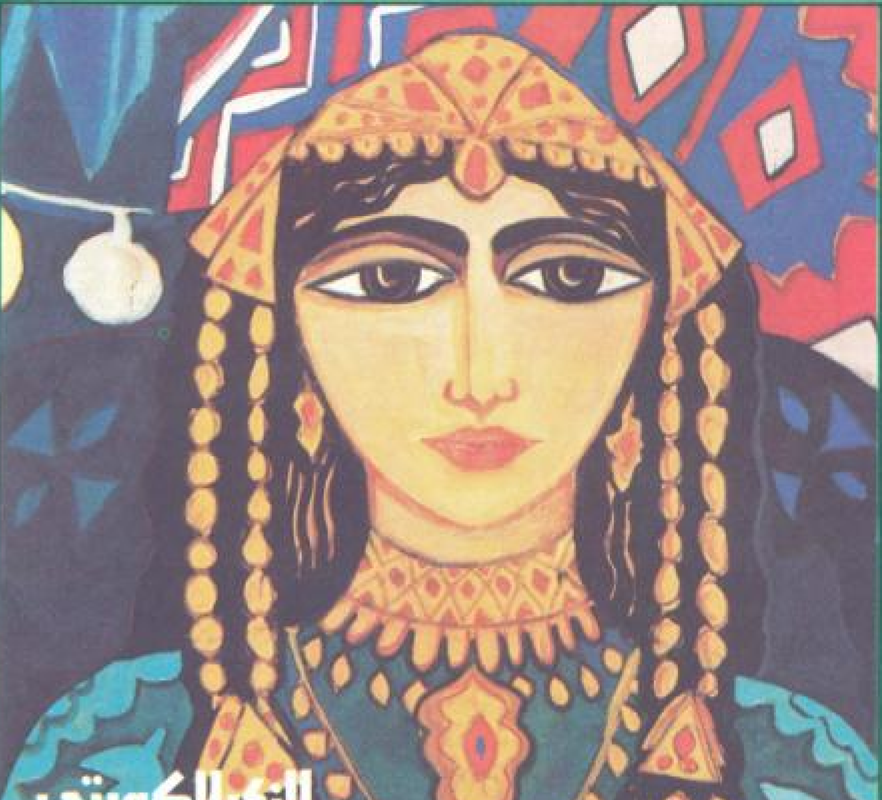

من أزياء الأقطار العربية

الزي الكويتي
بساطة .. وجمال

اعداد : ثريا البقصمي

تصوير : سليمان حيدر

من الخطأ أن تنظر الى أزياء الشعوب على أنها مجرد ألوان وطرق تفصيل فقط ، فهي أعمق مغزى وأكثر دلالة .. انها تعبير عن تاريخ وبيئة وحياة شعب .

الزى .. أى زى .. لأى شعب ، هو بمثابة تسجيل تاريخي لحياته ، وهو دائما المفتاح الذى فتح به الباحثون ومستكشفو الآثار الكثير من الأبواب المغلقة على أسرار التاريخ البشري . والزى هو الفلكلور ، والتراث ، ولغة الشعوب ، والفن الملموس والمترجم لعادات وتقاليد النسيج البشرى للمجتمع الانسانى .

الزى الكويتى

ساهمت رمال الصحراء وزرقة مياه الخليج وأهازيج البحارة المبحرين وراء الرزق في نسج شخصية الزى الكويتى ، الذى اندثرت أكثر مقوماته وطمست أصالته في خضم المدنية والحضارة ، وبقيت بعض الخيوط من الأصل وما بقى أدخل عليه الكثير من التعديلات ، والآن أصبح الثوب النسائى الكويتى ، مجرد ضيف على حفلات الزفاف فقط ، والاستعراضات الغنائية ، . وبالنسبة للرجل الكويتى ، فهو أكثر وفاء لزيه التقليدى ، فقد رفض استبداله بالزى الأوروبى الذى لا يتناسب مع طبيعة المناخ الصحراوية القاسية ، وظل محبا لزيه ، لأنه مريح وعملى ، ويحدد شخصيته كانسان ينتمى الى هذه الارض .

رحلة مع باحثة تراث

في مركز رعاية الفنون الشعبية التابع لوزارة الاعلام التقينا بباحثة التراث السيدة/مريم العقروقة ومعها انطلقنا في رحلة طريفة ، للتعرف على جذور الزى الكويتى ، قالت : - ان اللون والخط والتصميم ، غنى جدا في الزى النسائى ، لأن المرأة توظف الزى لابراز شخصيتها وأنوثتها ، وفي الماضى قسمت الأزياء الى أزياء مناسبات ، فالعمل له زى وللفرح زى وللحزن زى ، فمثلا المتفق عليه بين أكثر شعوب العالم بأن الملابس السوداء تكون للحداد ،

البرقع زي الأصالة والجمال

ولكن في كويت الماضي كانت الملابس السوداء للمرأة تلبس في فترة « النفاس » بينما تكون ملابسها في فترة الحداد خضراء اللون . وقسم الزي حسب عمر المرأة ، فالفتاة الصغيرة من سن ٤ سنوات حتى ١٢ سنة كانت تلبس (البخنق) وهو غطاء للرأس محاط بحواشي منقوشة مذهبة ، فضفاض ذو طول مناسب لحركة الأطفال ، وما ان تغادر الفتاة عالم الطفولة حتى تبدأ في لبس العباءة والثوب والملفع والدراعة وهو زى منزل محتشم ، فانها تلبس فوق ثوب الشباب ثوبا أسود يسمى (الملفع) يزيدها وقارا وهيبة .

مناسبات الأزياء الكويتية

كانت المرأة تلبس في حالة أدائها الاعمال المنزلية الملابس القطنية ذات الألوان الداكنة ، وذلك لعدم تعرضها للاتساخ بسرعة ، قبل أن يعود الزوج من العمل تستبدل ملابسها بثوب زاهي اللون ، تتبخر وتتعطر بالطيب وتضع (الديرمة) وهو لحاء شجري يصبغ اللثة والشفاه باللون الأحمر ، استبدل بعد ذلك بأحمر الشفاه . وتتحكم الطبقية في نوعية الازياء ، فالمرأة المنتمية لأسرة ثرية لا تلجأ للبس الملابس الداكنة ، وذلك لتوفر المستخدمات اللواتي يقمن بالأعمال المنزلية ، ولهذا فانها تكون في أبهى زينتها طوال النهار ، وكانت توجد أزياء خاصة لاستقبال الضيوف ، وذلك في فترة بعد الظهر حيث تكون الفساتين من الأقمشة الحريرية والجرسية ويلبس فوقها الثوب الأبيض النادر الاستعمال ، وكانت الملابس الباهظة التكلفة تورث من جيل الى آخر ، ومنها الأثواب المطعمة بالذهب المسماه (بثوب جز الثريا) أو العباءة الماهود ، وهي أغلى أنواع العباءات وكانت من الحرير المخلوط ، وهناك أهزوجة شعبية تبين مدى غلاء هذه العباءة وهي (يا مريم بيبش[1] داود طاقة زرى ، طاقة زرى ، وعبات ماهود) وكانت النساء تحفظ ملابسها في سلال من القش والتي توفر لها التهوية الطبيعية . وكذلك في الصناديق الميتة .

امرأة الماضي اقتصادية

وأضافت الباحثة مريم بأن امرأة الماضي كانت اقتصادية ، تبتاع الملابس أو تخيطها مرتين في العام ، عند دخول الشتاء وعند بدء الصيف ، وكانت النساء في المنازل يقمن بخياطة الملابس وأغلبها من الأقمشة القطنية الرخيصة التكلفة مثل (الململ) و (الويل) وهذه الأقمشة هي الأفضل والأكثر صحية وملائمة لطبيعة جو الصيف الخانق . . ولم تكن المرأة تستهلك ملابسها الزاهية الباهضة الثمن ، وذلك لندرة لبسها ، فتقاليد المجتمع تفرض على المرأة في حالة غياب زوجها عدم التبرج والزينة ، ونظرا لحياة الكويتي المكافح ، والموزعة بين رحلات الغوص والتجارة ، والتي كانت تستغرق ما بين أربعة الى ستة شهور ، فالمرأة كانت في حالة عزوبية فرضتها عليها

ثوب تور أشهر الأثواب الكويتية وأقلها تكلفة ، جمال ينطق بروح الشرق وثوب عملي يناسب حياة الماضي البسيطة .

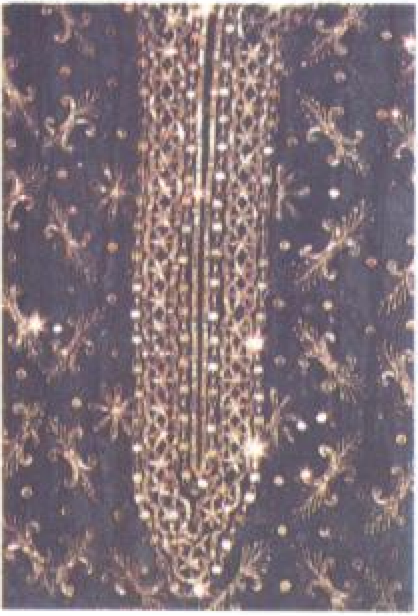

ي الكويتي ثري ، بالنقوش والخطوط ، بحنق طفله ، زخارف ثوب ، بساطة وثراء كلها تجمعت في شخصية زي المرأة الكويتية

رحلة البحث عن الرزق ، وحرمتها من التمتع بملابسها معظم أيام السنة .

وقد لعبت الروابط الاجتماعية القوية دوراً في دفع العائلات الثرية الى مساعدة العائلات المتوسطة والفقيرة ، وذلك في اعارتهم الملابس الباهظة الثمن وخاصة ملابس الأعراس ، وكذلك المصاغات الذهبية التى كانت توضع في (طاسة) إناء نحاسي وتقدم للعروس لارتدائها ، وكان الاغنياء يعتبرون هذه السلفة ، كنوع من أنواع الزكاة على ملابسهم وحليهم ، وبالنسبة للرجال كان يعار (البشت) وهو عباءة رجالية باهظة الثمن ، وخاصة اذا كانت ذات حواش ذهبية ، ويعار البشت ، في حفلات الزواج وحفلات ختمة القرآن وحفلات النذر أو الذهاب لأول مرة الى الغوص .

وأشارت السيدة مريم بأن حفلات الزواج كانت تستمر لمدة سبعة أيام تستبدل العروس يوميا ثلاثة فساتين ذات ألوان تتفاوت ما بين الأبيض والأزرق والوردى ، وكانت الأقمشة مشجرة أو مطرزة بخيوط الذهب « المخورة » .

الزى الرجالى

كانت أزياء الرجال أبسط وأقل تكلفة ، ويتكون من غطاء الرأس (الغترة) والقحفية وهي قبعة صغيرة تلبس تحت غطاء الرأس ، ثم يلبس فوقها العقال ، والطريف بأن طريقة لبس غطاء الرأس اتخذت عدة تسميات لكثرة تنوعها، فهناك طريقة تسمى (بالجربعى) وأخرى (جناح الحمامة) وثالثة (بيوز الطير) و (النصارية) و (التنسف) وللاعياد والمناسبات يرتدى الرجل (الزبون) والشليحات وهو رداء أبيض ، فضفاض واسع الأكمام ، وفي الشتاء كان يلبس الجاكيت ويسمى « بالقاط » فوق الدشداشة ، أو الصديرى ، وكانت الملابس المنزلية الداخلية من الأقمشة القطنية ، وهي منزلية الصنع ، واهتم الانسان الكويتى البسيط بملبسه ، وهناك مثل كويتى قديم يقول (مر على الناس مكتسى ، ولا تمر شبعان) وكان الرجل ينتعل النعل (النجدية) وهي افخر أنواع النعل ، أما النعال (الربل) فهو مصنوع من إطار السيارات ، ويعمر طويلا ، والحذاء (جيوه) كان يصنع من أقمشة أشرعة السفن أو من الجلد الرخيص ، وهذه الصناعات الشعبية كانت تلاقى اقبالا كبيرا من قبل البسطاء من الناس .

أما أحذية النساء فهى مستوردة مثل النعال (أم عصابة) وهو من العراق ، وقبقاب (بوصبع)وهو من الهند ،أو حذاء (ابوسكربيل » وحذاء الدبابة ، وهذه أحذية ذات كعب عال ، لا تلبس الا في المناسبات .

لغة الزى

وقد قامت النساء لعدم توفر (كتلوجات الموضة) باطلاق تسميات على تصاميم الملابس والفساتين ، وكانت التسمية تطلق على الجزء العلوى من الفستان ومنها على سبيل المثال (دلعة مدورة ، صدر يهودى ،تفنوف ابو قولة) وكانت الاثواب التي تلبس في الاعراس والمناسبات لها تسميات وذلك لسهولةتصنيفها ومنها ثوب (الجز) وهو من أغلى انواع الأثواب ، ثوب جرجيت ، ثوب (خشم البلبول) ، ثوب شاش ، ثوب تور ، ثوب كريب، ثوب شين ، ثوب الثريا .

وكانت أقمشة هذه الملابس تجلب من مصر والشام والعراق ، وقد زخر الثوب النسائي بالنقوش الهندية ، التى انتقلت اليه عن طريق التجار والبحارة ،وكانت لهذه النقوش تسميات شعبية مثل رسم (شيرة الطماطة) او رسم (الخاسة والديمة والبيت) وهي رموز اوراق اللعب (الكوتشينة) أو رسم (ابو تونة) أي النقطة أو (بو نجمة) ووردة النوير ، وهذه الرموز كانت مستمدة من حياتهم الشعبية البسيطة . وفي نهاية حديثها قالت السيدة مريم ، ان التعديلات التى أدخلت على الزى الكويتى ، افقدته شخصيته وأصالته ، وان الزى مرتبط بالتراث ، ومتى طور يصبح زائفا ، لا يمثل شخصيته الاصيلة ويفقد رائحة الماضى الزكية ، العبقة . □

المراهقة

المرحلة الحرجة في حياة الآباء والأبناء

اعداد : وفاء طه ناجي

يواجه الأهل كثيرا من المشاكل مع أبنائهم في مرحلة المراهقة ، ويشعرون بالحيرة أمام الكثير من تصرفاتهم ، وأحيانا يجدون صعوبة في التفاهم معهم .. فكيف يجتاز الأبناء خطورة هذه الفترة في هدوء وسلام ؟

كثيرة هي الاعترافات ، ولا يكاد يخلو منها بيت ، وقد حاولنا أن نجمع بعضها فماذا كانت النتيجة .. الكل يحكي تفاصيل .. ولكنه يتوقف كثيرا عند ذكر الأسماء ، فالأمر في النهاية يمس أبا وابنة .. أو يتعلق بأب وأم .

تقول .. بدأت الاحظ أن ابنتي تقلدني في كل شيء حتى عندما أتألم لسبب أو لآخر .. وكلما حاولت أن أناقش معها هذا .. ترفع حاجبيها وتقول انها كبرت وصارت مثلي ، وتتألم لأشياء خاصة مثلي تماما .

ويقول .... والدي لايمنحني فرصة للتعبير عن رأي أطرحه في قضية ما أو أي موضوع يثار للمناقشة ، وفيما يتعلق بشئوني فانه يسمع مني ثم يقول ببساطة هل ستفهم أكثر منا نحن والديك ؟ .

وتشكو : .... منذ بدأ صوت ابني يتغير وشاربه ينمو وهو يثير لي كل يوم مشكلة مع جيراني حول معاكسة فتياتهم ، وكلما حاولت أن أفهمه بأن الرجولة أن يتحلى الانسان بالعلم والأخلاق ، ويتميز بالتفوق والقدرة على تحمل المسئولية .. فانه يبتسم ويقول ببرود أعصاب : وأضيفي الى معلوماتك أنها تتأكد بهذا أيضا !!

وتحكي عن أيام عصيبة عاشتها مع ابنتها التي أصبحت شديدة الانطواء بعد بلوغها . وتجلس وحيدة في غرفتها طوال الوقت ، ولم تُجدِ معها كل محاولات كسر هذه الدائرة الا بالذهاب للطبيب ، ورغم ذلك ظلت لفترة طويلة تالية شاحبة .. تائهة تتعامل مع الناس كالنائمة الشاردة .

هذه عينات من اعترافات أمهات وأبناء .. وكثير منها نعايشه ونعيشه كل يوم في بيوتنا أو بيوت الأهل والأصدقاء والأقارب .. وعندما نسأل ، لا نملك سوى كلمة واحدة .. مراهقة .. فما هي حقيقة هذه المرحلة !؟

عندما تغادر الطفولة

تؤكد الدراسات النفسية أن أهم ما يجب أن يعرفه الآباء عن مرحلة المراهقة في حياة أبنائهم وبناتهم، هو أنها بداية الانتقال من الطفولة الى الشباب.. سواء الى الرجولة أو الأنوثة، ويصحب ذلك مظاهر جسدية وعاطفية وعقلية واجتماعية، وأي خطأ في مواجهتها يسبب الكثير من الحرج الذي قد يؤثر في مستقبل الأبناء بعد ذلك.

وكثيرا ما تواجه المراهق صعوبات تزيد من مشكلاته في تلك المرحلة، فتذبذب معاملة الوالدين له مرة كطفل ومرة كرجل من أسباب مشكلاته وعدم استقراره، فسلوكه وتصرفاته تكون أحيانا كسلوك الأطفال وتصرفاتهم، رغم أنه قد بلغ من النضج مبلغا يكفي للنظر اليه كرجل، وكذلك الامر بالنسبة للفتاة.

واختلف علماء النفس في العمر الزمني لبداية المراهقة عند الانسان بسبب اختلاف البيئة والمناخ، فالبلوغ في البلاد الحارة يبدأ مبكرا لدى الفتيات في التاسعة أو العاشرة، بينما يبدأ في البلاد الباردة متأخرا في عمر قد يصل الى السابعة عشرة أو أقل قليلا.

والبلوغ عند الفتيات يكون بعد ذلك بعام أو عامين.

واتفق علماء النفس على أن الأمر ليس قاعدة.. لأن هناك اناسا مراهقين في التفكير والسلوك رغم بلوغهم الخمسين أو الستين من العمر، بينما هناك الذين يبدون نضجا في أفعالهم رغم عمرهم الذي يوافق زمن المراهقة.

المراهقة.. ليست مفاجأة

وحول مراهقة الأبناء ودور الآباء في معالجة مشاكلها كان للبيت العربي لقاء مع د. عزت سيد اسماعيل أستاذ علم النفس بجامعة الكويت ـ يقول:

في البداية.. أحب أن ألفت نظر الوالدين الى أن انتقال صغارهم الى مرحلة المراهقة لا يتم فجأة، ولكن يتم التغيير تدريجيا، وقد لا يلحظه الأهل بسبب التفاوت في معدل نمو الأبناء. وحتى يسهل فهم فترة المراهقة يمكن تقسيمها الى عدة خصائص:

أ ـ نشاط الغدد الصماء.. وسرعة في نمو الجسم.

ب ـ سرعة في النمو العقلي.

جـ ـ اتساع في الاتجاهات الانفعالية.

فمن حيث التغيرات الهرمونية (افراز الغدد)، نجد من هذه الهرمونات ماله أهمية خاصة بالنمو الجسمي، حيث يطرأ على المراهق تغير ملحوظ، من زيادة الوزن والطول وخشونة في الصوت ونمو الشعر.. كما تبدو علامات الأنوثة واضحة على جسد الفتاة أيضا.

أما الذي يجب أن نهتم به حقيقة فهو ما يصحب بلوغ الأبناء ـ مبلغ الرجولة أو الانوثة ـ من اضطراب في توازنهم النفسي، فأهمية تأثير نشاط الغدد في النمو العاطفي والعقلي لدى المراهق لا يقل عن أهميته في النمو الجسمي، وهو ما يجب أن يتنبه له الأهل في البيت والمربون في المدرسة، وهنا أؤكد على ضرورة أن يقوم كل من الأب والأم بتعليم أبنائهم شيئا من تلك التغييرات التي سوف تطرأ عليهم، حتى لا يفاجأوا بمرحلة البلوغ. ان التربية الجنسية المبسطة هامة جدا في تلك الفترة، فالخطر الحقيقي للمسألة الجنسية في حياة الفرد يكون في زمن المراهقة.

كيف ينظر المراهق لنفسه..؟

يتابع د. عزت حديثه فيقول: يتزايد اهتمام المراهقين بذواتهم وما يجري في نفوسهم، فيهتمون بزينتهم ويتبع ذلك اهتمام بالجنس الآخر. ويحدث أن يشعر المراهق بالكآبة والميل الى الانتحار، أو التجمع في جماعات خاصة، ويرجع ذلك الى ما يستشعره أحيانا من أحاسيس النقص، وانه مرفوض ممن حوله ولكن بشكل عام تظهر روح الجماعة لدى المراهقين في تلك المرحلة أكثر من أي وقت مضى، وهو أمر أحب ان أؤكد على أهميته، وعلى الأهل أن يستغلوا تلك الحماسة في توجيه المراهقين الوجهة

العلاقات مع الأهل . .

يستمر د . عزت في حديثه قائلا : بعد كل هذه التغيرات التي تلحق بالمراهق نجده يرغب في الاستقرار فكرا وعملا ، والابن الذي كان يتقبل في السابق المعلومات دون نقد يبدأ الآن في الشك والتحدي ، وتزول تقريبا فكرة الخضوع الكامل للأهل ، ويصبح المعلم كمصدر للسلطة محل شك أو تساؤل ، ورغبة المراهق في أن يكون له كيانه المستقل ، غالبا ما تؤدي به الى أن يصدر أحكاما قد تبدو بالنسبة للكبار غير واقعية في حين أنها منطقية تماما بالنسبة له على أساس من خبرته المحدودة . ويساعد المراهق على الرغبة في التحرر والاستقلال أنه قد أصبح بامكانه الاستغناء عن العناية التي كان يتلقاها خلال طفولته ، وبهذه الطريقة تنمو لديه ميول ومستويات طموح جديدة .

وأحب أن يعلم الأهل أن المراهقة فترة تستلزم التخلي عن الاعتماد الطفولي عليهم ويتبع ذلك انفصال انفعالي للابن ثم محاولة استقلال اقتصادي عن الاسرة ، وهو شاق على الفتى ، لكنه أشق على الفتاة ، فالالتصاق بالآباء الذين يقدمون الحماية الزائدة ، أو الخضوع لآباء مسيطرين هي مواقف يصعب التخلص منها .

طريقة معاملة المراهق

إن قدرا متزايدا من الحرية أمر مرغوب فيه كلما اقترب الطفل من سن النضج ، وبهذا الأسلوب يمكن أن نساعده كثيرا ، اذ يجب على الصغير أن يمارس تدريجيا هذه الامور من الاعتماد على النفس . قبل أن يصل مرحلة المراهقة : وأحب أن اشير هنا الى نقطة هامة وهي أن العلاقات السيئة بين الأبوين سبب هام من أسباب السلوك السيء لدى أطفالهما . ولايعني تفهم تلك المرحلة في حياة الابناء أن يخضع الأهل لجميع الرغبات والطلبات . بل ان الحزم مع التسامح ، والتوجيه دون الالحاح في النضج ، أمور

الصحيحة بتشجيعهم على الانضمام الى الجمعيات الثقافية والرياضية والعلمية بدلا من الاتجاه الى العصابات أو الجماعات التخريبية .

ويحرص كل من الفتى والفتاة في بداية تلك المرحلة على عقد صداقات جديدة مع أقرانهم . . وقد أجمع علماء النفس بعد دراسات وأبحاث كثيرة على أن الصداقة الصحيحة مع نفس الجنس من أهم ما تتميز به فترة المراهقة .

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين الجنسين فكثيرا ما تبدأ بالتجنب وعدم ميل أحدهما الى الآخر . . ويحدث ذلك في مطلع المراهقة ، ثم يبدأ الميل الى الجنس الآخر ، ومن مظاهر هذا الانجذاب أن تقع الفتاة في حب معلمها مثلا ، كما قد يتعرض الفتى لحب امرأة تكبره سنا . .

ونحن نرى أن تلك المظاهر غير المتوازنة تعبير عن حالة عدم الاستقرار التي يمر بها المراهق .

تدعو المراهق الى الاحترام الشديد للوالدين .

وينهي د . عزت سيد اسماعيل حديثه قائلا : وقد يقع الأهل في حيرة عظيمة فلا يعرفون أنسب الوسائل في تربية ابنهم المراهق ، وهل يجوز التحدث اليه صراحة في أمر تلك الفترة أم يترك ذلك لعوامل كالظروف أو المدرسة؟وانني أقول لهم: إن خير وسيلة هي فتح حوارات ومناقشات مع الأبناء ، لان هذا النوع من الحديث يشبع رغبتهم في حب الاستطلاع ، ويزيد من معلوماتهم ، ويعرف المراهق أن ما يمر به لايجعله مختلفا عن غيره ، فينمو لديه قدر كبير من الثقة بالنفس تمكنه أن يتعامل مع الآخرين بسهولة ودون أن يفقد ذاته وشخصيته . إن تلك الصراحة مع المراهقين احدى دعائم التربية وأنه من المفيد أن نطلعهم على ما سيتعرضون له من الأزمات العاطفية . ومرة أخرى أؤكد على ضرورة أن يتحدث الاب مع ابنه والام مع ابنتها عن الحقائق البسيطة للنضج الجنسي ، اذ تؤكد الدراسة أن الانحرافات والعقد النفسية لدى هؤلاء تنشأ أساسا من الجهل بتلك الحقائق . وحتى يبوح الأبناء بكل أسرارهم يجب أن يعاملوا معاملة لينة هادئة يحكمها الصبر أساسا .

يتأكد لنا ـ عزيزي القاري ـ بعد كل ما سبق أن مشكلة المراهق الأساسية تتبلور في بحثه عن هويته . . فهو كثيرا ما يواجه صعوبات قد تزيد من مشكلاته في تلك الفترة . وصورة المراهق عن نفسه تتوقف على نظرة الآخرين ، والوالدين في البداية ، من حيث تقبلهم أو رفضهم له ، ويكون تمرده دليل محاولته للاستقلال الذاتي .

وغالبا ما يلجأ المراهق الى أساليب وسلوكيات تكشف عن قلقه وبحثه عن هويته ، ويتمثل لنا ذلك في الالوان الصارخة التي يرتديها ، واطلاق الشعر أو تصفيفه بطريقة ملفتة للنظر ، واتخاذ بعض الأشخاص مثلا أعلى وتقليد الأبطال . كما يكون الصراع حول الحاجات الجنسية واضحا . . ومن ناحية اخرى تتناقض أفكار وعواطف المراهق بين الايمان والالحاد ، وقد يجد الكثيرون الحل في اللجوء الى الدين ، كما يشكل اهتمام ابنك بمهنته ومستقبله جزءا اساسيا من تفكيره ، وهو دليل الخطوه الأولى على طريق النضج .

وعلى الآباء أن يتجنبوا نظرات عدم الارتياح لتصرفات المراهق والادفعوه دفعا لممارسة تلك التصرفات خارج البيت بعيدا عن أعينهم ، ويصبح بذلك عرضة للانخراط في جماعات السوء ، أو الانحراف بأية صورة من الصور . □

الدواء الذي لا داء معه

روى الأصمعي قال : (جمع هرون الرشيد من الاطباء أربعة : عراقيا ، ورومياً ، وهنديا ، ويونانيا فقال : ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه . فقال العراقي : الدواء الذي لا داء معه حبّ الرشاد الأبيض . وقال الهندي : الاهليلج الاسود . وقال الرومي : الماء الحار ، وقال اليوناني ـ وكان أطبهم ـ حبّ الرشاد الأبيض يولد الرطوبة ، والماء الحار يرخي المعدة ، والاهليلج الاسود يرق المعدة ، لكن الدواء الذي لا داء معه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه ، وتقوم عنه وأنت تشتهيه) .

سأل الرشيد أطباءه هذا السؤال قبل ألف ومائتين من السنين فلم يسمع منهم جوابا شافيا ، فقد دحض كبيرهم اليوناني أقوالهم الواحد تلو الآخر ، ولم يستطع هو أيضا أن يأتي بدواء واحد لا داء معه فنصح بالحمية والاعتدال في الطعام كي لا يتخم المرء فيمرض فيضطر الى الدواء الذي لابد حينئذ من الداء معه .

مراكز التنمية الريفية في ليبيا

ثمار الجهود التي قامت بها الملتحقات بالمركز من أعمال التطريز والخياطة

تجربة لإعداد نموذج جديد للمرأة العربيّة

ما من ثروة تضاهي الانسان . . . تظل هذه العبارة صحيحة مهما ازدادت ثروة الأمم أو تنوعت أشكالها ، وكل خطط التنمية ـ أيا كانت اتجاهاتها ـ تضع في حساباتها إعداد الانسان وتطويره ، لأنه في النهاية أداة التنمية وهدفها .

الا أن المشكلة التي ما زالت تبحث عن حل حقيقي لها تكمن في نقطتين : ـ

الأولى : مشاركة المرأة ودورها في المجتمع .

الثانية : مراعاة أن تكون الرعاية بساكني المدن والريف مساوية لنفس الرعاية التي يلقاها إنسان العواصم .

وفي الجماهيرية الليبية كان للبيت العربي جولة في

الحياكة وعمل الصوف من الأمور الهامة ، لتتمكن الزوجة من التخفيف عن كاهل الزوج .

أحد مراكز التنمية الريفية والتي تنتشر على خريطة ليبيا لتغطي أي مكان يتجمع فيه بشر .

وقد كانت فكرة انتشار المراكز مواكبة للبدو في إنشاء مزارع استيطانية ضمن مشروع التنمية الزراعية الكبير ، وكان وجود مجتمعات سكنية زراعية حافزا قويا لانشاء مراكز التنمية من أجل العمل على توعية المرأة وتنميتها وتحويلها الى أداة منتجة حقيقية في المجتمع .

وبدأت مراكز التنمية بتنفيذ برنامج متكامل من التدريب والتوعية ومحو الأمية ، وخطط البرنامج بحيث يضمن تخريج مستويين من الفتيات وزوجات المزارعين (المستوى الأول لاعداد ربة بيت واعية قادرة على تدبير وتلبية كافة احتياجات المنزل والمشاركة في الأعمال الزراعية علاوة على رفع مستواهن الثقافي والفكري) .

والمستوى الثاني هو اعداد الرائدات ذوات المستوى المرتفع من المهارات المنزلية المختلفة الى جانب التثقيف اللازم ، وذلك لكي يقمن بعد ذلك بمهمة التوعية والتثقيف داخل الأسر بالمجتمعات السكانية الجديدة في المناطق الزراعية ، علاوة على المشاركة في أعمال التدريب والتدريس في هذه المراكز .

وتشهد المجتمعات السكانية كل صباح مشهدا رائعا . يذهب الرجال الى الحقول والحدائق ، والاطفال الى المدارس ، والنساء الى مراكز التنمية . . في محاولة مستمرة ودؤوب لرفع مستوى ثقافة المرأة وتأهيلها لتقود الحياة جنبا الى جنب مع زوجها ، فلا يمكن أن يتقدم مجتمع ما وطاقة المرأة فيه معطلة ، أو تظل المرأة تسبح في الجهل وعدم الادراك ، فتنوير الاسرة يبدأ من تنوير الأم الحاضنة ، والتربية لأطفالنا نصف الحاضر وكل المستقبل . □

ريم الكيلاني

المدرسة والطالبة ، وشرح تفصيلي لطريقة تشغيل آلة التريكو

بيت للحضانة ملحق بكل مركز .

المراكز لاتقتصر على تدريس اقتصاديات المنزل ، بل هي أيضا تساهم مساهمة فعالة في تقديم العون للراغبات في تعليم الأمور المكتبية

الاعمال المنزلية وأمور اعداد الطعام للزوج ، أمر لايقل أهمية عن مناهج التعليم الأخرى الملحقة بالمركز

لابد للأم من تعلم الاسعافات الأولية ، لتكون مستعدة تمام الاستعداد لمواجهة ماقد يقع من حوادث .

هو .... الصمت

اعرف . . لن يصدقني أحد . . فلا توجد زوجة لاتشكو من صمت زوجها . . وهدوئه ولكن عندما يصبح الصمت قاتلا ومميتا ويؤدي الى التوتر والقلق ، يصير الامر عذابا وقسوة .

زوجي مهندس في احدى شركات المقاولات ، يعود مساء من عمله منهكا متعبا ، لاهو يعرف ولا انا كيف ينزع ملابسه ويتناول عشاءه ولايعود للحياة ثانية الاصبيحة اليوم التالي .

وفي كل ليلة اشعر بملل رهيب يتخلل حنايا نفسي فلا أجد مؤنسا سوى شرب اليانسون ثم تناول الاقراص المهدئة ليبدأ بعدها الصراع مع النوم .

الاسبوع كله على هذا المنوال،لايمحني الصبر الا انتظار وصول يوم الخميس ، ومع ساعات الصباح الاولى لليوم الموعود ابدأ باعداد نفسي وتجهيز أطفالي لنزهة ما . واستقبل هذا اليوم الهانىء بمنتهى السعادة واحاول اصطناع اللطف مع زوجي ، واضفاء جو من المرح والهدوء على المنزل . فانتقى من الحديث احلاه ومن الكلام اشهاه .

ولكن اليوم اجازة ، ستدخل الشمس منزلنا ، وستغرد الطيور فرحا وترقص الزهور ابتهاجا ، فزوجي سيصحبني واطفالي الى نزهة ما ولكن السؤال الذي يتكرر كل اسبوع هو اين سنذهب ؟ فالاماكن محدودة ، شاطىء البحر مكان لابأس به ، فهو يزيل الملل على أية حال ، فقد يسعد اطفالي بهذه النزهة ، حيث يمكنهم الجري واللعب فتخفف حدة الكبت التي لازمتهم اسبوعا كاملا .

وصلنا الشاطىء المنتظر ، هممت بفتح باب السيارة استعدادا لمزاولة رياضة المشي على شاطىء البحر ، ولكن صوتا مميزاً ناداني . لاتفتحي الباب ، ابق مكانك ، هل تظنين نفسك في أوروبا ، لاداعي للمشي ، انظري الى الماء وتأمل قدرة الخالق .

ـ ولكني . .

ـ لا أريد نقاشا في الموضوع ، افعلي ما أقول .

ـ قلت في نفسي فلأطع مؤقتا واحاوره فربما استطعت اخماد نيران بركانه المتأجج ، طرقت كل المواضيع ، وتحدثت في كافة المجالات ، عن العمل والاهل والاطفال والطبيعة ، حتى حديث الذكريات ، نال جانبا من حديثي ، ولكنه لايحكي ولا يشكو ولايعرف للنطق طريقا ، وكأن عداء وقع بينه وبين الكلام فأقسم على الا يتكلم .

نظرت الى وجهه ، فاذا بعينيه مغمضتان واذا به يغط في نوم عميق .

وصلنا جنة الفردوس (بيتنا) ترجل زوجي ونحن من خلفه كقطيع ماشية يقودها راع محترف . . .

فتح الباب ، دلفنا جميعا داخل مملكة الحب . . بدل ثيابه . . واندس في فراشه ، ونام نوما عميقا هادئا ، بعض صديقاتي يشعرن بما اعاني ويبادلنني المشاعر ، الا ذلك الرجل الاصم الذي توجه اليه كل نوباتي العصبية وثوراتي اللاإرادية .

لايسمع ولايشعر ، وكأن الله انتزع منه المشاعر والاحساس وجعله آلة تتحرك لتعمل فقط .

يستيقظ صبيحة اليوم التالي نشيطا ، منتعشا يبدأ يوما جديدا سعيدا يقضيه بمفرده ، او مع أي انسان اخر سواى ، وفي كل مكان يتاح له غير البيت .

هي

هيَ....

الثرثرة

● عجيب أمر المرأة ، لاترى في الحياة الا الحب والاحلام .. تتصور أن الرجل - آلة لاتتعب ولاتنهك !! يعود من عمل طويل ومطلوب منه أن يبتسم ويضحك ويتحدث ويحكي ويحلم .

وفي سنوات سابقة كانت المسئوليات أخف . لم يكن الاطفال قد اشتد عودهم وكثرت طلباتهم واحتياجاتهم . لم تكن ميزانية الأسرة قد عرفت مصروفات المدرسة واشتراك سيارة المدرسة ، وبالتالي فلم أكن قد عرفت طريق ساعات العمل الاضافية وطلب العمل في مواقع بعيدة بحثا عن زيادة في الراتب من هنا وهناك . ويبدو انها لاتعرف معنى ما اعمل .. فهي لاتتصور كيف يمكن أن يقضي انسان عشر ساعات مع العمال والمقاولين وضجيج آلات البناء ، لكي يعود في نهاية اليوم مرهقا منهكا ليس فيه بقية حياة .

الاسبوع الماضي خرجنا في يوم الخميس . ذهبنا الى شاطيء البحر .. الشاطيء مليء بالسيارات « عائلات وشبان » . واذا بها ترغب في المشي على الشاطيء . أي مشي وأي رياضة ؟ تنسى نفسها كثيرا هذه السيدة .. تنسى ان الشباب - لظروف كثيرة كالفراغ وطريقة المجتمع في التعامل معه وعدم النضوج - لن يتركها تسير بهدوء دون كلمة تلقي في أذنيها أو تخدش سمعها .. ورغم اننا تناقشنا كثيرا فيما مضى حول هذه المسألة .. وقلت لها : صدقيني أن الشباب لايعاكس ولايلقي بالكلمات التي تجرح حبا في المعاكسة ، بقدر ما هو تعبير عن موقف من المجتمع ، فنتيجة لرفضه للمجتمع واحساسه بأنه في منتصف المسافة لاهو منه ولا عليه ، فهو يجرح المجتمع في أمس حرماته ، والا فمن يفسر لي انهم لايسيرون وراءك يطاردونك ولا .. ولا .. فقط يلقي كلمة تخدش السمع . و .. و .. أشياء كثيرة .

ولكنها رغم ذلك تنسى أو تتناسى .. ولاتملك حديثا الا عن ايام الخطوبة والفرح والحب والاحلام والامنيات حتى صارت اسطوانة مشروخة .. ذات ايقاع واحد .. لاتملك فور سماعها الا الاستغراق في النوم على صوتها الرتيب

من زرع في ذهنها هذه الافكار والثقافات .. ؟ الحب ليس أن ينظر كل منا في عين الأخر .

الحب أن ننظر معا الى هدف واحد .. وهو قبل ذلك مسئولية حياة وعمل وبحث عن غد أفضل .. الحب صدر يعرف ويغفر ويفهم ويتفهم .. ويعين على مشقة الحياة من أجل بسمة لاتغيب عن شفاه اطفالنا .. ولكن من يسمع ومن يقرأ .. ومن يفهم ؟ ولذا فالافضل أن نهرب الى النوم هربا من الملل والثرثرة والحب على طريقة الافلام والمسلسلات .

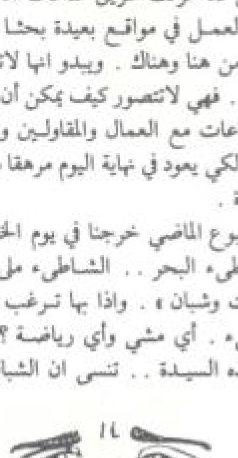

هوَ

من الحياة

إبنة الشعب كانت تشكو الوحدة !

بقلم : منير نصيف

يا لها من حياة تلك التى صنعتها لنفسي .. انى أبدو أحيانا كما لو كنت أقف خارج نفسي أرقب وأتساءل : (هل كل هذا الذى فعلته يستحق كل المتاعب التى واجهتها .. ان الفرصة لا تجىء الا مرة فى العمر ، ولا استطيع أن أقول انى أحسنت استخدامها) .

(انديرا)

كتبت تقول:
(انى اشعر بقلق شديد .. لست ادرى .. هل هو السن الذى يدفعنى الى هذا الشعور بعدم الاستقرار .. ربما على أية حال ، لقد كنت دائما أحس وأنا طفلة صغيرة أن هناك قوة تدفعنى دائما الى الاستمرار فى الحياة ، تماما كما لو كنت أريد أن أقوم بسداد دين على . ثم فجأة كنت أشعر بأننى قد سددت الدين . على أية حال انى لا أدرى لماذا تطاردنى هذه الرغبة القوية فى أن أترك كل شىء ، وأتقاعد هناك فى مكان بعيد فوق الجبال ، أريد أن أعيش حياتى بعيدا عن الناس !!)

***

ثم سجلت مشاعرها فى رسالة أخرى قالت فيها عن حياتها الخاصة :
(لقد كنت دائما انسانة تعسة فى حياتى الخاصة .. ولكننى لم أعد أهتم كثيرا بالجرح الذى أصابنى ، ولا بالشعور بالتعاسة الذى احتوانى ، حقيقة أننى أشعر بالأسى ، لأننى افتقدت أجمل ما فى الحياة .. افتقدت العلاقة الكاملة المثالية مع انسان آخر ، لاننى اشعر أن من خلال هذه العلاقة وحدها يستطيع المرء أن ينمى شخصيته ويزدهر .. ولكن ربما شاء القدر أن يعوضنى عنها بهذه السكينة التى اشعر بها وحدى مع نفسى .. لقد قال أحد شعرائنا الذين عاشوا فى القرن السابع عشر : « اذهب حيثما تشاء ، فاذا وجدت أن روحك غريبة عنك ، فاعلم أنه ليس لك بيت فى هذا العالم الذى تعيش فيه » .

أعتقد أننى وصلت الى المرحلة التى بدأت أشعر فيها أن بيتى هو أى مكان أذهب اليه !)

وعن هواياتها كتبت تقول : (انى اعتبر نفسى محظوظة ، لاننى أتمتع بقدر من روح المرح الكافى لمواجهة اسوأ المواقف ، وبقدر من الحب للطبيعة ، بحيث أستطيع أن أجد الجمال والسعادة فى الأماكن التى لا يخطر على بال انسان ان يجدهما فيها . ثم هناك أشياء كثيرة تسعدنى .. لقائى بالناس مثلا ، والكتب

أنديرا كانت تشكو الوحدة

والموسيقا واللوحات ، وفوق كل شيء وقبل كل هذا أطفالي .. والمتعة التي أجدها وأنا أرقبهم ينمون ويكبرون ، ويتحولون الى شخصيات مختلفة تماما .)

وفي مكان آخر من نفس هذه الرسالة كتبت تسجل خواطرها عن حياتها مع والدها بعد أن ماتت أمها : (الحياة كلها مثيرة للشعور بالاحباط ..

***

هذه بعض الخواطر التي كانت تدور برأس امرأة عرفها العالم .. فهي لم تكن امرأة عادية ، وانما كانت تحمل مسؤولية الحكم في واحدة من اكبر دول العالم .. واستطاعت أن تفرض شخصيتها على الأحداث ، وتنتزع احترام وتقدير شعبها وكل الشعوب التي تبحث عن السلام ،

لمن هذه الرسائل ؟

انها انديرا غاندي رئيسة وزراء الهند .. ولكن لمن كانت تكتب هذه الرسائل التي كانت تعبر عما يعتمل في صدرها من انفعالات ، في مراحل مختلفة من عمرها ، وهي ماضية في الطريق الذي اختاره لها والدها نهرو العظيم ، عندما كتب اليها يقول : (آمل أن تصبحي جنديا في خدمة بلادك) .. وقد اصبحت أنديرا هذا الجندي .. أما الرسائل التي كانت تصور فيها مشاعرها ، فقد كانت تكتبها لصديقتها دوروثي نورمان الصحفية والمصورة الأمريكية ، التي تعيش وتعمل في نيويورك .. وقد التقت بها أنديرا وعرفتها عندما كانت في الحادية والثلاثين من عمرها ، وكانت وقتها في صحبة والدها عندما زار الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٩٤٩ .. ونشأت بينهما علاقة صداقة ومودة على مدى السنوات التي تلت هذا اللقاء ، حتى لحظة رحيل انديرا في أواخر العام الذي انقضى بكل ما حمله من آلام واحزان للبشرية . وقد جمعت دوروثي رسائل صديقتها أنديرا في كتاب .

ترى كيف كانت حياة انديرا ؟ سألها أحد الصحفيين يوما : (هل صحيح أنك كنت طفلة مدللة ؟) .

وقالت ابنة نهرو : (بالعكس .. لقد كنت أشعر أنني أفتقد كل شيء ينعم به بقية الأطفال .. عندما كنت في العام الثالث من عمري مثلا ، أحرقت كل (العرائس) الصغيرة التي كنت ألهو بها ، لانها كانت عرائس انجليزية ، وكان الشعب الهندي وقتها يحارب كل ما هو أجنبي وكل ما هو انجليزي ! انني ما زلت أذكر كيف جمعت اسرتي كل ما هو أجنبي .. الملابس والأدوات وكل ما كان يحويه البيت من أشياء مصنوعة في الخارج ، ثم وضعتها في كومة كبيرة في الفناء الخارجي واشعلت فيها النار !)

المدرسة الاولى

وهكذا كانت ثورة الشعب الهندي ضد الاحتلال الانجليزي هي مدرستها الاولى .. لقد عرفت أنديرا استاذ هذه المدرسة المهاتما غاندي ، وكان والدها قريبا

منه دائما ، وكانت تعجب لهذا الرجل النحيل البسيط الذى يقف فى مواجهة (الامبراطورية البريطانية) وكان أبوها يقول لها : (انه رجل قوى ياصغيرتى . . انه أقوى رجل فى الهند ، لأنه ابن الهند ، ولان الشعب كله يقف وراءه) .

وفى العام التالى كانت تجلس ، كما تعودت أن تفعل دائما ، فوق ركبتى جدها لوالدها ، وقد كان مقعدها المفضل كلما رأته جالسا بدوره يتحدث مع ابنه فى أمور بلاده . . انها ما تزال تذكر كيف كانت تتعلم الكثير من حقائق الحياة من فوق هذا المقعد ، فقد كانت تحب جدها ، وكانت كلماته تنفذ الى أعماقها ، وتعى كل حرف منها فى هذه السن المبكرة . .

سألوها يوما : (وماذا كان يقول لك جدك ؟)

قالت : لقد علمنى أن هناك دائما نوعين من الناس . . هؤلاء الذين يعملون فى صمت ، وهؤلاء الذين يجنون ثمرة هذا العمل وينسبونه الى أنفسهم ، وكان جدى يقول لى دائما (أريد منك أن تكونى واحده من هؤلاء الذين يعملون ولا ينتظرون أجرا على عملهم . .

مدرسة من السجن

وكانت ما زالت طفلة عندما حكم الانجليز على جدها ـ وكان محاميا ناجحا مرموقا ـ بالسجن ، الذى القوا فيه أيضا بوالدها نهرو ، لأنهما يقاومان الحكم الانجليزى للهند . . ومن وراء جدران السجن الذى قضى فيه الأب وابنه سنوات طويلة ، كانت الابنه الصغيرة تكبر وتنضج فى خجل وضعف ، ولكنها كانت تتعلم من خلال الرسائل الطويلة الرائعة التى كان أبوها يكتبها لها . . لقد كانت كلها رسائل تروى لها تاريخ العالم ، وكيف غيرت ثورات الشعوب هذا التاريخ . . وكانت مازالت تذكرها وتحفظ الكثير من فقراتها ، حتى بعد أن تقدم بها العمر . . ومازال طلبة المدارس فى الهند يقرأونها ويحفظون فقرات منها .

روت أنديرا يوما بعض ما كان يشغلها فى طفولتها قالت : (لقد كنت أجد نفسى فى وحدة بعد أن تخلصت من عرائسى الانجليزية ، فكنت أدعو العاملين فى بيت جدى ، فيأتون ويقفون أمامى ، وأصعد أنا فوق المائدة ، ثم لا البث بعد أن أراهم قد تجمعوا حولى ، أن انطلق فى القاء « خطاب حماسى » . . ولم يكن المستمعون يقفون جميعا فى صف واحد . . . لقد وضعت « العرائس الهندية » الجديدة فى صفين . . مجموعة تمثل المتظاهرين الذين خرجوا يطالبون بالاستقلال . .وفيهم كنت أوجه خطابي لألهب حماسهم . . ثم مجموعة أخرى تمثل رجال البوليس الانجليزى وقد حملوا الهراوات ، وراحوا ينهالون بها على رؤوس المتظاهرين .)

وماتت أمهـــا !

وقد عرفت أنديرا قسوة الحياة عندما ماتت أمها وهى فتاة صغيرة . . كانت (كامالا) ـ وهذا اسمها ـ بدورها فتاة صغيرة بسيطة ، تنتمى الى أسرة من عامة الشعب ، اختارها والد نهرو المحامي الثرى الكبير ، لتصبح زوجة لابنه الذى ورث كل شىء عن أبيه . . . اسمه ومهنته ، فقد أصبح محاميا مثله ، ثم حبه لبلاده وحماسه للقضية التى تحمس للدفاع عنها ، ووهب حياته كلها لها ، بالقرب من غاندى « ابو الهند » العظيـــم .

وجاءت أنديرا وحدها ثمرة لهذا الزواج . . . ثم بدأ المرض يزحف الى صدر الأم المسكينة . . ونقلت الى سويسرا للعلاج ، بعد أن تمكن الداء منها . . لقد اصيبت (كامالا) بالسل ، وحزمت الابنه حقيبتها لتكون بجوار أمها فى محنتها . . . وفى مدينة جنيف دخلت الأم المستشفى ، وذهبت أنديرا الى المدرسة . . وانقضى عامان وماتت كامالا . . وذهبت الابنة لتعيش حياة جديدة مع الوحدة فى كلية ((سومرفيل) للبنات فى اكسفورد بانجلترا . . . هناك مضت تكمل تعليمها . . وهناك ايضا التقت بالشاب الذى استطاع ان يخرجها من وحدتها . . . كان اسمه فيروز غاندى ، وكان يتلقى دراسته مثلها فى انجلترا . . وكان معدما لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، وكانت تصغره بخمس سنوات . . .

مع غاندي محرر الهند

اسمه غانـدي

يقول أصدقاء أنديرا : لقد كان من الممكن أن يمر هذا الشاب في حياتها مثل أي شاب آخر التقت به ، لولا أنها وجدت فيه شيئا لم تجده في غيره من الشبان الذين عرفتهم .. فقد كان اسمه (غانـدي) .. هكذا شاء القدر أن يضع في طريقها رجلا يحمل اسم غاندي العظيم ، الذي كانت تجلس عند قدميه ، وتتعلم منه معنى الحياة ومعنى الحرية ، دون أن تكون هناك أية علاقة تربط بين الاثنين .

وعندما أتم الاثنان تعليمهما ، وعادا الى الهند في عام ١٩٤١ ، أعلنت انديرا انها وغاندي قد اتفقا على الزواج .

قالت هي بعد ذلك : (لم يكن هناك أحد يريد هذا الزواج أن يتم .. وكان ابي أشدهم رفضا لزواجي .. لقد أصابه الهم والحزن .. ولكنني كنت مصممة على الزواج من فيروز غـانـدي .. وتزوجنا) .

ورزقت انديرا من زوجها بولدين (راجيف) الذي جاء بعد زواجها بثلاثة أعوام (رئيس وزراء الهند اليوم) ثم سانجاي الذي ولد بعد ذلك بعامين ، وهو الذي قتل في حادث سقوط طائرته الصغيرة ، في الوقت الذي كانت تعده فيه أمه لكي يخلفها في زعامة حزب المؤتمر الهندي .

نهاية وبدايـة

ولكن حياة انديرا في بيت الزوجية لم تدم طويلا ، ففي عام ١٩٤٧ اصبح والدها نهرو أول رئيس لوزراء الهند بعد الاستقلال ، وحملت أنديرا ولديها وذهبت لتعيش في بيت والدها .. وكان هذا اليوم هو نهاية زواجها القصير الذي دام خمس سنوات .. وفي بيت نهرو عـاشت (ابنة الهنـد) ، أو (ابنة الشعب) فكانت الابنة والمضيفة وكاتمة أسرار الدولة .. وفي هذه المدرسة الجديدة التي لازمت فيها والدها كظله في معظم زيارته ورحلاته تعلمت الابنة الف باء السياسة .. ثم رحل الأب في عام ١٩٦٤ اثر اصابته بشلل لم يمهله طويلا ، وبقيت هي تلملم جراح قلبها .. وجاء رجل طيب ضعيف يدعى شاستري ليجيب على السؤال الذي طالما أثار حيرة العالم حتى ابناء الهند انفسهم : (بعد نهرو .. من ؟) .. ولكنه لم يبق طويلا في مقعد الحكم ، فبعد عامين لحق شـاسـتـري بـالـرجـل الـذي بـنى الهـنـد الحديثة ... ووجدت أنديرا نفسها فجأة تقود مصير هذه الأمة الكبيرة .. وكانت وقتها قد جاوزت الخمسين من عمرها .

وعندما وقف زعماء المعارضه يهاجمونها ويقولون : (ان رئيسة الوزراء الجديدة ليس لها برنامج وليس لها سياسة وليس لها أسلوب !) ردت في هدوء ، قائلة : (انني « ست بيت » ، وسوف أتصرف بهذه العقلية ، فاذا وجدت شيئا قذرا أو غير مرتب فسوف أعمل على تنظيفه واعادة ترتيبه من جديد !) .

وراحت تعمل .. الى أن انطلقت الرصاصات المجنونة لتضع نهاية لحياة (ابنة الهند) . وفوق قمة الجبل الذي كانت تتمنى أن تعيش فيها نثروا الرماد الذي تبقى بعد حرق جثمانها . □

طبيب الأسرة

ماذا أفعل لو أصيب ابني بحرق في الجلد؟

تختلف أسباب الحروق ودرجاتها . والاطفال بحكم السن وعدم الوعي اكثر افراد الاسرة تعرضا لخطر الحروق . والأم هنا مسؤولة عن وقاية الطفل من أسباب الحروق ، وهي مسؤولة أيضا في مرحلة العلاج والتي تبدأ ببعض الاسعافات الاولية ريثما يحضر الطبيب .

ظاهرة تعرفها كل أم وتحذر منها . فعندما يبدأ الطفل في الحبو والحركة تكثر حوادثه داخل البيت فالأم بطبيعة حركتها في البيت ومشاغلها الكثيرة لاتستطيع أن تتابع طفلها في حركته الدائمة ، ولعل اكثر الحوادث شيوعا هو تسلل الاطفال الى المطبخ وجذب الاواني والتعلق بالاشياء ، ويكون الخطر فادحا لو كانت الآنية فوق النار أو بها شيء ساخن .

وليس هذا وحده سبب الحروق التي تحدث للاطفال ، فللحروق أسباب كثيرة . فقد يحدث الحرق باللهب أو الماء الساخن أو الكهرباء أو لمس المداقئ وبتأثير اشعة الشمس . وبالاضافة الى واجب الام في الوقاية من أسباب الحروق مثل ملاحظة عدم ترك الاواني التي بها أشياء ساخنة قريبة من متناول يد الطفل ومراقبة حركته في البيت وتأمين الوصلات الكهربائية بالمنزل ، نقول الى جانب هذا فان عليها القيام ببعض الاسعافات الاولية الضرورية قبل مجيء الطبيب .

مهما تكن أسباب الحروق فان علاج الحروق بدرجاتها الثلاث يأخذ وتيرة واحدة . الا ان الحروق الشديدة تتطلب علاجا اخصائيا مستعجلا لان الطفل يفقد معظم سوائل جسمه وربما يموت بالصدمة العصبية اذا لم يعالج في الوقت المناسب ، أما حالات الحروق البسيطة فيتم اسعافها بوضع كريمات خاصة مثل Fucidine Sulfamylon فوق الجرح وتغطيته بضماد نظيف فاذا لم يتوفر ذلك فيكفي دهن مكان الحرق بأي زيت نباتي وتغطيته بالشاش المعقم .

ولعله من المفيد أن تنتبه الام الى انه من الخطأ وضع « الميكروكروم » أو استخدام المواد المطهرة لعلاج الحرق لان هذه المواد تزيد الامر سوءا كما يجب عدم تفجير الفقاعات والبثور التي تتكون مكان الحرق لان تفجيرها يسبب التهابا مكان الحرق . □

بريد الأسرة طبيب

طنين الأذن Tinnitus

يتابني بعض الأحيان سماع صوت كأنه هدير الماء ، قالوا لي أنه طنين الأذن ، وسببه وجود أوساخ أو تراكم شمع الاذن فحاولت تنظيفه باعواد القطن دون جدوى .

فهل من وسيلة للعلاج تنصحون بها ولكم وافر الشكر .

أحمد ن . ع

صنعاء .

الطنين في الأذن هو صوت متصل مؤذ مزعج يعتبر من أشكال الضجيج .

ولكن كثيرا من الطنين قد يسمعه المريض نفسه ولايسمعه أحد من حوله ، وهذا هو طنين الأذن المرضى الذي يهم المريض والطبيب معا ، اذا اعتبرنا أن الطنين الحقيقي يمكن تفاديه بشكل أو بآخر ، أو معالجته على نحو ما يعالج الضجيج في المصانع أو الأماكن العامة .

والطنين فى الأذن لا يتبع نمطا معينا يوصف به ، وانما قد يصفه المريض بأشكال شتى ، منها صوت الهدير ، ومنها الحفيف ، أو ربما طرقات متتابعة ، وأحيانا يكون صفيرا ، أو هسهسة تشبه صوت بخار الماء المتصاعد من ابريق الشاي ، أو لعله قرع أجراس مزعجة .

ان الطنين في حد ذاته ليس مرضا يعالج لذاته ، بقدر ماهو دلالة على بؤرة مرضيه ، في أحد أجزاء جهاز السمع أو قطاع من الأذن .

ان عمل الجهاز السمعي يعتمد على شقين :

الشق الأول تركيب توصيلي مهمته ايصال الذبذبات التي يستقبلها صوان الأذن ، وتعبر قناة السمع الخارجية ، فتهتز معها طبلة الأذن ، وبالتالي تحرك ثلاث عظام صغيرة ، هي المطرقة والسندان والركاب التي تعتبر أصغر عظام الجسم ، وموقعها الأذن الوسطى ، وتطرق عظمة الركاب على غشاء يغطي فتحة في الاذن الداخلية ، التي تدعى بالقوقعة ، حيث تحول نهايات الاعصاب الحساسة للسمع ، وتتجمع معا لتكون عصب السمع الذي ينقل الاشارات العصبية التي تترجمها نهايات الأعصاب من ذبذبات ميكانيكية الى اشارات عصبية ، حتى تصل الى منطقة في جانب المخ مختصة بالسمع ، تتولى تفسير الاشارات العصبية الى معاني مألوفة معروفة كانت مخزونة في الذاكرة .

ان اى خلل من أي موقع من الشق التوصيلي أو الشق العصبي ، قد يعبر عن ذاته بما يسمى الطنين ، فقد يكون مجرد تراكم شمعي في قناة الأذن الخارجية ، أو يكون ثقبا في طبلة الأذن ، وأحيانا تصلبا في عظيمات السمع في الشق العصبي من جهاز السمع .

وهنا يأتي دور الطبيب لتحديد موقع الخلل والعلاج .

ولاننسَ أن نذكر أحد أنواع الطنين الهستيري الذي يسمعه المريض وليس له من سبب سوى الوهم ، كما لاننسى مرضا من أمراض الحساسية يتميز بالطنين يدعونه مرض منيير ، يصيب بعض الناس بسبب غير معروف . □

بريد الأسرة طبيب

الكمادات Com presses

أصبت بالتواء في القـــدم ، وقد نصحني بعضهم باستعمال كمــادات مياه ساخنة لاسعاف الالتواء ، مما أدى الى تفاقم الحال ولامني الأطباء على هذا التصرف .

فما هي حكاية هذه الكمادات ، ومتى تستعمل الكمادات الباردة ، ومتى تستعمل الكمادات الساخنة ؟ .

سالم أ . ع
طرابلس الغرب

الكمادات تعبير طبي يستعمل للتعبير عن وسائل متعددة ، أغلبها من الأقمشة أو المطاط وما اليه لتؤدي غرضا وضعيا .

أكثرها شيوعا هي كمادات الماء البارد ، وكمادات الماء الساخن ، لتقوم بايصال الحرارة من سخونة أو برودة الى موضع الجسم المراد علاجه .

والى جانب كمادات الماء أو الكمادات المبللة ، توجد الكمادات الجافة التي تستعمل فيها الكهرباء أحيانا أو تشحن بالطاقة الحرارية مسبقا كما هي كمادات الطين ، أو ربما استعملت قربة الماء الساخن منها أو البارد .

ولعل التأثير الأهم من هذه الكمادات هو ايصال الحرارة (من سخونة أو برودة) الى أوعية الدم في الجلد لهدفين رئيسيين :

أولهما : التأثير الحراري على جدار الوعاء الدموي ، حيث تعمل الحرارة على توسيع قطر الوعاء الدموي ، ومن ثم يزيد تدفق الدم الى المنطقة المطلوبة ، وهذا يتم من خلال استعمال الكمادات الساخنة ، بينما الكمادات الباردة تعمل نقيض هذا ، اذ تقبض الوعاء الدموي وتقلل من تدفق الدم الى المنطقة المصابة .

وثانيهما : ايصال الحرارة سواء منها السخونة أو البرودة ، الى تيار الدم حسب مايكون مطلوبا من تدفئة الجسم أو تبريده .

وهنا نرى أن كمادات الماء البارد تستعمل في حالات الاسعاف الأولى للحروق ، أو عند الكدمات ، أو مع حدوث (نزيف شديد) ، كما يشيع استعمال الكمادات الباردة عند الاصابة بضربات الحر أو ارتفاع درجة حرارة الطفل ، اذا ما اصيب بالحمى مع الحذر كل الحذر من استعمال الثلج أو الماء البارد جدا ، لان هذا يقبض الوعاء الدموى بشدة ، لدرجة انسداده وعدم سريان الدم ، مما يفقد تحقيق الغاية من الكمادات الباردة التي تمنع دوران الدم .

أما عن الكمادات الساخنة التي تزيد من تدفق الدم وتوسيع الأوعية الدموية فقد تستعمل عند آلام العضلات الروماتيزمية ، أو التواء المفاصل التي مضى عليها الوقت .

وكثيرا ماتستعمل الكمادات الدافئة (الفاترة) في تدفئة الأطراف الباردة ، مما يسمى في الطب بعضة الجليد .

هذا بالاضافة الى بعض أنواع الكمادات الطبية الكيماوية التي تستعمل تحت اشراف طبي ، وعقب استشارة طبية لحالات مرضية معينة . □

مساحة ود

زمن الأحلام الضائعة

كنا زملاء دراسة وأصدقاء عمل . كان أصدقنا حسا واحساسا . . رقيقا كنسمة ، عذبا ودودا صاخبا كطفل . كان يمتلىء بالحماس والرغبة في الحياة ، شديد الحب لها ، عظيم الاحساس بها . كان رساما موهوبا وشاعرا بالغ الرقة والاحساس ، وفرقتنا طرق الحياة في السنوات القلائل الماضية ، مابين سفر وارتحال وهموم الى ان تلقيت رسالة منه . الظرف يحمل خاتماً استراليا ، والخط لم استطع التعرف عليه للوهلة الاولى ، فقد كان مكتوبا بحروف لاتينية شديدة التأنق والانتظام . وقرأت الرسالة مرة وأعدت قراءتها ثانية . ولم أستطع أن أمنع الكآبة والاحباط والاسى من أن ينسجوا خيوطهم داخلي . كتب يقول : « كنت شاهدا على قصة حب . . ورغم أن اللفظ شديد الاتساع فقد افسده مروجو الافلام والمسلسلات حتى فقد الحب جلاله وعظمته . . وصارت الكلمة شيئا عاديا كالبرد أو الانفلونزا أو مواعيد نشرات الاخبار . أنت تعرفها رقيقة كعطر الفل ، حنونا كأم ، صديقة كحكيم . . وتشهد انني كنت احاور عقلها لاجدها ، أتحسس روحها النقية ، أمسح بحنان تراب الذكريات المتراكم في مسامها . كانت مثلنا ابنه لموظف حكومي مهما علت درجته الوظيفية الا انه يظل مثلنا موظفا . وعندما أدرك كلانا ان رفقة الحياة الباقية ستكون أجمل لو كنا معا . ذهبت الى بيت أهلها . في هذه الفترة اختفيت أنت ولم تشهد معنا ماحدث . . لم تكن معنا كي ترى بعينيك « جريمة القتل » التي حدثت . . مابين طلبات شبكة ومهر وتأثيث بيت . لم تكن معنا والمجتمع كله يحاصرنا . حتى لو تزوجنا وتغلبنا على هذه المطالب فإن دخلنا نحن الاثنين لن يكفي أن نظل أحياء . . لم تكن معنا والمجتمع كله ينظر الينا كالمجانين عندما نحكي عن احلامنا في أن يضمنا بيت ونحيا كسائر البشر . . كانت التعليقات والاجابات تتحول فورا الى أرقام . . وأرقام . وعندما أدركت عبثية الاستمرار . . وعرف الأرق والارهاق والقلق والتوتر طريقهم الى عيوننا . . جمعت حقائبي وأتيت الى هنا . . أرسم للاطفال في احدى شركات افلام الكارتون ، واذهب يومين في الاسبوع الى مصحة أمراض نفسية اشارك في برنامج علاج بالرسم . ولم أعط أحدا عنواني . . حتى أنت لم أرسله اليك . . فقط اردت منك ان تعرف . . اما أنا فساحاول أن اتعايش في عالم جديد بقيم جديدة . . مهما كانت قسوتها فلن تكون اكثر قسوة من قيم مجتمع هارب أنا منه . . و . . و . . انتهت رسالته القصيرة . . بعدما زرعت داخلي الاحباط والاسى الحزن من زماننا الرديء ، اما انت ياصديقي فاغفر الى انني نثرت مشاعرك للناس . . كل الناس . . لعل وعسى . . . □

محمود عبد الوهاب

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - عباس بن فرناس ، عالم عربي معروف ، حاول الطيران عدة مرات ، ولكنه . .

■ فشل ومات .

■ فشل ، وأصيب بكسور في عظامه ، دون أن يموت .

■ نجح في الطيران . فهو اذن الانسان الطائر الأول في التاريخ .

٢ - رسائل اخوان الصفا . . ما هي مواضيعها ؟

■ شعر وأدب .

■ تاريخ وجغرافيا .

■ علوم وفلسفة وتصوف وما الى ذلك . .

٣ - الأميبا : هل هي حيوان أم نبات ؟

٤ - انطلق القطار من القاهرة الى الاسكندرية بسرعة ٥٠ كيلومترا . . وبلغت سرعته في رحلة العودة ٢٥ كيلومترا فما هي سرعته بالمتوسط في الرحلتين . . علما بأنه استغرق ٤ ساعات في رحلة الذهاب . . . .

٥ - أيهما أسرع ، الجياد السريعة التي تفوز في سباق دربي وغيره أم الحمام الزاجل السريع ؟

٦ - اشترى رجل دراجة مستعملة بستين دينارا . . وباعها بعد أن أدخل بعض التحسينات عليها بسبعين دينارا . . ثم عاد فاشترى نفس الدراجة بأربعين دينارا . وتسنى له بيعها بعد ذلك بخمسين دينارا . . فما هو مجمل الربح الذي جناه . .

٧ - ما هو العَلَم الذي رفعه الأمريكيون إبّان حرب الاستقلال التي خاضوها ضد الاستعمار البريطاني ؟

■ نفس العلم الأمريكي الحالي . . ولكن بعدد من النجوم أقل من عددها الحالي . . وذلك تبعا لعدد الولايات الذي بلغ (١٣) آنذاك ، ويبلغ حاليا (٥٠) ولاية .

■ نفس العلم الذي فرضته عليهم حكومة الاستعمار البريطانية .

٨ - قماش (الموهير) غني عن التعريف . . ولكن الذي يهمنا هنا هو اسمه الغريب . . فهل هو مشتق من أصل عربي ، كما يقال ، وان كان كذلك ، فما هو الأصل ؟

٩ - قناة عربية في احدى الدول العربية ، تصل بين نهرين عربيين كبيرين ، وهي طويلة ويبلغ طولها نحو (٥٠) كيلومترا ، وهي حديثة وقد تم العمل فيها سنة ١٩٧٨ . .

فما اسم هذه القناة ؟ وما هما النهران اللذان كانا منفصلين وأصبحا متصلين بعد انشائها ؟ . .

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٥ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ابريل ١٩٨٥ .

١٠ ـ الاقمار الصناعية . . بعضها يبدو لك ثابتا في مكانه لا يتحرك . . لماذا ؟

■ لأنه ثابت بالفعل . . وقد تعمدوا ذلك في صنعه . .

■ لأنه يدور بنفس سرعة دوران الارض حول نفسها . . فيبدو لك ثابتا وهو في الواقع سيار .

١١ ـ يقال عن طائرات الجمبو أنهم اطلقوا عليها هذا الاسم مجازا . . ذلك أن (جمبو) هو اسم فيل شهير من فيلة حديقة الحيوان في لندن . . صواب أم خطأ ؟

١٢ ـ القِلّة ضد الكثرة ، كما هو معروف . . فما معنى القُلّة . . . وما معنى القَلّة ؟

العدد ٣١٥

فبراير ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

٤ ـ . . . .

٥ ـ . . . .

٦ ـ . . . .

٧ ـ . . . .

٨ ـ . . . .

٩ ـ . . . .

١٠ ـ . . . .

١١ ـ . . . .

١٢ ـ . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .

مسابقة العربي الثقافية
مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي

حل

١ - « هكذا تكلم زرادشت » هو كتاب الفيلسوف الألماني نيتشه الذي تأثر به جبران خليل جبران .

٢ - كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) ولد في تريفس Treves في المانيا ومات في لندن التي عاش بها لدى بلوغه الثلاثين من عمره . .

٣ - القناة هي قناة الصين العظمى التي تم انشاؤ ها على ثلاث مراحل ابتداء من سنة ٤٨٥ ق . م . وتصل بين أنهار هايهو والاصفر وهواي ويانجتسي . .

٤ - الهنود الحمر هم الذين أطلقوا اسم المسيسبي على أعظم انهار امريكا الشمالية .

٥ - يقال اُحْتُضِرَ الرجل ويُحْتَضَرُ اذا حضره الموت .

اما احْتَضَرَ فتعني جعل غيره حاضرا . . فيقال احتضر فلان فلانا . . أي جعله حاضرا .

٦ - معدن (كادميوم) هو المعدن المقصود . . ويذكر أيضا ان الاوزميوم والاريديوم وغيرهما من المعادن البلاتينية هي الاخرى معادن ثقيلة .

٧ - « الولد الصغير » هو الاسم الذي أطلقوه على قنبلة هيروشيما الذرية وهي التي القاها الامريكيون على المدينة اليابانية في ١٩٤٥/٨/٦ فقتلت على الفور ٩١٠٠٠ نسمة . . وفتكت بشكل أو بآخر بالكثيرين غيرهم . .

مسابقة العدد ٣١٢ نوفمبر ١٩٨٤

٨ ـ الفينيقيون هم الذين أدخلوا النصرانية الى بلاد الحبشة .. وقد حدث ذلك صدفة ، اذ عثر الأحباش سنة ٣٤١ م على ملاح فينيقي في عرض البحر وقد اشرف على الغرق هو وقاربه . والقوا القبض على فرومنتيوس هذا وساقوه الى بلاط النجاشي ليكون فيه عبدا .. وحظى الفتى باعجاب النجاشي ورضاه .. فاتاح له ذلك العمل على نشر دينه ، النصرانية ، في الحبشة .. ومالبث أن أصبح فرومنتيوس اول أسقف في تلك البلاد .

٩ ـ السير كريستوفر رن (١٦٣٢ ـ ١٧٢٣) وهو المهندس الذي وضع تصاميم كاتدرائية القديس بولس الشهيرة،كان ذا اهتمام كبير بالطب والتشريح .. وهو الذي أحرز النجاح في أولى عمليات نقل الدم الرائدة سنة ١٦٥٧ .

١٠ ـ سكان المدر هم سكان البيوت المبنية من طين .. وهم في الغالب سكان القرى .

١١ ـ سميت كذلك نسبة الى جزيرة جرزي .. أكبر جزر القنال الانجليزي التي تبلغ مساحتها ٤٥ كيلومترا مربعا وسكانها حوالي ٧٠,٠٠٠ نسمة .

١٢ ـ استعملت البيجاما لأول مرة في الهند ومنها انتقلت الى بريطانيا وسائر بلاد العالم .. علما بأن الاسم « بيجاما » اسم فارسي أصلا .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٢ نوفمبر

الجائزة الأولى : السيدة / سهام شاكر ـ ش قبرص ملبورن ـ استراليا
الجائزة الثانية : السيدة /صافيناز محمد احمد ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربيه .
الجائزة الثالثة : عبدالقادر البنا ـ كريتر ـ عدن ـ اليمن الجنوبيه .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ خالد حسن عباس المهدى ـ الشارقه ـ دولة الامارات العربية المتحدة .
٢ ـ نعمات على جاد الله ـام درمان ـ الجمهورية السودانية .
٣ ـ احمد على محمد التجار ـالجامعة السيفيه ـ سورت ـ الهند
٤ ـ علية عبدالحميد احمد عثمان ـالصليبية ـ الكويت
٥ ـ تشينش محمد ـالرباط ـ المغرب
٦ ـ منصف القلال ـ صفاقس ـ الجمهورية التونسية
٧ ـ عماد خالد صلاح ـعمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية .
٨ ـ وفاء أمين الشيخ ـ جمهورية مصر العربية .

معركة بلا سلاح

الشطرنج في الاتحاد السوفيتي

يتمتع الشطرنج في الاتحاد السوفيتي بشعبية لا نظير لها ، وهي اللعبة الشعبية الأولى هناك بعد كرة القدم ، ويصل عدد اللاعبين المسجلين رسمياً في أندية الشطرنج المنتشرة في طول البلاد وعرضها الى أربعة ملايين لاعب أو يزيد .

ويقوم نادي الشطرنج المركزي في الاتحاد السوفيتي بإصدار ما يقرب من الثلاثين كتاباً من القطع الكبير سنوياً في أدب اللعبة والتي سرعان ما تتبخر من الأسواق فور صدورها رغم ان الطبعة الواحدة من كل من هذه الكتب لا تقل عن مائة ألف من النسخ .

وتفخر مكتبة النادي المذكور باحتوائها على ما يزيد عن عشرة آلاف كتاب في الشطرنج بالإضافة الى قائمة طويلة من البطاقات المرجعية السرية التي يصل تعدادها الى مائة ألف بطاقة والتي يطلق عليها الغلاة من أعضاء النادي اسم البنتاغون : « انها بنتاغوننا ، وسلاحنا السري في المباريات الدولية » .

ويتبين من كتابات الأجانب الذين قاموا بزيارة روسيا في القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين ان اللعبة كانت تتمتع بشعبية كبيرة في ذلك الوقت . غير أن الشطرنج عرف في روسيا قبل ذلك بكثير ، والمؤرخون الروس يحددون القرن التاسع أو العاشر الميلادي بداية لدخول هذه اللعبة من موطنها الأصلي (الهند أو بلاد فارس على الأرجح) .

ويتطور وازدهار المدرسة الروسية في الشطرنج انتشرت اللعبة انتشاراً واسعاً في الاتحاد السوفيتي ، فهناك اليوم مئات الألوف من طلبة المدارس ممن يشتركون في المباريات السنوية ومنهم من لا يتجاوز الثامنة من العمر .

ويبلغ عدد أساتذة الشطرنج الكبار في روسيا حالياً السبعين ، يتلقى كل منهم مكافأة شهرية من الدولة لا تقل عن ثلاثمائة روبل (٣٦٠ دولاراً) وقد تبلغ الامتيازات الممنوحة لبعض كبار اللاعبين حداً مذهلاً كحق استخدام سيارة أجنبية مثلاً وهو امتياز لا تتمتع به سوى القلة النادرة من ذوي الحظوة في روسيا الاشتراكية .

وتجري في موسكو حالياً المباراة على بطولة العالم بين البطلين الروسيين أناتولي كاربوف بطل العالم الحالي (٣٣ سنة) ومتحديه الوحيد على اللقب مواطنه جاري كاسباروف (٢١ سنة) وتجري المباراة في قاعة « ذات العماد » الأنيقة والتي يحتشد فيها ما يقرب من ١٣٠٠ متفرج يخيم عليهم صمت عميق لا يقطعه سوى همهمات الاستحسان الخافتة التي يطلقونها عندما يقوم أحد اللاعبين بنقلة جيدة . وهنالك ملايين آخرون من المتفرجين يجتمعون في النوادي المتفرقة . لمتابعة اللعبة نقلة فنقلة كما تصلهم مباشرة من قاعة المباراة . وتقوم اللجنة المشرفة على المباراة باصدار نشرتين يومياً تنقلان الى مختلف انحاء البلاد عبر جميع شبكات الاتصال من مرئية وغير مرئية .

والنتيجة المعلنة حتى كتابة هذه السطور هي ٤ - صفر لصالح بطل العالم الحالي والتي ترجح له

الاحتفاظ باللقب لسنتين قادمتين على الأقل . والدور التالي هو ثالث الأدوار التي فاز بها كاربوف .

كاربوف (ابيض)	كاسباروف (أسود)
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح - و ٣	هـ ٦
٣ ـ د ٤	جـ × د ٤
٤ ـ ح × د ٤	ح - جـ ٦
٥ ـ ح - ب ٥	د ٦
٦ ـ جـ ٤	ح - و ٦
٧ ـ ح ١ - جـ ٣	أ ٦
٨ ـ ح - أ ٣	ف - هـ ٧
٩ ـ ف - هـ ٢	ت
١٠ ـ ت	ب ٦
١١ ـ ف - هـ ٣	ف - ب ٧
١٢ ـ و - ب ٣	ح - أ٥ ؟ !
١٣ ـ و × ب ٦	ح × هـ ٤
١٤ ـ ح × هـ ٤	ف × هـ ٤
١٥ ـ و × د ٨	ف × د ٨
١٦ ـ ر أ - د ١	د ٥ ؟
١٧ ـ و ٣	ف - و ٥
١٨ ـ جـ × د ٥	هـ × د ٥
١٩ ـ ر × د ٥	ف - هـ ٦
٢٠ ـ ر - د ٦	ف × أ ٢
٢١ ـ ر × أ ٦	ر - ب ٨
٢٢ ـ ف - جـ ٥	ر - هـ ٨
٢٣ ـ ف - ب ٥	ر - هـ ٦
٢٤ ـ ب ٤	ح - ب ٧
٢٥ ـ ف - و ٢	ف - هـ ٧
٢٦ ـ ح - جـ ٢	ف - د ٥
٢٧ ـ ر - د ١	ف - ب ٣
٢٨ ـ ر - د ٧	ر - د ٨
٢٩ ـ ر × هـ ٦	ر × د ٧
٣٠ ـ ر - هـ ١	ر - جـ ٧
٣١ ـ ف - ب ٦	يستسلم □

حل مسابقة عدد شهر ديسمبر مسألة (٢٤)

١ ـ و × و ٦ +	ف أو و - ز ٧
٢ ـ و - و ٨ +	ر × و ٨
٣ ـ ر × و ٨	

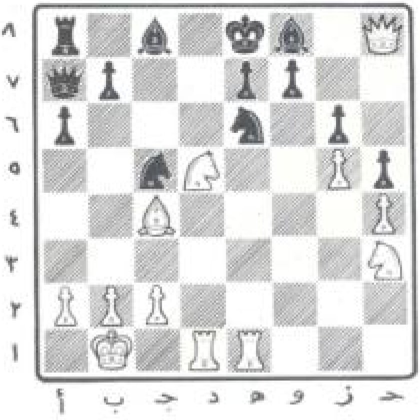

مسابقة العدد

مسألة رقم (٢٦)

الأبيض يلعب ويميت الشاه في ٤ نقلات

الفائزون في مسابقة شهر اكتوبر ٨٤
مسألة رقم (٢٢)

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ سيف عبد الباسط ـ الخرطوم/السودان .
٢ ـ محمود مامي ـ تونس .
٣ ـ حسن ابو زيد ـ الوكرة/قطر .
٤ ـ محمد سراج الدين ـ حلب/سوريا .
٥ ـ مصطفى عبد المنعم ـ الاسكندرية/ج.م.ع.

الفائزون باشتراك نصف سنة :

١ ـ أبو بكر شوفه ـ مانشتر/بريطانيا .
٢ ـ عمر الصمادي ـ اربد/الأردن .
٣ ـ عدنان سعيد ـ الكويت/ الخالدية .
٤ ـ علي الفيتوري ـ الزاوية/ليبيا .
٥ ـ حسين فدعق ـ عدن/اليمن .

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

عزيزي القارىء :

● تبدو الثقافة العربية غريبة بين أبناء الوطن العربي .. وهي وان احتلت مكانها بين الأدباء والمفكرين والعلماء، الا أنها لاتزال تقف فوق أرضية لاتستطيع فيها أن تجاور الثقافات الأخرى في العالم ..

واذا كان التيار العربي عريقا وغنيا بقادة الثقافة آنذاك ، والذين لاتزال آثارهم باقية الى عصرنا الحاضر ، فان هذا يجب ألا يتوقف بعد رحيل (السلف) من أولئك القادة المثقفين ، بل يجب أن تضاف ثقافات جديدة ومتنوعة الى رصيدنا الثقافي العربي الذي نعتز به ..

الكتب العربية والاجنبية تملأ رفوف المكتبات في شتى أقطار الوطن العربي ، لكن المشكلة أن القارىء لايزال يعزف عن القراءة بحجة عدم وجود الوقت المناسب ، وهذه حجة لاوجود لها حين يحدد الانسان العربي ساعات نهاره ويوزعها بالقسطاس المستقيم ، على كل ما يعود عليه بالنفع والفائدة .. ولنبدأ بمعرفة قيمة القراءة ... ولنحدد بعد ذلك أوقاتها ....

المحرر

رد على رد

● نشر في العدد (٣٠٩) في باب حوار القراء ـ تعليقات حول ما نشرته في العدد (٣٠٥) تحت عنوان (غدا .. اللحوم من الطحالب) وما قرأته من تعليق على مقالتي استوقفني للرد على ما جاء في رسالة القارىء .

فما جاء في مقالتي ينطبق على الطحالب ولا ينطبق على (الأشنيات) كما يعتقد القارىء الكريم ، والفرق بين الاثنين واضح ـ فالأشنة عبارة عن نباتات دنيئة تتبع النباتات الثالوثية وتتكون من (فطر + طحلب) يعيشان معا عيشة تبادل منفعة ، فتقوم الطحالب بصناعة الغذاء الذي يعتمد عليه الفطر بينما يمتص الفطر الماء من الوسط المحيط به .

أما عن التعريف العام للطحالب ـ بأنها نباتات ثالوثية (أي خالية من الجذور والسوق والأوراق الحقيقية ، فهو تعريف صحيح تماما ووارد في معظم المراجع المتخصصة ـ وشكرا للقارىء العزيز ..

فوزي عبد القادر ـ كلية الزراعة
أسيوط ـ مصر العربية .

العلم .. في القرآن

● ان مقاصد الاسلام هي اسعاد البشرية في الدنيا والآخرة ، والتعاليم الاسلامية لم تفرق بين العلوم الدينية والدنيوية ، بل كانت الدعوة الى العلم عامة ، ومن ذلك يظهر لنا اطلاق لفظ العلم في قوله تعالى (وقل رب زدني علما) وكذلك قوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) واطلاق لفظ العلماء هنا يقصد به الذين يفكرون في هذا

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

الكون ، وما أودع الله فيه من قوانين وأنظمة ، لقد فرض الله العلم على جميع المسلمين ليعرفوا قدرة الخالق،وليتمكنوا من الاسهام في عمارة الكون وبناء حضارته الانسانية ،قال عليه الصلاة والسلام (العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وتقدير الاسلام للعلم اشارة الى أن العلم لا وطن له ، وأن الحقائق العلمية والحكمة يجب أن تؤخذ حيثما وجدت دون الالتفات الى مذهب أصحابها . .

هناك بعض الناس الذين أنكروا بعض الظواهر الطبيعية التي أكدها العلم ، مثال (دوران الأرض وكرويتها) وهناك آخرون ينظرون الى القرآن الكريم على أنه قد جمع صنوف الحقائق العلمية ،فما من قانون اكتشف أو سيكتشف الا وله أصل في القرآن الكريم ، لكنه في الحقيقة كتاب عقيدة وهداية ونظام حياة يخاطب العقل والقلب والضمير . . وليس كتاب (فيزياء أو كيمياء) . .

ابراهيم حسين الدخيل ـ محافظة الرقة

سوريا .

البربر . . شعوب برمانية

● تناول أكثر من كاتب قضية انتماء (البربر) في مجلتنا«العربي»ـ ونظرا لما لهذا الموضوع من أهمية فاني أبعث لكم ببعض التعاريف حتى يكون ذلك معينا على فهم هذا الموضوع . .

فالبربر . . هم سكان أفريقيا الشمالية الأصليون ، من (الجنس الأبيض) ولا نعرف من أين نزحوا ـ لكنهم يعيشون في جبال أطلس ، وقد اختلطوا بالفينيقيين في عهد قرطاجة ثم بالرومان ثم في القبائل والجيوش العربية بعد الفتح الاسلامي ، ويعتقد العلماء بأن لغتهم تنتمي الى الفرع السامي الحالي ، وكانت دياناتهم وثنية في عهد الفينيقيين ودخلت النصرانية الغرب أيام الرومان حيث أن عدد (الأبرشيات) يزيد على الخمسين في القرنين الرابع والخامس الميلادي .

البربر لفظ أطلقه اليونان والرومان على الأمم الاجنبية ، وهى الشعوب الجرمانية والمغولية التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث والرابع والخامس الميلادي .

ولا أعتقد أن يكون البربر قد أنحدروا عن حام ابن نوح لأنهم من (الجنس الأبيض) كما هو وارد في التعريف الأول .

ماهر عبد الحليم جمعة ـ بغداد :

الجمهورية العراقية

البربر . . والمغرب العربي

● بودي أن أبدي رأيي في مسألة البربر التي كثر الحديث عنها في الأعداد الأخيرة من العربي :

لايوجد في الواقع « عرق » بربري أو عربي بالمعنى الصحيح للكلمة ، ذلك أن سكان المغرب العربي مكونون من امتزاج عدة أجناس تعاقبت على المنطقة كالبربر والوندال والعرب والأتراك . وكذا بعض العناصر الزنجية القادمة من جنوب الصحراء الكبرى . ولهذا فمن الصعب بل من المستحيل معرفة الانتماء الحقيقي للسكان الحالين للمغرب العربي ، هذا من الناحية الانثولوجية .

أما من حيث اللغة ، فان دور اللغة العربية معتبر . انها اللغة التي يتكلم بها غالبية سكان المغرب العربي . يتخاطبون بها في تعاملهم اليومي . وعلاوة

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

على ذلك فهي تعتبر اللغة الرسمية الوحيدة لكافة أقطار المغرب . والسبب الذي جعل مجال استعمال اللغة العربية واسعا يعود الى كونها لغة مكتوبة ، لغة حضارة ، ولغة القرآن الكريم ، وعلى هذا الأساس فان هوية سكان المغرب العربي عربية وهم يعتزون بها . أما اللهجات البربرية المحلية ، فقد تقلص مجال استعمالها كثيرا ، كما انها فقدت الكثير من مفرداتها لأن هذه اللهجات لا تكتب وانما تنطق فحسب .

وعلاوة على ذلك فان هذه اللهجات تأثرت كثيرا باللغة العربية بحيث أنها تستخدم عدة مفردات منها .

ولكن مع ذلك يوجد ثقافة بربرية تتجلى في عدة أعمال شعرية جميلة لكل من محمد أوعلي الأوزالي وسي محمد أو محند . وغيرهما ليسوا بقليلين . . .

بالاضافة الى عدد كبير من الأساطير والحكايات والأغاني الفلكلورية ذات المواضيع المختلفة . دون أن ننسى فنون الخياطة والزخرفة والطبخ ذات الذوق الرفيع المتميز .

ومن المؤسف حقا أن هذا التراث مهدد بالزوال تدريجيا اذا لم يلق اهتماما وعناية متزايدين .

نعم انني جزائري عربي ، أفتخر بالثقافة البربرية التي هي جزء من تراث بلادي ، واني أرجو أن تدرك بلدان المغرب بأن الحفاظ على هذا الكنز الثمين أمانة . . وبأن تجاهله هو بمثابة بتر لجزء من شخصيتها ذات المجد العريق . ولذا فبدل أن نبتر وقتنا في « مجادلات بيزنطية » حول « عروبة » طارق بن زياد أو « بربريته » علينا أن نفكر جديا في قضايانا الحالية مثل مشكلة استعمال المفردات الفرنسية في اللهجات العامية حتى ان بعض هذه المفردات اندمج نهائيا بها وصار من العسير جدا الاستغناء عنها في التخاطب اليومي .

أمزيان الشريف ـ الجزائر

خلق الانسان

● قرأت بحثا بقلم الدكتور عصام محمد في العدد (٣١١) تحت عنوان (فهم جديد لتطور الجنس البشري يقول ان الانسان الأول وجد منذ ثلاثين مليون سنة ، وهذه الوقائع تحدث عنها البروفسور (ايف كنز) في مؤتمر علمي دولي ـ ولقد ذكر بأن الانسان كان يمشي على أربع وتمثل بظهور نوع من الثدييات القردية والبشرية ، ولي رد حول هذا الرأي.

ويتضح مما ذكر بأنه قبل خلق الانسان كانت توجد مخلوقات لا تمت للانسان الحالي بصلة ،وذلك لما جاء في القرآن الكريم من آيات تثبت أن أول مخلوق انساني هو سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام الذي خلقه الله وأمر الملائكة بالسجود له حيث قال تعالى : (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) الآية ٦١ سورة الاسراء ، وكما جاء أيضا في القرآن الكريم . . « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون » (٣٠ سورة البقرة) ويتضح مما ذكر أن الملائكة شاهدت مخلوقات في الدنيا قبل ادم تسفك الدماء وتفسد في الأرض وانقرضت هذه المخلوقات جميعها ثم خلق الله آدم في أحسن تقويم .

وقد لاحظنا بعد الدراسة للمخلوقات التي في المقال آنف الذكر ، بأنه لم تثبت لهم أن الانسان الحالي هو من سلالة المخلوقات التي تمشي على أربع ، وكلها نظريات لاصحة لها ، والآية الكريمة تؤكد صدق ذلك في قوله تعالى ـ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . .

عبد السلام مأمون ـ دمشق ـ سوريا .

تحية للعربي

● تحياتي لرئيس التحرير لما جاء في حديث الشهر العدد ٣١٣ حول(همّ التوفيق بين الأصالة والمعاصرة) . والواقع أن ما تعاني منه هو فشل حقيقي في كثير من برامج التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذا الفشل هو الذي جعلنا نتراجع أمام أعدائنا ، فرحنا نبحث في الفكر والأيديولوجيا عن مخرج . . ونسينا أن العلة التي ألمت بنا هي فشل تلك البرامج التنموية التي جربناها في ربع القرن الأخير على مستوى وطننا العربي . . وليس ذلك ضعفا أو وهنا في فكرنا كما أنه ليس ضعفا أو وهنا فينا كشعب .

د . خالد محمد نعيم

كلية الآداب ـ جامعة المنيا ـ مصر

● الف تحية وشكر للاخ يوسف الحسن ، الباحث والدبلوماسي في سفارة الامارات العربية المتحدة في واشنطن على مقاله المنشور في عدد ديسمبر بعنوان (حتى لاتضيع الفرصة) . ذلك المقال المطرقة الذي دق رؤوسنا علها تصحو على أخطائها . وما أجدرنا أن نتوقف عنده طويلا لمراجعة أساليبنا التالية في التعامل مع وقائع تجاهلناها وما زلنا . . ولعل كل من خاطبهم المقال أن يعوا ما جاء فيه ويعملوا على تفادي كل تقصير . .

وليد حسن الجلي

الخبر ـ المملكة العربية السعودية

صور للحياة البحرية

● نشرت العربي في العدد ٣١٢ مجموعة من الصور عن الحياة البحرية والشعب المرجانية،كما نشرت في العدد ٣١١ تحقيقا مصورا عن جزر المالديف و معه صور عن الرخويات وبعض أنواع الحياة البحرية . ولما كنت طالبا في كلية علوم البحار بجامعة الملك عبد العزيز بجدة أرجو أن أقتني مجموعة من الصور التي لديكم مع استعدادي لتحمل المصاريف والتكاليف .

صالح البلوشي

جدة ـ المملكة العربية السعودية

العربي

يسعدنا أن نستجيب لطلبكم وسنرسل لك ست صور مما التقطه مصور العربي في المالديف ، على أن يشار الى أن الصور مقدمة من العربي في حالة استخدامها في أي مجال اعلامي .

فهرس العربي

● أنا من الشباب الذين فتحوا أعينهم على « العربي » منذ سنتين فقط ، ونظرا لما تحويه المجلة من مقالات ومعلومات قيمة ، وقد فاتتني الاعداد السابقة ، فاني أقترح أن تطبعوا الاعداد القديمة وتبيعوها في مجلدات سنوية ليستفيد بها الجميع .

عبد الله أحمد عبد الله

المنامة ـ دولة البحرين

العربي

أصدرت العربي فهرسا كاملا في جزأين يضم عناوين المقالات وكتابها والاعداد المنشورة فيها ، ويمكن الحصول عليها من المكتبات ، كما أن « العربي » لديها ميكروفيلم لجميع مقالاتها في الخمسة عشرة الأخيرة تضعه في خدمة الباحثين والأكاديميين في مقرها في الكويت .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

ميلاد جوته

● ورد في عدد اكتوبر في مقال (جوته وقصيدة من الديوان الشرقي) للدكتور عبد الغفار مكاوي أن اسم الشاعر هو يوهان فولنجانج فون جوته والصحيح أنه (فولفكانك) لأن حرف g في الالمانية ينطق كحرف (ك) كما أن تاريخ ميلاده ذكر على أنه عام ١٧٤٠ والصحيح أنه ولد عام ١٧٤٩ وتوفي عام ١٨٣٢ .

د . عدنان رشيد
جامعة الملك سعود ـ الرياض

العربي

نشر التصحيح بعد أن رجعنا الى مختلف المصادر .. ولقد لزم التنويه .

العربي في بريطانيا

● انني أعتبر«العربي» مثلي مثل كل عربي ـ الصديق الذي لانستغني عن رفقته ، غير أنها نادرة الوجود في المكتبات وأكشاك بيع الصحف ، خصوصا في بلدي ليبيا . وقد حرمت من الحصول عليها عندما أتيت الى بريطانيا سنة ١٩٨٢ وبقيت على هذا الحال حتى شهر سبتمبر الماضي عندما عثرت على نسخة منها بالصدفة في أحد أكشاك بيع الصحف في منشستر ، وقد طلبت من صاحب المحل أن يضمن لي نسخة كل شهر ولكنه اعتذر . فلماذا هذا النقص في عدد النسخ ؟ وهل يمكن أن أحصل على ما فاتني من أعداد ابتداء من العدد ٣٠٩ ؟

ب . م . بوشوفا
جامعة مانشستر ـ بريطانيا .

العربي

لا نستطيع لاسباب فنية زيادة كميات الطبع والتوزيع ، ونأمل أن نحقق رغبة القراء الذين يطلبون المزيد بعد انتقالنا الى مطابعنا الجديدة .. ومع ذلك فيمكن الاتصال بمكتب توزيع العربي في لندن وعنوانه كما يلي :

Middle East Bublication
210 BRighton Road
Cculsdon
Surrey C R 32 N F
U . K .

ردود خاصة

● ترفيت مرزوق ـ وجدة ـ المغرب
ـ العربي ترحب بانتاج الأدباء الشبان وتنشر ما هو جدير بالنشر على صفحاتها .

● كامل سويلح الشوربجي ـ القاهرة .
ـ يؤسفنا أننا لانملك وسيلة حاليا لمساعدتك في معرفة الشجرة الأم لعائلة الشوربجي . وكل ما نعرفه هو ما نشر في استطلاع العربي الذي ذكرته بعنوان (عباسيون في تركيا) .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

أول فبراير

١٨٥

جريمة
في جزيرة الماعز

تأليف : اوجو بتي

ترجمة وتقديم : سعد أردش

مراجعة : د. سلامة محمد سليمان

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

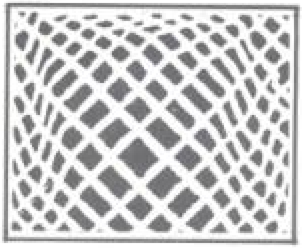

مجلة
خاصة
المثقفين
في الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

****

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب
□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات :
١٢ ديناراً في الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد :
٣ دينار في الكويت ، دينار للطلاب
٣,٥ دينار أوما يعادلها في الوطن العربي .
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

الموزع في الكويت والخارج :
مجلة العلوم الاجتماعية

■ توجه جميع المراسلات إلى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة ، الكويت
هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ ، مباشر ، ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٦١١ ، كويت

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير ١٩٨٥م

الإنسان وعلم النفس

د. عبدالستار ابراهيم

الكتاب السادس والثمانون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

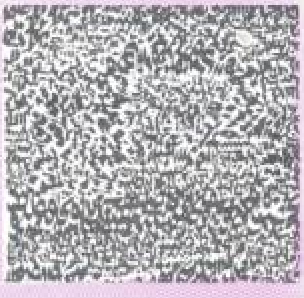

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبد الله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان : ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس : ٢٢٦١٦ KUNIVER

****

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

■ صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

■ تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥ر٠٠٠ قارئ

تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين ، مع مراجعات لأهم الكتب عن المنطقة ، مع ملخصات للأبحاث بالانجليزية ، كما تصدر المجلة أيضاً دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة

■ العنوان : ص.ب ١٧٠٧٣ الخالدية - الكويت

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

TOSHIBA
TOKYO, JAPAN

العديد من أكثر ساعات العالم روعة ابتدعت في جنيف

عة بشكل هندسي دائري منمق
ع الى عهد الامبراطورية الفرنسية
١-١٨٢٠) . يعكس كل من الأجزاء
قلة للحركة والعلبة المزخرفة
اعة الفنية الفائقة التي تميز
حرفيو جنيف .

مجموعة ولزدورف وتحمل إسمها
تيمنا بمؤسس رولكس،
هانز ولزدورف.
تتجلى الموهبة
التقليدية
الفذة
لصانعي الساعات
في جنيف في قوة ابداع الساعة
الفريدة، رولكس أويستر.
تقتضي علبة ساعة كرونومتر
أويستر ما لا يقل عن ١٦٢ عملية
مستقلة ودقيقة وماهرة، حيث
يتم نحتها من قطعة معدنية صلدة.
لا شك في أن هناك طرقا أخرى أكثر
سهولة يتم بها صنع ساعة.
ولكن، ليس لدى رولكس الوقت
للتفرغ الى مثل هذه الطرق.

ساعة بشكل مسدس ترجع الى
عهد النهضة الفنية في فرنسا. عند
ضغط الزناد تنطلق زهرة من
نهاية الماسورة فتعمل كمرشة
لعطر فواح. الساعة مبيتة داخل
عقب المسدس. الأجزاء الناقلة
للحركة والمينا من ابداع جنيف.
مثل هذه الساعة تحتل ركنا في

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس داي - ديت كرونومتر متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطا مع سوار ملائم .

جمادي الآخرة ١٤٠٥هـ - مارس (آذار) ١٩٨٥

العربي

ليبيا تكشف نهرا في الصحراء

الرمز بالحيوان في الأدب العربي القديم

هوليوود - لوس انجلوس،
كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية
عاصمة الترفيه في العالم.

فكار العظيمة من أمريكا تتواصل مع فيشر.

ل تاريخها، قدمت أمريكا العديد من
تراعات المثيرة. مثالاً على ذلك إنتاج
بوود الترفيهي الذي أثار العالم خلال
ت عديدة.
عصرنا "السمعي المرئي"، باستطاعتك
بدة أرقى ما تقدمه هوليوود،
بيتك.
أفضل الطرق الموجودة
أرجاء العالم للاستمتاع بهذا

الترفيه الغني هو نظام فيشر المرئي
السمعي الكامل. مزيج لامثيل له من
التكنولوجيا السباقة والتصميم الفني يسمح
لك بالتمتع بقمة الترفيه المنزلي.
منذ عام ١٩٣٧، عندما اخترع افيري
فيشر أول جهاز نظام هاي فاي،
أصبح إسم فيشر مرادفاً للامتياز
ضمن الأجهزة السمعية المرئية.
فيشر فكرة أمريكية عظيمة اخرى.

فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العدد ٣١٦ — مارس ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 316 Mar, 1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٣٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

صدر من سلسلة كتاب العربي الفصلية

- الحرية .. للدكتور أحمد زكي
- العلم في حياة الانسان .. للدكتور عبد الحليم منتصر
- المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة .. لمجموعة من الكتاب
- مراجعات حول العروبة والاسلام واوروبا .. للدكتور محمود السمرة
- الحياة والناس والوحدة في دول الخليج العربي .. لمجموعة من الكتاب
- طبائع البشر .. للدكتور فاخر عاقل

عزيزي القارئ

بوعي تام لأهمية الصحافة ودورها في المجتمع تقوم « العربي » بتبني القضايا الاستراتيجية العربية التي لها علاقة بمستقبل كل فرد من أفراد هذه الأمة . في عدد الفاتح من يناير هذا العام قدمنا استطلاعا مصورا عن صناعة السلاح في القطر المصري ، نستكمله في اعدادنا اللاحقة عن هذه الصناعة في اقطار اخرى من وطننا العربي.هذه الاستطلاعات هي بذرة أولى للمعرفة من منظور الاهتمام بالقضايا العربية الشاملة .

أما على صعيد الثقافة فلازلنا على الدرب سائرين . فالاستاذ الدكتور زكي نجيب محمود حصل على الجائزة التقديرية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وكان من خطة « العربي » تقديمه في باب « وجها لوجه » مع الاستاذ الدكتور عبدالغفار مكاوي قبل ان يحصل الدكتور زكي على الجائزة ، وها هو قد حصل عليها .. فهنيئاً له بها ، وعندما تقلب صفحات العدد سوف تقرأ أفكار د . زكي نجيب محمود ، التي تحلل واقع الثقافة العربية وتضيف بعدا جديدا وعميقا .

وتسافر « العربي » في هذا العدد الى الجماهيرية العربية الليبية لتستطلع مشروعا استراتيجيا حيويا هو النهر الصناعي الذي يقيمه الشعب الليبي تحسبا للمستقبل . فالمياه هي الحياة .

أما « منتدى العربي » فلازال يحفل بالرسائل التي تناقش أيضا قضايانا العربية ، وفي العلوم وفي الآداب،وفي « البيت العربي » سوف تجد عزيزي القارىء مايشبع نهمك الى المعرفة والى كل ماهو جديد . كما أن « العربي » بدأت تتلقى قصص الهواة والناشئين الذين يودون دخول مسابقة القصة ، التي أعلنا عنها منذ مطلع هذا العام .

وهكذا تقدم لك « العربي » في هذا العدد والأعداد القادمة كل جديد ومفيد ، والى لقاء متجدد على صفحات « العربي » ، نأمل لك كل خير . □

المحرّر

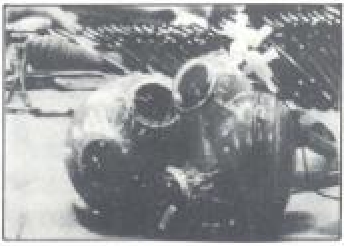

نبض الحياة مع القلب الاصطناعي

نهر صناعي في ليبيا

د . زكي نجيب محمود

مُحتويات العدد

● حديث الشهر : التلوث .. الدواء الفاسد .. الغذاء المسموم ، عصبة متآخية تهدد البشرية بالفناء !
ـ د . محمد الرميحي ٨
● وهم الأصالة والمعاصرة .
ـ د . فؤاد زكريا ٢٠
● حتى تصحو الصحوة
ـ د . حسان حتحوت ٢٤
● الرمز بالحيوان في الأدب العربي القديم
ـ د . وديعة طه نجم ٢٨
● الخليج العربي في الموشحات الأندلسية
ـ عبد الرزاق البصير ٣٣
● وللطقس حال أخرى (قصيدة)
ـ محمود مفلح ٥٠
● نبض الحياة مع القلب الصناعي
ـ د . هاني شخير ٥٢
● أنظمة التحكم بواسطة الحيوانات .
ـ م . وسيم فهيم عبد الله ٧٢
● ماذا نقرأ .. ولماذا .. وكيف نقرأ ؟
ـ عبد الله زكريا الأنصاري ٧٩
● الزعيم ورسالة الفلاح (قصة)
ـ ترجمة : محمد عبد الواحد ٨٦
● مرض حب الشباب ليس حكرا على الشباب فقط
ـ د . محمد عبد الله المشاري ٩٨
● نظرة الى زحل أجل الكواكب الشمسية
ـ د . عبد القوي زكي عياد ١٠١
● الزاحفون والراسبون (قصيدة)
ـ محمد الفايز ١٠٦
● يسينين .. شاعر القرية الروسية وعاشقها
ـ د . مكارم الغمري ١٢٠
● حين كشفت ألواح الطين أخطر سرقة في التاريخ ـ محمد الأسعد ١٣٠

منذ ان عرف الانسان النطق وحروف الكتابة لجأ الى الرمز والتورية . فماذا عن الرمز بالحيوان في أدبنا العربي ؟ (إقرأ ص ٢٨)

● قصيدتان : الطعنة .. الهوية ، انتظاران
ـ عصام ترشحاني ١٣٦
● عودة مهرجان دمشق للفنون المسرحية
ـ وليد أبو بكر ١٥٩
● المحطة التالية للصبر (قصة) .
ـ محمد الشاذلي ١٦٦

استطلاعات ومقابلات

● ليبيا تكتشف نهرا في الصحراء .
ـ ريم الكيلاني ٣٦
● وجها لوجه : الدكتور زكي نجيب محمود والدكتور عبد الغفار مكاوي ٦٤
● متتاليات هنغارية .
ـ جمال الغيطاني ١٠٨

أبواب العربي

● عزيزي القارىء ٥
● قاموس العربي : شوفينية ـ شعوبية ٦٢

● أرقام : النفط والانقلاب
ـ محمود المراغي ٧٠
● اقرأ في العدد القادم من العربي .. ٧٨
● حكايات شرق وغرب ٨٢

● منتدى العربي :
ـ ملاحظات على أيديولوجية التسلح
ـ د . عبد الله العمر ٩١
ـ عن الانسان والسلاح والمستقبل في المنطقة العربية ـ د . عارف دليلة ٩٣
ـ التلفزيون قضية كل موسم
ـ صلاح دهني ٩٦
● مسابقة القصة القصيرة ١١٩
● جمال العربية :
ـ صفحة لغة : أسئلة وأجوبة لغوية
ـ محمد خليفة التونسي ١٢٦
ـ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء : المؤنسة من شعر مجنون ليلى ١٢٨
● الجديد في الطب والعلم
ـ اعداد يوسف زعبلاوي ١٣٨
● مخترعون ومكتشفون ١٤١
● سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٤٢
● مكتبة العربي :
ـ كتاب الشهر : تشريح السلطة .. المكونات الأساسية للسلطة (تأليف : جون كينث)
ـ د . فتحي أمين مجدلاوية ١٤٥
ـ من المكتبة العربية : الرجل المناسب
ـ فاروق خورشيد ١٥٣
ـ مكتبة العربي : مختارات ١٥٧
● العربي من ربع قرن ١٩٦
● مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
● حل مسابقة العدد ٣١٣ .... ٢٠٠
● معركة بلا سلاح ٢٠٢
● حوار القراء ٢٠٤

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر ، والوزارة غير مسئولة عما يُنشر فيها من آراء ..

العدد ٣١٦ ـ مارس ١٩٨٥

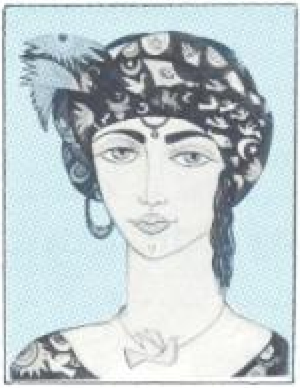

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

● الحكاية : مرآة سحرية يتعرف فيها صغيرك على الواقع .
ـ وفاء طه ناجي ١٧٤
● دور الحضانة .. تعليم أم ترفيه ؟
ـ د . غسان حتاحت ١٧٩
● هو .. هي ١٨٢
● من الحياة : يوم وجدتُ أمي
ـ منير نصيف ١٨٤
● مرآة النفس : لماذا يتبول الأطفال رغماً عنهم ؟ ١٨٨
● طبيب الأسرة ١٩١
● مساحة ود : الأم الأسيرة . ١٩٥

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

التلوث . الدواء الفاسد . الغذاء المسموم:

عصبة متآخية تهدّد البشريّة بالفناء !

- كوكبنا في خطر، البشريّة في خطر، أنت في خطر!
- أولادنا المشوهون نتاج تلوث البيئة والجهل.
- دخان المصانع من أكبر أعداء الانسان في المدن الكبيرة

كان ينتظر مولد طفله الأول وراح يترقب لحظة ولادته كما يفعل ملايين الآباء برجاء وأمل ، وجاء الطفل أخيرا وجاء معه الخبر الصاعقة : ان طفلك - ان قدرت له الحياة - سيعيش مشوها بلا رجلين وبيد واحدة !

كيف يستقبل أي انسان سويّ خبراً مثل هذا ؟ لاشك أنه يحتاج الى كل الصبر والشجاعة حتى يبقى سويا متوازنا ، ولكنه عندما يفكر لحظة في ذاك الطفل وماذا سيجد أمامه في الحياة يتمنى لو أنه لم يأت الى هذه الدنيا !

مثل هذه الحالة لم تعد شيئا نادرا ، بل أصبحت تتكرر - خاصة في بلاد العالم الثالث - والسبب هو الانتاج الانساني التقني في أكثر مظاهره انسانية : الدواء !

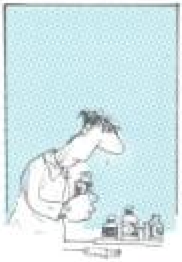

فهناك أنواع من الأدوية تغرق أسواق العالم الثالث ، وهي إما ممنوعة بتاتا ، أو غير مسموح بتداولها في العالم الصناعي المتقدم . والقصة جزء صغير من قصة أكبر وأوسع عنوانها العريض « التلوث قضية العصر وقضية القضايا » .

فالتلوث بأشكاله المتعددة يغير من شكل الأجنة في بطون الأمهات ، ويصيب الملايين بالأمراض المختلفة ، ويقتل الآلاف ، ويسمم المأكل والمشرب ، بل يغير الطقس ومواعيد بداية الفصول وينشر الفيروسات .. الى آخر المصائب والنكبات التي ابتليت بها الانسانية في هذا العصر .

وكلما ازداد تخلف الشعوب وعدم وعيها بهذه القضية المتشابكة « قضية التلوث » تفاقم أثرها على صحة الانسان وبقائه .

صحيح أن العلم الحديث ، والتقنية المصاحبة له ، قد أسهم اسهاما لا ينكر في تقدم الانسان ، وتوفير وسائل الراحة والوقاية له من الأمراض ، مما دفع الكثير من الناس الى الاعتقاد بأن توفير حياة أفضل للبشر هي في الأخذ بمزيد من التقنية . ولكن يجب أن لا يغيب عن البال أن تطور العلوم والتقنية ليس كله بردا وسلاما على البشرية ، فهو في الوقت ذاته « ذو مفعول هدام - خاصة اذا لم يتوفر معه وعي مصاحب يعرف حدوده ومضاره - فأثر التقدم التقني الهدام هو تخريب البيئة محدثا فيها انتكاسات تنعكس آثارها على صحة الناس . وتظهر هذه الانتكاسات بوضوح في العالم الثالث .. العالم الفقير الذي يريد أن يلحق بالعالم المتقدم .

لقد تنبه العالم الصناعي منذ عقدين أو أكثر إلى الآثار المدمرة التي يسببها التوسع في التصنيع الذي أدى الى تلوث البحيرات والأنهار والجداول ، فانطلقت صيحات كثيرة ومتعددة في هذه الأمم وخارجها تقول ان كوكبنا في خطر ، والبشرية في خطر ان استمر انتهاك البيئة الطبيعية ، والاخلال بتوازنها على هذه الصورة . بل الأمر اكثر من ذلك ، فقد ظهرت احزاب سياسية وغير سياسية في الوقت نفسه تطالب بانقاذ البيئة - كحزب الخضر - في ألمانيا الغربية .

التلوث في العالم الثالث

□ وفي سعيها الدائب للنمو والتنمية وجدت مجموعة من أقطار العالم الثالث نفسها في سباق لتطوير امكانياتها الاقتصادية ، وأصبحت التنمية مقصدها وغايتها مهما كان الثمن ، متغافلة أو متخطية أخطار التلوث البيئي ، البري والبحري والهوائي والغذائي ... الخ ، فدفعت - ومازالت تدفع - ثمنا غاليا من مواردها الأساسية وخاصة الانسان .

وقد زينت لها بعض الشركات متعددة الجنسية - التي لها مصالح مباشرة في اتباع هذا الطريق الخطر - طريق استهلاك المنتجات التي تصدرها هذه الشركات دون روية ، منها شركات السجائر والأدوية ، والأغذية المعلبة ، وشركات تصنيع وتصدير المبيدات الحشرية ... هذه الشركات

التي تمارس هذا النوع من الأعمال في بلدانها تحت رقابة صحية وقانونية شديدة ، تجد في العالم الثالث مجالا واسعا لتسويق منتجاتها بحد أدنى من الرقابة ، وهذا الأمر يؤثر في النهاية على توازن البيئة وصحة الانسان .

لقد مثلت البيئة ومشكلاتها قضية هامة في العقدين الماضيين في الدول الصناعية المتقدمة.ومازلنا نحن في العالم الثالث لم تنتبه بما فيه الكفاية لهذه القضية ذات التأثير الحاسم على صحة ومستقبل الانسان . ومشكلات البيئة بمعناها الشامل هي مجموعة الظروف الناتجة عن تأثير عوامل سلبية المفعول في النظام البيئي ، مما يؤدي الى تردي نوعية هذا النظام وإضراره بأشكال الحياة المختلفة ، وتختلف مشكلات البيئة في نوعها وعمقها من بيئة الى أخرى حسب الموقع الجغرافي والمستوى الحضاري للسكان ، وهي بعد هذا تنحصر في مجموعتين من العوامل : العوامل الطبيعية ، والعوامل البشرية .

واذا كانت الأولى خارج قدرة الانسان على التحكم فيها بشكل مباشر ، فإن الثانية هي تحت سيطرة الانسان ، وعلى درجة وعيه واهتمامه تتوقف درجة التحكم في مدخلاتها . والعوامل الأخيرة (البشرية) غالبا ما تكون احدى النتائج الجانبية لما يمارسه الانسان لسد حاجاته .

لذلك فان مشكلات التلوث في العالم الثالث مرتبطة ارتباطا عضويا بطموحات النمو الذي اجتاح هذا العالم الفقير والمتخلف ، وهي ذات اتجاهين : الأول اتجاه استنزاف ثرواته الطبيعية والمعدنية بصورة سريعة دون إيجاد بديل لهذه الثروات أو احلال غيرها مكانها ، والاتجاه الثاني في محاولة مواكبة الدول الصناعية واستخدام منتجاتها الصناعية كطريق للنمو . فاستوردت المصانع الملوثة للبيئة التي حرمت اقامتها لهذه الأسباب في بلدانها ، وكذلك مصانع المبيدات الحشرية شديدة السمّية المستخدمة في رش المزروعات الى جانب مصانع الأدوية والأغذية المعلبة أو محال بيع الغذاء سريع التلف وحليب الأطفال !

هذا الاستيراد العشوائي قد تسبب في كوارث بيئية ذهب ضحيتها آلاف البشر ومازالت القائمة ممتدة .

واذا كانت الأمثلة كثيرة ، فاننا هنا سنكتفي بذكر بعضها للتدليل على حجم المشكلة .

الدواء.. أخطر الملوثات

☐ لابد من التأكيد هنا أن صناعة الدواء قد تطورت في السنوات الأخيرة تطورا يمكن ان يوصف بأنه ثوري ، ولا يمر يوم الا ونسمع أو نقرأ عن دواء جديد يعالج مرضا مستعصيا ، هذه ناحية ، أما الناحية الأخرى فهي أن بعض هذه الأدوية لها رد فعل سيىء وربما قاتل ، حتى ان النتيجة الأخيرة ـ وأعني بها الوفاة ـ قد تبدو على هولها أهون بكثير من بعض النتائج ، ففي سعي الانسان لتطوير الدواء ـ ونتيجة للتسابق المحموم بين شركات الأدوية ـ نجد أن بعض تلك الأدوية كان لها رد فعل عكسي .

ولعل قصة أطفال التاليدومايد التي عرفت في اوروبا في منتصف الستينيات خير شاهد لنا ـ من جملة شواهد كثيرة ـ على ما تذهب اليه .

فقد كان التاليدومايد هو دواء أنتجته احدى شركات الأدوية المتعددة الجنسية كي تتعاطاه الأمهات في الشهور الأولى من الحمل لتخفيف أعراض الحمل ، وانتشر هذا الدواء بين نساء الطبقة الوسطى والعاملات في أوروبا (بريطانيا وألمانيا على وجه التحديد) ولكن الذي حصل أن هؤلاء النساء جئن بأطفال مشوهين الى هذا العالم . . . أطفال ناقصي الأيدي ، أو الأذرع ، أو الأرجل وربما اكثر ، أسموهم بعد ذلك « بأطفال التاليدومايد » وبعد أن تبين للمجتمع حجم الكارثة التي ألمت بجزء من أفراده دخلت المؤسسات الصحفية والديموقراطية معركة ضد الشركة المنتجة وحُرِم الدواء قانونا ، وكذلك دفعت تلك الشركة ـ بعد معركة طويلة ـ تعويضات للأسر التي نكبت في ابنائها .

ورغم هذه المعركة الطويلة والقاسية نجد أن بعض شركات الدواء مازالت غير مكترثة بما تأتي به أدويتها من نتائج جانبية وكادت كارثة التاليدومايد تتكرر في أوائل الثمانينيات ، عندما رفعت أم بريطانية دعوى ضد احدى شركات الأدوية الأمريكية التي تنتج نوعا من أنواع الأدوية المضادة للوحم (الغثيان في أول الحمل) الذي يسمى في الولايات المتحدة « بندكتين » وفي بريطانيا تحت اسم تجاري « دبين دوكس » الذي نتج عنه ميلاد طفل مشوه (له يد تشبه الجناح وصدر يشبه الكهف) وقد تبين أن هذا التشوه قد ظهر في عدد من الأطفال استخدمت أمهاتهم الدواء نفسه .

واذا كانت المجلات الطبية في الغرب الصناعي وكذلك النظام القانوني والوعي العام لدى المستهلكين للأدوية بصورة أوسع تستطيع أن تتابع مثل هذه الأمور وتضغط من أجل ايقاف بيع بعض الأدوية او سحبها من السوق فإن العالم الثالث شبه مفتوح بلا أبواب لمثل هذا النوع من المشكلات الانسانية دون أن يرفع احد صوته محذرا . . وغالبا ما يتقبل الآباء والأمهات مصير ابنائهم بصمت !

صحيح أن سكان العالم الثالث الذين يشكلون حوالي ثلاثة ارباع سكان المعمورة لا يستهلكون اكثر من ٢٠٪ من انتاج السوق العالمي للأدوية ، التي تقدر بعض المصادر قيمتها بما لا يزيد عن ٨٠ مليون دولار فقط ، ولكن تبقى بعد هذا النية والهدف الانساني من وراء انتاج الدواء . . ولا أعرف ، ولا يعرف التاريخ ان مريضا تناول دواء بغية الشفاء من علته ، فاذا به ينقلب سمًا زعافا يعجل بنهايته . . . لا لأنه أخطأ الدواء ولكن لأن الدواء نفسه يحمل معه الموت !

ان الدول الصناعية المتقدمة لا تهتم بتوفير الأموال للبحوث المعمقة للأمراض التي تصيب سكان العالم الثالث ، وهي بطبيعتها مختلفة عن الأمراض الشائعة في بلادها ، كما أن دول العالم الثالث ليس لها خيار في شراء معظم الأدوية التي تستوردها من العالم الصناعي ، وتتحكم حوالي مائة شركة غربية متعددة الجنسية في تجارة الأدوية الدولية ، ثم أن هذه الدول تستورد كل المركبات الكيمياوية لتصنيع الأدوية من تلك الشركات محليا ، هذا الاعتماد في شراء الأدوية الجاهزة أو المركبات الكيماوية قد يكون مناسبا لو أن شركات الأدوية تلك تقدم خدمات جيدة لهذه الدول وسكانها ، ولكنها للأسف لا تفعل !

الأدوية وفقراء العالم الثالث

☐ ديانا ميلروز سيدة اخذت على نفسها مهمة متابعة قضية الأدوية وعلاقتها بالعالم الثالث ، ونشرت كتابا عنوانه (الأدوية وفقراء العالم الثالث) أثبتت فيه أن شركات الأدوية العالمية لا تهتم بشكل عام - من حيث البحوث الطبية المتخصصة - بالأمراض الشائعة في العالم الثالث . من بعض ما تقوله المؤلفة : « ان ملايين الناس في العالم الثالث يموتون مع فقرهم من امراض يمكن حمايتهم منها او علاجها بالأساليب الطبية الحديثة » ، ولكن الكاتبة تقول : « ان المشكلات الهيكلية في صناعة الدواء العالمية تعوق هذا التوجه ، حيث ان هذه الصناعة تصطدم بقضيتين اساسيتين : الأولى شره الشركات المنتجة للأدوية المتعددة الجنسية لتصدير إنتاجها والترويج له ، والثانية جهل مطبق وتقاعس من قبل كثير من دول العالم الثالث . وماذكر أخيرا من ان ثلاثة مزارعين من الفلبين فتحوا على بعضهم خراطيم بعض الكيماويات الزراعية على سبيل المزاح ومات ثلاثتهم في الحال نتيجة سخف

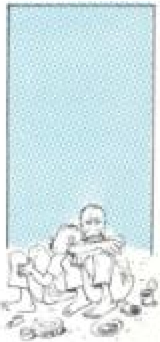

مزاحهم الثقيل . يقدم لنا صورة عن مدى ما يعيش فيه سكان العالم الثالث من جهل !

كما حدث في احدى مقاطعات البرازيل في نهاية العام عندما نقلت شاحنة نوعا من مبيدات الحشرات السامة جنبا الى جنب مع أكياس من الطحين وعندما أصبح الطحين خبزا وأكلوه أصيب أربعمائة شخص بتسمم كيميائي شديد من جراء ذلك .

وسوق الدواء التي تتوجه لخدمة القلة الغنية في الدول الصناعية تتجاهل تماما متطلبات الأكثرية في العالم الثالث لأنه ليس لديهم القوة الشرائية !

ومشكلات الدواء للعالم الثالث لا تقف عند ذاك الحد ـ كما قلت ـ فنقص الرقابة أو انعدامها على الدواء يجعل من اسواق العالم الثالث مرتعا للأدوية التي فات أوانها أو الأدوية غير المحفوظة حفظا جيدا او غير واضحة فيما يتصل بالتعليمات الخاصة بتعاطيها ، كما حدث في جمهورية بيرو أخيرا ، وتناقلته الصحف العالمية عندما وُجد أن نوعا من الأدوية التي يعالج بها مرض نادر في العظام تباع كدواء فاتح للشهية عند الأطفال !!

ونحن في العالم الثالث لا نستطيع ان نعرف على وجه اليقين مضاعفات دواء ما حتى تظهر بعض التحذيرات منه في الغرب ، وهو ـ مع هذا ـ لا يمنع في أغلب البلدان الا بعد معرفة خطورته بسنوات قد تمتد الى عقد أو عقدين من الزمان ، وقصة الأدوية قاتلة الألم « الفينال بيوتوزون » (الأوكسي فن بيوتوزون) PHENYL BUTAZONE OR OXYPHENBUTAZONE التي قيل انها تستخدم للتخفيف من آلام مرض المفاصل والتي سببت آلاف الوفيات في الغرب وأدت الى نتائج جانبية مرضية حادة منها اضطراب الدورة الدموية لدى الكثير من الذين استخدموها ، مازالت تثير الفزع .

لقد سحبت هذه الأدوية من الأسواق الغربية ، ولكنها لا تزال تستخدم في بعض أسواق العالم الثالث . أليس هذا دليلا واضحا على ضعف الرقابة على الأدوية من جهة ، والموقف المزدوج الذي تقفه شركات الأدوية المتعددة الجنسية تجاه المستهلكين في العالم الصناعي ودول العالم الثالث من جهة أخرى .

وبناء على دراسة لمعهد التنمية في جنيف ، هناك ٨٧ مرضا من الأمراض المنتشرة غالبا في الدول الفقيرة ، كما أن هناك تطعيما ناجحا ضد عشرة من هذه الأمراض ، وهناك علاج ناجح لحوالي ٣٢ منها ، ومما تبقى هناك ٢٣ مرضا تعالج جزئيا ولكن نتائج العلاج غير نهائية ، والـ ٣٢ مرضا الأخيرة لا علاج لها على الاطلاق !

ويقول لنا التقرير ان ٣٪ فقط من اموال البحوث البيولوجية التي

تصرفها شركات الأدوية المتعددة الجنسية توجه الى اكتشاف علاج للأمراض المتوطنة في العالم الثالث . .

فوق ذلك كله يأخذ الجهل حصته في الاضرار بانسان العالم الثالث ، فنحن نجد في هذا القطاع - الدواء وتناوله - الكثير من الناس الذين يتطوعون بوصف نوع من الدواء لصديق أو قريب ، بدافع من تجربته له ، فقد وجد فيه - كما يعتقد - الشفاء ، وهو يصفه لهذا المريض دون دراية أو روية ، وقد تكون اعراض المرض متشابهة ولكنه غير مطابق لما كان يشكو منه.

كما ان البعض يخزن الأدوية وكأنها يمكن ان تبقى الى الأبد سليمة وفعالة ، وقد يلجأ آخرون لتناول دواءين احدهما ضد الآخر في الوقت نفسه ، كل ذلك بسببه الجهل ، وهو الذي يقود في النهاية الى خسران الصحة وتعطل الانتاج وربما الوفاة او الأخطر من ذلك . . التشوه .

البيئة المبتكرة والكيماويات القاتلة

□ هل هي مفارقة مضحكة ان تكون أهم مسببات الأمراض في العالم الثالث في الأعم الأغلب سببها التلوث الفيروسي والطفيليات والبكتيريا ، وأن اسباب التوعك وضعف الصحة هي المياه الملوثة وسوء التغذية . وهي مفارقة مضحكة مبكية لأن اسباب ضعف الصحة وانتشار الأمراض هذه دفع دول العالم الثالث الى التفكير في سد النقص من الطعام عن طريق اتباع اساليب جديدة هي استخدام مواد كيماوية مركبة مثل الأسمدة الصناعية ومبيدات الآفات الكيماوية ، للمحافظة على معدلات الانتاج الغذائي المتزايد وقتل الحشرات والأعشاب الضارة والفطريات . . هذه المنتجات الصناعية المركبة التي ابتدعها الانسان لخدمته في اطار ما عرف بعد ذلك (بالبيئة المبتكرة) أي استحداث بيئة جديدة خالية من الشوائب من اجل انتاج محاصيل زراعية وفيرة تغذي انسان العالم الثالث الذي يشكل نقص غذائه احد أسباب وقوعه فريسة المرض .

هذه البيئة المبتكرة قد اعطت الانسان نتائج لا يمكن الاستهانة بها . خاصة في توفير محاصيل زراعية كثيرة وكذلك جديدة ، غير انه سرعان ما ثبت قصورها بل خطورتها على هذه البيئة نفسها ، فهذه المنتجات الكيماوية - رغم فائدتها من جانب - وجد أنها ضارة من جانب آخر . فهي دخيلة على النظم البيئية المستقرة ، فقد اتضح ان هذه المضادات الكيماوية غير قابلة « للتدرك » بيولوجيا ، وبناء عليه فقد تراكمت في الطبيعة على شكل فضلات لتصبح سببا في تلوث البيئة .

لقد ثبت أن هذه الكيماويات وما تلفظه من سموم وملوثات في الماء ، تؤثر على صحة الانسان في المدى الطويل ، كما ثبت انها تضعف من اخصاب التربة لأنها ببساطة قضت - من جملة ما قضت عليه - على بكتيريا الخصوبة في التربة .

وعندما تنبه العالم المتقدم لخطورة هذه المركبات والمبيدات ووضع القوانين الصارمة للحد منها او منع استخدامها لم نجد في العالم الثالث صوتا يرتفع محذرا منها . بل على العكس ازداد تصدير هذه الكيماويات لبلدان العالم الثالث تحت شعار التنمية وتطوير الانتاجية الزراعية .

وتقول لنا التقارير العالمية بأن هناك حوالي ٥٠٠ الف من البشر في العالم الثالث يصابون بالتسمم من هذه المواد الكيماوية كل عام ، عشرة آلاف منهم على الأقل اصاباتهم مميتة . كما ان مبيعات هذه المواد للعالم الثالث قد ارتفع إلى رقم فلكي منذ بداية السبعينيات حتى بداية الثمانينيات ، وتجمع التقارير على ان تصدير المبيدات الكيماوية من الدول الصناعية الى العالم الثالث في امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا قد ارتفع في تلك الفترة من ٤ بلايين دولار الى ٢٦ بليون دولار ! وحيث ان الاحتياطات القانونية والعلمية ضعيفة او معدومة في معظم هذه الدول ، نجد أن هذه الصناعة تدر ارباحا ضخمة على منتجيها وتعتبر المانيا الاتحادية والولايات المتحدة أكبر دولتين مصدرتين لهذه المواد الكيماوية ، فتصدر الأولى حوالي ٩٠٪ من انتاجها (البالغ ١٦٠ الف طن سنويا) بينما تصدر الولايات المتحدة ٤٠٪ من هذا الناتج . ولقد كانت هناك محاولة لتقنين تصدير هذا النوع من المنتجات من الولايات المتحدة الى الخارج الا ان الإدارة الأمريكية رفضتها سنة ١٩٨١ ، وحيث ان البلدان الصناعية مثل الولايات المتحدة والمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا واليابان تضع قوانين صارمة لاستخدام وتوزيع مثل هذه المبيدات في اراضيها ، الا أنها لا تتحفظ في التصدير ، ولا يمكن لكثير من الدول النامية في العالم الثالث متابعة انواع الكيماويات وتحديد خطورتها وخاصة اذا علمنا ، ان الاكاديمية القومية الأمريكية للعلوم تقول ان هناك ٧,٧٥ مليون نوع من الكيماويات منتجة في العالم ، وان ما بين ٥٠٠ الى الف نوع جديد يصل الى السوق كل عام !

ويوميا ايضا يكشف العلماء في العالم الصناعي عن اخطار جديدة على الانسان والبيئة تسببها كيماويات مستخدمة منذ زمن ، او أخرى حديثة العهد ، وذلك اما بسبب تقدم العلم والبحوث ، او لأن نتائجها على الانسان وبيئته لا تظهر الا بعد زمن كما في حالة المركب الكيماوي المعروف د . د . ت . لقد مُنع استخدام هذا المركب الكيماوي في الولايات المتحدة ومعظم دول أوروبا بسبب تأثيره الأكيد السلبي على البيئة والانسان ولكنه لايزال يستخدم بتوسع في بعض دول العالم الثالث لمكافحة بعوض الملاريا او الحشرات الضارة .

لقد منعت الولايات المتحدة مثلا استيراد المنتجات الزراعية من دول البحر الكاريبي خاصة الفواكه الحمضية والباباي التي تم تبخيرها بالخليط

الكيماوي المعروف (بروماید الاثيلين) الذي يعتقد انه يسبب بعض انواع السرطان . الا ان هذه المواد الغذائية تنتج وتستهلك في بلدانها وبلدان العالم الثالث دون أية عقبات .

ولعل اغراق العالم الثالث بهذه المواد الكيماوية شديدة السمّية من قبل الشركات العالمية المتعددة الجنسية - يشبه في أوجه منه اغراقها بالأدوية ، فرغم ثبوت مساهمة هذه المواد الكيماوية في التلوث الكيمائي الا ان المعلومات الدقيقة عن حجم هذه المخاطر مازالت محتكرة من قبل الشركات المنتجة نفسها او دولها .

* * * *

ولعل أسوأ كارثة صناعية في التاريخ هي تلك التي وقعت في مدينة بوبال الهندية في نهاية العام الماضي وذهب ضحيتها ألفان وخمسمائة إنسان الى جانب الذين أصيبوا بتشوهات وهؤلاء يزيدون على مائة ألف انسان آخر مهددين بالعمى والعقم والاصابة في الكلى والكبد والمخ . وهي دليل صارخ على ما تعانيه دول العالم الثالث من اهمال . فمصنع المبيدات ذاك الذي تسرب منه الغاز القاتل له اشباه في عدة مدن غربية وهي أطول منه عمرا ولكن لم يحدث فيها ما حدث في بوبال . ولعل هذه الكارثة تعيد طرح السؤال الذي مفاده : « هل العالم المتقدم يصدر الصناعات الملوثة الى العالم الثالث دون ان ترف له عين ؟ »

ولعل مأساة بوبال أيضا تعيد لنا من جديد الأصوات المعزولة التي تطالب في العالم الثالث بالتنبه لهذه الأخطار البيئية كما فعل أحد المسئولين في البرلمان المحلي واسمه « ماهندرا كارما » فقد حذر من القنبلة الزمنية منذ سنة ١٩٨١ ولكن صيحاته ذهبت ادراج الرياح !

كثيرة هي المحاولات التي بذلت على نطاق دولي واقليمي لوضع هذا الخطر (المبيدات الكيماوية) تحت الرقابة المعقولة ، ولقد نشرت على سبيل المثال اللجنة العالمية لاتحاد المستهلكين من مركزها الرئيسي في هولندا والفرعي في ماليزيا كتابا تحت عنوان (المبيدات الكيماوية : طرق التصرف) . فيه معلومات هامة تشير الى خطورة بعض المواد الكيماوية وطريقة استعمالها وتخزينها ، كما أن الأمم المتحدة من خلال لجنتها لحماية البيئة ومقرها في جنيف ، وضعت سجلا عالمياً لتسجيل الكيماويات الضارة . وفي منتصف العام الماضي عقد اجتماع دولي في هولندا كانت من أهم توصياته ، وضع نظام دولي لتبادل المعلومات وتحديد ضوابط لتصدير واستيراد المواد الكيماوية الضارة ، الا أن هذه الجهود مازالت في بداياتها .

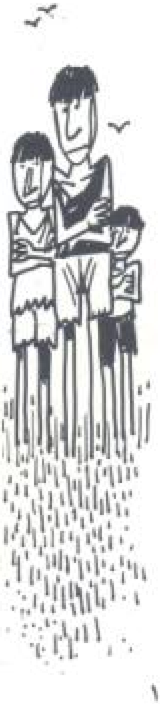

الهـواء والغـذاء

□ مسلسل التلوث لا يقف عند حد ، فالهواء أيضا يتعرض بصورة شديدة للتلوث ، ويشكل الغاز الناتج من دخان المصانع ومن عوادم السيارات نسبة كبيرة من هذا التلوث ولعل الأخير الذي يخرج من عوادم السيارات يعد من العوامل سيئة التأثير على الصحة العامة ولا توجد مدينة في وقتنا الحالي لاتعاني من هذا التلوث الجوي . وتلوث الهواء لا تظهر نتائجه بسرعة وبشكل تراكمي ، فإذا ظهرت آثاره ، جاءت حادة ومسببة للأمراض ، ولقد سبب تلوث الهواء كوارث صحية حقيقية في هذا القرن من بينها ما حدث في بلجيكا في عام ١٩٣٠ عندما تسبب « الضبخان » (الدخان والضباب) SMOG في وفاة ستين شخصا في ديسمبر من ذلك العام الى جانب اصابة عدد كبير بالأمراض نتيجة لتركيز ثاني اكسيد الكبريت في الهواء بقرب مدينة سبرنج . والكارثة الثانية وقعت في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة في خريف ١٩٤٨ . أما كارثة لندن في ديسمبر ١٩٥٢ فأصبحت من العلامات المميزة في تاريخ حوادث «الضبخان» حيث قتل عدد ضخم من الناس من ٥ ـ ٩ ديسمبر من ذاك العام نتيجة فساد الهواء . وفي نيويورك في سنة ١٩٦٣ تكررت الظاهرة نفسها . هذه الكوارث وما شابهها دفعت الدول الصناعية الى سن القوانين الرادعة للحد من التلوث . كما أن السلطات المسئولة في بعض المدن تقيس بشكل دوري نسبة المواد الضارة المتسربة من عوادم السيارات في الهواء .

وإذا كان الدخان الملوث في اجواء أي مدينة هو دخان مفروض على الانسان الا أن « الدخان » الذي تروجه شركات الدخان متعددة الجنسية يجد ايضا مجاله في العالم الثالث ، ومع تناقص المبيعات في العالم الصناعي المتقدم نتيجة لزيادة الوعي والدعاية المضادة للتدخين ، نجد أن الاحصائيات تقول لنا ان شركات الدخان تنظر الى أسواقها الآخذة في التوسع في العالم الثالث نظرة تفاؤل .

تقول الأرقام ان اثني عشر مليون سيجارة صدرت من بريطانيا وحدها الى الشرق الأوسط فقط عام ١٩٧٩ ، وان ٧٠٠ سيجارة يستهلكها الفرد الواحد في الصين التي يزيد تعداد سكانها على بليون نسمة !

ولا تخضع الاعلانات عن منتجات الدخان للمنع في التلفزيون والصحف في كثير من دول العالم الثالث ، كما لا تظهر تحذيرات صحية على العلب المبيعة في بعض هذه الأقطار ، والأنكى من ذلك أن شركات السجائر المتعددة الجنسية تصدر السجائر التي تحتوي على قطران ونيكوتين اكثر لاشباع (مزاج) المدخن ، والهدف هو جعل الادمان على السجائر اكبر وأعمق في العالم الثالث ، ويقول لنا احد تقارير منظمة الصحة العالمية ان التدخين سوف يصبح من المشكلات الصحية المستقبلية الرئيسية في هذا العالم .

وفي الوقت الذي تقول لنا التقارير المنشورة عن الغذاء ومستواه ان الوجبات الغربية قاتلة (جريدة التايمز ١٢ يونيو ١٩٨٤) نشاهد مطاعم الوجبات السريعة تنتشر في بلداننا ، وفي الغرب حيث تقول لنا الدراسات ان نوعية الطعام الذي يتناوله الانسان هو أحد مسببات السرطان وانه قد يكون اكبر اثرا من التدخين نفسه نجد أن اعلانات المأكولات الغربية والمأكولات المعلبة واللحوم المثلجة ، مازالت هي السائدة في معظم بلدان العالم الثالث . وسلسلة التلوث لا تبدأ ولا تنتهي بالطعام ، فاللحوم من خراف ودجاج وغيرها يتناولها الكثيرون في العالم الثالث ومعظمها مستورد فيما يسمى اليوم « صناعة الغذاء » ، لا يعرف أحد نوع الاعلاف التي تم تسمينها بها .

بعض التقارير التي تقول بأن هذه الحيوانات تطعم من مواد كيماوية وهرمونات HORMONES لزيادة تسمينها ، وبالتالي تسبب لمن يأكلها المرض هي أحد المحاذير . اما المحذور الثاني فهو في الأسماك التي صار تلوثها بالمخلفات الصناعية والكيماوية في كثير من سواحل العالم وقد ثبت وجود ارتباط بين هذه الملوثات التي تتراكم في الأحياء البحرية خاصة بعد انتشار انواع من المرض عند الانسان ، يصاحب ذلك نقص شديد في المتابعة من قبل سلطات العالم الثالث .

الزبدة الصناعية (المارجرين) والحليب المجفف والحلوى الصناعية .. الخ اصبحت لدى معظم سكان العالم الثالث منتجات حضارية رغم مضارها الكبيرة على صحة الانسان .

والتقارير حول مضار الغذاء الغربي لا تظهر في الغرب بسهولة حتى لا تؤثر في مصالح شركات صناعة الغذاء التي أصبحت ـ نتيجة لتعقد المجتمع الغربي ـ تكسب الملايين من تصدير الأغذية الجاهزة أو شبه الجاهزة.

واذا كانت مشكلة المشاكل في الغرب هي تصادم الثروة والصحة -WEALTH & HEALTH- فان المشكلة في العالم الثالث هي تصادم الفقر والجهل . فهناك فقر مادي وجهل بأفضل الامكانات الصحية المتاحة ، فالحاجة الى غذاء صحي ورخيص يحتاج الى علم وتوجيه ايضا .

الوعي بالمشكلة أول درجات حلها

☐ واذن فمشكلة البيئة والتلوث وما يتفرع منها ، هي مشكلة عالمية تزداد تفاقما في العالم الثالث حيث ان الدلائل في وجود وعي بها عند شعوب العالم الثالث او حتى عند بعض المسئولين ضعيفة جدا ، فالعديد من هذه الدول مشغولة في تنمية مصادرها الطبيعية لتلبية حاجات سكانها الملحة والمتزايدة دون النظر بجد الى مستقبل البيئة ، ويبدو أن الكلفة الاقتصادية والاجتماعية من هذه النظرة الأحادية تفوق الفوائد المتحصلة ، وهي في طريقها الى التفاقم . فالبلاد النامية تستخدم اليوم حوالي ٢٠٪ من انتاج العالم من المبيدات الكيماوية في برامجها الانمائية المختلفة ، وما يثير القلق ان هذه الواردات تتصاعد بمعدل سنوي مقداره ١٥٪ بين سنوات ١٩٤٧ ـ ١٩٨٠ ولكن دون حد أدنى من قواعد السلامة ، وكثيرا ما يقود الاستخدام غير السليم من جانب عمال غير مدربين أو الاهمال في التخزين الى عواقب وخيمة .

ان علاقة الانسان بالبيئة علاقة سلوكية ، ولابد أن نعترف أن السلوك الشائع للانسان مع الطبيعة ظهر انه يحمل كثيرا من جهل الانسان لذاته من جهة ، ولمكانه من الطبيعة من جهة أخرى .

كما أن سلوك الانسان في الدول الصناعية المتقدمة تجاه اخيه الانسان في الدول النامية سلوك تمليه المصلحة والانانية ، قُتل من أجله الآلاف ومازالوا يقتلون ويشوهون ، لا لسبب الا لحاجتهم الشديدة لبناء حياة كريمة على ارضهم التي احتواها العوز والجهل والفقر .

وعندما يتحدث الآخرون عن التقدم الدولي فلابد ان نقدم مفهوما جديدا آخر هو نظام عالمي جديد لحماية البيئة . والبشرية اليوم أحوج ما تكون لهذا النظام .

محمد الرميحي

وهم الأصالة والمعاصرة

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

منذ أشهر قليلة عقدت في القاهرة ندوة كان موضوعها الأساسي هو « الأصالة والمعاصرة » .

وقبلها عقدت ندوات ناقشت نفس الموضوع في عواصم عربية أخرى . . . ربما يعود تاريخها الى بداية هذا القرن .

الدكتور فؤاد زكريا يجتهد في هذا الموضوع ويدلي بدلوه ، ويعيد ترتيب هذا الأمر من جديد فلسفيا . فما هو تصور الدكتور زكريا ؟

كان إشكال «الأصالة والمعاصرة» مطروحا في حياتنا الثقافية ، منذ أن أصابتنا تلك الصدمة الحضارية التي تولدت عن احتكاكنا المباشر بالغرب في أوائل القرن التاسع عشر . لقد كان العرب قبل ذلك مجموعة من المجتمعات شبه المغلقة ، التي لم يكن الغرب يتصل بها إلا عن طريق أفراد مغامرين ،يدفعهم حب الاستطلاع الى المجازفة بدخول هذه الارض المجهولة المشوقة المليئة بالغرائب ، أرض السحر والحريم وألف ليلة وليلة ، فيقيمون فيها فترة قد تطول أو تقصر ، ثم يعودون الى بلدهم ليسجلوا مشاهداتهم في كتابات تحمل طابع الدهشة ، أو الاستعلاء ، أو المبالغة ، وتستهدف إبهار القارىء في بلادهم أكثر مما تستهدف الوصف الأمين لما هو موجود في بلادنا .

مواجهة من نوع آخر

غير أن القرن التاسع عشر حل معه مواجهة من نوع آخر«مواجهة حضارية شاملة ، كان لابد أن تحدث بعد أن جاءت أوروبا الى بلادنا حاملة معها كل نواتج نهضتها الحديثة : من علم نظري وثقافة عقلانية وأسلحة متفوقة ، ونهم شديد الى التوسع والسيطرة على أسواق العالم . ومنذ ذلك الحين ، أصبح الشغل الشاغل للعقل العربي هو التساؤل عما ينبغي أن يكون عليه موقفه من هذه المواجهة : هل يحتمي بتاريخه وتراثه الماضي ، ويتخذ منه درعا أو شرنقة تدفع عنه غوائل التيار الكاسح المتدفق من بلاد غربية متفوقة ، أم يساير التيار الجديد أملا في أن يكون له نصيب في ذلك التقدم المادي والمعنوي ،

الذي حقق للحضارة الاوروبية تفوقا ساحقا على سائر حضارات العالم القديم ؟

كانت المشكلة اذن مطروحة في صورتها العامة ، وفي الكثير من تفاصيلها منذ مايقرب من قرنين ، ولكن العبارات التي صيغت بها كانت تتباين من مرحلة تاريخية الى أخرى . غير أن المرء يكون واهما لو اعتقد أن نوع المفاهيم المستخدمة في طرح المشكلة لم يكن له تأثير على طريقة فهمنا للمشكلة نفسها ، ان المسألة كلها مجرد ألفاظ متباينة تعبر كلها عن جوهر واحد . فحقيقة الأمر هي أن الألفاظ التي نعبر بها عن المشكلة تؤثر الى حد كبير في بلورة تفكيرنا ازاءها ، وتحديد موقفنا منها .

وفي ضوء هذه الحقيقة ينبغي علينا أن نحلل آخر الصيغ التي تطرح من خلالها هذه الاشكالية ، وهي صيغة « الاصالة والمعاصرة » تلك الصيغة التي لا يزيد عمرها ، فيما أعتقد ، عن ثلاثين عاماً . فقد ألقت هذه الصيغة بظلالها ، دون شك ، على العقل العربي ، وعلى طريقة مناقشته للمشكلة بأسرها ، اذ كانت طريقة طرح الموضوع تتخذ عادة شكل الاختيار بين ثلاثة بدائل : أعني اختيار الأصالة ، أو المعاصرة ، أو محاولة التوفيق بينهما .

وهدفي من هذا المقال هو أن أعرض بعض الأفكار التي تثبت أن هذه الصيغة في طرح المشكلة مسئولة عن قدر كبير من التخبط الفكري الذي تتسم به معالجاتنا لهذا الموضوع ، بل ان هذه الصيغة لابد أن تؤدي الى استمرار المناقشات حول « الأصالة » والمعاصرة الى ما لانهاية ، دون ان يتقدم تحليلنا للمشكلة وفهمنا لأبعادها خطوة واحدة الى الأمام . وأخيرا فسوف أقترح بديلا عن هذه الصيغة، أتصور أنه يتلافى معظم جوانب النقص فيها .

البدائل الثلاثة

ان طرح قضية الأصالة والمعاصرة على شكل بدائل ثلاثة هي : التمسك بالأصالة ، أو السير في طريق المعاصرة ، أو القيام بمحاولة توفيقية للجمع بين الاثنين ، يثير اشكالات تزيد من تعقيد القضية ، وتجعل الوصول الى رأي حاسم فيها أمرا يكاد يكون مستحيلا .

فالبديل الأول ، أعني التمسك بالأصالة ، يفترض أن من الممكن أن نعيش في ظل « أصالتنا » وحدها ، مادام أصحاب هذا الرأي ليسوا ممن يسعون الى التوفيق بين « الأصالة والمعاصرة » . ومعنى الأصالة في نظر هؤلاء هو « العودة الى الأصل » أي أن المطلوب من المجتمع في ظل هذا البديل ، هو أن يعيش في ماضيه دون حاضره ، وأن يستلهم التاريخ ويبني حياته على أساسه . فهل هذا بديل معقول من الناحية النظرية ، أو ممكن من الناحية العملية ؟ هل يستطيع أي مجتمع أن يجمد التاريخ ويتشبث بفترة واحدة منه ، ويتجاهل كل ما قبلها وما بعدها ، ويجعل من هذا الماضي حاضرا أبديا لا يسري عليه التغير ، ولا يخضع لتقلبات الزمن ؟ وهل يمكن أن يعيش أي مجتمع بأمجاد ماضيه وحدها ، وينسى أن ماكان « مجدا » في عصر معين قد يصبح « تخلفا » اذا ما نقل بحذافيره الى عصر آخر ؟ ان إشكال البديل الأول هو ، في كلمة واحدة انه يلغي التاريخ ، على حين أن التاريخ ليس مما يمكن الغاؤه .

فلنتأمل اذن البديل الثاني ، الذي يتساءل أصحابه : هل أساس التقدم هو أن نكون معاصرين ، أي أن نساير العصر ؟ هذا التساؤل يفترض أن العكس ممكن ، ولو نظريا . فهو يفترض أن من الممكن الا يكون المجتمع « معاصرا » أي لايعيش عصره . فهل يستطيع أحد أن يتصور مجتمعا معاصرا يختار ، بمحض ارادته،أن يكون « غير معاصر » ؟ ، هل من الممكن أصلا أن يكون المجتمع في العصر ولا يكون فيه ، أي أن ينعزل عنه طوعا ؟ سيجيب البعض بأن هذا ما يحدث مثلا في المجتمعات البدائية التي يعيش بعضها في أواخر القرن العشرين ، وفقا لأوضاع ظلت على ماهي عليه منذ عشرات القرون . ولكن البدائي لايفعل ذلك « إلا مرغما » فهو لايعرف القرن العشرين ، لأنه لم يتعرض لمؤثراته ولم يتصل بها ، أما الحالة التي نحن بصددها فهي حالة مجتمع يعرف العصر ويتصل به ، ولكنه ينفصل عنه عامدا ، ويختار أن يعيش في عصر غيره .

انك حين تضع المعاصرة كأنها بديل ضمن بديلين آخرين ، فأنت تضع معايشتك للعصر الذي تعيش

فيه ، كأنها اختيار وكأنها شيء يمكن أن يحدث أو لايحدث . وحقيقة الأمر أن المعاصرة ليست اختيارا ، وليست بديلا من البدائل . فعصرك جزء منك وأنت جزء منه ، ولا أحد يملك أن يكون « معاصرا » أو لايكون .

من الواضح اذن ، أن هذين البديلين يكشفان عن إشكالات أساسية في علاقتنا بالزمن . فالطريقة التي يصاغ بها البديلان توحي بأن في استطاعة مجتمع ما ان يختار ألا يعيش عصره ، بل يستمد مقومات حياته كلها ، أو أهمها ، من عصر ماض . ولما كانت المشكلة كلها ، كما بينا ، ليست مشكلة « اختيار » لان عصرك مفروض عليك شئت ام أبيت ، فان من حقنا أن نتساءل : ألا يجوز أن صيغة الاختيار بين الأصالة والمعاصرة تعبر عن خلل أساسي في علاقتنا بالزمن ، وبالتاريخ ؟ إذا صح ذلك فهل كانت هذه الكتابات ، وكل هذه المؤتمرات والندوات ، التي دارت حول هذا الموضوع طوال ربع القرن الأخير على الأقل ، مجرد تعبير عن هذا الاختلال ، وهل كان مفكرونا وكتابنا طوال هذا الوقت واقعين تحت تأثير وهم كبير لم يتنبهوا اليه ، حين طرحوا أمامنا إشكالية الأصالة والمعاصرة كما لو كانت اختيارا بين بديلين ، أو محاولة للتوفيق بينهما من الخارج ؟

الأصيل والأصل !

الواقع أن هذا الاتهام هو - في جانب منه على الأقل - اتهام ظالم . ذلك أن للمشكلة وجها آخر هو الذي جعل مفكرينا يأخذون بديلي الأصالة والمعاصرة بكل هذه الجدية ، ويرون فيهما اختيارا حقيقيا وممكنا . فهناك بعد آخر لإشكالية الأصالة والمعاصرة ، الى جانب البعد الذي كان حديثنا يدور حوله حتى الآن هو البعد « التقويمي » ، فأنت حين تتحدث عن أصالة مجتمع ما لاتعني الرجوع الى « أصل » هذا المجتمع فحسب ، بل تعني أيضا العودة الى ما هو « أصيل » في تاريخه وفي أعماق شخصيته المعنوية . وبهذا المعنى تتحدث عن الأصالة في بحث أو كتاب ، وتعني بذلك أنه لم يعتمد على غيره أو يعكس آراء الآخرين ، وانما كان له موقفه الخاص المستقل النابع من ذاته ، وهكذا فان الأصالة يمكن أن تشير الى معنى زمني هو الرجوع الى « الأصل » ، ويمكن أيضا أن تشير الى معنى تقويمي هو البحث عما هو « أصيل » ، ويمكن بالطبع أن تجمع بين المعنيين على أساس أن الأصيل حقا هو ما ينتمي الى « الأصل » .

وتنطبق هذه الازدواجية نفسها على معنى « المعاصرة » فحين نتحدث عن المعاصرة بوصفها ضرورة للنهوض ، وسبيلا الى القضاء على التخلف ، لانقصد بذلك الدعوة الى أن نعيش في الفترة الزمنية الحاضرة فحسب ، بل نعني أيضا متابعة « أفضل » ما في هذه الفترة الحاضرة وأكثره « تقدما » . والدليل على ذلك هو أن النماذج التي نختارها للمعاصرة تكون عادة في الصف الأول من مجتمعات العصر الحاضر ، مثل أوروبا الغربية أو أمريكا أو اليابان أو البلاد المتقدمة في العالم الاشتراكي ، تبعا لوجهة نظر المرء .

هناك اذن تداخل أساسي بين البعدين - الزمني والتقويمي - في استخدامنا لكلمتي الأصالة والمعاصرة . وهذا التداخل هو الذي يثير الاشكالات التي أشرنا اليها في مستهل بحثنا هذا : لأن الدعوة الى الأصالة إذا فهمت بمعنى الرجوع الى الأصل وايقاف مسيرة التاريخ ، تصبح الدعوة مستحيلة فضلا عن كونها متخلفة . أما اذا فهمت بمعنى البحث عما هو أصيل وغير مسبوق ، فانها تصبح تعبيرا عن هدف جدير حقا بأن نسعى اليه . وبالمثل فان الدعوة الى المعاصرة ، اذا فهمت بمعنى الحياة في الفترة الزمنية الحاضرة ، تصبح تحصيل حاصل ، مادام هذا أمرا مفروضا علينا ، ومادام العصر فينا ونحن فيه ، بحكم وضعنا الانساني ذاته ، أما اذا فهمت بمعنى البحث عن الافضل والأكثر تقدما في هذا العصر ، فانها تصبح عندئذ غاية تستحق أن نسعى الى تحقيقها .

الاتباع أم الابداع ؟

لابد اذن من صيغة أخرى تقضي على هذا التداخل ، وتتجنب هذه الصعوبات ، والصيغة التي أعتقد أنها تخلصنا من كل هذه الالتباسات ، وتضع

أمامنا بدائل تمثل التحدي الحقيقي الذي يواجه مجتمعنا، شأنه شأن سائر مجتمعات العالم الثالث، هي صيغة «الاتباع أو الابداع» أعني أن الإشكال الحضاري الذي نواجهه هو: هل نظل الى الابد مقلدين محاكين، نساير الآخرين ونمسك بذيل تطور لم نصنعه، أم نصبح مبدعين، نبتكر حلولنا الخاصة ونقف نداً للآخرين بأفكارنا الخلاقة؟

هذا التقابل بين الاتباع والابداع، الذي أقترحه بديلاً للتقابل المضلل بين الأصالة والمعاصرة، يمتاز على هذا الأخير بمزايا واضحة، فهو يتخلص من كل مظاهر الخلط بين المعنى الزمني والمعنى التقويمي، لأنه يستبعد الاشارة الى الزمن، أو على الأصح يتخطى حدودها.

ذلك لأن اتباع نمط غريب أوتقليد حضارة متفوقة بغير تمييز أو أعمال للفكر، هو مظهر واضح من مظاهر التخلف. ولكن من الواجب أن ننتبه الى أن هذا النوع من الاتباع يمكن أن ينطبق على مسايرة الماضي، مثلما ينطبق على محاكاة نماذج من الحاضر، ويؤدي في كلتا الحالتين الى نتائج سلبية.

فالشاب الذي يحرص على متابعة أحدث الرقصات التي تظهر في الغرب وآخر صيحات الملابس فيه، مقلد لا يرجى منه ابداع. ولكن الشاب الذي يرتدي ملابس أسلافه منذ قرون عديدة، ويفكر كما كانوا يفكرون، وينفصل عن عصره ليتوحد مع عصر قديم، هو أيضاً اتباعي لا أمل منه في اصلاح أو تقدم، واخصائي التربية العربي الذي ينقل اقتراحاته لاصلاح التعليم من كتب أو تقارير أمريكية، دون أن يعمل أي حساب لاختلاف البيئة والخلفية الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والسياسية في كلا المجتمعين، هو بغير شك مقلد مفتقر الى الإبداع، ولكن الباحث الاسلامي الذي لا يجد لمشاكلنا الحاضرة حلولاً الا في كتب السلف الصالح، يسير بدوره على نهج الاتباع، ولا أمل منه في أي ابداع. وهكذا يمكن أن يكون هناك اتباع للأصالة (بمعنى الأصل الزمني) واتباع للمعاصرة (بمعنى الواقع الراهن أياً كانت قيمته)، أي أن فكرة الاتباع تتخطى النطاق الزمني ولا تتقيد به.

ومثل هذا يمكن أن يقال عن فكرة الابداع. فالابداع قد يكون لابتكار جديد يتمشى مع أحدث ما توصل اليه العصر، وقد يكون لأساليب بسيطة عظيمة الفائدة لا علاقة لها بالمخترعات أو الكشوف العصرية. واذا كان النوع الأول ـ أعني الابداع الذي يقف في الصف الأول من الابتكارات العصرية معروفاً للجميع، فان النوع الثاني من الابداع يحتاج الى مزيد من الايضاح.

التحدي الحقيقي

ففي الصين تم التوصل الى حلول بسيطة شديدة الفعالية لمشكلة الذباب الذي ينقل أخطر الأمراض والأوبئة، ولمشكلة العصافير التي تلتهم مخزون الحبوب، بحيث أمكن استئصالها الى غير رجعة. وفي فيتنام استطاع المحاربون الوطنيون مواجهة الغارات الجوية الوحشية التي كانت تشنها عليهم طائرات أمريكية جبارة، بابتكار مخابىء من البوص، بسيطة وزهيدة التكاليف، ولكنها فعالة الى أقصى حد. وفي حرب ١٩٧٣ استطاع مهندس مصري بارع أن يبتكر طريقة لهدم السد الترابي الذي أقامته اسرائيل، الذي كان من أقوى العقبات في وجه عبور قناة السويس، مستخدماً أبسط الوسائل وأكثر الأدوات تداولاً. وفي هذه الحالات كلها لم تستخدم تكنولوجيا معقدة أو مكلفة، ولم يظهر اختراع يعتمد على أحدث النظريات وأعقد المختبرات، وانما ظهرت أفكار جديدة مبدعة بسيطة غاية البساطة، فعالة الى أبعد الحدود.

خلاصة القول اذن اننا لو تأملنا وضعنا الحضاري الراهن على أنه سعي الى حل إشكالية الاتباع أو الابداع، لكان ذلك أجدى وأنفع وأدق بكثير من تأمل هذا الوضع في ضوء تلك الإشكالية العقيمة الغامضة، المليئة بالمتناقضات... إشكالية الأصالة والمعاصرة. فالتحدي الحقيقي الذي نواجهه ليس اختياراً بين الرجوع الى الأصل أو مسايرة العصر، وانما هو لا، الآخرون معاصرين أم قدماء ـ وابتداع حلول من صنعنا نحن، تعمل حساباً لتاريخنا وواقعنا، وتكفل لنا مكاناً في عالم لا يعترف الا بالمبدعين. □

حتى تصحو الصحوة

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

يشهد تاريخنا الأخير مظاهر تحول الأمة بقلبها الى ربها ، ولعل ذلك مرده الى أنها اتبعت السبل فتفرقت بها ، وانصرفت عن الزعامات والأنظمة التى أسلمت لها مقدراتها ، مغمضة العينين ، فلم تعد عليها الا بالهزيمة النكراء أمام العدو والدكتاتورية الغاشمة داخل الحدود . والناظر الى أى بلد في أنحاء الوطن الاسلامى عامة والعربى خاصة ، يرى شواهد هذا التحول ، الذى كان من شعاراته تغيير الزى والهيئة في قطاعات كبيرة من الرجال والنساء خاصة في سن الشباب ، واهتمام بالأمور الاسلامية يتراوح بين العمق والسطحية ، بمقدار ما أوتى صاحبه أو افتقده من العمق والوعى وسلامة النظر .

لما كان الاسلام موضع حذر شديد لدى أعدائه الظاهرين الخارجين ، ولدى الأنظمة الدخلية التى تقف منه موقف العداء ، أو موقف الحياد ، ولدى الذين يودون أن تكون مهمة الاسلام ان يخدمهم لا أن يخدموه ، ولما كانت تجارب الماضى أبانت أن القمع المباشر للاسلام ومحاولة تصفيته بالقوة قد فشل في اقتلاع جذوره ومنع انباته من جديد ، فقد صار واضحا لكل ذى عينين أن استراتيجية جديدة قد وضعت لمجابهة هذا الخطر الاسلامى ، تعتمد تكتيكا يقوم على المكيدة والدهاء ومكر الليل والنهار ، حتى يخرج قطار الاسلام عن خطه الاسلامى ، وحتى يكون بأس أبنائه فيما بينهم ، وليس متجها لأعدائهم ، وحتى تكون شواغلهم تفصيلات فرعية تستوعب طاقتهم ، وتملأ وقتهم ، وتفرق بينهم ، وتعطل بذلك مسيرتهم نحو الغايات الاسلامية الكبرى والمقاصد الرئيسية . وحتى لا يبقى الغبار المثار في هذه المعارك المصطنعة والفتن المقصودة حاجبا للرؤية وصارفا عن الهدف ، فقد رأينا أن نكتب هذه الكلمات لاخواننا وأبنائنا ، لعل فيهم من يقرأ ، ومن يسمع ، ومن يفكر ، فيسعى لرد الأمور لنصابها

الصحيح ، محتسبا عند الله ما قد ينالني من قدح أو تسفيه ، في زمن رأيت فيه من بين الشبيبة الغضة من ظن أن اللحية الطويلة ، والجلباب القصير ، واللهجة الفظة ، مؤهلات كافية للحكمة في الرأى ، والحكم على الناس ، والتغاضي عما يفرضه الاسلام من سماحة الطبع ومكارم الخلق ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وامثال الأدب .

أصل الأمر :

وأصل الأمر كما أراه . . ان كانت غايتنا أن نقيم البناء الاسلامى على أساس اسلامى ، يتمثل في الآية الكريمة (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

كرامة الانسان هي حجر الأساس في ذلك البناء العتيد . كرامته التى جعلته أهلا لأن تسجد له الملائكة . . . والتى جعلته وحده بين من تعرف من خلق الله أهلا للمسئولية والحساب . . وواضح أن المسئولية لا تقوم الا على الحرية ، لأنه لا حساب على من لا خيار له . والمسئولية في الاسلام فردية ، لا تزر فيها وازرة وزر أخرى . ولهذا فالقياس الصحيح عندى لفحص أى مجتمع أو دولة ، ومعرفة مدى اقترابه أو بعده من الركائز الاسلامية الأصلية ، هو أن أنظر الى ما يوليه هذا المجتمع من قدر لحرية الفرد فيه . . فان غابت هذه الحرية فلن تغرنى المظاهر ولا الشعارات ، بل حتى ولا التشريعات ، لأنها تبنى على غير الأساس الأصيل . وفي تراثنا أن خليفة المسلمين ورئيس الدولة عمر بن الخطاب كان يخطب ، فاذا سيدة من الحضور تمارس حقها في الاختلاف معه ، وفي تصويبه فلا يملك ، الا أن يقر بأنه أخطأ وأن السيدة أصابت . كان الحاكم والمحكوم كلاهما يحافظ على حرية الفرد وان كان معارضا له . وواضح أننا لو حاولنا أن نترجم هذه الحرية الى عصرنا الحاضر ، فلن نراها نظرية ولا خرافية ، ولكن معمولا بها للأسف الشديد عند غيرنا وخارج بلادنا . . في غياب هذه الحرية فليفعل الحاكم ما يشاء ، ويرفع ما يشاء من شعارات ، ويعلن ما يشاء من سياسات ، ولكن لا ينبغى أن يصرف ذلك أنظارنا ولا أفكارنا عن أصول الأشياء .

والحكم :

ونضيف بعد ذلك أن الحكم في الاسلام أساسه البيعة . . وبمقتضى هذه البيعة تختار الأمة من توليه أمر الحكم ، فالأمة هي صاحبة الحق في الاختيار . . وقد تختاره من بين بدائل متاحة ، وقد تتخذ من آلات الاختيار ووسائله ما تراه أوفى بالتعبير عن رأيها الغالب . . وقد تمت البيعة للخلافة الراشدة بأساليب متعددة ، حتى نعلم أن الباب مفتوح لاختيار الأسلوب الأمثل على ضوء الظروف المتجددة على مرور الزمن .

وما دامت الأمة تختار ، ومادام أساس الاختيار الحرية - والا فهو اجبار لا اختيار - فان أية محاولة لتعويق حرية الأمة في اختيارها هي اخلال بشرط لا يصح العقد الا به،فهو اذن باطل . سواء اتخذ هذا التعويق الغاء حق الأمة في الاختيار أساسا ، أو حملها على اختيار معين بالقوة الصريحة ، أو الارهاب أو التهديد ، أو خلق المناخ النفسى الذى يفضى الى سلوك معين ، أو تزييف الوثائق ، أو تغيير القوانين ، أو الضغط المباشر أو غير المباشر ، أو احتكار الاعلان والاعلام ، وغيرها من وسائل التأثير أو غسيل المخ ، ولن أستطيع أن أحصى القائمة ، فهى طويلة ومكيرة ، وحسبنا هذه الأمثلة .

والأمة تختار الحاكم ليكون أجيرا لديها يقوم على مصالحها ، فالأمة سيدة ، والحاكم خادم ، ومحاولة الحاكم أن يكون هو السيد والأمة هي الخادمة تصرّف غير اسلامى . فان سار فيهم سيرة فرعون (لا أريكم الا ما أرى) وان سكت لسانه ولكن قال لسان حاله: (أنا ربكم الأعلى) فهو لا يصلح للحكم بحسب مفاهيم الاسلام . . وللأمة أن تختار الوسيلة الكفيلة باسباغ رقابتها على الحاكم ، ووصله برأيها ووجهة نظرها ، وتبصيرها بما يفعل في شئونها ، لتؤازره ان أصاب ، وتقومه اذا اعوج ، وتغيره اذا فشل . فان من له الحق في اعطاء البيعة له الحق في سحبها ، ان ثبت أن في هذا صالح الاسلام وأمة الاسلام .

وليست هذه بدعة جديدة . . فان أبا بكر لما بويع قال للأمة (أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم) .

ان مسألة نقل السلطة من يد ليد مسألة بالغة الخطورة . . ولقد كان الدرس الأكبر الذى ينبغي أن تخرج به الأمة من محنة الفتنة الكبرى على عهد عثمان فعلي فمعاوية ، هو حاجتها الى استنباط طريقة شرعية وسلمية تنتقل السلطة بموجبها في سهولة ويسر من يد ليد . . ولكن أحسب أن الأمة لم تستفق الى استيعاب هذا الدرس ، فقد كانت قد وقعت بالفعل في قبضة الدكتاتورية ، وأحسبها لم تزل في هذه القبضة ، الا فيما ندر ، لغاية يومنا هذا . ومن دواعي الأسف أنه في الوقت الذى كان المسلمون فيه يبنون حضارتهم كانت أوروبا تعيش عصر الجهل والدكتاتورية جميعا ، ومع ذلك فقد سبقونا في استنباط الوسائل الناضجة الواعية في موضوع انتقال السلطة ، وكنا أولى بذلك ، لأن غاية ما وصلوا اليه هو بعض مما استقرت أصوله في ديننا منذ زمان بعيد .

الأخلاق :

ولقد ارتفع صوت الصحوة في كل مكان يطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية ، أو جعلها المصدر الرئيسي للتشريع . وهو مطلب حق . . فمن غير المعقول عندنا أن شريعة الله تحمل ظلما لأحد من مواطني الأمة الاسلامية المسلمين أو غير المسلمين . .

ومن غير المعقول عندنا أن شريعة الله تقصر عن الوفاء بحاجات المجتمع من القوانين في كل زمان . ولكن حتى لا نبني بيد ونهدم باليد الأخرى ، ينبغي أن نعي أن الشريعة بعض الاسلام لا كله . . وأن طريقة الاسلام الفذة في مكافحة الجريمة هي منعها قبل أن تقع بمصادرتها في زوايا النفس ومجال الضمير ، وقبل أن تصل الى مجال اختصاص الشريعة . ومن هنا نرى أن تكوين الوجدان الاسلامي والتخلق بالأخلاق الاسلامية والتأدب بأدب الاسلام فرض واجب كوجوب العمل بالشريعة على الأقل . أعرف شبابا يتصدرون في مقام العمل الاسلامي ، ولا يمنعهم ذلك من الرد الخشن أو الوقح على والديهم ، مع أن الله يقول : (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما) وناسا يتحدثون باسم الاسلام ويسهل على ألسنتهم أن تخوض في ذكر الناس بالباطل ، أو تجاهر بتكفير المسلمين . . وطلابا لم يمنعهم الحماس للاسلام من الغش في الامتحان ، أو التطاول على استاذ ، أو استنساخ الكتب وبيعها دون اذن المؤلف أو الناشر . . وموسرين . . . معاملاتهم المالية في غاية الخشونة أو القسوة أو الشح ، وعلى ألسنتهم ـ تنطـ ـ الأدعية والمأثورات ، وكيف أن صلواتهم كلها بحمد الله في المسجد ، وأطباء ان سمعوا أذان الظهر نفضوا أيديهم من العمل واتجهوا للمسجد ساعة أو تزيد ، فان أوقظوا خلال الليل لاسعاف مريض مخطر كان سلطان النوم عليهم أقوى من نداء الواجب . نذكر هذا ونحن لا نهاجم الدين ولا التدين ، ولا نقر الذين يتنصلون من عبادات الدين والتزاماته ، بدعوى أن من المحسوبين على الاسلام من فيهم هذا التناقض . . وانما نود أن يعلم الملتزمون بالاسلام أنهم بأخلاقهم وأعمالهم وسلوكهم واحد من اثنين : اما مبشر يحبه الناس فيحبون ما يدعو اليه ، واما منفر يثير حفيظة الغير لا عليه وحده بل للأسف على الاسلام ، خاصة من قبل غير المسلمين ، أو المسلمين الذين ليست لديهم فكرة واضحة عن الاسلام ، وانما يقرأونه في أعمال الاسلاميين . وحسبي ان أقول . . أن سيدة أمريكية اعتنقت الاسلام وحسن اسلامها ثم زارت بلدا اسلاميا ، فقالت أحمد الله على أنى أسلمت قبل أن أزور هذا البلد ، فلست أدرى ماذا كان يحدث لو كان مصدري الأول عن الاسلام ما شهدته هناك من خلق ومن تعامل . ونبينا عليه الصلاة والسلام يقول (الدين المعاملة) ويقول (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

والمحبة :

سألت واحدا من الاسلاميين الغلاة (أيسرك لو أشرقت شمس الغد ، فاذا الناس كلهم قد اهتدوا للاسلام فاعتنقوه واتبعوه ؟) ، قال : (بغير شك) قلت : (فهل تعتقد أن من تمنى للناس هذه الامنية أهو شخص يحبهم أو شخص يبغضهم ؟) قال (بل هو شخص يحبهم) قلت فأرجو الا تنسى ذلك ، بل أن تراعيه في تعاملك مع الناس ، حتى الذين على غير

هواك وعلى غير رضاك . فان تمني الهداية للغير ، ومحاولة سوقه اليها أمر من أمور الحب . . وبغير أن تتضح نفسك بهذا الحب فيشعر به كل من في مجال تعاملك فلن تقدر أن تكون مركز جذب لهم . ان من النفوس نفوسا كارهة ، ونفوسا محبة ، ترى ذلك في المهتدين والشاردين على السواء ، وتراه في جاهلية وفي اسلام . . وقد قال الله تعالى لمن هو خير منا جميعا: (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) ويمن عليه بقوله:(فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) . وما كان أفعم قلبه عليه السلام حين اشتدت وطأة الكفار ولددهم عليه ، فأتاه جبريل وقال له « ربك يقرئك السلام ويقول لو شئت أن أطبق عليهم الاخشبين (جبلين) لفعلت فيقول عليه السلام:(اليك عني يا جبريل ، اللهم أغفر لقومي فانهم لا يعلمون) . هذه المرحمة والمحبة والمبرة التي اتسعت حتى لاعدائه جديرة بان تكون الأسوة الحسنة عن رسولنا الكريم ، فانه عليه الصلاة والسلام لم ييأس ـ وبيد الله مفاتيح القلوب ـ أن يخرج الله منهم أو من أصلابهم من يعبد الله . ان في بـلادنـا أزمـة محبة ، والمؤمنـون اولى النـاس بتبديدها . . وفي بلادنا هموم وأثقال قابلة للزوال أو الاختصار لو تغشت المحبة والرفق قلوب النـاس ، وملايين من الناس بينهم وبين الهداية شيء من الرفق والبشاشة والصبر ، وطول الأناة من جانب الدعاة .

ان المحب أكثر شغفا بما يجمع النـاس لا بما يفرقهم ، وأكثر حرصا على الأرضية المشتركة منه على الفرعيات غير المشتركة ، وأحرص عمـلا بنصيحة الامام البنا رحمة الله عليه (نتفق معا ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا عليه) ، ولعلنا خلال ممارسة ما اتفقنا عليه تدخر قلوبنا من المحبة المتبادلة ما يعيننا على حل ما اختلفنا عليه ، أو على الاقل الى أدب الاختلاف ، فيكون لكل رأيه دون أن ينزل بهم فساد البين،فانه كما قال رسول الله: « هي الحالقة . لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين». ولقد كان حول الرسول عليه السلام رجال كأبي بكر وعمر وعلي ، يستشيرهم فتختلف آراؤهم ، دون أن تتشعب قلوبهم ، ويكون الاختلاف هنا اثراء للمشورة وتوسيعا لرقعة الاختيار ، ودرسا في أدب الاختلاف .

كم ألمت حين زرت أحد المراكز الاسلامية في أمريكا الشمالية ، ورأيت من المسلمين من عثروا في مهجرهم على هويتهم الاسلامية ، وارتفعوا بها عن قسمة القوميات والمذاهب ، فوقفوا يصلون صفا واحدا خلف امام واحد ، فاذا هم يبتلون بمنشورات مطبوعة في بعض بلاد الشرق الأوسط يوزعها مجهولون ، وفيها اثارة للخلافات المذهبية ، واذكاء لنيران أخمدها الله ، أو فاتت مناسبتها منذ زمان بعيد ، ولست أدري لصالح من تمتد يد لتفرق صف المسلمين وتشتت شملهم .

انني أعتقد أن كثيرا من هذه الأيادي المنفذة قد تكون مخلصة ، ولكن الرؤوس الخفية المدبرة غير مخلصة ، الا في حربها للاسلام ودسيستها عليه . ولعل الله يكشفهم ويبطل كيدهم وينير لأمة الاسلام سبيلها القويم ، ونهجها الواضح المبين . □

رحلة بالسيارة !

كتبت هيلن فان سلايك في كتابها (القلب ينبض) ، تقول : ما أشبه الزواج برحلة بالسيارة يريد فيها المرء أن يجد رفيقا قويا يجلس بجواره في المقعد الأمامي . . رفيقا يتعلق به ويتشبث بذراعه عندما تبدأ رحلة الهبوط الخطرة من فوق التل . . رفيقا يضحك بعد ذلك من قلبه عندما تبدأ السيارة في الصعود بسلام مرة أخرى . . إنه يريده دائما بجانبه في الهبوط والصعود وعندما تدور السيارة عند المنحنى ، دون أن يرى أحدهما ما يخبئه الطريق .

الرمز بالحيوان
في الأدب العربي القديم

بقلم : الدكتورة : وديعة طه نجم

قصة الرمز بالحيوان تحمل من الأثر ما لا يستطيعه النصح المباشر احيانا. هل قرأت قصة الأسد والثيران الثلاثة ؟ إن أسطرها قلائل ولكن حكمتها بالغة ! ففيها وفي غيرها مما تقرأه في هذا المقال يكمن السبب الذي جعل الكتاب ـ على مر العصور ـ يولعون بالتلميح دون التصريح وبالرمز دون القول المباشر . . .

يحتل الحيوان مساحة واسعة في الشعر العربي منذ عصوره الأولى ، ولاسيا تلك الحيوانات التي عاشت في البيئة الصحراوية ، وصحبت الشاعر في حله وترحاله .. فاتجه الشاعر العربي الى وصفها مفصلا ومدققا في كل جزئياتها ، فللناقة مكانة في الشعر العربي بلغت مقدارا هاما بحيث راح اللغويون يخصونها بكتب خاصة بها ، اجتمع في وصفها معجم واسع في العربية .. وللخيل منزلة لاتقل عن منزلة الجمال .. ثم تأتي حيوانات صحراوية أخرى بدرجات متفاوتة في الأهمية مثل بقر الوحش والغزلان والوعول وغيرها .. ويلاحظ بعض الباحثين أن العرب آنذاك كانوا يتحاشون ذكر بعض الحيوانات في الشعر ، مثل الأرنب والفهد واليربوع .. الخ ، وكان هناك تقليد متبع في الاعراض عن ذكر حيوانات بأعينها . . .

وربما اتخذ العرب هذه الحيوانات التي عرفوا

طباعها ووسائل معيشتها وسيلة لضرب المثل على أنواع من الخلق الانساني كالحيلة والجبن والتهور والحكمة والتدبير . . الخ . وقد يستعير القائل صورا من عالم الحيوان ومن صفاته ليضرب بها المثل على الخلق الانساني ، وهذا أيضا باب واسع ، لعل من أمثلته البارزة الوصف (بالنفاق) الذي تؤخذ صورته مما يفعله الضب أو اليربوع بمسكنه. «فالنافقاء» موضع يجعله اليربوع رقيقا من جحره ، فاذا هاجه شيء من فتحته الأخرى (القاصعاء) ضرب النافقاء برأسه فخرج ، وقيل انما سمي المنافق منافقا لأنه نافق كاليربوع ، وهو دخوله نافقاءه ، فهو يدخل من باب ويضلل عن حقيقة خروجه من باب آخر .

وهكذا كان عالم الحيوان عند العرب وسيلة ومصدرا من مصادر اثراء اللغة العربية بالصور الطريفة .

ورغم كل ذلك ، فان صورة الحيوان تبقى عند العربي أقرب الى الواقع والى حقيقة كونه حيوانا منها الى الصورة البشرية . اذ مهما وصف به الحيوان من صفات قد تكون مشتركة مع الصفات الانسانية ، فانه يبقى معزولا في عالمه الحيواني ، ولا يرقى به القائل أو الشاعر الى مستوى معادل للعالم الانساني . . . والعربي واقعي في نظرته الى ما حوله ، لايذهب مذهب التجريد البعيد المأخذ . .

صورة من صور الحيوان

تلك هي الصفة الغالبة على الشعر العربي قبل الاسلام ، حتى نأتي الى العصور الاسلامية التالية ، حينما يختلط العرب بشتى الأمم والأقوام ، وتتعقد المذاهب وتتجه ثقافة الأدباء والشعراء اتجاهات جديدة بفعل اتصالهم بفلسفات وديانات مختلفة ، وتختلف نظرتهم الى كل ما حولهم : الى الخلق والكون ، والموت والحياة والانسان والحيوان . . الخ ، وتشيع في المجتمع اعتقادات تفرض على أصحابها النظر الى الكون على أنه كل واحد ، وأن الحياة صور وأشكال ، وأن الحيوان صورة من صور الحياة التي لا يشكل الانسان الا وجها واحدا فقط من وجوهها المتعددة ، ولكنه لايمثلها كلها . . ومعنى ذلك أن الحيوان لا يقل عن الانسان تمثيلا لصور الحياة ووجوهها المختلفة ، وذلك أن اعتقاد بعض أصحاب الديانات القديمة بالتناسخ ـ مثلا ـ يجعل للحيوان منزلة خاصة في عالم الحياة . . . ويمكن حسب هذا الاعتقاد أن تحل فيها الروح نفسها التي تحل في صور مختلفة وشتى ، بما فيها الصورة الانسانية . .

وهكذا بدأنا نسمع في حكايات العصر العباسي خرافات تدور حول (مسخ) البشر الى حيوانات ، حتى صار يقال مثلا ، ان الاربيانة (أي واحدة الروبيان) كانت خياطة تسرق السلوك وانها مسخت وترك عليها بعض خيوطها لتكون علامة ودليلا على جنس سرقتها . وان الفأرة كانت طحانة . . . وأن الجِرّي (وهو نوع من السمك) والضِّباب كانتا أمتين مسختا . . الخ »وأما الحية فتتصل خرافتها بقصص الاسرائيليات والتوراة ، اذ قيل أنها كانت في صورة جمل ، وأنها عوقبت فأصبحت تزحف على بطنها وذلك لأنها حملت ابليس في جوفها ، حتى وسوس لآدم من فمها فأخرجه من الجنة . .

ومن التوراة أيضا ، ومن بعض قصص الاسرائيليات انتقلت تفاصيل اعتقادات حول بعض الحيوانات مثل حديث الحمامة المطوقة ، التي أرسلها نوح من سفينته لتبحث له عن اليابسة ، بعد أن ظل يطلب البر زمانا وهو في الطوفان . فعادت الحمامة اليه تحمل في فمها غصن زيتون ، وهكذا دلته الى الأمن والطمأنينة ، وقادته الى بر الأمان بعد الطوفان . . وهكذا أصبحت الحمامة وغصن الزيتون في فمها رمزا للسلام والطمأنينة .

وفي العصر العباسي أيضا نقلت الى العربية قصص تتناول الحيوان بطريقة مختلفة عما ألفه العرب في قصصهم وحكاياتهم ، وتتميز في عالم مستقل قائم بذاته ، ولكنه يوازي العالم الانساني ، تتصرف كائناته تصرف البشر تحب وتكره ، وتحتال وتمكر ، وتتصرف بالعقل والحكمة ، كما تتصرف بالحمق والتهور . . الخ . وكأن واضع هذه القصص أراد أن يجعل من هذه الكائنات رموزا للصفات البشرية والخلق الانساني ، وقصد الى التعبير عن أفكار لم يشأ أن يصرح بها بصورة مباشرة ، فجعل هذه الحيوانات تنطق عن هذه الأفكار . وأشهر هذه الآثار المنقولة

كتاب كليلة ودمنة الهندي الأصل الذي أصبح لحكاياته شعبية كبيرة بين القراء، وبين الكتاب على حد سواء . .

الحيوانات وسيلة للتعبير

هكذا بدأت قصص الحيوانات تدور في مؤلفات العصر الأدبية والفلسفية، وكان من أبرز مظاهر اتخاذ الحيوانات وسيلة للتعبير عن هدف بعيد المرمى فيه تجريد للأفكار الانسانية، ظهور قصص الحيوان الهادفة الى ضرب المثل والتعبير عن الفكر، واتخاذها عبرة على أحوال البشر .

وعامة هذه الحكايات ترجع الى العصر العباسي وتدون في مؤلفات هذا العصر، سواء منها المؤلفات الأدبية العامة، أو كتب الأمثال المتخصصة في ذلك . ومن أمثلة هذه الحكايات التي ترمي الى غاية بعيدة، الحكاية التالية :

قيل ان ثلاثة ثيران اجتمعن في أجمة : أبيض وأسود وأحمر . وكان معها فيها أسد، فكان الأسد لايقدر على شيء منها لاجتماعها عليه . فقال الأسد للثور الأسود والثور الأحمر :

لايدل علينا في أجمتنا الا الثور الأبيض فان لونه مشهور ولوني على لونكما . فلو تركتماني آكله صفت لنا الأجمة .

فقالا : دونك فكله .

فأكله . ثم قال للأحمر : لوني على لونك، فدعني آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة .

فقال : دونك فكله

فأكله . ثم قال للأحمر : اني آكلك لا محالة .

فقال : دعني أنادي ثلاثا .

فقال : افعل .

فنادى : الا اني أكلت يوم أكل الثور الأبيض . . . » *

وهكذا أصبح هذا القول (الا اني أكلت يوم أكل الثور الأبيض) مضرب المثل، ذلك أن مصير الثيران الثلاثة قد تقرر منذ أن وافق الاثنان الأخيران على أن يأكل الأسد رفيقهما الثور الأبيض فجر عليهما سوء تقديرهما النهاية المحتمة .

صورة كركدن من الصور التي يحفل بها كتاب كليلة ودمنة .

والأمثلة كثيرة على هذا النمط الذي جعل فيه الحيوان وسيلة للتعبير عن المجتمع الانساني . ولقد أصبح لشهرة بعض الحيوانات بصفات بارزة شبيهة بالخلق الانساني أثر في استغلالها للرمز عن المجتمع الانساني . .

التعبير بلسان الحيوان

وفي العصر العباسي يظهر الاتجاه نحو اتخاذ الحيوان وسيلة للتعبير عن آراء لم يشأ أصحابها أن يبوحوا بها بصراحة . وكأن العرب اكتشفوا افقا جديدا من آفاق التعبير عن الرأي، ولاسيما بين أصحاب المذاهب الذين تكتموا على آرائهم، أمثال جماعة اخوان الصفا الذين لم يفصحوا عن حقيقة شخصياتهم، ولكنهم بثوا رسائلهم في الناس، معبرين عن آرائهم في كل شيء بطريقة غير مباشرة . .

---

* انظر كتاب « قصص الحيوان في الأدب العربي القديم » للدكتور داود سلوم .

وقد وجد في هذا الشكل من أشكال التعبير رواجا بين أدباء العصور التالية ، ولاسيما أولئك الذين تعرضوا بالنقد والسخرية لعصرهم وأحواله الأدبية والسياسية وغيرها . . فلجأوا الى استخدام الاسلوب الرمزي بطريقة بارعة لأداء النقد ممزوجا بسخرية معبرة وجذابة في آن واحد ، كما فعل أبو العلاء المعري في مواضع من رسالة الغفران ، أو ابن شهيد الاندلسي في رسالة التوابع والزوابع

هؤلاء الكتاب وغيرهم يظهرون الحيوانات في كتاباتهم ناطقة متحاورة تتحكم في تصرفها بأنفسها ، بل وتحاور البشر على قدم المساواة ، والطريف أن أخوان الصفا لم يكتفوا باستنطاق هذه الحيوانات ، بل جعلوها تتمرد على الانسان وتدعو الى الخروج على طاعته وتحتكم الى حكيم وتعقد جلسة علنية في حضرة ملك الجن ، يقوم فيها خطباؤها وحكماؤها ، كل يقول رأيه في بني الانسان الذين ظلموا هذه الحيوانات وسخروها في مآربهم ، وكلفوها فوق طاقتها بعدما كانت طليقة في البراري . ويقوم النقاش بينها وبين (سبعين رجلا) من الانس جاءوا ليمثلوا اخوانهم من البشر في هذه المحاكمة العلنية . وحين ينتهي (الخطباء والزعماء) ـ من الحيوان ـ من نقاشهم وكلامهم يلتفت الملك الى صحبة من الجن يسألهم رأيهم ، فيقوم هؤلاء بحماسة مؤيدين الحيوانات على الانسان ، ويمضي الملك في الاستشارات والتداول ، ويدعو كافة البهائم ثانية للاجتماع . . وهكذا تمضي الرسالة في ذكر جميع أنواع الحيوانات وكلها تتفق على الشكوى من ظلم الانسان وجوره .

وأخيرا يختتم الاخوان رسالتهم مبينين غرضهم منها بقولهم : « ثم اعلم أيها الأخ ، أنا قد بينا في هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب ، ولا تظن بنا ظن السوء . ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ومخارقة الأخوان ، اذ عادتنا جارية على أن نكسو الحقائق الفاظا وعبارات واشارات ، كي لايخرج بنا عما نحن فيه . وفقكم الله لقراءتها واستماعها وفهم معانيها . . »*

أما أبو العلاء المعري في رسالة الغفران التي تخيلها في العالم الآخر ، فقد أظهر الحيوان في صور وأشكال شتى ، فكما أن البشر يغفر لهم بصالح أعمالهم ، كذلك الحيوان يمكن أن تشمله المغفرة . والحيوان عند شيخ المعرة عاقل ناطق يحاور البشر كذلك ، ومن ميزات هذا الحيوان قدرته على التحول من صورته الحيوانية الى صورة انسية . . ويبدو خيال المعري هنا وكأنه اصداء عن حكايات ألف ليلة وليلة ، فجماعة الأوز التي يلتقي بها ابن القارح وصحبه . ما تلبث أن تتحول الى مجموعة من الحور الحسان اللواتي يتغنين بالشعر ، ويضربن على الآلات ويطربن السامعين . حتى اذا أراد بعض صحبه من الشعراء اصطحاب القيان الى منزله ليسمع منهن ضروب الالحان ، اذا بأحدهم يحذرهم بأن الامر اذا انتشر في أرجاء المكان ، فان هؤلاء قد يطلق عليهم لقب « ازواج الاوز » . . فيمتنع هؤلاء عن نيتهم .

وتتجلى سخرية المعري المبطنة ، وكأنه يعرض بأولئك الذين تقودهم نزواتهم . . .

التوابع والزوابع

ولعل أطرف ما كتب في الأدب العربي مما يدخل في هذا الاطار ، تلك الرسالة المشهورة التي كتبها أديب اندلسي عاش ما بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري ، هو ابن شهيد الاندلسي الشاعر الاديب الذي كتب رسالة سماها رسالة التوابع والزوابع .

(والتوابع هم جن الشعراء ، والزوابع هم الشياطين والمردة كذلك . .)

ويرمي ابن شهيد في هذه الرسالة الى التعبير عن آرائه النقدية في الأدب شعرا ونثرا ، وان ينتقد أحوال عصره وشخصياته . ولكنه لم يفعل ذلك بالنقد المباشر الصريح ، بل اختار لآرائه اطارا فريدا ، وذلك حين جعل الآراء تدور في صورة حوار يقوم بينه وبين توابع

---

* الرسالة الثامنة من الجسمانيات الطبيعيات من رسائل اخوان الصفاء

هؤلاء الأدباء والشعراء والشخصيات التي قصدها بالنقد .

ويتخيل ابن شهيد جنيا (هو زهير بن نمير) يظهر له ليقوده الى عالم الجن . وهناك يلتقي بكل هؤلاء الشياطين والجن من تابعي الشعراء ، يسألهم ويجيبونه ، ويتحاور معهم معبرا عن آرائه بلسانهم .

وحين ينتهي ابن شهيد مع دليله الجني من وديان الجن وتابعي الشعراء ينتقل الى واد آخر حيث يلتقي بحيوان الجن :

وأول ما يلتقي بجماعة من الحمير ، وقد قام فيهم هرج ومرج ، وقد علا صراخهم ونهيقهم . وما ان يقترب ابن شهيد ودليله (زهير) منهم حتى تقبل الجماعة عليه تحييه ، وتطلب اليه أن يكون حكما في شعر حمار وبغل من عشاق الحمير اختلف الرأي في شعرهما :

كلما هبت الريح على الأغصان تحركت ، فضربت الطبل ، فصدر عنه صوت عظيم أثار فضول الثعلب

يقول ابن شهيد :

« فتقدمت الى بغلة شهباء عليها جلّها وبرقعها ، لم تدخل فيما دخلت فيه الجماعة من سوء العجلة وسخف الحركة فقالت :

أحد الشعرين لبغل من بغالنا ، وهو :

على كل صب من هواهُ دليل
سقامٌ على حر الجوى ونحول
وما زال هذا الحب داء مبرحا
اذا ما اعترى بغلا فليس يزول

. . . الخ

والشعر الآخر لدكين الحمار :

دهيت بهذا الحب منذ هويت
وراثت اراداتي فلست أريث

(راثت : أبطأت) .

فضحك زهير ، وتماسكتُ - وقلت للمنشدة : ما (هويث)؟ : قالت هو (هويت) بلغة الحمير . .)

وحينما ينتهي الانشاد والحكم تلتفت البغلة الى ابن شهيد قائلة :

أما تعرفني أبا عامر ؟!

فيجيبها قائلا :

لو كان ثم علامة ؟

« فأماطت لثامها ، فاذا هي بغلة أبي عيسى ، والخال على خدها فتباكينا طويلا وأخذنا في ذكر ايامنا . . .

ثم راحت البغلة تسأل ابن شهيد عن حاله وحال اخوانه وأهل زمانه قائلة :

فما فعل الأحبة بعدي ، أهم على العهد ؟ فيجيبها ابن شهيد :

شب الغلمان وشاخ الفتيان وتنكرت الخلان ، ومن اخوانك من بلغ الامارة ، وانتهى الى الوزارة ، فتنفست الصعداء وقالت :

سقاهم الله سَبَل العهد « مطر الربيع » ، وان حالوا عن العهد ونسوا أيام الود ، بحرمة الأدب الا ما أقرأتهم مني السلام .

قلت : كما تأمرين وأكثر . . » .

ولا يفوت القارىء اسلوب ابن شهيد الساخر الزاخر بالتعريض بأهل عصره . □

الخليج العربي

في الموشحات الأندلسية

بقلم : عبد الرزاق البصير

المعروف عن ابن زهر أنه اشتهر بالطب في مدينة أشبيلية بالأندلس في قصر عبد المؤمن حاكم المدينة .. الا أنه كان له في الأدب واللغة والثقافة الدينية باع طويل أيضا . وقد ورد في موشحة له اسم الخليج و « مسك دارين » . فأي خليج كان يعني ؟ ومن هي « دارين » التي ورد ذكرها في بعض قصائد الشعراء ؟

أسعد الناس في الدنيا من تكون حياته فيها محاطة بالتوفيق . فأنا ممن يعتقد أن بعض الناس قد تكون ظروفه مواتية له ، وأن بعض الناس قد تكون ظروفه معاكسة له ، ولا أعني بأني أدعو الى الكسل والخمول اعتمادا على مواتاة الظروف أو معاكستها ، كلا فإن السعي والاجتهاد من الأمور الواجبة ، سواء كانت ظروف الانسان معاكسة أو مواتية فإن الكسل بضعف قدرة أصحابه ، اذ لا يمكن أن يظفر بالمكانة المرموقة من شهادة عالية أو تجارة رابحة من يجلس في بيته ولا يستغل مواهبه ، لكن الواقع المشاهد يخبرنا بأن بعض الناس يرزق من الأمور ما يمكنه من الوصول الى المكانة المرموقة ، اذا استغل تلك الموهبة . كحسن الصوت للمغني ، وحدة الذكاء للدارس وما الى ذلك من الامور التي تحدث عنها المفكرون ، وصاغها بعض الشعراء في آثارهم مما لا يتسع له هذا المجال ..

يقول أبو الطيب المتنبي

ويختلف الرزقان والفعل واحد
الى أن يرى احسان هذا لذا ذنبا

ويقول الامام الشافعي :

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني
بنجوم أفلاك السماء تعلقي

الى قوله :

فاذا سمعت بأن محروما أتى
ماء ليشربه فغاض فصدّق
أو أن محظوظا غدا في كفه
عود فأورق في يديه فحقق

ابن زهر

هذا تمهيد رأيت أن لا بأس في تقديمه ليكون بابا ندخل فيه الى حياة متفوق حالفه التوفيق في رحلة

حياته ، ذلك هو محمد بن عبد الملك المعروف بأبي بكر بن زهر فقد نشأ في بيت علم ، اذ كان والده وجده طبيبين ، ويبدو أن والده وجد فيه مخايل الذكاء فأخذ يشوقه الى دراسة الطب ، واذا بصاحبنا يبرع فيه حتى أصبح فيه أشد مهارة من والده ، وكان الوالد والابن طبيبين في قصر عبد المؤمن حاكم أشبيلية . ومجمل دليل تفوقه أن حاكم أشبيلية احتاج الى علاج ، فوصف له الطبيب الوالد دواء ، غير أن طبيبنا أبابكر رأى أنه دواء غير صالح مما جعل عبد المؤمن في حيرة من أمره فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، ان الصواب في قوله ، فلما تناوله عبد المؤمن انتفع به وشفي من علته .

أضف الى ذلك أن طبيبنا كان يتمتع باعتدال القامة وصحة البنية ، وقوة الأعضاء ، وقد بلغ من قوته أنه كان يجذب القوس الثقيل الذي لا يقدر على حمله أحد ، ولعلنا لسنا في حاجة الى القول بأن أفضل نعمة يهبها الله لعبده هي أن يكون على مثل ما وصف به طبيبنا الاندلسي من قوة جسدية ، اذ أن صاحب هذه الصفة تكون متعته في هذه الحياة أفضل من غيره ، فقد قيل ان الصحة تاج على رؤوس الأصحاء .

المثقف

على أن طبيبنا أبا بكر لم يقصر تثقيفه على الناحية الطبية وانما ثقف نفسه ثقافة دينية وأدبية ، فقد حفظ القرآن وسمع الحديث ، وأقبل على الأدب واللغة العربية ، فبرع في ذلك كله ، وعاني الشعر فبلغ الاجادة فيه ، وكان يحفظ شعر ذي الرمة ، ومن يحفظ شعر هذا الشاعر يتكون لديه رصيد ضخم من اللغة والادب ، فقد أجمع فحول النقاد وفحول الشعراء على القول بأن ذا الرمة من فحول الشعراء ، حتى قال بعضهم ان الشعر بدىء بامرىء القيس وختم بذي الرمة ، وأن شعره يحتوي على ثلث لغة العرب ، فليس من المعقول أن يقتصر طبيبنا الأديب على أن يكتفي بسقي شجرة أدبه بشعر هذا الشاعر ، وانما رواها من أشعار أكابر الشعراء حتى أصبح أديبا يشار اليه بالبنان كما سنوضح ذلك فيما بعد .

أما ثقافته الدينية فانها لا تقل عن ثقافته الأدبية ، فقد كان ملازما للامور الشرعية ، متين الدين ، قوي النفس ، محبا للخير ، وقد بلغ من تعلقه بالفقه أنه قرأ المدونة لمذهب مالك ، التي جمعها سحنون ، وقرأ مسند بن أبي شيبة على عبد الملك الباجي ، وهو من أكابر الفقهاء ، والمدونة والمسند هما الموسوعتان الفقهيتان المعروفتان في الاندلس والمغرب . والقراءة هنا تعني حفظ هاتين الموسوعتين أو التعمق فيهما على الاقل ، وهذا دليل ساطع على ما يتصف به أديبنا من ثقافة متكاملة ، فقها وطبا وأدبا ، وهي صفات لا يكاد يظفر بها الا قليل من الناس .

ومما يزيد في منزلة هذه الشخصية العربية في النفوس ، رفعة نفسه ، فقد كان لا يقابل الاساءة بالاساءة ، وانما يقابلها بالاحسان ، وقد تمثل ذلك في أن بعض جلسائه قال له :

اذا أردت أن توقع خصمك الذي آذاك فإني أدلك على ذلك ، فغضب منه غضبا شديدا وقال : اني لست كما تظن ، وليس ذلك من عادتي ، وكان يجتهد في التعرف على أحوال جلسائه وأصدقائه ، فاذا ما تأكد له أن أحدهم في ضيق فرج عنه وقضى حاجته .

ولقد كان من حسن توفيقه أنه أنفق معظم حياته في أشبيلية وهي مدينة أفاء الله عليها من جمال الطبيعة ما لايكاد يوجد الا في قليل من المدن ، شبهها أكثر واصفيها بالقاهرة ، اذ كان نهرها شبيها بنهر النيل ، ولقد تغنى الشعراء به لما فيه من بهاء ورونق ، يقول ابن سفر :

شق النسيم عليه جيب قميصه
فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها
هزءا فضم من الحياء ازاره

ولقد انتشرت فيها أشجار التين والزيتون ، والزهور والرياحين ، تكاد أشجارها وورودها ورياحينها تصد الشمس عنها لالتفافها ، وتأذن للنسيم بأن يرقص أغصانها ، أما قصورها الشاهقة وبيوتها الأنيقة فحدث عنها ولاحرج ، يعيش أهلها في غنى وترف لايسمعون الا تغريد الطيور وحفيف الأغصان وشدو الغواني بالالحان الرائعة ، واذا ما تذكرنا أن أديبنا يحيا

في قصور الخليفة عبد المؤمن ، عرفنا أي حياة تظل ذلك الأديب ، لهذا كله لا نعجب اذا وجدنا نفسه يملؤها حس مرهف يتمثل فيا بقي لنا من شعره ، على شاكلة قوله :

يـا من يـذكـرني بعـهـد أحبتي
طـاب الحديث بـذكـرهم ويـطيب
أعـد الحديث عـلى من جنبـاتـه
ان الحـديـث عن الحـبيب حبيـب
مـلأ الضلوع وفـاض عن أجنـائهـا
قـلب اذا ذكـر الحبـيـب يـذوب
مـا زال يضـرب خـافقـا بجنـاحـه
يـاليت شعـري هـل تـطير قلوب

ومما يدل على موهبته الفنية ما أجمع عليه مؤرخوه من أنه انفرد بنظم الموشحات ، وهي لون من الشعر لو أردنا أن نوفيه حقه لخرجنا عن القصد ، وأشهر موشح اشتهر به هو هذا الموشح :

مـا للمولـه . . . من سكره لا يفيق . . . يـاله من سكران
من غـير خمر . . . مـا للكئيب المشوق . . . يـندب الاوطان
هل تستعاد . . . أيامنا بالخليج . . . ولياليناا
اذ يستفاد . . . من النسيم الاريج . . . مسك دارينا
واذ يكاد . . . حسن المكان البهيج . . . أن يحيينا
نهر أظله . . . دوح عليه أنيق . . . مؤنق فينان
والماء يجري . . . وعائم وغريق . . . من جنى الريحان

ولا أستبعد أن يتساءل القارىء المتأمل لهذا الموشح عن أي خليج يعنيه شاعرنا الطبيب في هذا الموشح ، ويأتي الجواب من خلال أبياته أنه يعني منطقة الخليج العربي ، بدليل انه ذكر « مسك دارين » وهي بلدة معروفة في المنطقة الشرقية من بعض أعمال القطيف الواقعة على الخليج العربي . وليس ابن زهر أول شاعر تغنى بمسك دارين ، فقد نوه بها عبد الرحمن بن عبدالله الملقب بأعشى همدان حيث يقول :

يمـرون بـالـدهنا خفـافـا عيـابـهم
ويـرجعن من دارين بجـر الحقـائب

فالشاعر الأموي يبين لنا أن دارين كانت محجة للناس يذهبون اليهـا بحقـائب خـالية ، ويـرجعـون منهـا بحقـائب ممتلئة بشتى أصنـاف البضـائـع الكـريمـة ، كـالمسك الاذفر وغيره من أنواع الطيوب والحلي والجواهر النفيسـة التي ترد اليها من أقاصي البلاد .

وليست مدينة دارين وحدها هي المدينة الوحيدة ، وانما يوجد لها أخوات بطبيعة الحال ، فليس من التكلف في شي اذا قلنا ان لهذه المنطقة شهرة ملأت المشرق ثم وصلت الى المغرب ، بل اني لا أظن بأن في هذه المنطقة رياضا غناء تنساب فيها موسيقا تتألف من خرير المياه وتغريد الاطيار ، وتعبق فيها روائح الورود بحيث تكون متنزها يجد فيه الانسان راحة لنفسه ، أو ربما توجد في هذه المنطقة أيام زاهرة ضاعت أخبارها عنـا ، ذلك أمـر ليس بمستبعد ، وينبغي أن يـدفع الباحثين الى تقصي أخبار هذه المنطقة بكل الوسائل على قدر الامكان . □

العربي
عيونك على العالم

ليبيا تكتشف نهرا في الصحراء

استطلاع : ريم الكيلاني

تصوير : صلاح آدم

ـ ليبيا تشيد السدود في وجه الامطار الغزيرة ، سد وادي غان أحد أضخم السدود الموجودة في الجماهيرية .

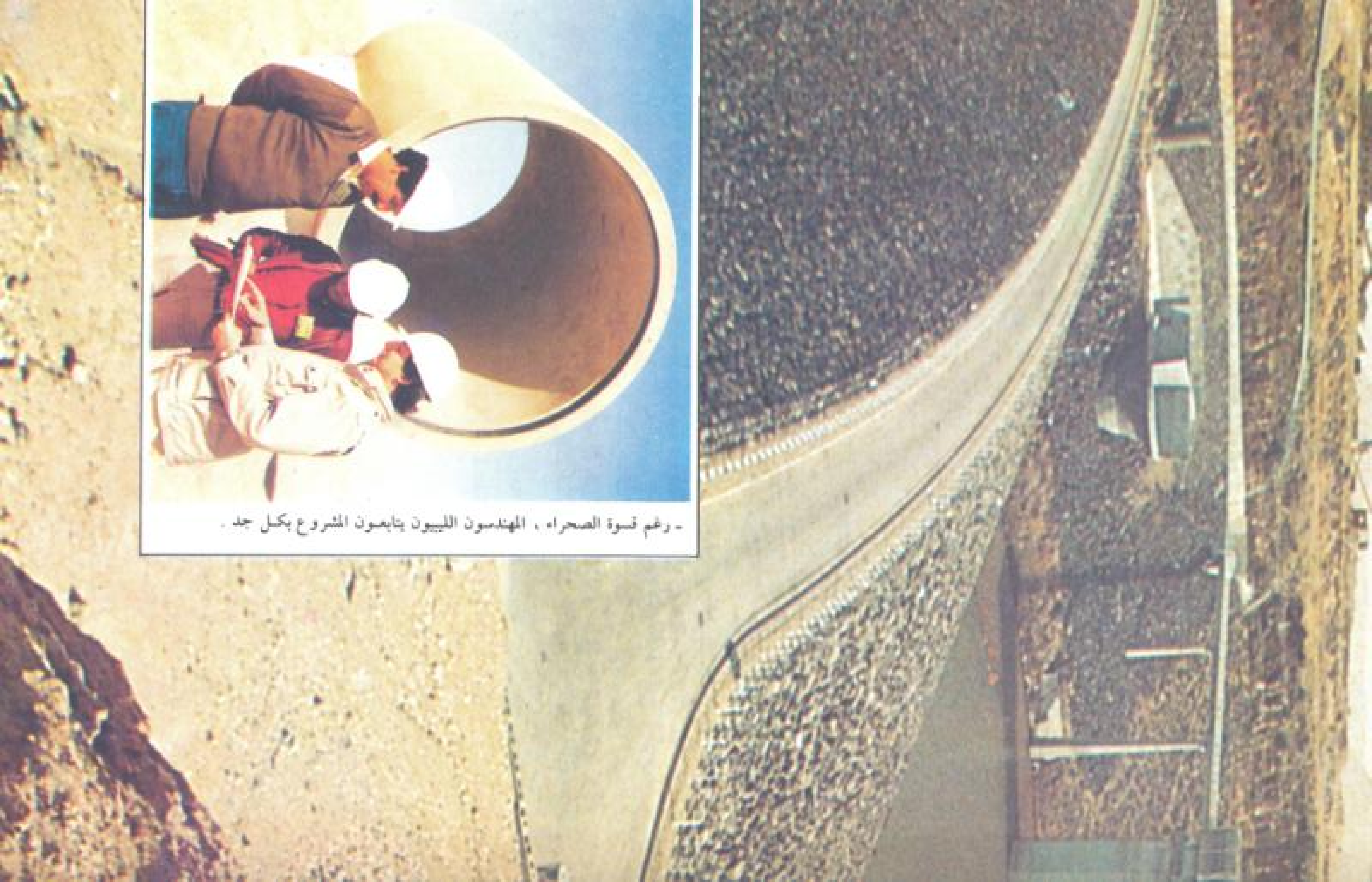

ـ رغم قسوة الصحراء ، المهندسون الليبيون يتابعون المشروع بكل جد .

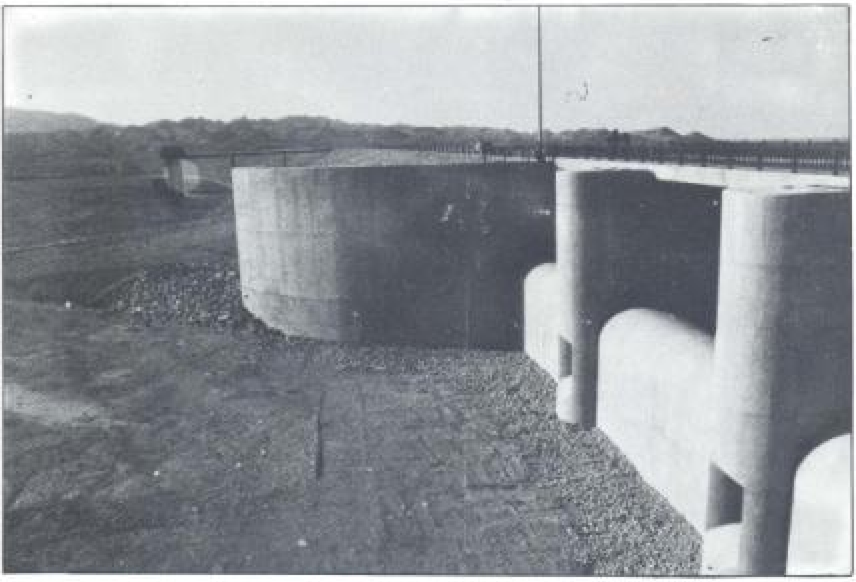

- انشأت السدود لحجب مياه الامطار لمنع انجراف التربة والمحافظة على خصوبتها .

****

اذا كان البترول - اكتشاف القرن العشرين - قد أثر على الحياة ، وأعطاها أبعادها وأشكالها الجديدة في كل العالم ، فان اكتشافات أخرى مازال بطن الأرض يفاجئنا بها في كل آن وحين . .

والنهر العظيم الذى تفجرت ينابيعه ، وبانت خطوطه في القطر الليبي ، هو اكتشاف آخر في هذا القرن يوازى في أهميته البترول . . .

فما هي قصة هذا النهر . . ؟ وما هي أهميته لمستقبل الحياة في الجماهيرية الليبية ؟ .

النهر . . . بين الحلم والحقيقة !

من أعماق الصحراء الليبية . . ومن قلب هذه الأرض المعطاء . . سيتدفق مياه النهر الصناعي عبر الجماهيرية لتروى الكثير من المزارع والبساتين . . والكثير الكثير من الأراضي . فلقد كان هذا المشروع حلماً من الاحلام . . فأصبح اليوم حقيقة واقعة لا تقبل نقاشا أو جدلا ، فعلى بعد عدة كيلومترات من بنغازى ، وفي المقر الرئيسي للجنة الشعبية لادارة مشروع النهر الصناعي ، التقينا بالسيد محمد المنقوشي الأمين العام لتنفيذ هذا المشروع الضخم . قال السيد المنقوشي وهو يحدثنا :

« ان قضية وجود كميات كبيرة من المياه العذبة في الصحراء حقيقة معروفة منذ أكثر من عشرين عاما ، حيث تم اكتشاف كميات المياه تلك ، أثناء عمليات التنقيب عن النفط في الصحراء الليبية .

ولكى نحافظ على هذه المياه ، فلا نهدر نعمة أنعم الله بها علينا ، فجعلها عرقا حيا ينبض في أرضنا ،

قمنا باجراء عدد كبير من التجارب للتأكد من كمية ونوعية هذه المياه . وقد تم بالفعل العثور على كميات هائلة من المياه العذبة المتواجدة تحت الرمال ، والتي تساوي مقدار ما تصبه مياه نهر النيل في مائتي عام .

وكانت الخطوة التالية في البحوث هي التفكير في كيفية استغلال هذه المياه ، في نفس أماكن تواجدها ، لما فيه خير ومصلحة الجماهيرية ، ولما كانت هذه المناطق ذات أراض رملية غير قابلة للزراعة ، وعملية استزراعها أمر مكلف للغاية ، فقد كان لابد من توصيل المياه للأراضي ذات التربة الزراعية ، وهكذا وضعت خطة لتوصيل المياه الى المزارع الساحلية ، والأراضي الجافة . . فتنقل المياه من السرير وتازربو الى المنطقة الواقعة بين منطقتي بنغازي شرقا وسرت غربا ، حيث سيتم نقل مليوني ملم^{٣} في اليوم ، قد تصل الى ثلاثة ملايين ملم^{٣} بواسطة الأنابيب الخرسانية .

وفي المرحلة الثانية للمشروع تنقل المياه من جنوب طرابلس الى المنطقة الساحلية في غرب الجماهيرية .

وهذا الخط سيكون قابلا لنقل ما يتراوح بين مليون الى مليون ملم^{٣} يوميا ، ويتضمن المشروع كذلك خط أنابيب ثالث لنقل المياه من أجدابيا الى طبرق ، وأخيرا سيتم ربط مدينة سرت بمدينة طرابلس ، ليغطي المشروع احتياجات كافة المناطق من المياه داخل الجماهيرية في مرحلته الأخيرة .

ان تحقيق مثل هذا المشروع يهدف الى توجيه المياه لاستغلال واستزراع الأراضي بغرض الاكتفاء الذاتي من المنتجات الزراعية والحيوانية .

ومن أجل ذلك ، ومن أجل انجاح الثروة الزراعية في ليبيا ، وتحقيق أقصى قدر من الانتاج الغذائي ، كان لابد من تحدي كافة الصعوبات ، وتذليل كل المعوقات التي تقف في سبيل تحقيق الرخاء والتقدم .

وقد قامت عدة هيئات استكشافية عالمية بعمليات المسح الجيولوجي للمنطقة ، وحفر آبار استكشافية وأخرى انتاجية بهدف الوقوف على الامكانيات المتوفرة من المياه ، مما قد يسهم في عمليات التنفيذ ، وتبلغ مساحة كل من أحواض الكفرة والسرير وتازربو ٢٥٠ ألف كم^{٢} ، بينما تبلغ مساحة حوض مرزق وجبل الحساونة ووادي الشاطىء ٧٢٠ ألف كم^{٢} .

ولتحقيق الغرض من هذه المياه ، سيتم نقلها بواسطة أنابيب خرسانية ضخمة تعتمد في نقل المياه على الجاذبية تبعا لشكلها الانسيابي ، وهذا من شأنه تقليل استهلاك الطاقة » .

ويضيف السيد المنقوشي في حديثه :

« ونظرا لضخامة هذه الأنابيب ، وما قد يسببه استيرادها جاهزة من الخارج من صعوبات وتكاليف باهظة ، فقد تقرر تصنيع هذه الأنابيب داخل الجماهيرية بواسطة مصنعين كبيرين أنشئا لهذه الغاية .

وقد صممت هذه الأنابيب لمقاومة مخاطر وعوارض القدم وعوامل الضغط والتآكل وتقلبات المناخ ، وذلك لضمان نقل المياه بطريقة سليمة ومنتظمة » .

وينتهي السيد المنقوشي من حديثه حول المشروع ومراحله ، ويدعونا لزيارة معسكر العمل والاطلاع على المشروع وكيفية سير الأمور ، ولمتابعة مراحل التنفيذ عن كثب .

في معسكر العمل

وتنقلنا طائرة المشروع الخاصة الى مدينة الكفرة ، على بعد ألف كم من مدينة بنغازي . وحين هبطنا في

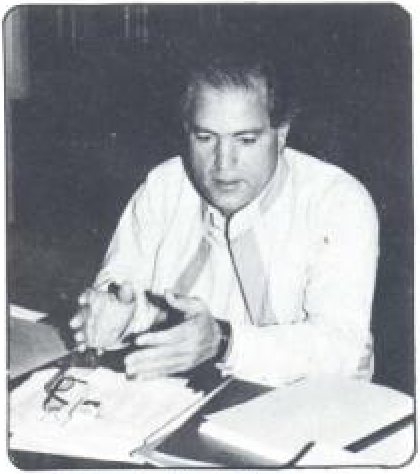

ـ السيد محمد المنقوش الأمين العام لتنفيذ مشروع النهر الصناعي .

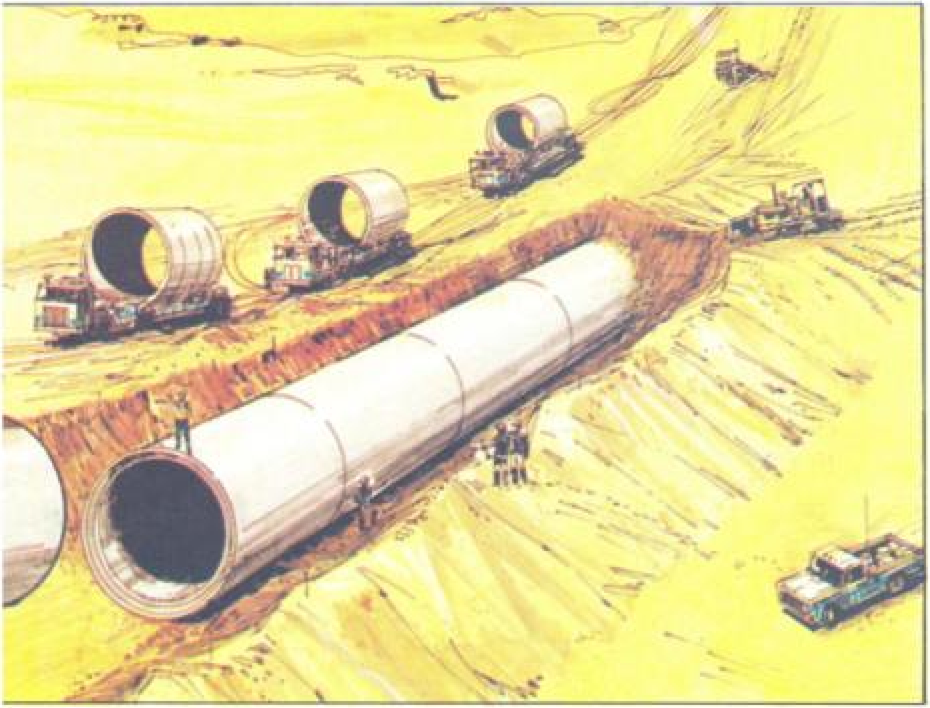

- الخندق ستنزل به أنابيب النهر الصناعي ويبلغ عمقه ٧ أمتار .

- الآلات والرافعات الموجودة في أرض المشروع استعدادا لمد الانابيب .

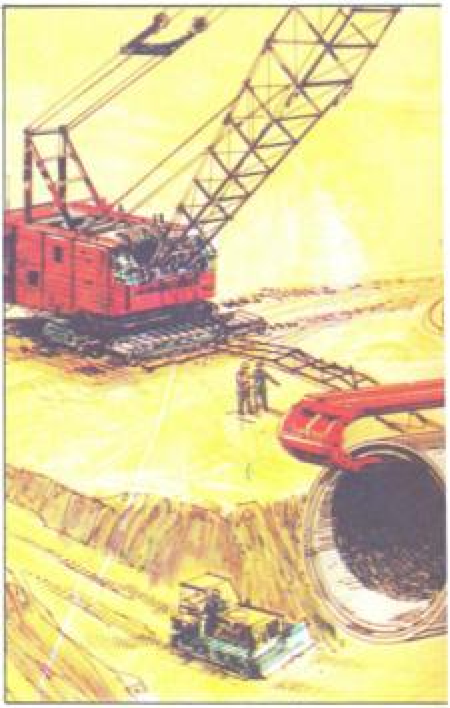

▲ ـ الأرض الخصبة .. تستعد لزراعة التفاح .

ـ نافورة النهر الصناعي تعلو على
أرض المشروع بارتفاع أربعين مترا .

ـ كل الجهود والتكاليف موجهة
لخدمة هذا المشروع الضخم

الكفرة شدت انتباهنا كمية المعدات والآلات الحديثة التي استوردت خصيصا لتنفيذ العمل ، وعدد كبير من المهندسين والعاملين المتواجدين في الموقع .

وقد تابعنا بأنفسنا سير العمل وطريقة تصنيع الأنابيب الخرسانية من البداية ، حين تكون مجرد رمال الى أن تصبح أنبوبة ضخمة جاهزة للتركيب . وفي ورشة تصنيع الاسطوانات ، تقطع وتلحم الصفائح الفولاذية لتشكل اسطوانة انبوبية كبيرة بالحجم وبالطول والقطر المطلوب ، وتشكل حلقتا نهايات الانبوب باتباع طريقة هندسية خاصة . وتلحم بطرفي الاسطوانة المفتوحين ، وتكون مجموعة الاسطوانة عند اكتمالها غشاء محكما ضد الخرسانة ، ويمنع تسرب المياه .

وتستعمل الأجهزة والآليات الخاصة دائما ، وأساليب المداولة وطرق النقل خلال جميع خطوات الانتاج لحماية الأنبوب من الضرر . وتخضع كل مجموعة اسطوانية للفحص بهدف اختبار مدى كفاءة تحكم سريان المياه بداخلها . وتخضع الجدار الداخلي للاسطوانة الى ضغط مائي لتحرى أصغر ثقب يمكن أن يكون ، ويتم لحم الثقوب الموجودة بطريقة محكمة ، وتعد الاسطوانة مرة ثانية لفحص جديد .

ويوجد كذلك عدد من الأعمال المصاحبة لانشاء هذه المنظومة ، مثل الطرق ، وشبكات الكهرباء ، والتحكم ، وأعمال الحفر والردم ، وتطوير المحاجر لاستخراج الحصى ، وغير ذلك من الاعمال المتفرعة . ثم تهيأ الأنابيب الخرسانية الجاهزة للتنظيف والشحن بواسطة أطقم كبيرة من الشاحنات القادرة على السير في الأماكن الوعرة ، فقد تم انشاء ما يعادل ١٥٠٠ كم من الطرق الجديدة .

ويبلغ عمق الخندق الذي ستنزل فيه الأنابيب وتركب في المكان المناسب سبعة أمتار ، ويتطلب خمس فرق من العمال لمدة أربع سنوات بمعدل تركيب قطعة أنبوبية واحدة كل خمس عشرة دقيقة .

وتصل كلفة هذا المشروع الى ٢٧ مليار دولار ، ويستغرق تنفيذه حوالي عشر سنوات . سيقام في المرحلة الاولى مصنعان لانتاج أضخم الأنابيب الخرسانية في العالم تقريبا بقطر داخلي يساوي أربعة أمتار ، بينما يبلغ طول الانبوب سبعة أمتار ونصف ،

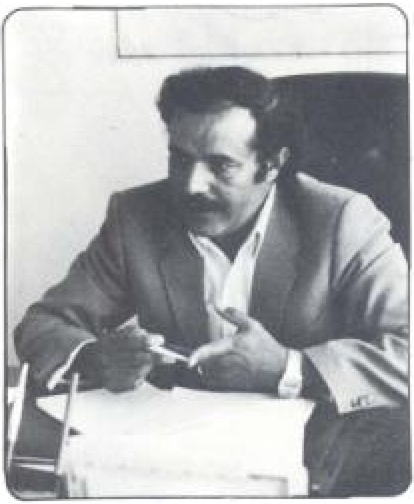

ـ السيد حسين الاسود ، المهندس بامانة الزراعة

بوزن ٨٠ طنا للماسورة الواحدة ، ويتكون مصنع السرير من ثلاثة خطوط انتاج ، بينما يتكون مصنع البريقة من خطي انتاج .

وسيتم كذلك تطوير حقلَي السرير وتازربو لحفر الآبار ، وتجميع المياه في أجدابيا ، وانشاء محطة كهربائية في السرير ، وتضم المرحلة الأولى من المشروع توفير كميات من المياه التي تحتاجها صناعة الأنابيب في مصنع البريقة ، الى جانب انشاء طرق صناعية للنقل الثقيل ، وستستغل المواد الخام المتاحة في تصنيع الأنابيب كالحصى والرمل والاسمنت ، فضلا عن اتاحة الفرص أمام الخبرات والكفاءات العربية للتدريب على العمل في هذه المصانع .

وسوف تبلغ الطاقة الانتاجية للمصنعين ٦٠٠ كم من الأنابيب سنويا ، ويبلغ الطول الاجمالي للأنابيب ٤٢٠٠ كم ، وسينشأ عدد من خزانات المياه التي تتسع لتخزين ٣٠٠ مليون م٣ من المياه ، لتنظيم مواسم الزراعة في مختلف فصول السنة .

ان هذا المشروع فيه الكثير من الطموح ، وفيه الكثير من وعود الخير والنمو والتطور ، وسيحقق للشعب الليبي الكثير الكثير من الآمال والأحلام والطموحات .

وهو عمل كبير وشاق ، يحتاج الى الصبر والمثابرة والامكانيات الكبيرة . ولأنه كذلك . . فان الآمال المعلقة عليه هي أيضا كبيرة وواسعة .

لكن ما هي أحوال الزراعة في القطر الليبي الآن ، قبل أن يساهم النهر الجديد في رفد الأرض بالخصب وفي رفد الانسان بالآمال والطموحات ؟ .

في الحاجة تكمن الحرية :

الارض دون الانسان لا تنبت قمحاً . هذا ما بدأ به حسين الأسود ـ المهندس الزراعي في أمانة الزراعة ، والمكلف بادارة المنطقة الزراعية الوسطى ـ حديثه في لقائنا به .

واضاف : لما كانت الزراعة هي العمود الفقري للاقتصاد الوطني ، فقد سخرت الحكومة كل الامكانيات لاستصلاح الأراضي ، وانشاء مزارع حديثة ، وبناء السدود لاستقبال مياه الأمطار وتجميعها ، بغية استعمالها في ري الأراضي والتحكم بالفيضانات ، وحماية المدن والقرى الزراعية ، وتغذية الخزانات الجوفية واستغلال كميات المياه المهدورة ، ومقاومة الانجراف ، واستزراع أراض جديدة ، وتوجد في الجماهيرية عدة سدود لهذا الغرض مثل سد وادي غان وسد وادي زارت . وتتركز وظيفة هذه السدود في تجميع مياه الأمطار التي تجري بغزارة خلال الفترة من سبتمبر الى مارس ، مسببة الفيضانات ، وتعمل بالتالي على انجراف التربة الخصبة ، وهذه السدود تساهم مساهمة فعالة في الاستفادة من المياه المهدورة وتحويلها للزراعة .

يقول السيد الأسود : نحن في ليبيا نؤمن بضرورة الاستثمار الأمثل للموارد الطبيعية ، والوصول بالانتاج الزراعي الى أكبر قدر ممكن من الاكتفاء الذاتي ، وهذا يتضمن استصلاح واستكمال تنمية ما مساحته ٦٩٠٨٩ هكتاراً من الأراضي المروية ومساحة ٥٥٢٥٧٩ هكتاراً من الأراضي البعلية ، الى جانب استصلاح مساحات شاسعة أخرى من الأراضي للتنمية العلفية مما يكفل زيادة انتاج اللحوم .

ولما كان هدفنا الاول تأمين الانتاج الزراعي بما يحقق الكفاية الذاتية للجماهيرية ، فقد تضمنت خطة التنمية الزراعية زيادة انتاج كل من القمح والشعير والخضر والفاكهة من الحمضيات والتفاحيات (التفاح ـ الكمثري واللوز والفستق) وثمار الزيتون مما يكفل الموازنة الغذائية ويحقق الاكتفاء الاقتصادي .

ويستطرد السيد الأسود قائلا :

يوجد في الجماهيرية مشاريع زراعية انتاجية عديدة ، فمشروع النصر الزراعي مثلا هو أحد المشاريع العملاقة التي أخذت على عاتقها عمليات التوسع الأفقي والراسي بزيادة الرقعة الزراعية ، وزراعة الغابات في الأراضي التي يصعب استغلالها ، بهدف المحافظة على التربة وانتاج الأخشاب في المستقبل ، أي أن المشروع سيغطي الأرض التي يشغلها بكساء أخضر .

وتعتمد عملية ري المساحات المزروعة على ثلاثة أنواع من الري :

نظام الري الدائري المعلق حيث يتم ضخ المياه بواسطة محطة الضخ التلقائية ، ثم نظام الري بالرش الثابت والمتحرك ، وأخيرا نظام الري بالتنقيط ، والذي يستعمل في ري مناطق الزراعة المحمية ، وسوف يساهم هذا المشروع في توفير الحبوب والاعلاف والخضروات والفاكهة والزيتون والحمضيات واللوز والعنب . ويتبع القائمون على هذا المشروع أسلوبا علميا في معالجة الأمراض والآفات التي قد تصيب النبات ، وتلجأ الى هذا الأسلوب فرق رش متخصصة تحت اشراف شعبة الوقاية بالمشروع .

ويدعونا السيد الأسود لزيارة مشروع غريان الزراعي للاطلاع على نوع آخر من المشاريع الزراعية الانتاجية ، فتوجهنا صبيحة اليوم التالي الى غريان ، حيث كان للطبيعة الخضراء ، والاراضي الممتدة المكسوة بالأشجار والنباتات المختلفة الانواع وقع طيب في نفوسنا . فأنت حين تجوب هذه المزارع ، وتسير في الغابات بين أشجار السرو والصنوبر ، لن يصيبك الوهن ولن تشعر بأدنى تعب ، فالطبيعة الخلابة تتكفل بازالة العناء ، وربما آنستك الحياة المدنية ولن يكون للغرابة مكان اذا ما شدتك هذه الأرض اليها وجذبتك لعبقها الطيب .

- من الصعب على الانسان أن يتخيل ضخامة هذا النهر العظيم الا بعد مقارنة مساحته بمساحة القارة الاوروبية.

أحدث أنواع الكسارات التي تعمل على طحن الحصى

جهد متواصل وعمل لا ينقطع في قلب الصحراء الليبية

الفلاح الليبي ، قوة لاتعرف الضعف بفأسه وإيمانه ، يحرث الأرض ، يحفرها ويغرسها ايمانا منه بأنه من الأرض واليها .

غريان في حلتها الخضراء :

تقع غريان في منطقة الجبل الغربي ، حيث مشروع جندوبة الزراعي ، وهذا المشروع مخصص لزراعة ٥٠٠ هكتار من التفاح والكمثرى والزيتون ، وانتاج ما يعادل ٢٠ الف لتر سنويا من الزيت .

يشمل هذا المشروع حوالي ٥٥ ألف هكتار من مساحة الجبل الغربي ، وتزرع به ٢٠٠٩ شتلة تفاح وكمثرى على المرتفعات او المدرجات الزراعية التي صنعتها يد الفلاح الليبي ، لتقف في وجه الأمطار والسيول التي تجرف التربة وتشكل الوديان .

وعلى سفوح الجبل الغربي وفي مدينة غريان ، التقينا بالسيد حميدة عبدالكريم مدير مشروع غريان الزراعي حيث قال : نحن نأمل اولا وأخيرا تحقيق الاكتفاء الذاتي ، ولما كانت عملية الاستيراد ضرورية للقيام بمشروع ناجح ، كان لا بد من توفير الشتلة الأم تمهيدا لعمليات الزرع الذاتي والتطعيم التي ستوفر مستقبلا كميات كافية من الخضروات والفاكهة تسد حاجة الاستهلاك المحلي .

وهذا المشروع زراعي خالص ، تدخل معه بعض عمليات التوسيع في حالة هلاك او موت شجرة . وتعتمد عملية الري في البداية على الري بالسيارات ، ثم تصبح بعلية معتمدة على مياه الأمطار ، أو على المياه الجوفية المتواجدة في الآبار والخزانات .

وتوفر للعاملين في هذا المشروع الجرارات وآلات الحرث والتمشيط ، من أجل توسيع الرقعة الزراعية في هذه المنطقة . كما أن وجود بعض الأراضي الصخرية غير الصالحة للزراعة في المنطقة جعل الأهالي يتجهون الى زراعتها بالغابات ، في محاولة لتثبيت رمال المنطقة غير الثابتة ، وتقليل تطايرها مع الهواء ، مما قد يسبب فساد المحاصيل .

هذا وقد تعرفنا على كيفية سير الأمور ، وعلى الجهد المبذول في سبيل انجاح هذا المشروع الزراعي ، عندما زرنا موقع العمل ، فحين يمتد بصرك بين أشجار التفاح وشجيرات الكمثري واللوز ترى أروع منظر وأجمل آية صنعتها سواعد الانسان

هذا فلاح يحرث الأرض بكل ما أوتي من قوة ، وآخر يقلب التربة ، وثالث يغرسها .. وهاهي زوجاتهم من بعيد تساعدهم وتقدم لهم يد العون .. خلية واحدة واسرة مترابطة ، وعمل دؤوب ، وعزيمة لا تلين .

لقد أدركنا الوقت ، ونحن لا نزال نعجب بما نراه من جهد متواصل لا يعرف التعب أو الملل .. فلقد بدأت الشمس بالأفول .. وهاتيك الخيوط الذهبية تنثر ضوءها على شجر الزيتون المثمر ، وعلى كساء الأرض الأخضر ، فتبهر عينيك أنك ترى صورة أخاذة وفردوسا خلابا .

اتجهنا الى بنغازي وكلنا فضول ، ومنها الى البيضاء مرورا بالمرج في منطقة الجبل الأخضر ، حيث المشروع الزراعي ، والذي هو أحد أجزاء مشروع الفاتح الزراعي . ان ما وجدناه من انجازات عظيمة ونشاط وجهد خالصين ، أثار في أنفسنا رغبة صادقةً للتعرف على المنطقة ،وزيارة المشاريع التابعة لها .

نحو آفاق جديدة :

وقد أثار اعجابي منظر المدرجات الجبلية التي كونتها الحركات الأرضية العمودية في الجبل الأخضر، فهاتان سلسلتان من الفوالق موازيتان لشطر البحر ، وحين وصلنا القمة لم نر أمامنا سوى أشجار السرو والصنوبر تحيط بشجيرات التفاح والكمثرى ، وضوء الشمس يتخلل - بصعوبة - هذه الغابات الكثيفة . ولم نستطع رفض عرض قدمه لنا السيد عبد القادر التجوري مدير مشروع الجبل الأخضر في منطقة المرج للقيام بجولة في المنطقة بطائرة خاصة .

ومن بعيد .. ومن نافذه الطائرة لاحت لنا أشجار الزيتون ذات الخضرة النضرة .. ويشد انتباهنا التنسيق والترتيب الذي زرعت به الأشجار والشتلات ، والاسلوب المنمق في غرس أشجار السنط والكازورينا ، بحيث جعلها تحيط بالمساحات المزروعة من كل الجوانب لتقف في وجه ريح الجنوب التي تهب على منطقة الجبل الاخضر .

ان غيرة السواعد على أرضها ، ورغبتها الصادقة في العطاء تدفعها لزراعة مصدات الرياح ، فتكون سياجا منيعا يحمي أزهار الأشجار من التساقط ، كما تساعد على تقليل درجة الحرارة والجفاف في

الصيف ، وتعمل أيضا على تخفيض نسبة البخر وتعرية التربة .

ان مشروع الجبل الاخضر الذي يتكون من ١٦٠٠ مزرعة تقريبا يضع كل مزرعة تحت يد مزارع ليبي ، وتخضع هذا الزراعة لعدة أنواع من أنظمة الري ، بعضها يروى تبعا لنظام الري الدائم ، والبعض الآخر يعتمد في ريه على المياه الجوفية ، كما صممت شبكة ري حديثة لبعض الأجزاء الأخرى .

ان الطبيعة المناسبة لمنطقة الجبل الأخضر حيث المناخ ملائم ، وطبيعة التربة تتميز بالخصوبة والمسامية ، فالأراضي هناك عميقة ذات تربة مسامية خالية من القطع الصخرية والأملاح ، أما المياه فمصدرها من الأمطار التي تسقط على المنطقة بكميات هائلة ، وتترسب خلال التشققات والتجاويف ذات التكوين الجيري ، فتتجمع مكونة أحواضا جوفية يرتفع منسوبها كلما توغلنا داخل الجبل .

ولما كانت الحاجة ماسة لزيادة كفاءة استغلال المصادر المائية المتاحة مع ضرورة توفير المياه بالكميات الكافية لتنفيذ برنامج الاستزراع ، فقد قامت الجماهيرية باجراء دراسات متنوعة لاقامة عدد من السدود والخزانات للاستفادة من كميات المياه التي تذهب في البحر ، وتهدر بلا فائدة ، واستخدامها في أغراض الري .

يوجد كذلك في المنطقة عدد من السدود التعويقية في مجاري الوديان ، بهدف تهدئة سرعة اندفاع المياه من أجل الحفاظ على التربة من الانجراف فقد حان الوقت للوقوف في وجه هذه السيول ، وقد تم وضع برنامج لحفر الآبار تبعا لطبيعة المنطقة الى جانب شبكات الري التي تتغذى من الآبار مباشرةً ، أو من خزانات تجميع المياه بواسطة محطات للضخ وفق نظام مدروس للري اما بالرش أو التنقيط .

من أجل كل هذا ، كان لا بد من اتباع الوسائل والطرق الزراعية المبنية على أساس مدروس ، وانشاء مزارع الفاكهة المختلفة ، واختيار الأنواع المناسبة من التربة والتي تتفق مع نوع الشتلة .. توجد كذلك أصناف تلائم البرودة وأخرى تحتمل الجفاف .

ان سياسة التنفيذ لهذا المشروع تسير على أساس اختيار مساحة عشرة هكتارات من كل مزرعة وتخصيصها لزراعة العنب ، بينما تزرع أشجار الفاكهة في مساحة تتراوح بين سبعة وثمانية هكتارات في كل مزرعة . ويتم اختيار الأصناف المراد زرعها طبقا لمعدلات الأمطار ونوعية التربة ، وغالبا ما يكون التركيز على الأصناف ذات الانتاجية العالية والملائمة للظروف البيئية ، والقادرة على مقاومة الأمراض والآفات وتحمل الظروف المناخية .

ويضيف السيد عبد القادر التجوري أمين المشروع في حديثه : (تتضمن العملية الزراعية الانشائية دراسة التربة ، وتحديد موقع الزراعة ، واستصلاح الأراضي والحراثة العميقة ، وزراعة المحاصيل الشتوية من القمح والشعير والشوفان والأعلاف ، والاستفادة منها في تنمية الثروة الحيوانية . وقد وضعنا نصب أعيننا ضرورة اتباع أسلوب زراعي مدروس ، وتخصيص دورات زراعية مناسبة للعناية بتجهيز الأرض وتغذيتها مما يزيد من خصوبتها وتحسين خواصها ، وبذلك تصبح منطقة الجبل الأخضر من أكثر المناطق انتاجا للحبوب في ليبيا ، ولتحقيق الفائدة المرجوة من هذا المشروع كان لا بد من انشاء

ـ داخل الصحراء الليبية وفي موقع العمل ، معسكر للعمال يتوجهون اليه طلبا للراحة .

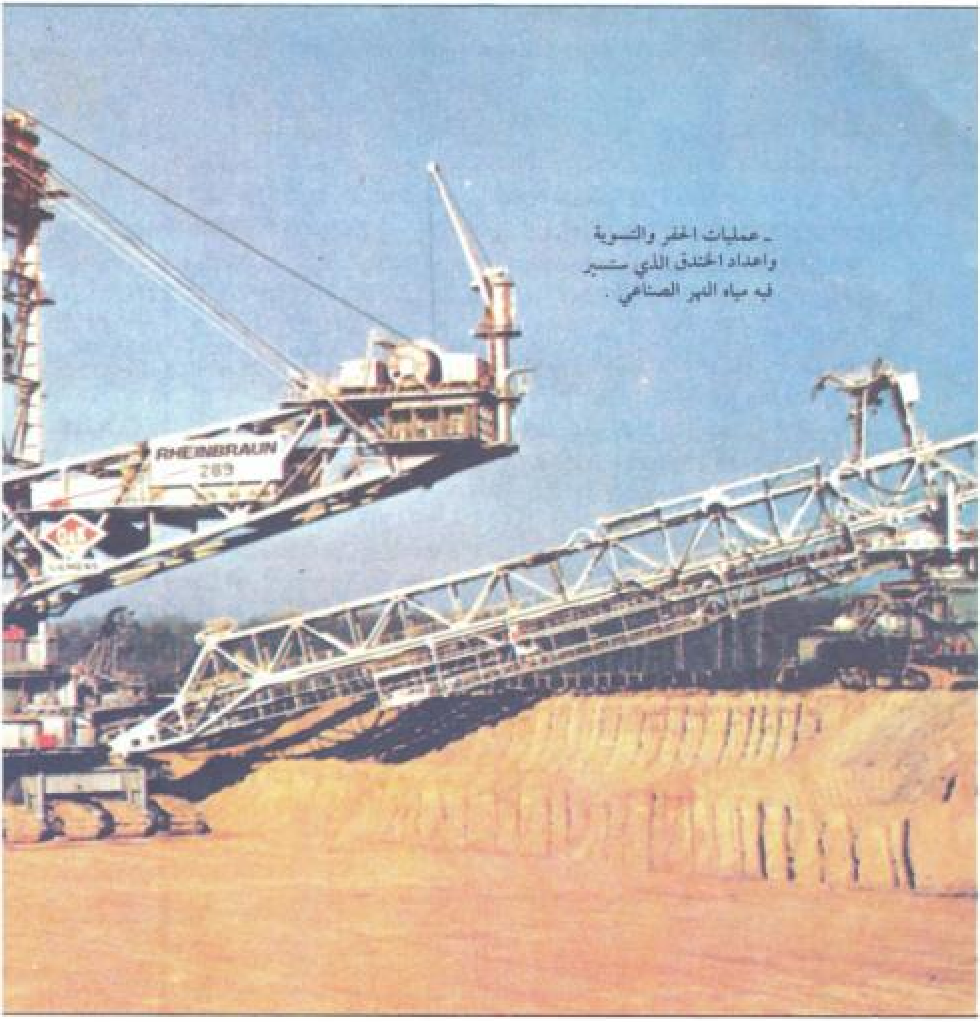

ـ عمليات الحفر والتسوية واعداد الخندق الذي ستسير فيه مياه النهر الصناعي .

ـ المهندس طاهر سيالة يشرح مراحل التنفيذ على الخريطة

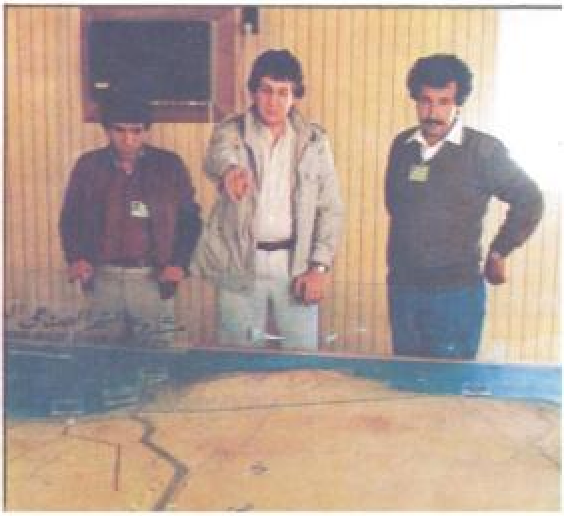

ـ الأسواق الليبية تجربة جديدة لتسويق الانتاج المحلي

مصفاة للبذور على أحدث الوسائل الفنية ، لتصفيتها وتعقيمها ولاستخدامها في المواسم التالية لانتاج البذور .

ولما للخضروات من أهمية وضرورة ملحة في المجتمعات ، فقد تم افراد جانب لها ضمن هذا المشروع ، فخصصت مساحة نصف هكتار تقريبا لكل مزرعة ، كحديقة منزلية لانتاج الخضروات الشتوية البعلية ، التي تكفي الحاجة المحلية .

ولما كان أملنا هو توفير الخضروات الأساسية في غير مواسمها ، فقد اتجهت الهيئة المسئولة عن تنفيذ مشروع الجبل الأخضر لانشاء البيوت الزجاجية ، والتي تضم معدات آلية مختلفة للتحكم في درجات الحرارة ، ونسبة الرطوبة ، بحيث تتناسب مع الأنواع المختلفة من الخضروات المزروعة .

ويشمل المشروع أيضا غرس المساحات المفرزة بأشجار العنب والفاكهة المختلفة ، الأمر الذي يتطلب توفير الشتلات اللازمة ، وتقوم المشاتل بتوفير هذه الشتلات للتشجير ، وزراعة أصول جديدة من الفاكهة تلائم طبيعة الأرض وتقاوم الآفات .

وتوفر الحكومة لكل مزارع بقلح الأرض بساعديه ويحرثها بعزيمته بيتا عصريا كامل التجهيز ، وآلات للحراثة والحصاد ، وخزائن للمياه بعضها للري والآخر للاستعمال المنزلي ، وحظيرة للدواجن والأرانب ، وأخرى للأبقار ومظلة للآلات ، وكذلك تقوم الهيئة بتدريب الفلاح على كيفية استعمال الآلة وصيانتها ، وبذلك تكون الجماهيرية قد خلقت جيلا جديدا من المزارعين والمنتجين ، ووفرت مهارات فنية لازمة للتنمية الزراعية .

ويوجد في المنطقة أيضا مطار زراعي خاص بالأعمال المتعلقة بشئون الزراعة ، من نثر الأسمدة والبذور والري الى رش المبيدات الحشرية ، وذلك حفاظا من الهيئة العامة المنفذة لمشروع الجبل الأخضر على تلك الثروة ، والتي ستحقق في المستقبل القريب أمل ليبيا في الاكتفاء الذاتي .

ان هذا المشروع ، وغيره من المشاريع ما هو الا تعبير عن التقدم الذي أحرزته وتحرزه ليبيا ، بل هو ترجمة لخطوات واسعة خطتها في سبيل امتلاك ثروة أرضها الخضراء . □

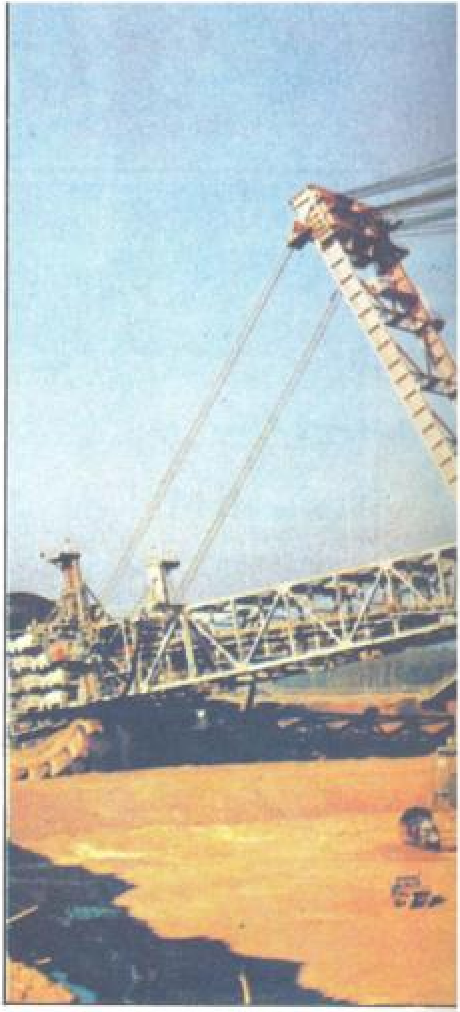

- أمل وتطلع نحو مستقبل زاهر ، فتاة ليبية تنتظر تحقيق الحلم .

وللطقس حالةٌ أُخرى

معذرةً إذا بدأتُ أكتبُ القصائدَ المجرْحةْ
وأستقبِلُ من منابِرِ الغناءْ
معذرةً إذا هجرتُ ذلك الميناءْ
فإنني فقدتُ في دوّامةِ الصّمتِ بريقَ الأسلحةْ

***

معذرة
فالقادم الجديد ينهب الفضاء
ليسقطَ المرحلة المسطحةْ
ويستعيد في زماننا العقيم نضرة الاشياء

***

لعلها رصاصة الخلاص قبل صرخة الميلاد
لعلها انتفاضة الجمرة في الرماد
فإنّ ذلكَ الجوادَ قادمٌ . . . .
وخلفَهُ الجيادُ . . .
لا بدَّ لي من وقفةٍ على تُخومِ المجزرةْ

بقلم : محمود مفلح

لأقرأ الوجوهَ والسيوفْ .
لأستعيدَ صوتَ الحبيبِ من ضراوةِ الدفوفْ
وأجمعَ الروايةَ المبعثرةْ . .
وأطلقَ الصُراخَ من جديدْ
لعلّني . . أُضيءُ ليلَ المقبرةْ . .

***

أكادُ أبصرُ الربيعَ فى ملاعبِ الصغارْ
أكادُ أبصرُ المياهَ تزحم الأنهارْ
وأبصرُ الغيد من الفرات
تملأ الجرارْ
أكادُ أبصرُ العيونَ تسكبُ الفرَحْ
وأبصرُ الزمانَ يستديرْ
وأبصر الجناحَ شامخاً
وهاهى النجوم من جديدْ
تتيهُ في السماءْ
تُكحّل العيونَ بعدَ ليلها الطويلْ
تُعيدُ للأحداقِ سحرَها
وللورود عطرَها
وللحياةِ نبضَها الأصيلْ .

منذ اللحظة التي أعلن فيها الأطباء أن القلب الاصطناعي ينبض من جديد في صدر مريض جديد ، والدوائر العلمية والطبية تتابع هذا الانجاز . . ولقد خصصت المجلات والصحف العالمية ، حتى غير المتخصصة منها مساحات كبيرة تنقل فيها الى القراء التقدم الذي حققه الجراحون في زراعة القلوب الاصطناعية . . وفي هذا المقال الذي يكتبه للعربي أحد جراحي القلب العرب المعروفين قد نجد الكثير من الايضاحات للتساؤلات التي تدور في رؤوس الناس . هل ينجح الطب أخيرا في اعادة نبض الحياة الى جسد مريض نزعوا قلبه التالف ؟

مرّة أخرى .. نبض الحياة مع القلب الصناعي

بقلم : الدكتور هاني شحيبر

الذي لاشك فيه ونحن نخوض في الحديث عن أهم انجاز طبي خلال الأعوام الأخيرة ان المؤرخين سوف يضعون هذا القرن الذي أوشك على الانتهاء في مكانه من التاريخ ، بوصفه تلك الحقبة من الزمن التي تحققت فيها اهم الانجازات العلمية والطبية في تاريخ البشرية .

ولعل أعظم هذه الانجازات ما تحقق بالنسبة للانسان نفسه ، أثمن وأغلى ما في هذا الكون ، ففي خلال السنوات الأخيرة حقق الطب نجاحا ملموسا في زراعة الأعضاء في الجسم البشري ، ولاشك أن زراعة القلب ، تلك العضلة الحيوية القوية التي بدونها لا تكون هناك حياة ، كان أهم مجال استأثر باهتمام الجراحين في مختلف انحاء العالم .

ان زرع القلب الاصطناعي يعتبر تطورا هائلا في جراحة القلب . . ولا أريد أن أمضي في شرح اهمية الجراحات التي أجريت خلال السنوات الأخيرة لزرع قلوب بشرية جديدة أو اصلاح أجزاء من القلوب المريضة ، وهي التي قادت في النهاية الى زرع القلوب الاصطناعية التي كان آخرها حافزي الى الخوض في هذا التقدم الرائع الذي توصل إليه الطب . والذي تفوق أهميته هبوط الانسان على سطح القمر .

حياة . . بلا قلب

انها ، كما نعرف ، ليست المحاولة الأولى للابقاء على حياة انسان لا أمل في اصلاح قلبه التالف ، بواسطة زرع قلب اصطناعي في صدره ، يعمل بمحرك خارجي متصل به ، ويستمر في ضخ الدم الى مختلف أعضاء الجسم . . . فقد كانت المحاولة الأولى ، كما نذكر ، مع طبيب الأسنان المتقاعد بارني كلارك الذي بقي القلب الاصطناعي ينبض في صدره لمدة ١١٢ يوما فارق بعدها الحياة .

أما المحاولة الثانية التي نحن بصدد الحديث عنها اليوم تلك التي أثارت كل هذا الاهتمام من جانب الدوائر الطبية والعلمية والاقتصادية في شتى أنحاء

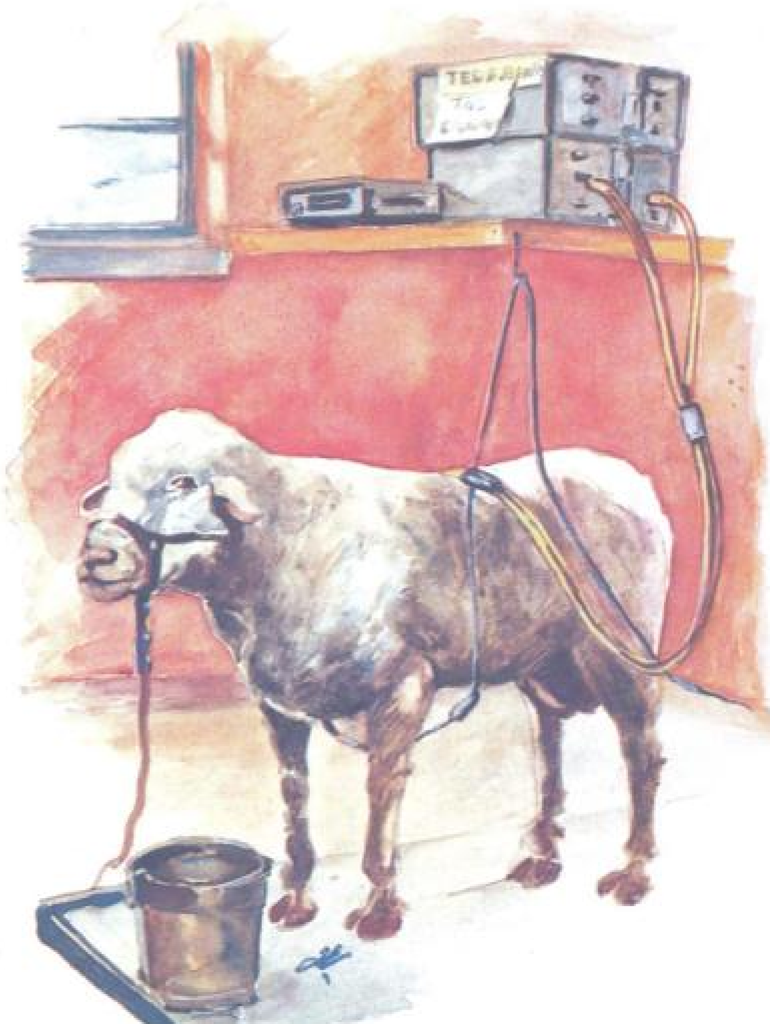

تصور علمي للعجل الذي زرعوا له قلباً اصطناعيا وعاش تسعة أشهر
وكانت نقطة تحول في زراعة القلوب الاصطناعية من الحيوان إلى الانسان .

العالم ، فبطلها رجلان : الأول ، الجراح وليام ديفري الذي قام بزرع القلب الاصطناعي ، والثاني (شرويدر) المريض صاحب القلب التالف الذي انتزع من صدره ليفسح المجال للقيام بثاني أهم تجربة للإبقاء على حياة الانسان بدون قلب .

وقد كان ديفري ، هو نفسه الذي قام بالمحاولتين الأولى والثانية . .

ونتوقف هنا قليلا عند (شرويدر) . . من هو الرجل الذي رضي عن طيب خاطر ، بل برغبة لا تخلو من حماس ، لأن يكون حقل التجارب الثاني لهذه الجراحة الخطيرة ، ثم كيف كانت حالته قبل أن يستسلم لمبضع الجراح الذي قال له وهو يشد على يده : (انني اثق فيك ، فأنا ميت ميت ، من يدري فقد يكتب لي القدر حياة جديدة) .

من هو شرويدر

شرويدر (٥٢ سنة) كان له تاريخ مع قلبه المريض ، وقد بدأ حياته في سلاح الطيران حيث أمضى أكثر من خمسة عشر عاما ، ثم عاملا بسيطا ، ثم موظفا في إحدى الشركات ، ولكنه ما لبث أن ترك عمله بعد أن اضطربت حياته على أثر العملية الجراحية التي أجريت له في شهر يناير من عام ١٩٨٣ ، عندما زرعوا له شريانين في القلب ، وبعدها أصيب المريض بهبوط حاد في البطين الأيسر اضطره الى ملازمة فراشه دون القيام بأي نشاط لمدة عام على الأقل ، قبل أن يبدأ الجراح ديفري في اعداده لزرع القلب الاصطناعي . والى جانب هذا كله كان شرويدر يعاني ايضا من داء السكري ، كما اجريت له عملية لاستئصال المرارة بعد أن اكتشف الجراحون وجود حصيات فيها ، ثم اقتلعوا ستة ضروس من فكه الأسفل ، دفعة واحدة ، كجزء من الاعداد الدقيق الذي كان لابد منه قبل اجراء عملية زرع القلب الاصطناعي .

باختصار ، لم يكن شرويدر الرجل المثالي للخضوع لهذه التجربة الطبية الأخيرة ، ولكن كانت هناك عدة عوامل ساهمت في اقدام الجراح ديفري على هذه المغامرة ، من بينها رغبة المريض في البقاء وتعلقه بالحياة ، ثم يأس الأطباء من شفائه اذا تركوه بقلبه التالف ، الذي كان يزداد تلفا يوما بعد يوم ، حتى أصبحت أيام بقائه على قيد الحياة معدودة ، وأخيرا الشعور بالاحباط الذي كان قد بدأ يسيطر على ديفري ، وهو يبحث ويبحث عن مريض آخر بعد بارني كلارك ، يمكن أن يقبل اجراء هذه التجربة الخطيرة عليه .

أعدوه للموت قبل الحياة

وكان المريض شرويدر يعلم بخطورة حالته . . وكذلك زوجته وأبناؤه الستة ، الذين يبلغ أكبرهم الحادية والثلاثين ، وأصغرهم التاسعة عشرة . . وقد أعدوه فعلا للموت قبل أن يعدوه للحياة ، فقد زاره القس وصلى من أجله في الليلة السابقة لاجراء الجراحة !

ولكن أسرته بقيت تتعلق بهذا الخيط الرفيع من الأمل الذي يمسك الجراح ديفري بأحد طرفيه ، حتى بعد أن رفضت كل مراكز زراعة القلب البشري ، زرع قلب لشرويدر ، بسبب حالته الصحية السيئة من ناحية ، ولأنه قد تجاوز سن الخمسين ، وهذا شرط أساسي في اختيار مرضى القلب الذين يوافق الجراحون على زرع قلوب لهم انتزعوها من أجسام آخرين توفوا لأي سبب لا يكون متصلا بمرض في القلب .

المهم بعد هذا أن الجراحة اجريت للمرة الثانية في تاريخ زرع القلب الاصطناعي . وقد يعيش شرويدر لفترة تطول أو تقصر . . وقد يموت ، كما حدث لبارني كلارك . . ولكن ليست الحياة أو الموت في هذه المرحلة بالذات هي التي تستوقف الاطباء . . لاشك بطبيعة الحال أن الابقاء على حياة شرويدر لأطول فترة ممكنة ، هو هدف يسعى اليه الجراحون . . . ولكن ليس هو نهاية الرحلة . . ان النتائج التي ترتبت وسوف تترتب مستقبلا على اجراء هذه التجارب هي شغل جراحي القلب الشاغل .

أمراض القلب

ولكي نصل الى هذه النتائج ، لابد وأن نبحث في بداية تاريخ زرع القلب ، ولكن قبل النتائج

كاتب المقال :

* الجراح العربي المعروف هاني شحيبر .
* رئيس وحدة جراحة القلب بالمستشفى الصدري بالكويت .
* أجرى ما يقرب من الف عملية جراحية في القلب منذ بداية عمله في الكويت قبل خمس سنوات .
* تخرج في جامعة كنجز كوليج بجامعة لندن ـ وتخصص في جراحة القلب في مستشفى ناشيونال هارت بلندن وبابورث في كمبريدج .
* متزوج وأب لطفلين وهو في الأربعين من عمره .

والتاريخ ، لابد وأن ننوه بحقيقة ماثلة ومزعجة ، ألا وهي أن أمراض القلب قد أصبحت اليوم تشكل أهم وأكثر الأمراض شيوعا . فمرض القلب هو مرض العصر، نتيجة التوتر الذي أصبح طابع الحياة العصرية . . هذه الظاهرة لم تكن موجودة منذ نصف قرن مثلا ، عندما كانت الحياة بسيطة غير معقدة . . ولكن ظروف الحياة المعاصرة وما تسببه من ضغوط نفسية على الانسان ، هي في رأيي من الاسباب الرئيسية التي تؤدي الى مرض القلب ، بصورة لم يسبق لها مثيل . . حتى أننا نجد أنه كلما ازدادت المجتمعات تقدما ازدادت نسبة مرضى القلب فيها . . وأكبر دليل على ذلك ، أن في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي خمسين الف مريض بالقلب في حاجة الى عملية زرع قلب . . وقد بلغ عدد عمليات زرع القلب التي تجرى سنويا في امريكا أكثر من ١٧٠ عملية ، ونسبة نجاحها في السنة الأولى بعد زراعة القلب البشري ، تصل الى ٨٠٪ . . .

لابد أن يموت انسان

وقد كان من الممكن ان يرتفع عدد العمليات الجراحية التي تجرى لزرع قلب بشري لهؤلاء الذين ملأت اسماؤهم قوائم الانتظار ، لولا الصعوبات التي يواجهها الجراحون في العثور على القلوب البشرية التي تنتزع من صدور افراد حديثي الوفاة تبرعوا بأعضائهم قبل وفاتهم ، فلابد أن يموت انسان حتى يمكن انقاذ حياة انسان آخر . . . وما يقال عن القلب ، يقال أيضا بالنسبة للكبد والبنكرياس . اما الكلية فهي العضو الحيوي الوحيد الذي يمكن أن يشترك اثنان فيها ، فيتبرع الانسان السليم باحدى كليتيه لآخر في حاجة الى كلية نتيجة لتلف كلتا الكليتين عنده ، ويستمر الاثنان في الحياة بصورة طبيعية . . تماما كما في الرئتين ، فالانسان يستطيع أن يعيش برئة واحدة . .

واذا عدنا الى تاريخ زرع القلوب لوجدنا ، كما قد يذكر الكثيرون ، أن أول جراحة لزرع قلب أجريت في عام ١٩٦٧ ، وقد قام بها الجراح برنارد في جنوب افريقيا ، ولكن المريض مات بسبب رفض الجسم لقلب غريب . ثم كان الحدث المثير في جراحة الاعضاء في عام ١٩٨٠ عندما توصل العلماء الى اكتشاف عقار أسموه سيكلوسبورين « أ » Cyclos-porin "A" وقد استخدم فعلا في زراعة الأعضاء ، ومن خصائص هذا العقار انه يساعد العضو الغريب المزروع على البقاء في جسم المريض ويقلل من مقاومة الجسم له ورفضه ، وهو نفس العقار الذي استخدم في حالة المواطن العربي الذي يعيش بقلب مزروع في الكويت ، كما يستخدم أيضا

ديفري مع مريضه شرويدر وهو يحاول أن يسمعه دقات قلبه الاصطناعي الجديد

الجهاز الذي يتحكم في عمل القلب الاصطناعي وسرعة نبضه ، ويحمله المريض على كتفه عندمايتحرك بعيدا عن الجهاز الثابت

في حالات زرع الكلية في المستشفيات العربية .

وبفضل استخدام هذا العقار ارتفعت نسبة نجاح عمليات زرع الأعضاء الى ٨٠٪ في السنة الأولى ، و ٥٠٪ خلال السنوات الخمس التي تلي ذلك .

ديفري نشأ يتيم الأب

ونعود الى موضوعنا مع القلب الاصطناعي ، وقد يتوقف البعض عند الجراح الذي أجرى هذه العملية الخطيرة لرجل لم يكن هو على أية حال المريض النموذجي الذي يمكن ان يخضع لهذه التجربة العلمية ، للاسباب التي قدمناها . .

من هو الطبيب الجراح ديفري الذي تركزت عليه انظار العالم مرتين في أقل من عامين ؟

لقد وصفته الدوائر الطبية بأنه رجل لايؤمن بالأسلوب التقليدي في عمله ، ثم هو صريح وغير متردد . . ولد في حي بروكلين بمدينة نيويورك من أبوين هولنديين ، وكان ابوه طبيبا وأمه ممرضة ، ولكن أباه قتل في الحرب العالمية الثانية ، وكان مازال طفلا ، وانتقلت الأم حاملة طفلها لتعيش معه في مدينة أوجدن بولاية أوتا ، وهناك تعلم الصبي ثم التحق بكلية الطب بجامعة الولاية ، وفي الكلية وقبل

الدكتور ديفري .

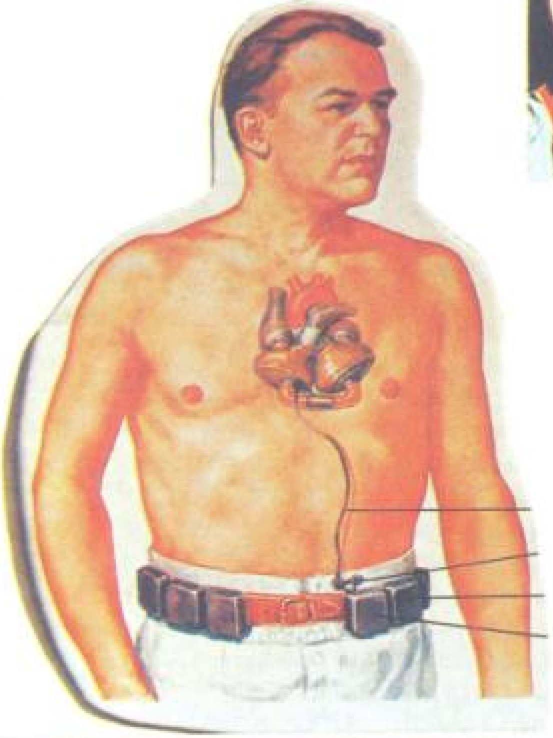

القلب الاصطناعي كما يتوقع العلماء أن يكون بعد خمس أو عشر سنوات ، وهو يعمل بجهاز الكمبيوتر كمصدر للطاقة داخل الجسم أو خارجه .

أن يكمل دراسته الجامعية ويتخرج.بدأ اهتمامه بالقلب الاصطناعي .. ثم كان لقاؤه بعد ذلك بالأستاذ الجراح المشهور (كولف) الذي اكتشف جهاز الكلية الاصطناعية . . .

وديفري اليوم في الأربعين من عمره ، وهو أب لسبعة أطفال .

مليون يموتون بالقلب سنويا !

لماذا كان القلب الاصطناعي بالذات موضوع اهتمامه المبكر وهو مازال طالبا في كلية الطب ؟ ربما نجد في الارقام المخيفة عن حالات الوفيات بأمراض القلب في الولايات المتحدة الجواب على هذا التساؤل ، فالاحصائيات تقول ان هناك مليونا يموتون كل عام بمرض القلب ، في أمريكا ، وهو رقم كبير .

من هنا برزت الحاجة وفي أمريكا قبل غيرها من الدول التي حققت تقدما ملموسا في مجال الطب والعلاج ، الى البحث عن وسيلة آلية يمكن أن تؤدي هذا الدور الحيوي في جسم الانسان .. واتجه التفكير الى انتاج مضخة ميكانيكية .. ولكن كيف ؟

ان مثل هذا الجهاز الجديد الذي سيحل محل القلب التالف ويؤدي مهمته لا يمكن تصنيعه

والاعتماد على فعاليته دون المرور بسلسلة من الاختبارات والتجارب العديدة . . . ترى كيف كانت البداية اذن ؟

ـ وأجد نفسي أذهب بعيدا مع البحوث والدراسات التي كانت موضوع المناقشة في الندوة العالمية التي عقدت في الولايات المتحدة الأمريكية منذ حوالي عامين تقريبا ، وكنت أحد الجراحين العرب الذين شاركوا فيها .

مراحل ابتكار القلب الاصطناعي

لقد تعرض الباحثون في الندوة من الجراحين والأطباء العالميين الى مراحل ابتكار القلب الاصطناعي ، وقد يكون من المناسب الإشارة اليها باختصار ونحن نمضي في الحديث عن البداية وعن الهدف الذي يأمل الجراحون أن يصلوا اليه من خلال التجارب الدقيقة والخطيرة التي تجري الآن ، وبصفة خاصة الجراحتين اللتين أجراهما ديفري لبارني كلارك ثم شرويدر .

● بدأت المحاولات في عام ١٩٣٤ عندما توصل الجراح (مايكل الدبغي) العربي الأصل ، والذي مازال يعمل حتى الآن في احد مستشفيات ولاية تكساس . فقد وصل مايكل الى فكرة تطوير جهاز لضخ الدم ، وهو نفس الجهاز الذي يستخدم حاليا في عمليات القلب المفتوح .

● وفي عام ١٩٣٧ ، اكتشف الدكتور جون جيبون الرئة الاصطناعية وهي أهم الأجهزة التي تستخدم الآن أيضا في جراحة القلب المفتوح .

● وفي عام ١٩٥٧ أي بعد هذا الاكتشاف الأخير بحوالي عشرين عاما ، تمكن وليام كولف ـ استاذ الجراح ديفري ـ من استعمال القلب الاصطناعي المصغر في احدى العمليات التي اجراها في (كليفلند كلينك) بولاية أوهايو .

● في عام ١٩٦٧ غادر كولف ولاية اوهايو الى مدينة سولت ليك وانضم الى جامعة يوتا ، حيث بدأت التجارب هناك على زرع القلب الاصطناعي في الحيوانات .

● في عام ١٩٧٢ ، تم بنجاح اجراء عملية زرع أول قلب اصطناعي في عجل صغير ، وعاش العجل فعلا لمدة اسبوعين ، وكانت هذه بداية نقطة التحول من الحيوان الى الانسان .

مع الانسان لأول مرة

ثم جاء عام ١٩٨١ عندما لجأ الجراح دانتون كولي الى استعمال القلب الاصطناعي في شاب هولندي في الأربعين من عمره ، كان قد اجريت له عملية زرع شرايين بالقلب . وفي اليوم التالي للجراحة اصيب المريض بجلطة حادة بالبطين الأيسر ، وهبوط كلي بالقلب ، الأمر الذي جعل الجراح يقف حائرا قبل أن يلجأ الى الحل الوحيد الذي تبقى أمامه ، والذي لا يخلو من خطورة ، ألا وهو استخدام القلب الاصطناعي لأول مرة في تاريخ جراحة القلب المفتوح .

وقد استخدم كولي بالفعل القلب الاصطناعي في هذا المريض لمدة ٢٧ ساعة كاملة في انتظار احتمال الحصول على قلب بشري ، وبالفعل عثروا على القلب الذي كانوا ينتظرونه ، وزرعوه في صدر المريض الذي عاش بعد هذه المغامرات الجراحية لمدة سبعة أيام ونصف . ثم توقف القلب المزروع عن النبض ومات المريض . ولكن التجربة كانت بداية نقطة تحول لها أهميتها الكبرى ، فقد كانت أول مرة يستخدم فيها القلب الاصطناعي في الانسان .

وتمضي السنون وينجح العالم الألماني روبرت جارفيك في تصميم اول جهاز قلب اصطناعي في حجم البرتقالة الكبيرة ، من الألمنيوم الرقيق ومادة قابلة للانقباض والاتساع وتعرف باسم بوليوريثين POLYURETHANE .

هذا القلب الذي سمي باسم مصممه جارفيك رقم ٣ (أنظر الرسم) ، هو الذي زرع بعد ذلك في صدر عجل صغير ، وعاش العجل مدة ٢٦٨ يوما ، اي حوالي تسعة اشهر تقريبا .

. . ثم جارفيك ٧

وقد شجعت هذه النتيجة الأخيرة مصمم القلب الاصطناعي جارفيك على اضافة عدة تحسينات جديدة على جارفيك ٧ ، حتى استطاع ان يتوصل الى القلب الاصطناعي الذي استخدم في الجراحتين

العالم الالماني روبرت جارفيك مصمم القلب الاصطناعي .

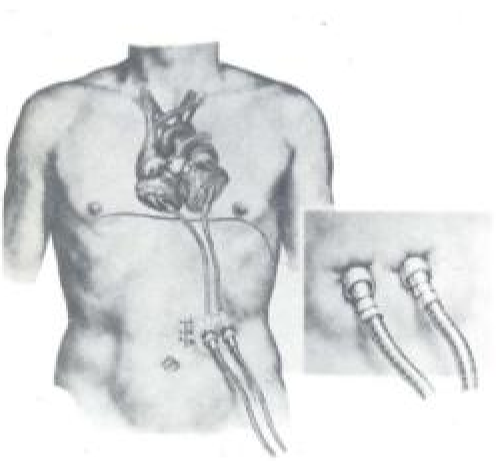

القلب الاصطناعي في موضعه بعد عملية زرعه في الصدر واتصاله بأنبوبتين تحت الجلد وتظهر في مستوى أعلى البطن حيث تتصل الانبوبتان بآلة الطاقة المحركة .

الاخيرتين مع بارني كلارك ثم شرويدر (انظر الرسم) .

وإحدى اهم مميزاته انه يحتوي على طبقة ناعمة داخل البطينين مصنوعة من شرائط البوليوريثين ، والتي تتميز بقدر اكبر من المرونة ، ثم ان البطينين في جارفيك ٧ يملآن بالدم عند تعرض الغشاء المرن لضغط اقل من الضغط الجوي داخل جهاز القلب الاصطناعي ، وعندما يرتفع الضغط الهوائي نتيجة لمؤثر خارجي متصل بموتور صغير ، يزداد الضغط في الداخل ومن ثم يرتفع الغشاء المرن ليضخ الدم الى الجسم عبر صمامات اصطناعية متطورة .

ويحتوي جارفيك ٧ على أربعة صمامات اصطناعية ، تم تطويرها مؤخرا في الجراحة التي اجراها ديفري على شرويدر ، ويتسع كل من البطينين لحوالي مائة سنتيمتر مكعب من الدم .

ترى ماذا عن سرعة النبض بعد ذلك ؟ ان نبض القلب على جانب كبير من الأهمية لأنه يتحكم في كمية الدم الذي يضخه القلب للأعضاء ، ويحمل معه الأوكسجين الى مختلف اعضاء الجسم ، وقد يتساءل المرء عن كمية الدم التي يحتاج اليها جسم الانسان في وقت الحركة ، لأنها تختلف عنها في حالة الراحة والاسترخاء .

وفي جارفيك ٧ نجد الاجابة عن هذا التساؤل ، فقد روعي في تصميم هذا القلب الاصطناعي ان تسرع نبضات القلب آليا بمؤثر من المريض نفسه ، فهو الذي يقوم (بتكييف سرعة النبض) طبقا للحالة التي يكون عليها في راحته وفي حركته .

جارفيك ٧ الثاني

وقد تميز جارفيك ٧ الثاني بعد تطويره وزرعه في صدر شرويدر بالصفات التالية :

● وزنه اقل من جارفيك ٧ الأول الذي زرع في صدر بارني كلارك ، فهو لا يزيد عن ثلاثة ارباع الرطل .

● حجمه ايضا اقل ، ثم هو يحمل من خلال آلتين : الأولى ثابتة وهي التي تقوم بتشغيل القلب الاصطناعي عندما يكون المريض مستلقيا ، والثانية متحركة يضعها المريض على كتفه ويستخدمها عندما يريد ان يترك مكانه ويتحرك بعيدا عن الآلة الأولى الثابتة .

رسم ايضاحي يبين البطين في القلب الاصطناعي المتطور وفي أعلى الصور الثلاث يظهر مكان الصمامات التي يمر بها الدم باتجاه واحد . وفي أسفل الصور الثلاث يرى الغشاء المرن المصنوع من مادة بوليوريثين واسفله مباشرة الهواء المضغوط ايجابيا أو سلبيا .

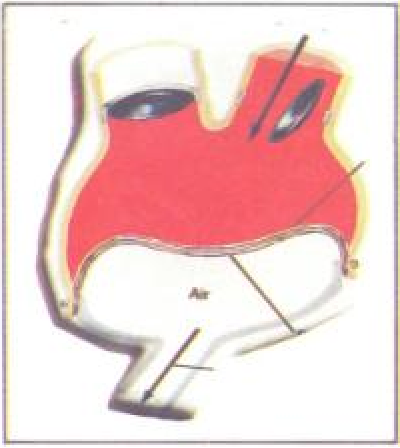

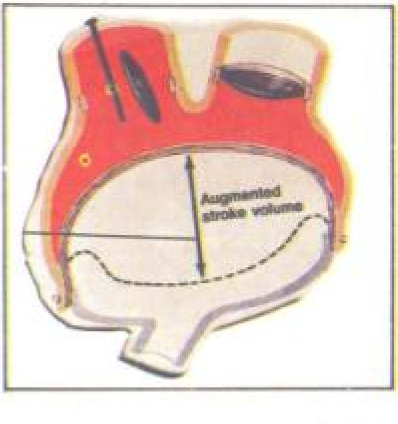

القلب الاصطناعي اذن لا ينفعل ، ولا يستجيب لانفعال صاحبه . . والمريض نفسه هو الذي يقوم بتكييف سرعة نبض القلب لمواجهة الانفعالات التي يتعرض لها .

التوقعات بعد عشر سنوات

ترى كيف يرى الجراحون القلب الاصطناعي بعد خمس او عشر سنوات أو أكثر أو أقل من التجارب التي يقومون بها الآن ؟ في الندوة التي شاركت فيها بالولايات المتحدة الأمريكية كان هناك تصور لهذا القلب الذي سيحل محل القلب الطبيعي ويبقى الانسان على الحياة . . . القلب الاصطناعي هو هو مثل (جارفيك٧) بعد التعديلات التي ادخلت عليه ، أو ربما تغير بعض الشيء . . ولكن المهم هو الآلة التي ستتولى تشغيله . . انها لن تكون في شكلها الحالي ، ثابتة في مكانها عندما يستلقي المريض على فراشه ، متحركة معه عندما يتحرك . . ان التوقعات الطبية تقول أن هذه الآلة سوف تتقلص كثيرا ولكن ربما تكون اكثر تعقيدا . . انها ستصبح جهازا صغيرا لكومبيوتر متصل بالقلب ، ويلتف حول وسط المريض ، كما لو كان حزاما صغيرا فوق الجسم أو داخله . . وسيتولى الكمبيوتر القيام بكل المهام التي يقوم بها الآن الجهازان الثابت والمتحرك .

هذا هو شكل القلب الاصطناعي في الغد القريب . ولكن هل انتهت القصة ؟ هل يتمكن الجراحون فعلا من انقاذ حياة الملايين من البشر الذين اصيبت قلوبهم بتلف لا يمكن اصلاحه ؟ انه أمل البشرية كلها . □

رسم ايضاحي يبين مراحل تركيب القلب الاصطناعي

صورة تبين شرايين القلب الرئيسية بعد استئصال القلب التالف .

من الذي يدفع فاتورة الحساب ؟

هناك نقطة هامة لم أتطرق اليها في هذا العرض السريع لجراحة زرع القلب الاصطناعي ، وأعني بها الناحية الاقتصادية ، وهي مثار جدل واسع اليوم ، فالسؤال المطروح هو من الذي يدفع فاتورة الحساب ؟ والسبب هو التكاليف الباهظة لعمليات زرع القلوب البشرية والاصطناعية ، ولو أن الثانية لم تخرج بعد عن طور التجارب .

فاذا علمنا طبقا للاحصائيات المتوفرة لدى الدوائر الطبية أن هناك خمسين الف مريض كما ذكرنا في حاجة الى عملية زرع قلب في أمريكا وأن كل عملية تكلف حوالي مائة ألف دولار ، فسوف نجد أن التكاليف الكلية لهذه العملية سوف تصل الى خمسة آلاف مليون دولار سنويا ، اذا افترضنا أن الجراحين سوف يمضون في اجرائها بصورة روتينية ، سواء باستخدام القلب الطبيعي أو القلب الاصطناعي .

والمبلغ ، كما نرى لا يستهان به ، ولكن اذا علمنا ان تكاليف الرعاية الصحية في الولايات المتحدة الامريكية تصل الى بليون دولار يوميا ، لوجدنا أن هذا المبلغ يمثل ٨, ١٠٪ من اجمالي الدخل القومي الأمريكي .

من هنا برزت المشكلة التي تواجه جميع العاملين في ميدان الرعاية الصحية ، وهي ألا تكون المتطلبات أكثر مماهو متوفر فعلا . ومن أجل هذا بدأ أصحاب القرار الأخذ بمبدأ الترشيد في الانفاق الصحي ، الذي يعتبر على رأس الخدمات التي تقدمها الدول المتقدمة والدول الآخذة بأسباب التقدم . وبناء عليه فقد رأى المسؤولون إعطاء الاولوية في العلاج للمرضى الذين تقل أعمارهم عن الخمسين بشرط ألا يكونوا مصابين بأية أمراض أخرى كالسكري أو ضغط الدم أو السرطان أو أمراض الجهاز التنفسي .

ولكن تبقى بعد هذا الناحية الانسانية ، ترى أي طبيب هذا الذي يستطيع أن يرد مريضا في حاجة الى رعايته ؟ لقد قال شولوخوف الاديب الروسي يوما معلقا على الانجازات العلمية الهائلة التي تحققت في النصف الأخير من القرن العشرين : (وما قيمة هذا النجاح اذا لم يستفد منه الانسان نفسه . . ان حياة الانسان تبقى دائما أثمن وأعظم ما في الكون !) .

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ش

شوفينيه

اشتقت كلمة « شوفينيه » من اسم أحد جنود نابليون بونابرت « تيتو لاشوفان » الذي كان يضرب به المثل في تعصبه لوطنه وتفانيه ، ومع الأيام اتخذ المصطلح معنى التعصب الأعمى والعداء للاجانب والتزمت الوطني .

وقد ساهم الفن بشكل غير مباشر في ارساء معنى المصطلح عندما قدم الفنانون الفرنسيون شخصية تيتو لاشوفان بعديها، التعصب الوطني المغالى فيه ، والسذاجة المفرطة . فقد قدمها الرسام الفرنسي شاليه بهذه الصورة ، ثم عاد الأخوان « كونيار » بتأكيد ذات الصفات عندما قدموا مسرحيتهم « الراية الثلاثية الألوان » على المسرح في عام ١٨٣١ .

ومنذ ذلك الحين استخدم المصطلح لوصف حالة التعصب الوطني الأعمى الضيق ، وكثر استخدام المصطلح في وصف الأفكار النازية والفاشية في اوروبا ، ومنها انتقل الى العالم للدلالة على ذات المعنى .

وابتكر السوفييت بعد ذلك - وتحديدا أثناء الحرب العالمية الأولى - تعبير شوفينيه اجتماعية وهو تعبير سياسي يقصد به وصف التيارات الاشتراكية الديمقراطية التي تعطي الأهمية الأولى للصراع القومي ومصالح الوطن قبل الصراع الطبقي . وقد جاء استخدام السوفييت لهذا المصطلح عندما وقف زعماء الأحزاب الاشتراكية الأوروبية بجانب حكوماتهم أثناء الحرب العالمية الاولى ، وتصويتهم في البرلمان لصالح مزيد من الاعتمادات العسكرية ، ودعوتهم الى تضامن أبناء الوطن الواحد (بطبقاته المختلفة) للدفاع عن الوطن قبل الدفاع على مصالح الطبقة . □

■ ■ ■

شعوبية

مصطلح آخر يعبر عن تيار سياسي وفكري يحمل داخله التعصب للقومية والوطن الأم . الا أنه فوق ذلك معاد للحضارة العربية محتقر لها

نشأ هذا التيار منذ صدر الاسلام ، وقيام الدولة الاسلامية الكبرى ، واتساع رقعتها ، فقد ضمت الدولة الاسلامية بجوار العرب أجناسا أخرى ليست بذات أصول عربية ، وكانت ترى في نفسها أنها صاحبة تاريخ حضاري عريق أرقى من العرب

نابليون

وتفاخر به ، بينما كان العرب يرون أنهم حملة راية الاسلام ودعاته وحماة الرسالة وناشروها ، وهذا وحده يكفيهم عزا وفخرا ومجدا .

ولقد ظلت الجذوتان بمثابة الجنين الكامن ، وذلك لأن وهج الدعوة بسماحتها وتعاليمها الواضحة كان مازال في الصدور (لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) وبسبب قوة الدولة ثم لضعف هذه الأقليات ، الا ان الشعوبية نمت في العصر الأموي ، عندما بدأت الدولة الاسلامية تنتقل الى فكرة الملك الدنيوي ، وتغلبت العصبية العربية لدى الأمويين ، وعاملوا الأقليات كطبقة أدنى ، ومن هنا فان « الموالي » كما اسماهم بنو أمية ، أسهموا اسهاما بالغا في الحركات المعارضة لبني أمية ، فكان منهم المختار الثقفي ، وابو مسلم الخراساني ، الذي يعود اليه الفضل في حسم الصراع بين الأمويين والعباسيين ، واسهم اسهاما بالغا في تأسيس الدولة العباسية .

الا ان نهايات القوميات كانت دائما مقترنة بالفواجع ، فقد قتل أبوجعفر المنصور ـ الخليفة العباسي الثاني ـ أبا مسلم الخراساني لأنه تطاول عليه بسبب أطماعه السياسية ، وظلت دماء أبي مسلم شبحا يثير القلاقل والمتاعب للعباسيين ، خاصة في خراسان ، والفاجعة الثانية كانت فاجعة البرامكة الذين أبادهم هارون الرشيد ، ويتفق معظم المؤرخين على أن الصراع على السلطة كان دائما هو السبب الذي يفجر هذه الفواجع .

وقد تجلى الصراع ليس على المستوى السياسي فقط بل على المستوى الأدبي أيضا ، فقد حفل تاريخ الأدب العربي بمساجلات بين دعاة للشعوبية أمثال بشار بن برد والحسن بن هانيء (أبي نواس) وابن المقفع وسعيد ابن حميد ، كما حفل بدفاعات عن العربية تزعمها ابن قتيبة وأبوحيان التوحيدي والجاحظ . أما في العصر الحديث فان التيار الشعوبي قد تجلى في دعوة بعض المفكرين وممثلي الحركات السياسية الذين أنكروا فكرة العروبة والوحدة العربية ، وقللوا من شأن الماضي العربي ، مكثفين الضوء على ماضي المنطقة العربية القديم في مرحلة ما قبل الاسلام . □

■ تستطيع القوة أن تنتصر .. ولكن انتصاراتها لا تدوم .

« لنكولن »

وجهاً لوجه

الدكتور
زكي نجيب محمود

و

الدكتور
عبد الغفار مكاوي

* معظم الأدب العربي الذي ينتج الآن سطحي.
* لا يوجد عندنا منظومة منسقة من الفكر الفلسفي.
* قطفنا ثمرة الحضارة ورفضنا أخذ الشجرة بجذورها.
* نحن في حياتنا الحضارية نرتدي ثوبا مرقعا.

كانت الجائزة التقديرية التي منحتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية في بداية هذا العام ، هي آخر الجوائز التي منحت للمفكر العربي زكي نجيب محمود ، الذي بلغ الثمانين من عمره المديد ، في الأول من فبراير الماضي ، سبقها منحه عدة جوائز تقديرية وتشجيعية ، وربما يلحقها ايضا غيرها .

هذا المفكر الذي له في مجال الفلسفة والفكر أكثر من خمسين كتابا مطبوعا ، وله الكثير من الاسهامات الثقافية في الدوريات والصحف العربية ، هو داعية عقل وعلم وايمان في نفس الوقت .

لنستمع اليه في « وجها لوجه » وهو يجيب على أسئلة الدكتور عبد الغفار مكاوي ، استاذ الفلسفة وتلميذ الدكتور زكي ، وصاحب الكثير من الترجمات والمؤلفات في المسرح والفكر ، والرواية والقصة . .

يقول الدكتور عبد الغفار مكاوي :

ها هو ذا المفكر الامين ، لا يتوقف منذ أكثر من خمسين سنة من حياته المنتجة عن الدعوة الى حضارة العلم ومنهجه ومنطقه ، علنا نقيم ثقافة العصر القائم على عمودي العقل والفعل ، دون اهمال لقيم تراثنا « المعقولة » التي لا يستغني عنها الوجدان والايمان . وها هو ذا في مقالاته التي نتابعها هذه الايام يجدد وعينا بحرية الانسان وقيمته وكرامته ـ على نحو ما فعل في مقالاته الفنية التي بدأ بنشرها في الأربعينيات . وها هو ذا يعيد نشر بعض جهوده العلمية التي كانت وما تزال علامات على طريق الفكر الفلسفي التحليلي والمنهجي الدقيق ، وأعود فأسأل نفسي ـ بعد نصف قرن من هذا العطاء الجاد المتجدد ـ ما بالنا اليوم لم نتقدم خطوة واحدة على درب العقل والمنهج والحرية ، لم لا نجتمع حتى اليوم على نظرية أو نظريات يمكن أن ننطلق منها للخروج من المحنة ، مع أن الرجل قد قدم « صيغة » فلسفية تستحق الاهتمام مهما اختلفت حولها الآراء ؟ وما بال جهودنا الفلسفية تفتقر الى الأمانة والدقة وتنعدم فيها التجربة والقضية والمشكلة ؟

المقالة الأدبية

وبدأت الحوار بسؤال يتعلق بالمقالة الأدبية بوصفها الفن الذي انفرد به في حياتنا الأدبية وارتبط باسمه لدى الجمهور الواسع من القراء ، فلا أظن أن قارئا عربيا مثقفا لم يطلع على بعض هذه الدرر النادرة من أمثال : جنة العبيط ، تجويع النمر ، وبيضة الفيل ، وغيرها مما يزدهي به جبين الادب العربي الحديث .

فهلا حدثتمونا عن وجهة نظركم في المقالة الأدبية وتطور معالجتكم لها وأسباب ندرتها في حياتنا الأدبية ؟ .

د . زكي ـ المقالة الأدبية كأي جنس أدبي آخر من شعر ورواية وقصة ومسرحية لها شرط يجعلها مقالة أدبية . هذا الشرط المشترك بينها وبين كل ما يندرج تحت عنوان الفن التشكيلي أو التعبيري ، هو أن يكون هنالك شكل يحمل الفكرة المراد نقلها ، وبهذا تصبح الفكرة منقولة بطريق غير مباشر ، لان الذي سوف يتلقاه القارىء سيكون مجسداً أمامه ، وعليه أن يستخلص منه الفكرة المبثوثة فيه . والأديب يستعير الشكل المعين من أي جهة ليست مصدرا للفكرة نفسها ، انما يرى الأديب أن هنالك توازيا بين هذا الشكل المستعار وبين الفكرة التي يريد أن ينقلها ، ولتكن أسطورة أو حلما من الأحلام أو قطعة من التاريخ ، أو ما يشبه ذلك . والمهم الا تظهر الفكرة المنقولة أبدا على السطح ، بل تترك للناقد الأدبي

ليستخرجها فيما بعد . هذا هو شأن الأدب دائما على المستوى الرفيع ، فلا بد أن يقدم شكلا يضمر فيه فكرة ما قد لا يكون الاديب نفسه على بينة منها .

هذا هو الشرط في أي صورة أدبية كائنة ما كانت بما في ذلك المقالة الادبية . الا أنني لم أعرض الا قليلا من أمثال هذه المقالات الأدبية التي لا اشارة فيها الى الفكرة والتي تحتاج الى ناقد ليستخرج الفكرة من ثناياها . . كتبت بالطبع مقالات مثل التي تفضلت بذكر بعضها ، كجنة العبيط ، أو بيضة الفيل ، أو تجويع النمر ، أو قرصنة في بحر الثقافة . لكن مقالاتي لم تكن كلها من هذا النوع . ففي كثير من الأحيان كنت أجد نفسي مضطرا الى الايماء الواضح بالفكرة التي أريد نقلها ، لانني آخر الامر أريد القارىء أن يفهمني ، وقارئنا ليس لديه القدر الكافي من التأني والصبر والمعرفة ليقف عندما يقرأ ليرى ماذا يستطيع أن يتصيده من ورائه . وبهذه المناسبة أقول ان هذا هو بالضبط المعنى الذي نقصد اليه حين نقول ان معظم الادب العربي الذي ينتج الآن سطحي . فماذا نعني بقولنا انه سطحي ؟ نعني أنه يأخذ شكل الرواية أو شكل المسرحية أو شكل المقالة الأدبية أو غير ذلك . . فاذا جاء ناقد وطرح شبكته التحليلية ليستخرج من القطعة الادبية مضمونا فإنه لا يجد شيئا . لأن الأديب كان مباشرا أكثر من اللازم ، ولم تكن له رؤية لحقيقة ما ، تكون مبثوثة ودفينة في القطعة الأدبية التي صورها .

ـ تسألني مرة أخرى عن غياب المقالة الأدبية أو ندرتها ؟

أولا المقالة الأدبية ليست جديدة في الأدب العربي ، وانما يجب أن تشير الى صور كثيرة لها في تاريخ الادب العربي ، وان تكن مختلفة عما نحاوله نحن الآن . فمثلا المقامات هي من قبيل المقالة الأدبية ، والرسائل هي من قبيل المقالة الأدبية ، فكلها تنطوي على ما نريد للادب أن يطويه في ثناياه . وغاية ما هناك أن الأشكال مختلفة . . وبالنسبة لي فإنني أتبع الاستعارة من مصدر آخر غير مصدر الفكرة التي أعرضها ، وكثيرا جدا ما ألجأ الى الأحلام ، ولكنها ليست بالضرورة أحلاما حقيقية ، وانما أحلام مصطنعة ، تماما كما أتصور حديثا دار بيني وبين آخرين ، والواقع أنه مثل هذا الحديث لم يقع ، وانما أنا أستحدثت من أحدثه لأصب الفكرة في قالب معين . .

وقد حاولت المقالة الادبية في سن مبكرة ، لان أول مقالة أدبية في هذا المعنى كانت في أواسط الثلاثينيات في مجلة الثقافة عندما نشرت « البرتقالة الرخيصة » .

قصة نفس وقصة عقل

د . عبد الغفار ـ أحب أن أنتقل من المقالة الادبية الى السيرة الذاتية فقد قدمتم قبل حوالى العشرين سنة « قصة نفس » قبل أن تعيدوا صياغتها في طبعتها الثانية ، ومعها في الوقت نفسه على وجه التقريب « قصة عقل » والقصتان منفردتان في بنائهما وفي صدقهما وحرارة عاطفتهما ، بين الترجمات الذاتية التي عرفها أدبنا الحديث ، فهل تسلكون هاتين القصتين مع منظومة الترجمات الذاتية المعروفة في أدبنا العربي الحديث ؟ وهل توافقونني على أن العالم قد تدخل في بعض الأحيان في عمل الاديب ؟ . .

د . زكي ـ الواقع أنني صاحب قصة نفس وكاتبها ، ولكنني أعترف بأنني قلق جدا ازاء هذا النوع من الكتابة . فقد أخرجتها في الصورة الاولى سنة ١٩٦٤ . . وبعد عشرين عاما على وجه التقريب أخرجتها في صورة أخرى تختلف اختلافا كليا عن الصورة الأولى . فلماذا صنعت هذا ؟

الواقع أنني عندما فكرت في أن أكتب تاريخ حياتي في المرة الأولى وفي المرة الثانية صممت على أن تأتي كما يراها صاحبها من الداخل ؟ لا كما يراها الرائي من الخارج ، أو الباحث العلمي الذي يبحث في آثار الرجل ليكتب عن قصة حياته . . ذلك لان حياتي كما أراها ليست صوتا واحدا من الداخل انما هي عراك داخلي أحس به بأستمرار منذ طفولتي ، أرى شيئا بعاطفتي وأرى شيئا آخر بعقلي ، وأحس صراعا داخليا خفيا هو مكشوف لي بالطبع ، وان لم ينكشف للرائي الخارجي . وأنا أعتقد أن كل انسان هو عدة أشخاص في جلد واحد لانه عدة ميول واتجاهات ، ففيه عاطفة وفيه غريزة وفيه عقل . وربما الفرق بين شخص وشخص هو في الزوايا التي تفصل كل جانب من هذه الجوانب عن الجانبين الآخرين . لكن الزوايا

منفرجة جدا عندي،فالذي يرى جانبي العقلي لا يتصور اطلاقا غزارة الجانب العاطفي في حياتي . ومن يرى الجانبين لا يتصور اطلاقا مدى التزامي بالقوالب الاجتماعية التي أعيشها ولا أرضى أن أعيش غيرها ما دمت بين الناس .

وعندما شرعت في كتابة قصة نفس استحسنت ألا ألجأ أبدا الى الاعتراف بأن هذه حقائق عن نفسي ، أو حتى أن أظهر نفسي بالاسم ، واكتفيت باشارات خفيفة أحيانا وواضحة احيانا ، يستشف منها القارىء أن أصحاب الأسماء التي أعطيتها للاشخاص الثلاثة الذين يؤلفون التفاعل في هذه القصة هم جوانب مختلفة من نفس واحدة . . فرياض عطا هو الأحدب ، والحدبة هنا حدبة نفسية وليست حدبة جسمية ، بدليل أنه عندما كان يستريح نفسياً كانت الحدبة تختفي عن الأنظار . . والطرف المقابل لهذا الانسان المنفعل هو الانسان العاقل ، والدارس ابراهيم الخولي نسبة الى قريتي التي ولدت فيها وهي قرية ميت الخولي . أما فوزي الراوي فهو الذي يروى ، وهو الذي ينخرط في القوالب الاجتماعية شأنه شأن سائر الناس . وقد كان فوزي هذا هو اسمي المنزلي الذي لم يعرف أبي وأمي - الى أن ماتا - أسما غيره . وقد سألت والدى مرة فيم هذه الأسماء كلها فقال : ماذا نصنع ؟ عند ولادتك زارنا ثلاثة من الأعزاء من أقاربنا كل منهم أقترح أسما : أحدهم أقترح زكي ، والآخر نجيب ، والثالث فوزي ، فلارضاء الجميع وضعنا أسمين في شهادة الميلاد واستبقينا الثالث ليكون هو الاسم المتداول في الاسرة .

بعد الطبعة الاولى أحسست أنني لم أكن موفقا ، وأن الرمز كان أكثف مما ينبغي ، وأنني وضعت أنعكاسات أو اشعاعات رمزية قد يساء فهمها . وهكذا أخذت على نفسي في الطبعة الثانية أن أكون أقرب الى مراحل الواقع كما وقع،محتفظا أيضا بالرمز بعد تخفيفه ، ولكني مع ذلك ما زلت قلقا . .

□ د . زكي نجيب محمود يستمع الى أسئلة د . عبدالغفار مكاوي

اما عن قصة عقل فأنا لم أكن أنوي عملها أبدا لانها فعلا تسجيل للخط الفكري الذي سرت فيه منذ سنة ١٩٤٠ ، ولم أنحرف عنه مدة نصف قرن تقريباً . ولان الكثير جدا من انتاجي مقالات أدبية ، أو مقالات تعرض الفكرة عرضا مباشرا ، ومع هذا فان كثيرا جدا من القراء لم يستطع أن يستجمع لنفسه الخط المشترك . الذي أردته لنفسي

هو أن أسير على خطين في حبل واحد : خط عقلي وخط وجداني ، لانني أراني لا أستطيع أن أستغني عن أحدهما . فهنالك مسائل عقلية لا ينبغي أن يشوبها وجدان ، وهنالك مسائل وجدانية لا ينبغي أن يشوبها عقل . والانسان مؤلف من هذين الجانبين .

الفلسفة العربية المعاصرة

ثم سألت الدكتور زكي : هل لدينا أو يمكن أن تكون لدينا اليوم فلسفة عربية ؟ . .

قال وعلى فمه ظل ابتسامة :

د . زكي ـ لكي تكون الاجابة عن هذا السؤال واضحة للقارىء يجدر بنا أولا أن نلقي ضوءا على حقيقة الفلسفة قبل أن ندلي برأي في وجودها أو عدم وجودها في الأمة العربية اليوم .

لكل عصر مناخه الثقافي الخاص الذي يدور حول محور الاهتمامات الفكرية أو الوجدانية التي تسود ذلك العصر ، ويمكن القول بأن اهتمامات العصر المعين الرئيسية انما تتبلور عادة في فكرة واحدة كبيرة ، أو في عدد قليل من الأفكار الأساسية . فمثلا كان اليونان الأقدمون يدبرون اهتماماتهم الفكرية حول الفكر والأخلاق ، بمعنى تحديد صورة السلوك التي منها تتألف الحياة الفاضلة . أو بعبارة أخرى كانت فكرة الخير الذي هو غاية الغايات في حياة الانسان من وجهة نظرهم ـ أقول كانت فكرة الخير هذه أساسا عميقا ومضمرا في كثير جدا من النشاط الفكري الذي يطلق عليه أسم الفلسفة اليونانية . ثم انتقل التاريخ الى العصر المسيحي والعصر الاسلامي من بعده ، فتغيرت الاهتمامات الرئيسية التي تشغل الناس ، والتي تنبع منها عوامل تكون المناخ العام للفكر والثقافة . وكانت تلك الاهتمامات الجديدة بالطبع هي أسس العقيدة في كلتا الحالتين في المرحلة المسيحية والمرحلة الاسلامية على السواء .

ولما كانت العقيدة الدينية تنزل من المؤمنين بها في أول الأمر منزلة الايمان الصرف الذي لا يحتاج الى تحليل عقلي للعناصر المكونة له ، فقد كانت من الطبيعي أن تمر فترة بعد كل ديانة منزلة يكون فيها ايمان بغير فلسفة . ولكن سرعان ما يقف الناس عند المفاهيم الرئيسية في ذلك الايمان ليوضحوها لانفسهم توضيحا يقتضي تحليلها الى عناصرها وارجاعها الى مبادئها الاولى . ومن مثل هذه التحليلات تكونت الفلسفة المسيحية ، وتكونت الفلسفة الاسلامية على السواء . ولنلاحظ هنا أن الفلاسفة المسلمين كان هدفهم بعد اطلاعهم على الفلسفة اليونانية هو أن يبحثوا ليعرفوا ان كان هنالك فرق بينها وبين ما نزل في الكتاب الكريم . وقد أصبحت الفلسفة هي أن تكتب الفلسفة اليونانية من منظور اسلامي .

اذا انتقلنا بعد هذا التوضيح الى عصرنا الحالي في الوطن العربي وجدنا أن المناخ الثقافي الذي يعيشه عدد كبير من المثقفين هو في صميمه شيء منقول . وهو منقول اما عن التراث الماضي أو عن ثقافة الغرب كما هي قائمة .

وفي كلتا الحالتين ليس هنالك أضافة كبيرة أضافها العربي المعاصر لعصره . فتأتي الفلسفة لتحلل هذا المناخ الثقافي كما هو شأنها دائما . فاذا بها اما أن تكون صورة من الفلسفة الاسلامية القديمة ـ وذلك اذا كان النظر منصبا على الجانب الثقافي بيننا ـ واما أن تكون فلسفة مأخوذة من فلاسفة الغرب ـ وذلك اذا كان النظر منصبا على الجانب الغربي من مناخنا الفكري . وبعبارة مختصرة نقول انه حتى اذا وجد العقل الفلسفي من حيث منهج التفكير في أبناء الامة العربية اليوم ، فلن يجد ذلك العقل موضعا لمنهجه يخرج منه شيئا جديدا، الا ما هو مأخوذ من التراث او مأخوذ من الغرب .

لكن اذا نحن قلنا أنه على ضوء ما أسلفناه لا تقوم بيننا فلسفة عربية مبتكرة الآن ، فلا بد أن نتحوط في هذا التعميم حتى لا يغيب عن أنظارنا كثير جدا مما ينتجه أصحاب العقل الفلسفي من جزئيات يبدعون فيها فكرا عربيا جديدا ، اذ يتناولون جوانب من هنا ومن هناك في حياتنا الفكرية ، لكن أحدا من هؤلاء لم يستطع حتى اليوم أن يقيم منظومة متسقة من الفكر الفلسفي تستطيع على ضوئها أن تقول هذه هي الحياة

برتراند رسل

جان بول سارتر

العقلية للامة العربية ، معبرا عنها بلغة الفلسفة ، كما نقول مثل ذلك عن برتراند رسل في انجلترا أو جان بول سارتر في فرنسا أو جون ديوي في أمريكا وغيرهم وغيرهم .

المنهج العقلي

د . عبد الغفار مكاوي : دعوتم طوال أكثر من نصف قرن من حياتكم الخصبة المباركة الى الأخذ بمنطق العلم ومنهجه وحضارته ، وكان ارتباطكم بالتجربة أو الوضعية المنطقية تأكيدا لهذه الدعوة التي أبتغت تخليص العقل العربي من الارتجال والانفعال والبعد عن الدقة والانضباط في القول والفكر والعمل . فهل ترون اليوم أن هذه الدعوة المخلصة قد آتت بعض ثمارها ؟ هل تقدمنا على طريق التفكير العلمي والمنهجي في مواجهة مشكلاتنا وأزماتنا ؟

- يؤسفني أن أقرر أجابة عن هذا السؤال بأننا لم نتقدم لا كثيرا ولا قليلا في الطريق الذي تتحول به الى شعب يستخدم منطق العقل في المسائل التي هي بحاجة الى منطق عقلي . فعلى الرغم من كوننا نقلنا كثيرا من علوم الغرب وأجهزة الغرب ونظم الغرب ، الا أننا نقلناها نقلا دون أن نشرب المنهج العقلي الذي أدى الى انتاج تلك العلوم والنظم عند أصحابها . لقد قطفنا الثمرة ورفضنا أن نأخذ الشجرة بجذورها كي نزرعها نحن ونأخذ ثمرتها .

والسؤال هو : مالذي جعلنا نقبل العصر بثمراته ، ونرفضه من حيث المنهج العقلي الذي أنتج هذه الثمرات ؟

والجواب هو : أننا عندما رأينا أنفسنا خاضعين لمستعمر أجنبي أوروبي ، تصورنا أن النهضة لا تكون الا اذا استرددنا لانفسنا هويتها العربية الاسلامية .. ثم توهمنا أن هذه الهوية الأصلية لن تتحقق لنا الا اذا رفضنا المستعمرين جسدا وروحا ، أي اذا رفضناهم سلاحا وفكرا ووجودا وحضارة .

من هنا نجد التعليل لما حدث في منتصف القرن التاسع وما بعده من حركات الثورة السياسية التي اتجهت كلها نحو أن تبدأ من احياء التراث ومن احياء الدين من ذلك التراث بصفة خاصة .

كل هذا كان لا غبار عليه ، بل ضرورة ملحة عند أي شعب يريد أن ينهض ، لولا أننا خلطنا بين أن نسترد هويتنا ، وبين أن نستبقي من ثقافة المستعمر ومن أصوله الحضارية ما كان يمكن أن يشتد به عود الهوية التي نحن بصدد احيائها وحمايتها . ولكننا سرنا بالعكس تحت وهم أن استرداد الهوية يقتضي رفض الغرب . وعندما رأينا أنفسنا في الوقت نفسه مضطرين اضطرارا الى علوم الغرب وأسلحته وأجهزته ونظمه في التعليم والسياسة والاقتصاد وغيرها ، نقلناها من حيث الصورة ولم ننقلها من حيث الروح والمنهج فنتج عن هذا كله الموقف الذي نحن فيه الآن من احياء للتراث ، وبجانبه قطوف قطفناها من ثقافة الغرب وحضارته . فأصبحنا في الواقع مثلا فريدا نستطيع أن نوضحه بالآية الكريمة التي تقول « كمثل الحمار يحمل أسفارا » . ولأزيد الوضوح أقول : أننا عندما أحيينا تراثنا بالصورة التي أحييناه بها ، وهي صورة من يحفظ هذا التراث حفظا أصم ، كنا بالضرورة أمام ثقافة كلمة . أما حين نقلنا الغرب بغير منهج فقد نقلنا نوعا آخر من الثقافة أوجد الحضارة بالفعل لا بالكلمة . فلو كنا نقلنا الغرب بمنهجه لنتج لنا تطوير تراثنا في الوقت نفسه ، لاننا كنا سننتقل محورا جديدا هو محور الفعل لا محور الكلمة .

من كل هذا نتج لنا الموقف الشاذ الذي نحياه اليوم . وهو مرة أخرى ، انسان يعيش في صميمه كلمات ، ويستخدم في حياته العملية نتائج نتجت عن حضارة فعل . فأصبحنا نرتدي ثوبا مرقعا . □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

النفط والانقلاب !

حين ارتفعت أسعار النفط عام ١٩٧٣ ، وحين استردت دول النفط ثرواتها وحريتها فى اتخاذ القرار قلنا : ان قوة دولية جديدة تولد ، وان اعتماد العالم على نفط هذه الدول سوف يساعد على الاعتراف بهذه القوة . وقلنا : ان الأهمية الاستراتيجية للنفط ، والأهمية الاقتصادية لعوائده كفيلتان بتحقيق ذلك .

مع الوقت ، وبعد مرور عشر سنوات أو يزيد قليلا تبدلت الصورة ، وتعرضت الدول الرئيسية المنتجة للنفط كما تعرضت منظمتها المعروفة باسم « أوبك » لأزمة شديدة لم تهدد المكانة السياسية فقط لكنها هددت الموقف الاقتصادى لهذه الدول أيضا .

كيف حدث هذا ؟

السؤال يجيب عليه رقم واضح وحاسم يشير الى مفتاح الموقف .

الرقم يقول : لقد تراجعت الأهمية النسبية لما تقدمه الدول الاثنتا عشرة الرئيسية المنتجة للنفط . كانت هذه الدول تقدم عام ١٩٧٣ : (٥٢,٨) بالمائة من استهلاك العالم النفطى فأصبحت فى عام ١٩٨٤ تقدم (٢٧,٣) بالمائة فقط . كانت تصدر (٢٩,٦) مليون برميل يوميا .. فأصبحت تصدر (١٦)مليون برميل يوميا .. أى نحو نصف ما كانت تصدره ، أو ما يقارب ذلك .

السؤال مازال مثارا : كيف حدث ذلك أيضا ؟ .. كيف تراجعت الأهمية النسبية لنفط هذه الدول بحيث عادت لاتقدم إلا ربع ما يحتاجه العالم ، وبما يعكسه ذلك بالضرورة على وزنها السياسى والاقتصادى والمالى ؟

هنا نلاحظ أن سياستين لكبار المستهلكين ـ أعنى الدول الصناعية ـ قد طبقتا ازاء دول النفط .

السياسة الاولى كانت قبل ١٩٧٣ ، والسياسة الثانية كانت بعد ١٩٧٣ .

فى المرحلة الاولى كان النفط رخيصا ، وكانت الشركات المنتجة مملوكة للغرب فى معظمها ، وكانت قرارات الانتاج والتسعير تتخذ فى الغرب ، وبالتالى كان الاعتماد كبيرا على نفط هذه الدول الواقعة فى العالم الثالث .

فى المرحلة الثانية ، زادت الاسعار ، وانتقلت ملكية الشركات الى السلطة الوطنية ، وانتقل مركز اتخاذ القرار النفطى من الغرب الى الخليج العربى وغيره من مراكز انتاج رئيسية . هنا نلاحظ أن الاعتماد على نفط هذه الدول قد قل حتى وصل الى ما أشرنا .

حدث ذلك بالتدريج . بدأ بتكتل للمستهلكين يواجه تكتل المنتجين ، وبدأ بخطة أميركية للتقشف فى استخدام الطاقة وتبعتها خطط أوروبية .. ثم امتد الأمر الى تشجيع انتاج بدائل الطاقة وبرءوس أموال ضخمة كان من بينها على الأرجح رءوس أموال نفطية سبق تصديرها للغرب .

ـ وهكذا تغير ـ وكما يقول التقرير السنوى الاقتصادى الأخير لصندوق النقد الدولى وهو صاحب هذه الارقام . « نمط انتاج وتجارة النفط فى العالم

خاصة في السنوات الاربع الاخيرة » .

كانت الخريطة الجديدة تشير الى العديد من التغيرات .. أولها : تأثر استخدام الطاقة بالركود الاقتصادى الذى ساد العالم للعديد من السنوات ، وبروز ما سمى بترشيد استخدام الطاقة بعد أن أصبحت عنصرا رئيسيا وباهظا في تكلفة الانتاج .. وبالتالى كان الميل بشكل عام للحد من استخدام الطاقة ، وتقليل نسبة التزايد التى عبرت في كثير من الاحيان عن حالة من الاسراف .

الظاهرة الثانية ـ ووسط ميل للحد من استهلاك الطاقة بشكل عام ـ هى تراجع الأهمية النسبية للنفط وسط مجموعة الطاقة الأولية المستخدمة في العالم .. فبعد أن كان النفط يحتل (٥٣,٥) بالمائة من الطاقة الاولية المستهلكة عام ١٩٧٣ .. أصبح يحتل (٤٥) بالمائة فقط بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ أى عام ١٩٨٣ . وبكلمات أخرى : لقد زحفت بدائل الطاقة الاخرى من وقود نووى وكهرباء وفحم وغيرها لتحتل جزءا من المكان الذى احتله النفط لوقت طويل .

الظاهرة الثالثة التى تشير إليها الخريطة الجديدة ـ ووسط أهمية نسبية متراجعة للنفط هى : تراجع نصيب الدول الاثنى عشرة الرئيسية المنتجة للنفط .. فكما تم تنشيط بدائل عن النفط تم أيضا تنشيط بدائل عن انتاج دول النفط من حقول في الدول الصناعية أو الدول النامية غير النفطية .. و .. خلال ذلك تم بالفعل زيادة انتاج الدول الصناعية ـ وهى أكبر المستهلكين ـ وقل اعتمادها على الاستيراد ، وبعد أن كانت تستورد ثلثى احتياجاتها النفطية عام ١٩٧٩ .. أصبحت تستورد النصف فقط عام ١٩٨٣ ، مما دفع صندوق النقد الدولى ليقول انها قد خفضت وارداتها النفطية بنسبة ٤٠٪ خلال السنوات الأخيرة .

في نفس الوقت ارتفع انتاج الدول النامية غير النفطية الى ما يزيد عن الضعف بين عامى ١٩٧٣ و١٩٨٠ .. وبعد أن كان ذلك الانتاج ٤,٣ مليون برميل يوميا أصبح ٩,٦ مليون برميل يوميا .

وهكذا اختلفت كل الموازين . ميزان النفط ، وميزان الدول المنتجة للنفط من دول نفطية وصناعية ونامية وكانت المحصلة النهائية : تراجع الأهمية النسبية لدول النفط الرئيسية ، والتى انخفض انتاجها من (٣١,١) مليون برميل عام ١٩٧٣ .. الى(١٩,٥) مليون برميل يوميا عام ١٩٨٤ ، وفقا لتقديرات أولية لصندوق النقد تراجعت على الارجح في الحساب الختامى للعام الى أقل من ذلك .

وبالطبع فقد انعكس ذلك على فوائض الدول النفطية فبعد أن كان فائض ما يسمى بحساب المعاملات الجارية لهذه الدول عام ١٩٨٤ : (٦٩) مليار دولار .. تحول الفائض الى عجز في الأعوام الثلاثة الأخيرة .

هنا ، حدثت هزات مالية لهذه الدول التى بنت نمط انفاقها على أساس هيكل متوقع للموارد .. لكن هذا الهيكل قد اختلف كثيرا فهبطت العوائد ولم يكن بالامكان أن تهبط المصروفات بنفس النسبة والسرعة .. فحدث العجز وحدثت الأزمة وامتدت يد دول الأوبك الى أرصدتها القديمة ولجأ البعض للاقتراض .

اذن لقد حدث انقلاب في سوق النفط خلال السنوات العشر التى تلت ثورة الأسعار عام ١٩٧٣ .. وهو انقلاب صامت جرى تدبيره باحكام وقادته الدول المستهلكة : دول الغرب في الأساس . ومن غير المتوقع ـ رغم تزايد احتياج الدول النامية للنفط المستورد ـ ان تعود المعدلات الى ما كانت عليه من قبل . ربما يكون ذلك لسوء الحظ في المدى القريب لكنه قد يكون لحسن الحظ في المدى البعيد ، فالثابت ان النفط في باطن الارض يعتبر ذخيرة كبيرة للمستقبل ، وتبديده على الصورة التي شهدها العالم في الثلث الماضي من هذا القرن كان لا بد ان يتوقف . □

أنظمة التحكم بواسطة الحيوانات

بقلم المهندس : وسيم عبدالله

« هل يأتي يوم توجه فيه الحمامة صاروخا ، وتقود القطة مركبة فضائية ، وتصبح الحرب النووية ـ ربما عن جدارة ـ حربا حيوانية ؟ . . » .

ليس تدريب الطيور والقطط على قيادة الصواريخ من نسج الخيال ، فمن المعروف أن أبحاثا عديدة جرت في الولايات المتحدة سعيا الى تحقيق امكانية ارسال الصواريخ النووية بقيادة « ملاحين » من الطيور لا يتأثرون بالاشارات اللاسلكية المضادة .

في دراسة قامت بها مؤسسة راند الأميركية Rand Corporation تحت عنوان « مراجعة للسيبرنيات السوفياتية » ادعت فيها ان السوفيات يدرسون امكانية تدريب القطط على قيادة صواريخ جو ـ جو واصابة الأهداف بدقة . أما السؤال الأخلاقي حول حق الانسان في استخدام المخلوقات الأقل ذكاء عمالا بدون أجر ، واعتبارهم أبطال حرب وشهداء قتال لا يسمع بهم احد ، فلم يلتفت اليه من قاموا بالتجارب الأولى التي جعلت سيناريو كهذا ممكنا . ولعل أشهر هؤلاء الدكتور

---

* ماجستير هندسة الكترونية ـ باحث علمي

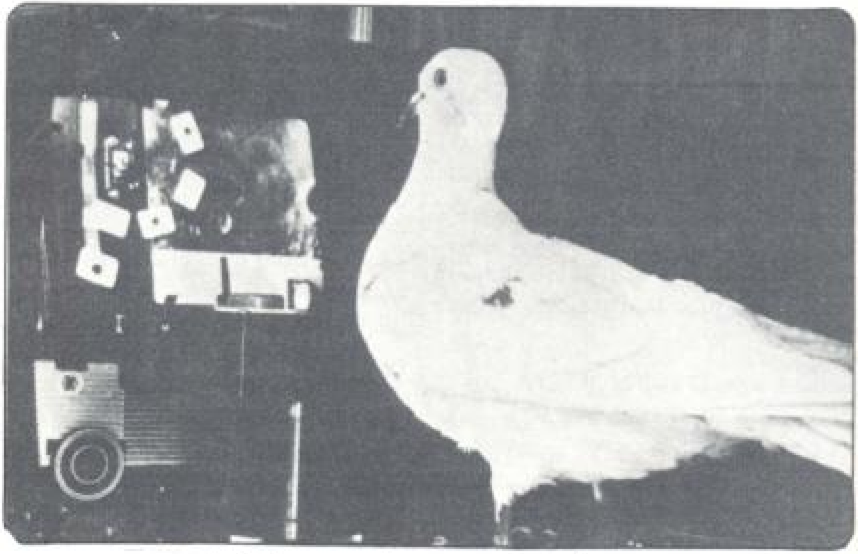

الحمامة .. تستعد لتصبح صاروخا

ب . ف سكينر B.F. Skiner الأميركي الذي يعتبر مرجعا في حقل طرق وصيرورة التعلم عند الانسان والحيوان ، ومن كتبه المعروفة « ما بعد الحرية والكرامة » Beyond Freedom & Dignity الذي نشر أول مرة عام ١٩٧١ وحققت مبيعاته ارقاما قياسية مذهلة .

طريقة سكينر :

يمكن تدريب أي مخلوق ذي حواس في صندوق التدريب الذي طوره سكينر . ويضم هذا الصندوق (انظر الشكل رقم ١) حجرتين : الأولى للتدريب ، وهي في الحالة المبينة لحمامة ، أما الأخرى فتحتوي أنظمة الضبط المختلفة والاشارات ونظام الطعام الذي يستخدم لتقوية حس التعلم لدى الطائر الذي يجري تدريبه . وتبدأ عملية الترويض والتدريب على النحو التالي :

لا يعطى الطائر غير كمية قليلة من الطعام كل يوم الى ان ينخفض وزنه بمقدار ٢٠٪ ثم يوضع بعد ذلك في حجرة التدريب التي يوجد فيها دائما كمية كافية من الماء . ويبدأ التدريب أولا بومضة من احد الأضواء الموجودة خلف الفتحة التي تواجه منقار الطائر . وبعد فترة يضرب الطائر بمنقاره على المفتاح الذي يوصل التيار الى المرحّل ، فيرفع صينية الطعام ، ويضيء في الوقت نفسه المصباح الموجود في أعلى فتحة حجرة الطعام . وهكذا يتعلم الطائر أن يربط بين الضوء بضرب منقاره والنتيجة السارة ، وهي مكافأته بالطعام .

وبعد أن يتعلم الطائر كيف يلعب دوره في مثل هذه العمليات البسيطة يمكن أن يبرمج صندوق سكينر ، إما بواسطة مدرب دائم أو بواسطة الكومبيوتر للقيام بمهمات أكثر تعقيدا . فمثلا يمكن تدريب الطير أن يضرب بمنقاره حين يومض الضوء الأحمر فقط ، أو أن يتوقع الحصول على الطعام بعد أن يدور على نفسه مرتين أو أكثر في الحجرة الخ . . .

ومع تصاعد عملية التدريب ، يبدأ الطير في تفهم معاني الاشارات الخاصة مثل صوت دقات ساعة ، أو أصوات خارجية أو اشارات ضوئية الخ . . ويمكن هنا جعل داخل حجرة التدريب صامتا تماما بواسطة

بث ترددات معينة في مجال « الضجيج الأبيض » بواسطة مولد للترددات . كذلك ، عندما يخطيء الطير في عملية تحديد العلاقة بين اشارة ما وردة الفعل المطلوبة ، فانه « يعاقب » باطفاء النور الأبيض داخل الحجرة ، وتسمى هذه العملية « نور الصدمة » .

ويبين الشكل رقم ٢ نظام تدريب يستعمل التلفزيون الذي تظهر على شاشته انواع المؤثرات الضوئية والأشكال المتحركة والصور المركبة ، وتستخدم افلام خاصة مع التسجيلات الصوتية الملائمة للوصول الى تكريس وتثبيت ردود الفعل التي تعلمها الطير . والجهاز المبين في الشكل من تصميم جورج لورنس George lawrence الذي عمل في هذا المجال ونشر عددا من الابحاث حول هذا الموضوع . ويستعمل هذا الجهاز عادة مع الحيوانات التي اجتازت امتحان التدريب في صندوق سكينر . وهو يركز كذلك على مبدأ المكافأة بواسطة الطعام للطائر الذي يضرب بمنقاره على المفتاح الصحيح .

وبناء على المبادىء والأساليب التي عرضناها ، يتم تلقين الطائر مهارات عديدة فيصبح آلة حاسبة (كومبيوتر) بيولوجية يمكن الاعتماد عليها اعتمادا « كاملا » ولا يتجاوز ثمنها مع ذلك دولارين .

ومنذ حوالي ثلاثين عاما ، كانت احدى الاعتراضات الأساسية على استخدام الحيوانات لقيادة الصواريخ الموجهة هي صعوبة عملية الضبط الأوتوماتيكي باستخدام مبدأ التغذية المرتدة Feed Back Control . كذلك كان الاعتقاد السائد حينذاك ان الحيوان الموجود داخل الصاروخ لن يشعر بالارتياح اثناء معركة حية بل قد يشعر حتى بالدوار ، مما يشوش ردود فعله . ولكن اكثر هذه الاعتراضات لم يعد أساسيا ، اذ تم التغلب عليها . ففي فترة أواخر الحرب العالمية الثانية بدأ سكينر ومساعدوه برنامجا اسموه « مشروع الحمامة » وكان يقابله في أيام السلم مشروع آخر في مختبرات الأبحاث البحرية اسمه مشروع التحكم العضوي (أو البيولوجي) Organic Control وما زال المشروعان من الأسرار العسكرية ، ولذا لا تتوفر معلومات مفصلة عنها ، ولكن يبدو أن الحل الذي اعتمد كان يقوم على مبدأ « تصويت الأغلبية » لتوجيه الصواريخ ضد السفن المعادية . فيوضع داخل الصاروخ المحمول جوا ثلاثة طيور . ولا ينفذ اي توجيه الا اذا اتفق عليه طائران على الاقل ، أي فقط اذا ضرب طائران على الأقل الزر او المفتاح ذاته على لوحة الأزرار المتماثلة التي يخصص لكل طير لوحة منها . ويقال أن هذا النظام لم يستعمل قط في حالة الحرب الحقيقية مع أن التجارب التي اجريت عليه كانت ناجحة جدا . ويعزو البعض ذلك الى ان بدء مشروع مانهاتن وصواريخه ذات الرؤوس النووية المتعددة الغى في ذلك الوقت الحاجة الى اصابة الصواريخ اهدافها بدقة عالية .

تبقى الاشارة الى أن توجيه الصواريخ باستخدام الطيور هي طريقة ذات عدلية مرتفعة جدا ، اذ لا يتمكن التشويش الالكتروني المعادي ان يؤثر على مسار الصاروخ باتجاه هدفه ، فقائد الصاروخ ينتظر مكافأته بعد كل ضربة صحيحة بمنقاره غير آبه بما يحدث في الخارج ، خاصة وأن برنامج تدريبه لا يتضمن بالطبع اية معلومات عما سيحدث له عندما يصيب الصاروخ هدفه .

وقد أكد سكينر في تقاريره ان الحيوان يحتفظ بعد تدريبه بالمعلومات التي تعلمها الى درجة تثير الدهشة حتى انه يمكن ترك الحيوان طليقا خارج مختبرات التدريب ثم استرجاعه بعد فترة ليؤدي مهماته وكأن حبل خبرته لم ينقطع .

حرب صواريخ حيوانية :

يمكن ، بناء على التجارب السابقة ، تخيل حرب صواريخ متكاملة تدخل فيها عناصر أخرى مساعدة لتقدّم للطائر ، قائد الصاروخ ، المعلومات اللازمة عن الهدف المراد اصابته . وبالطبع ستكون حرب كهذه عبر القارات ، ومن هنا فان المسافات الشاسعة التي تفصل بين محطة الاطلاق والهدف ، وكروية الأرض ، تجعل ضروريا عدم السماح للعدو بالتأثير على مسار الصاروخ الذي سيبتعد بسرعة عن مجال الرادارات التي توجهه خلال الفترة الأولى بعد اطلاقه ، ولا سيما عند اقترابه من المجالات التي تستطيع فيها رادارات العدو ان تشوش مساره .

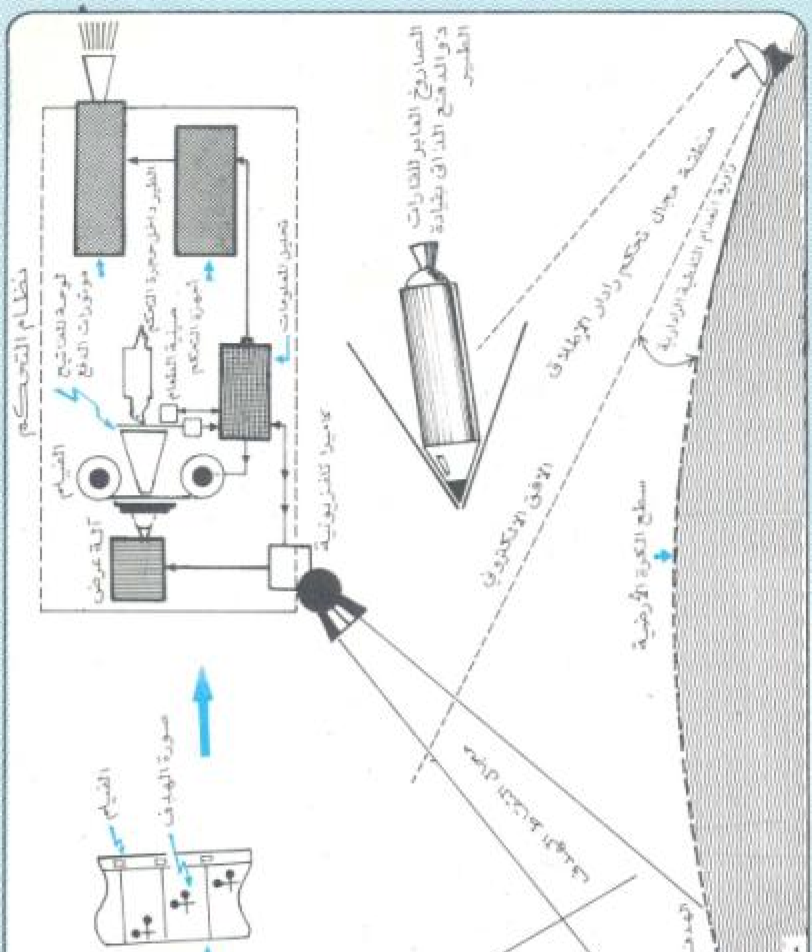
نظام التحكم
لوحة للمفاتيح موتورات الدفع
الفيلم
آلة عرض
الطير داخل حجرة التحكم
صينية الطعام
أجهزة التحكم
تحليل المعلومات
كاميرا تلفزيونية
الفيلم
صورة الهدف
قمر التجسس الصناعي: تصوير الهدف
الصاروخ العابر للقارات ذو الدفع الذاتي بقيادة الطير
مجال التقاط الهدف
الأفق الالكتروني
منطقة مجال تحكم رادار الإطلاق
سطح الكرة الأرضية
الهدف
منطقة الهدف

شكل رقم (٣)

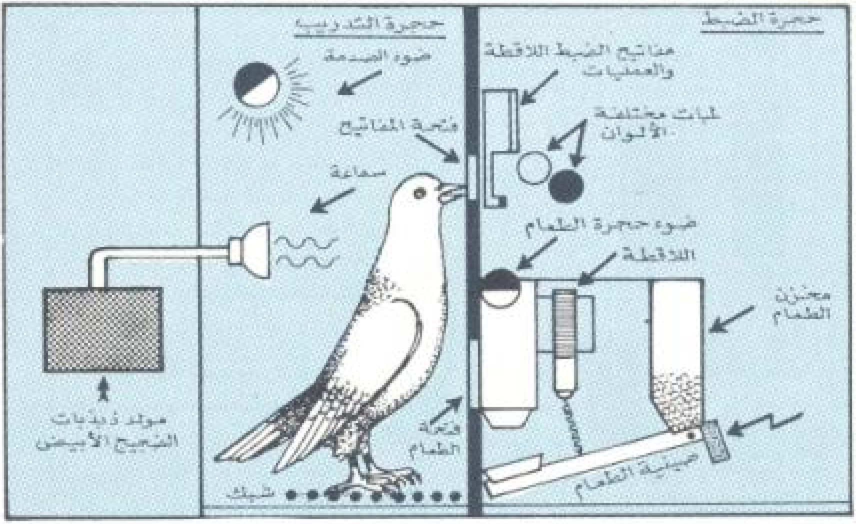

شكل رقم (١)

ولذا ، ما ان يبتعد الصاروخ عن مجال راداراته حتى تغلق اجهزة الاستقبال فيه جميعا ليقوم الطائر بعدها بعملية التوجيه الذي تم تدريبه عليها . ويوضح الشكل رقم ٣ نموذجا لنظام اطلاق صواريخ متكامل يتكون من عناصر ثلاثة أساسية هي :

- القمر الصناعي لتصوير المعلومات وجمعها .
- نظام الرادارات الأرضية .
- الصاروخ العابر للقارات ذو الدفع الذاتي ICBM الموجه بواسطة الحيوان .

ويتم جمع المعلومات عن الأهداف خلال فترة السلم ، وأحيانا خلال الحرب بواسطة الأقمار الصناعية التي تدور فوق أراضي « العدو » . ويتم تصوير الأهداف بواسطة تقنيات مختلفة ، مثل الأشعة ما دون الحمراء وطرق التصوير الأخرى واعداد فيلم عنها . وبعد ذلك يتم بواسطة الأساليب « السكينرية » للتدريب تعويد الحيوان على كيفية معرفة الهدف والضرب بمنقاره على المفاتيح اللازمة لإبقاء الصاروخ في اتجاهه الصحيح . ويتعلم الطائر الطيار أن يميز الهدف ضمن الصور الأرضية الأخرى على الفيلم الذي يظهر أمامه على اللوحة . وهكذا يتعلم الطائر أن يضرب بمنقاره على المفاتيح اللازمة لكي يصل الى تطابق بين صورة الهدف نفسه وصورة الهدف على الأرض الذي تم تصويره وتحديده بواسطة القمر الصناعي . وهذا التطابق هو الذي يؤدي بأجهزة الضبط وتغيير الاتجاه في الصاروخ الى التوجه مباشرة الى الهدف . وحين يبدأ الصاروخ بالاقتراب من الهدف تتدخل أجهزة قياس الضغط الجوي لكي تخبر أجهزة الضبط عن المسافة الباقية فتعطي هذه الأخيرة بدورها الأمر الى التفاعلات الكيميائية وصواعق التفجير فتبدأ عملية التفاعل التفجيري في الرأس النووي .

استخدامات أخرى وأنظمة أخرى :

والواقع ان استخدام الحيوانات للقيام بالعديد من المهام ليس بالجديد .

فالكل يسمع عن الكلاب التي تقود العميان والكلاب البوليسية المدربة للقبض على اللصوص او اشتمام الديناميت او الحشيشة والهيروين وغيرها . وعليه فإن التوسع في هذه الاستخدامات يبدو ـ على الأقل

للبعض ـ طبيعيا . فمن المعروف مثلا أن العديد من الحيوانات البحرية وخاصة الدلافين الموصوفة بالذكاء والمهارة بالقيام بالحركات الصعبة والاستعراضية ، التي لا تخلو حديقة حيوانات منها ، قد تم تدريبها واستخدامها لكشف الغواصات المضادة . هذا فضلا عن اجراء الاختبارات الطبية التجريبية العديدة على الحيوانات ، والاستعمالات القديمة مثل الحمام الزاجل لنقل البريد وغيره . ويمكن استعمال الحيوانات للقيام بالعديد من الأعمال العادية والروتينية التي ستكون مكلفة اذا أريد استعمال الآلات لها ، أو عملة اذا قام بها الانسان . والواقع ان

قدرة الحيوانات على التدرب والتمييز بين العديد من الصور حتى المركبة والمعقدة منها كانت موضوع ابحاث عديدة . ففي عام ١٩٦٤ قام الدكتوران هيرينشتاين ولوفلاند R.J. Herrenstein & D.H.Loveland بتجارب عديدة لدراسة المفاهيم المرئية المعقدة لدى الحمام ، فتبين أن الحمام

يملك قدرة مميزة للتعرف وابداء ردود فعل معينة تجاه صور الأشخاص ، حتى لو كانت على شكل خيالات او تحجبها جزئيا عوائق كالسيارات او الشجر ، مما يدل على مستوى عال من القدرة الحيوانية على تكوين المفاهيم.

كذلك قام الدكتور فرهاف T. Verhave بتجارب ناجحة لاستخدام الحمام في مجالات لم تكن مطروحة . وكان فرهاف يعمل في شركة أدوية كبيرة متخصصة بالصيدلة النفسية Psycho-Pharmacology تضع حوالي ٢٠ مليون حبة من دواء معين في اليوم . وكانت احدى المشكلات الكبرى التي تواجهها الشركة فرز الحبوب الجيدة عن الحبوب المكسورة او المشققة . فعمد فرهاف الى تدريب الحمام على التعرف الى الحبوب التي لا يكون شكلها صحيحا (وكانت تشكل حوالي ١٠٪ من الانتاج الاجمالي) وذلك بتمرير الحبوب على شريط متحرك أمام الطائر ، وكلما رأى الطائر حبة غير صالحة التقطها بمنقاره ، وألقاها جانبا . وكلما قام بعدد معين من عمليات الانتقاء الصحيح حصل على مكافأته من الطعام . وأما الحركات الخاطئة التي يقوم بها ، مثل تمرير حبة فاسدة دون التقاطها ، أو التقاط حبة جيدة ، فيعاقب عليها بالتعتيم عليه مدة ٣٠ ثانية داخل حجرة التدريب .

ويقال انه لم يتم استخدام الطيور ، بالرغم من نجاح التجربة ، لما كان سينجم عن ذلك من مردود اعلامي سيء لو صار الجمهور يتوقع او يتخيل أن الطيور تعبث بالحبوب بقوائمها ، وانها كذلك قد تتغوط بين فترة وأخرى ! □

مداعبة الاطفال

يرجع اهتمام العرب الأقدمين بالغناء للأطفال ، وملاعبتهم ومداعبتهم وهدهدتهم وترقيصهم وتنويمهم ، والتسرية عنهم للمكانة الحميمة التى يحتلها الأطفال والأبناء فى النفس العربية .

فالابناء والاطفال هم الاكباد التى تمشى على الارض ، وهم ريح من ريح الجنة ، وهم زينة الحياة الدنيا وهم ـ فى المستقبل ـ حماة الحمى ورجاله وموضع فخره واعتزازه ، وكانت الوصية التى تتوارثها الاجيال العربية على مدى الازمان والعصور هى : لاتبت ابنك مغيظا ، وَدَلِّلْهُ وعلله ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسليه ويشبعه ، وتغن له قبل ان ينام حتى ينام بعد ان تهيء له صفاء المزاج ، وارتياح القلب ، وهدوء الاعصاب ، وراحة البدن .

اقرأ في العدد القادم من العربي

□ لأول مرة " العربي "
تستطلع صناعة السلاح فى المملكة العربية السعودية
يوسف الشهاب

أسرار الطب النفسي الأسري	ماذا تعرف عن الإبداع ؟	لغتنا العربية .. لماذا يحاربها البعض ؟
د. عبدالرؤوف ثابت	د. ادريس سالم الحسن	د. عمر موسى باشا

□ ماذا تعرف عن ملقا ؟
قصة مدينة ... وصراع تحت الشمس
استطلاع ملون - سليمان مظهر

□ كيف يُظهرون المرأة العربية فى السينما العالمية ؟
أحمد رأفت بهجت

□ البيت العربي .. ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب :
د. محمد الرميحي - د. أحمد كمال أبوالمجد
فاروق شوشه - د. سيدحامد النساج - د. حكم المأمون .. وغيرهم

ماذا.. ولماذا..

وكيف نقرأ ؟؟

بقلم عبد الله زكريا الانصاري

سؤال له اهميته الكبرى في ميدان الكلمة .. الاجابة عليه تحتاج الى مناقشة ... وتحديد هدف للوصول الى ادراك معنى الحياة .

القراءة ثقافة وعلم ومعرفة وإدراك ، وهي لدى البعض متعة وتسلية واسترخاء ، أو ترف فكري ، ويختلف الذين يقرأون بحسب ما يقرأون ، وكيفية قراءتهم ، وبالهدف الذي ينشدونه من القراءة ، والناس ليسوا على حال سواء ، فالذي يقرأ هذا الكتاب غير الذي يقرأ ذلك الكتاب ، والذي يقرأ للمتعة غير الذي يقرأ للفهم والادراك . والذي يقرأ للعلم والمعرفة غير الذي يقرأ بلا هدف ولا غاية ، والذي يقرأ لنفسه يختلف عن الذي يقرأ للناس ، وهكذا .

إن الذي يقرأ للناس هو ذلك الذي يقرأ لنفسه ليفيد من قراءته الناس ، وليس الذي يقرأ لنفسه وحده ، ويختزن ما يقرأ دون أن يفيد منه الناس ، ولذلك نقول ، لا بد أن يأتي السؤال هكذا : لماذا نقرأ ؟ وإذا فهمنا لماذا نقرأ ، فعلينا أن نختار النوعية التي نقرؤها ، لأنك لا تستطيع أن تحدد الطريق الذي عليك أن تسلكه دون أن تحدد الغاية التي تسعى إليها .

هناك من يتخبط في قراءته ، فتراه يقرأ بغير هدى ولا بصيرة ، فيضيع وقته دون الحصول على فائدة

محددة واضحة ، وهذا هو الذي لا يعرف ماذا يقرأ ، لأنه لا يعرف لماذا يقرأ ، والذي لا يعرف لماذا يقرأ ، لا يعرف كيف يختار الكتاب الذي يقرؤه ، فيضيع بين يديه وقته ويتبدد ، وربما أدى به هذا الحال إلى بلبلة فكره ، أو ضياعه ، ومن ثم عدم التركيز على أمور الحياة التي تجري حوله وبين يديه .

لا بد أن يكون للقراءة هدف وغاية ، وبالتالي لا بد أن تكون الغاية هي فهم الحياة . ذلك أن الذين لا يفهمون الحياة لا يعرفون معناها ، ولا يدركون سموها ، ولا يفقهون غايتها ، ولا يقدرون قيمتها ، وهؤلاء لا يستطيعون أن يقدموا لها شيئاً ، لأنهم لم يستطيعوا أن يأخذوا منها ما يجب أخذه ، إذن فهم لا يخدمون الحياة ، وخدمة الحياة إنما هي خدمة الانسان الذي يعيش فيها ، ويستظل بظلها .

إن الذي يفهم الحياة ، ويدرك معناها ، ويقدر قيمتها هو ذلك الذي يقول :ـ « يجب عمل الفضيلة ، لأن الفضيلة تجلب السعادة » ، وهذا شأن أكثر الأقدمين ، فإنهم يعتبرون أنه يلزم عمل الخير ، لا خوفاً من شيء ، بل لأنه واجب ، وانه يلزم أن يخجل الانسان من نفسه لا من غيره ، فالحياة التي لا قلق فيها ولا غمّ أكبر سعادة في الأرض .

نعم هذا هو فهم الحياة ، والذي يدرك أن السعادة تكمن في الفضيلة هو الذي يدعو للفضيلة لتُظل الآخرين ، لا لتظله هو وحده ، فما هي قيمة الفضيلة إن لم تشع بين الناس ، وتظلهم بظلها ؟ ويقول هذا القائل إن هذا شأن أكثر الأقدمين ، ومن هم هؤلاء الأقدمون ؟ لا شك أنهم النخبة من المفكرين ، وإذا ما علمنا أن هذا القول قاله قائله ، منذ أربعمائة وخمسين عاماً قبل الميلاد أدركنا مدى التدهور الذي حل بالانسان ، وحل بفكره وعقيدته ، وحل بضميره وبإيمانه ، وأدى إلى ظهور الأنبياء والمرسلين ، وبروز المصلحين ليضعوا حداً للتدهور ، ويمنعوا سقوط الانسان في أوحال الرذيلة .

إنها قولة قالها « ديموقريط » ، بل إنها قولة من أقواله ، وهي جزء من أدبه الرفيع الذي يدعو فيه إلى عمل الخير ، لماذا ؟ يقول :« لأنه واجب ، أي يجب على الانسان أن يعمل الخير في حياته ، لا خوفاً من شيء ولا رجاء شيء آخر ، ولا خشية من أحد ، ولا طمعاً في شيء ، بل لأنه واجب ، أي عمل الخير من أجل الخير عامة» ، ويضيف في هذه القطعة الأدبية « أن على الانسان أن يخجل من نفسه لا من غيره» ، وكأنه يقول : إن عليك أن تخجل من نفسك إن ارتكبت عملاً خاطئاً ، ولو لم يعرف الناس عنك شيئاً ، وهي دعوة حية لأولئك الذي يقترفون الذنوب ، ويأتون بالموبقات ، ويحللون الحرام ، ويحرمون الحلال ، ويرتكبون كل الأخطاء والجرائم فيما بينهم وبين أنفسهم ويظهرون أمام الناس مرتدين أثواب النفاق المطرزة بالغش والخداع والتضليل ، إنهم لا يخجلون من أنفسهم ، ويريدون أن يخجلوا من الناس ، وهؤلاء هم المفسدون في الأرض .

إن الذين لا يخجلون من أنفسهم في عمل المنكرات ويحاولون أن يخجلوا من الناس باظهار أنفسهم على غير حقيقتها أمامهم ، أولئك هم شر الناس وقد أخذوا يتكاثرون في هذا العصر ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويعيثون في الأرض الفساد ، وكأنهم يقولون بأن الحياة هي الانحلال والانحطاط ، والكذب والخداع ، فهم على عكس هذا الانسان الذي طوته القرون ، ومرت على أدبه الحقب والأجيال ، وظل أدبه أدب الانسان الرفيع الذي يدرك معنى الحياة ويدرك سموها ، ويعرف قيمتها وقدرها ، بعيداً عن الرياء والنفاق وعن الزيف والضلال ، إنه يقول على طبعه وسجيته : « ان الحياة التي لا قلق فيها ولا غم ، أكبر سعادة في الأرض » .

وجاء الأنبياء والمرسلون ، وطلع المصلحون ، وقام العباقرة المخلصون ، ودوت أصواتهم ، وقلبوا الأوضاع الفاسدة ، وغيروا المفاهيم الخاطئة ، وأرسوا دعائم الاصلاح ، وخطوا أمام الناس طرق الحق والعدل ، ودلوهم على الفضيلة ، ثم ذهبوا فعاد الناس إلى غيهم وضلالهم ، ولم يعوا معنى الحياة ، ولم ينفذوا بأبصارهم وبصائرهم إلى حقيقتها ، ولم يدركوا غايتها ، ولم يصلوا بعقولهم إلى سموها ، وظلت قولة « ديموقريط » ضائعة مع الحق والحقيقة ، وعمل الخير لا وجود له ، وحل محله الخجل النفاق والرياء ، واختلف مفهوم الفضيلة عن مفهوم السعادة ، وطغى القلق والغم على سطح الحياة .

وتجيء دعوة القراء بمفاهيمها المختلفة بين الناس من تحت أنقاض الحياة وفلول المفاهيم المتناقضة ، وهدير المطابع ، وضجيج الاعلام ، وصخب الكتب والمجلات البراقة اللامعة ، تغريك بجمالها الساطع ، وورقها اللامع ، وألوانها الزاهية ، فماذا تأخذ منها ، وماذا تدع ؟

هنا نقول : عندما نعرف جيداً لماذا نقرأ ، نصبح أعضاء نافعين ، ونستطيع أن نحدد المسار الذي نسير عليه في حياتنا الصعبة،ونعرف كيف نعالج أمور حياتنا المعقدة ، وربما توصلنا إلى حل مشاكلنا ومشاكل الآخرين ، ولا شك أن ذلك يتم عن طريق اختيارنا لنوعية الكتب التي نقرؤها ونطلع عليها ، ونستفيد منها ونفيد ، ولعل ذلك يؤدي بنا إلى متعة كبرى ، وقيمة هذه المتعة أنها تحقق أسمى هدف من أهداف الحياة ، وهي لا تختلف عن الفضيلة التي تجلب السعادة ، تلك التي نادى بها « ديموقريط » .

إن الذين يقرأون للمتعة وحدها إنما يقرأون لأنفسهم وحدهم ، وفي هذا الحال لا يستفيد منهم أحد ، والانسان في الواقع لا بد أن يكون عضواً نافعاً في الحياة .

ومن الناس من يعجبك انكبابه على القراءة ، وملاحقته ما تقذف به المطابع من صحف ومجلات ، وقصص وروايات ، دون اختيار الجديد منها والنافع ، وإذا سألته أجابك بأني أقرأ لنفسي وحدي ولمتعتها ولا يهمني الصادق منها والكاذب ، إني أختار المسلّي والممتع ، فتأسف للوقت المهدور دون نفع أو فائدة عامة ، والسبب أن هؤلاء لا يعرفون ، ولعلهم لا يستطيعون أن يحددوا مسار قراءتهم ، لأنهم لم يحددوا أولاً الغرض والغاية من قراءتهم .

ومن الناس من يقرأ للمتعة ، ومع ذلك تراه يكون لنفسه ثروة من المطالعة تفيض على الناس أيضاً ، أعني يستفيد منها الناس بسبب حضوره في مجتمعه ، واختلاطه بأفراده .

ليس كل الناس علماء ، والعلماء قلة اختطوا لأنفسهم طريقاً يسيرون عليه في الحياة ، وحددوا هدفاً يبغون الوصول إليه ، ورسموا غاية يسعون لادراكها ، إن هدفهم وغايتهم إنما هو الحفاظ على شرف العلم ، وشرف العلم إنما هو خدمة الانسان ، واصلاح المجتمع الذي يعيشون فيه .

أما كيف نقرأ فتلك حالة تخص الانسان ، وهي حالة تحددها طبيعته ، وطبائع الناس شتى ومختلفة ، والكيفية التي يقرأ بها هذا غير الكيفية التي يقرأ بها ذاك ؟

ومن عجب أن تجد قارئاً لا يستوعب ما يقرأ إلا بين ضجيج الناس وصراخهم ، وما زلت أتذكر أولئك الذين يأخذون كتبهم ويستقرون معها في احد المقاهي الكبرى في ميدان العتبة الخضراء في قلب القاهرة بين « شكشكة ألعاب النرد » وصراخ المنادين على طلباتهم ، من شاي وقهوة وشيشة وغير ذلك من الطلبات ، ودوي « الترام » وصخب سيارات النقل ، كبيرة وصغيرة ، وصفير أبواق السيارات وأزيزها . . . أتذكرهم وقد أخذوا مقاعدهم في إحدى الزوايا ، أو بين رواد المقهى الكبير ، وراحوا يقرأون ويقرأون ، ويسترسلون في قراءتهم ، وتراهم بين آونة وأخرى ، يدونون عبارة أو جملة أو يؤشرون على كلمة أو سطر مما يدل على استيعابهم ما يقرأون .

ومن عجب أيضاً أن تجد من هؤلاء القراء من يقرأ وهو راكب في القطار أو « الترام » ، أو سيارة الركاب ، أو تراه يقرأ ماشياً في الشوارع أو الحدائق أو حتى الأسواق .

ومنهم من إذا حركت الريح الورقة التي يقرؤها، أو سمع صوتاً أي صوت ، تشوش فكره ، واضطربت قراءته ، ولم يعد يستوعب ما يقرأ ، وضاعت منه المعاني بين السطور .

ومنهم من تدمدم في فكره الأحداث ، وتجول في خاطره المشاكل ، وتدوى في نفسه هموم الحياة ، فلم يدرك ما يقرأ ، ولم يع ما يمر عليه من معان وصور .

وتلك من طبائع الناس ، ولكل انسان طبعه الذي ركب فيه ، وعادته التي اعتاد عليها .

وخلاصة القول أننا نقرأ لنفهم ولندرك معنى الحياة ، ومن ثم لنقدم لأنفسنا وللناس ما نستطيع تقديمه من خير ، ولنتجنب الشر الذي يتنافى وسعادة الانسان ، ولا يوصل إلى الفضيلة التي هي غاية الانسان في الحياة ، أو هكذا يجب أن تكون . □

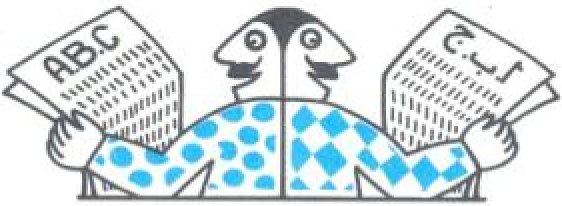

حكايات شرق وغرب

ابنة ستالين ملّت الحياة في الغرب !

● عندما عادت سفيتلانا ابنة الزعيم السوفيتي الراحل جوزيف ستالين الى بلادها التي كانت قد هجرتها منذ أكثر من سبعة عشر عاما .. تساءل الناس : لماذ ؟ ما الذي دفعها الى العودة الى الاتحاد السوفيتي ، بعد تلك الأعوام الطويلة التي عاشتها في الغرب ؟!

وفي البداية كان الصحفيون الغربيون لايكفون عن ملاحقتها بأسئلتهم :

(لماذا ؟ ما الذي دفعك الى اتخاذ هذا القرار المفاجىء ؟)

وكانت سفيتلانا تكتفي بالرد عليهم بابتسامة لاتلبث ان تضيف اليها :

(أليس من حق أي مواطن أن يعود الى البلد الذي نبت في أرضه ، بدافع من الحنين اليه ؟) .

ولكن ابنة الزعيم السوفيتي الكبير التي استقبلتها الولايات المتحدة الامريكية منذ سبعة عشر عاما مضت بدعاية ضخمة ضد النظام الاجتماعي في الاتحاد السوفيتي ، مالبثت أن تكلمت أخيرا ، قالت : (لقد عدت الى بلدي بعد أن شعرت بالملل وخيبة الأمل !) .

وفي المؤتمر الصحفي الذي ظهرت فيه سفيتلانا في موسكو ، وأشرفت على تنظيمه السلطات السوفيتية بناء على رغبتها ، وقفت سفيتلانا تشرح الأسباب التي أدت الى اصابتها بهذا الشعور ، قالت : (انه أسلوب

سفيتلانا

الحياة في الغرب .. لقد انقضت سنوات طويلة قبل أن اكتشف أنني اعيش في مجتمع غريب لم أستطع أن أتكيف معه . ربما يكون قرار عودتي قد استغرق وقتا أطول مما يجب ولكن كانت هناك عدة اعتبارات أضعها دائما في حسابي كلما فكرت في العودة !)

ولم تكن سفيتلانا بعد هذا في حاجة لان تشرح معنى هذا الكلام ، فقد كان مجلس السوفييت الأعلى قد قرر عقب سفرها الى أمريكا والاقامة بها ، اسقاط الجنسية السوفيتية عنها ، وخاصة بعد أن تزوجت للمرة الرابعة من أمريكي ، هو ويليام بيترز وانجبت منه طفلة أسمتها أولجا .

ولكنها مالبثت أن اكتشفت بعد ذلك ، ان

السلطات السوفيتية كانت ترحب دائما بعودتها بعد أن تأكدت من أن السبب الرئيسي الذي دفعها الى ترك بلادها هو أنها لم تحتمل الحياة وسط الأجواء التي كانت تحيط بها لمجرد أنها ابنة ستالين ، لقد كان شبح والدها يطاردها في كل مكان تذهب اليه بعد الحملة التي شنها زعماء الكرملين ضده عقب رحيله .

لقد ألفت سفيتلانا كتابين في الغربة ، ولكنها لم تحاول في أي منهما أن تنال من سمعة بلادها ونظام الحكم فيها . . ومن أجل هذا سوف تعيش سفيتلانا كأي مواطنة عادية في بيت جديد ستقدمه الدولة هدية لها ، وفي هذا البيت سيكون لقاؤ ها بولديها جوزيف وكاترينا اللذين تركتهما وراءها عندما قررت الرحيل وحدها . . وقد رزقت بهما من زوجها الثاني .

يقول أصدقاؤ ها : (لقد عادت سفيتلانا في الوقت المناسب لتشارك في الاحتفالات التي ستقام هذا العام بمناسبة مرور أربعين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الاتحاد السوفيتي ، بعد أن شاركت فعلا في المهرجان الذي أقيم في جورجيا مسقط رأس والدها ستالين بمناسبة مرور خمسة وتسعين عاما على مولده !)

حتى الموت لم يستطع أن يفرق بينهما

لم يكن الزوجان الحبيبان يفترقان لحظة واحدة . . . كانا دائما معا في كل مكان يذهب أحدهما اليه . .

اسمها فلورانس ، وزوجها سالفاتوري ، اما قصة حياتهما فتبدأ عندما التقيا في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة في عام ١٩٣٢ ، وتحابا وتواعدا على الزواج .

ومرت الأعوام ، وصنعت بالزوجين السعيدين ماتصنعه بكل البشر . . لقد تقدم بهما العمر ، وأصيب الزوج سالفاتوري بنوبة قلبية حملوه على أثرها الى المستشفى للعلاج ، وكان قد جاوز السابعة والسبعين . .

وراحت فلورانس تزور زوجها الحبيب كل يوم ، وتمضي معظم ساعات النهار بجوار فراشه ، تخفف عنه آلامه وتؤنس وحدته . . ولكنها مالبثت أن احست في أحد أيام زياراتها له أنها متعبة ، ونقلوها الى عيادة الطبيب .

وفجأة تدهورت حالة الزوج في نفس اللحظة التي كان الطبيب يقوم باجراء الفحوصات اللازمة للزوجة ، على بعد خطوات من الحجرة التي يرقد فيها زوجها . . ثم ازدادت حالة الزوج سوءا ، ومالبث أن فارق الحياة . .

ولم يشأ الأطباء ان ينقلوا الخبر الى الزوجة فلورانس اشفاقا عليها من الصدمة التي يمكن أن تسبب لها

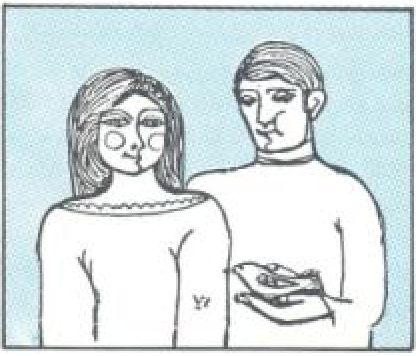

مضاعفات خطيرة ، ولكن لم تكد تنقضي بضع دقائق على رحيل سالفاتوري ، حتى كانت فلورانس تعاني من صعوبة شديدة في التنفس ، ثم مالبثت بدورها أن أسلمت الروح .

ومات الزوجان دون أن يعرف أحدهما أن صاحبه قد تركه ورحل ! وقال الطبيب الذي كان يشرف على اسعاف فلورانس بالعلاج : (لقد أذهلتني المفاجأة . . . كانت مجرد نوبة قلبية بسيطة ، لايمكن أن تتسبب في موتها المفاجىء ولكن ثمة شيئا قد حدث . . في الساعة التاسعة وتسع دقائق بالضبط ، وجدتها تنظر الى في هدوء ثم ترفع السماعة عن صدرها ، وبعد أقل من دقيقتين توقف قلبها تماما .

وفي سجل الزوج المريض سالفاتوري ، قرأ الطبيب . . ساعة الوفاة ، التاسعة وسبع دقائق !

أم مونتجومري جعلت منه قائدا

كثيرون هم الذين كانوا يكرهون الفيلد مارشال مونتجومري ، قائد الجيش الثامن الانجليزي الذي انتصر على قوات النازي بقيادة روميل في معركة العلمين ، التي غيرت مجرى الحرب في شمال افريقيا . فقد كانوا يتهمونه بالأنانية والقسوة والغيرة والبخل ، بل ذهب البعض الى أكثر من هذا فقالوا عنه انه كان مصابا بالجنون .

ومع هذا فقد قيل ان جنوده كانوا يعتبرونه واحدا من أعظم القواد العسكريين في العالم ، فقد كان دائما وسطهم في ميادين القتال يضحك معهم ، ويستمع الى شكاواهم ، ولاينام الليل اذا أصيب أحدهم وكانت اصابته بالغة .

وقد عاش مونتجومري ، أو « مونتي » الى مابعد الثمانين ، وكان عجوزا مرحا ، يجد متعة في الضحك من نفسه وعليها ، مع النكات التي يطلقها أصدقاؤه ومعارفه . روى يوما قصته مع التلميذ الصغير الذي رجاه أن يوصله بسيارته الى بيته بعد أن بلَّلتْ مياه المطر ملابسه ، وقال مونتجومري يسأل الصبي : (هل تعرف من أنا ؟)

وأجاب الصبي : (ليس لديّ أي فكرة . . كل ما أعرفه الآن أنك صاحب هذه السيارة التي ستوصلني بها الى البيت ، وتنقذني من المطر)

وقال مونتجومري : (سوف أساعدك قليلا ، سأذكر لك رتبتي ، وعليك بعد ذلك أن تفكر في الاسم الذي يأتي بعدها . . أنا (فيلد مارشال) وفيلد بالانجليزية تعني الحقل . وتهلل وجه الصبي فرحا وقال على الفور : (أرجوك أن تساعدني ، انني أبحث عن عمل في أي حقل خلال عطلة الصيف الطويلة . ولكن قل لي ماذا تفعل أنت بالضبط . . هل تقود الجرار الزراعي في الحقل ؟) .

واجاب مونتجومري : (لا انني أقتل الناس !!)

وأصيب الصبي بذعر شديد وصاح : (أوقف سيارتك على الفور ودعني أنزل . . انني أفضل أن أغرق تحت مياه المطر على أن تقتلني كما تفعل مع بقية الناس !!)

مونتجومري

وكان مونتجومري يفاخر دائما بقوله ان انتصاره في معركة العلمين هو الذي أنقذ ونستون تشرشل من السقوط كرئيس للوزراء ابان الحرب العالمية الثانية .

وكما كرهه الكثيرون ، كان هو أيضا يعرف الكثير عن نقائص السياسيين البريطانيين ، فهو يقول عن هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا الذي خلف انطوني ايدن بعد سقوطه اثر العدوان الثلاثي على مصر ، يقول مونتجومري : (لن أقبل أن أرافقه في رحلة الى الاحراش لأنه اذا كان لابد لواحد منا أن يخرج من هذه الغابة ، فلن أكون أنا على أية حال !)

ولكن ما مناسبة الحديث عن مونتجومري الآن ؟ انه الكتاب الجديد الذي صدر في بريطانيا بعنوان : (أحاديث مع مونتجومري) وهو يذكر فيه بين مايذكر ان أمه لم تكن تحبه كثيرا ، وقد ضبطته يوما يدخن سيجارة وهو صبي لم يتجاوز عامه التاسع . وعبثا حاول أن يستغفر ربه أمامها ، فهو ماكاد ينتهي من صلاته حتى فوجىء بها تنتظره وهي تحمل عصا غليظة انهالت بها ضربا على ساقيه .

ترى ماذا كان يحدث لو أن ام مونتجومري كانت أقل عنفا وأكثر حبا لابنها ، ويقول مؤلف الكتاب : (كان من الممكن أن يصبح مونتي شخصية أخرى غير ذلك القائد الشرس الذي عرفوه في ميادين القتال ، وربما كانت بريطانيا قد خسرت الحرب !)

وقتل الأب نفسه حزنا على ولد عاق !

ضاق الأب ذرعا بتصرفات ابنه ، الذي اعتاد السهر في الخارج حتى ساعة متأخرة من الليل كل يوم ، ضاربا بنصائح والده عرض الحائط . . وحار الأب اميليو امبينو في اصلاح حال ابنه الوحيد جيوفاني ، الذي أهمل دراسته ولم يعد يهتم بشيء ، ولايقيم وزنا للنصائح التي يسديها اليه والده . .

وللمرة الثالثة خلال أسبوع واحد ، كان جيوفاني يعود الى البيت في الساعة الثالثة صباحا . ولم يحتمل الأب أن يرى ابنه في هذه الحالة من الضياع وسط شوارع مدينة نابولي بايطاليا ، حيث تعود أن يقضي كل وقته مع رفقاء السوء . وحاول أن يتكلم ، أن يقول شيئا ، ولكن ثورة الغضب التي تملكته كانت أقوى من أن تدع له أية فرصة لمزيد من الحديث مع هذا الابن العاق . . ولم يشعر أميليو بشيء بعد هذا ، ولكنه عندما رأى ابنه يسقط على الأرض مغشيا عليه ، أدرك على الفور أن الضربة القوية التي وجهها الى رأسه قد افقدته وعيه .

وأصيب الأب بذعر هائل ، وهو يحاول أن يعيد ابنه الى وعيه ، فقد كان الفتى لايتحرك . . لقد مات . !

وأسرع اميليو الى بندقيته وهو يصرخ : (لقد قتلت ابني) ثم افرغ رصاصة في رأسه وسقط على الارض والدماء تنزف منه . . لقد مات الأب .

أما الابن جيوفاني ، فقد كان فقط يقوم بالدور الاخير من التمثيلية التي وضع زملاؤه فصولها . . قال لرجال الشرطة الذين جاءوا للتحقيق فيما حدث : (لقد تظاهرت بأنني ميت حتى لايتمادى والدي في ضربي !!) .

جياكومو . . وحكايته مع الفشل !

جياكومو ديرتوشيو ، شاب ايطالي يعيش في مدينة ميلانو ، ظل هو والفشل حليفين لايفترقان أبدا ، فعندما استطاع ان يحصل على وظيفة أخيرا وسط ازمة البطالة المتفاقمة ، وجد نفسه يدخل في معركة مع رئيسه بعد أيام قليلة من تسلمه لعمله الجديد ، ثم صدر قرار بفصله من العمل .

وعاد الى البيت والى زوجته (روزا) فوجدها تشكو بسبب العطل الذي أصاب غسالتها الكهربائية ، وحاول جياكومو أن يصلح الغسالة ولكنها احترقت وكادت تحرق البيت معها .

وفي اليوم التالي صرخت الزوجة وهي ترى المياه تغرق البيت من الثقوب التي امتلأ بها السقف ، وأسرع جياكومو يتسلق البيت ليسد الثقوب التي كانت تنفذ منها مياه الأمطار ، فاذا بها تتسع وتتسع وتغرق المياه البيت كله .

حتى التلفزيون الذي اختفت الصورة عن شاشته ، توقف عن العمل تماما عندما حاول جياكومو اصلاح الهوائي الذي تحطم في وجه الريح .

ولم تحتمل روزا مايحدث للبيت وهي تراه قد تحول الى حطام وسط مستنقع كبير فصرخت : (كل شيء تفعله يعود علينا بالدمار ، أنا لم أعد احتمل الحياة معك)

وكان جياكومو يحب زوجته روزا ، فلم يستسلم ، وانما راح يحاول من جديد ، غير ان محاولاته كلها باءت بالفشل .

وعندئذ فقط تأكد أنه فقد حب روزا له واعجابها به !

وقرر أن يفعل شيئا بنفسه ، ربما استطاع معه أن يستعيد حب زوجته ، فأمسك بموسى الحلاقة وقطع به شرايين معصمه . . وبدأت الدماء تسيل غزيرة . . ونقلوه الى المستشفى لاسعافه بالعلاج . . ولكن جياكومو مات .

انه لم يكن يريد أن يموت ، كان يحاول فقط أن يستدر عطف روزا ، ويستعيد حبها ، ولكنه فشل حتى في هذه المحاولة الأخيرة .

قصة
من الأدب
الأفريقي

الزعيم ورسالة الفلاح

للكاتب الأوغندي : نواستونجو

ترجمة : محمد عبد الواحد

المؤلف :

ولد هذا الكاتب في أوغندا عام ١٩٤٢ ، وحصل على درجة الليسانس عام ١٩٦٨ من جامعة ماكريري ، والتي مارس فيها نشاطه المسرحي . ولقد نشرت قصصه القصيرة وكذلك أشعاره في مطبوعات صدرت في شرق أفريقيا ، ثم أعيد نشرها في عدد من المنشورات الأدبية العالمية .

وقد حصل ستونجو من جامعة الهند على ماجستير في الفولكلور بعد دراسة استمرت عامين ، ثم اشتغل بتدريس مادة الاعلام في جامعة ماكريري بكمبالا ، وكان من حين لآخر يعمل في التمثيل والاخراج المسرحي .

ومن مسرحياته « بو الخفي » التي صدرت عن مؤسسة هايتمان . أما القصة التي بين أيدينا فقد نشرت عام ١٩٧١ بمناسبة مهرجان فنون ماكريري .

كان من المفروض أن يلقي الزعيم اليوم خطابا هاما ، وان لم يدر أحد من الناس ما المناسبة التي من أجلها سيلقي هذا الخطاب . ولكن الزعيم فيما يبدو ، وكما يظن غالبية الناس ، كان يشعر منذ عدة أيام بحالة من البهجة ، جعلته يود لو يشاركه فيها الآخرون . هذا الى أنه كوّن لدى الناس انطباعا بأن فترة حكمه ليست - ببساطة - سوى فترة مكدسة بالخطب . وعلى أية حال ، فقد استطاعت وسائل الاعلام أن تروج لهذه المناسبة الخاصة بالخطبة رواجا كبيرا بين الناس . وفي نفس الوقت انضم رجال البوليس الى شاحنات مذيعي النبأ ، يحذرون في شدة قائلين : « نحن نتوقع منكم جميعا أن تشاركوا في اللقاء الرسمي لفخامته ، ولكن لاتنسوا غلق بيوتكم عند مغادرتها . وأنتم ياأصحاب السيارات لاتنسوا غلق أبواب سياراتكم،وعليكم الا تتركوا فيها مايغري باقتحامها ، فاللصوص - كما تعلمون - ينشطون تماما في مثل هذه المناسبات » .

وبهذا كانت الأمة على أهبة الاستعداد . ولقد اختار الزعيم لهذا الاجتماع الرسمي موقعا استراتيجيا ، موقعا يحتشد فيه سكان قريتين من أكثر

قرى الدولة عددا في السكان على الاطلاق ، كما يلتقي فيه أشد طريقين ازدحاما لحركة المرور . هذا فضلا عن أنه مكان تقليدي للاجتماعات منذ وقت طويل . ولهذا كان من المتوقع أن يحضره عدد كبير من الناس .

لن أصف لكم مقدار الزينات التي تعهد باقامتها السكان المحليون وغير المحليين قبل بدء الترتيبات لاضفاء البهجة على المناسبة أو على هذه الفوضى . فأنتم بالطبع تستطيعون تخيل هذه الاشياء قياسا على مايحدث في مثل هذه المناسبات .

ولقد كان يضايق الزعيم مايسود الأمة من فتور واضح ، يصحبها شك وريبة ، غير أن عامة الناس لم تكن تدري شيئا عن ذلك الشعور الذي يملأ نفس الزعيم . ولاحاجة للقول بأن حكومته عادة ماكانت تزعم أنها مهيمنة على الموقف ، فيما عدا انشغال الشرطة في صمت بالقبض على عدد لايحصى من المجرمين وغير المجرمين ، وماتركه المحامون في المحاكم من انطباع بأن مرتكبي الجرائم في الأمة ليسوا بشرا ، مطالبين موكليهم بانكار ما اقترفوه من جرائم . غير أن هذه الشرور الثلاثة .. الفتور والشك والريبة لم يفلت منها الزعيم . فقد كان دائما ينفي أن طاقته تتجاوز طاقة البشر ، لكن أنصاره الذين أرادوا تثبيت الفكرة ، كانوا يصرون على ادعاء هذه القوة له . ومن أجل هذا برم الزعيم بامتداح رفاقه أو غير رفاقه له ، وكان أن تملكه ابداعه القوى هذه المرة ، وقرر أن يقدم للجمهور مفاجأة ، ولكنه لم يتوقع نتائج تصرفه ، فهو لم يتصور مثلا أن فعله متسبب ذعرا واضطرابا .

لقد قرر في اللحظة الاخيرة أن يبدل مكان الاجتماع من الملتقى الشعبي المشهور الى احدى المدارس . انها مدرسة شهيرة نوعا ما ، ولكن ليس الى حد عقد اجتماعات سياسية بها . هذا الى أن الوصول اليها لم يكن سهلا . وصمم أن يذهب اليها وحيدا .. بلا سائق،بلا حراسة ، بلاحاشية . واصيب تلاميذ المدرسة (لن يذكر اسم المدرسة تجنبا للفضيحة ، أو لعلها اشاعه ،) بدهشة بالغة حين فوجئوا بشخص عاري الصدر مهوش الشعر مضطرب الهيئة قد دخل خلسة الى مسرح صالة طعامهم ، وأخذ يرقص رقصة السوينج ، معلنا أنه زعيم الأمة ، وأنه يود أن يتحدث اليهم . وسرعان ماعرفه التلاميذ ، فدقوا الطبول بانفعال .

وأقبل مزيد من التلاميذ ليستمعوا الى زعيمهم ، كما أقبل اناس آخرون ، مدرسون وأهالي من السوق القريب من المدرسة .

ولقد عانى الزعيم من مقاطعة حديثه مرارا بسبب تردد الناس على المسرح وبسبب التحذيرات التي كان يوجهها البعض لاصدقائه .. « هلا اغلقت بيتك ؟» .. هل أمنت دراجتك ؟ » .

واحد من الناس سأله صديق يذكره « رأيتك تضع على حامل دراجتك طعام الماتوك ،[1] وأراك الآن جالسا هنا .. فأين تركته ؟ » .

- تركته بالخارج فوق حامل الدراجة .

- الايجدر بك أن تذهب وتطمئن على وجوده هو والدراجة ؟ ...

وراح الرجل ليطمئن ، فوجد الماتوك قد اختفى . ولكنه كان سعيد الحظ الى حد كبير لأن دراجته لم تختف مع الطعام . وارتاب في الرجل الذي أطلق التحذير ، لكن لم يكن لديه برهان على ذلك .

وخرج رجل ليطمئن على دراجته ، فوجد المنفاخ مسروقا . كما وجد آخر دراجته سرقت ، الا أن اللص لم يترك المنفاخ وراءه ، كما أن المنفاخ لم يسقط عرضا من الدراجة .

- أنت سعيد الحظ لأنك وجدت دراجتك .

- أجل .. الدراجة موجودة .. ولكن المنفاخ ثمنه أربعة شلنات ، ولاأستطيع شراء منفاخ آخر ، فليس معي نقود حاليا . ثم أنه لافائدة من هذه الدراجة .. الأ ترى ؟ لقد تأكدوا من خلو اطاراتها من الهواء وها أنت ذا تراها فارغة .

- نعم ، أرى ذلك .. ولكن لديك الاطر على الاقل ، ونستطيع اصلاح الداخلية منها دائما .

ماذا تقول ؟ . الاطر مليئة بالرقع . ولايمكن

(١) الماتوك موز مسلوق ومهروس يستخدم طعاما في أوغنده

وضع رقع فوق رقع . ثم أني لا أملك نقودا اشتري بها صمغا .

ويبدأ الزعيم الذي يقف الآن وحده على مسرح المدرسة هادئا ، يواجه باعتداد جمهوره الذي ضم بعض المدرسين الذين تمكنوا من الحضور واختلطوا بالتلاميذ وقال :

« آسف لعدم اعدادي حديثا ألقيه عليكم في هذه المناسبة المشهورة : لقد أعد لي حديث ولكني خلفته ورائي . . ذلك أن سكرتيري الخاص أصرّ على الحضور حين ألقي الحديث . فهو يريد أن يربط مابين طريقتي في الالقاء ومابين رد فعل جمهور الحاضرين ، كما يريد الوقوف على الاجزاء التي ستكون موضع اهتمامه . ولقد أبلغني أني لو ألقيت الخطبة التي أعدها ، فسيستدعي فريقا من الصحفيين والمصورين . فرغم أنهم لن يشيروا الى أنه هو مدبج الخطبة ، فسيشعر بالاعتزاز حين يقرأ ماكتبه بنفسه ، وقد نقلته الصحافة حرفيا . . حسن . . أعني كلمة كلمة . . أعني النص كاملا دون حذف شيء منه . ولهذا عندما قررت المجيء وحدي وأن أغير المكان ، كان علي أن أترك الخطبة . اني مدرك على أية حال أنكم تتوقعون أن أحدثكم حديثا معقولا حتى لايقال اني لاأستطيع قول شيء معقول الا اذا كان مكتوبا . أجل سأحدثكم بشيء ، ولو أني لاأستطيع التنبؤ بمدى وقعه على نفوسكم لأنني شخصيا لاأعرف يقينا كيف يكون وقعه على نفسي » .

« ان معظمكم تلاميذ . حسن . . ولو أني أرى بين الحاضرين شيوخا .

على أية حال ، دعوني أتلو عليكم رسالة كتبها فلاح . . بالطبع لن أزيح النقاب عن اسمه أو عنوانه أو مكانه أو مقره . وسأتلو عليكم فقط ماأراه مناسبا . . نسيت أن أقول لكم ان هذه الرسالة موجهة لي بوصفي زعيما للامة . واليكم الان ماأريد تلاوته منها » .

(سيدي . . اني مزارع اكسب قوتي من فلاحة الارض . . ومنذ عشرين عاما وأنا مهتم بزراعة البن ، وقد زرعت منه قدرا كبيرا ، ولقد ظللت أفكر دوما في السعادة التي ستغمرني حين تغل الأرض محصول البن ، حيث أستطيع الحصول على بعض مال أسدد منه احتياجاتي . ولكن ويل لي . . وويل لكل مزارع ناجح . لقد بقيت طوال هذه العشرين عاما أرعى بني والأمل يعشعش في رأسي بأنه خلاصي الوحيد . وقد كان . .

سيدي . . ليس الامر أني أعرف طريقة حديثة من طرق الفلاحة ، أو أنني أرغب أو أحرص على معرفتها حتى لو أتيحت لي الفرصة . ولكنه أمر التطور الجديد ، وانه لأمر يفوق الحد يا سيدي . . ففي العام الماضي بعت محصولي كله دفعة واحدة ، وعدت الى داري منتفخ الجيب سعيدا ، وأدركت حينذاك أني أستطيع تسديد ضريبتي التصاعدية ، ومصروفات أولادي المدرسية ، ومرتبات الحمالين ، وشراء ثوب أو ثوبين لزوجي . ولكن في تلك الليلة هاجمني قطاع طرق وسلبوا كل نقودي . وكنا سعداء الحظ لنجاتنا الا من جروح بسيطة . ورفعت الامر للشرطة التي اشتدت همة رجالها . والقوا القبض سريعا على ثلاثة من المشبوهين ، واستدعوني لاتعرف عليهم ، وتم ذلك . ولكني أصبت بدهشة حين تم الافراج عن هؤلاء المجرمين بعد أسبوع واحد ، وقبل تقديمهم للقضاء . وحين ذهبت أشكو للشرطة ، طلبوا مني دفع ألفي شلن اذا كنت ارغب في القاء القبض على المجرمين .

لم أستفسر عن الغرض الذي سيستخدم فيه هذا المبلغ . ولكني عدت الى بيتي واقترضت المبلغ ودفعته للشرطة ، وكان أن القت القبض على المجرمين . . ان الهدف من رسالتي هذه . . هو أن . . . .) .

وتلعثم الزعيم ثم سعل بعد أن ابتلع لعابه ، فأخرج منديله ليمسح شفتيه ، وظن الحاضرون أنه فرغ من خطابه ، فاندفعوا الى منصة المسرح يهتفون ، وكل منهم يحرص على أن يراه الزعيم ، الا انهم لم يتبينوا أنه مغشي عليه .

اني لن أصف لكم الزعيم حين أغمي عليه ، أعني . . لاتتوقعوا أن أحدثكم بشيء كهذا عن الزعيم . لاتتوقعوا مثلا أن أقول ان عينيه بدتا وقد فقدتا الحياة تماما . أو أن ذلك اللعاب بدأ يكون زبدا حول فمه ، أو أنه كان فاغر الفم ، أو أنني تبينت

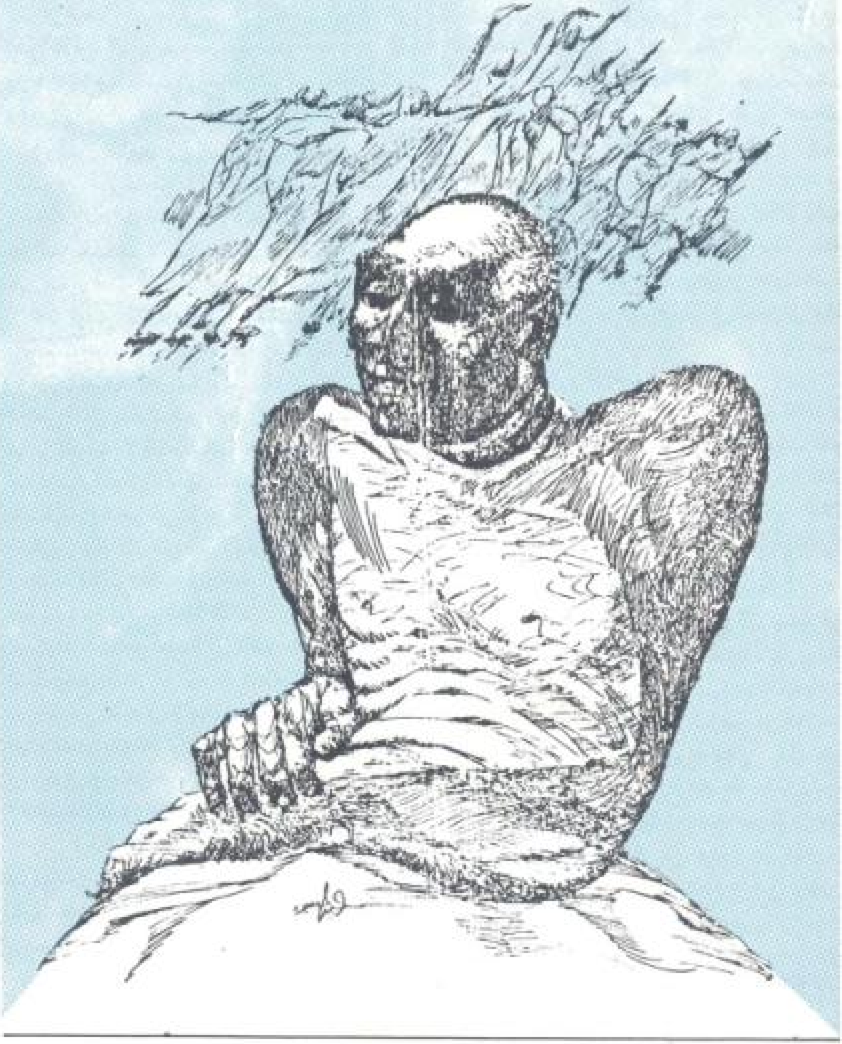

رائحة كريهة تنبعث منه وكأنه . . . على أية حال ، لقد أدرك رجل رقيق الحاشية خطورة الموقف ، فتولى بنفسه عملية الأمن . . أزاح الجمهور بعيدا ، ومدد الزعيم على منصة المسرح الصلبة . وتقدم شخص آخر بفكرة لطيفة وهي وجوب حمل الزعيم الى غرفة صغيرة ووضعه على مقعد مريح أو سرير . وفي نفس الوقت أخذ معظم الناس يجرون مبتعدين . وكان من الواضح أنهم لايدرون تماما ماحدث . وحين أصبح نقله ضرورة ملحة ، وقعت مسئولية ذلك على عاتق خمسة رجال كانوا متخلفين خلف الجمع . بيد أنهم خافوا أن يحملوه خشية الاشتباه فيهم بمحاولة اغتياله . خشوا جميعا أن يصبحوا ضحايا . وهكذا

كان الزعيم يحتضر دون أن يقدم له أحد عونا ، أو يعتني به أحد ، أو يقوم على حراسته أحد ، الى أن واجه الفلاح - كاتب الرسالة الموقف بشجاعة ، وحمل الزعيم الى قاعة نوم التلاميذ .

في نفس الوقت أراد السكرتير الخاص مشاورة رئيسه في أمور تتعلق بالخطبة ، كان يريد نصحه (حقيقة الامر ، السكرتير الخاص يفضل أن يطلق على هذا تعليمات لانصائح) بالوقوف والضغط على عبارات أو أسماء أو أفعال بعينها ، وبكيفية نطقها :

أدار قرص الهاتف وطلب بيت الزعيم فلم يجده . ولما طلب المكتب ، أخبرته السكرتيرة الشخصية أن الزعيم لابد وأن يكون في بيته . حينئذ طلب النادي الخاص الذي يلتقيان فيه عادة ، ولكنه لم يتلق ردا . فما ان كان منه الا أن طلب ادارة المباحث التي أعلنت عدم مسئوليتها وجهلها بالامر . وانتهى التفكير بالسكرتير الخاص الى أن الزعيم لابد وأن يكون قد اختفى . ولما كان الزعيم لايمكن أن يختفي بمحض ارادته ، فالامر اذن ينذر بالخطر . . ولو أن احتمال الموت لايمكن استبعاده تماما . ومن ثم ، ذهب السكرتير الخاص بنفسه الى المقر الرسمي للزعيم ليستوضح الامر من زوجة فخامته . وتبين أن الزوجة هي الاخرى لاتعلم متى اختفى زوجها ، بل انها لم تشعر بغيبته . وازدادوا ذعرا حين أيقنوا بعدم وجوده في أي مكان من أمكنته الخاصة . وكان حرسه الخاص مازال في انتظاره عند مقره . . ثم ان هذا الحرس لم يره يغادر المقر . . وسرعان ماوصلت شرذمة من المخبرين ورجال الامن بطريقة توحي بأنهم جاءوا في مهمة . وأقنعوا أنفسهم جميعا بأنه لايمكن أن يكون قد وقع عليه اعتداء خارج بيته ، حيث لاتوجد آثار تشير الى ذلك .

وفي مكان اللقاء المعهود تجمع الناس ، وقد زود المكان بقوة أمن شديدة . ولقد كان هؤلاء الناس تواقين للوقوف على الحديث الذي سيضطر الزعيم الى اعلانه ، هذا الى أنهم قد تعودوا على الحقائق السياسية الجديدة ، والتي تتعلق بمرحلة الحضارة الخطابية حيث تتوالى الخطب . . خطبة وراء أخرى .

بالطبع لافائدة من ذكر حجم الجمهور ، ذلك أنه بمقدور أي انسان الحصول من الصحافة على مثل هذه المعلومات بطريقة أكثر واقعية وحرفية . حتى حالة الجمهور النفسية ، وردود فعله ، واستجاباته وغيرها ، يمكن الوقوف عليها من تقارير الصحف بيد أنه كانت هناك واقعة بعينها لاتنسى . . فبينما وقف الجمهور ينتظر الزعيم في لهفة ، اذ بمزيد من شاحنات محملة برجال الأمن تصل الى المكان وتحيط به ، وقبل أن يدرك أي شخص مايجري حوله ، امتلأ الهواء بغاز مسيل للدموع . . وكل من حاول الفرار ضربه رجال الأمن ، حتى أضطر كل الناس الى البقاء في اماكنهم . كان الموقف يحتاج الى طول أناة تتسم بالهدوء والحذر والذكاء .

وكان السكرتير الخاص قد أوصى بعدم اذاعة أي خبر عن اختفاء الزعيم ، لدرجة أنه في الوقت الذي ألقي فيه الغاز المسيل للدموع على الجمهور ، أعلن المذياع أن الزعيم سيؤم حشده التاريخي خلال دقائق . . ومضى النبأ يقول أن الزعيم لابد وأن يكون الان في طريقه الى مكان الحشد .

وضع الفلاح صاحب الرسالة الزعيم بعناية على سرير أحد التلاميذ . . بينما كان حائرا لايدري ماذا يفعل ، تذكر بضع نتف من قواعد الاسعافات الأولية ، وكان أن بدأ يعري الزعيم عن ملابسه ليتيح لجسده التعرض للهواء النقي . وفي نفس الوقت قام ناظر المدرسة بأبلاغ الشرطة هاتفيا وشرح لرجالها الامر ، فبدأت الشاحنات المحملة برجال الشرطة والمسلحين والمخبرين تتدفق على المدرسة وحاصروها ، واحتجزوا التلاميذ داخل المباني . وسرعان ماتم العثور على الزعيم . . صداره وبنطلونه متدليان الى منتصف الفخذين ، يبينان عن سرواله . ولم يكن معه في الغرفة سوى الفلاح كاتب الرسالة ، فقبض عليه في الحال واقتادته الشرطة . أما الزعيم فقد نقل في سيارة أمن الى المستشفى المركزي ، حيث تم استعراض قوى الأمن مرة أخرى كما تؤدى عروض السيرك . وقبل أن يعود الى الزعيم وعيه تماما ، كان الفلاح صاحب الرسالة قد تحمل الكثير ، ثم اعترف بمؤامرة الاغتيال الكبرى التي أحسن تدبيرها ثم راح في سبات أبدي . . سبات لن يرى نور الحياة بعده أبدا . . □

منتدى العربي

تعقيبات

الرأي ، والرأي الآخر . . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية . . .

حول قضية مستقبل الوطن العربي وقضية التسلح المنشور ـ بالعدد ٣١٤ يناير ١٩٨٥ نعرض هذه الآراء..

ملاحظات على أيديولوجية التسلح

قرأت باهتمام بالغ وشغف عظيم مقالة هامة للدكتور فؤاد زكريا بعنوان« ايديولوجية التسلح » وهي المقالة التي نشرتها مجلة العربي في عددها الممتاز رقم (٣١٤) لشهر يناير سنة ١٩٨٥ .

ولكن أود أولا أن أطرح تعديلا طفيفا على نقطة ذكرها الدكتور في مقالته حول فرص تشغيل العاطلين في النظام الرأسمالي ، اذ يقول : « ان النظام الرأسمالي ، يستطيع أن يتحمل دون عناء أعباء التسلح ونفقاته الباهظة . بل ان انتاج السلاح وتطويره وتجديده المستمر من أهم العوامل التي تساعد على استمرار هذا النظام في الحياة وازدهار اقتصاده وتشغيل مصانعه وايجاد فرص عمل للعاطلين فيه » .

واذ أتفق مع الدكتور فؤاد حول معظم ما ورد في الفقرة السالفة الا انى أختلف معه حول امكانية ايجاد فرص عمل للعاطلين في المجتمع الرأسمالي في ظل « ايديولوجية التسلح » التي تنتهجها الولايات المتحدة بصورة خاصة . الحقيقة أن العكس هو الصحيح ، فالمسألة ليست كم من العمال والمتخصصين والعلماء تتهيأ لهم فرص للعمل في مصانع السلاح ، وانما كم من الأيدي العاملة والمتخصصة تتعطل بسببه تركيز الدولة على انتاج وسائل الدمار الجماعي ؟ فنسبة العاطلين عن العمل ـ وهذا ما أسفر عنه البرنامج الاقتصادي للرئيس ريغان ـ تفوق بكثير نسبة الذين تحققت لهم فرص العمل في مصانع السلاح ومختبرات الدمار الشامل . ولعل الصورة تتضح أكثر وأكثر لو سألنا أنفسنا هذاالسؤال : كم ميدانا جديدا ، وكم هي الفرص التي يمكن توفيرها للعاطلين عن العمل ،لو اننا رصدنا جزءا من ميزانية التسلح لاستحداث ميادين جديدةللانتاج والعمل المثمر الذي يخدم الانسان ؟

كان هذا تعديلا طفيفا أردت أن أدخله على نقطة ذكرها الدكتور فؤاد زكريا في مقالته السالفة الذكر ، وسبيلي الآن الى عرض أبعاد جديدة أثارتها في ذهني أفكاره الهامة فأقول : ان أول تصور خطر ببالي حين

قرأت المقال هو اننا لا نعدم وجود اوجه شبه في حصيلة التركيز على صناعة السلاح فى المجتمعين الاشتراكى والرأسمالى على حد سواء . أو قل ان هناك تماثلا هاما لا فى الأهداف المرسومة عند المنظرين « لايديولوجية التسلح » فى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وانما فى النتائج التى تترتب اما على تطوير السلاح أو محاولة اللحاق وخلق توازن فى انتاج اسلحة الدمار . صحيح أن الاتحاد السوفيتى يعمل على اقتطاع جزء من لقمة العيش فى أرضه لمسايرة التطور الرهيب فى ابتكارات الغرب الرأسمالى لأسلحة الدمار وتطويرها ، وصحيح ايضا أن انكباب الدول الرأسمالية الغربية على اختراعات جديدة للسلاح وتطويره يستهدف دعم الاقتصاد الرأسمالى وزيادة فرص الاثراء الفاحش عند فئة قليلة من الناس ، أقول ان كل هذا صحيح ولكن يجب ألا نغفل عن حقيقة هامة وهى أن النتيجة على مستوى القاعدة العريضة من السكان واحدة فى كلا المجتمعين . فالغرب الرأسمالى ايضا يقتطع جزءا من لقمة العيش من أفواه النسبة الغالبة من السكان فى أرضه . . وحسبنا أن نعلم أن توجه الولايات المتحدة ولهفتها الدائمة على انتاج السلاح وتطويره لم ينعكس أثره السلبى على ارتفاع فى نسبة البطالة بين الايدى العاملة فقط ، وانما ظهر الأثر واضحا فى احالة اعداد هائلة على برنامج المعونات الاجتماعية ، بل على اقتطاع جزء من مخصصات المسنين لأجل اشباع نهم الحكومة والرأسماليين فى التسلح . فالنتيجة اذن واحدة فى المجتمعين - الرأسمالى والاشتراكى - من حيث اقتطاع كل منها لجزء من لقمة العيش وتوظيفها فى انتاج السلاح وتطويره . نعم ان الاختلاف كبير بين فلسفة الاقتصاد فى المعسكر الرأسمالى ونظيرتها فى المعسكر الاشتراكى ولكن النتيجة واحدة فى كلا المعسكرين حين تتعلق بالقاعدة العريضة من السكان التى تقع ضحية « لأيديولوجية التسلح » .

وهناك فوق هذا تصور آخر أثارته مقالة الدكتور فؤاد فى ذهنى ، ذلك أنه اذا بات واضحا اليوم ما تنطوى عليه الأسلحة النووية من دمار شامل فان زيادة انتاج هذه الاسلحة وتطويرها صار يعطينا أبعادا جديدة . فالمخزون الحالى لأسلحة الدمار كاف لقتل البشر عشرات المرات ، وما السعى الحثيث الى زيادة انتاج السلاح وتطويره - من جانب الغرب الرأسمالى على الأقل - الا انعكاس لروح عدوانية متأصلة فيه ، فضلا عن تصور متهافت بامكانية انتصار طرف واحد فى الحرب وهزيمة طرف آخر . فليت أسلحة الدمار هذه انحصرت فى القنابل النووية الحرارية Ther-monuclear ، ولكن الروح العدوانية للغرب الرأسمالى فى ايديولوجيته التسلحية قد جعلته يبتكر بين حين وآخر مخترعات جديدة لقتل البشر ، بل ويتفنن فى كل ذلك الى حد كبير . فعلى صعيد الذرة مثلا رأيناه يطرح منذ مدة مشروعا لانتاج قنبلة نيوترونية تستهدف قتل البشر عن طريق جرعات مكثفة من الاشعاع فى الوقت الذى تبقى فيه المساكن والمدن وبعض نتاجات « الحضارة » الاخرى سالمة وصالحة . واما على صعيد الكيمياء فان الولايات المتحدة ، وبعدانقطاع دام بضع سنوات ، أعطت الضوء الاخضر لخبراء فن الحرب والدمار لممارسة عملهم من جديد بقصد انتاج اسلحة كيميائية أكثر فاعلية مما شهدته الحروب التقليدية السالفة . ان رصد ميزانية كبيرة فى الولايات المتحدة لتطوير الاسلحة الكيميائية هى عملية« احياء » بقصد « القتل » مع سبق الاصرار والترصد ، وما الغازات السامة أو غازات الأعصاب الا بعض مظاهر « التلذذ » بقتل البشر .

أما على صعيد البيولوجيا فان المصيبة هنا لاتقل عن المصائب التى سلف ذكرها ان لم تكن أدهى وأمر . فعن طريق البيولوجيا الحديثة سوف يمكن للانسان - طال الزمان أو قصر - ان يتحكم فى الصفات الجسمية والعقلية للمواليد الجدد . وما عليك الا أن تتصور شكل العالم ونزعة القهر والتسلط التى يمكن ان يمارسها الانسان على أخيه الانسان لو استغلت البيولوجيا فى ميدان لايخدم البشر . دعونا نتصور حياة الناس والشعوب المستضعفة لو أن حاكما مستبدا هنا أو زعيما أرعن هناك أو رئيسا تغلب عليه روح العنصرية حاول أن يسخر جماعة أو جيشا من هؤلاء « البشر العمالقة العباقرة » فى تحقيق أهدافه العدوانية واشباع نزعته التسلطية . ان هذا المشروع شبيه الى حد كبير بمشروع حرب الكواكب ولكن تحقيق المشروعين لايبدو مستحيلا فى ضوء العلم الحديث . الأمر الأكثر أهمية من كل هذا هو أنه اذا

كان المشروع « تخليق انسان جديد » يعتبر مشروعا طموحا فان صناعة اسلحة جرثومية أمر قائم بالفعل منذ سنوات . ولعلنا نتذكر أن تجربة الولايات المتحدة في قتل الهنود الحمر بواسطة الأمراض والأوبئة كانت سابقة خطيرة في العصر الحديث . ان الاكتشافات الحديثة في ميادين البيولوجيا وخاصة في ميدان « هندسة الوراثة » تفرض علينا ان نفتح أعيننا جيدا على كل ما يدور في مصانع الغرب الرأسمالي ومعامله ومختبراته خاصة اذا علمنا أن نزعته العدوانية هي المحرك الرئيسي لانتاج السلاح وتطويره . بل لعل الموقف الذي يتحتم علينا منذ الآن اتخاذه هو الا نكتفي برصد ما تتفتق عنه اسلحة الدمار من مبتكرات حديثة وانما في اعلان احتجاجنا وسخطنا تجاه كل ما يجرى في معامل الدمار الشامل . والحق انني اجعل مهمة اتخاذ موقف صارم تجاه انتاج اسلحة القتل الجماعي وتطويرها مسألة مقدسة وواجبا تفرضه علينا انسانيتنا وأخلاقنا وضميرنا بل حتى ديننا . ولعل ما يزيد من أهمية اتخاذ موقف واضح ومحدد من قضية السلاح وتطويره ، أن حياة البشر جميعا صارت اليوم في كفة الميزان . وانني والله لأرجو صادقا ألا يأتي اليوم الذي نتحسر فيه على سلبيتنا من خطر « ايديولوجية التسلح » وذلك لان الندم لاينفع حين تحل الكارثة . □

الدكتور عبدالله العمر

الإنسان والمستقبل والسلاح
في الوطن العربي

أثارت « العربي » في (عددها الممتاز - كانون الثاني / يناير ١٩٨٥) مسألتين على مستوى كبير من الأهمية : الأولى وهي قضية مستقبل الوطن العربي ، والثانية وهي مسألة التسلح ، وسواء كان تتابع هذين المحورين على صفحات عدد واحد أمر صدفة أو ترتيب ، فان هناك علاقة قوية بين المسألتين في الواقع العربي المعاصر .

الدكتور محمد الرميحي في « حديث الشهر » بعنوان « قراءة في مستقبل الوطن العربي » يثير أهمية تحول التعامل مع المستقبل من تنجيم أو تغافل الى علم ومتابعة ، فالدراسات المستقبلية تستطيع اكتشاف الخطر قبل وقوعه ، لكي نستعد لمواجهته ، ويستعرض الدكتور الرميحي بعضا من الأخطار التي باتت تهدد الامة العربية دولا وشعوبا وأفرادا ، وتنذر بأن يحمل مطلع القرن الواحد والعشرين الكوارث لهذه الامة اذا ما استمر التطور على ما هو سائر عليه .

والمخرج الوحيد من هذا المسار الحرج ليس النفط ولا المال وانما الانسان ، بقدراته المتطورة ، والمجتمع بمؤسساته وتنظيمه الاجتماعي الذي يستنهض قوى الانسان وفاعليته الخلاقة .

أما « محور التسلح » فيستهله الدكتور فؤاد زكريا بمقاله الموسوم « أيديولوجية التسلح » .

يربط الدكتور زكريا في مقاله بين التسلح وطبيعة النظام الاجتماعي ، ففي النظام الرأسمالي الذي يقوم على المصلحة الخاصة ، والذي يعتبر الربح الرأسمالي قوته الدافعة ، أصبح السلاح هذه الايام - صناعة وتجارة واستخداما - من أهم وسائل الحصول على الربح واقتناص الثروات واحتكار الامتيازات على النطاق الاجتماعي في الداخل وعلى النطاق العالمي .

ولقد جرّت الدول الامبريالية العالم كله وراءها في سباق رهيب للتسلح بفعل سياساتها العدوانية والاستفزازية .

ومع تأييدنا لمجمل تحليل الدكتور زكريا لأيديولوجية التسلح ، الا أننا نرى في ثنايا مقاله بعض الافكار الاخرى التي تستحق النقاش .

يشير الدكتور زكريا الى تصاعد المقاومة الجماهيرية المنظمة والواعية للتسلح في جميع الدول الرأسمالية الكبرى . وهذا موقف يلفت النظر بتصاعده السريع واكتسابه لجماهير متزايدة يوما بعد يوم في تلك البلدان ، حتى أن الجماعات المناوئة للتسلح بدأت تتحول الى أحزاب شعبية ، كحزب « الخضر » الذي أصبح يشكل القوة الحزبية الثالثة في ألمانيا الغربية ، على المستوى الشعبي وفي داخل أروقة البرلمان الالماني . وفي بريطانيا والولايات المتحدة واليابان وغيرها لا تهدأ المظاهرات المناهضة لسباق التسلح وللاسلحة النووية .

لكن الدكتور زكريا يضع في مواجهة هذا الموقف ، موقف الانسان العربي « اللامبالي » تجاه نفس المسألة « التسلح » ، ويرجع الفرق بين تلك المقاومة المنظمة الواعية للشعوب الغربية للتسلح ، وهذه اللامبالاة عند شعبنا العربي ، الى الفارق بين « الوعي » و « انعدام الوعي » .

ويطرح الدكتور زكريا المسألة ببعدها الانساني الشامل ، كمسألة قيمة أخلاقية حيث يقول : « هذه معركة يوجد كل منا في ساحتها ، شأنه شأن اي فرد آخر من أفراد هذا الجنس الذي يسمي نفسه « عاقلا » والذي أوشك عقله وعلمه على أن يبعث به الى الجنون . . . انها معركتنا جميعا وعلينا أن نتصدى لها بنفس الشجاعة التي يواجهها بها نساء وأطفال وآباء مسالمون في مجتمعات تكشفت لها الحقيقة بكل ما فيها من بشاعة ومرارة . وهي معركة ينبغي ألا ينتصر فيها من يملكون أسلحة الدمار ، بل ينبغي أن يكون النصر النهائي لمن يؤمنون بالانسان » .

في الحقيقة ، ليس هناك عاقل يجادل في أفضلية العيش في ظروف السلام على العيش في ظروف الحرب . وتزداد القناعة لدى الناس في عصرنا الحاضر بامكانية العيش في سلام وعبر تنافس شريف بناء ، بخلاف ما كان عليه الامر على مدى العصور الماضية ، حيث كان القتال من أهم « وسائل الحياة » . والآن ، مع التقدم الهائل الذي حققته العلوم والمعارف الانسانية ، أصبح العقل وحده كفيلا بحل المعضلات التي تواجه الانسان والمجتمعات لو أحسن استخدامه وحيل دون انحرافه .

لكن هذه القناعة شيء والواقع السياسي الدولي ، وبالأخص في منطقتنا العربية وما حولها ، شيء آخر . ولقد كان الدكتور زكريا واضحا جدا في الكشف عن عدوانية بعض الأنظمة أو الدول التي مازالت لها السطوة على عالمنا المعاصر . فكيف يمكن بعد ذلك أن نطلب من الشعوب المستهدفة بصورة دائمة بالعدوان أن تلقى السلاح أو أن نطلب منها أن تتظاهر ، من أجل « نزع السلاح » ؟

ان الفرق جوهري بخصوص الموقف من التسلح بين شعب أو انسان يرى أن هذا التسلح يجري لمصلحة قلة من الاحتكاريين وعلى حساب مصالح مجموع الشعب ، ولأهداف عدوانية ضد الجنس البشري كله ، مما يجعل السلام مهددا في كل لحظة كما ترى اليوم الكثير من الفئات في الغرب ، وبين شعب أو انسان لم يستطع حتى الآن أن يكسب معركة التحرير والتحرر ، تحرير الارض من العدوان الجاثم فوقها وتحرر الارادة من القوى المتحكمة بها ، كما هو حال الشعب العربي والانسان العربي . وطالما أننا نتحدث عن « أيديولوجية التسلح » فإن هذه الايديولوجية لا بد أن تعبر عن واقع معين ، اذ لا توجد أيديولوجية مجردة تصلح لكل زمان ومكان ولكل مجتمع وانسان .

واذا كان الانسان العربي لا يتظاهر مثل الانسان الغربي ضد التسلح فلشعوره بأنه مهدد ككيان : قومي اجتماعي ، وكوجود بشري وحضاري ، من قبل قوى خارجية ، امبريالية وصهيونية ، وهذا ما يجعله يقف موقفا ازدواجيا ، بحق ، من مسألة التسلح : انه يتعاطف ويتضامن بكل قوة وحماس مع حركات مقاومة التسلح في الغرب لانها حركات انسانية ضد النزعات العدوانية ، ويتمنى لو أنه في نفس ظروفها ليتظاهر معها ، ولكنه ، في الوقت نفسه ، يزداد تمسكا بضرورة امتلاك القوة لرد العدوان عن نفسه ، ذلك أن هذا العدوان ليس وهما ، كما هو بالنسبة للانسان الغربي ، وانما هو واقع قائم في المكان ومستمر عبر الزمان .

وفي جميع الأحوال ، فان هذا العدوان القائم

والمتعاظم هو المبرر الذي يجعل الانسان العربي يرضخ لضرورة التسلح ، ويتحمل اعباءه الهائلة دون ان ينسى أن الكثير من التسلح العربي يخدم عكس الأهداف التي يفترض ان يتوجه اليها .

ويعبر عن هذه الضرورة الدكتور جورج طعمة في الحوار الذي أجري معه (في نفس العددمن العربي) اذ يقول :

« في أي استراتيجية شاملة ، ولا سيما اذا كنا نجابه ـ كما في الأمر الواقع ـ أعداء على حدودنا ، يصبح تصنيع السلاح ليس واجبا قوميا فحسب ، وانما في مرتبة واحدة مع الغذاء» .

ويردف الدكتور جورج طعمة : « ولكن صناعة السلاح وحدها لن تكفي ، ما لم يسبقها ويتوازن معها بناء وتحرير الانسان العربي » ، وهذه احدى التحديات الرئيسية التي تجابه الاستعداد للمستقبل العربي والتي أشار اليها الدكتور الرميحي في مقاله الافتتاحي .

الا أنه لا يمكن للمرء ، وهو بصدد الحديث عن التسلح ، الا أن يؤكد على ان الموقف من السلاح ـ صناعة او تجارة او تكديسا او استخداما ـ انما يتحدد بالاهداف التي يخدمها هذا السلاح . وتكمن المأساة في واقعنا العربي الراهن أن السلاح العربي ، بخلاف ما كان عليه الأمر منذ عشرين عاما ، لم يعد يهدف ، في الكثير من الأحيان ، الى خدمة الاهداف التحررية للأمة العربية . كان السلاح العربي يقدم لثورة الجزائر ، وثورة اليمن الجنوبي ، للتحرر من الاستعمارين الفرنسي والانكليزي ، كما يقدم للحركات الوطنية المناضلة في جميع القارات ، وبالأخص في افريقيا للتحرر من الاستعمار .

وكان يعبأ على حدود فلسطين بهدف التحرير (ولا يقلل من قيمة هذا التبرير ما آل اليه الحال ، فلذلك أسباب اخرى) . أما اليوم ، فإن صناعة السلاح وتجارته في الوطن العربي لم تعد في أغلب الاحيان موجهة ضد المحتلين الصهاينة ، ولا ضد الاستعمار ، ولا لمساعدة حركات التحرر ، او لدعم الدول ذات النزعات التحررية ، وانما على العكس ، أصبح يذهب الى الدول والحركات المرتبطة بخدمة خطط الامبريالية والاستعمار الجديد في اعادة السيطرة على الوطن العربي وافريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

بالأمس ، كنا نتفاخر بـ « البارودة » لأنها استطاعت ان تطرد الجيوش الاستعمارية من معظم اراضي الوطن العربي . اما الآن ، فلن نتفاخر حتى حين نرى في استطلاعات متتابعة مصورة ، صناعة القنبلة الذرية في الوطن العربي ، الا بعد أن تعود هذه الصناعة لتخدم النضال التحرري في الوطن العربي والعالم الثالث ، وتكف عن « حيادها » المزعوم والذي لا يعني حقيقة الا دعم القوى المعادية لحقوق الشعوب .

ان العلاقة بين المستقبل والسلاح علاقة قوية جدا ، فالمستقبل لا يبنى بغير سلاح طالما اننا نتحدث عن المستقبل المنشود الذي يحقق مطامح وآمال الشعوب ، والذي لا يمكن بناؤه بدون الاصطدام بالأعداء القائمين والمحتملين .

وللمستقبل الذي ترسمه الدوائر الاستعمارية والصهيونية لأمتنا أيضا ، وبالمقابل ، أسلحته المدمرة .

ومن حيث الشكل لا يختلف هذا السلاح عن ذاك . والمسألة ليست في كمية السلاح الذي نشتريه ونوعيته ، أو في قدراتنا على صنع السلاح ، وانما هي مسألة اختيار الهدف من امتلاك او تصنيع السلاح ، هل هو من أجل التحرر أم لمقاومة التحرر ؟

وذلك يتوقف ، قبل كل شيء ، على من الذي يحدد الهدف !

وفي هذا المقام أسترجع من ذاكرتي كلمات ذات مدلول عميق .. للاقتصادي السويدي الكبير ، الحائز على جائزة نوبل ، غونار ميردال ، كان ذلك أمام مؤتمر عقدته جمعية اقتصاديي العالم الثالث في هافانا عام ١٩٨١ . قال غونار ميردال :

« انني رجل سلم ، أقف ضد استخدام السلاح في النزاعات بين البشر ، ومن أجل حل جميع المشاكل بالوسائل السلمية . ولكنني ، وبعد اطلاعي على الأوضاع المأساوية التي تعيشها شعوب أمريكا اللاتينية ، والناتجة عن النهب الامبريالي الذي تمارسه الولايات المتحدة عليها ، وعن طبيعة الدكتاتوريات الفاشية التي تدعمها الامبريالية واحتكاراتها ، رغم أنها تنتهك حقوق الانسان بأبشع ما يكون الانتهاك يومياً ، فانني أقول الآن بأن شعوب أمريكا اللاتينية

تملك الحق الكامل في استخدام السلاح ، باعتباره الوسيلة الوحيدة ، التي بقيت أمامها للتحرر من الاستغلال الامبريالي ، ومن الدكتاتوريات العسكرية . ان استعمال السلاح في هذه الحالة هو الوسيلة الوحيدة المجدية في الدفاع عن الذات » .

وأعتقد أن أستاذنا الدكتور فؤاد زكريا يؤيد هذا الموقف بدون تحفظ .

وأخيرا ، فان كل تسلح لا يوجه ضد العدو المغتصب للأرض ، والمقيد للارادة ، هو تسلح لا يخدم المستقبل العربي ، وانما يكون على حساب حق الانسان العربي في الحياة وحقه في المستقبل الأفضل □

الدكتور عارف دليلة

التلفزيون .. قضية كل موسم

حول قضية « التلفزيون » ذلك الصندوق العجيب كما تحدث عنه فاروق عبد العزيز في عدد فبراير من العربي (٣١٥) .. وحول « مشاهد العنف في التلفزيون » كما جاء في العدد ٣١٤ (عدد يناير) أحب أن أطرح هذه الكلمة .

التلفزيون في البيت هو الخادم المطيع ، متأهب على الدوام للسيطرة على حركة الأولاد ، جهاز عمل لتسليتهم ولتحطيم أعصابهم .. جهاز عمل لأنه حين لا يعمل ذاتيا من خلال الأقنية الخارجية في فترة المساء ، يعمل منذ الصباح الباكر عبر جهاز الفيديو . ساعات تعقب ساعات يمكنه أن يشغل فراغ الطفل . والطفل من أعلى سنيه الثلاث أو الأربع ، بات يعرف جيدا ـ وأحيانا أفضل من أمه ـ كيف يدير آلة توليد الصور ، بل كذلك كيف يشغل جهاز الفيديو تقديما وتأخيرا وتحريكا ، وهو اذا كان يلهيه الفيلم أو البرنامج فانه لا تفوته الاعلانات التي كثيرا ما يستمتع بها بدرجة تفوق تصور الكبار .

فها هي ذي فتاة صغيرة تظهر على الشاشة الصغيرة تنقط الطعام على ثيابها . لا ضير فمبيِّض كذا جاهز لازالة البقع .. ويظهر فتى صغير يدلق المرق على بنطاله .. لا مانع ! فصابون الغسيل كذا يتكفل بالتنظيف التام .. !

ثم ان هناك الطفل الذي يغافل بطل الرياضة ويشرب زجاجة « المرطب » التي اؤتمن عليها .. والآخر الذي يتظاهر ، طربا منشدا ، مع عشرين طفلا آخر من سنه نفسها احتفاء بمقدم جبنة كذا .. وأمثلة أخرى لا نهاية لها . الأطفال سعداء . أصحاء ، يتصرفون بحرية ، ويرتكبون بغير ما عقاب جميع الأمور التي تمنع منعا باتا على الأطفال الحقيقيين في حياتهم اليومية .

الطفل يولد استهلاكيا

تنشغل الام في المطبخ ، ويمد الاب يد المساعدة في مجال ترتيب البيت ، فثمة ضيوف قادمون . أسهل طريقة لاشغال الأطفال الهاؤهم بالتلفزيون . يجلس الطفل لاهيا عن كل ما حوله . لقد ولد « مشاهد تلفزة » . وخياله يتغذى بهذه المادة اليومية التي تقدم له . انه يولد اذن « استهلاكيا » . خاضعا لصنوف الدعايات اليومية . وكل ما تجهد لتعليمه اياه ، من مستوى الأمور الاخلاقية حتى أصغر قواعد الحياة وأيسرها ، يضعها موضع المقارنة والموازاة مع ما تقدمه الشاشة اللماعة السحرية .

الحق أن التلفزيون يلعب أحيانا دورا مؤذيا يسيء الى التوازن النفسي للأطفال ضمن العائلة الواحدة. فعبر شاشة التلفزيون يظهر الأطفال على الدوام سعداء، ظرفاء شديدي التهذيب، وتظهر الأمهات جميلات مسترخيات دائما، أما البيوت فحدث ولا حرج، حيث فيها كل أسباب الراحة:

من الاثاث حتى البراد والغسالة الاوتوماتيك والسجاد البراق. كل شيء ميسر، كل شيء متوفر، ومن بعد ذلك مباشرة، خلف كل فيلم وكل حلقة في مسلسل أو برنامج تتدفق صور الاعلانات والدعايات المغرية، فتغرق الأطفال في بيتك - مثلهم مثل ملايين الأطفال الآخرين في وطنك العربي الكبير - في عالم من الرؤى والمشاهد الجذابة والمغرية التي تجعلهم يسقطون تحت سيطرة الاغراءات المادية، أو يطيرون في عالم من الأحلام والمغامرات والرغبة الى الامتلاك والنجاح. وتكون المشكلة أكبر وأجل خطرا في مسلسلات العنف المبطن بالخيال، حين يجلس الأولاد بكامل عفويتهم وقابليتهم للتلقي لمشاهدة حلقات من نوع « غراندايزر » على سبيل المثال، فيسقط عليهم شلال من الصور المتلاحقة العاجة بالمواقف الحاسمة والشخصيات المتصارعة، ضمن هدير لا ينتهي من الموسيقا الضاجة التي تضيف الى العنف عنفا والى التغريب تغريبا، فلا يقوم الأولاد من كابوسها الا وقد أرهقت أعصابهم وانبهرت عيونهم وصُمّت آذانهم.

مسلسل وحيد للاطفال - افتح يا سمسم! أخذ بعين الاعتبار حاجات ومتطلبات الطفل العربي، ولعله أحرز نجاحا بالغا وصار شعاره الموسيقي يتردد على كل لسان. رغم ذلك لم تقل لنا أية دراسة، في أي قطر عربي، مقدار التأثير الفعلي للمسلسل في نفوس الأطفال، ولم يخرج علينا أي باحث بروائز معينة تقوّم نتائجه التربوية. ولعله المسلسل الوحيد الذي كان الأهل يطمئنون اليه تمام الاطمئنان اذا ما تركوا أولادهم يتشغلون به، في حين يتابعون هم تأدية واجباتهم البيتية والاجتماعية. ولكن « افتح يا سمسم »! مر وانقضى كأنه النيزك ضمن العالم المتلفز للصغار. وكم ذا من مسلسل مقلق - غير افتح يا سمسم - يلتهم الاطفال.

هذه الدوامة الغريبة

وتتحدث دعايات التلفزيون عن التأمين على الحياة، وتقدم الاغراءات للمشاهدين. وفي غضون ذلك ينتابك أنت نفسك جانب من قلق. فهل ترانا نتخذ احتياطاتنا الكاملة - كأهل - من أجل أن نؤمن للاولاد أفضل مستقبل ممكن؟

وقبل أن تخرج من دوامة أفكارك تكون الدعايات قد زاحمت الدعايات. وتلاحظ أن أولادك قادرون على ترديد أغنيات أنغام الدعايات بمعدل واحد من أصل عشرة على الأقل. فتراك تردد بينك وبين نفسك: التلفزيون يؤثر ويخلق منهم مستهلكين بالفطرة ولا حيلة لي في ذلك.

يجدر القول أن الطفل يزدرد صور التلفزيون بشره بالغ، وبغير ما تمييز لم يتسلح له. وهو كلما كبر طالب بالمزيد. ولا أدري في ظروفنا كم ذا يمتص الطفل بين سن ٨ - ١٣ سنة على سبيل المثال من ساعات البث كل اسبوع، في غياب الدارسات والدارسين، والاحصاءات التي يمكن الاعتماد عليها. الا ان كل شيء يؤكد أن التلفزيون بالنسبة اليهم تسليتهم الاولى، بل انه لمن الممكن القول أنه لدى اعداد كبيرة منهم وسيلتهم الوحيدة للتسلية ولتمضية أوقات الفراغ.

وقد يقول قائل: « وما حيلتنا في ذلك؟ التلفزيون تاج الحضارة. انه جذاب مشوق، ولا يعني أن اغلق عليه بالمفتاح » كلا بالطبع، ففيه يجد الطفل فرصته للتعلم، للضحك، للحلم، لو ان مالا يزيد عن ١٠٪ فحسب من البرامج تحسب حساب طريقته في التفكير ورهافة مشاعره وحساسية روحه. ان الطفل بطبيعته انقيادي. انه يصدق ما يسمع وما يرى. وأنت كأب - وكذا الام بالطبع - الوحيد القادر على توعيته وتصحيح مساره الفكري، وتعديل قناعاته، وتكييف ذوقه، بحيث لا يصبح في وقت مبكر، وقبل سن النضج، مجرد انسان مستهلك شره متفعل.

ومن أجل بلوغ هذه الغاية يتوجب على الآباء والامهات - ان يجعلوا من أنفسهم أحيانا شاشة « أو ستارة » بينهم وبين الشاشة الصغيرة. □

صلاح دهني

مرض حب الشباب

ليس حكرًا على الشباب فقط !

************** بقلم الدكتور : محمد عبد الله المشاري* ******

انه المرض الذي يكره تألق الشباب وصفاء ملامحهم ووسامة قسماتهم في أجمل مايواجهون به هذا العالم .. وجوههم المشرقة ... فماهي الاسباب ... وما العلاج ؟

يعتبر حب الشباب مرضا مجهول السبب ، ولكن هناك نظريات كثيرة في هذا الصدد أهمها : ازدياد افراز الهرمونات المذكرة والمؤنثة أثناء فترة البلوغ ، وهي فترة ظهور المرض حيث تؤدي هذه الهرمونات الى زيادة في حجم وافراز الغدد الدهنية ، وتؤدي كذلك الى ضيق في القنوات الدهنية التي من خلالها تصل الافرازات الدهنية الى الجلد . فيؤدي ذلك الى تجمع الدهون وانتفاخ في الغدد الدهنية ، حيث تقوم البكتريا الجلدية بتحويل الدهون الثلاثية الى دهون أحادية وثنائية والى أحماض دهنية حرة . وهذه الأحماض الدهنية الحرة هي أحد أسباب التهاب الجلد ، وذلك بعد انفجار القناة الدهنية وانتشار هذه الأحماض في المنطقة المحيطة بالغدد الدهنية ، فتؤدي الى ظهور حب الشباب .

٣٠ بالمائة من النساء

هذا وقد وجد أن هناك علاقة بين استعمال وسائل المكياج من جانب المرأة وانتشار حب الشباب لدى الجنس اللطيف ، حيث وجد أن ٣٠ بالمائة من النساء اللواتي يستعملن أدوات المكياج يصبن بحب الشباب ، وخصوصا في المنطقة السفلية من الوجه .

أما العلاقة بين حب الشباب وتناول أنواع معينة من الأكل فتتلخص بأن هناك نظرية قديمة مفادها أن الاكثار من المواد الدهنية كالشيكولاتة والقهوة والمكسرات يؤدي الى ظهور حب الشباب . ولكن اتضح حديثا بأن هذا غير صحيح ، حيث ظهرت نظرية حديثة تنفي بأن تكون هناك علاقة بين أنواع

---

* طبيب بقسم الأمراض الجلدية ـ المستشفى الاميري بالكويت : دكتوراه في الأمراض الجلدية .

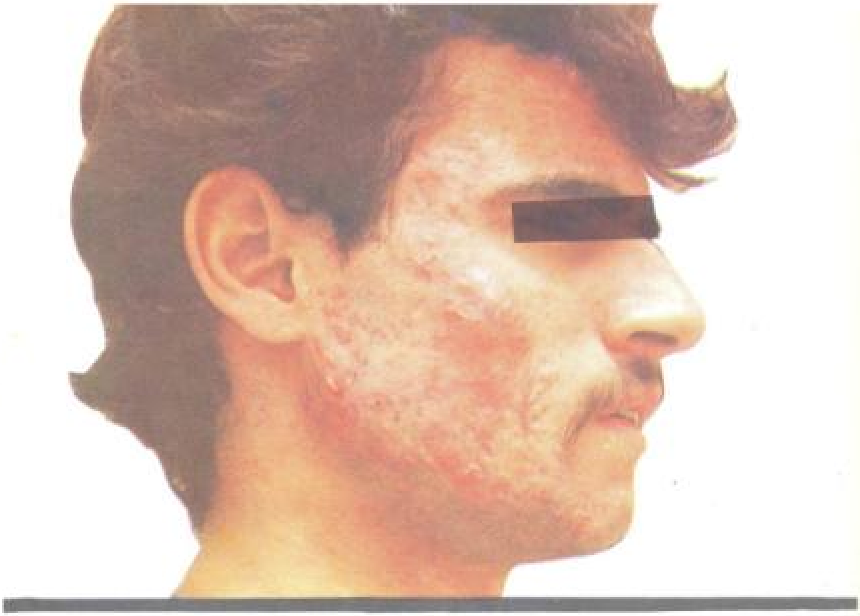

من الطعام وحب الشباب التي تزداد بتناول المواد الدهنية ، وازدياد حب الشباب في هذه الحالات راجع للعامل النفسي . فقد ارتبط في ذهن المريض أن أكل المواد الدهنية يزيد من ظهور المرض ، ولا أحد يستطيع أن ينكر دور العامل النفسي في ظهور حب الشباب ، حيث تزداد الحالة عندما يتعرض الشخص لأزمات نفسية حادة .

فمن المعروف علميا أنه عندما يتعرض الانسان لازمات نفسية حادة تصاحب ذلك زيادة في افراز الهرمونات ، ومنها الكورتيزون . ومعروف علميا دور الكورتيزون في حب الشباب الكورتيزوني . لهذا لاتوجد علاقة بتاتا بين الأكل وحب الشباب فيستطيع المريض بحب الشباب أن يأكل مايشاء من الأطعمة .

الشمس والعلاج

هذا وقد وجد في معظم الحالات عند التعرض لجو حار وجاف ، حدوث تحسن في الحالة ، اذ لأشعة الشمس دور في ازالة الطبقة الكيراتينية العليا المسببة لضيق أو اغلاق القناة الدهنية ، وكذلك الأشعة فوق البنفسجية تؤدي الى قتل البكتريا الجلدية التي تلعب دورا رئيسيا في التهاب الجلد .

ولكن عندما يتعرض الانسان لجو حار ورطب ، فان هذا يؤدي الى ظهور نوع من أنواع حب الشباب يسمى بحب الشباب الاستوائي .

وهناك مقولة خاطئة تزعم بأن حب الشباب يزول بعد الزواج ، فهذا غير صحيح بتاتا ، فليس لذلك أي مدلول علمي على الاطلاق وانما هي مجرد تكهنات .

الاطفال وحب الشباب

من الممكن ايضا أن يصيب مرض حب الشباب الاطفال الصغار خاصة في عمر ماقبل السنتين لاسيا في أول ثلاثة شهور ، وتكون منطقة الاصابة فقط في الوجه الا أن الصدر والظهر غير معرضين للاصابة بهذا النوع من حب الشباب . وعادة يختفي المرض حتى من غير علاج خلال سنة تقريبا .

وعادة فان الأطفال الذين يصابون بهذا النوع من حب الشباب يصابون عند فترة البلوغ بنوع شديد منه.

والسبب في اصابة الاطفال بهذا النوع من حب الشباب مجهول حتى الان ، لكن أقرب النظريات الى الواقع هي وصول هرمون الاندروجين من الام الى الطفل ومعروف علميا أن هذا الهرمون له دور في ظهور حب الشباب ، والمعروف ايضا أن حب

الشباب عادة تحدث مابين ١١ ـ ٢٥ سنة وهناك نوع من أنواع حب الشباب يصيب كبار السن ، وهو عادة مايصيب الرجل أكثر من المرأة ، ويظهر في منطقة الظهر بصفة خاصة ، ويبدأ في سن العشرين أو الثلاثين ، ويستمر الى الخمسين او الستين . وعادة يتحسن المريض صيفا ، والمصابون به لم يتعرضوا ، لحب الشباب عند الصغر ، ويطلق على هذا النوع حب شباب الكبار .

أنواع كثيرة

هناك عدة أنواع من حب الشباب ، منها نوع يسمى بحب الشباب الميكانيكي ، ويظهر في أماكن الضغط والاحتكاك في الجسم . وقد يصيب من يستعمل بنطلونا ضيقا وخصوصا أعلى الفخذ . كما يصيب سائقي الشاحنات الكبيرة حيث يظل سائق الشاحنة وراء مقود السيارة لساعات طويلة ، فيصاب ظهره بحب الشباب . وهناك نوع آخر من أنواع حب الشباب يسمى بحب الشباب الشحمي ، يصيب العمال والميكانيكيين الذين يتعاملون مع الدهون والشحوم في تصليح السيارات أو المصانع ، وهناك نوع يظهر عند تعاطي الأدوية ، ونوع شائع عند النساء يزداد بظهور الدورة الشهرية اضافة الى أنواع اخرى كثيرة .

أيها أفضل ؟

وحول نوعية استعمال الصابون الطبي أو العادي وأيها أفضل للاستعمال في حالة الاصابة بحب الشباب ، نجد أن الصابون يؤدي الى ازالة الطبقة الدهنية من الجلد ، وهذا بالتالي يؤدي الى جفاف هذه الطبقة من الجلد ، ويؤدي في النهاية الى تقشرها وسقوطها . وهذا بالتالي يساعد على فتح القنوات الدهنية الضيقة . ولاشك أن كثرة استعمال الصابون غير مطلوبة ، حيث يؤدي ذلك الى جفاف وتشققات في الجلد ، وهذا سوف يؤدي الى حرقة في الجلد عند استعمال الأدوية الموضعية .

وهناك أنواع من الصابون الطبي تحتوي على مواد مطهرة تساعد على قتل البكتريا الجلدية ، وقدرتها على تجفيف الجلد أكيدة . لذا ينصح باستعمالها عندما يكون الجلد دهنيا .

والحقيقة أن دور الصابون في علاج حب الشباب دور ثانوي ، حيث أن الدور الأساسي هو في استعمال الادوية .

عدة علاجات

في السنوات القليلة الماضية ظهرت عدة انواع من الأدوية لعلاج حب الشباب ، لكن أهمها دواء جديد من مشتقات فيتامين (أ) الصناعية .

وقد تبين أن هذا الدواء له فعالية كبيرة في علاج أحد أنواع حب الشباب يسمى بحب الشباب الكيسي ، وهو نوع شديد ، يؤدي الى تشوهات في الجلد . . . لكن يعاب على هذا الدواء الأعراض الجانبية ، اذ يؤدي الى اضطراب في الكبد والى جفاف وحكة في الجلد وتساقط الشعر مع آلام في المفاصل . ولكن يمكن التحكم في هذه الأعراض الجانبية بتقليل جرعة الدواء . وظهر دواء آخر في الأسواق منذ عدة سنوات يسمى بمضادات الاندروجين ، ومن اسمه يتضح انه يقلل من دور هرمون الاندروجين ، وهو الهرمون المذكر .

ومعروف علميا أن هذا الهرمون يلعب دورا رئيسيا في حالات حب الشباب ، ويضاف الى هذا الدواء كذلك هرمون الاستروجين وهو الهرمون المؤنث ، حيث يستعمل لعلاج حالات حب الشباب وعلاج حالات الشعر الزائد والخشن،كما يستعمل كحبوب لمنع الحمل ، ويتضح من ذلك أن هذا الدواء يستعمل للمرأة دون الرجل .

هذه النصيحة

وأود أن أوجه نصيحة لمرضى حب الشباب حيث هناك بعض المرضى يكثرون من لمس مكان الاصابة ، والأخطر من ذلك هو فتح هذه الحبوب وعصرها حيث يؤدي ذلك الى انفجار الغدد الدهنية وازدياد التهاب الجلد ، والنتيجة هي ظهور ندب وتشوه في الجلد . لذا يجب عدم لمس مكان الاصابة بتاتا واستعمال الدواء بانتظام مع استشارة الطبيب المختص . □

نظرة إلى زحل

أجمل الكواكب الشمسية

بقلم : الدكتور عبد القوي زكي عياد

في ٢٥ أغسطس عام ١٩٨١ اقتربت سفينة الفضاء الأمريكية فويجر ٢ من كوكب زحل ، بعد أن قطعت مسافة ٢,٢٥ بليون كيلو متر ، منذ انطلاقها في ٢٠ أغسطس عام ١٩٧٧ من قاعدة كيب كانافيرال . وبواسطة مجساتها ومناظيرها ومولداتها الكهربائية وآلاتها التلفزيونية بثت أكثر من ١٨٠٠٠ صورة للكوكب العملاق ، مضيفة لنا معلومات جديدة عنه ، لكن لماذا هو اجمل الكواكب الشمسية ؟

يعد زحل العملاق بحلقاته العديدة وأقماره الكثيرة أشبه ما يكون بمجموعة كاملة تحكي ظروف نشأة وتطور المجموعة الشمسية كلها . وقد أضافت رحلات بيونير وفويجر إلى معلوماتنا عن هذا الكوكب ما لم يتح لنا في هذه الفترة عن أي كوكب آخر ، الأمر الذي يجعل هذه الرحلات من المنجزات الهامة في برامج غزو الفضاء . فقبلها كانت المسافة بيننا وبين زحل تمنعنا من فهمه بوضوح . ولم يكن بوسع أي عالم أو حتى شاعر أن يتخيل العدد الهائل من الحلقات التي تدور حول هذا الكوكب . من هنا يمكن القول بأن اقتراب سفن الفضاء قد اكتشف عالما جديدا في زحل .

قبل ٤ بلايين سنة !

ان زحل هو سادس كواكب المجموعة الشمسية من حيث البعد عن الشمس ، وثانيها في الكبر . فهو يلي المشتري في الحجم ويشاركه الخواص الأساسية ، من تركيب كيماوي ، ودوران سريع ، ومجال مغناطيسي متوسط الشدة ، ومصادر ذاتية للطاقة . وكلا الكوكبين ينتمي الى مجموعة الكواكب العملاقة التي تضم أيضا يورانوس ونبتون .

وقطر زحل عند خط استوائه ١٢٠٦٦٠

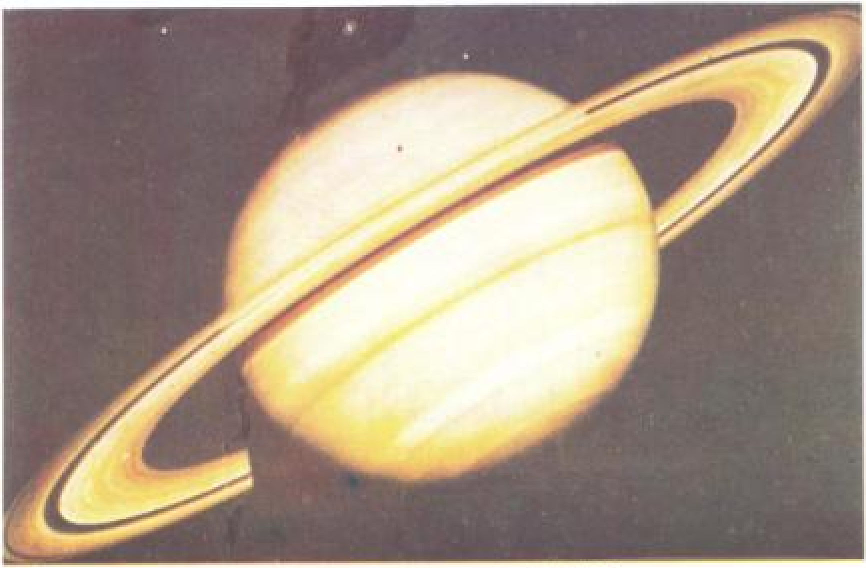

صورة زحل كما ارسلتها فويجر ٢ من على بعد ٢١ مليون كيلو متر

كيلو مترا ، بينما قطره القطبي يقل عن ذلك بمقدار ١٠٪ بسبب سرعة الدوران حول المحور ، والذي يتم فيها الكوكب دورة حول نفسه كل ١٠ ساعات و ٣٩ دقيقة و ١٠ ثوان . . وتبلغ كتلة الكوكب حوالي ٩٥ مرة مثل كتلة الأرض ، وكثافته المتوسطة ٠,٧ جرام لكل سنتيمتر مكعب . وهذه أقل كثافة بين الكواكب مما يدل على أن معظم مادة زحل غازية .

وكتلة الكوكب الكبيرة ودرجة حرارته المنخفضة كفيلتان بالاحتفاظ بكل المكونات الكيماوية منذ نشأة المجموعة الشمسية ، قبل ٤,٦ بليون سنة . وأول العناصر شيوعا في الكوكب هو الهيدروجين الذي يكون ٨٠٪ من الوزن الكلي . يلي ذلك الهليوم (حوالي ٢٠٪) . أما العناصر الأخرى فتكون معا أكثر قليلا من ٢٪،وأعظمها شيوعا الأكسجين (١٪) ، ثم الكربون (٠,٤٪)،والحديد (٠,٢٪) ، ويليه النيون (٠,٢٪) ، ثم النيتروجين (٠,١٪)،والسيليكون (٠,١٪) .

وتتحد بعض تلك العناصر في غلاف الكوكب لتكون مركبات بسيطة مثل الماء (H_2O) والميثان والأمونيا (NH_3) .

وتتوقع النماذج النظرية وجود معظم السيليكون والحديد والعناصر الثقيلة الأخرى في قلب صغير مع معظم الماء والميثان داخل زحل ، وذلك تحت ضغط شديد ودرجة حرارة عالية ربما جعلتا هذا الجزء سائلا كثيفا . وحول هذا القلب وبامتداد يصل الى السطح يوجد نطاق من الهيدروجين السائل تحت غلاف من الهيدروجين الغازي في الجزء الخارجي .

وتؤكد ارصاد بيونير وفويجر في النطاق تحت الأحمر أن زحل أدفأ بكثير مما يوجبه التسخين وحده . ويتطلب الأمر وجود مصدر ذاتي لزحل تنتشر منه الطاقة الى السطح بقوة ١٠٠ بتراوات ، أي حوالي ٢,٥ مرة مثل ما يمتص الكوكب من أشعة الشمس . وهذا الناتج الحراري أكبر بكثير من مثيله للمشتري ، بالرغم من صغر كتلة وحجم زحل عن المشتري . يوحي ذلك باختلاف عمليات انتاج هذه الطاقة في الكوكبين . والاتجاه السائد حاليا هو تفسير تلك الطاقة في حالة زحل بانفصال الهليوم عن الهيدروجين

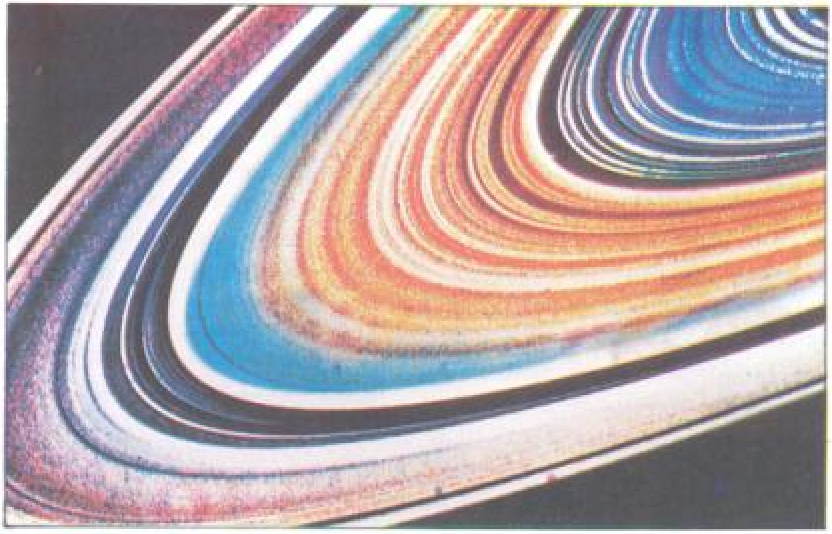

الآلاف من حلقات زحل بألوانها وفواصلها المختلفة من على بعد ٨,٩ مليون كيلو متر

وتساقطه كقطرات مطر تنتج طاقة بارتطامها على الطبقات السفلى . يؤيد هذا ما أظهرته مجسات الأشعة تحت الحمراء من وجود الطاقة الحرارية الزائدة حيث شيوع الهليوم ١١٪ ، أي أقل بكثير عن الشيوع العادي وهو (٢٠٪) في الكوكب .

الغلاف الجوي

بالرغم من كثافة الغلاف الجوي الداخلي لزحل وصعوبته أمام الارصاد ، الا أن مجسات الأشعة تحت الحمراء المحمولة على متن سفينة الفضاء قد أمدتنا بقياسات مباشرة للجزيئات الكيماوية في الجزء المرئي من الغلاف الجوي ، من ذلك تأكد ـ بالاضافة الى الهيدروجين والهليوم ـ وجود الأمونيا والميثان وآثار من الفوسفين ، والايثان ، والأستيلين ، والميثيل أستيلين ، والبروبان .

كما تم على ارتفاعات عليا رصد وهج ابنعاثي من الهيدروجين والهليوم بواسطة مجسات الأشعة فوق البنفسجية ، وخصوصا حزام الوهج القطبي ، بين خطي عرض ٧٨ ، ٨٢ درجة شمالا ، والناشىء من اليكترونات الماجنيتوسفير المتصادمة مع الغلاف الجوي العلوي .

ومن التجارب الاشعاعية والاستتار الراديوي تبين ان الاستراتوسفير العلوي ، حيث الضغط الجوي ١,٠٪ من قيمته على سطح الأرض ، يعمل على امتصاص ضوء الشمس فتبلغ درجة الحرارة فيه (-١٣٠° م) وتقل بعد ذلك بالاتجاه نحو الكوكب لتصل (ـ ١٨٠° م) **عند مستوى ضغط ٠,٠٧ بار ● . ولا تستمر درجة الحرارة في النقصان بل ترتفع باتجاه الكوكب بعد أن تبلغ نهايتها الصغرى في الروبوسفير في طبقة تيارات الحمل ، وتصل الى (-١٤٠ م)عند مستوى واحد بارد . ومن هنا وبارتفاع يصل الى ١٠٠ كيلو متر تتجمع سحب من الأمونيا المتبلورة حتى قمة التروبوسفير . هذا**

● البار هو مقدار الضغط على سطح الأرض عند مستوى سطح البحر . وتستعمل هذه الوحدة بديلا للكيلومتر للدلالة على الارتفاع ، حيث ان الضغط يقل بالارتفاع .

بالاضافة الى تجمعات سحابية أخرى على أعماق أكبر. وعلى عكس المشتري يندر، أو لا يوجد على الاطلاق، ثقوب في السحب العليا لزحل تسمح للاشعاع بالهروب من الطبقات الأعمق. ووجود تيارات الحمل دليل على زيادة درجة الحرارة نحو الكوكب، لتصل مع الكثافة بالهيدروجين الى حالة السيولة على السطح.

الطقس فوق زحل

لما كانت المناظير الأرضية لا توضح أية معالم محددة على زحل، فقد أتاحت لنا مركبات الفضاء الفرصة لرؤية العديد من التركيبات السحابية التي كان يتبعها من يوم لآخر عمل خريطة للرياح السائدة في الكوكب العملاق.

اتضح من ذلك وجود رياح شرقية وغربية تدور في عكس عقارب الساعة، ومقصورة على أحزمة ضيقة من خطوط العرض، أغلبها رياح غربية تتجاوز سرعاتها ١٥٠٠ كيلو متر لكل ساعة، بما يزيد على أربعة أمثال السرعة على المشتري. وتقل سرعة الرياح مع زيادة خط العرض، ولا يتغير اتجاهها على العكس من المشتري، الا في العروض العليا. وحيث تنخفض سرعة الرياح تتحول تيارات الحمل الصاعدة الى عواصف دوامية يستمر أصغرها بضعة أيام، وأكبرها لسنة أو أطول. وعند خط عرض ٤٧° شمالا، يوجد تيار شريطي نفاث.

وعن التغييرات الفصلية، الناتجة من ميل محور زحل على مستوى مداره حول الشمس بنحو ٢٧°، لم تستطع المجسات أن توضح الكثير لسببين، أولهما طول العام على زحل (٢٩,٤٦ سنة أرضية)، وثانيهما الحجم الكبير للغلاف الجوي، الذي يجعله غير سريع الانفعال لأي تغيير في ميل أشعة الشمس.

ولزحل مجال مغناطيسي متوسط استمده كما هو الحال للأرض والمشتري من دوران المعادن الساخنة في قلبه. والمجال المغناطيسي يعمل على اقتناص الجسيمات المشحونة القادمة من الرياح الشمسية، مكونا بذلك طبقة الماجنيتوسفير. وهذه الطبقة تشابه في تركيبها ماجنيتوسفير الأرض، من حيث وجود الأحزمة الاشعاعية وكثافة الجسيمات المشحونة، التي تقل كثيرا عن مثيلاتها بالنسبة للمشتري.

أقمار زحل

وقبل رحلتي فويجر كان المعروف أن لزحل عشرة أقمار أصبحت سبعة عشر بنهاية رحلة فويجر ٢. ويمكن تصنيف تلك الأقمار على النحو التالي:

أ ـ تيتان ذلك التابع العملاق بقطره البالغ ٥١٥٠ كيلو مترا والذي يشبه الأرض، ويعد القمر الأوحد في المجموعة الشمسية الذي له غلاف جوي. ويعتقد بأن هذا الغلاف الجوي قد نشأ من تكوين هذا القمر في منطقة باردة من السحابة الأم للمجموعة الشمسية كلها. وبالتالي كانت مادة تيتان مليئة بثلوج أخذت تتبخر بسخونة القلب فانطلق منها الميثان في الغلاف الجوي، بينما تفاعلت الأمونيا (NH_3) مع أشعة الشمس لتكون نيتروجين مع تطاير الهيدروجين. ثم كون النيتروجين والأمونيا مواد عضوية أكثر تعقيدا.

وضغط الغلاف الجوي يبلغ ١,٦ بار. ويقدر ما يحمله كل متر مربع من سطح تيتان بعشر مرات مثل ما تحمله نفس المساحة على سطح الأرض من كتلة غازية. وعلى سطح تيتان كثير من الميثان في درجة حرارة (ـ ١٨٢° م)، أي بين حالة السيولة والغازية، الأمر الذي يجعل للميثان فوق تيتان وضع الماء على سطح الأرض. فهناك محيطات ميثان في مناطق تيتان الاستوائية ومناطق ميثان متجمد في مناطقه القطبية. وبالاضافة الى ذلك توجد أمطار من المواد العضوية متساقطة من الغلاف الجوي العلوي تقدر الحسابات أنها كفيلة بتكوين طبقة بسمك ١٠٠ متر من مواد شبيهة بالقطران. وبهذا فان تيتان عالم عجيب وكوكب (أرضي) في ثلاجة عظيمة يمكن فيه دراسة نشأة المركبات العضوية المعقدة التي قد تكون بداية لنشأة حياة مماثلة لما بدأ على الأرض من حوالي ٤ بلايين عام. ومن هنا يحتل تيتان أهمية كبيرة في التخطيط لرحلات الفضاء القادمة.

ب ـ التوابع العملاقة الستة الأخرى وأقطارها من ٤٠٠ الى ١٥٠٠ كيلو متر وتتكون أساسا من الثلج، وهذه الستة حسب تزايد بعدها عن الكوكب: ميماس، وانكليدوس، وتيثز، وديون، وريا،

وبابيتوس . وجميعها تمت دراستها منذ سنين عديدة ، كما ثبت وجود الثلج عليها من الأرصاد الأرضية . وجميعها لها مدارات منتظمة ودائرية تقريبا حول المستوى الاستوائي للكوكب . والخمسة الداخلية قريبة في مداراتها من بعضها البعض ، بينما يابيتوس بعيد جدا الى الخارج بجانب تيتان وهيبرون وفي مدار يميل كثيرا وعلى بعد ٥٩,٣ مرة مثل نصف قطر الكوكب . وتنقسم هذه الأجسام من حيث الحجم الى ثلاث مجموعات كل منها اثنان هي : ميماس وانكليدوس بقطر من ٤٠٠ الى ٥٠٠ كيلو متر ثم تيثز و ديون بقطر حوالي ١٠٠٠ كيلو متر ويلي ذلك ريا وبابيتوس بقطر حوالي ١٥٠٠ كيلو متر .

جـ ـ التوابع (أو الأجسام) الصغيرة وعددها عشرة وتتراوح في حجمها من هيبرون بقطر ٣٠٠ كيلو متر الى **1980 S28** ** (أو ما يسمى بالحلقة **A** شيرد) بقطر حوالي ٣٠ كيلو مترا . وتوحي مدارات هذا النوع من التوابع وأشكالها بأنها كويكبات مقتنصة أو حطام لأقمار تصادمت .

ويمكن أن تكون هناك أجسام أخرى أصغر لم تكتشف حتى الآن . ومعظم مدارات هذه الأجسام الصغيرة لها خصائص مميزة بذاتها ، فعوي مثلا يتحرك تراجعيا بينها **1980 S I** و **1980 S 3** يدوران في مدار واحد حول الكوكب . كما ان ثلاثة أخرى تشترك في المدار مع ديون وتيثز ويمكن القول بأنها أحجار وان كانت أغلبها ثلوجا .

أصل نظام زحل

اتضح من صور فويجر عن قرب ان حلقات زحل ليست فقط الست المشهورة ، **A,B,C,D** **E, F,** والتي تعد من أجل المناظر السماوية ، وأيضا أكثرها تحديا لمحاولات التفسير .

تمتد الحلقات الرئيسية بعرض كلي قدره حوالي ٧٤٠٠٠ كيلو متر ، من حوالي ٧٠٠٠ كيلو متر فوق الغلاف الجوي لزحل الى حلقة **F** . وفي هذا النطاق الهائل يتواجد نظام من الحلقات العديدة الضيقة ، كل منها بعرض متوسط حوالي ١٠٠ كيلو متر، وهناك حلقات يصل سمكها الى ١٠ كيلو مترات وربما كيلو متر واحد . ويمكن القول بعدم وجود فواصل خالية من المادة بين الحلقات وانما فواصل تقل فيها الكثافة فقط عما حولها . وعلى مسافات تقل عن ١٠٠ كيلو متر تظهر تضاريس مؤقتة على شكل موجات تجوب مادة الحلقات . ويمكن احصاء عشرات الآلاف من الحلقات . كما يوجد قليل من الفجوات الخالية تقريبا من الجسيمات ، تمثل فواصل طبيعية بين مساحات كبيرة من الحلقات . كما تبدو حواف واضحة حيث تتغير كثافة الجسيمات بصورة كبيرة .

على ضوء ما سبق أن يكون زحل قد نشأ مع نظامه ، وفي وقت واحد ، من تجمع المواد الصلبة التي تكاثفت عندما بردت سحابته قبل ٤,٦ بليون عام . ثم أمسكت قبضته جاذبية الكوكب الأولي المتكون بالغازات الخفيفة المحيطة مثل الهيدروجين والهليوم ، وكذلك بجسيمات الغبار الصلبة والأكثر كثافة . وبانكماشه سخن الكوكب وربما حتى تبخرت جسيمات الغبار الثلجية وكذلك أية جسيمات أخرى مجاورة . أما الأقمار فتكونت على مسافات بعيدة من الكوكب النشيط حراريا .

وليس من المقطوع به كيف نشأت الأقمار تفصيلا فربما نشأ كل منها في مداره من تجمع الغبار الدقيق والجسيمات الصغيرة المتكثفة عندما انخفضت درجة حرارة السحابة الأولية . وقد تكون تلك الأقمار جيلا ثانيا لأقمار أولية أقطارها بضع مئات الكيلو مترات تصادمت مع بعضها فتحطم البعض وصغر حجمه واتحد البعض وازداد حجما . ومن الممكن أن يكون مصدر الحلقات وكذلك غالبية الأقمار العشرة الصغيرة ناشئا عن حطام مثل هذا التصادم .

ان تحليل ما بثته أجهزة ومجسمات مركبة الفضاء في عدة أيام سوف يستغرق أعواما طويلة ، لكنه بلا شك سوف يكون خير عون في الترجيح بين تلك الخيارات واثارة أخرى تستحق رحلات فضاء جديدة لمزيد من فهم هذا الكون ومكانتنا فيه . □

** بعد الاكتشافات العديدة تم الاتفاق على أن يسمى الجسم المكتشف ، بعد تأكيد وجوده ، بسنة الاكتشاف ورمز الكوكب Saturn-S وترتيب اكتشافه في سنة الاكتشاف .

الزاحفون والراسبون

شعر : محمد الفايز

كأنك لم تفهم ولم تتفهم
بما يختبي تحت العيان الملثم
لقد زحفوا من كل صوب وبعضهم
أتى من دماء راسبات وأعظم
كأن شرور الأرض تأوى لبعضها
وفي صور شتى تلوذ وتحتمي
ويجمعها ما يجمع الطير عندما
يحوم على أمثاله ثم يرتمي
اليك فاني لم أغالط سجيتي
ولا أنتمي الا لها حين أنتمي
ألم تر هذا الكون ينمو ببعضه
كأن به روحا ولم تتكلم
يجيش بحالات اذا ما نظرتها
نظرت الى أعضاء جسم مجسم
وأرفع كفي عن اناء تسممت
مطامعه أو أنه كالمسمم
وذي غفلة يأوى لها حين لم يجد
طريقا يؤدي نحو رأي مصمم
يؤانسه من ضده زخرفاته
فيقتاده قود المطيع المسلم

أحاول جهدي أن أردَّ صوابه
وأرفع من صوتي له وتغمغمي
فلم أر فيه أذن صاغ لقائل
وليس به غوث الى المتظلم
به طرب للقول حين يجيئه
كما تبتغي فيه ظنون المرجم
يوافق لغوا تستريح شكوكه
عليه ويرضي حالة المتوهم
أراني اذا استجليته لم أجد به
سوى الخالنين الصامت المتجهم
أكرر فيه فكرتي كي أردها
الى أمد بين الموارد والظمى
أقول غدا يلقى الذي قد لقيته
فيعلم علمي أو يعاني تكتمي
يظل يعاني حزنه وهو صامت
وتشمخ فيه حالة المتألم
وما هذه الأيام الا منازل
ولكنها ان هدمت لم ترمم
وللأرض كالانسان فكر يقودها
على الرغم من بان بها ومهدم

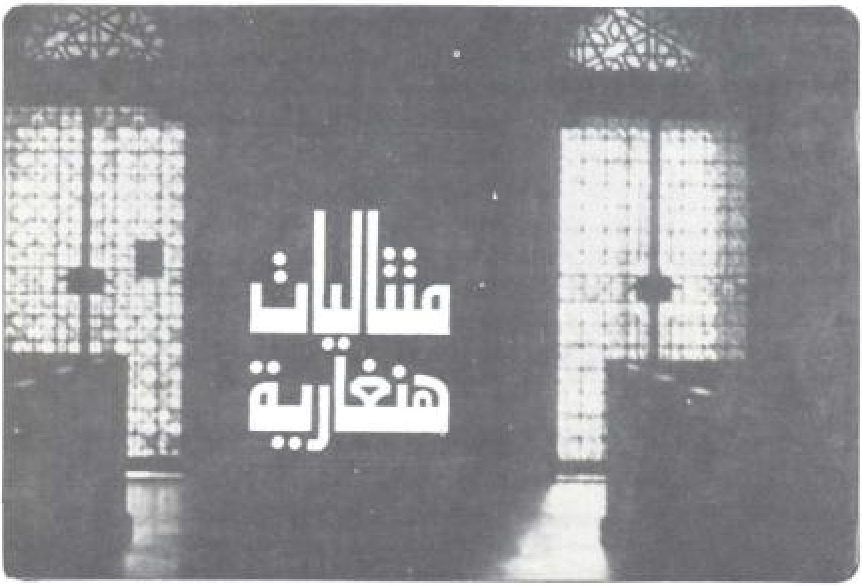

■ ترميم المساجد في هنغاريا
■ الحمّامات التركية تعود إلى الحياة في بودابست

بقلم : جمال الغيطاني

****

.. منذ سنوات عديدة لم يتغير موعد الطائرة الهنغارية ، من قبل عبرت هذا الطريق الفضائي مرتين ، في هذه المرة أقصد عاصمة الدانوب ، أتأمل الجبال المكللة بالثلوج البيضاء ، والغمامات البعيدة ، حيث يعبر الانسان الفراغ ، ولا يدع خلفه آثارا تدل عليه ..

****

. . ميعاد الوصول دائما في مطلع النهار ، حراس المطار في أزيائهم العسكرية ، يتدثرون باللباس الثقيل ، الكل يرتدي المعاطف وأغطية الرأس الثقيلة ، ترى كيف تكون درجة الحرارة تحت الصفر ؟ مررت بصالة المطار الصغيرة ، نفس الرائحة التي نفذت الى أنفي منذ خمس سنوات عندما وطئت قدماي لأول مرة أرضا أوروبية ، مزيج من رائحة أخشاب مصقولة ، وعطور نساء مررن من هنا ، وقهوة تعد في البوفية .

يتفحص ضابط الجوازات أوراقي ، ثم يتأملني ، أواجهه بملامحي ، يختم الجواز وأفاجأ بالضابط المجاري يقول لي باللغة العربية . .

ـ أهلا وسهلا . .

. . البرد ، الضباب ، يلفان المدينة في الصباح الباكر ، النوافذ كلها مغلقة ، والمارة فوق الأرصفة خطواتهم سريعة ، معظمهم يمشون منحنين الى الأمام ، وكأن أيديًا خفية تدفعهم ، وسرعان ما يذوبون في الضباب ، ليجيء غيرهم ، لا تتوقف الحركة ، الكل مسرع ، ومامن تسكع ، واذ أقترب من الأرصفة تبدو الملامح جادة ، بينما غصون الشجر كلها عارية ، تقترب السيارة من الدانوب ، أعبر كوبري اليزابيث والذي يصل شطري المدينة ، ـ بودابست وكانا في الأصل مدينتين الى أن توحدتا في منتصف القرن الماضي ، يؤدي كوبري اليزابيث الى سفح جبل جيلريت ، الذي عاش فوقه منذ قرون عديدة القديس (جيلريت) ثم ، أعدمه الرومان بطريقة بشعة ، وضعوه في برميل مليء بالأسنة البارزة وألقوه من فوق الجبل متدحرجا حتى السفح ، ثم أطلق اسمه على الجبل . وهكذا يتم تكريم الانسان بعد فوات الأوان وبعد أن يصبح رمزا لا يدري شيئا ولا يعي ، ثم يفيق الضمير الانساني .

هذه الوحشة التي تحكم الانسان اثر الوصول الى بلد غريب عنه ، في الوطن يصبح السفر امنية ، كذلك يطول الحلم بالمدن البعيدة ، والغابات النائية وعند السفر يشتد الحنين الى الوطن ، وتكتسب أشد الأشياء بساطة قيمة كبرى ، ويهفو الانسان الى المقهى ، والى الناس الذين اعتاد رؤيتهم كل يوم ، مع أن الغيبة بالنسبة لي لا تطول عادة أكثر من أسبوعين ، ما بين حنينين تتحير المشاعر ، الحنين الى السفر ، والحنين الى العودة .

في قلب بودابست

البحث عن المعارف والأصدقاء ، في مساء اليوم الأول التقيت بالشاعر الفلسطيني الصديق مريد البرغوثي ، وزوجته الدكتورة رضوى عاشور الناقدة المعروفة واستاذة الأدب الانجليزي في جامعة عين شمس ، مريد هو المسئول الاعلامي عن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بودابست ، وكثير من الأصدقاء الحميمين أصبحت الآن لا ألتقي بهم الا في المدن الأوروبية والغربية ، بعد أن كانت مقاهي القاهرة تضج بنا .

الى مقهى هنغاري قديم ذهبنا ، مقهى البيلغاكس من عصر الامبراطورية الهنغارية ، بني في القرن الماضي ، ومازال مثقلا بالفخامة ، والروح الكلاسيكية ، وآثار هذا العصر الذي أطلق عليه صديق هنغاري « العصر الذهبي » ، في صالاته الفسيحة ، وزخارف سقفه الفنية ، ومرايا جدرانه العريضة أستطيع أن المح الأصل الواقعي للعديد من اللوحات الفنية الموجودة في متحف الفنون الجميلة ببودابست ، حيث النساء اللواتي يرتدين الفساتين الواسعة الفضفاضة ، والرجال بقبعاتهم العالية ، وعازف للبيانو في الركن الأقصى ، مع مريد ورضوى دبت الى الونسة ، تحدثت عن مصر وعن أمل عارم يسري في أفئدة الناس ، وأصغت رضوى ، كذلك أصغى إبنهما تميم الصغير الذي يتحدث الهنغارية بطلاقة ، وكان يتحدث الى الجرسونة الحسناء نيابة عنا ومترجما لنا . جاءت امرأة هنغارية عجوز ، راحت تداعب تميما ، للطفولة قدسيتها هنا ، وعندما عرفت أننا عرب مصريون قالت انها عاشت في الاسكندرية زمنا ، وراحت تتحدث عن الشاطىء والابراهيمية ، تسأل وتستقصي بحنين عظيم ، ثم انصرفت ملوّحة وعدنا الى الحديث عن القضية ، وعن الوطن ،

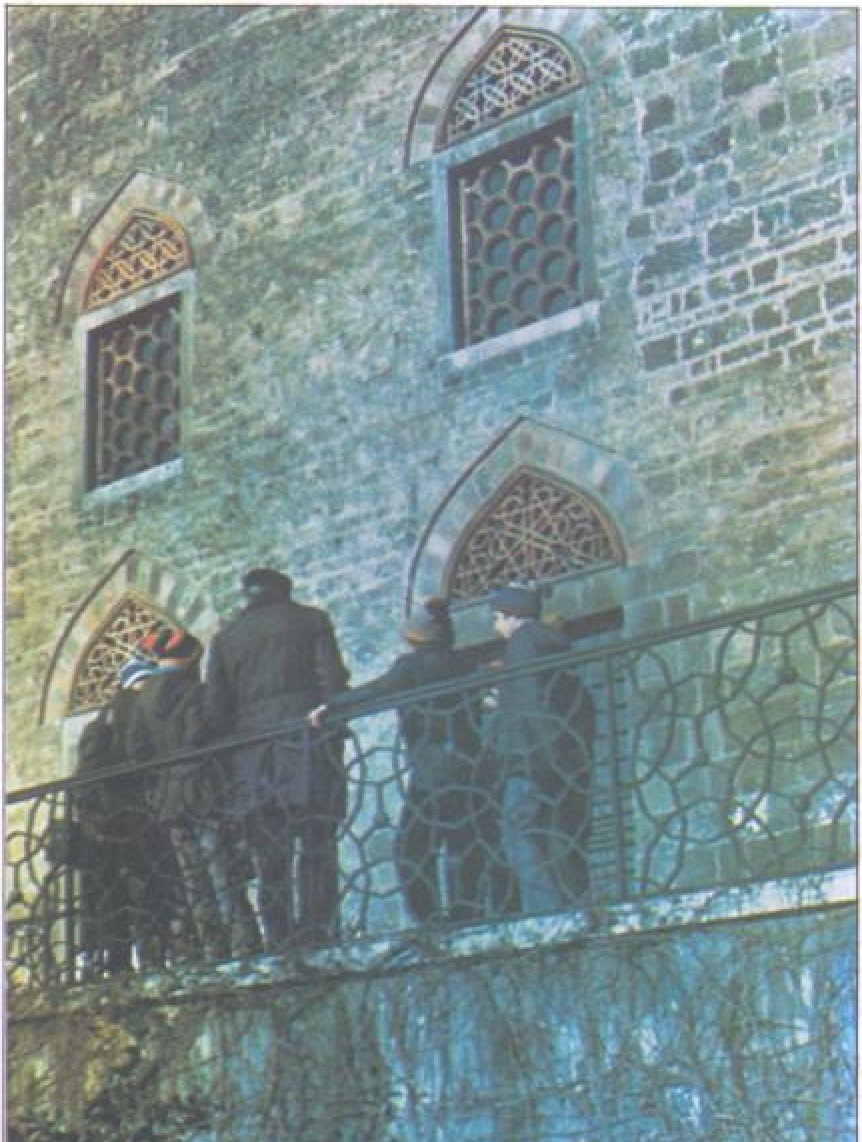

● بعض الزوار في انتظار فتح ابواب المسجد

● ضريح جولي علي بابا . . أحد المشايخ الأتراك ببودابست

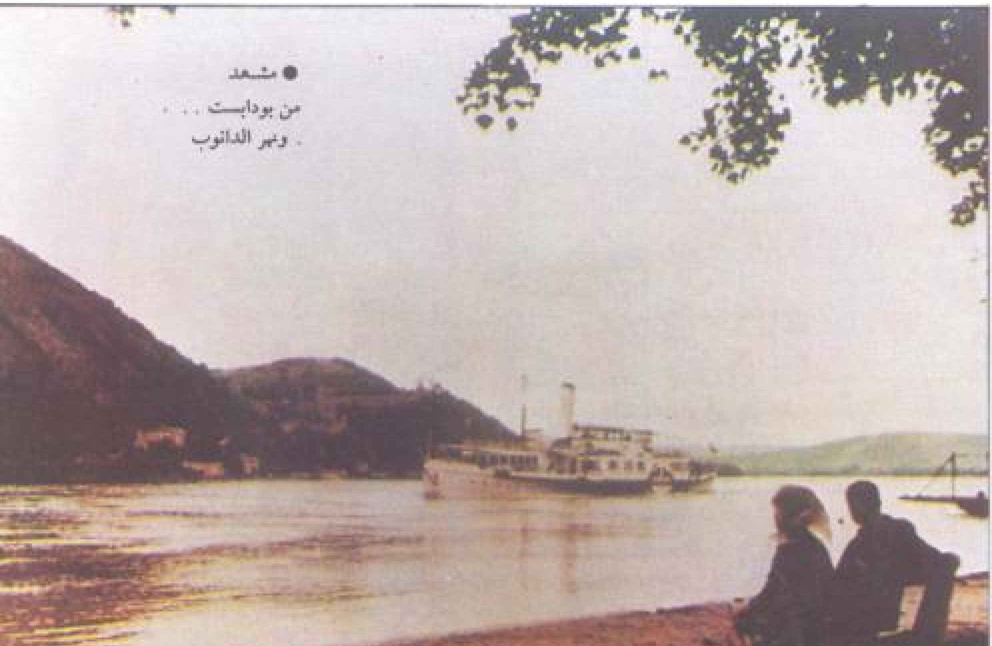

● مشهد
من بودابست . . .
. ونهر الدانوب

وعن أميل حبيبي ، وعن المستقبل ، عن الآمال والمخاوف .

الى القلعة

للمرة الثانية أرى شوارعها المبلطة بالحجارة العتيقة ، قلعة بودا ، أو كما يسمونها هنا قلعة الصيادين ، يتدرج الطريق في الارتفاع من ميدان موسكوفا حتى يستقر في الساحة التي تقع أمام كنيسة الماتياشي ، أجمل كنائس هنغاريا وأرقها ، حيث تقوم القلعة هنا منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، وتبدو الأماكن التاريخية مجرد حجارة صماء اذا عزلت عن تاريخها وعن الأحداث التي مرت بها ، ففي هذا الموضع كان يحلو للامبراطور الروماني المشهور ماركوس أوريليوس التأمل ، ولا شك أنه ذواقة للجمال ، والتل ينحدر الى الدانوب مكسوا بالأشجار ، والنهر ينساب هادئا في وقار ، عريض لكنه أقل اتساعا من النيل ، معارك عديدة نشبت هنا ، وعندما استقر العثمانيون لمدة قرن ونصف في هذه البلاد كانت القلعة مقرا للحكم ، ومازال المكان يحمل آثار هذه الفترة ، في الملامح المعمارية حيث البيوت قديمة ، ذات مداخل فسيحة تذكرنا بالوكالات العتيقة في منطقة القاهرة القديمة ، كذلك النوافذ الخشبية ، والزخارف المعمارية التي حافظت عليها عمليات الترميم التي أجريت بدقة بالغة ، ويحمل النصب التذكاري لرجال الحرس الوطني ، أربع لوحات من البرونز ، صورت المعارك التي جرت بين الأتراك ، والجيوش المنغارية ، وبجوار المتحف الحربي ، وعند أقصى الطرف الشمالي للقلعة ، حيث يطل الواقف على تلال مدينة بودا ، يقوم شاهد قبر رخامي ، تعلوه عمامة عثمانية منحوتة ، وتحت الشاهد لوحة من الرخام تحمل عبارات كتبت باللغة التركية ، آخرها سطر باللغة العربية « رحمة الله عليه » ، العبارات تعني أن هذه المقبرة لعبدالرحمن باشا ، آخر باشا عثماني حكم مقاطعة بودا قبل رحيل الأتراك عن هنغاريا ، توقفت طويلا عند القبر في العراء ، تحت درجة حرارة تصل الى خمس عشرة تحت الصفر ، هذا الباشا الذي لا أعرف ملامحه ، والذي دفن في مكان يشرف على المقاطعة بأكملها ، مهجور من قومه الآن وغدا مجرد أثر .

أعود للتجول في الشوارع الضيقة التي يجري الحفاظ على مبانيها بدقة بالغة ، حيث تمنع اقامة المباني الحديثة إلا وفقا للطراز السائد ، وعندما أقيم فندق الهيلتون بجوار كنيسة الماتياشي ، صُمم طبقا لطراز العمارة السائد في منطقة القلعة ، حتى ان لون الأحجار جاء متوافقا مع نفس الألوان القديمة ، أما النوافذ المستطيلة للفندق فقد غطيت بزجاج قاتم يعكس الكنيسة ومباني القلعة المحيطة ، انه درس للدول الغنية بالآثار ، للمحافظة على المناطق القديمة التي يشوهها العمران الحديث .

في الطرف الآخر من القلعة يقوم القصر الملكي والذي يضم ثلاثة متاحف ، متحف لتاريخ مدينة بودابست ، والمتحف الوطني ، ومتحف للرسم والنحت الهنغاريين ، ومن القلعة يتحدد طريق يؤدي الى بودا ، طريق تتخللة درجات سلالم حجرية وممرات عبر الأشجار ، أما في الليل فتتعانق أضواء النيون وألوان الشجر ، وتبدو بعض نوافذ البيوت القائمة على السفح مجللة بالستائر السميكة والأسرار .

اخترقت هذا الطريق مرارا في زيارتي الأولى عام ١٩٧٩ ، وفي ساعات مختلفة من الليل ، وعلى الرغم من عدم وجود رجال البوليس المكثف الا أن الاحساس بالأمن متوفر ، في الغابة التي تغطي المنحدر ، كنت ألمح اثنين يتبادلان الهمسات ، أو فتاة تجلس وحيدة منطوية ، أو عجوزا غارقا في تأملاته وذكرياته البعيدة ، حيث الوحدة الانسانية ملمح من ملامح الحياة الأوروبية في شرق القارة أو غربها ، وعند الوصول الى السفح ، ومن أمام محطة الديلي ، حيث تقوم القطارات المؤدية الى الجنوب ، أتأمل القلعة ، وتبدو المباني عند القمة شبيهة جدا بمباني قلعة الجبل في الخضرة ، لكن الفارق هنا أن الأشجار والبرد تغطي السفح ، وفي القاهرة تقوم

القلعة على صخور المقطم ، والدفء لا يتبدد أبدا . .

انهم يرممون المساجد

الطريق الى مدينة (بيتش) يمضي جنوبا ، ولأن الجنوب مرتبط في الذهن بالخشونة ، ومحدودية اللون الأخضر ، فقد كنت أتطلع مبهورا الى تلك الكثافة من الغابات الغارقة في ضباب كثيف القوام كاللبن ، تلوح خلاله الأشجار النحيلة الفارعة ، التي لم تكتس بعد بالأوراق الخضراء ، بينما الجليد يغطي جداول المياه الضيقة ، التي تتلوى عبر الجسور ، والجذوع ، ومازال الشتاء ممتدا بأيامه الباردة في هذه الأيام الأخيرة من فبراير ، في الطريق يتوقف الأوتوبيس بمقهى صغير ، أو بمعنى أدق « بار » ، اذ أن المقاهي بالنسبة لي تعني تلك المقاعد المتراصة فوق الأرصفة ، حيث يحلو لي متابعة حركة البشر ، وفي البلدان الأوروبية الباردة تختفي أرصفة المقاهي ، وتصبح مفتوحة على الداخل ، ثمة بيوت قليلة متناثرة في المنطقة المحيطة بالمقهى ، كل بيت محاط بحديقة صغيرة ، جميع النوافذ مغلقة على مئات الأسرار الصغيرة ، والحكايات التي لا تفصح عن نفسها .

أخيرا ، مدينة بيتش . .

زرتها في عام ١٩٧٩ ليوم واحد ، وتمر وتكر الأيام لتقع عيني عليها مرة أخرى ، كلما زرت بلدا نائيا ، قلت لنفسي وأنا أفارقه ، ترى هل سأراه مرة أخرى ؟ واذا حدث . . فمتى ، وكيف ؟

أعود الى بيتش ، وأرى مرة أخرى مسجد الغازي قاسم ، يتوسط المدينة ، يحتفظ بطابعه الأصلي على الرغم من تحويله الى كنيسة بعد انتهاء الاحتلال التركي للمجر في القرن السابع عشر ، نتجه الى فندق « بانونيا » الحديث ، حيث سيقيم الصحفيون والمخرجون والممثلون الذين سيحضرون المهرجان السينمائي للأفلام المنغارية ، والذي تنظمه في كل عام مؤسسة (هنغارو فيلم) ، فوجئت أن الفندق يقع في مواجهة مسجد « حسن ياكوفيل » ، أرقى المساجد التي رأيتها خلال تعرفي الذي بدأ منذ سنوات طويلة على الآثار الاسلامية في مختلف انحاء العالم الاسلامي ، أرق المساجد وأغزرها حزنا ، بحجارته الرمادية ، ومئذنته الشاحبة ، وحجمه المحدود ، وزخارفه الدقيقة المقتصدة ، الجميلة ، حزين الطابع لانه مهجور ، بلا مسلمين ، لكن ثمة شيئاً ما في العمارة ، في أحد أيام القرن السادس عشر ، وقف هنا حسن باشا ياكوفيل ، وكما يدل اسمه فهو من بلدة في يوغسلافيا تحمل نفس الاسم « ياكوفيل » ، وقف وأشرف على أعمال البناء ، ثم صلى في يوم افتتاح المسجد ، وصلى معه دراويش طائفة المولوية الذين بنى لهم تكية ملحقة بالمسجد ، وقد ضاعت كل معالمها الآن ماعدا عددا ضئيلا من شواهد قبورهم التي لا تزال قائمة في الفناء الذي يقع خلف المسجد ، حيث يمكن رؤية المئذنة الملتصقة بالمسجد كاملة . كانت (بيتش) مدينة

● داخل مسجد الغازي قاسم

● الدكتور يوسف جوري في فناء مسجد حسن باكوفيل ومعه الدكتور يوهاس المسئول عن العلاقات الثقافية

● مسجد الغازي قاسم (مدينة بيتش المجرية)

هـامـة جـدا في ذلـك العصـر وهي أول المـدن الهنغارية بعد اجتياز الحدود اليوغسلافية ، وحاليا هي ثالث مدن هنغاريا ، أما في العصر التركي فقد كان تعدادها أربعة آلاف فقط .

ولم يكن مسجد حسن ياكوفيل وحيدا ، فهناك مسجد الغازي قاسم الذي يتوسط المدينة حتى الآن وتجد ظلاله سارية أينما ذهبت فيما يمنحها ذلك الظل الشرقي الأصيل حتى في مواجهة مبانيها العتيقة باروكية الطراز ، كنيسة الفرنسيسكان القائمة الآن كانت أصلا مسجدا ، وأكبر كنيسة في مدينة بيتش كانت أصلا مسجد السلطان سليمان ، وكان في المدينة سوق شرقي مغطى ، وعدد من الحمامات التركية يصل الى واحد وعشرين حماما، وكانت أبواب المدينة تقع في نهاية ، الشارع الرئيسي ، الباب الشرقي يؤدي الى بودا ، والتي تمثل الآن نصف العاصمة بودابست ، الباب الجنوبي يؤدي الى مدينة سيكلوشي ، وعلى مقربة منه الباب المؤدي الى سيجتغار ، تجاه هذا الباب تقع احدى الضواحي وكان فيها مسجد ومدرسة للمذاهب الاسلامية ، ثمة ضاحية أخرى على مقربة كانت تحتوي على جزء عثماني أيضا .

انتهى العصر العثماني لهنغاريا في نهاية القرن السابع عشر ، وتبقت منه هذه الآثار الاسلامية التي أعيد ترميمها بدقة كبيرة ، وعناية فائقة ، وأشرف على هذه العمليات البروفيسور يوسف جوري عالم الآثار الهنغاري ، المسلم ، والذي جاء من بودابست ليعرفني بأدق تفاصيل الآثار المتبقية في بيتش وسيجتغار . .

الآثار والحمامات التركية

تظل المباني الأثرية ، القديمة ، مجرد حجارة لا معنى لها ، الى أن أحاط العلماء بالتاريخ الممتد خلفها ، عندئذ تدفقت حياة بأكملها ، هكذا في طفولتي كنت أرى المساجد القديمة في الجمالية ، وفي القاهرة القديمة ، ولا أعرف عنها الا أسماءها ، كذلك أسماء الشوارع والطرقات ، حتى تقدم العمر ورحلت عبر التاريخ ، فتدفقت الحياة في الحجارة الرمادية ، وأصبح الوقوف أمام بقايا مبنى قديم يثير العديد من المعاني ، ويفجر القدرة على التأمل ، تذكرت ذلك وأنا في مدينة بيتش . كنت أمر يوميا في شارع ساليا ؛ بجوار مطعم غريب يقع تحت الأرض (مطعم المئذنة) بقايا بناء قديم يتوسطه كشك خشبي أحمر اللون ، وبدا لي غامضا ، بلا معنى ، حتى صحبني البروفيسور يوسف جوري عبر آثار بيتش الاسلامية ، واتجه بي الى شارع ساليا ، ثم توقف أمام هذه البقايا ، انه الحمام التركي الرئيسي للمدينة ، حمام ادريس بابا كما كان يعرف في العصر التركي للمدينة ، ومن بقايا الحمام القديم ، بدأ الحفر والكشف عن الخطوط العامة للبناء ، والمورد الرئيسي للمياه ، ثم الموقد حيث عملية التسخين ، والفتحات في الجدران حيث يتدفق الماء المغلي الى أحواض صغيرة ، ومنها يتصاعد البخار ، هذا نظام حمامات البخار ، ثمة نوع آخر من الحمامات كان مخصصا للاستحمام بالماء فقط ، والقاعة الرئيسية تختلف في كليهما اختلافا كبيرا ، في حمام البخار نجد مصاطب من الرخام ترتفع عن أرضية الحمام ، يجلس فوقها المستحمون ، في استسلام وتراخ لتدفق البخار ، أما في حمامات المياه فتوجد مغاطس مستطيلة الشكل ، ممدودة المساحة ، ينزل فيها المستحم ، تجولت مع البروفيسور يوسف جوري والصديق يوهاس أرنو أحد تلاميذ المستشرق المجري الكبير عبدالكريم جرمانوس والمسئول عن العلاقات الثقافية الخارجية ، وعرفت أن هذا البناء الأحمر الذي كان يحيرني ما هو الا خزان الحمام الرئيسي للمياه المغلية ، وبجوار بقايا البناء متحف صغير يشرح نظم الحمامات ، ويعرض اللوحات التي رسمت في العصر العثماني للحمامات ، وجمالها الداخلي .
في هنغاريا بقايا العديد من الحمامات التركية ، كحمام شازار ، وحمام كيرالي ، وحمام روداش ، وحمام راشي ، وحمام السلطان في ايجر ، وحتى الآن مازال حمام بودا في العاصمة بودابست

يعمل ، وفي مدينة شبكستغار يوجد حمام رستم باشا .

من مدينة بيتش ، ركبنا السيارة الى مدينة سيجتغار القريبة ، الطريق ممتد فوق بساط من الخضرة ، الى درجة أن لون الأسفلت الأسود يكاد لا يبدو ، من بعيد تلوح الكنيسة بطرازها السلافي ، تلك القبة المستوحى شكلها من ثمرة البصل ، والبرج النحيل ذو القمة المدببة ، الكنيسة أول بناء يطالع الانسان عند اقترابه من أي مدينة هنغارية ، سيجتفار مدينة صغيرة ، تخترق شارعها الرئيسي الى القلعة التي تقع خارجها ، نجتاز البوابة الضخمة التي تتخلل أسوارا ضخمة من الطوب الأحمر اللون ، في هذا المكان جرت أحداث بعيدة ، لا يدري عنها معظم العابرين شيئا ، حتى أولئك الذين يعملون ، وقضوا أعمارهم في دراستها مثل البروفيسور يوسف جوري ، فانهم يدرسون أو درسوا الخطوط العامة . . والتواريخ ذات الدلالة ، وربما تفاصيل المعارك ، لكن ملايين التفاصيل الانسانية اندثرت تماما ، كآلام جندي جرح هنا ، أو أشواق اضطرمت في صدور انسان ما ، وقد اتيح لي أن أعيش الفترتين ، والموقفين المتقاربين ، وكنت استدعيهما الى ذهني وأنا أمشي مع صديقتي الهنغارية من الأعوام الممتدة بين ١٩٦٨ ، و ١٩٧٠ ، عشت حرب الاستنزاف التي شنها الجيش المصري العظيم ضد اسرائيل ، في أكتوبر عشت الحرب يوما بيوم منذ يوم الأحد السابع منه ، في حرب الاستنزاف كان اقترابنا من مياه القناة لا يتم الا عند الغسق ، أو في الليل ، ويتم في صمت ، لأن أي صوت كان العدو يصوب الى مصدره ، وكان اذا أخبرني انسان ما انه زار الجبهة أسأله هل وصل الى القناة ، ومن الاجابة كنت أدري مدى جدية الزيارة ، في تلك الأيام نزفت جروح عديدة ، وتدفقت أحاسيس شتى ، وودعنا الفرق العابرة الى مواقع العدو نهارا أو ليلا ، وخفنا ، وقلقنا ، وسررنا ، وتحمسنا ، في أكتوبر ١٩٧٣ ، دار قتال ضار ، وهرست جنازير الدبابات الاسرائيلية اجسادا حية . . وأمسك ابراهيم زيدان بالعلم المصري ، وكما يقولون « مات عليه » ، لم يتركه وهو ينزف حتى أغمض عينيه الى الأبد ، فيما بعد ذلك بسنوات ، مررت بقناة السويس ، ورأيت بقايا حفر الجنود مغمورة بالمياه ، وسفنا عابرة ، ومنافذ جمركية الى المنطقة الجمركية في بورسعيد ، وتساءلت « من يذكر تلك الأيام ؟ من؟ » . . في هذا المكان النائي عن بلادي،المدثر بالشتاء ذكرت تلك الأيام ، فهي أيامي وأيام من أحببت ، وتساءلت من يدري انني ذكرتهم هنا ، أو من يدري أنني أذكرهم في نفس الموضع الذي استشهدوا به ، عدت الى لحظتي الحاضرة ، كان البروفيسور يوسف يشير بيده الى أحد أركان القلعة . . . كان يتحدث عن بطل هنغاري ظل يقاوم الأتراك حتى اللحظة الأخيرة ، لم أسمع اسمه ، اسم البطل - هو بطل في نظر قومه ، وكافر في نظر الأتراك ، المسائل نسبية ، والنتائج ، والحقائق العظمى أيضا . . أليس كذلك ؟

أين مدفن السلطان ؟

. . صعدنا سلما يؤدي الى أعلى سور القلعة .

في سبتمبر ١٥٦٦ ، استولى الأتراك عليها ، ازدحمت هذه السهول المحيطة بجيش السلطان العثماني العظيم سليمان القانوني ، لم ير سقوط هذه القلعة في نقطة ما ، في موضع مابين أشجار السرو هذه مات ، اغمض عينيه الى الأبد ، نتيجة جلطة في المخ ، وفي موضع ما دفن ومازال قبره مجهولا ، ربما في بقايا مسجده القائم في وسط القلعة ، أو في موضع ما قرر الوزير الأكبر سوكولي أن يخفي موت السلطان ، عن الجنود والضباط ، حتى لا تتأثر معنوياتهم ، يوجد مكان قريب اسمه توربيك والمرجح - كما يقول البروفيسور يوسف جوري - ان السلطان مدفون فيه ، لأن أصل الاسم تربة أي مدفن . وعندما استولى الأتراك على القلعة ، سرعان ما شيدوا في أركانها أربعة حصون ، وزودوها بأماكن لاطلاق المدافع ، والبنادق ، كما توسعوا في بناء مخازن العتاد ، والاسطبل ، ورأيت هذه المخازن الآن

مستغلة كفندق سياحي صغير ، بعد المعركة بحوالي مائة سنة ، إذ هاجم زريني الثاني - بطل هنغاري - المكان واستولى عليه بجيوشه ، وفي وسط الحديقة تمثال بالحجر الطبيعي لزريني يمتطي جوادا ، أقيم في عام ١٩٦٦ بمناسبة مرور اربعمائة سنة على المعركة ، ولنفس المناسبة أعيد ترميم القلعة ، والكشف عن أجزائها الداخلية ، كما أشار البروفيسور جوري الى جسر قديم يحتمل أن تكون بقايا الجيش المجري المتراجع قد عبرته أمام الأتراك .

من المحتمل أن بقايا الجيش المجري المتبقي بعد الهجوم الطويل خرج كدفعة واحدة من هذا الجسر أمام الأتراك . .

وقد أعيد بناء السور في القرن الثامن عشر ، وأضيف مبنى لسكنى الجنود ، في وسط القلعة وهو بناء محدب السقف ، يبرز منه برج ، وسرعان ما تكتشف بقايا المسجد في البناء ، البرج هو الجزء الأسفل من المئذنة ، النوافذ لا تزال تحتفظ بزخارفها ، أما الردهة الداخلية فهي قاعة الصلاة ، المقرنصات الجصية في أركان القاعة ، وفي الجنوب الشرقي بقايا المحراب ، وعلى الجدران كتابات باهتة قديمة ، كتابة عربية ، الله ، لا اله الا الله ، علي كرم الله وجهه ، الحسن ، الحسين ، وقفت وبي خشوع أمام الكتابة القديمة ، وأنا أحاول جاهدا أن أتخيل الأيدي الانسانية التي خطتها ، هؤلاء الذين انتسب اليهم بشكل أو بآخر ، لابد إنهم جنود عرب من مكان ما ، وثمة ظروف لم تعرف قط لأشد المدققين بحثا قادتهم الى الالتحاق بالجيش العثماني ، وخطوا فوق الجدران هذه الكلمات المقدسة . .

خرجنا من القلعة ، مشينا بجوار نهر أولماشي الذي يخترق المدينة ، مرة أخرى نتوقف أمام كنيسة كانت في الأصل مسجد حاجي ابراهيم ، ويشرف الآن البروفيسور جوري على أعمال ترميم لاستعادة هيئة المسجد الأصلي ، والملاحظ أنه طوال فترة الاحتلال التركي لم يقم المسلمون بتحويل أي كنيسة الى مسجد ، وبعد انتهاء الاحتلال ، تحولت المساجد الى كنائس ، ألا يدل ذلك على سماحة الاسلام وعظمته ؟

مهرجان الأفلام

بيتش مرة أخرى ، في الميادين الرئيسية لافتات تعلن عن أفلام المهرجان السينمائي السنوي ، يعقد خصيصا للأفلام الهنغارية ، وتتم دعوة أشهر نقاد السينما من العالم ، والكتاب وبعض المخرجين والممثلين ، حتى يتعرف العالم على السينما الهنغارية ، وهي سينما متميزة ، وقدمت أعمالا هامة ، آخرها فيلم (مانيفستو) الذى حصل على جائزة أوسكار عام ١٩٨٢ لأحسن فيلم أجنبي ، وفيلم (شونتغاري) عن حياة الرسام الهنغاري الكبير شو نتغاري الذي زار فلسطين والقاهرة في بداية القرن ، وسجل زياراته في لوحات ضخمة تحتل معرضا كبيرا في بيتش ، ويفاجيء الزائر العربي عند الدخول اليه بلوحة لمدينة القدس تبلغ أبعادها أربعة أمتار في سبعة أمتار ، وهناك العديد من الأفلام الأخرى الهامة ، عرض في المهرجان

● بقايا مسجد حاجي ابراهيم . . مدينة سيجتفار

عشرون فيلما ، وهذه الأفلام تحتاج الى دراسات عديدة ، ولكن يمكن القول ان مواضيعها تتناول عدة مداخل تاريخية مختلفة من التاريخ الهنغاري والأوروبي ، ولكن هناك تركيز على المرحلة التي تقع بين الحرب العالمية الثانية وبين عام ١٩٥٦ ، أفلام أخرى تنقد الواقع المعاصر بشدة ، بل تكشفه وتعريه ، مثل فيلم (كابالا) اخراج يانوشي روزا ، ولقد كان مستوى الرؤية النقدية للواقع مفاجأة لي ، خاصة وان الدولة تنفق على هذه الأفلام وتنتجها ، وتتولى الدعاية لها ، خصصت ادارة المهرجان أربع قاعات للسينما تعرض نفس الأفلام ، ولكن في ترجمات انجليزية ، وايطالية ، والمانية ، وفرنسية ، كانت القاعة المخصصة للترجمة الانجليزية تقع في ضاحية ريفية من ضواحي مدينة بيتش ، هادئة ، أنيقة ، ذات بيوت صغيرة ، يحيط بكل منها حديقة ، والقاعة نفسها التي تعتبر سينما القرية قاعة مزودة بالآلات الحديثة ، من النظرة العابرة تبدو الحياة هادئة ، والاحتياجات الضرورية متوفرة ، لكن بعض الأفلام التي رأيتها تقدم وجها آخر ، وتذكرت فتاة مجرية على قدر عال من الثقافة ، كانت تحدثني في بودابست عن أمريكا بانبهار ، وقد تركزت حياتها حول حلم السفر والعيش هناك .

ويبدو أن الانسان لن يرضى ، ولن يهدأ ، هنا أو هناك !!

الهلال والصليب يتعانقان

من قاعة السينما المظلمة أخرج الى الريف الهنغاري الجميل ، وأعود الى مدينة بيتش ، الى مسجد الغازي قاسم الذي حولوه الى كنيسة بعد انتهاء الاحتلال التركي ، ومازال الهلال والصليب يتعانقان فوق القبة ، وقد لاحظت الحارسة وهي امرأة تجاوزت الستين ترددي اليومي ، واسمها كوفاتاج فاندال ، جاءت الى المجر من ثلاثين سنة ، وذهب زوجها الى رومانيا في رحلة سياحية ، الى أقليم ترانسلفانيا الذي هو أصلا جزء من هنغاريا ، وبالمناسبة هناك أجزاء كبيرة من هنغاريا أكبر من مساحة هنغاريا نفسها ، تعتبر الآن أجزاء من رومانيا ، وتشيكوسلافيا،أقليم ترانسلفانيا في رومانيا ، وأقليم براتسلافا في تشيكوسلوفاكيا ، لا أحد يثير هذه القضية الآن ، فالكل دول اشتراكية ، لكن ألا يثير هذه التساؤلات العديدة حول مبدأ الأممية ، اذا كانت هذه الأقاليم هنغارية ، وسكانها هنغاريين ، ولغتهم هنغارية ، وقوميتهم هنغارية ، فلماذا لا ينضمون الى البلد الأم هنغاريا ، ولماذا تثير هذه النقطة المشاكل اذا تحركت ، اذا كان مبدأ الأممية أحد الأسس الهامة في المبادىء التي تحكم تلك البلاد ؟ الا يتسرب الشك الى الأسس ؟ المهم .. ان الرجل الهنغاري الذي ذهب سائحا الى ترانسلفانيا الرومانية عاد ومعه زوجة ، انها حارسة مسجد الغازي قاسم الآن ، لابد انها كانت جميلة ، هكذا تشي ملامحها العجوز ، وقد أنجبت منه ابنة واحدة ، والابنة انجبت ثلاثة أحفاد ، كانت تعمل سكرتيرة ، وبعد أن بلغت سن التقاعد عملت كحارسة في المسجد .

في مواجهة مسجد الغازي قاسم تمثال من نحاس للقديس هونياد يانوش ، كان قسيسا أسره الأتراك ، وأخذوه الى فهيرفار ، أو بلغراد ، أو القلعة البيضاء كما يعني الاسم ، وجرت العادة أن تقرع أجراس الكنائس في الساعة الثانية عشرة ظهرا في العديد من البلدان الأوروبية تحية لهونياد يانوش ، وفي مدينة بيتش معبد يهودي قديم أيضا ، وهي المدينة الأوروبية الوحيدة التي تتمثل في آثارها القديمة الأديان الثلاثة .

من مقهى النادور القديم يبدو بناء مقابل في الطرف الآخر من الميدان ، لون طلائه أخضر فاتح ، لقد بني في القرن الثامن عشر ، بني من أحجار مسجد تم هدمه بعد ذهاب الأتراك ..

لا شيء يبقى مع الزمن ... □

مسابقة العربي للقصة القصيرة

تشجيعاً للهواة من كتاب القصة الموهوبين
في أقطار الوطن العربي والمهجر
وتوكيداً للعلاقة بين «العربي» وقرائها
فإنها تقيم مسابقة للقصة القصيرة

الشروط

- يحق للهواة من القصاصين الاشتراك في هذه المسابقة .
- أن يكون موضوع القصة منسجماً مع الاتجاهات القومية وألا يتعارض مع المبادىء والقيم الدينية والانسانية .
- أن تكون القصة موضوعة لا مترجمة ولا ملخصة ولا مقتبسة .
- ألا يتجاوز عدد كلماتها ١٥٠٠ كلمة .
- ألا يكون قد سبق نشرها من قبل .
- أن تكتب باللغة العربية الفصحى بخط واضح ، وعلى وجه واحد من الورق ، ويفضل أن تكتب على الآلة الكاتبة .
- أن يكون « للعربي » حق الأولوية في نشر القصص الفائزة بالجوائز .
- ألا تحمل القصة اسم كاتبها أو عنوانها ، بل يكتب اسم الكاتب وعنوانه وعنوان القصة ، على النموذج المرفق « الكوبون » في أسفل الصفحة ، بحيث يكون النموذج أو « الكوبون » في أسفل الصفحة هو المستند الوحيد الذي يؤكد ملكية صاحب القصة .
- آخر موعد لقبول القصص هو ٣٠ ابريل ـ نيسان ـ من سنة ١٩٨٥ ، ولا تدخل المسابقة أية قصة تصل بعد هذا التاريخ .
- تعلن نتائج المسابقة في بداية شهر أكتوبر ـ تشرين أول من سنة ١٩٨٥ .
- القصص التي تصل الى المجلة لا ترد الى أصحابها .
- يكتب على المظروف مسابقة القصة القصيرة .

الجوائز

- الجائزة الأولى : ٣٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثانية : ٢٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثالثة : ١٥٠ ديناراً كويتياً .
- الجائزة الرابعة : ١٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الخامسة : ٧٥ ديناراً كويتياً .

ـ الجوائز من السادسة حتى العاشرة اشتراك مجاني لمدة عام في المجلة وكتاب العربي .

الاسم الثلاثي : ....

اسم القصة : ....

العنوان : ....

يسينين (١٨٩٥ - ١٩٢٥)

يسينين

شاعر القرية وعاشقها

بقلم : الدكتورة مكارم الغمري

« انه شاعر روسي حقاً » بهذه الكلمات الموجزة عبرّ الأديب الروسي المعروف مكسيم جوركي عن أهم سمة ميزت أشعار سيرجي يسينين ، ألا وهى الأصالة العميقة والارتباط الشديد بالجذور وبالأرض الأم : حبهُ الأعظم .

ولد سيرجي يسينين في قرية روسية صغيرة تدعى كونستانتينوف ، وهناك بين أحضان الطبيعة قضى يسينين الأربعة عشر عاماً الأولى من حياته . أحاط طفولة يسينين جو القرية الروسية بعبقه المتميز ومذاقه الخاص ، فالطبيعة غنية وفياضة تكسو القرية بأشجار البتولا ، والكنائس تصدح أجراسها في ربوع القرية ، والفلاح يكدح في الأرض ويترنم بأغنية الكد والشقاء . وعلى الرغم من أن يسينين لم يعرك بنفسه العمل الشاق للفلاح في الأرض - فقد كان جده الذي تربى في كنفه فلاحا ميسور الحال - فانه وعى منذ طفولته المبكرة طبيعة العمل الشاق في الأرض وذلك من خلال احتكاكه بفلاحي قريته الذين عرفهم عن كثب،وخبر مكنون مشاعرهم وأحس بحبهم العميق للأرض وبارتباطهم الشديد بها ، فأخذ عنهم هذا الحب وهذا الارتباط ، وصارا فيما بعد لحناً مميزاً في كل انتاجه .

وكأقرانه من أبناء القرية تربى يسينين على الأسطورة الشعبية ، وكانت مربيته الفلاحة وجدته هما مصدره الرئيسي الذي تعرف من خلاله على التراث الشعبي ، وقد تذكر شاعرنا ذلك فيما بعد : « كانت مربيتي العجوز التي ترعاني ، تحكي لي الأساطير ، نفس تلك الأساطير التي كان يسمعها ويعرفها أبناء الفلاحين » .

تلقى يسينين تعليمه الأولى في المدرسة الكنائسية في

قريته ، وهي المدرسة التي جعلت مهمتها تربية أطفال القرية في روح من تعاليم الديانة المسيحية ، وهكذا ترعرعت طفولة يسينين في اطار التربية الدينية والمحافظة، وفي جو الحياة الفطرية للقرية التي أطلق لنفسه العنان بين أحضان طبيعتها ، وبقيت راسخة مع يسينين ذكريات تجاربه وتفاعله مع هذه الطبيعة ، فهو يروي متذكراً : « أن حياتي في الشارع لم تكن تشبه حياتي في البيت ، كان الأولاد من أقراني مشاكسين ، وكنت أزحف معهم الى البساتين الخضراء القريبة،وكنت أركض ليومين أو لثلاثة بين المراعي ، حيث كنت أتغذى مع الصيادين على الأسماك التي تصطادها » .

أشعار يسينين المبكرة :

ومنذ الخطوات الأولى في عالم الشعر اتضحت معالم الموضوع الرئيسي والغالب في أشعار يسينين ، ألا وهو وصف الطبيعة ، طبيعة القرية بالذات ، فهي الطبيعة التي يعرفها حق المعرفة ، وبها ارتبطت انطباعاته الأولى عن الحياة ، وفي أحضانها عاشت الأساطير التي سمع عنها والتي أعطته الدفعة الأولى في الكتابة كما سنذكر فيما بعد : « بدأت قرض الشعر مبكراً ، أعطتني جدتي الدافع ، فقد كانت تحكي لي الأساطير ، وكان لبعض هذه الأساطير نهاية سيئة لم تكن تعجبني فكنت أغيرها بطريقتي » ونسوق هنا بضعة أبيات من احدى قصائده المبكرة التي يصف فيها الطبيعة في قريته :

هنا هو المساء الندي
يتلألأ على القراص
أقف على الطريق
أنصت وأسترق السمع لشجر الصفصاف
ومن القمر يشع ضوء كبير
يستقيم ما على سطحنا
وفي مكان ما أغنية بلبل
أسمعها بعيدة
المكان طيب ودافيء
مثلما في الشتاء قرب الموقد
وتمتد أشجار البتولا
كشموع كبيرة

ومن خلال هذه الأبيات القليلة يمكن تحسس بعض سمات شعر الطبيعة عند يسينين ، فالصورة الشعرية في هذه الأبيات ناصعة تخلو من المبالغة في الوصف وتتسم بالبساطة والاخلاص في التعبير كما تنم عن متابعة الشاعر لمظاهر الطبيعة في الريف ، العزيزة على قلبه والتي تبعث بداخله الاحساس بالدفء والبهجة ، حيث تبدو له أشجار البتولا كالشموع الكبيرة .

وفي أشعاره المبكرة يعنى يسينين بالرمز الديني ، كما يوظف عناصر الفلكلور في تصوير الواقع الروحي والمعيشي للفلاح ، وينعكس من خلال ذلك الصراع الداخلي في نفس الفلاح بين التقاليد الموروثة وبين الجديد الوارد ، كما يتجسد الواقع الفقير لحياة الفلاح الروسي ، آنذاك .

غير أن أشعار يسينين المبكرة تجنبت التلميح بحلول للمشاكل الاجتماعية ، كما تجاهلت أحداثا تاريخية هامة معاصرة مثل اضطرابات الفلاحين في القرى الروسية في مطلع القرن الحالي ، وأيضا أحداث الثورة الروسية الأولى (١٩٠٥ - ١٩٠٧) ويغلب على أشعار يسينين المبكرة - بشكل عام - مزاج متذبذب بين الاحساس بالسعادة والبهجة فيتراءى له الشقاء وهو « يغني » وشعور آخر - مناقض - بالتعاسة والفشل يظهر خاصة وهو يتطرق لموضوع الحب والصداقة ، وذلك كما في قصيدته « كانت تانيوشا طيبة . . . » .

يسينين والمدينـة :

وينتقل يسينين في سنة ١٩١٢ الى موسكو بعد الانتهاء من الدراسة في مدرسة القرية ، وفي المدينة تبدأ رحلة العذاب النفسي لابن القرية ، ففي هذه الفترة تتوتر علاقته بأسرته ، فيستقل في معيشته ويشغل بالبحث عن مصدر للرزق ، وخلال بحثه عن لقمة العيش تتكشف له المدينة كعالم « بلا روح » ، أما أهل المدينة فيظهرون له « كالذئاب » ، فيسيطر على الشاعر إحساس بعدم الرضا والتناقض الروحي مع البيئة المحيطة ، وينعكس هذا الشعور بوضوح في أشعار يسينين في هذه الفترة ، اذ يتقهقر بها المنظر الطبيعي الزاهي الذي كان يتصدر أشعاره

المبكرة ، كما تتغلب في قصائده نغمات الحزن والملل والشعور باليأس . ونسوق هنا بضعة ابيات دالة على الحالة النفسية لشاعرنا في تلك الفترة :

أشعر بحزن .. وآلام روحية
تمزق وتقطع قلبي
أصوات مملة للوقت
لا تدعني حتى أتنهد
ترقد ، فالفكر المر
لا يبارح أبداً عقلك

ومع ذلك حافظ يسينين في المدينة على روح ابن القرية ، فلم تبارح مخيلته صورة قريته الحبيبة التي كان يهتز دائماً لها قلبه وقلمه . كما بقي يسينين بعيدا عن اضطرابات العمال التي كانت تموج بها المدينة الكبيرة والتي كان قريباً منها حيث كان يعمل في المطابع لكسب لقمة العيش ، غير أن المناخ العام النشيط في موسكو قد أثر بعض التأثير على انتاج شاعرنا ، اذ اتسعت نظرته للواقع ومشاكله واكتسبت أشعاره موضوعات جديدة وذلك كما يتضح من ملحمته الشعرية « مارفابوسادنيتسا » التي يدين فيها يسينين حكم القيصر إيفان الثالث وأيضاً كما في قصيدتي « الزخارف » و « صلوات أم » اللتين يتطرق فيهما الى موضوع الحرب العالمية الأولى .

ويلتحق يسينين في موسكو بالجامعة للتزود بالدراسة الأكاديمية ، ويرتبط بالمنتديات الأدبية بها ، ويتعرف على شعرائها ، ولكنه سرعان ما يهجرها الى بطرسبرج وهي العاصمة وقتئذ (لينينجراد حالياً) . وفي بطرسبرج تتألق موهبة يسينين الشعرية وتشد اليه انتباه العاصمة ، فتتلقف صفحات الجرائد والمجلات قصائده ، ويغدو نجماً من نجوم الصالونات الأدبية بها .

وفي عام ١٩١٦ أي قبل الثورة السوفيتية بعام واحد يصدر أول كتاب يضم مجموعة من قصائد يسينين « الذكرى التأبينية » ، وقصائد هذه المجموعة تدور في فلك الموضوعات التي ميزت أشعاره المبكرة وهي الموضوعات الخاصة بوصف طبيعة القرية وحياة سكانها وتراثهم الروحي . وتبدو بعض قصائد هذه المجموعة ، متأثرة بشدة بالموضوع الديني وذلك مثل قصيدة « ميكولا » التي تصف القديس ميكولا الذي يجوب القرى ويصلي من أجل صحة أهلها . وقد عرف يسينين عن القديس ميكولا منذ طفولته ، ففي قريته يقام عيدان كبيران سنوياً للاحتفال بذكرى هذا القديس . وتؤكد قصائد هذه المجموعة ـ بشكل عام ـ رابطة الحب التي لا تتزعزع بين شاعرنا وقريته التي تثير الجزع على مصيرها « ناحيتي المهملة » . وتجدر الاشارة الى أن صورة القرية كانت تمتزج ـ عادة ـ في أشعار يسينين بصورة الوطن ، أما روسيا الحقيقة فقد كانت ـ وظلت ـ دائماً بالنسبة له روسيا الفلاحين ، ولذا نجد أن ترنيمة حب الوطن تعبر في أشعاره خلال ينبوع الحب الذي لا ينضب (القرية) . وهذه بضعة أبيات قليلة من قصيدته « روسيا » :

لكني أحبك ، يا وطني الوديع !
أما لماذا ـ لا أستطيع التفسير
ان بهجتك الوديعة مفرحة
بأغنيتها الربيعية المدوية فوق المروج
وأحب من فوق موقع الحصاد
سماع دندنة الناموس بالأمسيات
وما أن يصرخ الأولاد بالهارمونيا
تخرج الفتيات للرقص قرب المشاعل

لكن حبه لوطنه (قريته) كان مشوباً بالحزن والأسى على الأحوال السيئة التي تردت اليها قريته ، ومن ثم اكتست أشعاره بمسحة من الألم على حال القرية ، تظهر بوضوح في قصائده ، « ناحيتي المهملة » ، « الراعي » ، « أمات الجفاف الزرع » وغيرها . ولقد لفتت مسحة الحزن الغالبة في أشعار يسينين أنظار من سمعوها ، وكان من بينهم امبراطورة روسيا نفسها ، التي قرأ عليها أشعاره فعلقت عليها بأنها « أشعار جميلة » ، لكنها « حزينة جداً » ، فرد عليها شاعرنا « هكذا روسيا كلها » ، واستند الى الفقر والمناخ وغير ذلك . ولكن على الرغم من هذا الوعي وهذا الادراك بأحوال بلاده كانت لشاعرنا وقفة أخرى مع الأحداث ....

الشاعر والأحداث :

قد يكون من حسن حظ الأديب أو سوء حظه أن يعيش عصراً يموج بأحداث جسام ، فهو يجد نفسه مطالباً ـ بصفته حاملاً لواء الكلمة ـ بتحديد موقفه

عالم القرية والبيوت البسيطة الدافئة التي تحتضنها الأشجار هو الوطن

ازاء هذه الأحداث ، وشاعرنا كان في موقف لا يحسد عليه ، فقد عاصر أحداثاً بالغة الخطورة في تاريخ وطنه ، ففي البداية تطرق الحرب العالمية الأولى أبواب روسيا فيُستدعى يسينين الى الخدمة العسكرية عام ١٩١٥ ، وتمر الحرب دونما صدى يذكر في قصائده ، غير أن اتجاه شعره ينحرف نحو مسار جديد في أعقاب أحداث الثورة السوفيتية عام ١٩١٧ .

ويبدو أن رياح التغيير لم تأت بما تشتهي النفس فقد وقع يسينين فريسة للتيارات التجديدية التي ظهرت بعد الثورة السوفيتية والتي جاءت بمثابة رد الفعل السلبي على الأحداث . وكما هو معروف انقسمت صفوف الأدباء السوفييت في أعقاب الثورة السوفيتية ، فقد دافع عنها البعض ، ورفضها البعض الآخر ، وكان من بين الفريق الأخير شاعرنا سيرجي يسينين ، فقد كان بكل مكونات شخصيته وتفكيره ونبضات روحه ملتحماً بعالم القرية والفلاحين (الوطن والشعب) ، ولذا لم يستطع تقبل ثورة جاءت تنادي بسلطة العمال ، فهو لم يكن من أنصار الوصول الى

التغيير الاجتماعي من خلال الثورات (على غرار تولستوي) ، لا سيما أن هذه الثورة لا تنطلق من الفلاحين والبهم . ومن هنا بدأ الانفصال الروحي التدريجي بين شاعرنا والثورة ، ذلك الانفصال الذي مهد لانضمامه الى الجماعتين الادبيتين اللتين كانتا تطلقان على نفسيهما لقبي « سكفى » و « ايما جينزم » ،وقد كانتا ضمن الجماعات الأدبية التجديدية التي ظهرت في روسيا متأثرة بالنظريات الشكلية الغربية ورافعة لشعار « الفن للفن » ومنادية بضرورة فصل الفن عن مشاكل الحياة ، وداعية لما أسمته بتحرير « الوعي والروح » . هذا وقد شنت هذه الجماعات التجديدية بعد الثورة حرباً شعواء ضد الجماعة الأدبية الملقبة بـ « عبادة البروليتاريا » والتي كانت تنادي بهيمنة الفن البروليتاري ، وقد انعكس فكر هذه الجماعات التجديدية ومنهاجها في انتاج يسينين بعد الثورة ، فقد غرقت أشعاره في جو من الرمز الديني والغرابة ، واجتنبت قصائده تصوير ظروف الثورة « الشريرة » التي تمثلت لشاعرنا « كفوهة بلا عمق » تلتهم بحربها « الجثة وراء الجثة » ، ومن ثم انغلق يسينين في قصائده على عالمه الخاص ، المفعم بمشاعر الرفض للثورة وأهدافها ومساعيها ، ونزفت قصائده بنغمات من اليأس والقنوط ومشاعر الغربة عن الواقع وعذاب الروح « التي كلها في الدماء » ، وذلك كما يتضح من العديد من قصائده بعد الثورة ، منها على سبيل المثال : « انني آخر شاعر للقرية » ، « الرياح ، الرياح ، آه ، الرياح الثلجية » ، « الشقي » ،«اعترافات شقي» ، « الرفيق » وغيرها .

وتتفاقم مشاعر الحزن في قصائد يسينين لدى تصويره لعالمه الحبيب ، قريته العزيزة الغالية ، فهو يقلق بشدة على مصيرها بعد الثورة ، فالتحول الاشتراكي الجديد ، وزحف الحياة الصناعية الى القرية كان يعني بالنسبة ليسينين بداية النهاية لعالمه الخاص ، والزوال التدريجي لتلك المسحة الشاعرية التي تزين كل حياة روسيا : للقرية حامية الأعراف والتقاليد ، والمحافظة على ذلك « العالم السحري القديم » ، ذلك العالم الذي « خفت وكمش كالريح » . لقد كان يسينين يستشعر بأن كل ما يحدث حوله يعني الموت الذي يخنق شعره ، ويخنق الصوت الحي « للروح الانسانية » وها هي أبيات من احدى قصائده المعبرة عن خلجات نفسه في تلك الفترة :

« العودة الى الوطن » :

زرت أماكني الحبيبة ، تلك القرية ،
حيث كنت أعيش صبيا ،
وحيث بالأبراج ، كبروج شجر البتولا ،
ارتفعت قبة الجرس بلا صليب
كم تغير الكثير هناك ،
في حياتهم الفقيرة غير الجذابة .
كم من الفتوحات الكثيرة كنت ألتقي بها .
منزل والدي لا أستطيع التعرف عليه :
فعلامة « القبقب » لم تعد تلوح أسفل النافذة ،
ولم تعد أمي تجلس على السقف ،
وهي تطعم الفراخ لب الذرة .
لا بد أنها قد غدت عجوزاً . . .
أجل ، عجوز .
وتلفت الى الفضاء بحزن عميق :
أي مكان هذا غريب عني !
لم يبق الا شيء واحد ، على حاله ،
هو الجبل الذي يلوح بالبياض
وأيضاً عند الجبل
حجر رمادي عال .
هنا مقبرة !
صلبان محنية ،
كأنها قتلى في معركة ،
تجمدوا وأيديهم منبسطة .
وعلى الطريق الضيق عجوز يتوكأ على
عصاه يسير فينفض الغبار عن العشب
« أيها العابر ! أرني ، ياصديقي ،
أين تعيش هنا يسنيتا تاتيانا ؟ »
ها هي هناك خلف ذلك البيت ،
وأنت من لها ؟ أقريب ؟
أم ، ربما أنت ابنها المفقود . « نعم ،
ابنها . لكن ماذا ، يا عجوز ، ما خطبك ؟
قل لي ، لم تحدق هكذا في أسى ؟ »
« مرحبا ، يا حفيدي ،

المدن التي يختنق الانسان في مبانيها المتراصة هي سجن للروح في نظر يسينين .

مرحباً ، ألم تعرف جدك ! »

آه ، جدي ، أحقاً هو أنت ؟ »

وانهمر حديث حزين بدموع

دافئة على الزهور المتربة

وفي عام ١٩٢٢ يقوم يسينين بجولة في أوروبا وأمريكا لمدة عام ، ثم يسافر بعد ذلك بفترة الى جنوب الاتحاد السوفيتي ، الى القوقاز . ان رحلة يسينين الى الجنوب تأتي ببعض الثمار الايجابية ، فقد كان لحرارة مشاعر أهل الجنوب الفضل في بث شيء من السكينة في نفسه ، انعكس في اتجاهه الذي خرج متحلياً ومستلهماً الشرق في مجموعة قصائده التي يعود فيها يسينين الى موضوعات الحب والصداقة ، والحب في قصائده هذه في روح التصور العام عن الحب في الشرق ، فهو حب طاهر رومانسي . غير أن نغمات الحزن لا تبارح قصائده في هذه المرحلة ، بل نجدها تمتزج بشعور من التشاؤم والاحساس بزوال الحياة وقرب المنية وهو الشعور الذي جسد أحاسيسه ومزاجه النفسي قبل موته .

نهايـــة شاعـــــر :

ويسقط يسينين فريسة لمشاعر العزلة والغربة مع النفس ومع الواقع ، وينتابه شعور قوي بعبثية وجوده في ظروف الحياة الجديدة في بلاده . وقد عبر عن هذا الشعور في العديد من قصائده بعد الثورة . . . من ذلك قصيدته « روسيا السوفيتية » :

على من أنادي ؟ ومع من أتقاسم

تلك السعادة الحزينة ، بأنني بقيت حيا ؟

ما من أحد يعرفني هنا أما من

كانوا يذكرونني ، فقد تناسوني من مدة

ان محاولات يسينين للتشبث « بروسيا الذاهبة » تبوء بالفشل وهو لا يخفي اخفاقه :

انني لست انساناً جديداً ! فيم التكتم ؟

لقد بقيت في الماضي بقدم ،

وحين أحاول اللحاق بالعسكرة

الحديدية ، أنزلق وأسقط بالقدم الأخرى .

ويسير يسينين بنفسه الى نهايته المأساوية ، حين يخنق نفسه في ٢٧ ديسمبر ١٩٢٥ وهو في قمة شبابه ولم يتجاوز بعد عامه الثلاثين ، وذلك بعد أن بات يجثم على أنفاسه «ضيف أسود» يجلس اليه في الفراش « ولا يدعه ينام طوال الليل » .

وذهب يسينين ، أما أشعاره فما تزال باقية ، صامدة أمام تقلبات الزمن ، صمود ذلك العشق الصادق « لموطنه الحبيب » ، وباقية بقاء حبه الأصيل لشعبه ، ذلك الحب الذي « أضناه وعذبه وأحرقه أكثر من أي شيء » - حسب كلمات الشاعر - ، وباتت أشعار يسينين رمزاً للحب والارتباط بالأرض التي نبعت منها ثم امتدت اليها ، وغفرت الثورة السوفيتية ليسينين خصامه معها ، فقد تداركت كم كان حبه شفافاً لـ « روسيا » : « سدس العالم » كما كان يحلو له أن يتفاخر في قصائده برحابة وطنه الشاسع الأرجاء ، لكن حبه هذا كان حباً فطرياً ، تشوبه غيرة من نوع خاص ، وها هي أشعار يسينين - في السنوات الأخيرة - تحظى بمكانة مرموقة في تاريخ الأدب الروسي السوفيتي ، وتحتل ركناً عزيزاً في النقد السوفيتي ، كما تتمتع بحب جارف داخل بلاده وتقدير كبير خارجها . □

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

أسئلة وأجوبة لغوية

ترد إلينا أحيانامن الاخوة القراء أسئلة لغوية ، ونحن نختار منها ما نرى في الاجابة عنه لجمهرة القراء فائدة عامة ،ونترك ما عداه ليسأل صاحبه عن جوابه بين العارفين بالعربية .

أرسل إلينا السيد/أحمد عبد الحميد الحمدان (الزرقاء - الاردن) رسالتين يعرض في أولاهما سؤالا ، ويعرض في الثانية ثلاثة أسئلة .

الرسالة الأولى :

ذكر فيها الآية الكريمة : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة » ، مع إعراب كلماتها إعرابا صحيحا إلا كلمة (أمة) الثانية ، وهو يسأل عن سبب نصبها والجواب أنها (حال) منصوبة وواحدة نَعْتٌ لها منصوب . (وقد عرضنا قبل سنوات بحوثا أربعة في موضوع الحال بكل أنواعها وأشكالها ، وقد حاولنا فيها تخليص هذا الباب من المشكلات التي أوقعها هناك النحاة ، والبحوث منشورة في أعداد العربي الآتيةُ : (٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢)

الرسالة الثانية :

نص السؤال الأول : «اذا عاد شخص الى المكان الذي أتى منه ، فما هو التعبير الأصح : « عاد من حيث أتى » أم « عاد الى حيث أتى ؟ »:

على أساس أن شبه الجملة (حيث أتى) تعني المكان الذي أتى منه الشخص ثم عاد إليه ، فالعودة هنا (إلى) وليست (من) فما رأيكم ؟ » .

ورأينا أن توضيح الأخ للمعنى يبين أن العبارة الأولى : « عاد من حيث أتى » هي الصحيحة لأن البداية كانت من المكان الأول الذي أتى منه ، فكلمة « من » متعلقة بكلمة « أتى » ، والمعنى : عاد إلى ما أتى منه ، ونستأنس هنا بالآية الكريمة في خطاب النبي : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » فإنه في هجرته خرج من مكة التي هي البداية ، ونستأنس أيضا بالآية « وأخرجوهم من

حيث أخرجوكم » ، والآية : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » ، والآية : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » ، والآية « وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » ، والآية (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) ، والمثل: (من مأمنه يؤتى الحذر) .

السؤال الثاني : تمر علينا كلمات ، مفردها مذكر ، وجمعها جمع مؤنث سالم ، مثل : كائن وكائنات ، مخلوق ومخلوقات ، حيوان وحيوانات ، والمعروف أن العدد من ٣ الى ١٠ يخالف المعدود في التذكير والتأنيث ، فكيف نعامل هذه الكلمات من حيث تذكير العدد وتأنيثه ، وأيها أصح : ثلاثة كائنات أم ثلاث كائنات ، وخمسة مخلوقات أم خمس مخلوقات . . .

والجواب : إذا كان المعدود جمع مؤنث سالماً وجاء بعد العدد المفرد (من ٣ الى ١٠) فكان تمييزاً له نظرنا إلى مفرد الجمع فإذا كان مذكراً أنثنا العدد ، فنقول في الأمثلة السابقة : ثلاثة كائنات وخمسة مخلوقات وسبعة حيوانات،لأن هذه الجموع ـ وهي مؤنثة ـ مفرداتها مذكرة (كائن ، مخلوق ، حيوان) ، وإذا كان مفرد الجمع مؤنثاً ذكر العدد مثل : أربع صفحات ، وست فتيات ، وفي القرآن (سبع بقرات) .

ويصدق هذا أيضاً على جمع التكسير ، فيقال : ثلاثة أقلام ، وخمس محابر ، وفي القرآن : « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » .

ويشترط في كل هذه الحالات أن يجتمع الشرطان المشار إليهما هنا قبل ، وهما : أن يذكر المعدود بعد العدد فيكون تمييزاً للعدد ، كما في الأمثلة السابقة ، فإذا لم يجتمع هذان الشرطان بأن سبق المعدود العدد ، أو حذف المعدود ـ جاز تذكير العدد ،وتأنيثه، مثال سبق المعدود : سرت أميالاً خمساً أو خمسة ، ورأيت العجائب السبع أو السبعة ، ومثال حذف المعدود مع ملاحظته في المعنى قولنا : (طفت بالكعبة سبعاً أو سبعة) ، وقبّلت الأم طفلها أربعاً أو أربعة ، وكذلك قولنا : تفقدت أشجار الحديقة (أو شجراتها) وقلمت منها عشراً أو عشرة .

ولهذه التفرقة في تذكير العدد وتأنيثه دلالتها أحياناً في التفرقة بين المعاني ، ومع ذلك كنا نتمنى لو تطورت لغتنا في الترخص في جنس العدد تذكيراً وتأنيثاً حين يسبق المعدود كما ترخصت فيه حين يأتي بعده وعندئذ كان يمكن أن يقال : ثلاث أو ثلاثة كتب ، وأربع أو أربعة صحف ، كما جوزوا أن يقال : كتب ثلاث أو ثلاثة ، وصحف أربعة أو أربع ، وكذلك يقال في بقية الأعداد المركبة والمعطوفة ، ولو كان ذلك قد حدث لكان أيسر استعمالاً .

السؤال الثالث : أيها أصح : الحادي والعشرون أم الواحد والعشرون ؟

والجواب : كلاهما صحيح ، أو كلاهما صحيحان ، فالمعنى واحد ، ولا تخفى القرابة بينهما صوتياً ، أوهما في الأصل كلمة واحدة تقدمت الواو في إحداهما ، وتأخرت في الأخرى ، وهذا ما يسميه اللغويون (القلب والإعلال) وجذر الكلمة (و ح د) واسم الفاعل منها (الواحد) أو (ح د و) واسم الفاعل منه (الحادي) . □

في الصحبة والأصحاب

قيل لابراهيم بن أدهم : لم لاتصحب الناس ؟ فقال : الصحبة أصناف ، فان صحبت من هو دوني آذاني بجهله ، وان صحبت من هو فوقي تكبر على وتجبر ، وان صحبت من هو مثلي حسدني ، فتركت تلك الصحبة ، واشتغلت بمن ليس في صحبته ملال ، ولا في وصله انقطاع ، ولا في الانس به وحشة .

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

المؤنسة .. من شعر مجنون ليلى

قصص الحب المشهورة في التراث العربي بين الرجل والمرأة تعد بالعشرات ، ولكن ليس بينها ما يعادل قصة « مجنون ليلى » شهرة وأثرا ، وليلى اشهر اسم بين المعشوقات في تراثنا ، حتى أن كثيرا من شعرائنا يرمزون لعشيقاتهم باسم ليلى ستراً لهن ، ولم يكن صاحب ليلى يسمى « المجنون » ، ولكنه هام بحبها حتى أصابته لوثة فلقب « المجنون » وقد اختلف في اسمه ، فقيل : قيس ، وقيل : مهدي ، أو معاذ ، وأشهر اسمائه هو قيس بن الملوح العامري ، نسبة الى قبيلة بني عامر التي يقال ان ليلى منها ايضا بل قيل انها كانت ابنة عمه ، كما قيل : إنه حين احبها شبب فيها بشعره ، حتى اشتهر أمرهما ، وكانت هي تحبه ايضا ، فلما طلب من ابيها ان يزوجه بها ، رفضه خوفا من العار ، اذ كانت العرب ترى عارا على الفتاة واهلها ان تزوجت ممن اشتهر بينهم بحبها ، اذ يظن انه كان على صلة بها قبل .

وقد انكر بعض الباحثين المحدثين وجود هذين الشخصين : قيس وليلى ، وقال انهما من اختراع الرواة ، ولكن ثبوت وجودهما راجح ، وان كان قد اختلف في اسم قيس واسم قبيلته ، وانكر كثير من اخباره واشعاره ثم حمل عليه شعر لم يقله ، وخبر لم يحدث منه .

ومهما يكن فان قصة قيس وليلى اعمق قصة غرام في الوجدان العربي ، وقد كانت محورا لاعمال ادبية كثيرة شعرا ونثرا في التراث العربي والفارسي ، والتركي ، وقد اخترنا هذه الابيات من قصيدة في ديوان مجنون ليلى تبلغ اكثر من سبعين بيتا ورتبناها على افضل صورة رأيناها .

تـذكّرتُ ليـلى ، والسنينَ الخـواليا ... وأيام لا أُعدى على الدّهـرِ عـاديـا
أعـدُّ الـليـالي ليـلةً بـعـد لـيـلةٍ ... وقـد عشتُ دهـرا لا أعـدُّ الليـاليـا
وانّ لاستـغـشِي ، ومـا بيَ نَـعْـسَـةٌ ... لعـلّ خيـالاً منـك يَلقَى خيـاليـا

واخـرجُ من بـين البـيـوت ، لـعلني   أحدِّث عنك النفس - يا ليلُ - خاليا

وقـد يجمـعُ اللهُ الشتيتَينِ بـعـدمـا   يـظُنَّـان كـلَّ الـظن أن لا تـلاقيـا

أأهـجـرُ لـيـلَ ، ثـم تـزعـمُ أنـني   سلوتُ ؟ وهل يخفى على الناس ما بيا ؟

وإنِّ لأستخييـك ان تـعـرض المُنى   لـوصلك ، أو أن تعرضي في المُنى ليـا

اذ اكتحلَتْ عيني بعينـك لم تـزَلْ   بخـير ، وجلَّتْ غـمـرة عن فـؤاديـا

فـأنت التي إن شئتِ أشقَيْتِ عيشتي   وانتِ التي إن شئتِ أنعمتِ بـاليـا

وأنت التي مـامِنْ صـديقٍ ولاعِـدَى   يـرى طيفَ مـا أبقيتِ إلأرثى لـيـا

اذا نـحن أدْلَجْـنـا وأنت أمـامَـنـا   كفى لـمطايـانـا بـذكـراك هـاديـا

ولم ار مـثلَيْـنـا خليلَيْ صـبـابـةٍ   أشدَّ عـلى رغم الأعـادى تصـافيـا

خليلان لا نـرجـو اللقـاء ، ولا نـرى   خـليـلَيْنِ إلا يَـرْجُـوَانِ تـلاقـيـا

ذكت نـارُ شـوقي في فؤادي فـأصبحتْ   لهـا وهـجٌ مـسـتـضـرِمٌ في فـؤاديـا

خـليـليَّ ، لا ، والله ، لا أملك الـذي   قضى الله في ليـلى ، ولا مـاقضى ليـا

قضى الله بـالمعـروف منهـا لغيرهـا   وبـالشـوق منِّ والـغـرام قضـى ليـا

قضـاهـا لغيـرى ، وابتـلاني بحُبِّهـا   فـهـلاَّ بشيءٍ غـير ليـلى ابـتـلانيـا

لقد كنت أعْلو حبَّ ليلى ، فلم يـزَلْ   بي النقضُ والابـرامُ حتى عـلانيـا

فـيـارب سَـوِّ الحب بيني وبينهـا   يكـون كفـافـا ، لا عـليَّ ، ولا ليـا

هي السِّحـرُ ، إلاَّ أن للسحر رُقْيـةً   وانى لا ألـقَى لهـا الـدهـر راقـيـا

أراني اذا صليت يَمَّمْتُ نحـوَهـا   بـوجهي ، وان كـان المصـلَّى . ورائيا

ومـا بيَ إشـراكٌ ، ولـكـن حـبَّـهـا   وعِـظَمَ الجَوَى اعيا الطبيب المداويا

فيـارب ، إذ صيَّرت ليلَى هي المُنَى   فـزِنِّ بعينيهـا كـما زنْتَهـا ليـا

والا ، فـبـغِّـضْـهـا اليَّ وأهـلـهـا   فـإنِّ بليـلى قـد لقيت الـدواهيـا

ثمن الجوار

حكى أن ابن أبي الجهم أراد أن يبيع داره لضائقة مالية حلت بة ، وكانت داره بجوار سعيد بن العاص ، فاعطاه المشترى فيها مائة الف درهم فقال للمشترى هذا ثمن الدار ، وبكم تشترى جوار سعيد بن العاص . فقال المشترى : والله ما رأيت جوارا يباع ؟ ولكن ماشأن جارك ؟ فقال ابن ابي الجهم : ان جارى سعيد بن العاص رجل يحب معاونتي . . . ان غبت سأل عنى ، وان اتيت رحب بي ، وان سألته اعطاني ، وان لم اسأله ابتدأني بالعطاء .

فلما بلغ ذلك سعيدا بعث اليه بالثمن وابقاه في داره.

حين كشفت ألواح الطين

أخطر سرقة أدبية وحضارية في التاريخ

بقلم : محمد الأسعد

زيف ما يسمى « بالموروث اليهودي » وأصالة « التوراة » .. كشفت أسراره ألواح الطين الأثرية التي عثر عليها الأثريون ، بعد أن تأصل شبه اعتقاد في الثقافة الغربية يكاد يوحي بأن وجود الشعب العربي انما هو وجود طارىء على المنطقة .. وان الأصل هو ما يسمونه « الشعب اليهودي » . وهذا المقال يعرض تفاصيل أخطر سرقة أدبية وانتحال في التاريخ .

في هذا العام ١٩٨٥ يكون قد مر قرن وربع من الزمن على اكتشاف حقيقة علمية على جانب كبير من الخطورة . تلك هي أن غالبية أسفار التوراة اليهودية أو العهد القديم كما تسمى ليست الا نسخا وترجمة لروايات وحكم وأساطير عدد من شعوب المنطقة العربية مثل السومريين والبابليين والأشوريين والأكاديين والكنعانيين والمصريين القدماء الذين تعاقبوا على انشاء حضارات المنطقة طوال الأربعة

آلاف عام قبل ميلاد المسيح »، والذين ترجع أصول غالبيتهم الى الجزيرة العربية ، مصدر الهجرات والتكوينات الحضارية فيما بين النهرين وساحل البحر المتوسط ووادي النيل .

ولم تكتشف هذه الحقيقة دفعة واحدة ، كما لم يتسن لعلماء الآثار واللغات القديمة الوصول اليها ظنا وتخمينا ، بل بدأ الكشف عنها شيئا فشيئا طوال ما يقارب قرنا ونصفاً ، وعلى أساس صلب من تحقيق وقراءة مئات آلاف الألواح الطينية التي أزال عنها المكتشفون تراب القرون . كانت التوراة اليهودية ولزمن طويل سبق هذه المكتشفات تتمتع بمكانة خرافية من حيث اعتبارها المصدر الوحيد المدون لتاريخ المنطقة العربية وشعوبها وحضاراتها ، والمصدر الوحيد الذي يعلي من شأن ما يسمى ، الحضارة اليهودية أو « العبقرية اليهودية » التي أنتجت تشريعات وآدابا وفنونا أصبحت أحد أحجار الأساس في بناء الحضارة المعاصرة .

وكان مقدرا لهذه المكانة الخرافية ، أن تتهاوى مع كل ضربة معول في خرائب وأنقاض المدن القديمة ، أور وبابل ونينوى وأوغاريت وأيبلا وأريحا وتل العمارنة ، وعشرات المدن القديمة ،

وكان مقدرا لما يسمى بالحضارة اليهودية أو العبقرية اليهودية أن تظهر كأكذوبة تاريخية من كل ترجمة للوح جديد وفك لرموز أبجدية مندثرة . وبدأ تركيب جديد للتاريخ على أساس الروايات (الأصل) التي تركها الأقدمون ممن سبقوا عهد التوراة ببضعة آلاف من السنوات ، وأعيد النظر في أصل كل شيء » . فقد توافرت كما يقول د . أحمد سوسة « ثروة من المعلومات الأصلية وبلغاتها وحروفها الأصلية على عكس ما عهدناه في التوراة من تباعد في اللغة والعصر » . وأصبحت في متناول القراء والباحثين بعد ترجمتها الى اللغات الحديثة . ويقدر عدد هذه الوثائق الأصلية التي تناولت مختلف شؤون الحياة في تلك الأزمنة بأكثر من نصف مليون قطعة عثر عليها بين أطلال مدن حضارات الشرق المتوسط القديمة بمختلف اللغات والحروف . .

لوح من نفر في متحف الجامعة . وهو مدون بقصيدة « خلق الفأس » .

نسخ لاتفاعــل . . !

بدأت الحكاية على يدي العالم البريطاني « جورج سمث » حيث قرأ في عام ١٨٦٢ في الألواح الأشورية المكتشفة في « نينوى » قصة الطوفان التوراتية بالحروف المسمارية . وهي جزء من ملحمة سومرية قديمة اسمها « ملحمة جلجامش » وجدت أجزاء منها في اللغة الحورية والحثية والكنعانية . وقد دونت هذه الترجمات على ألواح من الطين يرجع تاريخها الى الألف الثاني قبل الميلاد .
وقد أثار هذا الاكتشاف نشاطا مضاعفا بنتائج الحفريات الأثرية في وادي الرافدين وأرض كنعان ، كان من حصيلته ـ كما يقول عالم الأشوريات « صموئيل نوح كريم » ـ أن فتح أعيننا على تراث ثقافي وروحي لم نحلم به الأجيال السابقة . ومن بين أهم النتائج التي حققها ذلك النشاط أن ضوءا قويا

كاشفا قد سلط على أصل التوراة ومنشئها ».

ولم يقف الأمر عند حدود اكتشاف الأصل الأشوري لقصة الطوفان، بل تعداه الى اكتشاف الأصل البابلي ثم السومري الأقدم عهدا من الاثنين.

وكذلك لم يقف الأمر عند حدود اكتشاف أصل سفر واحد من أسفار التوراة، بل تعداه الى اكتشاف أصول عدد كبير من الأسفار مثل سفر التكوين، وسفر أيوب وسفر الأمثال والمزامير والتشريعات التي تضمنها عدة أسفار.

وفي ضوء المقارنات التي أجراها الباحثون تبين أن القضية لاتشبه ما يمكن أن يكون نتاج تفاعل حضاري بين دائرتين أو ثقافتين، بل هي قضية ترجمة ونسخ وتبنٍ يكاد يكون كاملا لثقافة ومواقف وعقائد شعوب أخرى. أي (سرقة أدبية) بالمعنى الصريح.

فقد تبين مثلا في المقارنة التي أجرتها الباحثة العربية « بديعة أمين » بين « المزامير » و « أناشيد أخناتون » المكتشفة في تل العمارنة » وهي سابقة بعدة قرون للمزامير.. أن التباعد الذي يحدث أحيانا في التعبير اللغوي بين النصوص التوراتية، ونصوص الأناشيد، يماثل مانجده من تباعد بين ترجمتين لنفس النص الى لغتين مختلفتين، وينطبق نفس الأمر على مقارنة نصوص التوراة بالنصوص السومرية والكنعانية والبابلية.

العلم يواجه الأسطورة

وكأي حقيقة علمية من الحقائق التي تهدم جملة من المعتقدات الخاطئة والقوية بسلطة العادة والتكرار، مازالت هذه الحقيقة مبعدة عن العقلية الثقافية العامة في الغرب، يتداولها أحيانا علماء الآثار ويتجاهلها المفكرون والفلاسفة.

ويلاحظ هبوط وتيرة النشاط البحثي في هذا المجال في السنوات الأخيرة بعد أن كان عالي الوتيرة في السنوات الأولى من القرن العشرين، رغم أن ما أعطته الألواح المكتشفة لايشكل الا نسبة ضئيلة، بالقياس لما يمكن أن تعطيه الكميات الهائلة التي تنتظر الباحثين في محفوظات المتاحف.

لوح من تفر مدون برسالة سومرية شعرية عن « العذاب البشري ».

والسبب في رأينا هو أن الحماس الكبير الذي لقيته هذه الأبحاث في البداية كان منطلقه الرغبة في تأكيد أصالة التوراة، واضافة دليل من علم الآثار لايرقى اليه الشك الى مايسمى « الحضارة اليهودية » المزعومة. ولكن حينما جاءت كل النتائج لتعاكس هذه الرغبة وبأدلة دامغة، ولتزيد من ظهور حقائق تنفي ما أقيم من مزاعم وأقاويل على أساس الرواية التوراتية، بدأ المفكرون الغربيون بتجاهل « العلم » و « العقلانية » وظل معظمهم سادرا في تصوراته القديمة وكأن شيئا لم يحدث.

ورغم سطوع الحقيقة التي تقول بأن « منجزات التوراة، وحضارة المنطقة المنسوبة لليهود القدماء هي منجزات شعوب أخرى ذات أصول عربية، إلا أن عددا من هؤلاء ما زال يعتقد بأصالة ما يسمون « الموروث اليهودي »

ففي العام ١٩٢٦ أي بعد أربعة وستين عاما مرت على قراءة الألواح الأشورية ، كان « جون هرمان راندال » يكتب بثقة أنه « من مجموع هذه العناصر : العدالة العبرية والمحبة المسيحية والايمان الاغريقي بالفعل والتقشف الهيليني صاغ آباء الكنيسة القديمة وحدة عضوية كاملة » .

وفي العام ١٩٤٦ يكتب الفيلسوف البريطاني « برتراند راسل » في تاريخه للفلسفة الغربية أن « الكنيسة الكاثولوكية مستمدة من مصادر ثلاثة : فتاريخها المقدس يهودي ، ولاهوتها يوناني ، وحكومتها وقانونها على الأقل بطريق غير مباشر رومانيان » .

وفي كتاب نشره حديثا العالم البيولوجي « بول كولنفوكس » تحت عنوان « مصائر الأمم » ـ ١٩٨٣ ـ تأكيد على أن « كتابنا الأقدم ـ التوراة العبرية ـ يعطينا فكرة عن أهمية المجتمعات المنظمة . . » وتحت وهم هذه النظرة وانسجاما معها لم يكن تاريخ المنطقة العربية وجغرافيتها ومصيرها يخرج عما وصفه الوارثون الذين كتبوا التوراة . أي كتاريخ وجغرافية ومصير معلق باليهودية . ولهذا السبب تأصل شبه اعتقاد في الثقافة الغربية يكاد يوحي بأن وجود الشعب العربي هو وجود طارئ على المنطقة ، وأن الأصل هو ما يسمونه الشعب اليهودي .

أما العقلية الثقافية العربية ، فحتى الآن وعلى الرغم من ظهور كتاب « العرب واليهود في التاريخ » للدكتور أحمد سوسة ـ ١٩٧٢ ـ ورغم ظهور أبحاث متفرقة ، الا أن المثقف العربي ما زال بعيدا عن هذا المسرح ، حتى وان كان من أولئك الباحثين في الحضارات ، بل ان هذا المثقف ما زال يتبنى « حقائق » انكشف زيفها حول أصالة التوراة . ومزاعم الحضارة اليهودية بل يتجاوز البعض هذا الأمر الى الدفاع الحار عن خرافة « الحق التاريخي لليهود في فلسطين » واستمرارية وجود شعب اسمه « الشعب اليهودي » . وهي اطروحات نقضها باحثون غربيون ومنهم يهود حتى في السنوات الماضية ، بأبحاث ودراسات ليس أقلها قيمة بحث « أرثركوستلر » المنشور في العام ١٩٧٦ تحت عنوان « القبيلة الثالثة عشرة » .

لدينا هنا اذن جانبان حول هذه القضية : الأول هو:هنالك وجود حضاري أقامه الاسرائيليون الذين غزوا واحتلوا أجزاءً من فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

الثاني هو من أين جاءت هذه النصوص الأدبية والتشريعية والحكمية في التوراة اذا لم يكن وجود حضاري يسندها ؟

يجيب عالم الآثار الأمريكي « وليم أولبرايت » عن السؤال الأول في كتابه « علم الآثار الفلسطيني » ـ ١٩٤٤ ـ فيلاحظ أنه بعد مرور ثلاثة قرون على هذا الغزو واحتلال الأجزاء القاحلة من فلسطين ، ومع اقامة مملكتي اسرائيل ويهوذا ـ لم يستطع هؤلاء اقامة مجتمع حضاري يؤدي الى قيام ثقافة أو موروث حضاري . وما فعله هؤلاء طوال قرون الاحتلال بجزء من فلسطين هو تدمير ماكان قائما من أسس ومعالم حضارية كنعانية في المدن والأماكن التي استولوا عليها . وليس أقل هذه المعالم التي دمرت مدينة « أريحا » الموجودة منذ الألف السابع قبل الميلاد . وهذا ما يؤكده كتاب التوراة أنفسهم في سفري « يشوع » و « القضاة » حيث كان التدمير والحرق والابادة الجسدية للسكان ركائز أساسية لمشروع الغزو الى جانب الهبوط بما بقي قائما الى مستوى متخلف ومتدن .

حقيقة النتاج الحضارى

ويلاحظ « أولبرايت » أيضا ، اننا اذا تقصينا آثار فترة « القضاة » لايسعنا الا أن ندهش بسبب انعدام الوضع الحضاري الذي نجده سائدا قبل ذلك بقرنين . ويظهر هذا بالتباين بين الأسس البعيدة الانشاء التي بناها الكنعانيون العرب وأنظمة تصريف المياه . وبين أكوام الحجارة الفجة التي حلت محلها في القرن الثاني عشر ، دون الاستفادة من نظام تصريف المياه الذي ما زالت شواهده ماثلة في آثار المدن الكنعانية .

هذه الملحوظات التي أقيمت على أساس متين من المكتشفات والمقارنات ، تتطابق مع الحقيقة التي اظهرتها ألواح الطين ـ حقيقة أصل النتاج « الحضاري » الوحيد الذي ينسب لليهود ـ أي

التوراة ـ في الأوضاع الحضارية التي أقامتها شعوب الحضارات فعلا لاعجازا ! .

ويلخص هذه النتيجة استاذ دراسات الشرق الأدنى في جامعة براندیز « سایروس غوردن » في كتابه « ما قبل الكتاب المقدس » ـ ١٩٦٢ ـ فيقول : ان الاكتشافات الأثرية في مواقع مثل أوغاريت تحول دون اعتبار « اليونان على انها المعجزة الأولية المحكمة الاغلاق ، واسرائيل على أنها معجزة سيناء المحاطة بوعاء مفرغ . . » .

مجموعة أمثال « التصيب » لوح من نفر عليه تسعة حقول من الكتابة محفوظ الآن بمتحف الجامعة . وأكثر ما عليه من كتابة يتعلق بأمثال عن التصيب وعن الحيوانات المختلفة .

حين تنطق الألــواح

ليس من المبالغة القول ان ما تقدم يكشف عن أخطر انتحال حضاري في التاريخ ، تم في ظله وضع اليد على منجزات صانعي الحضارة في هذه المنطقة من العالم ، ونسبتها الى مجموعة أخرى لم يستطع وجودها الطارىء في أرض الكنعانية من اقامة أي وضع حضاري أو ما يشابهه . ولسنا هنا في معرض الحديث عن أسباب هذا الانتحال ، بل التعرض لشواهده الماثلة في المكتشفات الأثرية .

يقول الباحث « كريمر » أن من ضمن أقدم الأفكار المعروفة عن خلق الانسان هي تلك التي أوردها العبرانيون في « سفر التكوين » والبابليون في « ملحمة الخليقة » وقد ورد في قصة التوراة أن الانسان قد خلق من الطين لكي يسود عالم الحيوان ، أما الاسطورة البابلية فتقول بأن الانسان قد خلق من دم اله قتل بسبب ما أحدثه من اضطراب . وكانت الغاية من خلق الانسان القيام بخدمة الآلهة .

وتقول الاسطورة السومرية وهي أقدم من الروايتين العبرية والبابلية بما يزيد عن الف سنة ، بأن الانسان خلق من الطين كما تقول الرواية العبرية . أما الغاية من خلقه فهي القيام بخدمة الآلهة كما جاء في الرواية البابليــــة .

جاء في الاسطورة السومريــــــــة :

« ان المخلوق الذي لفظت اسمه جاء الى الوجود
« امزجي لب الطين الموجود في أعلى المياه
« الصناع المهرة سيجعلون الطين مختمرا
« وأنت عليك أن تخلقي له الأعضاء
قدري مصيره كانسان . . »

ولا تختلف رواية الخلق العامة عما ترويه الاسطورة السومرية عن وجود البحر الأول ، وهو السبب في وجود السماء والأرض متحدتين ، ثم بدأ الخلق كما جاء في مقدمة قصيدة « هبوط أنانا الى العالم الأسفل » هكذا :

« بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض
« بعد أن انفصلت الأرض عن السماء
« بعد أن عين اسم الانسان . . »

وبعد أن تم اكتشاف وحل رموز اللوح الحادي عشر من ملحمة « جلجامش » منذ ما يزيد عن نصف قرن ، اتضح بأن قصة « الطوفان » التي وردت في التوراة لم تكن أصيلة ، وانما هي من المدونات السومرية التي اقتبسها البابليون ووضعوها في صيغة الطوفان البابلــــي .

ويتضمن القسم الأول من القصيـدة ـ حسب وصف « كريمر » موضوع خلق الانسان والحيوان والمدن الخمس التي وجدت قبل الطوفان ، ولسبب

لوح من نفر موجود في متحف الجامعة وهو مدون بجزء من القصيدة المعنونة « جلجامش وانكيدو والعالم الأسفل »..

غير معروف قدر للجنس البشري الهلاك بوساطة الطوفان . ويظهر أن أحد الآلهة قد حزن لذلك ، فعقد العزم على ايجاد وسيلة ينقذ بها الجنس البشري . فتوجه الى الملك المتواضع وأخبره بقرار الآلهة المخيف ، ونصحه أن ينقذ نفسه ببناء سفينة كبيرة .

على أن الأكثر اثارة هو اكتشاف الأصل السومري لسفر « أيوب » الشهير ، وقد تحدث « كريمر » عن هذا الاكتشاف في جمعية « الآداب التوراتية » في عام ١٩٥٤ حين ألقى محاضرة بعنوان « الانسان وربه » رواية سومرية لفكرة قصة أيوب . . » .

وقد استند في محاضرته الى قصيدة شعرية تتألف من زهاء ١٣٥ سطرا . وتم جمعها من ستة ألواح من الطين عثرت عليها بعثة التنقيبات الأثرية في مدينة « نفر » الواقعة على مسافة مائة ميل - الى الجنوب من مدينة بغداد الحالية . ويرجع تاريخ هذه الالواح الى ألف عام قبل تدوين سفر أيوب .

الفكرة الاساسية التي يعرضها الشاعر السومري هي أنه في حالات العذاب والمصائب ليس للضحية المعذب - مهما تراءى له أنه لايستحق ما حل به - سوى سبيل واحد لائق يسلكه ، وذلك هو أن يمجد ربه دوماً . ويعرض الشاعر حالة خاصة لرجل لم يذكر اسمه كان غنيا موسرا ، حكيما وصالحا . وانه كان ينعم ببركة صفاء العيش مع الأصدقاء وذوي القربى .

وفيما هو كذلك أحدقت به ذات يوم المصائب والاسقام . فهل ازدري القضاء الالهي ؟ وهل كفر وجدف ؟ انه لم يفعل ذلك ، بل توجه الى الهه بذلة وخضوع وسكب مكنون قلبه في الصلاة والتضرع . فسر بذلك الهه سرورا عظيما ، ورضي أن يشمله برحمته ، وأن يستجيب لصلواته ، فخلصه من بليته ومصائبه ، وأحال عذابه الى سرور . وهذه بعض أبيات قصيدة أيوب السومري :

« لقد غمرتني بالعذاب المستديم المتجدد
« أدخل البيت وأنا محمّل بالاحزان
« وأنا الرجل اذا ما ذهبت الى الشوارع أكون معذب القلب »
« لقد غضب علي الهي العادل فهو ينظر الى نظرة الشر والعداء
« أنا الحكيم العاقل لماذا أقيد مع الأحداث والجهلة ؟
« أنا المدرك العاقل لماذا أحسب مع الجهال ؟
« الطعام وفير في كل مكان ولكن طعامي الجوع
« في اليوم الذي قسمت فيه الانصبة كان حقي المخصص لي العذاب والألم . . »
« لقد قال الحكماء حكمة صدق وحق
« لم يولد لأم طفل بلا خطيئة
« ان الطفل البريء لم يكن في الوجود منذ القدم . . » .

ولعل الأبيات الأخيرة أقدم نص يشير الى فكرة الخطيئة الأزلية التي نقلها كتاب « التوراة » لتفسير وضعية الانسان . ومن ثم تسربت الى المسيحية فيما بعد بفضل تعاليم « بطرس » الرسول حسب تحليل الفيلسوف الألماني « نيتشة » .

ان هذه النصوص ونصوصاً غيرها تتعلق بفكرة « الفردوس » ونصوص « المزامير » المنقولة عن كتابات فرعونية وكنعانية ، وتشريعات التوراة المستمدة من شرائع وادي الرافدين ، مثل شريعة « أور - نمو » وشريعة « حمورابي » لتؤكد بأن كتابة « التوراة » في بابل بعد تشتيت الاسرائيليين الغزاة ، لم تكن الاحصيلة قراءات في تراث المنطقة العربية ومحاولة للاستيلاء عليه . . وبخاصة بعد أن بادت تلك الحضارات ورقدت الواحها الشاهدة تحت التراب ، فلم يعد ممكنا لبضعة آلاف من السنوات اكتشاف الحقيقة ، تلك التي وضع علماء الاثار واللغات أيديهم عليها ناصعة جلية في القرن العشرين بعد الميلاد . □

قصيدتان

شعر عصام ترشحاني

الطعنة .. الهوية

عربيٌ ..
وجه هذا الجرح
مذ جاء الينا ...
عربيٌ ..
انجبتهُ الطعنة الأولى
واعطتهُ الهوية ..
فتنامى .. مطرقاً في الحزنِ
يكويه ابتهال الارضِ
والارضُ .. كتاب الموتِ
سحر الموتِ
قدّاس صلاة البندقية ...

* * *

ايها الجرح الذي
ينهض في العين نزفناك طويلا
ومراراً متّ فينا
نحن شيّعناك بالصمتِ
وودعناك طفلاً ..
كنت طفلاً ..
حينما الخوف ارتدانا
وحبيبا كنت لمّا
خلع النار علينا
ايها الجرح الذي
يوغل في القلب تمهّل ..
نحن لم نهمل وصاياكَ ،
اغانيكَ ،
هتاف الدم في الشريانِ
لكنْ ...
وحدهُ الذبح احتوانا
وحصار الابجدية

فاجعل البرق نزيفا
واحمل النار رغيفا للاغاني
ولترتّل غيمة النار على الشعبِ
ومن جذوتهِ ..
املا الغبراء بالجرح القضية
واطلق النرجس نوراً ..
اطلق النرجس في
قوس شظية ..

انتظارات

اقف الان على ارض الخلايا المتعبة ..
اقف الان وظلي
في انتظار المركبة ..
لم اكن اعرف أن الريح ضدي
والمرايا القلقة ...
خرجت من معطف البحر
وصارت
في عيوني مشنقة ..

* * *

يحتويني الان مصباح الخرافة
يحتويني الليل والياس .. فابقى
في منافي الخوف
استاف المسافة ...
اتهجى باغترابي
لغة الوصل اغني
يا بلادي ..
حبنا الراحل في طوق الكآبة ..
سنلاقي وجهه الصابر محفورا
على لحم الشجر ...
سنلاقيه جميلا
وحزينا ينتظر ...

يا نبي البحر ما بال المرايا
تخطف الان حبيبي
وتعريني من الحلم
ومن ظلّ حبيبي
يا نبي البحر
خلِ الريح تدرى والمرايا
ان لي وجها من الحب يصلي
في مظلات السفر ...
حاملا شوق خطوط الانتظار ...
وخيام النار ،
والدم ،
وشارات الخطر ...

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

غطاء لعنق الرحم Contracap

هذه وسيلة جديدة لمنع الحمل .. انها غطاء لعنق الرحم وليست لولبا ..

والغطاء يصنع خصيصا لكل امرأة ليناسبها تماما من حيث القياس والابعاد ، بحيث لايتحرك الغطاء ولايتزحزح بعد تركيبه . وقد دلت التجارب المخبرية والميدانية العديدة على أنه لايسبب للمرأة أية التهابات ، ولايبعث أية رائحة كريهة .

ويعود الفضل في ابتكار هذا الغطاء وتطويره الى مخترعين استاذين(بروفسورين) في جامعة شيكاجو أحدهما أوفريز Uwe Freeseوهو طبيب أمراض نساء والآخر روبرت جوب Goopp وهو طبيب اسنان .

والخطوة الاولى في صنع الغطاء تكون بأخذ شكل عنق رحم المرأة بواسطة مادة السيليكون .. ثم يصنع قالب من البلاستر الباريسي(Positive Cast) ويصنع غطاء الرحم بعد ذلك وفق ذلك القالب .. وذلك بواسطة ماكينة سكب تعمل على أساس الفراغ .. أما المادة التي يصنع منها الغطاء فهي الكراتون Kraton .

وغطاء عنق الرحم ذو طبقتين تفصل بينها قناة رفيعة .. وهذه القناة هي التي تسمح للسوائل بالخروج وتمنع المني من الدخول .

وقد سجل الاختراع وأنشئت شركة خاصة لانتاجه واتخذت اسم الغطاء اسما لها (Contracap Ine) . □

مكيف جفاف ورطوبة

يعني الكثيرون بتبريد جو المنزل وتدفئته أكثر من عنايتهم بجفاف ذلك الجو ورطوبته .. ولعل الجفاف والرطوبة لاتقل خطورة عن الحرارة والبرودة .

ومن هنا كان الاهتمام الذى حظى به الجهاز الجديد الذى ابتكره العلماء فى ربيع هذه السنه (١٩٨٤) .. فهو جهاز تكييف .. تكييف الرطوبة والجفاف فى جو المنازل .. ويعمل هذا الجهاز بالموجات فوق الصوتية .. لا بالتسخين وتبخير الماء ، وهى الطريقة البدائية التى درج عليها الجميع ..

ولايخفى أن ذبذبات هذا الجهاز غير

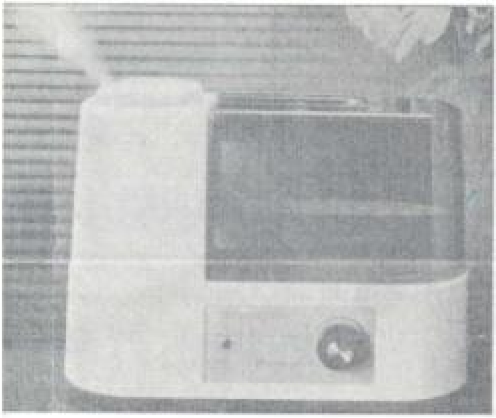

مسموعة فهي فوق صوتية -Ultra sound وتتعدى حدود سمع الانسان والحيوان .. وتعمل هذه الذبذبات على تحطيم جزئيات الماء .. وفي الجهاز عنصر للنقل الالكتروني trans ducer يعمل بسرعته الفائقة على توليد الرذاذ أو الضباب الرقيق .. وتعمل مروحة الجهاز ، وهي الجزء الوحيد المتحرك منه ، على بث ذلك الرذاذ في جو الغرفة ..

فالجهاز اذن آمن من الطريقة البدائية وأسرع ... والرذاذ الذي يشعه بارد لا حار .. وهو مجهز في بعض طرزه بترموستات يضمن لك نسبة محددة من الرطوبة لا يتعداها .. □

يرقان الاطفال وعلاجه

تدل دراسات جادة قامت بها جامعة (M.I.T) الامريكية مؤخرا أن أحد الانزيمات المتخلفة واسمه -bilir) (ubin oxidose قد يكفل العلاج الأمن الفعال لمرض اليرقان الحاد في الاطفال ..

واليرقان jaundice مرض شائع بين الاطفال .. وغالبا ما يفضل الاطباء عدم معالجته بالعقاقير .. فلا يلبث أن يذهب من حيث أتى ... ولكن المرض يستعصي أحيانا ويستوجب العلاج .. في تلك الحال يعمد الطبيب الى استبدال دم الطفل ... على أن هذه الطريقة ليست بلا مخاطر ، ويأمل الاطباء في أن تحل طريقة المعالجة بالانزيم الذي ذكرنا ، محلها .. فهي بلا ريب آمن وأضمن وأسهل .

وقوام هذه الطريقة الجديدة مصاف أو مرشحات تحتوي على انزيم (البيليروبين أو كسيديز) ويمرر دم الطفل عبر هذه المصافي .. فيعمل الانزيم على انحلال البيليروبين الموجود في دم الطفل فيشفيه من ذلك المرض ، مرض اليرقان .. المرتبط بالبيليروبين .. والمتلون بلونه الأصفر أحيانا .. ويعاد الدم بعد ذلك الى جسم الطفل .. وقد انحل البيليروبين فيه وتحول الى مواد أخرى غير ضارة . □

عشبة تشفي قروح مرضى السكر

ما زال التداوي بالاعشاب ينمو ويتقدم ويسترد المزيد من الثقة التي فقدها في القرنين الماضيين ... وما زال العلماء يكتشفون اعشابا جديدة ذات خصائص علاجية مدهشة .. أو خصائص جديدة لاعشاب قديمة ..

من ذلك العشبة الجديدة التي اكتشفها الباحثون في اسكتلندة والتي تشفي القروح الجلدية وعددا من آفات الجلد المزمنة المستعصية . وقد استكمل المختصون

تطوير العشبة أو تصنيعها بحيث تبلغ خصائصها العلاجية أقصى فاعليتها .. ثم قاموا بتجزئة العشبة المصنعة على نطاق واسع .. وذلك بشكل كمّادات على وجه التحديد .

جربوها على رجل مسن عانى من قرحة مزمنة في ساقه طوال سنوات وقد استعصت تلك القرحة على الاطباء .. ولكن العشبة الاسكتلندية نجحت حيث فشل الطب وحققت للرجل الشفاء التام في غضون اربعة أسابيع .. وجربوها أيضا على سيدة في التسعينيات من عمرها كانت طريحة الفراش عدة سنوات بسبب ما يعرف في الطب Bed Sores .. وشفيت المرأة تماما بسبب تناول العشبة التي لم يطل تناولها إياها أكثر من ١٨ يوما ..

يقول الدكتور جلكرايست Gil-christ ، الاخصائي في الهندسة البيولوجية (انها لعشبة مدهشة حقا .. وحسبك أنها تحقق الشفاء التام في معالجة القروح الوريدية (veinous) وقروح مرضى السكري .

وتجدر الاشارة الى أن العشبة التي لم تعط أسمها بعد تحتوي على الاحماض الالجينية (الطحلبية) .. □

مصيدة الكترونية جديدة للفئران

ترى .. هل ينجح العلماء اليابان ، حيث فشل زملاؤهم الأمريكيون وغير الأمريكيين .. ؟ وهل يحرزون النصر الحاسم على الفئران في المعركة التي خاضها وما زال يخوضها ضدها بلا طائل بنو الانسان . يبدو ذلك ممكناً الآن وقد استكملوا تطوير المصيدة الالكترونية الجديدة في اليابان .

وقوام المصيدة أصوات حادة كالصرير تطلقها وتجتذب بها الفأر .. ولا يكاد هذا يقترب حتى تشفطه المصيدة شفطاً بفعل الفراغ الذي فيها .. ثم تبخه بغاز ثاني أكسيد الكربون وتعقمه وتغلفه في علبة من الكرتون يسهل القاؤها في القمامة دون حرج أو خوف من تلوث ... □

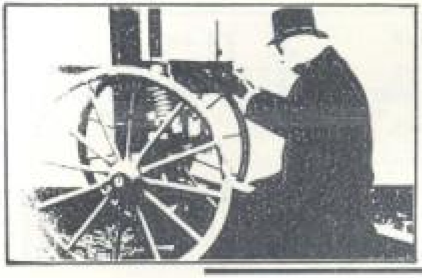

مكتشفون ومخترعون

هيرام مكسيم
مخترع المدفع الرشاش

المدفع الرشاش سلاح متواضع جدا بالمقارنة مع اسلحة اليوم المتطورة .. الصواريخ والقنابل النووية وأسلحة الليزر الخ .. ولكن المدفع الرشاش كان سيد الأسلحة البرية جميعا في كلتا الحربين العالميتين .. أو على الأقل سيد معارك الخنادق بلا نزاع .. وهو بلا ريب السلاح الأول من حيث مجموع من فتك بهم حتى الآن .. وحسبك أن معركة سوم في الحرب العالمية الأولى شهدت سقوط ٦٠,٠٠٠ جندي بريطاني في وقت واحد .. وقد حصدتهم الرشاشات الألمانية حصدا ... !

على أن المدفع الرشاش اختراع بريطاني أو أمريكي لا ألماني .. وكان السير هيرام مكسيم هو الذي اخترعه ، بل قل طوره ...

ذلك أن المدافع الرشاشة كانت معروفة ومستعملة منذ مطلع القرن الثامن عشر ، حين اخترع جيمس باكل (Puckle) أحد المحامين في لندن ، أول تلك المدافع ، وذلك سنة ١٧١٨ ... وكان هذا الرشاش الأول بدائيا ... وكان أشبه بمدافع الميدان ، وتحمله دواليب كبيرة ... وقفزت المدافع الرشاشة قفزة كبيرة سنة ١٨٦٢ على يد ريتشارد جاتنج ، وأصبحت تطلق بمعدل ٧٠٠ طلقة في الدقيقة .. علما بأن رشاش (باكل) لم يطلق أكثر من ٦٣ طلقة في الدقيقة . على أن العلة في كلا الرشاشين كانت الحجم الضخم والوزن الثقيل . لا عجب اذن ان كانت الغلبة لرشاش مكسيم الاوتوماتيكي ١٠٠٪ ..

كان هيرام مكسيم (١٨٤٠ - ١٩١٦) في بادىء الأمر مواطنا أمريكيا بدأ الاهتمام بالاسلحة سنة ١٨٨١ ... وصنع رشاشه الأول مستغلا في صنعه قوة الارتداد (recoil) التي توجد فيه وفي كل المدافع والمسدسات الأخرى الشبيهة .. استغلها في (التعبئة والتفجير والاطلاق) في آن معا ، وعلى نحو متواصل، مادام الزند (trigger) مضغوطاً . وضمن لرشاشه التبريد المطلوب بواسطة ماء محفوظ في خزان خاص في الرشاش . واستكمل مكسيم تطوير مدفعه سنة ١٨٨٣ بحيث لم يجاوز وزنه ٤٠ رطلا ، ولم يجاوز عدد طلقاته ٦٥٠ في الدقيقة . وعرضه على وزارة الدفاع الامريكية فرفضته .. فتوجه الى انكلترا وعرضه على وزارة الحرب البريطانية ، وما أسرع ما قبلته واحتضنته .. وما لبث رشاش مكسيم أن اصبح من الأسلحة المعتمدة في الجيش البريطاني

واستعمل الجيش البريطاني رشاش مكسيم على نطاق واسع في حملاته العسكرية على السودان .. فأثبت من الفاعلية والقدرة على الفتك ما جعل الجنود الانجليز يتغنون به وينشدون : (مهما حدث ومهما صار .. فرشاش مكسيم كفيل بالانتصار)

بقي أن نذكر أن الانجليز منحوا هيرام مكسيم الجنسية البريطانية سنة ١٩٠٠ □

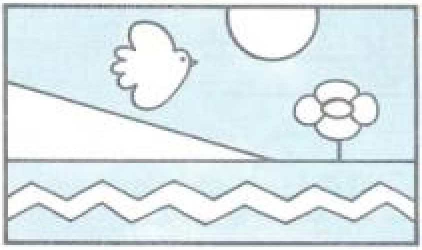

سلامة البشرية في سلامة البيئة

تيار في المحيط الهادي يدمر المرجان وشعابه

شهدت السنة الماضية ١٩٨٣ تقلبات جوية غريبة ومدمرة .. نذكر منها القيظ الشديد غير العادي الذي ساد السفوح الغربية من جبال روكي أثناء شهور الصيف .. ونذكر أيضا العواصف الطاغية التي هبت على هايتي . أما تاهيتي فقد تعرضت لأعنف ماعرفته في تاريخها من عواصف الهاريكين ..

وقل مثل ذلك في الريح العاتية والأمواج العملاقة التي حطمت شواطىء كاليفورنيا ومنشآتها في فصل الشتاء الماضي .. أما استراليا وأندونيسيا والفلبين وسيلان وجنوب الهند وجنوب القارة الافريقية فقد نكبت بالجفاف والقحط .. ونذكر أخيرا البيرو التي تعتمد على صيد الاسماك اعتمادا كبيرا .. فقد فقدت هذه الدولة اللاتينية نصف صيدها في سنة الكوارث .. سنة ١٩٨٣

وانطلق العلماء والمختصون ، علماء الأرصاد الجوية وعلماء المحيطات بخاصة ، انطلقوا يبحثون عن العلة أو العلل التي تسببت بتلك الكوارث وما ترتب عليها من دمار وأضرار . واتجهت أنظار الكثيرين منهم الى السيد المسيح ... والمقصود هنا ليس المسيح ابن مريم عليه السلام وانما التيار البحري الذي يسميه أهل البيرو (إل نينو) ويعني في الاسبانية (المسيح الطفل) .

ولعل التسمية لائقة في نظر الجغرافيين .. فالتيار المذكور يهب على غير انتظام في النصف الجنوبي من المحيط الهادي .. وينطلق كل أربع أو خمس سنوات في خليج بنما ويتجه جنوبا فيمر بالاكوادور فالبيرو ... حتى يصل الى ليما عاصمة البيرو في ايام عطلة الميلاد . ولكن التسمية غير لائقة في نظر البيئيين .. فتيار (ال نينو) أبعد مايكون عن

السلام ، ولطالما عاث في البحر فسادا وأحدث في البيئة دمارا في كل مرة ظهر فيها . . نذكر من ذلك ثورته سنة ١٩٧٢ وثورته سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ ، أما ثورته السابقة التي شهدتها سنة ١٨٧٧ ـ ١٨٧٩ التي تسببت بطقس حار في فصل الشتاء في الولايات المتحدة كلها ، واقتحمت الفياضانات المخيفة شواطىء كاليفورنيا . . . فقد ضاهت ثورته الأخيرة ، أو كادت . .

ومهما يكن من أمر ، فان ثورة (إل نينو) في السنة الماضية تميزت بدمار بيئي لم يسبق له مثيل . . . ذلك هو التلف والخراب الذي ألحقه التيار بالشعاب المرجانية . . وبأكبر تجمع لها في الحاجز المرجاني العظيم في مياه استراليا . . فقد فتك بالحيوان المرجاني (البوليب) في تلك الشعاب على أوسع نطاق وبطش بأحيائها المائية دون تمييز . . . فاختل توازنها البيئي وأدى الى مزيد من فتك وبطش غير مباشرين . .

ذلك أن حرارة ماء التيار ، الدافئة أصلا ، ارتفعت ٧ درجات في بعض الجهات حتى بلغت ٨٥ درجة فهرنهيت . . وبلغ هذا الارتفاع في جهات أخرى (١١) درجة . . وهو رقم قياسي على مدى المائة عام الماضية . . . ويفسر العلماء هذا الارتفاع في حرارة ماء التيار بالتفاوت بين الضغوط الجوية في شرق المحيط الهادي وغربه . . . وبضعف الرياح واشتدادها الى عكس اتجاهها تبعا لذلك . ☐

المجاعة في افريقيا لها أسباب أخرى غير القحط

الكارثة التي حلت بالقارة الافريقية ، كارثة القحط والمجاعة ، أصبحت معروفة للجميع ، وفي غير حاجة الى مزيد من شرح أو تعليق . . فقد تناولتها شتى الصحف والمجلات وسائر أجهزة الاعلام والوكالات العالمية والمحلية ، بحيث لم يعد من السهل على المرء أن يأتي بجديد يضاف الى ماقيل في هذه الكارثة . .

ولعل أهم مايقال في هذا الصدد متصل بأسباب الكارثة . فالقحط أو الجفاف هو بلا ريب أهم تلك الأسباب . . انه السبب المباشر الذي بلغ من الاستفحال ماجعله أسوأ قحط عرفته القارة طوال ١٠٠ عام . . لاعجب اذن ان غفل الكثيرون عن الأسباب الاخرى للكارثة . . فهي غير مباشرة وأبعد عن الكاميرات ، كاميرات الصحافة والتلفزيون . . الا أنها أسباب هامة للغاية ، وجديرة بالنظر ، لاسيما في باب يتناول شؤون البيئة .

ونعتمد هنا على تقرير البنك العالمي الخاص بالعالم الثالث (صدر في مطلع شهر اكتوبر ١٩٨٤) . ونذكر من تلك الأسباب غير المباشرة التي أوردها التقرير الأزمات الاقتصادية العالمية . . . فقد كانت دول العالم جميعا تعاني من ركود اقتصادي مستفحل طوال السنوات الأخيرة . . وشمل هذا الركود دول العالم جميعا . . دول العالم الأول المتقدمة الغنية . . ودول العالم الثالث النامية الفقيرة . . وعانت هذه الدول الفقيرة ايضا من أزمة الديون المتراكمة ذات الفوائد المتزايدة . . وذلك بالاضافة الى أزمة الركود . . وقد بلغ مجموع ديون السودان على سبيل المثال ٧٠٠٠ مليون دولار ، أي مايعادل ٧ أضعاف مردود حاصلاتها في السنة الماضية . . ولايخفى مايترتب على هاتين الأزمتين من عجز عن تمويل

المشاريع الكبرى ، التي ظهرت مؤخرا في عدد من الدول الافريقية . . . وعن استيراد الاسمدة وما إليها مما تحتاجه زراعة القمح والذرة والشعير . . ومعنى هذا أن القحط الذي حل بالقارة انما أدى الى تفاقم الأحوال السيئة القائمة فيها أصلا . . .

وزاد الطين بلة سوء الادارة . . فقد تكاثر عدد الموظفين حتى في الشركات الزراعية الكبيرة ، دون الأخذ بعين الاعتبار الخسائر الكبيرة التي منيت بها محاصيل تلك الشركات وايراداتها . . وهذا ماحدث فعلا في غانا وفي مجلس الكاكاو الحكومي فيها بالتحديد . .

وقل مثل ذلك في مشاريع الري الكبيرة التي تستهدف إصلاح أراض بكر جديدة . . فقد دلت الاحصاءات على أن الأراضي المروية القديمة التي خسرها الافريقيون بسبب الاهمال وسوء الصيانة . . تفوق من حيث المساحة الأراضي البكر الجديدة التي نجحوا في استصلاحها وريها بواسطة تلك المشاريع الكبيرة . . .

ونذكر من تلك الأسباب غير المباشرة الحروب الطاحنة التي خاضتها الدول الافريقية في عهد الاستقلال . . فقد تكاثرت تلك الحروب وغلبت عليها الاطماع والمصالح الشخصية . . . وذلك على حساب البناء او الاصلاح الذي لاقيمة للاستقلال السياسي من بدونه . .

أضف الى ذلك كله الزيادة الكبيرة في عدد السكان . . وقد حطمت القارة الافريقية الأرقام القياسية العالمية كلها . . . وحسبك أن نسبة الزيادة السكانية في زمبابوي . . بلغت ٤٪ أو تزيد . . . !

وترتب على تلك الأسباب هبوط كبير ومتواصل في الدخل القومي . . مما يضمن زيادة عدد الفقراء في القارة ككل . . فقد بلغت نسبة هؤلاء ٦٠٪ من السنة الماضية ١٩٨٣ وستصبح ٨٠٪ في السنوات القليلة القادمة . . .

اتناج الغذاء

متوسط نصيب الفرد الواحد من مجموع السكان

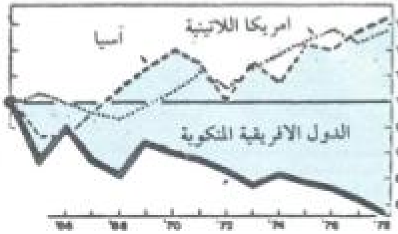

وترتب عليها أيضا هبوط كبير في نصيب الفرد مما تنتجه القارة من مواد غذائية . . انظر ذلك في الرسم المرفق وقارنه بالزيادة الكبيرة التي طرأت على انتاج المواد الغذائية في القارتين الأخريين . . آسيا وأمريكا اللاتينية . .

لاعجب اذن أن يبلغ عدد المهددين بالموت جوعا من الافريقيين ١٥٠ مليون نسمة . . تقول (مهددين) ومعنى ذلك أن انقاذهم مازال ممكنا . . على أن تبذل الجهود لغوثهم فورا ، وقبل حلول شهر مارس المقبل . . وألاتقل قيمة المعونات عن ٢٠٠٠ مليون دولار سنويا . . وأن تستهدف تلك الجهود مساعدة القارة الافريقية على حل مشاكلها وزيادة انتاجها ومحاصيلها ، فلا تقتصر على تقديم الحسنات والتبرعات اليها . . . □

البندقية . . هل بدأ انقاذها من الغرق ؟

يبدو أن مدينة البندقية التي كانت تغرق في مياه البحر منذعشرات السنين وتغرق أيضا في جدل بيزنطي حول انقاذها منذ عام ١٩٧٣ . . . يبدو أنها خلصت من غرقها الثاني وبدأت تخلص من غرقها الاول . . .

فقد أقر مجلس النواب في ٤/ ١٠/ ٨٤ مشروعا لانشاء بوابات تقف في وجه الفيضان ، وذلك عند مدخل البحيرة (lagoon) التي تقوم عليها المدينة . وسيكلف هذا المشروع ٣١٠ ملايين دولار ، وتتعاون على تنفيذه مجموعة مؤلفة من ٣١ شركة . . . وسيستغرق العمل فيه ١٠ سنوات على أقل تقدير . . □

مكتبة العربي

كتاب الشهر

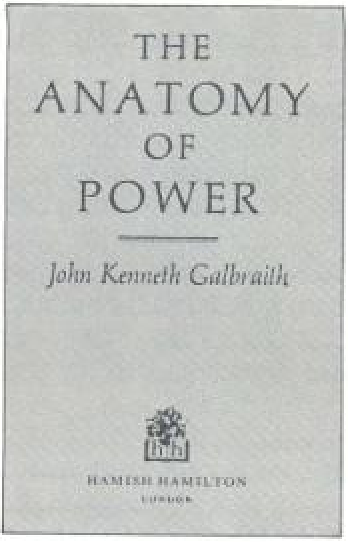

تشريح السلطة

المكونات الأساسية للسلطة

تأليف :

جون كينث جالبرث

عرض وتحليل : الدكتور فتحي أمين مجدلاوية

هل كان يمكن للبشرية أن تستمر بدون وجود سلطة بقوانينها ومؤسساتها ؟ قد يكون الجواب بالنفي .. لكن ما هو نوع السلطة الأنسب للناس ؟ وما هي أنواع السلطات وكيف شرحها الكاتب ؟

كتاب الشهر

نتناول في عرضنا هذا كتابا حديثا وزاخرا بالمعلومات والتعريفات ، حيث انه يتناول السلطة من حيث مكوناتها الأساسية عن طريق التغلغل فيها وسبر غورها . ولا عجب أن يسمى الكتاب « بتشريح السلطة » أو التحليل البنيوي للسلطة . وقد نهج المؤلف البرفسور « جون كينث جالبريث » نهجا جديدا ومخالفا لما اعتاد عليه أقرانه من الكتاب في المجالين الاقتصادي والسياسي وخاصة أولئك الذين تناولوا موضوع القوة السياسية في كتابهم حيث انهم درجوا على الحديث والتعريف الظاهري للقوة بأشكالها الاقتصادية والعسكرية والسياسية والدينية ... الخ .. ولقد كان هدف أصحاب السلطة من وراء هذا بالطبع محاولة فرض سلطاتهم واذعان الآخرين لأهدافهم الذاتية .

لقد استمد الكتاب أهميته وجديته من مؤلفه « جون كينث جالبريث »

John Kenneth Galbraith / ذي الباع الطويل في المجالين الاقتصادي والسياسي ، فهو استاذ الاقتصاد في جامعة هارفارد والرئيس السابق لجمعية الاقتصاديين الامريكيين ، بالاضافة الى عمله السياسي السابق كسفير للولايات المتحدة الامريكية في الهند . هذا وقد انتخب مؤخرا رئيسا للاكاديمية الامريكية للفنون والآداب . فهو دون أدنى شك صاحب القلم العلمي . المتأدب ، وصاحب أكبر المؤلفات الاقتصادية الأمريكية ، ونخص بالذكر كتابه الذي نشر منذ أكثر من ثلاثين عاما (عام ١٩٥٢) حول « الرأسمالية الأمريكية ومفهوم القوة المتوازنة » .

يعتبر الكتاب حديث المهد ، حيث انه نشر لأول مرة عام ١٩٨٣ في أمريكا ، ثم أعيدت طباعته في بريطانيا عام ١٩٨٤ ، بعد التمهيد يبدأ المؤلف بالتعريف بالأساليب الثلاثة التي تستمد السلطة منها نفوذها وسيطرتها ، فاما اسلوب التهديد والوعيد والعقاب ، واما التعويض والتكافؤ أو اسلوب الاقناع والتصديق . ثم يتناول المؤلف مصادر السلطة وأصولها الثابتة في الشخص والأفراد والمنظمات . وينتقل بعد ذلك للحديث عن ديناميكية القوة والتغيرات المستمرة التي اقترنت بها من حيث الرأسمالية والتنظيم الاقتصادي في المجتمعات المتقدمة ومنشآتها العسكرية . ويختتم المؤلف حديثه عن الوهم الكبير الذي يقع فيه كبار الاقتصاديين والسياسيين والاعلاميين وأساتذة الجامعات عندما يتوهمون بأنهم يمتلكون السلطة لتسخير الأفراد لطاعتهم والتشبع بآرائهم وتلبية رغباتهم وتحقيق أهدافهم .

ولن نتناول في هذا العرض فصول الكتاب جميعا بل سنكتفي بالاشارة الى النقاط الهامة ، وهناك بعض المآخذ عليه ، والتي نسوقها على سبيل المثال لا الحصر ، وخاصة عندما استرسل المؤلف المخضرم في شئون السياسة والاقتصاد ـ في سرد بعض الأحداث التاريخية لدرجة أن القارىء يجد نفسه فجأة أمام كتاب تاريخي . وموضوع كهذا بطبيعة الحال لايهم القراء المهتمين بالشئون السياسية . هذا بالاضافة الى تعمد المؤلف للتكرار سواء في رأس الموضوع أو المضمون . ولقد كان بالامكان أن يكون الكتاب أكثر فائدة وأصلب عودا وأسهل تناولا لو اقتصر على ثمانية فصول تقع في مائة وخمسين صفحة بعد حذف النوافل البعيدة عن الموضوع .

السلطة وكيفية الوصول اليها :

يسعى الأفراد والجماعات للسلطة عادة اما لتحسين وضعهم المادي أو لنشر معتقداتهم وأفكارهم الدينية والاجتماعية . وتعتبر ممارسة السلطة مرضا لدى الكثير من السياسيين البارزين حيث انهم يضحون بالغالي والنفيس للوصول الى السلطة وممارسة نفوذهم . فعلى سبيل المثال يحاول رجل الأعمال شراء طاعة وولاء العمال لتحقيق مكاسب اقتصادية ومادية . ويحاول رجل الدين اقناع الناس بآرائه ومعتقداته عبر وسائل الاعلام المختلفة ليصبح ذا سلطة ونفوذ . كما يعمل رجل السياسة جاهدا على كسب أصوات الناخبين للحصول على السلطة وتحقيق مكاسب مادية ومعنوية ، وذلك عن طريق اقناعهم بأنه سيكون نصيرا للفقراء والمحتاجين ويسعى لرفاهية المواطن . لقد كان للسلطة وقع خاص في نفوس ممارسيها منذ قديم الأزل ولغاية وقتنا الحاضر ، حيث انها تمنح ممارسها الثقة بالنفس والقوة وذلك من خلال الممارسات اليومية لها مثل شعائر الاحترام والتقدير واعجاب الجماهير ، وكلمات الاستحسان ، والظهور في المآدب والحفلات والسير في المواكب الرسمية والتحية العسكرية . . . الخ . وقد عبر عنها « وليام هازلت » بقوله : « ان حب السلطة هو حبنا لأنفسنا » . وكما قال : « دو جوفنيل » ان للسلطة مظهرين ، فهي ضرورة اجتماعية بالاضافة الى كونها خطرا اجتماعيا » .

السلطة بين الحق والباطل :

ان الفرق بين السلطة المعتدلة والسلطة الطاغية كالفرق بين الثواب والعقاب . فالأولى تسعى جاهدة لكسب الفرد بتقديم مكافأة مجزية وذلك من أجل تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة . أما السلطة الثانية (الطاغية) فانها تقوم بانزال أقصى العقوبة سواء الجسدية منها أو المعنوية وذلك لمنع الفرد من ممارسة أي نشاط شخصي غير مرغوب فيه من قبل السلطة . وبتعبير آخر فان السلطة المعتدلة تحاول جاهدة كسب ولاء الفرد عن طريق التعهد بتقديم العون والمساعدة . أما السلطة الطاغية فانها تحاول اغتصاب ولاء الفرد بالوعيد والتهديد والعقاب . وعليه فان الفرق واضح بين السلطة الطاغية والسلطة المعتدلة حيث تعتبر الثانية ، وخاصة في مواقف المجتمعات الحديثة تجاه أفرادها ، أكثر تحضرا ومحافظة على حرية وكرامة المواطن من السلطة الطاغية ، والتي تحاول ابتزاز المواطن بالتهديد والعقاب الجسدي الدموي .

ان المزج بين السلطتين الطاغية والمعتدلة خلق ما يسمى بالسلطة المتكيفة ، حيث انها تستمد قوتها عن طريق اذعان الآخرين لها والايمان بمبادئها والانصياع لأوامرها ، وذلك عن طريق الاقناع والتعليم . ان السلطة « المتكيفة » ليست وليدة الحاضر بل هي نتاج الماضي السحيق ، وذلك عندما اعتبرت سلطة الرجل على المرأة أساسا للحياة وسنة للكون«فكلمات مثل المحبة والشرف ارتبطت بالرجل بينما ارتبطت كلمات المحبة والطاعة بالمرأة . . ان مفاهيم كهذه بطبيعة الحال تعكس نوع التربية في المنزل والمدرسة « والمجتمع وغيرها على المرأة في الأسرة ونوع التربية المطلوب منها القيام بها . ودليل على ذلك أن بعض الدراسات في الجامعات والكليات والمدارس تقتصر على المرأة دون الرجل ، كالتدبير المنزلي والادارة المنزلية وهذا يعود الى العادات والتقاليد وغيرها .

يتضح مما سبق أن للسلطة المتكيفة جذورا راسخة بحيث انها انتشرت في جميع قطاعات المجتمع سواء المدنية منها أو العسكرية . وهذا ليس غريبا ، حيث أنها تستمد قوتها من قناعة الفرد التامة بأن كل ما يصدر عن السلطة واقعي وصادق ومسلم به . ومثال ذلك الصورة الواضحة للسلطة المتكيفة في المجتمعات الصناعية الحديثة وما يمارس عن طريق فن الدعاية والاعلان لمحاولة اقناع المشتري بأهداف ورغبات البائع ، وذلك بطريقة غير مباشرة وبنفس الطريقة التي تتبعها وسائل الاعلام المختلفة من تلفاز واذاعة وصحافة بتوصيل رسالة أو معلومة ما للمشاهدين والمستمعين والقراء دون المجاهرة بها . ولعل السبب الرئيسي للخلافات المستمرة التي تقع بين رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية ، وبين التلفاز والصحافة والاذاعة هو الصراع بين متطلبات وسائل الاعلام من جهة ورغبات الرؤساء من جهة أخرى .

كتاب الشهر

وللسلطة المتكيفة دور بارز في مجال التعليم . فالمدارس في جميع أنحاء العالم تعمل على غرس مبادىء الوطنية لدى الطلبة عن طريق تحية العلم في طابور الصباح وحفظ وترديد بعض الهتافات والأناشيد الوطنية . وهذا بدوره ذو أهمية كبرى لدعم أهداف السلطة وتعزيز دورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويساعد على خلق الروح الوطنية لدى الشباب ، ويدعوهم للانخراط في الخدمة العسكرية للدفاع عن الوطن وحمايته .

مصادر السلطة :

أولا : الشخصية

ان الحديث عن أنواع السلطة لابد أن يصحبه الحديث عن الوسائل المختلفة لتنفيذ وممارسة السلطة كالشخصية والملكية والتنظيم ، فعلى سبيل المثال نجد أن التنظيم مرتبط تماما بالسلطة المتكيفة . والملكية مرتبطة بالسلطة المعتدلة . أما بالنسبة للشخصية فجذورها راسخة قوية بالسلطة الطاغية منذ قديم الزمان . لقد ارتبطت الشخصية بالقوة الجسدية . فنجد مثلا أن رئيس القبيلة في السابق كان يمتاز بضخامة الجسم بحيث يستطيع أن يوقع العقوبة الجسدية على الخارجين عن ارادته . وللأسف الشديد مازال هذا المفهوم سائدا في وقتنا الحاضر وخاصة بين الشباب . حيث نجد أن الفتى ضخم الجثة يتزعم من الفتيان من هم أصغر منه حجما . ان الارتباط الكبير بين السلطة الطاغية والشخصية يؤثر في سلوك الفرد . ولقد شهد التاريخ أبطالا عظاما سخروا أجسامهم الضخمة لممارسة سلطاتهم ، أمثال هرقل وبيتر العظيم وغيرهما . وهذه ليست قاعدة ثابتة بالطبع ، حيث ان العديد من الشخصيات التاريخية والدينية المرموقة على مر العصور سيطرت وسادت بذكائها وحكمتها والتزامها بمبادئها وليس بضخامة أجسامها أمثال أرسطو وأفلاطون وكارل ماركس وغاندي . . . الخ . هذا وقد غايرت المجتمعات الحديثة ما كان سائدا في الماضي ، وأصبح الارتباط قويا بين السلطة المتكيفة والشخصية بمعناها المعنوي ، لا بين السلطة الطاغية والشخصية بمعناها الجسدي . فالشخصية القوية تحاول كسب ولاء الآخرين عن طريق الاقناع والقيادة الحكيمة ، وهذه بدورها تتطلب رجاحة العقل والدقة في اتخاذ القرارات ، والأمانة والصدق ، وروح الدعابة والفكاهة ، كما تتطلب أيضا الوقار والرزانة وحسن التعبير والتحدث بلغة فصيحة وأسلوب مقنع بليغ . ومع هذا فهنالك نزعة مبالغ فيها في المحافل الدولية السياسية لدور الشخصية في ممارسة السلطة . ولا عجب في ذلك أن هنالك عدة عناصر تضافرت لتسبب مثل هذا الخطأ الشائع ، مثال على ذلك الخلفية التاريخية للقائد ، الغرور ، والتملق ، والتصنع في أحاديثه ومقابلاته واجتماعاته .

وللتنظيم دور ايجابي وفعال في تكوين وتعزيز الشخصية . فعلى سبيل المثال يسعى رجل السياسة جاهدا للحصول على مركز مرموق في الحكومة . كما يحاول رئيس العمال تكوين اتحاد قوي ، بينما يعمل رجل الأعمال جاهدا لتأسيس مشروع ضخم ، أما رجل الدين فانه يتطلع الى رئاسة الكنيسة .

ثانيا : الملكية

تعتبر الملكية من أكثر مصادر السلطة وضوحا حيث انها تعطي صاحبها قوة لا مثيل لها عن طريق شراء ولاء وأصوات الآخرين . إن العلاقة وثيقة وقوية ومباشرة بين الملكية والسلطة المعتدلة لدرجة أنها اعتبرت في الماضي كلا متكاملا . فالاشتراكية على سبيل المثال تعتبرها المصدر الوحيد للسلطة ، أما الشيوعية فيمكن تلخيص نظريتها في عبارة « الغاء الملكية الخاصة » ، هذا وقد تناول الكاتب الأميركي « أدولف بيرلي » موضوع الملكية وعلاقتها بالسلطة في الولايات المتحدة الأمريكية بافاضة حين قال في كتابه (السلطة بدون ملكية) : « ان من وصل الى السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية هم الاداريون والتنظيمات المختلفة وليس أصحاب رؤوس الأموال الحقيقيين » . وهذا بدوره مخالف لما كان عليه الوضع في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن ، حيث ان صاحب رؤوس الأموال هو الاقطاعي والمسيطر الوحيد على دفة الأمور . فكل ما يقوله أو يفعله أو يؤمن به الرجل الثري يفعله الآخرون ويؤمنون به كحقيقة واقعة دون جدال أو نقاش . وباختصار شديد فإن الملكية لم تصبح ذات أهمية كبرى كمصدر للسلطة . حيث أن السلطة المعتدلة تستطيع أن تكسب ولاء وجهد وثقة الملايين من العمال والمسئولين عن أكبر المؤسسات الاقتصادية والصناعية . ومع ذلك فلا نستطيع أن نتجاهل الدور الرئيسي الذي تلعبه الملكية في السلطة بالرغم من استلامها للتنظيمات والمنظمات المختلفة .

ثالثا : التنظيم

لقد أصبح للمنظمات في وقتنا الحاضر أهمية كبرى فاقت في مستواها وتأثيرها كلا من الشخصية والملكية ، بل باتت المصدر الأساسي للسلطة كما عبر عنها بعض الخبراء والأساتذة السياسيين . لقد عُرف التنظيم بأنه مجموعة من الأشخاص أو المجموعات تتحد من أجل هدف أو عمل معين . ويهدف المشاركون في التنظيم الى كسب ولاء الآخرين وضمهم اليهم . وبهذا يكون الهدف مزدوجا داخليا وخارجيا . وبالتالي فإن الجيش يعتبر تنظيما حيث ان افراده يدينون بالولاء للدولة من جهة ، ويدافعون عن وطنهم من المعتدين والطامعين والغازين من جهة أخرى . وعليه يمكن اعتبار الأحزاب السياسية الأميركية والمؤسسات والحكومة تنظيمات ، حيث ان لكل منها أهدافا داخلية وخارجية مع الفارق في نوع الهدف ودرجته . بالاضافة الى ذلك هنالك ثلاث خصائص أخرى للتنظيم . أولها التناسق الشكلي المزدوج للتنظيم حيث انه يكسب ولاء الناس لأغراضه وأهدافه من الداخل والخارج . ثانيا ، ان قوة التنظيم تعتمد أساسا على مدى اتحاده مع المصادر الأخرى للسلطة من جهة والوصول الى وسائل وطرق التنفيذ من جهة أخرى . وأخيرا هنالك ارتباط قوي بين سلطة التنظيم وتعدد وتباعد أهدافه . فكلما اقتربت بعض الأهداف من بعضها الآخر قوي وتعزز التنظيم ، وعلى العكس من ذلك فكلما تباعدت الأهداف ضعف وتراخى وفقد ثقة وولاء الناس له .

السلطة : طبيعتها والقوى المحركة لها :

للسلطة وجهان مختلفان باختلاف وجهي العملة متوازنان بتوازن المجتمعات الحديثة يحمل الوجه الأول صورة ممارسي السلطة ويحمل الثاني صورة معارضيها . ان عدم الرضا عن بعض الممارسات الخاطئة للسلطة لا يعني بأي حال من الأحوال معارضتها ومواجهتها مجاهرة ، بل على العكس من ذلك فلابد من اتباع أساليب منطقية كبيان فسادها أو عدم شرعيتها ودستوريتها أو طغيانها من أجل الوصول الى حلها وابدالها بسلطة أخرى . فاذا كانت سلطة الحكومة قوية فاسدة فمن المستحسن أن نعمل على اضعافها ونحد من قوتها وجبروتها ونخفف من تدخلها .

ان مبدأ التماثل بين مصادر السلطة والاستجابات ذو جذور قديمة وخاصة في مجال العمل والعلاقات العمالية . وقد لوحظ هذا التماثل أيضا أثناء الحرب العالمية الثانية حين كانت المواجهة شخصية ومتماثلة بين أدولف هتلر من جهة وكل من تشرشل وروزفلت وستالين وديغول من جهة أخرى . وقد تكرر هذا التماثل في وقتنا الحاضر وخاصة في مجال تصنيع الأسلحة الذرية حيث ان تصنيع وتطوير الأسلحة

كتاب الشهر

للدرية من قبل قوة عظمى يواجه عادة بعمل مشابه من قبل قوة عظمى أخرى ، وهذا النوع من التساوي يسمى بالتماثل المشؤوم ، أو غير المرغوب فيه انسانيا .

مما سبق يتضح لنا أن هنالك قاعدة ثابتة للتساوي بين مصادر السلطة ووسائل التنفيذ المختلفة ، وقد عبر عنها الحكماء والفقهاء بالعديد من الحكم نسوق منها على سبيل المثال : « لا يفل الحديد الا الحديد » ، « ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » ، « من يعش بالسيف لا يمت الا بالسيف » ، « العين بالعين والسن بالسن ومن قتل يقتل » . . . الخ .

الرأسمالية : قديمها وحديثها :

ان الحديث عن الرأسمالية يشد الى الفترة التي عاشتها أوروبا خاصة في القرن السادس عشر حيث لعبت الكنيسة دورا فعالا في ادارة سلطة الدولة وذلك مقابل أموال وأملاك تجنيها من الاقطاعيين وأصحاب رؤوس الأموال . وهذا بحد ذاته نوع خاص من السلطة المشروطة بحيث تشترط طاعة الناس للكنيسة والايمان بمعتقداتها الدينية والدنيوية . لقد شهدت الفترة ما بين القرن السادس عشر وبداية الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهور ما يسمى بالدولة القومية (دولة مؤلفة من قومية واحدة لا من قوميات متعددة) وخاصة في انجلترا وفرنسا ، مما أدى الى ظهور ما يسمى بطبقة التجار والرأسمالية التجارية . وعليه فقد حدث تغيير في مفاهيم السلطة من حيث مصادرها والوسائل المتبعة في تنفيذها ، وخاصة بعد أن انتقلت السلطة من يد الكنيسة الى طبقة التجار ، وأصبح رأس المال وليس الأرض هو المصدر الرئيسي للسلطة . ونتيجة لذلك ضعف دور الشخصية الاقطاعية وحل محلها طبقة التجار . ولم يستمر الوضع طويلا ، فالرأسمالية التجارية ، التي وصلت الى أوجها في القرن الثامن عشر ، ما لبثت أن انهارت أمام الزحف الواسع الانتشار للثورة الصناعية ، وظهور الرأسمالية الصناعية والتي أحدثت تغييرا كبيرا في مصادر السلطة ووسائل تنفيذها ، باستثناء الملكية ، والتي احتفظت بمكانتها كمصدر رئيسي للسلطة ، وأصبح للمقاول دور بارز في المجال الاقتصادي ، حيث كان حلقة الوصل بين المنتج والمستهلك .

وخلاصة القول أن الرأسمالية الصناعية تدين بالكثير لمصادر السلطة الثلاثة : الملكية من حيث المصنع والآلات ورأس المال ، والتنظيم من حيث ارتباط العمال بالمصنع ، وأخيرا الشخصية الملتزمة . أما بالنسبة لوسائل التنفيذ فقد انهارت السلطة الطاغية أمام السلطة المعتدلة ، وأصبح للعامل حق يأخذه مقابل عمل ما . فكلما كثر العمل زاد الأجر ، والعكس صحيح .

عصر التنظيم :

لقد شهد العصر الحديث تغييرا كبيرا في مصادر السلطة وخاصة الصناعية منها . فقد اختفى العديد من الشخصيات البارزة المهيمنة على السلطة ، وأخذت مكانها مجموعات ادارية منظمة . وقد ظهر تأثير هذه المجموعات في العديد من المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . وعليه فقد أصبح الانتقال المستمر للسلطة من يد الملاك الى يد المدراء ـ من الملكية الى التنظيم ـ السمة المميزة للتطور الصناعي منذ القرن الثامن عشر حتى وقتنا الحاضر .

ان الفرقة التي ظهرت بين أصحاب رؤوس

الأموال وخاصة عندما آلت الملكية الى ورثة غير قادرين على تصريف الأمور وادارة المؤسسات الصناعية بعد آبائهم وأجدادهم من ناحية ، والمهمات الصناعية التي أصبحت أكثر تعقيدا عما كانت عليه سابقا ، نتيجة لظهور التقنيات الصناعية الحديثة ، واتساع المؤسسات الصناعية كماً وكيفا ، وأصبحت الحاجة ماسة الى ادارة متخصصة ومهارات في تسويق المنتجات من جهة أخرى ساعد على انهيار الملكية (الرأسمالية) أمام جبروت الادارة البارعة . بالاضافة الى ذلك فقد بات للتنظيم والادارة أعمق الأثر على كل من المنافسة والاحتكار ، حيث أن الهدف الأساسي لكل المؤسسات الصناعية الكبرى ، واتحادات العمال والمزارعين والتجار ومنظمة الدول المصدرة للبترول هو العمل على ازالة ما يسمى بمنافسة الأسعار بحيث يبقى السعر موحدا وثابتا دون وجود بديل آخر . . وهذا بطبيعة الحال ما آل اليه الوضع في وقتنا الحاضر . حيث أصبحت الأسعار خاضعة لسلطة الجميع وليس حكرا على فرد أو مؤسسة فردية . وبهذا يكون التنظيم قد نجح في تجنب ما يسمى باتجاهات الحد من السلطة ومعارضتها .

السلطة العسكرية :

لقد حظيت المؤسسات العسكرية في جميع أنحاء العالم بنصيب الأسد من حيث استغلالها لمصادر السلطة الثلاثة : الملكية (كمصدر مالي) والتنظيم والشخصية وخاصة أيام الحرب . وقد ساعدت هذه المصادر السلطة العسكرية كثيرا ، وخاصة التنظيم حيث عن طريقه تمت السيطرة التامة على مجريات الأمور والمعلومات العسكرية السرية من خلال ما يسمى بالمخابرات العسكرية . . ان الاسلوب الذي اتبعته السلطة العسكرية الاميركية قد نجح كثيرا في دول صناعية متقدمة أخرى كالاتحاد السوفيتي وبعض دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وقد وجد بالدراسة والتمحيص أن من بين المائة والأربع والثلاثين(١٣٤) دولة مستقلة في العالم يوجد مالا يقل عن أربع وثلاثين (٣٤) دولة تحكمها الدكتاتورية العسكرية التي اتخذت من مصادر السلطة جميعها ووسائلها (عقاب وجزاء وتكافؤ) أسلوبا لتنفيذ أغراضها والحكم في البلاد . وعليه فقد ظهرت بعض الشخصيات العسكرية والجيوش الضعيفة منها والمكروهة لممارسة السلطة وتطبيق القوانين العسكرية ، المنافية للأخلاق والمبادىء والمثل الانسانية ، وكانت النتيجة أن السلطة العسكرية أصبحت تهدد أمن المواطن وتعيق تقدم الديمقراطية في العالم أجمع .

السلطة بين الدين والصحافة :

لقد أدى ضعف مصادر ووسائل السلطة الدينية في وقتنا الحاضر الى عزوف الناس عن ممارسة شعائرهم الدينية اليومية باستثناء البعض الذين يقومون بأداء المناسك الدينية الروتينية أيام الآحاد في مناسباتهم الشخصية كالزواج والطلاق والوفاة والتعميد الخ .

ان الشخصية القيادية الدينية مازالت متمثلة في بعض رجال الدين المعاصرين ولكن ليست بنفس القوة التي كان عليها أسلافهم من القساوسة والرهبان ورجال الدين . وعليه فقد انهارت أملاك الكنيسة كمصدر للسلطة بشكل أكبر . أما بالنسبة للتنظيم الديني المسيحي فقد تلاشى تماما في ظل التصدعات التي حدثت في الكنيسة المسيحية . فالتنظيم الديني الداخلي القوى الذي كانت عليه المسيحية في عهد الكنيسة الكاثوليكية قد انهار ، واتخذ أشكالا متعددة ومتنوعة . يعزي المؤلف هذا التصدع والانهيار في الكنيسة الى عدة أسباب أهمها : أن الكنيسة المسيحية عندما تقارن بالدين الاسلامي ذي الجذور الراسخة والنفوذ القوي والانتشار الواسع فانها تبدو في حالة يرثى لها ولن تقوم لها قائمة بعد الآن وخاصة أن الدين الاسلامي بالمقارنة يزداد انتشارا ويتعزز موقفه في كل لحظة .

هذا وقد صاحب النزاعات في مصادر السلطة اختلاف في وسائل التنفيذ أيضا بحيث اختفى ما يسمى بالعقاب واستخدامه كاسلوب تهديد في الآخرة ، كما اختفت أيضا السلطة التعويضية (شراء امتثال وخضوع الناس للكنيسة) في مقابل ذلك أصبح للسلطة المشروطة حق في كسب ولاء الناس الديني .

أما الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة فانها تستمد

كتاب الشهر

قوتها من خلال التكيف الاجتماعي والتنظيم . ان المعلومات التي تبث الى العامة عبر الاذاعة والتلفاز في وقتنا الحاضر انما تصدر ضمن تنظيم معين وليست محتكرة من قبل فرد معين أو شخصية بارزة كما كان يحصل في الماضي .

لقد كانت الصحافة في الماضي تمثل وجهة نظر معينة ، وتعتبر وسيلة للاقناع وليست وسيلة للمعارضة ، وخاصة لبعض الشخصيات البارزة . أما في وقتنا الحاضر فان مشاهدة التلفاز أو الاستماع للاذاعة أو قراءة الصحيفة اليومية لدليل واضح على حرية الصحافة ووسائل الاعلام . بالاضافة الى ذلك فانها تعتبر مرجعا لدى البعض للاستشهاد به وأمرا مسلماً به بالنسبة لآخرين . فكثيرا ما نسمع أقوالا مثل : « هذا ما قرأته في الصحيفة » أو « شاهدت موضوع كذا في التلفاز » كما أن العديد من الخطب السياسية والدينية تستشهد بعبارات مقتبسة أصلا مما يسمع بالاذاعة أو يشاهد بالتلفاز أو يقرأ بالصحف. ومع ذلك ، فمن الخطورة بمكان المبالغة في دور وسائل الاعلام المختلفة وقدرتها على السيطرة بما تتبعه من أساليب تجذب الرأي العام وتسلب اللب وخاصة أن ما كان يعتبر نجاحا للصحافة والاذاعة والتلفاز ومفروضا على القراء والمستمعين أصبح الآن يأخذ شكل الاقناع والحيلة .

وللصحافة دور بارز في اضفاء الراحة النفسية وتخفيف آلام العامة من الاحباطات السياسية التي يشهدونها بين الفينة والأخرى ، وذلك بالسماح لهم بكتابة رسائل ومقالات في الصحف والترحيب بهم في مقابلات تلفزيونية واذاعية . وأخيرا ، لا يستطيع أحد أن ينكر ما لوسائل الاعلام المختلفة من دور ايجابي وفعال في عملية التنظيم والتكيف الاجتماعي كعنصرين أساسيين للسلطة .

كلمة أخيرة :

بالمقارنة مع العصر الحديث فإن موضوع السلطة والنفوذ في العصور الوسطى كان مقتصرا على الملوك والامراء والأباطرة والكهنة . أما بالنسبة للمواطن بشكل عام فكان ولاؤه طبيعيا بل وراثيا للسلطة إذا صح التعبير ، فلم يكن أي فرد يتخيل أن يكون سلطة أو نفوذا في يوم من الأيام باستثناء سلطة الرجل على زوجته والأب على أبنائه الصغار . وقد استمر هذا الوضع الى ما بعد ظهور الرأسمالية ، حيث انتقلت السلطة من يد الحكومة الى الكنيسة بمساهمة التاجر وصاحب المصنع كمصدر تمويلي لرأس المال . أما العامل فلم يتميز وضعه بل استمر على ما كان عليه سابقا ، حيث انه سخر جزءا من حياته لخدمة وطاعة أوامر سيده ، والجزء الآخر لخدمة الدولة . ولكن وضعا كهذا لم يستمر طويلا ، وخاصة عندما بدأت التنظيمات الكبرى في عهد الثورة الصناعية تسيطر على الانتاج وتهيمن على الأنشطة الاقتصادية والتجارية ، وأصبحت تمتلك ثلثي انتاج الولايات المتحدة ونفس النسبة تقريبا في دول صناعية أخرى . هذا بطبيعة الحال يختلف عما كان عليه الوضع في السابق ، وخاصة في بداية عهد الرأسمالية التجارية حيث سيطرت القوة العسكرية على عناصر ووسائل السلطة المختلفة .

خلاصة القول أن السلطة (القوة) تعتبر من المواضيع الملحة والهامة في وقتنا الحاضر ، لا لكونها تمارس بفعالية أكثر من الماضي بل لأن الناس أصبحوا أكثر وعيا وتفهما لطرق وأساليب ممارستها وحقيقة أمرها . وعليه فقد أصبحت الواقعية الحديثة (الواقع الاجتماعي الحاضر) عبارة عن مزج متجانس من التنظيمات الكبرى ذات القوة والنفوذ ، ومساهمة فعالة من الأفراد . □

من المكتبة العربية

الرجل المناسب

بقلم : فاروق خورشيد

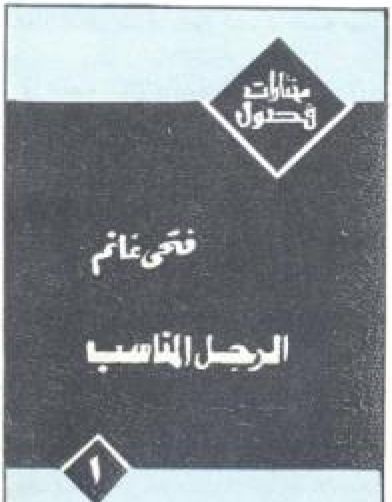

ثبتت سلسلة « مختارات فصول » القصصية أقدامها لأكثر من عام الآن،وقد جاءت هذه السلسلة أستجابة طبيعية لعاملين : الأول هو تطلع المجتمع الثقافي الى عودة النبض والحياة الى أقلام المبدعين على مختلف أجيالهم . . والثاني هو سد ثغرة واضحة في مجال نشر القصص والأعمال الروائية بحيث خلا الميدان الا من حكايات التلفزيون التي شغلت الناس وملأت الفراغ الذي ظهر باختفاء السلاسل الروائية والقصصية واحجام معظم دور النشر عن المغامرة باصدارها بشكل منتظم .

وقد كشفت الأعمال القصصية التي قدمت بهذه السلسلة حتى الآن عن استمرار المواهب القديمة في ابداعها بنفس التفوق القديم ، وعن ظهور أقلام حجبت في السبعينيات أو ابتعدت بنفسها عن مجالات النشر وبهذا أتاحت السلسلة فرصة جديدة لتعرف القارىء الجديد على الكُتاب القدماء وكذلك أتاحت الفرصة لأقلام شابة جديدة ، ولعلها أيضا تتيح الفرصة الى عودةالنبض الى حياتنا النقدية التى ستجد في المنشور من هذه السلسلة المنتظمة أكثر من مجال للرأى والمتابعة . والمدهش أن ما صدر من أعمال روائية يكشف النماذج المريضة في حقبة السبعينيات ، ومظهر الدهشة هنا أن السياج الذى أحاط بهذه الشخصيات طوال السبعينيات من الرقابة الصارمة وحجب تناولها سقط بسقوط الحقبة كلها .

من كتب السلسلة

(الرجل المناسب) . هو عنوان أول كتاب في هذه السلسلة للكاتب القصاص الذى أثرى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات بأعماله : الاستاذ فتحى غانم . الذى توارى انتاجه في السبعينيات ، ولم يعد أحد يعرفه الا من خلال ما قدمه له التليفزيون من اعداد لاعماله القديمة التى رصدت رؤى نقدية لمجتمعه وما يحدث فيه من تغييرات تحت ظل الثورة التى تجتاحه وتغير كيانه وتحدث فيه من السلبيات قدر ما تحدث فيه من الايجابيات . . وبنفس هذه العين الناقدة تقدم لنا هذه المجموعة رؤ يا نقدية عالية القيمة

من المكتبة العربية

من الناحية الفنية لمجتمع السبعينيات ونماذجه البشرية التى سادت وجه الحياة أو سودته . . والمجموعة تضم ست قصص ، وفى كل قصة نموذج رئيسى تدور حوله الأحداث ، وتتحرك حوله باقى الشخصيات . وتسير خمسة منها على نفس النمط الفنى فى السرد ، بينما تنفرد القصة السادسة بنمط فنى مغاير خاص بها . . فاذا نحن استثنينا قصة (الموت على طريقة فلفل) ستجد أن الشخصية المحورية فى كل قصة من القصص الباقية تعرض لنا من الداخل ، اما عن طريق حديث الشخصية مباشرة عن نفسها ، واما بمزج هذا الحديث بتدخل مباشر من الراوى الذى يحكى عن الشخصية محاولا أيضا أن يكون هذا الحديث من الداخل . .

ونحن فى أول قصص هذه المجموعة ، أمام شخصية أستاذ الفلسفة : الدكتور برهان جميل الذى صعد السلم من أوله ، فهو حفيد حلاق ، الا أنه وصل الى كل منابر النشر ، وفرض أسمه من حقبة الى حقبة ، فهو الآن قد جاوز الخمسين ، أى أنه استطاع أن يظل على السطح مع كل المتغيرات ، ليعد نفسه الآن لتولى منصب الوزارة . وهو أعزب لا يريد أن يتزوج حتى لا يعوق هذا طموحه . . وواضح أنه يعيش فى داخله ، وأنه كون قوقعة ضخمة كمن داخلها ، محيطا نفسه بكل الاسلحة التى توصله الى القمة،فهو يعطى للناس نظريات الحياة التى يرتاحون اليها ، ويكرر الحديث عن مكارم الأخلاق ونساء مدنية الغرب القائمة على الانحلال . وكل هذا يجدى،اذ تأتيه الوزارة (تجرجر أذيالها) . . وهو عنوان هذه القصة . . التى تكشف أعماق هذه الشخصية المتسلقة النفعية المنغلقة على ذاتها . . والتى تكذب على المجتمع بما يرضيه ليرفعها المجتمع الى القمة فيه . . والنموذج مع هذا مريض ، فان الطموح الزائد قد عرضه للنوبات القلبية المتتالية ، فهو يعيش على المقويات والأدوية ، ويخفى مرضه تحت شعار القوة والصلابة الكاذبة . .

ونحن فى القصة الثانية (الرجل المناسب) أمام . نموذج عرفناه فى السبعينيات كل المعرفه . . نموذج المدير الفهلوى الذى يجمع السلطة كلها فى يده ، ويدير أموره بالرشوة ويحقق للشركة أرباحاً وهمية ، بينما هو غارق فى صفقات مشبوهة ، وهو يغطى كل هذا بالملق للرئيس والوزير ، والملق لابناء الرئيس والوزير . هو معطر أنيق لبق ، وهذه أسلحة كافية ، وهو يعرف كيف يكون خدوما وموجودا فى كل وقت لاداء الخدمات الصغيرة ، أما مسألة القواعد والأسس فهى شىء مكروه لا معنى له عنده . . فيكفى أن الشركة تربح فى الظاهر وعلى الأوراق ، أما الدمار الذى يتم فى وجود الشركة نفسه فهذا لا يهم . .

فى القصة الثالثة (قضت المحكمة باحالة الأوراق الى المفتى) شخصية المستشار يوسف منصور الذى عاش حياة سوية كانسان وقاض يتحرج دائما من الحكم على متهم بالاعدام ، الى أن يتزوج فتاة تصغره ، فتغرقه فى نزواتها ، وتبرز له عجزه الذى يتجسد له فى أحلامه فى شخصية العجيزى التى تؤرقه ، وعند مرحلة ما يتم الشرخ فى الشخصية ، ويصدر حكمه الأول بالاعدام كتنفيس نفسى عن احساسه بالعجز ، وتصبح أحكامه دائما فى قضاياه هى احالة الأوراق الى المفتى ، وقد نزعت مأساته الشخصية من نفسه كل معنى العدل أو الرحمة . .

فى القصة الرابعة (بيروت يا عزيزتى . . هى بيروت) . . نحن أمام المستشار عبد الله الامير الذى بلغ الثالثة والستين من عمره ويعمل مستشارا فى

البلاد العربية حيث يكسب شهريا الاف الدنانير ، وهو ثرى وناجح ورب أسرة كبيرة ، ولكنه يعيش مراهقته الثانية بكل عنف ، فهو غارق فى ذاته وفى أحلامه الجنسية التى تدفعه الى الذهاب الى بيروت بحثا عن تحقيق حلمه الكبير . . والكاتب يشكك فى عراقة أصله اذ أن أباه تزوج عدة زيجات ، واحدة منهن كانت من خادمة ، ومن يدرى ربما كان هو ابن هذه الزوجة بالذات . . وحين يصل الى بيروت وهى تحت النيران يرفض أن يعترف بما تعانيه المدينة من عذاب ، وماله هو وكل هذا العبث ؟ هو ثرى على قمة الثراء ، وهو لا يرى في بيروت الا لياليها ومفاتنها ، أما الصراع حول الارض والوطن وخلافه ، فهذه مسائل لاعلاقة له بها . . هو يتجه من لحظة وصوله الى الفندق الى البار ليجمع حوله كل الفتيات البائسات المذعورات فى ليلة من ليالى هارون الرشيد ، وفى الصباح يرحل عن بيروت وهو لم ير منها الا الفتيات والبار ، ويصحب معه واحدة تريد أن تعود بأى ثمن الى بلدها ، وهى لا شك كانت خادمة فى أحد بيوت القاهرة قبل أن ترحل الى بيروت بحثا عن المال . . الشخصية هنا أيضا لا ترى الا ذاتها ولا تحس بقضية عامة ، ولا بمشكلة ما . . المهم هو أن تكون (بيروت يا عزيزتى هى بيروت) . .

فى قصة (تأملات كاتب مشهور فى آخر أيامه) يعرض لنا نموذج الصحفى المتسلق الى القمة فى السبعينيات ، وقد بلغ آخر مراحل العمر ، ومع هذا فهو يركع يقبل قدمى صحفية صغيرة يدفع لها ثمن جسدها « ريبورتاجات » صحفية يكتبها لها وتنشرها باسمها . وقد وصل هو الى مكان الصدارة لانه يأخذ موقفا ثابتا ضد الادباء وأصحاب الرأى ويهمس بسمومه الى الوزراء والمسئولين ليطهروا الحياة الثقافية منهم ، ويزرع فى القراء التفائل الكاذب ، والتخدير المستمر بالاحلام الوردية وهو يقول : « إننا فى حاجة الى تطهير جونا الثقافى من هذه الأوبئة الأدبية والصحفية ، تتخلص من كل تلك الاتجاهات اليسارية التى تخفى وراءها عمالة سافرة أو مقنعة للشيوعية والأممية الدولية ، تتخلص من كل الكُتاب الانتهازيين والمنافقين الذين يبيعون أقلامهم لدولارات البترول وغير البترول،تتخلص من الكتاب الذين عاشوا على الحقد والارهاب خلال السنوات التى مضت وعانى فيها الشعب من افظع الوان البطش والطغيان . تتخلص من الكتاب المرضى الذين سقطوا فى براثن المرض وعجزوا عن التصدى له ، فانعكس اليأس فى كتاباتهم وتسربت المرارة الى أقلامهم » . . النموذج هنا صورة ممن تحدثنا عنهم من أصحاب النفوذ فى مجالات النشر والمهيمنين على مجال الاعلام فى هذه الحقبة ، نموذج منغلق أيضا على ذاته ، ولا يرى الا هذه الذات المتضخمة فيقول:« لا شك أنه من سوء حظ هذه الأمة أن تكون عقيمة من الكتاب الكبار والمفكرين الاحرار ، قليلون جدا ، بل هم أندر من النادر ، بل لعله لا يوجد كاتب واحد مشهور له قيمته وتأثيره غيرى أنا » . .

الكاتب يحاول فى كل هذه النماذج أن يعرض منطقها هى في تسلقها الى القمة ، وفى الحرص على هذه القمة ، فى احساسها بالأنا ، وبحقق هذه الأنا وحدها فى الحياة والوجود ، وفى نسيانها للقضايا العامة ، أو تغيير المنظور الى هذه القضايا لتناسب موقفها هى . . وهذه النماذج التى ملأت وجه الحياة فى القاهرة ، هي نماذج حقبة الصمت والظلام . .

بقيت القصة السادسة التى تركتها حتى الآن وهى بعنوان (الموت على طريقة فلفل) وهى أحسن أعمال المجموعة من الناحية الفنية ، وهى صوت متميز يجمع

من المكتبة العربية

بين النموذج التشيكوفي في (فلفل) والنموذج المتسلق في (صحاب البويك) .. وفلفل سايس في جراج عمارة في الاسكندرية ، عجوز تأكله الامراض ، ويعيش في جو مخدر وكحول ، وملء بأحلام اليقظة ، ولكنه عالمه هو الذي ينسجه من وهمه وخدره على السواء ، فهو صديق المغنيين الكبار والفنانين العظام ، وهو يقود السيارات النادرة الفارهة بأقصى سرعة ، لا يفوقه أحد في قيادته ومهارته .. ولكنه لا يخشى الا البيك صاحب البويك الذى يسكن في العمارة ، والذي يرفض أن تقف أى سيارة في المكان المخصص لسيارته هو ، وهو يتجنب غضبة صاحب البويك بأن يحكى له عن أمجاده في القيادة ، وذات يوم يجيء له من يعرض عليه قيادة سيارة كبيرة بسرعة مخيفة ليخرج بها من الجمرك بمهارته التى حكى عنها ،

ويقبل فلفل ليحقق في الواقع مارسمه في الخيال ، ويقود السيارة المشبوهة التي يحس أن صاحبها المهرب هو نفسه صاحب البويك ، ولا يبالى فلفل بأعتراض رجال الشرطة لطريقه فيندفع بالسيارة عابرا حواجزهم التى أقاموها عند البوابات ، ثم تنقلب به السيارة ليموت ..

الكادح هنا حالم يعيش وهمه وخدره ، وقصصا ينشئها في أحلام يقظته ، والبيك الكبير هنا مهرب عريق لا يهمه قانون ولا قاعدة .. وقد نجح فتحى غانم في هذه القصة في أن يدخل (فلفل) السايس الى دنيا النماذج القصصية والروائية العالمية ، فقد رسمت الشخصية بمهارة وعناية ، وجاءت فاجعة ختامه نتيجة لفاجعة ضياعه في حياته نفسها ..

أما البيك فهو نفس النموذج المنغلق على ذاته ، والمسيطر على ارادة الحياة والموت ، الذى تكرر في قصص المجموعة كلها ..

والكتاب كله صورة تعكس أدب فتحى غانم الذى يتميز بالتمكن من الحرفية القصصية والقدرة على اتقان الحبكة في نفس الوقت الذى يغوص فيها قلم الكاتب الى أعماق النموذج القصصى الذى يقدمه ليكشف عن مواطن الضعف الذى هو مرض يتأصل داخل هذه الشخصية فتقتنع بذاتها وسلوكياتها ولا ترى العالم الا من خلال هذا التركيب المرضى . فتنعزل عن هموم الآخرين بل تكون هى مسببا لهذه الهموم وجزءاً فعالا من عوامل الهدم في كيان المجتمع كله ..

وفتحى غانم كاتب متمكن من لغته وحواره فيضيف بهذه القدرة اللغوية عنصرا ثالثا يدفع به وبقصصه الى الصفوف الأولى في انتاجنا القصصى العربى المعاصر . □

فلسفة الحياة !

يقول جون ارسكين في كتابه (الحياة الكاملة) : (لقد اكتشف الانسان أن العناية بالحدائق هي من عمل الفلاسفة .. فإصلاح الأرض ونثر البذور وتسوية التربة تجعل من الرجل فيلسوفا ، فهي وقفة تأمل يرقب من خلالها مولد الحياة ونموها ...

مكتبة العربي

مختارات

مجلس التعاون لدول الخليج العربية

رؤية مستقبلية

الكاتب : د . يحيى حلمي رجب .
الناشر : مكتبة دار العروبة ـ الكويت .
سنة النشر : ١٩٨٣م
عدد الصفحات : ٥٢٩ صفحة من القطع المتوسط .

المعروف أن مجلس التعاون لدول الخليج العربي قد تم انشاؤه سنة ١٩٨١ وعقدت قمته الخامسة في نهاية شهر نوفمبر ـ تشرين الثاني من العام الماضي في دولة الكويت .

وقد تطرق المؤلف الى دراسة الوضع القانوني والسياسي والاقتصادي لهذا المجلس ، وبين الروابط التاريخية التي تجمع بين أقطاره ، والاعتبارات الجغرافية التي تساعد على توفير عوامل التعاون والوحدة ، وتابع المراحل والتطورات التاريخية التي تعاقبت على المنطقة ، وبيّن مراحل انشاء المجلس ونظامه القانوني ، ثم تطرق الى الأخطار المحدقة بأمن الخليج ووضعه ، ضمن الاستراتيجيات الدولية ، وربط هذا الأمن بالأمن العربي القومي الأشمل ، ثم تطرق الى أهمية التعاون الاقتصادي والمشروعات الاقتصادية ، التي تمت اقامتها بين اقطار المجلس ، وآفاق هذا التعاون ، ثم ضمن الكتاب الوثائق الخاصة بالمجلس ، والتي تتناول نظامه الداخلي والاتفاقية الاقتصادية ، واتفاقية مؤسسة الخليج للاستثمار وغيرها من وثائق .

الانسان الآلي
ـ الحاسب الآلي
ـكوكب الارض

ترجمة رؤوف وصفي ـ مراجعة : د . عبدالله عمر الفرا .
الناشر : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ الكويت .
سنة النشر ١٩٨٤م

ضمن سلسلة المكتبة العلمية أصدرت المؤسسة ثلاثة كتب هي :
الأول : يتناول معلومات تتعلق بالانسان الآلي ، وتتضمن نظرة عامة الى (الروبوت) وتطوره ، وما نسجه خيال الأدباء حوله ، وتفصيل عمله ، وما يمكن أن يقدمه من مساعدة في الصناعة والفضاء ومجالات أخرى .
الثاني : يتعلق بالحاسب الآلي وتاريخ استعمالاته وتطوره ، وما يمكن أن يقدمه من مساعدات في مجالات الحياة المختلفة .
الثالث : يتعلق بكوكب الأرض ووضعه في الفضاء ،

مكتبة العربي

مختارات

وتكوينه الصخري ، والهواء المحيط به ، وما يحتويه من محيطات وبحار وأنهار ، وكذلك ما اعترى هذا الكوكب من تغيرات خلال ملايين السنين .

وقد أرفق كل كتاب بالصور الملونة الخاصة به ، وكانت الصورة هنا مادة ايضاحية مهمة ، لها اهميتها مثلما كان للكلام أهميته .

هذا وقد خلت السلسلة من أسماء المصادر التي استندت اليها الترجمة ، وخلت أيضا من أسماء المؤلفين الأصليين .

العنصرية الصهيونية في التوراة

الكاتب : أحمد السقاف .

الناشر : شركة الربيعان للنشر ـ الكويت .

سنة النشر : ١٩٨٤م .

عدد الصفحات : ١٢٨ صفحة من القطع الصغير .

هناك اعتقاد راسخ عند الكثيرين بأن التوراة المتداولة هي توراة ادخل عليها أحبار اليهود الكثير من أفكارهم ، ووجهوها الوجهة التي يريدون خاصة بعد الأسر البابلي .

والكتاب الذي بين أيدينا يناقش ويفند الكثير من المزاعم التي جاءت في التوراة .

يقول الكاتب : (وليس من الصعب أن يجد المتتبع لتاريخ اليهود أنهم حاولوا أن يستفيدوا شيئا من حضارة الأقوام الذين احتكوا بها في مصر وفلسطين والعراق ، بعد أن عاشوا بدوا بكل ما تحمل لفظة البداوة من تخلف . ولقد شعروا بهذا النقص فلجأوا الى الخيال المريض ، وثرثروا بما لا يصدقه العقل ، ويظهر من التأمل في حياة هؤلاء القوم أن احتقار الشعوب لهم قد أزال من قلوبهم الرحمة ، فهم في حروبهم ينطلقون كالذئاب المريضة يفتكون بالرجال والنساء والأطفال والعجزة باسم الهُهم (يهوه) هذا الاله الذي اختاروه إلها خاصا بهم ، واختارهم كما يقولون شعبا مقدسا بين جميع الشعوب) .

النصب والذئاب

قصتان طويلتان

الكاتب : فاسيل بيكوف ـ ترجمة : خيري الضامن .

الناشر : دار رادوغا ـ موسكو .

سنة النشر : ١٩٨٤ .

عدد الصفحات : ٢٤٧ من الحجم الصغير .

يقول الكاتب فاسيل بيكوف في احدى المقابلات التي اجريت معه مؤخرا : (لن تسلم من الشر اذا غضضت نظرك عنه فقط) .

وفي معرض اجابته عن استمراره في الكتابة عن أجواء الحرب وأهوالها حتى الآن أجاب :

(انا أتحدث عن الحرب لانني أكرهها وأكره كل ما له علاقة بها . وليس لي الحق في أن الزم الصمت عما عاينته ورأيته ، ما دام السلاح لم ينقرض من على وجه الارض ،وما دام الراغبون في استخدامه موجودين) .

اذن وبالرغم من مضي عشرات السنين على آخر حرب عالمية ، فان بيكوف مازال يكتب عن ويلاتها ، والنصب والذئاب ، القصتان اللتان يحتويهما الكتاب تنقلان أجواء الحرب ، وتغوصان في نفسيات المحاربين ، وتسجلان لبطولات دحر الفاشية والنازية .

يقول ناشر الكتاب عن مؤلفات بيكوف :

(مؤلفاته تستهدف الحاضر والمستقبل ، فتذكرنا عبر كل صورة وجملة بما ينبغي أن يكون عليه الانسان ، وبالقيم والسجايا التي يتحلى بها ، وبحقه في السعادة ، وتذكرنا بالمبادىء الاخلاقية التي يجب أن يتمسك بها في كل الملابسات والظروف) .

مهرجان دمشق
للفنون المسرحية

بقلم : وليد أبو بكر

تعتبر العودة الى مهرجان دمشق للفنون المسرحية في حد ذاتها حدثا ايجابيا ، لأن هذا المهرجان استطاع (خلال دوراته الثماني السابقة التي كانت الأخيرة منها عام ١٩٧٩) أن يساهم في تنشيط الحركة المسرحية العربية الى حد كبير .

مهرجان دمشق التاسع للفنون المسرحية أراد أن يعيد الى الحركة المسرحية نشاطها ، رغم بعض المعوقات التي أثرت على دوره ، والتي يقف على رأسها غياب عدد من المسرحيين العرب ، والفِرَق المسرحية العربية ، ومع ذلك ، كان عدد العروض المسرحية أكثر من أية دورة سابقة ، اذ قدم خلال المهرجان أكثر من عشرين عرضا ، قدمت تسع دول عربية منها أحد عشر عرضا ، وتكفلت المسارح السورية بالعروض الباقية .

ورغم كثافة هذه العروض ، سمح تنظيمها بنشاط كامل للمشاركين في المهرجان يتجه في ثلاثة ممرات : حضور العروض مساء ، ومناقشتها في صباح اليوم التالي ، والمشاركة في ندوة المهرجان الرئيسية حول وسائل الاتصال الحديثة وعلاقتها بالمسرح في الثلاثة أيام الأخيرة من أيام المهرجان .

وبالطبع كانت العروض هي المادة الرئيسية في المهرجان ، وقد شاركت في تقديم هذه العروض كل من : دولة الامارات العربية المتحدة ،دولة قطر ،

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، فلسطين ، لبنان ، سوريا ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، وكانت مشاركة كل من تونس والمغرب بعرضين .

المهرجان التاسع ، من خلال عروضه ، أكد بعض الاتجاهات المسرحية المعروفة في الساحة العربية ، فوقف عندها في بعض الحالات وتجاوزها في حالات أخرى ، ثم أبرز بعض الظواهر المسرحية الجديدة التي قد تجد لها صدى في دوراته القادمة،لعل أهمها يتمثل في نجاح عروض من دول عربية ، لم يسبق لمسرحها أن وصل مستوى متقدما ، ثم تطور علاقة المسرح العربي بالتراث ، اضافة الى الاتجاه الجديد نحو مسرحة الرواية العربية ، والاستفادة من التقنيات المسرحية الحديثة في اثراء العرض المسرحي ، خاصة حين يكون هذا العرض اعادة تقديم لأعمال مسرحية شهيرة ، سبق لها أن قدمت من وجهات نظر اخراجية متعددة .

الخليج مسرحيا

شاركت دولتان خليجيتان في عروض المهرجان هما : دولتا قطر والامارات العربية المتحدة . هذه المرة لم تكن المشاركة شكلية بهدف الحضور ، بل كانت مشاركة فعالة ، تذكر بمشاركة دولة الكويت في الدورات السابقة ، من خلال العروض التي أخرجها الفنان المسرحي الراحل صقر الرشود .

وقد كان عرض دولة قطر (باليل باليل) احدى العلامات المضيئة في المهرجان ، بكل ماتميز به من خصوصيات ، تتعلق أولا بأنه نص جديد ـ كتبه وأخرجه عبد الرحمن المناعي ـ وأنه يحمل شخصية البيئة الخليجية التي يصورها ، وأنه يقدم طرحا موضوعيا لواقع هذه البيئة ، ويشير الى وجهة نظر واعية لتجاوز هذا الواقع ، كما يتعامل مع النص بأسلوب اخراجي بسيط ، يناسب بساطة بيئته ، وينطلق منها ليقدم مشاهد اخراجية ذكية

العرض القطري يتحدث عن البطالة المقنعة من خلال حكاية ترتبط بالبحر ، وتشير الى التحول الذي حدث في المجتمع ، وهو يدخل مرحلة انتاج جديدة لاترتبط بالبحر : صاحب السفن المتحكم بالعاملين معه ، يقرر وقف رحلات سفنه ، ويدفع نصف أجر العاملين الذين صار المقهى منفاهم الأخير ، وصار الفراغ يخلق فيهم ردود فعل تتفاوت بين درجات الخضوع والتمرد ، وهم جميعا يدركون أهمية العمل في خلق السعادة ، ويغبطون (السقاء) وابنته (فرحة) على عملهما لكن صاحب العمل يسرق البنت ويزعم أنها ليست من صلب السقاء ، ويجد من المنتفعين من يشهد بذلك ثم يجد من يثور ، ومن يحرق السفن ، ايذانا بالبحث عن ولادة حياة جديدة ، وسبل عمل جديدة أيضا .

هذا العرض ، الذي أثار الدهشة ، كان بحاجة الى بعض اللمسات في بناء الشخصيات ، حتى يصبح أقرب الى التكامل : لقد قدم شخصية صاحب السفن بشكل بنائي جيد ، وكذلك شخصية المجنون الذي يرمز الى ضمير القرية ، وشخصية الفهام الذي وظفت مواويله في تأكيد مضامين العرض . لكن شخصية الرجل الذي يواجه صاحب السفن دون خوف لم تكن واضحة ، فالمسرحية لم توضح اسباب قوته لامن خلال قناعة القرية بأنه صاحب كرامات لايمس ـ كما يحدث في بعض الأوساط الشعبية ـ ولا من خلال الاشارة الى استقلال مادي ، يجعله غير خاضع لصاحب السفن . ولذلك بقيت هذه الشخصية اصلاحية في ملامحها ، ينقصها الكثير من الوضوح . كما أن شخصية السقاء لم تستغل جيدا بعد أن سرقت منه ابنته وتوقف عن العمل ، وكان بالامكان أن يتحول « العطش » الذي خلفه وراءه الى مقاومة سلبية للتسلط ، تساهم في خلق جو يمهد للتغيير .

ورغم هذه الملاحظات ، كان العرض جيدا ، ويشير الى تقدم ملحوظ في الوعي المسرحي في دولة قطر ، خاصة وأن الاخراج قدم مشاهد مبتكرة وموظفة توظيفا جيدا في خدمة الفكرة ، ومنها ذلك المشهد المعبر الذي وضع فيه المخرج قاضي المحكمة بين قدمي صاحب السفن ليشير مقدما الى نتائج الحكم .

أما عرض الامارات (حكاية صديقنا بانشيتو ، والرجل الذي صار كلبا) فرغم أنه مترجم عن البرازيلي أوزفالدو دراكون ، الا أن اختياره كان مناسبا لأنه يتحدث عن الاستغلال ، ففي الحكاية

ـ د . جواد الاسدي .

ـ نائلة الاطرش .

ـ الطيب الصدّيقي .

الأولى يقبل المحتاج أن يخدع نفسه ليساهم في ترويج بضاعة للأثرياء ـ هي لحم الجرذان ـ تتسبب في انتشار مرض الطاعون في افريقيا ، ويحمله أصحاب التجارة مسؤولية ماحدث ويحمل نفسه أيضا . بينما تُلجيء الحاجة الانسان في الحكاية الثانية الى قبول وظيفة « كلب الحراسة » لدى أصحاب مصنع ، فيتحول بالتدريج الى سلوك الكلب ، ويفقد انسانيته .

هذا العرض قدمه المخرج عبد الاله عبد القادر بجدية ، واحساس كبير بما يقوله . وقد اعتمد في عرضه على قدرات الممثلين ، حينما استغنى عن الديكور الى حد كبير ، واستخدم قطع الاكسسوار القليلة استخداما جيدا في رسم المشاهد المسرحية ، كما استخدم الاضاءة بنجاح في الانتقال من مشهد سريع الى مشهد . وقد أكد هذا العرض جدية المسرح في دولة الامارات العربية المتحدة ، وجدية الجهود العربية التي تساهم في بنائه منذ سنوات .

وبهذين العرضين ، كان الحضور المسرحي الخليجي في المهرجان حضورا واضحا في هذا الجزء من وطننا العربي الكبير .

القديم الجديد

العرضان الخليجيان مجرد نموذجين يشيران الى اتجاه العروض المسرحية التي تشارك في مهرجان دمشق عادة ، وتشيران أيضا الى الأهمية التي يحس بها المسرحيون تجاه هذا المهرجان ، والتي من أجل تحقيقها يتبارون في بذل أقصى جهود يملكونها حتى يقدموا عروضا تناسب هذه الأهمية .

هذا الاتجاه كان واضحا في كثير من العروض المشاركة ، وان غاب عن عروض قليلة ، ارتضاء مبدأ المشاركة وحسب . ولعل أبرز مظاهر هذا الاتجاه تبدو من خلال العروض الجديدة لنصوص قديمة . فقد شهد المهرجان عددا من هذه العروض ، كان من بينها : الزير سالم (الفريد فرج ـ نائلة الاطرش) مغامرة رأس المملوك جابر تأليف (سعد الله ونوس ـ اخراج د . جواد الاسدي) ، ثورة الزنج تأليف (معين بسيسو ـ اخراج د . جواد الاسدي) المهرج تأليف(محمد الماغوط اخراج سهيل شلهوب). جحا باع حماره (تأليف نبيل بدران اخراج مصطفى كاتب) اسمع ياعبد السميع (تأليف عبد الكريم برشيد ، اخراج عبد الغني بن طارة) . وبالرغم من أن بعض هذه العروض لم تضف كثيرا الى نصوصها ، أو الى ماقدمه مخرجوها في عروض سابقة ، الا أن بعضها الآخر تميز تميزا كبيرا ، بحيث استطاع أن ينقل الاحساس الى المشاهد بأنه يشاهد عملا جديدا لم يسبق له أن رآه .

وهذا التميز كان واضحا في عرضي د . جواد الاسدي ، وهما العرضان اللذان استخدم فيهما هذا المخرج المبدع أجساد ممثليه استخداما تاما وصل من خلاله الى اقصى ما يملكونه من طاقات أدائية ، حتى أن طلبة المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق تفوقوا في أدائهم على الممثلين المحترفين وهم يشاركون في عرض (مغامرة رأس المملوك جابر) . واضافة الى

ذلك ، فقد كان المخرج مدركا لأهمية ربط التراث الذي يقدمه (في العرضين) بالعصر ، ولأهمية مشاركة الصالة في العرض ، وقد نجح في هاتين المهمتين تماما ، وقدم عرضين جميلين شكلا ، ناضجين مضمونا ، يحملان بصماته الواضحة كمخرج متمكن ، يطوع النص لأسلوبه ، فيبدو عرضا جديدا .

وهذا الاتجاه في سيادة المخرج للعمل واضح في عدد من العروض التي شهدها المهرجان ، خاصة في عروض المخرجين المعروفين مثل الطيب الصديقي المغربي ، وروجيه عساف اللبناني . كما أبرز المهرجان قدرات اخراجية جديدة تشارك فيه لأول مرة ، كان على رأسها التونسيان : المنجي بن ابراهيم وعبدالغني بن طارة ، والثاني منهما كان اخراجه لمسرحية (اسمع ياعبد السميع) بليغا جدا ، ومدهشا . فالمسرحية التي يمثلها رجل وامرأة في حوار بينهما أو في مونولوج طويل في بعض المشاهد ، هذه المسرحية - الذهنية النص - استطاعت بالاخراج أن تتحول الى عرض جمالي متماسك ، يشد الجمهور كل الوقت ، لأن الأدوات المسرحية فيها استطاعت أن تملأ فراغ المسرح وكادت أن تتحول الى شخوص من خلال توظيفها في العرض ، كما أن المخرج استطاع أن يملأ فضاء المسرح كله لاخشبته وحسب - من خلال احساس كلي بالمشهد . وهذا النجاح في الاخراج خدم النص الذهني ، الذي يقدم مشاهد درامية جيدة في بعض أجزائه ، ويتحول الى تلاعب لفظي باللغة في بعضها الآخر ، لكنه خلال العرض بدا متماسكا ، لان الاخراج استطاع أن يعوض كل نقص فيه ، فأثبت - مرة أخرى - من خلال التحكم في أداء الممثلين وتوظيف قطع الديكور ، والحيل المسرحية ، أن المخرج الجيد يستطيع أن يوقع العرض المسرحي باسمه وبابداعه ، وحتى حين يحاول المخرج أن يقدم عملا جماعيا ، فان لمساته لاتستطيع أن تغيب ، فالعمل الجماعي الذي قدمته فرقة مسرح الحكواتي اللبنانية بعنوان (أيام الخيام) كان واضحا أنه بحث مسرحي في الواقع ، شارك أفراد الفرقة كلهم في الوصول الى صيغته النهائية كنص وكعرض ، ولكن هذه الصيغة مرت - دون شك - بين يدي مخرج العرض روجيه عساف لتصبح قادرة على الوصول الى الناس ببساطة متناهية ، وليصبح الناس جزءا من هذا العرض ، لا على مستوى التفاعل وحسب ، وانما على مستوى المشاركة أيضا ، مما يؤكد نجاح العرض ، رغم صعوبته الأصلية كمسرح تسجيلي بالدرجة الاولى يروي حقائق عن الجنوب اللبناني ، ويدعو الناس لفهمها والمشاركة في خلق حقائق جديدة .

وفرقة الحكواتي تقدم نموذجا من نماذج التعامل من التراث . لقد اختارت الشكل لتضع في اطاره مادة معاصرة ، بينما اختارت بعض العروض الاخرى مادة تراثية ، ووضعتها في شكل مسرحي أقرب الى المعاصرة ، كما استطاعت عروض أخرى أن تضع المادة التراثية في شكل مسرحي تراثي ، وأن تقدمه الى الناس بفهم معاصر للتراث فبدت في العرض - وكأنها تحكي لهم عما يعيشونه وبذلك حققت قمة النجاح في العرض المسرحي .

عن الامتاع والمؤانسة

وهذا هو بالضبط ماحققه الطيب الصديقي في عرضه الامتاع والمؤانسة مؤلفا وممثلا ومخرجا ، ليكون هذا المسرح المغربي الكبير نموذجا صحيحا لرجل المسرح أو للمسرح الشامل .

الطيب الصديقي أخذ كتاب (الامتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي وأخذ مصير أبي حيان ، كمرتكزين أساسيين لاعادة قراءة التراث الفكري العربي بوعي ، من خلال قارىء معاصر هضم هذا التراث ، وفهم الفكر المعاصر أيضا ، وهو في عرضه المتكامل نصا ، وأداء واخراجا ، ومضامين يحاول أن يعيد لرموز التراث العربي - في الفكر - رد اعتبارهم الذي فقدوه عندما اتهموا بالزندقة ، وطال رقابهم سيف الجلاد . انه من خلال النظر في فكر التوحيدي ، وابن المقفع ، واخوان الصفا ، وغيرهم ، يرد الاعتبار كاملا لحرية الفكر ، ويدين اضطهاد المفكرين الأحرار ، ويعتبره سببا اساسيا في (سقوط الحضارة) وهو لايفعل ذلك بالحوار وحده ، ولكن بأدائه الذي يملأ أذن المشاهد وعينه وعقله ، وبأسلوبه الاخراجي الذي يملأ وقت العرض ،

ومساحته ، وجمالية تشكيلية وصوتية وفكرية ايضا ، خاصة وأنه يملك القدرة على « المفاجأة الاخراجية الجديدة » في كل مشهد ، ويبتكر حيلا اخراجية تؤكد طاقته الابداعية ، لافي التجميل وحسب ، وانما في تطويع التشكيل للتعبير عن المضمون ، كاضافة لما يقوله الحوار ، حتى يبدو المسرح عنده عرضا شاملا ، بكل تفاصيله ، التي تبدو مهمة لديه كأجزاء ، ومهمة أيضا وهي تندرج في الكل ، حتى يصبح مسرحه قادرا على مخاطبة كل المستويات التي تشاهده بما فيها الاجنبي الذي استجاب لهذا العرض في باريس .

ان اهمية الصديقي ، كرجل مسرح أنه يخلق التوازن كاملا بين كل مقومات العرض ، وهذا أمر يغيب عن بعض المسرحيين ، حين يهتمون بالنص على حساب الاخراج ، أوحين يقدمون اخراجا يفوق طاقة النص . في الاتجاه الاول كان عرض (المهرج) الذي بدا مخرجه وكأنه خائف من النص . وفي الاتجاه الثاني كان عرض (أنا الحادثة) الذي بذل فيه مخرجه جهدا أكبر مما يحتمله النص .

الرواية .. مسرحية

عرض (أنا الحادثة) يفتح الباب أمام ظاهرة مسرحية جديدة ، شهدتها الدورة التاسعة لمهرجان دمشق للفنون ، وهي ظاهرة تحويل الرواية العربية الى عمل مسرحي . وقد شهد المهرجان عرضين في هذا المجال ، العرض الاول عرض اليمن الديمقراطية ، وقد حمل اسم (نجران تحت الصفر) وهو اسم رواية الأديب الفلسطيني المعروف يحيى يخلف الذي أعد النص المسرحي عنها . أما العرض الثاني فكان عن رواية (ملف الحادثة ٦٧) للأديب الكويتي المعروف اسماعيل فهد اسماعيل .

(نجران تحت الصفر) احتاجت الى اعداد كامل قام به محمد الشاعر فاختار عددا من الشخصيات الرئيسية في الرواية ، وأعاد بناء أحداثها في نص مسرحي ، وقد حمل الاعداد الكثير من احداث الرواية ومضامينها ، وان كان سريعا في عرض التحول الذي أصاب بعض الشخصيات ، سلبا وايجابا ، خاصة شخصية (أبو شنان) التي تقاوم ، ثم يغريها التعاون مع العدو ، ثم تصحو فجأة لتعود الى المقاومة . أما على مستوى العرض ، فقد كان أضعف من النص بمراحل ، فتحول الى مايشبه عرض الهواة ، تمثيلا واخراجا . وبسبب تفاوت الأداء بين الممثلين ، اختلطت بعض الشخصيات ، واتضح بعضها على حساب الآخر ، وكان ذلك كله في غير صالح (الأم سمية) التي تعتبر الشخصية المركزية في الرواية وفي النص المسرحي ، ولكن أهميتها انحسرت في العرض بسبب ضعف الأداء ـ الحركي واللغوي ـ لصالح (ابو شنان) . لقد قدم المخرج جميل محفوظ عرضا متواضعا جدا بالنسبة لأهمية الرواية ، وهو الأمر الذي حدث نقيضه تماما في العرض المسرحي ـ الروائي الثاني ـ فرواية اسماعيل فهد اسماعيل رواية شخصية واحدة ، هي شخصية المتهم ظلما الذي يتعرض لكل وسائل التعذيب الجسدية والنفسية الحديثة حتى يعترف بجريمة لم يرتكبها ، وهي رواية حوارية في معظمها ، تتابع الأحداث النفسية للمتهم البريء متابعة دقيقة وعميقة ، حتى ترصد التحولات التي تقوده الى الاعتراف ، لتوحي بأن النظم التي تضطهد لاتستطيع أن تحقق نصرا ، ولتشير الى ان هذه النظم تبحث عن ضحية بريئة تحملها مسؤولية الهزيمة التي كانت وراءها .

المنجي بن ابراهيم لم يتصرف كثيرا بالرواية وهو يعدها للمسرح الوطني التونسي ، لقد الغى التاريخ الذي يربطها بهزيمة ١٩٦٧ ، واكد على شخصية بطلها المتهم البريء كفلسطيني يطارده الاضطهاد في منفاه . وحين قدم العرض ـ كمخرج ـ اختار ادوات مسرحية كثيرة وتقنيات عالية ، جعلت النص يصبح بسيطا أمامها ، فخلقت نوعا من الانفصال بين النص والعرض . واذا كان الاخراج المسرحي الحديث ، وبعض التشكيلات الرائعة ، قد حظيا بالاعجاب ، خاصة تلك التشكيلات التي استخدمت فيها الحبال ، والأكياس في وظائف متعددة ، فان هذا العرض للقوة الاخراجية كان على حساب النص ، كما كان سببا في تكرار المشاهد ، خاصة التعذيب .

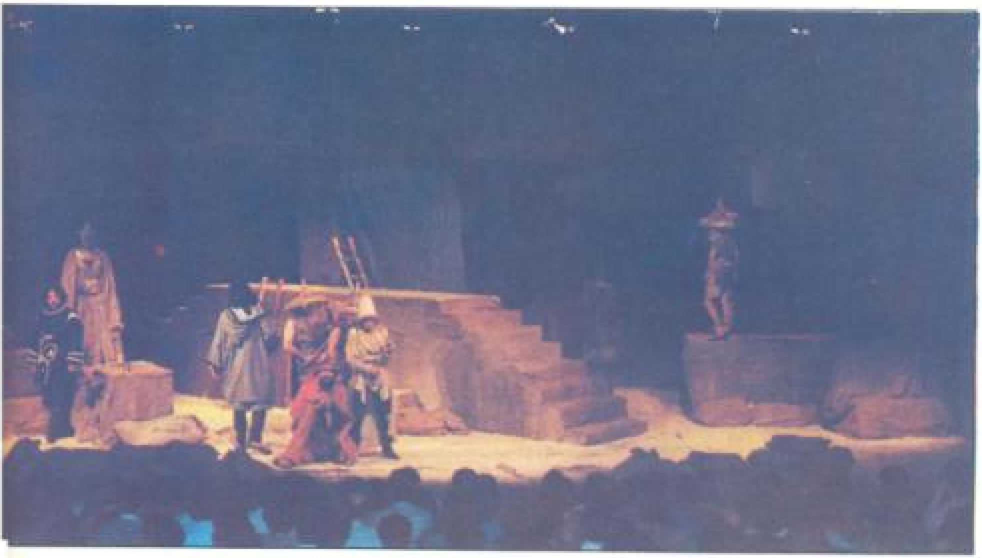

- من مسرحية الامتاع والمؤانسة - المغرب .

- من مسرحية الرجل الذي صار كلبا - الامارات العربية المتحدة

ـ من مسرحية نجران تحت الصفر ـ اليمن الديمقراطية .

ـ من مسرحية رحلة العطش ـ المغرب .

وقد استخدم المخرج أدواته اكثر من استخدامه لنصه ، وحين خرج النص من الادوات ـ صوت الاذاعة مثلا ـ تحول العرض الى الاشراق ، بينما لم يستطع أداء الممثل أن يصل الى الجمهور في زحمة ماحوله مما يخطف الانتباه في الوقت الذي وصل فيه أداء الممثلة ـ الزوجة ، الأم ـ بوضوح أكثر لأنها تجيء وقت هدوء الحركات الاخراجية .

ومع ذلك استطاع المتابع أن يلاحظ مدرسة الاداء الهادئة التي يتمتع بها الممثل التونسي عموما ، وهي مدرسة بعيدة عن التشنج أو تمثيل التمثيل ، وقد اتضح ذلك في العرضين التونسيين ، كما اتضح ايضا في عرض المغرب (مسرح الناس ـ الطيب الصديقي) وفي العرض الفردي الذي قدمه المغربي عبد الحق الزروالي في (رحلة العطش) كتابة وتمثيلا واخراجا ، ليبرز ظاهرة أخرى في اطار المهرجان ، هي ظاهرة المسرح الفردي وليحاول أن يؤكدها كظاهرة دائمة في المسرح العربي لاكظاهرة تجريبية .

واذا كان المسرح العربي قد شهد عدة محاولات في المسرح الفردي (المونودراما) ، فان تجربة الزروالي ، التي يصر عليها لاتوحي بأنه يتقدم ، فقد كان عرضه السابق (جنائزية الأعراس) أفضل من عرضه الأخير الذي يقدم من خلاله استطلاعا مسرحيا لواقع المجتمع العربي في بلدان عديدة من الوطن ، لكن « زياراته » لهذا المجتمع تبقى خارجية غير قادرة على الغوص في العمق ، حتى وان استطاع نصه أن يقدم بعض المفارقات الناجحة واللمحات الشاعرية .

الظواهر الاربع

ان الظواهر الأساسية التي نجح المهرجان في تأكيدها أربع ظواهر : قدرته على غرس الحماس في مسارح جديدة لتقدم عروضا مضيئة ، وقدرة بعض التجارب المسرحية على الاستفادة من التراث العربي شكلا ومضمونا ، وابرازه للطاقات الابداعية لعدد من المخرجين ، واخيرا فتحه لباب جديد يساهم في حل أزمة النص المسرحي العربي من خلال تحويل الروايات الناجحة الى نصوص مسرحية .

وفي كل هذا مايكفل لمهرجان دمشق للفنون المسرحية نجاحا يضاف الى المسرح . □

قصة قصيرة

المحطة التالية للصبر!

بقلم : محمد الشاذلي

الكلام معناه الموت ، واخراج حرف واحد من فمه كفيل باخراجه من الدنيا . غير مسموح له بأكثر من الصراخ والتأوهات ، حتى تضليل المحققين ليس له أن يمارسه . فمجرد المحاولة قد توقعه في المحظور . وحتى لا يتهم بادعاء البكم فله أن يجيب بـ « لا أعرف » وهو حر تماما في استخدامها ونطقها بأي طريقة يراها مناسبة ، ولمزيد من الحرية المسموح بها له أن يتبع « لا أعرف » هذه أو يسبقها بأي عدد من الأيمان الغليظة .

صوت وقع أقدام تأتي من بعيد فينتبه . أصبح منذ أن استقر في هذه الغرفة المظلمة يعتمد على أذنيه . اقترب الصوت مشيعا احساسا بالرهبة . وبخبرة الأيام القليلة الماضية عرف أنها اثنان فقط . ثبتت الأقدام أمام زنزانته فانسحب وهو لا يزال جالسا حتى التصق ظهره بالجدار . فتح الباب فانتشر الضوء بغتة ، فرفع ابراهيم ذراعه الأيمن يحجب الضوء عن عينيه .

وامتد ظلان ابتلعا المساحة المضاءة ، عدا خيط من الضوء تسلل عبر الثغرة بين جسديهما ، ويسقط فوق رأسه مباشرة . . . وجد في النهوض السلام ، فوقف وظهره لم يفارق الجدار ، وذراعه بعد مرفوعة لتجنب الضوء . ولاتقاء دفعة مباغتة تحرك يسارا لبعض السنتيمترات ، وفتح عينيه بصعوبة ، وشاهد الرجلين ، توأم في التجهم والعبوس والنظرات النارية وفي تفاصيل الجسم ، أما القوة فهي مباراة بين جميع الأشقاء هنا . . . .

دفعاه أمامهما في الممر الضيق المترع بالأبواب الموصدة ، وعزفت الأحذية في ارتطامها بأرضية الممر الحديدية لحنا مرعبا . لا ينبس أي الرجلين بحرف ، ويخطوان بآلية رتيبة ، وما من صوت غير هذا اللحن الجنائزي . اجتازوا منعطفا أسلمهم لممر أعرض نسبيا واضاءته أشد . يسير ابراهيم مشدودا ، رافعا رأسه وباسطا ظهره ومبرزا صدره للامام ، تحسبا لضربة من الخلف ، وأعد نفسه ، هكذا كان قد عزم ، مع أول ضوء يصافحه أن ينظر لمواضع جروحه ، فخشي اثارتها ، واكتفى بتحسسها بيديه ، فلم يزد ما يعلمه عنها عما عرفه وهو في غرفته المعتمة . ثم التوقف للحظات أمام بوابتين متتابعتين ، وأفضى الممر لصالة واسعة بها حركة وحياة . تمثل الصالة شبه الدائرية مصبا آخر ـ لممرات

ثلاثة ـ غير الذي عبروه . أمسك أحدهما بذراعه فتوقف ، وسبقه الآخر بخطوة واسعة ، ودق برشاقة على باب خشبي مواجه للممر الذي خرج منه ، ثم مد يده وفتح الباب وأدى التحية العسكرية ، ودخل مغلقا الباب وراءه ولم تسمح الثواني التي تغيبها لابراهيم بالقاء نظرة على المكان . خرج الجندي بظهره ثم استدار ورمق ابراهيم بازدراء وأمره بالدخول . وبخطوة واحدة وجد نفسه داخل حجرة واسعة فيها دفء منزلي . وأحدث اغلاق الباب صوتا فالتفت خلفه تلقائيا ، تركاه . . وينتظرانه حتما في الخارج .

وتطلع الى وجه المحقق الذي أوصاهم به خيرا في المرة السابقة وانقبض قلبه . . ودعاه للجلوس ، فنظر ناحية الضابط الذي يقف بجوار النافذة ، أدار الضابط خدا حليقا وهز رأسه علامة الموافقة ، وعاد ينظر عبر النافذة الى فناء السجن .

جلس ابراهيم في مواجهة المحقق مباشرة ، حيث لا سبيل الى تفادي نظراته الفاحصة ، تسرع ضربات قلبه ، ويجاهد في تهدئة أنفاسه المنبهرة . يسأله المحقق :

ـ يبدو أنك لم تنم جيدا . .

ـ نعم .

ـ جو السجن لا يناسب من هم في مثل عودك . .

لا يرد ابراهيم ، الود يسبق العاصفة ، هكذا تلقى الأسئلة هنا ، وازداد قناعة بأن الأمر كله يتوقف على صبره وقدرته على الاحتمال . ـ يستطرد المحقق :

ـ خاصة الحبس الانفرادي . . . .

ـ نعم . .

ـ طالما الأمر كذلك ، فلماذا لا تتفق ؟

ـ قلت لسيادتك لا أعرف شيئا وليس لي صلة بأحد . .

استدار الضابط وتقدم نحوه ، فتوجس ابراهيم وفزع بنظراته الى المحقق مستنجدا ، فرفع المحقق يده مشيرا الى الضابط بالتوقف فامتثل في غيظ ، وعاد الى مكانه بجوار النافذة ، فقال المحقق بهمس ودود :

ـ ما رأيك في حل وسط ؟!

لفّت ابراهيم موجة من الأسى العارم ، مرة أخرى « حل وسط » لقد سيق الى هنا بسببه . ارتبط بهؤلاء الأوغاد لأنه ارتضى حلا وسطا ، قاده بدوره الى حل وسط آخر . . وهكذا ، حتى تورط . وأصبح من المحتم عليه أن يتكيف مع الوضع الجديد ، فقادته رغبته في التكيف الى الخضوع التام الذي أوصله الى هنا . . .

أضاف المحقق في نبرة مشجعة :

ـ لن أطلب منك أن تكون شاهدا في القضية ، ولن أسجل كلامك في المحضر . سأحتفظ بكل ما تقوله في الذاكرة ثم أفرج عنك وأحفظ التحقيق ، وبالتالي لا يشك فيك أصدقاؤك ، وبعد عام ، أقسم لك ـ ليس قبل عام بأكمله ـ سوف نلقي القبض على أحدهم ثم نأتي بهم تباعا وأنت معهم درءا للشك ، واثناء التحقيق نفرج عنك لعدم كفاية الأدلة . وبذلك لا ينالك أذى فسوف تكون في نظرهم مراوغا بارعا . لأن الجميع سيكونون واثقين من أن الذي اعترف هو الذي قبضنا عليه هذه المرة . . .

لم يرد ابراهيم ، فقال المحقق بلطف :

ـ أريد اجابة الآن . . تفضل يا أخ ابراهيم . . .

ـ قلت لسيادتك لا أعرف . . .

صرخ المحقق في وجهه قائلا :

ـ لا . . . لن أحقق معك العمر كله . . . تكلم .

نهض ابراهيم عند وقوف المحقق ، واقترب الضابط متجهما ، فقال له المحقق :

ـ انتظر الآن يا حضرة الضابط . . .

ثم وجه حديثه لابراهيم الذي زاغت عيناه بينهما :

ـ ما الذي تريده بالضبط ؟ هل يمنحونك وساما ؟ . لن تخرج من هنا أبدا الا اذا عاونتني .

وعاد الى اللهجة الودودة المخلوطة بتحذير خفي :

ـ يتعمون الآن بالحياة والحرية وترغب أنت في قضاء بقية عمرك هنا . الحل الذي عرضته عليك لم يعرض على أحد في التاريخ ، صدقني . . أجب تريحني وتستريح وننتهي من الأمر .

قبض بيده اليمنى على الهواء ثم بسطها ومسح بها نصف وجهه السفلي ومررها على عنقه كالمخنوق . عند هذا الحد ينبغي له أن يصمد أكثر . فهذه الكلمات التي تخاطب النفس هي الجسر المفضي الى الاعتراف . نظر الى المحقق فلمح مشروع ابتسامة على شفتيه ، ثم نظر الى الضابط المتظاهر باللامبالاة ،

ثم عاد الى وجه المحقق ، فاستند الرجل بمرفقيه على المكتب متخذا هيئة وسطا بين الوقوف والجلوس . ولكن ابراهيم عاد وأطرق في وجوم ، خبط المحقق المكتب بعنف ، ونهض ودار في الحجرة دورتين ، خلف المقعد الذي يجلس عليه ابراهيم ، ثم تقدم وواجهه ، وقال في ثقة :

- لابد ان تعرف انك سوف تعترف في يوم ما ، والمسألة مسألة وقت وهو في صالحي ، أما أنت فالوقت ليس في صالحك أبدا .

ثم خاطب الضابط :

- يكفي هذا اليوم .

تقدم الضابط من المكتب وضغط على زر مثبت به ، وسريعا ما حضر الرجلان ، ووصل الى أذنيه وهما يقودانه الى زنزانته صوت الضابط واضحا وعاليا ، كأن الخطاب له هو :

- تأكد سيادتك ، سيتكلم في المرة القادمة . أعرف كيف أجعله يصرخ بكل ما عنده .

في تلك الأيام التي كانت تشبه بعضها تاق لأيام لا تنسى ، نشد نهارا يختلف ، ولكن ليس الى هذا الحد . . يبدأ الألم دائما بعد انصرافهم من حجرته ، ولكنه ممزوج باحساس غريب بالراحة . في الفترة الزمنية التي يتقاذفون فيها جسده تلح عليه رغبة في التخيل وفي الانصراف بذهنه الى عالم الرؤى والأحلام الذي يعرف تضاريسه ، ربما أكثر من غيره ، والأمر اليوم كان أسهل من المرة السابقة رغم قسوتها المتزايدة ، وعليه أن يتقدم أكثر في المرات القادمة ، عليه أن يكون في عالم آخر غير عالمهم ، عليه أن يحلق بعيدا عن جسده المطلوب ، حتى لا يبدو له التسليم بالهزيمة كأمر لا مفر منه .

لم يعد في جسده مكان يتحمل تحسسه ، ندت عنه صرخة متهالكة وهو يعتدل بجسده ، ويستند برأسه على الجدار ، يريحه ترديد الآهات الضعيفة المتغمة . فتح عينيه وأدارهما في طبقات الظلام المخيمة على الزنزانة الضيقة ، لم يفقد حريته هنا ، وقت طويل عاشه مسلوب الارادة ، لقد وضعها في يد أولئك الأوغاد عندما قبل العمل معهم وفق طقوس بدت له مدهشة ، وتثأر الحياة لنفسها ممن يريد امتلاكها بالزيف ، اعتصره الندم وضغط جفنيه بأسى فانفرط عقدان من الدمع فوق وجنتين ملتهبتين . . وأجهش بالبكاء . . لم ينعم الا ثواني معدودة بهذه الحالة ، فقد انتبه الى أقدامهم تتوقف أمام زنزانته ، وصوت مفتاح حاد يعمل بالباب ، فانتفض وهز رأسه وتساءل في مرارة عن المحطة التالية للصبر . . .

***

تلتصق ذقن ابراهيم بصدره أو تكاد ، وتتلاشى المسافة بين الحاجبين ، وعيناه تحفران أرض الحجرة ، وبين الحين والحين يختلس النظر الى يدي المحقق اللتين تحمل احداهما سيجارة مشتعلة ، والثانية تدق بنظام على المكتب المعدني الذي يفصلهما ، وبين كل دقة والتي تليها يموت ويصحو . . الاضاءة مركزة بقوة على دائرة وسط المكتبة ، والمشهد كله معبأ بدوائر الدخان . . .

وتذكر أنه رأى ذلك من قبل ، في أحد الأفلام الأمريكية القديمة ، التي لم يتحمل فيها البطل فوشى بالآخرين الذين جاء ردهم أسرع مما يتوقع ، فقد

حطموا المنزل فوق جثث أطفاله ، واغتصبوا زوجته ، وهربوا الى ولاية أخرى . أشعل المحقق سيجارة ثانية ، وطغى الدخان على مساحة الضوء ، ولم يعد هناك شيء محدد الملامح . وبعد زمن جاء صوت المحقق وسط الدخان الكثيف :

ـ ليس لدينا وقت نضيعه ، سوف تتكلم اليوم بأية وسيلة ، تفضل ، انها فرصتك الأخيرة .

فترات التحقيق أوقات راحة تجدد صبره ، ومع الوقت سوف يخرج من هنا وتكون مجرد ذكرى ، والماضي لن يكون له لكمات تفقد الأسنان مثل الحاضر المؤلم . . شعر بحائط بشري يصطف خلفه فجأة ، فاقشعر بدنه وقاوم الرغبة في الاستدارة ، ورفع عينين متوسلتين الى المحقق ، وأيقن الكارثة القادمة عندما رد المحقق بعينين متوسلتين أيضا . فحدث نفسه : « لم يضرب من قبل أمام المحقق » . وخاب ظنه اذ جذبته مجموعة من الأيادي الغليظة من فوق الكرسي ، وسحبته الى أحد الأركان شبه المظلمة ، فاستنجد بالمحقق الذي استدار بكرسيه

وأعطى ظهره للمشهد . ثنى ابراهيم ركبتيه وجذب جسده الى أسفل ليحتمي بالبلاط ، وتذكر دون داع قانون الجاذبية الأرضية الذي اكتشفه نيوتن وهو جالس تحت شجرة تفاح ، والذي كان يفهمه جيدا ويجيب عن تمارينه المعقدة . لكن أيدي الرجال حالت دون تحقيق قانون الجاذبية . . فصرخ بأعلى صوت ولم يمسه أحد بعد ، ثم تلقى ركلة صلبة في مؤخرته فشد قامته ، تحيره دائما الضربة الأولى ثم يغمره شعور بالتناغم حيث تترى الضربات متزامنة مع صرخاته ، ولا يقلقه الا الضربة النشاز في هدفها أو في قوتها . . غلظت ضرباتهم وزادت لعناتهم وتمثل له الموت أو حتى مجرد الاغماء حلما مستحيلا . فحلول أحدهما ينهي عذابه ، وليفعلوا بجسده عندئذ ما يشاءون . توقف الرجال أثر كلمات لم يتبينها للمحقق ، وسادت لحظة صمت عندما نهض المحقق وتوجه الى الباب دون أن يلتفت لأحد ، وفتحه بعصبية وقال قبل أن يمضي :

ـ اذا تكلم فأنا في غرفة المدير ، ولأنه سيتكلم فأنا في انتظاركم لأي وقت . . وصفق الباب بعنف ، وفزع ابراهيم بعينيه الى الرجال مستدرا عطفا لا يملكونه . وعاد الصمت يرين على الحجرة ، واستعدوا لجولة جديدة من النزال . وفي غياب المحقق لم يتقيدوا بصلب عوده ، وتركوه يتمدد على الارض ويمتلك مدى أرحب ، البلاط كله ، واثر ضربة عنيفة أصطدم رأسه بقائم المكتب المعدني وظن أنه شج الى نصفين . ومد يده وأطبقها على القائم المعدني ، وتمنى لو يتحول الى عصا سحرية يشق بها الارض ويختفي داخلها ، أو يخترق بها الجدران ويمتشقها ليطير بها حيث يحط في مكان بعيد لا يصل اليه انس ولا جان . وتكون « كرامة » يتحدث بها الناس ، وعندما يظهر من جديد تسبقه شهرته فلا يجرؤ أحد على الاقتراب منه ، ويسرع الجميع الى تقديم الأسف له والاعتذار ، لأنه عوقب على جريمة لم يرتكبها . وأغمض ابراهيم عينيه في بطء ، وبدأ يتكلم بدون صوت ، وسال من بين شفتيه خيط من الدم الكثيف . . لكن أحدهم يرغب في ايقاظه وتبديد نعاس طري يعانقه ، فضغط أعلى حاجبيه وشد جفنيه ، فتراءى له المحقق وأحد الاتباع ينظف حول شدقيه بقطعة من القطن الأبيض . وسمع المحقق يسأله المشورة فحرك ابراهيم شفتيه بكلام كثير ، ثم أسدل جفنيه وعاوده النعاس الطويل . . .

* * *

تسللت الى أذنيه بعض الأصوات ، وما لبثت أن استحالت الى جلبة وصخب ، فأيقن ابراهيم أن الأمر فوق طاقة الحلم . ففتح عينيه بصعوبة دون أن يرفع رأسه ، فسيطرت عليه الدهشة ، وركن الى عدم التصديق ، لقى نفسه مفترشا الارض في ركن من صالة واسعة تضم عددا كبيرا من النزلاء ، وأدرك أنها زنزانة جماعية وتصدعت نفسه .

اعتدل بصعوبة وجذب ساقيه ، وتكور بجوار الجدار ، وتحاشى نظرات الفضول التي سددت اليه ، ورد باقتضاب بعض التحيات التي ألقيت عليه . ودفن رأسه بين ركبتيه ، وغرق في بحار الخوف والألم والأسئلة . . لماذا أحضروه الى هنا ؟ هل أصابهم اليأس أم تراه اعترف ؟! . رفع رأسه وقد أخذه الذهول وتحركت شفتاه فيما يشبه الهمس ، ثم تحامل على نفسه وهب واقفا ، وأخذ يحدق في الرجال الذين تجمعوا حوله ، ثم أطلق صرخة هائلة قطعت الصمت الذي ساد الزنزانة منذ برهة قصيرة ، واستدار يسدد الضربات في عصبية بكفيه وبرأسه الى الجدار ، ويردد بأعلى صوت أنه لم يقل شيئا ولا يعرف شيئا . وبذل الرجال جهدا كبيرا في تهدئة ثورته . وعاد يتمتم بكلمات غير مسموعة ويتنفس بقوة ، ثم تكور من جديد بجوار الجدار ولم يفارقه الذهول بعد . . .

مضى النهار بطيئا متثاقلا . . وذهن ابراهيم مشتت ، لقد وجد الحماية الكافية طوال الأيام التي لم يحصها في زنزانته الضيقة ، والآن اذا كان قد اعترف فعلا فلن يشهد أبدا ساعة آمنة من ليل أو نهار . الآخرون يعرفون كل ما يدور هنا . والتصق بالحائط ، وثقلت مؤخرة رأسه ، وغلبه النوم بغير رغبة منه . وطول الليل انتابته حالات فزع شديدة ، قاومها في أول الليل مراعاة للنزلاء ، ولكن الأمر خرج عن سيطرته في أواسط الليل وآخره .

وفي الصباح حاول بعض النزلاء تبادل المداعبات معه دون جدوى ، وتناول الطعام لأول مرة ولكن

بحذر وبقدر يسير ، وبدأ يخشى الجميع هنا ، النزلاء والحراس ، وكلما مر يوم تفاقم هلعه وتيقن من أن بطء رد الفعل لا يعني أنه لم يعترف بقدر ما يعني أنهم يعدون له انتقاما مناسبا . أو أنهم ينتظرون الافراج عنه . ولم يطمئن الى هذا الاستنتاج ، فأيديهم أطول من أن تظل عاطلة حتى خروجه . ولكن لو أنه لم يصرح بشيء لتم استدعاؤه للتحقيق أو لأفرجوا عنه . وتعطل به الفكر في منتصف المسافة بين الشك واليقين ، ولم يعد واثقا من شيء ، أو قادرا على الاجابة عن سؤال وحيد لا يغادره : هل اعترف أم لا ؟

وذات ظهر وقبيل موعد الغداء .. فتح الحارس باب الزنزانة وزج بسجين جديد ، وتعلقت الانظار بالقادم ورحب به البعض ، ومن ركنه التفت ابراهيم اليه في اهتمام ثم دقق النظر في ملامحه ، واستجمع ما تبقى لديه من صور الماضي ، وغمرته حالة من القلق الطاغي . فقد رأى هذا الرجل من قبل ، بل وضمتهم حجرة واحدة ، هناك حيث كان يلتقي بهم . وحاول ابراهيم أن يتفادى بأجساد الرجال مواجهة سوف تحدث حتما ، ومع حركة البعض تمايل يسارا ويمينا ، ولكن حركتهم غير المنتظمة تفسد عليه خططه ، ولم يجد بدا من الاستدارة والتحديق في الحائط ، رفيقه الوحيد منذ أن وطئت قدماه أرض هذا السجن الفظيع ...

في قاعة الطعام لمحه وأرتج ابراهيم ، وفي اللمحة السريعة برق لون الموت الاصفر وصبغ القاعة ، توقف عن تناول طعامه وتأكد أنه هو الرجل المنوط به .

وما النظرة العابرة الا لخداعه ، والا لتأمله بامعان كدأب الجميع معه هنا ، ولم يتحرك قلبه ، يجدر به الحذر ، ودخل الزنزانة بعده ولم يستدر الا بعد أن اصطدم بالحائط ثم تكوم في مكانه المعتاد ، كثيرا ما تساءل منذ مجيئه الى السجن لماذا لا يمشي الانسان بظهره ؟

وبهبوط الليل بدأ يعد نفسه لحياة بلا نوم ، فمجرد لحظة نعاس واحدة تكلفه حياته . ثم لماذا اختار الرجل مكانا قريبا منه هكذا الا لكي يقتنص اللحظة المواتية ؟! مد ساقيه عن آخرهما في اتجاه الرجل ، فاذا ما هاجمه تعثر فيهما . وكلما صدر صوت من أحد النزلاء ، دفع باحدى يديه في الظلام ودار بها دورة كاملة حتى تصطدم بالرجل اذا ما اقترب منه ، وفي الصباح مني نفسه بنوم نهاري ثقيل في حراسة النزلاء ، ولكنه لم يستطع .. ففي غفلة من الجميع يستل الرجل سكينا ويذبحه ، ولا أحد يبلغ عن شيء هنا . وبعد وجبة الغداء اندفع الى أحد الحراس ، وطلب منه مقابلة مدير السجن ، غرق الحارس في نوبة من الضحك ومضى في طريقه ، أوقفه ابراهيم في ضعف وكرر طلبه ، فرد الحارس :

ـ المدير لا يقابل أمثالك .
ـ أريد مقابلة المسئول هنا .
ـ أنا المسئول هنا ، ماذا تريد ؟
ـ أريد أن أغير الزنزانة .

واهتز جسد الحارس في ضحك هيستيري وشاركه من تجمع حولهما من النزلاء ، ثم أمر الجميع بالدخول الى زنزاناتهم . وأدرك ابراهيم أكثر من أي وقت مضى أنه اقترب من النهاية . ومع الليل تملكه الرعب وخشي من أن تغلبه لحظة غفلة واحدة . تحجرت مقلته وجفت رموشه وانتابت نصف جسده الأعلى رغبة في الانكفاء على الأرض ، وكلما ثقل رأسه نهض واقفا ليطرد أشباح النعاس التي تناوشه ثم يجلس من جديد ، وفجأة قرر أن يغير هذا الركن العتيق الذي يحتله منذ مجيئه الى هنا . وتحرك في حيطة ليجوب الزنزانة بحثا عن مكان آمن . ومع أول خطوة اصطدمت قدمه برأس أحد الرجال ، الذي فزع واقفا ودفع يسراه وقبض على قميص ابراهيم وجذبه ثم سدد بقبضته اليمنى لكمة عنيفة أعادت ابراهيم الى ركنه وهو يصرخ بصوت مكتوم . نهره الرجال .. فكف عن الأنين واستراح الى البكاء الذي آلم عينيه . ومع خيوط الصباح الاولى لمح صائده ينام ملء جفنيه ، وفكر في أن يوقظه ويسأله ، ولكنه أحجم لأنه سيتلقى حتما اجابة مضللة .

وطول اليوم لم يتحرك من مكانه ، ولم تبدو عليه مظاهر حياة الا من عينيه اللتين تدوران في الزنزانة بلا هدف . وسيطرت على ابراهيم الرغبة في العودة الى الزنزانة الفردية ، التي وفرت له أياما من الأمان يتوق الى استعادته ، وحيره نقاش هامس بين قاتله وبعض الزملاء ، فهل يؤجر أحدهم للمهمة أم يؤجرهم جميعا ؟! ولاحت في ذهنه أشباحهم وهي تنكب فوقه وتكتم أنفاسه ، وتجسدت له الأشباح شخوصا ألفها في الأيام القليلة الماضية . فنهض وسار حتى منتصف الزنزانة وتوقف أمام مجموعة من الرجال ، وحرك شفتيه دون نطق ، وعندما اقترب أحدهم منه صرخ وهرول عائدا الى ركنه . وقرر أن يتحدى الجميع ويقيم الزنزانة الفردية هنا . وجذب البطانية الممزقة التي يتخذها فراشا ونفض عنها الأتربة وعلقها في مسمارين بارزين بالحائط ، واتخذ مجلسه تحتها وشعر بالارتياح وببعض الأمان ، ثم أخرج رأسه من بين خيوط البطانية ، ويداه معلقتان بفتائلها ، وتأمل بعمق ما يحدث في الخارج . وأسعده رؤية ضحكات النزلاء ، وابتسم لهم ثم سحب رأسه ، وعاد يجلس القرفصاء ويتأمل عزلته .. ونغص عليه هذا الحد الأدنى من الأمان رصده لعدد فتحات البطانية ، حيث يمكن أن تمتد من بين خيوطها سكين تضع حدا لحياته .

وعرف أن عليه أن يظل يقظا ، وقضى ليلة مرعبة خلف بطانيته المتهرئة ، وفي الصباح صفعه أحد النزلاء وأمره بأن ينظف مكانه حيث تنبعث روائح كريهة . ولما لم يحر جوابا ، رفعه الرجل على كتفه ، وطاف به الزنزانة يعرض على الرجال سروال ابراهيم المبلل ! □

شباب .. وكهولة !

كتب ديوى جيل يقول : (كانت الأيام مليئة ورخيصة عندما كنت صغيرا .. تماما مثل قطع النقود الصغيرة التى كانت تملأ جيبى وأنفقها بلا حساب .. أما الآن فقد تضاءلت مواردى وأصبح لأيامى قيمة كبيرة .. كل يوم يمر تزداد قيمته .. أصبحت أقدس الساعات ، تماما كما يقدس المحبون اللحظات الحلوة التى يقضونها . فاذا انتهى الاسبوع أحسست أننى قد أضعت ثروة .. لم يعد اليوم مليئا طويلا .. لقد أصبح يمضى كما تمضى اللحظات ..

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

الحكاية.. ودورها في عالم الأطفال

مع طفلنا المريض بالسكر

الحكاية

مرّآة سحريّة يتعرّف فيها صغيرك على الواقع

اعداد : وفاء طه ناجي

ما زالت في خيالنا رؤى رائعة . . وشخوص فيها السحر والبطولة والقوة ، ومازالت معاني الخير والشر والقبح والجمال والحق والفضيلة تقاس على ذلك المعيار القديم الذي صاغتة حكايةُ ما قبل النوم .

مازالت الحكاية القديمة هي العالم الأثير لدى الطفل . . انه يجد متعة سحرية في عالم الغابات الخضراء والورود الملونة ، وقصور الملوك القديمة . . ويكشف له أبطالها من الأرانب والثعالب وجنيات المصابيح عن شكل من أشكال العلاقات بين الكائنات والطبيعة ، والكائنات بعضها ببعض ، مما ينمي لديه القدرة على استيعاب الواقع من حوله .

ان البحث في العلاقات الوثيقة بين الحكايات القديمة ونفسية الصغار أمر غاية في الأهمية ، لما لتلك الحكايات من تأثير على معتقدات الصغير ونظراته للأمور في عالم الواقع الذي يعيشه مع والديه وأقرانه . . انه يتعلم من أبطالها . . ويرتاح للنهايات السعيدة . . ويضطرب لمعنى الفقدان والموت عندما تجسده الحكاية ، فما الذي يجب علينا ان نفعله حتى نحول عالم اللاواقع في الحكاية الى عالم ايجابي ، يتعلم منه الصغير قيم ومثل المجتمع الذي يعيش فيه ، ويتقبل الواقع ويواجه صعوباته . . ؟

حول هذا الموضوع كان لنا لقاء مع الدكتور محمد رفقي عيسى - الأستاذ بقسم علم النفس في كلية التربية بالكويت - قال : « لابد لنا عندما نتحدث عن الحكاية ان نشير الى ان بناء افضل المناهج التربوية - طريقة ومحتوى - يعتمد اعتمادا أساسيا على طبيعة اولئك الأفراد الذين سيتلقونه ، أو يهدف الى تربيتهم ، ولذا فان طريقة التربية التي يقوم بها الأهل تجاه صغارهم ، يجب ان تراعي الخصائص المرتبطة بكل عمر زمني ، ثم يضعون في اعتبارهم الخصائص الفردية عندما يتعاملون مع ابنائهم بالذات . وهذه الخصائص ترتبط بجوانب النمو ومجالاته المختلفة

بعض حكايات الجن يعتبرها البعض وسيلة للتأديب

فيجب التعرف على تلك الخصائص ثم تحليلها واستشفاف متطلباتها في التوجيه أو الإنماء ، ثم الترجمة العملية للمضامين العامة والخاصة بها ».

والخيال غذاء الصغير لرؤيه الواقع

ويضيف الدكتور رفقي قائلا :

« ومن بين خصائص مرحلة الطفولة المبكرة لجوء الأطفال الى الخيال والاختراع ، وقد يؤدي ذلك الى وجود نوع من الصراع بين الحقيقة والخيال . فالأطفال يريدون ان يطلقوا لخيالهم العنان ، بينما يلجأ الكبار الى دفعهم للتعرف على الحقيقة والارتباط بالواقع .. ولكي نتجنب استمرارية هذا الصراع واحتمال نتائجه السلبية ، فإننا نلجأ الى ايجاد مواقف يجتمع فيها الإثنان ، الخيال والواقع ، ويتم التمييز بينهما بطريقة لا تلغي الخيال ، ومن ثم يمكن توجيهه الوجهة السليمة . مثال ذلك حكاية « عقلة الاصبع » التي تقول للصغير ان الأمور مهما بدت عسيرة ومعقدة فعليك ان تواجهها .. انك لن تكبر وتتعلم الا اذا خرجت من بيتك وجابهت الأخطار في العالم من حولك . والذي اعنيه هو ضرورة ان نزكي لدى الصغير القدرة على التمييز بين الواقع والتخيل ، حتى لا يصل الأمر الى التسبب في مشكلات توافقية فيما بعد ».

تنمو قدرات الصغير بالحكاية :

ولكن هل يحتاج الطفل الى استخدام اسلوب الخيال حتى يتطور ، وتنمو لديه قدرة ابتكارية ؟ وألا يعد لذلك دوره في حجب الحقائق عن الصغير ؟

يجيب د . رفقي عيسى فيقول :

« بالنسبة لاستخدام اسلوب الخيال ودوره في « حجب الحقائق » عن عيون الصغار ، فإن المستوى العمري في النمو هو الذي يحدد نوعية هذه « الحقائق » فكثير من الخبرات التي يمكن ان نشير اليها في مستويات متقدمة لا تصلح لتقديمها للأطفال في المرحلة الأولى من العمر ، ومن ثم يكون استخدام الخيال وسيلة افضل لتقديم الخبرة لهم . ولعل اهم

هذه الاستخدامات يكون في القصص الخيالية التي ينسجها الكبار ، لتوافق أغراضهم ، أو ينسج بعضها الصغار ، إما تقليدا للكبار ، أو اسقاطا لما لديهم من تساؤلات او مخاوف . وتختلف استجابات الصغار لهذه القصص طبقا للثقافة التي ينشأون فيها ، وقد لا تخلو ثقافة من بعض القصص الخيالية المرتبطة بمخلوقات خيالية ».

الحكاية .. والتنشئة الاجتماعية :

واستطرد قائلا :

« وقد يكون بعض تلك القصص الخيالية وسيلة فعالة في عملية التنشئة الاجتماعية ، التي من بين وسائلها استخدام بعض الشخصيات الخيالية كوسائل فعالة في التأديب والتهذيب ، وبغض النظر عن الشطط فيها احيانا ، هذه الشخصيات التي تتمثل في قصص الغيلان والمردة والجن الشرير وغيرها » .

وقد تجسد من ناحية اخرى بعض هذه الشخصيات باستخدام بعض الاقنعة او اللفائف ، أو يسقط الأطفال بعضا من خصائصها على شخصيات واقعية مثل : العسكري الذي سيقبض عليه . ويضعه في غرفة مظلمة مليئة بالفئران الكثيرة ، وغيره من الشخصيات التي يمكن ان يراها الطفل فعلا ، ولكنه يجهل دورها الحقيقي ، ويصبح الخيال هنا سلبياً عندما يشاهد الصغير على شاشة التلفزيون مثلا دورا آخر للشرطي غير الذي جاء في الحكاية ، ويصبح محتارا بين ما يقوله الكبار في حكاياتهم وما يراه هو في الواقع » . .

قصص الردع :

ولكن هل يقتصر استخدام الوالدين للقصص الخيالية ذات الصبغة التخويفية على اعتبارها اداة للردع ، وتوجيه الأطفال للتوافق مع السلوك الاجتماعي المقبول ؟

يجيبنا الدكتور عيسى بقوله :

« ولا يمكن الجزم باجابة محددة ، سواء بنعم او لا ، ولكنهم احيانا يلجأون اليها لشغل وقت الفراغ عند الاطفال او الهائهم ، كما ان هناك احتمالا بأنهم يلجأون اليها كنوع من اسقاط ما لديهم من مخاوف في صورة قصص يحكونها لصغارهم .

ونخلص من ذلك الى ان القصص الخيالية في حد ذاتها ليست شرا مستطيرا ، وانما هي أمر لازم للطفولة ، وسوء التوجيه في الطريقة والمحتوى هو الذي يؤدي الى نتائج سلبية ، فاستخدام الحكايات المليئة بالشرور من جانب مخلوقات خيالية قد يؤدي الى اكساب الطفل مخاوف شديدة ، فالطفل يخاف من خطر حقيقي ، او خطر تعلمه من هذه الحكايات ، او خطر من ظواهر لا يفهمها ، مثل الظواهر الطبيعية كالبرق والرعد او الموت . فاذا ما صاحب هذا المجهول خبرة تخويفية ادى ذلك الى اثر طويل المدى » .

حكايات الأقزام : عالم يجذب الصغير ويبهره

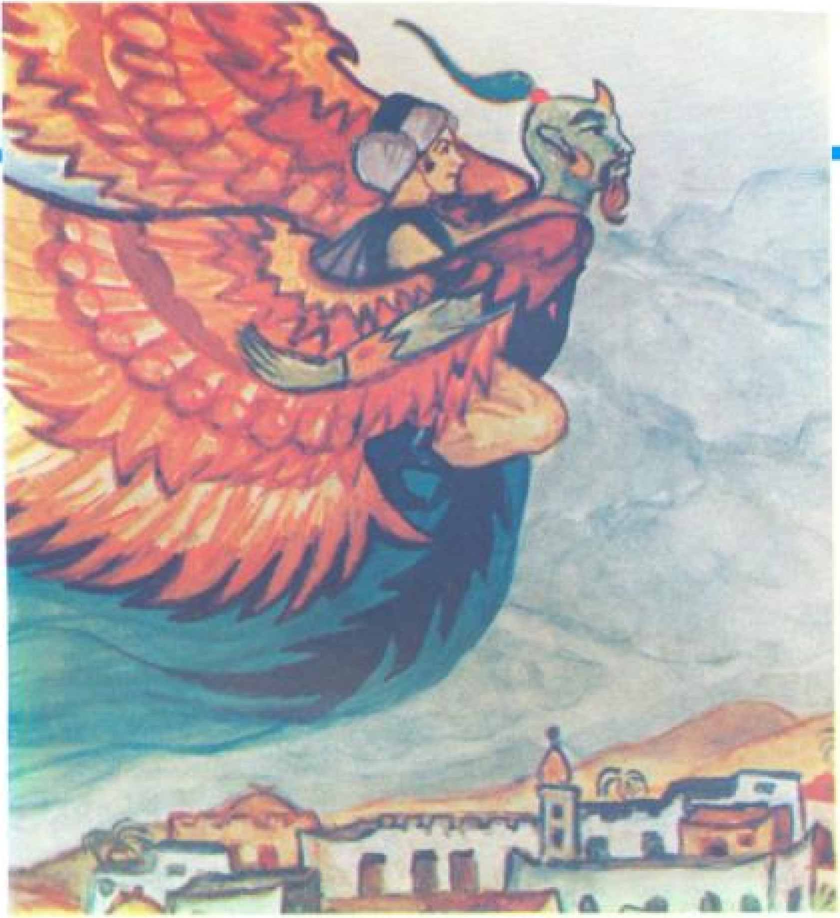

اختطاف الأهل والأصدقاء في الحكايات يزعج الصغار

ضرورة قصص الخيال :

وينهي الدكتور محمد رفقي حديثه بقوله :

« واذا ما استبعدنا هذه القصص التخويفية ، فلا يعني ذلك ان نستبعد كافة القصص الخيالية ، ولا يمكن ان نلصق الشرور دائما بالجن والعفاريت ، فهناك قصص ارتبطت بشخصيات من الجن ، ولكنها لم ترتبط بشرور واقعة مثل جني مصباح علاء الدين . . كما ان لجوء الطفل الى تفسير الظواهر الطبيعية بأنها حدثت من اجل الانسان ، وبواسطة من هم على شاكلته من المردة ، يجعلنا لا نغفل استخدام مثل هذه القصص ، فقد سأل أحد علماء النفس المشهورين طفله . . مَنْ حفرَ البحر ؟ . . فقالت له : مارد كبير على هيئة انسان . ولذا كثيرا ما يتمثل الاطفال الجن على هيئة انسان ذي خواص متميزة وقدرات فائقة ، فالخيال ضروري وهو من الخصائص المميزة لحكايات الصغار » .

الخصائص النفسية للحكاية :

ويحدثنا الاستاذ محمد محسن الصاوي ـ مدرس علم النفس بمعهد التربية للمعلمين والمعلمات ـ عن الخصائص النفسية للحكايات . . فيحكي لنا عن المعالم السيكولوجية التي تميز الأعمال الأدبية التي لاقت قبولا واسعا من الأطفال في مراحل عمرهم المبكرة فيقول :

« يقبل الصغار في زمن طفولتهم المبكرة على تلك القصص أو الحكايات التي تعبر عن فكرة الضياع او الفقدان والاستعارة ، وهي الفكرة الموجود اساسها في نظرية التحليل النفسي ، اذ يجد الطفل في فترة المهد غياب امه ثم عودتها اليه ، والأم بالنسبة للطفل هي الحماية المادية والعاطفية ، وتتكرر سعادة الطفل كلما عادت اليه الأم ، وتعزز رغبته في عودة الحماية ».

مواجهة الحياة الصعبة ..

ويتابع الاستاذ الصاوي قائلا :

« وتظل تلك الرغبة في عودة الحماية كامنة في اللاشعور لدى الصغير ، وتكبر معه على مدى حياته ، وتظهر في السعادة عند عودة شيء او شخص عزيز لديه .

ان خيال عودة الضائع من خيالات المرحلة الأوديبية لدى الطفل ،ولكن الا يعد فقدان الأهل وضياع الأطفال في قصص الجن والمردة امرا مزعجا للصغار ؟

يجيب الاستاذ محسن الصاوي قائلا : لاشك أن أكبر صعوبة يواجهها الصغير تكمن في تخلي أهله عنه على أية صورة كالموت أو الطلاق مثلا . وبعد البحث فان حكايات الجن تهتم كثيرا بآلام الصغار ومعاناتهم للحرمان .

واذا كان الموت شائعا قديما عند الولادة مما يتسبب في وجود اطفال يعانون اليتم ، فالطلاق في هذا الزمان ـ وهو أدنى من الموت مرتبة ـ يسبب للأطفال نوعا من مواجهة المصير المجهول .. والنتيجة تكاد تكون واحدة ، وهي معاناة الصغار من القلق .

ولكن حكايات الجن لا تلغي الصعوبة في تلك الأمور المصيرية لدى الأطفال ولا تقول لهم : « لا تهتموا للأمر ،ولكن هي تقول وتؤكد لهم ان الأمر رهيب وعظيم ، ولكن لا تيأسوا ، بل اخرجوا الى العالم وواجهوا مشاكله وسوف تنجحون في تخطي عقبات كثيرة ، في الاعتماد على انفسكم دون آبائكم .. رغم انكم طالما تشككتم في ذلك ... انها تربطهم بالواقع بشكل سحري ».

كيف نكتب الحكاية .؟

وينهي د . الصاوي حديثه بالتأكيد على نقطة هامة تتعلق بالأسلوب الذي يجب ان يتبعه الكاتب في ايصال فكرته فيقول :

« يجب أن تعرض الحكاية فكرة محددة ، أو موضوعا واحدا بسيطا ، يرتبط بخبرات الحياة اليومية ، ويعكس خيالا بسيطا ، كما يجب أن تتقدم القصة في مسار واحد دون أن تتضمن فرعيات ثانوية ، كما يجب أن يكون مسرح أحداث الحكاية مكانا محددا ، كغابة أو قصر كبير أو مدرسة ... ، كما أنه من الأفضل أن تكون مساحة الحكاية الزمنية قصيرة ، ويتم سرد التفاصيل الأخرى (التاريخية والجغرافية) في مقدمة سريعة . كما يفضل أن يكون عدد الشخصيات قليلا ، على أن تكون متميزة ومقنعة » .

يبقى أن نقول انه حين يحكي لكم الصغير حلما رآه ، أو ينبئكم بأنه يشعر بمعاناة نحو مشكلة ما تبدو شديدة الصعوبة بالنسبة اليه ، فلا ينبغي أن تحدثوه مباشرة في ذلك الأمر ولكن قولوا له : تعال .. سوف نحكي لك حكاية ! □

التخيل يساهم في تنمية ملكات الصغير

دور الحضانة
.. تعليم أم ترفيه ؟

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

« مع إتساع قاعدة العمل للمرأة العربية أصبحت دور الحضانة أمراً لا غنى عنه ، ومع إزدياد أهميتها برز سؤال آخر .. هو: ماذا تقدم دور الحضانة ؟ هل تبدأ التعليم من سن مبكرة أم تكتفي بالترويح والترفيه ؟ ! »

مشكلة التضخم في العالم تشمل كل شيء ، فالتضخم المالي يكاد يصيب كل فرد وأمة ، والتضخم السكاني ، أو فلنسمه الانفجار السكاني ، ان سلم بعضنا من عنفه لم يسلم من شظاياه . والتضخم العلمي حقيقة واقعة ، فالعلم يتزايد كل يوم كما وكيفا ، وعلينا أن نلحق به لاهثين ، شئنا أو أبينا .

وهذا التضخم الثلاثي ، المالي والعلمي والسكاني يصيبنا في الصميم ، عندما يصيب أطفالنا وفلذات أكبادنا ، فيؤلمنا أشد الألم ويؤرقنا كل الأرق .

وأول ما يتجلى ذلك عندما يبحث الواحد منا عن دار للحضانة ليضع طفله فيها ، فهنا يلاقي الأمرين حتى يعثر على الدار الجيدة المناسبة . وعندما يجد أن المحلات فيها محجوزة مسبقاً ، ولا بد للحصول على مكان فيها من التسجيل المبكر ، وفي أحيان كثيرة يتم اللجوء الى الوساطات والتوسل بشتى الطرق ، حتى يضمن المرء لطفله مكانا في الزحام .

وأعرف بعض دور الحضانة يحجز الأهل مكانا لطفلهم فيها ـ صدقوا أو لا تصدقوا ـ منذ يكون الطفل مضغة لما تتخلق بعد !!

ويدخل الطفل الحضانة فيواجه المشكلة الأكبر وهي ماذا تقدم له دار الحضانة وماذا ينبغي أن تقدم له ؟ .

إيداع أم تعليم ؟

في الماضي كانت الغاية من انشاء دور الحضانة هي ايداع الأطفال لساعات من النهار ، يمرح الأطفال فيها ويلعبون ويقضون الساعات المفروضة كيفما كان ، فالهدف أولا وأخيرا هو الاحتفاظ بالأطفال بعيدا عن البيت مما يتيح للوالدين التفرغ لأعمالهما .

ومع تطور دور الحضانة أصبحت تقوم بتدريب الأطفال تدريبات يسيرة ، فتعلمهم الأغاني والأناشيد والرقصات ، وبعض آداب الطعام والحديث والتصرف،واستمر التطور ، حتى صرنا نجد اليوم بعض دور الحضانة تعطي الطفل واجبات مدرسية عليه أن يتمها في البيت ، ونجد دورا أخرى تجري سبرا لمعلومات الطفل لتقدير ما اذا كان يستحق الترفيع الى الصف الأعلى ، وأصبحت الدروس التي تشمل اليوم كله شيئا عاديا في دور حضانة أخرى .

وأخذ الأهل يصرون على أن يتعلم أطفالهم المواد الأساسية واللغات الأجنبية منذ البداية . فعندما يبلغ الطفل عامه الرابع يرسلونه الى المدارس التحضيرية التي تعلم القراءة والكتابة والحساب وربما اللغة الأجنبية ، ويطالب الأهل هذه المدارس بأن تقدم لهم الدليل المحسوس على أن الطفل قد تعلم حقا . ويسرون عندما يعود الطفل الى البيت وهو ينوء بحمل أكوام من الكراسات والكتب . ويحمل فوقها هموم الواجبات المدرسية ويأخذون بمساعدته في اتمام واجباته وهو يبكي ويشكو ولا من مجيب .

ولعل سبب اصرار الأهل على التعليم المبكر ، وسبب دعم دور الحضانة برامجها بالدروس التعليمية ، هو اعتقاد شائع أن التعلم خلال السنة الأولى من المدرسة هو الأساس المتين للتعلم في السنوات التالية وأن التحضير المبكر ضرورة لازمة .

ولقد قام بعض الباحثين باجراء دراسات مستقبلية عديدة بدأت في الستينيات في ولاية ميتشجان في الولايات المتحدة على (١٢٣) طفلا من الأطفال المحرومين ، من أوساط اجتماعية ومادية متدنية ، فوجدوا أن الذين تلقوا منهم تعليما جيدا ومبكرا في دور الحضانة والمدارس التحضيرية استطاعوا أن يتموا تعليمهم ويتخرجوا من الجامعة ويحصلوا على وظائف جيدة ومهن محترمة .

بينما كانت نسبة جنوح الذين لم يتلقوا تعليما مبكرا عالية نسبيا . وهكذا يكون التعليم المبكر قد ساعد هذا الفريق على تفادي الجنوح ومخالفة القانون ، والحصول على مكان مناسب في المجتمع ، وتوصل الباحثون الى أن التحضير المبكر للطفل (بدءاً من السنة الرابعة) أمر مفيد وجيد .

ويرى أصحاب الرأي المعاكس أن الطفل ذا السنوات الخمس غير مؤهل جسميا ونفسيا لقضاء يوم كامل في المدرسة . ففي هذه السن يفضل البقاء في البيت مع أمه . ومن ناحية أخرى فان الدروس التي تعطيها المدارس التحضيرية ليست الا مقررات

السنة الاولى التي يجب أن تدرس عادة في سن أكبر . بحيث غدت أقلام الرصاص وكراسات الكتابة تطغى على أقلام التلوين والمكعبات ولعب الأطفال في دور الحضانة ، مما يسبب درجة عالية من الضغط على الاطفال ، ويؤدي الى نتائج سيئة ، أبرزها القضاء على ملكة الابداع والخيال لديهم . في الوقت الذي يجب أن تعمل فيه دور الحضانة والمدارس التحضيرية على تنشيط حوافز الطفل الغريزية وملكة الابداع والخيال لديه .

ما يجب أن يكون ؟

ان ما ينبغي أن تقوم به دور الحضانة والمدارس التحضيرية هو ببساطة احترام طاقات الطفل وحوافزه والتعايش معه بها ومن خلالها . وهذا الأمر غريزة طبيعية تعرفها كل أم . فعندما يبدأ الطفل مثلا بالمشي مشية متعثرة نجد أن الام تلجأ الى تصرف ممتاز وجيد تمليه عليها الغريزة والمنطق ، وهو ابعاد الاشياء عن طريقه ، فترفع ما يمكن أن يصطدم به وتبعد عنه ما يمكن أن يؤذيه . وتكون بالتالي قد احترمت حوافز طفلها الذاتية وطاقاته وأتاحت لها المجال الصحيح للنمو والتطور .

ان الطفل منذ ولادته في تعلم مستمر ، فالعلم من المهد الى اللحد لا محالة ، يتعلم الطفل عندما يرى ، وعندما يسمع ، وعندما يلعب وعندما يأكل وعندما يبكي أو يضحك،وهو اذ يكبر قليلا يبدأ بالأسئلة . . . أسئلة لا تنتهي لا يعلم الا الله مداها . . . وأجوبتها (واسألوا آباء الأطفال !) .

ان طاقات الطفل تنمو مع الزمن ، وقد تتأخر في النضج لدى بعض الأطفال ، وقد تبكر بالنضج لدى آخرين . لذلك فان الاعتماد على متوسط التطور واعتباره قضية مسلما بها خطأ كبيراً ، فلا بد من التكيف حسب كل طفل ، فكل طفل يختلف عن سواه .

وكي يستطيع الطفل التعليم لا بد له من الانتباه والتركيز ولا بد من معرفة الاشكال والتمييز بينها ، ومعرفة الوصفة والاتجاه ، وتذكر ذلك كله كي يستقيم التعلم . ولا بد لهذه القدرات من سن معينة تنضج فيها .

ان التعلم في سن مبكرة أمر لا شك جيد ، لكن هذا التعلم يجب أن يساير طاقات الطفل . فيمكن له أن يتم باستخدام لعبة أو أغنية أو قصة أو رقصة . ويجب أن نترك الفرصة للطفل كي يبدع ما شاء له الابداع ، وكي ينشط خياله ما ذهب به الخيال . فاذا أردنا من الطفل أن يرسم شكلا ما فلنترك له الحرية أن يرسم ما يريد ، لا أن نملي عليه أو نطلب منه أن ينسخ صورة ما لأن في ذلك قتلا للابداع أي قتل ، ألا يكفي أن التلفزيون قد أساء في هذا المجال أكبر اساءة ، فعندما يسمع الطفل مثلا قصة علاء الدين والفانوس السحري يرسم في خياله شخصيات ويعايشهم ويضع « الديكورات » و « السيناريو » ويقوم بالاخراج . أما عندما يرى الطفل هذه الأمور كلها جاهزة أمامه فلا داعي للخيال ولا حاجة للابداع .

لذلك لا نريد من دور الحضانة والمدارس التحضيرية أن تكمل ما بدأ التلفزيون بتخريبه في أطفالنا ، بل نريد منها على العكس من ذلك أن تنمي امكانات الطفل وتهيئه بصورة جيدة للانتقال فيما بعد الى المدارس العادية ، وما تقدمه من علوم أساسية . ويجب أن يقدم ذلك كله في حنان كحنان الأم . وحزم كحزم الأب ، مع احترام طاقات الطفل وحوافزه من جهة وزرع حب النظام في نفسه ، حتى ينشأ جيل جديد هو امتداد واستمرار لجيلنا وأفضل من جيلنا ، فكلنا نريد لأطفالنا أن يكونوا أفضل منا .

بقي أن أقول ان دور الحضانة والمدارس التحضيرية تكلف الكثير سواء بالنسبة للأفراد أو الدول ، لكن التضخم المالي هو آخر ما يجب أن نفكر فيه عندما نفكر بتربية أطفالنا وتعليمهم . فالتربية السليمة والتعليم الصحيح هما الاستثمار الأفضل والأحسن .

ولندع أطفالنا يعيشون طفولتهم بكل ما فيها من طفولة ، فمشاق الحياة آتية فيما بعد لا محالة ، ولننظر بأمل الى مستقبل مشرق نرجو أن يعيشوا فيه . □

هــو....

الـرجـل المـدخـنـة

حلقات الدخان تتصاعد متتالية ، تتحد لتتحول الى حبل طويل يلتف حول عنقي ، أشعر بالاختناق فأعبر عن اختناقي بسعال متواصل ، حتى تحمر عيناي وتجحظان ، وهو يبتسم ويتأمل هذه الحلقات بحذر عجيب ، تتراقص امامه كما تتراقص جارية حسناء أمام سلطان بليد . . وكلما زاد سعالي اتسعت مساحة ابتسامته ، وفي بعض الاحيان يغلقها بقهقهة سمجة وهو يردد ياعزيزتي متى تعتادين سجائري ودخانها ياقطتي الحلوة . . أيخنقك دخان سيجارة رفيعة صنعوها من أجل أن تفتح الابواب المغلقة في الطابق الاعلى ؟ وهنا يشير الى رأسه فينفد صبري وأثور ، وعندما تثور الانثى فأنها تغمض عينيها وتفتح فمها ، أحتج وأدعم احتجاجي بكل ما قرأته وسمعته عن مضار التدخين ، وأهدده بأنه سيموت شابا ، لان شبح مرض السرطان يجثم على رئته ، وانه سيخلف أرملة وأيتاما ، وهنا يقاطعني قائلا : اذا مت مبكرا كما تعتقدين واسعفك شبابك وجمالك بالعثور على زوج آخر ، فأرجوله بأن لايكون مدخنا حتى ينجو من الموت المحقق ، وهو واقع تحت مقصلة لسانك الذي لايهدأ في فمك !!

أتزوج ! ومرة أخرى ! العياذ بالله ، لقد فعلتها مرة واحدة وندمت ، كنت بلهاء أعجبت بشخصيته وخاصة سيجارته !!!

كنت أقول لصديقاتي ، انظرن الى الطريقة التي يدخن بها سيجارته ، انه يذكرني بممثلي السينما ، كنت أنظر اليه بعينين يقفز الاعجاب منهما بجنون ، وكلما انبعثت حلقات الدخان من سيجارته سارعت الى استنشاق رائحتها حتى انها كانت اكثر عبقا من العطور الباريسية ، وما ان وقع عقد الزواج وانتهت شهور عسله ودبسه حتى اكتشفت بأني أعيش مع منفضة كبيرة ، لها ساقان ، ورأس وأصبحت الرائحة ـ النتنة للدخان المستمر تلاحقني في كل مكان ، هو بكل مايحمله على جسده من ملابس ، وبكل مايلمسه ويستعمله . يذكرني بأني أعيش في مصنع للتبغ المتعفن،واشتدت حرب الدخان بيننا عندما أصيب زوجي بالالتهاب الرئوي ومنعه الطبيب من الاقتراب من تلك الملعونة ، التي مازلت العن الف مرة في اليوم مخترعها ومروجها وبائعها ، وأضحى عصبيا لايطاق . حملت اليه السكاكر والمكسرات لكي يتلهى بها عن سيجارته وينتهي عشقه القديم لها ، ولكنه رفض كل البدائل . أخفيت علب السجائر وأعواد الثقاب في اماكن لايصل اليها الجن الازرق ، وعندما طلب مني أن ابتاع له علبة اخترعت كذبة بيضاء وهي أن منظمة الصحة العالمية أعلنت اليوم حملة لمنع التدخين فقررت عدم بيع السجائر لمدة يوم واحد وذلك لتدعيم حملتها ضد التدخين . . ولكن ما أن تماثل للشفاء حتى عاد الى ولعه القديم شغوفا محبا ، احتضن علبة السجائر واشبعها تقبيلا وشعرت بالدم يصعد الى رأسي وأنا أقول له لو كانت امرأة لما أحببتها هذا الحب ، . . . فيجيب بخبث ليست هناك حواء على ظهر هذه البسيطة لها في قلبي من الحب ما لهذه الروائح التبغية ولتعلمي بأنك لو عدت للعبة القط والفأر ، وخاصة فيما يتعلق بمحبوبتي السيجارة ، وحرمتني منها ، فأن النتيجة ستكون بأن تضعيني في خيار صعب لا اعرف نتيجته فأولى أن تفهمي وتتعايشي .

هي

هيَ ....

تسوية حساب

لم اكذب عليها ، ولم أخدعها ، فمنذ أن التقينا أول يوم وهي تعلم انني أدخن ، ومنذ زواجنا والحملة العالمية للاقلاع عن التدخين تشتد يوما بعد يوم ، وشعاراتها تتعدد بدءا بـ « التدخين ضار بصحتك » ، ومرورا بسيجارة واحدة تساوي يوما من عمرك ، وانتهاء بـ « التدخين سبب رئيسي لامراض القلب والشرايين والسرطان » ، ولكنها ككل الزوجات تجيد فنون المراوغة والخداع ، ، ودها الأنثوي لاينتهي ، ولتكونوا شهودا معي أقرأوا التالي :

كانت في أيام الخطبة تسعد بي وأنا أدخن .. وتشعل لي سيجارتي ، وتظل ممسكة بعلبة الثقاب تحركها بين يديها ، وتسمع لي وتغمض عينيها وتحلم ، وكثيرا في أيام زواجنا الأولى ـ ما كنت أصحو من قيلولة الظهر ، فأجدها قد أعدت فنجان القهوة وبجواره علبة السجائر والثقاب ، وعندما كان النقاش يزداد حدة بيننا ، كانت تطلب مني دقيقة صمت ، وأشعل سيجارة كي أهدأ ، ثم نستأنف نقاشنا ، وكان يتضمن اختيار أنواع مختلفة من منافض السجائر .. وتنتقي الغريب من علب الثقاب المزينة بقطع الصدف .. وفيما بيننا كانت تمطرني بكلمات الاطراء والاعجاب بطريقة تدخيني وشكلي أثناء التدخين ، وكثيرا ماكنت أقول « لا » ان شكلي وطريقتي في التدخين ليست اداء تمثيليا بقدر ماهي طريقة سلوك عادية،لكنها كانت تصر على انني اثناء التدخين أبدو شديد الرجولة وأبدو ذلك الرجل الذي تحلم به .

وطالما أجهدت نفسي وأنا أشرح لها أن عادة التدخين واحدة من أسوأ عادات الانسان ، وأننا نحن البشر عبيد ما ألفنا واني رجل لم تعد لي متع في الحياة سوى الاستمتاع بالتدخين ، وان ارتباطي بالسيجارة هو ارتباط الدم بنسبة من النيكوتين أعتاد عليها ، وهذا ـ باختصار وتبسيط ـ تفسير ادمان السجائر ، واعترف بانها كثيرا ما كانت تتفهم وجهة النظر هذه .. وكنت أقول لها دوما انني مع مرور الأيام وتقدم السن أقلل السجائر تدريجيا ، ولكنها فجأة . وفي السنة الأخيرة انقلبت رأسا على عقب .. وأصبحت السجائر لعنة ، ورائحة التدخين مصيبة .. و .... و .... ولم تنته المشاجرات اليومية وبقدر ما أزعجني كثرة الشجار .. بقدر ماكانت مفاجأتي عندما عرفت أسبابه الحقيقية ، فلم أعد اهتم به كثيرا ، ففي عقب كل طلب يرفض لها ، أو موضوع نختلف حوله ، أو شيء أطلب منها الامتناع عنه ، تبدأ في معركة لاتنتهي حول التدخين وأخطاره ورائحة الدخان وآثار السجائر .. ورأسي الذي صار منفضة ، وسيل لاينقطع من أوصاف المدخنين وأخطار السجائر ، ونظرا لاكتشاف حقيقة الاعتراضات ، فلم أعد أهتم .. وصارت بسمتي تثيرها أكثر فتزداد حدة .. وتزداد أعصابها انهيارا .. فأشعل أنا سيجارة أدخنها في صمت .

هوَ

من الحياة

يوم وجدت أمي !

بقلم : منير نصيف

كانت طفولته بلا أمومة ، فقد ماتت أمه بعد أن وهبته الحياة . . وحمله والده الى جدته العجوز الطيبة . . . وهناك في البيت الريفي الصغير . . نفس البيت الذي قضت فيه الأم طفولتها . . . نشأ الأبن وكبر وسط الحب الذي كانت تغدقه عليه جدته . ولكنه لم يستطع أن ينسى أمه . . كانت جدته تحدثه عنها ، وكان كلما أنصت الى حديثها الحلو عن الأبنة والأم التي ذهبت ولن تعود ، إزداد شوقا الى معرفة المزيد عنها . . كيف كانت تبدو ؟ هل كانت جميلة ؟ ماذا كانت تريد له أن يكون ؟ هل أتيحت لها فرصة رؤية طفلها قبل أن ترحل ؟

وكان يجد عند جدته بعض الاجابات على أسئلته الحائرة . . ولكنه كان يجد كل ما يريد أن يعرفه في الصورة الكبيرة التي تتوسط احدى جدران البيت . . انها صورة أمه بعد أن احتفلت بزواجها بأيام قليلة . . وكان يجلس على الأرض أمام صورة الأم التي لم يرها ، ويرفع رأسه وتتعلق عيناه بهذا الوجه الجميل . . وما أكثر اللحظات التي كان يشعر فيها بأن أمه تحدثه وتنصت الى كلماته ، وترد على أسئلته ، فاذا فرغ من مناجاته لها وحديثه معها أسرع الى غرفته ودفن رأسه في فراشه الصغير وانفجر يبكي .

وتمر الأيام . . ويصبح الطفل الصغير اليتيم رجلا . . لقد بلغ عامه العشرين ، عندما قرر والده أن يرسله الى المدينة ليلتحق بالجامعة ، ويعيش وسط صخبها وحده بعيدا عن البيت الذي احتضن طفولته ، والجدة التي سهرت على تربيته ورعايته . .

كان قد مضى عليه في حياته الجديدة مع الوحدة التي يعيشها بعيدا عن الجدة ، التي أعطته كل حبها وحنانها ، أكثر من عام كامل . . وكان يشعر بالضياع في هذه المدينة الكبيرة التي لا يعرف فيها أحدا ولا يعرفه أحد . . كان يكره عطلة نهاية الاسبوع التي يضطر فيها الى ترك غرفته الصغيرة في بيت الطلبة داخل الحرم الجامعي . . كان يرى زملاءه يعدون الأيام ويتعجلون مجيء العطلة ، ليذهبوا الى بيوتهم القريبة والبعيدة . . أما هو فقد كان يجد في الأيام التي تمر وتقترب به من نهاية الأسبوع رحلة قصيرة ينتقل بعدها الى حياة الوحدة التي كرهها . .

وكان يقنع في معظم العطلات بقضاء النهار وسط الحدائق العامة ، وتحت ظلال الشجر ، كان يجد بعض السلوى مع صفحات الكتاب الجديد الذي استعاره من مكتبة الجامعة . . ولكنه لم يستطع أبدا أن يطرد من رأسه صورة الأم التي كان يبحث عنها . . . وما أكثر المرات التي خيل اليه فيها أنه يراها . . في وجوه بعض النساء اللواتي كن يعبرن الطريق أمامه كما

وفي يوم أشرقت فيه الشمس ، وعطلة الصيف الطويلة تقترب ، كان لقاؤه مع القدر .. مع المرأة التي قضى عشرين عاما من عمره يبحث عنها .. مع أمه التي خيل اليه أنه وجدها في هذه المرأة التي كانت تجلس وحيدة على المقعد الكبير في الحديقة العامة ، التي تعود أن يذهب اليها ، ويقرأ في كتبه تحت ظلال أشجارها ..

من بعيد .. أحس بشيء غريب يشده شدا اليها ... حتى قبل أن يقترب منها ، ويتأمل ملامح وجهها الهادىء .. فلما أصبح على بعد خطوات من المكان الذي تجلس فيه ، شعر بقدميه تتسمران في الأرض ، وبالعرق يتصبب من وجهه ، وبضربات قلبه تتسارع ، وصوت يصرخ في داخله (يا الهي .. انها هي .. انها أمي) !

وسخر من نفسه ، ولكنه عاد يدقق النظر ، ويقارن بين صاحبة الوجه التي تجلس أمامه على بعد خطوات منه ، وبين الصورة التي لم تفارق جيب سترته لحظة واحدة ... !

وأحست به ، ورمقته بنظرة تحمل بعض معاني الحنان والدفء ، التي توزعها على الأطفال الذين يجيئون كل يوم الى الحديقة ، التي تعودت أن تأتي اليها ، وتنعم بدفء شمسها كلما انقشعت السحب .

وقال على الفور وهو يقترب منها : (أسعدت صباحا ياسيدتي .. هل تسمحين لي بالجلوس معك .. انك تشبهين أمي شبها شديدا .. أنا لم أرها ، فقد رحلت أثناء ولادتي ، ولكنني أحمل صورتها دائما معي !)

ثم مد يده الى جيبه وأخرج الصورة ، وقدمها اليها ...

- انها فتاة جميلة ، ولكنها في مثل سن ابنتي .

- انها صورتها منذ عشرين عاماوهي تعيش معي ولا تغيب عن مخيلتي لحظة واحدة ... انني افتقدها ، ولا أظن أن هناك شيئا في هذه الدنيا يمكن أن ينسيني أمي ...

انظري الى صورتها .. تأملي تقاطيع وجهها ، ألا ترين الشبه الشديد الذي رأيته أنا بينكما ، رغم فارق السن الكبير ؟

لو كن طيفا ، لايلبث أن يخبو ويختفي .. وفي المطعم الصغير الذي كان يقصده عندما يحين موعد الغداء .. وبين صفحات الكتاب وهو ماض في قراءته كلما استوقفته عبارة تذكره بشيء من الحرمان الذي عاشه في طفولته .. في كل مرة كان يخلو فيها الى نفسه ، كان يجدها معه ، ويخيل اليه أنها تحدثه .. وكان صوتها الذي لم يسمعه أبدا يملأ أذنيه وهي تخاطبه وتدعو له بالنجاح ..

فاذا انتهت رحلة اليوم وأقبل الليل ، عاد الى حجرته الصغيرة في بيت الطلبة ، وألقى بجسمه فوق فراشه ، وأغمض عينيه ، وأسلم نفسه للنوم مع أحلامه .

قالت وهي تبتسم : (عندك حق .. لقد كنت جميلة مثلها في شبابي !)

****

وانقضى النهار وهو يحدثها عن نفسه وعن الحرمان الذي عاشه في طفولته بلا أم .. (« صحيح » لقد كانت جدتي تحنو علي ، ولكنها لم تستطع أن تعوضني حنان أمي .. ولا حتى أبي الذي كان يزورنا بين الحين والحين .. لقد أعطاني كل ما يمكن أن يقدمه الأب لابنه .. لقد كان أبي وأخي وصديقي في طفولتي وصباي ، ولكنني لم أجد فيه أمي التي شاء القدر أن يحرمني منها .. أليس غريبا أن أعيش مع صورة أمي وأناجيها وأحدثها ، تماما كما لو كانت ما زالت تعيش هي معي ، دون أن تفترق عني لحظة واحدة طوال هذه السنين ، منذ اليوم الذي تفتحت فيه عيناي على هذه الدنيا !)

والتقيا وتكرر اللقاء بين الشاب الذي يبحث عن أصل الصورة التي يحملها في قلبه وبين السيدة التي تجلس في وحدتها وسط الحديقة العامة ، التي لا تبعد كثيرا عن البيت الذي تعيش فيه أحلى أيام عمرها ..

قال لها يوما : (وكيف تجدين السعادة في وحدتك ؟) قالت والابتسامة الرقيقة لا تفارق شفتيها : (انني أجدها في الذكريات الحلوة التي امتلأ بها بيتي الصغير .. لقد اعتدت يا بني أن أقوم بهذه الرحلة القصيرة كلما أحسست بالدفء مع شروق الشمس وانقشاع السحب ... ثم انني أجدها هنا في ظلال الأشجار ومع الزهور الجميلة .. انني أجد متعة ما بعدها متعة .. وأنا أتأمل أوراق الشجر الخضراء وهي تكسو من جديد كل شيء جف تحت وطأة الصقيع .. الدنيا كما ترى مليئة بالجمال ..

جمال الطيور الصغيرة التي تغنى للربيع .. الأطفال الصغار والكبار الذين يلعبون ويلهون من حولي .. انني أرى فيهم بناتي الثلاث اللواتي كبرن وتزوجن وتركن البيت لتبدأ كل واحدة منهن حياة جديدة مع الرجل الذي اختارته ليشاركها هذه الحياة .. لقد أمضيت عمري كله أرعاهن وأفني نفسي في تربيتهن ، ولكن صورتهن بقيت تعيش معي .. ولا تغيب عني لحظة طوال ساعات الليل والنهار .. وسكتت قليلا .. وقال الشاب : (أكملي حديثك يا سيدتي !)

أنت تذكرني أيضا بأطفالي .. ولكنك لم تعد طفلا الآن .. لقد كبرت وأصبحت رجلا .. وغدا سوف تتخرج في الجامعة ، وسوف تتزوج وتصبح أبا ، وستبدأ حياة جديدة مع زوجتك التي يمكن أن تكون أما لك ولأبنائك .. أنا لا أعني أنهم سوف ينسونك أمك .. فالأم لا تنسى .. ولكنني أريد أن أقول أنك سوف تعيش حياتك مع حاضرك ومع غدك .. وقد تعود الى الماضي .. الى أمك الحبيبة ولكنك لن تعيش فيه كما تفعل الآن بنفسك .. فالماضي ماض ، مضى وانتهى ولن يعود !

****

ولقيها بعد ذلك مرارا .. وكان يسألها عن بناتها .. الى أن جاء اليوم الذي رآها فيه تدفع أمامها عربة صغيرة يجلس فيها طفل جميل .. ولم تشعر به الا عندما اقترب منها ..... فاذا به يرى امرأة أخرى غير التي عرفها .. لقد كان وجهها الذي طالما رأى فيه صورة أمه ، ينطق بكل السعادة التي تملأ الدنيا ..

قالت بعد أن مدت يدها تصافحه :

(أقدم لك حفيدتي الصغيرة ، انها ضيفتي الآن .. لقد تركتها أمها في رعايتي ، وسافرت مع زوجها لقضاء اجازة قصيرة .. انها تملأ حياتي ... لن تعرف الشعور الذي أحسّ به الآن الا عندما تصبح أبا ...

****

وتركها مع حفيدتها .. فقد أحس بدوره ولأول مرة ، انها لم تعد تعيش في وحدتها مع الطيور ومع الأطفال الغرباء الذين كانت توزع عليهم حبها وحنانها مع قطع الحلوى الصغيرة التي كانت تحملها لهم ..

وعاد الى كليته ، والى دراسته ، وانقضى العام الأخير ، وتخرج .. لقد أصبح مهندسا .. ولكنه لم ينقطع عن زيارة الحديقة التي التقى فيها بالسيدة التي استطاعت أن تخرجه من الحياة التي كان يعيشها مع الماضي ، ويتعلق به ، ويرفض أن ينساه ، أو يبعده عن خاطره .. ومرت بضع سنوات ..

وكان الشتاء قد مضى ، وأقبل الربيع ، وفي يوم أشرقت فيه الشمس وصحت الطيور المبكرة مغردة ، كان هناك شاب وسيم يجلس بجوار عروسه على المقعد الخشبي تحت ظلال الأشجار الوارفة في الحديقة العامة ، التي اعتاد أن يتردد عليها على مدى السنوات الطويلة ، التي انقضت أثناء دراسته في الجامعة .. وفجأة ظهرت من بعيد سيدة ، ما كاد يلمحها حتى عرفها على الفور ... لقد غابت عنه لفترة تزيد على العامين .. وها هي تعود الى نفس المكان الذي التقى فيه بها .. وكانت تدفع أمامها عربتها الصغيرة .. فقط لم يكن هناك طفل واحد يجلس فيها ، بل كان هناك طفلان ... لا بد أن الثاني هو حفيدها الجديد ...

وتوقفت السيدة .. وقام هو من مقعده ، وقامت عروسه بدورها .. وقف الاثنان تحية للمرأة الكريمة .. وقال الشاب وهو يقدم السيدة لزوجته بعد أن مدت اليها يدها تصافحها بحرارة .. قال : (أقدم لك أمي .. أقدم لك المرأة التي علمتني معنى الحب والحياة !)

وذهبت الأم والزوجة في عناق طويل . □

قلبك .. كيف تحميه من المرض ؟

التوتر يقتل ثلاثة آلاف شخص كل اسبوع في بريطانيا (احصائية) . ويقول الأطباء أن العامل الذي يستخدم يديه هو أقل الناس تعرضا للاصابة بأمراض القلب ، بينما ثبت أن الطيارين والصحفيين والقضاة والمفكرين هم أكثر الرجال تعرضا للاصابة بالذبحة الصدرية . ان علامات الخطر لاتكمن في الشعور بالآلام التي تصنعها السكين وهي تذبح صدر المريض فحسب ، ولكنها أيضا في زيادة رد الفعل عند الشخص المعرض للاصابة بأحد أمراض القلب ، مثل الاحباط والغضب السريع والتصور بأن كل الناس يضطهدونه ويحاربونه ، وهذه بدورها تسبب في سرعة النبض وفي تصبب العرق وارتفاع ضغط الدم .. والدواء الذي يصفه الطبيب المعالج في هذه الحالات يخففها ولكنه لايشفي المريض منها .

ويقول الأطباء بعد هذا أن العلاج ينحصر في البحث عن فلسفة جديدة للحياة ، فاذا فاتك القطار لاتقلق فسوف يجيء من بعده قطار وقطار ، واذا كنت تقود سيارتك على الطريق فاعلم أنهم مهدوه من أجل راحتك لامن أجل استخدامه كما لو كان ميدانا للسباق ، أما في عملك ، فلا تشغل نفسك بالمحافظة على اللقب والمنصب ، اعتمد على مساعديك الذين تثق فيهم ، وسوف تجد أنهم على استعداد دائما لتحمل العبء عنك .

مرآة النفس

لماذا يتبول الأطفال رغماً عنهم ؟

تتحكم بالتبول اللاارادي عند الأطفال عوامل عديدة تتعلق بالاسلوب والطريقة اللذين تنهجها الأم لتعليم طفلها كيفية التبول بالطريقة الصحيحة . وهذه العملية قد تبدو صعبة للبعض ، سهلة للبعض الآخر ولكن الاسلوب المتبع له بلا أدنى شك تأثير مباشر وقوي على شخصية هذا الطفل ، بل ان ما قد يتكون لديه من عُقد تستمر معه حتى كبره .

من المعروف علميا لدى الاطباء أن التبول عند الاطفال ينتظم في سن سنتين ونصف السنة مع مراعاة عدم تخلفه عقلياً .

واستمرار التبول اللاارادي لدى الطفل بعد ذلك يعني بالضرورة وجود سبب عضوي أو ربما نفسي ، مما يسبب التبول النهاري .

ولذلك فاننا نجد أن ٣٠٪ من الأطفال في عمر الست سنوات يتبولون أثناء الليل ثم تنخفض هذه النسبة الى ١٪ حين يصل الى سن ١٨ سنة .

وسعة المثانة لدى الطفل هي أحد الأسباب العضوية الرئيسية التي تؤثر على حالة الطفل وتبوله .

عوامل عضوية :

فالمثانة الطبيعية لدى الطفل تتسع الى ١٠ ملم لكل كلغ واحد . أما في الشخص البالغ ، فتصل سعتها من ٣٥٠ ـ ٥٠٠سم٣ وبذلك فقد يرجع سبب عدم تحكم الطفل في عملية التبول الى ضيق المثانة،أو ربما لاسباب عضوية أخرى كالتهاب مجرى البول أو حدوث انسداد به . ونسبة الأطفال الذين يعانون ذلك لا تتعدى ١٪ .

وللطب النفسي رأي في هذا المجال ، الدكتور صالح الحلو طبيب استشاري بمستشفى الطب النفسي يقول : غالبية الأطفال يتحكمون بعملية التبول إراديا عندما يبلغون سن الثلاث سنوات من العمر . والتحكم النهاري عادة يسبق التحكم الليلي ، واستمرار الطفل في التبول على نفسه لاارادياً بعد هذه السن يعتبر أمراً غير طبيعي ، ويجب البحث عن أسبابه .

التبول اللاإرادي لدى الاطفال ينقسم الى قسمين :

تبول لاارادي أولي حيث تبدو الحالة منذ الولادة ، وتبول لاارادي ثانوي وذلك عندما تبدأ الحالة بعد مضي سنة أو أكثر على تحكم الطفل بعملية التبول في السن المناسبة ولكن لسبب ما يفقد هذه القدرة على التحكم ، ويبدأ بالتبول على نفسه لاارادياً ، وربما

تمتد هذه الفترة ـ أي فترة التبول اللاارادي ـ حتى سنوات المراهقة المتأخرة ، وحتى بعد البلوغ .

أما من حيث توقيت التبول اللاارادي فهناك ثلاثة أنواع .

١ ـ التبول اللاارادي الليلي وهو الأكثر مستوى .

٢ ـ التبول اللاارادي النهاري .

٣ ـ الاثنان معا ، أي حدوث التبول في الفترتين معا .

وعوامل نفسية :

وعلى الرغم من شيوع وانتشار هذه المشكلة بين الاطفال ، وخاصة التلاميذ في سني الدراسة الاولى ، فلم يستدل حتى الآن على وجود سبب واحد معين ، وانما هناك عدة عوامل مهمة يمكن أن تساهم في التبول اللاارادي ويمكن تلخيصها بما يلي :

أولا : عوامل عضوية أو جسمية ، وهي الأمراض التي تصيب جهاز المسالك البولية فتسبب اضطراب وظيفته ، مثل التهاب مجرى البول والمثانة البولية خاصة في الاناث .

ثانيا : عوامل نفسية كالصرع ، وخاصة النوبات الصرعية الليلية حيث يتبول بعض المصابين بهذا المرض على أنفسهم لاإراديا اثناء النوبة الصرعية .

ثالثا : عوامل عضوية كالسكري وذلك لما يسببه من زيادة كبيرة في افراز البول . ولكن هذا لا يعني أن كل مصاب بمرض السكري يتبول على نفسه لاإراديا .

انه سبب عضوي

١ ـ أسباب وراثية : حيث يستدل على وجود أسباب وراثية في حوالي ٧٠٪ من حالات التبول اللاارادي . وتأخر في اكتمال نضوج الجهاز العصبي او بعض أجزائه .

ويجب التأكد هنا من أن الأسباب العضوية للتبول اللاارادي نادرة جدا .

وينتقل الدكتور الحلو للحديث عن أهم الأسباب والعوامل النفسية للتبول اللاارادي والتي تشتمل على :

١ ـ الاضطرابات والضغوط العاطفية والوجدانية خاصة في السنوات الأربع الاولى من حياة الطفل ، لأن هذه الفترة هي التي يكتسب فيها الطفل القدرة على التحكم في عملية التبول ، وكأمثلة على الاشياء التي يمكن أن تؤدي الى هذه الاضطرابات:الحروق الشديدة والعمليات الجراحية . ودخول المستشفى للعلاج خاصة للاطفال شديدي التعلق بأمهاتهم ، أو ولادة طفل جديد في العائلة ، أو انفصال الاب عن الام بشكل عام أو انفصال عن الأم بشكل خاص .

ويجب الا ننسى بأنه في بعض الأحيان يكون العكس هو الصحيح أي ان الاضطرابات العاطفية تكون ناتجة عن التبول اللاارادي وليس مسببا له .

٢ ـ اهمال الأهل لعملية تدريب الطفل على التبول الارادي في الوقت والمكان المناسبين ، واحيانا يبالغ الأهل في عملية التدريب هذه فيعاقبون الطفل بشدة اثناءها فيفقدون بهذا تعاون الطفل،ومن ثم ترتبط عملية التبول في ذهنه بالعقوبة الشديدة والألم ، مما ينتج آثارا عكسية على عملية التبول نفسها ، ولذا نرى أن التبول اللاارادي أكثر انتشارا بين التلاميذ الذين تربوا ونشأوا في مؤسسات خاصة غير بيت العائلة كدار الايتام مثلا . .

٣ ـ التبول اللاارادي يمكن أن يكون أحد أعراض اضطراب السلوك عند الأطفال وخاصة في الاناث، كالكذب والعدوانية والسرقة والتغيب عن المدرسة بدون علم الأهل .

٤ ـ الحالة الاجتماعية والاقتصادية لعائلة الطفل يمكن أن يكون لها أثر في حدوث هذه المشكلة ، حيث وجد أن التبول اللاارادي يكثر في الطبقات الاجتماعية الدنيا والفقيرة خاصة وأن وجود طفل يعاني من التبول اللاارادي بين اخوته سيجعله في موقف حرج أمامهم خاصة اذا ظهر ضيقهم منه واضحا أمامه .

٥ ـ الظروف البيئية الخاصة في البيت كوجود علاقة سيئة بين الطفل وأهله وخاصة امه . حيث وجد أن بعض هؤلاء الأطفال لا يتبولون على أنفسهم

حين يذهبون لزيارة الاقارب أو الاصدقاء،في حين انه لا يستطيع التحكم بنفسه عندما ينام في منزل والديه .

طرق العــلاج :

ان التبول اللاارادي يختلف من طفل لآخر تبعا لظروفه الخاصة . ولذا فان العلاج يعتمد على طبيعة حالة الطفل نفسه والعوامل المسببة للحالة . ولكن بشكل عام يمكن تلخيص أساليب وطرق العلاج فيما يلي :

١ ـ قبل ان نبدأ العلاج يجب ارسال عينات من بول الطفل الى المختبر لاجراء فحص البول الروتيني واجراء زراعة للبول في بعض الاحيان وعمل صورة أشعة لجهاز المسالك البولية اذا لزم الأمر .

٢ ـ يجب بالطبع علاج المرض العضوي المسبب ان وجد بالادوية والجراحات اللازمة .

٣ ـ علاج المرض النفسي ان وجد عن طريق البحث في الحالة وأسبابها .

٤ ـ يطلب من الطفل بأن يقوم هو شخصيا ـ أو أحد ذويه ـ بعمل جدول يبين الايام والتواريخ التي يتبول فيها على نفسه . ومن ثم نقوم بتشجيعه ومكافأته على الليالي الجافة ، أي التي لا يبول فيها سواء بالمديح المعنوي او بتقديم بعض الهدايا البسيطة كمكافأة له على التقدم وزيادة عدد الليالي الجافة .

٥ ـ اذا لم تنجح هذه الطريقة البسيطة يمكن أن نلجأ الى العلاج بالأدوية تحت اشراف الطبيب النفساني وارشاداته ، وذلك بجرعات تتناسب مع عمر ووزن الطفل . وفي الغالب تعطى جرعة واحدة فقط قبل النوم ليلا . واذا لم تتحسن الحالة بعد مضي أربعة اسابيع على استعمال الأدوية يجب أن نوقف اعطاء الأدوية أو نزيد جرعتها .

٦ ـ العلاج السلوكي ، وهو العلاج بجهاز يشبه جهاز الجرس الكهربائي،وهو جهاز بسيط جدا يتكون من صفحتين رقيقتين من المعدن احداهما فيها ثقوب صغيرة وبينهما قطعة قماش قطنية مثلا . وهذه جميعها متصلة بسلك وبطارية،فعند نزول أول نقطة من البول تغلق الدائرة الكهربائية فيرن الجرس ويستيقظ الطفل ليوقف الجهاز . عملية الاستيقاظ المفاجيء تساهم في قبض عضلات المثانة ، مما يجعل عملية ذهاب الطفل الى دورة المياه سهلة .

نسبة النجاح في استعمال هذا الجهاز تقارب ٨٠٪ أو أكثر ، ويجدر بالاهل وضع الجهاز بعيدا عن متناول يد الابن بحيث لا يستطيع ايقافه بيده وهو نائم في سريره فيغلب عليه الكسل ولا يذهب الى دورة المياه للتبول .

ومن الأشياء المهمة التي يجب أن يراعيها الأهل :

أولا : على الطفل أن لا يغلب عليه الخجل من هذه الحالة ، بل يجب على أهله مراجعة الطبيب بأسرع وقت ممكن واستشارته والاستماع الى إرشاداته وتنفيذها ، لأنه كلما كان العلاج مبكرا كانت النتائج افضل .

ثانيا : على الرغم من أن معظم الذين يعانون من حالة التبول اللاارادي يتوقفون عن ذلك عند الكبر ، الا ان هذا يجب أن لا يكون مبرراً لعدم العلاج في سن مبكرة ، لان استمرار الحالة لفترة طويلة يؤدي إلى مضاعفات نفسية عند الطفل أو الشاب .

ثالثا : بعض الأهل يمنعون أبناءهم الذين يعانون من حالة التبول اللاارادي من تناول المشروبات والسوائل خاصة قبل النوم ويوقظونهم من نومهم كي يذهبوا للتبول في دورة المياه في أوقات معينة ظنا منهم أن هذا هو العلاج الأمثل في هذه الحالات لذا يجب أن نذكر هؤلاء الأهل بأنه لم تثبت جدوى هذا التصرف في العلاج . ولذا يفضل الامتناع عنه واستشارة الطبيب المختص لاخذ العلاج اللازم .

وعلى الام أن تشعر طفلها بأن هذا الأمر يخصه هو ، وعليه تقع المسئولية ، وهذا يولد لدى الطفل شعورا بالأهمية ورغبة منه باثبات الذات يساهم في عملية تحكمه في التبول بقناعة كاملة .

ان عملية التحكم في التبول لا تعتمد اعتمادا كليا على الام وحدها أو الطفل وحده بل هي عملية يساهم فيها جميع أفراد الاسرة في محاولة منهم لانهاء المشكلة دون ترك أي آثار جانبية قد تؤثر مستقبلا على شخصية ونفسية الطفل . □

طبيب الأسرة

كيف نتعامل مع .. طفل مريض بالسكر؟

أكثر ما يبعث التوتر والقلق في منزل ما ، مرض أحد أفراده . فالمريض أيا كان نوع مرضه يحتاج الى رعاية خاصة لكي يسترد عافيته، ولكن ماذا لو كان هذا المريض طفلاً ؟ وكيف لـلام أو للطبيب التعامل مع المريض الطفل الذي لا يعرف للمرض معنى ، ولايفقه في أمور الحياة سوى اللعب والانطلاق ؟

كيف ستمنع الأم عن طفلها انواعا معينة من الطعام ، وكيف ستستطيع الزامه بالنوم وهو الذي اعتاد الحيوية والنشاط ؟ هذا القلق تعانيه كل أم يصاب طفلها بمرض السكر .

الدكتور شاكر غنيمي اخصائي أمراض السكر في وزارة الصحة يقول : يختلف مرض السكر في الاطفال عنه في البالغين في نواح كثيرة ، حتى أن البعض قد ذهب الى الاعتقاد بأنها مرضان مختلفان مع أنها في الواقع ليسا سوى وجهين مختلفين لعملة واحدة .

فمرض السكر قد يصيب الانسان في سني العمر الأولى ويسمى حينئذ بسكر الاطفال ، وقد يصيبه بعد سن الاربعين ويسمى بسكر البالغين .

يصاب الأطفال بمرض السكر عادة في سن تقل عن سن العاشرة أو عند البلوغ ، ونادرا ما يصابون في سن تقل عن الثانية ، وحتى الآن فنحن لا نعرف على وجه التأكيد لماذا يصاب الطفل بهذا المرض ، ولكن هناك بعض الملاحظات ، فمنها أن بعض الأطفال يصابون بهذا المرض بعد اصابتهم بالتهابات فيروسية معينة كالتهاب الغدة النكافية أو النزلات البردية أو المعوية ، فقد لوحظ ظهور حالات جديدة لمرض السكر بين الأطفال بعد الاصابة بالنزلات البردية في الشتاء والنزلات المعوية في الصيف .. كما أن اصابة الطفل بمرض السكر في سن البلوغ جعل البعض يعتقد بأن هرمون النمو قد يلعب دورا في اصابة الطفل بمرض السكر ، وأحيانا اخرى بسبب خللاً في جهاز المناعة في جسمه ولعل هذه النظرية هي الأرجح ، حيث تتكون في دم الطفل مواد مضادة لخلايا البنكرياس التي تفرز الانسولين فتؤدي الى تلف هذه الخلايا فتصبح بذلك عاجزة عن افراز هذا الهرمون الضروري للحياة ، فيصاب الطفل حينئذ بمرض السكر .

وقد تمكن العلماء من اثبات وجود هذه المواد المضادة في دم الكثير من الاطفال المصابين بمرض السكر ، ومرض السكر في الاطفال ليس وراثيا بالضرورة ، كما هو الحال في سكر البالغين .

أعراض المرض

تكون أعراض مرض السكر في الاطفال شديدة منذ البداية ، وتتداعى بسرعة على خلاف الحال في

سكر البالغين الذين قد لا يشعرون بأية اعراض اطلاقا ، أو يتعايشون مع الاعراض لمدة طويلة قبل اكتشاف المرض .

يبدو الطفل دائما كثير العطش وكثير التبول في النهار والليل . ومن الاعراض التي يجب أن تلفت انتباه الابوين عودة طفلهم الى التبول في فراشه ليلا بعد اقلاعه عن ذلك لفترة طويلة .

يقل كذلك نشاط الطفل وتحصيله المدرسي ، واذا لم يتم التشخيص يستمر سكر الدم في الارتفاع فيزداد التبول ، ويكثر العطش ويصاب الطفل بالجفاف وينقص وزنه وقد يشكو من ألم في البطن ويتقيأ ، وقد ترتفع درجة حرارته وتظهر في دمه مواد حمضية كالاستون ما تلبث أن تتراكم وتبدأ الكلى في افرازها مع البول كما تخرج مع هواء الزفير أثناء التنفس فتكسبه رائحة الاستون الخاصة .

اذا استمر الحال كذلك دون علاج يفقد الطفل وعيه ويصاب بالغيبوبة المعروفة باسم غيبوبة ارتفاع السكر الحمضية .

ومن المؤسف أن جهل الاسرة باعراض هذا المرض يجعلهم لا يكتشفونه الا في مرحلته الأخيرة .

ويتم تشخيص المرض بتحليل الدم لمعرفة نسبة السكر فيه والتي تكون دائما مرتفعة كثيرا عن المعدلات الطبيعية ، كما يجب تحليل البول للسكر والاستون . وفي الأطفال صغار السن يمكن الكشف عن السكر في البول بلمس شريط التحليل الخاص بالكشف عن السكر بلفائف الطفل المبللة ببوله .

ويعالج الأطفال المصابون بمرض السكر بالانسولين - والذي يعتبر في هذه الحالة بديلا عن الانسولين الذي فقدته أجسامهم ، ولم يعودوا قادرين على صنعه . ويجب التأكد هنا أنه لا مجال لعلاج الأطفال بأدوية السكر التي تؤخذ عن طريق الفم كما هي الحال في المرضى البالغين .

دورك أيتها الأم

لا شك ان الألم يعتصر قلب هذه الأم التي تجد صعوبة في منع الطفل من تناول الأطباق التي تقدم لبقية أفراد العائلة .

فكيف لها أن تحرم الطفل من نوع معين من الفاكهة ، أو من مشاركته الاسرة في المناسبات بتناول الحلوى ؟

فكل طفل مصاب بداء السكر يعطى الانسولين بالحقن تحت الجلد صباحا قبل الافطار ، وقد يحتاج الطفل الى حقنه مرة ثانية في المساء قبل العشاء حتى يمكن التحكم بصورة أفضل في سكر الدم المرتفع وتخفيضه الى المعدلات الطبيعية .

ويجب أن تنتبه الأم كما يقول الدكتور غنيمي : الى نقص السكر في الدم دون المعدل الطبيعي ، وهذا أحد مضاعفات العلاج بالانسولين حيث يحدث هذا النقص اذا كانت جرعة الانسولين أكثر مما يحتاجه الطفل ، كما يحدث اذا تأخر الطفل عن تناول وجبات الطعام الأساسية او الاضافية في مواعيدها المحددة ، فالتنظيم أمر ضروري يجب أن تراعيه الأم لمنع تمادي المرض وسلبياته .

كما يجب عليها أن تحاول بشتى الوسائل الحد من نشاطات طفلها العضلية الزائدة كالرياضة بأنواعها .

ومن أعراض نقص السكر في الدم شعور المصاب بالجوع حيث يصبح لونه شاحبا ويتصبب عرقا ويشعر بالخفقان لازدياد ضربات القلب . وقد يشعر بتنميل في الفم والاصابع ، وتكون هذه الاعراض بمثابة الانذار بان نسبة السكر في الدم قد انخفضت وان على الام حينئذ المسارعة الى توفير النوعيات والكميات المناسبة من الطعام ، والا فان الاعراض تتتابع بسرعة فيصاب الطفل بالصداع ثم يفقد اتزانه ، وقد تبدو منه بعض التصرفات الغريبة من تشنجات الى فقدان الوعي .

وكي تتجنب الأم حدوث مثل تلك الحالات ، عليها تنظيم وجبات الطعام ، وتقسيمها الى ثلاث وجبات أساسية واثنتين خفيفتين مثل الشطائر الى جانب تعويد الطفل القيام بتدريبات رياضية .

كما يستحسن تقليل جرعة الانسولين في الايام التي يمارس فيها الطفل نشاطا رياضية ملحوظا .

ولعلاج هبوط السكر ، على الام الاسراع بتقديم

محلول سكري لطفلها كعصير البرتقال المحلى أو المياه الغازية أو بتناول قطعتين من السكر أو ملعقتين من المربى او قطعة من الحلوى ، هذا اذا كان الطفل واعيا .

أما اذا فقد الطفل وعيه فيكون العلاج حينئذ في المستشفى أو العيادة،وذلك بحقنة محلول السكر المركز في الوريد،ودور الأم هنا بالغ الأهمية ، فعليها ان تنتبه لمناسبة الغذاء لمتطلبات نمو الجسم ونشاطه ، كما يجب الا يشعر الطفل بالحرمان دون اخوانه .

وهنا يأتي الدور الفعلي لافراد الاسرة بالمحافظة على شعوره والاعتدال في منهاج الغذاء للاسرة ككل . مع محاولة تجنب المواد السكرية بوجه عام كالحلوى والمربى والمياه الغازية بأنواعها ، أما المواد النشوية فتؤخذ تبعا لحاجة الجسم ونشاط وعمر الطفل ، وكذلك المواد البروتينية التي تساعد على نمو الجسم ، ويفضل الابتعاد عن المواد الدهنية الغنية بالكلسترول كالدهون الحيوانية .

كما يجب مراعاة غنى الغذاء بالفيتامينات والاملاح المعدنية وهذه متوفرة في الخضار والفاكهة واللحوم بانواعها . □

☆☆

بريد طبيب الأسرة

التطعيم ضد الجديري

أصيب أحد أطفال الجيران بمرض جدرى الماء أو الجديري ، فهل يمكن حماية أطفالي باستعمال التطعيم ضد الجدرى ؟

س . ع دمشق

الحديث عن الجدرى يعتبر اليوم من أمور التاريخ ، بعد أن نجحت الأوساط الدولية فى القضاء عليه بفضل حملة التطعيم الشاملة التى قادتها منظمة الصحة العالمية على مدى عشر سنوات ، لدرجة أنه لم تسجل أية اصابة جديدة بالجدرى منذ بضع سنوات فى أى مكان من العالم ، والتطعيم ضد الجدرى الذى ابتكره الدكتور ادوارد جلنر فى القرن الثامن عشر هو نوعي ، بمعنى أنه يعطى مناعة ضد الجدرى فقط ، وهو عبارة عن فيروس حي مروض .

أما مرض الجديرى فهو مرض آخر مختلف ، يتسبب من فيروس خاص آخر لا علاقة له بفيروس الجدرى ، وربما تشابه الجديرى مع الجدرى فى بعض الأعراض ، ولكنه أقل خطرا وضررا ، لهذا حمل اسما مشابها هو الجدرى الكاذب ، أو الجديرى ، أو جدرى الماء ، ولكن التطعيم ضد الجدرى لا يعطى مناعة اطلاقا ضد الجديرى ، وانما الاصابة به تعطى مناعة أبدية ، ويقال ان الأوساط العلمية الدولية بصدد انتاج طعم خاص ضد الجديرى ، ولكنه لن يكون له ذات الأهمية التى نالها التطعيم ضد الجدرى ، ولا يتوقع له أن يشيع استعماله على نطاق واسع قبل مرور بضع سنوات ، كما لن يكون له ذلك الأثر والأهمية التى كانت للتطعيم ضد الجدرى . □

الزمع

اعاني من وجود اصبع زائدة فى يدى مما يسبب لى حرجا شديدا بسبب فضول الناس . فما هو الخطر من وجود الأصبع الزائدة وما هو التصرف السليم ؟

خ . ى صنعاء

الزمع هو الاسم الذى يطلقونه على وجود أصبع زائدة فى اليد أو القدم ، بحيث تعد أصابع اليد

بريد طبيب الأسرة

أكثر من الأصابع الخمس المعتادة ، وهذا أمر لا خطر فيه ولا ضرر منه ، وإنما هو أمر من أمور الوراثة .

ويقال أن قبيلة عربية جاهلية كان أبناؤها يتميزون بالزمع ، لدرجة أن الشك كان يحوم حول صحة نسب الطفل الطبيعي اذا ما ولد طبيعيا بخمس أصابع فقط ، والأمر كما قلنا لا خطر منه ولا ضرر فيه ، ويمكن تلافي الحرج بازالة الأصبع جراحيا دون أي أثر على صاحبه ، ولكن هذا لا يمنع أبدا توريث هذه الصفة الى الأجيال القادمة من الأبناء والأحفاد □

هرمون الغضب Adrenaline

قرأت فيما أقرأ عن هرمون يدعونه بهرمون الغضب . والحقيقة أنني بالرغم من شغفي بالقراءات الطبية لم أسمع بمثل هذا الهرمون ، ولا الى أية غدة ينتمي أو مفعوله في الجسم فهل لي منكم ببعض المعلومات المفصلة ؟ ولكم شكري وتقديري .

س . ي . ـ حمص ـ سوريا

تقع فوق الكلية غدة صماء تفرز عدة هرمونات ، وهذه الغدة التي يدعونها الغدة فوق الكلوية ، أو غدة الكظر ، تتكون من شقين :

الشق الأول هو الخارجي ويسمى بالقشرة Cortex أو اللحاء ، والشق الثاني هو الداخلي ويسمى باللب أو النخاع medulla .

ان نخاع الكظر يفرز هرمونات أهمها هرمون الادرنالين أو الابينفرين Adrenaline Or Epinephrine ، كما يفرز هرمونا آخر يدعى نورأدرنالين Noradrenaline ، وهذه الهرمونات التي تفرز في الأحوال الطبيعية للانسان بكميات قليلة لها تأثير يشبه تأثير العصب السمبثاوي Sympathatic ، الذي يدعى في العربية بالعصب الفردي ، أو العاطفي ، لأنه يستثار عند زيادة العاطفة كالخوف والغضب .

لهذا فان هرمون الأدرنالين يزداد افرازه لمواجهة المواقف العاطفية ، وأهمها الخوف والغضب ، ومن هنا حمل هذا الهرمون اسم هرمون الغضب مجازا ، لأن تأثيره على الجسم يتسم بالاعراض التي نلحظها عندما يستثار الانسان والحيوان ، أو عندما يغضب .

وتأثير هذا الهرمون الذي يفرزه الجسم عند الاستثارة هو لاعداد الجسم وتهيئة أعضائه لمواجهة متطلبات الموقف الدفاعي أو الهجومي .

ان الادرنالين يعتبر قابضا للأوعية الدموية ، وخاصة في الجلد والانسجة المخاطية ، وأوعية الكلية والاحشاء ، باستثناء شرايين القلب التاجية ، وأوعية المخ والرئتين التي تتسع مع فرط الادرنالين ، كما تزيد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم ، وتتوتر العضلات وتبطىء الأمعاء والمثانة .

لهذا يستفاد من الأدرنالين وزميله النورادرنالين في عدة مواقف ، استطبابية منها ايقاف النزيف في مواضع عدة ، كنزيف الرعاف من الأنف ، أو نزيف الأسنان بعد قلعها .

كما يستفاد منه في تقليل النزيف والألم اذا مزج بمخدر موضعي في العمليات الجراحية البسيطة مثل الجلد أو الأسنان وما اليه .

وقد وجدت له فوائد عامة أخرى أهمها معالجة مواقف الحساسية الشديدة كالربو الشعبي أو الارتيكاريا الجلدية ، وأحيانا يستعمل في حال توقف القلب كلية عن العمل .

ان النورأدرنالين يشبه زميله الادرنالين ولكنه أقوى منه في قبض الأوعية الدموية وأضعف منه في الحقول الأخرى . □

مساحة ود

الأم الأسيرة

منحتنا أغلى ما لديها ، عمرها .. صحتها وأعصابها .. دون أن تنتظر ثمنا أو تطالبنا بشيء ،كنا عشرة أخوة ، ستة من البنين وأربعا من البنات . الاب دائم الارتحال والسفر بين أقطار وبلدان شتى ، وبقيت هى عمود البيت ونوره،تحملت من أمراضها وأوجاعها ، وعرف جسدها المرض مبكرا ، فصاحب أمراض السكر والكبد والدم والقلب وأخيرا أمراض العين .. وتحملت كل هذا وظلت صامدة تمنح وتعطى .. تصون وتحمى .. تغرس وتعلم .. كانت فى بساطتها شامخة نبيلة .. ذات كبرياء وعظمة انسانية كعظمة ملايين الامهات فى وطننا العربى اللاتى تظل معركتهن مع الحياة لا تنتهى من أجل أن يظل الموقد مشتعلا والاناء مليئا بالطعام ... والفراش مرتبا للاطفال .. هذه العظمة النبيلة البسيطة التى لا تبحث عن ضوء .. ولا عن فلاش تصوير ... ولا عن خبر فى جريدة .. ولا عن لقطة فى تلفاز .

ولم تظل معركة أمهاتنا محصورة فى نطاق هموم الحياة اليومية وما اكثرها ـ فقد اتسع نطاق المعركة وامتد ليشمل حنانها وقلبها ويغرس فى القلوب زهرة حزينة .. ففى زمان التردى والهزيمة وسنوات الجمر والبحث عن مكان أفضل تحت الشمس .. كانت الام وقودا .. وعلى امتداد الخريطة العربية .. تتناثر بيوت تضم أمهات قدمن أبناءهن طعاما للسجون والمعتقلات وأخريات قدمن اكبادهن دفاعا عن الارض والشرف والوطن،وليس صدفة أن تتوالى أخبار أمهات عرضن صدورهن لرصاص الاحتلال وعصى الخونة .

ويتسع التاريخ كله لنماذج يومية حتى على مستوى البيت الصغير للحظات عطاء بلا حدود .. حتى يخيل الينا حينا أن العالم على اتساعه قد صغر حتى اختصر فى الام أو انها ـ أى أم ـ قد كبرت حتى احتوت العالم .. فصارت هى الحنان والعطاء .. والجذر والسند .. والصدر والمغفرة والشرف والوطن ومعنى الحياة .

ومع بواكير الربيع .. تتفتح فى الارض زهرة .. تنمو مدندشة الاوراق عبقة العطر .. ويغنى الاطفال لامهاتهم .. ونغنى نحن للام الاسيرة .. الوطن والحرية ... نحلم لها بيوم الخلاص كى يصبح للحياة معنى وقيمة لاتزول . □

محمود عبدالوهاب

العربى العربى العربى
العربى العربى العربى
من ربع قرن

لا نهضة بلا ثقافة

ان التعريف الواضح المحدد لكلمة (ثقافة) في معناها البعيد الشامل ، لا يمكن أن يتأتى بالجمود على المدلول اللغوي للكلمة في معاجم اللغة ومظان التفسير .

وانما هي الوان لا حصر لها من المعرفة الدقيقة العميقة الشاملة التي تساعد على تفسير الظواهر المدركة بالحواس والتأملات الممعنة نفاذا الى أعماق التفكير ، في تجريد دقيق يوفي على الغاية من حيث جميع الظواهر والانفعالات ، ليمكن الوصول عن طريقها الى صقل القرائح والأذهان ، والتأثير في سير النتاج العقلي بكافة فروعه واتجاهاته .

وتثقيف الفرد هو الأساس في تثقيف الشعب لسبب بدهي بسيط ، هو أن الفرد خلية حية فاعلة في جسم الشعب ، وترابط الخلايا والتحامها وتفاعلها بشكل ملزم في الحياة اليومية وفي بناء الكيان التاريخي الاجتماعي للكائن الحي ، هو في حد ذاته عملية تشكيل شعبي على المعنى الوثيق الذي نفهمه اليوم .

وكما يحمل الفرد مسؤولية ضخمة تجاه الشعب في مجال التثقيف والمعرفة ، كذلك يحمل الشعب مسؤولية أكثر ضخامة في المجال ذاته ، تجاه نفسه أولا ، وتجاه الفرد ثانيا ، ثم تجاه الانسانية على المرمى القصي من الموضوع بالتالي .

فالثقافة ليست وقفا على أحد دون أحد ، ولا هي ملك قوم دون قوم ، انما هي ملك للجميع ، وينبوع ثرّ في متناول الكافة ، وهي بعد ذلك حصيلة مراس فكري وتجريبي طويل ، تتركز في تقييمها كافة الخصائص التي تميز فردا من فرد وأمة من أمة .

ان الثقافة ، في تلونها وتنوعها ، حصيلة تأمل وتجربة وانتاج ، تترسب خصائصها عبر الزمن في أعماق التفكير العام لمجموعات الشعب وتكون التراث الفكري للأمة .

وهذا التراث ، بصرف النظر عما فيه من قيم مجردة ، هو في الواقع خميرة التكوين الفكري عند أي شعب حين تطرح خصائصه الثقافية على بساط البحث والتقييم .

العدد السادس عشر مارس ١٩٦٠

ولعل من الخطأ أن نسبغ على التراث الفكري لشعب ما ، صفة الاستقلال الذاتي ، لأن هذا التراث نفسه ، يخرج من نطاق الأهمية الفردية الضيقة ، لينتشر في نطاق المعرفة الانسانية الشاملة ، فيصبح ملكا للكافة ، وارثا للجميع ، أي للانسانية كلها على تباعد الأمكنة والعصور .

فالنظريات الفلسفية ، والآراء اللاهوتية ، والمذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ومناهج الرياضة وعلم النفس ، وما تفرع عنها كلها أو دخل في بابها مما نادى به أعلام وباحثون ونقاد من مختلف الأمم والأقوام والشعوب ، قد غزت العقل البشري منذ وعى التفكير المنظم ، وسوف لا تفتأ تغزوه وتؤثر فيه الى آخر الزمان دون تفريق بين شرق وغرب أو صعيد وصعيد ، ولا سيما بعد أن تقدمت وسائل الطباعة والنشر والاذاعة ، واستحدثت أسباب النقل الحي للحوادث والتجارب ، وكادت تلغي مقاييس الزمان والمكان في مجال التحرك والانتقال على سطح هذا الكوكب الأرضي من أقصاه الى أقصاه .

نعم ان مناهج التثقيف تختلف بين أمة وأمة ، وتدخل في تركيب بنيانها آثار وعوامل خصائصية متميزة ، كالدين والمذهب والبيئة واللغة والمناخ وشروط العيش والعادات المتوارثة ، ولكن الأصول الثقافية الخالصة تظل تنبع أبدا من ينبوع واحد ضخم مشترك ، هو العقل الانساني في مختلف أدوار تطوره وارتقائه .

واذا كانت غاية التثقيف في ذاتها ، تحويل الفرد من « لا انسان » في تصرفه وتدبيره ، الى انسان في سمته ونهجه وتفكيره ، فها هنا تتوضح الأهمية الكبرى لوضع المناهج الصحيحة لتثقيف الشعب على نطاق شامل .

وهنا يعرض لنا سؤال لا بد منه ، لنحصر المرمى الدقيق الذي يترتب على تثقيف الشعب ، وهو : ما هي الفروق المميزة بين شعب وشعب في مضمار التقدم والرقي والاكتفاء الذاتي لتخطيط المستوى العام ؟

الجواب على ذلك لا يحتاج الى كبير عناء ، فبصرف النظر عن سائر العوامل التي تتنازع حياة الشعب في المجالين السياسي والاقتصادي ، فتدفعها الى امام أو تجذبها الى وراء ، فان هناك قاسما مشتركا أعظم يوضح الجوهر البسيط الثمين لواقع تلك الفروق المميزة ، وهو مقدار ما يتمتع به شعب ما من ثقافة صحيحة في وجهيها العام والاختصاصي ، سواء في مضمار التلقي والأخذ أو في مضمار الانتاج والعطاء .

فسائر القيم التي ترتكز عليها المقومات العامة لشخصية الشعب ، انما تتوضح في مقدار نصيبه من الثقافة ، ذلك النصيب الذي تتركز فيه حتما كافة صنوف القدرة والنشاط التي تضبط موقف هذا الشعب أو ذاك من نفسه أولا ، ثم من الشعوب الأخرى بالتالي .

والفرق بين شعب متعلم بصير ، ملكت ثقافته أدوات التفوق والغلبة ، وشعب جاهل ضرير لا حول له من ثقافة منظمة أو بصيرةنامية واعية ، هو السلاح الاول من اسلحة الاستعمار . . قد يقال ان الفرق الجوهري بين شعب مستعمر وآخر مستعمر ، هو واقع القوة والضعف بكل ما تنطوي عليه هاتان الصفتان من طاقات وقيم وحقائق راهنة ، وقد يكون لهذا القول ظل من حقيقة ، ولكنه مردود في النهاية الى أساس العلة وجوهر السبب ، وهو ما بين الشعبين كليهما من فروق في المعرفة مكنت ذلك من امتلاك أسباب الغلبة والتفوق ، وقعدت بهذا عن مجاراته ومحاكاته فلم يتمكن من الوقوف في وجهه ورد عدوانه .

بل ما لنا نشق على أنفسنا في التماس البراهين من المنطق والقياس وأمامنا حقائق مجردة تنهض أدلة مقنعة على ما نقول ؟

أفكان يمكن أن يتخلف الشعب العربي هذا التخلف المفزع المريع ، أو أن يسيطر عليه الاستعمار هذه السيطرة الطويلة الظالمة لو غت في تربته بذور العلم في تطوره وتقدمه ، فمكنته من امتلاك أسباب قوته الذاتية واستغلال قدراته الهائلة ؟ □

فؤاد الرفاعي ـ حلب

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ ما الفرق في اللغة بين الحنيف والأحنف ؟

٢ ـ سيمون بوليفار (١٧٨٣ ـ ١٨٣٠) يسمونه المحرر .. لماذا ؟

■ لأنه حرر بوليفيا ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة اليه .

■ لأنه حرر فنزويلا مسقط رأسه .

■ لانه حرر كلتا الدولتين المذكورتين وحرر أيضا كولمبيا والاكوادور والبيرو .

٣ ـ الولايات المتحدة هي الدولة التي تملك أكبر رصيد (حكومي) من الذهب .. ترى أي الشعوب يملك أفراده أكبر رصيد (شعبي) من الذهب ؟

■ شعب الولايات المتحدة .

■ شعب جنوب أفريقيا .

■ الهنود .

٤ ـ ماهي الشجرة التي أكل آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ من ثمارها فكان ماكان . . . ؟

■ شجرة تفاح أحمر .

■ شجرة تفاح أصفر .

■ لايعرف ان كانت شجرة تفاح أو غير تفاح .

٥ ـ لويس باستور وادوارد جنر .. كلاهما اشتهر

سيمون بوليفار

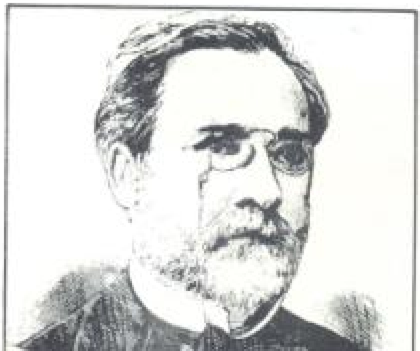

لويس باستور

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٦ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مايو ١٩٨٥ .

بالتلقيح .. فأي مرض عالجه كل منهما بالتلقيح ... ؟

٦ ـ جلفنة الحديد هي طلاؤه بالزنك منعا لتآكله وتأكسده .. فما هي جلفنة المطاط ؟

٧ ـ جزيرة غينيا الجديدة تتقاسمها دولتان هما استراليا وبابوا . وجزيرة هسبنيولا من جزر الهند الغربية تتقاسمها دولة هايتي ودولة الدومنيك . فما هي الجزيرة التي تتقاسمها ثلاث دول .. وما هي تلك الدول علما بأن الجزيرة المقصودة تقع في جزر الهند الشرقية .. ؟

٨ ـ من المعروف أن فصل الصيف في نصف الكرة الشمالي يقابله فصل الشتاء في نصف الكرة الجنوبي .. ترى كم تبلغ الساعة في اتحاد جنوب افريقيا حين تبلغ الثانية عشرة ظهرا في فرنسا ... !

٩ ـ سَمِّ دولتين أو جزيرتين يمر بهما خط التوقيت الدولي .... ؟

١٠ ـ هوكايدو شيكوكو هونشو جوجتسو
كلمات يابانية متجانسة ماعدا واحدة .. فأيّ منها الشاذ ؟

١١ ـ نقرأ في كتب السلف الصالح عن نهر الرها ونهر جيحون .. ترى ما الأسماء التي يعرف بها هذان النهران في الوقت الحاضر .. ؟

١٢ ـ لفظ أمجاد .. هل هو جمع مجد أم جمع مجيد .... ؟

العدد ٣١٦

مارس ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ - ....
....

٢ - ....
....

٣ - ....
....

٤ - ....
....

٥ - ....
....

٦ - ....
....

٧ - ....
....

٨ - ....
....

٩ - ....
....

١٠ - ....
....

١١ - ....
....

١٢ - ....

الاسم : ....
....

العنوان : ....
....
....

مسابقة العربي الثقافية

حل

١ - أول بئر بترول في التاريخ حفرت لأغراض تجارية في بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في ٢٧ أغسطس سنة ١٨٥٩ .

٢ - يبلغ مجمل الاستهلاك العالمي من البترول = ١٠٠٠ مليون طن سنويا .

٣ - زيت الحوت هو الزيت الذي استعملوه للاضاءة قبل سنة ١٨٤٠ .

٤ - اللحمة هي مانسج من الثوب عرضا ، والسدى (أو السداة) ما مد خيوط الثوب طولا . . . وتعني اللحمة أيضا القرابة ، وتعني الأسدية (جمع سدى) الندى . والمقصود بقولهم « ما أنت بلحمة ولا سداة » أنك لاتضر ولاتنفع .

٥ - لفظ استاد يوناني أصلا . . وقد رمز الى وحدة قياس مسافة قدرها ٦٠٠ قدم (١٩٤ ياردة) ، ثم الى الملعب الذي تقام فيه المباريات التي تعتمد تلك المسافة .

٦ - الايربال والانتين يؤديان نفس المعنى . . والفرق بينهما هو أن الاول شائع في أوروبا وسواها والثاني شائع في الولايات المتحدة .

٧ - الدين المقصود هو المعروف في أمريكا باسم (كريستشان سيانس) أو العلم المسيحي . . ويعود تأسيسه الى امرأة هي ماري باكر ادي M.B. Eddy وهو في الواقع مذهب من مذاهب الدين المسيحي ويقوم على الاعتقاد بامكانية الشفاء من

مسابقة العدد ٣١٣ ديسمبر ١٩٨٤

- الأمراض بلا دواء .
٨ ـ المرجان الأحمر الذي نعرف والذي نعتبره من الأحجار الكريمة وهو صنف واحد فقط من أصناف المرجان الكثيرة التي تعد بالآلاف والتي تضم فيما تضم المرجان الأسود والأبيض وغير ذلك . . . وهي لاتعتبر من الأحجار الكريمة .
٩ ـ عرف أهل الغرب الموز بواسطة العرب الذين نقلوا زراعته من موطنه الاصلي في الهند وأواسط آسيا الى حوض البحر المتوسط . . وسموه (بنانا) أسوة بالعرب الذين سموه بنان الموز .

١٠ ـ فراخ الدجاج لاتحتاج الى أكل أو شرب في الفترة التي تعقب فقس بيضها لذلك كان حرص أصحاب المداجن على شحنها في اليوم الاول .
١١ ـ المدينة المفضلة للذين يشكون ارتفاع ضغط دمهم هي : أريحا . . فهي تقع دون مستوى البحر بخلاف القدس الجبلية . . فالضغط الجوي فيها إذن أقل مما هو على سطح البحر ومن شأنه أن يزيد ضغط الدم ارتفاعا .
١٢ ـ صبغة اليود هي المادة المستخرجة من عشبة بحرية .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٣ ديسمبر

الجائزة الاولى : كمال أبو اليزيد شباره ـ كفر الزيات ـ جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثانية : السماحي بوشتي ـ المصلحة البيطرية ـ الحسيمة ـ المملكة المغربية .
الجائزة الثالثة : السيدة/ انعام محمود عمر أبو صافية ـ الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ ياسر غسان جميل ـ الكويت
٢ ـ حسن توفيق عودة ـ حسين داي ـ الجمهورية الجزائرية
٣ ـ السيدة/ سماح حسن عباس المهدي ـ الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة .
٤ ـ علي بن سالم ـ قابس ـ الجمهورية التونسية .
٥ ـ محمد عثمان عبد الباري عثمان القدسي ـ جامعة صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية .
٦ ـ مصطفى عبد الله سعد ـ السودان ـ شرطة رفاعة .
٧ ـ محمد قاسم سومرو ـ البريد كمالديرو ـ نواب شاه ـ سند ـ باكستان .
٨ ـ وليد سليمان السلوم ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .

معركة بلا سلاح

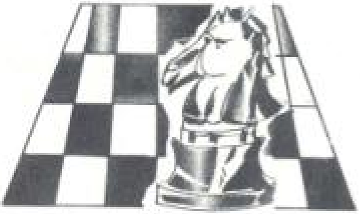

الشطرنج الآلي والانسان . . . لمن تكون الغلبة ؟

لن يمضي وقت طويل حتى يصبح الكومبيوتر المنزلي جزءاً أساسياً من أثاث كل منزل في العالم المتحضر . . . ومع الكومبيوتر المنزلي يدخل الشطرنج الآلي ويسهم مع غيره من أدوات التسلية المنزلية الأخرى في امتاع وتسلية جميع أفراد الأسرة . وفي الاسواق الآن العشرات من برامج الشطرنج التي تفوق أو تدعي التفوق على كبار اللاعبين من بني البشر . . . والحق ان القليل والقليل جداً من البرامج قد تمكن من الوصول إلى مستوى استاذ دولي (دون ٢٥٠٠ نقطة) .

ويتوقع المبرمج الشطرنجي المشهور « مونتي نيوبورن » ان يتمكن الشطرنج الآلي من الوصول إلى مستوى استاذ كبير (فوق ٢٥٠٠ نقطة) قبل نهاية العام الحالي وأن يتفوق على أبطال العالم جميعاً من بني البشر في موعد أقصاه عام ١٩٩٢ وعش رجبا تر عجبا .

وتقوم في بلاد الغرب حالياً مباريات منتظمة بين البرامج الآلية بعضها البعض وبينها وبين اللاعبين من بني البشر يشهدها الالوف من المتفرجين وتنفق على اعدادها عشرات الالوف من الدولارات .

وقد اخترنا لهذا العدد دوراً بين الكومبيوتر المعروف باسم chess 4.6 واللاعب البريطاني مايكل ستين الحامل للقب استاذ دولي كبير (٢٥٠٠ نقطة)

دفاع اوين

ابيض : (شطرنج آلي)   اسود : مايكل ستين

١ - هـ ٤	ب ٦

لعبها « ستين » لتشويش الكومبيوتر وإبعاده عن

الافتتاحيات المدروسة

٢ - د ٤	ف - ب ٧
٣ - ح - جـ ٣	جـ ٥
٤ - د × جـ ٥	ب × جـ ٥
٥ - ف - هـ ٣	د ٦
٦ - ف - ب ٥ +	ح - د ٧
٧ - ح - و ٣	هـ ٦
٨ - ت	أ ٦
٩ - ف × د ٧ +	و × د ٧
١٠ - و - د ٣	ح - هـ ٧
١١ - ر أ - د ١	ر - د ٨
١٢ - و - جـ ٤	ح - ز ٦

لا يستطيع الاسود ان يلعب ١٣ - ف × جـ ٥ خوفا من ١٣ . . . . . و - جـ ٦

١٣ - ر و - هـ ١	ف - هـ ٧
١٤ - و - ب ٣	و - جـ ٦
١٥ - م - حـ ١	

نقلة تثير الشك فبالاضافة الى خسارة الوقت فانها تضع الملك على الوتر الذي يسيطر عليه وزير الخصم دون مبرر

١٥ -	ت
١٦ - ف - ز ٥	ف - أ ٨
١٧ - ف × هـ ٧	ح × هـ ٧
١٨ - أ ٤	ر - ب ٨
١٩ - و - أ ٢	ر - ب ٤
٢٠ - ب ٣	

حل المسألة رقم (٢٥)

١ - . . . . .   و×ز٢ +
٢ - م×ز٢   ف - و٣ +
٣ - م - ز١   ح - حـ٣ #

٢٠ . . . . . .   و ٥
٢١ . ح - ز٥   ر×هـ ٤
٢٢ . ح جـ×هـ ٤   ر×و٢

تبدو قوية لأول وهلة ولكن الكومبيوتر كان أبعد نظراً من خصمه

٢٣ . ر×د٦

وهنا يصبح الاستاذ « ستين » غاضباً : « يا لك من وحش آلي لعين ! » فقد أدرك أن خصمه الآلي يهدد بكش مات في النقلة التالية فيقرر التضحية بالوزير .

٢٣ . . . . . .   و×د٦
٢٤ . ح×د٦   ر×ز٢

الاسود يهدد بأخذ الوزير بالكشف

٢٥ . ح ز - هـ ٤   ر - ز٤
٢٦ . جـ ٤   ح - و٥
٢٧ . حـ ٣ ! (رائعة)

وهنا يصبح « ستين » رغماً عنه : « يا له من كمبيوتر عبقري ! » فقد كان يتوقع ان يأخذ بالحصان فيأخذ هو بالبيدق ويكسب بذلك الحصان المُسْتَمِر .

٢٧ . . . .   ح - ز٣+
٢٨ . م - حـ ٢   ر×هـ ٤
٢٩ . و - و٢ !   مهدداً كش مات
٢٩ . . . .   حـ ٦
٣٠ . ح×هـ ٤   و - و٣

فاستبدل الأبيض الرّخ بقطعتين وعندها لم يجد الاستاذ الكبير مَفَرّاً من الاقرار بالهزيمة لخصمه الآلي بعد أن أصبح يتفوق عليه تفوّقاً مادياً ملحوظاً .

مسابقة العدد

مسألة رقم ٢٧

الأسود يلعب ويكسب الدور

الفائزون بحل المسابقة رقم (٢٣) عدد نوفمبر ٨٤

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - محمود عمران القاهرة / ج م ع
٢ - محمد الشربجي بيروت / لبنان
٣ - لطفية الشبعان المحرق / البحرين
٤ - نور الدين قضومي سيدي بوزيد / تونس
٥ - محمد طعمة دمشق / سوريا

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ - مهيد المتوكل الخرطوم / السودان
٢ - أحمد محي الدين الدمام / السعودية
٣ - أيمن خضر الصفاة / الكويت
٤ - محمد الشحات الزقازيق / ج م ع
٥ - محمد صلاح الدين مسقط / عمان

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

ساطع الحصري

● نقرأ كثيرا عن ساطع الحصري ، لكننا لم نعرف بالتحديد أصل هذا العالم ، فالبعض يقول أنه من مواليد سوريا ، وأن أصله من اليمن . والبعض الآخر يقول أن أصله وولادته كانت في سوريا ، وهذا الاختلاف في الأقوال دفعني الى أن أرسل لكم رسالتي هذه من أجل أن تفيدونا بالحقيقة جوابا عن سؤالي ..

نوال محمود ـ مشرف ـ الكويت

العربي

ساطع الحصري من مواليد اليمن ، وكان والده قاضيا فيها ، وهو من أصل سوري ، تلقى تعليمه في تركيا وفرنسا وسوريا ، وتقلد في تركيا وظائف ادارية وتربوية ، وهو أحد رواد الحركة العربية التي استهدفت وحدة الأمة العربية ، التحق بحكومة سوريا في عهد الأمير فيصل ورحل معه الى العراق .

له عدة مؤلفات منها « القومية العربية ودراسات عن مقدمه ابن خلدون » ..

الكويت نظامها ديمقراطي

● نقرأ كثيرا عن الكويت .. هذا البلد الذي يصدر مجلتنا « العربي » منذ أكثر من ٢٥ عاما .. ورغم كل الذي قرأناه ونقرؤه فاننا لا نزال نبحث عن معلومات جديدة عن هذا البلد العربي الذي يلعب دورا بارزا في مسيرة الأمة العربية ، سواء من الناحية السياسية أو الثقافية أو الاقتصادية ، وكم نتمنى ـ نحن طلبة المدارس الجزائرية ـ أن تعطونا بعض المعلومات عن الكويت ، من حيث السكان والحياة الديمقراطية والتعليمية فيها ..

حمادي عماد
عنابة ـ الجزائر

العربي

كنا نتمنى أن يعرف القارىء العزيز ما أراد معرفته دون سؤال المجلة ، خاصة وأنه طالب على مقاعد الدراسة ، والمنهج لا يخلو من المعلومات التي يريدها ، ومع ذلك فنحن على استعداد أن نحقق له ما يريد بتركيز شديد .

فالكويت بلد عربي اسلامي ، مستقل منذ ٢٥ فبراير ١٩٦١ ، يبلغ تعداد السكان فيه (١٫٣٧٤٫٩٢١) نسمة حسب احصاء ١٩٨٠ م ، تتمتع الكويت بالحياة البرلمانية ، اذ يبلغ عدد النواب في مجلس الأمة ٥٠ نائبا ، ينتخبون من ٢٥ دائرة انتخابية ، وتتعدد المدارس في الكويت من رياض للأطفال الى الثانوية ، وفي الكويت جامعة تحوي معظم الدراسات الأدبية والعلمية ، ويلتحق بها من ينهي المرحلة الثانوية ويحصل على النسبة المطلوبة .

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

الثقب .. والنجم الثاقب

● قرأت ما كتبه المهندس .. سمير صلاح الدين في عدد ديسمبر من مجلتنا العربي حول حقيقة « الثقب الأسود في السماء » والحقيقة أن تناول الكاتب كان شيقا من حيث المضمون والصياغة . ومع هذا فقد ظلت هناك نقطة لم يشر اليها كاتب المقال ، وهي نقطة اشارة القرآن الكريم لهذه الظاهرة وعدم ربط هذا الموضوع بكتاب الله الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الكون الا أحصاها .

ففي سورة .. « الطارق » جاء ذكر النجم الثاقب حيث قال سبحانه وتعالى « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب » .. والثاقب هنا لا يعني الثقب بمعناه الظاهري ، وانما هو جذب كل شيء يقترب منه .. واذا ما تأملنا قليلا نجد أن الأمر ليس هينا كما نتصور ، ففي الاكتشاف عزة وشموخ للقرآن الكريم ، المنزل من الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، خالق هذا الكون ومن عليه ..

محمد حسين محمد ـ القاهرة
جمهورية مصر العربية

العربي

الذي يتدبر في آيات القرآن الكريم ، يقف على كثير من نواحي الحياة التي تناولتها السور ، فخلق ، الانسان والبحار واليابسة والسماء وما فيها والجنة والنار ... كل هذه وغيرها جاء ذكرها في الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

القناعة عند العرب

● امتدت القناعة عند العرب ، فوصلت الى النواحي العاطفية والقلبية ، واذا كانت القناعة تفيد في حال الأفراد ، فهل تفيد القناعة في حال الشعوب والأمم .. ؟

ولقد أخذت القناعة عندي معاني جميلة ، فقدمت بحثا فيها الى احدى الكليات الجامعية ، لكن هذا البحث لم يقبل لأنني في مراحل الدراسة المتوسطة .

فما هو تفسيركم لهذا الرفض ؟ !

عبد الله عبد المطلب ـ المنصورة
مصر العربية

العربي

فيما يتعلق بالرفض للبحث الذي قدمته ، فان ذلك أمر اعتيادي ما دمت طالبا بالمرحلة المتوسطة ، والبحث الذي قدمته للجامعة للحصول على مؤهل دراسي ، والطريق عادة يبدأ بالخطوة الاولى فلا تستعجل واقنع بما لديك .. فإنه كنز لا يفنى ..

مغالطات

● ان تشبيه المخ البشري بالكمبيوتر فيه تجاوز كبير ، فمخ الانسان الذي اخترع آلاف النماذج من أجهزة الكمبيوتر بالغة التعقيد لا يعقل تشبيهه بأحد انجازاته ومخترعاته . ففرق كبير بين الصانع وما صنع ، ومهما بلغنا من التقدم والتطور ، ومهما

حوار القراء

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

ارتفعت تكنولوجيا العصر الحديث ، ومهما كانت عبقرية الانسان . فانها تقف عاجزة حائرة أمام معجزات الخالق عز وجل ، ولا يزال الانسان في سعيه الدائب نحو التقدم يجهل الكثير عن الأرض التي تطؤها قدماه ، والسماء التي تظله ، والبحار والمحيطات التي تمخر عبابها سفنه ، بل انه يجهل الكثير عن جسمه هو نفسه .. ! وما يقال عن الكمبيوتر وتسميته بالعقل الالكتروني ، وما يقال عما يسمونه بالانسان الآلي ، ينطوي في الواقع على مغالطات خطيرة ، فكلاهما قبل كل شيء آلة لا تحس ولا تنفعل ولا تتكلم ، ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، ولا تدب فيها حياة ، ولا يمكن مقارنتها بالانسان الذي اخترعها ويسيطر عليها ولا تنفذ الا ما يمليه عليها وما يلقنها اياه ، ولا تتحرك الا بضغطة من أصابعه على زر هنا أو هناك .

الانسان أكرم مخلوقات الله ، يفيض بالمشاعر والأحاسيس ، وينبض بالحياة ، ولا يمكن أن يقارن بآلات جامدة من صنع يديه . وهنا لا بد أن نحني رؤوسنا خشوعا للمولى عز وجل ، سبحانه وتعالى وهو الخلاق العظيم ..

أحمد محمد أحمد باذيب ـ عدن
اليمن الديمقراطية

العربي

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتجاهل عظمة الخالق في خلق الانسان وتسويته بأحسن صورة ـ قال تعالى : « في أي صورة ما شاء ركبك » . واختراع الكمبيوتر لا يعني تجاهلا للعقل الانساني ، بل هو دليل آخر على قدرة هذا الانسان بصنع هذا الجهاز فيما حباه الله من عقل وعلم ..

ردود خاصة

● **الأخ جبار جاسم الشمري ـ من العراق** ـ ما طلبته من معلومات ومطبوعات اعلامية عن « كوالا لمبور » عاصمة ماليزيا .. في امكانك أن تكتب الى وزارة الاعلام الماليزية ، وسوف تجد لديها كل ما تريد ..

● القبول في جامعة الكويت الذي تساءل عنه **القارىء عبد الله خليل الحربي من سوريا** .. نقول له ان الجامعة لا تقبل طلابا من خارج الكويت الا طلبة المنح الدراسية وأبناء الكويت والخليج ، بالاضافة الى غير الكويتيين الذين يأتون بنسب تحددها الجامعة كل عام .. وفي امكانك أن تكتب لعمادة شئون الطلبة في جامعة الكويت لمزيد من الاستفسار ..

● **القارىء مصطفى محمد الكاتب .. ليبيا** ـ بخصوص ايجاد باب للتعارف في العربي ، يؤسفنا أن نعتذر عن تحقيق رغبتك ، لأن رسالة المجلة هي علمية وثقافية وأدبية .. والمجلات والصحف تغطي هذا الجانب الذي تريده وشكرا ..

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

١٨٦

أول مارس

ميديا

تأليف : بيير كورني

ترجمة وتقديم : ميخائيل بشاي

مراجعة : د. حماده ابراهيم

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

مجلة
خاصة
المثقفين
في الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

***

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب
□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات:
١٢ ديناراً في الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد:
٣ دينار في الكويت ، دينار للطلاب
٣,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي .
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للتوزيع في الكويت والخارج:
مجلة العلوم الاجتماعية

■ توجه جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة، الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ مباشر ، ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٣٦١٦

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

مارس ١٩٨٥م

في تراثنا العربي الإسلامي

د. توفيق الطويل

الكتاب السابع والثمانون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

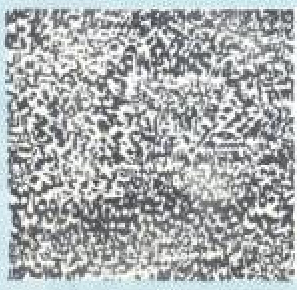

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبد الله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان: ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف: ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس: ٢٢٦١٦ KUNIVER

****

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

■ صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ ■ تصل أعدادها الى أيدي نحو ٠٠٠ر١٢٥ قارئ

تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين، مع مراجعات لأهم الكتب عن المنطقة، مع ملخصات للأبحاث بالانجليزية، كما تصدر المجلة أيضاً دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة

■ العنوان: ص.ب ١٧٠٧٣ الخالدية - الكويت

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

إجعل منزلك أكثر رفاهية مع أجهزة مليئة بالتكنولوجيا.

الدّوامات الثلاث لنابض SWING تؤمّن لكم غسيلاً أفضل

غسالات أوتوماتيكيّة كاملة.

AW-9250E
• نابض SWING لمنع تشابك واتلاف الثياب ولتأمين تنظيف أفضل • موزع أوتوماتيكي لسائل مليّن الغسيل لغسيل أنعم • 4 أزرار تحكم لتزويد الماء بطريقة إقتصادية • فلتر دائري فعّال للغسالة • مؤقت رنّان.

AW-9210E
• نابض SWING لمنع تشابك واتلاف الثياب ولتأمين تنظيف أفضل • 4 أزرار تحكم لتزويد الماء بطريقة إقتصادية • فلتر دائري فعّال للغسالة.

AW-9200PE
• نابض SWING لمنع تشابك واتلاف الثياب ولتأمين تنظيف أفضل • موزع أوتوماتيكي لسائل مليّن الغسيل لغسيل أنعم • 4 أزرار تحكم لتزويد الماء بطريقة إقتصادية • فلتر دائري فعّال للغسالة • تصريف مباشر بواسطة مضخة.

TOSHIBA

TOKYO JAPAN

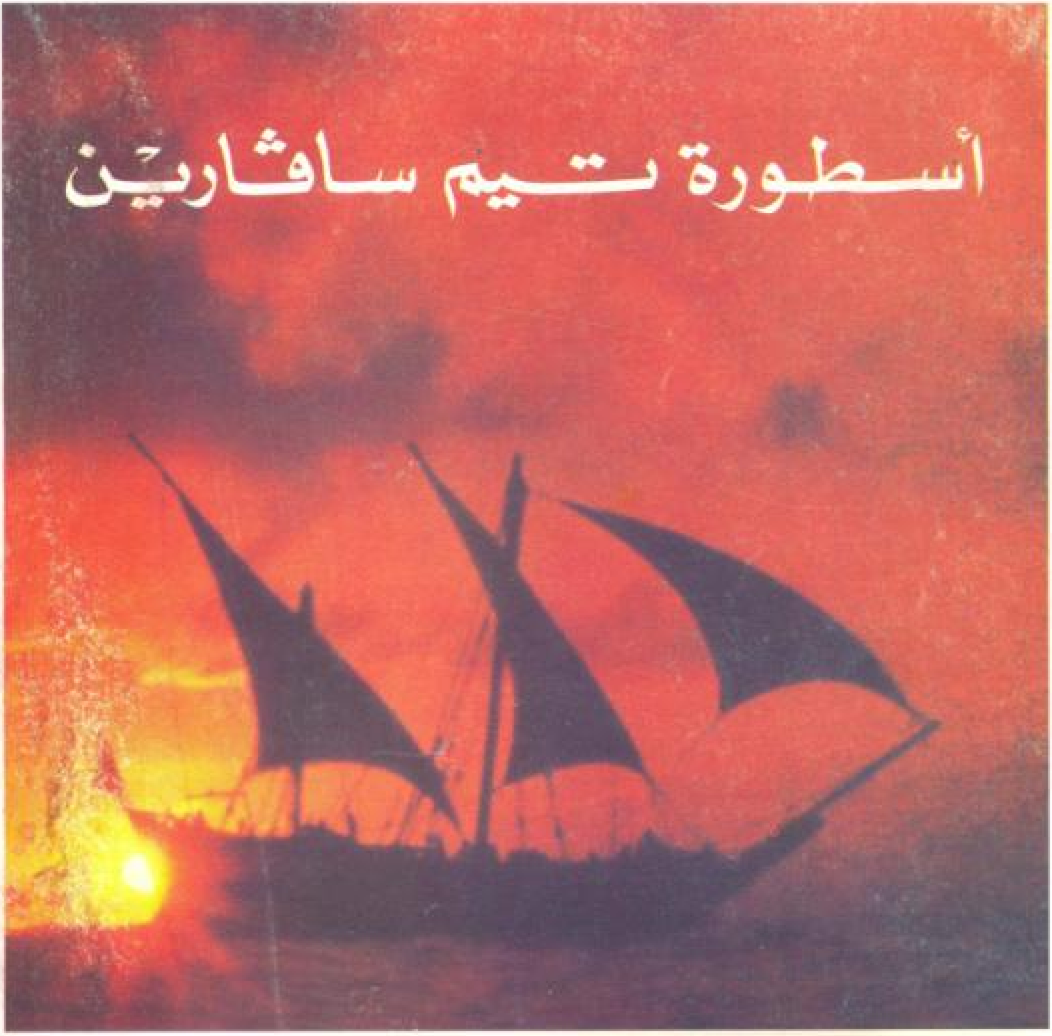

"تيم سافارين" هو كاتب أولاً، لكنه واحد ممن يتبعون كل المصادر الممكنة لتأليف قصصه.

أبحر "سافارين" في مركب عربي ليعيد تحقيق، وإثبات حقيقة سفرات السندباد البحري.

كان "سافارين" يؤمن أن السندباد البحري هو شخصية من نسج خيال قباطنة البحر العربي الذين غامروا بجرأة بالغة بالسفر إلى أقاصي أصقاع العالم كما كانوا يعرفونه في تلك الحقبة من التاريخ.

هذه الأسفار بالنسبة للقرنين الثامن والتاسع، هي بمثابة إستكشاف أعماق الفضاء الكوني في القرن العشرين.

عندما أعاد "تيم سافارين" إحياء مغامرات الأشخاص الأساطير الذين كتب عنهم، كان يقوم بكل الأعمال متبعاً الطريقة ذاتها التي أتموها والوسائل والمواد ذاتها التي رافقتهم في أسفارهم. ما عدا ربما معرفة الوقت بواسطة النجوم.

ساعته رولكس "جي إم تي ماستر"، بما تتميز به من دقة وإتقان الصنع واعتمادية مطلقة، هي ساعة، لو وقعت بيد السندباد، لكانت محط إعجابه.

ROLEX
رولكس

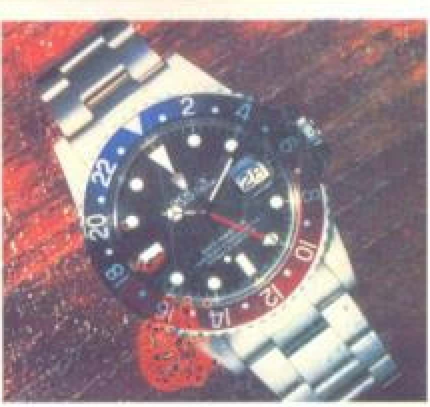

رولكس " جي إم تي - ماستر " ذهب ١٨ قيراطاً، قرص الزمن المطوقة بالذهب ... والجميع مع سوار ...

رجب ١٤٠٥ هـ - ابريل (نيسان) ١٩٨٥

العربي

هيّا بنا، العَرض على وشَك الابتداء مَع جهَاز الفيْديُو سَانيو VTC-R10PS

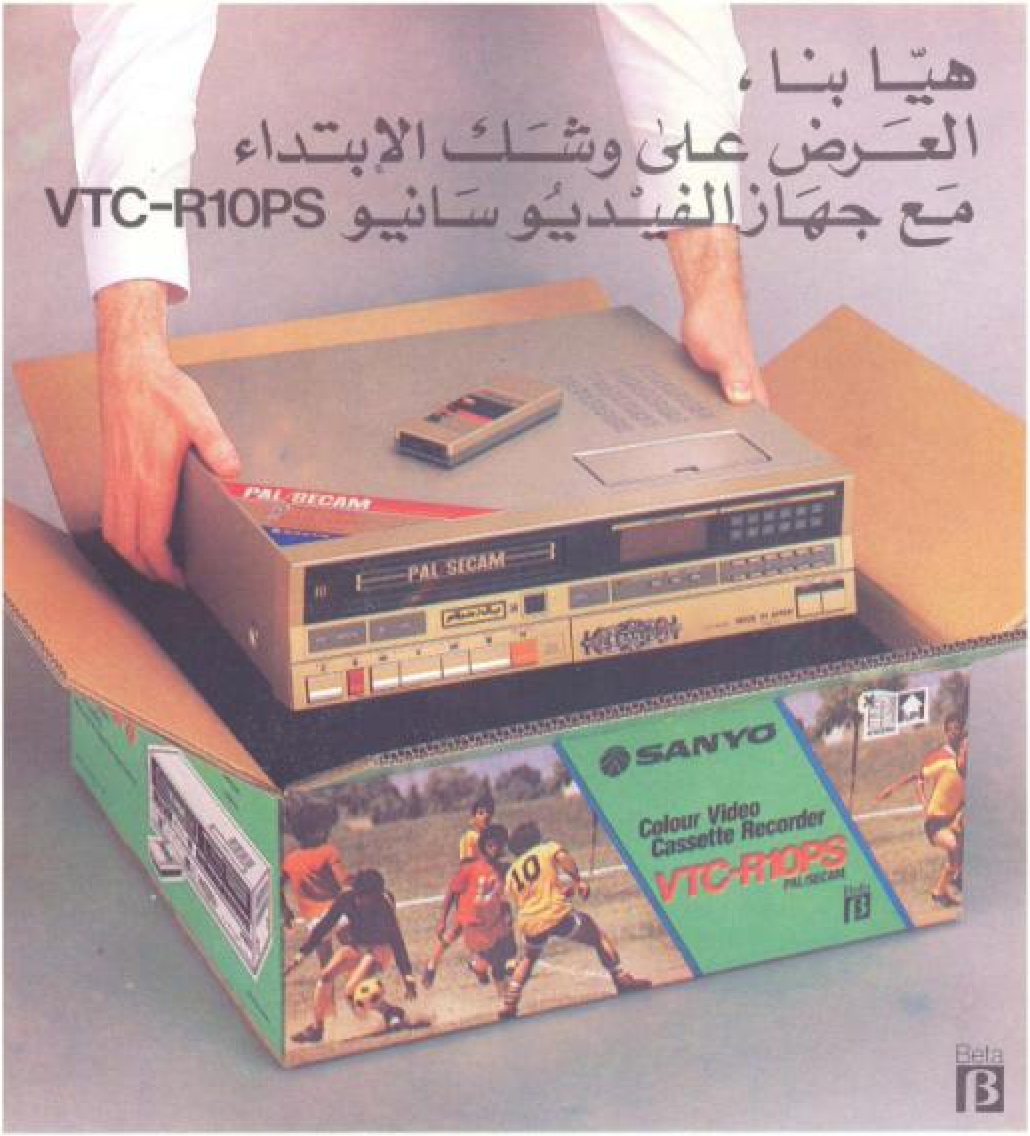

أوْجِد مَسرحًا من البهْجة والذكرَيات الجمِيلة لإسعَاد جميع أفراد العَائلة في منزلك.

عرّف عائلتك إلى عالم الفيديو المثير واضمن لهم التجربة بوضع أسس تكوين شبكة ترفيه خاصة بهم. تمتع بنظامي البث بال وسيكام واستقبل العديد من المحطات التلفزيونية التي تعتمد أقنية UHF/VHF. سجّل البرامج التي لا ترغب تفويتها وذلك بواسطة المؤقت المبرمج لتسجيل برنامج واحد/٨ أيام. أما جهاز التحكم عن بعد - ١٠ وظائف فيقدّم تحكمًا دقيقًا يشمل إعادة البث بطريقة الصورة الثابتة مما يمكّنك من التوقف عند المشهد الذي تريده، البحث عن الصورة بالألوان الكاملة، الترجيع الأوتوماتيكي، عداد الشريط الرقمي والعديد غيرها من الميزات التي توفر لعائلتك سهولة التحكم لمشاهدة العالم. إن العرض متواصل مع سانيو.

SANYO سانيو

VTC-R10PS PAL/SECAM Betacord video cassette recorder

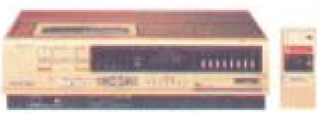

العـــــدد ٣١٧ ابـريـــل ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصوّرة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٣٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR-44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI

Issue No. 317 Apr. 1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

١٥ ابريل

موعدك مع:

كتاب العربي

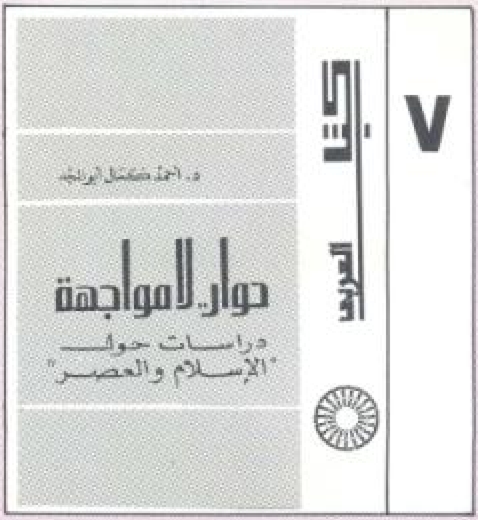

« ان ما استقر عليه الكثير من علمائنا من أنه لا اجتهاد مع وجود النص ينبغي أن يوضع في اطاره الصحيح ، فوجود النص (بمعنى الدليل الجزئي النقلي ، من آية أو حديث) لا يلغي - بالضرورة - دور العقل والاجتهاد ، اذ أن فهم مراد الشارع وتحديد مدلولات الألفاظ ، والترجيح بين النصوص المتعددة التي يوحي ظاهرها بالتعارض ، كل ذلك اجتهاد لا يحول دونه ورود الدليل النقلي » .

هذا جزء من اجتهادات الدكتور احمد كمال ابو المجد في الكثير من المسائل والقضايا الاسلامية المطروحة في عصرنا ، والتي شاع الاجتهاد والنقاش فيها وحولها في الكثير من دورياتنا وصحافتنا ومنتدياتنا وفرقنا . وهي اجتهادات تأمل أن تضيف جديدا لما هو مطروح . وأن تفتح آفاقا جديدة في هذا المجال .

عزيزي القارئ

« العربي » تفتح قلبها وصفحاتها لكل الاخوة الأعزاء الذين يخصونها بالكتابة ، فقد أخذت على عاتقها تقديم الأقلام والأفكار والكتاب الذين يساهمون في نهضة الوطن العربي وتقدمه وعزته ، يرسمون بأقلامهم وخلاصة تفكيرهم الطريق الى ذلك التقدم العربي مع عفة لسان وقوة حجة ورجاحة عقل ، والمنطق سبيلهم الى الاقناع . وهي إذ تفعل ذلك تعده واجبا عليها وحقا للجمهور العربي القارىء ، ليس في داخل الوطن العربي فحسب ، ولكن أينما وجد قارىء العربية .

من هنا يترتب عليها تجاه قرائها واجب أكبر وأعز ، هو أن تقدم لهم كل ما يفيد من ثقافة ومعرفة ، في عصر تفجرت فيه المعارف وتدفقت من كل حدب وصوب .

لذلك فإن الكلمة التي نوجهها لكتابنا الأعزاء بكل اخلاص ، ان « العربي » حريصة على أن تنشر الجديد والنافع ـ من أي قلم عربي ـ وميزانها الوحيد والدقيق هو ما يقدمه المقال من إضافة جادة ورصينة للمعرفة ـ وهي إذ تفعل ذلك لا شك تصطدم بعقبات فعلية موضوعية منها على سبيل المثال تأخر نشر بعض ما يصلنا من إنتاج ، ولنا في ذلك عذر ، فأعداد « العربي » التي أصبحنا نطبعها تجاوزت ثلاثمائة وخمسين ألف نسخة شهريا ، ونستعد لطباعة العدد قبل شهرين على الأقل من وصوله الى يد القارىء ، مما يجعلنا غير قادرين على نشر ما يصل الينا في وقت سريع . هذه واحدة . . أما العقبة الأخرى فهي اضطرارنا ـ نتيجة لهذه الأسباب الفنية ـ الى القيام باختصار بعض الموضوعات التي يكون بودنا أن لا نختصر حفاظاً عليها وعلى توصيلها للقارىء كاملة شاملة . . ولكنها المساحة التي تلزمنا ، لنقدم للقارىء شيئا موجزا ، قليلا حجمه كثيرا نفعه ، حتى نستطيع أن نقدم أكبر خدمة ممكنة . .

لذلك نأمل من كتابنا الأعزاء ـ مهما اختلفت مشاربهم واجتهاداتهم ، ومن كل من أراد أن يساهم معنا في خدمة الثقافة العربية ـ أن يكتب لنا ما يعتقد أنه الجديد الذي يضيف الى المعرفة ، وأن يقدمه في قالب سهل وموجز ، وبذلك نتفادى تأخير نشر ما يصل الينا من موضوعات المعرفة والعلم ، وكذلك نتفادى اختصار الموضوع وتقليصه .

إنها دعوة لكل كتابنا لتفهم الوضع ، ونحن على ثقة أنهم على علم بالمشكلات التقنية التي تواجه العمل الصحافي الثقافي . . ومنهم نطلب المساعدة في تذليلها ، فحرصنا على التنوع والاختصار والجديد هو جزء من حرصنا على أن نعطي القارىء أفضل ما نستطيع وأوفاه . □

المحرر

محتويات العدد

● حديث الشهر :

الانسان .. ذلك الهدف الاسمى

التجربة الديمقراطية في الكويت اعتراف بانسانية الانسان - د . محمد الرميحي ٨

● من حديث الحرية

- د . أحمد كمال أبو المجد ١٧

● الموت الجديد (قصيدة)

- د . عبده بدوي ٢٢

● أسرار الطب النفسي الأسري

- د . عبدالرؤوف ثابت ٢٤

● الابداع : أن يكون العلم حلما والفن حقيقة :

- د . ادريس سالم الحسن ٣٠

● رومانتيكية (قصيدة)

- فاروق شوشة ٣٣

● تقاطع الطرق بداية ونهاية (قصة)

- يوسف الشاروني ٤٦

● تطور مهام مكوك الفضاء

- م . سعد شعبان ٥٢

● السيارة نعمة أم نقمة ؟

- د . محمد علي الفرا ٧٨

● قصة انسان (قصيدة)

- راضي صدوق ٨٨

● صالح أبوستة أصابع (قصة)

- عبد الباري عطوان ٩٠

● اللثة .. هذا الجهاز النبيل !

- د . حكم المأمون ٩٦

● متابعة مسرحية : الوزير العاشق في المسرح الحديث

- فاروق خورشيد ١١٨

● المرأة العربية في السينما العالمية

- أحمد رأفت بهجت ١٢٣

● دعوة الى التجريب في أدب عز الدين المدني

- د . سيد حامد النساج ١٤٢

وجه مشرق لفتاة بين زهور الأوركيد (ص ٦٠)

استطلاعات ومقابلات

● العربي تدخل مصانع السلاح السعودي

- يوسف الشهاب ٣٦

● زهرة الأوركيد : مهرجان من الألوان في الكويت

- وفاء طه ناجي ٦٠

● وجها لوجه : د . مصطفى سويف

- د . شاكر عبد الحميد ٦٥

● قصة مدينة : ملقا وصراع تحت الشمس

- سليمان مظهر ١٠٠

● حصن ومسجد ومدرسة .. الاسهام الكويتي يعيد الحياة .. الى مسجد السلطان حسن

- عبد الغني محمد عبدالله ١٦٢

أبواب العربي

● عزيزي القارىء ٥

● أرقام : قمر عربي ينضم لرحلة اختصار الزمن والمسافة .

- محمود المراغي ٣٤

● منتدى العربي :

● لماذا هذه الحرب على لغتنا الجميلة ؟
ـ د . عمر موسى باشا ٧١
● الأمية الجديدة عندنا وعندهم
ـ د . محمود الذوادي ٧٥
● العربي من ربع قرن ٨٢
● حكايات شرق وغرب ٨٤
● قاموس العربي : باندونج مؤتمر ابريل ١٩٥٥ .... ٩٤
● جمال العربية : صفحة لغة : الجمل ذوات المحل من الاعراب
ـ محمد خليفة التونسي ١٣٠
● جمال العربية : صفحة شعر : هكذا غنى الآباء .. كرم العرب ١٣٢
● الجديد في الطب والعلم
ـ اعداد يوسف الزعبلاوي ... ١٣٤
● مخترعون ومكتشفون ١٣٨
● سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٣٩

● من مكتبة العربي :

● كتاب الشهر : حول الفتح العربي ـ الاسلامي .. لما وراء النهر
ـ نادر خالد نصره ١٤٧
● من المكتبة العربية : أوقاف واملاك المسلمين في فلسطين ـ محمود يبومي ١٥٦
● مكتبة العربي : مختارات ١٦٠
● مسابقة العربي الثقافية ١٩٦
● حل مسابقة العدد ٣١٤ .... ١٩٨
● معركة بلا سلاح (الشطرنج) .. ٢٠٠
● حوار القراء ٢٠٢

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العدد ٣١٧ ـ ابريل ١٩٨٥

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

● هل يعود عصر الحلي العربية ؟
ـ راجي عنايت ١٧٤
● أبناؤنا في خطر .. والتلفزيون هو السبب
ـ ريم الكيلاني ١٨١
● هو .. وهي ١٨٦
● من الحياة : رسالة الى ابنتي !
ـ منير نصيف ١٨٨
● طبيب الأسرة : الاسعافات الأولية ١٩٢
● مساحة ود : ابنة الجنرال ! ١٩٥

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

الإنسان.. ذلك الهدف الأسمى

□ الديمقراطية حوار بين الحاكم والمحكوم يعترف فيه الطرفان بأنهما لا يملكان وحدهما كل الحقيقة.

□ التجربة الديمقراطية في الكويت اعتراف بإنسانية الإنسان وبأن له دوراً حضارياً وإيجابياً في إحداث التغيير.

□ البرلمان ليس "مؤتمر سفراء" لمصالح متفاوتة ولكنه "جمعية تشاورية" لشعب واحد ومصلحة واحدة.

من الأمور التي نعاني منها نتيجة ظروف الطباعة والتجهيز في «العربي» (معضلة الوقت). فنحن نقوم بتجهيز أعدادنا للطباعة قبل خمسة أسابيع على الأقل من وصولها الى يد القارىء.. وذلك عبء نتحمله ويفهمه أيضاً قراؤنا، حيث أن الأعداد الكبيرة المطلوبة من المجلة وظروف الطباعة نفسها تجبرنا على ذلك.

سمو أمير دولة الكويت
الشيخ جابر الأحمد الصباح

ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء
الشيخ سعد العبدالله السالم

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية
الشيخ صباح الأحمد الجابر

من نتائج تلك الظروف-التي كثيرا ما تظهر - أننا نكتب عن موضوع حيوي ومهم ويأخذ طريقه الى المطبعة ، ثم نجد أن وسائل الاعلام الأسبوعية أو حتى اليومية قد تناولته . كما أنه من النتائج الاخرى أن يمر بنا موضوع حيوي آخر لا نستطيع تناوله الا بعد فترة من حدوثه . واذا كان الأمر الأول يؤدي الى شيء من الاحباط ، فإن الأمر الثاني - رغم سلبياته - قد يعطي الفرصة للتفكير والتحليل ، بعيدا عن فرح اللحظة أو حزنها .

●●●

ومناسبة حديثي هذا الشهر هي مناسبة فرحة بكل المقاييس : ليس لأصحابها فقط وإنما - في تقديري - لكل العرب .

المناسبة . . هي الانتخابات النيابية الكويتية التي جرت في العشرين من شهر فبراير الماضي لانتخاب ممثلين عن الشعب الكويتي في مجلس الأمة السادس .

ولم تقتصر متابعة تلك الانتخابات ونتائجها على الاعلام المحلي فقط ، بل تعدتها الى وسائل الاعلام العربية والعالمية ، كما تابعها كل المهتمين بالشئون السياسية في الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه ، وظهرت هذه المتابعة من خلال المقالات الكثيرة التي كتبت حولها في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية في الوطن العربي وخارجه .

ولقد أثبتت هذه الانتخابات أول ما أثبتت ، حكمة القيادة السياسية الكويتية وثاقب بصيرتها ، ففي هذا البلد الصغير بحجمه الكبير بأعماله

وممارساته ، تمت على أرضه - وللمرة السادسة من تاريخه - حملة انتخابية ناضجة ومؤثرة استقبلتها الأقلام العربية في كثير من أقطار الوطن العربي بحماس كبير . هذا الاستقبال له دلالته العميقة في المدى القصير والطويل .

لقد تفجر المخزون الثقافي لدى الشعب الكويتي ، وظهر أكثر ما يكون صحة وحيوية في الحملة الانتخابية لمجلس الأمة السادس ، والتي بدأت رسميا قبل يوم الاقتراع في العشرين من فبراير الماضي بحوالي شهر ونصف .

وتسابق المرشحون يعرضون برامجهم الانتخابية كل بطريقته ، في جو سادته روح التنافس الأخوي والوعي بالمسئولية الوطنية ، وأحاطته الحرية التامة دون أي تدخل من أي جانب . وهكذا تحولت الكويت في أواخر يناير الماضي وجل فبراير إلى ساحة للحوار الكبير . . حوار حول السياسة الداخلية ، وكذلك حوار حول الوضع العربي العام .

تقليديا . . يقيم المرشحون في الكويت خياما لمقارهم الانتخابية في المناطق التي يرشحون أنفسهم فيها ، وتغص هذه الخيام كل ليلة بالناخبين - ليس من أبناء المنطقة الانتخابية فقط - ولكن من أبناء المناطق الانتخابية الأخرى من الراغبين في المشاركة . . بعض المرشحين يتولى بنفسه بسط وجهة نظره في الموضوعات المطروحة ، وطائفة أخرى من المرشحين يستعينون بمن يتوسمون فيهم حسن القيام بهذه المهمة من أبناء وطنهم . . وقليلون آخرون يكتفون باللقاءات الاجتماعية لابداء وجهة نظرهم .

ولكن ذلك كله على اختلاف ألوانه سمي في هذه الحملة الانتخابية (بالعرس الديمقراطي في الكويت) ولقد علق أحد الكتاب العرب بعد ظهور نتائج الانتخابات في الكويت مشيرا لأهميتها العربية بقوله : (قد لا تكون الانتخابات الأخيرة في الكويت أهم انتخابات في تاريخه . . ولكنها بالتأكيد أهم انتخابات بالنسبة إلينا نحن العرب في الظروف الحاضرة ونقول أيضا في الظروف القاهرة) .

لقد اشتاق العرب لرؤية صناديق الاقتراع ورؤية شعبهم يدلي بصوته دون ضغط . هذا الاشتياق هو الذي جعل الجميع ينظر الى انتخابات الكويت ١٩٨٥ هذه النظرة الشمولية .

بين الشورى والديمقراطية

☐ مجموعات أكثر وأكثر من المثقفين والمهتمين العرب يناقشون ويدعون للديمقراطية . بعضهم من المهتمين بالشأن العربي العام يدعون للشورى من منطلق أن هذا المفهوم أقرب الى النزعة التراثية لنا كأمة عربية ومسلمة ، والبعض الآخر يدعو الى الديمقراطية كنظام متكامل للحكم . ومهما كانت الدعوة لهذه أو لتلك - واذا تخلصنا من سجن المفاهيم والمصطلحات - فان كثيرين من المفكرين أصبحوا يهتمون بالمحتوى بدلا من التمسك

لم تمنعه شيخوخته ومرضه فجاء ليشارك في ابداء رأيه والتمسك بحقه الانتخابي

بالمصطلح ، وها هو مفكر إسلامي عربي هو خالد محمد خالد يكتب سلسلة مقالات في مجلة المصور بهذا المعنى ويبدأ مقالاته بالاحتجاج القوي حيث يقول :

(انه لأمر ينفي سكينة النفس ويثير غيظ الحليم أن يجد انسان نفسه مطالبا بتبرير الديمقراطية وتزيينها لقومه من عرب ومسلمين) .

وفي أي وقت كتب ذلك المفكر هذا الكلام ؟

يقول : (قبل سنوات قصار من بزوغ فجر القرن الواحد والعشرين وطلوع شمسه . . .) .

خالد محمد خالد ، وكتاب ومفكرون آخرون كثيرون ، لم تعد تعنيهم المصطلحات اذا كان هناك شبه اتفاق على المحتوى ، ولم ألتق بمفكر أو كاتب أو مهتم في الوطن العربي - مهما كانت اجتهاداته - إلا وافق على مبدأ الديمقراطية حيث يعيش المواطنون سادة أحرارا آمنين ، وحيث يحكم الحكام من خلال دستور متفق عليه . لقد اكتشف الكثيرون من المفكرين ذوي البصر والبصيرة التخوم الواسعة المشتركة بين الاسلام كدين ودولة ، وبين الديمقراطية كمنهج ونظام ، حيث يحث الاسلام على أن يكون الناس عبادا لا عبيدا . . وتؤكد الديمقراطية على المواطنة لا التبعية .

المجتهدون السياسيون والاجتماعيون العرب أيضا يحثون على الديمقراطية ، بعضهم يضع تحفظا حول التطبيق الغربي للديمقراطية ، ربما من منطلق فهم محدود بأن هذا التطبيق بالضرورة هو نفسه الذي يمكن أن يطبق في بلادنا . . وذلك غير صحيح .

فالديمقراطية مثلها مثل عدد كبير من المصطلحات التي تشير الى ظواهر كلية وذات طبيعة شاملة ، ومن الخطأ طرحها على العقل العربي العام دون واقعية ملائمة . ومن هنا تكتسب التجربة الكويتية أهميتها القصوى ، حيث أنها تطبيق لمفاهيم عامة تفاعلت مع الواقع المحلي ، ونجح هذا التفاعل الى درجة لفتت إليه الأنظار في كل أصقاع الوطن العربي ، حيث أنه من الممكن لمؤيدي الديمقراطية النيابية ـ جميعهم أو معظمهم على الاقل ـ الاتفاق على المبدأ القائل بأن جوهر الحكم الديمقراطي هو محاسبة الحكومات والهيئات التشريعية أمام الناخبين . . ولكن الاختلاف يقع بعد ذلك عند مواجهة هذا السؤال المحدد : أي الطرق أفضل في التوصل الى ذلك ؟

الفرق ما بين القضيتين في تصوري ، هو الفرق بين تحليل علمي للبنى السياسية والفلسفات في مجتمع ما ، وبين تبني موقف سياسي علمي يقود الى نتيجة ترضى عنها أغلبية الشعب .

ما هي الديمقراطية ؟

☐ اذا اتفقنا أن القضية الجوهرية هي المعنى والمحتوى والتطبيق ، بصرف النظر عن المصطلحات والمفاهيم ، فان الديمقراطية كما توصل اليها الفكر البشري في حدها الأدنى ، نظام حكومة ومجموعة مؤسسات تلبي على الأقل حاجتين أساسيتين :

الأولى : أن تكون قادرة على أن تقف بأقصى قدر من الدقة على رأي أوسع قطاع من الشعب ، فيمن سيكون ممثلوهم الذين يراقبون ويشاركون في المسيرة السياسية لبلدهم ، وهذا يعني حق الانتخاب العام وتنظيم انتخابات دورية حرة .

والثانية : أن تتوافر الطرق والضمانات لقيام أولئك الممثلين الذين اختارهم الشعب لانجاز ما أراد الناخبون أن يقوموا به نيابة عنهم ، وأن يخول للشعب استبدالهم اذا قصروا في ذلك .

وبمعنى آخر أن الديمقراطية هي حوار بين الحاكم والمحكوم يعترف الطرفان فيه بأنهم وحدهم لا يملكون الحقيقة كاملة ، وأن الحقيقة هي الحصيلة العقلانية لهذا الحوار المقيد بضوابط دستورية وقانونية .

وقد حدثنا التاريخ ـ حتى في هذا النمط من التفاصيل ـ بأن الدكتاتور يمكن أن يحصل على السلطة باستخدام الآلة الانتخابية ، ولعل المثل البارز في هذا المجال هو شخصية دكتاتورية مثل أدولف هتلر الذي نفذ ذلك !

ولكن دكتاتورا من ذلك النوع يكون بمقدوره أن يبقى في الحكم فقط .

إما باستمالة الرأي العام عن طريق دعاية إعلامية مركزة ـ وهذا الحبل قصير نسبيا ـ أو عن طريق الاستهانة بحرية الشعب في التعبير أو كبتها ، وذلك يسقط الديمقراطية من الأساس .

إذا أكدنا أن روح الديمقراطية هي الحوار بين الحاكم والمحكوم ، تبقى قضية أخرى هي : الى أي مدى يمكن أن يكون هذا الحوار مؤثرا .

ذلك يتوقف على العادات والظروف الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى اقتناع السلطة السياسية بهذا الحوار وأهميته ، وعلى الآلة التي يتحقق بها الاتصال .

ومن هنا تأتي العودة الى أهمية التجربة الكويتية ، فقد قلنا أن الأسرة الحاكمة الكويتية قد وعت هذا الدور وتمسكت به . ولقد أثبت الزمن والتجارب مدى حكمتها وبعد نظرها في كل ذلك . فلقد حرصت على أن تسير تجربة الحوار القديمة في تاريخ الكويت مسارها الحديث ، من خلال مؤسسات لها قواعد دستورية وقوانين محترمة من الجميع ، دفعت الشعب الكويتي الى الاعتزاز بالتجربة واحترامها والتشبث بها ، وحفزته الى التقدير والحب الصادق لدعاتها وحماتها .

ولكن علماء السياسة السلوكيين ـ ينظرون الى تجارب العالم الثالث ـ في الممارسة الديمقراطية نظرة تشكك وريبة بسبب الفشل المتعدد للممارسة النيابية بأشكالها المختلفة ، وتقول دراساتهم أن شعوب العالم الثالث ـ لكثرة ما عانته من تزييف في رغبتها ـ تضطر الى الاذعان السلبي دون الموافقة الفعالة . ومن المظاهر التي يعززون بها هذا القول ، قلة الاقبال على صناديق الاقتراع . أو التدخلات المباشرة وغير المباشرة للضغط على الناخبين والمرشحين وحرمان قطاعات منهم من ممارسة حقهم .. لذلك تتوجه هذه الدراسات الى القول بأن الديمقراطية في العالم الثالث غير واقعية وغير عصرية ولا تلائم هذه المجتمعات ، ولعل تجربة الكويت تثبت العكس تماما إذا صلحت النية واشتد العزم . فقد قام الناخب الكويتي الذي تبلور وعيه الانتخابي بأهمية الديمقراطية وفائدتها ، بالتوجه الى صناديق الاقتراع بنسبة كبيرة ، وصلت الى حوالي ٨٥٪ من المسجلين في كشوف الاقتراع ، وذاك أحد المؤشرات الهامة على نجاح تلك التجربة وتأصيلها ، وإذا كان من حق الانسان أن يقبل أو يعرض عن الادلاء بصوته ، فلا مناص له من الاسهام في الحوار بطريقة أو بأخرى .

الديمقراطية إذن هي ذاك الحوار الذي يجري بين المواطنين من خلال مؤسسات معترف بها ومناسبة للمجتمع ، من أجل تحقيق أهداف مجتمعية عامة ، والحفاظ على الوطن وحرية المواطن ..

نقل النموذج الغربي بقضه وقضيضه ليس من شأنه أن يساعدنا على تحقيق أهداف بناء المجتمع ، على ألا يحول ذلك الرفض بيننا وبين التماس ديمقراطية ملائمة لنا حتى لا نعيش بدون ديمقراطية .

بكل حرية
يمارس حقه
الانتخابي

في وقت ما من تطورنا العربي المعاصر ، وضع البعض الديمقراطية بكلياتها في موقع التناقض للتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، بل في مقام التناقض مع التقدم السياسي أيضا . وبعد تجربة طويلة نسبيا ، عاد الفكر العربي يطرق أبواب الديمقراطية بمعناها الحضاري ، وارتفعت صيحات المفكرين العرب تقول : أننا لا نبني المصانع غراما في المصانع ، ولا نبني السدود غراما في السدود ، ولا نعلم الناس غراما في التعليم بحد ذاته ، نحن لا نسعد الناس على الرغم من إرادتهم ، فلا بد أولا وقبل كل شيء أن تكون إرادتهم الوطنية حرة حتى في اختيار نوع السعادة التي يريدون !

إن ذلك يفسر السعادة الغامرة التي لفت شعب الكويت مساء فرز الأصوات ، وكذلك يفسر سعادة كل من كتب من المعلقين العرب على هذا الحدث التاريخي .

الإنسان.. ذلك الهدف الأسمى

□ الاعتراف بالانسان كانسان ، في الديمقراطية قبل كل شيء ، لا يعتمد على الوسائل فقط ، بل على أساس الغايات الرئيسية التي يراد من هذه الوسائل أن تخدمها ، فهي ليست مؤسسات ولكنها روح وفلسفة . الديمقراطية ليست فقط أن تكون مصالح المواطن ممثلة ، أو أن يعود عليه عائد التنمية ، بل أن يكون له دور حضاري وإيجابي في إحداث ذلك التغيير ، وهكذا كانت القاعدة الرئيسية في الانتخابات الكويتية .. في مجتمع قرر أهله أن يؤمنوا للمواطنين جميعا العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، مؤكدين كرامة الفرد ووحدة الشعب .

كذلك فالديمقراطية الحقيقية تعنى بالوسائل عنايتها بالأهداف ، لذلك فان الحكومة الديمقراطية في عالم حقيقي لا مثالي ، تعترض طريقها عقبات من كل الأنواع ، انسانية وغير انسانية ، قومية ودولية ، فالحكم الديمقراطي أصعب أنواع الحكم جميعا كما أثبتت كل تجارب التاريخ والشعوب . وهناك أوهام كثيرة عن (الطبيعة السحرية) للديمقراطية .. وهي أوهام فقط ، أما الحقيقة فإن النظام الديمقراطي لا يعني حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية لأمة ما أو لشعب ما حلا سريعا ونهائيا ، إلا أن نظام الحكم الديمقراطي يخلق مناخا أفضل لنمو ثقافة سياسية عقلانية تواجه الواقع كما هو لا كما يجب أن يكون .

لذلك فان الفلسفة التي اقتنع بها الحكم في الكويت منذ بزوغ فجر الاستقلال ، أن البرلمان ليس « مؤتمر سفراء » لمصالح مختلفة متفاوتة ، بل « جمعية تشاورية » لشعب واحد ومصلحة واحدة هي مصلحة الجميع ، ولا ريب أن التوزيع العملي لاختيار الاعضاء هو توزيع جغرافي فرضته ضرورة وميكانيكية العمل الديمقراطي ، ولكن عندما يختار العضو ، فإنه يكف عن اعتبار نفسه ممثلا لمنطقة .. بل يصبح عضوا في مجلس للكويتيين جميعا

عرس الديمقراطية في الكويت والجميع يشاركون . .

الدستور تلك الوثيقة الهامة

□ لقد حرص الآباء المؤسسون للعمل السياسي الحديث في الكويت أن يضعوا دستورا مرنا تمارس من خلاله العملية الديمقراطية . والدساتير كانت مرتبطة عموما بنشوء الديمقراطيات ، ولا توجد صيغة عامة - كما يقول الفقهاء القانونيون - للدستور الديمقراطي . . فقد تكون مكتوبة أو غير مكتوبة ، ملكية أو جمهورية ، برلمانية أو رئاسية ، مركزية أو فدرالية ، مرنة في التعديل أو صعبة ، طويلة ومعقدة أو قصيرة وواضحة ، ولكن المهم منها كلها أنها أكثر من كتاب قوانين . . لأن القصد منها أيضا أن تكون (شيئا مكتوبا) يطلع من خلالها الفرد في المجتمع على مكانته في الدولة ، وتؤكد وتحدد حقوق الافراد وواجباتهم ، وتوفر إطارا قانونيا يمكن أن يقام عليه نظام ثابت للسلوك السياسي ، ومعظم الدساتير في أقطار العالم الثالث ولدت في فترات عدم الاستقرار وقصد بها أن تكون أدوات لخلق الاستقرار السياسي .

دستور الكويت لم يكن كذلك ، فقد توفر له من الرجال والتصميم السياسي ما أعطاه من الثبوت والمرونة الشيء الكثير . فالاتجاهات الأساسية للدستور الكويتي تضعه في موقف الاعتدال والتوسط من قضايا كثيرة . ففي موقفه من الأنظمة الاقتصادية نجده مع النظام الفردي ، ولكنه مع إدخال فكرة العدالة الاجتماعية والاهتمام بنتيجة العمل ، كما أن الاتجاه الاسلامي والعربي في دستور الكويت اتجاه واضح للعيان في أكثر من مادة من مواده ، ولقد حدد حقوق المواطن السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما حدد كذلك الواجبات العامة . . وهو يقرر بالنسبة لها الأصل العام ويترك الضوابط والتفصيلات للقانون العادي الذي لا يجوز له أن يهدر أصل الحق ، كما قرر الحريات العامة وحدد رقابة الرأي العام على الشئون العامة .

ومهما تكن النصوص الدستورية في بلد ما جيدة ، ومهما يكن لرجال السياسة فيه من حكمة ، تظل هناك حدود لما يجب أن ينتظر من الدستور .

وإن أريد للدستور أن يؤثر تأثيرا سياسيا وحقيقيا طبق بروحه بصورة يفهمها المواطن العادي . ولقد جاء هذا التطبيق العملي في قمة وضوحه إبان حملة انتخابات ١٩٨٥ ، حين كان المشاهدون يتابعون التلفاز الكويتي وهو يذيع أولا بأول نتائج الانتخابات ، كما أن الحوار الشعبي الذي سبق كل ذلك كان تطبيقا عمليا لروح الدستور الكويتي .

ربيع الكويت الذي جاء مبكرا ..

□ لقد جاء ربيع الكويت مبكرا هذا العام ، ولقد كانت الطبيعة كريمة ، فجاء المطر والعشب ، ليكون مصدرا للسعادة ، كما كانت عملية الانتخابات والحوارات التي سبقتها مصدرا آخر للسعادة . أستاذ العلوم السياسية في جامعة أكستر في بريطانيا ـ وهو واحد من عشرات المراقبين الأجانب ومئات المراقبين العرب الذين نظروا الى التجربة الكويتية لا على أنها تجربة محلية ولكن على أنها ظاهرة عربية ـ كتب يقول :

(توقعي الأساسي بالنسبة لظهور مؤسسات تمثيلية في الخليج هو أن الأفراد الأكثر وعيا سياسيا يمكنهم أن يسخروا هذه المؤسسات لاظهار الاهتمامات العربية الأوسع) .

أما الصحافة العربية في منطقة الخليج العربي أولا ، وفي المنطقة العربية ككل ثانيا ، التي تابعت التجربة عن قرب ورصدتها بعين ثاقبة ، فقد قالت احدى صحفها : (اذا كانت دولة الكويت قد عرفت في العصر الحديث كدولة نفطية ثرية ، فان من الانصاف القول أن ثراءها الحقيقي يتمثل بقيادتها وأبناء شعبها الذين استطاعوا أن يحولوا بلدهم بعد أربع وعشرين سنة من الاستقلال ـ وهو عمر قصير في حياة الشعوب ـ الى دولة ديمقراطية يمتلك شعبها ناصية تقدمه وتطوره) .

الصحفي العربي مصطفى أمين في الأخبار القاهرية ، والصحفي العربي كامل زهيري ، كذلك أحمد بهاء الدين ود. عبد العظيم انيس وسليمان الفرزلي هم بعض من أعداد كبيرة من قادة الرأي والصحافة أشادوا بالتجربة الكويتية وايجابياتها ، لا على الصعيد المحلي ولكن على المستوى القومي .

وفي وسط غياب (وبهوت) التجارب في العالم الثالث تقف التجربة الكويتية لتعزز حرية الوطن والمواطن . . ويصفها أحد الكتاب العرب بأنها تكاد تقترب من (اليوتوبيا) « المثالية » العربية .

هكذا كان عمق التجربة وشمولها .

واذا كان أحد في النهاية يقصد الكويت بسوء ، فهو يقصد تجربتها الديمقراطية ووحدة شعبها ، وإذا كان الكويتيون مصممين على شيء . . فهم مصممون على رعاية المسيرة وحفظها في ظل السياسة الرشيدة المؤمنة

محمد الرميحي

من حديث

الحرية

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

أكثر الكلمات . . والشعارات تداولا في العالم وخاصة في وطننا العربي هي الكلمات المتعلقة بالحرية والديمقراطية . . . .

فما هو موقعها في حياتنا ، وكيف نفهمها ونتعامل معها إن وجدت ؟

الحديث عن الحرية كثير في ثقافتنا العربية المعاصرة ، ولكن أكثره يدخل في نطاق « أدبيات السياسة » ، ويدور حول قضيتين اثنتين لايكاد يتجاوزهما . . الأولى ، حرية الفرد في مخالفة « الحكومة » ونقد سياساتها . . الأخرى . . حق الجماعة في تقرير مصيرها السياسي بارادتها المستقلة عن ضغوط الآخرين . . ومع أن هاتين القضيتين تشكلان ـ بغير شك ـ جزءا مهما من اجزاء «الحرية» . . فان انحسار البحث والاهتمام فيهما من شأنه ان يحرم قضايا اخرى لاتقل عنهما اهمية واتصالا بجوهر الحرية من أن تنال حظها الضروري من عناية الباحثين والكتاب ، ومن ثم عناية الرأي العام والمجتمع كله .

وفي تقديرنا أن هذا الانحصار يرجع الى أن وطننا العربي قد واجه خلال القرنين الأخيرين مشكلتين أساسيتين ، استغرقتا اهتمام مفكريه وساسته وحكامه . . الأولى ، مشكلة « تأسيس السلطة » ، واقامة نظام دستوري ، تتحدد فيه سلطات الحكومات وحقوق المحكومين . . ولذلك ارتبطت الدعوة الى « الحرية » ارتباطا وثيقا بالدعوة الى « وضع الدستور » والى احترامه . . والمشكلة الثانية مشكلة تحقيق الاستقلال ، وتثبيت السيادة الوطنية في مواجهة الاحتلال الاجنبي ، الذي خضعت له اكثر أجزاء الوطن العربي ، ولم يكتمل التحرير منه ـ شكليا على الأقل ـ الا في أعقاب الحرب العالمية الثانية . . ولهذا ارتبطت الحرية في العقل وفي الوجدان العربي ارتباطا وثيقا بتحقيق « الاستقلال الوطني » . .

وقد ترتبت على ارتباط قضية « الحرية » بهذه الملابسات التاريخية ذات الطابع السياسي مجموعة من النتائج السلبية ، لايزال واقعنا كله يعاني من آثارها :

النتيجة الأولى :

ان رؤية الكثيرين من مثقفينا والمشتغلين بالعمل السياسي في بلادنا للحرية قد صارت رؤية مجزأة ، لاتكاد تعنى بالبحث عن الاصول « الفلسفية » « والاخلاقية » لحرية الانسان . . ولذلك ظلت النظرة السائدة للحرية في مجالاتها المختلفة ترى فيها جزءا من النظام السياسي ولا ترى فيها « قيمة أساسية » مرتبطة بالتصور الكلي للانسان وطبيعته وعلاقاته . . وفي ظل هذه النظرة يكون من السهل على الفرد أن يعتدي على حرية الآخرين . . أو أن يفرط في ممارسته لحريته هو نفسه .

وهذا الاعتداء على حريات الآخرين مسلك يتعرض للوقوع فيه « الحكام » «والمحكومون» على السواء . . فقلة من الحكام من يتردد في الجور على حريات الناس - ايمانا بأن هذا الجور لايجوز - وأن احترام هذه الحريات جزء أساسي من أجزاء الالتزام بالعقد الاجتماعي الذي يربط الحكام بالمحكومين ، وأنه فوق ذلك جزء من النظام الاخلاقي الأساسي للجماعة . .

وقلة من المحكومين من تتجاوز رؤيته للحرية، حريته هو أو حرية جماعته الصغيرة . . أو حزبه السياسي . . أو طبقته الاجتماعية . . وبذلك يغدو الدفاع عن « الحرية » عنده جزءا من تكتيك « الدفاع عن مصالحه الذاتية » ولايغدو توافقا مع القيم الأساسية للمجتمع . وهذا هو الذي يفسر مسلك كثير من الأفراد والجماعات في وطننا العربي حين يقيمون الدنيا ويقعدونها عندما تمس « حرياتهم » ، ثم لايختلج لهم جفن ولايسمع لهم صوت حين تمس حريات غيرهم ، أو تتعرض لأقسى أنواع المصادرة والاعتداء . . ان التفسير الوحيد لهذا « الفصام » السلوكي أن الحرية لم تدخل بعد في دائرة « القيم الأساسية » للفرد والمجتمع .

ان من النتائج المحزنة التي ينبغي - على الأقل - أن نملك شجاعة الاعتراف بها ، أن مشاركة العرب والمسلمين في الجهود العالمية لحماية الحقوق والحريات مشاركة محدودة ، لاتتناسب على الاطلاق مع جسامة ماتعرضوا له ، أفرادا وجماعات ودولا ، من اعتداءات متصلة الحلقات على حقوقهم وحرياتهم . . ان هذه الظاهرة تدعو - فوق ذلك للدهشة البالغة - اذا ذكرنا قيام التصور الاسلامي للانسان ، على أساس من تقديس حريته باعتبارها رمز انسانيته ، وأساس تميزه ، ومناط تكليفه ومسئوليته . .

ومما يفتح أبواب الأمل والرجاء - مع ذلك- أن السنوات الأخيرة قد أخذت تشهد بشائر اهتمام متزايد من جانب بعض المثقفين العرب ، بالاسهام المنظم في حماية الحريات على المستويات القطرية والعربية والدولية .

النتيجة الثانية :

اسقاط الاهتمام بالحرية وممارستها خارج ساحة العمل السياسي والحياة السياسية .. ولهذا يكثر بيننا من يعدون أنفسهم ويعدهم الناس من أبطال الحرية والمدافعين عنها في الحياة السياسية .. ومع ذلك نراهم يتخذون أشد المواقف استهانة بالحرية ، وتبريرا لمصادرتها ، حين يتصل الأمر بالتربية ، أو بالتعليم ، أو بالعلاقات الأسرية والاجتماعية .. وهو تناقض لايتصور أن يقوم بمثل هذه الحدة الصارخة في أمة ترى في « الحرية » قيمة عامة ترتبط بتصورها الأساسي للانسان .. ان احترام حرية الانسان في أن يفكر لنفسه ، ويقرر لنفسه ، وأن يحدد - من خلال هذا الفكر وذلك التقرير - معالم شخصيته الذاتية داخل الأسرة ، وفي حجرة الدراسة ، وقاعات البحث ، وساحات الحياة الاجتماعية ، هذا الاحترام لايمكن أن ينفصل عن احترام الحق في « المخالفة السياسية » وتقرير المصير السياسي .. ان الذين يصرون على « قولبة » فكرة الطلاب والدارسين في قوالب من حديد يصنعها لهم « معلموهم » ..

والذين يصرون على أن « الشباب » خارجون ومارقون وصائرون الى فساد عظيم اذا هم خالفوا جيل الكبار فيما كبر أو صغر من مناهج تفكيرهم ، واسلوب حياتهم .. والذين لايرون في المرأة الا عورة ينبغي أن تستر ، وناقصة عقل لاينبغي أن يسمع لها رأي ، ويحتمل ضميرهم الانساني والديني أن يردوها الى موقع من الصغار والدونية لايكتمل بغيره احساسهم بالقدرة ..[1] أولئك - جميعا - لايمكن أن يكونوا « مؤمنين » بالحرية فضلا عن أن يكونوا من أبطالها ، مهما شقوا الحناجر دفاعا عن حرية « المعارضة السياسية » و« الاستقلال الوطني » .

النتيجة الثالثة :

ان نظرة كثير من المدافعين عن الحرية في وطننا العربي لاتزال نظرة « رومانسية » خلفتها فترات الكفاح السياسي لاقامة حكومات دستورية ، أو لاجلاء المحتل الأجنبي .. ولذلك غابت عنها رؤية الوظائف الحقيقية العديدة التي تؤديها الحرية في الحياتين السياسية والاجتماعية .. ولهذا السبب بالاضافة الى ما تقدم جميعه - نرى من أصحاب

(١) نقول هذا غير جاهلين بالنصوص القرآنية والنبوية التي أمرت النساء بالاحتشام وترك تبرج « الجاهلية الأولى » - ولكنا لانجد في تلك النصوص وما اشتملت عليه من آداب ، ما يخدش أصل المساواة بين المرأة والرجل .. أو يبرر أن تدور النظرة الى المرأة حول فكرة « العورة » وحدها .. اذ معلوم من استقراء نصوص الشريعة واستقصاء مقاصدها أن هذه الأحكام كلها تدور في اطار « تنظيم العلاقة » بين الرجل والمرأة ، وسد الذرائع المؤدية الى اضطرابها .. وهو اضطراب يتعرض له طرفا العلاقة جميعا ، المرأة والرجل .. ولهذا - على سبيل المثال - جاء الأمر القرآني بغض البصر موجها للمؤمنين والمؤمنات على سواء ..

أما حديث النبي (ﷺ) عن نقص عقل المرأة فلا نخوض فيه هنا ، وفي فهم معناه كلام كثير .. اذ ان رواية « النص » لاتحسم الحوار ... وانما الصحيح أن الحوار يبدأ بعد معرفة النص .. والرواية كما يقول علماؤنا - لاتغني عن الدراية ..

أما أصل المساواة بين الرجل والمرأة فثابت عند من يتأملون قوله تعالى :

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

وفي قوله (ﷺ) : « النساء شقائق الرجال » .

وفي نصوص أخرى يحتاج شرح دلالاتها الى حديث مستقل .

السلطة ، في الجماعة كلها أو في الاسرة أو غيرهما ، من لايزال ينظر للحرية على أنها « شر لابد منه » وثمن يدفعه مضطرا ، درءا لشرور أكبر وأخطر . . دون أن يمتد بصره الى المنافع الايجابية الهائلة التي تحملها الحرية في ركابها . . مما اسماه البعض بحق : « نِعَمْ الحرية » . . The Blessings of Liberty[٢]

ان استعراض «نعم الحرية» وثمراتها الطيبة المحققة لايتسع له حديث واحد مهما امتد . . ذلك أن هذه الثمرات تتنوع من ميدان الى ميدان وتتعدد من حرية الى حرية . .

وحسبنا أن نقرر في ذلك أصلا عاما . . وأن نضرب ـ في ظله ـ عددا من الأمثلة . .

أما الأصل العام فهو أن الانسان المكبل الفكر ، والمقيد القول ، والمغلول عن الحركة ، والخائف من عواقب حريته في تلك الميادين كلها . . لايمكن أن يعطي الوجود من حوله الافتاتا ضئيلا خاليا من القيمة ، مجردا من الخصوبة ، منقوص الوجود . .

فالخائف لايحسن التفكير . . ولايتجاسر على التعبير . . ولاتثبت له قدم في خطو أو حركة . . وهيهات هيهات أن يبدع في عطائه . . أو تتجلى فيما يقول ويفعل يد الحكمة والقدرة التي أودعها الله في بنائه . . ونحن العرب . . والمسلمين . . أمم مسبوقة . . في العلم . . والصناعة . . والزراعة . . وفن عمارة الكون . . والتعامل مع سنن الله المودعة في أرجائه . . غذاؤنا لانزرعه ، وكساؤنا ودواؤنا وسلاحنا . . لانصنعه . . وعلاقتنا بكثير من قفزات الشعوب من حولنا علاقة المأخوذ بالدهشة والمقهور بالعجز . .

فهل يتصور عاقل ، ونحن على هذا الحال . . أن نعمد الى البقية الباقية من حرية الأحرار فينا فنحاصرها ونطوقها ونأخذ بخناقها من كل جانب . . ونحيط حياة الجيل كله بألوان وفنون من الأغلال . . فنغتال بذلك فرصة الابداع الذي ربما يستطيع وحده أن يختصر لنا بعض رحلة اللحاق . . قبل ألا يمكن اللحاق . . ؟؟

وهل يتصور عاقل ـ ونحن على هذا الحال ـ أن تظل نظمنا التعليمية والتربوية قائمة على الحفظ والتلقين، والطاعة العلمية » التي لامشاركة فيها ولا حوار . . فتضمر ملكات الابتكار . . وتتراجع ـ تحت ركام المحفوظات ـ مواهب الكشف الابداع ؟ . . أم هل يتصور عاقل أن نقهر جيلا بأكمله من الشباب . . لانحن نعطيه القدوة ونقدم له المثال . . ولانحن نحل له عشرات المشاكل الكبيرة التي تعلم ـ ويعلم ـ أنها تأخذ بخناقنا جميعا شبابا وغير شباب . . ولانحن ـ بعد ذلك كله ـ نسلم له بحق التجربة وممارسة الاجتهاد . . وانما نردد ـ في اطمئنان غريب مريب ـ قول شاعر عربي قديم كان يرى الفخر كل الفخر أن يقول :

« وينشأ ناشيء الفتيان فينا . . على ما كان عوده أبوه »

وننسى في غمرة الضعف الوجداني أمام الشعر والسجع وايقاع الكلام أن الأب لم تعد حياته تتسع ليعودُ أبناءه ما كان هذا الشاعر ـ ان صدق ـ يعود أبناءه . . ونتجاهل أن ناشيء الفتيان في هذا الزمان تتناوله بالتنشئة أجهزة تعليم وأجهزة ثقافة وأجهزة اعلام . . ووسائل اتصال وتأثير طويل عريض . . وأن الجيل الجديد لو نشأ على ما عوده أبوه ، لايتجاوزه ولايعدوه . . لما تمت حركة . . ولا وقع تطور . . ولاتحقق اصلاح . .

وهل يتصور ـ عاقل ـ في النهاية أن تعزل الشعوب عن قول رأيها فيما يختار لها من طريق . . وما يتخذ ـ باسمها ولحسابها ـ من قرار . . وأن تنفرد بذلك كله « قلة » من أصحاب السلطة والنفوذ ؟

الا ما أكثر فرص الرشد التي تضيع حين ينفرد واحد أو تنفرد قلة بكل قرار ، حين لاترى الجماعة ـ فيما يعرض لها من أمر ـ الا رأيا واحدا ، ولاتسمع الا نغمة واحدة . . وليت الذين يتحدثون ـ في حسن نية ـ عن حاجتنا الى المستبد العادل ، يذكرون أن الشورى ، في أصلها اللغوي العربي تعني استخراج العسل من خلاياه . . وهي أكثر ما تكون كثرة . .

---

(٢) وهو اسم كتاب من الكتب الهامة في شرح وظائف الحرية ، وحرية التعبير بصفة خاصة ، مؤلفه الكاتب الأمريكي Zecharia Chaflee

وأن الشورى في جوهرها العلمي هي طلب الرشد عن طريق استخلاص الرأي من أصحابه ، وهم بالضرورة ـ كذلك ـ كثيرون . .

وليتهم يدركون أن حق الاقتراع واختيار الناخبين والتصويت على القوانين والقرارات يستحيل الى أشباح باهتة قريبة من العدم اذا لم يسبقها تعدد في الآراء . . وتسابق الى عقول الناس وقلوبهم بهذه الآراء . . أما التصويت على القوانين والقرارات في غيبة تعدد الآراء فانه يغدو ـ كما قيل بحق ـ أشبه بسباق بغير جياد . .

وفي ضوء هذه الرؤية لوظيفة حرية الفكر والتعبير عنه تبدو القيمة الهائلة لضمان تلك الحرية . . اذ بغير تلك الضمانات يتحول التعبير ـ بدوره ـ الى مظهر لا جوهر وراءه . . وشكل لايعبر ـ بالضرورة ـ عما يعتمل في عقل صاحبه ونفسه من معنى ورأى . .

ولطالما استوقفني . . في هذا السياق قوله تعالى : « ولايضار كاتب ولاشهيد » تأمينا لحرية الكاتب وحرية الشاهد ، وضمانا لصدقهما فيما يقرران اذ تردف الآية هذا الحكم بقوله تعالى : « وان تفعلوا فانه فسوق بكم » ، وليس من التعسف في التفسير ـ فيما أعتقد ـ أن نرى في هذه الآية الكريمة اشارة حكيمة الى مايحيق بالجماعة تصادر فيها حرية الكاتب والشاهد ، بحيث يضار هذا من كتابته ، ويضار ذاك من شهادته . . ولأمر ما قال سبحانه فانه « فسوق بكم » اشارة الى سوء العاقبة التي تحل بالجماعة حين تضيع الحرية . . ويسقط ضمانها . .

وبعد . .

فليس هذا الحديث عن الحرية في حقيقته الا دعوة الى كتابنا ومثقفينا أن يعيدوا تقييم موقفهم من قضايا الحرية . . واسلوب تناولهم لها . . وأن يبدأوا رحلة جديدة تربط جزئيات قضية الحرية بأساسها الفلسفي والأخلاقي . . وتسلط أضواء جديدة على وظائف الحرية حتى لاتبقى في وجدان الجماهير . . مجرد شعار رومانسي ينفسون به عن ضيق الصدور . . ثم لايلبثون أن يفرطوا فيه أو يضيقوا به عند أول بادرة لضغط أو اغراء . . فأمر الحرية ـ على ما رأينا ـ أكبر من ذلك كثيرا . □

احلام الكاتب !

كان المؤلف الانجليزى المعروف « روبرت لويس ستيفنسون » يرى موضوعات قصصه فى أحلامه ، حتى اذا استيقظ من نومه فى الصباح سارع بالجلوس الى مكتبه ، وبدأ يكتب القصة التى شاهدها فى حلمه !

وقد روت زوجته فى مذكراتها : « صحوت من نومى فى احدى الليالى على صوت صرخة مزعجه أطلقها زوجى وهو نائم ، فتصورت أنه يعانى من كابوس ، وسارعت بايقاظه من نومه ! ولكنه ماكاد يفتح عينيه حتى صاح فى وجهى غاضبا : « لماذا فعلت ذلك ، لماذا ايقظتنى ؟ لقد كنت أرى فى حلمى قصة رائعة !

وقد كانت هذه القصة هى بداية روايته المشهورة « دكتور جيكل ومستر هايد » التى جسدت الصراع بين الخير والشر ! .

الموت الجديد

شعر : الدكتور
عبده بدوي

قد أصبحنا ـ والملك لرب الكونْ
والأرض تدور كما دارت في جفن دمعةْ
لا نملك هذا اللون من الموت الفردي البائسْ
في وقت يمكننا فيه أن نقطع عرقا من رَقَبَةْ
أو عِرْقاً مُرتجفاً من مصباحٍ أو شمعةْ
ونردُّ البابَ بإشفاقٍ من خلف جراحٍ مجتمعةْ
. . ونحط . الهدبَ على ليلٍ مسكينٍ عابسْ
وبقايا من موسيقا اللّيلِ ، ومن خطوِ الحارسْ
ونغيب . . نغيب . . نغيب بلا هاجسْ
من غير تلامُس !

لما صرنا لا نلقاه
(هذا الملك المعزول النّاعس
هذا الورد المضموم على سرٍ عابس
هذا النور المترقرق من وجهٍ لملاك حارس)
فرداً . فرداً من بين نعوشٍ من معدنْ
ونعوشٍ أخرى من فكرٍ ذابلْ
وقصيدٍ مُتقعٍ قاحلْ
. . لما أصبحنا لا نمتلك النعشَ الواحدْ
والقبر الواحدْ
اصبحنا نلقاه في مجموعات ضخمةْ
في قاعات التوقيف ، وفي طابور الأسئلة الجهمةْ
في عين المخبر ، في كفِّ الشرطي ، وتبليغٍ من أصدق مَنْ تعرف
من طفلٍ ، أو من زوجٍ ، أو من معشوقٍ ، أو مما يعرف بالطابور الخامسْ

* * * *

لا يوجد في هذا الليل المملول العابس
من قد يتدلى منتحرا من سقف في الغرف الفخمةْ
بل يوجد صفٌّ لا يدري أحدٌ طولَهْ
صف يتخطى مرتجفا هذا العالم في الليل الدامسْ
فاذا ما غاب يُرى صفٌّ آخرْ
من غير رثاء من شاعرْ
من غير دفاعٍ من فارسْ

* * * *

ما أحوجنا في هذا العصر المرتجف القارسْ
(لمقابلة الملك المعزول الناعسْ
هذا الورد المضموم على سرٍّ عابسْ
هذا النور المترقرق من وجه لملاكٍ حارسْ)
لكنْ أصبحنا لا نلقى الموت القاسيِ فردا فردا
بل صفا صفا !
فالعصر وساوسُ بعد وساوسْ
والقاتل والمقتول سواء في الزمن المتردي والمتجانس !

أسرار الطب النفسي الأُسَري

بقلم : الدكتور عبد الرؤوف ثابت

جاء التخصص في الطب النفسي الأسري متضمناً دراسة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والتقاليد والعرف والدين والمعتقدات والتيارات ، الواضحة والمستترة ، وما يدعى بـ « المناخ » الذي تعيش فيه الأسرة . وهناك قواعد أساسية يجدر بالقارىء أن يلم بها ، فما هي هذه القواعد ؟

نشأت مدرسة الطب النفسي الأسري في أواخر الأربعينيات . . وقد تجمعت معلومات كافية عن دور الأسرة كعامل كبير في حدوث أو استمرار الاضطرابات النفسية . كما أن للمضطربين نفسياً تأثيرهم ، الواضح والمستتر ، في الأسرة . وتجمعت أيضاً معلومات كافية من عيادات الطب النفسي للأطفال والشباب ، تشير الى العامل الأسري في حدوث الاضطرابات النفسية . ومنذ ذلك الحين أخذ الطب النفسي الأسري ينتشر ويتطور ليلائم ويخدم الأسر المعاصرة بتحدياتها الحضارية المستمرة . كلما تغيرت مفاهيم مجتمع تطور الطب النفسي الأسري حتى يخدم المفاهيم الجديدة .

الشكل الأسري :

يوجد نوعان من الأسر :

١ - الأسر الكبيرة أو الممتدة وهي أسر تضم الأقارب كالأباء والأعمام والأخوال والأجداد وتابعيهم .. وكلهم يعيشون في بيت واحد أو بيوت متقاربة . وتكثر الأسر الممتدة في الأرياف وتقل في المدن ، لأن طبيعة الحياة في المدينة لا تحتمل امتداد الأسرة في شقة واحدة . وقد انكمشت نوعاً ما هذه الأسر عما كانت عليه في الأزمنة الماضية ، خاصة بعد ظاهرة النزوح من الأرياف الى المدن ، تحقيقاً لحياة أفضل .

٢ - الأسر الصغيرة أو النووية :

عندما تبلورت ظاهرة الهجرة الى المدن منذ جيلين أو ثلاثة ، فرض التمدن (الاقامة في المدن) طابعه الخاص على النازحين اليها . سكن الناس الشقق الصغيرة في العمارات الكبيرة ، واقتصرت الأسرة على الزوجين وأولادهما فقط . ومن هنا سميت بالأسرة الصغيرة قياساً الى أسرتها الكبيرة .

وليس صحيحاً أن الأسرة الصغيرة بوجودها في المدينة قد فقدت مساندة أسرتها الكبيرة . اذ أنه نظراً لسهولة وسرعة المواصلات والاتصالات على اختلاف أنواعها لم تزل الصلة متصلة - وان أصبحت المساندة عاطفية فقط .

وبعكس البيئة الريفية حيث « الاستهلاك » (البيت حيث الأكل واللبس والترفيه وما أشبه) في مكان واحد أو متقارب من مكان الانتاج ، الزراعي والصناعات الصغيرة .. فانه من طبيعة التمدن بعد السكن عن مكان الانتاج (الحي التجاري وسط المدينة والحي الصناعي على مشارفها) . ولهذا فان على الزوج ، (أو الزوج والزوجة) في المدينة أن يقطعا مشواراً طويلاً بين البيت ومكان العمل . وبذلك طال الوقت الذي يقضيانه بعيداً عن الأسرة ، مما سبب عادات وتقاليد لا تعرفها أو تألفها الأسر ساكنة الريف . وأصبحت الزوجة - اذا بقيت في البيت - تسأم وتضجر وحدها .. وتخدم وترعى أطفالها دون مساندة من الزوج أو أسرتها الممتدة . وقد أمدتها المدنية (التكنولوجيا) بكل وسائل الراحة والرفاهية ، مما أوجد عندها وقتاً للتفكير في شئونها الخاصة . لذلك وجدناها تترك البيت للعمل أو الدراسة أو النادي أو الجمعيات الخيرية . ولهذا قلت العناية بالأطفال ، وقد تُركوا لرعاية « الشغالة » - إن وجدت - والتلفزيون .

وعادة ما يبدأ الزوجان حياتهما معاً على النحو التالي :

يكون الزوج معنياً ، منفتحاً ، كثير الكلفة بعروسه ، آخذاً دوره كرب بيت مثالي ، بينما تكون الزوجة مطيعة ، خفرة ، قليلة الثقة بنفسها مسلمة زمام الأمور لزوجها . ومع الوقت يتغير الحال مع الزوجين . حينما يكبر الزوج ويعظم شأنه فيتفرغ أكثر لأموره الخاصة وشئونه خارج البيت ، بينما نرى الزوجة تنضج وتتفتح شخصيتها ، وتكتسب الكثير من الثقة بنفسها ، وتتخذ القرارات وتختار أصحابها . هذا الاتجاه المغاير مع الوقت اذا لم يحدث برضاء الزوجين وموافقتهما ، قد يعرض الأسرة للتعاسة ، خاصة في منتصف عمر الحياة الزوجية . وكثير من حالات الفرقة أو الطلاق تحدث حوالي العام العشرين أو الخامس والعشرين ، خاصة بعدما يترك الأبناء البيت ، ويخلو العش ، ويتواجه الزوجان كل بشواغله .

ثمة عامل آخر غير من شكل الحياة في الأسرة ، وهو إطالة متوسط عمر الانسان مع تقدم الطب الحديث . مما أطال من عمر المعاشرة الزوجية التي أصبحت أربعين سنة في المتوسط ، بصرف النظر عن ظاهرة الطلاق ثم الزواج المتزايدة ، بعدما كانت خمسا وعشرين سنة في أوائل هذا القرن .

ومن ذلك أيضاً قلة عدد الأولاد ، بسبب وسائل منع الحمل الفعالة ، حتى أصبح متوسط عدد الأولاد في الأسرة من ثلاثة الى أربعة ، بعدما كان متوسط عددهم من سبعة الى عشرة منذ جيل مضى .

وهناك أنواع أخرى من الأسر .

٣ - الأسر ذات العائل الواحد ، لسبب أو لآخر ، كالأم أو الأب أو أحد الأبناء فقط .

٤ - الأسر التي ليس فيها أبناء ، بسبب عقم الزوج أو

الزوجة مثلاً ، أو لأن الزوج أو الزوج والزوجة لا يرغبان في الانجاب حتى يتفرغا لشئون حياتهما الأخرى .

٥ ـ الأسر متعددة الزوجات ، تسكن في بيت واحد أو أكثر من بيت ـ ومع ذلك تعتبر فنياً أسرا نووية .

٦ ـ الأسر ذات الزواج العرفي . يعتبر الزواج « قانونياً » اذا اتفق رجل وامرأة على المعاشرة ، مع اشراك الدولة في رباطهما الزوجي . فالدولة هي التي تحمي النظام الأسري وتتدخل ـ كطرف ثالث ـ إذا قام خلاف بين الزوجين ولصالح الأبناء .

وفي بعض المجتمعات توجد أنواع أخرى من الأسر لا توجد في مجتمعنا العربي .

نظام الأسرة الصغيرة :

يعتقد البعض أن النظام في الأسرة الصغيرة نظام مغلق . ولكن خروج الزوج ، أو الزوج والزوجة ، للعمل ودخول وسائل الأعلام المختلفة في البيت (كالجرائد والراديو والتلفزيون .. الخ) هيأ الأسرة للتفتح ، وتقبل الأفكار الدخيلة أو المتطورة . ولم تؤثر هذه الأفكار كثيراً في استقرار نظام الأسرة الصغيرة مع احتفاظها بانغلاقها الذي يبعد عنها القلق . والواقع أن الأسرة الصغيرة نظام مغلق ، ولكنه في نفس الوقت متفتح وقابل للتطور .

وتنحو الأسر عادة الى نظامين تقليديّين : الثبوت أو التغيير . وبديهي أن الأسرة الثابتة لا تحب التغيير ، وقد يضطرب ميزانها اذا حدث ، أما الأسرة المتغيرة فانها تتقبل ويتسع صدرها للتغيير ، ولا يهدد ذلك من كيانها أو اتزانها أو العلاقة بين أفرادها . وكلا النوعين من الأسر لها مؤثرات تتصرف الأسر تبعا لحدوثها .

وتبقى الأسرة مستمرة بنظامها سواء كانت ثابتة أو متغيرة . فمثلاً في الأسرة الثابتة ، ولا أقول المتزمتة أو الجامدة ، اذا خرجت الابنة ذات الأربع عشرة سنة وطال غيابها خارج البيت الى وقت متأخر ، فان الأسرة تتحرك للمنبه الذي أثارته الابنة لتعيدها الى تقاليدها . وهذا لا يعني أن الأسرة المتغيرة لا تتحرك مع التنبيه ، ولكنها تتحرك تبعاً لمسيرة التطور ، ونزولاً على حكم الواقع .

وليس هناك عيب أو حرج على الأسرة الثابتة أو المتغيرة ، لكن الواجب كما قلنا أن تكون الأسرة « متفتحة » ومتقبلة للواقع . فالتقاليد والعرف مهمان الى حد كبير ، لأنهما يبعدان القلق والتوتر عن الأسرة ، وفيهما محافظة ووقاية للنظام الأسري من التفكك ، وان كان ذلك قد لا يمنعها من التفكك . ومن ناحية أخرى اذا لم تتغير الأسرة وتتطور قد تصاب بالفراغ ، وهذا بالتالي قد يورثها القلق .

السلوك الأسري :

يجب أن يكون التعامل بين أفراد الأسرة واضحاً وبسيطاً ومباشراً ، ولا يكتنفه الغموض أو اللف والدوران . ومع ذلك ففي بعض الأسر ، يكون التعامل والتخاطب بين أفراد الأسرة على مستويين : الشكل أو الظاهري،والمضمون أو الحقيقي.والواقع ان العلاقة بين أفراد الأسرة هي نتيجة للمضمون لا الشكل ، أو بمعنى أصح هي المضمون من التعامل (التخاطب وراء التخاطب) .

والتعامل عملية ارسال واستقبال ، ولا يصح أن تكون الرسالة متضمنة معنيين لأمر واحد . كأن يقول الوالد لابنه ، « لا تعارضني » ومع ذلك يشكو من ان ابنه « لا يتصرف معه كرجل » . وكثير من الأسر تنحو الى ما يدعى بالرسالة المزدوجة ، أو ذات المعنيين (الغرض من وراء التخاطب) .

لأن أهمية التعامل ليست فقط في الكلام أو التفاوض ، ولكن في وثوق العلاقة (الحب والاعتماد) بين أفراد الأسرة . فالطفل يحاول غالبا إرضاء والديه وتنفيذ ما يطلب منه وما يشترط عليه (الحب المشروط) . فاذا أتى طفل بعمل ليرضي أحد الأبوين حتى يكون محبوباً ، فانه سيتزعزع اذا سلك نفس السلوك وقوبل بالتجهم أو الاعتراض أو عوقب عليه . اذا تكررت هذه المعاملة ، مع ملاحظة الاعتماد الكلي من الطفل على أبويه ، فان الطفل يصاب بالاحباط وقد يتهدد ميزانه النفسي . ويعتقد الأسريون أن أكثر الاضطرابات النفسية تحدث في أطفال من أسر تنحو الى التخاطب ذي المعنيين .

العلاقة الزوجية ، ارتباط واتجاه :

ليست العلاقة الزوجية علاقة جنسية خالصة (على أن الزواج سلوك جنسي) اذ في التوافق والمزاملة والمشاركة تعزيز وتوكيد للزواج . ومع ذلك يعني كل من الزوجين باستقلال شخصيته وتنمية

مميزاتها وحدودها ، وما يعرف « بالذات » أو « المحيط الشخصي » فالزوجة مثلا تحب أن تحتفظ بأسرار أنوثتها وآمالها ومخاوفها وعلاقاتها الخاصة بأسرتها وأصدقائها .. الخ وإذن فكل من الزوج والزوجة يحتفظ سراً أو جهراً بحدود شخصيته داخل نطاق أو محيط الأسرة ، وما يدعى بالارتباط الزوجي (انظر الشكل) .

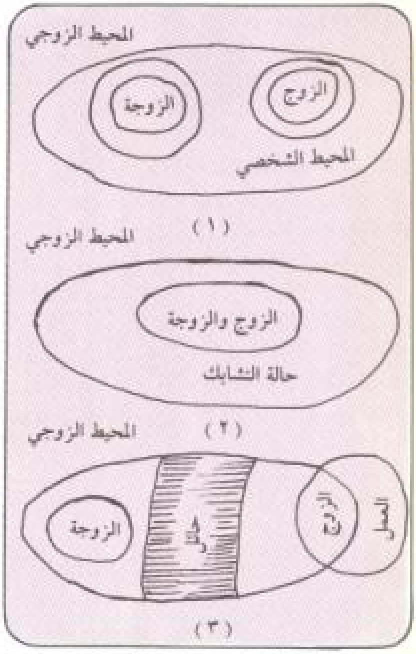

شكل رقم (١) يمثل ما نعتقده سلامة وصحة العلاقة الزوجية ، فكل له حدوده التي يعتز بها . مثل ذلك كمثل زوجين ينامان في سريرين منفردين متجاورين في غرفة واحدة . وهذا أفضل ، وان كان غير معمول به ، من أن يناما على سرير واحد ، أو ينام كل منهما في غرفة منفصلة ، والشكل رقم (٢) يوضح حالة التشابك بين الزوجين مع ذوب المحيط الشخصي ، وهذه الحالة ليست صحية من وجهة النظر النفسية . ولو أدرك الزوجان ما لتأثير تشابكهما ، لتحققا مما يجره ذلك عليهما من متاعب قد لا تكون واضحة لهما ، ولكنها تؤثر تأثيراً ضاراً في علاقتهما . أما الشكل رقم (٣) فيبين حالة انفصال بين الزوجين داخل المحيط الأسري أو الارتباط الزوجي . وقد يكون الزوج أو الزوجة منفصلين عن بعضهما داخل النطاق الزوجي ، ولكن كل منهما متشابك فيما يهمه خارج المحيط الأسري . كأن يكون الزوج ، مثلا معرضاً عن زوجته ومتشابكاً في عمله .

العلاقة بين الزوجين :

يظن الكثير أن العلاقة بين الزوجين علاقة مباشرة أو ثنائية فقط . والواقع أن الزوجين غالباً ما يشركان ثالثاً بينهما . فمن المعروف أنه اذا تناقش أو تسامر اثنان ، فانهما غالباً ما يأتيان بذكر ثالث في حديثهما ، « مثل ما فعل فلان » أو فلان قال لي » .. الخ . وقلما تكون هناك علاقة خالصة بين اثنين أو زوجين (حتى ولو كانا في شهر العسل) . وكأن الزوجين في حاجة الى ثالث ليؤكد وثوق الصلة بينهما . أو لأن « المثلث » ضروري في كل بناء عاطفي ! فاذا قام خلاف بين زوجين ـ وقلما تخلو حياة زوجين من خلافات ـ فان دور الثالث هو الاقلال والتلطيف من شدة الاحتكاك . والواقع أن الحياة الزوجية على امتدادها سلسلة من « ثلاثيات » . وقد يكون الثالث الأب أو الأم أو الصديق ، وغالباً ما يكون أحد الأبناء .

ونصيحتي الى كل زوجين ألا يتحرج أحدهما أو كلاهما من اشراك ثالث بينهما ما داما واثقين من حقيقة شعورهما وقوة الصلة بينهما . أما النصيحة الثانية فهي أن يتحققا من صدق نوايا الانسان الثالث . لسبب بسيط ، وهو أن كل انسان مهما كان ، يرى الآخرين بعينيه ومن خلال خلفياته ، لا بالعين المجردة ، وان حاول جاهداً أن يكون منصفاً .

الحب المشروط :

في بعض الحالات تقوم بين الزوجين علاقة يكون فيها الحب ، من ناحية الزوج أو الزوجة ، مماثلاً لحب الزوج لأمه أو حب الزوجة لأبيها (التثبيت على الأم أو الأب) . أو لأي انسان كانت علاقة أحد الزوجين به حيوية وعاطفية أثناء فترة نموه . ولا تكون هناك شائبة في حب الزوجين ما دامت الظروف مواتية والجو صافياً . وقد تضطرب علاقة الحب التي تربط بينهما بسبب ظهور عائق ما . وفي هذه الحالة الطارئة يدب الخلاف وتتأزم العلاقة بينهما نتيجة ظهور هذا

العائق . ويظهر الاضطراب النفسي على الزوج (أو الزوجة) الذي كان يستمتع بحب وعطف ورعاية زوجته ، ويبادلها الحب ، وكان الاثنان مثل السمن والعسل قبل ظهور العائق .

سيشعر الزوج ، مثلا بالتعاسة عندما تصبح زوجته أماً بميلاد طفلها . لأنه في اعتقاده ، أصبح في المرتبة الثانية في الأسرة ، وقد حل طفله محله في الدرجة الأولى عند زوجته . في هذه الحالة يحقد الزوج (لا شعورياً) على زوجته ويصبح متوتراً ، مشاكساً ، ضيق الخلق ، أو يتحول الى سلوكيات لم يكن ليفعلها من قبل ، كشرب الخمر أو لعب الميسر ، أو اتخاذه لعشيقة ، أو اهماله لعمله ، مما يعرضه لتعاسة أكثر . ولا يدرك الزوج أنه أصبح كالطفل يغار على زوجته (وكأنها أمه) من طفلها . هذه العلاقة المشروطة أصلا بين الزوجين وقد اكتنفها الاضطراب يمكن تداركها وعلاجها بمساعدة الطبيب النفسي . وعندما تتفتح شخصية الزوج ، ويدرك ادراكاً واعياً موقعه في الأسرة كزوج وأب ، واذا لم يتدارك الزوجان المشكلة بوضوح ، قد يستمر الخلاف بينهما ما دام هناك طفل (أو أطفال) يستحوذ على عناية الزوجة . وتبقى الأسرة غير سعيدة ومعرضة للتفكك .

المشكلة في الأسرة :

أي نظام ، كالنظام الأسري ، اذا وجد فيه فاعل فيجب ان يكون هناك مفعول به، فاذا وجد « مسيطر » في أسرة ما ، فلا بد أن يكون هناك « مستكين» يساند أو يساعد أو يشجع المسيطر على سيطرته . واذن فكلا الزوجين ، لا أحدهما فقط ، مسؤول عن وجود المشكلة في الأسرة . ولو تصورنا أننا ـ بعصا سحرية ـ رفعنا مشكلة السيطرة عن تلك الأسرة ، فانها قد تصاب بمشكلة أخرى وهي مشكلة الفراغ ، أو مشكلة المسيطر الذي لا يجد مستكيناً يسيطر عليه ، ومشكلة المستكين الذي لا يجد مسيطراً .

ويحدث غالباً أن يتدخل ثالث في هذه الأسرة ، كالحماة مثلاً ، لصالح أو في جانب المستكين . وهذا خطأ ، لأنه عادة ما يكون المسيطر إنساناً قلقاً ، يدفعه قلقه الى أخذ أمور الأسرة بين يديه ، ولهذا يبقى شريكه تحت سيطرته ، اعتقاداً منه انه يحافظ على كيان الأسرة . ومن الواجب في هذه الحالة أن تأخذ بيد المسيطر أولاً ، ليس لأنه المتسبب في المشكلة بل لأنه انسان قلق ، فاذا استطعنا علاج قلقه فانه قد يسمح لشريكه بتحمل جزء من المسئولية معه . وبذلك نكون قد رفعنا السيطرة عن هذه الأسرة . ثم بعد ذلك نتحول الى المستكين لنعينه على التخلص من استكانته .

حضر زوج لعيادة الأسرة يشكو من « سلبية زوجته » التي تزوجها منذ عشر سنوات ، مما ألقى بمسئوليات الأسرة كلها على عاتقه ، فهو الذي يدير ميزانية الأسرة ، ويشتري كل حاجات زوجته وأولاده من ملبس ومأكل ، ويقوم بتصريف جميع الأمور . ولو لم يفعل ذلك أو جعل المسئولية مشاركة بينه وبين زوجته لاضطربت أحوال الأسرة ، بسبب ما وصف زوجته به من خمول وسلبية .

وبسؤال الزوجة التي تحمل مؤهلاً جامعياً ، وتشغل وظيفة محترمة ، قالت ان زوجها ، يجب أن يقوم بكل كبيرة وصغيرة في الأسرة . وسعياً وراء محافظتها على كيان الأسرة اضطرت الى مسايرته ، لأنها لا تحب معارضته .

وسئل الزوجان معاً عن رأيهما في الحياة الزوجية ومضمونها ، فأسرع الزوج بقوله ، ان الزواج تآلف وتعاون ومشاركة بين الزوجين . أما الزوجة فتطوعت بقولها ان دور الرجل هو إعالة وحماية الأسرة ، لذلك فمن واجب الزوجة إطاعة زوجها في كل شيء ، ولما سئلت اذا كانت ترغب في أن تشارك ببعض المسئولية ، أجابت ، ينبغي الا يكون للزوجة رأي فوق رأي زوجها . ثم بادرت باعتقادها أنها زوجة مثالية . وعند ذلك لمح الطبيب نظرة الفوز في عيني الزوج .

وواضح من هذه الحالة أن الزوج لم يدرك أنه كان مسيطراً أو الزوجة كانت مستكينة . فقد حضر الزوج شاكياً من سلبية زوجته لا من استكانتها ، وعلى كل فقد أخذ علاج هذه الحالة حوالي ثلاثة أشهر . وابتدأ بالزوج الذي اعترف بأنه انسان قلق بطبعه . ولما شفي من قلقه تم التوجه الى الزوجة لتبصيرها بواجباتها في الأسرة .

كشوف الحساب الأسري :

كل واحد منا يغادر أسرته ، حاملاً طابعه الأسري . وقد يخرج منها بقدر كاف من الحب والعطف والرعاية .. وفي هذه الحالة يعتبر « دائناً » أي دائناً للأسرة . أما اذا خرج منها بحرمان عاطفي

أو فكري .. ففي هذه الحالة يكون « مديناً » أي خرج مديناً من أسرته . (ولا يقصد بالدائن والمدين المسرف والبخيل مادياً وان تضمن ذلك أيضاً) .

والأصح أن يغادر الانسان أسرته ودفتر حسابه متزن ، أي لا دائن ولا مدين . ولنتصور حالة الزوجة المدينة ، التي تزوجت زوجاً دائناً ، مهما أعطاها زوجها حناناً ورعاية وعطفاً ، فانها ستأخذ ولا تعطي ، وتستمر في طلب المزيد . بعكس زوجها الدائن ، فانه انسان سخي يعطي ويأخذ بلا تكلف .

وكثير من الخلافات الزوجية تحدث عادة نتيجة عدم « موازنة الدفاتر » عند أحد الزوجين أو كليهما . خذ مثلاً حالة الزوج المدين الذي يتزوج من زوجة متزنة ، فانه لن يكفيه ما يأخذه داخل البيت ، وقد يطلب المزيد خارجه . وتحتمل الزوجة اجحاف زوجها لها بأن تأتي على نفسها بحرمانها من المصروف أو تصبر على غيه أو خيانته لها كلما أعطته أخذ ولم يكتف . حتى يفيض بها الكيل وتبدأ في اللوم والشجار . ولكن بدلاً من رجوع الزوج عن سلوكه المعيب ، يدفعه شعوره بالذنب أو الندم الى التمادي في غيه ، ثم يحقد على زوجته التي لا تعطيه الكفاية ، وقد يشكو أنها لا تهتم به ، ويدعي أنها لا ترضيه ، فيزيد من تماديه في غيه حتى يدب الشقاق بينهما .

وتضطر الزوجة ـ وقد طفح بها الكيل ـ الى استثمار عواطفها المحبطة في أحد الأبناء ، وتكون النتيجة انشغال الابن بحالة أمه وعلاقاتها بأبيه ، فيتعثر في الدراسة ، وقد يرسب في الامتحان . وهكذا تتعقد الأمور في الأسرة ، حيث تدور في حلقة مفرغة من العطاء والحرمان والشعور بالذنب والفشل ، وقد تتفكك الأسرة .

ويمكننا أن نتصور حالة عدم « اتزان الدفاتر » وقد امتدت من جيل الى جيل . وقد تتعاقب الأجيال على دائن ومدين بقدر ما يأخذه الأبناء من الأب أو الأم . وقد يحدث التسلسل التالي .

قد يكون عند الزوج (أو الزوجة) بصيرة بأنه مدين ، فيحاول أن « يعوض » ذلك بأن يظهر (يتطبع) بدور الدائن . وهذا ـ رد فعل ـ قد ينعكس على الأولاد ، فيشبون دائنين ، وبذلك يتغير الحال في الجيل التالي وهكذا .

العـــــلاج الأسري :

ينقسم العلاج الأسري الى نوعين أساسيين ، يكمل كل منهما الآخر :

١ ـ العلاج بالتحليل النفسي الأسري :

ولا ينتظر القارىء أن أخوض معه في تفاصيل العلاج النفسي الأسري ، فهذا خارج عن نطاق هذا المقال المبسط . ولكنني أوضحت فيما تقدم بعض الأسس والمبادىء التي يقوم عليها النظام الأسري ، مثل العلاقة بين الزوجين والنظام الأسري .. وكما ذكرت ، يهتم الطبيب المعالج باشراك أفراد الأسرة كلهم أو بعضهم في العلاج تبعاً لمبدأ مشاركة المسئولية . مستعيناً بمعلوماته الأسرية (التي سبق شرح بعض مبادئها) على فهم طبيعة التعامل بين أفراد الأسرة ، وما يعتمل في نفس كل فرد من أفرادها . وقد يهتم الطبيب بأحد أفراد الأسرة في وقت معين وبآخر في وقت آخر ، ثم بالأسرة كلها .

وعلى المعالج أن يتغلب على المقاومة التي تبديها الأسرة أو بعض أفرادها للعلاج ، على ادعاء أن مريضها هو المريض فقط ، وليسوا هم المرضى ، ومن المعروف أنه في بعض الأحيان لا يشفى المريض الا باعتدال الأسرة كلها . ومن الملاحظ أيضاً أنه في بعض الحالات اذا شفي مريض في أسرة ، فان عضوا آخر في هذه الأسرة قد يقع فريسة الاضطراب النفسي من نفس النوع أو الآخر ، وما يدعى به « التأرجح المرضي في الأسرة » .

٢ ـ الحل العلمي :

أما العلاج العملي ، فانه يأخذ شكل مفاوضات في الغالب ، فهو مساندة للعلاج النفسي . ويسير جنبا الى جنب معه . وهو على بساطته أكثر واقعية وأسرع وقتاً من العلاج النفسي ، ولكنه ليس إطلاقاً بديلا عن العلاج النفسي .

شكت زوجة من أن زوجها يبقى في البيت بعد عودته من عمله ، ولا يغادره الا في صباح اليوم التالي ، مما أوقع الأسرة في الارتباك والمعاناة من تسلط الزوج ، وعدم إمكان الزوجة تصريف أمورها والعناية بأطفالها ، لاستحواذه على كل وقتها .. ومشاكسة الأطفال أيضاً !

وكان الحل العملي في هذه المشكلة هو نصح الزوج بالبحث عن عمل إضافي في المساء ، ليبعده بعض الوقت عن البيت . وبذلك أمكن التقليل من مشكلة التعدي في الأسرة ، بالاضافة الى زيادة دخلها . □

الإبداع

أن يكون العلم حلماً والفن حقيقة

بقلم : الدكتور ادريس سالم الحسن•

يقول بعض العلماء : ان العلم والفن متلازمان دائما ، ولا يصح وجود احدهما الا بوجود الآخر ، ومنذ فجر التاريخ ، وفي كل الحضارات ، والمجتمعات الانسانية المعروفة ، كانت هناك صلة عميقة بين المعرفة العلمية ، وطرق تطويعها الى وسائل واستخدامها لتغيير البيئة الطبيعية ، ومن ثم الاجتماعية فما هي حقيقة العلاقة بين العلم والفن ؟

الى وقت قريب كانت هناك نغمة سائدة ـ وخاصة بين كثير من علماء العلوم الطبيعية ـ تردد أن العلم والتقنية هما المنقذ الوحيد للانسانية من المآزق والأزمات التي تعيشها الآن . وقد ظل هذا الرأي بيّنا من عدة وجوه ، خاصة اذا أدركنا أنه عندما يذكر العلم فانما يقصد به ، في غالب الأحيان ، العلم بمعناه الوضعي ، والذي اصبح الآن مدار انتقاد شديد . وأول ما يتبادر للذهن من قصور هذه النظرة ، أنها تختزل كل أنواع المعرفة الانسانية في نوع واحد فقط ـ العلم ـ وليس العلم في اطلاقه ، وانما العلم الوضعي على وجه الخصوص . فالمعرفة في هذه الحالة معرفة مصدرها الخبرة الحسية المباشرة ، في حين أن المعرفة الانسانية متعددة الأصول ، ومتشعبة الأشكال والوسائل التي يتم بها الحصول عليها . أما الخطأ الثاني لهذه النظرة الضيقة ، فهو جعلها العلم البلسم الشافي لكل ما يعاني منه الانسان المعاصر من جوع وفقر وجهل ، في حين أن بعض هذه المشكلات قد يكون في أصله نتيجة لاستغلال الانسان لأخيه الانسان،وليس عدم مقدرته على استغلال الطبيعة الاستغلال الأمثل . فالعلم عندما يزيد في انتاج القمح لا يستطيع أن يتدخل في طريقة توزيعه ، وانما هي السياسة التي تقضي برميه في البحر ، في حين ان شعوبا كثيرة تعاني من ويلات المجاعات ، والخطأ الثالث يكمن في ان هذه النظرة تتجاهل المقدرة الهائلة

• قسم الدراسات الاجتماعية ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

للانسان ، وخاصة في مجال الابداع ، وبذلك تحصر تحصيل المعرفة في خطوات ميكانيكية للوصول الى نتائج محددة . وأخيرا ، وليس آخرا ، تركز هذه النظرة على جانب واحد في الانسان ، وهو التفكير المنطقي والعلمي، متناسية جانب الاحساس ، وهي بذلك لا تأخذ الانسان ككل متكامل .

الانسان والوعي

ان الانسان في الحقيقة ذو أبعاد متعددة متكاملة لا يمكن تجزئتها وفصل بعضها عن بعض . ويتمثل هذا التكامل في أخص ما يميز الانسان وهو الوعي . فالانسان هو الكائن الوحيد الذي يملك الوعي والادراك . ويتمثل هذا في معرفته معاني الاشياء وتسميتها بأسمائها ، ومن ثم السيطرة عليها ـ فالنار عند الانسان ليست خطرا محضا ، وانما بادراكه لجوانبها المختلفة ، هي مصدر خير ايضا ـ والادراك والوعي اول لبنات الثقافة والحضارة . فالنار اول ما استخدمت لطهو الطعام ، ولصهر وتشكيل المعادن ، وعند الهنود الحمر يشكل دخانها رموزا ورسائل ، وكل هذه الأشياء ليست من اصل النار في الطبيعة ، وانما هو الانسان بوعيه الذي اعطاها ذلك الجانب الحضاري ، فطهو الطعام ليس امرا غريزيا .

والوعي له جانبان : التفكير والاحساس ، وهما جانبان متصلان غير منفصلين كوجهي عملة واحدة كما يقولون . وعملهما مترابط ومتداخل ولا غنى لأحدهما عن الآخر . وقد يبدأ الانسان الاحساس المادي او الوجداني بشيء وينتهي به ذلك الى الفكر ـ بما في ذلك الخيال ـ وقد يبدأ التفكير في شيء يقوده الى القيام بعمل شيء ملموس محسوس ، يزيد من عمق احساسه ويرفعه الى مستوى الفكر مرة اخرى .

وبالرغم من ان كل الناس يملكون خاصية الوعي والادراك ، إلا أنهم يتفاوتون في اتساعه وعمقه تبعا للثقافة والمجتمع الذي ينشأون فيه وظروف تنشئتهم ، وملكاتهم الشخصية . والشخص العادي عادة ما يكون احساسه وتفكيره ـ أي وعيه بالاشياء ـ محددا في نطاق ترسمه تلك الثقافة التي يجد نفسه فيها ، وهي نفس الحدود والمعاني التي عند غيره من ابناء مجتمعه ، وبذا تسير الحياة دورتها العادية من يوم لآخر .

الحلم والابداع

غير انه عندما يزيد الاحساس بالاشياء ويتعمق الفكر فيها ، تسقط الحواجز والحدود المعتادة لها ، وتمتد معانيها لتشمل جوانب جديدة لم تكن معهودة من قبل . وهنا فقط تصبح الأشياء والحياة نفسها غير عادية ، وينبثق ما يمكن ان نسميه بالابداع . فالمبدعون هم من ينظرون الى الاشياء بعيون وفكر غير عاديين ، ويكون وقع الاحساس بالاشياء بصورة تختلف عنه عند الأشخاص العاديين . والمبدعون بذلك يعيدون معاني الاشياء وترتيبها بصورة جديدة تفسح آفاقا جديدة تغير وقع الحياة وصورتها المعتادة امام واقع جديد .

والابداع بالمعنى السابق قريب من الحلم . فعندما يحلم الانسان تتساقط الحواجز المنطقية التي تفصل بين الاشياء ، كما تنتهي الروابط المعتادة بينها . وكذلك يفعل الخيال الجامح الذي يتخطى الحدود المنطقية التي تعارف عليها الناس في حال يقظتهم ونشاطهم المألوف في حياتهم اليومية . بيد أن ما يفرق الوعي عن الحلم أو الخيال ، هو ان الوعي كما ذكرنا له جانبان : (الفكر والاحساس) . والحلم او الخيال له جانب واحد هو الفكر . فعندما نصحو من النوم ندرك ان احلامنا ما هي الا خيالات قد انقضت مع ساعات نومنا . أما الحلم او الخيال المبدع ، فهو ما يدعونا الى عمل شيء في الواقع المحسوس بصورة غير عادية تعيد وتجدد رؤيتنا للاشياء بطريقة غير مألوفة . ولا يعني هذا ان المبدعين قادرون في كل الأحوال على تحويل أحلامهم الى واقع محسوس . فقد يصادفهم الكثير من الفشل في سبيل تحقيق ذلك . ولكننا ، في ذات الوقت لن ندرك انهم مبدعون الا من خلال مانجحوا فيه فعلا . فليس هناك مبدع بالخيال فقط ، اذ لابد من ترجمة ابداعهم الى ابتكار علمي جديد او قصة او قصيدة او لوحة ، او مقطوعة موسيقية ، اي شيء محسوس يلمس احساسنا وفكرنا ، اي وعينا لادراك معان جديدة عليه .

الفرق بين الحقيقة والخيال :

كان اعتقاد كثير من الناس ، والى عهد قريب ، ان العلم يختص بحقائق الاشياء المادية ، وهم يعنون

بذلك أمرين : اولهما ان للاشياء حقائق كامنة فيها يمكن ادراكها بصورة قاطعة . وثانيهما ان ما يتوصل اليه العلم هو امر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الا نادرا . بيد انه في السنين الأخيرة حدث ما جعل العلماء أكثر تواضعا في ادعاءاتهم . فنظرية النسبية ونظرية الاحتمالات جعلتهم يتأنون كثيرا قبل الجزم بيقينية الاشياء .

فالواقع الذي كان يعتقد قديما بانه مادي وملموس لم يعد ملموسا في الحقيقة . ولم تعد الحقيقة « حقيقة » بالقطع وانما هي صور وأشكال متغيرة ومتبدلة في استمرارية تجعل ادراكها كلية في عداد المستحيلات .

ومن هنا نرى ان الفرق بين الحقيقة والخيال قد لا يكون شاسعا بالصورة التي نتصورها دائما . فالخيال تجريد للأشياء من خواصها الملموسة ، اي رفعها الى مستوى التجريد . وحقيقة الشيء التي اصبحت الآن كما ذكرنا ، (كطاقة) هي ايضا مجردة من مظاهره المادية المشاهدة والملموسة ولا نريد بهذا أن نقول انه لا فرق بين الاثنين او أن الحقيقة ما هي الا خيال محض (ويدرك هذا كل من اراد ان ينطح الحائط برأسه !) والمبدعون هم القادرون على اجتياز الحاجز بين الحقيقة والخيال في سهولة ويسر لا تتيسران لغيرهم . أي أن المبدعين هم القادرون على تحويل الحقائق الى أحلام ، والأحلام الى حقائق .

الزمن والفراغ :

اذا كان العلم يُعنى بالحقائق ، والفن بالخيال ، فالمبدعون من العلماء هم اناس حالمون عبروا حدود الحقائق الى مراقي الخيال ، لكي يعودوا مرة اخرى الى عالم الحقائق ويحولوها الى اشياء اقرب للخيال . والفنان المبدع ينتقل من الخيال الى حقائق الواقع فيشكلها بروح ذلك الخيال . دعنا نضرب بعض الأمثلة لذلك . قد لايماري الكثيرون في أن اينشتاين يعد من ابرز المبدعين في عصرنا هذا في حقل العلوم الطبيعية .

فبعد أن جَعَلنا نيوتن نرى الكون بتلك الصورة التي تخيلها : كآلة ميكانيكية ضخمة نستطيع ان نفهمها بقوانين الديناميكا ، التي حوّل بها ذلك الخيال الى واقع .. فان اينشتاين تخيّله كونا دائم الحركة ذا علاقات نسبية غير ثابتة اطلاقا ، وذلك بعد ان اضاف خياله الجامح بعدين جديدين لم يكن يُحسب حسابهما فيما سبق في تحديد علاقات الأشياء في الكون : وهما الزمن والفراغ (Space) .

أما الفنانون المبدعون (في مجال الرسم والتصوير والغناء والأدب ، ألخ) فقد تركوا العالم على غير الصورة التي وجدوه عليها . ففان جوخ مثلا أحس بالاشياء في نفسه احساسا غير عادي ، فتهاوت الحدود المألوفة بين الأشياء ، ونشأت بينها روابط جديدة ترجمها في لوحات كلما نظرنا اليها أدركنا أنه يمكننا النظر الى العالم بطريقة مختلفة . ونحن الآن نقف مشدوهين عندما نطالع ديوان المتنبي مثلا ، ففي كل مرة نفعل فيها ذلك ، تأخذ الأشياء في نفوسنا ابعادا ومقاييس وأشكالا جديدة عن الانسان ودواخله الخفية ، التي لا يصلها الا المبدعون ممن تحرروا من ربقة المألوف .

وأحلام المبدعين جميعا هي في الواقع مرحلة بين الحقيقة والخيال ، أي بين العلم والفن : الحقيقة المتحولة والمتبدلة أبدا (أي ليست مطلقة) ، وخيال يمكن ان يتحول الى حقيقة كائنة . والعالم الذي يعتقد بأنه قد وصل الى الحقيقة لا يمكن أن يكون الا جاهلا ، والفنان الذي يعتقد بأنه يعيش في رحاب الخيال فقط انسان متبلد الشعور ، فالخيط جد رفيع بين الحقيقة والخيال كما هو بين العلم والفن .

والعالم المبدع والفنان المبدع هما فردان ، أو وجهان ، لشخص واحد .. ذلك الشخص الذي يجعلنا ننظر الى الكون من حولنا نظرة نراه بها على غير ما تعودناه ، وبذلك يمنحنا الشعور بأننا أكثر قدرة على تحويله وتغييره والتفاعل معه . والابداع في كل مجالات العلوم أو الفنون أو غيرها مرحلة لا يمكن الوصول اليها الا بالحلم بعوالم ورؤى لم نعتدها من قبل ، ويرسخ في نفوسنا أن حقائق الأشياء والعلاقات بينها متحولة متبدلة ، اذ ما من حقيقة مطلقة الا الله . واذا صح هذا التبدل والتحول فلا عجب ، بل وجب أن يصير العالم فنانا ، والفنان عالماً في لحظات الابداع ، اذ تتساقط الحواجز الوهمية بين حدود المعرفة ويزدهر الابداع . ولا يمكن أن يتم ذلك إلا في جو اجتماعي يتسم بالحرية . □

رومانسية

شعر
فاروق شوشة

من أيّ البحريْن أخاف ؟
البحرِ الممتد أمامي . .
أم بحرٍ يغرقُ في عينيْكِ
لا شاطئ فيه . . ولا مجداف

* * *

شارفتُ اليمّ ، ولم أغرقْ
وقبستُ النار ، ولم أُحرقْ
وعزفتُ لحوناً من ظمأٍ
ودققتُ على الباب المغلق
ورجعتُ بعثرة أيامي
لدوائرَ من صمتٍ مُطبقْ
تنزعني من أضيقِ رُؤيا
ترميني في شركِ المطلق
ترتجُّ بأعماقي لغةٌ
حيرى بالسرِّ ، ولم تنطقْ
من يملك ذاكرةً تحصي
طعناتِ اللجّةِ في زورقْ
أو يخلعُ أقنعةً تخفي
لعثمة الحاجةِ في منطقْ ؟
ها أنتِ على سقفِ الدّنيا
ميلاد حياةٍ . . تتخلّق
وشعاع بالرحمةِ . . يدنو
لخيالٍ مكدودٍ مُرهقْ
وأنا في اليمّ ، فمن يدري
أنجو بحياتي . . . أم أغرق !

نافذتي فُتحت ، وأطلّت
عيناك ، فشمسُك الهامي
أنّى أتلفّتُ ، يتبعني
سريانُ العطرِ بأيامي
وأجيءُ اليكِ ، يظللني
صوت بالبشرى مترامي
أستجمعُ لحظات اللقيا
عقداً منضود الاحلام
وأظلُّ تلاحقني صُورٌ
تنحلِ ملايينَ الأطياف
عن عمرٍ عشناه وئيدا
نغماً بأناملِ عزّاف
وأنا من حولكِ أستدني
موفور ثمارٍ وقطافْ
وأخوضُ اليمّ ولا أخشى
أهوالَ الموجِ الرجّاف
فلعلّيَ أمسك لؤلؤة
ترقدُ في قاعِ الأصداف !

* * *

من أيّ البحريْن أخاف ؟
البحرِ الممتدِّ أمامي . .
أم بحرٍ يغرقُ في عينيكِ
لا شاطئ فيه ولا مجداف ؟

□□

العربي ـ العدد ـ ٣١٧ ـ ابريل ١٩٨٥

أرقام

بقلم : محمود المراغي

قمر عربي !
ينضم لرحلة اختصار الزمن والمسافة

الاتصال مشكلة انسانية قديمة .. وعندما استخدمت بعض المجموعات البشرية الحمام الزاجل لحمل الرسائل لم يكن ذلك بهدف تحقيق السرية فقط ، لكنه كان لتحقيق عنصر السرعة واختصار الزمن والمسافة في نفس الوقت .

كان الانسان يحس باستمرار أن حاجته للاتصال كبيرة ، لكن كفاءته محدودة ، ويحد منها فقر أدوات الاتصال ... حتى كان القرن التاسع عشر والقرن العشرون ، حين توالت الاكتشافات : الهاتف ـ اللاسلكي ـ الراديو ـ التلفزيون .. ثم .. القمر الصناعي الذي زاد في كفاءة ذلك كله .

خلال هذه الرحلة أصبحت هذه الاكتشافات من أدوات الحضارة ، ومؤشرا من مؤشرات التقدم .

وخلال ذلك أيضا تم تطوير هذه الوسائل ، وتقدمت تقنياتها ، حتى أطلق على مرحلة منها . ثورة الترانزستور . وذلك حين تطورت الأساليب التقنية المستخدمة في واحدة منها وهي : المذياع الذي اختزل حجمه ، وزادت كفاءته ، وتغيرت النظريات التي تحكمه .

في مجال الهاتف كان الانتشار أقل من المذياع ، لكنه كان دائما أكثر التصاقا بتلبية الحاجات الشخصية ، بالاضافة لاستخدامه في الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

واذا أخذنا الهاتف كأحد المؤشرات في حياتنا العربية ، فاننا نجد للارقام معنى واضحا .

وطبقا لآخر تقرير اقتصادي عربي موحد ، وهو التقرير الذي تساهم فيه الجامعة العربية ، ومجموعة منظمات عربية ، فان الاحصاءات تشير الى أن مشتركي الهاتف عام ١٩٨١ بالوطن العربي قد بلغ عددهم (٣,٢ مليون) مشترك .

وهنا نلاحظ :

أولا : أن نسبة المشتركين لعدد السكان نسبة محدودة للغاية . انها تبلغ (١,٩) بالمائة فقط .. وهذا يعني أنه لكل خمسين من السكان ـ على وجه التقريب ـ هاتف واحد ، وهو معدل فقير دون شك ، ويقدم مؤشرا على مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ومستوى الدخل .

ثانيا : واذا انتقلنا بالمقارنة للمستوى الدولي ، فاننا نجد الحقيقة السابقة ، قد تأكدت ،والبون الشاسع ـ الذي يربطنا في مختلف المجالات مع العالم الأول ـ قد أصبح أكثر وضوحا ..

تقول الأرقام انه بينما بلغت الكثافة الهاتفية في

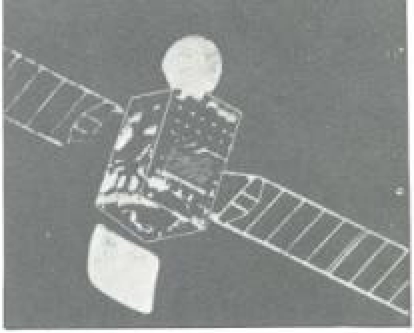

الوطن العربي جهازين تقريبا لكل مائة من السكان عام ١٩٨١ .. فانه في نفس العام بلغت تلك الكثافة ثمانين جهازا لكل مائة من السكان في السويد ، وخمسين جهازا لكل خمسين من السكان في المانيا الغربية .

البون اذن مازال شاسعا ، حتى اذا تمت المقارنة الدولية مع الدول العربية ذات الدخل المرتفع ، وهو ما تشير له الملاحظة الثالثة .

ثالثا : تشير الأرقام الى أن أعلى كثافة هاتفية في دول النفط ، حيث أصبح ـ ووفقا لأرقام ١٩٨١ ـ لكل مائة من السكان في قطر خمسة وعشرون جهازا .. ولكل مائة من السكان في الكويت (١٧,٥) جهازا .. وذلك مقابل جهاز واحد لكل خمسمائة مواطن في موريتانيا ، وجهاز لكل (٣٣٣) مواطنا في الصومال والسودان .

البون اذن مازال شاسعا ، حتى على المستوى العربي ، ولكن بمتابعة مستوى النمو نجد أن الجميع ـ وبصرف النظر عن مستويات الدخل ـ يقفزون بخدماتهم الهاتفية ـ ففي خمس سنوات امتدت من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨١ كان معدل النمو السنوي في السعودية (٤١٪) وفي الامارات (٣٧٪) وفي قطر (٢٥٪) وليبيا (٢٢٪) .. ولكن في نفس الأعوام كان المعدل في دولتين ذات دخل متوسط ومنخفض معدلا مرتفعا أيضا .. حيث كان (١٧٪) في سوريا ... و (١٦٪) في موريتانيا .

و .. يؤكد ذلك الحقيقة القائلة بأن الوطن العربي بشكل عام قد شهد اهتماما كبيرا بالبنية الأساسية وشبكة المرافق في السنوات العشر الأخيرة .. واذا أخذنا مؤشرا آخر في انتشار الهواتف غير الكثافة ، فاننا نجد تعداد السكان وقد ترك بصماته بشكل أوضح .. بل نجد أن (٦٠) بالمائة على وجه التقريب من الهواتف قد تركزت في أربع دول ذات تعداد سكاني كبير نسبيا .. وبالترتيب فان في السعودية وحدها ما يقرب من ٢٣ بالمائة من الأجهزة أي (٧٤١) ألف جهاز .. وتلاها في الأهمية النسبية مصر حيث أن فيها (٣٦٣) ألف جهاز ، وفي العراق (٣٢٤) ألف جهاز .

الكثافة السكانية اذن لعبت دورها في تكثيف الخدمة ، كما لعب ارتفاع الدخل دوره ، وأصبحت الصورة بشكل عام خدمة هاتفية يتزايد حجمها وتتزايد أهميتها .. ولكن بيون مازال شاسعا مع العالم المتقدم .

السؤال : هل تتحسن هذه الصورة بعد تشغيل القمر الصناعي العربي الذي بدأ الاستعداد له عام ١٩٧٦ ، ودخل طور العمل عام ١٩٨٥ ؟

الأكيد أن قدرا من التحسن سوف ينال الاتصالات بعد دخول القمر الصناعي مجال التشغيل ، فالقمر ينقل موجات الاذاعة والتلفزيون ، كما ينقل المكالمات الهاتفية والتلكس ، ووفق صيغة متفق عليها بين الدول العربية المنضمة للمشروع .

لقد كان الربط بين البلاد العربية هدفا لدى الكثيرين ، وفي السبعينيات تم تنفيذ المشروع الأول في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية العربية المشتركة لربط المغرب والجزائر .. بعدها ، تتابعت المشروعات ، وجاء المشروع الثاني لربط العراق وسوريا والأردن والسعودية ، والمشروع الثالث لربط السعودية وشطري اليمن وجيبوتي والصومال ، والرابع لربط المغرب والجزائر وتونس وليبيا :. ثم جاء المشروع الخامس الذي يهدف الى اقامة وتجهيز المحطات الأرضية الخاصة بالقطاع الأرضي من الشبكة الفضائية العربية ، وحين ينتهي المشروع ـ وكما يقول الخبراء ـ فان الشبكة الفضائية سوف تكون بديلة للشبكة الأرضية في حال تعطلها ، أيضا ، وحين ينتهي المشروع تماما ـ وقد أوشك ـ فان عدد مشتركي الهاتف والتلكس سوف يتزايد في الدول العربية المنضمة للمشروع .. كما أن خدمات اضافية سوف يؤديها القمر الصناعي من بينها : نقل الصور وبيانات الحاسبات الالكترونية بين الدول العربية ..

والسؤال : ألا يطرح ذلك فكرة انشاء بنك عربي واحد للمعلومات ؟

أظن أن الوقت قد حان ، والقمر الصناعي العربي يقدم الامكانية لذلك ... □

العربي تدخل

مصانع السلاح السعودي

استطلاع / يوسف الشهاب

تصوير / فهد الكوح

دخلت العربي مصانع انتاج السلاح في المملكة العربية السعودية. وهذه هي الرحلة الثانية التي تلتقي بها العربي مع السلاح العربي. كانت الأولى في القطر المصري. وفي هذا الاستطلاع نقدم صورة جديدة من صور محاولاتنا الجادة لتحقيق الدفاع عن أرضنا العربية وسيادتنا. ترى كيف كان مولد صناعة السلاح في السعودية وكيف تطورت؟

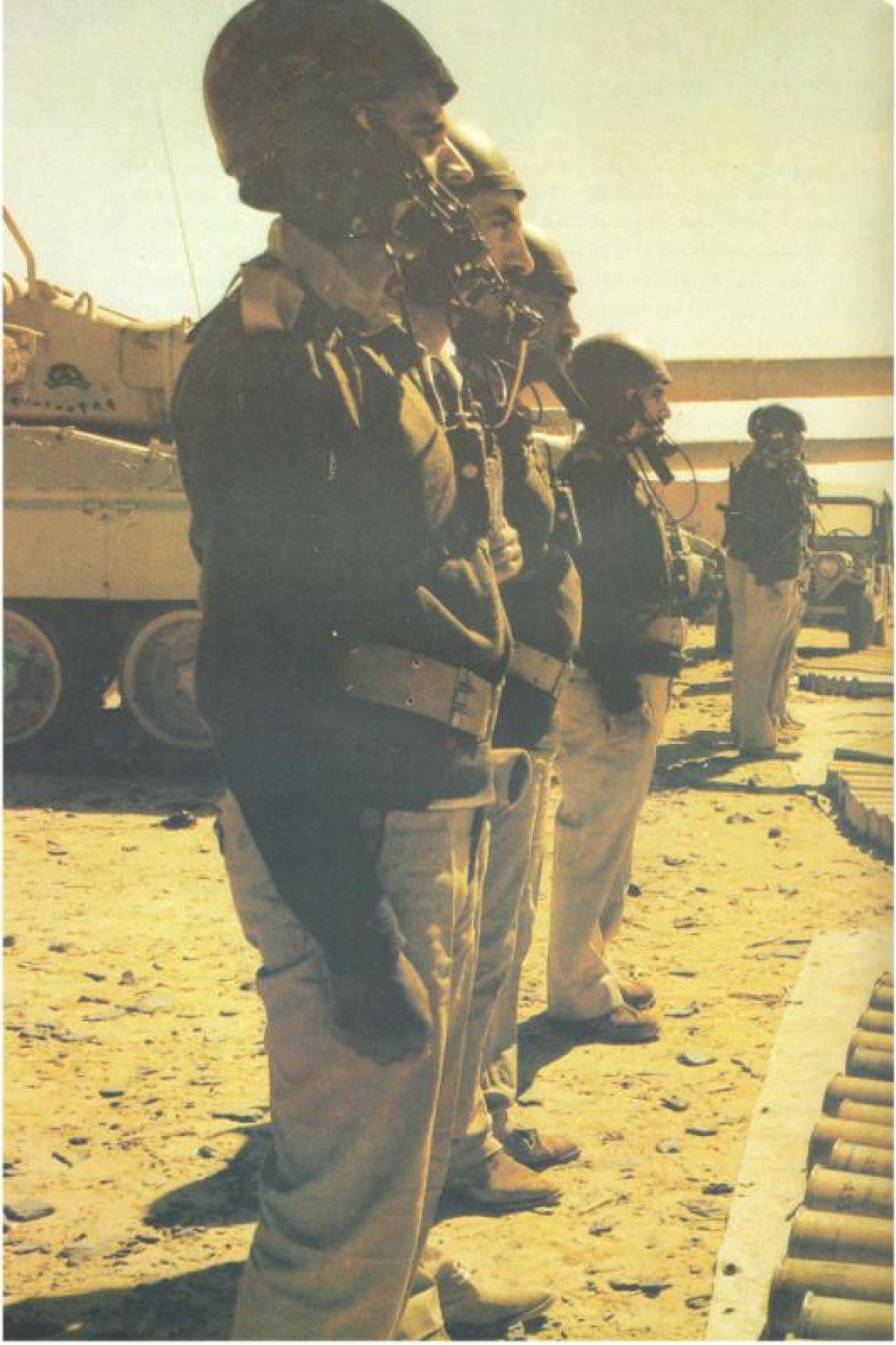

منذ فجر التاريخ عرف الانسان حاجته الى ما يدافع به عن نفسه ضد الاعداء ويزيد من سرعة حركته في الميدان حين يشتعل وطيس المعركة بين كر وفر .. فسلاح اليوم ليس سلاح الأمس ، وسلاح الغد ليس سلاح اليوم ، انه في تطور لا يتوقف ولا يهدأ منذ التاريخ الحربي القديم وحتى التاريخ الحديث ، فالفرس الذين غزوا اليونان عام « ٤٨٠ ق م » كانوا مسلحين بسهام أطرافها من القطران والرماح الخشبية والمقاليع ، وعرفوا آنذاك الحراب البرونزية والسيوف والدروع البرونزية ، ثم تألفت قبائل المقدونيين من المشاة المسلحين بالمزاريق ، كما عرف قدماء الاغريق الحرب الكيميائية التي كانت تحتوي عليها النار الاغريقية والتي هي في الأصل اختراع فينيقي ولم يقف تطور السلاح عند ذلك ، بل تطور مع الزمن ، واشتدت طموحات الانسان في اختراع كل جديد فيه .

واكتشف البارود .. فتفجر ثورة في عالم التسليح العسكري ، واستعمل الهولنديون مدفعية الميدان في القرن ١٤ م ، ثم انتقلت الى العثمانيين والافريقيين ، أما « جوستافوس » فقد عمل على زيادة سرعة المدافع ، فجعل منها سلاحا بالغا في أهميته ، ثم عرف القنابل المحشوة بالمتفجرات ، وفي منتصف القرن السادس عشر ، ظهرت البندقية القصيرة التي كان يبلغ مرماها ٤٠٠ ياردة ، ولم يكتف العقل البشري بكل وسائل الفتك والدمار التي اخترعها ، بل راح يبحث عن جديد فيها ، فجاء بالطائرة والصاروخ بعد الدبابة والرشاش .

والمدافع التي تدخل في اطار هذه الصناعة الحربية محور هذا الاستطلاع .

سرية الخطوات :

وهي صناعة تحيط بها السرية في كافة خطواتها ، سواء أكانت هذه السرية داخل المصانع بين الآلات والأجهزة ، أم في الخارج ، حيث الحفاظ على طرق الصناعة بكل تفاصيلها ، ولو لم تكن هذه الصناعة تدخل تحت باب المحظورات بين دولة وأخرى ، لكانت الدول قد وقفت على دقائق هذه الصناعة فيما بينها ، ولما كان هناك أي سر في مثل هذا النوع من الصناعات .. وقد نتساءل عن أسباب هذا الحرص في سرية صناعة السلاح ؟ والجواب أن أمن الدول الكبرى يتوقف على هذه السرية ، حتى لا تكون صناعة السلاح لديها بين أيدي الدول الأخرى ، وتضيع بعدها هيبة الدولة وقوة السلاح .

السلاح العربي :

ومثل هذه الصناعة جديدة على وطننا العربي ، لظروف أوجدتها محدودية التقنية ، وأسرار هذه الصناعة ، وكذلك قلة الأيدي العربية ، القادرة على صناعة السلاح العربي في المصانع العربية . هذا الى

اللواء يوسف السلوم

جانب ندرة المواد الخام اللازمة .. وأمام هذا كله كان الوطن العربي يمد يده الى أسواق تجارة السلاح الأجنبية ، فتارة ترد هذه اليد دون شيء ، وتارة أخرى توضع أمامها الشروط المادية والفنية قبل تسليم السلاح ، وهذا ما كان يعانيه الوطن العربي في أسواق السلاح الأجنبية ، وهي معاناة دفعت الى الأخذ بمبدأ الاعتماد على النفس في توفير السلاح ، ليأتي عربي الصناعة أرضا ويدا ومالا ، ليقلل من الاعتماد

على السلاح الأجنبي الذي يتحكم تجاره بمصائر الوطن العربي .

رهبة السلاح :

لكن هذه الصناعة لا تزال حديثة فوق الأرض العربية ، فطريق صناعة السلاح طويل ، ودوران الأيام يكشف لنا كل جديد في أسرار هذه الصناعة ، ويتطلب من أقطار وطننا العربي أن تقطعه بعزم وثبات لاعداد السلاح رهبة للاعداء ، مصداقا لقوله تعالى . . « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » فالاعداد هنا مطلوب ، كما أوصانا به القرآن الكريم ، وحين يكون هذا الاعداد قويا فان رهبة الأعداء تكون كبيرة .

الصناعة في المهد :

ولو ذهبنا لمعرفة مواقع هذه المصانع في أقطار الوطن العربي ، لرأينا أن قلة من الدول العربية قد أقيمت فيها الصناعة الحربية ، وهي ان وجدت فلا تزال في المهد تحبو ، ولذلك فان سلاح الوطن العربي لا يزال يدخل ضمن السلع المستوردة من الخارج ، التي تأخذ المال من الخزينة العربية بشراهة ونفس مفتوحة ، أما أقطار الصناعة الحربية على خارطة الوطن العربي فهي جمهورية مصر العربية ، والجمهورية العراقية ، والمملكة العربية السعودية التي هي مجال حديثنا في هذا الاستطلاع ، أضف اليها بعض صناعات الأسلحة الخفيفة في دول أخرى عربية ، لكن وجود هذه الصناعات لا يمثل أي اكتفاء ذاتي للجيوش العربية .

أول مجلة :

وقد تكون مكانة هذه المجلة في الميدان الصحفي وراء السماح لها بالدخول الى المصانع الحربية في المملكة العربية السعودية ، ولا أزال أتذكر حديث أحد المرافقين السعوديين لنا حين التفت نحوي قائلا . . انكم أول مجلة في العالم تدخلون مصانعنا الحربية . .

وقلت . . هذا تشريف لمجلة « العربي » ووسام تحمله على صدرها بين مجلات وصحف العالم الأخرى ، وتابعت معه الحديث . . ان هذه الصناعة ذات شكل خاص ، ولذا فان الحذر مطلوب في الكلمة والصورة ، كما هي العادة في كل صناعة ذات تأثير على الجانب العسكري أو الاقتصادي في أي دولة من الدول ، لكن سؤالا يخطر في الذهن حول هذا الحرص المعتاد في كل صناعة حربية ، ذلك أن البعض يرى أن تسليط الضوء على الصناعة وما تقدمه المصانع من عتاد عسكري ، فيه رهبة وتحذير للعدو ، بينما البعض الآخر يرى أن مثل هذه الصناعة تتطلب وضعها في مقدمة أسرار الدولة ، حفاظا على أمنها وسيادتها ، وكلا الرأيين على صواب . . لكن كيف

العقيد محمد الفيصل

تسير هذه الصناعة في المملكة العربية السعودية ، فالمصانع الحربية هناك تقع في مدينة تبعد عن الرياض العاصمة نحو ٦٠ كيلو مترا ـ ولذا فقد كان علينا أن نطوي هذا الطريق كل صباح من الرياض اليها ، وهي حاضرة الصناعة الحربية في المملكة لنقف على مجرى الحياة اليومية داخل « ورش » هذه المصانع .

* مدخل المصانع الحربية السعودية ، حيث الأمن والعين الساهرة لمراقبة الداخل والخارج .

* يبدأ العامل السعودي حياته العملية ، داخل المصانع الحربية بالمرور على الدراسة النظرية لكافة مرافق الصناعة .
الصورة لأحد الفصول خلال الدراسة النظرية قبل الذهاب الى المصانع .

الصورة لأحد الشباب السعودي يدير آلة لصيانة الآلات وقطع الانتاج .

يأخذ الشباب السعودي دوره في صناعة السلاح ، كما في الصورة التي يبدو فيها أربعة منهم وقد راحوا يضعون علومهم في خدمة هذه الصناعة .

صناعة رجولة وحرب

وعند باب الدخول استوقفنا رجل الأمن العسكري ليسألنا عن طبيعة الزيارة وأسباب الدخول ، فبادر مرافقنا العسكري بالجواب والجهة الصحفية التي قدمنا منها .. فتملكت رجل الأمن الدهشة والاستغراب ، فبادرنا .. أنتم اذن صحافة ؟ قلنا نعم - فقال ضاحكا ، لكن الصحافة لم تدخل في أي يوم من الأيام هذه المصانع ، واستمر الحوار الأخوي بيننا وبين رجل الأمن ثم قال .. حياكم الله وأنتم أهل الدار .. وتابعنا الطريق الى الداخل،كان في استقبالنا ملازم عسكري من العلاقات العامة في المصانع الحربية ، تابعنا الطريق معه الى مكتب اللواء يوسف السلوم مدير المصانع . دخلنا عليه وكانت حفاوته كبيرة بنا وبـ«العربي» التي يحمل لها في قلبه كل تقدير .. ثم تابع الحديث قائلا : ان صناعة السلاح هي صناعة رجولة وحرب ، بل هي من مظاهر الاعتزاز بالقوة ، وبناء الجيش الذي يذود عن الأوطان والديار ، وهي فوق هذا كله مقرونة بالمقدسات الاسلامية والدعوة الاسلامية الى تجهيز العتاد لرهبة الأعداء ، ويضيف مدير المصانع الحربية فيقول : « ان الصناعات عادة تحتاج الى إيد بشرية تستطيع ادارة الآلات داخل « الورش »وتحتاج الى سهولة مواصلات ، وتوفر المياه ،هذا الى جانب المواد الخام التي نأتي بها من داخل المملكة أو خارجها ، لكن اكتشاف المعادن في المملكة ، سوف يغنينا عن الاستيراد من الخارج مستقبلا ، أضف الى ذلك كله المال الذي يحرك المصانع»وكل هذه المقومات متوفرة عندنا والحمد لله .

لكن متى بدأت الصناعة الحربية في المملكة؟ يجيب اللواء يوسف السلوم فيقول :

البداية في الذخيرة :

كانت البداية في أواخر عهد المغفور له الملك عبد العزيز ، في حوالي عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) ، حيث وقع رحمه الله أول اتفاق للتصنيع الحربي مع احدى الدول الأجنبية ، وكان هذا الاتفاق على

أساس المساعدة ، لكن مضمون هذه الاتفاقية انتهى الآن ، بعد تحول الانتاج الى يد أبناء المملكة ، فأصبحت هذه الصناعة « سعودية » في كل ما يرتبط من أيد عاملة فنية وادارية وغيرها .

ويضيف اللواء السلوم قائلا : أما بداية الانتاج فقد كانت مقتصرة على الذخائر ثم الاسلحة الصغيرة ، التي تشتمل على المنشآت والخدمات الصحية للانسان ، والمراكز الترفيهية والاسكان ، وبقية احتياجات الجيش ، ثم ان هذه الصناعة ليست جديدة علينا كمسلمين ، اذ كان المسلمون الأوائل يصنعون السيوف والنبال وكافة الأسلحة التي كانوا يستعملونها في فتوحاتهم ، ويواصل مدير المصانع الحربية حديثه فيقول : ان صناعة السلاح تتطور دائما ، ولا تقف عند نقطة معينة ، ثم ان أي سلاح حديث يظهر لدى الأعداء يتطلب منا أن نفكر في صناعة سلاح يواجه سلاح العدو ، ويفوقه في قوة تأثيره وأدائه . .

مركز للتدريب

ويتوقف الحوار مع اللواء يوسف السلوم مدير المصانع الحربية ، لتبدأ جولتنا في مختلف الورش التي تتألف منها المصانع ، فكانت البداية في مركز التدريب ، حيث اعداد الشباب السعودي وتأهيله ، ليأخذ دوره الى جانب آلة صنع السلاح،والمركز - كما أخبرنا المسؤول عنه - يقبل الطلبة السعوديين فقط ، ومدة الدراسة فيه سنتان ، ويضيف محدثنا أن المركز افتتح عام ١٩٧٤ ، ويأخذ الطالب مكافأة شهرية ، أما نوعية الدراسة فهي نظرية وعملية على البرادة والميكانيكا ، وبعد انتهاء مدة الدراسة يلتحق الطالب باحدى ورش المصانع ، ليأخذ دوره الى جانب رفاقه داخل المصنع .

قطع الغيار

ولا فائدة لأي سلاح دون توفر قطع غيار له . . والمصانع الحربية تضع في أولوياتها عند صناعة السلاح. توفير مصانع لقطع غيار هذه الأسلحة ، وهكذا الحال مع مصانع الأسلحة السعودية ، اذ أوجدت مصنعا مستقلا لقطع غيار الأسلحة ،وزارت بعثة « العربي » هذا المصنع الذي أنشيء عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٦ م) ، وحدثنا مشرف المصنع عن طبيعته فقال : ان مصنع قطع الغيار ينتج القطع التي تحتاجها الاسلحة ، وهو يتمشى في صناعته مع تطور السلاح عندنا ، كما أن المصنع لا يعمل به الا الشباب السعودي ، ولذلك فان كافة من يديرون الآلة فيه هم من أبناء المملكة .

الرشاش والبندقية

ثم زرنا مصنع البنادق المعروف بانتاجه لبندقية (ج ٣) ، وتجولنا بين أصوات المكائن فيه مع الرجل المسؤول عنه ، الذي وصف المصنع بأنه من المصانع المهمة في الانتاج ، إذ ان المصنع ينتج الأسلحة كالبنادق المعروفة ، وكذلك الأوتوماتيكية منها ، كما ينتج الرشاش ، وكافة العاملين فيه هم من أبناء المملكة الذين شعروا بضرورة خدمة بلادهم في هذا الجانب من الصناعة .

وتابعنا الجولة بين المصانع الحربية ، فزرنا مصنع ذخيرة الطائرات (عيار ٢٠ ملم)وقد تخصص هذا المصنع في انتاج ما تحتاجه الطائرات من قذائف وغيرها ، وقد زود بأحدث الآلات المتطورة في ميدان هذه الصناعة ، كما أن المصانع الحربية السعودية تضم بين مجموعة مصانعها مختبرا مركزيا لفحص كافة المواد الخام ، التي تستعمل في صناعة السلاح ، بالاضافة الى كافة الزيوت والمواد الكيماوية التي تدخل في هذه الصناعة .

٢٥٠٠ وجبة طعام

ومثل هذه المصانع تحتاج الى أيد عاملة كثيرة ومدربة ، والمصانع الحربية في المملكة العربية السعودية التي نقدمها للقارىء في هذا العدد - يعمل فيها ٢٥٠٠ مواطن سعودي ، بين عسكري اداري وفني وعامل في الساعة السادسة والنصف من كل صباح ، والكل يأخذ موقعه في العمل الى الساعة الثانية ظهرا ، يتخلل هذه الساعات فترة للصلاة

• ورشة قطع الغيار في المصانع الحربية السعودية حيث الآلة والانسان السعودي .

• يمر العامل السعودي في المصانع الحربية بفترة تدريب نظري وعملي كما في الصورة التي يبدو فيها بعض الشباب السعودي في مرحلة تدريب عملي .

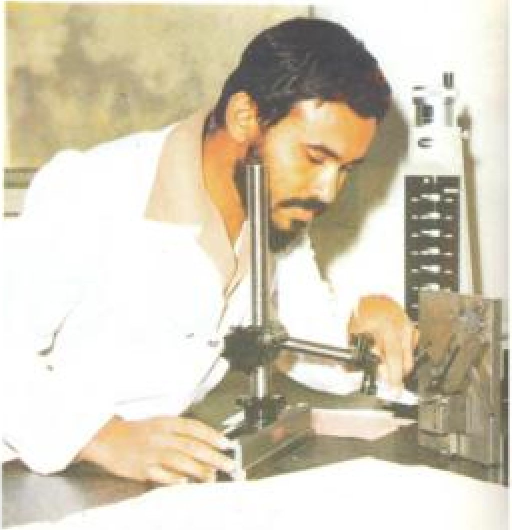

● أحد الشباب السعودي يقوم بفحص أجزاء السلاح داخل مختبر الفحص للمواد الصلبة والكيميائية (الصورة الى أعلى) ، كما يبدو في الصورة (الى أسفل) جهاز الكمبيوتر الذي يقوم بصيانة آلة السلاح كما وتوعا في المصانع الحربية .

● العربي تدخل مصانع السلاح السعودي .

والغذاء الذي توفره المصانع في مطاعمها بالمجان ، لكل من يعمل لديها ، كما أن هناك مشروعا اسكانيا للعاملين في المصانع ، سوف ينتهي العمل به في أوائل العام القادم .

صناعات جديدة

ونلتقي بالعقيد محمد الفيصل نائب مدير المصانع الحربية ، ونسأله عن مرحلة التطور في المصانع ويقول : « ان هذه المرحلة قد بدأت عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ، ولقد كان اهتمامنا في تنفيذ هذه المرحلة هو توفير الأيدي البشرية السعودية ، كما أن مرحلة التطوير شملت أيضا ادخال صناعات جديدة تواكب تطور صناعة السلاح ، واستطعنا بعون الله أن نصل الى هذا المستوى الطيب الذي عليه المصانع عندنا ، سواء من حيث الانتاج أو من حيث توفر الأيدي الوطنية ، التي تدير المصانع على اختلاف أدوارها . ولدينا خطط ودراسات أخرى من أجل الاستمرار في هذا التطور .

معايير وضوابط

وبعد فقد أمضينا عدة أيام نتجول بين آلات المصانع الحربية في المملكة العربية السعودية ، وكانت فترة جولاتنا من الصباح الى المساء ، وكان بودنا أيضا أن نتناول كافة جوانب الحركة اليومية داخل هذه المصانع ، وخاصة الجوانب الدقيقة منها ، لكن هناك « معايير » وضوابط تدخل تحت ما يسمى بالأسرار العسكرية ، وهذه تحرص على عدم تسليط الأضواء عليها ، لأنها من أسرارنا ، كأمة عربية تسعى الى العمل والاعداد العسكري ، وهي تنطلق من حديث سيد الخلق عليه الصلاة والسلام .. « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » .. فالسرية مطلوبة هنا ، وما قدمناه هو الجانب الذي يباح تقديمه ..

وبعد عزيزي القارىء .. هذه لمحة عن جوانب معينة من صناعة السلاح في المملكة العربية السعودية ، وهي الجوانب التي أمكن الكتابة عنها ... وهناك جوانب أخرى تدخل في اطار ليس كل ما يعرف يقال أو يكتب ! □

تقاطع الطرق
بداية النهاية

بقلم : يوسف الشاروني

في أحد أيام الجمع خرج عمي ابراهيم على دراجته قاصدا جامع بركة الرطل كعادته . وانتظره أقاربه بالدور الخامس ليزورهم زيارته الاسبوعية بعد الصلاة ، غير أن انتظارهم قد طال ، والذين صلوا منهم بالجامع نفسه قالوا انهم لم يلمحوه كما كان يحدث أحيانا . وانتظرت أمه عودته لكن دون جدوى ، ولم تكن لديها وسيلة للاتصال ببركة الرطل لتستطلع أنباءه . فظلت قابعة مهمومة لاتفعل الا الضروري ، كالذهاب الى عشش الدجاج والأرانب وحظيرة العنزة لتنظيفها ، ووضع الطعام والماء ، وجمع البيض وحلب اللبن .

البداية

وكان عمي ابراهيم عندما بلغ الخامسة والخمسين قد قدم استقالته من وظيفته الحكومية ، ليبدأ تحقيق حلمه الذي طالما راوده وهيأ نفسه له طوال سنوات عديدة بعد أن قدم استقالته . كان يحلم بالحرية ، حرية من الوظيفة ومن الناس ومن قيود المجتمع . فالحرية كان يحلم . وكانت وسيلته الى ذلك أن يشتري - بما اقتصده خلال عمله الوظيفي - قطعة أرض بعيدا عن زحمة الناس ، في منطقة ريفية تقع على ضواحي العاصمة وقتئذ ، حيث المزارع التي تمدها كل صباح بالخضراوات والزهور ، وأن يقيم فيها بناء بسيطا يكفيه هو وأمه العجوز التي فقدت بصرها منذ سنوات ، ثم يعد عششا للدواجن والأرانب ، وحظائر للبهائم التي يقوم على تربيتها والتي تؤدي أكثر من غرض .

فهي هواية تشغل وقت فراغه ، ورياضة يحرك بها عضلات جسمه ، ومصدر لبعض طعامه ، وما يفيض عنه يدر له دخلا يمكن أن يضاف الى معاشه المتواضع ، مما يضمن له معيشة في مستوى معقول لمطالبه المتواضعة . فقد كان يحلم بالحرية ، بعد أن قدم استقالته من حياته الوظيفية .

وكان مبدؤه أنه كلما اقترب من الطبيعة أكثر كانت سعادته أكبر وصحته أفضل . وكان يؤمن ايمانا يصل الى مستوى العقيدة بأن الطعام كلما تدخلت فيه يد الانسان أصبح أكثر ضررا . وكلما قل هذا التدخل أصبح أكثر فائدة . فالسكر الأحمر والخبز الأسمر واللبن الطازج والزبد أكثر فائدة أو أقل ضررا من السكر والدقيق الأبيض ومن السمن طبيعيا كان أو صناعيا ، بل كان يستخدم عسل النحل والعسل الأسود بدل السكر ، ولا يأكل النشويات كالخبز والأرز والمكرونة . ولا يستخدم الا اللبن المنزوع القشدة ، ولا يأكل الا اللحم الأبيض كلحم الدواجن والأسماك مشويا أو مسلوقا ، وطبقه الرئيسي على الغداء السلطة الخضراء ، وعشاؤه المفضل اللبن الزبادي والفاكهة ، فمبدؤه أن الطعام كلما اقترب من الطبيعة كان أكثر فائدة . فضلا عن أن أكله كان بحساب ، فشعاره « كل قليلا تعش طويلا » .

وكان عمي ابراهيم يفخر قائلا : « لقد وضعت لنفسي برنامجا لأعيش حتى المائة أو على الأقل لأعيش أيامي سليما وليس عالة على أحد » يقصد بذلك الا يصاب بشلل أو بفقدان احدى حواسه كالبصر أو السمع ، أما الموت فهو حق علينا جميعا . فكان الى جانب اتباع هذا النظام الدقيق في طعامه ، يحرص على القيام بتنقلاته على دراجة كلون من ألوان الرياضة ، كما كان يحرص على المواظبة على صلاة الجمعة في نفس الجامع الذي كان يصلي فيه أيام سكنه القديم ، وقبل أن يبني بيته الجديد على كورنيش النيل بطريق المعادي بعيدا عن زحمة العاصمة وقتئذ . فكان يخرج صباح كل يوم جمعة من بيته ويركب دراجته ويقطع عليها مسافة تزيد على الساعة في مثل هذه السن ، حتى يصل الى بركة الرطل بالفجالة ، وهناك يصلي في جامع الرحمن ، وبعدها يزورنا نحن أقرباءه الذين كنا نسكن وقتها بالدور الخامس باحدى العمارات القديمة التي لم يكن بها مصعد ، فكنا نشاهده يصعد سلمنا كأنه ابن العشرين ، وأول ما نلمحه نصيح نحن الاطفال الصغار وقتئذ « عمو ابراهيم » . فقد كانت زيارته الأسبوعية كأنها جزء من النظام الفلكي . وقد علمنا فيما بعد أنه لم يكن يشتري لنا الشيكولاته ـ كما كان يفعل بعض أقربائنا ـ لا لأنه يرى فيها أذية للصغار ، ولكن حتى لانتعود على مثل هذه المأكولات عندما نكبر وتصبح من المحظورات . وكان يجلس وقتا لايزيد على نصف الساعة ، لابد أنه كان يعرف أثناءها أخبار الأسرة ويعرفون أخباره ، ويأخذ بريده القليل ان كان له بريد ، ويدعونه لتناول الغداء فيرفض ، لأن هناك أولا والدته تنتظره ليأكلا معا ، ثم لأنه لايوافق على طريقة طهوهم للطعام . . فقد كان يفضل الطعام نصف المطهو قليل الملح أو عديم الملح لأنه كان يؤمن أن الطعام كلما كان أكثر اقترابا من الطبيعة كان أكثر فائدة .

وهكذا احتاط لصحته بنظام طعامه ورياضة جسمه ونقاء موقع سكنه بعيدا عما يلوث المدينة من أدخنة وضوضاء وتزاحم الخلق وتنافسهم على رقعة أرض لاتكاد تتسع لهم ، فهو يؤمن أنه كلما اقترب هو أيضا من الطبيعة كان أكثر سعادة وأحسن صحة ، فضلا عما يعود عليه ايمانه وعلاقته الصحية بربه من طمأنينة وراحة بال . لهذا كان رفيعا منتصبا كالعصا .

وكان يجد سعادته فيما يزرعه من خضراوات في حديقته الصغيرة الملحقة ببيته ، وفيما يربيه من دجاج وأرانب (كان لايربي البط ولا الأوز ولا الحمام لأن من رأيه أن أكل هذه الدواجن غير صحي لكثرة ما بها من دهون) . وان كان قد أصابها الوباء مرتين ، مرة قضى على معظم الدجاج ، ومرة أفنى الأرانب كلها . غير أنه سرعان ما تنبه وبدأ يتخذ وسائل الوقاية الطبية معها فيما يقدم لها من طعام ، وفي حقنها من حين لآخر بما يحميها من غوائل وباء آخر .

وهكذا كان يرى أن أعظم انجازاته في حياته انما حققه بعد أن استقال من وظيفته وحصل على حريته بعد سن الخامسة والخمسين ، حين استطاع أن يكون أكثر اقترابا من الطبيعة ، سواء بحصوله على قطعة أرض يملكها ـ وهو الذي لم يكن يملك حتى نفسه أيام الوظيفة ـ أو ببنائه هذا البيت ، ثم فرحته كلما بذر بذرة ورآها بعد شهور وهي تنضج ثمرة بعد ثمرة . (وكان يرى أن عمليات نقل الخضار والفاكهة تفقدها كثيرا من فوائدها الصحية) . أو كلما فقست بيضة كتكوتا أو ولدت احدى أرانبه أو عنزته سعده (بكسر السين) ودرت له لبنا يحلبه ويشربه طازجا دافئا « أنه أفضل الألبان عندي لأنه أقل أنواعها دسما ، ثم انه ثمرة جهدي وكدي » ، بينما صغارها يحومون حولها يمأمئون بأصواتهم الخافتة ، وهو لايذكر أنه أحس يوما بثمرة عمله الكتابي أيام حياته الوظيفية على طولها « كنت أشعر أنني نقطة في بحر ، وجودي مثل عدمي وحضوري مثل غيابي . أؤدي عملا غير مميز يمكن أن يؤديه أي شخص آخر ، لهذا فرحوا يوم استقلت لأني سأحرك طابور الدرجات المنتظر بعدي » .

وهكذا حصل عمي ابراهيم على حريته يوم استقال من وظيفته ، واستطاع أن يحقق مبدأه بأنه كلما كان أكثر اقترابا من الطبيعة كان أكثر سعادة وأفضل صحة ، وكانت أمه تأكل ، مثلما يأكل وتعيش في البيئة التي فيها يعيش ، لكنها لا تمارس من الرياضات والهوايات ما يمارس بسبب بصرها الذي كف منذ أكثر من عشر سنوات ، زحفت سحابة على احدى عينيها

فتضاءل نورها شيئا فشيئا ، ثم ما لبثت أن زحفت سحابة مماثلة على العين الأخرى وبالطريقة نفسها ، وذهبت الى أكثر من طبيب وعملت أكثر من عملية في محاولة لانقاذ ما تبقى لها من بصر ، ولكن ارادة فوق ارادة الطبيب شاءت لحكمة لانعرفها أن تظلم الدنيا تماما في النهاية أمام عينيها ، بعد بصيص دام سنوات . وفيما عدا هذا فقد ظلت صحتها جيدة : سمعها وذاكرتها ونشاطها ، ولهذا ـ وبرغم ما أصابها ـ فهي تقوم بجميع أعمال البيت من تنظيف واعداد للطعام وغسل للملابس والمعاونة في تهيئة ما يقدم للدجاج والأرانب ولسعدة ، وتنظيف العشش والحظيرة .

وهكذا كانت معينة وأنيسة في وحدته ، لايقطعها الا زيارات متباعدة لنا نحن أقارب بركة الرطل (ما أزال أذكر ترقبي لهذه الزيارات في صباي ، فقد كانت سعادتي عظيمة عندما يصحبني الكبار في زياراتهم المتباعدة لبيت عمي ابراهيم فأرقب الدجاج والأرانب وهي تهرب مني الى جحورها بمجرد أن تراني ، ثم وأنا الاعب العنزة سعدة وأربت على شعر صغارها . مرة واحدة فقط أذكر أن عمي ابراهيم منعني فيها من الخروج الى حديقته لأن العنزة سعدة كانت حديثة الولادة فيما أذكر ، ومداعبتي لها قد تأخذها على غير محملها ، فتؤذيني برفسة أو نطحة منها ، أو قد ينقطع لبنها على حد اعتقاد جدتي والدة عمي ابراهيم) ولما كان الفرق بينه وبين أمه في العمر يبلغ حوالي عشرين عاما ـ وكان يشبهها بأنها بمثابة سقفه الذي يحميه ـ فمعنى هذا أنه لا يزال أمامه دائما عشرون عاما على الأقل على نهاية حياته . فقد كانت أمه سقفا له .

ـ الجيل الأكبر سقف للجيل الذي يليه ، فاذا انهار السقف أصبح الجيل الذي يليه بدوره سقفا للجيل الذي بعده وهكذا .

ورغم شغفه بالعزلة وعزوفه عن الناس ، الا أنه كان دائم التبشير بمبادئه بين معارفه القليلين ، وفي مقدمتهم أقارب بركة الرطل الذين سخروا أول الأمر من آرائه ، لكنهم ما لبثوا أن تأثروا بها ، وأخذوا يمارسونها شيئا فشيئا ، دون أن يعلنوا ذلك صراحة . كما كان دائم الاطلاع على أحدث الكتب التي تعالج موضوعات الاحتفاظ بالصحة بالطرق الطبيعية ، كتنظيم الطعام والرياضة وتجنب القلق ، لكنه كان عدوا للأدوية وليس بينه وبين الأطباء ود كبير . وقد كانت تلك الكتب في ذلك الوقت قليلة ، فاذا عرفنا أن الوعي بطرق الوقاية الصحية الطبيعية لم يكن منتشرا وقتها كما هو اليوم ، أدركنا الى أي حد كانت ريادة عمي ابراهيم في هذا المجال . وكان يعلن أن فلسفته تتلخص في أسس ثلاثة : نظام للطعام كيفا وكما ، ونشاط بدني يحرق السعرات الحرارية التي يولدها الطعام ، وراحة نفسية تتحقق سلبا بالبعد عن المشاكل ما أمكن ، وايجابا بايمان لايعرف تعصبا يقلب الهدف منه .

هذا استقال من وظيفته ، واقترب من الطبيعة سكنا ونشاطا وطعاما . وكانت أمه سقفا له .

● تقاطع الطرق .

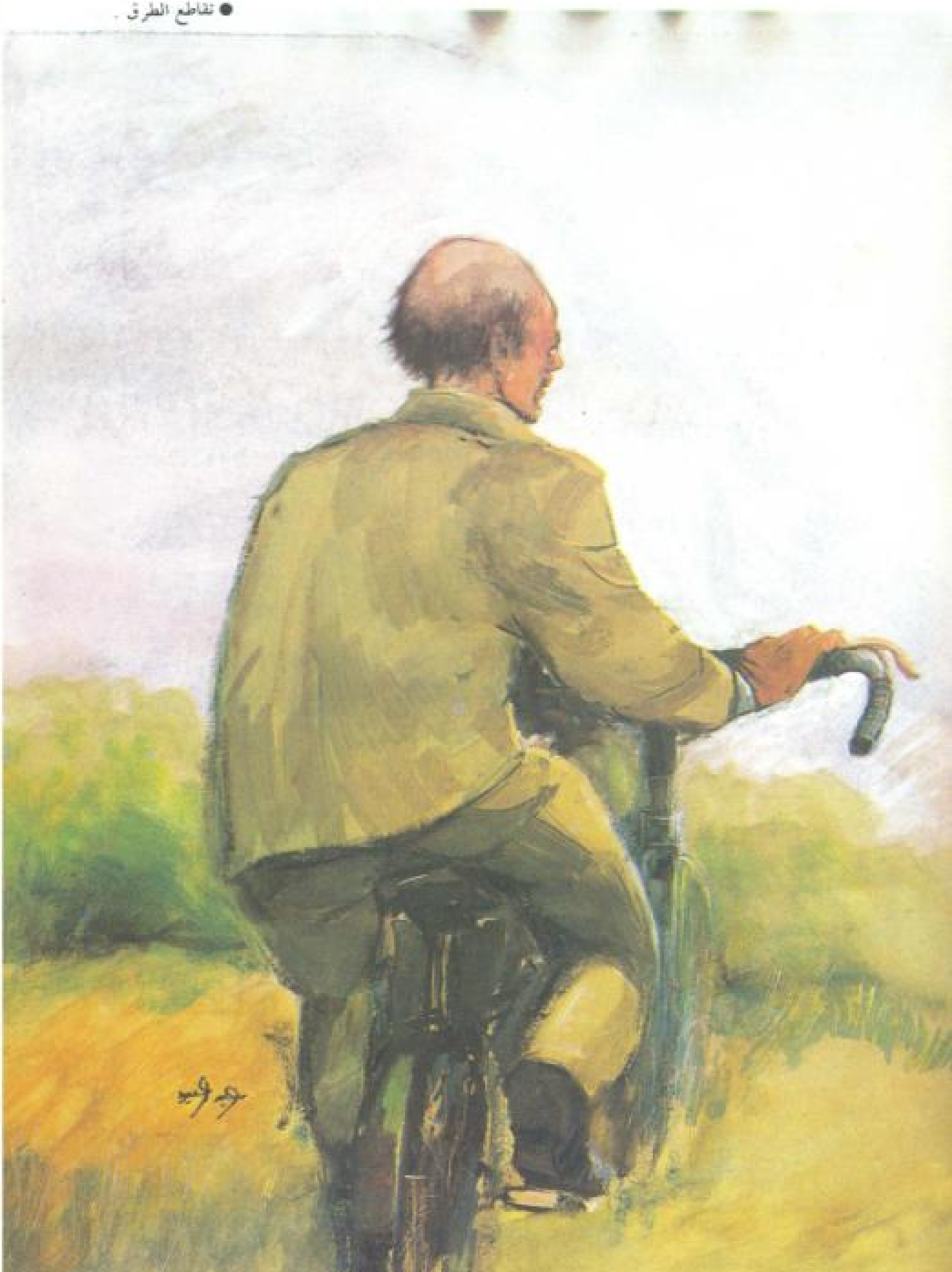

النهاية

في اليوم الثالث طرق باب بيت عمي ابراهيم طارق ، فلما فتحته أمه وجدت أمامها أخي الكبير يسألها عن أخبار عمي ابراهيم ، فهبط قلبها وأدركت أن كارثة لا بد قد حاقت به . ولما عرف منها أنه لم يعد منذ أول أمس ، أبلغ أقاربه فاسرعوا ينتشرون في العاصمة يسألون أقسام الشرطة ومختلف المستشفيات ، حتى عثر عليه أخي في اليوم التالي راقدا في أحد المستشفيات مصابا بكسر في ساقه اليمنى ، وقد انتابته الحمى وفقد الوعي ، اذ يبدو أن الجرح كان قد تسمم . واتضح أنه كان يعبر بدراجته تقاطع الطرق المزدحم عند صيدلية الاسعاف الشهيرة ، عندما صدمته سيارة ، سمعنا أنه قبض على سائقها ثم أخلي سبيله فيما بعد . وكان واضحا أنه ـ بسبب عدم ظهور أقرباء له ساعة الحادث ـ لم يلق العناية الكافية ، فلم يهتم أحد بالاتصال بمعارفه برغم أنه يحتفظ ببطاقته الشخصية في جيبه ، ولم يكترث من أسعفه بتطهير الجرح بعناية ، ولا وضع جبيرة للكسر ، بل مجرد قطعة خشبية بطول الساق شدها برباط رشح منه الدم حتى تخثر واسود . وعندما حاولوا نقله الى مستشفى آخر قد يلقى فيه عناية أفضل قيل لهم ان حالته خطرة ، وعندما أعيد الكشف على ساقه قيل انها يجب أن تبتر في محاولة لانقاذه قد تنجح وقد تفشل . وقال الطبيب : لولا سلامة قلبه لما استطاع جسمه المقاومة كل ذلك الوقت . وعولج فورا ـ أقصد بعد أربعة أيام ـ بالمضادات الحيوية عسى أن تخف حدة التسمم ، وتهبط حرارته قليلا فيمكن اجراء الجراحة ، غير أن الوقت كان قد تأخر ، فلم تبتر ساقه ولم يعد الى بيته .

بقية لالزوم لها

أ ـ من أقواله

عندما سمعت عن الحادث الذي وقع له في تقاطع الطرق تذكرت ماقاله لي يوم مات صديقه عمي موسى ردا على تساؤلاتي المراهقة ـ وكان صديقه يطبق ما يطبقه من مبادىء ـ وقد مات أثناء عملية جراحية له . قال ردا على تساؤلاتي المراهقة .

ـ هناك ارادة فوق ارادتنا ، قد تتقاطع طرقها مع طرقنا ، وهذا لايمنعك من أن تذاكر لتنجح ، ولا يمنعنا من الذهاب الى الطبيب عندما نمرض ، فقد يكون الطبيب هو أداة هذه الارادة لشفائنا . وبالعكس فاننا لانذهب لنضع رقابنا على قضبان السكة الحديدية ونقول : اذا كان لنا « نصيب » فلن تمر فوقها عجلات القطار . فالعبد في التفكير والرب في التدبير .

ب ـ في جنازته

كانت أمه أول شخص قدمت له العزاء . لاحظت أنها كبرت عشر سنوات مرة واحدة ثم . . عزيت نفسي .

أصررت على السير في جنازته . كانت أول جنازة أسير فيها في حياتي . . . انتزعت يومها الاعتراف بأني انتقلت الى عالم الكبار .

همس أحد المشيعين : لم يعش كما خطط لنفسه . تحمست مدافعا : ولم يعش عالة على أحد .

نظر الى باندهاش ـ فلا بد أنه لاحظ يفاعتي ـ وواصل مصرا : كان يمكن أن يكون عالة على الآخرين لو أنه عاش بعد الحادثة .

اعتبرت ذلك اساءة الى ما كافح من أجله عمي ابراهيم طول حياته وأن تكون هذه الاساءة وجثمانه ربما ما يزال دافئا فوق الخشبة . فقلت بغيظ ، ولكن بيني وبين نفسي : لم يكن عالة عليك على كل حال .

ثم جرؤت أن أهمس بصوت يسمعه ، وكانت الأسرة قد آثرت أن تكون الصلاة واقامة السرادق بجوارها في بركة الرطل .

ـ عمي ابراهيم كان يعمل لآخرته كما كان يعمل لدنياه ، ومسجد الرحمن الذي فيه صلينا عليه الآن هو المسجد الذي كان يصلي فيه كل يوم جمعة .

وقد قصدت أن أقول « عمي » حتى أوضح لهذا الغريب أن المرحوم الذي يحاول أن يتطاول عليه ماهو الا قريبي فأنا أعرف به منه .

كان قد استقال من وظيفته ليحصل على حريته ، واقترب من الطبيعة أكثر ليحصل على سعادة أكبر وصحة أفضل . وعند تقاطع الطرق وقع له حادث . وأمه التي كانت سقفه ما تزال سقفا تحت فراغ ، ولم تبتر ساقه ولم يعد الى بيته . □

اقرأ في العدد القادم من العربي

□ المياه العربية وصراع الوجود!

سليمان الشيخ

الصناعات الثقافية بين سلطاننا عليها وسلطانها علينا!

د. عبدالله عبدالدايم

حرب خفية بتكنولوجيا غير بشرية

د. عبدالمحسن صالح

رحلة الخراساني إلى الموت

د. محمد المنسي قنديل

□ فنلندا: الألوان والأنغام

استطلاع ملون - مصطفى نبيل

□ أصابعك.. علاج للصداع!

د. نبيل سليم علي

□ البيت العربي.. ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت

□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي - د. فاطمة الغرباوي - أبو المعاطي أبو النجا

د. عامر هشام جعفر - د. عبدالمالك التميمي - د. فهمي جدعان - د. أمين العيوطي.. وغيرهم

تطور مهام

مكوك الفضاء

بقلم : المهندس سعد شعبان *

منذ بدأت رحلات مكوك الفضاء الأمريكي في ١٢ ابريل ١٩٨١ والرحلات الى الفضاء لاتنقطع . وقد بدأ الفاصل الزمني بين كل رحلة وأخرى يتناقص في الرحلات الأخيرة حتى أصبح يقل عن شهر في بعض الأحيان . فما هي قصة التطور الجديد لمكوك الفضاء في الساحة الأمريكية ؟

الأصل في اطلاق اسم « المكوك » على سفينة الفضاء التي أصبحت على شكل الطائرة ، أنه أصبح ميسورا أن تروح وتغدو ذهابا وايابا في الفضاء ، وتتكرر رحلاتها وتعود الى الأرض كاملة دون أن تحترق بعض أجزائها كما كان يحدث في سفن الفضاء من قبل . حتى صواريخ الدفع الثلاثة التي ترفع المكوك الى الفضاء ، يعود اثنان منها الى الأرض بواسطة مظلات . ومن ثم تحقق الهدف في تقليل النفقات بامكان اعادة استخدام المكوك بكامله في رحلات متكررة .

ولا شك أن هناك تعديلات كثيرة ستدخل على تصميم المكوك في المستقبل ، تجعله قابلا للاقلاع الى الفضاء ما يقرب من مائة مرة ، ولن يفصل بين الرحلة والأخرى أكثر من أسبوعين تجري خلالهما عمليات الصيانة واجراءات التأمين اللازمة للرحلة التالية .

وبتكرار رحلات المكوك تبدد الجزء الأكبر من الرهبة التي كانت تحيط رحلات سفن الفضاء ، اذ أصبحت رحلات المكوك وكأنها رحلات للطائرات . وساعد على ذلك كون المكوك يهبط الى الأرض منحدرا شراعيا من الارتفاعات العالية في الفضاء ، ويحط على الأرض وكأنه طائرة في أحد المطارات المجهزة بممر طويل يبلغ طوله ضعف طول الممرات العادية .

---

* عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولي بباريس .
* عضو لجنة الفضاء بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا ورئيس لجنة الفضاء بنادي الطيران المصري .

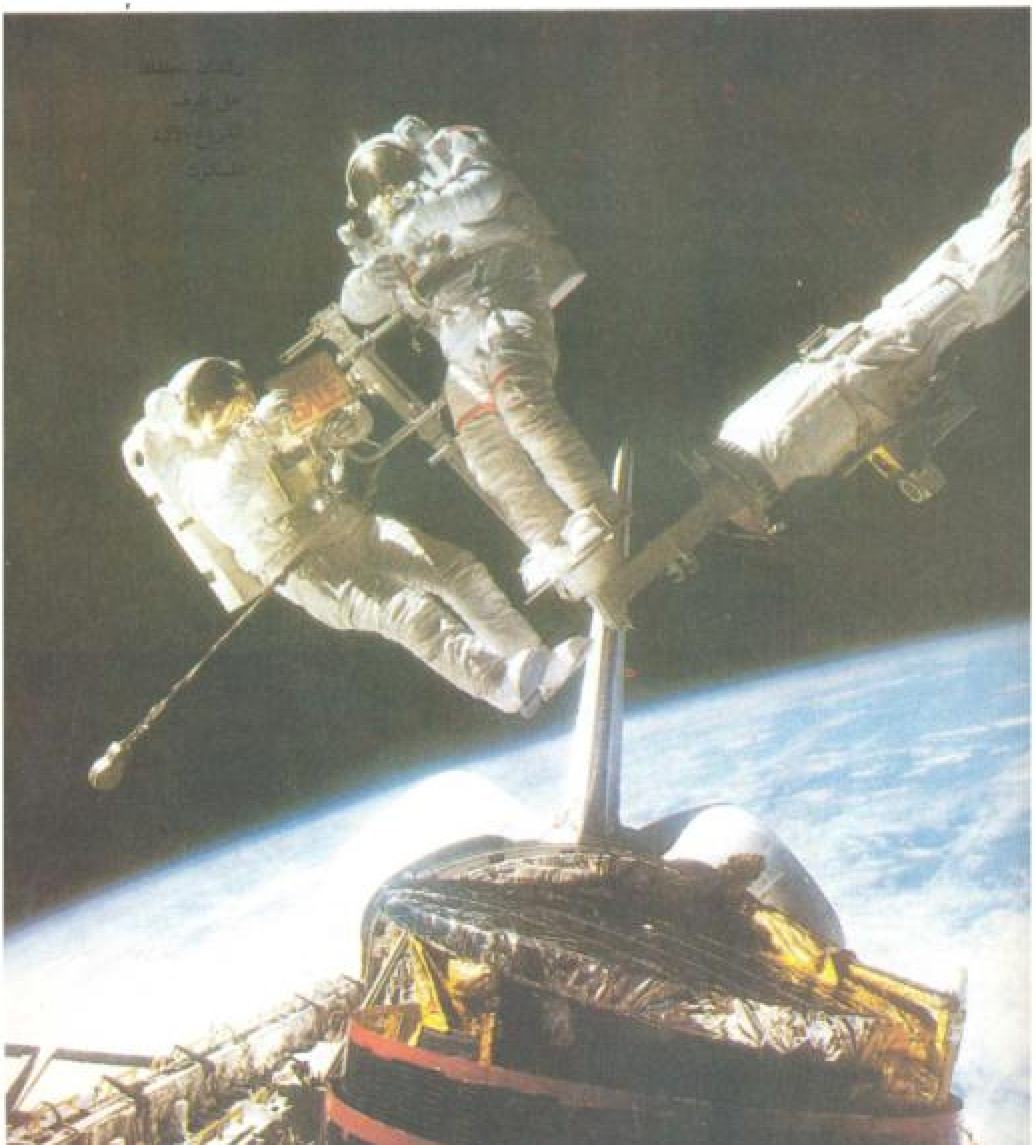

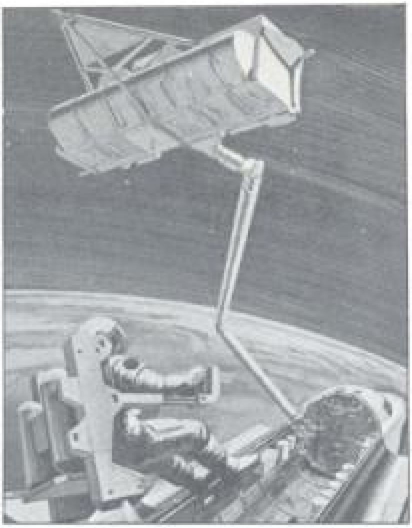

رسم لمكوك طائر

أجيال المكوك الطائر

ظهر من المكوك حتى الآن ثلاثة أجيال تحمل ثلاثة أسماء مختلفة هي « كولومبيا » ، « وتشالنجر » ، « وديسكافوري » ، ولا توجد اختلافات كبيرة بين طراز وآخر في التصميم عدا في الطول أو سعة كابين الحمولات . ولكن اجراءات الصيانة ، التي تجري على جسم المكوك وأجهزته تستلزم القيام بقياسات وعمليات ضبط خاصة للتأكد من سلامة طبقة العوازل التي تكسو السطح الخارجي لهيكل المكوك من أسفل لأنه يتعرض لدرجات حرارة عالية قد تصل الى ١٣٠٠-١٥٠٠° درجة مئوية . الأمر الذي يجعل سطحه الخارجي وكأنه حجرة متقدة . وقد تعارف العلماء على اصطلاح أن المكوك يجتاز بذلك « حاجز الحرارة » بعد أن يجتاز « حاجز الصوت » لأنه في رحلة العودة يتحرك بسرعة تفوق سرعة الصوت ٢٥ مرة . وخلال رحلة العودة يتعرض المكوك للغوص في بئر من الأيونات السالبة ، التي تنجم عن الارتفاع الكبير في درجة الحرارة ، الأمر الذي يتسبب في تفكك ذرات الهواء المحيطة به . ويتحدر المكوك في رحلة العودة من الفضاء ، ثم في الغلاف الجوي القريب من سطح الارض ، بزاوية انحدار حادة ، تعادل أحيانا سبعة أمثال زاوية انحدار الطائرات العادية .

وتقتضي عمليات التحكم في أجهزة قيادة المكوك ، وحواكم القيادة التي في قمرة الطيارين ، وسرعات الدوران والانحدار والاستواء والهبوط ، وجود عدد من الحواسب الالكترونية على متن المكوك . وفي الرحلة الأولى للطراز « كولومبيا » كان على متن المكوك خمسة حواسب اليكترونية ، كان كل منها قادرا على اجراء ٣٢٥,٠٠٠ عملية في الثانية . بل كان كل منها قادرا على مراقبة عمل الحواسب الأخرى . ويقوم كل منها بتبليغ نتائج قياساته الى الحواسب الأربع الأخرى ، ويستقر الرأي فيما بينها على أكثر نتيجة تحوز على أكثر الأصوات عددا . ومن الطريف أنه حدث اختلاف فيما سجلته الحواسب الاليكترونية أثناء العد التنازلي للرحلة الأولى ، وقد أدى ذلك الى ايقاف عملية الاطلاق وتأجيلها لمدة ٤٨ ساعة . وتتحكم الحواسب الاليكترونية في حركة المكوك في كل مراحل الرحلة الفضائية ، منذ بدء العد التنازلي حتى لحظة الرسو على سطح القمر . بل تقوم بكل التفصيلات الدقيقة أثناء الرحلة كتنبيه الرواد لمواعيد النوم والاستيقاظ والأكل واجراء التجارب . كل ذلك يرسم صورة للتحكم الدقيق في كل الرحلة الفضائية .

تطور الحمولات

لم يكن يوجد على متن مكوك الفضاء في رحلته الاولى غير جهازين صغيرين لجمع المعلومات ، لكن الفراغ الموجود في هيكله يكفي لحمولات كبيرة يمكن أن يصل وزنها الى ٢٩,٠٠٠ كيلو جرام في قمرة طولها ١٨ مترا وعرضها ٤,٥ مترا . ولقد أعلنت وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية عن امكان حمل بعض الحمولات ، بالثمن للأغراض العلمية أو التجارية لأي دولة . بل لقد أعلنت عن امكان المعاونة في تصميم الأجهزة العلمية التي يراد حملها فوق المكوك لتحقيق قيامها بمهامها . ومن ثم يمكن أن تحقق حمولة المكوك ربحا تجاريا يبلغ ٣٥ مليون دولار لو امتلأت كابينة الحمولات على آخرها . ومع توالي رحلات المكوك بدأت تتطور الحمولات التي يتم الصعود بها الى الفضاء ، وبدأت الاستخدامات التجارية تتوالى معلنة عن حقبة جديدة في عصر الفضاء ، جعلت تكنولوجيا الفضاء تتقدم خطوات واسعة في مجالات التطبيق التي بدا بعضها مبهرا . ولكننا في كل ذلك

تشير الى تخطيط ممنهج لتحقيق تكامل سيتهي بالبشرية خلال عدد قليل من السنوات الى بناء المستعمرات الفضائية ، التي هي بمثابة الحلم الذي يداعب أفكار علماء عصر الفضاء . والغرض الواضح منها هو أنهم يخططون لتحقيق وجود الانسان لفترات طويلة في الفضاء متحركا داخل هذه المستعمرات ، أو مسيطرا على المجالات الفضائية منها بقدرات عسكرية متطورة يخطط لها العسكريون من الآن بغرض نقل ساحة الحرب في المستقبل من فوق سطح الأرض الى أغوار سحيقة في الفضاء .

ولقد كان من أروع حمولات المكوك ذلك المعمل الذي حمله في رحلته التاسعة ، والذي أطلق عليه اسم (مختبر الفضاء) Space lab ، فلقد تضافرت جهود سبع دول أوروبية على تصنيعه خلال أكثر من عشر سنوات ، وعمل على تشغيله أثناء الطيران في الفضاء عالمان أحدهما ألماني والآخر أمريكي ، وكان يضم أجهزة علمية حديثة تتعلق باجراء قياسات في الفضاء عن الطقس والفيزياء الأرضية وحركة الكواكب والمجرات وخام السبائك ، بالاضافة الى تجارب طبية وبيولوجية واشعاعية أخرى .

أول الحمولات التجارية

يحتوي مكوك الفضاء على ذراع طويل يمكن أن يبرز من هيكله ليمتد خارجه ويمسك بالأجسام القريبة من المكوك . اذ يبلغ طوله ١٦ مترا ، ويتكون من ثلاثة أجزاء مفصلية ليحاكي ذراع الانسان ، بينما ينتهي الجزء الأخير بمخلب يمكنه أن يقوم بعمل أصابع الانسان . وفي الرحلة السابعة للمكوك التي تمت في يونيو ١٩٨٣ بدأ استخدام هذه الذراع الآلية ، وكانت تتحكم في تشغيلها رائدة الفضاء « سالي رايد » التي كانت أول رائدة فضاء أمريكية من الجنس اللطيف . ولقد كانت مهمتها تنحصر في التقاط حمولة تتمثل في صندوق وزنه (١٤٥٤) كيلو جراما أطلق عليه اسم (SPAS - 1) لصالح احدى الشركات الألمانية .

وكان الصندوق يحتوي على أجهزة علمية تتعلق بالتلوث ونشاط الميكروبات ، وخام سبائك المعادن والخلايا الشمسية . ولقد سبق عملية تشغيل الذراع اخراج هذا الصندوق من المكوك وتركه ليطفو في الفضاء على بعد بلغ ٨٥٠ مترا من المكوك . وظل متابعا لحركة دوران المكوك مدة عشر ساعات ، حتى نجحت الرائدة الدكتورة سالي رايد في تشغيل الذراع الآلي واستعادت الصندوق الى داخل المكوك . وبذلك بدأت حقبة جديدة هي بمثابة الفاتحة في « عمليات الانقاذ الفضائية » .

تطوير مهام المكوك

أتى أول تطبيق عملي فعال في تطوير مهام المكوك باطلاق الأقمار الصناعية من فوقه ، وبذلك حل المكوك محل منصات الاطلاق الأرضية ، فأعطى بذلك بعدا جديدا لعمليات دفع الأقمار الصناعية الى المدارات العالية بتكاليف أقل . ولقد تحقق ذلك في الرحلة العاشرة للمكوك التي نفذت في فبراير ١٩٨٤ بدفع قمرين صناعيين للاتصالات ، كان أحدهما أندونيسي وأطلق عليه اسم « بالابا - ب ٢ » ، والثاني أمريكي وأطلق عليه اسم « وي ستار » . ولأن هذه التكنولوجيا كانت الأولى من نوعها فلم يستطع كلا القمرين بلوغ « المدار الثابت » الذي يجب أن تستقر عليه أقمار الاتصالات ، على ارتفاع (٣٥٨٨٠) كيلو مترا فوق خط الاستواء ، لكي تتزامن في سرعة دورانها مع سرعة دوران الأرض .

ولقد تناقلت بعض وسائل الاعلام هذا الخبر بشيء من التهويل والتحريف ، وقيل ان القمرين فقدا في الفضاء . وحقيقة الأمر أنهما لم يستطيعا بلوغ هذا الارتفاع ، واتخذا مدارين مخالفين للمدارين المطلوبين .

وقد أمكن رصدهما فيما بعد ،وتحقق أيضا انقاذهما بعملية انقاذ فضائية مستحدثة بعد ذلك بتسعة شهور . ورغم الاخفاق في استخدام المكوك كمنصة لاطلاق الأقمار الصناعية في أول مرة فقد نجحت هذه التكنولوجيا في رحلات تالية ، وأصبح في الفضاء أقمار اتخذت مداراتها في الفضاء من فوق المكوك فيما بعد ، أحدهما كندي وآخر بريطاني ، ورسخت عملية الاطلاق بهذا الاسلوب . وقد تبعنا اطلاق القمر الصناعي العربي الى الفضاء بنفس الطريقة .

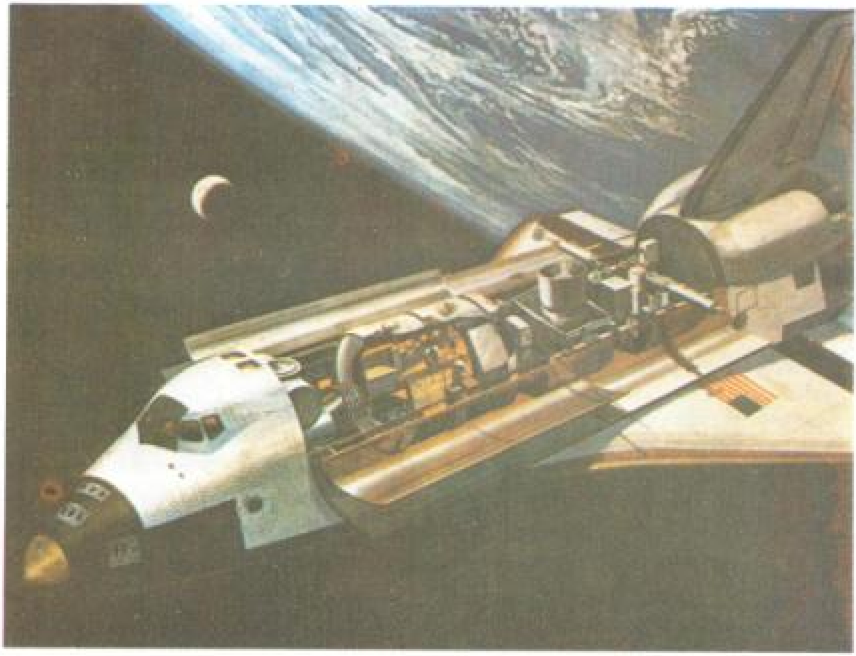

معمل الفضاء الأوروبي

انقاذ الأقمار المعطلة

لم تعرف البشرية قبل فبراير ١٩٨٤ مقعدا ثمنه غال مثل ثمن المقعد الذي استخدم في رحلة مكوك الفضاء العاشرة ، اذ كان ثمنه يقرب من عشرة ملايين دولار . وقد استخدمه رائد فضاء كلف بالطيران خارج المكوك وهو جالس على هذا المقعد الذي كان يمكنه أن يتحكم في حركته بواسطة نفث غاز مضغوط في مستودع يمثل ظهر المقعد نفسه . ويمكن للرائد أن يتحكم في عملية النفث من ٢٤ فتحة ضيقة موزعة على ستة اتجاهات مختلفة ، ليدفع بالمقعد في أي اتجاه يريد فيزيد قربه أو بعده عن المكوك . وكان مستودع الغاز يحوي ٣٩ لترا من غاز النتروجين ، تكفي لكي يظل رائد الفضاء سابحا فوق مقعده خارج المكوك لمدة ست ساعات . وفوق أذرع المقعد النفاث وعلى حلة رائد الفضاء كان هناك ٢٤ جهازا وآلة وبطارية مثل كاميرات للتصوير ومسجلات للقياس وصناديق تحوي عددا وأدوات . وباستخدام هذا المقعد النفاث أمكن السباحة خارج المكوك مددا طويلة ، أعطت رواد الفضاء عامل المرونة وسرعة الحركة مع امكان الابتعاد عن المكوك مسافات كبيرة ، بعد أن كان ذلك متعذرا الا بربط رائد الفضاء الى هيكل سفينته بواسطة حبل متين ، كان يطلق عليه اسم « الحبل السري » . ومنذ مارس رواد الفضاء السباحة خارج سفنهم من عام ١٩٦٥ حتى ١٩٨٤ كان الحبل السري لازما خشية افلات رائد الفضاء وتعرضه للضياع في تيه لا يعرف أغواره الا الله ، وكل ما طرأ على الحبل السري أن زيد طوله من خمسة أمتار حتى بلغ عشرين مترا . ولكن استخدام الكرسي النفاث عام ١٩٨٤ كان الخطوة الفعالة ، التي سبقت الاقدام على عمليات تقوم بعمل بوليس نجدة فضائي لانقاذ الأقمار الصناعية المعطلة .

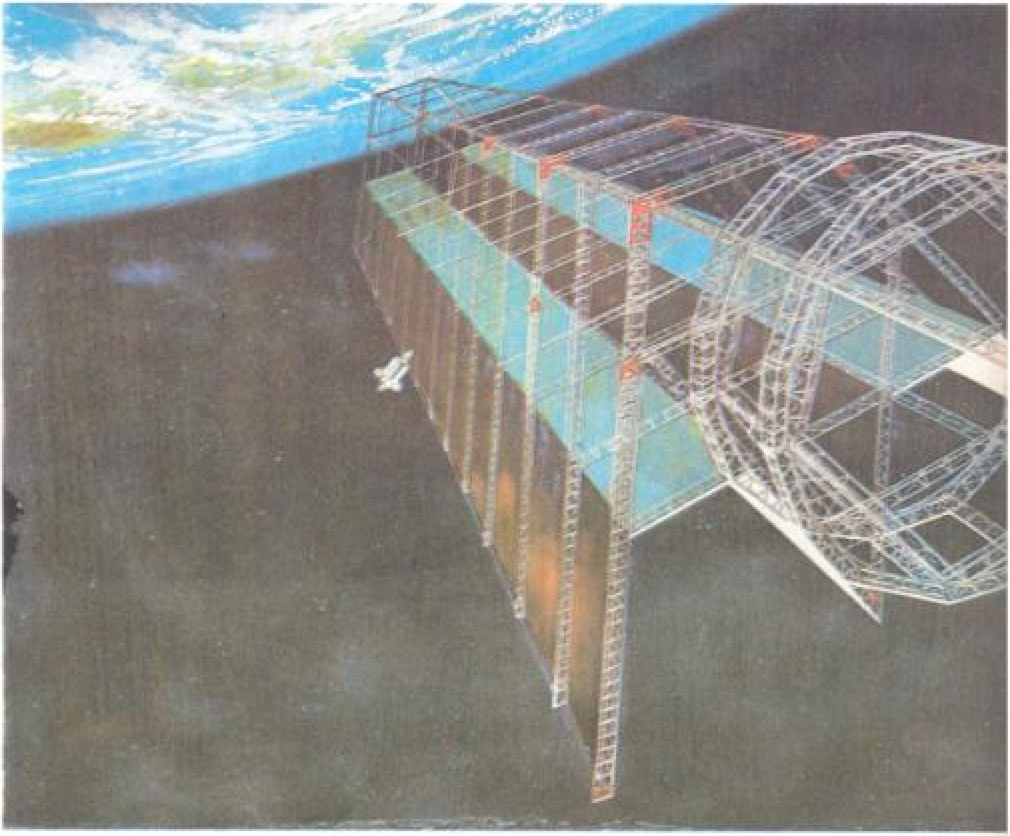

تصور لمستعمرة فضائية تجمع بواسطة المكوك

ولم يمض غير أقل من شهرين حتى كلف رواد الرحلة التالية للمكوك في ابريل ١٩٨٤ بالقيام بأول عملية انقاذ لقمر صناعي ، ظل معطلا عن أداء مهامه رغم استوائه على مداره في الفضاء منذ عام ١٩٨٠ ، وهو القمر الأمريكي (سولار ماكس) الذي كان مخصصا لدراسة نشاط الاشعاعات الشمسية .

وقصد العلماء من عملية الانقاذ اضافة عامل المرونة في الحركة الذي يحققه المقعد النفاث الى عامل القدرة الميكانيكية الذي يحققه الذراع الآلي الذي يبرز خارج المكوك مسافة ١٦ مترا ، لتحقيق الامساك بالقمر وقيام رائد فضاء باستبدال اجزاء سليمة بأخرى معطوبة فيه . ولقد تعاقب رائدان من رواد المكوك على القيام بالسباحة فوق المقعد النفاث والاقتراب به من القمر المعطل ، مددا بلغت ١٢ ساعة و ٤٨ دقيقه أمضياها في محاولة ادارة محور القمر الذي كف عن الدوران ،واستبدال مجموعات تالفة في مكوناته الاليكترونية بأخرى صالحة .

ولكن لم يكن ذلك مهمة سهلة التحقيق ، فقام أحدهما بتشغيل الذراع الآلي وأمسك بالقمر وقام الرواد بجذبه بكامله الى قمرة الحمولات . واستبدال أجزائه المعطلة وهو بين أيديهم ، شأنهم في ذلك شأن أي مهندس يصلح آلة معطلة وهي في متناول يديه . وبعدما حققوا ما يريدون أعادوا القمر الى مداره بعد أن نفذوا أول عملية انقاذ في الفضاء .

إعادة قمر صناعي للأرض

وكان ذلك بمثابة تشجيع على « اعتقال » الأقمار الصناعية المعطلة ، والتي يستعصي اصلاحها في الفضاء والعودة بها الى الأرض ، ليعاد اصلاحها ثم اطلاقها مرة أخرى . وكانت أول دولة استفادت من هذه التكنولوجيا هي أندونيسيا التي كان لها قمر

الاتصالات (بالابا - ب ٢) الذي سبق أن أشرنا اليه . فقد أمكن استعادته ، وكذلك القمر الامريكي (وي - ستار) داخل مكوك الفضاء ديسكوفري في الرحلة الرابعة عشرة للمكوك في نوفمبر ١٩٨٤ .

ولو تتبعنا الخطوات التي تم بها استعادة القمر لوضعه داخل المكوك فسيتأكد لنا أن تكنولوجيا جديدة قد طبقت في هذا المجال ، وسيكون لها عواقبها في المستقبل . فقبل بدء عملية الاعتقال عملت وسائل التحكم الأرضية على ارسال الاشارات اللاسلكية الى كل من القمرين ، للتقليل من سرعة دوران كل منهما من ٢٢ دورة في الدقيقة الى دورتين فقط . كما عملت أيضا على تغيير مدار كل منهما ليقترب من المدار الذي يدور عليه المكوك . وعندما بدأت عملية الاقتراب من القمر « بالابا » كان على بعد ١٢ مترا من المكوك ليكون في متناول الذراع الآلية .

وتعاون رائدان على الخروج بملابس السباحة خارج المكوك لوصله بخطاف يتصل بالذراع الآلية التي يبلغ طولها ١٦ مترا . ولم يكن هناك مناص من أن يقف واحد من الرائدين على طرف هذه الذراع للقيام بعملية تثبيت القمر الى الذراع ، وأن يمسك الآخر بهوائيات القمر نفسه لتمكين رائدة الفضاء التي أشرفت على تشغيل الذراع من جذبه الى كابين الحمولات . ولا شك أنه انتصار للتكنولوجيا ، ذلك العمل الذي تمثل في استعادة قمرين خلال سعيهما من الفضاء الى الارض ، بعد أن ظلا كذلك مدة تقرب من عشرة شهور . فقد أنقذت أندونيسيا بذلك ٧٥ مليون دولار كانت ستضيع هباء منثورا . وبنفس الأسلوب تخطط الولايات المتحدة لانقاذ قمر صناعي أمريكي معطل منذ يوليو ١٩٨٢ هو « لاندسات - ٤ » وكان مخصصا لتصوير الموارد الأرضية .

التصوير الراداري تحت الأرض

تعاظم شأن التصوير من الفضاء بعد اطلاق أقمار « لاندسات » أو أقمار الاستشعار من بعد . وتعددت استخدامات الصور الفضائية لأغراض التنمية سواء لأغراض الزراعة ، أو اكتشاف المعادن ، أو متابعة زحف الرمال في بطون الصحراوات ، أو متابعة ذوبان الثلوج وانسيابها الى مجاري الأنهار ، الأمر الذي جعل

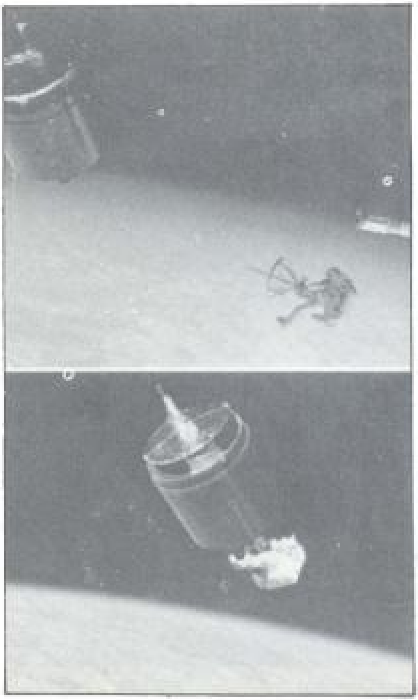

خطوات الامساك بالقمر الصناعي

لدى رجال المسح الأرضي والجوي خرائط أكثر دقة وأكثر توضيحا لتفاصيل التضاريس الأرضية . ومن ثم أصبح كل مخطط في مجال الاسكان أو تعمير المدن أو الزراعة يحتاج للصور الفضائية لأنها غاية في الدقة . أضف الى ذلك عمليات تصوير السحب وما لها من فضل في عالم التنبؤات الجوية . لكن التصوير من الفضاء كان يتم بكاميرات ذات عدسات تعمل بضوء الشمس الساطع في النهار ، أو بالأشعة تحت الحمراء في ظلام الليل الحالك ، والتي تعتمد على التقاط هذه الأشعة التي تصدر عن الأجسام نتيجة لاختزانها حرارة الشمس بدرجات متفاوتة حسب طبيعتها وجودة توصيلها . غير أنه في رحلات مكوك الفضاء الأخيرة ، أمكن اجراء « التصوير الراداري » الذي يعتمد على وضع جهاز رادار في المكوك ، يرسل أشعة رادارية موجهة الى الأرض ، لتنعكس على

تضاريسها وترتد ثانية الى جهاز استقبال راداري في المكوك ، وعلى شاشة الرادار في المكوك يظهر التباين بين طبيعة السطوح التي مسحها شعاع الرادار .. وبمثل هذه الطريقة المستحدثة أمكن اكتشاف بعض المخبوء تحت سطح الأرض الى أعماق تقرب من عشرة أمتار . ولقد سجلت احدى رحلات المكوك عام ١٩٨٣ اكتشافا هاما بهذه الطريقة عن رافد من روافد نهر النيل القديمة في منطقة العوينات الصحراوية القاحلة على الحدود الفاصلة بين مصر والسودان . كما أمكن بنفس طريقة التصوير الراداري اكتشاف آثار قديمة مطمورة في بعض مدن أمريكا الجنوبية .

في جعبة المستقبل

لا شك أن النجاح الذي حققته عمليات انقاذ الأقمار الصناعية في الفضاء سواء باصلاحها واعادتها لأداء مهامها أو باستعادتها بكاملها الى الأرض لاعادة اطلاقها مرة أخرى ، أمر سيفتح آفاقا جديدة لا في مجال تطبيقات الأقمار الصناعية فحسب ، بل على تكنولوجيا الفضاء ككل . ذلك أن عنصر مرونة الحركة الذي حققه الذراع الآلي بالاضافة الى الكرسي النفاث سيلعبان في المستقبل دورا بارزا في بناء مستعمرات الفضاء . التي لا بد وأنها ستكون من أجزاء منفصلة ستحتاج الى ربط أوصالها بعضها البعض ، ولم يعد حلم المستعمرات الفضائية ببعيد ، لأن علماء الفضاء الأمريكيين قد تجاوزوا مرحلة التخطيط ، واستقروا على الشكل الذي ستكون عليه دول فضائية ستشهدها حقبة التسعينات من قرننا .

تفاصيل جيولوجية دقيقة من صورة فضائية في الأردن

وبعد أن يتحقق هذا الحلم ، سيقدم العسكريون على استخدام هذه المنصات الفضائية لأغراض دفاعية ، بغرض وضع أسلحة اشعاعية عليها لتطل على الكرة الأرضية من عل ، ويكون في مقدرتها تعطيل الصواريخ العابرة للقارات ، قبل أن تصل الى أهدافها وتفجر رؤوسها الذرية أو النووية أو الكوبالتية . ولا شك أن هناك احتمالات قوية في أن يتحول استخدام هذه المستعمرات الفضائية الى الاغراض الهجومية ، فليس هناك ما يمنع من أن توجه منها أسلحة الدمار ، أو تكون بمثابة منصة لاطلاق هذه الاسلحة من المدارات الفضائية . ويمكن أن تدخل في تفكيرنا أن أنواعا جديدة من الأسلحة يمكن أن تحتل مكانها على هذه المنصات ، فهناك أفكار لم تصل الى مرحلة النضج بعد ، مثل أشعة الليزر المركزة التي يمكن أن تكون أشعة للموت الشامل بما لديها من قدرة عالية على اختراق الأجسام الصلبة عبر المسافات الشاسعة . وهناك أفكار عن « سلاح للصواعق » أو « شعاع الجسيمات » الذي يمكن أن يماثل ما تحدثه الصواعق الطبيعية من برق ورعد وتدمير للاجسام الصلبة لتوجه هذه الصواعق لتدمر الصواريخ وما تحمله من قنابل . وهناك أفكار عن سلاح المرايا العاكسة التي يمكن أن توضع على المستعمرات الفضائية لتنعكس عليها اشعاعات الليزر التي يمكن أن توجه اليها من الأرض .

كل هذه الأفكار ما زالت تداعب أفكار العسكريين ، ولم تصل الى مرحلة النضج ، ولكن وجود المستعمرات الفضائية لا شك سيعجل من عملية خروجها الى الوجود .

وعلى الجانب السلمي ما زالت تتراقص أفكار عن « السياحة الفضائية » . بل هناك مئات من الأماكن التي تم بالفعل دفع تكاليف حجزها لصعود المغامرين من المدنيين الأمريكيين الذين يريدون أن يستمتعوا برؤية الأرض من الفضاء ، وكيف يمكن أن يتجولوا بأبصارهم لمشاهدة معالم الكون المحيط بالكرة الأرضية من الارتفاعات الشاهقة . وهذا ما أبرزه اعلان الرئيس الامريكي ريجان .. « بأن حقبة التسعينات لا بد أن تشهد صعود أول راكب فضائي ، وأوصى بأن يكون معلما ، اعترافا بفضل المعلم على البشرية » . □

ـ « خف الحسناء » مهرجان الوان .

زهرة الأوركيد

مهرجان من الألوان في الكويت

استطلاع : وفاء طه ناجى / تصوير : طالب الحسينى

نجحت الكويت فى زراعة أكثر من خمسين نوعا من زهور الأوركيد النادرة ، وهى تنمو الآن على استحياء داخل بيتها الزجاجى الدافىء فى ضاحية الجهراء جنوب المدينة ، ويزهر منها ربع مليون زهرة تصدرها الكويت الى قلب أوروبا .

ـ « دیندروبیوم » من اجمل الالوان .

ـ « سیمبیدیوم » زهرة مدللة في الكويت .

٥٠ نوعــاً من زهور الأوركيد هَـديّـة الكويت إلى أوروبّـا

ـ فولك ماتيسن في البيت الزجاجي للاوركيد .

لن ترى عند بائعي الزهور ماهو أبهى جمالا من زهرة الأوركيد الناعمة ، وهي فوق ذلك أطول الأزهار المقطوعة حياة في أواني الزهور ، انها نوع من الزهور مولع بالتباهي والدلال ، حتى عندما لايهب أي نسيم ترى أوراق النبات الرقيقة الخصر تتراقص لتجذب انتباهك بألوانها الساحرة من الأبيض ، والأحمر القاني ، والأصفر ، والبرتقالي الموشى بحمرة داكنة ، وهي نادرا ما تنمو في غير المناخ الدافيء الرطب ، وتلك هي المشكلة التي تغلب عليها الشيخ حمد صباح الأحمد مالك مزرعة الجهراء ، لتخرج قصة حبه لزهور الأوركيد الخجول من دائرة عشق الألوان التي تضج بالحياة ، وتتحول الهواية الى واقع آخر يعلن عن مولد أنواع جديدة من زهور الأوركيد في تربة الكويت .

حكاية الأوركيد في الكويت

وفي الجهراء تمتد جماعات الزهور الساحرة ، بعضها ناضج ينبض بالحياة ، والبعض الآخر يقف على حافة النضج ، ويحكي لنا الشيخ حمد حكايته مع الأوركيد فيقول : « ظل اهتمامي بالزهور النادرة هواية أحرص على اشباعها كلما اتيحت لي فرصة لذلك ، وكانت مجموعات الألوان المتميزة لزهور الأوركيد تجتذبني دائما ، وبخاصة كلما سافرت ورأيتها في مكان من العالم . وفي كل مرة كانت تلهمني الألوان الفاتنة أن آتي بها الى الكويت ، وكانت الصعوبة كلها في توفير مناخ دافيء رطب ، وهو ضروري لانباتها ونموها ، ولكن بالدراسة والاجادة تغلبنا على تلك العقبة ، وبدأ التنفيذ الفعلي لزراعة الأوركيد في الكويت عام ١٩٧٩ . وفي الجهراء حيث أكبر موقع زراعي في منطقة الخليج ، تم تخصيص بيت زجاجي بمساحة ١٢٥٠ مترا مربعا لاحتضان البذرة الأولى للزهرة ، وتكاثرت البذور بعد ماألفت المناخ الدافيء الذي وفرناه لها صناعيا ، وبعد أربع سنوات منحتنا التربة الكويتية خمسين نوعا من الأوركيد .

ويستمر الشيخ حمد في حديثه قائلا : ويمكنني القول انها بداية تكفي لأن يكون لعائلة الأوركيد العريقة فرع جديد في الكويت ، اننا نحصل الآن على مايقرب من ربع مليون زهرة ، بعد أن كان انتاجنا لا يزيد عن عشرة آلاف زهرة في العام الماضي ، اليس هذا رائعا ؟ ونحن نخوض الآن رحلة التصدير بخطوات تثبت يوما بعد يوم . . خاصة بعد تجربتنا الناجحة لبيع محصولنا في سوق الزهور في أمستردام ، وهي موطن أصلي لزهرة الأوركيد .

والكويت تفخر بأنها تصدر الآن جماعات من الأوركيد المدللة تزين صدر أوروبا ، وينهي الشيخ حمد صباح الأحمد حديثه قائلا : ويجري الآن بناء بيت زجاجي ليضم الأعداد المتزايدة من زهور الأوركيد التي تتضاعف يوما بعد يوم .

ان الفضل الكبير في تشجيع الرواد يرجع الى الذين يدعمون مشروعات جديدة لاستقدام الفصائل النادرة من النباتات المختلفة لاستزراعها هنا في الكويت ، بعدما تجاوزنا مرحلة الحلم ، وتكاثرت زهور الأوركيد الأثيرة في زاوية جديدة من العالم الواسع .

البذرة الأولى تكمن في حشرة

أما قصة المناخ الصناعي الذي تم اعداده للأوركيد

ـ « اونسيديوم تونا » الأبيض الساحر .

فى الكويت فيحدثنا عنها عالم النباتات الدنماركى (فولك ماتيسين) وهو المشرف على بيت الزهور فى مزرعة الجهراء فيقول : « قبل أن نتحدث عن كيفية التغلب على الصعوبات التى واجهتنا فى إنبات الأوركيد النادرة ، أحب أن يعرف القارىء نبذة عن زهور الأوركيد فى موطنها الأصلى ، هو الغابات الحارة والرطبة فى المناطق الاستوائية ، ويعيش كثيرا منها متعلقا بفروع الأشجار . والمشكلة التى تواجه أى نبات متعلق هى حصوله على الماء ، ولكن جذور الأوركيد المتعلقة ذات سطح اسفنجى يمكنها من امتصاص الماء الذى يسقط عليها امتصاصا سريعا ، أو أنها تستعين فى حل مشكلتها ببعض النباتات الفطرية الأخرى ، التى لها خيوط تقوم بامتصاص الماء وتوصله الى جذورها . كما تقوم تلك الفطريات الحليفة بمعاونة الزهور الجديدة على أن تبدأ حياتها ، وذلك لأن بذور الأوركيد ضئيلة الحجم جدا ، حتى انك لاتستطيع رؤيتها دون الاستعانة بالمجهر (يبلغ وزن البذرة حوالى ٣ من المليون من الجرام) فتذروها الرياح هنا وهناك . ولكن لابد لها من أن تسقط حيث توجد أنواع الفطر المناسبة لها ، حتى تثبتها فى مكانها وتساعدها فى الحصول على الماء اللازم لانباتها ونموها .

ويستمر (ماتيسين) فى حديثه قائلا : ومع أن كثيراً من زهور الأوركيد تنمو متعلقة بالنباتات الأخرى ، الا أن بعضا منها ينمو على الأرض مثل زهرة « الموكاسين » وحذاء السيدة الذى يرجع سبب تسميته بهذا الاسم الى أن احدى بتلات الزهرة يشبه « الخف الصغير » وله مهمة خاصة ، فهو يحتفظ بالحشرات ولا يطلق سراحها الا بعد انتهاء عملية التلقيح . وهى تشبه أخواتها المتعلقة بالنباتات فى أنها تستعين بحلفاء من الفطريات ، ولذلك كان من الضرورى أن يدرس الانسان أنواع الفطريات الحليفة قبل الشروع فى تربية الأوركيد . ويستغرق نمو الأوركيد من البذرة الى أن يبلغ مرحلة الإزهار ما بين أربعة أعوام الى ثمانية . وعرف العالم أول زهرة صناعية سنة ١٨٥٦ . والآن هناك عشرة آلاف نوع جديد فى حاجة الى أسماء .

ـ « سمبيديوم » زهور على حافة النضج .

رطوبة .. ودفء اصطناعي

ويستطرد (فولك ماتيسين) حديثه فيقول : « وقد استطعنا في الكويت التغلب على تلك العقبات كلها ، وتم ترطيب الهواء في البيت الزجاجي من خلال وسائد مثقوبة ، لينتشر بعد ذلك ، ويغطي النباتات والارض بضباب خفيف ، كما استطعنا تخفيف حدة الشمس بانشاء غطاء رقيق من الفيبر جلاس ليخلق تأثيرا مشابها لتأثير أوراق الأشجار العريضة على أشعة الشمس . ولا تقدم التربة لزهرة الأوركيد ما يكفيها من الأوكسيجين ، ولذلك فنحن نساعدها بخليط من الكربون وقشور الصنوبر والبوليسترين . أما في فصل الشتاء حيث تنخفض درجة الحرارة الى الصفر ويكثر التجمد فتقوم المحركات الصناعية المنتشرة في داخل الحجرة الزجاجية بتأمين الدفء للزهور .

ان انتاجنا يحظى باقبال شديد في السوق المحلية ، خصوصا زهرة « بافيوبيدليوم ـ لياتوم » وهي أشهر أنواع الأوركيد في العالم .
وتتميز بلونها الأصفر المطعم بخليط من اللون البني والأحمر .

وينهي ماتيسين حديثه قائلا : والطريف أن زهر الأوركيد يزهر في كل أنحاء العالم في موسم الربيع ، أما هنا في الكويت ، فيتيح لنا التلقيح الصناعي الحصول عليها وقتما نشاء .

وبالمناسبة .. فان زهرة الأوركيد غير زهرة الأقحوان ذات الأوراق البيضاء الذهبية المتفرقة التي تنمو في المناخ الشمسي ، وللأوركيد عائلة نباتية أعرق من عائلة الأقحوان ، اذ ينتشر منها ٢٠ الف نوع في أنحاء العالم .

واذا كانت الزهور بجمالها رمزا للمحبة بارك الناس جميعا ، فان زهرة الأوركيد المدللة تحظى بالمكانة الاولى عند الحديث عن الجمال في الطبيعة . وليست تسمية أشهر أنواعها باسم .. خف إلهة الجمال ، الا من أصل اغريقي قديم هو « خف فينس » وفينس هو اسم إلهة الجمال عند اليونانيين القدماء . □

جمال خالد !

سألوا سيدة تقدمت بها السن ، ولكنها ظلت محتفظة بجمالها : « مانوع مواد التجميل التي تستعمليها ؟ » .
فقالت : « انني استخدم لشفتي الحق ، ولصوتي الصلاة ، ولعيني الرحمة ، وليدي الاحسان ، ولقوامي الاستقامة . واملأ قلبي بعد هذا بكل الحب ، لكل الناس ! »

وجهاً | لوجه

الدكتور
مصطفى سويف

الدكتور
شاكر عبد الحميد

* هناك خلل عام في القيم المتعلقة بالعمل .
* الأمة معرضة للخطر .. فكيف نتقي ذلك ؟
* النقل الآلي للأفكار آفة الكثير من المشتغلين بالفكر في وطننا العربي .
* أن نبدأ من آخر ما وصل اليه العلم هي مقولة فيها الصواب والخطأ .
* لا يمكن قيام نهضة علمية الا بوجود رأي عام متعلم .

العربي ـ العدد ـ ٣١٧ ـ ابريل ١٩٨٥

هذه المرة بين جيلين من أجيال أساتذة علم النفس . . الدكتور مصطفى سويف . . والدكتور شاكر عبدالحميد . .

أما الدكتور الذي يجري الحوار فهو مدرس بقسم علم النفس بكلية الآداب جامعة القاهرة . . . صاحب العديد من الدراسات والمقالات المنشورة في علم النفس والنقد الأدبي . . وله دراسة واسعة عن « العملية الابداعية في القصة القصيرة » ودراسة أخرى عن العملية الإبداعية في فن التصوير . . . » .

وأما بطاقة التعريف بالدكتور مصطفى سويف فيقدمها عنه تلميذه قائلا :

هو أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية الآداب بجامعة القاهرة وخبير بهيئة الصحة العالمية .

له دراسات هامة ورائدة في علم النفس ، وخاصة في مجال الابداع والشخصية وعلم النفس الاجتماعي ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر « الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » و« والأسس النفسية للتكامل الاجتماعي » و« التطرف كاسلوب للاستجابة » و« مقدمة في علم النفس الاجتماعي » و« العبقرية في الفن » و« دراسات نفسية في الفن » وغيرها . كما أن له العديد من الدراسات والبحوث المنشورة بالانجليزية في مجال المخدرات عموما ، والحشيش بصفة خاصة . .

أشرف على العديد من الرسائل والدراسات العلمية خاصة في مجال الابداع وعلم النفس الاكلينيكي وعلم النفس الاجتماعي .

الابداع الفني :

بدأت بسؤالي الأول :

○ ان قارىء أول بحث قمتم به في علم النفس ، وكان عن الابداع الفني في الشعر خاصة ، يلمس اهتماما واضحا لديكم بالنواحي الأدبية والفنية ، كذلك يرى اطلاعا واسعا وعميقا على الانتاج الفني والأدبي ، فكيف بزغت فكرة هذا البحث لديكم ؟ وهل كانت تسبقه محاولات أدبية أو فنية لكم في مطلع حياتكم ؟ .

د . سويف : كان لي بالفعل صلة بالعالم الأدبي قبل بدايتي في الدراسة وكانت الصلة متعددة الجوانب ، فقد اهتممت وأحببت في شبابي المبكر القراءات الأدبية في الشعر بوجه خاص ، كما كانت لي محاولات في الابداع الأدبي في الشعر وفي القصة القصيرة ، لكنها كانت محاولات مبكرة في حوالي السادسة عشرة ، لكن الانتقال من هذه الكتابات الى التفكير في دراسة عملية الابداع نفسها ، ولهذه العلاقة الحية بين الشخص والنشاط الأدبي احتاج الى صراعات كثيرة بين الاستمرار في النشاط الأدبي الانتاجي أو عدم الاستمرار ، وأحد أسباب هذه الصراعات هو أنه لم يكن أمامي محك للاطمئنان الى ما أقوم به ، كانت مرحلة شك وقلق ، وأضيف عامل آخر هام بعد ذلك،وهو أنني عندما بدأت الاندماج في الدراسات الفلسفية متأثرا بحبي للأدب بدأت الاهتمام بدراسات فلسفة الجمال،وبدأت أعد نفسي ـ وكان ذلك حوالي عام ١٩٤٣ ـ للانتقال من التخصص والعمل في فلسفة الجمال،الى العمل في علم النفس ، ولكن في مشكلة تنتمي الى هذا المجال نفسه ، وشيئا فشيئا بدأ تيار التقدم يتضح لي ، وظهر لي أن نفس المشكلات الجمالية التي تشغلني ذهنيا وتأسرني وجدانيا يمكن لي دراستها من منظور علم النفس ، في وقت كانت الدراسة النفسية تستبد بي وتأسرني وتسيطر عليّ شيئا فشيئا ، ومن ثم فعند

تخرجي كان الهدف واضحاً أمامي : أن أدرس في مجال علم النفس وفيه أدرس الابداع الفني وفي هذا المجال أدرس الابداع في الشعر ، وقد كان لذلك كما قلت جذوره العميقة في الاتصال بالظاهرة الأدبية والنشاط الأدبي عن طريق التلقي ومحاولات الابداع ، وعندما قررت أن أدرس دراسة علمية قررت جعل هذه الدراسة مجال تفرغ ، وأعطيتها كل جهدي،وبناء على هذا لم يعد لدى تصور في الاستمرار في الابداع ، ولذلك قررت قرارا قد يقال عنه بأنه قرار تعسفي أو تحكمي،وهو أنني جمعت كتاباتي الأدبية وأحرقتها ، لقد كنت قد رسمت الخط ولم أرجع فيه .

د . سويف : أعتقد أنه يوجد قدر معين من التكوين لهذه الرؤية ، وهي متأثرة بدراساتي في علم النفس لكنها ليست مقتصرة عليها ، فهناك دائما سعى دائم لديّ لأحداث نوع من التكامل بين دراساتي في مجال التخصص وبين اهتماماتي العامة ، والقنوات المختلفة المغذية والمنشطة لتفكيري ، وذلك كله ـ مع قراءاتي الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية ـ يمثل الروافد التي تتجمع بالمجهود الارادي الواعي لاحداث نوع من التغذية المتبادلة بينها بحيث يكون الناتج على درجة لا بأس بها من النضج أرضى عنها ، هذا من الناحية الشكلية ، أي الروافد التي قادت

دكتور مصطفى سويف يتحدث مع الدكتور شاكر عبد الحميد

بالفعل الى تكوين قدر معين من الرؤية للانسان العربي .

الانسان العربي :

د . شاكر : لكم دراسات في علم نفس الطفل والتنشئة الاجتماعية وفي علم النفس الاجتماعي ودراسات عن الشخصية وعن المرض النفسي والعقلي وعن المرأة وعن الاستجابات المتطرفة ، وعن سلوك تعاطي العقاقير والمخدرات بالاضافة الى دراساتكم العديدة عن الابداع . . . فما هي رؤيتكم للانسان العربي في ضوء هذه الدراسات ؟ .

د . شاكر : هذا يقودنا الى سؤال آخر مترتب على السؤال السابق الذي مازال في حاجة الى بعض الايضاحات من جانبكم ، ويتعلق السؤال الحالي بدراسات الشخصية القومية التي من الواضح أنها في الوطن العربي تعاني من الضمور الشديد ، والدراسات القليلة التي أجريت تتسم ببعض التسرع

والسطحية وعدم الولوج الى أعماق سلوك هذا الانسان وشخصيته لتحديد سماته المتميزة والشائعة ، فما هي رؤيتكم لكيفية اجراء مثل هذه الدراسات . . . وما هي النتائج التي يمكن توقعها ؟ . .

د . سويف : أعتقد أن مثل هذه المشكلة ليست وقفا على الدراسات النفسية أو على موضوع « الشخصية القومية » فالسطحية في الدراسة سمة تعاني منها مجالات متعددة ، وقد يكون وراء هذا جذور مشتركة ينبغي تحديدها ثم نتجه بعد ذلك لالقاء الضوء على الجذور النوعية التي تخص كل ميدان على حدة ، ومن أهم هذه الجذور المشتركة : التعجل الذي اصبح سمة رئيسية للكثيرين . وأيضا الجري وراء المكاسب المادية الأنانية بطريقة تقضي على مكاسب اخرى مفروض ألا نتخلى عنها ، ويضاف الى ذلك أيضا الاضطراب الشديد الذي حدث في موازين القيم لدينا ، فمثلا هناك خلل في القيم التي محورها العمل ، أي تلك القيم التي تتعلق بشعورك بالزهو وأنت تتقن عملا معينا أو أن تكون ملتزما في مواعيدك ومواقيت عملك وعلاقاتك بالآخرين ، هذا غير موجود الآن أو لم يعد موجودا بالصورة المطلوبة،هذه كلها جذور مشتركة وعميقة وخطيرة ولا تتعلق بالقيم والبحث العلمي فقط ، فنحن بصدد قلاقل في صميم حياتنا الاجتماعية الحضارية،وهي لابد تؤثر على شكل الحياة ككل ، ومن بينها بالضرورة الحياة العلمية والبحث العلمي .

أما كيف تدرس موضوعات معينة فأعتقد أن التساؤل المناسب هو كيف نصلح أحوال الأمة ؟ فهناك خطر يتهدد حياة الأمة لأجيال تالية وهو يحتاج لاصلاح على نطاق واسع .

الشخصية العربية :

د . شاكر : هل في ذهنكم تصور لوجود مشروع قومي عربي لدراسة الشخصية العربية لما في ذلك من فوائد هامة تقودنا الى فهم وتفسير سلوك الانسان العربي وكذلك استمراره بشكل افضل ، ولو كان ذلك ممكنا . . فما هي توقعاتكم بالنسبة لمثل هذا المشروع ؟

د . سويف : هناك في البداية عدة شروط كي يتم مثل هذا المشروع :

الشرط الأول : شرط سياسي حضاري فلابد أن يكون هناك ايمان بحرية الفكر وحرية الانسان ، لقد شاعت انواع من العادات السيئة جدا في السنوات الأخيرة ، منها عادات الارهاب الفكري ، وكمجتمع متمدين او مجتمع يصبو الى تحسين شكل ومضمون حياته ، وللأجيال المقبلة لابد من الايمان بحرية الفكر في كل الحدود والمجالات المعروفة والممكنة .

الشرط الثاني : هو ضرورة توفر العطاء والانفاق المالي الكافي كما يحدث في جميع انحاء العالم المتقدم ، فالعمل العلمي لم يعد الآن هواية تنفق عليها من جيبك ، فلابد من الانفاق بسخاء وان تكون جهات الانفاق مؤمنة بأن هذا الانفاق له عائد ولو كان عائدا بعيدا .

الشرط الثالث : لابد من توفر مجموعة من الباحثين الأمناء ، فلا يكفي وجود مجموعة من الباحثين الذين يعرفون ، فالعنصر او العامل الأخلاقي شديد الاهمية في العلم ايضا ، لابد لهؤلاء الباحثين ان تكون لديهم القدرة على التفكير المبدع ، فنحن نعاني في حالات كثيرة من النقل المباشر من الفكر الاجنبي ، وبدءا من نقل المشكلة فكثيرا ما تطرح مشكلات ليست مشكلاتنا،وقد تطرح مشكلة لدينا على انها المشكلة الأولى رغم انها قد تكون العاشرة في قائمة مشكلاتنا ، لكنها تطرح لدينا على انها الأولى لأنها طرحت في الغرب على انها الأولى ، فمشكلة مثل مشكلة التدخين مثلا تطرح في ضوء منظور الصحة العامة ومشكلة التلوث الشائعة نتيجة لعادم السيارات والمصانع والقمامة التي في الشوارع وانفجار المجاري وغيرها بدلا من اعتبارها الخطر الأول وعزلها عن سياقها الحضاري والثقافي ، لابد للعلماء لدينا كنخبة ان تكون لديهم القدرة النقدية التي تمكنهم من التحرر من الفكر الاوروبي وليس تجاهله ، لابد من التعلم من نماذج هذا الفكر لكن بشرط ان لا نتعبد له او نقدسه او نخضع له او ننقل عنه نقلا آليا ، لابد ان نتعلم منه المنهج ثم نستخدم وعينا وبصيرتنا بعد ذلك

في مجتمعاتنا وبدءا من طرح المشكلة التي ستتم دراستها : الحرية وسخاء الانفاق وتوفر الباحثين المبدعين الأمناء هي الشروط الاساسية في رأيي لانجاح اي مشروع علمي قومي عربي .

الأصالة المعاصرة

د . شاكر : ما رأيكم في القضية التي أثيرت كثيرا من قبل واثيرت في الفترة الأخيرة بصوت اكثر ارتفاعا ، وهي قضية الاصالة والمعاصرة ؟

د . سويف : مثل هذه المشكلة مطروحة في كافة المجالات على المستوى الحضاري ، فإلى أي مدى نتجه الى التأصيل والى أي مدى نتجه الى مواكبة ما يحدث في العالم الآن ، وهي مشكلة مطروحة ايضا في مجال الفنون والنشاط الفني والعلمي ايضا ، بالنسبة للنشاط العلمي هناك فكرة شائعة عن ضرورة الا نتجه الى الخلف وان نبدأ من آخر ما وصل اليه العلم ، وهذا قول فيه بعض الصواب وفيه بعض الخطأ ، والخطأ هنا هو في تجاهل العملية التي تحدث عندما نرجع الى الماضي حيث يتم اكتشاف جذور فكرية للمشكلة التي نبحثها ، مشكلات هامة طرحت ونسيت ، ويمكن للباحث ان يثري نفسه بتجميع ما سبق نسيانه ويمكن حينئذ ان يكتشف انها كانت مشحونة بلمحات لو كان البعض تابعها بالتنمية الواجبة لربما كان قد وصل الى حلول مختلفة وربما اكثر كفاءة من الحلول الموجودة ، هذا جانب ، والجانب الثاني هو انك عندما ترجع الى الماضي فيما يتعلق بتاريخ الفكر العلمي تستطيع ان تكون على وعي اكثر بمحركات الفكر على المستوى الاجتماعي لا على المستوى الفردي،خاصة اذا درست تاريخ الأفكار او الحركات الفكرية والعلمية في ظل سياق تاريخي معين ، هناك ثمة ابتكارات واكتشافات معينة انعكست في فترة معينة على فروع اخرى من المعرفة بطريقة او بأخرى،وهذا يمنحك بصيرة بالموقف الذي تكون فيه،وايضا يمنحك قدرات اكبر كموظف للعلم في خدمة المجتمع . هناك ايضا دوافع اخرى للرجوع للجذور ، وهي ما يمكن تسميتها بالدوافع القومية او الشعور القومي ، فيجب الا ننسى ان اي شخص منا مهما يكن تمكنه من لغة اجنبية فان قراءته بهذه اللغة تقيم نوعا من الحاجز يحد من قدراته الابداعية في وقت مبكر من العملية الفكرية ، وليس بالضرورة من العمر ، لو قرأت نفس المادة بلغتك القومية ، اللغة التي تحلم بها ، اللغة التي وانت صامت تسرح وتتخيل من خلالها فانه بدون شك يكون الواقع مختلفا وقدراتك على الانطلاق واللعب بالافكار بحريه أكثر من الحرية المتاحة لك . وانت تفعل ذلك بلغة اجنبية فانت لا يمكنك ان تلعب بالافكار بالانجليزية مادامت التنشئة التي مررت بها هي تنشئة عربية ، واللغة العربية تكون هي لغتك الداخلية التلقائية التي تحلم بها ومن خلالها تتخيل وبها تفكر واليها تتجه ، وليتنا الى جانب الكتابة بالعربية نقوم كأفراد أو كأجيال من الباحثين بالبحث والتنقيب في المخطوطات والكتابات العربية التي تحتوي على العديد من المواد الثمينة التي مازال أغلبها مجهولا حتى الان،والكثير منها يمس صميم البحوث النفسية ، كمخطوطات الفخر الرازي ، وأبو بكر زكريا الرازي وابن النفيس وغيرهم . لو تمت عملية الرجوع لهذا التراث بشكل جيد فقد نجد مشكلات هامة قد تكون في صورتها البسيطة بالمقارنة الى ما وصل اليه العلم الان ، ولكن هذه العملية قد تكون بالنسبة لنا ـ نحن الذين نتكلم ونحلم ونسرح بالعربية ـ البداية لان يتكون شيئا فشيئا وجدان قومي يغذي عملية البحث العلمي ، فعملية البحث العلمي لدينا لا تزال اشبه بالذرة الهجين ، (البحث العلمي مهجن) ولا تكفي عملية التعريب ونحت المصطلحات فلابد من التأصيل والبحث والنبش والكشف عن الجذور وتطويرها ، وعلى المدى الطويل ، فان التراكم سيترتب عليه كيان جديد هو ما يمكن ان نسميه بالكيان القومي وراء النشاط العلمي ، وهذه مسألة بالغة الاهمية والخطورة ، التأصيل هو ما يمكن ان يعطينا الدفعة للمعاصرة الحقيقية ويبعدنا عن المحاكاة السطحية .

دور المثقف :

د . شاكر : ما هو تصوركم لدور المثقف عموما ولعالم النفس خصوصا في الوطن العربي ؟

د . سويف : اعتقد ان دور المثقف عموما هو ان يقوم بدور الطليعة بالنسبة لمجتمعه ، هذا اذا كان المثقف مؤمنا بدوره الذي يقوم على الابتكار والاكتشاف ودفع جبهة المعرفة الشائعة نحو التقدم ، يتساوى في ذلك رواد العلم والمثقفون ، ولعلماء النفس هنا وكذلك علماء العلوم الانسانية كالاجتماع والحضارات وغيرهم ، دورهم الخطير جدا في العالم الحديث في توجيه حياة الانسان المعاصر بما يتناسب مع المعرفة التي تحققت في العلوم الطبيعية والانسانية ، فسلوك الفرد وسلوك الجماعة في الكثير من جوانبه لا يزال قائما على الكثير من الخرافات والترهات ودور علماء الانسانية ان يقوموا برفع مستوى معلوماتهم الى مستوى الوعي .

د . شاكر : يرتبط بما سبق ملحوظة ترد الى الذهن وهي قلة او ندرة ما يمكن تسميته بالنظريات العربية المتعلقة بالواقع والسلوك الانساني ، ففي علم النفس هناك محاكاة واضحة لنظريات بياجيه في الارتقاء ولانرتك وجيلفورد في الشخصية كما ان هناك ترحيبا شديدا بالتحليل النفسي ونظرية فرويد رغم عدم علميتها ، فما رأيكم في هذه القضية ؟

د . سويف : يرتبط ذلك بما سبق وأن قلناه في وصف الحالة الموجودة الآن ، الركود العلمي مرتبط بالركود العام ، وبالفقر السائد وضياع القيم ، ولا يتصور خروج نظريات كبيرة من مثل هذا المناخ ، ولا بأس من معرفة بياجيه معرفة جيدة ، ولكن لابد من معرفة نظريات اخرى هامة كنظريات فالون ، ولكن لان هناك موضة متمثلة الان في الاهتمام ببياجيه في الغرب فقد بدأ الاهتمام به لدينا ، ونظرية بياجيه شديدة الأهمية ولكن يجب عدم الاقتصار عليها ومن المهم ونحن نستفيد من احدى النظريات ان يكون ذلك من خلال الاطار الفكري المفتوح الذي يجعلك ترى ان نمط الطفولة في مجتمعاتنا يختلف عن نمط الطفولة التي عمل فيها بياجيه،وهذا يجعلك تكتشف نقاط الاختلاف وتحاول متابعتها لمعرفة حقيقتها وحجمها وأسبابها ومظاهرها ، ومع التراكم يمكن ان تتكون نظريات جديدة وهذا ما لم يتنبه اليه العلماء لدينا من قبل بشكل جيد .

المخدرات :

د . شاكر : ما هي الدلالات الثقافية والاجتماعية لدراساتكم في مجال المخدرات ؟

د . سويف : بدأت مع بعض الزملاء سنة ١٩٥٧ في اجراء بعض الدراسات وكانت منصبة على القنب او الحشيش ولم يكن العالم الغربي يهتم بهذا الموضوع ، وكانوا من علماء « الفارماكولوجي » وليسوا من علماء النفس ، وكانت هناك محاولة خافتة في امريكا سنة ١٩٤٣ لكنها انتهت بسرعة ، وبدأت محاولاتنا في مصر نتيجة لتقرير خبراء في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية،وكان الهدف هو دراسة مشكلات المجتمع بشكل علمي ومنها مشكلة تعاطي الحشيش، وانا أقوم بهذه الدراسات تحت وطأة الشعور بالواجب القومي الكبير ، وقد اهتم العالم بهذه المشكلة في منتصف الستينات نتيجة لظروف حرب فيتنام فبدأ العالم من خلال هيئة الصحة العالمية يطلب نتائج ابحاثنا وكلها لها اهميتها في عمليات التوظيف للعلم في خدمة المجتمع،ويمكن ان تكون مفيدة اذا عرفت كل الهيئات المعنية ما يمكن ان تستفيده من هذه النتائج وتوظفها في مشروعات تربوية ووقائية وعلاجية فيما يتعلق بتعاطي المخدرات عموما وليس الحشيش فقط ؟

د . شاكر : ما هي اهم القضايا الشخصية العلمية والفكرية التي تشغلكم في الفترة الأخيرة ؟

هناك مشكلة شخصية تشغلني الآن وهي محاولة البحث عن وقت اضافي للقراءة والاطلاع خارج مجال التخصص ، وعلى المستوى الاجتماعي تشغلني قضية ضرورة النهوض بالبحث العلمي وتوفير العناصر التي تقوم بهذا ، ومحاولة اصلاح حال التعليم بجميع مستوياته ، وكذلك مشكلة الأمية الشائعة،ولا يمكن قيام نهضة علمية بدون رأي عام متعلم على مستوى المجتمع ، وهذه مشكلة مهددة لصميم وجودنا وليس لعملية تقدمنا فقط . □

الرأي ، والرأي الآخر . . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

قضية

لماذا هذه الحرب .. على لغتنا الجميلة ؟

بقلم : الدكتور عمر موسى باشا

تجابه أمتنا العربية ولغتها المقدسة حربين ، والثانية لا تقل خطرا عن الأولى اذ تستهدف مقومات الأمة العربية .

لن أعود الى بواكير الحرب على اللغة العربية الخالدة وتصدى شاعر الشعب العربي ، شاعر النيل حافظ ابراهيم لها بقصيدته الدامغة (أنا البحر) والشاعر الكبير حليم دموس بقصيدته المشهورة (لغة الأجداد) والغريب أن تثار هذه الحرب من جديد ، وهدفها البعيد والقريب تمزيق شمل الامة العربية متخذة سبيلين .

أولهما : ايجاد أربع لغات عربية اقليمية منفصلة ، تتفرع عنها لهجات عامية محلية دارجة .

ثانيهما : تبني اللغات الدارجة المحكية في المسرحيات والتمثيليات والادب الشعبي لنفي الازدواجية اللغوية بين العربية الفصحى والدارجة العامية .

هذان هما السبيلان اللذان يكمن فيهما الخطر الذي يهدد وحدة لغتنا القومية وأمتنا العربية منذ عشرات السنين .

قد نستغرب هذه الحقيقة التي نتحدث عنها الآن ، وقد يتجاهلها بعضنا ، فمن الحق والواجب والوفاء ان يوضح ذلك كله ، لانه وقع في وقت واحد في كثير من الأقطار العربية .

بدأت هذه الحرب اللغوية من جديد في لبنان عند سعيد عقل الذي يؤمن بوجود لغة لبنانية محكية ، تستمد عناصرها اللغوية من الفينيقية والآرامية والسريانية ، والغريب أنه يضيف بعض المؤثرات اللاتينية وغيرها ، ولكنها بعثت من جديد على يد يوسف الخال ، كما ورد في مجلة (الكفاح العربي)

بشكل آخر ومنطق جديد ، فيقول : ان الحركة الشعرية العربية الحديثة اصطدمت بجدار اللغة ، ولا بد من وثبة جديدة في عملية الحداثة الحاصلة ، فكيف نكتب شعرا حديثا في لغة كلاسيكية أو على الأصح قديمة ؟ ان ثمة تطورا في اللغة ينبغي لنا القبض عليه ومحارشته ومن هنا أقول : (ان جدار اللغة هذا ينبغي أن يحطمه الشاعر)

وهو يزعم أن الغاء الازدواجية بين مانكتبه وما نتكلمه ـ حرصا على اللغة وعلى الابداع فيها ـ ضرورة لا بد منها لمستقبل اللغة والثقافة العربية . ولم يقتصر على تحطيم بنيان اللغة وهدم صرحها ، وانما يطلب أن نسقط حركات الاعراب جملة وتفصيلا ، وهو يرى ضرورة تخلص اللغة العربية من هذا العبء الثقيل ، وهو الاعراب ، واتخاذ مبدأ الوقف اسلوبا في النطق ، ويستشهد على ذلك بقوله : (يجب ان نقتنع بأن العربية الأم تطورت وتفرعت الى لغات عربية ، تفرعت عن اللغة الأم ، وذلك بحسب البيئات الجغرافية والثقافية التي يتألف منها الوطن العربي ، لدينا لغة المشرق العربي ، ولغة الجزيرة العربية ، ولغة وادي النيل ولغة المغرب) .

والغريب حقا بعد هذا كله أنه يعتقد أن الابداع في الادب العربي يكمن في هدم صرح اللغة العربية ، لان اللغة العامية هي الأصل ، كما يقول : (اللغة المحكية ليست منحطة ، بل يمكنها أن تنتج أدبا عظيما عندما يزول هذا الجدار القائم بيننا وبينها) .

العامية أم الفصحى ؟ :

وفي مجمع اللغة العربية الأردني دعوة مماثلة جديدة صرح بها أحد أعضائه عبد الرحمن بشناق ، اذ هو يدعو بمثل هذه الدعوة المريبة من وراء ستار ، خلال حديثه في ندوة مجمعية عن (واقع اللغة العربية ومواكبة النهضة الحديثة) فيقول في مسترسل محاضرة مجمعية مانصه : (كثيرا ما نحاول أن نقنع أنفسنا أن لغتنا هي اللغة العربية الفصحى ، أو الفصيحة على الأقل ، نقرؤها ونكتبها ، كما يقرأ الانجليزي لغته ويكتبها ، ولكن لغتنا الحقيقية الفعلية هي العربية العامية ، وليست الفصحى) . ولا يكتفي بذلك كله ، وانما يستطرد ليجرى مقارنة بينها وبين اللغة الانكليزية وغيرها ، ثم يتساءل قائلا : وما هي العامية التي نتقنها كما يتقن اليوناني ، أو الايطالي ، او الانكليزي لغته ؟)

ويجيب عن تساؤله هذا بقوله عنها : (انها الشكل الحقيقي للغة العرب في هذه المنطقة أو تلك ، يتحدثون بها ، ويفكرون بها ، ويحلمون بها ، كما يتحدث الأوروبي مثلا ، ويفكر ويحلم بلغته ، اننا لا نتحدث بالفصحى ، ولا نحلم بالفصحى ، لأنها ليست لغة حديثنا ، ولا لغة تفكيرنا ، ولا لغة أحلامنا) .

دعوة مشبوهة :

أثارت هذه الآراء المشبوهة مناقشة وجدالا حول حديثه عن اللغة العامية في المجمع المذكور ، وايراد بعض الألفاظ ، والعجيب أنه في رده على المعترضين يقول : (انه لم يقصد أن يدعو الى العامية مطلقا)

ان الغريب والعجيب أن يسمح بمثل هذا القول في مجمع أنشىء حديثا لحفظ اللغة العربية ، وصون تراثها من مثل هذه الدعاوي المريبة .

لم يقتصر الأمر على ذلك ، وانما نسمع صدى ذلك في بعض صحفنا العربية فبعض هؤلاء الصحفيين يشكك بالعربية الفصحى ، فيتساءل أحدهم في مقال صحفي بعنوان : (من يتكلم العربية دون خطأ ؟) وينحو فيه منحى سابقيه رمزا لا تصريحا ، ويقف عند لفظي (الماجستير) و (الدكتوراة) وعجز اللغة العربية عن ايجاد البديل لهما ، ولكن يكفي أن أشير الى (الاجازات العلمية) وضروبها في تاريخنا الفكري والحضاري ، وحسبنا هذه .

كما اطلعت ايضا في مجلة العربي عدد ٣٠٤ الغراء على مقالين : الاول بعنوان : (قبل أن تموت العامية) للدكتور أحمد خطاب العمر ، فقد ناقش حقيقة العامية العربية لغويا ، وعدها منحدرة من لهجات عربية مختلفة ، تفاعلت مفرداتها وأساليبها فيما بينها ، فاختلطت وظلت سليمة ، وخلص بعد هذا العرض الى القول الخطير المريب : (ان عاميتنا امتداد لفصحى لغتنا ، حافظت على أساليب التعبير وفصاحة كلامها ، فهي عربية لوجه آخر . . وكأن

ليس لأمة في العالم كله غيرنا لغتان : لغة العامة ، ولغة الخاصة .. ان لنا لغة يتكلم بها العامة ، ولنا لغة يتكلم بها الخاصة ، ويتفاهمون ، والزمن كفيل بتغييرها ..)

واختتم كلامه بقوله : (ندعو الى أن تسجل عامية كل قطر ، ويحتفظ بها في مكتبات صوتية ، فالزمن آت لان نحتاجها ، ونرجع اليها للتيسير في فهم كثير من تلك الظواهر التي قطع الزمن الطويل بيننا وبين عصر الفصاحة)

كانت مجلة العربي على حق حين تساءلت عما يعني الكاتب بدعوته الى الابقاء على العامية ، وهل هي دعوة الى الابعاد عن لغتنا العربية الفصحى ؟

والجواب في نظري انها دعوة مشبوهة مرحلية لتثبيت دعائم العامية بعد أن بدأت أركانها تتقوض ، نظرا لشيوع العلم وتعميم الثقافة العربية بين الجماهير الشعبية ، وهذا أهم عامل يبطل بالضرورة تدريجيا استخدام اللغة العامية الدارجة والمحكية .

ومن هذا المنطلق القومي رأينا مجلة العربي عدد ٣١٢ تنشر المقالة الثانية عن واقع اللغة العربية وأهميتها وتطورها ، في مقالة هامة للدكتور حسين نصار بعنوان : (حتمية العناية باللغة العربية) . وقد وفى اللغة العربية حقها وبين أهميتها الدينية والقومية ، والاجتماعية والثقافية،وقد اختتم حديثه بذكر آراء الاذاعيين في تطور اللغة الفصحى ، وصنفهم في زمرتين) :

الأولى : تحرص على التمسك بالقواعد الموضوعة ، والاهتمام بالسلامة اللغوية .

الثانية : ترى أن اللغة في حركة وتغير دائمين ، كما يتفوه بها الناس ، ولكن الغريب أن نجد الزميل الكريم يعتمد على غير المختصين باللغة ، لرصد طبيعة اللغة وعلاقتها بالمجتمع والناس ، والأغرب من ذلك كله أن يتبنى مصطلحات المستويات الثلاثة التالية كما يراها هؤلاء على الشكل التالي :

١ ـ الفصحى : وهي العربية السليمة التي تستخدم في الكتابة أصلا مهما أدخل عليها من تبسيط .

٢ ـ الدارجة : وهي العربية القريبة من السابقة والمستخدمة في الحديث أصلا .

٣ ـ العامية : وهي اللغات العربية المحلية .

ان البحث العلمي يعتمد أصلا على ضرورة أخذ ذلك من المختصين لا الاذاعيين ، فليس في الواقع تثليث لغوي ، وانما هناك مستويان اثنان لا ثالث لهما ، وهما مستوى الفصحى العربية ، ومستوى الدارجة العامية ، ولسنا بحاجة لكي توجد لغة دارجة ثالثةهي حلقة وسطى بينهما ، اذ يكفينا أن نحارب عامية واحدة لا عاميتين اثنتين .

ولكن المهم من ذلك كله قول هؤلاء كما أورده الدكتور نصار في ختام مقالته : (ان التجارب أثبتت أن الفصحى أطوع في التعبير من بقية المستويات ، وأدق في التصوير ، واقدر على التفنن في الأساليب)

الصدق مع النفس

أما الدكتور بدوي فقد ألقى محاضرة في اتحاد الكتاب العرب بدمشق عن مفهوم الحداثة في الأدب ، وقد تحدث عن حرية الأديب ، ولاسيما ما يختص باستخدام اللغة ، فأجاب بان المهم (أن يكون الأديب صادقا مع نفسه متميا حقا للحظة التي يعيش فيها ، كما ذكر أن الشاعر المصري بيرم التونسي يبقى شاعرا من الدرجة الأولى ، على الرغم من أنه لا يدرس في أقسام اللغة العربية ، بحجة استخدامه اللغة العامية المصرية) .

وخلص بعد هذا كله للقول : (ان للاديب الحرية الكاملة في استخدام هذه اللغة العامية المحكية) .

بيد أننا لانقر الدكتور بدوي على حكمه بالنسبة لبيرم التونسي ، وتعريفه بأقسام اللغة العربية في الجامعات العربية ، كما أننا نعترض على اطلاق هذه الحرية ، ما دامت تصدع صرح اللغة القومية ، ذلك لان في هذه الحرية سجنا للغة العربية الفصحى المعتمدة والمعتبرة . فهل من العدل أن نظلم اللغة الأم ، ونكبلها لنتبنى عوضا منها اللغة العامية الهجينة ، فهذا الفعل مخالف لطبيعة الحياة ، لأن اللغة كائن حي يمثل وجدان الأمة منذ أقدم عصورها .

ولئن عق اللغة العربية بعض أبنائها ، فانها لم تعدم أنصارا من خير أبنائها ممن يقدسها ويصونها ، ويدعو الدول الاسلامية كلها لجعلها اللغة القومية لكل شعوبها ، وهذه الدعوة التي يدعو اليها تمثل أهميتها

على الصعيدين العربي والاسلامي ، والقومي والانساني .

نذكر من هؤلاء الدكتور ميرولي خان المسعودي ، فقد تقدم في شهر ايلول من هذا العام باقتراح في الندوة التي أقامها مؤتمر العالم الاسلامي في اسلام آباده لجعل اللغة العربية اللغة الرسمية لجميع الدول الاسلامية ، ومما جاء في هذا الاقتراح قوله : (جعل اللغة العربية لغة رسمية وقومية للامة الاسلامية على جميع المستويات الحكومية والعلمية والثقافية ، بما فيها الندوات والمؤتمرات . . وتوضيحا لهذا فان اللغة العربية لغة القرآن والسنة والمصادر الاسلامية . . فماذا يمنع المسلمين ان يتبنوا اللغة العربية ، وأن يجعلوها لغتهم الرسمية ، وهي لغة الاسلام ؟)

هل هو مخطط ؟

نستنتج من هذه الآراء التي أوردناها ما يلي :

١ ـ هناك تخطيط لتحطيم اللغة العربية الفصحى ، لأنها ـ في نظر دعاة العامية ـ لغة سلفية ، قديمة صعبة ، غير صالحة للتعبير عن معطيات الحياة اليومية ، وعاجزة عن تصوير متطلبات الحضارة الحديثة ، واستيعاب التقنيات العلمية المستمدة .

٢ ـ التخطيط لايجاد أربع لغات عامية دارجة محكية ، أو أكثر من ذلك ، فحسب البيئات الجغرافية والاقليمية ، تتولد من اللغة العربية الفصحى وتتفرع عنها : في أقاليم المشرق والمغرب ، والجزيرة العربية ، ووادي النيل ، وتبنّي هذه اللغات المحكية، ولاشك أن الاستعمار والانفصال من وراء هذا التخطيط الذي ينجم والتيارات السياسية والاستعمارية .

٣ ـ تفريع اللغات العامية والغاء حركات الاعراب ، واعتماد مبدأ الوقف ومبدأ التوسط بين الفصحى والعامية ، والغاء الازدواجية بين الفصحى المكتوبة والعامية المحكية ، زعما أنهم يفعلون ذلك تيسيرا وتسهيلا أمام الشداة والناشئين والمتعلمين .

وهكذا يتضح لنا من هذه الأحوال الثلاثة الخطر الكبير الذي يتهدد مستقبل اللغة العربية الفصحى ، ويمكن أن نصنف دعوة العامية في ثلاث زمر :

تضم الزمرة الاولى الدعاة المخربين الذين يستهدفون تمزيق شمل الامة العربية بالاعتماد على هدم ركن اللغة العربية ، ووراء هذا الباعث عوامل داخلية وعوامل خارجية .

وتضم الزمرة الثانية طائفة من الذين بهرتهم بعض الاتجاهات في العلوم اللسانية الحديثة ، فأرادوا دراستها وتطبيقها على اللهجات العامية في الأقطار المختلفة ، أما الآخرون من علماء اللسانيات فقد جعلوا اللغة الفصحى سبيلهم ، وهؤلاء هم الذين يعملون مخلصين لاستجلاء خصائص العربية الفصحى وبيان عبقرية اللغويين العرب الذين استطاعوا الوصول الى كثير من النظريات الجديدة .

وتضم الزمرة الثالثة دعاة الأدب الشعبي ، من الشعر الشعبي ، والزجل الملحون ، وصاحب ألف وزن ليس بزجال ، كما يقال ، وليس من المصادفة أن تهتم بعض الاذاعات والصحف بالأزجال والأشعار الشعبية وغيرها من الفنون المستحدثة .

وجدير بالذكر هنا أن هذا الضرب من الأدب كان غير مقبول في كتب اللغة والأدب المعتمدة ، كما كان القدماء لا يقبلون ادراجه في الكتب الموثقة والمخلدة .

ان الأمر على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، لأنه يستهدف مستقبل الأمة العربية كلها ، فيجب أن ننتبه لكل هذه الدعاوي التي تصدع صرح اللغة العربية الفصحى من الداخل والخارج . □

□ لايمكن أن يصبح العالم كله سعيدا ، الا اذا استعاض الناس عن محبة أنفسهم ، بمحبة الآخرين

« تولستوي »

الأمية الجديدة

عندهم وعندنا!

بقلم : الدكتور محمود الذوادي

ان عبارة « الأمية الجديدة » اصطلاح حديث التداول وهو يعني باختصار عدم مقدرة متعلمي المستوى المتوسط والثانوي والجامعي على القراءة والكتابة والتحدث بقواعد اللغة التي يستعملونها في عمليّ التعليم والتعلم بالخصوص .

هل هي إذن أمية جديدة ؟ وماهي أوصافها ؟

نتناول أولا الأمية الجديدة على سبيل المثال في المجتمع الامريكي . . . فبينما كثرت الكتابات والتحليلات حول طبيعة وملامح هذه الظاهرة في المجتمعات المتقدمة منذ أكثر من عقد ، فإن الظاهرة تجد اهتماماً أقل في مجتمعات العالم الثالث . ففي المجتمع الأمريكي والكندي وصلت انعكاسات ظاهرة « الأمية الجديدة » الى التأثير على سياسة قبول بعض الجامعات للطلاب والطالبات فأصبح بعضها يشترط امتحانا لغويا لا بد أن ينجح فيه الطالب أو الطالبة كمعيار أساسي للقبول الرسمي بالجامعة . وأظهرت بعض الجامعات تسامحا أكبر . . فقد قررت مثلا جامعة كاليفورنيا ـ بيركلي ـ بعد قبول الطلاب والطالبات ـ اعطاءهم دروسا لتحسين مستوى انجليزيتهم . وتشمل هذه الدروس حوالي نصف

الطلبة المستجدين الذين هم من خيرة خريجي المدارس الثانوية . ان تقرير مجلة U·S and World Report عدد ١٩ (١٧/ ٥ -١٩٧٢) يشير الى أن ظاهرة الأمية الجامعية لا تقتصر فقط على طلبة السنة الأولى بل تتعداها الى طلبة الدراسات الجامعية العليا : « فكثير من طلبة الدراسات العليا الجامعية غير قادرين على كتابة جمل مفيدة وصحيحة » .

أما تفشي ظاهرة « الأمية الجديدة » بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية فالتقرير يصفها كالتالي : « ان كثيراً من طلاب الثانوية يتخرجون بمستوى قراءة وكتابة من هم في مستوى السنة السادسة الابتدائية » . ولا تنتهي ملامح ظاهرة « الأمية الجديدة » عند تدهور قدرة القراءة والكتابة عند الطلاب والطالبات ، بل تشمل أساتذة الجامعة والثانوية . فيتكلم التقرير عن الاستاذ الشاب (٢١ سنة) بالمدارس الثانوية الذي لا يقدر على بناء جمل سليمة ولا على فهم النحو ولا على وضع النقط والفواصل في مكانها الصحيح .

فمن خلال هذه الملاحظات يتضح أن قضية « الأمية الجديدة » تعد مشكلا يحدث قلقا متزايدا في الأوساط التعليمية وخاصة المؤسسات الجامعية بالمجتمع الأمريكي ،ويعطي التقرير المعطيات والمؤشرات التي يبنى عليها هذا التنبؤ بمستقبل الأمية في المجتمع الامريكي ، فعلى المستوى العام هناك اليوم ٢٣ مليون امريكي (١٠٪ البالغين والكهول من الشعب الامريكي) لا يملكون القدرة على القراءة ولا على الكتابة التي تمكنهم من قضاء حاجاتهم اليومية . أما على المستوى التفصيلي فالتقرير يؤكد أن « كثيرا من طلاب وطالبات الدراسات الجامعية العليا لا يستطيعون كتابة جمل مفيدة صحيحة » وأن استاذ الثانوية البالغ من العمر ٢١ سنة لا يقدر على بناء الجمل وليس له أي فهم للنحو ولا للتنقيط ، وأن ١٣٪ من طلبة الثانوية يتخرجون بمستوى قراءة وكتابة لتلامذة السنة السادسة الابتدائية . ونظرا لهذا التدهور في القراءة والكتابة فان كثيرا من كتب تعليم الجيش مثلا تحولت الى صور ولغة مبسطة كانت تستعمل مسبقا لمن يجدون صعوبة في القراءة . « وان حوالي نصف الطلبة المستجدين لجامعة كاليفورنيا بيركلي - الذين يعتبرون من القمة ثمن (١/٨) خريجي الثانوية - يطلب منهم اخذ دروس لتحسين تكوينهم اللغوي » . ويرجع التقرير اسباب هذا التدهور أساسا الى انتشار جهاز التلفزيون في المجتمع والى ضعف الضبط الاجتماعي والى الخلفية العائلية .

ومفتاح الخروج من هذه الكارثة - حسب التقرير - في المجتمع الامريكي المتقدم هو تعليم أفضل من الذي أصبح سائدا وشائعا في المعاهد والمؤسسات التعليمية والتربوية . « فبين ١٩٧٠ و ١٩٨٠ اصبح الطالب البالغ من السن ١٣ و ١٧ سنة أقل ميلا لمحاولة فهم وتفسير ما يقرؤه . وبعبارة أخرى ان الذي حدث في هذه الحقبة هو ان مستوى العمل التحريري لطالب ١٧ سنة اصبح يساوي مستوى عمل الطالب البالغ من العمر ١٣ عاما .

« الأمية الجديدة » عندنا :

ويمكن طرح قضية « الأمية الجديدة » في وطننا العربي كما تطرح اليوم بالمجتمع الأمريكي ، وبالتحديد يمكن النظر الى هذه القضية في المعاهد التربوية المتوسطة والثانوية والجامعية . ولكني سوف أهتم شخصيا في هذه الملاحظات بالمستوى الجامعي وذلك :

(١) لأن احتكاكي ومعايشتي لظاهرة « الأمية الجديدة » في الوطن العربي اقتصرت أساسا على رحاب بعض الجامعات العربية .

(٢) لأن تفشي هذه الظاهرة بين اساتذة وطلاب وطالبات هذه الجامعات هو دليل قاطع على تدهور مستوى الفصحى في المعاهد والمدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية .

في بعض الجامعات التي عملت بها ليس هناك غير قلة من أعضاء هيئة التدريس (بما في ذلك من يقوم بتدريس اللغة الفصحى نفسها) يبدو أنها لا تزال تدرس باللسان الفصيح . فأداة التدريس الشائعة في قاعات التدريس هي العامية المتنوعة من المشرق الى المغرب العربيين . ويصدق انتشار العاميات كوسائل تدريس خاصة على الكثير من الجامعات نظرا لشدة

حاجتها لاستجلاب هيئات التدريس من مجتمعات عربية مختلفة اللهجات .

ومن ثم فاستعمال العاميات في التدريس اصبح سمة لغوية من سمات هذه الجامعات . ومن هذا الواقع اللغوي داخل المؤسسة الجامعية هل يبقى أي معنى للذين يرون أن للجامعة دورا مهما في « تفصيح » لغة المجتمع العربي المعاصر ؟ .

ويلاحظ المرء ملامح « الأمية الجديدة » خارج قاعات التدريس ، فمن النادر ان يتناول عضو هيئة التدريس الحديث - سواء كان في ندوة علمية او في اجتماع قسم او في مجلس الدفاع عن رسالة او اطروحة طلابية - ويتقيد في حديثه باللسان الفصيح . واذا لجأ الى قراءة كلمته او محاضرته بالفصحى المكتوبة (غير المشكولة) فيندر أن لا يلحن حتى اذا لاذ الى حيلة الوقوف على السكون تكرارا ومرارا ليسلم لسانه ظاهريا .

ملامح « الأمية.. » عند الطلبة العرب :

ان تدهور المستوى اللغوي بالجامعات العربية له ملامحه ومؤشراته عند الطالب العربي ، وهو يشبه بذلك الطالب الامريكي السابق الذكر . ولاختيار مدى المام الطلاب والطالبات بالفصحى عمدت شخصيا الى منهجية بسيطة ولكنها ذات مصداقية علمية . كنت أدعو طلبتي في بعض الجامعات بطريقة عشوائية الى قراءة فقرة او صفحة (غير مشكولة) من كتب أو مقتطفات المواد التى أدرسها لهم ، فأكدت تجربتي هذه ان طلبتي لا يستطيعون فعلا قراءة نص عربي فصيح (غير مشكول) بدون ارتكاب الأخطاء المتكررة نحوا وصرفا وحتى في نطق اواسط الكلمات وطالما يقابل اقتراحي على طلبتي التحدث بالفصحي بالتهكم والامتعاض ! .

وبخصوص ضعف الطالب في لغة الضاد فان ذلك يتضح من مشاهدات الباحثين في هذا الموضوع . فالدكتور محمود كامل الناقد الباحث في القضايا اللغوية يرى ان ضعف الطالب في الفصحى يتمثل في التالي : « الضعف الواضح في مهارة الكلام والحديث أو ماتسميه مصطلحا التعبير الشفوي . . . بل يصل الامر في كثير من الاحيان الى احجامه عن الحديث لعدم قدرته على ذلك . . . فالشكوى صادقة في عدم قدرة طلابنا حتى في التعليم الجامعي على قراءة فقرة قراءة صحيحة وفهمها فهما واعيا » .

أما الدكتور سليمان السديس فقد سرد أمثلة على تدهور مستوى الطالب بالفصحى « وخذ أيها القارىء العزيز أمثلة قليلة لمستوى كثير من الطلاب الجامعيين في اللغة العربية « لا يفرق كثير من الطلاب بين الفعل والاسم . فلو طلب من احدهم اعراب جملة « السور عال » مثلا فلا تفاجأ باجابته بأن « السور » فعل مضارع وان أوجعتك اجابته وجعاً شديدا . لكنك كظمت غيظك وطلبت منه اتمام الاعراب فمن الموجع ان يضيف قائلا « مرفوع بالفتحة » وقس على هذا . فالمفعول به لا يدرى امنصوب هو ام مرفوع ، وكذلك الفاعل . وهو قد سمع بحروف الجر لكنه لا يجر ما بعدها بها بل ينصبه او يرفعه ، اما الجر بالاضافة فلا يعلمه - في رأيه - الا الله او الراسخون في العلم .

ومع الأسف فانه ليس هناك معطيات علمية عن وضعية الفصحى في بقية جامعات الوطن العربي . ولكن الذي يلاحظه المرء عن مستوى الفصحى عند خريجي بعض الجامعات العربية (من طلاب واساتذة) لا يبشر بأن لغة الضاد بخير حتى في المؤسسات العربية التعليمية العليا . وهكذا تشترك المجتمعات المتقدمة والنامية في ظاهرة « الأمية الجديدة » كما رأيناه وبينما تقوم كثير من الجامعات الأمريكية بمحاولات جادة لايقاف انتشار هذه الظاهرة نجد صمتا مسترسلا حول هذه القضية في المؤسسات العربية الجامعية مشرقا ومغربا . إن صمت مسؤولي ومثقفي الجامعات العربية عن مشكلة « الأمية الجديدة » في مجتمعات الوطن العربي هو قبول واقرار أيضا باستمرار « الأمية الفكرية » في هذه المجتمعات . وهل يمكن ان نسمح لأنفسنا بالتفاؤل في مستقبل امة تتفشى فيها هاتان الأميتان ؟ ! . □

السيّارة
نعمة أم نقمة ؟

بقلم : الدكتور محمد علي الفرا

السيارة إحدى وسائل النقل التي بات من غير الممكن الاستغناء عنها ، فهي إحدى سمات عصرنا الحاضر ، فالسيارة نستخدمها كوسيلة نقل وانتقال ، ونسخرها في تدبير أمورنا ومتطلبات حياتنا وشؤوننا اليومية . وللسيارة بطبيعة الحال فوائد كثيرة ليست بخافية على أحد ، كما أن لها تأثيرها على التجمعات البشرية ، وأنماط الحياة فيها ، وأشكال المدن وبنيتها ، وانعكاس ذلك كله على الأنشطة الاقتصادية والحياة الاجتماعية في كافة أقاليم العالم .

مع تزايد اعداد السيارات بشكل مطّرد ظهرت مشاكل وأزمات كثيرة جعلت البعض يعتبر السيارة ليست نعمة خالصة وانما تخالطها النقمة في كثير من الحالات .

على الرغم من أن السيارة احد مبتكرات أواخر القرن الماضي وانجازاته ، الا أن عددها في مطلع هذا القرن لم يكن يتجاوز الالوف ، ولكن الزيادة كانت على شكل قفزات كبيرة ، فبناء على احصاءات الامم المتحدة بلغ عدد السيارات في العالم في عام ١٩٤٨ نحو ٥٦ مليون سيارة ، منها نحو ٤٣ مليون سيارة للركاب ، وحوالي ١٣ مليون عربة تجارية . وفي عام ١٩٦٠ قفز هذا العدد الى ١٢٧,٥ مليون سيارة ، منها نحو ٩٨ مليون سيارة ركاب و ٢٨,٨ مليون عربة تجارية . وفي عام ١٩٧٠ ارتفع عدد السيارات الى حوالي ٢٤٣,٢ مليون سيارة . أما في عام ١٩٨٠ فقد زاد عدد السيارات الى حوالي ٤٠٤ مليون سيارة منها نحو ٣١٦,٤ مليون سيارة ركاب وحوالي ٨٧,٣ مليون عربة تجارية .

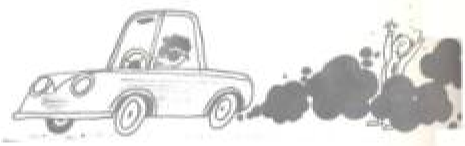

ولو حاولنا تحليل هذه الأرقام لتبين لنا بأن أعداد السيارات قد شهدت قفزات كبيرة في فترات زمنية متقاربة . ففي الفترة ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٠ بلغت الزيادة نحو ثلاثة أضعاف (٢٨١٪) . وفي الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ بلغت الزيادة مرة ونصف المرة (٥٤٪) . وفي هذا العقد (١٩٧٠ ـ ١٩٨٠) كانت نسبة الزيادة ١٦٦٪ . ولو تأملنا في نفس الأرقام لوجدنا بأن سيارات الركاب التي تشمل السيارات الخاصة حققت أكبر زيادة ، وأن نموها المتواصل كان المسؤول عن الزيادة الرهيبة للسيارات ، وسبب هذا يرجع الى شيوع ظاهرة ملكية السيارة عالمياً .

المستودع الأكبر للسيارات :

ولو ألقينا نظرة عامة على أعداد السيارات في أقطار العالم لتبين لنا بأن الولايات المتحدة الأمريكية تحظى بأعلى نسبة من مجموع السيارات في العالم . ففي عام ١٩٤٨ بلغ عدد السيارات المسجلة في الولايات المتحدة نحو ٤١,١ مليون سيارة ، أو حوالي ٧٣,٣٪ من جملة ما يمتلكه العالم من سيارات في ذلك العام . وصل العدد في عام ١٩٨٠ الى حوالي ١٥٢ مليون سيارة ، وتأتي أوروبا في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث اعداد السيارات .

وفي عام ١٩٨٠ بلغ عدد السيارات في أوروبا نحو ١٣٠ مليون سيارة ، أي ما يوازي ٣٢,١٪ من جملة سيارات العالم . وتدل هذه النسبة على زيادة اعداد السيارات في اوروبا اكثر من نظيرتها في الولايات المتحدة ، بحيث اصبحت نسبة مساهمة كل منها متقاربة ، وعلى أية حال بلغت نسبة اعداد السيارات في الولايات المتحدة واوروبا مجتمعتين نحو ٧٠٪ من مجموع العدد الكلي للسيارات في العالم .

الحياة قبل انتشار السيارة :

قد يتساءل المرء عن شكل الحياة قبل ظهور السيارة على المسرح ، وتزايدها على النحو الذي ذكرناه ، والبعض منا وبخاصة كبار السن الذين أدركوا الحياة يوم أن كانت أعداد السيارات قليلة ، يتمنون أن تعود بهم الحياة الى ما كانت عليه من بساطة وطمأنينة حال وراحة أعصاب . وهم يلقون بكثير من متاعب زماننا على السيارة التي أصبحت في نظرهم نقمة أكثر من كونها نعمة .

قبل اختراع السيارة وانتشارها كوسيلة من وسائل النقل العامة ، كانت أشكال المدن والقرى وسائر أنواع المستوطنات البشرية والوظائف التي تؤديها تختلف عما هي عليه الآن ، فالمستوطنة البشرية ـ سواء كانت مدينة أو قرية كانت مؤلفة من أحياء متجاورة ، يتخللها شوارع وأزقة ضيقة تقع على جوانبها الدور والمساكن المتقاربة . ولم تكن المستوطنات لتحتل الا مساحات بسيطة من الارض ، بحيث يمكن للسكان التحرك والانتقال فيها بيسر وسهولة ومشيا على الاقدام أو الدواب ، واحيانا بواسطة العربات التي تجرها الحيوانات . ولما ظهرت الصناعة ـ وكانت في أول عهدها خفيفة كالمنسوجات وصناعة الاغذية ـ تمركزت في قلب المدن أو على أطرافها لان تلك الصناعات لم تكن لتولد الكثير من الحركة وازدحام المرور الذي يؤدي الى تعطيل حركة السير في الشوارع والازقة ، ولهذا اشتمل قلب المدينة على مختلف

الفعاليات الهامة في المدينة من تجارة وصناعة ، وما يتبع ذلك من خدمات تتطلبها مثل تلك الانشطة والفعاليات .

وكانت الأحياء السكنية تحيط بقلب المدينة ، وغالبا ما تتخذ المدينة الشكل الدائري أو القريب منه . وعادة يتحدد الشكل العام للمدينة على ضوء مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية ، وهذه العوامل كانت المسؤولة عن توجيه الامتداد العمراني في الاتجاه الذي يحدد شكل المدينة وطابعها المميز .

ومما لاشك فيه بأن مدنا كهذه تتقارب مساكنها أو تتلاصق وتتجاور أحياؤها ويتصل بعضها ببعض ، وتضيق شوارعها وأزقتها مكونة حارات ذات سمات خاصة ، ساعدت على قيام أنماط معينة من الحياة الاجتماعية ، وظهرت معها أنواع محددة من السلوك البشري وتولدت عنها عادات وتقاليد ذات طابع محافظ . فعلى سبيل المثال كان المسكن الواحد يضم بين جدرانه وفنائه اسرا كبيرة الحجم ، وللاسرة آنذاك مفهوم مختلف عن مفهومها اليوم فلم تكن مقصورة على الاب والام وانجالها وانما تعدت ذلك لتشمل الجد والجدة والاحفاد مما قوى نظام السلطة الابوية ، وعزز أواصر الترابط الاسري والعائلي . وكان رب الاسرة يتمتع بسلطة كبيرة واحترام وتقدير شديدين ، وكلمته بمثابة قانون غير مكتوب .

وجاءت السيارة فتبدلت الاحوال :

لاشك أن للسيارة دوراً في تغيير اوضاع كثيرة من مجتمعاتنا ، وتخلي الكثير من الناس عن بعض قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا الموروثة ، التي كان الاجداد والاباء يحرصون على صيانتها والحفاظ عليها . وكان تأثير السيارة على الحياة الاجتماعية غير مباشر ومن خلال التغيرات التي أوجدتها على شكل المدينة وبنيتها . فالسيارة تطلبت شوارع واسعة مما أدى الى اعادة تخطيط المدينة حتى تتم فيها الحركة والسير بسهولة ويسر . ونتج عن هذا هدم الكثير من الاحياء السكنية القديمة ، وزوال أنماط المساكن القديمة وقيام فعاليات ونشاطات مختلفة ، وتعدد في أوجه استعمالات الأراضي داخل المدن وخارجها ، وظهور احياء شيدت على أنماط حديثة تنسجم مع استخدام السيارة . وكان من الطبيعي أن تتباعد الاحياء وتتناثر المساكن وتكثر الشوارع وتختفي الأزقة وتتسع الرقعة الأرضية التي تشغلها المدينة ، ولم تعد هناك حاجة لتركز الاسواق ومرافق الخدمات في وسط المدينة ـ كما كان في الماضي ـ طالما أن السيارة سهلت عملية الانتقال ، فأصبح البعيد قريبا ، وصار الشخص يبحث عن السكن المريح خارج المدينة ليتخلص من الضوضاء والضجيج والصخب ، فهو يريد أن يأوي الى مسكنه ليريح جسده المكدود ونفسه المتعبة .

وكان من نتيجة تناثر الأحياء السكنية وتباعد الدور والمساكن ، تفكك الحياة الاسرية وانفصام كثير من الروابط التي كانت تربط بعض أعضائها ببعض ، فالمسافة تفرق والقرب يجمع . وعن طريق السيارة وغيرها من وسائل النقل والمواصلات احتكت الامم والشعوب بغيرها مما ساعد على اختفاء الكثير من العادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع الواحد ، وضاعت السلطة الابوية أو ضعف مفعولها على الاقل .

ومع نمو اعداد سكان المدن وارتفاع المداخيل وتحسن مستويات المعيشة التي رافقتها زيادة اعداد السيارات زاد الضغط على شوارع المدن فنشأت الاختناقات المرورية ، واشتدت أزمة السير داخل المدن مما استدعى اعادة النظر مرة ثانية في تخطيط المدن ، وظهور أنواع من الشوارع والطرق والجسور والأنفاق التي غيرت الكثير من عوالم سطح الارض ، وأثرت على أنماط الحياة في مجتمعاتنا المعاصرة ، وكان لابد من اجراء كثير من التعديلات على بنية المدن ، ووظائف احيائها فتم تفريغ المركز من أي نشاط صناعي طالما أن الصناعة تسهم في الازدحام وتعطيل السير علاوة على ما تسببه من تلوث ضار لسكان المدينة .

السيارة مصدر للتلوث :

وبزيادة أعداد السيارات برزت ظاهرة لم تكن على درجة كبيرة من الخطورة كما هي عليه اليوم ، ونعني بها ظاهرة التلوث . والتلوث مصادره كثيرة ولكن الصناعة والسيارات تشكل المصادر الرئيسية

للتلوث . فان كنا نستطيع أن نخطط المواقع الجديدة للصناعات ونبعدها عن المدن فليس بامكاننا أن نفصل السيارة عن المدينة . ومهما حاولنا ابتكار الوسائل التي تقلل من العوادم فلن نستطيع لأن التلوث الناجم عن السيارات لا يمكن التقليل من اخطاره وآثاره الضارة على الحياة . وعوادم السيارة الناتجة عن حرق الوقود ليست وحدها التي تسبب التلوث وانما هناك اشياء اخرى غيرها مثل الأبخرة المتصاعدة من ارتفاع حرارة زيوت السيارة ، وكذلك التلوث الناجم عن احتكاك العجلات الذي يظهر على شكل مواد مطاطية في غاية الدقة ، وتسبب عوادم السيارات في رفع حرارة الجو ، والدخان المتصاعد في الجو الذي يحتوي على ملايين الذرات الكربونية التي تسبح في الجو وتختلط مع الاتربة والرطوبة المحمولة في الهواء فتجلب الاوساخ وتحدث التهيج في اجهزة الجسم فتصيبها بمختلف أمراض الحساسية التي لم يكتشف الطب الا القليل منها . وتسبب هذه الملوثات الأضرار للنباتات والثمار ومختلف أنواع الحيوان .

وتحتوي عوادم السيارات على غازات سامة ، أخطرها غاز أول اكسيد الكربون ، وقد ثبت بأن لهذا الغاز آثاراً في منتهى الخطورة على خلايا المخ فتدمرها وتصيب بعضها بالأذى الشديد .

حوادث المرور :

لو ألقينا نظرة على نشرات الوفيات لوجدنا بأن السيارة تسببت في رفع نسبة الوفاة في عصر تقدم فيه الطب وارتفعت مستويات الحياة ، مما ادى الى انخفاض كبير في نسبة الوفيات الناتجة عن الأمراض التي كانت تعصف بارواح البشر . ولاشك في أن هناك ارتباطا قويا بين زيادة اعداد السيارات وبين زيادة اعداد وفيات السيارات في العالم . ففي الكويت على سبيل المثال ـ كان مجموع السيارات المسجلة عام ١٩٧٣ نحو ١٩٨ الف سيارة من جميع الفئات والاحجام وحسب مختلف الاستعمالات ، وفي عام ١٩٨٢ قفز العدد الى نحو ٦٦٨ الف سيارة . أما وفيات السيارات المسجلة فقد كانت في عام ١٩٧٣ نحو ٢٣١ حالة وفاة . وفي عام ١٩٨٢ بلغت حوالي ٤٠٢ حالة .

وهل من حلول ؟

ليست هناك حلول جذرية جاهزة يمكن الاستعانة بها لحل جميع المشاكل الناجمة عن السيارات كالتلوث الهوائي والضوضاء وحوادث السير وغير ذلك من امور . وليس بالامكان الاستغناء عن السيارة كلية فقد اصبحت جزءاً من مقومات حياتنا وباتت ضرورة من ضرورات عصرنا . ويبدو أن جميع الوسائل التي تتبع حاليا والرامية الى تخفيف حدة بعض المشاكل الناجمة عن السيارة كالمرور واختناقاته والمتمثلة في شق الشوارع الواسعة ، وتعبيد الطرق السريعة واقامة الجسور والانفاق ونحوه لم تستطع أن تحل المشكلة ، بل أوجدت مشاكل من نوع آخر نتج معظمها من جهل الناس بالنظم الواجب اتباعها اثناء السير والحركة على الطرق السريعة أو الاصرار على عدم التقيد بها .

ومع استحالة وجود الحلول الكاملة فانه لا بديل عن بذل كافة المساعي الرامية الى كبح زيادة عدد السيارات ان لم يكن تنقيصها . وطالما ان السيارات الخاصة تشكل اكبر نسبة من المجموع الكلي للسيارات ، وبما انها تتزايد سنويا بصورة رهيبة فانه لابد من اتباع وسائل تخفف من الاعتماد على السيارات الخاصة عن طريق تشجيع وسائل النقل الجماعي العام ـ كالحافلات مثلا ـ وادخال الكثير من التحسينات عليها ليزداد الاقبال عليها .

ويلحظ المرء منا الفرق الكبير بين حالة السير يوم افتتاح المدارس حيث يحرص كل ولي أمر على ايصال ابنه أو ابنته الى المدرسة مما ينتج عنه ازدحام شديد تستنفر له ادارة المرور جميع رجالها . وفي الايام التالية يخف السير ويقل الازدحام نتيجة تشغيل الحافلات المدرسية التي تسع الواحدة منها ما لا يقل عن ستين طالبا . ولو نظر الواحد منا الى السيارات في صباح يوم من الايام وحينما يذهب الناس لاعمالهم لرأى بأن السيارة الواحدة ليس فيها الا سائقها في اكثر الحالات ، وعليه فانه لو تصورنا بأن هؤلاء استخدموا الحافلات لكان بالامكان استعمال حافلة واحدة بدلا من ستين سيارة خاصة . وتبدو المشكلة واضحة في بلد كالكويت بلغت فيه اعداد السيارات الخاصة في عام ١٩٨٢ نحو ٤٦٩ الف سيارة اي حوالي ٧٠,٢٪ من مجموع كافة انواع السيارات . □

العربي العربي العربي من ربع قرن

مشاكل الاختصاص في التعليم الجامعي

العدد السابع عشر ابريل ١٩٦٠

بين المشكلات الرئيسية التي تواجهها اليوم الجامعات والمعاهد العليا ـ على اختلاف أجناسها وأشكالها وأوضاعها ـ مشكلة تثقيف الشباب الجامعي تثقيفا شاملا يؤهله لادراك الحياة بأوسع معانيها ، وليقوم أحسن قيام بوظائفه المتعددة في المجتمع .

ويجدر بنا ، ونحن نحاول ارساء قواعد التعليم الجامعي في البلاد العربية ورفع بنائه ، أن نتنبه الى هذه القضية ، والى مظاهرها الخاصة في مجتمعنا ، وأن نعمل على معالجتها بما يؤمن خير شبابنا وسلامة بنائنا القومي والحضاري .

ان لهذه المشكلة جذورها العديدة في الحياة الحديثة . على أن أهم هذه الجذور اثنان :

أولهما اتساع المعرفة الانسانية اتساعا مستمرا سريعا . لقد عظمت سرعة هذا الاتساع في الأونة الاخيرة الى حد يبهر الأبصار ويسحر الألباب . وما التجارب والنتائج الرائعة التي نشهدها في ارتياد الفضاء الفسيح ، أو في التحكم بالذرة وطاقتها ، سوى المظاهر البارزة لهذا التقدم ، بل لهذه الوثبات الجبارة التي يثبها العلم الحديث . فان كل من يشارك في أية ناحية من نواحي المعرفة مشاركة حية فاعلة ليجد صعوبة هائلة في محاولة اللحاق بالركب ، ومجاراة مواكب البحث والكشف التي تطوى الميادين ، محطمة الحواجز واحدا اثر واحد .

وقد كان من نتيجة هذا التوسع والتقدم الاقبال على الاختصاص بنواح محدودة من المعرفة الانسانية . وكلما غزرت نتائج العلم ، ازدادت الحاجة الى تضييق مجالات الاختصاص ، والى حصر دوائره ، حتى تعددت الاختصاصات في الحقل الواحد ، وغدت الحواجز والفوارق أعظم مما كانت عليه بين الحقول المختلفة في الأزمنة السابقة .

ولا تقتصر هذه الظاهرة على العلوم الطبيعية فحسب ، بل تتعداها الى العلوم الاجتماعية والانسانية .

. . أما الجذر الثاني فهو اهتمام الأقوام المختلفة في العصر الحديث باستكشاف موارد الطبيعة ، واندفاعهم لاستغلال هذه الموارد في سبيل سد

حاجاتهم المتزايدة ورفع مستوى عيشهم . ان هذا الاهتمام وهذا الاندفاع ، اللذين يشتدان ويتسعان يوما بعد يوم ، يوجهان الانظار والهمم الى الاختصاصات المهنية والتكنيكية ، ويغزوان ميادين العلوم النظرية والثقافات الانسانية التي تهدف الى المعرفة المجردة ، أو التي تتناول معاني الحياة وقيمها الأساسية .

وانا لنجد لهذه الظاهرة آثارها العديدة : منها انجذاب العدد الوافر من ذوي المواهب الى المهن والصناعات والأعمال التكنيكية ، والتضاؤل النسبي في عدد الذين يتجهون الى العلوم والآداب الانسانية . ومنها أيضا ضعف كل من الفريقين في الاطلاع على ثقافة صاحبه ، وبالتالي بروز الحدود والحواجز بينها ، فلا الأديب يجاري العلم في وثباته الجبارة ، ولا العالم يجد من الوقت أو من الرغبة المتيقظة ما يسعفه في ارتياد مناهل الأدب أو الفن أو الفلسفة .

لقد انعكست هذه المشكلة ، بمظاهرها المختلفة ، على التربية الجامعية التي يفترض فيها أن تهيء هذا الفرد الصالح للمجتمع ، فأبرزت للقائمين على هذه التربية مشكلات تربوية وتنظيمية تسترعي الاهتمام وتدعو الى المعالجة . منها تضخم الكليات والاقسام العلمية والتطبيقية ، وطغيان الروح المهنية على اتجاهات التعليم العالي بوجه عام . ومنها كذلك ازدياد المعرفة وتوفر الاختصاص في هذه الفروع كلها ، كالطب والهندسة والزراعة وأمثالها ، مما لا يترك مجالا في برامجها لأية مواد غريبة عنها أو بعيدة الصلة بها . ومنها أيضا استيلاء الدراسات الفرعية الاختصاصية حتى على العلوم والآداب الانسانية ، بحيث لا يتمكن الطالب في هذه الأقسام من أن يخرج بسهولة من دائرته الضيقة الى الدوائر المتصلة به المشاركة لدراسته ، ناهيك بعجزه ـ الذي يكاد يكون تاما ـ عن أن يعبر حدود ميدانه الأدبي أو الاجتماعي الى ميدان العلم المنطلق ، الذي تحدث فيه اليوم أعظم الثورات وأبلغها أثرا في أساليب العيش ، وفي مذاهب الفكر والمعتقد .

ولعلنا لا نخطىء اذا وجهنا النظر الى ما نعتقد أنه المبدأ الاساسي في هذه القضية كلها . فاننا نرى أن الثقافة الانسانية التي تكون الانسان العاقل الفاضل ، الواعي لمشكلات الحياة في ترابطها ، السابر لأغوارها ، المدرك لقيمها ، العامل في سبيل تحقيق هذه القيم ـ هذه الثقافة ليست من حظ نوع معين من الدراسات والمواضيع . ليست هي مثلا ـ كما يعتقد الكثيرون ـ مقصورة على الدراسات التي عرفت تقليدا بـ « الدراسات الانسانية » . أي التي تشمل الآداب والفنون والفلسفة . فان للعلوم الوضعية الاجتماعية ، والطبيعية ، مضامينها الثقافية الانسانية . ولا نستطيع أن ننكر ما للروح العلمية من أثر في تحرير العقل وفي تنزيه النفس ، بما تتطلبه وتنميه من المزايا العقلية والفضائل الخلقية . وليس من الضروري أن يكون مؤرخ أو أديب أو فنان أوسع ثقافة وأدرك لمشكلات المجتمع أو لأسرار الحياة ، من عالم يستكشف خبايا الكون ويمد آفاق المعرفة النظرية ، أو حتى من مهندس أو صناعي أو طبيب اذا كانت تهيئته صحيحة . وليس الأخصائي في أحد مسالك العلم ـ النظري أو التطبيقي ـ أهزل ثقافة وأقل خطرا من الأديب أو الفيلسوف المتجاهل هبة العلم وأثرها الجبار في كل وجه من وجوه الحياة .

كذلك نرى أن هذه المشكلة لا تعالج باضافة دروس ومواد على هذا أو ذاك من فروع الاختصاص ، كأن يطلب مثلا من طلاب الفروع العلمية دراسة بعض المواضيع الأدبية أو الفلسفية ، أو العكس . ان هذه الدروس ـ وقد استنبط العديد منها في الأونة الأخيرة ـ لها فائدتها ، كما أن ثمة فائدة لا تنكر من الأساليب الأخرى المتعددة التي اتبعت في معالجة هذه الناحية أو تلك ، من نواحي النقص أو التوزع في الثقافة الجامعية .

على أن الأمر الأساسي الذي يبدو لنا في هذه القضية هو أن معالجتها لا تتصل بمادة أو بمواد معينة ، وانما تقوم على الأسلوب والطريقة . فمهما كان الموضوع الذي يدرسه الطالب : علميا أو أدبيا ، نظريا أو تطبيقيا ، فانه يمكن له أن يكون منطلقا لتكوين ثقافة انسانية غنية شاملة . □

د . قسطنطين زريق

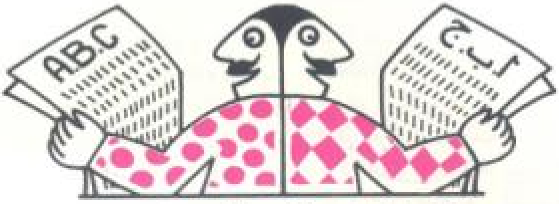

حكايات شرق وغرب

ثمن السعادة مليون جنيه استرليني !

● الفتريو فتيامين رجل يوناني بسيط ، لم يكن لديه ثروة في أي يوم من أيام حياته التي امتلأت بالعمل الجاد على مدى خمسين عاما أو يزيد . . ولكنه كان يعيش دائما من أجل تحقيق أمل واحد ، هو أن يصبح صاحب رصيد في البنك يضمن له حياة مريحة في شيخوخته بعد أن يبلغ السبعين . .

لقد عاش الفتريو مع زوجته صوفيا وولديه في بداية حياتهما ، في ميناء بيريه ، وكان يعمل على السفن التي تبحر من الميناء حاملة صادرات بلاده وتعود اليه بما تستورده من الخارج . . ولم يكن دخله يسمح بشراء أحذية أو ملابس جديدة لولديه ، كما لاتتذكر الزوجة أنها اشترت يوما فستانا جاهزا . . فقد كانت تحيك ثيابها بنفسها .

أما هو فكان دائما يقول : (لم أكن أعرف شكل حياة الترف التي يتحدثون عنها ، فلم يكن عندي فائض أستطيع أن أنفقه في شراء شيء أكثر من ضروريات الحياة . . . شيء واحد كنت أحرص على أن أجرب حظي معه على مدى السنوات الطويلة التي كنت أعمل فيها وأكدح . . وهو شراء ورقة من أوراق (اليانصيب) .

وشاء الحظ أن يضع في يده أخيرا مبلغا يوازي مليون جنيه استرليني،فقد ربحت الورقة الأخيرة التي اشتراها في احدى الامسيات،وهو عائد الى بيته بعد يوم عمل طويل .

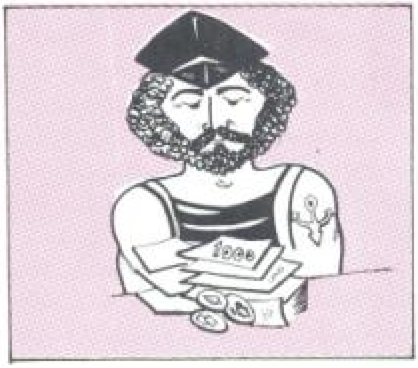

وتصور الفتريو أن كل متاعبه قد غرقت في مياه البحر الذي طالما ركبه في رحلاته . . الم يكن هذا هدفه وهو يشقى ويتعب طوال هذه السنين ؟ ولكن الرجل مالبث أن اكتشف أن متاعبه قد بدأت في نفس اللحظة التي دخلت فيها هذه الثروة الكبيرة جيبه الفقير . . .

وبدأ الفتريو يفلسف الحياة : (لا . . لم يكن المال والرصيد الكبير هدفي في يوم من الأيام . . وحتى لو كنت أفكر في أن يكون لدي ثروة تريحني في شيخوختي ، فقد غيرت رأيي الآن ، لانني اكتشفت ان الحياة مع المال لم يعد لها طعم ، وأنني أصبحت

اعيش بلا أمل .. أريد أن أعود فقيرا (كما كنت !) .

وعاد الفتريو فقيرا .. فقد جمع المليون جنيه وتبرع بها كلها للجمعيات الخيرية ، وقال وهو يقدم الثروة التي هبطت عليه من السماء : (لم أعد أجد للحياة معنى مع هذا المال الوفير .. نعم لقد كنت رجلا فقيرا ، ولكنني كنت سعيدا في فقري .. قد يثير هذا التصرف دهشة الناس ، ولكنني أريد أن أقول لهم انه كان بداية تعاستي ، وبدأت المعارك تحتدم بيني وبين زوجتي صوفيا .. انني أحب زوجتي ، ومن أجل الابقاء على هذا الحب لابد أن اتخلص من هذه الثروة لقد ربيت ولدي وعلمتهما الأمانة والاخلاص في العمل ، وعندي الكثير من الاصدقاء الذين يحبونني ، لامن أجل مالي أو مركزي الاجتماعي ، ولكن لمجرد أنهم يجدون متعة في صحبتي .

ربما كانت صوفيا هي الوحيدة التي لم يسعدها هذا التصرف الغريب ، فقد كانت تحلم دائما بشراء فستان جاهز من أحد محال الأزياء الكبرى في اليونان .

وجه الصين الجديد !

هل تبحث الصين عن وجه جديد لاسلوب الحياة فيها ؟ يقول المسؤولون عن رعاية الشباب فى بكين : ان الذى يهمنا هو الجوهر ، وليس الشكل ! وفى إطار السياسة الجديدة التى تتبعها الصين مع الشباب اقيمت فى مدينة كانتون أخيرا مسابقة « للجمال والمواهب » اشترك فيها الشباب من الجنسين ..

وعندما بدأ المتسابقون يمرون أمام أعضاء لجنة التحكيم : اتضحت الصورة أمامهم لأول مرة ، فقد كان اهتمام اللجنة كله مركزا على شخصية المتسابقين والمواهب التى يتمتعون بها ، ولياقتهم البدنية ، وقال أحد أعضاء اللجنة مفسرا اختيارها للفائزين بعد ان كثرت علامات الاستفهام على وجوه الحاضرين ، عندما راحوا يتطلعون اليها ، فلم يجدوا واحدا جميلا بالمعنى المألوف للجمال .. قال : « هذه هى مقومات الجمال الذى نبحث عنه .. أما جمال الوجه وحده فيأتى فى المرتبة الثانية .. اننا لا نريد شبابنا يرتدى البنطلونات « الجينز » ويطلق شعره كما يفعل « الخنافس » فى الغرب ! .

صدق أو لا تصدق !

دورين لاكيت طفلة فى الحادية عشرة من عمرها ، كانت تشكو ألما حادا فى معدتها لم يفارقها لحظة واحدة على مدى أسبوعين متصلين . ولم

يكن ممكنا أن يتجاهل والدا دورين شكوى ابنتهما ، فأسرعا يعرضانها على طبيب البلدة الصغيرة التى تقع فى دلتا نهر المسيسبى بأمريكا .. ولكن الطبيب حار فى إيجاد تفسير واضح للألم الذى يمزق أحشاء دورين .

وأخيرا لم يجد الطبيب امامه الا الاستعانة بالأشعة التى أظهرت وجود جسم غريب فى معدة الطفلة . وقالت دورين وهى تحاول أن تساعد طبيبها فى الكشف عن هذا اللغز : « لقد ابتلعت كمية من مياه البحيرة الراكدة التى كنت أسبح فيها بالقرب من البيت الذى نعيش فيه ، ثم بدأت أشعر بالألم بعدها بيومين أو ثلاثة ! .

وقرر الأطباء اجراء جراحة عاجلة لدورين . وكانت المفاجأة المذهلة عندما اكتشفوا وجود ثعبان فى

معدة الفتاة الصغيرة .. ثعبان يبلغ طوله حوالى خمسة وعشرين سنتيمتراً ، وكان الثعبان حيا !

وحاول الجراح أن يخفى النبأ عنها ، لم يشأ أن يقول لها أن ثعبانا كان يسكن معدتها ، ويسبب لها الآلام المبرحة التى كانت تشعر بها ، ولكن شقيقها الأصغر الذى يهوى جمع الثعابين لم يستطع أن يكتم عنها سر علتها ..

المهم أن الأطباء ما زالوا فى حيرة ، فهم لا يستطيعون أن يجدوا تفسيرا لكيفية دخول الثعبان أحشاء دورين . وهو ليس دودة من أى نوع ولكنه ثعبان ومن النوع الخطر !

تجربة قاضى على المسرح

لورد دننج أحد القضاة الانجليز الذين كان لهم دور فى القضاء البريطانى،وتاريخ حافل بالذكريات مع الكثير من القضايا التى كانت محل اهتمام الرأى العام داخل البلاد وخارجها . وقد ترك القاضى كل هذا بعد أن تقدمت به السن ، وطلب الى المسؤولين اعفاءه من العبء الذى حمله على مدى أربعين عاما أو يزيد .

ولكن هل يترك لورد دننج نفسه للشيخوخة تزحف الى عقله وجسمه ، وتقعده حتى عن لقاء الناس فى حرية ، وهو ما كان يشوق اليه طوال اشتغاله بالقضاء ، وقرر أن ينزل الى الشارع ويبحث عن موضوع للمسرحية الجديدة التى ينوى أن يقدمها للناس .. وعاد الى مذكراته .. وسألوه : هل وجدتها ؟ هل عثرت على أحداث مسرحيتك الجديدة؟ فقال : « لم أجد قضية اكثر اثارة من أحداث قصة كريستين كيلر وجون بروفيمو وزير الحرب البريطانى الذى انتحر بعد أن تكشفت حقيقة علاقته بالجاسوسة الانجليزية الحسناء فى عام ١٩٦٣ . فقد كنت أحد القضاة الذين شاركوا فى نظر هذه القضية التى أثارت اهتمام الرأى العام العالمى !»

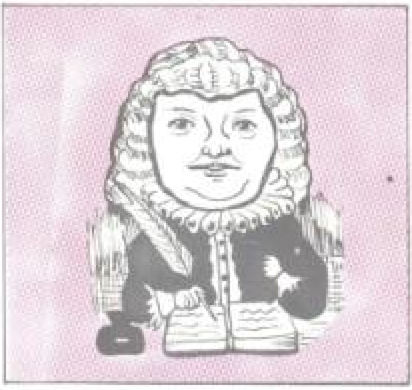

ومع المسرحية الجديدة بدأ لورد دننج يضع اللمسات الأخيرة فى مؤلفه عن أشهر القضايا التى حكم فيها ، وأطلق على كتابه الجديد : علامات على طريق القانون ! وهو يقول : انه يفضل دائما الحقائق على الخيال ، « فلا تنسوا انى ما زلت رجل قانون » .

الخمر تقتل مليونا كل عام فى روسيا !

اكتشف المسؤولون فى الاتحاد السوفيتى أن الادمان على الخمور أصبح مشكلة اجتماعية خطيرة ، تتزايد تفاقما بسرعة مخيفة ، وفى صحيفة ازفستيا كتب جودور أوجلوف الذى يعد واحدا من كبار أعضاء الاكاديمية السوفيتية للعلوم مقالا تضمن أرقاما أو حقائق مثيرة للفزع . قال أوجلوف ان الاحصائيات تقول ان عدد المدمنين على الخمر فى الاتحاد السوفيتى قد بلغ أربعين مليونا، وأن مليون شخص يموتون كل عام نتيجة هذا الادمان ، وان هناك طفلا بين كل ستة أطفال يولد مشوها ، نتيجة ادمان أحد الابوين أو كليهما على الخمر !

ويقول أوجلوف : « ان مشكلة الادمان تكلف

الدولة الملايين من ساعات العمل الضائعة كل عام ، الى جانب الحوادث التى تقع فى المصانع وهى فى ازدياد مستمر ، وقد امتلأت أسرة المستشفيات بضحايا هذه الحوادث ، فى وقت لا تجد فيه الحالات المستعجلة أسرة كافية للعلاج !

وفى نهاية حديثه يدعو العالم السوفيتى الى تحريم الخمور ثم يقول : « اذا لم نقدم على هذه الخطوة ، فلن يصبح لنا وجود كأمة ! » .

مارى أنطوانيت فى «اسرائيل»!

● رفض الخبازون فى اسرائيل إمداد الجيش بالخبز : وقال صاحب مخبز أنجيل آندكوكس فى القدس المحتلة الذى يمد جيش اسرائيل بأكثر من اربعين فى المائة من استهلاكه ، انه أمر بوقف كل الامدادات لأن الجيش لا يدفع ثمن الخبز الذى يأكله ، وأن هناك ما يوازى عشرين الف جنيه استرلينى ، ما زال الجيش مدينا له بها !

وعندما ذاع خبر توقف « انجيل آندكوكس » عن امداد الجيش الاسرائيلى بالخبز ، سارعت ثلاثة مخابز أخرى ، وهى التى تتولى امداد الجيش ببقية احتياجاته بالتهديد بوقف الامداد بدورها اذا لم تسدد الفواتير التى تطالب بها ، وتبلغ فى مجموعها ثلاثين ألف جنيه استرلينى !

وازاء هذا الموقف الذى يهدد الجيش الاسرائيلى بالجوع ، اتهمت السلطات الاسرائيلية اصحاب المخابز بالهرب من هذه « القضية القومية » وتعنى بها تغذية الجيش فى الأوقات العصيبة التى يمر بها !!

وسمع أحد أصحاب المخابز الاتهام ، فقال : لماذا لا يأكل الجيش (الجاتو) ؟

وقال آخر معلقا : « لقد قالوا لمارى انطوانيت ان الشعب لا يجد رغيف العيش ، وقالت الملكة : دعوهم يأكلون البسكويت » !! وبعدها قامت الثورة فى فرنسا !

اللقاء الأخير !

● قصة فيليب بوفارى وزوجته مونيك ، ظلت حديث الناس فى فرنسا لأسابيع طويلة . والزوجان كانا يعيشان فى باريس العاصمة ، حياة هادئة دافئة رغم الثلوج التى كانت تتساقط فى الشتاء البارد والضباب الذى يملأ الجو ويحجب الرؤية .

وفى مساء أحد الأيام الباردة عاد فيليب الى البيت مبكرا قليلا عن موعده ، وقال لزوجته:« أنا مدعو الليلة لتناول طعام العشاء مع بعض رجال الأعمال . انه عشاء عمل كما تربن ، ولا أظن أنه سيكون من المناسب أن أصطحبك معى ، فسوف تجدين الحديث مملا ! » .

وقالت مونيك : « سأنتهز الفرصة إذن وسأذهب لزيارة والدتى ! »

وخرج الزوجان .. كل منهما فى سيارته الخاصة .. وكان الضباب كثيفا وقال فيليب وهو يودع زوجته : « احذرى السرعة ! » .

وانقضت بضع ساعات قبل أن يصحو أهل الحى القريب من الطريق السريع على صوت دوى هائل .. ماذا حدث ؟

لقد وقع حادث تصادم بين سيارتين على الطريق نتيجة للضباب الذى ازدادت كثافته وانعدمت معه الرؤية تماما .. وقتل سائقا السيارتين فى الحال .. وعندما تم نقل الجثتين وتعرف رجال الشرطة على شخصية كل منهما ، حدثت المفاجأة المذهلة .. فلم يكن القتيلان سوى فيليب بوفارى وزوجته مونيك ! . □

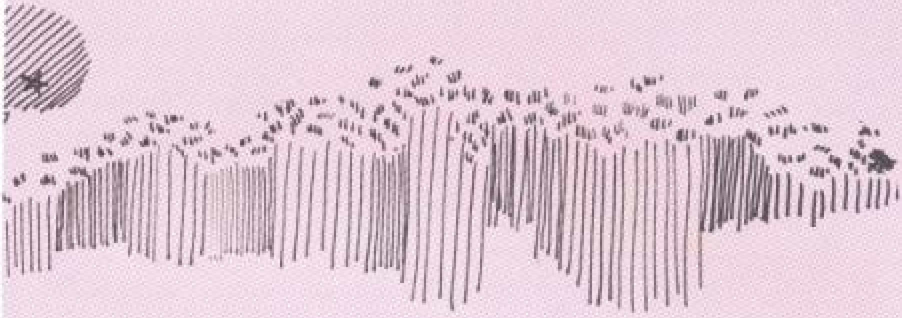

قصة انسان

شعر: راضي صدوق

وكنتُ على شفيرِ النارِ
أغنيّةً ربيعيّةْ
دمي يبكي ، ولحنُ الحبِّ في القيثارِ
يسكبُ ضوءَ أغنيّةْ
كتبتُ على الرمالِ حكايتي بالماءِ
هبَّ الريحُ
جفَّ الماءْ
قيل حكايتي في التيهِ راحلةٌ
وقيلِ حكايتي في الغيبِ مطويةْ
عيونُ الأمسِ ما انطفأتْ
وأحداقُ الزُّهورِ نديةُ الأجفانْ
وما زالَ العبيرُ يندُّ . .
مازال الصباحُ مورَّدَ الخدينْ
أنا وحدي الذي انطفأت رؤاهُ . . وذابَ في النسيانْ . .

* * *

رويت حكايتي للريح
أعولَ ، ثم أمطرَ دمعةً دمعةً . .
وأغفى في قرارِ الصمتِ
مطويًا على الأحزانْ

أغثني أيها الانسانْ ..
ليلي مُسمَلُ الأحداقِ لم ترعش به شمعةٌ ..

* * *

دفنتُ حكايتي في التِّيه
لم أحضن سوى جُرحي
ومزَّقتُ الحروف ، كَسَرْتُ أقلامي العِجاف
وكنتُ زرعتُ في سوقِ النخاسةِ كلَّ أوراقي ..
وأرضعتُ النجومَ نهارَ أحداقي
غداً أرخي على كَتِفِ الحياةِ جَدائلَ الاحزانْ
وتحملُني رياحُ اللَّيلِ و النسيانْ
غداً آوي الى كهفٍ بلا دفءٍ ولا ظلْ
وليس لديَّ من صحبٍ سوى الديدانْ .
تمرُّ بيَ الدروبُ وتعبُرُ الركبانْ
وتضحكُ نجمةٌ عذراءُ سارحةٌ معِ الليلِ
هنا رَقدتْ بقايا قصةِ الانسانْ
أكادُ أثورُ من تحتِ الترابِ ..
أكاد أصرخ من وراء الصمت :
ياويلي ....
فتسعفني رياحُ الموتِ ..
تلطمني يدُ النسيانْ ..

العربي - العدد - ٣١٧ - ابريل ١٩٨٥

قصة قصيرة

صالح أبو ستة أصابع

بقلم : عبد البارى عطوان

عندما كنا أطفالا .. كانت الرحلة الصباحية الى المدرسة التى تستغرق ما يقرب من الساعة مشيا على الأقدام الحافية .. مصدر نكد لنا جميعا .. ومثل كل الأطفال .. كنا نتمنى لو أن العطلة الصيفية تطول فتأكل العام الدراسى برمته ، أو نتواضع فى أحلامنا ونطلق الحبل لأمانينا بأن تصبح جميع أيام العرب والمسلمين أعيادا دينية وثورية ، حتى لا نذهب الى المدرسة ، ونتمتع بساعات نوم أطول فى الصباح ، ومساحة زمنية أكبر للعب مساء ، وعلاوة اضافية من الدراهم ، قد يجود بها أبو البنين .

صالح .. الشخص الوحيد بيننا الذى كانت حياته كلها عطل وأيامه كلها أعياد .. فقد أدار ظهره للتعليم .. وأعلن الاضراب عن الرحلة الصباحية للمدرسة منذ اليوم الأول ، وفشلت كل محاولات عقلاء أسرته فى انهاء هذا الاضراب ، سواء كانت هذه المحاولات بالضرب .. أو بالترغيب .. ولهذا السبب ، وبسبب هذه المواقف الاضرابية ، ولأسباب كثيرة سنذكرها فيما بعد ، ظل صالح موضع حسدنا جميعا .

اختلفت الآراء فى فهم شخصية صاحبنا ، وتناقضت التحليلات فى تشريح سلوكياته ، فطبيعة الحياة ، وأنماط السلوك التى اختارها لنفسه ، واصراره على التمسك بكل تصرفاته ، ومقاومة التغيير ، سواء كان بسبب السن أو الظروف ، كل هذا فرض الاختلاف ، وحتم الغموض .

كان صالح متميزا عن جميع أقرانه فى نواح كثيرة ، وأبرز مظاهر هذا التمايز ، أن الخالق أكرمه دون بقية أقرانه بأصبع زائدة فى كل قدم من قدميه ، وكل يد من يديه ، وكان طبيعيا أن يقترن هذا التمايز باسمه ، وكان ينادى عليه بصالح « أبو ستة » أصابع .

ومن صفات صاحبنا الأخرى أنه كان دائما ، مثل كل أبناء البادية مولعا بالخناجر ، يتفنن فى إبرازها من خلال حزام من الخرز والحرير الملون يزين به وسطه ، وكان متمردا حتى على البيوت والخيم ، ويهيم بالطبيعة وما توفره له من حرية وعطاء ، ولذلك اختار شجرة أثل فى حضن أحد الكثبان الرملية لتكون مقره الدائم .

الواحات الصغيرة التى تحيط بالمنطقة ، وما تحتويه من أشجار الفاكهة وأحواض الخضار ، كانت بمثابة « البوفيه » المفتوح طوال ساعات النهار والليل أمامه ، يتجول فيها وقتما يشاء ، ويعرف أطيب ثمارها ، وكل وافد جديد بين أروقتها ، حتى أن أصحاب هذه الواحات والبساتين كانوا يتباركون بزيارات هذا

الانسان المتمرد الرافض لتطور الحضارة البشرية وافرازاتها .

وكما أن « صالح » لم يعرف نظام الواجبات ، ولم يرتد أى حذاء فى حياته ، لتعارض ذلك مع قيمه ومبادئه ، ولاستحالة وجود حذاء يناسب طبيعة قدمه المتميزة ، ولصعوبة ارتداء الأحذية بالنسبة لشخص يطوف بالكثبان الرملية عشرات المرات ليلا ونهارا كل يوم ، فان « صالح » أيضا لم يزر عيادة طبيب فى حياته ، فالعيادة اليتيمة فى المنطقة توجد فى منطقة الحضر على بعد ساعة ونصف مشيا على الأقدام أو على ظهر دابة ، ثم أنه يؤمن بأن الخالق هو صاحب الشأن الأساسى ، وهو الشافى ، يبقى من يشاء ويأخذ الى جواره من يشاء ، وهو على كل شىء قدير .

كما قلنا فى البداية ، الآراء اختلفت فى تقييم وفهم شخصية هذا الانسان . . . البعض رأى فيه رجلا

صالحا من أولياء الله ، زاهدا فى الدنيا منقطعا للحياة الآخرة مع طريقته الخاصة ، صلواته باطنية ، وفيه طيبة وبداوة ، وطهر الصالحين . . ورأى هؤلاء على أى حال لا يتناقض مع طبيعة منطقتنا ، فالمجانين عندنا يعاملون كعصافير الجنة ، وأحيانا يتبرك بهم أهل المنطقة ، على إعتبار أن هؤلاء أعفاهم الله من الذنوب ، واختارهم الى الجنة ، وأكرمهم بمتع الدنيا وخيرات الآخرة .

المتعلمون . . من أبناء المنطقة ، الذين حسدوا « صالح » طفلا بسبب إضرابه عن التعليم ، رأوا فيه شخصا مختلا ، فيه مس من الجنون ، وليس له علاقة بأهل الصلاح . . ولكنهم فى الوقت نفسه ، قبلوه كظاهرة حياتية لا يمكن نكران وجودها ، فهو على أى حال أصبح من رموز المنطقة ، وشخصياتها البارزة والمتميزة ، هذا اذا لم يكن أشهر شخصية بعد المختار ، وحلاق القرية الذى يفهم فى كل المهن ابتداء من خلع الانسان ، ومرورا باصلاح الاحذية ، وانتهاء بتطبيب الحمير . . . حتى أنه فى إحدى المرات حاول مزاحمة عرافة القرية فى أكل عيشها ، ! عندما ادّعى مقدرته على قراءة الطالع ، ومعرفة البخت بوسائل عصرية ، ولكن هذه المحاولة العدوانية أحبطها أهل المنطقة ، وان كان صاحبنا ينتظر موت العرافة ، حتى يحظى بشرعية ممارسته لهذه المهنة .

عقلاء المنطقة رفضوا بشدة حذلقات المتعلمين ، وكذلك تفسيراتهم لسلوكيات صالح ، ولكنهم لم يقبلوا رأى البسطاء الذين أعتقدوا أنه من أولياء الله الصالحين ، واكتفوا باحتلال موقع الوسط ، وامتنعوا مثل كل العقلاء ، من اتخاذ مواقف محددة وصريحة حول هذه المسألة .

مسألة الحب والكره لم تكن واضحة عند صالح . . فلم يعرف عنه أنه كره أحدا ، كما أنه أيضا لم يظهر أى حب علني لأى أحد . . فهو على أى حال شخص قليل الكلام . . يؤمن بفضيلة الصمت . . وحتى وأن تكلم فان نفسه أولى بهذا الكلام . . أما الآخرون فليس لهم منه الا ابتسامة عريضة ، ولكنها ليست بلهاء على أى حال .

موقف صالح من المرأة كان مثل تمتماته . . غير مفهوم على الاطلاق . . ولم يعرف عنه أنه لاحق أيا من فاتنات المنطقة ، رغم أن البعض منهن لم يخف اعجابه بعضلاته المفتولة ، وصدره العريض ، وشعره الطويل المتهدل على كتفيه فى غير تأنث .

أما عن نظرته للوطن ، ومواقفه السياسية ، فلم تكن واضحة تماما ، وان كان دوما يظهر امتعاضه وكرهه الشديد كلما ترددت كلمة اليهود على ألسنة أهل المنطقة . . وكان ـ على ذمة أمه ـ يترحم دائما على روح والده ، فكل ما هو معروف أنه تسلل بعد نكبة عام ١٩٤٨ الى منزله القديم فى الأرض المحتلة لاحضار بعض القمح من « الخوابي » ، ولكنه لم يعد حتى الآن .

بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، وقعت مملكة صالح تحت الاحتلال اليهودى ، ومع هذا الاحتلال بدأت كلمات وتعابير جديدة تدخل قاموس هذه المملكة ،

مثل حظر التجول ، والبحث عن المخربين ، وحملات اعتقال ، وبطاقات شخصية . . ورغم أن الجميع فى المنطقة قد تقيدوا بتعليمات الحاكم الجديد ، واستوعبوا مفاهيم هذه العبارات دون استخدام القواميس ، الا أن « صالح » ظل متفردا فى التمرد والرفض ، ولم يغير برنامج حياته اليومى فى التجوال بحرية وبدون أى أوراق ، وأقل القليل من الملابس .

تجوال صاحبنا الليل أثار الهمسات فى أوساط مجالس المنطقة ، خصوصا بعد أن لاحظ البعض أن هناك مسدسا يتدلى من خاصرته بدلا من الخنجر . . وأدعى احدهم أنه شاهده فى احدى الليالى وهو يتقلد بندقيته من النوع الذى كان يتسلح به الجيش المصرى الذى كان يرابط فى المنطقة لحمايتها من العدوان ، وترك أكثر هذا السلاح بعد سقوطها فى يد اليهود .

هذا التطور المفاجىء فى حياة صالح أثار القلق والهمس فى جميع الأوساط . . القلق على حياته . . والهمس حول ما يمكن أن يفعله بهذه الاسلحة ، أو ما يمكن أن تسببه له اذا ما عرف الحاكم من خلال عيونه بأمرها .

اعتداءات الحاكم على عذرية منطقة صالح بدأت تتصاعد . . ولكنه لم يتصور أن تصل هذه الاعتداءات الى حدود مملكته الخاصة . . وتهدد باقتلاع مقره الدائم ، فقد قرر هذا الحاكم شق طريق ساحلى يخترق المنطقة ، ويسهل على العربات والدبابات عمليات مطاردة رجال المقاومة ، الذين بدأوا يتحركون وينفذون بعض الأعمال الفدائية ، ويلجأون للكثبان الرملية كقواعد آمنة .

ومن سوء حظ صالح أن هذا الطريق مر فوق شجرة أثله المفضلة التى رافقته فى رحلة العمر ، وشاركته معظم أسراره ، واطلعت على كل خفاياه ، واحتوت عند جذورها كل كنوزه من ودائع .

عندما وصلت الأشياء الى صالح عبر أهل الخير ، قال الرواة : انه أصيب بحالة هيستيريا لا يمكن وصفها ، وشوهد وهو يقبل أغصان أثلته غصنا غصنا ، ويبلل أوراقها المدببة بدموعه التى انهمرت وظهرت لأول مرة أمام البشر ، وقد هز هذا الموقف الحاضرين ، وأبكى كل نساء المنطقة وذوى القلوب الرقيقة من الرجال عندما سمعوا رواية الرواة عن الحادثة . فالجميع يعرفون حب صالح لهذه الشجرة ، بل أنها ربما كانت الحب الوحيد فى حياته .

فى فجر أحد الأيام التى تعد بالمزيد من المضايقات والقهر والاعتقالات ، أفاق أهل المنطقة على دوى انفجارات وطلقات رصاص تمزق السكون . . الانفجارات استمرت للحظات معدودة ، ساد بعدها صمت طويل قلق . . لم يجرؤ أحد من أهل المنطقة على استيضاح الأمر . . فالتجول محظور . . والسلطات لا ترحم .

مع الساعات الأولى لليوم المشمس بدأت ملامح الموقف تتضح . . عربة نقل عسكرية مدمرة ومحروقة تماما هى ومن فيها . . ومجنزرة أخرى معطوبة . . وبركة دماء .

على جانب الطريق كانت هناك جثة مشوهة لشاب عربى . . عارى الصدر . . كثيف شعر الرأس بغير تأنث . . وأصبع زائد فى كل قدم ويد . □

الأسود والأبيض !

فى الشعر الأفريقى تستطيع أن تلمس الحقيقة الطبيعية وهى أن الكثير من التعبيرات والمعانى تتناقض تماما مع ما نجده فى قصائد الشعر التى ينظمها الرجل الأبيض . فاللون الاسود عندهم دليل السعادة والعاطفة والحب والصحة ، بينما ترى اللون الأبيض وقد اقترن بالضعف والحزن والموت والقمع .

« اريك سلين »

ب

باندونج ، مؤتمر «ابريل ١٩٥٥»

في الثامن عشر من هذا الشهر تمر ثلاثون سنة كاملة على انعقاد مؤتمر باندونج التاريخي ، الذى عقد فى ذات المدينة التى يحمل اسمها فى اندونيسيا ، وقد حضر المؤتمر ٢٩ دولة افريقية وآسيوية ، واستبعدت منه الدول الغربية ، وان كانت قد مثلت بمندوبين غير رسميين . وسيظل مؤتمر باندونج إحدى العلامات الأساسية والرئيسية فى تاريخ الفكر السياسى ، ضمن ما يعرف بأهم أحداث عالم ما بعد الحرب العظمى الثانية ، فمنه تفرعت فكرة منظمة الدول الأفرو آسيوية ، وعرف العالم مجموعة دول عدم الانحياز ومبدأ الحياد الايجابي ، وعنه تبلورت أول فكرة لاجراء حوار بين الشمال والجنوب ، أو بين العالم الغنى والعالم الفقير ، وذلك لرفض الدول المشاركة فى المؤتمر للنظام الاقتصادى والسياسى الذى أفرزته الحرب العالمية الثانية ، وادانة الإجحاف اللاحق باقتصاديات بلدان العالم الثالث واستغلال ثرواتها . وأسفر المؤتمر ضمن ما أسفر عن تعزيز نضال شعوب العالم الثالث ، من أجل الاستقلال وتصفية الاستعمار ، وفيه برزت الصين كقوة دولية تحريرية ، الأمر الذى قاد بعد ذلك - وفى وقت لاحق - الى اجراء أول محادثات صينية - أمريكية فى جنيف ، وفى أروقة المؤتمر تم الاتفاق على أول صفقة سلاح من الصين الشعبية الى مصر . وعلى نفس مستوى الآثار والنتائج فقد كان لظهور كتلة المجموعة الافرو آسيوية فى الأمم المتحدة - بما تمثله من نصف سكان العالم ، والتى تتكون من الأقطار التى استقلت وقتها - أثر بالغ فى تغيير طبيعة العلاقات الدولية المعاصرة .

ولم يكن مؤتمر باندونج خطوة أولى لقادته (نهرو - تيتو - عبد الناصر - سوكارنو - شو اين لاى) بقدر ما كان خطوة على طريق طويل بدأ بالتحديد منذ عام ١٩٢٠ ، وحتى تبلورت فى باندونج عام ١٩٥٥ ، وبين التاريخين مرت الفكرة بعدة خطوات ومراحل ، فعقب انتهاء الحرب العظمى الأولى وانتهاء أعمال مؤتمر الصلح بباريس واعادة توزيع مناطق النفوذ وغنائم الحرب عقد فى العاصمة الفرنسية مؤتمر لممثلى « شعوب افريقيا وآسيا المضطهدة » ، وبعد هذا المؤتمر بثلاثة اعوام فقط عقد فى لندن عام ١٩٢٣ مؤتمر لنفس الغرض ، وبذات الاسم ، وفى نفس الوقت كانت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ أحد العوامل التى تساهم فى زيادة التفاعل فى المجتمع الدولى بمناهضة الاستعمار وتحرير شعوب العالم الثالث ، الأمر الذى أسفر فى النهاية عن انشاء رابطة مناهضة الامبريالية عام « ١٩٢٤ » والتى بادرت الى عقد مؤتمر للشعوب المقهورة فى موسكو .

وفى عام ١٩٢٧ عقد مؤتمر بروكسل الذى وصفه نهرو بأنه « أول تعبير حماسى لفكرة قدر لها أن تتحقق فيها بعد فى مؤتمر باندونج . وبعد الحرب العظمى الثانية توالت الأحداث وتصاعدت حركات مناهضة الاستعمار لتدفع العجلة فى اتجاه باندونج ، فكان

انشاء جامعة الدول العربية وانعقاد المؤتمر العربي بالقاهرة عام ١٩٤٤ ، ومؤتمر العلاقات الأسيوية في نيودلهي عام ١٩٤٧ الذى حضره أكثر من ٢٥ بلدا آسيويا،ناقشوا فيه مسألة تصفية الاستعمار والتخلف ، وفي نفس الوقت تشكلت في الأمم المتحدة كتلة من ١٢ بلدا ، أطلق عليها في البداية اسم المجموعة العربية الأسيوية ، ثم بعد انضمام مصر واثيوبيا اليها سميت بالكتلة الافرو آسيوية ، وكانت هذه المجموعة تحاول أن تنهج سياسة محايدة بين الشرق الغرب .

كل هذه المقدمات أوصلت الى مؤتمر باندونج الذى عقد في الفترة من (١٨ ـ ٢٥ ابريل ١٩٥٥) والذى كرس ولادة ما عرف بالمجموعة الأفروآسيوية كظاهرة معادية للاستعمار ، وفي عام ١٩٥٧ عقد مؤتمر القاهرة حيث حضره ٤٧ وفدا غير رسمي ، وصدرت عنه مقررات أكثر جذرية وتصلبا ضد الغرب ، وفي سبتمبر ١٩٦١ عقد مؤتمر بلغراد بغياب الصين والاتحاد السوفيتي ، وتحددت فيه فكرة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، وكان أبرز مشاركي المؤتمر (تيتو ـ عبد الناصر ـ نهرو) ، وفي عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ شهد العالم : استقلال كثير من الدول وانضمامها الى الأمم المتحدة ، وشيئا فشيئا أخذت تذوب فكرة تجمع البلدان الافرو آسيوية ، وتضيع في فكرة عدم الانحياز ، ويبدو أن حصول بلدان افريقيا وآسيا على استقلالها قد أسقط الهدف التاريخي الذى كانت تتحرك نحوه ، فلم تستطيع أن تتجمع هذه البلدان حول قضايا النظام الاقتصادى العالمي ، وديون العالم الثالث واصلاح النظام النقدى ، مثلما كانت تتجمع وتتخذ المواقف نحو الاستقلال السياسي الذى رغم نيل غالبية البلدان له مازال لدى البعض ظاهريا ، ولم تستطيع بعد أن تخلص نفسها من دائرة التبعية ، وتتجمع في موقف موحد ، مثلما كانت من ثلاثين عاما فقط .

اللثة

هـذا الجهاز النبيـل !

بقلم الدكتور : حكم المأمون

ما الذي تقدمه لنا اللثة من خدمات . . . ؟ وما هي الأمراض التي تصيبها ؟ وكيف نتجنب تلك الأمراض ؟ وما هي عواقب الاهمال ؟

هذا النسيج الوردي اللامع الذي يحيط باسناننا والذي يتكون من بشرة سطحية ، وتحتها نسيج ليفي مرن ، ثم الياف غرائية تتصل بالطبقة العظمية للفك السفلي (Mandibular) وكذلك بالنسبة للفك العلوي (Maxillary) ، وتحوي شرايين صغيرة وأوردة صغيرة كذلك ، ونهايات عصبية وغدد لعابية صغيرة . فماذا يفيد هذا الجهاز النبيل ؟

اللثة وخدماتها

أ - تثبت الاسنان الى العظم ، وتلتف كالسوار حول كل الاسنان فتمنعها من التخلخل .

ب - تحتوي اللثة على غدد لعابية صغيرة تشاهد مجهريا ، ترطب الأسنان وتنظفها من فضلات الطعام بشكل غريزي ، وتنظف أيضا الفم واللسان بواسطة اللعاب الذي يحوي في تركيبه على ٩٠٪ من الماء .

جـ - تشكل جهازا مناعيا بما تفرزه من مضادات حيوية وبعض الأدوية المتناولة عن طريق الجهاز الهضمي ، والتي تفرز عن طريق اللثة مثل الاريثرومايسين ، مما يؤمن صيانة الفم وجهاز الهضم وحفظهما من الأمراض ، كما تساعد في ذلك اللوزتين كجهاز مناعي خلفي داخل البلعوم .

د - ان اللثة تشكل بالنسبة للطبيب المرآة الصادقة والصحيحة والمؤشر الأول والأكيد لكثير من أمراض الجسم العامة ، مثل اليرقان وعسر الهضم وداء السكر وفقر الدم واللوكيميا وغيرها من الأمراض الجلدية مثل الزهري . . . الخ . مما يساعد الطبيب على الكشف المبكر للمرض ومعالجته قبل أن يستفحل .

الأمراض التي تصيب اللثة

تنقسم امراض اللثة من الناحية الأكاديمية الى ثلاثة أقسام وهي :

اصابة اللثة بالضمور (Atrophy)
اصابتها بالاستحالة (Displasia)
اصابتها بالأورام السليمة (Benign) والخبيثة (Malignant)

وأشهر الأمراض اللثوية من الناحية السريرية (النساع) ، داء تخلخل الاسنان ، انه مرض لثوي عظمي ، ذو علاقة كبيرة بالأمراض العامة وليس بمرض سني . والمعالجة السنية فيه معالجة مرحلية ليس الا ، وسببه الباكتريود ، الذي اكتشفه ودرسه الطبيب الأمريكي ماك دونالد (١٩٠٥) وهو عبارة عن مزيج جرثومي طفيلي يتألف من المغزليات والخيطيات والعصيات وأحيانا الميضات البيض ، حيث يتواجد في أمعاء المريض ويثبت نفسه في الجيوب اللثوية المرضية ، وهي عبارة عن مسافة واسعة بشكل كيس صغير جدا يفصل بين السن واللثة ، من جميع الجوانب قرب أعناق الاسنان .

واصابة اللثة بهذا المرض يدل الطبيب على مؤشرات كثيرة منها داء السكري وفقر الدم وغيره . . . الخ .

ومن أشهر الأمراض أيضا القلاع ، وهو معروف تماما لدى الناس ، بأنه بقعة صغيرة مؤلمة لونها أبيض مائل للاصفرار ، تظهر على باطن الشفة أو الخد أو في دهليز الفم ، بين اللثة وباطن الخد ، وهي مؤلمة جدا وسببها فيروسي ، ومعالجتها موضعيا بالكي بواسطة محلول نترات الفضة ١٪ . أما بقية أمراض اللثة فهي عرضية ان لم تكن ذات منشأ هضمي أو جهازي ، أي بسبب أمراض عامة مستوطنة أو أمراض وراثية . وهناك بعض التناذرات أي المتلازمات التي وصفها العلماء مثل ـ تناذر كوشر ، وتناذر خلوصي بهجت (آفات قلاعية اندفاعية على الجهاز التناسلي ، آفات اندفاعية على الملتحمة ، فرط نشاط الدرق وجحوظ في العينين) وداء باجيت وغيرها من الأمراض التي تتبدى اللثة فيها بضخامة غير طبيعية . وهناك ضخامة لثوية تنشأ من تناول بعض الأدوية ، مثل الديلانتين وهو دواء مضاد للصرع والسكوبولامين وغيره . . الخ .

وهناك أيضا مظاهر لثوية لمرضى بعض المهن مثل مهنة (عامل المطبعة) وعامل الدهان وكلها تصبغات لثوية ناتجة عن ترسبات لمواد كيماوية داخل اللثة مثل الزئبق ـ الرصاص ـ الزرنيخ . . الخ ، مما يؤدي الى تسمم هذا الجهاز النبيل وضموره وتأذي الخلايا الحية فيه وابعادها عن وظائفها الحيوية والفيزيولوجية . وهناك أيضا عقيدات بون وهي أورام سليمة بشرية

بشكل انتفاخات صغيرة بيضاء ، تظهر على الفك السفلي لدى الطفل الحديث الولادة ، وتزول تلقائيا . وكذلك لآلىء ايشتين وتظهر في قبة الحنك . وهي من الأورام البشرية التطورية .

الاسقربوط

مرض قديم ومعروف ، سببه نقص فيتامين (C) له مظاهر لثوية مرضية معروفة ، أصيب به جنود نابليون بونابرت في غزواتهم البحرية في المحيط الاطلسي .

الطلاوة

وهي غشاوة رمادية مائلة الى اللون الفضي ، تظهر على اللثة أو اللسان أو الشفة أو باطن الخد ، وأحيانا على الأصابع ، ولها ميل كبير للتسرطن ، وسببها وبشكل رئيسي وأكيد ، التدخين بأنواعه .

هذه بعض أمراض اللثة بشكل موجز ، لأن الخوض في هذا الموضوع لا يكفيه مجلدات عديدة .

فكيف نتجنب أمراض اللثة وعواقبها ؟

إن أول من يكتشف بعض الأمراض العامة التي لها تظاهرات خاصة بالفم مثل فقر الدم أو سرطان الدم أو الداء السكري ، هو طبيب الاسنان ، حيث يلاحظ لدى المريض لثة متورمة حمراء لماعة حليماتها منتبجة ونازفة - أو يلاحظ لثة كامدة تحوي على بقع سوداء وحليمات ضامرة باهتة خشنة الملمس .. الخ . يطلب الطبيب فورا من المريض اجراء بعض التحاليل الطبية ثم الباثولوجية ، ثم يقدم للمريض النصائح التالية :

- مراجعة طبيب الصحة العامة أو الطبيب الاخصائي لمعالجة مرض ما ، وابراز التحاليل ودراستها ، حيث تساعد الطبيب كثيرا في معرفة التشخيص المناسب .

- عدم وضع الأوساخ والعيدان الوسخة وأقلام الرصاص من قبل الأطفال داخل الفم ، وابطال عادة مص الأصبع و[illegible] وغيرها وهي من

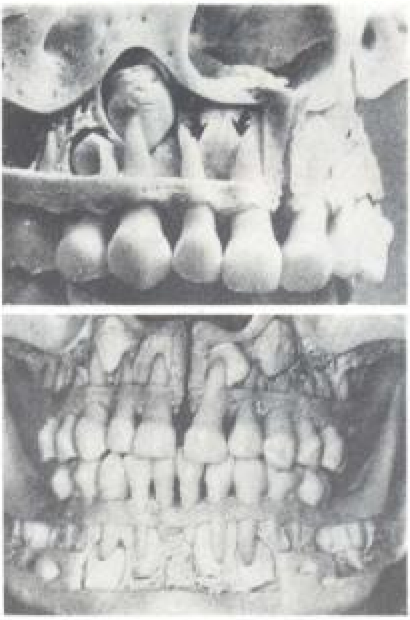

اذا فقدت اللثة .. كيف تكون الحالة لدى الانسان الآدمي ؟

العادات السيئة لدى الصغار وتلاميذ المدرسة .

- تنظيف الاسنان بشكل دوري كل ستة عند طبيب الأسنان ، وفحصها كل ستة أشهر ، واستعمال المسواك أو فرشاة الأسنان بعد كل طعام .

- المحافظة على استعمال معاجين مزودة بالفلورايد ، والمحافظة على تناول فيتامين C-D-B) complex) بشكل مناسب، لأن نقص الفيتامينات كثيرا ما يؤذي اللثة ويجعلها شاحبة متورمة - محمرة - نازفة . . . ويؤدي أحيانا الى تخلخل الأسنان (الدرجة الرابعة) .

- المضمضة بسوائل مطهرة مثل (دانتول) - أو سائل بونان أو صبغة اليود بين فترة وأخرى حسب ارشاد الطبيب .

- عدم الافراط في وضع (الكوردون) نكاشة الأسنان بين الأسنان ، لأنها غالبا ما تحدث تهدما بالنسيج اللثوي وتقيحه ، اذ تتكسر بين الأسنان وتؤدي من جديد الى تراكم الأطعمة والالتهاب اللثوي والنخر .

- نخر الأسنان يؤدي الى اصابات لثوية مختلفة - احتقان - تواج - أكياس - خراجات - مراجل لثوية وغيرها ، لذلك يجب الاسراع الى ملء الاسنان النخرة بالمواد الحاشية الطبية المعروفة .

- عدم اللجوء الى باعة الأسنان المتجولين الذين يصنعون للناس تركيبات سيئة غير علمية وغير مدروسة ، وبالتالي تؤدي الى نشوء خراجات لثوية وتقيحات نحن في غنى عنها في القرن العشرين .

- الابتعاد ما أمكن عن عادة التدخين بجميع أنواعه ، أو الاقلال منه ما أمكن ، لأنه يسبب الطلاوة في حالات متقدمة منه ، ويصاب بالطلاوة من الامريكيين في كل عام حوالي ٤٥٪ من المدخنين المتقدمين للفحوص عند أطباء الأسنان ، ٢٥٪ من هؤلاء تحولت الطلاوة لديهم الى سرطان شائك الخلايا في عام ١٩٦٨ .

- الاسراع في لقاح الأطفال ضد بعض الأمراض السارية ، مثل الحصبة والسل وحمى التيفوئيد

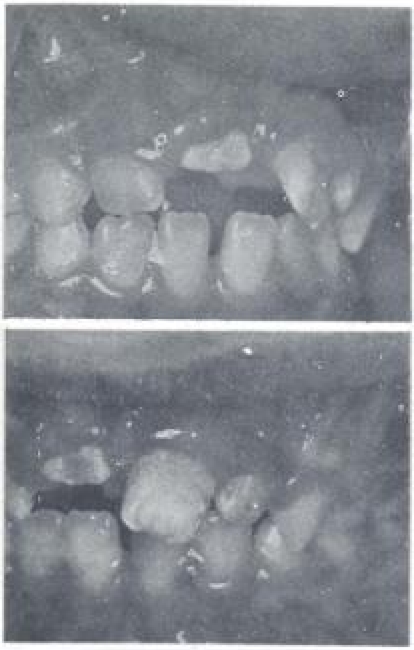

اهمال العناية بالأسنان عند الأطفال

الورم الحملي

وغيرها ، لأنها ذات أعراض لثوية مزعجة عند الأطفال .

- اعتناء الأم الحامل بتنظيف أسنانها لأن الورم اللثوي الحملي ، سببه اهمال نظافة الأسنان لديها أو وجود نخر قديم ، وهو ورم سليم يزول بزوال السبب .

- المواظبة على تدليك اللثة بالاصبع المرطبة بالماء والنظيفة ، مما يؤمن تروية دموية جيدة للثة وباطن الخد .

نصائح الى فاقدي الأسنان

- غسل الوجبة (طقم الاسنان) جيدا بعد كل طعام بالماء والصابون وفرشاة الأسنان ، ثم وضعها بمحلول مطهر بعد العشاء حتى اليوم التالي .

- استعمال بعض المضامض المطهرة قبل النوم مثل محلول (أودول) أو سائل **(Atorhinal)** وتدليك اللثة بالاصبع المبللة بالماء .

- تغيير وجبات الأسنان اذا كانت قديمة وذات أسنان غير فعالة في القطع ، وذلك مما يقلل الارهاق اللثوي والخدوش والضغط السلبي على اللثة وبالتالي ارهاق عضلات المضغ ، مما يسبب بعض الآلام المزعجة للمريض .

وننصح المرضى بمراجعة اخصائيين في الغدد الصم اذا ما تعذر اكتشاف اسباب بعض الأورام اللثوية من قبل طبيب الاسنان ، لما لها من علاقة كبيرة بأمراض الغدد الصم مثل ضخامة الغدة الدرقية ، وضمور الفص الامامي للغدة النخامية . □

العربي
عيونك على العالم

ملقا...
وصراع تحت الشمس

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

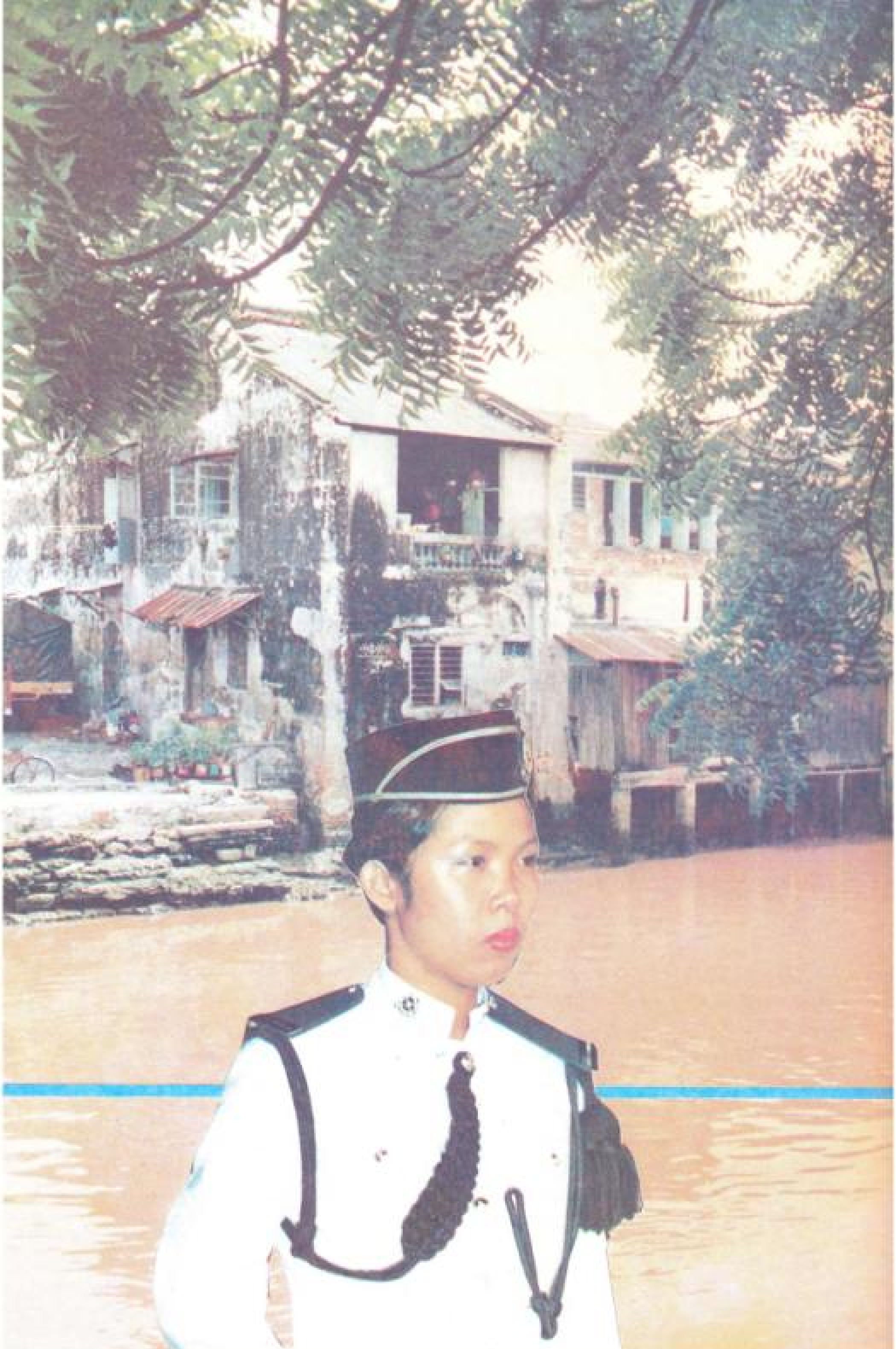

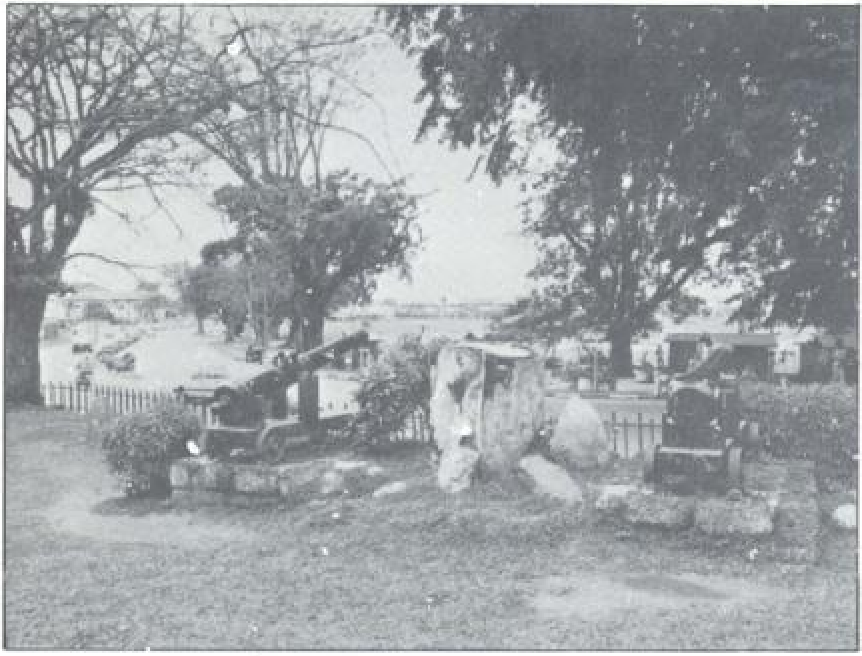

ملقا .. اسم لمدينتين .. تبعد كل منها عن الأخرى عشرات الآلاف من الأميال .. إحداهما في جنوب شرق آسيا .. والثانية في جنوب شرق أسبانيا .. ولكنها تشتركان معا في أنها كانتا نقطة انطلاق لانتشار الاسلام في البلاد التي تتبعها كل منها .. واذا كانت ملقا الأسبانية غير مجهولة للكثيرين .. فماذا يمكن أن نعرف عن ملقا الأسيوية ؟

***

ماذا تقول عن مدينة .. عاشت طوال عمرها الذي يتجاوز ستمائة سنة - جميع أنواع الصراعات .. وهي قابعة على مداخل خليج ضيق ، تتصارع على صفحته مياه المحيط الهندي الصاخبة ، ومياه المضيق المخنوقة ، مع مياه النهر العذبة الهادئة ..

وطوال السنوات الستمائة ، ظلت الشمس تشهد - خلال المسيرة بين الشروق والغروب - مختلف الصراعات التي تجري على أرض ملقا .. صراع القراصنة .. صراع الأشقاء .. صراع الأصدقاء .. صراع شعب يبغي الحرية .. صراع المقاومة ضد الاستعمار .. صراع المستعمرين وجها لوجه .. ثم صراع القديم والجديد ..!

وكل ذلك .. ما تزال آثاره باقية في كل ركن وزاوية وشارع ومبنى .. تشم فيها كلها عبق التاريخ ..!

ومع أول خطواتك في شوارع المدينة - التي تعتبر أبرز المدن التاريخية في ماليزيا - تتنسم ريح أول الصراعات .

فهنا - كما في كل مكان من شبه جزيرة الملايو - تحكي ملامح الوجوه كيف تكون مزيج من الملايويين والبرتغاليين والهولنديين والصينيين والهنود والعرب والانجليز وأجناس أخرى كثيرة .. كما تحكي الأطلال التي مازال بعضها صامدا،كيف اختلطت المعابد الصينية والهندية بالقلاع البرتغالية والأسوار الهولندية والمباني الانجليزية والمساجد الاسلامية .. وخاصة حين كان الغزاة الأوربيون يلجأون لانشاء حصونهم ودفاعاتهم إلى هدم القبور والمساجد ليستخدموا حجارتها لتقوية مبانيهم ..

وحين تلتقي بالناس تجد أن أجيالا كثيرة تداخلت فيها العناصر الملايوية والصينية والبرتغالية .. وتعرف أن الصينيين الموجودين في مدينة ملقا يطلقون على

أنفسهم اسم « نيوتاس » و « وباباس » . بمعنى السيدات والسادة من السلالة الصينية . . وقد تميزوا بطريقتهم الخاصة في الحياة وبتقاليدهم وعاداتهم التي يتبعونها وفيها الخليط من العادات الملايوية الصينية . وتجد جماعات يتكلمون اللغة البرتغالية من أبناء الشعب . . ولكنهم يتكلمونها بلهجة خاصة تسمى « كريستاو » ويسميها البعض لغة البرتغاليين في القرن السادس عشر . وتدرك أن أصحاب هذه اللغة هم أحفاد البرتغاليين المستعمرين الأوائل . . وهم يقيمون في مجتمعات مستقرة في ملقا . . على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من وسط المدينة . . على شواطىء المضيق . . ويبلغ عددهم حوالي ٥٠٠ فرد أغلبهم من الصيادين .

عودة الى الماضى

على أن ملقا بالذات لم تظهر إلى الوجود كمدينة قوية الا مع أحداث قصة ارتبط بها الاسم الذي عرفت به بعد ذلك طوال التاريخ . .

فهناك . . في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الملايو . . كانت جزيرة سنغافورة تتعرض باستمرار لهجمات متواصلة تشنها عليها امبراطورية « ماجاباهيت » الهندية في جاوة . وكانت الجزيرة في الأساس ـ تحت حكم ملكها « بارامزوارا » آخر ملوك تيماسيك الذين حكموا سنغافورة طوال قرنين ـ تتمتع بنفوذ وسلطان تجاري أثار أحقاد الجاويين . وكان لابد للهجوم المركز على الجزيرة أن يتيح النصر في النهاية للامبراطورية الهندية القوية ، وأن يضطر الملك للهرب ، ومعه ١٥٠٠ من أتباعه وأفراد أسرته ، حيث استقر بهم المقام على الساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة عام ١٤٠٣ .

ويحكون أنه حدث يوما ـ بينما كان الملك الطريد يقوم برحلة صيد في الأرض الفسيحة القريبة من إحدى قرى صيادي السمك ـ أن شهد معركة ضارية بين أحد كلابه المدربة وغزال أصر على المقاومة بعنف حتى استطاع أن يفلت بحياته . وهتف الملك : ياله من غزال شجاع . . إن هذه الأرض التي تنجب مثل هذه الغزلان تثير إعجابي . . فحطوا هنا رحالنا .

ووقف الملك يتابع رجاله وهو يستظل بشجرة وارفة الظلال . ورفع بصره إليها يتأمل أغصانها وأوراقها . . إنها شجرة « ملاكا » . وإذن فلتكن ملاكا هي الاسم الذي يطلقه على مقره الجديد . وتحت حكم « بارامزوارا » من هذا المقر امتدت ملاكا ـ والتي تعرف الآن بملقا ـ لتصبح من أهم الثغور ومراكز التجارة في منطقة جنوب شرق آسيا .

يقول لنا مرافقنا « باشو » وهو يشير الى الشاطىء المقابل من النهر حيث تستلقي مجموعات من البيوت القائمة على أعمدة ترفعها عن سطح الماء وتتحرك بينها قوارب كالجندول :

ـ هنا كان أول لقاء بين « بارامزوارا » ومملكته الجديدة . . وحيث تلتقي مياه المضيق بمصب النهر ، التقى الملك ورجاله بالتجار العرب وصيادي الأسماك الذين أسعدهم أن يلتقوا بملك قادم من الجنوب .

ويعتقد بعض المؤرخين أن ملقا أو « ملاكا » محرفة من كلمة « ملاقاة » العربية للدلالة على أنها كانت موقعا يتلاقى فيه التجار من مختلف البلدان والشعوب منهم الهنود والفرس والعرب .

أهالي البلاد والاسلام :

يضيف الحاج باشو : الملك « بارامزوارا » هو نفسه السلطان محمد اسكندر شاه كما تسمى بعد أن اعتنق الاسلام .

فقد حدث يوما أن رست على شواطىء ملقا سفينة آتية من جدة ، يقودها سيدي عبدالعزيز . . أحد القضاة القادمين من بلاد العرب .

وأحسن الأهالي استقبال الرجل الذي كان يتحدث عن الاسلام وفضائله ، وحين سمع الملك عن وجود القاضي العربي في أرضه ، دعاه الى القصر .

وكانت فرصة مناسبة عرف سيدي عبدالعزيز خلالها ، كيف يملأ صدر الملك بالإيمان بالدين الجديد . وبعد أن أعلن الملك إسلامه ، دعاه الشيخ لأن يتخذ اسما جديدا يحمل اسم النبي العظيم . . . فتسمى بمحمد اسكندر . . ودعا أهالي البلاد إلى الهداية معه فاستجابوا له ، وقامت بذلك أول مملكة إسلامية في هذه البلاد . . ومنها أخذ الاسلام ينتشر في بقية أنحاء شبه الجزيرة .

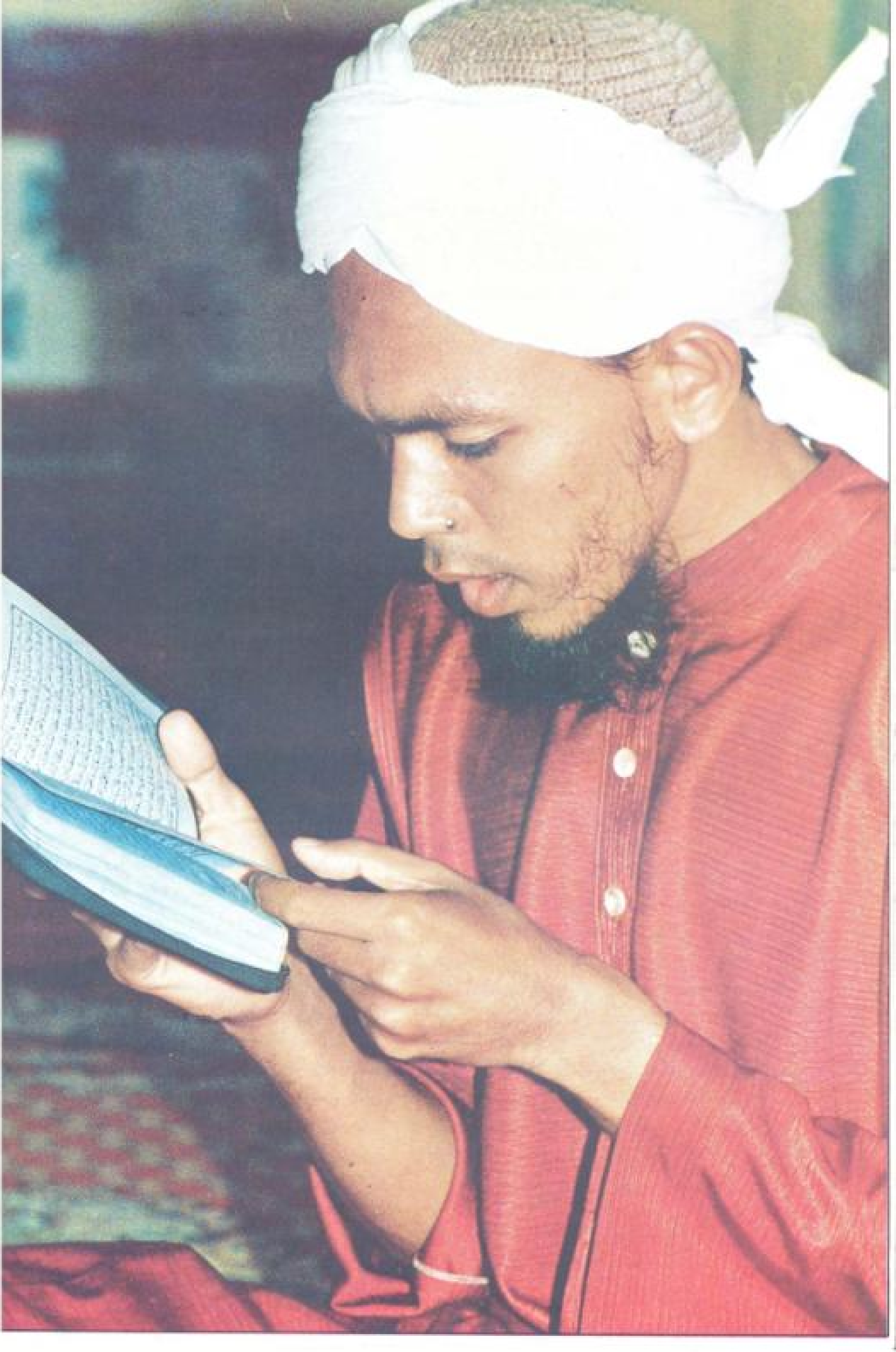

مسجد «ترانكويراه» بمئذنته التاريخية مثال حي على تقدم الفن المعماري بجزيرة سومطره بأندونيسيا في ذلك الزمن . . أما المنبر حيث يلقي الامام حاجي رحمة شاه خطبة الجمعة فطرازه صيني مذهب وقد أقيم منذ ٢٥٠ سنة . والى اليمين مقرىء المسجد يتلو في كتاب الله .

على جســـر ملقـــا :

فى عهد السلطان محمد الاسكندر شاه ازدهرت مملكة ملقا الاسلامية ، وامتد نفوذها واتساعها حتى أصبحت أقوى دولة فى جنوب شرق آسيا . وبلغ عدد سكانها وهى فى ذروة قوتها ، حوالى ٤٠ الف نسمة أغلبهم من الملاويين وبعضهم من المستوطنين الصينيين والهنود . وامتدت المدينة على جانبى النهر وانقسمت الى شطرين . . على الجانب الجنوبى قصر السلطان والقرى الملاوية . . وعلى الجانب الشمالى بيوت ومخازن التجار الذين يمثلون الثروة والرخاء واليد العاملة للمدينة .

ونقف على شاطىء نهر ملقا ونطل على الجسر الجديد الذى يربط بين الجانبين . . تماما كما كان مثله يربطهما قبل مئات السنين . .

زرافات من الناس تتحرك على الجسر حيث لجأ بعض التجار الى إقامة محلات صغيرة وأكشاك على جانبيه . وعربات « التريشو » ذات العجلات الثلاث تحمل الزوار ، ليشهدوا معالم المدينة بطرقاتها الضيقة ودكاكينها القديمة ومعابدها المتباينة ومساجدها التى تختلط فنون معمارها . ولا بأس من أن ينزلوا من « التريشو » عند بعض الأماكن ليتجولوا بين الخرائب والآثار .

هنا تبدو صورة التاريخ اكثر وضوحا . . فعلى الجانب الأيمن ، حيث تقوم مبان هي أدلة حية للمستعمرين الذين توالوا على ملقا ، كان مقر السلطان قبل مئات السنين يبدو بسيطا وهو يمثل عصب الحياة . وكان للفلاحين والصيادين والتجار والاشراف الحق في أن يتقدموا بمطالبهم الى السلطان فى قاعة المظالم . . حيث كان يجلس فوق منصة عالية يحيط به رجال البلاط وأركان الحكم .

من ذلك القصر انطلق رجال السلطان يزرعون حبوبا جديدة لم يكن السكان من الصيادين يعرفونها من قبل . وبدأ عدد منهم يتحول إلى الفلاحة لاستثمار الأرض . واكتشف الرجال خلال حرثهم للأراضى الداخلية رواسب القصدير . وبالتدريج ـ ومع نمو المجتمع ـ بدأت السفن المارة بالمضيق تقف عند ملقا للتزود بالطعام وأنواع التجارة . وبدأت أخبار هذا الميناء الجديد تنتشر ليتمتع من بعد بمركز تجارى هام ولتلتقى فيه تجارة الصين والهند والعرب ، ولتتدفق الأموال والثروات على المدينة من خلال الضرائب والمكوس التى كانت تفرض على البضائع الآتية إليها . . كل ذلك فى الوقت الذى أصبحت فيه مركز اشعاع ودعوة للاسلام .

وفى الواقع أن ملقا لم تكتسب أهميتها فقط من وقوعها على الطريق التجارى الرئيسى الذى يربط الشرق بالصين ، والغرب بالهند وأوروبا ، ولكنها أيضا تتميز بأن الميناء عميق إلى الحد الذى يكفل سهولة الابحار والمرور ، كما أنه لا يتعرض للتيارات المائية أو الدوامات العنيفة ، أما الرياح الموسمية الشمالية الشرقية فتفتح الطريق أمام السفن الصينية والسيامية والجاوية ستة شهور فى السنة . . وفى مايو تقبل السفن العربية والهندية مع الرياح الموسمية الجنوبية الغربية .

الصيـــن والحمايـــة :

فى ذلك الوقت كان امبراطور الصين « مينج » يمد نشاطاته . وفى عام ١٤٠٩ أرسل قائده البحرى الأميرال « شينج هو » لزيارة ملقا وإبلاغ حاكمها استعداده لأن يسبغ عليها الحماية لمواجهة المعتدين . وحمل الاميرال معه هدايا من البورسلين الصينى الملون لكسوة جدران وأسقف قصر السلطان .

واستقبل السلطان بسعادة بعثة « مينج » والعرض الذي حملته معها . فقد كان يأمل من وراء ذلك أن يضمن الحماية فى مواجهة السياميين (التايلنديين) الذين كانوا قد أخذوا يتجهون جنوبا خلال شبه جزيرة الملايو باتجاه ملقا .

ومع استجابة السلطان للعرض الصينى ، أعلن الامبراطور أن مملكة ملقا تحت الحماية الصينية . وأكد ذلك بعهد مكتوب وعباءة حريرية ومظلة صفراء ، هي الرمز الملكى الذى ما زال قائما حتى الآن فى ماليزيا .

وكان استعداد السلطان محمد اسكندر شاه لقبول الحماية الصينية خطوة دبلوماسية ذكية ، لأنها لم تسبغ الحماية فى مواجهة السياميين فحسب ، بل لقد منحت أيضا قيمة واحتراما لملقا ، وأتاحت لها الفرصة

لمزيد من الاهتمام بتجارتها وتنمية مواردها ودعم مركزها كميناء تجارى هام .

إلى المعبد والتل الصينى :

تاريخ هذه العلاقات مع الصين ندركها ونحن نتجاوز مداخل المدينة عابرين الجسر الى طريق « جيلاتجانج » . هنا نقف عند معبد « شنج هون تنج » أقدم المعابد الصينية فى المنطقة . والذى يعود الى الروّاد الأوائل من الصينيين حين زار الاميرال « شنج هو » ملقا موفداً من الامبراطور « مينج » .

المبنى يبدو مثلا رائعا لجمال العمارة والفن الصينى ، بسقفه المنحنى وزخارفه البارزة ، وتماثيل الأساطير والحيوانات والاقنعة والطيور والزهور المنقوشة بالزجاج الملون والبورسلين .

على بوابات المعبد التى تتصدرها رسوم التنين . . نقوش حفرت على الأحجار ذكرى للزيارة التى قام بها الاميرال الصينى . . أمّا داخل المعبد فممرات كالكهوف يتصدر كل ركن منها أحد التماثيل البوذية تتقدمها الشموع ويضوع حولها أريج البخور .

ويتحرك الرهبان البوذيون فى أرديتهم الصفراء بين الاعمدة . . بينما المتعبدون الصينيون برءوسهم المحنية يتنقلون بين تمثال وآخر ، من تماثيل بوذا وهم يحملون أعواد البخور فى أيديهم ، ينشرون ريحها ليعبق المكان .

ثم نتحرك الى التل الصينى فى الجهة الأخرى من المدينة . هذا التل يحمل أكثر من صورة من تاريخ العلاقات مع الصين .

والتل الصينى . . أو « بوكيت شينا » كما يحبون أن يسموه له قصة طريفة . . .

بين الإبر الذهبية وذرات الدقيق :

فالعلاقات الصينية مع سلطنة ملقا كانت قد توثرت بعد أعوام من موت اسكندر شاه ، الذى ترك ميناء تجاريا مزدهرا ، ودولة بدأت تتوسع لتشتمل على الساحل الغربى لشبه جزيرة الملايو ، بما فى ذلك « ماهانج » وأغلب الساحل الشرقى لسومطرة ، وازدهر فيها الاسلام ازدهارا كبيرا .

وحوالى عام ١٤٦٠ عندما كان السلطان منصور

تقع مدينة ملقا ـ وهى عاصمة ولاية ملقا احدى الولايات الثلاث عشرة التى يضمها اتحاد ماليزيا ـ على بعد ١٥٥ كيلومترا من كوالالمبور العاصمة الاتحادية . . وهى تشرف على مضيق ملقا ـ طريق المرور الرئيسى للتجارة بين سواحل شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة ـ وهى فى الوقت نفسه تسمى (مدينة التاريخ الحى) والصلة الوثيقة بين الماضى والحاضر .

شاه يحكم ملقا ، أبحرت سفينة صينية الى الميناء ومعها أوامر خاصة من « ابن السماء امبراطور الصين » . وكانت زينة السفينة تتدلى من زخارفها مسلات وإبر مصنوعة من الذهب . وكان قائد السفينة يحمل رسالة من ابن السماء إلى السلطان تقول :

« ان كل إبرة ذهبية يقابلها فرد من افراد شعبي ، فإذا استطعت أن تحصى عددها فستدرك مدى قوتى » .

وأحس السلطان بهزّة ولكنه لم يشعر بالخوف . وكان رده على الامبراطور أن أرسل سفينة مليئة بأكياس الدقيق ومعها رسالة تقول :

« إذا استطعت أن تحصى حبات الدقيق على هذه السفينة فربما استطعت ان تخمن عدد أبناء شعبى الذين يستطيعون المقاومة . . وستعرف عندها مقدار قوتى » .

معبد (شونج هون تينج) . . وعند بواباته نقوش حفرت على الاحجار وزينت السقوف والحوائط بالعديد من الصور والرسومات التي تصور الأساطير الصينية القديمة .

هكذا تستلقي التحف والمشغولات اليدوية على مداخل القلعة . . والباعة الصينيون في انتظار المغرمين بهذا النوع من المصنوعات الفنية . .

عربة « التريشو » وسيلة الانتقال التي يتمتع بها الزوار والسياح في جولتهم لزيارة معالم ملقا التاريخية .

المباني الهولندية التي مازال بعضها قائما بناها الهولنديون بأحجار وردية اللون أحضروها معهم من مدينة « زيلاند » في هولندا ، ونقلوها الى ملقا في السفن التجارية كأثقال توازن أحمال السفن . وفي ملقا تعتبر الأحجار الوردية اللون كدليل على تقدم الفن المعماري الهولندي . والمبنى الذي يظهر في الصورة بني بين عامي ١٦٤١ و ١٦٦٠ وهو الآن مبنى المجلس المحلي والمكاتب الحكومية .

الشوارع الضيقة منذ العصور الوسطى والمباني القديمة والمحلات الصينية تحكي عن ماضي يتجاوز ٣٠٠ سنة حين كانت ملقا من أكبر المراكز البحرية لتجارة الهند الشرقية ، ومركزا للصراعات بين عتاة المستعمرين للسيطرة عليها والاستيلاء على ثروتها الهائلة من التوابل والتحكم في تجارة الحرير .

وأثار ذلك الرد اهتمام الامبراطور واعجابه . . فما كان منه إلا أن أرسل ابنته الأميرة « هونج ليم بو » للزواج بالسلطان منصور شاه . وذهب معها وفد يضم ٥٠٠ وصيفة كلهن غاية في الجمال . وحين استقبل السلطان عروسه ووصيفاتها ، أصدر أمرا بتخصيص مكان لاقامتهن هو التل الذي سمي « بالتل الصيني » أو « بوكيت شينا » .

وأعلن أن هذه المنطقة تكون ملكا خاصا لهن لاتسترد منهن أبدا وحتى اليوم فان « بوكيت شينا » ملكية خاصة للمجتمع الصيني في ملقا . وقد أصبحت أكبر المدافن الصينية خارج الصين وتغطي مساحة من الارض تقدر بحوالي ٦٥ فدانا . . وتاريخ معظم المقابر الموجودة بها يرجع الى عصر امبراطورية « مينج » .

ويأخذنا مرافقنا الى أسفل التل حيث بئر تحوطها الاسلاك من كل جانب . . . تسمى « بئر السلطان » .

البئر أقامها اتباع الأميرة « هونج ليم » . . وماؤها غاية في العذوبة والنقاء لا يغيض أبدا حتى في أيام الجفاف الشديد . .

وتوجد أسطورة مشهورة تقول ان من يشرب من بئر السلطان لابد أن يعود مرة اخرى إلى ملقا . وتحكي الأسطورة بأن الاميرال « شينج هو » الذي شرب من ماء ذلك البئر ، قد عاد في أيامه الاخيرة اكثر من مرة إلى ملقا التي تعتبر مدينة الأساطير القديمة . .

وحول البئر رأينا الكثير من الصينيين والزوّار يقفون من وراء الأسلاك ويرمون فيه العملات المعدنية على أمل ان تتحقق رغباتهم بعد أن تحول بئر السلطان الى بئر أسطوري لتلبية الرغبات والأمنيات . .

صراع الأصدقــــاء :

في الطريق ونحن نترك بئر السلطان منصور شاه .·. يحكي لنا مرافقنا بعض ما كان يدور من أحداث في القصر . .

في ذلك الزمان كان الناس يؤمنون بالولاء المطلق للحاكم . لايستطيع أحد مخالفة أوامره ولا يجرؤ أحد من أبناء الشعب أيا كان على ارتداء اللون الأصفر لأنه اللون الملكي . . لا يرتديه الا السلطان والأمراء . . وكان ذلك الولاء الذي يدين به أبناء الشعب للسلطان قد برز خلال أيام الملك مظفر شاه الذي كانت أمه من عامة التاميل المسلمات . . والذي أعلن الاسلام دينا رسمياً للدولة . وكان ملكاً قوياً سن أول دستور ومبادىء للقوانين . . لهذا حظي بولاء مطلق من الشعب . .

بل لقد كان الولاء أيضا مطلقا من رجال السلطان . . فذات يوم جاء رئيس الوزراء الى باب السلطان الذي لم يكن يغلق أبدا ، فلاحظ أن الباب كان مغلقا ولم يدر بخلده ان الباب قد يكون أغلق بفعل الريح . بل تصور ان السلطان هو الذي أغلق الباب في وجهه غضبا عليه . واستدار رئيس الوزراء عائدا الى بيته ، وهناك قتل نفسه منتحرا بالسم . . !

وحين تولى « تون بيراك » رئاسة الوزارة في عهد منصور شاه ، استطاع أن يثبت ولاءه للسلطان بمقاومته بنجاح لغزوة سيامية . . وقد كان « بيراك » وراء التوسع الكبير للدولة وسياستها حيث بلغت ملقا قمة مجدها . . وكان هذا المجد عائدا الى جهود بيراك وإخلاصه في الولاء للسلطان ، حيث شيد قوة عسكرية كبيرة وأعد محاربين أشداء تحت اسم « الهانج » كانوا وسيلة للتوسع والانتصار على عدد كبير من الممالك المجاورة .

كان من بين رجال بيراك شاب اسمه « هانج توا » فتى بالغ الوسامة حتى لقد كان يدير الرءوس حيثما ذهب . . وحين انضم إلى بعثة مالقية كانت تزور « ماجاباهيت » في جاوا ، وحظي باعجاب النساء هناك ، نسي مكانته واستسلم لغوايتهن ، مما أثار عليه غضب السلطان ، فأمر بأن يرسل إلى الموت جزاء فعلته . ولكن رئيس الوزراء العطوف اكتفى بوضعه في السجن . وحدث يوما أن واحدا من أعز أصدقاء توا هو « هانج كاستورى » ضبط وهو على علاقة باحدى محظيات السلطان . وحوصر الفتى في القصر ، ولكن أحدا لم يستطع أن يهاجمه لشجاعته وقوة شكيمته . . فقد كان على مستوى القوة التي يتمتع بها صديقه « توا » . وحين تذكر السلطان ذلك

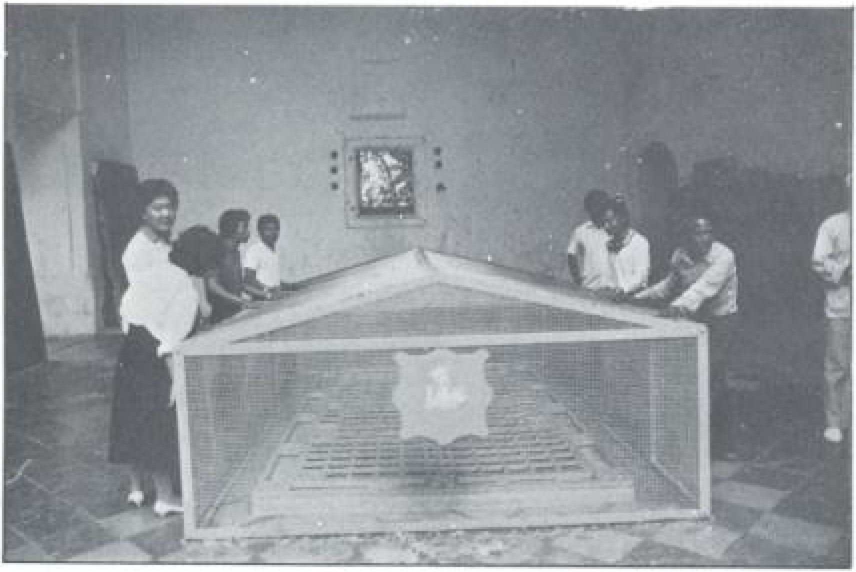

بئر السلطان . . اسطورة ملقا التى تقول إن من يشرب من مائها لابد أن يعود الى المدينة مرة أخرى . . ويحيط الناس الآن بالبئر الذى أحيط بالاسلاك ويرمون فيه العملات المعدنية لتحقق رغباتهم .

ندم على قراره بإعدام توا . . ولكن رئيس الوزراء أخبره بأنه لم يرسله الى الموت بل أبقاه فى السجن . وأنه مايزال حيا . واستدعى السلطان الفتى من سجنه وأمره بأن يقتل بنفسه صديقه كاستورى .

ودارت مبارزة عنيفة بين الفارسين الصديقين ، سمح كاستورى خلالها ثلاث مرات لصديقه توا أن يخلص خنجره حين انغرز بالجدار . ولكن توا رفض أن يمنح صديقه نفس الفرصة حين حدثت له . . فقد تظاهر بالتوقف عن القتال ودعاه لتخليص خنجره من الجدار . . وحين استدار كاستورى ليسترد الخنجر أسرع توا فغرس خنجره فى ظهر صاحبه . وفى لحظة الاحتضار هتف كاستورى « هل يوجد فارس شريف يتراجع عن كلمته مثلك » ؟ وأجابه توا فى برود :

« ومن الذى يحتاج إلى اللعب بعدالة معك . . وأنت الذى أدنت بالخيانة ؟» ثم غرس خنجره مرة أخرى فى قلب صديقه . . ليؤكد ولاءه للسلطان . . !

القلعة وبوابة سنتياجو :

والآن . . إلى قلعة « الفوموزا » .

المشهد الذى نراه أمامنا عبارة عن تل يشرف من أعلاه على كل مداخل الميناء باتساع مضيق ملقا . . وتحيط بالتل أطلال أسوار هى بقايا جدران الحصن التى يبدو واضحا أنها دمرت بعنف شديد . . وعلى مدخل ما كان ذات يوم قلعة قوية من أعظم ما عرف من القلاع فى بلاد الشرق . . وقفنا عند بوابة ماتزال قائمة هى « بوابة سنتياجو » وقد وضع عليها شعار « الشركة الهولندية للهند الشرقية » . أما البرج الحجرى الضخم فقد كان ذات يوم يعتبر رمزا يدل على سيطرة البرتغاليين على كل منطقة ملقا . .

الساحة المقابلة لبوابة سنتياجو كانت فى ذلك الوقت مسرحا لعرس صينى . . حيث يحيط أهل العروسين بهما يغنون ويأخذون الصور التذكارية وهما بملابس العرس . . وهو تقليد يتبعه سكان ملقا من

وجه فتاة .. الملامح تؤكد مدى الامتزاج بين الاجناس المختلفة التي اختلطت لتصنع شعبا واحدا .

بوابة « ستياجو » . . كل ما تبقى من قلعة « الفوموزا » التي بناها البرتغاليون في أوائل القرن ١٦ م . وأصبحت من أعظم القلاع الموجودة في بلاد الشرق

من تقاليد الزواج عند الأصول الصينية في ملقا أن يجري جزء بسيط من الاحتفال عند بوابة ستياجو حيث يقف العروسان ليلتقط لهما الأهل الصور التذكارية ابتدائاً ببداية زواج يصمد على مدى الأيام والسنين في مواجهة التحديات والصراعات .

البرج الحجري الضخم على تل القلعة ما تزال بعض جدرانه قائمة كما يبدو في الصورة .

الأصول الصينية . في كل فرح يقيمونه يحتفلون بالعروسين أمام بوابة سنتياجو . . المدخل الباقي من قلعة الفوموزا . .

القلعة كان يحيط بها من قبل خندق مائي كبير يمنع الوصول اليها . . والصعود الى أطلال القلعة والتل كانت تتحكم فيه البوابة والأسوار التي تعلوها المدافع الثقيلة التي كانت تصل الى أبعد مدى في المضيق والميناء لضرب السفن المهاجمة . . والآن يمكن الوصول الى أعلى القلعة عن طريق درجات حجرية يصل عددها الى مائتي درجة . وحين تصعد الدرج وتقف حيث كانت المدافع منصوبة على الأسوار مسيطرة على المنطقة كلها . . تشعر وكأن هفيف الريح يحكي لك تفاصيل الصراع الطويل بين الشعب والغزاة ، كما تحكي احداث الصراعات على مدى قرون بين عتاة الاستعمار وجها لوجه في محاولاتهم السيطرة على ملقا التي قال عنها الكاتب البرتغالي بارلوزا « ان من يملك ملقا يقبض بيده على عنق البندقية » .

وجاء البرتغاليون :

لقرون طويلة كانت ملقا ملتقى لكل دول أعالي البحار . . كلهم يتجهون الى الميناء بحثا عن الربح من خلال التجارة او النهب او القرصنة . . وبالمقابل ترك كل منهم بصماته في كل مكان من المدينة . وعلى قلعة الفوموزا كانت ابرز هذه البصمات .

ولقد كان ثراء ميناء ملقا - مفتاح تجارة التوابل - سبب صراع القوى الاستعمارية بين الشرق والغرب : وكانت البداية مع عصر الكشوف البرتغالية في القرن الخامس عشر . وكان البرتغاليون يستهدفون من وراء التوسع مد نفوذهم الى جميع اركان الأرض . . ليس فقط لمد حكم الصليب على المناطق الاسلامية بل ايضا للحصول على التوابل الأسيوية . . وكانت التوابل هي اهم اهداف التجارة الاوروبية بين اوروبا واسيا . وكان البرتغاليون يستهدفون انتزاع هذه التجارة من ايدي المسلمين من خلال تحويل الطريق التجاري حول افريقيا عبر رأس الرجاء الصالح . وكانت ملقا احد اهدافهم اذ انها مركز تجميع التوابل من جزر المولوكاس المعروفة بجزر التوابل . .

وذهب البرتغاليون الى ملقا يطلبون السماح لهم باقامة مركز تجاري لهم . ولكن قدومهم أثار الأهالي . ووقف التجار المسلمون الهنود وراء رئيس الوزراء في محاولته لأسر قطع الاسطول البرتغالي . ولم تنجح المحاولة لان احدى النساء المالقيات حذرت قائد الاسطول فهرب بأسطوله ، ولكن بعد أن أسر المالقيون عشرين من رجاله . . وكان ذلك وراء عودة البرتغاليين لاستخدام القوة . .

وفي عام ١٥١١ وصل الى ملقا أسطول برتغالي ضخم بقيادة الفونسو البوكيرك . . وركز البرتغاليون هجومهم على الجسر الذي يربط بين جانبي المدينة ، كما شقت سفنهم الحربية طريقها في النهر لاتمام الحصار . وقاوم المالقيون بشجاعة منقطعة النظير بقيادة السلطان محمود وولده اذ نزلوا الى خضم المعركة العنيفة ، راكبين الفيلة . ولكن عددا من غير الوطنيين كان يمالىء قوات العدو مما هز من صمود المقاومة . . وفشل الصراع من أجل البقاء . .

انهارت المقاومة وسقطت ملقا في ايدي الغزاة . وهرب السلطان ورجاله الى المناطق الداخلية . وفقدت ملقا استقلالها ولم تسترد مجدها أبدا مع توالي سلسلة من عتاة المستعمرين .

كيف قامت الفوموزا :

عندما تم استعمار البرتغاليين لملقا كانوا قد قرروا ان يجعلوا منها اقوى مركز لهم في الشرق .

وأمر البوكيرك فورا بانشاء القلعة الحصينة العجيبة التي سماها (الفوموزا) أي (المشهورة) .

مئات من العبيد والأسرى قاموا بالعمل ، واستخدمت حجارة المساجد الضخمة التي دمرتها المدافع لتقوية جدران القلعة ، وعندما تم بناؤها واقيمت المدافع على جدرانها ووقف الجنود حراسا عليها . بدت لأهالي المدينة كأنها مارد يثير الخوف والرهبة والاحترام .

فيما بعد جرى توسيع الفوموزا لتضم التل كله . وحول مساحة واسعة تحيط بها الأسوار اقيمت مدينة برتغالية كاملة . وأحاطت جدران المدينة بالقلعة . .

الساحة الرئيسية التي كانت ذات يوم داخل نطاق المدينة البرتغالية القديمة حول الحصن . . الآن تقوم على جوانبها المباني الحديثة وتسير « التريشو » جنباً لجنب مع السيارات والدراجات البخارية .

وقصرين رائعين . . وقاعة لمجلس الدولة البرتغالي . . ومبان تضم مكاتب ومنازل المستخدمين المدنيين من البرتغاليين . . الى جانب خمس كنائس . . اما باقي الأجناس فقد عاشوا خارج اسوار المدينة .

هذه القلعة صمدت فى وجه الهجمات المضادة بحيث ان احدا من الاعداء لم يستطع أبدا هدم جدرانها طوال ١٥٠ سنة حتى دمرت فى النهاية بأيدى الهولنديين .

المهم انه الى جانب الاستيلاء على تجارة التوابل جعل البرتغاليون من ملقا مركزا لأعمال البعثة التبشيرية الكاثوليكية . ولكن الكاثوليكية عجزت عن أن تجد لها مكانا فى ملقا ، اذ جوبهت بكراهية شديدة ضدها وضد البرتغاليين معا .

اتجهت اطماع البرتغاليين الى الانفراد بتجارة التوابل والتضييق على بقية دول اوربا فى الحصول عليها . وفرضوا على كل سفينة تعبر مضيق ملقا ان تحصل على اذن مرور منهم . كما فرضوا رسوما باهظة لدخول الميناء . واثار ذلك مشاعر الممالك الملايوية ودول اوربا كلها ضد البرتغال . . وتوالت الهجمات على ملقا . . وأثبتت الفوموزا انها طوق النجاة للبرتغاليين . .

. . . ثم جاء الهولنديون :

كان وصول الهولنديين والانجليز الى مياه جنوب شرق آسيا نتيجة احداث معينة فى اوربا ، ففى عام ١٥٨٠ ضمت اسبانيا البرتغال . وفى عام ١٥٩٤ اغلق ميناء لشبونه فى وجه التجار الانجليز والهولنديين ، وكان لابد لاوربا الشمالية ان تتجه بنفسها الى الشرق للحصول على التوابل والبضائع الأخرى .

واتحدت الشركات الهولندية لتشكل شركة اتحاد الهند الشرقية . وبرغم ان اهدافها الرئيسية تركزت على جزر التوابل ، الا انهم اعتبروا ان الاستيلاء على ملقا ذو اهمية كبيرة . . ليس فقط للأهمية

الاستراتيجية لمضايق ملقا ، بل ايضا لتدمير نفوذ البرتغاليين .

وفي يوليو ١٦٤٠ ، وبعد هجوم مركز على ملقا وضرب قلعة الفوموزا . . نزل الهولنديون على الساحل وحاصروا المدينة .

ومع استمرار الحصار اصبح افراد الحامية البرتغالية والناس المحاصرون عاجزين عن الحصول على ما يأكلونه . . فلجأوا الى أكل اى شيء يقع تحت انظارهم . . الفيران والكلاب والقطط والثعابين . . حتى لقد قيل ان احدى الأمهات اكلت جثة ولدها الميت . وأدت المجاعة الى انتشار الأوبئة من ملاريا وتيفوئيد وكوليرا . واخيرا في يناير ١٦٤١ وبعد حصار دام سبعة شهور ، انقض الهولنديون على الفوموزا وحاربوا حتى النصر . .

وسقطت الفوموزا . .

ولكن القلعة التى حارب الهولنديون من اجل الاستيلاء عليها لم تكن هى القلعة التى تمنوها بعد . . ولاكان الميناء الغنى المتألق هو الميناء الذى توقعوه . فالمدينة التى صارعوا طويلا لغزوها لم تعد اكثر من خرائب وجدران مهدمة ، والحصن الكبير قد دمر عن بكرة أبيه وتساقطت ابراجه . وحتى الكنائس سقطت جدرانها وأبراج أجراسها . . . كل شيء دمر تحت وقع المدافع الثقيلة . .

ولكن الهولنديين لم يقبلوا ان يستمر الحال على ما هو عليه . . فحالما سيطروا على المكان ودعموا موقفهم الحربى ، بدأوا فى إعادة بناء المدينة على النمط الهولندى ، وبدأت جدران القلعة تقوم من جديد . وتم حفر خندق حول جدران الحصن . واقيم جسر متحرك للوصول اليه . ونصبت المدافع ووسائل الدفاع فوق جدران الحصن . وخلال وقت قصير عادت ملقا الى سابق عهدها ميناء قويا محصنا .

واعتبرت الحكومة الهولندية ملقا بعد ذلك واجهة لضرب أى قوة معادية . واصبحت بعد ذلك مركزا هاما تابعا للامبراطورية الهولندية . .

وتبعهم الانجليز :

خلال هذه الفترة كان الانجليز يعملون لمد نفوذهم فى جنوب شرق آسيا . واستطاعوا ان يضعوا أيديهم على بينانج فى شبه جزيرة الملايو . . حيث بدأت مرحلة الوجود البريطانى .

ولكن الثورة الفرنسية مهدت بطريق غير مباشر للاحتلال الانجليزى لملقا . .

فقد انقضت جيوش الثورة الفرنسية على الأراضى الواطئة واكتسحت هولندا . ووقعت قواعد الاساطيل الهولندية تحت سيطرة الفرنسيين . وحتى لا يستخدم الفرنسيون هذه القواعد فقد اتفقت انجلترا مع الحكومة الهولندية فى المنفى على أن تتولى بريطانيا أمور الممتلكات الهولندية . . على أن تعيدها بعد انتهاء الحرب .

وكان هذا هو السبب فى أن تحولت ملقا إلى التبعية البريطانية عام ١٧٩٥ .

بيتت بريطانيا النية على أنه اذا عادت ملقا لهولندا فلن تجد فيها أى قيمة تذكر . وكانت الخطة هى تدمير قلعة الفوموزا .

وخلال حوالى سنة تم القضاء على القلعة التاريخية وجرى تفكيكها تماما . ولم يبق من ذلك الحصن سوى هذه الأطلال التى نشاهدها الآن . ونصعد اليها الدرج . . ثم بوابة سنتياجو تقف شامخة تحمل تاريخ ١٦٧٠ . . ثم تلك القلعة الصغيرة فوق قمة تل سانت جون . .

ولكن سخرية الأقدار أبت إلا أن تستمر ملقا . . وحين عادت إلى الهولنديين بعد الحرب لم تبق فى ايديهم أكثر من ستة أعوام جديدة عادت بعدها إلى الحكم الانجليزى الهولندى المشترك . . ليتم تسليمها فى النهاية الى الانجليز . .

الميدان الجديد القديم :

على بعد غير قليل من القلعة نجد أنفسنا وسط الميدان الرئيسى لمدينة ملقا . .

ساحة الميدان حديقة كبيرة يتوسطها برج الساعة . وعلى الجانب الأيمن المطل على النهر تقف عربات « التريشو » فى انتظار السياح والزوار لتدور بهم لمشاهدة المدينة ومناطقها الشهيرة وآثارها القديمة . وعلى يمين النهر يبدأ شارع جونكر حيث المحلات التى تبيع الآثار القديمة والمصنوعات اليدوية من النحاس او

الخزف كما تتناثر فى كل جوانبها التحف الفنية والكثير من الاشياء النفيسة ذات القيمة العالية .

وعلى الجانب الأيسر من الميدان يقوم أقدم مبنى هولندى فى الشرق .. تم بناؤه مابين عامى ١٦٤١ و١٦٦٠ .. إنه مبنى المعسكر الهولندى الذى مازال قائما بجدرانه وأسواره الحجرية الضخمة . ورغم مضى أكثر من ثلاثمائة سنة عليه فمازال يستخدم كمقر للحكومة المحلية حيث يجلس الموظفون فى غرف ذات زخرف فنى جميل وتتدلى مراوح كهربائية حديثة من الأسقف ذات الزينة والنقوش البالغة حد الروعة التى تعبر عن مهارة الهولنديين فى فنون العمارة ..

وأمام الجسر المواجه للساحة والمعسكر نجد ممرا ضيقا يقود الى رصيف الميناء على الشاطىء الشمالى للنهر ..

هنا مايزال التاريخ يحكى قصة الماضى عندما كان الميناء يضج بحركة الشحن والتفريغ .. والبحارة يروحون ويجيئون .. والسفن تقترب من الرصيف أو تبتعد .. ولكن الهدوء الآن يسيطر على المكان بعد أن كان نهر ملقا يختلف كثيرا ذات يوم عندما كان مجرى النهر عميقا مليئا بالسفن زاخرا بالحركة .

وبجانب قصر الحكومة يقوم مبنى هولندى ضخم عمره يتجاوز مائة وتسعين عاما يضم المتحف الوطنى حيث آثار تحكى تاريخ ملقا .. آثار ملايوية وصينية وبرتغالية وهولندية .. حتى الآثار البريطانية فى زمن الاستعمار الانجليزى . هنا تجد أيضا مجموعات من النقود القديمة والطوابع ومركبة الركشو ولوحات تبين عادات البرتغاليين خلال القرن السادس عشر . كما تشهد أسلحة الهولنديين ودروع الملايويين ومدافع الانجليز ومجموعات من المجوهرات الذهبية والفضية ولوحات وصور للسفن التجارية المستلقية على مداخل نهر ملقا ..

وحين نترك ساحة الميدان الرئيسى خلفنا ونأخذ طريق بنتاى الى كامبونج هولو نجد أنفسنا نسير فى شارع ضيق هو بعض معالم المدينة حيث كل لافتات المحلات مكتوبة باللغة الصينية .. والازدهار التجارى كله يقوم على أكتاف الصينيين . وقد تتناثر هنا وهناك بعض المحلات التى تحمل عناوين باللغة المالوية المكتوبة بالاحرف العربية وهى التى ادخلها منصور شاه ، حين أعلن ان ملقا قد اصبحت مملكة تدين بالاسلام وتتبع شريعته واحكامه ...

ونصل الى مسجد ترانكويراه :

المسجد أقيم منذ حوالى ٢٠٠ سنة مضت ويعتبر مثالا حيا على تقدم الفن المعمارى بجزيرة سومطرة بأندونيسيا فى تلك الفترة من الزمن . والمبنى من الخارج يحمل معالم الفن السومطرى المختلط بالفن الصينى . وعلى جدران المسجد من الداخل تقرأ الآية الكريمة (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) .

منبر المسجد مذهب وهو على الطراز الصينى .. ويرأس لجنة الاشراف عليه حاجى رحمة شاه بن على شاه خان .. وهو يفخر بأن المسجد هو أقدم مسجد فى البلاد حيث كان مركزا يشع منه الاسلام على المناطق المجاورة .

وفى الساحة الخارجية المجاورة للمسجد توجد مقبرة سلطان ولاية جوهور الذى منح جزيرة سنغافورة الى سير ستافورد رافلس فى عام ١٨٠٩ حيث قضى السلطان السنوات الاخيرة من حياته فى مدينه ملقا وكان يجد متنفسه الحقيقى فى مجلسه بين جدران مسجد (ترانكويراه) ..

وقبل أن نمضى يرسل حاجى رحمة شاه زفرة طويلة وهو يقول : « من خلال ملقا دخل الاسلام الى شبه جزيرة الملايو .. كل الملاويين اصبحوا يدينون بالاسلام مع الثلث الأخير من القرن الخامس عشر عندما نزل التجار الموريون المسلمون القادمون من سومطره فى ملقا .. ومن هنا راح الاسلام يشرق بشمسه على كل انحاء شبه الجزيرة .. ان شمس ملقا لن تغرب ابدا طالما ظل الاسلام يعمر قلوبنا . صحيح ان المستعمرين قد عاشوا طويلا فى هذه البلاد واستولوا على الارض والثروات .. ولكنهم لم يستطيعوا المساس بعقيدة الناس .. لأنها كانت تملأ قلوبهم .. ويبقى الاسلام فى هذه البقاع وسيبقى مابقيت الحياة » .. □

رسالة القاهرة

متابعة مسرحية

الوزير العاشق في المسرح الحديث

بقلم : فاروق خورشيد

تميز الموسم المسرحي الحالي في القاهرة بظهور أكثر من عمل شعري يحاول أن يعود بالمسرح إلى لغته الشاعرة ، وايقاع كلماته من ناحية الجرس ، وأثر كلماته من ناحية ما للشعر من فعالية في هز النفوس ، وتطويق المعنى بالرمز ، والايحاءات والاسقاطات أيضا ، فأين هو موقع مسرحية « الوزير العاشق » في هذا الموسم ؟

رغم هزال النماذج المقدمة بصفة عامة ، الا أن المحاولة أمر واقع يرصدويؤكد نبرة العودة الى الجذور ، ومحاولة تأصيل العطاء المسرحي الجديد . وحديثنا هنا عن مسرحية الوزير العاشق التي قدمها المسرح الحديث من شعر الاستاذ فاروق جويدة وحاول مبدعا المسرح العربي(سميحة أيوب وعبد الله غيث)أن يرفعاها فوق كاهليهما .

اذا كان الشاعر فاروق جويدة قد أراد أن يرسم شخصية المثقف العربي الانتهازي الكاذب المعاصر في شخصية الوزير العاشق فقد نجح ، فالوزير منذ البدء انتهازي يسعى الى الحكم والسلطة والزعامة . . ورغم أن الشعر سلاحه الا أنه لايريد أن يشهر الا السيف ، سلاح السلطة ووسيلة الوصول اليها . . ورغم أن في الحب وجوده الا أنه لايريد الا الحب المؤدي الى الشرعية في دنيا السلطة ، والأحقية في العرش والصدارة ، والطريق مفروش عنده بأشعار الوحدة ، والاسلام ، والمجد الغابر ، والحاضر المخيف ، والمستقبل الذي تترصده المهاوي والمحاذير ـ ولكنها مجرد كلمات يصرخ بها ليحوز الصدارة ، وليكون الرافض المطلوب ، والقائد

الشهيد ، والزعيم المحروم من حقه في الزعامة .

تركيب الشخصيات

ان كان الشاعر فاروق جويدة قد أراد هذا فقد نجح ، والا فقد فشل في أن يقدم شخصية متماسكةلها موقف ، ولها رأي ، ولها منهج .. فالشخصية متهاوية مترددة ، تملؤها الرغبة والحب ، وتملؤها الشهوة والطموح .. وقد وقف الممثل الرائع عبد الله غيث عند معاني النص وتصوره لهذه المعاني ، فقدم الحوار كما أزجي اليه ، ولكنه أضاف الى كل الكلمات موقفا متصلبا متشددا في الحق والمعنى ، ومن هنا لم يظهر ما في الشخصية من قلق واضطراب وخوف ، لقد أعطى عبد الله غيث للشخصية فهما خاصا من عنده ، حتى لو كانت كلمات النص لا تسعفه في الوفاء بهذا الموقف .. فظهرت الشخصية صلبة متماسكة ، بينما كل كلماتها تحمل التردد والضعف والضياع .. ومن هنا أوقع المؤلف في حرج بالغ .. ولست أظن أن الخطأ هنا يعود الى كليهما : المؤلف والممثل وحدهما ، ولكنه قد يعود الى المخرج الاستاذ فهمي الخولي ، الذي كان عليه أن يلائم بين رؤ ية المؤلف ورؤ ية الممثل ، حتى لايصبح العمل المسرحي هو الضحية .. وان كان موقف الوزير قد سقط في هوة تردد المؤلف وعدم حسمه لابعاد الشخصية ، وبين صلابة الممثل القدير واصراره على النزعة البطولية في الشخصية التي يقدمها ، واصراره على أن يكون البطل نبيلا في بطولته رغم أنف النص ، وعدم حسم المخرج للموقف بين النص والأداء ، فقد كانت شخصية ولادة ـ الملكة المعزولة المحبوبة التي يطمح اليها الوزير ليعطي شرعية لمطالبته بالزعامة ، ويطمح اليها ربيعه ـ الخائن ـ ليحقق انتصاره على الأمة الاسلامية كلها ، بقهره للملكتها ورمز شرعية العرش فيها حين تصبح جارية في فراشه ، ويخاف منها ملك قرطبة لأنها تستطيع أن تنزع عنه شرعية حقه في الملك ـ أدت دور ولادة الاستاذة الكبيرة سميحة أيوب ـ ولادة هذه شخصية متكاملة صلبة ـ وهي هنا عكس شخصية الوزير العاشق تماما ، يخدم النص موقفها الشامخ الصلب ، ويخدمه صوتها المسرحي العالي والمتعالي ـ فهي تحدد موقفها وتعرفه ـ فهي ترفض الملك ، لأنه خيانة وكذب ، وهي ترفض العشق لأنه زيف ونفعية ، ولكنها تتقدم ضحية لتنقذ حياة من تحب ، أو لتنقذ الكلمة من أن تعثر وتموت ، ثم تقف الى جوارها تسندها حين تتلقى طعنة القدر ، وتشدو بالأمل في الغد حين تلد الكلمة الميتة كلمة أخرى حرة باقية ـ ولادة هي أكثر شخصيات مسرحية الوزير العاشق تكاملا ونضجا ، ودرامية . ولست أدري هل تدخلت الفنانة سميحة أيوب في النص أم لا ؟ ولكني أحس أن تردد النص وتذبذبه عند باقي الشخصيات لم يستطع أن يقترب بهذا التذبذب والتردد من شخصية ولادة ـ فبقيت واضحة وجلية ، كما بقيت رمزا لصلابة العطاء والحب ، وصلابة التضحية ، ثم صلابة الأمل والبقاء ـ الا ان اجهاد المخرج للممثلين في التحرك في طول المسرح وعرضه ـ ربما لاخفاء ضعف الحركة الدرامية في النص ، قد قلل كثيرا من بروز الاداء الرائع لسميحة أيوب .. وان استطاعت في أحيان كثيرة أن تتغلب على الحركة الرياضية المفروضة عليها لتبرز عطاءها بقوة حضورها المسرحي . وروعة أدائها الصوتي والتعبيري .. وقد حاولت بعض الكلمات في المسرحية ، وبعض المشاهد أن توحي بأنها ترمز الى شخصية نسائية أو أخرى من الشخصيات النسائية العامة ، باستعمال بعض العبارات المأثورة عند هذه الشخصية دفاعا عنها وتبريرا لموقفها ، وما كان هذا ليفيد النص أو يفيد العمل المسرحي ، وقد استطاعت الاستاذة سميحة أيوب أن تطغى على هذه المحاولات بأدائها الذي جرد الشخصية تماما من كل محاولات المؤلف الايحاء بها ، والمؤلف حر في شعره ، والفنانة حرة في موقفهاالذي أنقذ المسرحية بالفعل من موقف الاستفزاز لمشاعر الجماهير ، أو جماهير المثقفين وهم مشاهدو الشعر ـ الى حد كبير . ولست هنا أقلل من عطاء المخرج الاستاذ فهمي الخولي الذي كان يستطيع الحسم في النص ليتكامل دون هذه المعارك ، فقد كان سيد العرض المسرحي بلا مراء ـ ولكني أحاول أن أبرز محاولاته لتعويض الفعل الدرامي على خشبة المسرح .

الغنائية الشعرية

وقد غلبت على النص الغنائية الشعرية بشكل كبير وواضح ، لقد واجه الممثل الأول الاستاذ عبد الله غيث الجمهور بظهره وهو يؤدي مقطعا غنائيا طويلا ، ربما ليثبت المخرج والممثل معا ، أن الكلمة الغنائية هي التي تلعب الدور الأول في العرض ، وقد عاد المخرج ليثبت هذا تماما بابراز دور المغنية المتفوقة الصاعدة عزة بلبع التي سيطرت بصوتها وأدائها المميز على معنى الايحاء الدرامي للمشاهد المقدمة ، وبصورة بارزة وواضحة من أول العرض الى آخره ـ وان كانت هذه المقاطع المعبرة بالمحن والغناء ، وبالصوت المميز للمغنية ،تثبت شيئا آخر ، فهي تثبت تقطع النص وعدم وحدته ، وميله الى المشاهد المنفصلة ، والى القصيدة قبل الدراما ، ونجاحه في مجال العطاء الغنائي بشعره المميز في هذا المجال ، وافتقاده العطاء الدرامي الذي ما كان يحتاج كل هذه المقاطع الغنائية لو كانت قد اكتملت له الرؤية الدرامية . .

شخصيات أخرى

وعلى الرغم مما بين الشخصيتين الرئيسيتين في العمل المسرحي من تناقض في التأليف ، الا أن الشخصيات التالية لها قد حظيت برؤية درامية ومسرحية واضحة . . وقد أبرزت هذه الرؤية الواضحة قدرة الممثل القدير حسين الشربيني في دور ربيعة ـ الوزير الخائن المدلس العميل ، الذي يبدو في آخر المسرحية وكأنه ليس مسلما ولا عربيا من الأصل ، انما هو دسيسة افرنجية لهزيمة المسلمين من الداخل ، وانتصاره انتصار لمعنى هو يؤمن به . . وهذه هنة أخرى في النص والاخراج على السواء . . اذ هو يبدو أوضح شخصية في العمل المسرحي كله ، وأكثرها سواء وتكاملا ـ وقد نجح أداء حسين الشربيني وهو ممثل متمكن وقادر ، في أن يبتعد تماما عن سخط المتلقي ، بل وأن يلقى عطف المتلقي وتجاوبه في الحدود الكوميدية من أجزاء دوره المتعدد الجوانب والانعطافات . . فهو الصديق المتردد ، وهو الوزير المتمكن ، وهو المتآمر الذكي اللماح الساخر الضاحك الهازىء من كل الضعف والتردد ، وهو الانتهازي الذكي الذي يقفز على كل الغباء الكامل الذي يسود مجتمعا متفسخا منهارا ، ثم آخر الأمر هو العميل الذي يسوق البلاد الى الاستسلام لأنه ليس من أبناء هذه البلاد ،بل هو من الأصل دسيسة أفرنجية تنتقم لنفسها من نصر المسلمين عليها ـ وان لم يبرز المؤلف كل القسمات النفسية للشخصية فقد تولى الممثل البارز والقدير اعطاء كل الخلفيات بالحركة والايماء والاداء المتمكن ، فسجل حسين الشربيني لنفسه مكانا الى جوار العملاقين الكبيرين سميحة أيوب وعبد الله غيث ، وساعده المخرج كثيرا ببروز حواره وحركته ، وتركيز الضوء عليه فوق خشبة المسرح ـ وأحب أن أقرر أن هذه المسرحية قد أكسبتنا سطوعا واضحا لهذا الممثل القدير الذي أعطى أبعادا جديدة لدور الشرير فوق خشبة المسرح ، وخرج به عن الاداء التقليدي السخيف الذي تعودنا عليه ، ليعطي الانتهازي الذكي ، والعميل الذكي ، والجاسوس الذكي ، في خيط واحد متصل ، يجده سذاجة اشتهائه ولأدة الذي لم يكن له مبرر ولا اضافة للشخصية نفسها ، كما يجده عدم تعميق الشخصية المسرحية من البداية ، وعدم وضوح الرؤية لها في النص وعند المخرج من اللحظات الأولى لظهورها ـ ولكن أداء حسين الشربيني غطى كل هذا حتى أنسى المتفرج المفاجآت المتعددة التي تظهر في شخصيته من مشهد الى مشهد ـ ونفس هذا القدر من السوء يظهر في شخصية الولاة الذين مر بهم الوزير في دعوته الى الوحدة ، وكلها تجمعت في شخصيته ، أداها ممثل واحد أثبت قدرته الفائقة على الاقناع والادهاش ، والاضحاك المندمج في صلب التأثير المسرحي ـ شخصية الزعيم المتهاوي الأناني الجاهل المنغلق على نفسه ورغباته ، ولقد نجح فاروق جويدة في تصوير هذه الشخصية ، وكما نجح في ابراز تناقضاتها وغبائها الكامل ، حتى لقد كاد ينسى المتلقي أن الحوار شعر ، فقد رق الحوار الشعري وشف حتى غدا الواقع نفسه ، والفعل الدرامي بذاته ـ انها لمحات تفوق تبرز عطاء الشاعر المؤلف ، وتنسينا الكثير من هناته الغنائية في مواقف متعددة أخرى .

الكل في واحد

الا ان ثنائية ظهور الممثل في شخصية واحدة أفقدت الدور معنى الاستمرارية ، فالثلاثية هنا تعني

الاستمرارية ، ولو أن مشهد الزعيم الأناني الأبله تكرر ثلاث مرات لأضاف هذا العمق ، خاصة وأن الممثل واحد ، يعني أن كل الزعماء واحد ، ولو قد كان ملك قرطبة هو نفس الممثل لما احتجنا الى حديث حول معنى الاستمرارية ، وقد كان المخرج يستطيع أن يؤكد المعنى لو كان أسند دور ملك قرطبة الى نفس الممثل الذي أعطى دور الوالي استمراريته ولكان قد نجح المعنى وظل بلا رتوش ، معنى بارزا عند المتلقي ، الذي سيجد أن كل الملوك والزعماء شيء واحد مكرر معاد ـ واذا كان هذا المعنى مطلوبا من المؤلف والمخرج ، فما المعنى وراء تكرار مجاميع الجند في كل المواقف ، فهي هي التي تحمي الوزير ، وهي التي تسجنه ، وهي نفسها التي تحيط بكل الولاة وتخدمهم ، بل يصبح أحدهم (ركوية) والٍ منهم . ثم هم أنفسهم جنود ربيعة الخائن الذي يأتي على رأسهم لاعلان انتصار الافرنج .. لست أظن أن المعنى المستفاد من هذا التكرار هو ما أراده المخرج ، والا سقط في خطأ سياسي وقومي كبير ..

ونفس المقولة تنطبق على تكرار مجاميع المدنيين ، فهم شعراء الوزير يقولون فيه الشعر مدحا له وطمعا في نواله .. وهم أنفسهم مهرجون للولاة وملك قرطبة . ثم هم في النهاية المستعبدون والمبتهلون . فهل يقصد المخرج أن يشرك الجميع في الجريمة ، وهل أراد المؤلف هذا في نصه ؟ سؤال سيضيع بين ما هو مطبوع وما هو ممثل ..

والحياة في قرطبة انحصرت في قصر ومخدع الملكة وسجن ومجالس الشعراء والولاة .. فأين المدينة وأين أسواقها ؟ وأين ناس المدينة الحقيقيون ؟ بمعنى أين الشعب الذي تدور حول حقوقه كل أحداث المسرحية ، والتي دارت حولها خطبها الرنانة وشعاراتها البليغة حتى لو تناقضت ، بل حتى لو كان هذا التناقض يتجه الى أقصى اليمين ثم يتجه الى أقصى اليسار استدرارا لتصفيق الجماهير ، وحتى يؤكد المؤلف أنه مع كل شيء يمكن أن يجعله واحدا من القوالين . والقول ليس مجرد كلمات وانما هو مواقف .. حتى ليبدو النص منطلقا من منطق الوزير .. أو من منطق الشاعر الذي يمثل مثقف العصر بكل متناقضاته وكل محاولة لركوب الكلمة دون موقف حقيقي ..

والشر في هذه المسرحية كلام يردد على ألسنة الابطال ، وليس نماذج متكررة ومعادة ومعروضة ، فليس الخطأ في السقوط هو خطأ القادة الخونة والملوك الضعاف والمثقفين الانتهازيين .. ولكن الخطأ هو خطأ ضعاف النفوس الذين يشكلون عمق الخطأ ويبرزونه ويجسدون عمق السقوط للمقولة .. ولكن النص تجاوز هذا العمق فظهر كل شيء مسطحا وعفويا وساذجا ـ الأبيض أمام الأسود ، والشر أمام الخير ، ولا تفاعل انساني هناك بين البعدين يبرر سواد الأسود ، أو بياض الأبيض .. خفف من كل هذا جهد المخرج في لوحاته الجمالية الفائقة الحسن ، من حيث التكوين والتنفيذ معا . الخراب ، والثياب السوداء وسياج السجن في مقابل الثياب الخضراء والملونة والمجاميع الفضفاضة المنسقة الحركة . ولكنها تقع في شرك الابيض والأسود ، أو في شرك الخير المطلق والشر المطلق .. وهذه الحدة في الألوان والاضاءة والملابس المتناقضة تبرز رأي المخرج وموقفه ولكنها تبرز في نفس الوقت تسطح النص ـ الا أن العمل استنقذ ببراعة ثلاثة مهندسين ..

التقنيات المنقذة

ونحن أمام اجتهادات مدروسة وواعية ـ فمهندس الديكور كان أمام عاملين : رؤيا الرمز ورؤيا الواقع ، فقدم الرمز في مرآة علوية تعكس الصور بصور شبحية وان لم تنجح تماما في رسالتها ، كما قدم الواقع في حركة الديكور الدائرية مع حركة الممثلين أنفسهم فزاد من عمق اللاواقعية في العرض .. وشتت المتفرج بحيث أسقط منه عنصر الايمان بما أمامه من فعل مسرحي ـ ولكن في نفس الوقت جعل هذا الفعل وجودا حيا في اطار العرض نفسه ـ أما مهندس الصوت فقد تفوق تماما على كل العناصر الأخرى المساهمة في العمل ، ساعده صوت المغنية الشابة ، ولحن وموسيقا مدروسان ومعتنى بهما غلفا العمل المسرحي في اطار الايقاع الدرامي الحزين مرة ، والثائر مرة والمستسلم مرة ، والرافض مرة.لقد نجح في ايصال رسالة اللحن والموسيقا ، ونجح في ابراز صوت الاداء المتميز ليجعل منه بطلا في مثل هذا العمل المسرحي الذي كان ينبغي أن يكون العنصر

الصوتي فيه عنصرا ثانويا لاعتصرا بطلا ومميزا ، كما كان بالفعل .. وقد ساعدت جهوده النص ، فغطى ببراعته على ضعف الكلمات في أحيان كثيرة ، كما ساعدت براعته على ابراز قدرة الكلمات وروعتها في أحيان أخرى ..

أما مهندس الاضاءة . فقد أعطى الممثل اطاره وبروز مكانته تماما ، وفي كثير من المشاهد كانت سميحة أيوب تحت رحمة مهندسنا ، وكان على وفائه بدوره ، فابرزها في الاطار الواجب لها ، وكذا الأمر بالنسبة لعبد الله غيث وحسين الشربيني .. كانت الاضاءة هي الأقواس التي تحتوي الممثل لتبرز عطاءه الكامل فان نجحت نجح ، وان تهاوت فشل .. ولكني مع هذا فلا أحب أن أذكر مواطن فشل لعملاق من هؤلاء . وأضيف اليهم النجم الكوميدي المتمكن محمد الشويحي الذي أضاف الى نفسه والى هذا العمل نجاحا ملحوظا ..

لست أشك لحظة أن تميز فهمي الخولي وراء نجاح هذا العمل ، وهو أيضا وراء هنات هذا العمل ، ولكنه مخرج صاعد يشق طريقه في عطاء رائع وجميل ، ولست أحب لعمله أن يضار ، ولا لصوته أن يخفت ، فما قدم أكثر مما ينتظر منه في اطار العمل نفسه .. ولست أشك أن المؤلف لن تغضبه كلمة مخلصة ، تريد منه أن يستغل امكانيته في اعادة الثقة الى المسرح الشعري ، وان كنت في تجربته هذه أنحني احتراما لعلي الجارم وعبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور ، وأحس أن جهودهم الشعرية أثمرت من ناحية الاستمرار ، ومن ناحية التأثير الشعري والبصمات الواضحة .

ثم نحن نرى أن هذا العمل أيا كان الرأي فيه رأس حربة واعدة في دنيا الثمانينيات حيث صمت قبلها الصوت ، وخفتت أصداء الكلمة الى حد الموت ، ولهذا فنحن نقدر صوت هذا العمل العالي الذي يهتف باسم الاسلام في اصرار ، ويهتف باسم القومية في قوة ، ويهتف باسم اليقظة في عنف ـ نقدر الصوت العالي الخطابي لأن الأوان قد حان لنداء المؤذن بعد أن غاب الفجر ـ وليس من عذر للنغمة الحادة العالية ، الا هذا النداء بالوعد المنسي ، والدعوة الى احياء الصوت الصامت ، والايقاظ للموت الحزين ـ □

الايثار

الايثار خلق اسلامى نبيل ، حببه القرآن الى النفوس المؤمنة ، وفسح له بين الضمائر ، وجعل له قنوات تمده بالعطاء الدائم ، وترفده بالحياة المتجددة ، وما هذه القنوات الا الايمان والأخوة والرحمة والمودة والتعارف والتآلف .

ورد فى السيرة أن الناس على عهد أبي بكر اصابهم جهد ، فغدوا اليه شاكين ، فقال لهم : انى لأرجو ألا يأتى الليل الا ويفرج الله عنكم .

فلما كان المساء ، اقبلت عير وتجارة كبيرة من الشام لعثمان بن عفان ، فلما علم تجار المدينة بأمرها ، ذهبوا سراعا يطرقون باب عثمان ، ويعرضون عليه بيعها . فقال عثمان لتجار المدينة : كم تربحوننى ؟ قالوا : الدرهم بدرهمين ... قال : لقد زادونى !! قالوا : الدرهم بأربعة !! قال : لقد زادونى ، قالوا له : يرحمك الله من زادك ونحن تجار المدينة ؟ لقد زادنى الله بكل درهم عشرة !! قالوا : فنحن لانستطيع ذلك . فقال عثمان : فانى اشهدكم الله يامعشر التجار ان كل ما ترونه من العير والتجارة صدقة على فقراء المدينة .

المرأة العربية

في السينما العالمية

الرؤية الغربية للمرأة العربية

بين الدعاية والواقع والتزييف

بقلم : أحمد رأفت بهجت

من أجل الهجوم على الشخصية العربية .. يلجأ كثير من السينمائيين الى رفع سلاح خطر .. وهو تجسيد الواقع العربي في اطار قديم يتمثل في أن الجواري في قاعات الحريم العربية يمثلن ظاهرة ممتدة ، يتردد صداها عند تصوير المجتمع العربي في ماضيه وحاضره .. فما هي الحقيقة وراء الرؤية الغربية وتزييف الواقع ؟

الخطأ في نظرة السينمائيين الغربيين أنهم يرون الحاضر العربي يعيش في الماضي ، أو الماضي بكامله يعيش في الحاضر .. مما يجعلنا نفقد أمام العالم الكثير من ملامحنا الايجابية المعاصرة .. وهذا لا يعني أننا نتجاهل الظواهر السلبية في تاريخنا ، لأنها تعد جزءاً من وجداننا .. ولكننا في نفس الوقت أحوج ما نكون الى النظرة الموضوعية ، التي تجسد واقعنا المعاصر بأمانه ، وترى مشاكلنا بوضوح ، بعيدا عن منطق التصيد الذميم .

وداخل هذا الاطار السلبي ظهرت شخصية .. المرأة العربية ـ أحيانا في نطاق أجواء الجواري والحريم .. وأحيانا أخرى في نطاق علاقات متباينة بالرجل الأوروبي .. وهي علاقات تنشأ دائما في ظل براثن التخلف العربي ... أو الضغوط النفسية الناتجة عن معاناة المرأة العربية ، وهي في سبيل البحث عن طريقها الذاتية .

ملامح الدعاية السينمائية

وتعليقات الدعاية السينمائية الغربية التي ارتبطت بالمرأة العربية لها اعتبارها ، لأنها تقدم لنا ملمحا لطبيعة التعامل مع شخصيتها في السينما ... وتعد الدعاية التي واكبت ظهور الممثلة الامريكية « تيدابارا » نموذجا للدعاية المعتادة للشخصية

العربية .. فهذه الممثلة اعتبرها النقاد أولى فاتنات الاغراء في السينما العالمية .. وأول امرأة اظهرت الجاذبية الجنسية علنا على الشاشة .. ومع بداية ظهورها أفاضت دور النشر في هوليوود في الدعاية لها ، باعتبارها فتاة عربية الأصل .. وليدعموا زعمهم التقطوا لها كثيرا من الصور بين أشجار النخيل ، فبدت في غاية الجاذبية .. أو واقفة كالقطة المتوحشة ، والهياكل العظمية متناثرة عند قدميها .. ولو شوهدت هذه الصور اليوم ـ على حد تعبير الناقد الفرنسي موريس سيد ـ لوجدت لها أوصافا جنسية لا يمكن نشرها !!

أما الناقد الأمريكي الكسندر ولكر فهو يضيف ملامح أخرى في كتابة الجنس في السينما ـ عندما يشير الى أنها ولدت في مصر بجانب ظلال الأهرام .. وكانت ابنة لشيخ وأميرة عربيين .. وأنها فطمت عن الرضاع بأكل لحم الثعابين وشرب الدماء .. ولقنت الحب من أبي الهول !! .. ويضيف الناقد اليهودي ايفرايم كاتس الى هذه الرواية معلومة أخرى مؤداها أن رجال الصحافة عندما التقوا بتيدابارا في الصحراء العربية ، كانت ترتدي الملابس العربية ، ويحيط بها العبيد النوبيون ، بينما كانت الثعابين تمرح في خيمتها !!

ومن ناحية أخرى حدد الناقد الفرنسي روجر مانفيل الاطار العام لادوار تيدابارا المرأة ذات الأصل العربي بقوله : « كانت تيدابارا تمثل امرأة مغامرة مزجت عاطفتها بالموت ، وراحت تصنع فيلما وراء فيلم تنتزع فيها جميعا المواطنين الشرفاء من زوجاتهم وعائلاتهم ، ثم تتخلى في النهاية عنهم بائسين منهوكي القوى ، يهذون ويحاولون الامساك بذرات الهواء ، في خاتمة مؤثرة للفيلم .

ومع ان تيدا بارا كانت في واقع الأمر ابنة ضابط يهودي من سينسناتي بولاية اوهايو الأمريكية .. وكان اسمها الحقيقي تيودسيا جودمان (١٨٩٠ ـ ١٩٥٥) .. الا أن الدعاية التي نشرها حولها وليام فوكس صاحب ستوديوهات فوكس الشهير . سلبت الشخصية العربية الكثير ..

واذا ما قلبنا النظر في الدعايات السينمائية الأخرى التي ارتبطت بالمرأة العربية ، متأملين مضامينها ،

● لقطة من فيلم « عرس الرمال » لأندريه ذوبادا (١٩٤٩)

اتضح لنا أن هذه الدعايات تتفاوت في التعبير عن قيم متخلفة ، مازالت تحمل مبررات نشرها واشاعتها بين الناس .. ومن هذه الدعايات ما روج حول الممثلة المصرية السمراء « كوكا » عندما اختارها المخرج الانجليزي ثورنتون فريلاند ، لتلعب أول أدوارها السينمائية أمام المغني الامريكي الزنجي بول روبسوف ، في فيلم « جريتشو » المعروف باسم « تاجر الملح » فقد زعم المخرج أنه كان في رحلة الى أواسط افريقيا . ووصل الى مقر قبيلة عربية كبيرة تسكن مدينة الفاشر ، فرأى ابنة أمير القبيلة ، فأعجب بها وأحس أنها تصلح كوجه جديد في السينما .. ولكن الأمير ـ والدها ـ رفض أن تعمل ابنته في السينما ، فأغرى الأميرة على الهرب الى لندن .. وأحضر لها اخصائيين لتعليمها أصول الأتيكيت وتقاليد المجتمع ، ثم اسند اليها دور البطولة .. وتناقلت الصحف هذه القصة .. وأشتهرت .. كوكا وأصبحت نجمة عالمية قبل أن تكون نجمة مصرية مشهورة .

معسكر الخائنات

مع بداية العشرينيات وجدت السينما الفرنسية أن المرأة العربية هي المفتاح الذي من خلاله تستطيع معالجة بعض الموضوعات داخل مجتمعات مستعمراتها في المغرب العربي .. وهي لا تدرك أن جهودها لبحث هذه الموضوعات كانت جهودا تغلبت فيها أنانيتها وفلسفاتها الاستعمارية على منطق الاشياء داخل هذه المجتمعات .. لقد ظهرت عشرات الأفلام تجسد العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع العربي ، ودور الرجل الاوروبي في حياة بعض النسوة العربيات اللواتي يحاولن التخلص من القيود التي تكبلهن .

فيخرج بعضهن .. أما البعض الآخر فيعود الى كمونه ، ليكيف نفسه وفقا لنظام الحياة العربية الجامدة .. وليعشن ضحايا للماضي بتقاليده التي تركت عليهن أثرا قويا لا يمكن محوه .. والحاضر بجموده .. للدرجة التي تجعلهن في النهاية يستمرئن العبودية .. والعبودية في هذه الافلام جزاء التقاليد الاجتماعية المتوارثة .

ولم تجازف السينما الغربية بتقييد نفسها بشخصية ن هذين النموذجين للنساء العربيات .. ولكنها ستعملت النموذجين معا في محاولة لا يترك فيها شيء، دون أن تستفيد منه في توضيح ما ترمي اليه من أهداف مختلفة .

وفي عام ١٩٢٢ أثار فيلم ـ دماء الله Lasng d'Ailsh الذي أخرجه الفرنسي لويس ـ مورا واشترك في كتابته مع الفريد فيركورده ضجة ، باعتباره فيلما يعالج بصراحة مشاكل المرأة العربية في المغرب العربي .. ويجسد ملامح حضارتين وطريقتين في الفكر والحياة والقضايا الأخلاقية .. وفي هذا الفيلم نرى الحسناء العربية ـ ياسمينة ـ زوجة السلطان العربي الثائرة على نظام حياتها .. والمتمردة على الراحة والاستقرار في ظل حياة الحريم . والراغبة في الرحيل الى أبعد مكان .. وتجد عند الشاب الفرنسي هنري الشفاء العاجل . وعندما يكتشف زوجها خيانتها يأمر رجاله بوضعها في معسكر « الخائنات » !! .. ويحاول الحبيب الفرنسي الشهم انقاذها .. ولكنه يتعرض للمطاردات الشرسة من رجال السلطان .. وينتهي الفيلم بوفاة ياسمينة الزوجة الخائنة !!

استطاعت النغمة التي ترددت في دماء الله ـ حول « الخائنات وتهمة الزنا » أن تفرض نفسها على الكثير من الأفلام الأوروبية ، التي عجزت رؤيتها المضادة للاسلام عن التصدي للمشكلة بشكل ايجابي . ولقد ظهرت هذه الأفلام على فترات متفاوتة ، وفي ظل هيئات انتاجية مختلفة .. وفي حالة الانتقاء نستطيع التركيز على ثلاثة منها ، حاولت تجسيد شخصية المرأة العربية ، لتمثيل الصراع بين العواطف الطبيعية والمبادىء الداعية للكبت التي تنادي بها تقاليد المجتمعات العربية .. وهذه الأفلام هي : الفيلم الفرنسي الأمريكي المشترك « بارود » أو « حب في مراكش » الذي أخرجه المخرج الأمريكي ريكس انجرام في مراكش عام ١٩٣٢ ، وفيلم جحا (Goha) وهو انتاج فرنسي تونسي كتب له الحوار والسيناريو الأديب العربي الأصل جورج شحادة ، عن قصة « جحا البسيط » التي كتبها J. Josipovic, A. Ades وأخيرا الفيلم التلفزيوني الانجليزي ـ الأمريكي المشترك « موت أميرة » الذي أثار ضجة ضخمة عند عرضه في بداية الثمانينيات .

كان فيلم « بارود » دراسة مشوبة بالمغالطات رغم جديتها للمأساة التي تصيب الفتاة زينة ابنة أحد قادة القبائل البربرية في مراكش .. فهي فتاة عذراء رقيقة الطباع .. جميلة . بالغة التهذيب .. ولكنها تعاني من الكبت . ويبدو أن حياتها كانت محصورة بين مثاليات أبيها الصارمة ، ومبادىء الدين الاسلامي الذي تدين به . والذي يفرض عليها عدم الاستسلام لحب شخص ليس من دينها ، لأن هذا يعد « زنا » في حكم الدين . في الوقت الذي يسمح فيه أبوها لاخيها بحب فتاة أوروبية لا تنتمي لدينه .

وحاول فيلم ـ « جحا » تقديم شرائح عربية ، هي مزيج مركب مع غوغائية في الرمزية؛فجحا الساذج (عمر الشريف) الروحاني يقع في غرام زوجة أكثر الناس حكمة وتمتعا بالاحترام في بلدة عربية .. ويعرف الناس هذا السر وتتحول سمعة الحكيم العجوز « أبو العلوم » وزوجته « فله » الى قصة يرددها العامة في أنحاء البلدة .. وطبقا لشريعة

القرآن يجب رجم الزوجة الخائنة بتهمة الزنا ويجب نفي جحا من المجتمع ويجد جحا نفسه مضطرا للهرب . .

يؤخذ « جحا » « بشخصية أبو العلوم » . . ولكنه أكثر تأثرا بقوة افكاره فهو يدرك حاجة البشر للعطف والفهم . وهما صفتان طبيعيتان كثيرا ما تعوقهما الفضيلة المتزمتة وغريزة التملك والسيطرة . . وفي مجموع هذه الصفات تتجمع في الافق سحب سامة تحاول مرة أخرى التشكيك في الاسلام وشرائعه . .

ثم جاء فيلم « موت أميرة » الذي صاحبته أكبر ضجة اعلامية عربية وعالمية . . ويعزي السبب في ذلك الى اسلوبه الدعائي الفج في تصوير حياةوموت أميرة عربية تدعى ماشال .

العربية المخلطة

كذلك تضم الافلام التي قدمت شخصية المرأة العربية قصصا عن الاضطراب النفسي الذي يصيب الفتاة العربية المخلطة . . أي التي ولدت من أب عربي وام اجنبية . . والعكس . . فهذه الفتاة تجري في شرايينها فصيلتان من الدم . . تقاليد متزمتة مقيضة تقود الى الحياة العربية المتخلفة ، ونقيضها المباشر : التقاليد الغربية التي تتمشى مع الحياة الحضارية والحرية الشخصية ! وفي الصراع الذي ينشب هنا نرى الفتاة العربية تنهي هذا التناقض باحدى الوسائل الأتية :

١ ـ التمرد على واقعها . . ومحاولة تعويض ما ضاع من عمرها مع رجل أوروبي ممتلىء بالحياة مشبوب العاطفة . . مخلوق بشري يرمز لمصدر الحياة وللقوة والرقة . . وهذا التمرد ينم عن أن هذه الفتاة تتمتع بعنفوان اكتسبته من دمائها الاوروبية ، يؤهلها للتمرد والسعي لحياة حرة طليقة . . وأكثر افلام هذا الاتجاه تحررا فيلم « ياسمينة » (١٩٢٦) . . فهو يصف الفتاة المخلطة ياسمينة التي تمردت على زوجها العربي الثري لترتمي في احضان طبيبها الفرنسي الذي كان صديقا سابقا لامها الفرنسية !! . . ومن الافلام التي لاقت نجاحا كبيرا في هذا الاتجاه فيلم « الريح » ١٩٣٣ الذي يروي قصة عائشة الفتاة التي ولدت من أب عربي وأم أسبانية وحققت تمردها على واقعها العربي بالحياة كعشيقة لطيفة للفرنسي لورنس الذي هجرته زوجته فقرر الذهاب الى الجزائر والاستقرار في جنوبها .

٢ ـ محاولة للاستمرار في الانتماء الاوروبي . . فالسلالة التي تنجم عن الزواج المختلط من فتاة عربية لاوروبي لا تنجو من رغبة عارمة من طرف الأب لتقرير مصيرها في ظل الاخلاقيات الاوربية . . ويبدو هذا واضحا في فيلم « فيلق الصحراء ١٩٥٣ » الذي يصف بعطف وادراك رغبة أمير قبيلة مدارا في زواج ابنته مرجانة من أحد ضباط الفرقة الاجنبية في شمال افريقيا . . ويرفض بل ويقاوم زواجها من القائد العربي عمر بن خليفة لاسباب يتقبلها المتفرج عن رضا كامل . . وفي نهاية الفيلم نكتشف أن هذا الأمير كان منذ سنوات طويلة ملازما فرنسيا في الفرقة الأجنبية . . وعندما قابل الفتاة العربية خديجة أعجب بها وتزوجها وانجب منها ابنته مرجانة . . وموقفه من زواج ابنته يعني أن مجموعة من الظروف والتجارب السابقة هي التي جعلته يقرر ربط مصير ابنته بشاب أوروبي وليس عربيا .

٣ ـ الارتباط بأكثر الرجال ايجابية وشرفا من بين أبناء قومها . . ويصف الفيلم الايطالي ـ المصري « الصقر » ١٩٤٩ في أسلوب متحذلق بعض الشيء مصير بطلته ليلى (سلفانا بمباني في النسخة الايطالية . . وسامية جمال في النسخة العربية) . . من منطلق كونها تمثل ثقافة عريقة متحضرة . . ليس لأنها سليلة العائلات العريقة وابنة أحد الباشوات فحسب . . ولكن لأنها هاجرت من مصر في طفولتها وعاشت في باريس مع أمها الفرنسية . . لذلك فهي تختلف اختلافا تاما عن أفراد عائلتها كما انها أرق من أن تقوى على احتمال جو الدناءة والمؤامرات والانحلال الذي تفاجأ به بعد عودتها الى مصر . . ولا تلبث أن يحطمها الصراع بين ابن عمها الشرير ابراهيم بك وحبيبها راشد قائد القبيلة الشهم والشجاع . . ثم ينتهي الفيلم بانتصار راشد على الاشرار وتتويج هذا الانتصار بتلك الخاتمة الرومانسية التي تجمع بين راشد وليلى . .

● الفتاة ريماني « أسوار الطين » ١٩٧٠

الغانيـــة

وظهرت المرأة العربية في أفلام أخرى كتقليد لبعض النماذج الشائعة الغانية « الصالون » في افلام رعاة البقر الأمريكية .. وهذا النوع من النساء لابد من أن يتعامل مع رعاة البقر وسارقي الماشية والرماة المحترفين وجنود الشمال والجنوب .. تراهن داخل المقاهي العربية .. أو الكباريهات التي يديرها الاوروبيون يتعاملن مع نماذج متشابهة .. فهناك اللصوص .. ورجال الفرقة الأجنبية بجنسياتهم المختلفة .. والعملاء .. ورجال القبائل .. الخ .

وقد سارت المرأة العربية في هذه الأفلام على نهج الغانية الامريكية في خلق عالمها الخاص .. فهما تتشابهان في ميلهما الى النفوس الضالة والشخصيات المنبوذة أو المتمردة .. كذلك تتشابهان في سعيهما وراء الشخصيات التي يصعب اقتحامها ..

وهذا الطراز من النساء العربيات تنزع اليه السينما الاوروبية مرارا وتكرارا .. لأن من خلاله يمكن تجسيد ملامح شخصية احاطت بها الظروف فاضطرتها الى العيش في مجتمع يسوده التخلف .. أو في جحيم بلدة صغيرة حيث يقضي التقاعس أو الخمول والتعصب والشر على أي نوع من الاصالة أو على أي بادرة من الانسانية فيه .

القارة المفقودة

ألِفَ الكتاب في الغرب أن يحدثونا كثيرا عن « القارة المفقودة ـ اطلانطيس » ويدهش من يتصفح المؤلفات الكثيرة التي كتبت عن هذه القارة مما يصادفه بين جنباتها من ثروة هائلة من الموضوعات والأجواء .. وتسترعي الانتباه على الأخص تلك الرؤي المتباينة لهذه القارة المفقودة التي جاء ذكرها في محاورات افلاطون حيث وصف ما بها من حضارة متقدمة رفيعة المستوى أخذت تزدهر على أطراف المحيط الاطلسي حتى أتى عليها بركان ثائر فدمرها .

ومن نفس المنطلق كتب الانجليزي فرانسيس بيكون « الاطلانطيس الجديد » ووصف منها عالما غير عالمنا الذي نعيش فيه .. ثم كتب سير آرثر كونان دويل روايته « في قاع المحيط » من محاولة وهمية للبحث عن قارة اطلانطيس الضائعة في أعماق المحيط ..

وما يهمنا من حكايات القارة المفقودة ان هذه المحاولات التي استغلت نفس الأفكار الخيالية في قصص الاطلانطيس لوهم الشخصيات العربية والحضارات المرتبطة بالتاريخ العربي . ونخص بالذكر رواية « عائشة » للكاتب الانجليزي سير هـ . رايدر هجارد التي كتبها عام ١٩١٩ ورواية الاطلانطيس التي كتبها الفرنسي بيربينوا عام ١٩٢٠ .. والروايتان قدمتها السينما العالمية في كثير من الافلام التي تنتمي الى جنسيات مختلفة .

تدور أحداث رواية « عائشة » في بقعة مجهولة من سواحل افريقيا .. حيث يوجد شعب وحشي يعيش في كهوف فرعونية احيطت بمستنقعات كثيفة .. ويتكلم افراده احدى اللهجات العربية .. وتحكمه ملكة قوية لا ترى الا نادرا .. هذه الملكة هي « عائشة » التي أوتيت سر الحياة .. وعلما بكل شيء .. وسحرا نافذا فتاكا تأسر من خلاله ضحاياها من الرجال .

أما رواية «الأطلنطيس» فتدور احداثها في منطقة مجهولة من جبال الحجار بالصحراء الافريقية حيث توجد مدينة تحكمها الملكة « أنتينان » .. وهي امرأة بالغة الحس والقسوة .. لها كهنوتها الخاص . وتستعين بأحد الشيوخ العرب من قبائل الطوارق ليحضر لها ضحاياها من الرجال البيض الذين يقضون عمرهم وقوداً لشهواتها الطاغية .

المرأة .. وبعض الايجابية !!

والشيء المثير للألم هو اننا لو حاولنا احصاء الافلام الغربية التي تعاملت مع المرأة العربية كوسيلة لمهاجمة الشخصية العربية فسيسهل علينا أن نحصي عددا من الأفلام يتجاوز المائة .. أما لو خطر ببالنا أن نحصي عدد الأفلام التي تعاملت مع المرأة العربية بشكل يدعو للتأمل حتى ولو اختلفنا معها فلن نستطيع للاسف أن نزيد على اصابع اليد الواحدة !!

ولقد كان أول دور هام يحرص على تقديم المرأة العربية بشكل يبعد عن الرؤية التقليدية المناهضة لها هو دور الفتاة « اتيتو » ابنة حامو منشيء المقاومة البربرية ضد الفُرنسيين في جبال الاطلس .. فهذا الدور الذي قدمه المخرج جان بنوا ليفي في فيلم «إيتيتو» عام ١٩٣٤ يعكس خبرته بالبيئة التي يصورها باقتدار ومازال ينفرد به بالفعل على كثير من المخرجين الذين تعاملوا مع البيئة العربية ..

كانت اتيتو تمثل الصراع بين العواطف الطبيعية في ظل حياتها كزوجة تعيش مع زوجها واطفالها وخادمتها المخلصة « عائشة » .. والمبادىء الداعية الى مقاومة المستعمر الفرنسي التي ينادي بها أبوها .. فهي تبدو بشكل ما أمرأة متماسكة الاعصاب .. محددة المواقف .. صبورة .. رغم انها عاجزة عن التوفيق بين حياتها كامرأة .. والواقع الذي يفرض عليها الترحال في المناطق الجبلية الوعرة .. ورعاية عائلتها .. ثم الكفاح من أجل حرية وطنها ..

والفكرة العامة التي يخرج بها القارىء بعد أن يأتي على كتاب عائشة ـ هي انه في مواجهة أحداث تدور في منطقة افريقية قريبة من شاطىء افريقيا .. وان سكان مملكة (جور) التي تملكها عائشة يشبهون كما يصفهم سكان بلاد الصومال .. أما الفيلم الذي أخرجه داي فيعمد عن قصد الى تغيير مكان مملكة عائشة ويجعله الصحراء الفلسطينية .. ويصبح عرش عائشة على مقربة من ابواب اورشاليم (القدس) !!

والنظرة السريعة للدوافع وراء هذا التغيير تكشف الخبايا الدعائية في الفيلم وتهتك أستارها بسهولة .. فالفيلم في مقابل هذا التغيير يتنازل عن بعض المعطيات التي وردت في الرواية الأصلية ومنها موقف اليهود من عائشة في مدينة أورشاليم حين رجموها بالحجارة عندما حاولت تعليمهم حكمتها الشريرة وتقديمه بالشكل الذي يوحي بأن عائشة العربية أقامت مملكتها على الأراضي التي كان يملكها اليهود .. وأن التخلص في النهاية هو الحل الطبيعي الذي يعيد هذه الأراضي الى اهلها الأصليين !!

والمتفحص لهذه الأفلام لابد أن يلمح بعض العناصر المتقاربة والمتشابهة ، وفي هذا التشابه والتقارب ما يؤكد جذور الحس الاستعماري المتوغل في أعماق مخرجين من أمثال بنواليفي وزوبادا وبروتشيلي رغم محاولتهم احتضان شخصية المرأة العربية بما يشبه الحب .. وينعكس هذا التشابه في عنصرين :

١ ـ أن المرأة العربية في هذه الأفلام تنتمي دائما الى قبائل البربر والبربر بالنسبة للسينمائي الفرنسي كان لهم وضعهم الخاص سواء اثناء الاحتلال أو بعده . . ويرتبط ظهورهم على الشاشة بما عرف بالظهير البربري الذي أصدرته سلطات الاحتلال الفرنسي ويدعو الى تعزيز جانب البربر في شمال افريقيا . . ولا عجب في ان الشعب في أقطار المغرب العربي عربه وبربره فسر هذا الظهير على انه تدخل فرنسي في تعاليم الاسلام . . كما انه تصميم من جانب فرنسا على تفرقة المسلمين وفصل البربر عن العرب .

٢ ـ ورغم التعاطف مع الشخصية البربرية يجد السينمائي الغربي نفسه يدافع عن الاستعمار الفرنسي بشكل أو بآخر . . ففي فيلم « اتيتو » ينتشر الاحساس بعدم جدوى مقاومة الاستعمار وفيلم أسوار الطين يدعي ان وضع أقطار المغرب العربي بعد استقلالها لا يختلف كثيرا عن وضعها اثناء الاستعمار . وستجد برتوتشيلي يحلل ذلك بقوله « إن أسوار الطين هو أول عمل يتناول هذا الموضوع منذ الاستقلال الذي مضى عليه عشر سنوات . . فكل الأفلام التي انتجها الجزائريون والتونسيون حتى اليوم تجري أحداثها خلال فترة الاحتلال الفرنسي . . ومن ثم فمنذ عشر سنوات والناس يخدعون بعض الشيء

● اورسولا أندريس في دور « عائشة »

عن طريق اسدال ستار على الواقع التونسي أو الجزائري بعد الاستقلال . . ومن ثم فقد كانت تحدوني الرغبة في الكلام عن هذه المشكلة وأعود الى عبارة(قانون)التي وضعها في بداية الفيلم ، والتي تشير الى أن المرحلة البورجوازية في الدول النامية بعد مرحلة الاستعمار غير ضرورية على الاطلاق . . وأن الشعب بعد الاستقلال يعاني من نفس المشكلات . .

نماذج معاصرة

والمتناقضات التي ازدادت حدتها في العلاقة بين العرب والغرب على الأخص بعد ظهور المقاومة في المغرب العربي . . ودور البترول العربي في تشكيل ملامح الحياة العربية المعاصرة . . وخروج المقاومة الفلسطينية الى حيز الوجود . . كلها عناصر قد تعاونت على تغيير المفاهيم الخاصة بتصوير المرأة العربية على الشاشة العالمية . . ولكن دون أن تخرج هذه المفاهيم كثيرا عن الرؤية التقليدية . . كل ما في الأمر انها ربطت المرأة العربية بالأحداث السياسية . . فالممرضة ليلى . . « مادلين رو » تعاصر احدى ثورات الشباب العربي ضد حكامهم في « هروب من الظهران » لرونالدنيم ١٩٦٢ . . والفتاة « عائشة » كلوديا كاردينالي تختزن كل معوقات الحياة في ظل الصراع بين رجال الجيش الفرنسي والثوار الجزائريين في فيلم Lost command لمارك روبسون (١٩٦٦) والجاسوسة العربية المثيرة ـ ياسمين (صوفيا لورين) تلعب دورا في الايقاع بالعالم اليهودي دافيد في « ارابيك » لستانلي دونن ١٩٦٦ . . والفدائية الفلسطينية داليا هارت كلير تقدم كإرهابية مطاردة من العميل الاسرائيلي كابا روف في ـ يوم الأحد الأسود ـ لجون فرانكينها يمر ١٩٧٧ . . والفتاة العربية (سعاد حيدو) تساند المجرم الفرنسي الهارب الى المغرب في ـ الأخ الكبير ـ لفرانسيس جيرو ١٩٨٢ . . الخ .

كل هذه الافلام يغلب عليها طابع الحركة السريعة العنيفة التي برزت فيها مقدرة مخرجيها ـ وأغلبهم من اليهود ـ غير أن هذه المقدرة لم تقترن بنجاح مماثل في تصوير المرأة العربية ومشاعرها وانفعالاتها النفسية ودورها الحقيقي في الأحداث الاجتماعية والسياسية المعاصرة . . □

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الجُمَل .. ذوات المحل من الإعراب

ترد إلينا أحيانامن الاخوة القراء أسئلة لغوية ، ونحن نختار منها ما نرى في الاجابة عنه لجمهرة القراء فائدة عامة ،ونترك ما عداه ليسأل صاحبه عن جوابه بين العارفين بالعربية .

من الأديب حمادي الأطير (بيلا - كفر الشيخ - مصر) جاءتنارسالة يذكر فيها هذا البيت :

ومن تكن العلياءُ همةَ نفسِهِ
فكلُّ الذي يلقاه فيها محبَّبُ

وقد أعربَ فيها الشطر الثاني إعرابا صحيحا ، ويشير الى أن جملة « يلقاه » صلة الموصول « الذي » لا محل لها من الإعراب ، ثم يسأل عن معنى قولهم « لا محل لها من الإعراب » .

ونشير في مقدمة جوابنا أن نحاتنا الأوّل كانوا أكثر اهتماما بوظيفة الكلمة أو علاقتها بغيرها في الجملة ، وعلاقة كل جملة بغيرها في الكلام ، وهذا ما ينبغي في دراسة النحو لأي لغة أو لهجة ، أو أجروميتها ، أي قواعدها النحوية سواء كانت ذات إعراب (في أواخر الكلمات) أو كانت خالية منه ، اذ لا تخلو لغة أو لهجة من قواعدها الخاصة سواء كانت أدبية أو عامية ، ذات إعراب كلغتنا الفصيحة أو خالية منه كلهجاتنا العامية وكثير من اللغات واللهجات الأجنبية .

ولكن نحاتنا المتأخرين فهموا الإعراب على أنه تغير أواخر الكلمات فحسب ، وكانت عنايتهم به أشد وأكثر من اهتمامهم بوظائف الكلمات والجمل ، أو علاقاتها بعضها ببعض ، مع أنهم يقولون : « إن الإعراب فرع المعنى » ، وهذا صحيح ، ولكنهم اهتموا بالفرع ، وكادوا يهملون الأصل ، ومن هنا رأى أكثرهم أن النحوَ علمُ الإعراب (في أواخر الكلمات) ، ومن إيغالهم في هذا الاتجاه تقسيمهم الجمل قسمين : جملا لها محل من الإعراب ، وجملا لا محل لها منه ، فإذا كانت الجملة

تحل محل اسم أو شبهه مرفوع اعتبروها في محل رفع ، وهكذا ، ومن أمثلة ذلك جملة « يرضعن » في قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن » فإنها خبر مبتدأ فتكون مثله في محل رفع ، ولو قلنا « كانت الوالدات يرضعن أولادهن » كانت جملة « يرضعن » خبرا بعد كان ، فتكون في محل نصب .

ومن أمثلة الجمل التي لا محل لها من الإعراب عندهم جملة صلة الموصول كجملة « يلقاه » في بيت الشعر هنا ، ومن أمثلتها الجملة الابتدائية (في أول الكلام) ، والجملة المعطوفة عليها كما في قولنا ، « تشرق الشمس فتنير الدنيا » .

ولا نريد أن نستوعب البحث في هذه الجمل ، ونرى أنه لا حاجة إليه ، فحسبنا من دراسة الجمل أن نعرف علاقتها بغيرها من الكلمات والجمل ، وهذا البحث وأمثاله قد صعّب النحو على طلابه ، ونفرهم منه .

[إنما]

وجاءتنا رسالة من الأخ صلاح آدم (أم درمان ـ السودان) يسأل فيها عن (انما) : معناها وتركيبها وطرق استعمالها .

والجواب : إنما تفيد الحصر أو القصر مع تقرير المعنى ، فتستعمل لقصر صفة على موصوف ، أو موصوف على صفة ، مثال قصر الصفة على الموصوف قوله تعالى : (انما يتذكر أولو الالباب) فقد قصرت صفة التذكر والاعتبار على أصحاب العقول ، وكقوله : (انما يخشى الله من عباده العلماء) فقد قصرت الخشية من الله على العلماء وكقولنا : (انما الكمالُ لله) أي أن صفة الكمال مقصورةٌ على الله وحده .

ومثال قصر الموصوف على الصفة قوله تعالى : (إنما هو إلهٌ واحد) فقد قصر الذاتَ الالهية على الوحدانية ، وقوله : (انما المشركون نجسٌ) فقد قصر المشركين على صفة النجاسة .

ونلاحظ هنا أن (انما) تدخل على الجملة الاسمية والفعلية .

وان هذه الأداة مركبة من (ان) التي تعني التوكيد ، و (ما) الزائدة الكافة لإنَّ عن عملها ، وقد أحسن أسلافنا حين وصلوهما لأنهما هنا كلمة واحدة لمعنى واحد هو القصر أو الحصر كما قدمنا ، وهذا وحده هو ما يعنى عالم النحو ، الذي لا يهمه في الكلام الا معرفة وظيفة الكلمة في جملتها وعلاقتها بغيرها فيها ، ولا يعنيه تركيبها كما يعني ذلك الباحث في فقه اللغة PHilology . (وأنصح الأخ أن لا يتعب نفسه في البحث عن مثل هذه الدراسة الا اذا أراد التخصص في فقه اللغة .

كما تلاحظ أن قصر الموصوف على الصفة أمر اعتباري أو نسبي ، اذ ليس هناك موصوف ليس له الا صفة واحدة لايتعداها ، فاذا قيل (انما المتنبي شاعر) فانما يقصد بذلك مثلا أنه لم يكن كاتبا ولا خطيبا ولا معلما ولا واعظا ، لمن يظنه كذلك ، ولا ينفي ذلك أنه كان فارسا وشجاعا وعراقيا وكوفيا ، ونحو ذلك من عشرات الصفات التي يمكن أن يوصف بها .

والجملة المحصورة بالأداة ، (إنما) تدل بذاتها على القصر ، ولكن قد يلحقها أو يسبقها ما يزيدها توكيدا في القصر المقصود منها .

مثال اللاحق قوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ومثال السابق قوله تعالى : « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو إلهٌ واحد » ، وقوله : « ما على المحسنين من سبيل ...... انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء » (التوبة) . وفي هذه الحالة تؤدي انما معنى الاستدراك ، مثل (لكن) كما في قولنا : « ليس النيل بحرا ، انما هو نهر » ، فكأننا قلنا « ليس النيل بحرا ، لكنه نهر » ، وقد تدل على الاضراب مثل (بل) فكأننا قلنا « ليس النيل بحرا ، بل هو نهر » ، ويجوز أن نقول : « إنما النيل نهر ، لا بحر » أو « انما النيل نهر ، وليس بحرا » . والله أعلم □

■ إن أسلوبي في المزاح هو أن أقول الحقيقة .. إنها أبدع نكات الارض . « جورج برناردشو »

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

كرم العرب

في الشعر العربي قصص نثرية وأخرى شعرية ، وهذه القصيدة إحداها ، فقد اجتمع لها كل ما ينبغي اجتماعه للقصة القصيرة إذ تعتمد على موقف تصوره بإيجاز ، مع الايحاء لسد فجواته ، وقد بدأت بحسن عرض الموقف ، ثم حبكة العقدة ، وختمت بحل سهل لها.

الحطيئة(١) لقبه ، واسمه جرول العبسي،ولد في الجاهلية في بادية بني عبس ولكنه كان معتل النسب ، وكان دميم الخلق رقيق الاسلام . نزل الكوفة بعد تمصيرها في عهد عمر بن الخطاب ، وكان مثيرا بالناس كثير الهجاء لهم حتى من يحسنون اليه ، ولكنه لم يفحش بالعورات،وكان يجمع المال،ولكنه كان متلافا مع قلة الحاجة في السؤال ، وقد عاقبه عمر بالحبس لأهاجيه حين شكي اليه وتهدده بقطع لسانه ، فاستعطفه بقصيدة جيدة يذكر فيها صغاره ، ووعده بالتوبة ، وقد طال عمره فمات سنة ٥٩هـ . وله ديوان طبع عدة مرات ، وليس في عصره من يفوقه في جودة شعره .

وقد اخترنا هذه القصيدة التي تنسب اليه اذ ليس في عصره من هو أولى بها منه ، وهي تحكي قصة بدوي مستوحش في الصحراء مع زوجته العجوز وصغاره الثلاثة ، قدم عليه ضيف ولا طعام عندهم، فلما رأى ابنه حيرته طلب منه ذبحه ليقدمه لضيفه فرارا من تهمة البخل وهو من أقبح الأخلاق عند العرب ، ولكن المشكلة انحلت حين رأى قطيعا من حمر الوحش يتقدمها كبيرها نحو الماء لتروى ، فلما رويت اختار منها أتانا سمينة ذات ولد فأرداها بسهم ، وجرها فرحا الى منزله ، فشووها وأطعموا منها ضيفهم وأكلوا وباتوا بغبطة ، وكأن الضيف ابن للأبوين سرورا به .

وَطَاوِي ثلاثٍ ، عاصبِ البطنِ ، مُرمِلٍ ... بِبَيْداءَ لم يعرف بها ساكنٌ رَسْمَا[٢]
أخي جَفْوةٍ ، فيه من الإنس وَحْشَةٌ ... يرى البؤسَ فيها ، من شراسته نُعْمَى
وأفرَدَ في شِعبٍ عجوزاً ، إزاءها ... ثلاثةُ أشباحٍ تخالُهُم بَهْمَا[٣]
حُفاةٌ ، عُراةٌ ما اغتذَوْا خُبزَ مَلَّةٍ ... ولا عرفوا للبُرِّ مُذْ خُلِقوا طَعْمَا
رأى شبحاً ، وسْطَ الظلامِ فراعَهُ ... فلمّا بَدا ضيفاً تَشَمَّرَ واهتمّا
فقال ابنه ، لما رآه بحَيْرَةٍ : ... أيا أبتِ اذْبَحْني ويَسِّرْ له طُعْمَا
ولا تعتذرْ بالعُدْمِ ، علَّ الذي طرا ... يظنُّ لنا مالاً ، فيوسعنا ذَمَّا[٤]
فروَّى قليلاً ، ثم أحجَمَ بُرهةً ... وإنْ هوَ لم يذبحْ فتاه فقد هَمَّا
وقال : هيا ربَّاهُ ، ضيفٌ ولا قِرَى ! ... بحقِّك ، لا تحرمه تا الليلةَ اللَّحْمَا
فبيناهُمُ ، عنَّت على البُعْدِ عانةٌ ... قد انتظمتْ من خلف مِسْحَلِها نَظْمَا[٥]
عِطاشاً تريدُ الماءَ ، فانسابَ نحوها ... على أنهُ منها إلى دمِها أظْمَا
فأمهَلَها ، حتى تروَّتْ عِطاشُها ... فأرسل فيها من كِنانَتِه سَهْمَا
فخرَّتْ نَحُوصٌ ، ذاتُ جحشٍ ، فَتِيَّةٌ ... قد اكتنزتْ لحماً ، وقد طُبِّقتْ شحْمَا[٦]
فيا بِشْرَهُ إذ جرَّها نحوَ أهلِهِ ... ويا بِشْرَهُمْ لمّا رأوا كَلْمَها يَدْمَى ![٧]
فباتوا كِراماً قد قضَوْا حقَّ ضيفِهِمْ ... فلم يغرَمُوا غُرْماً ، وقد غنِموا غُنْمَا
وباتَ أبوهُمْ من بشاشته أباً ... لضيفِهِم ، والأمُّ من بِشْرِها أُمَّا

(١) الحطيئة : حطأ الرجل خصمه صرعه أو ضرب به الأرض أو ضربه بيده ، واسم المرة : الحطأة وتصغيره الحطيئة ، لقب بمعنى القصير أو الدميم .

(٢) رجل محتاج أمضى ثلاث ليال جائعا يعصب بطنه بخرق ليخفف ألم الجوع ، في صحراء لا أثر فيها لساكن .

(٣) كان امام العجوز صغارها الثلاثة كصغار الحيوان .

(٤) العدم : الفقر ـ طرا : طرأ وأتى ـ يوسعنا ذما : يشتد في ذمنا .

(٥) العانة : قطيع الحمر الوحشية ـ ومسحلها : كبيرها .

(٦) النحوص : الحمارة الوحشية وكان لها ولد .

(٧) كلمها يدمى : جرحها يسيل منه الدم .

كرامة العلم

القاضي أبو الحسن الجرجاني صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه »

يقولونَ لي : « فيك انقباضٌ » ، وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
اذا قيل « هذا منهلٌ » قلت : « قد أرى ... ولكن نفسَ الحر تحتمل الظما »
ولم أبتَذِل في خدمةِ العلم مُهجتي ... لأخدُم من لاقيتُ ، لكن لأُخدَما
أأشقى به غرساً ، وأجنيه ذِلةً ... إذن فاتباعُ الجهلِ قد كان أحزما
ولو أن أهلَ العلم صانُوه صانهمْ ... ولو عظَّموهُ في النفوس لَعُظِّما
ولكن أذلُّوهُ ، فهانَ ، ودنَّسوا ... مُحَيَّاهُ بالأطماع حتى تجهَّما

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الجديد في علاج مرض الايدز

(الإيدز) مرض فتاك اكتشفوه في أمريكا قبل خمس سنوات .. والاسم (AIDS) اختصار للتسمية الكاملة التي اطلقوها على هذا المرض، وهي الآفة المكتسبة لعجز المناعة (Acquired Immune Deficiency Syndrome) وما أسرع ما ظهر للأطباء العلماء أن المرض غالباً ما يصيب فئات معينة من السكان هي : فئة المدمنين على المخدرات وفئة اللوطيين وسكان جزيرة هايتي وفئة النعوريين .. (ذوي النزعة الوراثية للنزف الدموي) Hemophiliac.

واعتقد الباحثون أن مرضاً كهذا يفتك بأجهزة المناعة في الجسم، وبالتالي في ذلك الجسم نفسه، مرض عضال ولا ريب .. الا انهم واصلوا أبحاثهم وتجاربهم ودراساتهم لمرض الإيدز هذا .. حتى لاحت لهم بوارق تبعث على الأمل في معالجته ومكافحته ..

كان ذلك في مطلع شهر نوفمبر الماضي (١٩٨٤)، وفي مركزين منفصلين للأبحاث الطبية : احدهما المعهد الوطني للسرطان (NCI) في بثسدة (Bethesda) في الولايات المتحدة الأمريكية .. والآخر معهد باستور في باريس .. فقد اكتشف العلماء في هذين المركزين، في آن معاً، فيروساً ذا صلة وثيقة بالإيدز .. ولا يستبعد الباحثون أن يكون هذا الفيروس هو سبب المرض بالذات .

لا عجب اذن أن غمرت الفرحة جمهور العلماء والباحثين في كل مكان .. فقد (انتصر العلم على مرض مفزع مخيف ـ أو يوشك أن ينتصر) ... كما قالت وزيرة الصحة الأمريكية مرجريت هكسلر، ولا غرابة أن كان هذا الاكتشاف موضع النقاش في المؤتمر السنوي الذي تعقده رابطة بنوك الدم في سان انطونيو .. وكذلك في الاجتماعات التي تعقدها بين حين وآخر جماعات المهتمين بمرض الإيدز بالذات .. سواء في مدينة نيويورك أو في سان فرنسيسكو .. وقد استعرض المجتمعون حقيقة الفيروس الذي تم اكتشافه بشيء من التفصيل،واستعرضوا قبل ذلك بعض الاحصاءات العامة التي تجمعت عن مرض الإيدز في المدة الأخيرة ..

ومما يذكر عن تلك الاحصاءات تأكيدها أن المرض لا يصيب السكان بصورة عامة .. وانما فقط الفئات الأربع السالفة الذكر ... وقد يستثنى من ذلك بعض الحالات (٨٦ حالة) ذات الصلة بعمليات نقل الدم .. الا أن هذه حالات قليلة نسبياً وقد يرى فيها البعض إثباتاً للقاعدة لا خروجا عليها .

ذلك أن مجموع الاصابات بمرض الإيدز التي سجلتها مراكز رقابة الأمراض في أطلنطا بولاية جورجيا بلغ ٦٥١٧

احصائيون يعملون في أحد مختبرات مرض الايدز

أعراض مرض الايدز الخطير كما تبدو على وجه احد المصابين به

إصابة .. كان نصيب اللوطيين منها ٧٢٪ .. وبلغت إصابات عام ١٩٨٤ ضعفي إصابات سنة ١٩٨٣ ومات ٥٠٪ من المصابين .. وهذا قليل جداً بالقياس الى نسبة الوفيات المعروفة عن مرض الإيدز وهي تبلغ ٩٠٪ من الاصابات .

أما عن الفيروس الذي اكتشفوه في فرنسا والولايات المتحدة في وقت واحد تقريباً .. وعن صلته بالمرض أهي صلة إحصائية فحسب ، أو صلة سببية .تؤكد أن الفيروس هو سبب المرض .. كما يعتقد أكثر الباحثين .. فإليك بعض الحقائق والشواهد ..

* ثبت وجود الأجسام المضادة لذلك الفيروس في دم المصابين بمرض الإيدز .. ولم يعثر على شيء من هذه الأجسام المضادة في أي من مجموع السكان بصفة عامة ..
* نجح الباحثون في التسبب بظهور تلك الأجسام المضادة .. وكذلك بعض أعراض مرض الإيدز في بعض القردة من فصيلة الشمبانزي .. وذلك بحقنها بالفيروس المكتشف أو بدم مأخوذ من مرضى الإيدز ...
* أما الفيروس بالذات فقد تم اكتشافه لا في دم المصابين فحسب وانما في منيهم ولعابهم أيضاً .. وهذا ينفي الاعتقاد السابق بأن انتقال المرض يفترض تبادل أو اختلاط سوائل الأجسام،ويشترط لذلك اتصال تلك الأجسام عن طريق الشذوذ الجنسي أو بواسطة إبر التخدير التي يستعملها المدمنون الواحد بعد الآخر .. ويتدرك الباحثون ويطمئنون الكثيرين الذين ذعروا لذكر اللعاب بين الأوعية الناقلة للفيروس .. ويؤكدون لهم أن ذلك الاكتشاف لا يعني بالضرورة أن مرض الإيدز يمكن أن ينتقل من انسان الى آخر عن طريق التقبيل أو العطس ..

بقي أن نذكر أن الفيروس الذي يسبب مرض الإيدز في البعض قد لا يسببه في البعض الآخر .. وقد لا يسبب في هؤلاء سوى أعراض المرض الثانوية (ARC) التي تشبه أعراض الانفلونزا وتشمل فيما تشمل تورم الغدد ونقصان الوزن والضعف .. وقد لا يسبب لهم أية أعراض على الاطلاق .. ولكنهم ، رغم ذلك ، مصابون بالمرض .. وقادرون على نقله الى غيرهم .

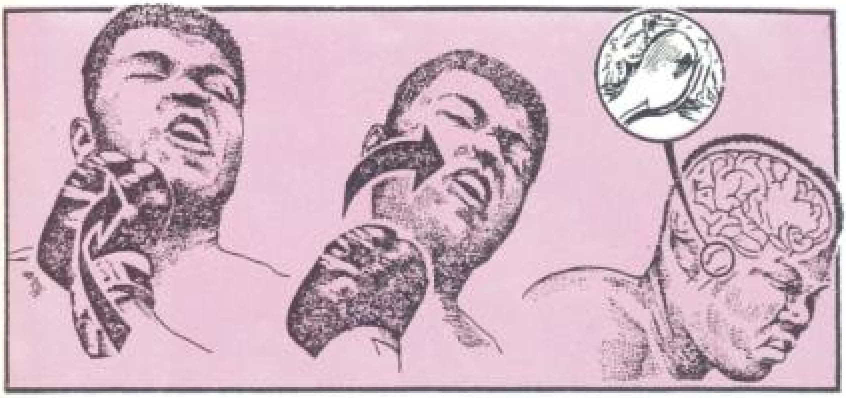

الموقع الذي تلف من مخ محمد علي كلاي

بطل الملاكمة «الأعظم» .. يتماثل للشفاء

محمد علي كلاي .. بطل الملاكمة الشهير الذي طالما ملأنا دهشة واعجابا بجمعه بين اللكمات القاضية والرقصات الرائعة ... والذي احتفظ ببطولة الوزن الثقيل طويلا ، والذي فقدها أحيانا ثم ما لبث ان استردها ... هذا البطل عاد فجأة الى مسرح الأحداث في المدة الأخيرة .. ولكنه عاد مريضا يخرج من مستشفى ليدخل غيره .. بحثا عن التشخيص اليقيني للعلة التي يعاني منها ...

حقا ان الملاكمة هي المسؤولة عن تلك العلة ، وقد عرف ذلك الأطباء الذين فحصوه ، ورددته شتى الصحف ووكالات الأنباء في حينه ... ولكن ماهي علته على وجه الدقة !! وما هو التلف الذي ألحقته الملاكمة بمخ محمد علي كلاي ... ؟ وهل هناك أمل في شفائه ... ؟ تلك هي الأسئلة التي يحرص الكثيرون على معرفة أجوبتها والتي لم يكن في الامكان الرد عليها ردا مرضيا قبل أن يصبح كلاي موضع عناية الدكتور ستانلي فان (S. Fahn) في مستشفى Golombia Presbyterian في نيويورك .

فقد ثبت لهذا الطبيب المتخصص أن علة محمد علي ليست مرض باركنسون ، وان كانت أعراضها تشبه أعراض هذا المرض ، وهي البطء في النطق والحركة والرجفة في اليدين والشعور المتواصل بالتعب ...

وثبت له أيضا أن علته ليست تلفا في خارج المخ ، ولوكانت كذلك لما كان كلاي حاضر الذهن بالقدر الذي لاحظه الصغار والكبار ...

كذلك ثبت للدكتور (فان) أن علة كلاي ليست (سُكْر الملاكمة) Punch drunk ولو كانت كذلك لفقد القدرة على التحكم بنفسه ، ولكان من الذين يكررون ما يقولون من حيث لايدرون ... ولكان يعاني من الارتباك في نطقه والاختلاط في كلماته ...

ذلك أن العلة التي يعاني منها كلاي كما ثبت للطبيب المعالج انما هي في الشعيرات العصبية التي تقع في المخ الأوسط ـ مخ محمد علي طبعا ـ والتي تسمى في المصطلح الطبي (Substantia nigra)

فهذه الشعيرات اختلت كثيرا أو قليلا نتيجة الملاكمة وتلقي اللكمات التي تبلغ قوة الواحدة منها ١٠٠٠ رطل انكليزي أو

تـزيـد .. وبـالتـالي أصبحت تـلك الشعيرات غير قادرة على أداء وظيفتها كما يجب . . .

ولعل أكبر دليل على صحة هذا التشخيص هو التحسن الكبير الذي طرأ على حالة محمد علي كلاي تبعا لتناول الأدوية التي وصفها الدكتور (فان) . . .

فقد وصف له العقارين التالين :

L-dopa Bromocryptine

وتجدر الاشارة الى المساعي الجادة التي تقوم بها الهيئات الطبية في بريطانيا وأمريكا ، والتي تستهدف تحريم الملاكمة وحظرها نهائيا ، باعتبارها رياضة وحشية لاهدف منها الا البطش بالخصم .. وقتله إن أمكن . . . □

عقاران جديدان لعلاج الصرع

□ نشرت مجلة نيو انجلند الطبية نتائج الدراسة الواسعة الدقيقة التي أجراها مستشفى كنج كولج king college حول الصرع ونوباته .. فقد أثبتت هذه الدراسة التي استغرقت ٥ , ٥ سنوات ، أن في استطاعة ضحايا الصرع أن يتطلعوا الى الشفاء منه ، لاسيما اذا أمكن معالجتهم بأحد العقارين الجديدين ، في غضون السنتين الأوليين من اصابتهم بالمرض .

فقد جرب العقاران على نطاق واسع فأثبتا فاعليتهما .. وقدرتهما على الشفاء من الصرع اذا استمرت المعالجة بالواحد منهما مدة سنتين .. وذلك بنسبة ٨٣ ٪ ، أما العقاران الجديدان فهما :

Phentytoine

Carbamazepin. ولعلهما قديمان بحد ذاتهما ، ولعل استعمالها الفعال ضد الصرع هو الجديد .. □

غاز الميثان في الجو

□ من المعروف أن غاز ثاني أكسيد الكربون آخذ في التكاثر في الغلاف الجوي الذي يلف الكرة الأرضية .. ومن المعروف أيضا أن سبب ذلك انما هو حرق البترول ومشتقاته واشتقاقه من مصادر الطاقة الأحفورية .. ومن المعروف كذلك أن تكاثر هذا الغاز هو المسؤول الأول عن الارتفاع الذي طرأ على حرارة سطح الأرض مسببا ما يعرف بأثر البيت الزجاجي Greenhous effect

ولكن العلماء اكتشفوا مؤخرا ـ في أواخر العام الماضي ١٩٨٤ وفي جامعة كاليفورنيا بالذات ـ أن غازا آخر آخذ في التكاثر في الجو وآخذ أيضا في الاسهام في رفع حرارة سطح الأرض،انه غاز الميثان Methane وقد ثبت أن زيادته في جو الأرض كانت بنسبة ١ , ١٪ بالمتوسط سنويا وذلك منذ عام ١٩٧٧ .

أما المصادر التي يتصاعد منها غاز الميثان هذا فهي ماشية المرعى التي تستطيع هضم السيلولوز .. وحقول الارز والمستنقعات حيث يتم التفاعل البيولوجي الذي يولد غاز الميثان أيضا . ولا يخفى أن الماشية وحقول الأرز كانت في تزايد في المدة الأخيرة ..

وقد اقترح أحد علماء نيوزيلندة طريقة لاستعمال الفائض من غاز الميثان .. وذكر الدكتور دافيد لو Lowe فيما ذكر في المحاضرة التى القاها في أحد المؤتمرات الذى عقد مؤخرا في والنجتون العاصمة .. ان كمية الغازات التى تقذفها من باب بدنها غنمة واحدة في يوم واحد توفر الطاقة الكافية لتسيير سيارة شحن صغيرة مسافة ٤٠ كيلومترا . □

مكتشفون ومخترعون

لادسلاو جوزيف بيرو Ladislao Biro

ولد سنة ١٩٠٠ -

هذا هو مخترع قلم الحبر الجاف الذي انتشر استعماله وشاع في مشارق الارض ومغاربها . كان صحفيا وفنانا من المجر .. ويتردد على المطابع بحكم أعماله الصحفية . واسترعى انتباهه ذات يوم الحبر الذي تستعمله المطابع والسرعة التي يجف بها هذا الحبر .. وراح يفكر في كيفية استعمال مثل ذلك الحبر في أقلام الكتابة ..

ونجح بيرو في أواسط الثلاثينيات في ابتكار قلمه الجاف الاول الذي يكتب دون أن يلطخ الصفحة ببقع من حبره .. وبدأ معاملة تسجيل اختراعه رسميا سنة ١٩٣٨ . ولكن الحرب العالمية الثانية التي اندلعت سنة ١٩٣٩ حالت دون استكمال تلك المعاملة وحصول بيرو على براءة اختراعه .. وهجر العالم وطنه الى فرنسا فاسبانيا فالارجنتين ...

وفي مطلع الأربعينيات تعاون بيرو مع أخيه (جورج) الكيميائي على ما يمكن اجراؤه من تحسينات على قلمه .. ثم عهد لأحد المصانع في بوينس أيرس عاصمة الارجنتين بانتاج قلمه على نطاق واسع .. ولكن بيرو ما لبث أن باع حقوقه في اختراعه الى أحد مموليه .. وانطلق هذا في انتاج القلم الجاف بقصد توزيعه على أفراد القوات البريطانية والأمريكية .

وانتقلت ملكية قلم بيرو بعد ذلك الى الشركة الفرنسية الكبيرة بك Bic . وما أسرع ما مضت هذه الشركة في صنع القلم على أوسع نطاق ممكن وبيعه في شتى بلدان العالم حتى بلغ ما تنتجه الشركة الفرنسية من القلم الجاف ١٢ مليون قلم أو يزيد في اليوم الواحد . وأصبح الاسم الذي يعرف به القلم Bic لا بيرو ...

وانطوى ذكر المخترع كما انطمس اسمه .. ولا يعرف عنه الا أنه مازال يعيش في أمريكا الجنوبية وأنه يشعر بالحسرة والمرارة كلما ذكر اختراعه وذكر المردود الضئيل الذي عاد عليه به ... والأرباح الخيالية التي جنتها ومازالت تجنيها شركة Bic من قلمه الجاف .

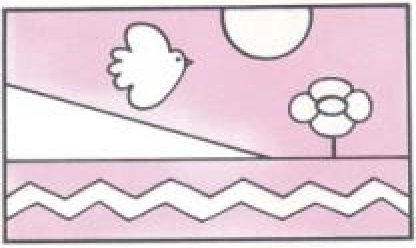

سلامة البشرية في سلامة البيئة

عصير البرتقال سترتفع أسعاره عما قريب

تعرضت زراعة البرتقال فى ولاية فلوريدا لمرض بكتيري خطير فى خريف العام الماضى - ١٩٨٤ يسمونه بالانكليزية كانكر Canker . . . وأعراضه نقاط بنية تظهر على أوراق الشجر وثماره ، وتحيط بها حلقات صفراء . . اما اسمه العلمى فهو Xanthomonas Campestries وهو كفيل بتجريد أشجار البرتقال من أوراقها ، وبالفتك بالأشجار نفسها بعد ذلك . .

ومن أهم خصائص هذا المرض سرعة انتشاره ، فقد ظهر فى احد المشاتل فى فلوريدا ، وما لبث ان انتقل بسرعة مذهلة ، وظهر فى مشاتل أخرى تبعد عن الأولى مسافة ٢٥٠ كيلو مترا . . ويشبهونه فى ذلك بمرض الفم والقدم الذى يفتك بالماشية فتكا ذريعا وسريعا . .

أما السبب فى سرعة انتقال مرض الكانكر هذا فقابليته للانتقال بشتى الوسائل . . فهو يعلق بالملابس والجلد والادوات والمعدات . . وقد لا يحتاج لانتقاله الى اى من هذه الوسائل ، نظرا لانه يستطيع الانتقال بواسطة الريح ، ولو لمسافات قصيرة . .

وتعتبر ولاية فلوريدا فى طليعة الولايات المتحدة من حيث زراعة البرتقال وصناعته . . فهى مصدر ٥٠٪ من عصير البرتقال الذى تصدره الولايات المتحدة و٩٠٪ من اللايم Lime و ٧٥٪ من عصير الجريب فروت . . وتدرك فلوريدا مدى الخسائر التى ستتكبدها لامحالة ، لانها ما زالت تذكر المرة السابقة التى بطش مرض الكانكر ببرتقالها وكان ذلك سنة ١٩١٣ وقد بلغت الخسائر التى تكبدتها بسببه آنذاك ٦ ملايين دولار أو ان شئت ٦٠ مليونا بسعر الدولار فى

المرض البكتيري كما يظهر على برتقالة

مكافحة المرض بالحرق بالنار

الوقت الحاضر . . وهذه خسائر كبيرة ولاريب ، الا أنها تتضاءل لو قورنت بالخسائر الحالية ـ بل قل المرتقبة في فصل الشتاء القادم ـ ١٢٠٠ مليون دولار .

هذا ومرض الكانكر مرض عضال ويستعصى على المبيدات . . ولا سبيل الى مكافحته الا بالحرق بالنار . . لا عجب اذن ان أضرمت النار في المشتل الذي اكتشف فيه المرض أول ما اكتشف . . وأضرمت كذلك في شتى المزارع والمشاتل الأخرى التي اشترت اشتالا موبوءة . . ثم فرضت الكورنتينا على عدة مشاتل ومزارع أخرى . .

وحكومة الولاية ـ ولاية فلوريدا ـ هي التي تقوم بأعباء المكافحة في مثل هذه الحالات (انظر الصورة) . . وهي تعتمد على غاز البوتين لاضرام النار حيث ينبغي اضرامها . . ويرى بعض الخبراء أن أعمال المكافحة هذه مبالغ فيها نوعا ما . . فهي لا تكتفي بحرق الأشجار والأشتال المصابة ، ولكنها تحرق الأشجار والاشتال غير المصابة التي تقع على بعد ١٢٥ قدماً من تلك المصابة . . وتعمد بعد ذلك الى تجديد الاشجار والأشتال التي تلي تلك من اوراقها ، ويجري تجريدها من أوراقها بواسطة رش المستحضرات التي تحتوي على مركبات النحاس وهي مستحضرات غالية الثمن . . □

هل تريد الاقلاع عن التدخين ؟

من المعروف أن الاقلاع عن التدخين مهمة شاقة للغاية وتتعذر على الكثيرين من المدخنين . ذلك أن التدخين ادمان . . ومحتوياته من النيكوتين لاتلبث أن تتطلب المزيد لدى دخولها مجرى الدم . . مهما كانت قليلة

ولكن العلماء اكتشفوا ان في استطاعة عقار الكلونيدين Clonidine مساعدة المدخنين ، بل قل الراغبين منهم في الاقلاع عن العادة الضارة المدمرة . . والعقار المذكور ليس جديدا . . وهو معروف منذ زمن ويستعمل في معالجة حالات ارتفاع ضغط الدم . . وقد استعملوه قبل حين في الحد من الادمان على الهيروين واثبت فاعليته في ذلك . أما العالم الذي اكتشف الاستعمال الجديد ضد التدخين فهو من علماء جامعة كولمبيا واسمه (Dr. A. Glassman) □

نباتات تبشر بتحقيق الامن الغذائى

☐ ما زالت مشكلة الأمن الغذائى تشغل بال العلماء .. علماء النبات والمهندسين الزراعيين .. وتحظى بنصيب وافر من جهودهم وتجاربهم .. وهدفهم فى ذلك انما هو تهجين أو تخليق صنوف جديدة من النباتات التى تتوفر فيها شروط معينة .. أهمها القيمة الغذائية العالية ، ووفرة المحصول ، والمناعة ضد الحشرات والأمراض ..

بيد أن نبات أمرانث Amaranth ونبات كوينوا Quinua ليسا من النباتات الجديدة المختلفة ، بالرغم من أنهما مستوفيان للشروط التى ذكرنا ، ويبشران بمنافع كبيرة للبشرية وبالمساعدة على حل مشكلة المجاعات فى الوقت الحاضر .. ومشكلة الانفجار السكانى فى المستقبل .. فهما قديمان ولكنهما منسيان ..

ذلك أن كلا النباتين كانا جزءا هاما من طعام الهنود الحمر فى أمريكا اللاتينية .. لقد أدركت قيمتهما حضارتا الانكا والأزتك ، وبلغ من تقديرها أن أعتقد الكثيرون من أفراد تلك القبائل بأن النباتين والكوينوا بخاصة ـ انما هما من أطعمة الآلهة ...

نبات الامرانث .. أمل المستقبل

هذا بالرغم من قيمتها الغذائية الكبيرة .. فهى لا تقل عن قيمة الحليب .. وتمتاز على قيمة كل الحبوب المعروفة ـ بما فى ذلك القمح والذرة ـ امتيازا مطلقا .. فالأمرانث والكوينوا يحتويان على نسبة عالية جدا من البروتينات ، وعلى الأحماض الأمينية المعروفة بتركيبات غريبة غير مألوفة ... أضف الى ذلك أن النباتين قابلان للزراعة والنمو فى الأقاليم الجبلية وغير الجبلية ، ولا يحتاجان الى رى كثير .... ويقاومان الجفاف .. والتقلبات الجوية .. وأن حبوبهما ـ وهى أقسى من القمح والذرة ـ قابلة للطحن والاستعمال كدقيق القمح .. ويصلحان أيضا للغلى والأكل كالأرز ، ناهيك بصلاحهما وصلاح نفاياتهما علفا للحيوانات ، وثمة ميزة أخرى .. هى أن محاصيل النباتين لا تظهر فى وقت واحد .. ويمكن أن يستمر حصادهما شهورا عديدة .. ولكن هذه الميزة تنطوى على سيئة كبيرة فى الوقت نفسه ... اذ لا مفر من حصاد النباتين باليد .. مادام محصولها لا ينضج فى وقت واحد وانما فى أوقات متفاوته .. ومعنى هذا أن زراعة النباتين ما زالت بالغة التكاليف .. وتزيد بنسبة (٢٠٪) على تكاليف القمح مثلا ـ والقمح يحصد ويدرس آليا ـ كما هو معروف .

ولعل هذه السيئة هى فى طليعة ما يحظى بتركيز العلماء ومراكز البحث العلمى فى الوقت الحاضر ... فالنباتان موضع دراسات وابحاث واسعة تجريها مراكز ومحطات علمية مختلفه فى مشارق الأرض ومغاربها .. نذكر من هذه المراكز على سبيل المثال مركز رودل Rodale للابحاث فى مدينة كوتز تاون Kutz-town فى ولاية بنسلفانيا فى أمريكا .. فقد رصد هذا المركز ٣ ملايين دولار ، ووضع برنامجا يستغرق ٧ سنوات لدراسة النباتين والعمل على تحسينهما وتهجينهما ..

ويعقد بعض العلماء الأمل على تخطى السيئة السالفه الذكر وتهجين صنوف جديدة من الامرانث والكوينوا لتصبح فى مستقبل غير بعيد النباتات السحرية الكفيلة بحل الكثير من مشاكل البشرية ☐

دعـــوة إلى التجريب

في أدب عــز الدين المدني

بقلم : الدكتور سيد حامد النساج*

عز الدين المدني واحد من المثقفين العرب . أسهم اسهاما واضحا في الحياة الثقافية والادبية في تونس . وتحمّل مع عدد من رفاقه مسئولية الدعوة الى التجديد في الادب وفي الفكر . فقد جسدت كتاباته المتنوعة رغبة واضحة في الابتكار والتجديد اذ سرت فيها روح الثورة والحماس ، مما لفت اليه الانظار ، ودفع المجتمع الثقافي الى الالتفات الى تجاربه الادبية وآرائه النقدية .

حدث ذلك عندما أخذ عز الدين المدني ينشر جزءا من قصته « الا تذكرين ؟» فقد كتبت بلغة غير مفهومة . وطريقة غير مألوفة . وجمل غير اعتيادية . وكلمات غريبة . وألفاظ شاذة لم تألف العين قراءتها . ثم ان بناء القصة ، أو شكلها الفني ، كان جديداً على القراء العرب في تونس . ولعل هذا هو السبب فيما أثير حول الكاتب ونتاجه من جدل ولغط عظيمين ، مما جعله يتوقف عن نشر باقي القصة . وظل على هذه الحال فترة . وجدير بالذكر أنه لم يكن ممن يلهثون وراء النشر السريع ، أو التدفق الغزير في الكتابة .

بعد ما يقرب من خمس سنوات ، نشر قصة أخرى بعنوان « الانسان الصفر » . وجاءت هي الاخرى في صورة أكثر غرابة من سابقتها . ولم يقف ضدها المثقفون التقليديون وحدهم . وانما التقى القراء العاديون ، مع المفكرين والادباء ، للوقوف في وجه هذه النزعة . فلم يكونوا - جميعا - على استعداد لتقبل ثورته التجديدية الادبية ، بصدر رحب . وقد اتهمه خصومه بالتخريب ، والتهديم ، لأنه يطالب بزلزلة مفاهيم ثقافية وفكرية وأدبية متوارثة ومعروفة !

لكن الشيء اللافت للنظر ، أن كتاباته تكشف عن نظرة هادئة ، وعن عدم تسرع في عرض

---

* الدكتور سيد حامد النساج استاذ ورئيس قسم اللغات والعلوم الاجتماعية بكلية التربية جامعة حلوان . وهو ناقد أدبي أسهم ببحوثه ومقالاته النقدية في اكثر من مجال . وقدم للمكتبة العربية عددا من المؤلفات والدراسات .

الأفكار ، وعن حرص شديد على أن يبتعد عن السفسطة والزعيق والصراخ والغوغائية ، رغم كونه يواجه بقوى رافضة كثيرة وقوية . وقد حاول مناقشة الوضع الثقافي في تونس . واجتهد في تصنيف المثقفين وفقا لأفكارهم ، واستنادا الى كتاباتهم ، فضلا عن اختلاطه بهم ، ومعرفة أبعادهم ودوافعهم ونواياهم .

الأدب التجريبي

وقد دعاه هذا الموقف المضاد من كتاباته الى أن يشرح تجربته الادبية الجديدة في ندوات خاصة . أو في مقالات نقدية متتابعة . أو فيما أسماه هو « البيانات » . ثم ما لبث أن جمع ذلك كله ، وضمنه كتابا أسماه (الادب التجريبي) الذي صدر عام ١٩٧٢ .

وفكرة التجريب والتجريبية عنده تختلف تماما عما نقرأوه في (القصة التجريبية) للكاتب الفرنسي المعروف اميل زولا . والكتاب في قسمين رئيسيين : الاول وضع له عنوان « نظريات » . والثاني اختار له عنوان « قراءات » . قدم لهما ببعض النقاط المتابعة التي اعتبرها هو بمثابة المدخل كما يعلن ذلك .

واذا كان القسم الاول الخاص بالنظريات يضم أهم الافكار التي تتصل بدعوته الى الأدب التجريبي ، فان ذلك يقف عند حدود صفحة ٤٤ ليس غير . وبالتحديد ، بعد حديثه عن الالتزام ، وقضية الشكل والمضمون بين الايديولوجيات ، ذلك أن الموضوعات الاخرى التي يتضمنها هذا القسم لا تسهم في بلورة رؤيته الخاصة ، ودعوته الى التجريب . مثال ذلك : هل تضمحل القصة في المجتمع السوفياتي ؟ من القصة التونسية المعاصرة ، رأي في فنية القصة العربية الشعبية ، القصة بحث ، وما شابه ذلك من موضوعات متفرقة .

كذلك فان القسم الثاني كله من الكتاب ، ينحو نحو التنوع في القضايا والموضوعات : أهمية الادب الشعبي وتأثيره في كتابتنا الحديثة ـ ملحمة بني هلال ـ القصة في القرآن ـ بين القصة التونسية الحديثة والقصة المصرية الجديدة ـ كيف نضع القصة ؟ ـ محاولة لدرس الفن القصصي عند علي الدوعاجي ـ عين غريبة باردة ـ الحيرة والخلق ، وهكذا .

وعز الدين المدني يضع الواقع الادبي في تونس تحت المجهر . وينطلق في رؤيته الجديدة من دراسة واعية به . اذ يقدم للظاهرة الثقافية ، ولاسبابها ، ولموقف المثقفين التقليديين على نحو خاص ، ثم يقف عند النتائج التي قد تنجم عن هذه الظاهرة مستقبلا . وليس معنى هذا أنه صاحب نظرة محدودة ، أو موقف على اقليمي ، ولكن معناه المقبول أنه اتخذ موطنه منطلقا لدعوة عربية عامة ، لا تقف عند حدود بيئته المحلية . وهذا واضح في المقالات والموضوعات الاخرى . انها تكشف عن ثقافة عربية وأوربية قديمة وحديثة ، أو تراثية ومعاصرة ان صح التعبير .

تياران متناقضان

والكاتب صريح في نقمته على واقع الفكر المتخاذل ، العاجز عن التأثير الفعال والضروري في تطور أحوال المجتمع . وهو رافض لخضوع الواقع الادبي والفني في تونس لتيارين متعارضين : أحدهما الموروث ، وثانيهما المستسلم لأدب الغرب وفنونه . ومن ثم فهو يدعو الى نظرة جديدة الى التراث ، تستصفي منه الجوهر ، وتلغي مالا يتلاءم مع واقع التطور الفني والادبي في مجتمعه ، وواقع التقدم الاجتماعي في العالم المعاصر .

أما فيما يتعلق بموقفه من التيارات الثقافية الوافدة ، فانه يدعو الى المراقبة الصارمة للنماذج الثقافية والفكرية العامة الواردة من الغرب ، ومن فرنسا بخاصة وذلك حتى يترك المثقفون مالا ينسجم مع أسلوب النظر ، وطبيعة الشخصية العربية في تونس ، مع محاولة الاستفادة من أساليب التقنية الحديثة في الفنون والآداب الغربية .

يقول تحت عنوان « الطريق الثالثة » ص ١٠ : (وجب علينا أن نتأمل جديا في الادب والفن في تونس بعد الاستقلال ، وأن نغير الاتجاه جذريا ، بعد أن كان منحرفا عن المقاصد السليمة والدروب القويمة . وهذا الانحراف يتمثل في خطين متوازيين : الاول : الخط الخاضع للأدب والفن الموروثين من الماضي ، ويليه خط متفرع عنه ما زال خاضعا للتيارات العربية

المشرقية . الثاني : الخط المستسلم لادب وفن الغرب اليوم وفرنسا بالخصوص . أما الخط الثالث وهو خط الادب التجريبي فيعتمد في نظرياته العامة على جهده واجتهاده ، وعلى ما ينقذه من متاحف الماضي ، وما يقتبسه من نبراس الغرب اليوم من علوم انسانية وفلسفة وآداب وفنون وذلك تماشيا مع مقتضيات المعاصرة وليس مع متطلبات الماضي . والادب التجريبي يرادف في هذا المضمار العام التفتح والنباعة والخصوبة ، لكن لا تتحقق هذه الكلمات الا اذا كان الادب عملا يوميا متواصلا . ذلك أن الكم يؤثر جذريا في الكيف ويتفاعل معه .

ولكي تكون رؤيته واضحة ينبغي معرفة رأيه في الالتزام من ناحية ، والوقوف عند الاسس التي استندت اليها دعوته من ناحية أخرى . ذلك أنه أراد أن يكوّن رأياً مختلفا عن محمود المسعدي والشاذلي القليبي ، حيث يرى الاول أن الالتزام والوجودية شيء واحد ليس ثمة ما يفرق بينهما ، ولا بين القدماء والمحدثين ، لانهم جميعا يجهدون في أن يمحصوا حقيقة المنزلة البشرية ، وأن يستوضحوا مصير الانسان ، وأن يقصوا المغامرة الوجودية . فالالتزام اذن لا يهتم بالانسان باعتباره عضوا عاملا في مجتمع فحسب ، وانما يهتم به كذلك بوصفه مصيرا وحقيقة بشرية ومغامرة وجودية . ويضيف الشاذلي القليبي الى ذلك أن الادب ملتزم بطبعه حين يعبر عن الحياة الرحبة الواسعة .

الوعي التاريخي

ولقد أراد عز الدين المدني أن يبتعد عن التبعية في المناهج النقدية فهرب من القول بالالتزام الايديولوجي وحاول أن يضفي على الالتزام ظلا أكثر تجريدا وأرحب دلالة ، فأطلق عليه ما أسماه « الوعي التاريخي » . وهو : أن يشعر الانسان شعورا قويا حصيفا مدركا للخطة الزمانية التي يعيشها . وأن يحس احساسا بترابط أوصال الزمن من ماض وحاضر ومستقبل . وأن يعي الانسان نفسه دافعا يسير التاريخ ويكيّفه ويصنّفه حسب اختيارات ومبادىء ومقاييس ، وأن يندمج الانسان في الواقع الحاضر كل الاندماج حتى يتكلم باسمه فيكون الاتحاد التام بينهما .

وليس من شك في أنه هنا لم يخرج كثيرا عن تعاليم ومبادىء المدرسة الواقعية الاشتراكية في الادب والفن . وان بدت رحابة المصطلح عنده ظاهرية شكلية ، فانه الح على أمور هي من صميم الالتزام بمفهومه الايديولوجي . مثل ترابط الماضي والحاضر والمستقبل (الحركة التاريخية) ، وعي الاديب لمركزه في صنع التاريخ وتكييفه ، الاندماج في الحاضر اندماجا يسمح له بأن يتكلم باسمه (الدور الريادي للادب والفن) . وكان قد اعتبر الادب التجريبي عملا يوميا متواصلا (واقعية اشتراكية) . انه فقط أعطى للاديب حرية واستقلالا لا يتيحها له مفهوم الالتزام في اطار الواقعية الاشتراكية ، وهو ما تسمح به بعض المدارس الحديثة .

كما أننا نلاحظ أنه وهو يحدد أبعاد الطريقة الثالثة الى الادب التجريبي ، تعرض للخضوع للتراث العربي وللتيارات العربية المشرقية ، واعتبر ذلك انحرافا عن المقاصد السليمة . وقد وضع ذلك جنبا الى جنب مع الادب الغربي . بينما نراه يتيح للادب التجريبي الذي يدعو اليه فرصة الاقتباس من الغرب ، « علوم وآداب وفنون تمشيا مع المعاصرة » . كذلك فاننا نراه يجعل انقاذ الصالح من التراث واستعماله أساسا من أسس النظرية .

ولعل هذا الاضطراب في الضبط والتحديد قد جاء من رغبته في أن يكون للفكر وللأدب وللفن في تونس استقلال تامّ ، بحيث لا يعتمد الادباء والمفكرون والفنانون في كل ما يصدر عنهم على مصادر خارجة عن اطار مجتمعهم وبيئتهم ، وانسان هذا المجتمع وتلك البيئة . لذا جاءت صيحته الاولى بضرورة الابتعاد عن الموروث القديم ، وعن المشرق العربي ومفكريه وأدبائه ، وعن فرنسا بخاصة وأوروبا بعامة . انه رد فعل عكسي كما يقول علماء النفس . وليس هذا طبيعيا . ذلك أنه بذلك يفصل الادب العربي في تونس عن حركة الثقافة العربية بعامة ، قديما وحديثا ، وعن حركة الادب العالمي . وان كانت ثمة ضرورة ، فلنبتعد عن الادب الفرنسي . لان فرنسا كانت مستعمرة لتونس .

ثم ما لبث أن عاد ـ كما رأينا ـ وحاول النظر في أسسه ومبادئه . لان التطبيق الفعلي على مستوى النتاج الادبي لم يساعده . ولانه هو نفسه قد صدر في دعوته عن مجموعة الثقافات التي ثقف نفسه بها : عربية تقليدية ، ومعاصرة ، وأوربية . ولا ننسى أن ثورته المستندة الى نبذ وهدم القديم ، والى الارتباط بالواقع ، والى التجديد المبني على دعائم محلية واقليمية ، كانت قد شاعت في كتابات المدرسة الحديثة في مصر في الربع الاول من هذا القرن . وقد هيأت ظروف موضوعية لذلك . كما أن الواقع الادبي أنبت نتاجا ساعد على نمو وازدهار ذلك الفكر وتلك الدعوات . ومع أن زعماء هذه المدرسة قد رفضوا المحاكاة والتقليد ، فأنهم لم يرفضوا الاستفادة من التيارات الثقافية الاوربية المعاصرة ، وان رفضوا تقليدها ومحاكاتها . وهناك اشعاعات قوية من أفكار ومبادىء هذه المدرسة تسربت الى دعوته التجديدية !

مفهوم التجريب

ويؤكد هذا من بعض الوجوه ما يذكره الكاتب نفسه ، وهو يلخص مفهومه للتجريب بصفحتى ٢٨ ، ٢٩ : (الا أن التجريب الفني والادبي الذي نعنيه نحن : هو تلك العملية التي يقوم بها الفنان أو الاديب لرفض ما للثقافة والادب والفن والتقاليد الحضارية من عناصر متعفنة تنافي في جوهرها روح العصر ، وتطور المجتمع ، وحرية الفرد ، ولتفكيك تراكيبها ، وابراز هياكلها ، واظهار مميزاتها ، ثم للدخول في مغامرة فنية وأدبية لخلق أدب وفكر وفن نظيف من الادران ، وذلك اعتمادا على ما تقدمه العلوم الانسانية والفنون باختلافها من شتى الايرادات الايجابية ، ومعرفة دقيقة للاصول الجمالية الممكن استعمالها في أحد الانواع الادبية .

فالتجريب في الفن والادب نابع من واقعنا الثقافي والحضاري والادبي والفني لا كما يعتقد البعض انه استظراف لعمليات التجريب في أوروبا أو تقليد لمثيله في الشرق العربي . والعدو الالد للتجريب الفني والادبي هو التقليد ، لا التقليد في ظاهر الانتاج من لفظ ومعنى وربما شكل ، بل المحاكاة في الاعماق والرواسب والارضية التي يحتضنها ذلك الانتاج ، وينسج على منوالها . كما أن التجريب الفني والادبي يعرض كل الاعراض عن « الموضات » الفكرية والادبية والفنية ، ويرفض اتجاهاتها الثقافية لانها نبعت من واقع غير واقعه ، وذلك بعد أن يقوم بعملية فرز وانتقاء واصطفاء لما يرجع عليه بالفائدة ، إثراء له لا ذوبانا ومسخا وتمزيقا . والتجريب الفني والادبي هو دعوة ملحاحة الى تبصير الكاتب بقضايا الثقافة والحضارة والفن تبصيرا كله رؤية ومعرفة جيدة بالاصول ، واطلاع واسع على العلوم الانسانية واتجاهات الفنون المعاصرة) .

دور الشابي

أبعد من هذا أننا لا يمكن لنا فصل هذه الدعوة عن سابقاتها في تونس نفسها . ومعروف أن العقد الثاني من هذا القرن ، شهد تطورا ملحوظا في الادب العربي الحديث هناك ، وقد أسهم الشاعر الشاب أبو القاسم الشابي في بث دماء جديدة الى الادب هناك ، وفي غرس بعض القيم الفنية المبتكرة ، وفي ربط الادب بالقضية الوطنية بشكل خاص ، والمسألة القومية بصفة عامة .

ويقال أن مجلة « العالم الادبي » التي كانت تصدر ـ آنذاك ـ دعمت هذا التجديد ، وساعدت على اضفاء أبعاد عصرية للفكر العربي ، وللادب العربي الحديث في تونس ، حيث كان يعمل بها جنبا الى جنب أبو القاسم الشابي ، وعلي الدوعاجي ، وزين العابدين السنوسي ، الذي كان يرأس تحريرها ، وهو الذي حاول أن يجعل من مجلته ملتقى ، يلتقي على صفحاتها كل من يجد لديه القدرة على الابداع والخلق . فجمع حوله عددا من الشباب ، وكونوا ما يشبه المدرسة الفكرية المستقلة ، ذات الاهداف ، والاسس ، والغايات .

لكن هذه المجلة احتجبت في منتصف الثلاثينات ، فتوارى معها جماعتها . وفي ١٩٣٥ ظهرت جماعة أخرى أطلقت على نفسها اسم جماعة « تحت السور » . ضمت كلا من : محمد العريبي ، محمود المسعدي ، محمد بكير ، عبدالوهاب بكير ، محمد زروق ، عبدالرازق كرباكه ، الصادق مازيغ

وعلى مشارف استقلال تونس ، صدرت مجلة « الفكر » لتشكل لها هي الأخرى مدرسة خاصة ولتلعب دورا هاما في الحياة الأدبية والثقافية . وفي ١٩٦٦ صدرت مجلة « قصص » التونسية ، لتعمل كذلك على فتح باب التجديد والابتكار في شكل القصة القصيرة والرواية ، ولتطالب بما يسمى « تونسة » الادب . وقد استجاب لدعاوي هذه المجلة عدد كبير من الكتاب الذين بدأوا الكتابة في الخمسينيات ،وعدد آخر من شباب الكتاب الجدد ، الذين وجدوا في تعاليم ومبادىء هذه المجلة صدى كبيراً لما كان يعتمل في نفوسهم . ولا شك أن عز الدين المدني واحد من هؤلاء الشباب .

الشكل الفني

اجتهد عز الدين المدني في أن يكون اضافة ، وفي أن يقنن لما سبق أن أذيع من فكر وآراء . وفي أن يبلور ثورة سابقيه من خلال « نظريته » التي أطلق عليها « الادب التجريبي » . وبدلا من الاستغراق الكلي في « الموضوع » وفي مضمون العمل الادبي ، أتاح للشكل الفني أن يحتل منزلة خطيرة ومهمة في دعوته . اذ أنه يرى أن الاشكال الفنية هي روح العمل الادبي . وهي خلاصة نظرة الفنان والكاتب الى الحياة ، والواقع والمجتمع . وهي اطار لذلك العمل ، وهيكل حديدي يلفه من كل جانب كما يقول .

ولتحقيق ذلك ـ في نظره ـ يلزم التجريب المستمر ، والبحث الدائب ، والعمل اليومي المتواصل . للخروج من المعلوم الى المجهول . وللانصراف الكلي عن المعروف بعد اكتسابه . وللانطلاق بعيدا عن المألوف ، والتمرد على المبتذل ، وكسر المحنط ، والدخول بكل جرأة في مجازفة أدبية ، ومغامرة فنية بمعنى الدخول في مسير وجودي عميق ، لا يعرف للاطمئنان بابا ، ولا يعترف للسكينة بمنفذ ، ولا يسقط في التبعية ، ولا يتقيد بالاستسلام .

ثم تأتي أخيرا الاسس التي يستند اليها مفهومه للادب التجريبي ، وهي على النحو التالي :

١ ـ توسيع ميدان النظريات الجمالية في الادب والفن وتطويره مع تعميق النظر في الانواع الادبية والفنية المختلفة من شعر وقصة ورواية ومسرحية وسينما وموسيقا ومسرح .

أ ـ تطوير مفهوم الكتابة الادبية والفنية بعد الاستفادة من أنواع الكتابة القديمة والاجنبية ان أمكن .

ب ـ النظر في الفنيات وانماطها من ذلك الحوار والسرد والاوزان والشكل .

جـ ـ النظر في العربية في مجال التعبير الادبي وتطويرها وتعصيرها بادخال اللغة اليومية ومراجعة الصيغ الصرفية والنحوية وتنميتها والغاء ما يعطل العربية في مواكبتها للعصر .

٢ ـ اكتساب نظرة نقدية صحيحة للتراث والانتاج الادبي ، وذلك يهدف الى :

أ ـ انقاذ ما هو صالح من التراث واستعماله بطرق مرنة مع مراعاة عصرنا .

ب ـ تغذية تفكيرنا بما يمكن أن يكون صالحا لنا من الانتاج الاجنبي بكل حذر .

٣ ـ مزج الادب بالفن بعد الاستفادة من فنيات مختلف الفنون وادماج العلوم الانسانية وربما بعض العلوم الصحيحة في صلب الادب بكل ما في ذلك من نظريات وتطبيقات .

٤ ـ التسلح بالوعي التاريخي الذي يشمل مفاهيم المعاصرة والتقدم والاختيارات المصيرية الكبرى وربط عرى الزمان والحرية .

٥ ـ التسلح بالروح العلمية وخصوصا في مجال النقد .

٦ ـ العمل على ربط الاتصال الوثيق مع الشعب وبالخصوص مع المستويات الكادحة . والواقع أن هذه الرؤية لم تتح لها فرصة الذيوع على مستوى حركة الفكر والفن والادب في وطننا العربي ، وذلك عندما صدرت في كتاب . اذ هي في حاجة الى أن يناقشها اللغويون ، والبلاغيون ، والتراثيون والفنانون التشكيليون ، والسينمائيون ، والادباء ، مع اختلاف اتجاهاتهم ومدارسهم الفكرية .

ويبقى أن تشير الى أن « نظرية » عز الدين المدني ، سوف تظل قابلة للمناقشة من الناحية النظرية البحتة . لكنها على المستوى التطبيقي العملي ، يصعب تنفيذها الى حد كبير . □

مكتبة العربي

كتاب الشهر

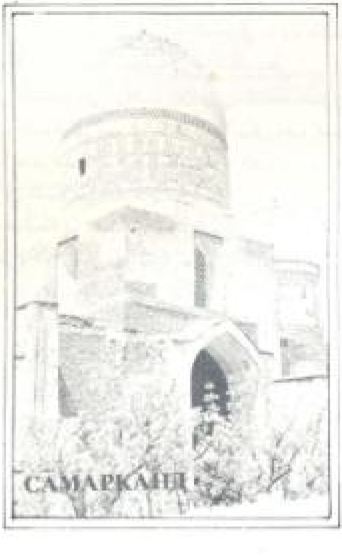

حول الفتح العربي الإسلامي (لما وراء النهر)

بقلم :

يوري الاسكيروف

عرض وتعليق : نادر خالد نصرة

قبل الفتح العربي - الاسلامي لآسيا الوسطى لم يكن لدى شعوب تلك المنطقة ديانة واحدة مشتركة ، فما هي الديانات التي كانت تسود تلك البقاع من العالم ، وكيف تسنى للاسلام أن يحل محلها جميعا ، وأن يؤلف بين قلوب الناس من أهلها ؟

كتاب الشهر

بعد عودتي من زيارة سياحية الى مدينتي بخارى وسمرقند ، وتحت تأثير ما رأيت من عظمة المعالم الحضارية العربية ـ الاسلامية في تلك النواحي ، توجهت الى المكتبة العامة في مدينة طشقند للاستزادة من أخبار العرب في آسيا الوسطى .

من الكتب التي وقعت بين يدي كتاب للمؤرخ التتري السوفييتي يوري . ن . الاسكيروف يحمل اسم (سمرقند ـ صفحة تاريخ) الصادر عن دار النشر في مدينة طشقند عام ١٩٦٧م . يقع الكتاب في ٢١٦ صفحة من الحجم المتوسط ويتناول تاريخ آسيا الوسطى خلال مرحلة تاريخية طويلة (من القرن ٨ ق . م الى الستينيات من قرننا هذا) .

بعد مطالعتي للكتاب المذكور ، وجدت أنه من واجبي أن أطلع القاريء العربي على معلومات مخالفة للواقع وردت في هذا الكتاب وهذا ما سنفعله على مدى الصفحات القادمة .

أجزاء الكتاب

قسم الكتاب الى خمسة أجزاء هي : من خلال القرون ، مع روسيا الكبرى ، تأثير الثورة الروسية الأولى على سمرقند ، بين ثورتين ، الراية الحمراء فوق الرابخ . وعلى الرغم من هذا التقسيم الذي اختاره المؤلف فالكتاب مقسم الى أربعة أقسام تمثل المحطات الرئيسية لشعوب هذه المنطقة :

ـ الاحتلال المكدوني ـ اليوناني لآسيا الوسطى عام ٣٢٩ ق . م .

ـ الفتح العربي ـ الاسلامي عام ٧١٢م .

ـ اجتياح تيمورلنك لآسيا الوسطى عام ١٢١٢م .

ـ الاستعمار الروسي لتركستان عام ١٨٦٨م .

ما يهمنا هنا هو الفتح العربي الاسلامي لآسيا الوسطى وما تبعه من تمازج حضاري ، ومدى تأثير الحضارة العربية التي وصلت الى هناك مع الفتح العربي على شعوب تلك المنطقة .

يعالج الكاتب الفتح العربي ـ الاسلامي لآسيا الوسطى ، ونتائجه في الجزء الأول من كتابه الذي يتكون من ١٠٤ صفحات موزعة كالتالي : ٤٣ صفحة ـ للاحتلال المكدوني ، سيطرة الخاقانات والقبائل التركية الرحالة . ٨ صفحات ـ الفتح العربي الاسلامي . ٥٣ صفحة ـ الاحتلال المنغولي ـ التتري .

قبل أن نبدأ بشكل مباشر مناقشة تفاصيل الفتح العربي الاسلامي لآسيا الوسطى ، أود بشكل مختصر أن نقف على المنعطفات الرئيسية في تاريخ آسيا الوسطى قبل الفتح العربي ـ الاسلامي لها .

أول إشارة الى الشعوب والقبائل التي قطنت أراضي آسيا الوسطى ترد في الكتاب المقدس للايرانيين القدماء أقدم الدول التي تشكلت على أراضي آسيا الوسطى تعود للفترة ما بين القرنين ٨ ـ ٧ ق . م . وهذه الدول هي : بكينزيا ، خوارزم وسغد . واشتملت الأخيرة على سهل الزرفشان والمدينة الرئيسية لها ـ مركند (سمرقند لاحقا) ويجدر بالذكر ان اسم سغد ورد بشكل مختصر وغامض جدا في الكتب والمراجع التاريخية .

الفتوحات الأولى

في بداية القرن السادس وبعد حروب دامية سيطر الايرانيون بقيادة كيرم على أراضي آسيا الوسطى ، واستمر حكم الفرس ٢٠٠ عام . شهدت شعوب تلك المنطقة آنذاك أفظع صور العذاب والقتل .

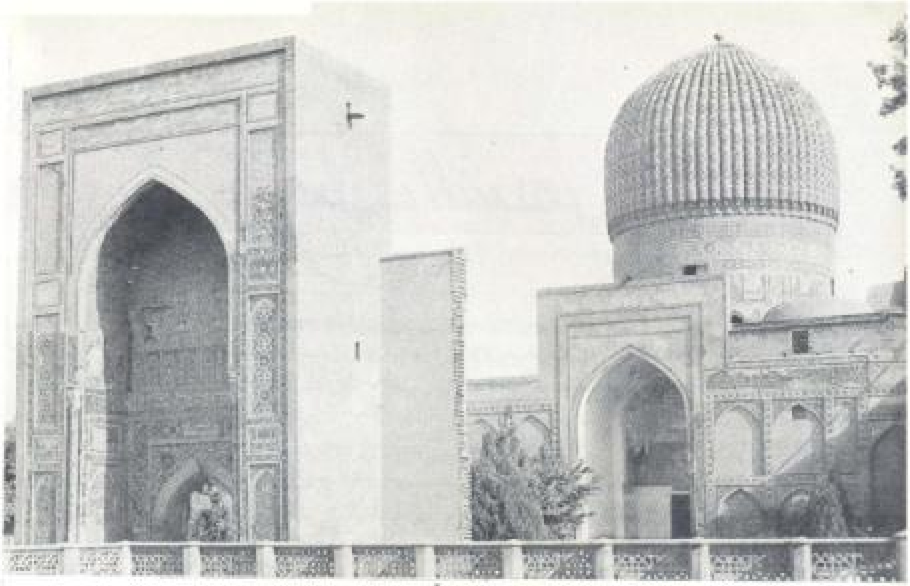

سمرقند

في ربيع ٣٢٩ ق . م ، اكتسحت الجيوش المكدونية ـ اليونانية بقيادة الاسكندر ذي القرنين خلال ١٥ يوما أراضي آسيا الوسطى . وأعمل المكدوني السيف في السكان المحليين ، فحرق مكند ودمر أسوارها ، وشرد أهلها ، ولاحقهم ليلقوا حتفهم على سفوح جبال فرغانة . تكرر بطش جيوش الاسكندر المكدوني بالسكان الأهليين وابادتها لمدن وقرى عن بكرة أبيها . . ابان الاحتلال الاغريقي لآسيا الوسطى ، فتحت طرق القوافل بين الصين وأوروبا ، وتعرف بطريق الحرير الكبرى .

ومنذ القرن الأول ق . م وقعت سغد وبكتيريا تحت سيطرة دولة العبودية الكبرى (الخاقانات) وتمتد فترة هيمنة هذه الدولة القوية حتى القرن الرابع الميلادي . وأثناء حكم الخاقانات توطدت علاقة سكان سغد وبكتيريا مع الهند والصين ، وقد أصيبت الامبراطورية الخاقانية بالركود ، وضعفت تدريجيا وسقطت تحت ضربات القبائل المقاتلة التركية الرحالة (الافتاليون) وهؤلاء بدورهم أحكموا السيطرة على آسيا الوسطى . وفي القرن السادس الميلادي أبيد الافتاليون على أيدي قبائل تركية أخرى عرفت باسم الكاغات ، وفرضت سلطتها على السكان المحليين .

قبل الفتح العربي ـ الاسلامي لآسيا الوسطى لم يكن لدى شعوب تلك المنطقة ديانة مشتركة ، والمعلومات العلمية التاريخية تؤكد أن سكان تلك المنطقة اعتنقوا ديانات مختلفة ، منها البوذية والمسيحية ، وكذلك انتشرت الزرادشتية بشكل واسع .

ما وراء النهر

ي . ن . الاسكيروف يضع سرده عن أحداث الفتح العربي ـ الاسلامي لآسيا الوسطى تحت عنوان عريض : (ما وراء النهر في النيران) .

في الربع الثاني من القرن السابع اندفع المحتلون العرب الأشد بطشا إلى آسيا الوسطى ، ستترك هذه الفقرة الآن ، لنعود اليها فيما بعد ، يتابع الكاتب (قبل اقتحام آسيا الوسطى أسس العرب دولة قوية ـ الخلافة ـ في عام ٦٥١م،الجيوش العربية سيطرت على ميروم التي كانت تابعة للساسانيين ، وجعلتها نقطة انطلاق لاحتلال آسيا الوسطى ، من هنا قام العرب بحملات متتالية على الأراضي القريبة من نهر آمو ـ داريا . أطلقوا اسم ما وراء النهر على هذه المنطقة .

يتابع المؤلف (في بداية القرن الثامن بعث الحجاج والي العراق ، قائد الجيوش العربية قتيبة بن مسلم الخبيث ، الفاسد ، والسياسي القاسي الى آسيا

كتاب الشهر

الوسطى).

سنقف هنا ، ونرجع بصفحات الكتاب الى الوراء . في الجزء الأول منه ، ليتحدث الكاتب عن وقائع الاجتياح المكدوني - اليوناني لأراضي آسيا الوسطى عن حرقهم للمدن وقتلهم للنساء والأطفال ، وابادتهم لمدن كاملة عن وجه الأرض (واستنادا الى المؤرخ اليوناني ثيودر الصقلي ، فإن الاسكندر بملاحقته للسغديين قتل أكثر من ١٢٠ الف انسان).

بعد سرد الكاتب لهذه الفظائع ، لا نجد أي كلمة أو تعبير يذم الاسكندر ذا القرنين ، أو حتى اتهامه بالبطش والقتل ، بل على العكس من ذلك فهو يشيد بعبقرية الاسكندر المكدوني العسكرية ، ولتأكيد ذلك يستشهد بانجلز :

(عندما احتلت جيوش الاسكندر المكدوني شواطىء سير - داريا ، انتفضت ضده ٧ مدن ، ولقد وقع الاسكندر المكدوني الذي وصفه ف . انجلز بأنه أبرز القادة المنتصرين في جميع العصور) وقع في موقف حرج ، ولكنه قرر التمركز على ضفاف النهر مهما كلف الأمر).

أما عن حنكة القائد اليوناني السياسية فيروي الكاتب عدة وقائع بلغة سهلة ومشوقة . . منها : (في الأسر وقع الكثير من النساء والأطفال ، وكانت بين النساء ابنة اكسيرادنا ، فتاة رائعة الحسن اسمها دكسانا ، رآها الاسكندر فأحبها ، ولم يعاملها كأسيرة ، ولكنه اتخذها زوجة ، وبهذه الخطوة التي اتخذها الاسكندر بظهر المغزى السياسي - فهو يأمل في أن يضم الى جانبه السكان المحليين .

ولكي تكتمل الصورة ، نترك الاسكندر المكدوني ، وننتقل الى سيرة قائد آخر ، وهو تيمور لنك . ينقل الكاتب ذلك على عدة صفحات ، فيقول :

(وبعد ثلاث حملات (١٣٨٩ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥) وتحت ضربات تيمورلنك سقطت سراي بركي ، هذه العاصمة تحرق وتدمر).

(عام ١٣٩٩ - اخترق القفقاس ، أخضع جورجيا ، وفي عام ١٤٠١ - أخضع سوريا ، وفي عام ١٤٠٠ بدأ بالحرب ضد آسيا الصغرى وأسر بايزيد الأول ، واعترفت مصر بسلطة تيمور دون قتال).

يمكن أن نورد المزيد من النصوص ونذكر العديد من جرائم تيمور لنك ولكن نكتفي بهذا القدر .

دعونا نرى الآن كيف يعرف الكاتب الاسكيروف تيمور لنك :

(تيمور (١٣٣٦ - ١٤٠٥) أتيح له لاحقا السيطرة على بلدان عديدة . والده بيك غير ثري ولكنه ذو شهرة ، تيمور يمتلك امكانيات تنظيمية وعسكرية لانفاذ لها ، شهم معتز ، تمنى أن يصل الى قمة السلطة بشتى الأساليب).

(عندما أصبح تيمور قائد جيوش لامعا لم يعرف الهزيمة ، أدخل الكثير من التحديث على الفن العسكري ، وهكذا يغض المؤلف الطرف عن كل ما فعله الاسكندر المقدوني وتيمور لنك ، ويصفهما بأوصاف تنم عن اعجاب ، في حين ينعت قتيبة بالقاسي والفاسد والخبيث).

أحوال البلاد قبل الفتح

قبل أن ندخل بشكل مباشر في حيثيات الفتح العربي - الاسلامي لما وراء النهر ، نذكر بعض العوامل الداخلية والخارجية لتلك المنطقة قبيل الفتح الاسلامي فنقول : ان التناقضات الداخلية وصلت الى أوجها ، فخلال الفترة السابقة للفتح الاسلامي لآسيا الوسطى ينتقل الحكم عدة مرات من يد الى

بد ، وتشهد البلاد صراعا وتنافسا شديدين . بين حكام المناطق والمدن .

ثم تتعرض الى خطر خارجي شديد تمثله قبائل الدعاة التركية المقاتلة ، التي لم تتوقف هجماتها على الفلاحين .

وكذلك تعاني من غياب دولة مركزية واحدة ، ومن تعدد الديانات والمعتقدات .

وقد كانت الأجواء الداخلية مهيأة لاستقبال العرب المسلمين والديانة الاسلامية ، وذلك لانتشار الدين الاسلامي والحضارة العربية في الأنحاء المحيطة لآسيا الوسطى ، فمن الثابت أن الدين الاسلامي واللغة العربية قد وصلا بطرق متعددة الى منطقة ما وراء النهر قبل الفتح الاسلامي لها بعدة سنوات . ومما يؤكد هذا ـ النقوش والكتابات الموجودة على ضريح أسامة بن زيد رضي الله عنه في سمرقند .

وقد أدى كل ذلك الى عرقلة تطور البلاد الاقتصادي واعاقة الحياة الطبيعية لما وراء النهر .

هذا فضلا عن أن دولة الخلافة العربية كانت في أوج عظمتها وقوتها ، سواء في السياسة أو في التنظيم ، أو في النواحي العسكرية والحضارية ، كالعلوم ، والآداب ، والفنون ، فقد كانت في حالة انتعاش وازدهار كبيرين .

القائد العربي قتيبة

ولنعد الآن الى أحداث الفتح العربي الاسلامي لآسيا الوسطى ، ولنرجع الى الفقرة الأولى التي ابتدأ بها ي . ن . الاسكيروف بحثه عن الفتح العربي لما وراء النهر : (في الربع الثاني من القرن الثامن اندفع الأشد بطشا ـ المحتلون العرب ـ الى آسيا الوسطى) .

وتقدمت الجيوش العربية في عام ٧٠٦ الى أراضي ما وراء النهر ، بهدف نشر العقيدة الاسلامية ، وكان في طليعة هذه الجيوش القائد العربي المسلم قتيبة بن مسلم ـ العسكري والسياسي المحنك . وفتحت أراضي ما وراء النهر ، المنطقة تلو الأخرى دون اهدار للدماء باعتناق السكان للاسلام .

كيف يكتب المؤلف عن ذلك ؟ :

(المحتلون العرب استخدموا سياسة فرق تسد ، كذلك استغلوا التناقضات ما بين الفلاحين والقبائل التركية الرحالة ، وخضعت لهم المنطقة تلو الأخرى)

اذن هكذا أخضعت المناطق الواحدة تلو الأخرى دون قتال وإراقة دماء .

ألهذا ينعت الكاتب العرب بالبطش ، وسفك الدماء ؟!

(وخلال عام ، وصل قتيبة الى بخارى ، على رأس جيش ضخم بعد معركة دامية) . ولا نجد ـ عدا هذه الجملة ـ أي اشارة أخرى حول (المعركة الدامية) . هل هذه المعركة حصلت داخل أم خارج بخارى ؟ كم استمرت ؟ كيف تصرف العرب آنذاك ؟ لا جواب ! من الواضح أن الكاتب لا يرغب في الاسترسال بالحديث عن ذلك ـ عن عدد القتلى ولو بصورة تقريبية ـ لأن مغالطة كهذه تفوق الحد وتكلفه كثيرا .

(يطلق عليها ملجأ الاسلام ومعقله الأخير) ومن المضحك أن الكاتب يتناسى ما كتبه حول (المعارك الدامية) ويذكر في نفس الصفحة أنه (في تعداد الجيش الرئيسي ، وبالاضافة الى العرب فقد شارك مقاتلون من خوارزم وبخارى) :

وفي عام ٧١١م تم توقيع معاهدة سلام مع شاه خوارزم ، الذي أرسل الى قتيبة مفاتيح المدن الذهبية . ويكتب المؤلف عن ذلك بالشكل التالي :

(اشتعلت انتفاضة شعبية في خوارزم)

ومن قاد هذه الانتفاضة ؟

(بقيادة هيرازاد شقيق الشاه)

اذن من الواضح أن هذه الحركة لم تكن انتفاضة شعبية ، وانما فتنة عادية من أجل الاستيلاء على الحكم .

(شاه خوارزم استدعى قتيبة لقمع الانتفاضة ، وأرسل له مفاتيح المدن الذهبية) .

وهكذا نرى أن الخوارزميين اعتنقوا الاسلام دون التوجه الى سمرقند .

واعتقد أن أي انسان عادي يطلع على تلك الأحداث لا يجد في مجرياتها بطشا او اهدارا للدماء .

دخول سمرقند

أخذت الجيوش العربية بالتحضير للتوجه الى عاصمة سغد ـ سمرقند ـ المركز الديني والاقتصادي

كتاب الشهر

لتلك المنطقة . و (قبيل تحرك الجيوش العربية الى تلك المنطقة تمت وحدة سياسية بين الحكام المتنافسين) وفي عام ٧١٢م وباتجاه سمرقند ارسل قتيبة ٢٠ ألف مقاتل كطليعة لجيشه تحت إمرة أخيه عبدالرحمن ، للتفاوض مع السمرقنديين حول تسلم المدينة سلميا . أما هو والقسم الرئيسي من الجيش العربي فقد حط على مقربة من المدينة (السغديون تحت زعامة حاكمهم كوداك هبوا للقاء المحتلين

لاقوا العدو على مشارف المدينة ، وتلاقت السيوف . في البداية كان النجاح حليف السغديين ، وتقهقر العرب ، ولكن بعد صدمة الهزيمة أخذوا يدفعونهم الى أسوار المدينة) .

وبعد أن أحكمت الجيوش العربية حصارها للمدينة ، كتب حاكم السغديين رسالة الى الامبراطور الصيني جاء فيها ما يلي : (قائد داشا ـ أي العرب ـ هو الأمير قتيبة ، على رأس جيوش كثيرة العدد تقدم الينا ، أنزلنا بعدونا خسائر فادحة ، ولكن سقط لنا ايضا قتلى وجرحى . انسحبنا الى داخل الأسوار ، ولكن العرب استخدموا أدوات حديدية ، وضربوا أسوار القلعة ، وأحدثوا بها تشققا) .

لم يختر قتيبة الحل العسكري حقنا للدماء ، وفضل الانتظار على الرغم من (ضخامة جيوشه) ومن (حوزته على أدوات حديدية) ، وبعد شهر من حصار المدينة (بعث السمرقنديون المرهقون من الحصار يطلبون المساعدة من الحاكم التركي شاشا ومن والي فرغانة) وقد لبّى هؤلاء نداء السمرقنديين ، وارسلوا كتائب مختارة من المقاتلين المحليين لقتال العرب ، وعندما عرف العرب بذلك ـ عن طريق عيونهم ـ حرك قتيبة جيشه وأباد الكتائب المرسلة . بعد ذلك شدد العرب الحصار على المدينة المدافعة ، فضربوها بالمنجنيقات وحطموا أسوارها) .

نتائج الفتح

بعد أن أطلعنا الكاتب على التفاصيل التي اختارها من أحداث الفتح العربي ـ الاسلامي لآسيا الوسطى ، يتحدث الآن عن نتائج هذا الفتح ، ولنتابع نصوصه :

(الهياكل التي اشتهرت بزخرفتها حرقها قتيبة) (بنيران الهمجية العربية ، دمر قسما كبيرا من الكنوز الأدبية لخوارزم وما وراء النهر) .

(التحطيم البربري العربي عام ٧١٢م للثقافة الموروثة لشعوب آسيا الوسطى كتب بشكل مؤثر من مؤرخي ذلك العصر) .

(طمست أروع صور للفن والأدب للشعوب المحلية ، مما أعاق ـ ولوقت طويل ـ القوى المنتجة عن الانتاج) .

(السيطرة العربية كانت قاتلة لسمرقند ، فالمدينة تداعت وباتت آيلة للسقوط ، وهجرت) .

قبل أن نبدأ المناقشة أود أن آتي بفقرة أخرى من كتاب المؤلف :

(العلماء البرجوازيون والقائمون على الدعاية يحاولون اظهار شعوب آسيا الوسطى بشكل سلبي ـ كهف للقادة الغزاة . هم يثبتون أن شعوب آسيا الوسطى لم تمتلك حضارة مستقلة ، وأن حضارتهم كانت نسخة للحضارة اليونانية فالعربية فالايرانية) .

بعد هذه الفقرة نستطيع أن نفهم لماذا كل هذا العويل ، وهذا السيل من دموع التماسيح . . . ولكن ، هل يعتقد الكاتب أنه بهذا الأسلوب ، أي بنعت العرب بالهمجية وبالبربرية وبالقسوة سيفند زعم البرجوازيين وأصحاب الدعاية ؟ وسيثبت أن لشعوب آسيا الوسطى حضارة مستقلة تماما ؟!

لماذا لم نجد هذا (الحرص) عند تعرضه لفترة السيطرة اليونانية على آسيا الوسطى حيث ، يكتب في

وعندما تحدث عن اكتساح جيوش القيصر الروسي لأراضي آسيا الوسطى بعد معارك طاحنة مع جيوش الامارات . فان سرده لهذه الأحداث يتخذ شكلا معاكسا لحديثه عن (الاحتلال) العربي لآسيا الوسطى :

غايات الكاتب

أصبح واضحا الآن أن الكاتب يحاول طمس التأثير الحضاري العربي على آسيا الوسطى بشتى الأساليب والطرق ، بل هو يحاول بكل ما أوتي من قدرة النيل من الحضارة العربية والتقليل من أهميتها . ولكن هل من الممكن أن يغير التاريخ بتحريفه وكراهيته ؟

هل يمكنه أن يتجاهل المعالم الحضارية الخالدة من مساجد ومدارس ومبان لا تزال شامخة في سماء سمرقند وبخارى وخوارزم ، تحكي قصة حاضرة وأمجاد عريقة ؟ هل يستطيع أن (ينظف) لغة هذا البلد من الكلمات ، والأسماء والتحية العربية ؟ وهل يستطيع أن يغير عادات وتقاليد هذا البلد ؟ هل يمكنه أن يلقي بآلاف الكتب والمخطوطات الى النيران ؟

ان اتهامات الكاتب التي أوردها ويمكن أن نحصرها في النقاط الرئيسية التالية :

حرق العرب للهياكل والمعابد والمباني . وتدميرهم للزخارف والنقوش والأعمال الفنية . وتبديدهم للكنوز العلمية والأدبية والفنية . وتعويق القوى المنتجة .

أما في مجال فن العمران والعمارة والزخرفة (فقد اعتبر المؤرخون الوثائقيون العرب الذين سردوا وقائع الحملات العربية على سغد في بداية القرن الثامن سهل الزرفشان المزدهر ـ جوهرة الخلافة ، وحديقة رحبة للحنضاء . وبعد ٢٠٠ من السنين ذهل الجغرافيون العرب الذين وصفوا كل مناطق الشرق التي عرفوها ، من حسن سمرقند ومدن سغد الأخرى ، ومن حدائقها الخضراء ، ووفرة مياهها ، ونظافة الطرقات والساحات ، ومن العلاقات التجارية الواسعة ، ومن ثراء الأسواق ، وطيبة وكرم السكان) .

وأما عن ازدهار مدينة بخارى في المرحلة الأولى من

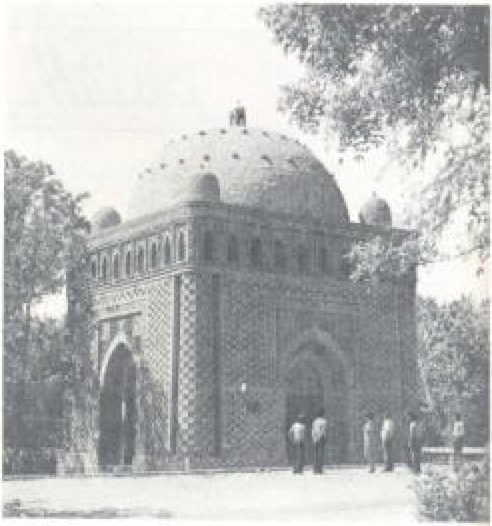

بخارى

مؤلف آخر :

(في المرحلة الاغريقية نشطت عبر آسيا الوسطى حركة تجارية واسعة بين الشرق والغرب ، ومن خلال مدن سغد مرت القوافل . . . وسميت هذه الطريق ـ بطريق الحرير الكبرى) .

(في فترة السيطرة اليونانية تطورت المعارف الزراعية ، وتثبت العلاقات الاجتماعية ، وتأسست مدن جديدة . . وانتشرت محاصيل زراعية لم تكن معروفة سابقا ، وتوطدت العلاقات بين البلدان الواقعة تحت سيطرة اليونان ، وخاصة مع بلدان البحر الأبيض المتوسط) .

وفي كتابه (أعوام تعادل قرون) عن أوضاع آسيا الوسطى أثناء هيمنة دولة الخاقانات الكبرى كتب ما يلي :

(كانت فترة نهوض كبير ، في هذه المرحلة ، انتعشت الحياة في المدن ، وتوسعت العلاقات التجارية مع الهند والصين . . .) أما كيف يتعامل الكاتب مع نتائج احتلال تيمور لنك لسغد فهو كما يلي :

(أنجزت مشاريع ري كبيرة ، وشقت الطرق ، وانتشر العمران والتعمير في شهرزاب وغيرها من المدن . وقد كرس تيمور اهتمامه الأكبر لسمرقند) .

كتاب الشهر

القرون الوسطى فقد كتب الكثير من العلماء بين القرنين العاشر والثاني عشر .

خيوه ـ المدينة الوحيدة التي بقيت محفوظة بكاملها في آسيا الوسطى ، وهي أقدم واحة ثقافية في شمال ازبكستان (خوارزم) وقد نشأت المدينة في بداية القرن العاشر وأعيد بناؤها عدة مرات .

(الزخارف البنائية والهندسية تتألف من الكتابات العربية ، حيث نجد بين النصوص الدينية معلومات عن العمارة ، وعن أسماء المعلمين والمزخرفين) والمعماريون كانوا يستمدون كوادرهم من طبقات الحرفيين والتجار من سكان المدن والآن أصبح من المؤكد تماما أن معماريي العصور الوسطى كانوا يتلقون تعليما متوسطا واختصاصيا ، وأنهم كانوا متمكنين من نظرية العمران التي حظيت بالشرق بمعالجة راقية ، وكانت متاحة للحرفيين على شكل رسائل ووسائل تعليمية تطبيقية ، وفي بخارى كان هناك بضع مئات من المساجد (في بداية القرن العاشر) ومن أقدم هذه المساجد ـ مساجد الساحات ذات الردهة الواسعة المحاطة بسواتر ، عندما بدأ العمل من أجل وضع خارطة طبوغرافية لبخارى في القرنين التاسع عشر والعشرين ، كان العلماء مضطرين للرجوع الى الخرائط الموضوعة في القدم ، من قبل العلماء العرب المشهورين ومن هؤلاء : الطبري ، والمقدسي ، وابن الأثير ، والواصفي وغيرهم .

ليس هناك امكانية لدراسة الأقواس في فترة تسبق الفترة التي بنى بها ضريح السمانيين فيما بين القرنين التاسع والعاشر) .

ومن المباني السكنية (خان القوافل) في منطقة خوارزم ، وهو مستمد من الاستحكامات العسكرية التي كانت معروفة في القرون الأولى للاسلام ، وكانت تدعى الرباط ، وبدأت الأضرحة تقام في العالم الاسلامي بأعداد كبيرة ، وان أبسط أشكال الأضرحة هو المكعب المسقوف بقبة ، أو المكعب بشكل راسخ ـ الارض ـ القبة ـ السماء اتحادهما شبيه بالكون) .

بعد هذه الاستشهادات لا حاجة للتأكيد على الدور الايجابي والخلاق للفتح العربي ـ الاسلامي لآسيا الوسطى في مجال العمارة وهندسة المدن والزخرفة . فقد شهدت مدن تلك المنطقة نهضة عمرانية لا مثيل لها . أتيحت الفرصة للمهرة والحرفيين للاطلاع والتعلم من التقاليد العمرانية العربية المزدهرة . هذا بالاضافة الى مشاركة مباشرة للعلماء والحرفيين العرب في حركة الاعمار والبناء .

ومازالت هذه المباني الى يومنا هذا تدهشنا بروعة بنائها .

العلوم والفنون والآداب

في تاريخ سمرقند ، وكذلك عموم آسيا الوسطى ، توصف الفترة الممتدة بين القرنين التاسع والعاشر بعصر النهوض الكبير للعلوم ، والفنون والأدب)

(ان أول اشارة الى مدارس آسيا الوسطى في المراجع التاريخية تعود الى القرن العاشر . وان مدارس خوارزم في العصر ما قبل المنغولي مشهورة في اورغنتيش . وهذا ما يخبرنا به النسوي فيقول ان العالم الفقيه شهاب الدين الخيوالي كان يدرس في خمس مدارس دفعة واحدة . وفي القرون الأولى للاسلام ، لم تكن المساجد مخصصة للصلاة وحدها دون استثناء ، كان المسجد بمثابة مقر شعبي عام يسلط فيه الضوء على جميع مراحل الحياة الانسانية . وهذا التخصص ظل مناطا بمساجد الأحياء التي تبنى في لجة التجمعات السكنية . وأصبحت اللغة العربية لغة مشتركة لجميع الشعوب ذات اللغات المتعددة ، ولم

تكن فقط لغة دولة ولكن لغة علم وأدب . وقد أخذ علماء وأدباء آسيا الوسطى يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية ، وظهرت الكتب التالية : تاريخ تركستان ـ لمجيد الدين ادمان . كتاب حول الأمثال الشعبية التركية لأبي القاسم الزمخشري . . الخ وفي تلك الفترة قدمت شعوب آسيا الوسطى للعالم أعاظم الشعراء والعلماء ، منهم أبو القاسم الفردوسي (٩٨٤ ـ ١٠٢٥) وأبو علي ابن سينا (٩٨٨ ـ ١٠٣٧) ، البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨) واعداد كبيرة أخرى من العلماء والأدباء ، لم تكن أوروبا القرون الوسطى على معرفة بأشكال الخدمات الطبية المعمول بها في بلدان الشرق العربي . ففي سوريا ومصر مثلا كانت المرافق الصحية المتضمنة أقساما صحية عيادية ودائمة موجودة منذ القرن الثامن . وكان بناؤها أحد أشكال الاحسان المفروضة على المسلمين . وقد أشاد رشيد الدين برسالة الى ابنه الوالي قائلا : ان (جلال المباني الخيرية مثل المدارس والمشافي يعود الى تلك الأعمال التي لا يجوز اهمالها) وفي حيوه لم يحتفظ بأي واحد من تلك المشافي التقليدية المعروفة بدور الشفاء) .

قوى الانتاج

في سمرقند وبخارى وغيرها من المدن عملت أعداد كبيرة من الحرفيين والصناع ، وبنيت قصور باهرة الحسن ، ومدارس ومساجد ، وتطورت صناعة الحرير ، وقامت صناعات أخرى مثل تصنيع العظم ، والبرونز والمعادن الثمينة والخشب .

وفي النصف الثاني من القرن الثامن أدى انتعاش الصلات التجارية بين بلدان الخلافة الى نهوض اقتصادي عام والى بناء المدن .

استنادا لكل ما ورد من نصوص ومداخلات ، تصبح لدينا قناعة راسخة أن مؤلف الكتاب ي . ن . الاسكيروف يحاول أن يتجاوز مرحلة هامة ونوعية في تاريخ شعوب آسيا الوسطى . فيوجز مرحلة مليئة بالأحداث والمعطيات الجديدة بثماني صفحات ، بينما يغطي أحداثا تاريخية أقل أهمية وأقصر مدة بتوسع واهتمام ودقة أكبر . والكاتب يسمح لنفسه باستخدام كافة الأساليب غير اللائقة من أجل الدعاية ضد العرب ، فهو يستخدم نصوصا غير كاملة ومشوهة ، ويلتف حول أوضح البديهيات التاريخية ، ويضخم بعض الأحداث الهامشية ، فيبرزها ويجعل منها أحكاما عامة .

كان أولى بالمؤلف السيد الاسكيروف أن يولي اهتمامه وجهوده الى قضايا أكثر نفعا من اظهار دور العرب والمسلمين ، وتبديد طاقاته في اختلاق الحجج والبراهين لطمس التأثير الحضاري العربي الاسلامي على آسيا الوسطى . فهناك جوانب عديدة من التراث الحضاري المختلط لشعوب آسيا الوسطى ، لا تزال غير مدروسة ومجهولة ، ودراستها بحاجة الى جهود كبيرة ، يقول المؤرخ السوفييتي مبلن ان مكاتب بخارى تعرضت لتلف شديد في عصر نصر الله ، ولكن حسب معلومات مجلة (الشورى) ـ اربوع ١٩١٦ في بخارى بلغ عدد المكتبات آنذاك أحدى عشرة مكتبة كبيرة . .

فقدت أكثر المخطوطات قيمة في هذه المكتبات منذ زمن بعيد بعد سقوط الامارة . . ففي الفترة الأولى أهملت هذه المكتبات ، ويمكن القول ان الاهتمام بها تلاشى نهائيا ، ويرجع ذلك الى الحركة المعادية للدين ، والى تغيير الأحرف العربية الى لاتينية ، مما أدى الى فقدان الأحرف العربية لقيمتها . .

وفي المساجد المهجورة أتيحت لي الفرصة لمشاهدة المخطوطات مبعثرة هنا وهناك ، ومن هذه الأعداد الهائلة من المخطوطات ، أعددت كشفا بأسماء المخطوطات الطبية المؤلفة في القرن الثاني عشر ، ومجموعة كبيرة من المنظومات الشعرية الرائعة التي تعود الى الجزء الأول من القرن الرابع عشر . .

ولحسن الحظ فإن أمثال السيد ي . ن . الاسكيروف قلائل هنا في الاتحاد السوفييتي ، وان اغلبية العلماء والباحثين يتناولون موضوع التراث الحضاري العربي ـ الاسلامي في آسيا الوسطى بموضوعية ، مبرزين ايجابيات العنصر العربي على التراث الوطني لشعوب آسيا الوسطى .

ان ما يدفع الاسكيروف ، ومن هم على شاكلته ، الى التمادي في التهجم على الحضارة العربية بشكل عام ، وعلى دورها وتأثيرها بشكل خاص ، هو ضعف تغطية وسائل الاعلام العربية لجانب هام من جوانب تراثنا الحضاري في آسيا الوسطى . □

من المكتبة العربية

أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين

عرض : محمود بيومي

قام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول بتحقيق وثيقة تاريخية هامة .. تلقى الضوء على الكثير من الحقائق الاساسية الخاصة بحقوق المسلمين في فلسطين .. وتقدم شواهد لا تنكر على أملاكهم وأوقافهم .. وتسوق الأدلة القاطعة على الجانب الانساني لنظام الوقف الاسلامي في رعايته لجميع طبقات المجتمع .. بغض النظر عن اجناسهم وألوانهم واديانهم .. فماذا جاء في هذه الوثيقة ؟

تم تدوين الوثيقة في القرن العاشر الهجري عقب الفتح العثماني لفلسطين .. وما زالت موجودة حتى اليوم في الأرشيف العثماني باستانبول بتركيا .. وهي تشتمل على معلومات بالغة الاهمية حول اوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين .. خاصة في عهد الأيوبيين والمماليك وبداية عهد العثمانيين .

كما ان هذه الوثيقة تقدم المعلومات الوافية للتاريخ الاجتماعي والثقافي لهذه الأرض العزيزة من العالم الاسلامي .

وقد كلف مركز الابحاث التركي الدكتور محمد أيشرلي والاستاذ محمد داود التميمي ببحث وتحقيق الوثيقة خدمة لقضية فلسطين .. ولتكون دليلا تاريخيا قاطعا في مواجهة ادعاءات حكومة الكيان الصهيوني .. وتعطي للفلسطينيين الحق لاسترداد املاكهم واوقافهم التي اغتصبت منهم .

تسجيل أراضي فلسطين :

انضمت فلسطين الى أراضي الدولة العثمانية عام ٩٢٢ هجرية في عهد السلطان سليم الأول .. وطبقا لسجلات القرن السادس عشر الميلادي كانت فلسطين مكونة من مناطق : القدس وغزة ونابلس وصفد والسلط وعجلون .

وقد جرت العادة في الدولة العثمانية على تسجيل المناطق التابعة لها .. من مختلف النواحي : السكان

واملاكهم واوقافهم واعمارهم وأحوالهم الاجتماعية ومهنهم .. ويدونون ذلك في دفاتر منظمة تراجع على الطبيعة كل ثلاثين عاما ، لحصر المواليد الجدد والموتى وانتقال الملكية او الاستحقاق في الأوقاف .

وقد عثر في دار المحفوظات العثمانية ـ التابعة لرئاسة الوزراء ـ في استانبول على أربع وثائق تاريخية هامة .. فيها تسجيل كامل لاوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين .

الوثيقة الأولى برقم ٥٢٢ :

وهي عبارة عن ٦٠ صفحة تشتمل على أوقاف المسلمين في غزة والقدس وصفد ونابلس وعجلون الى جانب أملاكهم .

وقد تضمنت الوثيقة ٢٣٣ وقفا ـ تضم ٨٩٠ عقارا وأرضا زراعية .. الى جانب ١٠٨ أملاك .

وقد بلغ عدد الوقفيات في غزة ٥٥ وقفا والقدس ٩٠ وقفا وصفد ٦٤ وقفا ونابلس ٢٣ وقفا وعجلون وقفاً واحداً . بينما بلغ عدد الأملاك في غزة ٩ املاك والقدس ١١ ملكا وصفد ٦٥ ملكا ونابلس ٣ املاك وعجلون ٤ املاك .

بينما بلغ عدد مصادر الوقفيات في غزة ٢٣٠ والقدس ٣٤٤وصفد١٧٤ونابلس١٤١وعجلون ١ .

وبلغ عدد مصادر الأملاك في غزة ١٠ والقدس ١٧ وصفد ٧٣ ونابلس ٤ وعجلون٤ .

وتجدر الاشارة الى ان هذه الوثيقة لا تحتوي على كافة أملاك واوقاف المسلمين في فلسطين وان أقدم وقفية بتاريخ ٩٥٣ هجرية . قد سجلت في هذه الوثيقة .

الوثيقة الثانية :

وهي برقم ٦٠٢ وتضم ٤٩٥ صفحة وتشتمل على الأوقاف والأملاك في فلسطين ويرجع تاريخ أقدم وقفية مسجلة في هذه الوثيقة الى عام ٩٤٠ هجرية وتعتبر من أقدم الوثائق التي عثر عليها .

الوثيقة الثالثة :

وهي برقم ٣١٢ وتضم ١٣٣ صفحة وتحتوي على الأوقاف والأملاك في صفد ونابلس وغزة والرملة .. وقد تضمنت على ٢٩٠ وقفا و٢١٥ ملكا .. وترجع أقدم وقفية مسجلة بها الى عام ٩٦٤ هجرية .

الوثيقة الرابعة :

وهي برقم ٣٤٢ وقد خصصت هذه الوثيقة لأوقاف وأملاك القدس الشريف فقط .. وتضم ٣٣ صفحة وتضم أيضا ٩٥ وقفا و٥٤ ملكا بالقدس .. ويرجع تاريخ تحريرها الى عام ٩٧٠ هجرية . وقد ذكر بها كافة مصادر الوقفيات والأملاك .

وقد تضمنت هذه الوثائق .. اسم الوقف او الواقف وشروط الواقف وتاريخ اقامة او تسجيل الوقف ومصادره .. أما بالنسبة للأملاك فقد تضمنت اسم المالك وتاريخ الملكية او الشراء .. ونوع ومكان ومقدار الملك .

ويلاحظ أيضا في هذه الوثيقة انتساب الواقفين الى عهود مختلفة .. ومثال ذلك أن هناك وقفية في عهد الرسول ﷺ كان قد وقفها على الصحابي تميم الداري الانصاري وعلى ذريته .

كما نلاحظ ان هناك العديد من الأوقاف الغنية بايراداتها .. التي أسسها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ـ المتوفى عام ٥٨٩ هجرية ـ في القدس الشريف بعد استرجاعها من الصليبيين . ومن الجهات التي اوقف عليها صلاح الدين الايوبي .. المساجد والمدارس والمستشفيات في غزة والقدس وصفد .

أوقاف بفلسطين لصالح دول أخرى :

وقد أقام العديد من السلاطين امثال السلطان قايتباي وقنصوه الغوري وبرقوق .. الكثير من الأوقاف في القدس وذلك لقداستهاوفي غزة لقربها من مصر التي كانت مقر حكمهم .. وقد خصص هؤلاء السلاطين قسما كبيرا من اوقافهم ليصرف ريعها على أوقافهم الأخرى في مصر .. ومن ذلك ما اوقفه السلطان ابو سعيد قنصوه من قرى ومزارع في غزة على مسجده ومدفنه في مصر .. وما أوقفه السلطان برقوق

من المكتبة العربية

من بعض قرى فلسطين على مدرسته الموجودة في مصر أيضا .

كما تشاهد أن العديد من رجال الدين والدولة وأفراد المسلمين ـ رجالا ونساء ـ قد أقاموا الأوقاف في فلسطين لمصالح خيرية مختلفة .

• أوقاف الأنبياء :

تضمنت هذه الوثائق العديد من الأوقاف بأسماء بعض الأنبياء مثل موسى وابراهيم ويحيى وزكريا عليهم السلام . . ممن عاشوا قبل الاسلام بعدة قرون . . الا أنه من المؤكد أن هذه الأوقاف لم تقم بمعرفة هؤلاء الأنبياء وانما وقفت بعدهم بمعرفة أصحاب الخيرات من المسلمين لانفاقها على مقامات وأضرحة هؤلاء الأنبياء .

وهناك العديد من الأوقاف التي خصص ريعها لاحياء الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة وما الى ذلك دون ذكر أسماء الواقفين .

أوقاف الذرية والخيرات العامة :

ويوجد الكثير من الأوقاف على ذرية الواقفين وتتشابه هذه الأوقاف في شروط انفاق ريعها ـ بعد انقطاع ذرية الواقف ـ وذلك على الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة أولا ثم على المسجد الأقصى الشريف بالقدس والحرم الابراهيمي بالخليل وعلى المساجد والمدارس والزوايا والمؤسسات الخيرية .

وهناك أيضا أوقاف مخصصة ـ من البداية ـ لصالح الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى المبارك والحرم الابراهيمي والجوامع والمساجد والأضرحة والزوايا والتكايا والمدارس والمستشفيات ومياه الشرب والانفاق على القائمين على خدمة هذه المؤسسات .

كما توجد أوقاف مخصصة لرعاية المرضى والأسرى والمساجين وطلبة العلم والصوفية والفقراء والمساكين والمجاورين بالحرمين الشريفين .

وقد دونت هذه الوثيقة بلغة عربية ليست بالفصحى . . وتحمل بصمات العهد الذي كتبت فيه ويرجع ذلك الى حرص الكتاب الذين دونوها على تسجيل المعلومات أكثر من حرصهم على سلامة اللغة . . كما أن بعضهم لم يكن من اهالي البلاد وقد نقلت هذه الوثيقة عن السجلات الشرعية المحلية ومن نصوص قديمة أخرى .

وقف الرسول عليه الصلاة والسلام :

تضمنت الوثيقة تسجيلا لأول وقف في الاسلام وهو الوقف الذي اوقفه الرسول ﷺ على تميم الداري الأنصاري رضي الله عنه ونصها :

«وقف سيد المرسلين وحبيب رب العالمين سيد العرب والعجم وامام مكة والحرم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن عبد مناف بن هاشم عليه أفضل الصلاة وأكمل التحيات ، على تميم الداري الأنصاري رضي الله عنه وعلى أولاده وأولادهم وذريتهم وأنسالهم واعقابهم بموجب الانطاي الشريف وبموجب دفتر أوقاف على بك .

وقد اشتمل وقف الرسول عليه الصلاة والسلام على الأعيان التالية :

ـ قرية بيت عينون تابع خليل الرحمن ـ تماماً .

ـ أرض مدينة خليل الرحمن ـ تعرف بجبرون وحبرا وبيت ابراهيم ـ تماما .

ـ مزرعة مرطون ـ الآن تعرف بالرجبة ـ تابع خليل الرحمن ـ تماما .

ـ دكاكين في سوق مدينة خليل الرحمن تعرف بوقف تميم في أرض بيت ابراهيم ٦٥٠ باب .

ولا يتسع المجال هنا لعرض ما جاء بالوثيقة من أوقاف صلاح الدين الأيوبي . . فله العديد من الأوقاف بالقدس .

١٥٧١ وقفا وملكا بفلسطين :

بلغ عدد حجج الأوقاف والأملاك الواردة بالوثيقة ١٥٧١ وقفا وملكا . . . تشتمل على آلاف العقارات والأفدنة . . اذا ما قمنا باحصاء البيانات الواردة في هذه الحجج .

وهذه ليست مهمتنا انما مهمة الأجهزة الاسلامية المسئولة لتقوم بدورها بالمطالبة بحقوق المسلمين في فلسطين . . لدى المنظمات الدولية المختصة استنادا الى هذه الوثائق الموجودة لدى منظمة المؤتمر الاسلامي .

وهكذا تكف اسرائيل عن ادعاءاتها التي طالما رددتها باعتبار املاك الفلسطينيين مجرد املاك غائبين يحق لها الاستيلاء عليها . . . كما تطالب الأجهزة الاسلامية في مصر والدول الأخرى ان تطالب بريع الأوقاف المخصص انفاقها على المؤسسات الخيرية في بلادها .

وأعود مرة اخرى لأردد أن فكرة الوقف قد انقذت الكثير من الأراضي الواقعة تحت الاحتلال مما يثبت الحكمة في هذه الفكرة ومدى صلاحيتها لحماية أموال المسلمين وتراثهم الاسلامي . □

شولوخوف والناس !

كان خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي الأسبق حريصا على أن يصطحب واحدا أو اكثر من الكتاب السوفيت الكبار في رحلاته الى الخارج ، وخاصة اذا كانت رحلته الى احدى الدول « الراسمالية » ، فقد كان يحب دائما أن يستمع الى الانطباعات التي تركتها الرحلة في رؤوسهم ، ويقرأ تأثيرها على كتاباتهم ، الى أن جاء الدور اخيرا على كاتب روسيا الكبير شولوخوف صاحب « الدون الهادىء » وكان خروشوف يستعد لزيارة الولايات المتحدة الامريكية ، وفي العالم الجديد البعيد استوقف شولوخوف فريق من الصحفيين الأمريكيين وسألوه : « كيف رأيت أمريكا ؟ » فقال :

« هنا يلمس المرء عظمة الانسان وتفاهته . . ففي نفس اللحظة التي اتوقف فيها متأملا الانجازات الضخمة التي حققتموها خلال عمر بلادكم القصير ، أصعد الى الطابق الثلاثين بعد المائة في ناطحات السحاب ، فلا أرى من تحتي سوى « حشرات » صغيرة بالكاد تتحرك ، أنا اكره لقاء الناس من هذا الارتفاع الشاهق !!

مكتبة العربي

مختارات

الفكر السياسي : عند أبي الحسن الماوردي .

الكاتب : د . أحمد مبارك البغدادي .
الناشر : مؤسسة الشراع للنشر - الكويت
سنة النشر : ١٩٨٤ م
عدد الصفحات : ١٨٦ صفحة من القطع المتوسط .

من المعروف أن فترة الحكم الأموى هى الفترة التى تحول فيها الحكم من نظام يقوم على البيعة لانتخاب خليفة المسلمين ، الى نظام قائم على التوارث العائلى للسلطة .

وعلى الرغم من حدوث هذا التطور ، فان المؤلف يقول :

« لم يحاول الفقهاء المسلمون شرح - أو على الاقل التعرض - لنظرية الامامة أو الخلافة ، ودراستها من منظور اسلامي صرف ، لا من حيث كيف يجب أن تكون (أي الخلافة) ، ولا من حيث صورتها كما كانت على أرض الواقع ، ويعتبر كتاب أبي الحسن الماوردى » « الاحكام السلطانية » وغيره من كتب محاولة للاجتهاد فى هذا الموضوع . فدرس الكاتب الفكر السياسى لابى الحسن الماوردى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى وكتب اجتهاداته فى ظل الدولة العباسية .

وقد قسم الكاتب كتابه الى أربعة فصول هى :
الفصل الاول تناول فيه كتابات الماوردى السياسية فى اطار الفكر السياسى الاسلامى ، الخلفية التارخية لفكر الماوردى ، وحياة الماوردى الخاصة .

الفصل الثانى : تناول فيه كتابات المرحلة المبكرة ، كنصيحة الملوك وتسهيل النظر ، وتعجيل الظفر ، وكتاب الوزارة .

الفصل الثالث : تناول فيه الانسان والمجتمع فى كتاب « أدب الدنيا والدين » والعقل ، الدين والمجتمع ، ثم المجتمع المثالى والانسان المثالى .

أما الفصل الرابع : فقد درس فيه نضوج الفكر السياسى عند الماوردى ، وصدور كتابه « الأحكام السلطانية » .

أدب الاختلاف فى الاسلام

الكاتب : د . طه جابر فياض العلوانى
الناشر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر
سنة النشر : ١٩٨٤م .
عدد الصفحات والحجم : ١٦٨ صفحة من القطع الصغير .

ضمن سلسلة « كتاب الامة » صدر هذا الكتاب الذى حمل الرقم التاسع فى السلسلة الفصلية التى تصدر فى دولة قطر ؛ ويعالج حدود وحقيقة وضوابط وادب الاختلاف فى الاسلام . وبما ان الكثير من القضايا الاسلامية وضعت تحت مجاهر النقد

والنقاش في الفترة الاخيرة ، وطرحت حولها وجهات نظر متعددة ، وبما أن بعض هذا النقاش وصل الى حدود الشطط والمهاترات ، لذلك فان هذا الكتاب جاء كي يضع تحت أعين القراء نماذج من الحوارات والنقاشات حول الكثير من القضايا التي شغلت المسلمين الاوائل ، واختلفوا حولها ، ونمط الحوار الذي دار بينهم وطريقة ادارته .

يقول المؤلف :

« لا ضير من أن يكون هناك اختلاف له ضوابطه وحدوده وقواعده وأدبه ، والا يؤثر على وحدة فكر الأمة ومواقفها من القضايا الأساسية الكبرى » .

تأملات حرة

في الدين والفلسفة والأدب والفن

الكاتب : محمد خليفة التونسي

الناشر : مكتبة وهبة ـ القاهرة

سنة النشر : ١٩٨٣م

عدد الصفحات والحجم : ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط .

يجمع الكتاب مجموعة من التأملات والاجتهادات في المجالات الوارد ذكرها في العنوان :

ويتميز بعضها بتحليل ما تنطوي عليه النفس من نوازع وتراكيب وتضمن بعضها الآخر تراجم لحياة بعض الادباء والفنانين كالمنفلوطي وجبران ، وشارلي شابلن ، وديوجين اليوناني الذي جاءت شهرته من خلال مصباحه الذي كان كما يقال يحمله في رابعة النهار . كتعبير ساخر عن فقدان الحقيقة ، والحض للبحث عنها .

يقول الكاتب عنه :

« قد تكون السخرية طبيعة في صديقنا ديوجين ، أو ملكة اكتسبها عقله من طول تأمله في الأحوال العصبية التي كان يقاسيها الناس حوله .

وسخرية ديوجين تعبير عن ثورة نفس حرة أبية ، تحاذر مغالبة الأحوال العصبية التي تعذبه ، وتعذب جميع اليونانيين حوله والاحتجاج عليها » .

الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق

الكاتب : ابراهيم نصر الله .

الناشر : دار الشروق ـ عمان

سنة النشر : ١٩٨٤ م

عدد الصفحات والحجم : ٩٤ صفحة من القطع الصغير

في ١٣ نيسان ـ ابريل من سنة ١٩٨٤ صعد أربعة شبان فلسطينيين باصا اسرائيليا كان متوجها من تل ابيب الى جنوب فلسطين .

وعندما وصل الى عسقلان أمر الشبان السائق بالتوجه الى العريش في مصر ، وقبل وصول الباص الى الحدود بعشرة كيلومترات ، هاجمه الجنود الصهاينة ، وبعد معركة غير متكافئة قتل فيها شابان واعتقل الآخران ثم قلعت عيونهم من محاجرها ، وضربا حتى الموت بالعصى وأعقاب البنادق .

هذا الحدث حرك قريحة الشعر عند الشاعر الشاب ابراهيم نصر الله ، فكتب قصيدته ـ الكتاب . . . التي رصد وجسد فيها معاناة الشبان الفلسطينيين مع أهاليهم تحت نير الاحتلال . . . وما دار من « مونولوج » داخلي اثناء رحلة الاختطاف . وهذا مقطع من القصيدة الطويلة :

لست أمضي الى الموت مبتسما .
بين هذي الرصاصة والشمس أرفع اغنية
راية للحياة
أحب الصغار كثيرا ، وإن لم أكن ذات يوم
هناك صغيرا يلاحق . . .
سر الاعاصير
والموج حين تثور المياه
كل اسئلتي انتشرت فيّ موجا

حصن.. ومسجد.. ومدرسة..

الإسهام الكويتي يعيد الحياة

لمسجد السلطان حسن

بقلم : عبد الغني محمد عبد الله

على بعد أمتار قليلة من قلعة صلاح الدين الأيوبي . . . في مدينة القاهرة يربض مسجد . . يحاكي القلعة ضخامة ودوراً في التاريخ .

انه مسجد السلطان حسن . . فما هي حكايته عبر الزمان . . وما الذي تم ويتم بالنسبة لهذا الأثر الضخم ؟

التقيت شيخ الغطاسين في مصر والوطن العربي (كامل أبو السعادات) . . . أشهر غواص باحث عن الآثار في قاع البحر . . كان ذلك للمرة الثالثة صيف العام الماضي . . لم أكن أتصور أن ذلك اللقاء . . كان الأخير . . فقد ذهب الى لقاء ربه بعد ذلك بأيام ، قالوا انه قتل ، غرق ، دفع من القاع الى السطح بسرعة لم يحتملها قلبه ، أو . . أو . . فمات ، قال تقرير طبي انه مات غرقاً ، وتقرير آخر قال أن قلبه توقف طبيعياً . . وأنه لا شبهة في ذلك . . تقارير وحكايات واتهامات . . وشد وجذب . . ورحم الله « كامل أبو السعادات » . . فقد قبضه الله اليه قبل ان يحقق حلم عمره ، وهو اخراج أسطول نابليون حيث كان هو أول من أشار الى موقعه من الخليج ، وكان هو الذي اكتشف تمثال

الآلهة ايزيس الغارق في الميناء الشرقي للاسكندرية ، ويبلغ وزن هذا التمثال حوالي ٢٥ طناً ، وطوله حوالي ٧ أمتار . وهو أيضاً الذي اكتشف منار الاسكندرية القديم ـ أحد عجائب الدنيا السبع ـ حيث كان يرقد في أعماق المياه أمام قلعة قايتباي بالاسكندرية .

أبو السعادات والسلطان حسن :

وكان لقائي مع كامل أبو السعادات من أجل سؤال محدد : هل وجدتم الواجهة النحاسية للباب الخشبي لصحن جامع ومدرسة السلطان حسن ؟ والمقصود هو تلك الواجهة النحاسية رائعة الزخرفة الاسلامية التي سرقها نابليون بونابرت من جامع ومدرسة السلطان حسن بالقاهرة ابان الحملة الفرنسية ، ثم أرسل بها لتصبح خبيئة ببطن سفينة القيادة الفرنسية (أورينت) التي كانت راسية في (البحر الميت) قبالة مدينة (أبي قير) في شمال مصر ، ثم غرقت تلك السفينة ويقال انها انفجرت بفعل قنابل الاميرال (نلسون) الانجليزي وأسطوله في معركة (أبي قير البحرية) . . غرقت (أورينت) . . وغرق معها ما في بطنها من تحف وكنوز ، ومن بين ما غرق تلك الواجهة النحاسية التي سبقت الاشارة اليها . . وفي العامين الأخيرين بدأت مصلحة الآثار المصرية بالتعاون مع بعثة فرنسية في تعويم (أسطول نابليون) ، فوقف رجال الآثار الاسلامية ومعهم صحيفة اتهام ضد (بونابرت) ، يدّعون عليه فيها بالسرقة ، ولكنها لن تقدم للنيابة ، بسبب أن الدعوى انقضت بوفاته . . وبمضي المدة .

(كامل أبو السعادات) . . رد في تواضع جم (ان شاء الله تخرج للنور وتعود لمكانها) وتمنيت ذلك . ومرت الأيام وقرأت خبر وفاته المشكوك فيها في الصحف . . ولم تكن تلك الواجهة قد خرجت بعد من قاع البحر .

ترابط آخر :

والواجهة النحاسية عبارة عن قطعة فنية اسلامية من مدينة القاهرة ترقد الآن في بطن سفينة حربية فرنسية غارقة بسبب قنابل انجليزية . . . . في قاع مياه مصرية . . . وهكذا .

أما سبب الاهتمام في طلبها ـ فهو أن الآثار الاسلامية في مدينة القاهرة تشهد في الوقت الحاضر حركة ترميم ضخمة ترتبط باسم (الدكتور أحمد قدري) رئيس هيئة الآثار المصرية . . فقد جمع شباب الجامعات المصرية ، ودفع بهم الى تلك العمائر يزيلون عنها أثر الزمن ، وغبار الماضي . . فعاد الرخام الى لونه الطبيعي ، وأصبح لون النحاس أصفر وكسيت الجدران واستبدلت الأحجار بمثيل لها .

ذاك الرجل من الكويت :

ومن الكويت جاء رجل الخير ـ محمد الشارخ ـ بعرض كبير . . لترميم جامع ومدرسة السلطان حسن . . وهو أمر ليس بالهين ، فهو عمارة ضخمة شاهقة بجدران مرتفعة ومدخل مهيب . أو كما قال الكونت (جوبينو) حينما أطل على القاهرة من فوق القلعة (ينفسح تحت أقدامنا ميدان عريض تتصدره مدرسة السلطان حسن . . . حصن على هيئة مسجد ، لا يقل مناعة عن قلعة صلاح الدين المواجهة له) . أو كما وصفها المقريزي (فلا يعرف في بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها) .

وكان محمد الشارخ قدّر التحدي العظيم . . والعجيب أن رجال هيئة الآثار المصرية رفضوا ـ وباصرار ـ الافصاح عن أية بيانات عنه . . حتى يمكن اللقاء معه . . وقالوا بالحرف الواحد (رجل يحب الخير . . كويتي . . عربي النزعة . . مسلم غيور) فقط .

وبدأ الدكتور (عبد الرحمن عبد التواب) . . عالم الآثار الاسلامية المعروف في بحث أمر الترميم . . وانكب مهندسو الهيئة على المصادر والمراجع والرسومات والتصاوير . . وانتاج المستشرقين الفني وكتاباتهم . . وهي كثيرة ومتعددة . . وبدأوا بعد ذلك في رسم خطة للترميم . . ثم اتضح لهم أن (نابليون) . . قائد الحملة الفرنسية على مصر ـ وامبراطور فرنسا بعد ذلك . . قد استولى لنفسه على

مسجد السلطان حسن وإلى يساره مسجد الرفاعي

المدخل الرئيسي عند الطرف الغربي للواجهة البحرية.

- المدخل الرئيسي والجدران الشاهقة - من جهة القلعة .

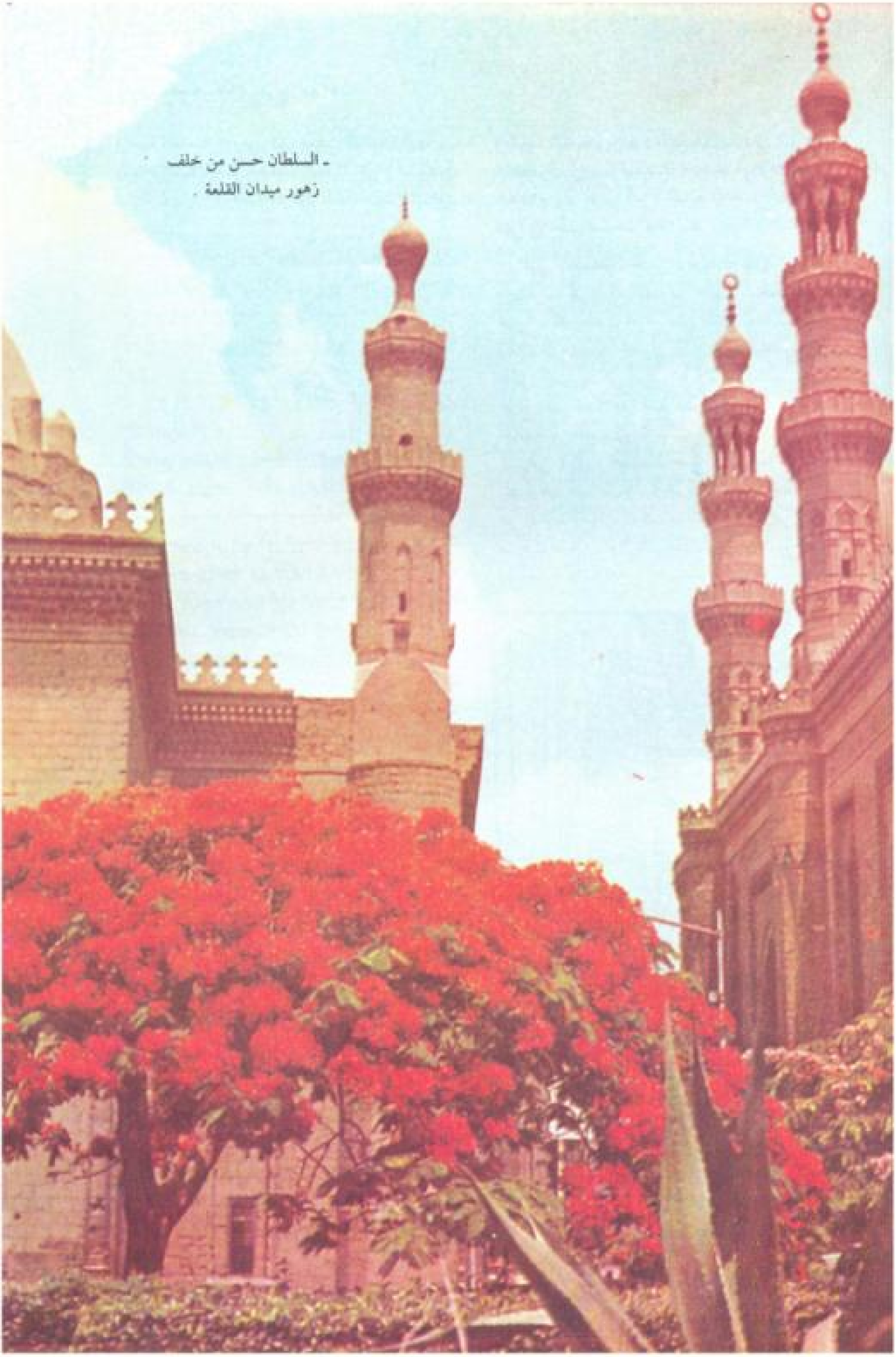

ـ السلطان حسن من خلف
زهور ميدان القلعة .

واجهة نحاسية ، وهي التي سبقت الاشارة اليها . . وتوافق ذلك مع أعمال البحث عن (أسطول نابليون) . . ووقف المرمون بالمرصاد لأسطول نابليون . .

وجذب (كامل أبو السعادات) الخيط وبدأ ـ وهو البارع في البحث عن الآثار في قاع البحر ـ بدأ يبحث عن الواجهة النحاسية . . والتقيت به مرات ثلاث لسؤاله عنها . . وآخر مرة قال (ان شاء الله تخرج . . . .) ومن هنا ارتبط اسم الكويت بواحد من أهم الأحداث المثيرة . . ليس في الوطن العربي فقط بل في العالم كله . .

جامع ومدرسة (السلطان حسن) بحي القلعة بالقاهرة . . أحد أعظم وأعرق الآثار الاسلامية قاطبة . شيده (السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن بن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاون) وذلك حسبما تقول لوحة الانشاء ، وكان ذلك في عام ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) حينما جلس على دست سلطنة المماليك ، وعمره لا يتجاوز ١٣ سنة .

وقد جاءت نهاية السلطان حسن على يد (يلبغا الخاصكي) بعد مهاجمته للقلعة أثر خلاف حاد مع السلطان حسن في عام ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) ، واضطر السلطان الى الفرار ، الا أنه وقع في قبضة (يلبغا) بجهة (المطرية) فخنقه ورمى بجثته في البحر ، كقول أغلب المؤرخين ، وكان ذلك آخر العهد به ، ولم يعرف له قبر ، وان كان (المقريزي) قد نوه بأنه دفن في مصطبة في داره بجهة (قلعة الكبش) ، وهناك قول آخر بأنه دفن في (كيمان الفسطاط) ، ومعروف أن الفسطاط تحولت الى كيمان (أكوام) بعد حرقها في نهاية العصر الفاطمي .

الى الجامع والمدرسة :

قام بناء مسجد ومدرسة السلطان حسن في موقع عرف قديماً باسم سوق الخيل ، وكان في هذا الموقع قصران من أجل القصور ، كان قد أمر بانشائهما السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون منذ عام ٧٣٨هـ (= م) ، وذلك لسكن الأميرين (يلبغا اليحياوي) و (الطنبغا المارداني) ، وظل القصران في موضعهما حتى عام ٧٥٧هـ (= ١٣٥٦م) ، حينما أمر (السلطان حسن) بهدمهما ليبني في محلهما مسجده ومدرسته .

اعتنى (السلطان حسن) بعمارته عناية شديدة ، واستمرت تجري مع الصرف عليها بسخاء بالغ ، حتى انها قد ابتلعت خراج مصر كاملاً لعدة سنوات ، ويقال ان القالب الحجري الذي بني عليه ذلك القبو الهائل الذي يشكل ايوان الصلاة قد استنفد وحده خراج مصر كاملاً مدة سبع سنوات ، وبمناسبة ارتفاع تكاليفه ، جاءت رواية تنسب فيها الطواشي (مقبل الشامي) الى (السلطان حسن) تبرمه من كثرة المصاريف حين قال (لولا أن يقال ان ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه ، لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرفت عليه) . ولا يستبعد ذلك بسبب شموخ البناء وضخامته واتساعه ، وهو أمر يدل على الفخامة

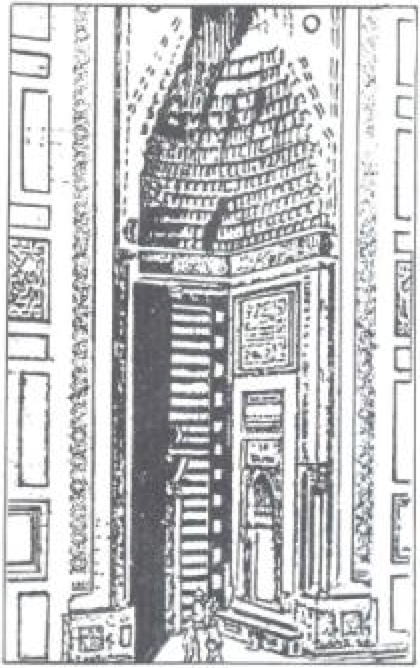

ـ مدخل السلطان حسن كما رسمه (بريس دافن)

والمقدرة الفنية والمعمارية ، وبالتالي فذلك يتطلب الكثير من النفقات .

سارت عمارة السلطان حسن سيراً حسناً حتى جمادي الأولى من عام ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) وهو نفس العام الذي قتل فيه (السلطان حسن) ، وكان البناء قد اكتمل عدا بعض الأعمال القليلة ، فاستكمل الطواشي (بشير الجمدار) معظمها ، ومن بينها أعمال الرخام بالوزرات ، والأرضيات ، وقبة الفسقية الموجودة بالصحن ، والباب الكبير ، (وهذا الباب نقل من مكانه ليصبح باباً لجامع المؤيد بجوار باب زويلة (ويقال له جامع المتولي) . وكان السلطان حسن قد افتتح الجامع والمدرسة قبل مصرعه ، وصلى فيها الجمعة ، وأنعم على البنائين والمهندسين ، وأقام بها الدروس في حياته ، وحرر لها وقفية للصرف عليها ، وعين بها الموظفين والقراء ، وعلق بها وسائل للانارة (مشكاوات) . وألحق بعمارته مساكن للطلبة .

المدارس الاسلامية في مصر :

الوزير (رضوان بن ولخشي) . . أنشأ مدرسة في مدينة الاسكندرية عام ٥٣٢هـ (١١٣٧م) ، وازداد عدد هذه المدارس بعد ذهاب صلاح الدين لمصر ، فصارت مؤسسات عامة .

كانت المدرسة عبارة عن ايوان واحد لتدريس مذهب واحد . . وهذا الايوان كان من جهة القبلة ، وقد رتب لنا البروفيسور (كريزويل) هذه المدارس ترتيباً زمنياً ، وتبين له أن المدارس الأولى كانت ذات ايوان واحد مخصصة لمذهب واحد ، وأول مدرسة خصصت لمذهبين هي المدرسة (الفاضلية) التي أسسها (صلاح الدين) عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) ، وتخصصت في تدريس المذهبين (الشافعي والمالكي) ، ثم جاءت المدرسة (الكاملية) التي بناها الملك الكامل عام ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) ، ثم المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٥٩هـ (١٢٦١ م) ، لتدريس أربعة مذاهب ، وهي كما قال (المقريزي) أول مدرسة بمصر تحتوي على أربعة ايوانات . وقد عدد لنا (المقريزي) عدد المدارس بمصر في القرن ١٥ الميلادي بـ ٦٢ مدرسة .

الوصف المعماري :

يقع المسقط الأفقي في شكل متعدد الأضلاع . وتبلغ المساحة حوالي ٧٩٠٦ متر مربع ، وامتداد أكبر أطوال هذه الأضلاع ١٥٠ متراً وأطوال عروضها ٦٨ متراً ، ولها أربع واجهات : الشرقية وبها قبة ومنارتان . المنارة القبلية هي الأقدم وترتفع عن أرضية صحن المسجد ٨١٫٦٠ متراً ، والمنارة الأخرى ليست الأصلية ، ولكنها مجددة بواسطة ابراهيم باشا عام ١٠٨٢هـ (١٧٦١ م) ، بعد سقوط الأصلية عام ١٠٧٠هـ (١٦٥٩ م) .

والواجهة القبلية تشتمل على نوافذ مدرستي الحنابلة والحنفية . أما الواجهة الغربية فتحتها دورة المياه ، وأمامها الساقية التي كانت توصل المياه الى المدارس والمسجد . أما الواجهة البحرية فهي الواجهة العمومية ، ويبلغ ارتفاعها حوالي ٣٧٫٧٠ متراً ، ويجيء الباب الرئيسي عند الطرف الغربي ، ويعد هذا الباب على حد قول الأستاذ (حسن عبد الوهاب) (طرفة أثرية) وهو من أعظم المداخل في العالم الاسلامي وأكثرها ارتفاعاً وشموخاً ، وقد حلي جانباه بزخارف متنوعة تمتد الى أعلى ، وهناك أجزاء كثيرة كان مزمعاً تلبيسها بالرخام ، ولكن ذلك لم يتم بسبب الظروف السياسية وقتئذ ، وهناك حنيتان . (الحنية هي التجويف في الحائط ويكون من الداخل ملفوفاً وقد تغطى بنصف قبة مثل حنية المحراب) . وقد تم تلبيسها برخام أخضر بأشكال زخرفية هندسية ، وكتب في أعلاهما بالخط الكوفي المزهر (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله)وتعلوها تربيعتان كتب باحداهما بالخط الكوفي اليابس (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفي التربيعة الأخرى (أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي) .

ومن المدخل مباشرة الى قاعة مربعة الشكل تغطيها تشكيلات زخرفية بارزة تنتهي في الوسط بقبة ، وبصدد هذا المدخل زخارف رخامية ملونة وملبسة في الحجر الأبيض ، ونافذة جصية مخرمة ولا تقل زخارفها دقة عن أعظم أعمال ذلك الزمان . .

ـ المحراب الرائع والمنبر الرخامي يقعان في صدر ايوان الصلاة .

ـ الدكة الرخامية للمبلغ تقف على أعمدة رخامية ملبسة برخام ملون .

ـ المدخل الرئيسي يتقدم السلطان حسن ـ من جهة سوق السلاح .

ـ باب العزب والقلعة من إحدى نوافذ السلطان حسن .

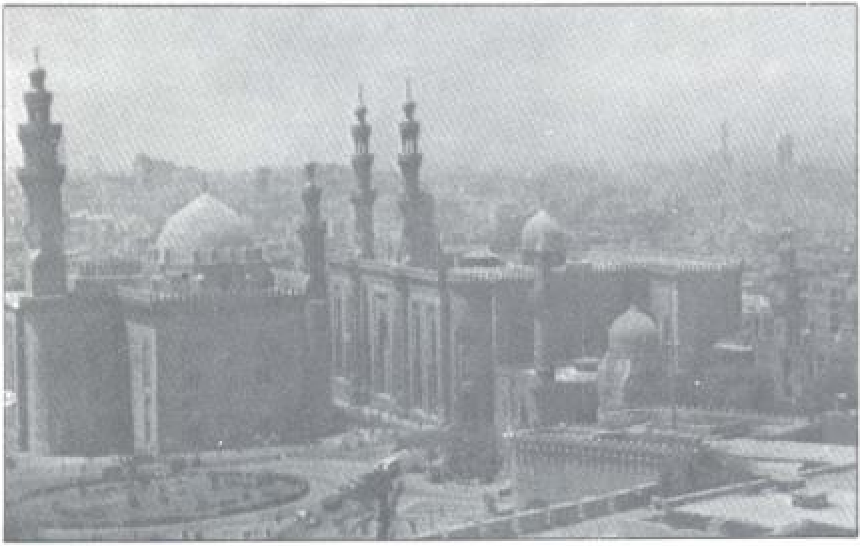

مسجد ـ السلطان حسن ـ من خمسين عاماً .

وبواسطة خمس درجات سلم يمكن الوصول الى دهليز ينثني الى اليسار بثنية حادة يقود الى الصحن ، وللعلم ليس ذلك هو الدهليز الوحيد . . بل هناك عدة دهاليز أخرى .

الصحن وايوان القبلة :

ينتهي ذلك الدهليز الى الصحن ٣٤٫٦٠×٣٢م٢ ، وهو مكشوف تتوسطه سقيفة (فوارة) مخصصة للوضوء ، تعلوها قبة خشبية تشكل جوسقاً محمولاً على ثمانية أعمدة رشيقة ، وقد نقش على دائرها آية الكرسي وتاريخ الانتهاء من بناء القسقية والجوسق وتاريخ عمارة اخرى أجريت بها عام ١٠٨٨هـ (الجوسق هو القبة المحمولة على أعمدة) .

وعلى جوانب الصحن أربعة ايوانات ، أكبرها الايوان الشرقي الذي يضم المحراب والمنبر الرخامي ودكة المُبلِّغ الرخامية ، وهذا الايوان الكبير لا نظير له في العالم الاسلامي كله من حيث ضخامته وسعته وارتفاعه ، وتبلغ فتحته ١٩٫٢٠ متراً ، ويحيط به افريز نادر ورائع من الجص ، يحتوي على شريط من الكتابة على أرضية زخرفية جميلة ، ويحتوي هذا الشريط الكتابي على ما نصه من ـ « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ـ الى قوله تعالى ـ « فوزاً عظيماً » .

الدكة الرخامية التي تقف على أعمدة رخامية ملبسة برخام ملون من نواصيها ، وتمت زخرفتها بعناصر زخرفية نباتية عبارة عن أوراق العنب وثماره (العناقيد) .

ويقع المحراب الرئيسي للجامع والمدرسة في صدر ايوان القبلة ، وهو عبارة عن حنية عظيمة ، يشتمل على مجموعة رائعة من العناصر الزخرفية المتعددة الألوان ، وبجواره منبر رخامي بباب نحاسي مخرم ، يكتنفه من اليمين واليسار بابان ، أحدهما نحاسي مكفت بالذهب ، يقودان الى غرفة الضريح من خلف المحراب .

ويقع الضريح في حجرة كبيرة مربعة تغطيها قبة بارتفاع ٤٨ متراً . . وتضم محراباً رخامياً تمت زخرفة حنيته بزخارف دقيقة ، وبها وزرة ترتفع عن الأرض بثمانية أمتار ، وعند مرحلة الانتقال بين أركان الغرفة

المربعة وبداية دوران القبة ينشأ فراغ في الأركان تمت المعالجة لهذه الفراغات بمقرنصات أشبه بخلايا النحل ، وهي من الخشب الملون والمذهب . وقد سبق أن سقطت القبة الأصلية عام ١٠٧١هـ (١٦٦٠ م) ، وجددها ابراهيم باشا في عمارته للمسجد عام ١٠٨٢هـ ، وهذه الأخيرة محاطة من الخارج بدعامات اسطوانية ، وكانت في الأصل مغطاة من الخارج بالرصاص . . أعتاب نوافذ القبة محلاة بعقود ومقرنصات ، وتم تطعيمها بأشرطة من القاشاني والكتابات الكوفية .

والايوان : هو المساحة المحاطة بما يعزلها عن البيئة الخارجية ، ويغطيها سقف مقبى أي (قبو) .

ودكة المُبلّغ : عنصر معماري يتواجد بالمسجد ليجلس فوقه القراء ، أو جوق المنشدين . . وكذلك يصلي فوقها المنادي الذي ينادي خلف الامام حتى يسمع باقي المصلين .

والمقرنص : والجمع مقرنصات وهو عنصر معماري يسد الفراغات بين مستويين ، أو بين مربع ومستدير ، أو من تغير مستوى الأسطح . . وتراه دائماً في الأركان أسفل القباب أو على المآذن أسفل الشرفات .

وعلى يمين الصحن ويساره وخلفه ثلاثة ايوانات في كل جهة واحد منها . . وهي جميعاً أقل في سعتها وعمقها من ايوان القبلة ، وان كانت متساوية معه في الارتفاع ، وخصص كل واحد لتدريس واحد من المذاهب الأربعة ، أكبر هذه الأيوانات هو الذي كان مخصصاً للمدرسة الحنفية ، وتبلغ مساحته ٨٩٨ متراً .

كان من المقرر في مشروع البناء إقامة أربع مآذن ـ تم الفراغ من ثلاث منها . . اثنتان تكتنفان القبة وواحدة على الكتف الأيمن للباب الرئيسي . . سقطت يوم السبت الموافق ٦ من ربيع الأول عام ٧٦٢هـ ، فأمر (السلطان حسن) بوقف بناء المنارة الرابعة اكتفاء بالمنارتين ، وان كان يقال ان الرابعة كانت موجودة . وكان سقوط الثالثة محل تشاؤم من المعاصرين ، وجاء اغتيال السلطان حسن بعد ذلك بفترة قصيرة .

المهندس المعماري :

لم يكن هذا المهندس معروفاً . . فقد كانت تلك العمارة (التي ليس لها نظير في الدنيا) كما قال المؤرخ غرس الدين بن خليل بن شاهين الظاهري الذي أضاف بأن الملك (الناصر حسن) لما أمر بعمارتها طلب مهندسين من أقطار الأرض ، وأمرهم بعمارة مدرسة لم يعمر أعلى منها ، وهي عجيبة من عجائب الدنيا حتى ان ابن تغري بردي الأتابكي من كتاب النجوم الزاهرة ، قد ذهب مذهب (غرس الدين) وقال (ان هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهي أحسن بناء مبني في الاسلام) .

واستمر هذا المهندس المعماري مجهولاً حتى اكتشفه العالم الأثري المرحوم (حسن عبد الوهاب) يوم ١٤ نوفمبر عام ١٩٤٤ ، حينما عثر في المدرسة الحنفية على نص مكتوب في طراز جصي (والطراز شريط كتابي) ونصه بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في جنات وعيون . . . . . . » ثم اللهم يا دائم لا (يفنى) يا من نعمه لا (تحصى) أدِم العز والتمكين والنصر والفتح المبين يا من أيدت به الاسلام والمسلمين و أحييت . . . حسن (ابن) مولانا الـ . . . عنه ما وليته وخلده في ذريته كتبه (تحمو) دولته وشاد عمارته محمد بن بيليك المحسني) .

ووقف جابريل شارم . . وهو من علماء تاريخ الفن ، وقف كثيراً أمام مسجد (السلطان حسن) وقال (ان باب المسجد تحفة فنية من أكمل الألطاف العربية ، علوه شاهق يتناسب مع اتساعه ويعلوه نصف قبة مقسمة على هيئة مقرنصات في تجويف عميق ، ينتهي بباب الدخول المصفح بالبرونز المزركش ، وداخل المسجد أعظم ، فالصحن وما فيه من الفسقية محاط بعقود توصل الى ايوان القبلة كتابات كوفية محفورة في الحائط ، مكونة من حروف حجمها غير شائع تزينها فروع نباتية ، ثم يدخل المرء الى حجرة القبو . . . قبته تبدو أكثر ارتفاعاً من قبة البانثيون بباريس وأوسع منها مرات) .

وانتهى كلام (جابريل شارم) عن هذا الجزء من عمارة السلطان حسن ، وان كان غيره لم يتوقف عن الكلام . .

(جاستون فيت) قال (أنه لأبدع آثار القاهرة وأكثرها تجانساً وتماسكاً وكمالاً ووحدة) .

(الورتلاني) الرحالة المغربي قال انه (مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء والارتفاع وأحكام اتساع حناياه وسعة مدخله ، فكأنه جبال منحوتة ، تصفق فيها الرياح كما تفعل في شواهق الجبال) .

وعنه أيضاً قال الأثري الشهير المرحوم الاستاذ حسن عبد الوهاب « إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها ، فان لمصر الاسلامية ان تتيه عجباً بمدرسة السلطان حسن التي لا يعادلها آخر في الشرق بأجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها » .

الترميمـــــات :

جامع ومدرسة (السلطان حسن) تأثر بالزمن الذي رحل خلاله فتعرت بعض جدرانه ، وتآكلت بعض أحجاره ، وسقطت قبته ، وغير ذلك من تأثيرات الزمن .

ووجد المبنى من الجميع اهتماماً بالغاً ، فتعرض للترميم أكثر من مرة ، وفي كل مرة كان يتجدد فيها شبابه ، وكان يعود مرة أخرى الى نفس عمارته التي أقيم على نمطها .. وهي عمارة مملوكية تتبع المدرسة الفنية الاسلامية المملوكية .

أهم الترميمات هي التي أمر بها ابراهيم باشا عام ١٠٨٢هـ (١٦٧١م) ، وتم فيها تجديد القبة وإعادة بنائها بعد أن سقطت ، الى جانب بعض الترميمات الأخرى .

قامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميم المبنى مرة أخرى في بداية القرن الحالي ، وبذلت في اصلاحها وترميم عمارتها وتجديد زخارفها جهوداً عظيمة ، وكان ذلك تحت إشراف كبير مهندسي اللجنة وقتئذ (هرتس باشا) فأعادت مرة أخرى بناء المنارة التي سقطت وأصلحت الأخشاب والأبواب وباقي أعمال النجارة ، وأعادت فرش الأرضيات المتآكلة .. فعادت عمارة الجامع الى رونقها بعد أن صرفت تلك اللجنة ما يقرب من ٤٠ الف جنيه مصري ـ وهو مبلغ كبير بالنسبة لذلك الوقت ـ وانتهت ترميمات هرتس باشا عام ١٩١٥م .

والمبنى جميعه في الوقت الحاضر يتعرض لعملية ترميم شاملة وكاملة ، بواسطة هيئة الآثار المصرية ، ضمن المخطط الشامل لترميم الآثار الاسلامية في مصر ... ويشترك في التمويل أحد رجال الكويت (محمد الشارخ) الذي تعهد بإتمام الترميم .. وبالفعل فقد استعد المبنى لمواجهة عملية التجديد ، ونلاحظ ذلك في الصور المرافقة ، حيث ترتفع السقالات على حوائطه ، وتتدلى الحبال من سطحه ... وفعلاً لقد تم في البداية انهاء بعض الأعمال البسيطة المرتبطة بالترميم ، التي لا تحتاج الى جهد كبير ، مثل باطنية القبة التي فوق الفسقية والواقعة في منتصف الصحن ، وكذلك بعض الأعمال الخاصة بتلميع المشغولات النحاسية ، وكشف الأعمال الرخامية حتى تعود الى ألوانها الطبيعية ، التي كانت في متناول يد المشتغلين بأعمال الترميم .

والعديد من الحكايات تدور حول مبنى جامع ومدرسة السلطان حسن ، باعتباره أنه كان وقت عمارته ـ الحادث والحديث ، وباعتباره واحداً من أهم العمائر الاسلامية في مدينة القاهرة .

ويوم وقفنا نحن طلاب الدراسات العليا بكلية الآثار أمام القبو الهائل لايوان القبلة .. قال لنا الفنان الكبير (صلاح طاهر) . أحد الشوامخ الفنية من المعاصرين : ـ

(لا املك ما أقوله الا أنني أمام شيء جليل) .

هذا هو مسجد السلطان حسن .. المبنى العملاق بجدرانه الشاهقة ... ومدخله الاسطوري شاهق الارتفاع .. رائع الزخرفة . وهو المبنى العملاق المملوكي الكبير .. أحد روائع حضارة المسلمين ..

وهو فوق ذلك ثبت مجيد .. يحكي لنا مجد المسلمين وتاريخهم . □

قسم خاص

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

أبناؤنا
في خطر
والتلفزيون
هو السبب!

هل يعود
عصر
الحلي
العربية؟

هل يعود عصر الحلي العربية ؟

بقلم : راجي عنايت

« في زمن مضى . . كان الثوب عربياً والحلية عربية والأثاث عربياً وطراز البناء عربياً ، ولم تكن كل مفردات الحياة هذه عربية التنفيذ فقط ، بل كان الأمر أبعد من ذلك . . فقد كان الابداع العربي يمتد من العلوم إلى تفاصيل الحياة اليومية » .

ظاهرة جديدة تستحق أن نقف عندها قليلاً ، تتصل بالتحول الذي يجري على ذوق الانسان العربي ، عما كان يستهويه من فنون الغرب ، الى كل ما هو مستمد من الأصول العربية والاسلامية . ينعكس هذا التحول على اختيارات الانسان العربي في الطرز المعمارية وأساليب التأثيث الداخلي ، وفي اقتناء النسيج والبسط والأثاث والحلي .

ولظروف تاريخية واجتماعية تتعلق بتواجد الاستعمار الغربي بثقافاته وتأثرنا بمفردات الذوق الغربي للحضارة الغربية فقد تخلينا عن الكثير من أصولنا الحضارية . وبالطبع تباينت درجة ابتعاد المجتمعات العربية عن الطابع العربي والتراث الاسلامي في اختيارات الحياة اليومية . وفي جميع الأحوال ، يضع هذا على عاتق الفنان والحرفي مهمة شاقة ، تقتضي منه خلق النماذج التي تعيد للذوق العربي مساره السليم ، والتي تتوافق مع احتياجات العصر ، حتى تقنع المواطن العربي ، وتوقظ فيه حسه الأصيل .

وهذا هو بالضبط ما فعلته الفنانة عزة فهمي ، عندما قدمت للمرأة العربية نماذج متطورة من الحلي ، تعتمد على الأصول العربية والاسلامية ، وتناسب الذوق والاستخدام المعاصر .

خلال سنوات عملها في مجال الحلي ،

استطاعت عزة فهمي أن تضع بصماتها على زينة المرأة العربية في أنحاء مختلفة من الوطن العربي . وأصبح معرضها الدائم بالقاهرة وجهة النساء العربيات ، بالاضافة الى الأجنبيات اللاتي شممن في انتاجها عطر الأصالة والتفرد . وقد حققت نجاحا ملفتا بين أبناء الجالية العربية والجمهور الأجنبي في عرض الحلي الذي قدمته في معرض فرانكفورت للحرفيين عام ١٩٧٥ ، وفي مهرجان « مصر اليوم » بواشنطن ، عندما تضمن المهرجان عرضاً خاصاً لاعمالها ، بالاضافة الى المعارض الأخرى التي أقيمت بالمتحف الافريقي بواشنطن ، ومعرض الحضارة بهيوستون ، وفي لوس أنجيلوس .

وتأكد ذلك التحول في ذوق المواطن العربي ، بعد المعرضين الناجحين اللذين أقامتهما في الكويت (عام ١٩٨٢) ، وفي أبوظبي (عام ١٩٨٤) .

القنانة عزه فهمي تفكر في تركيبة جديدة لعقد

بداية القصة :

ولكن .. دعنا نتأمل القصة من بدايتها ، قصة صحوة الفنان العربي المعاصر ، وتفتح عينيه على تراثه رغم اغراء الأنماط الأوروبية ، التي تتدفق على وجدانه في محاولة لاستلابه .

تخرجت عزة فهمي في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٦٥ . وشأنها شأن غيرها من الخريجات ، لم تكن لديها خطة جاهزة بطبيعة النشاط الفني الذي يمكن أن تجد نفسها فيه . بدأت عملها في هيئة الاستعلامات بمصر ، وراحت في نفس الوقت تبحث عن دور لها في تصميم الكتاب وفي رسوم الأطفال ، وفي انتاج الخزف ، ورغم القبول الذي لقيته تجاربها في هذه الميادين ، الا أنها لم تشعر أنها قد وضعت يدها على اللحن الحقيقي في حياتها .

وكان الانقلاب الحقيقي في حياتها ، يوم أن التقت بالمعلم رمضان . . .

والمعلم رمضان ، هو أحد الحرفيين التقليديين في حي الصاغة بخان الخليلي في القاهرة . له ورشة صغيرة يصنع فيها الحلي الفضية والذهبية التقليدية .

عندما دخلت عزة ورشة المعلم رمضان الصغيرة ، وعرضت عليه أن تعمل كصبي من صبيانه ، وافق الرجل ، وان ظل في داخله الشك في جدية طلبها . فهي فتاة ، ثم هي جامعية . ورغم شك الرجل في أن الأمر لن يعدو أن يكون نزوة طارئة ، الا أنه في مواجهة حماسها المتدفق ، لم يجد مناصا من الموافقة .

ولادة جديدة :

ومنذ اليوم الأول الذي جلست فيه عزة فهمي أمام « الترجة » ، وهي منضدة صائغ الحلي ،

العقد الأعلى مستوحى من أصول بدوية ، والاضافة الخاصة هي استخدام ثلاث نوعيات من الذهب (١٨ ، ٢١ ، وأبيض) بالاضافة الى استخدام الفيروز . والعقد الأسفل مستوحى من حلي شمال أفريقيا .

عقد به تركيبات يمنية يعتمد على المرجان والفيروز ، وبعض الاضافات الموريتانية .

حقيبة سهرة من الفضة ، مستوحاة من الحقيبة التي يحفظ بها القرآن الكريم بالمغرب

نموذج حديث يوضح الطبيعة الفنية لانتاج الفنانة عزة فهمي ، حيث تتجمع في العمل الواحد عدة عناصر من المصادر المختلفة للحلي العربية . في هذا العقد نجد استيحاء للحلي اليمنية والمغربية والتأثيرات التركية .

الكرات الثلاث الكبيرة مستوحاة من تصميمات الحلي اليمنية ، وهي تزين في الأصل اليمني بوشي من الأسلاك والتحبيب على سطحها . في الكرة الوسطى أضافت الفنانة بعض العناصر المتأثرة بالفن التركي ، مثل الهلال والنجمة والقلب والوردة .

المثلثان قرب طرفي العقد مستوحيان أيضا من الحلي اليمنية ، مع نفس الاضافات التي نجدها على الكرة الوسطى ، أما المجموعات الأربع من التشكيلات الخرزية فمصدرها حلي بربر المغرب . أما نهاية العقد التي تكون في الأصول التقليدية من الخيط أو الجلد ، فقد صنعتها الفنانة من عناصر تعتمد على شكل الكرة لترديد العناصر الأساسية في العقد .

الخامات المستخدمة في العقد تختلف عن الخامات التقليدية في مثل هذا الطراز . وهي هنا مكونة من الفضة والكهرمان والمرجان الأسود ، ثم أضافت اليها ، باجتهاد شخصي ، مزج الفضة بالذهب ، أو الفضة المطلية بالذهب .

وهذا العقد يدخل ضمن المرحلة الجديدة من انتاج الفنانة ، والتي تتمثل في عدم التقيد بالتسطيح التقليدي في الحلي ، واستيحاء التجسيم الجريء الذي تتميز به حلي بربر المغرب .

وترى الفنانة أن أفضل استخدام للعقد ، هو أن يستقر على الجسم ، أو على نسيج رداء بلون محايد ، وبلا نقوش .

وأمسكت الأدوات بيديها ، حتى أدركت أنها قد توصلت الى حلم حياتها الحقيقي كفنانة تصمم وتنفذ الحلي .

تحكي عن ذلك اليوم ، فتقول « خرجت من ورشة المعلم رمضان أتقافز في الطريق شاعرة وكأنه قد نبت لي جناحان . . الشوارع التي عبرتها من قبل عشرات المرات ، بدت لي مختلفة ، زاهية ، متراقصة بالألوان البراقة . . كنت أشعر كما لو أنني قد ولدت من جديد . . »

على مدى عامين ، ظلت عزة تقطع المسافة بين هيئة الاستعلامات وحي الصاغة سيرا على الأقدام ، بعد نهاية ساعات العمل الحكومي ، ومع هذا ، كانت تعايش شعورا بالسعادة الغامرة . . سعادة اكتشاف دقائق الحرفة ، وقد بدأت تتضح أمامها آفاق عالم كامل ، زاخر بالاحتمالات .

عندما توفر لها القليل من المال ، اشترت عدة جرامات من الفضة ، وبدأت عملها في بيتها عام ١٩٧٠ ، بعد أن اكتسبت خبرة الحرفيين التقليديين في صناعة الحلي . وكان من الطبيعي الا تقتصر في عملها على الأشكال والتصميمات السائدة ، التي لا يخرج عنها الحرفيون ، ولكن ، أيُّ اشكال تسعى الى تقديمها ؟ . . لم تكن تعرف بعد . . أو بمعنى أدق لم تكن بعد قد عرفت هذا بشكل شعوري .

المعرض الأول :

أقامت عزة فهمي ، في عام ١٩٧٤ ، أول معرض لانتاجها في بيتها ، رفعت الأثاث القليل من حجرتين متصلتين ، ووزعت على الحوائط نماذجها من الحلي ، التي صاغتها على مدى أربع سنوات . منذ أن بدأت عملها في البيت . وفي اليوم الأول من ذلك المعرض بيعت معظم قطع الحلي المعروضة . . هل كان ذلك مجاملة من معارفها أم تشجيعا من الأصدقاء ؟ أم أن جمهور المعرض قد اكتشف شيئا خاصا في انتاجها ، جعله يقبل على اقتنائه ؟ . .

دلايات تستفيد من زخارف واجهات البيوت النوبية وهي من الفضة التي استخدم فيها النشر للتشكيل .

رغم عدم الوضوح الكامل للطريق أمام الفنانة ، فقد قدمت في معرضها الأول ارهاصات للخط الذي أنتجته فيما بعد . لم تقتصر على تقليد الأعمال التي رأتها في حي الصاغة ، ولم تعمد الى تقليد قطع الحلي الأوروبية التي كانت شائعة بين النساء . . لقد استوحت تصميماتها من الفن الاسلامي الفاطمي ، ومن فنون الخط العربي والفنون الشعبية المصرية .

من بين ما استوحته في معرضها الاول ، قطع من الحلي تستفيد من النقشات المتنوعة (لشباك القلة) الذي يعود الى العصر الفاطمي . وفي بعض الأعمال الأخرى استوحت عناصر من الخط العربي . ومن بين ما ضمه ذلك المعرض عقد يستوحي في تكوينه مشهدا تقليديا في احتفالات الموالد في شوارع القاهرة القديمة ، التعليقات التي تمتد بعرض الشارع ، يتوسطها الفانوس الشعبي الملون ، تحف به من الجانبين الأعلام ذات الأشكال والألوان المختلفة .

وتوالت بعد ذلك معارضها الناجحة بشكل منتظم كل عام . الى أن بدأت تشعر بأزمة تزحف عليها ، ويتزايد ضغطها يوما بعد يوم .

التناقض بين الخيال والحرفة :

لقد تضاعف شعورها بأن رؤيتها الفنية والتصميمات التي تتخيلها للحلي ، أعلى بكثير من صنعتها ، أو حرفتها التي تعلمتها في حي الصاغة . وكم هو مؤلم للفنان أن يشعر بأن يده أضعف من خياله الفني . . يرى بعقله التشكيلات والتصميمات الجديدة ، ولا يستطيع أن يجسدها .

وقبل أن تتفاقم هذه الأزمة ، فتؤثر على انتاجها ، اتيحت لها فرصة ذهبية ، على شكل منحة دراسية في حرفة صياغة الحلي بلندن ، وبالتحديد في معهد « سيتي أوف لندن بوليتيكنيك » . وهكذا وصلت عزة الى لندن .

كانت مدة المنحة ثلاثة أشهر فقط ، لكنها استطاعت خلال ذلك أن تستوعب دراسة سنة كاملة ، فقد كانت تعمل تسع ساعات في اليوم ، مضاعفة بذلك فترة العمل العادية .

وقد ساعدها في دراستها بلندن المعلمون والمدربون الذين أشرفوا عليها بالمعهد ،الذين انتقلت اليهم عدوى حماسها ، بعد أن لمسوا فيها جدية واقبالا على التعلم ، لم يصادفوه عند أي من تلامذتهم . فكانوا يفتحون لها أبواب محترفاتهم ، ويجيبون على أية تساؤلات تخطر على بالها ، ويتيحون لها تجريب كل ما تسعى لتجريبه .

وهكذا ، عادت عزة الى القاهرة وقد وجدت حلا مقنعا لأزمتها .

تشابك الألحان :

وكما يحدث للمقطوعة السيمفونية الناجحة ، عندما تتشابك ألحانها المختلفة في تزامن وتوافق لتحقق لها كمالها . وجدت عزة فهمي أن مجموعتها من الحلي العربية والاسلامية قد تكاملت الى حد بعيد ، وفي نفس الوقت الذي نضجت فيه حرفتها .

لقد أخذت صديقاتها العربيات في تزويدها بنماذج من الحلي التقليدية ، من تونس والمغرب والجزائر والسعودية واليمن والسودان . كما تجمعت لديها في نفس الوقت عدة مراجع هامة عن الحلي في أفريقيا وآسيا وأوروبا . . وهكذا وجدت حولها كل ما يتيح لها أن تستوحي وتتأمل وتتخيل ، كما وجدت يدها قادرة على تجسيد ما يجود به خيالها من تشكيلات .

وتلاحقت الأفكار الفنية ، فلم يعد عملها بالبيت يسعفها ، حتى بعد أن استعانت بعامل أو اثنين من الحرفيين ، وهكذا استأجرت مكانا في أحد الأحياء الشعبية ، بولاق الدكرور ، وأقامت ورشتها الخاصة ، واستخدمت فيها عددا من الحرفيين المهرة ، القادرين على تنفيذ ما توكله اليهم ، حتى يمكن لها أن تحقق مستوى وكمّ الانتاج المطلوب . وكذلك حرصت في نفس

الوحدة الأساسية في هذا العقد هي « يد فاطمة » الشائعة في المغرب العربي .

الوقت على أن تضم الى ورشتها عددا من الشباب الجامعي المثقف ، بهدف توسيع قاعدة هذا النشاط ، والارتفاع بمستواه .

وعندما شعرت بأن البيت لم يعد مكانا مناسبا لاقامة معارضها ، أنشأت مع غيرها من الفنانين والفنانات الذين يشتركون معها في نفس التوجه الفني ، معرضا دائما لانتاجهم ، أطلقوا عليه اسم « العين » .

تجربة من الهند :

واليوم تحتل الفنانة عزة فهمي مكان الصدارة بين فناني الحلي العرب . وتسعى الى اقتناء أعمالها النساء من معظم أنحاء العالم العربي ، مما ساعد على انتشار التوجه الجديد في الذوق العربي ، نحو مصادر الأصالة والتراث .

المشكلة التي تلح على خاطر الفنانة حاليا ، والتي لم تجد لها حلاً حتى الآن ،مشكلة سعر قطعة الحلي التي تقدمها للجمهور . . انها تحلم بأن تحقق المعادلة الصعبة فتقدم انتاجا متميزا ، يكون في نفس الوقت في نطاق القدرة الشرائية لأوسع جمهور من المستهلكين . .

لقد حاولت حل هذه المشكلة بتقديم نماذج منخفضة السعر من انتاجها ، من النحاس والفضة . . فأصبح في امكان الطالبات اقتناء بعض أعمالها . الا أن جهد الصياغة اليدوية والوقت الضائع فيه يرفع ثمن الواحدة ويقلل من شيوعها .

وهي تعد عدتها الآن للقيام برحلة دراسية الى الهند لبحث التجربة التي تمت هناك ، لاستنساخ الحلي بشكل غير تجاري ، أي دون أن تفقد قيمتها وجمالها .

لقد توصلت الهند الى طريقة عملية في انتاج الحلي ، ما بين الميكنة والانتاج اليدوي ، وبشكل أدق ، ميكنة العناصر التي تتكون منها وحدات الحلي ، وترك هامش للابداع اليدوي والتنوع من خلال الذوق الشخصي في تشكيل وتجميع هذه العناصر مما يساعد على خفض أسعار قطع الحلي ، حتى تتمكن قواعد أوسع من اقتنائها . □

أبناؤنا فى خطر

والتلفزيون هو السبب

اعداد : ريم الكيلانى

فى تقرير لمنظمة اليونسكو جملة تثير الانتباه والخوف ، تقول الجملة ان الأطفال فى البلاد العربية ما بين سن السادسة والسادسة عشرة يقضون ما بين اثنتى عشرة ساعة وأربع وعشرين ساعة اسبوعيا أمام التلفزيون !!

يلقبونه (بالوالد الثالث) والذى يحتل مرتبة فى الأسرة تلى مرتبة الاب والأم ، ليس ضيفا دائما فقط ، بل هو مشارك فى مسئولية اعداد وتربية ابنائنا ، فمع تعقد الحياة وازدياد همومها ، ومع تطور المجتمعات وخروج المرأة للعمل ، أصبح أمرا مألوفا أن يشترى الآباء سكوت أبنائهم وسكونهم بالبحث على مشاهدة التلفزيون ، وما أن يعرف الأطفال طريق هذا الجهاز حتى يبهرهم بعالمه السحرى وشخوصه العجيبة .

ولأن العقل الانسانى فى بدايته يبدأ طريق المعرفة بالاندهاش ، فان دهشة الأطفال بهذا الصندوق الذى يقدم لهم حياة أخرى كاملة لا تنتهى ، ومع استمرار الدهشة والانبهار .. يتقدم عقل الطفل الى مراحل المحاكاة والتقليد والتلقين والتعلم .. الى أن نجد الطفل فى النهاية قد تشكلت شخصيته وثقافته ، والتلفزيون هو العامل الرئيسى فى هذا التكوين .

وأكثر ما يوضح خطورة أثر التلفزيون هذه الأرقام ، والتى هى فى النهاية أصدق من أى كلمات ، لانها شديدة الوضوح والصراحة ، يقول تقرير اليونسكو رقم ٣٣ عن وسائل الاتصال والاعلام فى العالم الثالث : كان متوسط عدد أجهزة التلفزيون فى البلاد العربية فى عام ١٩٧١ مليون جهاز ، قفز الى ثلاثة ملايين ونصف فى عام ١٩٧٥ ، ثم الى اثنى عشر مليون جهاز فى عام ١٩٨٠ .

وتتراوح نسبة المواد الأجنبية المذاعة فى تلفزيونات البلاد العربية من ٤٠ الى ١٠٠ بالمائة .

ويقول نفس التقرير ان الأطفال من سن السادسة الى سن السادسة عشرة يقضون ما بين اثنى عشرة ساعة واربع وعشرين ساعة أمام التلفزيون أسبوعيا ، وأن سن الخامسة حتى السابعة هى الفترة التى يبدى فيها الطفل أقصى اهتمام بمشاهدة التلفزيون ، وفى المرحلة التى تسبق هذه الفترة فإن الطفل فى سن الثلاث سنوات يقضى ٤٥ دقيقة يوميا أمام التلفزيون ، وفى سن ٤ سنوات ينفق ساعة ونصفا ، ولكن أى المواد التلفزيونية أكثر انتشارا وقابلية لدى الأطفال ؟

يجيب عن هذا احصاء لمنظمة شبكات التلفزيون الأمريكية ، فى تقرير عن تسويق المواد الاعلامية ، فنجد أن ٦٣٪ من الأطفال يبدون اعجابا لا ينتهى بالاعلانات ، و ٢٨ بالمائة بالمواد الأخرى من مسلسلات وأفلام كارتون ، وكما يقول تقرير اليونسكو نفسه فان اجابات العينات التى شملها الاحصاء تم الحصول عليها من أولياء أمور الأطفال أنفسهم ، وذلك بسؤالهم عن أى المواد التلفزيونية أكثر جاذبية لأطفالهم وأكثرهم تعلقا بذاكرتهم .

الاعلانات لماذا ؟

لاسباب كثيرة مازال الاعلام العربي غير قادر على تقديم البرنامج الجيد الجذاب المشوق ، والذى يحقق له مكانا ينافس به البرنامج الأجنبي المستورد ، ويظل هذا العجز ليس على مستوى الكيف فقط بل الكم أيضا .

ومهما كانت دقة وصرامة ووعى ادارات الرقابة الا أنها فى النهاية تصبح عاجزة امام تسلل قيم مجتمع بأكمله يختلف عن قيم وأخلاق المجتمع العربي .. فلنفتح جهاز التلفزيون ولنر .. اعلان عن طفل يعطيه شقيقه زجاجة مياه غازية يحتفظ له بها ويحذره من شربها .. وما أن يستدير الأخ حتى يشربها الطفل الصغير وعندما يعود أخوه ليسأله يجيبه ببساطة أنها تبخرت .. اى اخلاق وقيم يهدمها اعلان مثل هذا ، اعلان آخر يبدأ بانفجار حاد ثم صوت يقول لك : انسف حمامك القديم واستبدل به حماما آخر من .. اعلان ثالث عن اكتمال الرجولة بعطر كذا ، وبهجة الأنوثة لو استخدمت صابون .

وسيل من الاعلانات والمسلسلات ،

وكلها تبث وترسى قيم مجتمع يختلف عنا ، فقيم الفردية ، ووحدة الفرد وذاتيته ، والمنافسة ، والاستهلاك ، ودرجة التحرير ، كل هذه قيم مجتمع غربي وصل فيه تعقد المصالح الاقتصادية درجة أملت عليه أن يرسى قيما جديدة ، تتفق مع مصالحه الاقتصادية .

ولكى نفهم هذا جيدا فان مسلسلات وأفلام التلفزيونات الأجنبية يتم تمويلها من شركات كبرى ، تشترى المسلسل لحسابها ، مقابل أن تسبقه باعلان ، وان يتخلل اذاعته اعلان .

وفى ظل شبح الكساد والركود الاقتصادى الذى يعاني منه العالم الآن فانه ينطلق فى سيل الاعلانات ليغرق بها سوق العالم الثالث ، حيث يجد الأمل فى رواج أكبر وأفضل للسلع التى ينتجها ، ومن هنا فانه يفتن فى تقديم الاعلان الشيق الجذاب ، ليدفع بالأسر والأفراد الى السوق ، ضاربا عرض الحائط بكل القيم والمبادىء ، فعند صراع المصالح تتوارى القيم كثيرا فى مجتمع لا يرحم أحدا من قسوته .

وللعلم رأى :

حول هذا كان للبيت العربي لقاء مع أساتذة علم النفس والتربية ، للفهم والتحليل واثراء القضية .

الدكتور محمد عودة استاذ علم النفس التربوى بجامعة الكويت يقول : لمناقشة هذا الموضوع لا بد من الانطلاق من الحقائق التالية :

ـ ان جهاز التلفاز يعتبر أخطر انجازات هذا العصر ، فبدخوله معظم البيوت ، وبنقله للمعلومات المتعددة والمتنوعة عبر الشاشة الصغيرة ، قد قلص المسافات ، ووفر الوقت فى نشر الثقافة ، واستجاب بالتالى لروح العصر التى تمتاز بالسرعة فى كل ايقاعاتها .

ـ ان هذا الجهاز راح يزاحم المؤسسات التربوية التقليدية كالأسرة والمدرسة فى توجيه النشىء وخلق اتجاهات معينة لديهم .

ـ فى وطننا العربي يعمل التلفاز باشراف وتوجيه من السلطات الرسمية ، التى استطاعت توجيه الرأى العام ، وخلق الاتجاهات التربوية .

ـ اثبت هذا الجهاز باستخدامه للوسيلتين السمعية والبصرية أثره الفعال ، سواء لدى الكبار أو لدى الصغار ، حتى صار رفيق افراد الأسرة ، كما دخل الى المدارس ليكون وسيلة ايضاح مقبولة لدى التلاميذ .

وانطلاقا من كل هذه الحقائق لنا أن نتساءل عن الآثار السلبية للافلام الكرتونية والاعلانات التجارية على أخلاق الأطفال ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال لا يمكن أن تكون علمية ما لم تتوفر لدينا دراسة علمية مبنية على الاحصائيات عما يقدمه التلفزيون من برامج من هذا القبيل ، وتحليل لمحتوى هذه الأفلام ،ودراسة حالات متعددة من الأطفال ، للبحث عما تكون لديهم من اتجاهات ، يمكن أن تعزى لما يقدمه التلفزيون .

هذا من جهة أما من جهة أخرى ، فان بعض برامج التلفزيون نتاج ثقافات مغايرة لثقافتنا ، كما أننا نجد فيها التوجيهات الأخلاقية التى قد تتعارض أحيانا مع اخلاقيات مجتمعنا .

ولكن ، الى أى حد يكون هذا التعارض خطرا بحيث نخشى منه على أطفالنا ؟

اذا كانت البرامج التى نتحكم فيها حاليا ، ونختار منها ما نشاء ، ونحذف منها ما نشاء ومع

ذلك نرى فيها بعض الخطورة ، فما سيكون عليه الموقف بعد اطلاق القمر الصناعي العربي ، والذي سيتيح الفرص لالتقاط محطات العالم المختلفة . فهل سنغلق سماءنا ونمنع أجهزة التلفزيون من الاستقبال ؟

يضيف الدكتور محمد : أن المهم في هذه الحالة معرفة ما اذا كان التلفزيون وسيلة للمحافظة على القديم ، شأن المؤسسات التربوية التقليدية ، أم هو وسيلة للتغير ؟

اذا كان الأول فاننا نهضم التلفاز حقه ونشل قدراته ، ونضيع عليه فرصة احداث التغيير المطلوب ، علّنا نستطيع التقليل من الاغتراب الذي نعانيه .

وأخيرا ، يقول الدكتور محمد : التلفزيون من خلال برامجه ـ بشكل عام ـ لا بد أن ينقل الحياة بكل ما فيها من خير وشر وقبح وجمال ، فلا يلتقط الأطفال الرديء بقدر ما يلتقطون الخيرات والفضائل .

الاعلانات والطفل :

وعن أثر اعلانات التلفزيون في عادات الأطفال الغذائية كأول تغير ملموس في تكوينهم تقول الدكتورة عالية الشادي الاستاذة بجامعة الكويت :

لقد تغيرت عادات الشعوب الغذائية تغيرا كبيرا خلال الثلاثين سنة الماضية ، ولعبت الاعلانات والدعاية دورا مهما في عملية التغير هذه ، وفي الواقع يظهر أن أصحاب الشركات الغذائية هم أكثر نجاحا من المثقفين ومسئولي التربية الغذائية في تغيير الأنماط والعادات الغذائية ، وتؤكد الدراسات أن الجانب الوجداني نحو الطعام يتنبه اكثر من الجانب الذهني لدى الكثير من الناس ، وقد أدرك هذه الحقيقة أصحاب مصانع الأغذية اكثر من مسئولي التربية الغذائية . ولما كان هدف الفئة الأولى الأساسي الربح المادي ، فقد أجادوا في توظيف المثيرات العاطفية نحو الطعام ، بطريقة تضمن لهم استجابات فورية وايجابية ، فنجحوا في تغيير العادات الغذائية لدى المستهلكين ، في حين أخفق المختصون في التربية الغذائية في تحقيق ذلك بنفس الفترة الزمنية . لذا نلاحظ أن معظم الاعلانات التلفزيونية التجارية تؤكد على النواحي الممتعة من الطعام ، مثل النكهة واللون والترفيه ، وكل ما من شأنه أن يحقق اشباعا نفسيا . فعلى سبيل المثال يقول هناك اعلان (الدنيا حلوى كثير مع . . . مشروب . . . .) أو (شارك الملايين متعتهم في نكهة . .) بدلا من القول (أنها الأفضل لصحتك) .

وتستعين مصانع الأغذية والمؤسسات الاعلانية بخدمات ودراسات اخصائي علم النفس المتعلقة بالعوامل التي تدفع المستهلك للشراء . ومن الأمثلة على ذلك . . نصح أحد المختصين بعلم النفس احدى شركات الاعلان بمساعدة المستهلكين للتغلب على عقدة الذنب بسبب تناولهم الأطعمة ذات السعرات الكثيرة ، مثل الحلوى والمشروبات الكاربونية ، وذلك بواسطة شعار (كافىء نفسك ، انت تستحق ذلك ، وأنت مدين لنفسك بذلك) ويكون ذلك على صورة مجموعة من العمال يشتغلون بأعمال شاقة ، ثم بعد الانتهاء من العمل يحاول أحدهم ان يستريح ويأكل قطعة شوكولاته ، أو يشرب مشروبا كاربونيا ، كان ذلك مكافأة له بعد العمل المضني . ومن الوسائل الأخرى التي يلجأ اليها المعلنون تأكيد الابداع والشعور بالانجاز واشباع الذات ، كأن تقوم ربة البيت بعمل كعكة من خليط جاهز ثم تزيينها بمهارة ، وبعدها تكافأ بفرح وتقدير أفراد أسرتها .

أما اعلانات التلفزيون الغذائية ضمن برامج الأطفال فلقد كانت ـ ولا تزال ـ هدف نقد اخصائي التغذية والآباء والامهات والمهتمين بصحة الطفل وثقافته .

ان الطفل في المرحلة الحرجة من عمره (مرحلة قبل المدرسة) التي يكتسب فيها الكثير من القيم

والعـادات ، ولا يملك النضـج الكـافي لتقييم المعلومات المقدمة اليه ، يمكن اقناعه بسهولة من خلال اللون والصورة المشوقة ، واللحن الجميل والحركة ، واثارة رغبته في طلب تناول اصناف معينة من الأطعمة المحدودة القيمة الغـذائية ، لارتباطها ببرنامج تلفزيوني ، أو شخصيـة تلفزيونية .

وتمتاز مرحلة نمو الطفل قبل المدرسة بسرعة تعلمه ، وبتطور عاداته الغـذائية وسلوكـه الغـذائي . ومما لا شك فيه أن للاعلانات التلفزيونية المتعلقة بالطعام تأثيرا مباشرا على اختيار غذائه اليومي ، وعلى عاداته الغذائية ، وبالتالي حالته الغـذائية وصحته . وان الهدف الأساسي من تغذية الطفل تكوين نمط غذائي ايجابي ، وتعليمه أن يتناول ويتمتع بأغذية متعددة الأنواع . ولكن الدراسات المتعددة التي أجريت في الولايات المتحدة تشير الى أن الاعلانات التلفزيونية الموجهة للطفل تؤكد على أنواع معينة ومحددة من المغذيات ، التي تحتوي على نسبة عالية من السكر والسعرات الحرارية والملح والكولسترول . وفي احدى تلك الدراسات التي شملت أربع محطات تلفزيونية في مدينة شيكاغو ، وجد أن ٧٠٪ من اعلانات التلفزيون في أيام الاسبوع و ٨٥٪ من اعلانات عطلة نهاية الاسبوع ، تشجع على أطعمة يعتبر الاكثار من تناولها خطرا على الصحة ، مثل الكولسترول والسعرات الكثيرة والملح والسكر .

ودراسة اخرى اجريت على المحطات التلفزيونية الرئيسية في أمريكا (NBC , ABC , CBS) لتقييم ٣٨٨ اعلانا تلفزيونيا خلال ٢٩ ساعة من برامج الأطفال ، وجد أن ٨٢٪ من هذه الاعلانات حول الأطعمة ، و ٤٠٪ منها عن أطعمة الفطور الجاهزة ، المضاف اليها السكر ، و١٧٪ منها عن البسكويت والحلوى واللبان والذرة ، و ٨٪ منها عن المشروبات الكاربونية ، و ١٥٪ عن حبوب الفيتامينات ؟ .

ودل بحث آخر-مشابه للدراسة السابقة-أجري عام ١٩٧٦ لتقييم ٨٥ اعلانا تجاريا خلال ٢٧ ساعة من البث التلفزيوني ، أن الاعلانات التي تدور حول الطعام تبلغ ٦٩٪ من برامج الاطفال و ٤٠٪ من برامج المرأة ، و ٢٨٪ من البرامج المسائية .

ويمكن ان نستخلص من الدراسات السابقة أن الاعلانات التلفزيونية الخاصة بالطعام والموجهة للاطفال لا توصل رسالة تثقيفية ، وانها لا تساعد على اكتساب العادات الغذائية الجيدة .

ومما يثير الاهتمام أن الطفل العربي يتعرض لنفس المؤثرات من الاعلانات التلفزيونية المتعلقة بالطعام والشراب ، بل قد يكون تأثيرها سيئاً ، لانها لا تمثل عاداتنا وتقاليدنا الغذائية ، وانما هي عادات وافدة يعاني منها الغرب ويحاول التخلص منها . لذلك نحن في حاجة ماسة الى التوسع في اجراء الدراسات في مجال العادات الغذائية ، للتعرف على مواطن الضعف ولتوجيه برامج الثقافة الغذائية ، نحو تحسينها والتمسك بالعادات الجيدة منها . ولا بد من اجراء مسح كامل للاعلانات التلفزيونية المتعلقة بالأغذية وتقييمها تقييما دقيقا . كما يجب الاهتمام ببرامج التثقيف الاستهلاكي للافراد ، وتوعيتهم لتمييز الاعلانات الخادعة . ولا بد من توجيه دعوة الى الشركات والمؤسسات الصناعية المساهمة بصورة فعالة وايجابية بالثقافة الغذائية للمستهلك .

مطلوب الانتباه :

ويبقى أن هذا الضيف المقيم أو الوالد الثالث . . أصبح يفوق تأثيرنا على تربية الأطفال واعدادهم . . . وأيا كان الاختلاف حول حجم التأثير الا أن هناك اتفاقا على مداه . . وأن الأمر أصبح يمثل خطرا على نصف المستقبل وكل الحاضر وهم أطفالنا . . فهل ننتبه . ؟ □

هو ....

الطبع يغلب التطبع

مضى على زواجنا قرابة ثمانية أعوام . وزوجي يزداد في كل يوم هياما بالشخط والسخط ، والنظر بعين النكد والغضب لكل كبيرة وصغيرة ، وبمرارة ومبالغة ينتقد أي تغيير في نظام البيت ، التليفزيون هنا غير مناسب .. انه مؤذ للعين ، وقد يؤدي لاصابة صغارنا بالحول . . . . ، . . . هذا الركن تشرق فيه الشمس الحارقة ، فلا أجد أي داع لوضع الكنبات التي نجلس عليها فيه .. هذه هنا خطأ .. وتلك غير محببة للنفس ، كان يجب أن لا تفعلي ولا تذهبي لهؤلاء ، ما الداعي لوجود الزرع أو نباتات الظل داخل البيت .. انها تسرق منا الهواء ، ونحن والأولاد أولى به .. و .. الخ ..

ولم يفلح معي ايماني العميق بأن لكل داء دواء ، ولكن كنت أقول لنفسي في كل يوم ، غدا يستسلم أمام اصراري على التفاؤل البسيط لأزمات الحياة ، ومحاولات التكيف مع المستعصي منها ، ولكن بلا فائدة .

وعندما بدأت أستشعر زحف أعراض « الانغلاق » علىّ وتأثيرها على مزاجي ، وتزحزح نظرتي للأمور عن الصواب ، قررت أن أخصص يوما من أيام الأسبوع لا أحتك فيه أبدا .. مهما أثارني غرام زوجي بالنكد .

استيقظت صباح أحد أيام الاجازة قبل موعدي المعتاد بنصف ساعة .. جهزت الافطار . نهض زوجي فلمحني بجوار طاولة المائدة ، قال بصوت لا بأس به صباح الخير ، فرددت على الفور صباح الخير والنور ، وبيني وبين نفسي كنت أقول .. يبدو أن نشاطي اليوم قد فك عقدة لسانه ، فهو لم ينطق هذه الكلمة الساحرة « صباح الخير » منذ مدة طويلة بهذه الرقة .

لا أخفي على أحد .. استبشرت خيرا ، فاقترحت عليه أن نأخذ صغارنا ونخرج في نزهة نتناول طعام غدائنا على البحر ، ونمضي بقية اليوم في اللعب على الشاطىء .. ووافق الجميع على الفكرة .

في المطعم قضينا وقتا ممتعا .. وعلى الشاطىء لعب زوجي مع أولاده بنصف رضا . المهم أنه كان ينظر الي مبتسما أحيانا . ولم أكن أصدق عيني .. فخشيت أن تصيبه سهام حسدي فينطلق لسانه بما لا أحب سماعه اليوم وأضطر لتغيير اصراري على السعادة ، فما كان مني الا أن أخذت أشكر الله وأسبح بحمده على هذه النعمة التي أفاض بها علينا اليوم .

قاربت الشمس على المغيب .. لملمنا أشياءنا وعدنا الى منزلنا السعيد ، وبمجرد أن دخلنا من الباب وقع نظر زوجي على « بيجامته التي خلعها هو قبل خروجنا - على طرف أحد المقاعد ، فانتفخت أوداجه وصاح في عصبية .. ألم أقل لك ألف مرة انني لا أحب مثل هذه الأمور .. انها تضايقني .. تسبب ازعاجي .. يبدو أنه لا فائدة .. وخيرا تعمل شرا تلقى .. وتركني مشدوهة واختفى تحت غطاء السرير ، فلم أعد أميز رأسه من قدمه .

المهم أن يومنا انتهى على ما درجنا عليه منذ زواجنا ، ولم أستسلم ، واعتبرتها نهاية للنكد السعيد !!

هي

هي....

المجـــادلة

● ثماني سنوات ولا فائدة ، هي في واد وأنا في واد ، مهما حاولت أن أشرح وأوضح وأفسر وأناقش وأقنع ، فكل هذا يذهب أدراج الرياح .

في البداية كنت أحاول دوما أن أبدأ بالسؤال ، وأنتهي بالمناقشة محاولا الوصول الى الاقناع ، ولم يكن هذا مقصورا على شئون الحياة وحدها ، بل كان نقاشا ممتدا يتسع ليشمل كل أمور الحياة ، بما فيها طريقة ترتيب الأثاث ، وطالما أضعت وقتي أناقش فيه لماذا نضع هذا المقعد هنا وليس هناك .. وأمسكت مترا لأقيس لها المساحات وكيف أن هذا الوضع يتيح مساحة أكبر وأفسح ، واذا أرادت تبديل أو تغيير الترتيب فان البدائل هي كذا وكيت وكيت ..

وكانت نقاشات في بدايتها ممتعة .. عندما كنا نجلس لنقرر هل نوثق علاقتنا بهذه العائلة أم لا ؟ نتجاهل تلك الدعوة أم نلبيها ؟ وكنا نسمي جلساتنا تلك بجلسات الاستنتاج والرياضة العقلية ، كان كل شيء يخضع للنقاش ولا ننتهي منه إلا بعد اقتناع ، وظللت كثيرا أؤمل خيرا ، ولكن كان كل يوم يحمل لي مفاجأة .. ننتهي من مناقشة موضوع ونتخذ فيه قرارا بعد اقتناع ، وأفاجأ بأنها تنسى كل ما اتفقنا عليه ، نقر نظاما وطريقة لتربية الصغار والتعامل معهم فأجد عكسها يطبق ، نقرر عدم تبادل الزيارات مع جارة لها .. فأعود من العمل أسأل عنها فأجد أنها عند ذات الجارة ... ثماني سنوات طويلة على نفس المنوال والوتيرة ، وكنت أسجل اعتراضي في البداية بجملة عابرة ، أو تنبيه صغير أو دعابة ضاحكة ، ولكنها كانت تستقبل كل هذا بتجاهل شديد ، وعندما صعّدت طريقة لفت النظر الى مستوى النقاش العابر كانت تثور وتحتد ، وتلقي بكثير من التبريرات وتنتقل الى مستوى عبارات الخطب والبيانات من عينة احترام حريتي وتقديري للمسئولية ، وأنا لست جارية تؤمر فتطاع ، وأن هناك ظروفا خارج ارادة الانسان عليه احترامها وتقديرها ، وأن روح المشاركة تقتضي فهما أكثر .. وحقيقة أنت لا تفهمني (.. و ..) وتستمر المجادلة والمغالطة والثورة حتى تختمها بالبكاء ، ولكي أنقذ نفسي من احتراق أعصابي غيرت كل شيء ، وبدلت الطريق .. وهو كوني اكتشفت أنه أيسر وأجدى ، يكفي أن يكفهر وجهي وألقي بأمر ما أو ملاحظة ما حتى تهرع الى التنفيذ ، يكفي ان أسأل سؤالا مرة واحدة ، وبجملة مقتضبة ، حتى أسمع ما يرضيني من الاجابة ، بل ذهب الأمر الى أبعد من ذلك ، انها صارت تسأل وتشاور وتطلب الرأي في الشيء الذي تفكر فيه قبل أن تفعله ، صارت ارادتي صائبة دائما وطلباتي أوامر ورغباتي شيئا فوق أي اعتبار .. تماما كجدنا خالد الذكر هارون الرشيد ، وأعترف رغم متعة هذا وراحة أعصابي من مجادلاتها السابقة وطرق « النصب » في الحديث واختلاق المبررات ، الا ان هذه حياة لم أكن أحلم بها ، ولم أكن أريدها .. وإنها هي التي دفعتني لهذا ، ولم يكلفني الأمر كثيرا ، فقد بدأت بشجار كبير ارتفع فيه صوتي الى أعلى حد ، ومكثت أسبوعا لا أحادثها .. هي تتصور أنني غاضب ، ولكن الحقيقة أن أحبالي الصوتية كانت عاجزة عن النطق بعد كل الصراخ الذي صرخته .

هو

من الحياة

رسالة .. إلى ابنتي !

بقلم : منير نصيف

طالت وقفتها وراء زجاج نافذة الغرفة الصغيرة ، التي كانت بالأمس تحتضن أعز وأغلى ما تملك كل أم . . . إبنتها التي كبرت وتخرجت في الجامعة ، وأصبحت زوجة للرجل الذي اختارها دون سائر النساء لتشاركه حياته . . ودمعت عيناها . !

بالأمس كانت تخطر في ثوب زفافها الأبيض الجميل ، كانت رائعة . . وسخرت من نفسها وهي تجفف دموعها بمنديلها الصغير . .

أليست هذه هي الأمنية التي عاشت من أجلها . . أمنية كل أم ؟ . أليس هذا هو حلمها الكبير في أن ترى ابنتها عروسا تعيش مع رجل يحميها ويرعاها ؟

وأحست بسعادة تغمرها ، ولكنها لم تستطع أن تقاوم الشعور الغريب الذي احتواها في نفس اللحظة ، وهي تتأمل الشارع الذي خلا من المارة في تلك الساعة المبكرة من الصباح . . الشعور بهذه اليد الغريبة . . يد الشاب الذي حمل ابنتها وذهب بها بعيدا ، وكأنه ينتزع قلبها من بين ضلوعها !

لقد حدث كل شيء بسرعة . . الخطوبة والزواج والرحيل عن البيت الذي رعاها طفلة وصبية وشابة . . فقد كان زميلها في الجامعة . . وتحابا . . ثم جاء يطلب يدها من والدها ، وبارك الأب الزواج . . لم يستغرق كل هذا أكثر من شهرين . . كانت إبنتها خلالهما مشغولة دائما بدراستها التي لم يبق على اتمامها سوى بضعة أسابيع تخرجت بعدها . وحملت شهادتها لتبدأ بها حياة جديدة مع زوجها الطبيب الشاب . . انها لم تستطع ان تجد أبدا الفرصة التي تحرص عليها كل أم قبل أن تبدأ ابنتها تجربتها الجديدة . . كانت تريد أن تجلس اليها وتتحدث معها ! وتملأ اذنيها بنصائحها ، وهي تستعد للقيام برحلتها مع زوجها ، تلك الرحلة الصعبة المليئة بالأشواك والزهور .

ربما كانت من أجل هذا أيضا تبكي . . ولكن لا . . انها لم تنم طوال ليلة الأمس بعد أن وقفت تودع ابنتها وتضمها الى صدرها ، وتهمس في أذنيها :

« سوف أفتقدك يا حبيبتي . . ولكن أرجو أن

تذكري دائماً أن سعادتي في أن أسمع أنك سعيدة .. عندئذ فقط سوف أشعر أنك لم تتركي بيتك لحظة واحدة ».
ترى هل تستطيع أن تفعل الآن ما فاتها أن تفعله ؟

***

وجلست الى المكتب الصغير في غرفة نوم ابنتها .. نفس المكتب الذي طالما جلست اليه صغيرتها تقرأ وتبحث في بطون الكتب عن العلم والمعرفة .. وأمسكت القلم وراحت تكتب :

« ابنتي ..

« اكتب اليك هذه الرسالة من غرفة نومك .. لا أدري بماذا أصف لك مشاعري يا صغيرتي .. لقد قضيت الليلة الأولى لفراقك ساهرة أتأمل صورتك ، إن كل شيء من حولي يذكرني بك .. فراشك الذي كنت تنامين عليه .. ملابسك الصغيرة التي بقيت تذكرني بك عندما كنت طفلة تحبو .. مكتبتك التي طالما أمضيت فيها الساعات الطوال وحدك مع الكتب .. انني أراك في كل شيء حولي . أسمع صوتك يملأ أذني في كل لحظة في صحوي ونومي . أنت معي دائما ياحبيبتي ، وأنا معك بقلبي وروحي ، وان بعدت المسافة بيننا ، اكتبي لي ولا تضني علي بالكتابة ، أما أنا فسوف أكتب وأكتب ، ولن أمل الكتابة اليك أبدا ..

« ولكن فيم اكتب يا ترى ؟ ما رأيك لو رويت لك جانبا من تجربتي مع الرجل الكريم الذي أحبني وتزوجني ، وأصبحت شريكة لحياته ، وأما لأطفاله منذ أكثر من ثلاثين عاما مضت ؟ على أية حال انها قصة جديدة لم تسمعيها من قبل .. هل تذكرين ؟ لقد كنت دائما تذكرينني بأن كل قصصي قديمة وكنت أنسى ، وأعود اليها لأرويها لك ولأخوتك الصغار قبل النوم . ولكن ما حيلتي وقد نفد ما عندي ، ولم أعد أجد الوقت لأقرأ المزيد ، وسط مشاغل البيت ومسئوليات الحياة ؟

« لقد عشت أنا يا ابنتي في زمان غير زمانك . . تربيت وكبرت في بيئة تختلف عن البيئة التي نشأت أنت فيها ، وتفتحت عيناك عليها وسط والديك وأخوتك وزملائك واساتذتك في المدرسة ثم في الجامعة . فأنا لم أتمتع بالحرية التي نعمت انت بها ، الا بمقدار ما كانت تسمح به تقاليد المجتمع الذي كنا نعيش فيه في ذلك الوقت . لقد كان جدك رجلا محافظا وكذلك كانت جدتك ، شأنهما في ذلك شأن كل الآباء من الجيل الذي انتمي اليه . ولعل هذا هو السبب في أنني لم أكمل تعليمي الجامعي ، فلم يكن التحاق الفتاة بالجامعة شيئا مستحبا ولا مألوفا في ذلك الوقت .

« ولكنني كنت فتاة ذكية مثلك الآن تماما ، رغم انني لم أكن أعرف عن حقائق الحياة شيئا الا بقدر ما كانت تحكيه لي أمي ، والذي لم أجد الفرصة لأنقله اليك ، قبل أن تبدئي أعظم تجربة في حياة المرأة يا ابنتي . .

« صحيح أن جدتك لم تكن تعرف القراءة ولا الكتابة ، ولكنها كانت طيبة القلب ، أحسنت تربيتنا وسهرت على راحتنا وسعادتنا ، فنشأنا نشأة محافظة ، وتعلمنا منها كيف نفرق دائما بين الخير والشر والخطأ والصواب . شيء واحد كان يثيرني ويبعث الضيق في نفسي . . هو بقائي في البيت في انتظار ذلك القادم الغريب الذي سيقدمه لي أبي ويصبح زوجا لي .

« وكان مجرد تفكيري في الزواج بهذه الطريقة ، ومن رجل لا أعرفه يجعلني أنفر من الحياة الجديدة التي كانت أمي تعدني بها . . وربما كان هذا من بين الأسباب التي جعلتني لا أستجيب كثيرا الى الدروس اليومية التي كانت أمي تلقنني اياها في الطهي والحياكة والعناية بشئون البيت . . ولكنني كنت أحاول ولا أكف عن المحاولة من أجلها هي . . من أجل أمي التي كان تفكيرها في حياتي وفي مستقبلي مع زوجي هو شغلها الشاغل ، فكنت أرقبها وهي تطهو الطعام لوالدي ، وأعاونها في أعمال البيت ، وأجلس لاتعلم منها كيف تحيك الملابس وترفو الجوارب ، وتصنع اطباق الحلوى اللذيذة التي يحبها أبي .

* *** *

« كانت أمي بالنسبة لي مدرسة ، وأنا التلميذة الوحيدة فيها ، ولكنني تلميذة خائبة ، احتوتها الحيرة وتوقف عقلها عن التفكير . . ثم جاء اليوم الذي ظلت أمي تنتظره طويلا ، وتقدم والدك لخطبتي ، ورضيت به زوجا بطبيعة الحال . فلم يكن أمام أي فتاة أن تفعل غير ما فعلت . . وبدأت أتعلم كيف أسعد هذا الرجل ، لكي ترضى عني أمي على الأقل .

« ومرت الأيام الأولى على زواجنا ، كما تمر بكل عروس ، وانتهى شهر العسل ، وبدأ زوجي يستعد للعودة الى عمله ، وتلفت حولي فإذا بي أجد نفسي أعيش وسط دوامة ، وأنا أقف وحيدة وسط هذه المملكة الجديدة . . ماذا أفعل ؟

وكان لابد لي أن أبدأ » فهناك عمل كبير ينتظرني ، ولكن كيف أبدأ ومن أين ؟ ولم تستمر حيرتي طويلا . . فقد طالعتني صورة أمي ، وتذكرت ما كانت تقوله لي :

« يجب أن تتعلمي يا ابنتي دائما أن أقصر طريق الى قلب الرجل هو معدته . احرصي دائما على أن تعدي له الأطباق الشهية التي يحبها »!

* ** *

« وشمرت عن ساعدي وأسرعت الى المطبخ . . من هنا يجب ان أبدأ واستوعبني العمل بين أواني الطعام وحرارة الموقد . . ولا أذكر ماذا صنعت ، ولا كيف بدأت ، ولكنني فقط لم أنس أنني في ذلك اليوم احسست بأنني قد أصبحت زوجة ، وأنني قد حققت أمنية أمي . . وددت لو أنها كانت بجانبي لترى ماذا صنعت بي نصائحها . . وماذا صنع الزواج بابنتها في مملكتها الصغيرة الجديدة .

وكانت لحظة عودة والدك من عمله قد حانت فأسرعت أعد المائدة التي ملأتها بالأطباق التي

يحبها ، ودعوته لتناول طعام الغداء .. ولكنني لم أذق من الطعام الذي أعددته بيديّ شيئا .. لقد كنت مشغولة عنه بشيء آخر أهم .. كنت أرقب الأثر الذي سيتركه مذاق الطعام على وجه زوجي .. وأحسست بسعادة كبيرة وأنا أراه يأكل بشهية ، حتى اذا فرغ من تناول الغداء ، قال لي :

« لم أكن أعلم أنك أيضا طاهية ماهرة »!

« ومضت الأيام ، وجاءت أمي تزورني في بيتي الجديد ، ولكنها ما كادت تدخل البيت حتى وجدتها تقف مشدوهة .. انها لم تصدق أن هذا البيت الجميل الذي وضع فيه كل شيء بنظام ، هو بيت ابنتها التي كانت تخاف عليها من الفشل !.

« قلت أحدثها : « انني أحب زوجي يا أمي ، رغم أنني لم أعرفه قبل الزواج .. وهو أيضا يحبني ، وأنا أفعل كل ما في وسعي لاسعاده . لقد اقتصدت مبلغا من المال من نفقات البيت ، ولكن زوجي لم يعلم به الآن ، سوف يكون مفاجأة له عندما نذهب معا لدفع القسط الأول من البيت الصغير ، الذي قررنا أن نشتريه في نهاية العام الحالي »!

« هكذا كانت بداية حياتي مع والدك يا ابنتي .. كانت حياة مليئة بالعمل والكفاح .. كان يعمل كثيرا ، ولكنه لم ينس يوما واجباته نحو بيته وأطفاله .. الزواج شركة يا ابنتي ، وقد كنت شريكا مخلصا أمينا ، وقفت بجانبه أساعده وأشجعه ، وهو يصعد السلم الى النجاح ..

« ولكن ليس معنى هذا أن أيامنا كلها كانت عسلا .. لقد اختلفنا كثيرا وتشاجرنا كثيرا ، ولكننا لم نكن نسمح بانقضاء اليوم قبل أن ننهي ما كان بيننا من خلاف ، ولم نكن نسمح لأحد بأن يتدخل في حياتنا الخاصة مهما كانت علاقته بنا ..

« وكان يحترم عملي في البيت . كان يقول لي : « اذا كنت أنا الذي أكسب ثمن الخبز ، فأنت الخبز نفسه .. وأموال الدنيا كلها لا تستطيع ان تعوضني عنك ! أنت ملكة في بيتك »!

« وكنت بدوري أفهمه ، وأعرف مزاجه ، وأقدر احاسيسه ومشاعره .. كنت احترم صمته ، وأضحك لضحكاته ، وأبكي لآلامه ومتاعبه ، ثم أحاول بعد هذا أن أخفف عنه .. لم أحاول مرة أن أفرض رأيا او أتمسك بموقف .. وكان هو أيضا لا يتخذ قرارا قبل أن يرجع الي ويأخذ بمشورتي ، فاذا اختلفنا أرجأناه لنعود اليه في وقت آخر ..»..

« لم أجعل زوجي يشعر يوما بأنني رقيبة على تصرفاته ، بل كنت أجعله فقط يحس بأنني موجودة وقريبة منه .. وكان يخجل من نفسه في كثير من الأحيان عندما كان يفترض موافقتي على كل خطوة يقدم عليها ، وكان يعود وحده ليعتذر عندما يكتشف أنه أخطأ حين انفرد بالقرار وحده ..

« ولم أكن أنتظر منه أن يعتذر ، فأنا لا أذكر ان قلت له مرة واحدة « أنت مخطيء » فيما فعلت أو أقدمت عليه .. بالعكس لقد كنت أتركه حتى ينتهي من شرح وجهة نظره ، ثم أبدأ حديثي معه بأن أؤيده فيما ذهب اليه ، حتى لو كنت أرى أنه الخطأ بعينه .. ثم لا ألبث بعد ذلك أن أشرح له وجهة نظري ، وكثيرا ما كان يأخذ بها عندما يكتشف أين كان الخطأ »!.

● ● ●

« هذه رسالتي يا ابنتي ، وأنا أراك تبتعدين عني لتعيشي حياتك الجديدة مع زوجك ومع المستقبل الذي ينتظرك .. وهذه كانت حياتي مع والدك .. واذا كان هذا هو مسلك زوجة لم تنل من التعليم الا نصيبا متواضعا ، فكيف يكون مسلك زوجة أتمت تعليمها الجامعي ؟ تذكري دائما يا ابنتي أن التعليم هو بداية رحلة الحياة ، وأن الحياة وحدها هي أكبر مدرسة يتعلم فيها الشباب أشياء لا يمكن أن يجدوها في الكتب . وقد علمتني الحياة أن الزواج هو أعظم تجربة يمر بها الانسان ، رجلا كان أو امرأة ..» □

طبيب الأسرة

الاسعافات الأولية

متى نقدمها فى المنزل .. ومتى نلجأ إلى الطبيب ؟

تتعرض الأمهات دوما الى كثير من المواقف الحرجة ، التي يتسبب فيها سوء تصرف الأطفال عن عدم وعى بالطبع ، وبعض الأمهات يدركن قواعد وطرق الاسعافات الاولية المطلوبة على شكلها الصحيح ، والبعض الآخر يقدمن الاسعافات من باب الاجتهاد والخبرة الشعبية المتوارثة ، التى قد يكون بعضها صحيحا وصحيا ، وغالبا ما يؤدى أكثرها الى مضاعفات خطيرة .

الدكتور محمد فايز بدوى يقدم لك عزيزتى الأم - بعض قواعد الاسعافات الاولية :

يجب الاحتياط وعدم وضع الأشياء التالية في متناول يد الطفل :

● كل شىء فى متناول يد الطفل ، يصلح للبلع : النقود ، الأزرار ، الدبابيس .. وخاصة الطفل فى عامه الأول الذى يتذوق كل شىء . وهذه الأشياء قد تسد الأعضاء التنفسية للطفل ، مسببة اختناقه ، وفى هذه الأحوال لا ترددى فى قلب الطفل رأسا على عقب ، وجعل رأسه لأسفل ، واضربى بقوة على ظهره ، فاذا استمر بالاختناق وتحول لونه للازرق ، فيجب نقله الى أقرب مستشفى .

واذا كان ما ابتلعه الطفل مادة سامة ، فأهم ما يقوم به الأهل هو حمل الطفل آلى اقرب طبيب فورا - ويستحب تحريض التقيؤ عند الطفل بدغدغة بلعومه فى كثير من الحالات ، الا اذا كانت المادة المبتلعة كاوية ، لأن أضرارها ستزداد اذا حملنا الطفل على التقيؤ . ومن أهم المواد التى لا يجوز فيها تحريض التقيؤ : المواد الحامضة ، المنظفات المنزلية ، مبيدات الحشرات ، البنزين .

● عندمايصاب الطفل بالتواء مفصل فان أفضل ما يمكن عمله هو رفع قدم الطفل على وسادة ، مما يحفظ النزف الداخلى العميق والتورم فى أقل حد ممكن - وعندما يترافق الالتواء بتورم لا بد من استشارة الطبيب خوفا من وجود كسر أو اصابة فى الغضاريف ، وخاصة فى حالات اصابة الركبة ، مما قد يسبب عسرة فى نمو عظام الطفل .

عندما يشك بحدوث الكسر ، أى عندما يكون الطرف ملتوياً ومشوها مقارنة بنظيره ، فانه لا يجوز تحريك الطرف بعنف ، أو محاولة رده الى شكله الطبيعى ، بل ينقل فورا الى المستشفى ، مستعملين جبائر عادية ، أو قطعة خشبية تحول دون تحرك العظام المكسورة .

● ومن المشكلات الهامة هى اصابات الرأس ورضوضه ، وهى غالبا طفيفة ، ولكن فى بعض الحالات قد تحدث اصابة دماغية تظهر فى القىء ، وفقدالشهية للطعام ، ويصاب الطفل بالشحوب الشديد والصداع وينام بسهولة ، كما قد يفقد وعيه

بعد السقوط مباشرة ، وفى هذه الحالات لا بد من المراجعة الفورية للطبيب وعمل الفحوص اللازمة .
أما التورم الذى يحدث فى الرأس بعد السقوط مباشرة فهو غير خطر ، لأنه عبارة عن نزف خفيف تحت الجلد مباشرة .

* الرعاف أو النزف الأنفي هو حالة كثيرة الحدوث ، أهم اسباب المرض ، وضع الاصبع بالأنف ، والبرد ، والالتهابات ، وبعض الأمراض الدموية .

يتم الاسعاف الأولى بابقاء الطفل سكانا بدون حركة لعدة دقائق ، بحيث يستلقى وجانب رأسه على الوسادة ، وأنفه مائل قليلا الى الأمام ، على أن لاندع الطفل ينفخ أنفه أو يعصره أو يضغطه ، كما أن تعريض الرأس للكمادات الباردة أو استعمال الثلج يؤدى الى تقلص الأوعية الدموية مما يوقف النزف ، ويتم ذلك بوضع ماء الثلج أو الثلج نفسه على ظهر العنق او الجبين أو الشفة العليا .

اما اذا استمر النزف أكثر من عشر دقائق ، أو تكرر حدوث النزف الأنفى دون اسباب مرضية واضحة ، فيجب أن نبحث عن مسبباته .

* ان خير علاج للخدوش والجروح الصغيرة هو غسلها بالماء والصابون ، ثم وضع المواد المطهرة المتوفرة ، ويجدر التنويه الى أن جروح الوجه تحتاج الى أخصائى ، إذ أنها قد تترك آثارا دميمة ، كذلك فإن جرح اليد والرسغ تحمل فى طياتها خطورة على الشرايين والأعصاب والأوتار مما يجذ عرضها على الاخصائى .

- ان الجروح الملوثة بأقذار الشارع والتراب ، وتلك الحادثة بأشياء مدبية كالمسامير ، والجروح المصحوبة بألم واحرار وخفقان كلها تدعو لاستشارة الطبيب لاعطاء العلاجات والمصول الملائمة .

- اثناء وضع الضمادات والأربطة على الأطراف ، يجب الانتباه الى مدى تأثر الأوردة والشرايين ، لان الشد على الأوردة قد يعيق سريان الدم فيها ، مما يحدث تورما فى الطرف ، وتغيرا فى لونه ، فيحيله الى الزرقة والسواد ، وهذا وحده يشير الى سوء استعمال الاربطة . □

☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

بنك العيون

انى مصاب فى عينى بحيث فقدت البصر ، وقد سمعت عن بنك العيون ، فهل يمكن لهذا البنك أن يزرع عيناً سليمة بدل عينى التالفة ، وأين يوجد هذا البنك ؟

ع . ف
مصر

بنك العيون هو تسمية للمؤسسة الطبية ، حيث تحفظ العيون التى يتبرع بها أصحابها بعد وفاتهم ، لاستعمالها فى علاج الآخرين من المصابين فى عيونهم ، ممن هم بحاجة لعمليات ترقيع القرنية ، أو للقيام بدراسات طبية على العيون ، لتقصى أسباب مرضها ، والتغيرات المرضية التى تطرأ عليها .

والمتبرع باحدى عينيه أو كلتيهما بعد وفاته ، لا بد من أن يكتب اقرارا موثقا ، وبشهادة شاهدين،على أن يكون بالغا عاقلا (فى الكويت) بحيث يسمح بأخذ العين خلال ساعة من الوفاة ، ولا تزيد المدة عن أربع ساعات والا فسدت العين وتلفت ، ولم تعد

بريد طبيب الأسرة

صالحة للأغراض العلاجية ، أو الدراسات العلمية .

أن أول بنك قام لحفظ العيون على هذا النحو كان عام ١٩٤٤ في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، كما تعتبر عمليات ترقيع القرنية التي بدأها طبيب روسي يدعونه فيلاتوف عام ١٩٢٤ من أنجح عمليات نقل الأعضاء ، وهي تفيد في اعادة البصر لمريض من بين خمسة وعشرين أصيبوا بعتامة في قرنيتهم نتيجة مرض أو اصابة .

ولكن بنك العيون لا يعني ـ كما يتوهم البعض ـ بأن يقوم على استبدال عين سليمة بعين مصابة أو زرع عين سليمة مكان عين تالفة فهذا أمر محال ، لان العين تعتبر نسيجا عصبيا لم ينجح الأطباء في زرعه ، وانما الأمر يقتصر على استئصال الجزء المعتم من عين الانسان المريض ، ثم زرع قطعة بديلة من قرنية شفافة سليمة ، علما بأن القرنية هي الجزء الشفاف من غلاف العين أمام البؤبؤ ، حيث ينفذ الضوء ويرى الانسان ما حوله .

سن زائدة في الفم

أعاني من وجود سن تبرز في غير وضعها الطبيعي ، اذ أنها تتجه الى جانب الفك ، وليس الى أعلى ، كما هي بقية الأسنان ، مما يسبب لي الحرج والقلق معا ، خوفا من أن تكون لها مضاعفات ، فما هي هذه السن ، وماهي أسبابها ، وهل لها من علاج ؟

س . ر
حلب

ليس غريبا أن تظهر احدى الأسنان ، وتنمو جانبا في الفك السفلي أو العلوي ، مما يثير الانتباه ، أو قد يؤدي الى الحرج ، بل ربما أثار القلق دون أي مبرر .

والواقع أن لمثل هذه الظاهرة أسبابا شتى أهمها :

أولا : فشل السن الدائمة من طرد السن اللبنية أو المؤقتة ، المفروض أن تستبدل بعد سن السادسة ، علما بأن الأسنان اللبنية أو المؤقتة ـ وعددها عشرون ـ تبدأ في الظهور في الشهر السادس تقريبا ، وتبقى حتى سن السنة السادسة ، حين تبدأ الأسنان الدائمة وعددها ٣٢ في طرد الأسنان اللبنية لتحل محلها .

ثانيا : ظهور سن زائدة حقيقية عن عدد ٣٢ الطبيعي ، فلا تجد لها موضعا في الفك مما يدفع بها الى الاندفاع جانبا .

ثالثا : ضمور خلقي في حجم الفك بحيث لا يتسع للعدد الطبيعي للاسنان ، فتتزاحم فيما بينها مما لا تتخذ معه أحد الأسنان موقعا طبيعيا .

والعلاج في كافة الأحوال يستوجب مراجعة اخصائي تقويم الأسنان ، لاستجلاء السبب ومعالجته سواء بالخلع أو التقويم . □

ردود سريعة :

○ القارىء : خليل م . ن .

تجد إجابة عن إستفسارك في العدد ٢٩٨ الصادر في سبتمبر ١٩٨٣ .

○ القارىء : ح . م . ع .

الدواء الذي تسأل عنه لم يطرح تجارياً ، ومازال في مرحلة التجريب العلمي .

مساحة ودّ

ابنة الجنرال

كان ذلك من ربع قرن ، فور تخرجه من أحدى الكليات العسكرية ، تزوج ابنة خاله وفوجيء الاثنان أنهما بعد عام من الزواج قد رزقا بمولودة صغيرة ، وأنه أصبح أباً وهو في التاسعة عشرة من عمره ، وزوجته قد صارت أماً وهي في السابعة عشرة ، وصاحبت الابنة سنوات الرجولة والشباب . . وسني الاحلام والأماني . . وكان العصر والزمان غير عصرنا هذا وزماننا هذا ، فقد كان عصر الحلم العربي والأمل العربي . .

وفي هذا المناخ أخذ هو ابنته واصطحبها في رحلة عمرو . . صارت الصاحب والاخ والصديق والابنة ، وكبرت معه . . وحملتهم خطواتها المحمولة في بحار الزمن الى أيام كان يسير فيها بالطريق معها فيظنها الناس زوجته ، وكانت الابنة على خير ما يحلم . . عذبة . . رقيقة . . حنون ودود . . وفي أربع سنوات حدث انقلاب في حياة الرجل ، فقد قدم استقالته بعد أن وصل الى رتبة الجنرال ، لان المؤسسة التي ينتمي اليها لم تعد كما كانت . وجاءت اليه ابنته عصر يوم وأخبرته باختصار شديد ودموعها تنهمر انها ترتبط بشخص ، وانه يريد أن يحدد موعدا لمقابلته ، وبعد فترة انقطاع ذهبتُ لزيارة الرجل في بيته ففوجئت به قد كبر عشرين عاما وعرف القلق والتوتر الطريق اليه . . كأنما السلام قد سرق منه . . وبدأت الشعيرات البيضاء تتناثر في شعره الذي كان يزهو بلونه رغم السن ، وعندما سألته ماذا حدث للجنرال ؟ استعاد تاريخ الأربع سنوات التي مضت منذ أخبرته ابنته بأمر ذلك الشاب . . وكيف قابله . . وكيف خطبت . . وكيف عقد قرانها ، وليلة زفافها وكيف كانت . . حتى بعد أن أخذها زوجها وسافر ضمن أفواج الهجرة العربية الداخلية ، فمازال البيت يمتلء بصورها وبقايا أشيائها . . وعروسة صغيرة كان قد اشتراها لها . . ومقعد أثير كانا يجلسان عليه و . . . ملايين التفاصيل والذكريات . . وعندما نبهته الى أنه يتكلم كمن يرثي وليس بفرحة أب نظر اليّ طويلاً وقال . . نعم انا أرثي عمري الذي سرقته ابنتي وأخذته معها ومضت . . فهي شاهد على العمر والاحلام والمباديء والافكار والرؤ ى ، كانت الحلم والحب الذي لاينتهي . كنت أودعها الأماني كل الأماني ، كانت تختصر وتكثف رحلة العمر ، ولست أدري لماذا فجر زواجها وسفرها ـ رغم أنه حدث يومي في كل البيوت ـ الاحساس بأن كل ما كان يربطني بأيام مضت لها زهوها ومعناها ووقعها وتاريخها قد مضى معها ولم تترك لي إلا كثيراً من الذكريات وبعض الزهور وكثيرا من الأسى والحسرة

محمود عبدالوهاب

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - هل توجد جبال شاهقة على سطح القمر .. ؟

٢ - من القائل وما المناسبة : « رجائي هو أن تذهب فلا تحجب الشمس عني .. »

٣ - أي الدول الآسيوية اتخذت من الانجليزية لغة رسمية ثانية لها ، بالاضافة الى لغتها الأهلية .. ؟

٤ - ما المسافة التي تفصل بين فورموزا وتايوان ... ؟

٥ - ما هي البوابة الذهبية وأين تقع .. ؟

■ انها بوابة معبد السيخ الذهبي الذي يقع في مدينة امريتسار في ولاية البنجاب في الهند .

■ انها المدخل أو الممر البحري الى استامبول حيث يوجد القرن الذهبي .

■ انها المضيق الضيق الذي يقع في خليج سان فرانسيسكو .

٦ - ايهما أصح : قولك نقه المريض نقاهة أم نقه المريض نقها .. ؟

٧ - بهارات هو الاسم الثاني للهند ..

وهلفسيا هو الاسم الثاني لسويسرة .. فما هو الاسم الثاني لدولة (سومن تاسافلتا) ؟

■ فنلندة

■ الولايات المتحدة

■ بريطانيا

٨ - أستهتر فلان بالشيء .. أي اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل ....

فما معنى استهتر فلان بالشيء .... ؟

٩ - لماذا لا نرى من القمر الا وجها واحدا ... !

■ لانه ثابت في مكانه ولا يدور حول نفسه .

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٧ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول يونيو ١٩٨٥ .

■ لانه يدور حول نفسه كما يدور حول الكرة الارضية ، ويستغرق في كلتا دورتيه نفس المدة أي ٢٧ ١/٣ يوما بالتقريب .

■ السؤال خطأ أصلا فنحن نرى القمر في وجوهه المختلفة في اوقات مختلفة .

١٠ ـ تبلغ سرعة الضوء ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية تقريبا فكم تبلغ سرعة الصوت ؟

■ ٣٠ كيلومترا في الثانية .

■ ٣٠٠ كيلومتر في الثانية .

■ ١/٣ (ثلث) كيلومتر في الثانية .

١١ ـ جلد الشموا .. الجلد المخملي المعروف لماذا يسمونه شمواه ..

■ نسبة الى البلدة الفرنسية التي ابتكرت فيها اساليب دباغة الجلد المخملي .

■ لفظ شموا لفظ فرنسي ومعناه المخمل .

■ نسبة الى أحد الوعول الذي له جلد مخملي بطبيعته .. وقد نجحوا في تقليده بالدباغة ، فسموا الجلد المخملي المدبوغ شموا .

١٢ ـ حلبة الملاكمة النظامية : كم تبلغ مساحتها .. ؟

■ ٢٥ ـ ٢٧ قدما مربعا

■ ١٨ ـ ٢٠ قدما مربعا

■ ٢٨ ـ ٣٠ قدما مربعا

العدد ٣١٧

ابريل ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ ....

....

٢ ـ ....

....

٣ ـ ....

....

٤ ـ ....

....

٥ ـ ....

....

٦ ـ ....

....

٧ ـ ....

....

٨ ـ ....

....

٩ ـ ....

....

١٠ ـ ....

....

١١ ـ ....

....

١٢ ـ ....

....

الاسم : ....

....

العنوان : ....

....

....

....

مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى

حل

١ ـ البكتريا نبات ينتمي الى الفطريات . . وهي ذات بنية بسيطة ، وكل واحدة منها خلية واحدة فقط . . على أنها تختلف عن أكثر النبات نظرا لأنها بلا خضرة .

٢ ـ النعام والطاووس والديناصور . . تبيض وتتكاثر ، فهي اذن متجانسة . . اما الوطواط فيتكاثر بالولادة فهو اذن الناشز . .

٣ ـ لفظ (الموسلين) أجنبي واصله العربي موصلي نسبة الى الموصل

لفظ (شك) أجنبي وأصله العربي صك .

لفظ (كابل) اجنبي وأصله العربي حبل .

٤ ـ الرئيس المقصود هو هواري بومدين . . رحمه الله .

٥ ـ الأصح قولك تعس الحظ (تعسا) لاتعيس الحظ (تعاسة) .

٦ ـ التعبير الصحيح هو استقل الطائرة .

ذلك أن لفظ استقل هنا انما يعني ارتفع لاانفرد بالشيء كما قد يظن البعض ، فانت تقول استقل الطائر في طيرانه (راجع المنجد) .

٧ ـ يبلغ عمر الكون حسب التقويم العبري حوالي ٦٠٠٠ سنة . . .

٨ ـ يحتفل الناس في الغرب باليوبيل الياقوتي الأزرق

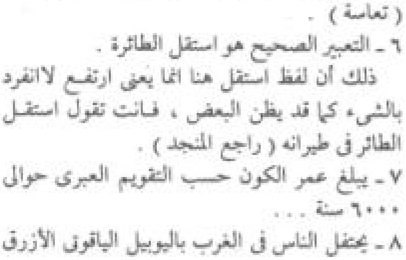

مسابقة العدد ٣١٤ يناير ١٩٨٥

واليوبيل البلاتيني عند مضى ٦٥ سنة و ٧٠ سنة بالتوالي على الشيء المحتفل به .

٩ ـ جرى تفجير القنبلة الذرية على جزيرة بكيني المرجانية . . وكان التفجير ذا أثر مدمر الى أقصى الحدود . . ولما كان لمايوه السباحة الجديد مثل أثر تلك القنبلة المدمر على الحشمة والحياء ، بادروا الى تسميته بكيني . . وكأنه القنبلة الذرية . .

١٠ ـ (دعو دوائرى ولاتعبثوا بها) هى العبارة التى قالها أرخميدس مخاطبا بها جنود الرومان ، وذلك عقب سقوط مدينة العالم اليونانى سيراكوز فى صقلية بعد حصار دام نحو سنتين . . ولعل تلك العبارة كانت آخر مانفوه به العالم الشهير . . فقد قتله الرومان بعدها . .

١١ ـ الاسم (مكاو) يطلق أيضا على ببغاء . . موطنها الأصلى أمريكا الجنوبية ، وهى فى طليعة ببغاوات العالم روعة وجمال ألوان ومن حيث الحجم أيضا . .

١٢ ـ العبارة صواب : السيارة الكهربائية . . ظهرت وانتشرت فى مطلع القرن العشرين حتى بلغ مجموعها فى مدن نيويورك وبوسطن وشيكاجو نصف عدد السيارات التى تسير بالبنزين ، الا أن سيارات البنزين مالبثت أن طغت على السيارات الكهربائية الأولى .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٤ يناير ١٩٨٥

الجائزة الاولى : وفاء أمين الشيخ ـ كفر الزيات ـ مصر

الجائزة الثانية : عبدالقادر عثمان البنا ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية

الجائزة الثالثة : عبدالرحيم رشيد يوسف ـ الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ بنجلون محسن ـ طريق الحبشة ـ فاس ـ المغرب

٢ ـ أسمهان جودت مراش ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .

٣ ـ محمد الوتيجة بن أحمد ـ ثانوية طرابلس ـ حلب ـ الجمهورية العربية السورية .

٤ ـ عبدالمجيد الشماخى ـ وادى الزبيب ـ جربة ـ الجمهورية التونسية .

٥ ـ قاسم قاسم ـ تونس العاصمة ـ الجمهورية التونسية .

٦ ـ ناصر شريف مهوس ـ ضاحية صباح السالم ـ المركز العقارى التجارى الكويتى ـ دولة الكويت .

٧ ـ مروة حسن عباس المهدى ـ الامارات العربية المتحدة ـ الشارقة

٨ ـ سميحة محمد حسن ـ عمان ـ الاشرفية ـ الأردن

معركة بلا سلاح

بطولة العالم للسيدات

جرت المباراة على بطولة العالم في الشطرنج للسيدات في مدينة فولجوجراد في الاتحاد السوفييتي فيما بين الحادي عشر من سبتمبر ١٩٨٤ والحادي عشر من اكتوبر من نفس العام بين حاملة اللقب الروسية مايا شيبوردانذز من جيورجيا ومنافستها على اللقب مواطنتها ايرينا ليفيتينا من لينتغراد ، وقد تألفت هذه المباراة من ستة عشر دوراً ، انعقد فيها النصر لبطلة العالم الحالية .

ويجمع النقاد على ان هذه الأدوار كانت من أفضل أدوار هذا العام،ولكن أحداث بطولة العالم بين بطل العالم الحالي أناتولي كاربوف ومتحديه جاري كاسباروف والتي لا تزال محتدمة حتى كتابة هذه السطور قد طغت على أخبار بطولة العالم للسيدات .

وقد سبق ان اوردنا احد اهم الأدوار بين كاربوف وكاسباروف في عدد شهر فبراير من هذا العام وفيما يلي احد الأدوار الحاسمة التي جرت بين البطلتين السوفييتيتين ،ونظراً لطول الدور فقد رأينا ان نبدأه من النقلة ٢٣ .

ليفيتينا (أبيض)	شيبوردانذز (أسود)
٢٣ . فـ×ب٧	و×ب٧
٢٤ . ر–د٣	هـ ٥
٢٥ . ر(أ)–د١	م –و٧
٢٦ . ز٤	ر – حـ ٨
٢٧ . ر–ز٣	ر(أ)–د٨
٢٨ . هـ ٣	ر (حـ)–هـ ٨
٢٩ . ب٤	ر–هـ ٦
٣٠ . هـ ×د٤	هـ ×د٤
٣١ . ر(ز)–د٣ مهدداً بالكش من السطر(١)	ر(د)– هـ ٨
٣٢ . و– جـ ١	ر–هـ ٢
٣٣ . جـ ٥	م – و٨
٣٤ . جـ ٦	و– جـ ٧
٣٥ . ر–و١	أ ٦
٣٦ . ر×د٤	ر (٨)– هـ ٣

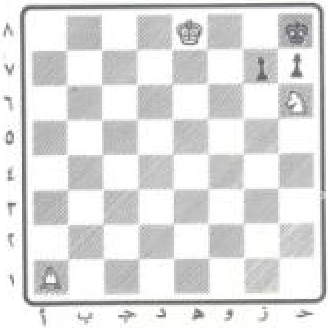

مسابقة العدد

مسألة رقم (٢٨)

مهداة من القارىء محمد عبدالرحمن
الأبيض يلعب ويميت الشاه في ثلاث نقلات

الأبيض لا يستطيع أخذ الرخ بـالبيدق خشيـة كش مات بالوزير

٣٧ . ر–٨د +	و× ٨د
٣٨ . و(٢)×هـ ٣ ؟	

كان هذا خطأ كبيراً فلو لعب

الأبيض ٣٨ . جـ ٧	ر– ز٣+
٣٩ . م – حـ ٢	لفاز بالدور
٣٨	و– جـ ٧
٣٩ . ر– و٤	ز×و٤

٤٠ . تستسلم لأن الأسود يتفوق عليها تفوقاً مادياً ساحقاً .

حل مسألة فبراير ٨٥

١ . ح – جـ ٧+	ح×جـ ٧
٢ . ر×هـ ٧+	م×هـ ٧
٣ . و– و٦+	م – هـ ٨
٤ . وزير أو رخ – د٨ ‡	

الفائزون بحل مسألة ديسمبر ٨٤

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ بنمادة مليكه ـ البيضاء / المغرب .
٢ ـ جمال رضا ـ القاهرة / ج . م . ع
٣ ـ محمد بوسنة ـ الكاف / تونس
٤ ـ التيجاني ابو زيد ـ تعز / اليمن
٥ ـ يحي ابراهيم ـ دمشق / سوريا

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ منير أبو عيطة ـ الصفاة / الكويت
٢ ـ عيسى محفوظ ـ توبلي / البحرين
٣ ـ فليل مسعود ـ غرداية / الجزائر
٤ ـ عباسي خضر ـ بربر / السودان
٥ ـ ريما محمد ـ العين / ابو ظبي

الفائزون بحل مسابقة يناير ٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ فاطمه خميس ـ الأسكندرية / ج م ع
٢ ـ خالد سعد الله ـ القادسية / الكويت
٣ ـ عماد الحرارى ـ طرابلس / ليبيا
٤ ـ محمد زعيز ع ـ صويلح / الاردن
٥ ـ عصام صبحي ـ بيروت / لبنان

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ محمود زكريا ـ الرياض / السعودية
٢ ـ خير الدين المسعودي ـ تونس
٣ ـ محمد الجندي ـ حمص / سوريا
٤ ـ محمود داود ـ الموصل / العراق
٥ ـ وسيم النمري ـ عمان / الاردن
فينا

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

كلمة

الصحافة غث وسمين

يزخر الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه بالكثير من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية أيضا .

وتختلف اتجاهات القراء بين صحيفة وأخرى ، كما هو اختلاف المادة في هذه الصحف ، وهو اختلاف يتفاوت بين التخصص في المادة الصحفية وبين التنوع فيها ، ومنها ما يخدم القارىء ويساهم في تنمية مداركه ، ومنها ما يهدم أخلاقه وسلوكه . .

يقولون .. الصحافة كالسلاح في يد الجندي ، فإن أدرك كيفية الحرب به انتصر ، وان لم يعرف فقد ساقه هذا السلاح الى الهزيمة .. وهو قول ينطبق على سلعة الصحافة التي فيها الغث وفيها السمين . .

المحرر

أرض العروبة .. مفككة

● الذي ينظر الى واقع الأمة العربية يصاب بشيء من الألم يعتصر قلبه ، اذا ما قارن هذا الوضع مع الوضع الذي عليه أعداء أمتنا العربية .. فالأعداء استطاعوا أن يستثمروا أراضينا المحتلة ، ويوفروا لأنفسهم المياه والكهرباء بالطرق العلمية ، رغم أنهم عصابات تجمعت من معظم أقطار العالم الأجنبي .

أما نحن فلدينا الموارد البشرية والمائية والاقتصادية والعلمية ، لكننا - للأسف - لم نزل نعيش في خلافاتنا وتفككنا دون النظر الى بناء الأرض العربية علميا ، حتى نستطيع الوصول فيها الى مصاف الدول ذات المراكز الأولى في عالم التطور والحضارة ، وكم تمنى أن نرى أرض العروبة وقد اهتمت بالبناء أكثر من الاهتمام بالخلافات ، .. هذه أمنية كل عربي غيور على عروبته . .

نبيه حامد ابراهيم - قها - مصر العربية

العربي

أمنيتنا كما هي أمنية كل عربي أن يرى شمس التعاون والوفاق والتآخي قد أشرقت على أرض العروبة من محيطها الى خليجها .. لكن الأماني لا تأتي كما تريد أشرعة السفن .. والأمل كبير في عودة هذه الأمة الى سابق عصورها الزاهرة ، وما ذلك على الله ببعيد . .

ننشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

الأخوة الانسانية

● طرحت الفلسفة الرواقية فكرة الأخوة الانسانية كبديل للتمييز العنصري . وهذه الفكرة كانت بدورها تعبيرا عن الانكسار العسكري اليوناني أمام الفرس . والفكرة كانت تعبيرا عن ظروف اجتماعية وسياسية معينة عاشها المجتمع اليوناني . لقد تعرضت الكبرياء القومية اليونانية الى محنة عنيفة نتيجة الانكسار العسكري أمام الفرس في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ـ غير أن اليونانيين سرعان ما استجمعوا قواهم وحولوا هزيمتهم الفادحة الى نصر ساحق ، ولازمتهم نشوة المجد زمنا طويلا ، وما كان لفكرة الأخوة البشرية أن تطرح في ظل هذا الاحساس بالمجد ، وهو احساس لم يكن يمد بصره أبعد من أن يحالف مجموعة من المدن ـ وكان لا بد أن تطرأ تغييرات سياسية معينة تقضي على هذا النموذج ، لكي تكون ايذانا بنشوء فلسفة جديدة تدعو الى الحب الشامل وهو ما تكفلت به الرواقية .

نصار عبد الله ـ أسيوط ـ
مصر العربية

في سجن أبي العلاء

● قرأت باعجاب مقال الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري تحت عنوان ـ في سجن أبي العلاء الرابع الذي نشر في العدد (٣١٣) في مجلتنا العربي ـ وقد كان المقال رائعا ، نظرا لما تناوله الأستاذ عبد الله الانصاري من حالة أمتنا العربية من تمزق وخلافات ـ ثم ما ردده مع أبي العلاء ـ

يا أمة من شباه لا حلوم لها
ما أنت الا كضأن غاب راعيها

ان أصوات الخير التي ترتفع في عالمنا العربي منادية بوحدة شعوبنا وتناسي الخلافات تريد من يسمعها ، حتى تعود هذه الأمة الى ماضيها العريق ، وهي الأمة التي قال عنها الخالق سبحانه (.. كنتم خير أمة أخرجت للناس ..) وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ان جمع صفوف الأمة العربية أمل يراود كل أبناء العروبة فمتى يتحقق هذا الحلم ؟

الهادي بن ابراهيم ـ تونس

العربي

وحدة الأمة العربية حلم يتمناه كل أبناء العروبة .. والحال الذي عليه هذه الأمة هو نتيجة عدم توحيد الصف والكلمة ..

ابن دريد

● نسمع في بعض الأحيان عن (ابن دريد) حين يأتي الحديث عن اعلام التراث العربي ، ولقد اختلفت مع مجموعة من الأصدقاء حول حقيقة هذا الرجل ، وموقعه بين أعلام العرب القدماء .. ولذا فاني أكتب لكم لكي تخبرونا عن (ابن دريد) الرجل الذي ترك لنا تراثا عربيا واسعا ..

أحمد محمد المطيع ـ صنعاء ـ اليمن

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

العربي

ولد ابن دريد في البصرة بالعراق عام (٢٢٣ هـ وتوفي عام ٣٢١ هـ) وهو أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي العماني ـ ولقد شهد له شعراء ذاك العصر في قدرته على الابداع الفني اللغوي والشعري ، وهو من فحول الشعراء كأبي تمام وابن الرومي والبحتري وغيرهم ـ ولقد عاش ابن دريد في عصر الدولة العباسية ، وتنقل في حياته بين أكثر من أرض ، مثل عمان وبلاد فارس ، وقد تعددت ثقافة (ابن دريد) بين العالم الواسع واللغة البارعة ، فصار من مشاهير عصره في هذه العلوم العربية . . كما أنه حفظ القرآن الكريم في بداية حياته ، وانعكس ذلك على اتساع ثقافته ومداركه . .

قوة السود في الولايات المتحدة

قرأت مقال السيد يوسف الحسن « العدد ٣١٣ ديسمبر ٨٤) بعنوان « حتى لاتضيع الفرصة » . . أرجو أن أصحح المعلومات التالية :

١ ـ عدد السود في الولايات المتحدة ٢٨ مليون نسمة بدلا من ٣٥ مليونا .

٢ ـ زيادة القوة العددية للسود في المدن الكبرى ومنها العاصمة واشنطن حيث تصل نسبتهم لحوالي ٧١ ٪ من سكانها .

٣ ـ رئيس بلدية مدينة نيويورك يهودي صهيوني وليس أسود واسمه ادوارد كوتش .

محمد عبد الحميد

واشنطن

ردود خاصة

● الى القارىء مثقال فرح ـ سوريا . . بخصوص اقتراحك تخصيص زاوية للبحث في علم الفضاء الكوني ، فان المجلة تقدم في معظم أعدادها مقالات وأخبارا حول أي بحث في هذا الميدان ـ أما سؤالك عن (مثلث برمودا) فانه يمكنك مراجعة الأعداد القليلة الماضية (باب موسوعة العربي) ، وسوف تجد ما تريد معرفته . .

● قرأنا ما جاء في رسالة القارىء عثمان محمد من غانا ـ التي تضمنت حاجته الى مجلات وكتب ترسلها (العربي) له . . ونود أن نلبي رغبته لكننا لا نعرف أي الكتب يريد ، وفي امكانه أن يراسل أي دار للنشر لترسل له حاجته . .

● القارىء عبد الله عبد الرزاق ، يقترح في رسالته تغيير نوعية غلاف المجلة ليكون أكثر صلابة حفاظا على المجلة ـ ونقول له ـ ان العربي مجلة ، ومن عادة المجلات والصحف أن لا تكون أغلفتها من نوع الكرتون ، لكون ذلك يستعمل للكتب ، والفرق واضح بين المجلة والكتاب . .

Why Not Improve YOUR English?

Be specialist trained in written and spoken English — and increase your earning power!

A good command of English can ensure YOUR SUCCESS! It can improve your chances of PROMOTION — increase your EARNING POWER — get you a BETTER JOB and enhance your SOCIAL LIFE. You can acquire it quickly and easily.

When you can talk **fluently and effectively** – write **clearly and concisely**, you impress your boss – your colleagues and your friends. You gain **respect — prestige,** and leave your business rivals behind you. It can mean **a prosperous new life for you and your family!**

To help **you be successful,** we offer you a unique, easy-to-understand, home-study training for a **Diploma in Business English.** It has been specially written by leading teachers and businessmen for people whose mother tongue is not English.

Your training teaches you both **written and spoken English** – and how to use it in your job. English grammar is made easy. You learn how to increase your vocabulary. You are shown how to construct sentences and paragraphs, and how to develop a good writing style. You are taught how to write business letters, office memoranda, minutes of meetings, reports, and lots more – including telex, telegrams, agendas, etc. **It is so effective that many successful people started this way.**

The spoken part of your training comes on 3 full cassette tapes. There is 155 minutes of recording time and you are given lots of practical work to do. Thus you learn how to speak English **clearly and distinctly.**

You need to work hard at your training, but you don't need any special **education or qualifications.** If you can understand this advertisement, your English is **good enough to understand** fully the training itself.

So, if you are dissatisfied with your present work, pay or prospects — or are ambitious and want the good things in life — why not send for free details NOW of how we can help you **to acquire a good command of English.** It's an opportunity you can't afford to miss. No obligation. Proof of big success by ordinary men and women. Write immediately to: Business Training Ltd, Dept: B/AAB 15, Sevendale House, 7 Dale Street, Manchester, M1 1JB, England.

BUSINESS TRAINING LIMITED

Dept. B/AAB 15,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England.

C.A.C.C. Accredited

Please tell me about your home-study training and how I can obtain my specialist Diploma.

BLOCK CAPITALS PLEASE

Surname ....

Other names ....

Address ....

....

....

شعاع ضوء
ينير القلب
ويهدي إلى السبيل
١٩ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ
٩ شباط فبراير ١٩٨٥م
السبت .. وكل سبت .. معك في كل مكان
الآن
ستجدها مع الباعة في كل أنحاء العالم الإسلامي
• سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز • محمد متولي الشعراوي
• عمر التلمساني • الشيخ جاد الحق علي جاد الحق • كامل الشريف
• أحمد حسن الباقوري • الدكتور عبد الله التركي • خالد محمد خالد
• محمد معروف الشيباني • الشيخ محمد الغزالي
• أحمد بهجت • الدكتور عبد القادر طاش
وعشرات من كبار كتاب العالم الإسلامي
يلتقون معك على صفحات
المسلمون

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

١٨٧

أول ابريل

الفتى المذهب

تأليف : كليفورد أودنيس
ترجمة : د . أمين العيوطي
تقديم : ايريك موترام
مراجعة : د . طه محمود طه

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

مجلة
خاصة
المثقفين
فى الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة فى مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

****

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الإجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

☐ منبر بارز للأكاديميين العرب

☐ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات:
١٢ ديناراً فى الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً فى الخارج

للأفراد:
٣ دينار فى الكويت، دينار للطلاب
٣،٥ دينار أو ما يعادلها فى الوطن العربي
١٥ دولاراً أمريكياً فى الخارج

الموزع في الكويت والخارج:
مجلة العلوم الإجتماعية

■ توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية. جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة. الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ مباشر، ٢٥١٠١٨٨/٣٧٣/٢٥٠ تلكس ٢٦٦١ كويت

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ابريل ١٩٨٥م

الميكروبات والإنسان

ترجمة : د. عزت شعلان

مراجعة : د. سعيد رضوان

٥٠٠ فلس

الكتاب الثامن والثمانون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية
والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية
والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان : ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس : ٢٢٦١٦ KUNIVER

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

■ صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ ■ تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥٫٠٠٠ قارئ

تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين ، مع مراجعات لأهم الكتب عن المنطقة ، مع ملخصات للأبحاث بالانجليزية ، كما تصدر المجلة أيضاً دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة

■ العنوان : ص.ب ١٧٠٧٣ الخالدية - الكويت

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

التكنولوجيّة تفتح عالماً رائعاً من الألوان.

أنبوب الصورة الثوري FLAT SQUARE يمنحك صورة TV أكبر بنسبة ١ إلى ٢ بوصة خالية من الشوائب.

أجهزة تلفزيون ملوّنة

28" CORE FS 289X4M

• أنبوب اف اس • ١٢ نظام إرسال • عرض البيانات على الشاشة • وحدة تحكم عن بعد تقوم بكل الوظائف • MSSS

21" CORE FS 219X3M

• أنبوب اف اس • ١٢ نظام إرسال • وحدة تحكم عن بعد تقوم بكل الوظائف • MSSS

19" CORE FS 199X4M

• أنبوب اف اس • ١٢ نظام إرسال • عرض البيانات على الشاشة
• وحدة تحكم عن بعد تقوم بكل الوظائف

15" CORE FS 159X4MR/S

• أنبوب اف اس • ١٢ نظام إرسال • عرض البيانات على الشاشة
• وحدة تحكم عن بعد تقوم بكل الوظائف

أجهزة تسجيل فيديو يتم تحميل أشرطتها من الأمام

V-51D

• وحدة تحكم لاسلكي عن بعد ذات ٩ وظائف • نظام ثنائي (بال / سيكام) • التسجيل بلمسة واحدة باستخدام الموقت • موقت للبرامج • تثبيت الصورة • التقديم صورة واحدة • تحريك الصورة ببطء • نظام بحث عن الصور

V-53TR

• تحكم لاسلكي عن بعد • نظام ثلاثي (بال / سيكام / ان تي اس سي ٤٫٣ ميجاهيرتز) • التسجيل بلمسة واحدة باستخدام الموقت
• موقت البرامج • الإيقاف الموقت • تثبيت الصورة • تحريك الصورة ببطء • نظام بحث عن الصور

TOSHIBA TOKYO, JAPAN

العديد من أكثر ساعات العالم روعة ابتدعت في جنيف

اعة بشكل هندسي دائري منمق
رجع الى عهد الامبراطورية الفرنسية
-١٨١-١٨٢٠) . يعكس كل من الأجزاء
ناقلة للحركة والعلبة المزخرفة
براعة الفنية الفائقة التي تميز
ها حِرَفيو جنيف .

مجموعة ولزدورف وتحمل إسمها تيمّناً بمؤسس رولكس، هانز ولزدورف. تتجلى الموهبة التقليدية الفذة لصانعي الساعات في جنيف في قوة ابداع الساعة الفريدة، رولكس أويستر. تقتضي علبة ساعة كرونومتر أويستر ما لا يقل عن ١٦٢ عملية مستقلة ودقيقة وماهرة، حيث يتم نحتها من قطعة معدنية صلدة. لا شك في أن هناك طرقاً أخرى أكثر سهولة يتم بها صنع ساعة. ولكن، ليس لدى رولكس الوقت للتفرغ الى مثل هذه الطرق.

ساعة بشكل مسدس ترجع الى عهد النهضة الفنية في فرنسا. عند ضغط الزناد تنطلق زهرة من نهاية الماسورة فتعمل كمرشة لعطر فواح. الساعة مبيتة داخل عقب المسدس. الأجزاء الناقلة للحركة والمينا من ابداع جنيف. مثل هذه الساعة تحتل ركناً في

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس داي - ديت كرونومتر متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطاً مع سوار ملائم.

مع العدد: العربي الصغير

شعبان ١٤٠٥هـ - مايو (أيار) ١٩٨٥

العربي

فنلندا:
الألوان والأنغام

المياه العربية:
وصراع الوجود

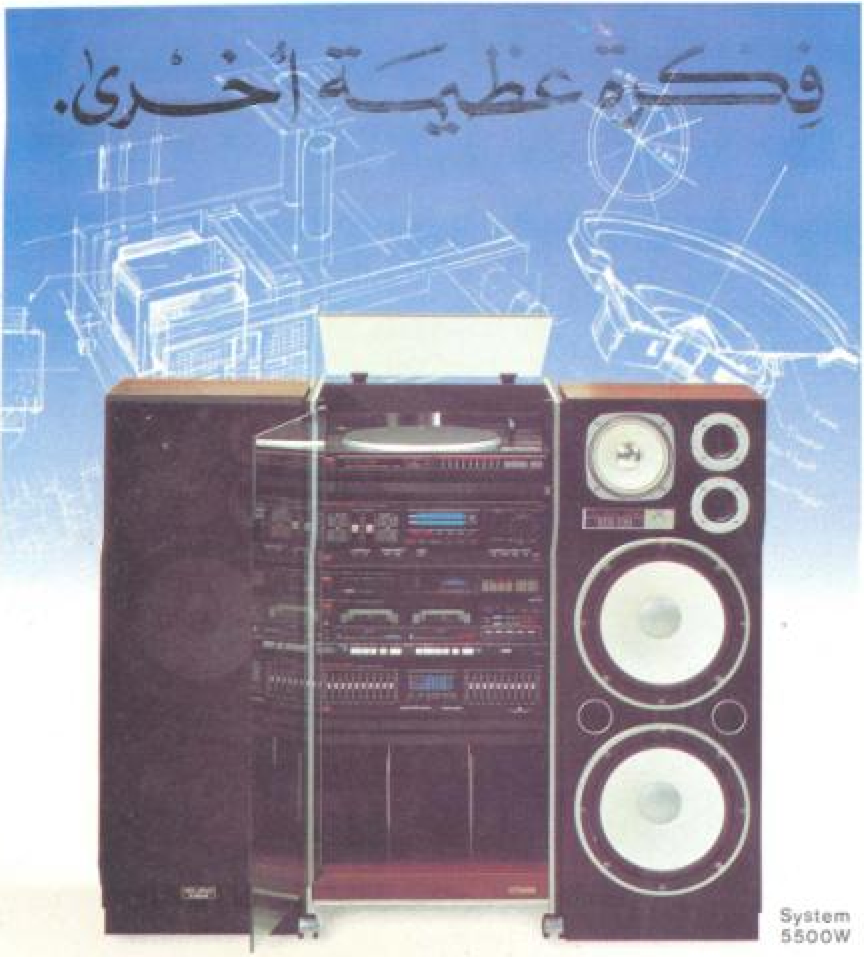

في عام ١٩٣٧، خطرت على بال رجل إسمه أفيري فيشر فكرة عظيمة. فقد إخترع أول نظام صوت هاي فاي في العالم. هذه الفكرة وغيرها من الأفكار التي تبعتها بدأت تقليد الأفكار العظيمة الجبارة التي تستمر حتى اليوم في شركة فيشر التي أنشأها.

مثال عظيم على تلك: نظام فيشر السمعي المركب الكامل المتوازن الجيّد الأداء. داخل مضخمات الصوت ذات القوة المدهشة ١٨٠+١٨٠ واط*. إعتمد فيشر على التيار فائق الأداء يوفر مصدراً متوازناً للطاقة حتى عند الإستماع العالي جداً. كذلك إعتمد نظام مكبر صوت ووفر مزدوج. وهكذا فإن المضخم ومكبرات الصوت ينقلان صوتاً غنياً جداً واسع المجال وخالٍ تماماً من التشويش. لقد صُممت مكبرات الصوت هذه خصيصاً للإستعمال في الأنظمة المنزلية - السمعية، وهي أيضاً محمية من التشويش المغناطيسي الذي تنتجه المكبرات أحياناً والذي قد تسببه في أجهزة التلفزيون القريبة.

إن أفكاراً عظيمة كهذه هي التي تمكّن فيشر نحو ٤٠٪ من حقل أنظمة الأجهزة السمعية المركبة في الولايات المتحدة فلا تقبل بالأقل وقدّم لنفسك فكرة عظيمة. قدّم لنفسك فيشر.

* طاقة إخراج R.M.S مع ٠٫٠٠٩٪ T.H.D عند 1KHz.

فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العـــــدد ٣١٨ مـــــايو ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 318 Mey, 1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفـــاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٣٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١ - ٤٣٧٢
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 4404IKT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د. ك - باقي دول العالم ٦ د. ك

ثمن النسخة

الكويت	٢٥٠ فلساً	تونس	٤٠٠ مليم	الامارات	٥ دراهم
العراق	٢٥٠ فلساً	الجزائر	٤ دنانير	المغرب	٣ دراهم
الاردن	٢٠٠ فلس	السعودية	٥ ريالات	ليبيا	٣٥٠ درهماً
البحرين	٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي	٣ ريالات	سلطنة عمان	ربع دينار
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	قطر	٥ ريالات	أوروبا	دولاران أو جنيه استرليني
مصر	٢٥٠ مليماً	لبنان	٣ ليرات	فرنسا	١٥ فرنكاً
السودان	٢٠ قرشاً	سوريا	٣ ليرات	امريكا	دولاران

صدر حديثاً

كتاب العربي

« ان ما استقر عليه الكثير من علمائنا من أنه لا اجتهاد مع وجود النص ينبغي أن يوضع في اطاره الصحيح ، فوجود النص (بمعنى الدليل الجزئي النقلي ، من آية أو حديث) لا يلغي - بالضرورة - دور العقل والاجتهاد ، اذ أن فهم مراد الشارع وتحديد مدلولات الألفاظ ، والترجيح بين النصوص المتعددة التي يوحي ظاهرها بالتعارض ، كل ذلك اجتهاد لا يحول دونه ورود الدليل النقلي » .

هذا جزء من اجتهادات الدكتور احمد كمال ابو المجد في الكثير من المسائل والقضايا الاسلامية المطروحة في عصرنا ، والتي شاع الاجتهاد والنقاش فيها وحولها في الكثير من دورياتنا وصحافتنا ومنتدياتنا وفرقنا . وهي اجتهادات تأمل أن تضيف جديدا لما هو مطروح . وأن تفتح آفاقاً جديدة في هذا المجال .

عزيزي القارئ

هذا الشهر متميز في تاريخنا العربي المعاصر ، فهو الشهر الذي تستعاد في منتصفه ذكرى أليمة على قلب كل عربي ، انها ذكرى اغتصاب فلسطين . ومع مرور كل هذه السنوات منذ ذلك اليوم في سنة ١٩٤٨ فان أملنا المعقود على المقاومة مايفتأ يقوى ، ويحدو جميع العرب والمخلصين من أبناء دول كثيرة لمسوا ماحاق بأبناء فلسطين من تعسف وايلام وقهر ، فهبوا يناصرونهم ويضمدون جروحهم ، كل بطريقته الخاصة .

وجدير بنا ألا يتتابنا فتور في المثابرة ، فنؤكد القول من جديد بأن سلسلة الاغتصاب الاجرامية مازالت تمتد بحلقاتها الثقيلة على ربوع تلك المنطقة الغالية من وطننا العربي،وانا في أمسّ الحاجة الى القوى التي تتصدى لها وتردعها . .

ولقد قدمنا للقارىء في هذا العدد استطلاعا مصورا عن المياه العربية والأخطار التي تحدق بها ، وبجانب هذا الاستطلاع فان « العربي » عودت قراءها دائما أن تطلعهم على المفيد والجديد في آفاق الثقافة والتربية والفكر والعلوم والتراث .

كما أن المسابقة في القصة القصيرة التي أعلنا عنها في مطلع هذا العام قد أقفل بابها ، بعد أن أصبح لدينا مايربو على ألفين من قصص المتسابقين .

وقد شرعت لجان القراءة في تقويم هذه القصص وتصنيفها تأهبا لتحديد الفائزين الذين ستعلن عنهم في عدد أكتوبر القادم ـ ان شاء الله ـ وفاء بوعدنا للقراء .

واذا كان هذا العدد الذي بين يديك ـ عزيزي القارىء ـ متميزا بالثراء والتنوع ، فان التزامنا بتقديم عدد ممتاز في الشهر القادم خبر يسعدنا أن نزفه اليك ، فهو عدد رمضان السنوي الذي يتألق بما فيه من نفحات رمضانية وتراثية ، هذا الى جانب المواد الأخرى التي أبدعها كبار الكتاب العرب ، فضلا عن الاستطلاعات وغيرها من الأبواب ، وهكذا دأب « العربي » وطابعه تقديم كل ماهو قيّم ومتطوّر ، والى لقاء متجدد . □

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر :
الموروثات الشعبية . . كم فيها من ثابت وكم فيها من متغير ؟
- د. محمد الرميحي ٨
■ الصناعات الثقافية بين سلطاننا عليها وسلطانها علينا .
- د. عبد الله عبد الدايم ١٦
■ ندخل العصر صفوراً (قصيدة) .
- مصطفى أحمد النجار ٢٣
■ وظيفة التراث .
- د. فهمي جدعان ٢٤
■ رسالة القاهرة : ظواهر شعبية .
- فاروق خورشيد ٢٩
■ وجه في المرآة :
- أبو المعاطي أبو النجا ٣٣
■ حرب خفية . . . بتقنية غير بشرية .
- د. عبد المحسن صالح ٥٦
■ ملوثات الهواء وطرق معالجتها .
- د. فاضل حسن ٧٢
■ أصارحك . . علاج للصداع .
- د. نبيل سليم علي ٧٥
■ الإرث (قصـــة) .
- جار النبي الحلو ٨٣
■ الأجنة المجمدة . . حوار المستقبل .
- د. عامر هشام جعفر ٨٧
■ أديب عربي من البحرين :
الواقعية النقدية في عالم محمد عبد الملك القصصي - أحمد محمد عطية ١١٦
■ رؤيا (قصيـدة) .
- عبد الفتاح الصبحي ١٢١
■ الجوع وأثره على جسم الانسان .
- د. فاطمة الغرباوي ١٢٢

آمال وبراءة على وجوه أطفال فنلندا . . بلد الالوان والانغام « اقرأ ص ١٠٠ »

■ رسالة المغرب العربي .
- رشيد خشانة ١٣٤
■ المفاجأة في قصص أوهنري .
- د. غسان حتاحت ١٦٠
■ الشرطي والنشيد (قصة) .
- حسن محمود عباس ١٦٢
■ رحلة الخراساني الى الموت .
- د. محمد المثني قنديل ١٦٧

استطلاعات ومقابلات

■ المياه العربية . . وصراع الوجود .
- سليمان الشيخ ٣٦
■ وجهاً لوجه : الدكتور عبد السلام العجيلي والمهندس خالد الجويشي ٦٤
■ فنلندا : الألوان والأنغام .
- مصطفى نبيل ١٠٠

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء ٥
■ قاموس العربي : صهيونية ٧٠
■ حكايات شرق وغرب ٧٩

● منتدى العربي :

■ تاريخ المستقبل .
ـ عبد المالك خلف التميمي ٩٢
■ معسكر السلام في الكيان الصهيوني .
ـ توفيق أبو بكر ٩٥
■ الجامعة الاسلامية في ماليزيا .
ـ د. صفاء خلوصي ٩٨
■ أرقام : بدلاً من النقل بالدواب .
ـ محمود المراغي ١٢٨

● جمال العربية :

■ صفحة لغة : ما زال ولا زال .
ـ محمد خليفة التونسي ١٣٠
■ صفحة شعر : لامية العجم في شكوى الزمان للطغرائي ١٣٢
■ الجديد في الطب والعلم .
ـ إعداد : يوسف زعبلاوي ١٣٨
■ مخترعون ومكتشفون ١٤١
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٤٢

● من مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر : المؤسسات الاجتماعية وحاجات العصر (تأليف : ألفن توفلر) ـ د. أمين العيوطي ... ١٤٥
■ من المكتبة العربية :
ثمرات الطفولة ـ فاضل خلف ... ١٥٤
■ مكتبة العربي : مختارات ١٥٨
■ العربي من ربع قرن ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد ٣١٥ .... ٢٠٠
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ... ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العدد ٣١٨ ـ مايو ١٩٨٥

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ عطور باريسية .
ـ د. نبيل شعبان ١٧٤
■ الغيرة وحش بعيون خضراء !
ـ راجي عنايت ١٧٨
■ المشاركة في أعمال المنزل ..
هل يتقاسمها الزوج مع زوجته ؟
ـ وفاء طه تاجي ١٨٢
■ هو ... هي .
■ من الحياة : ذكريات الربيع في خريف العمر ! .
ـ منير نصيف ١٨٨
■ طبيب الأسرة ١٩٢
■ مساحة ود :
الحوار الذي تأخر ١٩٥

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

الموروثات الشعبية

كم فيهما من ثابت وكم فيهما من متغير ؟

- تغيّر دلالات الأمثال العربيّة دليل على تغيّر الأزمان والحاجات .
- وضع المثل والحكمة في سياقهما التاريخي أدعى إلى الصحّة والتصرف السّليم .
- لا تقطع بالسكين ما تستطيع قطعه بالأصابع .

قال لي صديق ذات مرة : هل فكرت في الكتابة عن الموروثات الشعبية (الفولكلور) لما فيها من تشابك بين ماضينا وحاضرنا العربي اليوم ، ولما لها من تأثير نتداوله وننقله نقلا ونردده دون أن نتبين وقعه على حياتنا المعاصرة .

قلت له : اضرب لي مثلاً .

قال : ما يردده الناس في الأمثال السائرة : خالف تعرف ، أو خالف تربح ، أو العين لا تقاوم المخرز ، أو أحب أهل الكلب اليه خانقه . الخ

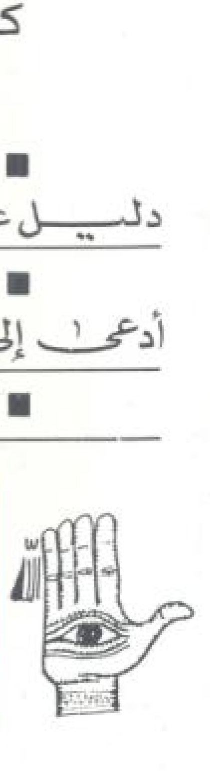

قلت : لقد فهمتك الآن ، إن لى وجهة نظر في هذا الموضوع ، والأمثلة التى ذكرتها قد تكون مدخلا جيدا لمناقشة الموضوع برمته .

***

ومنذ حديث الصديق اختمرت الفكرة في ذهنى وبدأت أقرأ حولها ما تيسر لى من مصادر . فوجدت أن موضوع « المأثورات الشعبية » طويل عريض ، له علاقة بموقفنا من كل ما هو منقول عن السلف من جهة ، ومن جهة أخرى له علاقة بحياة الشعوب وخبراتها وتجاربها . وأنا اليوم أحاول الكتابة عن جزئية منه هي « الأمثال والحكم » .

تشابه الخبرات والأمثال :

☐ والأمثال والحكم هي سلسلة طويلة من تراكم الخبرات مضغوطة في كلمات قليلة ، وهي ليست مقتصرة على شعب دون آخر ، بل إننا نجد في بعض الأوقات أنها مشتركة بين ثقافات وشعوب متعددة ، بالرغم من اختلاف بيئاتها وتجاربها وبعد المسافة بينها ، ذلك لأنها تعبر عن معان انسانية مقترنة بالوجود البشرى العام .

فالمثل العربي القائل « كحامل التمر إلى هجر » ويضرب في الشخص الذى يحمل بضاعة إلى بلدة هي صانعتها أو منتجتها ، تجد له مثلا مشابها في الثقافة « الانجلو سكسونية » هو (كحامل الفحم إلى نيوكاسل) ، ومن المعروف أن نيوكاسل هي المنطقة الأكثر شهرة في انتاج الفحم الحجرى ، كما هي هجر (منطقة شرق الجزيرة العربية كما تسمى في التاريخ) منطقة إنتاج شهيرة للتمر !

من هنا يأتى القول بأن قدرا كبيرا من الأمثال والحكم المتداولة هي ملك للانسانية جميعها ، وهي مشتركة بين شعوب كثيرة بالرغم من اختلاف صورها وصياغتها ، مع ذلك فإن معناها متشابه ، وبعض الكتب تضع فارقا بين المثل والحكمة فتخصص المثل بما له مورد ومضرب ، أى له حدث واقع قيل فيه ، ثم صار صالحا لأن يضرب فيما يشبه هذا الأصل وينطبق عليه ، أما الحكمة فهي القول الذى يطلقه صاحبه من حصاد خبراته وتجاربه ، وبعض الكتاب يغلب « لفظ » المثل فيطلقه على الحكمة أيضا .

الفرق بين المثل والحكمة :

☐ وحين نناقش الفرق بين المثل وبين الحكمة بتفصيل أكثر ، فسنجد أن كليهما قول وجيز رصين ، ولكن المثل قول جرى في موقف معين حقيقي أو متخيل ، تعبيرا عن حادثة ما لشخص أو أكثر ، فإذا تكرر مثل هذا الموقف ذكر القول السابق ، لما بين الموقفين من التشابه ، ومن هنا سمى هذا القول بالمثل ، ومن الحكمة ما يجري مجرى المثل كقول المتنبى « الجوع يغرى الأسود بالجيف » ، فالمعروف أن الأسد لا يأكل الرمم فضلا عن الجيف ، بل يصطاد لنفسه فيأكل مما اصطاده طازجا ، ولكنه حين يجوع فلا يجد ما

يصطاده من الحيوانات ، ولا يجد إلا جيفة فإنه يأكل منها ليدفع عن نفسه الموت .

واذا وجد مثل هذا الموقف ـ وكثيرا ما يوجد ـ قيل هذا القول ، ولو لم يكن في الموقف أسد ولا جيفة ، لأن الضرورات تنزل الانسان على حكمها ، كما اذا رأينا شريفا يرضى بما لا يليق به ، فما امتنع عنه ، والحياة كما نعلم ملأى بالضرورات .

ويلتقي هذا المثل الجاري مجرى الحكمة مع محض حكمة معروفة هي قولهم « الضرورات تبيح المحظورات » ويتكرر قول هذه الحكمة كلما حدثت ضرورة تضيق على صاحبها فتلزمه ان يقدم على ما هو ممنوع ، فرارا من الضيق الى السعة ، في سبيل مصلحة أكبر .

والمثل أشد توضيحا في ابراز المعنى وتبسيطه من التعبير عن هذا المعنى نفسه بعبارة عادية ، لأنه يصور المعنى صورة حسية ، والمحسوسات أيسر فهما ، لأنها تدخل من الحواس ، فيتلقاها الذهن شاخصة متميزة ، وهو يعتمد على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية من وسائل البيان .

ولذلك يلجأ المعلمون إلى المثل أو الأمثال في تبليغ ما يريدون ابلاغه الى من دونهم فهما ، وفي القرآن الكريم « ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها » وتذكر الاناجيل ـ وهي تروى قصة السيد المسيح مع حوارييه ـ أنه عليه السلام « كان يكلمهم بأمثال ، وبغير أمثال لم يكن يكلمهم » .

ولكل مثل في الغالب قصة ، واقعية أو خيالية ، بحسب الحادثة المفترض انه جرى فيها ، ومما تمتاز به امثالنا العربية جملة أن الكتب التي تعنى بجمع الأمثال حين تذكر المثل تذكر معه قصته الواقعية ، أو تتخيل له قصة ملائمة ، واما كتب الأمثال في اللغات الاخرى فالغالب انها تورد الأمثال مجردة .

وقد لا تكون للمثل قصة كقولهم : « أكرم من حاتم » و « أظلم من الحجاج » و « أخف من فراشة » و « أثقل من جبل » فيكفي في المثلين الأولين ان نعرف أن حاتما كان رجلا كريما ، وأن الحجاج كان حاكما ظالما ، ويكفى في المثلين الأخيرين أن نعرف خفة وزن الفراشة ، وثقل وزن الجبل .

والحكمة تعتمد على الواقع ونفاذ العقل الى أسرار الطبيعة أو الحياة ولاسيما النفس الانسانية وطبائعها أو امزجتها ، ومن ذلك أمثالنا العربية الاتية : ـ « مقتل الرجل بين فكيه » و « ذكاء المرء محسوب عليه » . ومن الحكم في الانجليزية : « لأن يموت المرء حرا خير من أن يموت عبدا » و « لا تقطع بالسكين ما تستطيع أن تقطعه بالأصابع » و « الشحاذون لا يخشون اللصوص » و « كل امرىء يلقى اخطاءه على زمانه » .

الامثلة والحكم قد تكون انسانية عامة أو تكون قومية أو وطنية خاصة .. فمن العامة المثل الروسي : « اذا لم يكن مفر من الغرق ، فالبحر

اللجي خير من البركة الآسنة » وآخر « من الحياة نخاف ، لا من الموت » ، ومن الأمثال القومية أو الوطنية « زوجي سيء اخافه ، ولكن اذا كنت معه لم اخف غيره » و « ما أسعد الفرنسي بغراب » والأخير هنا يعود الى أن جنود نابليون بعد خيبتهم في غزو روسيا وندرة الأقوات ، كانوا يصطادون الغربان . ومن الأمثلة الصينية الساخرة « بائع البطيخ يقول إنه حلو » وهو يقابل المثل المصرى « من يشهد للعروس الا أمها » .

***

وفي تراثنا العربي كثير من كتب الامثال والحكم ، وقد ألفت فيها كتب خاصة ، وهي تسمى « كتب الأمثال » ويجب أن نلاحظ أن الامثال والحكم أكثر شيوعا في الأوساط الأمية .

ويقول العرب ان مواصفات المثل الجيد هي الايجاز واصابة المعنى وحسن التشبيه وقد عنوا على مر العصور بجمع الأمثال وتصنيفها ، الا أن الدراسات التحليلية الاجتماعية لهذه الأمثال قليلة بل نادرة . وبما أن الأمثال ينعكس فيها شعور الشعوب وتفكيرها وعاداتها وتقاليدها وخبراتها ، كما تعبر عن الفئات الاجتماعية التى تنطقها بما تريد ان تقول أو تضمنها مواقفها ومصالحها . . لذلك فقد أصبحت أحد المصادر المناسبة والمهمة لمعرفة نفسية أى شعب وتطوره الفكرى والحضارى ، وهذا النوع من الدراسات يمكنه أن يكشف الحياة الفعلية والحضارية للأمة ، ولا تستطيع أية مصادر اخرى ـ كالنقوش والتدوينات ـ أن تقدم ما تقدمه الأمثال من ثروة حقيقية للدراسة ، وكمصدر لاكتشاف تلك الحياة وتحليلها في واقعها وربما في احتمالاتها المستقبلية ، وأصبحت الأمثال اليوم هي المصدر للدراسات العلمية الاجتماعية الكثيفة . لكن بالرغم من هذه الأهمية التى يعول عليها بالنسبة للأمثال والحكم الا أن ما تدعو اليه هو النظر بمنظار النقد والغربلة لها .

النقد والغربلة :

☐ اذا أردنا أن نقف موقف الدارس والناقد لما وصلنا من أمثال وحكم من قبل الأسلاف فلابد لنا من التمحيص في القيمة الحضارية لبعض أمثالنا وحكمنا ، ولا يضيرنا أن نضيف الشعبى والمستحدث منها الى الفصيح والموروث .

فالأمثال التى ضربها صديقنا في صدر هذا الكلام مثل : « خالف تعرف » وغيره ، تنطوى على موقف ضمنى معارض للتجديد والابتكار . وكل من يأتى بجديد لا يؤخذ بالجدية الكاملة في حد ذاته ، فهو مجرد شخص يريد أن يعرف أو يشترى دعاية واعلانا ـ حسب أقوالنا اليوم ـ بالمجان دون أن يضيف جديدا ، لذلك فإن النظرة اليه هي نظرة استخفاف لا غير .

وأمثلة أخرى لابد أن نقف عندها طويلا وهي وإن شكلت خبرة لشخص ما في مكان وزمان محددين ، فإنه يجب ألا نأخذها على علاتها وبصورة ملزمة ومطلقة - مثل قولنا : « اتق شر من أحسنت اليه » أو « أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة » أو « أن آخر الدواء الكي » . . . الخ .

ففى عصرنا هذا لا يمكن أن نقبل التحريض على الاحسان الى الناس بسبب أن أحدا في ظروف معينة اساء لمن أحسن اليه ، كذلك لا يمكن أن نقبل أن يكون التقدم في السن وحده عاملا أساسيا من عوامل التقدم في العلم والمعرفة ! أو أن آخر الدواء الكي في الوقت الذى تقدمت فيه علوم الطب ! واذا كانت تلك الأمثال وغيرها تضرب في بعض الأحيان لأجل معناها الضمنى ، فإنها مهما اختلفت صيغتها تعبر تعبيرا واضحا عن مواقف اجتماعية وفكرية يجب أن نعيد النظر فيها من جديد .

تغيير المكان والزمان :

□ يقودنا كل ذلك الى القول بأنه ليس كل ما قاله أجدادنا في العصور السابقة - حتى لو كانت خبرتهم عنه حقيقية في ذلك الوقت - يصلح بالضرورة والحتم لزماننا ، أو انه يمكن أن يخدم حياتنا الحاضرة - ولا أجد أن ذلك بذاته يعتبر موقفا جديدا ، فالموقف من التقليد والنقل انتقده الكثيرون في عصرنا من منطلق موقف فكرى عام . ولكن ما نعتقد أنه جديد هو النقد واعادة النظر في أمثالنا السيارة ، والتى يجرى تداولها كثيرا على شفاه الناس ، ومعظمهم يتعامل معها بتسليم مطلق دون تمحيصها أو اخضاعها لمحك التجربة .

ضمن هذا الإطار لابد من بذل جهد ثقافى لإيجاد وعى جديد يسلم بأن التغيرات التقنية من جهة والاجتماعية من جهة أخرى تفرض التغيير حتى فى أمثالنا وحكمنا . . فهى ليست ثابته ولايجوز أن ننظر اليها كذلك ، صحيح أن بعضها يمكن قبوله اليوم ، لا لأنه حكمة قديمة ومثال سائر ، ولكن لأنه مازال ينطبق على الخبرة الانسانية اليوم ، ويمكنه أن يتوامم مع مجريات الحياة والواقع ، كقولنا مثلا : « الخطأ زاد العَجول » أو كقولنا : « رب أخ لك لم تلده أمك » أو « أعط القوس باريها » أو « أسمع جعجعة ولا أرى طِحنا » أو « السيفان لا يجتمعان فى قراب واحد » أو « ما ضاع حق وراءه مطالب » . . . الخ . أما بعضها الآخر الذى لا يتناسب مع حقائق العصر فلابد من اعادة النظر فيه .

تجربة خلاص الأمم من الموروث الجامد المعطل للتغيير تقول لنا ان هذا الخلاص يبدأ بخطوة أولية ومهمة هى نقد الموروث وبيان سلبياته ، والاعتراف بأن بعض هذا الموروث من « أمثال وحكم » لم تعد ملائمة فى عالم اليوم .

فمع التقدم المتزايد فى الوعى وادراك حقائق العلم والحياة والمجتمع فإننا نحس بالارتباك والقصور والتقصير فيما لو حبسنا تجربتنا فى اطار تجارب

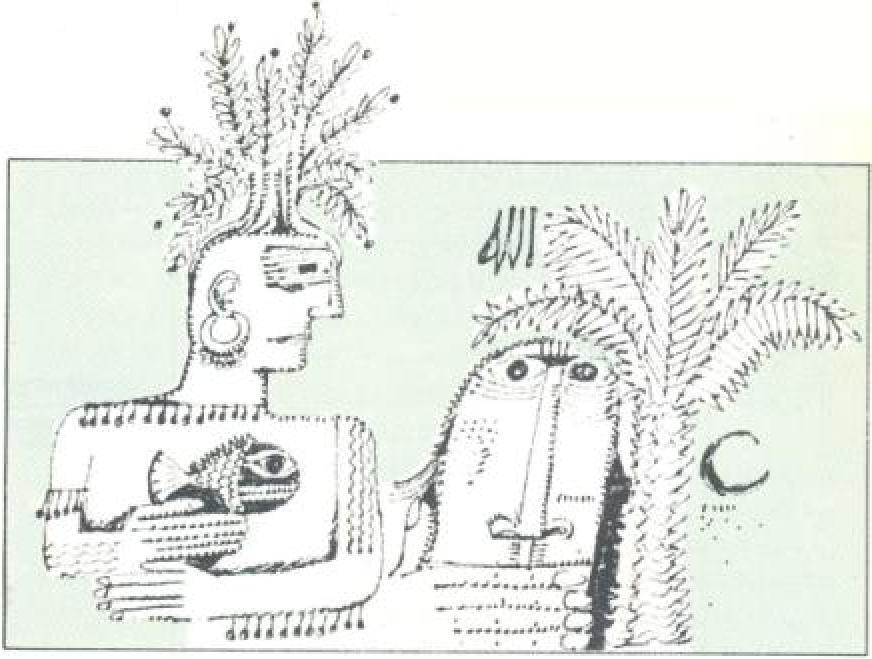

الآخرين وخبراتهم الخاصة فى زمان وظروف كانت لصيقة بهم . ومن خلال اعمال النقد واخضاع الحكم والأمثال لمحكات الواقع فإننا لا نفتأ نكتشف فداحة الخطأ الذى نقع فيه عندما نؤسس احكامنا فى قضايا كثيرة على خبرة الآخرين ، أو على حكم وأمثال موروثة منقولة من الماضى ، واغفال الخطأ فى هذا الموروث يورث أخطاء أخرى للأبناء أيضا ، مما يتراكم ويزيد من الاخطاء التى قد تعطل مسيرة الأحفاد وتدخلهم فى نطاق المقلدين بدلا من أن يكونوا مبتكرين .

الحالة الذهنية لعصرنا هى حالة صراع وشد وجذب تتسابق فيها الأمم للوصول الى التقدم من أجل سعادة الانسان ، هذه الحالة تحتم علينا نقد الموروث وتحديد سلطانه علينا حيث يقف البعض بعناد فى وجه كل تغيير مما يجعل الاصلاح المنشود فى مثل هذا الموقف هو اصلاح للماضى لا اصلاح للمستقبل الذى يطرق أبوابنا ويتحدانا ويطالبنا بالتأهب له .

قد يرى البعض أن العودة الى الماضى والتشبث به تعنى جزئيا هروبا سهلا ومريحا من مواجهة الحاضر والمستقبل ، وبمعنى آخر التوجه الى بساطة الثقافة الماضية هروبا من مواجهة تعقد الثقافة المعاصرة ، لذلك يبدو لنا أن التشبث بتجارب الماضي المحدودة في طبيعتها هو في حقيقة الامر حركة تقليص واسترخاء تريد تجميد حدود التجربة الانسانية .. ولكن الحقيقة الظاهرة للعيان أن التجربة الانسانية تتسع كل يوم ، بل كل ساعة ..

الخط الفاصل بين الفهم « لإحياء الموروث » وبين « تجاوزه » تكمن

فى فهمنا الواضح بأن صلب القضية لا يقوم على احياء تجارب السابقين كى نقلدهم ، بل يقوم على الاستفادة من تجاربهم حتى نبدع واقعنا وحياتنا تماما كما صاغوا هم تجاربهم وحياتهم حسب واقعهم . القضية بشكل آخر هى ألا نتبلد ولكن أن نتصرف مثلهم فى ظل ظروف اقتصادية وسياسية وتقنية واجتماعية متغيرة .

الأمثال بين الحكمة والتجارب :

☐ عادة ما تصنف الأمثال السيارة - سواء كانت مصوغة بلغة عربية أو بلهجة محلية فى شتى أقطارنا العربية - على أنها صنفان :

صنف يحمل الحكمة ، وصنف آخر مبنى على حوادث وقعت لأشخاص حقيقيين أو متخيلين فى مجمل الموروث الشعبى . ومن هنا تنبع ضرورة اعادة النظر فى مثل هذه الأمثال ، فإن كانت من النوع الاول ، أى الحكمة ، وجب قياسها على تجربات الحياة والواقع ، فإن وجدنا انها ما زالت تملك صلاحيتها وصحتها وتخدم البشر فى حاضرهم . . فإن ذلك أدعى الى التمسك بها والأخذ بمضمونها ، والا أعيد النظر فيها ، اما اذا كان المثل نابعا من تجربة شخصية ، فلا بد من قراءة تلك التجربة واستنطاق الجوهرى فيها واقتباس ما يمكن أن يغنى حياتنا ويضيف اليها . ولقد أقنعتنا دراسات أمثال الشعوب وحكمها بأن لها علاقة بالروح العام للشعب في مراحل معينة ، فإن نبعت الأمثال فى مرحلة انتصار وثقة بالنفس انتشرت الأمثال المجسدة لذلك التوجه ، وان كانت الشعوب فى مراحل تقهقر وانحسار انتشرت بينها الأمثال والحكم المتقاعسة والمفضية الى التقوقع وترك ما لقيصر لقيصر .

ولعل هذه القضية قد خبرناها نحن العرب فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة من هذا القرن على أقل تقدير . فعندما كانت حركة التحرير العربية سائرة فى طريقها الصاعد تكسب المعارك مع الأجنبى ، كان فهمنا لأنفسنا من خلال ما نطلقه من حكم وأمثال يتوافق مع طبيعة المرحلة ويستجيب لها ، ولكن فى مرحلة أخرى وأحسبها الخمس عشرة سنة الماضية نجد أن أمثالا وحكما وتعابير شعبية مصورة للتخاذل ، هى التى انتشرت فى بيئة التراجع والانحسار .

وقد يساق المثل دون ذكر صاحبه فيوصف بأنه قول كثيرين ، وقد يكون من أطلقه فردا واحدا امتاز بالفطنة وفهم الواقع واستخلصه من تجربته وتجارب غيره ، مما يرجح احتسابه ضمن ما يمكن ان يعبر عن شعور الجماعة واحساسها وخبراتها .

اللغة والالفاظ :

☐ دراسة الأمثال - بجانب كونها مصدرا مهما لدراسة الحياة العقلية والحضارية للأمة - مصدر آخر لدراسة تطور اللغة وانتقال دلالات الالفاظ ، فبعض الألفاظ والجمل اليوم تعنى لنا شيئا محددا ولكنها فى وقت

مضى كانت تعنى شيئا آخر كالقول : « ثلاثة لا يستشارون : معلم الصبيان وراعى الجديان ـ صغار الماعز ـ ومجالس النسوان » . ومعلم الصبيان على سبيل المثال كان ساقط العدالة ولا تقبل شهادته فى رأى بعض فقهاء المذهب الحنفى قديما ، أما معلم (الصبيان) الآن فهو كغيره من المواطنين له حقوقه وواجباته ويؤدى رسالة وواجبا وطنيا يستوجب لقاءهما كل تقدير واحترام . واذا نظرنا الى أمثالنا العربية حسب هذا المنظور فاننا نحصل على دليل آخر على قدرة لغتنا العربية على التطور والمرونة التى استمرت بها لغة حية كل هذه القرون الطويلة .

لقد كثرت فى لغتنا العربية الأمثال التى تذم الجبن والبخل والغدر وغير ذلك من الصفات السلبية ، كما كثرت الأمثال التى تمجد الشجاعة والكرم والحكم والعقل والوفاء والعفة . . الخ من القيم الاجتماعية الايجابية مثل : « الصدق أنجى » ، « من لم يعلم لم يسلم » ، « دولة الجاهل عبرة العاقل » « الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل » . . . الخ ، ولكننا نجد أمثالا تأخذ مسارا عكسيا ـ ولو أنها قليلة ـ فتذم القيم الايجابية وتعظم القيم السلبية مثل : « الكذب ملح الرجال » ، أو كما ورد في بداية هذا المقال : « أحب أهل الكلب إليه خانقه » ، « أو العين لا تقاوم المخرز » ، ولقد كان ذلك مدخلا لبعض المستشرقين للطعن في الحضارة العربية .

كما أن المرأة نالها نصيب الأسد في الحط من شأنها من خلال بعض الأمثال العربية مثل : « أجهل من امرأة » ، أو « من كانت تجارته نسوان فهو الى خسران مهما طال الزمان » ، أو « ثلاث لا أمان لهم : المال ولو كثر ، والسلطان ولو قرب ، والمرأة ولو طالت عشرتها » ، أو المثل الذى سبق ذكره ، وبدايته « ثلاثة لا يستشارون ..الخ »

ويأخذ البعض كل ذلك كأنه أمر مسلم به على دونية وضع المرأة عند العرب ، كما أن البعض الآخر يأخذ على الأمثال العربية صيغة المبالغة الظاهرة ، كما ان المثالية المطلقة البعيدة عن الواقعية هي أيضا احد المآخذ الأخرى .

الامثال تفشى اسرارا كثيرة عن عقلية الشعوب ومجريات حياتها ، وتحدد الوضع الاقتصادي والاجتماعى لشرائحها المتعددة ، كما تسجل حكمتها واعتزازها بنفسها من جهة ، وسلبيتها واستسلامها من جهة أخرى . وبما أنها نابعة ومعبرة عن مجموعة عريضة من الناس ولا تعبر عن النخبة فقط كما هي في حال الشعر أو النثر أو أية فنون أخرى ، لذلك فإنها اقرب الى التعبير عن المجتمع بكل أفراده على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم .

محمد الرميحي

الصناعات الثقافية بين سلطاننا عليها وسلطانها علينا

بقلم : الدكتور عبدالله عبدالدايم

مع بداية العقد الماضى توقف المثقفون ليتساءلوا عن مصير الثقافة ، مادة نشاطهم الأساسية فى زمن السيطرة شبه التامة للتقنيات الحديثة ، فقد ظهر الى الوجود مصطلح « الصناعات الثقافية » وحققت الآلة انتصارا على أرض جديدة .

فى هذا المقال خروج من دائرة الحذر الى دائرة البحث وطرح الأسئلة ووضع التصورات .

الصناعة ـ التى أخذت تكف عن أن تكون مجرد صناعة ، وذلك بعدالانتقال الى مرحلة الثورة الصناعية الثانية أو الموجة الثالثة (توفلر) أو مرحلة ما بعد الصناعة ، تزحف مغذة الخطا الى جوانب شتى من حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، دون أن نتبين فى كثير من الأحيان أبعاد ذلك الزحف ونتائجه ، ودون أن ندرك بوضوح أصنيع هو أم مجرد تحويل لكل ما فى الحياة الى لغة الآلة وحركة الدمى .

الصناعات التربوية :

منذ عقود قليلة من السنوات ذاع وشاع مصطلح « الصناعة التربوية » ، وحملت بعض الكتب والدراسات هذا العنوان الذى بدا مفاجئا ، وقبل عن

التربية ونظامها أنها صناعة كبرى . وتحدث المخططون الاقتصاديون ومن بعدهم المخططون التربويون عن العائدات الاقتصادية لتلك الصناعة، وعن « مدخلاتها » « ومخرجاتها » وعن « مردودها الداخلى » « ومردودها الخارجى » وعن الهدر والضياع فيها . وجربوا فى الجملة أن يكون شأنهم معها شأن من يحلل واحدة من كبريات الصناعات ، تحليلا يدخل الى التربية للمرة الأولى أساليب الدراسة الصناعية ومناهج البحث الاقتصادى . ثم كانت ردة وكانت تلك الموجة الثانية التى بينت حدود مثل هذه المقاربة ـ وأعيدت الى التربية بعض أساليبها الذاتية فى البحث والتقويم،ووقف القوم عند أهمية الجوانب النوعية فى التربية ، وحملوا على التحليل الكمى المحض ، وعلى الاسقاطات الرياضية الخالصة ، وانتهوا الى موقف متوازن فى أمر التخطيط التربوى ، وبينوا حدود القول بمعالجة التربية جملة معالجة صناعة من الصناعات . على انه« صناعة التربية »أو « الصناعة فى التربية » شقت طريقها على أية حال فى بعض المجالات الخاصة بوسائل التربية وطرائقها ، وبالادارة التربوية والأبنية المدرسية وسوى ذلك . وظهرت « تقنية التربية » وما يتبعها من استخدام الوسائل السمعية البصرية ، واستخدام الحاسبات الالكترونية . وانتشرت الطرق الحديثة فى الادارة والتسيير ، واستخدمت فى ميدان التربية كما استخدمت فى سواه . وههنا أيضا ظهر تطور وتعديل ، وقام فى نهاية الأمر توازن جديد وذلك حين فرق القوم بين « التقنية فى التربية » أى ادخال الآلة الى التربية ، وبين « تقنية التربية » أى ادخال التقنيات الحديثة فى التربية سواء تمت عن طريق الآلة أو بدونها .

الثقافة والغزو التقنى :

غير أن ثمة مجالا آخر هاما خالطته الصناعة وكادت تسيطر عليه فى غفلة من الناس ، هو ميدان الثقافة ، حيث غدونا أمام دمج مولد محدث بين الصناعة والثقافة،أين منه المعنى الذى قصد اليه أبو هلال العسكرى فى كتابه « كتاب الصناعتين » ورغم أن غزو الصناعة للثقافة ظاهرة تجأر أمام الأعين ، فان تحليل نتائجها السلبية والايجابية لم يلق بعد كل ما يستحقه من أهتمام ، لاسيما فى بلداننا العربية . صحيح أن منتجات الصناعة والتقنية تنسل الى حياتنا كلها ، وتدخل حمانا دون استئذان وتجعلنا نحيا فى كل شىء حياة المجتمع المستهلك،لما تقذفه به عجلة التقنية المخيفة . وصحيح أن لهذا الغزو الشامل مخاطره التى تستلزم منا الكثير من التحليل والتدبير . غير أن غزو الصناعة والتقنية الثقافية يظل أدهى وأمر ، ونتائجه الايجابية والسلبية لابد أن تدرس دراسة دقيقة ، اذا نحن أردنا حفاظا على ذاتنا وهويتنا الثقافية ، واذا نحن عزمنا على أن يكون لنا فى صنع مستقبلنا شأن ونصيب .

الصناعات الثقافية والوسائل التقليدية

ومن هنا نسائل أول ما نسائل : ما هي تلك« الصناعات الثقافية » وما أمرها ؟ أما المصطلح فقد ظهر منذ عام ١٩٤٧ ، على يد باحثين ألمانيين هما« أدورنو » و« هوركايمر » غير أنه لم يثر اهتمام الباحثين ، الى أن جدد صاحباه الاشارة اليه ، والى أهمية الصناعات الثقافية ، وذلك عام ١٩٧٢ .

والحق أن هذا العناد - عناد المسؤولين وأولي القلم والفن فيما يتصل بالشأن القمين بهذا المصطلح الجديد ومضمونه - ظاهرة مازالت تثير الدهشة حتى اليوم . وهي في الحق وراء ما دفعنا الى كتابة هذه الكلمة . فما يزال مخططو الثقافة وواضعو السياسة الثقافية في كثير من بلدان العالم ، يحسبون أن التخطيط لها يتم عن طريق مجرد العناية بمؤسساتها الرسمية وحدها ، من وزارات للثقافة أو مراكز ثقافية أو مؤسسات حكومية تعنى بجوانب الثقافة المختلفة من أدب وفكر وفن . ومازالت السياسات الثقافية المرسومة من قبل الكثرة من الدول تعمل كأن شيئا لم يكن ، متناسية ذلك الخضم الزاخر من النتاج الثقافي الذي يصل الى الملايين ، عن طريق صناعة الكتاب والتلفزيون والمذياع والسينما والفيديو . لقد أحصى أحدهم عدد الذين استمعوا الى السيمفونية التاسعة لبتهوفن التي أدتها اوركسترا برلين خلال شهر شباط / فبراير عام ١٩٧٨ ، فوجد أنهم بلغوا ١٢٠ مليون مستمع في أوروبا وحدها . فكم عدد الملايين الذين شاهدوا ويشاهدون ذلك المسلسل التلفزيوني الأميركي« دالاس » ومن بعده المسلسل « ديناستي » ؟ أي خطة ثقافية رسمية تستطيع أن تضاهي هذا السيل العرم من مبدعات الأدب والفكر والفن الذي تقذف به ملايين الملايين من الاسطوانات الموسيقية ، ومن أشرطة التسجيل ، ومن كتب الجيب ، والكتب الجماهيرية ، ومن الأفلام السينمائية ، ومن برامج التلفزيون والاذاعة ؟ وأين الناشئة من هذا كله ، وأين الأهداف الثقافية القومية والوطنية ، وأين جهد القلة الذي تقوم به المدرسة البائسة ، أمام هذه « المدرسة الموازية » الكبرى ، مدرسة وسائل الثقافة الجماهيرية التي تكمن وراءها الصناعات الثقافية بكل ما تحمله من أغراض اقتصادية وسياسية وأحيانا ثقافية ؟ حقا اننا في كل هذا مانزال نواجه عصر الصناعة والتقنية بصناعاتنا الحرفية اليدوية ، ونعمل بالمطرقة والسندان حين يعمل القوم بالألكترون والمعلوماتية !

بعض المكتسبات

ولكي ندرك أن المسألة في حاجة الى تحليل سديد قبل أي خطة توضع لمعالجتها ، لنتبين بعض العوامل التي رافقت دخول الصناعات الثقافية الى عالمنا ، وبعض سماتها الواقعية التي جعلت منها بالتالي قدرا لا يتغير بجرة قلم ، بل بخطة كاملة مقابلة :

١ - ديمقراطية الثقافة وايصالها الى الكثرة الكاثرة من الجماهير كانت ومازال هدف السياسات الثقافية في بلدان العالم . هذا الهدف تحققه الصناعات الثقافية ، على شاكلتها ، على أوسع نطاق ممكن . حسبنا دليلا على ذلك أن نرى العدد المحدود من الأشخاص الذين يرتادون المسارح ، المسارح التي أنشأتها الدولة ، أو المسارح الخاصة ، في مقابل العدد الضخم لأولئك الذين يشاهدون المسرحيات التي تعرض عن طريق التلفزيون . لقد بين احصاء حديث أن ٦٠٪ من السكان في بولونيا وفي بريطانيا يشاهدون في منازلهم مسرحيات من طراز رفيع ، بينما لا يعدو عدد الذين يحضرون مسرحية من المسرحيات في دور المسارح أكثر من ١٥٪ من السكان في العالم كله على أفضل تقدير . وقل مثل هذا في المبدعات الثقافية الأخرى .

٢ - واذا هجرنا الجانب الكمي الذي قد لا يشفي تطلعات المحللين في هذا الميدان ، ونظرنا الى الجانب النوعي الكيفي ، ألفينا أيضا أن الغلبة ههنا في كثير من الأحيان للصناعات الثقافية ولوسائل الثقافة الجماهيرية . فلقد بين تحليل السياسات الثقافية في عدد من البلدان أن الجهود الثقافية التي بذلت وتبذل من قبل المؤسسات الرسمية لنقل الرسالة الثقافية في شكلها الرفيع ، لاتلقى ما تستحقه من تجاوب لدى

الجماهير ، بل تلقى الكثير من المقاومة ، ولاسيما لدى القطاعات الشعبية من الجماهير (وهو القطاع الذى تتجه اليه نظريا) فى حين أن هذه القطاعات الشعبية والجماهيرية عامة تتلقى بكثير من الانفتاح الرسالة المتصلة بأنماط الحياة وبالاستهلاك والادب والفن وسوى ذلك ، تلك الرسالة التى تقدمها لها وسائل البث الجماهيرية ، والتى هى فى غالب الأمر رسالة مجلوبة دخيلة .

٣ ـ من الأمور التى غدت معروفة أن المسارح وقاعات الاوبرا والموسيقا تعانى من أزمة أهم جوانبها الأزمة الاقتصادية . ان تكاليفها بوجيز العبارة تفوق دخلها ، والمساعدات الكريمة التى تقدم لها لا تسد هذا العجز غالبا ، ومن هنا تبدو الاستعانة بالصناعات الثقافية أمرا محتوما من أجل معالجة هذه الأزمة : فعن طريق التزاوج بين هذه المسارح والدور وبين التلفزيون يمكن مثلا تحقيق ربح كبير للاولى ، كما يمكن ايصال نتاجها الى أكبر عدد ممكن من المشاهدين .

العجز عن تحقيق اللامركزية

٤ ـ ويتخذ مثل هذا التدبير شأنا خاصا ، اذا ذكرنا أزمة أخرى مرافقة تعانى منها المسارح والدور الموسيقية الفنية ، نعنى العجز عن تحقيق اللامركزية ، أى العجز عن تقديم نتاج رفيع من المسرحيات ومن القطع الغنائية والفلوكلورية والمعارض الفنية وسواها ، الى جماهير المناطق البعيدة عن العاصمة أو عن المدن الكبرى . الأمر الذى يقيم تفاوتا نوعيا كبيرا بين مستوى العطاء المسرحى فى العواصم ، ومستوى العطاء المسرحى الذى يمكن أن تقدمه فرق محلية ، لاسيما أن عدد الفنيين المؤهلين العاملين فى هذا القطاع لا يكاد يكفى لسد حاجاته فى العاصمة ، بله الأرياف والقرى . هنا تهرع الصناعات الثقافية ، ومرة أخرى لتقدم خدماتها ولتأتى بالحل : **تعميم النتاج المسرحى والغنائى الفلوكلورى وسواه . وتقديم مستوى واحد منه للقاصى والدانى ،** بفضل بثه عن طريق التلفزيون أو سواه من وسائل الصورة المرئية .

٥ ـ والفنانون ـ بعد ذلك بل قبل ذلك ـ العاملون فى شتى ميادين الانتاج الفنى ، يجدون لانفسهم ويجد المجتمع لهم بعد ذيوع الصناعات الثقافية ، مكانة لم تقيض لهم من قبل ، يوم كانت النظرة الى الفنان هى الى حد بعيد النظرة الى مبدع حسبه جزاء وعطاء ان ينشر ابداعه وأن يعرفه الناس ، ويوم كان الناس يرددون قول من قال « أكل العلماء خبز وماء » . وحتى اذا جاوزنا هذه النظرة التى قد تكون مغالية يظل من الصحيح أن الابداع الثقافى ظل ردحا من الزمن وما يزال عملا لايقدر حق قدره ولايمنح قيمته الحقيقية ، شأنه شأن النفط خلال عقود طويلة من هذا القرن (حتى عام ١٩٧٣) كما بين ذلك « جان سرفان شريبر » فى كتابه « التحدى العالمى » . وبفضل الصناعات الثقافية ووسائل الثقافة الجماهيرية أخذ الفنان يحتل مكانته المعنوية وينتزع حقوقه المادية وغدا منتجا يقوّم انتاجه كما يقوّم أى انتاج ، بل يربو انتاجه عطاء وأجرا على كثير من ضروب الانتاج المادية .

٦ ـ وما دمنا نتحدث عن شهرة الفنان وصيته يوم كانا طعامه وشرابه ، لنذكر أن الصناعات الثقافية قدمت أيضا لتلك الشهرة وهذا الصيت مرتعا جديدا ، مرتعا عالميا ممرعا . فبفضلها أخذت شهرة المبدعين الثقافيين تخترق الحدود .

وغدت سوق المبدع المعنوية والمادية سوقا عالمية . ولاتقدم الصناعات الثقافية بذلك عونا وشأنا للمبدع الثقافى نفسه فقط ، بل تفسح المجال أيضا عن طريقه لانتشار الثقافات القومية الخاصة انتشارا عالميا ، وتتيح لكل أمة أن تشع بثقافتها ، وأن تعقد حوارا دائما مع الثقافات الأخرى .

مخاطر ومزالق :

هذه الظواهر المختلفة التى أتينا على ذكرها أشرنا اليها لا من أجل أن نرفع من شأن الصناعات الثقافية ونبرئها من الآفات والعلل ، بل لعلنا حين عرضنا بعض الأسباب والنتائج التى رافقت ظهور الصناعات الثقافية قد أومأنا ـ دون أن نفصح ـ الى المخاطر الثاوية فى قلب تلك الأسباب والنتائج . فجوانب القوة التى

وصفنا بها الصناعات الثقافية هي في الوقت نفسه مصدر خطرها وخطورتها . انها تبين أننا أمام ظاهرة لاتغالب بيسر ولا يجدى أمامها العمل الحرق البطىء العتيق للمؤسسات الثقافية التقليدية ولاسيما الرسمية . بل ان كل ماذكرنا من جوانب القدرة التى تملكها الوسائل الثقافية الجماهيرية تشير ـ من حيث ندرك أو لاندرك ـ الى ما وراءها من قدرة اقتصادية هائلة تغذيها ، تلتقى فى النهاية ، ككل قوة اقتصادية مع مصالح الشركات الكبرى ، ومع اغراض الشركات المتعددة الجنسية ، كما تلتقى مع أغراض بعض الدول الكبرى وسياستها الثقافية ، التى تكون جزءا لا يتجزأ من سياستها العامة .

والحق أن وسائل الثقافة الجماهيرية ، وما وراءها من صناعات ثقافية تخفى وراءها ما تخفى من أهداف اقتصادية وسياسية ، تقع بين قطبى الرحى ، أو هى فى منزلة واصلت بين عالمين : أولهما عالم الخلق والابداع الذى تطور وتغير ولم يعد صنيع الفرد أو الأفراد ، بل أصبح نتاجا يسهم فيه الكثيرون ممن يعرفون الميدان وممن لا يعرفون ، والذى ظل ـ مع ذلك ورغم ذلك ـ الصلة الأساسية بين المبدع والمشاهد . وثانيهما عالم النشر الواسع والاستنساخ والتكثير والبث الجماهيرى ، الذى يتطور تطورا مذهلا بفضل الوسائل التقنية ، وهو عالم تتولاه وتسوس أمره الشركات والمؤسسات الاقتصادية التى تستطيع بفضله أن تصل الى ملايين الناس . **وهذا الزواج السعيد القلق بين الابداع ونشر الابداع ، هو الذى أتاح فى شتى العصور انبجاس الفن فى المجتمع . غير أن العلاقة تطورت تطورا جذريا فى العقود الأخيرة** ، وأصبحت سيطرة النشر على الابداع سيطرة لا تخلو من مخاطر كبرى ان لم نضبط أمرها ، وأصبح الابداع بسبب ذلك أمام قيود وحدود وسدود ، تهدده حتى فى جوهره الذى هو الابداع المتحرر من اختيار المتاجرين به .

ومن هنا لاحاجة الى القول ، ان الصناعات الثقافية ، ليست عملا حياديا ، بل هى محملة فى النهاية بأيديولوجية معينة ، مادامت مرتبطة بجملة النظام الاقتصادي والاجتماعى الذى ينتجها ، وما دامت تحمل معها طراز الحياة ، بل النمط الثقافى للبلد الذى ينتجها . حتى ليصح هنا أن نعيد ما قاله بعض المربين عن نظام التربية حين رأوا فيه مجرد أداة للحفاظ على قيم المجتمع الذى خلقه ، وبالتالى لاعادة توليد النظام الاجتماعى نفسه .

وهكذا يصح أن نقول ان **الثقافة التى تنقلها أدوات الثقافة الجماهيرية فى الغرب خاصة ، ثقافة تهدف عن قصد أو غير قصد الى اعادة توليد النمط الثقافى (بالمعنى الواسع) للبلدان التى انتجتها ، أو الى توليده من جديد فى البلدان الأخرى .**

سيطرة النموذج الاميركى :

ولسنا هنا فى معرض الحديث عن الغربة الثقافية والاستلاب الثقافى ، وحسبنا فى هذا المقام أن نشير عابرين الى ما شكت منه البلدان المتقدمة نفسها من سيطرة النموذج الثقافى الأميركي . حسبنا أن نرد من أحبَّ الزيادة الى ذلك الكتاب الخطير الذى صدر منذ عامين عن « غزو العقول » وفيه يشير صاحبه ايف أود

الى الطاقة التصديرية للولايات المتحدة فى ميدان الثقافة ، ويبين كيف يصدر هذا البلد ذاته وكيف يبغى « أمركة العالم » وكيف يرتبط لديه فى هذا المجال السلطان الثقافى والسلطان السياسى . بل يذهب الى أبعد من هذا حين يشير الى الدور الثقافى لجهاز المخابرات المركزية الأميركية ، والى ارتباط هذا الدور السياسى فى العالم . كما أنه يشير فيما يشير الى مقاومة الولايات المتحدة لأى جهد دولي فى سبيل اقامة نظام عالمى ثقافى واعلامى جديد ، ابقاء على سيطرتها الوحيدة الواحدة . على أننا حتى اذا تناسينا هذا الدور السياسى للغزو الثقافى الأميركى لابد مدركون ما في هذا الدور من تنميط واحد للثقافة العالمية ، ومن تشكيل لها على غرار النموذج الأميركى وحده ، ومن تسطيح للثقافات كما قيل . بحيث لاتكون هنالك ثقافات متعددة تتحاور وتتفاعل ، بل تكون ثقافة واحدة وحيدة تعدو نحوها سائر الشعوب .

أين السبيل؟

هذا كله قليل من كثير فى موضوع لاتجزىء فيه هذه العجالة ولاهو قصدنا هنا . والقصد عندنا أن نرى وراء هذا كله وأمام تحدى الصناعات الثقافية وماخلفها ، ما العمل والى أين السبيل ؟

لقد كان أحد أغراض هذا البحث أن نبين أن سفينة الصناعات الثقافية قد أبحرت ، وأنها رحلت وفتحت وغزت . والتقنية الثقافية شأن التقنية كلها لا تقاوم اذن برفضها وانكارها . ولاسيما أن لها دوما جوانبها الايجابية الكبرى ، فضلا عن أنها أغذت فى السير ، وأوغلت فى اعماق حياة المجتمعات فى كل مصر ، وموقفنا منها هو موقفنا من التقنية جملة : أن نمتلكها وأن نضبطها ضبطا نستقيه من ثقافتنا وقيمنا ومشروعنا الحضارى الموعود .

وهذا المطلب الكبير يستلزم فى نظرنا أمورا عدة أهمها :

١ ـ لابد أن نشارك فى الصناعات الثقافية ، أي لابد أن يكون فى صلب سياستنا التربوية أن نصنع برامجنا الثقافية المتميزة فى شتى ميادين الثقافة من أدب وفكر وفن ، وأن ننتجها ونبثها بوسائل البث الجماهيرية الشائعة (من تلفزيون وأفلام وأشرطة تسجيل وحاسبات الكترونية وكتاب وسوى ذلك) وأن تكون لنا مؤسساتنا الاقتصادية التى تيسر هذا الانتاج ، والبث على أكبر نطاق ممكن محليا واقليميا وعالميا .

٢ ـ غير أن هذه المهمة ـ مهمة انشاء صناعات ثقافية خاصة بنا ـ جهد ثقافى واقتصادى لايقوى عليه أى بلد عربى منفردا ، ولابد فيه من **اجتماع القدرات والطاقات العربية البشرية والمالية** . وهنا أيضا نلمس جانبا من جوانب التكامل والتكافل العربى الذى هو سبيلنا اللازب المحتوم لاى تقدم حضارى ننشده .

٣ ـ هذا العمل العربى المشترك من أجل انشاء صناعات ثقافية تحمل طابع الثقافة العربية ومرتجياتها ، يحتاج بدوره الى اتفاق الرأى حول معالم ومقومات المشروع الثقافى والحضارى العربى المنشود . وفى رأينا أن البلدان العربية تشهد مخاضا فكريا يشير الى أن بواكير مثل هذا المشروع الحضارى قد آذنت بالظهور .

٤ ـ **من المطالب الرئيسية ، عند بناء هذه الصناعات الثقافية ، ان تكون أداة لتوليد حرية المبدع والمنتج العربى ، لاطلاق المجال للابداع من أجل أن يعبر** عن أصالة الوجود العربى وسماته الذاتية . ويعنى هذا الا تخضع هذه الصناعات الثقافية لسيطرة الحكومات ، بل ان تكون مؤسسات ثقافية مستقلة ، لها جهازها المستقل المتخصص والمعبر عن تطلعات الثقافة العربية . وهذا لايعنى الا تخضع هذه المؤسسات الثقافية المستقلة للاتجاهات الكبرى للحكومات ، بل يعنى أن تترك لها الحرية فى ترجمة تلك التوجهات ترجمة عملية ثقافية مبدعة .

٥ ـ وكخطوات أولى على الدرب يمكن أن يقوم **تعاون بين بعض المؤسسات الثقافية التقليدية ، حكومية كانت أو شعبية ، وبين وسائل الثقافة الجماهيرية** وعلى رأسها التلفزيون والمذياع والسينما والكتاب ، من أجل إغناء الجانبين ، تعنى المؤسسات الثقافية التقليدية ووسائل الثقافة الجماهيرية ، ومن أجل التفاعل بينها تفاعلا خلاقا ومجديا ، يؤدى الى حل أزمات المؤسسات الثقافية التقليدية ، كما سبق

أن أشرنا ، والى تصحيح مسيرة وسائل الثقافة الجماهيرية .

ومن الأمثلة المفيدة التي قامت من أجل التعاون بين الدولة وبين المؤسسات المعنية بالصناعات الثقافية ، ما حدث في فرنسا خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٤ ، حين أصدر وزير الثقافة الفرنسي قرارا يقضي بانشاء معهد تمويل السينما والصناعات الثقافية ، وهو قرار جدير بالدراسة والتمحيص .

وبعد .. لايتسع المجال للحديث عن سائر أبعاد هذه المسألة وهي كثيرة . وحسبنا أننا حاولنا الاشارة اشارة برقية خاطفة الى مسألة كثيرا ما تلوكها الألسن ، وقلما تتجاوز اللسان الى الاذهان والاعيان .. مسألة الصناعات الثقافية وموقف البلاد العربية تجاهها .

وفي ظننا أن هذه المسألة جديرة بأن يتريث عندها الباحثون العرب وان يولوها شأنا خاصا . ولاشك أن القائمين على وضع الاستراتيجية الثقافة للبلاد العربية (الكويت والمنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم) معنيون بهذا الأمر عناية خاصة ، لعل هذه الاستراتيجية تقدم لنا بعض الرؤى الجديدة وترسم بعض الخطوات الأولى في هذا المجال . ومن البوادر الجيدة ما تم أخيرا من تعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واليونسكو والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعيةمن أجل القيام بمشروع حول الصناعات التربوية .. غير أن ماهو أهم وأبعد أثرا وأشد الحافا أن يقوم مشروع مماثل من أجل انتاج الصناعات الثقافية .

المشروع الحضاري العربي

والحق أن حديثنا عن الصناعات الثقافية وضرورة وعينا لها كيما نضعها في الاطار السليم من حياتنا ، يصدر عن اقتناع أشمل لدينا ، قوامه أن الحضارة الجديدة التي نطمح الى بنائها لا يمكن أن يتم وضع مشروعها إلا اذا كان أحد العناصر الأساسية في العمل له وفي بنائه أن نعي عصرنا وندرك التغيرات الكبرى التي تحدث فيه ، وأن تجري بعد ذلك التفاعل العضوي اللازم بين وعي هذا العصر من جهة ، وبين وعي ذاتنا وتراثنا وواقعنا من جهة ثانية ، بالاضافة الى وعي مستقبلنا ومستقبل العالم .

ولانظلم أنفسنا إن قلنا اننا في كثير من الميادين ـ ومن بينها ميدان الثقافة ـ مانزال نعمل كأن شيئا لم يكن ، جاهلين أو متجاهلين الحركة المائجة الهائجة للعصر وللعلم والتقنية ، ضامنين أن الأصالة هي في مجرد العودة الى ذاتنا ، والتقوقع حولها غير آمنين ولامطمئنين ، بدلا من أن نفهم الأصالة مركبا كيماويا جديدا يخرج من لقاء الذات مع السوى،من لقاء « الأنا » تراثا وواقعا مع العصر بتغيراته المذهلة ومكاسبه ومثالبه . أجل .. الأصالة عندنا هي في أصالة عملية البناء الجديد ، أي أن نصنع بناءنا بأيدينا وإن تكن مواد هذا البناء متعددة المظان .

رسالة العرب الحضارية

ونرى لزاما علينا في خاتمة هذه الكلمة أن نذكر بأهمية هذا الجهد الشامل الذي يتوجب القيام به ، جهد التأليف والتركيب بين ذاتنا وبين العصر ، وأن نذكر خاصة بأهمية هذا الجهد في ميدان الصناعات الثقافية . فالرسالة الثقافية المتميزة القومية والانسانية معا ، التي نقوى على بثها بفضل مثل هذه الصناعات الثقافية الذاتية المبتكرة ، هي خير لغة نخاطب بها العالم ، وخير ما يجعل لنا في حلبة السياسة الدولية نفسها دورا وشأنا . فالرسالة الثقافية بطبعها محملة بالقدرة على التسلل الى شغاف النفوس ، وقادرة على تحقيق انفتاح تلك النفوس على شؤون الأمة العربية وشجونها عن طريق انفتاحها على ثقافتها وحضارتها . والصناعات الثقافية تمدنا بطاقة هائلة في هذا الميدان ان نحن احسنا الافادة منها . عند ذلك يحمل الالكترون ويحمل الأثير عبر المساحات الشاسعة ووسط الملايين من الناس ، ما نحتاج الى مئات الأعوام ان نحن نقلناه بوسائلنا الحرفية التقليدية . أو ليس هذا من صلب عملنا لحضارتنا وتراثنا ؟ أو ليس السعي التقني والسعي لاستخدام الصناعة والآلة والتقنيات الحديثة من أجل تجديد دورنا الحضاري العالمي ، سعيا ينبغي أن نعتبره جزءا اساسيا من احترام حضارتنا وتراثنا ، فضلا عن بناء مستقبلنا الحضاري المرجو ؟ □

الى الشاعر أبي القاسم الشابي الطائر المحترق والـروح المتـوقـدة فى ذكـراه الخمـسين

ندخل العصر صقورًا

شعر : مصطفى أحمد النجار

وتر الشّعر بصدرى ما انقطعْ
يتغذّى مِنْ شذى الكونِ ويمضى للصغارِ
لحمامات النهارِ
لجيادٍ هدَّها القيدُ نشيدًا
ونشيدا
تعتريه الآن أو بعد غدٍ . .
مثلما الأمس كوابيسُ الدمارِ
ويُغنى تحتَ سكّينٍ وسكّينٍ عنيدا
يحسبونَه .
آه ماذا يحسبونه ؟
ظنّه الناسُ سعيدًا مسْتزيدا ؟
وتر الشعر بصدرى ما انقطعْ
غير أنَّ العمرَ يمضى بخطاهُ المسرعهْ
غير أنَّ الليلَ يشتدُّ فتهوي . .
فى قرارِ الحزنِ أشجارُ الحروفِ المترعة
غير أن الحزنَ لا يُبقي لنا . .
لطيور الشعرِ بيتا أو ظلالا . .
غيرَ قضبانٍ وصمتٍ
ونزيفٍ فى الحنايا الموجعهْ
وترُ الشعرِ بصدري ما انقطع . .
فتعال الآنَ أسمِعْكَ غنائي . .
أو فحيحَ المعمعة . .
ودعْ « العرافَ » . .
أحلام الوَدْعْ . .
وَنمْشى تحتَ وقعِ الريحِ
فالريح تدارى . .
حين نبقى . .
فارسين

التراث

بين الإحياء والإستلهام !

بقلم : الدكتور فهمي جدعان

هل هناك في التراث ثوابت حية نستطيع بعثها متى شئنا ، أم أن ما يمكننا فعله هو إحياءات زمنية لهذا العصر أو ذاك ؟ ان أجزاء من التراث تسقط على جنبات التاريخ وان ما يبقى منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً أو يعبر عن حاجة . ألا يجدر بنا الالتفات الى هذه الحقائق ونحن نبحث في وظيفة التراث ؟

يقتضي النظر في وظيفة التراث ، الالماع بادىء ذي بدء ، الى زاويتين للنظر ، هما طرفان متباعدان مترافعان : الأولى تعبر عن سلفية مطلقة ، والثانية تعبر عن ليبرالية لا تعرف حداً . الأولى تريد أن تقول إن حضارة متكاملة قد تشكلت وآتت ثمارها ، هي الحضارة العربية الاسلامية . وان هذه الحضارة ، بمضمونها التراثي ، ليست مجرد إنجازات عادية عارضة - على الرغم مما فيها من عارض - وإنما هي في صميمها « روح » ونمط في التفكير والفعل والعيش ، قد أثبتت ، بلا نزاع ، جدارتها ، وأنها خير حضارة أبدعها الإنسان .

والثانية تذهب إلى القول إن طاقات الإنسان الخلاقة قد عطلت في التراث السالف وفي « التقليد » ، وأن الإنسان لم ينته أمره عند الحدود التي انتهى إليها في العصور التي مضت والحقب التي درست ، وأن من الضروري ، ومن الممكن ، تفجير هذه الطاقات بعملية تجاوز كامل للماضي ، وبناء جديد للإنسان ، بتحريره من قيود القديم والتقليد ، وإطلاق قدراته الكامنة المبدعة كي يتسنى له تحقيق كل ما ينتظر منه مما لم يخطر في بال القدماء ولا في بال أحد .

١) إحياء التراث :

وإحياء التراث هو في الحقيقة صورة من صور تجسيد الفهم السلفي للتراث . وهو يعني أن معرفتنا

بوجودنا التاريخي ـ الثقافي هي معرفة غير مكتملة ، وأن بعث وجوه التراث المختلفة ، من مخطوطات ووثائق ونصوص ومبدعات فنية أو صنعية أو أثرية أو أدبية أو علمية ، من شأنه أن يوضح ويجلو صورتنا التاريخية ، وأن يساعدنا على تجسيدها في حياتنا الراهنة . وذلك يكون بـ « تثقف » هذا التراث وتتميم وجودنا به ، أي بتحويله إلى جوهر ثقافتنا وبنيتها الصميمية . بيد أن عملية التثقف هذه ، على الرغم من جهود الإحياء العظيمة التي بذلت ، قد ظلت فقيرة للغاية . فالأكاديميون المحترفون من قراء النصوص ومحققيها ينكبّون على إخراج النصوص والوثائق بلا كلل ، بيد أن الذين يمكن أن يفيدوا مما يخرج لا يدرون ماذا يختارون وماذا يدعون . لأن الأكاديميين لا يبينون لهم السبيل إلى ذلك . فهم يتعاملون مع مادة التراث على المستوى التقني الخالص . ويبدو أنهم لا يعتبرون أن لهم مهمة أخرى غير إخراج الوثائق على نحو يسلم من سهام النقد الجارحة التي يمكن أن يوجهها إلى عملهم النقاد الهواة أو المحترفون . ولعل لهذا الوضع سبباً آخر وجيهاً يعطيهم بعض الحق ويعذرهم ، وهو أنهم يشتغلون في « العلم » لا في « الثقافة » . وفي كل الأحوال تكون النتيجة الماثلة ، الغياب الصريح لحالة التثقيف العام ، و « تعطيل التراث » . ومعنى ذلك أن عملية « الأحياء » ليست عملية إحياء ، وأن الغاية التي من أجلها يراد بعث التراث بعيدة عن التحقق . ومع ذلك فان وسائل الاتصال الحديثة هي من التنوع والتعدد بحيث أننا نستطيع لو بذلنا الجهود المناسبة أن نوصل محتوى التراث الذي نبعثه إلى دوائر أوسع بكثير من دوائر الأكاديميين وتلامذتهم التي تكاد تكون مغلقة .

معيار إحياء التراث

وعوداً إلى أصل القضية لا بد من القول إن المقصود ليس أبداً النزول عند رغبة عشاق التراث، واخراج جميع الوثائق والنصوص إلى دائرة الضوء والنور الساطع . لا شك أن حفظها جميعها من الضياع والتشتت هو أمر لا يجوز التخاذل عنده . لكن عملية الإحياء الحقيقية ، أي نقل التراث إلى حالة « التثقف » العام ، ينبغي أن يكون لها شأن آخر . وهذا الشأن يكمن على وجه التحديد في القول إن معيار إحياء التراث الرئيسي هو استكمال العلم بالتراث ، وانه لا « يُبعث » إلا ما كان يضيف إلى علمنا بالتراث علماً جديداً ، وأنه لا « يبعث » إلا ما كان مفيداً ذا جدوى ، وأن ما يبعث لا يبعث إلا من أجل أن يتحول إلى حالة تثقيف عام . وبعد ذلك كله ليس لنا أن نتوهم إلا ما هو واقعي ، أي أن التراث « تاريخي » يعرفنا بصورة صانعيه وأحوالهم قبل أن يعرفنا بأي شيء آخر . ومن يظن أن التراث سيقدم له مفتاح جميع الأبواب المغلقة هو بكل تأكيد إنسان حالم . لكن من المؤكد أنه سيكون هناك « تراث حي » يتبلور بعملية التثقف، ويمكن إدماجه في منظومة الحاضر وعيشه على نحو غير قسريّ . وهذا يلزم بإعادة تأكيد ما سبق أن تقرر، وهو أنه لا مفر من تحويل التراث الذي يعكف الأكاديميون والمختصون على اخراجه الى « ثقافة » معاشة ، أي أنه لا بد من إخراج التراث من « حلقات الصفوة » والانتقال إلى المرحلة الأهم ، مرحلة التثقف التراثي العام .

٢) استلهام التــــراث :

لا شك أن أقوى الأطروحات التراثية المتداولة الآن هي تلك التي يذهب أصحابها إلى أن الموقف من التراث ينبغي أن يؤسس على الجمع بين ما يسمى من جهة أولى « التراث » ، وبين ما يسمى من جهة ثانية « المعاصرة » . وهذا يعني أن نستلهم من التراث مواقف أو أفكاراً أو قيماً ندمجها في أحوالنا الراهنة التي أسهم العالم الحديث في تشكيلها إسهاماً حاسماً . وذلك يكون بأن ننتقي من التراث جملة المواقف والمفاهيم التي تصلح لأن تسهم في تدبير حياتنا وأمورنا ، ونجعلها نمطاً سلوكياً أو ذهنياً لنا في تفكرنا وفي فعلنا . فنحن ، على سبيل المثال ، نستلهم ، لحياتنا ، من التراث ، موقف العقلانية الذي ساد مع المعتزلة ، والمتفلسفة المسلمين ، أو مفهوم العدالة التي جسدها بعض الخلفاء ، أو جملة الفضائل الخلقية التي صاغها فلاسفة الأخلاق وبعض المتصوفة ، أو قيمة الحرية التي تعلقت بها بعض الحركات الثائرة على استبداد بعض العصور والأنظمة ، أو قيمة الديمقراطية التي تمثلت في (الشورى) الإسلامية ، أو المساواة التي أقرها الدين وانعكست في سياسة هذا الحاكم أو ذاك .. الخ .

وبحسب منطق « الاستلهام » نحن حين ندعو إلى قيم العقل والثورة والديموقراطية والعدالة فإننا لا نفعل شيئاً أكثر من بعث قيم تراثية خالدة . وهذا ،

صورياً، صحيح. بيد أنه في حقيقة الأمر ليس كذلك. فالواقع أن عملية «الاستلهام» ليست إلا عملية «تسويغ» لقيم الحاضر، بإسقاط غطاء تراثي عليها. والذي يحدث عملياً أن الحاضر هو الذي يفرض قيمه ويلزم بها.

صحيح أننا نبدع أحياناً القيم، لكن هذه القيم تتداعى إن لم تجد استجابة على أرض الواقع، أو أنها تظل تدور في قالب من المثالية الجوفاء. والواقع أننا مثلاً لا نؤمن بالحرية لأن (الخوارج) آمنوا بها وجسدوها، وإنما لأن نظام الاستبداد الذي نرزح تحت وطأته على نحو مباشر هو الذي يولد فينا الحاجة إلى الحرية والعمل من أجل تحقيقها. ونحن لا نؤمن بالعقلانية لأن (المعتزلة وابن رشد) كانوا عقلانيين أو لأن العقلانية شيء جميل، ولكن لأن أوضاع الفوضى والوهم والخرافة والعقم التي تلفنا على نحو مباشر تفرض علينا، للخلاص، نمطاً عقلانياً في الإدراك والسلوك. ونحن لا نؤمن بالمساواة أو بالعدل أو بأية قيمة أخرى مشابهة إلا لأن معطيات الوجود المباشرة، تفرض ذلك وتلزم به. أما حضور هذه القيم في التاريخ فلا يعني شيئاً لحياتنا «هنا.. الآن»، دليل ذلك أننا لا نلقي بالاً إلى القيم والمفاهيم التي تجمعت في التراث مما ليس له رجع في حياتنا أو صدى مباشر مشخص. وفضلاً عن ذلك فإن ظهور هذه القيم نفسها في التاريخ هو في حد ذاته «تاريخي»، أي أنه مرهون بشروط يمكن للباحث المدقق الكشف عنها وبيان حدودها.

المعتزلة والعقلانية

وعلى سبيل المثال: ما الذي حدا بالمعتزلة لأن يكونوا عقلانيين؟ اننا بكل تأكيد لانستطيع أن نزعم أن عقلانيتهم كانت مجرد «اختيار» رائع مطلق من أي قيد، إذ الحقيقة أن عقلانيتهم لم تكن إلا نتيجة لتعاظم النظرة الغنوصية في ق ٢ هـ. ولأن الدفاع عن الإسلام بالأدلة النقلية لم يعد أمراً ممكناً، ولأن الجدل مع المخالفين بات يفرض أرضاً مشتركة يجري عليها جدل متكافئ - ولم تكن تلك الأرض إلا أرض العقل. فإذن لا العقل كان مطلوباً لذاته بإطلاق، ولا الكشف كان مطلوباً لذاته بإطلاق، والنظر نفسه يصدق في أية قيمة رئيسة أخرى. فالعدل لا يرقى الى مستوى القيمة المطلوبة إلا اذا كان الظلم هو السائد. والمساواة لاترقى إلى مستوى القيمة المطلوبة إلا إذا كان التفاوت الاجتماعي الجائر هو السيد. والحرية لا ترقى إلى مستوى القيمة المطلوبة إلا إذا كان الاستبداد هو الجاثم.. وهكذا. ومعنى ذلك كله أن عملية الاستلهام هي أصلاً وابتداء عملية صورية مصطنعة، أو تسويغية نلجأ إليها ذراً للرماد في العيون، وإيهاماً للمتعصبين من التراثيين بأننا نوقر التراث ونأخذ منه، أي «نستلهمه»، بينما نحن في الحقيقة نتبنى ما تفرض أوضاعنا التاريخية المباشرة الأخذ به، ثم نقوم بعد ذلك بعملية التسويغ التي نسميها الاستلهام التراثي.

٣) إعادة قراءة التراث:

وهذا النهج هو من غير شك من أكبر دعاوى العصر الثقافية. فنحن، لكي نجعل التراث حياً راهناً أو لكي نجعله يستجيب لحاجات ذات طابع عقلي أو عملي ملح، نقوم بإعادة قراءته بحسب هذا المنهج أو ذاك، مما نختار من مناهج راهنة معاصرة، فيبدو التراث، مع ذلك، أو بذلك، معايشاً لنا ولأحوالنا، ويبدو جزءاً طبيعياً من الحياة الحديثة. وهذا التوجه شائع عند المثقفين الذين مارسوا خبرة ما بمناهج العلوم الإنسانية الحديثة وبالفلسفات المعاصرة الغربية. والمبدأ هنا هو اختيار منهج محدد واطار مرجعي محدد ثم قراءة التراث، أي فهمه وتفسيره وتوجيهه، بحسب هذا المنهج أو هذا الاطار المرجعي. وقد خضع التراث العربي الاسلامي، مثلما خضع غيره، لهذا النمط من المعالجة. فكان من ذلك قراءة «لسانية»، و«بنيوية»، و«عقلانية»، و«مادية»، ويصعب القول ان المستقبل لن يحمل لنا قراءات أخرى. وبطبيعة الحال فإن كل قراءة من هذه القراءات هي قراءة متفردة تخص نفسها بالكلمة الأخيرة الفاصلة في فهم التراث. وكل قراءة منها توجه التراث توجيهاً «قبلياً» واضحاً، وتريد أن توظف التراث لقضايا العصر وهمومه وأغراضه. فهي اذن، واجمالاً، ليست مجرد قراءة للفهم فحسب، وانما للفعل والتأثير أيضاً، لا بل أن بعضها لا ينشد التغيير فحسب، وانما «التثوير» أيضا. وهكذا نجد من يريد أن ينطلق من التراث الى الثورة أو «من العقيدة الى

الثورة » أو ما أشبه ذلك من مواقف « تؤدلج »[1] التراث ، أي تلوي عنقه وتعريه تماماً من شروطه الموضوعية ، ومن ظروفه « المعرفية » والثقافية ـ التاريخية الخاصة به . والحقيقة أن هذه « الأدلجة » لم تكن تعني في نهاية التحليل إلا شيئاً واحداً ، هو أن الحاضر عاجز ، بإمكاناته وقدراته الكامنة والصريحة ، عن إحداث التغيير المنشود ، وان التراث الذي يشد الناس اليه هو الذي يملك القوة السحرية على التغيير ، بيد انه فات « مثوري » التراث الطفيليين أن الشروط الاجتماعية ـ السياسية المحافظة أو الرجعية نفسها هي في ذاتها التي تولد نقيضها ، وأن الثورة لن تحدث أبداً إن لم تدع الظروف المشخصة المباشرة إلى قيامها . فليس مطلوبا من التراث أن يحدث الثورة ، ولا هو أصلا قائم على أساس أنه « مشروع ثورة » أو أنه يمكن أن يتحول الى مشروع من هذا النوع . ذلك أنه محيط واسع تتلاطم فيه الأمواج ، يقبل بعض وجوهه التوجه في مسار الثورة ، مثلما يقبل بعضها الآخر التوجه في المسار المعاكس تماما . والقراءة التي تستطيع أن تكشف لنا عن الشروط الاجتماعية الثقافية « المعرفية » الخاصة بالتراث هي القراءة التي يمكن أن تحمل إلينا فائدة حقيقية .

وإذا كانت إعادة قراءة التراث أمراً لا طائل وراءه ، فإن إعادة قراءة الحقيقة ـ الأصل ، أي الوحي ، هي أمر لا مفر منه ، لأن الوحي يتوجه إلى الإنسان في كل زمان ، كما أن الإنسان ، في كل زمان ومكان ، يتوجه بدوره إلى الوحي ويستنطقه ليحياه ويجسده ، وينجز « تراثا » لزمنه مفعماً بمضامين العصر ، ومتأثراً بمتطلباته وتوجهاته . وهذا الوضع يقتضي « قراءة » للوحي ليست هي بالضرورة قراءة العصور الأخرى له .

فاذا كان الأمر على هذا النحو ، أي اذا كانت محاولات توظيف التراث ، بإحيائه أو استلهامه أو إعادة قراءته ، تحمل من القصور والمحاذير والصعوبات ما تحمل ، فماذا تكون اذن وظيفة التراث ، إن كانت له وظيفة ؟

وظائف التراث

الحق أننا ، عند النظر ، نستطيع أن نتبين بوضوح ثلاث وظائف أو أربعاً للتراث .

الأولى نفسية : فالتراث هو تراث أمة . وهذه الأمة ذات دور مرموق ومكانة بارزة في التاريخ ، تاريخها ارتقى بها إلى قمم من المجد عالية ، لكنه ما لبث أن أنتهى إلى فاجعة ، أثرها قائم مستمر ، ولا بد من آليات دفاع نفسية لمجابهته والنضال في وجهه . والتسلح بإرث حضاري عريق ضخم من شأنه أن يشكل سنداً معنوياً لإرادة مهزومة مغلوبة ، وأن يحجّم عقدة النقص التي خلقها في النفوس فعل التعاظم الأوروبي الحديث .

ويتعزز هذا التعويض بإدراك واقعة مهمة ، هي أن الحضارة الغربية الغالبة ذات مرتكزات عربية إسلامية ، يساعد الكشف عنها والإقرار بها على التحرر من عقدة المغلوب ، وعلى الاندفاع في تيار الحياة من جديد ، وعقد العزم على إنجاز أفعال تحضيرية جديدة ، وعلى احتلال مكانة فاعلة على الساحة الكونية . ولقد أدرك مفكرو عصر النهضة العرب هذا الوجه من المشكلة ، فألحوا عليه إلحاحاً شديداً ، كما أن الخطاب العربي المعاصر حافل به على نحو بارز . وعند هذا الحد من القضية تتخذ الوظيفة النفسية للتراث بعداً قومياً يتمثل في حافز التحرر من ذل الهزيمة القومية التاريخية ، والعمل من أجل تجاوز تحديات العصر القومية ، والاندفاع في درب الحياة من جديد . وبهذا المعنى يمكن الكلام على وظيفة قومية للتراث .

الثانية جمالية : فليس بالأمر الجديد القول أن حقولاً واسعة من التراث الأدبي والفني والثقافي والعلمي تتضمن عناصر جمالية قوية لم تفقد مع مرور الزمن طلاوتها وسحرها وروعتها ، واننا نستطيع اليوم ، مثلما كنا بالأمس ، أن نتذوق معلقات الجاهليين ونعجب بشعر « عمر بن أبي ربيعة والبحتري وأبي تمام والمتنبي وابن الرومي والمعري وابن الفارض وابن زيدون » ، مثلما نعجب بأدب « الجاحظ والتوحيدي وابن المقفع وابن قتيبة

---

(١) هذا تعريف طريف لكلمة « ايديولوجية » الأجنبية ، وهي تعني : علم البحوث التصورية ، أو مجموع النظريات والغايات التي تشكل برنامجا سياسيا واجتماعيا معينا يصح أن تسمى في مجموعها مذهبا . « العربي » .

وغيرهم » . ونحن نقرأ هؤلاء جميعاً وغيرهم فنستمتع ونفيد ، تماماً مثلما نستمتع ونفيد لقراءة أي أديب أو شاعر معاصر مبدع ، عربي أو غير عربي . وليس ثمة شك في أن الحساسية الجمالية التي يثيرها الأدب بالذات تعتبر من أرسخ مقومات الوحدة النفسية الانسانية ، وقد يمكن القول ان أعمق التحام بالتراث ، وأفضل مدخل اليه ، يمكن أن يتم بالأدب ، بمعناه الواسع . ويدخل في هذا الباب المصنوعات الفنية والموسيقا والأثريات . فانها فضلاً عما تنطوي عليه من عنصر الامتاع والفائدة تساعد على تشكيل تجانس ذهني وروحي انساني يمد جذوره في الحساسية الجمالية نفسها . وهي ، بصفتها هذه ، تعكس الجانب الخالد من التراث .

الثالثة عملية ، وهي ما أسميه بـ (الجدوى) . فمن الثابت أن التراث يشتمل على عناصر ذات جدوى ، أي عناصر يمكن استخدامها في الزمن الحاضر . وهذه العناصر منبثة في جل أرجاء التراث : في علوم العقيدة ، وفي فقه المعاملات ، وفي العلوم النظرية والعملية . ومن بين جميع قطاعات التراث يبدو قطاع العلوم التطبيقية أكثرها تأثراً اذ أن التقدم العلمي الحديث قد تخطى الدرجة التي نجدها لهذه العلوم في التراث . أما في قضايا العقيدة ـ أي علوم العقيدة ، لا الوحي نفسه ـ فانه ما يزال بامكاننا الرجوع الى كتب علم الكلام واستخدام عناصر منها ، قليلة بغير شك لكنها قد تكون مهمة . وفي مؤلفات أصول الفقه ومصنفات الفقه اجتهادات

وأحكام يمكن تبينها . وفي كتب (الخراج) و (الأحكام السلطانية) ـ على قصر باعها اذا ما قورنت بعلوم الاقتصاد والسياسة الحديثة ـ عناصر يفيد الالتفات اليها ويمكن تجريب استخدامها . . وهكذا ومع أننا لا نستطيع أن نعول كثيراً على مصنفات القدماء في الأمور التي تهم قضايا عصرنا النوعية ، الا أنه يمكن الاستئناس بآراء القدماء في القضية نفسها ويمكن « استخدام » مواقف أو حلول أو أحكام محددة واضحة بشأن قضية مطروحة نبحث لها عن حكم أو عن حل . والقضية هنا هي على وجه التحديد قضية « استخدام » لا « استلهام » ، أو شيء آخر سواه . وبهذا الاعتبار لا بد من القول ان الاطلاع على التراث أمر مفيد في اغناء المصادر التي نمتح منها من أجل معالجة قضايانا الحديثة أو الراهنة .

ما يبقى من التراث

فيتقرر على هذا النحو أن التراث ليس مما يصح التهاون في أمره أو التقليل من شأنه، وأن الدور الذي يؤديه أو يمكن أن يؤديه في حياة الأفراد والأمة جد خطير . فهو ليس دوراً هامشياً ، وانما هو دور مركزي يدخل في المركب الحي الذي يشكل الأفراد والأمم نفسياً واجتماعياً وقومياً .

بيد أنه ليس كل التراث يدخل في هذا المركب . اذ أن أجزاء منه تسقط على جنبات التاريخ . والذي « يتبقى » منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً ، أو يعبر عن حاجة . لكن ما تمس اليه الحاجة ليس هو الشيء عينه في جميع الأزمنة والظروف والأمكنة . لذا كان الكلام على « ثوابت » في التراث حية على الدوام أو خالدة ، أمراً عسير التحقيق . وما نستطيع أن نتكلم عليه ، بثقة مؤكدة ، هو « إحياءات » زمنية لهذا العنصر أو ذاك من التراث . وهذه الاحياءات المحددة مرهونة بالأوضاع والظروف المتغيرة . وما « يتبقى » منه في النهاية يضاف أو يدمج في الجديد الذي يتم انجازه ويستمر معه ، لأن الحقيقة هي أن صنع التراث لا يتوقف . فنحن على الدوام ، وفي كل العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي من بعدنا . وموقفنا الطبيعي هو أننا في الوقت الذي نتلقى تراثاً فاننا نصنع تراثاً آخر جديداً ، يغني التراث الذي تلقيناه أو ورثناه . بحيث يصح القول ان مهمتنا لا تنحصر فقط في تلقي التراث وتمثله ، وانما أيضاً ، وربما بقدر أكبر ، في « ابداع التراث » . □

رسالة القاهرة

ظواهر شعبية

بقلم : فاروق خورشيد

اذا كانت ميزة الفن الشعبي أنه يخاطب الغالبية العظمى من الطبقات الشعبية فان بقاءه رهن بمواكبة التطور الذي يطرأ على هذه الطبقات . فالشعب هو الشعب لكن الظروف غير الظروف . فهل يعني ذلك اندثار الفن الشعبي ؟ رسالة القاهرة تجيب بالنفي عبر رصدها لأشكال جديدة من الفن الشعبي أفرزتها الحياة الجديدة والتطور المستمر .

ظاهرة جديدة مهمة تملأ حياة القاهرة من مدة طويلة ، وتبرز تماما في حياتها اليوم .. فأنت لم تعد تسمع الراديو في المقاهي أو في المحلات العامة ، أو في دكاكين الحرفيين ، أو في عربات التاكسي أو الاتوبيس .. وإنما أنت تسمع بصورة دائمة وفي كل مكان .. « الكاسيت » ..

غدا « الكاسيت » الآن هو الصوت الأعلى في جو القاهرة ، يطغى على صوت الراديو ويطغى على برامج التليفزيون ، بل ربما يطغى أيضا على « الفيديو » ـ الوحش الجديد المخيف القادم إلى حياتنا أيضا ..

والظاهرة الفريدة ليست في الكاسيت نفسه ، فهذا أمر قديم تعودنا عليه ، ولكن الظاهرة الفريدة تتمثل في اللون الذي يسود ما ينشره الكاسيت من عطاء فني .. فنحن لسنا أمام تسجيلات لكبار المطربين والمطربات ، أو أصحاب الفكاهة والمنولوج ، أو حتى المسرحيات الناجحة أو فصول منها .. وقد اجتاحت هذه كلها حياتنا فترة عن طريق الكاسيت .. كما أننا لسنا أمام الأغنيات العيشية اللغة والمعنى واللحن والأداء التي تمثلت في مجموعة من المغنين ملئوا ملاهي القاهرة وطغوا على الأفلام والمسلسلات التليفزيونية فترة طويلة ، ومازال أمرهم قائما حتى اليوم الى حد كبير ..

لسنا أمام هذا أو ذاك ، بل نحن أمام شيء جديد قديم .. أما أنه جديد فلأنه شيء وافد على مجتمع القاهرة ولم يعرفه من قبل إلا في أطر محدودة جدا ومن خلال مناسبات الموالد ، وشوادر حي الحسين في رمضان .. وأما أنه قديم فلأنه شيء قديم قدم السامر في ريف مصر ، حيث كان المغني الشعبي يحيي الليالي الطويلة بغناء وأداء وتمثيل قصة (يس وبهية) و (حسن ونعيمة) و (شفيقة ومتولي) و (أدهم الشرقاوي) و (الفتى مهران) وغيرها من القصص الغنائية الشعبية

ولكننا لسنا هنا أمام سامر الريف ، وإنما نحن أمام كاسيت ينتشر في شوارع القاهرة ومحالها ومقاهيها وسياراتها الخاصة والعامة على السواء ، وإن كان من الواضح أن هذه الأغنيات قد سجلت من سهرات ريفية شهدها جمهور غفير يتعلق بها ، ويحب تردادها.

أما وقد استلفتتنا الظاهرة فينبغي أن نرصد أيضا

عدة ظواهر مميزة لها :

الظاهرة الاولى : أن المغني تصاحبه فرقة موسيقية كاملة بآلات التخت الشرقي المتعارف عليها من قانون وعود وكمان وفلوت وإيقاع ، بزيادة المزمار ، وباستعمال الكمان في أحيان كثيرة بطريقة تقربه من الربابة . فلسنا أمام الآلات الموسيقية البسيطة التي كانت تصاحب المغني الشعبي المتعارف عليه ، فقد كانت أدواته محصورة في المزمار والايقاع ، أو في الربابة وحدها ، أو في الدفوف وما يصاحبها من صنج وايقاع .

وهذا الحشد الجديد من الآلات يتيح خلفية موسيقية تعين المغني على الاداء التطريبي بصورته الشائعة في الدور ، وتجعل من قصته المغناة وصلة غنائية كاملة على الشكل الذي شاع في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، وما زال ممارسا في الكثير من الحفلات الغنائية العامة ، وعند بعض المطربين الذين ما زالت امكاناتهم الصوتية تعينهم على أداء هذه الوصلات . وهو يتيح للفرقة أن تتقدم وحدها لتشغل بعزفها جزءا من الترديد النغمي الملحن لما غناه هو ، أو لتقدم لحنا معزوفا من أغنية مشهورة يهتز لها المتلقون ويسترجعون وحدهم الجو النفسي والعاطفي الذي تثيره الأغنية،ويستدعيه لحنها المعزوف وسط فقرات القصة فتغني عن الكلمات ، وتثبت الشحنة الوجدانية المطلوبة في مرحلة ما من القصة .. وفي مراحل معينة من السرد الغنائي للقصة يصمت الراوي أو المغني ، ويصمت التخت كله لينفرد بالعزف عازف الناي وحده ، أو عازف العود وحده ، أو عازف الكمان وحده ، أو عازف القانون وحده ، أو ضابط الايقاع وحده .. ويستمر في عزفه المنفرد حتى يتجاوب الجمهور معه ، وينفعل لعزفه ، ويصبح صوت آلته هو الصوت البطل ، أو الصوت المقابل لصوت المغني ، يحكي نفس الفقرة التي وقف عندها المغني ، ويرددها مرة أخرى ولكنها مؤداة بهذه الآلة المنفردة وحدها .. فالتخت الكامل هنا لا يلعب دور الخلفية الموسيقية وحسب .. وإنما يؤدي متجمعا أو منفردا أدوارا رئيسية في عملية القصص الشعري الغنائي الروائي النغمي المتكامل .. وهذه الظاهرة وان أبعدتنا عن الصورة الشعبية القديمة للقصاص الشعبي ، أو المغني الشعبي ، الا أنها إضافة مستفيدة من تطور فني فرضه العصر ، بحيث لا يقلل في شيء من عملية الارتجال التي هي سمة رئيسية غالبة في الأداء الشعبي الموروث .. والارتجال محكوم دائما بالنص الاصلي للحكاية الشعبية ، فالمؤدي الشعبي حر في ارتجاله الوقتي الذي تفرضه ظروف البيئة وطبيعة المستمعين ، وما يرتهن به جو الحفل من إبداعات إضافية على القصة الأصلية .. وكذلك فالارتجال عنصر متحرك يسمح للمغني أن يتلاحم مع جمهوره ، وأن يربط هذا الجمهور بجزئيات القصة ومواقفها المتعددة ربطا أثريا من ناحية ، وربطا وجدانيا من ناحية أخرى .. وقد يحدث في أحيان كثيرة أن يدور حوار بين التخت أو الآلة المنفردة وبين المغني ، فكأن أحدهما يقول شيئا ، والثاني يرد عليه ، أو كأن أحدهما يطرح سؤالا والثاني يجيب عنه ، دون أن يفقد السرد القصصي استمراريته وتماسكه ..

الظاهرة الثانية المميزة في هذه الحكايات هي نوع البطل وشخصيته . فنحن لسنا أمام أبطال الحكايات الشعبية العربية القديمة ، من أبطال السير الشعبية كعنترة بن شداد وأبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس وعلي الزيبق ممن احتكرت حكاياتهم وسيرهم جهد القصاصين المغنين زمنا طويلا .. كما أننا لسنا أمام الأبطال المحليين الذين استولوا على وجدان الشعب المصري ، وخرجت حكاياتهم صدى لأحداث تأثر بها الريف المصري ، وخلق حولها أخبارا وحكايات تتناقل ، إلى أن تناولها القاص الشعبي بفنه ، وقدمها بطريقته الفذة في الابداع الشعبي ، من أمثال شفيقة ومتولي ، وبهية ويس ، وحسن ونعيمة وأدهم الشرقاوي والفتى مهران .. وحفظ الضمير الشعبي المصري هؤلاء الأبطال وحكاياتهم ذات الأصول الحقيقية المصاحبة للأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بمصر ، وكان هؤلاء الأبطال تجسيما لها في مجتمع الريف والقرية ..

لسنا أمام هؤلاء الأبطال ولسنا أمام أولئك ، ولكننا أمام أبطال من نوع جديد ومغاير تماما .. فالأبطال في هذه الحكايات الجديدة ليسوا من أبطال السير الشعبية المعروفين ، وليسوا من أبطال الأحداث الاجتماعية والسياسية الذين فرضوا وجودهم بحكم كونهم تجسيدا لقلق اجتماعي أو لحدث سياسي حقيقي ، وإنما هم أبطال جدد تماما إذ لا يمثلون بطولة

ملحمية ، ولا يمثلون بطولة واقعية ،وانماهم أفراد عاديون يعيشون في أحداث عادية من أحداث الحياة اليومية في مجتمع متغير معاصر تماما . . ولعل أسماء الابطال وهي نفسها أسماء الحكايات تكشف عن حقيقة هذه الظاهرة ، فمن أكثر هذه القصص شيوعا عند المغنين الشعبيين الجدد ، قصص حمدي وأفكار رؤوف ورئيفة وعبلة ومختار ، وأيوب ورحمي ، وخيري ووجنات ، وشلبي وشلباية ، وماهر ومهران ، وصابر وصابرة ، ونبيلة ومجدي ، والمحسن المجهول وأم البنات . . وهي أسماء ـ كما نرى ـ لا تعني بذاتها شيئا مميزا ، ولا تشير إلى ملحمة معروفة ، ولا تنبيء بواقعة لها شهرتها أو تميزها . . وانما هي مجرد أسماء لشخصيات يمكن أن يحل كل اسم منها محل الآخر دون أن يجرح هذا تأهب المستمع أو تقبله النفسي للقصة ، كما أنها يمكن أن يستبدل بها أسماء أخرى دون حرج أو دون جرح لموروث المتلقي من العطاء القصصي أو الشعبي المسبق . .

وهذا يعني أننا لسنا أمام شخصيات نمطية ، وانما نحن أمام نماذج حية ومتفاعلة داخل المجتمع ، وتعكس بعض الظواهر التى يرى صاحب الحكاية أنها تسوق الى المتلقى متعة بذاتها أو تجربة معينة يريد أن يقدمها له . . والمدقق فى اختيار الاسماء يحس أنها أقرب الى ذوق المدينة واختياراتها منها الى ذوق القرية واختياراتها فى الأسماء . . وقد تعود القرويون أن ينظروا الى أمثال هذه الأسماء باعتبارها أسماء توحي بالترقيق والتدليل ، وكانوا ينفرون منها لما كانت تصم به صاحبها من علامات بعيدة عن معنى الخشونة والتقشف التى هى من سمات أهل الريف

وقد يكون الامر أن هذه الهوة السابقة بين القرية والمدينة قد تلاشت أو أوشكت على التلاشى . وقد يكون الأمر أنَّ تطلُّع أهل القرية الى حياة الدعة أصبح مشروعا بعد أن أحدثت هجرات العمل والعودة بالثروات النسبية فعلها الأكيد فى تغيير بنية مجتمع القرية ، ونوع التطلعات التى يحلم بها أبناء القرية . . ومنذ البدء والأساطير المصرية القديمة توحي بهذه القداسة يحسها الفلاح المصرى تجاه أرضه ، فعبدها وعبد كل ما يزيد خيرها وثراءها ، عبد الشمس ، ورصدها وعرف منها فصول السنة ، وأثر هذا التغير الفصل على زراعة الأرض وغرسها ، ثم العناية بها ، ثم حصادها الثرّ . . وعبد النيل واحتفى به كل الاحتفاء ، وقدم له القرابين ليزيد ماؤه ويعم خيره أرضه الطيبة . . ولكن الوضع الآن يختلف اذ بدأ الفلاح يهجر أرضه ، ويهاجر من دنيا هذه الأرض الى دنيا رحبة من تطلعات الثراء والمتعة التى لا ترتبط بالأرض ولا بجذوره الضاربة فى أعماقها . . فلم يكن غريبا أن تنتشر اذن أسماء مجدى وعبلة ورؤوف ووجنات وماهر وخيرى ورحمى ونبيلة بدلا من الأسماء القروية التقليدية القديمة . فهذه الاختيارات اشارة الى حق القرية فى رفاهية المدينة ، واشارة الى سقوط الحواجز الاجتماعية بين المجتمعين . . وستلاحظ أن الابطال جميعا من تلاميذ الجامعة ، وأن معظمهم طلبة فى كلية الطب ، كما ستلاحظ أن حق البنت فى التعليم قضية تحتضنها أكثر من قصة ، وأن حق ابن القرية فى أن يكون مهندسا أو طبيبا مسألة مسلم بها لا تحتاج الى نقاش . كما ستلاحظ أيضا أن الأحداث تدور دائما حول صراع الخير المستسلم الطيب الضعيف ، وبين الشر الضارى الخبيث القوى . . ولا ينتصر الخير الا بعد أن يلاقى الأهوال والصعاب ، ولكن التمسك بمعانى الشرف والوفاء والعلم هى أسلحة الخير التى توصله دائما الى بر الأمان . والأبطال يتحركون فى هذه الدائرة ، التى لا تعرف الا الشر المطلق والخير المطلق ، فالقصاص الشعبي لا يعرف من الألوان الا الأبيض والأسود . والشر منتصر أول الأمر ، لا يعرف الهزيمة لانه يستخدم كل الوسائل التى توصله الى الانتصار ، بينما الخير لا ينتصر الا فى نهاية الأمر ، وانتصاره اما حقيقى بأن يفوز البطل بالفتاة التى يحبها بعد نجاحه فى حصوله على الشهادة الجامعية ، وتفوقه فى عمله ، واقرار عمه الشرير بحقه فى اقترانه بابنته ، وفى المكان البارز من المجتمع وفى ارثه المغتصب ، وأما الرمز فى ذلك الانتقام الالهي الذى يحل بالشرير فيذهب ماله وصحته ، ويصيبه بالفشل والعجز ، ثم الموت فى النهاية . .

وفى خلال هذا الخط الرئيس تظهر خطوط فرعية متنوعة ، فرؤوف يقاوم اغراء أبي رئيفة له أن يتركها مقابل مبلغ ضخم من المال ، وتسمع رئيفة حبيبها وهو يرفض أن يتركها مقابل المال فتسعد لأنه يحبها

هي أكثر من حبه للمال . ونبيلة القبطية تحب مجدى زميلها في الجامعة وهو مسلم ، وتشفي زيارة لمشهد الحسين أباها القسيس من العمى إثر حُلم يهديها لأن تزور معه الحسين ، وتسلم نبيلة ويبارك أبوها زواجها من مجدى .. وصابر يصرف ببذخ من إرثه من أبيه بينما عبدالله يحرص على ماله ويتصدق منه في حدود المعقول ، ويفقد صابر ثروته ويعمل صيادا أو « مراكبيا » ، ويتقدم عبدالله ليصون حياة زوجة أخيه وأولاده دون أن يعرفوا أن عمهم الثرى هو المحسن .

ويعود صابر بثروة كبيرة ، ولكنه يجد أهله في ستر ، فيشكر أخاه ويشاركه ثروته .. الى آخر هذه الحكايات الفرعية التى تحض على التمسك بالدين والشرف والأرض وعدم الاسراف على النفس باللذات أو البذخ .. والسياق يؤكد العلاقات الأسرية وقيمة الأب والام والوفاء لهما ، وقيمة الاخوة والتمسك بهم ، وقيمة العم والخال والعرفان لهما .. وكلها قيم تريد أن تتقدم لتمنع الظواهر الجديدة التى تهدد المجتمع وقيمه من أن تسيطر على الموروث والتقاليد وتهدمهما ...

الظاهرة الثالثة في هذه الحكايات هى هذا المزج بين الموروث والواقع .. فالأحداث واقعية شديدة الواقعية ، تجرى في حدود الحياة اليومية وما يجرى فيها من تناقضات بين القوى التى تتحكم في حركة الحياة الدائمة والمتغيرة أبدا . ولكننا نجد أنفسنا فجأة أمام رحلات غامضة ، ومغامرات مع قوى خفية ، وأحلام تتنبأ وتصدق نبوءتها ، ومعجزات لأولياء الله الصالحين ، ودعوات مستجابة من الوالدين أو من أهل التقوى ، وتراب طاهر يعيد الرؤيا الى العين المصابة .. كما أننا نجرى في محيط من (الموتيفات) الشعبية المتوارثة والمعروفة .. مثل الأخوين المتناقضين ، والبنت الفقيرة وامرأة أبيها المتسلطة ، والابن المنتقم لأبيه ، والأم التى تحمى ابنها .. ونحن أيضا في نفس الوقت نلمح حكايات شعبية ، وحكايات ألف ليلة ، وبعض المتبقيات من السير الشعبية المعروفة . وهذا المزج يختلط تلقائيا بمتبقيات من الحكايات السينمائية وقصص مسلسلات التليفزيون ومقاطع من الأغنيات المشهورة والمواويل المعروفة .. فنحن أمام جماع الحصيلة الفنية للواقع الممارس ، بوجوده وموروثه معا ، بفنه الجمعى القديم وفنه الحديث المشهور ، وممارسته الحياتية القائمة .. ومن هنا يتحقق الوجود الشعبي المتكامل لهذه الحكايات فهى ماض حى تماما .. ماض تراكمت في تكوينه آلاف المعتقدات والحكايات ، ولكنه ماض موجود بما أضافه اليه الواقع المعاش ، وما استكمل من الواقع الابداعى الفنى الموجود في عصره .. فاذا أضفنا الى هذا امتزاج الهدف الدينى بالهدف الأخلاقى بالهدف التعليمى في إطار من التسلية والمتعة ، من إثارة الحكاية وتطريب المغنى ، وانشاد أهل الذكر ، تكاملت أمامنا صورة ثقافية واضحة الابعاد لمجتمع يتشبث بالمعطى الدينى تشبثا واضحا ، ويرتبط بالموروث الأخلاقى ارتباطا أصيلا ، وان شابت الاثنين بقايا من معتقدات شعبية ، وتراكمات من مفاهيم متغيرة ومعاصرة .. وتبدو الظاهرة الدينية واضحة في افتتاح كل حكاية بمدح النبى ﷺ وبانهائها أيضا بمدح النبى ﷺ وفي وقوف الراوى عند كل عبرة أخلاقية بحديث نبوى أو آية قرآنية يؤكد بها المعنى الخلقى المؤيد بالعطاء الدينى في كل ما يقول ...

فهل أحس المتلقى الشعبي بأن ما يعطيه له التليفزيون والسينما والراديو من نماذج قصصية لم يعد يسد حاجته المتعطشة الى أن يلمس صدق الفن مع ما يعانيه بالفعل من قضايا ومشكلات ؟ .. وهل سمح المتلقى بهذه الردة الغريبة الى الحكاية الشعبية ، للمبدع الجمعى أن يتقدم فيسد الثغرة الناجمة من خلال هذه الحكايات المتناقلة عن طريق الكاسيت والتى تبدو طاغية شديدة الطغيان ، رائجة واضحة الرواج ..

وأيا كان الأمر فالظاهرة ملفتة وجديرة بالاهتمام والتسجيل ، فلعلها تعنى تمردا جمعيا على ما تقدمه أجهزة الاعلام من نماذج مرفوضة ومسفة ، ولعلها تعنى الايماء الى مخاض قد يلد فنا جديدا يفرض نفسه أو يفرض ـ على الأقل ـ مجموعة جديدة من القيم والمعانى ، وهو على كل حال يفرض رفضه لما هو قائم ، وهروبه ـ كما حدث عبر التاريخ في أزمنة التزوير الفنى لضمائر الشعوب ـ الى الأدب الشعبي والفن الشعبي ، يودع الضمير الجمعى حقيقة أدبه وفنه بعيدا عن عمالة المبدعين لغير الصدق ، وانتهاء المؤلفين والفنانين لغير حقيقة الفن ورسالته . □

وجه في المرآة

رجل لا يتجاوز الدقيقة الخامسة من عمره !

بقلم : أبو المعاطى أبو النجا

له زمن مفضل ، يكسب فيه معركته الأولى - وغالباً ما تكون الأخيرة - ذلك الزمن هو الدقائق الخمس الأولى ، التى يلتقى فيها بشخصية جديدة ، سواء سعى هو اليها أو سعت اليه !

فى الدقيقة الأولى من هذه الدقائق الخمس يلتقط نقاط القوة ونقاط الضعف لدى هذه الشخصية ، يلتقطها من النظرة ، والخطوة ، والوقفة ، والجلسة ، وطريقة التحية ، وطريقة عرض الموضوع أو الاستماع اليه !

ربما كانت هذه الموهبة اللاقطة النافذة هى أعظم مواهبه ، لأنها هى التى تحدد له نوع وحجم الأسلحة التى يستخرجها من ترساناته ، ليحسم معركته الأولى والأخيرة فى الدقائق المتبقية !

الدقائق الخمس الأولى هي فى عصرنا هذا كل الزمن المتاح أمام الرجال من أمثاله ، وقد علمته التجربة أن الجهد المبذول لخلق الانطباع الأول أوفر وأجدى من الجهود المضنية التى قد تبذل بعد ذلك لتغييره ، وان الناس - حتى الأذكياء منهم - يسلكون

فى عصرنا هذا وفق انطباعاتهم ، فلا أحد لديه وقت للتفكير الطويل لتكوين الاقتناع ! وبعد هذه الدقائق الخمس قد تأتى التلقائية بكل ما يمكن أن تحمل من مخاطر ومغبات !!

وله أيضا مكان مفضل ، فهو يؤثر تلك المساحة الضيقة والوعرة قرب القمة ، تلك المساحة التى تفصل بين عشرات الرجال من ذوى السلطة والنفوذ الذين يحتلون المراكز العليا ، وبين مئات الرجال من أصحاب المواهب والقدرة على الانجاز ، الذين يقبعون فى ظلال المركز الثالث فى مختلف مجالات الفكر والعمل !!

ودائما يتحرك فى رشاقة العصفور ـ ومهما يكن وزنه ـ بين هؤلاء وأولئك ، واذا كان قد أدرك نقاط القوة والضعف لدى من هم دونه ، فهو بحكم موقعه وتعامله يدرك أيضا نقاط القوة والضعف لدى من هم فوقه ، وبحكم هذا الموقع أيضا يمسك فى يديه بكثير من الخيوط الصاعدة والنازلة ، ويرى المشهد من فوق ضروراته ومحظوراته ، ويراه من تحت ، طبيعته وخصائص العاملين فيه ، ومن هذا كله يدرك أنه لا توجد لغة مشتركة كافية بين هؤلاء وأولئك ، وأن من مصادر قوته أنه هو وحده الذى يصبح عارفا وصانعا لهذه اللغة المشتركة ، وأنه بدونه تتشابك الخيوط الصاعدة والنازلة ، وأن هذه الخيوط تمسك به بقدر ما يمسك بها ، ويكثر حديثه عن ضرورة اللغة المشتركة والرؤية المشتركة ، بقدر ما يعمق شعوره بصعوبة ذلك ، ومع هذا التوحد والترابط بينه وبين من هم فوقه ومن هم دونه يزداد شعوره بأنه الواحد المتعدد ، ويؤكد لمن هم دونه أنه واحد منهم مقاتل من طرازهم ، له فى الحقيقة نفس أهدافهم ، ولولا دوره التاريخى لأسعده أن يكون مثلهم ، يغير بيديه فيما يغيرون فيه أيديهم وجباههم من فكر وعمل ، وهو يختار من عمل هؤلاء المبدعين ما يناسب تماما ما يطلبه رجال الصف الأول ، يعرف كيف يقدمه فى الوقت المناسب ، وبالطريقة التى تقنعهم بأنه هو تماما ما يلبى احتياجاتهم .

وكثيرا ما يبدو فى وقت واحد فى صورة المنتصر والمنهزم ، البطل والضحية ، فهو يحقق لمن هم دونه بعض أحلامهم ، ولمن هم فوقه كل ما يمسك به فوق مكانه المفضل !! وذلك جزء من أسلوب دفاعه العظيم !!

تتغير أمامه الوجوه من فوق ، حيث تهب العواصف الجامحة عند القمة ، ومن تحت ، حيث يثور أحيانا بعض هؤلاء المبدعين ، أو يدركهم التعب واليأس ، حيث يمر الوقت دون أن يحدث التغيير ، بينما تتسع المسافة بين واقعهم وأحلامهم ، ويبقى هو فى مكانه الأثير ، فالقادمون الجدد عند القمة يحتاجون الى دليل الى قاعدة الهرم الذى يتربعون فوقه ، بينما هو قادر على أن يجتذب البدائل لاولئك الذين ثاروا أو تركوا مواقعهم ، وما أكثر البدائل على منحدر الجبل . . ! انه هو وحده الذى يعرف مواقعهم ولغتهم ، وهو يعرف كيف يجدهم هناك متعبين قابلين رغم ذكائهم ، لان يعانقوا السراب والوهم ، لا أحد مثله يعرف هذا النوع من البشر ، الذين يبدون خارج نطاق نبوغهم ومواهبهم كالأطفال ، هم دائما ينشدون الحماية والأمن ، ليتفرغوا لما يعتقدون أنه مهمتهم الوحيدة فى الحياة ، والتى يمارسونها بنفس البراءة والحيوية التى يمارس بها الأطفال ألعابهم !

انه يصطادهم فى هذه الدقائق الخمس التى هى معجزته الحقة ، والتى تصبح دون أن يدرى هى كل حياته !

امتيازه أو مأساته أنه وهو يحدثهم عن أحلامهم فى التغيير يبدو حقا وكأنه يتحدث عن أحلامه هو ، هو نفسه لم يعد يعرف عدد الأشخاص الذين يتحدثون بداخله ، يخيفه بقدر ما يرضيه أنه يبقى فى مكانه وسط كل هذه المتغيرات ، قدرته على التذكر لا يعادلها الا قدرته على النسيان !!

لا حديث له الا عن ضرورة التغيير ، ولكنه هو بدوره ، بموقعه ، بأسلوب تعامله ، يبدو نموذجا رائعا لما يتغير !

له سمات العباقرة دون أن يكون له انجازهم وابداعهم ، يستخدم كل الكلمات التى فى قاموس الحب والكراهية والثورة والتمرد ، ولكنه بهدوئه وغناه واستمراريته لا يعرف الحب ولا الكراهية ، ويمارس صلحا مذهلا بين كل المتناقضات لصالح بقائه فى موقعه !

لا يخاف شيئا مثلما يخاف لحظة فراغ ، تستدرجه

الى التفكير لحظة فيما يجرى من حوله ، فى هؤلاء الذين خدمهم أو استخدمهم ! ولذلك فهو يحيا فى العمل أو يموت فيه ، ويصبح ذلك (ربما دون قصد) من رصيد قوته وبقائه فى موقعه ! دائرة معارفة تتسع لمئات الأسماء والشخصيات من كل الطبقات والجنسيات والتخصصات ، وطبعا لا يعرف شيئا واحدا عن أى واحد من هؤلاء خارج ما يتصل بعملهم معه !

يبدو أنه يملك كل شيء ، ولكنه لا يكاد يملك حتى حياته التى تختصر أخيرا فى هذه الدقائق الخمس !

وهو يعرف قيمة هذه الدقائق ، حين يلتقى مصادفة بواحد ممن عملوا معه أو عمل معهم .. لسنين قصيرة أو طويلة ... ان أشياء غامضة تتحرك فى داخله .. عواطف كالزلازل أو البراكين ... أشياء تنذر بما لا قبل له به ، و آنذاك يبدو تدريب الدقائق الخمس العظيم ، تأتى الابتسامة المحسوبة ، والكلمات المحسوبة ، كل الأسلحة التى تختصر المعركة فى دقائق ، دون أن تسمح بالتورط فى احساس واحد بالأسى ، أو بالندم ، أو بالحب ، أو بالكراهية ، أو بالشفقة على نفسه أو على غيره !!

يقول بعض من يعرفونه ، انه لا غنى عنه ، فهو موجود فى كل العصور وفى كل بلاد الدنيا ، وانه من صلبه ينحدر كل رجال الادارة العظام ، الذين هم سادة المستقبل دون ريب ، حيث العمل والنظام الاجتماعى كله أكثر تعقيدا وأكثر حاجة الى أمثاله ، وان التغيير الوحيد الممكن هو ما قد يمس أسلوب أدائه لهذا الدور !

بينما يقول البعض الآخر : ان وجوده بهذه الصورة هو مرحلة من مراحل التطور الانسانى ، وسيأتى يوم لا محالة يتطور فيه رجال الصف الثالث ، يحطمون شعورهم الزائف بالعجز والحاجة الى الحماية ، يعنون بتنمية ذواتهم بقدر ما يعنون بتنمية مواهبهم وقدراتهم ، يجمعون بين القدرة على الابداع والقدرة على توظيف هذا الابداع فى وقته ومكانه .

وآنذاك يتغير رجال الصف الأول أنفسهم ، فلن تكون هناك سوى لغة واحدة يتكلمها كل الرجال ، وآنذاك قد تتغير الحياة كلها !

والى أن يحدث ذلك أولا يحدث ، فسيبقى هذا الوجه فى المرآة جديرا بكل ما نملك من آسى ومحبة ، ورغبة فى التفهم ، ورغبة فى المواجهة والتغيير !! □

●

الروح والجسد !

كتب مارتن لوثر كنج الزعيم الزنجي الذي أمضى حياته مدافعا عن الحقوق المدنية لابناء جلده .. كتب يوما يروي قصة السيدة الزنجية العجوز التي جاوزت العام الثاني والسبعين من عمرها ، وكيف كانت تقطع كل يوم مسافة طويلة سيرا على الاقدام من بيتها الى حيث يقيم أبناؤها وأحفادها ، اثناء مقاطعة الزنوج لوسائل المواصلات العامة التي حرم عليهم البيض استخدامها ، حتى اذا استبد بها التعب يوما ، اقترب منها رجلٌ أبيض وقال : « لماذا تمضين اذن في تأييدك لهذه المقاطعة التي لاجدوى منها ؟ » وقالت السيدة وهي تستند بذراعها الى الحائط : « ربما تكون قدماي قد انهكهما التعب .. ولكن المهم هو الروح ، وأنا أشعر بروحي هناك تحلق مستريحة في سماء الأرض التي تحتضن المسحوقين . »

العربي - العدد ٣١٨ - مايو ١٩٨٥

المياه العربية ... وصراع الوجود

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : أوسكار متري

نهر الاردن .. المسروق .
تعمد فيه السيد المسيح ..
مياهه حيوية للاردن
وسوريا ولبنان وفلسطين .

خضراوات الأغوار .. في طريقها لأسواق الاستهلاك .

عناصر أساسية للوجود ، ان فقدت فقد الشعب الكثير من مقومات وجوده ، وان اعتدي عليها . . فانها الحرب لا محالة !

لنأخذ المياه على سبيل المثال . . انها مفتاح باب حضارة الاستقرار منذ أن عُرف العالم .

اذ لولا النيل ، والفرات ودجلة . . والسند وغيرها من الأنهار لما قامت حضارات مستقرة يعود تاريخ قيامها الى الانسان الأول . حتى يومنا هذا فان أكبر وأوسع المدن والحواضر مازالت مركزة على جانبي تلك الأنهار وغيرها .

إنها المياه التي جعل الله منها كل شيء حي .

قصتنا نحن العرب منذ أوائل هذا القرن وخاصة في الأربعين سنة الأخيرة مع المياه قصة تروى ، لأن فيها ـ قصة ـ حياتنا ومستقبلنا ووجودنا .

لنتمعن ـ مجرد تمعن ـ في منظر مازال أمام بؤرة عين من يرى ، منذ عشرين عاماً .

المثلث الخطـــر :

كنا مع الشمس في سباق وتحد ، هي تركض نحو أفق المغيب ، ونحن بودنا أن نركب مراكب الهواء كي نصل الى هدفنا . . وهدفنا كان « المثلث الخطر » أي مكان التقاء الحدود الأردنية ، السورية ، الفلسطينية المحتلة .

جبل الجولان أصبح على يمين التلة التي ارتقيناها ، والمياه على الجانب الأيسر تلمع بوجوهنا من جراء مغازلة الشمس لها . . وبساتين وسهول ووهاد مكسوة بالأشجار والخضراوات على مد النظر .

يقول مرافقنا : أترون أشجار السرو . . هناك ؟ انها الحدود الفاصلة بين ما هو تابع لنا ، وما أصبح يتبع عدونا .

نمر على مراكز الجيش الأردني واحداً إثر الآخر . . ثم نرتقي جبلاً . . يخفق القلب ، وترتعش الأوصال . . طبيعة مكسوة بجمال حكت عنه الأساطير « أرض اللبن والعسل » بقايا نهر الأردن تلمع على يسارنا مع فيض من جمال البساتين والحقول على الجانبين الأردني والفلسطيني المحتل .

والبحيرة . . سادرة في مكانها . . تلمع زرقة مياهها من بعيد ، وبيوت بيضاء تحتل التلال التي تحيط بها . . .

أهي طبريا ؟

انه الوطن ، حلم العمر كله ، يتكرر في المنام واليقظة .

كبرت الغصة في كل ذرات البدن ، وتجمع الحزن ـ الفرح في تقاطيع الوجه . . ووقف الدمع يتشاور في المآقي .

الشمس كعادتها عجول . . . ونحن نتقافز مع الكاميرا من مكان الى آخر . . . نصطاد لقطات قد تجود بها الفرصة ثانية وقد لا تجود .

لم يكن صراعنا مع الشمس العجول فقط ، بل كان أيضاً مع الخوف من رصاصات قد تأتي من المرصد الاسرائيلي الذي يواجهنا على الجبل المقابل .

كانت لحظات من القفز والركض والخوف والتوتر والاكتشاف ، اطلعنا فيها على محور اليرموك الذي يمثل عصب المياه المتفجر في المنطقة .

نهر اليرموك يغسل أقدام الجبل الذي نرتقيه . . . ونهر الأردن يلمع على بعد مئات من الأمتار القليلة ، وبحيرة طبريا خزان الماء الذي تلتقي فيه أهم أنهار بلاد الشام تتماوج من بعيد .

وقناة الغور الشرقية بمحاذاة الجبل مازال الماء يتدفق

في شريانها ليضيف الى شرايين الناس والحيوانات والشجر الحياة والنضرة والاخضرار . . . والجولان . . . تحول الى مرصد للعدو .

نتابع توغلنا قليلاً ، بدت السيارات التي ترتقي هضبة الجولان واضحة لنا كل الوضوح . . أشار مرافقنا الى جسر مقصوف ومدمر . . قال : انه جسر خط سكة الحديد الذي كان يصل بين فلسطين وغيرها من الأقطار العربية .

ثم نقرأ لافتة « الحمة » انها الحمة السورية المحتلة ، . . مساحة خضراء واطئة بين جبلين . . لو رميت حجراً لأصاب الصبي الراكض أمام مسجدها ، . ولو رميت حجراً آخر لأثرت دوائر كثيرة في برك المياه الدافئة والساخنة التي تحيط بها .

ثم نصل الى الحمة الأردنية التي تبعد عن الحمة السورية بضعة أمتار . نرتقي جبلاً آخر . . هدفنا كان موقع ما سمي بسد المخيبة « خالد بن الوليد » ، بدا الأفق يكتسي بحمرة الغروب ، وأصبح الصمت تسبيحة خوف تنشك في القلوب . . ثم فجأة . . . مرصد آخر للعدو . . . عندها أوقف مرافقنا المهندس السيارة . . . وأشار الى أسفل الوادي وقال انه وادي نهر اليرموك ، . أنظروا !

مجموعة من الآلات والمكائن المعطوبة . . كانت في قعر الوادي . . .

ثم أشار الى يميننا . . وقال : أنظروا أيضاً نفق طولي ثم شقه بين حافتي الجبلين اللذين يخترقهما نهر اليرموك بين الأردن وسوريا . . . ثم تراءت على رؤوس التلال مكاتب الشركات التي كانت قد بدأت تنفيذ . . المشروع . . . الأمل مشروع سد المخيبة أو سد خالد بن الوليد .

لقد قصف العدو الصهيوني المكاتب والآلات ومراكز التحويل ، اعتباراً من سنة ١٩٦٤ ، وتم الهجوم على مراكز التحويل عدة مرات ، آخرها سنة ١٩٦٧ أثناء حرب حزيران . ومازالت الآلات رابضة في أماكنها اشارة ورمزاً على محاولة تحقيق الأماني والأحلام . .

فهل هو العجز الذي يختزله وضع الآلات المعطوبة ، أو المكاتب المهجورة ، أو النفق الذي بقي مجرد حرث طولي بين الصخور ؟

تحبك النكتة المرة معنا فنقول : بناء سد المخيبة تحول الى خيبة ! نعم هو ذلك !

الدور البريطاني :

لكن . . قبل المضي في نقل المشاهدات والانطباعات ، دعنا ننقل لك عزيزي القارىء . . بعض أطراف الحكاية من أولها . . . .

. . كان . . يا مكان . . . ـ تهزل بمرارة ـ عدواً يرسم على الورق مخططاته ومشاريعه . . . فأصبحت أحلامه حقائق ، وأوهامه مشاريع ، تشق قلب الحياة في أقطار أمتنا . وتحولت حقائقنا الى أحلام وأماني ! . .

من المؤكد أن بداية مسيرة المأساة و الدرامية » للمياه ومصادرها في منطقة بلاد الشام لم تقم بعد خطاب رئيس الوزراء الاسرائيلي ديفيد بن غوريون سنة ١٩٥٥ :

خريطة الجمهورية اللبنانية تظهر الانهار المهمة فيها ومنها الليطاني (عن كتاب « اسرائيل » والمياه العربية) لعفيف البزري .

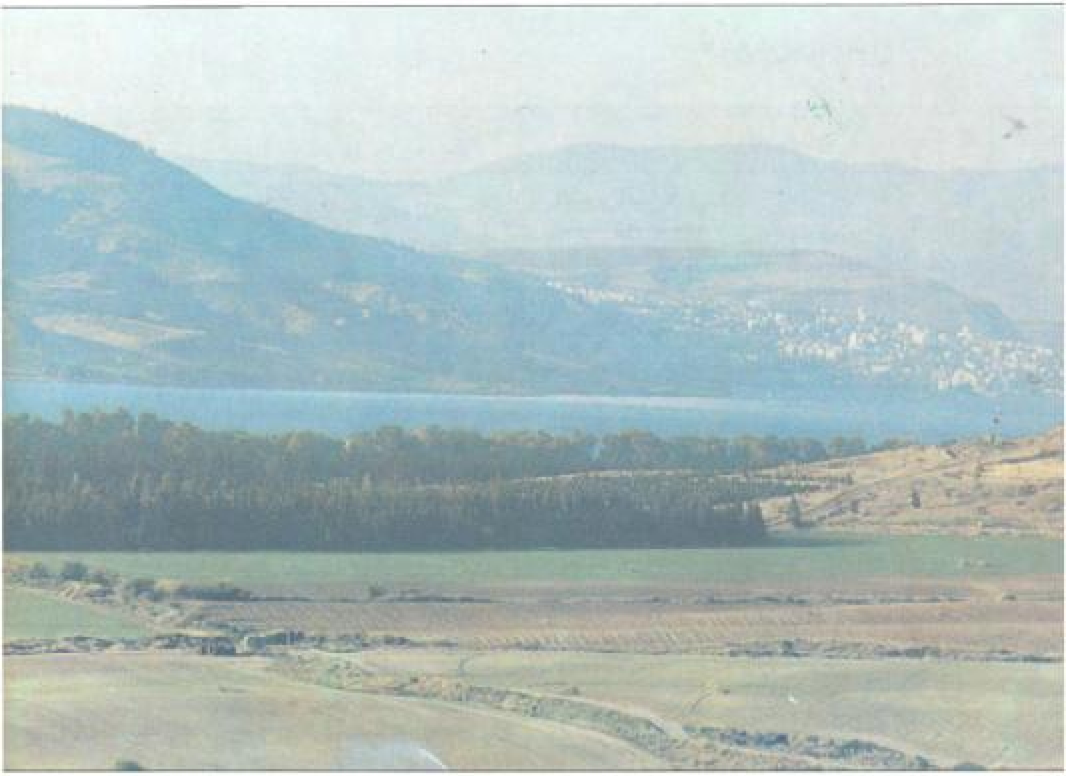

بحيرة طبريا . . . مصب أهم أنهار بلاد الشام . لاحظ مدينة طبريا في عمق الصورة .

جسر - الوصل - المضروب على نهر اليرموك . . . يقع عند أخطر نقطة في الحدود السورية الاردنية الفلسطينية

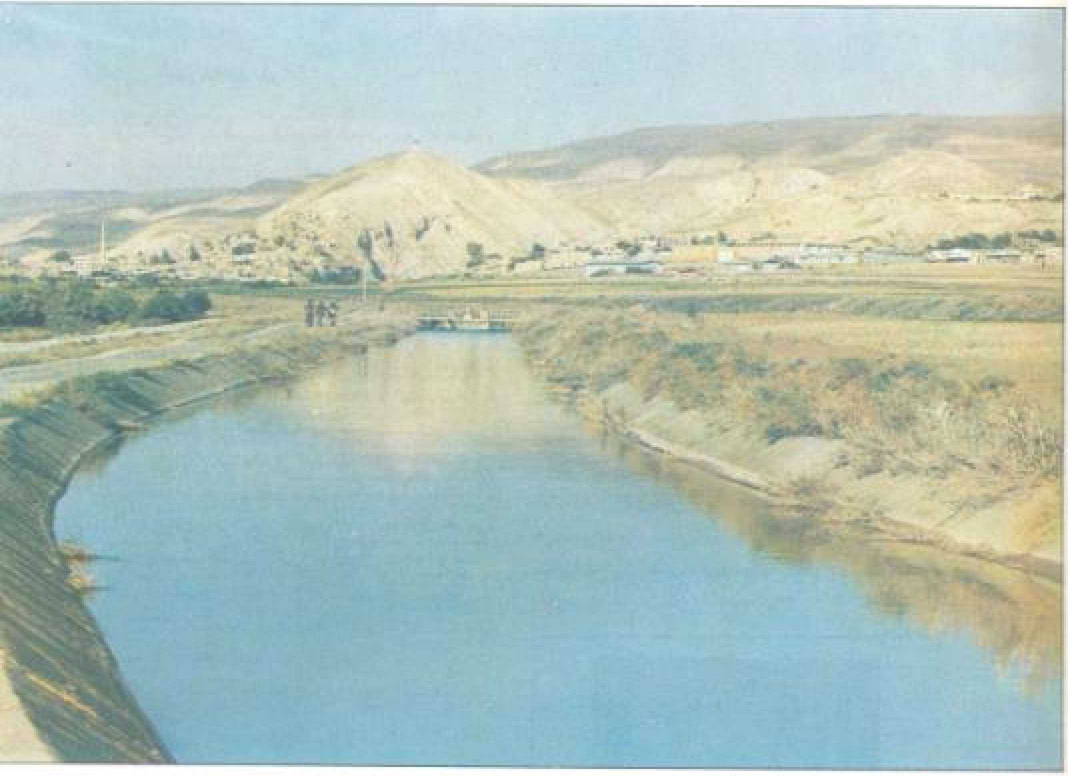

قناة الغور الشرقية . . . عليها تقوم الحياة والزراعة في منطقة الأغوار الأردنية

. . نهر الليطاني . . . أثناء مروره بقرية المرج البقاعية . . قبل أن يلتقي بفروعه الأخرى . .

«ان اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه ، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير « اسرائيل » واذا لم تنجح في هذه المعركة فاننا لن نكون في فلسطين » .

« اذ انه من الثابت ـ وقبل القاء هذا الخطاب ـ أن عدة مشروعات تم انجازها على الأرض ، ومخططات تم تقديمها الى الهيئات الدولية من قبل المنظمات الصهيونية ، يقول المهندس صبحي كحالة ـ أحد أهم الكفاءات التي تعاملت مع موضوع المياه ، اشرافاً ، ومسؤولية وادارة ـ في كتابه « المشكلة المائية في (اسرائيل) وانعكاساتها على الصراع العربي الاسرائيلي : « البحث في المشكلة المائية في فلسطين قديم قدم نشوء الحركة الصهيونية نفسها ، فمنذ أن بدأ حلم استعادة أرض صهيون يراود مخيلة قادتها حوالي منتصف القرن الماضي ، أدرك هؤلاء القادة أن تحقيق أهدافهم في تهجير ملايين اليهود الى فلسطين ، لن يتم الا بالتوسع في السيطرة على أرضها ، وان التوسع في استغلال الأرض لن يتم الا بتأمين كميات كافية من المياه لاروائها ، وبالهيمنة الكاملة على مصادرها » .

ويضيف المهندس كحالة :

« ومنذ عام ١٨٧٣ ، تجلى التعاون الكامل بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية الناشئة وقتذاك ، حين أوفدت الجمعية العلمية البريطانية بعثة من الخبراء والمهندسين الى فلسطين ، لتقصي ما فيها من موارد طبيعية ومنها المياه .

وقد كان في التقرير الذي نشرته هذه البعثة عام ١٨٧٥ ، أول اشارة الى الدعوى اليهودية القائلة بامكان اتساع فلسطين والنقب لاسكان الملايين من البشر ، وبأن من الممكن ري صحاري الجنوب اذا أمكن نقل بعض كميات المياه الموفورة في شمالي فلسطين الى جنوبها تحقيقاً لهذا الغرض » .

لذلك فان إقامة أول مستعمرة صهيونية في نهاية القرن الماضي في شمال فلسطين بالقرب من مصادر المياه .. لم تكن حالة « اعتباطية » بل جاءت جزءاً من التوجه الصهيوني العام الذي استمر في محاولات التسلل الى الأرض ، وتقديم مشروعات متتالية للهيئات الدولية ..

فقد تقدمت المنظمات الصهيونية الى مؤتمر الصلح المنعقد اثر الحرب العالمية الأولى بتاريخ ١٩١٩/٢/٣ ، بمطالب مهمة تتعلق بتخطيط حدود فلسطين ، جاء فيها :

« أن حدود فلسطين يجب ان تسير وفقا للخطوط العامة التي تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، بجوار مدينة صيدا ، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان ، حتى تصل الى جسر القرعون ، فتتجه الى البيرة ـ قرية في البقاع اللبناني ـ متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ـ في لبنان ـ ثم تسير في خط جنوبي متتبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ ، حتى تقترب من الخط الحديدي الحجازي الى الغرب منه . وفي الشرق نجدها خط يسير بمحاذاة حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية ، وفي الغرب البحر الأبيض المتوسط » .

المهندس صبحي كحالة .

واضح في رسم هذه الحدود انها لم تتضمن السيطرة على انهار منطقة بلاد الشام فحسب ، بل السيطرة على منابعها ايضا .

الا أن اختلاف مصالح الاستعماريين الفرنسي والانكليزي اللذين اقتسما بلاد الشام بينهما ، عطل جزءاً من المشروع الصهيوني . لان بعض منابع ومسارات بعض الأنهار كانت تقع في « الحصة » الفرنسية .

ومع ذلك فان المنظمات الصهيونية والت جهودها لاقتناص أية فرصة للحصول على ما يمكن الحصول عليه .

وهكذا فان شركة روتنبرغ اليهودية حصلت سنة ١٩٢٦ على امتياز لاستثمار مياه نهري الأردن واليرموك عند نقطة تلاقيهما عند جسر المجامع الأردني ومستعمرة نهاريم اليهودية ، لتوليد الطاقة الكهربائية لمدة سبعين سنة ، مما وضع قيودا على الأردن ، وحد من حريته في استغلال مياه نهر اليرموك لأغراض السقاية وغيرها .

وبذلت سلطات الانتداب البريطاني كل مساعدة ممكنة للمنظمات الصهيونية ، كي تسيطر على امتياز شركة بحيرة الحولة وتجففها وتستثمر اراضيها اعتبارا من سنة ١٩٣٤ . وقد نفذ المشروع اعتبارا من سنة ١٩٥١م .

وقد ساهمت سلطات الانتداب البريطانية قبل وعد بلفور سنة ١٩١٧ وبعده بتسهيل تسليم فلسطين الى الصهاينة .

من الفــرات الى النيــل :

وقام الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، الا ان أطماع هذا الكيان بالمياه العربية المحيطة بقيت كما كانت عليه قبل نشوء الكيان ، بل ان الالحاح على تأمين المياه أصبح من الأمور المهمة جدا لسد احتياجات سيل المهاجرين ، الذي اخذ يزداد يوما بعد يوم . وهكذا توالت حروب السيطرة على المياه .

« أن يحدد الكيان الصهيوني في بعض أدبياته حدود امتداده من الفرات الى النيل .. فان هذا يعني ان هناك رغبة اكيدة في الاستئثار بالمياه .. بل ان تعريف الأرض بالانهار .. ما هو الا دلالة اكيدة على طبيعة التوجه .. والخطر المحدق بالنهرين وبالمنطقة الممتدة بينهما » .

هكذا قال لنا السيد ميشيل حمارنة وكيل وزارة الاعلام الاردنية عندما التقيناه في عمان .

فهل آن أوان الخطر على هذين النهرين ؟

قال لنا المهندس صبحي كحالة ـ مهندس الكثير من مشروعات المياه في الأردن وسوريا ومنها مشروع سد خالد بن الوليد المضروب .

« ان مصادر المياه المتاحة داخل فلسطين المحتلة قد تم الكشف عنها وتم استغلالها ، ولذلك فان الزيادة في عدد السكان ، واستصلاح اراضي للزراعة ونمو الصناعة تحتاج كلها الى مصادر جديدة للمياه ، فاذا عرفنا ان اكثر من ٩٥٪ من مصادر المياه قد تم استغلالها ، فهذا يعني أن الكيان الصهيوني يبحث عن مصادر جديدة .. ومع انه استعمل كل ما هو متاح من مصادر :

ـ كتحلية المياه المالحة واعادة استعمال مياه المجاري والمصانع بعد تصفيتها .

ـ محاولة وقف التبخر من بحيرة طبريا واستمطار الغيوم وحجز مياه السيول والتخزين الجوفي لمياه الشتاء ، ومزج المياه المالحة بالعذبة ، والاقتصاد والحد من استعمالات المياه .. كل ذلك جربه العدو الصهيوني ..

والنتائج ؟

ـ « فيما عدا عمليتي تحلية مياه البحر وتكريرها (امكاناتها محدودة) فان العدو استنفذ كل الوسائل المتاحة له داخليا ، ووصلت كميات المياه المنتجة والمتاحة الى حدودها القصوى » .

والحل ؟

ـ اننا وجها لوجه امام السؤال الملح : من أين سيأتي العدو الصهيوني بالمياه كي تستجيب لمشاريعه الاستيطانية والتوسعية المستمرة ؟

عزيزي القارىء .. قبل ان نجيب عن هذا السؤال فانه يحسن بنا متابعة الخطوات التي اتخذها العدو للسيطرة على مصادر المياه القريبة من حدود الأراضي التي احتلها سنة ١٩٤٨ ، وأخذ يقضم غيرها بعد هذا التاريخ :

خــزان الميــاه :

يقول عفيف البزري في كتابه « اسرائيل والمياه العربية » .

« يشكل الحرمون ـ جبل الشيخ ـ الذي يزيد ارتفاعه على ألفين وثمانمائة متر عن سطح البحر مع هضبة الجولان ، خزان مياه المناطق الجنوبية لبلاد الشام . فملايارات أطنان الثلوج التي تتساقط على قمم جبل الشيخ ، والأمطار الغزيرة التي تنهمر على

المشاريع المائية الاسرائيلية ...
تم تنفيذها قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها (عن كتاب « المشكلة المائية في « اسرائيل » وانعكاساتها على الصراع العربي - الاسرائيلي) للمهندس صبحي كحالة .

مياه الأردن الأسفل ... أملح من الدموع ... حتى السمك لا يعيش فيها !

جسر الملك حسين أو جسر اللنبي سابقا ، بوابة الى قسم من الوطن أصبح تحت الاحتلال .

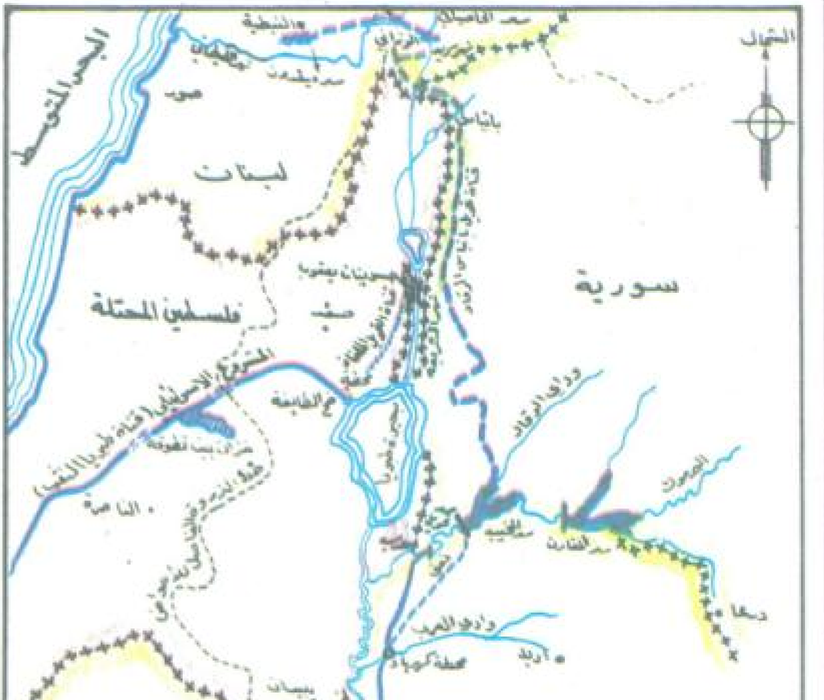

المشروع العربي لتحويل روافد نهر الاردن سنة ١٩٦٤ - (عن كتاب . . . « المشكلة المائية في « اسرائيل » وانعكاساتها على الصراع العربي - الاسرائيلي) للمهندس صبحي كحالة .

سفوحه وعلى هضبة الجولان ، والتي تتجاوز الألف وثلاثمائة مليمتر سنويا ، تتسرب كميات كبيرة منها بعد تغذية مياه السطح ، بعيدا في أعماق الأرض لتشكل المياه والأنهار الجوفية التي تغذي ينابيع نهري الأردن واليرموك وفروعهما وجداولهما (بانياس ، الحاصباني ، دان ، الوزاني ، الرقاد وغيرها) » .

والنقطة ـ القاتلة ـ في هذه الأنهار انها تقع على ما يسمى بالحدود المشتركة الأردنية السورية الفلسطينية المحتلة . بعضها يصب في بحيرة طبرية مباشرة كالحاصباني والوزاني ودان والأردن الأعلى ، وبعضها يصب في مجرى نهر الأردن الأسفل ، أي اثر خروجه من بحيرة طبريا ، كنهر اليرموك (يلتقي بالأردن الأسفل بعد مسافة حوالي عشرة كيلومترات من البحيرة) .

ان وضع هذه الأنهار وجريانها في مجار مشتركة ، جعلها عرضة للخلافات والتعدي على « حقوق » معروفة ومنصوص عليها في القانون الدولي .

وبما أن العدو الصهيوني اقام كيانه من منطلق الاغتصاب ، وتجميع اكبر عدد من اليهود في مساحة من الأرض محدودة في المساحة والموارد ، لذلك فانه سيلجأ الى متابعة حالات الاغتصاب بين الحين والآخر ، وذلك كي يستجيب الى الحاجات المتزايدة لمستوطنيه ارضا وماء .

وهكذا اصدرت السلطات الصهيونية منذ عام ١٩٤٩ تشريعا يؤمم المياه ، ويقنن استثمارها ، ويعتبرها كملك عام من حق الدولة فقط أن تتصرف فيها ، ملغيا كل حق للأفراد عليها .

ثم انشأت شركة « تاهال » لتخطيط ودراسة وتصميم كل ما يتعلق بالمياه ومصادرها اضافة الى شركة « ميكوروت » التي كانت قائمة من قبل ، وتولت الشركتان تنفيذ كل ما يتعلق بمشروعات المياه ومصادرها المتاحة داخل فلسطين المحتلة .

الا أن ذلك لم يلب أو يف بالأطماع الصهيونية . فتم وضع المخططات « لسرقة » مياه نهر الأردن وفروعه .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه :

« فبعد أن ثبت عجز الآبار المحفورة في مستعمرات النقب ـ صحراء في جنوب فلسطين ـ عن تأمين حاجة المنطقة من المياه ، تقرر عام ١٩٥٤ البدء بتنفيذ نقل مياه نهر العوجا ـ ينبع من جبال نابلس ويصب في البحر شرقي مدينة تل ابيب ـ والينابيع التي تغذيه الى النقب الشمالي لارواء أراضيه الخصبة ، وصُمم المشروع بحيث يشكل حلقة اساسية متكاملة ، مع انشاء القناة الرئيسية المقررة لنقل مياه نهر الأردن وروافده من الشمال الى اراضي النقب في الجنوب » .

السيد ميشيل حارنة .

عند هذه « العقدة » بدأت نذر الاصطدامات تتوالى . . لقد جفف الاسرائيليون بحيرة الحولة قبل ذلك ـ سنة ١٩٥١ ـ ومع أن سوريا حاولت ايقاف العمل . . تارة بواسطة القوة العسكرية ، وأخرى بواسطة الشكاوي الى الأمم المتحدة . الا ان الغاصب الصهيوني المحتل أنجز المهمة ، وانتقل الى غيرها . .

مشروع جونستون :

حدثت صدامات أخرى خاصة عندما بدأ العمل الجدي بتحويل الأردن ، فتحركت أميركا وأرسلت جونستون الى المنطقة سنة ١٩٥٣ ، ثم تكررت الزيارة لاربع مرات آخرها كان سنة ١٩٥٥ هدفت الى :

« محاولة اقناع الأطراف بالموافقة على اقامة مشروع

استثماري موحد للموارد المائية في حوض وادي الأردن . .

وقد قدر المشروع كميات مياه حوض الاردن بـ ١٢١٣ مليون متر مكعب . تم الاقتراح بتوزيعها بالشكل التالي :

- ٧٧٤ مليون متر مكعب للاردن .
- ٤٥ مليون متر مكعب لسورية .
- ٣٩٤ مليون متر مكعب للكيان الصهيوني .
- لاشيء للبنـــان .
- اقامة سدود على الحاصباني واليرموك ، وانشاء عدة اقنية في المنطقة . وقد رفض العرب المشروع ، لكونه :

اهمل تخصيص أية كمية من المياه للبنان ، واكتفى بتخصيص كمية رمزية لسورية ، بالرغم من انها يغذيان النهر باكبر قسط من المياه ، ولم يخصص للاردن ما يكفيه ، واعطى العدو الصهيوني اكثر مما يستحق . اضافة الى ان المشروع كان يتضمن تحويل مياه اليرموك الى بحيرة طبرية مما يجعل الكيان الصهيوني هو المتحكم بتزويد الاردن وسوريا بحصتيهما .

ورفض الكيان الصهيوني المشروع ايضا وطالب بـ ١٢٩٠ مليون متر مكعب من المياه ، بل وأصر على ادخال مياه الليطاني في المشروع - مع ان الليطاني نهر لبناني صرف منبعا ومصبا - وطالب بـ ٤٠٠ مليون متر مكعب حصة له منه .

واضح ان الكيان الصهيوني كان يطرح شروطا تعجيزية لافشال المشروع من أساسه . . كي يستكمل مشروعاته الخاصة القاضية بالسيطرة على كامل مياه النهر .

ويمكن الاشارة الى ان المشروع الأميركي لم يخف وجهه السياسي الواضح الأبعاد الملاصق للوجه الاقتصادي .

تذكر الباحثة ليزلي شميدا في كتابها « الصراع على المياه » النص التالي الذي جاء على لسان جونستون نفسه سنة ١٩٥٤ في جامعة كورنيل الأميركية :

« لقد وضعنا برنامجا شاملا متكاملا لتطوير حوض الأردن ، سوف يعتبر على الأقل بداية لحل عملي بناء وطويل الأجل لمشكلة اللاجئين ، وبالتالي يساعد في القضاء على جو المرارة والأستياء في المنطقة » .

وقد تنبهت الباحثة شميدا وغيرها من الباحثين الى هذا الهدف ، فأنكرته كحل « اقتصادي » لمسألة سياسية . . . فقالت :

« ١ - انه من غير الملائم او المناسب أن تسوى مشكلة سياسية بصفة جوهرية بوسيلة اقتصادية .

٢ - ان سياسات المياه في الكيان الصهيوني عكست التطلعات السياسية غير القابلة للتفاوض ، كما ان الاسرائيليين لم يكونوا راغبين ابدا في الزام انفسهم بأسس وقواعد لاستغلال المياه ، يمكن أن تؤدي الى تقييد حريتهم في القيام بأي عمل من جانب واحد » .

تحويل نهر الأردن :

استأنف العدو الصهيوني العمل في تحويل نهر الأردن الى النقب اعتبارا من ربيع سنة ١٩٥٦ واعتمد التصميمات التالية :

١ - اعتماد بحيرة طبرية كمركز لتخزين مياه الفيضانات .

٢ - تأمين كامل الكميات المطلوبة للمشروع من المياه بضخها مباشرة من بحيرة طبريا .

- تنبه العرب بعدها لما يقوم به العدو الغاصب ، فدعت الجامعة العربية سنة ١٩٦٠م الى تحويل روافد الأردن اذا ما استمر العدو في مخططات تحويل النهر .
- وفي سنة ١٩٦٤ اعلن الاسرائيليون انهم على وشك الانتهاء من انجاز المرحلة الأولى من ايصال مياه الأردن الى النقب .

وردا على ذلك دعا الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى مؤتمر القمة الأول سنة ١٩٦٤ الذي عقد في القاهرة .

وكان من نتائجه :

- قرار تحويل روافد الأردن ، وتشكيل هيئة سميت باسم « هيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده » تتولى مهمة وضع التصاميم والاشراف على تنفيذ سلسلة من العمليات الهندسية في لبنان وسورية والأردن برئاسة المهندس صبحي كحالة .

ويتلخص المشروع العربي بالتالي :

- تحويل مياه ينابيع الحاصباني الى حوض الليطاني .

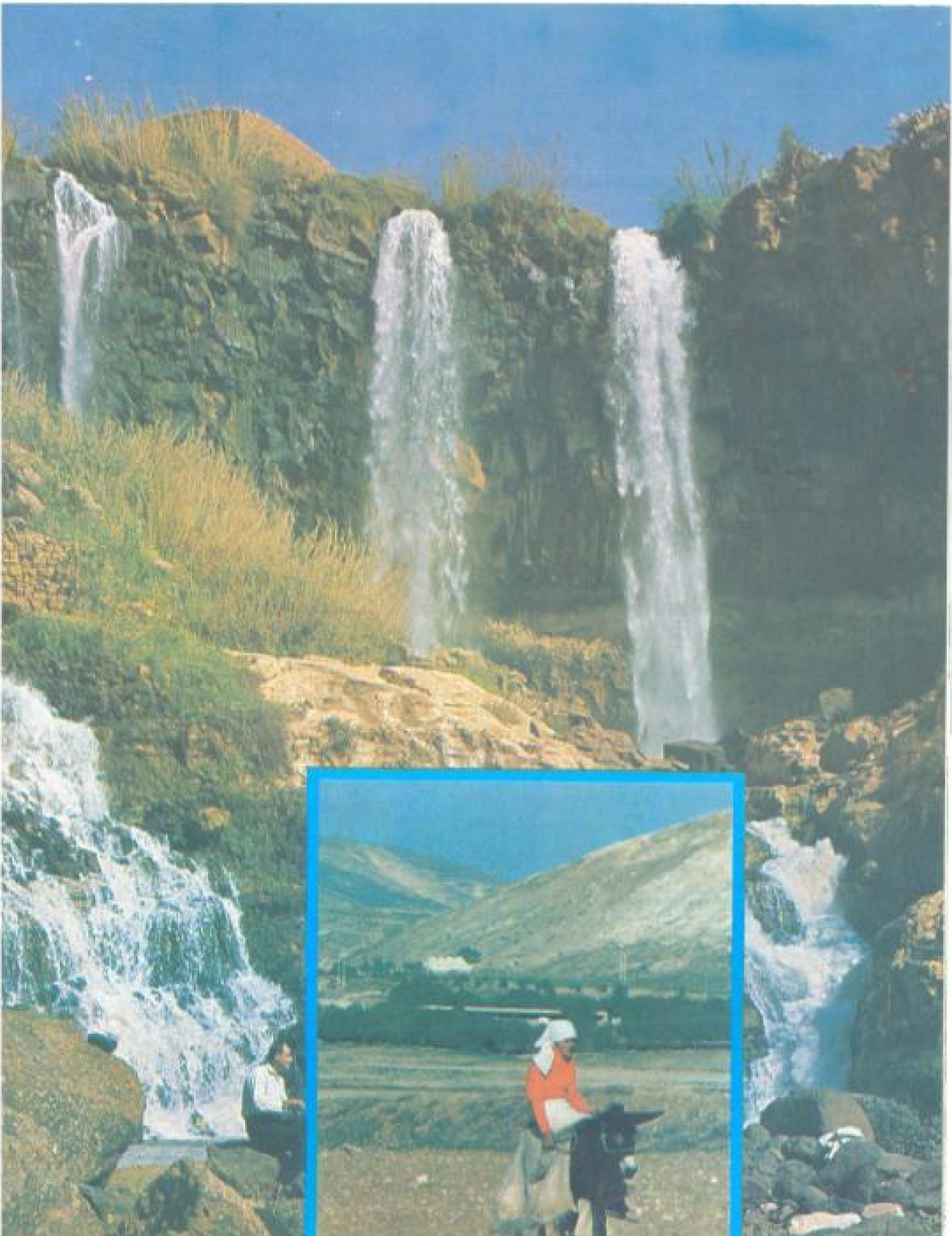

شلالات . . . تل شهاب في سوريا .

أطفال يلعبون في احدى قرى الأغوار .

الجبال محتلة . . . وزراعات الاغوار العربية يمكن تهديدها في أية لحظة !

الحمة السورية المحتلة . . . لاحظ ينابيع المياه التي تحيط بها .

ـ تنفيذ ما يلزم من انشاءات لاستثمار ينابيع الوزاني وبانياس .
ـ انشاء سد في موقع المخيبة في الأردن على نهر اليرموك لاقتسام المياه بين الأردن وسوريا وتوليد طاقة كهربائية منه .
ـ تعلية قناة الغور الشرقية لمضاعفة تصريفها من ١٠ الى ٢٠ مترا مكعبا في الثانية .

وعندما جد العرب وبدأوا بتنفيذ مشروع المخيبة . . . توالت التهديدات الاسرائيلية لسوريا ولبنان والأردن ، ثم حدثت اعتداءات عسكرية على مراكز وورش تحويل الأنهار في سورية والأردن ـ منها موقع المخيبة الذي ذكرناه في بداية هذا الاستطلاع ـ وهكذا حصل التقطع وعدم الثبات والاستمرارية في مشاريع تحويل روافد الأنهار . . الى أن شن العدو الصهيوني حرب عام ١٩٦٧ فقضى على كل المنشآت التي كانت قائمة لتحويل روافد نهر الأردن ، وتم احتلال الضفة الغربية والجولان وسيناء أيضا .

وبذلك تخلص الاسرائيليون من « مضايقات » السوريين والاردنيين الى حين ، وأصبحوا مطلقي الأيدي في التصرف بطبريا وحوض نهر الاردن الأعلى بكامله .

وقد قال ايغال ألون نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي ومنظر حزب العمل المعروف في تلك المرحلة :

« ان لهضبة الجولان ولمنحدر جبل الشيخ اهمية حيوية ، لا من أجل الدفاع عن مستوطنات وادي الحولة ضد الرمايات السورية فحسب ، وانما ايضا لحاجات « اسرائيل » الاستراتيجية الشاملة في الاشراف على الجولان . فهذا الأمر يتعلق بالدفاع عن الموارد الأساسية لمياهنا ، وبالدفاع عن الجليل الأعلى والأسفل ، وبالدفاع عن الأردن الأعلى والأوسط (ـ وادي الحولة وبحيرة طبريا والوديان المحيطة بها ، ووادي بيسان) .

نتائج التحويل :

هكذا . . . انتهى الأمر بتحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب ، وتم نقل ما يزيد على ٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه بواسطة قناة تمتد من الحدود الشمالية لبحيرة طبريا ، ثم تتعرج ناحية الغرب لتمر بخزان بيت نطوفة ، ثم تتابع انحدارها نحو الجنوب الغربي لتلتقي بمشروعات : نهر المقطع ـ كيشون ـ القريب من حيفا ، ونهر العوجا ـ اليركون ـ قرب تل أبيب وشبكات أخرى فرعية . . وصولا الى النقب .

وقد نتج عن تحويل نهر الأردن الأعلى ما يلي :
ـ زيادة الملوحة في بقايا النهر بعد خروجه من بحيرة طبرية وسيره بين الضفتين الشرقية والغربية وصولا الى البحر الميت .
ـ كي تتغلب « اسرائيل » ـ على ملوحة المياه ، خاصة وأن بيسان تحتاج الى المياه العذبة ـ فانها أنشأت قناة طبريا ـ بيسان لنقل المياه العذبة أو المنقاة من الملوحة .
ـ انخفاض مستوى الماء في البحر الميت ـ وصل الى ٣٩٤ مترا تحت سطح البحر ـ مما سيؤثر على المشروعات الصناعية الأردنية المقامة عليه .
ـ حرمان ١٥ كيلومترا مربعا من الأراضي السورية من السقاية المناسبة .

ـ حرمان حوالي ٤٠ ألف دونم في الأردن من امدادات المياه العذبة ، والحيلولة دون تطوير ٨٠ ألف دونم أخرى .
ـ استبدال المياه المالحة في حوض الأردن الأسفل ـ المتجة من طبريا الى البحر الميت ـ والاعتماد على مياه نهر اليرموك المنقولة بواسطة قناة الغور الشرقية .

هذا وقد لجأت سوريا والأردن اثر حرب عام ١٩٦٧م الى استغلال السيول والأنهار الفرعية التي تصب في نهر اليرموك وأقامتا سدودا صغيرة عليها . بعد أن جمدت الخلافات بينهما مشروع اقامة سد نهر المقارن على مجرى نهر اليرموك الفاصل بين القطرين . خاصة وأن « اسرائيل » تطالب برفع نصيبها منه في حال انجاز السد من ١٧ مليون متر مكعب الى ٤٠ مليونا ، وتطالب بتخصيص ١٤٠ مليون متر مكعب اخرى بدعوى انها تريدها للضفة الغربية .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه المشار اليه سابقا :

« قام القطر العربي السوري خلال العشر سنين الأخيرة ، ومازال يقوم ، بتنفيذ العديد من المشاريع الزراعية في منطقة حوران ، واستعان لتأمين المياه لريها بانشاء عدد من السدود السطحية الصغيرة لحجز مياه الوديان والينابيع ، واستثمارها في هذه الينابيع

ـ المزيريب (اقيم سد صغير على بحيرة المزيريب منذ سنة ١٩٤٣) تل شهاب ، جلين ، زيزون ، الشيخ مسكين وغيرها ـ ، الأمر الذي أدى الى تعديل مساحة اراضي القطر العربي السوري في تغذية مياه النهر من معدل ٤٠٠ مليون متر مكعب الى معدل ٢٢٠ مليون متر مكعب سنويا » .

وقال المهندس محمد بني هاني نائب رئيس سلطة وادي الأردن . . الذي قابلناه في عمان : « لاشك ان الأردن هو المتضرر الأساسي من تحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب . لذلك فاننا لجأنا الى عدة اجراءات كي تقلل من المصائب التي نزلت على فلاحينا وأراضينا ومياهنا الوطنية ، منها :

ـ استغلال جميع مصادر المياه المتوفرة بأعلى كفاءة ، كاستعمال بعض شبكات المياه المدفونة بدلا من المفتوحة ، واستعمال الباطون للارضية ، واستخدام وسائل التنقيط للري ، والاستعانة بالأنابيب المضغوطة ، واستعمال البيوت البلاستيكية .

ـ استغلال الأودية والأنهار الجانبية المتبقية ، واقامة سدود صغيرة عليها ، كسد وادي العرب ، وسد على نهر الزرقاء ، (سد الملك طلال) ، وسد الكفرين ، وسد وادي شعيب وشرحبيل بن حسنة وغيرها .

ـ مد مياه الأغوار الشرقية حوالي ١٤ كيلو (يصبح طولها حوالي ١١٠ كيلوات) أي انها اصبحت تغطي المنطقة المتدة من مثلث اليرموك القريب من بحيرة طبرية الى طريق القدس القديم القريب من البحر الميت .

ـ تم التنقيب عن المياه الجوفية في المنطقة ، وتوصلنا الى بعض النتائج الجيدة ، خاصة في المخيبة وبالقرب من وادي العرب .

ـ تفتيت الملكيات الزراعية الكبيرة ، وجعل سقف الملكية في الأغوار حوالي ٢٠٠ دونم ، وذلك لربط الفلاحين بالأرض . ونتائج ما بذلناه تمثلت في زيادة الرقعة الزراعية المروية ، وزيادة الكثافة السكانية التي نأمل ان تصل الى مائة ألف .

مياه الضفة الغربية :

ذكرنا في فقرة سابقة ان السلطات الصهيونية طالبت « بحقوق » الضفة الغربية المحتلة من مياه اليرموك . . فما الذي تم بالنسبة لمصادر المياه فيها ؟

تقول الباحثة ليزلي شميدا في كتابها « الصراع على المياه » : « الحقيقة أن ثلث استهلاك « اسرائيل » من المياه قبل عام ١٩٦٧م والبالغ بليون وستمائة مليون متر مكعب جاء من الضفة الغربية ، بعد ان قامت بحفر آبار على جانب خط الهدنة مباشرة .

وقد تراوح حجم المياه العربية السنوي الذي تسيطر عليه « اسرائيل » منذ عام ١٩٦٧ بين ستمائة الى سبعمائة مليون متر مكعب (مياه جوفية في معظمها) ، أي ما يساوي تقريبا مجموع الزيادة في استهلاك « اسرائيل » من المياه منذ اواسط الستينيات . وبمعنى آخر فان توسيع المستوطنات الاسرائيلية والزيادة في انتاجها الزراعي منذ ذلك الوقت انجز في الحقيقة بمياه الضفة الغربية وأعلى نهر الأردن » .

د. محمد بني هاني

وتضيف الباحثة : ان النوايا والأهداف الاسرائيلية في سياستها المائية في الضفة الغربية يمكن توضيحها بنشاطات حفر الآبار فحتى أغسطس ـ آب سنة ١٩٨٢ قامت « اسرائيل » بحفر ٣٢ بئرا جديدة على الأقل في المنطقة ، تستغل من قبل الاسرائيليين فقط ، في حين ان الفلسطينيين حصلوا على الاذن بحفر ٧ آبار جديدة فقط للاستهلاك المنزلي ، ولم يحصلوا على أي تصريح لحفر أي بئر يمكن استعمالها للري .

في هذا الموقع كان من المقترض انشاء سد المخيبة - خالد بن الوليد .

اضافة الى ذلك فان الآبار الاسرائيلية أعمق ، وبالتالي تضخ مياها اكثر من الآبار العربية . ففي عام ١٩٧٧م ضخت ١٧ بئرا اسرائيلية في وادي الأردن ما مجموعه ١٤ مليون متر مكعب من المياه ، بينما ضخت ١٠٦ آبار عربية ١٢ مليون متر مكعب فقط . وقد أصبحت هذه مشكلة رئيسية بالنسبة للفلسطينيين ، لأن الكثير من الآبار الاسرائيلية حفرت على مقربة من الآبار والينابيع العربية ، وكانت نتائج ذلك في أغلب الأحيان مدمرة ، مما زاد الملوحة فيها » .

اليرموك :

تساءلنا في صفحة سابقة عن مصادر المياه التي يمكنها أن تلبي مشروعات الاستيطان الصهيونية ، والزيادة السكانية المرفودة بهجرات اليهود من شتى أنحاء العالم . . وترجيحات الخبراء والمختصين انصبت على مصدرين :

الأول : مصادر داخلية ذكرنا امكاناتها وآفاقها .

الثاني : مصادر خارجية تتمثل في نهري اليرموك ، والليطاني .

بالنسبة لنهر اليرموك (طوله من منبعه حتى مصبه حوالي ٥٧ كيلومترا) فانه مصدر حيوي واساسي حتى لمياه « الشفة » الشرب للأردن وسوريا ، وكان من المؤمل انشاء سدين عليه هما : المخيبة أو خالد بن الوليد ، الذي دمر العدو الصهيوني منشآته في حرب عام ١٩٦٧م وقبلها . وسد المقارن الذي وضعت كل الدراسات لانجازه ، بل تم اعتماد التمويل اللازم لهذا الغرض ، وكان يمكن له لو انجز ان يحجز حوالي ٤٠٠ مليون متر مكعب يمكنها الاستجابة الى كل المتطلبات الزراعية وسد الحاجات الأخرى ، كمياه الشرب او المساهمة في مخططات الصناعة وغيرها في الاردن .

الا ان مطالب الكيان الصهيوني المغالية في حقه بمياه اليرموك (يمر اليرموك في الاراضي العربية المحتلة عدة كيلومترات لا يستحق عليها العدو كما قدر ذلك الكثير من خبراء الري الا ١٧ مليون متر مكعب فقط) ، وسيطرة العدو الصهيوني على هضبة الجولان أعاقا أية محاولة لاقامة سد على الحدود أو بالقرب منها ، اضافة الى عدم وجود اجواء عربية مناسبة ذكرناها من قبل .

فهل يكون اليرموك هدفا للعدو . . اذا ما وجد ان كل مصادر المياه المتاحة له لا تستجيب الى طلبات الأرض والسكان المتزايدة على المياه ؟

وما هي علاقة الليطاني بالكيان الصهيوني ؟ . . مع

العلم بأن كل المسافة التي يقطعها النهر من منبعه بالقرب من بعلبك في منطقة البقاع اللبنانية الى مصبه في منطقة القاسمية في البحر الأبيض المتوسط هي مناطق لبنانية كاملة (طول النهر حوالي ١٤٥ كيلومترا) .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه : « ان مشكلة المياه في « اسرائيل » مازالت قائمة ، وانفراجها خلال سني السبعينيات اثر استيلائها على مصادر المياه العربية وتصرفها دون رادع ، هو انفراج مؤقت . ومن المؤكد ان ازمتها المائية ستزداد في العقود القادمة - صدر الكتاب سنة ١٩٨٠ - مادامت سياستها التوسعية مستمرة ، ومادام اصرارها على توطين المزيد من ملايين المهجرين اليهود في ارض فلسطين مسيطرا » .

وقال لنا المهندس كحالة نفسه عندما قابلناه في دمشق (١٩٨٤/١٢/١٧) : « باعتقادي أن أزمة المياه ستبرز واضحة في الكيان الصهيوني في عقد التسعينيات » .

وتقول الباحثة شميدا في كتابها « في عام ١٩٩٠ سوف تحتاج « اسرائيل » الى ما بين أربعمائة الى أربعمائة وخمسين مليون متر مكعب اضافية من الماء لمواجهة الاستهلاك المنزلي فقط ، مما يعني أنه يتوجب على « اسرائيل » مضاعفة استهلاكها الكلي من الماء ، اذا كانت تريد تجنب انخفاض مستوى المعيشة والانخفاض في نموها الاقتصادي » .

فما هو المصدر الأقرب الى عيون المراصد والمصالح الاسرائيلية ؟

عمال .. وزراعة محمية .. وعدو يتربص على الجبال .

اليرموك .. أو الليطاني .. هما الهدف .. فهل نعي ذلك .. ونتخذ الاجراءات اللازمة قبل أن يتم وضعنا أمام الأمر الواقع ؟

الليطاني :

انهدام بين جبلين يأخذ مسارا طوليا يمتد من الحدود السورية جنوبي سهل حمص ليحاذي حدود فلسطين الشمالية .. يعتمد عليه لبنان في تموينه بمعظم خضراواته « . انه سهل البقاع الذي يقع بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية ، اللتين تكتسيان بالثلج في الكثير من أشهر السنة . كان الثلج قريبا من حواف الطرق في بعض المناطق البقاعية التي زرناها (١٩٨٤/١٢/٢٠) .

كان جلال الشيب الذي يحيطنا من طرفي الجبلين يفرض علينا لحيظات من التأمل والتمعن .. وفجأة دوت طلقات المدفعية وظهرت خطوط بيضاء في السماء .. لقد كانت الطائرات الاسرائيلية وهي توالي طلعاتها الاستكشافية .. تقابلها طلقات المقاومين الذين مازالوا على عهد المقاومة .

هذه الوفرة في الثلوج واستمرارها لأشهر معدودة من السنة ، من الطبيعي ان ينتج عنها وجود عدة ينابيع وأنهار في المنطقة : البردوني (يصب في الليطاني) والعاصي (ينبع بالقرب من قرية اللبوة) الذي عصى طبيعة مسار الأنهار ، فاتجه شمالا ليدخل الأراضي السورية ، والليطاني .. تتجمع ينابيعه من بحيرة اليمونة وينابيع العليق والعسل واللبن وغيرها ، ويتجه جنوبا فيمر بالقرى البقاعية .. ثم يتعرج .. ليصل الى منطقة الجنوب اللبناني ، فيسمى بالقرب من الساحل باسم نهر القاسمية ، اقيمت عليه بحيرة القرعون - بالقرب من قرية القرعون البقاعية - التي وفرت طاقة كهربائية لمعظم المناطق اللبنانية ... وارتوت من مياهه العديد من القرى والبساتين خاصة في الجنوب ، (بساتين القاسمية الغنية بالحمضيات التي تصل مساحتها الى ٥٠ ألف دونم تقريبا) .

ذكرنا أن الأطماع الصهيونية في مياه نهر الليطاني قديمة .. قدم الحلم باقامة الكيان الصهيوني .. وقد جاء في مذكرة الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن المقدمة بتاريخ ١٩٢٠/١٠/٣٠ الى وزير الخارجية البريطاني

سد صغير بالقرب من قرية الشيخ مسكين بسوريا .

الذاك : « اني متأكد من أن سيادتكم تدركون أهمية الليطاني الكبرى لفلسطين ، فلو تأمنت لها جميع مياه الأردن واليرموك لن تفي بحاجاتها ، ان الليطاني هو المصدر الذي يمكنه ان يؤمن المياه لري الجليل الأعلى ولتوليد الطاقة الكهربائية لاحياء الصناعة » .

وفي سنة ١٩٥٤ قدم الكيان الصهيوني مشروعه البديل للمبعوث الأميركي جونستون ، حول موضوع الأنهار ، وتضمن المشروع المطالبة بحصة من مياه الليطاني تصل الى ٤٠٠ مليون متر مكعب ، ليبقى للبنان صاحب النهر منبعا ومجرى ومصبا ٣٠٠ مليون متر مكعب فقط !!

لم يكف العدو الصهيوني عن المطالبة واستناح الفرص المناسبة للسيطرة على مياه الليطاني ، فغزا لبنان سنة ١٩٧٨ وسمى عملية الغزو « بالليطاني » واحتل أجزاء منه ، وتعاون مع مجموعات مسلحة سماها « جيش لبنان الجنوبي » كي تحافظ له على أمن مستعمراته في شمال فلسطين .

ثم غزا الكيان الصهيوني لبنان في صيف عام ١٩٨٢ ، بحجة اخراج الفدائيين الفلسطينيين من جنوب لبنان ، فأصبح الليطاني تحت السيطرة الاسرائيلية .. وقد ذكرت مصادر كثيرة ان « اسرائيل » أقامت منشآت عديدة لتحويل الليطاني والسيطرة على مياه الوزاني والحاصباني .

ذكرت ليزلي شميدا في كتابها : « لقد أجرى المهندسون الاسرائيليون عدة مسارات للتحويل ، وقد اكتملت خطة التحويل الرئيسية لهذا النهر منذ عدة سنوات ، وتتكون من مجموعة من القنوات وقنوات الجر والسيفونات والانفاق التي ستحمل مياه نهر الليطاني من جنوب لبنان الى بيت ناتوفا ـ البحيرة الاصطناعية القريبة من بحيرة طبريا ـ حيث تفرغ هناك في خط المياه الذي يمتد الى النقب » .

ويقول الدكتور كمال حمدان في دراسة له نشرتها جريدة السفير اللبنانية بتاريخ ١٩٨٤/١/٦ مايلي : « كانت الشكوى اللبنانية المقدمة الى مجلس الأمن في آب ـ اغسطس من سنة ١٩٨٤ قد أكدت وجود حفريات بين قريتي كفركلا ودير ميماس اللبنانيتين الواقعتين على اقصر خط نظري بين الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية ومجرى نهر الليطاني » وذلك لتحويل النهر .

كما ان مجرى نهري الوزاني والحاصباني (يصبان في نهر الاردن قبل وصوله الى بحيرة طبريا) يتعرضان لخطر التحويل الكامل والسيطرة الكاملة على مياههما (طاقة تصريف النهرين من المياه تصل الى حوالي ١٣٥ مليون متر مكعب سنويا) .

وبالرغم من انسحاب « اسرائيل » من بعض اجزاء الجنوب اللبناني (انتهت المرحلة الأولى بتاريخ ١٩٨٥/٢/١٨) فإن الخطوط الجديدة لوجود القوات الصهيونية تم تثبيتها على نهر القاسمية بالذات ، ومع أن العدو الصهيوني أعلن أنه سينسحب الى خطوط الهدنة المثبتة اعتبارا من سنة ١٩٤٨م بينه وبين لبنان في

مراحل لاحقة ـ سميت بالحدود الدولية ـ . فان مياه الليطاني والوزاني والحاصباني بل والأراضي اللبنانية كلها تبقى ضمن الأطماع الصهيونية المعلنة مرارا وتكرارا ، . وان الانكفاء الحاصل ما هو الا ترصد وكمون الانتظار للفرص المناسبة !

جسور الأحزان :

وبعد عزيزي القارئ .. كانت السماء ملبدة بالغيوم ، وكانت نقط المطر تعانق الأرض العطشى برقة وتؤدة .. البحر الميت تسمع حفيف أمواجه كأنها أوراق ناعمة ، وأريحا تنزوي على الطرف الآخر مزنرة بالمستعمرات التي تحيط بها .. وجبال القدس تظهر عليها مباني العيزرية البيضاء كنقط صغيرة (تبعد جبال القدس حوالي ٣٠ كيلومترا عن الحد الجنوبي من البحر الميت) .

مررنا بعدة قرى تزرع الحمضيات والموز والخضراوات المحمية بالبلاستيك ، قرى شهدت تاريخا من المعارك القديمة ، (الكثير من مقامات الصحابة كضرار بن الأزور ، ومعاذ بن جبل ، وسعد ابن ابي وقاص ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم مازالت قائمة في العديد من قرى الأغوار) ، والحديثة .. معركة الكرامة وغيرها من معارك سنة ١٩٦٨ بين الكيان الصهيوني من جهة والفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني من جهة اخرى . ثم اتجهنا الى قرية الشونة الجنوبية .. وتوغلنا لعدة كيلومترات (حوالي خمسة) ... وفجأة برز العلم الاسرائيلي واضحا في وجوهنا ..

كان الموقع هو جسر الملك حسين (اللنبي سابقا) ، لا يزيد طوله على ٥٠ مترا وعرضه حوالي خمسة امتار ، نقطة الفصل بين حدي الحدود مجرد برميلين تنكيين على عرض الجسر .. سألت :

* هل تحادثونهم سيدي الضابط ؟

ـ وهل يحادث الانسان عدوا .. أجابني ضابط نقطة الحدود وهو يحمل جهاز اللاسلكي بيده ويخابر عمان ..

الكمين الاسرائيلي على بعد امتار قليلة ، يرصد كل حركة على الجسر .. والجنود الاسرائيليون على الطرف المقابل يصل حديثهم الى المسامع واضحا ، اقف على حافة الجسر واتمعن الحافلات المغادرة بانشداد الى الضفة الغربية أو الاتية منها هم أهلنا الذين مازالوا في قلب دائرة الحصار .. والمقاومة .. التفت الى يساري فأرى جسر اللنبي ركاما مكوما منذ حرب عام ١٩٦٧ ..

وأتمعن بالمياه المعكرة المتسربة تحت الجسر .. انها مياه نهر الأردن الأسفل .. بعد خروجه من بحيرة طبريا .. سألت :

* ألا تصلح للزراعة ؟

ـ انها مالحة الى درجة ان السمك الذي يسير معها من بحيرة طبريا يعافها ويقذف نفسه منتحرا على جانبي النهر . (تصل الملوحة الى ٢٥٪) .

* هل هذا ما تبقى من نهر الأردن ؟

ـ يجيب مرافقنا المهندس .. هذا هو .. مياه مالحة لا تصلح للزراعة ، اضافة الى انها منخفضة عن سطح البحر حوالي ٢٠٠ متر .

* الا يوجد حل لملوحة المياه هذه ؟

ـ الحل هو بخلطها بمياه عذبة .. لكن من اين نأتي بالمياه العذبة ؟

* ألم تتأثر الزراعة والآبار في المنطقة ؟

ـ لقد تأثرت كثيرا ، ونحن بصدد محاولة معالجة الأمر من خلال مشروع قناة الأغوار الشرقية .

* هل يمكن تلبية الحاجة تماما ؟

ـ علينا ان نحاول !

* والبحر الميت ألم يتأثر بانخفاض منسوب مياه نهر الأردن ؟

ـ لقد ازدادت ملوحته وانخفض منسوب المياه فيه .. وهناك مشروع لانشاء قناة البحرين ، اي لنقل مياه البحر المتوسط الى البحر الميت تسعى السلطات الصهيونية لانشائه ، .. وهو يمثل خطراً كبيراً على المصانع والمنشآت الأردنية المقامة عليه .

تمعنت المنطقة مليا ، كان المطر مازال يهمي خفيفا .. وكان نهر الأردن المالح يسير متئدا .. والكمين الاسرائيلي يرصد حركتنا ، وجسر اللنبي مازال مكوما مقصوفا ، .. وأريحا ارى ملامح وجهها وراء نقطة الحدود مكسوة بغلالة حزن الأسر ، ومزنرة بطوق المستعمرات الاسرائيلية التي تحيط بها . حينئذ تذكرت قول من قال : ان صراعنا مع العدو الصهيوني هو صراع وجود !..

□

شارة تكريم للمتفوقين من البشر في استخدام تكنولوجيا الحرب الحديثة ، وعلى الشارة تحتل حشرة مركز الصدارة ، وذلك لأسباب أوردناها في المقال .

حرب خفية.. بتقنية غير بشرية

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

تقنية البشر المتقدمة هي صورة أخرى عن تقنية أكثر دقة واكثر تعقيدا هي تقنية الحشرات . وقبل أن يكتشف الانسان جهاز الرادار وأجهزة الانذار المبكر كانت الخفافيش والفراشات وغيرها من الحشرات تستخدمها في صراعها الرهيب من أجل البقاء . وهذا المقال يروى قصة الاكتشاف المثير في عالم اكثر اثارة .

تعتمد ادارة التدريب المشترك لكل من القوات البحرية والجوية بالولايات المتحدة الأمريكية ، شارة خاصة تمنح للذين يجتازون الامتحان النهائي للتدريب على استخدام الموجات والموجات المضادة المستخدمة في الهجوم والدفاع عن طريق الأجهزة الرادارية والالكترونية المتطورة ، ولو ألقيت نظرة سريعة على هذه الشارة (شكل ١) ، لوجدتها تحمل صورة حشرة ، أو بالتحديد فراشة اسمها العلمى

شكل (٢) الخفاش يطير بجناحين ، وليس له منقار او ريش ، بل شفاه وانياب واذان طويلة .. وهذا ما حير الناس ، فحاكوا حوله الأساطير .

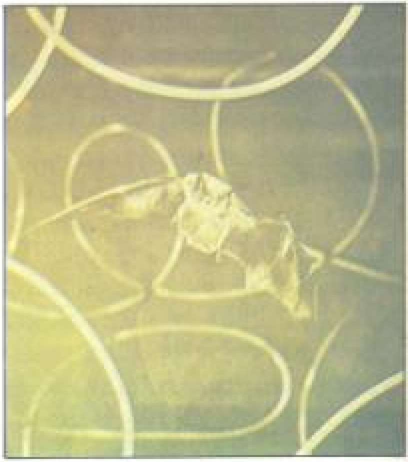

شكل (٣) غابة من الأنابيب الرفيعة التي تشكل متاهات متداخلة لتمرق الخفافيش خلالها ، ودون ان تصطدم بها ، ويرجع ذلك الى كفاءة استخدامها لموجاتها ، وكأنما هي ترى بآذانها في الظلام .

« ميليز لوداميا » **Melese laodamia** وهي نوع واحد من عائلة تضم ستة آلاف نوع وتنتشر انتشارا واسعا في القارات الخمس .

وطبيعي أن لهذا الاختيار الغريب ما يبرره ، اذ أن هذه الحشرة ـ مع غيرها ـ قد ظلت تستخدم « تكتيك » الدفاع والمناورة مع الخفافيش ، مستعينة على ذلك بتقنية الموجات والموجات المضادة منذ عشرات الملايين من السنين ، ومن أجل هذا احتلت موقع الصدارة على الشارة ، وكأنما هي تشير الى أن الانسان ليس هو مخترع تلك التقنية الحربية ، ومن هنا كان التكريم ـ ليس للفراشة بالتحديد ، بل لفكرة سابقة دالة على بديع الصنع ، وروعة التدبير ، بدليل ان الفكرة قد استغلت وصمدت كل هذه الملايين من السنين !

ولا يحسبن الانسان نفسه ـ بعد ذلك ـ أنه صاحب الافكار المبتكرة ، والتصميمات المذهلة ، والأجهزة المتطورة ، ووسائل التخاطب والاتصالات والتشييدات المتباينة .. الى آخر هذه القائمة الطويلة

التي يباهي بها ويفاخر، اذ لو عاد الى الطبيعة ودرس أسرارها، واستوضح مكنوناتها، وعرف نواميسها، واستلهم قوانينها، لخرج من ذلك بحصيلة علمية هائلة توضح له أنه «لا جديد تحت الشمس» كما يقولون، فكل فكرة للانسان، انما جاءت على أساس فكرة في الخلق سابقة، ولا يعرف ذلك الا العلماء الذين درسوا اسرار الطبيعة وألغازها.

اكتشاف مثير

كان لبداية الكشف عن سر الحرب التي تستخدم فيها الموجات فوق الصوتية قصة واقعية حدثت في شرفة منزل العالم الأمريكي دكتور كينيث رويدر ـ أستاذ علم الحيوان بجامعة «تفتس» بولاية ماساشوستس ـ ففي ليلة صيف دافئة من عام ١٩٥٦ جلس هو وبعض زملائه يتسامرون في شرفة المنزل، وبالصدفة أمسك أحدهم بغطاء زجاجة من الفلين وحركه بضغط شديد على حافة كوب زجاجي، فانطلق منه صوت حاد، والى هنا يبدو الأمر عاديا تماما، لكنه لم يكن كذلك حقا، اذ ان ما حدث بعد ذلك كان ملفتا للنظر، فلقد قامت الفراشات ـ التي كانت تحوم حول المصباح الكهربي المضيء ـ بعملية هبوط مفاجيء على أرضية الشرفة، وكأنما قد أصابها الشلل بغتة!

لم تمر هذه الملاحظة المتواضعة مرورا عابرا، بل جذبت انتباه الحاضرين، وعلى رأسهم بروفيسور رويدر. ولقد ظن بعضهم ـ باديء الامر ـ أن هذا الهبوط الفجائي ربما كان بسبب شلل عارض في الجهاز العصبي للفراشات، نتيجة لذلك الصوت الحاد، إذ أحيانا ما يحدث الشيء نفسه لبعض الكائنات عندما تتعرض لضوضاء شديدة تفقدها وعيها لفترة غير قصيرة.

لكن الفراشات التي هبطت فجأة، بدأت تتحرك هنا وهناك بسرعة، وظلت هكذا ـ في حركتها ـ مضطربة، كأنما تخشى من بلاء قادم. ثم ما لبثت أن حلقت في الهواء، وانطلقت الى غير رجعة، وكأنها تتجنب كارثة محققة، ومن أجل هذا عقد العلماء العزم على تحري أسباب هذه الظاهرة المثيرة. وفي معامل الجامعة تعاون كل من رويدر وزميله دكتور اشر تريت في دراسة سلوك هذه الفراشات، واستمر البحث سنوات، فتمخض عن حقائق مذهلة لم تكن لتخطر على بال احد«فهناك الآن قائمة بأكثر من خمسمائة بحث منشور عن تقنية الموجات فوق الصوتية القائمة بين الخفافيش والحشرات، ومع ذلك فقد كشف العلماء عن اسرار، وبقيت أسرار أخرى كثيرة تستوجب كشف غموضها، ومعرفة ألغازها، لأن المعرفة هنا قد تفيدنا في تطوير أفكارنا، وصقل أجهزتنا، أو قد نسيطر بها على انتشار تلك الحشرات، ومعظمها ضار بالزرع والضرع».

مشاكل تقنية معقدة

العلماء الذين يتعاملون مع النظم البديعة الموزعة بين المخلوقات يعلمون قبل غيرهم أنهم يقفون أمام آيات في الخلق قدرت تقديرا مذهلا، وأنها قد وصلت الى درجات من الاتقان والكفاءة التي يصعب هضمها بعقولنا.. مثل أجهزة ارسال الموجات فوق الصوتية، وأجهزة استقبال الموجات المرتدة التي تحدد بها الخفافيش أهدافها بدقة تامة، حتى لو كان هذا الهدف فراشة صغيرة أو حتى بعوضة محلقة.. وقد تبدو هذه المشكلة هينة لينة، لكن الذين يدرسون علوم الفيزياء عامة، والموجات فوق الصوتية خاصة، يدركون تماما أن الأمر ينطوي على شيء أشبه بالمعجزة!

دعنا نبسط هذه المسألة. لنتصور مثلا انك تجلس في قاعة بها موسيقا صاخبة، ممتزجة بأصوات بشرية عالية، تحجب كل صوت هامس، ثم زعم صديق يجلس بجوارك في هذا الوسط الضوضائي الصاخب أنه يسمع طنين ذبابة أو بعوضة يأتيه من مسافة مترين أو ثلاثة، عندئذ لن تصدقه أنت، ولن يصدقه أحد، لأن التموجات الصوتية الضعيفة تحجبها التموجات القوية، كما يحجب ضوء مصباح قوى ضوء شمعة ملاصقة له، او كما يحجب ضوء الشمس الساطع ضوء المصباح الكهربي.

ضع هذه الأمور في الحسبان مع أخذك في الاعتبار ما يعترض الخفاش من مشاكل مشابهة، فالخفاش يطلق موجات فوق صوتية ذات ترددات عالية ومزعجة، ولنتصور سربا يتكون من مئات وآلاف

الخفافيش التي تطلق موجاتها القصيرة وغير المسموعة للآذان البشرية ، لكنها بالنسبة لهذه الكائنات ضوضاء عالية تستقبلها اذانها رغما عنها ، لكن اذانها - مع ذلك - تستطيع أن « ترشح » الصدى الصوتي الواهن المرتد من بعوضة أو فراشة .. ومع أن هذا الصدى أضعف بنحو ألفي مرة من الضوضاء التي يطلقها الخفاش ، الا أنه يستطيع أن يلتقطها ويحدد مصدرها من بين « غابة » كثيفة من فوضى الاصوات التي تطلقها آلاف الخفافيش . لكن أحدا من العلماء لم يستطع أن يعرف الكيفية التي يتغلب بها الخفاش على هذه المشكلة التقنية المعقدة !

ولكي يتأكد العلماء من هذه الحقيقة ، قاموا باجراء تجارب مثيرة ، منها - على سبيل المثال انهم سلطوا على الخفافيش موجات فوق صوتية ، وبنفس أطوال موجاتها ، وذلك بغرض تداخل هذه مع تلك ، وابطال مفعولها ، لكن الخفافيش - مع ذلك - استطاعت أن « ترشح » موجاتها المرتدة من بين هذا الضجيج ، وسلكت سبلها بسلام ، ودون أن تصطدم بالعوائق التي وضعت في طريقها .. ليس ذلك فحسب ، بل زيدت الضوضاء الى ألفي ضعف عما تطلقه الخفافيش . ولم يغير ذلك في الأمر شيئا ، أما كيف توصلت الخفافيش الى حل هذه المشكلة ، فلا أحد يعرف ذلك يقينا .

نعود لنقول : لو أن الاذن البشرية قدر لها سماع صيحات الخفافيش ، لأصبح الخلاء الذي تنطلق فيه مصدر ضوضاء مزعجة ومقلقة ، لكن عدم سماعنا لها ، أو احتجابها عنا ، ليس من قبيل الرحمة بنا ، عندما نلجأ الى فراشنا ، بل يرجع ذلك الى مبدأ علمي عرفه الانسان حديثا جدا ، وسبقته به الخفافيش منذ ملايين السنين .. فالموجات فوق الصوتية تتميز بترددات عالية ، أي أن موجاتها أشد ، وأصواتها أحد ، وانعكاساتها من الأهداف أكثر تحديدا لمواقع هذه الأهداف وأحجامها ، حتى لو كان ذلك على هيئة سلك رفيع ممتد ، او بعوضة محلقة ، وكأنما ارتداد الموجات فوق الصوتية من الهدف بمثابة شعاع الضوء الذي ينعكس من الشيء الى العين فتراه ، لكن لا مانع من تقنية بيولوجية متقدمة تهيء للخفاش من أمره رشدا ، « فيرى » الأشياء بأذنيه لا بعينيه ؟

قديما وصف الجاحظ غذاء الخفاش في كتابه « الحيوان » بقوله « لا يجوز ان يكون طعمه الا من البعوض ، وقوته من الفراش ، ثم لا يصيده الا في وقت طيرانه في افواه » .. وعن سلوك الخفاش وابصاره يذكر « ومن أعاجيبه انه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة ، وهو طائر ضعيف ، قوى البصر ، قليل شعاع العين الواصل من الناظر ، ولذلك لا يظهر في الظلمة ، لانها تكون غامرة لضياء بصره ، غامرة لمقدار شعاع ناظره ... » الخ .

وما ذكره الجاحظ عن طريقة غذاء الخفاش ، وسبل صيده ، فهو صحيح ، لكن قلة شعاع العين فزعم خاطىء ، اذ ظن الاقدمون أن العين تبصر عن طريق شعاع خفي يخرج منها لترى به الاشياء . ولقد كان أول من صحح هذا المفهوم الخاطىء العالم العربي الحسن بن الهيثم ، اذ قرر ان الضوء او الشعاع هو الذي يسقط على الشيء ، فينعكس منه الى العين لتراه ، وليس العكس صحيحا أضف الى ذلك أن الخفاش ليس قوى البصر ، كما انه يستطيع التحليق في الظلام الحالك ، لأنه يعتمد على موجاته فوق الصوتية التي ترتد الى أذنيه ، فترسم له خريطة للمجال الذي يطير فيه حتى ولو لفه الظلام .

وطبيعي أن للجاحظ عذره ، اذ لم يكن زمانه يعرف العلوم التجريبية ، وظل الخفاش محاطا بالاساطير ، الى ان جاء العالم الايطالي سبالانزاني في عام ١٧٩٤ ، وكان يعتقد مع غيره أن الخفاش يمتلك حاسة خفية غير الحواس المعروفة . لكن سبالانزاني لم يعرف طبيعتها ، وتحدى من يستطيع إكتشافها ، وقبل المدعو لودفيج جورين السويسري تحدى الايطالي ، وقرر أن السر يكمن في اذني الخفاش لا في عينيه ، بدليل أن الخفاش سوف يتخبط على غير هدى لو حل بأذنيه أذى ، وتعجب سبالانزاني من هذا الاستنتاج ، لكنه لم يقف عند حد التعجب ، بل تخطاه أيضا الى مرحلة التجربة ، فقام باجراء عدة تجارب رائدة على الخفافيش ، واتضح أنها لا تستخدم عيونها في الصيد ليلا ، فلو طمستها ، فسوف تضل مسارها ، لكن طمس الأذنين سوف « يعميها » ، والى هذه الحدود لم يستطع أحد أن يضيف جديدا ، وظل الأمر محيرا بعد ذلك لحوالي ١٥٠ عاما ، ولم يتضح الا في حوالي منتصف القرن العشرين ، فالخفاش يطلق دفقات

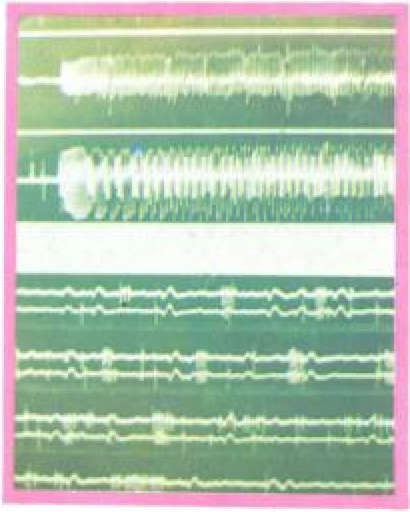

شكل (٤) لغة حشرة نوع واحد سجلها العلماء على أجهزتهم الحساسة من خلال ما يحس به جهاز الاستقبال عند الحشرة . . وشرح هذه اللغة الموجية يطول ، لكن ما تراه هنا ليس الا ترجمة لما تستقبله الحشرة من موجات صوتية من خفاش ، وتحت ظروف متغيرة ، فتغير ما بها ، حتى تفلت بجلدها .

سريعة من الموجات فوق الصوتية ، لتصطدم بالهدف ، ثم يرتد صداها الى أذنيه ـ كما سبق أن ذكرنا .

والتجارب الكثيرة والمثيرة التى أجراها العلماء على الأنواع المختلفة من الخفافيش توضح بحق أنها تمتلك تصميمات بيولوجية مذهلة ، ثم انها تستخدمها ببراعة فائقة ، ولقد وضعوا فى طريقها عوائق على هيئة انابيب دقيقة تتداخل وتتشابك فى متاهات من الحلقات التى تسمح بتحليق الخفافيش من خلالها فى صالة كبيرة مغلقة ومظلمة (شكل ٣) واستمر تسجيل طيران الخفاش لست ساعات كاملة ، دون أن يصطدم بواحدة . واعتبر العلماء هذه المناورات المتقنة بمثابة واحدة من معجزات الخلق المحيرة ، وكأنما لسان حالهم كان يقول كما قال الجاحظ من قبل فى وصف رشاقة الخفاش فى كتاب الحيوان !

بين الصيد والصياد

لكن الجانب التطبيقى او التقنى لهذه التصميمات البيولوجية يتضح أكثر عندما تظهر على مسرح الأحداث بعض أنواع خاصة من الفراشات التى تلعب مع الخفافيش لعبة خطرة من العاب الموت والحياة .

والواقع ان العلماء قد سجلوا الحرب الدائرة بين الخفافيش المحلقة ، والحشرات الهائمة بالموجة والصوت والصورة (شكل ٤) . . وبعمليات تشريح دقيقة . وتعرفوا على محطات البث والاستقبال فى الخفافيش ، وعلى أجهزة التنصت الحية التى تمتلكها بعض الحشرات ، لتتسمع على الموجات . ونحن لا نستطيع أن نتعرض لتفاصيل هذه التكنولوجيا البيولوجية هنا ، فالحديث فيها يتشعب ويطول والمجال ضيق ، لكن يكفى أن نذكر ان الخفافيش تبث موجاتها فوق الصوتية باندفاع الهواء من « صناديق قوية حية » فيمر بضغط كبير من خلال حناجرها الى أفواهها على هيئة تموجات سريعة تصل شدتها الى ما بين ٤٥ الف الى ٩٠ ألف تردد أو اهتزازه فى الثانية الواحدة ، وهذه لا نسمعها ، لأن الاذن البشرية تسمع فى حدود ترددات تقع ما بين ٢٠ ، ٣٠ ألف تردد فى الثانية ، وكلما كان التردد أشد كان الصوت أحد ، ثم يصبح أكثر حدة فى الموجات فوق الصوتية التى لا نسمعها ، لكن الفراشات تستطيع ذلك .

ولا شك أن هناك مشاكل تقنية عويصة بين الصيد والصياد ، لكن الخفاش متكفل بحل مشاكله ، ويعرف تماما كيف يغير من « تكتيكه » ، وهذا التكتيك مؤسس على مبادىء علمية هامة يعرفها العلماء حق المعرفة ، وعليها نؤسس أجهزتنا فى تطبيقات لا نحصيها عدا لكن الخفاش قد عرفها ، أو هى قد أوحيت فى تكوينه وحيا جبلا ، لكن يكفى أن نذكر مثالا واحدا نوضح به ما قدمنا فاوجزنا .

خذ على سبيل المثال حشرة ضئيلة محلقة مثل ذبابة الفاكهة التى لا يتجاوز طولها ملليمترين ونصف ، ووزنها جزء من الف من الجرام ، ورغم هذه الضآلة وزنا وحجما ، الا أنها كافية لأن تعكس الموجات فوق

الصوتية الى أذن الخفاش فيشعر بها وهو على مسافة منها تقدر بنصف المتر ، وفي جزء من الف جزء من الثانية ، أو بعد أن يكون قد قطع عشرة سنتيمترات فقط من استقبال الموجات ، يقوم بحركة التفاف بارعة ، وفي الوقت ذاته تنطلق منه موجات أكثر ، وبعدد من الترددات أكبر ، وبأطوال أقصر ، لتكون الكفاءة في الرصد اتقن ، وكل هذا نزول على قوانين ومعادلات الفيزياء التي يطبقها الخفاش بكفاءة « وذكاء » .

والخفاش لا شك صياد بارع ، اذ يستطيع ان يرصد ويصطاد ويلتهم عددا كبيرا من الحشرات . ولقد أحصى له العلماء ما اصطاده ـ وهو ينطلق بين سرب من البعوض ـ بخمسة آلاف بعوضة خلال ساعة واحدة .. ولقد اتضح أنه لا يصطادها بفمه ، بل يحويها بطرف جناحه ، وبسرعة خاطفة يحولها الى فمه !

تكتيك

والخفاش يطلق صيحاته فوق الصوتية ، فتنتشر في الهواء كما ينتشر الضوء من مصباح سيارة ، وكلما ابتعد الضوء عن المصدر ، زاد اتساعا وانتشارا وضعفا ، وكذلك الموجات الخفاشية التي اصبحت بدورها بمثابة « كشاف » صوتي يكشف له الافق الممتد امامه ، ويوضح له ما قد يعترض تلك الموجات من بعوضة محلقة ، او حشرة هائمة ، او عوائق معترضة ، لكنه ـ وبسرعة فائقة يحدد الغث فيتجنبه . اما السمين فينجذب اليه بدقة قذيفة موجهة ، فاذا بالصيد ـ في لحظة خاطفة ـ يصبح لقمة سائغة .. لكن ليس كل ما يهواه الصياد يدركه ، وكذلك الأمر مع الخفافيش اذ توجد اجهزة تنصت دقيقة ترصد موجات العدو ، وتحدد سرعته واتجاهه ، لتقوم بعمليات توجيه ومناورة سريعة ، فتفوت على المهاجم فرصته (شكل ٥)

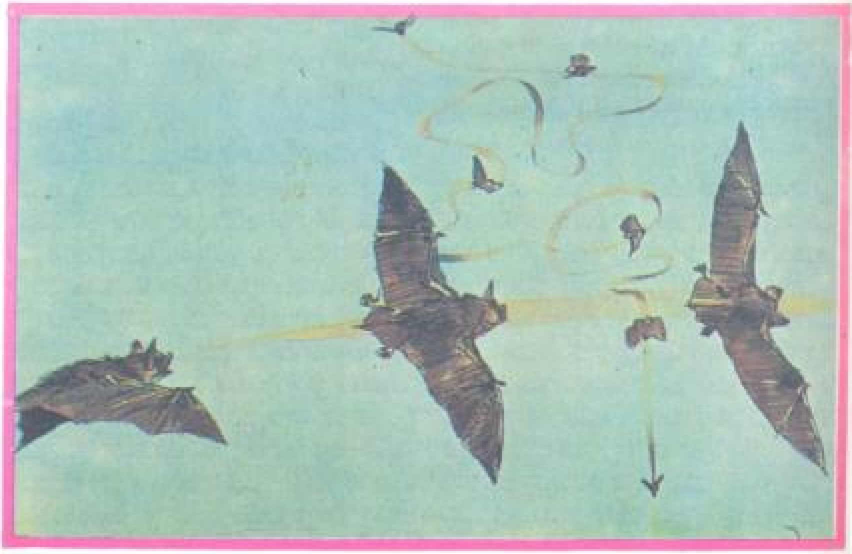

شكل (٥) يوضح كيف يندفع الخفاش الى فراشة بعد ان تنعكس موجات منها اليه ، لكنها ـ في الوقت ذاته ـ ترصد بسرعة فائقة حركته واتجاهه ، وتقوم بمناورات سريعة تغير فيها اتجاهاتها بمهارة مذهلة ، واحيانا تضطر الى عملية هبوط فجائية نحو الأرض (حيث يشير السهم) علها تنجو بحياتها .

ويعود من محاولاتـه ـ في أغلب الأحيـان ـ بخفي حنين !

ولاشك ان اجهزة التنصت على موجات العدو ليست في الأصل فكرة بشرية ، بل هي اساسا « حشرية » . لكن الأجهزة الحشرية تعتبر ادق واكفأ وأصغر اجهزة يمكن ان تتعامل مع الموجات فوق الصوتية . . وبالطبع فان التنصت يختلف باختلاف النوع عند الصيد والصياد ، فهناك مثلا حوالي ٧٠٠ نوع من الخفافيش تعيش على الحشرات ، ولكل نوع محطة بث تذيع على موجات يمكن بها تحديد هويته ، ويوجد ايضا نحو ٤٥ ألف نوع من الحشرات لها اجهزة تنصت ، لكن دعنا نختصر كل ذلك ونختار جهازا بسيطا ، تتجسد فيه الكفاءة ، وتتجلى العظمة . . ولنأخذ جهاز التنصت عند فراشة « ميليز » ـ رمز الشارة الشرفية التي اوردناها في بداية الدراسة ، فلهذه الفراشة اذنان على جانبي صدرها ، وكل اذن تتكون من غشاء رقيق (بمثابة طبلة) وعلى هذا الغشاء ترتكز نهايتا خليتين عصبيتين ، كما ترتكز الابرة على اسطوانة جراموفون ، وتحت « الطبلة » يوجد نسيج خفيف به اكياس هوائية ، وفي هذا النسيج تنتشر ثلاث خلايا عصبية لاغير ، اثنان منها ينقلان اهتزازة الطبلة خلال خيط او خط حي ، مرورا بكل خلية ، وانتهاء ـ من خلال خيط عصبي من نفس الخلية ـ بمخ الحشرة البدائي (مجرد عقدة عصبية) . . اما الخلية الثالثة ، فلا احد يعرف وظيفتها حتى الان ، لكن لاشك انها لم تخلق عبثا ، ويوم نعرف رسالتها ، فقد نرى منها عجبا !

لكن العجب قد اكتشفه العلماء عندما اوصلوا كلا من الخليتين على جهاز رسم النبضات العصبية ليعرفوا كيف تتفاعلان اذا ما سمعت الفراشة الموجات فوق الصوتية لخفاش من زوايا مختلفة ، وعلى مسافات متباينة ، من ذلك مثلا ان الخفاش لو جاء الفراشة من يمينها ، وكان يبعد عنها حوالي ٢٥ مترا ، فان الخلية العصبية رقم ١ في الأذن اليمنى تسجل ثلاث نبضات ، والتي في اليسرى تسجل واحدة ، فاذا اقترب أكثر ، زادت الثلاثة الى خمسة ، والواحدة الى ثلاثة ، وفي حالة مروره فوقها او تحتها او قريبا جدا منها ، تسجل الخليتان في الاذنين عددا متساويا من النبضات العصبية (شكل ٦) .

لكن . . ما المصير ؟ . . أي كيف تتصرف الفراشة مع هذا الخطر الداهم ؟ ليس هناك من مفر الا عمل مناورة فجائية لحركات تحسبها اعتباطية ، وفيها تنحرف الحشرة انحرافات موجهة حسبما تمليه الاشارات المرصودة عن اتجاهات العدو ، فان اتجه نحوها يمينا انحرفت بغتة يسارا وفي زوايا هابطة صاعدة بغرض تجنب « القذيفة » الحية الموجهة . . والذين سجلوا مثل هذه المعارك على افلام حساسة ، ثم عرضوها عرضا بطيئا ، ذكروا ان المناورات تتسم ببراعة فائقة ، قد لا يصدقها عقل بشر ، ولاشك ان التوقيت والمباغتة وخفة الحركة وسرعة المناورة تلعب ادوارا هامة في حسم المعركة . . إما لصالح الخفاش ، او لصالح الحشرة ، وغالبا ما تسلك هذه طريق السلامة ، فتطوي جناحيها ، وتهبط اضطراريا الى الأرض ، حيث تسعى لتبحث لها عن مخبأ يحميها .

جهاز الانذار المبكر ! :

لكن الخفافيش قد تكف احيانا عن بث موجاتها ، حتى لا ينتبه لذلك صيدها ، وهنا تبرز المشكلة : اذ كيف يهتدي الى موقعها مادامت « كشافاته » الصوتية ، قد أغلقت ؟

الحل ان يشتغل على موجات الصيد ذاته ، اي يصبح الخفاش مستقبلا لا مرسلا ، خاصة في حالات الحشرات التي تصدر صوتا او طنينا اثناء الطيران (مثل البعوض والذباب) وفي مثل هذه المواقف ، تكون قد « جنت على نفسها براقش » ، ولابد ـ والحال كذلك ـ ان يهتدي اليها الخفاش بموجاتها لا موجاته ، فاما ان يتوجه ليحصل على الغنيمة ، او يبتعد عن تلك المصيبة ، اذ كثيرا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي سفن الخفافيش ، فقد تكون الحشرة الهائمة ذات طعم رديء ، او قد يكون فيها السم الزعاف ، وطبيعي ان الخفاش لا يقتل لكي يتذوق ، ولا يضيع وقته وجهده فيما يعود عليه بالأذى ، اذ هو خبير بالصالح والطالح ، ولديه ذاكرة قوية بما تبثه الاذاعة الحشرية ، ومن البث ما يجد هوى في نفسه ، ومنه ما يفزعه ، وكأنما الحشرة او الفراشة تطلق صيحاتها

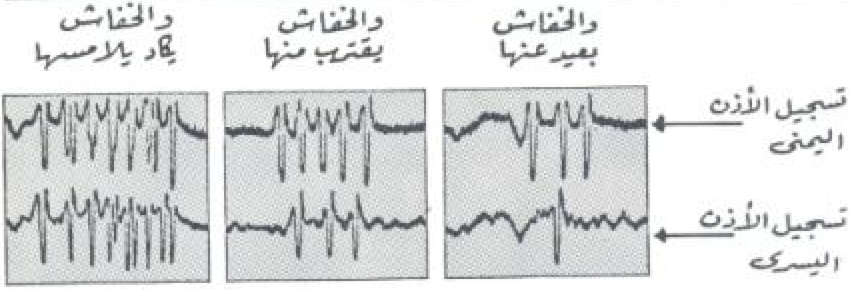

شكل (٦) تسجيلات خلية عصبية في جهاز التنصت عند الفراشة ، وبها تستطيع تحديد موقعها من الخفاش الذي يتجه صوبها ، فالتسجيل الأيمن (الى اعلى) يوضح ان الخفاش يأتي من جهة الأذن اليمنى (ولهذا فالنبضات اكثر نسبيا) لكنه لا يزال بعيدا ، فاذا اقترب منها اكثر ، زادت النبضات ترددا ، حتى اذا اصبح قريبا جدا منها اشتغل جهاز التنصت الأيمن والأيسر بنفس الكفاءة مع نبضات اسرع واكثر .

هكذا » خذ حذرك ، فمذاقي مقزز ، وطعمي مقبض » . .

وقد يبدو ذلك من شطحات الخيال ، لكنها حقيقة لم تنبع من فراغ ، اذ اوضحته لنا الدكتورة دوروثي دانتج (وهي من تلاميذ البروفيسور رويدر الذي سبقت الاشارة اليه) من خلال تجارب رائدة ، وملخصها انها كانت تطلق انواعا من الديدان التي تهواها الخفافيش من بندقية خاصة ، فتنتشر في الهواء ، وفي الوقت ذاته تطلق عددا من الخفافيش في صالة مغلقة وتصطاد الديدان من الهواء بكفاءة نادرة ، وفي احدى هذه التجارب احضرت جهاز تسجيل كانت قد سجلت عليه طنين انواع خاصة من الفراشات ، وما ان بدأ الصوت ينطلق حتى بدأت الخفافيش المنطلقة وراء الديدان تتراجع عن اهدافها ، وكأنما اصابتها صدمة !

ان تعليل ذلك لا يخفى على لبيب ، فهذا التسجيل المذاع هو لجنس معين من الفراشات (اسمه اركتيدي) ، وانواع هذا الجنس تمتلك جهازا صغيرا تنطلق منه موجات فوق صوتية ، وبها تنذر الخفاش مبكرا بانها رديئة الطعم ، حتى لا يبدأ الهجوم ، وطبيعي ان الخفافيش لا تعرف اجهزة التسجيل ، ولا خداع البشر ، لكنها عرفت معنى « الانذار المبكر » قبل ان يعرفه البشر بعشرات الملايين من السنين !

وقد يبرز هنا استفسار اخير : ولماذا كل هذه « التكتيكات » بين خفافيش وحشرات ؟ . . وهذا سؤال كبير جدا ، والاجابة عنه تحتاج لمجلة كاملة ، لأن الموضوع اشمل من ذلك واعم ، ولأن حياة المخلوقات جميعا تحكمها شرائع عامة ، ومن شرائعها انها قامت على اساس ان هناك دائما يوجد آكل ومأكول . . صيد وصياد . . وكل هذا يسير في سلسلة معقدة ، ذات حلقات متشابكة ، لتدور الحياة بموازين مقدرة ، فلا تطغى ذرية نوع على ذرية نوع آخر . . وطبيعي ان لكل نوع ذريته وافراده ، لكن الذرية لا تأتي وكأنما هي نسخة كربونية من بعضها ، بل لابد من اختلاف في القدرات او الكفاءات . . والقدرات تتجلى في عوامل كثيرة ، بمعنى ان الحشرة او الفراشة التي تتميز عن اترابها في النوع الواحد بامتلاك جهاز تنصت اكثر اتقانا ، وتقوم بمناورات اسرع ، وتكون متيقظة لمصيرها اكثر ، فسوف تكون فرصتها في الافلات من الخفاش اكبر ، لكن ما دون ذلك يصبح سهل المنال ، لأنه ـ بضعفه التكتيكي ـ لا يستطيع ان يجابه الحياة ، وهكذا شاءت شريعة الله !

كذلك الحال مع الخفاش ، خاصة اذا حدثت ازمة في الطعام ، وعندئذ يفوز الخفاش الاقوى بنصيب الاسد ، وعلى الأضعف ان يتوارى ، وسر على ذلك مع كل المخلوقات !

انها القوة ، ولاشيء غير القوة . . فأفيقوا يرحمكم الله . □

وجهاً لوجه

الدكتور
عبدالسلام العجيلي

و

المهندس
خالد الجويشي

☐ نظرة المرأة المتحضرة الى الرجل الريفي نظرة فوقية !

☐ تطورنا الاجتماعي قاصر عن اللحاق بتطورنا الثقافي والتعليمي .

☐ حياتي مقسمة بين الريف والمدينة .

☐ الهواية تبقى لذة في حين يتحول الاحتراف الى واجب قد يكون ثقيلا !

حوار جديد . . ولقاء جديد . . وجها لوجه . . اللقاء يجمع بين الأديب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي وبين المهندس خالد سلامة الجويشي ، ولعل مما يلفت النظر أنهما أديبان بالهواية ، ولكل منهما ـ بعد ذلك ـ مهنته الخاصة . .

الأديب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي غني عن التعريف ، فقد مضى عليه أكثر من ربع قرن وهو يرفد المكتبة العربية بنتاجه الأصيل الخصب ، ولكن بعضا من أوجه نشاطه يعرفها البعض ولا يعرفها الكل ، فهو يكتب الشعر والرواية والمقامة والمقالة ، وله حتى الآن خمسة وعشرون كتابا أغلبها في القصة .

لقد ظل عبدالسلام العجيلي أديبا هاويا لم يحترف صناعة الأدب ، على الرغم مما أصاب فيه من شهرة ، وظل طبيبا في قرية متواضعة يمارس عمله اليومي مع أهل الريف ، لم تبهره أضواء المدينة ، ولم تقتلعه من جذوره عند شاطىء الفرات . أبقى على صلات الود مع الناس الذين أحبهم واتخذ منهم شخصيات تبعث الحياة في قصصه ورواياته ، منهم مزارعون يغتسلون بماء الفرات ، وينتشرون في أرض الجزيرة مثل سنابل القمح ، انك عندما تراهم ، لا يخامرك شك في أنك تعرفهم ، وأنت تعرفهم حقا ، فهم أنفسهم الذين كنت تعيش تجاربهم وأنت تقرأ قصة كتبها عبدالسلام العجيلي .

الدرب الى عبدالسلام قصير وطويل في آن واحد ، انها مهابة الآتي الى النهر لينهل من شاطئه ، لكنه لا يدري أي تيارات تدوم فيه ، وأي طعم لمائه . مهابة الجدول اذ يصب في نهر مايزال يتدفق منذ أربعين عاما .

في العيادة يتحرك مثل أي طالب طب يعشق هذه المهنة ، يتعامل مع أبناء القرى البعيدة ومع البدو القادمين من عمق الجزيرة ، مثلما يتعامل مع أبناء المدينة،يسأل ويجيب ويستفهم ويشرح ببساطة أسرة تجعل الانسان يؤمن حقا أن المثل ليست كلاما يكتب فقط ، وانما هي المزاوجة بين الفعل والقول ، وأن البساطة لا تعني بالضرورة الهبوط بل الصعود الهادىء والحقيقي نحو القمة .

هاهو عبدالسلام الطبيب ، وهاهو عبدالسلام المحدث الأديب ، وهاهو عبدالسلام الانسان بلحمه ودمه ، لا يطل من برج عاجي ، أو يحدث من قمة عالية ، هو كالفرات لا حاجة به لأن يذكر الآخرين بعطائه ، فحسبه ان يسقي الشاطئين .

المدينة والريف

● لن أسألك أسئلة تقليدية أو شخصية ، ففي كتابك « أشياء شخصية » رد يكاد يكون شاملا على مثل تلك الأسئلة . أريد أن أسألك عن الرواية والقصة . وبالتحديد « باسمة بين الدموع » و « رصيف العذراء السوداء » و « المغمورون » ، اذ أنني أكاد الحظ برغم تباعد الزمن بين الثلاث ، أن هناك خيطا لا يرى يربط بين الرجال الثلاثة ، وخيطا يربط بين النسوة الثلاث ، فالرجال أبناء ريف والنساء بنات مدينة . فهل حاولت تحقيق مزاوجة بين الريف ـ الرجل . . . والمدينة ـ المرأة ؟

ـ كلٌ يعمل على شاكلته . وكل منا ينفق مما عنده . حياتي مقسمة ، ليس مناصفة بين الريف والمدينة بل بعوامل تختلف مع الظروف والفترات الزمنية .

والعلاقات الاجتماعية والعاطفية عندي كريفي في أصله وعيشه لابد أن تكون من وجهة نظر الريفي الرجل . لو كنت رجلا بتكوين نفسي انثوي وهناك كثيرون يتصفون بهذه الصفة بين الأدباء وعامة الناس لكان ممكنا أن أكتب عن علاقة المرأة الريفية بالرجل المدني ، ولما كان ذلك عيبا من الناحية الفنية . فثمة كتاب وشعراء في كل اللغات أحسنوا التعبير عن نفسية المرأة وهم رجال . غير أني لست كذلك ، ولهذا

كان لابد أن أكتب عن علاقات الحياة التي أعرفها، والتي يتقاسمها الريف والمدينة من وجهة نظر رجل ريفي يلتقي بنساء مدنيات.

على أني في رواية رابعة، وهي «أزاهير تشرين المدماة»، تحدثت عن أبطال مدنيين نساء ورجالا، كما تحدثت في قصص قصيرة كثيرة لي عن أبطال ريفيين نساء ورجالا. ولكن الراوي لكل هذه القصص يبقى رجلا سواء غلبت عليه النزعة الريفية أو الحضرية.

● اذا كان سعيك للمزاوجة واردا كما تصورت، أليس ذلك على الأقل، هو رد فعل الرجل الريفي الكامن في ذاتك ازاء استلاب المدن للريف. أم هو محاولة انتقام لعملية الاغتصاب التي تتولاها المدن الكبرى لتمزيق ما تبقى من أصالة البادية؟

ـ الاستلاب والانتقام والاغتصاب ألفاظ ليست من مفرداتي الشخصية، كما أن معانيها ليست قريبة الى نفسي. ثمة مزاوجة ولا شك في أعمالي الثلاثة التي ذكرتها: «باسمة بين الدموع»، و«رصيف العذراء السوداء»، و«المغمورون». الا أن الدوافع المدركة واللاشعورية وراء هذه الأعمال تعود الى محاولة الغوص الى الأسباب والعوامل التي تكمن وراء الأحداث، وتؤدي الى سيرها الى النهاية التي سارت اليها. محاولة تفسير لتلك الأحداث والوصول الى معرفة ما يوجه الأبطال نحو مصائرهم، ناس المدن الكبرى مثل ناس البادية، لهم وجوههم الخيرة ولهم تصرفاتهم المشينة، ولهم نقاط ضعف ونقاط قوة. الطيبون منهم هم الذين يتاح لهم أو يستطيعون السير في الخط الطيب والمستقيم، والذين يضعفون يقعون فريسة للشر. سواء كانوا مدنيين أو ريفيين. ليس بي رغبة انتقام من سكان المدن ولا بي افتخار لا حد له بالبداوة، وانما أنا مراقب محب لهؤلاء ولأولئك، ولا يمنعني حبي من أن أسجل ما أحس به أو تراه عيني. وان كان تسجيلي له مصبوغا بالمحبة والاشفاق.

الحنين والتكامل

● اذا ألغيت كل ملاحظاتي، ألا ترى معي أن تعلق «المرأة ـ المدينة» الموجع في الكتب الثلاثة هو بعض من حنينها الى جذورها، أليس هو بعضا من حنينها الباحث عن الصدق والبراءة التي تنزوي بعيدا في القلوب الصخرية للمدن الكبرى..؟

ثم ألا ينطبق ذلك على تعلق «الرجل ـ الريف» المحموم في ذات القصص بالمرأة ـ المدينة»؟ أليس هو بعضا من بحثه الدائم عن التطور؟ أليس هو نوعا من بحثه عن الحضارة التي يتصور أنها منقذه الوحيد من حياة الشقاء التي يعيشها؟

ـ أعتقد أن الجاذب بين أبطال قصصي الريفيين وبطلاتها المتحضرات ليس الطموح الى التحضر عند الأولين، والحنين الى الجذور في الأخريات، بل هو جاذب التكامل، جاذب النقيض الى نقيضه، وهذا الجاذب لا يفعل فعله في كل حال، بل لابد لذلك الفعل من شروط خاصة. نظرة المرأة المتحضرة في العادة الى الانسان الريفي نظرة فوقية في أغلبها: ربما أعجبت بصراحته وكرمه ومؤهلاته البدنية، ولكنها تحتقر تخلفه. فاذا وقعت المتحضرة على ريفي يتجاوز ما تعتبره تدنيا فيه، بأن كان مثقفا وذكيا وواثقا من نفسه، فانها تنجذب اليه بأكثر من انجذابها الى أبناء طبقتها الذين ألفتهم. أما الرجل الريفي فانه ينبهر في العادة بالهالة الحضرية المحيطة بابنة المدينة، ولكنه يتخوف من تقلبها وهشاشة سلوكها، الى جانب شعور بالنقص ناجم عن ادراكه لتقدم المدينة على الريف. فاذا خطت اليه بنت المدينة خطوتها الأولى من جانبها هي، فان شعور النقص يفارقه ويدرك قيمته الذاتية، وينجذب حينئذ بجاذب النقيض الى نقيضه، اذا تجاوزت بنت المدينة النقاط التي كان يتخوفها منها في سلوكها.

● في رواية «باسمة بين الدموع» التي كتبتها قبل ربع قرن أو أكثر، تبدو «المرأة

ـ المدينة » أكثر صدقا اذ أنها تحقق انتصارها على نفسها من خلال رحيلها الى صحراء أكثر اتساعا ونقاء فلم تجد في صدر « الرجل ـ الريف » الذي التقته ما يروي حنينها الظامىء . بينما « الرجل ـ الريف » يبدو أكثر فرحا من خلال مشروع زواجه بأخت باسمة الأكثر هدوءا وتسامحا ، اذ يخيل اليه انه وصل الى قمة الانتصار . هل كنت اذ ذاك تتفاءل بأن المدن الكبرى يزداد عطشها أكثر الى أصالتها ، وأن امكانية المزاوجة بين « الرجل ـ الريف » و « المرأة ـ المدينة » ممكنة ، اذا كان الريف قريبا الى التحضر والمدينة أقرب الى الريف ؟

كثيرة ، ولكنه لا يحسن استخدامها لقلة ثقته بنفسه ، فيلجأ الى التعالي والتباعد ، وهما نوعان من الهزيمة . انه انسان متردد في سلوكه المعاشي وسلوكه العاطفي ، بينما باسمة امرأة ذات كبرياء ، لا تتردد في أن تدوس على عاطفتها اذا رأت أنها تؤدي الى مهانتها . اني في الواقع أميل الى جانب المرأة أكثر من ميلي الى جانب الرجل في طريقة سلوكهما في الحياة . حتى اذا أساءت المرأة سلوكها فان وراء هذا السلوك تصرفا ظالما من الرجل دفعها اليه . وباسمة مثال على ما أقوله ، فقد أحسنت الظن بالبطل فأعطته كل ما عندها ، ولكن البطل كان دون مستوى ما أعطته ودون مستوى تضحيتها .

وفي الرواية لم يتزوج سليمان أختها وان أوحت فقراتها الأخيرة بأنه في سبيل أن يفعل ذلك . وقد

● حوار بين د . عبد السلام العجيلي والمهندس خالد الجويشي

ـ ليس بطلا الرواية التي أشرت اليها نموذجين وصفيين لابنة المدينة ورجل الريف . ولكنهما نموذجان متميزان لامرأة ورجل في عصرنا هذا ، في بلادنا هذه ، منسوبان الى المدينة والريف . المرأة في هذه الرواية وهي باسمة أمتن أخلاقا ، وان ظهرت للقارىء المتزمت غير ذلك ، وأصدق عملا بما تحس وتعتقد من البطل الذي هو سليمان . سليمان صاحب مزايا

اقترح علي مرة أن أكتب جزءا ثانيا لرواية « باسمة بين الدموع » ولو أني فعلت لرددت البطل الى باسمة ، أولا لتردده ، وثانيا لاقتناعه فيما بعد أن باسمة أكثر قربا الى نفسه وصلاحية كشريكة حياة من هيام الأخت القليلة التجربة البسيطة النفس . هذا اذا قبلت باسمة بالرجوع الى سليمان بعد أن ركبت الطيارة متجهة الى حياة جديدة في بلدان الخليج .

● في القصة الطويلة « رصيف العذراء السوداء » تحقق « المرأة ـ المدينة » انتصارها من خلال التحاقها في الدير لتموت في الحياة ، أو لتبحث عن براءة لم تجدها . أما الرجل فان الانتصار الذي خيل اليه أنه حققه في باسمة ، هذا الانتصار يظل مكسورا . فهاهو وحيد على الرصيف لعله ينتظر امرأة اخرى .

أكنت تريد أن تقول ان عملية المزاوجة هنا بين الريف والمدينة ممكنة لحظة الدهشة والانبهار لكنها مستحيلة عند تكشف الحقائق أو أنها قد تحدث يوما ؟

ـ البطل في قصة « رصيف العذراء السوداء » من بغداد ، والبطلة من ستوكهولم ، كلاهما ابن مدينة كبيرة . وأنت تعتبر بغداد هنا ريفا وتعتبر ستوكهولم مدينة . ربما كان الحق معك في هذا الاعتبار . على أن القصة هنا تعالج موضوعا فكريا فلسفيا وان بدت كمعالجة لعلاقة عاطفية بين رجل شرقي وامرأة غربية .

مرة أخرى يكون الجاذب هنا بين البطلين جاذب النقيض الى نقيضه . الا أن هذا الجاذب لا يفعل فعله الا في لحظة واحدة في ليلة واحدة ، ثم يسير كل بطل الى الغاية المضادة لغاية انطلاقه ، ظانا أنه يصل الى الحقيقة حين يصل الى هذه الغاية الجديدة . المرأة هنا أكثر تصميما أيضا وأصدق عملا بما تعتقده ، سواء كانت مخطئة فيما تعتقد أو مصيبة .

لعل هذه القصة تعبر ، دون قصد مني ، عن عجز الانسان ، رجلا كان أو امرأة ، عن وعي الحقيقة كاملة ، حين يعتقد بأفكار معينة ، ثم يتعرض في يوم من الأيام الى تجربة تفتح عينيه على أن هذه الأفكار لا تمثل الحقيقة بكل وجوهها ، فيهرب الى الأفكار المناقضة . والصحيح ان كلا منا يدرك طرفا من الحقيقة ، ولا يدركها كلها .

وخير لنا أن نعرف هذا ونعمل جهدنا بأن نقيم توازنا بين المنازع المختلفة التي تتجاذب تفكيرنا دون أن نقف عن السعي لاستكمال معارفنا ، واستكشاف مجهولات الحياة والكون ، وان أيقنا أن استكشافها التام مستحيل على امكانياتنا البشرية .

التقاليد والأعراف

● في رواية « المغمورون » تقوم ذات العلاقة ، لكن الأحداث تقع هنا في قلب الريف حيث « المرأة ـ المدينة » قادمة لتصنع شكلا جديدا من الحياة على ضفاف النهر . النهاية هنا موجعة ، إذ بينما تعود المرأة الى مدينتها لتؤكد انتماءها بقوة من خلال زواجها بفتى غني في المدينة يبدو « الرجل ـ الريف » أكثر صدقا ونبلا رغم سقوطه في هذا الاحباط ، فالنهر يغمر أرضه والدموع عينيه . هل هي خيبة أمل كبرى باستحالة المزاوجة . . ؟

ـ الرجل الريفي في رواية « المغمورون » أصدق سلوكا وأنصع صورة منه في رواية « باسمة بين الدموع » ، ربما لأنه ظل أمينا على نوازعه الأساسية وطبقته التي ينتمي اليها فلم يقبل بالانتقال الى طبقة أخرى ، أرفع ظاهريا ، لأنها تكلفه خسارة في أخلاقه ومعتقداته . على أن « المرأة ـ المدينة » في هذه الرواية نفسها أعني « المغمورون » ليست سيئة وان كانت فشلت في تحقيق ما طمحت إليه وهو ارتباطها برجل ريفي دونها مرتبة اجتماعية وثقافية ، ولكنه لا يقل عنها أو يفوقها بقوة الشخصية والتفتح الفكري والذكاء . عودة ندى بطلة « المغمورون » الى طبقتها راجع الى أن مجتمعاتنا لم تبلغ من النضج ما يجعلها قادرة على كسر طوق التقاليد والأعراف المتبعة . نحن قد تطورنا ثقافيا وتعليميا ، ولكننا لم نستطع أن نساير هذا التطور الثقافي والتعليمي بتطور اجتماعي مماثل . وهنا تقع المرأة والرجل في الريف والمدينة معا تحت كوابح تمنعهم من أن يسلكوا في الحياة المسار الذي يرونه من الناحية العلمية مسارا صحيحا . أما الذين يحاولون كسر الطوق فكثيرا ما ينتهون الى النهايات الموجعة التي انتهى اليها بطلا « المغمورون » . نحن بانتظار المستقبل الذي يجعل المزاوجة ممكنة بدون نهايات موجعة ، وذلك حين يواكب التطور الاجتماعي تطورنا العلمي أو التعليمي .

● هل يمكن أن نقول ان الريف من خلال الرجال الثلاثة قد ازداد تمسكا بمثله ، وأن

المدينة أيضا قد تمكنت بمثلها . والنتيجة في الصراع أن المدينة هي المنتصر الأخير .

ـ لا أعتقد أن الريف في بلادنا ، وفي عصرنا ، قد ابتعد عن جسده لحساب روحه . كل ريف يطمح الى أن يكون مدينة غير حاسب حسابا لمكاسبه أو خسائره . هناك أفراد ينعون على المدينة ماديتها ، ولكن قلّ من زهد منهم بالمدينة التي أمّها ورجع الى ريفه مفضلا قيم الريف على المدينة .

ليس هناك صراع بين المدينة والريف ليكون منتصر هناك ومخذول ، وانما هناك احتواء وهيمنة ، والى أن يجتاح عالمنا طوفان جديد فان المدينة هي المحتوية وهي المهيمنة . .

● لعلك تستغرب أني اخترت من بين كتاباتك كلها هذه الكتب الثلاثة . ولكني أتصور أن فكر عبدالسلام العجيلي يتمثل فيها خير تمثيل . ما رأيكم ؟

ـ الكتب الثلاثة التي اخترتها من مؤلفاتي الروائية تمثل حقا جوانب مهمة من فكري ، ولكنها لا تمثل فكري كله . انها ثلاثة كتب من خمسة وعشرين كتابا ظهرت لي . وفي كل من كتبي الأخرى جوانب من فكري قد لا أكون تطرقت اليها في هذه الكتب الثلاثة . ذلك أني أسعى الى أن ألا أكرر نفسي ، والى أن أعالج في كل كتاب جديد أو قصة جديدة مواضيع غير التي سبق وعالجتها فيما كتبته سابقا .

الطب والأدب

● أنت طبيب وأديب أيضا ، كيف تمكنت من المزاوجة بين الاثنين ، رغم أنها ليست حالة نادرة في الدنيا ، لكن للتجربة الخصوصية مذاقها . أنت ترى الأدب هواية . وأنا أرى ـ والكثيرون يرون ـ أنه على المستوى العالمي وعلى المستوى العربي والوطني تكاد صورة الطبيب أن تختفي تماما وراء صورة الأديب .

ـ اذا كنت طبيبا وداويت مائة مريض يوميا ، أي داويتهم بنجاح ، فإن عارفي منزلتك الطبية لا يتعدون الثلاثين ألف انسان في عام كامل . واذا كنت أديبا ، كاتبا أو شاعرا ، وكتبت كلمة موفقة فانها قادرة على أن تجعل عارفيك مئات الآلاف في يوم واحد . هذا هو الفرق في الشهرة بين الأديب والطبيب بصورة عامة ، وفي كل الأزمان ، وعند مختلف الأمم .

وأنا طبيب بحكم عملي الذي نذرت له نفسي والذي يؤمن لي عيشي ، والذي تهيأت له بالدراسة والعمل الدؤوب . أما الأدب فقد ظل هواية كانت بداياتها موهبة ، ولكن لم أتهيأ له بدراسة متعمدة ولا أعطيته من وقتي إلا ما فضل عن عملي الطبي واهتماماتي الأخرى . وأظل أديبا هاويا على الرغم من كثرة انتاجي الأدبي ، وتغلب شهرتي كأديب عند أناس يقيمون خارج المنطقة التي أمارس فيها الطب ، على شهرتي كطبيب . . وما أظنني سأتحول من هاو الى محترف في مجال الأدب ، حتى لو انقطعت لسبب أو لآخر عن ممارسة الطب . الهواية تبقى لذة ، في حين يحولها الاحتراف الى واجب ربما يكون ثقيلا على النفس ، وأنا أحب أن التذ بالأدب ، فهذه لذة رفيعة سامية أحاول أن أجنبها الاثقال على النفس .

● تتحدث مع أعلى المستويات الاجتماعية المثقفة في كافة أقطار الدنيا ، وتتحدث أيضا مع أبسط الناس القادمين من البادية . كيف أمسكت بخيوط هذه اللغة ؟

ـ يبدو أن هذه هبة مولودة في نفسي ، اذ أني لم أتعلمها في كتاب لأقول أنها مكتسبة . في بعض بلاد العالم مدارس تلقن تلاميذها أصول الحديث أو طريقة القاء الخطب ، وهي مدارس لا توجد في بلادنا . ولا شك أن الهبة أو الموهبة تزداد تمكنا بالتجربة والاطلاع .

وأنا بطبعي طلق ، كثير الفضول ، كثير المعارف ، كثير البحث وراء المجاهيل .

وهذا ما زودني بروافد من المعلومات وبأساليب أصل بها الى أفهام الآخرين ، انها صفة أو خاصة لم أقصد الوصول اليها ، ولكن ظروف حياتي ومخالطاتي ودراساتي ، الى جانب الهبة المولودة ، أوصلتني اليها . □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ص

صهيونية

حركة ودعوة دينية ـ عنصرية استيطانية تطالب بتوطين وتجميع اليهود في دولة خاصة بهم على أرض فلسطين كحل للمسألة اليهودية ، مستبيحة في ذلك كل الوسائل بدءا بالهجرة ومرورا بالغزو والعنف .. الكلمة مشتقة من اسم جبل صهيون ،

الذي يقع جنوب غرب مدينة القدس ، وفق تعاليم الديانة اليهودية ، فالجبل يعد مزارا ومكان حج لليهود ، يزورونه هاتفين « رنموا للرب الساكن في صهيون » وأول من اشتق الكلمة كان « ناتان برنبادم » في عام (١٨٩٠) ليصف بها تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من مجرد تعلق ديني الى برنامج سياسي استعماري ، يهدف الى توطين الشعب اليهودي بفلسطين .

وتعود نشأة الصهيونية الى جذور سياسية واقتصادية متفاوتة ، فأول من دعا الى تهجير اليهود الى فلسطين هو « بالمرستون » رئيس وزراء بريطانيا (١٨٤٠) وذلك بقصد ايجاد حاجز بشري غريب يمنع قيام دولة موحدة بين مصر والمشرق العربي ، وذلك عقب أن استوعب الغرب تجربة محمد علي في مصر وسوريا ، وتهديده لمصالح الدول الامبريالية ، وتبنى كبار الساسة الاستعماريين البريطانيين الفكرة بعد ذلك ، إلا أن الصهيونية لم تبرز كفكرة محددة المعالم وكبرنامج سياسي وتنظيم الاعقب عام (١٨٩٧) ، عندما تمكن تيودور هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا وأعلن عن قيام المنظمة الصهيونية العالمية . والثابت تاريخيا أن الحركة الصهيونية بداتها كانت عاجزة عن الاستمرار ، بل مهددة بالتلاشي ، لولا دعم الدول الغربية ومؤسساتها وكبار رجال النظام الرأسمالي فيها ، فقد كان اليهود داخل المجتمع الأوروبي يمثلون عبئا شديدا عليه ، فاليهود يقفون خارج المجتمع دينيا واقتصاديا ، فهم أقلية دينية متزمتة ، وهم خارج التنظيم الاقتصادي يقصرون نشاطاتهم في مجال التجارة وأعمال المال والربا ، حيث لم يسلم من مراباتهم أحد ، مما جعل للرأسماليين الأوروبيين مصلحة حقيقية في تهجير اليهود الى خارج أوروبا ، لتجنب منافسة اليهود للبرجوازية الصغيرة في أوروبا ، وتجنب عواقب البطالة ، وكسر احتكار سوق التجارة والمال .

وتتضح أهمية هذه الأسباب اذا نظرنا اليها في سياق المجتمع الاوروبي بمقاييس ذلك الوقت (منتصف القرن التاسع عشر) حيث كانت أوروبا تتحول من نظام اقطاعي الى نظام رأسمالي ، بما يعنيه ذلك من

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى

تيودور هرتزل

تغير في اشكال التنظيم الاقتصادية والاجتماعية ، من تنظيم اقتصادي ديني الى تنظيم اقتصادي اجتماعي .

في هذا المناخ من الدعم والرغبة في مساعدة اليهود من أجل ترك أوروبا ، جاء مؤتمر بال الذي أسفر عن تحديد أهداف الحركة الصهيونية ، وانشاء « المنظمة الصهيونية العالمية » ، لتكون بمثابة الأداة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج ، وقد حدد المؤتمر هدفه العام وهدف الحركة الصهيونية في خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين بواسطة الهجرة ، مع العمل على ربط يهود العالم بهذا البرنامج ، والتعاون مع الدول الأوروبية لتحقيق ذلك . .

عقب ذلك حاول السياسيون الصهاينة الحصول على تأييد السلطان العثماني للفكرة ، الذي رفضها لأسباب تتعلق بالحفاظ على مملكته والخوف من تمزيقها ، بينما نشط فريق آخر من الصهاينة يتزعمه وايزمان في العمل على خلق حقائق جديدة ، وأمر واقع جديد فوق أرض فلسطين ، وذلك بخلق وجود استيطاني من خلال الهجرة ، وبناء المؤسسات والمستوطنات الصهيونية ، وبالفعل ظهرت الى الوجود مؤسسات كاتحاد العمال والجامعة العبرية ومؤسسة الجيش ، وبذلك تكون الفكرة الصهيونية سابقة لوجود الدولة وممهدة لها ، ففي ذلك الوقت كان هناك اتحاد عمال ولم يكن هناك عمال ، وجامعة بدون اساتذه وطلاب ، ومؤسسة جيش بدون جيش . وقد كان من الممكن أن تظل هذه المحاولات في حجمها ، وقابلة للانهيار ، لولا التحالف الأوروبي اليهودي أثناء الحرب العظمى الاولى ، الذي تبلور في صورة وعد بلفور ، والتزمت بريطانيا بموجبه بالمساعدة على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . .

وتشكل العقيدة الصهيونية وجذورها التاريخية الزائفة الاطار الفكري للكيان الاسرائيلي ، الذي تقوم فيه الدولة والسلطة السياسية على أساس ديني ، وقد انعكس هذا الاطار وتمثل في النظم الاجتماعية القائمة على التمييز بين كل من هو يهودي وغير يهودي ، وظهر ذلك في التشريعات والقوانين ، وأوضح مثال لها قانون العودة ، الذي يحق بمقتضاه لكل يهودي في العالم حمل الجنسية الاسرائيلية ، وأن أرض فلسطين هي أرض الميعاد وملك لليهود بأقدمية التاريخ ، الى آخر الأفكار والغيبيات الدينية .

إلا أنه من الخطأ النظر الآن الى الصهيونية في ذلك الاطار فقط ، أو فهم العداء التاريخي بينها وبين العرب من خلال هذه النظرة الضيقة ، فواقع الحال لاينفصل الكيان الصهيوني الآن عن كل المحاولات الامبريالية الغربية استغلال المنطقة العربية وتبعيتها له سياسيا واقتصاديا ، ليتحول الأمر في النهاية من سلب للأرض الى سلب للارادة . □

ملوثات الهواء

وطرق معالجتها

بقلم: الدكتور فاضل حسن

■ التلوث هو التقليل من نقاء الجو والماء ...

والارض بواسطة المواد الضارة بالصحة والنفايات . أي انه تركيز للمواد الضارة المؤثرة على الانسان ومحيطه .

فماذا تعرف عن ملوثات الهواء ؟ !

ان اهم ملوثات الهواء هي المواد الدقيقة ، وثاني اكسيد الكبريت ، وأول أوكسيد الكربون ، واكاسيد النيتروجين ، والاوزون ، والهيدروكاربونات ، وكبريتيد الهيدروجين ، والفلوريد والمواد المسببة للحساسية .

تنتج المواد الدقيقة عن العواصف الرملية في المناطق الصحراوية ، والتي تؤثر على جهاز التنفس ، والمواد الدقيقة المنبعثة من المصانع مثل الرصاص والمنغنيز والاسبست والنحاس والقصدير ، وكذلك المبيدات المختلفة كالمبيدات الزراعية ومبيدات الحشرات التي تنتشر في الهواء ، والمحتوية على مواد دقيقة ملوثة تؤثر على بعض أعضاء الجسم .

أما ثاني أوكسيد الكبريت فينتج عن احتراق الفحم والزيت في وحدات التدفئة المنزلية ، أو محطات الطاقة ، وهو أحد نواتج مصانع الورق والتعدين والبترول . ان الحدود العظمى التي يسمح بها لتركيز الغاز تتراوح بين (٣ ـ ١٠ جزء / بالمليون) حيث تعتمد على زمن التعرض .

وينتج أول أكسيد الكربون عن التدخين والتدفئة المنزلية ومكائن احتراق المركبات ، ويكثر بشكل خاص في المدن المزدحمة بالمواصلات . وهو خطر جدا لانه لا يُرى ولا تشم له رائحة . ان تركيز الغاز نتيجة

المواصلات المزدحمة يتراوح بين ٥٠ ـ ١٠٠ جزء بالمليون ، بينما معدل تركيزه نتيجة التدخين يبلغ ٤٠٠ جزء بالمليون .

وتبلغ الحدود العظمى التي يسمح بها لتركيز الغاز ١٠٠ ـ ٣٠٠ جزء بالمليون ، واذا فحصنا أكاسيد النيتروجين ، نجد أن أهم هذه المركبات هي أول وثاني أوكسيد النيتروجين . وأهم مصادرها هي ما تقذفه وسائط النقل المختلفة . وأول أوكسيد النيتروجين يمكن أن يتحول بوجود الضوء الى ثاني أوكسيد النيتروجين .

ان بخار الماء الموجود في الهواء يتحد مع ثاني أوكسيد النيتروجين مكونا حامض النتريك ، الذي يعمل على تآكل البنايات ، ويؤثر على المزروعات . وتبلغ الحدود المسموحة العظمى لتركيز هذه الأكاسيد ٣ ـ ١٠ /جزء بالمليون .

وينتج الاوزون عن تأثير ضوء الشمس على ثاني أوكسيد النيتروجين والاوكسجين ، ويؤثر الاوزون على العين والقصبات الهوائية . وتكون رائحة الغاز واضحة عند ازدياد تركيزه . وتتراوح الحدود المسموحة لتركيزه بين ٠,٥ ـ ١,٥ جزء بالمليون .

أما الهيدروكاربونات : وهي مركبات الكربون والهيدروجين فتشكل معظم المواد الكيماوية في الكازولين والمنتجات البترولية الأخرى ، ولها تأثير على الصحة . وبوجود ضوء الشمس يتفاعل ثاني أوكسيد النيتروجين مع الهيدروكاربونات ، لتنتج تفاعلات معقدة جدا وسامة ، ومعظم الهيدروكاربونات تنتج عن احتراق وقود المركبات ومصافي النفط وبعض المصانع الكيماوية . ومن الهيدروكاربونات ما هو خطر جدا على شكل مواد دقيقة معلقة .

ويتكون كبريتيد الهيدروجين : من تجمع الفضلات الصناعية في ماء راكد ، وخاصة الصناعات النفطية ، ويكثر في محطات تصفية ماء الصرف ، وهو ذو رائحة كريهة ، وتظهر رائحته عندما يتراوح تركيزه بين ١,٠ ـ ١ جزء بالمليون .

وأما الفلوريد فهو المادة التي تنتج عن تفاعل الفلورين وعنصر آخر . ان أخطر مركبات الفلوريد هو فلوريد الهيدروجين . وتركيز الفلوريد النموذجي في الجو يبلغ ٠,٠٥ ملغم / م^{٣} .

وهناك أخيرا المواد المسببة للحساسية : وهي المواد العضوية النباتية أو الحيوانية ، والمواد الصناعية التي تنتقل في الهواء ، والمسببة للحساسية ، وخاصة للاشخاص الذين يسكنون المناطق الزراعية والصناعية .

السيطرة على تلوث الهواء :

تصنف ملوثات الهواء الى نوعين رئيسيين هما : ـ ملوثات غازية وملوثات ناعمة . لذلك من الضروري دراسة حجم الجزئية وتصنيف الجزئيات مع تركيزها وسرعة سقوط الجزئية ، وكذلك دراسة المؤثرات على انتقال الغازات .

يقاس حجم الجزئية بالمايكرون ، وتتراوح الجزئيات بين المرئية بالعين المجردة ، والتي هي أكبر من ٥٠ مايكرون ، الى أصغر من ٠,٠٠٥ مايكرون ، والتي لا ترى الا بالمجهر الألكتروني . ان تركيز الجزئيات يتغير من $١٠^{٦}$ ملغم / م^{٣} كتركيز الهواء الموجود فوق المحيطات الى $١٠^{٦}$ ملغم / م^{٣} وكهواء العواصف الترابية . ويصنف تركيز الغبار الى خفيف ووسط ومعتدل وكثيف .

وتصنف الجزئيات حسب حجم الجزئية ، الى ناعم جدا وناعم ومعتدل وخشن .

وهنالك قوى مؤثرة على الجزئية الساقطة . فهنالك قوة اتجاه نحو الأسفل نتيجة للجاذبية ، تسمى قوة الجاذبية ، وقوتان مقاومتان نحو الأعلى هما القوة الطافية وقوة المقاومة . وتسقط الجزئية عندما تكون قوة الجاذبية أعلى من القوتين المقاومتين ، وتطفو الجزئية عندما تتساوى قوة الجاذبية مع القوتين المقاومتين ، وترتفع الجزئية عندما تكون قوة الجاذبية دون القوتين المقاومتين .

وللسيطرة على الغازات الناقلة للملوثات ، يجب دراسة الضغط ، ودرجة الحرارة والكثافة ومعدل جريان الغاز .

وتصنف نظم السيطرة على تلوث الهواء حسب تركيز الجزئيات الى : ترشيح الهواء الاعتيادي وترشيح هواء المصانع ، وترشيح الغبار . يتضح مما سبق ذكره أن السيطرة على التلوث تعتمد بشكل أساسي على خصائص كحجم وتركيز الجزئيات ، بينما لا تعتمد كثيراً على النوعية الكيماوية للملوثات ، الا في حالة الأجهزة المعقدة في المصانع ذات التلوث الكيماوي الخطير .

أما عن مرشحات الهواء وهي الأجهزة المستخدمة لازالة التركيز المنخفض في الهواء الجوي وهواء المباني . فهناك ثلاثة أنواع أساسية لمرشحات الهواء ، هي التصادم اللزج ، والمرشحات الجافة ، والمرشحات الالكترونية .

ان مرشحات التصادم اللزج تكون على شكل ألياف مصنوعة من مواد مختلفة ، تعمل كمصدات ، حيث تلتصق جزئيات الغبار بهذه الألياف . أما المرشحات الجافة فهي مشابهة لمرشحات التصادم اللزج ، ولكنها أكثر كفاءة بسبب نعومة الياقها .

أما المرشحات الالكترونية فانها تستخدم الشحن الكهربائي لترسيب الجزئيات من الهواء .

منظفات الهواء الصناعي :

ان تركيز الهواء الصناعي أكثر من تركيز الهواء الاعتيادي (١٠٠ ـ ٢٠٠٠٠ مرة) فالمنظفات تصمم على شكل مجمعات لازالة الغبار الكثيف من المراحل الصناعية ، باستخدام أجهزة التفريغ ، أو مدخنة الفضلات الغازية . وهنالك أنواع مختلفة من المنظفات منها : غرفة الترسيب ، والمجمع الذي يستخدم القوة المركزية ، والمجمعات الرطبة ، والمجمعات النسيجية ، والمرسبات الالكتروستاتيكية ، وطريقة الامتصاص والحرق .

ان غرفة الترسيب بالجاذبية هي أبسط وأقدم الطرق لجمع الغبار الصناعي ، وهي ذات فعالية لازالة الجزئيات الكبيرة الحجم نسبيا ، وخاصة في معامل الطابوق التي تستخدم الزيت كوقود . أما المجمعات التي تستخدم القوة المركزية فانها تشبه الاسطوانة ، حيث تقذف الجزئيات نحو الجدار خلال دوران الاسطوانة ، وترسب نحو الأسفل ، ويخرج الهواء النقي من أعلى الاسطوانة . وأما النوع الثالث من المنظفات فانها المجمعات الرطبة ، ومن أهمها برج الرش ، حيث يرش الماء بشكل رذاذ من الأعلى ، ويدخل الهواء الملوث من الأسفل ، فتلتصق الجزئيات الملوثة مع جزئيات الماء ، وترسب مع الماء ، ويخرج ماء ملوث من فتحة أسفل البرج .

اما الهواء النقي نسبيا فيخرج من الأعلى ، ومن فوائد هذه الطريقة بساطة الانشاء وكلفتها القليلة . ويتم فصل الجزئيات عن الغاز خلال مرورها بالمجمعات النسيجية التي تتكون من ألياف بحجم كبير . وفائدة هذه الطريقة أن فعاليتها عالية . وتستخدم القوى الكهربائية لفصل الجزئيات المعلقة من الغازات في حالة المرسبات الالكتروستاتيكية . ويستخدم البرج المحشو بمادة قابلة للامتصاص للجزئيات الملوثة . ان الامتصاص هو عملية فصل الغاز باذابته أو تجانسه مع سائل ، أو داخل جسم صلب ، أما الامتصاص فهو فصل الغاز باذابته أو تجمعه على سطح الجسم . وتستخدم طريقة الحرق عادة في حالة الملوثات السامة ذات الرائحة ، مثل الهيدروكاربونات .

وتستخدم المدخنة لابعاد الملوثات لمسافات بعيدة عن مصدر التلوث ، حيث ان تركيز الملوثات في الجو يعتمد على المعدل الحجمي للملوثات المنبعثة ، وعلى سرعة الريح والارتفاع الصافي للمدخنة ، بالاضافة الى الظروف الجوية مثل درجة الحرارة والرطوبة .

وهنالك طرق للازالة تعتمد على النوعية الكيماوية للملوثات ، حيث تضاف مواد كيماوية للتفاعل مع الملوثات ، ويخرج هواء نقي نسبيا بعد التفاعل . □

أصابعك علاج للصداع

بقلم : الدكتور نبيل سليم علي

« الصداع » ألم يصيب كل البشر . . في كل الاعمار والاجناس ، ولم يصل الطب حتى الآن الى علاج ناجع له .

ولكن قبل أن نعرف العلاج يجب أن نعلم أولا حقيقة الصداع وأنواعه لكي يتيسر لنا فهم وتنفيذ العلاج . وهو ما يعرضه هذا المقال .

من أبرز أنواع الصداع ذلك الذي ينشأ من تقلص وتمدد مفاجيء ووقتي وعابر بشرايين الدماغ ، وهذا التمدد العابر ما هو إلا نتيجة لارتفاع بعض الهرمونات العصبية في الدم ، وهو يختفي دائما بعد فترة إستهلاك هذه الهرمونات .

وعندما تكشفت للطب حديثا أسرار كيمياء الألم حدثت ثورة جديدة في علاج الصداع ، فمثلا ثبت وجود ما يسمى بـ « الاندورفينات » Endor-phines أو الأفيون الطبيعي في الجهاز العصبي للانسان والحيوان ، وهي مادة تشبه المورفين ، مسئولة عن حماية الانسان من الألم وخاصة الصداع ، وقد رزق الله بها عباده بدرجات متفاوتة ، واتضح أنها موجودة بكثرة في الجمال والأفيال ، ولذلك عرف عنها الاحتمال الشديد للألم . أما البشر فهم يختلفون - فيما

بينهم ـ في درجة ما حباهم الله به من هذا الأفيون . فتجد احتمال بعضهم للألم مرتفعا ، وذلك لارتفاع نسبة ما يحتويه جهازه العصبي من هذه الاندورفينات الطبيعية ، وقليل من الناس حرمهم الله من كمية معقولة من الأفيون الطبيعي فأصبحوا نهبا للآلام .

لذلك تجرى الأبحاث اليوم على قدم وساق لحل مشكلة هذه الأقلية بتنشيط الأفيون الطبيعي لديهم ، فلم يعد هناك أدنى شك في أن الألم والمتعة والانفعال لها إتصال بعمل الاندورفينات ، وعلى ذلك فإن القدرة على تحمل الألم العظيم قد تكون نتيجة لزيادة كمية الاندورفينات عما هي موجودة في الشخص العادي ، وكان أن تم منذ عام اكتشاف عائلة بأكملها من الاندورفينات أو المورفين الداخلي ، كما أمكن تركيبها خارج جسم الانسان ، ولكن بتكاليف باهظة ، حيث أن الجرام الواحد يكلف ثلاثمائة ألف دولار . وفي تقدم آخر لفهم طبيعة عمليات الشعور بالألم والصداع وضع الأطباء أيديهم على مفتاح جديد . . فعند عبور الألم من مصادره الأولى في أعضاء الجسم إلى المراكز العليا في الجهاز العصبي يمر الألم أو الصداع ببوابات متعددة . وهذه البوابات تسمح بأقدار متفاوتة من الألم حسب إتساعها ، فإذا كانت مغلقة خف الصداع أو الألم ، واذا كانت مفتوحة على مصراعيها زاد الصداع .

ويتحكم في فتح البوابات وغلقها أنظمة مراقبة وتقدير داخلية تراعي مصلحة الانسان ككل ، فمثلا تفتح بوابات الألم على مصراعيها للألم الذي يهدد حياة الانسان ـ مثل الذبحة الصدرية أو التي تتطلب إجراء سريعا .

وهناك درجة من السيطرة يمكن أن يمارسها الانسان على بوابات الألم لديه ، ومن الأمثلة الصارخة التي يمكننا أن نقدمها في ذلك المجال ، ما يقوم به فقراء الهنود عند المشي على المسامير ، وما يقوم به الجنود في المعارك .

ان « الصداع » . . هذا الاحساس المزعج الذي يداهمنا ، يتم التعبير عنه من خلال جهازنا العصبي والنفسي ، وحيث الدماغ ـ كما نعرف ـ منطقة متسعة من الجسم ، وهي تحتوي على أعضاء كثيرة مثل المخ والأذنين والعيون وعظام الجمجمة وعضلات الوجه ، وقد اصطلح على أن أي ألم يصدر من هذه الأعضاء يسمى صداعا . . كما أنه يمكن أن يصدر عن مرض أو خلل في الضروس ، أو النظر أو التهاب الجيوب الأنفية أو غيرها ، وفي مثل هذه الحالات يختفي الصداع بعلاج الأسباب لأنه كان عرضا وليس مرضا .

أما إذا أصيب الأنسان بصداع لا يوجد له سبب واضح ، فإن الطبيب عادة يصنف هذا الصداع على أنه صداع نفسي ، أي أنه مرتبط باضطرابات نفسية . والواقع أن طب الأمراض النفسية والعصبية تصدى لهذا النوع من انواع الصداع مستخدما المناهج العلمية السليمة ، وتوصل إلى بعض النتائج التي يقول بعضها : ان هناك أعضاء في الدماغ ، وبالذات في عضلات الرقبة والجبهة والوجه تعتبر مصدرا للصداع نتيجة لتوترها الشديد لفترة طويلة ، وهذه العضلات تعتبر من أدوات التعبير الوجداني ، ولذلك فهي دائمة التوتر ، كما أن توتر هذه العضلات مسئول عن الصداع الذي يحس به كل منا بعد فترة من الانفعال الشديد ، وغالبا ما يتبدد هذا الصداع بعد فترة من الاسترخاء أو النوم . . ولكنه يعتبر مشكلة للذين لا يجدون وقتا للاسترخاء ، حيث أنهم يتزايدون بصفة مستمرة في مجتمعاتنا التي تتسم بالانفعال الدائم واليقظة العالية وقلة فرص الراحة أو الاسترخاء ، إلا أنه أمكن الاستعانة ببعض التمرينات المعينة للاسترخاء كالهروب المنتظم الى المناطق الخلوية الهادئة والخضراء ، كما أن التأمل الروحي في الكون والصلوات تخفف كثيرا من نوبات هذا المرض .

الصداع النصفي

أما النوع الثالث من أنواع الصداع هو الصداع النصفي « الشقيقة » وهو مرض قديم قدم الحضارة ، فقد جاء ذكره في لوحة مصرية يعود تاريخها إلى سنة ١٢٠٠ ق . م ، كذلك وصفه « أبو قراط » ولكن كان أول وصف شامل لهذا المرض قد تم في عام

١٣٠ م ، فقد جاء فى تقرير وصفه « أنه ألم يتركز فى قسم واحد من الرأس ، مع إعتلال ، ودوار ، وانزعاج شديد من الضوء°وشعور شديد بالغثيان قد يصاحب حدوث النوبة » .

وبعد نصف قرن من الزمن ، استخدم « جالين » الكلمة الاغريقية (Hemicania) التى تعنى (نصف الجمجمة) لوصف الصداع النصفى ثم تحولت فيما بعد الى (Migraine) وهى الكلمة المستخدمة حاليا .

ويعانى نحو ستة ملايين أو أكثر من البريطانيين ـ أى بما يعادل عُشر السكان هناك ـ من ويلات الصداع النصفى الذى يدوم أحيانا بضع ساعات وأحيانا بضعة أيام ، كما يعانى عشرات الملايين من الأشخاص فى العالم من هذا المرض ، ففى أمريكا وحدها يوجد أكثر من سبعة ملايين من السكان يعانون من الصداع النصفى ، ويلاحظ أن عدد النساء المصابات يعادل ضعف عدد الرجال خاصة أيام الحيض ، وهناك نوع واحد غير مألوف من المرض وهو الصداع النصفى العصبى يكاد يقتصر على الرجال . كما يصاب الأطفال من كلا الجنسين بهذا المرض وبنفس النسبة ، وتزداد الأصابة به عند الفتيان بعد سن البلوغ .

ونوبات الصداع النصفى تأتى عادة دون سابق إنذار ، وتسبب فى بعض الأحيان صحو النائم من نومه ، إلا أن لدى البعض حاسة تدلهم على حلول نوبة الصداع ، إذ يشعرون مثلا بدوخة أو اضطراب بصرى ، أو يشعرون بالجوع ، أو الرغبة الشديدة فى أكل الحلويات وما شابه ذلك .

وتثير نوبات الصداع أسباب كثيرة ، منها التدخين ، وهبوب العواصف والأضواء الساطعة والأصوات المزعجة ، أو الضوضاء والروائح الشديدة ، أو تغيير الطقس ، أو التأخر عن وجبات الطعام أو شدة حرارة ماء الاستحمام ، أو كثرة الهموم

أما النساء فإن كثيرا منهن يعانين من الصداع أيام الحيض وعند استعمال أقراص منع الحمل . ويحدث الصداع أيضا من جراء تعاطى بعض العقاقير الكيماوية إما فى الأدوية أو فى الأغذية ، فالعناصر الأمينية الموجودة فى الشيكولاتة والجبن وبعض المشروبات من العوامل التى تؤدى الى إثارة الصداع النصفى .

أما أساليب معالجة الصداع فأهمها تجنب العوامل التى تسبب حدوثها ، واستعمال الأدوية أو العقاقير التى تخفف حدة الألم فور الشعور بحلول النوبة ، من جراء ظهور الأعراض كالاصابة بدوخة واضطراب أو هذيان ، أو إدرار البول أو الجوع غير العادى ، أو النشاط أو الكسل غير الطبيعى وخلاف ذلك ، ويجب على الذى يصاب بنوبات متكررة أن يحمل معه مسكنات الألم ويخلد الى الهدوء فى غرفة هادئة وشبه مظلمة . وهناك عدة عقاقير يمكن تناولها ، وهى التى تحتوى على مادة « الأيرجوتامين » ، فهذا العقار يؤثر على قطر الأوعية الدموية بصورة عامة وفى الدماغ أو الجمجمة بصورة خاصة . وله أيضا تأثير على مستويات « الجيروتونين » العالية فى الدم والتى يعتقد أن لها علاقة بنوبات المرض .

ومن العقاقير التى تحتوى على هذه المادة : ميجريل ، افرجوت ، كافيرجون ، وفيمرجين .

ولا يؤثر هذا الدواء إلا قليلا على الأعراض التحذيرية التى تنبىء عن قدوم النوبة . هذه الأعراض التى تنجلى تلقائيا خلال ٣٠ ـ ٦٠ دقيقة

ولكن هذه العقاقير إذا استعملت بكثرة قد تؤدى إلى حالة (تسمم) فى بعض الحالات .

علاج الصداع فى « أصابعك »

والآن نأتى إلى العلاج الجديد للصداع . ونظرا لأهمية هذا المرض وخطورته على المجتمع .. أصدرت الجمعية البريطانية لأبحاث الصداع كتابا جديدا عن أسباب وأنواع الصداع وكيفية وطرق علاجه ، لما له من منغصات العيش لعشرات الملايين من الناس كما ذكرت مسبقا ، كما أن أحد علماء الطب النفسى بجامعة الينوى بالولايات المتحدة يقول ان للأسبرين أضرارا جانبية منها قرحة المعدة ، وسيولة الدم ، ورغم ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك مائة طن أسبرين يوميا .

لذا فقد بدأنا بإجراء تجربة جديدة على ١٢ مريضا من الأطباء ، وتم شفاؤهم جميعا ، وذلك من خلال الضغط على أربعة أماكن فى الجسم ، ولكن يجب أن يكون لدينا إقتناع بأننا سوف نحصل على نتائج إيجابية .

المنطقة الاولى :

عند التقاء الحاجب بطرف العين ستشعر بوجود عظمة تكون الجدار الخارجي لتجويف مقلة العين .. أخرج عن هذه النقطة في اتجاه أذنك مسافة نصف سنتيمتر أو سنتيمتر وابدأ الضغط ، ستشعر بأن الضغط على هذه النقطة بالذات يسبب لك ألما أكثر من الضغط على أي نقطة أخرى مجاورة .. اضغط بالابهام حوالى دقيقة واحدة ضغطا مستمراً وبالطبع على الناحيتين .

المنطقة الثانية :

ـ عند خلف الرقبة إتجه داخليا على العظمة الموجودة خلف الأذن وعندما تجد تجويفا بسيطا تحت أصبعك تكون قد وصلت إلى النقطة المطلوبة .. إضغط بشدة على هذه النقطة لمدة دقيقة واحدة .

المنطقة الثالثة :

وهى ضغط الابهام بالابهام لمدة دقيقة واحدة ايضا .

المنطقة الرابعة :

الضغط على جانب الرسغ تحت نهاية الأصبع الكبير (الابهام) .

ولكن هناك شروطا للضغط .. وهى أن يكون الضغط بطرف الأصبع وليس بجزء كبير منه وذلك لكى يكون الضغط بأصغر سطح من الأصبع :

ـ أن يكون الابهام الضاغط منثنيا بزاوية قائمة .

ـ اضغط بشدة ولا تنزعج لهذا الألم لأنه لن يستمر طويلا .

ـ ابدأ التجربة بالضغط لمدة نصف دقيقة ثم انتظر قليلا ، ثم أكمل الضغط مدة الدقيقة ، وذلك لانك لن تستطيع أن تضغط منذ اللحظة الأولى دقيقة كاملة من شدة الألم ، لكن بعد ذلك سوف تتحمل الضغط مدة دقيقة كاملة . ويمكنك ممارسة الضغط على اليدين فقط لمعالجة الصداع أثناء جلوسك فى مجتمع ما دون أن يشعر بك أحد . إذا احتجت الى جرعة إسعاف سريعة لصداع طارىء اجعل كفيك متشابكين واضغط بالابهامين على نقطتى حافتى العين . واذا اصبحت خبيرا فى عملية الضغط هذه يمكن بعد ذلك ان تستخدم اليدين فقط فى علاج الصداع وذلك بأن « تقرصها » بشدة وهى منقبضة .

فلنجرب هذا العلاج يا عزيزى القارىء وليكن كل منا حكماً من خلال تجربته لهذا العلاج ، خاصة وأن العلاج الكامل والناجع للصداع ما زال بعيدا عن التحقيق . □

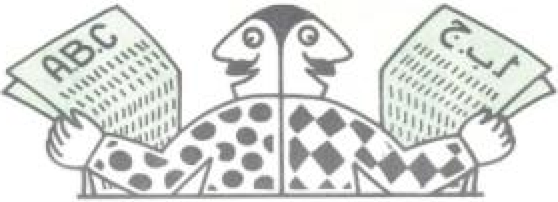

حكايات شرق وغرب

حكاية أم

كانت باتريشيا مارشال قد بلغت عامها الثامن عشر عندما رزقت بطفلها الأول بعد زواج قصير انتهى برحيل والد الطفل بعد ولادته ببضعة أشهر .

وتقدم أحد شبان المدينة الصغيرة بولاية الينوى الأمريكية بطلب الزواج من الأرملة الشابة ، ولكنه كان يحمل مع رغبته فى الزواج بها شرطا قاسيا : « لا بد أن تبحث الأم عن أسرة تتبنى الطفل الصغير لانه يريد أن يرى أطفاله هو عندما يجيئون ، ولا يريد أن يرى بينهم طفلا غريبا عليهم » .

وقبلت باتريشيا أن تفترق عن طفلها ، فقد كانت حياتها مليئة بالفقر والحرمان بعد رحيل زوجها الأول ، وكان لا بد لها أن تتزوج لتعيش ، ووقفت تودع طفلها الصغير وهى تبكى وتتوسل الى الوالدين اللذين تبنياه ان يرعياه ويعطياه كل الحب والحنان .

ومضت الأعوام ، والأم تنتقل مع زوجها بريان ماكدرموت من بلد الى بلد حتى استقر بها الأمر فى النهاية فى احدى المدن الكبيرة فى ولاية أخرى تبعد مئات الأميال عن المكان الذى شهد بداية قصتها مع المأساة التى بدأت تعيشها .. فلم ترزق باتريشيا بأطفال من زوجها الثانى رغم مرور عدة سنوات على زواجها ، وبدأ الحنين الى طفلها الذى تخلت عنه يعذبها ويؤرقها .. ترى أين هو الآن ؟ كيف يعيش .. هل مازال يذكرها .؟ لقد افترقت عنه وهو طفل لم يتجاوز شهره التاسع ، وكانت تسخر من نفسها وهى تقف عند هذه الهواجس التى باتت تسيطر على كل تفكيرها .

وكان شعورها بالألم والعذاب يتضاعف ، كلما قصدت المتجر الصغير الذى تشترى منه ما تحتاج اليه من مواد غذائية ، فقد كان مدير المخزن ويدعى (جيرى) يذكرها بابنها .. كان جيرى شابا فى السادسة والعشرين ، نفس السن تقريبا التى بلغها طفلها الصغير الآن .. وكانت تجد السعادة فى تلك اللحظات القصيرة التى تقضيها فى الحديث اليه وهى تدفع ثمن ما اشترته من متجره وتعود الى بيتها الذى يقع قريبا من المتجر !

الى أن جاء يوم ذهبت فيه الأم الى المتجر كعادتها ولم تجد جيرى ، واستبد بها القلق .. ترى ماذا حدث له ؟ وقررت ألا تعود الى هذا المتجر ثانية قبل أن يعود

جيرى بدوره اليه ، فقد علمت انه مريض وانه نقل الى المستشفى ، بعد أن قرر الاطباء انه فى حاجة الى جراحة خطيرة وعاجلة ، ولكنهم لا يستطيعون اجراء العملية لانها ستكلف مبلغا يزيد على الستين الف دولار .

وأحست الأم بأنها قد تستطيع أن تساعد هذا الشاب الغريب ، وربما بدافع من الشعور بأمومتها التى حرمت منها ، وذهبت الى البيت لتروى لزوجها قصة جيرى مع المرض .. وكأن الزوج بدوره كان يحس بالذنب لأنه فرق بين أم وطفلها دون أن يحقق امنيته فى انجاب الاطفال . فقدم لها عشرة آلاف دولار ، هى كل ما كان يدخره ، وحملت الام المبلغ وذهبت الى دور الصحف لتنشر نداءً صغيرا الى اصحاب القلوب الرحيمة .

وكانت الاستجابة سريعة .. وفى خلال أيام استطاعت باتريشيا ان تجمع المبلغ واسرعت به الى المستشفى حيث يرقد جيرى . وأجرى له الاطباء العملية الجراحية التى انقذت حياته .

وفى غرفة سجلات المستشفى التى كان يرقد فيها الشاب المريض كان فريق من الاطباء يقومون باسعاف سيدة سقطت على الارض مغشيا عليها ، وفى يدها بطاقة تحمل اسم جيرى وتاريخ ميلاده ، والمكان الذى ولد فيه واسم الأسرة التى تبنته .. لقد كان جيرى هو ابنها الذى تخلت عنه منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ..

قالت عندما افاقت من غيبوبتها : « لقد انقذت حياة ابنى .. كفرت عن الذنب الذى جنيته لقد عاد الى ولدى » .

رصاصة فى قلب الطبيب !

عندما أعلن الدكتور دارفينج فروهمان التقاعد عن ممارسة مهنة الطب ، قرر البقاء فى بيته الذى كان يعالج فيه مرضاه بالجناح الذى كان مخصصا لاستقبالهم ببلدة كوينز بولاية نيويورك . ولكن الطبيب ما لبث أن اكتشف أن المكان الذى عاش فيه مدة تزيد على الثلاثين عاما لم يعد يشعر فيه بالأمان والهدوء .. فقد أصبح وكرا للصوص وقطاع الطرق والسفاحين .

ولم يجد فروهمان من وسيلة لمواجهة موجة الجرائم فى كونيز الا أن يمتلك سلاحا يدافع به عن نفسه ، وخاصة بعد أن تقدم به العمر فقد جاوز السبعين واشترى مسدسا ، ولكنه كان يرجو ألا يضطر الى استخدامه فى يوم من الأيام ومهما كانت الظروف .

ولكنه ما لبث أن وجد نفسه يوما يواجه الموت ، عندما اقتحم شاب باب بيته الخارجى فى الفجر ، فما كان منه الا أن اطلق عليه رصاصة من مسدسه استقرت فى صدره !

وسقط الشاب داخل بيته والدماء تنزف منه بغزارة ولم يكد الطبيب يرى ما صنعه بيده حتى أسرع الى أدوات الجراحة القديمة التى علاها الصدأ ، وأخرجها من مخزنها ، وراح يعمل بسرعة لانقاذ حياة الشاب وتضميد جراحه . وعندما اطمأن عليه اتصل بالاسعاف الذى سارع بنقله الى المستشفى لاستكمال علاجه .

ونجا الشاب من الموت . أما الدكتور فروهمان ، فقد أمسك بالسلاح الذى اشتراه ليدافع به عن نفسه وألقى به فى البحر ، وكتب يقول : لقد قضيت حياتى كلها أضمد جراح الناس . وأحاول أن أعيد لهم نبض الحياة ، ولا أريد أن أختتم أيامى الأخيرة بأن أتحول الى سفاح !

مدخنو السجاير « فى المصيدة » !

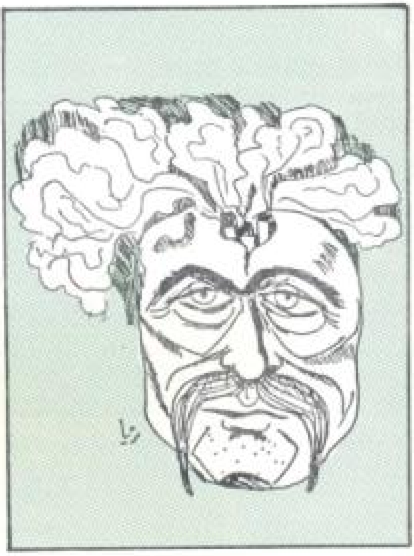

● الابحاث الأخيرة فى سيكولوجية التدخين بدأت تفسر لنا ذلك الاصرار الغريب على الاستمرار فى التدخين . ويقول الباحثون انه بالرغم من تزايد الأدلة على الخطر الشديد الذى يتعرض له المدخن ، والآثار السيئة التى يتركها التدخين على الصحة ، فلا تزال السيجارة حيث كانت دائما بين الأصابع والشفاه ، ولا يزال دخانها المحترق يملأ صدور المدخنين الذين يهربون من التحذيرات .

وفى احصائية أخيرة نشرت فى نيويورك جاء:ان ثلث الأمريكيين البالغين قد أحرقوا ما يزيد على ستمائة بليون سيجارة خلال عام ١٩٨٤ ، وأن أربعة من بين كل خمسة من المدخنين يريدون أن يقلعوا عن التدخين ، ولكنهم لايلبثون أن يجدوا أنفسهم وقد عادوا الى السيجارة من جديد بعد محاولات عديدة للتخلص من عبودية السيجارة .

لماذا ؟ ما الذى يعطى السجائر هذه السطوة القوية على المدخنين ؟ ان البحوث الأخيرة تؤكد أن التبغ يحمل خصائص فريدة تجعل منه عاملا من العوامل الأساسية التى تساعد المدخن على مواجهة تقلبات الحياة ، وأن التشبث بالاعتماد على النيكوتين مرده تلك الآثار المتنوعة الكثيرة التى تترك بصماتها على المخ والجهاز العصبى .

والنتيجة ان يبقى المدخن مرتبطا بالسيجارة التى يلجأ اليها فى كثير من الظروف التى تواجهه وهو يمضى فى رحلة الحياة .

ثم هو يريد أن يجنب نفسه الشعور بالاضطراب الذى يحتويه عندما يبدأ النيكوتين فى الاختفاء من دمه عندما يمتنع عن التدخين .

وبالرغم من ان الأبحاث تقول ان عشر سجائر فى اليوم كافية لمنع أعراض الشعور باختفاء النيكوتين ، الا أنه من النادر ان تجد مدخنا يكتفى بهذا القدر من السجائر ، فهو يمضى فى التدخين ، مادام قد عاد اليه ، لمجرد انه يجد متعة فى التدخين ، لانه يغير من الكيمياويات الهامة التى تؤثر على مشاعرنا بالرفاهية والاحساس بالتعويض ، كما ان هناك أدلة على أن التدخين يسهم فى تسهيل المهام الصعبة ويساعد على شحذ الذاكرة ويقلل من الشعور بالتوتر والقلق ويضاعف من قوة الاحتمال للألم والجوع !!

هل هى دعوة الى الاستمرار فى التدخين ؟ يقول الدكتور ريشارد بولين مدير المعهد الوطنى لبحث آثار المواد المخدرة وسوء استخدامها : « ان التدخين اصبح اليوم أخطر أنواع الادمان فى العالم وأكثرها شيوعا ! »

انه أكثر خطورة من الادمان على الهيروين . »

وبالرغم من هذه المعلومات العلمية الدقيقة عن أثر تدخين السجائر وما تصنعه بالانسان ، الا أن العلماء يقولون انهم لم يتوصلوا حتى الآن الى تفسير واضح محدد للاستمرار فى التدخين بشراهة ، كما أنهم لم يتوصلوا الى وسيلة لاقلاع المدخن عن التدخين ، ولن يفلحوا فى التوصل الى علاج للمدخنين بالرغم من المحاولات التى بذلت وما زالت تبذل وان ابتكار أنواع جديدة من السجائر الخالية من النيكوتين خرافة علمية . (اقرأ عن التدخين فى مكان آخر من هذا العدد) .

هل تتحقق الاحلام ؟

روى البروفسور اناتولى جروميكو بن اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، تفاصيل المغامرة التى رآها فى حلمه ، وكان بطلها رجلا يشبه الى حد كبير رونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة الامريكية !

قال البروفسور اناتولى ، وهو دبلوماسى سابق محدثا أعضاء معهد البحوث الدولى للسلام فى استوكهلم ، انه رأى فى الحلم انه كان بين ركاب سفينة فضاء يقودها قبطان يحمل مسدسين فى جيبى سترته ، وهى الصورة الكاريكاتير التى تنشرها الصحف السوفيتية للرئيس الأمريكى ريجان .

ومضى اناتولى يكمل ما شاهده فى حلمه قال : « ان السفينة كانت (كوكب الارض) وكانت متجهة بسرعة الى أحد النيازك الذى يحمل اسم (سباق التسلح) ، واسرعنا ـ مجموعة من ركاب السفينة ، وأنا ـ الى مقدمة الطائرة حيث يجلس القبطان لنحذره من احتمال اصطدام سفينتنا بالنيزك .

ولكن القبطان كان رجلا غريب الأطوار ، انه لم يصدقنا ، كما هى عادة جميع القباطنة الذين يعتدون برأيهم ، ويعرفون كل شىء ! فما كان منه الا أن ابتسم فى أدب ولم يتحرك من مقعده حيث كان يجلس وقد تدلى المسدسان اللذان يحملهما من جيبه ! »

ثم قال اناتولى : « ولكن يبدو أنه ادرك اخيرا حقيقة الموقف ، واستطاع بمساعدة بعض القباطنة الذين كانوا معه أن يغيروا مسار سفينتنا قبل فوات الأوان » .

وينهى ابن وزير الخارجية السوفيتى حديثه عن حلمه بقوله : « لقد آمنت بعد هذا بأن الأحلام لا بد أن تتحول الى حقيقة . . لا بد من انقاذ السفينة ! »

الرحلة الاخيرة !

قال له الاطباء فى مستشفى (هوستون) بولاية تكساس : « لقد زال الخطر تماما وتحسنت صحتك وتستطيع أن تغادر المستشفى فى أى وقت تشاء » . وبدأ ادوارد هيل ـ وهذا اسمه ـ يجمع ملابسه ويستعد لترك فراشه الذى أمضى ثلاثة اسابيع راقدا عليه تحت العلاج من نوبة قلبية اصابته وهو يقترب فى رحلة الحياة من عامه الستين . .

وحمل هيل حقيبته الصغيرة وراح يهبط الدرج مسرعا وقد أحس أنه ولد من جديد . . وكانت وجهته الغرفة الصغيرة التى يسدد فيها النزلاء نفقات علاجهم واقامتهم وقدم له الموظف المسئول فاتورة الحساب . . وما كاد الرجل يلقى نظرة سريعة عليها حتى سقط على الارض مغشيا عليه . . وجاء الطبيب مسرعا لاسعافه بالعلاج ، ولكنه ما كاد يقترب من صدره ليفحص دقات قلبه ، حتى ارتد مذعورا . . لقد مات ادوارد هيل . . مات من الصدمة ، والقى نظرة سريعة على الفاتورة التى كانت لا تزال بين اصابعه ، فاذا به يقرأ : (٣٨ ألف دولار مجموع نفقات العلاج والاقامة بالمستشفى) .

الزوج المثالى

الرجل الأصلع زوج مثالى ! هذه هى نتيجة الاستفتاء الذى قام به عالم النفس المجرى الدكتور استفان بوكر لأكثر من ثمانمائة زوجة على مدى خمس سنوات كاملة . فقد أجمع ثلاثون فى المائة من الزوجات على إنهن يعتبرن أنفسهن أسعد زوجات فى العالم ، وعندما التقى بوكر بازواجهن الذين نجحوا فى اسعادهن ، وجد أنهم جميعا قد فقدوا شعر رؤوسهم . . !

قصة : جار النبي الحلو

عندما انفتح الباب نفثت الشقة رائحة زمن قديم ، وأنفاسا محبوسة ، فاح عبقها المخزون مع هواء عطن ، وضعت السيدة ذات الشال يدها على أنفها الدقيق ، وقالت الأخرى العجوز بينما تدير وجهها نحو الشارع الضيق :

ـ زمن طويل يا أختي .

وتهدج صوتها ، ثم قالت :

ـ الله يرحمك يا بابا .

قالت السيدة ذات الشال بصوت مسموع بصطنع الحزن:

ـ الله يرحمك يا بابا .

بينما تقدم الشاب بتؤدة ، عدل رباط عنقه ذا الدبوس المذهب ، واندهش لأنه لم يتذكر المكان أبدا .

في سيارة الأجرة قالت أمه ـ السيدة ذات الشال ـ والتي يشبهها تماما ما عدا شعره المجعد :

ـ كم لعبت بذلك المنزل وأنت صغير ، وكنت تقعد على حجر جدك حتى تنام ، ويشيلك الله يرحمه حتى السرير ، ويلفك بالروب الحرير ، وتتزل ستائر (الدانتلا) عليك فتبدو كملاك نزل حالا من السماء .

صرخت العجوز وهي تمسح شعرها :

ـ يا ساتر . . العناكب تفرش السقف والأركان ، انظري النجفة

كان المكان مظلما تماما ، رطبا ، تقدم الشاب ، فتح الشباك بصعوبة ، فأحس باندفاع هواء جديد .

قالت خالته العجوز :

ـ الآن نفتح كل النوافذ ، ثم نبدأ في التفتيش .

فتح الشاب النافذتين الوحيدتين في الصالة والحجرة المطلة على الشارع ، وسعل ، وحين هم بالجلوس ، نظرت له الأم مشيرة للخالة ، وأحس في عيني أمه قسوة ، كان المقصود هو متابعة الخالة حتى تتم قسمة الأشياء مناصفة ، ان لم تكن هي الفائزة .

الصالة واسعة عالية الجدران ، لها مائدة طويلة وكراسي من النوع القديم ، وكنبة مبطنة ومنجدة بالقطن ذات تلبيسة من القطيفة الحمراء . لم يتذكر المكان أبدا .

لم يحك له أبوه عن بيت جده ، كان يقول انه تزوج بأمه من بيت خاله الكبير ، الذي توفي بعد زواجها بشهر ونصف ، لم يحك ، وهو على الأرجح لم يأت لهذا المكان أبدا .

- في العيد كنت تلبس البدلة الضباطي والكاب وتذهب لجدك فيعطيك العيدية ورقة بخمسة جنيهات ، وتظل عنده يوم العيد الأول لتأكل الديوك الرومية والبط ، واللوز والجوز .

لم يتذكر أبدا ، عندما مات جده كان صغيرا لا يتذكر سوى البكاء ، والسرادق الفخم الذي سد الشارع ، وأن أباه كان يأخذه الى المطبخ ليأكلا - بين الحين والآخر - دون ان يراهما أحد .

أقسمت أمه أن البيت ذا الطابق الواحد لن يباع مدى الحياة ، لأنه الذكرى الباقية لأبيها الذي رباهما أحسن تربية .

كانت خالته تقول :

- بابا الله يرحمه اشترى لي من باريس حذاء أبيض وشمسية بيضاء .. ولكن الزمن الأغبر ..

وضعت أمه الشال على كرسي متسخ ، فبان القرط والخواتم والعقود الفالصو ، وكانت تبرق ، وضعت ساقا فوق ساق ، قالت الأخت الكبرى .

- كما قلت قبل ان تأتي : النجف .. النجف من نصيبي .

حين سأل الشاب امه الليلة الماضية :

- لماذا قررتما بيع البيت ؟

قالت وكانت تقلب مجلة بعصبية :

- ان العقارات ارتفع ثمنها ، ومن سيشتريه سيحوله لعمارة .. هذا مكسبنا .. ثم .. ان الحي أبقى من الميت .

ورمت المجلة .

كانتا تتفاخران في الماضي بأنهما لن تبيعا البيت ، ويتردد دائما في الأحاديث والجلسات :

- بيت بابا .

وظل بالفعل شاهدا على أنهما ليستا في حاجة له ، وأنهما لا تطمحان في ارث . . . كانت هي تحكي :

- لما مات بابا وجدوا في جيب بيجامته ورقة بمائة جنيه ، وأعددنا له (عتاقة) لم يشهدها الشارع ، وأحيا تلك الليلة الشيخ محمد رفعت .

خلع الشاب الجاكتة ، ووقف فرأى في منتصف الصالة صورة جده في اطار من الخشب لونه بني غامق ، اقترب فرآه برأسه الاصلع واسنانه المكسرة ، وكانت ابتسامة حقيقية تشع من وجهه العجوز .

أخرج الشاب منديله الابيض ومسح الصورة من تراب السنين ، فاتسعت ابتسامة جده .

صرخت ذات الشال :

- يا بابا .

قالت العجوز وهي تغلق عينيها بجفنين مترهلين :

- كفى يا أختي .. زمن بعيد .. هيا .

ونهضت وفتحت باب الحجرة الكبيرة .. زيق الباب ، وكانت الظلمة ، تقدم الشاب مسرعا وأضاء الحجرة مصباح متىرب ، فرأى السرير وعرف أنها حجرة النوم ، ورأى أنها حجرة بسيطة ، وليس فيها ما يبهر ، همس :

- حجرة عادية .

سمعته أمه ، التفتت في حدة ، قالت خالته بلا اكتراث ، وهي تنظر لأمه معاتبة :

- ألم أقل لك .

قالت أمه بهمس كالفحيح :

- أنت لا تعرف شيئا .. كانت أفخم حجرة نوم .. بابا الله يرحمه اشتراها من اسطنبول .

تصوره دائما - كان - لبيت جده أنه ذو بوابة ضخمة ودرجات سلم عالية . ولكن الباب الخشبي والهواء العطن والظلمة جعلوه لا يفهم ، وتوتر .

صاحت خالته :

- لا تفضحنا يا باشمهندس ، انتظرنا كل هذه السنوات ، قافلين على باب أبينا سره وسرنا .

استندت الأم بيدين معروقتين على شبك السرير الخشبي وقالت :

ـ مات أبوك وكانت أمنيته أن يرى بيت جدك . . فاهم . . اياك ان تتلفظ .

لما عرف بحكاية بيع البيت وأن أمه وخالته اختارتاه من بين جميع الأهل ليذهب معهما لأخذ الاشياء الثمينة قبل البيع ، كان في حلم وشوق لرؤية المرايا التي تزين الجدران ، والسجاجيد العجمية ، والزجاج الملون ، والتحف الكريستال ، والكنبة ذات الكنوز .

انحنى ولمس بيده السجادة المفروشة على الارض . . من النوع العادي . . ولا تبدو نقوشها واضحة .

كانت أمه تقول عندما تزعل مع أبيه :

ـ أنا من عائلة ، لو دخلت بيت بابا الله يرحمه كنت تكسف من نفسك .

اندفعتا تفتشان في الدولاب وتجذبان المراتب ، رمت الأم الوسادة ذات الزهرة على الجانب الأخر ، والبطانية المؤطرة بـ (البستان) رمتها الخالة من الباب الى الصالة ، وتحدثت بهمس ومرارة :

ـ شفتي يا أختي البطانية التي اشتراها زوجي من بورسعيد الأسبوع الفائت . . أو البطانية التي أهداها لنا (سلفي) وهو عائد من السعودية . . حاجة تهوس !!

غمزتها الأم قائلة :

ـ الدنيا تغيرت ، هل تريدين زمن أبيك كزمن بورسعيد ؟ الدنيا تغيرت ياختي . في أعياد الميلاد والافراح ، وفي استقبال الراجعين من السعودية ، وفي كل المناسبات كانتا تتكلمان عن بيت الأب المغلق بالمفتاح ، عن طوابقه وأشجاره وأثاثه ومن كنوزه ينبهر السامعون ، هو نفسه كان مبهورا ، وبعد أن أصبح مهندسا مدنيا أفضى لأمه بشوقه لرؤية بيت جده ، قالت :

- لا تكن فضوليا مثل أبيك . . هذا كنزنا الذي نعيش به .

اتجه الى الحائط حيث شماعة خشبية عليها بيجامة مقلمة ، متسخة قليلا (عندما مات وجدوا في جيبه . . .) .

ارتفع صوتاهما مختلفا على بعض الجلابيب والبيجامات وملاءتين للسرير . قالت الخالة :

- خذي ما تريدين . . سآخذ النجف .

خرج مسرعا للصالة ، لم تكن سوى نجفة واحدة من الزجاج الهادىء اللون .

كانت هي تحكي :

- عند بابا نجف كريستال .

- عند بابا ثلاث فازات من الصين أيام كان يطوف العالم .

بالنجفة الزجاجية ثلاثة مصابيح .

خرجتا من الحجرة ، قالت الخالة :

- سآخذ النجفة وأبيعها في أول محل ، وخذي ما تريدين على شرط بيعه قبل وصولك للبيت .

اتجه الشاب الى الكنبة ذات القطيفة الحمراء الأنيقة ، وكانت ببابين صغيرين ، جاهد في فتحهما وهو يركز على ركبتيه . قالت له أمه :

- ماذا تفعل ؟ ربما تفزعك الفيران .

اندهش كثيرا . . هي ليست كنبة الكنوز اذن ! حاول مرة اخرى فتح الباب ، حتى انفتح عنوة . مد يده يتحسس ، قال لخالته :

- أضيىء النجفة من فضلك ياخالتي .

قالت : النجفة لا تضيء يا روحي .

مد يده بتوجس وقلق ، تحسس كتبا ، عبث بيده ليتأكد ، ثم أخذ يخرجها كتابا كتابا .

لا يتذكر أن أمه قالت عن جده أنه كان يقرأ الجريدة ، رغم انها في كل صباح تنادي على بائع الصحف وتقول - وهي ما تزال بقميص النوم — الجورنال بسرعة .

جلس على الأرض تماما . كتب في الأدب والموسيقا . كتب ضخمة وصغيرة ومجلدة ومنزوعة الجلد .

قالت الأم وهي تتنهد :

- قم . . بلاهم .

امتلأت الصالة بالكتب التي تخرج منها رائحة قديمة نفاذة ، تصور للحظة أن يشتري مكتبة ويضعها في صالة بيتهم ، ويجلس بجوارها كلما زارهم أحد ، وتصور نفسه أيضا وفي يده (بايب) وكلما تحدث يشير به للمكتبة .

قام متلهفا الى أمه التي كانت تتناقش مع خالته عن : من سيدفع أجرة العربة التي ستحمل هذا الكوم من العفش والهدوم القديمة .

- أمي سآخذ الكتب .

زعقت فيه :

- ولد . . لا تفضحنا . . قلنا لك هذا سرنا الذي به عشنا . . لن نعرض زبالتنا على الناس .

نهضت الخالة ، مسحت وجهها العجوز بمنديل صغير ، وقالت لأمه :

- كوني عاقلة ، سأذهب وأعود برجل يشتري ما في الشقة ، ونخرج بالمفتاح ، وبعد ذلك تتم عملية البيع بسهولة ، ولا تنسي أن تحطمي الاطار وتحتفظي بصورة أبيك .

وخرجت . .

اتسخ قميص الشاب وبنطلونه من زحفه وراء الكتب التي لم يرها في حياته ، هو يشتري مجلة السينما ومجلة الشبكة ، وبنات عمه وبنات خالته وبنات العمارة ، كلهن يعولن عليه في شراء أشرطة أفلام الفيديو ، لكن ولع ما أصابه هذه اللحظة من هول الكتب . جعله ينهض على مهل ، وقال مشيرا لحجرة مغلقة :

- وهذه الحجرة !

قالت بلا اكتراث وهي تدعك جبهتها بإصبعين مرتعشتين :

- افتحها . . لن تجد فيها شيئا . . كانت حجرة جدك وأصحابه . .

فتحها بشغف فوجدها مفروشة بالحصر ، وفي الركن مكتب صغير بثلاثة أدراج ، وفوق المكتب ما جعله يفزع حقا ، اذ رأى (عودا) اقترب منه . . حمله . . أزاح عنه التراب بمنديله ، مسحه جيدا . . داخله احساس غريب بالمكان والجد والعود ، فتح النافذة الصغيرة فأطلت شمس باهتة صفراء ، جلس على الحصيرة ، واحتضن العود لمست أصابعه الأوتار فاهتزت ، وحاول . . حاول بهشا أن يخرج نغمة صحيحة . □

الأجنة المجمدة

... حوار المستقبل

بقلم : الدكتور عامر هشام جعفر

منذ ولدت طفلة الأنابيب الأولى قبل أكثر من ست سنوات تفتحت آفاق جديدة أمام علوم الطب والوراثة والأجنة .

عن امكانية الاخصاب خارج الجسم ، وعن الأجنة المجمدة ، وعن آفاق المستقبل . . اقرأ هذا المقال .

مما لاشك فيه ، أن تطورات عظيمة قد حصلت في مجالات الطب المختلفة في سنواتنا هذه (بدايات العقد الثامن من القرن العشرين) ، وخاصة علوم التشخيص والعلاج لأمراض الانسان . ويظل التطور سنة الحياة . . وسنة الطب في حاضر الانسان .

وضمن التطور ماهو متميز ، ونقصد بذلك تطورات الطب في علوم الولادة والتوليد ، وقبل ذلك في علم اخصاب البويضة ومعالجات العقم عند أي من الزوجين .

وإذا كان القارىء الكريم قد سمع عن أطفال الانابيب (الأنابيب : تعبير يقصد به أنبوب الاختبار ، وهو أداة يكثر استعمالها في المختبرات العلمية) ، ويعرف أن الطفلة البريطانية لويز براون هي أول طفلة أنبوب ، ولدت في يوم ٢٥ تموز ١٩٧٨ حيث احتفلت بعيد ميلادها السادس في تموز من العام الماضي ، فإنه دون شك يعرف أن هناك اليوم مئات من الأطفال الذين ولدوا بعد تخصيب بويضات أمهاتهم في الأنابيب ، حيث كان هناك ١٣٨ طفلا من هؤلاء الأطفال في بريطانيا وحدها حتى بداية عام ١٩٨٤ .

إخصاب البويضة

وللطب تفسير لتخصيب بويضة الأنثى في أنبوب الاختبار . فكما هو معروف ، هناك حالات مرضية عديدة تمنع اخصاب الانثى داخليا ، فقد تكون أنابيب مبيض الأنثى مسدودة ، مثلا نتيجة الاصابة بحالة مرضية معينة أدت الى حدوث ضيق في قطر قناة المبيض ، مما يمنع مسار (حيامن) الذكر خلال هذه القناة فيستحيل الاخصاب ، ويستحيل بالتالي تكون جنين .

وإذا كانت الانثى تحمل في تجويف جهازها التناسلي أجساما مضادة (لحيامن) الذكر ، استحال الاخصاب كذلك . وهويصعب إذا كانت نسبة معينة من (حيامن) الذكر غير فعالة أو خاملة .

وقد تغلب الطب على كل هذه الحالات بواسطة اخصاب البويضة خارج الجسم (أي في أنبوبة الاختبار) ، وفي ذلك معنى .. وفي ذلك فائدة .

لقد استطاع اطباء التوليد في العديد من المراكز العلمية العالمية استعمال المنظار الداخلي الخاص ، وهو عبارة عن ألياف ضوئية مزودة بعدسات للرؤية ، لغرض إدخاله عبر التجويف البطني للانثى ، وفحص مبيضها ، واستخلاص بويضة واحدة أو أكثر من المبيض ، وفي وقت محدد ، لغرض اخصاب هذه البويضة بعد وضعها في أنبوبة اختبار وفي وسط حياتي متوازن ، يحافظ على حيوية البويضة الأنثوية ، حتى إذا خصبت البويضة في الأنبوب ، أرجعت بجهد الاطباء مرة أخرى الى تجويف رحم الأنثى التي تستلقي براحة لعدة أيام حتى تساعد على ثبات البويضة المخصبة في تجويف الرحم لتبدأ عملية الانقسام الخلوي فيتكون الجنين .. وتستمر الحياة .

وقد وصل الى الاسماع في نهاية عام ١٩٨٣ أن أول طفلين من أطفال الانابيب قد ولدا في الصين ، وذلك في مقاطعة هونان الوسطى ، حيث كان أول الطفلين بنتا تزن ٣٫١ كغم في حين كان الطفل الثاني يزن ٣٫٤ كغم . وفي الصين وفرة بشر لاتعدلها وفرة في أي بلد آخر ، ولكنه تقدم العلم ، أراد أن يستدل عليه الصينيون ففعلوا .!

في البداية لاتزيد نطفة الانسان عن ١٣ مليمترا .. ويبدو الحوض حيث ستخرج منه القدمان .

التجميد

ومادام التطور سنة ، فان أمر الاخصاب خارج الجسم لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد رأى خبراء الطب أن القليل ممن خصبت بويضاتهن في الأنبوبة قد ثبت عندهن الجنين بعد ارجاعه الى ارحامهن . فكان ذلك مبرراً لأن تنطلق فكرة تجميد الجنين بعد اخصاب البويضة في أنبوبة الاختبار .

إذن ، فهي عملية حفظ وخزن للاجنة تحت درجة حرارة تقرب من ٢٠٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وفي غاز نيتروجين مسيّل يضمن هذه الدرجة الباردة جداً ، فيحفظ الحياة لبويضة مخصبة لأشهر ، بل لسنوات ، تكون خلالها محفوظة بأمان لتزرع في زمن يعينه الطب في رحم الوالدة،فينمو طفلا بعد أن كان خلية مجمدة ..

وهكذا سمعنا في العام الماضي ، ١٩٨٤ ، ومن ملبورن في استراليا عن مولد أول طفل أنابيب في العالم بعد أن كان جنينا مجمدا لمدة شهرين . حيث ولدت

● حيامن اختصار لكلمتي الحيوان المنوي .

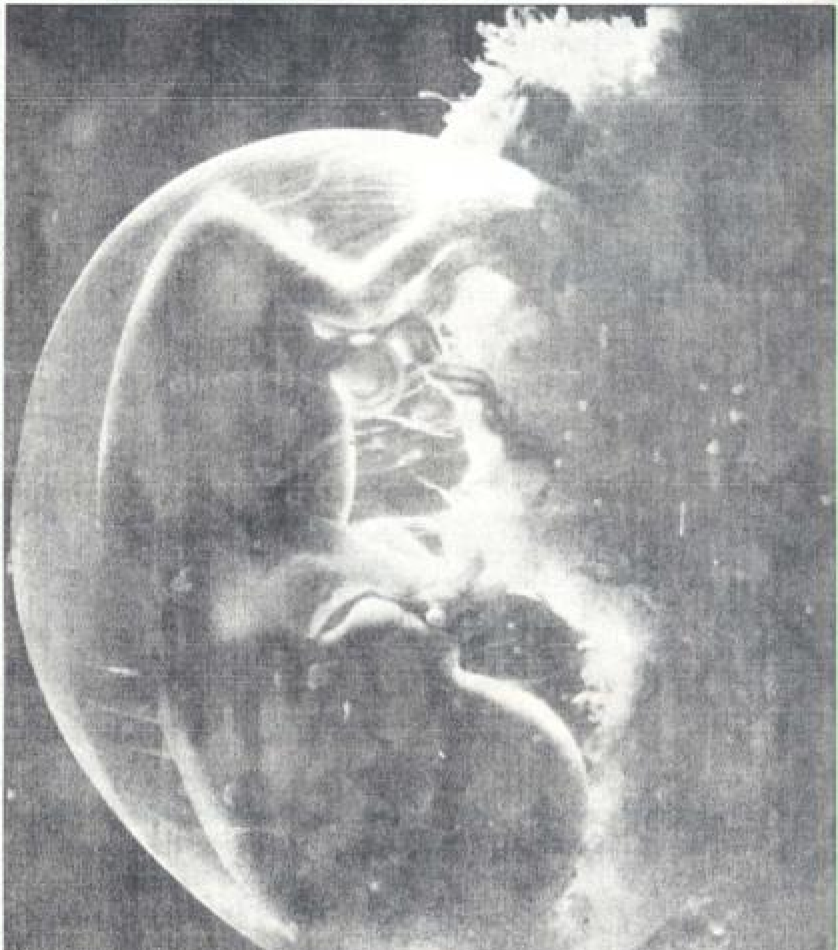

هنا تم تكوين الجنين وأصبح
مخلوقا او انسانا متكاملا في الشهر
السادس وهو داخل المحيط،
يتنفس ويبتلع سائل الامينيوتك
الذي يسبح فيه !

الطفلة (زوني) في المركز الطبي في ملبورن بعملية قيصرية ، وبوزن ٢٫٥ كغم ، وبحالة صحية جيدة ، بعد أن ظل والدا الطفلة يحاولان دون جدوى ولعدة أعوام انجاب طفل ، حتى لقيا العون في احد مستشفيات استراليا ، فخصبت بويضة من الأم ، بحيامن الأب ، في أنبوبة اختبار ليحفظ الجنين بعد ذلك ، ولمدة شهرين ، في النيتروجين السائل وتحت درجة حرارة ١٩٦م تحت الصفر قبل أن يزرع في رحم الأم . .

وفي آب الماضي وضعت امرأة استرالية أيضا ثاني طفل أنابيب في العالم من جنين مجمد ، وعرف حينها ، أن هذا المركز قد قام حتى ذلك التاريخ بتجميد ٢٣٠ جنينا في برنامج خاص بموضوع الاخصاب الخارجي للبويضات ، وضعت في جدوله قرابة ٢٠٠٠ امرأة استرالية لايستطعن الحمل بصورة طبيعية ، أو أن أزواجهن مصابون بالعقم .

وقد حاول الطب الحصول على أكثر من بويضة أنثوية واحدة من مبيض المرأة من خلال استخدام عقاقير تحتوي على هرمونات معينة ، تزيد من انتاج البويضات مما يتيح خزن بويضات مخصبة أكثر ، عن طريق التجميد ، اضافة الى ان تجميد الأجنة أتاح الفرصة الكبرى لدراسة أمراض الأجنة ، وهي خلايا في طور الحياة الأول لدرء المرض قبل حصوله واستفحاله . .

ومن متابعة مجريات هذا الموضوع علم أن هناك خمس سيدات أخريات يحملن حاليا أجنة مجمدة وينتظرن الوضع بعد عدة أشهر . .

إلا أن مشاكل برزت من جراء الزراعة والتجميد . . فقد يتوفى والدا الجنين المحفوظ بالتجميد ، وقد ينفصلان ، فمن سيكون المسئول عن الأطفال في هذه الحالة ؟

وإن كان الطب قد حفظ بالتجميد حياة جنين فهو لايمكن أن يحفظ الحياة بتجميد ولا بغيره . .

ومن هنا كان لابد لرجال القانون والطب والفكر من إعمال الذهن وإيجاد الطرق الأصولية لحل ما قد يترتب على ذلك من مشكلات ، فيحافظ العلم على ماحققه من تطور لخدمة البشرية ، كما يكون ذلك طريقا لتجاوز مشكلات وتعقيدات يظل الانسان في غنى عنها .

ومنذ بدايات العام الماضي بدأ فكر الغرب بالاستعداد لمشاكل الأجنة المجمدة . ومازال الحوار محتدما في المراكز الطبية العالمية . وهم على حق . . فهل يكون لنا نصيب في حوار الحاضر ؟ وهل يكون لنا نصيب في حوار المستقبل ؟

لقد ظهرت بدايات في بعض أقطار العروبة . . ولكل طريق بداية . . □

العودة !

كلنا يحمل في عروقه نسبة معينة من الملح في الدم . . في دموعنا عندما نبكي ، وفي عرقنا عندما نبذل جهدا . . اننا جميعا مرتبطون بالبحر . . وعندما نذهب الى مياهه لنسبح فيها أو نبحر فوق صفحتها أو حتى نقترب منها لنتأمل الأمواج الصاخبة ، ينتابنا هذا الشعور الغريب بأننا قد عدنا الى نفس المكان الذي جئنا منه !

(جون كنيدي)

رمضان كريم
"عدد خاص"

اقرأ في العدد القادم من العربي

□ "العربي" تدخل "بروناي"
أول استطلاع بالألوان داخل .. سلطنة التحديات
سليمان مظهر

الحاجة إلى الإسلام في هذا الزمان
د. أحمد كمال أبو المجد

ذكريات رمضانية
عبد الرحمن الشرقاوي

عبد الرحمن الداخل و ١٢٠٠ عام على دخول الأندلس
د. عفيف بهنسي

مع مقالات خاصة عن "رمضان" لكبار الكتاب
واقرأ: □ موضع تراثنا فينا .. للدكتورة بنت الشاطىء
□ ترجمات القرآن .. للدكتور حسن المعايرجي
□ ١٠٠ عام على تقسيم افريقيا .. للدكتور محمد الأمين البشير
□ الكوفة .. نسيج من التاريخ والأسطورة والشهادة
قصة مدينة : استطلاع ملون - محمود عبد الوهاب

□ البيت العربي .. ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب:
د. محمد الرميحي - د. فاطمة الغرباوي - د. صلاح بركات
د. فتحي مجدلاوية - د. حسن فريد أبو غزالة - عباس خضر - وغيرهم

منتدى العربي

قد يستغرب البعض كيف أن متخصصا في ميدان التاريخ يكتب عن المستقبل ، بينما المعروف أن التاريخ يتعامل مع الماضي ، وقد يغالي بعض المهتمين بالتاريخ في نقد كاتب هذا المقال ، من منطلق فهم التاريخ على أنه يتعامل مع الزمن الماضي وأحداثه وفكره ، ومن ثم تكون دراسته عن طريق مصادره ووثائقه بينما المستقبل ليس له وقائع أو وثائق . .

قضية

تاريخ المستقبل

بقلم : الدكتور عبد المالك خلف التميمي

الاهتمام بالمستقبل اهتمام حديث ، وهو لا يعني المتخصصين أو العاملين في حقل التاريخ فحسب ، ولكنه يعني كل من لديه حس وطني ويؤمن بتطور المجتمع وتنميته ، وضمان استقراره وأمنه وبنائه في الحاضر والمستقبل ، أي يعني المختصين والمثقفين ، وكذلك الانسان العادي صانع التاريخ الحقيقي . ونعود الى سؤالنا : هل يمكن للمؤرخ أن ينظر الى المستقبل ؟ واذا لم يكن من حقه ذلك فلماذا تخصص في التاريخ ؟ هل ليعمل حفارا للقبور ويقدم لنا قصصا ومواعظ ، أم ليحلل التجارب التاريخية ويستنتج منها ما يفيد المجتمع في الحاضر والمستقبل ؟

هذه الاسئلة وغيرها نحاول في هذه المقالة الاجابة عنها كمدخل لحوار في هذا الموضوع ، خدمة لوطننا ومجتمعنا العربي الذي يتلمس طريقه نحو المستقبل ، وسط ركام هائل من التخلف والارث التاريخي المجيد والمريض معا .

التفكير الجاد بالمستقبل

لقد بدأت الدول المتقدمة الاهتمام بالمستقبل والتفكير الجدي به بعد الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن تتفاوت نظرة المفكرين والمجتمعات والحكومات الى المستقبل حسب طبيعة النظام الاجتماعي السائد ، أو الفكر الايديولوجي . وبدون شك فان المجتمعات ـ أيا كان النظام السائد فيها رأسماليا أو اشتراكيا أو ناميا ـ لديها تطلعات مستقبلية وتساؤلات منهجية ومشروعة عن مصيرها ، ومحاولات التفكير والاعداد للغد تتراوح ما بين جلدة وواضحة للبعض ، وقاتمة وغامضة للبعض الآخر ، وربما معدومة أو شبه معدومة لطرف ثالث ، لكنها في مجملها تحمل دلالة على أن الاهتمام بالمستقبل أخذ يحتل مكانه في نفوس وفكر الافراد والجماعات البشرية المعاصرة . وربما يعود ذلك الى ضغط ظروف

الـواقـع الاجتمـاعي والاقتصـادي والسيـاسي والعلمي . وهذا الاهتمام لا يمكن أن يحدث بدون تطور في الوعي لدى عامة الناس ، سواء كان ذلك بسبب انتشار التعليم أو ضغط ظروف الواقع على الانسان المعاصر أو نتيجة لدراسة عميقة لبعض تجارب الماضي أو لأي سبب آخر .

قد يرى البعض ونحن بصدد الحديث عن تاريخ المستقبل أن هذا التفكير يتناقض مع فهمنا للتاريخ على أنه علم المتغيرات التي حدثت في الماضي ، وهذا يتطلب منا أن نوضح بأن أي تصور أو كتابة للمستقبل لا يمكن أن تكون كاملة ودقيقة بكل معالمها ودقائقها ، ولكنها تضع ملامح صورة المستقبل وتحدد أبعادها واطارها التقريبي ، وتترك مجالا للمستجدات والمتغيرات التي هي حتمية في المستقبل . كما أن تصور المستقبل والاعداد له لا يتناقض مع التعامل مع الماضي لأن أصول المستقبل تكمن في الماضي والحاضر ، وأن المستقبل في يوم من الايام سيصبح حاضرا وماضيا .

ان تاريخ المستقبل يعبر عنه اليوم بالتخطيط . فنحن عندما نخطط لمستقبلنا نرسم خطوط تاريخنا المقبل ونكتبه مقدما . فعندما نضع خطة خمسية أو عشرية مثلا في مجال من المجالات فنحن بذلك نكتب تاريخ المستقبل في هذا المجال أو ذاك ، أو بمعنى آخر نرسم المسار الذي ينبغي لنا أن نتبعه . وعلى هذا يمكن أن يقال ان الصحافة بجهودها اليوم تسجل تاريخنا . وان دراسات مراكز التخطيط وجهود الافراد في هذا المجال انما هي سجلات تاريخ المستقبل ووثائقه ، بغض النظر عن الأخذ بها أو عدم تطبيقها .

ان أحداث الماضي والحاضر وتجاربه تضطر الانسان وتدفعه للتفكير بالمستقبل . فالثورة الصناعية في أوروبا أدت مع غيرها من أسباب الى نشوء الاستعمار الذي بادر الى نهب المواد الخام في مستعمراته وجعلها سوقا لتصريف المنتجات المصنعة ، وأخذ في استغلال الأيدي العاملة واحتكارها ، كما أن تقلص نفوذ الاستعمار التقليدي أدى الى التفكير في المستقبل ، فقاد الى نشوء ظاهرة الاستعمار الجديد بجوانبه الاقتصادية والسياسية والثقافية . وإن أهوال الحربين العالميتين الاولى والثانية جعلت الشعوب تفكر بقلق في مستقبلها وكيفية تأمين السلام لها ولاجيالها القادمة ، وان تطور الاسلحة النووية جعل أطرافا أخرى تسابق في هذا المجال لتحدي التوازن في صناعة هذا النوع من الاسلحة في المستقبل . وهو توازن خطر ، كما أن للنفط دورا هاما في حياة الشعوب المنتجة والمستهلكة في وقتنا الحاضر ، ولكن مهما طال عمره فان الدول المتقدمة تفكر جديا في توفير بدائل عنه في المستقبل . ان هذا التفكير جاء نتيجة تجارب الماضي وظروف الحاضر ، ولم يعد مجرد تفكير بما هو آت ولكنه أيضا تخطيط وبرمجة وإعداد .

الضريبة المكلفة

ان المجتمعات المتقدمة اليوم سعيدة بتقدمها ، ولكنها مع غيرها من المجتمعات الاخرى تدفع ضريبة هامة ومكلفة نتيجة هذا التقدم العلمي ، تتمثل في البطالة بسبب تطور الآلة ، واهدار الموارد الطبيعية ، وغلاء المعيشة وفي تلويث البيئة ، وتضخم المدن وتقلص الريف ، وزيادة هائلة في عدد السكان ، ونقص خطير في المياه العذبة ، وظهور أمراض تسمى أمراض المدنية المعاصرة ، اضافة الى خطر قيام الحروب الاقليمية والعالمية المدمرة ، التي أصبحت تهدد الانسان أكثر من أي وقت مضى .

ان المعرفة المتدفقة والسريعة تزداد وتتطور ، وتكاد تكون ثورة علمية في حاضرنا ، وسنشهد المزيد منها في المستقبل ، فهل تفكيرنا بالمستقبل هو في اتجاه اللحاق بذلك التقدم والاستفادة منه أم بالمشاركة في هذا التقدم ؟ و بمعنى آخر هل سنتحرر من التبعية للدول المتقدمة بتقدمنا الحضاري على كل المستويات أم أن الفجوة بيننا وبينهم كبيرة وشاسعة لا يمكن ردمها أو القفز عليها ، ولذلك كتب علينا أن نلهث وراء الآخرين ، وقد نلحق بهم ، وقد لا يتسنى لنا ذلك ؟ ان هناك فجوة تفصل بين شعوبنا النامية والدول المتقدمة ، وان عملية اللحاق بتلك الدول مع الاحتفاظ بشخصيتنا الحضارية واستقلالنا الحقيقي لا يمكن أن تتم بدون تطور شامل أساسه الحرية والديمقراطية ، والتفكير العلمي على هذا النهج لن يتحقق بدون الاستقلال الحقيقي لشعوبنا ، لأن

التبعية للدول المتقدمة لا تسمح بتطور نوعي حقيقي للبلدان النامية ، ولأن جزءا هاما من تطور البلدان المتقدمة يقوم على تخلف وتبعية أقطارنا النامية .

ان القلق والاغتراب الذي تعيشه اليوم يمكن أن يكون بداية الوعي بالواقع والتفكير العلمي به وبالمستقبل ، ويبدو لنا أن نقطة البداية هي في التوجه الصحيح لاصلاح التربية والتعليم اذا أردنا أن نبني مستقبلا حضاريا متقدما لهذه الامة ، وعملية الاصلاح هذه يجب أن تنطلق من نظرة جديدة للتربية والتعليم تقوم على التحرر من عملية حشر المعلومات في عقول الناشئة وحفظها ، فهذه المهمة أصبحت تقوم بها الآلة والكمبيوتر ، بل يجب أن يتجه التعليم الى التحليل والاستنتاج ، الى الخلق والابداع . ان وقف تدهور التربية والتعليم في أقطارنا من أولويات التفكير بالمستقبل ، ولا يقتصر دورنا عند هذا الحد بل يتعداه الى عملية الاصلاح الحقيقي لهذا المجال الحيوي في حياة شعوبنا .

بناء الانسان

ان بناء المستقبل يتوقف على بناء الانسان اليوم ، وهذه مهمة التربية والتعليم في الدرجة الاولى ، وان اصلاح هذا المجال في الحاضر هو اصلاح لهذه الامة في المستقبل ، وهي صناعة حقيقية لتاريخ أمتنا في المستقبل . ان التعليم في أقطارنا لا يتجه الى بناء الانسان ، بل الى توظيف الانسان كي تتوفر له مستلزمات المعيشة فقط ، وليس هذا هو الدور الحقيقي والاساسي للتعليم والتعلم .

كما أنه لا يمكن اقامة المؤسسات ولا بناء مستقبل أمة بدون اقامة مجتمع المؤسسات الديمقراطية .

كما أن آفة الفردية هي احدى آفات المجتمع العربي وأن تطور المجتمعات وضغط تحديات العصر أثبتا ضرورة قيام مجتمع المؤسسات الديمقراطية لأن تلك المؤسسات ضمانة لقوة وتماسك وتطور المجتمع ، وهي أقدر من الافراد على التفكير والابداع والانتاج ، وخلق التطور . ويتساءل البعض لماذا لا يستطيع العرب التغلب على اسرائيل على الرغم من أن عدد العرب يبلغ مائة وستين مليونا في الوقت الذي يبلغ فيه عدد سكان فلسطين المحتلة ثلاثة ملايين فقط ؟ ! ان المشكلة تكمن في أسباب عديدة منها التبعية للغرب ، والتخلف الذي تعيشه أمتنا الى جانب سبب هام هو أننا مجتمع أو مجتمعات تقوم على الفردية . ولا يمكن أن نتقدم ونتخلص من التخلف والتبعية والتجزئة الا باقامة المؤسسات الديمقراطية على كل المستويات ، وهذا لا يتأتى الا بخلق رأي عام مستنير وضاغط .

تبقى قضية لا بد من الاشارة اليها ، وهي أن هناك خطرا يواجه التفكير المستقبلي ، يتمثل في ضغط الظروف والاحداث القائمة بحيث يتجه تفكيرنا أساسا لمواجهة هذه الظروف والاحداث المتسارعة والمتلاحقة مما يستنزف طاقتنا ، ويصدنا عن التفكير الاستراتيجي المستقبلي ، ونورد هنا مثلا قضية فلسطين . . . وبمواجهة هذه القضية علينا أن نقرر بوضوح ، هل يجب أن تعود فلسطين عربية كاملة الى الوطن العربي ، ويعود أهلها لها ؟ اذا أصبح هذا قرارنا فان علينا أن نضع استراتيجية عربية ثابتة لا تؤثر فيها الظروف الآنية القائمة مهما كانت وأيا كانت . هكذا فكرت الحركة الصهيونية بالمستقبل وهكذا فهمته في نهاية القرن التاسع عشر عندما وضعت استراتيجيتها باقامة الوطن القومي في مؤتمرها الاول ، وهي اليوم تفكر بالمستقبل وللمستقبل بنفس العقلية .

ان اهتمامنا بالماضي يجب ألا يغرقنا في تفاصيله الى درجة الادمان والابتعاد عن الحاضر والمستقبل . يجب أن نختار من الماضي ما يفيد الحاضر والمستقبل ، ونؤمن بعدم تجزئة التاريخ ، ونؤكد التواصل الزمني بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فاذا كنا نحلم بنهضة حقيقية في الوطن العربي في بداية القرن الواحد والعشرين ، فان من متطلبات تحقيقها ونجاحها التفكير بها الآن ، بل كان يجب التفكير بها قبل الآن والاعداد لها ، وذلك بتركز الاهتمام على الانسان وبنائه باعتباره وسيلة وغاية للنهضة والتطور الحقيقي لمستقبل هذه الامة ، وليس من سبيل للحكم على المستقبل الا في ضوء الماضي والحاضر . □

معسكر السلام في الكيان الصهيوني

بقلم : توفيق أبو بكر

كلما ازداد سقوط الضحايا فى صفوف الاسرائيليين ، فان معسكر السلام يكبر ويتوسع في الكيان الصهيوني .
فأي حجم يحتله الآن هذا المعسكر ؟ وما هى القوى التى وراءه ، وماهي احتمالات المستقبل ؟؟

يكثر الجدل عادة فى الأوساط السياسية : العربية والفلسطينية والدولية ، حول حجم معسكر السلام فى اسرائيل ، ومدى فاعليته : فى اللحظة الراهنة والأمد المنظور ، ومدى استجابته للحد الأدنى من الحقوق الوطنية الفلسطينية . وهذا الجدل ليس ترفا نظريا ، بل هو جدل هام ، لأن نتائجه تدخل فى حساب التكتيكات الكفاحية الوطنية للفلسطينيين والعرب ، وتدخل فى حساب الاستراتيجية المرحلية لهذا الكفاح على الصعيدين الوطنى والقومى . لذلك فان الخطأ فى قراءة تضاريس خارطة ما يعرف بمعسكر السلام فى اسرائيل ، سواء باتجاه الاغراق فى التفاؤل ، أو الانسياق وراء التشاؤم ، يؤدى بالقطع الى خلل فى الحسابات .

أحزاب وقوى عديدة

يضم معسكر السلام فى اسرائيل العديد من القوى والاحزاب واللجان المتناثرة ، التى تتفق على خط عام عنوانه ضرورة التوصل لسلام مع العرب والفلسطينيين ، وعبث الاستمرار فى استخدام السلاح والعنف ، لحل هذا الصراع . وفيما عدا هذا العنوان العام ، فان غالبية هذه القوى والاحزاب واللجان تختلف كثيرا فى برامجها تجاه هذا السلام بخطوطه العامة ، وتختلف في مدى استجابتها للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، كما تتفاوت فى مدى اعتناقها للصهيونية كايديولوجية وحركة تحرر وطنى ، كما يزعمون . فبعض هذه القوى معادية للصهيونية فكرا وممارسة ، مثل حزب (راكاح) ، وبعضها قوى صهيونية مثل حركة السلام الآن ومجلس السلام الاسرائيلى الفلسطينى ، الذى يتزعمه يورى أفنيرى ، والجنرال المتقاعد متياهو بيليد وغيرهم والذى لم يعد له وجود فى انتخابات الكنيست الأخيرة فى صيف ١٩٨٤ .

ان حجم تأثير هذا المعسكر السلامى ، مازال محدودا فى المجتمع الصهيونى ، فالقوة الاولى فى هذا المعسكر ، والتى تتبنى برنامجا يدعو للاعتراف بمنظمة التحرير ، ولاقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، لها أربعة نواب فى الكنيست من أصل مائة وعشرين عضوا يتكون منهم البرلمان الصهيونى ، أقصد الجبهة الديمقراطية للسلام

والمساواة . وقد راوحت فى عشر دورات برلمانية منذ انشاء الكيان الصهيونى بين ٤ ـ ٦ نواب فقط .

والنقطة الثانية المهمة أن غالبية أعضاء وأنصار هذه الجبهة هم من العرب ، مما يعطى مؤشرا على ضعف تأثير هذه الجبهة على الجماهير اليهودية . والقوتان الثانية والثالثة فى هذا المعسكر ، لم يكن لهما أى عضو فى الكنيست (العاشر) وحركة « شلى » المعروفة باسم المجلس الاسرائيلى الفلسطينى للسلام ، كانت القوة المتماسكة رقم ٢ فى هذا المعسكر وكل أعضائها من اليهود ، لكنها تضم الشريحة العليا من بعض أبناء الطبقة الوسطى والانتلجنسيا اليهودية . هذه الحركة ترفع شعار : شعبان ودولتان أى : دولتان فى فلسطين للشعبين : الفلسطينى والاسرائيلى ، ولذلك يرتسم العلمان : الفلسطينى والاسرائيلى على شعارها . وهذه الحركة صهيونية على رؤوس الاشهاد ، وتقول فى النقطة الاولى من برنامجها أن الصهيونية هى حركة التحرر الوطنى للشعب اليهودى .

كانت هذه الحركة قد فازت بعضو أو اثنين فى دورات الكنيست السابقة ، لكنها فى الكنيست العاشر فشلت فى الفوز بأى عضو . وهى تتعرض الآن لانقسامات عديدة . وقد ظهرت فى ثوب جديد فى انتخابات الكنيست الحادى عشر (٢٣ يوليو ١٩٨٤م) ، متحالفة مع بعض الشخصيات العربية من داخل الكيان الصهيونى ، فى اطار الحركة التقدمية للسلام التى فازت بمقعدين فى الانتخابات .

السلام الآن

أما القوة الثالثة فهى حركة السلام الآن . وهى حركة ذات طابع جماهيرى عام ، تستطيع تحريك المظاهرات كما فعلت اثناء الغزو الاسرائيلى للبنان ، حيث شاركت بفعالية فى مظاهرة المائة ألف احتجاجا على الغزو ، وفى مظاهرة الاربعمائة ألف احتجاجا على مذابح صبرا وشاتيلا . لكنها حركة غير متماسكة ، ولا تملك برنامجا واضحا للسلام ، وليس لها موقف واضح من حقوق الفلسطينين ، سوى بعض الاشارات العامة ، حديثا ، حول حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى .

ثمة ملاحظة جوهرية ومحورية تتعلق بمسار تطور معسكر السلام فى اسرائيل . هذه الملاحظة الهامة تقول إن حجم هذا المعسكر يتناسب طرديا مع سقوط الخسائر فى صفوف الاسرائيليين . فكلما تعرض هذا المجتمع الاستيطانى للضربات ، أفاق ببطء شديد وبالتدريج من أحلامه العدوانية المعاكسة لحركة التاريخ .

الحقائق تقول انه بعد حرب أكتوبر مباشرة ، حيث سقط آلاف الاسرائيليين قتلى وجرحى ، نمت بعض لجان البحث عن السلام فى اسرائيل ، وبعد غزو لبنان ، حيث تكبد الكيان الصهيونى خسائر فادحة . ولايزال العديد من اللجان التى تبحث عن السلام مثل « لجان الاهل ضد الصمت والجنود ضد الصمت ، والأمهات ضد الصمت ، ولجان الشجاعة من أجل السلام ، وحركة « ياش غفول » أى الحد الاقصى لحدود اسرئيل تعارض الغزو وتدين البحث عن السلام من فوهات البنادق .

حتى غلاة الصهاينة والمتطرفين من حركة « غوش ايمونيم » الذين يدعون صراحة لطرد الفلسطينيين من أرض اسرائيل التاريخية والكاملة ، حسب زعمهم ، هؤلاء المتطرفون غيّر بعضهم رأيه فى الحل العسكرى ، فقط حين دخل الدبابة واكتوى بنيران الصواريخ الفدائية أثناء غزو لبنان .

قال جنود من غوش ايمونيم لصحيفة معاريف (١٩٨٣/٨/٢٧) :

« ان الآراء لدينا تغيرت حين رأينا الدماء والالام والاهوال ، وأصبحنا أكثر اعتدالا ، فالاحاديث حول الاحتفاظ بالمناطق بأى ثمن (وهو موقف الحركة) لم نتذكرها ولم نذكرها أثناء القتال ، فمن خلال الدبابة أنت ترى الامور بمنظار يختلف عن منظار البيت » .

وبالمقابل ، فقد نمت وترعرعت وازدهرت كل الحركات الارهابية اليهودية الرافضة للسلام ، والعاملة بالفعل على ارهاب العرب الفلسطينين وانتزاعهم من وطنهم ، فى فترة اللاحرب واللاسلم ، وقد عكست نتائج انتخابات الكنيست الأخيرة ، درجة نمو وازدهار هذه الحركات ، حيث نجح الارهابى مائير كاهانا ، ونال ١,١٪ من اصوات اليهود ، وتتوقع له استطلاعات الرأى أن يفوز فى

السلاح ... والسلام ... هل يتفقان ؟!

الانتخابات القادمة بنسبة ٢,٢٪ من الاصوات ، وحصلت حركة هاتحيا ـ النهضة ـ اليمينية المتطرفة التي انضم اليها الجنرال روفائيل ايتان على خمسة مقاعد في الكنيست ، وهو حجم كبير لم تحصل عليه قوائم راسخة تخوض الانتخابات منذ عقود من الزمن ، وتقدمت الحركات الدينية اليهودية ، والحركات العرقية المقاومة لاماني الفلسطينيين في تلك الانتخابات ، بينما فشل زعيم معتدل هو أريه الياف ، في دخول الكنيست رغم أنه سكرتير عام سابق لحزب العمل ، وله حضور سياسي قوي .

مرحلتان من اللاحرب واللاسلم

وفترة اللاحرب واللاسلم تنقسم الى مرحلتين ! المرحلة الاولى مابين حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والمرحلة الثانية تمتد من زيارة الرئيس السادات للقدس المحتلة في نوفمبر ١٩٧٧م ، حتى الغزو الصهيوني للبنان في حزيران ، يونيو ١٩٨٢م . وهي ، بشكل ما ، مرحلة مستمرة حتى الآن اذا استثنينا القتال الفدائي في الجنوب اللبناني .

علام يدل ذلك ؟ وما الدرس السياسي الهام الذي نستنتجه منه ؟

انه يدل على ان المجتمعات الفاشية ، المشبعة بالافكار الرجعية والعدوانية ، لا يمكن لها ان تراجع أطروحاتها ، فقط بالحوار المجرد وبالحجة المقنعة ، وباظهار الاعتدال والحمائمية من الطرف الآخر . بل يحدث هذا التراجع حين يتوافق ويتزايد طرح أفكار السلام العادل مع حوار الرصاص والضربات الصبورة المتتالية . هكذا تقول التجربة الملموسة المباشرة ، وليس التحليل النظري المجرد . وهكذا تقول التجارب التاريخية المعاصرة في دحر الفاشية والنازية . فقد حاول الاوروبيون في المراحل الاولى لتوسع النازية العدوانية ، حوارها بالعقل والمنطق ، ولكن ذلك أدى الى تسعير نار عدوانيتها أكثر ، وفتح من شهيتها التوسعية . بعد أن أخطأ الاوروبيون وقدموا تشيكوسلوفاكيا قربانا للطوفان النازي لعلهم يوقفونه ، فاندفع كالسيل العارم يجتاح كل بلدان اوروبا .

ان الصراع مع العدو ـ أي عدو ـ يستهدف في النهاية دفعه للتخلي عن أفكاره وخططه العدوانية ، ويستهدف دفعه للعقلانية والاعتدال ، وتغذية روح السلام في صفوف قواعده ، التي تضللها قياداتها لتحقيق أهداف معينة . ولذلك ، لاغبار اطلاقا على محاولات تعزيز وتنمية معسكر السلام في اسرائيل ، شريطة ان يتم ذلك بأساليب تؤدي لتعزيزه فعلا ، ضمن السياق الذي طرحناه ، والا كانت النتيجة معاكسة للرغبات تماما .

وعلينا أن نعترف بأن حجم معسكر الفاشية والعدوان في المجتمع الصهيوني ، مازال قويا الى درجة كاسحة ، معسكر السلام ينمو في الجهة المقابلة ببطء شديد ، ويتعرض للتقدم والتراجع والانتكاسات المتعددة ، ويتعرض للتنكيل من القوى الفاشية الصهيونية ، كما حدث عند القاء القنابل من المتطرفين الصهاينة على مظاهرة ، حركة السلام الآن ، مطالبة باستقالة شارون في القدس المحتلة . والذي سقط فيها عضو الحركة أميل جرنس فايع . ويبقى الحاسم في النهاية : الفعل العربي والفلسطيني قبل أي شيء وبعده ، فهو الذي يدفع بهذا المعسكر نحو التقدم للأمام ، بمقدار ما يستطيع أن يثبت للاسرائيليين استحالة الاعتماد على السيف الى أمد غير منظور .

□

منتدى العربي

تعقيبات

الحوار الحر . . وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقى الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية . . وحول الجامعة العالمية الاسلامية نعرض هذا الرأى . .

الجامعة الإسلامية فى ماليزيا

لا أغالى اذا قلت انى قرأت مقال (كوالالمبور نقطة اللقاء بين المتناقضات) فى عدد العربى ٣١٣ (ديسمبر ١٩٨٤) بغاية الاستمتاع خاصة وانى قمت بزيارة خاصة للجامعة الاسلامية العالمية فى ماليزيا لأسباب عديدة ، منها أنى كنت ولا أزال أدعو لاقامة جامعة إسلامية عالمية فى بريطانيا منذ أوائل السبعينات ، ولكننا لم نستطع حتى الآن - لأسباب مادية بحتة - إلا اقامة دورات للدبلوما فى الدراسات الاسلامية ، ومع ذلك لانزال دائبين جاهدين لتحقيق حلمنا الأسمى وهو إنشاء جامعة عالمية فى بريطانيا .

ان أنظمة التربية والتعليم السائدة فى بعض الأقطار الاسلامية اليوم مستقاة من الأنظمة الغربية . وهى أنظمة علمانية تضع حدا فاصلا بين مظاهر الروحانية والمادية ، ، جاعلة موضوعات العلوم والانسانيات خالية من قيمها الاخلاقية المتصلة بالدين ، وقد يدرس موضوع الدين مستقلا عن الموضوعات الأخرى من دون إقامة وشائج بينه وبين الموضوعات العلمانية ، وحيثما يدرس علم الأخلاق يهمل فيه ذكر البارى عز وجل . وهذا سر الصراع القائم بين المجلس الاسلامى الأعلى للتربية والتعليم والثقافة فى المملكة المتحدة وايرلندا ، وبين مختلف الجامعات والمؤسسات التعليمية فى بريطانيا ، فالبحوث تدرس بمعزل عن بعضها البعض خلافا لما كانت عليه فى الجامعات الاسلامية كبيت الحكمة (فى القرن التاسع) والنظامية (فى القرن الحادى عشر) والمستنصرية (فى القرن الثالث عشر) بل ذهب الأمر فى تدريس موضوع الدين فى المدارس البريطانية اليوم الى أنه أصبح موضوعا عاما فى تدريس علم الأخلاق ، مشوبا بعلم الأديان المقارن مع حشر مذاهب سياسية وفلسفية لاتعترف بالله ضمن موضوع الأديان .

ومن مساوىء النظام العلمانى الجامعى المخالف للنظام الجامعى الاسلامى فى القرون الوسيطة أنه يرمى الى تجزئة العلم الذى يجب أن يكون وحدة كاملة موسوعية متصلة بالحقيقة الكونية العظمى التى تشير الى أن المظاهر العلمانية مترابطة تحت تأثير قوة هائلة خلاقة ، لذلك فقد أساءت التجزئة الاكاديمية الى وحدة تفكيرنا الاسلامى ، بحيث غدت بعض قضايانا مشوهة فى موضعها بالنسبة الى قضايانا الأخرى ، وهى خلاف التفكير الاسلامى الذى يعتمد النسبة والتناسب والانسجام والتوافق موازين عادلة فى التفكير ، وقد جاءت الطريقة العلمانية

نتيجة لتضخم (الأنا) وانعكاسها الجنوني في الكون ، مما جعل الكثيرين يعتقدون أن كل مانراه هو نتاج ظواهر طبيعية ليس غير ، وعندما ينتقل مثل هذا التفكير من العلوم الطبيعية الى الاجتماعية تحل المشاكل بدعوى الحرية الفردية التى لاتحدها سلطة كونية عليا ، اذ يصبح الانسان سيد مصيره لايعبأ الابالقيم المادية المتمركزة حول متطلباته الفردية ومكاسبه الشخصية ، وازاء هذه المخاطر لابد من العودة الى الفلسفة الاسلامية فى التربية القائمة على التوحيد فى كل شىء ، والتخلي عن الثنائية فى التفكير والقيم ، وجعل العلم والتقنية الحديثة اللذين يسيطران على الحضارة المعاصرة أداتين محكومتين لاحاكمتين فى تطوير الحضارة الاسلامية .

لذلك ينبغى لنا فى هذه الصحوة الاسلامية الأخيرة أن نغير فلسفتنا الجامعية الاكاديمية بتأثير من فكرة التوحيد وسلطانها المبدع ، فالعلم هبة آلهية وأمانة يجب ألا يساء التصرف فيها ، بل يعد ضربا من العبادة ، والجامعة الاسلامية العالمية التى أقيمت بماليزيا ، تعد محاولة رائعة فى هذا الاتجاه التربوى المتطور ، وقد قامت فلسفة هذه الجامعة على أسس من توصيات المؤتمر الاسلامى التربوى الأول الذى عقد فى مكة المكرمة سنة ١٩٧٦ .

ولقد كان الخوف عند بعضهم أن مثل هذه الجامعة قد تعانى تصادما بين ماهو طبيعى وبين ماهو روحانى ، والواقع خلاف ذلك ، لأن الاسلام دين طبيعى يجمع بين الماديات والمعنويات ، وكذلك بين الماديات والروحانيات ، فبوسع الجامعة الاسلامية العالمية اذن أن تقدم لطلابها جميع صنوف المعرفة من علوم وانسانيات وتقنيات ، غير أن الأسلوب سيكون اسلاميا ، ليس معنى ذلك مسخ مفاهيم الذرة والالكترون والجحيرات والكروموسومات لخلق رأى اسلامى جديد فكل هذه قد أشير اليها بشكل ظاهر أو ضمنت فى القرآن الكريم .

الدكتور صفاء خلوصى

أعظم مخترع فى العالم

كان توماس اديسون المخترع الأمريكى يجلس فى احدى حدائق فينا ، عندما رآه صحفى شاب واقترب منه محاولا أن يحصل على حديث صحفى من الرجل الذى قدم للبشرية أكثر من ألف اختراع !

ولكن اديسون رفض أن يتكلم ، وقام من جلسته ليكمل رحلته فى الحديقة ويعود الى بيته . وعاد الصحفى الشاب بدوره الى مكتبه ، وجلس يكتب حديثا طويلا زعم أنه قام باجرائه مع المخترع الكبير ! ونشرت الصحيفة الحديث تحت عنوان « أعظم مخترع فى العالم ! »

وعندما قرأ اديسون الحديث سارع بارسال برقية الى الصحفى قال فيها : « لقد أصبح واضحا الآن أن أعظم مخترع فى العالم ليس أنا ، وانما أنت ! » .

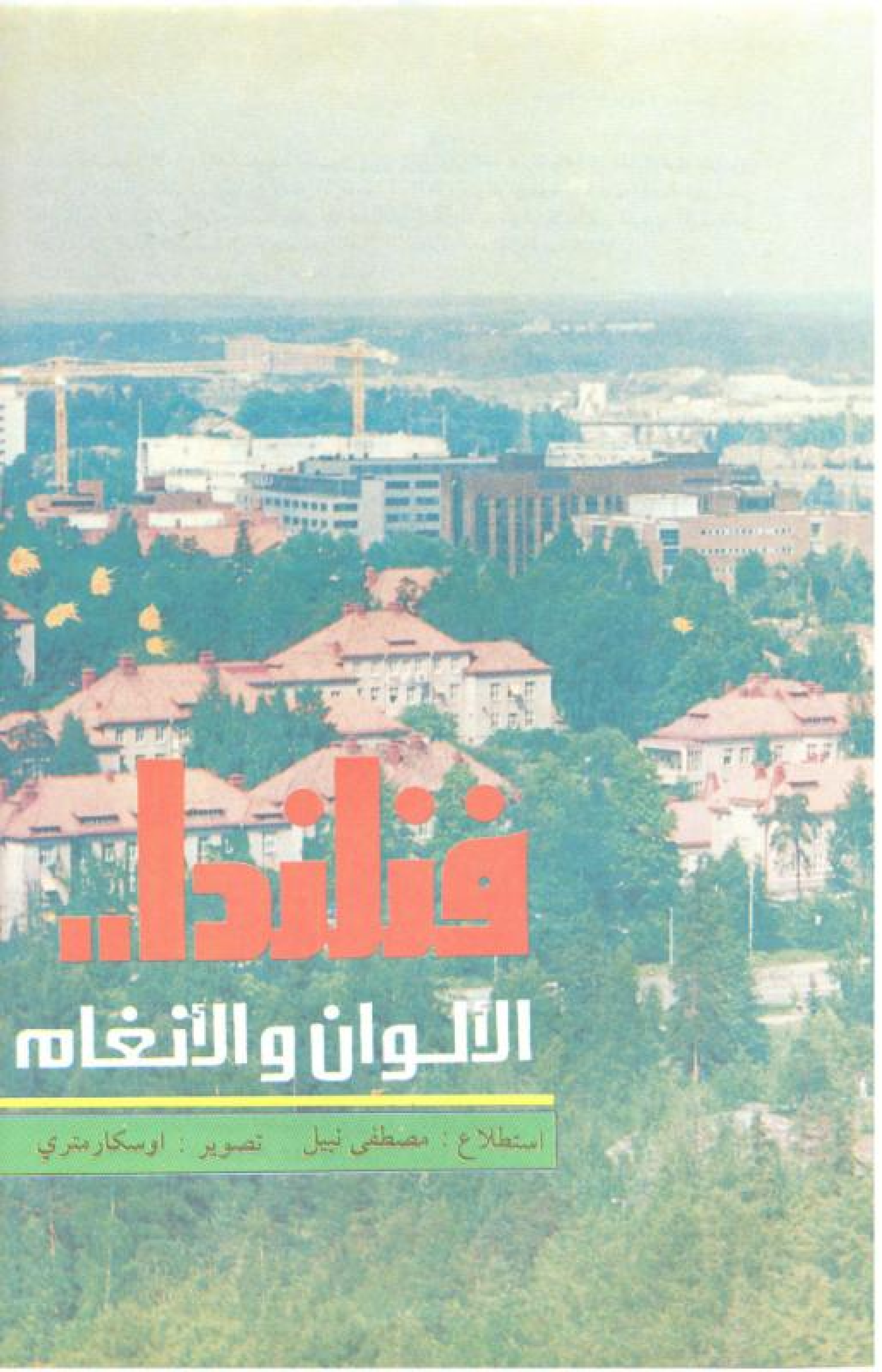

فنلندا.. الألوان والأنغام

استطلاع : مصطفى نبيل   تصوير : اوسكار متري

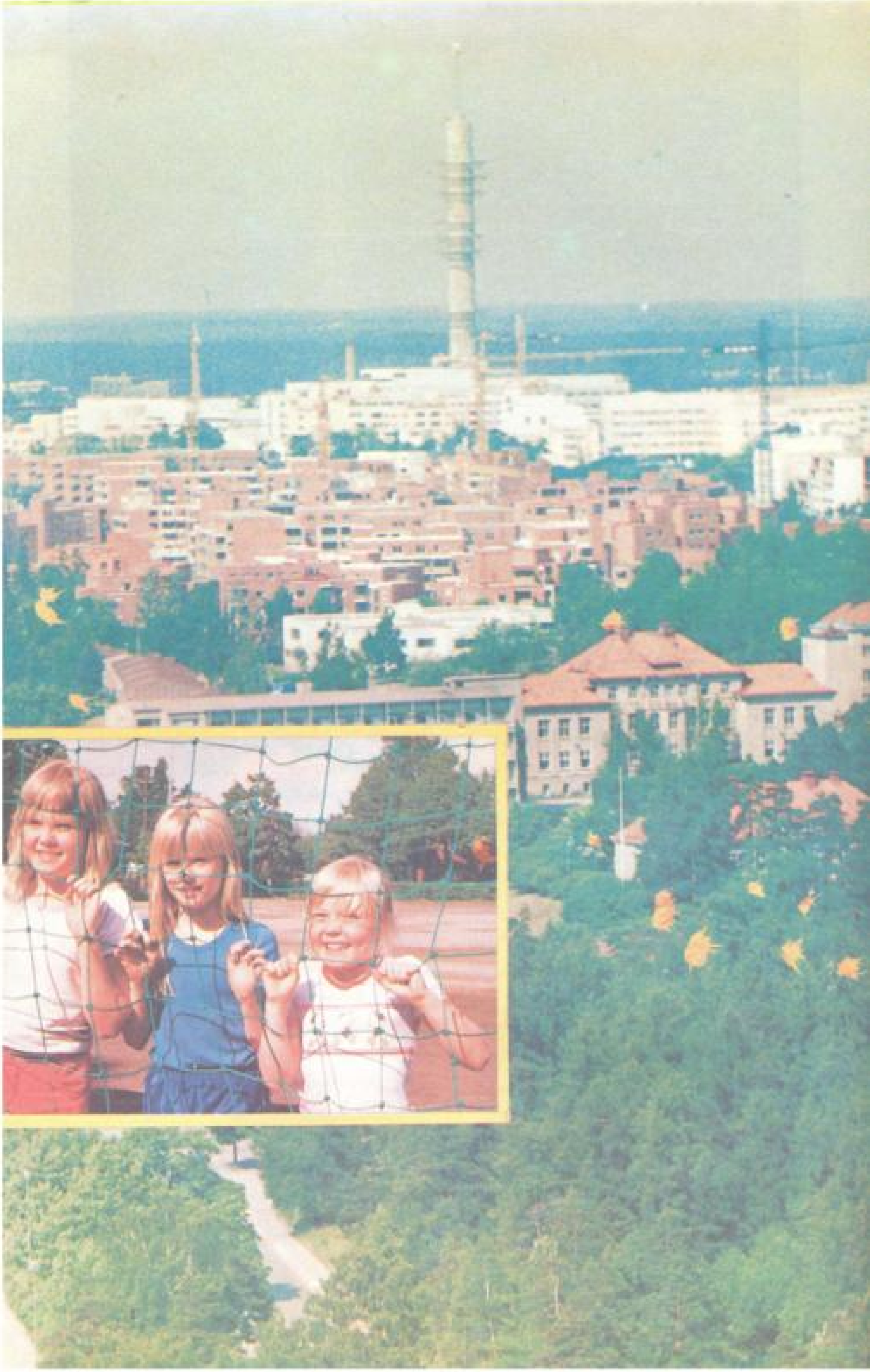

عائد من آخر ركن في العالم . .
قادم من ارض البحيرات والغابات ، بلاد الضياء والجليد ، من فنلندا بلد الذهب الاخضر وملكات الجمال ، التي تمد اغلب الصحف بالورق . .
والتي تردد اسمها عندما ساهمت في قوات حفظ السلام ، وقدمت الجنرال سيلاسفو قائدا لهذه القوات . .
ماهي حكايتها ؟ وكيف قدمت الكاميرا صمت الطبيعة وجمالها ؟ . .

هلسنكي عاصمة فنلندا ، مدينة صغيرة ولكنها جميلة ، برزت بين أشجار الغابة العذراء مثل مدينة الاحلام ، كل مساكنها اقيمت بعيدا عن الطرق العامة .

في شوارع هلسنكي تلاحظ انها تشبه احدى عواصم اوروبا الشرقية ، المباني القديمة ، والشوارع والميادين الواسعة ، الغنى يغلب الضخامة ، والمباني جزء من البيئة الحية المحيطة بها ، وتلمس حرصا واضحا على اقتراب الشعب الفنلندي من الطبيعة ، عندما تتداخل الغابة مع الكثير من انحاء العاصمة ، وترى لمسات الفن في كل مكان ، في العمارة وواجهات المحال ، حتى في الاثاث وآنية الطعام .

وتوقفت طويلا عند الكاتدرائية القديمة ، وفي المزج بين القديم والحديث الذي يظهر واضحا في كنيسة تايفا لاهتي المنحوتة وسط الصخر .

ورغم علامات القدم التي تظهر في المباني الرئيسية مثل جامعة هلسنكي ، وفي مبنى البرلمان ، الا انه لم يمض سوى أربعة قرون على انشاء هلسنكي . .

تنتشر التماثيل في ميادين ، وفي قلب المدينة نصب تذكاري ضخم تخليدا لمن لحن مقطوعة فنلندا ، الملحن سيباليوس ، والتمثال يمثل صورة انابيب من الفولاذ صهرت ثم لحمت ، وعلى جانب منها وجه الموسيقي الكبير . .

ومازالت بعض احياء العاصمة تعود بيوتها الى القرن التاسع عشر ، عندما لم يكن يستخدم في بنائها سوى الخشب ، والذي عدل عنه نتيجة الحرائق .

وتقع هلسنكي على بحر البلطيق ، وبجوار قلعة سيومي التي كانت خط دفاع قوي عن العاصمة ، كما ان مياه بحر البلطيق لاتتجمد ولاتشل الحياة ، وميناء هلسنكي آخر ميناء يصل اليه تيار المكسيك الدافيء ، والذي يبقي الملاحة قائمة على مدار العام . .

وأمسيات هلسنكي تمتليء بلمسات الفن والجمال ، فالفن مقدس في حياة شعبها ، والرحلة الى فنلندا رحلة الى عالم جميل ومثير ، يطلق عليها بلاد الف لون ولون ، وعرفت فنلندا بملكات الجمال التي قدمتهن للعالم ، وهي ارض بكر مازالت فيها الطبيعة كما هي ، والهواء نقياً والماء لم يتلوث . .

والفنلندي طيب ، رغم الجهامة التي تظهر على وجهه نتيجة قتامة المناخ ، وان كنا محظوظين عندما زرناها في أفضل ايام العام ، والفنلندي ينكفيء على داخله ، ويميل الى الانطواء ولايفتح قلبه بسهولة للغرباء ، ولكن اذا نشأت صداقة بينه وبين احد ، فهي تتسم بالصدق والعطاء ، وهو منضبط كأنه ترس في آلة ، ولعل هذه الصفات هي نتاج العزلة الطويلة الناتجة عن المناخ ، ففنلندا لم تكن يوما منطقة عبور وتقع في آخر ركن في العالم . . وشعبها شعب يتسم بالخجل ، ويصدق على الفور كل ما يقال له . .

دعوة على العشاء

وتلقينا في اليوم الاول لوصولنا دعوة على العشاء في قلعة سيومي ، وجه الدعوة جمعية الصداقة

الفلسطينية الفنلندية . ووصلنا الى القلعة عن طريق زورق بحرى لنصل الى جزيرة تقوم فوقها القلعة ، ورأينا القلعة التي كانت تغلق خليج فنلندا وتحول دون اقتحامها من الاعداء ، أما اليوم فقد تحولت الى قلعة يقصدها السياح ، تضم قاعة للطعام ، الذي يقدم على ضوء الشموع ، بعد أن تحول كل ركن منها الى عمل فني راق ، وأدهشني الاهتمام الواضح بالقضايا العربية ، والمعرفة الدقيقة بالسياسات القائمة في المنطقة العربية .

وفي اليوم التالي ، قال مرافقي : اكرام الضيف عندنا .. حمام ساخن جدا ..

ولم افهم ، ثم تبينت أنه يعني حمام السونا ، تلك العادة الفنلندية التي انتشرت من فنلندا الى جميع أنحاء العالم فلايوجد بيت في فنلندا ليس به حمام الساونا الشهير ، وأضاف مرافقي : للساونا تقاليد وطقوس ومواصفات خاصة ، ويتكون الساونا من الصخر الفنلندي وليس الفحم ، فجمرات الصخر الفنلندي تمتص الرطوبة ، وتعكس الحرارة ، وقد بدأت هذه العادة على حواف البحيرات ، ويخرج الفنلندي من غرفة الساونا الساخنة ، ليلقي بنفسه في البحيرة الباردة ، وبذلك يتجنبون الانفلونزا

وعاد مرافقي يقول : لابد أن تجرب الساونا ولو مرة واحدة . ودخلت في حجرة خشبية درجة حرارتها تصل الى ٩٠ مئوية . وبدأ العرق يتصبب من كل مسام جسمي واستمر الأمر بين خمس وعشر دقائق .. أما الخروج بعد ذلك فليس الى البحيرة كما كان في الماضي ولكن الى حمام السباحة البارد في الفندق ..

وبعد الانتهاء من حمام السونا شعرت بحالة من النعاس والخمول سرعان ماتحولت الى شعور قوي بالنشاط والحيوية . ويرددون هنا مئات المزايا لحمام الساونا أقلها أنه ينشط الدورة الدموية ، لذلك يقيم الفنلنديون حمام السونا قبل اقامة البيت . ولحمام الساونا تقاليد ، فلا يجوز ان يتبادل افراد الاسرة الحديث خلال الاستحمام فهي فترة خصصت للتأمل واعادة الحسابات .

ويضيف مرافقي بأسى : لقد تحول حمام الساونا في الكثير من الفنادق الى فرصة لعقد الصفقات . واصبح حمام الساونا جهازا يعمل بالكهرباء وليس من صخر فنلندا المشهور .

مؤتمر الغجر

وحول البيوت الخشبية القديمة ، وفي الاسواق ، وفي المهرجانات ، شاهدنا الغجر بلباسهم المميز وروحهم العالية ، ترتدي النساء ملابس تشبه الملابس العربية ، وأحجامهن تميل الى البدانة وترتدي الفستان الطويل الغني بالدانتيلا ، والحلق الواسع في الاذنين ، والحلي ذات الطابع الشرقي ، والعيون السود والشعر الاسود .. انهم ينتشرون في كل مكان ، لايعرف أحد عددهم ، لاحظت انهم لايقبلون التصوير بسهولة ، ولقد رأيتهم في المجر وفي بلغاريا وفي العديد من الدول الاوروبية ويطلقون عليهم في الهند (البنجارا) ، ولهم اسلوب حياتهم المميز والغني بالفلكلور ، يحترفون مهنا خاصة تجدهم في الموالد في الشرق وفي المهرجانات والاسواق في الغرب .

وعلمت انهم عقدوا مؤخرا مؤتمرا في فرانكفورت للبحث حول أصلهم وحكايتهم ولماذا يتوزعون على العديد من بلدان العالم ، وأعلنوا أن الدراسات قد بينت أنهم يعودون الى بلاد الرافدين مسقط رأسهم .. !

الصراط المستقيم

وحان وقت التأمل .. وتلاحقت اللقاءات مع اساتذة جامعيين وصحفيين ورجال اعمال ، كما التقينا وزير خارجية فنلندا .

وكان موضوع هذه اللقاءات سؤالا يلح عليّ ، وهو كيف استطاعت فنلندا البلد الصغير والتي تجاور الاتحاد السوفيتي أن تحافظ على توازنها ؟ ثم .. كيف استطاعت أن تحقق علاقات وطيدة وفي نفس الوقت تحافظ على نظامها الديمقراطي واقتصادها الحر .. ؟ حتى أصبح في علم السياسة مايمكن أن يطلق عليه (الفنلدة) اي النمط الفنلندي .. ؟

تقع فنلندا في الركن الشمالي الغربي للاتحاد السوفيتي ، ولايتجاوز عدد سكانها خمسة ملايين مما كان له اكبر الاثر على اختيارات فنلندا السياسية ، فهي مع الاتحاد السوفيتي في الارض والبحر ، وتطل على لينتجراد التي لاتفصلها عنها سوى بضعة اميال ،

ـ غجرية تدفع عربة حفيدها في أحد شوارع مدينة كوبيو . . هربت من العدسة عدة مرات . . ولكن مصور العربي استطاع أن يختلس هذه الصورة للجدة والحفيد بملابسهما الفولكلورية !

ـ بائعة الزهور في كوبيو . . كم هو مقيد عمرها . . عمر الزهور طبعا ! انها هناك مع ساعات الفجر الأولى كل صباح تبيع زهورها قبل أن يقتلها الصقيع !

ـ بحر البلطيق الذي تشرف عليه هلسنكي . . القوارب تسبح بأصحابها مع أشهر الدفء

ـ تشتهر فنلندا بقلاعها القديمة ، ويرجع تاريخ هذه القلعة وتسمى « فيابوري » ، الى القرن الثامن عشر .

والى الغرب تلتحم مع ارض السويد ، ثم النرويج ، وتقوم عند الممر العريض عند القطب الشمالي ، وهي اقصى دولة في الشمال بعد ايسلندا ، وجنوبها مباشرة مركز حلف وارسو ، وفوق رأسها واحدة من دول الناتو هي النرويج . . فكيف اختارت طريقها ؟

استطاعت فنلندا ان تخرج من هذا المأزق الجغرافي ، وقدمت درسا مفيدا لكل الدول الصغيرة التي تجدف في بحر السياسة الدولية الهائج . .

وتمكنت من الحفاظ على نظام اقتصادي حر كجزء من العالم الغربي . يقوم اقتصادها على المشروعات الخاصة ، حتى أن ثماني عائلات يملكون اهم المنشآت الاقتصادية،وفي نفس الوقت للدولة نصيب كبير في بعض فروع الصناعة ، واصبح لذلك ترجمته السياسية المتمثلة في تعدد الأحزاب والحياة الديمقراطية على الطريقة الغربية ، ومن جانب آخر لاتتجاوز فنلندا في سياستها الخارجية والأمنية الموقف السوفيتي .

وقد وصلت الى هذه الصيغة بعد معاناة طويلة . .

فعقب ثورة ١٩١٧ في روسيا ، عندما كانت فنلندا جزءاً من الامبراطورية القيصرية شهدت هلسنكي معارك بين الحمر الذين يؤيدون الثورة وبين البيض الذين يعارضونها،وانتهت العلاقات مع روسيا الى حرب قصيرة سميت حرب الشتاء ، دامت ثلاثة أشهر ونصف تمكن الاتحاد السوفيتي من الاستيلاء على جزء من أراضي فنلندا ، وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية لم تتمكن فنلندا من تجنبها . .

وعلى ضوء التجارب القاسية التي عاشتها ، وصلت الى صيغة للعلاقات مع الجار القوى ، ولم تتوقف عند المشاكل القديمة ، ولا عند الاراضي التي استولى عليها السوفييت ووقعت معاهدة مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٨ ، مقابل ضمان حياد فنلندا والتزامها بمنع استخدام أراضيها في العدوان على الاتحاد السوفيتي من أطراف ثالثة . .

وتبنى هذه السياسة وقدم لها الدعم الرئيس السابق كيكنين ، والذي بقي في منصب الرئاسة خمسة وعشرين عاما ، والذي مازال يحظى بمكانة كبيرة بعد أن اصبح كهلا وبعد أن نجح في السير على الصراط المستقيم بين الشرق والغرب . .وتقدم فنلندا درسا آخر في علاقاتها بالدول الاسكندنافية ، فرغم تباين المواقف السياسية فهي جزء من هذه الدول ، وهي احدى دول (النورديك) أي اتحاد دول الشمال ، والذي يضم فنلندا والسويد والدنمرك والنرويج ، وهو اتحاد يتعاون اعضاؤه في المصالح المشتركة ، ورغم ارتباط كل دولة على حدة ، فنجد بينها من اختار الحياد ومن اختار الانضمام الى الحلف الاطلنطي ، الا أن التعاون مستمر في المجالات الاقتصادية والثقافية والفنية،وهو درس على الدول العربية أن تستوعبه فرغم أن اللغة في فنلندا أحد العوامل التي تفرقها عن جيرانها - بعكس الدول العربية فاللغة الفنلندية تكون مع بعض لغات شمال الاتحاد السوفيتي فرعا للغات قائمة بذاتها بما فيها اللغة المجرية . .

ولفنلندا علاقات خاصة بالسويد . فحوالي ٦٪ من تعدادها سويديو الأصل واللغة،وجانب من الشعب الفنلندي مازال يتكلم اللغة السويدية ، وهي تعتبر لغة رسمية ثانية ، ولاينسون أنهم كانوا جزءا لايتجزأ من مملكة السويد ، حتى وقعت الحرب بين السويد وروسيا عام ١٨٠٩ ، وكانت فنلندا من بين الغنائم التي كسبتها روسيا فأصبحت تابعة للقيصر حتى قيام الثورة الروسية .

وأدى هذا الوضع السياسي الى زيادة التعاون الاقتصادي مع دول الشمال ومع الاتحاد السوفيتي ، وأصبحت فنلندا بالنسبة للاتحاد السوفيتي تشبه ماكانت عليه هونج كونج بالنسبة للصين ، فكما أن هونج كونج كانت احد مصادر الصين في القطع النادر ، اصبحت فنلندا مصدرا للتقنية الحديثة بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، وأصبح الاتحاد السوفيتي اكبر شريك تجاري لفنلندا ، وتستورد فنلندا من السوفييت الغاز الطبيعي عبر الانابيب التي أقيمت في بداية السبعينيات ، كما تستورد من السوفييت ثلثي احتياجاتها من النفط الخام .

كانت فنلندا تعاني من الهجرة الى الخارج ، فمستوى الاجور في السويد كان إعلى من فنلندا ، وفي الماضي حدثت هجرة فنلندية الى امريكا في مطلع هذا القرن ، وهاجر حوالي ٦٠ ألف نسمة سكنوا الشمال الامريكي في مينسوتا وميتشجان التي تتمتع بظروف مناخية مشابهة لفنلندا . .

الصقيع والظلام

وخرجنا من هلسنكي الى اراضي فنلندا الواسعة ، فزرنا اهم مدينة في الشمال هي كوبيو ، وزرنا ضيعة وعددا من المصانع،فمن رأى ليس كمن سمع ، وأبحرنا في عالم الغابة والبحيرات والجزر ، وتتميز فنلندا بقلة مدنها والتي لاتتجاوز ٤٧ مدينة يقع نصفها على الساحل . .

ان الجغرافيا هي الحقيقة الاولى التي تهيمن على حياة أهالي فنلندا ، وهي التي تلقي بظلها على النشاطات الاقتصادية وتؤثر على العادات والتقاليد، فهي أرض الصقيع والظلام،فتقضي أجزاء كبيرة من البلاد حوالي ستة اشهر في ظلام دامس ولاترى الضياء ، ينامون ويستيقظون في الظلام ، ويذهب العاملون الى اعمالهم في الظلام،ويستمر الليل مدة تصل الى ٧٠ يوما في بعض المناطق .

وتعيش اجزاء اخرى ستة أشهر في نهار ساطع ، وفي أقصى الشمال لايوجدظلام في الليل على الاطلاق لهذا أطلق على الشمال أرض الحقائق الساطعة ، عندما يكون لحفيف الشجر مغزى خاص . . انه فعل الأيام الطويلة الدافئة التي تتنوع فيها الالوان والضياء . .

وفي بلاد اللاب (اللابلاند) لايذوب الجليد على مدار العام ، وتغطي الثلوج هذه المنطقة سبعة أشهر في العام ، وعندما يأتي الصيف ويذوب الجليد في الجنوب تكون صحوة الحياة .

ورغم تلك الظروف القاسية ، ترى في فنلندا اجمل الغابات ، فأكثر من ٧١٪ من أرضها تغطيها الغابات الجميلة الباسقة ، اشجار الصنوبر والسنديان والبلوط والبتولا التي تمد اخشابها الفلاح بالدفء .

فالغابة هبة الله ورأس مال فنلندا الاساسي ، وهي التي تعوض القتامة التي تسري مع الصقيع والظلام . .

ويعتبر مشهد الجذوع القائمة فوق المياه منظرا مألوفا ، واصبح منظر الانسان الآلي الذي يقوم بدور الحطاب فيقطع الاشجار وينحني لالتقاط جذوعها ويقطعها ويعدها للاسواق منظرا متكررا .

ويأتي بعد الغابة اجمل وأمتع ماتشاهده ، وهو البحيرات التي تحيطك في كل مكان ، والتي من كثرتها ليس لها أسماء ، وليست محددة العدد ، وتكتفي الاطالس بذكر انها الاف البحيرات ، يصل البعض بعددها الى ٦٠ ألف بحيرة ، وهي بحيرات عذبة تستمد مياهها من ذوبان الجليد ، وتغطي المياه مايزيد عن خمس اليابسة في مساحات لامتناهية من البحيرات والانهار التي تصب في البحر ، ولهذه البحيرات ألوان متعددة تختلف مع تغير المكان واختلاف البيئة ، وهي توصف بأنها العيون الزرقاء في البشرة البيضاء . .

وتتولد من البحيرات الجزر التي تصل الى ٣٥٠ ألف جزيرة ، ووسط البحيرات التي تحيطها الغابات ترى جزيرة لاتزيد مساحتها عن كيلومتر واحد ، وفوقها بيت تسكنه الاسرة ، والجزيرة والبيت فوقها هو حلم كل مواطن في فنلندا ، والجزيرة تتمتع بنوع من الاكتفاء الذاتي ، مولد الكهرباء وزورق بحري هو أداة الانتقال وتليفون هو أداة الاتصال وحياة هادئة يحيطها الجمال من كل جانب .

ومع البحيرات والجزر تزدهر رياضة البحر والتزلج والسباحة وسباق اليخوت،وفي الشتاء تبدأ الجزر الواقعة جنوب شرقي هلسنكي في استقبال آلاف الطيور البحرية المهاجرة،وتعيش فيها حتى نهاية شهر مايو ، وتبدأ رحلتها العكسية متجهة نحو أقصى الشمال . .

ومع هذا الجمال وتلك العزلة،ومع الطبيعة القاسية تشكلت رموز هذا المجتمع ومفاهيمه الخاصة،فمثلا اذا شوهدت البومة تبني عشها فمعناه صيف جميل ، واذا امتنعت عن حضانة بيضها فينذر ذلك بموسم قاسي ، واذا تشبث حمام الثلج بجذع شجرة ، فلا بد لمن يسير في الطريق من أن يتقي العاصفة ويبحث عن مخبأ لتفاديها . .

كوبيو

وعندما وصلنا الى كوبيو في الشمال قضينا أجمل الايام ، مدينة هادئة جميلة وسط الغابات والبحيرات ، وهي في حالة مهرجان دائم،مهرجان للزهور وآخر للحصاد وثالث للرقص ، يشربون ويغنون ويرقصون ويعزفون الموسيقا في الميادين العامة ، تظهر على وجوههم النضرة سعادة غامرة

ـ سوق الزهور في احدى أجمل مدن فنلندا .. مدينة كوبيو ..

ـ كاسحات الجليد في بلد تكسوه الثلوج في الشتاء .. وباعة الصحف بملابسهم التقليدية في شوارع هلسنكي .. انها مدينة البحيرات والغابات الكثيفة التي احترقت مرتين وأحرقت معها العاصمة ثم أعيد بناؤها ...

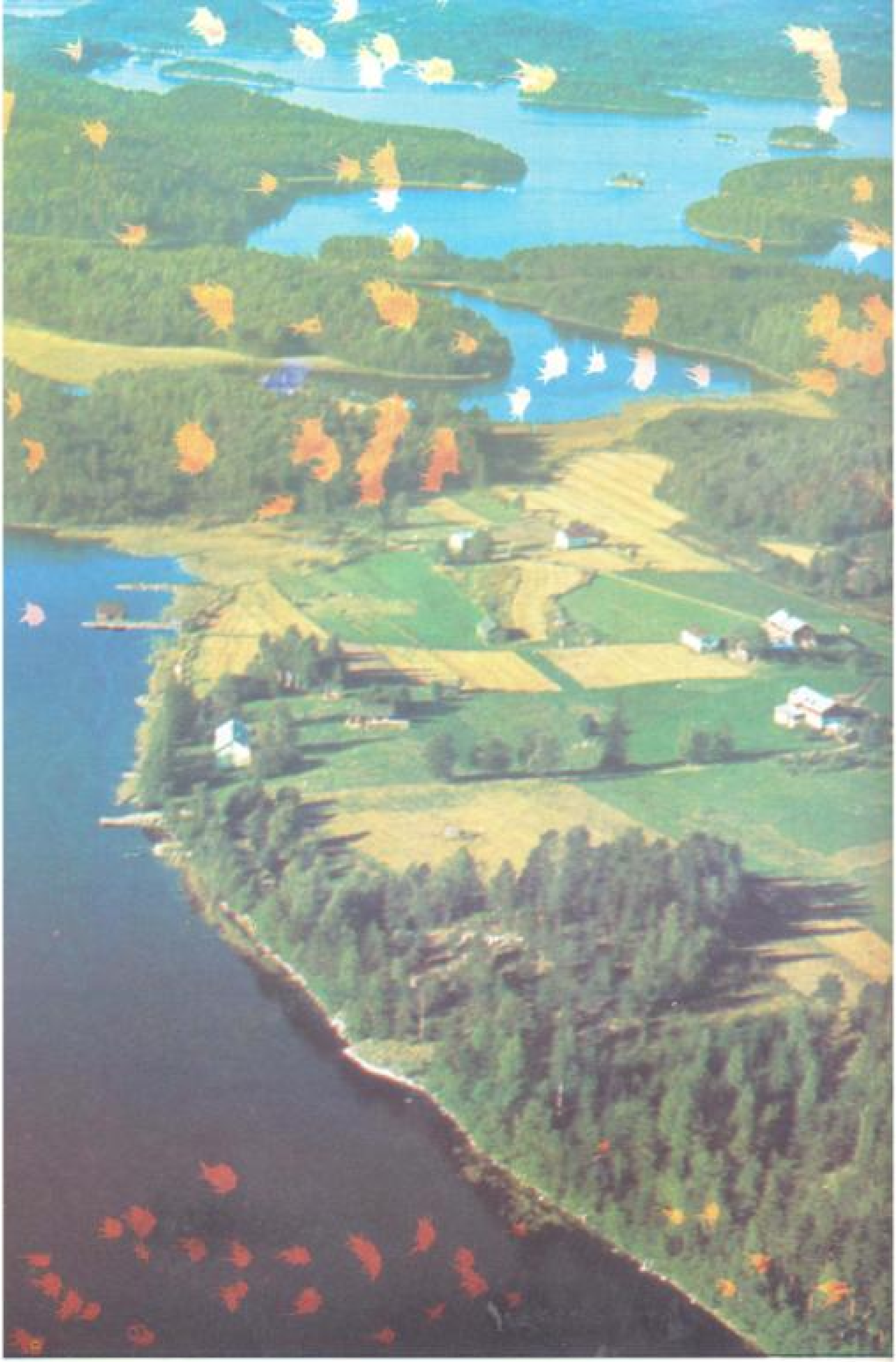

وحب حقيقي للحياة . .

وما أشد غرابة مانسمع ، فأهم وأجمل مكان في كوبيو مصحة للامراض النفسية والتي تنتشر في البلاد ، من القتامة التي تسري من الصقيع والظلام ، او حتى من الضياء المستمر، فاكتشف الاطباء ان النهار بلا ليل والليل بلا نهار ، يؤدي الى الاختلال النفسي وأمراض الاكتئاب وكثيرا مايؤدي الى الانتحار . .

ووصل الاطباء الى ضرورة اضاءة المصانع في الايام المظلمة لتصبح كالنهار ، وتسدل الستائر في أيام النهار المتصل حتى تبدو كالليل ، ومازالت هذه الظاهرة تقلق المجتمع الفنلندي . .

حفارات بحر الشمال

ورغم كل هذه الظروف القاسية استطاعت فنلندا ان تشق طريقها في الصخر ، وأقامت في ظروف مناخية صعبة وفي ارض صخرية ، اقتصاداً قويا واصبحت جمهورية الغابة دولة متقدمة صناعيا ، قادرة على صنع سفن حديثة وكاسحات ثلوج معقدة وآلات صناعية متقدمة ، وسيارات نقل وجرارات ومصاعد ومنازل جاهزة ، علاوة على الورق والاثاث . وخلال عشرين عاما تحول العجز الى فائض وأصبحت اكثر الدول الاسكندنافية انتاجا . .

وفي المصانع التي زرناها ، رأينا كيف قطعت الصناعة خطوات متقدمة وأصبحت تستخدم الطاقة الرخيصة ، وأدخلت مصانعها التحكم الآلي عن طريق الكمبيوتر مما يسد نقص العمالة . . ويعتز أهالي فنلندا بأنهم تخصصوا في عدد من الصناعات الدقيقة ، وأنهم صنعوا حفارات بحر الشمال لبريطانيا . .

وأثبت هذا الشعب رغم قلة عدده أنه قادر على أن يصل الى مقدمة الشعوب ، بدون قوة عسكرية وبدون العمل في تجارة أسلحة الدماء .

في الضيعة

اليوم موعدنا لزيارة ضيعة فنلندية قريبة من كوبيو ، الطريق الى الضيعة خلاب يمر بين البحيرات والغابات والالوان ، وصلنا الى بيت ريفي يطل على البحيرة ، وتمتد امامه ارض الضيعة ومنشآتها ، البيوت الريفية تتشابه في كل مكان ، وان اختلفت لمسات الذوق والنظافة ، وهو عالم يحن اليه ويحلم به أبناء المدن الصاخبة استقبلنا صاحب الضيعة واسرته على فنجان قهوة في بهو يشبه بهو الكنيسة ، وتعلق على جدرانه صورة السيدة العذراء والسيد المسيح ، التقينا بالجد والاب والابنين والزوجة والام والبنات ، الكل يعمل في الضيعة بعد أن تنازل الجد لابنه عن الضيعة . .

العلاقات العائلية حميمة مثل الريف في كل مكان ، الضيعة وحدة انتاجية متكاملة ولكنها جزء من المجتمع ، اذا قطعت اشجار الغابة فلابد أن تزرع غابة بديلة على ذات المساحة ، الواحد والكل في تناغم ظاهر ، هنا تتنوع المحاصيل وتربى الماشية والطيور ، وتعمل الفتيات على التراكتور في وقت الحصاد ولكل دوره . .

حمام الساونا على البحيرة كما كان في الماضي ، فالريف بحق هو مستودع العادات والتقاليد القديمة ، ولكنه أخذ بكل حديث في البذور والتطعيم وتربية العجول وقطع الاشجار ونقلها .

الشرق والغرب

ألحت على ذهني خلال جولتي تلك العلاقة القديمة بين الشرق والغرب ، التي تبرز عند المقارنة بين حالنا وحالهم ، بين أوضاع الشرق وأوضاع الغرب . . فحيثما ذهبت تجد كل شيء منظما وترى وجه الدولة ، ليس في صورة التعليمات بل في العناية التي تقدمها ، وفي القواعد التي تجعل حياة الناس اسهل وأجمل ، ترى الدولة في أقصى الغابة او في جزيرة معزولة في صورة الخدمات التي تقدم للسكان ، وفي تنظيم المباني وفي اعداد مواقف السيارات ، وفي وضع نظام للصيد وفي الحفاظ على الغابة . . وحتى في علامات الطريق .

وتتداعى الافكار وتتلاحق الصور . قديما كان الشرق ينظر إلى الغرب على أنه مصدر الهمجية والمادية ، واليوم يتغير الحال ، وعلى مر الايام تراوحت العلاقات بين الشرق والغرب في صور التعاون احيانا

والمواجهة أحيانا ، وفي كل الاحوال كان الاخذ والعطاء . . . وعلى الرغم من أن فنلندا بلد غربي صغير . . ويقع في آخر ركن في العالم الا أن تدفق تيار المعرفة بينه وبين الشرق العربي متصل وثري ، فالعرب هم أول من كتب عن « الفايكنج » السكان الاصليين الاوائل لأراضي فنلندا،بل هم المصدر التاريخي الموثق الوحيد عن حياة أهل الشمال ، وعلى الجانب الاخر فان تراث وأعمال المستشرقين الفنلنديين تزخر بها جامعة هلسنكي وجمعية المستشرقين . ويحفل هذا التيار من التواصل المعرفي بحقائق واهتمامات تثير الذهن وتنشط الخيال .

يعود اهتمام فنلندا بالشرق الى بداية القرن التاسع عشر ، عندما قرر المستشرق الفنلندي « جورج أوجست فاين » الرحيل الى الشرق بعد أن درس اللغة العربية في جامعة بطرسبرج على يد الشيخ المصري محمد عياد الطنطاوي . وبالفعل وصل الى مصر عام ١٨٤٤ ، في هذه الفترة كان اهتمام العالم كله بالشرق يتكثف ويزداد ، ويضغط على نخاع أعصاب مصالح العالم ، وبالطبع لم تسلم من هذا الالحاح فنلندا التي كانت ضمن الامبراطورية القيصرية الروسية،ففي هذه الاونة كانت أوروبا وروسيا القيصرية تضع أنظارها على الشرق في انتظار انهيار الامبراطورية العثمانية وتقسيم تركة الرجل المريض ، روسيا بمصالحها في ممرات المياه التركية وتأمين قنائها الخلفي ، وأوربا بمصالحها في الشرق وثرواته

ومماكه ، كان هذا المناخ السياسي كفيلا بأن يسمع العالم بالشرق ويزداد اهتمامه به خاصة عقب أن وصلت جيوش الشرق الى أراضي اليونان وجزر الموره، والحرب التي خاضتها أوربا ضد محمد علي . في هذه الفترة وصل أول مستشرق فنلندي فمكث في مصر عامين أتقن خلالها اللغة العربية وارتدي الزي العربي وأطلق على نفسه اسم الشيخ عبد المولي . ومن مصر انطلق الى القصيم ثم الجوف ، وكتب عن مدينة حائل في الجزيرة العربية كما زار العراق ، وترك فاين مذكراته الشخصية وانطباعاته العامة ودراساته المتخصصة في مجموعة كتب تحتفظ بها جامعة هلسنكي ، في قسم دراسات اللغة العربية والاسلامية الذي يرأسه البروفسير « هايكي بالنا » الحاصل على درجة الدكتوراة في اللغة العربية وصاحب عدة أبحاث في لغة تراث البدوموبرأس بالاضافة الى ذلك جمعية المستشرقين الفنلندية .

ويقول د . بالفي « كان المستشرق فاين صاحب أول اتصال ثقافي بحضارة الشرق في العصر الحديث» وتعد كتاباته ـ سواء منها الانطباعات أو الدراسات ـ بمثابة رصد حي لحياة المنطقة وسكانها وعاداتهم . فمثلا يقول « فاين » وهو يصف الطريق بين القاهرة والسويس أن « البدو يتخوفون من الافرنج الذين يقومون بمد خطوط السكك الحديدية،ويصفونهم بالبخل والحسد لانهم ـ من وجهة نظر البدو طبعا ـ يحرمونهم من المكسب الزهيد ومصدر دخلهم الذي يعتمد على النقل بالجمال » وعلى غرار هذه الملاحظات والانطباعات التي تتميز بسعة رؤية كتب فاين عن البدو والقبائل وتحالفاتها وغير ذلك من موضوعات .

وفي الوقت الحالي فان قسم دراسات اللغة العربية وجمعية المستشرقين ترعي الاهتمام بثقافات الشرق وآدابه ، فتمت ترجمات أدبية كثيرة منها مثلا ما قام به البروفسير « يوسي آرو » أستاذ اللغات الشرقية الذي ترجم كتاب الايام لطه حسين،كما أن هناك ترجمة لكتاب « النبي » لجبران خليل جبران ، ورواية للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني،وترجمة من الفرنسية لرواية للكاتب الجزائري محمد ديب ، كما قدم الاديب الفنلندي « ميكافالتارك » الى الادب العالمي رواية استمد وقائعها وتاريخها من قصة « سنوحي » المصري والتي سجل فيها تاريخ مصر في عهد الفراعنة .

مازال الريف منطقة جذب للشعب الفنلندي ، ومازالت نسبة كبيرة من الفنلنديين تفضل الحياة في الريف»

- مبنى الكاتدرائية الكبرى في أكبر ميادين العاصمة .. كل شيء في الميدان الذي تشرف عليه الكاتدرائية يحمل ذكرى الاسكندر الثاني قيصر روسيا ، حتى التمثال الذي شيد في قلب الميدان الفسيح !

- في شقة في الطابق الخامس من هذا المبنى الذي يقع في قلب مدينة هلسنكي ، أقيم المسجد الذي يصلي فيه المسلمون السنيون العرب والفنلنديون .

- مسلم يقرأ الفاتحة في مقابر المسلمين التي تتوسط غابة في احدى غابات هلسنكي الجميلة (فوق) .

- جانب من غابات العاصمة (الى اليسار) .

ـ جانب من ميناء هلسنكي . . هنا يجد أهل المدينة فرصة لصيد السمك والقراءة على رصيف الميناء تحت الشمس الدافئة في عطلة نهاية الأسبوع .

ـ في قلب العاصمة هلسنكي ،
تخرج ربات البيوت لشراء
الخضراوات والفواكه بأنواعها
من السوق الذي أقيم فوق
عربات وأكشاك صغيرة . .
انها رحلة كل يوم .

فنلندا كلها غابة من الاشجار التي تلف المباني والمدن والحقول . . ومن لب هذه الاشجار ـ التي تعتبر كلها الثروة القومية الاولى ـ يصنعون الورق ، أما الأشجار نفسها فيستخرجون منها أجود أنواع الأخشاب .

الوثيقة :

قلنا ان تيار المعرفة بين فنلندا والشرق العربي متصل وثري ، وهذه حقيقة فالاصل الوحيد المتاح والتاريخ المكتوب الدقيق لسكان الشمال كتبه الرحالة العربي ابن فضلان منذ مايزيد عن ألف سنة .

ولاتقتصر أهمية رسالة ابن فضلان على أهميتها التاريخية والعلمية كمصدر أول لكل دول الشمال الاوربي في زمن لم تكن تعرف فيه هذه الدول القراءة والكتابة ، بل تجاوزت الرسالة كل ذلك وصارت واحدة من مصادر كثير من الاعمال الفنية والادبية ، لعل أكثرها شهرة ماقدمه الروائي الامريكي « مايكل كرنشون » في روايته « أكلة الموتى » التي اعتمدت على تفاصيل ماكتبه ابن فضلان في رسالته عن أهل الشمال .

ولكن ماذا كتب ابن فضلان في وثيقته وكيف وصل الى آخر ركن في الدنيا؟كان ذلك في عام « ٩٢١م » في عهد الخليفة العباسي « المقتدر بالله » الذى وصل اليه رسول من ملك الصقالبة « بلاد الروس » يطلب باسم مليكه ايفاد بعثة « لكي تفقهه في الدين وتعرفه شرائع الاسلام وتبني له مسجدا وتقيم له حصنا ضد ملوك الخزر من اليهود والذين كانوا يعتدون على قومه ويفرضون عليهم الضرائب ، ويتزوج ملوك الخزر من يريدون من بنات ملوك الصقالبة غصباً » .

وبالفعل استجاب الخليفة العباسي وأرسل وفدا على رأسه ابن فضلان .

رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩هـ (٢١ يونيو ٩٢١م) فعبر نهر جيحون ووصل بخاري ثم أوغل حتى وصل نهر الفولجا يوم الاحد (١٢ محرم ٣١٠ هـ) استغرقت رحلة ابن فضلان احد عشر شهرا ، وكتب ابن فضلان رحلته هذه بكل تفاصيلها ووقائعها . . ووصف فيها كل مامر به وصفا شيقا بارعا . وأكثر مراحل الرحلة اثارة هو ما هدته الصدفة ، ففي الطريق اختطفه جماعة من الفايكنج سكان « اسكندنافيا » فأخذوه معهم وأجبروه على أن يحيا حياتهم ويشترك في معاركهم . هذه الصدفة ـ التي لايمكن لاحد أن يزعم ان ابن فضلان سعى اليها ـ منحته أعظم ما يتوق اليه رحالة أو مكتشف في كل العصور ، فقد كتب ابن فضلان اسمه في التاريخ كصاحب أقدم تسجيل كتبه شاهد عيان عن حياة

الفايكنج ومجتمعهم وانه صاحب الوثيقة الوحيدة الفريدة في التاريخ المكتوب عن حياة سكان هذه المناطق .

ووصف ابن فضلان الفترة التي قضاها مع الفايكنج بدءا من الدهشة والاستغراب من مظاهر الطبيعة وانتهاء بالحياة والاجتماعية ، فهو يسجل ويحكي عن حيرته الشديدة في تحديد موعد صلاة المغرب في أيام النهار الممتد ويروي عن عذابه في انتظار صلاة الفجر مع الليل الذي لاينتهي ، ويحكي قصص الصراع الدموي بين الممالك ويصف القتال ووحشيته وكيف يصل العداء الى أكل لحوم القتلى وكيف تمزق الجثث ويؤكل لحمها الطري ، وكيف تعلق الرؤوس شواهد على الطرق دليلا على البطش والقسوة . حياة كاملة لصراع دموي يرصده ابن فضلان ويشارك فيه ، وبالطبع لم يدرك ابن فضلان وهو يكتب هذا انه يقدم تحليلا اقتصاديا وتاريخيا للمجتمعات ، يطرح فيه منهجا جديدا لم يكن العالم بعد قد سمع به ، ففي مجتمعات فقيرة وطبيعة قاسية مع مصادر للطعام محدودة جدا يصبح الصراع هنا صراعا دمويا لان ثمن الاسترخاء والضعف هو فقدان الحياة جوعا وبردا ، فكما يقول ابن فضلان : « كان الناس يأكلون لحم الدواب ويستعملون زيت السمك ، ثم كانوا لايجدون مكانا يحفظون فيه الطعام فيحفرون الارض ويضعونه في باطنها » ، هذه السطور على بساطتها تساهم في فهم وتخيل كيف كانت الحياة هنا من ألف عام فقط .

حتى على مستوى الحياة الاجتماعية لم يغفل ابن فضلان أن يرصد واحدة من العقوبات التي تحدد شكل القانون الاجتماعي السائد فيقول ابن فضلان :

ان عقوبة الزنا كانت شديدة فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبته حتى فخذيه ، في نفس الوقت فان حياتهم الزوجية عجيبة لاحياء فيها ولا عار » . هكذا يضع ابن فضلان يده على مفاتيح هامة للتحليل الاجتماعي من شكل هذه المجتمعات ، الامر الذي يحتاج الى دراسة انثروبولوجية كاملة عن حياة وطبائع وكنه السكان الاصليين لذلك المكان البعيد القابع في ركن الدنيا .

المسجد . . . في الطابق الخامس :

وبعد ابن فضلان جاء الاسلام الى هذه البلاد يحمله التجار ، الذين كانوا يجوبون روسيا ووصل نشاطهم الى فنلندا ، وفي المتحف الوطني نقود عربية عثر عليها في فنلندا ، وقد اكتشفت في أماكن مختلفة وخاصة في الاولاند ويقال أنه حملها الفيكانج أثناء سفراتهم في القرن الثامن . .

وفي فنلندا أقلية اسلامية ، تعرفت عليهم عندما زرت الجمعية الاسلامية في الطابق الخامس من احدى العمارات الكبيرة في أحد شوارع هلسنكي ، والتي تضم مسجدا ومدرسة تدرس الاسلام ، ويبلغ عدد المسلمين ألف وخمسمائة مسلم ، ورغم قلة عددهم الا أنهم أقلية نشيطة ومنظمة . .

وأغلب هؤلاء المسلمين من الترك والتتار ، ٤٠٪ منهم يسكنون هلسنكي ، ومازال الكثيرون منهم يتجرون في الفراء والماس ، ولديهم مقبرتهم الخاصة ، حيث يدفن موتاهم في صناديق خشبية ، والتقيت في الجمعية بالسيد عبدالله رئيس الجمعية الاسلامية ، وصاحب أحد محلات الفراء ، وكان عائدا من جولة لكل من العراق وتركيا وليبيا وتونس والجزائر ، ولاحظت أنه الى جانب الدين الاسلامي يدرس التاريخ القومي فهنا أقلية اسلامية امتزج داخلها التاريخ القومي مع العقيدة الاسلامية حتى أنه يتعذر على الجمعية قبول أعضاء جددا من المسلمين الذين يعيشون في فنلندا سواء للدراسة أو العمل . .

وتقيم الجمعية شعائر صلاة الجمعة التي يحضرها حوالي مائة مسلم . . كما تحتفل بالاعياد والمناسبات الاسلامية المختلفة . .

وطوال الطريق الى المطار . . وعيناي تلهثان من شجرة الى شجرة . . وأسأل نفسي بقدرية : أي الاشجار هذه سأكتب عليها يوما ، ولِمَ لم يفكر أحد أن يكتب عن الورق الذي يخرج من هنا . . فيطوف العالم . . بعد أن يملؤه الكتاب والصحفيون بسواد الحبر وألوان الصور ، وقطع سيل التساؤلات رجاء زميل الرحلة وهو يرجو السائق أن يقف لحظة لتلتقط الكاميرا آخر منظر في بلاد الغابات والاشجار والجليد والضباء . . . آخر ركن في العالم . . ☐

الواقعيـة النـقديـة في عالم محمد عبدالملك القصصي

بقلم : أحمد محمد عطيه

البحر ورحلات الغوص على اللؤلؤ ، الحركة الوطنية ، الأحياء الشعبية بالمنامة ، القرية ، التحولات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية التي صاحبت ظهور النفط في البحرين .. هذه هي المجالات التي تمتزج وتكون عالم محمد عبدالملك القصصي، أليس فيها غنى وتنوع ؟

تعكس الصور الفنية للكاتب التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي حدث في المجتمع البحريني ، من جراء تحوله من تجارة اللؤلؤ وحياة الغوص والصيد والتجارة البحرية الى حياة النفط وتصنيع الألومونيوم والبتروكيماويات والتجارة الرأسمالية ورأسمالية المال والبنوك وزحف التقنية على الحياة المدنية ، وغزو العمالة الاسيوية والثقافة الأجنبية ، وما صاحب ذلك من فترات كساد وصعود وهبوط دفعت حياة الانسان العادي البسيط في البحرين الى المعاناة والألم والعذاب في مرحلتي اللؤلؤ والنفط على السواء .

فشخصيات محمد عبدالملك من صغار الناس ، من الفقراء المعذبين في الأرض ، شخصيات كادحة لبحارة وغواصين وصيادين وعمال وباعة وحمالين وعاطلين وفلاحين . وهي شخصيات مسحوقة تعاني الفقر والظلم والقهر والاضطهاد والغربة .. شخصيات معذبة ماديا وروحيا ، ولكنها شخصيات ايجابية صلبة مقاومة ، تتحدى واقعها وتطمح للتغيير والتقدم نحو الأفضل .

الواقعية والريادة

ومحمد عبدالملك هو رائد الواقعية في القصة البحرينية ، كما يجمع نقاد الأدب العربي في البحرين ، فـ « هو البداية الفعلية للقصة الواقعية ،

كما يقول الناقد البحريني احمد المناعي في دراسته عن الحركة الأدبية في البحرين ، ويصفه الباحث البحريني ابراهيم عبدالله غلوم ، في كتابه « القصة والمجتمع في الخليج - البحرين والكويت » بانه «أكثر كتاب القصة القصيرة تأصيلا للمقولات الجمالية في الواقعية النقدية » ، وكتب الشاعر البحريني قاسم حداد ، في دراسته عن واقع القصة الواقعية الجديدة في البحرين » قائلا : « ان محمد عبدالملك هو اول من كتب القصة الواقعية الجديدة في البحرين » ، وأضاف قاسم حداد : « ومحمد عبدالملك يعتبر من أنشط كتاب القصة ، وفي البحرين اكثرهم قلقا في مجال الفن الذي يمارسه .

الواقعية النقدية

وقد تقدم محمد عبدالملك بالقصة البحرينية من الحكاية التقليدية والوعظية والخطابية والسرد التقريري والرومانسية الى الواقعية النقدية والتعبيرية والرمزية . فبالرغم من البداية المبكرة للقصة القصيرة في البحرين ، سنة ١٩٣٩ ، مع ظهور الصحافة وانتشار المدارس ، اضافة الى الوضع الجغرافي والحضاري المتميز للبحرين ، بوقوعها على ممر مائي دولي يتيح لها الاحتكاك الحضاري والثقافي ، الا ان قصص جيل الرواد ، احمد سلمان كمال وفاضل خلف وعلي سيار وسواهم ، حملت عشرات البدايات المعتادة في الفن القصصي ، من حيث تغلب اسلوب المقالة الاصلاحية والصورة والخاطرة مع قصص التسلية واحاديث الحب والغرام . « ربما كان اكثر من عني بابراز الدافع الاجتماعي والانساني في سقوط بطل القصة القصيرة هو احمد سلمان كمال ، الذي نشر مجموعة من القصص بمجلة « صوت البحرين » . كما افتقدت قصص البدايات الأسس الفنية للقصة القصيرة ، ولعل اهمها الزمن المحدود والحدث المحدود . ثم توقف جيل الرواد عن كتابة القصة القصيرة ، إما بسبب الأحداث السياسية والتحولات الاجتماعية ، أو لتوجههم الى اعمال اخرى . حتى جاء محمد عبدالملك في مقدمة جيل الستينات ، الذي ازدهرت على يديه القصة القصيرة واكتسبت شعبيتها ، ليرتبط بالحركة الوطنية والتراث

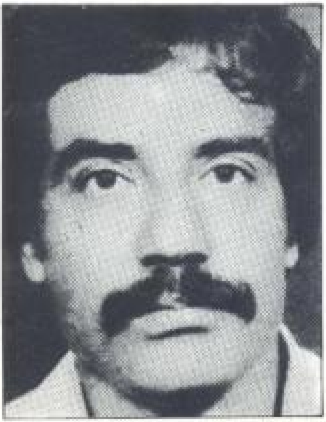

محمد عبدالملك

الشعبي والواقع الاجتماعي المتغير ، وليؤسس القصة البحرينية الحديثة على اسس واقعية نقدية تقدمية . فمحمد عبدالملك هو « اكثر كتاب القصة القصيرة رعاية وتأصيلا لتقاليد الواقعية النقدية ، واخلاصا لتصورها الايديولوجي في المجتمع » كما كتب ابراهيم غلوم . وقد تطورت واقعيته النقدية من الواقعية التقليدية في مجموعاته القصصية الأولى الى الواقعية الجديدة والتعبيرية في احدث مجموعاته القصصية .

غزارة انتاج

ومحمد عبدالملك هو اغزر ادباء البحرين المحدثين انتاجا في مجاله القصصي ، فله خمس مجموعات قصصية ، تشكل عالمه القصصي المتميز ، هي : « موت صاحب العربة » (١٩٧٢) ، « نحن نحب الشمس » (١٩٧٥) ، « ثقوب في رئة المدينة » (١٩٧٩) ، « السياج » (١٩٨٢) ، و« النهر يجري » (١٩٨٤) ، مع رواية « الجذور » (١٩٨٠) ، بالاضافة الى عدد كبير من الدراسات النقدية والمقالات الأدبية نشرت بالصحف الخليجية والدوريات العربية .

وسأقتصر في هذه الدراسة على عالمه القصصي كما تجسد في مجموعاته القصصية .

بدأ محمد عبدالملك الكتابة في اعقاب احداث الحركة الوطنية في البحرين سنة ١٩٦٥ ، لذا فانه انطلق من اتونها . وصورت اولى قصص مجموعته الأولى « موت صاحب العربة »(١٩٧٢) ، المعنونة بـ « زمن » احدى مظاهرات الحركة الوطنية من خلال انسياب تيار الوعي لدى شخصية بطلها « الحاج مظلوم » ، البحار القديم الصلب الذي انتهى به الحال الى بيع الخضراوات بعد كساد تجارة اللؤلؤ ، والذي يحاول منع ابنه من المشاركة في المظاهرات الهاتفة بسقوط الاستعمار وسقوط الشركة ، الا انه لم يستطع كبح جماح نفسه ، فاندفع مشاركا في المظاهرة هاتفا ضد الظلم والجوع ، فـ « الظلم هو الجوع » ، وينضم ابنه بدوره الى صفوف المتظاهرين ، ويستشهد مصابا بالرصاص . ويجلس الأب « الحاج مظلوم »ـ والأسماء لها دلالة في قصص عبدالملك ـ صامتا يدخن النارجيلة ، ويردد كلمة وحيدة بتعجب وألم : « زمن » ؟؟

عالم البحـر

ويجمع أسلوب محمد عبدالملك الفني في هذه القصة بين تقطيع الزمن وتداخل الأزمنة والأمكنة ، والتداعي ، وتيار الوعي ، والصور البحرية ، والتراث الشعبي دون افتعال . فعندما يسمع الأب بطل القصة هتاف « يسقط الظلم » فان « الحاج مظلوم تذكر عاشوراء والحسين » ، فتحركه الذكرى للمشاركة في المظاهرة باهتاف : « الظلم هو الجوع .. قالها الحاج مظلوم .. يسقط الظلم » . ومن تراث البحر ومفردات عالمه يصف عبدالملك حركة بطله البحار القديم : « اندفع كالفيل ورفع شراع يده : « يسقط الظلم ! » غير أن القصة ، بسبب موضوعها السياسي ، ولأنها من اعمال البدايات حملت بعض العبارات الخطابية والحماسية المباشرة ، كتكرار عبارة « الشعب غاضب » وغيرها من العبارات التقديرية ، اضافة الى الحوار السياسي الذي لا يتحمله قالب القصة القصيرة المحدود والمكثف .

كما تغص بعض قصص مجموعة عبدالملك الأولى بالسرد التقريري والوصف الخارجي والشخصيات المسطحة ، غير انها تجمع بين واقعية الحدث والتعبير عن الشخصيات المعذبة والمطحونة والمهانة والمسحوقة ، والتي تتطلع الى تغيير واقع حياتها البائس والمظلم الى حياة افضل ، وتستعين على ذلك بقواها الايجابية وتراثها الشعبي .

وتمزج محمد عبدالملك في قصته « آخر سفينة » بين معاناة بطله البحّار التي دامت ثلاثين عاما في الغوص على اللؤلؤ ، وبين معاناته في عمله الجديد بمعمل تكرير النفط بعد كساد اللؤلؤ وهجرة عالم البحر ، عندما يشبه رئيسه في العمل « بالنوخذا » (ربان السفينة) حين أبلغه بأمر فصله من العمل . واذا كانت القصة تستعيد عبر مونولوج بطلها العاطل المعذب صور حياة العمل في البحر وأغنيات « النهام » (مغني السفينة) وحياة العرى الشاقة بحثا عن اللؤلؤ ، الا انها تصف غربة بطلها في حياته الجديدة بين آلات معمل التكرير بأكثر الالفاظ تقريرية ومباشرة : « هنا عرفت الغربة ، عرفت الضياع بين آلات رابضة كالموت من حولي ... » .
وتختتم القصة بعبارة تقريرية ايضا قائلة : « فزمن الغوص انتهى ، وتوقفت آخر سفينة » ولكن معاناة الانسان استمرت بالرغم من ظهور النفط .

موت صاحب العربة

أما قصة « موت صاحب العربة » التي منحت مجموعته الأولى عنوانها ، فهي قصة مأساوية تصور عذاب حال عجوز وحيد ومعاناته الأليمة في عمله الشاق ، ومخاطبته لسقف حجرته ، عن وحدته وفقره وضعفه واضطراره لمواصلة العمل طوال يومه دون راحة ، على نحو يذكرنا بحوذي « تشيكوف » الوحيد الذي كان يحادث حصانه عن مأساة فقده لابنه الوحيد . وتمزج القصة بين المونولوج الداخلي والحلم في تصوير معاناة البطل الأليمة وتطلعاته وأشواقه لحياة افضل ، غير أنها تختتم بوفاته وحيدا في كوخه ، حتى تأكله الديدان ، وتفوح منه رائحة العفن .

هكذا يموت صاحب العربة بعد أن أيقن بأنه « لاراحة هنا .. الراحة في القبر .. الراحة في

غلاف المجموعة القصصية الأولى

غلاف المجموعة القصصية الثانية

القبر . . » تلك الراحة هي حلمه السعيد الذي ظل يحلم به . أما الاطفال الذين تمكنوا اخيرا من الاستيلاء على عربته واللعب بها فانهم « لم يشعروا بسعادة » . فلا سعادة لدى شخصيات محمد عبدالملك المعذبة التعسة .

وقد حدثني محمد عبدالملك عن هذه القصة حديثا ممتعا اجابة عن سؤال لي عن تجربته الأدبية . وانقل هنا فقرة من هذا الحديث لانها تلقى أضواء كاشفة على الينابيع الواقعية التي تتدفق منها ابداعات هذا الفنان الواقعي الدؤوب .

فبعد ان تحدث عن اكتشافه لرغبة عارمة في الكتابة والتعبير والبوح قال لي : « لقد وجدت هذه الرغبة في نفسي مثل الآخرين ، واعتقدت في البداية ـ وانا اكتب قصتين في وقت واحد ، ذات مساء حار وحزين ـ بأنني امارس نوعا من الألم والتألق على الطريقة البوذية ، والاغتسال والتطهر . هناك اشياء أعرفها ولا يعرفها الآخرون ، هناك تجارب وخيالات اريد ان يشاركني الآخرون في الاستماع اليها او التحدث عنها ، مثلا : « حكاية عبدالله صاحب العربة ، وكنا نسميه عبدالله (حيان) لضيق عينيه ، كان رجلا عظيما ، وهو يقود عربة كبيرة من الحارة التي أقطنها الى قلب السوق في برد الشتاء وحر الصيف ، وكان طيبا ، ذا كبرياء ، وقد مات موتتين ، مرة حين هده العمر فمد للناس يده فتألمت ، ومرة حين وجدناه جثة نتنة في بيته المصنوع من سعف النخيل في « حي لبنان » ، هكذا كنا نسميه تهكما في الطفولة ، لم نكن نعلم ان لبنان سيصيبه الدمار اكثر من هذا الحي في عام ١٩٨٢ . . كنت اريد ان احكي حكاية عبدالله للناس ، وقد حاولت وانا عديم الثقة في نفسي ، ولكن ردود الفعل جاءت مشجعة ، ومع ردود الفعل المستمرة من الناس وجدت الثقة في نفسي . » هذه هي روافد الواقعية في عالم محمد عبدالملك القصصي » .

الناطور

تلح القضايا الوطنية والاجتماعية على قلم محمد عبدالملك ، وتنعكس بقوة في عالمه القصصي منذ بداياته الأولى . واذا كان قد صور اضرابات الحركة

العمالية في قصصه فانه يصور اضرابات الطلبة ايضا ، الذين نتابعهم من خلال رؤية « احمد الناطور » حارس بوابة المدرسة الثانوية الذي اعطى القصة عنوانها ، والذي اثرت فيه هتافات الطلبة ضد امريكا والمطالبة بالمساواة الاجتماعية ، فاندفع خلفهم يهتف معهم بدلا من ان يغلق البوابة في وجوههم ويمنعهم من الاضراب ، فيفصل من عمله لقاء ذلك ، في حين يمزج عبدالملك بين الطلبة وبين مفردات عالم البحر ايماء الى قوتهم قائلا : « انهم يبدون كأسماك كبيرة في عرض البحر ، يحومون هنا وهناك ضاربين بأيديهم في الهواء كما يفعل سمك القرش تماما ! انهم لا يقلون عنه شراسة هؤلاء الصغار الطيبون ، وفي اللحظات الحاسمة لن يوقفهم هذا الجدار ، ولا بوابة العم احمد التي استبدلت بأخشابها الحديد ،وتموج الساحة امام عينيه .. بالهول . انظر .. آه .. صاح بارتياح .. كيف تتجمع الحلقات البشرية ، وهاهم كتلة امواج عاتية . صاخبة ، عارمة ، عنيفة الوجه في اصواتهم التي تشق طريقها بلا توقف » انها شخصيات ايجابية تؤثر في سواها من الأجيال السابقة ، لأنها شخصيات من الشباب ، تمثل الغد والمستقبل ، وتلوح بقدرتها على صياغته وصنعه وابداعه ، واذا كان العمال ، في قصص عبدالملك ، يهتفون ضد الجوع والظلم ، والطلبة يندون بأمريكا ويطالبون بالمساواة الاجتماعية ، فان عمال البناء في قصة « عمارة الجرذان » يهتفون أيضا « يسقط المقاولون » ويتحدثون عن بنائهم للعمارات وخروجهم صفر الايدي .

وتشع قصص محمد عبدالملك الواقعية الأولى بدفء الواقع في أحياء « المنامة » الشعبية التي نشأ وتكوّن فيها ، ومن هذه الأحياء ينتقي الأديب الواقعي شخصياته الشعبية ، من عمال وحمالين وباعة وبحارة وعاطلين وسجناء ومنفيين وأطفال وطلبة ؛ فيصور حياتهم التي يخيم عليها الجوع والبؤس والحرمان وتتصاعد منها نغمات الاحساس بالظلم والتوق للعدل والحلم بمستقبل افضل . فهو يحرص على الا يدع اليأس يسد منافذ الأمل بالرغم من قسوة الصور الواقعية المنتقاة بمهارة ، لتعبر عن موقف الأديب الفنان من هذا الواقع .

نحن نحب الشمس

وفي مجموعته القصصية الثانية « نحن نحب الشمس » تقدم محمد عبدالملك بشخصياته النابعة من حارات وأزقة احياء المنامة الشعبية صوب الهموم النفسية والروحية ، ومن ثم تقلصت مساحة الوصف الخارجي والسرد التقريري في بعض القصص ، التي لجأ فيها الكاتب الى استبطان شخصياته والدخول في اعماقها . وهي شخصيات معذبة ايضا ولكن عذابها روحي ونفسي ومعنوي ، كعذاب بطل قصته « الانتظار » الذي يعاني الوحدة بعد وفاة زوجته واعتقال ابنه الوحيد ، غير ان الكاتب لم يتخل تماما عن تدخله بالتعليقات المباشرة كقوله : « عجبت اي حزن مدمر يعيشه منذ حادث الاعتقال » .

غير ان المباشرة وافتقاد الزمن المحدود ظلا يلازمان معظم قصص مجموعته الثانية « نحن نحب الشمس » وخاصة في القصص السياسية المضمون مثل قصة « مطر يعيد الحياة » التي تستعرض هموم الوطن العربي كله ، من انقلابات وثورات وانكسارات في عبارات سياسية مباشرة ، تتدفق على قلم بطلها وهو يدون مذكراته . او كالاسلوب التقريري المباشر الذي يقدم به الكاتب تجربة التعذيب في السجن في قصة « الزنزانة ٥ » ، وتجربة النفي في قصة « سند » وهي قصص سياسية مباشرة تقترب من اسلوب المقالات السياسية وتحاول ان تصور الصراع السياسي والاجتماعي . او كقصة « النافذة » التي تتناول حياة الفتاة العانس « سارة » وهمومها ، دون مراعاة لمحدودية الزمن الاساسية في فن القصة القصيرة .

وفي هذه المجموعة القصصية الثانية تتقدم موضوعات قصص محمد عبدالملك نحو الثقافة والسياسة ، واذا كانت موضوعات السجن والاعتقال والنفي هي الغالبة في قصص هذه المجموعة ، فاننا نطالع اسماء « جيفارا » و « جوركي » جنبا الى جنب مع الأحاديث المباشرة عن القومية العربية ، وحكم العسكر والبورجوازية ، والاستغلال الطبقي من تجار اللؤلؤ والنواخذة الى المقاولين وشركات النفط . والى جوار الشخصيات الشعبية ظهرت شخصيات المثقفين في قصص هذه المجموعة الثانية . □

رؤيا

شعر : عبد الفتاح الصبحي

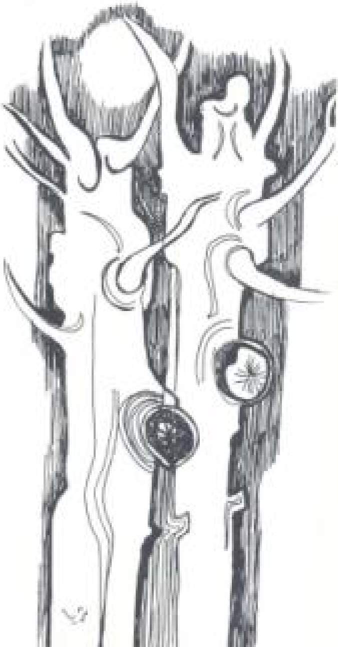

أيا مهرة الليل هيا خذيني
ولا تتركيني لهذا الصقيع

● ● ●

مُعنّى هو القلب وسط الفيافي
فما عاد يسكن عش الضلوع

● ● ●

ويخنقه القمع والدمع حينا
فإن لاح وجهك طاب الخشوع

***

تبارك حلم بجفنيك يغفو
كمشتل ورد وفل يضوع

● ● ●

تبارك فجر بعينيك يصحو
فيرقص صيف ويشدو ربيع

● ● ●

تبارك نهر بكفيك يسخو
فيطعمنا بعد خوف وجوع

***

أحدق في الأفق والنجم يزهو
ولم يبق في الليل الا هزيع

● ● ●

فألمح طيفك في الريح يعدو
على شجر حلته الجموع

● ● ●

أناديك : يا عروس روحي . . خذيني
طريق الهوى ما به من رجوع !

الجوع
وأثره على جسم الإنسان

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوي

رأينا وقرأنا أخبارا كثيرة عن الجفاف في المناطق الافريقية ، ومايتتج عنه من المجاعات ، وأفزعتنا الضحايا التي سقطت نتيجة لها ، والأخرى التي تنتظر . فما أثر الجوع على جسم الانسان ؟ وكيف يؤدي الى الوفاة ؟

يمكن إجمال أنسجة الجسم في ثلاثة أنواع : الأنسجة الدهنية،والبروتينية ونسيج الكبد النشوي . وعندما يقل مايحصل عليه الجسم من الغذاء الكافي والسعرات الحرارية اللازمة ، بدرجة كبيرة عن المعدل الطبيعي لاحتياجاته اليومية ، تتحرك ميكانيكية التمثيل الغذائي للتوفيق بين أمرين ، إما بالاقلال من النشاط الجسماني ، أوبالسحب من الاحتياطي المختزن في أنسجة الجسم المختلفة .

والجلوكوز ، أوالسكر الاحادي ، هو العنصر الأساسي والمطلوب أبدا للاحتراق واستنباط الطاقة اللازمة ، خاصة للمخ - الذي يتطلب لحيويته ٨٥٪ من الجلوكوز من الدم ، وللأنسجة الأخرى بدرجة أقل من ذلك .

وفي الجسم العادي مخزون قليل من المواد النشوية ، يحتاج صيام ليلة واحدة ليحترق كله . وحتى بين الوجبات ، عندما ينخفض معدل الجلوكوز في الدم يحاول الجسم انتاج الجديد منه بطريقة أو بأخرى ، ليكون معدله في حدود كافية ـ بين ٥٠ الى ١٥٠ مللجم ـ وهي المعدلات التي يتعطل فيها المخ عن عمله اذا قلت عنها ، وتزدحم الكلى في التخلص منها اذا زادت عن ذلك .

أما إذا صام المرء مدة طويلة فعلى الكبد أن يبدأ انتاج الجلوكوز ، وانتاج هذه المادة في الجسم أسهل وأكثر مباشرة في البروتينات منها في الدهون . لذا يستخدم الجسم عضلاته في انتاج الطاقة ، لتذوب رويدا رويدا بالرغم من وفرة الدهون فيه . تتكسر بروتينات العضلات الى أحماض أمينية ، وهذه تصل الى الكبد عن طريق الدم ، ليتكون منها النشا ، وهذا بدوره يتكسر الى جلوكوز .

أما اذا طالت مدة الحرمان كالحال في المجاعات أو في معسكرات الاعتقال ، فإن الجسم يعزف عن استخدام البروتينات في انتاج الطاقة ، ويبدأ في استخدام الدهون المختزنة ، وذلك باستخلاص الأحماض الدهنية ، وكل ذلك لصالح نشاط الجهاز العصبي في الدرجة الأولى . وبانتهاء المخزون في الدهون يحس الانسان بالوهن ، ويفقد القدرة على التفكير ويعزف عن الطموح ، ويهبط ضغط دمه ، ويغمى عليه ، وينتهي به الأمر الى الوفاة اذا استمر الحرمان من الغذاء .

وبذوبان الدهن والعضل يبدأ الجسم في التورم . فالجلد في القدمين والساقين يصبح مثل كيس ملء بالماء ، لأن الأنسجة الذائبة تكون قد تركت فراغا خلويا مكانها ، وكذلك يكبر بطن المصاب لامتلاء تجويفه بالماء ، وتنتفخ جفونه ويغور خداه .

ولعل هناك أسبابا أخرى لهذا التورم غير ذوبان الأنسجة ، مثل انخفاض معدل الزلال في الدم مما يقلل الضغط الأسموزي في الأوعية الدموية ، ويساعد على الارتشاح الى الأنسجة الخلوية . كما يؤدي الى انخفاض ضغط الدم ، اذ يقل اندفاع الدم الى القلب ، ويقل بالتالي معدل ضخه في الكلى ، ليقل بذلك معدل افراز البول ، فيحتفظ الجسم

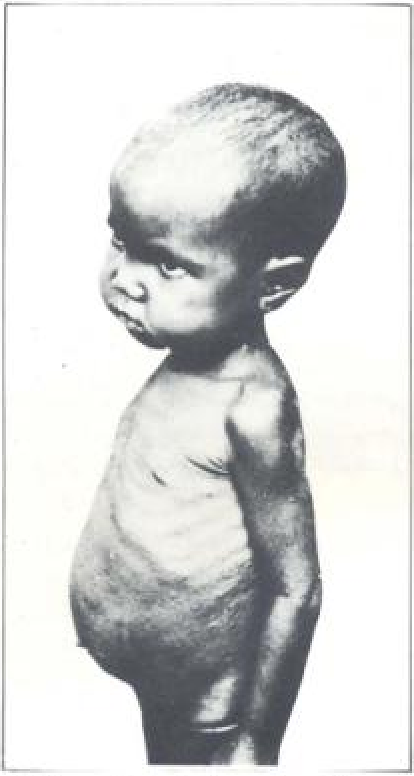

عندما يذوب الدهن والعضل في الجسم بعد طول حرمان من الغذاء ، يكبر بطن المصاب لامتلاء تجويفه بالماء .

بالأملاح ، وأهمها عنصر الصوديوم في الأنسجة مما يتطلب امتصاص الماء من الدورة الدموية الى تلك الأنسجة .

الحرمان الغذائي

إن النتائج الوخيمة ـ وآخرها الوفاة ـ للحرمان الغذائي متوقعة تماما اذا ما فقد الجسم ثلث أو نصف مخزون البروتينات منه .

ومن النتائج الأخرى المترتبة على المجاعة ضعف المقاومة للأمراض المزمنة ، وذلك عند من يقل وزنهم

عن المعدل الطبيعي وتتوزع احتياطيات جسم الانسان الذي يزن ٧٠ كجم ، وهو المتوسط الطبيعي كما يلي :

١٥ ـ ٢٥٪ دهون
١٢ ـ ١٧٪ بروتين في شكل عضلات
٣٪ نشويات في هيئة نشا الكبد ونشا العضلات وسكر الدم .

والدهون هي الخطوط الأمامية للدفاع عن استنزاف طاقة الجسم حيث يولد كل جرام منها مايوازي ٩ كيلو/كالورى ، أما جرام البروتين فيولد ٤ كيلو/كالورى .

واختزان الدهون في الجسم غني عن التعريف ، فالسمنة أو زيادة الوزن كلمتان مترادفتان لمعنى واحد ، فهي تعني زيادة الدهون في الجسم وهي لاتعني أي زيادة فعلية في البروتينات أو النشويات في الجسم . .

فزيادة الوزن بمقدار ٢٥٪ تعني مضاعفة وزن الدهن فيه . وعلى العكس من ذلك فان نقصان الوزن كما يحدث في المجاعات والأمراض المزمنة تعني هدما ملحوظا في كمية البروتين على السواء .

وأعود لأؤكد أن المخ يستهلك حوالي ١٠٠ ـ ١٥٠ جراما من الجلوكوز يوميا ، ويحرقها الى ثاني أوكسيد الكربون . والماء والأنسجة الأخرى مثل محتويات الدم وخلايا الكلى وخلايا العضلات تستخدم كميات أقل من تلك المادة ، بين ٥٠ ـ ٧٥ جراما يوميا . ونسيج العضلات هو المستهلك الأكبر للطاقة في الجسم ، أما القلب والأمعاء فلاتعتمد على الجلوكوز سواء في حالات الشبع أوالحرمان ، بل هي تعتمد على أكسدة الأحماض الدهنية من النسيج الدهني المختزن ، وكذلك من الكيتونات التي تتكون في الكبد أثناء أكسدة الدهون .

عندما ينشط الكبد في استخدام الأحماض الأمينية التي وصلته من العضلات لتحويلها الى جلوكوز ، يفقد الجسم بهذه الطريقة حوالي ٦٠ ـ ٧٠ جم يوميا من البروتين ، وهذه تنتج حوالى ١٠ ـ ١٢ جم من النيتروجين في البول . وبما أن الماء يكون ٧٥ ـ ٨٠٪ من وزن العضلات فان الجسم بهذه الطريقة ، يفقد يوميا حوالي ٢٠٠ ـ ٣٠٠ جم من وزنه الاجمالي في كل يوم من أيام الحرمان .

واذا كان معدل نقص الوزن أكثر من هذا ، يكون السبب إما ازدياد ادرار البول ، اوزيادة تحطيم الأنسجة بزيادة معدل التمثيل الغذائي عن المعدل الطبيعي .

هناك هرمونان اثنان يتحكمان في عملية التمثيل الغذائي للجلوكوز ، الأنسولين والجلوكاجون ، وهما متضادان تماما ، فعندما يصوم المرء ، ينخفض الأنسولين ، الذي يحرق الجلوكوز ، ويزداد الجلوكاجون ، الذي يساعد على استنباط الجلوكوز ، وهنا تنشط في الصائم عملية تكسير الدهون وينشط انتاج الجلوكوز في الكبد .

الصيام الطويل

ويختلف الحال عند الصيام لمدة طويلة لأكثر من عدة أيام ، فللجسم حينئذ طرق متعددة للتكيف حتى لايهدم كثيرا من البروتينات . اذ يقل استعمال المخ للجلوكوز ، ويبدأ باستعمال بعض مشتقات الدهنيات والكيتونات كبديل له . ويتبع ذلك انخفاض معدل تكسير العضلات الى أحماض أمينية ، ويقل مايحتويه البول من مواد نيتروجينية الى حوالي ٣ جم يوميا ، مما يعكس تكسير حوالي ٢٠ جراما من البروتين ونقص مايقل عن ١٠٠ جرام في وزن الجسم الحقيقي يوميا . وبذلك يتحول انتاج حوالي ٩٥٪ من الطاقة المطلوبة من المخزونات الدهنية في الجسم . ويمكن وصف الانسان وقتها بأنه يتعيش على غذاء داخلي ذاتي عالي الدسم .

تعتمد كل العمليات السابقة على أن جسم الصائم كان سليما معافى عند بداية صيامه . أما اذا كان مريضا أصلا بمرض حاد أو مزمن مثل الالتهابات أو الحروق أوالاصابات وما يتبعها من عمليات جراحية ، فاستجابة الجسم عندها تكون بزيادة في تكسير البروتينات ، وهي تتناسب وكمية الطاقة اللازمة للجسم . فمثلا ، الحمى ، تتطلب استخدام كمية أكبر من الاوكسجين ـ بمقدار ١٥٪ زيادة لكل درجة حرارة واحدة ارتفاعا .

نقصان الوزن يعني هدما ملحوظا في كمية البروتين .. وزيادة في تحطيم انسجة الجسم

عدم التوازن في الغذاء يعطل النمو ونضج التفكير ويظهر اعراض الانيميا وفقر الدم .

ولاتتطلب العمليات الجراحية غير الفجائية ، زيادة في الحاجة للأوكسجين . وعلى العكس من ذلك فان الكسور المضاعفة ، والالتهابات الشديدة مثل التهاب الغشاء البروتوني في البطن ، تتطلب زيادة قد تصل الى ٥٠٪ من الحاجة للاوكسجين .

وتحتاج الحروق الكبيرة الى زيادة بنسبة ١٠٠٪ من الأوكسجين . ومع هذه المتطلبات العالية للطاقة يتحتم تكسير البروتينات المختزنة وبسرعة ، لذا يحتوي البول وقتها على مشتقات النيتروجين التي قد تصل الى ٢٥ جراما يوميا ، وهومعدل أكثر من ضعف الكمية التي يحتويها البول عند الصائمين المحرومين . وهي أيضا كمية تعكس تكسير حوالي ١٥٠ جراما في البروتين يوميا ، أي مايعادل فقدان رطل من وزن الجسم الاجمالي يوميا ، ولذا يبدو هزال المصابين واضحا خلال فترة قصيرة .

انخفاض المناعة

ان سوء التغذية عموما هو صورة من صور الحرمان الغذائي ، فاذا كانت التغذية غير متوازية انتشرت الالتهابات والأمراض المزمنة ، خاصة حالات الاسهال والتهابات الجهاز التنفسي . فنجد ارتفاعا ملحوظا في نسبة وفيات الاطفال دون سن السادسة في البلاد النامية أعلى منها في العالم المتقدم ، والسبب سوء التغذية . فمقاومتهم ضعيفة والأسباب معروفة . فنقص البروتين وفيتامين أ ، ج وجميع مشتقات الفيتامين ب تحول دون انتاج الجسم للمواد التي تقيه من عدوى الأمراض .

ولقد أعطى بعض المتطوعين مواد مضادة لبعض الفيتامينات ، فانخفضت نسبة المواد المناعية في دمائهم .

ولوحظ أن الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية وانخفضت في دمائهم نسبة المواد المناعية ولكن بدرجة قليلة ، كان عدم التوازن في الغذاء كافيا لتعطيل نموهم ونضج تفكيرهم .

والأسرى في المعتقلات ، الذين ينعدم التوازن في غذائهم تكثر اصابتهم بمرض « البري بري » لأن مادة الثيامين تنقصهم وتكثر بينهم الاصابة بنزلات الأمراض الميكروبية المختلفة . واذا ماأصيب أحد قرود التجارب بنوبة برد فقط ، ظهرت أعراض الأنيميا وفقر الدم اذا كان غذاؤه لايحتوي على مادة حامض الفوليك .

وعند الاصابة بالأمراض الميكروبية يزيد افراز فيتامين ج في البول ويقل معدله في الجسم ، وتلك ظاهرة ملحوظة عند الأطفال المصابين بسوء التغذية ، ويعانون من التهابات الأذن الوسطى ، والتيفود أو الالتهاب الرئوي وبعد التطعيم ضد الجدري ، فهم أرض خصبة لمرض الاسقربوط ونقص فيتامين ج .

ولنقص المواد الغذائية من الغذاء دور هام وعلاقة وثيقة ببعض الأمراض . فالأمراض الميكروبية تقلل نسبة الحديد والزنك . والاصابة الشديدة بالديدان الشريطية كافية لأن يصاب المرء بأنيميا خطيرة حتى لو كان غذاؤه غنيا بالحديد ، وهذا يذكرنا باصابة الفلاحين في مصر بدودة البلهارسيا ، حيث يفقد المصاب عنصر الحديد أثناء النزف الطويل في الجهاز البولي والأمعاء .

ومرضى الدرن ، يفقدون عنصري الكالسيوم والفوسفور . والمرضى المصابون باسهال ميكروبي ،

يفقدون الكثير من الصوديوم والكلورايد والبوتاسيوم والفوسفور بدرجات متفاوتة قد تكون شديدة لدرجة مميتة .

المدمنون

ولاستكمال بحث موضوع الحرمان الغذائي أجدني مضطرة لذكر موضوع حيوي وهام . وهو عن المدمنين على المشروبات المسكرة . فبعد أن يثقلوا في الشراب وتتخم المعدة ، يتقيئون ماشربوا وما أكلوا ويعتبرون في عداد المحرومين غذائيا . وهنا يتفاعل الجسم بأن يزيد من هدم البروتينات وترتفع نسبة الكيتونات في الدم ، بعكس من يصوم وجسمه سليم ، الذي تتفاعل أنسجته وتزيد من انتاج الجلوكوز ولاتزيد عندهم نسبة الكيتونات . وحتى لو صاموا عدة أيام أو عدة أسابيع يستمر معدل الجلوكوز عندهم لأكثر من ٥٠ مللجم . .

وعندما ترتفع نسبة الكيتونات عند المدمنين ، تقل نسبة الجلوكوز عن ٥٠ مللجم فيصاب المرء بالاغماء ، أو يبقى في حالة اعياء شديد ويصبح تنفسه سريعا وعميقا . والسر في ذلك هو زيادةمعدل هدم الدهون ، وربما اختلال طرق الاكسدة في خلايا الجسم نفسها عندما يتم الاجهاز على مخزون النشا في الكبد تماما بفعل القيء المستمر أو عدم الغذاء لعدة أيام . والكحول بذاتها حائل دون انتاج الجلوكوز في الكبد بالاضافة إلى تلفها ، مما يحرم خلايا المخ من مصدر الطاقة والعمل والحياة والحيوية .

ويتسبب الادمان أيضا في حرمان الجسم من عنصر المغنسيوم وذلك بعكس الحرمان عند الشخص العادي ، حيث الكلى حريصة تماما على تنظيم افراز تلك المادة ، أما الكلى عند المدمن فخلاياها غير قادرة على الاحتفاظ بها أو منع افرازها .

ان للمغنسيوم وظيفة هامة في الجسم ، وهي المساعدة على الحفاظ على مستوى الكالسيوم في الدم . كما أن له علاقة وثيقة بالغدة فوق الدرقية . لذا نجد المدمن وقد اعترته رجفة وتشنجات عضلية ، وهو سهل الاثارة من أقل شيء ، وغير قادر عموما على التحكم في تصرفاته باتزان .

المرضى المصابون باسهال ميكروبي يفقدون الكثير من الصوديوم والبوتاسيوم وقد يؤدي الامر الى الموت .

العلاج

ويتطلب علاج حالات الجوع والحرمان الغذائي حرصا شديدا . فيجب أن يكون استرجاع الاستطعام والتغذية تدريجيا وببطء شديد جدا . فلقد أصيب الأسرى في الحرب العالمية الثانية ، ممن عادوا الى بلادهم ، باغماء وصدمات عصبية (Shock) عندما أكلوا بشراهة . وتوفي عدد كبير منهم عندما تناولوا أغذية غنية على عجل .

والحال نفسه ينسحب على المرضى بأمراض أخرى غير ضحايا المجاعات والاعتقالات ، مثل مرضى سرطان المريء الذين لايتمكنون من التغذية الطبيعية ، فهؤلاء عندما تعمل لهم فتحات جانبية في المعدة لتناول غذائهم عن طريقها ، قد يصابون بصدمة مفاجئة تنتهي بهم الى الوفاة اذا ماشحنت المعدة بغذاء غني في وقت قصير . □

أرقام

بقلم : محمود المراغى

مائة عام مرت على أول سيارة فى العالم تعمل بالمحركات التى تخضع للنظريات الحديثة . قبلها كانت هناك سيارة فرنسية تجتاح شوارع باريس ، لكنها تعمل بالبخار وتسير بسرعة خمسة كيلومترات فى الساعة . و . . قبلها تطورت وسائل الانتقال بشكل بطىء رغم أن مصادر المعرفة القديمة تقول إن صناعة وسيلة للنقل كانت سابقة لصناعة المساكن ، فحاجة الانسان الى الانتقال وحمل الاثقال كانت تنافس حاجته لمسكن صناعى يؤويه .

بدلاً من النقل بالدّواب

فى البدء : كانت جذوع الأشجار الطافية فوق ماء النهر أو البحر وسيلة للانتقال . وفى البدء : كانت الطاقة المحركة لوسائل النقل البدائية تعتمد جميعها على قوى الطبيعة وعضلات الانسان ، تدفق الأنهار ، حركة الرياح . . و . . كان ذلك كفيلا بتوليد الحركة .

وعندما اخترع المصرى القديم السفينة الشراعية كان ذلك فى وقت قريب لا يتعدى عام (٢٥٠٠) ق . م أيضا ، وعندما استخدم هنود أمريكا الشمالية العربات البدائية كان ذلك فى تاريخ أقرب . لكن القفزة الكبرى فى وسائل النقل كانت باختراع المحركات والقوة الميكانيكية والتى بدأت فى القرن التاسع عشر . ولان الحاجة أم الاختراع فقد سارت الامور بعد ذلك بأسرع مما نتصور ، وتعددت أشكال وسائل النقل والاتصال من باخرة الى سيارة وطائرة وصاروخ ومركب فضائى وقمر صناعى .

فى عام ١٩٦١ وصل الانسان ـ ومن خلال رحلة جاجارين ـ الى الفضاء الخارجى لأول مرة . . ولكن بين رحلة جاجارين والنقل بالاخشاب والدواب وعضلات الانسان رحلة طويلة ، تأكدت خلالها باستمرار أهمية ما ندعوه الآن « صناعة النقل » . . فالطريق والسيارة والقطار والباخرة والطائرة ليست من زخارف الحضارة ، لكنها فى الأساس عملية اقتصادية يتحقق من خلالها التبادل ، وينمو الانتاج .

وبمعنى آخر يمكننا القول أن حجم ماتملكه الدولة من طرق ووسائل نقل واتصال يحدد بصورة ما درجة التقدم والنمو الاقتصادى والاجتماعى . والأكيد أن المسافة بين من ينقلون سلعهم بالدواب ومن ينقلون المعلومات بالأقمار الصناعية مسافة بعيدة . . والسؤال : أين نحن العرب من هذه الرحلة الطويلة ؟ . . ماذا نملك من وسائل نقل واتصال ؟ . . وماهو موقع ما نملكه من رحلة التطور والاقتراب من العالم المتقدم ؟

تقول الأرقام ، التى أوردها آخر تقرير اقتصادى عربى موحد : أن قفزة قد حدثت فى السنوات الأخيرة ، فيما يسمى الاهتمام بالمرافق أو البنية الأساسية . وان قطاعات النقل والتخزين والمواصلات والكهرباء والماء والغاز قد احتلت ربع الاستثمارات المستهدفة فى النصف الاول من

الثمانينيات ، وبما يزيد عن كل ما انجز فى مجال البنية الأساسية خلال حقبة السبعينيات .. ولكن .. وفقا لنفس الأرقام فان معظم التطور كان فى دول النفط والتى احتلت وحدها ٥٩٪ من الاستثمارات فى هذه المجالات ، فاذا أخذنا النقل بمفرده وجدنا نفس المعدل المرتفع من التطور ، ومع ذلك نجد أن الهوة مازالت واسعة بين الدول العربية والدول المتقدمة .

واذا كان الطريق البري هو المعبر الذى تسير عليه السيارة ـ كأداة نقل رئيسية ـ فان الوطن العربي فقير فى طرقه ، ولا يملك منها ـ غير (٤٤٩) ألف كيلو متر ، بينها (١٧٦) ألفا فقط تم تغطيتها بالاسفلت وبطريقة أخرى فى الحساب فإن كل ألف من السكان عام ١٩٨١ كان يقابلهم (٢،٦) من الكيلومتر ، وهى نسبة صغيرة بالقياس لمساحة هذا الوطن الذى يمتد من الخليج الى المحيط ، ويهبط الى أعماق افريقيا ويصعد الى حدود تقترب من أوروبا ويحتل جزءا من آسيا .

وبتحليل أكثر نجد أن ثلثى الطرق العربية فى افريقيا . لكن الطرق الاكثر تعبيدا وتمهيدا يقع معظمها فى آسيا حيث دول النفط الاكثر قدرة ، أما الطرق العربية المشتركة التى تصل بين أكثر من بلد عربي فتقتصر نسبتها على ١٨٪ فقط من جملة الطرق .

و .. فوق هذه الطرق ـ ووفقا لاحصاءات وتقديرات عام ١٩٨٣ ـ يجرى أكثر من (٧) ملايين سيارة معظمها سيارات خاصة ، وأقلها سيارات شحن ونقل للافراد (باصات) ، وبترتيب النسب تحتل السيارات الخاصة (٧٠٪) من عدد السيارات ، والشاحنات ٢٦٪ ، والباصات ٤٪ فقط ، وفى المتوسط العام نجد لكل ثلاثين عربيا سيارة .. ولكن فى التفاصيل يرتفع الرقم الى خمسمائة سيارة لكل ألف من السكان فى قطر ، ينخفض الى ثلاث سيارات فى الصومال ، وسبع سيارات فى السودان ، وتسع سيارات فى موريتانيا .. لكل الف من السكان ..

وتعكس الأرقام على هذا النحو الحقيقة الأساسية الاولى وهى أن الجزء الأعظم من سياراتنا لا يرتبط بالنشاط الاقتصادى بشكل مباشر ، لكنه يكاد يدخل مجال السلعة الاستهلاكية ، وهو ما تترجمه حقيقة أن لكل شخصين أو لكل ثلاثة فى بعض الدول سيارة ، ولكل سيارة مساحة فى الطريق واحتياجات من الطاقة والفنيين اللازمين للصيانة .

و .. ربما يكون القطار أكثر تعبيرا عن الارتباط بين مرفق النقل والمرافق الانتاجية ، فهو القادر على أن يحمل أكثر وبتكلفة أقل ، ومع ذلك فان استخدام القطار يقتصر على نصف الوطن العربي (١١ دولة) وشبكاته لاتزيد أطوالها عن ٢٢ الف كيلومتر ، فى مطلع الثمانينيات .. منها تسعة آلاف فى مصر والسودان ، وثمانية آلاف فى الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا ، وخمسة آلاف فى بقية أنحاء الوطن العربي .

وفى أكثر من بلد يقتصر استخدام القطار على نقل بعض الخامات مثل خام الحديد .

القطار هو الوسيلة الأرخص للنقل ومع ذلك فان مصر ـ التى تملك أكبر شبكة للسكك الحديدية ـ ظلت نحو ربع قرن لاتضيف لشبكتها شيئا ، ولكن عندما اكتشف خام الحديد ، واقيمت مصانع الصلب واعتمدت على فحم مستورد ، أنشئت خطوط تنقل سنويا بمقدار كل ماكانت تنقله خطوط السكك الحديدية حينذاك .. واخترقت الخطوط الصحراء من الواحات البحرية الى حلوان والاسكندرية ، فى أطول رحلة احتاجها مشروع صناعى مصرى .

التطور الاقتصادى اذن لصيق بتطور وسيلة النقل ، وهو ماعكس نفسه على النقل البحرى فى دول النفط ، وان كان الاعتماد على الناقلات غير العربية كبيرا .

و .. مع ذلك فان توقعات الخبراء تقول إن نسبة النمو فى السيارات سوف تكون فى الثمانينيات والتسعينيات أقل من ذي قبل ، بعد أن بلغ البعض حد التشبع ، وضاقت طرق البعض الأخر فى وجه المركبات ، واصبحت مشكلة الطريق تفوق مشكلة وسيلة النقل ، وفى هذا المجال يضيف خبراء النقل قائلين : لكن أرخص وسائل النقل لاتستخدم على الوجه الأمثل ، ومن قال ان القاهرة ـ أكبر المدن العربية ـ لاتستطيع نقل الملايين على سطح طريق مناسب اسمه : نهر النيل ؟ .. و .. النوذج متكرر ، فنحن فى صناعة النقل نطلب الأحدث لا الأرخص ، وفى الأحدث كثيرا ما تطفو رغبات الافراد وليست حاجات الاقتصاد ! □

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

مازال ولا زال

يخلط كثير بين (مازال) و (لازال) في الكلام فيستعملونها بمعنى واحد ويضعون كلا منها مكان الآخر ، مع أن لكل منها استعماله تبعا لمعناه ، وإن كان النحاة يعدون (زال) فعلا ناقصا ، من أخوات كان ، وكلها نواسخ تدخل على الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، فيبقى المبتدأ بعدها مرفوعا كما هو في الأصل ، ولكن الخبر اذا كان اسما او نحوه معربا يصير منصوبا ، ولا يتم معنى الجملة على كل حال إلا بذكر الخبر أيًّا كان .

وندع الكلام هنا فيما إذا كانت هذه النواسخ أفعالا أو أدوات ، لفقدها الفعلية مع التطور وبقاء دلالتها على الزمن فحسب ، وأي كلمة - كما حدد النحاة - لا تسمى فعلا إلا إذا دلت على حدث وزمن معا .

و (زال) فعل ماض ، له ثلاثة أفعال مضارعة لكل منها معناه على حسب صيغته ، وكذلك مصدره .

١ - يقال (زال يزيل زيلا) مثل باع يبيع بيعا ، أي ميّز وفصَل ، فنقول : (زال الراعي غنمه يزيلها زيلا) أي ميّزها وفصَلها عن غيرها ، ومنه زيّل كما في الآية : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم ، وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) أي فصلنا بعضهم عن بعض . ومنه (تزيَّل) كما في الآية : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرَّة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيَّلوا لعذَّبْنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي لو انفردوا بعيدا عن المؤمنين والمؤمنات لحلت بهم النقمة .

٢ - ويقال (زال يزول زوالا) بمعنى ذهب أو انتقل أو هلك ، كقوله تعالى : (إن الله يمسك السماء والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، إنه كان حليما غفورا) ، ومنه وقت الزوال حين تزول الشمس عن وسط السماء نحو الغروب ظهرا .

وهذان الفعلان تامّان أي يكتفيان بالفاعل لتمام المعنى .

٣ - ويقال (زال يزال) وليس هناك مصدر مستعمل له ، والكلمة تدل على النفى فإذا سبقتها أداة نفي أو نحوه دلت الجملة على الاثبات ، لأن نفى النفى إثبات ، أو سلب السلب إيجاب كما يقول أهل

المنطق والنحو والبلاغة ، ولهذا يرى ابن الأنبارى في كتابه (الانصاف) في كلامه على (مازال) ، إن (ما) هنا حرف نفى (بدليل أنا لو قدرنا زوال النفى عنها لما كان الكلام إيجابا) . « وزال » هنا مع أداة النفى قبلها هي التي تعد من الأفعال الناقصة التي تدخل على المبتدأ أو الخبر ، ولايتم معنى الجملة معها إلا بذكر الخبر أيًا كان نوعه ، فلابد من ذكر معموليها معا لتفيد الاستمرار مع الديمومة كقولنا : (مازال الله سميعا بصيرا) ، و (مازال الشجر ذا جذور) ، وقد تفيد الاستمرار حتى وقت الكلام ثم بعده إلى زمن طويل أو قصير ، كقول عنترة العبسي يصف اقدام حصانه عند قتال أعدائه .

مـازلـت أرمـيـهـم بـثـغـرة نـحـره
وَلَـبَـانِـه حـتى تَـسَـرْبَـل بـالـدَّم

وكقوله تعالى من وصف قوم ظالمين : (فمازالت تلك دعواهم ، حتى جعلناهم حصيدا خامدين) وكقول المتنبى يصف أسدا في قتاله مع أحد الفوارس :

مـازال يجـمـع جـسـمـه في زَوْره
حتى حـسـبـت الـعـرض منـه الـطولا

ويجيز بعض النحاة تقدم الخبر على «مازال» كقولنا : (ساهرا مازال الحارس) . «ومازال» في كل الجمل السابقة إخبارية ، لأن الجمل معها أخبار بدأ حدوثها في الماضى .

ولكن إذا قلنا : « لازال حظك ميمونا ، أو لازلتم في سعادة ، أو لازلتما متحابين في الله » فكل هذه الجمل تفيد الدعاء ، ولازال فيها دعائية ، فإذا أردنا الاخبار قلنا (مازال) .

وقد قدمنا أن مضارع «زال» هذه هو «يزال» وهذا المضارع تدخل عليه « لا » فتفيد الجملة الاثبات ، لأن (لا) تفيد النفى سواء كانت نافية أو ناهية ، و «تزال» تفيد النفى أيضا ، ونفى النفى إثبات كقوله تعالى في بعض المنافقين : (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم ، إلا أن تَقَطَّع قلوبهم والله عليم حكيم) ، وكقوله في بنى إسرائيل مخاطبا النبى (ولاتزال تَطَّلِع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ، فـاعْفُ عنهم واصْفَح ، إن الله يحب المحسنين) ، وكقوله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وكقول الشاعر :

وَرَجِّ الـفَـتَى لـلخـيـر مـا إنْ رأيـتَـهُ
عـلَى الـسِّـنِّ خَـيْـرا لايـزال يـزيـد

ويجيز النحاة هنا أيضا تقدم الخبر ، كما في قولنا : « سابقا لايزال محمد بين المتسابقين » وكل هذه الجمل خبرية .

وقد يأتى المضارع مع لا الناهية مع قصد النهى حقيقة ، كقولنا : (لا تزلْ ساعيا إلى المعالى ، مترفعا عن الدنايا) ، وقد تفيد الدعاء عند قصده ، وإن كان ظاهرها النهى ، كقولنا : (لاتزل في نعمة من الله وفضل) ، وكثير من الأفعال المضارعة تدخل عليها (لا) الناهية فتكون للدعاء كما في قول مالك بن الريب التميمي من شعراء العصر الأموى :

يـقـولـون لا تَـبْـعَـدْ وهـم يـدفـنـونـنى
وأيـن مـكـان الـبـعـد إلا مـكـانـيـا

وهكذا كان العرب يدعون لكل عزيز عليهم « لا تبعد » عند شدائد الاحتضار .

وقد تدخل لا النافية على أى فعل ماض وتكون للدعاء أيضا ، كما في قول النبى (ﷺ) وهو يدعو للنابغة الجعدى بعد أن سمع له قصيدة رائية جيدة في مدحه ومدح الاسلام ، « لا فُضَّ فوكَ » ، أو « لا فضّ الله فاك » ، وكقول شوقي في أبيات من قصيدته (نهج البردة » وتغنيها أم كلثوم رحمها الله :

يـا نـاعس الـطرف لا ذُقْتَ الهـوى أبـدا
أسْـهَـرْتَ مُضْـنَـاكَ في حِفْظِ الهَـوَى فَنَمِ

وقد لا تتكرر (لا) مع الفعل الماضى كما في الأمثلة السابقة أو تتكرر كما في قولنا : (لازلت ساعيا في الخير فلا خابت مساعيك ، ولا جُعِلَتْ حَاجَتُكَ إلاَّ إلى كريم) ومن تحصيل الحاصل أن نقول : إن كل الجمل الدعائية إنشائية ، وإن الفعل الماضى في الجملة الدعائية إنما هو ماض صرفيا ، ولكنه للمستقبل نحويا ، أى ماض في صيغته ، ولكنه في معناه للمستقبل . □

راجع (الانصاف في مسائل الخلاف) لأبى البركات بن الأنبارى جـ ١ : المسألة ١٧ ، « ومغنى اللبيب » لابن هشام المصرى : فصل (لا) ، وفصل (ما) .

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

لامية العجم في شكوى الزمان للطغرائي

هو مؤيد الدين (٤٥٥ ـ ٥١٣ هـ) ولد ونشأ في اصبهان فنسب اليها ، وانتقل الى العراق ، وأتم تعليمه فيها وكان من ائمة عصره شعرا ونثرا ولقبه«الاستاذ»وتقدمت به الحال حتى ولي الوزارة في مدينة أربيل لاحد صغار السلاطين السلاجقة بالموصل ، ودفعته مآزق السياسة الى التدخل بين هذا السلطان وأخيه فانهزم السلطان ، ومات الطغرائي قتيلا في سوق بغداد ، متهما بالالحاد ، وله ديوان شعر من أجوده هذه القصيدة ، التي اشتهرت باسم « لامية العجم » ، لان صاحبها أعجمي ، مقابلة لقصيدة للشنفرى احد صعاليك العرب من اجمل الشعر في وصف حياة أمثاله المتوحشة في بيئته البدوية ، تسمى « لامية العرب » ومطلعها :

أقيموا بني أمي صدورَ مطيِّكم
فاني الى قوم سواكم لأميلُ

نظم الطغرائي هذه القصيدة في بغداد سنة ٥٠٥ هـ وقد ساءت حاله ، ومن هنا شكواه ، وله ديوان ، وللاديب العراقي الاستاذ علي جواد الطاهر كتاب مستقل في ترجمة حياته ومجالات نبوغه .

الطغرائي نسبة الى الطغراء (الطرة) وهي العلامة التي كانت ترسم على المسكوكات والرسائل السلطانية .

أصالةُ الرأيِ صانَتْني عن الخَطَلِ ... وحِليةُ الفَضْلِ زانَتْني لدى العَطَلِ [1]
مَجْدي أخيراً ومَجْدي أوّلاً شَرَعٌ ...

فيمَ الاقامةُ بالزوراءِ ، لاسَكَني ... بها ، ولا ناقتي فيها ولا جَملي [2]
ناءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكَفِّ منفردٌ ... كالسيفِ عُرِّيَ متناهُ من الخِلَلِ [3]
فلا صديقٌ اليه مُشتكى حَزَني ... ولا أنيسٌ اليه مُنتهى جَذَلي
أريدُ بَسْطةَ عيشٍ أستعينُ بها ... على قضاءِ حقوقٍ للعُلا قِبَلي [4]
حبُّ السلامةِ يَثْني عَزْمَ صاحبِه ... عن المعالي ، ويُغري المرءَ بالكَسَلِ [5]
فإن جَنحْتَ اليه فاتَّخِذْ نَفَقاً ... في الأرضِ ، أو سُلَّماً في الجوِّ ، فاعتزِلِ [6]

ودع غِمارَ العُلا للمُقدِمين على   رُكوبها ، واقتنِعْ منهنّ بالبلَل[7]
يرضَى الذليلُ بخفضِ العيش مَسْكنةً   والعزُّ عند رسيم الأينُق الذُّلُل[8]
إن العُلا حدَّثتني ـ وهي صادقةٌ   فيما تحدِّثُ ـ أنّ العِزَّ في النُّقَلِ[9]
أهبتُ بالحظِّ لو ناديتُ مستمعًا   والحظُّ عنِّيَ بالجُهَّال في شُغُل
لعلَّهُ ـ إن بدا فضلي ونقصُهمُ   لعينه ـ نام عنهمْ ، أو تنبَّه لي
غالَى بنفسيَ عِرفاني بقيمتِها   فصُنْتُها عن رخيصِ القدرِ مبتذَل[10]
اعلِّلُ النفس بالآمال أرقبُها   ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمل !
لم أرتضِ العيشَ والايامُ مقبلةٌ   فكيف أرضى ، وقد ولَّتْ على عَجَل ؟
أعدى عدوِّك أدنى من وثِقتَ به   فحاذرِ الناسَ ، واصحبْهم على دَخَل[11]
وإنما رجلُ الدنيا وواحدُها   من لا يعوِّلُ في الدنيا على رجل
غاض الوفاءُ ، وفاض الغدْرُ ، وانفرجت   مسافةُ الخُلْف بينَ القولِ والعمل[12]
وحسنُ ظنِّكَ بالأيامِ معجزةٌ   فظُنَّ شرا وكن منها على وجل
وشان صدقَكَ عند الناسِ كذبُهمُ   وهل يُطابَق معوجٌّ بمعتدِل
يا واردًا سؤرَ عيشٍ كلُّه كدرٌ   أنفقتَ عمرَكَ في أيامك الأول
فيم اعتراضُك لُجَّ البحرِ تركبُه   وأنت يكفيك منه مَصَّةُ الوَشَل[13]
ترجو البقاءَ بدارٍ لاثباتَ لها   فهل سمعت بظلٍّ غيرِ منتقل
ويا خبيرًا على الأسرارِ مطَّلعًا   أنصت ، ففي الصمت منجاةٌ من الزَّلل
قد رشَّحوكَ لأمرٍ ان فطِنْتَ له   فاربأ بنفسك أن ترعَى مع الهَمَل[14]

---

(١) الخطل : الحماقة، العطل : التجرد من الزينة (٢) الزوراء : بغداد (٣) صفر : فارغ . الخلل : غمد السيف (٤) بسطة : سعة، قبلي : امامي (٥) بني : يلوي (٦) جنحت : ملت (٧) غمار : واحدها غمرة : الماء الغزير (٨) الأينق الذلل : النياق السهلة الركوب ورسيمها : سيرها (٩) النقل : الانتقالات (١٠) غالى بنفسي : رفع قدري في نفسي (١١) دخل : مكر ودهاء (١٢) غاض : نقص ، أو ذهب (١٣) اللجة : الماء الغزير . والوشل : الماء القليل (١٤) الهمل : من لا راعي لهم

من لامية العرب للشنفري في الاباء

أقيموا بَني أمّي ، صُدورَ مطيِّكم   فإني الى قومٍ سِواكُم لأميَلُ
وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى   وفيها لِمَنْ خافَ القِلى متحوَّلُ
لعمرُكَ ما بالارضِ ضيقٌ على امريءٍ   سَرى راغباً أو راهبًا وهو يعقِلُ
(هنا يذكر الشاعر الشريد أن أصدقاءه من وحوش الصحراء ولكنها تكتم سره ولا تخذله) .
وإن مُدَّت الأيدي إلى الزادِ لم أكن   بأعجلِهمْ ، إذ أجشعُ القومِ أعجلُ
وماذاك الا بسطةٌ عن تفضُّلٍ   عليهمْ ، وكان الافضلَ المتفضِّلُ
أديمُ مِطالَ الجوعِ حتى أميتَه   وأضربُ عنه الذِّكْرَ صَفحا فأذهلُ
وأستفُّ تُرْبَ الارضِ كي لا يُرَى لَهُ   عليَّ من الطَّوْلِ امرؤٌ متطوِّلُ
ولولا اجتنابُ الذامِ لم يُلْفَ مشربٌ   يعاشُ به الا لديَّ ومأكلُ
ولكنَّ نفسًا مُرَّةً لا تقيمُ بي   على الضَّيْمِ الا رَيْثَما أتحوَّلُ
(اخترنا هذه الابيات لانها مأنوسة الالفاظ والمعاني ، والقصيدة تزيد على الخمسين بيتا)

رسالة المغرب العربي

تونس :
علم الإجتماع .. هل هو علم استعماري ؟!

الجزائر :
زيادة تعميم "العربية" في قطاعات جديدة .

بقلم : رشيد خشانة

نحرص في « العربي » على ان يكون كتابنا من جميع اقطار الوطن العربي .. لهذا فاننا نرجو ان تكون هذه الرسالة الاولى من مراسلنا في تونس الذي يقوم بتغطية النشاطات الثقافية في اقطار المغرب العربي ، فاتحة خير لانتاج متواصل من تلك الاقطار .

تونس

ندوة من أجل : علم اجتماع عربي

كان أهم حدث ثقافي شهدته تونس في شهر كانون الثاني (يناير)هو ندوة(من أجل علم اجتماع عربي) نظمها المعهد العالي للتنشيط الثقافي بالتعاون مع المجلس القومي للثقافة العربية ، ومركز دراسات الوحدة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وحضرها نحو أربعين من علماء الاجتماع العرب ..

وتمت الندوة في أجواء البحث عن أدوات معرفية عربية في ميدان العلوم الاجتماعية حتى أن أحد المشاركين ذكر بقول اميل دوركايم في مجلة عام ١٩١٥ . (كما أن نهر السين يفصل باريس الى باريس شمالية وباريس جنوبية ، فإن البحر الابيض المتوسط يفصل فرنسا الشمالية عن فرنسا الجنوبية وذلك تدليلا على أن علم الاجتماع ولد ونما كعلم استعماري) وانه من واجب العرب تخليصه من هذه الخلفية الاستعمارية العنصرية لاستخدامه في تنمية المجتمع العربي . وبلغ الامر بأحد علماء الاجتماع الى حد التساؤل عن جدوى بقاء علم الاجتماع (فنحن ان ألغيناه تماما لن يؤثر ذلك على المجتمع بأي وجه من الوجوه) . . .

الا أن الرأي الذي ساد في الندوة انتهى الى فكرة ايجابية تقول بأن أدوات المعرفة ، وتقنيات العمل في علم الاجتماع هي تقريبا واحدة في المجتمعات العالمية كلها ، ولكن مجال بناء علم اجتماع عربي يكمن في وضع اشكاليات تنبع من صميم همومنا القومية .

مجاميع شعرية جديدة

محمد العوني : مملكة القرنفل

صدرت للشاعر التونسي محمد العوني في (دار

ديميتير للنشر) مجموعة شعرية بعنوان (مملكة القرنفل) قدم لها الشاعر الفلسطيني عزالدين المناصرة . والعوني من شعراء الحركة الجديدة في تونس التي تعلن انتماءها للهموم العربية مع استمرار التصاقها بالهموم المحلية . ويتميز الشاعر في قصائد المجموعة السبع بنضج التجربة الفنية و (النضج الموسيقي) كما قال المناصرة . . .

وتشكل فلسطين و (الحرية) موضوعين رئيسين في المجموعة ، وخصوصا قصيدتي (مملكة القرنفل) و (مروان الحاج موسى) التي كتبها الشاعر على إثر استشهاد صديقه مروان (الطالب الفلسطيني في الهندسة) الذي تطوع للدفاع عن المقاومة في لبنان .

سوف عبيد : ـ امرأة الفسيفساء

ـ نوارة الملح

وصدرت أيضا للشاعر سوف عبيد ـ وهو من الشعراء الذين برزوا في السبعينيات ـ مجموعتان شعريتان هما : (امرأة الفسيفساء) الصادرة عن دار الرياح الاربع ، و (نوارة الملح) الصادرة عن دار ديميتير .

وفي كلتا المجموعتين يضع الشاعر قدما ثابتة في مجال الابداع والتفرد ، ويصوغ لغته الشعرية المميزة فيتخطى التجربة الغضة التي ضمنها مجموعته الاولى (الأرض عطشى) . . .

ومن أبرز خصائص الكتابة الشعرية عند سوف عبيد حضور الارث الشعري العربي في قصائده ، بشكل يجعله منصهرا في الحداثة ، فهو يستخدم ألفاظا وصورا قديمة ويلبسها ثوبا حديثا ويدمجها في سياق شعري معاصر . .

على دب : تعجلت الفرح

على دب من الشعراء التونسيين الذين نضجت تجربتهم منذ السبعينيات ، وهو في كل دراساته النقدية وقصائده الشعرية يمتاز عن سائر الشعراء بتوهج النفس القومي المنساب في ثنايا شعره ، وخصوصا قصائد (شمعة للقتيل) و (مرثية القمر) و (صولة البار) . .

وفي مجموعته الجديدة (تعجلت الفرح) الصادرة عن دار الرياح الاربع يؤكد على دب مجددا انتماءه العربي ، ويمضي مرسخا تجربته الابداعية باحثا عن التجديد الجمالي . .

الجزائر

تصوير الفيلم التلفزيوني

(آثار وفنون اسلامية)

تم خلال الاسابيع الأخيرة تصوير الجزء الخاص بالجزائر من العمل التلفزيوني الجديد (آثار وفنون اسلامية) في مدينة تلمسان ، وهذا العمل مستمد من فكرة المخرج الاردني عدنان أحمد الرمحي الذي أخرج عدة مسلسلات منها (الحقيقة والخيال) . ويتناول الجزء الخاص بالجزائر من هذا العمل ثلاثة مواضيع رئيسية هي دخول الاسلام الى الجزائر ، وفتراته الزاهية في عصور الحماديين والمرابطين والموحدين والزيانيين ، ومكانة تلمسان باعتبارها عاصمة قديمة للمغرب الاسلامي ، وأخيرا تاريخ مدينة الجزائر . . .

ومعلوم أن هذا العمل التلفزيوني « آثار وفنون اسلامية » هو إنتاج عربي سيتم تصويره في ١٦ بلدا عربيا واسلاميا وسيضم ٦٠ ساعة من التسجيلات ، ومن المنتظر أن يعرض في ٢٢ مؤسسة ومحطة تلفزيون عربية . . .

إحكام خطة التعريب

تستمر جهود التعريب في الجزائر ، وتعد سنة ١٩٨٥ سنة واعدة بتعميم استخدام اللغة العربية في قطاعات جديدة ، ويشرف على تنسيق حملة التعريب وتخطيطها جهاز وطني هو (المجلس الاعلى للغة الوطنية) وقد عقد المجلس أخيرا اجتماعا مهما للمسئولين عن تعميم استخدام اللغة العربية في القطاعات الرئيسية ، وذلك لمزيد الاحكام والتنسيق في خطة التعريب الوطنية . كما عقد المجلس الاعلى للغة الوطنية اجتماعا مشتركا مع وزارة الداخلية لتقويم عملية تعميم استخدام اللغة العربية في الوزارة واعداد خطة العمل في هذا المجال لسنة ١٩٨٥ ، ويعد هذا الاجتماع الاول من نوعه ، ستتلوه اجتماعات مشتركة مماثلة مع بقية الوزارات ، مما

يؤكد أن تعريب الادارة ومؤسسات الدولة مستمر بشكل مكثف . .

كتاب جديد عن الحركة الوطنية الجزائرية

يتابع د . حميدي عميراوي ، أستاذ التاريخ في جامعة قسنطينة الجزائرية ، في كتابه (جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري) تطور الكفاح الوطني ضد الوجود الفرنسي في فترة مهمة من تاريخ الجزائر المعاصر وهي بداية الاستعمار . ويفسر د . عميراوي عنايته بهذه الفترة بأن (الدراسات الوطنية سكتت عنها ، خلافا للدراسات الفرنسية التي أشارت اليها بشيء من الغموض والتزييف) ، ويؤكد أن معظم ماكتب عن هذه الفترة كان يعبر عن وجهة النظر الفرنسية . .

ويركز الباحث كتابه على ثورة زغاية سنة ١٨٦٤ ، وعلى عرض مجموعة من الوثائق النادرة عن تلك الفترة والموجودة خارج الجزائر ، أما من حيث تسلسل الكتاب فهو يبدأ بمختصر عن النظام الادراي والاجتماعي في قطاع الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني ، محللا معالم النظام الاداري (لبايليك) الشرق الذي ينقسم الى اربعة أقسام تديرها السلطة المركزية بمعاونة (رجال المخزن) (الموظفون) ، ثم يشرح البنية الاجتماعية ويقسمها الى مجتمع مديني يتكون من طبقة ارستقراطية حاكمة وأغلبية من الاهالي المحكومين ، ومجتمع ريفي يجمع بين سكان السهول وسكان الجبال . . . .

ويبحث د . عميراوي في نهاية هذا القسم أنواع الملكية التي كانت سائدة في الشرق الجزائري آنذاك ، ووسائل خدمة الارض وأنواع الضرائب التي تمول الخزينة ، وفروع الصناعات التي كانت قائمة ومسالك التجارة خصوصا مع مدن المغرب العربي الاخرى . ثم يخلص في القسم الثاني الى تحليل جوانب من الحياة الثقافية في أواخر العهد العثماني وأوائل العهد الاستعماري الفرنسي ، مشددا على اهمال الحكام للثقافة ، وانصرافهم الى (حفظ الامن في البلاد وحماية الحدود وجباية الضرائب) . وفي بداية الاستعمار تغير هذا الوضع بمجرد أن أحكم الفرنسيون قبضتهم على المدن الرئيسية فالمستعمرون ـ كما يقول المؤلف ـ (لم يأتوا حاملين السلاح فقط ، وانما جاءوا أيضا حاملين وسائل الاعلام اذ أدخلوا المطبعة والصحيفة والكتاب والمدرسة . . . . ولكن هذا الاعلام كان بلباس جزائري ـ أوروبي وعقل أوروبي ، وكان يهدف الى تكوين جسم أوروبي في الجزائر واحلاله على الجسم الجزائري العربي المسلم . . . .

ثم يرصد الباحث مراحل الاحتلال التي اعقبت السيطرة على مدينة الجزائر ، وأقوال الجنرالات الفرنسيين حول ضرورة الاحتلال الشامل لكامل التراب الجزائري ، وخاصة قسنطينة والشرق الجزائري ، ويبين تزامن الاجتياح العسكري مع الهجرة الفرنسية الى الجزائر ، وأثبتت جدولا يؤكد بداية هجرة الاوروبيين وخاصة الفرنسيين الى الجزائر بعد الاحتلال . .

وحلل د . عميراوي ردود الفعل الوطنية على الاحتلال وقسمها الى ثلاثة أصناف :

أ ـ المقاومة العسكرية التي وجدت صعوبات كبيرة جعلتها محدودة التأثير . . . ب ـ النخبة السياسية التي اعتمدت اسلوب العمل السياسي ومن أشهر رموزها حمدان خوجة وأحمد أبو ضربة ـ جـ ـ الطرق الدينية التي حاربت الاستعمار في البداية لكنه احتواها في مرحلة لاحقة . .

ثم تابع الباحث السياسة الفرنسية في الشرق الجزائري بعد استكمال الاحتلال ، وخصوصا ظاهرة الاستيلاء على الأراضي بعد صدور قرار ١٩٤٨/٩/١٩ ، وتغيير الأنظمة الادارية والمدنية ، والصراع بين نابليون الثالث والمستوطنين الفرنسيين الذي شبهه المؤلف بصراع الجنرال ديغول مع غلاة الاستعمار بين أيام حرب التحرير الجزائرية . . .

ولعل أهم اضافة يقدمها هذا الكتاب هو كشفه لثورات مغمورة مثل ثورة زغاية ، وعرضه وثائق هامة

أطروحة عن نظرية الشعر

عند الفلاسفة الاسلاميين

(نظرية الشعر عند الفلاسفة الاسلاميين) هو موضوع أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها الطالب

الاخضر جمي الى جامعة الجزائر باشراف د . محمد حسين الاعرجي . وناقشت الاطروحة لجنة من الاساتذة رأسها د . أبو العيد دودو . .

تتعرض الرسالة الى آراء أربعة فلاسفة اسلاميين في الشعر هم : الكندي وابن سينا وابن رشد والفارابي ، أما الفلاسفة الآخرون فلم يتطرق الباحث لآرائهم بسبب (عدم نضجها) . وكانت آراء الفلاسفة الأربعة منثورة في كتبهم ويغلب عليها طابع التأثر بفن الشعر عند أرسطو ، وذلك اضافة الى صعوبة أخرى متمثلة في قلة الدراسات السابقة حول هذا الموضوع باستثناء اشارات في كتاب د . شكري عياد (نظرية أرسطو في الشعر) ودراسة عصام القصبجي عن نظرية المحاكاة . . .

وقسم الاخضر جمعي رسالته الى خمسة فصول كالآتي :

الفصل الأول : ماهية الشعر وحده ، الفصل الثاني : ماهية المادة والصورة ، الفصل الثالث : وظيفة الشعر ، الفصل الرابع : دراسة الجزء الاول من (وسائل المادة والصورة) ، الفصل الخامس : تصور الفلاسفة لوحدة القصيدة . . .

وناقش د . جميل عبد الرحمن الرسالة فأكد على تأثر الطالب بأفكار أرسطو ، فلم يشر الى نسبيتها ومحدوديتها بعد أن تخطتها البحوث والنظريات الحديثة ، استيطيقية كانت أو منطقية ، وخصوصا نظريات الخيال والاهتمام بالمبدع لدى الرومانسيين ، ومنطق هيجل الذي يقبل وحدة التناقض . . .

أما الدكتور دودو فعاب على صاحب الاطروحة اعراضه عن الرجوع الى المراجع الاجنبية ، ما عدا مرجعين بالرغم من أن المستشرقين كتبوا كثيرا عن ابن رشد مثلا ، كما عاب عليه أيضا عدم وضع الفلاسفة في عصورهم وفي بيئاتهم الثقافية والاجتماعية . . .

ومن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث أن آراء الفلاسفة في الشعر لم تخرج عن كتابات النقاد القدامى ، والافكار التي صاغوها عن الشعر ، وان الفلاسفة حددوا حقيقة الشعر في مواجهته لفكرة المحاكاة اليونانية بصوغ فكرة التخيل ،وأن مفهومهم للشعر غلبت عليه الرؤية الاخلاقية .

ونالت هذه الرسالة في الأدب العربي درجة مشرف جدا . . .

تجارب قصيرة وقضايا كبيرة

كتاب الناقد عامر مخلوف (تجارب قصيرة وقضايا كبيرة) ، الصادر عن المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب يتناول بالدرس آثار كبار الروائيين والقصاصين الجزائريين في السبعينات مثل عبد الحميد بن هدوقة ، وجيلالي خلاص ، وطاهر وطار ، والحبيب السائح ، وأحمد منور وسواهم . . .

وتعود أهمية هذه الدراسات النقدية التي يتضمنها الكتاب الى أن مخلوفا هو مجامل لجميع الادباء الذين كتب عنهم ، فهو أيضا من كتاب السبعينات ومقياسه في الحكم على المؤلفات التي درسها مقياس مزدوج : مضموني وجمالي ، فمن حيث المضمون يشدد الناقد على ضرورة الالتصاق بالواقع وبما يسميه (سنوات التحولات الديمقراطية) (في السبعينات) ، أما من حيث الجمالية فهو يشترط في العمل الروائي أو القصصي الناجح توفر جوانب فنية متبلورة ومكتملة . . .

وعند التطبيق يخلص عامر مخلوف الى نتيجة مؤداها أن « طاهر وطار » هو صاحب التجربة الاكثر كثافة والاغزر عطاء ، الا أنه يقسم هذه التجربة الى نوعين متفاوتين من حيث القيمة ، فوطار يكون مبدعا ومتألقا وعميقا عندما يكتب عن تجربة الحرب التحريرية التي عاشها ، ولكنه يكون دون ذلك حين يكتب عن التجربة القريبة . .

واذا كان النقاد قد رحبوا بصدور هذا الكتاب ، فانهم عابوا على مؤلفه ، مع ذلك ، قلة تعمقه في دراسة الجوانب الفنية والجمالية للآثار التي تصدى لها النقد ، وتركيزه على احصاء الاخطاء النحوية والاسلوبية في تلك الآثار ، لذلك اعتبروا (نقده) مجرد سقط للمواقف الايديولوجية في الروايات والقصص من دون تقويم حقيقي لاسهام كل عمل في اثراء التجربة الابداعية الجزائرية . □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الصناعات .. في الفضاء

العلم والخيال العلمي في تقارب مستمر متواصل ، وقد تداخلا في المدة الأخيرة حتى أصبحا شيئا واحدا أو كادا ... وليس أدل على ذلك من حرب النجوم التي مازالت الموضوع المحبب لهواة أشرطة الفيديو من الفتيان والأطفال ، وقد أصبحت هذه الحرب الهدف المحبب للرئيس ريجان ، بل قل البرنامج الباهظ التكاليف الذي أحتضنته وزارة الدفاع الامريكية ، ورصدت له المخصصات الضخمة ... ويصدق هذا أيضا على مصانع الفضاء ... المنشآت الصناعية التي تقام في الفضاء ، حيث ينعدم الوزن تقريبا ، وحيث يتيسر انتاج بعض السلع بقدر من الأتقال يتعذر على سطح الأرض حيث الجاذبية والوزن ..

وتأتي العقاقير على رأس تلك السلع ...

عقاقير لمعالجة السرطان بخاصة .. وتبلغ الرساميل التي رصدتها الشركات المتخصصة لانشاء مصانع الفضاء التي تنتج مثل تلك العقاقير حوالي ٢٧٠٠٠ مليون دولار ..

أما المصانع التي ستقام في الفضاء لانتاج الزجاج النقي الصافي الخاص بالبصريات فقد رصدوا لها ١١٥٠٠ مليون دولار .. وقل مثل ذلك في مصانع المنتجات التي تتطلبها صناعة الالكترونيات ، وقد بلغ مجموع رساميلها ٣١٠٠ مليون دولار ... والمقرر أن يتم انشاء هذه المصانع جميعا في الثمانينيات والتسعينيات وقبل حلول عام ٢٠٠٠ على كل حال . وغني عن البيان أن الشركات المعنية لايمكن أن ترصد الرساميل الضخمة التي ذكرنا ، مالم تكن قد فرغت من مرحلة التجارب ، وأيقنت من جدوى الصناعة التي تعتزم انشاءها في الفضاء ..

ولعل أولى تلك التجارب هي الكرات الصغيرة التي لايزيد حجمها على حجم كرات الدم الحمراء الا قليلا ، التي عمدوا الى صنعها في الفضاء على سبيل التجربة ، وذلك على متن المكوك شالنجر ، في احدى رحلاته في شهر ابريل سنة ١٩٨٣ ، فقد صنعوا ١٠٠٠ كرة تقريبا ، وبلغ قطر الواحدة منها ١٠ ميكرونات بالضبط .. وطرحت العينات في الأسواق ، فثبتت كفاءتها على الأجهزة العلمية والطبية ، وعلى قتل خلايا السرطان في كثير من الحالات .. لاعجب اذ أصبحت كرات الفضاء هذه تصنع حاليا على نطاق واسع ، ولأغراض البيع في الأسواق .. وسيبلغ ثمن الكرة الواحدة منها ـ ٣٥٠ـ ٤٠٠ دولار !

ونذكر من تلك التجارب التجربة التي أجريت على متن المكوك دسكفر في رحلته التي قام بها في أواسط شهر نوفمبر الماضي ... ١٩٨٤ ... وذلك لصالح شركة مينوسوتا للتعدين والانتاج ،

بعض علماء شركة ٣ م يجهّزون المفاعل الكيماوي الذي حمله مكوك دسكفري الى الفضاء في شهر نوفمبر ١٩٨٤

الشهيرة باسم MS 3 وقوام تلك التجربة ٦ كرات من الفولاذ الذي لايصدأ وبحجم كرات القدم ... وكانت تلك الكرات تحمل من المواد الكيمياوية ما أعد للاتحاد الكيماوي في الفضاء ، وحيث تنعدم الجاذبية ، وذلك بقصد انتاج كريستالات صافية لاسبيل الى مضاهاة نقائها على سطح الأرض .. وتنوي الشركة المذكورة اجراء ٧٢ تجربة في ذلك القبيل حتى أواسط التسعينيات ، وذلك بتكاليف كبيرة رصدت لها الشركة ٨٠٠٠ مليون دولار .

وتذكر أيضا التجارب التي تقوم بها شركة ماكدونالد دوجلاس ـ المختصة بمنتجات الفضاء ـ بالتعاون مع شركة جونسون الشهيرة بالصناعات الطبية .. والأمل معقود على أن تتكلل هذه التجارب الأخيرة بالنجاح ،في صنع خلايا قادرة على صنع الأنسولين ،وذلك في مستقبل قريب جدا .. في السنة القادمة ١٩٨٦ □

المدمنون جنسيا

طالما ركز العلماء والأطباء جهودهم على الذين يعانون من البرود أو الضعف الجنسي من النساء والرجال ، وأهملوا الذين يعانون من طغيان الغريزة الجنسية وسيطرتها على حياتهم كلها ..

وقد تبين للدكتور باترك كارنز Carnes من علماء النفس في جامعة مينا بوليس ، أن الكثيرين من ضحايا الغريزة الجنسية انما هم من المدمنين .. أي أن الادمان ليس وقفا على النيكوتين والهيروين الخ . وانه في مجال الممارسات الجنسية أيضا . فالمدمنون الجنسيون يجدون الراحة النفسية في تلك الممارسات ، ويستمدون الشعور بالقيمة الذاتية والاحساس بالسكينة .. ولكن هذه المشاعر لاتلبث أن تعود اليهم عقب فراغهم من الممارسات فيعودوا بدورهم الى الممارسات وهكذا دواليك ..

الانجراف القاري

المشكلة في بعض النظريات العلمية هي في أنك مضطر للتسليم بها، بالرغم من عدم توافر الأدلة التي تثبتها .. ولأنك لا تملك دليلا أو نظرية ضدها .. ويصدق ذلك بخاصة على نظرية زحزحة القارات أو انجرافها ... وهي النظرية المعروفة والتي نشطت من جديد في السنوات الأخيرة ..

على أن التطورات العلمية الحديثة أفسحت المجال لاقامة الدليل على صحة هذه النظرية .. بل دليلين اثنين لادليلا واحدا ..

الأول بواسطة أشعة الراديو التي التقطها تلسكوبان فلكيان من تلسكوبات الراديو .. موجهان الى كوزار واحد معين .. فقد اكتشف العلماء العاملون في مركز جودارد التابع لناسا (Nosa) اكتشفوا أن الفارق الزمني في وصول اشارات الراديو الى كل من التلسكوبين المقامين في شمال أمريكا وشمال أوروبا هذا الفارق يختلف على مر السنين .. وأثبتت لهم الحسابات التي أجروها أن

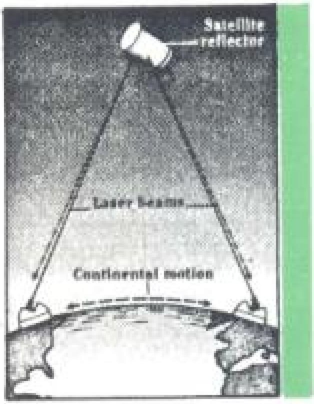

القارتين تتباعدان بمعدل ٦, في البوصة كل سنة .

أما الدليل الثاني فيعتمد على أشعة الليزر التي أطلقت من قمر صناعي في الفضاء الى نقطة معينة في استراليا وفي جزر هواي .. وأجروا الحسابات فثبت لهم أن هذه الجزر والقارة المذكورة تتقاربان بمعدل ٢,٧ بوصة سنويا .. ولكنهما تبتعدان بدورهما وفي الوقت نفسه عن أمريكا الجنوبية . □

رموش طولها ٢ سم

اكتشف الطبيبان أن رموش اثنين من نزلاء مستشفى لاجونا بيتش Lagune Beach في كاليفورنيا، تطول وتمتد باستمرار حتى اضطروا الى قص تلك الرموش وقد بلغ طول بعضها ٥ , ٦ سنتميتر . ويبلغ من سرعة نمو تلك الرموش انهم اضطروا لقصها مرة كل اسبوعين .. والغريب ان تلك الرموش لم تكن بالغة النمو فحسب ... ولكنها كانت مجعدة وسميكة .. وبحث الطبيبان في سر تلك الظاهرة فاكتشفا ان المريضين يعانيا من اورام سرطانية معينة .. ويتناولان أحد انواع الانترفرون هو (Leukocyte Ainterferon) علاجا لتلك الاورام وتحت اشراف الطبيبين الدقيق .. وثبت للدكتور كنت فون Foon والدكتور جرارد دوفر Doupher أن الانترفرون المذكور هو سبب تلك الظاهرة المباشر .. وتداركا لما قد يترتب على اكتشافها هذا من نتائج في صناعة التجميل فقد قالا أن المريضين يتناولان الانترفرون بمقادير كبيرة .. وتكلف المستشفى مبالغ هائلة .. ولولا ذلك لما كانت الظاهرة □

مكتشفون ومخترعون

كريستوفر شولز (Sholes)
مخترع الآلة الكاتبة ١٨١٩ - ١٨٩٠

بدأت قصة الآلة الكاتبة في بريطانيا سنة ١٧١٤ ، حين منحت الملكة آن براءة اختراع آلة كاتبة لرجل انجليزي يدعى هنري مِل . . الا أن ذلك الاختراع بقي طي المجهول ولا يعرف عنه شيء . . . ومضت مائة عام أو تزيد قبل أن تمنح البراءة الثانية سنة ١٨٢٩ لمساح أمريكي اسمه وليم أوستن برت . . ولكن برت هذا عجز عن تطوير اختراعه بسبب عدم توفر المال . . ومضت أربعة أعوام على ذلك حين نجح الفرنسي (زافيربروجان) في صنع آلة كاتبة تستطيع على حد قوله : « مضاهاة الخطاطين من حيث سرعة الكتابة . . . . ! » . . على أن تلك الآلات جميعا لم تعد كونها محاولات بدائية لم يكتب لها البقاء . . فالآلة الكاتبة التي نعرفها في الوقت الحاضر انما ابتكرت وطورت في الولايات المتحدة . . فهي اختراع أمريكي صميم ، يعود الفضل الأكبر في استكماله الى كريستوفر شولز .

وكانت نقطة البدء في أواسط القرن الماضي وفي دار الجريدة التي امتلكتها شولز وشريكه سوله . . . فقد فكر الرجلان في صنع آلة ترقيم للجريدة ومضيا يجربان المحاولة بعد الأخرى . . حتى رآهما رجل ثالث هو جلدين (Glidden) فشجعهما على مواصلة مساعيهما وعلى محاولة صنع آلة كاتبة بدلا من آلة ترقيم . . واستجاب الرجلان وتكررت محاولاتهما حتى بلغت ٥٢ محاولة . . ولم يكتب لهما النجاح الا في المحاولة الثانية والخمسين وذلك سنة ١٨٦٧ . . ثم سجلا اختراعهما في السنة التالية . . ولكن سوله وجلدين ما لبثا أن تخليا عن المشروع ، مشروع تطوير الاختراع واستثماره .

ومضى شولز في العمل على تحسين اختراعه . . ومضى في ذلك بضع سنوات . . . ثم اتفق مع توماس اديسون بقصد تطوير آلته لتصلح للاستعمال في التلغراف . . . . ولما عجز شولز عن احراز ترجمة مورس (شيفرة التلغراف) بالسرعة المطلوبة ، عمد الى بيع اختراعه الى رمنجتون وذلك سنة ١٨٧٣ مقابل (١٢٠٠٠) دولار . . وما لبث رمنجتون أن باع الآلة الى مؤسسات صناعية مستقلة . . نظرا لقلة موارده وبالتالي لفشله في صنع الآلة على نطاق واسع . . كان ذلك سنة ١٨٨٦ . . أي قبل نجاح تلك المؤسسات في مهمتها بنحو ربع قرن . . ذلك ان استكمال الآلة الكاتبة وانتاجها على نطاق تجاري وتصديرها الى الخارج لم يبدأ الا سنة ١٩٠٩ .

وتجدر الاشارة الى أن العقبة التى عرقلت تطوير الآلة الكاتبة كانت في ترتيب الحروف . . فلطالما تشابكت الحروف وتشابكت القضبان التى تحملها . . وتوقفت الآلة عن العمل ، ووجدوا الحل لتلك المشكلة في تحديد الحروف الأكثر استعمالا وأبعادها بعضها عن بعض ما أمكن ، وهكذا ظهر ترتيب كورتي (QWERTY) للحروف الانجليزية . □

سلامة البشرية في سلامة البيئة

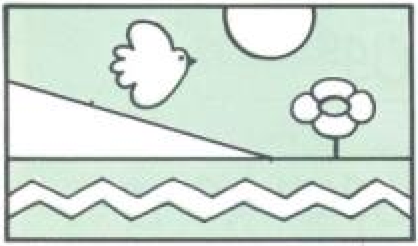

الحيتان . . . هل تنتحر أم ماذا ؟

من الظواهر التى حيرت العلماء ظاهرة انتحار الحيتان . . فلطالما اقدمت جموع كبيرة منها على الخروج من أعماق البحار الى الشواطىء الضحلة التى يتعذر عليها العوم فيها . . فتصطدم بقاع الشاطىء ويضغط وزنها الثقيل على صدرها بحيث يستحيل عليها التنفس . . فتنفق . . فكيف تضل الحيتان سبيلها فى البحار . . وهل هى تسعى الى حتفها طواعية كما يظن البعض . . ؟

لاشىء من ذلك . . فهى تضل سبيلها مكرهة غير مختارة . . ذلك انها مقطورة على مجس بيومغناطيسى . . يوجهها وهى تمخر عباب البحر ويحسن توجيهها . . فهو يجنبها على الاقل السباحة فى مياه الشواطىء الضحلة . . ولكن بعض الشواطىء تقذف موجات مغناطيسية شاذة . . ومن شأن هذه الموجات أن تعطل عمل المجس الموجود فى الحوت .

ذلك هى النتيجة التى توصل اليها العلماء فى معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا . . وذلك بعد دراسة ٢١٢ حادثة من حوادث ضلال الحيتان . . وقدر رفع تقرير بهذه الدراسات الى الاتحاد الجيوميترانى الامريكى فى مؤتمره فى مطلع ديسمبر سنة ١٩٨٤ . □

قبرص . . تتلف البيئة العالمية

اشتهرت قبرص فى الماضى القريب بتصدير الحمير . . واشتهرت فى الحاضر بمصايفها التى يؤمها الكثيرون طلبا للراحة والاستجمام . . . ولكن لجزيرة قبرص شهرة أخرى ، ومن نوع آخر ، أخذت تكتسبها فى السنوات الأخيرة وفى منأى عن الأنظار . . . تلك هى القضاء على صنوف من الطيور بكاملها والعمل على اتلاف البيئة . . البيئة العالمية ككل . . لقد تم ذلك عن غير قصد ، ولا ريب . . وصدر عن المواطنين - لا عن الحكومة . . ولكن المسؤولية انما تقع على الحكومة القبرصية بلا شك ، مادامت قبرص تفتقر الى القوانين والنظم البيئية الكفيلة بوضع حد لتمادى الصيادين فى ممارسة هوايتهم وانقاذ عالم الطيور من الدمار الذى يتهدده . .

ذلك أن قبرص هى احدى محطات ثلاث تقف فيها الطيور المهاجرة القادمة من أوروبا الى أفريقيا .. والعائدة من القارة السوداء الى الشمال .. تقف فيها ملايين الطيور كما تقف فى المحطتين الأخيرتين : بحر قزوين والبحيرات العظيمة عند الحبشة .. ولا تلبث تلك الطيور أن تستأنف طيرانها بسلام فى المحطتين الأخيرتين .. ولكنها تعجز عن ذلك فى قبرص ... حيث تلقى حتفها على يد الصيادين لدى هبوطها على أرض الجزيرة ..

وبنادق الصيد هى الطريقة المألوفة فى صيد تلك الطيور .. ولكنها لم تعد الطريقة المفضلة فى قبرص .. فقد وجد صيادو الجزيرة فى طلاء أغصان الأشجار بالمواد اللاصقة الطريقة الأسهل والأرخص والأكثر مردودا ... ووجدوا ـ فيما يسمونه بالشباك الضبابية (Mist Nets) الطريقة المثلى الكفيلة بصيد تلك الطيور على نطاق واسع ، بل قل حصدها حصدا والحكم على الكثير من صنوفها بالفناء . ويقدر عدد الطيور التى يجرى صيدها فى قبرص بالطريقتين الاوليين بخمسة ملايين طير فى السنة أما عدد ما يجرى حصده منها بالاسلوب الثالث فقد ارتفع الى ٢٠ مليونا سنويا فى الأعوام الأخيرة . وقد ترتب على ذلك انقراض بعض صنوف الطيور ... نذكر منها فصيلة (القبعة السوداء) على سبيل المثال ، وطيور القبعة السوداء هذه طيور سويدية صغيرة ... يروق للقبارصة أكل لحمها ..

ويعجب المرء أكثر ما يعجب للشباك الضبابية ، التى انتشرت فى شتى مناطق قبرص ، حتى بلغ عددها ٤٠ر٠٠٠ فى منطقة بارالمنى وحدها ... ويبلغ طول الشبكة الواحدة منها ١٠ ـ ١٢ مترا .. ولا تصنع هذه الشباك فى الجزيرة .. فهى مستوردة ، وقد بلغ ما استورده القبارصة منها ٢٠ ميلا ...

ويؤكد علماء الطيور القبارصة أن نسبة ما يجرى صيده من الطيور المهاجرة عبر قبرص تبلغ ٥٠ ـ ٧٥٪ من تلك الطيور . وقد جاء فى التقرير الذى أعده فرع الطيور المهاجرة التابع لمجلس حماية الطيور .. وهو من المجالس التابعة للمنظمة الدولية .. جاء فى هذا التقرير أن قبرص تحتفظ بالرقم القياسى بين بلدان البحر المتوسط قاطبة .. من حيث مجموع ما تصيده من الطيور المهاجرة فى الميل المربع الواحد ...

وقد صدرت تقارير ودراسات أخرى عديدة .. دولية وقبرصية .. وحذرت كلها ودون استثناء من مغبة استمرار المأساة البيئية الخطيرة فى قبرص .. ولكنها لم تلق اذنا مصغية من الحكومة القبرصية ... فقد استمرت هذه على منح رخص الصيد كالسابق ومنح رخص استيراد الشباك الضبابية ـ كالسابق أيضا ... علما بأن اتفاقية بيرن لحماية الحياة البرية تحظر استعمال الشباك المذكورة ... وان حكومة قبرص وعدت مجلس أوروبا بتحريم استعمال تلك الشباك ... ولكن دون تنفيذ .

لاعجب اذن إن أقدم المجلس الدولى لحماية الطيور على حث شتى الحكومات ووكالات السياحة (أعضاء هذه الوكالات = ٤ ملايين عضو فى أوروبا وحدها) .. حثها على مقاطعة قبرص سياحيا .. بقى أن نذكر أن منطقة بارالمنى ، وهى المنطقة الأولى فى حصد الطيور المهاجرة ـ طيور ألمانيا واسكندنافيا بالذات ـ هى أيضا المنطقة السياحية الأولى فى قبرص .. □

هل حاولت الاقلاع عن التدخين ، وفشلت . . ؟
وهل ترغب في مواصلة التدخين وترغب حقا في تجنب ما يمكن تجنبه من اضراره ومخاطره ؟
عليك إذن بالتخلي عن الثلث أو الربع الأخير من السيجارة . . بذلك تضمن تفادي الكثير من تلك الاضرار والمخاطر ، دون الشعور بأية خسارة أو تضحية . .

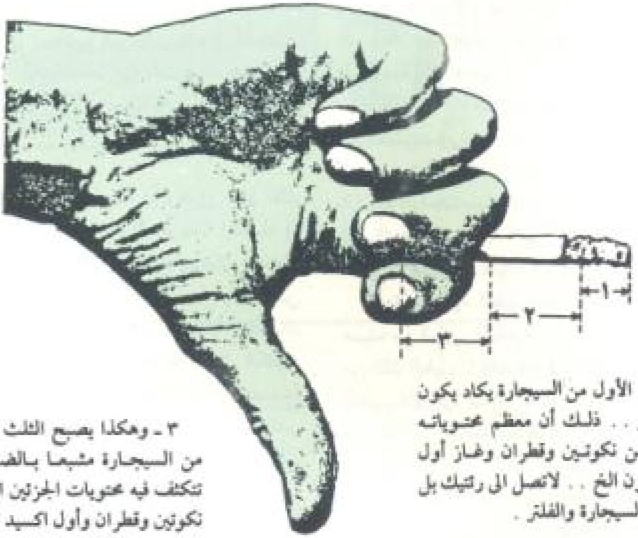

١ ـ الجزء الأول من السيجارة يكاد يكون عديم الضرر . . ذلك أن معظم محتوياته الضارة . . من نكوتين وقطران وغاز أول اكسيد الكربون الخ . . لاتصل الى رئتيك بل تعلق في تبغ السيجارة والفلتر .

٢ ـ ويبدأ الأذى لدى مباشرتك تدخين الجزء الثاني من السيجارة . . إذ تبدأ تلك المحتويات المؤذية في التسرب الى رئتيك . . ولكنها لا تتسرب كلها بل يبقى بعضها عالقا في الجزء الأخير من السيجارة .

٣ ـ وهكذا يصبح الثلث أو الربع الأخير من السيجارة مشبعا بالضرر والأذى . . تتكثف فيه محتويات الجزئين الأول والثاني من نكوتين وقطران وأول اكسيد الكربون وما الى ذلك ، وتتراكم فيه تلك السموم وتتكدس فوق ما يخصه منها أصلا .

إذن : تخل عن الثلث أو الربع الأخير من السيجارة تتجنب الكثير من اضرارها .

غرامة ١٠٠ دولار يدفعها المدخن

لعله الفندق الوحيد من نوعه في العالم كله . . فهو يرفض استقبال النزلاء اذا كانوا من المدخنين . . ويطالبهم على كل حال بالتعهد بعدم التدخين أثناء اقامتهم في الفندق . . ويدفع غرامة ١٠٠ دولار اذا هم أخلوا بتعهدهم لسبب أو لآخر . . .

ويقع هذا الفندق بالقرب من مدينة دالاس في ولاية تكساس . . وهو صغير الحجم بالمقاييس الأمريكية ، وهو موتيل لااوتيل ، ولا يزيد عدد غرفه على ١٣٤ غرفة . . الا أنه فندق معروف (ومحبب الى الذين نزلوا فيه طوال الثلاث سنوات التي مضت على تأسيسه ، وقد جاوز عددهم ٥٠,٠٠٠ نزيل . . . لقد أنشأه المدعو لندون ساندرز (٥٥ سنة) الذي يعد من ألد أعداء التدخين ، ذلك أن التبغ قضى على أبيه ، وفتك بعدد من أعز أصدقائه . . .

ويلغ من اقبال الناس على هذا الفندق أن حذت حذوه موتيلات أخرى في شتى مدن الولايات المتحدة ، الا أنها لم تحظر التدخين في كافة غرفها وقاعاتها ، وانما في بعضها وحسب . ☐

مكتبة العربي

كتاب الشهر

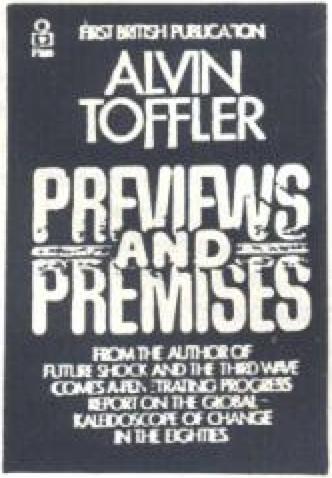

المؤسّسات الإجتماعيّة وحاجات العصر

تأليف : آلفن توفلر

عرض : الدكتور أمين العيوطي

أصبح للتقنيات الحديثة دورها الواضح والأساسي في حياة الانسان . . . لكن هل من الممكن أن يبقى أمر التعامل مع هذه التقنيات ضمن صيغته البريئة والخارجية دون أن يصل الى تضاعيف الحياة الاجتماعية ويتغلغل في مفاصلها الاساسية ؟

عن هذا السؤال وغيره يجيبنا صاحب كتاب « الموجة الثالثة » . . .

كتاب الشهر

في هذا الكتاب يتناول (آلفن توفلر) بالتحليل والنقد سرعة التغير الاجتماعي واتجاهاته ، معتمدا على معلومات مستقاة من علم النفس والاقتصاد والتكنولوجيا والسياسة والسياسة الصناعية وفلسفة التاريخ . وهو يبدأ بافتراض ان المؤسسات الاجتماعية الحالية لا تلائم احتياجات العصر ، وضرورة تغييرها حتى تتجاوز الأزمة المضطربة التي تنتظرنا .

ويجيب عن أسئلة حول امكانية بقاء المجتمع الانساني على أساس عدم المساواة والاستغلال ومستقبل العمالة والبطالة ، واستراتيجيات الدول الصناعية في مواجهة انهيار المجتمع الصناعي ، ومستقبل الرأسمالية والاشتراكية . وفي الاجابة عن هذه الأسئلة يثير (توفلر) أمورا تتعلق بالملكية والطبقية والسلطة السياسية والعنصرية في المجتمع المعاصر وفي مجتمع المستقبل .

الكتاب في الواقع استمرار لكتاب **الصدمة المستقبلية** (١٩٧٠) و**الموجة الثالثة** (١٩٨٠) حيث تناول (توفلر) تزايد سرعة التغير الاجتماعي والتكنولوجي الذي جعل من العسير على الأفراد والمنظمات والمؤسسات ملاحقة وطرح فكرة أن الثورة الزراعية منذ عشرة آلاف سنة خلقت موجة من التغيير في المجتمع الانساني ، وأن الثورة الصناعية منذ ثلاثمائة سنة جلبت معها صراعا اجتماعيا وسياسيا ، وخلقت بذلك موجة ثانية من التغيير ، وأننا الآن نمر بمرحلة انتقالية جديدة صوب أشكال وعلاقات اجتماعية جديدة ، تقوم على أساس من اقتصاديات التكنولوجيا ، وهي ما يسميه بالموجة الثالثة . وهو لهذا يرى أن المؤسسات الاجتماعية الحالية قد عفا عليها الزمن ، وأننا بحاجة الى ثورة في أساليب تفكيرنا وتعاملنا مع السياسة والاقتصاد ، بل والحياة العائلية ، لأن نظم الأحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية ومحور اليمين واليسار في السياسة أصبحت أمورا بالية في الأمم المتقدمة تكنولوجيا .

الانقلاب الاقتصادي :

لا يشخص (توفلر) الأزمة الاقتصادية الحالية على أنها أزمة اعادة توزيع الثروة ، أو ارتفاع معدلات الانتاج وانخفاضها ، أو مسئولية الدول العربية النفطية ، أو هجرة العمالة أو سوء الادارة ، أو عدم كفاية الاستثمارات ، أو غلبة الواردات اليابانية ، أو معدلات الفائدة ، مثل هذه التشخيصات لا تطابق الحقائق المعاصرة ، فاذا كان الكساد الاقتصادي الحالي ، شأن كساد الثلاثينيات ، قد ضرب الصناعات الأساسية ، مثل السيارات والصلب والنسيج والمطاط ، الا أنه قد صاحبه انفجار في صناعة الاليكترونيات والصناعات الفضائية والطاقات البديلة ، والتوازن الجغرافي السياسي والاتجاه نحو اللامركزية . ان ما يحدث هو اعادة بناء الأساس التقني الاقتصادي للمجتمع ، مما يدمر أسلوب الحياة الصناعية التقليدية ، ويحتاج الى نموذج اقتصادي جديد يحدد هوية العلاقات المتغيرة . فنحن نعيد بناء الاقتصاد لاننا نعيد بناء الحضارة ذاتها .

والأمة تتمثل في الاتجاه الى الاقليمية ، ففي حين اتجهت الثورة الصناعية من العمل على نطاق محدود لخدمة المجتمعات المحلية الى شركات تعمل على نطاق قومي الى مؤسسات عالمية الجنسيات الى انتاج عالمي لأسواق متعددة الجنسيات ، نرى اليوم الاتجاه الى الانتاج الاقليمي لأسواق محلية في كيوشو في اليابان وفي اسكتلندا وكويبك وتكساس ، هربا من الأنماط الاقتصادية القومية ، ومن القوانين واللوائح والضرائب واجراءات البنوك التي وجدت التطبيق على المستوى القومي ، مما يعني ان ادارة اقتصاديات هذه الأقاليم من العواصم سيصبح أكثر صعوبة .

فالأزمة في حقيقتها تنطوي على تحول شامل من عصر الانتاج بالجملة ، الى تحول المستهلك الى انتاج منتجات للاستهلاك الشخصي ، بحيث تتحول

مستقبل العمالة :

ان كل تصوراتنا عن العمل تنطبق على العمل الصناعي التقليدي الذي يجزىء العمل في المصنع والمكتب ، ويقوم الفرد فيه بعملية متكررة دون احساس بعلاقتها بالعملية ككل ، أو بالابداع ، هذا الشكل من العمل الروتيني قد أصبح موضة بائدة في الأمم المتطورة تقنياً ، وسوف يستمر تحلل هذا النوع من العمل رغم كل محاولات الحكومات والشركات واتحادات العمال . ولدينا اليوم مهن جديدة مثل الفنيين في المستشفيات ، والمشتغلين بالانتاج المنزلي ، واستخراج المنجنيز من المحيطات ، وعلم آثار البحار وهندسة محطات الفضاء . وكلها مهن لا تخضع للروتين . كما أن هناك أشكال الانتاج التي يمارس فيها العامل عمليات معقدة . هذا النوع من العمل يشترك فيه العامل في اتخاذ القرار ، وتوسيع واثراء العمل بدلاً من تجزئته ، ويشجع الابداع بدلاً من الطاعة العمياء ، ويوفر البيئة المبهجة للعمل . فلم تعد شركات الموجة الثالثة تضاعف أرباحها من خلال ارهاق عمالها وموظفيها ، ولم يعد الانتاج يعتمد على العضلات بل على المعرفة والخيال . لقد تغير طابع العمل ونوع العامل .

فعامل الموجة الثالثة أكثر استقلالا وتنوعا في المهارات ، يتمتع بمعرفة متخصصة تقنية تتفق مع المتغيرات ، هو عامل ذهني يمتلك وسائل الانتاج بشكل لم يكن متاحا لعمال المصانع غير المهرة . وهو يميل الى نظام عمل مرن غير روتيني ، مما يتطلب أشكالا تنظيمية جديدة قد تأخذ شكل الجمعيات التعاونية الالكترونية ، أو مجموعات العمل العائلية ، أو الأعمال التي يديرها العمال بأنفسهم ، لا الأشكال التقليدية مثل الشركات الخاصة أو الأعمال التي تديرها الحكومة .

وسوف تتطلب الموجة الثالثة نوعين من العمالة عمالا مبتكرين مبدعين متعلمين منفردين يخلقون أشكال التنظيم الخاصة بهم ، ويفرضون تغيرات هامة في اتحادات العمال وايديولوجيتها ، وعمالا لا تعتمد مهاراتهم على المعرفة فقط بل على الحساسية الجمالية ، بحيث تجزىء بعض المهارات أكثر من علاقات المنتج والمستهلك الى علاقة المستهلك بنفسه ، أو بجماعات صغيرة تخدم نفسها ، مما يؤدي الى اقتصاد يقوم على منتجين غير منظورين ، يعملون من بيوتهم ، ويهددون النظام الاقتصادي الحالي . وسوف تؤدي هذه الأكواخ الالكترونية بالضرورة الى تنظيم شبكات جديدة ، وارتباطات مهنية جديدة ، وأشكال جديدة من الجماعات التي تدبر أمورها وتحمي نفسها . وفي حين أن الانتاج داخل المصنع قد دمر الروابط الانسانية ، فإن الانتاج المنزلي سوف يشجع الانخراط في الأنشطة الاجتماعية والاتصالات الانسانية بعد أن يفرغ المنتج من عمله في المساء . كما سيتيح هذا النوع من الانتاج الفرصة للمعوقين والعجائز والنساء الذين يفرض عليهم المجتمع أن يكونوا غير منتجين . وسيؤدي هذا كله الى تغيرات اجتماعية قوية .

ومما يشجع هذا الاتجاه تزايد تكاليف الطاقة والمواصلات والضرائب الباهظة ، وتكاليف الصيانة والأجور التي يدفعها صاحب العمل ، وضياع الوقت والجهد المنتج في المواصلات والوقود اللازم لها . فالتكاليف في صناعات الموجة الثالثة أقل ، والحياة العائلية أكثر استقرارا وارتباطا .

كتاب الشهر

غيرها ، وسوف تتجه المجتمعات التقنية الى اقرار حد أدنى للدخل لمن يسهم في الانتاج ، والا تعرضت لانفجارات الصراعات الاجتماعية .

ثم ينتقل (توفلر) الى مناقشة مشكلة البطالة الحالية ، أسبابها وطرق علاجها فيقول ان اسبابها متعددة . هناك أولا البطالة التي تنشأ عن التحول عن صناعات الموجة الثانية الى صناعات الموجة الثالثة . واحدى نتائج هذا الانقلاب هو اشتداد حدة ضغوط التجارة الدولية ، والتنافس ، واختلال توازن السوق العالمية ، مما يخلق بطالة مرتبطة بالتجارة . وهناك بطالة التقنية ، فكلما تطورت التقنية قلت الحاجة الى العمال . ثم هناك البطالة التي تنشأ من أسباب محلية ، مثل زيادة الانتاج المحلي ، وتغير اختيارات المستهلكين . وهناك بطالة الذين يتحولون من وظيفة الى أخرى ، ويرتبط بهذا النوع بطالة تنشأ من أنه كلما أصبح توزيع العمل أكثر دقة قل عدد الوظائف التي يمكن التحول اليها . وهناك أخيرا البطالة التي تنشأ عن سياسات الحكومة الغبية التي تهدف الى تزايد البطالة . فالبطالة اذن ليست مشكلة واحدة ، بل عدة مشكلات متداخلة ومعقدة . ولذلك فليس لها علاج واحد .

وقد كان الحل الرأسمالي لها هو التنمية أو زيادة عدد الوظائف ، لكن مشكلة البطالة أصبحت تعتمد لا على كم الوظائف بل على نوعية الوظائف ونوعية شاغليها . ولحل مشكلة صناعات الموجة الثالثة لابد من اعادة تدريب العاطلين ، سواء من خلال القطاع الخاص ، أو نظام التعليم ، أو وسائل الاعلام أو الجيش ، أو كل هؤلاء مجتمعين ، خاصة وأن مثل هذا التدريب يُعد قفزة نوعية من مستوى من المهارات الى مستوى أكثر تفوقا يمثل قفزة ثقافية . كذلك تجب مواجهة هذه المشكلة بتشجيع المنتج المستهلك بتوفير أدوات ودعم اجتماعي وسياسي ومادي له . ومن ناحية أخرى يجب اطلاق رصاصة الرحمة على الصناعات التي تلفظ أنفاسها الأخيرة ، بعد منحها فرصة خمس سنوات حتى لا تدمر منطقة بأكملها ، مع الابقاء على صناعة الصلب حتى تلبي الاحتياجات القومية ، وتشجيع الصناعات على التحول من تقنياتها الحالية الى تقنيات ومنتجات جديدة ، مع اعادة تدريب عمالها ومديريها واعادة بنائها تنظيميا . .

خرافة اليابان وغيرها :

أصبحت اليابان منافسا قويا للغرب في صناعاتها وربما كانت صناعات السيارات اليابانية وأجهزة الاستقبال والصلب أكثر سرعة وأقل تكلفة ، وكان النظام يحمي الكثيرين ضد التقلبات الاقتصادية ، مما يساعد على تزايد سرعة التغير التقني ، وتقبل العمال لأحدث الابتكارات التكنولوجية ، واليابان تمتلك ميزة تقبل التقنية المتطورة والوعي بالمستقبل ، على العكس من انجلترا التي لا تزال تندب امبراطوريتها الضائعة ، وتعيش في الماضي مما يخلق مقاومة للابتكار وصناعات الموجة الثالثة ، والتشبث بصناعات الموجة الثانية التي أوجدتها بريطانيا نفسها . وهذا هو سر بقاء اليابان . لكن اليابان أقل كفاءة في انتاج الالمونيوم والمواد الطبية والكيماوية والغذائية والنسيج - كما أنها أقل كفاءة اداريا وتنظيميا . كما أن بيوت الأعمال الصغيرة لا توفر عمالة مضمونة دائمة وخاصة للنساء والشباب .

أما الفرنسيون فقد أبدوا اهتماما بوسائل الاتصال الحاسبة ، لكن فرنسا مازالت مترددة بين تطوير التقنية الحديثة وبين تراجعها عن مشروعاتها التقنية . كذلك تتمثل أوجه ضعف فرنسا في تكنوقراطيتها وتأكيدها على التأميم . ورغم ذلك فقد بدأت فرنسا تدرك أنها لا تستطيع اعادة بناء اقتصادها على أساس الصناعات القديمة .

وفي ألمانيا ما بعد الحرب أعيد بناء ألمانيا على أساس النموذج الصناعي ، فأصبحت مثالا لمجتمع الانتاج والاستهلاك بالجملة ، ولهذا فانها من جانب لا تزال تحتفظ بصناعات الموجة الثانية ، والتركيب التكنولوجي والاجتماعي القديم ، ومن جانب آخر لا يزال الشباب يتعلق بالماضي الذي يمثل الموجة الأولى ، فلم تحفل ألمانيا بخلق قطاع صناعي يتمشى مع الموجة الثالثة ، لأنها ليس لديها فهم واضح للامكانيات الجديدة .

ومن الناحية الأخرى لا تزال روسيا ، كما يقول المؤلف ، تحافظ على النظام الذي يخنق القدرات الابداعية ويعوق التطوير التقني . فهي مثال على الموقف الثوري الذي تعوق فيه علاقات الانتاج الاجتماعية نمو قوى الانتاج ، وفي المقابل تتمتع أمريكا بمواردها الطبيعية واللامركزية ، وشعبها المتعلم ، ووسائل اتصالاتها المتقدمة ، مما يمكنها من الخروج من العصر الصناعي التقليدي . وفي حين أن امريكا تعيد بناء نظمها الاقتصادية ، فانها تعيد أيضا بناء علاقتها الجغرافية السياسية في العالم كله . فقد برز المحيط الهادي كقوة اقتصادية ، وانهار تركيب التحالفات في أوروبا ما بعد الحرب ، وهناك دول متعددة ذات تقنية متطورة وكل منها يراقب زوال صناعاتها التقليدية ، وظهور صناعات جديدة وتكنولوجيات وترتيبات اقتصادية ، وأشكال اجتماعية وسياسية جديدة . وحتى تتبلور الأبنية العالمية الجديدة فسنظل نعيش عدة عقود من عدم الاستقرار .

فيما وراء الرأسمالية والاشتراكية :

والعالم ليس مشتبكا في أزمة اقتصادية وسياسية فحسب ، بل أيديولوجية أيضا . والأحداث تتجاوز الآن كل الأيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية والليبرالية ونظريات العالم الثالث . وربما كان الانهيار الأيديولوجي خطوة ضرورية تمهيدا لظهور أيديولوجيات جديدة أكثر شمولية ، فعبارتا اليمين واليسار صيغتان لتوزيع الثروة والسلطة في النظام الصناعي الذي يخرج منه العالم الآن . وقد ظهر الآن صراع آخر أكبر تتضاءل بجانبه كل الأيديولوجيات - وهو الصراع بين الموجة الثانية والموجة الثالثة . ولابد من اعادة تقييم الأيديولوجيات ، لأن النظام ينهار ، لا النظام الرأسمالي أو الاشتراكي ، ولكن النظام الصناعي الذي يضم الاثنين معا .

فالنظامان من انتاج الثورة الصناعية . كلاهما يعتمد على وقود الحفريات والانتاج والتوزيع والتعليم بالجملة ، ووسائل الاتصال والتسلية الجماعية ، وكلاهما يجعل من العائلة النووية الفردية نموذجا للمجتمع ، ويقوم على أساس المدن الكبرى ودولة الأمة . وحتى التوترات بينهما فهي نتاج العصر الصناعي .

وبالنسبة للمجتمع الاشتراكي ، ففي عالم الغد الذي لا يقوم على الانتاج بالجملة ، ويعتمد على تقنية معقدة ، وتختفي فيه السوق المركزي ونظام التوزيع الحالي ، وتختفي منه وسائل الاتصالات الحالية ليحل محلها اذاعات مباشرة من الأقمار الصناعية والكاسيت وشبكات الارسال لمجموعات صغيرة ، وتحل فيه الآلات الحاسبة في كل مطبخ بدلا من بنوك المعلومات ، لن يخضع هذا المجتمع للتخطيط المركزي والادارة المركزية وهذا ما تفعله الموجة الثالثة . فالمخططون المركزيون يتعاملون مع الاتجاهات العريضة . لكنهم لا يستطيعون التعامل مع ظروف محلية قصيرة المدى . ولهذا سيكون اتخاذ القرارات من شأن الناس العلويين الذين يعيشون في موقع معين ويعرفون كل دقائقه . والتخطيط القائم على الديموقراطية والمشاركة ممكنان فقط على مستوى ضيق في مجتمع الموجة الثالثة . وهذا يعني أن اتخاذ

كتاب الشهر

القرار سوف ينتقل الى أسفل بحيث يتحقق حكم ذاتي محلي.

أما بالنسبة للرأسمالية فان التناقض يكمن في مفهوم الملكية، فليس من يملك الانتاج هو الذي يسيطر على المجتمعات الرأسمالية، بل المديرون التنفيذيون الذين يتحكمون في وسائل التكامل، وبيروقراطيو الحكومة الذين يقررون الى أي المناطق توجه الاستثمارات. لقد أصبحت القدرة على اتخاذ القرار أهم من الملكية، أما في مجتمع الموجة الثالثة فان الملكية الأساسية تصبح المعلومات، «وهذا تحول ثوري لأنه شكل من أشكال التملك غير مادي لا حدود له. فعندما امتلك سهما في شركة فأنا لا أهتم بمبانيها أو آلاتها، كل ما يهمني هو المعلومات المنظمة التي تتحكم فيها. هكذا تتحول الملكية من ملكية رمزية (ورقة) الى ملكية غير محددة، ويصبح مفهوم الملكية في الرأسمالية نفسها مفهوما بائدا.

دور المعلومات في حياتنا السياسية:

لقد أدت سرعة التغير الى زيادة حجم المعلومات المطلوب التعامل معها لتصل الى قرارات تلائم الظروف. فلو أنك نظرت الى العمالة في المجتمعات الصناعية لوجدت هبوطا في العمل اليدوي وارتفاعا في الأعمال الادارية منذ منتصف الخمسينيات. لقد تعقد النظام وتزايدت متطلبات المعلومات حتى وصلت الى نقطة أزمة، فتزايدت متطلبات العمل والتنسيق والاجتماعات والقرارات اللازمة لانجاز عمل ما. وقد استجاب النظام لهذا الضغط تقنيا، فدخلت الآلات الحاسبة مجال الأعمال الادارية. كذلك لم يعد نظام الهواتف يفي بالغرض فدخل نظام الكمبيوتر. هكذا دخلت أنظمة اتصال جديدة وتقنية جديدة لاختزان المعلومات، مثل الميكروفيلم والماسحات البصرية لتخفيف حمل المعلومات، فالتنوع والتغير يساوي معلومات أكبر تساوي تكنولوجيات أعقد. وديناميكية ثورة المعلومات التي بدأت تمحو المجتمع الصناعي جزء من موجة التغير. وفوق ذلك فكلما زادت المعلومات فإننا نعمق فهمنا العلمي للطبيعة بحيث تغير عمليات الانتاج. فبدلا من استخدام التجميع اليدوي لآلة التصوير مثلا، أو لجهاز التليفزيون، فإننا نستخدم معلومات أكبر ومعرفة أعمق لتقليص عدد الأجزاء، أي أننا نحقن الآلات نفسها بمعلومات أكبر، بما يؤثر في الثقافة والاقتصاد.

وفي العصر الصناعي كان الاهتمام ينصب على كيفية صنع الأشياء. أما الآن فإنه ينصب على ادارة الأشياء، وتحليل المشكلات ومشكلات الثقافة والايديولوجيات. وفي السياسة تصبح قضايا التحكم في المعلومات، والسرية، وادارة انسياب المعلومات مسألة تقنية. وبعض التقنيات يهدد الديمقراطية، وبعضها يضاعف من قوة الفرد ضد الدولة، في العصر الصناعي مثلا كانت الدولة والشركات تتحكم في وسائل الاعلام من المركز. أما الآن فان المستهلك يستطيع استخدام المسجل لارسال رسائل وتداولها واعادة نسخها كما فعل أعداء الشاه. والمسجل لا يمكن التحكم فيه من المركز. وهكذا في مجال الآلات الحاسبة وكل الالكترونيات الحديثة في مجالات المعلومات والاتصالات التي تقلل من التحكم المركزي في حياتنا.

وسوف يؤثر هذا في علاقات الطبقات. فالثورة الصناعية أوجدت الرأسمالية والعمال، والثورة التكنولوجية أوجدت التكنوقراطيين من مهنيين ومديرين وعلماء. الذين يتزايد حجمهم وتتزايد احتمالات احتكارهم للقوة. وهم «طبقة» تمتلك المعلومات المنظمة والخيال والثقافة اللازمة للانتاج، وتملك القدرة على المساومة أكثر من طبقة العمال. لكن هذه «الطبقة» طبقة مثقفة أكثر منها طبقة

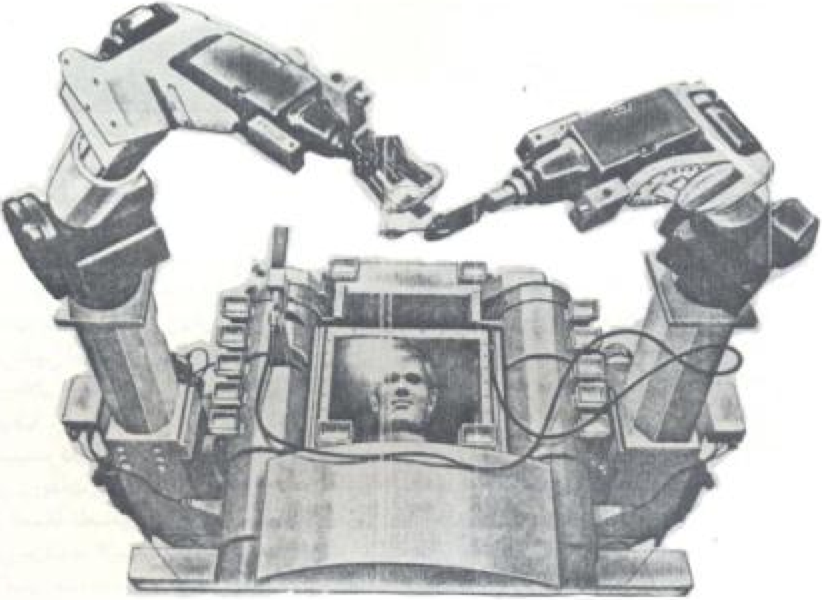

اقتصادية ، وبالتالي لا تتصرف ككتلة موحدة ، غير أنها تشترك في صنع القرار .

ففي المجتمعات الزراعية كانت الأقلية تشترك في صنع القرارات السياسية أو الاقتصادية . وفي المجتمعات الصناعية حدثت انفجارات ديمقراطية أدت الى توسيع قاعدة الاشتراك في صنع القرار ، نتيجة لتداخل الاقتصاد وضرورة التنسيق بين أنشطة مختلفة ، وأدى هذا الى زيادة المشتركين في مجالات العمل والسياسة والمجتمع .

وانتظمت هذه المجموعة في شكل هرمي من الصفوة ومن دون الصفوة ، ممن يشكلون العمود الفقري للطبقة الوسطى ، مع استبعاد العمال والفلاحين الذين لم يكن لهم الا حق التصويت . هذه ديمقراطية جزئية . وفي مجتمع الموجة الثالثة ستؤثر ثلاثة أشياء في المستقبل السياسي : تزايد العمالة الذهنية ، تزايد عبء القرار ، الآلة الحاسبة ، وهذا يعني دخول العمال في اتخاذ القرار والادارة وتزايد اشتراك الجماهير ، وتوسيع قاعدة الديمقراطية .

والحاسب الآلي له تأثيره على النظام السياسي . فقد أحدث تغييرا أساسيا في التوازن الاستراتيجي العسكري والاقتراع السياسي ، وطريقة تحديد القرارات السياسية . وهنا نجد أنه بدلا من بضع حاسبات آلية هائلة تتحكم فيها السلطات العليا ، ظهرت ملايين الحاسبات في طول المجتمع وعرضه وفي البيوت والمدارس والكنائس والكراجات ، بعيدا عن تحكم الحاسبات المركزية ، مما يعني تزايد نسبة من يتخذون القرارات السياسية والعسكرية .

المرأة والحياة السياسية :

في المجتمع الزراعي والصناعي كانت أشكال العمل تعتمد على قوة الرجل العضلية ، رغم الاعتماد أيضا على عمل المرأة الجسماني . الا أن المرأة ظل مكانها في البيت مع الأطفال . هكذا أبقت الثورة الصناعية على عدم المساواة بين الجنسين ، وفي المجتمع الزراعي كانت العائلة كبيرة تعمل أجيال منها معا في وحدة انتاج واحدة ، وتعيش تحت سقف

كتاب الشهر

واحد . أما في الموجة الثانية فقد تزايدت أهمية المصنع والمكتب ، وتقلصت أهمية البيت وظلت المرأة فيه . وقد ساعدت وسائل الاعلام على تعميم هذه النظرية ، والتأكيد على انعدام قدرات المرأة حتى تبقى في عالمها المغلق ، وحتى من شارك منهن في العمل كان يوكل اليهن أعمال أقل أجرا وسلطة .

وخلال الحرب العالمية أصبحت النساء قوة عمل احتياطية ، ثم فقدت المرأة هذا الدور . وفي منتصف الستينيات كان الاقتصاد مزدهرا فاحتاج الى عمالة أكبر . وبدأت الموجة الثالثة بتفوق العمالة المكتبية على العمالة المصنعية ، كذلك دخلت عوامل أخرى مثل حركات الاستقلال وحبوب منع الحمل ، والأقمار الصناعية . . . وبدأت التساؤلات حول الأدوار القديمة التي فرضها التصنيع . كان هذا جزءا من حركة تاريخية تحملنا فيما وراء العالم الصناعي التقليدي ، وتشير الى مجتمع بديل .

وسوف تشهد الفترة القادمة ظهور أبنية اجتماعية جديدة قد تكون وحدة من الأم والأب والابن يعملون معا في كوخ الكتروني صغير ، أو في (كوميون) ، مما سيخلق علاقات مختلفة بين الجنسين غير تقليدية ، لأن المرأة ستشارك في الانتاج من خلال عملها في البيت . فالثورة في الأدوار جزء من الموجة الثالثة التي يقف الدفع الأساسي للتغيير فيها في وصف مساواة الجنسين ، بفضل ظهور قيم جديدة مع الترتيبات التقنية والاقتصادية الجديدة .

العرق ، القوة ، الثقافة

ومن الخطأ أن نعتقد أن السيطرة ستظل للرجل الأبيض في الحضارة الجديدة . فليست سيطرة الرجل الأبيض الا تطورا تاريخيا حديثا منذ ٣٠٠ ـ ٤٠٠ سنة ، عندما اكتشف القارة الأمريكية ، وطرق التجارة في الهند ، ووسع المستعمرات وتجارة العبيد ، وأنشأ سلسلة من المجتمعات تفتح له الطعام والطاقة والمواد الخام . لكن فيما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ حصلت معظم المستعمرات على استقلالها ، فحدث تغير في التوزيع العرقي للقوة في العالم ، فظهر العرب كقوة مالية وسياسية ، وظهرت اليابان وتايوان وهونج كونج وسنغافورة وكوريا الجنوبية كقوة اقتصادية تنمو بسرعة ، وسوف يصبح هؤلاء شركاء مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وأوروبا في النفوذ العالمي . وكلما توغلت الآلات الحاسبة في آسيا ، ونقلت الأقمار الصناعية المعلومات من والى المحيط الهادي الذي كان معزولا فيما مضى ، سوف تنتقل المؤثرات المالية والثقافية من الشرق الى الغرب ، فقد بدأ تحرك مركز التأثير الثقافي والاقتصادي في العالم .

وهناك عوامل أخرى تؤثر في توزيع القوة في العالم ، أحدها تغير توزيع السلاح فيه . فحتى الدول الصغيرة يمكن أن يكون لديها اليوم أسلحة فتاكة ، مما يغير موازين القوى في العالم . ثم لا يزال النظام الحالي يعتمد على مصادر الطاقة والمعادن بكميات هائلة . ولكن عندما تنتشر وسائل التصنيع الفردية ، ويصبح الانتاج لامركزيا ، فسوف تستخدم مصادر متنوعة بكميات أقل ، مما يعني اعادة توزيع القوة الاقتصادية في العالم .

هكذا نشهد اعادة توزيع تاريخية للنفوذ والسلطة على كل المستويات . ولن تقتصر الموجة الثالثة على أجزاء دون غيرها . فهي موجة تنتمي الى كل الأجناس ، وسوف تصبح سيطرة البيض سيطرة متعددة الأطراف ، وسوف يتعود السوفييت والأمريكيون في العقود القادمة على توزيع السلطة في العالم ، كما تعودت بريطانيا وفرنسا فقدان امبراطوريتيهما .

صدارة الثقافة

أما عن احتمال أن تؤدي الاقتصاديات التقنية الى مضاعفة حجم الطبقات الدنيا ، فان (توفلر) يرى أن هذه مسألة سياسية اجتماعية لا

تقنية . فالهدوء السياسي الحالي لن يدوم اذا سقط عبء التغييرات على ظهور الأقل استعدادا له . وكبار السياسيين وأصحاب الأعمال لا يدركون أن الاضطرابات لن تكون مثل اضطرابات الثلاثينيات ، بل ستكون أكثر لامركزية بحيث يصعب تحديد مداها أو قمعها . وسوف يعتمد التخطيط للفترة الانتقالية على مدى ذكاء الحكومة وأصحاب الأعمال .

ولهذا فان الاستراتيجيات القائمة على التمسك باجراءات الموجة الثانية ، مثل ايجاد وظائف في صناعات تحتضر ، ليست كافية ، ومن الأسهل أن تحقق مكاسب في برامج التدريب في قطاع الموجة الثالثة ، وهذا يعني اعادة دراسة البنى الخفية ، التي تحدث في الدول المتقدمة تقنيا ، أي معرفة التحول البعيد المدى الذي يحدث باتجاه الانتاج الاقليمي اللامركزي والتوزيع ، وخلق وظائف الموجة الثالثة حيث يعيش العاطلون بالفعل ، وكذلك البحث عن أشكال جديدة من العمل المنزلي باستخدام التقنية الحديثة ، وعن خدمات وسلع جديدة وايجاد الأسواق لها . كما يعني أيضا برامج تدريب وتعليم للأطفال ، ومواجهة المستقبل لا الماضي .

فنحن نواجه حضارة جديدة لا تتمثل فقط في الآلات الحاسبة وأجهزة الفيديو ، بل في مواد جديدة تجاه العمل والجنس والأمة والسلطة وأوقات الفراغ . ففي الموجة الثالثة ليست هناك ثقافة واحدة ، بل ثقافات متنوعة ومتغيرة ، وكلما تحركنا باتجاه الموجة الثالثة زادت أهمية الثقافة ، ومعظم المهن الجديدة في هذه الصناعات تعتمد على الثقافة ، ولم يعد الأمر مجرد الاعتماد على المواظبة ، وطاعة السلطة المركزية ، وفهم كيفية عمل البيروقراطية ، والخضوع للعمل المتكرر المحفوظ . وسوف يكون اقتصاد الموجة الثالثة مجزيا للقادرين على التغير ، والعمل واكتساب الخبرة في أكثر من مجال ، وتوسيع مجال الخيال للتلاؤم مع ثقافات الموجة المستقبلية . وليست هناك جماعة عرقية واحدة تحتكر هذه الصفات . فكل ثقافة شرقية أو غربية ، سوف تأتي الى الموجة الثالثة وقد تطورت طبيعتها الاجتماعية . فنحن ندخل عصرا جديدا تلعب الثقافة فيه دورا مهما . وسوف تستوعب الحضارة الجديدة عدة ثقافات ، ولم يعد الماضي كافيا لمواجهة المستقبل .

كلمة أخيرة

بهذا يطرح (توفلر) رؤية مستقبلية حول تأثير الثورة التقنية في مستقبل المجتمع الانساني . لكنه في كل هذا يبدو كما لو كان يؤمن بقدرة التغيرات التقنية وحدها على تغيير العالم . فهو في تناوله لهذه التأثيرات يدور في فلك محاولات تفسير نظرية داروين - التفسيرات الاجتماعية التي ظهرت في القرن ١٩ - مع توسيع مجال هذه التفسيرات بما يتلاءم مع متغيرات العصر . فهو ينظر الى المجتمع الصناعي على أنه متجانس ، والى المجتمع التقني على أنه متنوع ، بنفس الاسلوب الذي رأى به منظرو البرجوازية في القرن ١٩ المجتمع الزراعي على أنه مجتمع متجانس ، والمجتمع الصناعي مجتمعا متنوعا . ولذلك فانه يؤكد على مزيد من التجزؤ أو التنوع ، لا على مزيد من الترابط .

ولعله لهذا السبب ذاته ، حين يشير مستقبل الرأسمالية والاشتراكية فانه لا يرى في مدلول الاشتراكية الا مركزية نظامها ، في حين أن مركزية النظام ليست أمرا مقصورا على الاشتراكية ، بل هي موجودة بالفعل في كل أنظمة العالم الثالث ، بل وداخل النظم الغربية ذاتها ، كما يشير هو نفسه الى هذا . وكذلك فانه حين يحاول تحديد مفهوم الملكية في المستقبل فانه يتكلم عن « مفهوم » الملكية لكنه يغفل « فكرة » الملكية في حد ذاتها ، واضافة الى هذا فان حديثه عن « طبقة » التكنوقراط لا يحدد لحساب من يعمل هؤلاء ، ولا مع من ترتبط مصالحهم ، كما أنه في حديثه عن علاقات الانتاج الجديدة ، مثل علاقة المنتج المستهلك بنفسه ، لا يشير الى من سيوفر لهذا المنتج المستهلك أدواته الخام وآلاته ومعداته التقنية ، مما يشير الى أن علاقات الانتاج الحالية سوف تؤكد ذاتها مرة أخرى في مجتمع المستقبل .

ان (توفلر) يجيب عن تساؤلات عديدة ، لكنه يثير تساؤلات أخرى أكثر . وربما كان هذا لأن « نظريته » لا تعدو أن تكون « نظرية » فرضية ما زال (توفلر) يعمل على استجلاء كثير من جوانبها . لكنها تظل رغم هذا « نظرية » مشوقة مثيرة تستحق منا أن نتأملها بمزيد من العناية والاهتمام ؟ □

من المكتبة العربية

ممرّات في دفاتر الطفولة

بقلم : فاضل خلف

صدرت حديثا المجموعة القصصية « ممرات في دفاتر الطفولة » للأديب العراقي أحمد محمد أمين ، احتوت على ١٣ قصة قصيرة .

فهل هي عن الطفولة بعامة ؟ ـ أو هي عنها كمرحلة عاشها الكاتب ، وأخذ بعد ذلك بعض أجوائها وتفصيلاتها ؟ وصبها في قوالب فنية قصصية ؟

عالم أحمد محمد أمين مزيج من الرؤى ذات الدلالات الانسانية التي تتفاوت بين الرمز .. الرمز المغلق أحيانا .. والواقعية النقدية يحلق بها على جناح لغة شفيفة ترقى الى مستوى الشعر .. وتزويقات استعارها من الطفولة والحلم .. وتكاد الطبيعة بكل ما فيها من تألق وحركة ، وعبر لقطات في غاية الدقة ، أن تكون هي المحور الرئيسي والشخصية التي تتحرك فوق المساحات القصصية ـ كما أن المضامين الانسانية التي يطرحها داخل قصصه ترتكز على وعي عميق بالحياة .. وادراك صادق لما يدور في عالم الذات ، ورواية متقدمة في النقد ، ورصد ذكي لسلوك الانسان تمرء جميع هذه المعطيات في طرح فني جاد دون الوقوع في مزالق المباشرة .. فليست قصصه لافتات هشة تعرض محتوياتها للقارىء وانما هي عميقة الغور في دروب الواقع .. اذن نحن أمام رؤية قصصية ، ينبغي أن تكون لدينا كل معطيات الثقافة اذا أردنا أن نغوص فيها ، فهو قد عبر من خلالها عن كل رؤاه الفنية والثقافية .

لقد حملني المؤلف الى أجواء السحر والحلم والواقع المر الذي كان يحاصر طفولتنا . انه يختار عدته الكتابية من جميع المدارس الفنية .. وهو أقرب الى الفنان التشكيلي الذي تتراوح فرشاته بين العديد من المدارس الفنية ـ التعبيرية والانطباعية والسريالية والخيالية الابداعية وحتى الكاريكاتورية .

انه لا يصرخ : أن جيلنا كان مضطهدا للطفولة كاتما لانفاسها ، وقاتلا لحريتها .. لكن الطفولة كالمارد ، كانت واعية لما يدور حولها ، حريصة على التعلم ، وتلقي الدروس من الحياة ، ويمكن ملاحظة ذلك في قصص « عربة الملك ، الفرح ، ضجة في القلب ، وحتى في اللوحة الأخيرة » .

دخول في التفاصيل

ان القضايا المطروحة في القصص ، هي قضايا الساعة ، قضايا الانسان ومعاناته ونضاله . ولو أردنا التفصيل فانا نضع هذه الاشارات :

١ ـ في قصة « الصحو والحلم » نقف حيال المرأة واضطهاد الرجل لها ، وظروفها التعسة في عالم سيطرته المطلقة ، لذلك فهي تلوذ بالحلم ، ولا تكاد تضع أولى خطواتها في دائرة تحقيق رغبتها ـ رغم سذاجة هذه الرغبة ـ حتى يكون زوجها قد عكر عليها عالمها ، وحطم بمطرقته كل شيء . . وتكون هي أيضا ضحية تتكسر مثل اناء زجاجي . .

والملاحظ أن رغبة المرأة جاءت سقيمة في الحلم . . وأظن أن المؤلف كان منتبها ويقظا في جعل تصرفها صبيانيا . لأن الحرية التي تفهمها بعض النساء تكون باهتة أحيانا !

٢ ـ ورحيل المساء الحجري» . . وهي قصة عن موظف يعيش حلم اليقظة ، ويدور داخل الأوهام . . انه مضطهد ، ومحاط في العمل بالرتابة والتعب وعدم التقدير لاخلاصه ، ومضطهد في البيت من قبل زوجته . هذه المرأة التي تمثل كل النماذج المسيطرة والضحلة من نسائنا . . فالبيت في نظر الرجل مزدحم بالروتين والعلاقات الرتيبة المهترئة مثل الوظيفة تماما ، لذلك نراه يهرب من واقعه ويخلق لنفسه عالما خاصا : عالمه هو . . يتحدث مع التلفزيون ، ويضرب موعدا مع طبيبة ، ثم تكون النتيجة الفشل المر . . وبعدها تكون الصحوة .

القصة رغم منحاها الخيالي مثقلة بالوصف الواقعي للطفولة ، يسترجعها ليؤكد لنفسه على الاقل أن أوهامه ترتكز على أرضية من الواقع . . والذكريات التي تزخر بها ذاكرته . . والقصة بعد ذلك نقد للحياة أينما كان المرء . . في البيت ، في المؤسسة التي يعمل فيها ، في الشارع ، في الأماكن العامة . . وهي تشبه الأولى في كون البطل يحلم ، ويهرب ويصطدم بسور الواقع القاسي .

٣ ـ « ممرات في دفاتر الطفولة » . . هذه القصة مستلة من الطبيعة ، كأنما غمس « فان جوخ » ، أو « سيزان » ، أو أي فنان تشكيلي متقدم ، فرشاته في الالوان ، وجسد لنا هذه الطبيعة التي تتفاوت وتتحرك في دائرة الضوء ، والقتامة ، والرهبة ، والممرات الغامضة ، انها الحياة المتشابكة ، ومتاهاتها ، وما نحن الا كائنات نناضل . . وقد نضيع فيها الى الابد ، وقد نخرج الى خير منها .

القصة عن الخرافة وأثرها فينا ، فالمجتمع في أيامنا هذه وهو يعيش في دائرة العلم ومعطياته يرفض أن يقع تحت طائلة التخلف والأفكار البدائية ، والأساليب غير التربوية التي حشا الآباء رؤوسنا بها .

وهذه القصة في نظري من القصص الجميلة . . أداتها لغة في غاية الشاعرية وهي مليئة بوصف تفصيلات الطبيعة ، ويمكن أن يقال فيها الشيء الكثير من الاحكام والتأويل .

٤ ـ «بعيدا عن الايام القائظة» . . هي أيضا قصة ممتعة ، مصوغة بعناية تتحدث عن قوة الانسان النابعة من الذات حيال البطش والاضطهاد اللذين يسودان العالم وتستند الى ثلاثة محاور . . التلال والمذبحة ، العرس والفرح ، ولقاء الطفولة بالطفولة . . طفولة كهلة وطفولة في ميعة البراءة .

انها معقدة ، مليئة بالرموز المغلقة ، لكن اللغة فيها جميلة ويعني الوصف فيها بالتفصيلات ، مما جعلها أنيسة لا تثير فينا الملل والاستياء .

زمن الاحزان المنسية

«وزمن الأحزان المنسية» . . عن الهروب في ظروف سياسية ونفسية صعبة . والفتى الهارب يجد في الغربة منفى آخر . . تحاك ضده مؤامرة أخطبوطية ، ويعود الى الوطن الذي يكتشف فيه لأول مرة مثواه ، والأرض التي يمكن الاطمئنان اليها : « اذا كنت تحبها حقا فامنحها كل دمك » .

ولست أجافي الحقيقة عندما أقول : ان هذه القصة من أحسن النماذج الجديدة التي قرأتها . يوجد في القصة عدة محاور لكل محور ضمير خاص ، يتحدث به البطل ـ ضمير المخاطب في المحور الأول ، وضمير المتكلم في المحور الثاني والثالث ، وضمير الغائب في المحور الأخير ـ ورغم أن القصة تضج بالأشخاص والوجوه فان الشط والنخيل وملايين الذرات الضوئية المتراقصة فوقه وصور الطبيعة من داخل القطار . .

تبقى هي شخوص القصة ، التي تستوي فوقها معاناة الانسان ، أمام الظروف غير الطبيعية .

٦ـ «السفر داخل العيون الأليفة» . عالم زاخر بالرموز التي تتحرك في عدة محاور : المراوح والناس الذين ينظرون الى السماء ، الحديقة والانتظار ، والاختبار القاسي للاشخاص الثلاثة مع الوردة ثم المستشفى والبحث عن الفتاة . . الشخوص الثلاثة يمثلون في نظري ثلاثة اتجاهات سياسية ، وكل يحاول بوسيلته احتواء الوطن (الفتاة) والقصة بلا نهاية ، لان النضال سيظل قائما ما دام الاستغلال سائدا يعشش في نفوس الناس ، ورغم الغموض الذي يكتنف هذه القصة فانها لا تخلو من لمسات فنية بارعة أضاءها القاص في أجوائها وحناياها .

٧ـ أما القصتان «الفرح» و «ضجة في القلب» فتنتميان الى القصص الواقعي الذي لا يخلو من رمز . . الحية الاولى رمز للعدوان والقوى الشريرة التي تريد استلابنا وسرقة ممتلكاتنا . والمهر رمز القوة والحياة الجديدة .

قصتان تعتبران نموذجين متقدمين للقصة الواقعية الجميلة التي تقوم على بناء وصفي رصين ، وتكون فيها الطفولة في حالة من الوعي المسئول .

الهروب الى مدن الشمس

٨ـ «الهروب الى مدن الشمس» . . رصد وتجسيد وادانة لعدم المبالاة التي يتذرع بها الناس ـ وكأنما الاحياء قد استحالوا الى تماثيل حجرية أمام مسئولياتهم . . فلجأ القاص الى استخدام حورابي الملك المتحجر ومنحه فرصة لأن يعود انسانا . . انسانا عاديا يلمس وجه الحياة . . يعمل ويكد مثل الناس . ان تمرد حورابي ليس سوى ادانة صارخة للاحياء متحجري الأحاسيس . . المجردين من الشعور بالمسئولية تجاه ما يدور حولهم . . وعلى أرض الواقع . القصة برمتها استنهاض للانسان ، وتحريض له على أن يكون متحضرا في موقعه المسؤول ، بعيدا عن الجمود والاسترخاء .

٩ـ «البحر في النافذة» أشبه بقصة «زمن الأحزان المنسية» التي يعود فيها البطل من المنفى الى الوطن ، وهنا يهرب من واقع مريض آسن مليء بالحقد والملاحقة وتجريد الانسان من انسانيته ، الى واقع يعبق بالصفاء والطهر .

ورغم أن القصة لا تنتمي الى زمان ومكان ومجردة من الثرثرة اللفظية ، لكنها زاخرة بالمواقف الانسانية ، تؤكد لنا معنى الحرية التي يناضل الانسان ويضحي من أجلها . وقد تكون تلك المدينة التي تراءت له من بعيد ، وهي تستلقي في أحضان البحر والضوء والسماح ، هي مدينته الفاضلة .

١٠ ـ «عربة الملك» يبقى لها موقع خاص في النفس ، انها لمحة مضيئة من الأداء . وملاحقة صادقة للطفولة المعذبة ووأد أمانيها . . تحفل بالصور والالوان والمشاعر الحبيسة في الذات ، وهي بمجملها ـ وبكل ما فيها من تصوير فني عال ، ووصف جميل من خلال عيني طفل ـ احدى القصص الواقعية التي تظل تضيء في الذاكرة .

١١ـ «عائدة من أقاصي النسيان» . وهي من النمط القصصي الخيالي المتعب ، أضاف اليها المؤلف هوامش مكملة للقصة ، وهي تحكي قصة امرأة عادت الى الحياة بعد عشر سنوات من النسيان عن طريق امرأة عجوز تمارس السحر والشعوذة ،

لاعادة الوئام الى الاهل ، ورأب الصدع بينهم ، لكنها تفشل لأنها تتعثر بأخطاء تجاوزها الزمن ، ومع ذلك تترك لدينا حافزا الى العمل والتضامن والتصافح .

والقصة تلاحق مسألة الشعوذة ، وعدم قدرتها على اضاءة حياتنا بالأماني والآمال ، لأنها أساسا تستند الى العقم والخواء .

١٢ ـ «ثماني لوحات مائية» ، وهي عن الشاعر الراحل بدر شاكر السياب ، أراد المؤلف من خلالها أن يسهم في تمجيد هذا الشاعر العربي الكبير ، فصور حياته المأساوية عبر ثماني لوحات أنيقة ، لا تخلو من اللمحة القصصية البارعة .

حقائق

وأخيرا يمكن أن نخرج من خلال هذه المجموعة القصصية بالحقائق التالية :

أ ـ استعمال «تكنيك» مبتكر في صياغة القصص ، واعتماد السرد والتداعيات والمنولوج الداخلي .. تبدأ القصة أحيانا من النهاية مثل القصة الأولى ، وأحيانا يحشر في القصة لوحة قد تبدو لأول وهلة أن لا صلة لها بها ، لكنها امتداد لها .. مثل لوحة من زمن الطفولة في قصة « رحيل المساء الحجري » حيث مزج بين عالمين باقتدار عال ، عالم الخيال ، وعالم الواقع .

ب ـ الوصف الجميل للطبيعة والحياة واستخدام التزويقات (أو التزاويق) الفنية المتقدمة ، والاستفادة من المعطيات الفنية كالسينما والفن التشكيلي والحلم ومزج الألوان والتصوير الجميل للماء «لقد استطعنا أن نلمح المطر والغيم في عدة لقطات .. في القصة الاولى والثانية ، وضجة في القلب وثماني لوحات مائية ، كما أن فيها أجواء قصصية غريبة جدا ، وحين ندخلها كأنما ندخل في حلم جميل أو نرتاد عالما من الخيال الفضفاض .

ج ـ جاءت اللغة عذبة وشاعرية ، وكأني به يكتب شعرا في بعض القصص ، وأحس أن اللغة المتألقة غير العادية ضرورية لكتابة القصة الجديدة ، وهي مكملة للشروط الفنية الأخرى .

د ـ كل قصة حملت هما انسانيا خاصا ، وعالجت مسألة معينة تشغل بالنا في كل لحظة .

اذن نحن أمام ثلاث عشرة قصة ذوات مضامين انسانية ، ترتفع في لغة مترفعة عن الابتذال والهشاشة والسذاجة .. تجيء أحيانا واضحة وأحيانا رمزية فيها عذوبة وشاعرية ، وكتبت بصيغة متقدمة ومتطورة . □

●

أين جمال المرأة

ما أجمل مافي المرأة ؟ حاولت مجلة « وومان » أي المرأة ان تبحث عن أجابة لهذا السؤال ، فأجرت استفتاء بين مجموعة من الرجال ، قال البعض إن أجمل ما في المرأة غموضها ، وقال البعض الآخر ان سر ابتعادهم عن المرأة هو أنهم لايفهمونها ، ويمضي آخر ان غموضها يحيرهم !

وقال فريق ثالث إنهم يفضلون المرأة الجميلة بشرط الاتكون ذكية ، لان ذكاء المرأة يزعج الرجل !

مكتبة العربي

مختارات

الاسلوب والاسلوبية .

ترجمة : كاظم سعد الدين

الناشر : دار آفاق عربية - بغداد

سنة النشر : ١٩٨٥

عدد الصفحات والحجم : ١١٥ صفحة من القطع المتوسط .

هذا هو الكتاب الأول ضمن سلسلة كتب (آفاق) الشهرية التي صدرت في بغداد عن دار آفاق عربية التي تصدر عنها المجلة الشهرية التي تحمل نفس الاسم والتي يرأس تحريرها محسن جاسم الموسوي .

والكتاب من تأليف الكاتب الانكليزي غراهام هوف .

جاء في تعريف احد الكتاب للاسلوب بأنه الرجل ، فما الذي يقوله غراهام عن الاسلوب والاسلوبية ؟

جاء في تمهيده للكتاب ما يلي :-

(الغرض من هذه المقالة اعطاء وصف موجز عن الدراسة الحديثة للاسلوب الأدبي ، وقد نشأت دراسة الاسلوب من الالسنية في الغالب ، ومن منطلقات اخرى احيانا ، ولا ريب أن الأسلوبية هي دراسة اللغة مهما كان منشؤها ، وان موضع النقاش الوحيد هو كيفية دراسة اللغة الأدبية ، وقد أصبحت الالسنية اليوم فرعا عظيما مستقلا عن فروع المعرفة ، وعلاقاتها بالدراسات الادبية ليست أمرا يسيرا ، وكثير من اهتماماتها لاصلة له بالأدب ، وبعض من طرقها لا يروق لاغلب طلاب الأدب ، ومع ذلك فهي في نهاية الأمر لا يمكن أن تكون مجردة من هذه العلاقة ، وان دراسة اللغة ودراسة الادب ، كما هو واضح ، لهما حدود مشتركة ، وبهذا تكون الاسلوبية المنطقة الفاصلة بينهما) .

وقد استعرض المؤلف مدارس عديدة أدلت بدلوها في الاسلوب والاسلوبية .

نازك الملائكة - دراسات في الشعر والشاعرة

بقلم واعداد وتقديم : د . عبدالله المهنا ونخبة من اساتذة الجامعات

الناشر : شركة الربيعان للنشر - الكويت

سنة النشر : ١٩٨٥

عدد الصفحات والحجم : ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط .

منذ أربعينيات هذا القرن والشاعرة الناقدة نازك الملائكة تحتل مكانة مرموقة ورائدة في حياتنا الادبية العربية . .

فهي ممن أسهموا اسهاما بارزا في ارساء موجة الشعر الحديث - ومازالت حتى الآن ترفد هذه الموجة بالرغم من الملاحظات التي يمكن تسجيلها على تجربتها في المرحلة الأخيرة . اضافة الى ذلك فانها من المنظرين للشعر ، وكتابها (قضايا الشعر المعاصر) يعتبر مرجعا مهما في هذا المجال . . يقول الدكتور عبدالله مهنا في مقدمته للكتاب : (لايمكن التاريخ للشعر المعاصر الا انطلاقا منها ومن آخرين ، فمن هذه الكوكبة كان

البدء الحقيقي للشعر المعاصر الذي يضرب بجذوره في حياتنا الآن) . وحول صدور الكتاب يقول الدكتور مهنا : (انطلاقا من ظاهرة الوفاء لشاعرة حفرت اسمها بعمق في الحياة الادبية ، ولاستاذة جامعية علمت الكثير والكثيرات في عدد من الجامعات العربية) انطلقت فكرة اصدار الكتاب الذي احتوى على ثلاثة فصول هي : نازك مع الشعر والحياة ، نازك والادوات الفنية ، نازك ناقدة ، واحتوى كل فصل على مجموعة من الدراسات لمجموعة من الدارسين . . . .

محاضرات في نشوء الفكرة القومية

الكاتب : ساطع الحصري

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٥

عدد الصفحات : ١٧١ صفحة من الحجم المتوسط

بدأ مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بتجميع واعادة نشر مؤلفات وكتابات المفكر العربي : ساطع الحصري (أبوخلدون) الذي وقف حياته على الدعوة الى الوحدة العربية ، ونشر الفكرة القومية العربية ، وقد سجل المركز ١٧ كتابا ينوي نشرها لهذا الكاتب ، والكتاب الذي نعرض له هو الكتاب الخامس في سلسلة كتب (الأعمال القومية) للكاتب .

أما محتوى الكتاب فهو ست محاضرات تناولت نشوء الفكرة القومية والحركات التي دعت لها ومسيرتها في : المانيا ، وبلاد البلقان ، وتركيا ، والاقطار العربية . اضافة الى تغطية عامة لمجمل الحركات القومية في أوروبا منذ أوائل القرن التاسع عشر . وقد جاء في الكتاب عن مستقبل القومية العربية مايلي : « يجب أن نلاحظ أن العصر الذي نعيش فيه أصبح خليقا بالتسمية بعصر التكتلات ، لأن التطورات التي حدثت في الحياة الاقتصادية وفي الوسائل الحربية صارت تحمل الامم على التكتل ، ولو كانت متباينة اللغة والتاريخ والتقاليد ، فليس من المعقول أن تترك شعوب الأمة الواحدة منفصلة ومتفرقة »

المؤامرة !

الناشر : دار صبرا للدراسات ـ دمشق .

سنة النشر : ١٩٨٤

تقديم : د . أحمد أبومطر .

عدد الصفحات والحجم : ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط .

في عصر يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر مايو ـ آيار سنة ١٩٨١ ، دوى الرصاص في مدينة الفاتيكان في روما ، وسقط البابا يوحنا بولس الثاني مضرجا بدمائه . . وتم اعتقال التركي محمد علي أغجا بتهمة اطلاق النار ، ومع أن أغجا اعترف باطلاق النار وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، الا أن الامر لم يقف عند هذا الحد . فأقوال أغجا المتناقضة وتاريخ حياته ومسار تنقلاته ، وحصوله على المال والسلاح ، وهروبه من السجن في تركيا قبل ذلك ، بعد أن كان محكوما عليه بالاعدام فيها ، أثار الكثير من التساؤلات والشكوك بألا يكون باعث الاغتيال فرديا .

وهكذا وبعد عام واحد من صدور الحكم أعيد فتح ملف القضية . . وتم توجيه مسارها للزج بأسماء وجهات أخرى ، وتوجيه الاتهام لها بأنها هي التي تقف وراء العملية . . .

فمن هي تلك الجهات . . . ولماذا تم توجيه الاتهام اليها بالذات ؟ هذا مايجيب عليه هذا الكاتب . . . .

يحتل أو هنري مكانا مميزا بين كتاب القصة القصيرة الكلاسيكية في العالم . ولا يأتي تميز أو هنري من غرابة الاجواء التي يرسمها ، بل من طرافتها ومن النهايات المفاجئة التي تنتهي بها قصصه .
لكن لمفاجآت أو هنري منحى آخر يلقي عليه هذا المقال بعض الضوء .

المفاجأة في قصص أو هنري

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

يقف الكاتب الأمريكي أو هنري في صف واحد مع كبار كتاب القصة القصيرة في العالم ، الذين تركوا بصماتهم عليها خلال السنين . فهو يذكر مع انطون تشيكوف الروسي ، وجي دوموباسان الفرنسي ، ووليام سومرست موم الانجليزي .

وكما اختلف انتماء هؤلاء الكتاب الى بلدان شتى ، كذلك اختلفت طرق كل منهم في معالجة مواضيع قصصه .

ويعتبر أو هنري من ألمع الكتاب الأمريكيين في مطلع القرن العشرين ، واسمه الأصلي وليام سيدني بورتر . وهو كاتب مكافح جرب مهنا عدة ، ودخل السجن متهما بالاختلاس ، وفي النهاية عندما بدأ الدهر يبتسم له سارعت يد المتون اليه وهو في قمة عطائه .

وقد ألف عديدا من القصص التي تعتبر كلاسيكية ، وجزءا من تراث الأدب القصصي الأمريكي . وتمتاز قصصه بسرعة الحركة والايقاع ، وتصف في معظمها المجتمع الأمريكي في مطلع هذا القرن،وخاصة أولئك المكافحين في سبيل لقمة العيش وما يقاسون في حياتهم ، وتدور أكثر قصصه في مدينة نيويورك حيث المتناقضات ، وحيث كان يعيش فيها - آنذاك - أربعة ملايين من الناس .

وتلعب المفاجأة دورا كبيرا في قصصه ، فبينما نرى القصة تسير في منحى معين ، نجد لدهشتنا ومتعتنا أن هذا المنحى قد انحرف بشكل حاد جدا ، فغير مسيرة القصة كلها وربما كانت هذه المفاجأة في السطر الأخير من القصة أو في الجملة الأخيرة . والمفاجأة في قصص أو هنري طريقة سارة تجلب للقارىء الراحة والمتعة . خلافا للمفاجأة لدى غيره من الكتاب .

جمال المفاجأة

ولتوضيح جمال المفاجأة وميزاتها في قصص أو هنري أورد فيما يلي ثلاثة نماذج منها : الأول في قصة « كف توبين وطالع السعد » . التي تدور حول توبين وهو شاب وفد الى نيويورك من ايرلندة على أن تلحق به خطيبته كاتي ماهورنر ومعها مدخراتها من المال . وتمضي الاسابيع دون أن يسمع خبرا عنها . وبينما هو يروح عن نفسه برفقة صديق له في مدينة ملاه في نيويورك يدخل الى حجرة عرافة لتستكشف طالعه ، فتحذره من رجل أسود ، وامرأة شقراء . وتخبره بأنه سيخسر بعض المال وسيركب البحر . غير أن طالع السعد سيأتيه في النهاية عن طريق رجل طويل ذي أنف أعوج .

لايصدق توبين تنبؤات العرافة ، وبينها يسير في مدينة الملاهي اذ بزنجي يلسعه في أذنه بسيجاره المشتعل فيشتبك معه ليتبين بعد ذلك أنه قد سرق محفظته . ويتوجه مع صديقه الى زورق ليركبا فيرى الى جواره امرأة شقراء جميلة فيرفع قبعته لتحيتها فتطير القبعة الى الماء . عندها يلتفت توبين الى رفيقه ويعدد ماجرى له من مصائب ويقول له : ألا ترى ؟ لقد صدقت العرافة في كل ماقالته ، ولابد لي من البحث عن ذي الأنف الأعوج ، حيث طالع السعد . وأخذ يحملق في الموجودين دون أن يلمح شخصا واحدا يمكن أن ينطبق عليه هذا الوصف ولو من بعيد .

وفي طريق العودة الى البيت يعثر على رجل طويل ذي أنف شديد الاعوجاج فيمسك به مع صديقه ويحكيان له عن نبوءة العرافة ، فيوافق على أن يصحبهما الى مقهى ، ويقضون معا وقتا طويلا دون أن يبرز السعد في وجهه .

ويكاد توبين يشعر باليأس فيشفق عليه الرجل ويدعوهما الى بيته لتناول العشاء واحتساء بعض الشراب ردا منه على دعوتهما إياه الى المقهى .

لدى قصاصين آخرين تنتهي القصة هنا . أما لدى أو هنري فللقصة بقية . يتابع الرجل : ان زوجتي نائمة ولكنني سأطلب من الخادمة الجديدة أن تصنع لكما بعض القهوة فان الصبية كاتي ماهورنر التي جاءت منذ ثلاثة شهور من ايرلنده تصنع قهوة طيبة .

المال والزحام

وأما النموذج الثاني فلا يقل متعة عن الأول . واسم القصة هو « اله المال » .

وتدور حول شاب هو ابن صاحب مصنع للصابون ، مفرط الغنى ويؤمن أن المال قادر على أن يصنع كل شيء ، وعندما يخبر هذا الشاب أباه أن ثمة أشياء كثيرة لا تشترى بالمال يسخر منه أبوه . ويروي الشاب لأبيه كيف أنه يتمنى أن يخطب فتاة أحلامه غير أنه لا يوجد لديه وقت لذلك ، اذ ستسافر الفتاة الى أوروبا لمدة عامين ولن يتاح له الا صحبتها من محطة القطار الى المسرح حيث تنتظرها والدتها ، وهذه الرحلة القصيرة في شارع برودواي غير كافية لاعطائه الفرصة المناسبة لمحادثتها بشأن الخطبة .

وهكذا فهو مع وجود المال عاجز عن شراء بعض الوقت الذي يمكنه من خطبة الفتاة . ويذهب الشاب لمرافقة فتاته ويركبان في تاكسي . وبينها هما في منتصف شارع برودواي يزدحم السير فجأة ، وتشتبك العربات والسيارات اشتباكا شديدا في كل اتجاه ، وتُشل حركة المرور بسيارات من كل الحجوم والأشكال ، فلامجال للتقدم الى الأمام ولا الرجوع الى الوراء ، وتمضي قرابة ساعتين قبل أن تتمكن السيارات من التقدم ، يتاح للشاب فيها أن يكلم الفتاة بشأن الخطبة .

وفي المساء يبشر الشاب أباه أنه قد نجح في مسعاه وأن المال لا دور له بذلك . هنا يمكن للقصة أن تنتهي لولا أن أو هنري يريد لها نهاية أخرى .

ففي اليوم التالي نجد شخصا يأتي الى والد ذلك الشاب ليسوي الحساب معه ، فقد احتاج الى مال كثير كي يستأجر العربات والسيارات ، ويكافىء سائقيها الذين التزموا بمواعيدهم وحققوا ذلك الزحام الممتاز .

ويقول الأب لهذا الرجل : انك لاتحتقر المال . . . أليس كذلك ؟ . ويجيب الآخر : لو رأيت الرجل الذي اخترع الفقر لعلوته بالسوط .

المواطن العالمي

والمثال الأخير على المفاجأة في قصص أو هنري . في القصة مواطن عالمي طاف حول العالم مرات ومرات ، فالكون موطنه وهو في بقعة مختلفة منه في كل آن . والدنيا بالنسبة له متناهية في الصغر . ومن أراد مراسلته فعنوانه ! . رشمور كوجلان . الكرة الأرضية ـ المجموعة الشمسية ـ الكون . وكفى بذلك عنوانا يدل عليه .

ويلتقي الكاتب هذا الرجل في مقهى فيحدثه عن العالم مشرقه ومغربه ، وهو الضليع العالم ، ثم يغادره والكاتب يشعر نحوه بالاحترام ، فهذا هو المثل الأعلى للمواطنية العالمية . وفجأة ينتبه الكاتب الى ضوضاء عنيفة نجمت عن شجار حصل في أحد أركان المقهى ، وعندما يتساءل عن سببها يرد عليه النادل : ان ذلك الرجل (المواطن العالمي) قد اشتبك مع شخص وجه اهانة يسيرة الى القرية الصغيرة التي ولد فيها . □

قصة مترجمة

الشرطي والنشيد

بقلم الكاتب الأميركي أو هنري

ترجمة : حسن محمود عباس

تحرك سوبي من على مقعده بتثاقل في ميدان ماديسون ،فعندما يرتفع صوت الاوز البري في عتمة الليل ، وعندما تأخذ النساء اللواتي لايمتلكن معاطف الفرو الفخمة في التودد الى أزواجهن، وعندما يغادر سوبي مقعده في الميدان متثاقلا : يمكنك حينئذ أن تتكهن بأن فصل الشتاء على الأبواب .

لقد سقطت ورقة شجر في حضن سوبي وكانت هذه الورقة بمثابة المؤشر الى قدوم الصقيع . ومن رأفة الصقيع بنزلاء ميدان ماديسون المنتظمين ، أنه يعلمهم بمجيئه في كل عام . فعلى كل ناصية من النواصي الأربع التي تلتقي عند تقاطع الشوارع ، يلوح الصقيع بريح الشمال منذرا منازل المشردين كافة،لعل هؤلاء النزلاء يعدون العدة ويأخذون الحذر .

لقد بات سوبي على علم بأن الوقت قد حان لأن ينخرط في جمعية تؤمن له وسيلة العيش ، وتصد عنه هذا العنف القادم ، لذلك قام متثاقلا عن مقعده في الميدان .

لم تكن تطلعات سوبي الى مأوى مفرطة في الطموح . فلم يضع في حسابه مثلا ، جولات في حوض البحر الأبيض المتوسط ، أو رحلات الى خليج ميزوفا . كل ما كانت تتوق اليه نفسه هو ثلاثة أشهر في الجزيرة المنشودة سجينا ، ثلاثة أشهر يتوافر له فيها الطعام والشراب والمأوى والأمن ، محترزا من ريح الشمال ومن عيون رجال الشرطة . كان ذلك يبدو له وكأنه غاية المرام .

كان بلاك ويلز المضياف ـ لسنين عديدة ـ مأواه الشتوي . وقدأعد سوبي عدته المتواضعة لهجرته السنوية الى الجزيرة ، تماما كما يفعل مواطنوه النيويوركيون الأوفرحظا ، عندما يبتاعون تذاكر السفر ، ويتجهون الى مشتاهم في (بالم بيتش والريفيرا) كل عام .

والآن حان الوقت . ففي الليلة الماضية لم تفلح ثلاث صحف افترش احداها والتحف بأخرى وأحاط رسغيه بالثالثة ، لم تفلح هذه الصحف في صد البرد عنه ، بينما كان نائما على مقعده بالقرب من النبع المتدفق في الميدان القديم . لذلك بدت الجزيرة في مخيلته كبيرة ومناسبة . كان ينظر بازدراء الى المعونات التي تقدم الى أمثاله من سكان المدن باسم الإحسان .

كان القانون في نظر سوبي أكثر رحمة من الانسانية ، كان هناك العديد من المؤسسات الخيرية والمجالس البلدية التي يستطيع الاعتماد عليها في الحصول على مايحتاجه لحياة بسيطة من طعام ولباس . لكن نفس سوبي الشديدة الأنفة تزدري الصدقات ،

وتنظر اليها على أنها عبء ثقيل . فهو يعتقد أن المرء اذا لم يدفع مقابلاً ثمنا لما يأخذه من صدقات المحسنين فانه لامحالة ، دافع الثمن من كبريائه وكرامته . لذلك فانه خير للمرء أن يكون ضيفا على القانون . ورغم انه محدود بقواعد وأصول الا أنه لايتدخل في أمور الانسان الخاصة .

وما أن قرر سوبي الذهاب الى الجزيرة حتى شرع في بلوغ هذه الرغبة . فقد كانت أمامه عدة سبل سهلة يرتادها . أما أكثرها جلبة للسرور فهي : أن يدخل أحد المطاعم الراقية ، ويطلب وجبة عشاء دسمة . وبعد أن يفرغ من الأكل ويعلن عن عجزه عن سداد الثمن يقتاد بهدوء الى رجل شرطة ، ثم يترك الباقي الى قاض لطيف .

نهض سوبي عن مقعده وغادر الميدان متمشيا ثم عبر الشارع عند التقاء شارع برودواي بالشارع الخامس . وفي أعلى برودواي التفت وتوقف أمام مقهى متألق باهر حيث يجتمع فيه ليليا ، نخبة من خاصة الناس ، بملابسهم الفاخرة الأنيقة ، وأمام كل منهم ما يشتهي من سائغ الشراب ولذيذ الطعام . وكان لسوبي ثقة عظيمة بنفسه ابتداء من الزر الأسفل في صدريته فصاعدا . كان حليق الذقن يرتدي معطفا مناسبا وربطة عنق سوداء أنيقة ، كانت قد أتت بها اليه سيدة ارسالية في يوم عيد الشكر . فاذا استطاع الوصول الى احدى موائد الطعام فلاشك أنه نجح . ذلك ان نصفه الأعلى - بعد أن يجلس الى المائدة - لن يثير ريبة النادل . وأخذت أصناف الطعام تترى في مخيلته . قال سوبي في نفسه : بطة محمرة لابد من أن تكون مقتعة ، ومعها كمية من الجبن الفرنسي أيضا وفنجان قهوة وسيجار . أما السيجار فيكفيه دولار واحد ، ولن يكون مجموع التكاليف مرتفعا الى الحد الذي يجلب معه رغبة الادارة في الانتقام ، هذا فضلا عن أن اللحم سيشبعه ويجعله سعيدا في رحلته الى مهجره الشتوي .

ولكن بينما كان سوبيُ يخطو خطواته الاولى داخل المطعم ، وقعت عينا كبير الخدم على سرواله المهترىء وحذائه المنحط . ومالبث أن وجد يدا قوية تمسك بكتفه وتشده الى الوراء ، لتوصله بهدوء الى الشارع ، وتحول بينه وبين البطة المحمرة الفاخرة .

وغادر سوبي شارع برودواي ، بعد أن بدا له أن سبيله الى الجزيرة المرجوة لن يكون شهوانيا ، وأن عليه أن يفكر في وسيلة أخرى لبلوغ السجن . وفي احدى زوايا الشارع السادس رأى مجموعة من السلع المعروضة بدهاء ، خلف واجهة زجاجية وشعاع المصابيح ينعكس عليها . كانت مجموعة السلع هذه جميلة رائعة . فتناول سوبي حجرا وقذف به الواجهة الزجاجية ، فتدافع الناس نحو زاوية الشارع ، وكان في مقدمتهم واحد من رجال الشرطة . ظل سوبي واقفا ويداه في جيبيه ، وقد ابتسم مسرورا برؤية الأزرار النحاسية الصفراء .

سأله الضابط بحنق : « أين الرجل الذي فعل هذا ؟ »

ألا تعتقد انه يمكن أن أكون ضالعا في هذا الذي جرى ؟

أجاب سوبي بشيء من التهكم ، ولكن بتودد كما لوكان يبادله التحية . وانصرف تفكير الشرطي عن سوبي انصرافا تاما ، ولم يرض به أن يكون مجرد دليل أو مفتاحا للموقف . ان الذين يكسرون واجهات العرض لايمكثون ليتبادلوا الحوار مع ممثلي القانون . انهم عادة يلوذون بالفرار . ووقعت عينا الشرطي على رجل في الطرف الآخر من العمارة ، يركض جاهدا آملا في اللحاق بسيارة أجرة ، فأمسك بهراوته

وانهمك في مطاردته . أما سوبي فقد سار في الطريق متسكعا حائر النفس مشمئزا ، بعد أن أخفق مرتين .

وعلى الرصيف المقابل من الشارع رأى مطعما تبدو عليه البساطة نوعا ما ، وهذا المطعم يقدم أطعمة شهية لاتكلف كثيرا ، ففي أجوائه العامة لاتجد الذوق الرفيع ، ولا في مفارش الموائد أيضا . حتى الأواني الخزفية فيه والحساء من النوع الخفيف الرقيق .

في هذا المكان دخل سوبي بحذائه اللعين وسرواله المهترىء ، وأخذ مكانا حول احدى الموائد ، ثم طلب لحما مشويا ، وكعكة بالبيض ، وكعكة أخرى محلاة ، وفطيرة . وأخيرا أشار الى النادل وأخبره بأنه لايملك من النقود أقلها . وقال :

ـ « الآن تستطيع أن تتصرف وتدعو شرطيا ، اذ لاداعي لأن تترك رجلا مهذبا مثلي ينتظر » .

ـ « لست بـ .جة الى شرطي »قالها النادل بصوت فيه

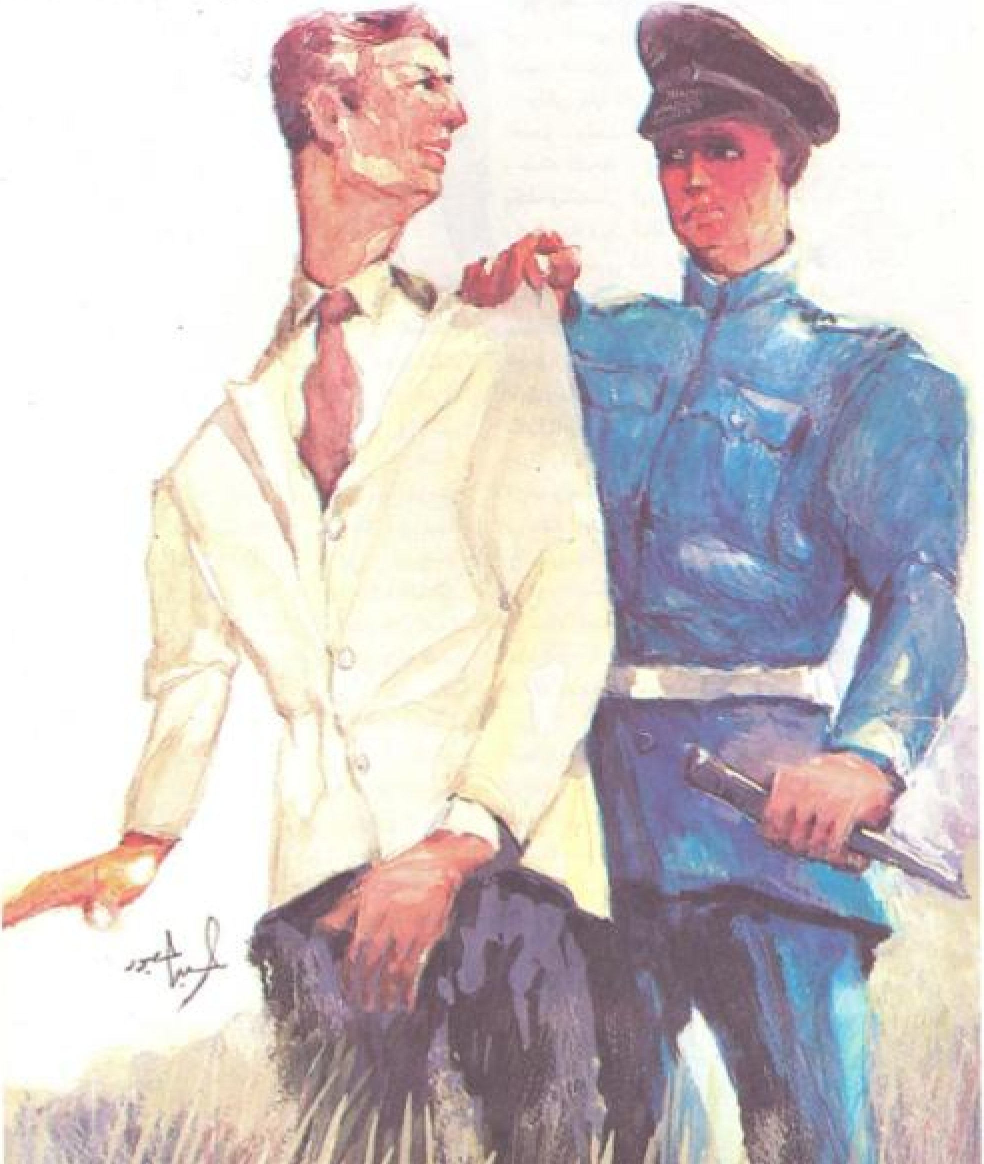

هشاشة الكعك وعين تشبه توت مانهاتن . وصاح : « هاي كون ! » فأمسك به اثنان من عمال المطعم وطرحاه أرضا على الرصيف الصلب . ونهض سوبي رويدا رويدا كما تفتح مسطرة النجار ، ونفض الغبار عن ملابسه . وبدا له السجن وكأنه حلم وردي ، وكذلك لاحت له الجزيرة على البعد البعيد . أما الشرطي الواقف على بعد أمتار من أمام مخزن أدوية ، فقد ضحك واستدار متخذا سبيله على امتداد الطريق .

وسار سوبي على طول خمس بنايات أخرى ، قبل أن تسعفه شجاعته في طلب السجن ثانية . أما الفرصة التي أتيحت له هذه المرة فهي من النوع الذي اصطلح مع نفسه على تسميته بـ « الضمانة » ، فهذه امرأة شابة في زي جميل معتدل تقف أمام واجهة عرض ، وتنظر في اهتمام بالغ الى المعروضات من آلات الحلاقة وأدوات الكتابة ، وعلى بعد مترين منها تنتصب قامة مديدة ضخمة لأحد رجال الشرطة من ذوي المسلك الخشن ، وقد اتكأ على ماسورة ماء .

وكانت خطة سوبي تتلخص في أن يقوم بدور العاشق البغيض . وقد شجعه مظهر ضحيته الأنيق ، واقتراب الشرطي اليقظ منها ، على الاعتقاد بأنه سوف يستشعر في الحال ، قبضة هذا الرجل المرجوة وقد حطت على ذراعه لتؤمن مأواه الشتوي على تلك الجزيرة الصغيرة العزيزة المنال .

واتخذ وضع استعداد . فباشر في تسوية الربطة التي كانت قد منحته اياها إحدى سيدات الارسالية ، وسحب الأزرار المنكمشة تحت سترته لتبدو جلية واضحة . وأمال قبعته إمالة تسترعي الانتباه ، واتجه نحو السيدة الشابة . فصوب اليها نظراته وعزز تلك النظرات بصوت هو بين السعال والنحنحة ، وتكلف الابتسام وبدأ ـ بوقاحة ـ يقوم بدوره الشائن كعاشق أحمق .

ولم يفته أن يقتنص النظر الى الشرطي ، فوجده يراقب الموقف عن كثب . لكن السيدة ابتعدت بضع خطوات وصبت اهتمامها كله على أدوات الحلاقة وتبعها سوبي .. ثم دنا منها بجسده ورفع قبعته وقال : « آه بيداليا : ألا تودين المجيء معي واللعب في فناء بيتي ؟ » .

هذا والشرطي ما زال يراقب الموقف . وما كان ينبغي للسيدة ـ وهي عرضة للمضايقة ـ الا أن تشير بأصبعها ليُقتاد سوبي فعلا الى الجزيرة المأوى . وأدارت المرأة وجهها اليه ومدت يدها وأمسكت بكم معطفه جذلة وهي تقول :

ـ « بالتأكيد يا مايك كنت سأكلمك لو أن الشرطي لم يكن يراقبنا » وفيما كانت المرأة تلعب لعبة النبات المتسلق على شجرة البلوط ، سار سوبي وإياها متجاوزا الشرطي وقد انتصر انتصارا كئيبا . وبدا وكأن الحرية قد قدرت عليه بالرغم منه .

وفي الزاوية الأخرى من الشارع أفلت سوبي من صديقته وولى هاربا ، ولكنه توقف في إحدى المناطق حيث تكون الشوارع ليلا قليلة الاضاءة ، وحيث توجد القلوب والنذور وتتجاوب أصداء الاوبرا . في هذا المكان ، تروح وتغدو نساء يرتدين الفراء ، ورجال يلبسون المعاطف العظيمة ، وهم جميعا يستمتعون بهواء الشتاء .

لكن خوفا مفاجئا استولى عليه ظناً منه أن سحرا رهيبا قد جعله آمنا وحال بينه وبين أن يسجن . فجلبت له هذه الفكرة شيئا من الرعب . وبينما هو يمر برجل آخر من رجال الشرطة ، يتمشى على مهل أمام أحد المسارح الفخمة ، خطرت له بسرعة فكرة التعلق بقشة « السلوك السيء » .

وعلى جانب من الشارع رفع سوبي عقيرته وأخذ بكل ما في صوته من نكر ، يصرخ ويغني . واستمر على حاله يرقص ويهذي ويصرخ الى أن أزعج المارة . وما كان من الشرطي الا أن لوح بعصاه ثم أدار ظهره الى سوبي وأخذ يشرح لأحد المواطنين من المارة : « انه واحد منهم . أولاد من ييل يحتفلون باهداء بيضة الأوزة الى كلية هارتفورد . انهم مقلقون ولكن لا نخشى منهم أذى . لدينا تعليمات بأن نتركهم وشأنهم » .

وخفض سوبي من صوته ، وتوقف عن هذه الجلبة غير المجدية . أليس من شرطي يلقي عليه القبض ؟ لقد تصورت الجزيرة في مخيلته وكأنها نعيم لا سبيل الى بلوغه .

زرّ معطفه تحفظا من الهواء البارد . وفي أحد مخازن السيجار رأى رجلا حسن الهندام يشعل

سيجارة عند ضوء متأرجح ، وقد وضع مظلته الحريرية عند مدخل الباب ، فاقترب سوبي من المدخل واختطف المظلة ، وسار بها في الشارع ببطء شديد . فتبعه الرجل صاحب السيجار مسرعا وصاح « مظلتي إنها لي » .

أجاب سوبي بازدراء مضيفا تهمة الاهانة الى هذه السرقة الطريفة واستطرد :

ـ « لماذا لا تنادي على الشرطي ؟ أنا أخذتها ! مظلتك ؟ لماذا لا تنادي على الشرطي ؟ هناك عند الزاوية يقف شرطي » .

وأبطأ صاحب المظلة في مشيته . وكذلك فعل سوبي وفي دخيلته شعور بأن الحظ سيخذله مرة أخرى . ونظر الشرطي الى الرجلين باستغراب . قال صاحب المظلة : « طبعا ـ هذه ـ حسنا : أنت تعرف كيف ترتكب مثل هذه الاخطاء ـ أنا ـ اذا كانت هذه مظلتك فأرجو المعذرة ـ كنت قد أخذتها هذا الصباح من أحد المطاعم ـ فاذا أيقنت أنها لك أرجو أن . . . » وقاطعه سوبي بشدة : « نعم انها لي » وتراجع صاحب المظلة . وأسرع الشرطي عبر الشارع ليقدم العون الى شقراء طويلة بلباس الاوبرا .

توجه سوبي شرقا في أحد الشوارع المحفورة لغرض الاصلاح ، وفي إحدى الحفر ألقى بالمظلة ، وتمتم بكلمات شتم فيها الرجال الذين يلبسون الخوذ ويحملون الهراوات . لقد بدا وكأنهم يقدرونه أعظم القدر كما لو كان ملكا مبرأ من العيب والخطأ ، هذا في الوقت الذي كان بأمس الحاجة لأن يلقوا عليه القبض .

وفي النهاية وصل سوبي الى أحد الشوارع شرقا ، حيث قد خفت الضوء والضجيج ، واتجه ببصره نحو ميدان ماديسون ، ذلك أن غريزة الاقامة والميل اليها يبقيان حتى لو كان البيت مجرد مقعد خشبي في حديقة .

وعند زاوية هادئة هدوءا غير عادي توقف سوبي توقفا تاما . هنا تنتصب أمامه كنيسة مخروطية الشكل من الطراز القديم . كان النور الخافت يشع من إحدى النوافذ ، حيث يمارس عازف الأرغن التدريب على نشيد الأحد القادم . لقد تسرب صوت موسيقى شجي الى أذنيه ، جعله يتسمر في مكانه متكئا على السياج ذي اللفائف المعدنية .

كان القمر من فوقه ساطعا قويا ووقورا . وكانت حركة المشاة ووسائط النقل قد قلت . والطيور التي على أغصانها كانت تزقزق ناعسة في السماء .ذلك أن هذا المنظر الذي أمامه ربما تحول بعد ساعات الى قبور في فناء كنيسة . والنشيد الذي كان يعزفه عازف الأرغن هو الذي جعل سوبي يلتصق بالسياج المعدني ، لأنه سبق أن سمعه أيام كانت حياته تحتوي على أشياء كالأمهات والطموح والزهور والأصدقاء والأفكار النقية .

ان الرابط بين حالته الذهنية المتفتحة والمؤثرات التي أحاطت بالكنيسة القديمة صنعت تحولا مفاجئا ومدهشا في نفسه . لقد اتضحت أمام بصيرته وبسرعة رهيبة الهوة السحيقة التي وقع فيها ، والأيام التعسة التي يحياها ، والرغبات التافهة والآمال المريضة والقدرات المحطمة والدوافع الدنيئة التي كان يقوم عليها وجوده .

لقد تفتح قلبه واستجاب لهذا النمط الجديد من التفكير . هكذا تحركت في نفسه دوافع سريعة مفاجئة وقوية ، ليعلن الحرب على حظه التعس . سوف ينتشل ذاته من الوحل . سوف يقهر الشيطان الذي إستوطن روحه . وفي عمره متسع لذلك . فهو ما زال شابا الى حد ماسيبعث طموحاته من جديد . وسيسعى إلى تحقيقها دون تردد . لقد زرعت نغمات الارغن الهادئة العذبة بذور الثورة في نفسه . وغداً سوف يذهب الى المدينة الصاخبة الحافلة بالحياة ليبحث عن عمل .

كان أحد مستوردي الفراء قد عرض عليه ذات يوم أن يعمل سائقا . سيجدّ في البحث عنه غداً للحصول على تلك الوظيفة . لابد أن يكون شيئاً ما في هذا العالم .

ولسوف . . .

وأحس سوبي بيد تحط على كتفه . واستدار بسرعة ليجد نفسه وجها لوجه مع واحد من رجال الشرطة .

سأله الشرطي : « ماذا تفعل هنا » ؟

أجاب : لاشيء .

قال الشرطي : « اتبعني اذن » .

وفي اليوم الثاني قال قاضي محكمة الشرطة : « حكمت عليك المحكمة بالسجن ثلاثة أشهر تقضيها في الجزيرة » ! □

رحلة الخراساني إلى الموت

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

كان أبو مسلم الخراساني سيف الدعوة العباسية البتار . وحين تم للعباسيين الانتصار ، رأى المنصور أن ثمن اكتمال الخلافة له لا يتم الا بمواجهة عنيفة ضد الخراساني .

وكان بين الاثنين بحر من المرارة والعداء . وهذه هي قصة اللقاء الاخير بين الخراساني والمنصور في « الرومية » ، تلك الخيمة التي شهدت مصرع الخراساني .

عندما حانت ساعة الرحيل قال له « ينزك » : ان كان لا بدمن ذهابك الى الخليفة فافعل شيئا واحدا ولا تفعل غيره . . اذا دخلت عليه فاقتله .

همس أبو مسلم في ذهول :

ـ أقتل الخليفة ! ؟

ـ والله ان لم تفعل فلن تخرج من عنده على قدميك . .

كان ينزك كان يقرأ ذات نفسه . يرى روحه المتعبة القلقة التي تشعر بالخوف للمرة الاولى ، وتوشك أن تقوده الى الانتحار . كان أبو مسلم قد خاض عشرات المعارك وقتل آلاف الناس ، وكان يؤمن أنه لا يوجد سوط للعقاب الا السيف ، ولا يوجد سجن غير القبر . فهل يجرؤ على رفع سيفه في وجه الخليفة أبي جعفر المنصور ؟ . .

الكلمات العذبة . . الفخ الأول . .

كيف استدار الزمن هذه الدورة . . وتحول أخلص القواد الى فأر مذعور يراد له أن يساق الى المصيدة . منذ أن حضر رسول الخليفة اليه وهو عاجز عن النوم . وعاجز عن اتخاذ القرار . . قبل ذلك كان يعتقد أنه قادر على مغالبة الدنيا كلها .

في البداية تحدث إليه الرسول بكلمات لينة عذبة . . ولكن أبا مسلم كان قد رأى ما يكفي من الدماء حتى لا تخدعه بلاغة الكلمات .

.. وهتف بالرسول :

- ارجع الى صاحبك فلست أريد لقاءه ..

وقال الرسول حميد في هدوء :

- أو قد عزمت على مخالفته .. ؟ لا تفعل .

كانت هناك رسالة أخرى أبقاها الرسول حتى اللحظة الأخيرة .. حتى لحظة اليأس من الموافقة الطائعة لأبي مسلم .. قال :

- فان الخليفة يبلغك أنه بريء من محمد ان أبيت ان تأتي اليه أو عصيته .

ولن يألو في طلبك وقتالك بنفسه ، ولو خضت البحر لخاضه ، ولو اقتحمت النار لاقتحمها حتى يفتك بك .. أو يموت دون ذلك .

ووجم أبو مسلم . كانت هذه هي المرة الاولى التي يتلقى فيها تهديدا بهذه الحدة . وهمس :

- هو بنفسه .. قال لك هذه الكلمات .. ؟

وأومأ حميد في صمت وانصرف .. تاركا أبا مسلم في حالة غريبة .. وظل طوال الليل يفكر في حدة هذه الكلمات ، ويقارنها بعذوبة كلمات الرسالة الأولى .. ويحاول أن يجد لنفسه بينهما مخرجا . تذكر المرات التي تقابل فيها مع الخليفة أبي جعفر المنصور .. كما تتقابل النصال .

في كل مرة يتولد جرح جديد لا يصيب مقتله . فهل حان وقت الاجهاز .. ؟

النبوءات الغامضة .. الفخ الثاني

بدأ الرحيل عن خراسان في قافلة طويلة محملة بالهدايا لعل الخليفة يرضى . محفوفة بالفرسان لعله يرتدع .. وأبو مسلم في المقدمة صامت الوجه .. يردد في داخله بيتا من الشعر ..

ما للرجال مع القضاء محالة
ذهب القضاء بحيلة الأقوام ..

وكان الطريق الى مدينة الري طويلا . وأحاط به فرسانه فأحس ببعض الأمان . وأراد أن يطمئن نفسه أكثر ، فأخذ يتذكر كل انتصاراته السابقة . كان يمر بكل القرى التي غزاها .. والمدن التي اقتنصها من أيدي ولاة بني أمية . كان ما يزال شابا صغيرا عندما قابل الامام العباسي ابراهيم بن محمد وكانت الدعوة سرية أشبه بحلم غامض من أحلام الخلاص . ومنذ المقابلة الأولى اكتشف الامام الشخصية الطاغية لهذا الفتى وجعله يحتل مركزا هاما في الدعوة وهتف ببقية الوفود :

- أبو مسلم منا نحن آل العباس . أطيعوه .. تطيعونا ..

وبدأت رحلته الفريدة تحت الراية السوداء .. يظهر ويختبيء ، ويستغل ثغرات بني أمية وخلافاتهم ، وجشع الولاة ، وتوق الناس للتغيير . وأصبحت فارس عجينة طيعة في يديه يشكلها كما يشاء ، ولا يراجعه فيها أحد . وقتل الخليفة الأموي مروان بن محمد الامام وتولى بعده أبو العباس ، ثم ظهر أبو جعفر المنصور .. وتغير كل شيء ..

في الظهيرة توقفت القافلة للراحة ، وجاء أحد العرافين الى خيمة أبي مسلم . قالوا له ان هذا العراف ماهر في التنبؤ بالمستقبل ، فسأله في سخرية مريرة :

- هل يمكن أن تخبرني أين سأموت ؟ ..

نظر العراف اليه بعينيه النافذتين ثم قال في تأكيد :

- تموت في بلاد الروم ..

وضحك أبو مسلم في انشراح . كان من المقرر أن يتقابل مع الخليفة في المدائن .. وهمس كأنه يحدث نفسه :

- ما أبعد المدائن عن أرض الروم ..

وأعطاه عطاء جزيلا رغم أنه لم يصدقه كثيرا .

في خراسان تقابلا للمرة الأولى بعد أن سقطت دولة بني أمية ، وأعلن أبو العباس نفسه خليفة للمسلمين وأبا جعفر وليا للعهد . كان أبو جعفر طوال هذا الصراع الدامي معتكفا في قرية « الحميمة » يدرس الفقه والتفسير . وخرج فجأة من هذه العزلة لكي يتصدر الدولة . وقف في وجه القائد الذي نهضت هذه الدولة على حد سيفه في معقله بخراسان ، ليأخذ البيعة لاخيه ثم له من بعده . ثم أفضى بشكوكه حول تصرفات أبي سلمة ، داعيتهم الاول في فارس ، وصديق أبي مسلم ، عندما تباطأ في أخذ البيعة ، وتناثرت الأقوال الى أنه يميل للعلويين ، وأراد أبو مسلم أن يبين لهذا الفقيه الخارج من عمق الصحراء كيف يتصرف القائد الحازم عندما لا يأبه بعواطفه الشخصية ، فأسرع باستدعاء صديقه القديم ولم يسأله . ولم يترك له فرصة لتوضيح أي

شيء ، ولكن قتله على الفور أمام عيني الفقيه المذهول . . الذي هتف به لحظتها :

- حدثوني كثيرا عن شدتك . . لكنني لم أتصورها لهذه الدرجة .

وقال أبو مسلم في سخرية خفية :

- لو بحثنا عن فتوى لكل قتلة ما قامت الدولة .

كان مقدرا لهما أن يلتقيا للمرة الثانية في موسم الحج . كتب أبو مسلم يستأذن الخليفة أبا العباس في أن يخرج للحج . وكان يريد أن يكون هو قائد الموسم ، وأن يعطي لنفسه نوعا من الشرعية الدينية غير شرعية السيف . ولكن أبا جعفر كتب هو أيضا للخليفة . وأصبح أبو جعفر أميرا للحج ، ربما كان ذلك بفعل المصادفة ، وربما كان تدبيرا عباسيا محكما ، حتى لا يُعطى أبو مسلم أكثر مما أخذ ، ولكنه شعر بالغيظ الشديد . . وهتف وهو يلقي كتاب الخليفة :

أما وجد أبو مسلم عاما يحج فيه غير هذا . .

وسمح له الخليفة أن يخرج في رفقة خمسمائة من أتباعه ، فخرج في عشرة آلاف . كأنه أراد أن يؤكد من طرف خفي أن للقوة نفس سطوة الامارة . وسار في الصحراء يفتحها من جديد . أغمد سيفه وبسط يده ، فحفر الآبار ، وكسا الأعراب ، وأقام الموائد ، وأجزل العطايا ، ووصل الشعراء ، وترك أبا جعفر على الجانب الآخر قابعا في الظل ، يتأمل كل شيء ، ولا يغيب عن ذهنه شيء . لم يكن في هذه اللحظة

رجلا قويا يأمر الرجال بأمره ولم يكن سخيا ، ولم يكن يحب الشعراء أو يميل لغناء الجواري . وكان يعتقد ان الأبار الموجودة في الصحراء كافية ، ولكن الشيء الذي تأكد له بعد هذه الرحلة انه لا أخوه على عرشه في بغداد ، ولا هو على امارة الحج يملكان شيئا بقدر ما يملك هذا الرجل .

وعندما انتهى الموسم واصل أبو مسلم لامبالاته به . كان يصر دائما على أن يتقدمه على الطريق ، وأن يتركه دائما خلفه ، يشرب من الماء العكر . وتأكل دوابه من بقايا العشب ، ويتأمل عبيده آثار الولائم ، ولكن في منتصف الطريق جاءت الانباء من بغداد بأن الخليفة قد مات .

وأصبح ذلك الفقيه المتأخر هو الخليفة .. وبدأت وفود الناس تبايعه ، ولكن أبا مسلم لم يرجع حتى يلقاه . ولم يتوقف حتى يلحق به . أرسل فقط رسالة باهتة يعزيه فيها بموت الخليفة ، ولا يهنئه بالخلافة . وللمرة الاولى ثار الفقيه الذي أصبح خليفة . أرسل له رسالة غليظة أن ينتظر في « الانبار » ولا يتزحزح خطوة واحدة حتى يأتي اليه . ورفع أبو مسلم حاجبيه في سخرية ، وجاء الخليفة اليه . أخذ يبعثه وهو يشعر أنه محاصر بجنود لا يكنون له أي ولاء . وأمرّ من ذلك أن جروح القرابة القديمة بدأت في النزف مرة أخرى . فقد استيقظ أولاد العم من العلويين ، وبدأ زعيمهم عبد الله بن علي يطالب بالخلافة لنفسه . وكان من العسير على أي خليفة أن يبدأ عصره بمحاربة عمه . ومرة أخرى كانت الحاجة ملحة لأبي مسلم وجنوده من خراسان ، ولكنه قال في استخفاف :

ـ عبد الله بن علي أمره هين وجنوده قليلون ، وأمر الخوارج على أطراف خراسان أهم وأخطر .

كان كل منهما يفهم جيدا . لذا فقد أصرّ الخليفة على ذهابه . ولم يجد أبو مسلم بدا من الذهاب . وهناك كان موعد آخر . كان مقدرا له أن يرى الشيء الذي زلزل حياته المليئة بالقسوة والدم ، والشيء الذي ملأه بالمرارة والشفقة والحزن والحنين .. كان مقدرا له أن يرى عيني أمينة بنت علي .

الحب المستحيل .. الفخ الثالث

على أبواب « الري » كان أشراف بني العباس في انتظاره ، في ثيابهم الرسمية . والرايات ترفرف فوق الاسوار . كانوا جميعا قد تركوا بغداد والبصرة والكوفة ، وهرعوا ليكونوا في انتظاره .. حتى الخليفة أيضا سار اليه حتى منتصف المسافة وجلس ينتظره في « المدائن » .. هل كان الامر يستحق كل هذا ؟

لم ينس الخليفة شيئا .. فبين أشراف بني العباس كان عيسى بن موسى خال الخليفة وصديق أبي مسلم . وسأله أبو مسلم في قلق .

ـ يا عيسى .. أترى الخليفة يغدر بي ؟ ..

قال عيسى في استنكار

ـ ما هذا .. أو قد غدر بأحد من قبل .. ! ؟ على أي حال لا تخش شيئا .. وسوف أكون معك في مجلسه ..

واطمأن أبو مسلم بعض الشيء .. وتناول الطعام لأول مرة منذ أن غادر خراسان . وأوى الى فراشه لعله يستطيع النوم .. استلقى وسيفه في خاصرته ، وغفا قليلا ، ولكنه استيقظ مفزوعا وأحد الحراس يخبره .. ان هناك امرأة تطلب رؤيته ..

امرأة . أهو فخ آخر .!؟ ظل جالسا حتى دخلت .. ورفعت النقاب عن وجهها . لا بد وأنه كان يحلم . كانت هي أمينة بنت علي . يالله !! كيف تداخلت الأزمنة . وتفتحت شقائق النعمان من الجروح القديمة ، وتحول السيف الى سنبلة ، ولحظة الخوف الى ارتعاشة من العشق . ظل مبهورا بدخولها المفاجيء حتى قالت :

ـ لم يبق لك الا بضعة فراسخ على الموت .

وأحنى أبو مسلم رأسه في مرارة وهو يقول :

ـ أنت أيضا تتمنين موتي ؟

قالت بصوت بارد :

ـ ليس وحدك . وددت لو كان موتكما معا .. أنت والخليفة .

ـ حسبت أنك آتية لتحذيري .

ـ هل ستقتله لو حذرتك ؟ كلا .. أنت لست سوى سيف .. والسيوف عمياء .

ـ لست أعمى . لقد أحببتك ، وأرسلت الى الخليفة أطلب الزواج بك .

ـ أتراه كان الحب ؟ أم كان الطموح القاتل يا أبا مسلم ؟

الخيمة الغربية . . الفخ الأخير

في ظهيرة يوم مشرق صاف دخل أبو مسلم الخراساني « المدائن » من بوابتها الشرقية . وكانت المدينة كلها في انتظاره . الأعلام على الأسوار ، والزهور تفرش الطرقات . وكان أبو أيوب وزير الخليفة في انتظاره . أخذه بالأحضان وهو يهتف به :

ـ الخليفة في شوق غامر لاستقبالك .

وقاده الى حيث يقيم ، لم ينزل في قصر من قصور المدائن . كان الفقيه الرابض في داخله ينزع عنه الراحة اذا أقام في قصور الأكاسرة . لذا فقد نصب خيمة ضخمة غريبة حمراء اللون متعددة الجوانب في وسط ساحة المدينة . وتوقف أبو مسلم مستغربا وهو يهتف :

ـ يالها من خيمة غريبة لم أر مثلها من قبل .

قال أبو أيوب :

ـ لقد صنعت خصيصا للخليفة في بلاد الروم . . لذلك فقد أطلق عليها « الرومية » . .

وخطا أبو مسلم خطوته الأولى فوق طنافس « الرومية » ووقف قادته وفرسانه في الخارج ، أحاطوا بالخيمة بصورة لا يخطىء أحد دلالتها . وكان أبو مسلم يجتاز الأروقة ، ويدوس فوق البسط الحمراء التي بدت كأنما أعدت خصيصا لاخفاء آثار الدم .

ثم وصلا الى حيث يقيم الخليفة . . حاول الحارس الواقف على الباب أن يأخذ سيفه منه فأبى ، وأشار أبو أيوب للحارس فتراجع . ودخل أبو مسلم . كانت يده تحت العباءة ممسكة بمقبض السيف ، والخليفة واقف في مواجهته . لا واجما ولا مبتسما . كانت تفصل بينهما مسافات طويلة من الحقد والمرارة ، ولم يكن أحد يدري كيف يمكن تخطيها ، وفكر أبو مسلم أنه لو خطا نحوه خطوة واحدة فسوف يقتله ، ولكن الخليفة لم يخط . . ابتسم . . ضغط على عضلات وجهه حتى ابتسم . وقال :

ـ لعلك متعب من سفرك الطويل . اذهب فأرح نفسك . . وادخل الحمام . . وسوف أراك في الغد ان شاء الله .

وانتهت المقابلة الاولى ببساطة آسرة . ووجد أبو مسلم نفسه يحني رأسه وهو يتنهد في ارتياح . وعبر كل الابسطة ، وخرج من « الرومية » حيث كانت الشمس وأصحابه في انتظاره . أحسوا جميعا فجأة أن الخليفة لن يقتل أبا مسلم . . لأنه غير قادر على قتله .

وفي الصباح الباكر توجه الوزير أبو أيوب الى خيمة الخليفة فوجده مستيقظا . عيناه محاطتان بالسواد وهتف به فور أن رآه .

يابن اللخناء . أنت منعتني أمس من قتله ، والله ما غمض لي الليلة جفن . وحاول أبو أيوب أن يبرر خطئه . كان يريد أن يكسر حلقة التوتر والتأهب حتى لا تحدث مأساة . ولكن الخليفة لم يكن يتصور أن أبا مسلم ما زال قائما على قدميه . يتساءل ، كيف ارتضى كل هذه السنوات أن يكون نصف خليفة بنصف بيعة . . وصرخ في الوزير :

ـ هيا ، ادع لي رئيس الحرس عثمان بن نهيك .

وحضر رئيس الحرس . كان رجلا ضخما يليق بمنصبه . وسأله الخليفة :

ـ كيف بلاء أمير المؤمنين عندك ؟ . .

قال في حماس :

ـ انما أنا عبدك ، والله لو أمرتني أن أتكىء على هذا السيف حتى يخرج من بطني لفعلت .

قال أبو جعفر وهو يتأمل وجهه في امعان :

ـ كيف أنت اذا أمرتك بقتل ابي مسلم .

ووجم عثمان . تبخر حماسه وغرق في الصمت ، وحين رأى ملامح الغضب قد تجمعت على وجه الخليفة قال في صوت ضعيف :

ـ أقتله يا مولاي .

وصاح الخليفة في غيظ :

لو لم تقتله لقتلتك ، هيا ، اذهب وأتني بأربعة حراس أشداء .

وعندما خرج أبو مسلم من منزله في أول الصباح كان كل شيء قد تم . كان نصف جنوده سكارى ، والنصف الثاني قبض ما يكفي من الدنانير . وكان بعض الذين يسيرون خلفه . يسيرون فقط حفاظا للهيبة . وكانت عيون الخليفة ترصد كل خطواته . تبعوه حتى دخل منزل عيسى بن موسى . . وظل جالسا معه ، وبعد فترة جاء أحد أتباع الخليفة يقول له :

ـ اذا أردت أمير المؤمنين خاليا فعجل ، لأن وفود فارس على وشك القدوم اليه . وطلب أبو مسلم من ابن موسى أن يذهب معه فاستمهله حتى ينهض

ويتوضأ . ولكنه غاب طويلا وظل التابع يلح ، وكأن أبا مسلم كان مغيبا . نهض وسار معه . وسار القادة خلفهما ، وبدأ أبو مسلم رحلته الثانية داخل « الرومية » ، ووقف القادة في الخارج وأخذ الخدم يحملون الفرش والوسائد بين الأروقة كأنهم يهيئون لمجلس طويل . وخرج أبو أيوب ليقول للقادة في هدوء :

ان الأمير أبا مسلم يريد أن يقيل عند الخليفة ، ويطلب منكم الانصراف ، وكان الخدم لا يزالون يواصلون النقل . وصدق القادة ما يرونه ، وكان الخليفة قد أعد لهم مكانا مريحا وهدايا جديدة . وبدت الامور صافية بالغة الهدوء ، كالسماء التي تغطي المدينة ، وفي الداخل كان الخليفة يبتسم ويتحدث في بساطة عن أشياء عديدة متفرقة .

وبعد برهة ، قال الخليفة بصورة طبيعية :

- سمعت عن سيفين أصبتهما من متاع عبد الله بن علي . أهذا السيف أحدهما ؟

وأومأ أبو مسلم موافقا . وفتح الخليفة كفيه يطلبه . وتردد أبو مسلم وهتف الخليفة :

- أرنيه .

ولم يكن هناك بد من أن يخلعه ويناوله اياه . وتأمل أبو جعفر صفحته الناصعة ثم وضعه تحت فراشه وهو يتمتم :

- هذا سيف عباسي . . لا سيف مسلمي .

وتبعته عينا أبي مسلم في قلق . أحس أنه قد وثق في الخليفة أكثر مما ينبغي . وقبل أن يقوم بأي خطوة كان الخليفة قد بدأ معه حسابه العسير البارد :

- اخبرني عن كتابك الى أبي العباس تنهاه فيه عن أخذ الأرض الموات .

أردت أن تعلمنا الدين . . !

قال أبو مسلم وهو يحاول الافلات من استفزاز الخليفة :

- ظننت أن أخذها لا يحل ، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم .

- وكيف كان ظنك حين تقدمتني في طريق الحج .

- كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس .

- فماذا حين أتاك الخبر بموت أبي العباس ، ومع ذلك مضيت فلا أنت أقمت حتى نلحق بك ، ولا أنت رجعت الينا . .

- منعني منه ما ذكرت من ازدحام الناس ، فقلت تأتي الكوفة فليس عندي لأمير المؤمنين خلاف .

فجارية عبد الله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك . .

لا . . ولكني خفت أن تضيع ، فحملتها في قبة ، ووكلت من يحرسها ، وصرخ الخليفة في غيظ وقد زادت حجج أبي مسلم من غضبه :

وعصيانك لي ؟ وخروجك الى خراسان ؟ ومنعك رسلي من احصاء الغنائم ؟ وقتلك أبي سلمة . . ؟ وتحريضك على الغدر بابن هبيرة ؟وتغيير نسبك حتى تنتسب لآل العباس ؟ ومحاولتك الزواج من عمتي أمينة . . ؟ كل هذا . . وغيره . . هل عندك حجج أخرى . . ؟

وهتف أبو مسلم :

لا يقال لي هذا بعد بلائي في دولتك .

ونهض الخليفة صائحا :

- يابن الخبيثة لو بعثنا مكانك أمة سوداء لقامت بما قمت . انما عملت ما عملت في دولتنا وبريحنا ، ولو كان ذلك اليك لبقيت عاجزا ما أصبت فتيلا .

وصفق بيده فاقتحم الحرس المكان ، وحاصروا أبا مسلم الذي أدرك كل شيء . ورفع عثمان بن نهيك يده بالسيف ، ولكنه ارتعد حين لمح بريق عيني أبي مسلم . وهبطت الضربة خفيفة فلم تصب الا حمالة سيفه . وهتف أبو مسلم :

- يا أمير المؤمنين . . استبقني لعدوك .

فصرخ الخليفة :

- لا أبقاني الله اذن ، أي عدو لي أعدى منك . . ؟ . . اضربوه قطع الله أيديكم .

وهوى الحارس الأول على ذراعه . . والثاني على ساقه . . والثالث على خاصرته . . والرابع على رقبته . . وتعالت دقات الدفوف من الخارج تغطي على كل الصرخات ، وتشربت الأبسطة الحمراء كل ما سال عليها من الدماء وانتفض الجسد الذبيح الانتفاضة الاخيرة . ثم هدأ كل شيء . وهدأ الخليفة أيضا . . وكف عن الارتعاد ، وجلس ساكنا على العرش ، ولف الحرس الجسد الدامي في الابسطة ، ودخل أبو أيوب وانحنى أمام الخليفة وهو يقول :

الآن يا مولاي . . اكتملت خلافتك . □

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

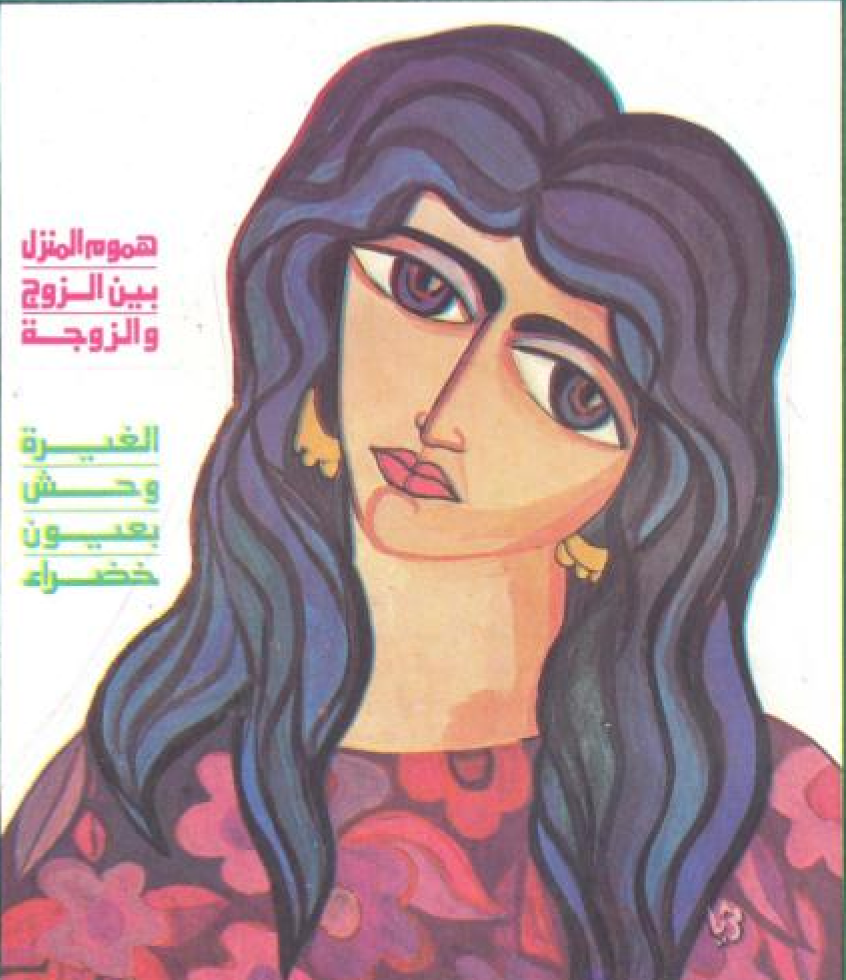

هموم المنزل
بين الزوج
والزوجة

الغيرة
وحش
بعيون
خضراء

رسالة باريس

عطور باريسية

بقلم : الدكتور نبيل شعبان

هل صحيح أن المرأة الفرنسية هي نموذج التألق والجمال ؟ وأن الرجل هو نموذج الأناقة ؟ التلفزيون الفرنسي ـ شاهد من أهلها ـ يقدم اجابة عن هذا السؤال في برنامج أذاعه عن نظافة أبناء عاصمة النور والجمال ! .

لا ندري ما هو مفهوم النظافة لدى الفرنسيين . هل النظافة تخص كل المجتمع أو أنها شيء مقتصر على البعض فقط ، وهذا البعض منهم ، هل هو ميسور الحال أو من فقراء القوم ؟ وهل النظافة لديهم مرتبطة بالحالة الاجتماعية والاقتصادية ؟ وهل يعتقد بأن النظافة أمر يجوز ويجب تنفيذه أو يمكن أن نضعها في جدول نأتي اليها أحيانا ونتناساها أحيانا أخرى ؟ كل هذه الاسئلة وغيرها خطرت على بالي عند مشاهدتي لبرنامج في التلفزيون الفرنسي بالقناة الثانية وعنوانه (الفرنسيون ، هل هم غير نظفاء ؟) مقدم البرنامج يقول بأن هذا الاعتقاد موجود فعلا ولكن كل فرنسي يرمي التهمة على مواطن آخر ويبعدها عن نفسه .

وللوصول الى الحقيقة إختط معدو البرنامج أساليب متعددة منها الاستبيان السري والمقابلة والاحصاء . وتبين من خلال هذا كله، كبر المأساة ومدى عدم نظافة الناس في بلد أوروبي في نهاية القرن العشرين . وموجز ما أورده البرنامج هو أنه في المعدل يستعمل الفرنسي صابونتين في كل عام ، ويستهلك فرشاة أسنان كل عامين وأن ٢٠٪ من السكان لا يستبدل ملابسه الداخلية الا أحيانا ، وثلث الفرنسيين لا يغسل يديه أكثر من مرة واحدة في اليوم الواحد . وأن ٣٨٪ من النساء و ٢٢٪ من الرجال فقط يهتم بنظافته اليومية ، وأن ٩٠٪ من السكان لا يستحم أكثر من مرة واحدة أسبوعيا ، علما بأن ٩٢٪ من المساكن مجهزة بحمام واحد على الاقل ، وأن معدل ما يقضيه الفرنسي داخل هذا الحمام يصل الى ١٥ دقيقة يوميا . ويستفسر مقدم البرنامج عما يفعله الفرد هناك خلال كل تلك الفترة . وقد يكون الجواب عن استفساره هذا واضحا عند معرفتنا بأن الفرنسيين ينفقون على العطور وموانع الرائحة مبلغا يزيد على ١٣ مليار فرنك سنويا .

نظافة عاصمة النور والجمال .. أو نظافة الظاهر .

جنون اقتناء الحيوانات

تصور عزيزي القارىء بأن كل فرنسي ينفق مبلغا يصل الى ٢٦٠ فرنكا سنويا لتغطية روائح جسده وعرقه بينما لا ينفق أكثر من ٨ فرنكات سنويا على ما ينظفه فعلا ألا وهو الماء والصابون . وشاهدنا في البرنامج نفسه مقابلة مع ثلاث سيدات احداهن تعمل في الاسعاف والطب ، والثانية تعمل بائعة ملابس ، والثالثة تعمل في تقليم الاظافر في (صالون تجميل) .

ان ما أوردته الطبية عن قذارة أجساد مرضاها وملابسهم قد يعتقد بأنه مبالغ فيه أو قد لا يصدق اطلاقا ، وبائعة الملابس كانت تشكو من الرائحة النتنة عندما تضطر للاقتراب من زبائنها عند تجربتهم الملابس الجديدة فتبتعد مسرعة عنهم ، أما عاملة صالون التجميل فقد ذكرت بأن عملاءها في غالبيتهم نظفاء لأنهم يأتون بعد أخذ موعد مسبق فتكون أرجلهم قد غسلت .

ولكن البرنامج المذكور لم يتطرق الى شكل آخر من أشكال إغفال النظافة ، وهذه المرة ليست نظافة الاجسام وانما نظافة البيئة والمحيط ، وهذا ما يقوم به الفرنسيون بوساطة كلابهم المدللة التي يزيد عددها على ثمانية ملايين ونصف مليون كلب منها ٥٠٠,٠٠٠ كلب في باريس نفسها (كل أسرة تقريبا تملك كلبا في باريس ، ولكن ليس بالتأكيد لكل أسرة طفل) . هذه الكلاب الباريسية ترمي ٥٠ طنا

رغم جمال المنظر الا أن بقايا الطيور تزعج المسئولين عن النظافة

ليست قضية نظافة داخلية بل تعدى الأمر الى تعمد التشويه باللون والرسم . لقد راح زمان الاناقة وجاء زمن الجنون .

من الفضلات الصلبة و ٢٠٠,٠٠٠ لتر من الفضلات السائلة على حدائق وأروقة وأرصفة باريس يوميا مما يؤدي الى تلوث المكان والهواء ، ويسبب احراجا وازعاجا للآخرين . المشكلة ليست خافية على أحد ، وهي ليست خافية على من لا يملك كلبا أو على الزائر الأجنبي وسواه من السائحين . ومن هنا بدأ البحث عن حل . بلدية باريس مثلا ، خططت أرصفة الشوارع ورسمت في أمكنة مختلفة منها صورة كلب ، وهذا المكان يكون عادة عند مصب مياه تنظيف الشوارع (باريس مجهزة بشبكة أنابيب تحت حافة أرصفة الشوارع تفتح يوميا لتنظيف ما يتراكم عند حافات الشوارع من أوساخ) ودعت أصحاب الكلاب الى أن يصطحبوا كلابهم الى تلك المواقع

على رصيف الطريق جلسا ... أحدهم يصبغ الالوان والاخر سعيد وفي النهاية يدفع أجرا .

المخططة لقضاء حاجتهم بدلا من قضائها على قارعة الرصيف . ومقترح آخر دعا الى فرض غرامات مادية على كل صاحب كلب يترك له العنان لتوسيخ المدينة ، وذلك أسوة بمدينة نيويورك حيث الغرامة تصل الى ١٠٠ دولار . وقد دعا أحدث اقتراح الى بناء مرافق صحية خاصة بالكلاب في أنحاء مختلفة من الشوارع والساحات تنصرف من خلالها فضلات تلك الحيوانات الى المجاري العامة . وحتى هذه اللحظة لم تصل مدينة باريس الى الحل الأمثل ، علما بأنها قد خصصت دراجات بخارية ذات خزانات ، تسير على الارصفة لسحب تلك الفضلات تنفيذا لأحد المقترحات .

هذا - عزيزي القارىء - جزء من همومهم ، وقد لا تكون تلك الهموم مقتصرة على الفرنسي فقط ولكنها شائعة في عالم الغرب . وعجبا لها من هموم وعجبا لها من حلول للتغلب عليها . اذ لم أجد من يقترح أن يقلل الناس هنا من نفقاتهم على شراء علب طعام للكلاب ، والاكتفاء باطعامها مما يتركه الانسان على مائدته ، وأن يرسل الوفر المادي (وهو حتما بالملايين) الى الجائعين من بني البشر ، أو يعطى لتحسين حالة العاطلين عن العمل عندهم ..

نظافة الجسد أو المسكن أو المدينة أمر يتعلق بأخلاق الناس وأعرافهم وتاريخهم وتربيتهم . ولكن هل تعلم بأن قصور الفرنسيين ومنها قصر فرساي الشهير لم يكن يحتوي على مرافق صحية ، فيا ترى هل كانت تكفي العطور الباريسية ؟ □

الغيرة
وحش بعيون خضراء!

بقلم : راجي عنايت

« كلنا قد انتابنا في وقت من أوقات حياتنا الاحساس بالغيرة ، ومنا من تخلص من هذا الاحساس والبعض لم يزل ، واذا كنت ترغب في الخلاص من هذا الوحش الرابض في أعماقك فاقرأ هذا المقال بعناية » .

يعتبر التآلف أرفع أنواع العلاقات البشرية ، وهو الهدف الأسمى في العلاقة الزوجية . والصخرة الراسخة التي يمكن أن تستقر عليها الحياة الزوجية السعيدة . والغيرة هي عامل قوي من عوامل هدم هذا التآلف وتخريبه ، وهي ظاهرة سلبية عامة ، لا تقتصر على مجتمع معين أو درجة معينة من التطور الحضاري . ومن أهم اشتراطات تواصل الحياة الزوجية السليمة ، أن يعرف الزوجان كيف يواجهان مشاعر الغيرة ، وكيف يعملان على تحويلها الى طاقة ايجابية تدعم حياتها الزوجية السعيدة .

وقد أطلق الشاعر وليم شكسبير على الغيرة تعبير « الوحش ذو العيون الخضراء » ، وهو بهذا يشير الى ما يبديه البعض من تقبل لمشاعر الغيرة باعتبارها مؤشرا من مؤشرات الحب العميق ، رغم ما تحمله من تخريب لذلك الحب العميق . أما الشاعر ميلتون فيطلق على الغيرة تعبير « جحيم المحبين المجروحين » .. وهذه التعبيرات ، رغم ما مر من سنوات على اطلاقها ، ما زالت لها نفس القوة والمصداقية .

ويقول علماء الأجتماع أنهم فشلوا في العثور على مجتمع يخلو تماما من الغيرة . لكنهم وجدوا أن ما يثير الغيرة في مجتمع ما ، يختلف تماما عما يثيرها في مجتمع آخر . على سبيل المثال ، يقول العالم النفسي رالف هوبكا ، من ولاية كاليفورنيا ، بالولايات المتحدة الامريكية ، ان الزوج من قبائل يورك الهندية بكاليفورنيا ، كان في القرن التاسع عشر يدخل في عراك حقيقي مع أي رجل يتجاسر على طلب كوب ماء من زوجته . أما الزوج من قبائل الاسكيمو المعروفة باسم « اما ساليك » فيصل به الأمر الى حد السماح للضيف بالاتصال بزوجته ، شريطة أن يعطي هو الاشارة التي تفيد قبوله لهذا . ومع ذلك فهو يثور ، ويصل به الأمر أحيانا الى قتل الرجل الآخر ، اذا قام بهذا الاتصال دون اذن منه .

بين التحدي والالتصاق

وفي المجتمعات الحديثة ، غالبا ما ينظر الى الغيرة باعتبارها مقياس الحب . خاصة اذا ما كانت هذه المجتمعات تتبنى فلسفة رومانتيكية بالنسبة للحب والزواج . ومن الملاحظ أن المجتمع الذي يعطي وزنا كبيرا لقيمة التملك والملكية الخاصة ، يصبح فيه الناس أكثر رغبة في تملك الأشياء والبشر معا . . ولذلك فمن بين الأشياء التي تشجع على الغيرة ، اعتبار الزوجة عنصرا من عناصر ملكية الزوج . وفي كتابهما عن « الغيرة » يتحدث جوردون كلانتون ولين سميث عن تباين احساس الرجل والمرأة بالغيرة ، في المجتمع الامريكي المعاصر ، فيقولان :

يميل الرجال ، أكثر من النساء ، الى انكار احساسهم بالغيرة ، بينما تميل النساء الى التصريح بمشاعرهن والاعتراف بغيرتهن . الرجال يعمدون في التعبير عن غيرتهم الى العنف ، والى القتل أحيانا . وتكون مثل هذه الانفجارات متبوعة بحالة من اليأس والقنوط في أغلب الاحيان .

والرجال عندما يغارون يركزون على النشاط الجنسي والحسي للمرأة ، وهم غالبا ما يطالبون المرأة بسرد كامل لكل التفاصيل الدقيقة لما جرى . أما النساء الغيورات فيملن أكثر الى التركيز على التورط العاطفي لأزواجهن مع نساء أخريات .

غلطة في الموضوع

ويورد الكاتب روثرغان قصة طريفة نشرتها الصحف تحت عنوان « صدقيني يا حبيبتي .. هناك غلطة في الموضوع ! » وهو يعتمد على وقائع تلك القصة الواقعية للتدليل على أن مشاعر الغيرة عند الرجل والمرأة تظهر بعدة أشكال .

تبدأ القصة كالتالي : ساد الاندهاش مئات الأزواج والزوجات ، عندما وجدوا أنفسهم مطالبين بأن يقدموا التفسيرات لشركاء حياتهم ، بعد أن وصلتهم الخطابات التي أرسلتها مؤسسة العقول الالكترونية ، التي تتولى الاتصال البريدي نيابة عن العديد من المؤسسات التجارية والمالية . كان الخطاب يشكر الزوج أو الزوجة ، على اختياره أو اختيارها فندقا معينا يقع على أطراف المدينة للاقامة به في الشهر القادم ، ويتمنى أن يحظى منه أو منها بزيارة قادمة سعيدة .

فقد اعتاد فندق اكسفورد بمدينة شيكاغو أن يرسل الى مؤسسة العقل الالكتروني البيانات الخاصة بمن أقاموا فيه كل شهر . على أن تتولى المؤسسة ارسال خطابات الشكر للنزلاء نيابة عن الفندق ، وتتمنى لهم اقامة بالفندق كشكل من أشكال الدعاية والتنشيط ، وتوطيد الصلة مع الزبائن . وقد حدث الخطأ في مؤسسة العقل الالكتروني حيث استبدل الشريط الخاص بأسماء وعناوين نزلاء الفندق ، بأسماء وعناوين أحد المتاجر الكبيرة .

هكذا تلقى أربعة آلاف شخص من سكان المدينة وضواحيها . ذلك الخطاب الرقيق الذي يشكرهم على اقامة لم يقوموا بها في الفندق .. !

ما أن وصلت هذه الخطابات ، حتى بدأت أجراس تليفونات الفندق في الرنين بشكل متواصل . وخلال ساعات تلقى الفندق ٥٠٠ مكالمة من الأزواج والزوجات الذين استولى عليهم الشك في أن شركاء حياتهم قاموا بمغامرة عاطفية ، خلال اقامتهم السرية في ذلك الفندق .

يقول مدير الفندق ان احدى السيدات اللاتي تلقين الخطاب ، وهي أم لثلاثة وحامل في الرابع . اتصلت بالفندق تقول ان زوجها ثار ثورة جنونية ، واتهمها أن الجنين الذي في أحشائها ليس ابنه . واتصلت أخرى وهي تبكي قائلة : « أرجوكم اشرحوا لزوجي الذي ركبته الغيرة ، انني لم أكن يوما من نزلاء فندقكم » ..

وقد أثارت ردود الفعل دهشة مدير الفندق ، فقد خاب أمل احدى السيدات عندما علمت أن الخطاب كان مجرد خطأ من العقل الالكتروني . وكانت هذه الزوجة قد اتخذت اجراءات الطلاق من زوجها . قالت آسفة لمدير الفندق : « كنت أطمع في استغلال الخطاب كمستند في قضية الطلاق » .

وكان تعليق مدير الفندق على ما جرى « يبدو أن من الأزواج والزوجات من لا يكنون الكثير من الثقة بشركاء حياتهم هذه الايام ! .. »

فتاة الخزف القادمة

وحقيقة الأمر ، أن كل رجل أو امرأة قد مارس في وقت ما من حياته الزوجية الاحساس بالغيرة ، وان اختلف مدى هذا الاحساس .

وبالنسبة لعدد كبير يتحول احساس الغيرة هذا ، الى ذلك الوحش ذي العيون الخضراء الذي تحدث عنه شكسبير . ولكن ما هو السبيل الى ترويض ذلك الوحش ؟

يقول خبراء علم النفس الاجتماعي أن الخطوة الأولى هي الاعتراف للطرف الآخر بمشاعر الغيرة .

والخطوة التالية ، هي بحث ما اذا كان الخطر الذي يشعر به الطرف الغيور ، حقيقيا ، أم من صنع خياله . وللتدليل على هذا ، تدرك واقعة حقيقية بطلتها سيدة في الثلاثين من عمرها وهي أم لطفلين . تعترف السيدة قائلة :

تعلمت من تجربتي الخاصة أن الغيرة ليست أكثر من ضياع لجانب من طاقاتنا . فمنذ عدة سنوات قال زوجي ، أستاذ الخزف ، ان فتاة من مدينة بعيدة ، كانت تراسله منذ زمن ، أرسلت اليه تطلب أن تأتي لتدرس فن الخزف على يديه .
لم يكن لدي اعتراض على ذلك ، فقد كان لزوجي العديد من التلاميذ والتلميذات من صغار الفنانين ، لكني تساءلت : لماذا استمرت المراسلة بينهما لعدة شهور ؟ . . ولماذا كنت في ذلك الوقت أفتقد الأمان في علاقتنا ، وأمر بحالة تشبه الاكتئاب ، فقد قام خيالي بخلق سيناريو كامل لما سيحدث بين زوجي وهذه الفتاة عندما تصل .
وأخذت أرسم للفتاة صورة ملكة من ملكات الاغراء اللاتي يظهرن على الشاشة . . الجسد والملابس والحركات . وكلما اقترب موعد وصول الفتاة كان توتري يتضاعف . وقد كدت أتجمد في مكاني عندما طلب مني زوجي التوجه معه الى محطة السكة الحديد لاحضار الفتاة الى البيت .

بالطبع ، لم أحاول أن أفصح لزوجي عن مخاوفي ، عندما طلب مني أن أصحبه لاحضار « صديقته الجديدة » . وقفت أنتظرها على رصيف القطار ، ثم ما لبثت أن ظهرت فتاة خجولة جدا ، تبدو في نفس الوقت على قدر كبير من المودة والرقة . نظرنا الى بعضنا نظرة طويلة ، ثم حدث كما لو كنا قد وقعنا في حب بعضنا من أول نظرة .

كانت اقامتها معنا ممتعة ، وأصبحت منذ ذلك اليوم صديقة ، بل أفضل صديقاتي ، وغالبا ما أضحك الآن كلما تذكرت الغيرة التي تملكتني ، أو الخوف المجهول الذي استولى على نفسي لعدة أسابيع . وتأكد لي أن عقل الانسان قد يتحول الى عدو له ، اذا ما ترك له العنان ، يحرك بدون ضابط .

الاحتمالات الستة

ورغم أن الحديث مع الطرف الآخر حول مشاعر الغيرة التي يشعر بها الانسان يأتي بنتائج طيبة في أغلب الأحيان ، الا أن الأمر يقتضي من الشخص أن يبدأ بالاجابة عن عدد من الاسئلة :
ما الذي يتوقعه الطرفان بالضبط من بعضهما في المواقف المختلفة ؟ وما هي التصرفات التي تعتبر مقبولة في التعامل مع الجنس الآخر ؟ وما هي المحرمات والمحظورات ؟ ثم ما مدى القلق الذي يشعر به الشخص في هذه المرحلة ؟

أخصائي العلاج النفسي ، وصاحب الخبرة الخاصة في المشاكل النفسية والعائلية ، دكتور لاري كونستانتين ، يضع قائمة تتضمن ستة احتمالات يمكن أن تثير الغيرة ، وأن تؤثر على علاقة الحب والتآلف وهي :

١ ـ فقدان الشخص لكرامته أو احترامه لذاته .

٢ ـ الاحساس بنقص في اشباع الاحتياجات البشرية (جنسية أو عقلية أو عاطفية . . الخ) .

٣ ـ نقص القدرة على التحكم في النفس ، وضعف العلاقة مع الطرف الآخر .

٤ ـ ضعف القدرة على التوقع ،وهبوط الثقة في الطرف الآخر وامكانية الاعتماد عليه .

٥ ـ نقص الاحساس بالخصوصية ، بالكيان الفردي ، وبالحدود الذاتية ونقص فرص الاختيار الخاص .

٦ ـ تناقص الزمن الذي يمضيه الشخص مع الطرف الآخر ، وضعف قنوات الاتصال به □

المشاركة في أعمال المنزل

هل يتقاسمها الزوج مع زوجته ؟

اعداد : وفاء طه ناجي

● مازال الرجل يرى أن مساعدة زوجته فى أعمال المنزل اهانة له وانتقاصا من قدرة ، ورغم أن هذا مفهوم خاطىء الا أن أحدا لم يتساءل لماذا ؟ وكيف يرضى الزوج لزوجته بما يكرهه لنفسه ؟

لم تعد المشاركة في عبء الحياة الزوجية .. منطقة ممنوعة ، فقد اقتربت منها وتناولتها أقلام كتاب وباحثين ، وتعرضت لها برامج اعلامية ضمن ارساء حق المرأة فى العمل ، ومنذ ذلك الحين ولاأحد يرى فى قضية المشاركة الا جانبها المادى وهو راتب الزوجة . وبين اجتهادات كثيرة حول هذا الأمر نسى الناس واغفلوا المعنى الحقيقى للمشاركة .. وهى الحياة داخل المنزل، ونحن نحاول أن نثير القضية مع أطرافها .. الزوجة والزوج والأم - التى تولت التربية والاعداد - وأساتذة الاجتماع .. لكى نحاول أن نخرج بتفسير لظاهرة المشاركة فى البيت العربى .

الزوجات أولا ..

تقول ... وهى طبيبة شابة : ان أهم أسباب نجاح المرأة فى عملها هو دور الزوج فى مشاركتها الأعباء الملقاة على عاتقها اذ يتقبل عن طيب خاطر مساعدة زوجته فى أعمال البيت تقديرا منه لجهودها ، ومشاركتها فى الاحتياجات المالية للأسرة ، ولأنى زوجة لرجل ، يعتبر أن أدنى مساعدة فى شئون البيت هى اهانة له بكل المقاييس ، فاننى مازلت الهث وراء استكمال دراستى التخصصية ، وهى جزء لا يتجزأ من عمل كطبيبة ، وذلك بسبب ضيق الوقت ، فأنا

فى أغلب الأحيان أعجز عن التوفيق بين مسئولياتى نحو عمل ونحو بيتى وأبنائى .

وتقول احدى العاملات فى حقل التدريس : الواقع أن معاناتى الحقيقية تنحصر فى أن زوجى يتناقض مع نفسه كثيرا فى أمور مسئوليات العناية بالبيت . والحكاية . . أننا بدأنا حياتنا الزوجية بعيدا عن الأهل . . أهلى وأهله ، ولم يكن زوجى يدخر وسعا فى المساعدة فى متطلبات البيت ، وكثيرا ماكان يشاركنى فى غسل الثياب وكيها ، أو فى تحضير بعض وجبات الطعام الخفيفة ، وكان لذلك أثره فى أن نستمتع معا بقضاء أوقات ممتعة خارج البيت ومع الأصدقاء ، دون معاناة أى منا من مشاعر الارهاق التى اختصت بها المرأة أمدا طويلا ، ولكن الأمر يتبدل تماما عندما يقوم بزيارتنا الأهل . . أهلى أو أهله . . لافرق فتنقلب شخصية زوجى تماما . . ويتلاشى اهتمامه بمتاعبى ، وبالتالى لايقوم بأى محاولة للتخفيف عنى . بل يتكلم باستعلاء وبلهجة آمرة منفرة كأنما يقول لهم :

« انا هنا سيد البيت على طريقتكم ، وزيادة العبء على زوجتى لايعنى ان أتخلى عن ذلك المفهوم » من هنا وجدتنى أكره أهلى وأهله ، واصبحت أجد فى زيارتهم لنا معاناة مضاعفة ، فبالاضافة الى الأعمال الكثيرة فى البيت على أن أتحمل نفسية زوجى المتعبة بسبب دوره المتناقض فى علاقتنا .

أما السيدة ذ أ . . فتقول : بسبب طبيعة عمل فى احدى الشركات أضطر الى العودة للشركة مرة أخرى بعد الظهر ، ولاينتهى دوامى قبل الثامنة مساء بينما يعود زوجى فى الثانية ظهرا ، ونحن زوجان متفاهمان كثيرا ، وتقوم علاقتنا على التقدير والاحترام المتبادل ، وهو يبدى رغبة حقيقية فى مساعدتى ، ولكن بعد التجربة تأكد لى أن انجازى لأعمال البيت على أية صورة أفضل من مساعداته . . انه يقلب الأشياء رأسا على عقب لأظل فى النهاية اعانى الارهاق مع زوج « متفهم » .

وتقول السيدة س . ن ، وقد كانت تعمل فى مهنة الصحافة :

مشكلتى الأساسية هى انصراف زوجى تماما عن شئون أبنائنا ، فعندما وصلت ابنتى الى المرحلة الثانوية ، وأصبح ابنى مراهقا فى الثانية عشرة من عمره تطلبت رعايتهما جهودا اضافية . . سواء فى متابعة مستوى تحصيلهما العلمى واستذكارهما لدروسهما أو فى حمايتهما من مخاطر تلك السن التى كثيرا ما تخلف آثارا سلبية على شخصيات الأبناء ، اذا لم تعالج بحكمة وتوجيه سليم حاولت كثيرا أن أوفق بين عمل ورعايتهم بعدما يئست من مشاركة أبيهما،لكنى تعبت ، وترك القلق الدائم بصماته على ملامحى ، وفى النهاية فضلت البقاء فى البيت حرصا على مستقبلهما . والعجيب أن زوجى اعتبرنى قد تخليت عن مشاركته فى الانفاق على احتياجاتنا !!

أزواج وأمهات

انتهى كلام الزوجات . . فماذا يقول الأزواج ـ الطرف الثانى فى العلاقة ـ ؟ وماذا تقول الأمهات وهن البعد الثالث اللاتى تولين مسئولية اعداد وتربية الأزواج .

يقول محمود . .

فى الواقع أن زوجتى تبالغ كثيرا . . عندما تقول أننى لا أساهم فى أعباء البيت . . والحقيقة أنها ترفض مساعدتى . والحجة دائما واحدة أنك تسبب خسائر أكبر من حجم المساعدة ، وتنسى أن علاقتى بذلك النوع من الأعمال حديث جدا بالقياس الى خبرتها فيه منذ كانت فى بيت أسرتها . . الزوج يحتاج وقتا حتى يقوم بعمل ترضى عنه زوجته .

أما . . . فيقول : دفعتنى زوجتى دفعا للتخلى عن مساعدتها ..رغم أنها لا تمل طوال الوقت من الشكوى من كثرة الأعباء عليها .

وتقول احدى الأمهات .. لدى ثلاثة أبناء صبي وفتاتان ، وانى اعترف بمساهمتى السلبية فى تربية ابنى .. فقد انصب اهتمامى طوال فترة طفولتهم على ضرورة أن تتعلم البنات كل فنون الطبخ وترتيب البيت بما فى ذلك فراش أخيهم وخزانة ملابسه ، وعندما كبر ابنى ، لم يكن يعرف كيف يلتزم بأبسط الأشياء ، مثل وضع ملابسه فى الخزانة ، وبعد زواج ابنتى كنت أقوم بأعباء البيت كلها وحدى .

أم أخرى ... تقول : لاحظت ان ابنى لديه ميل لمساعدتى فى أعباء البيت .. وكثيرا ماكان يقوم بترتيب فراشه . وأحيانا كان يحضر الافطار لنا جميعا ، وتصورت فى لحظة أن مساهمته فى الأعمال المنزلية تعنى أنه سيصبح رجلا ضعيف الشخصية ، فأجبرته على ترك المهام المنزلية لأقوم بها أنا وأخته الصغيرة .

هذه النماذج موجودة بيننا .. وحكايات المعاناة لدى المرأة العاملة خصوصا الزوجة والأم كثيرة ومتباينة . فما هى الأسباب وراء احجام الرجل فى مجتمعنا العربي عن مشاركة زوجته فى أعباء البيت ، ومتى يتخلص الزوج من المفاهيم الموروثة التى انعكست آثارها على الأسرة بكاملها ؟ وكيف تفهم قضية المشاركة على وجهها الصحيح .

حول هذه الاسئلة يجيب الدكتور احمد أبوزيد أستاذ الانثروبولوجيا محاولا تفسير الظاهرة فيقول :

« عندما تمارس المرأة العربية العمل بعد زواجها فلابد أن يتم ذلك عن طريق الاقتناع بينها وبين زوجها . فاذا كان الاقتناع كاملا بضرورة أن تعمل وتسهم فى الأعباء المالية للأسرة ، فلابد أن يكون هناك اقتناع بالتالي بمشاركة الرجل فى كل الأعباء الأخرى ، وهنا تبرز مشكلتنا التى تتدخل فيها عوامل عديدة ، على رأسها القيم الاجتماعية السائدة ، وبالتالى التنشئة الاجتماعية للفرد » .

المجتمع العربي مجتمع أبوى

ويستمر د . ابو زيد قائلا : « ان مجتمعنا مجتمع أبوى ، بمعنى أن السلطة تكون فى يد الرجل ، فله مكانة أعلى من مكانة الأنثى ، وعلى ذلك فان الصغير لايقوم بأي عمل من أعمال البيت ، ولايسهم بأدنى مساعدة كأن يرتب فراشه مثلا ، بل تكلف الاناث بالقيام بأعمال المنزل كلها ، فينشأ الولد على رفض المساعدة فى البيت ، بل ويأنف من تلك الأعمال التى تقوم بها أخته . والنتيجة أن كثيرا من الأزواج يقفون مكتوفى الايدى أمام الأعباء المتزايدة على المرأة فى البيت ، ونحو الأبناء ، بل ان هناك ازواجا يمثلون أعباء اضافية على زوجاتهم ، وللأسف أعرف الكثير من المثقفين الذين يريدون زوجة تسير وراءهم طوال الوقت .. فهم يلقون الورق وأعقاب السجائر فى غير أماكنها الصحيحة .

ويستطرد د . احمد ابوزيد فى حديثه فيقول : « الحقيقة أن الأساس فى تحميل أعباء البيت على المرأة وحدها يأتى نتيجة أن أنظمة اجتماعية خلال مراحل معينة من التاريخ هى التى خلقت وضعا للمرأة أدنى من وضع الرجل ، بمعنى أن الظلم الواقع عليها ليس من قبل الرجل كرجل ، ولكنه من قبل المجتمع الذى لعب فيه الرجال الدور الأساسى فى كل شىء . وقد أثبتت الدراسات الانثروبولوجية ، دراسات ماقبل التاريخ ، أن النساء فى عصر الجماعية القبلية كن يتمتعن بمشاركة الرجال لهن ، وأن العشيرة التى كان يعمل جميع أفرادها رجالا ونساء كانت مجتمعا يعترف بمساعدة الرجل للمرأة عندما تزداد التزاماتها .

وينهى د . احمد أبوزيد حديثه قائلا : « بعد كل ما سبق نجد أنه من الصعب تغيير اتجاهات الرجل بعد أن نشأ فى هذا الوضع الاجتماعى ، ولكن أمامنا فرصة واسعة من أجل أن نتدارك

ذلك في تربية أولادنا ، علينا أن نعلمهم أن المساهمة في أعمال البيت ليست عيبا أو اهانة .. واحكاما للحق فان هناك اتجاهاً حقيقياً للمشاركة من قبل الرجل في أعمال البيت ، وان كانت في أغلب الحالات ليست تطوعية ، كما أنها ليست مسألة اقتناع ، ولكنها ضرورة فرضتها ظروف عمل المرأة . ولاشك أن ذلك يبشر بأمل كبير .

تطوير القيم الاجتماعية

وحول امكانية تعديل القيم الاجتماعية السائدة يحدثنا د . يحي الحداد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت فيقول :

« توزيع العمل بين المرأة والرجل في البيت وخارج البيت هو أساس التوازن الجديد الذي تقتضيه التطورات التي تشهدها مجتمعاتنا العربية ، بما أفرزته من زيادة في احتياجات الأسرة المادية ، وما اقتضته من اتاحة الفرصة لكافة الموارد البشرية ـ رجالا ونساء ـ لمواجهة تحديات التنمية واعداد الرجال والنساء وتأهيلهم للمشاركة المنتجة الفعالة . ان تطوير القيم بما يدفع الرجال الى تحمل مسئوليات أكبر في هذا الدور ، واعدادهم لتحمل المسئولية المشتركة في المنزل والعمل ، يتطلب جهودا مكثفة في المجالات التالية :

أولا : توجيه المناهج الدراسية بحيث تستهدف ثقافة مشتركة للابن والابنة ، بهدف تكوين الاتجاهات الايجابية بين كل من الجنسين ، باعتبارهما شريكين في الحياة . وتتضمن هذه الثقافة المشتركة توضيح مسئولية الجنسين في تطوير المجتمع المعاصر ، والمعرفة بقضايا التطور العلمي والتكنولوجي ،وتوضيح الاتجاهات السليمة نحو الأبوة المسئولة في تكوين الأسرة وتربية الأبناء .

ثانيا : تثقيف الابن والابنة في البيت والمدرسة ووسائل الاعلام المختلفة ، لتفهم مسئولية الشريكين في تكوين الأسرة على قدم المساواة ، سواء كان ذلك بالنسبة لمسئوليات العمل في المنزل ورعاية الأبناء ، أو غير ذلك من أمور الأسرة التي تتطلب المشاركة بين الزوجين في اتخاذ القرارات .

ثالثا : أن يراعي الآباء والأمهات تنشئة أبنائهم ـ خاصة الذكور ـ على مفاهيم ترفض تفوق الذكر على الأنثى ، وما يترتب على ذلك من اختلاف وتمييز في التربية والمعاملة الأسرية .

ويستطرد د . يحي فيقول :

« والحقيقة أن الاشكالية النسائية بالنسبة للرجل لم تطرح بعبارات جديدة الا منذ فترة قصيرة ، وذلك بفضل العلوم الطبيعية (الفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الوراثة) ، لان المرأة ظلت لفترة طويلة تعاني وضعا أقل ، نتيجة لطبيعتها الأنثوية والتزامها الطبيعي بوظيفة الأمومة بين وظائف أخرى ، من هنا تكونت أنظمة تفسير هذا الوضع بأنه يعني أفضلية الرجل عليها » .

وماذا بعد .. ؟

تكلم أطراف العلاقة ، وسمعنا رأي العلم ، ولم يبق ما نقوله ، الا أنه ليس واردا ان نطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة بمفهوم يختلف عن قيم واخلاق مجتمعاتنا العربية التي يحددها ديننا الحنيف ، ولكن ما نطرحه للنقاش هو المشاركة في الحياة بين الزوجين ، هذه المشاركة التي يحث عليها الدين وتفرضها التطورات الاجتماعية المختلفة ، فقد كان رسول صلى الله عليه وسلم لايأنف من عمل شيء بيده ، وكان يعين زوجاته وقد وصفته زوجته السيدة عائشة (رضي الله عنها) بأنه كان في مهنة أهله كما روى عنه أنه كان يخصف نعله ويرتق ثوبه ، وهو القائل (عليه الصلاة والسلام)« خدمتك زوجتك صدقة » وكان أرحم الناس وأضحكهم في بيته فهل يستجيب الرجال .. ؟ ! □

هو ....

المشاركة

كانت مفاجأة بالنسبة لي ، لم أنم ليلتها ولم أعرف للراحة طعما . كنا في زيارة عائلية ، وفوجئت بالعائلة الصديقة التي كنا في زيارتها تسأل زوجي عن آخر أخبار القضية التي أقامها ضد الشركة التي كان يعمل بها . وأثناء طريق العودة سألته عن القضية ولماذا أقامها وما موقفه فيها ؟ الا أنه لم يجب بشيء وأخذ يردد بسعادة : من تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه . . »

ورغم أنني اعتدت هذا من زوجي دائما . الا أن هذه الحادثة البسيطة قد فجرت داخلي أحاسيس بعدم الرضا ، فمنذ اليوم الأول لزواجنا وحتى الآن وأنا لا اعرف عنه شيئا الا العموميات الشديدة ، مثل أنه ترك العمل في الشركة وانتقل الى شركة أخرى ، أو أنه قدم أوراقه للعمل بالحكومة . . حتى مواعيد عمله لا أعلمها على وجه الدقة . وبدءا من مواعيد عمله ، ومرورا بحقيقة دخله وراتبه ، وانتهاء بكل تفاصيل حياتنا ، يحرص زوجي على الا أعلم عنها شيئا ، وعندما أحاول أن أناقشه في

تصرفاته هذه ، ولماذا يخفي عني ما يجب أن أعرفه بوصفي شريكة حياته ورفيقته في تحمل المسئولية ، ينظر الى طويلا ثم يصدمني قائلا « اذا كان ينقصك شيء في حياتك أو كنت تفتقدين الراحة في أي شيء فقولي . . وأنا آتيه لك » ويظل النقاش بيننا عبثيا ، هو يرى أن الزوجة ليس من حقها أن تعرف شيئا عن حياة زوجها ، وأن دورها مجرد القيام بالاعباء المنزلية من طهي وتنظيف وترتيب ، حتى مصروف البيت يتولى هو تقديره ، ويقدم في أول كل شهر مبلغا ويطلب مني أن أدبر حياتي بهذا المبلغ من المال ، وأعترف أنني لم أكن اشكو أبدا من عجز الميزانية فقد كان تقديره دائما مصيبا الا أنني لا أعرف ماذا تبقى معه ؟ وأين تذهب نقوده ؟ . . وكل أحاديثنا في البيت لاتتعدى الثرثرة حول مسلسل في التلفزيون ، أو حادثة مثيرة قرأها في الجريدة ، أو أخبار الجيران ، أو دعابات وضحكات يخلقها هو ونضحك عليها . . ولكن خارج باب المنزل لا أعرف عنه شيئا ؟ حتى أسماء زملائه لا أعرفها . . وصديقاتي يعرفن وقائع يوم أزواجهن في العمل . . بل منهم من يقول لي أخبار آخر فستان ، أو آخر خناقة بين زميلات وزملاء مع أزواجهن . . صحيح أنا لاأريد من زوجي كل هذه التفاصيل . . ولكن قليلا مع المعايشة والمشاركة له في همومه وآماله . . في عمله مع أصدقائه تكفي . . . أليس من حقي كزوجة أن أعرف ما يحيط به وأخفف عنه . . أم أنا مجرد دمية في البيت ؟ . .

هي

هي....

علمني التاريخ

قصة من التراث علمتني حكمة هامة في الحياة ،فقد خطفت امرأة طفلا من جارة لها ، وذهبت به الى القاضي .. كل تدعي أمومته ، فقال القاضي : لاحلّ الا أن أقطع الطفل قسمين ، لكل واحدة منكما قسم ، وعلى الفور وافقت الخاطفة في الوقت الذي جزعت فيه الأم ، فحكم القاضي للام بصحة الأمومة واسترداد الطفل .

منذ الصغر وأنا أدرس هذه القصة ، وأضحك من خيبة الخاطفة التي فضحتها عواطفها ، ومن جزع الأم الذي أظهر حنانها ، فلو كانت عاقلة عقلا فوق العاطفة لقالت للقاضي .. ما جدوى أن تقسم الطفل قسمين ، أنت تقتل الطفل وأنا أريده حيا لا ميتا ، وأنت تعاقب طفلا لاذنب له ، ولو كانت الأم أكثر عقلا ووعيا لقالت للقاضي :

عفوا يا سيدي القاضي أنت تحكم فيما لا تملك .. جئناك لتقرر من منا الأم فاسأل القرية التي كنا فيها ، والطرقات التي سرنا عليها ، أما أنا فسوف أقاتل من أجل طفلي ، أو اقتلني أنا ودعه، فالأمومة فوق القانون . ولكن كلتا المرأتين لم تفعل هذا ولا ذاك .. كلتاهما أثبتت أن عواطفهما أقوى من عقلهما ، وأسبق في التفكير في رد الفعل ، وبعد ذلك ، ومع الزمن ، عرفت لماذا لا تكون المرأة قاضية ، انها قضية اختلاف نوعي وفروق فردية . ورغم هذه القناعة ، تأتي زوجتي وتريدني أن أقلب ميزان الكون وأغير مفاهيمي ، تريد أن أشركها في كل تفاصيل حياتي ، وأطلب منها المشورة ، وهي لن تدلي برأي صائب ـ وهذا ليس تعسفا مني تجاهها ـ ولكنه إحقاق لواقع ، فهي سوف تغلب العاطفة ، ولن تفصل وجدانها عن الموضوع ، ولن يكون تعلمها محايدا ، مثلما أتناول أنا مشكلة ما تواجهني حتى لو كنت أنا طرفا فيها . تريد مني أن أحكي لها عن زميلاتي وزملائي في العمل وعلاقتنا ، ومن المنطقي أن يكون بين زملاء العمل احتكاكات واختلافات يومية نتيجة للتفاعل الانساني ، أو يكون بينهم مزاح ودعابة .. فماذا ستكون النتيجة لو رويت كل هذا ..؟ لا أستبعد اطلاقا أن تناقش زميلا لي فيما فعله معي ، أو تعلق على سلوك زميل آخر لم تره حتى لو كان زائرا لبيتي ، وبالتالي سوف يكون لديها آراء مسبقة في الناس وعن الأشخاص والموقف .. وهذا شيء لا أقبله ، ورغم جهدي ، ألا أجعلها تشكو من شيء ، ومحاولتي أن أوفر لها حياة كريمة هانئة ، وأن أجعل من ساعاتي معها بسمة وضحكة ، بدعابة من هنا وقصة مسلية من هناك .. وطرفة عن الزملاء .. وحكاية من شقاوة طفولتي .. رغم كل هذا فهي تصر على أن تشغل رأسها بي .. تصر أن تعرف همومي وعملي وراتبي . وعجيب أمر المرأة اذا رأت الوردة أعجبتها وخافت شوكها .. وان اشتهت العسل خشيت وخز الأبر .. واذا أتتها الوردة والعسل نغص حياتها شوقها للشوك ووخز الابر وحمل الهموم والتفكير .. ولله في خلقه شئون .

هو

من الحياة

ذكريات الربيع في خريف العمر!

بقلم : منير نصيف

فجأة وجدت نفسها تقف امام الصورة الصغيرة التي تضعها في مكان قريب من فراشها . . صورتها مع الشاب الذي اختارها منذ اكثر من ثلاثين عاما مضت لتشاركه رحلة الحياة . . ومدت يدها وامسكت بالصورة التي عاشت معها تلك الاعوام الطويلة . . كانت تبدو جميلة في فستانها الأبيض . . وراحت تتفرس في هذا الوجه الذي لم يبق منه الا صورته . . كانت رائعة في شبابها الذي ذبل مع الأيام . . هو أيضا كان وسيما ، وكان يحمل في بداية رحلته طموحا واصرارا عجيبا . . لابد ان تنجح هذه التجربة . . سوف يقف وحده ويتحدى العالم من أجلها هي . . فقد كان يجد دائما في قربها منه وتعلقها به وحبها له القوة التي دفعته وتدفعه دائما الى العمل والكفاح والسير في الطريق الذي اختاره لنفسه !!

ولكن ما الذي دفعها اليوم الى الوقوف أمام هذه الصورة القديمة ؟ . صحيح أنها كانت تختلس النظر اليها بين الحين والحين اثناء النهار الطويل الذي اصبح يمضي الآن ، وهو يزحف بعد أن خلا البيت من الأطفال الذين كبروا وتزوجوا واصبحوا يستقلون بحياتهم . . كانت عيناها تتجهان اليها دون أن تشعر ولكن للحظات قصيرة لاتلبث بعدها ان تتركها وتبتعد عنها ، وربما تذهب معها في رحلة قصيرة ، أشبه ماتكون باغفاءة لاتلبث أن تصحو منها على عمل صغير ينتظرها في البيت . .

ولكنها اليوم ، ولا تدري كيف وجدت نفسها تذهب في رحلة طويلة بعيدة مليئة بالذكريات . . لأن اليوم هو عيد زواجها . . وفي المساء سوف تستقبل المدعوين الذين سيجيئون ليحتفلوا معها ، هي وزوجها بهذه المناسبة السعيدة . .

واحست بالتعب وهي واقفة في مكانها والصورة بين يديها ، صورتها هي وزوجها ، ليلة زفافها ، فجلست على مقعد قريب لتريح جسمها المتعب ووضعت الصورة بجوارها فوق مائدة صغيرة ، ومالبثت ان وجدت نفسها تذهب بعيدا الى بداية تلك التجربة التي عاشتها مع الرجل الذي مازالت تعيش معه ماتبقى لهما في رحلة الحياة . .

لقد كانت رحلة طويلة شاقة مليئة بالسحب والانواء والامواج . . كانت بحرا واسعا تتلاطم امواجه ، وقد راحت السفن تسير فوق سطحه . . سفن صغيرة وسفن اخرى كبيرة من كل حجم ولون . . كلها تطفو على السطح ، وكلها تحاول ان تدرأ عن نفسها خطر الموج

المتلاطم ، حتى تستطيع أن تصل بمن فيها الى شاطىء الأمان . .

حقيقة استطاعت سفينتها الصغيرة ان تصل ، ولكن بعد رحلة قاسية كادت خلالها ان تصطدم بالصخور ، لولا يقظة ربانها الذي تشبث بها ، ونجح في ابعادها عن الخطر الذي كان يتربص لها ، وهي ماضية في رحلتها وسط الامواج العاتية . . فقد كان يحب سفينته ، وكان يحب ركابها ويتعلق بهم ، وكان على استعداد دائما لان يضحي بحياته من اجلهم !

• • •

ومضت بها الذكريات . . انها لاتزال تذكر تلك الأيام الحلوة التي امضتها معه خلال فترة خطوبتها القصيرة . . كان ابوها رجلا محافظا لم يكن يسمح لها بالخروج مع خطيبها وحدهما . . ومع ذلك فقد كانت اللحظات القصيرة التي يقضيها معها الشاب الذي جاء يطرق باب البيت طالبا يدها ، وسط والديها واخوتها كافية لأن تجعلها اسعد فتاة في العالم . كان يجلس قريبا منها ويحدثها عن آماله واحلامه للمستقبل الذي ينتظرهما بعد الزواج . كان مرحا خفيف الروح حاضر النكتة . . لم يكن هناك شيء يمكن ان يعكر سماء تلك اللحظات السعيدة ، التي كان يأتي فيها لزيارتها في بيت والديها بعد ان ينتهي من عمله . .

انها لاتنسى كيف كان يغار عليها ، وهو ينقل اليها الانفعالات التي كانت تعتمل في صدره ، وهو يحدثها عن الفرحة التي تملأ قلبه ، لأنه عرف كيف يفوز بها . . وكانت تنظر اليه وتتأمل عينيه ، فلا تجد فيهما الا كل الصدق في كل مايقوله لها . . وقد كانت تبادله هذا الحب ، وكانت تعد معه الايام التي ستنتقل بعدها الى العش الصغير ، الذي سيبدءان فيه حياتهما الجديدة !

ولكن البداية كانت صعبة ، فقد كان دَخْلُ زوجها الصغير بالكاد يكفي مطالب الحياة الاساسية . . وبدأت رحلة الكفاح بعد أيام قليلة من الزواج . كان همه الاول ينحصر في البحث عن عمل آخر يستطيع ان يضاعف به دخله . . وكان لاينام الليل . . كان يعمل ثماني عشرة ساعة في اليوم . . وكانت تسهر بجواره تشجعه وتدفعه الى الاستمرار . . وكان يستمد من وقوفها

بجانبه ومساندتها له القوة والصبر والجلد ، وخاصة بعد ان انجبت له زوجته طفلها الأول . فقد بدأ يشعر بالمسؤولية تتضاعف ومطالب الحياة تلح عليه وتشغل كل تفكيره . .

وشقي وتعب كثيرا ، ولكنه لم يكن وحده ، فقد كانت معه دائما في كل خطوة وفي كل ازمة ، ومع كل مشكلة وقفت عائقا في طريق حياتهما الجديدة التي حفلت بالعمل والعرق والجهد الذي لايهدأ . . فقد كانت تحبه ، وكان بدوره يعيش لها وحدها ، فقد اصبحت هي وطفلها يملآن كل ساعة ، كل لحظة من حياته حتى وهو منكب على عمله . . لم تكن صورتها تغيب عن مخيلته . . كان يراهما في كل شيء من حوله ، وكانت سعادة هذه الأسرة الصغيرة ورفاهيتها هما شغله الشاغل في صحوه ونومه !

***

انها ماتزال تسمع كلماته ترن في اذنيها ، عندما كانا يختلفان ، وما اكثر ماكانت خلافاتهما في الاشهر الأولى من الزواج ، ولكنها كانت اشبه ماتكون بسحابة عابرة ، لاتكاد تظهر في السماء التي تظلل حياتهما حتى تختفي بنفس السرعة التي تجمعت بها . . لقد كان يقول لها : « الزواج ياعزيزتي بداية وليس نهاية . . انه لايعدو ان يكون اكثر من خطوة قصيرة ، لابد ان تجيء بعدها خطوات وخطوات في الطريق الطويل ، من أجل بناء اسرة سعيدة . . ومع هذه المسيرة لابد ان يختلف الزوجان . . لابد ان تتعثر خطواتهما . . المهم هو ان يجدا في النهاية ارضا مشتركة يستطيعان الوقوف عليها ، قبل ان يعودا الى مسيرتهما من جديد !

كان يفلسف الحياة أحيانا ، وينقل إليها بعض مايعجبه من قراءاته في الكتب . . وكانت تجد فيما يقوله لها في كثير من الاحيان وصفا رائعا للعلاقة التي يجب ان تكون بين الزوجين المتحابين . . كان يقول لها :

« يجب ان تدرك شيئا هاما . . هذا الكلام ليس من عندي وانما هو خلاصة التجارب التي مر بها من سبقونا الى هذه التجربة . . اعظم واكبر تجربة في حياة الرجل والمرأة . . انهم يشبهون الزواج بطفل صغير ، لايختلف كثيرا عن طفلنا الذي رزقنا به الله . . تعالى نقف قليلا عند ذلك الجهد الذي نبذله من أجل رعايته وتربيته والمحافظة عليه . . بدون هذا الجهد قد تعتل صحته وقد يتعرض للمرض ، وربما الى ما هو اخطر من ذلك ! »

« والزواج ياحبيبتي طفل صغير ، في حاجة الى كل هذه الرعاية والعناية والحب والغذاء . . انه في حاجة كل يوم وكل ساعة الى زاد جديد ، يبعث فيه الدفء ويعيد اليه الروح ، حتى لايتحول الى جسد بلا حياة !

وتذكرت الزوجة وهي ماضية في استعادة ذكريات السنين الطويلة التي عاشتها مع الرجل الذي وهب نفسه لاسعادها هي وطفلها . . وتذكرت فجأة عملا هاما ينتظرها ، فقامت تجر ساقيها جرا ، فلم تكن ترغب في ان يقطع حبل الذكريات ، التي وجدت نفسها فجأة تعود اليها ، وتعيش فيها بكل وجدانها ، اي شيء مهما كان هاما وعاجلا . .

وانهت ماكان يجب ان تنهيه ، ثم عادت مسرعة الى حيث كانت تجلس امام الصورة التي بعثت في رأسها كل هذه الخواطر لتكمل رحلتها مع الماضي

البعيد القريب ، وكأنه كان بالامس فقط ، لايفصل بينه وبينها سوى تلك الخطوط الناعمة التي بدأت تظهر على وجهها معلنة غروب شمس الربيع .. كل شيء كان يبدو لها كما لو كان قد حدث بالامس القريب .. ووجدت نفسها تهمس لنفسها : كم هي قصيرة حياة الانسان على الارض ! »

ومدت يدها الى الصورة التي رافقتها طوال رحلتها وراحت تتأملها من جديد ، ثم مالبثت أن اعادتها الى مكانها وعادت معها الى ذكرياتها من جديد !!

***

انها مازالت تذكر الشعور الذي كان يسيطر عليها في كثير من الاحيان بالملل من الحياة التي تعيشها .. لا لأنها تكرهها .. بالعكس فقد كانت راضية بما قسم الله لها ، ولكنها كانت في بعض الاحيان تشعر ان عمل زوجها المرهق قد اخذه بعيدا عنها ، وأنها في حاجة الى ذراعه لتسند اليها رأسها المتعب ! كانت تتوق أحيانا الى مرافقته في رحلة بعيدا عن البيت ، تملأفيها رئتيها برائحة البحر ، وتستعيد من خلالها النشاط والحيوية والحنين الى البيت الذي ابتعدت عنه ولو لفترة قصيرة !

وكانت تسرّ اليه بمشاعرها . قالت له يوما : خذني في رحلة قصيرة مع طفلنا .. ابني في حاجة الى التغيير .. أريد ان ارى الريف .. اريد ان اجلس تحت شجرة امضي في ظلالها النهار ! .

وفعل ، وكان يوما من أجمل ايام حياة هذه الاسرة الصغيرة .. وفي طريق عودتها الى البيت قال يهمس في اذنيها : « يجب ان تعلمي دائما انني احبك ! »

قالت : ولكن الحب وحده لايكفي اني اعيش بين جدران اربعة ، وسلواي الوحيدة في وحدتي هو طفلنا الصغير .. انني في حاجة اليك .. انني أشعر احيانا انني احدث نفسي !

ـ الشعور بالملل ياحبيبتي هو ألدّ أعداء الزواج . واذا بدأ الملل يتسلل الى قلبي الزوجين أو احدهما ، فمعنى ذلك ان هناك خطأ لابد من تصحيحه ، وانا اعترف لك بأنني مخطىء . ان عملي يأخذ كل وقتي ، اعدك بأن اخصص المزيد من الوقت لك ولطفلنا !

قالت : أنا لا اشكو .. ولكن لاتنس ان تكرار الاعمال التي اقوم بها في وقت معين وفي ساعة محددة يوما بعد يوم واسبوعا بعد اسبوع .. هذا التكرار ياعزيزي هو الذي يولد الشعور بالملل والضجر .. هو الذي يفقد الحياة طعمها ولذتها !

ـ ولكن الا ينطبق هذا علي أنا ايضا ؟

ـ لا .. لأنك تخرج كل يوم ، وتلتقي بوجوه جديدة . وترى صورا جديدة للحياة ، لا أراها أنا في عالمي الصغير المحدود داخل البيت .

***

تذكرت هذا الحوار بكل دقائقه وتفاصيله ، وكأنه دار بينها وبين زوجها منذ بضع دقائق مضت ، لامنذ عشرات السنين .. ودمعت عيناها وأسرعت الى منديلها الصغير تجفف به دموعها ، قبل أن تتجه الى الباب الخارجي لتفتحه .. فقد كان هناك من يطرق الباب .. في البداية كان الطرق خفيفا ، فلم يصل الى اذنيها وهي مستغرقة في رحلتها مع الذكريات .. ثم اشتد الطرق وتلاحق ، وعندئذ شعرت ان زائرا قد جاء فأسرعت تفتح الباب ..

وكانت المفاجأة .. لقد كانت أمها العجوز تقف امامها وجها لوجه وقد استبد بها القلق .. جاءت لتشارك في الحفل الصغير بمناسبة عيد زواجها ..

ـ أين كنت . لقد انقضت دقائق طويلة وأنا واقفة وراء الباب اطرقه بشدة حتى بدأ القلق يساورني . هل انت بخير يا ابنتي ؟

ولم تجب .. فقد اسرعت تلقي برأسها الصغير فوق صدرها ، ثم انفجرت تبكي ، كما يبكي الاطفال ! □

طبيب الأسرة

لوقاية ابنك من أمراض الصيف

● ماذا تفعلين لوقاية ابنك من أمراض الاسهال والجفاف ؟

مع بداية الصيف حيث درجة الحرارة العالية ، يبدأ تعرض الأطفال لأمراض الصيف . وعلى كثرة أمراض الصيف الا أن أخطرها هو الاسهال والجفاف ، فهناك من ٥ - ٨ ملايين طفل يموتون سنويا بسبب هذا المرض ، وعدد كبير من الاطفال الذين يحالفهم الحظ وينجون من الموت يصابون بأمراض في خلايا المخ مما يؤثر على النمو أو يصيبهم بخلل عقلي .

وعلاج المرض لا يتم الا في مستشفى وتحت عناية ورعاية الأطباء . ومن هنا فان دور الام يقتصر على سبل الوقاية وملاحظة الطفل للذهاب به الى المستشفى في أسرع وقت .

الدكتورة ليلى الفزيع طبيبة الاطفال تقدم لك عزيزتي الام بعض المعلومات عن هذا المرض . . تقول د . ليلى :

يكثر هذا المرض في الصيف حيث تتكاثر الحشرات ، وحيث تتسبب الحرارة الشديدة في اتلاف الاطعمة ، وخاصة الحليب الذي يعتبر الغذاء لمعظم الاطفال ، وهذا كله لا ينفي اخطاء التغذية وانعدام النظافة خاصة في الشهور الاولى من عمر الطفل ، ومن هنا فانه لا بد للام من التعرف على الاسلوب الصحيح في تحضير الطعام لطفلها ، وفي اختيار النوع المناسب من الحليب الذي يتلاءم وعمره ، وضرورة الابتعاد عن الحليب الدسم الطازج . خاصة في الثلاثة أشهر الاولى .

والاهم من كل ذلك تشجيع الرضاعة الطبيعية ، وبيان مدى فائدتها واهميتها في السنة الاولى من حياة الطفل . ولكن الرضاعة الطبيعية أيضا وان كانت تغني عن تعقيم المياه وزجاجة الحليب الا أنها تحتاج للنظافة أيضا ، وضرورة العناية بالثديين قبل وبعد الولادة ، فحليب الام يغني عن أي نوع من الغذاء لانه يعطي مناعة للاطفال ، ويكون حائلا بين الطفل والعدوى .

أعراض الجفاف :

قد تلاحظين أن عدد مرات التبرز تزداد لدى طفلك وتكون في معظم الأحيان لينة ، يصاحبها قيء ، وخمول في حيوية الطفل ، وقد يبدو الطفل

غائر الوجنتين والعينين ، واذا لمست بيدك رأس الطفل ستلاحظين انخفاضا في اليافوخ الى جانب اصابة الفم بالشفان وباختصار يبدو الطفل وكأنه شيخ كبير .

والعلاج هنا يكون سهلا وسريعا ، اذا استطاعت الام أن تلاحظ الحالة وتعرضها للعلاج من البداية . لان تأخر ملاحظة الحالة يؤدي الى تأخر علاجها ، حيث يدخل الطفل المستشفى ويمنع الطفل عن الحليب نهائيا ، ولا يعطى سوى السوائل والمغذيات السائلة ، إما عن طريق الفم وإمّا الوريد .

☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

هرمون الغضب Adrenaline

قرأت فيما أقرأ عن هرمون يدعونه بهرمون الغضب . والحقيقة أنني بالرغم من شغفي بالقراءات الطبية لم أسمع بمثل هذا الهرمون ، ولا الى أية غدة ينتمي ، ولا الى مفعوله في الجسم ، فهل لي ببعض المعلومات المفصلة ؟
ولكم شكري وتقديري .

س . ي .
حمص - سوريا

تقع فوق الكلية غدة صمّاء تفرز عدة هرمونات ، وهذه الغدة التي يدعونها الغدة فوق الكلوية ، أو غدة الكظر ، تتكون من شقين :

الشق الأول هو الخارجي ويسمى بالقشرة Cor-tex أو اللحاء ، والشق الثاني هو الداخل ويسمى باللب او النخاع . Medulla

ان نخاع الكظر يفرز هرمونات أهمها هرمون الادرنالين أو الايبنفرين Adrenaline Of Epinephrine ، كما يفرز هرمونا آخر يدعى نور أدرنالين Noradrenaline ، وهذه الهرمونات التي تفرز في الاحوال الطبيعية للانسان بكميات قليلة لها تأثير يشبه تأثير العصب السمبثاوي Sympathatic ، الذي يدعى في العربية بالعصب الفردي ، أو العاطفي ، لانه يستثار عند زيادة العاطفة كالخوف والغضب .

لهذا فان هرمون الأدرنالين يزداد افرازه لمواجهة المواقف العاطفية ، وأهمها الخوف والغضب ، ومن هنا حمل هذا الهرمون اسم هرمون الغضب مجازاً ، لان تأثيره على الجسم يتسم بالاعراض التي نلحظها عندما يستثار الانسان والحيوان ، أوعندما يغضب .

وتأثير هذا الهرمون الذي يفرزه الجسم عند الاستثارة هو لاعداد الجسم وتهيئة اعضائه لمواجهة متطلبات الموقف الدفاعي أو الهجومي .

ان الادرنالين يعتبر قابضا للاوعية الدموية ، وخاصة في الجلد والانسجة المخاطية ، وأوعية الكلية والاحشاء ، باستثناء شرايين القلب التاجية ، وأوعية المخ والرئتين التي تتسع مع فرط الادرنالين ، كما تزيد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم ، وتتوتر العضلات وتبطىء الأمعاء والمثانة .

لهذا يستفاد من الأدرنالين وزميله النورادرنالين في عدة مواقف استطبابية ، منها ايقاف النزيف في مواضع عدة ، كنزيف الرعاف من الأنف ، أو نزيف الاسنان بعد قلعها .

بريد

بريد الأسرة طبيب

كما يستفاد منه في تقليل النزيف والألم اذا مزج بمخدر موضعى فى العمليات الجراحية البسيطة مثل الجلد او الأسنان وما اليه .

وقد وجدت له . . فوائد عامة أخرى أهمها معالجة مواقف الحساسية الشديدة كالربو الشعبي أو الارتيكاريا الجلدية ، وأحيانا يستعمل في حال توقف القلب كلية عن العمل .

ان النورأدرنالين يشبه زميله الادرنالين ولكنه أقوى منه فى قبض الأوعية الدموية وأضعف منه فى الحقول الأخرى .

امراض الجنس

Sexlinked diseases

قرأت فيما أحب ان أقرأ من كتابات طبية عن أمراض مرتبطة بالجنس ، فهل هذه تعنى أمراضا جنسية تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى غير المشروع ؟ .

ق . ن/ طرابلس الغرب ـ ليبيا

الأمراض المرتبطة بالجنس هى تلك التى ترتبط بجنس دون آخر ، ذكرا كان أو انثى ، وعادة ما تعبر عن أمراض متوارثة عبر كروموزومات الجنس أو صبغيات الجنس .

فمن المعروف أن عدد كروموزومات الخلية البشرية (أو الصبغيات) هو ٤٦ كروموزوما ، اثنان منها للجنس يحددان الجنين هل هو ذكر أم انثى ، ويطلق عليهما اسم كروموزوم واى (Y) بالانجليزية وكروموزوم اكس (X) .

ولما كانت البويضة التى تنطلق من مبيض الام هى نصف خلية ، فانها تحمل ٢٣ كروموزوما ، منها واحد للجنس هو دائما من نوع (X) لان خلايا الانثى دائما تحمل كروموزومين من نوع (X) . بينما الحيوانات المنوية القادمة من الذكر هى أيضا نصف خلية وتعد ما بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ مليون تحمل ٢٣ كروموزوما ، منها واحد للجنس ولكن نصف الحيوانات المنوية تحمل كروموزوم (واى) Y ، والنصف الآخر يحمل كروموزوم (اكس) (X) .

ومن التقاء البويضة حاملة كروموزوم اكس (X) مع حيوان منوى يتحدد نوع الجنين .

فاذا كان الحيوان حاملا لكروموزوم (X) كان نصيب الجنين أن يكون انثى ، أما لو صادفت البويضة تلقيحا بحيوان ذى كروموزوم Y فالجنين يكون ذكرا .

وقد اكتشف العلماء مؤخرا أن الكروموزومات هى التى تحمل صفات الوراثة ، عبر أحماض نووية تسمى بالجينات أو المورثات .

وقد لوحظ أن كروموزوم واى (Y) لا يحمل على متنه أية مورثات على نقيض ما هو كروموزوم اكس (X) .

ومن هنا نجد أن الام تنقل لمولودها الذكر أمراضا خفية عندها مثل مرض الهيموفيليا (أو النزاف) ومرض (عمى الالوان) فهذه لا تظهر الا على الذكور فقط يرثونها من أمهاتهم فقط بالرغم من أن الام تبدو ظاهريا سليمة معافاة .

وهذه ما يطلق عليها عادة أمراض مرتبطة بالجنس .

مساحة وُدّ

الحوار الذى تأخر

لم أشهد بداية القصة ، ولكنني شاهدت نهايتها ، رأيت الفصل الأخير وهو ينسج يوما بعد يوم ، وطوال عشرة أشهر كانت الأحداث فيها تتصاعد ، كان كل يوم يمر يقربني أكثر من تفاصيل القصة وأحداثها .

وبرغم معايشتي للتفاصيل الدقيقة ، الا أنني لم أستطع أن أكون حكما ، ولم أستطع أن أحدد من منهما الظالم . . . فكلاهما مظلوم . . فقد تزوجا منذ ثلاثة عشر عاما ، الزوجة تكبر الزوج باحدى وعشرين سنة ، كان في العشرين يوم أن تزوجها في بدء حياته العملية ، وهي سيدة لديها بعض الأعمال التي تدر عليها دخلا طيبا ، لم ينتفع منها ماديا بصورة مباشرة ، بقدر ما كانت زيجة فيها عامل من عوامل الاستقرار . فهي تملك بيتا ، لا تطالبه بالكثير من نفقات البيت ، هي في توهج ماقبل المغيب ، وهو في توهج ماقبل الشروق !! ومضت الحياة ، كان كل يوم يمر يضيف اليه وينقص منها . . يزداد هو خبرة وثقافة ونضجا . . ويذبل صباها وجمالها ، وهي تقرأ بصعوبة ، وتقرأ فقط ما يمكنها من ادارة أعمالها . . . كانت الأيام تحمله قسرا الى سنوات الرجولة والحيوية والحركة ، كما تحملها قسرا الى سنوات الهدوء والاستكانة والوداعة ، وجاءت الأزمة . . بعد سنوات طوال لم تعد هي كما كانت ، ولم يعد هو قادرا على أن يعطيها شيئا . . ولم يتفجر الموقف بينهما فجأة . . بل على مدى سنوات . .

كان كل عام يمر يبعده عنها . . حتى وصلت العلاقة الى مرحلة الجفاف الكامل ، ولم يعد أي منهما قادرا على التحمل والعطاء على الأطلاق . . . وأصبحت الحياة جحيما . . وفي باطن المأساة تكمن الكوميديا . . عندما يبحث هو عن شيء يستدعي بقاءه خارج البيت . . تبحث هي عن كل ما يبقيها ساهرة في انتظاره لتحاكمه ، وكان حتما أن تحدث المواجهة . . هي بمنطق الأنثى الذي لا يعترف الا بحقها ، ولا يرى أنها تسير نحو الستين ، وهو برجولة الثلاثينيات . وكانت المواجهة حادة ودامية . . حاول هو كثيرا ألا يجرحها وأن يبقى على خيوط الوفاء والعرفان بأيام طيبة مضت ، وظلت هي تحاصره بخناجر كلماتها لكي يواجهها . . وسقطت الأقنعة . . وتمزق ستار الحياء والعرفان . . وانطلقت كلمات تأخر النطق بها ثلاثة عشر عاما . . فجرحت وأدمت ولم تبق على شيء . . فقد تمثل الانسان في أبشع صورة . . حيوان يقتل دفاعا عن رغبات وغرائز لم تهذبها الألفة ولم يعد يسمو بها الوفاء . □

محمود عبدالوهاب

العربي من ربع قرن

اتجاهات في تراثنا الثقافي

العدد الثامن عشر مايو - ١٩٦٠

البحث في اتجاهات الفكر ، يحتاج الى معرفة التراث الثقافي قديمه وحديثه ، والى استقراء ظواهر الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية والفنية والأدبية في الماضي والحاضر .

فماهي هذه الاتجاهات ؟

١ - اتجاه الفكر العربي الى النظر العقلي ، وإيمانه بقدرة الانسان على الكشف عن الحقيقة . فالدعوة الاسلامية قامت على تنبيه العقل وتوجيهه الى النظر في الوجود واستعمال القياس الصحيح ، والرجوع الى ماحواه الكون من النظام والترتيب ، واشتباك العلل والمعلولات ، ليصل بذلك الى القول ان للكون صانعا عالما حكيما قادرا ، بل ان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح وارساءها ، واثارة السحاب لانزال الماء واحياء الأرض ، وانبات النبات وانعاش الحي ، كل ذلك آيات بينات تدعو العقل الى النظر في الوجود .

وقد نشأ عن نزوع الفكر العربي الى النظر العقلي فرق فلسفية كثيرة دعت الى الاعتماد على سلطة العقل ، والى القول بحرية الارادة ، كالمعتزلة الذين ذهبوا الى ان العقل نور في القلب ، يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح . وكالفلاسفة الذين قالوا ان سعادة الدنيا والآخرة لاتنال الا بالعقل .

كما أن كتب العرب في الطبيعة والكيمياء والطب لاتقتصر على الاحكام الغيبية المجردة ، بل تشمل على كثير من الملاحظات والتجارب . فالأطباء يذكرون تجاربهم ، وعلماء الطبيعة والكيمياء يقيمون التجارب لاثبات صحة احكامهم . لقد آمنوا جميعا بقيمة التجريب ، واستخدموا العلم في خدمة الانسان ، حتى لقد ورثت أوروبة عنهم ما تسميه اليوم بالروح الباكونية نسبة الى الفيلسوف الانجليزي باكون ، تلك الروح التي تتخذ العلم وسيلة للسيطرة على الطبيعة . وقد أثبت التحقيق التاريخي ان العرب هم واضعو قاعدة (جرب واحكم) فطبهم تجريبي ، وفلكهم تحقيقي ، وهندستهم تطبيقية ، وكيمياؤهم عملية .

نعم انهم لم يصلوا في العلوم التجريبية الى الدرجة

التي وصلت اليها أوروبة الحديثة ، ولكن مشاهداتهم الصحيحة وملاحظاتهم الدقيقة هيأت اسباب تكوّن العلم الحديث .

٢ ـ ميل الفكر العربي الى الاستيعاب والاحاطة ، ونعني بهذه الاحاطة عناية العرب بجميع العلوم على السواء ، خلافا للرومانيين الذين لم يكن لهم في العلوم الفلسفية والحكمية أثر عميق ، فبرزوا في الأخلاق والحقوق والادارة والسياسة ، ولم يبرزوا في الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء .

لقد أدت هذه الرغبة في الاحاطة الى اقبال العرب على نقل جميع العلوم الى لغتهم والى استيعابها في مدة قصيرة . فكان لهم في هذه العلوم فضل الحفظ والابقاء أولا ، ثم فضل الاختراع والابتكار ثانيا . ويندر ان يجد الناظر في تاريخ الأمم الماضية حركة فكرية بلغت من السعة والشمول ما بلغته حركة الترجمة عند العرب .

وهم لم يعملوا على نقل العلوم اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية فحسب ، بل عملوا بصورة غير مباشرة على حفظها ونقلها الى العالم أجمع . وقد اعانهم على هذه الترجمة اتساع لغتهم ، وقدرتها على الشمول والاستيعاب ، فاشتقوا من المواد الأصلية مصطلحات عربية أصيلة لاتشم من خلالها رائحة الترجمة ، حتى لقد أصبحت هذه المصطلحات وما يناسبها من المعاني مرتبطة بعضها ببعض ارتباط الاشارة بالشيء المشار اليه ، أو ارتباط الصورة الحسية بالشيء المحسوس ارتباطا محكما . وأصبحت اللغة العربية بذلك لغة ثقافية شاملة ، تتسع لجميع العلوم ، لاتجاريها في هذا الشمول والاحاطة لغة من لغات العالم .

على انه ينبغي لنا ان نطعّم ميلنا الى الاستيعاب والاحاطة بالميل الى التخصص ، لان العلم الحديث أوسع من ان يحيط به عقل واحد . ومن شروط التعمق في العلم التخصص في موضوع واحد او في جزء من موضوع واحد ، فاذا تم لنا ذلك استطعنا ان نغني لغتنا ، وان نجعلها قادرة على استيعاب ثمرات العلوم كلها . .

٣ ـ الميل الى التوحيد ، فالعرب يعتقدون ان الله واحد لا أول لوجوده ولا آخر لأبديته . وفلاسفتهم يؤمنون بوحدة المعرفة والحقيقة ، ووحدة الدين والفلسفة . والمعرفة والحقيقة متفقتان لان العقل واحد . والحكمة والشريعة متفقتان لأن الحقيقة واحدة .

وهذا الميل الى التوحيد يتجلى أيضا في كلام فلاسفتنا على الصفات الالهية . نظروا في الصفات فرأوا ان يردوها أولا الى صفة واحدة كالعلم والقدرة ، ثم حاولوا ان يجعلوها عين الذات . ثم رأوا ان يسلبوها عن الذات . فتعدد الصفات عندهم لايؤدي الى كثرة في ذات الله . لانه كما يقول ابن سينا واحد لايصدر عنه الا واحد ، فعلمه لايخالف قدرته ، وقدرته لاتباين علمه ، بل هو واحد من كل وجه .

ان هذا الميل الى التوحيد هو المحرك الأساسي للفكر العربي في ماضيه وحاضره ، فهو يؤمن بوحدة العقل ووحدة النفس ، ويعتقد ان الطبيعة الانسانية واحدة في جميع الناس . وهو يؤمن بالوحدة ايمانه بالمساواة ، ويؤمن بالمساواة ايمانه بالحرية .

٤ ـ الميل الى الحرية والتسامح ، فقد كان الفقيه والمتكلم والمتحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس يجلسون للتدريس في المسجد ، أو في المدرسة التابعة للمسجد ، فينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث الى الأدب ، واذا دار الحديث بين العلماء عن مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في المناظرة والاقناع والالزام ، وأخذ التسامح بينهم مأخذه . ولم تكن هذه الحرية خاصة بطائفة من الطوائف ، بل كان الناس في التمكن منها سواء ، وانما كان التفاضل بين الناس بالعلم والعمل والانتاج .

هذه بعض اتجاهات الفكر العربي ذكرتها هنا في أهم عناصرها وأدق مقوماتها ، ولا حاجة بي الى القول ان هنالك منازع أخرى كثيرة لايتسع المجال لذكرها هنا ، كالميل الى الحياة العملية ، والميل الى الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة . . . . الخ . . □

د . جميل صليبا

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ السنة الضوئية وحدة مسافة اصطلح عليها علماء الفلك وتبلغ (٦) مليون مليون ميل .. فلو افترضنا أن علماء الفيزياء اصطلحوا على وحدة مسافة أخرى وسموها السنة الصوتية .. فكم ميلا تبلغ هذه السنة الصوتية ؟

٢ ـ يؤكد الفلكيون ان حجم الشمس يبلغ (٤٠٠) ضعف حجم القمر ... ترى لم يبدوان متساوين حجما ... ؟

■ نظرا لأن بعد الشمس عنا يبلغ ٤٠٠ ضعف بعد القمر ..

■ نظرا لضوء الشمس الباهر الذي يبهر البصر ولا يسمح للعين بالتحديق فيها وتقدير حجمها ..

■ نظرا لأن سرعة دوران الشمس حول نفسها تبلغ ٤٠٠ ضعف سرعة دوران القمر حول نفسه .

٣ ـ أي المدن الأوروبية التالية أكثر شبها بالبندقية .. المدينة ذات الشوارع المائية ؟

■ امستردام

■ فينا

■ جنيف

٤ ـ السيخ فرقة هندية معروفة تسعى الى نيل الاستقلال الذاتي في ولاية البنجاب التي تشكل أكثرية بين سكانها .. ترى ما هو محور معتقداتها الدينية ... ؟

■ الوحدانية

■ معتقدات السيخ لا تختلف عن المعتقدات الهندوسية .. فهي أقرب الى الوثنية ولا تمتّ الى الوحدانية بصلة .

٥ ـ اللغة الآرامية ، لغة السيد المسيح في سبيلها الى الانقراض .. وقد اختفت في أكثر البلدان التي انتشرت فيها في الماضي البعيد باستثناء بلدة واحدة تقع في سوريا .. فأي بلدة هذه ... ؟

٦ ـ ما الفرق بين الخِطْبة والخُطْبة ... ؟

٧ ـ في العالم سلسلتان من الجبال تعرفان باسم جبال الألب .. احداهما سلسلة جبال الألب الاوروبية .. وهي الأشهر ولا ريب .. فأين تقع سلسلة جبال الألب الاخرى .. ؟

■ نيوزيلنده

■ الولايات المتحدة الأمريكية

■ الاتحاد السوفياتي

٨ ـ ثمة مدينة تعرف باسم أكرون Akron وتعتبر عاصمة المطاط في العالم .. أين تقع هذه المدينة ... ؟

■ في ماليزيا .. الدولة الأولى في زراعة المطاط في العالم

■ في البرازيل ... موطن المطاط الأصلي

■ في الولايات المتحدة الامريكية

٩ ـ معدن البوكسايت Boxite معدن معروف ويستخرج من خامة الألمونيوم .. لم سموه بهذا

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٨ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول يوليو ١٩٨٥ .

الاسم . . . ؟

■ لأنهم صنعوا منه الصناديق الحديدية في بادىء الامر

■ لأنهم أدخلوه في صنع قفازات الملاكمة (بوكس)

■ سمي بهذا الاسم نسبة الى مدينة (لي بوكس) Le Baux الفرنسية التي اكتشفوا المعدن فيها . . .

١٠ ـ من هو العالم الايطالي الشهير الذي حوكم وأدين وفرضت عليه الاقامة الجبرية في منزله طوال سنوات . . الى أن مات . . قبل نحو ٣٠٠ سنة،وما الذنب الذي ارتكبه حتى لقي هذه المعاملة القاسية في خريف حياته . . . ؟

١١ ـ أي الوحدات التالية خاصة بقياس الضغط الجوي وأيها خاص بقياس الضوضاء وأيها خاص بقياس قوة العواصف . . . . ؟

■ الرختر ■ الدسيبل ■ المليبار

١٢ ـ هل يوجد ليل ونهار على سطح القمر . . وكم يبلغ طول كل منها اذا وجدا . . ؟

■ يبلغ كل منها نحو ١٤ يوما من أيام الارض

■ ليل القمر أطول من نهاره . . فالأول يبلغ نحو (٢٠) يوما من أيام الارض،والثاني لا يزيد على (٨) أيام فحسب .

■ نهار القمر أطول من ليله . . ونهاره هو الذي يبلغ نحو ٢٠ يوما من أيام الارض . . بحيث لا يزيد ليله على (٨) أيام .

العدد ٣١٨
مايو ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أوعلى ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ ....
....

٢ ـ ....
....

٣ ـ ....
....

٤ ـ ....
....

٥ ـ ....
....

٦ ـ ....
....

٧ ـ ....
....

٨ ـ ....
....

٩ ـ ....
....

١٠ ـ ....
....

١١ ـ ....
....

١٢ ـ ....
....

الاسم : ....
....

العنوان : ....
....
....

مسابقة العربي الثقافية

حل

١ ـ عباس بن فرناس حاول الطيران عدة مرات ولكنه فشل وأصيب بكسور في عظامه دون أن يموت . أما فشله فمرده الى أن جسم الانسان لم يخلق ليطير . . . . فعضلات صدره ضعيفة وخفيفة الوزن . . فهي أعجز من أن ترتفع بجسمه في الجو . . بخلاف عضلات صدر الحمام التي يبلغ وزنها نصف وزن جسم الحمام تقريبا . . وتجدر الاشارة الى أن عباس بن فرناس من علماء الأندلس وأصحاب الصناعة والفن فيها وقد توفي عام ٨٨٨ م .

٢ ـ رسائل اخوان الصفا تناولت الرياضيات والمنطق وعلم النفس وما بعد الطبيعة والتصوف والتنجيم وما الى ذلك . . ولم تُعنَ بالشعر والأدب ولا التاريخ والسير . . ومما يذكر أن جمعية اخوان الصفا جمعية سياسية دينية فلسفية ظهرت في القرن العاشر واتخذت من البصرة مقرا لها .

٣ ـ الأميبا حيوان . . انها من أبسط أشكال الحيوان . . وهي تعيش في الماء العذب أو المالح أو في التربة وبعضها يعيش في أمعاء الانسان نفسه . . والأميبا تتحرك كسائر الحيوان .

٤ ـ تبلغ المسافة التي قطعها القطار (٢٠٠) كيلومتر . . مادام قد قطعها في رحلة الذهاب بأربع ساعات ، وبسرعة ٥٠ كيلومترا في الساعة . . ومعنى هذا أن رحلة الاياب التي بلغت سرعته فيها ٢٥ كيلومترا في الساعة قد استغرقت ٨ ساعات . . فسرعة القطار بالمتوسط في الرحلتين تبلغ اذن : ٤٠٠ ÷ ١٢ = ٣٣ كيلومترا وثلث الكيلومتر في الساعة . . وغني عن البيان أن ٤٠٠ كيلومتر هي مجموع المسافة التي قطعها القطار في كلتا الرحلتين ، و ١٢ ساعة هي مجموع الساعات التي استغرقتها الرحلتان . . ومتوسط السرعة المطلوب انما هو حصيلة تقسيم المسافة على الزمن . . أي ٤٠٠ ÷ ١٢ = ٣٣ كم وثلث الكيلومتر .

٥ ـ حمام الزاجل هو الأسرع . . اذ تبلغ سرعته ١٠٠ كيلومتر أو تزيد في بعض الأحيان ، ولا تزيد

مسابقة العدد ٣١٥ فبراير ١٩٨٥

سرعة أسرع الجياد على ٧٠ كيلومترا في الساعة .

٦ ـ ربح الرجل في كل من الصفقتين الأولى والثانية ١٠ دنانير . . ومعنى هذا أن مجمل ربحه فيهما ٢٠ دينارا .

٧ ـ رفع الأمريكيون ابان حرب الاستقلال نفس العلم الذي فرضته عليهم بريطانيا قبل الحرب وقوامه العلم البريطاني نفسه . .

٨ ـ لفظ الموهير مشتق من أصل عربي هو (المخيّر) . . وهو من شعر الماعز الممتاز .

٩ ـ القناة المقصودة هي قناة الثرثار . . التي تقع في العراق ، على طريق بغداد ـ الفلوجه باتجاه ابو غريب والتي تصل بين نهري دجلة والفرات . . .

١٠ ـ تبدو لك بعض الأقمار الصناعية ثابتة تبعا لارتفاعها وللسرعة التي تنطلق بها في مدارها . . وتبلغ هذه السرعة (٢٨٠٨٣) كم / س على ارتفاع ١٦٠ كم . .و (٢٧٤٥٥) كم/س على ارتفاع ٤٨٠ كم و (٢٥٨٩٠) كم/س على ارتفاع ١٦٠ كم . . . ولا تزيد تلك السرعة على (٣٨٠٠) كم/س اذا بلغ ارتفاع القمر الصناعي (٣٨٦٠٠) كم أي ما يعادل المسافة بين القمر والكرة الأرضية .

١١ ـ العبارة صواب . . . فالاسم جبو هو الاسم الذي أطلقوه على احد فيلة حديقة حيوان لندن .

١٢ ـ القلة ضد الكثرة ، والقُلّة هي الجرة ، والقَلّة هي النهضة من علة أو فقر .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٥ فبراير ١٩٨٥

الجائزة الأولى : فادي فاعل Fadi Fael Poste Restante 2 41000 zegreb yugoslavia.

الجائزة الثانية : فادي عادل جمال الدين ـ شوران ـ ص . ب (١١٣ ـ ١٣٥) بيروت ـ لبنان

الجائزة الثالثة : صالح يوسف عقيل ـ اربد ـ صمد ـ الاردن .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد نجيب مبروك علي / مدرسة سيهات الثانوية ـ سيهات ٣١٩٧٢ ـ المنطقة الشرقية ـ المملكة العربية السعودية .

٢ ـ حكيم ادريس / الزنقة ٤ الرقم ٧٠ ـ حي السلام ـ فاس ـ المملكة المغربية .

٣ ـ مرزة كريم / الجزائر ـ غليزان ـ ص . ب (١٧٥)

٤ ـ الياس اسكندر / المدرسة الابتدائية ـ منجم المثلوب ـ ٢١٣٠ المثلوب ـ الجمهورية التونسية .

٥ ـ عبد العزيز سليم عدي / أبو ظبي ـ ص . ب (٢٨٧١) ـ دولة الامارات العربية المتحدة .

٦ ـ علي أحمد الحسن المريان / سلطنة عمان ـ الشرقية ـ فلج المشايخ ـ مدرسة فلج المشايخ الاعدادية .

٧ ـ محمد أحمد الكاساني / الجماهيرية الليبية ـ طرابلس ـ جامعة الفاتح ـ ص . ب (١٣٦١٣) .

٨ ـ بيها حمود المختار السالم / كلية العلوم ـ جامعة الكويت ـ دولة الكويت .

معركة بلاسلاح

حرية الحركة

حرية الحركة من الأمور الجديدة باهتمام اللاعب الجيد ولا تقل أهميتها أحيانا في تقرير مصير الدور عن فرق المادة ، ومن اللاعبين من يضحّي بقطعة أو أكثر ليتيح لقطعه المزيد من الانتشار وحرية الحركة . ويمكن تعريف حرية الحركة بمجموع النقلات شبه القانونية* المتاحة لكل لاعب ، وباحتساب هذا المجموع نحصل على مقياس جيد لحرية الحركة التي يتمتع بها اللاعب . ولو افترضنا أن وحدة حرية الحركة تساوي عُشر البيدق وهي القيمة التي يتبناها مبرمجو الشطرنج الآلي لخرجنا بالمعادلة التالية لتقويم الأوضاع الشطرنجية المختلفة :

مجموع النقط = المادة + (ار. × الحركة)

ولتوضيح هذا الأسلوب في تقويم المواقف نورد الدور التالي بين البطلين سباسكي وفيشر والذي يعتبر أشهر أدوار عام ١٩٧٢ على الاطلاق :

فيشر (أبيض)	سباسكي (أسود)
١ ـ جـ ٤	هـ ٦
٢ ـ ح ـ و ٣	د ٥
٣ ـ د ٤	ح ـ و ٦
٤ ـ ح ـ جـ ٣	ف ـ هـ ٧
٥ ـ ف ـ ز ٥	ت

حرية الحركة (أبيض) ٣٩ (أسود) ٢٩

مجموع النقط = ١ و . × (٣٩ ـ ٢٩) = ١

بالرغم من تساوي المادة فان الأبيض يعتبر متقدماً بما يساوي بيدقاً واحداً .

٦ ـ هـ ٣	حـ ٦
٧ ـ ف ـ حـ ٤	ب ٦
٨ ـ جـ × د ٥	ح × د ٥
٩ ـ ف × هـ ٧	و × هـ ٧
١٠ ـ ح × د ٥	هـ × د ٥
١١ ـ ر ـ جـ ١	ف ـ هـ ٦
١٢ ـ و ـ أ ٤	جـ ٥
١٣ ـ و ـ أ ٣	ر ـ جـ ٨
١٤ ـ ف ـ ب ٥	أ ٦
١٥ ـ د × جـ ٥	ب × جـ ٥

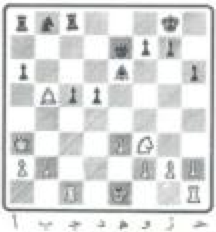

حرية الحركة (أبيض) ٤٤ (أسود) ٣٥

مجموع النقط = ١ و . × (٤٤ ـ ٣٥) = ٩و.

لا يزال الأبيض متقدماً

١٦ ـ ت	ر ـ أ ٧
١٧ ـ ف ـ هـ ٢	ح ـ د ٧
١٨ ـ ح ـ د ٤	و ـ و ٨

*** لانها تشمل جميع النقلات المتاحة حتى النقلات التي يقع الملك فيها تحت الكش**

١٩ ـ ح × هـ ٦	و × هـ ٦
٢٠ ـ هـ ٤	د ٤
٢١ ـ و ٤	و – هـ ٧
٢٢ ـ هـ ٥	ر – ب ٨
٢٣ ـ ف – جـ ٤	م – حـ ٨
٢٤ ـ و – حـ ٣	ح – و ٨
٢٥ ـ ب ٣	أ ٥

التقويم : المادة متساوية

حرية الحركة (أبيض) ٣٥ (أسود) ٣٤

مجموع النقط : ١ و . × (٣٥ – ٣٤) = ١ و .

يكاد الأبيض يتساوى مع الأسود

٢٦ ـ و ٥	هـ × و ٥
٢٧ ـ ر × و ٥	ح – حـ ٧
٢٨ ـ ر ١ – و ١	و – د ٨
٢٩ ـ و – ز ٣	ر – هـ ٧
٣٠ ـ حـ ٤	ر – ب ٧
٣١ ـ هـ ٦	ر (ب) – جـ ٧
٣٢ ـ و – هـ ٥	و – هـ ٨
٣٣ ـ أ ٤	و – د ٨
٣٤ ـ ر – و ٢	و – هـ ٨
٣٥ ـ ر – و ٣	و – د ٨

المادة لا تزال متساوية ولكن الأبيض يتفوق في حرية الحركة بمقدار ٦ر١ نقطة

٣٦ ـ ف – د ٣	و – هـ ٨
٣٧ ـ و – هـ ٤	ح – و ٦
٣٨ ـ ر × و ٦	ز × و ٦
٣٩ ـ ر × و ٦	م – ز ٨
٤٠ ـ ف – جـ ٤	م – حـ ٨

التقويم : لم تعد المادة متساوية الآن لأن الأبيض قد ضحى برخه مقابل حصان وبيدق ولكنه مع ذلك يعتبر متفوقاً من حيث حرية الحركة فمجموع النقط الآن يساوي : ٤١ – ٢٥ = ٦ر١ وليس هذا التفوق نظرياً فحسب فقد أثبتت التجربة صحته لما ان لعب الأبيض :

٤١ . و – و ٤ حتى أعلن الأسود استسلامه .

مسابقة العدد

مسألة رقم (٢٩)

الأسود يلعب ويميت الشاه في نقلتين

الفائزون بحل المسابقة رقم ٢٦
عدد فبراير ٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ حسين الرفاعي ـ الاسكندرية/ ج.م.ع
٢ ـ تريزا رفيجي ـ الخرطوم/ السودان
٣ ـ لمياء أبو خشانه ـ قابس/ تونس
٤ ـ محمد المنير ـ دمشق/ سوريا
٥ ـ عدنان عبد الغني ـ بغداد/ العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ ياسين الكنج ـ الرميثية/ الكويت
٢ ـ أنور محرز ـ ابو ظبي/ الامارات
٣ ـ محمد بسطويسي ـ الزقازيق/ ج.م.ع
٤ ـ شاكر يوسف ـ الشابس/ البحرين
٥ ـ سالم سليمان ـ أبها/ السعودية

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

كلمة

رسائل القراء كثيرة .. والاختلاف فيها كثير ومتعدد ، كما أن المطالب والاقتراحات فيها كثيرة أيضا . ونحن أمام هذه المطالب والاقتراحات نبدو في حيرة من الأمر .. فالبعض يريد منا زيادة صفحات « حوار القراء » حتى تأخذ معظم الرسائل طريقها فوق صفحات العدد .. وصوت آخر يناديننا من أقاصي المغرب العربي يطلب منا تخصيص ركن للتعارف مع أبناء العروبة ، وقائل آخر يقول : لماذا لا تعودون الى صورة الصفحة الثانية .. ومطالب عديدة كل يريد تحقيقها له .. والحرص على تحقيق رغبات القراء ومطالبهم غاية رسالتنا في « العربي » ولكن هناك اعتبارات ، وهناك عراقيل تقف أمام تحقيق ما يريد كل قارىء .. فالعذر للقراء .. وخير الناس أعذرهم للناس ..

المحرر

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

الشباب زهرة الأمم

● الشباب هم البذرة في الأرض .. والبذرة تحتاج الى مناخ ملائم ومناسب حتى تنمو وتزدهر لتعطي ثمارها .

وحتى يستطيع هؤلاء الشباب الوقوف على أقدامهم فانهم يحتاجون الى عناصر مادية واجتماعية ووجدانية وسياسية ، وكل هذه العناصر تتفاعل وتتكامل بنظام دقيق ومحسوب باحكام . وليس من شك في أن كل جانب من هذه الجوانب تعترضه آلاف العقد في الدول النامية بشكل عام ، الأمر الذي يترتب عليه أن نجد شبابا لديهم شعور قاتل « بالدونية » وعدم الكفاءة . ولما كانت أغلب المشروعات تحمل معاني ودلالات على طبيعة شخصيات الشباب ، التي نحن في حاجة كبيرة الى اعادة بناء الانسان من جديد ، وهذا البناء يتم من خلال الايمان والالتزام بكتاب الله تعالى .

ان روح ديننا السمح تقوم على الايمان بالله والعقيدة الراسخة ، والايمان والعقيدة يحصلان للانسان مجموعة من القيم والمبادىء التي لا تقوم الحياة بدونها .

حلمي محمد متولي / الدقهلية ـ مصر العربية

العربي

لا ينكر أحد دور الشباب في بناء الأمم ، فهم العطاء المتدفق الذي يستطيع بناء الحضارات لاوطانهم .. ومتى ما توافر مناخ الحرية والحماس لجيل الشباب ، فانه يبدع في العطاء دون حدود ، ويبقى دون يأس ..

ينشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

ديمقراطية الكويت

● قرأت ما تناولته الصحافة عندنا وأجهزة المذياع . حول الانتخابات البرلمانية في بلادكم ، التي تصدر منها كل شهر مجلة كل مواطن عربي ، والتي تحمل اسم « العربي » ولقد أعجبتنا هذه الروح الديمقراطية التي تسود فوق أرضكم ، وهي روح نعتز بها نحن كما تعتزون بها ، لأن الأمة العربية جسد واحد ، ولأن الكويت قد أعطت الوجه الحقيقي المشرق للديمقراطية والحرية والاخاء بين أبناء الشعب الواحد .. هنيئا لكم في مناخ الحرية والود والتعاطف الذي يسود أرضكم ، وهنيئا لنا نحن العرب بالكويت البلد العربي الأصيل الذي يعمل بالشورى من أجل بناء الكويت وشعبها ..

محمد بلعباس ـ وهران .. الجزائر

العربي

الحياة الديمقراطية في الكويت ليست جديدة على هذا البلد .. فقد كان أبناء الكويت القدماء يعملون يدا واحدة ، لا فرق بين حاكم ومحكوم .. وما تعيشه الكويت من حياة ديمقراطية هي امتداد لذلك الماضي الذي عاشت عليه وأصبح جزءا منها ..

الناس معادن .. فلا تعجب

● كانت دهشتنا كبيرة نحن قراء « العربي » في منطقة الاحساء بالمملكة العربية السعودية ، حين رأينا أن العدد الممتاز من المجلة ليس مصحوبا بالهدية التي تقدمها العربي للقارىء مع مطلع كل عام .. ودهشتنا أكثر حينما رأينا أن هذه الهدية تباع في محلات الزجاج « البراويز » وبأسعار تفوق أسعار المجلة ذاتها ـ وهذا بعيد عن أهداف المجلة كما تعلم ، ونرجو أن لا تتكرر هذه التصرفات مرة أخرى ، لاننا نعلم جيدا أن العربي حريصة على تقديم الثقافة والمعرفة للقارىء أكثر من حرصها على المال ..

ابراهيم سليمان الدخيل ـ الأحساء
السعودية

العربي

هدية العربي تباع كما هي العادة مع العدد . هذا هو هدفنا ، واذا كان هناك من يبيعها دون العدد فذلك اجراء شخصي من بعض أصحاب المكتبات ، ويمكن للقارىء أن يطالب بهديته من بائع المكتبة ، كما يمكن الرجوع أيضا الى مكتب الموزع فذلك حق من حقوقه ، ولا نستطيع بالطبع مراقبة كافة أصحاب المكتبات فالمسألة تتعلق بمعدن البائع ، ولا تتعجب من هذا السلوك ..

نحن أمة الحضارة

● ليس التحضر هو تقليد واتباع أساليب التصنع في حياتنا والتظاهر بمظاهرنا الخارجية ، لاننا أمة سبقت أمم العالم الأخرى في الحضارة والتطور ، وأعرف الناس الى رفع الأسس والمبادىء ، ولدينا من العلماء في شتى العلوم المختلفة الذين تركوا ابداعهم العلمي واضحا على مسيرة الانسان في هذا الكون .

واذا كان هذا هو ماضي أمتنا العربية التي أشرقت شمس علومها على اختلاف أصقاع العالم ، فاننا لابد وأن نعود الى احياء ذاك العصر الذهبي الزاهر ، الذي

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

كانت عليه أمتنا يوم أن كان الغرب يغط في ظلمات الجهل والتخلف .

بولس كامل الشيخ - الجمهورية السورية

العربي

كم يتمنى المرء أن تعود أمتنا الى العصر المشرق الذى كانت عليه ، لكن الأماني لا تأتي بالكلمات ، بقدر ما تأتي بالعمل المخلص ونبذ الأحقاد والضغائن فيما بين أمة العرب . .

استطلعوا حضرموت

● دأبت مجلة العربي ، على نشر استطلاع شهرى يسلط الضوء على قطر عربي أو اسلامي ، ويعطى القارىء صورة عن طبيعة جانب من الحياة اليومية في الدولة ذات العلاقة بالاستطلاع ، لكنكم منذ زمن بعيد لم تقدموا لنا استطلاعا عن محافظة «حضرموت» في جمهورية اليمن الديمقراطية ، حتى يقف القارىء في شتى أقطار الوطن العربي على ما وصلت اليه بلادنا خلال السنوات الأخيرة . .

حسين محمد الدحيمي - عدن - اليمن الديمقراطي

العربي

لسنا في غفلة عن اليمن الديمقراطي ، فكل بلاد العرب أوطان للعربي . ولو رجعت الى عدد العربي (سبتمبر ١٩٨٤) لوجدت استطلاعا عن الحياة الجديدة في اليمن الديمقراطية . على أي الحالات فنرجو أن نقوم باستطلاع جديد مرة أخرى في بلادكم باذن الله .

توضيح من الدكتور الفرا حول خريطة الوطن العربي

● إثر اصدار خريطة الوطن العربي ، هدية العدد الممتاز (يناير ١٩٨٥) التي أشرف على إعدادها الدكتور محمد علي الفرا ، وردت من عدد من القراء الكرام بعض الرسائل التي تتعلق بملاحظاتهم حول الحدود وغير ذلك من الانتقادات .

وننشر فيما يلي التوضيح التالي من الدكتور محمد علي الفرا :

وردت رسائل كثيرة من القراء الكرام يحتجون فيها على الحدود بين بعض أقطار الوطن العربي ، كما يعتب فريق آخر لعدم ذكر قطر معين بحدوده ضمن الخريطة .

ونحب أن نوجه عناية القراء الكرام الى أن الحدود من المسائل التي لاتزال قائمة بين كثير من أقطار الوطن العربي ، ولذلك وتجنبا للاشكال استخدمنا « الحد اللوني » بين بعض المناطق للدلالة على أن الحدود بانتظار التسوية النهائية .

وبسبب مشاكل الحدود أصبحت كثيراً من دور النشر العالمية التي تصدر الاطالس والخرائط تحرص على كتابة العبارة التالية في أسفل الخرائط (لا صلاحية لهذه الخريطة فيما يتصل بالحدود الدولية) .

أما ما يعتقده البعض من أننا استبعدنا بعض الاقطار من خريطة الوطن العربي ، فانه مع تقديرنا للروح العربية العالية التي يتحلى بها القراء الاعزاء ، ونحن نشاركهم هذا الشعور القوي النبيل ، إلا أننا رغم ايماننا بوحدة جميع التراب العربي قد حرصنا على أن تشمل خريطة الوطن العربي جميع الاقطار التي اعترفت بها جامعة الدول العربية على المستويين الاقليمي والعالمي .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

١٨٨	أول مايو

عَصْرُ الجَليد

تأليف : تانكرد دورست

ترجمة : د. عبد السلام اسماعيل

مراجعة : د. مصطفى ماهر

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

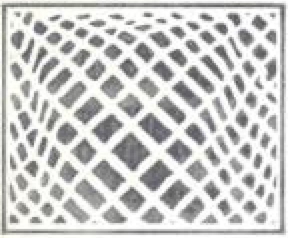

مجلة
خاصة
بالمثقفين
في الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

****

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب
□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات :
١٢ ديناراً في الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد :
٣ دينار في الكويت ، دينار للطلاب
٣,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للتوزيع في الكويت والخارج :
مجلة العلوم الاجتماعية

■ توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية . جامعة الكويت ص. ب ٥٤٩٨٦ صفاة . الكويت
هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ ، مباشر ، ٢٥١٠١٨٨ / ٢٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت
مايو ١٩٨٥م

الإسلام وحقوق الإنسان

د. محمد عمارة

الكتاب التاسع والثمانون
٥٠٠ فلس

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية
والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية
والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبد الله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان: ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف: ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس: ٢٢٦١٦ KUNIVER

* *

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

■ صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥

■ تصل أعدادها الى أيدي نحو ١٢٥,٠٠٠ قارئ

تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين، مع مراجعات لأهم الكتب عن المنطقة، مع ملخصات للأبحاث بالانجليزية، كما تصدر المجلة أيضاً دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة

■ العنوان: ص.ب ١٧٠٧٣ الخالدية - الكويت

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

TOSHIBA TOKYO, JAPAN

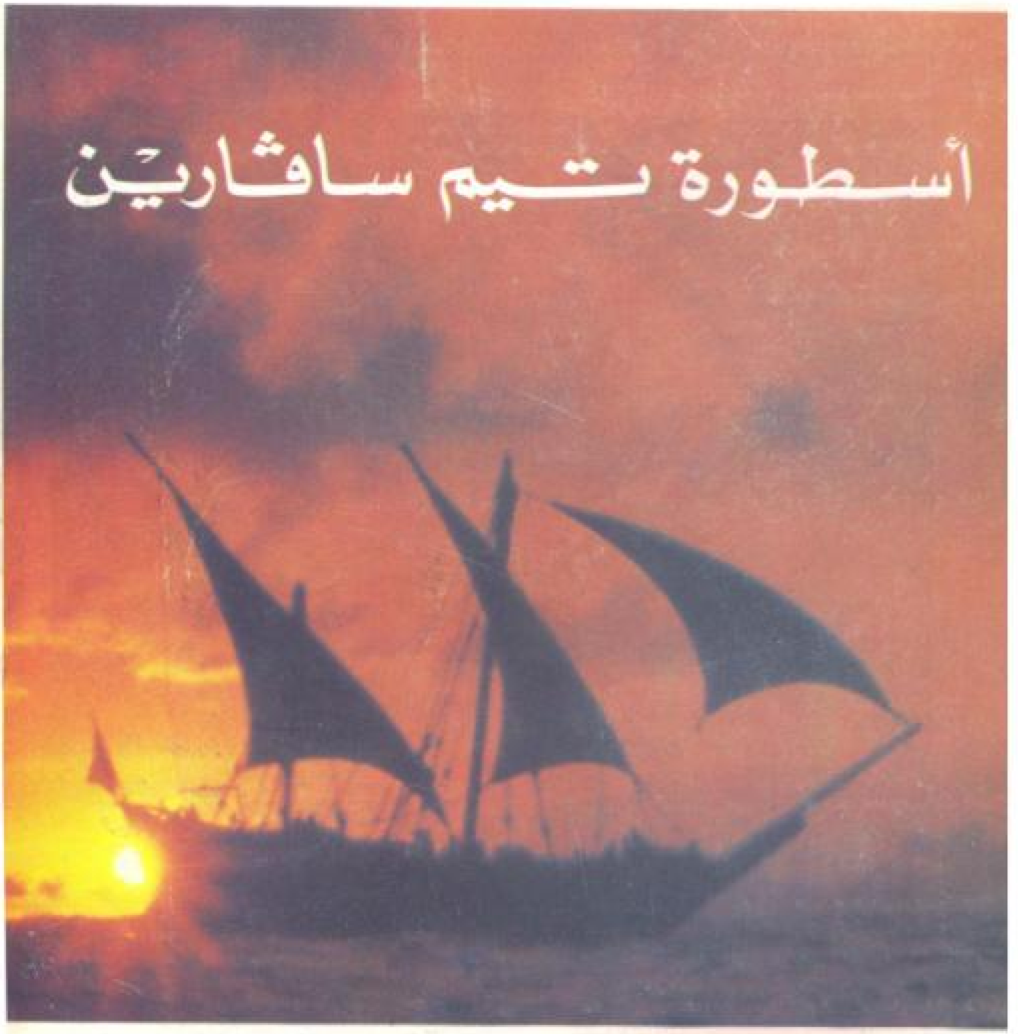

"تيم سافارين" هو كاتب أولاً"، لكنه واحد ممن يتبعون كل المصادر الممكنة لتأليف قصصه.

أبحر "سافارين" في مركب عربي ليعيد تحقيق، وإثبات حقيقة سفرات السندباد البحري.

كان "سافارين" يؤمن أن السندباد البحري هو شخصية من نسج خيال قباطنة البحر العربي الذين غامروا بجرأة بالغة بالسفر إلى أقاصي أصقاع العالم كما كانوا يعرفونه في تلك الحقبة من التاريخ.

هذه الأسفار بالنسبة للقرنين الثامن والتاسع، هي بمثابة إستكشاف أعماق الفضاء الكوني في القرن العشرين.

عندما أعاد "تيم سافارين" إحياء مغامرات الأشخاص الأساطير الذين كتب عنهم، كان يقوم بكل الأعمال متبعاً الطريقة ذاتها التي أتموها والوسائل والمواد ذاتها التي رافقتهم في أسفارهم. ما عدا ربما معرفة الوقت بواسطة النجوم.

ساعة، رولكس "جي ام تي ماستر"، بما تتميز به من دقة وإتقان الصنع واعتمادية مطلقة، هي ساعة، لو وقعت بيد السندباد، لكانت محط إعجابه.

ROLEX
رولكس

رولكس" جي إم تي - ماستر" ذهب ١٨ قيراطاً"، فولاذ أو من الفولاذ والذهب معاً
والبيع مع سوار معدني ملائم.

رمضان ١٤٠٥ هـ - يونيو - حزيران ١٩٨٥ م

العربي

مع العدد: العربي الصغير

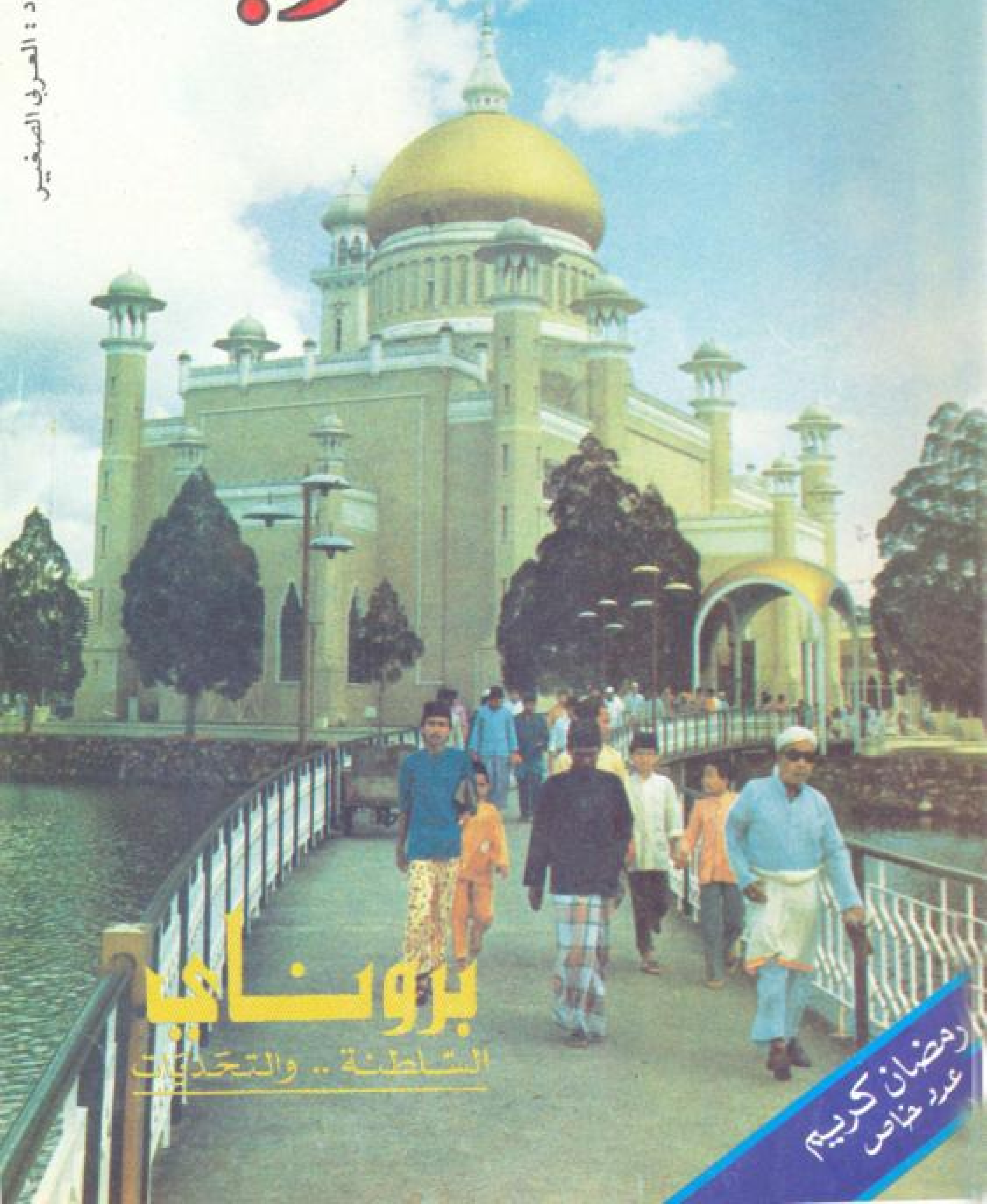

بروناي
السلطنة.. والتحديات

رمضان كريم
عدد خاص

هيّا بنا،
العَـرض علىٰ وشَك الإبتداء
مَع جهَاز الفيـٰديُو سَانيو VTC-R10PS

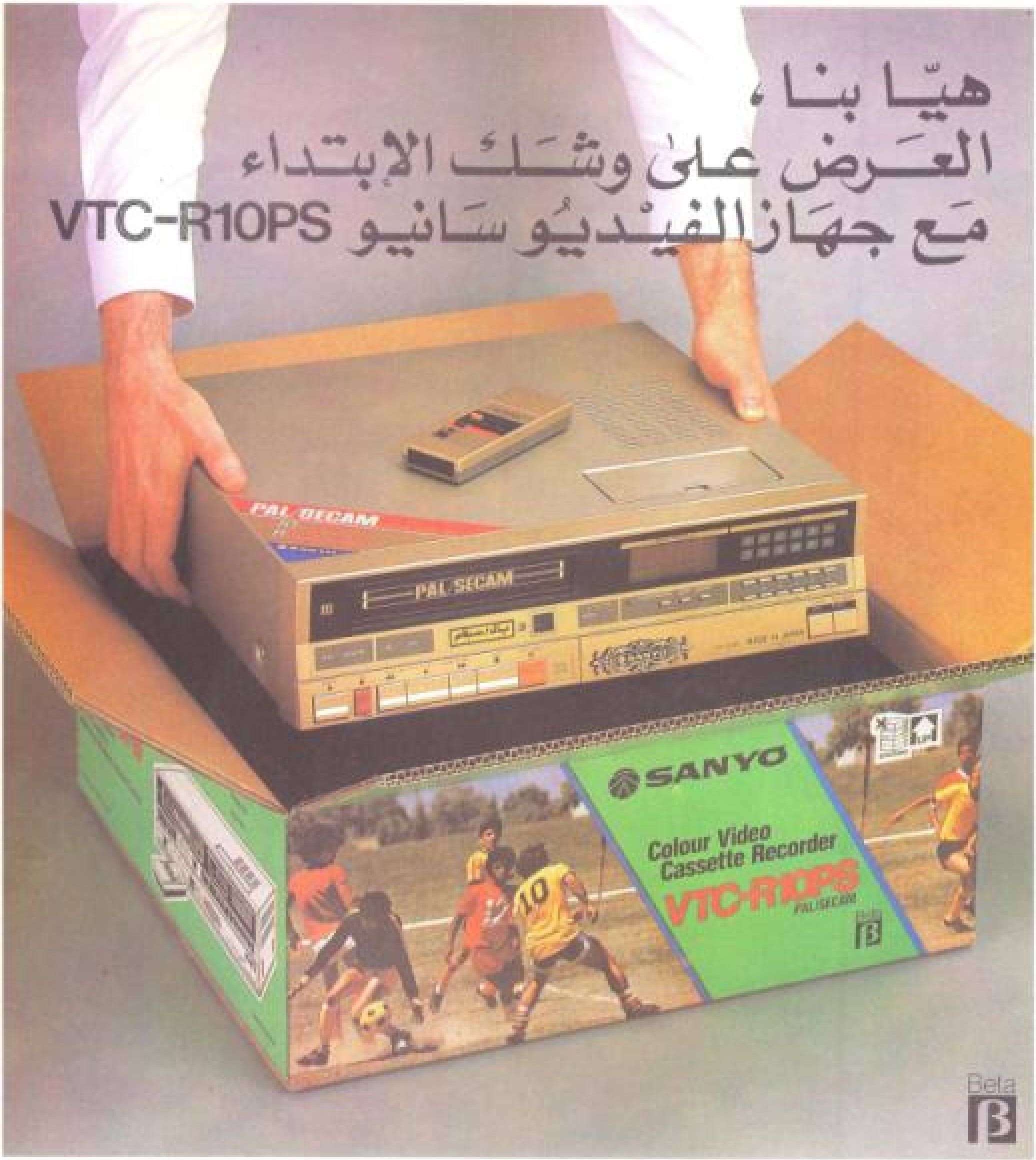

أوْجِد مَسْرحًا من البهْجة والذكريَات الجميلة لإسعَاد جميع أفـراد العَائلة في منزلك.

عرّف عائلتك إلى عالم الفيديو المثير واضمن لهم التجربة بوضع أسس لتكوين شبكة ترفيه خاصة بهم. تمتع بنظامي البث بال وسيكام واستقبل العديد من المحطات التلفزيونية التي تعتمد أقنية UHF/VHF. سجّل البرامج التي لاترغب تفويتها وذلك بواسطة المؤقت المبرمج لتسجيل برنامج واحد/ ٨ أيام. أما جهاز التحكم عن بعد - ١٠ وظائف فيقدّم تحكماً دقيقاً يشمل إعادة البث بطريقة الصورة الثابتة مما يمكّنك من التوقف عند المشهد الذي تريده، البحث عن الصورة بالألوان الكاملة، الترجيع الأوتوماتيكي، عداد الشريط الرقمي والعديد غيرها من الميزات التي توفر لعائلتك سهولة التحكم لمشاهدة العالم. إن العرض متواصل مع سانيو.

SANYO سانيو

VTC-R10PS PAL/SECAM Betacord video cassette recorder

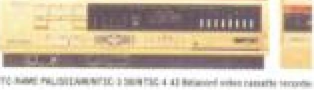

العدد ٣١٩ — يونيو ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No. 319 June. 1985 P.O. Box 748- Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
المراسلات بإسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

صدر من سلسلة كتاب العربي الفصلية

- الحرية .. للدكتور أحمد زكي
- العلم في حياة الانسان .. للدكتور عبد الحليم منتصر
- المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة .. لمجموعة من الكتاب
- مراجعات حول العروبة والاسلام واوروبا .. للدكتور محمود السمرة
- الحياة والناس والوحدة في دول الخليج العربي .. لمجموعة من الكتاب
- طبائع البشر .. للدكتور فاخر عاقل
- حوار لا مواجهة .. للدكتور أحمد كمال أبو المجد

عزيزي القارئ

مهنة الصحافة لاتعرف المستحيل . . ولاتعترف بالعبارة التي تقول « ليس في الامكان أبدع مما كان »فهناك دائما مجال للتطوير والتجديد وتقديم صحافة أفضل .

والكلمة المكتوبة . . والكلمة المصورة . . هما دليلا الحركة الدائمة على ساحة العمل الصحفي . وحين تتحرك الكلمة نحو آفاق أوسع . . وتتسع العدسة لتلتقط صورة أرحب وأشمل . . فان ذلك يعني المزيد من الانطلاق في عالم لايعترف بالجمود . . لأن الجمود ضد حركة الحياة .

و « العربي » في حركة مستمرة لاتتوقف ابدا . . انها تتحرك باستمرار من أجلك ـ عزيزي القارىء ـ لتقدم لك كل جديد بالكلمة . . والصورة . . ودون أن تهمل جانبا من الجانبين . . لأنها تعرف أنه بقدر ماتكون الكلمة أبرز تعبيرا . . تكون الصورة أبلغ تأثيرا . . وقد كان هذا هو مادأبت عليه « العربي » منذ انطلاقتها الاولى عندما زاوجت بين الكلمة والصورة في استطلاعاتها العميقة من أجل أن تكون بحق عيون قرائها على العالم . .

ولعل النجاحات المستمرة في هذا الميدان كانت وراء اختيار « اليونسكو » لمجلة العربي لتدير ـ بالتنسيق معها ـ الندوة المشتركة لمناقشة فكرة انشاء وكالة أنباء عربية مصورة تحت شعار « دراسة سبل اقامة مؤسسة عربية للخدمات الصحفية المصورة » وقد عقدت هذه الندوة في الكويت بين ٢٠ و٢٢ من ابريل الماضي للاسهام في ادخال الصورة كعنصر اعلامي واتصالي في النهضة الاعلامية الجديدة . . وتسجيل مظاهر الحياة العربية لحفظها وجعلها في متناول الدارسين والباحثين . . وقد استطاعت العربي أن تقدم خبراتها وصورا من نجاحاتها في هذا المجال ، وهو ماشهد به الخبراء والمتخصصون والاعلاميون المشاركون .

وتستطيع ـ عزيزي القارىء ـ أن تلاحظ ـ وأنت تطالع هذا العدد الخاص الذي يصدر مع مطلع شهر رمضان المبارك ـ ان هدف المزاوجة بين الكلمة والصورة ، والرسم أيضا ، تعبير مستمر ومتجدد لحركة « العربي » المتواصلة . فالعربي تنطلق من اجلك الى بروناي . . لتكون أول مجلة عربية تدخل سلطنة التحديات . . بالقلم والعدسة . . وهي تقدم لك نسيجا آخر من التاريخ والأسطورة والشهادة في قصة مدينة الكوفة . . وهي تذهب بك الى الأندلس لتشهد دخول عبد الرحمن الداخل قبل ١٢٠٠ سنة . . وحين تكون اللوحة المرسومة أجدى لاثارة حنينك الى الماضي القريب فإنها تقدمها لك في صورة ذكريات رمضانية . . وحين يكون الحنين الى بعيد فإنها تأخذك في رحلة مع الجبرتي وهو يصوم رمضان . . ثم تنتقل معك الى حديث عن الحاجة الى الاسلام في هذا الزمان . . وحديث آخر عن الحساب الفلكي وتحديد بدايات الشهور القمرية . . ثم تحكي لك لماذا كان الافطار على تمر منذ عهد الرسول الكريم .

ان العربي تتحرك ـ عزيزي القارىء ـ بك ومن اجلك . . بالعدسة والريشة والقلم . . ولعلك تجد في هذا العدد بين يديك غذاء روحيا يحاول اشباعك . . وريا طيبا يخفف تعطشك . . ورمضان كريم .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر : الابداع الثقافي ومعوقاته في الوطن العربي .
ـ د. محمد الرميحي ٨
■ الحاجة الى الاسلام في هذا الزمان .
ـ د. أحمد كمال أبو المجد ١٧
■ ذكريات وصور رمضانية .
ـ عبد الرحمن الشرقاوي ٢٢
■ الخروج من دوائر الضياع (قصيدة) .
ـ عبد الله السيد شرف ٢٨
■ الحساب الفلكي في تعيين بداية الشهور القمرية ـ د. عبد المنعم النمر ٢٩
■ بائع الليمون (قصة) ـ عباس خضر . ٦٠
■ موضع تراثنا فنيا .
ـ د. بنت الشاطىء ٧٢
■ الجديد عن الفصام ـ د. فريد الكيلاني ٧٦
■ العطش عند الحيوان .. والانسان .
ـ د. صلاح بركات ٨٧
■ كيف تآمرت « المافيا الأوربية » لتقسيم القارة الأفريقية واستعمار دولها .
ـ د. احمد الأمين البشير ٩٣
■ ساليرنو .. جسر عبرته المعارف الطبية الاسلامية الى أوروبا .
ـ د. حسن فريد ابو غزالة ١١٩
■ لماذا كان الافطار على تمر ؟
ـ حلمي الخولي ١٢٤
■ الجبرتي يصوم رمضان .
ـ د. محمد المنسي قنديل ١٢٩
■ تقاسيم على الخفيف (قصيدة) .
ـ يوسف الخطيب ١٣٦
■ حالة شك (قصة) .
ـ ترجمة : طارق يوسف أسعد ١٤٢
■ عبد الرحمن الداخل يعود الى الأندلس .
ـ د. عفيف بهنسي ١٦٤

مسجد عمر سيف الدين من أبرز معالم بروناي .. سلطنة التحديات [طالع ص ٣٦]

استطلاعات ومقابلات

■ بروناي .. السلطنة والتحديات . نجم جديد في سماء الاسلام .
ـ سليمان مظهر ٣٦
■ رحلة داخل « القرية البشرية » .
ـ منير نصيف ٦٤
■ قصة مدينة : الكوفة نسيج من التاريخ والأسطورة والعلم .
ـ محمود عبد الوهاب ١٠٠
■ وجهاً لوجه : جان توسان دايزاني وأحمد الشيخ ١١٣

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء ٥
■ أرقام : أمطار تقلل حجم الأسرة .. وأمراض تزيد هذا الحجم .
ـ محمود المراغي ٣٤

● منتدى العربي :

■ هل آن الأوان لقول فصل في ترجمات تفسير القرآن ؟
ـ د. حسن المعايرجي ٨١
■ حول « أورام الثدي »
تعقيب .. ورد على التعقيب
ـ فاضل جميل الشيخلي .
ـ د. فاطمة الغرباوي ٨٥
■ قاموس العربي : نازية ١٢٢

● جمال العربية :

■ صفحة لغة : الخصم والتضرج والتوادي كلمات فصيحة .
ـ محمد خليفة التونسي ١٣٨
■ صفحة شعر : التدبير واليقظة في الحرب
ـ لقيط بن يعمر الأيادي ١٤٠
■ الجديد في الطب والعلم .
ـ اعداد يوسف زعيلاوي ١٤٦
■ مخترعون ومكتشفون ١٤٩
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٥٠

● من مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر : العقل الياباني .
ـ د. فتحي أمين مجدلاوية ١٥٣
■ من المكتبة العربية :
الشورى وأثرها في الديمقراطية .
ـ د. عبد الحميد اسماعيل الأنصاري . ١٥٩
■ مكتبة العربي : مختارات ١٦٢
■ العربي من ربع قرن ١٩٤
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦
■ حل مسابقة العدد ٣١٦ .... ١٩٨
■ معركة بلا سلاح .. « الشطرنج » ٢٠٠
■ حوار القراء ٢٠٢

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي ـ العدد ٣١٩ ـ يونيو ١٩٨٥

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ الزي العماني قوس قزح من الألوان الزاهية .
ـ ثريا البقصمي ١٧٤
■ هل انتهى عصر المعلم ؟
ـ ريم الكيلاني ١٨٠
■ هو .. هي ١٨٤
■ من الحياة :
حتى نهاية العمر ١٨٦
■ طبيب الأسرة ١٩٠
■ مساحة ود :
انسانيتنا والآلة ١٩٣

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

الإبداع الثقافي

ومعوقاته في الوطن العربي

- لا يزدهر الإبداع في أجواء القهر و التسلط و الإستبداد .
- الإبداع مبشر بالتغيير و ناقد للقائم وجالب للبديل الأفضل .
- البيروقراطيون حجر عثرة في وجه المبدعين .
- متى يصبح الوطن العربي منطقة ثقافية واحدة تنتقل نتاجاتها الإبداعية بينها دون قيود ؟

لعل من الاشكالات الاولى التي تطرح نفسها عندما نتحدث عن الابداع ، هو الخلط الكبير في المعنى بين لفظي «الابداع» و«البدعة» . فالأول مقبول ، والثاني مرفوض منا لأسباب تراثية معروفة .

وليس بعزيز علينا أن نميز هذا الخلط إذا رجعنا الى شيء من الدقة اللغوية،أولا في مدلولها الوضعي وصِيَغِه ، وفيما يغلب على الالفاظ بعد ذلك من اصطلاح او مألوف اجتماعي متداول ، فاللغويون يقولون ان مادة « بدع » تفيد اختراع الشيء وانشاءه على غير وجود سابق ، ثم يأتي علماء الاسلام فيضعون صيغة « البدعة » فيما يقرب من المصطلح الشرعي لتدل على « الدخيل الممقوت » الذي يجافي العقيدة والفرائض والتشريع ، وهم

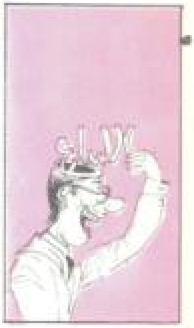

يستندون في ذلك الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء في سياقه « . . . ان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » . على أن من السلف الصالح من جذب هذه اللفظة من هذا المدلول الضيق الى رحابة مدلولها اللغوي فقال : ان البدعة بدعتان : بدعة هدى ، وبدعة ضلالة .

أما صيغة « الابداع » فقد كانت أسعد حظا من شقيقتها « البدعة » ، فلم تخرج عن مدلولها اللغوي كثيرا حينما غلب عليها إنشاء المعنويات بوجه عام والفنون الجميلة بوجه خاص ، وهي على اي حال تظفر بالاحترام ، والاجلال في كل مدلولاتها ، حتى ليمكننا بعد هذا التوضيح أن نقول ان هذا الخلط بين الصيغتين قد يحسم ايضا بالمواقف وانفعالاتها ، فإن كان الشيء المبتكر موافقا لهوانا وصفناه بالابداع ، وان كان على غير مانحب ونهوى وصفناه بالبدعة .

واذا كان من المتفق عليه ان ابداع الشيء هو انشاؤه على شاكلة غير مسبوقة ، فإن الابداع الثقافي يعني انتهاج نهج جديد وصياغة غير مسبوقة في فنون القول كالشعر والنثر وفنونها ، وفي مجال الفنون التشكيلية كالرسم والنحت والتصوير وسائر الفنون الجميلة من موسيقا وتمثيل إلى غير ذلك . ولا يبتعد عنصر الابداع عن العلم والعلوم حينما يكتنف مخاضها الالهام والتخيل والتأليف ، أي ان المبدعين هم أولئك الذين يضيفون العناصر الجديدة في نطاق فن ما ، او يستحدثون نهجا مبتكرا في دراسة او بحث ، وأدنى درجات الابداع هي وضع القديم في صياغة مستحدثة لم يكن عليها من قبل .

وقد فسرت المدارس النفسية المختلفة دوافع الابداع طبقا لتوجهات كل منها واجتهاداتها ، فقد قال البعض : ان دوافع الابداع هي الانفعال الخلاق ، ومدرسة ثانية تقرر ان دوافع الابداع تكمن في إعلاء الرغبات الخبيئة أو الكشف عنها ، ووجهة ثالثة تقول : ان الابداع هو تعويض عن الشعور بالنقص الذي يحسه الانسان فيلجأ الى الاتيان بالجديد حتى يستكمل نقصه .

الخصائص العقلية للمبدع :

□ وقد اتفقت جمهرة من علماء النفس على طبيعة الخصائص العقلية للمبدع ، وحصرها في أربعة عوامل رئيسة هي : الطلاقة ، والمرونة ، والتوسع ، والاصالة . كما جرى تحديدهم لكل منها على الوجه التالي :

الطلاقة : وتعني القدرة على انتاج الجديد من الافكار فيما يمس مهمة معينة او موضوعا محددا .

والمرونة : وهي القدرة على النتاج الفكري الذي يظهر تحرك الانسان من مستوى فكري الى مستوى فكري مغاير .

والتوسع : ويعني القدرة على اضافة تفاصيل على صلب الموضوع الى فكرة اساسية تم انتاجها في السابق .

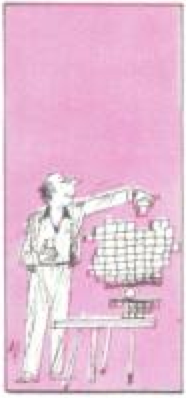

والأصالة : وهي القدرة على الوصول الى افكار لم يتوصل اليها ، ويكاد صاحبها أن ينفرد بها ، كما تكشف عن إلتماع ذكائه ، واتساع مدى فكره .

وهناك عوامل مساعدة ترفد هذه العوامل الأربعة الرئيسة لم يغفلها علماء النفس ، وهي القدرة على التحليل والتجريد والترابط ، ولمح التوافق والتفارق ، واضاف بعضهم ان الاحساس بالمشكلات وتقييم الموضوعات الانسانية عاملان مهمان في دفع القدرة الابداعية لدى الفرد الى ظهورها وفاعليتها .

ومهما تعددت هذه التفسيرات النفسية فإنها تصب في مجرى واحد كبير ، هو ان القدرة على الابداع موفورة لدى كثير من الافراد في مجتمعات مختلفة على وجه كوننا الارضي .

واذا كان الابداع في البدء موجة من ضياء الفكر الذي يتبلور فيما بعد على اشكال وصيغ مبتكرة ، فان علماء النفس يذكرون لنا نوعين من التفكير في هذا المجال : اولهما ما يسمى بالتفكير المطابق ، والآخر بالتفكير المخالف ، أما الأول « المطابق » فهو التقليدي المصادق لما يقوله الناس في تفسير الظواهر والمسائل ، وأما الثاني « المخالف » فهو الذي يختط سبلا غير مطروقة ليس للناس بها إلف ولا وجه مشابهة في تفسير الأشياء والمسائل .

كما يربط البعض بين الابداع والذكاء على أن الثاني سابق للأول ولكنه ليس بالضرورة متسببا فيه ، فكل مبدع ذكي ، وما كل ذكي بمبدع ، ذلك لأن الذكاء الحبيس المتنحى عن مجاله لا يتصور منه أي انجاز أو ابداع .

وتذهب دراسات كثيرة لتفسر الابداع من وجهة نظر نفسية قد تعيننا على فهم بعض المؤشرات التي ينطوي عليها موضوعنا هذا ، ولكنها لا تبلغ بنا كل ما نريده ، فالابداع له جناحان : اولهما ذاتي نفسي ، والآخر مناخي بيني ظرفي ، ويتمثل الجناح الأول في كونه عملية انسانية نفسية تعتمل داخل المبدعين ولا سبيل الى استجلاء خفاياها الا من خلال انفسهم ، وكثير منهم يغلق أبواب نفسه ويحجب دوافع الابداع لديه ، ويبدو ان الخفاء طبيعة ملازمة لذلك التفاعل النفسي المركب ، في تدرجه من لحظة الالهام الى فترة الكمون ثم خروج الفكرة الى النور،وبروز صورتها في احدى صيغ الابداع من فنون القول أو التجسيم أو التصوير أو الايقاع وما الى ذلك ، وهذا العمل جميعه محفوف بالدوافع النفسية الناشطة،ومشبع بالنبض النفسي العميق .

أما الجناح الثاني الذي وصفناه بالجناح « البيني الظرفي » لوثوق ارتباطه بالمحيط الانساني في جوانبه المتعددة ، فهو ما أردنا ان نخلص اليه من كل ما سبق ونجعله ركيزة اهتمامنا في هذا المقال ، وجوهر القضية هنا انه لايكاد يخلو مجتمع انساني من عدة أفراد ـ رجالا ونساء ـ يمتلكون كل الخصائص والقدرات النفسية للابداع ، ولابد أن يقوم التفاوت بين هؤلاء

المبدعين في النوع والكم من جهة ، وفي مدى طواعية الظروف وصلاحيتها لمعونتهم - افرادا وجماعات - من ناحية اخرى ، سواء أكانت هذه الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية شاملة تنسحب على المحيط كله ، أم خاصة تقتصر على الأسرة أو الحالة الفردية ، فمادامت القدرات الاساسية موفورة للابداع فلابد ان يكون المعطل لها شيئا من ظروف البيئة التي أوضحنا مجالاتها وحدودها .

المبدعون في اقطار الوطن العربي :

☐ من المهم ان نؤكد أن أبناء الامة العربية بكافة أقطارها ، قد تشربوا نتاج الابداع الثقافي من المبدعين الذين سبقوهم أو عاصروهم من العرب والأجانب ، كما أنهم ورثة شرعيون للتراث الابداعي في ثوبيه العربي والاسلامي وغيرهما من ثياب ، ومن الصعوبة بمكان - ان لم يكن محالا - أن تجتث هذه الجذور الضاربة في أغوار التاريخ والمرتبطة بوشائج القربى ووحدة الثقافة .

ان الأمم المتحضرة في ايامنا الراهنة تصطفي المبدعين من ابنائها في كل مجالات الابداع ، بل انها تكفلهم وتذلل لهم سبل النشاط والابتكار ، ولا تألو جهدا في الاغداق عليهم بكل ألوان التكريم المادي والأدبي حتى تنفسح امامهم آفاق الانطلاق والابداع ، ولهذا فإنه لا يعد خروجا عن المألوف ان نتوافر على دراسة « معوقات الابداع » لدينا ، وان نتلمس كافة الوسائل والاساليب الكفيلة برفعها أو تذليلها على الأقل ، سعيا الى تحقيق الهدف المجتمعي الشامل في التقدم والتطور .

ان المناخ الصالح للابداع لا يتوافر بتعديل الظروف الراهنة الماثلة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو غيرهما ، فهذه على اهميتها تتطلب ما يعلو عليها من عوامل التنشئة الاجتماعية الاولى للاطفال والشباب مما يدخل في نطاق الرؤية المستقبلية للمجتمع من طرق ملائمة للتربية والتعليم ، وتحليل القيم والاتجاهات الاجتماعية حتى يتبين منها مدى الدفع أو الاعاقة لنمو الابداع بين أفراد المجتمع .

ولن تستطيع هذه الصفحات ان تستوعب الأشخاص والأعداد الكثيرة للمبدعين في الثقافة بكل فروعها في أقطار وطننا العربي ، فهناك عشرات منهم يغزون ميادين الشعر والقصة والمقالة والنقد والتمثيل والرسم والنحت وسائر المجالات الثقافية الأخرى ، ولكن هذا النتاج الابداعي يترجح بين مختلف الاقطار . . فقد يكون في بعضها مازال هشا لم يصلب عوده ولم يضرب بعمقه في الارض ، وقد يكون في البعض الآخر متدثرا بالرمز في فنون القول خاصة ، وربما استغرقته الرمزية الغامضة حتى أوصلته الى الطلاسم والمعميات في أقطار ثالثة . . وقد يقصر كل ذلك عن الوقوف على قدم المساواة مع الابداع الجيد من الفنانين والأدباء في أقطار عربية أخرى .

إن التصورات الجديدة في دراسات الابداع قد قاربت الشقة بين المبدعين في سائر البشر ، وأوضحت ان الفوارق بينهم - سواء تعلقت بالكيف أو الكم - انما تخضع لتباين ظروف البيئة والمستوى الثقافي والعلمي للشعوب ، وان جميع هذه العوامل الاجتماعية والبيئية تمثل مؤثرا في الابداع اما بدفعه وانطلاقه واما بتعطيله وانكفائه .

الابداع الثقافي مبشر بالتغيير:

☐ ان ظاهرة الانتشار النسبي لبعض الاشكال الابداعية الثقافية شابتها - في بعض الاقطار العربية - ظاهرة مرضية لا ينبغي لنا أن نغض الطرف عنها ، وأعني بها ظاهرة استئجار الطاقات الابداعية وخصوصا في التأليف العلمي أو في مجالات فنون الكتابة الأخرى ، فهذه الظاهرة رغم ضآلتها فإنها ستترك ندوبا على صفحة تاريخنا الثقافي العربي ، وتدين ابداعنا المعاصر في ميدان الفكر .

وكما أسلفنا آنفا فإن ممارسة الابداع الثقافي حق لا يمكن لأي دارس موضوعي محايد أن يسلبه من أي شعب أو منطقة جغرافية ، وان من طبيعة كل مجتمع افراز طاقات مبدعة من ابنائه تتشكل في كمها ونوعها على استواء تطوره الحضاري والثقافي ، الا انه يجب القول بمراعاة التدرج والانضاج فلا يتوقع من هذه الطاقات الابداعية أن تحرق المراحل وتطوي الزمن لاهثة متعجلة لتعوض فيما بين عشية وضحاها سنوات التخلف المثقلة بالجهل والفاقة .

كما ان الابداع الثقافي ليس هدفا بذاته وانما هو وسيلة ضمن وسائل أخرى تهدف جميعها الى تقدم الأمة ورقيها والحاقها بركب الحضارة المعاصرة ، والابداع الى ذلك مبشر بالتغيير وناقد للقائم وجالب للبديل الأفضل .

وكثيرا ما يكون انفعال المبدع بقضايا أمته هو الدافع الأساسي في الابداع ، فلولا انفعال بيكاسو مثلا بوحشية الكتائب الاسبانية واستنادهم الى طائرات هتلر في تدمير القرية الرابضة في شمال اسبانيا لما حظي العالم باللوحة الخالدة « الجورنيكا » تلك التي وصمت الاضطهاد الدكتاتوري من جهة ، ومجدت المقاومة الشعبية الاسبانية من جهة أخرى ، وستظل هذه اللوحة وما يماثلها من أشكال الابداع صفحات مضيئة من التاريخ النابض بأسمى القيم وأنبل المشاعر .

معوقات الابداع :

☐ واذا كانت حاجتنا الماسة في بناء مجتمعاتنا الجديدة تتجه أولا الى المبدعين فجدير بنا أن نسعى اليهم ، وأن نذلل ما يعترضهم من عقبات ، لأن المبدع المعوق طاقة غامضة راكدة ، ولا نستطيع أن نتعرف عليه بمجرد ادعائه ، وانما نقتنع بنتاج إبداعه في علم أو أدب أو فن ، ومن حقه علينا في الوقت نفسه ان نهيىء له فرصة الابداع ونطلق طاقته في مجال ابتكاره ، فيمضي باسهامه الخلاق في قافلة المبدعين الحقيقيين الذين يصنعون الحياة

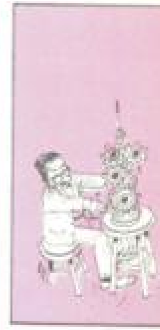

الجديدة ، ويتركون العالم في غير الصورة التي ألفوه عليها ، ولن يتسنى لهم ذلك الا بانطلاقهم وتواصلهم مع مواطنيهم وخوضهم مشكلاتهم في جو اجتماعي مشبع بنسمات الحرية ، تلك الحرية الملتزمة المنتظمة النابذة للعبث والفوضى .

فالابداع لا يزدهر وينتشر في اجواء القهر والاستبداد والتسلط ، واذا قدر له أن يعيش في هذه الظلال السوداء فإنه يصطبغ بمرارة الكفاح وخطورة التحدي والمناضلة ، والمبدع الذي يستطيع أن يحقق هدفه أو بعضا منه في هذا النطاق الشرس فإنه يستحق من الانسانية مزيدا من الاعزاز والتكريم .

ومن شروط الابداع ايضا ان تقوم الصلة بين المبدع ومجتمعه في شتى فئاته وطوائفه ، وأن يضاعف عنايته واحتكاكه بالقاعدة العريضة من جمهرة الشعب وأغلبيته ، فمشكلات المجتمع وهمومه ومتطلباته، والمصالح العامة التي يبتغيها، والمفاسد التي يعاني منها والحياة المقبلة التي يرجوها ، لابد أن يقترب منها المبدع في معايشة صادقة تتفاعل مع حسه وفكره وتجاربه ومعارفه وتصوراته الملهمة ووعيه برسالته المتميزة ، وينتج من ذلك كله ابداع يخدم حياة المجتمع ويرسم الخطوات الأمينة على طريق النهوض والتغيير ، فضلا عما يبثه المبدع في مجتمعه من معارف جديدة ، وأفكار مضيئة ومشاعر ممتعة ، وذلك ما نطلبه من مبدعينا ازاء المتغيرات التي غزت حياتنا . ويرتكب المبدع خطأ فادحا حينما ينفصل عن مجتمعه ومواطنيه ، لأنه يحرم نفسه من معين الصدق في ابداعه ، ومن المجالات الحية النابضة التي ترفد هذا الابداع وتهيىء له البيئة الخصبة للازدهار والاثمار ، كما أن مجافاة المجتمع إخلال بأمانة الرسالة التي تقتضيه أن يندمج في مجتمعه ويتحسس أحواله ليعبر بصدق عن موقف ، أو يعطي هذا المجتمع ما يتطلبه أو يوجه ارادته لتغيير لمس ضرورته .

وحينما ينسلخ المبدع عن مجتمعه ويغترب عن بني قومه - وهو بين ظهرانيهم - بروحه وفكره وتجاربه واستلهامه ، فان ابداعه يأتي مفرغا لا ينطوي على المضمون الحقيقي للابداع ، وكثيرا ما يجنح هذا الابداع العاق ليكون صدى للسلطة يعبر عن نظرتها ويتخذ مواقفها ، فلا يلمس منه المجتمع إلا سلبية عقيمة مراوغة لا تبني رأيا ولا تحرك ارادة ولا تبلغ هدفا ، ونرجو ألا ينجرف مبدعونا الى هذا المزلق الخطير .

فالمعوقات كما ذكرنا كثيرة في طريق الابداع ، ومنها ماهو موضوعي ينبثق من العوامل الخارجة عن المبدع ، ومنها ماهو ذاتي يتعلق بطبيعته وحركته .

١- المعوقات الاقتصادية

□ وهي أخطر المعوقات للابداع بوجه عام ، فاتاحة الفرصة الاقتصادية أمام اشكال الابداع ، وتعهدها بالانفاق المالي ، وامداد المؤسسات الرسمية

بالميزانيات التي تحقق لها الاقتناء ، وبرامج التفرغ والجوائز التشجيعية ، كلها علاقات ايجابية تحقق ارتباط الابداع بالناحية الاقتصادية ، كما أن توزيع النتاج الثقافي والفني وضمان الحقوق الاقتصادية للمبدعين من العوامل المهمة في توسيع دائرة انتقالها وتيسير اقتنائها . وحبذا لو اشتركت كل الاقطار العربية مع الموقعين على الاتفاقيات العالمية المتعلقة بحقوق المؤلفين والكتاب وطبقت بنودها على وعي بمسئوليتها ، فذلك أدعى الى انصاف المبدعين وارتياحهم واطمئنانهم الى استيفاء حقوقهم .

ومازالت امام المبدع الثقافي عقبات اقتصادية ماثلة ، فحقوق التفرغ لمّا تولد بعد في بعض أقطارنا ، وهي غير واضحة في الأقطار التي أقرتها ، والحقوق المالية في أيدي موظفي المؤسسات ، ونظرتهم الى المبدع في ايصالها اليه نظرة المشتري الحريص الى البائع المتحايل ، وكأن الشكل الابداعي بين أيديهم لا يعدو أن يكون بضاعة رخيصة كاسدة ، وهي معاملة تنطوي على الغمط والقهر معا ، فتنخذل الموهبة ، وتخمل الارادة ، وينكص الابداع على عقبه .

كما أن الحقوق الاقتصادية العامة للمبدعين غير مصونة ، وكثيرا ما تتعرض للنهب والقرصنة حينما يعاد تكوينها وتوزيعها وتدر على الآخرين فيضا من الاموال ، بينما صاحبها المبدع يعيش صفر اليدين .

وعلينا أن نتعجل استدراك هذا الامر حتى نستبقي هذه الطاقات الغالية المتميزة ، فقد انصرفت فئة منهم الى اعمال اخرى لا تمت الى الابداع بصلة .

٢- المعوقات الادارية

□ وتأتي المعوقات الادارية في المرتبة الثانية من معوقات الابداع في منطقتنا،وهي معوقات نجمت عن المرحلة الحالية من تطورنا وأهمها الفهم المتدني لقيمة الأعمال الابداعية الثقافية وغمط قدرها ، فبعض المسئولين « البيروقراطيين » يهيمنون على اجراءات النتاج الثقافي ومراحله (كالطباعة وغيرها) أو مرحلة الفحص (كالرقابة على المصنفات الفنية) أو مرحلة التوزيع والنشر . فنجد من هؤلاء من قصر وعيه عن ادراك قيمة الثقافة وأثرها في حياة الشعوب فلم يعطها حقها من الاكبار ، ومن المعوقات أن الموكلين بوضع اللوائح والقوانين للابداع يقفون بها عند مستوى فهمهم وتفسيرهم فيقفون بذلك حجر عثرة في وجه المبدعين الذين ينطلقون الى آفاق رحبة ومستويات رفيعة لا يدركها غيرهم .

كما أن الصعوبات في النقل والتوزيع هي من الصعوبات الادارية التي تقف امام انتشار الابداع الثقافي ، فيعامل النتاج الثقافي على بعض حدودنا معاملة المهربات والممنوعات ، ولتجاوز ذلك لابد من السعي لجعل الوطن العربي منطقة ثقافية واحدة يسهل انتقال النتاجات الثقافية بينها دون قيود أو رقابة مسبقة .

٣- المعوقات الاجتماعية

□ وهي معوقات داخلة في نسيج القيم الاجتماعية التي نحملها ومتفاعلة معها ، وعندما تقول ان المبدع الحقيقي هو صاحب الرأي المخالف الخلاق ، يتبادر الى ذهننا على الفور الصعوبات التي تواجهه في مثل مجتمعاتنا ،فإن من سوء الحظ أن نظام التنشئة الاجتماعية لدينا وكذلك نظام التعليم الذي يحتويه ويكمله يقتل في الاطفال والناشئة القدرات الابداعية،ويدعوهم دائما الى التفكير المطابق بدلا من التفكير الابداعي المختلف الخلاق ، في الوقت الذي تحرص فيه المجتمعات الأخرى حرصا شديدا على أن تربي أطفالها وناشئتها على أسس التربية الخلاقة ، لأنهم سيعيشون زمانا مختلفا له مطالب مختلفة ويواجهون صعوبات مختلفة ، وفي الوقت الذي تهتم فيه الأمم بالقدرات الابداعية لدى الاطفال والراشدين على حد سواء ، يضيق كبارنا بتصرفات الاطفال التي تتسم بالحدة والنزوع الى التغيير . ونتخوف من مطالب شبابنا الجديدة ، ونحاول دائما اقرار مفاهيم تقليدية تسربت الينا من آبائنا معتقدين أن ابناءنا سيعتنقون نفس المفاهيم ، ولو تركنا الامور على طبيعتها لوجدنا هؤلاء الصغار يمارسون التقليد لآبائهم وأجدادهم في صورة تلقائية غير واعية جريا على التشبه بالأكبر ، والأكمل ، لكن ذلك لا يلبث أن يزول حينما يبلغون من النضج مبلغا يدفعهم الى تحقيق ذواتهم ومواجهة مشكلاتهم في حياتهم الخاصة ان عاجلا أو آجلا .

وتعج أمثالنا الشعبية بالحض على التوافق مع الكبار واحترام خبراتهم وأعمالهم وأقوالهم وتقديسها ، كما أن القيم الاجتماعية النابذة لبعض أشكال الفنون كالغناء والرسم في بعض قطاعات مجتمعنا مازالت سائدة ، وربما نظر الى الرجل أو المرأة المشتغلين ببعض الفنون كالغناء والمسرح نظرة امتهان تهبط بهم الى أسفل السلم الاجتماعي .

ومن القيم الاجتماعية المؤثرة على نظرتنا الى الابداع ، نظرتنا الى المرأة التي يراها البعض قاصرا دائما ، ويجب عزلها ، حتى أصبحت الرجولة تعني فيما تعنيه في عرف بعضنا السيطرة على المرأة ، لذلك فإنها تمنع في كثير من الاوقات من تفجير طاقتها الابداعية في الشعر والنثر والرسم والمسرح .. الخ ، لا لسبب إلا لأن المجتمع يرى في ذلك عيبا اجتماعيا من خلال الأسرة والراشدين الذكور .

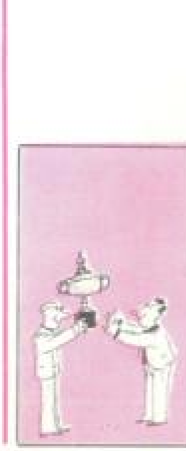

وقد يكون صغر حجم بعض مجتمعاتنا معوقا في حد ذاته للابداع الثقافي ، فالخبرة في هذه المجتمعات الصغيرة هي خبرة ضيقة ومحدودة ، كما أن الافراد يعرف بعضهم بعضا معرفة وثيقة ، ويضيق هذا النوع من المجتمعات بالاشكال الجديدة في النقد ، وخصوصا النقد للابداع والمبدعين ، ومازال النقد في منطقتنا طفلا يحبو تشوبه العلاقات الشخصية وما تفرضه من محاباة لذوي العلاقات الودية ، وشطط وغلو مع الذين لا نرضى عنهم .

وبعض القيم الاجتماعية تفرض على المبدعين ممارسة ابداعهم في الخفاء وكأن الابداع مرض خطير أو تصرف مشين يمكن أن يرتد على باقي افراد الاسرة بالعار والشنار .

ولعل طبيعة التركيب الاجتماعي ومستوى التعليم في مجتمعاتنا تجعلنا ننظر بشكل جاد وجديد لوسائل اعلامنا المرئية والمسموعة،ونمو اثرها في تشجيع الابداع أو تثبيطه،فهي في كل بيت وتصل الى كل واحة وقرية ، ونطالب هذه الوسائل بأن تفسح للابداع جانبا من صدرها

٤ - المعوقات السياسية

☐ اذا ما اتفقنا على أن للمبدع والابداع الحقيقيين هدفا ساميا وجليلا يتمثل في احداث تغيرات في المجتمع نحو الافضل ، فليس من المستغرب أن يرتطم المبدعون وابداعهم بالسلطة السياسية التي تريد ان تصب الجماهير في قوالب جامدة،وتحرص على حشو أدمغتها بمفهوم غامض للاستقرار تفرضه حفاظا على هيمنتها ومصالحها ، وهي نظرة قاصرة لا تلبي مطلب المجتمع وحاجته الملحة الى التطوير والتغيير .

فالمبدع الحقيقي بطبيعة رسالته يندفع الى تحسس هموم مجتمعه ويتصدى لمشكلاته في مرونة وحرية ، فتضيق السلطة بابداعه الذي ينطوي على نقدها من قريب أو بعيد فتمارس سلطانها في احراجه والحد من نشاطه ، فيتحول بعض المبدعين الى الهروب ومغادرة ميدانهم ، أو يلجأ « البعض » الى الرمزية الشديدة الغموض في بعض الأحيان مما يحبط الابداع الثقافي ويقصر به عن بلوغ هدفه . وينتج عن ذلك ظاهرة مؤسفة هي الابداع المنحرف،ويصبح التأليف والنشر هدفين مقصودين لذاتهما دون أن تكون هناك قضية تثار أو رأي يبدى ، وكثيرا ما يجد هذا النوع الزائف من الابداع طريقه الى الصحف ومجلات الأدب والفكر ، وتتوارى الاصالة المجدية لتترك للتزييف العقيم مكانها ، كما يحدث في أسواق النقود حينما تطرد العملة الرديئة العملة الجيدة وتحتل مكانتها .

ولا ينبغي أن يغفل هذا الامر دون مواجهة أو معالجة ، ولابد من صوغ اطار توافقي للابداع تقبله السلطة ، وفي الوقت نفسه يحفظ للابداع خصائصه ويعطيه حرية الحركة في مجالات ازدهاره وفاعليته ، وهذه الصيغة تستوجب ان تكون أقرب الى التسامح منها الى التضييق والتشدد ، وأدنى الى الحرية منها الى القمع والتسلط ، صيغة تتوافر لها رحابة الحدود ومرونة الحركة بين دائرتي الحكم والابداع على أساس اننا جميعا ابناء وطن واحد نألم لضرره ونسعد بنفعه ، فلنتحاور اذن من منابر مؤسسات وقوانين يزدهر في ظلالها الابداع والاجتهاد،وتسهم في تقديم الحلول لمشكلاتنا الماثلة والمتوقعة .

محمد الرميحي

الحاجة الى الاسلام

فى هـــذا الـــزمـــــان

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

لايمكن للمسلمين أن يعمروا الكون الا اذا اكتشفوا قوانينه بالنظر العقلى الحر ، وبالتجربة العملية الدقيقة . . . والا اذا أقبلت أجيالهم على الحياة فى حماس وأمل ورغبة فى البناء . هذا بعض مايجتهد به الكاتب وما يدعو اليه .

لكن ، كيف ينظر الى هذا الزمان . . وعلى أية صورة يتصوره ؟ وما هو موقع الاسلام فيه ؟

لا أكاد استفتح حديثا عن الاسلام هذه الأيام حتى تداخلنى رغبة دفينة فى أن استمهل القراء حتى لا ينفضوا عنى . . باحثين عن حديث آخر أوثق اتصالا بما يرونه قضاياهم الحقيقية القائمة وعذرى فى هذا الاحساس ، وعذر القراء فيما يهمون به من الانصراف عن أحاديث الاسلام . . أننا ـ نحن المهتمين بالاسلام والمشغولين بقضاياه . . قد وقعنا ، أو وقع كثير منا فى خطيئتين . .

● **الخطيئة الأولى** : أننا منذ عشرات السنين نتحدث فنطيل الحديث ، ونقول فنكثر القول ، عن عظمة الاسلام وشموله وخلوده وكماله ، وأنه الحل الذى لا حل غيره لمشاكل المسلمين وغير المسلمين . . غير أننا لا نكاد نجاوز القول أو نعدوه ، ولا نريد أن ننتقل منه الى عمل ، يحرك الدنيا ، ويغير الواقع ، ويقدم الدليل الحقيقي على صحة المقولات التى نطرحها فى حماس بالغ والحاح شديد . .

● **الخطيئة الثانية** : أن كثيرا من الدعاة والمتحدثين عن الاسلام يصرون على أن يتعاملوا مع الناس من حولهم ، بشروطهم هم . . مانحين أنفسهم حق ترتيب الأولويات لهؤلاء الناس . . ومتصورين

للاصلاح والتغيير منهجا يبدأ خارج الواقع ، ويتحلل من كل الشروط والضوابط الموضوعية التي تحكم هذا الواقع وتحركه . والنتيجة الحتمية لهذا المنهج المتعسف أن يبحث الناس في هذا المنهج الذي يقدمه الدعاة المسلمون عن حلول لمشاكلهم الحقيقية القائمة ، فلا يجدون لكثير منها موضعا ولا ذكرا في برنامج أولئك الدعاة ، وانما يجدون - بدلا منها - حلولا لمشاكل غير قائمة .. واهتماما مبالغا فيه بقضايا جزئية وهامشية ، لا يتصور أن يكون لها في التصور الاسلامي السوي ذلك المكان الرفيع ، وتلك المكانة الكبيرة التي ينحلها لها أولئك المتحدثون باسم الاسلام .. وهكذا يستقر في وجدان كثير من الناس - ولهم العذر في ذلك - أن ما يطرح عليهم باسم الاسلام ، لم يعد « نافعا » ، ولا « صالحا » ، ولا موصولا بالواقع الحي الذي يعرفونه ويعايشونه ويشتغلون به ..

ومن العسير بعد ذلك أن نظل نردد على الناس في كل مناسبة أن الاسلام غير المسلمين .. وأن هذا الطرح الذي يقدم اليهم على أنه « الاسلام » ليس إلا تفسيرا ذاتيا ناقصا أو فاسدا لمبادىء الاسلام ونصوصه .. فليس كل الناس قادرين على تجاوز النماذج التي تقدم اليهم ، والبحث عن تفسيرات أخرى سليمة وصحية لنصوص الاسلام ومبادئه ..

رؤية جديدة للاسلام

إن المدخل الصحيح لمواجهة هاتين الخطيئتين .. أن نتوقف عن الاستغراق الكامل في محاولات الاستدراك والمراجعة على الطروح الفاسدة لمبادىء الاسلام .. وأن نتوجه - بدلا من ذلك - الى تقديم رؤية جديدة للاسلام ومبادئه ، نستمدها من منهج واضح في فهم حقيقة الاسلام ووظيفته .. ومنهج واضح كذلك في كيفية التعامل مع النصوص الدينية .. نكشف عنه ونوضحه .. حتى يكون التفاف الناس حول الطرح الجديد قائما على أساس معلوم .. وليس انتقاء عشوائيا بين طروح متعددة ومتساوية ، يدعي كل منها حيازة الصواب واحتكار الحقيقة ..

والواقع أن الحديث عن حاجة المسلمين اليوم الى الاسلام ينطوي على سؤالين متميزين ، أعرف حق المعرفة أنهما يلحان على عقول كثير من المسلمين دون أن يجرؤ أكثرهم على التصريح بهما أو اخراجهما من دائرة الهواجس والأفكار المستترة الى دائرة البحث الصريح ..

● السؤال الأول : هل المسلمون المعاصرون في أزمة حقيقية تحتاج الى مفتاح لحلها ؟ . وهل هذه الأزمة جزء من أزمة عالمية تحكمها ظروف التطور التاريخي العام .. أم أنها أزمة خاصة بالمسلمين وحدهم ؟

● السؤال الثاني : هل لدى الاسلام - حقيقة - ما يتفرد به ، ويستطيع أن يقدمه علاجا لهذه الأزمة .. واستجابة لحاجات الناس في عصر جديد وظروف جديدة ؟

أما أن المسلمين في أزمة فهذه حقيقة لاتحتمل المكابرة ، ولا تحتاج الى حديث طويل .. وأخص مظاهر هذه الأزمة أمور ثلاثة أساسية :

١ - أن الكثرة الغالبة من مجتمعاتهم متخلفة اقتصاديا .. وقدرتها على التصنيع والانتاج والتصدير قدرة محدودة للغاية .. والرخاء الذي تعيشه بعض المجتمعات الاسلامية رخاء عارض أتاحه ظهور النفط ، وارتفاع اسعاره .. ومبادلته بسلع جاهزة أنتجها الغير .. حتى صار صحيحا في حقنا - نحن المسلمين - أننا نستورد غذاءنا وكساءنا ودواءنا وسلاحنا ..

٢ - ان الكثرة الغالبة من الدول الاسلامية منقوصة الاستقلال السياسي والاقتصادي .. تابعة - بدرجات متفاوتة - لدول كبيرة أو كبرى . وهذا أمر لاتجوز المكابرة فيه ، بل إن أكثر الشواهد تشير الى أن استمرار الفجوة بين الدول الصناعية المتقدمة وبين الدول الصغيرة التي لاتزال تشق طريقها نحو التقدم من شأنه أن يثبت هذه التبعية ، وأن يقلل فرص الاستقلال الحقيقي لهذه الدول النامية ..

٣ - أن « الشكل الاجتماعي والثقافي » لأكثر المجتمعات الاسلامية لم يتحدد بعد .. فنظامها القيمي غير واضح ، ونظام العلاقات الاجتماعية فيها ليست له صورة معلومة .. وكثير من القضايا الأساسية الخاصة بالثقافة واساليب المعيشة ،

وعلاقات الناس بعضهم ببعض ، وعلاقاتهم بالأمم الأخرى لا تزال قلقة ومعلقة . .

قيم الدين والحياة المعاصرة

ولا تزال قضية القضايا فى « الوجدان المسلم » هى التساؤل عن كيفية التوفيق بين قيم الدين ومبادئه وشرائعه وشعائره من ناحية . . وبين صور الحياة المعاصرة التى وفد ويفد كثير منها من حضارات أخرى . . كما نبت بعضها فى التربة الاسلامية نتيجة تطورات موضوعية طرأت وتطرأ تباعا على تلك التربة . .

ومن العبث الحديث عن قيادة المسلمين لركب الحضارة ، وعن دور ينتظرهم فى توجيهها وترشيد مسيرتها ، وهم على هذا الحال من الضعف والتفرق والحيرة الهائلة ازاء شروط النهضة ، ما ينبغى أن يؤخذ منها . . وما يتحرجون ـ باسم الاصالة ـ من أخذه . .

إن القوة الذاتية ، وتماسك النسيج الداخلى للأمة ، هما المدخل الطبيعى والضرورى لممارسة دور ـ أى دور ـ فى التأثير على مسيرة الآخرين . . ولو كان هذا دور الناجح الذى يقترح الحلول النافعة . .

والى جوار هذه الأزمة المحلية مظاهر أخرى تعكس الأزمة الحضارية العالمية . . وأخص معالمها . . انتشار القلق . . وسيادة النرجسية وعبادة الذات . . والاندفاع المحموم نحو المادة ، وحيازة الاشياء واكتسابها . . والزهد فى المحافظة على المودات والعلاقات الانسانية الحميمة والعميقة . . وما أدى اليه ذلك كله من انتشار العنف الفردى والجماعى بصورة لاشبيه لها فى تاريخ الانسانية الطويل . . ومن المؤسف أن هذه الظواهر أعراض لأمراض تصاحب الخطو السريع على طريق النمو والتقدم الصناعى ، وما يتحقق من وفرة فى السلع والخدمات . . لهذا ارتفعت الشكوى منها باعتبارها أعراضا « لازمة » فى المجتمعات الصناعية المتقدمة . . وتلك التى شهدت تعاقبا وتسارعا فى القفزات العلمية والصناعية . . وتراكما فى الآثار الاجتماعية والنفسية لهذه القفزات كلها . . ومع ذلك فقد وجدت هذه الأعراض سبيلها الى أكثر المجتمعات الاسلامية ، وهكذا شاء الله لنا أن تجتمع علينا فى هذه المرحلة من تاريخنا مظاهر أزمة التخلف . . وأعراض أزمة النمو السريع . . وصار على الذين يرفعون شعارات الاسلام وينادون باللجوء اليه لمواجهة « أزمة المسلمين » أن يبحثوا فيه عن مفاتيح لعلاج هذه الأزمة المزدوجة بشقيها هذين . .

ولكن هل يقدم الاسلام ـ حقيقة ـ مفاتيح لعلاج هذه الأزمة ؟ وماهى هذه المفاتيح التى ينفرد بها ؟ وكيف نضعها ـ عمليا ـ فى متناول المجتمعات الاسلامية المعاصرة ؟

ان الاجابة المفصلة عن هذه الأسئلة تحتاج الى حديث طويل يجاوز ـ كثيرا ـ حدود مثل هذا المقال . .

ولكن هذه الاجابة ـ فى خصوص واقع المسلمين تكمن فى حقيقتين كبيرتين :

● **الحقيقة الأولى** : أن الخروج من أزمة التخلف الذى تعيشه المجتمعات الاسلامية لايمكن أن يتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالاسلام وحضارته وثقافته ونظامه القيمى . . ومهما بدا لبعض المحللين والمؤرخين والمصلحين من وجود « أدوات للنهضة » مستقلة تماما عن روح الحضارات المتميزة فإن الحقيقة التاريخية تؤكد أن التفاعل مع هذه الأدوات والاستجابة لتأثيرها لا يكتملان أبدا فى اطار الشعور « بالغربة عنها » وهو شعور يضيع الثقة بالنفس . . ويزرع الاعتقاد بالعجز . . ان الدعوة الى الأخذ من ثقافة الآخرين ، مهما بدت مبررة ومقنعة فإنها تظل محملة بخطرين كبيرين : أولهما ـ أن تتحول الاستجابة لها الى استجابة مطلقة . . تأخذ مع « الأدوات الحضارية » «قيما حضارية » ، ومع الأساليب التقنية أساليب حياة ومعيشة ، ونظما للعلاقات الانسانية . . أى تحمل مع « أدوات النهضة » . . أدوات الانتكاس فى ميادين أخرى . . وتنقل الى البيئة المحلية مع اسباب التقدم ، أمراض التقدم وأعراض الأزمة المصاحبة له . .

أما الخطر الآخر ، فهو خطر الاستجابة الناقصة نتيجة المقاومة الداخلية والباطنية الناشئة من الاحساس بالخطر . . والشعور بالغربة ازاء « أدوات التقدم » المستعارة . . ان الشعوب فى مراحل ضعفها ، واحساسها بأخطار الغزو الثقافى

والسياسي ، تميل-بتلقائية غريزية - الى الانغلاق على نفسها ، واغلاق النوافذ في وجه التيارات الوافدة ، وتثبيت أقدامها في أرضها المحلية خوفا من أن تقتلعها العواصف القادمة . . وفي هذه المراحل يكثر الحديث عن الأصالة ، وضرورة المحافظة على ذاتية الثقافة . . وضرورة رفض « الأفكار المستوردة » . . كما تغلب نزعة محافظة تتجه الى اجترار الماضي والالتصاق به . . خوفا من مجاهيل المستقبل وما يحمله . .

لهذا فإن استخراج أدوات النهضة . . وشروط التقدم من داخل الحضارة الذاتية . . يغدو المسلك الأمثل ، ان لم يكن الطريق الوحيد الفعال ، لمتابعة مسيرة التقدم متابعة لا يتهددها خطر الاندفاع الذى يتخلع أصحابه من ذاتهم . . ولا خطر الرفض والتحفظ ومقاومة « الأدوات الجديدة » لأنها وافدة وغربية وتحمل في طياتها مداخل متعددة للتبعية ، وفقدان الاستقلال وضياع الهوية . .

ومن هنا تغدو عملية تجديد الفكر الاسلامي « واستخراج » شروط النهضة من باطنه عملية بالغة الأهمية في التوجه للخروج من الأزمة التي يعيشها المسلم المعاصر ، وتعيشها المجتمعات العربية والاسلامية القائمة . .

● **الحقيقة الثانية** : أن الاسلام ينطوي - حقيقة - على « أدوات النهضة وشروط التقدم » . . ولكن ظروفا تاريخية بالغة التعقيد دفعت بالشعوب الاسلامية ، وبكثير من روافد الفكر الاسلامي ، بعيدا عن اكتشاف القيمة الكبرى التي يمنحها الاسلام لهذه الأدوات كلها . . ومن ثم فإن تجليتها من جديد ، وتقديمها للناس في وضوح ، في ارتباطها العضوي بالتصور الاسلامي الشامل للانسان ودوره . . لا تزيد على أن تكون حركة تصويب وتصحيح . . واكتشافا ثانيا للتراث - في اطار نظرة وظيفية - غير شكلية للاسلام ومبادئه وشرائعه وآدابه . .

اكتشاف أدوات النهضة

ان هذا الاكتشاف المتجدد « لأدوات النهضة » يحتاج الى تحديد الأولويات في بيان التصور الاسلامي للحياة وللانسان .

ان إلحاح الاسلام على « تعمير الكون » باعتباره جوهر مهمة الانسان على هذا الكوكب . . هو المدخل لعلاج « الأزمة المحلية » التي تأخذ بخناق المجتمعات الاسلامية . . ذلك أن تعمير الكون له شروط وآليات ، وله مداخل وقيم خادمة وأخلاقيات . . واذا كان في تراثنا الفقهي أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . . فالحال كذلك ها هنا . . لا يمكن للمسلين أن يعمروا الكون . . الا اذا اكتشفوا قوانينه بالنظر العقل الحر . . وبالتجربة العملية الدقيقة . . ولا يمكن لهم - بعد ذلك - أن يستخدموا هذه القوانين الا اذا أحكموا المنهج العلمي في تغيير المجتمع والتأثير في الطبيعة . . والا اذا وجهوا جانبا كبيرا من جهدهم نحو تشكيل أوضاعهم الاجتماعية تشكيلا يعينهم على مواصلة السعي الذى لا يفتر بالعمل المنتج والمبدع . .

وهم في النهاية لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا من ذلك كله الا اذا أقبلت أجيالهم على الحياة في حماس وأمل ورغبة في البناء . . أما اذا أعرضت تلك الأجيال عن الحياة . . وزهدت فيها . . واعتزلتها . . بدعوى أن الشر فيها غالب . . وأن طويلها قصير على أى حال . . وأن الآخرة وحدها جديرة بالعناية والاحتفال . . فإن « البناء النهضوي » فيها - ينهار من أساسه . . كما أن فرص التقدم تضيع كلها قبل أن تبدأ . .

لهذا لا نمل أبدا من الدعوة في الحاح الى تجلية أمور ثلاثة نراها وثيقة الصلة بتحريك هذا الاكتشاف الجديد لأدوات النهضة من داخل الاسلام وتصوره الشامل . .

١ - الأمر الأول الالحاح على انسانية الاسلام . . وارتباطه بسياق التطور الانساني ، وتاريخ التجربة الانسانية . . ان هذا الالحاح من شأنه أن يتيح قدرا أكبر من تبادل التجارب الحضارية في غير احساس - خاطىء - بالغربة عنها . . كما أن من شأنه أن ييسر للمسلم المعاصر اقتحام ساحة السباق التي ينفرد بها الآن الآخرون . . ويضع المسلمون أنفسهم خارجها . . وذلك حين يضعون أنفسهم وحضارتهم خارج « تاريخ الآخرين » . .

٢ - الأمر الثاني الالحاح على « دور العقل » في بناء النهضة . . وتصفية الحرب القديمة التي لا تنقضي بين

« العقل والنقل » وبين التراث والتجربة المعاصرة . . فبغير العقل وابداعه لا تقوم نهضة ولا يتغير واقع . . والاسلام لا يصنع للمسلمين نهضتهم ، وانما ينهض بهم .

٣ ـ الأمر الثالث الالحاح على وجود دور « للمكان » و « الزمان » و « والظرف الموضوعى » فى تحديد المضامين التى جاءت بها النصوص . . وذلك استنادا الى تجدد الحكمة الآلهية ، والى ارتباط التشريع بالمصلحة ، ودوران أحكامه مع مقاصده ، والى القواعد العديدة التى تقوم على هذا الأصل كقاعدة منع الضرر ، ورفع الحرج ، وتغير الفتوى باختلاف الأزمنة والأمكنة . .

والاسلام ـ فوق ذلك ـ حقيقة كذلك ـ على مداخل أساسية لتخفيف الأزمة الهائلة التى تواجهها المجتمعات المتقدمة . . والتى تنتظر كل قادم الى « نادى الدول الصناعية المتقدمة » وهى أزمة « الجفاف » فى المشاعر الانسانية ، و « الفتور المتنامى » فى علاقات الناس بعضهم ببعض . . والعزلة الموحشة التى تصنعها النرجسية والانغلاق على الذات . . وما يصاحب ذلك من موجات القلق ، والاحساس بكآبة الوجود الانسانى ، والميل الهائل الى العنف الذى دخل ـ فرديا وجماعيا ـ دائرة الانحراف والمرض . .

قيم أولية

ان الاسلام يخفف كثيرا من أعراض هذه الأزمة من خلال إلحاحه على مجموعة من « القيم الأولية » التى تتناول أكثر الدوائر قربا من « الذات الفردية » وهى دائرة الأبوة والأمومة والنبوة ، دائرة الأسرة حيث حول الاسلام علاقات « البر والمودة » فى نطاقها من مجرد قيمة اجتماعية ذات منطلقات غريزية الى أمر وثيق الصلة بالعقيدة نفسها . . نال مباشرة فى أهميته والتذكير به لعقيدة التوحيد التى هى ركن الأركان فى تصوره الشامل ، وبنائه الفلسفى والايمانى . . كما حول الاسلام « علاقة الجوار » من علاقة تبادل للمنافع المادية الى شعيرة دينية خاصة لا أدرى كيف غفل كثير منا عن دلالتها . . وكأن بالنبى (ﷺ) وهو يقول : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . . كأنى به ـ (ﷺ) كان يتجاوز ببصيرته وقلبه النبوى الملهم ، مسافات الزمان والمكان . . ويخترق حجب المستقبل وما يحمله من تغيرات . . ويتصدى بالعلاج لأزمات الناس فيما بعد القرن العشرين . .

ان من الحقائق المستقرة فى عقيدتى . . أن كثيرا من أحكام الاسلام أوصى بها النبى (ﷺ) ووجب العمل بها منذ جاءت عن الله سبحانه . . ولكنها ـ بالمفهوم التاريخى الشامل ـ ظلت مدخرة تنتظر قرونا من الزمان . . حتى جاء الميقات المعلوم للحاجة الهائلة اليها . . وهى حاجة تظهر فى عصرنا هذا ، وفى عصور مقبلة بما لم تظهر بمثله فى عهد النبوة وصدر الاسلام . .

ان التكامل فى البناء القيمى الذى أقامه الاسلام للعلاقات الانسانية يكشف فى موضوعية كشفا رائعا مؤداه أن الاسلام ـ حقيقة ـ يحمل مفاتيح فعالة لحل أزمة التخلف التى تواجهها مجتمعات المسلمين كما يحمل مداخل أخرى مذهلة للتخفيف من الآثار السلبية للتقدم السريع ، والتى يتصورها كثير منا ضريبة لا فكاك منها يدفعها كل راغب فى التقدم المادى . .

فهل يحمل بعض مثقفينا عبء رحلة جديدة على هذا الطريق الرائع ـ على وعورته ـ يجددون من خلالها للناس أمر دينهم ويصلحون بها كثيرا مما فسد من أمر دنياهم ؟ □

ثلاثة أشياء لاتحتملها الملوك

قال الخليفة المأمون العباسي : الملوك تحتمل كل شيء الا ثلاثة أشياء : القدح في الملك ، وافشاء السر ، والتعرض للحرم .

ذكريات وصور رمضانية

بقلم : عبد الرحمن الشرقاوى

ما عرفت احتفالا أنبض بالروعة ، ولا أشرق بالبهجة كالاحتفال برمضان فى قريتى وفى قاهرة أولاد البلد بأحيائها العريقة : الحسين والأزهر والحلمية الجديدة وبركة الفيل والسيدة زينب والمنيرة . .

وفى الحق انى لاأدرى ماذا اصاب الدنيا ، وماذا دهى الناس ؟! ـ لم تعد الاحتفالات بمقدم رمضان تشيع فيها الفرحة المشوبة بالحنين الى عصور الورع وجلال التقوى ، كما عرفناها ونحن صغار . . . ؟!

لقد حاولت منذ اصبحت أبا أن أعود أبنائى انتظار رمضان ، والاحتفال به ، وحمدا لله أنى نجحت فى أن أغرس فى قلوبهم الاحتشاد للشهر المبارك ، حتى إذا أصبحت جدا ، أخذت حفيدتىّ الصغيرتين بمثل ما أخذت به أمهما وأخوالها حين كانوا صغارا . . وان الحفيدتين لتسألان حين يهل علينا شهر رجب وتشعران باحتفالنا بمقدمه ـ عن مقدم شهر رمضان المعظم ، لما ينتظرهما من ألطاف فى هذا الشهر المبارك .

وقليل من الناس استطاع أن يحتفظ بهذه العادة الطيبة : عادة الاحتفال بشهر رمضان . . ولكن أين ماتصنعه اليوم مما شهدناه ونحن صغار . . ؟!

فى قريتى كان الناس يترقبون الشهر ، ويستعدون له بعد ليلة النصف من شعبان : يستعدون له بتنظيف الطرقات أمام البيوت ، وشراء فوانيس للصغار ، وتوفير البن والسكر والشاى وما يشرب فى أثناء سهر الليالى . .

ومن تقاليد القرية كلما اقترب شهر رمضان أن تفض الخصومات ، وأن يتصالح الناس ، مهما يكن بينهم من ثارات وضغائن !!

وكان أفضل الناس هو الذى يسعى الى أخيه بعد ثبوت رؤية الهلال ، فيهنئه بمقدم الشهر المبارك ! . . أو يصابحه بالمصافحة قائلا : « رمضان كريم » . .

وعندما تثبت رؤية الهلال يوقد كل صاحب بيت سراجا أمام داره ، وينطلق الصغار بالفوانيس . .

وبعد صلاة العشاء والتراويح تعمر قراءة القرآن المجوّد أرجاء بيوت القادرين من أهل القرية . . حيث يتبادل الناس الزيارات ، يسمعون القرآن فى أول الليل فى هذا البيت ثم يسمعون ما بقى من الليل فى بيت آخر . . وكان فى فريقى داران تهتمان باختيار اثنين من أصحاب الصوت الحسن واتقان التلاوة ، ليسهرا طوال الشهر ، احداهما كانت دارنا ، والأخرى دار العمدة ، وكان القارىء فى كل من الدارين من بلد بعيد . . فكان يقيم فى قريتنا طوال الشهر المبارك ، لا يبرحها الى أهله الا ليلة واحدة فى منتصف الشهر ثم يعود . . وهكذا كان أهل القرية لكثرة اختلاطهم بالقارىء يعتبرونه واحدا منهم . . ولأنه يجيد تلاوة القرآن ويعرف تفسيره ، فقد كان أهل القرية يستفتونه فى بعض أمورهم ، فيفتيهم ، فاذا لم يعرف قال لهم : « من قال لاأدرى فقد أفتى ! » .

وكنا نحن الصغار حينئذ نحاول أن نتعود الصوم ، ونقضى النهار نحاول أن نتعلم القرآن الكريم ، وأن نجوده ، ونقلد طريقة أحد القارئين فى التلاوة . . . . ونتنافس على القراءة ، ونتصايح فى المفاضلة بين القارئين أيهما أجود !!

وكان من الأعراف المستحبة فى رمضان أن يصنع القادرون طعاما كثيرا طيبا ، ويمدون الموائد فى القاعات الخارجية للدور ، ويفتحون الأبواب ليدخل كل أصحاب الحاجة من أهل القرية أو أبناء السبيل ويفطروا معهم . .

وفى الصيف تقام الموائد فى الطرقات عند الافطار ، فلا يمر بها صائم الا طعم ، أوتناول بعض الطعام حتى يعود الى بيته ، ان لم يكن من الفقراء أو المساكين أو أبناء السبيل . .

وأذكر أن السمر فى ليالى رمضان كان سمرا خصبا مثقفا . . فبعد أن يفرغ القارىء من تلاوة ما تيسر له من القرآن ، وفى خلال راحته استعدادا لاستكمال التلاوة ، كانت الأحاديث تدور حول تفسير ما تلاه من القرآن الكريم ، وتذاكر بعض الأحاديث الشريفة ، وبعض طرائف الحكمة من عيون التراث . . . ثم يتذاكرون حاجة أصحاب الحاجة ، ويتفقون على حلول للمشاكل ، ويتطوع القادرون للنهوض بحاجات غير القادرين ! وكان المتعلمون من

أهل القرية حين يختلفون حول تفسير القرآن ، يرجعون الى تفسير النسفى ، أو البيضاوى الذى طبع مكتوبا بخط اليد !

وكان الصغار يشعرون الى جوار الفرحة بطمأنينة غريبة ... ذلك أنهم سمعوا من الكبار الحديث الشريف الذى يعلمهم أن الشياطين تصفد اذا جاء الشهر المبارك ، وان للصدقة فى هذا الشهر مكانة خاصة .. من أجل ذلك كانوا يجودون على زملائهم الفقراء بكل ما يأخذونه من آبائهم من « مصروف » شخصى ...

وكانوا يتجولون فى الليل بلا خوف من العفاريت أو الجنيات ، ولقد يقتحمون الأماكن التى تثور حولها حكايات العفاريت والجنيات متحدين ، مطمئنين إلى أنها لن تظهر لهم ، فلا شىء يمكن أن يؤذيهم فى ليالى رمضان .. فقد سلسلت الشياطين !!

وفى ليلة القدر ، وفى الليلة التى نظن أنها الأخيرة من رمضان أى ليلة رؤية هلال شوال كانت « الصوانى » الحافلة بأطايب الطعام تحمل الى بناء واسع فى القرية فرش بالحصير أو الأبسطة .. وتوضع الصوانى على الأرض .. فكل بيت قادر يخرج الصينية العامرة التى يجب أن يكفى ما فيها من طعام خمسة على الأقل .. ويجلس أصحاب الصوانى الى طعامهم ، ويتداعى على هذا الطعام الطيب فقراء أهل القرية وأبناء السبيل ...

ويأكل الناس معا ..

حتى اذا فرغوا من الطعام وصلاة العشاء والتراويح فى ليلة القدر ظل الناس يتلون القرآن ، ويدعون الله .. أما فى ليلة العيد ، فيتزاحم الصغار على الخياطين ليحصلوا على جلاليبهم الجديدة قبل الفجر . فاذا حصلوا عليها ، عادوا فاستحموا ،وخرجوا مع الكبار يصلون العيد ، ثم زاروا المقابر اتعاظا واعتبارا ..

***

أما الاحتفال بمقدم رمضان فى القاهرة فقد كان له شكل آخر ..

فى ليلة الرؤية كانت تخرج المواكب من الناس كبارا وصغارا يقودهم أهل الطرق الصوفية ، تسبقهم الدفوف والطبول الى المحكمة الشرعية العليا ، فاذا أعلن ثبوت الهلال ، علت الزغاريد ، ووزع الشربات والحلوى ، وسارت المواكب جميعا الى مسجد الامام الحسين ، وفى الساحة الواسعة أمام المسجد تقام الأذكار ، وتلقى الخطبةفى فضل شهر رمضان ..

ويحدث هذا أيضا فى ساحة السيدة زينب ، فاذا كان الوقت شتاء ممطرا أقيمت الأذكار داخل المسجد ... كانت الساحة التى امام مسجد الحسين تظفر بأكبر التجمعات، تليها الساحة التى تقع أمام مسجد السيدة زينب ، ثم غيرها من الساحات فى المساجد التى تضم مقامات أولياء الله الصالحين ..

ولقد أذكر أن بيوت الحلمية الجديدة والمنيرة والسيدة زينب كانت فى الأغلب بيوتا من طابق واحد أو طابقين على الأكثر ، ثم حديقة واسعة ، وفى الحديقة مكان خاص للضيوف ..

مازلت أذكر جمال الهدوء ، وعبق الأشجار والأزهار فى تلك الأحياء ... وقد تحولت هذه البيوت الآن الى علب من الأسمنت المسلح تتكدس فيها الشقق ، وترتفع الى أكثر من عشرة طوابق ... ماأحلى قاهرة ذلك الزمان .. ! .. كانت بيوت تلك الأحياء تشيع منها مع عبق الزهور ، وشذا البخور . روائح الشواء .. كلما اقترب المغرب :

وقت الافطار .. وكنت وأنت تسير فى الطريق قبيل المغرب تلمح زحام الناس داخل تلك البيوت .. فقد كان من عادة أهل القاهرة فى تلك الأيام أن يتبادلوا الدعوات على طعام الافطار .. وهى عادة أخذت تنقرض لأسباب كثيرة !!

وكانت حدائق المنازل تعمر بالموائد وقد فتحت الأبواب ، ليدخل منها من يريد الافطار ، فالدعوة عامة .. !

وكانت بعض الدور تعد الموائد فى الحدائق ، وفيها أمامها من طرقات ، ليطعم كل اصحاب الحاجات أو كل عابر سبيل ..

وبعد العشاء تقام صلوات التراويح فى المساجد ، وأحيانا فى البيوت .. ثم ترتفع أصوات القراء بتلاوة القرآن الكريم .. كانت الأصوات تتصاعد من تلك الدور شجية جليلة بلا مكبرات الصوت !! ..

الماريشال .. في زيه شبه العسكري وعلى كتفيه وصدره مجموعة نياشين ، هي في الأصل أغطية زجاجات الأشربة الغازية وسيفه في يده استعدادا للمعركة ..!!

وفى أحياء الحلمية الجديدة والمنيرة وبركة الفيل والسيدة زينب أتيح لى سماع القرآن الكريم من كبار القراء فى ذلك الزمان ..

كان رمضان بهجة كبرى للأطفال .. فما يكاد شهر شعبان ينتصف حتى تستعد واجهات الحوانيت بزينتها التى تستكملها وتسفر عنها منذ ثبوت رؤية هلال رمضان .. وكانت الحوانيت تتفنن فى عرض فوانيس الأطفال وفى زخرفتها بألوان خلابة .. وكانت تلك الفوانيس الصغيرة تضم شموعا نحيلة ، ثم هجرت الشموع الى « البطاريات الكهربائية » .

كانت فرحة الأطفال أن يذهبوا الى الحوانيت ليختاروا بأنفسهم ما يحبون من فوانيس .. حتى اذا أهل الشهر المبارك ، خرج الأطفال بعد صلاة المغرب . فى ملابس جديدة ، وانتشروا فى الطرقات الهادئة جماعات جماعات يتغنون فى نغم جميل : « وحوى وحوى ايوُحه .. بنت السلطان لابسة قفطان .. » الخ ... ثم يقفون أمام بيت أحد الأطفال لينادوا : « ادونا العادة .. رب خليكم » . فيخرج اليهم أهل هذا الطفل بالحلوى والمكسرات .. ثم يذهبون الى بيت طفل آخر

ويتغنون بالكلمات نفسها ، وهكذا حتى يعودوا الى دورهم قبل صلاة العشاء ، وقد ملأ كل منهم يده وجيبه وفمه بالحلوى والمكسرات من جوز ولوز وبندق وماشابه ذلك .

لم تعد طرقات القاهرة المزدحمة بالسكان ، ولا العمارات الشاهقة ذات عشرات الشقق .. لم يعد هذا التغير في ظروف الحياة يسمح بهذه البهجة البريئة لأطفالنا .. ولكيلا يحرم بعض الآباء أبناءهم من هذه الفرحة التي كان يتمتع بها الآباء وهم صغار ، وجهوا الأطفال الى أن يتحركوا وحدهم دون أطفال الآخرين - في حجرات بيوتهم ، ويطلبوا العادة (الحلوى والمكسرات) من آبائهم .. !

وكان من تقاليد رمضان التزاور في البيوت ، والسمر البريء بعد صلاة العشاء ، خلال الفترات التي يستريح فيها القراء .. ولكن أحدا لم يعد اليوم يدعو قارئا ليحيي ليالي الشهر المبارك بقراءة القرآن ، ولم تعد الندوات تعقد في الدور ، فالمساكن الجديدة في العمائر لاتسمح بهذا ، والناس يمضون سهرات رمضان الآن ما بين مشاهدة التليفزيون والاستماع الى الاذاعة ..

كان من معالم سهرات رمضان التجمعات في المقاهي .. كانت هذه التجمعات تتحول الى ندوات ثقافية ودينية رفيعة المستوى ، أبطالها شيوخ وأدباء كبار،وشهودها هم مرتادو هذه المقاهي .. وكان أشهر هذه المقاهي على الاطلاق مقهى الفيشاوي في حي الحسين ..

ومقهى الفيشاوي من أقدم مقاهي القاهرة ، وهو قائم على مستويات مختلفة من الارتفاع ، ملء بالمرايا ذوات الأطر المذهبة وبالمصابيح والمقاعد التي تشهد بدقة الصنعة وسمو الذوق وعظمة فن الزخرفة الاسلامية ..

وهو مقهى فسيح ينقسم الى أركان .. لكن المباني جارت عليه الآن !! ... وبعد صلاة التراويح في رمضان كان زوار هذا المقهى يتوافدون أرتالا ، كل جماعة تجلس في ركن يضم عدة موائد ، ثم يبدأ الحوار الأدبي أو الديني أو حوار النكتة بين الحاضرين .. وكان لهذا الفن نجومه وأبطاله : وأنا أعني فن النكتة اللفظية التي تعتمد على براعة التلاعب بالألفاظ ، وذكاء توليد الكلمات ، وعلى سرعة البديهة .. وكان لهذه المساجلات بالنكت أصول وقواعد .. فالمجموعة تنقسم الى طرفين يتساجلان ، على قمة كل فريق رئيس ومعه من يختاره من المعاونين من أهل الظرف وأصحاب البديهة الحاضرة . والطرفان يتفقان على اختيار ما يسمونه القافية .. أي يختارون مهنة كالمحاماة أو الطب مثلا ، ويلقي كل طرف نكتة فيها ألفاظ تتصل بالمهنة .. وكان الباعة المتجولون يشتركون أحيانا في سجال النكتة وبصفة خاصة هؤلاء الذين يبيعون كتب التراث ، وكتب الأدب وكانوا قراء ممتازين ، ولديهم ذوق نقدي .. وتمر الساعات حتى يقترب موعد السحور ، فيدفع الفريق الخاسر ثمن الطلبات .. والفريق الخاسر هو الذي يسكت أو لا تضحك نكاته الآخرين بالقدر الكافي ..

ولقد تجد في ركن آخر من مقهى الفيشاوي أومن غيره من المقاهي الكثيرة في حي الأزهر بعض مجاذيب الحسين .. وهم رجال بلا عمل تركوا أنفسهم وساحوا في حب الله الى جوار الحسين !! وكانوا يسمونهم الدراويش .. وكان من أشهرهم أيام الحرب العالمية الثانية رجل يرتدي بدلة صفراء ، ويضع على كتفيه وصدره مجموعة نياشين ، هي في الأصل أغطية زجاجات الأشربة الغازية المحفوظة ، ويسمي نفسه : « الماريشال » . ويصدر تعليمات عسكرية لغيره من الدراويش !! وكان صديقا لعدد من ظرفاء ذلك العصر ، وأكثرهم ممن أدركتهم حرفة الأدب فهم شعراء وكتاب ، ولقد أذكر أنهم كانوا في كل عام يقيمون حفلة تكريم للماريشال !

وكانوا يؤلفون في تكريم الماريشال قصائد قصيرة كلها من الشعر الضاحك ، والماريشال يتلقى ما فيها من دعابة طيب النفس ، ثم يتلقى آخر الليل ما يجود به هؤلاء الشعراء الظرفاء شديد الامتنان !

ثم ينتظر حتى يمر العام ويعود رمضان ، فيعود اليه سمار لياليه .. ولقد أذكر بيتا من الشعر قاله أحد الظرفاء في مطلع قصيدة مدح للماريشال ، وكان الماريشال أكثر الناس اعتزازا بهذا البيت وترديدا له :

النحيات رصعت بالنعال
تتهاوى على قفا الماريشال

●●●

وفى أيام رمضان تعود الناس فى ذلك الزمان أن يسلوا صيامهم بعد أن يخرجوا من أعمالهم بقراءة القرآن .. فمنهم من يذهب الى المساجد ليصلى العصر ، ويظل بعد الصلاة الى ماقبيل المغرب يقرأ القرآن فى مصاحف المسجد .. ومنهم من يؤثر أن يعود الى بيته بعد صلاة العصر ليقرأ ما تيسر له من القرآن الكريم ... ولكن الناس ما كانوا يتلون القرآن منفصلين : كل لحاله ، بل كانوا يتواعدون منذ اليوم الأول فى رمضان على أن يختموا القرآن مرة على الأقل خلال الشهر المبارك ، فاذا التقوا كل نهار تذاكروا القرآن الكريم .. ومنهم من كان يختمه مرتين أو ثلاثا ..

وكانت المساجد ـ وما زالت ـ تعمر بالوعاظ منذ صلاة الظهر ، حتى قبيل الفجر .. وفى بعض المساجد كان يتطوع بعض كبار القراء بتلاوة القرآن قبل صلاة العصر ، ما بين رفع الأذان الى القيام للصلاة ، وأحيانا ما بعد صلاة التراويح ، وقبل صلاة الفجر .. بعضهم كان يقرأ متطوعا قربى الى الله تعالى ..

الشهر المبارك فى ذلك الزمان كان يضطرب بألوان البر والتراحم ، فتعمر مساجد الله بالمصلين كما لاتعمر فى سائر شهور العام ، وتجرى الصدقات سرا وعلانية .. والناس أكثر حبا وايثارا بعضهم لبعض من سائر الأوقات ...

ان كثيرا من مظاهر الاحتفال برمضان قد انقرض الآن ، فلم يعد الناس يسمرون منذ اقتحم عليهم التلفزيون بيوتهم وحياتهم ... ولم يعد الأطفال يتجولون فى الشوارع بالفوانيس منذ ازدحمت الشوارع والطرقات وحتى الأزقة بالعربات ، ومنذ أصبح البيت الصغير الذى لم يكن يزيد عن ثلاثة طوابق تسكنها أسر متعارفة ، منذ أصبح ذلك البيت الصغير عمارة ضخمة تسكنها أسر لايعرف بعضها بعضا ...

وكان من أبرز الصور الرمضانية فى ذلك الزمان « المسحراتى » .. وهو رجل من أهل الحى ، يطوف الحى بعد منتصف الليل الى ما قبل الفجر ، يدق على طبلة صغيرة ويتغنى قائلا : « اصحى يانايم وحد الدايم .. » ثم ينادى الذين يسكنون البيوت فردا فردا ، ابتداء من سكان الطابق الأول حتى الثالث ، وهكذا ...

ولكن أبواق السيارات تغمر اليوم دقات طبلته الصغيرة العذبة ، فلا يسمعها أحد !! ولم يعد يتيسر له أن يعرف مئات الأسماء التى تسكن العمائر ذوات الطوابق العديدة ..

لقد اختفى المسحراتى من أكثر الأحياء ، وحل مكانه فى الاذاعة أو التلفزيون مغن يؤدى دور المسحراتى ..

ويا الله ... كم كانت جميلة مثيرة للوحشة تلك الكلمات التى تعوّد أن يلقيها المسحراتى فى إيقاع حزين ، وهو يودع الشهر الكريم فى الليالى العشر الأواخر ... ما زلت اذكر من ذلك الماضى الجميل كلمات المسحراتى وهو يودع رمضان فى إيقاع موحش : « لا أوحش الله منك ياشهر الصيام !! » ...

حتى إذا اقترب العيد ، نشطت الحركة فى الطرقات طوال الليل .. ذلك أن من التقاليد استقبال العيد بنوع من الفطائر اسمه كعك العيد .. تجتمع الأسرة لتعد عجينته ، وتسويه ، وتنقشه ومعها الأطفال الذين يغالبون النوم ويشتركون فى اعداد كعك العيد ، ولا يغمض لطفل منهم جفن حتى ينتهى اعداد الكعك ، ثم تدفع الأسر بالكعك الى فرن قريب ، ويعودون به بعد أن يخبز ، والأطفال ينتظرون لينثر عليه الكبار مسحوق السكر ، فيأكل الأطفال سعداء مما صنعت أيديهم ..

ما برحت بعض البيوت تتمسك بهذه العادة ، ولكنه العادة الجميلة توشك أن تنقرض تحت ضغط ظروف الحياة .

ومهما يكن من أمر ذبول هذه العادات الجميلة ، أو انقراضها ، فقد تنقرض منها الشعائر والاشكال ، ولكن ما تحتويه يبقى فى الأعماق ، ويتوارثه الصغار جيلا بعد جيل : ان رمضان هو شهر البركات والاخاء والتراحم ، وهو فرحة الصغار والكبار على السواء ..

أيمكن أن يكون مقدم رمضان المبارك هذا العام بشير إخاء بين المسلمين ، أو بالقليل مشرق عهد تحقن فيه دماء الأشقاء المسلمين الاخوة فى دين الله !!؟

تمنى على الله ..! ... □

الخروج من دوائر الضياع

شعر :
عبدالله
السيد شرف

وآتيك عند بزوغ النهار
حنانا .. وشوقا
يروم الأمان على راحتيك
شعاعا قويا ، يحن اليك
ويغمر وجهك دفئا ونبضا
عناقا ووهجا
ثيابي .. نسيج بسيط الخيوط
كثير الثقوب
وما كان ذنبي
فماخيرونى بأي الثياب أجيء اليك
وما خيرونى بأى العطور أطل عليك
وما خيرونى !
فقد رافقونى وقالوا وداعا
فقلت وداعا زمان التمزق حتى الضياع
زمان التشتت بين الذهاب ..
وبين الاياب ..
وقتلى مرارا بسيف النفاق
فلا تظلمينى
فلم أحن يوما جبينى وحرفى
أكنت النقاء ؟
أكنت الغباء ؟
سألت الرياح ، وكل الطيور
تحيرت نجما بعيد المدار
أكنا الفوارس ؟
أكنا اللصوص ؟
فما جاوبتنى
وضاعت خطانا على الشاطئين
وصار العناق رتيبا قميئا
وأمسى الفراق كريه المذاق
لماذا افترقنا .. وماذا جنينا ؟
حكايا عذاب .. وأصداء ذكرى
فصول تدور .. ولا شيء يبقى
لماذا .. لماذا .. ؟
سؤال قديم عميق الجذور
فلا تسأليني .. فما عُدت أدرى
تعالى الى .. ونامى بصدرى
دعينى أفيق على ساعديك
اعانق فيك انكسار القيود
ونور اليقين

* *

وآتيك يوما ..
صباحا .. مساء
تضيع الثوانى اذا ما التقينا
فلا تأبهين
فماذا يهم الزمان لدينا
وهل ضيعتنا سوى الأمنيات
وكر الثوانى
فلا تأبهين
دعينى أغنى
وهشى بوجهى ..
وهات الوساد ..
أتيت اليك وفوق الشفاه سؤال وآه
لماذا افترقنا طوال الفصول
لماذا لهثنا وراء السراب
واعرف ان سواك السراب
فلا تسأليني مثمت السؤال
وضمى جفونك فوق المسجى
يعود انطلاقا ونبضا فتيا
ولا تهصريه بعنف العناق
وعنف اللقاء
وكونى حنانا .. وكفا رحيما
وكونى سلاما .. وحضنا رؤوما
وفكى القيود
دعينى أذوب على شفتيك
وأغدو طعاما لكل الطيور
ونبضا يدور
وينساب في حوصلات الجذور
فروعا تظلل كل الحيارى
وضوءا يطوف على مقلتيك
وموجات حب
وزخات عطر
تبرعم عشقا بقلب السنين !

الحساب الفلكي

في تعيين بداية الشهور

القمرية

بقلم : الدكتور عبدالمنعم النمر *

الخلاف بين الأقطار الاسلامية حول بدء شهر رمضان بخاصة وبدايات الشهور العربية بعامة لا يكاد ينتهي . والمسلمون يتطلقون الى توحيد البدء والنهاية لشهر الصيام لما طبعوا عليه دينيا من حب التوحيد . فهل يمكن الاعتماد على الحساب الفلكي الدقيق في تعيين بدء الشهور العربية .. وماذا يقول علماء الدين وعلماء الفلك ؟

أمامنا نحن علماء الدين وعلماء الفلك موضوعان في غاية الأهمية بالنسبة للمسلمين لاتصالهما بأهم العبادات ، وهي : الصلاة ، والصيام ، والحج ، على الأخص ..

أولهما : ـ خاص بتحديد بدء شهر رمضان ونهايته ، وبدء شهر ذى الحجة ـ شهر الحج والوقوف بعرفة ويوم النحر ، والشهور العربية بعامة .. على مستوى العالم كله .

ثانيهما : ـ خاص بموعد بدء الصيام في اليوم ونهايته ، وكذلك أداء الصلوات الخمس ، وذلك في البلاد التى تقع في أقصى الشمال ، وأقصى الجنوب .. حيث يكون النهار أو الليل أحيانا نحو ثلاث ساعات أو أقل ، أو حيث يكون النهار الذى تشرق فيه الشمس مدته نحو ستة شهور ، أو يكون الليل كذلك ، فكيف يصوم المسلمون ويصلون في هذه البلاد ؟ وهي لا تظهر فيها علامات الأوقات ؟

---

* أحد كبار علماء الازهر واول رئيس تحرير لمجلة الوعي الاسلامي بالكويت،كما كان مديرا عاما للمعاهد الأزهرية بمصر. تولى مشيخة الازهر بالوكالة بين فترتي الشيخ عبد الحليم محمود والشيخ البيصار . وكان آخر مناصبه وزيرا للاوقاف . وهو عضو مجمع البحوث الاسلامية

هذان موضوعان في غاية الأهمية بالنسبة لكل مسلم،وللمسلمين في الشمال والجنوب بصفة خاصة .. ويجب علينا نحن العلماء بالدين أو بالفلك أن نبين للناس ونرشدهم : كيف يصومون ، وكيف يصلون في هذه البلاد النائية .. وكيف يحدد المسلمون بدء الشهور العربية أو القمرية التي تتصل بأحكام الدين ، أو ترتبط الاحكام بها ..

ولنبدأ بالموضوع الاول .. ولندع الحديث عن الموضوع الثاني الى حين .

بدء الشهور العربية

ونعني بها الشهور القمرية ، وعلى الأخص الشهور المتصلة بعبادة الصوم والحج ، رمضان وذا الحجة ..

نحن نلمس من واقعنا أنه كلما اقترب شهر رمضان ، أخذ المسلمون يفكرون : متى يبدأ ؟ وفي أذهانهم ما يحدث كل عام من الخلاف بين الدول الاسلامية حول بدء الشهر .. ويتطلعون الى توحيد البدء والنهاية ، لما شعروا عليه دينيا من حب التوحيد ، لاسيما بعد سهولة الاتصال السريع بين أجزاء العالم .. ولم يكن هذا التطلع أو هذه الرغبة في توحيد البدء والنهاية والأعياد موجودة ، حين كان الاتصال المتوفر الآن غير متاح من قبل ، فكانوا يقنعون بالممكن المتاح ، من توحيد ذلك مع من يمكن الاتصال بهم سريعا بوسائلهم المحدودة ، قبل اختراع البرق ، والتليفون ، ثم اللاسلكي .. فكانت رؤية كل منطقة للهلال هي القاضية بدخول الشهر ، عند أهل هذه المدينة أو القرية ، أو أهل الصحراء الذين يرونه ..

لذلك كان من الطبيعي أن يربط الاسلام بدء الشهور بالرؤية البصرية ، لأنها هي الوسيلة الوحيدة الممكنة في ذلك الوقت لاستطلاع القمر ، ومعرفة دخول الشهر .. ولم يكن واردا أن يكلفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بغير ذلك ، مما لم يكن متيسرا لهم .. لأنه يكون تكليفا بما لا يطاق « ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .. ولهذا قال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته (الهلال) وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » ، وقال : « لا تصوموا حتى تروه ، ولا تفطروا حتى تروه » .. وكان العرب يعتمدون في حسابهم على الشهور القمرية التي سميت أيضا بالشهور العربية ، وكان لها أسماء انتهت أخيرا إلى الأسماء المعروفة بها الآن : محرم ، صفر الخ .. والتي تحدث القرآن عنها في سورة التوبة : « **ان عدة الشهور عند الله أثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم** » .. وبين الرسول أسماء هذه الأشهر الحرم وهي : **رجب وشوال وذوالقعدة ، وذوالحجة** .. فربط الشهور بشيء محسوس متاح وهو رؤية الهلال .

وقد جاءت رواية أخرى في هذا الحديث السابق تعلل الاعتماد على الرؤية بأنها الممكنة ، حين قال عليه الصلاة والسلام : « **إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا** ، وهكذا » يشير الى أنه ٢٩ يوما أحيانا ، و ٣٠ يوما أحيانا أخرى ، وذلك من خلال ما عرفوه من رؤيتهم للهلال على مر السنين ..

هذا التعليل بكونهم أمة لا تجيد الحساب ولا الكتابة يعطينا مفهوما طبيعيا ، وهو أنهم لو كانوا أمة تجيد الكتابة والحساب ، لأمكن الاعتماد على الحساب كوسيلة أخرى ، وهذا يعني أن الأمة الاسلامية حين تتقدم وتجيد الحساب الفلكي المقصود هنا كما حصل ، يمكنها الأخذ به في معرفة بدء الشهور القمرية .. لاسيما والرسول لم يقل : لا تصوموا إلا للرؤية .. بل قال : **صوموا لرؤيته** .. وكانت وسيلة الرؤية هي المتيسرة للجميع ، فكان الاعتماد عليها في ذلك الوقت هو المنطق الاسلامي الطبيعي ، حيث « **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** » .. وهذا لا يمكن أن يسد الباب أمام أية وسيلة .. أخرى جديدة يمكن بها معرفة دخول الشهر ،كوسيلة علم الفلك الموثوق به .. لاسيما وفي قوله صلى الله عليه وسلم « **فإن غم عليكم فاقدروا له** » ما يفتح لنا باب التقدير بالحساب لو أمكن ، بجوار وسائل التقدير الأخرى الممكنة ..

فالاعتماد على الحساب الفلكي الدقيق كوسيلة من وسائل إثبات دخول الشهر بابه مفتوح ووارد ، فاذا وصلنا إلى معرفة الحساب الفلكي معرفة عملية دقيقة ، كان لنا أن نعتمد عليه أيضا بجوار الرؤية .. فتكون عندنا وسيلتان لا وسيلة واحدة : الرؤية ، والحساب الفلكي ..

الفلكيون منذ عهد الرسول :

لم يكن في عهد الرسول ومن بعده إلى عصر النهضة العباسية علماء فلكيون بالمعنى الحقيقي للعلم الذى عرف فيما بعد ، ونعرفه الآن . . بل كان هناك أناس يتكلمون عن الأفلاك والنجوم ، ويتخذون منها وسيلة نصب للإخبار بالغيب وخداع الناس بالتنبؤ عن المستقبل . وسموا عند ذلك « بالمنجمين » الذين يتحدثون عن النجوم ومسارها أو مواقعها ، ويدعون أنها تشيهم بحال الانسان ، ويرضون بذلك غرائز الناس في حب استطلاع المستقبل ، وهم غير صادقين فيما يتنبئون به ، لأن أقوالهم لا تقوم على أساس علمى دقيق ، ولكنهم يرسلون الكلام إرسالا ، وقد يصدق مصادفة ، وغالبا لا يصدق . . ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام عنهم : « من صدق كاهنا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه أبو داود .

وقد ألقى هذا ظلالا كثيفة على المنجمين الفلكيين القدماء ، وأدى إلى عدم الالتجاء اليهم أو تصديقهم .

وهذا وإن كان واردا أصلا في عدم تصديقهم في الإخبار بالغيب ، إلا أنه انسحب عليهم في جملة ما يقولون ، وصاروا غير أهل للثقة ، لا في أمور الغيب ولا في غيرها ، وأصبح على المسلم أن يتجنبهم ولا يثق في أقوالهم ، فأناس قيل عنهم انهم فلكيون أو منجمون ، وهذا شأنهم ، كيف يمكن أخذ رأيهم في بدء الشهر ونهايته ؟ . .

إذن : لم يكن هناك غير الرؤية وهي وسيلة وحيدة لمعرفة دخول الشهر . . ولذلك نرى الأئمة الكبار ، وتلامذتهم ، والفقهاء من أتباعهم في القرنين الأول والثانى ، يقررون بالاجماع في مجال بدء الشهر : أنه لا عبرة بقول المنجمين ، يعنون الفلكيين في ذلك الوقت الذى غلبت فيه تسميتهم بالمنجمين . وكلامهم هذا حق وصدق ، إذ لم يكن علم الفلك قد ارتقى حتى يوثق به . وبالتالي لم يكن عندهم مراصد ولا عرفوها . . فكان حكم الفقهاء في ذلك الوقت على أساس الواقع في أيامهم . .

لكن بعد النهضة العلمية في زمن العباسيين ـ كما يعرف ـ ارتقى علم الفلك ضمن العلوم التى ارتقت في عهد المأمون ومن تبعه ، وأصبح علما له قواعده وطرقه ونتائجه ، وله علماؤه المبرزون فيه . وصارت هناك مراصد فلكية علمية متعددة لها وزنها . وكان هناك حول الخلفاء ـ بجوار علماء الفلك العلميين ـ منجمون يلجأ إليهم الخلفاء وغيرهم في استطلاع الأخبار الآتية التالية . أعنى ظهر العلماء الفلكيون الأصليون ، بجوار ما كان من منجمين فلكيين ، وتميز هؤلاء عن هؤلاء أمام الجميع وصار لعلماء الفلك أقوال علمية موثوق بها يمكن الاعتماد عليها في القول بحركة القمر والأرض ، وموقع الشمس والقمر والأرض ، وبالتالى في ميلاد القمر ، وأول الشهر القمرى .

وعلى أساس هذا التطور العلمى ، تبعه تطور فقهي لدى بعض الفقهاء ، فلم يغضوا النظر عن تقدم علم الفلك ، ولم يسموا علماءه بالمنجمين الذين انعدمت الثقة فيهم ، بل سموهم بأسمائهم ، واعتبروا علمهم ، وبنوا عليه رأيهم ، ولاسيما فقهاء الشافعية ، وظهرت أقوال لهم بالاعتماد على علم الفلك بجوار الرؤية ، بل قالوا برد الشهادة بالرؤية ولو من عدول حين يشهدون بأنهم رأوا الهلال ، في وقت دل الحساب الفلكي فيه على أنه لم يولد أصلا ، ويبررون ذلك بأن الشهادة ظنية وعلم الفلك قطعى ، والقطعى يرد الظنى . .

قال القليوبى الشافعي في حاشيته على شرح الخطيب الشربيني عند قوله « وتثبت رؤيته الهلال بعدل » قال : « أى إذا لم يدل الحساب القطعى على عدم إمكان رؤيته ، » أى إذا دل على عدم إمكان الرؤية « لم يعمل بقول وشهادة العدل ، بل يحكم بكذبه » . قال العبادى : « وهو ما لا يجوز القول بخلافه » .

وتوقفوا عند هذا

ووقف الفقهاء المتأخرون عند هذا الحد ، وظلت الرؤية هي الوسيلة الوحيدة عندهم لاثبات دخول الشهر . .

لم يخط أحد منهم خطوة متقدمة عما قاله هؤلاء الفقهاء من قبلهم ولم يقل واحد منهم : يمكن الاعتماد على الحساب وحده للقول بدخول الشهر بعد تقدم

علم الفلك وذلك تمسكا منهم بالحديث « صوموا لرؤيته . . » وكان الرؤية علة للصوم عندهم لا وسيلة له . . وعلى ذلك صار العلماء يفتون حتى الآن بأنه لابد من الرؤية مع قولهم وشهادتهم بدقة الحساب الفلكي . . لأنهم لم يستطيعوا الخروج من دائرة التقليد الفقهي للسابقين والارتباط بهم ، إيثارا للراحة والسلامة . . وعلى هذا جاءت الفتاوى الحديثة ، وجاء قرار مؤتمر مجمع البحوث ١٩٦٦ م وقرارات مؤتمرات أخرى . .

ويبدو على كل هذه الفتاوى وهذه القرارات مسحة التمسك بالتقليد لما جاء في الكتب ، مع مايبدو من تناقض في موقفهم ، حين يعتمدون على الحساب في بعض الأحيان ، ويردون به شهادة العدول بالرؤية لأنه قطعي كما سبق ، بينما لايعتمدون عليه إذا دل دلالة قطعية على أن القمر موجود في الأفق بعد غروب الشمس ، ولكن تحول دون رؤيته موانع . . فلا يقولون بدخول الشهر ، لعدم الرؤية . .

وكان المنطق الطبيعي - منطقهم هم - يقضي بقبول الحساب في هذه الحالة أيضا والقول بدخول الشهر . . لكن تمسكهم بالرؤية ، وكأنها شرط أو علة ، هو الذي أدى بهم الى هذا التناقض في موقفهم . . وهو تناقض لا يصح أن يعيش طويلا ، إذ لايقبل منهم ثقتهم بالحساب الفلكي حتى يردوا به شهادة العدول ، ثم لايثقون به إذا دل على وجود الهلال في الأفق . . لكن مع ذلك رأينا المؤتمرات التي تعدد انعقادها في العالم الاسلامي : مجمع البحوث سنه ٦٦ ، مؤتمر الكويت في أوائل السبعينات ، مؤتمرا استانبول في نوفمبر ٧٨ ، وفي ٧٩ ، ومؤتمر تونس في مارس ١٩٨١ ، ومؤتمر الجزائر في مارس ١٩٨٢ ، رأينا هذه المؤتمرات كلها يدور بحثها في إطار التقليد وعلى أن الرؤية لابد منها ، وكأنها شرط أو علة ، أخذا بما جاء في كتب الفقه ! ! حتى حين مالوا للقول باعتماد الحساب ، اعتمدوه حين يدل على أن القمر تمكن رؤيته وذلك حين يكون مرتفعا رأسيا من الأفق بمقدار خمس درجات يقطعها بعد غروب الشمس في ٢٠ دقيقة ويغرب بعدها ، ويكون البعد الزاوى . . وهو ميل القمر وبعده مكان غروب الشمس بمقدار ٨ درجات ، أعني يكون القمر عند الغروب بعيدا عن الشمس وضوئها بمسافة يقطعها القمر في ٣٢ دقيقة حتى تمكن رؤيته بعيدا عن

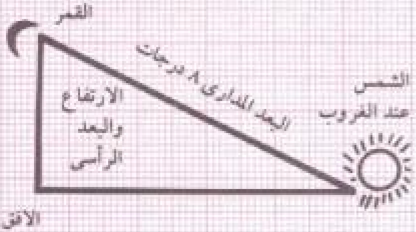

شعاعها عند الغروب هكذا ، وهذا كله من أجل أن الرؤية أو إمكانها اعتبروها شرطا أو علة لبدء الصوم لاوسيلة . . ، ولو تعددت المؤتمرات على هذا النحو ، حتى لو بلغت ألفا ، لما خرجت عن هذه الدائرة المرتبطة بالأقوال القديمة الاجتهادية .

فكل مايقال فيها ويقرره العلماء الكبار ، إنما هو صورة من كتاب الفقه ، وكان تمسك العلماء بهذا القول التقليدى ، هو الذى لوى عنق بعض العلماء الفلك ، وجعلهم يتنازلون مع الأسف عن الحقيقة العلمية الكونية التي يثبتها الحساب الفلكي العلمي الدقيق ، ويسيرون في موكب الرأى الفقهي الملتزم بالأقوال القديمة ، وهذا فهم وتصرف في رأيي ورأى الكثيرين-كما قلت - غير سديد ، لأن الرؤية مجرد وسيلة اعتمد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين لم يكن أمامه غيرها ، فإذا وجدت وسيلة أخرى دقيقة كان من الممكن الاعتماد عليها .

وعلى أساس أن الرؤية وسيلة وهو الفهم الذى أراه سديدا ، لأدلة كثيرة ، لايتسع المجال هنا لسردها ، يمكننا القول بدخول الشهر إذا دل الحساب الفلكي الدقيق المعمول به الآن عالميا ، وعلى أساسه تسير الطائرات والسفن وتنطلق الأقمار الصناعية ، ومراكب الفضاء ، ويحدد وقت الكسوف والخسوف بكل دقة ، إذا دل هذا الحساب على أن القمر ، أعني الهلال ، سيمكث فوق الأفق بعد غروب الشمس ولو لمدة دقيقتين . لأن الشهر يكون قد بدأ ودخل دخولا كونيا وطبيعيا وفعليا ولاقيمة لاعتبارنا نحن ، أعني لاعبرة باعتبارنا وتقديرنا إذا جاء مخالفا للطبيعة . . مادمنا نعرف وقت بدئه

القطعي عن طريق الحساب الفلكي العلمي العالمي كوسيلة أخرى من وسائل المعرفة .

إن الذي لا يجوز أن يكون محل شك الآن هو صحة الحساب الفلكي الحديث ودقته في تحديد أوائل الشهور القمرية العربية . والذي لا يصح أن يكون محل تردد ما في الاعتماد عليه والأخذ به الآن هو هذا الحساب الذي يمكن على أساسه معرفة أول كل شهر معرفة حسابية دقيقة ، قبل حلوله بشهور وسنين ، كما هو معروف عالميا ، بالجداول الفلكية العالمية التي توضع لمائة سنة مقبلة .

وقد عقد مؤتمر في لندن بدعوة من المركز الإسلامي الثقافي بها في مايو سنة ١٩٨٤ واشتركت فيه ، وأوصى في نهاية اجتماعاته بأن الحساب العلمي الفلكي لو قرر وجود الهلال في الأفق بعد غروب الشمس ولو لدقيقتين فقد دخل الشهر ، ولو لم يره أحد . وقد اشترك فيه بعض علماء الدين والفلك من العالم الإسلامي . وكان هذا أول ملتقى فكري إسلامي ، يقرر هذه الحقيقة ، برغم ما حاوله بعض المتخوفين من عراقيل ومحاولات حول الصياغة الأخيرة ، أمكن للكثرة القضاء عليها .

في مجمع البحوث بالأزهر :

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٨٤ وصل الأزهر استفسار من منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة عن رأيه في تقويم هجري موحد ، لبداية الشهور القمرية والأعياد الإسلامية ... الخ .

وقد ألف المجمع لجنة من بين أعضائه لإعداد الرأي في بدء الشهور القمرية ، واجتمعت اللجنة في ٦ من شهر ربيع الأول ١٤٠٥ـ٢ / ١٢ / ١٩٨٤ ، واستعرضت الأحاديث الخاصة بهذا الموضوع ورأي الفقهاء حتى الآن ، كما استعرضت ما وصل إليه علم الفلك من تقدم كبير ، وحيث صار حسابه حسابا علميا دقيقا بعيد اليقين ، وحددوا به أوقات الخسوف والكسوف ومكانها ومدتها تحديدا دقيقا . استطاع علماء الفضاء الاعتماد عليه في إطلاق مراكب الفضاء للنزول على نقطة معينة من القمر أو غيره ، وإعادتها إلى نقطة معينة من الأرض كذلك ، كما اهتم علماء الفلك بوضع جداول زمنية تبين موقع الشمس والقمر من الأرض ، وموعد غروب كل منهما في كل بلد ، ووضعوا جداول فلكية لذلك لعشرات السنين المقبلة ، ليستعينوا بها في حركة السفن والطائرات وغيرها ، مما يعين علينا الاستفادة ... الخ .

بعد أن استعرضت اللجنة هذا كله ، انتهت إلى الرأي الآتي

الاتجاه إلى الرؤية أولا ، فإذا لم تتمكن منها ، أو تعارضت الرؤى في البلاد الإسلامية ودل الحساب الفلكي الدقيق على أن القمر يوجد في الأفق بعد غروب الشمس ولو بدقيقة واحدة ، يكون الشهر القمري قد بدأ شرعا .

ونظرا لأن البلاد العربية تتحد في وجود القمر في أفقها بعد غروب الشمس وإن اختلفت مدة مكثه من بلد لآخر ، يمكن البلاد العربية أن تعتمد على الحساب الفلكي [illegible] ويحدد بذلك الأحكام المترتبة على ثبوت الهلال [illegible] الرقعة الكبيرة من العالم الإسلامي من حيث بدء [illegible] والأعياد والحج وغير ذلك .

وأما [illegible] الإسلامية التي تقع على الشرق من العالم الع[illegible] حساباتها الفلكية التي قد تتفق مع البلاد الع[illegible] تختلف ، وعليها أن تتبع حساباتها الفلكية .

هذا [illegible] الذي انتهت إليه اللجنة ، ووضع أمام رئيـ[illegible] (فضيلة شيخ الأزهر) ليخاطب الجهات [illegible] وأستطيع في النهاية أن ألخص ما [illegible] له عملية يمكن اتباعها باستمرار .

و[illegible] أ[illegible] الحساب الفلكي فإذا دل على أن ه[illegible] القمر سيمكث في الأفق مدة لا يمكن رؤيته فيها ، نعتمد على الحساب فحسب في القول بدخول الشهر ونعلن ذلك مقدما . ولا نفتح باب محاولة الرؤية ليدخل منه الكذابون والمدعون لأغراض خاصة بهم ! !

فإذا دل الحساب على أن القمر سيمكث في الأفق مدة يمكن رؤيته خلالها فلا مانع من أن نضم الرؤية للحساب من باب ليطمئن قلبي ؛ ألا تكون الرؤية هي الفاصلة فقد تكون هناك موانع منها ، كغيم أو غبار الخ ..

وبهذا نسير في عباداتنا على أساس يقيني ثابت معروف مقدما ، ولا نترك هذه الأمور للاحتمالات والادعاءات . وأرجو أن يتفق العلماء على هذا تمهيدا لاعتبار الحكومات له . □

العربي - العدد ٣١٩ - يونيو ١٩٨٥

أرقام

بقلم : محمود المراغي

أمطار تقلل حجم الأسرة.. وأمراض تزيد هذا الحجم!

في احدى الدراسات التي قامت بها المنظمات المتخصصة في السكان والتابعة للامم المتحدة ، ثبت أن البلاد التي تعتمد على الري بالأمطار يقل فيها حجم الأسرة ..وانه على العكس من ذلك فانه في البلدان التي تعتمد في الزراعة والري على الأنهار منتظمة التدفق يزيد حجم الاسرة .

ربما كان الاطمئنان الاقتصادى سبباً في ذلك ، وربما كانت الحاجة ليد عاملة سببا آخر ، كما ثبت في بحث حول جواتيمالا حيث تزيد الحاجة للعمالة الزراعية في الأرض المروية ، وتقل في الأرض المعتمدة على المطر . . فيختلف حجم الاسرة تبعا لذلك . . يزيد في الحالة الاولى ويقل في الحالة الثانية .

وقد كان حجم الأسرة ، وتطوره ، واختلافه من بيئة الى أخرى موضع دراسات متعددة . . وكان للدول النامية مجال السبق في معظم الحالات .

تشير الأرقام أن البداية ـ وهي معدل المواليد ـ تتضاعف في الدول النامية اذا قورنت بالدول المتقدمة . . وبينما كان المتوسط السنوي للبلدان النامية في النصف الثاني من حقبة السبعينيات (٣٣) طفلا جديدا لكل ألف من السكان . . كان نفس المتوسط في الدول المتقدمة (١٦) في الالف فقط . . . وبكلمات أخرى فانه بينما يبلغ عدد الأبناء في الاسرة الواحدة بالدول المتقدمة أثنين في المتوسط ، يتضاعف هذا الرقم على وجه التقريب في الدول النامية .

وفي التفسير تأتي مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

* * * *

قد يكون ملفتا للنظر أن يزيد معدل المواليد كلما زاد معدل الوفيات ، فعنصر الخوف من الموت والمرض وفقدان الابن يدفع الاسرة للمزيد من الانجاب . . على سبيل الاحتياط .

الارقام تعزز ذلك ، وبينما تسجل متوسطا عاما لحجم الاسرة في الدول النامية ، يزيد عن مثله في الدولة المتقدمة . . ترصد نفس الأرقام الفارق الشديد في معدل الوفاة عند الأطفال الرضع الذين يمثلون جزءا كبيرا من المشكلة .

خلال ثلاثين عاما تمتد من منتصف هذا القرن حتى عام ١٩٨٠ انخفض معدل وفيات الاطفال الرضع في الدول المتقدمة من (٥٦) في الالف من السكان . . . الى (١٩) في الالف . . بينما هبط

ذلك المعدل في الدول النامية من (١٦٤) في الالف الى (١٠٠) في الالف فقط . . . أي أنه بينما يفقد كل ألف من سكان الدول المتقدمة (١٩) طفلا رضيعا كل عام . . يفقد كل ألف من سكان أفريقيا ـ وهي النموذج الاكثر وضوحا ـ (١٥٠) طفلا في العام ، لذا عندما سئلت المرأة في (٢٠) بلدا ناميا حول العدد المرغوب من الاطفال تراوحت الاجابات والتي سجلها مسح تلاءم امتحنة بين ثلاثة وخمسة أطفال ، وبما يزيد عن المعدل القائم بالفعل . . أي أن الرغبات تسبق المعدلات الفعلية أيضا .

قد يكون القلق تفسيرا واضحا يدفع الأسرة للمزيد من الانجاب . أيضا ـ وعندما تعرف أن الظاهرة أكثر انتشارا في المجتمع الريفي ـ فإن التفسير قد يكون : المزيد من العزوةفالأسرة الكبيرة . . وربما الاسرة ذات الرجال الاكثر عددا تحظى بنظرة اجتماعية أفضل في الريف . .

ولكن الأكيد ، وبخلاف العوامل الصحية وعوامل البيئة والعادات والقيم الاجتماعية فان هناك عنصرا آخر هو العنصر الاقتصادي ، الذي أشار اليه نموذج بلاد تعتمد على الامطار وبلاد تعتمد على الري بالانهار .

وبالطبع فان نظام الري ليس العنصر الوحيد في تحديد الحاجة الاقتصادية . . فالملكية أيضا تلعب دورها .

في دراسة سكانية أجريت في تايلاند قال (٥٠٪) من الاسر المالكة للارض : « الاطفال ميزة نحرص عليها » . . لكن تلك المقولة انخفضت الى (٤٪) بالنسبة للأسر التي لاتملك أرضا أو أعمالا خاصة تحتاج فيها الى أبناء يساعدون .

أيضا ، وفي دراسات بالهند وبنجلاديش وايران ونيبال والفلبين وتايلاند ثبت أن الخصوبة في الاسرة تزداد كلما زادت مساحة الأرض المملوكة ، وكلما انضم عدد أكبر لفئة الملاك .

نفس الشيء قد ثبت في مصر بعد صدور قانون الاصلاح الزراعي ، الذي أحال عددا كبيرا من المعدمين الى ملاك للارض . . فقد زاد حجم الاسرة في القطاع الذي امتلك لاول مرة . . ليس لانه أصبح أكثر قدرة من الناحية الاقتصادية فقط ، ولكن لانه أصبح أيضا أكثر حاجة لابناء يشتغلون .

وتقول المشاهدات والابحاث : ان الطفل في الدولة النامية لايمثل ـ من وجهة نظر الأسرة ـ عبئا كبيرا . . فهو في عاميه الاول والثاني يعتمد تماما على ثدي أمه . . وهو بعد سنوات قليلة ، وربما قبل أن يذهب الى المدرسة ـ اذا ذهب اليها ـ يتحول الى قوة منتجة في الحقل وفي تربية الحيوان ! . . وهكذا أصبح متوسط ماتلده المرأة في كينيا ـ على سبيل المثال أيضا ـ (٣ر٨) أطفال . . . وهو نفس المعدل الذي يتوافر للكثير من الأسر في الوطن العربي .

وبالطبع فان الامر يختلف من القرية الى المدينة ، فاذا استبعدنا الحاضرة التي لاتنجب بنفس القدر ، ولا تحس بحاجتها للابناء بنفس الكيفية ، بل تتحمل عبء كل وافد جديد للأسرة . . اذا استبعدنا هذه المناطق فان المعدل في الريف يزيد بطبيعة الحال عن المتوسط العام ، ليقفز حجم الأسرة في بعض الاحيان فوق العشرة أفراد .

الثقافة تلعب دورا في الحد من هذا الاتجاه . الانتقال للمدينة والى ميكنة الزراعة والى أنماط انتاجية مختلفة بشكل عام تدفع كلها لاتجاه آخر في الخصوبة وحجم الأسرة . .

ولكن ، بشكل عام تظل الظروف الانتاجية والاجتماعية الراهنة بالعالم الثالث ضاغطة في اتجاه الأسرة الكبيرة . . وتظل المرأة معملا صغيرا لانتاج الأطفال حيث تقدم للعالم طفلا جديدا كل عامين أو ثلاثة في فترة خصوبتها التي يتوقف بعدها الانجاب .

ومع ذلك فان المعدل العام للمواليد في العالم يتراجع ، وتنظيم الأسرة يتقدم شيئا فشيئا . . بعد أن ثبت أن الوفرة الاقتصادية تنتج أسرة أصغر . . والفقراء ينجبون أكثر ! . . ولما كان التقدم الاقتصادي يتحقق بنسب مختلفة فان الميل لأسرة أصغر يزيد في نفس الوقت . □

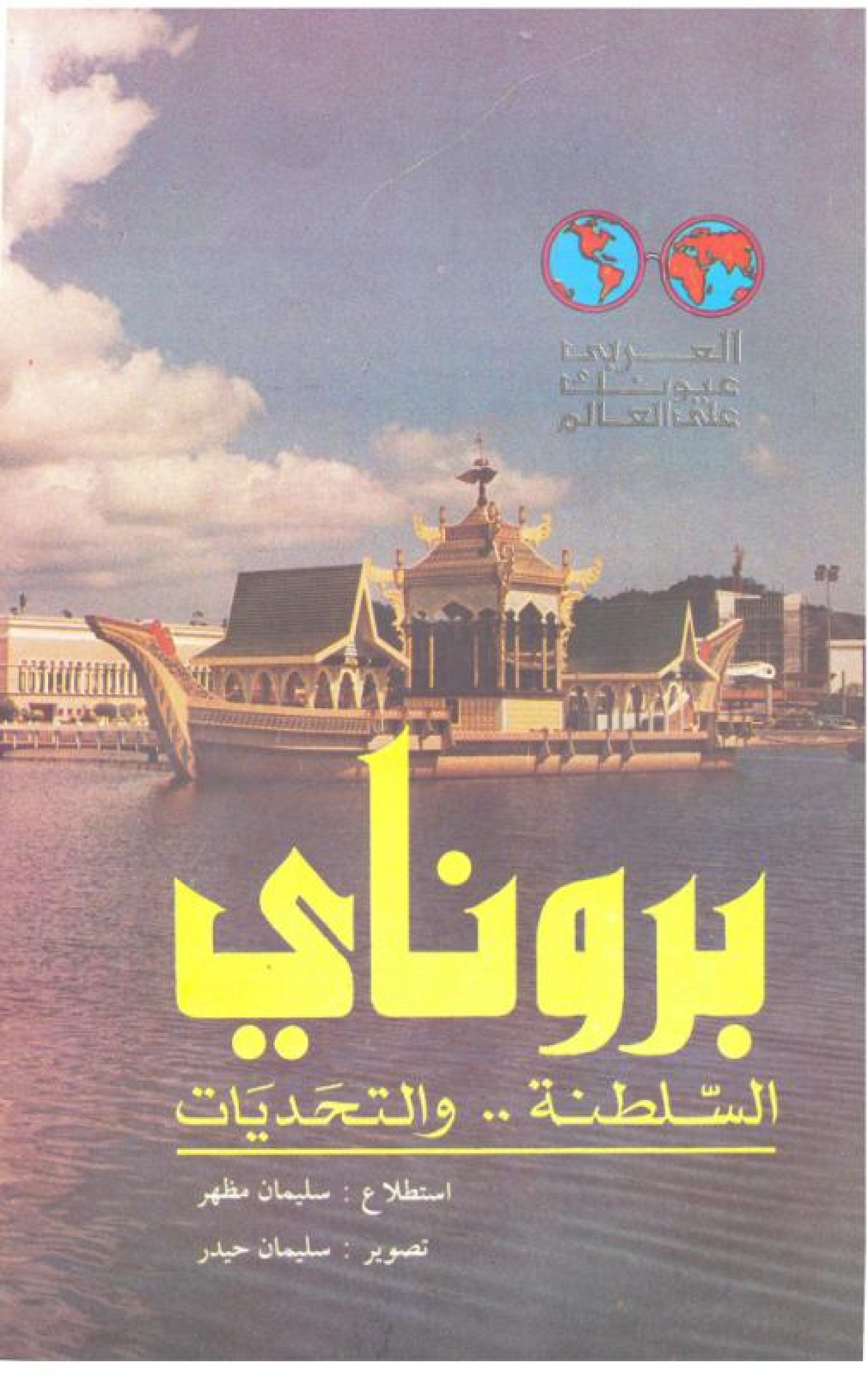

بروناي

السّلطنة .. والتحدّيات

استطلاع : سليمان مظهر

تصوير : سليمان حيدر

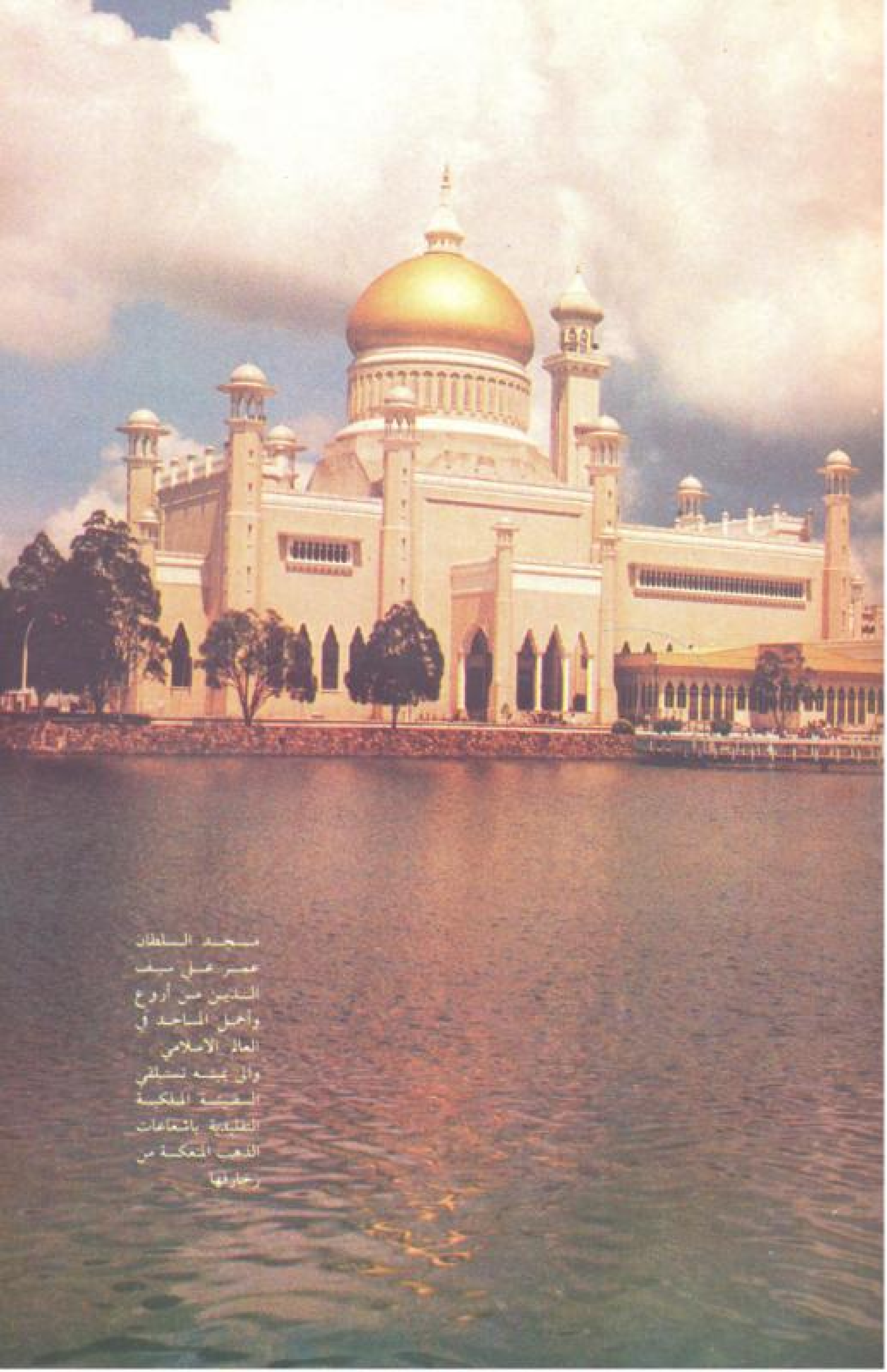

مسجد السلطان
عمر علي سيف
الدين من أروع
وأجمل المساجد في
العالم الإسلامي
والتي بجنبه تستلقي
السفينة الملكية
التقليدية بانعكاسات
الذهب المنعكسة من
زخارفها

فجأة

.. انطلق اسم «بروناي» ليصبح على ألسنة الجميع ... وتعددت التساؤلات وتباينت الاجابات .. وبدا الأمر كأنه سر الأسرار . ومع الانطلاقة الجديدة واجهت السلطنة موجة من التحديات تهدف للاساءة اليها في قلب العالم الاسلامي .... وكان لا بد «للعربي» أن تنطلق الى هناك .. تشهد وتسمع ... وتتابع مسيرة النجم الجديد .

في أقصى يمين الأرض :

قالوا لنا ونحن في انتظار الحصول على تأشيرة الدخول إلى بروناي : ... لا تصدقوا ما يزعمونه من أن بروناي دولة أوتوقراطية ... صحيح أن السلطان حسن البلقية معز الدين والدولة هو نفسه رئيس الوزراء وهو أيضاً وزير المالية ووزير الداخلية ... ولكن هناك وزراء آخرون يشاركونه الحكم ... فأبوه سير عمر سيف الدين البلقية هو وزير الدفاع .. وشقيقه مودا محمد البلقية وزير الخارجية .. وشقيقه مودا جفري البلقية وزير الثقافة والشباب والرياضة .. بالاضافة الى ثلاثة وزراء آخرين من خارج الأسرة المالكة .. !

وقالوا لنا : لا تصدقوا ما يشيعونه عن البذخ في قصر السلطان .. فقبة القصر وحدها هي المصنوعة من الذهب الخالص .. بصرف النظر عن القاعات والأثاثات والأواني الذهبية .... وحجرات القصر لا تزيد عن ١٧٨٠ حجرة الا بقليل ، كما أن تكاليف بنائه لم تتجاوز ٣٥٠ مليون جنيه استرليني بأسعار ما قبل سنوات ... كما أن تكاليف تأثيثه لم تزد عن ألف مليون دولار أمريكي ليس غير .. !

وقالوا لنا : لا تصدقوا ما يدعونه من أن الخيول الكريمة الثلاثمائة التي يملكها السلطان،تخصص لها أراض تتسع لأن تقوم عليها مدينة كاملة وحدائق للشعب .. فالشعب مرفه لا يدفع ضرائب ويتمتع بالضروريات والكماليات .. ودخل الفرد يصل الى ٢٢ ألف دولار في السنة .. كما أن الأرض المخصصة للخيول تعد ملاعب للبولو والسباقات بين السلطان وضيوفه .. ولكن الشعب يدعى اليها في بعض الأحيان .. للفرجة والمشاهدة .. !

وقالوا لنا : لا تصدقوا ما يفترونه من أن بروناي توصد أبوابها أمام العرب ، فالسلطنة ترحب بالوافدين للسياحة ـ حتى لو لم تكن هناك سياحة ـ كما أنها مفتوحة لمن يحصل على عقد عمل ـ حتى لو لم تكن هناك عقود عمل لمن يجهل لغة البلاد ـ والدليل هو أنكما أول اثنين من الصحافيين العرب تستقبلهما

السلطنة .. كما أن هناك أربعة مدرسين من الأزهر سيسمح لهم بدخول السلطنة خلال هذا العام .. !

هكذا قالوا لنا ... وطلبوا الينا ألا نصدق كل ما قيل .. ولم نصدق بالطبع .. فقد كان لا بد لنا أن نقتنع .. حتى نستطيع أن نؤدي مهمتنا الصحافية في بروناي .. !

بروناي .. دار السلام

ولكن .. في أي جزء من خريطة جنوب شرق آسيا تقع بروناي سلطنة الجيب الاسلامية .. التي استقلت مع بداية العام الماضي .. وجاء في بيان استقلالها الموقع من السلطان أنها « مملكة ملاوية مسلمة ديمقراطية مستقلة وذات سيادة ، وذلك طبقاً لتعاليم الاسلام ووفقاً لأهل السنة والجماعة » .

تحتل سلطنة بروناي الشريط الساحلي الشمالي لجزيرة بورنيو ثالث جزر العالم مساحةوقلب مجموعة جزر جنوب شرق آسيا .. وتبدو السلطنة على شكل قوسين تتداخل بينهما أراضي سرواك احدى ولايات اتحاد ماليزيا ، إضافة الى جزيرة لابوان ... وتحيط بها أراضي دول أندونيسيا وماليزيا والفلبين وتايلاند ..

اسم بروناي اشتق من نهر بروناي (حالياً لمبانج) والذي ينبع من سرواك ويمر بالعاصمة بندرسري بيجوان .. ولا تزيد مساحة السلطنة حالياً عن ٥٧٦٥ كيلومتراً (نصف مساحة لبنان) .. ولغة الدولة الرسمية هي اللغة الملايوية .. ونقدها الدولار البروني (نصف الدولار الأمريكي) .. وتنقسم الى أربع مقاطعات هي (بروني/موارا) و (سيريا/بليت) وتيوتنج وتمبيورنج ..

وبرغم أن سلطنة بروناي موغلة في عمق التاريخ .. وكانت تشغل ذات يوم كل أراضي جزيرة بورنيو .. إلا أن أحداً ـ وخاصة في الوطن العربي ـ لم يكن يعلم عنها شيئاً الا بعد أن استقلت عن بريطانيا مع أول دقات الساعة الأولى بعد منتصف ليلة ٣١ ديسمبر ١٩٨٣ ...

حول ذلك يعقب مدير الإعلام في بروناي « بيهني أوراتنا خطيب حاجي بدر الدين » فيقول : « ان أصدقاءنا العرب لم يعرفونا الا بعد الاستقلال ومن

السلطان حسن البلقية
« معز الدين والدولة »

خلال الشائعات فقط .. بينما معلوماتنا نحن عن أصدقائنا العرب واسعة » .

ولعل في ذلك بعض الحقيقة ، ولكن الواقع ـ وهو ما قلناه له ـ ان بروناي كانت معزولة عن الوطن العربي طوال سيطرة التاج البريطاني على مقدراتها على مدى ٩٤ عاماً ، وحتى خلال فترة الحماية البريطانية والتي لم تنته الا مع مطلع العام الماضي ، كانت الشئون الخارجية والجوازات وتأشيرات الدخول محتكرة في يد الانجليز وحدهم ، ولم يكن من مصلحتهم أن يتحقق تواصل مع أقطار الوطن العربي . ولهذا فقد حرم العرب والصحفيون خاصة من الحصول على « فيزا » للدخول ، وبالتالي لم يصل اليهم من أخبار بلادكم الا النزر اليسير ، واسمحوا لنا أن نقول:ان الصعوبات في الحصول على تأشيرة الدخول حتى بعد الاستقلال هي في تصورنا من بقايا التعقيدات التي اصطنعها الانجليز ..

أبنـاء الأرض :

وندخل بروناي .. ونبدأ جولتنا في شوارع العاصمة بندر سري بيجوان ...

السير في الشوارع على الأقدام ، يتيح فرصة أكبر

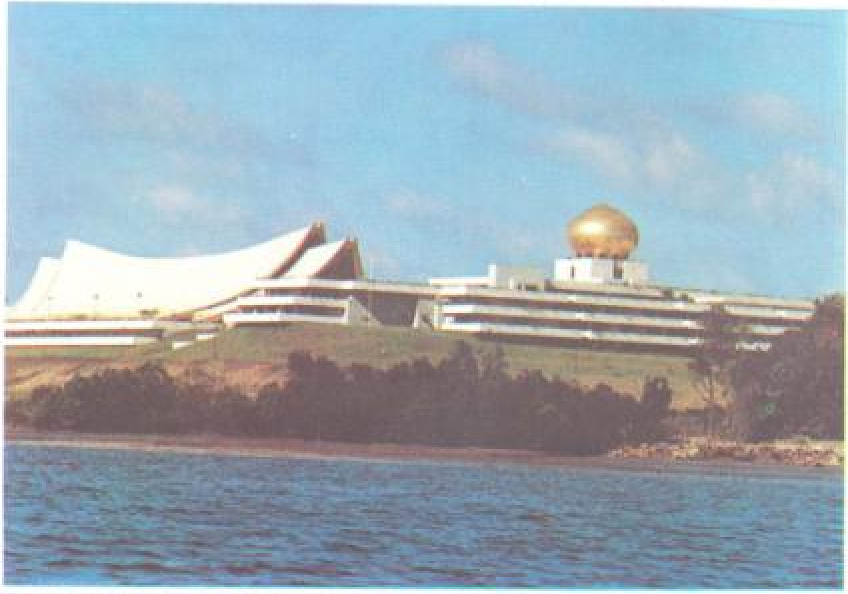

● قصر الاستانة نور الإيمان .. بقبته الذهبية الشامخة وأسقفه ذات الأفاريز التقليدية والطابع الفني الذي تنفرد به بروناي .

كومبانج آير .. القرية العائمة بأكواخها ومسجدها ومدرستها تقوم على أعمدة خشبية مستقرة على قاع نهر لبالج .

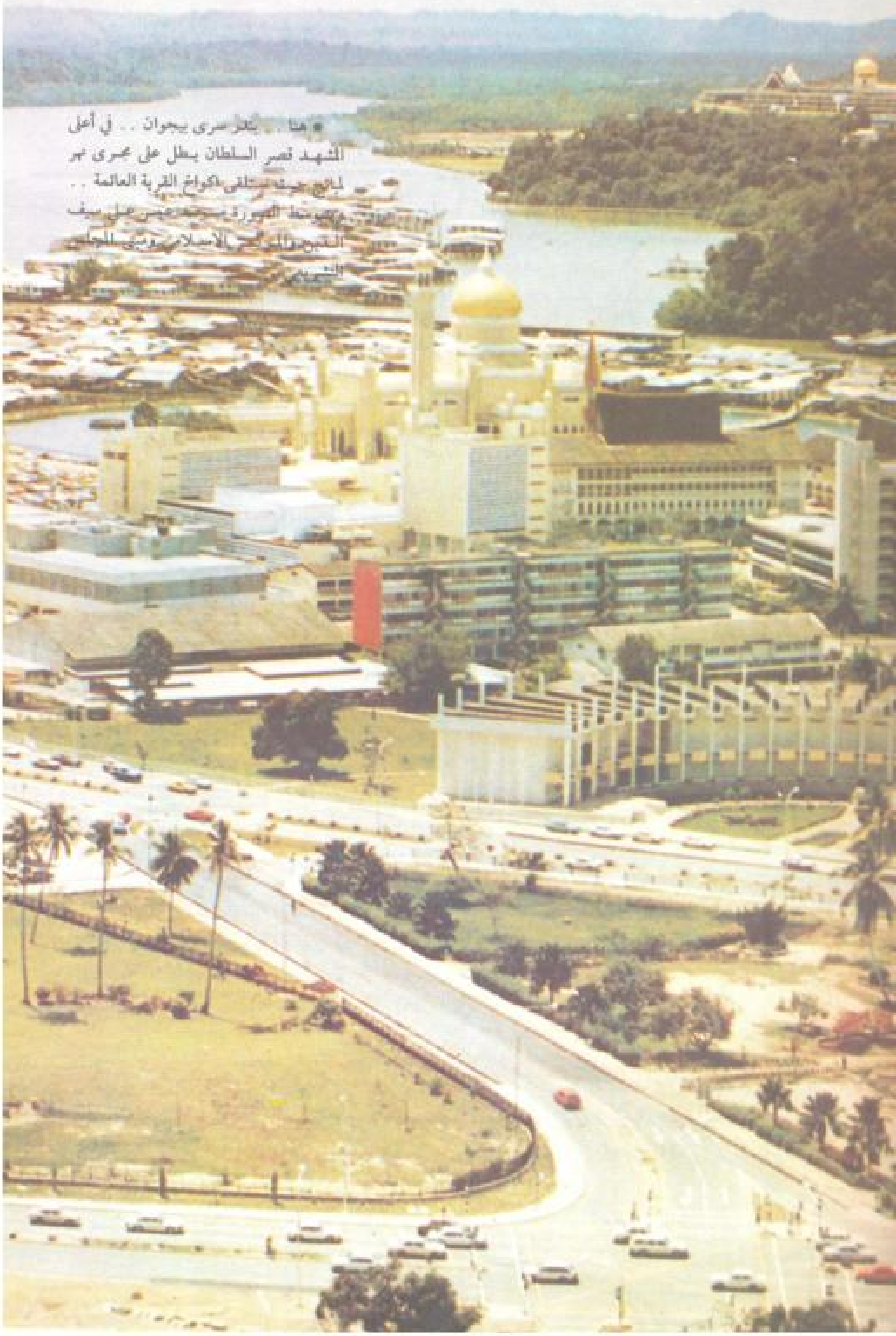

● هنا .. بندر سري بيجوان .. في أعلى المشهد قصر السلطان يطل على مجرى نهر بروناي حيث تتلاقى أكواخ القرية العائمة .. وفي وسط الصورة مسجد عمر علي سيف الدين والمركز الإسلامي ومبنى المجلس التشريعي

للقاء الشعب والاندماج معه ، وفهم عاداته وطبائعه . الناس هنا يتمتعون بطبيعة سمحة وهدوء وتألق في الوجوه . لا أثر للاجهاد أو القلق ومنغصات الحياة . . . كل شيء من الخدمات بالمجان . . التعليم . . العلاج . . ولا ضرائب على الاطلاق . . فاهتمام الدولة هو رفاهية المواطن البروناوي الذي يطلق عليه اسم « بومي بوترا » اي ابن الأرض (والبروناويون)« أبناء الأرض » كلهم موظفون في أجهزة الدولة بمرتبات خيالية . . . لهم الحق في سكن بأجر رمزي ويمنحون المعدات والأموال لشراء البيوت وتعميرها . . ويمتلكون السيارات أيضاً بقيمة رمزية ، ويمكنهم الحصول على أية قروض من البنك الوطني للدولة دون إضافة أية فوائد ، ويغدق عليهم بالمنح والرحلات السنوية المجانية الى سنغافورة ، ولندن للاستجمام والتسوق . . وحتى فريضة الحج . . تيسرها الدولة وتتحمل نفقاتها عن مواطنيها المسلمين في قصدهم الى بيت الله الحرام .

وبرغم كل ذلك . . فما زال الكثير من أبناء الأرض ، متمسكين بالإقامة في القرية العائمة فوق نهر بروناي ، التي كان يعمرها أجدادهم الملاويون طوال قرون . .

ولكن . . أي قرية تلك التي شهدناها وطفنا حولها خلال جولتنا النهرية لمشاهدة أشهر قرية عائمة في العالم . . هي « كومبانج آير » . .

مئات الأكواخ العائمة تقوم على أعمدة خشبية مستقرة بارتفاع حوالي عشرة أمتار على قاع نهر « لمبانج » . . وكلها تتناثر بشكل منتظم على صفحة الماء ، وان كانت تتباين اتساعاً وحجماً ، كما أن منها ما يتسم بالبساطة والنظافة الواضحة ، وما يتميز بالفخامة والأناقة والثراء بالديكورات والزخارف والألوان . . ولكنها كلها بعيدة تماماً عن أكواخ الصفيح التي قد يتخيلها البعض ، فهي أكواخ من خشب صلب ، ترتفع فوق هاماتها « ابريالات » التليفزيون الملون الذي لا يكاد يخلو منه كوخ واحد ، وتطل من بين جنباتها ونوافذها أجهزة تكييف الهواء . أما الانتقال بين البيوت العائمة أو بينها وبين العاصمة في الجانب الآخر من النهر ، فيتم في زوارق بخارية هي « تاكسيات بالانهار » تمخر الماء في سرعة مثيرة يسابق بعضها بعضاً ، فترسم خطوطاً فضية من الموج المتلاحق على صفحة المياه الزرقاء الممتدة . . بينما صيادو الأسماك في قواربهم يلقون بشباكهم يغترفون بها صيداً حلالاً ، تزخر به بعد ذلك جنبات سوق السمك في وسط المدينة وفي أهم شوارعها .

واذا كانت مياه النهر تطوق مساكن القرية ومعابرها ، إلا انك إذا أرسلت البصر فيما وراء القرية ، ستجد خلفها أروع مشهد من مواكب الخضرة والجمال . . لوحة رائعة على سفح التل الذي تغطيه أشجار الغابة وتتخللها معابر تبدو كخيوط العنكبوت .

هنا . . وبين أكواخ القرية العائمة ـ قامت ذات يوم بعيد مخابيء القراصنة . ففي أواسط القرن السادس عشر أقيم في هذا المنحنى الحاد من مجرى النهر أول كوخ خشبي كان هو النواة « لكومبانج آير » قرية الماء الشهيرة التي شيدها الهاربون من السفن الحربية الأسبانية ، فقد صادفوا فيها مأوى ملائماً لاستقرارهم في تلك البقعة المثالية التي تحتضنها التلال من الجانبين . ومن هذه المخابيء التي أسسها الهاربون وروّجوا فيها تجارة مزدهرة ، شهدت بروناي فترة طويلة من الازدهار وغدت سوقا لبضائع القراصنة وملجأ ووكرا لهم . وكانت الأساطيل والقوافل البحرية الصغيرة من القوارب الطويلة التي يحمل كل منها أربعين مسلحاً تنقض فجأة على السفن التجارية التي تجرؤ على الاقتراب من مداخل النهر . ويعود القراصنة بثعابين الكوبرا والفلفل وجوز الطيب ، وفي بعض الأحيان يظفرون بأسيرات من النساء والفتيات يكلفن بالعمل اليومي داخل أكواخ القرية . . ويتخذن وسيلة لإيناس القراصنة ولياليهم الصاخبة الماجنة .

الأستانة « نور الايمان » :

مع آخر منحنى من منحنيات النهر ، وبعد آخر كوخ من أكواخ كومبانج آير ، وعلى قمة أحد التلال الذي يبعد عن العاصمة بحوالي خمسة كيلومترات ، وفي بقعة كانت تأوى اليها الحيوانات المفترسة قبل سنوات . . يشمخ على جانب النهر قصر السلطان ، الأستانة نور الايمان .

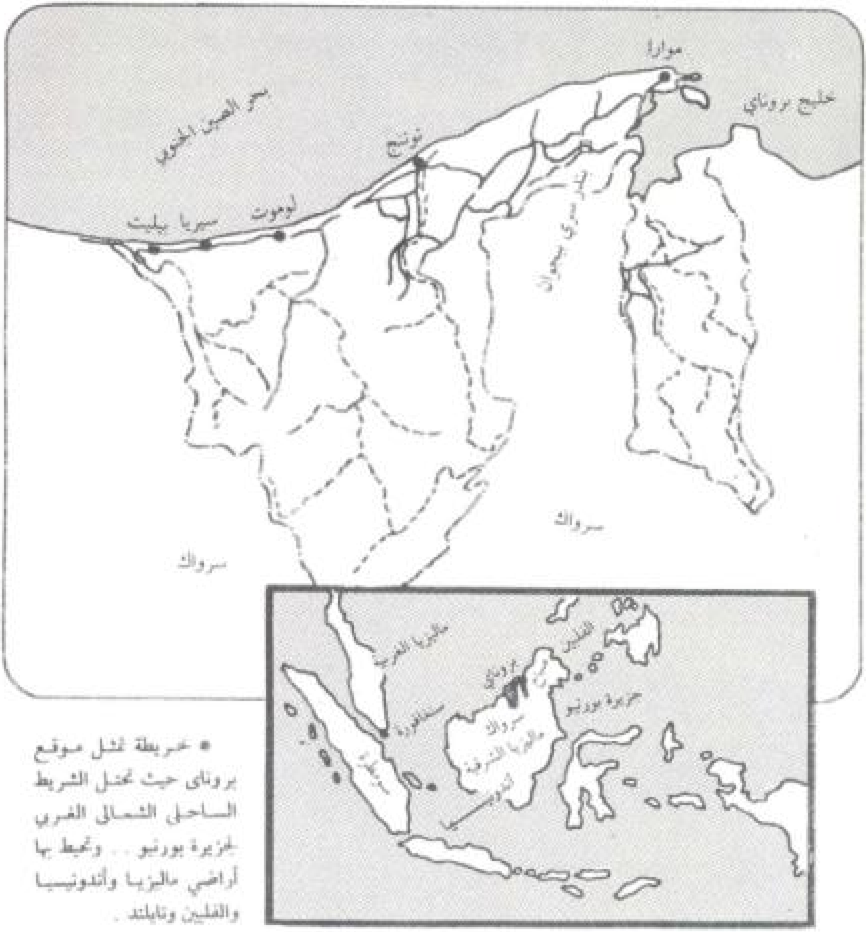

● خريطة تمثل موقع بروناي حيث تحتل الشريط الساحلي الشمالي الغربي لجزيرة بورنيو .. وتحيط بها أراضي ماليزيا واندونيسيا والفلبين وتايلند .

وعلى صفحة الماء وفي الزورق البخاري نطوف لنشهد المعالم الرائعة للقصر المتلقى على امتداد حوالي ٢٠٠ هكتار من الأرض على شاطىء النهر .. بينما مدخله الرئيسي يطل على الطريق الموازي من الجانب الآخر ، يحيط به ١٢٠ هكتاراً من الحدائق الزاهية الألوان دائمة الخضرة .

المبنى تحفة فنية رائعة .. بالغ الفخامة مهيب المنظر .. زاخر الترف بقبابه وأبراجه الذهبية المتلألئة ...

الذين دعوا الى القصر خلال احتفالات يوم الاستقلال في ليلة الأول من يناير ١٩٨٤ يقولون ان أروقة القصر تمتد تحت الأرض على مدى أربعة كيلومترات ، وتفضي الى موقف يتسع لأكثر من ٨٠٠ سيارة منها مائة موقف تتسع لسيارات السلطان وأسرته .. بالاضافة الى اسطبلات الخيول المجهزة كلها بمكيفات الهواء . والمبنى يضم أربعة مجمعات تتصل فيما بينها بأنابيب تكييف مركزي يصل طولها الاجمالي الى حوالي أربعة كيلومترات . وتعلو المبنى الرئيسي قبتان مجلدتان بالذهب الخالص . وحين نزل الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا ضيفاً على السلطان في

● وجهان من السوق.. العجوز تحت مظلتها تحمل معاناة السنين.. فهل تتطلع الى المستقبل ؟

● السوق الشعبي .. والفواكه الاستوائية المختلفة الاشكال والالوان والخضراوات المتنوعة تستلقي على طول الشارع الرئيسي على الجانب المطل على رافد النهر .

الأستانة الجديدة خلال احتفالات الاستقلال التي دعي اليها حوالي خمسة آلاف شخصية مرموقة من سبعين دولة . . كان يحدق بدهشة ـ وهو الذي يعيش في قصر بكنجهام ـ الى سقف غرفة العرش المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة . . من حيث تتدلى أثنتا عشرة من ثريات الكريستال الخالص حول العروش الأربعة المورقة بالذهب . . عرش السلطان وعروش ابيه وأخويه الوزراء . . وكل ثريا تزن طنين ، وكل عرش كلفته ٧٠ ألف دولار . . أي أن العروش الأربعة وحدها تطلبت ٢٨٠ ألف دولار .

حول مدى صحة هذه الأرقام سألنا الحاجي بدر الدين مدير الاعلام فقال : حتى هنا في بروناي ليس عندنا معلومات دقيقة عن عدد الغرف في القصر . لكن هناك مبالغات فيما نشر في الغرب.إذ قالوا إنه شبيه بقصور ألف ليلة وليلة . . وإن السلطان هو أغنى رجل في العالم . . . وليس هذا صحيحاً . أما عن نفقات السلطان فهو يدفعها من جيبه الخاص . . وهناك حاجز محكم بين مال الدولة والمال الخاص .

مرافقنا البروناوي من إدارة الاعلام . . « مصري ماتوسيتي » يطل مزهوا إلى القصر الفخم ، ويقول ان الأسرة الحاكمة لا تشغل من القصر إلا ربع مساحته ، بينما الباقي يتألف من مركز إداري ومنشآت عامة لخدمة البروناويين . وهو يعبر عن زهوه بالقول:إن الأستانة الجديدة هي رمز رفاهية السلطنة وازدهارها . ودليل هذا الازدهار ان القصر إذا كان بناؤه قد تكلف حوالي ٣٥٠ مليون دولار أمريكي ، فان تأثيثه قد تطلب حوالي بليون دولار أمريكي ، ويقول مؤكداً:أن البروناويين لا يجدون غضاضة في تحمل الدولة عبء إنشاء مثل هذا المبنى ما دام يرمز الى استقلال السلطنة . . . وما دامت الدولة قادرة على ذلك . . وما دام الناس يشعرون بالسعادة والرضا وهم يمارسون حياة كل يوم . .

الناس والحيـــــاة :

ولكن . . من هم هؤلاء الناس . . في بروناي ؟ المصادر الرسمية تقول ان عددهم بلغ هذا العام ٢٢٠ الف نسمة أغلبهم من الملايويين (١٣٥ ألف نسمة) يليهم الصينيون (٤٨ ألفا) ، ثم الجنسيات الأخرى (٢٢ ألفاً بينهم ٥ آلاف بريطاني و ٢٥٠٠ من الهنود والباكستانيين والفلبينيين) . أما الباقون (١٦ ألف نسمة) فمن سكان البلاد الأصليين من قبائل الكادازان والايبان والدوسون يعيشون في الغابات الداخلية الكثيفة ، وان كان التطور قد شملهم فبدأوا يشاهدون التلفزيون ، ونبذ شبابهم الملابس التقليدية وتحولوا الى القمصان والبنطلونات الجينز . ولم يصرفهم ذلك عن مطاردة الوحوش بالأبواق والسهام المسممة التي يعتصرون لها السم من لب أشجار الأيبوه ، كما لم يَثْنِهِم عن تزيين أكواخهم بجماجم الجنود اليابانيين الذين كانوا يصطادونهم وهم يحتلون بلادهم خلال الحرب العالمية الثانية . . . !

حياة الناس هنا ليست شاقة أو متزمتة طوال الوقت ، وفي بلد بترولي قليل عدد سكانه،كثيرة موارده . . فان دخل الفرد يصل الى ٢٢ الف دولار أمريكي . . . واذا قارنا ذلك بما أعلنه البنك الدولي في إحصائه السنوي هذا العام من أن أعلى نسبة لدخل الفرد في العام هو دولة الامارات (٢٤ ألف دولار) بينما تمثل الكويت المرتبة الثانية (١٩٫٦ ألف دولار) . . . والثالثة سويسرا (١٧ ألف دولار) والسابعة الولايات المتحدة (١٣ ألف دولار) . . فان هذا يعني أن بروناي تأتي بين المرتبتين الأولى والثانية ، وإذا كان الاحصاء لايشملها فلأنها لم تكن قد انضمت بعد لعضوية البنك الدولي .

المناخ الذي يعيشه الناس في بروناي استوائي ممطر ، مع ارتفاع في الرطوبة يصل الى حوالي ٧٠٪ . والأمطار غزيرة دائمة بين شهري أكتوبر ومارس مع أمطار متقطعة بقية أيام السنة . والحرارة تتراوح في الصيف بين ٢٠ و ٣٠ درجة مئوية تنخفض شتاء الى ما بين ٢٠ و ٢٥ درجة . . فهو جو معتدل لا يتسم بشدة البرودة ولا هو شديد الحرارة بشكل عام .

البيئة الطبيعية التي يعيش عليها الناس أرض سهلية في أغلبها ، تتميز بتربة حمراء غنية بأكسيد المعادن . والسهول تنحدر ببطء شمالاً نحو مياه بحر الصين يتخللها عديد من الأنهار دائمة الجريان .

أما التربة في المناطق الساحلية فتكسوها رواسب طينية مع رمال مخلوطة بالحصى . وتغطي الغابات حوالي ٧٥٪ من المساحة الكلية للبلاد وهي غابات

استوائية تختلط بها الأشجار الموسمية الدائمة الخضرة . وعلى قمم الجبال تنتصب غابات معتدلة دفيئة .. وكل ذلك يتيح الفرصة لحصول رائع من الأخشاب الصلبة والحمراء هي العماد الثاني لاقتصاد البلاد بعد النفط .

هذه الطبيعة في جوانبها المختلفة اتاحت الفرصة للعديد من الحرف المتنوعة التي كان يمتهنها السكان ، وخاصة صيد السمك في الأنهار ، وقطع الأخشاب وتصنيعها في الغابات ، والزراعة وبخاصة الأرز في المناطق الخصبة ، ورعي الماعز والأبقار في مناطق الحشائش والأشجار القصيرة ، بالاضافة الى الصناعات اليدوية الخشبية والمنسوجات والصناعات الجلدية وبخاصة بين الشباب والنساء .. ثم جدت في النهاية الصناعات المرتبطة بالنفط .

مسجد عمر علي سيف الدين :

في الليل .. كل شيء هادىء .. والطابع الاسلامي يحف بنا ونحن نخترق الشوارع الساكنة . ونرسل ابصارنا حيث الأضواء الزاهية الألوان تخترق حجب الظلمة من بعيد . وحين تقترب نجد أبصارنا تعلقت بقبة عالية تتلألأ ببريق الذهب من فوق مسجد عمر علي سيف الدين ، وتحتشد ألوان قوس قزح تضيء جدران المسجد وقبابه .. وحتى أنموذج السفينة الملكية التقليدية القديمة المستلقية الى جواره وسط مياه النهر تزهو شامخة بألوانها وفنونها وما تفيضه زخارفها من شعاع ذهبي أخاذ ..

ولا تكفي زيارة الليل لاستجلاء المعالم الكاملة لمسجد السلطان عمر علي سيف الدين ..

في صباح يوم الجمعة .. وقبل الصلاة الجامعة .. انطلقنا الى المسجد الذي يعد من أروع المساجد وأجملها في العالم الاسلامي .

بناء المسجد تتعانق فيه اللمسات الحديثة مع فنون العمارة الاسلامية بطابعها المغولي . الجدران مكسوة بالمرمر والاحجار الكريمة المجلوبة من إيطاليا .. والأعمدة الداخلية المقامة من جرانيت هونج كونج تبدو قائمة كأنها أشجار غابة في الخريف .. ولوحات النقوش البرونزية والمصنوعة في بريطانيا تضم زخارف رائعة تضفي على المكان ظلاً من القدسية السماوية .

أما المنبر فهو مثير للاعجاب ويعد من أروع المنابر في المساجد الاسلامية . ويتكون من جوسق يقف فوق ستة أعمدة خشبية غاية في الروعة ، يحمل فوقه قبتين بصليبين جلدت من الخارج بصفائح الذهب .

ولعل المئذنة من أكثر ما يلفت الأنظار في هذا المسجد وقد قامت مستقلة عن مبنى المسجد ، وتتألف من ثلاثة طوابق يتصل الأول بمبنى المسجد بوساطة ممر مسقوف . أما الجديد في المئذنة فهو ذلك المصعد الكهربائي الذي يستقله المؤذن مستغنياً به عن صعود الدرج .

الآن تعال بنا نخرج من الباب الأيسر للمسجد ، فنجد أمامنا أنموذج السفينة الملكية التقليدية المبنية بالحجر وسط النهر . السفينة تتصل بالمسجد بواسطة طريق يمثل ممراً يوصل بينهما . طريق متسع محاط بسور من الحديد الزخرفي . وتزين جوانب السفينة نقوش وزخارف تقليدية تكشف عن جمال الفن الاسلامي . حتى الجوانب الداخلية تم ترصيعها بقطع الرخام المرمري والأحجار الكريمة والفسيفساء ذات الألوان الزاهية . ويتوسط سطح السفينة إيوان منمنم يجلس فيه قارىء القرآن في المناسبات الاسلامية مثل ذكرى المولد النبوي والاسراء والمعراج ، وليالي شهر رمضان المعظم ، وخلال مسابقات حفظ القرآن الكريم .

مرافقنا أخبرنا أن بناء السفينة وزخارفها كلفتها وحدها حوالي مليون دولار أمريكي .. وأما تشييد المسجد فقد استغرق اربع سنوات من ١٩٥٤ الى ١٩٥٨ حيث افتتحه السلطان الأب عمر علي سيف الدين الحاكم الذي قاد بروناي الى عصرها الذهبي الحديث ، قبل أن يستخلف عام ١٩٦٨ ابنه السلطان مودا حسن بلقيه ، آخذاً عليه العهد أن توجه كل خيرات البلاد وثروتها الى خدمة الاسلام ولنشر عقيدته .

السلطان السابق عمر علي سيف الدين يحضر كل اسبوع صلاة الجمعة ومعه أبناؤه .. ويستقبله المصلون كما شاهدنا بحفاوة بالغة .. لا تقل عن حفاوتهم بالسلطان مودا حسن وهو يدخل المسجد للصلاة .

ابو النهضـة الحديثـة :

والحق ان السلطان عمر علي سيف الدين يضعه البروناويون موضع الأبوة لنهضتهم فقد حمل على كاهله عبء مواجهة التحديات . فمنذ توليه السلطنة في عام ١٩٥٠ بدأ بتنفيذ الخطة الخمسية الأولى مستهدفاً التطوير وتسخير كل الطاقات في الميدان الاقتصادي . وقد اهتم بالطرق وتطوير وسائل الانتقال . . وأبرز مثال على ذلك الطريق الطويل الممتد من بندر سري بيجوان الى كوالا بليت - المدينة النفطية الرئيسية . وفي عهده بدأت الخدمات الصحية تأخذ مكانها لرفع المستوى الصحي لأبناء الشعب . وأقيمت المدارس في مختلف أنحاء البلاد . . ولم تكن جهود السلطان في ذلك الميدان بأقل من جهوده في ميدان الشئون السياسية . فقد شكل مجلساً استشارياً يضم الشخصيات العامة ، ووضع دستوراً للبلاد هو أول دستور مكتوب تم إعلانه في ٢٩ سبتمبر ١٩٥٩ .

تضمن الدستور عدة أمور مهمة حول نظام الحكم في الدولة . وأنشئت ثلاثة مجالس ، أولها المجلس الملكي (مجلس البلاط) وثانيها مجلس الوزراء ، وثالثها مجلس الدولة . ونص الدستور على الغاء وظيفة المقيم البريطاني وحل محله المندوب السامي البريطاني . كما منح الدستور لبروناي حكماً ذاتياً داخلياً بينما ظلت الشئون الخارجية والدفاع تحت مسئولية انجلترا . وكان واضحاً أن الدستور يهدف الى السير بالبلاد على طريق الديمقراطية .

وفي عام ١٩٥٦ سجل أول حزب سياسي اتخذ له اسم حزب الشعب . وتبعه بعد ذلك تكوين الحزب الوطني وحزب الاتحاد وان حالت الظروف دون قيامها بمهامها . . وقد ارتطمت النهضة السياسية بالدعوة الى قيام اتحاد ماليزيا الذي اقترحه تنكو عبد الرحمن رئيس الوزراء الفيدرالي في الملايو . ودعيت بروناي للانضمام الى عضوية الاتحاد ومعها سنغافورة وسرواك وصباح . ورغم اقتناع بروناي بتأسيس الاتحاد ومبادئه ، الا أن الأمر كان يحتاج لمزيد من الوقت لدراسة فوائد هذا الانضمام الى الاتحاد .

وعندما استؤنفت المفاوضات لانضمام بروناي الى اتحاد ماليزيا جرت مناقشات عديدة بين المتفاوضين في كوالا لامبور واستمرت في لندن عام ١٩٦٣ . وخلال كل هذه المفاوضات بدا واضحاً أن الجانبين قد فشلا في الوصول الى حل للموقف . وعندما أعلن اتحاد ماليزيا في النهاية في سبتمبر ١٩٦٣ لم تنضم بروناي الى الاتحاد .

وفي الأعوام التالية واصلت بروناي مسيرة النمو والثراء ، وزيادة الدخل القومي ، وخاصة بعد أن اكتشف النفط في أعماق البحر قرب الشاطيء عام ١٩٦٠ .

وفي عام ١٩٦٧ أعلن السلطان عمر سيف الدين فجأة تنازله عن العرش ليتولى من بعده ولده السلطان حسن بلقيه الذي أصبح بذلك السلطان التاسع والعشرين لبروناي . .

ولم تمض ثلاث سنوات حتى كانت انجلترا قد قررت سحب قواتها شرقي قناة السويس . وكان لذلك أثره على بروناي حيث عقدت عام ١٩٧١ اتفاقية جديدة مع بريطانيا لتؤكد لبروناي استقلالها بشئونها الداخلية ، على أن يستمر إشراف بريطانيا على الشئون الخارجية والمشاركة في مسئولية الشئون الدفاعية ، ومنذ ذلك الوقت تحول المندوب السامي البريطاني ليصبح ممثل الملكة في بروناي . وفي عام ١٩٧٨ وقعت اتفاقية صداقة وتعاون نصت على أن تسترد بروناي استقلالها الكامل في أول يناير ١٩٨٤ .

وكانت فسحة السنوات الخمس كافية لبذل المزيد من الجهد والعمل والتحدي والاعداد ، لهذا لم يكن الاستقلال بحد ذاته حدثاً مفاجئاً بالنسبة لتيار الحياة في الدولة إذ استمر إيقاع العمل وإن كان قد بدأ يتزايد عما كان عليه من قبل ، وذلك كي تحقق الحكومة ما تأمل في إنجازه ، خاصة وأن الاستقلال قد تم في ظروف سياسية هادئة . . وهكذا بعد ٩٥ سنة انحسر ظل الانجليز وأعلنت بروناي أنها دولة اسلامية مستقلة ذات سيادة . . .

وهنا لا بد من عودة الى التاريخ :

فبروناي واحدة من أقدم الممالك الماليوية الاسلامية . . وتشير الآثار التاريخية المتبقية الى أن جذورها تمتد الى أواخر القرن الرابع عشر عندما اعتنق حاكم الامارة « أوانج الان بتاتار » الاسلام

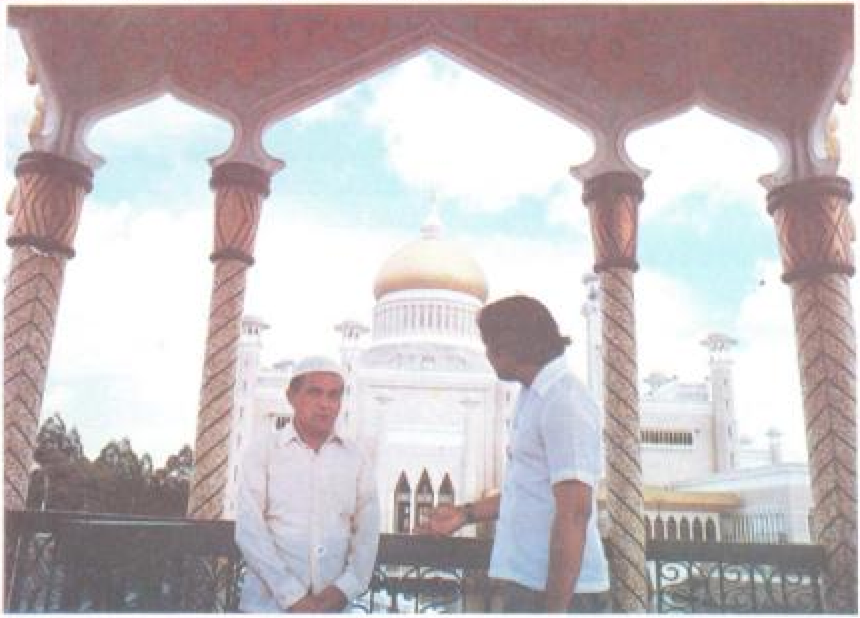

● من خلف أعمدة الايوان في وسط السفينة الملكية التقليدية .. يبدو المسجد بقبته الذهبية ومآذنه الأربع آية من آيات الفن المعماري الرفيع .

● المصلون الصغار يفترشون سجاد الصلاة في فناء المسجد قبل صلاة الجمعة تأهبا لأداء الفريضة

وسمى نفسه السلطان محمد شاه الأول ، بعد أن قام بزيارة لمملكة ملقا لزيارة السلطان المسلم ، حيث اقتنع بالاسلام ودخل فيه ، ومنذ ذلك الوقت تولى الحكم ٢٩ سلطاناً . وقد تأصلت جذور الاسلام في بروناي عندما وفد من الطائف الشريف علي من نسل الامام حسن بن علي ، واستقبله السلطان استقبالا حسناً . ومن ثم انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في مدة قصيرة ، فارتضاه واعتنقه معظم أبناء البلاد ، حتى أصبحت بروناي دولة إسلامية بعد ذلك . وتزوج « الشريف علي » من ابنة السلطان أحمد ، وأصبح بعد ذلك السلطان الثالث لبروناي باسم السلطان بركات . وحكم السلطان بركات البلاد حسب مبادىء الشريعة الاسلامية . . وكان هو وراء قيام مملكة (كوتا باتو) . .

بلغت شهرة بروناي أوجها خلال حكم السلطان البلقية الذي كان يعرف أيضاً باسم « ناخودا راجام » أو « القبطان الطروب » .

فقد كان يحلو له أن يتجول براً وبحراً بين المناطق التابعة له وهو ينثر قبضات الفلفل في كل مكان يزوره . وتعتبر فترة حكمه العصر الذهبي لامبراطورية بروناي التي اتسعت لتشمل كل جزيرة بورنيو وحتى جزر سولو في الفلبين . ولا يزال قبر السلطان البلقية قائماً في كوتا باتو العاصمة القديمة لمملكة بروناي . . . . . .

ولكن في عام ١٥١١ وقعت مملكة ملقا في أيدي البرتغاليين ، وخلق ذلك تطوراً في مملكة بروناي التي حلت محل ملقا كمركز لانتشار الاسلام والتجارة في شبه جزيرة الملايو .

وفي بواكير القرن ١٩ بسطت القوى الاستعمارية الأوروبية نفوذها في المنطقة كلها . . فسيطرت هولندا على الجزر الأندونيسية . . واحتلت بريطانيا بورما والملايو . واستولت فرنسا على الهند الصينية . . . .

فهناك في إقليم سرواك عقد جيمس بروك علاقة صداقة حميمة مع مودا هاشم عم السلطان عمر علي سيف الدين الثاني . وكان مودا هاشم قد ارسل من قبل السلطان لمساعدة أندبرا ماكوتا شاهبندر محمد صالح حاكم اقليم سرواك لإقرار الأمن في منطقته المضطربة ، وطلب مودا هاشم مساعدة بروك للقضاء على الاضطرابات في سرواك ، ومقابل هذه المساعدة تلقى بروك وعداً بمنحه قطعة من الأرض ، وعندما تم القضاء على الفتنة بدأ بروك يطالب بانجاز الوعد ، وعندما بدأ مودا هاشم يراوغه ويحاول التخلص من وعده ، لجأ بروك الى التلويح بقوته العسكرية ، واضطر مودا هاشم الى تنصيب بروك حاكماً على اقليم سرواك .

ولم تلق هذه التولية اقتناعاً أو ترحيباً من الحاكم الشهبندر محمد صالح والمسئولين في بروناي ، وانسحب محمد صالح عائداً الى بروناي،ولم تمض سنوات قليلة حتى كان مودا هاشم قد قتل مع أسرته على يد مجموعة من المناهضين لبروك . .

وأثار مصرع مودا هاشم غضب بروك حاكم سرواك الانجليزي . وأبحر على رأس مجموعة من سفنه الحربية الى بروناي للانتقام لصديقه . وسقطت بروناي بسهولة في يوليو ١٨٤٦ . ومنذ تلك اللحظة بدأ بروك يتخذ موقفاً عدوانياً من بروناي ، وبدأت سرواك تنسلخ تدريجياً عن السلطنة . .

وفي ديسمبر ١٨٤٦ أرغمت بروناي بالقوة على تسليم جزيرة لابوان للحكومة الانجليزية ، لتصبح مركز اتصالات للسفن التجارية الانجليزية التي تستخدم الطريق الهندي الصيني . . . .

وفي عام ١٨٥٣ اقتطعت مناطق جديدة لتصبح ضمن نطاق سرواك . واستمر ذلك الاقتطاع حتى عام ١٨٦١

وعندما اعتزل جيمس بروك أصبح ابن عمه شارلس « الراجا الأبيض الثاني » وكان أشد حقداً على بروناي . وخلال حكمه اتسعت حدود سرواك كثيرا على حساب بروناي . . .

وبينما كانت سرواك مشغولة بتوسيع أراضيها في المناطق الغربية من بروناي . كانت شركة بورنيو الشمالية تمارس الشيء نفسه في سلخ المناطق الشرقية ، فسلبت مقاطعات أخرى لتنضم الى بورنيو الشمالية (صباح الآن) وظل ذلك الاقتطاع يتواصل حتى عام ١٩٠١ في ظل الحماية البريطانية . . .

فقد حدث في عام ١٨٨٨ أن وقعت اتفاقية بين السلطان « هاشم جليل أقوم الدين»والحكومة البريطانية أصبحت بروناي بموجبها محمية بريطانية .

وكان السلطان يحكم الدولة في ظل حماية بريطانيا التي لم تكن تتدخل في الشئون الداخلية ، بينما الشئون الخارجية والمالية تحت إمرتها ، وبهذا أصبحت بروناي تحكم حكماً داخلياً ذاتياً . وعلى أي الحالات فإن بريطانيا لم تمنع سرواك وبورنيو الشمالية من التوسع على حساب الأراضي البروناوية بينما ظلت تخادع بأنها تحمي بروناي . . . .

في ذلك الوقت كانت بروناي تملك معيناً مهماً هو النفط . فقد جرى البحث عن النفط في بيرامبانج وجيرودنج وتوتنج ولابي في بدايات القرن العشرين . واستمرت الجهود بلا نتيجة حتى جاء عام ١٩٢٩ حين انبثق النفط من حقول سيريا . وبدأ التحول الخطير في حياة بروناي ونهضتها . . .

ومع ذلك فعندما قامت حرب الباسفيك احتل اليابانيون بروناي من ١٩٤١ حتى ١٩٤٥ . وجلبت الحرب صعوبات كثيرة للشعب . وتوقف إنتاج النفط . . . .

ومع أول العام المنصرم كانت بروناي قد نالت استقلالها الكامل واستأنفت مرحلة جديدة لمواجهة تحديات ما بعد الاستقلال . . . . . .

مواجهـــة التحديـــات :

التحديات التي تواجهها سلطنة بروناوي كثيرة ومتشعبة . . ويضرب بعضهـا بعمق في الماضي البعيد . . .

التفاصيل تتبينها من خلال ما شاهدناه من أحداث حياة كل يوم ، وما عرفناه ممن التقيناهم من المسئولين وأبناء الشعب ، وما تلقيناه من مدير الاعلام حين سألناه عن هذه التحديات .

لعل أبرز التحديات برزت مع القرن السادس عشر حين هبط الأسبان وبعثاتهم التبشيرية الى جزر الفلبين . لقد بذلت جهود كبيرة لمحاولة نشر المسيحية والامتداد بها لتشمل بروناي التي كانت تضم جزيرة بورنيو كلها . . وقد حاول الأسبان احتلال البلاد أكثر من مرة لنشر المسيحية . . لولا أن واجهتهم مقاومة عنيفة من جانب السلطان وكبار رجال الدولة وأبناء الشعب الذين كانت روحهم الدينية الاسلامية تشد أزرهم وتلهب ذودهم عن الوطن والدين والحرية ، ولولا عنف هذه المقاومة ونجاحها في تلك الفترة لكانت بروناي الآن قرينة الفلبين دولة مسيحية . . .

ولا شك أن أخطر التحديات في تاريخ بروناي ذلك الانتقاص والاقتطاع المستمر من أراضيها خلال فترة السيطرة الاستعمارية البريطانية حين كانت أراضي الدولة تقتطع منها عنوة وبالقوة العسكرية ، حتى لم يعد لبروناي من أراضيها في جزيرة بورنيو كلها إلا هذا الشريط الساحلي الصغير في الركن الشمالي الغربي من الجزيرة . . . وكان من الممكن أن يقضى نهائيا على السلطنة لولا صلابة أهلها ومضاء عزيمتهم في استبقائها دولة ذات كيان وشعب قائم بذاته وسلطانه وعقيدته .

ولعل من أبرز التحديات التي واجهتها بروناي في عصرها الحديث ذلك الجهد المكثف لتكوين جيش من أبنائها بعد أن كانت الحماية البريطانية تغل يدها عن تكوين مثل هذا الجيش او تدريب أبناء الشعب على وسائل الدفاع أو التطوير العسكري . . حتى ان الدولة حين تأهبت لمواجهة مرحلة الاستقلال لم تجد لديها امكانات للدفاع عن نفسها مما اضطرها الى إعادة توزيع العسكريين الهنود (الجرخاز) تحت إمرة الضباط البريطانيين لحراسة التجهيزات الحساسة للنفط والغاز الطبيعي ، ودفعت عن طيب خاطر تكاليف خدماتهم حتى يتم إعداد جيش وطني . وحين رغب السلطان أن تظل قوات الجرخاز في بروناي تحت إمرته شخصياً بعد الاستقلال رفضت بريطانيا ذلك رغم جولات التفاوض التي استمرت حتى عام ١٩٨٣ مما أدى الى إحجام أعضاء الحكومة البروناوية جميعهم عن توديع المندوب السامي البريطاني لدى مغادرته السلطنة بعد انتهاء مهمته . . فبارحها ساخطاً مغضباً وتكللت جهود بروناي بالنجاح في مواجهة هذا التحدي حين اتجه السلطان الى بناء وتدريب جيش قوي يتكون من ٣٥٠٠ رجل مدربين تدريباً متقدماً ومسلحين بأحدث الأسلحة من معدات ودبابات وطائرات تحت القيادة الوطنية .

هناك تحديات من نوع آخر : تعانيها بروناي من أكبر الأقليات في البلاد . . وأعني الصينيين .

فالأصول الصينية تشكل أكثر من ٢٣٪ أي حوالي

* الأيدي المدربة في مركز تدريب الفنون والصناعات اليدوية تستهدف المحافظة على التراث الفني من المشغولات الخشبية والمنسوجات والصناعات الفضية والمعدنية وأغطية الرأس والتطريز .

* تشارك المرأة الرجل في مهام الشرطة والأمن وتلعب دورا كبيرا في جميع مجالات الحياة .

* في المدرسه الدينية العربية للبنات تدرس المواد الدينية باللغة العربية .

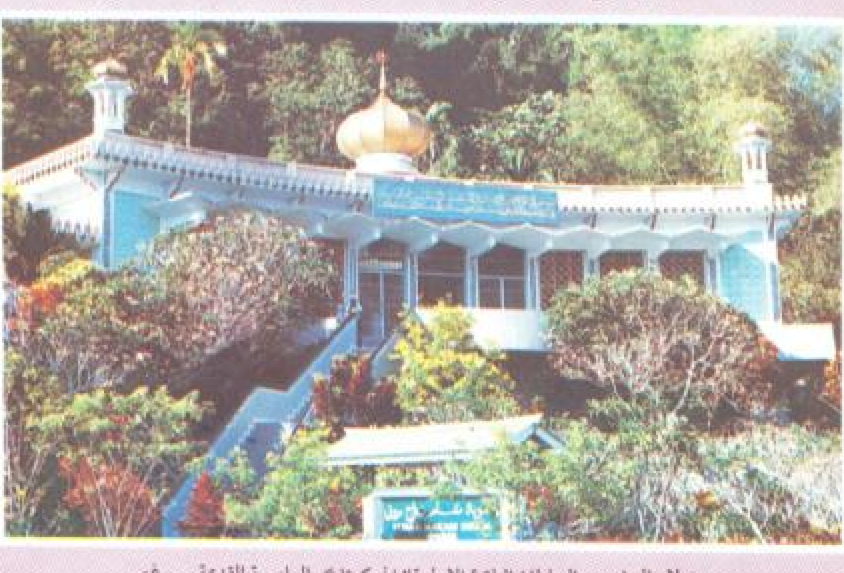

* لايزال ضريح السلطان البلقية الاول قائما في كوتاباتو العاصمة القديمة .. غير بعيد عن مدافن السلاطين ، تتصدرها لافتة تقول « قبة مقام دراج بروني » .

ربع عدد السكان بينما الجنس الملايوي يشكل ٦٥٪ بخلاف السكان الأصليين للجزيرة والذين يمثلون ٦٫٣٪ بالاضافة الى ١٫٦٪ من الهنود والباكستانيين والسيلانيين و ٣٫٢٪ من الجنسيات المختلفة الأخرى .

الصينيون اذن هم أكبر الأقليات بعد الجنس الملايوي وهم دائمو المطالبة بالحصول على الجنسية ، وقد استشعروا القلق عندما تكررت مطالبتهم بالتجنيس فووجهوا بعقبات وشروط يصعب معها حصولهم على الجنسية .

وتبدو هذه المشكلة واضحة من هذه الفئة ذاتها والتي تتركز في القطاعات التجارية وقطاعات الخدمات . ولحساسية المشكلة أعلنت الحكومة أنها تمنح الجنسية لمن يستحق منهم على أن تتوافر الشروط ، وأول هذه الشروط هو تعلم اللغة الملايوية وهي اللغة الرسمية . فالذي يريد الحصول على الجنسية ينبغي عليه أن يتقن اللغة القومية للبلاد لأن جهله بها يعني استهانته بالاندماج بالشعب والعيش معه طوال حياته . والشرط الثاني هو قضاء ٢٥ سنة متتالية في البلاد ، وأن تكون لدى طالب الجنسية القدرة على التلاؤم مع البروناويين وقبول تقاليدهم وعاداتهم ، ثم أن تكون هناك حاجة قومية الى العمل الذي يؤديه . . .

هناك محاولات أخرى لترضية الصينيين ، ومن بين هذه المحاولات أنهم وكل اليهم تشييد مبنى المجلس الاسلامي الأعلى ومقر الشئون الدينية بجوار مسجد عمر علي سيف الدين . وكان ذلك بهدف إشعارهم أن المسلمين الملايويين لا يستغنون عن خدماتهم ومساهماتهم حتى في أعز ما يهتمون به ، كما لا يحملون أي تعصب من أي نوع تجاه العقائد الأخرى ، فالتسامح هو الأساس للعلاقات بين مختلف الفئات والأجناس في البلاد . ومما يطمئن الصينيين أكثر ، تلك العلاقة الوطيدة للسلطان البلقية مع سنغافورة ذات الأغلبية الصينية . ولأن السلطان يعرف مدى أهميتهم للاقتصاد فقد أكد لهم بنفسه ـ وخاصة لمن يمتلكون أعمالاً خاصة وممتلكات في القطاع الخاص ـ بأن أعمالهم لن تتأثر بالسياسة الاقتصادية والمالية الحالية . .

وكانت هناك تحديات أخرى في مجال السياسة الداخلية ما تزال آثارها باقية حتى الآن . .

الثــــورة الشعبيــــة :

بداية هذا التحدي كانت بعد اعلان الدستور وتصميم بريطانيا في اتفاقها مع السلطان على استمرار سيطرتها على شئون البلاد الخارجية وعلى الدفاع . .

وقد جرت الانتخابات على أساس الدستور الجديد عام ١٩٦٢ لتشكيل المجلس التشريعي والحكومة التنفيذية . وفاز حزب الشعب البروناوي بقيادة « الأزهري » ـ وكان الانجليز يتهمونه باليسارية ـ بجميع مقاعد المجلس ، ولكن الانجليز دفعوا السلطان الى منعه من تشكيل الحكومة ومن التمثيل النيابي في المجلس التشريعي .

وزاد الطين بلة أن انجلترا كانت قد أعلنت في ذلك الوقت عن مشروع بضم بروناي الى اتحاد ماليزيا . وهنا قاد الأزهري ثورة شعبية تعبيراً عن رفض هذا المشروع . وكان من أهداف الحركة أيضاً رفض بقاء القوات البريطانية .

وتم قمع الحركة الشعبية بالتعاون بين القوات البريطانية والسلطان . وأعلنت حالة الطوارىء ومنع حزب الشعب من ممارسة نشاطاته . وتم القبض على قادة الحركة وألقى بهم في السجون . ونفى الباقون الى خارج البلاد كما لجأ بعضهم الآخر الى ماليزيا . . .

ومنذ عام ١٩٦٢ والسلطان يحكم دون العودة الى مجلس تشريعي منتخب اكتفاء بمجلس استشاري يعين بنفسه أعضاءه ويجتمع مرة واحدة كل عام .

والغريب أنه لم يمض عام واحد على تلك الحركة التي بدأت برفض الانضمام لاتحاد ماليزيا . . حتى كان السلطان نفسه قد أعلن هو الآخر رفضه الانضمام الى الاتحاد . .

ومع هذا ففي عام ١٩٧٥ عندما أصدرت الأمم المتحدة قراراً بانسحاب القوات البريطانية من بروناي ، تضمن القرار عودة المنفيين السياسيين واجراء انتخابات حرة . وإذا كان قد تم الافراج عن عدد من المعتقلين الا أن العديد من المنفيين الذين اشتركوا في ثورة ١٩٦٢ ظلوا في السجن حتى عام ١٩٧٧ ، كما توترت العلاقات مع ماليزيا بسبب مساعدتها لأعضاء حزب الشعب المنفيين . . ومنذ

فشل الثورة منعت جميع الأحزاب من ممارسة نشاطاتها ، ولكن ما يزال حزب واحد يمارس نشاطاته في المنفى وهو حزب جبهة الاستقلال الشعبيةالبروناوية بقيادة زين العابدين .

الدعايات الكاذبة :

وثمة تحديات أخرى لها أهميتها تواجهها بروناي مع نزعتها الشديدة الى تأكيد طبيعتها الاسلامية والحفاظ على عقيدتها دون أن يصرفها ذلك عن الاتصال بالعالم الخارجي،والاستفادة من التجارب العديدة الناجحة في الدول المتقدمة . . .

ولعل ذلك مما جلب عليها تلك الحملة الضارية من الإعلام الغربي مع بداية الاستقلال حين أعلنت قيامها « دولة مستقلة باسم بروناي دار السلام تظل الى الأبد مملكة ملاوية مسلمة ديمقراطية وذات سيادة طبقاً لتعاليم الاسلام » فقد كان ذلك البيان الحاسم سبباً للمؤامرة الصهيونية البريطانية حين وزعت المنشورات والدعايات الكاذبة منسوبة الى حكومة بروناي .. وكما يقول مدير الاعلام : ان الحملة بدأت في إحدى الصحف اللبنانية الكتائبية بينما لبنان تحت الاحتلال الاسرائيلي ، لدفع الفلسطينيين وأهالي الجنوب اللبناني إلى النزوح عن وطنهم . فادعت هذه الاعلانات أن بروناي مفتوحة الأبواب للهجرة وانها تمنح القادمين اليها الجنسية مع مرتبات تصل الى ٢٤ ألف دولار .. وبلغت الحملة أشدها حين استغلت أيضاً للتشويش على بروناي الاسلامية بأنها ترفض وتطرد آلاف النازحين اليها للعمل ولا تسمح لهم بالدخول .

يقول مدير الاعلام :

لقد قرأت بنفسي صيغة هذه الحملات كما اطلعت على آلاف طلبات العمل التي تلقتها الحكومة .. ولكن الحقيقة هي أن بروناي لم تنشر ولا تعرف شيئاً عن هذه الادعاءات ولا دخل لها في كل ما نشر عن استعدادها لاستقبال المهاجرين من كل جنس دون تفرقة بين اللون والجنسية . . .

وللحقيقة أيضاً فان بروناي ليست في حاجة الى أي عمالة وافدة .. ولو كنا بحاجة الى الأيدي العاملة حقاً لكنا استعنا بمن هم أحق من جيراننا الذين يعانون كثرة الأيدي العاملة العاطلة مع ضآلة تكاليفها ، وخاصة انهم يتكلمون لغتنا الوطنية الملايوية ويعرفون الانجليزية مما يكفل لهم التوافق معنا وسلاسة الأداء للعمل في المرافق التي قد نحتاج اليهم .. هل يمكن أن نترك هؤلاء حين الحاجة ونلجأ الى أفراد آخرين من أي جهات أخرى يجهلون لغتنا ولا يعرفون تقاليد شعبنا ولا يسهل عليهم الاندماج والتأقلم مع أبنائنا ؟ . في الواقع أنه لم يكن يسعنا لمواجهة هذه الحملة ومواجهة آلاف القادمين الذين وصلوا الى مطار بندرسري بيجوان أو الذين اتجهوا الى سفاراتنا في سنغافورة وماليزيا للحصول على تأشيرة دخول الا أن نصدر بياناً يعلن « أن دائرة الهجرة لن تمنح التأشيرات لأولئك الذين يريدون العمل في نيجارا بروناي دار السلام دون الموافقة المسبقة على إجازات العمل ونخطركم أيضاً بأن جميع طلبات تأشيرات العمل يجب أن تصدر عن الموظفين المقيمين الذين بحوزتهم إجازات مرخصة من وزارة العمل البروناوية »

البحث عن الخبرات :

نسأل مدير الاعلام :

ـ وهل ينطبق هذا على الخبرات المطلوبة في أي مجال من مجالات العمل ؟

ـ لو كان هناك نقص في الخبرات أو احتيج الى موظفين في المناصب الحكومية ، فإننا ننشر اعلانات في الصحف العالمية نطلب من أصحاب هذه الخبرات تقديم طلباتهم . .

ـ هل لديكم أي عربي في أي من المناصب الحكومية حالياً ؟

ـ لا يوجد .

ـ حتى لو كانت الخطط الخمسية في حاجة الى أعمال جديدة ؟

ـ سأقول لك .. نحن في حاجة الى أطباء مثلاً .. ونشرنا الاعلان في بريطانيا وفي الصحف الأوربية .. ولكن أحداً من العرب المسلمين لم يتقدم ضمن من تقدموا .. ولو تقدم أي منهم كان من الممكن أن يدرس طلبه حسب خبراته ومؤهلاته . .

ـ ولكن الاعلان لم ينشر في الدول العربية ؟

● شباك الصيد يلقيها الصيادون لصيد حلال .. وكان الصيد هو الصناعة الرئيسية للأهالي قبل النفط ، وتبذل محاولات لانعاش الصيد بالسنارة والشباك .

ـ نحن لا ننشر اعلانات لطلب الوظائف في الصحف العربية ، ولكن بعد أن تكون لدينا اتصالات دبلوماسية واسعة مع الدول العربية يمكن أن ننشر الاعلان في الصحف العربية ..

ـ هل هناك حاجة الى الأطباء فقط ؟

ـ الواقع أننا كنا في حاجة الى مدرسين .. ولكن المدرسين المطلوبين يجب أن يدرسوا باللغة الانجليزية واللغة الملايوية وهي لغة التدريس الرئيسية في المدارس ..

ـ ولكن عندكم مدارس عربية اسلامية ..

ـ المدارس العربية الدينية محدودة ويكفيها المدرسون الخريجون من أبناء البلاد . ولكن هذا لا يمنع اننا كنا في حاجة الى أربعة مدرسين للغة العربية وقد تم اختيارهم من خلال الاتصالات الحكومية مع الأزهر الشريف ، وعلى أي الحالات فان شغل مثل هذه الشواغر في المدرسين يتم عن طريق الاتفاق مع الحكومات ....

ـ وهل وصل المدرسون الأزهريون المطلوبون ؟

ـ ننتظر وصولهم هذا العام بعد أن وافق الأزهر على اعارتهم ..

الواقع أن هناك صلات وثيقة بين بروناي والأزهر ، وهناك عدد كبير من أبناء البلاد ممن يشغلون أهم المناصب في الدولة ولا يقلون عن سبعين من خريجي الأزهر ..

يقول لنا مدير الاعلام وهو أيضاً حاصل على العالمية الأزهرية مع درجة الماجستير في العلوم الدينية : أجدها فرصة لأحدثكم عن سياستنا في الاستعانة بالخبراء كما كنتم تتساءلون ... فنحن نختط طريقة نراها أصلح لنا على جميع المستويات ، إذ نرسل من أبناء البلاد بعثات ممن يراد لهم التخصص في أي مجال من المجالات ... يدرس ويعود إلينا حاملا الخبرة والتخصص الذي نريده ، ولا شك أنه سيكون أقدر على العطاء لأبناء بلده وهو الأدرى بلغته القومية وحياة مجتمعه .. وبذلك يستطيع أن يعطينا أكثر مما لو استقدمنا أحداً من الخارج لا يعرف لغتنا ويشق عليه التعايش مع مجتمعنا ....

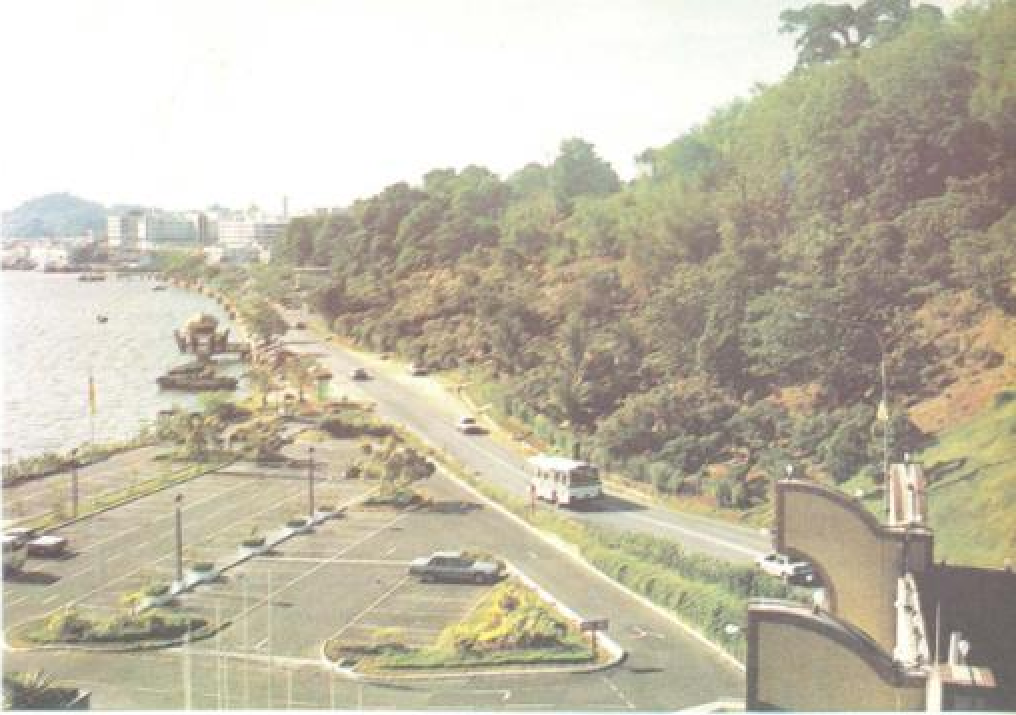

● الى سيريا . . المركز الرئيسي لاستخراج وانتاج وتصنيع البترول . .
والطريق منبسط ممتد بين سفوح التلال الخضراء والمجرى الهادىء لنهر لمبانج .

اقتصـــاديات ثابتـــة :

ولكن ماذا عن اقتصاديات بروناي . . . . ؟

لعل أبرز القطاعات وأهمها هو النفط والغاز الطبيعي . .

فلننطلق الى سيريا . . . وبيليت .

هنا المركز الرئيسي للاستخراج والانتاج والتصنيع للبترول والغاز الطبيعي الذي يقوم عليه اقتصاد البلاد وثراؤها .

والواقع أن ازدهار بروناي دار السلام يرتبط بالنفط والغاز الطبيعي المسيّل،وهذا كله يشكل ٩٨٪ من مجموع صادرات البلاد التي بلغت عام ٨٤ أربعة بليارات من الدولارات وتمثل ٨٠٪ من خالص الانتاج القومي .

وهناك طابعان رئيسيان يميزان سياسة بروناي البترولية . . الطابع الأول العمل منذ بداية عام ١٩٨٥ على تخفيض الانتاج حين صدر قرار أخيرا بتخفيض الانتاج من حوالي ٢٥٠ ألف برميل يومياً الى حوالي ١٥٠ ألف يومياً ، حفاظاً على مخزون البترول واحتياطيه ، وكذلك الرغبة في التقليل من الاعتماد على شركة (بروني شل) للبترول ، وأيضاً لإغراء قدوم شركات بترولية أخرى تفد للتنقيب . . ويتم تصدير الانتاج كله بعد الاحتفاظ بعشرة آلاف برميل لاحتياجات السوق المحلي . .

أما الغاز الطبيعي فان شركة بروني شل تستغله وتبيعه لشركتي بروني شل للغاز الطبيعي المسيل والى جولد جاس وهي شركة تمتلكها بنسبة الثلث كل من شركة شل والسلطنة وشركة ميتسوبيشي اليابانية . .

وهناك اتفاق في عام ١٩٧٢ لمدة عشرين عاماً يكفل توريد خمسة ملايين طن من الغاز المسيل سنوياً لليابان ويبلغ الدخل الصافي للحكومة ما يعادل ٨٠٪ للضرائب وجمارك التصدير . . .

وحقول الغاز الطبيعي في سيريا تم افتتاحها عام ١٩٥٥ وكان هذا ايذاناً ببدء صناعة الغاز في بروني . وفي عام ١٩٧٨ بدأ تشغيل أضخم معمل للغاز

الطبيعي المسيل على المستوى العالمي باستخدام الغاز الطبيعي الذي يستخرج من الحقول البحرية .

التخطيط والمشاريع الجديدة :

ومع مزيد من اقتصاديات بروناي . . .

فلأن المصادر المعدنية محدودة فقد بذلت الجهود لتنويع مصادر الانتاج بخلاف النفط . .

ويتجه النشاط إلى الصناعات الخشبية والزراعة وصيد السمك وتطوير ذلك كله برغم العوائق التي تواجهها في ندرة الأيدي العاملة المتخصصة . .

ولا شك أن استغلال الأخشاب من أشجار الغابات التي تغطي حوالي ٨٠٪ من مساحة أراضي بروناي يمثل نشاطاً صناعياً كبيراً ويكفل اكتفاء ذاتياً بالأخشاب لسنوات طويلة قادمة . . .

أما صيد السمك الذي كان ذات يوم هو الصناعة الرئيسية للأهالي قبل النفط فقد اقتربت نهايته برغم أن بروناي تحقق ٧٠٪ من الاكتفاء الذاتي منه . .

أما الزراعة فهي تعاني أيضاً من قحط شديد . فالأرز والمطاط تدنى إنتاجهما كثيراً في السنوات الأخيرة لإغفالها ، وإن كانت هناك جهود من أجل اكتفاء ذاتي لمحصول الأرز تبلغ نسبته ٣٠٪ . وفي الوقت الراهن تستورد بروناي حوالي ٨٠٪ من غذائها بالاضافة الى التيسيرات الكبيرة في حصول الأهالي على البضائع الاستهلاكية غير الغذائية . . . .

ومن عوائق التنويع الاقتصادي قلة وجود الأيدي العاملة الماهرة وغير الماهرة . فتفضيل المهن المكتبية والخدمات الحكومية مع ارتفاع المرتبات أصبح هدفاً للبروناويين مما جعل العاملين الجدد عاجزين عن الحصول على أماكن لهم ، فاتجهوا إلى الأعمال غير الحكومية ومحلات القطاع الخاص الاستهلاكية . . .

المتحف الوطني :

نحن الآن في « كوتاباتو » على مسافة خمسة كيلومترات من أطراف العاصمة ، نطل على نهر بروناي من فوق تل يشرف على مجرى الماء . هنا يقوم مبنى رائع لوزارة الخارجية تحيط به الأشجار والحدائق ، ويبدو قمة في الجمال والأناقة ، فأسقفه مغطاة بالقرميد الأحمر وتمتد من فوق ثلاثة تشكيلات

● مقر مجلس الشئون الدينية والمجلس الاسلامي الأعلى في بروناي .

من المباني ذوات الطبقات السبع . المبنى كان مقراً من قبل للمقيم البريطاني عندما كانت بريطانيا تتولى الشئون الخارجية قبل أن تتخلى عنها مع إعلان استقلال البلاد . منذ ذلك الوقت شغلت المبنى وزارة الخارجية التي يتولاها شقيق السلطان . . صاحب الهمة والوقار تيجران مودا محمد البلقية . . .

في هذه المنطقة كانت عاصمة بروناي الأولى في عهد السلطان بلقية الأول ، حيث يقوم ضريحه شامخاً بقبته المغطاة بصفائح الذهب ، والتي يعلوها شعار الدولة ورمز البلقية . والضريح محفوف بالحدائق وأشجار الغابة والزهور من كل اتجاه . .

وقريباً من نفس المكان كان يقوم قصر السلطان الذي شهده بحارة « ماجلان » عندما وصلوا الى جزيرة بورنيو ووقفوا عند مداخل النهر عام ١٥٢١ حيث استقبل السلطان ضابطهم بيجافيتا الذي كان أول من كتب عن ثراء السلطان وفخامة قصره وما يزدان به من الأحجار الكريمة واللآلىء التي تصل الواحدة منها الى حجم بيضة الدجاجة . . .

الآن . . وبعد أن اختفى القصر القديم وانتقلت العاصمة الى بندر سري بيجوان يقوم مبنى المتحف الوطني . المبنى مقام على جانب التل الذي تغطيه أشجار الغابة ، يضم ستة أقسام غير البهو الرئيسي الواسع . ويعتبر المبنى من أكثر المباني جمالاً وبهاء ورونقاً في بروناي الحديثة . .

وعلى مسافة غير بعيدة من مبنى المتحف الوطني

تزور فرعاً آخر وهو مركز تدريب الفنون والصناعات اليدوية . المركز يضم ست طبقات في كل منها قسم من أقسام التدريب الذي يستهدف المحافظة على التراث الفني الذي اشتهرت به بروناي سواء في المشغولات الخشبية أو المنسوجات أو الصناعات الفضية والمعدنية أو أغطية الرأس والتطريز .

وهناك فرع آخر يضم معرضاً للأبحاث الفنية والرسوم بريشة الفنانين العالميين .

وعلى مسافة منه في وسط العاصمة يوجد فرع آخر هو متحف آثار تشرشل الذي أقامه السلطان عمر علي سيف الدين الذي كان شديد الاعجاب بونستون تشرشل وجمع في متحفه كل آثاره وذكرياته وممتلكاته الخاصة مما لا مثيل له حتى في بريطانيا نفسها . ويتوسط ساحة المتحف الخارجية تمثال كبير لرئيس الوزراء البريطاني .

وعلى امتداد المسيرة نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع المبنى الرئيسي للشئون الدينية والمجلس الاسلامي الأعلى .

المسيرة الاسلامية :

ويقودنا ذلك الى الوقوف على المسيرة الاسلامية في بروناي .

ونستوضح تفاصيل هذه المسيرة خلال اللقاء الذي جمعنا مع أعضاء مجلس الشئون الدينية ، اللقاء تم في ذلك المبنى القائم الى يمين مسجد السلطان عمر علي سيف الدين وهو لا يختلف كثيراً عن النمط الذي شيد به المسجد مع ملامح صينية واضحة في طريقة البناء والزخارف والشكل الخارجي ، وكان مهندسون وعمال صينيون هم الذين أنجزوا تشييد المبنى . .

المسلمون في السلطنة يربو عددهم على ١٣٥ ألف مسلم على مذهب أهل السنة والجماعة أصلاً والمذهب الشافعي فرعاً ، أما الباقون فمن غير المسلمين ، والأقلية منهم من غير الدينيين الذين يعيشون في أعماق الغابات .

ومع هؤلاء تجري المهمة الرئيسية للدعاة بجانب نشاطهم في نشر الدعوة والتعاليم الاسلامية . فهم يضاعفون جهودهم لدعوة سكان القرى المترامية في الغابات من قبائل الموروث والداياك والدوسون والكادزان وغيرهم لاعتناق الاسلام .

وهم ينطلقون الى المساكن والبيوت في القرى البعيدة ويسلكون ـ ومعهم وسائل الاعلام من الأفلام المناسبة للدعوة وشاشات العرض ـ أحراج الغابات حتى على أقدامهم وأحياناً يستخدمون "الهليوكبتر" حيث يدعون الى الاسلام بالحوار والقدوة وحسن المعاملة .

الادارة الدينية تضم عدة أقسام أكبرها هو قسم المحاكم الشرعية وقسم الإفتاء وقسم التعاليم الاسلامية وقسم الزكاة وقسم الوعظ والارشاد . ولكل قسم أثره البالغ في تدبير شئون المسلمين .

أما عن قسم التعليم الديني فانه يقوم بتعليم الدين لجميع طلاب المدارس سواء كانت في المدن أو في القرى . ويحدثنا في ذلك حاج بسر بن حاج أبو بكر رئيس قسم التربية والتعليم الديني وهو من خريجي الأزهر ـ وكان يرافقنا لزيارة المدرستين الدينيتين العربيتين ويتجول معنا في فصولها

في هاتين المدرستين العربيتين تدرس المواد الدينية باللغة العربية بجانب المواد الأخرى وتدرس اللغة الانجليزية على انها مادة خاصة . . .

المدرسون الذين يدرسون المواد الدينية والعربية بعضهم من المتخرجين في جامعة الأزهر من أبناء البلاد وبعضهم الآخر معلمون ومدرسون معارون من سنغافورة وماليزيا ، وهم يتحدثون اللغة المحلية أيضاً .

قمنا بزيارة أخرى لكلية المعلمين الدينية التي تقوم باعداد المدرسين المتخصصين في التعليم الديني . الطلاب والطالبات الذين يلتحقون بهذه الكلية هم الذين حصلوا على شهادة الدراسة العامة بسنغافورة أو شهادة الدراسة الدينية بالعاصمة . .

التعليم في جميع المراحل وفي كلية المعلمين بالمجان ، والمبعوثون يوفدون الى انجلترا واستراليا وكندا وأمريكا وسنغافورة والى الجامعة الأزهرية بمصر على نفقة الحكومة . . .

ويقول حاجي ابراهيم بفخر : ان دولة بروناي رغم صغر حجمها لم تغفل واجبها نحو إعلاء كلمة الله ، بل انطلقت بجهودها الى آفاق جادة واعية لبسط هذه العقيدة الاسلامية المطهرة ونشر لوائها الخالد العظيم على هذه البقعة من العالم . □

قصة قصيرة

بائع الليمون

بقلم : عباس خضر

شعر محمد أفندي بالخزي ، بل هو لايذكر انه في حياته شعر بالخزي مثل ما شعر به في هذا الموقف . . وكيف كان ذلك ؟ لاتعجل ، فيأتيك البيان الذي لايتأتى الا بتفصيل الحكاية ، فتذرع بالصبر ، ودعني أحكي لك .

محمد أفندي موظف بالحكومة ، واليوم يوم جمعة : العطلة الأسبوعية ، وهو ممن يسمونهم ذوي الدخل المحدود ، الذين أصبحوا غير ماكانوا أيام كان يقال (ان فاتك الميرى تمرغ في ترابه) أصبحوا لاشيء - من الناحية المالية - ازاء ذوي الدخل المحدود الى

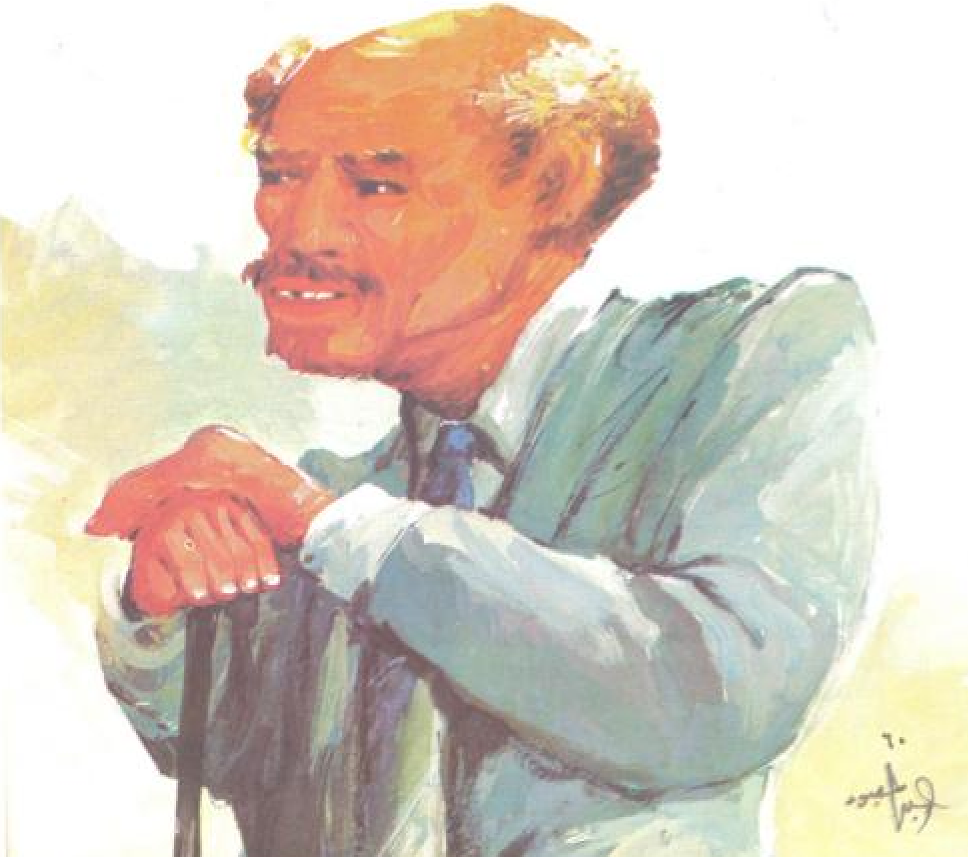

لانهاية . . كان فيما مضى يأخذ أولاده وأمهم ويتنزهون في عطلة الاسبوع . اما الآن فإن اسلم طريقة لمثله ان يستغني عما يمكن الاستغناء عنه ، فإن غول الاسعار يفغر فاه ، ويبتلع مرتبه الشهري ، ولايبقي منه شيئا . فهو يكتفي بالجلوس على مقهى ويختار مقهى متواضعا لرخص الطلبات فيه ، وان كانت كل المقاهي قد بسط ذلك الغول سلطانه عليها .

جلس محمد أفندي في المقهى كعادته في أيام العطلة ، والفصل شتاء يحلو التشمس فيه على الرصيف : رصيف المقهى الذي رصت عليه المناضد والكراسي .

وعند الانصراف صفق للنادل كي يعطيه ثمن المشروب ، ولكن هذا كان مشغولا عنه بكثرة الطلبات ، بل كان بصراحة (مسطولا) وهو هكذا دائما لايكاد يفيق . . قال محمد افندي في نفسه : ولماذا أتعب نفسي ؟ فلأدعه وأذهب . . وأقتصد ثمن المشروب ، ولن ينتبه الى ذلك ، فهو مسطول .

تحرك ماشيا ، قال له صوت من داخله :

ـ عيب

ـ ماهو هذا العيب ؟

ـ هو مشيك هكذا دون أن تدفع الحق لصاحبه .

ـ وماذا في ذلك ؟ انه يأخذ سبعة جنيهات في اليوم ، وأنا الموظف المتعلم آخذ خمسين جنيها في الشهر ، أي أن دخله أضعاف دخلي . .

ـ لو أن الامر كذلك لاستحل مالك من هو دونك .

ـ هل سترجع الى سابق عهدك ؟

ـ ان عدتم عدنا

ـ أنت سبب الفقر . . ستقول لي ماكررته على دائما : الفقر مع الشرف خير . . الى آخر حكمك الغالية .

ـ عجبا . . أتسخر مني وفعلك هذا يجعلك موضع السخرية بل موضع الاحتقار .

ـ أي عجب في أن آخذ من هذا المعتوه الجاهل قطرة من بحر يغدق عليه ؟

ـ انك بهذا التصرف تأخذ مالاحق لك فيه مهما صغر ؛ ألم تشرب الشاي ؟ فكيف لاتدفع ثمنه ؟

ـ ثمنه ؟ وهل كوب الشاي يساوي عشرة قروش ؟ انه لايتكلف اكثر من قرشين .

ـ واستمتعت بالجلسة تحملق في الرائحين والغادين والرائحات والغاديات .

ـ والله يا أخي ما استمتعت .

ـ لست أخاك مادمت تفعل هذا . وماذا تقصد بأنك لم تستمتع ؟

ـ أقصد أن الأمر بعكس ماتظن ، أوجع دماغي زعيق القوم هناك ، وسبابهم الذي يتناول الامهات بأقبح الألفاظ ، والذي يتبادلونه كأنه تحيات طيبات ، وأعجب أن الواحد منهم يتلقى بالضحك والمرح قذف أمه بكلمات تخدش الحياء .

ـ أنت محق في هذا الاستنكار ، ولكن ذلك لا يبرر أن تقع أنت أيضاً في الخطأ .

ـ لقد استرحت منك ومن فلسفتك زمنا .
ـ لم أكن سببا في راحة نفسك واطمئنان بالك ، بعد أن كنت تعاني في أعماقك من جراء اخذك للرشاوى ؟
ـ أنا لم أكن أمد يدي لشيء من ذلك .
ـ لم تمد يدك ؟ حقا لم تمد يدك بالفعل ، ولكن كان زبائنك يعرفون درج مكتبك الذي يدسون فيه النقود .
ـ وماذا تريد الآن ؟
ـ أن ترجع وتعطي الرجل حقه .
ـ لن أرجع ، وكفاني منك وجع قلب . .
ـ أنت حر .

مشى محمد افندي في طريقه الى البيت ، ليس البيت قريبا ، ولكنه يفضل المشي على انتظار الأوتوبيس والتعرض لمتاعب الزحام . وهو لا يفكر في ركوب تاكسي لأسباب كثيرة ، بعضها مفهوم لضيق ذات اليد ، حتى اذا لم يكن هذا الضيق فإن التاكسي لا يقف ، والوقوف في طابور المجمع الاستهلاكي أسهل من الوقوف في انتظار التاكسي ، لأن ذاك مضمون فيه أن يصل الى مايريد وان طال المطال . . اما هذا فهو غير مضمون .

وربما فكر في أن يكون سائقا لتاكسي يعمل عليه وقت الفراغ ، على أن يكون ملكه ولكنها أمنية بعيدة التحقيق ، فمن أين له ثمن سيارة ولو بالتقسيط ؟ وربما يمكن أن يكون ذلك بالتقسيط لو لم يكن لديه هؤلاء العيال الذين بلغوا ستة ، والمصيبة أن أمهم حامل ، كثيرا ما قلت لها أن تذهب الى مكتب تنظيم الأسرة ، ولكنها تكذب علي وتقول إنها ذهبت ولم تنفع الأقراص . . اذكر أن المهنئات بزواجنا كن يقلن لها : يغلبك بالمال وتغلبيه بالعيال ، كانت المهنئات فقط هن اللائي يقلن ذلك ، اما الرجال فهم يعرفون خطل هذا الرأي ، وانه سلاح للمرأة قد يكون مفلولا ، وقد يرتد اليها بالوبال وسوء الحال .

***

ظل محمد افندي ماشيا حتى اقترب من البيت ، ورأى على ناصية الشارع غلاما يبيع الليمون ، قد افترش الرصيف وجعل ينادي : الواحدة بقرشين .
الولد هزيل ، ولونه أصفر كالليمون . . ولابد أن ذلك يرجع الى سوء التغذية والحرمان ، ومع هذا فإن محمد افندي نحى الشفقة عليه جانبا ، وساومه حتى أخذ منه ثلاث ليمونات بخمسة قروش . . القروش قليلة في السوق ، فالبائع ليس معه قروش يدفع منها الباقي ، وربما ادعى ذلك كي يظفر بالباقي ، اذ ييأس المشتري ويتركه له ان كان قليلا ، وبعض الباعة يعطي كبريتا أو أقراصا من الحلوى (بمبوني) .
لولا ان عندهم اليوم سمكا ما اشترى الليمون ، احضر السمك امس من المجمع الاستهلاكي ، وقف في الصف الطويل ، وظل واقفا حتى انتهى الى منفذ البيع ، قضى نحو ساعة واقفا في سبيل الحصول على السمك ، لأن ثمنه هنا أقل بكثير مما يباع به في غير المجمعات ، اشترى كيلوين اثنين ، لكي يكون يوم الجمعة جمعة بحق . . ومـاهكـذا تكـون بـاقي الأسبوع .

اعطى الولد (بائع الليمون) ورقة بخمسة وعشرين قرشا ، على أن يأخذ منه الباقي ، وقف يتأمل الولد ، انه غلام في نحو الثانية عشرة من عمره ، يلبس جلبابا متسخا بعض الشيء ، لعله يتيم يساعد أمه واخوته الصغار على العيش . . لعل أباه فقير أو مريض لا يقوى على العمل لاكتساب الرزق ، اعطاه الولد ورقة بعشرة قروش ، فدسها في جيبه وهو ذاهل ومايزال مشغول الفكر بما صنعه من غاتلة نادل القهوة ، وعدم دفع ثمن المشروب . . .

ما إن ابتعد عن بائع الليمون حتى سمع من ينادي وراءه :
ـ ياعم . . ياعم . . ياحاج .
توقف حتى أدركه الغلام .
ـ ماذا ؟
ـ كم دفعت لي وكم أخذت ؟
قال الولد ذلك وهو يلوح في يده بورقة ذات عشرة قروش .
قال محمد افندي وقد تنبه :
ـ آه نسيت . . . . . أكثر الله خيرك .
ـ خذ ياعم ، هذا حقك .
دهش محمد افندي وجعل ينظر الى الولد نظرة تحتوي على معان كثيرة ، منها مقارنة موقفه بموقفه . . . وشعر بذلك الخزي الذي بدأنا به هذا الحديث . □

اقرأ في العدد القادم من العربي

☐ سد مأرب .. واليمن الجديد

استطلاع: منير نصيف

رحلة إبن بطوطة في عالم المرأة	التدخين هذا الوباء البشري	الليزر اشعة المستقبل
د. سعيد عاشور	د. بدوي بدران	رؤوف وصفي

☐ التاترا البولندية

استطلاع ملون.. صلاح حزين

☐ وجهاً لوجه

د. ملك عبدالعزيز وفاروق شوشة

☐ البيت العربي .. ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت

☐ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي - د. فؤاد زكريا - د. إحسان عباس - د. مخائيل سليمان
د. أمين العيوطي - فاروق خورشيد - د. عيسى درويش - محمد الفايز.

العربي - العدد ٣١٩ - يونيو ١٩٨٥

رحلة داخل "القرية البشرية"

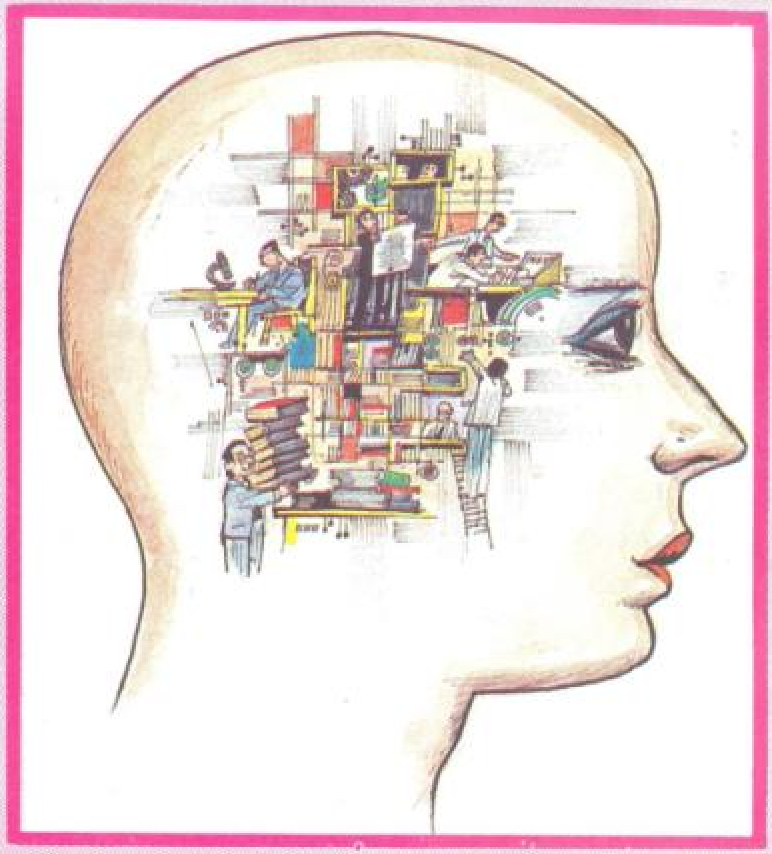

- المخ .. الدكتاتور العظيم .. !

جسم الانسان هو القرية الصغيرة التي يعيش فيها ومعها ، وقد يتصور البعض انه يعرف كل شيء عنها ، ولكن الواقع يقول غير ذلك ، فهناك أشياء كثيرة لا تزال غامضة ، او هي غير واضحة تماما بالنسبة للانسان العادي

داخل أجسادنا محطة للقوى وجهاز للترشيح ومصفاة للتنظيف ودكتاتور يتحكم في كل عمل نقوم به .

ما هذا كله وكيف يراه العلماء وماذا يقولون عنه . . .!؟

اعداد وتقديم : منير نصيف

ـ الكبد والكليتان . . مائة وظيفة ووظيفة

هذه رحلة قام بها المحرر العلمي لاحدى الصحف العالمية داخل جسم الانسان واختار أن يسميه « القرية البشرية » .. ولم يكن وحده ، فقد رافقه فيها الخبراء ، وشملت الزيارة أهم المناطق في القرية لمعرفة ما يحدث فيها وما يصنعه العاملون بها ، وما يمكن أن نصنعه نحن لتوفير الحماية والرعاية لهم من أجل حياة طويلة .. حياة صحية سليمة .

كانت المنطقة الاولى التي بدأت بها الزيارة داخل القرية ، هي القلب .. قلب الانسان الذي نبض لأول مرة في نعومة وأنت ما زلت جنينا في رحم أمك قبل مولدك بثمانية أشهر . وسوف يبقى معك دوما ليذكرك في رفق في كل لحظة من لحظات حياتك على الارض ، بأن كل شيء يسير على ما يرام . فالقلب لا ينام أبدا !

ان هذه العضلة الصغيرة تصنع المعجزات .. تأمل قبضة يدك .. هذا هو حجم قلبك تقريبا .. ابسط يدك ثم اقبضها وعد فابسطها من جديد وكرر هذه الحركة سبعين مرة ، وعينك على عقارب ساعتك لمدة دقيقة واحدة ..

هذا هو الحد الأدنى من الجهد الذي يبذله القلب طوال سني حياتك . ففي بعض الاحيان يقوم القلب بضعف هذا العمل ، عندما تجري مثلا لتلحق بسيارة الاوتوبيس في الصباح ، ولكنك اذا أحصيت عدد دقات قلبك في يوم هادىء فسوف تجدها مائة ألف نبضة خلال الاربع والعشرين ساعة . أو ثلاثة ملايين نبضة في الشهر ، فاذا امتد بك العمر حتى بلغت الثمانين ، كان مجموع نبضات قلبك قد سجل على مدى هذه الرحلة ٢٨٨٠ مليون نبضة .. كل واحدة منها تقوم بضخ كمية من الدم تتراوح بين أوقيتين وثلاث أوقيات ، أي حوالي نصف فنجان شاي ، الى مختلف أنحاء الجسم ، حتى في اليوم الهادىء الذي لا يقوم فيه القلب بمجهود غير عادي ، نجد أن كمية الدم التي يضخها خلال هذا اليوم تتراوح في المتوسط بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف جالون من الدم الى أجزاء الجسم .

الغذاء خير دواء

هذه المكينة الحيوية التي لا تتوقف عن العمل أبدا ، والتي بدونها تنتهي الحياة ، كيف نحميها ، ونحافظ عليها ، ونساعدها على الاستمرار في عملها ؟

هناك عوامل كثيرة تؤثر على القلب وعلى أدائه لوظيفته الحيوية .. ويقول الاخصائيون ان نوعية الغذاء الذي تمتلىء به معدة الانسان من بين الاسباب الرئيسية التي تؤثر على القلب سلبا أو ايجابا ، فالقلب يتعب عندما نأكل كثيرا ونملأ معدتنا بالطعام ، وهناك مواد غذائية معينة يجب أن نمتنع عن الاكثار من تناولها ، كاللحوم الدسمة ومنتجات الألبان والسكر والملح . وهذه كلها تؤثر على القلب تأثيرا سلبيا .

ماذا نأكل اذن ؟ الخضراوات الطازجة والفواكه الطازجة أيضا والدواجن والأسماك والبطاطا والخبز الأسمر ..

هذا النهج في نوعية الغذاء التي تحمي القلب وتساعده على أداء وظيفته يقوم على أساس ما هو شائع بيننا ، وهو ألا نأكل كثيرا من المواد الدسمة ، وخاصة تلك التي تستخلص من الحيوانات ، فهي التي تتسبب في الاصابة بمرض تصلب الشرايين نتيجة الارتفاع في نسبة الكولوسترول في الدم .

ولكن ما هو الكولوسترول ؟ انه مادة دهنية يفرزها الجسم بصورة طبيعية فاذا ازدادت تسببت في انسداد الشرايين .

والتغيير في نوعية الغذاء الذي يتناوله الانسان ، قد يكون ضروريا حتى لا يزداد وزنه ، لأن السمنة تؤدي الى مزيد من الاجهاد للقلب ، وتضاعف من خطر الاصابة بأمراض أخرى ، بما في ذلك ضغط الدم المرتفع .

ويقول أحد كبار الاخصائيين في أمراض القلب ، وهو الدكتور « كيث بول » : « انه لأمر مؤسف أن نترك الأمور تسوء الى الحد الذي يصعب عنده علاجها . اننا نعنى بسياراتنا أكثر من عنايتنا بقلوبنا . الامر لا يحتاج لأكثر من بعض الاجراءات الوقائية البدائية ، لكي نضيف سنوات الى عمر هذه الآلة التي تسكن أجسامنا » .

داخل القرية البشرية التي نتجول فيها ، نجد أن القلب هو محطة القوى الحيوية التي تقدم خدماتها لسكان القرية جميعا ، وهو محطة على درجة عالية من الكفاءة . ولكنها في حاجة الى رقابة وصيانة من

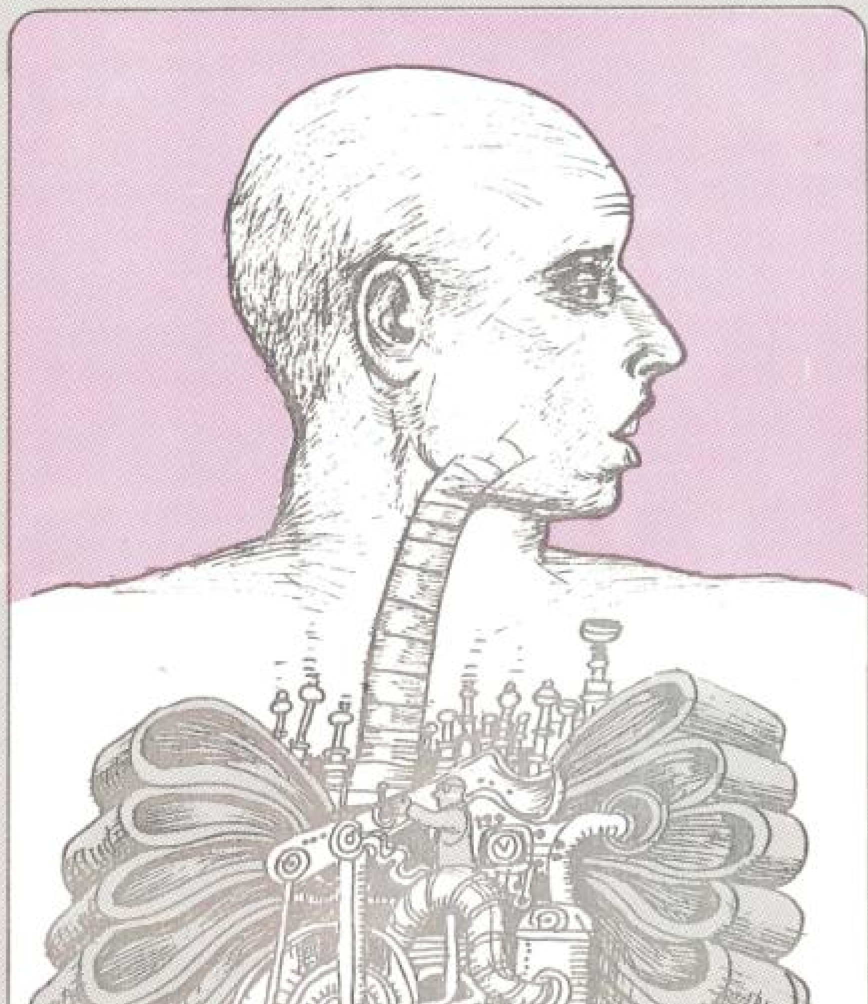

ـ القلب والرئتان في تصور الكاتب العلمي

الخارج حتى تتمكن من أداء عملها بتدفق وهدوء ، انها في واقع الامر في حاجة الى الحماية .

كيف تعمل هذه المحطة ؟ ان القلب في واقعه يتألف من محطتين للضخ لا محطة واحدة ، وكل محطة منهما تحتوي على غرفتين .. الأذين والبطين .. والاولى في كلتا الحجرتين تجمع الدم ، والثانية تدفع الدم ، فالشرايين تحمل الدم الأسود الذي انتهى من دورته حول الجسم الى الاذين الايمن الذي ينقله بدوره الى الغرفة المجاورة ، أو البطين ، ومن هناك يتم ضخ الدم عبر الشريان الرئوي الى الرئتين .

فالقلب والرئتان اذن عضوان في أسرة واحدة يعتمد كل منهما على الآخر .. وكل نفس يلتقطه الانسان يحمل معه شحنة جديدة من الأوكسيجين التي تتولى تنقية الدم وانعاشه وتعيد اليه لونه الأحمر القاني ، وتخلصه من ثاني أكسيد الكربون . وعندما تنتهي الرئتان من هذه المهمة تقومان بارسال الدم النقي الى الاذين الايسر ، ثم لا يلبث أن ينتقل عن طريق الصمام المترالي الذي يسمح بالخروج فقط دون الدخول الى البطين الأيسر . ومن هنا تبدأ مهمة ضخ هذا الدم النقي المتجدد الى الشرايين أو الاوعية الرئيسية التي تقوم بتوزيع الدم الى جميع أنحاء الجسم .

هذا هو نظام الدورة الدموية .. انها شبكة للمواصلات مثيرة للاعجاب فهي تنقل كل ما تحتاج اليه الحياة من مواد تموينية أساسية .. الغذاء والاوكسيجين والمعادن والماء وغيرها من مواد مساندة للبقاء .

وهي تجمع ، كما توزع ، فهي تلتقط الغذاء الذي يعتمد عليه القلب وكذلك المنتجات الجانبية مثل ثاني اكسيد الكربون والمياه الزائدة .. انها عملية منتظمة ومستقلة ، ولكنها مثل أي وسيلة أخرى من المواصلات معرضة للحوادث ! فاذا لم تحصل محطة القوى على ما تحتاج اليه من وقود يصيبها الخلل ، واذا سدت الطرق أو ازدحمت أصيبت حركة المرور بالشلل ، واذا لم تصل الامدادات في الوقت المناسب ، تعرضت القرية كلها للموت !

ومع هذا ، فان الحوادث المتوقعة ، كما يرى الأطباء العالميون ، يمكن تجنبها .. فالأمراض التي

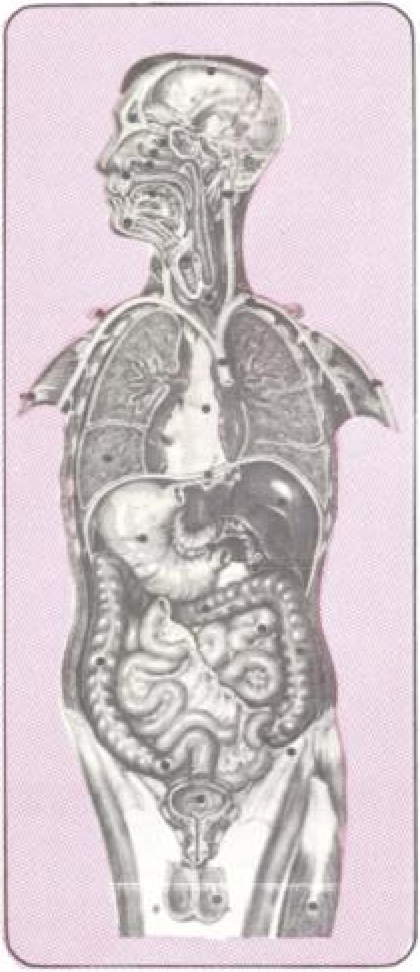

- جسم الانسان قدرة الله تتجلى في خلقه

تصيب القلب والشرايين ترتبط ارتباطا مباشرا بتدخين السجائر وارتفاع ضغط الدم والغذاء غير الصحي ، والسمنة واهمال الرياضة البدنية .

ولا يعني هذا بالضرورة أن تلك العوامل هي السبب المباشر للاصابة بأمراض القلب الخطيرة ، ولكن هناك من الدلائل القوية التي تؤكد اشتراكها في التآمر على الجهاز الحيوي .

جهاز الترشيح !

من بين جميع الأعضاء الحيوية ، نجد أن الرئتين هما أكثر هذه الاعضاء تعرضا للخطر لأسباب عديدة ، في مقدمتها أنها وحدهما اللتان تواجهان العالم الخارجي ، وربما يكون من حسن الحظ أن تقوم العوائق الدفاعية الموجودة في الأنف والحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين بالتعاون من أجل تنقية الهواء الذي تستنشقه وتخليصه من معظم ما يهدد حياتنا بالخطر . لهذا نجد أن الرئتين تقومان في واقع الامر بأهم وظيفة في الجهاز التنفسي . أما الدور الثاني الحاسم والخطر الذي تضطلعان به فهو وظيفتها كمرشح للدم .

كيف تبدو الرئتان في بداية رحلة الحياة ؟ في الطفولة يكون لونها أحمر قانيا ، وكلما تقدمنا في السن وجدناهما وقد اكتسيتا بالخطوط الرمادية والسوداء ، وكلما تعرضنا للغبار والتلوث ازدادتا سوادا . . إن لون رئتي عامل المنجم مثلا كلون الظلام الحالك .

ومع هذا يبقى دخان السيجارة ، أكبر خطر يتهدد الرئتين . إن آخر الاحصائيات تقول ان حوالي أربعين ألف شخص لقوا حتفهم في بريطانيا وحدها ، نتيجة لاصابتهم بسرطان الرئة خلال عام واحد ، وان حوالي مليونين يموتون كل عام بين المدخنين الذين يصابون بهذا المرض الخطير في جميع أنحاء العالم .

والى جانب هذا المرض القاتل الذي يصيب الرئتين نتيجة للتدخين ، هناك الضيق الذي يصيب القنوات الهوائية في الرئتين مما يؤدي الى صعوبة التنفس والى الاصابة بنوع من الالتهاب الشُعَبي المزمن .

الدكتاتور العظيم

والمخ هو الملقن والمهيمن على كل عمل ، على كل حدث ووظيفة ، دهاليز المخ التي هي منبع القوى تعتبر أكثر تعقيدا من أي بيروقراطية في العالم . ومع هذا فان هذه الدهاليز تؤدي وظائفها بكفاءة لا مثيل لها ، أما أبواب العقل أو المكتب الرئيسي فهي مفتوحة دائما ولا تغلق أبدا . ووراء هذه الأبواب تصطف الملفات التي تحوي صور ورسومات حياتنا ووجودنا .

ترى ماذا سنجد لو حاولنا أن ننفذ ببصرنا وراء هذه الابواب ؟ إن المخ البشري هو أعقد بناء فيزيائي في العالم . وهو أكثر مناطق جسم الانسان مبعثا للحيرة ، وقد نجح المخ في اخفاء أسراره عن العلماء على مدى قرون طويلة .

كتب كارل جوستاف يوما يقول « كانت كل خطوة يخطوها العلم الى الامام في دراسته لتاريخ العقل البشري تحمل معها انجازا يحتويه الألم نتيجة العمل الشاق الذي بذل في سبيل الوصول الى هذا الانجاز ! »

والمخ مزدحم بالخلايا أكثر من أي نسيج آخر في الجسم ، وهو يمثل واحدا على خمسين من وزن جسم الانسان العادي ، أي مالا يزيد على كيلو جرام واحد ، ومع هذا فهو يستهلك خُمس ما يحتاج اليه الجسم من دم وأكسيجين .

ولكن هل يحدث للمخ ما يحدث لبقية أعضاء الجسم ؟ والجواب لا . . فالمخ لا يفقد شيئا من وزنه عندما يفقد الجسم قليلا أو كثيرا من هذا الوزن ! ان ميكانيكية الدفاع البيولوجي توفر الحماية للمخ في فترات الجوع ، فهي تضحي بكل عضو آخر في الجسم في بداية الأمر ، لأنه عندما يموت المخ يموت جسم الانسان .

حاملو الرسائل !

الطفل عند ولادته يحتوي مخه على عشرة بلايين خلية عصبية ، وفي النحلة الصغيرة ٩٥٠ خلية من هذا النوع ، وفي النملة ٢٥٠ خلية ، وكل خلية من هذه الخلايا تتصل بجاراتها عن طريق عدة ألوف من وسائل الاتصال .

هذه الخلايا التي نولد بها لا تعوض ، ونحن نفقد كل يوم ما يقرب من عشرة آلاف خلية عصبية . . ولكن على أي أساس يتم اختيار هذه الخلايا التي تموت يوميا ، وما الذي يسبب لها الموت ، فهذا هو اللغز الذي لم يستطع أحد أن يجد له تفسيرا ! .

ومن الطفولة حتى البلوغ يزداد حجم المخ الى أربعة أضعاف ما كان عليه ، ومعظم هذه الزيادة تأتي من الخلايا الدُّبقية أو اللزجة ، وهي خلايا لم يكتشف

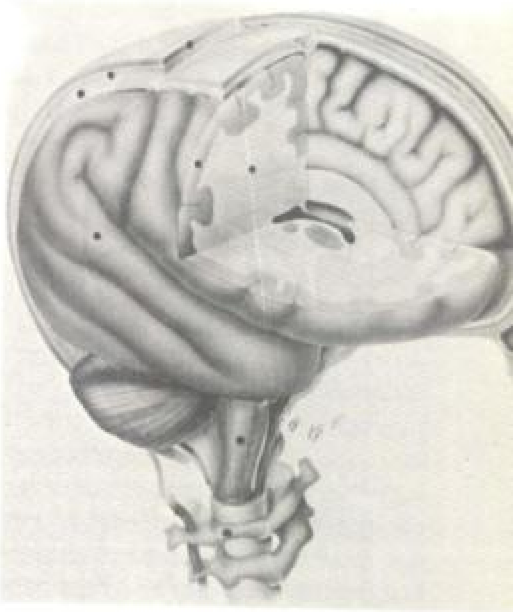

المخ وبلايين الخلايا .. تعيش وتفكر وتعمل

الاطباء وظائفها على وجه التحديد حتى الآن ، ولكنها تفوق في عددها الخلايا العصبية بنسبة عشرة الى واحد .

وتنتقل التعليمات والمعلومات من خلية عصبية الى أخرى ، عن طريق موجات كهربية ، وهذه الخلايا تنتج وتطلق حاملي الرسائل الكيميائية ، أو ما يعرف بأجهزة الارسال العصبية . ودراسة هذه الكيميائيات قد أصبحت فرعا جديدا من فروع العلم ، ومن المعتقد أنها ستؤدي الى الوصول الى سر الكثير من الاضطرابات التي تصيب المخ وتشل وظائفه .. وقد أدت البحوث التي أجريت الى علاج مرض بركنسون .

وأكبر جزء في المخ ينقسم الى نصفين ، النصف الايسر مرتبط بنشاط الجانب الايمن من جسم الانسان ، والعكس صحيح . وعند معظم الناس تجد أن الجانب الايسر يأوي النطق والقدرة الكلامية ، وهو المسيطر . وأي اصابة بهذا الجانب يكون لها آثار أكثر وضوحا . والسكتة الدماغية في هذه المنطقة تفقد ضحيتها القدرة على الكلام .

في القرن التاسع عشر ، أحس الدارسون للمخ من الرجال بسعادة عندما اكتشفوا أن مخ المرأة أقل وزنا من مخ الرجل بحوالي خمس أوقيات ، فقط أكدت هذه الظاهرة ، في رأيهم النظرية القائلة بأن المرأة أقل ذكاء من الرجل ، ولكن غرورهم ما لبث أن اصطدم بالواقع الذي أثبت أن وزن المخ يخضع لوزن جسم صاحبه . بل وأكثر من ذلك ، فقد ظهرت أدلة أخرى تقول بأن القسم الشمالي من المخ عند الرجل أقل حجما منه عند المرأة ! .

ولكن الاعتقاد السائد عند بعض أطباء الأعصاب ان هذا الاختلاف في حجم المخ ليس له أية علاقة بالاختلاف الذهني والعاطفي بين الرجل والمرأة . ولو ان البعض الآخر يرى أن الاختلاف بين الرجل والمرأة انما هو نتيجة هرمونات الذكورة وهرمونات الأنوثة التي يفرزها جسم كل منهما .. ولكن أي اختلاف ؟ .. انه يكمن في طبيعة كل منهما وفي نظرته للامور وفي أسلوب تأثره وانفعاله بالأحداث !

أروع مصنع للترشيح !

يبقى بعد هذا الكبد والكليتان .. انها الورش » التي تنقي الدم وتخلصه من الشوائب ، وتنتج الجزئيات الحيوية التي تحتاج اليها حياة الانسان .. انها أماكن عمل رائع ، بدونها لا يمكن أن تستمر الحياة في القرية البشرية . وانها وحدات حيوية في المنطقة الصناعية بجسم الانسان ، فالكبد هو المصنع الكيميائي الهائل الذي يقوم بمئات الوظائف ، والذي يقدم المنتجات الضرورية الى جميع أفراد الجماعة التي تعيش داخل القرية .

أما الكليتان فهما عبارة عن إدارة للتنظيف ومصنع للتخلص من النفايات يعمل بكفاءة عالية ، ويسهم الاثنان : الادارة والمصنع ، في جعل الحياة آمنة داخل القرية البشرية .

هذه رحلة الى الكبد والكليتين ، نعرض من خلالها المزيد عن كيفية عملها وسبل المحافظة عليها .

لقد حاول الاغريق والرومان التنبؤ بالمستقبل عن طريق الفحص الدقيق للكبد عند الانسان ، بينما كان فلاسفة العصور الوسطى يعتقدون أن أعراض الغضب والحزن تولد هناك في الكبد .

وقد دخلت كلمة « Liver » أي الكبد لغة « الانجلو سكسون » في وقت من الأوقات ، ومن المعتقد أنها مشتقة من فعل « To Live » ، أي يعيش . واذا صدق هذا ، فانه يعني أن أجدادنا كانوا أقرب الناس الى الحقيقة ، فالكبد مصنع كيمائي هائل معقد يسكن الجسم البشري ، وبدون انتاجه المذهل لا يمكن أن تكون هناك حياة .

خمسمائة وظيفة

ولقد أمكن التعرف على أكثر من خمسمائة وظيفة لهذا المصنع « الكبد » فهو يفرز مادة الصفراء التي تساعد على هضم الدهنيات ، ويصنع ويختزن مجموعة من الفيتامينات بما في ذلك فيتامين « B12 » الذي يعتبر ضروريا لقيام النخاع العظمي بوظيفته ، كما ينتج أيضا المادة الكبدية التي تمنع تخثر الدم أو الجلطة .

ويقوم المصنع أيضا بانتاج بروتينات بلازما الدم ، ويحلل المواد الدهنية ويحول البروتينات الى كربوهيدرات ، أي كربون واكسيجين وهيدروجين ، وغير ذلك كثير .

والكبد ، أكبر غدة في الجسم ، وهو يزن بين ثلاثة وأربعة أرطال ، وقدرته على تجديد نفسه من أهم وأبرز صفاته غير العادية . فقد يتمكن المرض من تدمير جزء كبير من الكبد دون أن يشعر صاحبه بأنه قد افتقد شيئا ، لأن الخلايا الجديدة لا تلبث أن تنمو لتحل محل الخلايا الميتة . والجراح يستطيع أن يستأصل سبعة أثمان الكبد المريض ، لأنه يعلم أن الكبد سيعوض ما فقده خلال شهور قليلة .

مصفاة التنظيف !

واذا كان الكبد هو المصنع الكيمائي في الجسم ، فان الكليتين هما المصفاة التي تعمل بكفاءة عالية لتنظيف الدم وهما في الوقت نفسه وحدة التخلص من النفايات . وفي أقل من خمس دقائق تستطيع هذه المصفاة القيام بتنقية الدم أثناء دورته في الجسم ، فهي تنظف الدم من الشوائب السامة وغير المرغوب في وجودها ، وذلك بواسطة ما يقرب من مليون وربع مليون وحدة تصفية ، تعرف باسم « نفرون » أو وحدة الكلية .

وتستمر الكرات الدموية الحمراء والبيضاء في دورتها بفضل المواد الحيوية كالماء والجليكوز والمعادن والأحماض الامينية ، التي لا تلبث أن تمتص بطريقة منتظمة .

والكلية الواحدة عند الانسان لا يزيد وزنها عن احدى عشرة أوقية ، ومع ذلك فهي بالتعاون مع توأمها قادرتان على تنقية أكثر من لترين من الدم في الدقيقة الواحدة . ان الانسان يستطيع أن يعيش بكلية واحدة سليمة ، أما اذا أصيبت الاثنتان بمرض عطلها عن تأدية وظيفتها ، فسوف تؤدي النفايات التي يفرزها الجسم نفسه الى الاصابة بالتسمم ! والوسيلة الوحيدة لاستمرار حياة المريض الذي تعطلت كليتاه ، هي تنقية دمه بواسطة الكلية الاصطناعية ، الى أن يتم العثور على كلية سليمة يمكن زرعها له ، وتأتي هذه الكلية عادة من الأم اذا كانت حالتها الصحية تسمح باجراء عملية استئصال احدى كليتيها أو من الأشقاء ، وفي أحيان كثيرة من غرباء لا يمتون الى المريض بصلة ، بعد التأكد من مطابقتها لأنسجة المريض وفصيلة دمه .

ما هي الأسباب التي تؤدي الى مرض الكليتين وتعطلها عن تأدية وظيفتها الحيوية ؟ . . انها الحصيات التي تتراكم فيها نتيجة لحصول الجسم على كميات كبيرة من الكالسيوم . وأفضل وسيلة لتجنب الاصابة بالحصيات الكلوية هي شرب كميات كبيرة من الماء يوميا . . كميات تصل الى ثلاثة أو أربعة لترات في اليوم الواحد . . انها عملية غسيل طبيعية للكليتين ، يمكن أن تجنبها أكبر خطر يتهدد استمرارهما في تأدية وظيفتها الحيوية . □

موضع تراثنا فينا

بقلم : الدكتورة بنت الشاطىء

ان ما يبذل من جهد لاحياء التراث تعبير عن أصالة أمة وادراك واع لحقائق وجودها ، ولكن التراث ليس غثاً كله وليس سميناً كله ، ففيه من هذا وذاك ، والاختيار مهمة غير يسيرة ينبغي أن يسهم بها كل ذي رأي وفكر ، هذا ما تذهب اليه الدكتورة بنت الشاطىء في هذا المقال .

وقف بي الحديث في مقال سابق عند موضع ذخائر تراثنا لدى الغرب الحديث ، واعتزاز دول أوروبية كبرى بما تملك من كنوزه،وما بذل ويبذل مستشرقوها من عناية بتحقيقه ودرسه ، فهيا لتاريخ الشعوب الاسلامية بالشرق الأسيوي الأفريقي ، وعقليتها ومزاجها ، ومادة لتاريخ الحضارة الانسانية في العصر الوسيط .

فماذا عن موضع تراثنا فينا ، في العصر الحديث ؟

بدأ التفاتنا الى التراث - بعد ضيعة طالت - مع بوادر حركة اليقظة في القرن الماضي ، حيث أدرك روادها أن ارتباط اليقظة بجديد الغرب وحده ، يسلبها عنصر الأصالة - مناط صحتها وسلامتها - في الوقت الذى قدروا فيه حاجتنا الى روافد من المدنية الغربية الحديثة ، يساير بها تيار اليقظة روح العصر .

ولم تنفصل حركة إحياء التراث عن حركة اليقظة القومية ، بل كانت عنصرا جوهريا في برنامجها ، وموقعا من مواقع النضال التى تقاسمها الرواد فيما بينهم .

وفي كل مجال كان الاهتمام البالغ باستقراء ماضي تاريخنا ، يعطينا تجاربه ، ويصل ما انقطع من مسيرتنا الحضارية .

عصريون مجددون

ومن واقع تاريخ اليقظة ، نرى أن مهمة البحث عن جذور أصالتنا وإحياء تراثنا ، لم يحمل تكاليفها الأميون الذين يعيشون بعقلية الماضى ، بل نهض بها عصريون مجددون ممن اتصلوا بالغرب الحديث ونهلوا من موارد ثقافته : « **الشيخ رفاعة الطهطاوى** إمام البعثة التعليمية الى باريس في عصر **محمد على** » نقل الينا ما نقل من ثقافة الغرب الحديث ومدنيته ، وحرص في الوقت نفسه على جمع ما استطاع من ذخائر من تراثنا ، عمرت بها خزانته في « سوهاج » من صعيد مصر الأعلى . و « **الامام الشيخ محمد عبده** » تلميذ الأفغاني وصاحبه ، حملته الأوضاع السياسية على النزوح الى أوروبا،فتابع جهاده

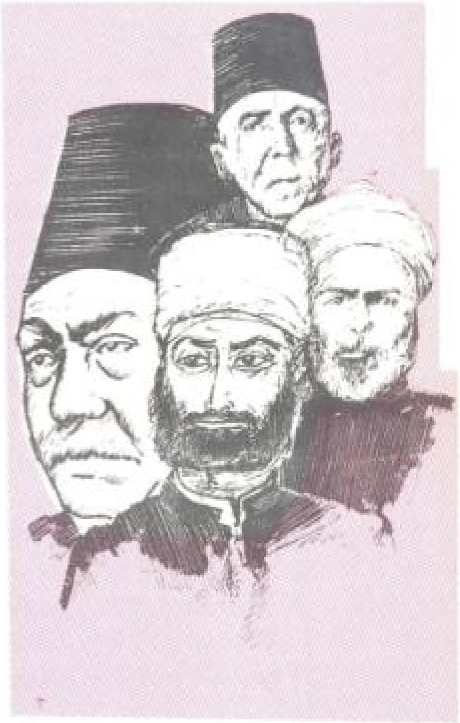

الوطني هناك ، وعكف كذلك على تدبر القرآن الكريم ، يلتمس منه في تفسيره أصول الدعوة الى تحرير الفكر الديني من الشوائب الدخيلة ، ويجاهد لاصلاح المجتمع بالدين . وهو الذى وجّه (مطبعة بولاق الأميرية) الى طبع ذخائر أمهات من تراث العربية والاسلام . وشيخ العروبة « أحمد زكي » عاد من أوروبا مزودا بالثقافة الغربية الحديثة ، ثم لم يلبث أن قام برحلات متتابعة الى أوروبا ، باحثا عن كنوز تراثنا،وناقلا الينا منها ما عمرت به مكتبته الزكية التى وهبها دار الكتب المصرية . والعلامة « أحمد تيمور » العصرى الثقافة والنشأة في جيله ، أنفق ماله بسخاء على ذخائر المخطوطات العربية ، وكان همه الشاغل اقتناء نوادرها ومطالعتها وفهرستها ، فترك منها لأمته خزانته التيمورية الغنية . « والأمير شكيب أرسلان » تابع من منفاه في أوروبا ، جهاده في الموقعين السياسي والفكرى ، لم يفصل أحدهما عن الآخر في وعيه وفي كتاباته ، ومجالسه التى كانت مركز تعبئة فكرية لشباب جيله . و « عبدالرحمن الكواكبي » جعل من (أم القرى) منبرا للدعوة الى الاستقلال الفكرى والأصالة الاسلامية العربية . والشيخ « البشير الابراهيمي » واصل بقلمه ، في مقامه بمصر ، النضال المشهود لجمعية علماء الاسلام بالجزائر في معركة التحرير موصولة بماضيها الاسلامي ، وشخصيتها التى تعرضت لذرائع الاستلاب . و « الرئيس علال الفاسي » في مهاجره بالقاهرة ، زود حركة استقلال المغرب بعناصر من الفكر الأصيل ووعي الذات ، وكان منزله دارا لصفوة من الشباب المغاربة الطلاب بالجامعة المصرية ، يرعاهم ويوجههم ويجندهم لمعركة الأصالة .

وحمل « شوقي » ، « أمير الشعراء » اللواء من بعد « محمود سامي البارودي » الذى انضم الى كتيبة رواد اليقظة . مجددا للشعر العربي بأصيل منابعه في عصور الازدهار . فمضى به شوقي الى القمة ، في هذه المرحلة ، بجديد راسخ الأصالة ، ينبض بروح العصر ويعبر عن وجدان أمته ، لا يدين لغيرها بولاء ولا انتماء ، وهو الذى تعلم في أوروبا وتزود بثقافتها الحديثة .

فضل الرواد

لم تكن حركة إحياء التراث اذن ، والدعوة الى الاتصال بماضينا ، صخرة رجعية ألقى بها الأمسيون في مجرى تيار اليقظة ، بل كانت بشهادة الواقع التاريخي مددا سخيا لهذا التيار ، أراد به الرواد والمجددون تعميق مجراه وتطهيره من شوائب الاغتراب ، وتأمين حيويته وسلامته ، بصدوره عن نبع أصيل في أرضنا الطيبة ، ومقاومة ذرائع الغزو الفكرى التى أرادت أن تبترنا من جذورنا،وتسلبنا وعينا لذاتنا ، وتشوه شخصيتنا بالاستلاب والطمس .

وبفضل أولئك الرواد ، شهدت المرحلة التى أعقبت الثورة العرابية ، حركة إحياء للتراث ذات اتجاهين :

الأول : نشر ذخائر المخطوطات مما بقى لنا من كنوزه الضائعة ، وما حمل أعلام الجيل من مصورات لمخطوطات في أوروبا . والاتجاه الثاني ، إمداد حياة الأمة ، في مختلف نواحيها ، بزاد سخي من ميراث عصور القوة والازدهار ، وعطاء الحضارة الاسلامية

في دورها القيادي الرائد ، في العصر الوسيط .

ونقدر أن جهود الرواد في إحياء التراث لم تستوعب إلا أقل القليل مما في خزائن الدنيا ، بل لم نحط علما بما بقي منه ، لا في خزائن الغرب وتركيا والهند والاندلس والأقطار الاسلامية التي ضمتها روسيا الى الاتحاد السوفيتي،وكانت حواضر علمية كبرى فحسب ، بل لم نحط علما كذلك بما لدينا من ذخائره ، في غيابات الخزائن المجهولة والخاصة ، بالمشرق والمغرب .

ومضى جيل الرواد وترك هذه الأمانة في أعناقنا ، نفي بها على المستوى الذي ينبغي لنا من نضج الوعي وتقدم الزمن بنا ، وعلمنا بما بذل المستشرقون وما يزالون من عناية بهذا التراث .

وانطلقت حركة اليقظة تغذ السير مع العصر الحديث ، وفي الميدان خَلَفٌ للرواد من علماء العربية والاسلام ، تابعوا خدمة تراثنا ، في رعاية هيئات علمية كبرى كدار الكتب المصرية ، والمجمع العلمي بدمشق وبغداد . . فنشرت مئات من أمهات الكتب في اللغة والأدب والتفسير وتاريخ الاسلام . وأخرجت مطبعة فاس ومطابع القاهرة مجموعة « المولى حفيظ سلطان المغرب » من كتب السيرة والتاريخ والأدب ، على نفقته . وشارك معهد تطوان في حركة إحياء التراث بنشر ذخائر من تراث العلماء المغاربة . وكان لدائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن ، نشاط مرموق وفضل مشهود في نشر ذخائر جليلة من تراث الأسلام ، وبخاصة كتب الحديث الأمهات ، وعلومه ورجاله ، فكانت الهند بها دار حديث .

ويمكن القول بأن حركة إحياء التراث التي أعقبت فجر اليقظة وامتدت الى منتصف القرن الحالي ، سايرت الوضع العام للمرحلة . . تلبي حاجتها وتعاني من أزماتها . والمرحلة يعرفها تاريخ الأمة ، مرحلة تعبئة للقوى وإحتشاد لمعركة التحرير على الساحة الكبرى للعالم الاسلامي مشرقه ومغربه .

ويعرف كذلك ما تعرضت له من هزات القلق الجائح وهي تحاول التماس طريق للخلاص من نوازل الوقت ورواسب الاحتلال والتخلف ، وما عصف بها من تيارات متدافعه تأتيها من داخل ومن خارج . وتضغطها بين شد وجذب .

واذا كان استمرار بقية من الجهود لاحياء التراث وتأصيل المنهج العلمي لتوثيقه وتحقيقه ، معبرا عن وعي الأمة ونضالها عن أصالتها ، فكذلك كان ترك مجال التراث مستباحا لغير أهله ، والغفلة عن تسرب نوادر من ذخائره الى الخارج ، مظهرا لما أعوز المرحلة من وضوح الرؤية لموقع الوجود الحيوي للأمة ، فتركنا مخطوطات تراثنا بضاعة مبذولة لتجار السوق يهدرون مالها من حرمة وقيمة بطبعات سوقية شائهة . وتركنا الأجانب يجوسون خلال الديار بحثا عن مخطوطات يخرجون بها الى بلادهم على مرأى منا ومسمع ، ولم نتصور أن هذه المخطوطات تدخل في (الآثار) التي يحميها القانون ، ويعطي (الجمارك) حق مصادرة قطعة من نسيج أثري أو آنية قديمة ، ولاتصادر عشرات من مخطوطات مع أي أجنبي يخرج بها من بلادنا .

وكأن مناط الأثرية في مثل حجر رشيد ومسلة حورابي ، مادتها الحجرية دون النصوص المدونة عليها : وكأن المخطوط ليس أثرا ، لا بنص فحسب ، بل بورقة أيضا ومداده وخطه وغلافه ، من حيث هي مواد لتاريخ عصره وبيئته . . .

الغزو الفكري

مع النصف الثاني من هذا القرن ، حيث بدأت المرحلة الحالية من تاريخنا المعاصر ، انفصلت حركة إحياء التراث عن مد الحركة القومية . نوازل المرحلة شغلتنا عن الموقع الفكري ، فلم يكن عجبا أن يستغل العدو غفلتنا عنه فيجيء له جنودا لا نعرفهم ، أو نعرفهم ولا نرتاب فيهم . وانكشف الميدان لغزو فكري وثقافي جائح ، مكن له منا ، ما بيننا من تصدع ، فنحن أبناء جيل أعوزه التعاصر الفكري والثقافي في مرحلة التلقي والتكوين والتأثر : فينا من تربى في مدرسة إسلامية حصنته من الجديد الوافد ، وفينا من أمضى مرحلة الحضانة العقلية والوجدانية في مدارس عزلته عن أمته . وفي دوامة الصدام بين هؤلاء الغرباء ، اهتزت الرؤية لقيمة تراثنا وجدواه . ودعا الثائرون غربا ، الى التخلص من عبئه الباهظ والخلاص مما سموه « أكفان موتى وأضرحة قبور » يفسد ريحها مناخ العصر . . وجهروا بأن تعلقنا بميراثنا الروحي والتاريخي « وقفة جامدة

على مقابر السلف ، تحاول أن تزج بمجتمعنا داخل صناديق حديدية صغيرة لا تتسع لغير الدمى في طفولة الجنس البشري » .

وشقت هذه الدعاوى مجراها في وجودنا المعاصر ، يؤازرها تدفق التيارات الوافدة ، بوهم أن وجودنا العصري يتطلب أن نستعير ثقافتنا وفكرنا وأدبنا من الغرب القوي الغالب .

وفي غفلة عن الموقع الفكري بما أثقلنا من أعباء التنمية والقرصنة الصهيونية،وصراع القوى ومعارك الفتن والبغي الحاصدة ، تدفق جنود الاستعمار الجديد ودعاة ثقافة عصرية ومبشرين بالتقارب بين الشرق والغرب ، وغزتنا مؤسسات ثقافية أجنبية قوية النفوذ ، بعضها يعتمد على ذكاء الحيلة وبراعة الاستدراج ، والاقتدار على وسائل النشر وأفانين الدعاية والاعلان .

دون الابقاء على أدنى فرصة للتكافؤ بين فكرنا القومي الأصيل ، وهذه البضاعة الأجنبية تدق لها طبول الدعاية وأجراس الاعلان ، وتتألق طبعاتها الأنيقة الفاخرة ومظهرها البراق الخلاب ، فتخطف الأبصار عن كتبنا في طبعاتها الرديئة وورقها الرخيص .

لكن الأمة لم تفقد وعيها في دوامة المرحلة .

وهي اذ تدرك استحالة العزلة الفكرية والثقافية في عصر الترانزستور تدرك كذلك أن لا بأس عليها من أي تيار وافد ، ما دام لفكرها القومي رسوخ لا تمسه الطواريء ولا تجتاحه التيارات . ولا يفوتها كذلك أن تفرق بين روافد من خارج تخصب وجودنا الفكري وتوسع آفاق ثقافتنا المعاصرة ، وبين أن تطغى هذه الروافد على المجرى الحيوي الأصيل ، فتطمسه وتطمره .

وآية هذا الوعي ، ما تداعى به قادة الفكر من ضرورة فهم تاريخ الأمة،وتحريره من شوائب الحذف والبتر والتشويه . وهي مهمة جليلة لا يتصور إمكان البدء فيها ، بمعزل عن تراثنا الذي هو مادة هذا التاريخ .

ولاحت على أفقنا بوادر استجابة للدعوة الى تعديل قوانين حماية الآثار ، بما يكفل حماية التراث .

وجدت هيئات علمية ومؤسسات ثقافية بمصر والشام والعراق والمملكة العربية السعودية والمملكة المغربية وتونس والكويت وقطر والامارات العربية في نشر ذخائر من تراثنا . وشاركت بعض دور النشر الكبرى في هذا المجال ، فنشرت دار المعارف بالقاهرة سلسلة الذخائر ، وأعادت دار المثنى ببغداد ، ودور النشر في بيروت ـ سلمها الله ـ نشر ذخائر أمهات مما نشرته قديماً معاهد الاستشراق ، ودائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ، حين كانت الهند دار اسلام وحديث ، والطبعات المصرية والمغربية القديمة لكتبنا الكبار .

ولم يكن عجباً ، من وعي الأمة ، أن تتصدر كتب التراث قوائم النشر والتوزيع بشهادة النشرات الاحصائية لها ، وأن يكون لها الحظ الأكبر من الطلب في معارض الكتب بالعواصم العربية .

الذي نخشاه حقاً ، أن يغري هذا الرواج تجار السوق فلا يعنيهم فحص البضاعة الحاضرة ، وأن يقتحم الميدان دخلاء ليس لهم أدنى دراية بعلم التوثيق للمخطوطات ومنهج تحقيقها .

والله المستعان .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال . » صدق الله العظيم . □

■ ان من يستخدم السراج فلا أقل من أن يضع فيه شيئا من الزيت .

(مثل روماني)

■ الناقد هو الرجل الذى يفهم ويشرح مالم يقصده الكاتب بكتابته .

(هربرت بروكتو)

اعداد : الدكتور فريد الكيلاني*

انفصام الشخصية أو الشيزوفرينيا ، اسم لمرض عقلي يقول بعض المختصين انه مرض لا شفاء منه ، وان العلاجات المستعملة هي علاجات تسكينية لا أكثر .

لكن العلم والعلماء لا يرفعون راية الاستسلام ابدا ، ويستمرون فى ابحاثهم وتجاربهم ودراساتهم ، فما الذى توصلوا اليه او اكتشفوه من جديد بالنسبة لهذا المرض (الذهانى) او العقلى المنتشر فى العالم ؟

واخيرا .. تمكن الباحثون من الاكتشاف المبكر لأولى مراحل الاصابة بالشيزوفرينيا . فهل يتمكنون من منع استفحال المرض الى الحد الذى يستعصي فيه على العلاج ؟

ظل العلماء فى مختلف أقطار العالم يبحثون عن طريقة يتمكنون بها من تشخيص مبكر لبدء الاصابة بالشيزوفرينيا عشرات السنين .

وفي بحث حديث قام به بعض الاختصاصيين العالميين ، جرت محاولات عديدة لاستكناه الأعراض المبكرة للمرض فى الاطفال ، بحيث يصبح بالامكان التنبؤ بمن سوف يصاب بالمرض منهم ومن سيظل سليما معافى .

ويبدو ان العمل سيستمر لعدة سنوات قادمة ، يشترك فيه عشرات من علماء السلوك البشرى فى العالم أجمع ، اطلق عليهم اسم (مجموعة المخاطر الكبرى) .

وقد بدأت هذه المجموعة بالوقوف على شكل الاستدلال على البوادر الاجتماعية والنفسية الاولى التى تظهر على ضحايا هذا المرض الذى يفقد الانسان القدرة على استكناه الحقائق . وما يرمى اليه الباحثون طبعا هو معرفة مدى قدرة العلماء على وقف تفاقم المرض منذ بدايته ، او منعه لتخليص المعرضين للاصابة به من وباله .

---

* دكتور فريد الكيلاني - حائز على شهادة الدكتوراه في التربية من جامعة كولومبيا باسيفيك ، ويعمل موجها للغة الانجليزية بوزارة التربية في دولة الكويت .

الأسباب :

لقد شهدت العقود السابقة باحثين وباحثات يشيرون بأصابع الاتهام الى بعض الأمهات اللواتى يسببن لأبنائهن بتصرفاتهن الحمقاء الاصابة بالاعراض الاولى للمرض . فالشدة فى المعاملة تدفع بالابناء الى الكذب ، أي أن يقول الانسان اشياء غير حقيقية ، وهذا ما يعتبره السلوكيون اول بوادر هذا المرض اللعين ، ثم تطور البحث ، فأدخل علم الوراثة الى صلب الموضوع ، وعزا الاستعداد للاصابة بالمرض الى عوامل تتعلق بالجينات والتأثيرات البيوكيميائية التى تتعرض لها فتجعل صاحبها معرضا للاصابة اكثر من غيره ، اما الباحثون الآن فيقرنون هذه بتلك ، ويجمعون بين السببين ، ويبنون ابحاثهم على فرض وجود استعداد وراثى عند الشخص ، ومدى قدرة هذا الشخص على تحمل الاعباء والضغوط التى يواجهها فى الحياة ، فاذا لم يستطع مواجهتها زاد امكان اصابته بالمرض . وهم الآن يبحثون عن وقائع وحقائق يثبتون بها نظريتهم هذه ، بحيث يتمكنون من تحديد الاطفال الذين يكونون معرضين اكثر من غيرهم للاصابة بالشيزوفرينيا فى المستقبل .

الوراثة :

وقد وجه الباحثون اهتمامهم نحو اطفال لوالدين مصابين بالمرض ، ولذا فهم يعتبرون من الناحية الوراثية ، اكثر تعرضا للاصابة من غيرهم ، اذ لم تلحظ سوى حالة واحدة اصيب فيها بالمرض طفل لابوين سليمين . وقد اعتبرت هذه الحالة من حالات الاستعداد الشخصى للاصابة ، وبالتالى لا يمكن اعتبارها قاعدة عامة تندرج تحت موضوع البحث .

هؤلاء الاطفال ، كانوا يتعرضون لأوامر ونواه متناقضة من الوالدين ، هى فى معظمها سلبية لايفهمها عقل الطفل ، ولكنه يجبر على تنفيذها . ان مثل هذه العلاقة ، متى وجدت ، بين الطفل وابويه تعد فى رأى الباحثين بادرة قوية الدلالة على احتمال تعرض الطفل للاصابة بالمرض ، فمن بين (٦٥) خمسة وستين طفلا ممن شملهم البحث ، ثبتت اصابة (١٢) اثنى عشر منهم بمرحلة متطورة من المرض ، فما الذى كان يجرى بين الوالدين واطفالهم ؟

عندما كان احد الاطفال يعرب عن رفضه لما يطلبه منه والداه ، كانا يهاجمان الطفل المسكين ، ويضربانه بدلا من أن يبينا له خطأه ، ويسفهان مشاعره وافكاره ، بدلا من الاستماع لدفاعه عن نفسه ، وكثيرا ما يكون كلامهما غامضاً وغير مقنع للطفل الصغير . هذه الدراسة والنتائج التى توصل اليها الباحثون كانت اول خيط يوصل الى حقيقة علمية تظهر لاول مرة ، ويثبت انها النذير الاول للاصابة بالمرض .

وهناك بوادر أخرى تظهر فى وقت مبكر فى الاطفال المصابين بالمرض فى مراحله الاولى ، مع احتمال قوى لاستفحاله وتطوره نحو الأسوأ فى المستقبل ، منها نقص القدرة على التعبير اللفظى ، والرغبة فى البعد عن الناس وفظاظة المسلك ، ولكن هذه البوادر تعد

دليلا اكيدا على احتمال وجود المرض فى مراحله الاولى ما لم يكن الطفل قد ولد لابوين مصابين ويحمل استعداداً وراثيا للاصابة مثلهما .

جديد البحوث :

ان اللهفة التى يبديها العلماء والباحثون للوصول الى معايير اكيدة يسهل بها التمييز بين الطفل الذى سيجتاز مرحلة الطفولة سليما معافى ، وبين الطفل الذى سيصاب بالمرض ، تعكس أبعاد هذه المشكلة المعقدة . فالباحثون الامريكيون يشيرون الى أن ٣٪ من افراد الشعب الامريكى هم فعلا مصابون بالمرض ، ولكن الكثير من هؤلاء لا تكون أعراض اصابتهم من الشدة بحيث تضطرهم الى اللجوء الى العلاج ، وقد يشفى بعضهم من المرض دون علاج . ومن الاعراض المعروفة للمرض اضطراب فى التفكير ، وفى قوة الملاحظة ، يرافقها سماع اصوات غريبة فى بعض الاحيان ، واشتغال الفكر بأمور خيالية وغير منطقية . وهذه الأعراض يشكو منها اكثر من مليونى امريكى . ويقدر الخبراء الامريكيون ـ كما ورد فى احصاء المعهد القومى الامريكى للصحة العقلية ـ الخسائر التى يتكبدها الاقتصاد الامريكى بمبلغ يفوق الـ (٢٠) بليون دولار فى كل عام نتيجة قلة انتاج المصابين فى الدرجة الاولى ، ثم نفقات علاجهم فى الدرجة الثانية .

التحدى :

كان عامل التحدى اكبر حافز للعلماء الى الغوص فى الاعماق ، لاستكناه حقائق المرض ومسبباته واعراضه الاولى . فقد ذهبت جهود اسلافهم وابحاثهم التى استمرت عشرات السنين عبثا ودون طائل ، ولكن العلم لا يستسلم للفشل فى أى ميدان ، خاصة وهو يواجه الامراض المستعصية فيعمل على التقليل من انتشارها والحد من استفحالها . ولذا ظلت جهود العلماء والباحثين متواصلة لا تعرف الكلل . ورغم أن العلاجات التى استعملت حتى الآن نجحت فى اخفاء عوارض المرض الظاهرة فقط ، الا أنها عجزت عن شفائه .

فقبل عشرين سنة كان شخص واحد يصاب من بين كل مائة شخص فى أية مرحلة من مراحل العمر بالشيزوفرينيا ، والنسبة مازالت كما هى حتى الآن ، رغم كل الجهود ، لأن الطرق التى تتبع فى معالجة المرض اليوم ، هى نفس الطرق التى بدأ تطبيقها فى عام ١٩٦١ فى كوبنهاجن ، حيث اجرى الباحثون دراساتهم على (٣٠٧) من الأطفال لامهات مصابات بالشيزوفرينيا . والنتائج الاولية التى أسفرت عنها بحوثهم دفعت بغيرهم من الباحثين فى بلاد اخرى الى السير فى نفس الاتجاه ، واستمر ذلك فى عام ١٩٧٠ وما بعده ، وضمن مجموعات من الباحثين اطلقت على نفسها اسم (مجموعة الاخطاء الكبرى) وكلهم من العلماء فى هذا المجال ، وينتمون الى خمسة عشر مركزا للابحاث ، تنتشر فى كل انحاء العالم ، واجرت ابحاثها على (٣٠٠٠) طفل ، ويشمل هذا العدد (١٢٠٠) طفل لوالدين مصابين بالمرض ظهرت على (٣٥ الى ٤٠) منهم العوارض الاكلينيكية للمرض ، وهو عدد يفوق ما كان العلماء يتوقعونه فى الشعوب العادية .

فالطفل الذي يولد لابوين مصابين ، يكون احتمال اصابته بالمرض قويا بنسبة ثلاث الى ست مرات عن الطفل العادى الذى يولد لابوين سليمين ، ويرفع بعض الخبراء هذه النسبة الى اربعة عشر ضعفا ، ويذهب بعضهم الى القول ان الطفل الذى يكون والداه مصابين بالمرض يصل احتمال اصابته بالمرض الى (٣٥) ضعفا ، بالمقارنة مع الطفل الذى يولد لابوين سليمين .

ومع ذلك ، فقد اثبتت البحوث والتجارب ان معظم أطفال الوالدين المصابين قد لا يصابون بالمرض ، وقد كانت هذه الحقيقة أكبر تحد لنظرية وراثة المرض التى كان الباحثون يسيرون على هديها ، فكيف يستطيعون اذن تصنيف الاعراض والبوادر التى يفرقون بها بين اولئك الذين سيتطور معهم المرض واولئك الذين سيبقى المرض عندهم ساكنا خامدا دون أية ظواهر او بوادر ؟ ومن اين سيبدءون اذن ؟ وكيف سيوجهون جهودهم ؟

مقارنات :

واتخذ الباحثون والباحثات لهم طريقا جديدة . فقد بدأوا يقارنون بين طفل ولد لابوين مصابين بالشيزوفرينيا،وطفل آخر ولد لابوين لديهم اضطرابات وامراض نفسية أخرى غير الشيزوفرينيا . وهم يأملون ان يتمكنوا بهذه الطريقة من عزل الصفات التى يمكن أن يورثها الوالدان المصابان بامراض عقلية لأولادهما ، ومقارنة صفات الولد الاول بصفات الولد الثانى ، وتصنيف المشترك منها والمتباين ، ثم مقارنة هذه وتلك بصفات الطفل الذى ولد لابوين سليمين ، وليس فى سجلها الطبى أية اشارة لاصابتها بأى مرض نفسى أو عقلى .

ومازال البحث مستمرا بهذا الاسلوب منذ خمسة عشر عاما . والاطفال الذين بدأت الأبحاث عليهم وهم فى سن الخامسة اصبحوا الآن فى سن العشرين ، والمعروف أن معظم الاصابات بالشيزوفرينيا تكون فى مرحلة العمر التى تقع بين (١٥ و ٤٥) سنة ، ومعظم الاصابات تحدث فى بداية العشرينيات من العمر .

وقد ظهرت فعلا اعراض الشيزوفرينيا على ما يقرب من (٤٠) طفلا ، وهو رقم يفوق ثلاثة أضعاف ما كان يتوقعه الباحثون فى العشرين سنة التالية .

نتائج وفوارق

يقول الدكتور نورمان وات - استاذ علم النفس فى جامعة دينفر ، وأحد أبرز الباحثين فى هذا المجال ، وله عدة تحقيقات وابحاث تولت طباعتها جامعة كمبردج تحت عنوان « الاطفال المعرضون للاصابة بالشيزوفرينيا » ان بعض النتائج التى توصل اليها الباحثون تشكل ادلة قوية سيكون لها شأن مهم فى تحديد الفروق الرئيسية بين الاطفال الذين اصيبوا بالمرض والاطفال الذين لم يصابوا به ، وأورد الفروق الرئيسية التالية بين الفئتين :-

١ - الذين اصيبوا بالمرض كانت اصابات امهاتهم بالمرض مزمنة وشديدة ، وهؤلاء كانت بداية اصابتهم مبكرة ، واستمرت مدة طويلة ، وكانت بوادر الاصابة ظاهرة عليهم،كما ان امهاتهم كن فى غاية التخلف من الناحيتين الاجتماعية والشخصية .

٢ - الاطفال الذين اصيبوا بالمرض ولدوا بعد مخاض متعسر ، وغالبا ماكانت اوضاعهم فى بطون امهاتهم غير طبيعية قبل الوضع .

٣ - الاطفال الذين اصيبوا غالبا ما كانت نشأتهم الأولى فى مؤسسات او دور رعاية الاطفال ، او فى كنف اسر تبنتهم وتولت تربيتهم .

٤ - الاطفال الذين اصيبوا كانوا يخلقون حولهم المشاكل فى مدارسهم ، وهم يتصفون بالقلق وسرعة التأثر وحب العدوان .

تركز الطرق الحديثة التى تبشر بنتائج جيدة على الكيفية التى يجرى بها التعامل بين افراد اسرة الطفل المصاب ، فالباحثون فى جامعة كاليفورنيا فى لوس آنجلوس اتجهوا لدراسة هذا الجانب من المحيط الذى يعيش فيه الطفل ، وشملت الابحاث (٦٥) اسرة ممن ظهرت على أطفالهم أعراض المرض فى سن المراهقة ، متمثلة فى بوادر عدم التوافق والانسجام مع من حولهم ، واستمرت الدراسة مدة عشر سنوات ،

اصيب بالمرض خلالها اثنا عشر طفلا من افراد هذه الأسر ، ولكنهم لم يدخلوا الى المستشفيات ، والصفة المميزة لهذه الأسر كانت (الانهيار الخلقي) .

الاستعداد الوراثي :

ويرى الدكتور مايكل جولد شتين : ان الانهيار الخلقي في الأسر لا يؤدي بالضرورة الى اصابة الاطفال بالمرض ، ولكن اذا كان لدى الاطفال استعداد وراثي للاصابة بالمرض فاحتمال اصابتهم يكون اكبر،فتعرض الطفل لطريقة شاذة في التعامل مثل فرض أوامر وتعليمات سلبية على الطفل والتدخل في كل كبيرة وصغيرة من شئونه الخاصة ، تجعل منه طفلا معرضــاً لفقدان الرابطة بين الحقيقة والواقع الذي يعيش فيه ، وتحت ضغط هذه الظروف ، ينفصل تفكير الطفل عن مجرى سيره الطبيعي بسهولة ، ويصاب بالمرض

بعض الباحثين يعتقدون ان تعليم مثل هؤلاء الأطفال العادات الاجتماعية السوية قد يساعدهم على التخلص من المرض ، فمعظم المصابين بالشيزوفرينيا لهم تاريخ طويل مع المشاكل الاجتماعية ، وخاصة عندما يشبون عن الطوق ، ويدخلون مراحل التعليم العالي . ورد هذا في بحث اجراه الدكتور جون ستروس ، استاذ علم النفس في كلية ييل الطبية .

أعراض اخرى :

واتجه بعض الباحثين لاستكناه اعراض أخرى ومعرفة أسبابها كحالات الذهول والعجز عن التركيز ، وضعف الذاكرة . فقد ظهرت مثل هذه الاعراض على أطفال أخضعوا للبحث في وقت مبكر من حياتهم . ضمن دراسة أجريت في نيويورك .

ويقول الدكتور ليتمير كيملنج - مدير معهد البحوث النفسية في مدينة نيويورك : «ان التغيرات المختلفة التي تطرأ على سلوك الأطفال المعرضين للاصابة كانت دائما مصدر حيرة للباحثين ، فأحد الصبية ثبتت اصابته بالشيزوفرينيا في سن الثامنة عشرة ، وكان قد سجل في ملفه حين كان في المرحلة الابتدائية انه عصبي المزاج ، وتصيبه احيانا حالات من الشرود الذهني . وقد وصفه احد مدرسيه بأنه (متبجح حقير ، يزدريه زملاؤه) ، وفي ملفه في المدرسة الثانوية كتب عنه : (تنتابه نوبات من الانفعال المفاجيء وسورات من الغضب ، ويدخل في عراك مع زملائه) ومع ذلك فعندما اصبح في سنته الدراسية التاسعة ، اختاره طلاب فصله ليكون رئيسا عليهم» .

وينصرف كل باحث في هذا الميدان للبحث عن فئة من الاطفال تجمعها صفات سلوكية مشتركة ، ويتابع تطور مسلك افرادها الى أن يصاب احدهم او بعضهم بالشيزوفرينيا ، وتشمل الابحاث عادة ما يتعرض له كل فرد من افراد هذه الفئة من ضغوط خارجية قبل أن يصاب بالمرض .

يقول الدكتور وات : «لم يثبت حتى الآن أثر الضغوط الخارجية على تطور المرض واستفحاله بين الأطفال ، فالحالات التي جرت متابعتها كانت تصرفات افرادها السلوكية أكثر تعقيدا مما كان يتصور ، لم يظهر المرض الا على عدد قليل ممن اخضعوا للدراسة ، كما أن الصفات السلوكية المشتركة بين من أصيبوا بالمرض فعلا كانت أيضا قليلة» .

وخلاصة القول ، ان البحث في هذا المجال يثير الكثير من القضايا الاخلاقية ، فاخضاع طفل للبحث ، ومتابعة كل تصرفاته مدة طويلة من الزمن ، هو في حد ذاته عمل غير اخلاقي ، فقد يلحق هذا التصرف وهذه المتابعة النؤوبة بطفل بريء - قد لا يصاب بالمرض ابدا - اذى بليغا من الناحية النفسية ، ماكان ليلحق به لو أنه اعفي من هذه المتابعة ، وقد فطن الباحثون لهذه الناحية في وقت متأخر ، وكل ما استطاعوا ان يفعلوه للتقليل من الضرر الذي قد يلحق بالاطفال الذين يخضعون للبحث هو اخفاء اسماء المعرضين منهم اكثر من غيرهم للاصابة بالمرض ، خاصة اذا كان هؤلاء الأطفال قد ولدوا لأبوين سليمين ، وتكليف المدرسين بتوجيه الأسئلة لهم بدلا من الباحثين ، لكي يبدو الامر طبيعيا بالنسبة لهم . □

منتدى العربي

الرأي ، والرأي الآخر .. والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

قضية

هل آن الأوان لقول فصل في ترجمات تفسير القرآن ؟

بقلم : الدكتور حسن المعايرجي

القضية هنا ليست قضية ترجمة القرآن الكريم ـ حيث أمكن حصر ٤٣٥ ترجمة الى اللغات الأوروبية ، وحوالي ١٢٠٠ ترجمة الى اللغات الأخرى ـ ولكن القضية هي : هل هي ترجمة معان أم ترجمة تفسير ؟ وهل آن الأوان للجهات المختصة أن يكون لها قول في هذا الأمر .. وأن يتحقق مشروع مجمع ترجمات التفسير ضمن مشروعات القرن الهجري الخامس عشر ؟

ينتشر الاسلام دون توقف منذ أن بلّغ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسالته الى البشرية كافة . وبلغ المسلمون الآن حوالي المليار نسمة ، ينتشرون على مساحة متوسطة من العالم تزيد على ربع مساحة المعمورة ، وتقدر هذه المساحة بـ ٣٧ مليون كم٢ من أصل ١٣٦ مليون كم٢ من اليابسة .

ويعيش ثلث المسلمين على شكل أقليات تحت حكومات شيوعية أو وثنية أو مسيحية أو يهودية ، وبلغ ما أمكن حصره من اللغات التي استعملها المسلمون في ترجمة أو محاولة ترجمة معاني القرآن الكريم حوالي ١٢٤ لغة،وهذا العدد لا يمثل الا جزءا بسيطا من اللغات التي يستعملها المسلمون ، حيث أن هناك شعوبا اسلامية كثيرة ليس لديها تفسير مطبوع للقرآن الكريم بلغاتها حتى الآن ، وان كانت بعض الشعوب الافريقية لديها تفاسير شفوية غير مكتوبة تتناقلها الألسن مشافهة .

وكان يصاحب انتشار الاسلام في الصدر الاول انتشار مواز للغة العربية ، بحيث أن الحاجة الى تفسير للقرآن الكريم بغير العربية كانت قليلة أو غير واردة ، ولم يبدأ ظهور تفاسير باللغة الفارسية الا في عام

٣١٠هـ حيث تم ترجمة تفسير الطبري .

وفي عام ٧٢٤هـ تم ترجمة نفس التفسير الى التركية ، أما الاردية وهي لغة أحدث من السابقتين فقد ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم فيها عام ١١٩٠هـ والتي قام بها مولانا شاه رفيع الدين .

وقد كانت التفاسير وترجمة المعاني تنبع من حاجة اسلامية ، وبأيد اسلامية أمينة على تبليغ رسالة الاسلام ، ومعاني القرآن الكريم لمن لا يحسن العربية .

محاولات للتحريف

بعد فتوحات المسلمين في أوروبا والاندلس ، واحتكاك المسلمين والمسيحيين في الحروب الصليبية وغيرها ، بدأ المسيحيون في ترجمة معاني (القرآن الكريم) في محاولة للتعرف على « كتاب محمد » أو التعرف على « القانون التركي » أو على « قرآن محمد » كما كانوا يطلقون عليه ، وهكذا فقد ترجم القرآن الكريم الى اللاتينية بمعرفة رهبان ديركلوني عام ٥٠٨هـ ، وحفظت هذه الترجمة لدراسات الرهبان للتعرف على دين المسلمين ، ولم تطبع الترجمة الا في عام ٩٥٠هـ ، ومن هذه الترجمة نقلت ترجمات الى الفرنسية والالمانية والانجليزية وغيرها من اللغات الاوروبية ، حيث أن المترجمين حينذاك لم يكونوا على علم باللغة العربية ، فوجدوا الترجمة اللاتينية أقرب منالا بالنسبة لهم . وبعد هذا التعرف المبدئي بالاسلام والذي تم عن طريق هذه التراجم ، اشتد ساعد الاوروبيين في حربهم للاسلام ، وظهرت حركات التبشير والاستشراق لتنقض على تراثنا الاسلامي ، وتعمل على طمس معالم النور والاضاءة فيه ، اما بحرقه كما حدث في أسبانيا ، أو بنهبه وحفظه في مكتباتهم وجامعاتهم ، او بدراسته واثارة الشبهات حوله كلما أمكنهم ذلك ، وكانت ترجمة معاني القرآن الكريم وسيلتهم لتحريف الكلم عن مواضعه او لصرف أقليات اسلامية سقطت تحت حكمهم عن النص القرآني الكريم ، وتحويلهم الى ترجمة ميسرة بلغتهم كما حدث في بلغاريا ، اذ قام المبشر الالماني « هوبه » A.II.Hoppe وفريق من الدارسين بعمل ترجمة باللغة البلغارية لشعوب البوماك المسلمين. وكان هذا الحدث آنذاك حدثا اعتبره المبشرون عيدا ، وكالترجمة التي قام بها القس جودفري ديل بالسواحلية ووزعها على مراكز التبشير ومدارس الاحد في شرق افريقيا حتى يمكن محاجة المسلمين عن علم ومناقشتهم عن معرفة . وهكذا نجد أن ترجمة معاني القرآن الكريم قد استغلت بشكل مقصود واستعملها غير المسلمين لمحاربة الاسلام .

وظهر في الميدان آخرون يترجمون معاني القرآن الكريم لخدمة أغراضهم ومعتقداتهم ، واقصد بهم الأحمدية القاديانية التي كان لها وما زال نشاط كبير في الترجمة ، واوقفوا الأوقاف لهذا الغرض حتى انهم ترجموا معاني القرآن الكريم الى أغلب اللغات الاوروبية كما ترجموه الى السواحلية لأهمية هذه اللغة التي تستعمل في شرق ووسط افريقيا ، وسبقت الترجمات الأحمدية في بعض اللغات ترجمات أهل السنة ، وامتلأ الميدان بترجمات فاسدة ـ يقوم بها صليبيون او يهود او قاديانيون ـ أغلبها مترجم عن غير العربية . فالنسخة البلغارية مثلا هي نسخة مترجمة عن الالمانية ، والالمانية عن الانجليزية ، والانجليزية عن اللاتينية ، واللاتينية عن العربية ، ولا أدري كم بقي من المعنى القرآني الاصيل بعد هذه الرحلة الطويلة .

الترجمة الحديثة للقرآن

وفي العصر الحديث ظهرت ترجمات بأيد مسلمة من أهل السنة ، وهذه الترجمات وان كانت متأخرة جدا الا انها قد سدت فراغا طالما أشفق منه العارفون بخطورة ما نحن فيه من اهمال لتبليغ رسالة الاسلام الصافية الى المسلمين بألسنتهم المختلفة ، وقد سبقنا بالفضل في هذا اخواننا من علماء المسلمين في الهند من أمثال يوسف علي وأبي الاعلى المودودي في الانجليزية ، وحميد الله في الفرنسية ، وغيرهم في اللغات الاخرى .

وبينما كانت الترجمات لمعاني القرآن الكريم تتزايد بكل لغات الأرض الصالح منها والفاسد ، الموجّه للتبليغ منها والموجّه لحرب الاسلام ، كان المسلمون في معركة حامية فيما بينهم ، وكان الجدل يدور فيما بينهم حول : هل يجوز أن نترجم القرآن ؟ وهل ترجمة

القرآن تسمى ترجمة معان أو ترجمة تفسير ؟

وفي الوقت الذي أمكن حصر ٤٣٥ ـ ترجمة في اللغات الاوروبية وحدها وما زالت في تزايد ، ناهيك عن اللغات الآسيوية والافريقية ، وحيث تناهز الترجمات في اللغات الاسلامية الكبرى الثلاث : التركية والاردية والفارسية ما يقرب من ١٢٠٠ ترجمة ، كانت المعركة مستمرة بين انصار الاباحة ، وانصار التحريم ، وانصار الاباحة بشروط ، ومازالت هذه المعركة تعتمل في النفوس حتى وقتنا الحاضر .

وقد كان لتراجع اللغة العربية عن الانتشار لمواكبة انتشار الاسلام أثر كبير في تزايد الحاجة الى تفاسير مترجمة ، وقد قال ابن تيمية في هذا الصدد : « ان اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب،فان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم الا باللغة العربية ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال : « تعلموا العربية فانها من دينكم » .

فتعلم العربية للمسلم واجب ، ونشر العربية يجب أن يكون خطا موازيا تماما للدعوة الى الاسلام ، ومن الجهة المقابلة يقوم واجب الترجمة لمن لا يعرف العربية من المسلمين،حتى يعرف تعاليم الاسلام والى ان يتعلم العربية . فالترجمة مرحلة تنتهي بانتشار العربية بين المسلمين .

مجمع للترجمات

ان هناك دراسات ضمن مشروعات القرن الهجري الخامس عشر لقيام مجمع لترجمات تفسير القرآن الكريم .

وتهدف الدراسة التي يقدمها المشروع الى ما يأتي :

١ ـ حصر ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة .

٢ ـ جمع نسخ من هذه الترجمات لتكوين مكتبة لها تساعد الباحثين والمحققين والمترجمين .

٣ ـ عمل دليل لهذه الترجمات يبين الجيد منها ويحذر من الترجمات المشبوهة .

٤ ـ اختيار بعض الترجمات الجيدة في كل لغة وطبعها وتوزيعها على المسلمين .

٥ ـ تكوين لجنة لاختيار تفسير عربي مناسب يترجم الى اللغات الأساسية الواسعة الانتشار بين المسلمين .

فأما عن حصر الترجمات فقد تم حصر بعضها في اللغات المختلفة بجهود فردية متناثرة ، وقد قام الاستاذ محمد حميد الله بعمل قائمة للترجمات باللغات الأوروبية ، وقام مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول بعمل قائمة للترجمات باللغات الاوروبية والآسيوية والافريقية ، وما زال العمل يحتاج الى جهود اخرى لتعميق هذا الحصر واستكماله ، ثم متابعة رصد هذه الترجمات وتسجيلها عند ظهورها ، وعمل مثل هذا يحتاج الى متخصصين في عمليات الفهرسة واعداد القوائم والاستعانة بالمكتبات والجامعات في الدول المختلفة .

وعن جمع نسخ من هذه الترجمات فقد أصبح هذا العمل ضروريا يتطلب جهدا ومتابعة لحفظ نسخ من كل ترجمة تصدر بأي لغة في العالم ، وجمع ما سبق صدوره منها ، وتصوير المخطوط لتتكون من هذا وذاك مكتبة من هذه الترجمات يستفيد منها الباحثون والمحققون والمترجمون ، كما أنها تحفظ هذه الترجمات من الاندثار أو الضياع بتصويرها على ميكروفيلم وحفظه .

وهذا العمل ـ على ما فيه من صبر وجهد ـ سيجمع بين ثناياه بلا شك الترجمات الجيدة والسيئة ، وبالتالي فانه يحتاج الى ارسال متخصصين يقومون بجمع هذه الترجمات من الدول المختلفة ، مستعينين بالهيئات الدبلوماسية الممثلة للدولة في الخارج لجمع ورصد هذه الترجمات ، والتعرف على المجموعات الخاصة الموجودة لدى الافراد والهيئات لتصويرها ، والحصول على فهارسها ، او شرائها ان تيسر ذلك .

دليل للترجمات

وللبدء والشروع بهذا الدليل ، لابد من تكوين لجان لدراسة ترجمات كل لغة ، وتقييم هذه الترجمات ولمعرفة الجيد ورصد الاخطاء في الفاسد منها ، ووضع ذلك على شكل دليل يبين الاخطاء الموجودة في الترجمة ان كانت بها اخطاء ، ويحدد مدى دقة هذه الترجمة وهل يمكن الاعتماد عليها . بعدئذ تصنف هذه

الترجمات في عدة مستويات تُسهّل على مستعملي هذه الترجمات تقييمها ومعرفة الصالح منها وغير الصالح .

وهذا العمل يحتاج الى محققين باللغات المختلفة على مستوى علمي قرآني رفيع .

ويمكن في ضوء عمل اللجان في المرحلة السابقة اختيار ترجمة أو ترجمتين من كل لغة لطبعها وتوزيعها على المسلمين ، الى حين اتمام المرحلة الخامسة .

لجنة للاختيار

ولاشك أنه قد آن الأوان لتكوين لجنة لاختيار تفسير عربي مناسب يترجم الى اللغات الأساسية الواسعة الانتشار بين المسلين ، وأمام هذه اللجنة عدة مهام تبين فيما يلي :

أ ـ الاختيار :

وهذه المرحلة في تقديري قد سبق تنفيذها ولو جزئيا باصدار التفسير الوسيط الذي قامت به لجنة من علماء الازهر الشريف لهذا الغرض ، والخطوة التالية هي ترجمة هذا التفسير الى اللغات المختلفة ، ان كان اختيار هذا التفسير ما زال ساريا ومقبولا من علماء التفسير .

ب ـ الترجمة :

وهذه المرحلة تحتاج الى جهود كبيرة ومكثفة تقتضي بتكوين لجان كثيرة للترجمة ، تختص كل لجنة منها بإحدى اللغات وتكون الاولوية للغات التي يستعملها الكثرة من المسلمين ، ثم تنتقل الى اللغات الاقل انتشارا وهكذا .

وتكون هناك لكل لجنة ترجمة لجنة للتدقيق والمراجعة .

جـ ـ الطبع :

ثم تبدأ عمليات الطبع والاخراج لهذه الترجمات المعتمدة ، وهذه العملية تحتاج بالطبع الى مطابع هائلة تستمر في تزويد المسلمين في شتى انحاء الارض بما يحتاجونه من تفاسير بكل اللغات ، ولعل مطبعة المدينة المنورة القرآنية هي من أنسب الاماكن لهذا العمل .

د ـ التوزيع :

وهو من أهم العمليات وأكثرها كلفة وأدقها تنظيما حيث أن اتقان هذه العملية يؤدي الى وصول التفاسير الى الايدي التي تحتاجها . وكثيرا ما تطبع التفاسير ولا تصل الى مستحقيها في البلدان المختلفة ، ولعل موسم الحج من أنسب المواسم لوصول هذه التفاسير الى مختلف الشعوب كما أنه يمكن انشاء او اقامة مراكز في افريقيا وآسيا لتقوم بعملية للتوزيع هذه .

هذه باختصار دراسة مبسطة لفكرة المجمع وأهدافه ومهماته ، وهي لعمري مهمات كثيرة وشاقة ، وتحتاج الى عمل دائب من رجال يعملون بروح المجاهدين ، وليس بأسلوب الموظفين المحترفين ، كما تحتاج لسنين طويلة من العمل الجاد المستمر .

وأحمد الله على فضله ، فبجهد فردي أمكن جمع مكتبة كبيرة من الترجمات ، وما زالت هذه الترجمات في نمو مستمر كما أن هناك ثبتا مكتبيا (بيبليوجرافي) للترجمات في طريقه للطبع بعد عمل شاق طويل ، كان الفضل فيه يعود الى مركز الابحاث للتاريخ والثقافة والفنون الاسلامية باستانبول ، كما أن رابطة العالم الاسلامي قامت بطبع العديد من الترجمات الجيدة ، كالترجمة اليابانية للمرحوم الحاج عمر ميتا ، والترجمة الانجليزية ليوسف علي ، وهي بصدد طبع مليون نسخة من ترجمة تركية ، هذا علاوة على ترجمة بالصينية واليوربا والهوسا ، كما ألفت لجنة لعمل ترجمتين جديدتين بالانجليزية والفرنسية .

كما أن التفسير الوسيط يعتبر تفسيرا جيدا جاهزا للترجمة للغات المختلفة ، أي أن هناك أعمالا متناثرة يمكن جمعها في صلب مراحل تنفيذ المشروع ولن تكون البداية من فراغ ، حتى تشرق شمس اللغة العربية على أمم المسلمين . □

■ الرجال العظام .... اذا كانوا أكبر منا فذلك لأن رءوسهم أعلى من رءوسنا ولكن أقدامهم هي تحت مثل أقدامنا .

(باسكال)

منتدى العربي

تعقيبات

حول "أورام الثدي"

تعقيب.. ورد على التعقيب

تلقت « العربي » تعقيبا من الدكتور فؤاد فاضل جميل الشيخلي بالعراق على مقال الدكتورة فاطمة الغرباوي الذي نشر بالعدد الممتاز من العربي يناير ١٩٨٥ ، وردت الدكتورة فاطمة الغرباوي على التعقيب بتوضيح آخر ننشرهما عملا بحرية النشر

يقول الدكتور الشيخلي :

« قرأت في العربي العدد رقم ٣١٤ (بالعدد الممتاز) وفي موضوع أورام الثدي (بقلم الدكتورة فاطمة الغرباوي ، بعضا من المصطلحات الطبية التي استخدمتها دون رجوعها الى المعجم الطبي العربي الموحد ، والذي تم العمل بموجبه منذ سنوات ، حفاظا على علمنا الطبي ولغتنا الجميلة ، وخدمة لمرحلة تعريب العلوم الطبية في وطننا العربي . وقد وجدت أن الدكتورة فاطمة لم يحالفها الحظ أيضا في تبويب المقال ، فمثلا جاءت المسببات في نهاية الموضوع ، والتشخيص بعد العلاج دون اعطائنا المعنى المقصود منها ، فمثلا في ص ١٣٨ (التشخيص المبكر) تدعو المرأة الى تشخيص المرض بنفسها ، وهذا مخالف لتعاليم الطب .

وفي ص ١٣٩ تقول : (أما الفيتامينات فلا توجد علاقة ثابتة بينها وبين الوقاية من السرطان ، ولكن لوحظ انخفاض في نسبة الاصابة عند قوم يهتمون في طعامهم بفيتامين (أ و ج) ان هذه الجملة يمكن فهمها ، ولكن عندما تعود وتذكر (ولايعلم للآن كيف يحارب فيتامين ج هذا المرض في الجسم ، ولكن يعتقد بأنه يعطل تحول بعض المواد غير الضارة في الطعام الى مواد سرطانية في الجسم) . وإليك الآن الأخطاء في المصطلحات الطبية

* ورم غددي ليفي Fibroaclenaua والصحيح ورم ليفي غدي .
* درنة Tubercule والصحيح أنها ليست درنة بل تليف (Fibros) أوكيس (Cyst) لأن الدرنة من التدرن وهو (السل) T.B
* الموجات الصوتية Sonar وصحتها الموجات فوق الصوتية (Mammogrophy) لم تترجمها الدكتورة فاطمة ، بينما ترجمتها هي تخطيط الثدي أو رسمه بالاشعة السينية .
* طبيب كلينيكي Physician وصحته ، طبيب سريري .

اضافة لذلك أهملت أهمية الفحص النسيجي السريري (Clinical Pathology) الذي يلعب دورا مهما في التشخيص ، وان ماذكرت من عدم دقة بعض أجهزة التشخيص مثل الأشعة السينية وتحت الحمراء ، وأخذ العينة ، ماهي الا التسلسل الطبي المتبع في طب العالم المتقدم دون اللجوء الى ماهو أكثر تعقيدا .

ورد على التعقيب

حول تعليق الأخ الدكتور فؤاد الشيخلي من العراق الشقيق حول مقالي عن أورام الثدي في مجلة العربي .. يسعدني الرد على ماورد به

أولا : عن دعوة المرأة لتشخيص مرضها بنفسها واستنكاره لذلك ، فان هذا الامر معمول به منذ سنوات ، بل تنادي به كل الاوساط الطبية الحديثة ضمن برامج مايسمى بالفحص المبدئي ، الفحص الجموعي أو Screening system وأخذا بهذا المنهج ، ثبت أن أكثر من ٨٠٪ من الحالات المكتشفة حديثا تمت بواسطة المريضة نفسها ، لاكتشافها كتلة غريبة في الثدي ، أما الـ ٢٠٪ الباقية فتدخل في نطاقها الحالات المحولة من طبيب العائلة الى الأخصائي ، أو ضمن نتائج البحث عن ورم مبدئي

واني أدعو الزميل الكريم لقراءة بعض المراجع الآتية وغيرها ، والتي تلج هذا الموضوع تفصيليا : ـ

● كتاب : Diagnostic Radiology/1984

● كتاب : Diagnosis of Breast Disease 1983

نشرة : Breast Lumps 1980 و Clinical Symposia (CIBA) Volume 32,

وغيرها كثير يعجز المقام عن ذكره . .

كلها تبين أهمية تعليم المرأة كيفية فحص نفسها بنفسها دوريا ، لتلجأ فورا الى الطبيب اذا ما اكتشفت أي كتلة غير طبيعية في أي من الثديين أو كليهما .

ثانيا : من جهة عدم ترتيب النقاط حسبما ذكر ، فهذا لايضر شيئا في الموضوع على ماأظن ، فهو ليس محاضرة في مدرج جامعي حتى تتمسك بالنظام التسلسلي ، وانما اردنا تشويق القارىء الذي لايعلم شيئا عن الموضوع . .

ثالثا : من جهة التعريب والترجمة ، فأنا أحيي في أخي حرصه على اللغة العربية وأغبطه في هذا وأشاركه . الا أني قد استعنت بمعجمين آخرين غير الذي ذكر ، ومنها أخذت الترجمة الآتية :

Adenoma في معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف ـ الناشر مكتبة النهضة في بيروت وبغداد ـ صفحة ٢٤ ورم غددي . أما المعجم الثاني فهو المعجم الطبي ـ الصيدلي الحديث للدكتور علي محمود عويضة ـ الناشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، ففي هذا المعجم صفحة ٤٩ كانت الترجمة هي ورم غددي .

ـ اما كلمة Tubercule أو Tubercle فالاثنتان في معجم الدكتور شرف صفحة ٩١٥ ترجمتها تضم مرض السل وكذلك : درن ، درنة صغيرة ، حدبة صغيرة ، حدبة مستديرة ـ نتوء مستدير ـ جسم حبيبي صلب ـ والمفهوم في موضوعنا هو الحدبة المستديرة أو النتوء أو الكتلة ، ولم يقصد بها مرض السل.

ـ الموجات الصوتية . . كلمة Sonar هي اختصار للكلمات Sound Echo Navigalion & Ranging

وقد استخدمت قبلا للرادار في الحرب العالمية الثانية ، وهي تستخدم مجازا مع كلمة الموجات الصوتية لتعني الموجات فوق الصوتية .

ـ عدم ترجمة كلمة Mammography الى العربية لم يكن عن اهمال ، وانما في سياق الموضوع كانت الجملة التي اوردت : « . . . . اما الفحص الذي يعتمد عليه فعلا فهو الاشعة السينية ومايعمل للثدي يسمى Mammography وأظن ترجمة أطول من هذا تعتبر جدلا لالزوم له .

ـ لم أهمل الفحص النسيجي السريري ولكن مررت عليه مرورا خفيفا في جملتي . . عند ثبوت الورم . . تعمل عينة نسيجية . . لاخذ قطعة من الورم أو استئصاله برمته . . وهذا أفضل .

رابعا : عندما ذكرت عدم دقة بعض الفحوصات الطبية الأخرى بالمقارنة بفحص الاشعة ، فهذه حقيقة مؤكدة ومعروفة في كل الأوساط الطبية ، فهي عوامل مساعدة فقط وليست مقررة ، وأغلب المراجع الطبية ان لم تكن كلها متفقة تماما على هذا الرأي .

خامسا : اما عن الفيتامينات وعلاقتها بمرض السرطان عموما ـ فربما لم اكن في مقالي واضحة تماما وانما قصدت أن ثمة علاقة بين نقص الفيتامينات وظهور الامراض الخبيثة ، وبينت بعض النظريات التي تفسر ذلك ولاأخالني اخطأت التعبير في هذا .

تبقى نقطة أخيرة أحب ذكرها ، وهي أن فكرة طرح بعض الموضوعات الطبية الشائعة في المجلات العربية واسعة الانتشار هي بالمقام الاول وقائية وليست علاجية . وكثير من العامة على اختلاف درجات ثقافتهم يجدون تلك المعلومات على قصورها بالنسبة للعاملين في ميدان الطب ـ يجدونها مفيدة وجيدة ـ ومقامنا هنا قطعا ليس بالنقاش العلمي الطبي الذي نتمتع به في مجالسنا العلمية الدورية في المستشفيات والمؤتمرات . □

العطش عند الحيوان والإنسان

بقلم : الدكتور صلاح بركات

الماء ، لاحياة للكائنات بدونه ، فهي تجدّ في طلبه ما استطاعت وتتنازع من أجله كي ترتوي . . وهبها الله ما أتاح لها ايجاد السبيل لحفظ حياتها ، حينما تندر في الأرض والسماء .

بينت أبحاث العلماء المتخصصين بأن آلية العطش عند الانسان آلية معقدة ، صعبة الاكتشاف ، وذلك بسبب اشتراكها مع الحاجة الى الغذاء .

فالتغذية تسبب الظمأ ، ومن هنا فان طلب الماء خلال وجبات الغذاء عند أغلب الناس أمر معروف، ان شعورنا بالحاجة الى الماء يبدأ من مستوى الخلايا في أجسامنا ، فحاجة هذه الخلايا للماء تجعلنا نشعر بالظمأ .

يمكن القول بأن هناك نوعين من الظمأ :

الظمأ الأسموزي ويحدث عندما تكون الخلية بحاجة للماء ، وذلك عندما يبدأ ماء الخلية بالخروج منها عبر أغشيتها الهيولية متجها نحو الوسط المحيط بها لتمديده ، لان تركز المواد المنحلة من أملاح وسكاكر

أصبح أعلى مما هو عليه في داخل الخلايا . وهذا التباين في التركيز يؤدي الى اختلاف في الضغط الأسموزي داخل وخارج الخلية ، فيتحرك الماء بانتقاله من الخلايا (ضغط اسموزي منخفض) الى الوسط المحيط ذي الضغط الأسموزي العالي ، وهذا النوع من العطش نصاب به عندما نأكل أغذية مالحة .

النوع الثاني هو الظمأ الناتج عن انخفاض كمية الماء الكلية عن الحد المطلوب للجسم ، وبالاضافة الى الماء الموجود داخل الخلايا فان هناك نوعا آخر للماء يتواجد في الفراغات البينية ، الموجودة مابين الخلايا في سائر الأغشية المكونة للجسم لذا فان الحاجة للماء لاتنتج عن زيادة تركيز الوسط الخارجي ، وانما تنشأ عند حدوث نزيف دموي أو تعرق ، او اسهال شديد .

آلية الظمأ :

ان آلية الظمأ الأسموزي مازالت غير واضحة تماما بالرغم من الاكتشاف الأخير الذي أدى الى تحديد أمكنة الخلايا الدماغية المسيطرة على احداث هذا النوع من الظمأ . فقد ظهر من خلال تجارب أجريت على الجرذان والماعز ، بان حقن مراكز معينة داخل المنطقة الدماغية المسماة بالهيبولاتوس بمحاليل ملحية ، تراكيزها أعلى بقليل مما هي عليه في المحلول الدموي قد أحدث عند الحيوان الرغبة لشرب الماء وبالعكس فان حقن حيوان ظمآن بمحاليل ملحية ذات تراكيز أقل مما هي عليه قد أدى الى غياب رغبة الشرب الموجودة عنده . ويستخلص من ذلك بأن تركيز الملح يلعب دور العامل المحفز لخلايا الهيبوتلاموس الدماغية على احداث رغبة الشرب عند الحيوان لتأمين حاجته من الماء . لكن آلية استقبال هذه الاشارات الكيميائية ، أو هذه الأملاح من قبل الخلايا الدماغية السابقة الذكر وتحويلها الى اشارات سلوكية مازالت غير معروفة .

أما الظمأ الناتج عن انخفاض مقدار كمية الماء الكلي في الجسم فيمكن تفسيره كما يلي : من المعروف أن أي انخفاض في كمية الدم تكون مترافقة مع انخفاض في الضغط الشرياني ، وهذا الأخير يعمل على انتاج هرمون (الرنين) في الكلية لرفع ضغط الدم ، وهذا الهرمون يتحول بالدم تحت تأثير هرمون آخر يتم تكوينه داخل الكبد ، الى هرمون جديد يؤثر على نوع الخلايا الدماغية غير معروفة بالتحديد ، على اظهار الرغبة للحصول على الماء . بالفعل فقد وجد أن حقن الحيوان بأحد هذين الهرمونين يسبب لديه حالة العطش .

غلاف الجسم :

ان التعرض المباشر لأشعة الشمس الحارة ـ ولفترة طويلة في المناطق الصحراوية أمر ضار ، لأنه يعمل على رفع درجة حرارة جسم الكائن . وهذا يتطلب تبخير كمية من الماء من جسمه للمحافظة على درجة حرارته ثابتة ، وبالتالي حاجته الى الحصول على الماء ليعوض مافقده ويتخلص من عطشه .

وعلينا ألا ننسى أن هناك اشعاعات مؤذية للجسم موجودة مع الاشعاعات الشمسية الأخرى ، وهذا الأذى يزداد كلما كانت فترة التعرض أطول . لذلك كانت تغطية جسم الكائن النباتي أو الحيواني ضرورية حتى تقيه من العوامل السابقة ، فالفحص الميكروسكوبي يرينا أن الطبقة الخلوية الخارجية من البشرة سواء عند الحيوان أو النبات مغطاة بطبقة تقي من تأثير الاشعاعات الشمسية ، وتحول دون نفاذ الماء ، فخلايا البشرة عند ديدان الأرض تفرز طبقة رقيقة من مادة الكيوتيكل تقي وتحفظ أجسامها من العوامل الخارجية . ولكن بسبب رقة هذه المادة فان هذه الكائنات تعيش في الأماكن الرطبة داخل التربة أو تحت الصخور والحجارة والاخشاب وغيرها وبذلك تكفل حماية نفسها من خطر الجفاف والحرارة الزائدة ، وهذا الغلاف تزداد سماكته عند الحيوانات المفصلية الأرجل . وهو هنا يتكون من مادة الكيتين القرنية ، ويحيط بكامل أقسام الجسم ويشكل هيكله الأساسي بالاضافة الى ذلك فان هذا الغلاف يمنع نفاذ الماء من جسم الكائن . واذا فحصنا هذا الغلاف أو هذه الطبقة الموجودة فوق خلايا البشرة عند الزواحف والطيور ، والحيوانات الثديية ، لوجدنا أنها تتكون من مادة قرنية تحتوي على كمية كبيرة من الكيراتين .

الحمار ، من الحيوانات الصبورة على العطش .

وهي عبارة من مادة بروتينية ليفية غير قابلة للذوبان . هذه المادة تشكل العنصر الأساسي الكيميائي للمادة القرنية،وتنشأ عن خلايا كيراتينية تموت وتتصلب مشكلة بذلك طبقة لاينفذ منها الماء . ويلاحظ بأن هذه الطبقة تنسلخ عن الجسم وتعوض بطبقة جديدة أخرى مماثلة تنتج عن تكاثر الخلايا الموجودة في الغشاء القاعدي لخلايا البشرة . وتغطي هذه الطبقة الكيراتينية جلد بعض الحيوانات بغطاء كالريش عند الطيور ، والشعر عند الحيوانات الثدية . ويفيد هذا الغطاء في منع خروج حرارة جسم الكائن عن طريق الاشعاع ، أما الحيوانات التي لاتحتوى جلودها على كمية كافية من مادة الكيراتين فقد أكملت حمايتها ضد تبخر الماء منها بالعيش بالمناطق الرطبة أو المائية كالضفادع مثلا ، هذه الحيوانات تتصف أيضا بوجود طبقة من خلايا بشرية نشطة متميزة يطلق عليها اسم الامنيوت .

التنظيم الحراري :

ان الصحارى الموجودة على علو منخفض من سطح البحر لاتسبب متاعب في حفظ المياه عند الحيوانات القاطنة فيها فحسب ، بل تشكل مصاعب هامة في عملية التنظيم الحراري لديها ، لأن درجة حرارة الوسط تكون مرتفعة بشكل عام وتزيد من قدرة الحيوانات على تحملها . ان التخلص من الحرارة يكون اقتصاديا أكثر عن طريق تبخير الماء،فعملية تحويل الماء من سائل الى بخار يحتاج الى حرارة ، وخروج الماء من الجسم بشكل بخار سواء عن طريق التنفس او اللهاث يسبب انخفاضا في درجة حرارته ولكن حيوانات الصحارى لاتستطيع أتباع هذا الطريق للتخلص من حرارتها الزائدة ، لسبب بسيط ، هو قلة الماء الموجودة في تلك المناطق وهذه المشكلة المزدوجة تحل باحدى طريقتين :

إما باحتمال الجسم لارتفاع درجة الحرارة الداخلية له ، أو بأن يتبع طريقة مايتلاءم فيها مع هذه البيئة الحارة.ان الحيوانات الصحراوية الكبيرة الحجم ، كالجمال مثلا تظهر مقاومة واحتمالا للعطش بغية خفض درجة حرارتها ، فاثناء النهار ، نجد جسم الجمل يستطيع امتصاص كمية كبيرة من الحرارة ، ويتخلص منها عندما يصبح الجو أكثر برودة أي خلال ساعات الليل . وقد قيست درجة حرارة مستقيم الجمل خلال ساعات النهار صيفا فوجدت ٤٠,٧ م ، وهذه تهبط الى ٣٤,٧ م خلال الليل الصيفي . أما الحيوانات الصغيرة الحجم ، فانها أيضا تتجنب ارتفاع درجة حرارة جسمها لكن بطريقة اخرى ، اذ أن معظم هذه الحيوانات ليلية النشاط ، ويعيش أغلبها داخل جحور في الأرض متجنبة بذلك تبخر المياه من أجسامها ، وارتفاع درجة حرارتها الداخلية . وهناك حيوانات اخرى صغيرة الحجم لكنها نهارية النشاط ، وتقي نفسها من أشعة الشمس المباشرة عن طريق اختبائها في ملاجىء خلال ساعات الظهيرة ، حيث يمكنها التخلص من الحرارة الناتجة عن حركة العضلات ، او عن طريق الاشعاع الحراري بواسطة صيوان الاذنين الكبيرتين لاحتوائه على كمية كبيرة من الأوعية الدموية .

ان حصول الحيوان على المياه يمكن أن يتم بعدة صور أو طرق، أولاها الامتصاص الحر للماء أي تناول الماء العادي سواء من الأنهار أو الينابيع عن طريق الفم ، وهذه الطريقة تعتبر الوسيلة الرئيسية في سد

حاجة الحيوان من الماء ، وهناك أنواع اخرى تؤمن قسما من مياهها عن طريق امتصاص الرطوبة الجوية عبر أغشية الجسم الخارجية بالجلد، كما أن تناول الاغذية وخصوصا الطازجة تزود الحيوان بالماء الكافي بعض الأحيان ، وقد تغنيه في بعض الحالات عن تناول الماء الحر ، لكن حيوانات الصحارى نادرا ماتجد الماء العذب بصورة مستمرة لتؤمن ماتحتاج . وان وجدته يوما فقدته خلال أيام . ومع ذلك فانها

تعيش ولكن تعيش بالاقتصاد فيه وجمعه بشتى الوسائل ، ولندرة المياه في الصحراء فان على الحيوانات أن تتبع احدى طريقتين : اما جمعه من مصادره الطبيعية ، او صناعته وتركيبه داخل جسمها . وهذه الصعوبة الموجودة في طريقة الحصول عليه جعلت الاقتصاد والتقشف عنوان استعماله ، وخاصة اذا كان الماء يركب داخل أجهزة الجسم ، فالجرذ الكنغرى لايشرب الماء أبدا ، وغذاؤه يتشكل من الحبوب والبذور النباتية الجافة التي تنخفض المياه فيها الى حد كبير . ويعتمد العمليات الكيميائية للحصول على الماء،فعمليات الاستقلاب للاغذية واكسدة كل من الدهون والسكاكر تنتج جزئيات من الماء . وهذا الماء الداخل الى الجسم ، تخرج منه جزءا أيضا سواء أراد الحيوان ذلك أو لا ، ولكنه يستطيع بفضل مالديه من آليات بيولوجية أن يتحكم في كمية الماء الخارجة منه ، فالماء يتبخر ويخرج من الجسم عن طريق غدد التعرق الموجودة في جلده ، وعملية التعرق هذه تفيد الحيوان في خفض حرارته نتيجة البرودة الناتجة عن تبخر الماء. وعلى الحيوانات أن تحد من هذه العملية رغم فائدتها الجمة ، لان الماء قليل الوجود .

أشكال التكيف :

وعملية الحد هذه تختلف من حيوان لآخر ، فالنمل الصحراوي والعقارب والزواحف نجدها قد غطت جلدها بطبقة كتيمة تمنع نفاذ الماء ، ومنها من يزيد على هذه الطبقة الكتيمة بطبقة اخرى شمعية تضمن منع خروج الماء عن طريق تبخره من الجلد ، والحيوانات الاخرى كالطيور واليربوع والجرذ الكنغري تستغنى عن غدد التعرق ، فتقل بذلك كمية الماء الخارجة من سطح الجلد لدرجة كبيرة.أما الطريقة الرئيسية لخروج الماء من جسم الحيوان فتكون بصورة الطرح مع فضلات الطعام أو نواتج استهلاكية ، وكما هو معلوم فطرح هذه الفضلات أمر حيوي لارجعة فيه ، لانها سامة للجسم ولكن لدى الحيوانات آليات ونظما تحد من خروج الماء عن هذا الطريق،فمنها من يعمل على تركيز المادة السامة في البول ، وهي مادة البوله وبالتالي تقل كمية الماء المطروحة ، أو أن تطرح الحيوانات هذه الفضلات بصورة شبه صلبة أو صلبة تماما ، وذلك يتم بامتصاص الماء قبل طرحه سواء من البول أو البراز كما عند الطيور مثلا . وهناك حيوانات اخرى تتخلص من هذه الفضلات السامة بطريقة أجدى ، اذ أن هذه الفضلات تتحول عند بعض الحيوانات بفضل طرق كيميائية الى مواد صلبة سامة يمكن اختزانها داخل الجسم بدون أي خطر أو أذى عليه ، فالحراشف الموجودة على أجنحة الفراشات ماهي بالحقيقة الا امكنة لوضع الفضلات الناتجة عن عمليات الهضم والاستقلاب ، وفي الوقت نفسه فانها اي هذه الفضلات مسؤولة عن تلون هذه الحراشف واعطاء الفراشات تلك الالوان البديعة ، ولو دققنا النظر في انوف النعامات وطيور امويرديكس والسحالي الأمريكية أو الافريقية لوجدنا غددا أنفية تقوم بافراز الأملاح الزائدة عن حاجة الجسم دون استهلاك يذكر للمياه .

لقد درست آليات ونظم الحفاظ على المياه عند كثير من حيوانات الصحارى وطريقة تأمين تلك الحياة ، فالقوارض الصحراوية ونجدها على نوعين من المآكل والغذاء ، فالقوارض الرطبة اي الحيوانات التي تتغذى على النباتات الخضراء مثل حيوان البالكة المتغذى على أشجار الصباريات ، والنوع الثاني من القوارض يتغذى على الحبوب الجافة كاليربوع والجربيل هذه الحيوانات تدعى بالقوارض الجافة ، وقد قدر تركيز مادة البولة في بول القوارض الجافة فوجد انها تزيد عن تركيز الاملاح في ماء البحر بمرتين او بثلاث مرات ، وجفاف برازها يزيد بخمس مرات عن براز الجرذ الابيض ويعتبر الجرذ الكنغري من القوارض الجافة ، فهو يتغذى على الحبوب والمواد الجافة النباتية ، ومصدره الوحيد من الماء يأتي كما ذكرنا عن طريقة استقلاب وأكسدة السكاكر والدهون

والبروتين الموجودة في البذور ، وقد قدر بأن كمية الماء التي يحصل عليها من ١٠٠ غرام من الحبوب بحوالي ٥ سم او ما يعادل ٥٠ مل ، وفي بعض التجارب المخبرية غذى هذا الجرذ بحبوب من فول الصويا . والمعلوم عن هذه الحبوب بأنها تحتوي على قدر كبير من الماء بالمقارنة مع بذور النباتات الصحراوية ، ولكنها بنفس الوقت ذات محتوى بروتيني اعلى من سابقتها ، فوجد ان هذا الحيوان يموت بسرعة اذا لم يعط الماء العادي ، وكما سبق ذكره فان هذا الجرذ لا يشرب الماء ، وعلل هؤلاء الباحثون تلك الظاهرة الغريبة على الحيوان بأن عمليات الهضم والاستقلاب للبروتينات تؤدي الى انتاج مادة البولة ، هذه المادة يزداد انتاجها بزيادة نسبة البروتين الموجودة في الحبوب ، هي سامة للجسم لذلك فانه يقوم بطرحها خارج الجسم ، ويحتاج في ذلك الى كميات أكبر من الماء كلما زاد انتاجها، وطرحها يتم عن طريق الكلية ، والتغذي على مواد جافة جدا يميز بعض الأنواع الحيوانية كالماعز الأسود الموجود عند البدو الرحل في فلسطين، هذا الماعز قادر على اكل القمح اليابس الجاف ، ويعود ذلك الى مقدرته الخاصة على هضم السليوز ، وكذلك قدرته على طرح مادة البولة بصورة مركزة ، وبعض الأنواع من القوارض الرطبة يرتبط وجودها بشكل عام بوجود نبات معين ، فتتواجد حيث توجد وتختفي مع اختفائها ، فالعروة بينهما لا انفصام فيها ، كالجرذ الصحراوي الصغير .

الجرذ الكنغري لا يشرب الماء أبداً .

وهو يتغذى على أوراق وسوق النباتات السرمقية Chenopdiacees (هذه النباتات من ذوات الفلقتين كنبات السرمق) ونبات رجل الاوز الطبي . . وهذه الأنواع النباتية متأقلمة مع الحياة الصحراوية ، وتستمد حاجتها المائية من المياه الجوفية الأرضية ، ولا توجد الا في تلك الأماكن، فهي بذلك نباتات دالة على المياه الجوفية ، وهي تمد الجرذ بحوالي ٩٠٪ من حاجته من الماء ، ولهذا نراه يتواجد بالقرب منها بشكل دائم ، فيحفر أوكاره بقربها لينعم نفسه بأوراقها الطازجة وبظلها المحدود . ان القوارض التي تتغذى على الحبوب الجافة ، نادرا ما تتحمل الدرجة العالية من الحرارة ، فالملاحظ أنه اعتبارا من درجة ٤٠ م يبدأ فقدان الماء من جسم الحيوان ، ويتراوح ما بين ١٠٪ و ٢٠٪ من وزن الحيوان بالساعة ، وهذا الفقد يزداد مع ارتفاع درجة الحرارة ، وتعتبر درجة ٤٤ م او ٤٥ م درجة حرارة قاتلة للقوارض ، ومن حسن حظ تلك الحيوانات أنها تختفي في جحورها حين ارتفاع درجة الحرارة ، حيث تجد في هذا الجحر درجة حرارة مناسبة تتراوح ما بين ٢٠ و ٣٠ م والرطوبة العالية والتي تبلغ في بعض الحالات ١٠٠٪ .

وتبدو الجمال أكثر الحيوانات اثارة للدراسة لقدرتها المميزة على تحمل مشاق الصحراء من نقص بالمياه والغذاء وارتفاع الحرارة فيها ، هذه الحيوانات درست من قبل العديد من الباحثين نذكر منهم شميدت ونلسن. هذه المقدرة جعلت تلك الحيوانات سادة المناطق الصحراوية ، والسفن التي تمخر عباب الرمال ، فالجمال تتحمل الجفاف القاسي ، وتستطيع تحمل فقدان المياه من جسمها لدرجة كبيرة ، فتصل الى ٢٧٪ او ٣٠٪ من وزنها . فاذا كان وزن جمل ٣٠٠ كغ فانه يتحمل نقصا من وزنه ٩٠ كغ ، وهذا النقص يكون بصورة ماء .

هذا الفقد في ماء الجسم لا يؤثر في طبيعة السائل الدموي له ، ويكفي عشر دقائق لتعويض هذا الماء ، اذ يستطيع شرب ١٠٠ لتر من الماء خلالها ، وهذه الكمية من المياه تتوزع داخل جسم الحيوان ، وتصل الى خلاياه خلال ساعتين من الزمن ، أما كمية الماء التي يستطيع الجمل شربها ، فقد بينت الاختبارات انه يستطيع شرب ١٦٧ ليترا من المياه على دفعتين ، أو ١٨٦ ليترا على ثلاث دفعات ، اي ما يعادل نصف

وزنه تقريبا ، بينما الحمار الأهلي المحروم من الماء استطاع شرب كمية من الماء تعادل ربع وزنه بدفعة واحدة ، ولكن هذا لا يعني أن الجمل يكون مستودعا للمياه كما في حالة النباتات الصحراوية التي تختزن المياه في سوقها أو أوراقها ، بل يستخدم تلك في عملية التوازن المائي لجسمه وفي تنظيم حرارة جسمه أيضا فقد وجد أن الفرق بين درجة حرارة الجمل في النهار ودرجته في الليل تتغير بشرب الماء ، فكانت لجمل يشرب بشكل اعتيادي يومي ما بين ٣٧ م ٣٤,٥ م ، والفرق بينهما كان يتراوح ما بين ٢ و ٣ م اما درجة الحرارة لجمل محروم من الماء فكانت ما بين ٣٤,٥ م و ٤٠ م وكان الفرق يتراوح بينهما ما بين ٥ و ٦ م . ويتضح من ذلك أن درجة حرارة جسم الجمل متغيرة نسبيا ، فهي ترتفع بالنهار فتصل الى ٤٠ م وتنخفض بالليل لتصل ٣٤,٥ م وهذا التغير يتأثر كما بينا بالماء ، ويعود سبب ارتفاع حرارة الجمل بالنهار الى امتصاص جسمه لحرارة الوسط المحيط ، هذه الحرارة تصرف اثناء الليل دون استعمال الماء في ذلك ، وارتفاع حرارة الجمل في النهار يفيده ، فهو من ناحية يقلل الفرق ما بين درجة الحرارة الداخلية له ودرجة حرارة الوسط به ، ومن ناحية اخرى هذا الارتفاع يكبح استمرار ارتفاع درجة حرارته ، ويلعب وبر الجمل دورا في عملية العزل الحراري فيقلل من التبادل ما بين حرارة الجسم وحرارة الوسط المحيط ، كما تعمل هذه الأوبار على الحد من كمية الماء المتبخرة عبر غدد العرق الموجودة على سطح الجلد . وكلما ازدادت كمية الأوبار في وحدة المساحة ، كلما كانت عملية العزل أكبر وأعلى .

الجمل والعطش :

وتتجنب الجمال فقدان الماء عن طريق التنفس بالمحافظة على كمية بخار الماء الموجود بهواء الزفير بفضل الاغشية المخاطية الأنفية والمتصفة بقابليتها لامتصاص الماء ، فالهواء المستنشق جاف وحار ويمتص أثناء دخوله الى الرئتين عبر الانف ماء الأنسجة المخاطية الانفية ، هذا الامتصاص يسبب تبريد الانسجة وخفض حرارتها ، وحينما يصل هواء الشهيق هذا الى الرئتين فانه يتشبع بالرطوبة ، وبنفس الوقت ترتفع حرارته حتى تصل وتعادل حرارة الجسم ، وعند الزفير يحتك هذا الهواء بالاغشية المخاطية الانفية الباردة نسبيا ، وبالتالي فان بخار الماء في هذا الهواء يتكاثف على هذه الانسجة ، وتتناقص درجة حرارة هواء الزفير ، هذا النوع من التبادلات الحرارية والمائية موجود عند حيوانات اخرى كالزرافات والجرذ الكنغري ، لكنها تصل عند الجمال الى اعقدها بسبب نوعية الاغشية المخاطية ، وقد نتساءل احيانا : كم من الوقت يستطيع أن يبقى الجمل محروما من الماء ؟ ان صيغة السؤال بهذه الصورة ليست دقيقة ، بسبب وجود عدة عوامل تؤثر في حاجة الجمل الى الماء ، فقدرة الجمل تختلف باختلاف الفصول ، فتزداد خلال الصيف بسبب ارتفاع الحرارة وانخفاض الرطوبة الجوية ، وتتناقص خلال شهر الرطوبة شهر الأمطار ، شهر الشتاء البارد . وقدرة الجمل على تحمل العطش تقل اذا كان العمل الذي يؤديه مجهدا ومتعبا . وهناك عامل آخر يلعب دورا كبيرا في قدرة الجمل على تحمل العطش ، وهو نوعية الغذاء الذي يتناوله ، فاذا كان يتغذى على النباتات الخضراء فهذه النباتات ذات محتوى عال من المياه يستطيع ان يسد حاجته للماء منها وعلى العكس من ذلك حينما يتغذى على المواد الغذائية الجافة ، فحاجته للماء تزداد ، وقدرته على تحمل العطش تقل ، فاذا كان الجمل في مراع خضراء وفي فصل الشتاء فان صبره على فقدان الماء يصل الى عدة أشهر ، وهذا ليس بالغريب ، فالانسان حينما يتغذى على العنب او على البطيخ ، او على الخضار والبرتقال ، فانه يستطيع أن يستغنى عن شرب الماء ولو لمدة قصيرة ، اذ ان هذه الأغذية تحتوي على نسبة كبيرة من الماء . وقدرة الجمال على السير وتحمل مشاق السفر لا تقل عن قدرته على تحمل العطش . واخيرا ، يمكننا القول بأن الحيوانات الموجودة في بيئة معينة تبدي بعض مظاهر من التأقلم أو التغيرات المناسبة ، حتى تستطيع العيش فيها ، فالارض معمورة بالكائنات في كل بقعة منها ، وان بدا لنا غير ذلك . □

بعد ١٠٠ سنة على مؤتمر برلين حول غرب أفريقيا

كيف تآمرت

المافيا الأوروبية

لتقسيم القارة الإفريقيّة واستعمار دولها؟

بقلم : الدكتور أحمد الأمين البشير

مرت مائة سنة على مؤتمر برلين الذي حضرته ١٤ دولة أوروبية في تجمع يشبه تجمع « زعماء المافيا » لتقسيم القارة الافريقية الى مناطق نفوذ ، والاتفاق على قواعد للعبة يلتزم بها الجميع دون اعتبار لمصالح السكان وتطلعاتهم ..

في هذا المقال استعراض لأحداث المؤامرة والأسرار التي صاحبت تنفيذها .

مرت أوروبا الغربية في الفترة ما بين عامي ١٨٨٣ و ١٨٩٦ بما يعرف بالأزمة الاقتصادية الكبرى ، وقد تميزت بانخفاض في الاسعار والارباح وسعر الفائدة ، وازدياد في انتاج السلع المصنعة ، وارتفاع في البطالة ، وذلك بسبب دخول معظم دول أوروبا الرأسمالية عصر التصنيع أو الثورة الصناعية ، بعد ان كانت وقفا على انجلترا فقط .

ولقد نجم عن ذلك ارتفاع في المنافسة بينها على الاسواق ومصادر المواد الخام ، مما قاد الى التخلي تدريجيا عن سياسة السوق المفتوحة . والاتجاه الى سياسة الاحتكار ، وإقامة الموانع الجمركية والسياسية والعسكرية على أسواقها وأسواق مستعمراتها .

قاد هذان التطوران الى التنافس والتكالب على افريقيا ، بحسبانها آخر التخوم التي تقتحمها جحافل الرأسمالية الاوروبية،وطلائعها من مكتشفين ورحالة ومبشرين وتجار . وكان قد قام في كل دولة منها « لوبي » استعماري يمارس ضغوطه على السياسيين والموظفين لحماية المصالح الرأسمالية المختلفة فيما وراء البحار ، وحيازة المزيد من المستعمرات ، واغلاق ابوابها دون تجار الدول الاخرى .

وكان البرلمان البريطاني قد كون لجنة برلمانية لتحري الموضوع ، واقتراح الحلول له في عام ١٨٨٦ ، وقامت اللجنة بدراسة الموضوع ، واقترحت ايجاد المزيد من الاسواق الجديدة في المستعمرات القائمة ، والسعي للحصول على مزيد من المستعمرات الجديدة في افريقيا . وكانت الدول الاوروبية الصناعية الاخرى قد وصلت الى نفس النتيجة بطريقة أو بأخرى ، وقامت لديها حالة عامة تتطلع الى التوسع الجغرافي وترحب به .

وهكذا شهدت الفترة القصيرة بين عامي ١٨٧٦و ١٩١٢ احتلال واستعمار القارة الافريقية (مساحتها ١١,٧٠٠,٠٠٠ ميل مربع) ماعدا ليبيريا (ومساحتها ٤٣,٠٠٠ ميل مربع) والحبشة (ومساحتها ٧٤١,٧٧٦ ميلا مربعا) بواسطة سبع دول أوروبية هي بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا وإيطاليا والبرتغال وبلجيكا واسبانيا (مساحتها مجتمعة ٨٠٢,١٥٦ ميلا مربعا ، أي ما يساوي ٪ مساحة السودان وحده و ١/٢٥ من مساحة القارة الافريقية) .

مراحل الصراع على افريقيا

توصف هذه الفترة بأنها فترة الصراع أو التكالب على افريقيا ، اذ اشتدت المنافسة خلالها بين الدول الاوروبية ، وبلغت مرحلة كان لابد معها من عقد مؤتمر يضع قواعد اللعبة الاستعمارية ، حتى لاتقود المنافسة الى حرب اوروبية يصعب احتواؤها .

ويمكن تقسيم فترة التكالب التي استمرت ستة وثلاثين عاما الى ثلاث مراحل هي :

المرحلة الاولى وتمتد من ١٨٧٦ الى ١٨٨٤ ، وقد تم فيها تقسيم القارة الى مناطق نفوذ يعترف فيها المتنافسون فيما بينهم ـ رغم غياب الاحتلال الفعلي ـ بحق وضع اليد للدولة المعنية .

وتمتد المرحلة الثانية من ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ الى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ فترة انعقاد المؤتمر التي استمرت حوالي مائة يوم ، وهي فترة طويلة لانعقاد مؤتمر حتى بمقاييس تلك الايام . وكانت أغلب الاجتماعات والتسويات قد حدثت خارج أروقة المؤتمر ، ولم تكن مقصورة على غرب افريقيا ، وانما شملت القارة الافريقية بأجمعها .

● أما المرحلة الثالثة فتمتد من عام ١٨٨٥ الى عام ١٩١٢ ، وقد تم خلالها احتلال القارة عمليا ، وتقسيمها الى مستعمرات بين المتنافسين . ولان التقسيم قد تم في الغالب في قاعات الاجتماعات المغلقة في وزارات الخارجية الاوروبية وسفاراتها بين الدبلوماسيين الاوروبيين ، فقد اصبحت الحدود للمستعمرات الافريقية مجرد خطوط مستقيمة لاتحكمها اعتبارات جغرافية أو بشرية أو تاريخية ، ولعل هذا يفسر ماتعاني منه بعض الدول الافريقية في أيامنا هذه من مشاكل الاقليات والحروب الاهلية وانعدام مقومات الأمة الاساسية .

والذي يهمنا في هذه المقالة هو المرحلتان الاولى والثانية اللتان شهدتا انتقال الصراع حول افريقيا من مرحلة التنافس السلمي بين الدول الاوروبية الى مرحلة الاحتلال الفعلي . ويتفق المؤرخون على تطورات ثلاثة ادت الى هذه النقلة ، وان اختلفوا

هكذا كان المستعمرون يسوقون أبناء الارض عبيدا في بلادهم

حول أيُّها أكثر أهمية . وهذه التطورات هي انشاء الملك ليوبولد الثاني ، ملك بلجيكا للاتحاد الافريقي العالمي في عام ١٨٧٦ في بروكسل ، واحتلال انجلترا المنفرد لمصر في عام ١٨٨٢ ، وأخيرا دخول المانيا الموحدة دوامة التنافس على المستعمرات في افريقيا في عام ١٨٨٤ . وقد اعقب كل تطور من هذه التطورات حركة ونشاط أوروبي محموم ، قفز بالتكالب الى مستوى اعلى من الحدة والتوتر والمؤامرات والتحالفات بين الدول الاوروبية الرأسمالية .

ليوبولد الثاني . . ونقطة البداية

اعتلى الملك ليوبولد الثاني عرش بلجيكا (مساحتها ١١,٧٨١ ميلا مربعا) في عام ١٨٦٥ ، وكان احد الملوك والامراء الذين دعاهم الخديوي اسماعيل لافتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩ ، ولعل ما رآه وماسمعه اثناء تلك الايام الحافلة بالهرج والاسراف والأبهة والمؤامرات قد أثار انتباهه والهب خياله ، وحرك كوامن طموحه غير المحدود لحيازة جزء من الامكانات والثروات الطائلة السائبة في افريقيا .

في ذلك الوقت كانت تسيطر على الدبلوماسية الاوروبية فلسفة « توازن القوى » على مستوى الدول والاحلاف ، وقد نجحت تلك الفلسفة منذ مؤتمر فيينا في عام ١٨١٥ في تحقيق نوع من السلام النسبي لم تنعم به اوروبا في المائة عام السابقة لذلك . ولقد فطن الملك ليوبولد الثاني الى ثغرات تلك الفلسفة من افتقاد للثقة بين الحلفاء واستعداد للوقوع في حبائل الدسائس والاشاعات فيما يختص بالاعداء . واستغل الملك ليوبولد هذه الثغرات لخدمة اهدافه الى اقصى الحدود وبنجاح مدهش .

وقد تفتق ذهنه في عام ١٨٧٦ عن انشاء الاتحاد الافريقي العالمي ذي الاهداف الانسانية المعلنة ، اما الاهداف الحقيقية فقد كانت انتزاع بقعة غنية مثل مصر يسيطر هو على مقدراتها شخصيا ، بعد أن رفض البرلمان البلجيكي ، لاسباب واقعية ، مساندة مغامرات ومطامع الملك التوسعية من خلال الدبلوماسية .

وجّه الملك ليوبولد الثاني الدعوة الى كبار المكتشفين والجغرافيين والمبشرين والرأسماليين « البراجماتيين » الذين يؤمنون مثله بتحقيق أعلى نسبة من الارباح مع عمل القليل من الخير للتمويه . وكان هدف الاجتماع الاول تكوين اللجنة التنفيذية للاتحاد ، وانشاء اللجان الفرعية في مختلف البلدان الاوروبية ، لاعطائه الصبغة الدولية ، مع سيطرة الملك ليوبولد الثاني عليه . وأبدت الحكومتان الانجليزية والفرنسية تشككهما منذ البداية في الاتحاد وفي نوايا الملك ليوبولد ، وكونت كل منها جمعيتها الجغرافية المنفصلة للقيام باسمها بنفس العمل .

وأعلن الاتحاد اهدافه التي تدعي : « ادخال الحضارة في افريقيا من خلال انهاء تجارة الرقيق غير المشروعة ، واستبدالها بالتجارة المشروعة في المواد الاولية الافريقية والبضائع الاوروبية المصنعة ، ونشر المسيحية لـلأخـذ بـيـد الانسان الافـريـقي (البدائي) .. ! »

وبعث الاتحاد ببعثته الأولى الى شرق افريقيا في عام ١٨٧٧ ، واتبعها بأخرى الى اواسط القارة بعد عامين . ولكن حدث بين البعثتين تطور هام أثر على تفكير الملك ليوبولد الثاني ، وهو عودة المكتشف الامريكي الاصل هنري مورتون ستانلي (١٨٤١ - ١٩٠٤) بعد اكتشافه حوض نهر الكونغو ونشر خطابه المشهور في صحيفة الديلي تلغراف (١٨٧٧) عن امكانات وثروات المنطقة ، اختتمه بقوله :

ان الدولة التي ستسيطر على مجرى النهر ستسيطر تلقائيا على تجارة أغنى المناطق في افريقيا . ولم يفت على ذهن الملك ليوبولد المتفتح مغزى تلك الاشارة . وسارع للتعاقد مع ستانلي باسم الاتحاد ، وبعث به الى الكونغو لاكتشافه .

ولكن قبل مغادرة ستانلي لبلجيكا حل الملك ليوبولد الاتحاد الافريقي العالمي ، واعاد اشتراكات الدول الاعضاء اليها ، وكون الاتحاد العالمي للكونغو باسم بلاده وتحت سيطرته .

نجح ستانلي خلال خمس سنوات في الوصول الى اربعمائة وخمسين اتفاقية مع السلاطين الكونغوليين ، وافقوا فيها على وضع مناطق نفوذهم تحت حماية الاتحاد ، ولم يكونوا يفقهون مايعني ذلك في القانون القائم على قيم ومفاهيم الحضارة الغربية فيما يختص بالملكية الخاصة والعامة .

الشكوك بداية الصراع

الذي يهمنا في هذا المقام هو أن تحركات الاتحاد في اوروبا تحت إشراف الملك ليوبولد الثاني ، ونشاط وكيله ستانلي في افريقيا ، قد اثارا مخاوف وشكوك ومطامع الدول الأوروبية الأخرى ، مما دفعها الى الاسراع في بسط نفوذها وتدعيمه في حوض الكونغو ، وخصوصا فرنسا التي بعثت بالمكتشف الفرنسي الضابط سافورنان دو برازا في عام ١٨٧٩ ، كي يقوم بنفس الدور الذي كان يقوم به ستانلي ، ولكن باسم فرنسا ، وكانت تهدف بذلك الى ربط مستعمراتها في غرب افريقيا بالجابون في جنوبها الغربي .

الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢

لم تتخل فرنسا ابدا عن ادعائها بأن مصر منطقة نفوذ لها ، رغم ان احتلالها لها في عام ١٧٩٨ لم يستمر اكثر من ثلاث سنوات ، ولقد ازدادت أهمية مصر لبريطانيا بعد افتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩ ، واضطرار الخديوي اسماعيل الى بيع حصة مصر من اسهم القناة لها في عام ١٨٧٥ .

وكانت الحكومتان البريطانية والفرنسية قد اتخذتا من تدهور وارتباك الاوضاع المالية والاقتصادية في مصر ذريعة للتدخل المباشر في شئون مصر بالاشراف المباشر على اقتصادها في عام ١٨٧٦ ، بحجة حماية مصالح مستثمريها من خلال وجود مراقبين ماليين بريطاني وفرنسي .

اثار التدخل البريطاني الفرنسي ثائرة الحركة الوطنية المصرية من جانب ، وأغضب انفرادهما بالاشراف على الاقتصاد ، وضغطها على مصروفات قطاعات هامة من المجتمع المصري وعلى رأسها الجيش من جانب آخر ، وبدأت المواجهة التي انتهت بانتفاضة في الجيش يقودها الضابط المصري احمد عرابي في عام ١٨٨١ . وتآمرت انجلترا وفرنسا وبيتنا النية على اخماد الانتفاضة واحتلال مصر ، الا ان فرنسا انسحبت في اللحظة الاخيرة لتشككها في نوايا انجلترا ولانفجار ازمة وزارية في باريس واغتنمت بريطانيا الفرصة للقيام بتصفية الانتفاضة واحتلال مصر في منتصف ١٨٨٢ .

وفي الوقت ذاته بدأت فرنسا منذ عام ١٨٨٣ تتحرك جنوبا من مستعمراتها في السنغال نحو اعالي النيجر في غرب افريقيا التي ظلت بريطانيا تدعيها منطقة نفوذ لها لعهد طويل ، بحكم سيطرتها على مستعمرات لاقوس وسيراليون وساحل الذهب الساحلية ، وكانت انجلترا وفرنسا قد اتفقتا في عام ١٨٨٠ على تجميد التنافس بينهما في غرب افريقيا ، ولم تر فرنسا بعد احتلال انجلترا لمصر سببا يدعوها

دخول المانيا

بعد توحيد المانيا في عام ١٨٧٠ ، وهزيمتها لفرنسا وانتزاعها منها اقليمي الالزاس واللورين الغنيين بخامي الحديد والفحم ، حدث تطور هام في ميزان القوى في اوروبا إذ اصبحت المانيا الموحدة اغنى واقوى البلدان في القارة الأوروبية اقتصاديا وصناعيا ومنافسة لبريطانيا التي توثقت علاقتها بفرنسا لخلق نوع من التوازن الدولي . كان لمستشار المانيا اوتوفون بسمارك (١٨١٥ - ١٨٩٨) بعد توحيد المانيا ثلاثة اهداف : أولها تدعيم وحدة المانيا وحمايتها ، وثانيها الاحتفاظ بالتوازن في اوروبا بطريقة تخدم مصالح المانيا الموحدة ، وأخيرا العمل بقدر الامكان على انهاك فرنسا في مغامرات استعمارية متواصلة تمتص طاقاتها ، وتشغلها عن مواصلة مساعيها لاستعادة اقليمي الالزاس واللورين ، وازالة الآثار المترتبة على هزيمتها .

لكل هذه الاسباب مجتمعة لم يكن الحصول على مستعمرات في افريقيا إحدى أولويات بسمارك ، رغم انتشار التجار الالمان في انحاء القارة قبل توحيد المانيا ، وازدياد نشاطهم بعدها .

ولكن في فبراير ١٨٨٣ اضطر بسمارك تحت ضغوط التجار الالمان الى أن يطلب من انجلترا رسميا حماية هؤلاء التجار في « انقرا بكوينا » في جنوب غرب افريقيا ، وكانوا قد تعرضوا لمضايقات من الاهالي . ولما كانت حكومة المستوطنين البيض في مستعمرة الكيب تتمتع باستقلال نسبي ، فان الحكومة البريطانية قامت بتحويل الطلب الالماني اليها . ولكنها لم تعر الطلب أي اهتمام . وفي ديسمبر أعاد بسمارك طلبه ، وقامت الحكومة البريطانية بتحويله مرة أخرى الى حكومة الكيب ، التي رفضت بسط حمايتها على من تعتبرهم منافسين لها .

ورأى بسمارك في التلكؤ ثم الرفض اهانة لاتغتفر ، فأسرع باعلان استعداد بلاده لتقديم الحماية لرعاياها تحت كل الظروف .

وفي ابريل ١٨٨٤ احتلت القوات الالمانية المنطقة ، واعلنتها محمية المانية ، وهكذا دخلت المانيا التنافس الاستعماري على افريقيا ، وفي يوليو أعلنت توقولاند محمية المانية ، وبعد ذلك بعشرة ايام اعلنت

عندما تم تغريب الأفريقي

لاحترام مواثيقها ووعودها مع انجلترا .

هذا التحرك الفرنسي الجسور ازعج الملك ليوبولد الثاني الذي كان يعمل في خفاء للسيطرة على حوض الكونغو . اما بريطانيا ، فرغم ان الكونغو لم تكن ضمن مناطق نفوذها في افريقيا ، الا انها لم تكن لترضى باستيلاء فرنسا عليها ومضايقة تجارها . لذلك سعت انجلترا لتشجيع البرتغال لاحياء ادعاءاتها القديمة ، ووافقت على توقيع اتفاقية معها تعترف فيها بريطانيا بحق البرتغال في مصب النهر وأواسطه ، وتوافق البرتغال بمقتضاها على معاملة التجار الانجليز معاملة خاصة باعطائهم جمارك منخفضة . ولكن تلكؤ البرتغال في توقيع الاتفاقية حتى ١٨٨٤ اعطى الوقت لفرنسا والمانيا والملك ليوبولد لتنظيم معارضتهم للاتفاقية وارغام البرتغال على الغائها ، والقبول بعرض المشكلة على مؤتمر دولي .

كذلك أن الكامرون محمية المانية وأثار دخول المانيا كطرف في التنافس وبالشكل المتواتر الخطوات الذي حدث به مخاوف جميع الاطراف المعنية ، فلم تكن المانيا من الدول التي يمكن تجاهل مطامعها أو قوتها العسكرية . أما بسمارك فقد بدأ ، بعد ان ارضى اللوبي الاستعماري الالماني ، يحاول الاستفادة من عضويته في النادي الاستعماري واستغلالها في صراعه الدبلوماسي في اوروبا للاحتفاظ بتوازن القوى لمصلحة المانيا . وكان ذلك الهدف شغله الشاغل .

بدأ اولا بمساندة فرنسا في رفضها للاتفاقية البريطانية البرتغالية التي أشرنا اليها آنفا ، ثم اعلن ترحيبه باقتراح البرتغال لتدويل مشكلة الكونغو ، وذهب ابعد من ذلك بأعلان استعداده لعقد المؤتمر في برلين . وفي سبتمبر ١٨٨٤ اجتمع بسمارك بوزير خارجية فرنسا جولس فيرى ، واتفقا على أجندة المؤتمر وخطوطه العامة واهمها : ـ

● اشتراط الاحتلال العملي بدل ادعاء مناطق النفوذ مما يعطي المانيا فرصة لانتزاع المزيد .

● تحديد الخطوات الضرورية لتأكيد حرية التجارة في حوض نهر الكونغو وحرية الملاحة في حوض نهر النيجر ، وهذا سيخدم المصالح الفرنسية

ولم تجد انجلترا بدا من الموافقة على الاشتراك في المؤتمر خوف الانعزال ، رغم احساسها بالتآمر الفرنسي الالماني ضدها ، ولكنها اعلنت مقدما عن رفضها تدويل المناطق السفلى من حوض النيجر ، وفي نفس الوقت اصدرت اوامرها لقنصلها في لاجوس (ادوارد هويت)للحصول على اكبر عدد من الاتفاقيات مع السلاطين في المنطقة ، حتى تواجه المؤتمر بالامر الواقع . وقد شهدت الاسابيع السابقة على انعقاد المؤتمر خطوات مماثلة من جانب الدول الاوروبية الاخرى للعب « بورقة » الامر الواقع الرابحة .

مؤتمر برلين

تقول المؤرخة الانجليزية سيبيل كراو ان اهمية المؤتمر كانت سياسية ودبلوماسية في الدرجة الاولى ، وتضيف ان اسهامه في مجال القانون الدولي مبالغ

واستمرت الشخصية الأفريقية تحافظ على تراثها برغم المستعمرين

فيه ، اذ ان دراسة مواده تكشف مدى فشلها في تحقيق الهدف الذي صيغت من أجله .

ولعلنا لانبالغ إن شبهنا المؤتمر من وجهة النظر الافريقية بأنه تجمع شبيه بتجمع زعماء « عصابة المافيا » في الولايات المتحدة لتصفية خلافاتهم أو تجميدها على الاقل ، وتقسيم البلاد الى مناطق نفوذ ، والاتفاق على قواعد للعبة يلتزم بها الجميع مستقبلا . لم يخرج مؤتمر برلين عن ذلك فأفريقيا لم تكن سوى ميدان تمارس فيه اللعبة الاستعمارية الاوروبية دون ادنى اعتبار لمصالح اهلها وتطلعاتهم .

حضرت المؤتمر أربع عشرة دولة هي : المانيا وفرنسا وانجلترا والنمسا والمجر وبلجيكا والدنمارك والسويد والنرويج واسبانيا والولايات المتحدة وهولندا

وايطاليا والبرتغال وتركيا . ولم تحضره سويسرا التي اعلنت حيادها منذ مؤتمر فيينا في عام ١٨١٥ .

أجاز المؤتمر قرارين اساسيين يقولان بحرية التجارة في نهر الكونغو وحرية الملاحة في حوض نهر النيجر . واشترطت الاحتلال الفعلي واخطار الدول الأخرى بذلك الاحتلال كتابة حتى لايحدث سوء تفاهم . ونجحت انجلترا في الحصول على موافقة المؤتمر على ألا يطبق ذلك بأثر رجعي ، وهو امر لم تكن المانيا وايطاليا سعيدتين به لوصولهما متأخرتين لحلبة التنافس على القارة الافريقية،واغتنمت المانيا فرصة انعقاد المؤتمر وقامت باجازة الاتفاقيات التي حصل عليها المكتشف الالماني كارل بيترز في شرق افريقيا ، واعلنت حمايتها على مستعمرة تنجانيقا « تنزانيا » .

كان الملك ليوبولد الثاني هو فارس الحلبة دون منازع ، فخرج منها بأكبر الغنائم وأهمها وهي الكونغو . وكان قد أعلن اثناء المؤتمر تغيير اسم الاتحاد العالمي للكونغو الى « دولة الكونغو الحرة » ، واعترفت بها الولايات المتحدة اولا ، وتبعتها فرنسا والمانيا لاقتناعها جميعا بأنها ستقف في وجه المطامع الانجليزية .

واشترط المؤتمر ان تصبح التجارة في المستعمرة حرة ومفتوحة للجميع . اما في حالة نشوب حرب بين الدول الاوروبية فيصبح حوض نهر الكونغو محايدا ، وقد اتبع المؤتمر في تدويل نهر الكونغو اتفاقية فيينا ١٨١٥ ، حيث دولت مجاري الأنهار الكبرى في اوروبا .

ولم يفت على المؤتمرين اعطاء المؤتمر صبغة انسانية ، اذ نصت المادة السادسة على تحريم الرق وتجارة الرقيق ، ومراعاة مصالح الأهالي المادية والانسانية،وايصال نور الحضارة الغربية ومنجزاتها اليهم . كما اكد المؤتمر على اعطاء المبشرين والعلماء والمكتشفين وممتلكاتهم رعاية خاصة ، بغض النظر عن جنسياتهم أو أديانهم .

ورغم ان المؤتمر كان للدول الا ان المستشار بسمارك والملك ليوبولد قد لعبا بقوة شخصيتهما وحنكتهما السياسية وفهمهما لطبيعة الصراع الدولي المعاصر ونفوس القادة دورا جوهريا . وخرج بسمارك بأمبراطورية كونها في فترة لاتزيد على العام ، بينما خرج ليوبولد بدولة يفوق حجمها حجم دولته عشرات المرات .

حدد مؤتمر برلين مصير القارة الافريقية ، وباكتمال احتلال فرنسا للمغرب في عام ١٩١٢ وقعت جميع القارة الافريقية ماعدا ليبيريا التي كانت تحت الحماية الاميركية غير المباشرة ، والحبشة التي حمتها مسيحيتها ومقاومتها ، تحت السيطرة الاوروبية،ولم تحم الافارقة بسالتهم ومقاومتهم، إذ كان الصراع بين حضارتين مختلفتين . على المستوى السياسي كانت تمثل اوروبا الدولة القومية بكل امكانياتها وتمثل افريقيا بكل محدوديتها الممالك والامبراطوريات القائمة على التحالف القبلي . اما على المستوى التقني فكانت اوروبا تحارب بالاسلحة النارية الاتوماتيكية ، بينما كانت افريقيا تحارب بالاسلحة التقليدية العتيقة،وكانت النتيجة معروفة مقدما .

الاسلام والتكالب الاوروبي على افريقيا

لعب الاسلام دورا مهما في مقاومة الاحتلال الاوروبي للقارة الافريقية ، الذي تصدى له المسلمون الافارقة بالايمان والصلابة التي لاتقبل الضيم . وكانوا قد رأوا في الاستعمار الاوروبي ملامح الصليبية القديمة تبعث من جديد . وبينما واجهت الممالك والقبائل الافريقية غير المسلمة الاستعمار الاوروبي من منطلق سياسي اجتماعي اقتصادي ، اتخذت مقاومة المسلمين الأفارقة له بعدا دينيا هاما ، وتحولت المقاومة الى جهاد في سبيل الله ، ووجدت اوروبا عنتا ورهقا في السيطرة على المناطق المسلمة لم تجده في سواها . ورغم ان المسلمين الافارقة قد خسروا المعركة مثل سواهم من اهل افريقيا الا انهم كسبوا حرب العقائد ، فلقد اعطتهم المواجهة فالهزيمة تلك القوة الروحية الدافعة التي أبقت نار العقيدة متقدة في صدورهم ، حتى بدأت قلاع الاستعمار تتساقط منذ منتصف الخمسينيات من القرن العشرين ، ولم تنجح الادارات الاستعمارية والدوائر التبشيرية في اخماد جذوتها ، وتلك ملحمة لايتسع المجال للدخول في تفاصيلها . □

قصة مدينة: الكوفة

نسيج من التاريخ والأسطورة والعلم

استطلاع : محمود عبدالوهاب
تصوير : أوسكار متري

هذه مدينة لا يمكن أن يكون الانسان محايدا تجاهها .

فهنا أول عاصمة اسلامية للحكومة خارج المدينة المنورة ، وثاني مدينة بناها المسلمون .

هنا مدرسة العلم .. ومقر الامام ، ومهد واحدة من أضخم الحوادث في التاريخ الاسلامي ، وأكثر حركاته تأثيرا على مسار التاريخ كله ..

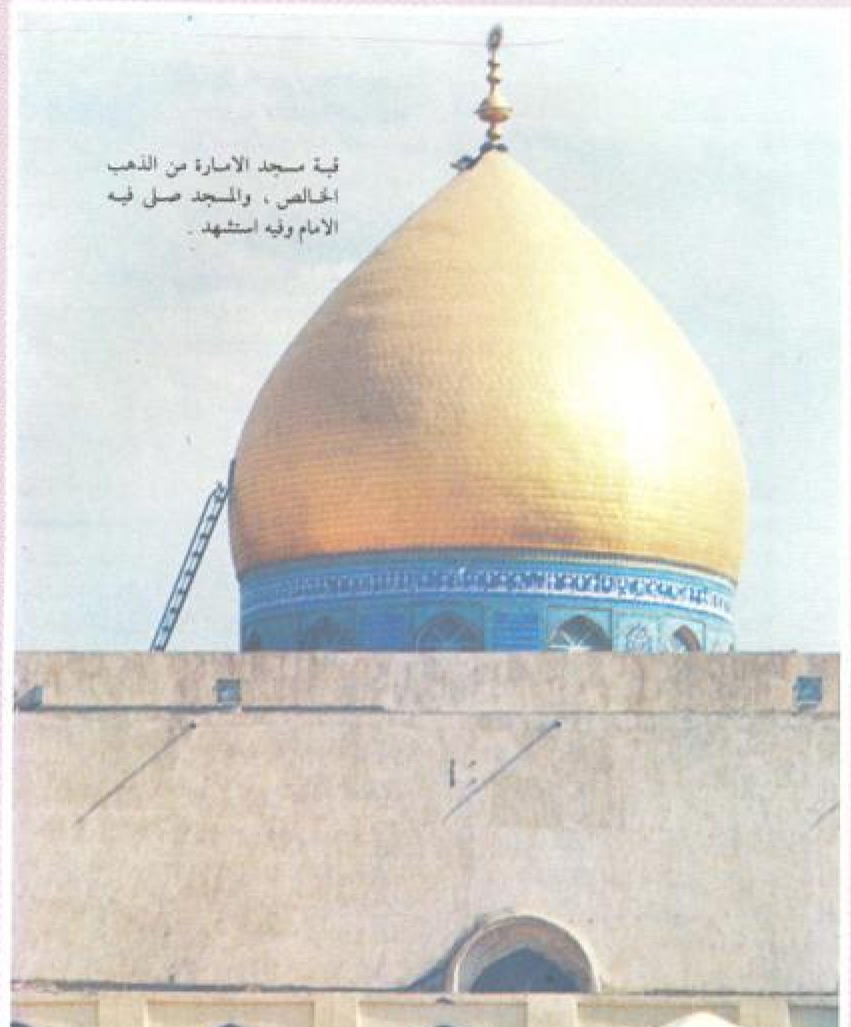

قبة مسجد الامارة من الذهب
الخالص ، والمسجد صلى فيه
الامام وفيه استشهد .

هذه مدينة يمتزج ترابها وتاريخها بالأسطورة والبطولة والشهادة والمجد والعلم . ها هي الكوفة أخيرا بعد ساعتين من بغداد ، مدخل المدينة تمتد على جانبيه مزارع النخيل ، ووجوه الناس فوقها مسحة نبل وحزن ، فالاصوات خافتة هامسة ، والأسود والأخضر راية المدينة وزيها ، والمدينة كلها تتلخص في شارعين طويلين رئيسيين ، تتفرع منها عدة شوارع جانبية . البيوت قديمة لا يزيد ارتفاع طوابقها عن طابقين .. شديدة البساطة والتواضع ، وكما تبدأ المدينة فجأة بمزارع النخيل فهي تنتهي بمزارع النخيل أيضا لتبدأ مدينة النجف .

وبين المبتدى والمنتهى .. تختصر المدينة داخلها تاريخا ثريا .. العودة اليه تعطينا فهما لحزن الناس وخفوت الأصوات .

لغة وتاريخ

سميت بالكوفة .. وكوفة لغة « تجمع » فيقال « تكوف الجند » أي اجتمعوا .. فهي كوفة الجند .. أي مكان تجمعهم ، كما يقال تكوف الرمل أي تجمع .. وكل رمل يخالطه حصباء يسمى كوفة ، وكما يقال ان القوم في كوفان أي في أمر يجمعهم . فالكوفة لغة تجمع ، وهي بنشأتها كانت تجمعا للجند فهي كوفة لهم .. ولكن أي جند .. ؟

أنشأ الكوفة القائد العربي سعد بن أبي وقاص فاتح بلاد الفرس ، وذلك في سنة ١٧هـ ، وهي ذات السنة التي أنشئت فيها البصرة .. وتقول روايات أخرى أنها أنشئت بعد البصرة بعامين .. وآخرون يقولون بل بعام واحد ، فهي انشئت بين أعوام ثلاثة ١٧ أو ١٨ أو ١٩ هجرية،ليس قبل وليس بعد .

وجاء انشاؤها بعدما لاحظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هزالا وتغيرا في صحة الجند المسلمين ، فأرسل اليه سعد يقول : « ان جو وبيئة العراق قد أثرت على الجند » فكتب اليه عمر « ان العرب لا يوافقون إلا ما يوافق إبلها » من بلدان ، ثم أوصاه أن يختار « منزلا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر » وأمر أن تخطط المدينة حول المسجد ، وأن يكون المسجد مركزها ثم دار الامارة ، وأن يختط المسجد على عدد مقاتلي الجيش ، وأن تكون مناهج المدينة أربعين ذراعا ، وما يليها ثلاثين ذراعا ، وما بين ذلك عشرين ، والا تنقص الأزقة عن سبع أذرع ليس دونها شيء والا يرتفع بناء الدور .

فبنيت الكوفة على هذا التخطيط ، مسجدها في المنتصف يسع أربعين ألف مصل ، وبجواره دار الامارة وحولها منازل الجند .

وكان اختيار الموضع الذي بنيت عليه الكوفة متروكا لسعد بن أبي وقاص ومعاونيه ، فاختاروا موضعا قريبا من مملكة الحيرة في عصر ما قبل الاسلام ، هذه المملكة التي اشتهرت بملوكها « المناذرة » وعمالتهم للفرس،ودفاعهم عن أطراف دولة الفرس . وهذا الاختيار في رأي غالبية المؤرخين له ما يبرره ، ويأتي في سياق قواعد بناء المدن أو تخطيط المدن الاسلامية ، فقد كانت المدن الاسلامية تنشأ في مواقع على قرب من مدن سابقة ، كما هو الحال في البصرة والفسطاط . ولهذا ما يبرره ،فالاقامة في المدن القديمة أمر مأمون خشية انقلاب اهلها أو دسائسهم وغدرهم ، والمدن القائمة لها تقاليد وعادات وبيئة قد لا تناسب طبائع العرب ، أو تدخل اليهم بعضا من الترف في مرحلة كانوا أكثر ما يكونون حاجة الى شدتهم ، ثالث الأمور هو انتشار وانشاء مجتمعات اسلامية جديدة بقيمها وأخلاقها ، وذلك عصب قيام الدولة الاسلامية ، ويرجع هذا المذهب ان انشاء المدن الجديدة تم في عصر عمر بن الخطاب .

بنيت الكوفة ولم تكن حروب الفرس قد انتهت ، وكانت أخصاصا من قصب ، وكان أهلها اذا قاموا بغزوة قلعوها وتصدقوا بها ، فاذا عادوا بنوها ، حتى تولى امارة الكوفة المغيرة بن شعبة ، بعد ما عزل ابن الخطاب سعد بن أبي وقاص ، فبنيت المنازل من الطوب اللبن من غير ارتفاع .

وظلت الكوفة مدينة اسلامية هادئة لا يميزها شيء عن بقية المدن ، الا أساطير القدامى والممالك القديمة حول أرضها .. الى أن انتقلت فجأة الى قلب حركة التاريخ وفتنه ، وساهمت وعايشت واحدة من أكثر حركات التاريخ الاسلامي تأثيرا في الدولة الاسلامية والمسلمين حتى يومنا هذا .

مدير إدارة التربية والتعليم يتحدث عن تطور التعليم بالكوفة .

أساطير القدامى

كان لبناء الكوفة بالقرب من مدن وممالك قائمة ، أثر بالغ في انتشار ثقافات خاصة بتلك الممالك والمدن ، وقد كان يجاور الكوفة مملكة الحيرة ، مقر حكم المناذرة اللخميين . ومملكة الفرس الساسانيين ، ومازالت هناك الى اليوم آثار الخندق الذي بناه « سابور ذو الأكتاف » أحد ملوك الفرس ، في ذات المنطقة التي قامت عليها أرض الكوفة ، كما لايزال باقيا الى اليوم في الأذهان أسطورة « الغريين » وهي أسطورة حولها أكثر من رواية وأكثر من اسم ، ولا يستطيع باحث تاريخي مدقق أن يجزم بصحة شيء فيها ، الا وجود الغريين كليهما ، وانهما هدما في أخريات العصر الاموي وأوائل العصر العباسي . والغريان هما قبران قد أقيم فوقهما بناء ، وتختلف الروايات في شخصية من بناهما : هل هو المنذر بن امرؤ القيس والمعروف بابن ماء السماء ، أم هو النعمان بن المنذر وكلاهما من ملوك الحيرة . ولا يدور الاختلاف حول صاحبها فقط بل ينتقل الى السبب ، فراوية تقول ان ابن امرؤ القيس كان في جلسة شراب ، فأغضبه نديماه ، فقتلهما ،فلما أصبح أفاق

وندم ندما شديدا ، فابتنى الصومعتين ودفنهما ، وكان له في كل سنة يومان ، يوم نعيم ويوم بؤس ، وكان يقيم في اليومين بجوار الغريين فمن مر به في يوم نعيمه منحه مائة من الابل ، ومن مر به في يوم نحسه قتله وغرى البناء بدمائه ،ومن هنا عرف الناس الصومعتين « المقبرة » باسم الغريين ، وتتعدد الروايات حول هوية المدفون في الغريين وهل هما فلان وفلان أم هما مغنية النعمان وجارية أخرى أم . . الى آخر عدد كبير من الأسماء .

ولا يهم كثيرا من الباني ولا من المدفون ، ولكن تراث هذه الاسطورة بالمعاني المختلفة فيها باختلافات أسباب البناء . . تشر مناخا خاصا للأرض وما حولها . فهذا وفاء صديق لاصدقائه يدفعه الى أن يكون بكاؤه وبكاء الناس بالدم ، أو . . وهذا ذكر الناس للاحباب بأن يكون يوم في العام لهم يتذاكرون لوعة الفقد وأسى الابتعاد ، فيصبح اليوم يوم بؤس ، وهكذا ، ولم تكن هذه الأسطورة فقط وما صاحبها من أساطير وحكايات فرعية كثيرة تتعدد بتعدد كيفية رواية الاسطورة الأصلية . بل كان لوجود عدد من أديرة النصارى والرهبان والزاهدين،وقصص وتراث عنهم بتواتر بين القائمين على خدمة الأديرة والنساك فيها وأهل المنطقة الأصلية . . وكان هذا كله أثر في خلق مناخ لوجدان عام للكوفة وأهلها ، يتميز بالنبل ورهافة الحس وشفافية الوجدان والعاطفة .

ولعل ما زاد في تعميق الأمر أكثر أن جيش خالد ابن الوليد ثم جيش سعد بن أبي وقاص كانا يضمان عددا كبيرا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن أكثر الصحابة تأثيرا واحتكاكا بالناس،ومساهمة في تعميق هذه الأحاسيس والمشاعر هما الصحابي خباب بن الأرت ، الذي عاش بالكوفة حتى مات ودفن بها ، وهو أحد السابقين ، وكان يعذب في الجاهلية بالحرق ، والصحابي الجليل وقارىء رسول الله عبدالله بن مسعود ، وكان رضي الله عنه على رقة عوده وضعفه صاحب صوت . وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أراد أن يسمع القرآن رطبا فليسمعه من ابن مسعود » .

وهكذا ساهمت حضارات قديمة وعوامل من حياة جديدة في صياغة وجدان مدينة قائمة من أساسها على

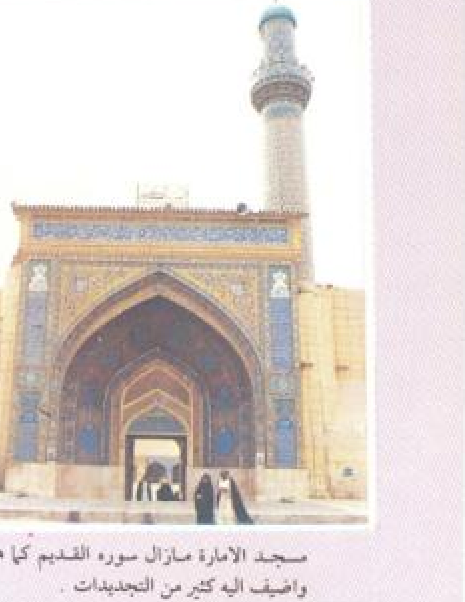

مسجد الامارة مازال سوره القديم كما هو ، واضيف اليه كثير من التجديدات .

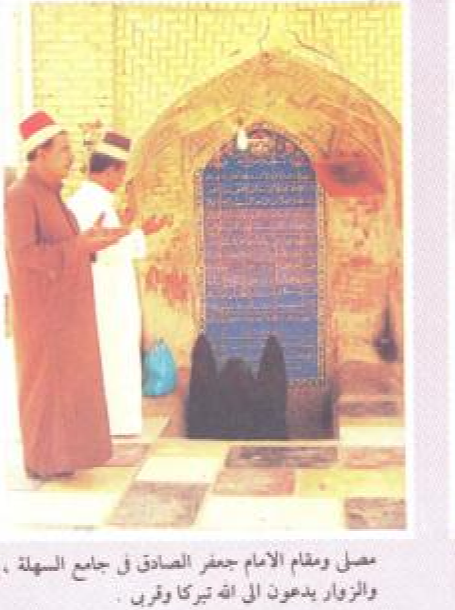

مصلى ومقام الامام جعفر الصادق في جامع السهلة ، والزوار يدعون الى الله تبركا وقربى .

بقايا سور الكوفة الذي كان محيطا بالمدينة ، وما زالت بقايا الاسوار قائمة .

مسجد النهلة .. يقولون أن به مصلى الأنبياء ابراهيم ونوح وادريس .

طالبات يدرسن الفقه في كلية الفقه أحد معالم المدينة .

من كل الأقطار والبقاع يتوافد زوار مسجد الكوفة رجالاً ونساء

أنها فداء الله ، سكانها تركوا قبائلهم ومواطنهم ، وجاءوا يرفعون راية دين الله ، وينشرون رسالته ، مدركين وباقتناع بأنهم قد لا يعودون ، ويقبلون هذا برضى الشهداء ، فكانوا كما يقول ويروى عنهم ابن عباس : يتصدقون ببيوتهم قبل الغزو واذا عادوا بنوها ، كي يكون آخر ما فعلوه بدنياهم صدقة تطهرهم وتقربهم من الله عز وجل ، الذي نذروا أنفسهم فداء له ولدينه فهم الشهداء الاحياء .

وهذا وحده كان كافيا ليشكل وجدان وثقافة المكان . . المدينة .

عصر الإمام

منزل أبيض صغير على مقربة من بقايا دار الامارة ومسجد الكوفة . . هذا هو بيت الامام علي - عليه السلام - مازال قائما بنيانه . . ومازالت البئر التي في وسط الدار تضخ ماءها ومازال المكان الذي غسل فيه بعد استشهاده قائما ومازال حزن الناس وبكاء الاطفال والنساء ودعاء الرجال له رطبا حارا كأنه لقي ربه فجر اليوم .

زراعة النخيل احد النشاطات الرئيسية .

كان خروج الامام علي لموقعه الجمل قرب البصرة ، ثم استقراره في الكوفة ، بمثابة نقل للخلافة من المدينة المنورة مقر رسول الله وخلفائه أبي بكر وعمر وعثمان الى الكوفة لتصبح أول عاصمة للحكومة الاسلامية خارج المدينة ، وكانت ظروف الفتنة الكبرى ومقتل عثمان رضي الله عنه وصراع وطمع معاوية في الخلافة ضمن أهم الأسباب التي دفعت الامام علي الى الاستقرار بالكوفة ، ليكون أكثر قربا من الصراع الذي كان هو أحد أطرافه ، ليبدأ بذلك جزء هام من تاريخ مدينة الكوفة تؤرخ به ، وامتد أثره في تاريخ المدينة لمدى طويل .

كان أهم سببين للثورة على عثمان الاغراق في ملذات الدنيا وحظوة أقاربه مما أثار حفيظة فقراء المسلمين ، ولذا فقد كان جمهور الثائرين عليه من فقراء المسلمين والرعاة والعبيد ، والسبب الثاني هو ابتعاد عثمان وكثير من ولاته عما كان يسنه رسول الله في الحكم ، ووفق ما حكم به أبو بكر وعمر ، ولذلك فقد كان أتباع علي هم الفقراء والقراء والحفاظ وكثير من الصحابة الذين كانوا يرون في سياسة عثمان ابتعادا عن سنة رسول الله ونهج الراشدين أبي بكر وعمر .

وتجمع هؤلاء في الكوفة مع امامهم . . وكانت النتيجة شديدة الاثارة والعجب ، فعلى المستوى الحضاري والعلمي عرف تاريخ الفكر الاسلامي . . مدرسة الكوفة وهي مدرسة قائمة بذاتها في الفقه ، وينتسب اليها نمط من خط الكتابة العربية ، وفيها وضعت أولى قواعد علم النحو والصرف ، فقد لاحظ الامام عليه - السلام - أن لغة العرب أصابها اللحن لاختلاطهم بالاعاجم ، فدعا اليه أبا الأسود الدؤلي وقال له ، اكتب ما أملي عليك . . كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، وان الاشياء ثلاثة ظاهرة ومضمرة ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر (يعني اسم الاشارة) . . ثم قال لابي الاسود انح هذا النحو يا أبا الأسود . . فعرف علم النحو ، أما الفقه فإمامه الأشهر أبو حنيفة النعمان الذي تتلمذ في الكوفة على يدي الامام الاكبر جعفر

من الهند والباكستان جاؤوا يزورون المسجد والمدينة .

الصادق عليه السلام ، وعلم الكلام ينتهي أساس وضعه الى الامام علي رضي الله عنه لا جدال ، وعلوم الصوفية « كعلم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف» تنتهي نسبتها إلى علمائه « كالشبلي والجنيد والبسطامي ومعروف الكرخي . . »كلهم ينتسبون الى مدرسة الكوفة ، وجابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء ، والكندي ينتمون الى ذات المدرسة ، وتأتي أهمية مدرسة الكوفة العلمية الى أنها ظلت لفترة تعبيرا عن اتجاه فلسفي في الفكر الاسلامي ، أرساه ورسخ قواعده الامام علي ، فهو قد جعل الدين موضوعا من موضوعات التفكير والتأمل ، ولم يقصره علي رضي الله عنه على العبادة واجراء الأحكام ، ومن هنا فان ابتداء النظر والتأمل الفلسفي في الفكر الاسلامي يبدأ بمدرسة الكوفة العلمية ، وبعصر الامام علي ، وهو ذات العصر الذي شهد بدايات واصول كل الفرق الاسلامية من شيعة وخوارج الى القائلين بعودة رسول الله صلى الله عليه وسلم،وان عليا أمين على الدعوة حتى عودته ، الى القائلين بتناسخ الأرواح ، وكثير من الاعتقادات والفرق التي مازالت فروعها واستمرارها قائما الى يومنا هذا .

وعلى النقيض من هذه النتيجة الباهرة على المستوى العلمي والحضاري كانت النتيجة السياسية ، فقد ظهرت الانشقاقات بين أتباع الامام ، إما لتطرف أو غلو في التفكير فاتهمه البعض بالمروق والكفر ، بينما رفعه بعض الغلاة الى مصاف الأنبياء وان جبريل قد اخطأ الوحي ، وإما لأن معاوية اشترى واستمال منهم من قدر عليه ، ولأن الصراع كان بين مثل أعلى وإمامة دين ومبدأ ضد دنيا ومال . . فان نتائج السياسة لم تكن على وفاق مع المثل الأعلى . . وجاء اغتيال الامام وهو يؤدي صلاة الفجر ، ليضيف بعدا مأساويا على المدينة ، ويزرع بها حزنا لا ينتهي مازال الى اليوم رطبا حارا ، وكأن الامام استشهد صباح اليوم فقط .

مسجد الامارة .. وأفواج الزوار يزورون مصلى الامام علي حيث استشهد .

بئر الماء في صحن بيت الامام علي عليه السلام مازال ينضح ماءه ، ويأتي الزوار يشربون منه ويمسحون وجوههم حبا وبركة

هنا كان يجلس الامام الاعظم
جعفر الصادق .. وصار موضع
جلوسه وصلاته مزارا وتبركا .

المدينة الدينية

لم يكن استشهاد الامام آخر الثمار المرة في فم الكوفة ، فقد شهدت طرقاتها مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وهو يسحب الى دار الامارة ، ويلقي به من فوق القصر الأبيض ، وشهدت رأس الحسين بن علي محمولا فوق رمح وخلفه عقيلات البيت الطاهرات يسرن حفاة ، وباستشهاد الحسين حسم الصراع ، وبدأت الكوفة تشهد عصرا من الاضطهاد .. مما جعل شجرة الحزن ترتوي ، وعلى فترات متباعدة كانت تلمع شخصيات تنير الطريق ، أوتحيي مدرسة الكوفة:فظهر الامام جعفر الصادق الذي يقول عنه أحد الرواة:دخلت الكوفة وفي مسجدها كان في مجلس الامام جعفر ٩٠٠ عالم ، واليه ينتهي مصدر تحديد قبر الامام علي ، الذي ظل سرا يحتفظ به خاصته وذووه خشية التمثيل بالقبر .

وخلال الاضطهاد الذي دام فترة حكم الأمويين (٤٠ ـ ١٣٢هـ) شهدت الكوفة محاولات الانتفاض أشهرها وأعمقها أثرا في الفكر الاسلامي ثورة زيد بن علي الذي ورث عن جده الامام الحسين الفصاحة والخطابة ، وقد نشأ بالمدينة المنورة ، واختلف مع الامام جعفر الصادق ، وقاد التيار الثائر من آل البيت ، وهو التيار الذي رفض الوقوف عند حدود الامامة الدينية ، وآثر العمل السياسي الثوري ضد الأمويين ، وفعلا بايعه كثير من الناس سرا في عام ١٢٠هـ ، وفي عام ١٢٢هـ أعلن ثورته في الكوفة ، فقاتل معه المعتزلة وانصاره وأهل بيته ، وهزم ومثل الامويون بجثمانه،ثم حمل ابنه يحيى رسالته، واتخذ الكوفة مقرا له ، وجمع آثاره وجهوده الفقهية التي تعد أساس المذهب الفقهي للشيعة الزيدية .

ولم يخفت الاضطهاد ويهدأ الا في عصر العباسيين ، وابتنى هارون الرشيد قبة لضريح الامام علي وعرف المكان باسم المشهد ، وسمح بزيارته هو وقبر الامام الحسين علنا وجهرا ، وتركت المدينة أخيرا ـ منذ ذلك الحين ـ العنان لحزنها ودمعها أن ينطلق .

كانت ظروف الكوفة منذ نشأتها بموقعها وقربها من الفرات عاملا على استقرار السكان ، الا ان التغيرات والعوامل السياسية جعلت المدينة مسرحا لحركة التاريخ ، ورغم ان الناس مارسوا نشاطا اقتصاديا متميزا قصروه في بادىء الأمر على الزراعة ، الا أن هذا النشاط سرعان ما تقلص وظهرت نشاطات الغزل ، فنسجوا غطاء مميزا للرأس إبتدعوه هم وسمي باسم المدينة « الكوفية » وكان الغزل والرعي وزراعة النخيل والشعير والارز أهم السمات الأساسية للنشاط الاقتصادي ، ومع توازن وانتهاء العداء الأموي وبعض التحفظ من قبل بعض العباسيين ، بدأ دور المدينة الدينية في الظهور ، فأنشئت المساجد ووسعت وأقيمت الأضرحة ، وبنيت القباب ، وأصبحت المدينة بالاضافة الى مدينة النجف الاشرف التي تبعد عنها مسافة لا تزيد عن كيلو متر واحد .. اصبحتا مزارا رفيع المكانة لجمهور المسلمين عامة والشيعة باختلاف فرقها خاصة ، حتى بلغ الأمر أن يأتي الناس الى المدينة للصلاة في مسجد الامام علي وزيارة بيته ، وزيارة مشهد الامام الحسين سيرا على الاقدام ، وليس هذا فقط ، فالثابت تاريخيا أن الامام عليا أوصى بأن يدفن في ذات المكان الذي دفن به وأن خباب بن الأرث قد دفن بأرض بظهر الكوفة تسمى « بالثوية » ومن هنا فان هناك آلافا من موتى المسلمين من جنسيات مختلفة وبلاد مختلفة يوصون أن يدفنوا بذات المكان ، فيحملهم أهلهم وذووهم للدفن في الأرض الطهور حيثما أوصوا .

هذه العوامل كلها مع الحزن الموروث في المدينة مع ثقافتها ووجدانها الخاص تسهم في خلق ما يعرف « بالمدينة الدينية » والتي يمتد تأثيرها من الثقافة والسلوك الى التأثير في ظهور نوعيات من المهن ، وتغلب لنوع من النشاط الاقتصادي ، فعرفت الكوفة أنواعا من النشاط الاقتصادي لتلائم الزيارات الدينية ، فبدأ سكانها ـ على قلتهم ـ يتجهون الى نشاط الخدمات ، ليقابلوا حاجات الوافدين ، فانتشرت محلات الأطعمة والمشروبات والباعة الجائلين أمام المساجد والمزارات المقدسة ، يبيعون الثياب والعقود والمصاحف والليمون .. وكل شيء ، ومعهم عدد من السائلين والطالبين للصدقات ، حيث يطيب للزوار الوفاء بالنذور والتصدق في هذه الأماكن .. هذا التأثير لم يتسع نطاقه كثيرا ، صحيح أن الكوفة بذلك أصبحت بؤرة

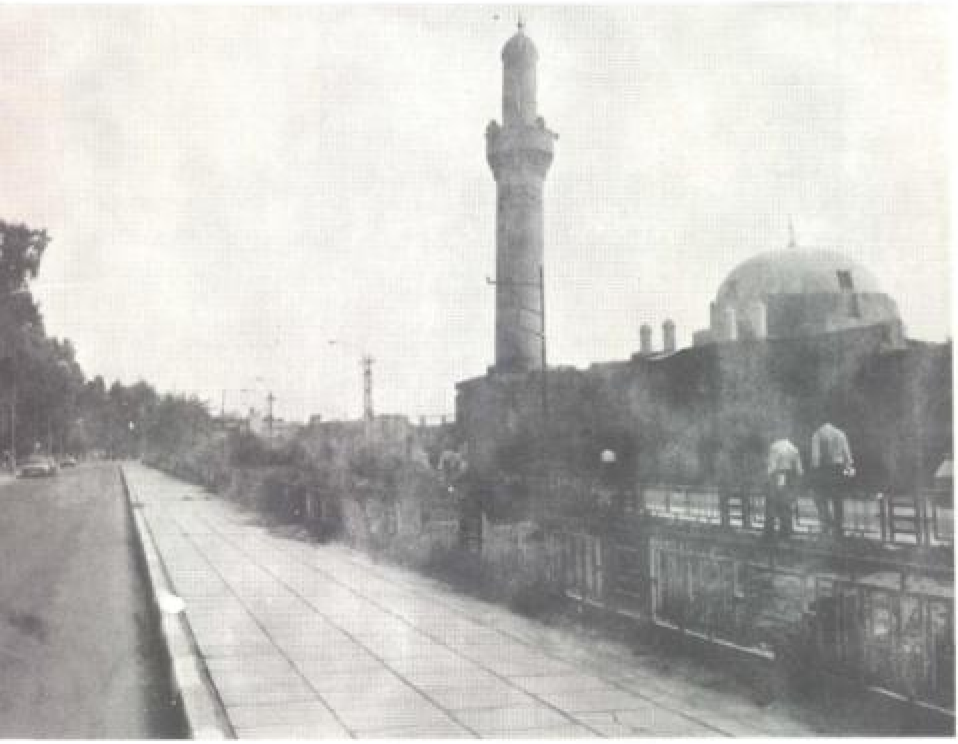

الطريق الرئيسي في الكوفة تتفرع منه شوارع جانبية تحدد معالم المدينة .

جذب ، لكن صغر المدينة النسبي (شارعان رئيسيان طوليان تتخللها شوارع جانبية) لم يتح الفرصة كثيرا لقوى البشر أن تنجذب الى هذا النشاط الاقتصادي ، ولعله مما ساعد في ذلك قوة الضبط الادارية في السنوات الأخيرة لضمان عدم التسرب من مرحلة التعليم الاجباري ، بالاضافة الى توسيع نطاق التعليم وانشاء معاهد مهنية ، بالاضافة الى التعليم العام ، وكان انشاء كلية للطب بجوار كلية الفقه نوعا من أنواع التوجيه الاجتماعي ، لتقليل ظاهرة التسرب الى نشاط الخدمات والتحول الى نشاط انتاجي .

ولعل قراءة أرقام الطلاب في مراحل التعليم المختلفة يؤكد هذا المعنى ، ولكي نتابع الرقم فانه يحسن أن نوضح الصورة اداريا ، تقع مدينة الكوفة في محافظة النجف ، التي تنقسم اداريا الى قضاء النجف وقضاء المناذرة وقضاء الكوفة ، وكل قضاء يتكون من المدينة التي يسمى بها وعدد من القرى التي تتبعه اداريا ، وفي هذا الضوء فان عدد الطلبة في المرحلة الابتدائية بقضاء الكوفة يبلغ ٢٧ ألفا و ٦٩٨ طالبا منهم ١٤ الفا و ٥٧٩ ذكورا و ١٣ الفا و ١١٩ اناثا . ويبلغ عدد الطلبة في المرحلة الثانوية ٧ الاف و ٧٧٧ طالبا منهم ٥ آلاف و ٢٤٢ ذكورا والفان و ٥٣٣ اناثا . ويبلغ عدد المدارس في قضاء الكوفة ٣٩ مدرسة ابتدائية ، ١٩ منها بنين و ٢٠ بنات ، و ١٢ مدرسة ثانوية للبنين وخمس مدارس للبنات ، بالاضافة الى ست روضات أطفال .

رغم كل هذا فانه يبقى للكوفة سمات ومعالم المدينة الدينية ، فهي مزار ومحطة لسفر المسافرين الى العتبات المقدسة بالنجف الأشرف ، وهي بداية

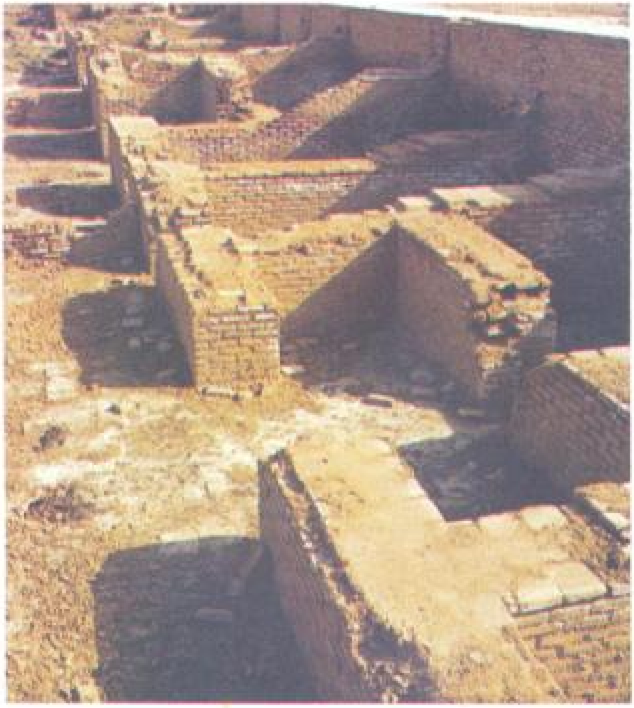

أطلال وبقايا قصر الامارة .. مازالت القوائم كما كانت ، من فوق هذا القصر ألقى زياد بن أبي مسلمة ابن عقيل .

البوابة الى عالم العتبات .. وبها يبتدىء الزائر للعتبات ، وعندها ينتهي تماما كما ابتدأنا وانتهينا .

المبتدى والمنتهى

عند أول المدينة ووسط مزارع النخيل ينتصب مبنى كلية الطب ، الذي كان استراحة سابقة للملك فيصل في عهد الملكية ، وبعد المبنى والمزارع .. تقوم صوامع تخزين الحبوب والتمور مقابل نهر الفرات ليسهل نقلها بوسائل النقل النهري .. ويمتد الشارع الرئيسي بعد ذلك بالبيوت والمنازل البسيطة على جانبيه ، حتى يفضي بك الى ساحة مسجد مسلم بن عقيل الذي صنعت قبته من الذهب الخالص .. ثم بعد مسافة قصيرة تصل الى مسجد الكوفة الذي مازال يحتفظ بذات سوره القديم .. وداخل المسجد يتوافد الزوار على الصلاة والدعاء في ذات المكان الذي ضرب فيه الامام علي وهو يصلي الفجر .. وبعد سور المسجد تقع بقايا عمارة دار الامارة ، التي لم يبق منها الا قواعدها في الأرض ، وبجوارها مباشرة دار الامام علي .. الناس تدخل وتخرج باكية ، على يسار المدخل غرفة الحسن والحسين ، وفي باحة الدار الغرفة التي غسل فيها الامام ، وداخل الدار وامام غرفته بئر ماء لم تنضب بعد ، يجلبها ويوزعها صبي في العاشرة ، ويتوافد الزوار حريصين على أن يشربوا من ماء البئر ، ويمسحوا بمائها على رؤوس أطفالهم ووجوههم ، وعلى الجانب الآخر من المدينة يقع مسجد « السهلة » وهو مسجد بالغ الاتساع ، تقول لوحات الرخام الرسمية على جدرانه ـ كما ويؤمن الناس أيضا ـ ان هذا الموضع الذي بني فيه المسجد يحوي أماكن صلاة وعبادة سيدنا ابراهيم ابي الانبياء وابنه اسحق ومصلى ادريس ونوح وهود وصالح ومهبط آدم عليهم السلام وبه مصلى الامام جعفر الصادق ، وهو واحد من الأماكن التي يحرص الزوار على زيارتها والصلاة بها .

في رحلة العودة يصحبنا زوار أتموا الزيارة بترتيبها الكوفة فالنجف ، وعلى وجوههم مسحة رضا وايمان وتحية وداع للامام ، ونلتقي بزوار قادمين يملؤهم شوق وعيونهم باكية والسنتهم تلهج بقراءة السلام ... هاتفة السلام عليك ياامام الحق .. ياكبير القلب .. ياعظيم المقام .. وتتوالى أفواج الزوار للمدينة (التاريخ) التي يمتزج ترابها وتاريخها بالأسطورة والبطولة والشهادة والمجد والعلم . □

وجهاً لوجه

جان ديزانتي و أحمد الشيخ

* لم يعد ممكنا أن يظهر اليوم فلاسـفـة يعيدون الامساك بكل وجوه الثقافـــة .

* ثقـة بعض النـاس في المعـرفـة العقـلانيـة كفّت عن أن تكـون مـطلقـة .

* نعم ، الفن يمكن أن يكـون طـريقـا للخـروج من أزمـة العقـلانيـة .

* المهـمـة الجوهـريـة لـلفـلسـفـة هـي الـنـقـد طـوال الـيـوم .

* عـلى الفيلسـوف أن يتدخـل في القضـايـا السيـاسيـة ولكن دون مسـاومـة .

مع « وجها لوجه » تخرج « العربي » هذه المرة من محيطها الى افق عالمي شاسع . والحوار هذه المرة مع الفيلسوف الفرنسي المعاصر جان توسان ديزانتي ، الذي يعتبر أحد ابرز الاسماء في ساحة الفلسفة الفرنسية المعاصرة .

يجري المقابلة ، أحمد الشيخ ، الكاتب العربي الذي يدرس الفلسفة في جامعات فرنسا ، حيث حاوره حول مجموعة من التساؤلات الخاصة بوضع الفلسفة الفرنسية اليوم .

ماهي الحالة التي وصل اليها الفكر الفرنسي اليوم ؟ هل فقد ريادته التي كان يتمتع بها سابقا خاصة بعد رحيل جيل العمالقة من أمثال سارتر ولاكان وريمون آرون وغيرهم ؟ .

وهل صحيح أن هناك ظاهرة انسحاب الفلسفات العلمية والعقلية في الغرب كما في الشرق ، أمام فلسفات اللاهوت والروحانيات ؟ ثم ما هي أزمة العقلانية المعاصرة وكيف يمكن الخروج منها ؟ ماهي علاقة الفلسفة بالسياسة والصحافة ؟ وما هو الدور المتبقي للفيلسوف في المجتمع المعاصر ؟ . . . . . عن هذه التساؤلات ، وغيرها ، أجابنا الفيلسوف المعاصر جان توسان ديزانتي الذي يمثل مع ميشيل فوكو وجاك دريدا أبرز الأسماء اللامعة في ساحة الفلسفة الفرنسية المعاصرة .

تتنوع اسهامات هذا الفيلسوف عبر حقول نظرية المعرفة وتاريخ الفلسفة والفلسفة السياسية .

بدأ حياته الفكرية داخل الحزب الشيوعي الفرنسي ، ثم انفصل عنه بعد أحداث المجر ، ليتجه بعد ذلك نحو العلوم الدقيقة ، وفلسفة العلوم والرياضيات والمنطق ، يعمل حاليا استاذا للفلسفة الحديثة والمعاصرة بجامعة السوربون ، من أهم مؤلفاته : مقدمه في تاريخ الفلسفة ، مدخل إلى الفينومينولوجيا ، النماذج الرياضية ، الفلسفة الصامتة ، الفيلسوف والسلطات (كتاب مقابلة معه) ، وأخيرا ، (مصير فلسفي) وهذا نص الحوار الذي أجريناه معه :

هل هناك فلاسفة ؟

● يتحدث البعض ، بنوع من القلق ، حاليا حول حالة الفكر الفرنسي بصفة عامة ، وأنه لم يعد يتمتع بتلك المكانة التي كان يشغلها سابقا ، وتزايد هذا القلق خاصة بعد رحيل جان بول سارتر دون أن يبرز اسم آخر على نفس الدرجة من الأهمية ، بل هناك من يتحدث عن حالة من الضعف والانهيار أصابت الفكر الفرنسي في مجمله . كيف تنظر لمثل هذا النوع من التساؤل القلق ؟

ـ منذ وفاة سارتر ، اعتقد أنه لا يوجد أحد قد شغل المكانة التي احتلها ، كما لا أعتقد أن هناك من يقوم بذلك ، لكن هذا لا يعني أن الفلسفة الفرنسية غائبة . هناك نوع من الانتقال في طبيعة الاهتمام أو الجهود المبذولة . فالجهود الفلسفية الموجهة نحو تأسيس المعرفة في أصولها الأولى ، قد استنفدت أغراضها ، لا اعتقد أنه يوجد في فرنسا ، أو في أي مكان آخر ، فلاسفة بالمعنى التقليدي للكلمة ، أي الفيلسوف الذي يأخذ على عاتقة مهمة تأسيس كل التشكلات الثقافية في كل الميادين . في الوقت الحاضر ، لا يمكن القول أن هناك شخصا مثل هسرل ، أو حتى ماكس فيبر . لم يعد ممكنا أن يظهر اليوم فلاسفة يعيدون الامساك بكل عالم الثقافة . لقد صار الفكر اقليما طرفيا يبحث في قضايا محددة

داخل حقل محدد . وقد أخذ الفكر الفرنسي الذي لا ينبغي أن نقصره على الفلسفة في شكلها التقليدي بهذا الاتجاه منذ وقت طويل بدءا من الستينيات في أعمال بارت وفوكو ودريدا . فيما يتعلق بالفلسفة بالمعنى المهني للكلمة ، أي الناس الذين ينتجون ما نسميه فلسفات في الجامعات ومراكز الابحاث.ينبغي أن نلاحظ ان ما يوجد منها في فرنسا لا يعتبر غريبا عما هو موجود في انجلترا أو المانيا أو أمريكا ، والاختلاف يعود الى الطريقة التي نشأ وتكون بها الفلاسفة في فرنسا . فالفلاسفة لدينا لايهتمون كثيرا بالمنطق أو الرياضيات أو ما يسمى بالعلوم الدقيقة ، وجهتهم تسير أكثر نحو ما يسمى بالعلوم الانسانية ، وهذا ما يفسر أن الفلسفة الفرنسية ، تبدو في الخارج ، كما لو كانت ، الى حد ما ، مغلقة على نفسها وتقاليدها ،

● لكن ، في السابق ، كان هناك ما يمكن أن يكون أولوية أو ريادة للفكر الفرنسي في العالم الغربي ، هل انتهت نهائيا هذه الريادة ؟

ـ الفترة الكبرى لريادة الفكر الفرنسي كانت في القرن الثامن عشر ، انتقلت هذه الريادة الى المانيا مع بداية القرن التاسع عشر ، واذا كان هناك حديث عن الفلسفة فانها كانت تصنع في المانيا ، وما تطور من فكر في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية كان كرد فعل ، ووجدت الفلسفة الفرنسية جذورها في المانيا ، في فينومينولوجيا هيجل وبدأت تظهر انماط ومعالجات جديدة لهيبوليت وكوجيف . كان ذلك ردا في واقع الامر ، على ما كان سائدا من ممارسة فلسفية متحجرة في بعض الاوساط الجامعية .

الفيلسوف جان توسان ديزانتي يحاور احمد الشيخ

وربما هذا ما يعطي البعض الانطباع بحالة التأخر التي تنتاب الفكر الفرنسي . وحتى في حالة التأخر هذه فهذا لا يعني خسارة كبيرة بالنسبة للفكر ، لأننا في هذه الحالة نفكر ونتفتح تجاه أماكن أخرى ومفكرين آخرين في حقول الفكر والتاريخ والسياسة ، وبالتالي أرى أنه ليس هناك ما يدعو لليأس أو القلق ازاء مصير ومستقبل ما يمكن أن نسميه الفكر الفرنسي .

أزمة ثقة

● يلاحظ انه خلال السنوات العشر الماضية كان هناك نوع من العودة الى اللاهوت ، والتخلي عن الفلسفات العلمية والعقلانية . هذه الظاهرة لا

تنطبق فقط على ما أطلق عليه « الصحوة الاسلامية » ، بل نجد ملامح في الغرب أيضا ، وفي فرنسا بالذات نجد الدعوات اللاهوتية ، يهودية أو مسيحية ، تشغل مساحة لا بأس بها من مجمل الحياة الثقافية والروحية . فهل تنظر الى هذه الظاهرة على أنها ظاهرة حقيقية ؟ واذا كان الامر كذلك فكيف تفسرها ؟ وكيف تنظر الى الدلالات التي تشير اليها في بلد كفرنسا ، له تاريخ وتراث كبير في الدعوة للفلسفات العقلانية . . . ؟

ـ أعتقد أن ما تشير اليه يعود بشكل عام الى واقع عدم رضا كثير من الناس عن حياتهم في قلب المجتمع المعاصر ، انهم يعملون نفس الاشياء المرتبة والمنظمة في أوقات محددة . يعيشون في حياة مرتبة ومنسقة بشكل مرعب ، لذلك يبحثون عن الرضا داخل كل ما هو ليس في القاعدة أو النظام . يبحثون في الهامش ضد الاشكال العقلانية . يبحثون عن الرضا في الخيال ، في بعض أشكال الخيال ، لكن ما الذي يغذي الخيال أكثر ؟ انه اللاهوت والمقدس . اذن ، فالناس ، أو بعض الناس ، يبحثون في هذا الاتجاه نظرا لعدم احساسهم بالرضا ، طالما ظل لديهم انطباع بأن ما يحدث في العلم العقلاني لا يخصهم مباشرة بل يسعى لتهديد مستقبلهم من جهة أخرى ، لا أريد أن يفهم مما أقول أن هناك أزمة في العلم والمعرفة ، لكن أريد أن أشير ببساطة الى أن ثقة بعض الناس في المعرفة العقلانية كفت عن أن تكون مطلقة . هنا نحن أمام ظاهرة عدم ثقة تعود الى أن الاكتشافات والتقنيات لم يعد مسيطرا عليها . فالعلم قد صار أكثر تعقيداً . كما لم يعد غالبية الناس يفهمون القواعد التي يملكها رجال العلم أو يتبعونها في عملهم . او بتعبير آخر انهم يتساءلون عن هدف العلم ومصيره وما يمكن أن يؤدي اليه من تهديد لمجمل البشرية عبر حرب نووية . فضلا عن تزايد وعي الناس بهذا العامل ، هناك أيضا على الجانب الآخر ، الفلسفات العقلية الكلاسيكية التي كانت ترسم صورة منجزة وتامة للعالم ، لم تعد ممكنة التحقق بدورها ، في مواجهة تنوع المعرفة والممارسة والواقع . فهناك ادراك متزايد لا أقول فقط بعدم كفايته بل بتحجر بعض التصورات عن العالم التي تقدم تفسيرا أو صورة لا تسمح بهروب اى شيء منها . لذلك فقد حدث أن الناس ، بدلا من تبني العقلانية ، شكّوا فيها . وفي هذه الحالة يكون الطريق أمام اللاهوت أكثر اغراء .

دور الفلاسفة

● **كيف يمكن ، في تصورك ، الخروج من أزمة الفلسفة العقلانية دون الالتجاء لاغراءات اللاهوت والمقدس والخيالي ؟**

ـ أعتقد أن ذلك دور ما يمكن أن نسميه بالفلسفة ، لكن ليس فقط بالمعنى المهني للكلمة . هناك دور متواضع وبطيء يمثل التزام عمل أجيال نحو تأسيس أشكال للمشاركة في المجتمع . هذه المشاركة توجد في اللاهوت وفي الطقوس والعقائد التي تشكل رؤية موحدة وعامة بين الناس ، حيث كل واحد يتعرف على الآخر ، لكنها غير مؤسسة في الجسم الاجتماعي . إذن ينبغي إثارتها ، وهنا فإن على الفلسفة والفكر بشكل عام أن يثيرا هذا الشعور بالمشاركة ، واقتسام الحياة بين الناس ، حتى لا يشعر أحد بأنه غريب عن العالم وعن الآخرين الذين يحيطون به في مجتمعه . هذا هو دور الفيلسوف ، أي تمهيد الطريق من ميدان لآخر ، وتأسيس أشكال ومبادىء للمعرفة غير منغلقة على نفسها ، بل يمكن أن تمر بين الناس العاديين . بالطبع هذا شيء مثالي ، وليس من المتوقع تحقيق ذلك حتى النهاية . لكنه ، على أي حال واحد من أكبر الأدوار الواقعة على عاتق الفلسفة في المجتمع المعاصر ، من خلال نشر وتوزيع أسس المشاركة والاقتسام بين أكبر قدر ممكن من الناس .

● **للخروج من أزمة العقلانية تقول إحدى المدارس الكبرى في الفكر الانساني المعاصر ، مدرسة فرانكفورت ، بأن الحل يوجد عن طريق الفن . ما رأيك ؟**

ـ نعم الفن يمكن أن يقوم بذلك شرط أن يكون منتشرا أولا ، وأن يتمكن الناس من إدراك معنى

ومغزى العمل الفني ، ثانيا . وشرط أن تدخل على علاقاتهم الخاصة مع العمل الفني علاقاتهم الخاصة بالعمل بشكل عام . فأي انتاج إنساني يمكن أن يعامل كعمل فني . لذلك أرى أن كلمة فن ينبغي أن تفهم في معناها الأكثر عمقا وانتشاراً حتى تصل الى اعتبار كل انتاج انساني نوعاً من العمل الفني ، سواء كان ذلك في مجال العلم أو العمل أو الموسيقا .

● أليس من السهل انتشار الفن ، لهذا الغرض ، أكثر من الأعمال الفلسفية ؟

ـ نعم ، التفكير والفرح يؤديان الى صلة لايتميز بها الخطاب الفلسفي بالطبع . لكن تبقى المشكلة في انتاج لغة تسمح بمشاركة واقتسام العمل الفني بين الناس ، لذلك على الفلسفة ان تتخلص من اشكالها التقليدية في التعبير ، وما سيعيش بعد ذلك ، هو جانب الفكر الموجود في الفلسفة وليس اشكال تعبيرها . بتعبير آخر ، الفلسفة لايمكن ان تعيش الا اذا تخلصت درجة من ضوابطها وعاداتها التقليدية في التفكير .

الفلسفة والسياسة

● بخصوص غموض اللغة الفلسفية امام الجمهور ، هذا يقودنا لقضية علاقة الفلسفة بالسياسة ، فهناك نقد يوجه للفلسفة،والفلاسفة عندما يقومون بوضع مسافة بينهم وبين السياسة ، حفاظا على جوهر العمل الفلسفي . كما يوجه النقد أيضا للفلسفة والفلاسفة عندما يزيلون هذه المسافة ، ويوحدون بين الفلسفة والسياسة على أساس انهم لم يعودوا فلاسفة بل صاروا سياسيين .. أعني في الحالتين يوجه اليهم النقد،في الاولى بسبب انعزالهم داخل أسوار الجامعة ، وفي الثانية بسبب انغماسهم في الحياة السياسية ، كيف تنظر لهذا النقد المزدوج لعلاقة الفلسفة والفلاسفة بالسياسة ؟

ـ أرى أن المهمة الجوهرية للفلسفة هي النقد ، نقد طوال اليوم ، لايمكن أن تقول إن اللحظة ليست ملائمة الآن لعمل مثل هذا النقد أو ذاك ، أو ليست اللحظة ملائمة للتساؤ ل أو التشكيك في هذا الموقف أو ذلك المحتوى الذي استشعر عدم الرضا عنه ، أو القول سنرى ذلك فيما بعد ، لأنه مع مرور الوقت نجد أن الضرورة السياسية تولد أخرى ، وهكذا فان مهمة الفلسفة في النقد تؤجل دائما ، وفي النهاية تتكيف مع الوضع القائم ويصير الفلاسفة منظرين محترفين ، ومرتبطين عضويا بهذا النشاط السياسي أو ذاك ، ثم يعتقدون بصحة مواقفهم بعد ذلك مع نسيان أنها تمت من منظور التأجيل المستمر للنقد ، لكن مايقومون به في الواقع لاينتمي للفلسفة بحساباتها ومشروعاتها الخاصة ، أقول ذلك لأنني أعتقد بأن الفيلسوف عليه ان يتدخل في القضايا السياسية ، لكن بشرط ألا يخشى مخاطرة الحاجة ، أو المساومة مع الافكار الايديولوجية المتناقضة مع حقائق الاشياء . نعم عليه ان يتدخل لكن بدون مساومة . هناك شكلان للتدخل في السياسة : ان يتدخل الفيلسوف ويندمج بنفسه كجزء من حركة سياسية ، ويلتزم بالصمت أو التبرير في بعض الاحيان ، تحت ذريعة ان الامور على مايرام ، أو انها ستتحسن فيما بعد . وهناك تدخل آخر يبقى فيه الفيلسوف ساهرا أو حذرا أو ناقدا لمستقبل الحركة السياسية التي يرى فكره قريبا منها ، وعليه ان يغامر بنقدها وتصحيحها حتى لو أدى الامر الى رفضه داخل هذه الحركة .

● نعود مرة أخرى لغموض اللغة الفلسفية الشائع . اطلعت بخصوص علاقة الفلسفة بالصحافة ، على محاولتين الاولى نشرت في الملحق الادبي بصحيفة لوموند على اثنى عشرة حلقة شاركت أنت بواحدة منها ، بهدف نقل الفلسفة عبر الصحافة اليومية الى القارىء ، والمحاولة الثانية كانت لجان مارش دوميناك في كتابه : « تحقيق عن الافكار المعاصرة » . في البداية أود أن اسأل هل من الضروري نقل الفلسفة عبر الصحافة الى القارىء ؟ وهل ذلك ممكن دون أن يؤدي الى تشويه جوهر الفلسفة ؟

- القضية هنا معقدة الى حدما ، ليس فقط بالنسبة لرجل الفلسفة ، انها قضية ما أشير اليه باستمرار عن انتاج نوع من المشاركة واقتسام ثمرات المعرفة بين الناس . يمكن ان نأتي بعالم على شاشة التليفزيون مثلا ويقول لنا بعض الاشياء عن المعرفة في مجال تخصصه ، لكن هذا الاسلوب لاينتج مشاركة بالضرورة ، بل لابد من جهود دؤوبة تسمح للناس ان يصلوا الى مستوى عال من الوعي والاهتمام العقلي . معظم الناس في تصوري على قدر من الثقافة ، بدرجة أو بأخرى ، من حيث انهم يمتلكون لغة ، مهما كان نوعها ، وثقافة قد تكون غنية هنا ، أو أقل غنى هناك ، قد يكون لهم تراث عريق أو ماض حديث . أعتقد بالنسبة لمستقبل الاشياء لابد من ايجاد الوسائل ، والاتصالات التي تسمح بتوزيع واغناء المشاركة . ينبغي تعميق وتنويع الاتصالات بين المجموعات والفئات والطوائف . كذلك ينبغي تنويع أماكن الاتصال وتمهيد الطريق بين هذه الجماعات .

يبقى الهدف من وراء ذلك وهو خلق قدرة النقد والفهم والتأمل عند كل فرد على أرضه الخاصة .

حركة تحويل المجتمع

● **البعض ينتقدون « مبادىء فلسفة ديزانتي السياسية » ؟ ماهي مبادىء فلسفة ديزانتي السياسية ، كما تراها أنت ، وليس الذين يوجهون اليك النقد ؟**

- فكري السياسي واضح تماما وبسيط جدا في نفس الوقت . أولا ، أتشكك في كل الاحزاب المنظمة ، ثانيا ، أعتقد أن هناك قضايا يجب الدفاع عنها . لكن هذه القضايا لم تعط مرة واحدة والى الأبد لنأخذ منها موقفا مطلقا . بل تعاش في هذا الميدان ، أو في تلك المنطقة النائية من العالم ، في فيتنام بالامس ، والسلفادور اليوم . . . أو أي شيء آخر ، هكذا التزم ، كما يقولون ، قضية في اثر قضية . ليس بالضرورة أن يكون الالتزام على مستوى طويل الامد لتحويل المجتمع بأسره ، فعندما تلتزم على هذا النحو ماذا يحدث في العادة ؟ يحدث اننا نعطي لاداة هي الحزب ، مهمة قيادة حركة تحويل المجتمع ، لكن ماذا يحدث حينئذ أيضا ؟ مانراه هو ان الحزب يتحول الى مجتمع على غرار المجتمع المراد تحويله . انا مع الموقف الذي يقول انه في كل ظرف ينبغي اختيار الحل الذي يساعد في اتجاه التغيير الى الامام . .

قضية الحرية

● **رغم انه لايوجد في كتاباتك تركيز أساسي على قضية الحرية ، هل يمكن تفسير موقفك السياسي إنطلاقا من تأكيده على حرية الانسان أولاً ؟**

- في الواقع لم أسهب كثيرا في الحديث عن الحرية ، لكن هذا لايعني انها قضية لم تكن تشغل حيزا كبيرا من اهتمامي . والشيء الذي يزعجني كثيرا في قضية الحرية هو تلك المسافة القائمة بين التصورات الخاصة بالحرية ، التي يكاد يجمع معظم الناس عليها ، وبين الممارسة الاجتماعية التي تدور دائما من شكل لآخر ، ومن مكان لآخر حول عبودية واستخدام الافراد لغايات لاترتبط بهم . فنفترض ان الناس احرار ، على مستوى الفكر ، لكن نتعاملهم كأدوات للاستخدام في الواقع . لذلك لايمكن ان نتحدث عن مشكلة الحرية ميتافيزيقيا فقط . ليست القضية هي تأسيس الحرية في تصورات وإعلان أن الناس أحرار . القضية هي ان نطرح عن قرب ، آلية هذا النظام الذي ينتج ظاهرة « الاستخدام » . بالطبع لايمكن ان نسلك دون ان نخدم ، لكن ما أعنيه هو تلك العلاقة الخفية التي تفرض سلوك الناس وتجبرهم على القيام بأعمال لاترتبط بهم . لابد من تحديد العلاقة بوضوح ، في الحقل الاجتماعي ، وتحديد النقطة التي يصبح تحرر الناس من خلالها مستحيلا ، أو تلك التي يكون فيها الناس في حالة استخدام لايستطيعون الانفكاك منها ، كما لايعرفون ماذا يفعلون . هذه النقطة من الاستخدام أو الاكراه ، والتي تصل بالفرد الى حد الحصار وتثبيت علامة العجز التام تتطلب تحديدات ودراسات متنوعة لتشخيص بنية ظاهرة الاستخدام ونظام الاكراه □

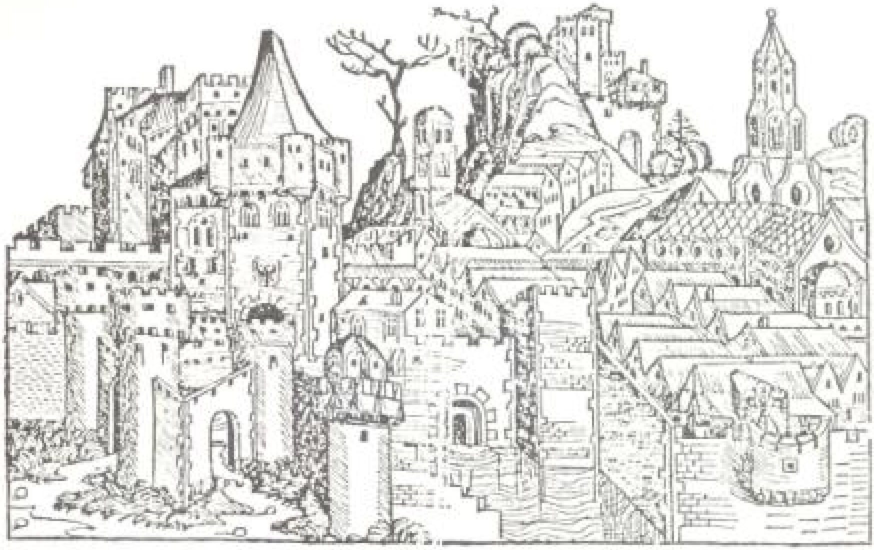

رسم تخطيطي لما كانت عليه العمارة في القرون الوسطى في ساليرنو كما تصورها الرسام .

سـاليرنو..

جسر عبرته المعارف الطبية الاسلامية الى أوروبا

بقلم : د . حسن فريد أبو غزالة

هذه وقائع محفورة في لحم التاريخ .. تشير الى أن الدور العربي الاسلامي في الحضارة كان بارزاً وواضحاً وأساسياً في القرون الوسطى . وهي التفاتة الى جسر من الجسور التي عبرت عليها المعارف الطبية العربية الاسلامية الى أوروبا .

على مقربة من نابلي وعلى بعد ثلاثين ميلا من جنوبها الشرقي ، يقع خليج ساليرنو ، حيث تقع بلدة صغيرة ، أو بتعبير أدق هي بقية من مدينة كبيرة ، كان لها في التاريخ موقع مميز سميت باسم ساليرنو .

أيام الرومان القدامى كانوا يدعونها ساليرم Salerm بينما أطلق عليها الفرنسيون اسم ساليرن ، أما الاسم الأصيل لها فهو ساليرنوم .

إن مدينة ساليرنو كما عرفها العرب القدامى لاتعدو اليوم أن تكون قرية أثرية تحتضن قبر البابا

غريغوري السابع ، غير أن شهرتها الاولى التي يفخر بها أهلها هي كونها البلد الذي اخترع البوصلة البحرية على حد زعمهم ، كما أنها مهد أقدم الجامعات الأوروبية التي قامت في العصور الوسطى المظلمة .

في نهاية القرن الثاني عشر ومستهل القرن الثالث عشر الميلادي كان في أوروبا ثلاثة مراكز علمية متخصصة .

وأول هذه المراكز كان في باريس ، وقد اشتهر بعلم اللاهوت والآداب . وثاني هذه المراكز كان في بولونيا حيث اشتهر بعلوم القانون . أما المركز العلمي الثالث فهو مركز ساليرنو الذي تخصص في علوم الطبابة .

واذا لم يكن من الامانة أن تدعى هذه المراكز بالجامعات فهي في الواقع مراكز علمية متخصصة ، لان لفظ الجامعة Universitus كان اصطلاحا قديما يطلقونه على ما يدعى اليوم بالرابطة أو النقابة ، ثم انحصر الاصطلاح مع الايام ليقتصر على المحادات المشتغلين بالعلم والتعليم من اساتذة وطلاب .

أما ما نعرفه اليوم بالجامعة فقد كان البديل له هو اسم المدرسة العامة ، ومن هنا عرف مركز ساليرنو العلمي باسم مدرسة ساليرنو الطبية .

اصحاب الفضل

لا أحد يعرف على وجه الدقة كيف نشأت هذه المدرسة ونمت ، ولا من بذر بذورها الاولى ، ولكن الشواهد تشير كما يشهد كتاب التاريخ أن علماء العرب لهم فضل أصيل في نشأتها ، عندما نقلوا اليها علوم العرب وحضارة المسلمين من صقلية الى جنوب ايطاليا .

عندما كانت الأديرة المسيحية هي المراكز العلمية المعتمدة في أوروبا خلال العصور الوسطى المظلمة ، ولم يكن فيها من العلوم سوى تعاليم الدين الكهنوتي المحافظ .

تقول المستشرقة الالمانية زيغرد هونكة مؤلفة كتاب « شمس العرب تسطع » :ـ « لقد غمرت مدرسة ساليرنو علوم العرب في التطبيب والمداواة في سيل عرم . ثم ما لبث هذا السيل في علم العرب أن فاض من ساليرنو وامتد الى شواطيء أوروبا وخلجانها ومدنها ، فأحال الصحراء الى جنة وارفة من نبتات الفكر ، تتفيأ ظلالها الانسانية جمعاء » .

ثم تستطرد المستشرقة الألمانية لتقول في موضع آخر :ـ

« ان أصل ساليرنو يضيع في أفق الاساطير ، ولكن الحقيقة أن تأسيسها يعود فضله الى أربعة رجال هم : يوناني ولاتيني ويهودي ثم عربي يدعونه عضلة «Adala»ولعل من الارجح والأصوب أن اسم عضلة هذا هو اسم محرف من اسم عبد الله أو ربما اسم عطا الله .

يقول الدوميلي في كتابه « العلوم عند العرب » « ان تاريخ نشأة مدرسة ساليرنو مظلم حقا ، ولكن الاسطورة ترجع فضل تأسيسها الى أربعة أساتذة مختلفي العقائد والاديان هم :

هيلنوس ـ وكان يقرأ على تلامذته باللغة العبرية .

وبونتوس ـ وكان يقرأ على تلامذته باللغة اليونانية .

وعبد يلا ـ وكان يقرأ على تلامذته باللغة العربية .

ثم الاستاذ ساليرنوس الذي عرفت المدرسة باسمه وكان يقرأ بال   اللاتينية » .

ان دائرة المعارف البريطانية تؤكد هذا المعنى فتذكر :ـ

« ان أهمية ساليرنو التاريخية تتمركز حول مدرستها الطبية التي بني هيكلها على أربع ثقافات هي اللاتينية والاغريقية والعبرية والعربية » .

والواقع أن الطب العربي والحضارة الاسلامية عامة قد تسربا الى أوروبا في العصور المظلمة عبر ثلاثة مداخل هي :

١ ـ الاندلس وجنوب فرنسا .

٢ ـ الحروب الصليبية عند اختلاط الاوروبيين بالعرب والمسلمين على أرض فلسطين .

٤ ـ صقلية وجنوب ايطاليا حيث تولت مدرسة ساليرنو مهمة حفظ الامانة .

ولعل الكاتب المؤرخ جورج سارتون في كتابه عن تاريخ العلم يؤكد هذا المعنى فيذكر : « لو لم تنقل

الينا كنوز الحكمة اليونانية ، ولولا اضافات العرب الهامة لتوقف سير المدنية عدةقرون » .

ويشارك سارتون رأيه هذا كاتب آخر هو دي فو حين يقول :

« ان الميراث الذي تركه اليونان في الطب لم يحسن الرومان القيام به ، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه والمائه ، حتى سلموه الى العصور الحديثة » .

هذه هي ساليرنو التي حملت مشعل الفكر الطبي قرونا ، ثم أخذت تضمحل مع الأيام وتتلاشى الى أن أغلقها نابليون بونابرت عام ١٨١١ .

حضور فاعل

وقد أكد العرب وجودهم العلمي وحضورهم الطبي في مدرسة ساليرنو ، من خلال العديد من الأساتذة العظام الذين أهْدَوْا للتراث الانساني العديد من المؤلفات والابحاث .

ان الغرب يعتمد كتاب الطبيب الجراح روجرز الساليرني الذي كتبه عام ١١٧٠ م ، تحت اسم « العمليات الجراحية » على أساس أنه أقدم رسالة في الجراحة في عالم الغرب ، وليس كتاب روجرز هذا سوى معلومات من كتاب « كامل الصناعة » ومؤلفه هو الطبيب العربي « المجوسي » الذي ترجمه عن العربية أستاذ من ساليرنو هو « قسطنطين الافريقي » .

والمتصفح لكتاب روجرز الساليرني سوف يجده متخما بالاسلوب العربي في العلاج ، فقد أشار الى علاج الغدة الدرقية بالأعشاب البحرية ، وهوما يتفق معه رأي الطب الحديث الذي أكد ثراء منتجات البحر بمادة اليود ، اللازمة لصناعة هرمون الغدة الدرقية ، ثم عرج روجرز على علاج المفاصل بمركبات الذهب ، وهو أسلوب عربي قديم معروف .

أما عن قسطنطين الافريقي أشهر تراجمة مدرسة ساليرنو ، وأحد كبار أساتذتها ، فالموسوعة البريطانية كتبت عنه ما يلي :

« انه مغامر اشتهر في الطب ، وقد كان نصرانيا ، ولكنه عربي القومية ، ولد في قرطاجنة بتونس عام ١٠٢٠ للميلاد ، وقيل عنه انه درس الطب في حواضر العالم الاسلامي ، وقد نشأ وترعرع في صقلية ، وكان يتقن اليونانية واللاتينية بالاضافة الى لغته الاصلية ، وهي اللغة العربية التي كانت سائدة في ذلك الزمان . وقد ترجم قسطنطين العديد من كتب الطب من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية » .

هذه بعض اللمحات عن مدرسة ساليرنو الطبية ، التي أكدت وجود الحضارة الاسلامية عامة والطبابة خاصة ، كعلامة طريق على درب التراث الانساني □

مع هيلين كيللر

قالت هيلين كيللر فى وصفها للناس الذين لاتراهم ولكنها لاتكاد تمد يدها لتصافحهم حتى تعرف من هم ؟ قالت : « لقد التقيت باناس لايشعرون بالحياة حتى أنى عندما أمد يدى لمصافحتهم أشعر أننى اصافح عاصفة باردة هوجاء . ولكن ماأكثر الأيدى التى امتدت لمصافحتى فوجدتها مليئة بالدفء الذى لا البث ان أشعر أنه قد احتوى قلبى ! » .

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ن

نازيّة

حركة سياسية اجتماعية سادت في ألمانيا ، وانتهت بهزيمة دول المحور * عسكريا وسياسيا في الحرب العظمى الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ، وأصل الكلمة ألماني مشتق من اختصار تعبير الوطنية الاشتراكية التي كان يمثلها « حزب العمال الاشتراكي الوطني » .

ولم تظهر النازية من فراغ ، بل كانت كافة الظروف تمهد لظهورها ، وأول هذه الظروف شروط الصلح الفادحة التي أملاها الحلفاء المنتصرون على ألمانيا المنهزمة في الحرب العالمية الأولى ، ففي مؤتمر السلام الذي عقد في فرساي بفرنسا في عام ١٩١٩ فرض الحلفاء على الألمان دفع تعويضات تصل الى ١٢٠ مليارا من الماركات الذهبية ، وكان هذا انتقاما سياسيا متهورا ، فقد حمل الحلفاء الألمان ديونهم للولايات المتحدة ، والخسائر الناجمة عن تدمير الأسلحة والعتاد الحربي ، والنفقات اللازمة لبدء عمليات انتاجية جديدة تضخ الدم في شرايين الاقتصاد المنهارة ، حتى معاشات ضحايا الحرب حملها الحلفاء لألمانيا ، وكان رأي الاقتصاديين أن هذه التعويضات فوق طاقة الاقتصاد الألماني ، وأنها تحتاج الى بناء الاقتصاد الألماني ، حتى يستطيع أن تكون صادراته أكثر من وارداته ، فيحقق فائضا يسمح له بدفع التعويضات ، وهذا كله لايمكن أن يحدث الا اذا عادت الدكتاتورية والنزعة العسكرية الى ألمانيا ، وهذا ماحدث . فبعد عام ١٩١٩ بدأت الأزمة الاقتصادية في ألمانيا تشتد ، وبالمقابل نشط أعضاء حزب العمال الألماني ، وقدم الحزب برنامجا من ٥٢ نقطة (عام ١٩٢٠) هذا البرنامج الذي عاد أدولف هتلر وشرحها في كتابه « كفاحي » الذي كتبه في السجن (١٩٢٣ ـ ١٩٢٤) وبدأ في نشره اعتبارا من عام ١٩٢٥ . وتتلخص هذه الأفكار في تفوق الجنس الآري « ألمانيا فوق الجميع » ، واعادة تقسيم المستعمرات عن طريق الحرب ، وتقوية الدولة وسيادتها وذوبان الأفراد فيها ، والغاء معاهدة فرساي ، وضم كل الأجزاء الأوروبية التي تتكلم الألمانية .

والنازية بذلك ليست فلسفة ولانظرية سياسية ، ولكنها مجرد حركة سياسية واجتماعية ، فهي تستمد

---

* تعبير يطلق على محالف ألمانيا : ايطاليا ـ اليابان .

ادولف هتلر

أفكارها من خليط من الكتابات والفلسفات والنظريات ، ففكرة التفوق كتبها جوبينو في عام ١٨٥٣ ـ ١٨٥٥ في مؤلفه « مقال حول عدم تساوي الأجناس البشرية » وفكرة السوبرمان هي ابنة أفكار نيتشه ، والحرب والقوة من هيجل ، وتعظيم الدولة ودورها من هيجل أيضا . ومن هنا فان النازية لم تكن تعتمد في جوهرها الفكري الا على فكرة أساسية محورية ، وهي تفوق الجنس الآري ، وهذه فكرة تشبه الأفكار (القروية) من حيث سذاجتها وضيق أفقها ، واقترابها من منطق العصبية الريفية والتفوق العائلي .

ولكن لأن المناخ والتربة الاجتماعية في ألمانيا كانت مهيأة لتقبل هذه الفكرة ، فقد لمعت النازية بسرعة شديدة ، فعندما انضم « أدولف هتلر » الى حزب العمال الألماني استطاع أن يستغل الغضب والضيق والسخط من الأزمة الاقتصادية ، وعندما توالى تنديده بالاحتكارات الصناعية الكبيرة جذب اليه جماهير غفيرة من الطبقة المتوسطة ، واستطاع بواسطة أصواتها أن يحصل على ١٠٧ مقاعد في البرلمان في عام ١٩٣٠ ، وبعد ذلك بعامين أصبح له ٢٨٨ عضوا ، فوصل الى منصب المستشارية ، وأستطاع أن يفرض نفوذه تماما في ٣٠ يناير ١٩٣٣ ، وبوصول هتلر الى الحكم بدأت أفكار النازية في التطبيق ، وكان أول ماطبقه من أفكار فكرة تفوق العنصر الآري ، فأبعد كل من لاينتمي الى هذا الجنس من المناصب العامة ، منع الزواج المختلط ، كما أمر بتعقيم الضعفاء ، وفاشية الحزب لاتتضح في مثل هذه السلسلة من الاجراءات اللا انسانية بعد وصوله الى الحكم ، بل قبل ذلك فقد كان للحزب فريق من الصاعقة يتولى مهام حماية الاجتماعات وتخريب اجتماعات الخصوم من الأحزاب الأخرى ، والتي ألغاها هتلر بعد ما وصل الحزب الى الحكم . وبهزيمة ألمانيا في الحرب تحطم النظام النازي الذي حاول أن يفرض فكرته الفردية الضيقة على امبراطورية عالمية . □

■ المحدث اللبق هو الشخص الذي يجعلك تنصت إليه اثناء وجوده ، وتفكر فيه عندما يذهب بعيدا عنك .

« مكسيم جوركى »

لماذا كان الإفطار على تمر؟

بقلم : حلمي الخولي

الإلف والعادة يحجبان المعرفة ، فالمرء لا يحفل بادراك كنه الأشياء التي يتداولها ظناً منه بأنه خبير بها عالم ، ولكن اخضاعها للبحث والنظر يريه كم يعوزه من معرفة ! وهذه مقولة تصدق - أكثر ما تصدق - على التمر ، فنحن نجهله لأننا نألفه ونظن بأننا نعرفه !

التمر هو ثمرة النخيل ، وحتى يتم نضج هذه الثمرة تمر بعدة أطوار يكون أولها الطلع ثم الخلال ثم البلح ثم البسر ثم الرطب ثم التمر واكتمال الشيء عند نهايته فالتمر هو أجملها جميعا .

ومجازا يطلق لفظ « بلح » على ثمر النخيل ، وهو « الرطب » اذا تم نضجه ولما يجف بعد ، وهو التمر اذا جف .

التمر في التاريخ :

دلت الحفريات التي أجريت في مقابر الفراعنة على شدة تقديرهم له ، حتى نقشوه على جدران معابدهم ، وأشادوا بفوائده غضا وجافا وتمرا ، وفي كثير من الأديرة القبطية كتابات ومذكرات تدل على مدى ماكان للتمر من قيمة غذائية عند القساوسة والرهبان .

وفي تاريخ العرب وقصص حياتهم وحروبهم دور كبير للتمر كغذاء رئيسي من أغذيتهم بصورة تفسر لنا كيف استطاعوا ان يجدوا القدرة على أن يقاتلوا الدول والجيوش ويفتحوا البلاد والأمصار وليس في بطونهم سوى بضع تمرات ، وعثر على نوى البلح بمصر من العصر الحجري .

في القرآن والسنة :

ذكر القرآن لفظة النخل والنخيل عشرين مرة منها : « وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب » (يس/٣٤) ، « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل » (النحل /١١) ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد » (الرعد /٤) ، « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقري عينا » (مريم ٢٥/٢٦) ، ولم يأت ذكر القرآن الكريم للنخل هباء ولكن لما لهذا النوع من

التمر من فوائد عديدة:غذاء ودواء .

وكان للتمر نصيب في السنة المباركة - « عن سليمان بن عامر الضبي الصحابي ، رضي الله عنه » ، عن النبي ﷺ قال : « اذا أفطر احدكم فليفطر على تمر ، فان لم يجد ، فليفطر على ماء فانه طهور » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، وعن أنس رضي الله عنه قال:(كان رسول ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات ، فان لم تكن رطبات فتميرات فان لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء) رواه ابو داود والترمذي وقال حسن وثبت في الصحيح : « ان أبا الهيثم بن التيهان لما ضافه النبي ﷺ وأبوبكر وعمر رضي الله عنهما ، جاءهم بعذق - وهو من النخلة كالعنقود من العنب فقال له : هلا انتقيت لنا من رطبه ! فقال : احببت أن تنتقوا من بسره ، ورطبه (صحيح مسلم بشرح النووى ٤ - ٧٢١) . وثبت عنه أنه قال:« بيت لاتمر فيه جياع اهله (رواه أحمد ومسلم في صحيحه وابو داود والترمذي وابن ماجه . كلهم في الأطعمة عن عائشة رضي الله عنها) .

انواعه : « قال قدماء أطباء العرب في التمر : كثير الانواع حتى انه يزيد على خمسين صنفا ، وأجوده العراقي الرقيق القشرة،الكثير الشحم،الحلو النضيج الذي اذا مضغ كان كالعلك - اللبان - ، واكثر ماينشأ بالبلاد الحارة اليابسة التي يغلب عليها الرمل كالمدينة المنورة والعراق واطراف مصر »

مكونات التمر ومحتوياته :

« يحتوى التمر على مواد سكرية تبلغ في نسبتها ٧٠٪ ومن هذه المواد السكرية سكر العنب ، سكر الفواكه ، سكر القصب » ويحتوى البلح على نسبة كبيرة من السكر (٢٠٪ - ٣٠٪) ، والتمر أفضل من البلح اذ يتركز فيه السكر حتى يصبح حوالي (٧٠٪ - ٨٠٪) ، ولذلك فهو أفضل الفواكه من ناحية القيمة الغذائية وان كان ينقصه فيتامين « ج » ، ويحتوي التمر على معادن كثيرة مهمة منها البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والفسفور ، والبلح يحتوى على نسبة عالية من الاملاح المعدنية القلوية ولذا فهو من الادوية المعادلة لحموضة الدم ، كما يحتوى على نسبة عالية من الفسفور ويحتوى على فيتامين (أ) ، و « ب » ، و « ب٢ » . ويحتوى ايضا على نسبة من البروتينات ، كما يحتوى على الياف سيلولوزية .

قيمته الغذائية : يقول الدكتور محمد هاشم : « ان البلح - هذه الفاكهة الصحراوية الممتازة - هو الغذاء الرئيسي الذي يتناوله سكان الصحراء وله الفضل في منحهم القوة والرشاقة والطول والمناعة ضد الامراض وذلك لانه يعد غذاء كاملا بكل ما في الكلمة من معنى . وللبلح قيمة غذائية مرتفعة لاتقل عن اللحوم اذ البلح يحوى ميزاتها كلها،ولكنه ليس له شيء من اضرارها التي قد تحدث نتيجة للاكثار منها ، ولذلك كان البلح فاكهة غذائية مفيدة وطعاما شعبيا مهما،وهو كذلك دواء صالح للامراض نافع لكثير من العلل » .

كما يؤكد هذا الاستاذ عبد الرزاق نوفل بقوله : « قد أثبتت الدراسات العلمية والفحوص المعملية والتحاليل الكيماوية أن للبلح قيمة غذائية تماثل قيمة اللحوم ولكنه ليس له شيء من أضرارها ، وأنه

أفضل الفاكهة من هذه الناحية اذ يحتوي على العناصر اللازمة للغذاء وكذلك على الفيتامينات ، فهو غذاء صحي » .

أثره على صحة الجسد :

البلح يحتوي على البروتينات التي تقوم بعملية البناء ، فهي التي تبني خلايا الجسم ، وتجدد ما يبلى منها ، كما يحوي نسبة عالية من السكريات ، وهذه معظمها من سكر العنب وسكر الفواكه وهي سريعة الامتصاص وسريعة التمثيل ، لاتحتاج الى عمليات هضم ولا الى عمليات كيماوية معقدة مثل الدهون والنشويات ، ولذا فهو أفضل الاغذية التي تمد الجسم بالطاقة التي تبعث في خلايا الجسد النشاط .

« ويحتوي التمر على معادن كثيرة مهمة ، وهذه المعادن لها أهميتها فيما يتعلق بالعمليات الكيماوية في جسم الانسان،وتدخل في تركيب انسجته،ونقص أحدها يكون له اثر ضار على الجسم ، فمثلا الفوسفور : كل ١٠٠ جرام من التمر تحتوي على ٤٠٠ مليجرام من الفوسفور ، بينما لاتزيد كمية الفوسفور الموجودة في فاكهة ما ، عن ٢٠ مليجرام من نفس الكمية ، والفوسفور يدخل في تركيب العظام والاسنان،وهو الغذاء للحجيرات النبيلة في دماغ الانسان وهي حجيرات التناسل والتفكير .

يحتوي البلح على فيتامين «أ» وهو موجود بنسبة عالية تعادل نسبته في اعظم مصادره - أي تعادل نسبته في زيت السمك وفي الزبدة - ، ومن فوائده انه يحفظ رطوبة العين وبريقها ويقوي الاعصاب البصرية ، ويساعد على النمو والرشاقة ويجعل البصر نافذا في الليل والنهار . ويقول الدكتور محمد هاشم : « ان البلح يحتوي على فيتامين « أ » ولذلك فهو يحفظ رطوبة العين وبريقها ، ويمنع جفاف الملتحمة والعشى الليلي وجفاف الجلد ، والبلح يفيد الشيوخ الذين بدأوا يعانون قلة السمع أو ضعف الاعصاب السمعية ، ويقول الدكتور هشام الخطيب : « يحتوي البلح على فيتامين ب١ ، ب٢ وهذه الفيتامينات تساعد على تقوية الاعصاب وتلين الأوعية الدموية ، كما ان الالياف السيلولوزية التي يحتويها البلح تساعد على تنشيط حركة الامعاء ومرونتها،ويستطيع من اعتاد تناولها أن ينجو من حالات الامساك المزمن .

وللبلح اهمية خاصة لتكوين أجسام الاطفال وخصوصا العظام - لما يحتويه من نسبة عالية من الفوسفور ، فهو يحافظ على النمو الطبيعي لعظامهم .

أثره على الصحة النفسية :

يقول الاستاذ عبد الرزاق نوفل : « ان الدراسات العلمية قد أثبتت ان البلح يضفي السكينة والهدوء على النفوس القلقة والمضطربة » . . ويقول الدكتور محمد هاشم : وهناك صفة نفسية هامة للتمر ، وهو أنه يضفي السكينة والدعة على النفوس القلقة المضطربة ، وكذلك المزاج العصبي الناجم عن نشاط الغدة الدرقية الرابضة في مقدم العنق حين ازدياد افرازاتها ، وقد عرف أخيرا بأن بعض النباتات والثمار لها خاصية الحد من نشاط الغدة الدرقية ، نذكر منها الجزر والسبانخ واللوز والمشمش وفي طليعة هذه النباتات التمر . ويقول : « لذلك فاننا ننصح باعطاء كل طفل ثائر عصبي المزاج بضع ثمرات من التمر في صباح كل يوم لتضفي السكينة والهدوء على نفسه ، فتحد من تصرفاته واضطرابه ، بل انى أنصح كل قارىء لايستسيغ تناول الافطار أن يأخذ ثمرات مع كوب الحليب صباح كل يوم فتزوده بالوقود اللازم لفكره وجسده طول النهار بخلاف تهدئة اعصابه » .

أثره على الصحة العقلية والجنسية :

يقول الدكتور محمد هاشم : التمر غني بالفوسفور ، والفوسفور هو الغذاء المفضل للحجيرات النبيلة في دماغ الانسان ، وهي حجيرات التفكير والتناسل،ولذا كان للتمر أهمية كبرى في تعويض ما يفقده أرباب الفكر والقلم ، وما يصيب الشباب من انهاك تناسلي عندما يندفعون وراء شهواتهم »[1] ، ويقول الاستاذ عبد الرزاق نوفل :

(١) الأدوية والقرآن الكريم - د . محمد محمد هاشم ص١٣ بتصرف .

« لاحتواء التمر على الفوسفور فانه يقوي العظام ويرفع معدلات التفكير » ولهذا ينصح العلماء والأطباء المفكرين بجعله في طعامهم للمحافظة على معدلات التفكير حتى لا يصاب العقل بالاجهاد المبكر .

أثره العلاجي والوقائي :

« يعتقد العلماء أن وجود الاملاح المعدنية القلوية في التمر تسبب تعادل حموضة الدم المتأتية عن تناول النشويات بكثرة ، والمعروف أن حموضة الدم هي السبب في عدد غير قليل من الامراض الاسرية الوراثية كحصيات الكلى والمرارة ، والنقرس وارتفاع ضغط الدم والبواسير وغيرها[٢] .

ويقول ابن قيم الجوزية : وهو اكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب واكله على الريق يقتل الدود ، فانه مع حرارته فيه قوة ترياقية ، فاذا أديم استعماله على الريق جفف مادة الدود واضعفه وقلله أو قتله كما انه مقو للكبد ملين للطبع ، يزيد في الباه ولاسيما مع حب الصنوبر[٣] .

ويقول الدكتور محمد هاشم : « البلح يفيد في حالات اضطراب المجاري البولية ويدر البول ويساعد الجهاز الهضمي وينبه حركته ، ويسبب في الامعاء لينا لطرد البقايا الغذائية فيزيل الامساك . واذا ما أكل البلح قبل نضجه فانه يوقف الاسهال ويسبب الامساك ، ويستعمل مغليا في الالتهابات ويوقف النزيف الدموي الذي يتسبب عن البواسير والتهابات اللثة » . ويقول الدكتور محمد هاشم : قيل انه يقطع السعال المزمن واوجاع الصدر ، ويستأصل البلغم وخصوصا اذا أكل على الريق ، ويغذي كثيرا ويولد الدم القوي ويصلح اوجاع الظهر ، ويقوي الكلى المهزولة ، واذا طبخ بالحلبة وشرب قطع الحمى البلغمية ، وبالارز يصلح المهزولين وبالحليب يقوي الباه ، واذا أحرق نواه أنبت هدب العين وأحد البصر وسود العين ومنع الجرب .

ويقول الاستاذ عبد الرزاق نوفل : « وقد قرر العلم أخيرا ان بالرطب هيرمونا اسموه « البيتوسين » يقوي العضلات الرحمية وينظم الانضباطات العضلية ، ومن عجب ان هذا الهرمون - البيتوسين - يقوم بعمل وعكسه في آن واحد طبقا لحاجة الجسم فهو يزيد من الطلق في الحوامل عند الولادة ، اذا كان الطلق باردا ويقلل منه اذا كان حاميا اكثر مما يجب ، فهو ينظم الطلق ويجعله متوازنا مع درجات اكتمال الحمل وساعات الولادة فهو اكبر مساعد دوائي للوضع ، ويتداول هذا الهرمون طبيا الآن بعد استخلاصه من الرطب فعلا ، كما وجد ان هذا الهرمون خاصية منع النزيف عقب الولادة والوقاية من امراض الولادة وعلى رأسها حمى النفاس . وهكذا تقرر الآية الكريمة « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقري عينا » أن مريم سيساعدها هرمون الرطب وسكون هادئة النفس مستقرة الخاطر[٤] ، ويقول الدكتور محمد هاشم : وتبين من البحوث التي اجريت أن البلح منبه لحركة الرحم وزيادة قوة انقباضاته ، أي انه يقوي العضلات الرحمية والانقباضات العضلية في الحمل المتقدم فقط مما قد يجعله مساعدا للوضع اثناء الولادة »[٥] .

الحكمة النبوية في الفطور على تمر :

يقول ابن قيم الجوزية : « وفي فطر النبي ﷺ من الصوم على الرطب أو التمر تدبير لطيف جدا ، فان الصوم يخلي المعدة من الغذاء ، فلا تجد الكبد ما تجذبه وترسله الى القوى والاعضاء ، والحلو أسرع شيء وصولا الى الكبد وأحبه اليها ، ولاسيما اذا كان رطبا فيشتد قبولها له فتنتفع به هي والقوى » .

والتمر يحتوي على نسبة عالية من السكريات حوالي ٧٠٪ ومنها سكر العنب والفواكه ، والمعروف علميا أن هذه المواد السكرية سريعة الامتصاص سريعة

(٢) المرجع السابق .
(٣) الطب النبوي . ابن قيم الجوزية . تعليق الدكتور قلعجي ص٣٤٣ .
(٤) القرآن دواء فيه وقاية وشفاء ص ١٠٥ - ١٠٦ (بتصرف) .
(٥) الأدوية والقرآن الكريم ص ١١٣ - ١١٤ .

التمثيل فلا تحتاج الى عمليات هضم معقدة لتتحول الى مواد اخرى ـ دكسترين ـ ثم الى مواد سكرية قابلة الامتصاص كما يحدث في هضم النشويات .

ولذا فان المواد السكرية تمتص بسرعة وتعوض الجسم عن نقص السكر في الدم اثناء الصوم ، وتزيل الأعراض الناتجة عن نقص السكر في الدم مثل عدم القدرة على الحركة المثلى، والشعور بالضعف والكسل وزوغان البصر، وعدم القدرة على التفكير والتركيز ، مع ان الصائم يشعر بالشبع بعد أخذ المواد السكرية بفترة .

وهنا تظهر الحكمة النبوية الشريفة في البدء بتعاطي مادة سكرية كالتمر، ثم يقوم المسلم بعدها الى الصلاة ، وعندما ينتهي منها يتناول طعاما خفيفا يسد جوعه ويفي بحاجة جسمه من الغذاء دون شعور بالتخمة أو الامتلاء ، وهذا النمط من الافطار له فوائد منها :

أ ـ ان المعدة لاترهق بما يقدم اليها من غذاء دسم وفير ، بعد ان كانت هاجعة نائمة طوال ثماني عشرة ساعة تقريبا ، بل تبدأ عملها بالتدريج في هضم التمر السهل الامتصاص، ثم بعد نصف ساعة يقدم اليها الافطار المعتاد .

ب ـ ان تناول التمر أولا يحد من جشع الصائم فلا يقبل على الاكل بعجلة دون مضغ أو تذوق .

جـ ـ تهضم المواد السكرية في التمر خلال نصف ساعة، فاذا بالدم يترع بالوقود السكري الذي يزود انحاء الجسم، ويبعث في خلاياه النشاط فيزول الاحساس بالدوخة والتعب سريعا .[٦]

ولو اتبع الصائمون هذه السنة النبوية لتخلوا عن الكثير من العادات غير الصحيحة من الفطور التي تسبب فوضى في الطعام، فيملئون بطونهم ويصابون بالتخمة ، ويحدث في اعقاب الفطور ضيق في التنفس وسرعة في ضربات القلب نتيجة لضغط المعدة الممتلئة على الحجاب الحاجز والقلب ، علاوة على اصابتهم بعسر الهضم واضطرابات معدية ، ويركنون الى الكسل والدعة ، وتكثر الغازات المعدية والمعوية ويكثر التجشؤ، وبعد ذلك يلقي الصائم التبعة على الصيام ويتهمونه ، وهم في الحقيقة المتهمون .

فلو اتبعوا سنة المصطفى ﷺ ماتعبوا وما اشتكانوا ، ولو اتبعوا أوامر الدستور الأسمى القرآن الكريم «كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين »[٧] لجنوا أسمى الثمار من الصيام في قوله تعالى : « وأن تصوموا خير لكم »[٨] ـ صدق الله العظيم . □

---

(٦) الدكتور هشام الخطيب ـ الوعي الاسلامي .
(٧) الانعام /١٤١
(٨) البقرة /١٨٤

■ دع للموتى خلود الشهرة ، وللأحياء خلود الحب .

(طاغور)

■ الخوف لايرهب غير القلب الفاسد .

(شكسبير)

■ ان السماء ترى ، ولكنها ترى بعيون الشعوب ، والسماء تسمع ، ولكنها تسمع بآذان الشعوب .

(كونفوشيوس)

لحظات من الزمن العربي

الجبرتي يصوم رمضان

بقلم : دكتور محمد المنسي قنديل

في كل سطر من سطور تاريخه كان الجبرتي يفتقد العدل ، كان نصيبه من الزمان خمسين شهرا من رمضان ، امتلأت كلها بالعنف والفوضى والخوف وتقلب الأحوال . لم يمر منها شهر كالآخر ، فماذا عن ذكريات الجبرتي . . وقصة رمضان ؟

في شهر رمضان كانت المنارات تضيء ، والأدعية ترتفع ويصلي المشايخ التراويح في الازهر ، ويقرأ الفقهاء البخاري في القلعة ، ويتجدد في ليلة القدر حلم الخلاص المنتظر والعدل المفتقد ، حدود الله التي كان الجبرتي يحلم أن تسود ولو لمرة واحدة ، بلا جبروت من القوي على الضعيف ، بلا غش في المعاملات أو خيانة أو طعن في الظهور ، بلا تسلط ولا كذب ولا رياء ، تلك الفكرة النقية عن العدل الاسلامي التي انبثقت أمامه من الكتب الصفراء وضاعت وسط طوفان المظالم اليومية واختلال أمور الزمان .

خمسون رمضان وهو يؤرخ لكل شيء في ذلك الكون المختل ، تعلم من أبيه أن للكون مواقيت تحكمه ، ولم يكن أبوه فقيها عاديا يكتفي بالفقه وأحكام الشريعة ، ولكنه كان ميقاتياً يهتم بالرياضة وعلم الفلك ويجيد حساب الأشهر القمرية ، وتعلم منه أن بؤرة كل هذه المواقيت هو شهر رمضان ، اذا اختل اختل الزمان كله .

وحتى بعد أن كف بصر عبد الرحمن الجبرتي حزنا وكمدا لم يتوقف عن تسجيل أحوال الكون ، كان يبحث عن شيء ما يربط كل هذه الأشياء المتنافرة ، هؤلاء المماليك الذين جاءوا من السهوب البعيدة وارتفعوا في زهو ، ثم هووا كالطيور المذبوحة ، علماء الازهر والمشايخ ـ وكان هو واحدا منهم ـ كيف قادوا الشعب مرة ، وتلاعبوا به مرتين ، وأجهضوا ثورته أكثر من مرة ، الأشراف والمحتسبون اللصوص ، والاغوات المرتشون ، فقراء المجاورين ، الشعراء الحالمون ، الصناجقة ، الأنبياء الكذبة ، خدام المساجد ، العربان ، الدراويش ، غراميات الهوانم ، أسعار الأسواق ، مواعيد الأوبئة ، صعود

النيل وهبوطه ، عمارات المساجد والبيوت والقنوات والترع .. عالم هائل تشكل عبر العديد من الحقوب ، ولادة عسرة ، شارك فيها المماليك والعثمانيون والفرنسيون والارنؤود والانجليز ..

خمسون رمضان لكل شهر منها مذاق مختلف ، ولكن في حياة الجبرتي وفي تاريخه هناك رمضانات فاصلة لم يأت قبلها ولم يأت بعدها شبيه لها .

رمضان القهر ١٧٩٩م ـ ١٢١٣ هـ

ريح باردة تهب على المقطم ، كأنها قادمة من زمن لم يأت بعد ، ارتعد الجبرتي وارتعد بقية المشايخ ، كانوا فوق أعلى قمة يحدقون عبثا في السماء المظلمة لعل الهلال الغريب يبدو ولو للحظة خاطفة . لم يكن بين المشايخ اتفاق سابق ولم يصدر اليهم أمر مباشر ، ولكنهم كانوا يدركون جميعا أن هذا الهلال يجب أن يظهر في هذه الليلة لأن ساري عسكر الفرنسي نابليون بونابرت لن يرضى بأقل من ذلك .

كانت القاهرة نائمة أسفل المقطم ، حيوان خرافي منكسر الروح ، غريبة تحت الرايات الفرنسية ، مريرة بطعم الهزيمة ، والريح تزوم تبعث الخوف في أحلام النيام . لم يكن هناك فائدة من التردد ، وقال الجبرتي بصوت ضعيف : لقد رأيته ولم يرفع أحد من المشايخ رأسه ليراجع كلماته،ولكنهم ضموا العباءات على أجسادهم وهمهموا (ثبتت الرؤيا) وهبطوا .

لم ترتفع الأدعية ولم تضيء المنارات،وهنأ ساري العسكر المشايخ تهنئة مقتضبة ، أكد لهم أنه كان ينوي الصيام معهم لولا أنه على سفر يضطره أن يرحل بجنده الى الشام كي يقضي على أقرب الجيوش العثمانية اليه ، وخصوصا أمير عكا المدعو الجزار .. كان يريد أن يترك القاهرة وهي مدينة منضبطة، لا يختل فيها شيء حتى الظواهر الطبيعية ، فبعد أن فشلت ثورة المدينة منذ شهرين فقط لم يعد الفرنسيون يأمنون لشيء .. حتى لتأخر الهلال ..

كانت هذه هي كذبة الجبرتي الأولى ، ولكن الناس كانوا صُوّماً من شدة القهر ، كانت مدافع الفرنسيين أشد قسوة من كل الفتاوى ، وأصابعهم تمتد الى كل مكان تنزع ألفة العالم القديم وسكينته ، لعله ألف ظلم المماليك وجهل البشوات وغطرسة الانكشارية ، ألف كل هذه الأشكال الشائهة من علاقة الحاكم بالمحكومين،وتعود أن يؤجل حُلمه بالعدل عاما بعد عام . ولكنه رغم كثرة معارفه ، والمكتبة التي تملأ بيته ، لم يكن يعرف شيئا عن هؤلاء الفرنسيين حتى مرق « قنبر » مدافعهم من فوق رأسه . ويبدو أنه لم يكن وحده في ذلك ، فحتى (مراد بيك) كبير المماليك أغرق في الضحك عندما سمع من الجواسيس ان جيش الفرنسيين لا يملك خيولا كافية وأن معظم أفراده يسيرون على أقدامهم وقال مؤكدا لمن حوله .. سوف ندوسهم تحت سنابك خيولنا ، وخرج اليهم وهو في أتم زهوه وأبهته ، كان هو وفرسانه يركبون الخيول العربية المطهمة ويرتدون الملابس الحريرية ويتخذون الاسلحة المطعمة بالجواهر والياقوت ، أما عمائمهم الضخمة فقد كان يعلوها ريش مالك الحزين ، ووقف الفرنسيون في مواجهتهم . مربعات زرقاء كالحة اللون مرتعدة مبهورة بشمس الصحراء القوية وبمنظر الاهرامات الشامخة ، وحين صرخ مراد بيك يدعو جنوده للانقضاض عليهم انفتحت عليه أبواب الجحيم ، لم يستطع أن يصل اليهم أو أن يرى وجوههم ، كانت تفصل بينه وبينهم مساحة شاسعة من الرمل والبارود والجثث المتفحمة ، هؤلاء المماليك الاوغاد خاضوا معركة انتحارية غريبة ، لم يكونوا يفهمون ما يحدث بالضبط . ولم يكن في مقدورهم التراجع . عاشوا حياتهم الطويلة بلا شرف ، سرقوا وغشوا وظلموا وأكلوا السحت ، ولم يكن أمامهم الا أن يموتوا ميتة مشرفة ، وعندما فتش الفرنسيون ثياب جثثهم وجدوها مكتظة بالدراهم ، كانوا قد خاطوها في العمائم والاحزمة وتكة السراويل ، وكانت سروج جيادهم مليئة بقطع الحلوى والسكر النبات ، قاموا بآخر هجوم للفرسان في التاريخ ، وبعد ساعتين فقط تبدد جيش المماليك وسقطت مدينة القاهرة .

فر الجبرتي مع من فروا خوفا من أن تستباح المدينة المهزومة كأنها لم تستبح كل هذه القرون الماضية ، ودخل نابليون القاهرة ليكتب في مذكراته (من الصعب أن يجد الانسان بلدا أكثر غنى وشعبا أشد بؤسا وجهلا وضراوة) ، ولم يعد الجبرتي الا بعد ثلاثة أشهر بعد رحلة هرب مروعة ، شاهد مصر كلها فيها

تستباح على أيدي العربان وقطاع الطرق والمماليك الفارين ، ويبدأ للمرة الاولى يكتشف من هم هؤلاء الفرنسيون ؟

كان الجميع أجانب ، المماليك ، والعثمانيين والشراكسة ، ولكن هؤلاء الفرنسيين كانوا أجانب من نوع مختلف كأنهم جاءوا من كوكب آخر ، لقد أصابوه بالحيرة والارتباك حين رأى دقة أعمالهم وحين خاطبوا جانب العقل فيه ، وشاهد آلات القياس والمعامل والمطبعة ومناظير الرصد ، العلوم التي كان أبوه ـ وهو من بعده ـ جائعا اليها ، كانوا أقل ظلما من المماليك والاتراك يدفعون ثمن ما يشترونه ويعتمدون على التفاهم بدلا من النهب . ولكنه لم يستطع أن يألفهم ، كان في أعماقه يرفض أن يأتي العدل عن طريقهم وهم غير مسلمين ، وعندما ثارت المدينة عليهم تجسد في داخله هذا الرفض .

شاهدهم يضربون الناس العزل بقسوة ، يسلطون عليهم المدافع طوال اليوم ، ويقتحمون الازهر بخيولهم في الصباح ، شاهد ذل المشايخ وانتهاك النساء ، وتظاهر بونابرت بالاسلام وارتدائه العباءة والعمامة بشكل يثير الضحك والفجيعة فهتف « يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف . . »

وفي اليوم التالي تقابل مع الشيخ الشرقاوي ، كان كل منهما يعرف أنه قد كذب وان الهلال الذي يصوم الجميع من أجله كان كاذبا ، ولكن الذي خفف عليه هو بدء رحيل (بونابرت) الى الشام « وقفا معا ليشاهدا خروج الحملة ، جنود قصار القامة يحملون الأثقال الكثيرة ، خلفهم محفات النساء والجواري البيض والحبشيات اللاتي استولوا عليهن من بيوت المماليك المهزومين ، وتزيا أكثرهن بزي النساء الافرنجيات ، كانت رغبتهم هذه في مطلق الانثى سببا آخر في عدم اقتناع الجبرتي بهم ، فالعدل الاسلامي يجب أن يأتي من أكثر الطرق نقاء ، وظل الجبرتي طوال شهر رمضان يسجل انتصارات هذا الرجل الذي لا ينهزم أبدا ، وهو يعبر الصحراء يستولي على العريش ثم غزة وخان يونس ويافا ، وتبقى معركته الفاصلة تحت أسوار عكا ، بدا واضحا أن الجزار لن يلبث أن يسقط مع أول أيام العيد ، ولكن الجزار باشا لم يسقط . .

رمضان الثورة ١٨٠٠ م ـ ١٢١٤ هـ

لم يظهر الهلال ولكن ظهر أغا تركي « عثمانيللي » فخم . . اخترق المدينة في زهو المتنصرين يتزاحم الرجال والاطفال لرؤيته ، وترتفع أصوات النساء بالزغاريد كأن هذا الأغا هو أول بشائر الخلاص من الفرنسيين ، ما أغرب دورة الزمان منذ عام واحد فقط ، لم يكن هؤلاء الفرنسيون قابلين للهزيمة ، لكن بونابرت يعود خائبا بعد أن عجز عن اقتحام أسوار عكا . وما يلبث أن يتسلل عائدا الى فرنسا وجيشه محاصر من البحر بسفن الانجليز ومن البر بجيوش الترك ، ومن الداخل بحرافيش الناس وأهل البلاد الذين رفضوا رغم كل شيء أن يتآلفوا معه ، لم يكن أمام الفرنسيين الا الاستسلام وقبول مساعي الصلح والانسحاب بشكل مشرف .

كان الجبرتي مشغولا بمرض ابنه خليل ، ورغم ذلك وجد قليلا من الوقت للذهاب الى تحية الأغا مع بقية المشايخ ، اكتشف أن الاغا كان مفطرا وعلل ذلك بأنه كان على سفر ، واكتشف أيضا أنه ليس أغا مهما ، انه أغا الجمارك والمكوس ، لم يكن يحمل الحرية ولكنه كان يحمل فرمانا بطلب النقود ، ثلاثة آلاف كيس لترحيل الفرنسيين ، وثلاثة آلاف كيس أخرى لدخول العثمانيلي ، كان على الناس أن يدفعوا للاثنين معا ، ورغم ذلك وافقوا وهتفوا:(سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكفرة) ، وطاف الاطفال في الشوارع وهم يهتفون (الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان) .

ساد الوئام بين الفرنسيين والعثمانيلي أخيرا ، أصبح هدفهما المشترك هو استنزاف كل درهم من الناس ، سُمح لهم بنزول القرى والبنادر بفرض الاتاوات ومصادرة المحاصيل،وبدأ الفرنسيون يجمعون سلاحهم ويبيعون أمتعتهم وأخلوا كل القلاع خارج القاهرة . بل وأخلوا أيضا قلعة الجبل ، وكان الاتراك مشغولين بجمع الاموال فلم يتنبه أحد لأهمية احتلال القلعة . وعاد ابراهيم بيك اللص المملوكي القديم يطلب الكساوى والثياب والطرابيش له ولمماليكه . وجلس الوزير الاعظم مصطفى باشا في بلبيس ينتظر اللحظة المناسبة التي يقفز فيها على المدينة .

ولكن الامور لم تسر سيرها الطبيعي ، اختلف جندي فرنسي مع انكشاري ، حول امرأة ، حول كيس من الدراهم ، أو غلام أو كأس من الخمرة ، ولكن كل واحد رفع السلاح وبدأت الاشتباكات بين الفرنسيين والعثمانيللية في شوارع المدينة . وساد المدينة جو من التوتر ، وزاد هذا التوتر عندما اكتشف الفرنسيون أن الاتراك كانوا يخدعونهم .

كانوا يريدون أن يقدموهم فريسة سهلة للاسطول الانجليزي الذي كان واقفا يتحين الفرصة في انتظارهم ، واكتشف « كليبر » ساري عسكر الفرنسيين الجديد أن هذا الاستسلام على طول المدى لن يحقق له شيئا حتى الافلات بجلده ، فقرر أن يلقن الاتراك درسا ، جمع جنوده ، وهجم على جنود الوزير الأعظم ، ولم يكن الوزير ماهرا في القتال مهارته في جمع الأموال ، لقد انهزم سريعا وفر بسرعة أكثر من هزيمته بعد أن أخذ ثمن الحرية من الشعب الذي جاء لتحريره .

ومن خيبة الأمل ، من قسوة الاحباط بدأ الناس العزل ثورتهم الثانية قبل أن تندمل جراح الثورة الأولى ، أغلقوا أبواب المدينة وأقاموا المتاريس وأنشئوا معملا للبارود ، واجتمع الحدادون والسباكون ليصنعوا مدافع بدائية وبدءوا القتال ، وكالعادة رد الفرنسيون بوحشية مبالغ فيها ، حاصروا المدينة ومنعوا عنها الطعام والمؤن ثم أخذوا يصلونها بالمدافع ، ولكن الثورة استطالت وهم يتقاتلون من متراس الى متراس ، ومن مسجد الى مسجد ، مواجهة مستمرة ودامية خاضها المصريون من فرط الحنق ورغبتهم في الخلاص،وخاضها الفرنسيون بوحشية اليائس الذي لا يجد لنفسه مهربا آخر .

أصابت هذه الثورة الجبرتي بهزة عنيفة جعلته يتنبه الآن فقط أن القوة الحقيقية هي لأهل الشارع المصري ، للحرافيش والزعران ،الذين خاضوا معركة رهيبة امتدت لكل مكان . لقد رفضوا الخلاص على أيدي الزعماء الاتراك . كذلك رفضوا توسط المشايخ بينهم وبين الفرنسيين من أجل الصلح،وقاتلوا على أنقاض مدينة نصف محترقة حتى كانت لحظة النهاية .

غيَّمت السماء غيما كثيفا وأرعدت رعدا مزعجا وأمطرت مطرا غزيرا وسَيَّلت سيلا كثيرا ، والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية . ولم يبالوا بالأمطار لأنهم في خارج الأقبية وهي لا تتأثر بالمياه كداخل الأبنية ، وقاتل أهل بولاق جهدهم

ورموا أنفسهم في النيران حتى غلب الفرنسيون عليهم وحصروهم من كل جهة ، وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما تشيب من هوله النواصي ، وصارت القتلى مطروحة بالطرقات والأزقة واحترقت الابنية والدور .

خيم صمت الهزيمة على المدينة المحترقة ولكن كليبر دفع ثمن هذه الوحشية ، فبعد شهر ونصف فقط على اخماد الثورة انتقم شاب من مدينة حلب يدعى سليمان الحلبي للشعب كله حين طعن كليبر طعنة نجلاء وهو يتنزه في حديقة قصره بالازبكية .

رمضان الفوضى

١٨٠٤ م - ١٢١٨ هـ

اختطف الجنود عمامة الجبرتي من على رأسه فأخذ يجري في شوارع القاهرة وقد أحس أن جسده كله قد تعرى . وعندما وصل الى بيته في الصنادقية كان يرتعد وظل عاجزا عن لقاء الناس أسبوعا كاملا .

كانت الاهانة هي الفعل اليومي المباح في شوارع القاهرة ، وخطف العمامة هي أهون هذه الافعال ، فاليد التي تخطف دون أن يحاسبها أحد يمكنها أن تهوي بالسيف دون أن يحاسبها أحد أيضا . جاء رمضان هذا العام دون بهجة فلم يعمل له أي احتفال أو تطلق له المدافع خوفا من عربدة الجند ، كان العثمانيلي قد كسبوا معركة لم يخوضوها واستباحوا مدينة لم يفتحوها . دخلوا يحملون الخلاص من الكفرة فأصبحوا هم أشد كفرا ، دخل الوزير الأعظم مصطفى باشا على رأس موكب النصر الطويل وسط عساكر مختلفة ، ارنؤود ، بكرجية ، انكشارية ، عساكر شامية ، مماليك مغاربة ، كتبة واغوات وقضاة عسكر ، دخلوا دخول الظافرين بعد أن انسحبت جيوش الفرنسيين ، وفور أن استقروا في أماكنهم القديمة أعلن القاضي التركي أن مصر كانت (دار حرب) وبالتالي فان للجيش التركي حق الفتح ، وبذلك تصبح أرض مصر كلها ملكا للسلطان ، وثار شيوخ الأزهر ، فالقاضي يعطي بذلك فتوى شرعية تبرر السلب وتبيح النهب ، ورغم اسقاط هذه الفتوى فقد مارست كل الطوائف التي دخلت في صحبة الوزير عملية النهب بطريقة فجة ، في كل يوم كان لصوص الانكشارية يهبطون على الأسواق كالجراد ، يقتلون بلا تمييز ويغتصبون النساء ، ويتهكون الغلمان ، حتى ان الجبرتي حذر ابنه خليل من الهبوط في الشارع لأي سبب من الأسباب .

وجاء رمضان قاسيا ، غيمت السماء كأنها تعلن عن عدم رضاها وهطل المطر حتى انهارت البيوت القديمة على رؤوس ساكنيها ، وأراد الوزير الأكبر أن يسافر فصادر كل السفن الكبيرة الموجودة في الاسكندرية ووصل الباشا الجديد ففرضوا ضريبة جديدة وأكلوا المزروعات قبل أن يكتمل نموها ، سار الارنؤود في الاسواق يجاهرون بالافطار ويصادرون السمن والاغنام والخضراوات حتى امتنع وصول الفلاحين الى المدينة .

كأنه لا يوجد خلاص من هذه الفوضى المروعة . .

ذهب الجبرتي الى نقيب الاشراف السيد عمر مكرم ، ألا يوجد خلاص يا سيدنا ؟ كان الجبرتي يبحث عن دور له هو وبقية العلماء ، فالأمور تتردى الى حضيض مؤلم ، وطلب منه السيد عمر مكرم أن يمر عليه الليلة بعد الافطار ، وبعد أن صليا العشاء معا سارا وسط الدروب الضيقة . أمامهما خادم يحمل مصباحا وخلفهما حارسان وكان الجبرتي قدر ربط عمامته حول رأسه باحكام ، سارا الى بركة الازبكية فبدأ الجبرتي يشعر بالخوف ، فهذه المنطقة حيث تجتمع القصور والبيوت السرية والغواني تصل فيها عربدة الجند الى ذروتها ، وكان عمر مكرم يسير واثقا ، وتحققت مخاوف الجبرتي فظهرت فرقة من جنود الارنؤود (شر من مشى على الارض) وتوقف الجبرتي ووضع يده على رأسه ، ولكن الجنود أفسحوا طريقا للسيد ، رحبوا به ، قادوهما معا الى منزل كبير ومجلس واسع ملىء بكبار الارنؤود والقادة ، وفي الوسط كان محمد علي قائدهم الأكبر جالسا ، تعرف عليه الجبرتي على الفور رغم أنه لم يشاهده الا في موكب الوزير الاعظم ، عندما صافحه كانت يده صلبة باردة كأنها قطعة من الصوان وعيناه ـ مثل الذئب ـ نافذتان تحملان صرامة لا تعرف الرحمة ، جلس الجبرتي وشرب القهوة ورد على كلمات الترحيب ولكنه لم يشعر بالراحة ، كان يرتجف كلما

وقعت عينا الذئب عليه . وبدأ محمد علي يسأل عن كل شيء . الفيضان والضرائب والمكوس وأنواع الزراعات وتجارة البهار والاقطاعات ، وعندما عرف من السيد عمر مكرم أن الجبرتي يسجل حوليات التاريخ يوما بيوم وأنه ألف كتابا بعنوان (مظاهر التقديس في زوال دولة الفرنسيس) وأهداه للوزير الاعظم الذي أرسله للسلطان فأمر بترجمته إلى التركية ، عندما علم ذلك اتجه بكليته الى الجبرتي وأخذ يمطره بالاسئلة عن المماليك والحرافيش والزعران والفرنسيين والتجار . . وجاهد الجبرتي حتى يجيبه اجابات مراوغة ، كان هناك شيء في هذا الرجل جعله يأخذ جانب الحذر منه . ولكن كان من الصعب تضليله ، فهو يتمحص كل اجابة ويعرف الكثير عما يسأل عنه . كان يريد التأكد من أشياء بدت غامضة لدى الجبرتي وهو الذي خبر صفوف كل لصوص هذا الزمان ولكنه فكر في نفسه انه اذا كان هذا الرجل لصا حقا فهو أكبر هؤلاء اللصوص وأعلاهم شأنا ، وراقب السيد عمر مكرم وهو يتحدث معه بود زائد . . وهو يعطيه كل ما يطلبه وعندما عادا كان المساء باردا والمدينة نائمة والكلاب تنبح ووجد الجبرتي نفسه يسأل السيد ذات السؤال السابق . .

لم تقل لي يا مولانا . . كيف يكون الخلاص ؟

ولم يتح الظلام للجبرتي أن يرى التعبير المرسوم على وجه السيد عمر مكرم ولكنه سمعه يقول في تأكيد حازم :

خلاصنا سوف يكون على يد هذا الرجل . .

رمضان الأحزان
١٢٣٧ م - ١٨٢٢ هـ

لحظة سلام نادرة تلك التي تتبع صلاة الفجر ، فالمدينة التي سهرت طوال الليل حتى موعد السحور تبدأ غفوتها الاولى قبل شروق الشمس ، والفجر يبزغ في جلال وهدوء من خلف تلال المقطم ويتسلل الضوء بين بقايا الأدعية والصلوات . هذا هو صباح ليلة القدر .

والقارئون الذين سهروا في القلعة حتى أتموا تلاوة البخاري لم يعطهم الباشا شيئا فانصرفوا منكسي الرؤوس . وظل خليل بن عبد الرحمن الجبرتي ساهرا في قصر الباشا كان يمارس وظيفته الجديدة التي ورثها عن أبيه وجده الميقاتيه . أن يكون مؤقتا للصلاة وهلالي رمضان وشوال . وعندما بدأ اللون الرمادي يغطي المدينة هبط من القلعة في طريقه الى (الصنادقية) لم يكن باقيا على العيد الا يوم أو يومان وسوف يزف الى عروسه التي اختارها أبوه له ، ابنة صديقه الشيخ الخشاب .

هبط خليل سلم القلعة الحجري الطويل ، وركب بغلته وضم العباءة حول صدره وبدأ ينحدر في درب المحجر الضيق . ولكنه وجد خمسة رجال يسدون عليه الطريق . كانوا يرتدون زي الارنؤود ويمسكون السيوف ، ولأول وهلة حسب أنهم لصوص يريدون سلب نقوده أو بغلته ولكنه رأى بينهم وجها يعرفه حق المعرفة ، انه محمد بيك الدفتردار زوج ابنة الباشا شخصيا . وصهر الباشا لا يمكن أن يسرق بهذه الطريقة وقبل أن يتساءل خليل عما يحدث كان الدفتردار يقترب منه وهو يغرس سيفه في بطنه صائحا : متى يكف أبوك عن قلة أدبه في حق الباشا ؟

شهق خليل وغرس الأربعة الآخرون سيوفهم في جسده ، تصالبت السيوف فلم يسقط من على البغلة حتى نزعوها من جنبه ، هوى على الارض فحملوه ووضعوه فوق ظهر البغلة مرة أخرى . كانت تعرف طريقها جيدا الى بيت سيدها في الصنادقية ، وعندما فتح أهل البيت الباب وجدوا الجثة باردة وقد استنزفت كل قطرة من دمائها . كانت البغلة كلها مغطاة بالسائل الداكن اللزج وتأمل الجبرتي وجه ابنه مدهوشا كأنه يراه للمرة الاولى . الفم مفتوح من فرط الدهشة ، والعينان محملقتان من هول المباغتة ، رسالة لا يخطىء أحد فهمها . قال في مرارة : فعلها الباشا ، ولم يكن هناك أي عزاء ، كيف يمكن أن يحلم بالعدل وفي الدنيا رجال من أمثال محمد علي ؟ أنزلوه وغسلوا جسده الممزق وطيبوه بالزعفران وأدخلوه في الأكفان كأن كل الصفحات الكثيرة التي عكف الأب على كتابتها طوال هذه السنوات قد تحولت الى كفن لابنه . تلقى العزاء وهو لا يرى من يعزونه . الآن انتهى زمن الكتابة وأصيب التاريخ بالموت ، خرج الى شوارع المدينة . مدينة غريبة وضع محمد علي بصماته على كل شيء فيها ، هدم وأبدل وصادر وامتلك ، لم يترك لأهلها سوى المقابر . جلس في مكان خارج

القاهرة فوجد القلعة في مواجهته . تطل عليه في شماتة . الآن .. الآن فقط انقصفت الاقلام .. انظري الى أولادك وهم حولك مشتتون متباعدون مشردون. استوطنك اجلاف الاتراك واليهود وأرزال الارنؤود ، صاروا يقبضون خراجك . ويحاربون أولادك . ويقاتلون أبطالك ويقاومون فرسانك ، ويهدمون دورك ، ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك ، ويطمسون بهجتك ونورك ، قضي الأمر ، وخلصت مصر لمحمد علي ولا حول ولا قوة الا بالله .

أجل لم يستطع الجبرتي أن يحب محمد علي ، لم ينس تلك البرودة التي كانت تطل من عينيه النافذتين في تلك الليلة الرمضانية البعيدة . لقد عارض طويلا في أن يعمل ابنه معه ولكن الباشا هو الذي فرض عليه ذلك ، أراد أن يضعه رهينة بين يديه لعله يتراجع فيكتب التاريخ كما يريده الباشا لا كما كان يحدث . حتى حركة الزمان أراد تاجر الدخان أن يتدخل فيها . كيف يمكن أن يحبه وهو الذي أخلف كل وعوده . تعهد للعلماء بتحقيق العدل بين الرعية وضمن السيد عمر مكرم هذا التعهد برقبته ، جعلهم يقفون خلفه حتى صعدوا به الى القلعة رغم أنف السلطان ، وبدأ ميزان العدل في النقصان . وكان أول ضحاياه هو عمر مكرم نفسه . نفاه بعيدا وحرم عليه دخول القاهرة . ووعد المماليك بأن يعيد لهم مجدهم الغابر ثم ساقهم الى القلعة وشرب معهم القهوة وتضاحك لمدة ساعة ثم أمر جنوده أن يذبحوهم جميعا . ووعد الفلاحين بتقسيم الاقطاعات القديمة ورفع ظلم الملتزمين والمحتسبين عن أعناقهم ثم سلب منهم كل شيء وأصبح هو المالك الوحيد لكل مصر ، بطينها ونيلها وناسها.حقق فتوى القاضي التركي بطريقته الخاصة . حتى ضيعة الجبرتي الصغيرة التي كان يعيش على ايرادها سلبها محمد علي . ترك له الكفاف وهم العيال وضيق المعاش .

كان فقيها ولا يمكن أن يكون غير ذلك ـ كان يحلم بالعدل الاسلامي ولا يمكنه أن يحلم حلما آخر ، وعندما خرج الوهابيون من عرض الصحراء يطالبون بالاسلام نقيا كما أنزل وجد نفسه يتعاطف معهم . وجد فيهم البديل لكل العذابات التي شاهدها الاسلام على أيدي شواذ الأرض ولكنه شاهد جيش محمد علي وهو يستعد للخروج لمحاربتهم ، شاهد جنوده وهم يأكلون ويشربون في وضح النهار ، وهم يصيحون (نحن مسافرون للجهاد) لم يكونوا جيشا ولم يكونوا مجاهدين كانوا بؤرة حقيقية للفساد ، يسكرون ويزنون ويلوطون .

كيف كان يمكنه أن يسكت على كل هذا .. ومحمد علي يمتلك الصناعات ويزيف العملة وهو يحاول أن يغريه بالمناصب أحيانا .. وبالموت في سجن القلعة أحيانا أخرى . وهو يكلف صديقه الشيخ حسن العطار بكتابة تاريخ مضاد لتاريخه . أدرك الجبرتي ان الزمان لن يستدير الا دورة واحدة ، عليه أن يكون شاهدها الوحيد . لقد كلفته الحقيقة غاليا ، ذهب البكاء ببصره ولم يعد قادرا على التدوين . وأصابه العجز والشيخوخة ، فلم يعد قادرا على فهم هذا العالم الغريب .

جلس حزينا في داره ، مريضا ، أعمى تقريبا ، ومات في صمت ، وبعد فترة قصيرة احترق منزله في الصنادقية بصورة غامضة ، وأتى على المكتبة الكبيرة التي ورثها وأضاف اليها ، وأتى على جزء كبير من التاريخ الذي دونه ولم يكتب له أن ينشر أبدا . □

الزوج المثالى

الرجل الأصلع زوج مثالى ! هذه هى نتيجة الاستفتاء الذى قام به عالم النفس المجرى الدكتور استفان بوكر لأكثر من ثمانمائة زوجة على مدى خمس سنوات كاملة . فقد أجمع ثلاثون فى المائة من الزوجات على انهن يعتبرن أنفسهن أسعد زوجات فى العالم ، وعندما التقى بوكر بازواجهن الذين نجحوا فى اسعادهن ، وجد أنهم جميعا قد فقدوا شعر رؤوسهم .. !

تقاسيم على الخفيف

١

أنا لا أحسِنُ الغناءَ لأني
بَحَّ صوتي من الأسى والرثاءِ
هاكمُ القوسَ والربابةَ عني
واملئوا الكأسَ وحدكُمْ أصدقائي

٢

لم أكن شاعراً ، ولكنَّ قومي
جهلوا الدربَ ، تحت شمس الظهيرة
فاكتوى خافقي ، فصار حُداءً
فنداءً على فلول المسيرة

٣

أنا مجنونُها ، وأبقيْتُ عمري
تحت شُبّاكها حديقةَ زهرِ
علَّ دمعي ، في الطَّلِ ، يحكي إليها
أو جراحي على التوَيْج ، فتدري

٤

جئت يوما لأسرق الصبح وَهْجاً
وأساوي الضياء بين الناس
ثم لما عَشيتُ - من فرط نوم
جَندلتْني بنادق الحرّاس

٥

لغد أصْبِحُ الصَّباحَ ، وأمْسي
هو يومي ، وكل تاريخ أمسي
يا غداً انفقُ الحياة عليه
ألاوافيكَ عند حفرة رَمْسي

٦

ما على النهر من تَعِلَّةِ ظامِ
ما على البحر من فلول الغمام
يبيعُ الصدرُ ألفَ طعنةِ ظهرٍ
إنْ يكن صدرَ واثقٍ بقدام

٧

جيء بالعدل في المزاد الكبير
قيل ماذا تبيع ؟ قال ضميري
قال لصٌ إلى سعادة قاضٍ
هل يساوي لديك شَرْوَى نقيرِ

٨

خلِّ عينيكَ في السماء لئلاَّ
تقَعا منكَ في زِحام المدينة
أعينُ الناس هاهنا من زجاجٍ
والعِرابُ العِتاقُ أمستْ هجينة

٩

خالني السَّيدُ الوزيرُ « بَزارا »
فحني نصفَ جذعه إكبارا
ثم لما سُمّيتُ باسْمِي أوْرَى
ناجذَيْه ، فازْوَرَّ عني ازْورارا

١٠

تسألين الغريبَ ماقي جرابهْ
غيرُ بَوْح الأسى ، ونَوْحِ عذابهْ
يا ابْنتي لو عرفتِ من طارق الليل
شربتِ الصباحَ من أهدابهْ

شعر : يوسف الخطيب

١١

في فلسطين كنت خبأت قلبي ،
وأغانيّ ، عند ضِفَّة نهر
فإذا الريحُ هامستْ في بلادي
قَصَبَ الماءِ ، ذاع أجمل شعري

١٢

يا رئيسَ التحرير بالله زِدْني
بعضَ علم ، ويا مديرَ الاذاعهْ
قد حفظنا الأخبار عن ظهر قلب
نَبِّنا بَعْدُ عن . . قيام الساعهْ . .

١٣

دَعْ على الدربِ جُرحنا المطلولا
شرفُ الجرحِ أنْ يُضيءَ السبيلا
قِسمةُ الله ان نكونَ « الضحايا »
في ذوينا . . وأن نكون « الدليلا »

١٤

سِرْ حثيثاً إلى دُنا أحلامكْ
فالثواني تفرُّ من أيامكْ
وأذبْ شمعةَ الحياةِ عطاءً
لا تَدَعْ للترابِ غيرَ عظامكْ

١٥

طَلَعتْ ذئبةٌ من البحر ترْعى
غَنَمَ الله في تخوم القبيلهْ
غَنَمُ الله كُنَّ في القفر أشتاتا
وكان الأكباش في القيلولهْ

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الخصم والنضوج والنوادى .. كلمات فصيحة

عشرات بل مئات من الكلمات يجرح بعض اللغويين فصاحتها ، ولاحجة لهم سوى أنهم لم يجدوها في نص أدبي أو معجم ، كأنما هم قد استقرءوا كل المراجع ، أو كأن المعاجم قد استوعبت كل الكلم الفصيحة ، وكل هذا وهم .

كنا - قبل سنوات - قد عرضنا طائفة من هذه الكلمات التي ينكر بعضهم فصاحتها لهذا السبب ، ونعود الى مثلها اليوم .

١ - خصْم : قال أحد الاساتذة الزملاء هنا انه شهد محاضرة مع آخرين ، وكان بينهم أستاذ من دكاترة الفلسفة،درَّسها في أكثر من جامعة أو أكثر من بلد ، فبينما هما خارجان من المحاضرة أخبره الدكتور أن من أخطاء المحاضر أنه نطق كلمة (خَصْم) بمعنى أحد الخصوم ، وأن صوابها (خِصم) بكسر الخاء ، أما الخَصْم عنده فمعناها اقتطاع جزء من شيء ، كما يكون ثمن سلعة أو دين مئة مثلا فيتنزل الى ماهو دون ذلك .

ثم سألني الزميل عن رأيي في كلام صاحبه فقلت له : لم تمر بي كلمة (خِصم) فيما عرفت من لغتنا الفصيحة ، وانما هي تحريف عامي للكلمة الفصيحة (خَصْم) ، ولو كان صاحبك يقرأ القرآن الكريم لتوقف عن التخطئة ، لورودها فيه ثلاث مرات : مرة في سورة (ص) عند ذكر داود : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ، إذْ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا : لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق » . وفي سورة (الحج) في الخصومة بين المؤمنين والكافرين « هذان خصمان اختصموا في ربهم » .

والخصم يطلق على المفرد والمثنى والجمع ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث لانه في الأصل مصدر ، وان كان هنا صفة أو وصفا ، ولكن يراعى فيه الوصف فيثنى ويجمع فيقال : خصمان وخصوم ، وكذلك يقال في المبالغة (خَصِم) ، فيقال كما في القرآن : « بل هم قوم خَصِمُون » ، ومن المبالغة « خصيم » أيضا والجمع « خُصَماء » كما في قوله تعالى في خطابه للنبي : « ولا تكن للخائنين خصيما » .

ومعنى الخصومة أصلا « الجدل » ، ولكننا قد نستعملها بمعنى « العداوة » لان الجدل كثيرا ما يؤدي الى التغاضب والتباغض والقطيعة والعداء ، وهذا الاستعمال من المجاز المرسل ، اذ أطلق السبب « الجدل » ويراد به النتيجة « العداء » .

٢ - نضوج : تذكر المعاجم والنصوص الادبية

مصدرين للفعل « نضج » هما : نَضْج ونُضْج ، يقال : نضج اللحم ، أو الثمر ، أو العقل : أدرك غايته واستواءه ، فهو ناضج ، وللمبالغة « نضيج » بالمعنى نفسه ... » ولم تذكر المراجع المصدر الذي نستعمله كثيرا وهو « نضوج » ونرى نحن صحته مع ندرة أمثاله ، وذلك أن الفعل اذا كان على وزن فَعِل ثلاثيا لازما مكسور العين لا يدل على معنى ثابت ولا لون أو عيب ، فمصدره غالبا على « فَعَل » مثل : ندم ندما ، وأسف أسفا ، وعمي عمى ، وعور عورا .

وان دل على لون فمصدره على زنة « فُعْلة » مثل : حمر حمرة ، وخضر خضرة ، وان دل على معنى ثابت كان مصدره على « فعولة » مثل : يبس يبوسة ، والا كان المصدر على أوزان عدة ، فهو مرة على « فَعَال » مثل : نشط نشاطا ، ونفد نفادا ، أو على « فُعول » مثل : صعد صعودا ، ولحق لحوقا ، وقدم قدوما ، فيمكننا أن نقيس « نضج » على هذا الأخير فنقول : نضج نضوجا ، وهذا المصدر شائع سائغ ، وللافعال اللازمة على هذا الوزن مصادر على أوزان أخر .

٣ ـ النوادي : يجمع « النادي » على « أندية » ، وهذا الجمع يعده بعض اللغويين شاذا ، ومن هؤلاء صاحب الصحاح ، وصاحب مختار الصحاح ، وصاحب لسان العرب ، وحجتهم القاعدة الصرفية وهي أن « أفعلة » يكون جمعا للاسم الرباعي اذا كان ثالثه حرف مدّ مثل : رغيف وأرغفة ، ودعاء وأدعية ، ولكن هذا الجمع سمع كما في قول الخنساء من بعض مراثيها في أخيها صخر :

ولاّجُ أنْوِيَةٍ ، شهّادُ أنْدِيَةٍ
حمّالُ ألْوِيَةٍ ، للجيش جرّار

ويجمع « أندية » على « أنديات » كقول : كثيرة عزة :

لهم أنْدِياتٌ بالعشيّ وبالضحى
بهاليلُ يرجو الراغبون نَوالها

ولكي تطرد القاعدة السابقة عند بعضهم ـ وهو محمد بن يزيد ، كما جاء في لسان العرب ـ يرى أن « أندية » جمع « نَدِيّ » ، « وذلك أنهم يجتمعون فيه » ، والنادي هو المجلس الذي « يندو » اليه الناس أي يتنادون اليه ، ويتجالسون فيه ، وهو يسمى كذلك سواء كان فيه أهله أو كان خاليا منهم .

و « النوادي » جمع قياسي .

والقاعدة عند الصرفيين هي أن « فواعل » تكون جمعا مطردا لكل اسم مذكر لغير عاقل اذا كان ثالثه حرف مدّ ، وأمثلته كثيرة ، يقال : شاهد شواهد ، وناجد نواجد ، وساعد سواعد ، وسامر سوامر ، وساتر سواتر ، وشاخص شواخص ، وغارب غوارب ، وعامل عوامل ، وداع دواع ، شارب شوارب ، باعث بواعث ، دافع دوافع ، رافد روافد ، راضع رواضع ، ويلاحظ أن الصرفيين يسمون هذه الكلمات أسماء ، وليست هي بأسماء ، بل صفات نقلت الى الاسمية ، فهي ليست أسماء محضة ، ولا صفات محضة ، والفرق بين الاسم « المحض » والصفة « المحضة » أن الاسم يدل على مسمى ، والصفة تدل على موصوف بها ، وهذا النوع من الكلمات يسمى عند بعض علمائنا « الصفة الغالبة » .

وهناك جمع آخر نادر ، هو « أنداء » ومفرده « نَدًى » بمعنى النادي وشاهده قول شبلي بن معبد البجلي يرثي بنيه ، وكانوا قد أصيبوا بالطاعون :

فوجدي بأهلي وجدها ، غير أنهم
شبابٌ يزينون النَّدى ومشيب

وهذا الجمع « أنداء » قياسي ، لان « أفعال » يكون جمعا لما وزنه « فعل » مثل أسباب وسبب ، أنفاس ونفس ، أنفار ونفر ، أشجار وشجر .

وكل هذه الجموع صواب : النوادي ، والأندية والأنداء ، والجمعان الأولان أشيع استعمالا .

■ ان شئت أن تفهم المرأة ،فتفحص ثغرها عندما تبتسم . وان أردت ادراك طوية الرجل فانظر الى بياض عينيه عندما يغضب .

(جبران خليل جبران)

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

التدبير واليقظة في الحرب

لقيط بن يعمر الإيادي

قيل : إن لقيط بن يعمر الإيادي الذي تنسب اليه هذه القصيدة كان كاتباً في ديوان كسرى ملك فارس ، وكانت قبيلة إياد قد اشتدت حاجتها الى المرعى والماء لحيواناتها من أجل قحط وقع في شمالي جزيرة العرب ، فخرجوا الى ريف الجزيرة في العراق ، حيث تكثر الزراعة والمياه ، وكانت الجزيرة تحت حكم الفرس ، فلما سمع كسرى بغزوتهم لها أعد جيشاً لاخراجهم منها ، وكان لقيط يعرف ذلك بحكم منصبه ، فأرسل هذه القصيدة الى قومه يحذرهم العواقب وينصحهم بالتأهب لها ، وقيل ان كسرى بلغه خبر القصيدة فقطع لسان لقيط وغزا إيادا.

والقصيدة ٥٥ بيتاً تعد من أجود الشعر،موضوعها وصف إعداد كسرى للحرب ، وما يجب على إياد من الاستعداد للدفاع ، وإثارة حماستها له ، وشروط القائد التي ينبغي أن تتحقق له .

وقد اخترنا منها هذه الأبيات لأن تراكيبها مأنوسة .

يا أيها الراكبُ المُزجي مطيّتَه ... الى الجزيرة مُرتاداً ومنتجعا[1]

أبلغ إياداً ، وخلّل في سَراتهمُ ... أنّي أرى الرأي - إنْ لم أُعصَ - قد نَصعا[2]

يا لهفَ نفسيَ إن كانتْ أمورُكمْ ... شتّى ، وأُحكِمَ أمرُ الناس ، فاجتمعا

ألا تخافون قوماً ، لا أبا لكمْ ، ... أمشَوْا إليكمْ كأمثال الدَّبى سُرُعا[3]

أبناء قومٍ تآووكم على حَنَقٍ ... لا يشعرون أضرَّ الله أم نفعا

فهُمْ سِراعٌ إليكمْ بين مُلتقطٍ ... شوكا ، وآخر يجني الصابَ والسَّلَعا[4]

في كل يوم يَسُنُّونَ الحِرابَ لكُمْ ... لا يهجعون إذا ما غافلٌ هجعا

لا الحرثُ يشغلهم ، بل لا يرَوْن لهمْ ... من دون بيضتكم رِيّاً ولا شبعا[5]

وأنتم تحرثون الأرض عن سفهٍ ... في كل مُعتمرٍ تبغون مُزدرعا[6]
وقد أظلكم من شطر ثغركم ... هولٌ له ظُلمٌ ، تغشاكم قطعا[7]

●●●●

مالي أراكم نياماً في بُلهنيةٍ ... وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
فاشفوا غليلي برأي منكمُ حَصِدٍ ... يُصبحْ فؤادي له ريّان قد نقعا[8]
ولا تكونوا كمنْ قد بات مكتنعاً ... اذا يُقال له : « افرجْ غُمّةً » كنعا[9]
يسعى ويحسبُ أن المال مخلدُهُ ... إذا استفاد طريفاً زاده طمعا
فاقنوا جيادكمُ ، واحموا ذماركمُ ... واستشعروا الصبرَ ، لا تستشعروا الجزعا[10]
صونوا جيادكمُ ، واجلوا سيوفكمُ ... وجددوا للقسيّ النبل والشّرَعا[11]
أذكوا العيون وراء السّرح واحترسوا ... حتى تُرى الخيل من تعدائها رُجُعا
لا تُثمروا المالَ للأعداء ، إنهمُ ... إن يظهروا يحتووكم والتلادَ معا
والله ما انفكّتِ الأموالُ مذ أبدٍ ... لأهلها ـ ان أصيبوا مرةً ـ تبعا
يا قوم ، إن لكمْ من إرثِ أولكمْ ... مجداً قد اشفقتُ أن يفنى وينقطعا
ماذا يردُّ عليكم عزُّ أولكمْ ... إنْ ضاع آخرُه ، أو ذلّ واتضعا
يا قوم ، لا تأمنوا ـ إن كنتمُ غُيُراً ... على نسائكمُ ـ كسرى وما جمعا
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكمْ ... ثم افزعوا ، قد ينالُ الأمْنَ مَنْ فزعا[12]

●●●●

وقلّدوا أمركمْ لله درُّكمْ ... رحْبَ الذراع بأمر الحرْب مضطلعا
لا مُترفاً إن رخاءُ العيش ساعدَهُ ... ولا اذا عضّ مكروه به خشعا
لا يطعمُ النومَ الا ريْثَ يبعثه ... همٌّ يكاد شباهُ يقصم الضلعا[13]
مسهّدُ النومِ تعنيه أمورُكُمْ ... يروم منها الى الأعداء مطّلعا
ما انفك يحلب هذا الدهرَ أشطُرَهُ ... يكون متبعاً طوراً ومتّبعا[14]
وليس يشغله مال يثمّره ... عنكم ، ولا ولدٌ يبغي له الرفعا[15]
لقد بذلت لكم نصحي بلا دَخَلٍ ... فاستيقظوا ، إن خيرَ العلم ما نفعا[16]

---

(١) المزجي مطيته : السائق دابته . المرتاد : الباحث . المتجع : طالب الماء والنبات . (٢) حَلَّ في سراتهم : امش بين سادتهم . نصع : ظهر .
(٣) الدَّبي : صغار الجراد . سرعاً : بسرعة . (٤) الصاب والسَّلَع : نوعان من الشجر المر .
(٥) لا يرضون الا قطعكم جذرياً ، وفناءكم . (٦) تطلبون عن حق استغلال كل أرض صالحة للزراعة .
(٧) جاءكم الهول من جهة المكان الذي يتوقع منه هجوم الأعداء . (٨) حصد : ناضج . نقع : ارتوى .
(٩) اكتنع وكنع : خشع وذل . (١٠) اجمعوا خيولكم ، واحموا موطنكم .
(١١) احفظوا خيولكم ، وجهزوا سيوفكم ، وجددوا للأقواس السهام والأوتار . (١٢) استعدوا بكل قوتكم .
(١٣) لا ينام حتى يحس بالعزم ينخسه حتى يكاد يكسر ضلوعه . (١٤) مجرب للحرب ، يحسن القيادة كما يحسن الانقياد
(١٥) لا يشغله جمع المال ، ولا الاشتغال بأولاده طمعاً في رفعتهم . (١٦) نصحتكم دون خداع .

العربي - العدد ٣١٩ - يونيو ١٩٨٥

قصة قصيرة مترجمة

حالة شك*

بقلم : إد والاس

ترجمة : طارق يوسف أسعد

إستيقظ على رنين الهاتف ، ألقى بالأغطية جانبا ثم اعتدل في فراشه وتحسس بقدميه الأرض الباردة باحثا عن خفيه . نهض متثاقلا وأضاء الغرفة ، ثم رفع سماعة الهاتف قائلا بصوت يغالبه النعاس : « الدكتور بنسون يتحدث » . كان صوت رياح شهر نوفمبر وهي ترتطم بجدران منزله الأبيض الصغير ينذر بمقدم شتاء قارس هذا العام ، وبعد أن أنهى المكالمة نفض عن نفسه الخمول وارتدى ملابسه على عجل ، ثم اتجه الى المنضدة الموجودة في وسط الغرفة ، ورفع ساعته القديمة ، وألقى عليها نظرة سريعة ، وهو ناقم على المهمة التي في انتظاره . كانت الساعة تشير الى الثانية بعد منتصف الليل،فأخذ يندب سوء حظه ويلعن الأطفال الذين يختارون دائما أوقاتا غير مناسبة ليخرجوا الى الحياة ويملئوا الدنيا صخبا وضجيجا ، ثم رفع حقيبتين احداهما صغيرة أطلق عليها سكان البلدة حقيبة الأتعاب ، والأخرى كبيرة نسبيا بها معدات التوليد ، لذا أطلقوا عليها حقيبة التوليد . توقف لحظة لاشعال سيجارة ثم وضع علبة السجائر في جيب معطفه ، وما ان فتح الباب حتى لفحته الرياح الباردة بشدة ، فشعر وكأن مشرط جراح يمر على وجهه ، فأخفاه تحت ياقة المعطف ، وجرى منحنيا حتى وصل الى (الجراج) أدار محرك السيارة بصعوبة بالغة ، وهو يسعل عدة مرات حتى كادت أنفاسه تتقطع ، وما ان خرج بالسيارة من المرآب حتى بدأت في السير بخفة وسرعة ، وفي الطريق أخذ الدكتور بنسون يتذكر وجه السيدة سورلي ، وهي نفسها السيدة التي على وشك الولادة ، وتذكر أنها قد أنجبت ما لا يقل عن اثنى عشر طفلا حتى الآن ، وأنه قد قام بتوليدها في كل تلك المرات ، والعجيب أنها لم تنجب أيا من أطفالها في ضوء النهار أو حتى في جو معتدل ، كان الطريق الى مزرعة عائلة سورلي طويلا وموحشا ، فدب الملل في نفسه وهو لا يرى أمامه الا طريقا ممتدا الى ما لا نهاية ، ولا تستطيع عيناه اختراق حاجب الظلام ليرى الحقول على جانبيه ، ولهذا فقد شعر بالسرور والارتياح لدى رؤيته رجلا يسير وحيدا على أحد جوانب الطريق ، فأبطأ من سرعة السيارة ،

* من مجموعة A Case of suspicion, by ED WALLACE

ونظر الى الرجل وهو يواجه مشقة بالغة في السير بسبب مقاومة الرياح لتقدمه ، حاملا معه حقيبة صغيرة تحت ابطه ، فأوقف السيارة على الفور ، ودعاه الى الركوب ، فرحب الرجل وركب على الفور ، وبعد أن استقر في مكانه ألقى عليه الطبيب نظرة خاطفة ثم سأله : « الى أين أنت ذاهب ؟ » .

فأجابه الرجل : « الى ديترويت » . فأعاد الطبيب النظر اليه . كان الرجل نحيفا ، ذا عينين صغيرتين سوداوين دامعتين من تأثير الرياح والرمال . لف الصمت الرجلين برهة ، حتى قطعه الرجل سائلا بصوت أجش : « هل أجد معك سيجارة من فضلك ؟ » فأومأ الطبيب برأسه ثم بدأ يفك أزرار معطفه لكنه تذكر أنه قد وضع علبة سجائره في جيب المعطف الخارجي ، فأخرج العلبة وقدمها اليه دون أن يرفع عينيه عن الطريق ، فتناولها الراكب بلهفة ، ثم فتش في جيوبه باحثا عن عود ثقاب حتى وجده ثم أشعل سيجارة ، وأخذ منها نفسا عميقا ، حبسه في صدره فترة ليست بالقصيرة ، ثم تأمل علبة السجائر وقلّبها بين يديه قبل أن يسأل الطبيب : « هل تمانع لو أخذت سيجارة أخرى أدخنها فيما بعد ؟ » وقبل أن يجيب الطبيب انتزع سيجارة ووضعها في جيبه بحرص ، عندئذ شعر الدكتور بشون بيد الرجل تنزلق داخل جيب معطفه فنظر الى الرجل الذي قال على الفور : « سأعيد علبة السجائر الى جيبك » ، فسارع الطبيب بانزال يده ليتلقى علبة السجائر بنفسه ولكنه شعر بشيء من الانزعاج عندما اكتشف أن العلبة قد أصبحت داخل جيبه بالفعل ، فلفهما الصمت من جديد قطعه الطبيب قائلا : « اذن فأنت ذاهب الى ديترويت » . فأومأ الرجل برأسه وقال : « نعم ، سأحاول أن أجد عملا في أحد مصانع السيارات هناك » فسأله الطبيب : « هل أنت ميكانيكي ؟ » .

فأجاب الرجل : « تقريبا . فقد كنت أقوم بقيادة احدى الشاحنات منذ نهاية الحرب ، ولكني فقدت عملي منذ شهر مضى » . فسأله الطبيب : « وماذا كنت تعمل أثناء الحرب ؟ » .

فأجاب الرجل : « كنت مجندا في وحدة الاسعاف الطبي على جبهة القتال مباشرة ، وكانت مهمتي هي قيادة احدى عربات الاسعاف » .

فابتسم الطبيب قائلا : « حقا ؟ . اذن فقد كنت تعمل في مجال قريب بعض الشيء من عمل ، فأنا طبيب اسمي الدكتور بشون » .

فضحك الرجل وقال : « اذن لهذا السبب تملأ رائحة العقاقير الطبية أنفي منذ أن وطأت قدمي سيارتك » ، ثم اكتست ملامحه بشيء من الجدية وهو يقول : « اسمي ايفانز » .

سادهما الصمت بضع دقائق ، وبدأ الراكب يتململ في كرسيه ، ثم انحنى ليضع حقيبته على أرضية السيارة ، فانتهز الطبيب تلك الفرصة ليلقى على ايفانز أول نظرة فاحصة عن قرب ، كان رجلا ضئيل الجسم ذا وجه شديد الشبه بوجه القط ، فلم يشعر بالراحة لملامحه ، ولفتت نظره تلك الندبة العميقة على وجنة الرجل ، كانت وردية اللون ولامعة ، ومن الواضح أنها حديثة ، وعندئذ تذكر السيدة أوت سورلي ، فانتابه القلق ، ومد أصابعه الى جيبه باحثا عن الساعة ، وفوجيء بأن جيبه كان فارغا ، فبحث في كل جيوبه ولكن بلا جدوى ، وهنا أيقن أنه يحمل لصا في سيارته ، وأن حدسه قد صدق عندما لم يشعر بالارتياح لهذا الرجل ، فمد يده بخفة وحرص ودون أن يلفت انتباه الرجل حتى لمس الجراب الجلدي الذي يحتفظ فيه بمسدسه الآلي ، فأخرجه بمنتهى الحرص ثم أوقف السيارة بفرملة مفاجئة ، ودفع فوهة المسدس بقوة في جنب ايفانز ، وهدده بلهجة حاسمة قائلا : « ضع الساعة في جيبي والا . . . » .

فشعر ايفانز بالهلع ، ورفع يديه الى أعلى وهو يقول بصوت مرتجف : « يا الهي . . . لقد ظننتك يا سيدي . . . » فقاطعه الطبيب وهو يزيد من ضغط المسدس على جنبه قائلا ببرود : « ضع هذه الساعة في جيبي قبل أن ينفد صبري وتفلت رصاصة من فوهة المسدس » .

فلم يعقب الرجل بشيء ، ولكنه وضع يده داخل جيبه وأخرج الساعة ، ومد يده المرتجفة ناحية الطبيب الذي تلقى الساعة بيده اليسرى ، دون أن يرفع بصره عن الرجل ، ولاتزال يده اليمنى قابضة على المسدس ، ثم وضع الساعة في جيبه وفتح الباب ثم دفع الرجل بعنف ، وألقاه خارج السيارة وصاح بغضب : « لقد خرجت من بيتي في هذه الساعة

المتأخرة من الليل لأنقذ حياة امرأة ، ولكنى للأسف أضعت الكثير من وقتى في محاولة لمساعدة لص مثلك »
وقبل أن يتمكن الرجل من نطق أى كلمة أغلق الطبيب باب السيارة بعنف ، ثم أدار المحرك وانطلق على الفور ، محاولا تعويض ما أضاعه من وقت ، ولحسن حظه وجد أن الطريق الصاعد الى أعلى الجبل حيث توجد مزرعة عائلة سورلى أقل وعورة مما توقع ، كما أن السيد سورلى كان قد أرسل أكبر أولاده حاملا مصباحا قويا لينتظر السيارة أسفل الطريق ، لمساعدته أثناء مرور السيارة على الجسر الخشبى العتيق الموصل الى طريق المزرعة .

والواقع أن خبرة السيدة سورلى الطويلة في انجاب الأطفال قد ساعدتها كما ساعدت الدكتور بنسون كثيرا ، اذ أنها لم تجد أى مشقة في اخراج هذا الوليد الى الحياة حتى ان دكتور بنسون لم يحتج الى حقيبته الكبيرة المسماة حقيبة التوليد ، وبعد أن علا صراخ الوليد ، غسل الطبيب يديه ثم أشعل سيجارة وجلس يتحدث مع السيد سورلى ، فتذكر ايفانز وقال : « لقد حاول أحد الأوغاد سرقتى ، كنت قد أركبته معى في السيارة وأنا في طريقى الى هنا » . ثم شعر بالفخر وهو يردف قائلا : « لقد سرق ساعتى ، لكننى أرعبته عندما دفعت بفوهة مسدسى في جنبه ، فأعادها لى وهو يرتجف مثل الفار المذعور » ، فابتسم السيد سورلى وهو يستمع الى تلك القصة المثيرة ثم قال : « انى سعيد أنك قد تمكنت من استرداد ساعتك ، لأننا كنا سنواجه مشكلة عويصة لتحديد الوقت الذى ولد فيه ابنى ، وبالمناسبة ما الوقت الذى ولد فيه بالضبط ؟ »
فأخرج الطبيب الساعة وسار ناحية المائدة حيث وضع المصباح قائلا : « لقد ولد الطفل منذ نصف ساعة مضت ، والساعة الآن تشير الى . . . »
وهنا توقف عن الكلام وهو يحدق في الساعة التى في يده ، كان زجاجها مهشما ، وميناؤها مكسورا ، فقلب الساعة وقربها من المصباح فلاحظ وجود كلمات محفورة على ظهرها ، فدقق النظر وقرأ المكتوب عليها بصوت مرتفع : « الى المجند ايفانز بقسم الاسعاف الطبى ، الذى تمكن بشجاعته الفائقة من انقاذ حياتنا في ليلة الثالث من نوفمبر عام ١٩٤٣ ، قرب الحدود الايطالية (الممرضات : تيسبيت ، وجونز ، ووينجيت) » وهنا صعق الدكتور بنسون عندما تذكر أنه ترك ساعته على المائدة الموجودة قرب فراشه قبل أن يغادر منزله . □

مقالات في كلمات

■ لقد درست طبائع النساء طويلا ، وإني لأفاخر بأني لم أضع وقتي سدى ، فقد عرفت انني لا أعرف عنهن شيئا .

« بلزاك »

■ يمكن للرجل أن يكتم سر غيره خيرا من سر نفسه . أما المرأة فتكتم أسرارها خيرا من أسرار غيرها .

« لابرويير »

■ قد تغفر المرأة القسوة والظلم ، ولكنها لا تغفر عدم المبالاة بها

« روسو »

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

انقلاب في صناعة الآلات الكاتبـــة

من المعروف أن ترتيب (كورتي) QWERTY هو الترتيب الذي تقوم عليه الآلات الكاتبة الانكليزية جميعها .. فهو الترتيب الذي توصل اليه كريستوفر لاثام شولز - مخترع الآلة الكاتبة - وذلك بعد الجهود الطويلة المضنية التي بذلها في السبعينات من القرن الماضي .

والتسمية كورتي مستمدة من الحروف الستة التي تجدها في السطر العلوي من أسطر الآلة الكاتبة . ولا ريب أن الجهود التي استنفدها هذا الترتيب لم تضع هباء .. فقد حل مشكلة تشابك حروف الآلة بين حين وآخر ، سواء أسرع الضارب في ضربه أو لم يسرع ، ووفر على هذا الضارب التوقف عن الضرب من أجل فك التشابك واعادة الحروف الى مواضعها .. وقد تمكن شولز من ذلك باعادة ترتيب حروف الآلة الكاتبة ترتيبا خاصا مناسبا .

فبدلا من أن ترتب حروف الآلة ترتيبا أبجديا عمد الى تحديد الحروف الأكثر استعمالا في اللغة والى نشرها على الآلة هنا وهناك ، وحرص على أن يكون بعضها بعيدا عن بعض .. فيحد بذلك من احتمالات تشابكها بالقدر الممكن .

اذن لم يهدف ترتيب كورتي الى سرعة الضرب على الآلة الكاتبة ، وانما فقط على

هذا هو ترتيب كورتي التقليدي

وهذا هو الترتيب المبتكر الجديد - ترتيب دفوراك .

الحد من تشابك حروفها .

ولطالما نقد الخبراء بهذا الترتيب . . الذى تجاهل السرعة فى عصر السرعة ، لاسيما أن صناعة الآلة الكاتبة قد أحرزت من التقدم التكنولوجى ما يضمن تجنب التشابك دون اللجوء الى ترتيب كورتى ، وما يسمح بترتيب جديد لحروف الآلة الكاتبة يستهدف السرعة فى الضرب عليها .

وفجأة حملت الينا أنباء العلم خبر ابتكار ترتيب جديد لحروف الآلة الكاتبة ، يحل محل الترتيب القديم ، ويضمن للضارب على الآلة سرعة فى الضرب كبيرة .

اما المبتكر فهو أوغست دفوراك (Dvorak) العالم السيكولوجى والبروفسور فى جامعة واشنطن . . ويعتبر دفوراك هذا رائدا فى علم الارجونومكس وهو العلم الذى يبحث شؤون التعامل والتفاعل بين الانسان والآلة .

وأما الترتيب الذى ابتكره ، والذى يستهدف السرعة فى المقام الأول فقوامه وضع الحركات (أو حروف العلة فى الانجليزية) وكذلك الحروف الخمسة الأكثر استعمالا على السطر الأوسط من أسطر الآلة الكاتبة .

فهذا السطر يمكن الضارب من كتابة ٣٠٠٠ كلمة ، اذا كان حسب ترتيب دفوراك ، ولا يمكنه فى كتابة أكثر من ١٠٠ كلمة اذا كان حسب ترتيب كورتى .

تقول بتريشا كابلوس ، المشرفة على أعمال الطباعة فى احدى الدوائر الحكومية : انت تشاهد الضارب على آلة دفوراك فتبدو الك يداه وكأنها واقفتان لا تتحركان . . وما ذلك إلا لأن قسطا كبيرا من الطباعة تتم على السطر الأوسط .

متى يموت الانسان ؟

يؤكد فريق من الخبراء الطبيين فى جامعة أوزاكا . . انهم نجحوا فى الابقاء على القلوب حية فى عدد من المرضى الذين ماتت أدمغتهم وتوقفت عن العمل نهائيا ، ويقولون انهم تمكنوا من اطالة حياة قلوب اولئك الموتى طوال ٥٤ يوما . .

ويذكر الدكتور (تسويوشى سوجيموتو) رئيس الفريق ، بأن التجربة الغريبة والفريدة انما تمت بمساعدة احد الهرمونات التى تحافظ على ضغط الدم عند مستوى معين .

وتجدر الاشارة الى أن القلب قد يظل حيا لمدة بضعة أيام بعد موت الدماغ . . نقول بضعة أيام لا ٥٠ يوما . .

تقويم الأسنان بين القديم والحديث

طريقة تقويم الاسنان بالأسلاك التقليدية طريقة عقيمة ومملة ، وذات تكاليف بالغة ، هذا ما يؤكده الدكتور ليون كوسيك Kussick ، الذى يمارس طب تقويم الاسنان ـ على طريقته المبتكرة ـ فى مدينة لفجستون فى ولاية نيوجرزى . . ولعل أسوأ ما فى الطريقة التقليدية ، كما يؤكد الدكتور كوسيك ايضا ، هو التشويه الذى تحدثه فى الوجه . . وجه الفتى او الفتاة التى تتلقى العلاج . . والأهم من ذلك كله هو أن الطريقة التقليدية خطأ فى خطأ . . كما يعتقد ويبين الدكتور كوسيك . .

فالعلة فى الاعوجاج الذى يستوجب التقويم انما تكون فى الغالب فى الفك الذى يحمل الاسنان . . . لا فى الاسنان نفسها . . . والعمل على تقويم الاسنان ـ دون عظام الفك والعضلات انما يؤدى فى

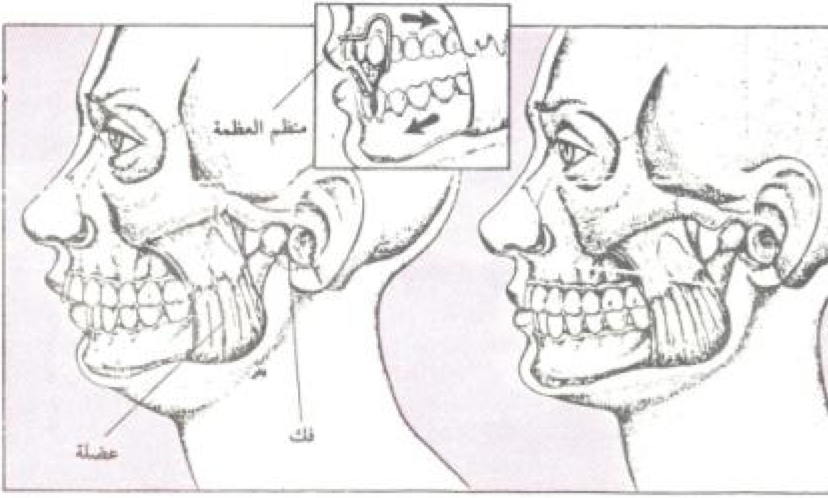

أسلوب تقويم الأسنان الجديد لا يحتاج الى أكثر من قطعة من السلك صغيرة (انظر الرسم الصغير العلوي) ، تركب في الليل ولمدة ثلاث ساعات فقط اثناء النهار . . . حتى يرجع الفك الأعلى الى الوراء قليلا . . الى مكانه الأصلي وذلك في غضون مدة تتراوح بين ١-٣ سنوات .

معظم الأحيان الى تفاقم الاعوجاج لا الى تقويمه .

أما الطريقة التي ابتكرها الدكتور كوسيك وطبقها بنجاح طوال عشرين سنة ، فقوامها قطعة بسيطة من الاكريليك (انظر الرسم رقم ٢) توضع في المكان المناسب ، فتحدث التغيير المطلوب في النسق الطبيعي لنمو الفك . . ذلك أنها تبقي الفم مفتوحا ، وتعمل على دفع عظمة الفك الأسفل الى الأمام ، ومن شأن هذا الدفع أن يعرض عضلات المضغ للضغط . . ويؤدي الى دفع عظمة الفك الأعلى الى الوراء . . وهكذا يختفي النتوء القبيح الذي تراه في الرسم رقم (١) ويحل محله الوضع السوي للفكين والاسنان كما ترى في الرسم رقم (٣) .

ولعل الفرق الأساسي بين الطريقتين ليس في بساطة أداة التقويم الجديدة فحسب وانما في عدم وجوب تثبيتها في الفم ، لتبقى فيه ليل نهار ، وطوال سنوات العلاج كما هي الحال في أسلاك التقويم التقليدية . . فأداة التقويم الجديدة لا توضع الا في الليل ولمدة ثلاث ساعات فقط من ساعات النهار . . وهي كفيلة في تلك الساعات بشد الفك الأعلى الى الوراء ودفع الفك الأسفل الى الأمام .

وتمتاز طريقة التقويم الجديدة بأنها دائمة الأثر ، ولا تحتاج الى توطيد بين سنة وأخرى ، أضف الى ذلك أنها تصلح للصغار ، وخصوصا بين سن الخامسة والسابعة ، وتستغرق ما بين سنة وثلاث سنوات . .

وتجدر الاشارة الى أن عدد الذين عالجهم الدكتور كوسيك بنجاح بلغ حتى الآن ٢٠٠٠ مريض .

مكتشفون ومخترعون

الكسندر جراهام بل
مخترع التلفون ١٨٤٧ - ١٩٢٢

ولد الكسندر جراهام بل فى ادنبره فى الثالث من شهر مارس سنة ١٨٤٧ وكان أحد ثلاثة أخوة أنجبهم الأب المدعو الكسندر ملفيل بل .. وتخرج الكسندر الابن من الثانوية الملكية فى ادنبره وهو فى الرابعة عشرة من العمر ، ثم واصل حضور بعض المحاضرات فى جامعة ادنبره .. الا أنه مدين ثقافيا الى أهله وذويه ..

فقد اشتهرت العائلة بخبرتها الطويلة وكفاءاتها الفريدة فى تقويم النطق وتحسين القدرة على الخطابة .. وشمل اهتمامها الصم بصفة خاصة ....

وعمل الكسندر جراهام بل فى التعليم فى بلدة ألجن ، وعكف على دراسة الصوت فى تلك الفترة ، فجمع بين الدراسة والتدريس وظل العالم المعلم فى آن معا طوال حياته .

وفجأة مات أحد أخوى الكسندر بمرض السل .. وما لبث الأخ الآخر ان لحق بالأول وخشى الأبوان على الكسندر من نفس المصير ، وقد اعتلت صحته كثيرا فقرروا الهجرة الى امريكا سنة ١٨٧٠ ، واستقروا قرب مدينة برانفورد فى انتاريو بكندا وهناك تحسنت صحة الولد بأسرع مما توقعوا ..

وحاضر الكسندر جراهام بل فى بوسطن سنة ١٨٧١ وكان محور محاضراته الطريقة الفذة التى ابتكرها أبوه لتعليم الصم ، واصاب فى محاضراته تلك من النجاح ما جعل الجامعات والمدن الأمريكية الأخرى تقبل على دعوته لالقاء المحاضرات فى الموضوع نفسه .. موضوع تعلم الصم ..

وأقدم الكسندر على افتتاح مدرسته الخاصة بتدريب مدرسى الصم وذلك فى بوسطن سنة ١٨٧٢ ، وفى السنة التالية (١٨٧٣) عين استاذا (بروفسور) فى جامعة بوسطن فى فسيولوجيا الصوت ..

واكتشف البروفسور شابا يدعى توماس واطسون .. وكان تقنيا يعمل فى تصليح الآلات والماكينات،ويتمتع بالصفات والميول العلمية التى فقدها الكسندر ، وسعد واطسون بأن يكون مساعدا للبروفسور الكسندر .

وتجدر الاشارة الى أن الكسندر كان يسعى منذ زمن الى ابتكار جهاز يسهل على المرء مخاطبة الصم .. واكتشف بالصدفة ان الاهتزازات التى يحدثها الصوت الانسانى فى طبلة حديدية تكون بالقرب من مغناطيس ملفوف بسلك موصل للكهرباء ، من شأن تلك الاهتزازات ان تحدث تيارا ضعيفا يمكن نقله بواسطة الكابلات ليصل الى طبلة أخرى فيحدث هذا التيار فى تلك الطبلة الثانية مثل الاهتزازات الاولى التى أحدثها الصوت الانسانى فى الطبلة الأولى .. عندئذ انصرف الكسندر عن جهاز الصم وصب اهتمامه هو ومساعده واطسون على جهاز التلفون .

وهكذا واصل الكسندر وواطسون جلساتهما الطويلة ليلة بعد ليلة تمكنا من تطوير جهاز التلفون الذى نعرف وتسنى لهما تسجيله لدى دائرة الاختراعات والبراءات فى سنة ١٨٧٦ .

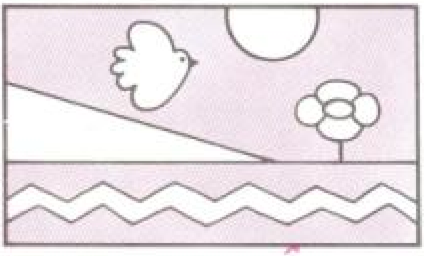

سلامة البشرية في سلامة البيئة

التربة تراب يعج بالحياة

يحسب البعض أشياء كثيرة في عداد الجماد . . وما هي بجماد . . وتأتي التربة على رأس تلك الأشياء ، تربة الحقل وتربة حديقة المنزل . . فهي رمل وتبدو لهم ميتة ، ولكنها حية وتعج بصنوف عديدة من الأحياء .

ويقدر جون فولك ، مدير قسم الأبحاث في مؤسسة سميثونيان المعروفة ، عدد الأحياء التي تتوارى في التربة ، تربة حديقة المنزل « بنحو ٢٠ - ٣٠ صنفا من النباتوحوالي مائة صنف من الحيوانات التي يسمح حجمها برؤيتها بالعين المجردة ، ناهيك بالحيوانات الصغيرة الدقيقة غير المرئية ، فهذه كثيرة لا تعد ولا تحصى » .

ولو أنت دققت النظر قليلا لرأيت جموعا كبيرة من الذباب أو النحل أو الحشرات الأخرى التي تعيش وتفرخ بين أوراق الحشائش . . حتى الطيور تستمد الغذاء من الحديقة أكثر بكثير مما تستمده من الحقول ، وقد تستطيع ان ترى على أوراق الحشيش أيضا الحشرات واليرقات التي تعيش على ما تمتصه من رحيق كحشرة المنّ مثلا . . وقد لا تفوتك رؤية البزاق العريان (Slug) وهو يدب ببطء شديد فوق التراب ، غير مبال بالخنافس التي قد تعترض سبيله ، أو الحلزون أو صرّار الليل أو الدودة ذات الألف رجل أو العناكب أو النمل . . .

على أن ما يختفي تحت سطح الارض من الكائنات

رسم يصوّر ويكبّر بعض سكان التربة في الحدائق المنزلية .

الحية يبلغ أضعاف ما يظهر فوقه . . فهناك توجد جذور النباتات،وتوجد أيضا الديدان الخيطية nematodes التي تعيش على البكتريا والفطريات، وعلى ديدان خيطية أخرى مثلها . . وهناك بيوض الحشرات التي لا تلبث أن تفقس ، والخلد الذي يظهر في بعض الحدائق - بل تحت سطحها - ليحفر الممرات أو الانفاق التي تشاركه استعمالها الزّبابة (Shrew) والفئران بما فيها فأر الحقل (Vole)

أما الرائحة المميزة التي تلازم تربة الحديقة فمردها الى صنوف من البكتريا وخاصة البكتريا الطفيلية ، التي تسبب مرض الحارش في الماشية والتي يصنعون منها مضادات الحيويات . . فهذه توجد بالملايين في التربة ، وفي طبقة الذبال بالتحديد (humus) تلك الطبقة التي تأتي تحت جذور النباتات مباشرة .

ولعل أطرف ما يذكر عن التربة ان الفساد والتفسخ والانحلال - وهي علامات أو مؤشرات الفناء في كثير من الأحيان - لا تعدو كونها مقومات البقاء في حياة التربة .

يبلغ التلوث ذروته على شواطئ الريفييرا وفلسطين المحتلة كما تدل الخطوط السوداء . أما النقاط التي تظهر بالقرب من أكثر شواطئ البحر المتوسط فتدل على البترول والقطران وكربونات

البحر المتوسط . . والتلوث

لعل البحر المتوسط في طليعة بحار العالم جميعا من حيث التلوث ، والمقصود هنا ليس التلوث العرضي الذي تحدثه بقع الزيت ، والذي لا يلبث ان يزول بتأثير الشمس والعوامل الجوية ، وانما التلوث الثابت الذي تسببه مياه المجاري والفضلات الانسانية والمواد الكيماوية التي كانت ومازالت تقذف في البحر . فهذا تلوث ثابت ، كما ذكرنا ويحتاج الى الجهود الدائبة المتواصلة للتخلص منه . . ثم ان ضرره لا يقل عن ضرر تلوث الزيت ، ان لم نقل يفوقه أضعافا . . وحسبك أنه سام ، يقضي على الحياة بشتى صورها ، ويتسبب بانتشار الأوبئة والامراض . . وقد بلغ من تعرض البحر المتوسط لهذا التلوث أن أصبح الاسم اللائق به هو البحر الأسود المتوسط لا البحر الأبيض . .

تلك هي حصيلة الدراسات والأبحاث الواسعة التي قامت بها وكالة يونب UNEP الدولية . . أو ان شئت الاسم كاملا : وكالة البيئة والتلوث التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، فقد أقامت هذه الوكالة نظاما متكاملا لدراسة تلوث البحر المتوسط وتحديد أبعاده ، وأنشأت لهذا الغرض (٨٤) مختبرا بيئيا ، تعمل ليل نهار على رصد التلوث الذي تعاني منه مياه البحر . ولا يتسع المجال هنا لأكثر من الاشارة لبعض الحقائق التي تمخضت عنها تلك الأبحاث ، ولبعض الاجراءات التي باشرت أو حضّت على اتخاذها .

وأول ما يذكر هو أن ٩٠٪ من الفضلات الانسانية كانت وما زالت تقذف الى مياه البحر المتوسط دون أي معالجة مسبقة . . وغني عن البيان أن الدول الراقية جميعا تحرص أشد الحرص على معالجة الفضلات

الانسانية في وحدات آلية وكيماوية خاصة تضمن تحويل تلك الفضلات الى سماد نافع وماء صالح للري .

وقد تبين للوكالة الدولية أن شبكات المجاري في كثير من المدن الواقعة على سواحل البحر مهترئة بالية بقدر عجزت معه السلطات المعنية عن اكتشاف أنابيب تلك الشبكة .. وتبين لها أيضا ان ما يقارب ٦٠٪ من أحياء اثينا غير متصل بشبكات المجاري الرئيسية .

اضف الى ذلك الملوثات الكيماوية التي تقذفها المصانع الى مياه البحر .. المصانع القائمة على الشواطىء الفرنسية والايطالية والاسبانية .. وقد شملت تلك الملوثات فيما شملت الزئبق والكادميوم والمواد المشعة،وتعتبر هذه المواد على رأس القائمة السوداء التي تحظر الوكالة الدولية قذفها الى البحر حظرا تاما

لا عجب اذن أن انتشرت الأمراض والأوبئة في المنطقة على النحو التالي :

الكوليرا في الشواطىء الايطالية .

التيفوئيد في الشواطىء الاسبانية والفرنسية .

الديزنطارية في كافة الشواطىء .

الكباد الفيروسي في كافة الشواطىء .

ولا عجب أيضا ان حظرت السباحة حظرا تاما في مياه الشاطىء الأزرق ، الشاطىء الفرنسي الشهير في عالم السياحة ..

من هنا كانت الخسائر الكبيرة التي منى بها سكان المنطقة ، وهي منطقة سياحية ، كما هو معروف ، ويؤمها نحو ١٠٠ مليون سائح سنويا ..

أما الاجراءات التي تقرر اتخاذها لمكافحة تلوث البحر المتوسط فتشمل في المقام الأول المختبرات الأربعة والثمانين التي أقيمت في بقاع مختلفة من شواطىء البحر ، والتي سبقت الاشارة اليها .. وتشمل أيضا مخططا شاملا لتنظيف المياه بواسطة المعدات والأجهزة الحديثة الخاصة بتنظيف مياه البحر وتنقيتها من شتى الملوثات ..

وتشمل تلك الاجراءات كذلك قيام الدول المطلة على البحر المتوسط بتجديد شبكات المجاري فيها ، وتجهيز مصانعها بمختلف الأجهزة الكفيلة بقياس التلوث أو مكافحته . وتقدر تكاليف هذه الاجراءات بحوالي ١٠,٠٠٠ مليون دولار ، وتتحمل الدول الصناعية الثلاث ـ فرنسا وايطاليا واسبانيا ـ القسط الأوفر من تلك التكاليف ..

وتجدر الاشارة الى أن هذه الاجراءات تم بحثها والاتفاق عليها في مؤتمرات وندوات عديدة حضرتها كل الدول المطلة على البحر المتوسط ما عدا البانيا .

من أجل المحافظة على الجنس

اكتشف العلماء ان احدى فصائل سمك الشعاب المرجانية تتميز بخصائص فريدة وغريبة في حياتها التناسلية .. فهي مكونة من مجموعات .. وهذه المجموعات مكونة من اناث ، ولا يوجد بينها الا ذكر واحد يفي بأغراض المجموعة كلها .

ولما كانت احتمالات فقدان الذكر ـ وهو فرد واحد كما ذكرنا ـ احتمالات كثيرة ، كانت احتمالات تقلص تلك المجموعة أو انقراضها احتمالات كثيرة أيضا .

ولكن اناث المجموعة سرعان ما تتصرف لدى غياب ذكرها أو فقدانه .. أو لا تلبث الكبرى من

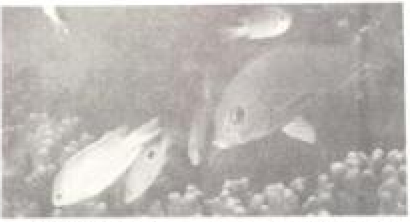

تلك الاناث أن تغير جنسها وتستبدل أنوثتها بالذكورة في غضون بضع ساعات ، ولا تكاد تمضي عشرة أيام حتى يبدأ الذكر الجديد بتلقيح اناث المجموعة ، تماما كما كان يفعل الذكر القديم .

وبذلك تصبح المجموعة في مأمن من الانقراض .

مكتبة العربي

كتاب الشهر

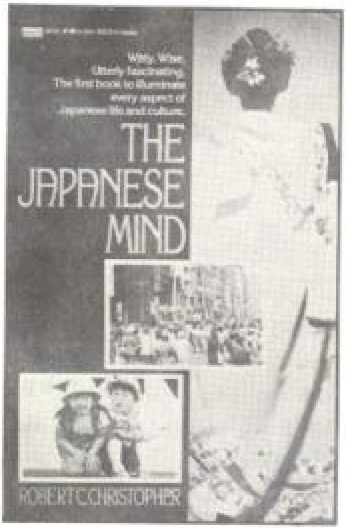

العقل الياباني

تأليف : روبرت كريستوفر

عرض : د . فتحي أمين مجدلاوية

(لن تقوم قائمة للاقتصاد الياباني بعد اليوم) .

هذا ما كتبه أحد المراسلين الصحافيين عن اليابان سنة ١٩٤٥ ، فهل صدقت هذه النبوءة ؟

وما الذي يقوله مؤلف كتاب (العقل الياباني) عن التجربة اليابانية ؟

كتاب الشهر

نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٨٣ وأعيدت طباعته عام ١٩٨٤ وهو يقع في ٣٥٠ صفحة من الحجم الكبير ، ويتكون من خمسة أجزاء تحتوي معلومات استقاها الكاتب من الممارسات اليومية للفرد الياباني ، ومن خلال وجوده في اليابان ابان الحرب العالمية الثانية ، وأثناء الدمار النووي الوحشي الذي تعرضت له بعض المدن اليابانية ، حيث كان الكاتب ضمن القوة العسكرية الامريكية في اليابان ، وشاهد بأم عينه الممارسات الوحشية والدمار الذي حل فيها .

ناهيك عن المجاعة والأمراض التي تفشت بين الناس أثناء وبعد الحرب ، بالاضافة الى الاشعاع النووي الذي ما زالت آثاره باقية حتى الآن .

في نهاية عام ١٩٤٥ قال الصحفي «Parrot» في رسالة بعثها الى صحيفة نيويورك تايمز: (لن تقوم قائمة للاقتصاد الياباني بعد اليوم . . فقد أصبحت اليابان دولة صغيرة متقوقعة على نفسها) فالى أي مدى صدقت نبوءة باروت ؟ والى أي مدى استطاع الشعب الياباني أن يعيد ماضي آبائه وأجداده العريق من جديد ؟ وما هو المستوى الاقتصادي والصناعي والتجاري الذي استطاع الشعب الياباني تحقيقه بعد الحرب العالمية الثانية ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة يضعها في هذا الكتاب روبرت كريستوفر الذي شغف بالدراسات الشرقية ، وأصبح اهتمامه باليابان والشعب الياباني بلا حدود .

العقل والعاطفة :

إن أفضل طريقة لغزو العقل الياباني هي معرفة اللغة التي يفكر بها اليابانيون ، والتي يصفونها أحيانا بلغة الشيطان . فاللغة اليابانية ليس لها أي ارتباط باللغات الأخرى ، بعكس اللغة الانجليزية ، التي لها علاقات بلغات كثيرة كالالمانية والفرنسية والاسبانية . ويعتقد علماء اللغة أنه بالرغم من أن اللغة اليابانية تنتمي الى عائلة اللغات الايطالية التي تضم اللغات الكورية والمنغولية والتركية بالاضافة الى المغاربة والفنلندية ، الا أنها بعيدة عن كل هذه اللغات . فاللغة اليابانية الحالية هي نتاج التزاوج الفاشل بين اللغة اليابانية الاصلية غير المكتوبة التي ترجع الى خمسة عشر قرنا واللغة الصينية القديمة ، فقد استمدت اللغة اليابانية آلاف الرموز من اللغة الصينية كأداة تعبير للكتابة .

وبالاضافة الى اللغة ، فقد شمل التأثير الصيني الناحية الروحية ، ووجد اليابانيون ضالتهم في مبادىء (كونفوشيوس) الاخلاقية ، التي تؤكد على الوفاء وآداب المعاشرة والعلاقات الانسانية وأهمية التعليم والعمل الجاد .

ومع ذلك فعدد اليابانيين الذين يطلقون على أنفسهم (الكونفوشيين) قليل ، مقارنة بمدى تغلغل مبادئها في نفوس الشعب الياباني .

يعتبر الشعب الياباني شعبا متجانسا ، لذا فان من الصعوبة بمكان أن تعطى الجنسية اليابانية لأي قادم مهما كانت مدة اقامته في البلاد ، ولا تزال القبيلة تلعب دورا مهما في تحديد وضع الفرد في اليابان .

وعلى الرغم من هذا ، فان نحو مليوني نسمة من البوراكيومين هم ضحايا التفرقة العرقية والاقتصادية ، بالاضافة الى ما يقرب من ٦٠٠ ألف كوري ياباني ولدوا في اليابان وينتمون الى الجيل الثالث ، ويعانون من التفرقة الشبيهة بما يعانيه الزنوج في الولايات المتحدة الامريكية .

وفي الواقع يعتقد اليابانيون أنهم أسمى وأرقى شعوب الأرض جميعا ، ومع أن هذه الفكرة قد تزعزعت بعد الحرب العالمية الثانية ، الا أنها عادت في العشر سنوات الأخيرة من جديد .

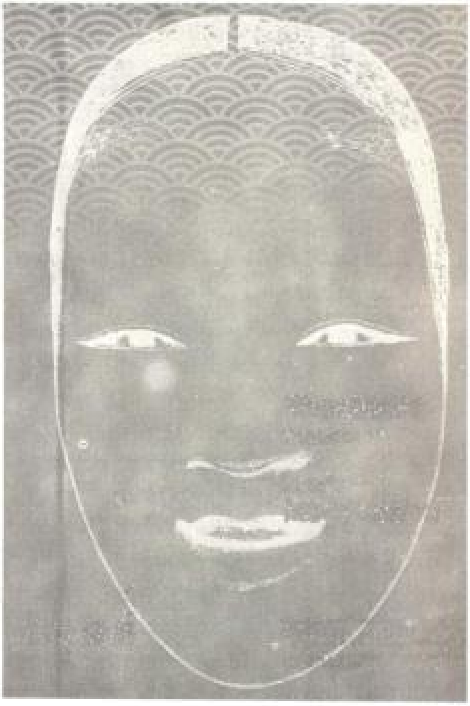

نظام التعليم :

يعتبر نظام التعليم في اليابان من أرقى الأنظمة في العالم وأكثرها فاعلية وتطورا ، بالرغم من أن مجموع ما تنفقه الدولة على التعليم لا يزيد عن ٣ ـ ٥٪ من الميزانية العامة للدولة ، وذلك بالمقارنة مع كل من كندا التي تنفق ما مجموعه ٧٫٨٪ وبريطانيا ٦٫٢٪ والولايات المتحدة الامريكية ٦٪ ،وقد أثبت الطالب الياباني أنه أكثر علما وجدية وثقافة من الطالب الامريكي . علما بأن نسبة الطلبة الى المدرسين هناك تعتبر أعلى نسبة في العالم . كما أن المدارس اليابانية أكثر تماسكا وثباتا من حيث كيفية ونوعية التدريس عنها في الولايات المتحدة . فهناك على سبيل المثال لا يوجد ما يسمى بالرسوب أو الفشل التعليمي ، وخاصة في مراحل التعليم الالزامية (النظام التعليمي في اليابان يقسم الى ٦ سنوات ابتدائي وثلاث سنوات ثانوي) . كما أن انتقال الطالب من مرحلة الى مرحلة لا يعتمد على ادائه الدراسي بل على حضوره اليوم الدراسي وأدائه لواجباته بغض النظر عن كيفية الأداء . فهذان الشرطان أساسيان لانتقال الطالب من مرحلة إلى أعلى .

وعلى الرغم من النجاح الذي حققه الطالب الياباني على مستوى التعليم الالزامي ، الا أنه من الغريب حقا أن نجد أن نظام التعليم في الجامعات اليابانية أقل كفاءة منه في الجامعات الامريكية ، ويعود السبب في هذا الى أن معظم الجامعات اليابانية مكتظة بالطلبة . فعلى سبيل المثال تضم قاعة الدراسة مالا يقل عن خمسمائة طالب . مما نتج عنه اهمال الاهتمامات الفردية . اضافة الى هذا فان رواتب الاساتذة في الجامعات تعتبر قليلة بالمقارنة مع رواتب الاساتذة في الجامعات الامريكية .

المرأة والمجتمع :

تلعب المرأة اليابانية دورا اجتماعيا وسياسيا ما زال محدودا في المجتمع الياباني ، وقد حاولت المرأة اليابانية أن تحقق مكاسب مادية ومعنوية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية لكن الحصيلة لم تكن بقدر الطموح ، فعلى الصعيد السياسي لم تتمكن المرأة أن تحصل على أكثر من ٢٩ مقعدا من أصل ٧٦١ مقعدا في البرلمان عام ١٩٨١م ، ولم تصل سوى امرأتين فقط الى منصب الوزارة . أما على المستوى الاقتصادي فلم تكن الامور أفضل حالا ، واليوم فان ٤٨٪ من النساء فوق ١٥ سنة يقمن بالعمل . بالاضافة الى ذلك فان هناك جيشا من الفتيات غير المتزوجات ممن يعشن في بيوت آبائهن،وينفقن جزءا من مرتباتهن على الحاجيات المستقبلية لبيت الزوجية،وجزءا آخر على الملابس والرحلات،وقد أطلق عليهن لقب (الارستقراطيات غير المتزوجات) كما أن نسبة تعليم الفتيات قد ازدادت عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، فلقد وصلت نسبة من ينهين الثانوية العامة ٩٥٪ ونسبة من يلتحقن بالجامعات والكليات والمعاهد الى ٣٠٪ منهن .

كتاب الشهر

الطبقية في اليابان :

هناك حقيقة لا بد أن نضعها نصب أعيننا وهي أن عادات كالانحناء والاحترام تعتبر ممارسات وطنية تقليدية ، وليس لها علاقة بالطبقات الاجتماعية أو بتخلف المجتمع الياباني .

بالاضافة الى ذلك فان اليابانيين الموسرين لا يفضلون العزلة عن باقي طبقات المجتمع مثلما يفعل أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة في الولايات المتحدة الامريكية ، ممن يتمركزون في أحياء راقية مثل (مانهاتن) التي تعتبر من أجمل وأغنى الاماكن في العالم ، والتي لا يستطيع الفقير حتى مجرد التفكير في السكن فيها . ان ظاهرة تمركز الاثرياء في أماكن محددة ليس لها وجود في اليابان حيث أن معظم الاحياء تضم المنازل الفخمة والمجمعات السكنية باهظة الثمن ، التي تقف جنبا الى جنب مع المنازل الخشبية الفقيرة والحوانيت الصغيرة والبنايات المكتظة بالمكاتب .

الجريمة والعقاب :

على الرغم من أن اليابان دولة رأسمالية صناعية متطورة ومنفتحة على العالم ، الا أن الشعب الياباني يعتبر من أكثر الشعوب حضارة والتزاما بالعادات والتقاليد واحتراما للقانون ، ودليل على ذلك الدراسة التي أجريت في اليابان عام ١٩٧٩ ، وبينت أن مجموع الجرائم التي ارتكبت في اليابان لم تتجاوز ١٧١ جريمة بما فيها استخدام الأسلحة النارية ، وبالمقارنة مع دراسة أجريت في مدينة نيويورك الامريكية عام ١٩٧٨ تبين أن نسبة الجريمة في ارتفاع مستمر . فعلى سبيل المثال نجد أن حالات الاغتصاب أكثر ثمانية أضعاف عما هي عليه في اليابان ، وجرائم القتل عشرة أضعاف ، أما بالنسبة لحالات السطو المسلح فقد بلغت ٢٢٥ ضعفا عما هي في اليابان . وفي المقابل فان نسبة جرائم العنف في اليابان انخفضت بشكل ملحوظ في العشرين سنة الأخيرة .

وسائل الاعلام والصحافة :

يعتقد الكثيرون بأن الشعب الياباني من أتبع شعوب العالم على الاطلاق،ففي بداية عام ١٩٨٢ قام عالم النفس البريطاني ريتشارد لين بدراسة لقياس معدل الذكاء عند الأطفال اليابانيين بين سن السادسة والسادسة عشرة ليقارن مستوى ذكاء الفرد الياباني بمستوى ذكاء الامريكي من نفس السن ، وقد سجلت الاحصائية التي قام بها ريتشارد أن معدل الذكاء لدى الاطفال اليابانيين وصل الى ١١١ بينما وصل المعدل الى ١٠٠ فقط عند الاطفال الامريكيين ، وأن هنالك ما مجموعه ٢٪ فقط من الأطفال الامريكيين وصلت نسبة ذكائهم الى ١٣٠ بينما وصلت النسبة الى ١٠٪ عند الاطفال اليابانيين .

ان السبب في ارتفاع نسبة الذكاء عند الأطفال اليابانيين ، كما بينت الدراسة ، يعود أساسا الى نظام التعليم في اليابان والذي ليس له حدود كما يقول (ريتشارد) ويلعب الكتاب دورا بارزا في حياة الفرد الياباني . فمؤسسات النشر اليابانية تصدر ٣٥ ألف عنوان جديد سنويا تقريبا ، معظمها يتعلق بالرواية والقصة والخيال لعلمي . ويمثل هذا الرقم ضعف ما ينشر في الولايات المتحدة الامريكية سنويا .

لقد اكتسب الروائيون وكبار الكتاب اليابانيين أمثال ياسوناري كاواباتا وكوبو ابيه ويوكيو مشيما شهرة عالمية لما لهم من قدرة على اثارة مشاعر الناس ، وللاسلوب الرفيع الذين كتبوا به قصصهم ورواياتهم

وبالاضافة الى الانتشار الواسع للكتاب في اليابان ، فهنالك الاهتمام الكبير بالاخبار والصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية والدوريات . فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن أكثر من ٩٣٪ من الشعب الياباني يقرأ الصحيفة اليومية . كما أن ٩٠٪ منهم تصلهم الصحيفة الى المنازل ، وتعتبر هذه أعلى نسبة في العالم بعد السويد التي تأتي في المرتبة الاولى بين دول العالم جميعا من حيث قراءة الصحيفة اليومية .

أما نظام التلفاز الياباني فيعتبر كما يقول الكاتب من أفضل الأنظمة في العالم أجمع ، من حيث التطوير والتنويع في البرامج وتعدد محطات الارسال وعدد ساعات البث الموزعة بين القطاع الخاص والقطاع الحكومي . فهنالك ما مجموعه ١١٥٠٠ محطة مختلفة جميعها تدار بواسطة مؤسسة الارسال التلفزيوني الياباني التي تشغل البرامج التعليمية والتثقيفية ما يقرب من ٧٠٪ منها . أما بالنسبة للمحطات الخاصة والتي يبلغ مجموعها حوالي ثلاثة آلاف محطة فان معظم برامجها (حوالي ٧٠٪) اجتماعية ترفيهية مسلية .

أما التلفاز التعليمي الياباني فانه يبث برامج صباحية ومسائية الى المدارس حيث أن كل فصل يحتوي على تلفاز تعليمي . وعليه فما زالت اليابان تستحوذ على المرتبة الاولى بين دول العالم من حيث الكفاءة . وقد وضعت خطة لعام ١٩٨٤ من قبل المسؤولين لبث برامج متنوعة في العلوم والتجارة والآداب والانسانيات لما مجموعه عشرة آلاف طالب للاستفادة من برامج التلفزيون الياباني في المنازل . وشملت الخطة بث ما مجموعه خمس محاضرات متنوعة أسبوعيا .

الصناعة بين الديمقراطية والبيروقراطية :

يقول الكاتب إن الديمقراطية في اليابان أكثر وضوحا وثباتا عما هي عليه في الولايات المتحدة الامريكية سواء من حيث الشكل أو المضمون . فللتنظيمات دور بارز في حياة الشعب الياباني ، وخاصة عند كبار الساسة اليابانيين والذين ينتمون الى تنظيمات ذات جذور عميقة راسخة . أما عن البيروقراطية فانها مختلفة في مفهومها وتطبيقاتها عن الولايات المتحدة الامريكية . فالبيروقراطيون اليابانيون يلعبون دورا سياسيا كبيرا ويساهمون مساهمة فعالة في المصلحة الوطنية . هذا بالاضافة الى مسئوليتهم المباشرة عن التوقعات والتحديات المستقبلية للدولة في السنوات القادمة الى جانب توحيد الأهداف ، وذلك من خلال الوثائق والدراسات التي تصدرها الوزارات والمؤسسات المختلفة للدولة والتي تتضمن الاقتراحات المطلوبة للعمل المستقبلي كل في مجال اختصاصه .

ويقر الكاتب بحقيقة لا يمكن انكارها عندما يقول :

ان التقدم الذي أحرزته اليابان في مجال التقنيات الحديثة مؤخرا جعل العالم بأسره في حالة من الرعب والفزع من قدرات هذا الشعب . ويزداد هذا الشعور عاما بعد عام مع الانجازات العظيمة التي تقدمها اليابان في جميع المجالات وخاصة الحاسب الآلي المصغر الذي غزا العالم في العشر سنوات الأخيرة . وبالرغم من هذا فمازال هنالك بصيص من الامل يراود العديد من الامريكيين بأن الولايات المتحدة الامريكية سوف تستعيد مجدها السابق في مجال الاختراعات الحديثة التي استطاعت اليابان أن تشتريها بثمن بخس وتطورها وتصبح منافسا قويا للولايات المتحدة الامريكية .

نظرة مستقبلية :

في ابريل من عام ١٩٨٠ قال رئيس وزراء اليابان السابق ماسايوشي أوهيرا في كلمة ألقاها في هيروشيما :

(لقد تحولت الولايات المتحدة من قوة كبرى الى

كتاب الشهر

قوة أقل تماسكا اقتصاديا . وقد آن الأوان للمبادرة من أجل تعزيز العلاقات الامريكية اليابانية) ان تعليمات أوهيرا تشير بشكل واضح الى المشكلات الاقتصادية المستعصية التي تواجهها الولايات المتحدة الامريكية التي تتفاقم يوما بعد يوم . وعليه فقد قامت مجموعة استشارية يابانية رفيعة المستوى بدراسة الوضع الاقتصادي الياباني الحالي ، وما سيكون عليه مستقبلا . وتوصل الفريق الى أن الانتاج القومي الياباني سوف يزداد بنسبة ٢٠٪ عما هو عليه في الولايات المتحدة الامريكية في عام ٢٠٠٠ وقد أثارت هذه النتائج الرعب في قلوب كبار الاقتصاديين اليابانيين خشية أن تكون الولايات المتحدة الامريكية قد فقدت الرغبة والقدرة للمحافظة على التوازن الدولي .

ان المستقبل يبشر بالخير لليابانيين وخصوصا أن الاختراعات الحديثة في مجال الحاسب الآلي المصغر والانسان الآلي سوف تقلل من العمل الاسبوعي لليابانيين ، وفي المقابل سوف تستمر ساعات الفراغ والاستجمام في الازدياد . ومن المتوقع أن يزداد عدد الانسان الآلي ويصل الى مليون في بداية هذا القرن ، وسوف يقوم بأداء أعمال أكثر تعقيدا عما هي عليه في وقتنا الحاضر .

خاتمة :

ان الحديث عن اليابان والشعب الياباني حديث ذو شجون وخصوصا فيما يتعلق بالامور الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية .

فلم يكن يخطر ببال أحد ، حتى اليابانيين أنفسهم بأن مجموعة من الجزر الجبلية التي تخلو تقريبا من الموارد الطبيعية الهامة ، والتي تحولت ركاما في الحرب العالمية الثانية أن تصبح ثاني أعظم قوة صناعية في العالم .

لقد أدت الحرية الشخصية في اليابان الى تماسك المجتمع ، وخلقت ما يسمى بالتوازن والوحدة الاجتماعية ، وذلك بعكس ما حدث في أوروبا وأمريكا ، حيث أدت الحرية الشخصية الى تفكك المجتمع وتجزئته .

وقد أصابت مدينة (ديترويت) الامريكية خيبة أمل كبيرة بالتحدي الياباني الناجح ، وغزت السيارات اليابانية الاقتصادية الصغيرة الاسواق الامريكية ، وأصبحت منافسا خطيرا للصناعة الامريكية . واستطاع اليابانيون بناء أساس قوي لهم في الاقتصاد القومي الامريكي وذلك من خلال السيطرة على بعض الشركات الصناعية والتي وصل عددها الى ٢٢٥ شركة تعمل بصورة أو بأخرى لصالح اليابان . كما أن ما نسبته ١٠٪ من اجمالي صادرات الولايات المتحدة الامريكية ، قد شحنت الى الخارج عن طريق شركات تدار بواسطة رؤوس أموال يابانية . وهناك أكثر من ٩٠ ألف عامل وموظف يعملون مباشرة لصالح شركات يابانية .

بالاضافة الى أكثر من ربع مليون آخرين يعملون لصالح اليابان بطريقة غير مباشرة ويدينون بحياتهم الى رؤوس الأموال اليابانية في أمريكا . □

من المكتبة العربية

الشورى وأثرها في الديمقراطية

تأليف: الدكتور عبدالحميد اسماعيل الانصاري

مراجعة:
الدكتور عبد الله أبوعزة

قضية الشورى هي أخطر وأهم القضايا التي تركت وتترك أثرها على حياة أمتنا في ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وفي غياب الشورى يسود الطغيان وينشر الارهاب ظله القاتم . وحيث تفتقد الشورى يصبح التناحر والمحسوبية والسرقات وغيرها من مظاهر الحياة اليومية ، أمراضا تنهك جسد الامة ، وتهده وتعجزه عن القيام بأعباء البناء ، وعن التصدى لهجمات الأعداء .

فماذا في كتاب الشورى وأثرها في الديمقراطية ؟؟

إن غياب الشورى يمكن المنحرفين واللصوص والطغاة من اخفاء كل جرائمهم ، وييسر لهم الاستمرار في الاجرام ، ويسد الطريق أمام محاولات الاصلاح ، وامام النهضة الحقيقية التي تتطلع اليها الأمة ، لذا كان كتاب « الشورى وأثرها في الديمقراطية » الذي نحاول تقديمه للقراء في هذه السطور القليلة ، خليقا بأن يلقى ما يستحقه من عناية قراء العربية ، والمهتمين بأمر مستقبل هذه الامة ، سواء على المستوى العربي أو الاسلامي .

وكتاب الدكتور الانصاري ليس أول كتاب يعالج موضوع الشورى ، ولن يكون آخرها ، لكنه - فيما أعلم - من أهم هذه الكتب ، وأكثرها شمولا ، ويقع الكتاب في أربعمائة وخمسين صفحة ، وقد أعده مؤلفه لينال به درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، وهو يضم مقدمة وفصلا تمهيديا يتلوه بابان وفصل ختامي . ويتناول المؤلف في الفصل التمهيدي تعريف الشورى والديمقراطية ، ثم ينتقل ليعالج موضوع الشورى ضمن الباب الاول في ثلاثة فصول ، حيث يتصدى لبحث حكم الشورى وما اذا كانت واجبة أو مندوبة ، ونتيجة الشورى وما اذا كانت ملزمة لرئيس الدولة أو كانت معلمة ، كما يتناول تحديد أهل الشورى ، ومكان المرأة ، وأهل الذمة في المجالس الشورية . وهو في كل ذلك يستنطق النصوص ، ويستعرض آراء القدامى والمحدثين ، والمؤيدين والمعارضين لكل موقف ، ثم يعرض وجهة نظره مؤيدة بما يراه من أدلة أو استنتاجات .

من المكتبة العربية

أما في الباب الثاني فيتناول موضوع الديمقراطية في فصلين ، يستعرض في أولها مقومات الديمقراطية من حيث مبدأ حكم الأغلبية ، وصور الحكم الديمقراطي ومبررات كل ذلك ، والاسس التي تبنى عليها شرعية المعارضة في النظم الديمقراطية باعتبارها ضمانة للحريات والحقوق ، مع القاء ضوء خاص على دور الأحزاب ، بينما يستعرض في الفصل الثاني مبدأ الانتخاب التمثيل وطرائقه ، وما يعترضه من مشكلات وما يثور حوله من حوار وجدال .

ويخصص المؤلف الفصل الختامي من كتابه (للمقارنة بين نظامي الشورى والديمقراطية لابراز أوجه المغايرة وأوجه الاتفاق وأوجه التأثير المتبادل) (ص ز من المقدمة) ، وذلك لمعرفة إمكانية الاستفادة من التجربة الديمقراطية المعاصرة ، ومن ناحية اخرى لتبين الى أي مدى يساهم نظام الشورى الاسلامي في تصحيح بعض أوجه الديمقراطية المعاصرة . (ص٢٢٥)

وقد خلص الدكتور الأنصاري الى أن الشورى واجبة على رئيس الدولة وليست من المندوبات (ص ٩٧ ـ ١٠٨) كما تبنى الرأي القائل بأن نتيجة الشورى ملزمة لولي الأمر حين تجتمع أغلبية أهل الشورى على رأي محدد ، وذلك بعد أن ناقش الأراء المخالفة وردّ حججها (ص ٢١٤ ـ ٢٢٢) . أما عن أهل الشورى فقد مال المؤلف الى تحديدهم عن طريق الانتخاب الشعبي ، ودحض جميع الأراء التي دعت الى ايجاد نوع من الوصاية على المجلس النيابي المنتخب (٢٤٦ ـ ٢٥٧) . كذلك أيد المؤلف أهلية المرأة لعضوية المجلس النيابي (٢٦٥ ـ ٣٢٠) . بل اعتبر أن ذلك (يدخل في باب الواجب الكفائي ، لانه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (ص٣٢٠) ورأى جواز مشاركة أهل الذمة في عضوية المجالس النيابية في الدولة الاسلامية . . (ص٣٢٥)

أما في معرض المقارنة بين الشورى والديمقراطية فقد اشار ابتداء الى أن (الشورى جزئية في نظام اسلامي متكامل ، له فلسفته الخاصة ، وأهدافه الخاصة ، وكذلك فان الديمقراطية نابعة من نظام له فلسفة وأهداف معينة ، وقد طبق كل منهما في بيئات مختلفة (ص٤٢٧) . ومع ذلك فقد انتهى الى اتفاق الشورى والديمقراطية فيما يتعلق باختصاص المجالس التمثيلية بالمسائل التشريعية ومناقشتها ، واتفاقهما من حيث اعتبار رأي أغلبية أعضاء المجالس التمثيلية ، ومن حيث حق المعارضة في التعبير عن رأيها ، غيرأنه شدد على شرط الالتزام بالقيم الاخلاقية والدينية والسلوك الحسن في عضوية المجالس النيابية . من وجهة نظر الشورى الاسلامية (ص٤٢٩) ، وتوصل المؤلف الى امكان استخدام النظام الحزبي في ظل الشريعة الاسلامية ، وذلك لان العمل الحزبي من الضرورات التي يستلزمها العمل السياسي في عصرنا . وقد اشترط الالتزام (باطار الشريعة واصولها) في ذلك (ص٤٣٨) .

ولست أزعم انني اقدم للقارىء ملخصا لمادة الكتاب في هذه السطور القليلة ، وانما أردت أن ابين رؤوس الموضوعات التي يتناولها بالدراسة والمقارنة والتحليل ، وهي موضوعات في غاية التشعب ، لا يمكن أن تلخص في مراجعة كهذه ، كما أن لجوء المؤلف الى استعراض وجوه الآراء المتعددة التي عرفها الفكر الاسلامي قديما وحديثا يفتح الكثير من الآفاق للتأمل والتفكير ، ويزيد المادة تشعبا .

ولعل من تمام التعريف بهذا الكتاب أن نأتي بمقتطفات من بعض فصوله ـ تحت عنوان « مبدأ حكم الأغلبية » « وصور الحكم الديمقراطي » يقول المؤلف :

« يجعل النظام الديمقراطي الحكم للاغلبية ، حيث إنها المعبرة عن ارادة الأمة ، ومعنى ذلك ان ارادة الامة ليست ارادة المجتمع ، بل هي إرادة الغالبية . وهذا قد يوحي بأن ارادة الأقلية لا يلتفت اليها ، فكيف يمكن التوفيق بين اهمال الاقلية وبين معنى الديمقراطية بحسبانها تعبيرا عن جميع الارادات المتصارعة في الامة ؟ ثم إن حكم الأغلبية يتخذ احدى ثلاث صور في التطبيق الديمقراطي وهي : الديمقراطية المباشرة والديمقراطية النيابية ،

والديمقراطية شبه المباشرة . أما الديمقراطية المباشرة فهى أقدم صور الديمقراطية ظهورا ، وهي التى أخذت بها المدن الاغريقية ، واقل الصور انتشارا في العصر الحاضر ، اذ لا وجود لها الا على نطاق محدود جدا وفي بعض المقاطعات السويسرية الصغيرة . أما الديمقراطية غير المباشرة (النيابية) في هذا النظام يختار الشعب من آن لآخر نوابا يتولون الحكم لمدة محدودة باسمه ونيابة عنه ، فلا يزاول الشعب سلطاته بنفسه ، بل يقتصر دوره على اختيار نواب عنه ، وتعد بعد ذلك ارادة هؤلاء النواب معبرة عن ارادة الناخبين (اى ارادة الشعب) فدور الشعب في هذا النظام مقصور على انتخاب الهيئة النيابية ، ثم لا يشترك معها في الحكم . .

وأما الديمقراطية شبه المباشرة فهي التى يمكن أن نعدها نظاما نيابيا متطورا . فهي تقوم على أساس برلمان منتخب مع الرجوع الى الشعب في بعض الأمور الهامة التى تمثل في مظاهر الديمقراطية شبه المباشرة . وهي مزيج من الديمقراطية النيابية والديمقراطية المباشرة أو نظام وسط بينهما . والشعب في هذا النظام يعتبر سلطة رابعة بجوار السلطات الثلاث ، وقد انتشر هذا النظام في الآونة الاخيرة نتيجة انتشار التعليم والثقافة وزيادة الوعى السياسى ، وكعلاج لعيوب النظام النيابى . . . »

ويتحدث المؤلف عن مبدأ شرعية المعارضة فيقول : تقوم الديمقراطية على ساقين ، أحدهما مبدأ حكم الاغلبية ، والثانية مبدأ شرعية المعارضة . أما المعارضة فتلعب دورا بارزا في نظم الحكم الديمقراطية ، ووجودها مبدأ أساسي في هذه النظم ، وهو الذى يسمح بوصف تلك النظم بأنها حُرة . .

ويرجع السبب في الاعتراف بحق المعارضة الى أن فلسفة الديمقراطية تكمن في المذهب الفردى الحر الذى ينتهى الى القول بوجود حقوق طبيعية . .

ويتضح مركز الحريات عامة في النظام الديمقراطى اذا عرفنا أن الحرية هي جوهر النظام الديمقراطى ، وهي بهذا الوصف تخضع السلطة الديمقراطية لهيمنتها ، وكما أن القواعد الدستورية تعد أسمى من القواعد التشريعية ، فكذلك تعد مبادىء الحرية أعلى مكانا من وسائل الديمقراطية وأوضاعها وأشكالها . فمركز الحرية في النظام الدستورى كوضع النظام في النظام القانونى كله . فاذا تعارضت المبادىء الديمقراطية مع الحرية وجب تغليب الحرية ، لان الحرية هي غاية النظام الديمقراطى ، ومبادىء الديمقراطية كلها وسائل لغاية أساسية هي كفالة الحرية للفرد وللجماعة ، ولا يجوز أن تعطل الغاية الوسائل المستمرة لتحقيقها ، كما لا يجوز تغليب الشكل على الجوهر . . . وكذلك تتضح أهمية المعارضة في أننا اذا سلمنا للأغلبية بحق المنع والمنح ، فقد سلمنا بمبدأ احتكار الصواب احتكارا مطلقا ، وتجارب العالم كله في السياسة والتاريخ تدلنا على أن خطأ اليوم قد يكون صواب الغد والعكس صحيح .

ولا مراء في أن لنا بعض الملاحظات على بعض الآراء الجزئية التى تبناها المؤلف ، وعلى طريقة البحث المتبعة في بعض فصول الكتاب . بيد أن هذه الملاحظات تدور حول هنات بسيطة - في رأينا - لا تقلل من قيمة الكتاب ، ولا تغض من وميض فكره . وانى أدعو كل المهتمين بالنهضة الاسلامية ، وكل المعنيين بقضايا الفكر العربى ، وقضايا الفكر الاسلامي المعاصر ، أدعوهم جميعا الى قراءة هذا الكتاب الجليل الفائدة . □

اربعة اركان

قيل انه كان يكتب على مدخل كل مدرسة فى الاندلس هذه العبارة :
الدنيا تستند على أربعة أركان : علم الأفاضل ، وعدل الأكابر ، ودعاء الصالحين ، وجلال الشجعان .

مكتبة العربي
مختارات

حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨
(الرواية الاسرائيلية الرسمية)

ترجمة : أحمد خليفة
الناشر : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت
عدد الصفحات : ٧٧٥ صفحة من القطع الكبير

يغطي هذا العدد الكبير من الصفحات فترة لا تتجاوز ستة أشهر من تاريخ الحرب الفلسطينية الاسرائيلية ، التي تمخضت عن كارثة ١٩٤٨ ، والفترة المذكورة تمتد من ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وحتى نهاية الانتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨ .

ويقول : د . وليد الخالدي الذي قدم للكتاب : « ان هذه الفترة هي أخطر مرحلة فاصلة في تاريخ القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني منذ بدء المد الصهيوني عام ١٨٨٢ .. فقد شكلت أحداث تلك الفترة ، في آن ، النهاية المنطقية لكل ما سبق ، كما شكلت نقطة البداية لكل ما تلا في ساحة الصراع العربي ـ الصهيوني » .

والكتاب ترجمة عن العبرية للرواية الاسرائيلية لما حدث في تلك الفترة الحاسمة من صراعنا مع عدونا الصهيوني ، وذلك اعتمادا على مصدرين : الأول « تاريخ الهاغاناه » للمؤرخ الصهيوني يهودا سلوتسكي ، والثاني « تاريخ حرب الاستقلال » الذي يعكس وجهة النظر الرسمية الاسرائيلية .

وبترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ، تسد ثغرة كبيرة وخطيرة في المكتبة العربية ، ناجمة عن عدم معرفتنا بالطريقة التي ينظر بها الصهاينة الى مجرى الصراع بيننا وبينهم . وخلال هذا العرض للرؤية الاسرائيلية لهذه المرحلة يتكشف لنا الكثير من الأسرار والخفايا التي أحاطت بأحداثها . ولا ننسى أخيرا أن ننبه الى عدم وجود كتابات عربية رصينة وموثقة لتلك الفترة الحرجة من تاريخنا العربي .

مئة عام من تاريخ اليمن الحديث

الكاتب : د . حسين عبد الله العمري
الناشر : دار الفكر ـ دمشق
سنة النشر : ١٩٨٤ م
عدد الصفحات والحجم : ٤٠٧ صفحات من الحجم المتوسط

يتابع الباحث في هذا الكتاب نبش تفصيلات ما حصل في اليمن خلال مئة عام ، (منذ سنة ١٧٤٨ حتى سنة ١٨٤٨) ..

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب : « هذه الحقبة الحافلة بوجوه النشاط السياسي والحضاري لليمنيين لم يسبق لأحد أن تناولها بالدراسة والبحث من قبل ، وليس بين أيدينا عنها الا نبذ بث أغلبها في بطون كتب لا تزال مخطوطة ، تنتظر بعثها ونشرها محققة » .

وبالرغم من أن الباحث يركز على فترات حكم بعض الأئمة في اليمن ، بداية من فترة حكم المهدي عباس ، ووصولا الى حكم الامام محمد بن يحيى ، الذي قتل جزاء ما اقترفه في تهاونه في حق الوطن ، واستدعائه الاتراك من الحديدة الى العاصمة صنعاء ، فانه يلتفت الى تسجيل بعض الأدوار التي لعبها بعض الفقهاء والأدباء في الحياة العامة . كابن الامير والشوكاني والآنسي وابن اسحق وغيرهم .

البطالة المقنعة في الوطن العربي

الكاتب : سمير عبده
الناشر : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق

سنة النشر : ١٩٨٤ م
عدد الصفحات : ٢٨٠ من القطع الصغير

تستخدم عبارة « البطالة المقنعة » لوصف حالة العاملين الذين يقومون بأعمال هي دون مستواهم الانتاجي . انهم يندرجون ، رسميا ، في عداد العاملين لكنهم انتاجيا ، شبه عاطلين عن العمل . هذه الظاهرة التي تعاني منها المجتمعات المتقدمة تتحول في المجتمعات النامية ومنها مجتمعاتنا العربية ، الى نوع من الامراض المستعصية .

منذ البداية يضعنا المؤلف في صورة بحجم الكارثة عبر الأرقام التالية :

نسبة العاملين من اجمالي سكان الوطن العربي ٢٧ر١٪ ، يعمل منهم ٢٥٪ في الزراعة . ومن بين مجموع نساء الوطن العربي البالغ ٨٥ مليون امرأة ، لا تعمل منهن سوى ٤ر١٤ ملايين . ولا تزيد انتاجية العمل على صعيد الواقع العربي عن ٢٠٪ فقط من قوة العمل الاجمالية .

ومن خلال دراسة تاريخية اجتماعية مقارنة يشق المؤلف طريقا صعبا يكاد يخلو من البيانات والمعلومات والاحصاءات الدقيقة ، ليقدم دراسة تتسم بالجدية حول واحدة من أهم مشكلات الوطن العربي .

اتصالات الفضاء

الكاتب : حمدي قنديل
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة
سنة النشر : ١٩٨٥
عدد الصفحات : ٤١٢ من القطع الكبير

يقدم المؤلف هذا الكتاب على أنه « كتاب مرجعي للجامعات ، أوصت بوضعه اللجنة العربية المشتركة للاتصالات الفضائية » . فجيل طلبة الجامعة الحالي قد ولد بعد غزو الفضاء عام ١٩٥٧ كما يقول المؤلف في مقدمته .

ومع ذلك فالكتاب ليس دراسة تقنية جافة ، بل يتضمن تحليلا للآفاق التي تفتحها تكنولوجيا الفضاء والمشكلات التي تثيرها للمجتمع ، مثل المشكلات القانونية المتعلقة بمبدأ سيادة الدول ، ومبدأ حرية الاتصال ، وقضايا أخرى تتعلق بالغزو الثقافي والذاتية الثقافية .

وبأسلوب شيق وبسيط يتناول الكاتب مختلف أشكال استخدامات الفضاء ، مع تركيز على الاستخدام السلبي للاقمار الصناعية ، والبث التلفزيوني ، والجوانب القانونية التي تنشأ عن كل ذلك . ولا ينسى الكاتب أن يفرد في كتابه فصلا عن القمر الصناعي العربي « عربسات » الذي أطلق في فبراير من هذا العام .

١٢ رئيس وزراء

اسم الكاتب : أحمد فوزي
الناشر : مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع ـ بغداد
سنة النشر : ١٩٨٤
عدد الصفحات : ٣٨٠ صفحة من القطع الكبير

من بين ٢٣ رئيسا للوزراء تسلموا المنصب في العهد الملكي في العراق ، اختار الصحفي والسياسي العراقي أحمد فوزي ١٢ منهم ، وحاول أن يرسم لكل منهم « صورة قلمية » يقدمها للقاريء بعد أكثر من ربع قرن من زوال العهد الملكي في العراق .

ويضم هذا الكتاب « حكايات سياسية وصحفية » هي عبارة عن ذكريات يغلب عليها طابع الطرافة والمعلومة الخفيفة عن عدد من رؤساء الوزراء العراقيين في تلك الفترة المضطربة من تاريخ العراق والمنطقة . ومن بين هؤلاء من كانت له توجهات وطنية مثل رشيد عالي الكيلاني ، أو توجهات ليبرالية يمينية مثل محمد فاضل الجمالي الى شخصيات عرفت بارتباطها بالمستعمرين الانكليز خارجيا وسياسة القمع في الداخل مثل نوري السعيد وصالح جبر .

ورغم أن الكتاب لا يعد مرجعا تاريخيا لتلك الفترة وتلك الشخصيات الا أنه يضيء بعض الجوانب في تلك الشخصيات التي كانت في قمة الهرم السياسي آنذاك .

عبد الرحمن الداخل

يعود إلى الأندلس

■ "المنكب" في الأندلس تحتفي بصقر قريش

بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

عبد الرحمن الداخل
الذى أسس الدولة العربية
في الأندلس ، وافتتح
عهود الحضارة فيها ، كان
موضوع لقاء عربي اسباني في
مدينة ساحلية من مقاطعة
غرناطة في الأندلس ،
تسمى المونييكر . أو المنكب .
فما هي مناسبة اللقاء ؟

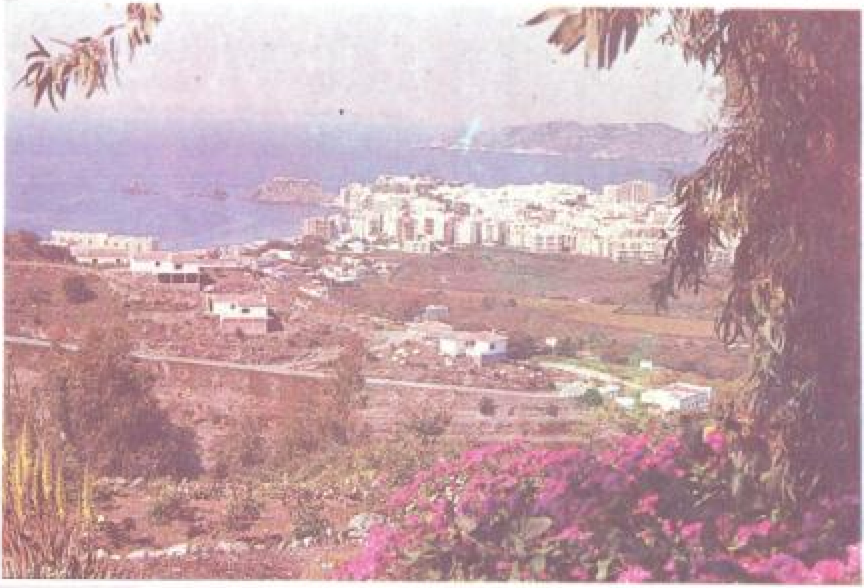

مدينة المنيكر (المنكب)

لقد كان مشروع هذا اللقاء قد ظهر في ذهن عمدة هذه المدينة السيد خوان كارلوس أباديس بانغواس وهو شاب متحمس يدل اسمه وملامحه وعنفوانه على اتصال بأصل عربي . فاسم أباديس تحريف لكلمة (عبيدنيس) ولعل هذا الاسم المحرف انتقل أيضا الى العربية ، ونحن نعرف بلا شك اسم عبد الحميد بن أباديس ، كما نعرف أسماء اخرى مثل اباديس بن حبوس الصنهاجي أمير غرناطة في القرن الحادي عشر ، وهذا الاسم كغيره من الأسماء ذات الأصل العربي ما زال منتشرا في الاندلس حتى يومنا هذا . وتعاون مع عمدة المدينة أساتذة اختصاصيون في التاريخ والآثار ، ومنهم مستعربون يتقنون العربية ويقومون بتدريسها في جامعات غرناطة ومدريد ، او هم يدرسون التاريخ الأندلسي ويقدمون أبحاثا جادة فيها . كما تعاون معهم ممثلو الجامعة العربية ، والسفراء العرب ، وجمعية الصداقة السورية الاسبانية ، والمعهد العربي الاسباني للثقافة ، وجامعات الاندلس ، وكانت رئيسة الشرف الملكة صوفيا ، ملكة اسبانيا .

ولقد كان هدف اللجنة المكونة لتنفيذ هذا اللقاء ، الاحتفال بمرور ألف ومائتي عام على وفاة عبد الرحمن الداخل ، الذي مات في الاندلس عن خمسة وخمسين عاما ، وحكم الاندلس مدة اثنين وثلاثين عاما .

وعبد الرحمن الداخل هو ابن معاوية بن الخليفة هشام بن عبد الملك ، ولد في الشام وفيها شب ثم مضى الى الاندلس متخفيا ، وكان في العشرين من عمره ، هاربا من سطوة أصحاب الاعلام السوداء الذين هدفوا الى القضاء على الخلافة الاموية . واستطاع بعد جهد شاق استمر خمس سنوات أن يصل الى الاندلس ، وكانت المنكب (بتشديد الكاف) هي أول مرفأ أندلسي استقبله ويطلق عليها اليوم اسم المونييكر .

واستطاع عبد الرحمن الداخل الذي جاء وحيدا أعزل أن يتسلم زمام الحكم في الاندلس ، وان يعيد تكوين الدولة العربية فيها ، وأن يصبح بسرعة خارقة الامير القادر على تحقيق وحدة البلاد وازدهارها ، واستمر عهده الزاهر من بعده بزعامة اعقابه حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر .

ونظرا لاهمية عبد الرحمن وعهد الخلافة في تاريخ حضارة الاندلس ، رأى المسؤولون في الاندلس اليوم أنه « من الاهمية توضيح أعمال وشخصية هذا الحاكم الاموى الشجاع والعظيم ، ومن الواجب التعمق في نتائج تكوين الدولة واستقرارها بعد أعمال الفتوح الاولى . وايضاح طابع المشاركة والتسامح الكبير الذى أكده عبد الرحمن في بناء الدولة وتوطيد أركانها » .

ان المونيكر التى تعتز أنها أول من استقبل عبد الرحمن على أرض الاندلس ، قامت بكشف الستار عن تمثال ضخم لعبد الرحمن سيصبح رمزا للمدينة ، ولقد تم ذلك ضمن نطاق لقاء عربي اسباني تبادل فيه علماء الاسبان المستشرقون واختصاصيون من العالم العربي ، شخصية عبد الرحمن ودوره في تأسيس الدولة الراسخة في الاندلس ، ثم دراسة المجتمع الاندلسي في العصر الاموى،والتطور التاريخى من الامارة الى الخلافة ، كما أعدت طاولة مستديرة لدراسة أبعاد عبد الرحمن الاول في العالم الراهن .

لقاء حافل

لقد تم اللقاء في المنكب او المونيكر وشارك فيه عدد من المؤرخين والكتاب والشعراء العرب والاسبان ، نذكر منهم حسين مؤنس ، ومحمود مكي ، والشاعر عبد الوهاب البياتي ، ومحمود صبح ، وموتناريز ، وغامبوتي ، وكارمن لويس ، وغيرهم .

تم ذلك ضمن اطار ثقافي حافل تزينه الموسيقا الاسبانية العربية (المقام خوده) والرقصات (الفلامنكو) والعروض المسرحية العربية الاسلامية التى أسهمت فيها بنات غرناطة الجميلات .

ذلك في حديقة الماخويلو التى تحوى أجنحة متنوعة

رأس من البرونز يمثل عبد الرحمن الداخل

كل جناح مبنى وفق طراز محلي ينسب الى احدى المدن الاندلسية المعروفة - غرناطة وقرطبة واشبلية وطليطلة وغيرها . وحوت هذه الأجنحة معارض أسهمت فيها البلاد العربية ، مما جعل هذا اللقاء احياء للاخاء العربي الاسباني توجته حفلة موسيقية غنائية شعرية تمت في بيت عربي « الناهرا » ، وهو بيت رائع تزينه نقوش غرناطية مدجنية (مودخار) مليئة بالكتابات العربية .

ويشرف هذا البيت على حديقة اندلسية مليئة بالرياحين والياسمين واشجار البرتقال ، وفي هذه الحديقة القى الشعراء العرب والاسبان قصائدهم التى ترجمت الى اللغة الاخرى ، وفيها رقصت الاسبانيات اروع الرقصات واكثرها جدية وحماسة وعزف على القيثار مهرة العازفين .

كان هذا اللقاء وهذا الاحتفال مناسبة لتوضيح دور المنكب في استقبال عبد الرحمن الداخل ، وكان مناسبة للاحتفال بمرور/١٢٠٠/عام على وفاة هذا القائد الشجاع (صقر قريش) وانه لسبق يسجل

لاصحاب هذه المبادرة اللبقة في تكريم هذا الامير الطموح .

المنكب : هي مدينة ساحلية تقع في خليج واد محفوف باشجار ثمرة الافوكاتو والموز وازهار دوار القمر والنفلة .

والمدينة قديمة ، فلقد تم فيها العثور على اثار تعود الى عهد الفينيقيين واستطاع عالم الآثار « مولينا » أن يكتشف اثارا ثمينة اودعت في متحف غرناطة تبين وصول الفينيقيين الى المنكب منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، كما عثر على اثار معالم الوجود الروماني ، وما زالت سواقي المياه العالية قائمة ومستعملة حتى اليوم منذ ذلك التاريخ تظهر عالية على امتداد ثمانية كيلو مترات .

وجميع الحفريات الأثرية ما زالت مكشوفة لتعريف السائحين والزائرين على جهود مثمرة في مجال التنقيب عن ماض قديم .

وتبين أن القصر الروماني انشىء على آثار اغريقية ، كما انشئت الكنيسة في القرن السادس عشر على مستودع ماء روماني قديم . وتنتشر بيوت المنكب صاعدة على قمم الجبال المشرفة على البحر ، واذا كانت البيوت الحديثة تتصف بتنوع العمارة وجمالها ، فان البيوت التقليدية ما زالت محتفظة بطابعها الاندلسي الجميل ، مجموعة من الجدران والسقوف القرميدية تنفتح فيها نوافذ صغيرة تنسكب منها شلالات الورد والرياحين من أحواض موزعة هنا وهناك ، تطل كلها على طريق مدرج صاعد حتى قمة الجبل . هذه هي مدينة المنكب التقليدية ، التي تمتد على عرض يزيد عن العشرين كيلو مترا وهي لا تبعد كثيرا عن غرناطة ، فعلى مسافة خمسة وثمانين كيلو مترا زار قصر الحمراء المشاركون في هذا اللقاء ، والحديث عن هذا القصر الرائع ذو شجون فهو آخر معاقل العرب والمسلمين في الاندلس،ومن غرناطة نزحوا بعد ثمانية قرون من المجد ما زالت اثاره ظاهرة حتى اليوم .

وعلى مسافة سبعين كيلو مترا من المنكب تقع (مالقا) موطن الفنان الكبير بيكاسو .

يبدأ الحديث عن عبد الرحمن الداخل من تمثاله الذي صممه ونفذه الفنان ميغل موريثو الغرناطي ، والذي اقيم على صخرة ضخمة في كتف احدى الكتل الجبلية التي تتوسط الساحل في المنكب . وهو بارتفاع خمسة أمتار ومن البرونز ، ويمثل عبد الرحمن بوجه يشبه الصقر يتجه الى افق بعيد ويقف بثبات ، وبيمينه سيف دمشقي يتكيء عليه ، قد ارتدى عقالا في رأسه ورمى على كتفيه عباءة قصيرة ، وبدت قامته الممشوقة الفتية مشابهة للوصف الذي نقل عنه نحات التمثال، فلقد ذكر المؤرخون « أنه أصهب خفيف العارضين ، طويل القامة ، نحيف الجسم أعور له ضفيرتان » .

كان عبد الرحمن شخصية فذة ، اهتم بتربيته والده معاوية وجده هشام ، نشأ على الامارة وتعلم في الشام الفروسية وقرض الشعر ، وبعد وفاة أبيه جمع له هشام أخماس الأندلس لصالحه ، اهتماما به وتقديرا له . وكانت أمه « راح » تنتسب الى قبيلة مكناسة المغربية او قبيلة مغيلة ، وقد فقدها صغيرا وكانت شقيقته أم الاصبع تحنو عليه ، ولقد ولد عبد الرحمن في الشام عام ١١٣ هـ - ٧٣٢ م وشب في الرصافة أو في دمشق في كنف جده الخليفة هشام . وحتى عهد الخليفة مروان .

ثم قام العباسيون بثورتهم على الامويين عام٧٥٠م فذبحوا افراد هذه الاسرة ، وكان عبد الرحمن واحدا ممن نجوا باعجوبة ، وتعتبر قضية نجاته وانتقاله متخفيا الى الاندلس عبر المغرب ، ولمدة خمس سنوات ، من أروع القصص المثيرة في التاريخ .

الرحلة الى الأندلس

ولنسمعه يتحدث عن قصة خروجه من الشام اذ يقول :

« لما اعطينا الامان ثم نكث بنا بنو ابي فطرس وابيحت دماؤنا ، أتانا الخبر وكنت منتبذا من الناس ، فرجعت الى منزلي آيسا ونظرت فيمن يصلحني وأهلي ، وخرجت خائفا حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ، فبينا أنا ذات يوم بها وولدي سليمان يلعب بين يدي ، وهو يومئذ ابن اربع سنوات ، فخرج عني ثم دخل الصبي من باب البيت باكيا فزعا ، فتعلق بي فجعلت ادفعه وهو يتعلق

الماخويلو

تمثال عبد الرحمن الداخل في المنكب من الخلف

فاكهة المنكب

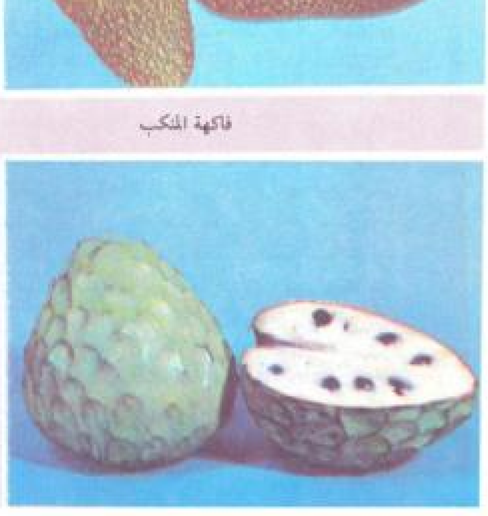

القرية القديمة في المنكب

بي ، فخرجت لانظر واذا بالخوف قد نزل بالقرية ، واذا الرايات السود منحطة عليها ، واخ لي حدث السن يقول لي : النجاة فهذه رايات المسودة ، فأخذت دنانير معي ونجوت بنفسي واخي ، وأعلمت اخواتي بمتوجهي ، فأمرتهن أن يلحقنني مولاي بدرا ، واحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي اثرا ، فأتيت رجلا من معارفي وامرته فاشترى لي دواب ، وما يصلحني ، فدل علي عبد له العامل ، فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هرابا والخيل تبصرنا ، فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل الى الفرات ، فسبحنا ، فأما أنا فنجوت وفرسان الخيل ينادوننا بالامان ولا أرجع ، وأما اخي فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم بالامان واخذوه فقتلوه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاحتملت فيه ثكلا ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة حتى انقطع الطلب عني ، وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقيا » .

كان عبد الرحمن قد مضى من دمشق الى فلسطين ومنها الى مصر ثم سار الى برقة وبقي متخفيا فيها زمنا ثم مضى الى افريقية (تونس) . فلما علم به عاملها جد في طلبه ، فمضى الى أهل امه من قبيلة مغيلة في نفزاوه ، وكان مولاه الدمشقي بدر قد وصل اليه ، فأرسله الى أهل الاندلس يدعوهم الى نفسه فأرسلوا اليه مركبا ووفدا فاصطحبوه الى الاندلس ، وكان أول مكان وطئت فيه اقدامه في الاندلس هو المنكب ، عام ١٣٨ هـ - ٧٥٦ م . ثم مضى الى رية وشذونه ثم اشبيلية فبايعه اهلها فورا ، ثم اتجه الى العاصمة قرطبة رافعا الراية الخضراء لاول مرة .

وكان يوسف الفهري أميرا على الاندلس في قرطبة ، وقد فوجىء بظهور عبد الرحمن المنتصر السريع ، الذي دخل قرطبة وكان يوسف غائبا عنها ، ثم عاد فقاتله وتصالحا ، حتى اذا عاد وثار على عبد الرحمن ، لقي الهزيمة وقتل مع ابنه ، وانتهى دوره كما انتهى دور الصميل الذي مات مسموما .

إمارة قرطبة

وما ان استقر اميرا في قرطبة حتى انصرف اولا الى استئصال الفرقة والفتن وصد العدوان . ولعل أروع انتصار حققه ضد عدوان خارجي كان عام ٧٧٧ ، اذ قام شارلمان بتأييد من خصوم عبد الرحمن بحملة ضخمة ، وتقدم شارلمان أولا في الاندلس ، ثم تجهز له عبد الرحمن في العام التالي فرده على عقبه . وقتل عددا من قواده من أشهرهم (رولان) الذي خلد بشعر معروف باسمه .

كان جيش عبد الرحمن حسن التنظيم والتجهيز ، ولقد بلغ عدده اربعين الف مقاتل ، كما استطاع أن ينهض بعمارة بحرية لعله اراد بها ان يصل الى الشام من البحر ، ولكنه لم يفعل على الرغم من ان المنصور حاول ازاحته بتعيين امير ارسله لذلك ، هو العلاء ابن المغيث ، وكانت النتيجة ان قتل العلاء وحشي رأسه بالملح والكافور واعيد الى المنصور وكان في الحج ، فصاح قائلا « الحمد لله الذي جعل بيننا وبين

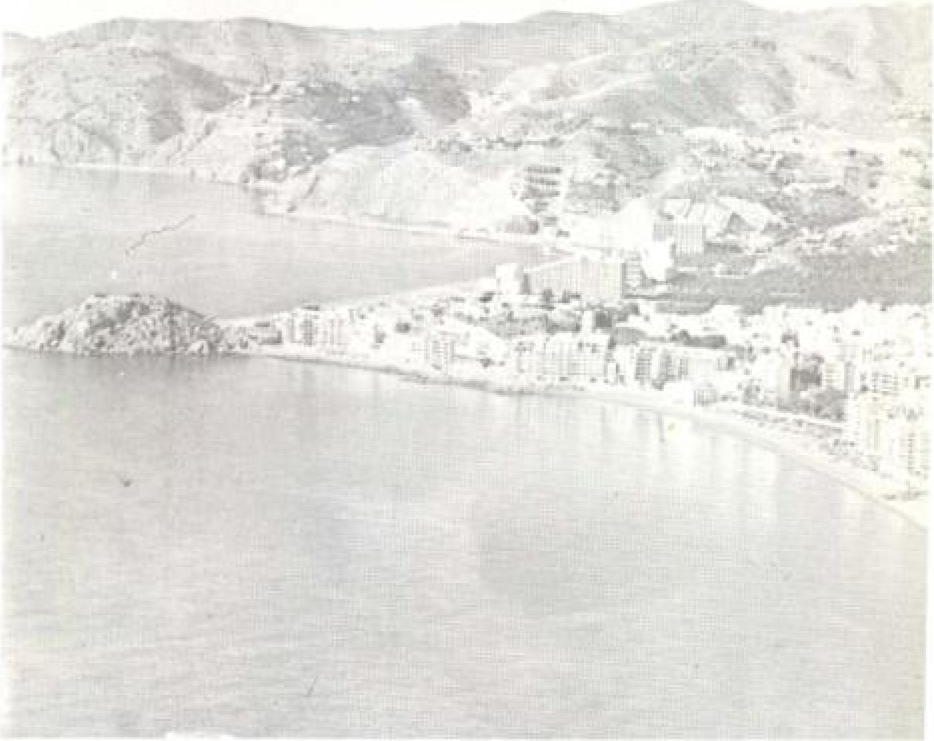

مشهد عام للمنكب

مثل هذا من عدونا بحرا » . وكان المنصور قد اطلق على عبد الرحمن لقب صقر قريش .

ولقد وصف المؤرخون عبد الرحمن فقالوا ، « كان فصيحا لسنا شاعرا عالما حليما حازما ، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ، ولا يكل الأمور الى غيره ، شجاعا ، مقداما بعيد الغور ، شديد الحذر ، سخيا جوادا » .

وقام عبد الرحمن بتوحيد الاندلس . وما أن توطد حكمه حتى قام بأعمال عمرانية هامة ، فأنشأ القنوات وبنى حول قرطبة سورا وشيد منية الرصافة وهي قصر يشبه قصر جده هشام في بادية الشام ، وجعل لهذا القصر بستانا زرع فيها ضروبا من الاغراس كالدراق والرمان ، وأتى من الشام بنخلة لعلها الاولى في الاندلس فغرسها في بستانه .

وكان عبد الرحمن شاعرا مجيدا ، فوصف هذه النخلة في أبيات من الشعر الرقيق الذي يعبر عن عاطفة الحنين الى الشام ، حنين يملأ فؤاده رغم سلطانه وروعة النجاح الذي توصل اليه .

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى
وطول التنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي

عمارة المسجد

ومن أهم الأوابد التي أسسها عبد الرحمن جامع قرطبة الذي أخذه عن جامع دمشق بأقسامه وتوابعه ،

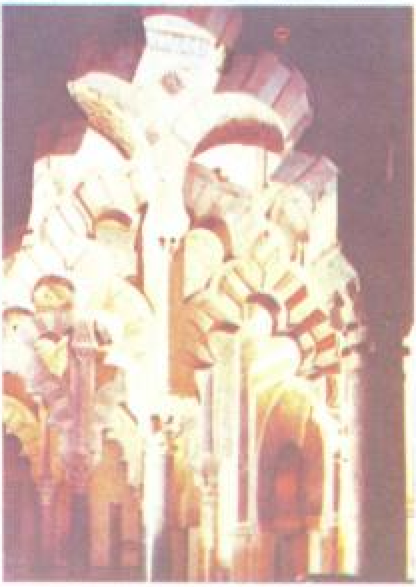

جامع قرطبة (الاقواس)

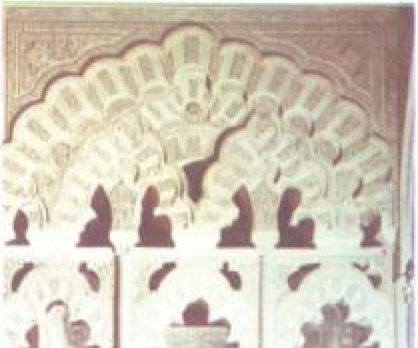

جامع قرطبة (الحرم)

وقد استمر خلفاؤه بتوسيعه خاصة في عهد عبد الرحمن الثاني والحكم الثاني ، ثم اكتملت عمارته في اواخر القرن العاشر ابان حكم المنصور . ويبدو هذا المسجد بعد اكتمال عمارته من أروع المنشآت العربية الاسلامية ، يتجلى ذلك في أقواسه وأعمدته وفي محرابه وقبته الفخمة ، وفي خزفه الجميل وفسيفسائه وكتاباته الرائعة . ومن المؤسف أن هذا المسجد ، قد حوله فردناند الثالث عام ١٢٣٦ الى كنيسة وبنى ضمنه كاتدرائية ضخمة .

وهو اليوم أشبه بمزار يحيط الكاتدرائية اضيفت اليه تماثيل ولوحات زيتية وزخارف معدنية هي من أعمال الفنانين الاسبان ، من أمثال أروفة والونصوكانو وبالو مينو وغيرهم .

ويطلق على المسجد اليوم اسم « المسكيتا » ويزوره سنويا ملايين السياح وتعود عائداته الى الكنيسة . ولقد أنشأ عبد الرحمن ايضا المدارس والمكتبات التي أغناها بالمخطوطات الهامة ، ويعتبر عهده قمة في الازدهار الذى قام على مبادىء ثلاثة ، التسامح مع أهل الذمة ، وتوحيد البلاد ، وبناء الدولة المتقدمة .

واستمر خلفاؤه من بعده ما يقرب من الثلاثة قرون ، وكانت قرطبة في عهدهم (جوهرة العالم) وكان فيها مائة وثلاث عشرة داراً ، وواحد وعشرون ربضا وسبعون خزانة كتب وحوانيت شتى تباع بها الكتب ، ومساجد وقصور وحمامات وكانت شوارعها على مسافة أميال مضاءة بالمصابيح وأرضها معبدة بالبلاط الحجري والآجري .

ولقد حقق عبد الرحمن في الاندلس أول نظام اجتماعي اشتراكي ، ويقول المؤرخ الهولندي دوزى « ان عبد الرحمن قد قضى على امتيازات الطبقة الدينية والنبلاء وحسن احوال المستخدمين والعمال » . ويتحدث الاستاذ الحايك عن قرطباس بن غبطشة الذى كان يملك الف ضيعة ، فوزعها عبد الرحمن ولم يبق له الا عشرون ضيعة .

ان اقامة هذا التمثال الضخم في المنكب ، المدينة الجميلة الاندلسية ، هو بمثابة عودة جديدة لعبد الرحمن ضمن اطار من الصداقة والتفتح الواعي لدور هذا البطل العظيم في بناء تاريخ الاندلس . □

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

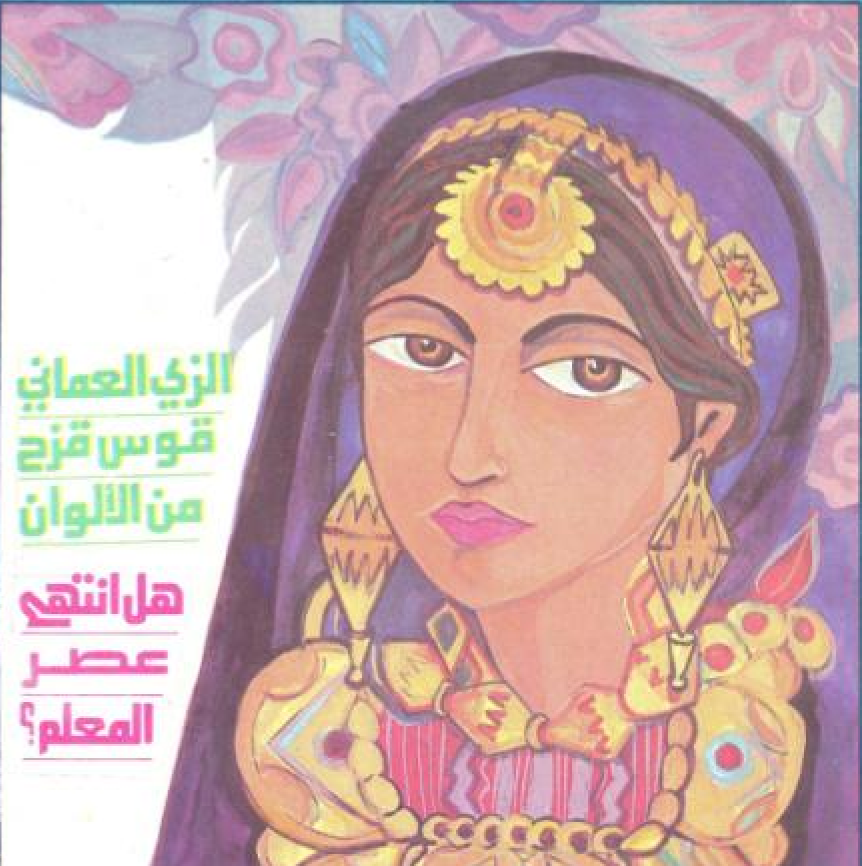

الزي العماني
قوس قزح
من الألوان

هل انتهى
عصر
المعلم؟

العمانيون شعب يعشق الزخارف والالوان في ملابسه .

الزي العماني

قوس قزح من الألوان الزاهية

بقلم : ثريا البقصمي

زي أي شعب ليس تعبيرا عن ذوق ومزاج عام فقط بل هو نتاج حركة المجتمع في مراحل مختلفة ، ورحلتنا في هذا الموضوع مع زي شعب عربي كانت حضارته منذ فجر التاريخ قائمة على الاتصال بالشعوب والبلدان المجاورة .

عمان ذلك البلد الذي يكمن فيه سحر الشرق الأخاذ ، حيث يجتمع السهل والجبل والبحر ، ويتبلور عن كل هذا « كرنفال » من الأزياء الشعبية البسيطة المترجمة ترجمة حية عن تقاليد وعادات شعب عريق في حضارته وأصوله ، فقد كان للمدن الواقعة على المناطق الساحلية فرصة كبيرة للتأثر بالغنائية الزخرفية واللونية للأزياء الهندية والزنجبارية والافريقية ، التي حملها التجار العمانيون معهم ، بشكل حلي وأقمشة وزخارف زخرت بها قطع الاثاث الخشبية . وبقيت المناطق الداخلية تعاني من العزلة نظرا لصعوبة اتصالها بالساحل ، ولهذا فان أزياء عمان الداخل تميل الى البساطة ، بعيدة عن البهرج اللوني والزخرفي ، فهي أقل تعقيداً ، وأكثر عملية ، وتميل إلى الالوان الداكنة ، وذلك لكيلا تكون عرضة للاتساخ نظرا لعدم وجود بديل لها وخصوصا ان هذه المناطق كانت تعاني من الفقر الشديد في الموارد الطبيعية .

شهادة رحالة :

والعمانيون بشكل عام يولون اهتماما كبيرا لأزيائهم ، لانها توثق شخصيتهم وتدل على المناطق والفئات التي ينتمون اليها ، وقد زار الرحالة البريطاني المشهور « جيمس سلك باكنجهام » مسقط ١٨١٦ فوصف ثياب أهل عمان،ومدح بساطتها وأناقتها كما أشار بأن ثياب الاغنياء لاتختلف قيمة عن ثياب أقل الناس شأناً وأفقرهم ، وقد كان هذا الوضع في ذلك الزمان ، أما في الوقت الحاضر ، ونظرا للفوارق الطبقية ، والغلاء ، فقد ظهرت أزياء للاغنياء لايستطيع ارتداءها العامة ، فبعض أغطية الرأس الرجالية ، يبلغ سعرها ما يعادل الألف دولار .

زي المرأة والتحجب :

تولي المرأة العمانية اهتماما كبيرا لزيها،وقد ظلت الكثيرات من العمانيات محافظات على أزيائهن الشعبية ، رافضات للازياء العصرية الحديثة ، وتعتبر المصوغات الفضية والذهبية من أهم مكملات الزي النسائي العماني ، وتختلف ملابس النساء من منطقة الى أخرى ، فنساء الساحل ملابسهن زاهية الالوان متعددة الأقمشة . وتتفق النساء العمانيات في ستر رءوسهن بغطاء للرأس يسمى باللحاف ،وقد كانت نساء المدن الى وقت قريب ، يلبسن حجابا على الوجه فوقه عباءة سوداء ، أما نساء البدو فانهن يلبسن برقعا يسمى « بالبطولة » وهويغطي أنوفهن ويعطي شكلا مثل شكل الطيور ، ولون البرقع أزرق لامع . وبعض نساء البدو ملابسهن سوداء طويلة مع حجاب سميك لايظهر إلا عيونهن من فجوات مستطيلة خاصة ، الا أن النساء في وسط عمان يظهرن سافرات ولايلبسن الحجاب أو البرقع الا في الريف وتبدأ الفتاة في التحجب عند سن البلوغ .

الزي العماني النسائي :

تلبس المرأة العادية « الفستان » ذا الاكمام الطويلة والذي يكون أحادي اللون ، وتحت هذا الفستان تلبس السروال المنتهي بحواش مزخرفة ، ويضيق عند الكاحل ، وفوق الفستان تلبس الثوب ، وهو يختلف حسب المناطق ، ففي الجنوب يكون طويلا من الخلف قصيرا من الامام لسهولة الحركة ، وملابس نساء عمان أكثر تنوعا في الالوان من أي ملابس أخرى في شرق الجزيرة ماعدا نساء الاكراد ، وتظهر ملابس النساء وكأنها منتقاة من ألوان الطيف الزاهية ، وفي بعض الاحيان يلاحظ افتقاد التناسق اللوني ، ومن الالوان المحببة والمنتشرة في عمان اللون الاسود والارجواني ، ويعود سبب انتشار الالوان الفاقعةالى التأثيرات الهندية والزنجبارية ، ونساء المناطق الساحلية تكثر في ملابسهن الالوان البرتقالية والصفراء والخضراء ، ونجد هنا كساء اضافيا آخر يلبس فوق الثوب ويتألف من قطعتين كبيرتين مخاطة إحداهما الى الاخرى وتسمى « ليسوا » . وفي الشتاء تلبس النساء البدويات

نباتات ، زهور ، ألوان زاهية ، تشترك في مهرجان لوني لغطاء رأس هذه الفتاة العمانية .

- الى اليمين : فتاة عمانية من صور ترتدي وشاحا ثريا بزخارفه
- الى أسفل : البدوية و « البطولة » قناع الوجه الذي يشبه منقار الطيور
- تعشق العمانية الحلي الذهبية والفضية وترتديها بإسراف كبير
- الى اليسار : أنوثة وسحر شرقي «لحاف لغطاء الرأس » وبناجر » تطوق المعصمين

الخنجر العماني وغطاء الرأس من أهم مقومات الزي العماني

« الساعية » وهي تشبه « البشت » العباءة الرجالية ، وتتكون من وبر الجمال ، ولعدم وجود تمييز بين الفصول المناخية طوال العام ، يلاحظ الثبات في الزي وفي نوعية الاقمشة ، وتلبس النساء في المناطق الشرقية وصور رداء خاصا اسمه « شطحة » وهو « شال » يتألف من قطعتين معقودتين بسريم مزركش ، وبعض عباءات النساء تنتهي بحواش مزركشة ملونة تسمى « بالمحضية » وتنسج محليا ، ونساء مسقط يرتدين زيا شبيها بالزي الهندي « البنجابي » وهو الفستان والسروال الطويل .

الزي العماني والتقاليد :

ان من أطرف التقاليد التي تتعلق بالزي العماني هي فترة الحداد التي تقضيها الارملة بعد وفاة زوجها ، وهي تعبر عن مدى حزنها ليس بلبس الملابس السوداء كما هو سائد عند معظم شعوب العالم ، بل تقوم بلبس جميع ملابسها من فستان وسروال وغطاء للرأس ، بصورة عكسية أي بالمقلوب وذلك للدلالة بأن حظها قد انقلب والدنيا قد أدارت وجهها عنها ، وتبقى على هذه الحالة لمدة أربعة أشهر وهي فترة العدة ، وأما بالنسبة للافراح والاعياد فان الاختلاف الوحيد الذي يطرأ على زي العمانية ، هو أنها تلجأ للبس الفساتين من الاقمشة المطرزة الحريرية ، الباهظة الثمن ، وتهتم اهتماما كبيرا بمصوغاتها التي يثقل وزنها مما يعيق حركتها ، وتضع الخواتم في أنفها ، ويمتد سلسال رفيع من خاتم الأنف حتى طوق صغير يحيط بالرأس وتضع الخواتم كذلك في أصابع قدميها ، وتتحلى بالأساور المسماة « بالبناجر » ، والقلائد ، التي تحمل تسميات مختلفة مثل « المجلس »و« الوشاح » . وفي منطقة صور تخرم اذن العروس اثني عشر خرما لتضع اثنتي عشرة حلقة في الأذن ، وأكثر النساء تهافتا على الذهب هن نساء منطقة الظاهرة حيث يصعب عليك تمييز العروس من كثرة كمية الذهب التي تلبسها النساء .

ألوان الزي العماني :

في الماضي كان التطريز من أحب الأمور بالنسبة للمرأة العمانية ، والفتاة التي تذهب لبيت زوجها دون أن تلم الماما شاملا بجميع فنون التطريز تعد زوجة قاصرة أشبه بالمرأة التي لاتعرف طهو الطعام ، ويكون التطريز غالبا بخيوط ذهبية أو فضية ، وقد أطلقت المرأة العمانية على ملابسها تسميات مختلفة لكي تستطيع تمييزها ، فالاقمشة الهندية تسمى « بالبريم » « أبو مشاطة » « أبو الشواهد » « حرقاني » وهناك أنواع مختلفة من الأثواب أهمها ثوب « مركب » ويدخل فيه أكثر من عنصر ، وثوب « سويس » الذي يعتبر من أحسن الاثواب لجودة نسيجه ، وثوب « طش المطر » وهو من نسيج ناعم خفيف كرذاذ المطر ، والمرأة العمانية تحرص على أن تكون الملابس

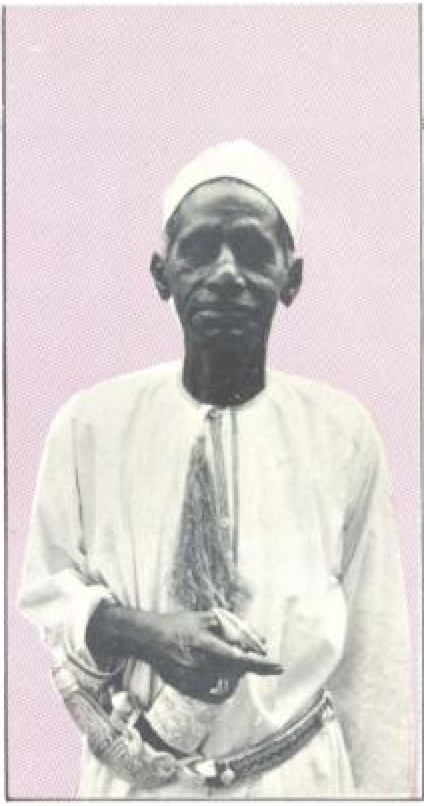

تتدلى من طرف «الجلابية» العمانية عروة قطنية تضمخ بالبخور والعطور.

مناسبة لأبعاد جسمها ، وترفض الزي الذي يخالف ذلك وتعتبره قبحا في الملبس .

أزياء الرجل العماني :

يحاول الرجل العماني أن يضيف طابع الوقار الى زيه ، فهو يلجأ الى الاحتشام والرزانة في اختيار الألوان ، ويرتدي «دشداشة» وهو ثوب غالبا ما يكون أحادي اللون ، ويحبذ اللون الابيض وله ربطة خاصة على العنق ، وسر هذه الربطة أنها تضمخ بالعطور والطيب ويقربها العماني الى أنفه في حالة انزعاجه من أية روائح كريهة ، والعمانيون رجالا ونساء يتخذون العطر باسراف كبير . ويضع العماني حول وسطه حزاما يكون عادة من الخيوط الفضية ، وذلك لحمل الخنجر ، والخنجر العماني سكين معقوفة لها جراب مُطعم ومحلى بالفضة أو الذهب وغيرهما ، والرجل العماني بغير خنجره يعتبر ناقصا في زيه ووقاره ، وفي المناطق الجبلية والتي تكثر فيها الأشواك يحمل العماني وعاء فضيا صغيرا كالأنبوب يحتوي على بعض الملاقط وهذا اجراء عاقل ، لان الاشواك المتساقطة من الاشجار الكثيرة قد ترشق بالجسم ، في تلك البلاد ، لذلك فان الملاقط ضرورية لانتزاعها ، ويحمل بعض الرجال قوارير فضية يحفظون فيها كحلا لتجميل عيونهم .

والكساء الذي يلي الثوب هو الوزرة أو «اللنجي» ، وتلف الوزرة حول الجسم ويكون لونها عادة من الالوان الزاهية الصارخة ، وكثيرا ما تكون هي الكساء الوحيد الذي يلبسه عامة الناس في أثناء عملهم اليومي تحت الشمس الحامية ، ويلبس العماني فوق ثوبه الابيض ، في معظم الاحيان «البشت» وهي عباءة قد تكون سوداء أو بنية أو بلون القهوة ، أو ضاربة الى البياض،وتكون أطرافها محلاة بالخيوط الذهبية ، ويلبسون «الصنادل» الجلدية في أقدامهم ، أما غطاء الرأس عند الرجال فيختلف بالنسبة للمكان ، فسكان المناطق الداخلية يلبسون عادة العمامة البيضاء ، وسكان الساحل يلبسون طاقية تسمى «بالكمة» وتحوكها النساء وهي غنية بالزخارف ، ويلبس بعض العمانيين عمامات كشميرية ذات ألوان فاتحة زاهية ، وفي الدوائر الحكومية يفرض على الموظفين لبس العمامة العمانية ، أما الطاقية فهي لفترة ما بعد الظهر ، والرجل العماني ، أنيق ، يميل للتناسق اللوني في ملبسه ، ونراه في الاسواق والأماكن العامة يحمل غالبا عودا خيزرانيا رفيعا ، يستعاض به عن الخناجر الباهظة الثمن ، التي أصبحت مقصورة على الأثرياء والرجال ذوي المستوى الاجتماعي الرفيع ، وكذلك كبار السن الذين بقي لهم من ذكريات شبابهم خنجر معقوف حاد النصل ، ينام في جراب فضي يحكي الكثير عن أيام خلت ، وذكريات مضت . □

هل انتهى عصر المعلم ؟

اعداد : ريم الكيلاني

« القضية قديمة ومعادة .. أي نوع من أنواع التقنية أكثر ملاءمة لنا ؟ هناك حقيقة لا يختلف عليها أحد هي .. أن الانتصار الهائل الذي حققه العلم في الآونة الأخيرة قد وسع الآفاق والمدارك أمام الانسان ، ليضمن له حياة سهلة خالية من أية متاعب .. ثم ماذا بعد ؟

اصبحت التقنية اليوم هي الأداة الأولى التي يعتمد عليها اعتمادا أساسيا في عملية التعليم ، حتى أنها بدأت تنذر بغياب العنصر البشري في العملية التربوية والتعليمية ، واختفاء المعلم عن منصة التعليم . وهنا نتوقف لنتساءل : هل يلتحق الطفل بالمدرسة ليتلقى العلم ، والعلم فقط ؟ وهل المدرسة مؤسسة تعليمية لاتعنى بشئون التربية التي هي من واجبات البيت أولا وأخيرا ؟ هل دخول الآلة الى كل بيت وكل مدرسة سيجعلنا عبيدا لها تتحكم بنا كيفما تشاء ، وأخيرا هل سننجح في التحكم بها ونحد من تأثيرها علينا ؟

نحن ـ أبناء العالم النامي ـ غير صانعين للآلة ، ولسنا مبدعين لها ، بل هي أداة غريبة دخيلة على مجتمعنا وعلى أفكارنا وعلى عقول أبنائنا ، فما هي آثارها السلبية على المجتمع ؟ هل يؤدي غياب العنصر البشري الى متابعة الطفل لهذه الآلة بشكل مستمر ولفترات طويلة ؟ وماهي نتيجة حرمان الطفل من فرصة الاحتكاك بالافراد من حوله ؟ هذا الاحتكاك الذي يعد أمراً ضرورياً بالنسبة للعملية التربوية ، والا نشأ الطفل منعزلا عن الآخرين ، وهذا هو أحد الأهداف التربوية التي ننشدها في السُلّم التعليمي .

التعرف عن قرب :

لرصد ماتفعله الآلة في العملية التعليمية ودورها بدأنا بزيارة ميدان عملي .. توجهنا الى ادارة التقنيات التربوية التابعة لوزارة التربية بدولة الكويت .. حيث أثبتت الدراسات والبحوث أن الطلبة لم يشاهدوا أية برامج تلفزيونية تعليمية داخل الفصل الدراسي في أية مادة على الاطلاق . وذكر معظم المدرسين أنهم لايستغلون تلك البرامج لانها لاتؤدي إلى النتائج المرجوة ، كما تم التعرف على وجود العديد من المشاكل التي تجابه ادارة الوسائل التعليمية ، سواء من ناحية نقص الامكانات الفنية والبشرية ، وعدم وجود الحوافز الضرورية ، وعطل بعض الاجهزة ، مما يؤدي في كثير من الاحيان الى عدم إمكان تسجيل برامج على مستوى جيد ، بالاضافة لعدم وجود عمليات متابعة وتقويم بالدرجة اللازمة ، وعدم اهتمام أجهزة توجيه المواد المختلفة بتحديد مواعيد دقيقة للبث تتمشى مع خطة الدراسة .

ونتساءل ، ترى ماهي أهم الاتجاهات العالمية الحديثة في استخدام جهاز التلفزيون التعليمي ، أو غيره من التقنيات المستعملة داخل المؤسسة

ـ المختبر اللغوي وسيلة حديثة لتعلم اللغة بالطريقة السليمة .

التعليمية ؟ يجيب خبير ادارة التقنيات :

لاشك أن التعليم اليوم لم يعد كما في الماضي ، فهو يواجه الكثير من المشكلات نتيجة لسرعة تطور المجتمعات ، وزيادة اعداد الملتحقين بالمدارس ، ونقص عدد المدرسين ، وصعوبة تحديد الأهداف ، وانتشار تكنولوجيا التربية ، وظهور العديد من طرق التعليم المختلفة .

والتلفزيون التعليمي تتعدد استعمالاته ، فقد يقدم المادة التعليمية كاملة للمقرر ، أو أنه يستعمل كمساعد أو مكمل يقدم مادة ترتبط بدقة بمحتوى المادة الرئيسية للمقرر ، ولكنها لاتقدم عادة اذا لم يستخدم التلفزيون مميزات استخدام التلفزيون التعليمي ، بحيث يجمع بين الصوت والصورة ، وبين قوة التأثير وقوة الحركة ، ويتوجه الى حاستين من أهم حواس الانسان .

يستطيع التلفزيون التعليمي أن يجمع فيما يقدمه من برامج العديد من الوسائل التعليمية ، مثل الصور ، والشرائح ، والافلام ، والنماذج ، والعينات ، والخرائط ، والتجارب ، ،والعروض ، بشكل متكامل ومترابط لايستطيع أن يقوم به مدرس الفصل . ولذلك كثيرا مايطلق على التلفزيون التعليمي انه الوسيلة الجامعة ، أو وسيلة الوسائل .

من مزايا التلفزيون التعليمي أيضا أنه يعمل على رفع مستوى العملية التربوية ، بما يقدمه للمدرسين من أنماط جيدة للتدريس ، وأساليب استخدام ملائمة للاجهزة والأدوات والوسائل التعليمية ، مما يعمل على الارتفاع بمستواه ، ولكن هذا لايعني أن التلفزيون التعليمي خال من العيوب ، اذ يعتبر وسيلة اتصال ذات اتجاه واحد ، مما يجعل دور المشاهد سلبيا في معظم الاحيان .

وبرغم هذا العيب الا انه يساعد على تكوين علاقات مترابطة مفيدة راسخة ، بين كل مايتعلمه التلميذ ، وذلك عندما تشترك الحواس في تشكيل الخبرة الجديدة ، وربطها بخبراته السابقة .

واكتشاف أوجه الشبه والاختلاف بين الاشياء ، فيعمل بذلك التلميذ على تصنيف هذه الخبرات وتعديلها كلما اكتسب خبرة جديدة .

الوسائل التعليمية تساعد في تنويع أساليب التعليم لمواجهة الفروق الفردية بين التلاميذ ، حتى يسير كل تلميذ في تعلمه لموضوعات المنهج حسب قدراته واستعداداته ، ويختار من الوسائل مايحقق له التعليم الأفضل الذي يناسب استعداداته وميوله .

شاهد من أهلها :

ولكن مارأي الاخصائيين النفسيين والتربويين في الوسائل التربوية ، وهل هي تهدد دور المعلم في فصله ؟ وتقلل من دوره في التعليم والتربية ؟ مدير ادارة التقنيات بوزارة التربية في دولة الكويت سليمان الحميدان يقول : « مما لاشك فيه أن للتلفزيون والفيديو تأثيرا كبيرا على النشء ، وخصوصا اذا علمنا أن النشء يقلد مايشاهده ويتفحص مايراه عبر الشاشة ، كوسيلة لارضاء الحاجات الأساسية لديه ، وهناك ثلاثة انواع من البرامج التلفزيونية :

أولا : البرامج الموجهة للنشء داخل المدرسة ، وهذا النوع من البرامج لاغبار عليه .

ثانيا : البرامج التلفزيونية المبثوثة عبر قنوات التلفزيون العام ، وهذه البرامج موجهة الى الناس عامة ، وليست مقصورة على فئة معينة ، وهنا تكمن الخطورة من أن تؤثر بعض البرامج التلفزيونية والمسلسلات التي تتضمن الكثير من العنف والعلاقات المنحرفة على نفسيات النشء .

ثالثا : الدائرة التلفزيونية المغلقة ، أو مايسمى بالفيديو ، والذي يبث برامجه داخل المنزل نفسه ،

ابعاد التأثير التلفزيوني كما يقول العلماء : لاتجدي اذا لم تتفق ونماذج السلوك والقيم التي تغرسها الأسرة في أبنائها ، فان ما يحدث غالبا هو التمسك بالقيم الأسرية ، ونبذ القيم التلفزيونية ، وخصوصا اذا كان الاستقرار العائلي هو السائد ، وان عدم وجود خبرة حقيقية حياتية لدى النشء ازاء موضوع ماهو المحك في قوة تأثير التلفزيون عليهم .

ويكمل السيد الحميدان حديثه : تسهم الآلة في اكساب الطفل مهارات الاتصال بالبيئة المحيطة به ، والتفاعل معها ، وبقدر مانكون قادرين على اعداد البرامج التعليمية وادخالها بالآلة ، يكون الاكتساب أكثر وأشمل ، وهنا يتجلى دور المشاركة بين المدرس والآلة ، فالآلة ماهي الا وسيلة تقوم لنقل مشكلة يلزم شرحها للنشء ، ويقوم المدرس باعداد الرسالة « الدرس » ليرسلها عبر الوسيلة « الآلة » ، ويقوم المدرس بدور الناقل لتلك الرسالة ، اما الطالب فهو المستقبل لها . وتحدث الاستجابة المطلوبة .

من هنا يتضح أنه لاغنى عن العنصر البشري في عملية التعليم ، ودور الآلة يقتصر فقط على تسهيل دور المعلم ، فالآلة جهاز أصم لايمكنها ان تحس بشعور النشء ، ولا تجيب عن استفساراته الا في حدود المرسوم لها . ويأتي العنصر الانساني « المدرس » ليقوم بحل الصعاب .

تعتبر الوسائل التعليمية أساسا من أسس برامج التعليم والتدريب والتثقيف والاعلام التي تتطلبها التربية المستمرة ، اذ يتيح التلفزيون والراديو والأفلام المتحركة والثابتة وغيرها من الوسائل كالالات التعليمية والحاسبات الالكترونية إمكانات لاحصر لها في مواقف التعليم المستمر ، سواء داخل المدرسة أم خارجها » .

ونلتقي بالدكتور حسين الطوبجي اخصائي التقنيات التربوية بكلية التربية بجامعة الكويت ، ليتحدث حول موضوع غياب العنصر الانساني في

استقرت الآلة في كل مدرسة واصبح الكمبيوتر جهازا أساسيا وضروريا يسهم في رفع مستوى عملية التعليم ، وفي زيادة إقبال الطالب على الدراسة المصحوبة بالتطبيق العملي .

التقنية في مدارس التربية

العملية التربوية ، يقول الدكتور الطوبجي : « ان للعنصر الانساني شأنا مهما في العملية التعليمية والتربوية ، ومن المؤسف حقاأن توزيع وقت الطفل اليومي لايسمح له بوقت كاف لينهل من جميع مصادر الثقافة كالمدرسة والبيت والمجتمع ، ونادرا ماتسجل الهيئة التربوية برنامجا ثقافيا تعليميا يقدم عن طريق الاذاعة والتلفزيون وتوزعه على المدارس .

الآلة وسلوك التلميذ :

ويواصل الدكتور الطوبجي قوله : « قد تقدم هذه التقنيات صورة غير واقعية للطفل أو للشاب عن موضوعات كثيرة تختلف وعاداتنا وتقاليدنا ، وخصوصاً واننا لم نصل بعد الى مستوى من التطور الاجتماعي والادراك الثقافي ، يتمشى مع التطور المادي الآلي للمجتمع » .

أما الدكتور نبيل علي خبير الكمبيوتر ، الذي تولى قضية تعريب جهاز الكمبيوتر يقول : « ان الكثيرين يعتقدون ـ للأسف الشديد ـ بأن عدم وجود هذا الجهاز داخل المنزل لدليل تخلف اجتماعي حقا ، متناسين أنه قضية أكبر من ذلك بكثير .

ان التفاعل بين الكمبيوتر والتعليم معقد للغاية ، ومن هنا فانه لابد من اعادة تدريب المعلم ليتمكن من ممارسة عمله بأسلوب جديد الى جانب ضرورة وضع برامج معينة لمراقبة اداء الفصل وتحليله»ويضيف الدكتور نبيل قائلا : فالكمبيوتر في مجتمعنا العربي قضية اختلفت فيها الآراء ، فالبعض يرى أنه سيعجل من عملية التنمية ، والبعض الآخر يقول انه سيخلق مزيدا من الفرقة الاجتماعية .

الا أن منهجية ادخال الكمبيوتر سواء للبيت أم للمؤسسة التعليمية ستحدد بشكل واسع آثاره الحقيقية سلبا وايجابا مع مراعاة ضرورة تغذيته ببرامج عربية أصيلة ، والا تركنا أطفالنا نهبا للبرامج الغربية ، ومانزرعه فيهم من قيم ، وخصوصا وان الطفل لن يشعر حينئذ بأصالة ثقافته العربية وقيمتها .

فهل نظام التعليم العربي بالكمبيوتر قادر حقا على ذلك ؟ كيف سيدمج الكمبيوتر بشكل ملتصق مع وسائل التعليم الأخرى ؟ سيظل التحدي الحقيقي .. كيف تهيئ المدرسة لتقبل الكمبيوتر كأداة تعليم ، وكيف تهيئ الطالب لتحويله من عملية التلقي السلبي التي تطغى على نظام التعليم الى اسلوب حل المشاكل الذي يبرز فيه الكمبيوتر بصفته وسيلة لحل المشاكل ومحاكاة الواقع .

والكمبيوتر ، وان كان أفضل في طبيعته من التلفزيون باعتباره جهاز تبادل ، يجري من خلاله حوار بين المستخدم والآلة ، وليس مجرد وسيلة لنقل المعلومات . وسيكون الكمبيوتر وسيلة تقديم المادة التثقيفية ، ولكن الجزء السلبي والحقيقي الكامن وراء الكمبيوتر هو أنه يعمق عادة الحوار مع الآلة ، ويضعف قدرات الاتصال بين الانسان والانسان .

اين نقف ؟

نحن الآن بين اتجاهين .. التطور العلمي يزحف علينا .. شئنا أم أبينا ، ولامفر من أن يفتح مناقشة قومية حول القضية .. هل نسمح للآلة أن تقتحم الفصل .. وتقف بين الطالب والاستاذ ؟ وأي نوع من الآلة .. ؟ وماذا سيعني أن تخرج أجيالنا القادمة من المدرسة بثقافة متطورة عن تطور مجتمعاتها .. القضية مهمة وخطيرة فهل نلتفت ؟

هـو .... قتـــلني

كان ذلك من اثني عشر عاما ، ومازلت أذكر هذه الأيام . كأنها حدثت بالأمس فقط ، كنت أستعد لامتحان اتمام الدراسة الثانوية ، الأسرة كلها تعيش معي أيام السهر والتوتر والاستذكار ، عندما اخترق ستار التوتر والقلق زائرا لوالدي . . جاء في وسط هذه الأيام يطلب يدي ، وبعيدا عني دارت مناقشات ومفاوضات وتفصيلات كثيرة ـ لم يشركني أحد فيها . . فقط بعد آخر أيام الامتحان علمت أنه تحدد أن يعقد قراني ، وأزف اليه بعد عشرة أيام ، وأن أهلي قد اشترطوا عليه أن أتم تعليمي الجامعي . ومرت أيام الفرح ، وضمنا بيت ، وكانت صويحباتي كلما سألنني عن « أخبار الزواج » أرد قائلة أنني أحيا فوق السحاب . ولم يدم بي الحال طويلا ، فقبيل انتهاء الصيف انقلبت معاملته ، وصارت المشاجرات لأتفه الأسباب ، وفي بادىء الأمر لم أفهم سببا لهذا التغيير ، ولكن الأمر لم يطل ، فقد اتضحت الأسباب عندما سألته متى سأقدم أوراقي الى الجامعة ، ففوجئت به يحاول أن يتنصل من وعده ، وبدأ معي سلسلة من المناقشات حول جدوى الجامعة والتعليم ، ومضايقات الشباب غير المسئولين لزميلاتهم ، ولم ينقذني من « غسيل المخ » هذا الا والدي ، فقد تولى تقديم أوراقي للجامعة ، وما ان بدأ العام الدراسي وبدأت أذهب الى الجامعة حتى بدأت مرحلة جديدة من المشاجرات عن حياته التي لا تطاق ، وعن عدم استعداده لتناول طعام ليس مطهوا في نفس اليوم ، و . . . و . . . ووصل الأمر به في النهاية الى أن منعني من الذهاب الى الجامعة ، وكل يوم وهو ذاهب الى عمله يغلق الباب بالمفتاح ، كي لا أغادر البيت في عدم وجوده وأذهب الى الجامعة ، وضاعت محاولات الأهل لاقناعه . . وذهبت أدراج الرياح مناقشاتي معه عن أهمية التعليم بالنسبة لي ، ومرت أيام تكاملت لتصبح شهورا وسنين . . وجاءت أول مولودة . . كي تمنحني صبرا ويزداد عبء العمل في البيت فيلتهم كل وقتي . . وتوالى مجيء الأطفال ، وأصبح الثلاثة يأخذون وقتي كله بالاضافة الى أعمال البيت التي لا تنتهي ، وفي الفترة الأخيرة لاحظت أن زوجي يخجل مني ، يتهرب من دعوة أصدقائه وزوجاتهم الى البيت ، واذا جاء الينا أحد ينبه عليّ أكثر من مرة ألا أتحدث فيما لا أعرف ، وكثيرا ما تأتيه دعوات لحفلات عائلية ، فيذهب وحده ويعتذر لمرض ألم بي ، صرت بالنسبة اليه مربية أطفال ومديرة منزل ، ولا يدور بيننا حديث الا ويتهمني بالسطحية . . حتى تربية الأولاد صار يتولى هو مهام مراجعة دروسهم « فأبناؤنا ـ بعد أن أدخلناهم المدارس الأجنبية ـ لم أعد أنا صالحة كي أذاكر لهم » . . هكذا قالها لي صراحة وهو لا يدري أنه يضع في قلبي خنجرا ، ويصيبني بالخجل من نفسي أمام أبنائي والناس كلهم .

هي

هيَ .... انتحرت

قد أكون أخطأت ـ أعترف بعد كل هذه السنين ـ ولكن الذنب لا أتحمله وحدي ، بل تشاركني هي بنفس القدر في الوزر والخطأ . كان ذلك منذ كانت هي طالبة في المدرسة الثانوية ، كان سيرها كل صباح وهي ذاهبة الى المدرسة كفيلا بأن يستوقف شباب الحي كلهم . ووقتها كان الزمان غير الزمان . . وكانت حمية الشباب تعطل العقل عن أن يعمل ، ولا أعرف أي شيطان وقتها تقمصني فلم أسمح لها أن تكمل تعليمها الجامعي ، ولم تعرف الرقة طريقا اليّ وأنا أرى بكاءها . . ولم أسمع لرأي أبيها وأهلها ، نعم كان خطئي يومئذ واضحا لاجدال فيه ولعله مما ساعدني على الاستمرار في الخطأ قلة خبرتها في ادارة عمل البيت ، فقبل أن تتصاعد الخلافات الى نقطة اللاعودة كانت تذهب الى الجامعة وتعود منهكة القوى ، فتأكل وتنام ثم تستيقظ لتدرس ، كانت الساعات التي أمضيها معها قليلة ، وأي رغبة مني للخروج أو زيارة أحد تقابلها رغبة منها في الدرس أو الوقوف في المطبخ لاعداد طعام الغد ، كان جو البيت في المساء يمتليء بروائح الطعام ورائحة المياه الساخنة والصابون . . والملابس المغسولة التي جمعت من فوق الحبال . . كانت حياة لا تطاق ، وأعترف الآن أن هذا كله كان أرحم مما وصلنا اليه الآن ، وأعترف انني بدأت أرصد ما سيقودنا اليه انكبابها على أعمال البيت وتربية الأطفال فقط ، فبدأت أشترى لها الكتب ، وأحاول أن أدفعها للقراءة ، وأشتري لها شرائط تعليم اللغة الانجليزية ، في محاولة لرفع مستوى اجادتها وعدم نسيانها للغة ، وكان حرصي شديدا كل يوم أن أعود بالجرائد والمجلات الاسبوعية ، فقط كي تقرأ وتتابع ، ولكنها كانت تأخذ الجرائد لتنظف بها الزجاج ، وتعطي المجلات للاطفال كي يتمتعوا بصورها الملونة ، ويقطعوا صورها مقابل ساعة تنامها هي ، حتى شرائط تعليم اللغة برغم عدم صلاحيتها لان تسجل فوقها مادة اذاعية ثانية . . تفننت في وضع قطعتي عود ثقاب في أسفل الشريط ، وسجلت عليها موسيقا راقصة لكي ترقص عليها كمحاولة منها لكي تنقص من وزنها ، ولم تعد تستطيع الحديث عن شيء الا عن طرق طهو الطعام المختلفة ، وكيفية اعداد أصناف جديدة منه ، حتى صرت أسمعها بأذني من أصدقائي وزوجاتهم حينا على سبيل الدعابة ، وحينا على طريقة المدح ، وأنا أعرف أنها في باطنها لا تخفي سوى السخرية . . وكانوا يقولون انني متزوج كتاب « دليل الطهي الحديث » وبعدما سمعتها أكثر من مرة . . . أعترف . . صرت أذهب بدونها الى أية دعوة ، وأعتذر عن دعوات كثيرة كي لا أحرج نفسي وأحرجها معي ، قد أكون كما تقول هي دائما انني قتلتها ، ولكنها ساعدتني بأن انتحرت ولم تحاول أن تنقذ نفسها .

هوَ

من الحياة

« كانت جميلة رقيقة كالنسيم ، وكنت أحبها ، فقد كانت أجمل من الحياة » .
« كيتس »

حتى نهاية العمر

بقلم : منير نصيف

ترى ماذا تقول هي ؟ ماذا تقول المرأة التي وجدت في بيت الرجل الذي اختارها والذي رضيت به زوجا فاعطاها الحب الذي تبحث عنه كل فتاة في الزواج ؟

ان المرأة تعرف ماتريد وتبذل كل مافي وسعها لتحقيق هدفها من الحياة ، فاذا بلغته ، تمسكت به وحرصت عليه ، وضحت بكل شيء في الدنيا في سبيل اسعادالرجل الذي أحبها فاعطته قلبها ، إنها على استعداد لأن تذهب الى آخر العالم من أجل المحافظة على بيتها وزوجها وأطفالها . . ولكن هل استطاع الرجل ان يفهم المرأة ؟ لقد قال شاعر الانجليز توماس اليوت يوما :

« لم استطع ان أفهمها أبدا . . ولم يزدني قربها مني الا حيرة في أمرها . . ولكنني استطيع أن أقول بعد هذا انني لم أعرف رجلا استطاع أن يعيش بغير امرأة ، ولكن قلة هم هؤلاء الذين عاشوا لإمرأة واحدة ! »

وبالرغم من هذا ، فان المرأة لاتؤمن بصدق رأي الرجل فيها . . فهي ليست لغزا كما يقول ، والرجل ليس في حاجة الى ذكاء خاص لكي يفهمها . . ان الأمر كله لايتطلب منه أكثر من مجرد وقفة قصيرة ، يتعرف من خلالها على طبيعة هذه الانسانة الرقيقة . . انها لاتريد منه أكثر من ذلك الشعور الذي تتوق الى رؤيته في عينيه وفي كل تصرفاته معها . . الشعور بالحب والاحترام ، انها تريد أن تحس بأنها ليست مجرد انسانة تعيش معه من أجل إسعاده ، فمن حقها أيضا أن يعمل هوعلى اسعادها . . فعندما تبكي المرأة . . فهي تحاول أن تقول لزوجها من خلال دموعها : « أنت لاتعرف شيئا عن طبائع النساء . . ولو أنك عرفت لما فعلت مافعلت ! » انها ببكائها تحاول أن تدفعه دفعا الى القيام بمحاولة جديدة لفهم حقيقة مشاعرها ، فهي تريد بدموعها أن تصور له قوة الجرح الذي أصابها نتيجة لتصرفاته معها . . انها تدعوه لان يأخذها بين ذراعيه وأن يقول لها : « انني احبك . . وأنا في حاجة الى عطفك ورعايتك » .

* * *

وهذه قصة من واقع الحياة . . قصة زوجين سعيدين قد نجد فيها المعنى الذي ذهبنا اليه في بداية هذا الكلام . .

كانت البرقية التي تنتظره على مكتبه في الصباح تحمل نبأ المرض الخطير الذي تعاني منه أم زوجته ، وكانت تحمل أيضا بين كلماتها القصيرة توسلا بالسماح لابنتها بالمجيء ، لأن حالة الأم تقول أنها قد لاتعيش طويلا اذا هي تأخرت عن السفر لرؤيتها !

وطوى البرقية ووضعها في جيبه ، وترك عيادته التي ازدحمت بالمرضى ، واسرع عائدا الى البيت .. لقد كان في استطاعته أن يتصل بها تليفونيا وينقل اليها الخبر ، ولكنه كان يشفق عليها من الصدمة .. لابد أن يكون قريبا منها ليهون عليها .. انها في حاجة الآن أكثر من أى وقت مضى ، على امتداد زواجهما الذى استمر لأكثر من عشرين عاما ، لأن تضع رأسها الصغير فوق صدره .. لابد أن يكون هناك ليمسح لها دموعها بمنديله .

وعاد ، وادار المفتاح في قفل الباب .. واحست به ، وأسرعت اليه مهرولة .. انها أول مرة يترك فيها عيادته ومرضاه ، ويعود الى البيت في مثل هذه الساعة .. ولم يستطع أن يخفي ماكان يحتمل في صدره في تلك اللحظة ، فقد فضحته نظرات عينيه . ولكن كيف يبدأ ، وماذا يقول .؟ ولم يجد في النهاية الا أن يضع يده في جيبه ويخرج منه البرقية ويدفع اليها بها ، ثم يلف بذراعه كتفيها الرقيقتين ، ويلثم شعر رأسها الأسود الناعم بشفتيه في حنان ، ويقول : « إنها مازالت بخير ياحبيبتي .. هي فقط في شوق شديد

لرؤياك .. لاتنسي انك ابنتها الكبرى ».

وارتمت بين ذراعيه، وحملها الى فراشها .. وقالت في صوت خفيض وكأنها تحدث نفسها: « أمي .. أمي مريضة .. دعني أذهب اليها .. أريد أن أراها ».

• • •

وحزمت حقيبتها الصغيرة، وانطلقت بها السيارة الى المطار .. ونزلا .. وراحا يشقان طريقهما وسط زحام المسافرين، كانا يمشيان ببطء وهدوء، وكأنهما ينتزعان أقدامهما من الأرض انتزاعا .. وقد تأبط ذراعها بينما حمل حقيبتها بيده الأخرى .. وكانت لاتكف عن التطلع الى ساعتها، فقد كانت تتعجل الرحيل .. وكان يمد يده الى وجهها ليبعده عن الساعة التي شغلتها، وعلى وجهه ابتسامة بذل جهدا في انتزاعها من داخل نفسه التي يمزقها القلق والألم .. كانت عيناه تحملان كل الحب والحنان، وهو يتطلع اليها ويحاول ان يخفف عنها .. الى أن وصلا أخيرا الى المكان الذي كان لابد أن يفترقا فيه ... ولكنها تشبثت بذراعه .. مازال هناك بعض الوقت الذي يمكن أن يقضيه معها، بجانبها .. وجلسا على مقعدين متجاورين .. وقالت وهي تجفف دموعها التي كانت تنساب من عينيها في صمت: « أوصيك بأبنائنا .. اعرف انهم كبروا ولكنهم في حاجة اليك .. هذه أول مرة افترق فيها عنهم وعنك وعن البيت الذي جمعنا طوال هذه الأعوام، عد اليهم مبكرا، اعطهم بعض وقتك .. أنت الآن الأم والأب معا ».

وأرادت أن تسترسل .. ولكن صوت النداء الذي يذكر المسافرين بموعد قيام الطائرة انطلق عبر مكبرات الصوت، وقاما في تكاسل، ولأول مرة منذ بدأت تستعد لهذه الرحلة المفاجئة التي تسافر فيها وحدها، تمنت الزوجة لو أن فترة الانتظار طالت بعض الشيء .. ان الفراق يعذبها.

ووقفا بضع لحظات ينظران بعضهما الى بعض .. التقت العيون في عناق طويل وكانت غارقة في الدموع، وارتمت الزوجة بين ذراعي زوجها الذي راح يمطرها بالقبلات، وابتعدت عنه، ولكنها مالبثت أن احست بشيء يشدها اليه .. لقد نسيت أنها كانت مازالت تمسك بيده .. وتركتها في تردد ومشت تجر ساقيها جرا .. ووقف هو في مكانه يمسح دموعه، ويلوح لها بيديه، الى أن اختفت السيارة التي تقل الركاب الى الطائرة التي سوف تحملها بعيدا عنه لأول مرة ..

ولكن الزوج لم يترك مكانه، لقد بقي واقفا ينتظر .. وعندما رأى الطائرة تحمل أعز انسانة الى قلبه تتحرك، ثم تجري فوق أرض المطار مسرعة لتحلق بعد ذلك في الجو .. انطلق يبكي كما يبكي الأطفال.

• • •

في تلك الليلة لم ينم .. كان ابناؤه الثلاثة يلتفون حوله في انتظار المكالمة التليفونية التي ستحمل اليهم صوتها من بعيد، وتطمئنهم على وصولها بالسلامة. ودق جرس التليفون أخيرا .. وسمعوا صوتها وهي تتحدث اليهم: « أمي بخير وقد زال عنها الخطر .. أنا أيضا بخير، ولن أغيب عنكم طويلا .. لقد افتقدتكم .. ان صورتكم لم تغب عن مخيلتي لحظة واحدة طوال الرحلة الطويلة ... الى اللقاء يا أحبائي ».

وبعد أيام قليلة .. كان الأب والابناء في المطار لاستقبال الأم العائدة .. وجاءت .. وقالت وهي توزع عليهم حبها وقبلاتها: « لم استطع أن احتمل فراقكم، ماكاد الطبيب يطمئنني على صحة أمي حتى أسرعت أجمع ملابسي عائدة اليكم .. الى بيتي الذي افتقدته، وعشت معه على البعد كل لحظة من لحظات الايام الطويلة التي بدت لي وكأنها دهر! ».

ماذا في هذين الزوجين ليس في غيرهما؟

انها العلاقة التي نشأت بينهما ونمت وتطورت .. فقد تعلم الاثنان معنى الحياة في الزواج .. هو طبيب ناجح، ولكن نجاحه لم ينسه بيته وزوجته واطفاله .. فقد كانت حياته في البيت جزءا أساسيا من عمله الذي حقق فيه كل هذا النجاح .. كانت زوجته بالنسبة له هي صديقته المخلصة وأمه الحنون، وكان يعتبر نفسه دائما ابنها الأكبر.

هي أيضا لم تكن تنظر اليه كزوج وأب لأبنائهامنه فحسب ، فقد كان هو كل شيء في حياتها .. كان الأب والزوج والأخ والابن والصديق الوفي الذي تعتمد عليه .

● ● ●

وفي البيت الصغير الذي قضت فيه أجمل سني عمرها ذهبت الزوجة السعيدة في رحلة مع الأيام التي قضتها بعيدا عن بيتها وعن ابنائها وزوجها .. وأدهشها ذلك الشعور الغريب الذي انتابها عندما وجدت نفسها تعود وحدها الى بيت أبويها .. البيت الذي نشأت فيه وكبرت .. لقد أحست أنها غريبة وسط والديها واخوتها .. وعبثا حاولت أن تتخلص من هذا الاحساس الغريب ، حتى وهي تلقي بنفسها بين ذراعي أمها التي حملتها وربتها ..

هل هو شعور غريب حقا ذلك الذي انتاب الزوجة الأم وهي تجد نفسها عائدة الى بيت أبويها ؟

علماء النفس يقولون غير هذا .. فهم يرون في الزواج عادة،ونحن وحدنا الذين نستطيع أن نجعل منه عادة نريد أن نتخلص منها ، أو نحوله الى أسعد رباط في الحياة . وهي مسؤولية الرجل والمرأة على السواء ..

● ● ●

الاثنان في بداية حياتهما الجديدة يواجهان أصعب تحد يمكن أن يواجهه رجل أو امرأة .. ولكن اذا ادرك الزوجان ان استمرار هذه الحياة لن يتحقق الا بقدر كبير من الحب والاخلاص والتضحيات ، أمكن ازالة أهم وأخطر العقبات التي تهدد سفينة الزواج بالغرق .

والزوج ينسى ولكن الصور الجميلة التي مرت بحياتهما في وقت أو في آخر ، لاتغيب أبدا عن رأس الزوجة ، ولكن حتى القائلين بهذه النظرية كثيرا مايقفون في حيرة ازاء مايحدث غير هذا الذي يقولون به .

فالزوج الذي يحب زوجته ، يحمل لها في قلبه كل الذكريات الحلوة التي عاشها معها .. انها في عينيه دائما نفس الفتاة الصغيرة الجميلة التي مشت وهي تخطر بجواره بفستانها الأبيض ليلة الزفاف .. وهي الأم الشابة التي انجبت له طفله الأول الذي مازالت صرخته وهو يستقبل الدنيا تدوي في أذنه ، فهو الذي جعل منه أبا ، ثم هي بعد ذلك وقبل ذلك الفتاة التي اختارها من بين كل نساء العالم لتشاركه حياته ..

وتبقى الصورة الجميلة لفتاة احلامه وزوجته وأم أبنائه في مخيلته لاتفارقها لحظة واحدة مهما تقدم بها العمر ..

ليست المرأة وحدها اذن هي التي تعيش مع الذكريات الحلوة .. الرجل ايضا لاينسى .. وان نسي فما اسهل مايعود اليها .. كلمة رقيقة ، او ايماءة .. او ابتسامة تعود أن يراها على هذا الوجه الذي أحبه ، قادرة على أن تعيد الى ذاكرته كل لحظات حياته السعيدة مع المرأة التي أحبها ومازال يحبها حتى نهاية العمر !

■ خيال المرأة مندفع للغاية .. انه يقفز من الاعجاب الى الحب وفي لحظة واحدة يقفز من الحب الى الزواج .

« جين اوستن »

■ قد تنسى المرأة الرجل الذى انتشلها من الوحل .. ولكنها لن تنسى الرجل الذى دفعها الى الوحل ..

(كليم)

طبيب الأسرة

أمراض الجلد والحساسيّة لدى الأطفال

قد تلاحظ الأم بعض الالتهاب في جلد طفلها سواء في الوجنتين او قاع الأرجل او ظهر اليدين واحيانا على البطن .

وغالبا ما تسرع الأم إلى إستعمال أنواع مختلفة من الأدوية والمراهم في محاولة لتهدئة هذه الالتهابات والانتفاخات التي قد تتقرح في أحيان كثيرة .

وهنا نتساءل ما سبب هذه الالتهابات الجلدية وعلاجها ، وكيف تخفف الأم حدة الألم عن طفلها المصاب ؟

الدكتور محيي سليم أخصائي الأمراض الجلدية يقول : هناك مرض يسمى باكزيما الأطفال ، وهو عادة يصيب الأطفال في سن ثلاثة أشهر ، كما يظهر في الأطفال الذين ينحدرون من أسر عادة يكون فيها تاريخ لمرض الحساسية ، ويظهر على صورة ربو او حساسية في الأنف والبلعوم ، او في العين او على صورة حساسية جلدية .

ويرث الأطفال من آبائهم صفة تجعل جلدهم جافا،وهو عادة يتهيج بسرعة محدثا حكة ، وهذه تؤدي لالتهاب في الجلد .

مثلا يصاب الطفل باكزيما الأطفال ثم يشفى منها عند سن سنتين ، ثم يصاب بنوع آخر من الالتهابات الجلدية في سن الخامسة او السادسة ، ثم يتحسن ، او قد يختفي المرض الجلدي ليظهر على الطفل بعد ذلك الربو او قد تظهر كل هذه الأعراض في نفس الوقت ، وهذا المرض يزداد عادة تحت تأثير ظروف مختلفة .

فالعوامل البيئية والجوية مثل زيادة البرد والجفاف ، او ارتفاع درجة الحرارة والغبار وازدياد نسبة الرطوبة ، جميعها تؤثر على جلد الطفل الحساس الذي هو بحاجة لجو معتدل باستمرار .

من المعروف ان مثل هؤلاء الأطفال يعانون من اضطراب في نظام المناعة لديهم ، ونظام المناعة في الجسم يعتمد على الأجسام المضادة لمسببات الحساسية او خلايا المناعة ، وكلاهما يكون معيبا بنسبة معينة في مثل هؤلاء الاشخاص ، وقد لوحظ انهم يكونون عرضة أكثر من غيرهم للاصابة بالالتهابات الصديدية او أمراض الفطريات والفيروسات مثل الثآليل ، وبالتالي فان هؤلاء الاطفال لايطعّمون اثناء حدة المرض ضد الجدري ، كما تجب المحافظة عليهم لسهولة التقاطهم للعدوى خصوصا الفيروسات .

ولابد من توفر وسائل الاسعاف في مثل هذه الحالات ، وتدريب الأهل على وسيلة الاسعاف

مع توافر العقار الفعال في حالة تعرض الطفل للمسبب .

ويتساءل معظم الناس عن صلة الطعام بهذا النوع من الحساسية ، ونحن نعتقد أن نسبة منهم يشكون من أنواع معينة من الطعام تزيد عليهم الحساسية كالحليب والبيض والسمك والموز والبقول .

وكما أسلفنا فإن أهم الاشياء التي تزيد من هذه الحساسية هي المواد الغريبة العالقة في الهواء ، مثل الفضلات الحيوانية كالعث المنزلي او طلع النباتات والأزهار اوالغبار اوالفطريات اولعاب الحيوانات وخصوصا القطط والكلاب العالقة في الجو المحيط .

كما وأنها تزداد من الروائح النفاذة ومختلف المساحيق او الأتربة العضوية وغير العضوية العالقة بالجو .

وتزداد أيضا من الرطوبة الشديدة والجفاف الشديد . وقد يصاب البعض بنوع من الحساسية التلامسية من المواد العضوية وغير العضوية . وليس من الصعب أن نقرأ هذه الحساسية في عين المريض بها .

وعادة مايكون الجلد جافا ويتشقق بسهولة وخصوصا ظهر اليدين والقدمين ، ويبدو الجلد باهت اللون غير نضر ، كما تظهر بعض الثنايا تحت العين وتظهر ايضا البقع الجافة على الوجه .

عادة يظهر المرض بعد سن الخامسة او السادسة على شكل التهاب جلدي يصيب الثنايا وخصوصا أمام الكوع وخلف الركبتين وعند الرسغ والكاحل، وقد تتحسن الحالة المرضية عند سن ثلاث سنوات بنسبة ٦٠٪

☆☆

بريد طبيب الأسرة

القـــزم

● أنا شاب قصير القامة ، أو باصطلاح أصدق فأنا قزم ، وقد فكرت في الزواج ، ولكنني متردد لتخوفي من أن يرث أولادي هذه الصفة التي تلاحقني وتعذبني ، وقد رأيت أن أستفتيكم في الأمر فهل لي في اجابة من طبيب .

م . خ . ـ دمشق

لقد تعارف الناس على اصطلاح القزم يطلقونه على كل قصير القامة ، ضئيل الجسم ، دون تمييز أو تمحيص في الأسباب أو الفروق أو الصفات المصاحبة لقصر القامة .

والواقع أن هناك أكثر من سبب وأكثر من صورة للأقزام ، ولهذا فهم يتفاوتون في الحجم والطول والقوى العقلية أو البدنية .

من الخطأ أن نطلق اسم القزم على من قصرت قامتهم لسبب أو لآخر ، كالوراثة أو نقص التغذية ، أو الضعف العام ، أو ربما مرض معوق ، فالطب يحدد أمراضا معينة تقف بطول الانسان أو حجمه عند حد ما أثناء نموه خلال فترة الطفولة .

ولعل لقب القزم أصدق ما يطلق على انسان أصابه خلل في افراز هرمون النمو ، الذي تتولى افرازه غدة في المخ تدعى الغدة النخامية .

ان قصور الغدة النخامية عن افراز الكمية الكافية في هرمون النمو أثناء الطفولة ، يؤدي الى توقف النمو أو بطئه على أقل تقدير ، مما يحول بين الانسان وبلوغه الطول والحجم الطبيعي ، وهذا ما يدعى بلغة الطب

بريد طبيب الأسرة

قزماً Dwarf ويبدو الانسان قصيراً ، صغيراً ، ضئيل الحجم ، بالرغم من بلوغه التام وتقدمه في العمر ، وهو رغم هذا يبدو مكتمل القوى العقلية ، ومتوازناً في نسبة أعضائه بعضها الى بعض ، ان هذه الصورة من الأقزام مألوفة ولكنها ليست غالبة .

ومن صور الأقزام الأخرى ما يسمى بالقماءه Cretinism وسببها قصور في إفراز الغدة الدرقية هرمونها المسمى بالثيروكسين ، أو ما يعرف في العربية باسم الدرقية خلال فترة نمو الطفل ، مما يؤدي الى قزم قميء الشكل ، ملوث العقل ، معتوهاً وغير مؤهل لحياة صحيحة جسداً ، وعقلاً .

ان هاتين الصورتين من اختلال افراز الغدد الصم ، سواء منها النخامية ، أو الدرقية ، لا تلعب فيهما الوراثة دوراً حيوياً وانما قد تكون الوراثة سبباً في صورة ثالثة لعلها أكثر صور الأقزام شيوعاً ، وتسمى بالدحدحة حيث تتوقف عظام الأطراف وهي الساقان والذراعان عن الطول ، بينما تبقى عظام الجسم على حالها ، ولهذا يبدو القزم ضخم الجذع والرأس ، ولكنه قصير الساقين والذراعين ، هذا الى أنه قوي البنية ، سليم التفكير ، ومتين العضلات .

ان هذه الصورة من قصر الطول هي التي قد نشاهدها غالباً في ميدان الألعاب البهلوانية والسيرك ، وتلعب الوراثة - كما قلنا - دوراً أساسياً ، فانظر الى أي الصور تنتمي ، أو لعل الأفضل ان يستشار طبيب مختص في الغدد الصم في أسرع وقت ممكن .

التهاب المفاصل المزمن

● أعاني منذ مدة من آلام في المفاصل وخصوصا مفاصل الركبتين ، وقد راجعت أكثر من طبيب ولم أسمع من احد سوى النصيحة بانقاص الوزن ، مع وصفهم لي بأقراص الاسبرين ولا غير ، فهل لكم أن تدلوني على العلاج الأفضل .

ي . د . ع.المنامة

هو اكثر أمراض المفاصل الروماتيزمية شيوعا ، لدرجة يقال معها أنه يصيب ٨٠ - ٩٠ ٪ من الناس الذين تجاوزوا سن الستين من العمر .

وقد يدعى في لغة الطب بالفصال العظمي ، ومن اسمائه الأخرى ، الظلاع ، او الالتهاب العظمي المفصلي . والتهاب المفاصل المزمن من أمراض التقدم في العمر ، التي تتسم بالتآكل ، حيث تفوق سرعة تآكل الانسجة سرعة بنائها ، لهذا يتآكل وسط الغضروف المغلف لعظام المفاصل ، ويقابل هذا نمو وتكاثر في أطرافه ، مما يؤدي الى ظهور حبيبات على سطح الغضروف ، ومن ثم يؤدي الى خشونته ، مما ينتهي الى صعوبة الحركة والآلام المتزايدة .

ان الشعور بتصلب المفاصل يكون أبرز ما يكون بعد النوم والراحة ، وربما أحس المريض أو سمع أصوات الاحتكاك الناتجة من عظام المفاصل المتصلبة الخشنة .

من المألوف أن نجد صورة التهاب المفاصل المزمن شائعة بين النساء اكثر مما هي شائعة بين الرجال .

وتقول بعض الآراء الطبية أن الوارثة لها دور حيوي في الاصابة به ، ولكن المتفق عليه أن البدانة والكسل في الحركة لهما دور فعال يؤدي الى الاصابة بالتهاب المفاصل المزمن .

إن علاج هذا المرض يعتمد في الاساس على تخفيف الوزن الى الحدود الطبيعية لتخفيف العبء عن المفاصل المصابة مع الحركة والرياضة الخفيفة كالمشي والسباحة ، ولكن دون اجهاد ، وغالبا ما ينصح الأطباء المريض باللجوء الى العلاج الطبيعي والمداومة على الحمامات الساخنة ، والكمادات بالاضافة الى بعض العقاقير التي يصفها الطبيب لتخفيف الألم ، والمساعدة على الحركة ، والتي تتصدرها اقراص الاسبرين كأفضل علاج مصاحب للعلاج الطبيعي .

مساحة وُدّ

انسانيتنا .. والآلة

مازلت أذكرهم جميعا .. وكلما مرت بنا السنون وتعاقبت ، ازداد احساسي بالولاء والعرفان تجاههم . وهذه الأيام افتقدتهم بشدة .. واحسست بأن شيئا رائعا سيختفي من حياتنا . ومازالت الذاكرة تحفل بوقائع أيامي معهم .. فترة الصبا المبكر ، والشيخ حامد معلم اللغة العربية بعمامته وقفطانه ، وفي مرحلة تالية الاستاذ فاروق أمين المكتبة ، وفي مرحلة ثالثة الاستاذ لاشين والاستاذ جعفر و .. وأسماء كثيرة لوجوه شديدة الطيبة ، أعترف - ولا يخجلني اعترافي - أن فضلهم فاق حدود العطاء .. فقد امتد عطاؤهم خارج جدران غرفة الدراسة فعلموني كيف أقرأ .. وكيف أفهم ما أقرأ ؟ وكيف أفكر وأخرج من التفكير المنظم بفكرة قابلة للتحقيق والتنفيذ ، وكان صبرهم طويلا .. وحنانهم عظيما .. وقلوبهم مفعمة بالطيبة والأبوة .. وكان معي من زملاء العمر من يحظى بهذه الرعاية التي كنا نلقاها دون أي جهد منا أو طلب .. فيكفي أحدنا أن يسأل أو يستفسر أو يتفوق أو حتى يتكاسل كي تشمله هذه الرعاية ، وكانت غرفة المعلمين في فترات الراحة تمتلىء بنا كخلية نحل ، وراح زمان .. وجاء زمان . ومع سير الايام بنا كانت ذكراهم في القلب نبض ، وفي العين دمعة ، كلما سمعنا أن واحدا منهم حدث له مكروه . وهذا الاسبوع ذهبت بدعوة لزيارة صديق في احدى الشركات وكانت المفاجأة .. الشركة تعد شرائط تعليمية تستخدم بواسطة جهاز « كمبيوتر » صغير يمكن تشغيله على جهاز التلفزيون ، وفوق شاشة التلفاز تتوالى الدروس .. هذا درس في النحو وقواعد اللغة ، وآخر في التاريخ ، وثالث في الجغرافيا ، وهذه معادلة رياضية و .. و .. وبقدر الدهشة من تقدم العلم وامتداده ليشمل كل نواحي النشاط الانساني .. بقدر ما أحسست أن شيئا يسرق من داخلي أو أن الصورة ينقصها شيء .. فأين عمامة الشيخ حامد وهو يشرح الممنوع من الصرف ، وأين سعاله الدائم ، وأين ضحكته ومداعباته ، أين لحظة صمت الاستاذ جعفر حتى نصمت جميعا ، فيبدأ بتحية رقيقة ثم يشرح قوانين نيوتن .. أين الوجوه الطيبة والرعاية والحب ، وأين الانسان .. ؟ وطوال طريق العودة الى المكتب كان عقلي يفكر كيف سيتعلم جيل قادم بدون معلم .. وكيف ستكون القيم وانماط السلوك من خلال كتاب وشريط تلفزيوني .. وهل كل ما يبتكره العلم يصلح لنا ؟ وماذا يكون العلم بلا انسانية المعلم .. وتذكرتهم جميعا مرة ثانية وأطبقت عليهم حنايا القلب خشية أن يسرقهم زمان التقدم والتطور التقني .. زمان الكمبيوتر والآلة ..

العربى العربى العربى
من ربع قرن

القوميّة العربيّة ووعي الناس

العدد التاسع عشر يونيو - حزيران ١٩٦٠

أنا أعجب لأولئك الذين يشغلون أنفسهم بإثبات وجود القومية العربية إثباتا منطقيا محضا ، وأعجب - أكثر - لأولئك الذين يحاولون هدم القومية العربية هدما (منطقيا) محضا .

ويذكرني هؤلاء وأولئك بالمرحوم (المازني) حين كتب فصلا (منطقيا) لطيفا يثبت فيه أن طه حسين رجل أسطوري لم يوجد على ظهر البسيطة قط !

ويكاد يغيب عن هؤلاء وأولئك أن القومية العربية لا يبنيها منطق ولا يهدمها منطق ، لأنها أولا ، موجودة ، ولأنها ، ثانيا ، حية ، ولأنها ، ثالثا ، بنت التاريخ لا بنت منطقهم .

ومشكلة المنطق في السياسة أنه - بخلاف المنطق في العلوم الطبيعية المجردة كالكيمياء والفيزياء - سلاح مرن مطاط يمكن للغرض الشخصي أن يستعمله كيفما أراد ، ليبدو وكأنه يعبر عن حقيقة موضوعية بعيدة عن الغرض الشخصي ، بينما هو في حقيقة الأمر غطاء شفاف للغرض الشخصي ذاته ، وواضح أن علم السياسة ، لو كان علما حقيقيا كالعلوم الطبيعية المجردة ، لما كانت ثمة حاجة الى هذه المذاهب السياسية الكثيرة التي تتراوح بين رجعية وتقدمية ، رأسمالية واشتراكية ، دكتاتورية وديمقراطية ، قومية وغير قومية ، ثورية وتطورية .

ولكن في علم السياسة - في الواقع - ثغرات هي من طبيعة وجوده ، تنأى بأحكامه عن دقة الأحكام الفيزيائية والكيميائية ، وتجعله في مستوى بين الفن الذي ليس لأحكامه رابط عقلي ، وبين العلم الطبيعي الدقيق .

فالفكر السياسي ، أولا ، يختلف عن علوم الطبيعة في أن مادة بحثه ، المجتمع الانساني ، مادة حية ، وهي لذلك مادة متطورة متغيرة لا تكاد تثبت على حال واحدة ، لأن الحياة لا تعرف الثبات .

والفكر السياسي ، ثانيا ، يختلف عن علوم الطبيعة في أنه فكر (هادف) لا يكتفي بأن يصف ويحلل ويفسر كما فعل ابن خلدون ، وانما هو فكر يرمي الى غاية يريد تحقيقها ، إنه يرمي الى أن يرسم الطريق ، دائما لمجتمع أفضل وأسعد وأرقى . وهو لا يصلح لأن يكون فكرا سياسيا ، البتة ، حين يتخل

عن رسالته هذه . ولكنه حين يجعل الهدف رسالته ، انما يدخل عنصر الارادة الانسانية في بحثه بدل عنصر العقل المجرد ، وهو بذلك يتخلى عن قليل أو كثير من تجرده وعلميته المطلقة ، سيما وان عنصر الارادة الانسانية عنصر لا يحد منه قيد ولا يربطه رابط .

واذا كان الفكر السياسي فكرا هادفا وذا غاية فهو اذن يختلف عن علوم الطبيعة أيضا في أنه يعبر عن حاجة في المجتمع يحاول أن يلبيها . وهو من أجل ذلك فكر مرتبط بواقع وبيئة وبظروف سائدة معينة . .

ولن يكون للفكر السياسي قيمة ، ولن يكون له معنى ، ولن يكون قريبا من الوصول الى الحقيقة الا اذا اندمج في حياة المجتمع . وبمعنى آخر لن يكون للفكر السياسي وجود حي الا اذا عاش التطور وعاش التاريخ بمعناه الواسع الحي .

التاريخ الذي هو التيار الحي السارى في المجتمع ، لا التاريخ الذي هو الماضي فحسب ، ولا التاريخ الذي هو مستندات ووثائق فحسب ، بل التاريخ الذي هو حياة المجتمع المتطور المتغير والذي يبدو في كل ما يمكن للمجتمع أن يعبر به عن نفسه ، في أدبه ، في أساطيره ، في بهجته وفي حزنه ، في عمله وفي نضاله ، في معاركه التي يكسب ، وفي معاركه التي يخسر ، بل في عضويته التي لا تحدد ولا توصف ولكنها تحس احساسا غريزيا فحسب .

الفكر السياسي الصادق الحي لا يكون اذن من نتاج المنطق العقلي وحده ، ولا هو محاكمة عقلية فحسب ، وانما هو الفكر الذي يعيش مع الحياة ، والذي يصنعه التاريخ .

هنا يصبح الفكر السياسي نبراسا ينير الطريق ، ونورا يهدي عفوية التغيرات الطارئة في المجتمع .

لذلك كان أولئك الذين يظنون انهم يخلقون القومية العربية حين يضعون لها الاسس والقواعد ، أو يجعلونها بمنجاة عن نقد ناقد أو تهديم حاسد ، واهمين ، لان القومية العربية ، ككل حقيقة وجودية ، لم يخلقها الفكر المجرد وانما خلقها الاحساس غير الواعي والاندفاعة الغامضة في نفس الشعب العربي . هذا الاحساس وهذه الاندفاعة التي لم تأت ، طبعا ، عرضا وبالصدفة ، وإنما هي نتاج تاريخ طويل عمل في نفوس أفراد الشعب فردا فردا ، وصبغ المجتمع العربي كله بصبغة معينة أخذت ألوانها من المعارك الخارجية والداخلية التي خاضها الشعب في جميع نواحي حياته .

فالذي خلق القومية العربية ليس الفكر القومي العربي ، وإنما هو تاريخ الأمة العربية ، هو كل ما عانته ، وكل ما سعدت به . هو كل ماضيها وحاضرها وآمالها ، هو كل انتصاراتها وهزائمها ، هو مجدها وذلها ، هو نضالها ومعاركها ، هو مصيرها الذي ساقتها إليه الأحداث ، هو لغتها وأشعارها وأساطيرها وأغاني أمهاتها لأطفالها ، هو بكلمة واحدة : حياتها .

ان كل الذي يمكن للفكر السياسي ان يقوم به هو أن ينسجم مع هذا التيار الخلاق ويعيش ليتمكن من تحليل هذه العوامل التي خلقت التيار ، وخلقت ذلك الاحساس الغامض الغريزي ، وأن يرجعها الى أصولها ، وأن يتفهم حقيقة القوى العاملة في نفسية الأمة،وأن يحاول توجيه هذه القوى الوجهة التي تنسجم مع التيار التاريخي الذي يسيطر ، وأن يحول هذا الاحساس الغامض إلى وعي مدرك ، إنه يقوم بالقاء الضوء على تغيرات تجرى في ظلام فيراها واضحة . ولكنه لا يخلق شيئا من عدم .

وليس ثمة أكثر وهما من أولئك الذين يظنون ـ على العكس ـ أن بإمكانهم تهديم القومية العربية بتهديم الأسس المنطقية التي تبرر وتفسر وجود القومية العربية .

إن جميع الافكار السياسية التي لا تتصل بالحياة الأصيلة للمجتمع ، ولا تنبع منها ولا تشعر بشعورها ، ولا تتعرض لما تتعرض له هذه الحياة ، ستبقى زبدا على السطح ، مصيرها أن تذهب جفاء ، لانها غريبة عن حياة الأمة ، خاصة بأصحابها ، لا للشعب ولا لحياته .

ومهما طفا الزبد على وجه الماء النقي حتى ليبدو الماء وكأنه زبد كله ، فلن يكون الزبد إلا زبدا ، شيئا على سطح الماء لا ينفذ إلى الأعماق أبدا . □

الدكتور منيف الرزاز

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - لغة الصفير (سلبو Selbo) لغة قوامها الصفير . . فلا حروف فيها ولا كلمات ولا اشارات ولا أصوات غير صوت الصفير . . وهى لغة التخاطب بين سكان بعض الجزر الواقعة فى المحيط الأطلسى . . فأى جزر تلك :-

* جزر الكنارى
* جزيرة سيشل وما اليها .
* جزيرة كالدونيا وما اليها .

٢ - اسكندنافيا . . مصطلح جغرافى وحضارى . . ترى أى الدول يشملها هذا المصطلح :

* السويد والنرويج .
* السويد والنرويج والدانمرك .
* السويد والنرويج والدانمرك وفنلندة وبعض الجزر القريبة من هذه الدول .

٣ - بلاد الانجليز . . تسمى أحيانا المملكة المتحدة وأحيانا أخرى بريطانيا العظمى . . فما الفرق بين الاسمين أو الوحدتين من حيث المساحة ان كان ثمة فرق . . ؟

* لا فرق يذكر بينهما من حيث المساحة ، فمساحة بريطانيا العظمى مساوية تقريبا لمساحة المملكة المتحدة .
* مساحة بريطانيا العظمى هى أكبر . . فالتسمية تعود الى أيام الامبراطورية البريطانية التى لا تغيب عنها الشمس .
* مساحة المملكة المتحدة هى أكبر فهى تضم كل الاراضى التى تشملها بريطانيا العظمى - وتضم بالاضافة الى ذلك كله شمال ايرلندة . .

٤ - لهاسا عاصمة التبت ، مدينة جبلية بالغة الارتفاع ، وقد اشتهرت بقلة الحرائق التى تشهدها . . علل :-

* نظرا لقلة الأوكسجين الموجود فى جو لهاسا .
* نظرا لمادة فعالة ضد الحريق طورها رهبان لهاسا البوذيون . . وهم الذين اشتهروا بالمشى فى النار دون أن يصابوا بأذى . . وذلك بسبب تلك المادة التى يطلون بها أجسامهم ومبانيهم فتقيهم شر النار . .

٥ - ايها أصح قولك :-

صِفْر اليد أو صَفْر اليد أو صُفْر اليد - بمعنى أن ليس فى يده شىء ؟

٦ - عصارة الميموزا المستخرجة من شجرة الميموزا الافريقية . . تستعمل على نطاق واسع فى احدى الصناعات التالية :-

* صناعة الصابون .

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول اغسطس ١٩٨٥ .

* صناعة الورق .
* دباغة الجلود .

٧ - أي دول العالم هي الاولى في زراعة الشاي الأخضر ؟

٨ - اقلام الحبر الناشف الواسعة الانتشار تعرف باسم بيك وهو اسم الشركة التي تصنع هذه الاقلام . . ترى ماهي جنسية هذه الشركة . . ؟

* يابانية .
* مجرية .
* فرنسية .

٩ - جزر العذارى الامريكية اشترتها الولايات المتحدة عام ١٩١٧ . . فمن أي الدول اشترتها ، وما المبلغ الذي دفعته ثمنا لها . . ؟

١٠ - أي الدول الافريقية المستقلة ترفع علما يشبه علم الولايات المتحدة . . ؟ علّل ذلك بايجاز . .

١١ - الاسكيمو واللابيون والزولو أسماء شعوب أو قبائل . . اثنان منها متجانسان والثالث ناشز . . فأي هذه الأسماء الناشز . . ؟

١٢ - ثمة مضيق في أمريكا يبلغ طوله (٥) اميال وعرضه ميلان ويطلق عليه اسم البوابة الذهبية . . فأي مضيق هذا ؟

العدد ٣١٩

يونيو ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ - . . . .

٢ - . . . .

٣ - . . . .

٤ - . . . .

٥ - . . . .

٦ - . . . .

٧ - . . . .

٨ - . . . .

٩ - . . . .

١٠ - . . . .

١١ - . . . .

١٢ - . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .

مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي

حل

١ - الحنيف هو المستقيم . . المتمسك بالاسلام ، والاحنف هو من اعوجت رجله الى داخل فهي حنفاء وهو أحنف .

٢ - سمي سيمون بوليفار بالمحرر لانه حرر الدول اللاتينية الخمس التالية :

* فنزويلا سنة ١٨١٣ كولمبيا سنة ١٨١٦
* الاكوادور سنة ١٨٢٢ البيرو سنة ١٨٢٣
* وشمال البيرو سنة ١٨٢٥ وهذه الاخيرة هي التي سميت فيا بعد بوليفيا نسبة الى المحرر بوليفار

٣ - الهنود هم الذين يملكون أكبر رصيد شعبي من الذهب .

٤ - لاسبيل الى تحديد الشجرة التي أكل منها آدم وحواء عليهما السلام . . . فالقرآن الكريم لم يحددها وكذلك التوراة والانجيل لم يحددا تلك الشجرة من قريب أو من بعيد . ويعزى الزعم بأنها شجرة تفاح الى أكويلا بونتيكوس ، المترجم اليهودي الذي ترجم التوراة من العبرية الى اليونانية .

٥ - الجدري ، وجدري البقر بالذات ، هو الداء الذي عالجه ادوارد جنر سنة ١٧٩٦ . وداء الجمرة الخبيثة هو المرض الذي عالجه لويس باستور سنة ١٨٨١ .

٦ - لاعلاقة للجلفنة بالمطاط إطلاقا . . فهي معالجة خاصة بالمعادن . . والحديد خاصة . . أما معالجة المطاط فتسمى (فلكنة) وتكون فلكنة المطاط بتسخينه مع الكبريت وذلك بقصد تقسيته . . وقد ابتدعتها شارلز جوديير (١٨٠٠ - ١٨٦٠) .

٧ - الجزيرة المقصودة هي بورنيو ، أكبر جزر الهند الشرقية ، اما الدول الثلاث التي تتقاسمها فهي اندونيسيا وتخصها من الجزيرة منطقة كاليمانتان . . . . وماليزيا وتخصها منطقة سرواك وصباح . . اما الدولة الثالثة فهي بروناي التي استقلت في مطلع السنة الحالية ١٩٨٥ .

٨ - لافرق في التوقيت بين دول الشمال ودول الجنوب مادامت تقع على نفس خطوط الطول . فالفرق في التوقيت انما يترتب على وقوع المدن على

مسابقة العدد ٣١٦ مارس ١٩٨٥

خطوط طول مختلفة . . كالقاهرة وواشنطن مثلا . . ولما كانت فرنسا وجنوب افريقيا متحاذيتين من حيث خطوط الطول . . . كان الفرق في التوقيت بينها لايزيد على ساعة او ساعتين . . وذلك تبعا للمدن او المواقع المقصودة

٩ ـ خط التوقيت الدولي خط اصطلاحي يصل بين القطب الشمالي والجنوبي ويسير بمحاذاة خط الطول ١٨٠ درجة . . وقد جعلوه معوجا بقصد تجنب مروره بالمناطق المأهولة ولولا ذلك لتسبب الخط بكثير من الاحراج لسكان المناطق التي يمر بها . . فلو أنك قطعت هذا الخط من الغرب الى الشرق لوجب عليك تحريك عقارب ساعتك ٢٤ ساعة الى الامام بحيث تكسب يوما كاملا والعكس بالعكس ان انت قطعت الخط من الشرق الى الغرب . . فالخط الدولي إذن لايمر بأية دولة او جزيرة مأهولة على الاطلاق . . وهو غير خط جرنتش كما يتضح في الخرائط .

١٠ ـ الكلمة الناشزة هي جوجيتسو . . فهذه الكلمة هي الاسم الثاني للمصارعة اليابانية (جودو) ، بينما الكلمات الثلاث الاولى (هوكايدو ـ شيكوكو ـ وهونشو) انما هي اسماء بعض الجزر التي تتكون منها اليابان .

١١ ـ الرها مدينة لانهر وتقع في تركيا وتعرف أيضا باسم أورفا وإديسيَّ . . فتحها العرب سنة ٦٣٩ ويمر بها نهر الفرات في أعاليه .

اما نهر جيحون فهو نهر في خراسان ويصب في بحر اورال واسمه القديم هو اكسوس .

١٢ ـ لفظ امجاد هو صيغة الجمع لكلتا الكلمتين مجد ومجيد .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٦ مارس ١٩٨٥

الجائزة الاولى : اسمهان جودت مراش / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .

الجائزة الثانية : مروة حسن عباس المهدي/ الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة .

الجائزة الثالثة : بيسان زهير الرمحي / خيطان ـ دولة الكويت .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد أحمد نصر / مصر الجديدة ـ القاهرة ج . م . ع .

٢ ـ كفاح محمود حسن بريشي / الاردن ـ اربد .

٣ ـ راضية المحمودي / نهج ليبيا ـ تونس ـ الجمهورية التونسية .

٤ ـ محمد خشاب / تغنيف ـ ولاية معسكر ـ الجمهورية الجزائرية .

٥ ـ محمد عبدالرحمن النحلاوي / الرياض ـ المركز العربي للدراسات الامنية ـ المملكة العربية السعودية

٦ ـ عبد المجيد حسن عبدالله / غاز دلمون ـ المنامة ـ دولة البحرين .

٧ ـ صالحة أحمد سالم / كريتر ـ عدن ـ اليمن الجنوبي .

٨ ـ ABDULGHANI ABDUR RAHMAN . MAUNATH BHANJAN . (INDIA) .

معركة بلا سلاح

● ماراثون العصر ●

لا تزال مباراة البطولة حتى كتابة هذه السطور محتدمة بين بطل العالم الحالي اناتولي كاربوف (٣٣ سنة) والمواطن الروسي جاري كاسباروف (٢١ سنة) . وتعتبر هذه المباراة أطول مباراة على البطولة في تاريخ اللعبة ، وقد نجحت في تحطيم العديد من الأرقام القياسية كعدد أدوار مباراة البطولة ، وعدد أدوار التعادل وعدد أدوار التعادل المتابعة ، وأقل عدد من النقلات في الدور الواحد ويضيف البعض أقل مباريات البطولة إثارة وأبعثها على الملل .

والنتيجة حتى كتابة هذه السطور هي ٥ ـ ٣ لصالح بطل العالم الحالي*. والدور التالي هو الدور الذي حقق فيه المتحدى أول فوز له في المباراة .
(افتتاحية الدفاع الهندي للوزير) .

كاسباروف (أبيض)	كاربوف (أسود)
١) د ٤	ح - و ٦
٢) جـ ٤	هـ ٦
٣) ح - و ٣	ب ٦
٤) ح - جـ ٣	ف - ب ٧
٥) أ ٣	د ٥
٦) جـ × د ٥	ح × د ٥
٧) و - جـ ٢	ح - د ٧
٨) ح × د ٥	(مفاجأة هـ ٤ هي المعتادة)
٨)	هـ × د ٥
٩) ف - ز ٥	و ٦

(فيها اضعاف للمربعين « هـ ٦ » و « ز ٦ » مما أوقع كاربوف في متاعب جمة فيما بعد)

١٠) ف - و ٤	جـ ٥
١١) ز ٣	ز ٦
١٢) ح ٤ !	و - هـ ٧
١٣) ف - ز ٢	ف - ز ٧
١٤) ح ٥	و ٥
١٥) و - د ٢	ف - و ٦
١٦) ر - جـ ١	ر - جـ ٨
١٧) ر - جـ ٣	ر - جـ ٦
١٨) ر - هـ ٣	ر - هـ ٦
١٩) ر × هـ ٦	و × هـ ٦
٢٠) ح - ز ٥	و - هـ ٧
٢١) د × جـ ٥	ح × جـ ٥
٢٢) ح × ز ٦	د ٤

(بهدف تبادل الأفيال وتهديد ح ١)

٢٣) ز ٧	ف × ز ٧
٢٤) ف × ب ٧	و × ب ٧
٢٥) و ٣	و - د ٥ ؟

(كان الأحرى به أن يعزّز موقفه بـ د ٦)

٢٦) ر × ح ٧	ر × ح ٧
٢٧) ح × ح ٧	و - ب ٣
٢٨) ف - د ٦ !	ح - هـ ٦ !

* اوقف الاتحاد الدولي للشطرنج المباراة في النصف الثاني من فبراير ٨٥ لاستنزافها لطاقة البطلين على ان تستأنف في نهاية العام الحالي

كان هم الأسود في النقلات التالية إبعاد وزير الأبيض عن ز ٥
والسيطرة على جناح الوزير ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

٢٩) ح - ز ٥	ف - حـ ٦
٣٠) ف - و ٤	ف × ز ٥
٣١) ف × ز ٥	ح × ز ٥
٣٢) و × ز ٥	و × ب ٢
٣٣) و × و ٥	و - جـ ١ +
٣٤) م - و ٢	و - هـ ٣ +
٣٥) م - و ١	و - جـ ١ +
٣٦) م - ز ٢	و × أ ٣
٣٧) و - حـ ٥ +	م - د ٧
٣٨) و - ز ٤ +	م - جـ ٦
٣٩) و × د ٤	ب ٥
٤٠) ز ٤	ب ٤
٤١) ز ٥	

استسلم كاربوف قبل استئناف المباراة بثلاثين دقيقة بعد أن أدرك ان العامل الأساسي في كسب الدور لن يكون السبق في ترقية البيدق بل الحماية التي توفرها البيادق للملك الأبيض على عكس ملكه المكشوف .

حل المسألة (٢٨)

١) ف - و ٦	ز × و ٦
٢) م - و ٨	و ٥
٣) ح - و ٧ كش مات	

مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٠)

مات بثلاث نقلات أو يفوز بالوزير

الفائزون بحل مسابقة مارس ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كامل :

١ ـ عبد الرزاق العريشي ـ فاس/ المغرب
٢ ـ عبدالرؤوف بشير ـ أم درمان/ السودان
٣ ـ حازم السيراون ـ دمشق/ سوريا
٤ ـ كمال جاويش ـ دسوق/ ج. م. ع
٥ ـ حبيب محمد ـ عدن/ اليمن

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ قيس بن مهدي ـ جربة/ تونس
٢ ـ أمير الغرباوي ـ الفحيحيل/ الكويت
٣ ـ حسين النجار ـ الزرقاء/ الأردن
٤ ـ هشام الجندي ـ بنها/ ج. م. ع
٥ ـ جهاد علوب ـ قالة/ الجزائر

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

كلمة

هذا هو عام الشباب .. والشباب يعني العطاء وتدفق الحياة والحركة المستمرة في رحلة الانسان خلال مسيرة حياته .. والشباب لايتوقف عند هذا الانسان ، بل هو يصل الى مراحل نمو الدولة ، فهي أيضا تعيش عصر الشباب ، حين تستطيع الدولة أن تقف على أقدامها وتؤدي دورها بين دول العالم المتطور ، والأزهار هي الأخرى تطوف في حياتها على مرحلة الشباب حين تأخذ روائحها الزكية بالوصول الى من حولها من البشر ، ثم سرعان ما تنجلي هذه المرحلة الى مرحلة « الكهولة » ، واختفاء تلك الرائحة التي كانت تزخر بها تلك الازهار في بساتينها ..

فالشباب اذن مرحلة مرور بين الولادة والكهولة ، وهي من أغلى مراحل الحياة ، وهي فوق هذا كله صورة القلب ورحلته مع الحياة .. والشباب شباب القلب كما هو شباب الانسان ..

المحرر

المصطلحات الاجنبية

● قرأت في العدد ٣١٣ الصادر في ديسمبر ١٩٨٤م مقالا للدكتور « فهمي جدعان » بعنوان « نظرية التراث » ويدور موضوع المقال حول فكرة التراث ، وقد طرحها المؤلف بموضوعية وتحليل علمي ومنطقي ، الا أنه لفت نظري ورود بعض المصطلحات الغربية في المقال مثل « الفينومنيولوجيا » وغيرها دون أن أجد لها تفسيرا على صفحات المجلة ، وقد لاحظت تكرار هذه الظاهرة في عدة مقالات على صفحات « العربي » مما ترك امامي أكثر من علامة استفهام ، فلماذا يصر الكتاب العرب على استخدام مثل هذه المصطلحات بصفتها الأعجمية ، وهل لغتنا العربية قاصرة عن ايجاد كلمات تفي بمعاني المصطلحات الأجنبية .

حمد أحمد حمد - سدير
المملكة العربية السعودية

العربي

نحن مع القارىء العزيز فيما تساءل عنه ، واللغة العربية غنية بالمصطلحات التي تعطي ذات المعنى ، لكن ينبغي أيضا أن ندرك أن بعض المصطلحات الأجنبية قد لاتتوفر لها المصطلحات العربية التي تعطي المعنى الحقيقي للشيء المقصود ، ونحن في العربي نحاول دائما ايجاد المصطلحات العربية لتأخذ طريقها الى جانب الأجنبية التي قد نستغني عنها في بعض الأحيان .

اعـداد : يـوسف الشهاب

رقي الأمم .. وتطورها

● للأمم كما للافراد مواقف ، سواء الى التطور أو التأخر .. ولعل من أسباب تأخر الأمم - وهي عديدة - منها جهل رجالها ، وفساد اخلاق قادتها ، وضعف ايمانهم ، وانحراف شبابها ، والعاملين فيها عن المثل الانسانية والقيم الاخلاقية وتعاليم السماء . واما تطورها فيعود الى اتساع رقعة الاطلاع على المعارف المختلفة والتمسك بكتاب الله وتعاليمه قولا وفعلا ، والتحلي بالأخلاق الحميدة الفاضلة التي وضع قواعدها سيد الخلق عليه الصلاة والسلام .

ويطالعنا التاريخ بالاكبار والاجلال ماكان للامة العربية من مجد ورفعة وحضارة زاهرة ، حيث كانت راية العروبة والاسلام خفاقة من قلب الجزيرة العربية الى أقاصي العالم ، ثم أضحت محط أطماع الغزاة والفاتحين والمستعمرين من التتار والمغول والصليبيين وسواهم ، فتوالت على العرب النوائب بسبب انحراف الأمة العربية عن التعاليم السامية والأخلاق الحميدة ، وقد أدى هذا الى انحطاط الامة العربية وضعفها ، ثم ما لبث أن أخذت تنفض عن عيونها السنة الكرى ، حيث تأجج في قلوب أحرارها أتون الاحساس القومي ، فهبت في أواخر القرن التاسع عشر في طليعة شعوب السلطنة العثمانية ، تطالب بتحقيق الاصلاحات الهامة ، وذلك لتعمق الفكرة الاسلامية .

ان عصر ازدهار العروبة الذي أفل نجمه نريد بزوغه من جديد ، ولا يأتي ذلك إلا عن طريق التمسك بتعاليم الدين والتحلي بالاخلاق الفاضلة ، والتسلح بالعلم والمعرفة ، وكلها من عوامل ازدهار الامم وتطورها ..

الدكتور محي الدين السفرجلاني
دمشق - سوريا .

صار عمر العربي ٢٧ عاما

● اتابع منذ سنوات صدور مجلتنا « العربي » التي تخاطب لسان كل مواطن عربي ، فتزيد من ثقافته وعلمه وآدابه ، وتصحبه مطلع كل شهر في رحلة الى أحد الاقطار العربية والاسلامية ، لتسلط الضوء على جانب من نشاط هذا القطر او ذاك .. لكنني ومع متابعتي « للعربي » لاأعرف حتى الآن بداية صدورها ، لانني لم أكن أتابعها آنذاك ، حبذا لو اعطيتمونا نبذة قصيرة عن ميلاد «العربي» التي تصدر في الكويت البلد العربي الذي يخدم كل العرب عبر هذه المجلة ..

عبيد سالم باخيس - حضر موت
اليمن الديمقراطي .

العربي

رحلة المجلة بدأت في ديسمبر ١٩٥٨م - وكان المرحوم الاستاذ الدكتور أحمد زكي أول رئيس لتحريرها ، وقد احتفلت المجلة عام ١٩٨٣م باليوبيل الفضي من عمرها المديد بعون الله ، وقد أطفأت المجلة سبعا وعشرين شمعة ، ولاتزال تضيء شمعة جديدة في عالم الثقافة والادب مع مطلع كل شهر .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

رقي المجتمعات ... له ثلاثة عوامل

● ان رقي الأمم وتطورها يعتمد على ركائز أساسية ، لعل أهمها وجود فئة من أفراد المجتمع تتمتع بعقول نيرة قادرة على الخلق والابداع . وهذه الفئة لها حق القيادة والريادة ، لانها قادرة على استنباط حقائق جديدة اضافة الى المتاح من عناصر العلم والمعرفة ، ويمكن تصنيف هذه الفئة الى اتجاهين متباينين : احدهما « سقراطي » النزعة نسبة الى سقراط ، والآخر « جاليلي » المنحى نسبة الى جاليليو ، أما أصحاب الأول فيبرز سقراط بينهم وهو الذي كان من ذوي العقول النيرة ، والذي أخذ مكانه في تعليم المجتمع الذي عاش فيه رغم ماواجهه من بطش وطغيان ، لمنعه من أداء رسالته ، وأما جاليليو فقد استطاع عقله أن يستنبط حقائق مذهلة عن الكون ، وأن يصل بتجاربه الى معارف كبيرة ، لكنه تراجع عن الحق وأنكر ما توصل اليه من علم ، بعد أن تصدت له قوى الشر ووضعته في قفص الاتهام .

وأما العامل الثاني في تقدم المجتمعات الانسانية ، فانه يقع على عاتق من بيدهم ناصية الأمور ، وهؤلاء يعتقد بعضهم أن الحكم مسؤولية وليس امتيازا ، ولنا في امير المؤمنين اكبر دليل وبرهان ، في قصته مع الطفل الذي بكى من أجله عمر بن الخطاب ، وحكاية الرجل الذي جاء يخفف من بكاء أمير المؤمنين ، ثم ردّه عليه في قوله رضي الله عنه: « والله لو أن شاة في سواد العراق ضاعت لاعتبرت نفسي مسئولا عنها » وأما العامل الثالث الذي يؤثر في رقي المجتمعات فهو جمهرة القوم وغالبيتهم ، وهم الفئة القادرة على العمل والانتاج ، والتي تستطيع أن تستوعب العلوم والمعارف ، ووضعها موضع التطبيق العملي في خدمة العمل واتقان الانتاج .

محمد بن رشيد ـ عمان ـ الاردن

ردود خاصة

● الى القارىء يوسف عبدالله ـ دولة البحرين .

بخصوص اقتراحك الخاص بزيادة مساحة صفحة المسابقة ، سوف نأخذه بالاعتبار في أعدادنا القادمة بعون الله .

● القارىء أحمد حمزة خضر ـ من كفر الدوار مصر العربية .

ما اقترحته حول اجراء لقاء فكري كل شهر مع كاتب عربي وآخر عالمي ـ هو اقتراح نشاركك فيه ، ونحن نقدم الآن لقاء (وجها لوجه) وهو يشمل الاقتراحين معا ، ويلقي الضوء على هذه الفئة من المثقفين العرب والأجانب . .

● القارئة منى بلة ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

لم تغفل « العربي » عن حياة البربر ، فقد قامت باستطلاع عنهم قبل فترة ، لكننا سوف نقوم بزيارة أخرى لهذه القبائل لمعرفة ما طرأ على حياتهم من تغيير . .

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

جائزة الكويت

تمشياً مع أهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقاً لأغراضها في تدعيم الإنتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين، تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والآداب والفنون والتراث وذلك وفق برامجها السنوية. وتحتفل المؤسسة من خلال هذه الجوائز اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين.

وموضوعات جائزة الكويت لعام ١٩٨٥ في المجالات المختلفة هي كما يأتي:

١- العلوم الأساسية: علم البيئة Environmental Science
٢- العلوم التطبيقية: التآكل Corrosion
٣- العلوم الاقتصادية والاجتماعية: الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لتنمية المجتمع في الوطن العربي
Social and Economic Aspects of community Development in the Arab World.
٤- الفنون والآداب: التراجم الأدبية Literary Biographies
٥- إحياء التراث العربي والإسلامي: علم الحيل (الميكانيكا عند العرب) Mechanics in Arab Heritage.

وتخصص المؤسسة سنوياً جائزتين مقدار كل منهما عشرة آلاف دينار كويتي (١٠,٠٠٠ د.ك) في كل مجال من المجالات المذكورة: جائزة لواحد (أو أكثر) من أبناء الكويت وأخرى لواحد (أو أكثر) من أبناء البلاد العربية الأخرى. كما تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية ميدالية ذهبية وشهادة تقديرية تبين مميزات الإنتاج بصورة مختصرة.

ويتم منح جائزة الكويت وفق الشروط الآتية:

١- يجب أن يكون الإنتاج مبتكراً وذا أهمية بالغة بالنسبة إلى الحقل المتقدم فيه خلال العشر سنوات الماضية.
٢- تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للأفراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلاً لنيلها، ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية.
٣- يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته وإنتاجه ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة.
٤- لا يعاد الإنتاج المقدم الى صاحبه سواء فاز المرشح أو لم يفز.
٥- لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين.
٦- على الفائز أن يقدم محاضرة عن الإنتاج الذي نال الجائزة بسببه.
٧- تقبل الترشيحات ابتداء من ١٩٨٥/٤/١ ولغاية ١٩٨٥/١٠/٣١.
٨- ترفق مع الترشيحات أربع نسخ من الإنتاج المقدم وترسل على العنوان الآتي:

السيد / مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص.ب ٢٥٢٦٣ الصفاة - الكويت

اعلان

تصدر وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت سلسلة جديدة من الكتب الثقافية بعنوان :

(ثقافتك الاسلامية)

هدفها طرح وتبسيط القضايا الاسلامية ومعالجة الأمور الشرعية بما يتناسب وروح العصر وحاجة المسلمين ، وقد صدر الكتاب الاول من هذه السلسلة وهو :

(رجال ومناهج)

وهذه دعوة مفتوحة لاهل العلم والاختصاص ممن لهم دراسة وخبرة ، لارسال بحوثهم ومؤلفاتهم،على ألا يقل البحث الواحد عن مائة وخمسين صفحة ولايزيد عن مائتين من القطع المتوسط .

ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي :

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

ادارة الشئون الاسلامية

ص . ب : ١٣ صفاه ـ الكويت .

ويكتب على زاوية الظرف :

(خاص بسلسلة (ثقافتك الاسلامية)

* *

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب . جامعة الكويت

رئيسة هيئة التحرير : د. نجاة عبد القادر الجاسم

دورية علمية محكمة ، تتضمن مجموعة من الرسائل التى تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب .

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية شرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ .
- أن يمثل البحث اضافة جديدة الى المعرفة فى ميدانه الخاص وألا يكون قد سبق نشره .

توجه المراسلات إلى : رئيسة هيئة تحرير حوليات كلية الآداب ص.ب ١٧٣٧٠ الخالدية ـ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر:
وزارة الإعلام - الكويت

١٨٩

أول يونيو ١٩٨٥

الكذاب

تأليف : بيير كورني
ترجمة وتقديم : ميخائيل بشاي
مراجعة : د. حمادة ابراهيم

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

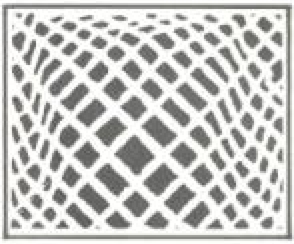

مجلة
خاصة
للمثقفين
في الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

****

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

☐ منبر بارز للأكاديميين العرب

☐ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات :
١٢ ديناراً في الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد :
٣ دينار في الكويت، دينار للطلاب
٢٫٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

الموزع في الكويت والخارج :
مجلة العلوم الاجتماعية

■ توجه جميع المراسلات إلى : رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية . جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة . الكويت
هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ مباشر ، ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يونيو ١٩٨٥ م

الغرب والعالم

الجزء الأول

تأليف : كافين رايلي

ترجمة : د. عبدالوهاب المسيري

د. هدى حجازي

مراجعة : د. فؤاد زكريا

الكتاب التسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

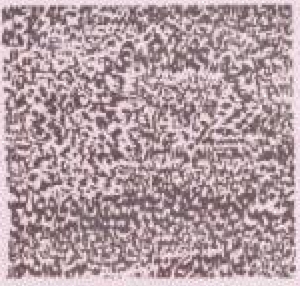

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير

د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير

آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

العنوان : ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت

هاتف : ٨٢٦٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣

تلكس : ٢٢٦١٦ KUNIVER

* *

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ تصل أعدادها الى أيدي نحو ٢٠٠,٠٠٠ قارئ

مجلة علمية محكمة

يحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية بأقلام نخبة من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون ، وتقوم المجلة أيضا باصدار مجموعة من الكتب العلمية المتصلة بالمنطقة ، مع كتاب سنوي يضم ثبتا للوثائق والتقارير المتعلقة بشئون المنطقة خلال تلك السنة .

الاشتراكات

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراك للافراد : سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية : سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت - الشويخ ص.ب ١٧٠٧٣ هاتف ٨١٦٧٩٩-٨١٦٨٠٧-٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

CORE FS
التكنولوجيّة تفتح
عالماً رائعاً من الألوان.
21"CORE FS
219X3M
19"CORE FS
199X4M
15"CORE FS
159X4MR/S
28"
CORE FS
289X4M
V-51D
V-53TR
أنبوب الصورة الثوري
FLAT SQUARE يمنحك صورة TV أكبر
بنسبة ١ إلى ٢ بوصة خالية من الشوائب.
أجهزة تسجيل فيديو يتم تحميل أشرطتها من الأمام
V-51D
• وحدة تحكم سلكي عن بعد ذات ٩ وظائف • نظام ثلاثي (بال سيكام) • التسجيل بلمسة واحدة باستخدام الموقت • موقت للبرامج • تثبيت الصورة ، التقديم صورة واحدة ، تحريك الصورة ببطء • نظام بحث عن الصور
V-53TR
• تحكم لاسلكي عن بعد • نظام ثلاثي (بال / سيكام / ان تي اس سي ٤٫٤٣ ميجاهيرتز) • التسجيل بلمسة واحدة باستخدام الموقت
• موقت للبرامج • الإيقاف المؤقت، تثبيت الصورة، تحريك الصورة ببطء • نظام بحث عن الصور
أجهزة تلفزيون ملونة
28"CORE FS 289X4M
• أنبوب الفلات اس • ١١ نظام إرسال • عرض البيانات على الشاشة • وحدة تحكم عن بعد تقوم بكل الوظائف • MSSS
21"CORE FS 219X3M
• أنبوب الفلات اس • ١١ نظام إرسال • وحدة تحكم عن بعد تقوم بكل الوظائف • MSSS
19"CORE FS 199X4M
• أنبوب الفلات اس • ١١ نظام إرسال • عرض البيانات على الشاشة
• وحدة تحكم عن بعد تقوم بكل الوظائف
15"CORE FS 159X4MR/S
• أنبوب الفلات اس • ١١ نظام إرسال • عرض البيانات على الشاشة
• وحدة تحكم عن بعد تقوم بكل الوظائف
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN

العديد من أكثر ساعات العالم روعة ابتدعت في جنيف

ساعة بشكل هندسي دائري منمق ترجع الى عهد الامبراطورية الفرنسية (١٨١٠-١٨٢٠). يعكس كل من الاجزاء الناقلة للحركة والعلبة المزخرفة البراعة الفنية الفائقة التي تتميز بها حرفيو جنيف.

ساعة بشكل مسدس ترجع الى عهد النهضة الفنية في فرنسا. عند ضغط الزناد تنطلق زهرة من نهاية الماسورة فتعمل كمرشة لعطر فواح. الساعة مبنية داخل عقب المسدس. الاجزاء الناقلة للحركة والمينا من ابداع جنيف. مثل هذه الساعة تحتل ركنا في مجموعة ولزدورف وتحمل اسمه تيمنا بمؤسس رولكس هانز ولزدورف تتجلى الموهبة التقليدية الفذة لصانعي الساعات في جنيف في قوة ابداع الساعة الفريدة، رولكس اويستر.

تقتضي علبة ساعة كرونومتر اويستر ما لا يقل عن ١٦٢ عملية مستقلة ودقيقة وماهرة، حيث يتم نحتها من قطعة معدنية صلدة. لا شك في ان هناك طرقا أخرى أكثر سهولة يتم بها صنع ساعة.

ولكن، ليس لدى رولكس الوقت للتفرغ الى مثل هذه الطرق.

ROLEX
رولكس

ساعة رولكس داي - ديت كرونومتر متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطا مع سوار ملائم.

شوال ١٤٠٥ هـ - يوليو (تموز) ١٩٨٥ م

العربي

مع العدد : العربي الصغير

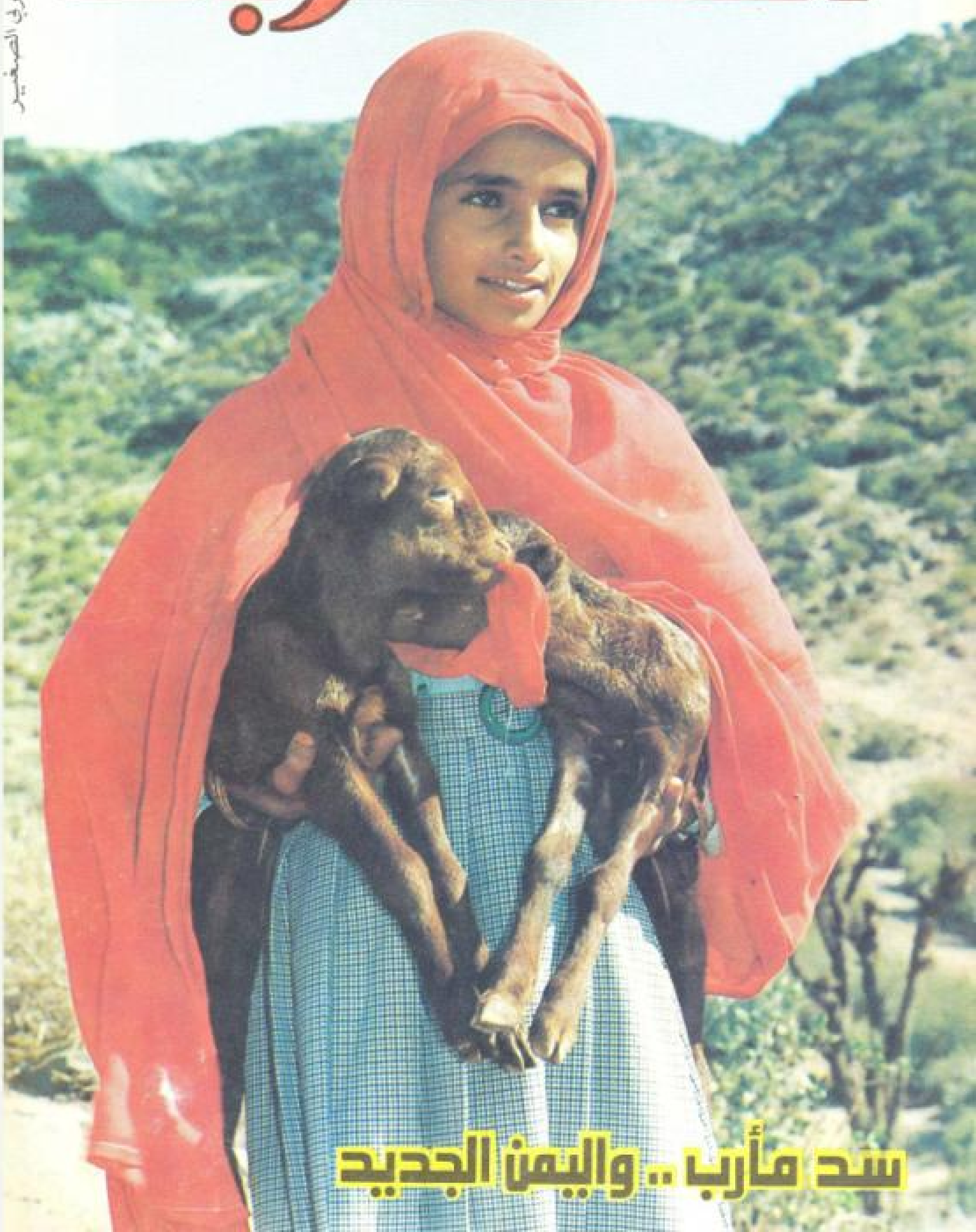

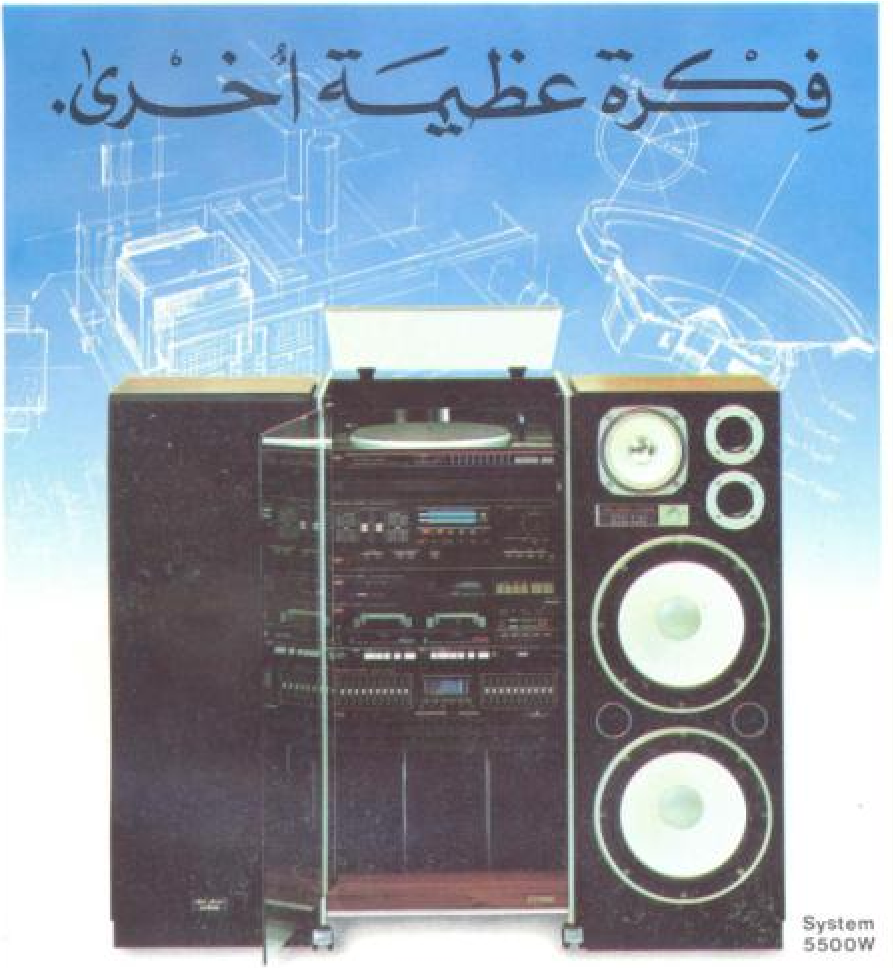

System
5500W

في عام ١٩٢٧، خطرت على بال رجل إسمه أفري فيشر فكرة عظيمة، فقد إخترع أول نظام صوت هاي فاي في العالم. هذه الفكرة وغيرها من الأفكار التي بعثتها بدأت تقليد الأفكار العظيمة التي مازالت تتتابع حتى اليوم في شركة فيشر التي أنشأها.

مثال عظيم على ذلك، نظام فيشر السمعي المركب الكامل المتوازن المبين أعلاه. داخل مضخمات الصوت ذات القوة المدهشة ١٨٠+١٨٠ واط*، إعتمد فيشر محولاً للتيار فائق الأداء يوفر مصدراً متوازناً للطاقة حتى عند الإستماع العالي جداً. كذلك إعتمد نظام مكبر صوت ووفر مزدوج. وهكذا فإن المضخم ومكبرات الصوت يبثان صوتاً غنياً جداً واسع المجال وخالٍ تماماً من التشويش. لقد صُممت مكبرات الصوت هذه خصيصاً للإستعمال في الأنظمة المرئية - السمعية، وهي أيضاً تخلصك من التشويش المغناطيسي الذي تسببه المكبرات أحياناً والذي قد تسمعه في أجهزة التلفزيون القريبة.

إن أفكاراً عظيمة كهذه هي التي تمكن فيشر تبوء ٤٠٪ من حقل أنظمة الأجهزة السمعية المركبة في الولايات المتحدة. فلا تقبل بالأقل وقدم لنفسك فكرة عظيمة. قدم لنفسك فيشر.

• طاقة إخراج R.M.S مع ٠٫٠٠٩٪ T.H.D عند 1KHz.

فيشر
FISHER
The first name in high fidelity

العـــــــــدد ٣٢٠ يولـــيو ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 320 July, 1985 P.o. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفـــاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١-٢٤٢٧
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات بإسم رئيس التحرير

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د. ك - باقي دول العالم ٦ د. ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

كتاب العربي

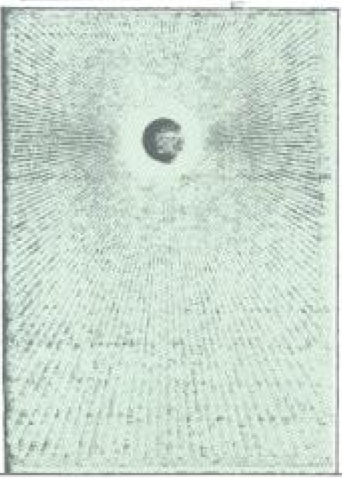

آراء ودراسات فى :

الفكر القومي

ساطع الحصري — د. أحمد زكي

د. محمد أحمد خلف الله — د. عبد العزيز الدوري

د. عبد الله عبد الدائم — د. عبد الرحمن البزاز

د. كلوفيس مقصود

العدد الثامن — ١٥ يوليو ١٩٨٥م

عزيزي القارئ

رب ضارة نافعة . . والضربة التي لا تقتلك تقويك . . .
حقيقتان تؤكدهما أحداث كل يوم . . مع استمرار مسيرة الحياة . .

والذي حدث في الكويت . . ذلك اليوم في أواخر مايو الماضي . . كان استمرارا لتأكيد هاتين الحقيقتين . . .

ودعنا ـ عزيزي القارىء ـ نتناول بالحديث أمرا هو في الحقيقة لا يخص قطرا واحدا من أقطار وطننا العربي . . بل ان كل قطر من أقطار هذا الوطن معرض ـ في ظل اختلال الموازين وتداعي القيم وتضارب العلاقات ـ لمثل هذا الذي حدث في الكويت .

فالجريمة الآثمة التي تعرض لها موكب سمو الأمير صورة من صور الارهاب المنظم . . الذي تخطط له وتنفذه مجموعة من أصحاب العقول الباغية والأيدي الملوثة بالدم . . . تعتقد أنها بالتخريب والمؤامرة والاغتيال تستطيع أن تفرض على الوطن العربي الذلة والاستسلام لمخططاتها وأهدافها . . دون أي اعتبار لمصالح الشعوب وطموحاتها وكراماتها وحريتها في اختيار القرار .

واذا كانت الكويت ـ بكل ما تتمسك به من تصميم على أن تحدد طريقها بنفسها وبملء إرادتها ـ مرصودة ومستهدفة من أعداء الله والحرية والانسان لنسف استقرارها وزعزعة أمنها . . فقد أثبتت الجريمة الآثمة ، ومهما تبلغ دناءتها ، أنها لا تستطيع أن تثني الشرفاء من أصحاب العزم والكلمة والرأي والضمير ، عن مواصلة مسيرة الخير ، والانطلاق على طريق العروبة ، والاستمرار واحة للأمان والحرية والمواقف الوطنية الصامدة ، دون السماح لأحد بالتطاول على حرمات الوطن،وتعكير أمنه،والعبث بمصالحه .

وليس هذا فحسب . . بل لقد كانت الجريمة دافعا لمزيد من التصميم على المواقف الشريفة الثابتة . . وسببا لتماسك كل القوى الوطنية العربية والاسلامية للوقوف في وجه الشر،وضرب رءوس البغي والعدوان . . ووسيلة لتجديد البيعة القومية للرجل الذي يقود المسيرة بكل نقاء الإلتزام ، وصلابة المواقف وإعلاء راية العدل والديمقراطية . . وتأكيدا للالتفاف حول أصحاب القيم الشريفة الذين لا ينحنون أمام الارهاب مهما تبلغ دناءة أساليبه وحقارة مخططاته .

وقد أثبتت الكويت شعبا وأميرا وحكومة ـ وهي بعض هذا الوطن العربي الكبير ـ ان العرب يستطيعون دائما مواجهة التحديات،والارتفاع فوق المحن،والثبات على المواقف . . ومواجهة كل من يستهدف بلادهم واستقلالهم وحياتهم وحريتهم . .

« ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » . .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر : العنف والارهاب تجاه الآمنين هو سلاح الضعفاء .
ـ د. محمد الرميحي ٨

■ هجرة العرب الى أمريكا
ـ د. ميخائيل سليمان ١٧

■ ثلاثون عاماً على مؤتمر باندونج . .
ـ د. فؤاد مرسي ٢٤

■ بين المتنبي والنامي !
ـ د. إحسان عباس ٣٠

■ لقاء في صفة المفرد (قصيدة) .
ـ محمد الفايز ٣٤

■ وترية الكمان الأولى (قصيدة) .
ـ محمد حلمي حامد ٥٥

■ الليزر . . أشعة المستقبل .
ـ رؤوف وصفي ٥٦

■ رحلة ابن بطوطة في عالم المرأة .
ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور . . ٧٠

■ تلوث المياه . . واكتشافات جديدة !
ـ محمد عزو صفر ٨٤

■ الغريب ! (قصة) .
ـ رجب سعد السيد ٨٨

■ التدخين . . هذا المبيد البشري !
ـ د. بدوي بدران ١٢٠

■ شكسبير وشهرزاد !
ـ د. أمين العيوطي ١٢٤

■ رسالة القاهرة :
ألف ليلة وليلة بين
التحقيق الأدبي والتحقيق الجنائي .
ـ فاروق خورشيد ١٣٢

■ مناسب من جميع النواحي (قصة)
ـ ترجمة : د. عيسى المصو ١٣٨

■ تراتيل صوفية (قصيدة) .
ـ د. عيسى درويش ١٩٤

في ريف اليمن الجديد المرأة دائماً هناك .
إقرأ (سد مأرب واليمن الجديد ص ٣٦)

استطلاعات ومقابلات

■ سد مأرب . . واليمن الجديد .
ـ منير نصيف ٣٦

■ « التاترا البولندية » ـ أرض الأسطورة والعنف والسحر الحزين .
ـ صلاح حزين ١٠٠

■ وجهاً لوجه : حوار الشاعرة ملك عبد العزيز .
مع فاروق شوشة ١١٣

■ المرسم الحر ـ ثريا البقصمي ١٦٤

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء ٥

■ أرقام ـ فقراء وأغنياء . .
ـ محمود المراغي ٢٨

■ البيان في أسباب نزول القرآن .
ـ حسين أحمد أمين ٦٨

■ حكايات شرق وغرب ٨٠

● منتدى العربي :

■ هل انتهى زمان الشعر ؟
ـ شوقي بغدادي ٩٣
■ الدواء قبل الغذاء .
ـ د. غسان حتاحت ٩٦
■ التباسات الأصالة والمعاصرة :
الحضارة من حفنة تراب !
ـ محمد الأسعد ٩٧

● جمـــال العربيـــة :

■ صفحة لغة : الدعاية والغواية .
ـ محمد خليفة التونسي ١٢٨
■ صفحة شعر : أبو البنات ١٣٠
■ الجديد في الطب والعلم .
ـ اعداد : يوسف زعبلاوي ... ١٤٣
■ مخترعون ومكتشفون ١٤٦
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٤٧
■ استراحة العربي ١٥٠

● من مكتبــة العربي :

■ كتاب الشهر : مثلث الشؤم
ـ تأليف نعوم تشومسكي
ـ عرض : نبيل ابراهيم ١٥١
■ من المكتبة العربية : وعي الهوية
العربية في الفكر التونسي الحديث .
ـ رشيد خشانه ١٥٨
■ مكتبة العربي : مختارات ١٦٢
■ قاموس العربية : ف « القاية » . ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد ٣١٧ ...... ٢٠٠
■ معركة بلا سلاح «الشطرنج» ... ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤

المراسلات باسم رئيس التحرير . . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي ـ العدد ٣٢٠ ـ يوليو ١٩٨٥

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ أثر اللعب في التربية .
ـ راتب المسعود ١٧٤
■ العقم عند النساء .
ـ د. أنيس فهمي ١٨٠
■ هو . . هي ١٨٤
■ من الحياة : الاحساس بالملل . .
كيف نقابله ؟ ١٨٦
■ طبيب الأسرة : ماذا تفعلين اذا
أصيب ابنك بالحصبة ؟ . . ١٩٠
■ مساحة ود : تجوع الحرة . . ١٩٣

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

العنف والإرهاب

تجاه الآمنين هو سلاح الضعفاء

- .. وتبقى الكويت أرض النور التي يتجنبها أهل الظلم والظلام .
- إرهاب أسود ضد شعب آمن وقائد مؤمن بالله .
- ٢٥ مايو .. يوم السلامة الوطنية .. ويوم الوحدة الوطنية .

الزمان : الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين الموافق الثامن والعشرين من شهر مايو الماضي .

المكان : قاعة استقبال صغيرة ومتواضعة هي قاعة الاستقبال في بيت أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد ، وفي بيته المتواضع الذي لا يختلف كثيرا عن بيوت الكويت القديمة ، لا بذخ يستلفت النظر ولا بهرج .

الحضور : رؤساء تحرير الصحف اليومية والأسبوعية مع رئيس وكالة الانباء الكويتية يتقدمهم وزير الأعلام في الكويت .

الغرض : حوار سريع مع الأمير الذي أصر - وبعد أقل من ثمان وأربعين ساعة فقط على محاولة الاعتداء على موكبه - أن يستقبل المسئولين الإعلاميين والصحافيين «لدردشة» قصيرة .. ولكنها عميقة ومؤثرة .

سمو أمير الكويت بعد أن عافاه الله وحفظه يوجه كلمته إلى الشعب الآمن المسالم : « ان ما حدث ويحدث لن يثنينا ولن يثني الكويت عن السير في طريق الخير للجميع » .

مما ورد في قول أمير الكويت في ذلك اليوم المشهود :

« إن الانسان معرض للمخاطر . ولا يعنيني في هذه اللحظة ومنذ فترة غير قصيرة إلا اقتتال الأخوة العرب والمسلمين في المخيمات في بيروت ، وهذه الدماء الزكية التي تسيل من الجانبين » . وقال : « ما يهمني هو الوضع العربي المتدهور والذي وصل الى درجة تدفع أشد الناس ايمانا بالمستقبل الى اليأس والقنوط . . ولكننا في الكويت مازلنا مؤمنين ان الجهود لابد ان تبذل مهما كانت التضحيات والعقبات لوقف هذا التدهور » .

* * *

لقد كان الرجل ـ وبعد أقل من يومين من ساعة الاعتداء عليه وهو في موكبه متجها الى مكتبه ـ يفكر لا في نفسه ولا فيما عوفي منه ، فهو مؤمن بقضاء الله وقدره ، ولكنه يفكر في أمته ، ويفكر في أبناء وطنه الذين خاطبهم بعد ساعات من وقوع الحادث في ٢٥ مايو ، يوم السلامة الوطنية ويوم الوحدة الوطنية قائلا :

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين . . « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » . . صدق الله العظيم .

لقد سمعتم ما حدث صباح اليوم ، والمؤمن يسلم امره الى الله تعالى فهو الحافظ وبيده كل شيء ، وأود أن أطمئنكم جميعا بأنني الآن بخير والحمد لله ، وما نتعرض له من حوادث لن يثنينا ويثني الكويت عن السير في طريق الخير للجميع ، وان تعمل من أجل الخير لابنائها ولأمتنا العربية والاسلامية .

انني أشكركم جميعا لما أظهرتم من مشاعر صادقة،وأسأل الله سبحانه أن يبعد عنكم كل مكروه ، كما أود أن أشكر اخواني الرؤساء الذين اتصلوا بي معربين عن مشاعرهم الأخوية التي أعتز بها .

حفظ الله الجميع من كل مكروه ورحم الله الذين راحوا ضحية هذا الحادث الأليم وكتب الله الشفاء للمصابين » .

ماذا يريد الأعداء من الكويت؟

□ لقد هبت الكويت بعد ذلك اليوم ولفترة طويلة ، وأحسب أنها ستكون فترة مميزة في تاريخ الكويت ، هب المجتمع الكويتي العربي واقفا وقفة رجل واحد،مؤيدا وداعيا للأمير وسياسته الحكيمة الداخلية والخارجية ، ولقد اتفق الجميع أن الاعتداء الأثم على حياة أمير الكويت لم يكن موجها ضدشخصه فحسب ، بل كان موجها ضد الكويت ، ضد تجربة الكويت الاجتماعية والسياسية في المقام الأول ، وضد توجهاتها السياسية العربية والاسلامية والدولية .

فتوقيت الحادث لم يكن بعيدا إلا بأشهر معدودات عن فترة الانتخابات الديمقراطية التي مارسها أبناء الكويت أمام سمع العالم وبصره . . ولم يكن بعيدا عن فترة بدء أعمال مجلس الأمة المنتخب من الشعب ، التجربة التي كانت نقطة مضيئة في التنظيم السياسي في المنطقة .

○○○

ولقد فهم البعض خطأ أن الحوار الديمقراطي الذي يجري في الكويت من خلال مؤسساتها الدستورية وبشكل علني واضح للجميع ، فهموا هذا الحوار الذي يشوبه بعض الخلاف في الرأي في مجتمع حي متفاعل وديمقراطي ، على أنه يحمل بذور الخلاف ، وهو فهم خاطيء بالتأكيد .

فالحوار هو سبيل الوصول الى الأفضل تحت حكم ارتضاه الجميع وتعاقدوا عليه وحموه من خلال الدستور ، في ظل حاكم يراه الجميع والدا وقائدا وحكما بين السلطات من أجل المصلحة الوطنية العليا ، فالكويتيون على اختلاف مشاربهم واجتهاداتهم لا يرضون لنظامهم بديلا،ولا يرضون لأميرهم وقائد مسيرتهم أن يتعرض من قريب أو بعيد لمكروه أو عدوان .

من هنا بدأ التكاتف والتلاحم الشعبي على جميع المستويات غريبا لدى البعض ، ولكنه ليس غريبا على من يعرف الكويت . . . وليس غريبا على من واكب تجربتها وعرفها عن قرب ، وتكفي الاشارة الى ما جاء في بيان الحكومة الذي أعقب الحادث الأثيم والذي قالت فيه :

ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد وبرفقته وزير الداخلية الشيخ نواف الأحمد ورجال الأمن يتفقدون آثار المحاولة المجنونة .

« إن الحكومة لن تخضع للابتزاز أو الارهاب أو التهديد ، وان مثل هذه الأعمال الجبانة لن تقف حائلا أمام مسيرة الكويت الخيرة .

وتؤكد الحكومة مرة أخرى بأنها مصممة على ردع كل من تسول له نفسه العبث بأمن البلاد واستقرارها ، متمثلة بقول الله سبحانه وتعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

هذا البيان الذي أعلنته الحكومة عقب وقوع الحادث الأثيم يواكب بيان مجلس الأمة الذي عقد جلسته في صبيحة نفس اليوم،وندد في بيانه بالحادث فقال :

« يستنكر مجلس الأمة بشدة باسم الشعب الكويتي حادث الغدر،ويدعو الشعب الكويتي للتكاتف وتفويت الفرصة على أصحاب الأغراض المشبوهة وذلك من خلال التأكيد على الوحدة الوطنية،والوعي المطلوب في هذه المرحلة الحرجة » .

وأضاف البيان : « نود أن نؤكد أن هذا الشعب بقيادة صاحب السمو الأمير الذي آمن بالديمقراطية ورعاها سوف لا يتأثر بمثل هذه الأعمال الجبانة وان المسيرة الكويتية الديمقراطية ستستمر معتمدة على وحدة أبناء الشعب الكويتي » .

اذا كان بعض من أهداف مدبري الاعتداء الآثم على موكب أمير الكويت ، تخذيل الثقة بالنفس وزعزعة الأمن ، فقد خاب ظنهم .. فقد واصلت الكويت دون طواريء ودون اجراءات استثنائية مسيرتها الأولى ، وبلا أي اضطراب ... وعبر الكويتيون عن بكرة أبيهم عن تكاتفهم والتفافهم حول قيادتهم الأمينة ، واضطلعت الصحافة الكويتية وسائر أجهزة الاعلام بالعبء الذي تلتزم به في مجتمع ديموقراطي منظم تحكمه المؤسسات .

كلما كان المجتمع عادلاً كان آمناً

□ لا يستطيع أحد أن يكابر بالقول ان الكويت لا تطبق سياسات داخلية وخارجية متوازنة وعادلة ، فعلى الصعيد الداخلي يحكم الكويت دستور حديث وضع عشية الاستقلال وارتضاه شعب الكويت ، وقد تبنى هذا الدستور مؤسسات ديمقراطية حافظ عليها،ورعتها القيادة السياسية الكويتية ، وتفرع من ذلك سياسات اجتماعية متوازنة،فأصبح التعليم والرعاية الصحية والرعاية السكانية حقا مكتسبا للمواطنين ، في نفس الوقت الذي حافظت فيه الكويت على علاقات خارجية متوازنة سواء مع القوتين الأعظم ـ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ أو مع بقية دول العالم وبخاصة دول العالم الثالث التي قامت بإشراكها في ثروتها منذ ظهور الكويت المستقلة ، من خلال الصناديق المحلية والعربية مثل الصندوق الكويتي والصندوق العربي ، كما أصبح مشهودا لسياستها الخارجية بقيادة وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الذي جعل دأبه محاولة رأب الصدع بين الاخوة على الصعيدين العربي والاسلامي ، ومافتيء يقوم بذلك ، كما أن السياسات المعلنة والمطبقة تقوم على أساس أن منطقة الخليج منطقة عربية يرفض الجميع أن يتدخل في سياستها الاقليمية أحد من الخارج ، كما أن الدفاع عنها من مهمات أبنائها ، وتحولت هذه المقولة الى تطبيق عملي في سياسة الكويت الخارجية مع جيرانها .

وفي هذا الاطار فإن أي ارهاب يوجه الى ذروة النظام الكويتي هو ارهاب مرفوض من قطاعات واسعة من العرب والمسلمين أصحاب البصر والبصيرة ، ولا ينتج عنه خير أبداً ، بل إن نتائجه شر كامل .. وهو ارهاب لم يستهدف في الحقيقة رمز النظام بقدر ما يستهدف اهانة الكويت وشعبها وضرب كل القيم الشريفة التي تأبى الكويت أن تتخلى عنها،وتتشبث بأن تتخذها نبراساً لها وهادياً لمسيرتها ..

فمن الذي يغيظه ذاك الأمن ويزعجه هذا الاستقرار ويريد أن يزج بهذه البقعة الآمنة في أتون الاضطراب الذي قد يعرضنا الى التدخل الخارجي !!؟

مسرح الجريمة في شارع الخليج العربي . . وكتب الله السلامة للقائد العربي المؤمن .

الارهاب الأسود ضد المجتمع وضد الأمنين

□ مثل هذه التجربة مع شعب ديمقراطي مسالم يسعى قادته الى الخير ورأب الصدع . . عندما يوجه إليه الارهاب وعلى أعلى مستوى في قيادته ، فلابد أن تثار أسئلة منطقية : لمصلحة مَنْ يجري ذلك ؟

لاشك أن الارهاب قديم قدم الحضارة الانسانية ، قدم الزمان والمكان . . . وقد ظهر في زماننا على شاشات السينما والتلفزيون وبين أغلفة الكتب والمجلات السيارة شخصيات تستخدم العنف من أجل تحقيق مصالحها ، ويعتمد حكمنا عادة على قيمة أعمالها من موقفنا السياسي والاجتماعي ، وفي جميع الحالات تقريبا يرفض الذين يمارسون الارهاب ـ وخاصة في الوقت الحاضر ـ قبول التسمية والاقرار باللجوء الى هذه الوسيلة رغم تورطهم فيها ، فالارهاب ينسب دائما الى غيرهم ، حتى أصبحت عبارة (الارهاب) عبارة نموذجية ترد في الاعلام السياسي الدعائي ، ولكن مهما حاول الذين يلجأون الى الارهاب تصوير الحقيقة على غير واقعها،واخفاء المعالم الحقيقية لأعمالهم ، تبقى لأصحاب الفكر والمراقبين المحايدين قدرة على التمييز بين الارهاب الأسود الموجه للآمنين والذي لايخدم غرضا وطنياً ، وبين ذاك النوع من النضال الوطني المبرر الموجه لطرد الأجنبي ، لأنه في ميدان السياسة لاترتبط حقيقة الأفعال والظواهر بما يعتقده هذا الفريق أو ذاك ، أو بتكييف الأعمال من قبل الفاعلين ، وانما ترتبط حقيقة الأفعال

بالآثار الملموسة التي تتركها تلك الأعمال،وبدورها الفعلي في الهيكل السياسي للمجتمع ، وأخيراً بالنتائج الموضوعية التي تجسمها تلك الأعمال في حياة ذاك المجتمع .

ومنذ الحرب العالمية الثانية تعرف جماهير القراء تسميات مثل « الجستابو » ، و « الاس إس » ، وهي من الأدوات البوليسية الخاصة بالنازية التي كانت تستخدم الارهاب وسيلة لأهدافها . . . وكذلك تعرف الـ « سي أي إيه » ، و « الكي جي بي » في وقتنا الحاضر ، بجانب مسميات أخرى معروفة أو خفية ، هذه المؤسسات تعمل كذراع آخر في الحروب أو هي امتداد للمجهودات الحربية ، كما عرفنا في تاريخنا العربي الاسلامي حركات كالحشاشين الذين زرعوا الاغتيال والعنف حتى أنهم حاولوا مرتين اغتيال القائد الاسلامي الشهير صلاح الدين الأيوبي . كما يقول لنا التاريخ إن حركات مثل (الخناقون) في الشرق الأقصى وحركة « كلوكلوكس كلان » في القرن التاسع عشر والعشرين في الولايات المتحدة ، كلها حركات إرهاب أسود اتسمت بالعنف للتخلص من أولئك الذين حلت عليهم الأحقاد .

ولعل المنظمات الارهابية الصهيونية التي انتشرت في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى مثل منظمة (شترن) ومنظمة (أرغون زفاي ليومي) التي أسسها جابوتنسكي في سنة ١٩٣٧ (وهو استاذ مناحيم بيجن في الارهاب) هذه المنظمة كانت تضم شباباً يتدربون ويُنشأون على مبادىء عسكرية صارمة وقاسية . . وكانت تزرع القنابل في الأحياء العربية في فلسطين وتضع المتفجرات في سيارات النقل وفي الأسواق التجارية والساحات العامة حتى أشاعت جوا من الارهاب بين المواطنين الفلسطينيين وأجبرت بعضهم على الرحيل عن بيوتهم وأراضيهم ، ذاك هو النوع الثاني من الارهاب الذي يحرم الناس حرياتهم وأوطانهم .

الارهاب مرض دولي

□ اذا كنا قد فرقنا بين الارهاب الأسود الذي يوجه الى الآمنين من خارج الحدود دون ذنب جنوه ، وبين النضال المسلح ذي الدوافع الوطنية المبررة . . فإن العالم في العشرين سنة الأخيرة يشهد موجة من الارهاب الدولي الذي زاده التقدم التقني تعقيدا ، فالخطر من مواجهة نووية بين العملاقين الغربي والشرقي قد أبعدت كليهما عن حرب تقليدية قد تستلزم أو تنتهي بمواجهة نووية . . فبرز عنصر جديد محل الصراعات وتأجيجها وهو الارهاب .

والبعض اليوم ينظر الى الارهاب وكأنه امتداد للحرب أو بديل مؤقت عنها ، وستزداد هذه الصراعات وتحتدم في السنوات القادمة بزيادة بؤر الصراع ، ولعلنا في منطقتنا العربية اليوم مبتلون ببؤر صراع مستمرة منذ

السيارة التي كان يستقلها سمو أمير الكويت .. العناية الإلهية وحدها حفظته للكويت وشعبها .

سنوات طويلة .. ليس مع عدونا الصهيوني فقط فذاك مفهوم ومقبول .. ولكنها مع الأسف امتدت بين أبناء القومية والجنس والدين الواحد ، ونتيجة لهذا الاضطراب فإن الدول الكبرى تسللت الى ثغراته تستفيد منه من خلال عمليات خاصة تهدف لتحقيق اغراضها في السياسة الخارجية ، وتنفذها على نحو لا يظهر دور الحكومات في غرضها ومباشرتها ، كما أنها لاتعترف بها ، ومن هنا جاءت تسمية « عرابو الارهاب » وهي الدول التي تيسر للمجموعات الارهابية العمل والحركة والدعم ، وقد لا يكون الدعم شرطا لظهور هذه المجموعات ولكنه بالتأكيد شرط لاستمرارها ، كما أن التقدم التقني قد زاد من احتمالات الارهاب ووصوله الى أماكن لم يكن يصل اليها من قبل ، ولا يستطيع أي نظام سياسي في العالم اليوم الا ان يتكيف مع احتمالات العنف في جو السخط والاحباط المتزايد في مناطق كثيرة من العالم ، فهو مرض من الصعب وقفه ، وقد يصيب الأجسام السليمة كما يصيب الاجسام المعطوبة ، والفرق واضح في أن الاجسام السليمة تستطيع أن تقاوم .. أما المعطوبة فتصاب بالتدهور السريع .

الجسم الكويتي سليم

□ وبهذا التحليل الأخير فإن ما حدث في الكويت في ٢٥ مايو هو ارهاب اسود موجه ضد تجربة شعب آمن وقائد يتقي الله في مسئوليته وشعبه .

هذا الشعب وذاك القائد أثارا أحقاد الذين لا يقدرون معنى الثبات على المبدأ ، ولا يدركون قيمة الانتماء والولاء للوطن الكبير ... وحين يكون الشعب مؤمنا بسلامة مسيرته وحقه في الاختيار ، مدركا لعدالة القضية التي يدافع عنها ويعمل من أجل نصرتها ... وحين يكون قائد المسيرة عملاقا مدركا لمسئولياته،ثابتا على مبادئه،باذلا كل الجهد من أجل تحقيق العدالة للانسان العربي أيا كان موقعه،ومهما بلغت التحديات في مواجهته .. حينئذ يبلغ الحقد الأسود منتهاه .. وتمتلىء القلوب المسمومة بالغل الأعمى الذي يدفعها الى تقويض كل شيء ... حتى الحياة ..

من هنا كانت المحاولة الآثمة للعدوان على هذا الشعب . . . من خلال الاعتداء على قيادته الواعية التي تقود مسيرته . . ولم يكن أصحاب الحقد الأسود ليتحملوا مسيرة شعب حر يقوده الرجل الذي عرفه الجميع مؤمنا بانتمائه العربي . . مدركا لمسئوليته تجاه قضايا العروبة والاسلام ، عاملا قدر الطاقة لرأب الصدع وإصلاح ذات البين بين المختلفين من قيادات الوطن العربي . . باذلا كل الجهد لتحقيق الصفاء والسلام بين أبناء العروبة والاسلام . . لا يخشى في الحق لومة لائم . . ولايهاب تهديداً أيا كان نوع هذا التهديد . . مادام موقنا بسيره على طريق الحرية والكرامة والشرف . . والحق كل الحق . .

ولم يكن أصحاب الحقد الأسود ليتصوروا ان هذا البلد الصغير في مساحته . . . القوي بارادة شعبه . . وقائده . . يمكن ان يكون قدوة ومثالا للديمقراطية والعدالة والأمن . . يتوافر له حكم القانون وحكم الشعب بالشعب من خلال حرية الرأي والتعبير بالقول واحترام انسانية الانسان . . وحين خابت حساباتهم وضلت خططهم تصوروا أنهم يستطيعون أن يبلغوا بالارهاب والاغتيال الى أن يحرفوا المسيرة لتتلاقى مع مخططاتهم وأحقادهم وأفكارهم السوداء وتستسلم إلى أياديهم الملطخة بالدماء . . .

وهكذا ضربوا ضربتهم الجبانة التي أرادوها ان تكون قاصمة . . لهذا الشعب الأبي وقائده الأمين . .

صلابة الجبهة الداخلية

□ لقد اتضح بما لا يقبل الشك صلابة الجبهة الداخلية الكويتية . . . وظهر ذلك في كلمة سمو الأمير في اليوم الذي عاد فيه الى مكتبه فقد قال : -

« من أجل الحفاظ على كل ما ترمز اليه الكويت ستتابع المسيرة ، لا يوقفنا ما حدث وما قد يحدث . . وبعون الله ستبقى الكويت مرفوعة اللواء،وسيبقى شعبها حاملا مسئولياته مهما يلق من صعاب » .

وقال : « اننا بذلنا الكثير لتصبح الكويت دار أمان واستقرار،ومنبراً للحرية والديمقراطية،ونبعاً للخير . وعلينا أن نبذل الكثير لحماية هذه المنجزات واستمرار إشعاعها . . ولاحماية دون نظام . . ولا نظام دون التزام دقيق بالتنفيذ . . . ولانجاح للالتزام إلا بجعله فوق المساومة والمجاملة على حساب الكويت . . فلنقبله مؤمنين بأنه حماية لكل شريف القصد واضح السبيل ، إن الشرفاء لا يخشون النور . فلنسلط النور على كل أجزاء الكويت،ولتكن الكويت أرض النور التي يتجنبها أهل الظلم والظلام » .

وهكذا تعود الكويت من جديد مرددة مبادئها الدائمة،ومواقفها العربية والاسلامية الأصيلة . . يدعمها شعب محب وقيادة ذات بصيرة ثاقبة،ونظام سياسي ارتضاه الجميع كطريقة حياة ، ووسيلة للتخطيط للمستقبل .

محمد الرميحي

هجرة العرب الى أمريكا

بين الإضطرار والإختيار

بقلم : الدكتور ميخائيل سليمان*

منذ أكثر من قرن من الزمان ، تدفق بعض العرب الى العالم الجديد ، أمريكا ، نتيجة لأسباب خاصة بذلك الزمان ، الا أن دفقات الهجرة تتابعت أيضا ، حتى بعد نيل الاقطار العربية لاستقلالها .

فما هي أسباب هجرة العرب الى أمريكا ، وماهي ظروف حياتهم الآن ، وماهو دورهم في المجتمع الأمريكي ، وماهي درجة تفاعلهم مع القضايا العربية ؟

هذا مايجيب عنه كاتب هذه الدراسة الذي يعيش ويعمل في احدى جامعات ولاية كنساس الأمريكية .

ان أحوال العرب في أمريكا اليوم تشبه كثيرا الاحوال والمشاكل التي واجهها قبل عشرين عاما تقريبا الامريكيون السود ، أو الذين انحدروا من اصل اسباني ، أو غيرهم من الاقليات العرقية والاثنية المختلفة الموجودة في أمريكا . وعلى سبيل المثال ، نرى أن العرب ـ الامريكيين الذين وصلوا ضمن الهجرات الأولى ، كثيرا مايجهلون تاريخ وحضارة العرب المجيدة ، لذلك فانهم لايستطيعون أن يقدموا لزملائهم وأبناء « وطنهم الجديد » المعلومات الجيدة عن العرب وحضارتهم وماضيهم العريق . ومع

* استاذ باكاديمية العلوم السياسية ـ جامعة ولاية كنساس ـ منهاتن ـ بالولايات المتحدة الامريكية له دراسة عن العرب والمسلمين في امريكا .

عند شاطيء البحر في صيدا ، لبنان ، قبل المغادرة الى أمريكا ـ أوائل القرن العشرين ميلادي

الأسف ، نجد أن الامريكيين يحملون فكرة سيئة وصورة غير صحيحة عن العرب والمسلمين اجمالا . وهذه الافكار والصور السلبية تسبب الكثير من المشاكل لابناء الجالية العربية هناك .

من هم العرب الامريكيون :

ونسأل من هم هؤلاء العرب الذين تركوا بلدهم وأهلهم ، وقاسوا الصعاب والاهوال ليستوطنوا بلادا غريبة وبعيدة عن وطنهم الأم ؟ وكم كانت أعدادهم ؟ لا أحد يعرف تماما تعداد الجالية العربية في أمريكا . والتقديرات تختلف كثيرا ، فتتراوح بين مئات الآلاف وأربعة ملايين نسمة . ولكن أحسن التقديرات تضع عدد العرب في أمريكا في حدود مليونين أو ثلاثة ملايين . ويجب الملاحظة انه مع أن هؤلاء وأجدادهم جاءوا من بلاد عربية ، الا ان الامريكيين اعطوهم اسماء مثل سوريين ولبنانيين وفلسطينيين ، اي بالاشارة الى الأقطار التي جاءوا منها في الوطن العربي ، أو مارونيين وكلدانيين وأقباط ومسلمين ودروز ، الخ .وذلك اشارة الى دياناتهم أو طائفتهم . وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى كان الامريكيون يستعملون كلمة اتراك أو « تيركو » للاشارة الى العثمانين والعرب لان الاكثرية العظمى من المهاجرين العرب يومذاك ، جاءوا من المناطق التي كانت تحت الاحتلال والحكم العثماني / التركي . وهكذا نرى أن سجلات الهجرة في امريكا حتى عام ١٨٩٩ ، ومن بعدها سجلات تعداد السكان حتى عام ١٩٢٠ كانت تشير فقط الى مهاجرين من تركيا في آسيا أو الى (اسيويين آخرين) دون أي اشارة الى عرب او حتى الى (سوريين) .

وقد وجد أبناء الجالية العربية ان مثل هذه التسمية ، اي أتراك ، هي تسمية غريبة وغير مستحبة ، وخصوصا وأن معظهم كانوا قد تركوا تركيا وهاجروا الى أمريكا لكي يتخلصوا من الاستبداد والفساد والطغيان الذي كان منتشرا حينذاك . وعلينا أن نتذكر أنه ، بالنسبة للامريكيين ، كانت كلمة (تركي) تعني الشخص المسلم . وبما ان الاميركيين لم يحبوا الاتراك كثيرا ، وجد ابناء الجالية العربية الجديدة انفسهم في موقف غريب فبدأوا يطلقون على أنفسهم اسم سوريين وذلك اشارة الى منطقة سوريا الطبيعية بما فيها المناطق التي جزئت فيما بعد وأصبحت لبنان وسوريا والاردن وفلسطين . وهكذا نرى العديد من النوادي والجمعيات الخيرية والاجتماعية نشأت تحت اسم سوري وبدأ الامريكيون واعضاء الجالية العربية أنفسهم يستعملون اسم سوري بدلا من كلمة عربي عند الحديث عن أكلهم الشرقي او عاداتهم أو حتى لغتهم .

البداية والأسباب :

هناك عدة نظريات عن اكتشاف امريكا منذ مئات السنين ، قبل أن يصل اليها كريستوفر كولمبوس ، وقد ظهرت مؤخرا دراسات تقول انه يوجد اشارات عديدة تعطي بعض البراهين بأن العرب كانوا قد

اكتشفوا امريكا قبل كولمبوس بحوالي أربعمائة سنة .

أما بالنسبة للفترة التاريخية الحديثة ، أي رحلة كريستوفر كولمبوس وابتداء الاستعمار الأوروبي للامريكتين، فلم تهاجر اعداد كبيرة من البلاد العربية الى الولايات المتحدة حتى منتصف القرن الماضي .

ثم جاءت الهجرة العربية الى أمريكا على دفعات أو موجات متتابعة ، كانت أولاها في السبعينيات من القرن الماضي . ولكن تحول تيار الهجرة الى سيل صغير وبطيء مابين الحربين العالميتين ، وذلك لاسباب عديدة أهمها أن أمريكا نفسها خسرت بعض جاذبيتها ، بسبب الحروب والحياة الاقتصادية الصعبة وتحيز الامريكيين ضد الشعوب غير البيضاء . ولكن بدأت موجة جديدة وشبه عارمة من الهجرة العربية الى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية .

هناك عدة اسباب لهجرة العرب من بلادهم ، ولاختيارهم الولايات المتحدة الامريكية نفسها وطنا جديدا.ومن الاسباب التي دفعت البعض للخروج من بلاد الشام قبل حوالي قرن من الزمان ، نستطيع أن نذكر الفقر المدقع الذي كان منتشرا في جميع أنحاء البلاد تقريبا ، حيث كانت الاحوال الاقتصادية قاسية ومتقلبة ، اما الحياة السياسية فكانت ترتكز على حكم استبدادي بغيض.اما في المدة الاخيرة ، اي بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد ازداد عدم الاستقرار السياسي في المنطقة ، خاصة بعد احتلال فلسطين وانشاء اسرائيل دولة يهودية ، وماسبب ذلك من حروب ومآس .

وربما كانت الاسباب التي جذبت العرب ورغبتهم في الهجرة الى امريكا اكثر أهمية أحيانا من الأسباب التي دفعتهم للخروج من الوطن العربي . فبالنسبة للمهاجرين الاوائل وحتى الحرب العالمية الثانية ، كانت التجارة والمغامرة وحب الاستطلاع من اهم الأسباب التي أغرت بالسفر وتحمل اعباء الرحلة وآلام الفراق ، وكانت مهمة معظم هؤلاء في بادىء الامر لاتتعدى كسب أكبر كمية من المال في أسرع وقت ليعودوا بعدها اغنياء ، بالمقارنة مع مواطنيهم في بلاد الشام ، فيصبحون من وجهاء القوم .

من بين اوائل رجال الاعمال هؤلاء، كان التجار الذين ذهبوا لبيع أشغال يدوية ومزخرفات صدفية

نسخة من أوائل أعداد جريدة « كوكب أميركا » وهي أول جريدة عربية صدرت في الولايات المتحدة الامريكية . تأسست عام ١٨٩٢ .

مصنوعة في فلسطين ، وخصوصا في مدينتي القدس وبيت لحم ، اما مكان التجارة فكان بلدا معينا ولفترة معينة مثل المعارض العالمية التي نظمت في فيلادلفيا عام ١٨٧٩ وشيكاغو ١٨٩٣ وسانت لويس ١٩٠٤ .

كما هاجر بعض المزارعين العرب الى امريكا ـ ولكن القليل منهم ـ بعد أن أصدرت الولايات المتحدة عام ١٨٦٢ قانون تمليك الارض ، الذي منحت الحكومة الامريكية بموجبه كل شخص يتعهد بفلاحة الارض مساحة قدرها ١٦٠ اكرا ، اي حوالي ١٥٤ فدانا من الارض غير المزروعة ، لكي تكون منطقة اقامة له ، وتصبح الارض ملكه بعد خمس سنوات .

ولكن اصبحت الهجرة العربية الى امريكا تيارا عندما سمع أهل بلاد الشام عن عظمة امريكا وغناها الفاحش وعن سهولة جمع الاموال ،وذلك حسب قصص وروايات المهاجرين الاوائل ، وبعض

من اوائل مؤتمرات الجالية العربية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٨

الزائرين الذين رجعوا وكتبوا مقالات وكتبا تروي عجائب العالم الجديد وحياة الرفاهية والحرية .

أما بعد الحرب العالمية الثانية فكانت هجرة العرب الى امريكا خليطا بين هجرة ، أي الذهاب خصيصا للعيش والبقاء في امريكا كوطن جديد ، وبين سفر للدراسة والاستطلاع الذي كان كثيرا مايتحول الى اقامة دائمة . وهنا قد نستفيد من مقارنة سريعة بين موجتي الهجرة العربية لنرى نقاط التشابه والاختلاف بينهما .

تكوين الجالية :

كان العمل الاول للمهاجرين الاوائل هو البيع المتجول ، أي انهم كانوا يحملون بضائعهم على ظهورهم ويجوبون في جميع انحاء البلاد بحثا عن الرزق . لذلك نجد ان الجالية العربية منتشرة في جميع انحاء الولايات المتحدة،في المدن الكبيرة وفي القرى الصغيرة أيضا . . ونعرف ان بعضهم اصبحوا اثرياء حتى بمقاييس الثراء في امريكا نفسها .

كانت البلاد العربية في اواخر القرن الماضي تحت وطأة الحكم العثماني ، وكان اكثر سكان المنطقة أميين ، ولايشعرون باية روابط قومية ، ومعظمهم لم يكن يعرف حتى معنى القومية أو الوطنية ، بل كانت العائلة والعشيرة والقبيلة أو الطائفة العربية من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تربط بين السكان .

الهجرة الثانية :

أما الجالية العربية التي نشأت وتكونت بعد الحرب العالمية الثانية فجاء معظم افرادها طلبا للعلم وبحثا عن الفوائد الموجودة في امريكا ، بلاد العلم والتقنية والصناعات المتطورة . هؤلاء كانوا امل اوطانهم عند رجوعهم ، كونهم سيصبحون الكادر المهني والاكاديمي والاداري في جميع مرافق الحياة وادارة المعامل والدوائر الحكومية . الا ان عشرات الآلاف من الطلبة العرب الذين جاءوا للحصول على شهادات جامعية وتربية تقنية أو علمية لم يرجعوا الى بلادهم ، بل اصبحوا مواطنين امريكيين . وازدادت اعدادهم كثيرا بوصول المهنيين الذين بدأو يهاجرون مع عائلاتهم وذويهم الى القارة الامريكية ، ابتداء من ستينيات القرن العشرين . وهؤلاء وأولئك كونوا القسم الاكبر من هجرة الادمغة العربية الى الغرب ، وأصبحوا بمثابة مساعدة اجنبية معاكسة ، أي من

الوطن العربي الى امريكا ، البلد الثري الصناعي ، المتقدم . وهكذا ، وبخلاف افراد الجالية الاولى كان افراد الجالية الجدد أبعد مايكونون عن الأمية ، بل بالعكس من اكثر وابرز المثقفين ، ليس فقط في الوطن العربي بل في امريكا نفسها . ولأول مرة حصلت الهجرة باعداد كبيرة ليس فقط من لبنان أو بلاد الشام ، بل من كل بلد عربي تقريبا ، ومن بين هؤلاء كان اليمنيون فقط قد أتوا باعداد كبيرة للعمل في المعامل ، كمصانع السيارات في ديترويت بولاية ميتشغان ، أو كمزارعين ، وخصوصا في ولاية كاليفورنيا . ولم يشكل المسيحيون العرب الاغلبية العظمى من المهاجرين الجدد كما كان الحال في السابق ، بل لأول مرة نرى عربا مسلمين يأتون الى امريكا باعداد تفوق احيانا اعداد العرب المسيحيين . وبدأوا يعملون على توضيح القضايا العربية الكثيرة للشعب الامريكي وممثليه في جميع الدوائر السياسية .

وبمعنى آخر ، فإن الجالية العربية لم تتفاعل تفاعلا سياسيا مهما مع وفي المجتمع الامريكي الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وبمجيء نوع جديد من العرب ليستوطنوا أمريكا ، ويخلقوا مجموعة جديدة تسمي نفسها (العرب ـ الامريكيين) .

بين الوحدة والتمزق :

ولكن ، ان استعرضنا عوامل التمزق والتفريق داخل الجالية العربية ، يجب ان نذكر التيار الآخر الذي يتجه نحو تفاهم افضل وتعاون اوسع بين الجماعات والجمعيات العربية في المهجر الامريكي ، وخصوصا مابين المهاجرين القدامى والمهاجرين الذين جاءوا الى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية .

ولحسن الحظ ، فقد ساعد على ازدياد الاحتكاك والاتصال والتعاون بين ابناء الجالية العربية الذين ولدوا وتربوا في امريكا وبين المهاجرين العرب الجدد ، ان احفاد المهاجرين الاوائل ، على عكس اجدادهم ، يحملون الشهادات العالية في المحاماة والطب والتعليم ، الخ .. أي في نفس الميادين التي نجد فيها السواد الاعظم من أبناء الجالية العربية الجديدة . بالاضافة الى ذلك ، أصبح الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية من أهم المناطق الاستراتيجية في العالم ، يتنافس الشرق والغرب بالتودد اليه ومحاولة مصادقة ابنائه أو اجبارهم على تقارب ما . وفي مثل هذه الاحوال وجد أبناء الجالية العربية في امريكا ان اصلهم العربي يساعدهم كثيرا في اعمالهم التجارية في المنطقة .

هناك عامل آخر بدأ يؤثر تأثيرا كبيرا في توحيد الجماعات العربية في أمريكا ، وخصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ، بعد ان حصلت البلدان العربية على استقلالها من الاستعمار ، فقد أصبحت اللغة العربية والتراث العربي مصدر فخر واعتزاز الحكام والشعوب المتحررة الذين عبروا عن عروبتهم بمعاداة جميع انواع الاستعمار ، وبالعمل الدؤوب على بعث الامة العربية وانعاش التراث العربي . وبالطبع ، لم يكن ابناء الجالية في المهجر معزولين تماما عن هذه التيارات ، بل أصبحوا من أهم المشاركين في نشر راية القومية العربية .

كما قامت وسائل الاعلام في الغرب بدورها في نشر وتمتين أواصر الصلة بين أفراد الجالية العربية في أمريكا ، ولكن من حيث لاتدري . فعندما تكلم او كتب المراسلون الغربيون عن العراق او مصر او اليمن ، كانوا يكتبون عنهم كابناء امة عربية واحدة ، وعندما كان الاعلام الغربي يكيل الاهانات للعرب جميعا ، وجد الاقباط المصريون والموارنة اللبنانيون مثلا أن الغرب لايميز بين المسيحي والمسلم ، والقبطي والماروني في اهاناته لابناء المنطقة ان كانوا في الوطن العربي أو في أمريكا .

النكسة والجالية العربية :

كانت حرب ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل أهم الاحداث التي أثرت على الجالية العربية في أمريكا فكانت الخسارة الفادحة للجانب العربي صدمة عظمى للعرب جميعا . وكانت جميع وسائل الاعلام متحيزة تحيزا شديدا للجانب الاسرائيلي ، لدرجة ان وجهة النظر العربية لم تظهر حتى في اكثر وأشهر الجرائد والمجلات أو في الراديو والتلفزيون الامريكي. وكان ذلك حافزا كبيرا لمجموعات من المثقفين العرب في أمريكا لكي تقوم بتشكيل منظمات علمية وتعليمية وثقافية بالاضافة الى الجمعيات الاجتماعية ، لكي

الاستاذ يوسف عربيلي وأولاده الستة وقرينته وعائلة السيد عربيلي هي أول عائلة عربية (من دمشق) هاجرت الى أمريكا ـ وكان ذلك عام ١٨٧٨ .

تدافع عن حقوق العرب الامريكيين وحقوق العرب في البلاد العربية . وبمعنى آخر ، فان حرب ١٩٦٧ زادت وعي العرب الامريكيين بقوميتهم كعرب ، وفي الحقيقة ، ان هذا الوعي بالانتماء العربي لم يحصل بين ليلة وضحاها ، ولكن ١٩٦٧ قوت كثيرا هذه الميول ، وأصبحت حافزا لتنظيم نوع جديد من المنظمات العربية في امريكا ـ اي المنظمة التي تعمل علنا في الحقل الاعلامي ، التثقيفي ، السياسي ، بقصد توعية ابناء الجالية العربية بقضاياهم وبقصد توعية الشعب الامريكي بحقيقة مايجري في الشرق الاوسط .

وهكذا تكونت جمعية خريجي الجامعات من أصل عربي في أواخر عام ١٩٦٧ ، حين اجتمع عشرة اشخاص مكونين لجنة تأسيسة . وسرعان ماتشكلت الجمعية ، وبدأت عملها التربوي والتثقيفي وذلك بالدعوة الى مؤتمر خاص بالجمعية ، عقد بالعاصمة واشنطن ، عام ١٩٦٨ حيث قدمت عدة بحوث تتعلق بالجالية العربية نفسها ، وقامت الجمعية بتأسيس دار نشر خاصة بها ، وذلك لانه كان من الصعب ان تقوم المطابع الأمريكية بنشر كتاب ينتقد اسرائيل ، او يكون متبنيا لوجهة النظر العربية . وكان مناسبا ان يكون أول كتاب نشرته الجمعية « عن الجالية العربية في امريكا » ، وتبعته بعد ذلك نشرات اخرى قليلة عن الجالية ، مع أن معظم النشرات بدأت تركز اهتمامها على الوطن العربي والقضية الفلسطينية .

لكن هذه الجمعية كانت أول منظمة أمريكية عربية تعمل على أسس حديثة .

جمعيات أخرى :

وبعد خمس سنوات من تأسيس جمعية خريجي الجامعات من أصل عربي قامت شخصيات عربية ، وخصوصا من الجالية العربية القديمة ، بتأسيس الجمعية الوطنية للامريكيين العرب ، لتكون بمثابة « لوبي » ، أي جمعية سياسية تعمل للتأثير على صانعي

السياسة الامريكية ، وخصوصا في الكونجرس والرئاسة ، ووزارة الخارجية الامريكية . وفي عام ١٩٨٠ تأسست جمعية جديدة كان أهم اهدافها تحسين صورة العرب في امريكا ، والتصدي لكل مايمكن أن يشوه سمعة العرب أو الجالية العربية ، سواء كان ذلك في وسائل الاعلام او السينما او الكتب او الاعلانات الدعائية . . الخ. وفي الوقت نفسه ، بدأت جمعية اطلقت على نفسها اسم الجمعية الأمريكية العربية المناهضة للتميز العنصري تشجيع الجالية العربية على احياء التراث العربي لاعضائها ، وكتابة تاريخ الجالية ، والافتخار بما قامت به من اعمال،وماقدمته من خدمات للوطن الجديد والانسانية جمعاء .

هناك عشرات ، بل مئات المنظمات والجمعيات التي أسسها ابناء الجالية العربية لتخدم حاجاتهم واهتماماتهم الاجتماعية والوطنية والسياسية والدينية . وبين الحين والأخر نرى جهودا ترمي الى توحيد كلمة هذه المؤسسات العديدة ، لكي تعطي انتاجا أكبر وأفضل لأفرادها وللجالية ككل . ولكن غالبا ما تبوء هذه الجهود بالفشل لأسباب عديدة . ومحاولات دمج كهذه اذا نجحت تكون بمثابة اتفاق على تنسيق خط سياسي معين .

وفي عام ١٩٧٩ تأسس الكونجرس الفلسطيني في أمريكا الشمالية ، بعد عدة سنوات من التفكير والنقاش والمشاورات . ولم يكن مولد هذه المنظمة سهلا ، اذ ان أصحاب التيارات السياسية المختلفة خاضت معارك كلامية كثيرة وعنيفة تمهيدا للتصويت والقبول بدستور الجمعية وانتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية .

العرب في عيون أمريكية :

تسبب صورة العرب السلبية وخلافاتهم في أقطارهم مشاكل كثيرة للعرب في الحقل السياسي في أمريكا ، فنرى مثلا ان رجال السياسة الامريكيين يقومون بنصرة القضايا الاسرائيلية ، وأحيانا كثيرة يجدون أنه من المفيد لحملات انتخاباتهم أن يتهجموا على العرب ومواقفهم وقضاياهم .

ويتوقع السياسي الامريكي ، حتى قبل أن ينزل في الانتخابات ، انه سيخسر اذا اصبح موضع جدل او خلاف يكون هو فيه الى جانب العرب حتى لو كان مثل هذا الموقف ، في رأيه ، مفيدا لامريكا والأمريكيين .

وبالنسبة للفلسطينيين نرى أن الصورة السلبية قد جعلت الامريكيين ينظرون اليهم كلاجئين او ارهابيين وليس كشعب،وهكذا يصبح من السهل على الامريكيين أن ينسوهم ، او الا يكترثوا بهم ، وأن يرفضوا حتى الحديث مع ممثليهم الشرعيين ، أي منظمة التحرير الفلسطينية ، وأن يمنعوا منظمة التحرير من الاشتراك في المناقشات والمفاوضات لايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية .

تغيير الأسماء :

أما بالنسبة للجالية العربية في أمريكا فكل مايؤثر على علاقات أمريكا بالوطن العربي يؤثر عليهم أيضا . ونتيجة لذلك نرى أن بعضهم يبتعدون عن أي ذكر لوطنهم الأصلي أو قوميتهم الأصلية وتراثهم العربي . وعند ذكر أصلهم القومي ، مثلا ، يذكر البعض البلد التي قدم منه مثل لبنان أو مصر او اليمن ، بينما يذكر اخرون انتماءهم الى ديانة أو طائفة معينة مثل ماروني أو درزي ، الخ ، وقد حاول بعض أبناء الجالية ، وخصوصا من المهاجرين الأوائل ، أن يندمجوا كليا في المجتمع الأمريكي فحوروا أسماءهم أو غيروها كليا لكي تبدو أوروبية أو أمريكية ، فهناك طبعا التغيير من الأسماء العربية الى مايعادلها في الانجليزية مثل JOHN بدلا من حنا وNOAH بدلا من نوح وDAVID بدلا من داود ، وامين تحول الى أميل ورشيد الى ريتشارد وهكذا .

ومثل هذه الأعمال تزيد من انفكاك وتمزيق الجالية العربية الى مجموعات طائفية أو قطرية أو قروية ، او أنها تساعد على اندماج الجالية كليا في المجتمع الأمريكي . ان الجالية العربية وجدت نفسها ـ وحتى في أوائل الثمانينيات من هذا القرن ـ الجالية والوحيدة تقريبا التي تستطيع الصحافة الأمريكية ووسائل الاعلام وبعض رجال السياسة أن تهاجمها بسهولة وبدون ردود فعل قوية وفعالة . □

ثلاثون عاماً على :

مؤتمر باندونج

من موقف الحياد الإيجابى إلى الدعوة لإقامة نظام عالمي جديد

بقلم : الدكتور فؤاد مرسي

ثلاثون عاما مرت على عقد مؤتمر باندونج فى اندونيسيا ، وهو المؤتمر الذى أرخ لبداية مرحلة تاريخية جديدة شهدت صحوة شعوب آسيا وافريقيا وتبلور قواها الوطنية التى اندفعت فى اعادة تشكيل عالمنا المعاصر .

فما هى التطورات والاحداث التى استجدت على تركيبة العالم السياسية والاقتصادية بعد ذلك الحدث المهم ؟ وما الذى حصل داخل المجموعة الجديدة ؟

اجتمعت تسع وعشرون دولة منذ ثلاثين سنة تمثل قارتي آسيا وأفريقيا بجموعهما البشرية الحاشدة وعلى تنوع أفكارها وعقائدها وأديانها واختلاف نظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لتعلن وقوفها على الحياد من محاولات دفع العالم الى الحرب ، ولم تكن البشرية قد لعقت بعد كافة جراحها المتخلفة عن الحرب العالمية الثانية .

الأحلاف والحرب الباردة

فقبل انعقاد مؤتمر باندونج بثماني سنوات بالضبط ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بأقل من عامين ، أطلق تشرشل دعوة الحرب الباردة ، وقبله بشهر واحد ، أي في شهر مارس ١٩٤٧ ، كان ترومان قد أعلن مبدأه لاحتواء الشيوعية العالمية ، وبعدها بثلاثة شهور وضع مبدأ ترومان في التطبيق في برنامج مارشال في أوروبا .

وفي شهر يونيو ١٩٤٨ بدأ حصار برلين واشتعلت الحرب الباردة بين معسكري الرأسمالية والاشتراكية على النطاق العالمي ، وأخذت تتشكل أحلاف عالمية عسكرية وسياسية واقتصادية ، مثل حلف الاطلنطي وحلف وارسو ، بل ظهرت الدعوة لجر بلدان آسيا وأفريقيا الى أحلاف فرعية لها ، وبدأ التمهيد داخل الوطن العربي لاقامة حلف بغداد .

وحينذاك أدى سوكارنو الرئيس الاندونيسي الراحل دورا نشطا لاجتماع أغلبية دول آسيا وأفريقيا

في باندونج كي تعلن ارادة شعوبها ـ وقد نالت استقلالها السياسي ـ في العيش في العالم بعيدا عن أخطار حرب عالمية ثالثة ، سوف تكون بغير شك حربا نووية قد تفني البشرية وتصيب بقاياها بالتشويه ، وبالفعل فلقد أصبحت هناك تسع وعشرون دولة آسيوية وأفريقية تمثل نحو نصف البشرية ، لكي تبرز خوفها من الحرب وسعيها للسلام انطلاقا من مبادىء « بانشاشلا » التي التقت الهند وأندونيسيا .

يقول بانيكار المؤرخ الهندي المعروف جيدا للعرب : إن باندونج كانت أول تأكيد واضح لرغبة الشعوب الآسيوية والافريقية في ادارة شئونها في ظل الاستقلال ، فروح باندونج هي تأكيد الاستقلال الوطني ، سياسيا ومعنويا ، للشعوب الافريقية الآسيوية ، وقد كان اعلانها التزام موقف الحياد بين المعسكرين ممارسة كبرى لاستقلالها الوطني ، ولذلك رد « دالاس » وزير خارجية أمريكا في ذلك الحين بأن موقفها ذاك موقف لا أخلاقي ، ففي رأيه أن الحياد موقف سلبي ، لكن مؤتمر باندونج أعلن أن الحياد الذي يدعو اليه هو حياد ايجابي ، يقف مع قضايا التحرر الوطني وتصفية الاستعمار القديم وحق تقرير المصير للشعوب ، كما يقف مع الجهود المشتركة لحل مشاكل الشعوب التابعة والبلدان المستعمرة ، في الوقت الذي يكتل جهود آسيا وأفريقيا من أجل السعي نحو السلام العالمي والتعاون بين الدول ، ولهذا قال جمال عبد الناصر في المؤتمر : ليست المسألة هي مجرد الحيلولة دون نشوب الحرب العالمية ، لكنها توجيه الجهود بثبات نحو خلق مجتمع دولي جديد .

باندونج . . الرمز

وتحولت باندونج الى رمز كبير في حياة شعوب آسيا وأفريقيا ، تحولت الى قوة مهمة في النضال من أجل السلام في العالم أجمع ، لكنها أصبحت أيضا قوة دافعة من أجل الاستقلال السياسي والتحرر الوطني واعادة صياغة العلاقات الدولية ، وكان أهم انجازاتها تصفية الاستعمار القديم ، فقد توالت الاحداث بعد مؤتمر باندونج بسرعة .

في خريف ١٩٥٥ عقدت مصر صفقة الاسلحة التشيكية بفضل الدور الذي قامت به الصين حينذاك ، وتصاعدت المقاومة ضد حلف بغداد ، وعندما سحبت أمريكا وبريطانيا وفرنسا تمويلها لبناء السد العالي ، قامت مصر بتأميم شركة قناة السويس العالمية ، فلما وقع العدوان الثلاثي على مصر هبت شعوب آسيا وأفريقيا بصورة لم تعرف من قبل وكانت هزيمة العدوان بفضل صمود مصر والموقف الذي اتخذته هذه الشعوب وقوة الرأي العام العالمي والانذار السوفيتي ، وفي العام التالي ، أعني في عام ١٩٥٧ ، تأسست المنظمة العالمية لتضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، واختتمت الخمسينيات باعلان الامم المتحدة عن عقد الستينيات بوصفه عقدا لتصفية الاستعمار القديم .

ومع النجاح الباهر الذي حققته هذه العملية التاريخية ، انعقد المؤتمر الاول للدول الحريصة على دعم استقلالها الوطني ورفض الانتماء الى المعسكرين العالميين في بلجراد عاصمة يوجوسلافيا في شهر سبتمبر ١٩٦١ ، كان العالم يواجه عندها خطرا شديدا يهدد بالحرب ، فقد اشتدت حدة الحرب الباردة وأخفقت دورة الجمعية العامة للامم المتحدة التي حضرها رئيسا الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في فيينا ، واستأنف الاتحاد السوفيتي اجراء التجارب النووية بعد أن كان قد أوقفها بقرار من جانبه ، وكان

هناك عدوان الدول الاستعمارية على شعب الكونجو بزعامة لومومبا . وكانت محاولة أمريكة لغزو كوبا .

في مؤتمر بلجراد ترسخت سياسة عدم الانحياز بزعامة تيتو ونهرو وعبد الناصر ، وكانت تطويرا بارعا لموقف الحياد الايجابي في ظروف اشتداد الحرب الباردة، وتطلع شعوب آسيا وأفريقيا الى تأسيس استقلالها الاقتصادي بعد كسب استقلالها السياسي وتوطيده ، وكان لمصر دور بارز في اثارة القضية بعبارات واضحة فقد قال عبد الناصر : « من المحتم الآن اتاحة أكبر فرصة للتقدم أمام الشعوب التي لم تستكمل نموها الاقتصادي والاجتماعي ، وينبغي لنا أن نذكر أنه لا يمكن أن يكون هناك استقرار في عالم تتفاوت فيه مستويات المعيشة بين الشعوب على هذا النحو الفاضح الذي نراه الآن . ومع أني لا أريد أن أثير أحقادا قديمة فان التقدم الصناعي على سبيل المثال في عدد كبير من بلدان أوربا كان قائما على الثروات التي جرى نزحها بطريقة منظمة من آسيا وأفريقيا » .
وخرج المؤتمر باعلان صريح يؤكد ايمان الدول النامية باستحالة تأمين استقلالها السياسي وتحقيق تنميتها الاقتصادية الا في ظروف السلام في العالم .

وأفضى المؤتمر الاول لمجموعة دول عدم الانحياز الى عقد مؤتمر قمة في القاهرة في شهر يوليو ١٩٦٢ مخصص لقضايا التنمية ، ولاول مرة شاركت دول من أمريكا اللاتينية في أعمال عدم الانحياز ، وأيد المؤتمر في « اعلان القاهرة » الذي صدر عنه عقد مؤتمر عن التجارة الدولية كانت الجمعية العامة للامم المتحدة قد دعت اليه ، وهو الذي انعقد بالفعل في عام ١٩٦٤ تحت اسم « مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية » وتتوالى اجتماعاته حتى الآن كل أربع سنوات .

مستجدات جديدة

ان حركة عدم الانحياز التي تضم غالبية سكان الكرة الارضية هي في الواقع ثمرة ونتاج شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من أجل التحرر الوطني ، وهي تضم الآن أكثر من مائة دولة يوجد بعضها في أوروبا ، ولقد غدت عاملا هاما يؤثر على مجرى التطور في العالم كله على نحو ايجابي ، وقفت منذ البداية ضد الاستعمار القديم والاستعمار الجديد ، وأيدت بشكل واضح كل سعي لوقف سباق التسلح وخصوصا التسلح النووي وصياغة اجراءات فعالة لنزع السلاح والالتزام بمباديء التعايش السلمي وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول .

وكما تركز الولايات المتحدة على شن حملة نشطة لتخويف شعوب الدول غير المنحازة من الخطر العسكري السوفيتي ومن الشيوعية واتهام السوفييت بالاطماع التوسعية وتصدير الثورات الوطنية والاجتماعية ، فانها لا تكف أبدا عن محاولات تقويض حركة عدم الانحياز نفسها أو إضعافها ، كما تحاول وقف تقدم الاشتراكية ، وهي تعمل بكل همة من أجل تعطيل عملية التحرر الوطني والاجتماعي في العالم أجمع ، وتركز بصفة خاصة على عرقلة خطوات التنمية الاقتصادية التي تقدم عليها الدول النامية ، وليس ذلك اتهاما أعمى للدول الرأسمالية الكبرى ، ففي الدول النامية حاليا أكثر من مليار إنسان يعانون المجاعة ، ويموت يوميا قرابة أربعين ألف طفل من الجوع والانهاك والمرض ، ويصبح الكثيرون معوقين أو متخلفين عقليا ، لكن هذه الدول هي نفسها التي يخرج منها سنويا ما يبلغ مائتي مليار دولار يذهب نصفها الى الاحتكارات الدولية .

وفي عام ١٩٧٣ انعقد المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز في الجزائر قبل أسابيع من حرب اكتوبر ، وفي المؤتمر جرى تقييم للجهود التي بذلت منذ عام ١٩٦٤ والتي لم تفض الى تحسن ملموس في أوضاع شعوب الدول النامية ، على الرغم من الانفراج الدولي الذي أخذ يعود في النصف الاول من السبعينيات . . ومن ثم دعا المؤتمر لاقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، وكُلف الرئيس بومدين بطلب عقد دورة خاصة للجمعية العامة للامم المتحدة لمناقشة قضية المواد الاولية وقضية التنمية ، وبالفعل انعقدت الدورة الخاصة السادسة في شهري ابريل ومايو ١٩٧٤ ، وأسفرت مناقشاتها عن اعلان وبرنامج عمل من أجل اقامة نظام اقتصادي دولي جديد .

على هذا النحو ، وفي ظروف الانفراج الدولي ، تركزت الجهود على تحقيق الاستقلال الاقتصادي

وتحديد الموقف من الاستعمار الجديد ، وبمرور الوقت تطور الموقف ليصبح نضالا عاما في سبيل اقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد .

فالتبعية للدول الاستعمارية،والعلاقات التجارية غير المتكافئة،وسطوة الشركات متعددة الجنسية الساعية لفرض سيطرتها على المستعمرات السابقة والتخلف التكنولوجي ، كلها عوائق أساسية أمام التطور السريع للبلدان غير المنحازة ، وتؤدي أزمة الرأسمالية الى احتدام هذه المشاكل واضافة مشاكل أخرى اليها قبل المديونية الخارجية المتصاعدة وأعباء التضخم الوافد والمستورد والانفاق العسكري المتزايد .

ولاشك أن انفجار حرب أكتوبر وقيام البلدان المنتجة والمصدرة للنفط بتحديد أسعاره لأول مرة من جانبها ، ومن ثم تضاعف أسعاره عدة مرات في زمن قصير ، قد طرح في الافق إمكان تغيير العديد من النظم التي تسود التبادل الدولي غير المتكافىء ، ولقد بدا وقتها أن من حق الدول النامية أن تناقش المسلمات التي حكمت هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية السائدة حتى ذلك الحين ، وتطلعت من ثم إلى مستقبل أفضل،تتمثل حدوده الدنيا في تغيير (اطار) العلاقات الدولية،واقامة اطار جديد يتكفل بتصحيح أسلوب عمل آليات السوق العالمية وذلك بفضل ادخال قدر من التنظيم الواعي عليها ، وفي ظل هذا الاطار الجديد كان يمكن أن تجد مشاكل التنمية حلولا أكثر توفيقا ، وتم بالفعل التوصل الى صيغة جديدة للنظام الدولي بحيث يقوم على « التبعية المتبادلة » .

نظام دولي جديد

غير أن هذه الصيغة التي بدت أملا مغريا للبلدان النامية في نضالها من أجل التنمية ، لم تقبلها أغلبية الدول المتقدمة التي أصرت على أن تكون التبعية المتبادلة تبعية غير متكافئة ، أي لصالح طرف دون الآخر ، وفي عام ١٩٨٠ حاولت لجنة « برانت » أن تصحح الطرح وتعيده من جديد ، لكنها فشلت وبقيت توصياتها حبرا على ورق ، بل تجاهلتها الدوائر الحاكمة في البلدان الرأسمالية الكبرى .

ومضت عشر سنوات،بل اكتملت احدى عشرة سنة على بزوغ الدعوة لاقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد ، توالت خلالها الدعوة لنظام دولي جديد في كافة المجالات وخصوصا في مجال الاعلام ، لكنها لم تتقدم كثيرا عن النقطة التي بدأت منها ، فمازالت الدعوة دعوة ، ومازال الأمل أملا . وعلى الرغم من الجهود الممتازة التي تبذلها الامانة العامة لمؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ، وعلى الرغم من الاجتماعات الدورية الحافلة لهذا المؤتمر كل أربع سنوات ، وعلى الرغم من النضالات الفرعية التي مارستها مجموعة البلدان النامية من خلال بعض تنظيماتها وخصوصا منظمة الاوبك ، فان الموقف العملي مازال متخلفا الى حد بعيد نتيجة لتعنت الدول الرأسمالية الكبرى وخصوصاالولايات المتحدة الامريكية . ولقد أدى هذا بمؤتمر قمة دول عدم الانحياز الذي انعقد أخيرا في نيودلهي في عام ١٩٨٣ الى احياء الدعوة لاقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد في صورة بالغة القوة .

وتمضي السنون منذ باندونج فاذا هي ملحمة تاريخية حافلة ، انتصرت فيها ارادة شعوب آسيا وأفريقيا وسحقت الاستعمار القديم ، ثم أخذت تعيد بناء الحياة على أرضها ، فواجهت مهام التنمية الاقتصادية المستقلة وضرورات التقدم الاجتماعي ، ولكن كان عليها أن تقاتل من أجل ذلك ضد الاستعمار الجديد بكافة أشكاله ، ومازال النضال متصلا .

ولاشك أن نضال الشعب العربي ضد العدوان الاسرائيلي وضد سياسة الاحلاف والقواعد والتسهيلات العسكرية وضد التواجد العسكري الامريكي في أي أرض عربية وضد التحالف الاستراتيجي الامريكي الاسرائيلي ، ونضاله من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن أجل اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد خال من التبعية والاستغلال ، هو نضال يعبر عن استمرار تلك القيمة التي أرساها مؤتمر باندونج وهي القيمة التي ازدهرت وترعرعت حتى الآن فأنعشت ضمير الانسانية المعاصرة وصقلت روحها ـ مهما تكن العقبات ثقيلة والمنجزات ضئيلة . □

العربي ـ العدد ٣٢٠ ـ يوليو ١٩٨٥

أرقام

بقلم : محمود المراغي

فـقـراء و أغـنـيـاء .. فى رحـلـة الـتـاريـخ

حين احتفل العالم ـ فى أكثر من عاصمة ـ بمرور ثلاثين عاما على باندونج ، كان السؤال الرئيسى : متى تتحقق أهداف الشعوب الافريقية الآسيوية ، التى تمثلت فى أهداف حركة هى حركة عدم الانحياز ، ودخلت ـ فى معظمها ـ فى دائرة ما يسمى بهموم العالم الثالث ؟

كان السؤال ، وكان البحث متصرفين للمستقبل المنظور والماضى القريب .. وكان التأمل طاغيا على الدراسة ، والأسف غالبا على الأمل .

شىء رئيسى افتقدته هذه الاحتفالات ، وهذه التأملات لمسيرة الفقراء فى ثلاثين عاما . هذا الشىء اسمه : البعد التاريخى الشامل .. فالماضى القريب لايفسر وحده حركة التاريخ ، وحين يشهد العالم العديد من الثورات والتغيرات والقفزات ، ويستمر الفقير على فقره وانتشاره ، ويستمر الثرى والقوى على ثرائه وقوته وتركزه .. حين يحدث ذلك يصبح الأمر مثيرا للجدل ، ودافعا للتساؤل .

ولكن حين يكون الأمر بالأرقام تذوب الدهشة ، ويتبدد الجهل بالحقيقة .

الحديث حول الدول النامية ، والمصطلح جديد نسبيا ، ويتغير معناه من حين الى آخر ، بل ان الدول التى تدخل فى اطار ما نسميه العالم النامى يتغير موقعها ، ويتحرك فى دراسات واحصاءات المؤسسات الدولية ، وفق عديد من المؤشرات ، أبرزها : مستوى الدخل . فى آخر تعريف للبنك الدولى أن عدد الدول النامية يقرب من مائة دولة ، بخلاف دول يقل تعدادها عن المليون نسمة ، وأن هناك الدول النامية المنخفضة الدخل ، ويقل فيها متوسط دخل الفرد عن ٤١٠ دولار فى السنة .. أي بما يزيد قليلا عن دولار واحد فى اليوم .. وهناك الدول المتوسطة الدخل ويزيد فيها نصيب الفرد عن هذا الحد .

وبالطبع فان التعريف ، وان ساعدنا على فهم الظواهر وحصر نطاقها ، فانه ليس الأكثر أهمية .. فالأهم هى تلك الأرقام المثيرة التى نشرها البنك الدولى حول الفقر والثراء فى مائتى عام ، أو بالتحديد فى مائة وثمانين عاماً ، تمتد من عام ١٨٠٠ ميلادية حتى عام ١٩٨٠ .

فى ذلك العام الذى بدأ به القرن التاسع عشر كان تعداد سكان العالم : (٩٤٤) مليون نسمة ، وكانت الدول النامية ـ وبمقاييس ذلك العصر ـ تمثل (٧٤٪) من هذا التعداد فى عام (١٩٠٠) وبعد مائة عام هبطت نسبة الدول النامية من السكان ، وأصبح تعدادها يمثل (٦٦٪) فقط ، وظل الحال كذلك حتى منتصف القرن على وجه التقريب ، وبما يعنى أن العالم الثالث ورغم خضوعه للنهب الاستعمارى ، قد طاله شىء من التقدم ، وانتقل لفيف من شعوبه الى نطاق الدخل الأعلى والمعيشة الأوفر ، وهو أمر طبيعى مع تقدم فنون الزراعة والصناعة ومناحى التعليم والثقافة والصحة . كان المنطقى ـ والذى حدث بدرجة ما حتى منتصف القرن العشرين ـ أن يسير العالم للأمام ، وان تقل نسبة الفقراء يوما بعد يوم .

ولكن ذلك الشىء المنطقى لم يستمر طويلا ،

الأرقام تفاجئنا ، والاحصاءات تقول:إن تعداد العالم عام ١٩٨٠ قد أصبح (٤٣٣٣) مليونا ، بينهم ٧٥٪ يعيشون فى الدول النامية . معنى الأرقام أننا وخلال النصف الثانى من القرن العشرين قد عدنا الى ما كان عليه الموقف ـ أو اسوأ قليلا ـ فى عام ١٨٠٠ .. ومعنى الأرقام اذا اضفنا نصيب الدول النامية من انتاج العالم خلال نفس الفترة أن الفقر يزداد .. والثراء ايضا .. فثلاثة أرباع العالم ـ وهم سكان الدول النامية ـ كانوا يقدمون ٤٤٪ من الانتاج العالمى عام ١٨٠٠ ، فاصبحوا يقدمون فى عام ١٩٨٠ (٢١٪) من الانتاج فقط .

ربما تكون التعريفات للفقر والثراء والنمو والتقدم قد اختلفت ، والمعايير قد تباينت خلال رحلة السنين .. لكن الأكيد أن العلاقات النسبية كما عرضتها الأرقام السابقة تظل صحيحة وصادقة وتقول : الثروة تزداد تركزا والفقراء على حالهم من حيث العدد ، وأسوأ من حالهم السابق من حيث ما يحصلون عليه .

باستمرار التحصيل يتضح أن انسان العالم المتقدم يحوز اثنى عشر ضعفا لما يحوزه انسان العالم النامى من الانتاج . ومن فرص الحياة ، بينما لم تتجاوز هذه المسافة اكثر من ثلاثة أو أربعة أضعاف فى بداية القرن التاسع عشر .

التغير اذن .. للوراء ، وليس للأمام ، والفترة الحاسمة هى النصف الثانى من القرن العشرين .

لم تنجح فى تغيير الصورة وتقريب المسافة جهود باندونج فى التكتل ، التى تحدثت فى أول (تجمع شامل وواسع لشعوب آسيا وافريقيا عن التنمية وزيادة التعاون الاقليمى ، والمعونات الدولية ، وتنويع الصادرات وتصنيعها ، واستقرار أسعار المواد الأولية .

ولم تنجح فى التغيير جهود لاحقة فى الستينيات ، حين انعقد مؤتمر الدول النامية فى القاهرة عام ١٩٦٢ ، وحين انعقد مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية فى جنيف عام ١٩٦٤ أيضا ، لم تنجح جهود السبعينيات حين ارتفع مطلب نظام اقتصادى دولى جديد يقيم العدل بين المجموعات الدولية ، ويختصر مسافات التقدم ، ويزيد الاعتماد المتبادل بين الدول .

خلال هذه المرحلة ورغم هذه الجهود ـ ارتفع نصيب الدول المتقدمة من ٦٠٪ من الصادرات العالمية عام ١٩٥٠ الى (٧١,٨٪) عام ١٩٧٠ .. واتسعت الهوة فى الدخل حتى سجلت دول اقتصاديات السوق الصناعية متوسط دخل قدره (٨١١٢) دولارا عام ١٩٨١ فى مقابل ٢٧٠ دولارا فى الدول ذات الدخل المنخفض .. وسجلت أرقام النمو فى المجموعة الأولى (٣,٤٪) سنويا بين عامى ١٩٦٠ ـ ١٩٨١ بينما سجلت المجموعة الثانية (واذا استبعدنا الهند والصين ذات المعدل المرتفع) اقل من١٪ وكان البعض اقل من صفر .

فى التفسير قد تأتى ثورة التكنولوجيا وثورة الكمبيوتر ونظم المعلومات ونمط الانتاج فى كل من المجموعات الدولية . وفى التفسير قد يأتى انخفاض مستوى التعليم والتدريب وانتاجية الفرد فى الدول النامية .. وقد ترد نسبة من يدخلون العملية الانتاجية ، ومن يبقون على هامش هذه العملية فى بطالة ظاهرة أو مقنعة .. وقد يتحدث البعض عن دور المرأة فى قوة العمل ، وعن زيادة النسل والسكان بمعدلات مرتفعة .

وقد يكون ذلك كله صحيحا ، لكن الصحيح أيضا أنه كما تم استيراد أسباب الثراء قديما من المستعمرات الى الدول المستعمرة ، فان أسباب الفقر يتم الآن تصديرها من دول المركز المتقدمة فى الجانب المادى ، الى دول أقل تأثيرا فى القرار الاقتصادى الدولى وهى الدول النامية .

واذا كان الاقتصاد الدولى قوامه تبادل السلع والخدمات والتكنولوجيا والأموال ، فان هذا التبادل يتم بشروط الأغنياء وأسعار يفرضها الأثرياء .. وحين يرتفع سعر مايقدمه انسان العالم الأول وينخفض سعر ما يقدمه انسان العالم الثالث . حين يحدث ذلك بقوة القبضة فى الشمال ، والتشرذم والتبعية فى الجنوب ، فان حاصل التاريخ لابد أن يكون على هذا النحو : الفقر بنفس الاتساع خلال قرنين ، والثراء اكثر تركزا خلال نفس الفترة .

الى أين يمضى عالم الفقراء ؟ وهل تحل معضلته قيادة تنبه وتحرض وتستثير الهمم وتقلب الأوضاع ؟ وهل يلعب استقلال القرار وحده الدور الحاسم فى التغيير ؟ الأمر بحاجة الى نقاش واسع . □

بين المتنبي .. والنامي !

بقلم : الدكتور احسان عباس

ان الشهرة الواسعة التي نالها المتنبي ، منذ أن ظهر في أفق الشعر حتى يومنا هذا قد تجعل الكثيرين ينكرون أو يستكثرون اقتران اسمه بالنامي . فمن هو النامي هذا ، وما حكايته مع المتنبي ؟

الشاعر أبو العباس أحمد بن محمد النامي الدارمي المصيصي ، كان في عصره يرى في نفسه منافسا للمتنبي ، بل اننا اذا شئنا مزيدا من الاحتكام الى الامر الواقع قلنا : ان كثيرين من معاصري الشاعرين كانوا يعدون هذه المنافسة أمرا طبيعياً إيماناً منهم بموهبة النامي وجودة شعره ، ولعل بعضهم كان يصرح بتفوق النامي على معاصره ، دون أن يحس بأن للعصبية ضد المتنبي دورها الكبير في ذلك الموقف .

وتدخل تلك المنافسة أحياناً في جو « رومنطيقي » وتتوشح بالخيال الجميل ، وان كان الخيال لا يغني كثيرا عن الحقيقة . فنحن نعلم من باب الحقيقة أن سيف الدولة أوقع بقبائل بني عقيل وغيرهم سنة ٣٤٤ هـ - حين عاثوا في نواحيه تخريبا ، وأن المتنبي نظم في تلك الحادثة قصيدة مطلعها :

طِوالُ قناً تطاعنها قصارُ
وقطرُك في ندى ووغى بحارُ

راوح فيها بين الاشادة بالانتصار ، والتمجيد لتلك القبائل التي لم تعرف الضيم والانقياد من قبل ، ولهذا كان الانقياد لسيف الدولة غريباً على طبيعتها :

وما انقادت لغيرك في زمان
فتدري ما المقادة والصَّغار

وجرى فيها على سجيته من إكبار البطولة والميل الى الحرية - دون أن يسيء الى ممدوحه ، أو يغمز من جانب تلك القبائل التي لم تكن سوى « بدٍ لم يُدْمِها الا سوار » ايمانا بتلك الرابطة التي يجب أن تكون ملتقى التآلف والوحدة بين زعيم عربي وقبائل عربية . وفي المناسبة نفسها نظم النامي قصيدة يقول فيها دون أن يخفي انحيازه للممدوح :

كـأن عليـا والقـنـا في ظهـورهـم
سماء رمتهم بالنجوم الزواهر
فولت تناجي بالنجاء خلالها
ونجار من أحكام شُـمْـرٍ جـوائـر

الى هنا ينتهي التاريخ لتبدأ الاسطورة التي تقول : نشب بين أدباء حلب خلاف طويل حول أي القصيدتين أجود ، فلم يجدوا لديهم من سبيل سوى الاحتكام الى نقاد محايدين ، فكان أن كتبوا القصيدتين وأرسلوهما الى علماء الشعر ببغداد ، فأعيدت قصيدة النامي اليهم وقد كتبت بماء الذهب ، وكان ذلك إشعاراً بأنها تتفوق على قصيدة المتنبي .

الصراع

ترى من هم هؤلاء الجهابذة من النقاد الذين كانت تحفل بهم بغداد ، وعلى أي أساس بنوا حكمهم ، ولماذا اختاروا ماء الذهب ؟ أذلك لانه كناية عن النفاسة البالغة أم لأن الذهب نفسه يذكر بأسطورة « المذهبات » و « المعلقات » المنسوبة الى الجاهلية ؟ مهما يكن من شيء فان هذه الاسطورة تشير الى وجود منافسة حقيقية بين الشاعرين أو فل بين المتعصبين لكل واحد منهما .

واذا نحن تأنينا في النظر والحكم أحسسنا بعطف خاص على موقف النامي ، ربما أحس به من معاصريه من لم يكن منهم يؤمن بتفوقه على منافسه ، فقد التحق النامي ببلاط سيف الدولة قبل أن يقدم اليه المتنبي بزمن غير قصير ، وكان هو يحس - كما كان الناس الذين يعرفونه يحسون - أن طول الانتماء يعني طول الولاء ، وأنه لا يجوز بعد كل هذا التعلق بركاب سيف الدولة أن يفضل عليه شاعر أحديث القدوم الى حلب ، شاعراً صغير السن اذا هو قيس بالنامي ، اذ كان النامي حينئذ قد تجاوز الخمسين ، دون ريب ، وهذا ما يصوره قول النامي متحدثا عن سيف الدولة لأحد أصدقائه : « خدمته الدهر الأطول ، وما رعى واستجمل أن يقول لي : قال المتنبي .. وأنا الذي أقول فيه :

لـه نـظرة نـحـو الحمـول بـحومـل
وأخـرى الى ودّان صـادقـة الـود
الى هـا هـنـا عـنـد الـوداع الـذي بـه
عـهـدت ومـا بي بـالـتجلد من عـهـد
فـيـا قـلـب أعـوانٌ عـلـيـك كـثـيـرةٌ
ومـا لـك من صـبـر عليهن من بـدّ
وشـاةٌ وعـذالٌ وبـرقٌ ودمـنـة
الا قـلّما أجـدت عـلـيـك ومـا يجـدي

أبيات جزلة السبك ، فيها من مراعاة الجناس والتطبيق ما عرف عن النامي ، ولكن المحصل منها ضئيل ، وهي تقف شاهدا على أن الصراع بين النامي والمتنبي ليس صراعا بين جيلين - وصراع الاجيال لا يرحم - وحسب ، انما هو بين مذهبين شعريين لا مجال للقاء بينهما .

بل ، قد يكون هناك لقاء ، في بعض ما يشيعه العصر أحيانا من مناخ عام ، وما تفرضه المماحكات من تحدّيات قائمة على الغلو في الشعور بالاعتداد الذاتي ، الذي يشترك فيه المحق والمبطل ، في جو تتحكم فيه « عقدة الاستعلاء » ، فاذا قال المتنبي :

خـلـيـلي إني لا أرى غـيـر شـاعـر
فـلم منهم الـدعـوى ومني القـصـائـد

أو « أفي كـل يوم تحت ضبني شويعر » وجدنا النامي يصف قصائده بأنها مما يدق مثله على امرىء القيس وأنها تتفوق على شعر النابغة والحطيئة وتجعل طرفة بن العبد « عبدا » عنده :

مـن الـمـذهـبـات الـدارمـيـات شُـرّدٌ
تـدق معـانيـهـا عـلى الملك الـكـنـدي
تـزيـد عـلى شـأوي زيـاد وجـرول
وقـد غـودر ابن العـبـد في نـظمـهـا عبدي

ولكن مثل هذا اللقاء شكلي عارض ، فأما المسافة الشاسعة فيمثلها البون بين شعر ينطوي ويموت مع المناسبة التي أثارته ، وشعر يتخذ من المناسبة تعبيرا عن موقف انساني متجدد على مر الزمن .

الحاضر بين الماضي

ولم يكن المتنبي خصما سهلا ، لأن اعتداده بنفسه كان يتجاوز أحيانا حدود كل تواضع تعارف عليه الناس ، بل لأن ذلك الاعتداد كانت تسنده طاقة شعرية عديمة النظير لم يرزق أحد مثلها ، وهي طاقة

تمنحه - فيما تمنحه - القدرة على أن يربك خصمه بعبارة موجزة يزيف فيها كل ما يتمدح به الخصم . فقد كان النامي من طول ملابسته للحمدانيين يستشهد في شعره بأيام تغلب وانتصاراتها في الجاهلية ، لأن الحمدانيين يرجعون في أصولهم الى قبيلة تغلب . وحين رأى المتنبي هذا الاتجاه لدى منافسه قال في احدى قصائده معرضا به :

والمدح لابن أبي الهيجاء تنجده
في الجاهلية عين العيِّ والخطل
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به
في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

وكأنما هو يقول له : ان الحاضر يبذ الماضي ، وان من آمن بمجد الحمدانيين في الحاضر لم تكن به حاجة الى استثارة الماضي ، لأن الدنيا في تطور ، وبنو حمدان في ظل الاسلام ليس بهم حاجة الى مفاخر تغلب النصرانية ، أو كما قال المتنبي نفسه في رثاء خولة أخت سيف الدولة :

وان تكن تغلب الغلباء عنصرها
فان في الخمر معنى ليس في العنب

« في الخمر معنى ليس في العنب » ذلك هو التفسير الطبيعي للتجدد ، وذلك هو أيضا التفسير لغلبة الأجيال الطالعة في صراعها ، وكأن المتنبي يقول : قد يكون النامي شاعرا كبيرا عند نفسه وعند أنصاره ، ولكنه يجب أن يتفطن الى أن محصلة الزمن قد تتمخض عن من يتفوق عليه ، وليس في هذا تنكر للتراث ، وإنما فيه ايمان باستمرار التحول الذي قد يأتي بجديد يفوق القديم .

عناصر التفوق

ولم تكن الطاقة الشعرية التي منحها المتنبي نفسه هي التي تقرر وحدها تضاؤل النامي الى جانبه ، بل كان في طبيعة النامي نفسه ما يكفل للمتنبي احراز التفوق ، اذ لم يكن النامي ذا موهبة تلبي الموقف الوسط بين البديهة والروية - على الاقل - بل كانت موهبة من النوع الذي لا يجود الا بعد روية طويلة وتحايل على استدرار القريحة ، فكان اذا أراد أن يعمل شعرا قضى فترة طويلة جدا وهو يروض نفسه على ذلك . وكان « ذا مزاج » خاص في نظم الشعر ، فاذا أخذ في نظم قصيدة ، ونطق في داره جارية أو غلام اثناء نظمه استبد به الغيظ وكاد أن يقتل من يعطل لديه عملية النظم ، وكان ذلك يقطع عليه خواطره فتتوقف القصيدة ولا يستطيع اكمالها . وقد حدَّث هو عن نفسه أنه جلس ذات ليلة يعمل شعرا فسمع صياح الديك فانقطع وعجز عن الاستمرار في النظم . كذلك فان طريقته في النظم كانت خاضعة للاستيحاء وقدح القريحة بالاستلهام وخلق الجو المناسب . فكان اذا أراد أن يعمل قصيدة جمع عددا كبيرا من دواوين القدماء والمحدثين وأخذ ينظر فيها ليقدح بها خاطره وتتحلب على سن قلمه المعاني المسعفة ، وكثيرا ما كان يصرف سبعة أشهر أو أقل أو أكثر حتى يكمل قصيدته فتأتي وقد فاتت مناسبتها .

طرائف

ومن أطرف ما يروى في هذا الصدد - ولعله نوع من المبالغة المقصودة للاضحاك - أن سيف الدولة رزق بمولود ، وتوافد اليه الشعراء يهنئونه في هذه المناسبة الا النامي فانه جاء بعد شهور بقصيدة نظمها في التهنئة بالمولود ، فقال له سيف الدولة : « يا أبا العباس قد حان لنا أن نسلمه الى الكُتّاب ، تنشدنا تهنئة بولادته الآن ؟ » . وكانت الحادثة من فتح أو صفة لوقعة أو تهنئة بعيد مما يحفز الشعراء الى القول ، فكان النامي هو الوحيد الذي يأتي بعد فوات المناسبة بوقت طويل يستأذن سيف الدولة في الانشاد ، فكان سيف الدولة يتعمد اغاظته ، متظاهرا بأنه نسي المناسبة ، رافضا أن يستمع اليه ، حتى يبلغ حد البكاء ، وعندئذ يرق له سيف الدولة ويقول له : نعم ، نعم تذكرت ، هات قصيدتك . وفي أحيان أخرى كان سيف الدولة يخرج به من الممازحة الى الجد فيأبى عليه أن ينشد ما أعده ، لتطاول المدة ، فتبقى في نفس النامي حسرة دفينة .

وحين اكتشف سيف الدولة مواطن الضعف هذه وغيرها في النامي ، أخذ يستغلها للتندر والتفكه ، غير عابىء بما يجره ذلك من إحراج يخرج النامي عن طوره ويجعله هزأة بين نظرائه . فقد استحسن سيف الدولة قصيدة لزهير مطلعها . ان الخليط أجدّ البين فانفرقا » ، فوعده النامي أن يعارضها بقصيدة تتفوق

عليها جودة في مدح سيف الدولة ، ولما تمت قصيدة النامي نظما خرج بها الى ممدوحه فلقيه على نهر حلب (نهر قويق) فترجل وأخذ ينشده قصيدته ، فكان أن أظهر سيف الدولة بعض امارات التنقص لتلك القصيدة ـ تعمدا للعبث بأعصاب شاعر يعرف عنه سرعة الغضب ـ فما كان من النامي الا ان توقف عن الانشاد وذهب الى شاطىء النهر فخرّق الأوراق وغسل ما عليها من حبر في ماء النهر ، بمرأى من سيف الدولة ، وهكذا ضاعت الى الابد تلك القصيدة التي تبدأ بقول النامي ـ في مطلع جميل ـ :

مـا أنت مني ولا الـطيف الـذي طـرقـا
ردّا الـكـرى واسـتـردّا مـني الأرقـا

ولهذا تنتقل المنافسة بين الشاعرين الى مستوى جديد حين تصبح مصدر امتاع لسيف الدولة . ورغبة من هذا الامير في اذكاء الصراع بين القرائح كان يحفز الشعراء لهجاء المتنبي . ويقال ـ وهذه رواية لا بد من أن تؤخذ بحذر ـ إن النامي هجا المتنبي بدافع من هذا التحريض فقال :

قـد صـح شـعـرك والـنـبـوة لم تـصـحّ
فـدع الـنـبـوة لا أبـا لـك واسـتـرح
واربـح دمـا أصـبـحـت تـوجـب سـفـكـه
ان الـمـمـتـع بـالـحـيـاة لـمـن ربـح

وان أبا الطيب أجابه بقوله :

نـار الـنـبـوة مـن زنـادي تـقـتـدح
يـغـدو عـليّ مـن الـمـهـا مـا لم يـرح
أمـري اليّ فـان سـمـحـت بـمـهـجـة
كـرمـت عـليّ فـان مـثـلي مـن سـمـح

وان هذه المناظرة الشعرية لم تقف عند هذا الحد بل مضت قدما واستجمعت حطبا جزلا لنار المكايدة ، فقال النامي :

أطـلـلت يـا أيـهـا الـشـقـي دمـك
لا رحـم الله كـلّ مـن رحـمـك
اقـسـم لـو أقـسـم الأمـير عـلى
قـتـلك قـبـل الـعـشـاء مـا ظـلـمـك

فأجابه المتنبي بقوله :

أيـهـم أتـاك الـحـمـام فـاصـطـلـمـك
غـير سـفـيـه عـلـيـك مـن شـتـمـك

وبعده أبيات أخرى من هجر القول نتحرج في روايتها . والسؤال الذي يمكن أن يثار هنا هو : هل هذا صحيح ؟ واذا كان المتنبي قد هجا النامي ـ فلم ـ لم تثبت الابيات في ديوانه ؟ ترى هل كان كل هذا من تأليف الفريقين المتنازعين . فريق المتعصبين للنامي وفريق المتعصبين للمتنبي ؟ أغلب الظن أن ذلك كذلك ، أو أن المتنبي بعدما رأى تفاهة المعركة آثر أن يسقط كل هذا « الهراء » من ديوانه .

مصارعات

واذ أرجح أن تكون هذه المقطعات الهجائية موضوعة على لسان الشاعرين ، لا أنكر أن المنافسة بينهما كانت حادة بفعل الاستثارة ، لا من سيف الدولة وحده ، بل من جمهور محبي التفرج بمناظر « المصارعات » ، والراغبين في التشفي بمصير المغلوب ، ولو وصلنا شعر النامي لوجدنا فيه كثيرا من الهجاء الصريح لخصمه ، ومما يؤيد ذلك « هجائية نثرية » كتبها النامي لفضح العيوب والمساوىء في شعر المتنبي يقول فيها : « فأين ذهبت ، وفي أي ضلالة همت ، ومن أي قليب جهالة اغترفت . . » تعليقا على بيت لم يعجبه من شعر أبي الطيب ، فأما المتنبي فانه كان قادرا على أن يصرع خصمه ـ بل خصومه ـ بمحض التعريض ، كأن يقول ، بالغا أعلى درجات السخرية والاعتداد الذاتي معا :

أجـزني اذا أنـشـدت شـعـرا فـانـمـا
بـشـعـري أتـاك الـمـادحـون مـرددا
ودع كـل صـوت بـعـد صـوتي فـانـني
أنـا الـطـائـر الـمـحـكي والآخـر الـصـدى

ولقد ركدت ريح هذه المهاترات ـ أيا كانت طبيعتها ـ بعد ارتحال المتنبي عن حلب ثم وفاته سنة ٣٥٤ هـ . وبعد سنتين توفي سيف الدولة وامتد العمر بالنامي بعده فعاش في قول المقلل أربعة عشر عاما ، وفي قول المكثر ثلاثة وأربعين ، ولا ندري شيئا عن تلك الفترة من حياته . لعله شغل نفسه بالتدريس والتأليف ، فكان يلقي على الطلاب أماليه بحلب ، ويعمل على انجاز كتاب له في العروض سماه « المقنع » ، ولما لم يعد الامير الذي كان الشعراء يتبارون في احراز رضاه موجودا ، فقد أصبحت تلك المماحكات أصداء خافتة لا تكاد تسمع الا على سبيل التذكر . □

لقاء في صفة المفرد

لئن ذهبتِ بلا وعدٍ نُقرِّرُه
ولا لقاءٍ إذا شئنا نُكرِّرُهُ
فلستِ أوّلَ من ولّتْ مخلّفةً
فؤادَها بين أضلاعي أدثّرهُ
وقد مكثتِ شعوراً حين يطفحُ بي
يظلّ ينفضني نفضاً وأسترهُ
هل تذهبينَ وفي عينيك أكثرُ من
عشقٍ يحاولُ أن تبقى تفجّرهُ
هل تذهبينَ الى ماتكرهينَ كما
أبقى أعاني حضوراً لاأبرّرهُ
سأرفضُ الحاضرَ المفروضَ مُبتدئي
بالرغم منّا وأجفوه وأنكرهُ
كأنني حاملٌ أحزانَ مَن عشقوا
ولم ينالوا . وحُزني فيك أكثرهُ
كأنّ طيفكِ مُذْ بانَ يُذكّرني
بما بعينيك من سحرٍ سأذكرهُ
لقد أتيتِ كما لو كنتِ جاهزةً
إلى اللقاءِ كنهرٍ خفتُ أعبرهُ
لا موعدٌ بيننا حتى نقولَ كما
يشاءُ وغدٌ نعاتبهُ ونسهرهُ
ولستُ أعرفُ من أنتِ سوى ولَهٍ
مشابهٍ ولهى عيناكِ تُظهرهُ

للشاعر محمد الفايز

تكرّرين التفاتاً لا أقاومه
فأنتحي جانباً والقلب ينظره
لم أدرِ من أنتِ . كانت مقلتاك هوىً
يدعو وفيك شعورٌ صرتُ أشعُرُهُ
وجاء صوتك نشواناً فنبّهني
وجرْسُ لحديثٍ أنتِ مصدَرُهُ

وقد رأيتُ جمالاً قبل ذاك وما
يبدو بعينيك أحلاه وأكبرُهُ
يمتد نحوي شهيّاً في تطلّعِهِ
بلا اكتراثٍ ويدعوني وأحذَرُهُ
ومانكرتكِ لكنّي شُدِهت كما
يرتاع للبدر طفلٌ حين يبهرُهُ

وأذهلتني شفاهٌ مثلما فُتِحَتْ
خزائنٌ وفمٌ قد لجَّ أحمرُهُ
وكنتُ مذ كنت دوماً أستجيب إلى
داعي الهوى حين يدعوني وأشكُرُهُ

اذا سكتُّ ففي صمتي هواتفُه
أو التبستُ فحالاتي تفسّرُهُ
والعشقُ من صفة العشاق نكهتُهُ
فيهمْ وعالَمُه الأقصى وجوهرُهُ

العربي عيونك على العالم

مأرب

واليمن الجديد

استطلاع : منير نصيف   تصوير : طالب الحسيني

مجموعة من طلبة جامعة صنعاء في المكتبة الجامعية   إن اليمن كلها تحاول اليوم أن ترتفع الى مستوى الجامعة
وفتاة جامعية تحمل الكتاب في الحرم الجامعي وتعلن في فخر استعادة حقها في التعليم

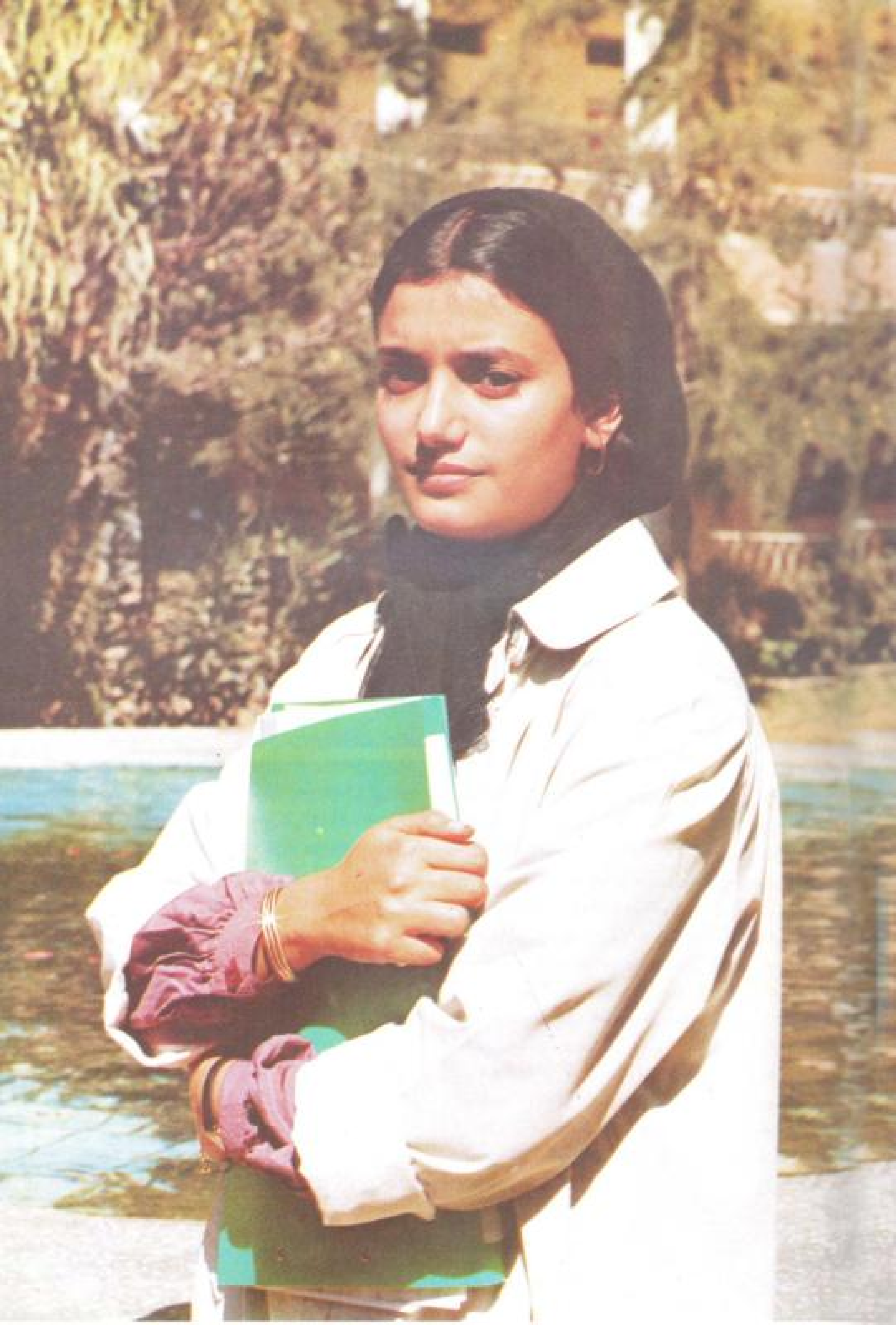

من منا لم يقرأ التاريخ .. تاريخ اليمن القديم وهو يحدثنا عن حضاراته التي دفنت تحت التراب وبقيت هناك قرونا طويلة .. في هذه الرحلة السريعة بين ربوع اليمن شهدت «العربي» قصة بلد نفض عن نفسه تراب النسيان، وخرج الى النور.. انها قصة اليمن الجديد الذي يلهث للحاق بركب الحضارة والتحديث.

ثمة شعور غريب انتابنا ونحن نقف في قلب هذا الوادي السحيق الذي تحتضنه الجبال الشاهقة .. وبين الأطلال التي عاشت تتحدى الزمن وتحكي لنا قصة أعظم وأقدم عمل هندسي في تاريخ شبه الجزيرة العربية .. انه شعور المرء الذي يواجه الواقع بعد رحلة الى عالم مجهول ..

المكان الذي وقفنا فيه نتأمل حكايته مع الزمن هو سد مأرب في اليمن الشمالي .. فقد كان مقصدنا ووجهتنا منذ أن بدأت الحياة تدب في هذه البقعة الأثرية القديمة من أرض اليمن، وتعلن للعالم أن الحضارات لاتموت .. فهي قد ترقد وقد يدوم رقادها لفترة طالت أو قصرت .. ولكن الحياة لاتلبث أن تدب فيها من جديد، لأنها حضارة.

كان سد مأرب حتى عهد قريب مجرد أثر من آثار اليمن، الذي يشد السائحين والزائرين الذين يبحثون في بطون الكتب ليقرأوا عن الحضارات التي سادت ثم بادت .. الى أن كان عام ١٩٨٤ في العيد الثاني والعشرين لثورة سبتمبر، التي أخرجت هذا البلد العربي الشقيق من عزلته، ووضعته في بداية الطريق نحو بناء مجتمع جديد لامكان فيه للتخلف الذي كان طابع الحياة في عصر الامامة، الذي فرض عليه العزلة عن كل مايمت الى العالم الخارجي وراء حدوده، المغلقة بصلة، من قريب أو من بعيد ..

لقد مضت الثورة تبني اليمن الجديد .. بفضل المساعدات التي قدمها ومازال يقدمها الاخوة العرب .. ومع حركة التحديث والبناء التي واكبت الثورة، جاء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة الى مأرب، حاملا معه الهدية التي قدمها لشعب اليمن (٧٠ مليون دولار). وهكذا تحقق الأمل في احياء سد مأرب القديم ..

الحضارات لاتموت

قلت لمرافقنا بعد رحلة بالسيارة من صنعاء (العاصمة) الى سد مأرب، قطعنا خلالها مائة وسبعين كيلومترا في ثلاث ساعات .. قلت: «لو كان توينبي المؤرخ الكبير الذي عاش أطول رحلة في تاريخ التاريخ .. لو كان توينبي حيا اليوم، لما تردد في أن يعود الى كتابه «تجاربي» ليضيف اليه: «ان الحضارات لاتموت».

لقد كانت دراسة التاريخ عند توينبي رحلة ممتعة مليئة بالفكر والتأمل والعمق. ولقد قام هذا المؤرخ المعروف بعدة رحلات إلى أرضنا .. هنا في «الشرق الأدنى» خرج خلالها بعدة نتائج كانت في بعض جوانبها يناقض بعضها بعضا، فهو تارة يقول ان الحضارات لاتدوم، وتارة يؤكد أنها لا تموت .. كتب يقول في خاتمة أحد فصول كتابه الذي يروي فيه حكاياته مع التاريخ، ومع وقفاته أمام الآثار في شرقنا القريب: «هنا ترقد الحضارات الواحدة فوق الأخرى .. القلاع والمعابد والحصون ... كلها في بقعة واحدة .. حضارات فارسية ويونانية ورومانية وبيزنطية وفينيقية واسلامية .. لماذا ذابت واندثرت .. إنها لم تدم، ولكنني لا أظن أنها ستبقى طويلا تحت التراب»، ولقد رحل توينبي مع حيرته، وكانت أمنيته أن يرى الحياة تدب من جديد في الحضارات التي وقف أمام اطلالها، فقد كان توينبي يقف في حزن وهو يتأمل تلك الأطلال من حوله، تماما كما كان يجلس ويسرح بفكره عندما يخلو الى نفسه، ويتذكر الأصدقاء الذين ضحوا بأرواحهم في الحروب من أجل حياة أفضل .. وكثيرا ماكان يخرج منديله من جيبه ليمسح دمعة حاول أن يحبسها.

دخلت الطائرة لتربط بين مدن اليمن الرئيسية . ولكن مازالت الطرق البرية تشكل حلقة اتصال هامة بينها

أرض الجنتين

ربما طال بقاء السد القديم تحت التراب .. ولكن هاهي الحياة تعود اليه بعد أكثر من ألفين وخمسمائة عام .. لقد وقفنا فوق مابقى من جسم السد وبواباته القديمة والأحجار الضخمة التي شيد بها ، وقد تناثرت هنا وهناك في الوادي السحيق ، الذي كان يمتلىء بمياه الأمطار المتساقطة ، والذي كانت مياهه تروي مساحة هائلة من الأرض تمتد من مأرب الى حضرموت (في اليمن الجنوبي الآن) .. وقفنا وتطلعنا حولنا نبحث عن أرض الجنتين التي جاء ذكرها في القرآن الكريم .. فلم نجد لها أثرا ..

ان أحدا لايعرف على وجه التحديد من هو أول من قام بانشاء هذا السد ،حتى كتب التاريخ القديمة والحديثة في حيرة من أمر صاحبه .. من يكون ؟ فالبعض يعتقد أن باني السد هو « سبأ بن يشجب » والبعض الآخر يقول بل هو « سمهو على ينوف » وابنه « يثعمر » وكلاهما من ملوك القرن الثامن قبل الميلاد ، مستندين في ظنهما الى النقوش التي كشفوا عنها على جدار السد الذي أعيد ترميمه بعد ذلك في عامي ٤٧٠م ثم ٥٤٣م .

ويقع السد على بعد أربعة كيلومترات من مدينة مأرب القديمة ، التي يقال أن آباء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، ينحدرون منها .. ويستقر البناء القديم في وادي « ذنة » وهو مضيق منخفض تتجمع فيه المياه من المرتفعات التي تحيط به ، وهناك ثلاثة وديان رئيسية تصب فيه مياهها هي ذمار وماهلية وسبأ ، الى جانب الوديان الأخرى الصغيرة ..

وفي هذه البقعة التي وقع عليها اختيار أجدادنا منذ قرون طويلة مضت ، سوف يقام السد الجديد الذي احتفل الشيخ زايد مع أخيه رئيس جمهورية اليمن العقيد على عبد الله صالح بوضع حجر الأساس في اليوم الأول من شهر اكتوبر من العام الماضي ..

سد مأرب الجديد

ومشروع بناء السد الجديد الذي تقوم بتنفيذه احدى الشركات التركية ، يستهدف تجميع مياه السيول الناتجة عن تساقط الأمطار فوق مساحة من الأرض ، تقدر بحوالي عشرة آلاف كيلومتر مربع ، للاستفادة منها في موسم الجفاف ، ويقدر متوسط تصريفها السنوي بحوالي مائتي مليون متر مكعب ، داخل خزان السد الذي تصل سعته الى ضعف هذه الكمية من المياه ، حتى يمكن اختزان المزيد منها عندما تكون السماء أكثر سخاء .

اما ارتفاع جسم السد فسوف يصل الى تسعة وثلاثين مترا ، وطوله سبعمائة وثلاثة وستون مترا ، وعرضه من أسفل مائة وخمسة وتسعون مترا ، ومن أعلى ستة أمتار ، ويبلغ حجم الردميات للسد ، او السد الترابي ، مايقرب من الثلاثة ملايين متر مكعب .

وقد وضعت التصميمات على أساس تمرير مياه الري خلال نفق بالجانب الأيمن للسد ، يبلغ قطره حوالي مترين ونصف المتر ، وطوله مائة وخمسة وتسعون مترا ..

ولانريد أن نمضي في التفاصيل ، فهي مازالت على الورق ، وان كان العمل قد بدأ في بنائه وهو يسير

مبنى جامعة صنعاء القديم .. لقد كانت الجامعة هي هدية دولة الكويت لليمن الشقيق .

الشباب اليمني الجديد المتعلم أمل المستقبل .. محاضرة في جامعة صنعاء .

واجهة أحد المباني الحديثة بجامعة صنعاء التي تخرج منها الآف الطلبة والطالبات منذ قيامها

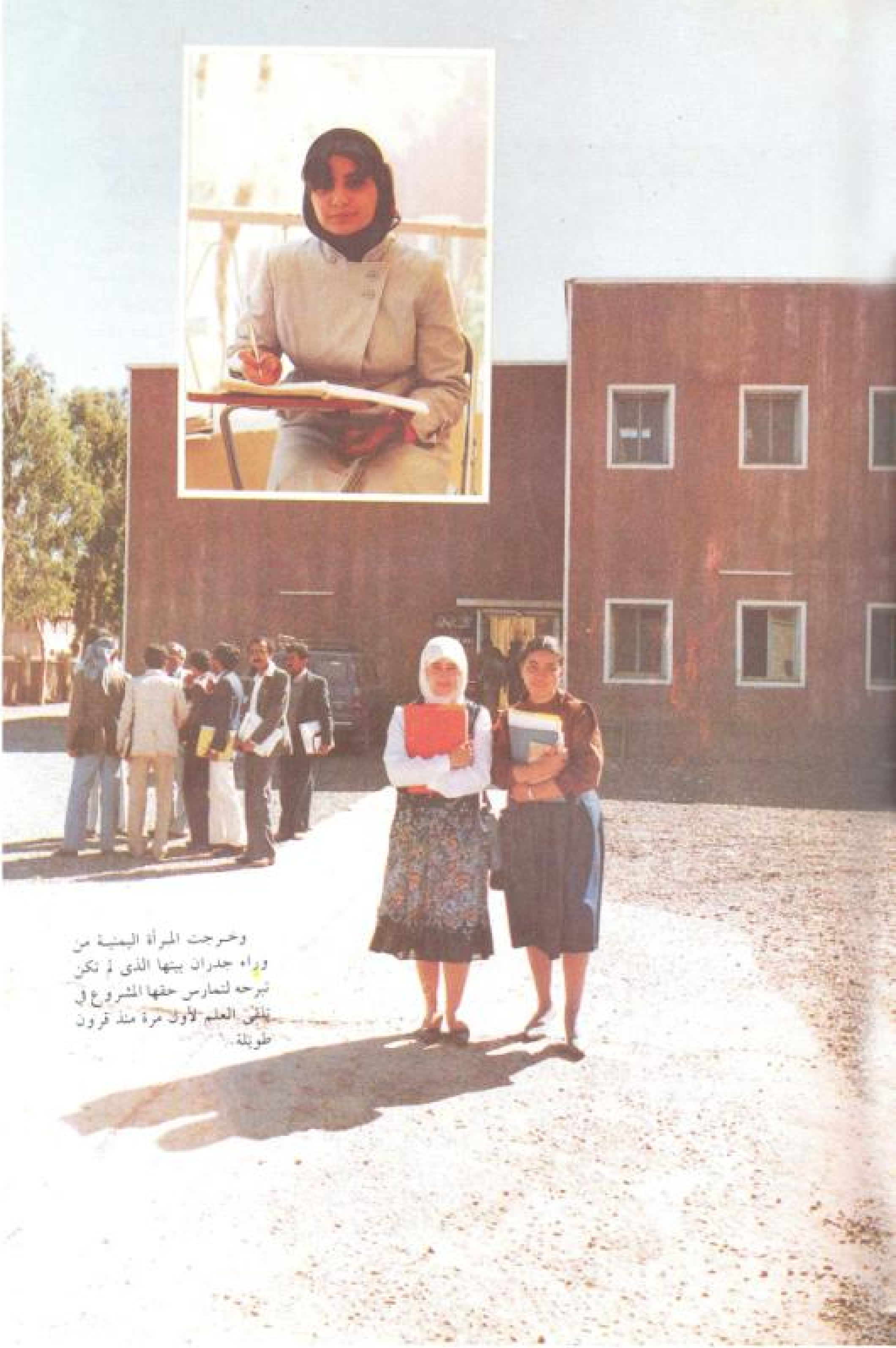

وخرجت المرأة اليمنية من وراء جدران بيتها الذى لم تكن تبرحه لتمارس حقها المشروع في تلقى العلم لأول مرة منذ قرون طويلة..

سريعا ، وقد انتشرت الآلات والمعدات في الموقع ، وتجمع الرجال الذين يحملون عبء البناء .

ماذا تعني اعادة بناء سد مأرب ؟ يقول الدارسون : « ان العائد الاقتصادي سوف يصل الى أربعة عشر بالمئة سنويا . وانه سوف يحقق زيادة في المساحة المزروعة في منطقة المشروع تصل الى ثلاثين الف هكتار ، أي مايوازي مائتي مليون متر مربع ، وذلك بفضل اتباع النظم الحديثة في الري ، كالري بالرش والتنقيط ، والري المحوري .

وسوف يحقق السد بعد ذلك ضمان توافر المياه بصفة دائمة طوال أشهر السنة ، الى جانب حماية الأراضي الزراعية من الانجراف بفعل السيول والفيضانات . هذا العمل الهندسي الرائع الذي ظل يبعث الحياة الى الأرض في السهول والجبال الخصبة على مدى قرون طويلة في اليمن القديم ، ماالذي حل به وكيف تحول الى انقاض وأكوام من الحجارة ، وقد كان شريان الحياة في هذه الأرض الطيبة ؟ ألم يكن ممكنا أن يبقى ويمضي في العطاء ، وهو الذي دخل التاريخ كأحد المعالم الحضارية الخالدة التي تؤكد عظمة وشموخ الانسان العربي ، الذي كان له دور بارز واسهام كبير في تشييد الحضارة الانسانية القديمة ؟

خواطر ألحت على ونحن نسير فوق انقاض السد الذي كان ! واقف متأملا عند أطراف بوابة التاريخ ، وسط السهل القابع عند سفح الجبال الشاهقة ، التي زال من حولها كل أثر للحياة ، وبقيت هي، تتحدى الزمن وتحكي لنا صفحات من التاريخ .

الفأر هدم السد

وقلت لمرافقنا : « كيف تهدم السد ؟ »

وقال : « لن تجد مرجعا واحدا يقول لك كيف ، ولا متى انهار هذا البناء العظيم ، ولكنك سوف تجد حتما تلك الأسطورة التي تناقلتها الأجيال عبر القرون . . اسطورة الفأر الذي ظل يأكل في جدار السد والناس من حوله في عجب مما يحدث أمامهم ، دون أن يخطر على بال أحد منهم أن وراء هذا التخريب في جدران السد القوية فأرا صغيرا أو كبيرا . ولم يستطع أحد حتى الآن أن يكتشف سر هذه القدرة الهائلة التي استقرت في أسنانه ، التي كانت أقوى من أي معول من معاول الهدم والتدمير .

ـ وهل عثروا على الفأر ؟

ـ تقول الأسطورة انهم وجدوه غارقا بعد ذلك في مياه السد عندما راحت تتدفق بقوة ، لتجرف معها كل شيء قام في طريقها . . فقد أغرق الطوفان اليمن . .

في الطريق الى تعز

في اليوم التالي ، كنا على موعد مع مدينة تعز وهي أجمل مدن اليمن على الاطلاق . . المسافة بينها وبين صنعاء العاصمة حوالي أربعمائة كيلومتر ، تقطعها السيارة في ثمان ساعات ، الطريق اليها ممهد ، ولكن أي طريق ؟ انها أشبه بأفعى تتلوى في قلب الجبل . . انها سلسلة جبال سمارة التي تمتد من الشرق الى الغرب ، جبال شاهقة ترتفع عن سطح البحر بحوالي ألف وخمسمائة متر ، وأكثر من ذلك في بعض أجزائها . . وهكذا اليمن كلها . . الجبال المرتفعة تحتضن قراها ومدنها . . الجبل دائما هناك يطالعك في أي مكان وفي كل مكان تذهب اليه . . ولكنك عندما تقترب منه وتزحف بسيارتك التي تسير في الطريق الذي شق في بطنه ، لاتملك الا أن تقف حائرا مشدوها ، وقد تملكك شعور بالرهبة والخوف أحيانا ، اذا نزلت قليلا وتطلعت الى السفح . . أو اذا حاولت أن تجول بعينيك في هذا الفراغ الهائل الذي لايلبث أن يصطدم بالجبال ، قبل ان تعرف من أين بدأ . انك في هذا المكان الصغير الذي تجلس فيه داخل سيارتك لاتستطيع أن تمنع نفسك من الاحساس بتفاهة الانسان وعظمته . . فأين مكانه من هذه الطبيعة القوية القاسية ؟ انك بالكاد ترى الناس الذين يعملون ويفلحون الأرض من هذا الارتفاع الشاهق ، وكأنهم مخلوقات لاتزيد في حجمها عن دمى الأطفال . . ولكن الانسان نفسه هو الذي أتاح لك فرصة الوجود في هذا المكان الذي تطل منه ، وأنت ماض في طريقك تزحف بسيارتك . . فهو الذي تحدى الجبل ، وراح يضرب في صخوره ليشق لك الطريق الذي تقف فيه ، وتشرف منه على الطبيعة من حولك .

المرأة تقوم بكل أعمال الرجل ، لأنه غائب ، فهو يهاجر الى الخارج من أجل الرزق والعيش ، ويتركها وراءه لتعنى بالبيت والحقل

وقبل الثورة كانت الرحلة بالسيارة عبر الجبال الى أي مدينة من مدن اليمن ضربا من المغامرة .. فقد كانت الطرق ضيقة غير ممهدة ، قد تصلح لدابة تسير عليها في حذر ، ولكنها تضيق بالسيارة التي كثيرا ماكانت تسقط بركابها الى السفح ، حيث تنتهي رحلتهم مع الحياة هناك في القاع .. أما الآن فقد اتسعت الطرق الجبلية وأصبحت ممهدة من أجل وحدة أرض اليمن ووحدة شعبه ..

الطائرة هناك ... ولكن

لقد حملت مسيرة التحديث الطائرة الى اليمن ، وأصبحت رحلاتها الداخلية تربط بين كل أجزاء البلاد القريبة والبعيدة ، ولكن بقي بعد ذلك الطريق البري ، الذي لاغنى عنه من أجل دعم اقتصاد البلاد وربطها ، وسيلة أساسية للاتصال ، ويجد فيه السائح متعة لاتتاح له اذا ركب الجو ، وحبس نفسه داخل هذا الصندوق الضيق الذي لايتيح له أن يرى من وراء زجاج نوافذه الصغيرة أكثر من قمم الجبال العالية .

ونعود الى رحلتنا التي بدأناها في الصباح .. لقد كنا نتوقف عند كل شيء يمت الى مهمتنا بصلة .. ولكن ماهي هذه المهمة ؟ .. لماذا جئنا الى اليمن ؟ لقد كانت مهمتنا تنحصر في أن نكتب عن هذا القطر الشقيق ، من خلال النهضة التعليمية التي تشهدها البلاد ، وأثرها على التنمية الاقتصادية ، وعن سد مأرب الذي بدأت الحياة تعود اليه بعد هذا الرقاد الطويل ، وماسوف يترتب على قيام هذا السد من تطور في الزراعة والمشروعات الزراعية .

وكلها عناوين جانبية تقع تحت عنوان عريض ، هو التحديث في اليمن ، أو اليمن الجديد ..

ونمضي في رحلتنا في بطن الجبل .. ونجول بعيوننا من حولنا .. البيوت الصغيرة شيدت فوق الجبل ، المزارع الخضراء تكسو الأرض عند السفح ، وفي كثير من أنحاء الجبل نفسه .. فقد كانت المدرجات الخضراء ترتفع الواحدة فوق الأخرى ، وقد اكتست كلها باللون الأخضر .. لون الحياة .. فالتربة خصبة ، ومياه الأمطار في الصيف تروي الأرض التي انتشرت فيها الحبوب ، التي تساقطت من الثمار في الخريف .. حبوب المحاصيل التي جنوها وأكلوها .. ذرة وقمح وخضراوات ، وفواكه في البساتين ..

جئنا على غير موعد

قال لنا مرافقنا : أنتم لم تروا اليمن الأخضر ، كما يبدو في موسم الزراعة ، ان كل شبر من هذه الأرض الواسعة الشاسعة يكسوه الزرع .. ومع هذا فلا يخلو اليمن من الزراعة على مدار السنة ، لأن الطقس عندنا يختلف من منطقة الى أخرى ، طبقا لارتفاعها عن سطح البحر واعتدال جوها أو ارتفاع درجة الحرارة فيه .. لو أن موعد زيارتكم لنا قد تقدم بعض الشيء أو تأخر لرأيتم المزيد مما جئتم تبحثون عنه .

ومن بعيد ، عندما استوى الطريق أمامنا وهبطنا

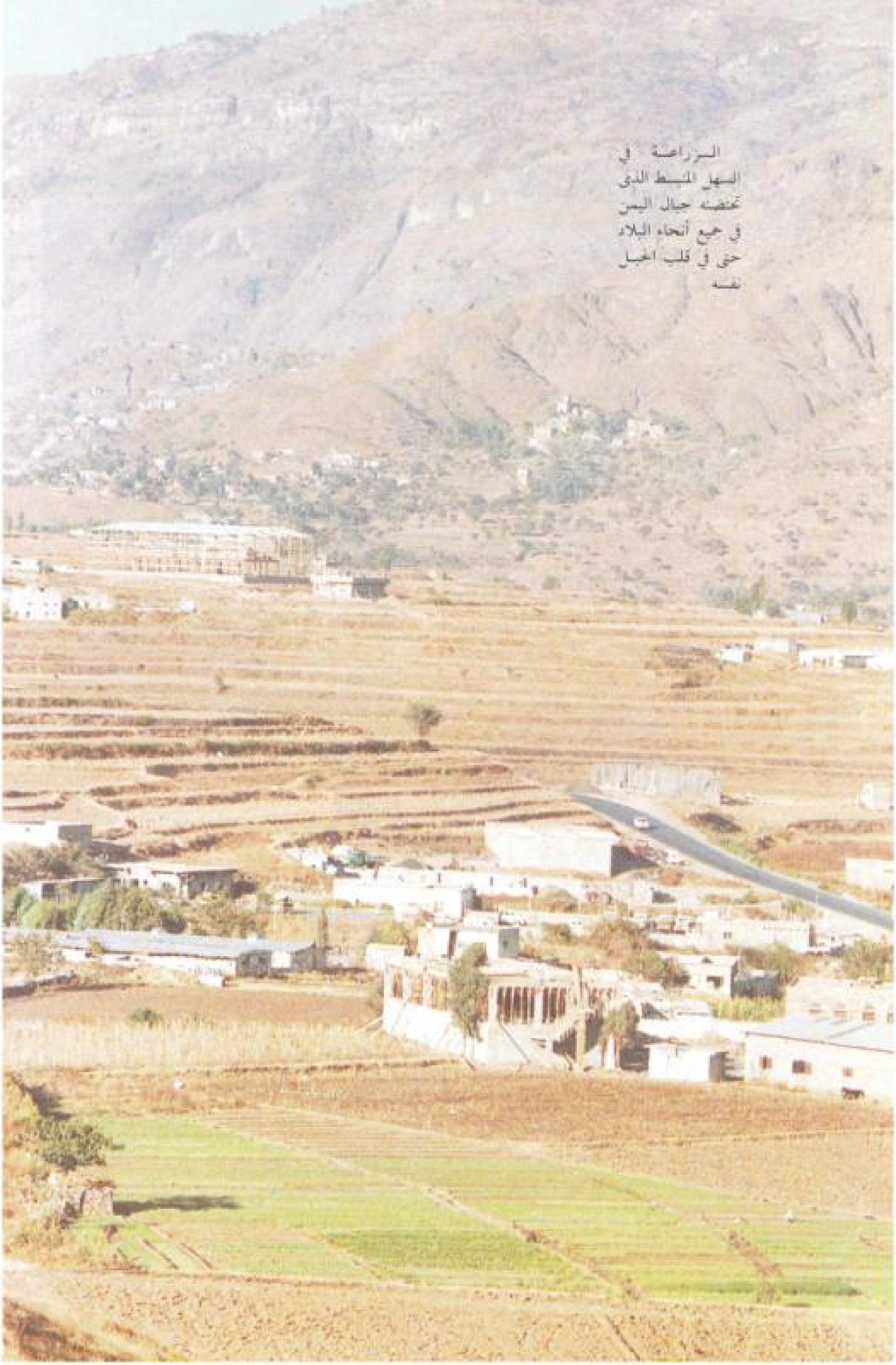

الزراعة في السهل المنبسط الذي تحتضنه جبال اليمن في جميع أنحاء البلاد حتى في قلب الجبال نفسه

سد مأرب ، أو ما تبقى منه .. أحد المعالم الحضارية القديمة التي تشهد بعظمة الانسان العربي ، الحياة تعود إليه من جديد

الآلة في موقع السد ، والعمل يجري على قدم وساق
لإعادة بناء سد مأرب القديم

عمر هذه الشجرة من عمر اليوم الذي
احتفل فيه شعب اليمن ببدء العمل في السد

الثروة الحيوانية وتنميتها تلقى عناية الدولة .. مجموعة من الأبقار الفريزيان في إحدى مزارع تربية الحيوانات .

من الجبل لاحت لنا صورة لم يكن ممكنا أن نمر أمامها دون أن تستوقفنا .. كانت مجموعة كبيرة من الأبقار ترعى في احدى المزارع النموذجية .. وذهبنا اليها .. إنها مزرعة رصابة ، سميت بهذا الاسم نسبة الى قرية رصابة التي دمرها زلزال اليمن منذ بضع سنوات خلت ، وهي أكبر قرى اليمن .

قامت المزرعة في عام ١٩٨٠ ، عندما استوردت اليمن مجموعة كبيرة من الأبقار الحلوب « الفريزيان » من انجلترا ، وقد كبرت المزرعة خلال السنوات الخمس الأخيرة ، وارتفع عدد الأبقار فيها ، وانتجت أعدادا كبيرة من العجول التي قاموا بتسمينها وبيعها للسوق المحلي ، ووزعت أعداد من الأبقار على المزارعين للتهجين ..

ونترك مزرعة الأبقار ونمضي .. ولكننا لانلبث أن نتوقف مرة أخرى عند مجموعة من الحظائر التي انتشرت في بقعة أخرى على الطريق المنبسط أمامنا ، قبل أن نصعد الى الجبل من جديد .. انها شركة سبأ للدواجن ، وهي شركة مساهمة يمنية انشئت برأسمال كويتي ـ مصري ـ يمني .

قامت الشركة عام ١٩٧٩ ، وكان الهدف منها انتاج دجاج اللحم ، وانتاج الأعلاف ، وأخيرا «الكتكوت» الذي يوزع في السوق المحلي على الفلاح الذي يتولى هو مهمة تربيته وتسمينه ، تحت اشراف المهندسين الزراعيين بالشركة ..

وقد بلغ الانتاج في العام الواحد أكثر من مليونين ونصف مليون دجاجة للاستهلاك المحلي ، عندما بدأت رحلة الشركة معها ،كانت « كتاكيت » صغيرة عمرها يوم واحد ، حملتها الطائرات الخاصة المعدة لنقل « كتاكيت » من أوروبا الى اليمن .. ويتكلف استيراد «الكتكوت» الواحد مايقرب من ثلاثة ريالات يمنية ، ويباع بعد تربيته وتسمينه بحوالي أربعة عشر ريالا ، وتبدأ عملية البيع بعد مرور ستة أسابيع على وصوله بالطائرة الى حظائر تربية الدواجن .

شركة سبأ واحدة من أربع شركات كبرى تقوم بانتاج الدواجن والبيض ، ومن المتوقع أن تحقق اليمن اكتفاء ذاتيا في الدواجن خلال خمس سنوات .

ونعود الى رحلتنا مع الجبل ... الطريق الى تعز يبدو كما لو كان بلا نهاية ، ولكن الرحلة ممتعة ، رغم

أنها طويلة محفوفة بالمخاطر ، أو هكذا خيل لنا ، ولكن ابتسامة سائق السيارة التي لم تفارق شفتيه أبدا ، نجحت في أن تبدد مخاوفنا بعض الشيء .

ووصلنا والشمس توشك على الغوص في الأفق البعيد ، لقد بدأ الظلام يكسو المدينة ، ومن شرفة الفندق الذي نزلنا فيه رأينا تعز بالليل .. مدينة جبلية عالية تسبح في الأضواء .. أفواج السائحين الذين ازدحمت بهم الفنادق كادت تهددنا بالمبيت في المقاعد التي لم نفترق عنها في السيارة طوال الرحلة ، لولا تدخل الأخوة الذين عثروا لنا على غرفة في فندق « الأخوة » . ففي تعز مطار دولي تهبط فيه الطائرات القادمة من كل انحاء العالم .

في ريف تعز

وفي الصباح كنا على موعد مع تعز الخضراء .. مع مياهها المخزونة التي تتدفق بحساب لتروي الأرض .. ومع المشاتل التي تنتشر في جميع أنحاء المدينة خارج المناطق السكنية .. ومع الريف وحياة أهله التي تتسم بالبساطة والقناعة والكفاح والصبر .

وفي وسط كل هذا ومعه ومن حوله ، كانت المرأة اليمنية هناك .. انها تقوم بدور اساسي لأن الرجل في أغلب الاحيان غائب عن البيت انه مهاجر وراء الحدود ، في بقية أقطار الوطن العربي ، وفي السعودية والكويت وبقية دول الخليج بصفة خاصة ، حيث يعمل من أجل رزقه وعيشه . وهو يذهب وحده ، تاركا امرأته وأطفاله وراءه .. فتراها في الحقل تزرع الأرض ، وتجني المحصول ، وتعنى بتربية أبنائها ، وترعى حيواناتها .. انها مسؤولة عن تسيير دفة الحياة في غيبة رجلها .

ورأينا المرأة اليمنية في الشارع وفي المدرسة وفي الجامعة .. الجيل القديم منهن مازال يختفي وراء الحجاب الذي جاء به الأتراك أيام الحكم العثماني .. أما الجيل الحديث المتعلم ، فيكتفي بغطاء الرأس ..

الحقل هو المكان الوحيد الذي رأينا فيه المرأة اليمنية بلا حجاب .. فهو مملكتها في بلد يعمل ٨٥٪ من اجمالي القوى العاملة فيه بالزراعة ..

من أجل هذا اهتمت ثورة اليمن بهذا القطاع ، وأعطته الأولوية في التنمية ، تمشيا مع أهداف الثورة ..

ومن أجل هذا أيضا أولت الدولة اهتماما خاصا بالتعليم ، ايمانا منها بأن التربية وخطة التنمية الشاملة أمران متلازمان .. لايمكن لأحدهما أن يتحقق دون الآخر ..

لم يكن اليمن يقف وحده عندما ثار الشعب على التخلف وعلى حكم « الامامة » الذي عاش في ظله معزولا عن العالم الخارجي القريب والبعيد .. فقد وقفت معه الشعوب العربية تساندة وتؤيده بالرجال والمال .. وكانت التضحيات كبيرة والمال كثير ، وقام اليمن الجديد .

وعندما استقرت الأمور في اليمن وبدأ الشعب يخرج من حالة السبات التي كان يعيشها .. بدأت رحلة بناء اليمن الجديد ..

قال لنا مسؤول عربي كبير : « لقد كانت الكويت سباقة ، كعهدنا بها دائما ، فما كادت تنقضي بضعة أشهر على قيام ثورة اليمن ، حتى بدأ مكتب دولة

سد مأرب في العلم الوطني

علم الجمهورية العربية اليمنية يحكي قصة اليمن ، فهو يتكون من ثلاثة الوان ، اللون الاسود ويرمز الى عهد الظلام والحكم الرجعي ، والأبيض ويرمز الى مبادىء الثورة ونقائها ، يتوسطه نجم أخضر يرمز الى اليمن الخضراء ورخائها ، ثم اللون الأحمر يرمز الى الثورة .

أما شعار اليمن فهو النسر الذي يرمز الى قوة الشعب وانطلاقه الى أفق التحرر ، باسطا جناحيه على العلم الوطني ، كما نقش به رسم يمثل سد مأرب ثم شجرة البن باعتبارهما من أبرز معالم اليمن .

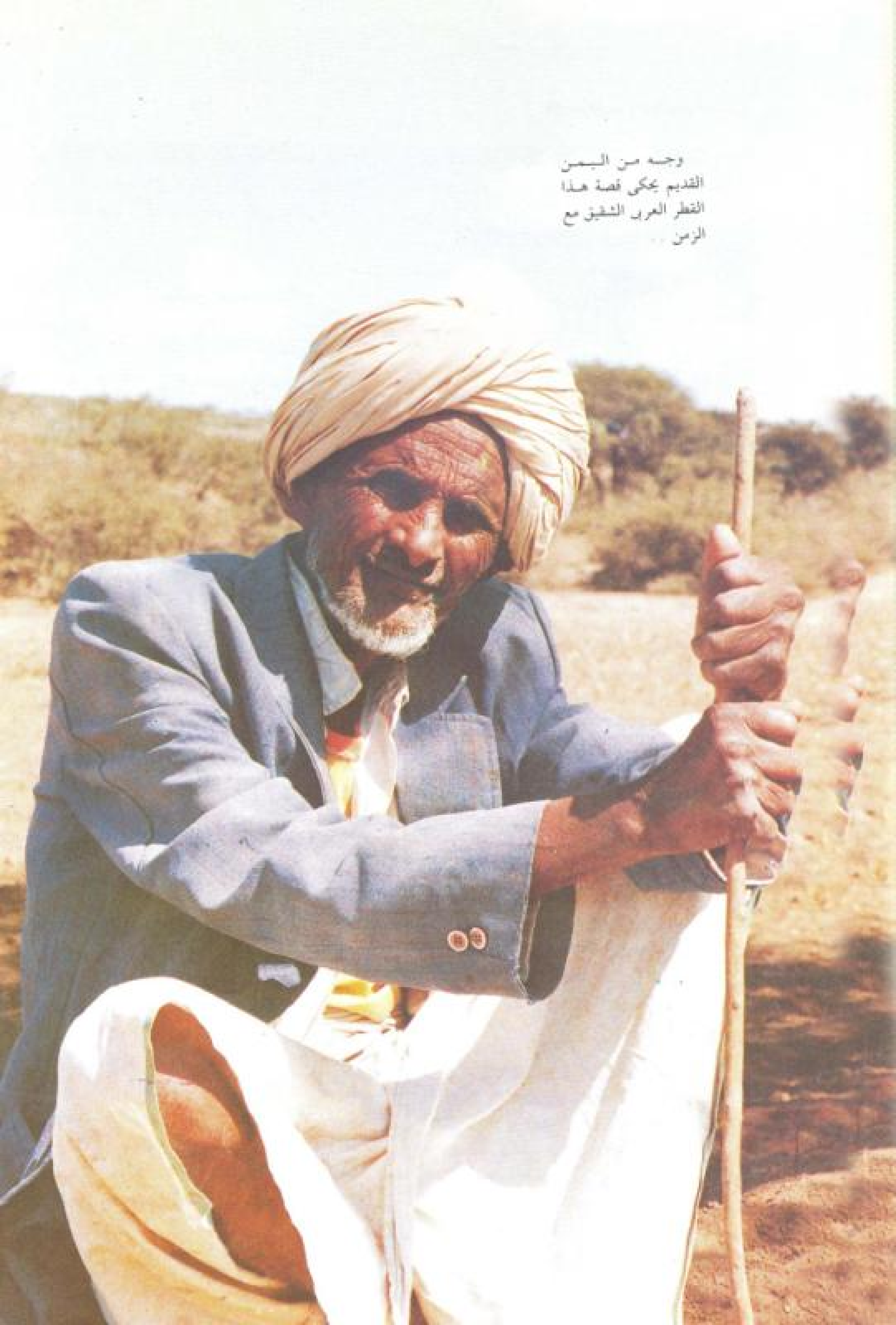

وجه من اليمن القديم يحكي قصة هذا القطر العربي الشقيق مع الزمن ..

قرية صغيرة بطابعها القديم وملابس أهلها التقليدية . أشجار الفاكهة وحدها هى التى تتجدد مع الربيع

اللوحة التذكارية التى تعلن عن قيام سد مأرب الجديد . أضخم مشروع فى اليمن الجديد .

شعار الدولة يحكى قصة اليمن قبل وبعد الثورة مع شجرة البن الشهيرة وسد مأرب

الكويت في صنعاء نشاطاته ، وكان ذلك في مطلع عام ١٩٦٣ .

كنت طبيبة في اليمن

كانت صورة الحياة في يمن « الامامة » قاتمة مخزية .. وكانت الحياة نفسها مهددة بالزوال ، نتيجة للأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بابناء اليمن .

وفي كتابها « كنت طبيبة في اليمن » كتبت المؤلفة ، وهي فرنسية انها كانت تمارس الطب في قصر الامام ، ولمست بنفسها مدى الخطر الذي يتهدد أرواح أبناء هذا البلد ، نتيجة لانعدام الرعاية الصحية في كافة أنحاء اليمن .. كتبت تقول : « سوف ينقرض هذا الشعب بعد مائة سنة ، ان لم يتغير الوضع في اليمن »

وترجم الكتاب الدكتور محسن العيني رئيس وزراء اليمن الاسبق وسفيره الحالي في بون .

لقد صدر هذا الكتاب قبل نشوب ثورة اليمن بحوالي ثلاث سنوات ، وكأن المؤلفة كانت تتنبأ بحدوث التغير الذي اخرج البلد العربي الشقيق من تخلفه وعزلته .

دور الكويت

ونعود الى مكتب دولة الكويت في صنعاء .. ماكادت تنقضي بضعة أشهر على قيام الثورة حتى بدأ المكتب يعمل .. وكان حجم العمل كبيرا .. وكان لابد من البدء فورا .. وكانت البداية من حيث يجب أن تكون ، وعلى الفور بدأ العمل في بناء المدارس الابتدائية والاعدادية ، ثم بناء المستوصفات والمستشفيات في المدن الرئيسية .. التعليم والصحة كانا الحجرين الاساسيين في تطوير حياة هذا الشعب ، والخروج به من حياة أهل الكهف التي كان يعيشها .

ومضى المكتب في خطته التي استهدفت الارتفاع بمستوى التعليم ، فقام بتنفيذ بناء العديد من المدارس الثانوية للبنين والبنات على حد سواء .. فقد كانت المرأة محرومة من حقها في التعليم ، وكان الفتى بدوره محروما من التعليم الحديث أيام الامامة ، قانعا بالتعليم المحدود في الكتاتيب .

وتخرجت أعداد كبيرة في المدارس الثانوية من الجنسين .. ولم يكن ممكنا أن يتوقف طلب العلم عند هذه المرحلة المتوسطة .. وهنا جاء دور الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي ، التي بادرت ببناء الكليات التي أصبحت فيما بعد نواة لجامعة صنعاء .

جامعة صنعاء هدية الكويت

لقد كانت الجامعة في مقدمة برنامجنا .. وذهبنا اليها وجلنا بين أقسامهاوزرنا مبانيها القديمة والحديثة .. كان مولدها في شهر نوفمبر من عام ١٩٧٠ ، وقامت الجامعة لتشارك في حمل راية التقدم العلمي ، ولتسد حاجة اليمن في مرحلة تطوره بالمتخصصين والفنيين والخبراء في شتى المجالات .. وكانت هذه الجامعة التي أصبحت اليوم بحق من الجامعات الهامة في الوطن العربي ، هي « هدية » دولة الكويت لشعب اليمن الشقيق .

وفي دليل الجامعة الذي قدم له مديرها بعنوان « جامعة صنعاء في عشر سنوات » اشادة بدور الكويت في قيام هذا الصرح العلمي ، فقد قال الكتيب الذي حوى معلومات وافية عن تطور الجامعة وعدد طلبتها في كل سنة دراسية من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨٠ ، قال الكتيب : « ولقد كان للمساهمة الفعالة لدولة الكويت أثر كبير في انشاء هذه الجامعة ،

ومازالت هذه المساهمة تلعب دورا أساسيا في نمو وتطوير جامعة صنعاء حتى اليوم » جامعة كاملة متكاملة بجميع كلياتها وأقسامها .. يشد الزائر اليها عدة اشياء ليس في حاجة لان يبحث عنها ، فهي ماثلة أمامه .. ومن بينها وفي مقدمتها النظام الذي يلمسه في مبانيها الحديثة ، وفي مكتبتها الحافلة بالكتب والمراجع ، ثم في هيئة التدريس التي تضم مجموعة من ابرز الأساتذة العرب .. وأخيرا في السكن الجامعي الذي خصص جانبا منه للطلبة وجانبا آخر للطالبات . والرعاية التي يلقاها هؤلاء وهؤلاء ابتداء من وجبات الغداء التي تقدم لكل الطلبة باسعار رمزية ، الى الرقابة الصحية التي يخضع لها الجميع من أجل اقامة مجتمع سليم خال من الأمراض داخل الحرم الجامعي وخارجه .

المشاتل تنتشر في جميع أنحاء اليمن لاستنبات نوعيات جديدة من المزروعات .

ولعل اخر مشروع تموله دولة الكويت لاستكمال كليات الجامعة ، هو مشروع بناء كلية الطب التي وقع عقد انشائها بمبلغ أحد عشر مليون دينار كويتي ، غير التجهيزات التي سيرصد لها مبلغ أضافي بعد اكتمال مباني الكلية .

هكذا كان الارتباط بين التعليم وخطة التنمية في اليمن . . وربما نجد في عدد اساتذة الجامعة الذين يزيدون اليوم عن مائتي أستاذ ومساعد استاذ ومدرس ، وعدد المدرسين في مدارس اليمن في مختلف مراحل التعليم حتى الثانوية العامة الذين يزيدون على ستة وعشرين الف مدرس . . ربما نجد في هذه الاعداد مايغنينا عن البحث عن آخر احصائية لهؤلاء الذين يتلقون العلم اليوم الذين تخرجوا في جامعة صنعاء على مدى السنوات الخمس عشرة التي مضت على انشائها ، ويقدمون اليوم دراسات عليا أكملها الكثيرون منهم .

حجة . . معقل الثوار

ثم ماذا ؟ . .

في احدى المدارس الثانوية في صنعاء قرأنا في كتب التربية الوطنية عن مدينة اسمها « حجة » . . ومشينا سريعا مع السطور لنصل الى قصيدة كتبها شاعر عربي معروف بعد زيارته « لحجة » منذ سنوات بعيدة في اعقاب الثورة التي غيرت وجه اليمن . . واصبحت القصيدة اليوم مقررة على طلبة المدارس الثانوية .

ولكن لماذا « حجة » ؟ لانها كانت معقل الثوار ، وهي مدينة جميلة تبعد عن صنعاء بحوالي مائة وخمسين كيلومترا الى الشمال الغربي منها . . وقد كانت هذه المدينة الصغيرة معزولة تماما عن الكثير من المدن اليمنية ، لصعوبة الوصول اليها بسبب ارتفاعها الكبير فوق قمم سلسلة جبال شاهقة ، وخطورة الطريق المؤدي اليها . .

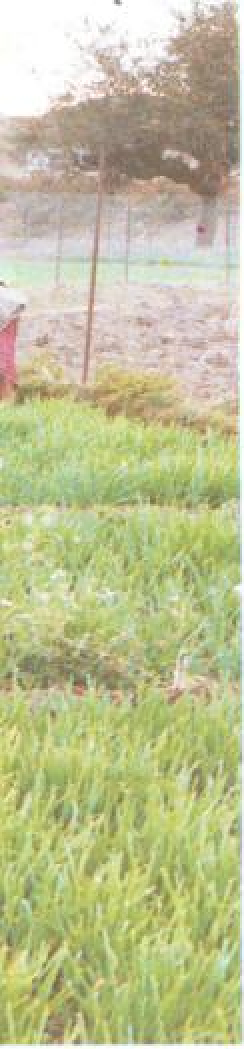

البن اليمني الشهير قبل تجفيفه وإعداده للاستهلاك والتصدير

شلالات صغيرة من المياه المعدنية التي اشتهرت بها المناطق المحيطة بمدينة تعز الجبلية

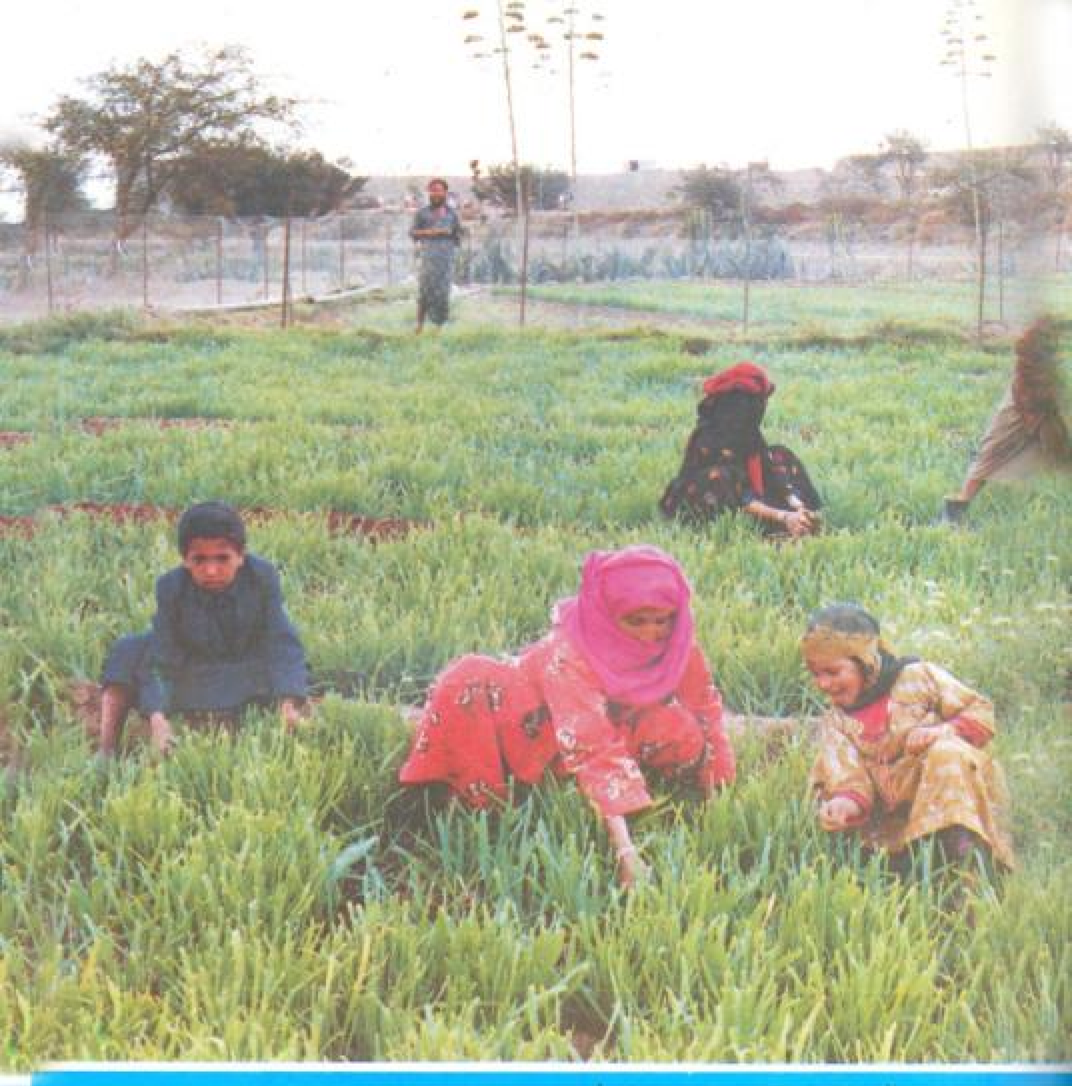

الأسرة كلها في الحقل . فالزراعة تشكل أهم مورد للدخل القومي في البلاد

الفلاح مع الماء
يروي به أرضه .
ومع أشجار البرتقال
في بساتين مدينة
تعز . أجمل مدن
اليمن

ومنذ سنتين أو ثلاثة شقت الدولة طريقا جديدا الى حجة ، في قلب الجبال المخيفة التي لابد من اجتيازها للوصول اليها . . وزارها من كان يسمع عنها وعن جمالها ، وكان بين زوارها الشاعر صاحب القصيدة التي يحفظها طلبة المدارس في صنعاء . .

قال الشاعر فيها . .

ملئت مُهجتي سرورا وبهجة
حين أبصرت معقل « الحسن » حجّة
بلدة غير انها تسلب اللب
تسبي القلوب من غير ضجة
بيتٌ في السماء فالناس فيها
كل شخص يرعى حواليه بُرجه
تتباهى بها الجبال ويعنو
تحتها مرع بداعب مرجه

أما الشاعر صاحب القصيدة فهو الاستاذ أحمد السقاف . واما نحن فقد تأخرنا وكان لابد لنا ان نختار بين زيارتنا لحجة وبين اللحاق بالطائرة . . وقلنا : نعود اليوم الى عملنا ونترك حجة لزيارة أخرى . الم يقولوا لنا ان المواطن العربي ليس في حاجة الى تأشيرة دخول الى اليمن . . ومن أراد ان يجلس فليجلس . . ويجلس هنا بمعنى الاقامة .

من يدري فقد نذهب الى حجة ونجلس فيها . □

اليمن الشمالي

مساحة الجمهورية العربية اليمنية د١٩٥ الف كيلومتر مربع .

● تعداد السكان حوالي تسعة ملايين نسمة .

● المزروعات التقليدية في اليمن هي القطن والقمح والشعير والذرة والخضراوات والفواكه والبن اليمني المشهور ، ويعرف بين المخا لانه كان يصدر الى جميع انحاء العالم من ميناء المخا، على البحر الأحمر .

● أكبر ثلاث مدن في اليمن هي « صنعاء » العاصمة وتعداد سكانها حوالي ٢٨٠ الف نسمة ، يليها ميناء الحديدة على البحر الأحمر (١٢٧ الف نسمة) ، ثم تعز (١٢٠ الف نسمة) ، ويربط بين المدن الثلاث خطوط جوية منتظمة الى جانب الطرق البرية الممهدة .

● تنتشر تربية الحيوانات عند سفوح الجبال في جميع أنحاء اليمن .

● تطورت صناعة صيد الأسماك ، وهي صناعة قديمة بعد انشاء مؤسسة خاصة تهتم باستثمار الثروة السمكية .

● هناك صناعات قامت بعد الثورة ومن بينها صناعة الغزل والنسيج ، وصناعة الأسمنت والطوب الحراري ، وتعبئة المشروبات الغازية ، والصناعات المعدنية ، والزيوت والصابون ، والبلاستيك وصناعة الالومنيوم ، والبسكويت وعصير الفواكه ، والسجائر .

● وفي اليمن ثروات معدنية اكتشف منها حتى الآن معدن الفضة الذي يصنعون منه حلى النساء ، وكذلك النحاس والحديد والرصاص والملح .

وترية الكمان الأولى

شعر : محمد حلمى حامد

كلانا وحيدٌ بلا أمنية
فلا تزرعى الحبَّ فى القلبِ قسْرا
فقد كنتِ نهرا
وكنتِ ابتسامةَ حلمٍ أطلَّ وعمرا
فهلْ دمتِ للقلبِ نغمةَ هذا الصباحْ
وهل أسلمتكِ الطيورُ البريئةُ
للجرحِ . . أمْ ساومتكِ الجراحْ
سلامٌ عليكِ من . .
من الآنَ للموتِ
والبعثِ بعدَ فواتِ الأوانْ
سلامٌ عليكِ إذا مرَّ طيفُ
هوانا المذانْ . . . .
فقد غيَّبوه عنِ الوعيِ دهرا
وقد أشعلوه ولمَّا يزلْ فى
السماواتِ بدرا
سلامٌ عليكِ منَ القلبِ للقلبِ
لن يرجعَ الحبُّ قسرا
فقد كانَ زهرا
ومنذُ رحلتِ العصافيرُ ماتت
وقدكنتِ للروحِ سرًا .

الليزر..

أشعة المستقبل

اعداد : رؤوف وصفي*

الليزر . . . أشعة عجيبة تتألق في الأفق العلمي للتكنولوجيا الحديثة . . والمستقبلية . . إنها أشعة الموت والحياة . . فلها قوة تدميرية مروعة للأهداف المعادية في الفضاء . . . كما أن لها القدرة على الإشفاء من السرطان .

ماهو الليزر ؟

شهد صيف عام ١٩٦٠ أول عرض لمصدر جديد للضوء ذي خصائص فريدة ، منها انه مركز جدا ، ومن ثم فطاقته مروعة ، الى حد أنه يتمكن من اطلاق طاقة تعادل طاقة الشمس ، ومن ناحية أخرى يمكن التحكم في قوة هذا الضوء الجديد ، حتى أن الجراحين يستخدمونه في اجراء العمليات الجراحية الدقيقة في العين البشرية .

كما يمكن لاشعة هذا الضوء العجيب ان تحدث ثقوبا في ألواح الصلب السميكة ، وكذلك اشعال الكربون ، ولأنها تمر في حزم متوازية ضيقة فيمكن ارسالها من كوكب الارض الى القمر ، أي حوالي ٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر ، فلاتضيء الا مساحة يبلغ قطرها حوالي ثلاثة كيلومتر فقط .

وتتميز هذه الاشعة بانها نقية جدا ذلك أن كل الضوء الذي بها له نفس الطول الموجي ، وهي أيضا متماسكة اي أن كل الموجات الضوئية بها متماثلة تماما وهذه الخواص لها استخدامات عديدة في الحياة العملية .

واطلق العلماء على هذه الأشعة الفريدة (الليزر Laser) وهذه الكلمة مكونة من الحروف الاولى من عبارة Light Amplification by Stimulated Emission of Radiation اي تضخيم الضوء بواسطة القذف المثار للاشعاع

وتعتبر أشعة الليزر من أهم المنجزات التي تحققت

* عضو الاتحاد الدولي لكتاب الخيال العلمي والجمعية الدولية لعلوم المستقبل .

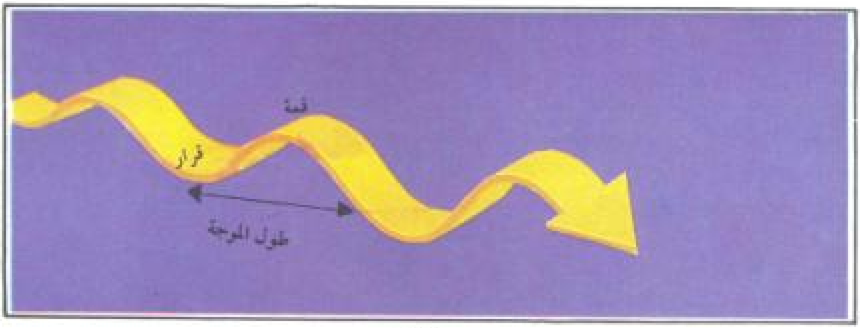

موجة الضوء

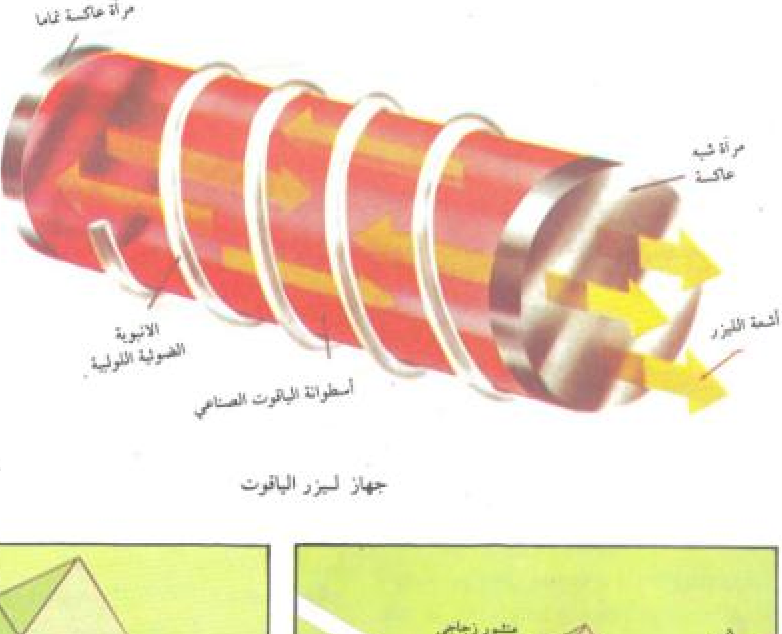

جهاز ليزر الياقوت

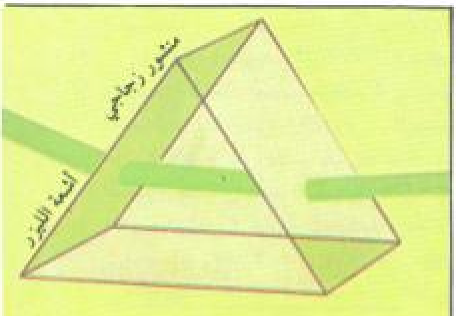

ضوء الليزر لا يتحلل

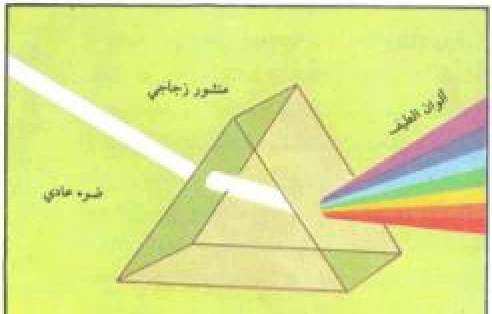

الضوء العادي يتحلل الى ألوان الطيف

في العصر الحديث ، اذ أنها أصبحت تستخدم بكفاءة عالية في مجالات مختلفة،وخصوصا في الصناعة والفضاء والطب والحرب ، والاتصالات والمعلومات وفن التصوير المجسم (الهولوجرافيا) . ولتوضيح طبيعة أشعة الليزر ، يجب أن نتعرف على بعض المفاهيم الأساسية والمصطلحات المستخدمة .

الذّرة :

تتكون المواد ـ بأشكالها الصلبة والسائلة والغازية ـ من مجموعة منتظمة من الذرات التي هي أصغر جزء من المادة . وتتكون الذرة من نواة مركزية تتضمن بروتونات (ذات شحنات كهربية موجبة) ونيوترونات (ذات شحنات متعادلة) وحول نواة الذرة هناك الكترونات (ذات شحنات كهربائية سالبة) تدور في مدارات مختلفة البعد عن النواة . وتأخذ المادة الشكل الصلب عندما تكون الذرات متقاربة جدا ، أما في الشكل السائل فيكون لدى الذرات بعض الحرية في الحركة ، تتباعد الذرات جدا عن بعضها في الشكل الغازي .

الأشعة الكهرومغناطيسية :

تنتج الاشعة الكهرومغناطيسية من تفاعل الذرات المختلفة مع مجالات مغناطيسية وكهربية في الفضاء ، وهي تشمل موجات الراديو والاشعة تحت الحمراء ، والأشعة المرئية والاشعة فوق البنفسجية والاشعة السينية (اشعة اكس) وأشعة جاما والاشعة الكونية .

إن الضوء العادي هو شكل من أشكال الطاقة وجزء من الاشعة الكهرومغناطيسية ، ويطلق على أصغر وحدات الضوء (الفوتون) وكل منها يحتوي على نبضة طاقة ، وتختلف كمية الطاقة حسب طبيعة الفوتون ، ويسير الضوء بسرعة تبلغ حوالي ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة .

الضوء العادي . . . والليزر :

يتكون الضوء العادي من موجات ضوئية مختلفة الطول والتردد واللون ، وهي مختلطة ببعضها دون انتظام . ويمكن أن نتبين هذا اذا قمنا بامرار الضوء العادي (ضوء الشمس مثلا) خلال منشور زجاجي ، فنجد أنه يتحلل الى الوان عديدة تطلق عليها ألوان الطيف،وتتكون من الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي ، وكل لون له طول موجي معين . وطول هذه الموجة الضوئية هو الذي يحدد لونها .

ويطلق على أعلى جزء من موجة الضوء (قمة الموجة) أما أدنى جزء فيطلق عليه (قرار الموجة) وطول الموجة هو المسافة بين قمتين متتاليتين . أما تردد الضوء فيقصد به عدد الموجات التي تمر من نقطة معينة في الثانية الواحدة . وبمقارنة الضوء العادي بأشعة الليزر يتضح لنا مايلي :ـ

١ ـ أشعة الليزر ذات اتجاه واحد ثابت ، وهي تختلف عن الضوء العادي الذي ينتشر في جميع الاتجاهات ، ومن ثم فاشعة الليزر تركز الطاقة عند نقطة محددة تماما .

٢ ـ أشعة الليزر متماسكة ، أي أن جميع الطاقة المنبعثة لها نفس طول الموجة وترددها ، اما الضوء العادي فهو يحتوي على العديد من الموجات المتباينة الطول والتردد .

٣ ـ اشعةالليزر ذات لون واحد نقي (أو على الأرجح هي حزمة ضيقة جدا من الأشعة) ، بينما يتكون الضوء العادي من العديد من الوان كثيرة مختلطة (الوان الطيف) .

كيف يعمل الليزر ؟

يتكون جهاز الليزر من ثلاثة أجزاء رئيسية : مادة يطلق عليها (الوسط الفعال) التي تنتج أشعة الليزر ، ومصدر للطاقة لاثارة ذرات الوسط الفعال ، ووحدة يطلق عليها (وحدة تفخيم الضوء) وهي غالبا في شكل مرآتين احداهما عاكسة تماما والاخرى شبه عاكسة (نصف شفافة) .

وقد يكون الوسط الفعال في أجهزة الليزر مادة صلبة (مثل الياقوت الصناعي) أو مادة سائلة (مثل مادة النيوديوم المذابة في أكسيد كلوريد الصوديوم) أو مادة غازية (مثل الهيليوم والنيون وثاني أكسيد الكربون) .

وهذا الوسط الفعال من خواصه أنه يقذف بضوء شديد التركيز والتماسك ، اذا وجهت اليه طاقة مثل التيار الكهربائي أو الاشعاع الضوئي ، ذلك تبعا للنظرية الكمية فان الذرة ـ عند اثارتها بمصدر طاقة ـ تصبح قادرة على امتصاص هذه الطاقة ، ويؤدي هذا الى انتقال الكتروناتها من مدارها الطبيعي الى مستوى اعلى ، ولكن سرعان ماتعود الى مستواها الطبيعي مرة أخرى ، متخلية عن الطاقة التي امتصتها من قبل ، في شكل فوتون ضوئي بنفس الطول الموجي ، ولكن بشدة أكبر بكثير ، بحيث أن كل فوتون وارد يسبب انفلات فوتون آخر .

وبتطبيق مبادىء النظرية الكمية أمكن التفكير في اختراع جهاز الليزر . وهنا يثار سؤال:كيف يعمل جهاز الليزر باستخدام النظرية الكمية ؟ حتى يمكن الاجابة عن هذا السؤال ، نقوم بشرح لكيفية عمل أول جهاز لليزر ، والذي كان يطلق عليه (جهاز ليزر الياقوت) . كان يتكون من انبوبة ضوئية لولبية ، تلتف حول قضيب سميك من الياقوت الصناعي اسطواني الشكل (الياقوت الصناعي نوع من أوكسيد الألمنيوم ، مع كمية من الكروم مذابة فيه) وعلى طرفي اسطوانة الياقوت الصناعي مرآتين ، إحداهما عاكسة تماما والأخرى شبه عاكسة (تعكس حوالي ٩٥٪ من الضوء الساقط عليها) .

وتستخدم الأنبوبة الضوئية اللولبية في اصدار ضوء شديد الكثافة ، يقوم بامتصاصه قضيب الياقوت الصناعي في زمن قصير جدا ـ حوالي عدة أجزاء من الف من الثانية الواحدة ـ ثم يعيد اطلاقه بشدة أكبر وبشكل مواز لمحوره ، وينعكس عند اصطدامه بالمرآتين عند طرفي القضيب ، ومن ثم فهو يمر عدة مرات خلال قضيب الياقوت الصناعي ، وهذا ينتج عنه تضخيم لاشعة هذا الضوء ، ذلك أنها تكتسب طاقة أكبر من قضيب الياقوت الصناعي بمرورها عليه عدة مرات جيئة وذهابا ، وتزداد هذه الأشعة الى الحد الذي يسمح لها بالانطلاق عبر المرآة شبه العاكسة . وهكذا تصدر أشعة الليزر ، بخواصها الفريدة بأي لون من ألوان الطيف ، وقد تصدر في شكل أشعة غير مرئية (الأشعة تحت الحمراء مثلا) .

أنواع الليزر :

هناك العديد من اشعة الليزر تنتج عن أجهزة متباينة الأشكال ، والتي تستخدم في أغراض مختلفة . ويمكن ان نصنفها تبعا للوسط الفعال الذي يوضع بالجهاز (مواد صلبة ـ سائلة ـ غازية) ذلك أن الوسط الفعال هو الذي يحدد طول موجة أشعة الليزر ، لان طول الموجة ينتج عن التغير في مستويات الطاقة بهذه المواد . ومن أهم أنواع الليزر :ـ

ليزر الغاز : يتألف هذا النوع من الليزر من أنبوب زجاجي ، يحتوي على مزيج من غازي الهيليوم (٩٠٪) والنيون (١٠٪) ويتصل بقطبين كهربيين لامرار التيار الكهربائي ، وفي طرفي الأنبوب مرآتان أحدهما عاكسة تماما ، والأخرى شبه عاكسة (نصف شفافة) .

ويعمل ليزر الغاز عندما تثار ذرات الهليوم أولا بالتيار الكهربائي ، فتنتقل طاقتها الى ذرات النيون التي تصدر أشعة الليزر من خلال المرآة نصف الشفافة . وتعتبر أشعة الليزر الصادرة من أجهزة الليزرالغازي أفضل بكثير من تلك التي تصدر عن الأجهزة التي تستخدم المواد الصلبة أو السائلة ، وذلك لشدة تماسك ضوئها ، سواء فوق الأرض أو في الفضاء ، وأيضا لمداها الكبير وطاقتها العالية .

وتستخدم أشعة الليزر الغازي في البحوث العلمية مثل التي تجري في الفضاء ، كذلك في ارسال الأحاديث والموسيقا على صور التلفزيون . ومن أجهزة ليزر الغاز أيضا تلك الاجهزة التي تعمل بواسطة غاز ثاني أكسيد الكربون ، ويصدر عنها اشعة ليزر غير مرئية (اشعة تحت الحمراء) وتعتبر ذات قوة عالية وتستخدم في الأغراض الصناعية .

ليزر السوائل : يتكون الوسط الفعال في هذا النوع من أجهزة الليزر ، من سائل خاص ، يحضر من اذابة مادة النيوديوم باكسيد كلوريد الصوديوم .

ويتميز ليزر السوائل بسهولة تحضيره في المختبرات ، كما أن المواد المستخدمة فيه اقتصادية لدرجة كبيرة ، بالمقارنة بأجهزة الليزر الأخرى ، بالاضافة الى امكانية تغيير السائل المستخدم بسهولة ، للحصول على أشعة ليزر ذات موجات ومواصفات جديدة دون تغيير جهاز الليزر .

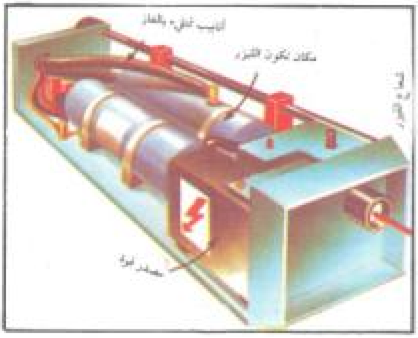

جهاز ليزر الغاز

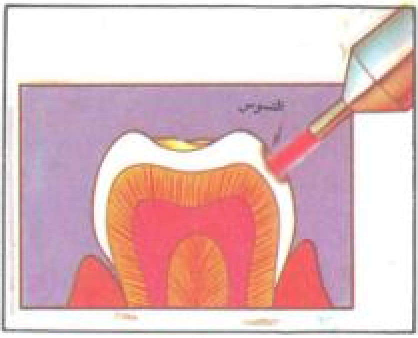

ازالة التسوس بأشعة الليزر

جهاز ليزر السوائل

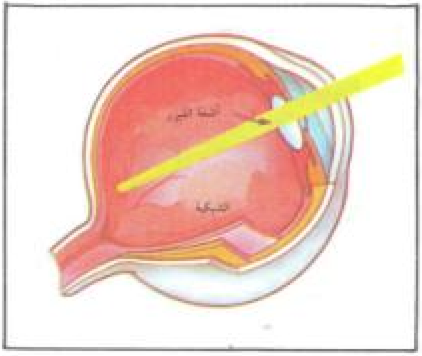

لحام الشبكية بأشعة الليزر

جهاز ليزر المواد الصلبة

اجراء عملية جراحية في العين بأشعة الليزر

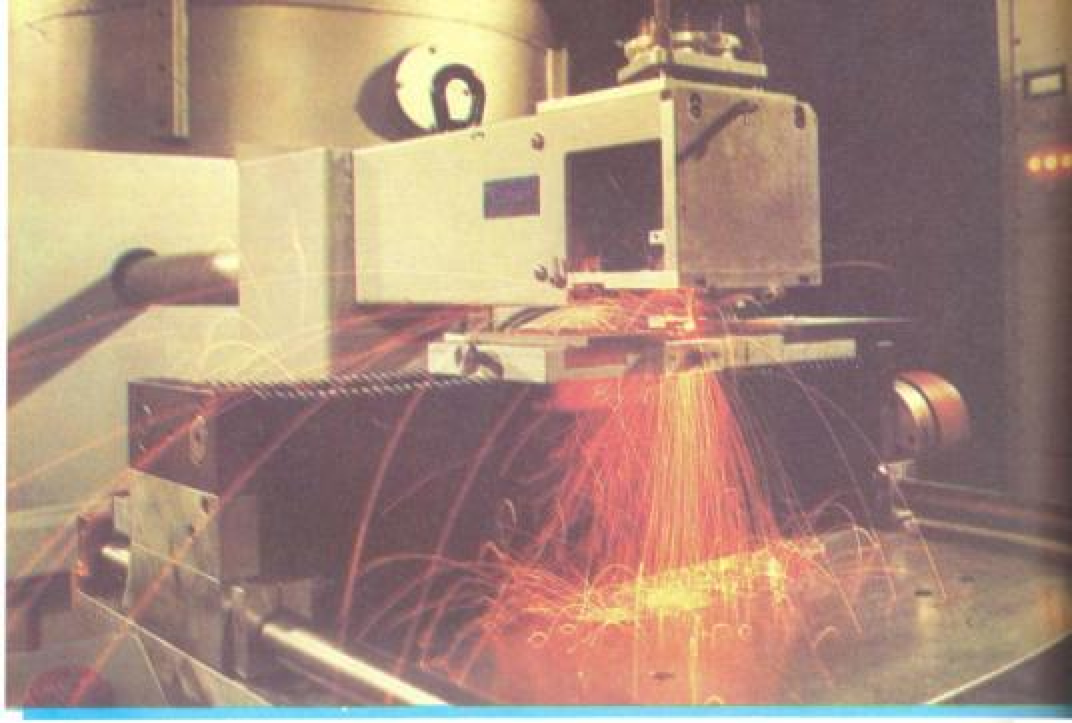

جهاز ليزر قوي يعمل بغاز ثاني أكسيد الكربون يقوم بقطع المعادن

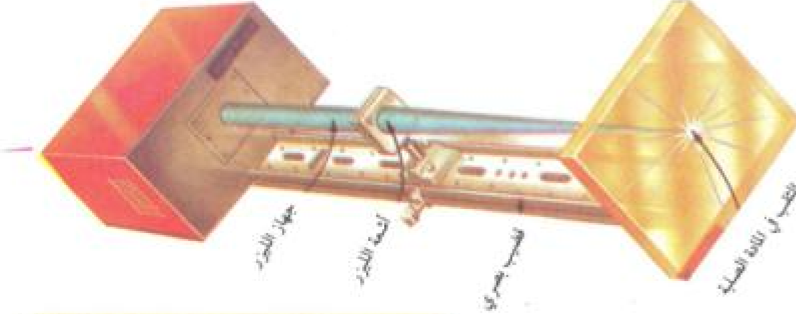

جهاز ليزر
يستخدم في
ثقب المواد الصلبة

تدمير الأقمار الصناعية
المعادية بأشعة الليزر

ليزر المواد الصلبة : يصنع جهاز ليزر المواد الصلبة من أشباه الموصلات ، مثل الترانزستور ، وهي ببساطة وحدات دقيقة تسمح بمرور التيار الكهربائي في اتجاه واحد فقط ، وتمنعه من المرور في الاتجاه المعاكس .

ويمكن استخدام هذا النوع من أجهزة الليزر في الأقمار الصناعية ، أو نقل المعلومات في الحاسبات الألكترونية (الكمبيوتر) ، وحتى كمصدر ضوء يمكن توجيهه الى الأجهزة الأخرى من الليزر لتشغيلها ، وتنتج أجهزة ليزر المواد الصلبة أشعة بأطوال موجات مختلفة ، تتراوح من الأشعة فوق البنفسجية الى الأشعة الحمراء .

تطبيقات الليزر :

الليزر في الطب :

● شهدت السنوات الأخيرة تقدما ملحوظا في مجال استخدام أشعة الليزر في الجراحة ، فقد تمكن العلماء من اختراع جهاز اطلقوا عليه (المبضع الليزري) يمكن الطبيب الجراح من استخدام أشعة الليزر بخواصها الفريدة في اجراء العمليات الجراحية ، بنفس الكفاءة التي يستعمل فيها مبضعه المعدني .

ويتكون هذا المبضع الليزري من جهاز لتوليد أشعة الليزر ذات طاقة مخفضة ، حيث تتخلل ذراعا معدنيا مفرغا ، يتصل بسلاح دقيق يشبه المبضع العادي للجراح ، وبواسطة عدسة خاصة مثبتة في بداية المبضع يمكن جمع حزمة أشعة الليزر ، وتركيزها عند الطرف واجراء العمليات الجراحية بها .

ويتميز المبضع الليزري بأنه مرن ، ويمكن تحريكه الى أي مدى يريده الجراح ، كذلك يمكن توصيله بمجهر الكتروني للعمليات الجراحية البالغة الدقة ، ويرجع السبب في تفضيل اجراء العمليات بالمبضع الليزري الى أنه يتمكن من فتح الجرح في جزء من الثانية ثم يغلقه دون ألم ، ومن ثم يمنع تدفق الدماء الى الخارج ، وهذا شيء بالغ الأهمية أثناء إجراء العمليات الجراحية الدقيقة ، ويطلق على الجراحة باستخدام المبضع الليزري اصطلاح (الجراحة دون دماء) .

● أمكن مؤخرا استخدام أشعة الليزر في استئصال الاورام في المخ ، خصوصا الأورام السرطانية عند المراحل الاولى لاكتشاف المرض ، حيث استخدمت قوة التركيز الهائلة لأشعة الليزر في قتل الخلايا السرطانية ، ومن ثم أمكن تفادي انتشار هذا المرض القاتل الى الخلايا السليمة .

● في حالات انفصال الشبكية في العين (اى تمزقها) والذى قد يسبب فقدان النظر ، أمكن استخدام أشعة الليزر الدقيقة .. بعد تخفيف طاقتها الى حد كبير - في لحام الشبكية في نقاط صغيرة بمؤخرة العين ، ومن ثم أمكن اعادة الرؤ يا للاشخاص الذين كانوا يعانون من انفصال الشبكية .

وفي هذه العمليات الجراحية التي تجرى في العين ، توجه أشعة الليزر الى المريض عبر عدسة العين الى داخلها ، دون أن تحدث أي ضرر لأنها شفافة ، وتفيد حرارة الليزر في لحام الشبكية من جديد في موضعها الأصلي .

● أمكن استخدام أشعة الليزر في معالجة الأسنان المصابة بالسوس ، وذلك عن طريق توجيه شعاع الليزر على مكان السوس لحرقه ، ومن ثم منعه من القضاء على السن تماما ، ويعتمد شعاع الليزر في هذا على طاقته العالية ، وسهولة توجيهه الى الأماكن الدقيقة وحيث أن هذه العملية لا تسبب أي الم ، فان الطبيب لا يستخدم أى تخدير موضعي .

● يمكن استخدام أشعة الليزر في علاج الأمراض التي تصيب المعدة ، خاصة قرحة المعدة ، ويتم ذلك عن طريق اطلاق أشعة الليزر من خلال أنابيب مثبتة في جهاز خاص يطلق عليه (الأندوسكوب) .

ويتكون جهاز الأندوسكوب من مجموعات من الأنابيب الدقيقة ، تكون في مجموعها وحدة في سماكة الأصبع البشري ، ويمكن امرار الجهاز من حلق المريض الى المعدة دون ألم ، حيث يمكن لاشعة الليزر أن تعالج القرحة أو أى مرض آخر بالمعدة ، ويستخدم في هذا النوع من العمليات الجراحية أجهزة ليزر غازية .

الليزر في الصناعة :

أصبح التطور التكنولوجي سمة من سمات العصر ، ولابد أن يصاحب هذا التطور استخدام أجهزة ووسائل حديثة ، وقد اثبتت أجهزة الليزر

كفاءة عالية فى هذا المجال .

● يمكن لاشعة الليزر أن تقوم باعمال عديدة فى التكنولوجيا الحديثة ، وخصوصا فى الصناعات الدقيقة التى تستخدم ترانزستورات فى حجم رأس الدبوس ، حيث تحتاج الى وصلات ملحومة بدقة بالغة ، وتستخدم غالبا أجهزة تستخدم غاز ثانى أكسيد الكربون لأصدار اشعة ليزر قوية .

وقد أمكن لأشعة الليزر ثقب ستين ثغرة فى سنتيمتر واحد بقاعدة ترانزستور فى مدة تبلغ واحدا على مليون من الثانية ، ومن ثم أصبحت تستخدم فى صناعة المصابيح الكهربائية والحاسبات الالكترونية والأقمار الصناعية .

● أمكن ـ باستخدام عدسة ضوئية ـ أن تركز كل طاقة أشعة الليزر على مساحة ضيقة جدا مهما يكن بعدها عن مصدر الليزر ، ومن ثم تتمكن من رفع درجة حرارة الهدف أكثر من مئة ألف درجة مئوية (تبلغ درجة حرارة سطح الشمس عشرين ألف درجة مئوية) . وهذا يؤدى الى قطع وقص ولحام وثقب الأجسام المعدنية المختلفة ، مهما كانت صلابتها (مثل الماس والفولاذ) أو حجمها خصوصا فى صناعة الساعات ، حيث ان لمثاقب الليزر قدرة هائلة ، بالاضافة الى امكانها تحديد الموقع المراد ثقبه بدقة بالغة .

الليزر فى المجال العسكرى :

● دأب كتاب الخيال العلمي لعشرات من السنين فى قصصهم على استخدام سلاح رهيب يصدر أشعة ذات قوة تدميرية مروعة ، أطلقوا عليها (أشعة الموت) ولعل أول من استخدمها الكاتب هـ . ج . ويلز فى روايته الشهيرة (حرب الكواكب) حيث استخدم الغزاة (سكان المريخ) أشعة الموت فى محاولة القضاء على سكان كوكب الأرض . ....

وتمر السنون وتظهر القدرة التنبُّية لكتاب الخيال العلمى، ويتمكن العلماء فعلا من اختراع هذا السلاح الإشعاعي المدمر فى عام ١٩٦٠ ، واطلقوا عليه (اشعة الليزر) وزودوا به الأقمار الصناعية القاتلة ، والمنصات الفضائية ، والمدافع والطائرات والدبابات لتستخدم طاقة الليزر الهائلة فى تدمير الأهداف المعادية بسرعة الضوء ، وخصوصا عندما تطلق من الفضاء الخارجى الى أهداف محددة فوق كوكب الأرض .

● يرى العلماء أن الحرب القادمة ستدور رحاها فى الفضاء ، ومن ثم سيكون شعاع الليزر هو الوسيلة الفعالة للدفاع ضد القذائف النووية الموجهة العابرة للقارات ، فيمكن لأشعة الليزر بطاقاتها المروعة أن تقطع المسافة من أجهزة الدفاع الى الصاروخ المعادى فى اجزاء من الثانية .

الليزر .. فى الفضاء :

● يمكن استخدام أشعة الليزر فى قياس المسافات الشاسعة بالفضاء ، وقد أمكن قياس المسافة بين كوكب الأرض والقمر بدقة بالغة ، فالقمر على بعد حوالى ٤٠٠,٠٠٠ كيلو متر ، وباستخدام أشعة الليزر من كوكب الأرض واطلاقها الى القمر حيث تنعكس على عدة أسطح عاكسة ـ وضعها هناك رواد فضاء من بعثة ابللو ١١ عام ١٩٦٩ ـ ثم ترتد مرة أخرى الى كوكب الأرض ، وهذه الرحلة التى طولها ذهابا وايابا حوالى ٨٠٠,٠٠٠ كيلو متر تستغرق من أشعة الليزر حوالى ٢,٥ ثانية فقط ، ويقيس العلماء نبضات الليزر من العاكس من نقطتين مختلفتين على سطح الكرة الأرضية ، ومن ثم فهم يتمكنون ـ باستخدام سرعة الضوء ـ من معرفة المسافة الدقيقة بين كوكب الأرض والقمر الى اقرب ١٥ سنتميترا . كما يمكن قياس سرعة تباعد القمر من الأرض ، وكيف تتأرجح الكرة الأرضية على محورها .

● ثمة ظاهرة غريبة فوق كوكب الأرض يطلق عليها (تزحزح القارات) وتتمثل فى تحرك قارات الأرض ببطء شديد بمجرد عدة سنتيمترات كل عام .

ولقياس هذا التحرك يتم اطلاق شعاع الليزر من قمر صناعى فى مدار حول كوكب الأرض ، ويمكن قياس التحرك البطىء جدا عن طريق انعكاس اشعة الليزر من نقطة معينة فوق قارة ما ، ثم انعكاسه من نقطة أخرى بعد مدة من الزمن ، والفرق بين النقطتين يمثل تحرك القارة .

● من النتائج المثيرة لعصر الفضاء زيادة معلوماتنا عن كوكب الأرض ، فتستخدم الأقمار الصناعية فى

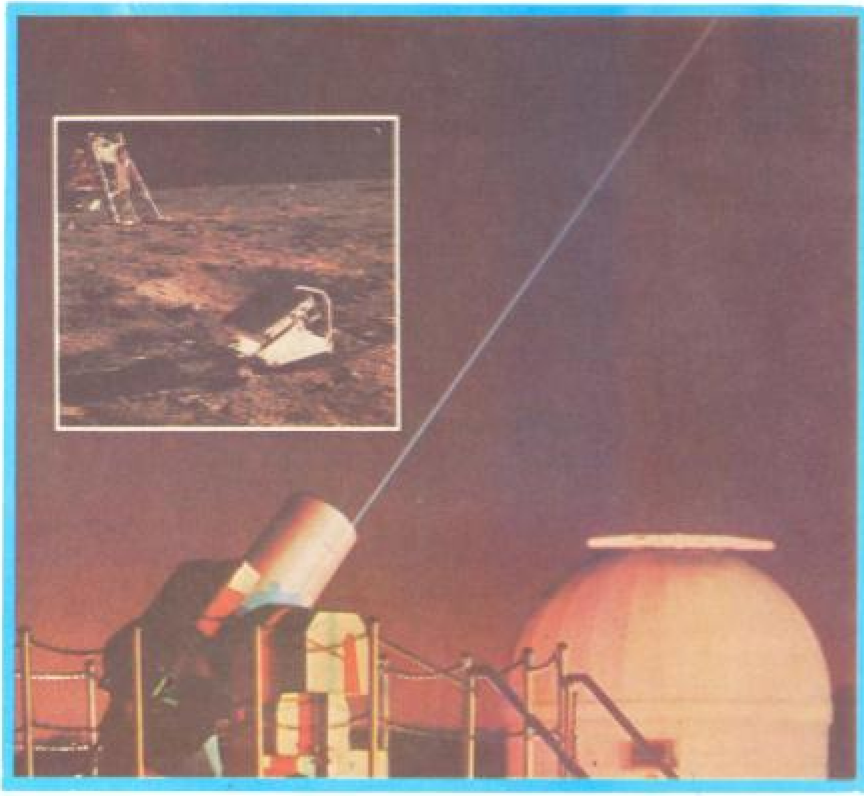

جهاز ليزر يوجه الى القمر حيث ينعكس من المرايا (الى الأعلى) التي وضعها رواد فضاء أبوللو ١١ فوق سطح القمر

اطلاق أشعة الليزر الى مناطق مختلفة من الأرض لدراسة شكلها وقياس سطحها بدقة بالغة .

الليزر .. في الاتصالات :

شهدت تقنية نقل المعلومات ثورة تتمثل في استخدام اجهزة اتصال بالغة التعقيد ، وذات كفاءة عالية تعتمد على أشعة الليزر في تشغيلها .

فقد امكن استخدام أشعة الليزر في نقل البيانات والمعلومات ، اما باطلاق الاشعة بشكل مباشر ، أو بامرارها في الياف بصرية . ولا يعتبر اطلاق أشعة الليزر بشكل مباشر وسيلة عملية لنقل البيانات والمعلومات ، ذلك انها تتأثر بشكل كبير بالسحب والضباب ، ومع هذا فيمكن استخدامها في الفضاء الخارجي في الاتصالات بين الاقمار الصناعية ، حيث لا يوجد ما يعيق مثل هذه الاتصالات .

ويمكن استخدام أشعة الليزر بكفاءة عالية في الاتصالات ونقل البيانات والمعلومات عند امرارها عبر الألياف البصرية .

الألياف البصرية :

أحدثت الألياف البصرية ثورة في الاتصالات الحديثة ، وهي عبارة عن أسلاك شفافة دقيقة جدا (يصل قطر بعضها الى ما يقرب من الشعرة الآدمية) وتصنع من مادة السيليكا والزجاج الشديد النقاء .

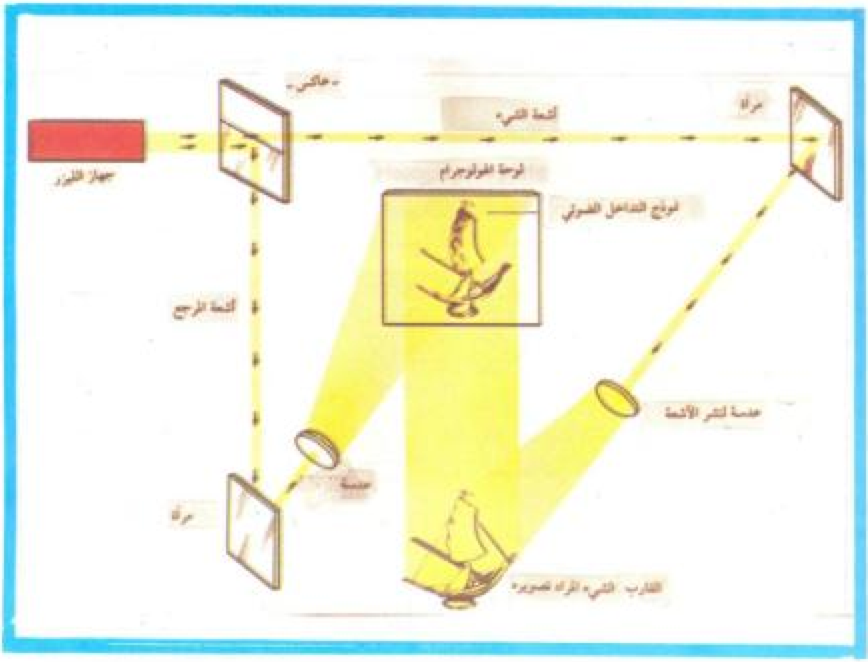

جهاز الليزر لتكوين الهولوجرام

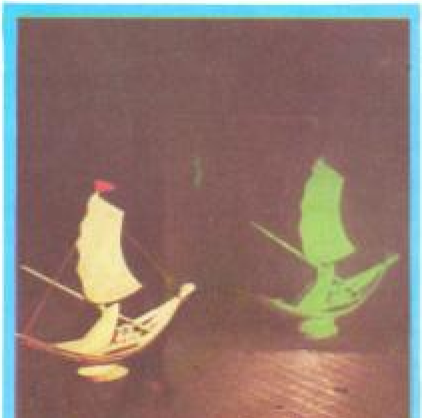

القارب الأصلي وصورته المجسمة

تظهر الصورة فقاعة دقيقة (٢ مليمتر) من مادة خاصة ، تم تسخينها بواسطة جهاز ليزري قوي ، فارتفعت درجة حرارتها بشكل هائل فاصدرت طاقة كافية للذرات لتندمج .

وتتكون الألياف البصرية من منطقة مركزية يطلق عليها (التجويف الداخلي) وهي عاكسة للضوء ، ومنطقة أخرى تمثل الجدران الداخلية لهذه الأسلاك يطلق عليها (الغلاف) . وتتميز الألياف البصرية عن الأسلاك النحاسية العادية بأن كل منها قادر على نقل حوالى ٢٠٠٠ مكالمة هاتفية ، بينما السلك النحاسي الواحد ينقل حوالى ٣٠ مكالمة فقط . وتعتبر الألياف البصرية أيضا أخف وزنا ، اذ يبلغ وزن ٥٠٠ متر منها حوالى ٢٥ كيلو جراما بينما يبلغ وزن نفس الطول من أسلاك النحاس العادية حوالى طنين (٢٠٠٠ كيلو جرام) . وتمر أشعة الليزر داخل الألياف البصرية على شكل نبضات ، حيث تتعرض لانعكاسات عديدة بين طبقتين مختلفتين في الكثافة (التجويف الداخلي والغلاف) ثم تصل في النهاية الى هدفها حاملة معها البيانات والمعلومات على شكل نبضات كهربية ، وقد توضع عدسات دقيقة جدا داخل الألياف الزجاجية كل مسافة محددة ، ذلك لتجميع أشعة الليزر كلما تفرقت .

كيف تحمل أشعة الليزر .. المعلومات :

حتى يمكن تخزين أو بث المعلومات بأشكالها المختلفة (مثل الأصوات والصور ومخرجات الكمبيوتر ..) فانه يجب تحويلها الى نبضات كهربية . وهكذا تتحول المعلومات الى نبضات كهربية تعبر عنها تماما .

وعلى سبيل المثال فان صوت المتحدث في الهاتف يتحول الى نبضات كهربية تعبر عنه تماما ، ثم تمر عبر الاسلاك الى هاتف المستمع وتتحول مرة اخرى الى صوت مميز .

ويتم بث المعلومات عن طريق أشعة الليزر كما يلي :ـ

تتحول المعلومات المراد بثها الى نبضات كهربية ، تعبر عنها تماما ، ثم يتم توجيهها الى جهاز الليزر ، فيصدر أشعة تتحول تماما مثل النبضات الكهربية وتساويها ايضا في الشدة ـ اى أن المعلومات قد تحولت الى أشعة ليزر معدلة ـ وعند الهدف هناك أجهزة استقبال خاصة تحول اشعة الليزر الى معلومات مرة اخرى . وهكذا يمكن لاشعة الليزر أن تستخدم لحمل المعلومات من مكان لآخر ، أو تخزينها على أقراص خاصة يطلق عليها الأقراص البصرية ، وهي تستخدم أيضا في تسجيل الموسيقا وأفلام الفيديو .

الأقراص البصرية :

يتكون القرص البصرى من سطح معدني فضي مثل المرآة ، يعكس الضوء في شكل ألوان الطيف ، ويغطى بطبقة رقيقة من البلاستيك النقي ، وهو في حجم اسطوانة الموسيقا العادية ، وعلى السطح هناك العديد من الثقوب الصغيرة الدقيقة جدا يطلق عليها (الحفر) أما المناطق المستوية التي بينها فيطلق عليها (المسطحات) ولكي نتعرف على دور أشعة الليزر في عرض المعلومات ، نأخذ حالة عرض أفلام الفيديو .

يتم عرض المعلومات (فيلم الفيديو) عن طريق توجيه أشعة الليزر من جهاز الفيديو بشكل عمودي على سطح القرص البصرى المسجلة عليه المعلومات ، وذلك أثناء دورانه ، على أن يكون مدى الأشعة من مركز القرص الى حافته ، ويعكس السطح اللامع للقرص أشعة الليزر الى جهاز الفيديو مرة اخرى ، حيث يتم التقاطها بواسطة وحدة الكترونية ، تقوم باصدار نبضات كهربية مختلفة بمجرد وصول أشعة الليزر اليها . وحيث أن الحفر والمسطحات فوق سطح القرص البصرى تعكس أشعة الليزر بشكل مختلف ، وعند وصولها الى الوحدة الألكترونية بجهاز الفيديو ، تقوم هي أيضا باصدار نبضات كهربية مختلفة مثل أشعة الليزر التي انعكست اليها ، ثم يحول جهاز الفيديو هذه النبضات الكهربية الى صور وصوت (فيلم الفيديو) .

الهولوجرافيا (فن التصوير المجسم) :

من اهم تطبيقات أشعة الليزر ما يطلق عليه (الهولوجرافيا) أي فن التصوير المجسم الذي يظهر الابعاد الثلاثة للاجسام . ويعتمد هذا الفن على (الهولوجرام) الذي يعني الصورة الكاملة .

ويبدو الهولوجرام كالصورة العادية ، ولكنه في الواقع يختلف عنها اختلافا جوهريا .

تخيل أن آلة تصوير عادية التقطت صورة لرجل يقف أمام سيارة ، فاذا نظرت الى هذه الصورة

وحركت رأسك من جهة لأخرى سيظهر الرجل دائما وهو يحجب نفس الجزء من السيارة هذا النوع من الصور يطلق عليه (ذو البعدين) أما اذا اخذت صورة هولوجرام لنفس المنظر (الرجل والسيارة) لاختلف الأمر ، فاذا حركت رأسك من جهة لأخرى ، لاتضح لك ان الرجل يتحرك بالنسبة للسيارة . وبمعنى آخر فان الهولوجرام تقدم صورا ذات أبعاد ثلاثة ، ومن ثم تبدو الصور كالمناظر التى نشاهدها فعلا فى الطبيعة ، فمن كل زاوية يبدو للمشاهد ان المنظر مختلف . فاذا نظرت لصورة الهولوجرام للرجل والسيارة وحركت رأسك نحو اليمين لظهر لك الرجل يتحرك الى اليسار بالنسبة للسيارة ، وتنتج صور الهولوجرام من اضاءة شىء ما بأشعة الليزر التى تصدر بضوء ذي لون محدد (أى بطول موجة ضوء معينة) ، ويتم تخزينها فى الهولوجرام ، ولا يمكن رؤيتها الا باطلاق أشعة الليزر بنفس طول الموجة مرة اخرى خلال الهولوجرام ، كما يمكن تخزين الهولوجرامات فوق فيلم أو على زجاج خاص .

كيف يتم تسجيل الهولوجرام ؟

يوضح الرسم كيف يتم تسجيل الهولوجرام :ـ تمر أشعة الليزر خلال عاكس ، حيث تنقسم الى قسمين : القسم الأول يطلق عليه (أشعة المرجع) تسقط على مرآة فتنعكس خلال عدسة تقوم بنشر هذه الأشعة التى تسقط على لوحة الهولوجرام ، وهى اما فيلم فوتوغراف ، أو من زجاج خاص مغطى بمادة حساسة للضوء .

اما القسم الثانى من أشعة الليزر والتى يطلق عليها (أشعة الشىء) فانه يتم توجيهه بواسطة مرآة وعدسة الى الشىء المراد تصويره (فى مثالنا : القارب) وتسلط هذه الأشعة على القارب ثم تنعكس فى كل الاتجاهات ، وعندما تتقابل هذه الاشعة المنعكسة مع أشعة المرجع تكون نموذجا خاصا للقارب يطلق عليه (نموذج التداخل الضوئى) أى تداخل أشعة الشىء مع أشعة المرجع .وهذا النموذج هو الذى يقوم بتخزين كافة المعلومات عن تفاصيل القارب ويسجله فوق لوحة الهولوجرام .

وتبدو صورة القارب ذات أبعاد ثلاثة ومطابقة للأصل تماما ، ولكنها بلون واحد فقط ، تبعا لنوع الليزر المستخدم ، ويكون هذا اللون واضحا تماما ومتألقا لانه ناتج عن ضوء نقى ذي طول موجى واحد .

الليزر . . وافاق المستقبل :

اخذ الليزر يشق طريقه بكفاءة عالية عبر الأفق العلمى فى العصر الحديث ، ومن التجارب التى تجرى فى الوقت الحاضر ليتم تطبيقها فى المستقبل :

مصادر جديدة للطاقة : يبحث العلماء دائما عن مصادر جديدة للطاقة ، فمن غير المتوقع ان تبقى المصادر الحالية (الفحم والنفط والغاز) الى الأبد ، ومن ثم يسعى العلماء جاهدين الى ايجاد مصادر أخرى يستمدون منها الطاقة .

وثمة مصدر محتمل للطاقة هو (الاندماج النووى) الذى يحدث عند درجات حرارة مروعة تبلغ ملايين الدرجات ، فالشمس مثلا تطلق الطاقة بفعل الاندماج النووى الذى يحدث عندما تتحد ذرات معينة فتطلق الطاقة عند اندماجها ويمكن لأشعة الليزر أن تحدث تسخيناً للمواد يؤدي إلى الإندماج النووي وإصدار الطاقة .

التلفزيون المجسم :

يجرى العلماء المزيد من التجارب على الهولوجرام بهدف جعله يظهر بألوان متعددة مثل الأصل تماما ،

وهناك ايضا محاولات لجعل الهولوجرام يتحرك ومن ثم يمكن أن نشاهد فى المستقبل القريب تلفزيونا مجسما ذا أبعاد ثلاثة . كما يمكن استخدام شاشات تلفزيون كبيرة بحجم الجدار حيث يمكن الاستفادة من خصائص أشعة الليزر (صفاء اللون والكثافة الشديدة) . ويكفى أن تسلط أشعة الليزر على الهولوجرام بنفس الزوايا التى استخدمت فى تصوير المناظر المختلفة المسجلة ، حتى ترى نفس هذه المناظر كما هى فى الطبيعة ، ويكفى أن تمر نسبة معينة من هذه الصور فى الثانية حتى نراها تتحرك . ويتوقع العلماء أن يكشف لنا المستقبل القريب عن المزيد من التطبيقات المذهلة لتقنية الليزر الذى اطلق عليه بحق .. أشعة المستقبل . □

البيان

في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا . . . » النساء ٩٤ .

ذكروا في سبب نزول هذه الآية عدة قصص متشابهة تحمل معنى واحدا ، فقد قيل إن رسول الله (ﷺ) بعث جماعة من المسلمين الى المشركين فقاتلوهم حتى لاذ المشركون بالفرار . وتبع رجل من المسلمين كافرا حتى أدركه ، فلما أراد أن يقتله برمحه صاح الرجل : « أشهد أن لا اله الا الله ، اني مسلم » غير أنه طعنه فقتله . فلما عاد الى رسول الله وروى له ما حدث ، قال له النبي : « فهلا شققت عن بطنه فعلمت ما في قلبه ؟ » فقال : « يارسول الله ، لو شققت بطنه أكنت أعلم ما في قلبه ؟ » قال : « لا ، فلا أنت قبلت ما تكلم به ، ولا أنت تعلم ما في قلبه » .

وقيل ان القاتل هو أسامة بن زيد بن حارثة والمقتول مرداس الغطفاني من أهل فدك . فلما قدم أسامة على النبي وأخبره ، عظّم النبي الامر عليه وقال : « قتلت رجلا يقول : لا اله الا الله ؟ !! » قال أسامة : « يارسول الله ، انما تعوذ من القتل » (أي قالها خوفا من السلاح) فعاد النبي يقول : « قتلته بعدما قال لا اله الا الله ؟ ! هلا شققت عن قلبه لتنظر أصادق هو أم كاذب ؟ » . قال أسامة : « فما زال رسول الله يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » .

والحكمة التي نستقيها من الآية الكريمة التي نزلت بهذه المناسبة أو مناسبة مماثلة ، وكذا من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله** » ، هي أن الأحكام انما تناط بالمظان والظواهر ، لا على القطع واطلاع السرائر . ذلك أنه لما كان من المستحيل ، حتى لو شققنا عن بطن امرىء ، أن نعلم ما في قلبه ، لم يكن ثمة مفر من قبول ما يبين عنه لسانه ، والحكم باسلامه متى نطق بالشهادة . وهو المعنى الذي قصده تعالى بقوله : « **ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا** » .

يقول القرطبي في تفسيره : ان الله لم يجعل لعباده غير الحكم بالمظاهر ، ولا يعني هذا أن الايمان هو الاقرار فقط ، فقد كان المنافقون يقولون هذا القول وليسوا بمؤمنين . غير أنه ليس للعبد طريق الى الحكم على ايمان امرىء الا ما سمع منه ، مع أن حقيقة الايمان هي التصديق بالقلب . وعن ابن عباس في تفسير هذه الآية : حرم الله على المؤمنين أن

يقولوا لمن شهد أن لا اله الا الله « لست مؤمنا » فهو آمن على ماله ودمه ، ولا تردوا عليه قوله .

ومن المؤسف حقا ، رغم وضوح معنى الآية والحديث ، أن المسلمين لم يكفوا قط ، منذ وفاة النبي الى يومنا هذا ، عن عادة تكفير من يخالفهم في رأي ديني : عثمان كفروه ، وعلي بن أبي طالب كفروه ، ومعاوية كفروه ، وقد سبق لهم أن كفروا الامام الغزالي ثم أسموه بعد موته حجة الاسلام ومحجة الدين ، وكفروا الباقلاني ثم قالوا انه صاحب أجل الكتب في اعجاز القرآن ، وكفروا ابن تيمية الذي باتت تعاليمه أساس المذهب الوهابي السائد الآن في المملكة العربية السعودية وفي قطر ، وكفروا الطبري صاحب أعظم تفسير للقرآن ، وكفروا الشيخ محمد عبده حين دعا الى استخدام ماء الصنبور في الوضوء بدلا من الميضأة التي كانت تعج بالجراثيم ، وكفروا جمال الدين الافغاني وهو ماهو .

قال الغزالي في كتابه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » : « زعمت طائفة أن في بعض كتبي ما يخالف مذهب الأصحاب المتقدمين ، وأن العدول عن مذهب الأشعري ولو في قيد شبر ، كفر . فهون أيها الاخ المشفق على نفسك واصبر على ما يقولون . فأي داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين وقد قالوا انه مجنون من المجانين ؟ وأنى تتجلى أسرار الملكوت لقوم معبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دنانيرهم ، وارادتهم جاههم ؟ فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان ؟ (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) . . خاطب صاحبك وطالبه بحد الكفر ، فان زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري ، أومذهب الحنبلي ، أومذهب المعتزلي ، أو غيرهم ، فاسأله من أين يثبت له كون الحق وقفا عليه حتى قضى بكفر الباقلاني ، ولم صار الباقلاني أولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلاني ؟ ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني ؟ أكان ذلك لأجل السبق في الزمان ؟ فقد سبق الأشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ! أم لاجل التفاوت في الفضل والعلم ؟ فبأي ميزان قَدَّر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ؟ ! فان رخص للباقلاني في مخالفة الاشعري ، فلم حجر على غير الباقلاني ؟ وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم ؟ . . . ان من جعل الحق وقفا على واحد بعينه هو الى الكفر أقرب . ومع ذلك فان كل فرقة تكفر مخالفها : فالحنبلي يكفر الاشعري ، والاشعري يكفر الحنبلي ، والمعتزلي يكفر الاشعري . ولا ينجيك من هذه الورطة الا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتها ، فينكشف لك غلو الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضا . فهم ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : « اذا قذف أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما » .

كذا قال الغزالي رحمه الله . ونضيف نحن قولنا ان أظلم الناس لنفسه ولغيره من قضى بحرمان الآخرين من استخدام نعمة التفكير التى أنعم الله عز وجل بها علينا وقصرها على نفسه ، ومن جعل من جماعته كنيسة بوسعها أن تقضي بالحرمان ، وتوزع صكوك الغفران □

كان الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حذرا في الحروب ، شديد الروغان من قِرنه ، لا يكاد أحد يتمكن منه ، وكانت درعه صدرا لاظهر لها ، فقيل له : ألا تخاف أن تُؤتى من قِبَل ظهرك ؟ فقال : إذا أمكنت عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه إنْ أبقى عليَّ .

رحلة ابن بطوطة في عالم المرأة

بقلم الدكتور : سعيد عبد الفتاح عاشور

عبر رحلاته الثلاث وخلالها عاش ابن بطوطة رحلة رابعة في عالم رحب ومثير ، وهو عالم المرأة التي كانت حاضرة أبدا لديه . والمقال التالي محاولة لرسم صورة المرأة كما قدمها لنا الرحالة الشهير .

ينبغي أن نوضح من البداية أننا لم نقصد بهذا العنوان الادعاء بأننا اكتشفنا لابن بطوطة رحلة رابعة جديدة . فهذا الرحالة المغربي الشهير الذي عاش في القرن الثامن الهجري - الرابع عشر للميلاد - لم يقم الا برحلات ثلاث ، هي التي أملى أخبارها على محمد بن جزي الكلبي كاتب السلطان أبي عنان المريني ، وصارت هذه الرحلات في مجموعها تعرف برحلة ابن بطوطة .

بين المؤرخ والرحالة :

والواقع أننا في دراستنا للتاريخ - وخصوصا في جانبه الاجتماعي - نجد في كتب الرحلات نوعا من المادة العلمية لانجد نظيرها في مدونات التاريخ المألوفة ، من حوليات وطبقات وتراجم وغيرها . ذلك أن كتاب هذه المدونات يهتمون بالحكام ومشاهير الأفراد ، والأحداث السياسية والحروب ونحوها ، ولايعبأون بالاشارة الى الأوضاع الاجتماعية والأحوال المعيشية للشعوب الا قليلا .

أما الرحالة فيعني بكل مايصادفه من طبائع البشر وغرائب البلدان ، ويدخل في نطاق رصده الأحوال المعيشية للافراد والجماعات ، مما يسفر عن رؤية اجتماعية صادقة .

وقد أدت وحدة العالم الاسلامي حينذاك الى حرية التنقل والترحال ، فارتحل المشارقة الى المغرب والمغاربة الى المشرق . وقد غلب تيار المغاربة المرتحلين لابتغائهم التجارة والعلم ، وحرصهم على أداء فريضة الحج بالحجاز قلب المشرق العربي ، وكثيرا ماعرج هؤلاء المغاربة في تشريقهم على البلدان الاسلامية العريقة التي اجتذبتهم ، بما لها من ارتباط بالتاريخ الاسلامي وأحداثه وتطوره ، مثل مصر والشام والعراق ، وربما اليمن ، وقد كانت التشكيلات الجماعية لهذه الرحلات مهونة لمشقاتها ،

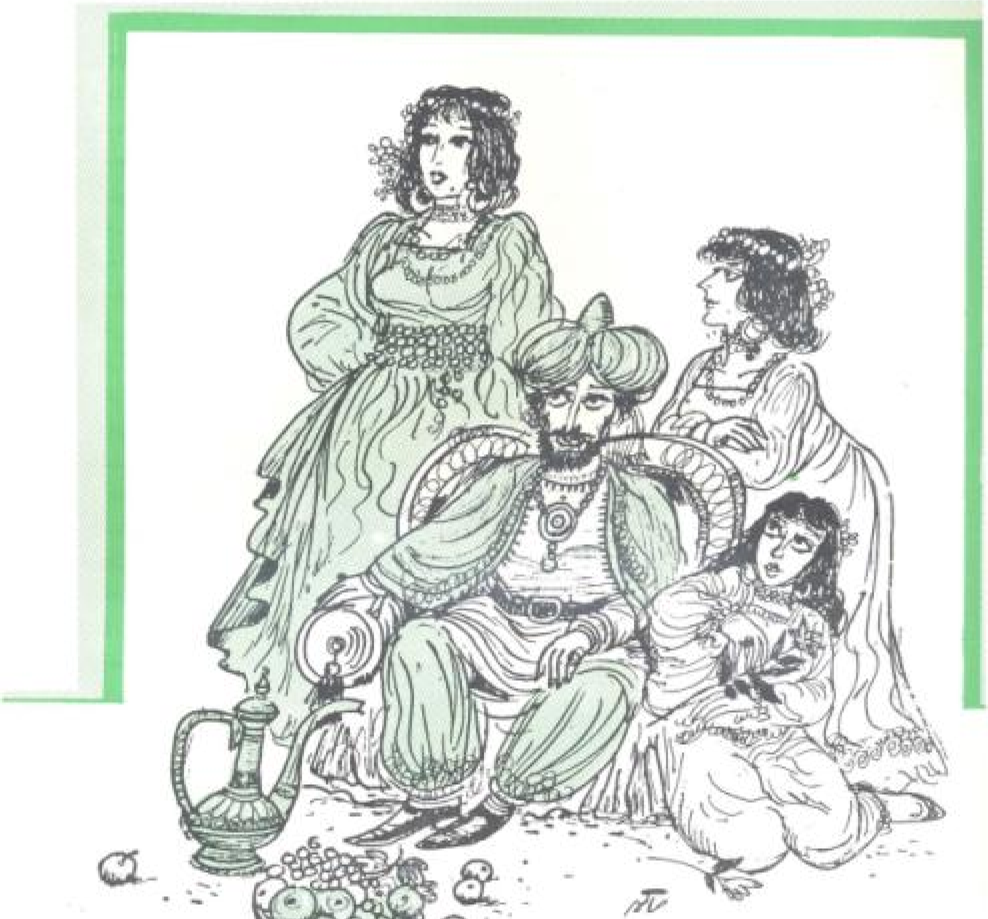

باعثة على الاطمئنان فيها ، كما كانوا يصادفون على امتداد طريقهم للتجارة والحج أماكن الايواء والراحة داخل المدن وخارجها ، كما استضافتهم المؤسسات الدينية ، كالمساجد والزوايا والربط والخانقاوات وخصوصا رجال الدين منهم .

ومن الحجاج والرحالة المغاربة الذين حرصوا على تدوين مشاهداتهم في البلاد التي زاروها ، نذكر على سبيل المثال ثلاثة هم : ابن جبير ، وابن بطوطة ، والبلوي المغربي .

ابن بطوطة ورحلاته الثلاث :

ابن بطوطة ، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي، ولد في طنجة سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) ، أي في أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر للميلاد . وقد قام بثلاث رحلات جاب فيها عديدا من بلاد العالم القديم بقاراته الثلاث ، افريقية وآسيا وأوروبا . ولاشك أن أهم هذه الرحلات كانت رحلته الاولى التي بدأها سنة

٧٢٥ هـ (١٣٢٥م) وقضى فيها أكثر من أربع وعشرين سنة ، حج خلالها أربع مرات وبين كل حجة وأخرى طاف بعديد من البلاد .

ففي طريقه للحج أول مرة ، سلك طريق مراكش وتونس وطرابلس الغرب ومصر والشام ، وبين الحجتين الأولى والثانية طاف بالعراق وبلاد العجم . وبعد الحجة الثانية زار اليمن وشرق افريقية وعمان والخليج والبحرين . وفيما بين الحجتين الثالثة والرابعة عاد مرة أخرى الى مصر ، ثم سافر الى بلاد الترك ، فطاف بمدن آسيا الصغرى ، ومنها انتقل الى القرم وبلاد القفجان شمالي البحر الأسود ، والى أرض البلغار ، وزار القسطنطينية . ثم اتجه الى الهند ، مارا بخوارزم وخراسان ، وتركستان ، وأفغانستان والسند . وقد حظي ابن بطوطة عند السلطان محمد شاه في دهلي ، فأرسله في سفارة الى ملك الصين . وأثناء عودته مر بكثير من جزائر الصين والهند ، حتى وصل الى الهند عن طريق سومطرة ، ثم اتجه الى أرض عمان ، وزار العراق والشام ، قبل أن يقصد مكة لاداء فريضة الحج للمرة الرابعة . وعندئذ غلب عليه الحنين الى وطنه ، فقفل راجعا الى المغرب ، ووصل فاس سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩م) بعد غيبة طويلة استمرت قرابة ربع قرن .

وكانت هذه الرحلة أطول رحلات ابن بطوطة وأكثرها متعة ، استنفدت أخبارها قرابة ٩٨٪ من مجموع مذكراته التي أملاها على ابن جزي .

أما رحلته الثانية فكانت قصيرة ، الى الاندلس وغرناطة وبعض بلاد المغرب . ولكنه ما كاد يفرغ من هذه الرحلة الثانية ، حتى اتجه الى فاس حيث ودع السلطان ، وشرع في السفر فورا الى بلاد السودان الغربي ـ في غرب افريقية ـ وهذه هي رحلته الثالثة التي استغرقت نحو عامين (٧٥٣ ـ ٧٥٤ هـ ، ١٣٥٢ ـ ١٣٥٤م) .

وعند عودة ابن بطوطة من هذه الرحلة الأخيرة ، عكف على املاء أخبار رحلاته على كاتب السلطان ابن جزي ، وكان الفراغ من تدوينها سنة ٧٥٦ هـ . وقضى ابن بطوطة السنوات الأخيرة من حياته في كنف السلطان أبي عنان المريني ، الى أن توفي سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧م) .

وسرعان ما شدت مذكرات ابن بطوطة ـ بعد أن تم تدوينها ـ انتباه الباحثين والمفكرين ، ومن معاصريه الذين أشاروا اليه والى كتاباته العالم ابن خلدون . ويبدو أن المعلومات التي ذكرها ابن بطوطة في أخبار رحلاته جاء بعضها على درجة من الجدة والغرابة بالنسبة لمعاصريه ، جعلت بعضهم « يتناجى بتكذيبه » . ولكن الواقع أثبت أنه كان أمينا فيما روى ، دقيقا فيما وصف ، حتى أن المستشرق الشهير دوزي نعته بالرحالة الصادق الأمين .

واذا اتسمت بعض أجزاء رواياته بشيء من المبالغة فان علينا أن نتذكر أن ابن بطوطة لم يكن يدون ملاحظاته ومشاهداته أولا بأول ، ولا يوما بيوم ، وانما اختزنها كلها في ذاكرته وفكره ، حتى أملاها بعد سنوات طويلة على ابن جزي ليدونها له . وتجب الاشارة الى ضرورة تقدير الظروف التي أحاطت بابن بطوطة والتي ربما حالت ـ في بعض الأحيان ـ دون التحقق من أشياء شاهدها عن كثب .

نفقات الحل والترحال :

واذا كان الباحثون قد اهتموا بما جاء في رحلات ابن بطوطة من معلومات عن احوال البلاد التي ساح فيها ، والشعوب والناس الذين التقى بهم في رحلاته ، فان ذلك جاء على حساب العناية بدراسة شخصية ابن بطوطة نفسه ، ومحاولة تفهم سلوكه ، والقاء اضواء على حياته الخاصة وأحواله ، طوال تلك السنين التي قضاها مغتربا ينتقل من بلد الى آخر . كيف كان يعيش ؟ من أين حصل على نفقات متطلبات حياته في حله وترحاله ؟ وأهم من هذا وذاك ، ماذا كانت نظرته الى المرأة طوال اسفاره ؟ وكيف كانت علاقاته بها ؟ هل قضى تلك السنوات الطويلة أعزب زاهدا ، أو أنه لم ينس نصيبه من الدنيا ؟

أما عن موارده المالية التي عاش عليها ، والتي مكنته من مواصلة اسفاره البعيدة ، فيبدو أنها كانت وفيرة ، فلم يشك أبدا من ضيق ذات اليد في أية مرحلة من مراحل سياحته . والمعروف عن ابن بطوطة أنه نشأ ـ في مسقط رأسه ـ في سعة من العيش ، بحيث يبدو أنه شرع في القيام برحلته الكبرى ، ومعه ذخيرة غير قليلة من المال .

ولكن الرحلة جاءت طويلة ، واستغرقت قرابة ربع قرن من الزمان ، وتطلبت نفقات انتقال وطعام وشراب ومبيت . . ولذا نرجح أن المبلغ الذي خرج به ابن بطوطة من بلده لم يكف الا لسد نفقات المرحلة الأولى من تلك الرحلة الطويلة ، وهي المرحلة التي انتهت بوصوله الى الحجاز وتأدية فريضة الحج لأول مرة .

ومن الواضح أن ابن بطوطة اعتمد بعد ذلك على المنح والانعامات التي تلقاها من كثير من حكام البلاد الاسلامية التي طاف بها ، وخاصة حكام البلاد غير العربية الذين أدى احساسهم بالبعد عن قلب العالم الاسلامي جغرافيا وحضاريا ولغويا ، الى تلهفهم على استقبال فقيه مثل ابن بطوطة وفد عليهم من أرض عربية ، ملم بأحكام الاسلام ، حاصل على عديد من الاجازات العلمية من بعض علماء المغرب والمشرق جميعا .

هذا الى أن ابن بطوطة قام ببعض الأعمال ، وتولى بعض الوظائف في عدد من البلاد التي دخلها ، وأقام بها بعض الوقت . من ذلك ولايته القضاء في بعض البلاد الأسيوية ، اذ تولى القضاء في الهند نحوا من عامين ، وفي الصين نحوا من عام ونصف . ويروى أنه عندما تولى القضاء في دهلي جعل له ملكها مرتبا قدره عشرة آلاف دينار في السنة ، وخصص له مجاشر (أي مخصصات عينية من الطعام وغيره) بمثل ذلك المبلغ ، كما أمر له باثني عشر ألف دينار أخذها فورا من خزانة الملك ، وأعطاه فرسا بسرجه ولجامه . . . »

ابن بطوطة والمرأة :

على أن الجانب الذي لم ينتبه اليه كاتب أو يتعرض له باحث حتى اليوم هو موقف ابن بطوطة من المرأة خلال أسفاره الطويلة : نظرته اليها ، وملاحظاته عليها ، وموقفه منها ، وعلاقاته بها .

لقد غادر ابن بطوطة بلاده في المغرب مستهلا أولى رحلاته وهو في شرخ شبابه في الثانية والعشرين من عمره . وعاد من رحلته هذه الى مسقط رأسه ، وهو على أبواب الشيخوخة وقد قارب الخمسين من عمره . ومعنى ذلك أنه قضى زهرة شبابه بعيدا عن بيته وبلده . فهل أمضى هذه السنوات عزبا ، متحديا غرائزه البشرية ، بل مخالفا روح الاسلام وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

ومن ناحية أخرى ، فان ابن بطوطة جاب في رحلاته الثلاث بلادا مترامية الأطراف متباينة الخصائص ، وزار شعوبا متعددة متفاوتة العادات والتقاليد ، للمرأة في كل منها وضع خاص يتفاوت بين التكريم والامتهان . فهل عني ابن بطوطة في تسجيل أخبار رحلاته باعطاء المرأة حقها من العناية ، أو أن وضعه الديني حال بينه وبين التعرض بالاشارة الى وضعها الاجتماعي وزينتها وسلوكها ، أسوة بكثير من معاصريه من الكتاب ورجال الدين ؟؟

عن السؤال الأول ، لم يشر ابن بطوطة ـ من قريب أو بعيد ـ الى وضعه الاجتماعي عندما غادر طنجة ـ مسقط رأسه ـ لأول مرة عام ٧٢٥هـ . هل كان متزوجا عندئذ وترك وراءه في بلاده زوجة أو أكثر ، وربما بعض الأبناء والبنات ؟ كل ما ذكره في مستهل رحلته الأولى أنه حزم أمره « على هجر الأحباب من الاناث والذكور » . فهل اشتملت دائرة أحبابه عندئذ على زوجة ـ على الاقل ـ أو أنه لم يقصد بالتعبير سوى الوالدين ـ اللذين تركهما على قيد الحياة ـ ومن في حكمهما من الاقرباء وأولى الأرحام والأصدقاء والأحباب ؟ ربما جاء تقديمه الاناث على الذكور تكريما لأمه ، لما للأم من مكانة أسمى في ظل آداب الاسلام وتعاليمه، هذا الى أنه في ختام رحلته، عاد الى بلاده بعد غيبة طويلة ، فلم يشر الى بيت يحن اليه، ولا الى زوجة أو أبناء طال غيابه عنهم ، وانما عاد الى طنجة بعد غيبة ربع قرن ليبحث عن قبر والدته

ويتجه الى زيارته فورا .

على أنه اذا كان ابن بطوطة قد غادر بلاده ـ على ما نرجح ـ عزبا فانه لم يستطع مواصلة حياة العزوبة طويلا . وما كادت تمر بضعة أشهر على مفارقته طنجة حتى عقد بصفاقس على بنت لبعض أمناء تونس ، وبنى بها بطرابلس الغرب . ويتحدث ابن بطوطة عن نفسه ، فيقول انه غادر طرابلس الغرب في شهر المحرم سنة ٧٢٦هـ « ومعي أهلي » ، ويقصد بأهله زوجته . وهذه أول اشارة ترد في رحلته الى زوجة له .

ومهما يكن من أمر ، فان الرابطة الزوجية لم تستمر طويلا بين ابن بطوطة وزوجته التونسية ، اذ وقعت مشاجرة بينه وبين صهره ، « أوجبت فراق بنته » ومع ذلك ، فان هذه التجربة ، في الحياة الزوجية ـ على قصر مداها ـ جعلته يستسيغ هذا اللون من حياة البشر الطبيعية ، ويحن بعد قليل الى وجود شريكة الى جانبه ، يأنس بصحبتها ، وتخفف عنه متاعب الطريق . ويغلب على الظن أن ابن بطوطة حرص منذ ذلك الوقت ، في معظم مراحل رحلته ، على أن يحتفظ في صحبته بامرأة أو أكثر يعاشرها في صورة يقرها الشرع الشريف ، والتي لاتتعارض وأحكام الدين . على أن الملحوظة التي تسترعي الانتباه والتسجيل هي أن واحدة من هؤلاء الصاحبات لم تكن لها صفة الاستمرار في صحبته . ذلك أنه دأب على مفارقتهن بالمعروف ـ واحدة بعد أخرى ـ اما لخلاف بين الطرفين ، واما لان بعضهن كن لا يستطعن مغادرة بلادهن ومواصلة الرحلة معه الى بلاد أخرى ، بمعنى أن تنقلاته وسفراته لم تساعده على الاستقرار طويلا في صحبة امرأة من زوجاته أو جواريه . وهكذا يبدو أن ابن بطوطة عاد في نهاية رحلته الى بلاده ومسقط رأسه وحيدا ، مثلما غادرها وحيدا . وهو في هذا السلوك لم يخرج كثيرا عن دائرة الاسلوب الشائع الذي اتبعه غيره من التجار ورجال العلم وغيرهم من رواد الرحلة في تلك العصور .

وما كاد ابن بطوطة يفارق زوجته الأولى أثناء الطريق من طرابلس الغرب الى الاسكندرية ، حتى تزوج « بنتا لبعض طلبة فاس » ، من المرافقين له في الرحلة . واحتفل ابن بطوطة بزواجه الثاني هذا احتفالا مرموقا ، فبنى بزوجته المغربية الجديدة عند مكان يعرف باسم قصر الزعافية ـ على الطريق الى الاسكندرية ـ وأقام وليمة كبيرة للركب المرافق له ، ومن أجل ذلك توقفت مسيرة الركب يوما كاملا .

والغريب أن ابن بطوطة توقف عن الاشارة الى هذه الزوجة تماما في مذكراته بعد ذلك ، هذا الى ما نلاحظه من أنه تجنب الاشارة الى حياته الخاصة ، لاسيما ما يتعلق بأمور الزواج وعلاقته بالمرأة أو نظرته اليها ـ طوال السنوات التالية ، التي طاف فيها بلاد مصر والشام والحجاز والعراق واليمن وشرق افريقية وعمان والبحرين ، وغيرها من البلاد العربية . وظل ملتزما الصمت في ذلك حتى دخل بلاد الترك سنة ٧٣٢هـ .

والمعروف أن الترك اشتهروا في تلك العصور بالحسن والجمال ، حتى ان أجمل الجواري والمماليك المجلوبين الى كثير من بلاد الاسلام وبلاط الملوك والحكام كانوا من الترك ، ومن في حكمهم من العناصر القريبة منهم كالجركس والتركمان وغيرهم ، وبانتقال ابن بطوطة الى بلاد الترك دخلت المرأة حياته الخاصة مرة أخرى من باب جديد ، هو باب الجواري ، ولم يكن في هذا مايتعارض وأحكام الدين والشريعة ، تمشيا مع قوله تعالى : « ما ملكت يمينك » و « ماملكت أيمانكم » .

ولتوضيح ذلك نقول ان ابن بطوطة كان موضع تكريم المسلمين وحكامهم في تلك البلاد فأنعموا عليه بكثير من الانعامات ـ كما أسلفنا القول ـ ومن جملتها بعض الجواري ، من ذلك مايرويه من أنه عندما أراد مغادرة بلاد السلطان محمد أوزبك خان ـ حاكم

القفجان شمالي البحر الأسود ـ جهزت لركوبه عربة « مغشاة باللبد ، ومعي بها جارية لي » . ونرجح أن هذه لم تكن الجارية الوحيدة لابن بطوطة في تلك المرحلة ، وانما تجمعت لـه حصيلة من الجواري في رحلته ببلاد الروم والقفجان ، وما يلي هـذه البلاد شرقا .

يؤيد ذلك ما يرويه ابن بطوطة بعد قليل من أنه عندما غادر بخارى كـانت عنده جـارية قـد قاربت الولادة ، وكان يريد حملها الى سمرقند لتلد بها ، ولكنها ولدت بالطريق ، وأخبره بعض أصحابـه أن المولودة بنت . ويستمر ابن بطوطة في روايته فيقول انه أرادأن يتحقق الخبر « فاستحضرت الجواري فسألتهن فأخبرنني بذلك » . ولعل في هذا مايوضح أنه كانت في صحبته أكثر من جارية . ولايفوتنا أن نشير الى أن ابن بطوطة فرح بهذه المولودة ، وتفاءل بمقدمها ، إذ « كانت هذه البنت مولودة في طالع سعيد ، فرأيت كل مايسرني ويرضيني منذ ولدت » . وكـان أسفه شديدا على وفاتها بعد وصوله الى الهند بشهرين ، كما يشير الى وجود « الجارية أم البنت » معه عند وفاتها ، مما يدل على أنه عاش جوا أسريا بين جواريه وابنته في تلك المرحلة .

ومضى ابن بـطوطة في حياتـه الخاصـة محاطا بالجواري أثناء اقامته بالهند وهي الاقامة التي طالت نحوا من عامين . من ذلك أن وزير سلطان دهلي أهداه عشر جوار من سبي الكفار ، « فأعطيت الذي جاء بهن واحدة منهن ، فما رضي بذلـك . وأخذ أصحابي ثلاثا صغارا منهن ، وباقيهن لا أعرف ما اتفق لهن » .

أربع زوجات في ذيبة المهل :

على أن ابن بطوطة لم يلبث أن تزوج في جزائر ذيبة المهل ـ في جنوب آسيا ـ أثناء طريقه من الهند الى الصين . وقد ذكر ابن بطوطة عن أهل تلك الجزائر انهم كلهم مسلمون ، وأن الزواج عنـدهم سهل « ومن أراد التزوج من القادمين عليهم تزوج ، فـاذا حان سفره طلق المرأة ، لأنهن لايخرجن من بلادهن . ومن لايتزوج فالمرأة التي ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده اذا سافر ، وترضى منه في مقابل ذلك بأيسر شيء من الاحسان . . . والتزوج في هـذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرة النساء . وأكثر النساء لايُسمي صداقا ، وانما تقع الشهادة وتعطى صداق مثلها . واذا قـدمت المراكب تزوج أهلها النساء ، فاذا أرادوا السفر طلقوهن . . . . »

وبالاضافة الى ذلك فيبدو أن هناك عاملين شجعا ابن بطوطة على الزواج في تلك الجزر ، أولهما أنه أقام فيها فترة ليست بقصيرة ، تولى خلالها القضاء ، والآخر ما اتصفت به نساء تلك الجزر من جمال فائق ، وعناية بالزينة ، فضلا عن حسن المعاشرة ، وصف ابن بطوطة هؤلاء النساء بأنهن لايغطين رؤوسهن ، وأنهن يمشطن شعورهن ، وقمصانهن قصار الأكمام ، وحليهن كثيرة تملأ مابين الكوع والمرفق ، عدا الخلاخيل وقلائد الذهب المدلاة على الصدور . . . . ثم اختتم ابن بطوطة تلك الأوصاف بقوله : « ولم أر في الدنيا أحسن معاشرة منهن ولا تكل المرأة عندهم خدمة زوجها الى ما سواها ، بل تأتيه بالطعام ، وترفعه من بين يديه ، وتغسل يده ، وتأتيه بالماء للوضوء . . . »

ولعل هذه الصفات هي التي أغرت ابن بطوطة بالزواج من أربع نساء في تلك الجزر ، بعضهن من علية القوم وينتمين بصلات القربى الى الحكام .

ثم كان أن اعتزم ابن بطوطة الرحيل عن تلك الجزر ، فأرسل اليه الوزير رسالة نصها « أعط صداقات النساء ، وديون الناس ، وانصرف اذا شئت » . فطلق ابن بطوطة اثنتين من زوجاته الأربع ، وكانت الثالثة حاملا منه ، فجعل لها أجلا تسعة أشهر ان عاد فيها ، والا فأمرها بيدها . أما الزوجة الرابعة فقد أصرت على صحبته والسفر معه ، رغم التقاليد السائدة من عدم خروج المرأة من البلاد في صحبة زوجها الوافد . ولم يستطع ابن بطوطة منعها ، فاصطحبها معه . ولكنها لم تلبث أن مرضت في الطريق ، وأحبت الرجوع فطلقها وتركها . وكانت الأشهر التسعة قد مرت فطلق غيابيا الزوجة التي كان قد تركها حاملا وضرب لها الأجل ، ولايدري سوى الله مصير الجنين الذي كان في أحشائها ، فقد تكون لابن بطوطة ذرية تعيش اليوم في جنوب القارة الآسيوية .

وهكذا تحرر ابن بطوطة من زوجاته الأربع بنفس السرعة التي بنى بها عليهن. وكان أن عاد ابن بطوطة مرة أخرى الى حياة الجواري « وأرسلت الى جارية كنت أحبها، وسرت في تلك الجزائر من اقليم الى اقليم ... » ويلاحظ أن ابن بطوطة استخدم مصطلح « الحب » في ذلك الدور ـ وهو في الأربعين من عمره ـ وفي تلك المرحلة من رحلته في جزائر جنوب آسيا ذات الخضرة والماء والجمال. وكانت هذه هي المرة الثانية التي يستخدم فيها ابن بطوطة هذا المصطلح في تلك المرحلة وتلك الجزر. ذلك أنه ذكر قبل ذلك بأسطر ـ خلال حديثه عن زوجاته الأربع ـ أن احداهن « كانت أحبهن الى » ومجيء هذا المصطلح في مذكرات ابن بطوطة التي أملاها بعد ذلك بنحو عشر سنوات وقد جاوز الخمسين من عمره، دليل على أن عقله الباطن كان يختزن قدرا من الذكريات، وأن قلبه كان يحتوى قدرا من العواطف والأحاسيس نحو النساء اللاتي أحبهن.

الزواج ... والحب :

ولابد لنا من وقفة قصيرة هنا لتدبر العوامل الكامنة وراء تلك الاشارات العاطفية التي صدرت عن ابن بطوطة في تلك المرحلة من مذكراته. هل نرجعها الى اكتمال عواطف الرجل وقد بلغ الأربعين من عمره، أم نرجعها الى طبيعة المرأة وجمالها الفائق في تلك المنطقة من العالم، حسبما أشار ابن بطوطة نفسه في مذكراته هذا مع ملاحظة أنه سبق لابن بطوطة الزواج مرتين في مستهل رحلته، مرة من تونسية والاخرى من مغربية، ولكنه لم يستخدم مصطلح الحب مطلقا عندما أشار الى علاقته بكل من هاتين الزوجتين، كذلك دأب على اصطحاب بعض الجواري معه منذ أن دخل بلاد الترك، كما سبق أن أشرنا، وأنجب بنتا من احداهن ولكنه لم يشر صراحة الى أن علاقته بواحدة منهن قامت على اساس حب واقعي. ان ابن بطوطة لم يعرف هذا النوع من الحب الا في جزر جنوب آسيا.

ومهما يكن من أمر، فان ابن بطوطة عند انصرافه من جزائر ذيبة المهل ـ في طريقه الى بلاد المعبر (جزر الهند الشرقية) ـ لم تكن في صحبته فقط تلك الجارية التي أحبها، وانما صحبته جارية أخرى. وكان أن اشتدت الريح بهم وهم قبالة البر، وأوشكت السفينة على الغرق، فأراد ابن بطوطة أن ينزل الى المعدية (قارب النجاة)، « وكانت لي جاريتان وصاحبان من أصحابي، فقالا : أتنزل وتتركنا ؟ فآثرتهما على نفسي، وقلت : انزلا أنتما والجارية. فنزل رفيقاي، وأحدهما محمد بن فرحان التوزري والآخر رجل مصري، وجارية معهما، والاخرى تسبح ». ومن الواضح أن المعدية، ـ أو قارب النجاة ـ كانت لاتتسع لاكثر من ثلاثة، وأن الجارية التي أنزلها ابن بطوطة في القارب هي المقربة من قلبه، التي أشار اليها سابقا بأنه يحبها، أما الاخرى فقد تركها تسبح الى الشاطىء.

وعند عودة ابن بطوطة من الصين الى الهند، مر بجزيرة سومطرة، فوجد سلطانها الملك الظاهر قد عاد من غزوة وبصحبته سبي كثير، فبعث لابن بطوطة بجاريتين. ومنذ ذلك الوقت صمت ابن بطوطة صمتا تاما عن ذكر جواريه، فلم يشر اليهن في مذكراته حتى عودته الى مسقط رأسه. والغالب أنه تخلص منهن بطريقة أو بأخرى ـ كالبيع أو الاهداء ـ قبل الشروع في العودة الى وطنه عن طريق مكة، حيث أدى فريضة الحج للمرة الرابعة. ونرجح أنه تحاشى اصطحاب الجواري معه عند مروره بأرض عربية، حفاظا على كرامته ومكانته. كذلك يبدو أن ابن بطوطة لم يحاول الزواج ولم يقتن جارية بعد ذلك، وخصوصا في رحلته الثالثة الى غرب افريقية وصحرائها. كل ما في الأمر أنه اشترى « خادم معلمة » من بلدة تكدا في طريق عودته عبر الصحراء الغربية من السودان الى بلاده.

المرأة والمجتمع الاسلامي :

هذا عن مغامرات ابن بطوطة الشخصية في دنيا المرأة. ومنها يتضح ـ حسبما ذكره ـ أنه تزوج خلال رحلته الاولى ست مرات، عدا سنوات طويلة قضاها في صحبة الجواري، في حدود ما أحله الله.

على أن هذا لم يكن ما جاء في مذكرات ابن بطوطة عن المرأة، اذ حرص هذا الرحالة على أن يسجل كل طريف عن أحوال الشعوب التي ساح في بلادها،

واضعا عاداتها وتقاليدها . ولا بد أنه تعرض لاحوال المرأة بالوصف في كثير من تلك البلاد .

ويبدو أن وضع ابن بطوطة كفقيه ، زاول القضاء في بعض البلاد الاسلامية التي طاف بأنحائها ، لم يحل بينه وبين النظر الى المرأة في تلك البلاد نظرة الفاحص المدقق المستقصي ، للوقوف على صورتها الحقيقية كاملة ووضعها الاجتماعي بدقة . بل ان عمله قاضيا في بعض البلاد أتاح له فرصة طيبة ، لتردد كثيرات عليه ، للشكوى أو الاحتكام اليه .

أما عن أوضاع المرأة الاجتماعية في بعض البلاد الاسلامية ، فقد ذكر ابن بطوطة عن قبائل البجة ـ أو البجاة ـ في صحراء مصر الشرقية حول عيذاب على شاطىء البحر الأحمر ، أنهم لايورثون البنات . هذا في حين ذكر عن أهل الشام أن من عاداتهم أن البنت يجهزها أبوها ، مما يدل على أن الزوج كان هو الذي يقوم بهذه المهمة في المغرب . وبالنسبة لبلاد اليمن يحكي ابن بطوطة عن نساء زبيد أن « للغريب عندهن مزية ، ولايمتنعن عن تزوجه ـ كما تفعله نساء بلادنا (المغرب) ـ ، فاذا أراد السفر خرجت معه وودعته ، وان كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له ، الى أن يرجع أبوه . ولاتطالبه في أيام الغيبة بنفقة ولاكسوة سواها . واذا كان مقيما فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لكنهن لايخرجن عن بلدهن أبدا . . . . »

وكان الوضع السائد في الجناح العربي من العالم الاسلامي أن البنت ليس لها رأي في اختيار زوجها ، وانما كانت الكلمة لابيها .

ويختلف الوضع بالنسبة للمسلمين في بعض البلاد غير العربية وخصوصا في جنوب آسيا حيث كانت المرأة « مالكة أمر نفسها » في الزواج ، بمعنى أنه من حقها اختيار شريك حياتها ، ولايستطيع أبوها اجبارها على الزواج من رجل لاترغبه . وقد حكى ابن بطوطة أنه بعد أن اتفق مع الوزير سليمان ـ في جزائر ذيبة المهل قرب الهند ـ على الزواج من ابنته ، وتحدد موعد العقد وحضر الناس . . . ابطأ الوزير في الحضور ، ثم اعتذر أمام الناس بمرض البنت ، وهمس في أذن ابن بطوطة سرا أن ابنته امتنعت « وهي مالكة أمر نفسها » .

ونستخلص من رحلة ابن بطوطة أن المرأة في كثير من البلاد الاسلامية كان لها دور كبير في شتى ألوان النشاط السياسي والاجتماعي والديني والعلمي . وقد ذكر أنه في الفتنة التي وقعت في مكة بين أمير مكة والأمير أيدمر قائد جند السلطان الناصر محمد بن قلاوون ـ سلطان المماليك في مصر ـ قتلت امرأة كانت هي التي « تحرض اهل مكة على القتال » .

وربما شاركت المرأة في حياة العلم والنسك والزهد والتصوف ، مثل السيدة زاهدة التي صادفها ابن بطوطة خارج الموصل في طريقها الى بغداد . كذلك أشاد ابن بطوطة بالخاتون جيجا أغا ـ امرأة قاضي خوارزم ـ التي شيدت زاوية « فيها الطعام للوارد والصادر . . . وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن . . . » وبلغ من زهدها أنها لا ترتدي الا الحقير من الثياب .

وعند الاتراك والتتر ، كانت للنساء مكانة كبيرة وكلمة مسموعة . ولقبت سيدات المجتمع المحترمات ـ كالأميرات وزوجات الحكام ونحوهن ـ بلقب الخاتون . « وكل خاتون لها من البلاد والولايات والمجابي العظيمة » . ويروي ابن بطوطة أن سلطان مغول العراق وفارس ـ أبا سعيد ـ صار تحت سيطرة أمير الأمراء ـ الجوبان ـ الذي حجر على تصرفات السلطان ، وضيق عليه النفقة ، ولم يترك له من الملك الا الاسم فدخلت عليه زوجة أبيه ـ دنيا خاتون ـ وقالت له : « لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ماهما عليه ! » ، ومازالت تحرضه حتى انتهى الأمر بقتل الجوبان .

كذلك كان الحال عند مغول القفجان ـ شمالي البحر الاسود ـ وهم مسلمون ، اذ يقول ابن

بطوطة « ورأيت بهذه البلاد من تعظيم النساء عندهم ، وهن أعلى شأنا من الرجال » . وقد أفاض ابن بطوطة في وصف أحوال خواتين محمد أوزبك خان ـ سلطان مغول القفجان ، وهن أربع لكل منزلتها ومكانتها . ولم يقتصر الأمر في تلك البلاد على تكريم نساء الحكام والأمراء ، وانما شمل الاحترام « نساء الباعة والسوقة ، فرأيتهن واحداهن تكون في العربة والخيل تجرها ، وبين يديها الثلاث والأربع من الجواري يرفعن أذيالها ، وعلى رأسها البغطاق مرصع بالجواهر ، وفي أعلاه ريش الطواويس . . . وربما كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراه خادمها ، ولايكون عليه من الثياب الا فروة من جلد الغنم ، وعلى رأسه قلنسوة تناسب ذلك . »

المرأة في الحكم :

أما في جنوب آسيا فقد حققت المرأة في بعض الجزر والبلاد مكانة أوصلتها الى مرتبة الحكم . فبعض الجزر « وكلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح » كانت تحكمهم امرأة ، هي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر . ومع ذلك فقد كان للرجل مكانته وقوامته في الأسرة والمجتمع ، ذكر ابن بطوطة من عاداتهم « أنهم اذا صلوا الصبح أتت كل امرأة الى زوجها أو ابنها بالمكحلة وبماء الورد ودهن الغالية فتصقل بشرته ، وتزيل الشحوب عن وجهه . . ومن عاداتهم أنه اذا تزوج الرجل منهم ومضى الى دار زوجته بسطت له ثياب القطن من باب دارها الى باب البيت ، وجُعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه الى البيت ، وشماله . وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره ، فاذا وصل اليها رمت على رجليه ثوبا يأخذه خدامه . . »

وارتبطت مكانة المرأة في المجتمعات الاسلامية التي حكى عنها ابن بطوطة بالعناية بتثقيفها ثقافة دينية راقية ، وقد وصف هذا الرحالة نساء دولة أياد بالهند ، بأنهن جميعا يحفظن القرآن الكريم ، وذكر أنه رأى في مدينة هنور ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات ، وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد .

ومع ذلك ، فان تقيد المرأة بآداب الاسلام لم يكن بدرجة واحدة في جميع البلاد التي طاف بها ابن بطوطة ففي البلاد العربية عموما ، لم يتعرض هذا الرحالة بشيء من النقد لاوضاع المرأة ، نظرا لأن الاسلام بروحه وقيمه كان أكثر رسوخا في تلك البلاد ، أما البلاد الاسلامية غير العربية ، فقد تمتعت المرأة فيها بقدر من الحرية تراوحت نسبته بين الاباحية والسفور ، من ذلك أنه وصف بعض بلاد الروم ـ آسيا الصغرى ـ بأن فيها سبعة مساجد لاقامة الجمعة ، ومع ذلك فهم « لايغيرون المنكر . . وهم يشترون الجواري الروميات الحسان ويتركونهن للفساد ، وكل واحدة عليها وظيف لمالكها تؤديه اليه . وسمعت هنالك أن الجواري يدخلن الحمام مع الرجال ، فمن أراد الفساد فعل ذلك بالحمام من غير منكر عليه . وذكر لي أن القاضي بها له جوار على هذه الصورة . . . » أما جزائر ذيبة المهل ـ قرب الهند « ففي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة . . ونساؤهم لايغطين رؤوسهن ، ويمشطن شعورهن ويجمعنها الى جهة واحدة . ولايلبس أكثرهن الافوطة واحدة ، تسترهن من السرة الى أسفل وسائر أجسادهن مكشوفة . وكذلك يمشين في الاسواق وغيرها . » وقد ولي ابن بطوطة القضاء في تلك البلاد ، وذكر أنه بذل جهده « لأقطع تلك العادة وآمرهن باللباس ، فلم استطع ذلك . فكانت لاتدخل اليَّ منهن امرأة في خصومة الا مستترة الجسد ، وماعدا ذلك لم تكن لي عليها قدرة . »

ومن عادات السوء التي تأصلت في تلك البلاد ، والتي عمل ابن بطوطة على استئصالها عندما ولي القضاء فيها ، بقاء المطلقات في ديار المطلقين .

فكانت المرأة تظل مقيمة في دار مطلقها حتى تتزوج غيره . وقد قاوم القاضي ابن بطوطة هذه العادة بحزم « وأتي اليّ بنحو خمسة وعشرين رجلا ممن فعلوا ذلك ، فضربتهم وشهرتهم بالأسواق ، وأخرجت النساء عنهم . . . »

أما بلاد السودان الغربي التي زارها ابن بطوطة في رحلته الثالثة ، فقد ذكر عن بعض المدن الاسلامية فيها - مثل مدينة أبوالاتن - أن نساءها « أعظم شأنا من الرجال » وعلى الرغم من أنه استحسن من أفعال أهالي تلك البلاد،مواظبتهم على الصلوات« وملازمتهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها . . . وعنايتهم بحفظ القرآن العظيم . . . » الا أنه أخذ عليهم « أن الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرون للناس عريا ، ولقد كنت أرى في رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة . . . »

كذلك عاب ابن بطوطة على الرجال في تلك البلاد الا ينسب أحدهم لابيه بل ينتسب لخاله ، ولايرث الرجل الا أبناء أخته دون بنيه ، مما يشير الى أن مكانة المرأة والأم فاقت مكانة الرجل والأب . ويشبه هذا ماذكره ابن بطوطة عن بعض المجتمعات الاسلامية في جنوب شرق القارة الاسيوية (بلاد المليبار) من أن « سلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت ملكهم دون أولادهم » .

المرأة والمجتمعات الأخرى :

أما عن المرأة في المجتمات غير الاسلامية التي زارها ابن بطوطة ، فلعل أهم ما جاء عنها في مذكراته يتعلق بالعادة التي فشت بين نساء كفار الهنود من أن المرأة تحرق نفسها مع زوجها اذا توفي . حتى أولئك الذين كانوا يعيشون في كنف سلطان المسلمين ، كانت الواحدة تستأذن السلطان ليسمح لها باحراق نفسها مع زوجها المتوفى ، فاذا أذن لها خرجت « متزينة راكبة ، والناس يتبعونها - من مسلم وكافر - والأطبال والأبواق بين يديها ، ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود . . فيحرقونها . . واحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب . لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفا بذلك ونسبوا الى الوفاء . ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب ، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها ، لكنها لاتكره على احراق نفسها . . . »

وفيما عدا ذلك فان المرأة في البلاد غير الاسلامية التي مر بها ابن بطوطة ، حققت لنفسها مكانة كبيرة في المجتمع . من ذلك ماذكره من أنه بعد أن ترك جاوة في طريقه الى بلاد الصين ، وصل الى بلاد طوالسي « وهي بلاد عريضة وملكها يضاهي ملك الصين ، وأهلها عبدة أوثان . . » فوجد امرأة تحكمهم « لها في عسكرها نسوة وخوادم وجوار يقاتلن كالرجال . وتخرج (الملكة) في العساكر من رجال ونساء ، فتغير على عدوها ، وتشاهد القتال ، وتبارز الابطال . . وكان أبناء الملوك يخطبونها ، فتقول : لاأتزوج الا من يبارز فيغلبني . فيتحامون مبارزتها خوف المعرة ان غلبتهم . . . »

وأخيرا ، فان ابن بطوطة - وهو الرجل الذي اتصف من واقع مذكراته بسلامة الحس وحسن الذوق ورقة المشاعر كانت له نظرته الفاحصة في المرأة ، وهي نظرة كثيرا ماتتصف بقرب الرؤ يا وصدق الحاسة وصفاء العاطفة من ذلك أنه أشاد بجمال النساء في كثير من البلاد التي تردد بين جوانبها ، بل لقد حدد مواضع الجمال والفتنة فيهن فأشار الى الوجه وزينته والجسد وقوامه ، وربما وصف بعض أعضاء الجسد وصف الخبير المعجب ، من ذلك أشار الى نساء مدينة زبيد باليمن بأن لهن « الحسن الفائق الفائت » . ووصف نساء دولة آباد بالهند « بالحسن وخصوصا في الأنوف والحواجب » . وقال عن نساء هنور - بالهند أيضا - « ولهن جمال وعفاف ، وتجعل احداهن خرص الذهب في أنفها » . وتعرض بالوصف لنساء بعض قبائل المغرب ، فقال انهن « أتم النساء جمالا ، وأبدعهن صورا ، مع البياض الناصع . ولم أر في البلاد من يبلغ مبلغهن في السمن . . . »

وهكذا نستطيع أن نخرج من بين ثنايا مذكرات ابن بطوطة بمعلومات طريفة مهمة عن المرأة في عصره في البلاد التي طاف بها ، ولعلنا غير مبالغين اذا قلنا أن هذه المعلومات تشكل في مجموعها رحلة رابعة لابن بطوطة في عالم رحب مثير ، أكبر بكثير من العالم الجغرافي الذي ساح ذلك الرحالة بين جنباته ، هو عالم المرأة . . □

رحلة امرأة تبحث عن الملايين

كان جون رادسيك عامل البناء بمدينة شيكاجو الأمريكية يعلم ما ينتظره في نهاية كل اسبوع عندما يعود الى البيت ويسلم زوجته نانسى المظروف المغلق الذى يحوى أجره عن أيام العمل المرهق ، فقد كان يجد فى انتظاره دائما سيلا من الشكاوى التى لا تنتهى .. : « هل هذا هو كل ما استطعت أن تكسبه .. انه لا يكفى نفقات شخص واحد ، فما بالك باثنين » .

ولم تكن الزوجة ترزق بأطفال ، وكان فى وسعها ان تلتحق بوظيفة تستطيع أن تكسب من ورائها مبلغا .. أى مبلغ تساعد به زوجها على مواجهة أعباء الحياة ، ولكنها كانت ترفض باستمرار ، القيام بأى عمل خارج البيت ، وحتى واجباتها فى البيت كزوجة ، كانت تعزف عن القيام بها ، لأنها تريد أن تعيش حياة ناعمة مثل جاراتها الثريات .

وانتوت نانسى امرا .. لا بد أن تفعل شيئا ولا بد ان تغير حياتها ، وطلبت الطلاق من زوجها . وطلقها ، وقال لها وهو يجمع ملابسه ويترك البيت مودعا : « لن أنسى الأيام التى قضيتها معك .. انها لم تخل من الذكريات الحلوة رغم كل شىء » .

اما هى فقد نسيت كل شىء ، وأسرعت تتزوج رجلا ميسور الحال يكسب أضعاف ما كان يكسبه جون زوجها الأول . ومرت الأيام ، ثم كانت المفاجأة .. كانت نانسى تقرأ صحف الصباح عندما وقعت عيناها على خبر يقول : ان (جون رادسك) قد فاز بالجائزة الأولى وقيمتها مليون دولار أمريكى فى أوراق اليانصيب التى تعود أن يشتريها بين الحين والحين .

وجنت نانسى : (هل يمكن أن يصبح زوجها الفقير مليونيرا .. هكذا بين يوم وليلة ! ؟) .

واسرعت ترفع دعوة مستعجلة تطالب فيها بنصف هذه الثروة ، وقالت فى دعواها : « ان زوجى السابق قد دفع ثمن هذه الورقة الرابحة من الأموال التى كنت ادخرها من نفقات البيت ! » .

ولكن القاضى هوارد جونز بدا غير مقتنع بما تدعيه نانسى ، وصدر الحكم فى النهاية ، وكان من بين حيثياته : « لقد ذكرت يا سيدتى فى دعواك لطلب الطلاق ان مرتب زوجك لم يكف ضرورات الحياة فكيف كنت تقتصدين ؟ واذا كنت قد اقتصدت شيئا فلماذا تركته له عندما تم الطلاق ؟ »

« ان المليون دولار التى ربحها جون رادسيك هى من حقه وحده ، ولا يجوز لك أن تشاركيه فى دولار واحد ، لا تنسى انك رفضت العيش معه فى فقره .. »

نانسى طلبت الطلاق من زوجها الثانى وهى تبحث الآن عن الزوج رقم (٣) بشرط أن تطمئن على رصيده فى البنوك !!

عبد الناصر . تيتو . نهرو .

حركة عدم الانحياز

في عيد ميلادها الثلاثين

منذ ثلاثين عاما ، وفي أعقاب الحرب الثانية العالمية ، عندما كان عصرالثورات والتحرير من الاستعمار ما زال في بدايته ، استضافت « باندونج » تلك المدينة الجبلية الصغيرة الواقعة في جزيرة جاوا ، احدى جزر الجمهورية الاندونيسية ، مؤتمرا نجح في انتزاع اهتمام العالم كله

فقد اجتمع في هذه المدينة زعماء ٢٩ دولة آسيوية وافريقية . . وكان الهدف من لقائهم في هذه المدينة التى كان لها تاريخ في كفاح أندونيسيا من أجل الاستقلال ، هو وضع فلسفة وخطة عمل للدول النامية التي تسعى الى تجنب الانحياز في الحرب الباردة بين واشنطون وموسكو .

وفي الرابع والعشرين من شهر ابريل من عام ١٩٥٥ ، صدر البيان الرسمي الختامي الذي أصبح فيما بعد أساسا لحركة عدم الانحياز . . وفي نفس اليوم من شهر ابريل الماضي ، كانت باندونج تحتفل بمرور ثلاثين عاما على مولد حركة عدم الانحياز ، وجاءت الوفود من ثمانين دولة آسيوية وافريقية لتشارك في هذا الاحتفال .

لقد اتسع مفهوم الفلسفة الجديدة لعدم الانحياز ، وأصبحت اليوم تضم العديد من الدول المحبة للسلام . . كانوا في المؤتمر الأول ـ منذ ثلاثين عاما ـ زعماء يمثلون ٢٩ دولة يضمون سوكارنو (أندونيسيا) وجمال عبد الناصر (مصر) وجواهر لال نهرو (الهند) وشواين لاي (الصين) وأونو (بورما) . . وقد غاب هؤلاء جميعا عندما اجتمع المندوبون الثمانون ليحتفلوا بذكرى المؤتمر ، وذكرى حركة عدم الانحياز التي شهد العالم مولدها بعد مرور ست سنوات على لقاء باندونج ، وكان آخر الرجال الذين رحلوا بعد ناصر ونهرو وسوكارنو هو جوزيف بروز تيتو،الذي أصبح بعد سنوات قليلة من مولد حركة الانحياز أحد روادها والداعين لها والمدافعين عنها ، عندما انعقد المؤتمر الثاني في بلغراد .

وبالرغم من غياب أبطال حركة عدم الانحياز في عيد ميلادها الثلاثين ، الا أن مندوبي الدول الثمانين المجتمعين كانوا يتحدثون من خلال المبادىء التي وضعها « آباء الحركة » التي أنهت عصر الأسمز ISMS، ، وهي الأحرف الثلاثة الأخيرة في كلمتي الاستعمار » والامبريالية
COLONIALISM&IMPERIALISM

وعندما افتتح سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا المؤتمر محذرا الغرب من الكوارث التي تهدد الدول الصناعية ، نتيجة لاستمرار حالة التخلف التي تعاني منها دول العالم الثالث ، مطالبا بسد الفجوة الواسعة التي تفصل بين الدول المتقدمة والدول النامية عن طريق وضع نظام اقتصادي دولي جديد . . وعندما استمع المندوبون لهذا التحذير ، تضاعف تصميمهم على حتمية العمل من أجل التضامن والوقوف صفا

واحدا لوضع حد لاغلال الفقر ، وعدم الاستقرار السياسي التي تعاني منها الشعوب في تلك الدول ، وتستغلها القوى الخارجية لمصلحتها . .

الصيحة الآن في دول العالم الثالث بعد هذه الأعوام الثلاثين ، هي « الاتحاد من أجل مستقبل أفضل . »

أقوى من الموت !

أقسمت « الساكو » الفتاة الايطالية الجميلة أنها لن تتزوج قبل أن تتلقى من خطيبها الرسالة التي وعدها بها . . ومضى على هذا القسم أكثر من أربعين عاما . . ففي شهر نوفمبر من عام ١٩٤٤ ، اعتقلت قوات النازي الشاب الايطالي الصغير « دومنيكو » الذي لم يكن قد تجاوز وقتها العام الحادي والعشرين من عمره ، وعندما وصلت السيارة المغلقة التي كانت تقله هو ومجموعة من المقاتلين الى نهاية رحلتها الطويلة ، وجد نفسه يعيش في أحد معسكرات الاعتقال النازية .

وبقيت الفتاة التي أحبها فأعطته قلبها ، تعيش على الذكريات . . لقد عرفت بما حدث لخطيبها ، ولكنها رفضت أن تصدق أنه لن يعود اليها . . لقد قضت كل سني طفولتها بجانبه . . كانا يخرجان معا ويلعبان معا ، فلم يكن الرصاص والقتل جزءا من العالم الصغير الذي يحيط بهما ، ثم استيقظا يوما فوجدا نيران الحرب تقترب منها وتدمر كل شيء جميل كانا يحلمان به .

وكانت يومها في ربيع العمر ، لم تكن قد أكملت بعد عامها التاسع عشر . . ومضت السنون « والساكو » تنتظر . . لقد كانت آخر كلماته لها وهو يودعها : « سوف أعود اليك ، واذا لم أعد فسوف أبعث اليك برسالة تحمل لك حبي الذي لن يموت أبدا » .

وفي شهر مارس من هذا العام وصلت الرسالة أخيرا التي ظلت الفتاة تنتظرها منذ أكثر من واحد وأربعين عاما . لقد كتبها دومينكو قبل أن يلقي حتفه برصاص النازي بعد اعتقاله بشهور قليلة ، مات خطيبها وحبيبها . . ولكن قلبها ظل يخفق بحبه وهي تحتفل بعيد ميلادها الستين .

لماذا تأخر وصول الرسالة التي قضت عمرها كله تنتظر وصولها ، لماذا لم تصلها مباشرة بعد أن جلس يكتب كلماتها بدمه ودموعه ؟ لقد تاهت رسالة دومينكو بين مدن ايطاليا ودروبها . . الى أن عثروا على صاحبتها أخيرا فسلموها اليها . . . وفضت « الساكو » العجوز الرسالة في لهفة وهي لاتصدق عينيها وراحت تقرأ : « حبيبتي الساكو . انتظريني يا أعز انسانة الى قلبي . . سأعود اليك ، لانني أعلم أن حبنا أقوى من كل شيء »

قالت والدموع تغرق عينيها : (كنت أعرف أنه يحبني ، لأنني لم أعرف الحب الا معه ، ان السنين الطويلة التي قضيتها في انتظار عودته لم تذهب هباء . . يكفي أنني تلقيت بعدها هذه الرسالة التي سأحملها دائما في قلبي الى آخر لحظة في رحلة الحياة » .

عام ١٩٨٤ شهد محنة الصحافة !

شهد العام الذى انقضى زيادة محسوسة فى عدد الصحفيين الذين فصلوا من مناصبهم ومنعوا من ممارسة مهنتهم وحكم عليهم بالسجن او تم اغتيالهم ، ليس هذا فحسب بل لقد اثبتت الاحصائيات ان هناك زيادة ايضا فى عدد الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة التى ارغمت على اغلاق ابوابها .

تصدرت هذه الكلمات مكانا بارزا من مجلة (وورلد بريس فريدوم ريفيو) التى تصدر سنويا عن المعهد الدولى للصحافة ، ومقره فى لندن ، وهو يمثل أكثر من ألفى صحفى ينتمون لسبع وستين دولة .

وقد وصل المعهد الى هذه النتيجة بعد تحقيقات

واسعة فى مجموعة من الاجراءات المخيفة التى اتخذت ضد الصحف والصحفيين شارحا الصورة التى تؤكد التدخل المتزايد من جانب الحكومات فى حرية الصحافة ، وقد جاء فى البحث الذى قدمه المعهد فى كل بلد على حدة ان الصحافة فى محنة وان هذه المحنة تزداد سوءا فى أكثر من ثلاث واربعين دولة . كما دلت البحوث أيضا على ان الصورة غير واضحة فى ثمان دول ، ولكنها تحسنت فى عشر دول منذ عام ١٩٨٣ .

وقال تقرير المعهد:ان العمل كصحفى فى الدول التى تعانى صحفها من القمع يمكن ان يتعرض فيها أصحاب الاقلام الى خطر شديد ومستمر ، ثم اشار التقرير الى أحد الصحفيين الكبار الذين يعملون بمدينة لاجوس عاصمة نيجريا ، وكيف أنه ما زال سجينا وراء القضبان منذ ٣١ ديسمبر من عام ١٩٨٣ دون محاكمة ، ودون أية تهمة محددة ، رغم أن لجنة خاصة شكلتها الحكومة للتحقيق معه قد اثبتت براءته من أية جريمة يعاقب عليها القانون .

ثم ينتقل التقرير الى ايران فيشير الى ان أكثر من مائة صحفى وكاتب ما زالوا مسجونين رغم أن أحدا منهم لم يقدم الى المحاكمة ولم توجه اليه تهمة محددة .

وفى المكسيك اغتيل صحفيان عام ١٩٨٤،وفى تانزانيا تعرضت مجموعة من الصحفيين والمصورين للضرب من جانب رجال الشرطة اثناء قيامهم بواجبهم فى تغطية الاحداث . وفى اوروجواى قامت الحكومة بمصادرة ثمانٍ وعشرين صحيفة ومجلة .

ويقول رئيس مجلس ادارة المعهد ان النتائج التى توصل اليها التقرير مخيبة للآمال ، وأن الموقف لا يتحسن وانما يزداد سوءا .

وقد ذكر التقرير الدول التى تحسنت فيها ظروف حرية الصحافة وهى : الأرجنتين والبرازيل والصين ومصر واليونان والهند والكويت وكوريا الجنوبية ونيوزيلنده وهونج كونج .

دعوة الى عرس !

امضت ديانا بالديسى الفتاة الايطالية الحسناء ذات الأربعة والعشرين ربيعا جانبا كبيرا من النهار ، تتزين وتتجمل وتتطلع الى مرآتها الصغيرة ، استعدادا للحفل الذى دعيت اليه فى مساء ذلك اليوم .

كانت تبدو جميلة فى فستانها الجديد وحذائها الجديد وتسريحة شعرها التى دفعت فيها نصف مرتبها لأحد صالونات التجميل فى مدينة ميلانو .. ولكنها عندما نزلت الى الشارع تبحث عن سيارة تاكسى تقلها الى الحفل اصيبت بخيبة أمل ، فقد طالت وقفتها وهى تنتظر مرور سيارة شاغرة ، حتى بدا لها أن كل سيارات الأجرة قد شغلت بنقل المدعوين الى الحفل الكبير .

ثم حدثت المفاجأة عندما شاهدت سيارة خاصة تتوقف امامها وينزل منها رجل فى الثلاثين من عمره ، وكان يمسك بخنجر فى يده ، قال وهو يشهر سلاحه فى وجهها : (اصعدى الى السيارة بسرعة والا اغمدت خنجرى فى صدرك) .

وصعدت ديانا الى السيارة وقد استبد بها الهلع ، ثم ما لبث أن انطلق الرجل الغريب بأقصى سرعة الى مكان مخصص لوقوف السيارات . وهناك عاد الرجل يزمجر : « اخلعى ملابسك كلها ، وانزلى الى الشارع » .

وامتثلت لأوامره عندما رأت نصل الخنجر يقترب من عنقها ، لقد اقتربت الساعة وادركت انها هالكة لا محالة . ولكن ما حدث بعد ذلك ظل حديث الصحف لاسابيع طويلة وسط الحملة المحمومة التى قام بها رجال الشرطة بحثا عن الرجل صاحب السيارة التى فات ديانا أن تلتقط رقمها من فرط الذعر الذى أصابها ..

فقد انتهت مأساة الفتاة عند خروجها من السيارة مع الكلمات الغريبة التى ما زالت تدوى فى أذنيها : « لن أمسك بسوء .. تستطيعين الآن أن تعودى الى بيتك .. كل ما فى الأمر اننى دعوت خطيبتى الى الذهاب معى الى حفل زواج صديقتها الليلة فى المدينة ، وليس عندها فستان جميل تضع فيه جسمها الذى يطابق تماما مقاييس قوامك الرشيق » .

تلوث المياه..

واكتشافات جديدة!

بقلم : محمد عزو صفر *

منذ مطلع السبعينيات والعالم المتقدم يعيش ثورة بيئية جارفة .. تستهدف أولا الاحاطة بظاهرة التلوث ، وحصر عناصرها وفهم أسبابها ومسح نطاقها .. وتهدف الثورة البيئية الى ما هو أهم من ذلك .. الى مكافحة التلوث والقضاء عليه .. فما هو السبيل الى هذه المكافحة ؟

تبين للعلماء والمختصين أن للتلوث ضروبا رئيسية ثلاثة : تلوث الهواء ، وتلوث اليابسة ، وتلوث الماء .. وتبين لهم أيضا أن هذا التلوث الاخير يشمل تلوث البحار والمحيطات من جهة ، وتلوث الماء العذب والأنهار والبحيرات من جهة ثانية .. ولما كان الماء العذب لاغنى عن شربه للانسان كان تلوثه أشد خطرا وأبعد أثرا من تلوث البحار والمحيطات ، وكانت الحاجة الى القضاء على تلوثه أكثر الحاحا ..

هذا ما أجمع عليه العلماء والمختصون طوال السنوات الماضية .. ولكن ثمة اكتشافات جديدة ضاعفت اهتمامهم بتلوث الماء العذب ومكافحته .. فقد اكتشف العلماء الامريكيون أن المياه الجوفية ليست في مأمن من التلوث كما اعتقدوا حتى الأمس

---

*رئيس التدقيق والاحصاءات المناخية بادارة الأرصاد الجوية الكويتية وله عدة ابحاث ومؤلفات في حقل الارصاد البيئية .

القريب . . هم وزملاء لهم فى شتى أرجاء العالم . . واكتشفوا انها مرتع لمستعمرات ميكروبية كبيرة قد تلتهم بعض الملوثات ولكنها تعجز عن التهام بعضها الآخر . .

اما الاكتشاف الثانى الخطير فهو أن انابيب الرصاص المستعملة فى التمديدات الصحية فى المنازل هى مصدر تلوث لماء الشرب العذب الذى يمر فيها ، ودلت التجارب والفحوص على أن هذا الماء الملوث يعود بالاضرار الكبيرة على الناس جميعا . . وعلى الصغار منهم والاطفال بصفة خاصة . .

ويبقى مصدر التلويث الرئيسى للمياه فى عالمنا العربى كله فضلات الانسان واقذار البواليع . . فالكثيرون مازالوا يلقون بها فى مياه الانهار والبحيرات . . فضلا عن البحار . ولعلهم يشعرون باليقين أن تصرفهم هذا هو الاجراء المثالى الذى تطلبه حماية البيئة . .

الغلاف المائى :

تغطى المياه حوالى ٧١٪ من مساحة الكرة الارضية ، ويقدر الحجم الاجمالى لهذه المياه بحوالى ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب ، وبالطبع فان هذه الكميات الهائلة ليست فى متناول بنى البشر لأن معظمها (٩٧,٢٪) مياه مالحة موجودة فى المحيطات والبحار ، أما الباقى فهو عبارة عن مياه حلوة : (٢,١٤٪) أى ٢٩ مليون كيلومتر مكعب على شكل كتل جليدية ، وهذه يتعذر الاستفادة منها ، لذا لا يتبقى فى متناول أيدينا من المياه سوى (٠,٦٦٪) أى ٩ ملايين كيلومتر مكعب من المياه الحلوة (أى ما يعادل ٢×١٠^١٢ جالون أمريكى) ، وهذه عبارة عن مياه الآبار والبحيرات والانهار .

وتتبخر المياه بفعل الطاقة الشمسية من المسطحات المائية ، كالبحار والمحيطات والبحيرات ، كما تتبخر من التربة والنباتات حيث تتكاثف وتعود ثانية الى الكرة الارضية على شكل أمطار وثلوج ، يسقط بعضها فوق المحيطات والبحار (حوالى ٧٥٪) والباقى وهو الذى يعادل حوالى ١٠٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب فانه يسقط فوق اليابسة ، ومع أن هذه الامطار لا يستفاد منها كلها ، اذ أن جزءا كبيرا منها يضيع فى الجريان السطحى ويعود ثانية الى البحار والمحيطات ، كما يضيع منها فى التبخر ، الا أن ما يتبقى منها يعد المصدر الرئيسى للموارد المائية على سطح هذا الكوكب .

أسباب ومصادر التلوث المائى :

تحتوى المياه الموجودة فى الطبيعة على عدد من المواد الكيماوية (عضوية ومعدنية) مذابة أو معلقة ، وبعض هذه المواد يضاف الى المياه بفعل العمليات الطبيعية والبعض الآخر بفعل الأنشطة البشرية .

إن بعض المواد الكيماوية الموجودة فى المياه مفيدة للانسان ، اذا لم تكن درجة تركيزها عالية . وكما هو الحال فى التلوث الجوى فان ملوثات الماء تعنى تلك المواد التى تؤدى الى الاخلال باتزان البيئة ، وبالتالى تضر بالانسان وبالكائنات البحرية ، ونستطيع القول بأن معظم الملوثات الموجودة فى الانهار والبحيرات والبحار تأتى من الأنشطة البشرية .

ولربما يكون أقدم أشكال تلوث المياه هى مياه المجارى التى كان يقذف بها الانسان الى الانهار والبحيرات والبحار منذ أن بدأ هذا الانسان يعيش فى المدن . ومع نمو الصناعة ، أخذ يرمى بالفضلات الكيماوية بنفس الطريقة . وعندما أخذ الانسان فى استخدام المبيدات الحشرية والاسمدة الكيماوية وجدت هذه المركبات طريقها نحو المسطحات المائية . وحتى الملوثات الهوائية كأكاسيد الكبريت والنيتروجين تترسب بفعل الامطار ، وهذا ما يعرف بالمطر الحمضى ، وهذه أيضا قد تأخذ طريقها نحو البحار .

وهكذا أصبح الكثير من البحار والانهار والبحيرات فى العالم مستودعا لاستقبال مياه المجارى ، بالاضافة الى ما تستقبله من المخلفات الصناعية التى تلقى بها آلاف المصانع ، اذ تستهلك المنشآت الصناعية فى الولايات المتحدة الامريكية - على سبيل المثال - حوالى نصف كمية المياه التى تستهلك فى البلاد .

ولقد كان من نتائج التوسع فى استعمال النفط تلويث البيئة البحرية ، حيث أخذت البحار والمحيطات تتعرض للتلوث بالمنتجات البترولية ،

التي تلقى في هذه المسطحات المائية ، مع مياه موازنة ناقلات النفط . ولا يقتصر الأمر على تلوث البحار والمحيطات بمياه توازن هذه الناقلات وما تحتوى عليه من نفط ، بل كثيرا ما تتعرض هذه المسطحات المائية الى التلوث بالمواد البترولية ، بسبب حوادث تصادم ناقلات النفط أو انفجار آبار النفط . ولا يزال ماثلا في الأذهان ما تعرض له الخليج العربي خلال عام ١٩٨٣ من تلوث نفطى خطير بسبب انفجار حقل نوروز الايراني *

والخليج العربي ـ كما هو معروف ـ أشبه ما يكون ببحيرة مغلقة مساحته حوالى ٧٥٠٠٠ ميل مربع ، فعرضه عند مدخله ـ مضيق هرمز ـ حوالى ٢٠ ميلا وطوله حوالى ٥٠٠ ميل . لذا فان أى تسرب للنفط من الآبار أو انسكابه لدى تحطم احدى الناقلات ، قد يؤدى الى تدهور خطير في بيئة الخليج البحرية ، وبالتالى يهدد الثروة الحيوانية والنباتية ، بالاضافة الى الاضرار التي تلحق بالانسان . كما تكمن خطورة التلوث النفطى لمياه الخليج في أن معظم دول الخليج باستثناء العراق وايران تعتمد على تحلية مياه الخليج كمصدر رئيسى لمواردها المائية ، كما أن المصانع المقامة على سواحل الخليج العربي تعتمد في تبريدها على مياه هذا الخليج ، لذا فان أى تلويث لهذه المياه بالنفط سيؤثر بلا شك على كفاءة محطات التقطير وكفاءة تشغيل المصانع .

تلوث البحار :

وكان الخليج العربي قد تعرض في أوائل أكتوبر من عام ١٩٨٠ الى تلوث نفطى كبير عندما انفجر أحد الحقول النفطية البحرية الذى يبعد حوالى ١٠٠ كيلو متر عن السواحل السعودية . وقد قدرت كميات النفط التي تدفقت وقتها بحوالى ٨٠ ألف برميل ، وانتشر هذا النفط على شكل بقعة من الزيت طولها حوالى ٩٥ كيلومترا ، وقد تم اغلاق الآبار المعطوبة بعد أسبوع .

وفى أواخر يناير ١٩٨٣ بدأ انتشار النفط في شمال الخليج العربي ، عندما هبت عاصفة أدت الى تحطيم منصة أحد آبار حقل نوروز الايراني ، وكانت احدى ناقلات النفط قد اصطدمت منذ عامين بالرصيف البحرى لحقل نوروز ، وقد تسبب هذا الحادث بتسرب حوالى ٢٠٠٠ برميل يوميا .

وفى الأول من مارس ١٩٨٣ تعرض هذا الحقل لعمليات عسكرية بسبب الحرب الدائرة بين العراق وايران ، وقد نتج عنه تدمير بئرين آخرين ، مما أدى الى تسرب ٥٠٠٠ برميل يوميا ، أي أن مجموع النفط المتدفق من آبار حقل نوروز أصبح في حدود ٧٠٠٠ برميل يوميا ، وقد بلغت كمية النفط المتدفق حوالى نصف مليون برميل حتى نهاية شهر مايو .

ولقد سارعت على الفور المنظمة الاقليمية لحماية البيئة البحرية الى اجتماع طارىء عقد في الكويت في الاسبوع الاول من ابريل ١٩٨٣ ، كما تمت متابعة هذا الحدث بجميع الوسائل المتاحة لدى الدول الاعضاء في المنظمة حيث وضعت جميع الاجهزة العلمية والفنية في حالة طوارىء ، كما أخذت الدوريات البحرية والجوية تقوم بمراقبة وتتبع حركة بقعة الزيت ، كما تم وضع حواجز عائمة لحماية محطات التقطير ، وفى الوقت نفسه كانت هناك سفن على أهبة الاستعداد مزودة بالاجهزة لشفط النفط السائل في حالة اقترابه من الشاطىء .

ولقد أمكن اغلاق البئر الرئيسية في سبتمبر ١٩٨٣ من قبل ايران ، بينما ظلت الآبار الاخرى المحترقة تسرب كميات قليلة .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الكرات القطرانية قد وصلت شواطىء بعض دول الخليج ، غير أنه لم يكن بالامكان التعرف على مصدر هذه الكرات القطرانية ، وعما اذا كان مصدرها بئر نوروز ، أو أنها كانت من بقايا ما تلقيه ناقلات النفط مع مياه الموازنة .

وفى الكويت كما هو الحال في بقية دول الخليج تعتبر المواد البترولية المصدر الرئيسى للمخلفات الصناعية التي تلقى في مياه الخليج العربي . وهذه ترتبط بشكل رئيسى بعمليات تصدير النفط بالاضافة الى ما تطرحه

* يقع حقل نوروز في الجزء الشمالي من الخليج العربي ، على بعد ٧٥ ميلا بحريا تقريبا عن السواحل الايرانية وعلى خط ٢٥ َ ٤٩ ْ شرقا ، وخط عرض ٣٣ َ ٢٩ ْ شمالا .

عطات خدمة السيارات ، وتغيير الزيوت . ويقدر المجموع الكلى لهذه المواد فى السنة (١٢٢٤٧٢ طنا) ، تليها المواد العضوية (٩٠٤٥ طنا) والتى هى من أهم مصادرهاالمسلخ المركزي وتجهيز الدواجن ، ومركبات النيتروجين (٧٩٩٩ طنا) وأهم مصادر التلوث بهذه المركبات هى وحدة انتاج اليوريا التابعة لمصنع الاسمدة الكيماوية . وتشير الارقام السابقة الى حجم هذه الملوثات خلال عام ١٩٧٧ .

أخطار التلوث المائى :

تعرض الانسان عبر التاريخ الى الاصابة بالاوبئة بسبب تناوله للمياه الملوثة بقاذورات المجارى . ولقد كان مرض التيفوئيد الذي أجتاح لندن فى أواسط القرن التاسع عشر مؤشرا الى الاخطار التى تنجم عن مثل هذه الملوثات ، والذى أدى بدوره الى اتخاذ الاجراءات اللازمة نحو حماية المياه من هذا النوع من الملوثات . وحتى يومنا هذا فان تلويث المياه هو السبب فى انتشار مرض الكوليرا وغيره من الامراض .

وهناك أنواع عديدة أخرى من التلوث المائى يمكن أن تسبب ضررا لصحة الانسان ، فبعض الملوثات الصناعية شديدة السمّيّة ، فعلى سبيل المثال وجد فى مياه بعض البحيرات الكبرى فى الولايات المتحدة الاميركية وكندا معدن الزئبق ، وهذا المعدن يلقى فى مياه هذه البحيرات مع بعض الفضلات الصناعية فيرسب هناك . وتشير الدراسات والتحاليل التى أجريت على الاسماك فى هذه البحيرات الى ان كميات كبيرة من الزئبق وجدت فى لحوم هذه الاسماك ، الأمر الذى جعلها غير صالحة للاستهلاك الآدمى . ففى الولايات المتحدة الاميركية تلقى الصناعة حوالى ٥٠٠ طن سنويا من الزئبق فى المسطحات المائية ، كما تلقى الصناعة الفرنسية ٥٠ طنا ، ويلقى سنويا فى البحار والمحيطات حوالى ٢٥٠ ألف طن من الرصاص والذى لا تقل سميته عن الزئبق ، كما يقذف فى البحار والمحيطات سنويا حوالى ١٠٠٠ طن من الكادميوم ، والذى يؤثر على مخ العظام ويسبب فقر الدم .

منظمات اقليمية للحماية :

يتبين لنا مما تقدم الآثار السيئة التى يمكن أن يسببها تلوث المسطحات المائية على الكائنات الحية من أسماك ونباتات وطيور ، بل على البيئة الانسانية عموما ، وخليجنا العربى بالذات ـ وهو بحيرة شبه مغلقة ـ أصبح معرضا لخطر التلوث بعد أن أصبحت الدول التى تحيط به من الدول الرئيسية فى العالم فى انتاج النفط وتصديره ، والامر لا يقتصر على التلوث بالنفط فحسب ، وانما يشمل التلوث بمخلفات المصانع المقامة على سواحل هذا الخليج ، والتى تلقى بنفاياتها العضوية وغير العضوية بالاضافة الى التلوث الحرارى ، وما يسببه من الاختلال فى توازن البيئة البحرية .

ومن هنا كان من الضرورى تضافر الجهود على المستويين المحلى والاقليمى لحماية الخليج من التلوث وذلك بمراقبة ومكافحة هذه الملوثات فى جميع المناطق المحيطة بالخليج على طول سواحله الشرقية والغربية ، ولهذا الغرض فقد قامت الدول التى تحيط بهذا الخليج بانشاء « المنظمة الاقليمية لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية » عام ١٩٧٧ حيث تم اختيار الكويت مقرا لهذه المنظمة . وقد عقد فيها بعد مؤتمر الكويت الاقليمى للمفوضين لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية فى الفترة من ١٥ الى ٢٣ ابريل ١٩٧٨ ، وتم التوقيع فى هذا المؤتمر على اتفاقية الكويت الاقليمية للتعاون فى حماية البيئة البحرية من التلوث ، والتوقيع أيضا على البروتوكول الخاص بالتعاون الاقليمى فى مكافحة التلوث بالزيت والمواد الضارة الأخرى فى الحالات الطارئة ، واقرار خطة العمل لحماية وتنمية البيئة البحرية والمناطق الساحلية لدول المنطقة المشاركة بالمؤتمر وهى : الكويت ، البحرين ، العراق ، عُمان ، قطر ، المملكة العربية السعودية ، دولة الامارات العربية المتحدة ، ايران .

بالاضافة الى ما ذكرنا ، فان الواجب ، بل ان استمرارية الحياة على هذا الكوكب تدعونا جميعا ، أفرادا وحكومات وهيئات الى ضرورة الحرص على توفير المياه نظيفة وخالية من الشوائب والملوثات وذلك بنشر الوعى البيئى وتكثيف الجهود للحفاظ على التوازن البيئى فى الطبيعة . □

العربي ـ العدد ٣٢٠ ـ يوليو ١٩٨٥

قصة قصيرة

الغريب

بقلم : رجب سعد السيد

لم يكن راضيا . هاهي الساعة تقترب من الثامنة ويكاد اليوم ينتهي ، ولم يتجمع في علبة الإيراد ما يجلب الرضا . مرت عدة أيام على نفس الحال . . . في الصباح ، وهو في طريقه الى العمل ، يفشل في التقاط أي راكب . ليس بسبب ندرة الركاب ، ولكن لأن رغباتهم تتعارض مع خط سيره من بيته في (الورديان) إلى (الحقانية) في ميدان المنشية ، حيث يعمل في وظيفة كتابية تحتم عليه التوقيع في قائمة الحضور قبل الثامنة والنصف . وذلك يجعله يتهرب من كل راكب يطلب نقله إلى مكان بعيد ، ليتوفر له الوقت للبحث عن مكان يوقف فيه السيارة ، بعيداً عن احتمال أن تقع عليها عين زميل من زملاء المكتب ، فتفشل محاولات الكتمان ، وينتشر الأمر في المحكمة كلها . يأتي خوفه من المساءلة القانونية في المرتبة الثانية بعد تطيره من نظرات الحسد والحقد وألسنة السوء . وبالطبع ، فإنهم لن يروا إلا السيارة (البيجو) الجديدة . لم يروا مكابدة السنوات الطوال منذ خرج من الجيش بعد الحرب يحمل في يده رخصة القيادة (درجة أولى) ، ويعمل عند أصحاب السيارات الذين يشتركون ـ جميعهم ـ في اتهامهم الدائم للسائقين بعدم الأمانة في توريد (الغلة) . ولن يصدقوا أنه اشتراها بالتقسيط ، ولا يمكن أن يتصوروا القلق المميت الذي يقلب كيانه وأيام الشهر تزحف إلى نهايتها ، دون أن تقترب الجنيهات المقتصدة من الرقم (٢٠٠) ، قيمة القسط الشهري .

يعلم ويؤمن بأن الله يقسم الأرزاق . . وهنا ، يجب أن يوجّه التأنيب إلى نفسه ، فهو في حالات كثيرة كان يركب راسه ويصر على أن يحدد خط سيره في شريط الكورنيش فقط ، رافضاً العديد من طلبات التوصيل إلى الأحياء الواقعة في عمق المدينة أو الضواحي . . السير في شوارع شتاء تلك الأحياء مخاطرة .

في الصباح ، وعلى مكتبه في (سراي الحقانية) راجع حساباته ، ووجد أنه سيضطر إلى تحويل كل راتبه الحكومي ليصب في صندوق القسط الشهري . قرر أن يتوقف لأي إشارة ، ويستجيب لأي طلب . وهاهي الساعة تقترب من الثامنة ، وهو راجع من (أبي قير) يتهادى وقد خلت الطريق من أي مترجل . أعطته السيدة التي أوصلها إلى أبي قير أجرا معقولا ، ولكنه لايغطي خسارة الرجوع خاليا .

عند الاستدارة الحادة في الطريق ، بعد الفندق الكبير أمام سور حدائق قصر المنتزه تهيأ له أن رجلا يطلبه ملوحا بيده . كان قد تخطاه قليلا . توقف وتراجع إليه . فتح الرجل الباب ومرق إلى داخل السيارة . لم يسأله عن وجهته ، ولم ينطق الرجل . .

كان يتنفس بعمق وبصوت مسموع ، وكان معطف المطر يصدر أصواتا وهو يحك كفيه ببعضهما . نظر إليه فى المرآة العاكسة . رأى قبعة سوداء على رأسه . فكر فى أن يكون سائحا أجنبيا .. فى نفس اللحظة ، سمعه يتكلم فى لغة عربية واضحة :

ـ (معذرة .. نسيت أن أقول مساء الخير ..) .

عندها ، خاب رجاؤه فى ختام طيب ليوم من الأيام غير المواتية . قال الرجل وهو يزيل دائرة من غلالة البخار المكثف فوق زجاج النافذة :

ـ (الأسكندرية تغتسل .. لا يكفيها البحر .. تستهويها الأمطار ..) .

كان يحادث نفسه ، واستمر يرقب الأمواج والأمطار صامتا .

قطعت السيارة مسافة طويلة ، وكان لابد أن يعرف السائق وجهة الراكب :

ـ (لم تقل ، سيادتك ، الى أين) .

ـ (إلى كل مكان .. أى مكان بالاسكندرية هو وجهتى ..) .

وصمت قليلا ، ثم عاد يتساءل فى تودد :

ـ (لعلك لا تكون مللت من وجودى فى سيارتك .. !) .

سارع السائق متحرجا ينفى أى شبهة فى سؤاله :

ـ (آسف يا سيدى .. لم أكن أقصد .. تحت أمرك وفى خدمتك ..) .

ـ (لاعليك يارجل .. إنما قصدت مناوشتك لأجعلك تبادلنى الحديث .. أحتاج الليلة إلى رفيق سكندرى أتكلم معه .. لاشك أنك سكندرى) .

ـ (أبا عن جد ..) .

ـ (هذا حسن .. حسن جدا .. من فضلك توقف للحظة ..) .

تململ السائق قليلا . مرت بباله ـ خاطفة ـ ذكريات مهنية سوداء . . مقابلاته للسكارى والشواذ والساقطات والمجرمين . ولكن الرجل لايبدو عليه ـ حتى الآن ـ أنه من هؤلاء . حديثه غير عادى ، وشخصيته لاتزال مبهمة ، ولكن سلوكه العام غير مريب .

توقفت السيارة . ترجل الراكب . خلع معطف المطر وطرحه فوق المقعد الخلفى ، ثم فتح الباب الأمامى ، وجلس إلى جوار السائق :

ـ (هنا أحسن . . هيا بنا . . بتمهل . .) .

تحركت السيارة والارتياب يعاود السائق . خطف نظرة إلى الرجل الجالس إلى جانبه . هل يخفى شيئا فى ملابسه ؟ . الملابس عصرية عالية الذوق . لايمكن أن يكون قاطع طريق بهذه الأناقة . هو ـ إذن ـ ليس أكثر من راكب غريب ثرثار .

أخيرا ، تحدث الراكب كأنما ليزيل شكوك السائق :

ـ (والآن . . سأخبرك بسرّى . . أنا هارب من فوج سياحى يقيم فى الفندق الذى رأيتنى أقف بالقرب منه . .) .

ـ (فوج سياحى !؟) .

ـ (نعم . . كان المفروض أن نصل إلى الاسكندرية ظهرا . . تعطلت السيارة فى الطريق وتأخرنا . . ألغيت جولتنا فى المدينة من البرنامج . . غدا صباحا سنطير إلى الأقصر . . هل فهمت ؟!) .

ـ (تقريبا . . أنت تريد تنفيذ الجولة . .) .

ـ (أنا مصرّ عليها . . معظم رفاقى من كبار السن ، ولا تهمهم الاسكندرية كثيرا ، وخصوصاً إذا كانت ممطرة . . أما أنا فقد تسللت فى المطر حتى وجدتنى . .

غير معقول أن أحضر إلى الاسكندرية لأتناول عشائى وأنام . .) .

وأخذ يردد مقاطع من ألحان شعبية متداخلة . كان قد تأكد لدى السائق أن الراكب سائح . ولكن ، أى سائح هذا الذى يجيد العربية ويحفظ أغنيات تتردد فى حارات الاسكندرية ؟! . تألقت فى ذهنه فكرة أنه ربما كان أحد دارسى اللغة العربية ممن يسمون بالمستشرقين . المهم يحمل صفة سائح ، والأهم أنه يسعى إلى جولة فى المدينة . . وهذا يترجم إلى أجر مرتفع يسهم فى إزالة الارتباك من حسابات هذا الشهر المقترب من النهاية .

ـ (ما رأيك فى غنائى ؟ . . مريع ، هه !؟ . . على أى حال ، دعنا نرى ماذا لديك من أشرطة الأغانى . .) .

ـ (لدىّ مجموعة متواضعة . . تحت أمرك . . فى و الدرج » أمام سيادتك . .) .

فتح (الدرج) ، وراح يفحص الشرائط . أبعد بعض الأسماء التى لايعرفها ، ثم رفع واحداً فى يده ، هاتفا :

ـ (فوق الشوق ! . . آه . . عبد الحليم . . أهواك ! . . صافينى مرة ! . .

ـ ذكريات الأغانى الأولى الجميلة . . ألست معى فى أن بداياته أكثر جمالا ؟!) .

رد السائق وهو يحاول أن يجامل راكبه المتميز :

ـ (فعلا . . كان عظيما . . الله يرحمه !) .

ـ (نعم . . نعم . . كان عظيما . .) .

وضع ، بنفسه ، الشريط فى جهاز الاذاعة ، وأخذ يهز رأسه منتشياًبالأغنية .

أوقف الجهاز واستعاد مقطعا .

بدا ، بعد فترة ، فاقد الحماس لأغانى الشريط ، وكان يلتفت إلى الأضواء والمبانى وعلامات الطريق. كان صمته غريبا على الجو الذى خلقه فى السيارة منذ حل بها . نظر السائق إليه . كان شاردًا ، وملامح وجهه تشى بأفكار محزنة . حسب أن السبب صوت عبد الحليم الشجى وكلمات الأغنية الرقيقة المعاتبة فى حزن . أخفت السائق صوت الأغنية ، فانتبه الراكب والتفت ينظر اليه . قال السائق :

ـ (لاحظت أن عبد الحليم أثر فيك بشدة . .) .

قال فى صوت خفيض ، كأنما يحدث نفسه :

ـ (فعلا . . أنا أسمعه كثيرا . . ولدىّ مكتبة أغانى كبيرة . . لم أتصور أن تتزاحم الذكريات بهذه الصورة . .) .

ثم عاد صوته إلى الارتفاع فى محاولة جديدة لكسب ود رفيق جولة المساء :

ـ (لابأس . . لابأس . . لديك سيارة أنيقة نظيفة . . واضح أنك تعتنى بها . . لا بد أنها ملكك ؟) .

ـ (أمامى سنة لتصبح ملكى . . اشتريتها بالتقسيط !) .

ضحك وهو ينطق العبارة الشائعة :
- (كل شيء يهون . . اليس كذلك ؟!) .
دق الراكب على الوتر الرنان . بادرة طيبة أن يذكر هذه الكلمات المتفائلة ، وإن كان لايدرى لماذا ضحك وهو ينطق بها . على أى حال ، شعر بالامتنان له .
- (فات الكثير . . والصبر طيب . .) .
وأدهشه حين عاد إلى سلوكه المستغرب ، وأخذ يقهقه - في غير مجال - مرددا :
- (نعم . . الصبر . . الصبر . . ياعطارين دلّونى !!) .
ومد يده ولمس إطاراً لصورتين معاً يضعه السائق أمامه :
- (إنك تضع صوراً في إطار جميل . . هذه لك . . في ملابس العمل ؟) .
- (لا . . هذا رداء الجندية . .) .
- (أأنت جندى ؟!) .
- (لا . . هذه صورتى حين كنت مجندا . .) .
- (آها ! . . هل كنت تهم بركوب العربة فعلاً أم ان اللقطة مصممة هكذا ؟ . . إنها لقطة بارعة . .) .
ابتسم السائق سعيدا بذكرياته :
- (كانت عربتى ، وكنت أعتز بها ، فأحببت أن تجمعنا صورة . . للذكرى !) .
فوجىء به يصفق هاتفاً في انفعال :
- (جميل . . جميل . . أحب الوفاء وهذه المشاعر الجميلة . . لابد أنك شاعر !!) .

وبالرغم من أنه لم يرتح إلى تصديق هذا الانفعال الزائد عن الحد ، فلم يملك إلا أن يشكره على كلمات المديح . عاد الراكب يتساءل :
- (والصورة الثانية . . آه . . لاتقل شيئا . . دعنى أخمن . . لابد أنها للسيدة والدتك !؟) .

عاد يدق وتراً آخر اضطرب له صدر السائق :
- (الله يرحمها !) .
تغضنت ملامح وجه الراكب راسمة صورة للحزن :
- (أوه ! . . متوفاة ! . . أنا آسف . .) .
- (لاعليك . .) .
- (لقد أثرت أحزانك . . حب الأم قيمة إنسانية عظيمة . .) .
وكانت أول مرة يحادثه راكب عن الصورة الحبيبة ويثير ذكرياته وأشجانه ، فلم يراجع نفسه ليتساءل إن كان الأمر مناسباً أم لا ، بل وجد نفسه يفضى إليه . .
- (ماتت حزنا علىّ وأنا في الأسر . .) .
سارع الرجل بلفظه (أوه) ، والحزن لايزال منطبعاً على وجهه . لكن ملامح الوجه تبدلت فجأة إلى مستطلعة :
- (هل قلت الأسر !؟) .
- (نعم . . وقعت في الأسر سنة ٧٣ . .) .
تحرك الراكب - وقد شده الاكتشاف - واستند بظهره الى باب العربة ليواجه السائق :
- (لابد أنها تجربة مريرة . .) .
وصل إليه التساؤل المشبع بالفضول في كلمات الراكب ، فاستجاب على الفور :
- (كنت أنقل الذخيرة في منطقة وسط القناة . . وكنت راجعاً لأحمل شحنة جديدة ، فوجدت دباباتهم تحيط بى . . أسرونى وأحرقوا العربة . .) .
استغرق الراكب في التفكير ، وعاد يستند إلى ظهر المقعد . أخرج علبة سجائره .
قدم للسائق سيجارة . اعتذر عن عدم أخذها لأنه لايدخن . أشعل الرجل سيجارته . أخرج أول سحابة دخان طويلة ، وقال :
- (الحروب تدمر كل شىء . . السلام نعمة كبيرة . .) .

أضاف السائق :

- (لا أحد يحب الحرب . .) .

وظلا صامتين لمسافة طويلة ، حتى وصلت السيارة إلى (محطة الرمل) . تخلص السائق - بصعوبة - من شلالات الذكريات ، والتفت إلى الراكب وهو ينتقي كلماته ، متسائلاً :

- (أنا سعيد بلقائك . . ولكن ، نحن الآن في وسط المدينة . . وأنت تعلم أن المتاحف مقفلة في هذا الوقت . . وأنا حائر ، لست أدري أي الأماكن تحب زيارتها . . يحسن أن نحدد وجهتنا الآن . .) .

أخفض الراكب رأسه قليلاً لينظر إلى يسار الطريق :

- (فعلاً . . ها هي محطة الرمل . . تغيرت ملامح المكان . . ولكن ، ها هو سعد زغلول وفندق سيسل . . و (تريانو) لا يزال في مكانه . . سمعت أنه تحول إلى بنك . .) .

أوقف السائق السيارة انتظاراً للقرار :

- (هل ننعطف إلى محطة الرمل ؟) .

- (لا . . كنت أود أن تسير في شوارع « الأزاريطة » و « كامب شيزار ») .

- (نمر عليها في طريق العودة . .) .

- (فكرة طيبة . . والآن . . لنكمل المسيرة . . إلى عبق ذكريات المكان والوجوه والروائح . . إلى « الأنفوشي » و « رأس التين » . . ليتك تمر بي في كل الشوارع والحارات . . أريد أن أمشي في الأزقة القديمة وأشم رائحة السردين المشوي ث من البيوت . . ما رأيك في أن نتناول عشاء سواءً في محلات الأرصفة ؟ ! . . انني أذكر بعض الأسماء المشهورة . . ستجدها . . هيا بنا . .) .

هنا ، استراح السائق تماماً لأنه - أخيراً - عرف وجهته بالتحديد . انطلق برفيقه الغريب في السيارة . أنزل الراكب زجاج النافذة قليلاً ، فلما تدفقت إلى وجهه خيوط المطر ، سارع برفعه مهرجاً كالأطفال .

كان يمسح وجهه ، وكان السائق يفكر في أن هذه الليلة ستحتل المكانة الأولى في سجل الأعاجيب التي يقابلها . وفكر ، كيف يتصرف إذا دعاه للعشاء . وانتهى تفكيره إلى قيمة الأجر الذي سيطلبه منه . فجأة ، وجد التساؤل يتحرك على لسانه :

- (إنك تعرف المنطقة كأحد أبنائها . .) .

قهقه الراكب ، وأطفأ السيجارة المنتهية :

- (شيء عجيب ، أليس كذلك ؟ . . فعلاً . . أنا مولود هنا في الإسكندرية !) .

- (هكذا خمنت أنا . .) .

- (غادرت مصر في ٥٦ ، وأنا في العشرين من عمري . .) .

- (هجـرة ؟ !) .

تردد قليلاً قبل أن يجيب :

- (يمكنك أن تقول ذلك . .) .

وضحت الصورة أمام السائق . كان ضرورياً أن تكتمل الصورة . . ضرورة وقتية غذاها الفضول والرغبة في سبر غور هذه النوعية الفريدة من الركاب . واستمر - لمجرد الرغبة في الثرثرة - يسأل :

- (إلى أمريكا ؟) .

- (لا . .) .

- (كندا ؟) .

- (لا . .) .

- (أوروبا ؟) .

- (لا . .) .

- (إذن . . لا بد أنها استراليا . .) .

ابتسم الراكب ابتسامة عريضة ، وقال في هدوء وبساطة :

- (لكي لا تجهد نفسك . . أنا إسرائيلي !) .

في لحظة واحدة خاطفة استوعب الأمر ، وتحركت قدماه ، وصرخت عجلات السيارة وهي تنزلق على الإسفلت المبتل . دارت السيارة دورة ، وكادت تصطدم - قبل أن تتوقف - بعمود إنارة بعد أن صعدت مقدمتها الرصيف الوسط بطريق الكورنيش .

كان الراكب يتساءل مذعوراً ، وكان السائق يفتح الباب بجانبه ويسرع - في المطر - إلى الباب الآخر ليفتحه صامتاً مكفهر الملامح مشيراً للراكب أن يخرج .

ارتفع صوت الراكب مستنكراً ومحتجاً . ابتل شعر السائق ووجهه وملابسه بالأمطار الغزيرة . كان يرتعش كمحموم ، وكانت عيناه تبرقان بحدة . امتدت يده وقبضت على كتف الراكب تشده ، وكان يأمره بصوت صارخ رافض : انزل ! . □

الرأي ، والرأي الآخر .. والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

منتدى العربي

قضية

في المنتدى هذا الشهر قضية وعدد من التعقيبات .. القضية يثيرها الشاعر السوري شوقي بغدادي الذي لاحظ بأسى انحسار الجماهير التي تسعى الى قراءة الشعر وتذوقه . ويدعو الناس الى الاحتفاظ « بجزرهم الروحية التي يسهم الفن في انقاذها » من طوفان الاستهلاك .

وفي التعقيبات تقرأ للدكتور حسان حتاحت مجموعة من أفكار أثارها في نفسه المقال الافتتاحي للعدد ٣١٦ من مجلة العربي بقلم الدكتور محمد الرميحي رئيس التحرير ، ويعقب محمد الاسعد على مقال الدكتور فؤاد زكريا عن « وهم الاصالة والمعاصرة » المنشور في عدد مارس من المجلة .

هل انتهى زمان الشعر ؟

بقلم : شوقي بغدادي

يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة ، وأنا أراقب بكثير من الدهشة والأسى القاعات الكبيرة تشكو الخواء والبرود وانحسار الجماهير عنها في الامسيات الشعرية . وحتى الذين يحضرون كنت أراهم غير مأخوذين بما يسمعون كما كان الأمر في السنوات الخاليات .

كانت الظاهرة تتضخم وتؤكد نفسها عيانا وأنا أتجاهلها مع غيري من المتفائلين ، وكنت أقرأ عن هذه الظاهرة في اوروبا الغربية ، الا انني لم ادرك حجمها الخطير حتى الصيف الماضي حين جمعتني الصدفة بالشاعر الفرنسي « جان بريتون » في مهرجان ستروغا « الشعرى العالمي في جمهورية مكدونيا بيوغسلافيا ، وهو ناشر أيضا وعضو في هيئة تحرير وادارة مجلة « شعر » الفرنسية التي تصدر منذ سبعة عشر عاما .

كنا نتحدث عن أحوال الشعر في أوروبا الغربية أو في فرنسا بالذات ، وعن مدى اهتمام القراء هناك بهذا

الفن ، وكان أن سألته :

كم يبلغ عدد النسخ التي تطبع من أول ديوان يصدر لاحد الشعراء الجدد ؟

فأجاب قائلا :

قبل انجاز هذا الامر لابد من اجتياز عدة عقبات .. اولا ، يجب أن يكون هذا الشاعر قد ظهرت له عدة محاولات شعرية ولمدة سنوات في المجلات الادبية بشكل كاف ومقنع لتكريس اسمه كشاعر موهوب حقا . وبعدها تأتي عقبة العثور على دار نشر تقبل هذه المغامرة ، ذلك لأن دار النشر التي توافق على نشر المجموعات الشعرية الجديدة باتت قليلة جدا ، فاذا اجتاز الشاعر هذه العقبة فلن يطبع من مجموعته عندئذ أكثر من خمسمائة نسخة على الاغلب ..

واستغربت وقتها هذا الرقم كثيرا بالنسبة لبلد كبير قارىء مثل فرنسا . ولكن صدور هذا التصريح عن شخص مطلع مثل جان بريتون اعطاني مؤشرا جديدا ، اذا أضفناه الى مجموع المؤشرات المستقاة من الغرب ، أمكننا أن نتأكد من أن تقلص الاهتمام بالشعر قد أصبح ظاهرة حقيقية في العالم الغربي .

عودة الى الوراء

ليس ضروريا هنا أن نعود نحن العرب الى الجاهلية لنذكر الاعياد التي كانت تقيمها القبيلة عند نبوغ شاعر فيها ، ولا بذكريات الشعراء الكبار في العصور الاسلامية ممن كانوا ملء الاسماع والقلوب كالبحتري وابن الرومي وأبي تمام والمتنبي وغيرهم . بل يكفي أن نذكر بعهد قريب لا يعود الى أكثر من ثلاثين أو اربعين سنة خلت ، كانت فيه قصيدة للرصافي أو الجواهري في العراق ومثلها لأحمد شوقي أو حافظ ابراهيم في مصر وأخرى لبدوي الجبل وابي ريشة في سوريا كافيه لاثارة الرأي العام . واقبال الجماهير على الشعر بشكل مؤثر كان يقلب الحكومات القائمة أحيانا رأسا على عقب أو يصبح على الاقل المتعة الاولى في وجدان البشر .

ولم يكن الأمر مقصورا على جماهير المثقفين بل كان يتعداها الى الجماهير البسيطة التي كانت مشغوفة بالشعر قراءة واقتناء وحفظا حتى يصعب وقتها تصور حركة المجتمع العربي دون تدخل الشعراء ومشاركتهم الفعالة .

لابد من الاعتراف الآن أن تلك الايام قد تلاشت الى حد بعيد ولم يبْقَ منها سوى الاصداء ، وان الاصوات الشعرية التي ما تزال مسموعة على نطاق واسع تتضاءل يوما بعد يوم حتى ليمكن حصرها في اسمين أو ثلاثة لا أكثر .

ماهو تفسير هذه الظاهرة ؟

ان تفسير هذه الظاهرة مسألة بالغة التعقيد وقد تحتاج معالجتها الى مؤلف ضخم ، ولكن اختصارا يمكن رد المسألة الى عاملين اساسيين ، أحدهما يتعلق بالمنتج أي الشاعر نفسه والآخر بالمتلقي أي القارىء ، مع الاعتراف بأن كلا الطرفين يتعرضان لضغوط مشتركة متشابهة ولكنهما في الوقت نفسه يختلفان من حيث الوضع الاساسي لكل منهما حيال طبيعة القضية بين الابداع والتلقي ..

لا شك أن الشاعر العربي المعاصر يواجه معضلة درامية - اذا صح التعبير - من نوع خاص حين نأخذ بعين الاعتبار الصراع الذي نشب في أعماقه مع هجوم الحداثة بين طموحين يبدوان حتى الآن طرفين في معادلة صعبة الحل : أولهما يدفعه الى التجديد والابتكار تحت دافع التطور الطبيعي ومجاراة الثقافة الغربية ، ولكنه طموح يهدده في الوقت نفسه بالانفصام عن الجماهير العاجزة حضاريا عن مواكبته ، والطموح الثاني يدفعه الى الحفاظ على صلاته بالتراث والتقاليد وبالتالي بالجماهير ، الا انه طموح يهدده بالتخلف عن ركب الثقافة المعاصرة المتقدمة .

ليس من السهل عمليا الاحتفاظ بالتوازن بين هذين الطرفين المتباعدين حتى الآن ، ولذلك كان بدهيا أن تهتز الخطا على هذا الطريق ، وأن تعكس التجارب الشعرية هذا الاهتزاز والقلق بأشكال متباينة بين قطبين متطرفين : أحدهما يراهن على المستقبل غير عابىء بالمستوى الحضاري النوعي

الراهن للبيئة ،وجماهير القراء الواسعة، فيطلع على الناس بانتاج مبهم غريب على ثقافتهم وأذواقهم . والآخر يراهن بالعكس على الماضي غير آبه بمتطلبات العصر ، فيطلع على الناس بإنتاج مستهلك مبتذل لا يرضي طموح البشر العميق الى الجديد ، وكأن جماهير القراء بغريزتها الصادقة ، اذ ترفض الاثنين معا ، تعبر عن موقف ثالث لا تستطيع أن تبلوره في مواصفات محددة ، غير ان التجربة الزمنية تثبت يوما بعد يوم أن كثيرا من التجارب الشعرية المحدثة الناجحة كانت ، في نهاية التحليل ، تجسيدا عمليا ملهما لهذا المناخ السديمي الذي ما يزال في طور الشكل داخل الوجدان الجماعي ، الذي استطاع الشاعر أن يبرزه بطاقة خاصة من موهبته واخلاصه في الاصغاء الى صوته الداخلي من جهة ، وصوت التراث والبيئة المحلية من جهة أخرى ، في اطار متكامل مع العصر.

رفض الموسيقا

وفي الايقاع اندفع كثيرون أيضا متأثرين بالترجمات النثرية عن الشعر الغربي ، ومتطلبات التعبير المعاصرة المتطرفة ، أو بالهبوط المستمر للمناهج التربوية في تدريس اللغة العربية ،وعدم العناية بتعليم العروض العربي المدهش بغناه الايقاعي ، والمتميز تميزا كبيرا بأصالته وألوانه المتنوعة ، اضافة الى دوافع أخرى مشبوهة متأثرة بشكل أو بآخر بالمشروع العالمي التدميري لاصالة الشعوب والانسان في العالم المتخلف الغارق في التبعية . كل ذلك دفع الكثيرين من الشعراء الى نبذ التراث العَروضيّ نبذا تاماوتبني ما يسمى بقصيدة النثر بديلا للشعر الايقاعي.ورفض أية محاولة في تجديد الايقاع في الشعر ليس التزاما بموسيقا خارجية كما يقولون ، وانما هو تلبية لغريزة أصيلة في الانسان وخصوصا لدى الشعوب ذات التراث العريق .

وضع القارىء العربي

لعل أهم المؤثرات التي دفعت وما تزال تدفع القارىء العربي الى الابتعاد عن ميدان الشعر هو ما يسمى بنمط الحياة الاستهلاكية التي اجتاحت المجتمع العربي ، هذا النمط من الحياة الذي يجعل التعامل مع الأشياء عامة خاضعا لقانون الفائدة المادية المباشرة .

ان الاهتمام بقراءة الشعر يحتاج الى انسان قادر حقا على أن يخلو الى نفسه ، وان يجد متعة فعلية في تأمل ذاته والحياة من حوله تأملا روحيا صافيا بعيدا عن الرغبات النفعية المباشرة . هذا الصفاء الداخلي لا توفره المجتمعات الحديثة بسهولة ، واذا كان لابد من القراءة فان الناس باتوا يهتمون بالروايات المثيرة القادرة على منافسة السينما والتلفاز أو في أحسن الأحوال بالبحوث والدراسات الجادة التي يعتقدون انها اكثر جدوى في فهم ما يجري في العالم . لقد باتت قراءة الشعر اذن نوعا من الترف أو بتعبير أدق مضيعة للوقت الذي بات ضيقا جدا في عصر الاستهلاك والسرعة ، والتزاحم .

أما العامل الآخر المؤثر فهو راجع ، في اعتقادي ، الى المناخ المعنوي الهابط الذي خلقته الهزائم والنكسات القومية المتلاحقة منذ بداية عصر النهضة حتى الآن ، والى الفراغ الروحي الكبير الذي كرسه افلاس الايدولوجيات العربية المختلفة وأنظمة الحكم التي عقد عليها المواطنون آمالا كبيرة في العقود الماضية .

في أجواء الهزيمة

لقد كان الشعر في أيام الصعود الوطني في الاربعينيات والخمسينيات خاصة هو الفن الادبي الاكثر نشاطا وتأثيرا في الجماهير المتوقدة حماسة آنذاك . ومازلت اذكر - وأنا من الذين اسهموا الى حد كبير في غمار هذا التيار إبان الخمسينيات - التجاوب العاطفي والفكري العميق الذي كانت تحدثه قصائدنا المنشورة أو الملقاة من على المنابر . لقد كان ثمة نوع من القناعة لدى الشاعر والقارىء بأن الشعر هو التعبير الامثل عن هذه الروح الوطنية الصاعدة ، وأنه أكثر الفنون قدرة على الاسهام في عملية التغيير الاجتماعي بسبب المناخ الديمقراطي النسبي الذي كان سائدا في تلك العهود . كان الناس واثقين من انفسهم ، وبالتالي من شعرائهم ، ولكن

النكسات القومية والوطنية المتلاحقة بعد ذلك وضعت هذه الثقة الكبيرة كلها موضع الشك ، ثم انحسرت واستحالت الى نوع من الاحباط والتشاؤم في جدوى أية كلمة تقال،وعلى الخصوص في ظل المناخ التعسفي الذي أطاح بنسائم الديمقراطية القليلة . وهكذا حل على الثقة القديمة اعتقاد شعبي راسخ بأن عملية التغير تحكمها قوى الطغيان والعنف المنظم لا قوة الفكر أو الشعر .

وبهذا المعنى بات الناس يستمعون الى الشعراء بقابلية أخرى مغايرة وكأنها تقول لهم : مساكين أنتم ايها الشعراء انكم تجهدون انفسكم دون جدوى ! . .

فاذا أضفنا الى كل هذا روح المداهنة والتملق التي راحت تطغى على كثير من رجال الفكر والفنون عامة حيال هذا الشعور الطاغي بعدم الجدوى والرغبة في تشدان السلامة ، نجد أن جمهور القراء بدأ ينتقل شيئا فشيئا من موقف الرثاء للشعر والمفكرين الى موقف العداء والريبة في النوايا الحقيقية لهذا الهراء الكبير الذي يسمعونه هنا وهناك متشدقا بالكلام الرنان المبتذل والشعارات الكبيرة التي فقدت محتواها .

تلك هي بشكل عام الصورة السائدة لوضع الشعر العربي في هذه الايام . لكن هذه الصورة الكالحة لا تخلو من اشارات مضيئة لا يمكن تجاهلها . انها تكمن في طبيعة تطور البشر ونضالهم اليومي المستميت للتشبث ببقايا جزرهم الروحية المتنائية . وهذا ما يبقى للنشاط الفكري عامة والفني خاصة ، وفي طليعته الشعر ، وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها . وتلك بالتأكيد ليست مهمة الشعراء وحدهم ، وانما هي في الوقت نفسه مهمة البشر في الا يستسلموا لليأس واغراء المادة ، وان يقاوموا بدورهم وأن يحتفظوا في اعماقهم الملونة بتلك الجزيرة الروحية التي يسهم الفن الاصيل في انقاذها ، كي يبقوا بشرا اسوياء يطلبون الشعر كما يطلبهم الشعر نفسه في آن « واحد » . . □

منتدى العربي

تعقيبات

الدواء قبل الغذاء

في العدد (٣١٦) من مجلة العربي ، تحدث الدكتور محمد الرميحي رئيس التحرير ، عن مشكلة الدواء في العالم العربي ، فأثار الكثير من لواعج النفس وشجونها . ووضع اصبعه في الجرح الذي نعاني منه . ومشكلة الدواء مشكلة مزمنة وحادة في آن واحد . يعاني منها الطبيب ويعاني منها المريض . ذلك أننا نبحث دائماً عن الدواء الذي فيه من النفع أكثره ، ومن الضرر أقله . فاذا زاد النفع عن الضرر كان الدواء جيّداً واذا كان العكس فالدواء غير مقبول .

وترانا كدول في العالم الثالث - نستورد القسم الأكبر من الأدوية التي نستهلكها جاهزة معلّبة ، أو نستورد طريقة تصنيعها وموادها الأولية . فنحن في كلتا الحالتين نفتقر الى الابداع والى البحث العلمي الدقيق .

وعند الكلام عن مشكلة الدواء ، لا بدّ من دراسة هذا الأمر على أربعة مستويات : مستوى الاكتشاف والتصنيع ، ومستوى الاستيراد ، ومستوى الطبيب ، ومستوى المستهلك .

فعلى مستوى الاكتشاف والتصنيع نجد أن الدول العربية متفردة عاجزة عن أن تمتلك التقنية

المتطورة الكفيلة بصنع دواء جديد وجيّد .

وتأتي في هذا المستوى مشكلة تجربة الدواء ـ وهي مشكلة موجودة لدينا ولدى دول العالم المتقدم ، فلتقرير ما اذا كان دواء ما مفيداً للبشر لا بدّ من تجربته على البشر . ولا بد أن تُسبق تلك التجربة بموافقة صريحة من المجرّب عليهم ، بعد أن يتلقوا عرضاً مفصلاً لفوائد الدواء المتوقعة ومضاره المحتملة .

أما على المستوى الثاني وهو مستوى الاستيراد فلا بد أن نكون واعين حذرين . لأن خطأنا هنا لا يغتفر . ولئن كان قدرنا أن نستورد كل شيء جاهزاً معلباً فلنتعرف على الأقل ماذا نستورد .

وفي هذا يجب الاعتماد على الشركات ذات السمعة الحسنة ، التي لا تقبل بتسويق دواء غير مدروس أو جيّد ، ولا بد حتى في هذه الحالة من تحليل مقومات الدواء أولاً ومن اجراء أبحاث وتجارب علمية ثانياً ، ويجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عدم استيراد أي دواء لا يستعمل في بلد المنشأ أو في البلدان ذات البحث العلمي الناشط ، ويجب أن يكون هذا الاستيراد ونقل الدواء في أفضل الشروط التي تضمن وصول دواء جيد فعّال . وأن تكون هذه الأدوية متوفرة دائماً في الأسواق .

وان كانت مشاكل الدواء تشمل العالم كلّه فان معاناتنا منها لا شك أكبر ، لأن ضرورة الدواء في عالمنا المليء بالجهل والمرض أهمّ وأعظم . واننا لنتطلع الى يوم يكتشف فيه الدواء الجيد الجديد في بلادنا ويصنع فيها . في الوقت الذي تكون فيه حاجتنا الى استعمال هذا الدواء قد تضاءلت بسبب التطور والوعي الاجتماعي . . ولعلّ مقالة الدكتور الرميحي خطوة مطلوبة على طريق فتح ملف الدواء ، وتشجيعاً لنا على التطلع الى المستقبل . . . ولست أدري اذا كنا في تطلعنا الى هذا المستقبل المتواضع حالمين أو مغالين ؟□

الدكتور غسان حتاحت

❋ ❋ ❋

التباسات الأصالة والمعاصرة : الحضارة من حفنة تراب !

ان الحرص على الموضوع النظري والرغبة في حل الاختلاط بين عدة مدلولات للفظ الواحد ، هو ـ كما يبدو لنا ـ حافز الدكتور فؤاد زكريا ـ في مقاله المنشور بعدد مارس ١٩٨٥ تحت عنوان « وهم الأصالة والمعاصرة » ـ لاستخلاص الصيغة البسيطة والفعالة ، الابداع أم الاتباع ، ووفق وجهة النظر هذه تبدو الأصالة بمعنى احتذاء نموذج الماضي نوعاً من الاتباع ، كما تبدو المعاصرة بمعنى احتذاء النموذج الغربي نوعاً آخر من الاتباع ، وهكذا تأخذ كلمة الابداع من المفهومين السابقين مدلولها الايجابي أي الجانب التقويمي .

لا شك لدينا في أن هذه خطوة متقدمة على صعيد بلورة النظرية وتحديد مفاهيم أكثر فعالية ، في سياق هذا الجدل القائم حول كيف ينهض العرب ؟ هذا السؤال الذي طرح منذ قرنين وما زال يطرح في أواخر القرن العشرين بنفس الحدة .

الا أن للقضية وجهها الآخر ، فاذا كان التحديد النظري لمنظومة ما مهما ، فان الأكثر أهمية هو وعي الاشكالية نفسها . وهنا نختلف مع د . فؤاد زكريا في هذه النقطة ، لأننا لا نعتقد أن تباين الصيغ هو مجرد خلط بين ما هو زمني وما هو تقويمي، بل هو نابع من تباين في جوهر الاشكالية نفسها بين هذا الفريق وذاك . أو بعبارة أخرى نحن لا نعتقد أن جوهر الاشكالية كان وما زال واحدا منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى أواخر القرن العشرين اللهم الا في الظواهر العامة ، فقد اختلف هذا الجوهر وفق اختلاف رؤية الطبقات والفئات الاجتماعية العربية التي تعاملت مع الاكتساح الغربي للوطن العربي ،

وبالتالي لم يكن تعدد الصيغ التي طرحت للاشكالية نابعا من الغموض والاختلاط اللفظي بقدر ما كان نابعا من تباين المصالح في التشكيلة الاجتماعية التي صدمت بهذا الاكتساح . لقد حدد (الخديوي اسماعيل) ومن تابعه من المفكرين مثلا مشكلة مصر في اطار القدرة على التحول الى جزء من أوروبا . بينما كان مفكر مثل عبد الله النديم يطرح مشكلة مصر في اطار القدرة على التحرر من قبضة أوروبا .

ان اختلاف هاتين الصيغتين هو بالضبط انعكاس أمين لاختلاف في الاشكالية نفسها ، وهو اختلاف طبيعي تماما ، وليس شذوذا .

ولهذا كان الامر خيارا بين موقفين : الأصالة والمعاصرة ، بمعنى الحفاظ على الذات أو الذوبان في الآخر الغازي ، والحقيقة أن فشل كلا الخيارين في إثبات مصداقيته وفاعليته لم يأت بسبب أخطاء نظرية ، بقدر ما جاء بسبب من طبيعة هذا الاقتحام الغربي الذي لم يكن احتكاكا أو تعارضا بل كان اقتحاما لبنية تاريخية مغيرا لعناصرها ، وموجها لمعنى وجودها . فالحفاظ على هذه النهضة المسماة تقليدية سلوكا وفكرا وانتاجا كان مستحيلا أمام غزو مسلح بنظم انتاج متقدمة ، وانجازات عسكرية أكثر فتكا ، وكذلك كان مستحيلا الانخراط في الآخر الغازي ، وسر هذا الفشل المزدوج لكلتا الشخصيتين التقليدية والعصرية ، يكمن في طبيعة مشروع الغزو نفسه . فهو لم يكن يحمل في طياته مشروع اقامة عالم على مثاله ، لأنه بذلك يعارض ويناقض نفسه كنمط انتاج مركزي متوسع على حساب التهام الشعوب الاخرى ، بل كان يتضمن اقامة عالم ثالث لا هو بالتقليدي ولا هو بالمعاصر . وأبلغ ما يعبر عن اتجاه هذا الغزو تلك الأحداث التاريخية التي قوضت بها أوروبا أنماط الانتاج الرأسمالية التي حاولت الظهور في فترات مختلفة من القرن التاسع عشر في مصر والعراق وتونس .

ان ما استخدمه الغزو بحكم طبيعته الانتاجية أي كنظام رأسمالي هو تحطيم البنية التقليدية ، وصياغة تجمعات بشرية تخدم وظائفه فقط . أي تجمعات بلا هوية ولا مرتكز ولا تاريخ .

وما زلت أذكر حتى الآن تلك الحوادث العجيبة التي سمعتها من أكثر من فلاح فلسطيني ابان الاحتلال البريطاني لها . حوادث كان فيها جنود بريطانيا العظمى يقتحمون بيوت الفلاحين ليس فقط للبحث عن الاسلحة ، بل لتدمير قوت الفلاحين من القمح والشعير والطحين والزيت ، أي تقويض مقومات البقاء على الأرض .

لماذا فشلت المعاصرة ؟

اذا كان الانسان « التقليدي » في دفاعه عن ذاته ونمط معاشه وطراز بيوته ومكانته في العملية الانتاجية التاريخية ، قد بدا فشله واضحاً في سياق العنف الاستعماري المتفوق الذي وجه اليه ، في وقت لم يكن فيه يمتلك المؤسسة المنظمة ولا المعرفة الكافية ، فان فشل « العصري العربي » كان أشد وضوحا ومأساوية . ذلك لأن الأول كان - على الاقل - يدافع عن هوية وعن بيئة تاريخية ذات سمات واضحة هدمها الغزو الغربي في طريقه الى الاسواق والمواد الأولية وطرق المواصلات ، أما الثاني فقد كان يتوقف عن الدفاع أملا في تحقيق مستقبل خاسر سلفا ، هو مستقبله كما تصوره على غرار الحاضر الغربي وبالتعاون معه وهكذا توازى فشل التقليدي والمعاصر ، وظل وعينا لهذا الفشل وادراكه هو المهمة التي لم تنجز حتى الآن .

لقد فقدت قوة العمل العربية سواء كانت ذهنية أو عضلية ، موضوعها ، أي المادة أو الطبيعة ، وفقدت تاريخها أي السياق الزمني الذي تترجم فيه وعبره فعالية اليد والفكر . وتدريجيا ومع نمو شروط التبعية الاقتصادية والاجتماعية أصبحت هذه القوة بلا قوة حقا ، لنتصور مجتمعا يقوم كيانه - أي تجمع أفراده وعلاقاتهم ونظمهم ومعتقداتهم - على شرط وجود نهر من الانهار ، وعلى أساس الاستغلال لهذا النهر والاراضي المحيطة به . ما الذي يكون عليه مصير هذا الكيان اذا نضب النهر ، وتفتت كل ما كان يسنده بالتالي ؟ هل يكون أمام أفراد مثل هذا التجمع الا التبطل وتشكيل حلقات مذاكرة قصائد الماضي وملاحمه والتمتع مؤقتا بمنتجات مجتمعات أخرى ؟ لا شك أن مثل هذا المجتمع سرعان ما سيتحول الى مجرد كتلة لا فرق بينها وبين كومة الرمل وسيبدو بحثه عن الاصالة أو المعاصرة أو كلتيهما معا لغوا لا يمت

للواقع بصلة .

لذا فلا خيار ولا مقابلة بين الاتباع أو الابداع . فالمسألة لم تعد تتكيف في اطار الاختيار الحر بين موقفين ، لأنه في وضعية مجتمع مهمش على صعيد الانتاج ، ولا يمتلك وقتا ليكون تابعا إن أراد ، فقد بدأت مرحلة التبعية بالأفول مع ازدياد تركز عملية الانتاج العالمي معرفة وبضاعة في أيدي أنظمة قليلة ، ومع ازدياد تهميش المجتمعات الثالثة : وبروز ظواهر الابادة ، ابادتها ، بالمجاعات والحروب الاقليمية والهجرات ، ان أحلام الهالكين أو تقديراتهم لا قيمة لها في الحصيلة النهائية . اذن ليس هناك الا خيار واحد ، هو خيار الابداع ، ليس بالمعنى التقني وهو ابتكار الوسائل البسيطة والفعالة لحل المشكلات ، ولكن بالمعنى الحضاري الشامل ، أي طرح الاشكالية بوصفها اشكالية صنع الحضارة . بكل ما يتضمنه ذلك من مقاومة وقدرة على انتزاع المجتمع من المنطقة الثالثة ، واعادته الى التاريخ والى الطبيعة والى نفسه ، والحقيقة أن الامثلة التي طرحها الدكتور فؤاد زكريا لايضاح نوع الابداع الممكن أي ابتكار وسائل بسيطة وفعالة لحل مشكلات تقنية معقدة لا يمكن فهمها الا في سياق نظرية استثمار العمل العربي ، وهي نظرية لا تستطيع أن تنجح الا بتحول مواز في الكيان كله . تحول فكري ومادي متكامل ، يعيد حركة البحث في النهوض الى البدهيات المنسية ، الانسان والعمل والزمن والمادة ، يروي « ابن عذاري المراكشي » في كتابه « البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب » هذه القصة ، يقول : « لما انهزمت جيوش جرجير سار عبد الله بن أبي السرح حتى باب مدينته العظمى « قرطاجنة فحاصرها بمن كان معه من المسلمين حصارا شديدا حتى فتحت ، فأصاب فيها من السبي والاموال مالا يحيط به الوصف ، وكان أكثر أموالهم الذهب والفضة . وكانت توضع بين يديه أكوام الذهب والفضة لأنه انتزع أفريقيا بكرا ، فعجب هو والمسلمون من كثرة ذلك ، فقال للأفارقة « من أين لكم هذا ؟ فجعل الرجل منهم يتلمس شيئا من الارض حتى جاء بنواة زيتون فقال « من هذا أصبنا الأموال لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيت فيمتارونه من هنا » .

ان موقفنا الراهن أمام عجائب منتجات الحضارة الغربية يشبه موقف هؤلاء الأسلاف وسؤالهم يشبه السؤال الذي دار في أذهاننا ونحن نواجه آلة الغرب المتفوق ، ولكننا لم نجد من يميل الى حفنة التراب ليقول لنا من هنا تبدأ الحضارة ، بل وجدنا من يشير الى ناطحة السحاب ، أو الطائرة ، أو الحاسب الآلي ، أو محطة الأقمار الصناعية .. ليضللنا .. ويضلل نفسه ، فهل نجد من يميل الى التراب مجددا ، ذلك الذي تنحل اليه كل هذه العجائب والنظم وعظمة الانسان ؟ □

محمد الاسعد

رأي الكرملي في اللغة العربية

يقول الاب أنستاس ماري الكرملي : إن اللغة العربية أسمى اللغات ، وإنها مفتاح اللغات جميعا ، لأنها قادرة على تصوير كل ما يدور في الفكر البشري وفي الطبيعة الانسانية ، وإنها قادرة على مسايرة كل عصر وكل جيل لما فيها من قابلية الاشتقاق الذي لا يوجد في لغة سواها ، وإن القصور في أبنائها الذين أترفوا ولا يريدون أن يتجشموا في سبيل لغتهم أي جهد .

العربي ـ العدد ٣٢٠ ـ يوليو ١٩٨٥

التاترا البولندية

أرض الأسطورة والعنف والسحر الحزين

استطلاع: صلاح حزين

ـ جبليون يؤدون رقصاتهم الفلكلورية بين الجبال.

جبلي علابه المزركشة يؤدي احدى الرقصات

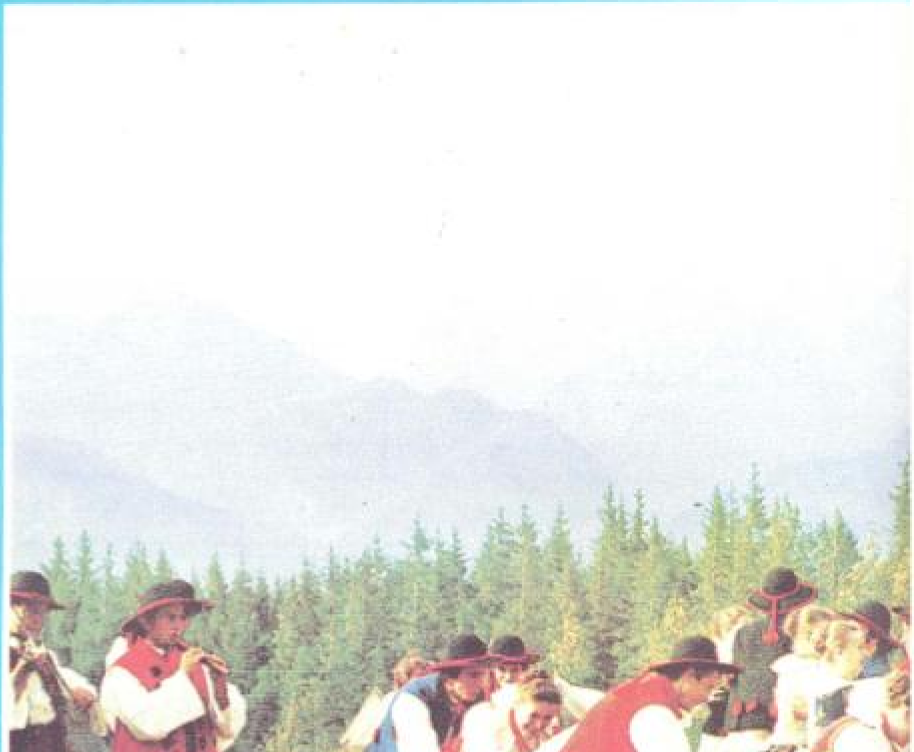

قبل الذهاب الى تلك المنطقة النائية في أقصى جنوب الحدود البولندية كانت كلمة « زاكوبانة » كبرى مدن المنطقة قد ترددت أمامي كثيرا بحروفها غير المتناسقة وجرسها الغريب . والى جانبها كانت تذكر كلمات الجبال وكراكوف والجنوب والتاترا والقرباط . ومن بين هذه الكلمات جميعا لم يكن يعني لي شيئا سوى اسم كراكوف .

يرتبط اسم كراكوف بأسماء ملوك بولندا العظام ، وشخصياتها المهمة وشعرائها وكتابها الكبار . . فهناك ولد جوزيف كونراد الروائي الكبير الذي حمل الجنسية البريطانية ، وكتب بلغة تلك البلاد بعض أهم الروايات الانكليزية في منعطف هذا القرن . وهناك ولد آدم مسكيفيتش ، شاعر بولندا القومي ، ودفن في مقبرة العظماء هناك في الكنيسة الواقعة ضمن أسوار القصر الملكي ، وهناك ولد وعاش البابا الحالي يوحنا بولص الثاني قبل انتخابه لمنصب البابوية . وكراكوف هي عاصمة الجنوب البولندي وكبرى مدنه،كما أنها العاصمة الثقافية والروحية للبلاد ، وبلد أقدم الكنائس،ومكان مناجم الملح الشهيرة . وهي معبر جميع القادمين من الشمال والوسط الى منطقة الجبال السياحية الشهيرة في جنوب بولندا . ومع عبور مدينة كراكوف والتوجه نحو منطقة الجبال ، تبدأ الألفاظ تأخذ معانيها وأشكالها المحددة ، وتحل طلاسم الكلمات ذات الوقع الغريب .

فالجبال هي جبال التاترا التي تقع على الحدود الجنوبية لبولندا المتاخمة لتشيكوسلوفاكيا ، والتاترا جزء من سلسلة جبال القرباط الشهيرة التي تمتد عبر تشيكوسلوفاكيا حتى رومانيا في الجنوب . أما زاكوبانة فهي أكبر وأشهر مدن الجزء البولندي من جبال التاترا . ومنها ينطلق السياح والزائرون من عشاق رياضة المشي على الأقدام أو التزلج على الثلج نحو الوديان والسهول والجبال المحيطة بالمدينة المنتشرة فوق عدد من التلال الخضراء .

وبحسب التقسيم الجغرافي للمنطقة فإنها تتكون من قسمين هما : السهول والجبال ، ويقصد بها هنا جبال التاترا البولندية ، تلك المنطقة الساحرة الجميلة التي يطلق عليها اسم يحتوى هذا المدى الشاسع من الخضرة والجمال والشلالات والصخور ، هو « حديقة التاترا الوطنية » .

لكن هذا الجمال الفائق الذي يأخذ الزائر ليس كل ما يعطي المنطقة خصوصيتها . فوراء هذا الجمال تاريخ من النزاعات الحدودية ، والصراعات السياسية ، والانتفاضات المسلحة ، والنشاط السياسي الممتزج بالخرافات والأساطير،التي تعطي كل ذلك بعدا شاعريا ، فهذه المنطقة الأخاذة من بولندا هي أرض الجمال والأساطير والعنف .

زاكوبانة

يبلغ عدد سكان زاكوبانة الأصليين ٣٠ الف نسمة . الا أن هذا العدد لا يمثل سوى جزء ضئيل من أعداد المترددين على المدينة طوال فصول السنة . فهي لا تشتهر بكونها مشتى جبليا يقصده الزائرون من مختلف انحاء أوروبا وحسب ، بل انها معروفة كذلك بكونها مصيفا ومنتجعا ومركزا صحيا مهماً . لذا فإن أعداد السياح الكبيرة لا تنقطع عن هذه المدينة ، التي تعتبر العاصمة السياحية لبولندا طوال فصول السنة ، وخصوصا في فصل الشتاء ، حيث يتوافد المتزلجون على الثلج فوق الجبال التي تكون قد استبدلت بلونها الاخضر لونا أبيض ناصعا ، ويتناثرون فرادى أو مجموعات بزحافاتهم الضخمة وعصيهم الأنيقة وملابسهم المزركشة . ويقدر المترددون على هذه المدينة بثلاثة ملايين سائح سنويا .

وطوال فصول السنة يطغى مشهد السياح الذين

يملأون شوارع البلدة على مشهد سكان زاكوبانة الأصليين، بملابسهم الزاهية المزركشة التي يختلط فيها اللونان الأبيض والأسود مع الوان الصوف التي تحيط بالقبعات الصوفية، ولون الأحزمة الجلدية العريضة بشكل ملفت للنظر حول خواصرهم. ويستثنى من ذلك مواسم الأعياد، حيث تجتمع الفرق بملابسها التقليدية وأدواتها الموسيقية، يرقصون ويغنون الأغاني الفلوكلورية مع النساء بملابسهن الزاهية الجميلة.

غيفونت وصخرة الغزال

منذ البداية، يشد انتباه الزائر ذلك الجبل الرهيب الذي يذكر الناظر، بفارس جليل ينام نومته الأبدية، يشرف على المدينة بمهابة ووقار. انه «غيفونت»، اكثر الجبال شهرة في تلك السلسلة التي تمتد على طول واحد وخمسين كيلو مترا، بطول الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية. ويبلغ ارتفاع «غيفونت» ١٩٠٩ أمتار عن سطح البحر. ولدى الشروع في تسلق هذا الجبل تكتشف أنه في الواقع سلسلة من الجبال الممتدة من الغرب الى الشرق. وان ما خلته، عن بعد شقوقا في وجه وجسد الفارس النائم هي في الحقيقة شقوق صخرية كبيرة تغطي قمة الجبل ـ السلسلة بعد أن تبدأ الطريق ناعمة هادئة بالعشب الأخضر الخفيف، الذي يحف بالجانبين على مقربة من الغابات الهائلة المحيطة بالمشهد. وحين تصعد أعلى قمم «غيفونت» لا تكتشف سر الشقوق الصخرية وحسب بل تكتشف سر الأسطورة التي أحاطت غيفونت على مر العصور.

تقول الأسطورة ان «غيفونت» محارب قديم، ناصر الحق وساعد على نشر العدالة في بقاع أوروبا المختلفة ومنها بولندا، التي حارب فيها من أجل العدالة، ثم نام ليستريح من عناء الحروب، وبقي على نومته المهيبة تلك الى اليوم يذكر بالحق والقضايا العادلة.

لكن الصعود الى قمة غيفونت ليس بالأمر السهل. بل انه يتحول الى نوع من المغامرة وخصوصا أثناء العواصف. لذا فقد آثرنا الصعود الى أقرب قمة منه، وتعرف باسم «سارنيا شكاوا». صعدنا اليها مع وادي «بياويغو» الذي يخترقه نهر صغير يأخذك الى أعلى الجبل. «سارنيا سكاوا» كلمة بولندية تعني صخرة الغزال وقد أخذ الجبل اسمه من تلك الصخرة البيضاء التي تعلو قمة الجبل. ومن هناك من قمة «صخرة الغزال» يواجهك جسد غيفونت الصخري بكل جلاله وهيبته، وتنظر الى الخلف فترى المدينة ممتدة أمامك، تتلامح منازلها الخشبية المزخرفة من بين الغابات، وخلف التلال الخضراء التي تقوم عليها زاكوبانة، ومن هنا أيضا يتحرك مشهد جبال (غوباوفكا) التي يبلغ ارتفاعها ١١٢٣ مترا عن سطح البحر و ٣٠٠ متر عن زاكوبانة نفسها، فهي تقع في طرف المدينة المقابلة للجبل المهيب.

وجمال جبال «غوباوفكا» يختلف تماما عن بقية الجبال ذات القمم الصخرية البنية اللون. فهي جبال خضراء تكسوها الأشجار والحشائش والأعشاب. ومنها بامكانك التمتع بمشهد شامل لجبال التاترا البولندية من جهة،ولمنطقة السفوح من الجهة الثانية. ويعكس غيفونت الذي يصعب الصعود الى قمته هنالك أكثر من طريقة للوصول الى قمم جبال «غوباوفكا» ابتداء من القدمين الى القطار المعلق، الى المصاعد الفردية التي تنقلك الى قمم اخرى عديدة. والقطار المعلق غير القطار الطائر الذي يصل بين القمم متجاوزا الوديان السحيقة. بل يصعد الجبل بواسطة مسننات مثبتة في اسفله.

الشاعر والقمة

لكن القطار المعلق والمصعد الفردي ليسا شكلي الانتقال الوحيدين بين قمم الجبال أو بين الجبال والمدينة، فهناك أيضا القطار الطائر الذي يصل قمم الجبال الوعرة والمرتفعة بعضها فوق ببعض. وأعلى قمة يصل اليها القطار الطائر، كما يسمونه، هي قمة «كاسبرو في، فيرخ» أي قمة «كاسبروفي»، التي تستدعي على الفور اسما شهيرا في تاريخ الأدب والشعر البولندي هو «يان كاسبروفيتش (١٨٦٠ ـ ١٩٢٦)». ولا يكون هذا الاستدعاء بسبب تشابه الاسمين وحسب، بل بسبب ارتباط هذين الاسمين بالمنطقة وسهولها وجبالها. وقد بدأ يان كاسبروفيتش زيارته للمنطقة عام ١٨٩٢ .ومنذ ذلك التاريخ واظب

ـ قمة كاسبروڤي « كاسبروڤ ڤيرخ » وتشاهد المحطة الأخيرة للقطار الطائر . وعلى ارتفاع أمتار قليلة المرصد الشهير .
وفي مقدمة الصورة الحد الفاصل بين الحدود البولندية والتشيكوسلوفاكية

ـ فندق كاسبروڤي في زاكوپانه تغطيه الثلوج .

ـ القطار الطائر المتجه الى كاسبروڤي ڤيرخ فوق نهر بلا اسم

ـ بحيرة تشارني ستاف أو البركة السوداء ـ ومنها الطريق الى قمة « ريسي » أعلى قمم التاترا البولندية .

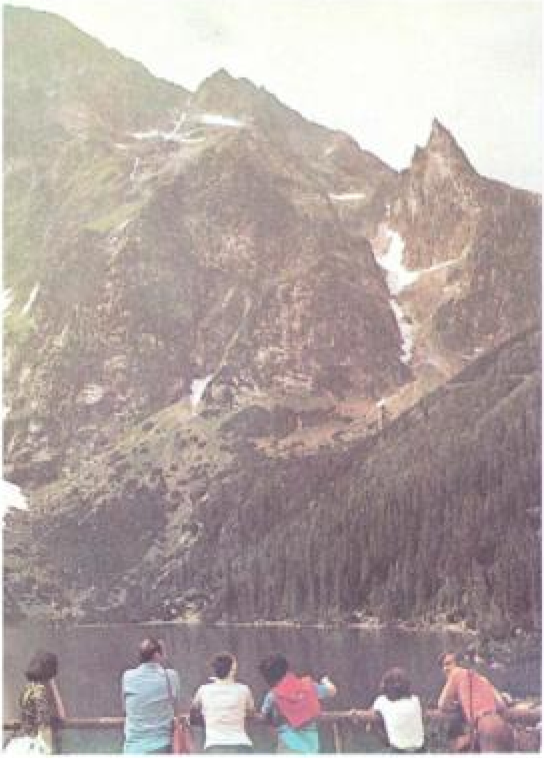

ـ مشهد لبحيرة مورسكي أوكو وحولها الجبال بألوانها المتدرجة ، وقد ظهرت الى يمين الصورة قمة « منيخ » أو الراهب .

ـ صورة قريبة وواضحة لجبل غيفونت أو الفارس النائم .

على قضاء اجازاته بانتظام الى أن قامت الحرب العالمية الأولى ، فترك عمله في جامعة «كازيميريج » في مدينة (لفوف)واستقر نهائيا في مدينة هاريندا ، حيث توفي عام ١٩٢٦ ودفن هناك في مكان يشرف على مشهد جميل من جبال التاترا .

وعلى أي حال ، فليس هناك من علاقة بين الشاعر الكبير « كاسبروفيتش » واسم « كاسبروفي » الذي يطلق على أطول شوارع مدينة زاكوبانة ، وعلى واد بجانب جبل كاسبروفي . بل ان أكبر وأفخم فنادق المنطقة يحمل هذا الاسم أيضا ، وذلك بخلاف القمة المذكورة التي يصلها الزائرون بالقطار الطائر أو « التلفريك » ، كما يقال له أحيانا .

يصل القطار ـ الطائر الذي بني خلال عامي ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ عبر مرحلتين : الأولى تصل قمة كوزنيتسي التي يبلغ ارتفاعها ١٠٥١ مترا ، ثم الى قمة كاسبروفي التي ترتفع ١٩٨٥ مترا عن سطح البحر . وعلى ارتفاع امتار قليلة من المطعم والمقهى الذي يصل اليه زائرو القمة يوجد مركز للأرصاد الجوية يحتل احدى القمم العالية هناك . وبعد أمتار قليلة تجد نفسك أمام حجر كتبت على احد جانبية عبارة « الحدود البولندية » وعلى الجانب الآخر عبارة الحدود التشيكوسلوفاكية » فقمة كاسبروفي تقع في وسط التاترا البولندية تماماً . وفي أقصى طرفها الجنوبي الملاصق للحدود التشيكية . وخلال رحلة حبس الانفاس التي يقطعها الزائر قبل وصوله الى قمة كاسبروفي يشاهد أي هوة سحيقة تفصله عن الأرض التي اكتست بالصخور النائتة أو بالأشجار العملاقة التي بدت نحيلة مدببة الرؤوس في أسفل تلك البقعة .

ارض السحر الحزين

ربما كانت اكثر المناطق سهولة وجمالا وقربا من مدينة زاكوبانة هي وادي « خوخوفسكا » الذي أخذ اسمه من مدينة خوخوف المجاورة . وهو أكبر وديان المنطقة الغربية من جبال التاترا البولندية . ويمتد الوادي الذي يبلغ طوله ١١ كم في بعض أطرافه ليصل المناطق الخضراء من الجبال المحيطة التي تبرز من رؤوسها الصخور لتشكل القمم العالية فيها .

وعلى امتداد هذا الوادي الشاسع الذي تحميه الجبال العالية والغابات من جهات ثلاث لا تبصر العين غير المراعي الخضراء ، التي تغطي بعض اجزائها الورود البرية بألوانها الزاهية ، والأحراش التي تكون تشكيلا جميلا على لون المراعي الأخضر العشبي ، بلونها ذي الاخضرار الداكن . وأمام هذه الخضرة الممتدة ينتاب المشاهد شعور بسحر حزين يميز هذا الوادي عن غيره من مناطق جبال وسهول التاترا البولندية . وعن بعد تتناثر بقع سوداء غير منتظمة فوق البساط الأخضر الممتد في كل الاتجاهات . وعند الاقتراب منها تكتشف أنها أكواخ صغيرة بنيت من أخشاب تلك المنطقة ببناء هندسي بدائي بسيط . انها أكواخ للرعاة والأغنام التي ضلت طريقها يأوي اليها الرعاة الذين حالت ظروف عديدة بينهم وبين العودة الى اطراف المدينة ، وتأوى اليها الماشية والأغنام من برد الشتاء الثلجي .

وبالطبع ، فان رياضة التزلج على الثلج هي أكثر أنواع الرياضة انتشارا في هذا الوادي . يساعد على ذلك خلوه من المرتفعات أو المنحدرات الخطرة . الا ان لرياضة المشي ميزة خاصة في هذا الوادي ، وخصوصا في أيام الصيف والخريف ، حيث تسير المجموعات أو الأفراد في اتجاهات مختلفة تتقاطع وتتباعد أو تختفي داخل الغابات لتلتقي أغلبها بعد ذلك أو قبله في الفندق السياحي القائم في زاوية المثلث العليا من الوادي . فمن بعده الغابات ومن جانبه تنفرج أطراف الوادي بشكل متدرج ، لتصل الى الجبال أو الغابات المحيطة .

ورغم أن هذا الفندق قائم منذ مدة طويلة ، إلا أنه أصبح أكثر شهرة بعد شهر يونيو / حزيران عام ١٩٨٣ ، حين زار البابا البولندي يوحنا بولس الثاني موطنه . وطلب من السلطات السماح له بالذهاب الى وادي « خوخوفسكا » حيث كان يمارس رياضة المشي وتسلق الجبال في أيام شبابه ، عندما كان كاردينالا لتلك المنطقة قبل ترشيحه لمنصب البابا ، وهناك ، صلى في الكنيسة الصغيرة القائمة بجانب الفندق ثم طلب لقاء « ليخ فاليسا » زعيم النقابات البولندية المستقلة « تضامن » الذي كان قد افرج عنه من سجنه الانفرادي . وهناك حدث لقاء تاريخي بين

ـ خريطة بولندا وتبدو مدينة زاكوبانه في أقصى الجنوب البولندي

البابا وفاليسا لمدة لا تزيد على ربع الساعة ،ولكنها كانت دقائق غير عادية ، فبعد انتهاء اللقاء طيرت وكالات الأنباء العالمية خبرا مفاده أن هذا اللقاء قد تمخض عن انتهاء المستقبل السياسي لواحدة من اكثر الشخصيات اثارة للجدل في بولندا والعالم . فقد أخبر البابا فاليسا انه ليس باستطاعته الاستمرار في دعمه بقوة كما حدث حتى تلك اللحظة .

واليوم ، يرى الزائرون لوحة برونزية تؤرخ لزيارة البابا تتصدر الفندق المذكور . وعلى بعد امتار تقف لوحة في بداية احدى الطرق المؤدية من أعلى الوادي الى الجبال المحيطة عبر الغابات كتب عليها « ممر البابا يوحنا بولس الثاني »

وهكذا كان من قبيل المفارقة الدرامية أن تشهد هذه المنطقة ذات الجمال الاخاذ ، نهاية أسطورة سياسية ، على يد اسطورة اخرى شهدت نفس المنطقة بدايات تكونها قبل تألق نجمها ، ونعني بها شخصية البابا التي لا تقل اثارة للجدل عن ليخ فاليسا .

أنهار بلا أسماء

بصعود الطريق الموازي لنهر ريبي بوتوك يمكن الوصول الى قمة « ريسي » . وهي العليا في بولندا كلها ، اذ يبلغ ارتفاعها ٢٤٩٩ مترا فوق سطح البحر . ولكن قبل الوصول الى تلك القمة عليك السير في محاذاة الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية مسافة طويلة قبل الوصول الى موقف عام للسيارات لا يسمح لها بتجاوزه ، وذلك للحفاظ على الطبيعة وحمايتها من التلوث الذي يسببه غاز العادم . ومن تلك النقطة على الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية ينطلق الباص في شارع متعرج مليء بالمنحنيات الحادة والمنعطفات الخطرة ليشق الغابات الكثيفة التي تغطي الجبال المحيطة . وبعد ساعة من المسير الصعب يصل الباص آخر نقطة يسمح له بها ، لتبدأ بعد ذلك رحلة سير على الاقدام لمسافة تزيد على ثلاثة كيلومترات بقليل . وعلى جانب الطريق المحاذي لنهر ريبي بوتوك الذي يفصل بين الدولتين الاشتراكيتين يقف سكان تلك المنطقة من الجبليين بملابسهم المزركشة وقبعاتهم السوداء يبيعون منتجاتهم من المصنوعات اليدوية . .

وريبي بوتوك هو أحد الانهار الكثيرة التي تنبع من قمم الجبال لتسير في الوديان نحو مصبها . لكن لهذا النهر اسم ومعظمها انهار بلا اسماء . وفي الأفق بين صفي الاشجار التي تحف بالشارع ، تطل عليك بين الحين والآخر احدى قمم الجبال في تلك المنطقة تتميز

ـ الفندق السياحي تحيط به الجبال الشاهقة

ـ أكواخ الرعاة والأغنام في وادي خوخووفسكا وعن بعد بدت قمة كاميينارسكي .

ـ عشاق رياضة السير على الأقدام يسيرون فوق الطرق المرصوفة بين الغابات .

ـ الفندق السياحي في خوخوو فسكا الذي شهد نهاية المستقبل السياسي لزعيم النقابات البولندية ليخ فاليسا .

ـ الساحة الرئيسية في مدينة نوفي تارج .

ـ كنيسة خشبية في زاكوبانه

ـ مشهد لقمة «ريسي» في الشتاء ، أعلى قمم بولندا وارتفاعها ٢٤٤٩ مترا .

بشدة انحدارها والرأس المدبب لقمتها ، مما يذكرك بغطاء رأس الرهبان المميز ، انها احدى القمم العديدة التي تحيط ببحيرة « مورسكي اوكو » الشهيرة التي تقصدها مع الجموع السائرة على ضفة النهر الهادر عن يسارك ، وتدهش بعد ذلك حين تعرف ان اسم هذه القمة التي شاغلتك طوال الطريق هو قمة « منيخ » أي « الراهب » .

اسطورة عين البحر :

بوصولك الى مورسكي اوكو يخالجك الشعور بأنك في منطقة تختلف عن كل ماشاهدت حتى تلك اللحظة في منطقة الجبال .

وبحيرة «مورسكي أوكو» التي أعطت المنطقة اسمها هي واحدة من عدة بحيرات تتناثر في تلك المنطقة المرتفعة ، لكنها الأكثر شهرة . فهي الكبرى بين تلك البحيرات ، والثانية من حيث كمية الماء الذي تحتويه بين ضفافها،وهي الرابعة من حيث العمق . اذ تقع على ارتفاع ١٣٩٣ مترا فوق سطح البحر ، وتبلغ مساحتها نحو ٣٥ هكتارا ، الا ان عمقها يبلغ نحو ٦٠ مترا ، وهو عمق كبير جدا مقارنة بالمساحة الصغيرة التي تنتشر فوقها . وقد أدت تلك الظواهر الغريبة الى نسج الاساطير حول هذه البحيرة منذ القديم . وأهم واشهر تلك الاساطير هو الذي منح البحيرة اسمها « مورسكي أوكو » وتعني « عين البحر » . وتقول الاسطورة إن هذه البحيرة الشاهقة التي تقع في أقصى نقطة في جنوب بولندا تتصل عبر ممر مائي بالبحر الاسود في اقصى الشمال . وماهي الا عين لذلك البحر البعيد . وهي اسطورة ترمز الى وحدة الاراضي البولندية التي كثيرا ما انتهكت من جانب جيرانها عبر التاريخ . كما انها من جهة اخرى محاولة بدائية لتفسير ظاهرة جغرافية معقدة بالنسبة للوعي السائد في تلك الايام .

بين الخرافة والموسيقا :

وقد حيرت « مورسكي أوكو » العلماء وجذبت السياح زمنا طويلا قبل اكتشاف الحقيقة بشأنها عام ١٧٩٢ على يدي استاذ التاريخ الطبيعي في جامعة لفوف « يان كازيميريج » . فقد اختلطت حولها الاسطورة بالخرافة بالحقائق العلمية طويلا مما جعلها الأكثر شهرة بين البحيرات العديدة المنتشرة بين الجبال .

ففي سنة ١٧٢١ نشر غابرييل جاسينسكي ، وهو عالم طبيعي وشاعر كتابا امتلأ بالخرافات والأساطير ، بل والهراء . فقد جاء فيه مثلا مايلي :

« ومن الغريب أن توجد في أعلى اجزاء جبال القرباط بحيرات عظيمة تدعى اكبرها مورسكي اوكو (عين البحر) ، حيث يعثر المرء على حطام للسفن . ومن المحتمل ان يكون هذا الحطام قد انجرف الى هنا عبر ممر غامض تحت الارض » . وبعد ذلك بسنوات كتب بنيد كت خميلوفسكي كتابا اسماه « اثينا الجديدة » أو « اكاديمية كل العلوم » تضخمت فيه هذه الخرافات الى حد غير معقول ، فقد ذكر فيه مثلا عن وجود بعض حيوانات « الشاموا » التي لاتستخدم ارجلها في الحركة ، بل تستخدم قرونها في التنقل بين اغصان الشجر والصخور » .

ولكن هذه الخرافات بدأت في التلاشي مع افواج السياح وعلماء الطبيعة ومتسلقي الجبال الذين اكتشفوا البحيرة وقاسوا عمقها ، وبدأو في اكتشاف الجبال الشاهقة المحيطة بها على التوالي،لكن سحر مورسكي أوكو لم يتبدد باكتشاف هذه البحيرة المدهشة ، بل بقيت وحيا للكثير من الشعراء والكتاب والروائيين والموسيقيين والرسامين الذين صاغوا شعرهم من وحي سحرها ، ورسموها في اعمالهم الفنية بخلفيتها الغنية بجمالها ، أو استوحوا منها قطعا موسيقية جميلة . بل ان مشاهد درامية كاملة في قصائد وروايات ومسرحيات بولندية تتخذ من بانوراما مورسكي أوكو خلفية لها .

الا ان اسم « مورسكي أوكو » ارتبط بشكل وثيق بشاعر بولندا الكبير آدم اسنيك الذي كتب هو الآخر مجموعة من السوناتات حول البحيرة أيضا . ويقول في احدى مقاطع هذه السوناتات في وصف البحيرة .

« فوق جدار من الغابات /عصرتها الجدران العظيمة / التي استدارت حولها / تعكس المياه المعتمة لبحيرة داكنة/للعالم الساكن بين الصخور . »

بحيرة مورسكي اوكو في لقطة من ضفة بحيرة تشارني ستاف

البركة السوداء :

ولا تذكر بحيرة مورسكي أوكو الا وتذكر معها بحيرة تعلوها بنحو ١٨٧ مترا تدعى « تشارني ستاف » . وهو اسم تشترك فيه عدة بحيرات في تلك المنطقة ، لكن هذه هي الاكثر شهرة بينها لقربها من « مورسكي أوكو » وتشارني ستاف وهي كلمة تعني « البركة السوداء » تقع في طرف سلسلة القمم الغربية التي تبدو كالأبراج حول بحيرة « مورسكي أوكو » . ويمكن الصعود اليها عبر طريق وعرة متعرجة . ورغم قصر المسافة النسبي بين البحيرتين والذي لايزيد على ١٨٧ مترا الا ان الزمن الذي تستغرقه الرحلة المضنية يزيد على الساعة .

ومن ضفة تلك البحيرة تجد نفسك في مواجهة أعلى قمم بولندا « ريسى » التي يفصلك عنها حاجز من الصخور المستديرة الضخمة ، وقد نبتت بينها غابات صغيرة من أشجار الصنوبر القزمة التي عجزت عن النمو بفعل الرياح والثلوج والامطار .

ورغم ان مساحة بحيرة تشارني ستاف لاتساوي نصف مساحة مورسكي أوكو ، الا انها اعمق منها ، اذ يبلغ عمقها نحو ٧٦ مترا ، وقد كانت هذه المنطقة الجميلة-التي اشتهرت في البداية لكونها غنية بالمعادن الكامنة في باطنها-موضع نزاعات حدودية متتالية مع الامبراطورية الهنغارية النمساوية ، التي كانت تضم تشيكوسلوفاكيا منذ نهاية القرن السادس عشر ، ولم ينته الا عام ١٩٠٢ .

ادباء وسياسيون وثوريون :

وبالطبع فان نزاع الحدود هو احد اشكال الصراعات السياسية التي عاشتها أوروبا ولم تنته منها الا بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . ولم يكن النزاع الحدودي الذي ذكرناه حول « مورسكي أوكو » غير واحد من نزاعات عديدة شهدتها منطقة الجبال البولندية عموما ، ربما كان اكثرها دموية فترة الاحتلال النازي الذي اعتبرها ارضا المانية ، واعاد تسمية بعض المدن باسماء المانية . فقد كانت النمسا انذاك جزءا من الرايخ الألماني الثالث . وحسب هذا المنطق فقد اعتبر هذا الجزء من بولندا الذي كان ضمن مستعمرات النمسا السابقة جزءا من الرايخ الثالث هو الآخر .

لكن النزاع الحدودي لم يكن اكثر من شكل من أشكال الاضطرابات السياسية التي اتخذت في بعض الاحيان شكلا دمويا صبغ سهول وجبال تلك المنطقة .

فمن بين انتفاضات وطنية وشعبية عديدة قامت في انحاء متفرقة من بولندا عبر تاريخها ، شهدت المنطقة

ماعرف بانتفاضة خوخووف عام ١٨٤٦ ، حيث هاجم الفلاحون المراكز الحدودية النمسوية ودمروها ، ثم امتدت الانتفاضة من خوخووف لتشمل مدن فيتوف وتسيخي وخيانيش وزاكوبانة وبورونين ، أي معظم مدن وقرى المنطقة في الجبال والسهول ، وقد قمعت هذه الانتفاضة بوحشية من جانب السلطات في ذلك الوقت .

ومع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي أخذ العنف الحدودي أو المسلح يتحول شيئا فشيئا ليأخذ شكل الكفاح السياسي والثقافي ، الذي يلازم في العادة انبعاث الشعور الوطني ، وبدايات تبلور الهوية القومية التي عانت بولندا من محاولات طمسها ، ربما اكثر من أي بلد أوروبي آخر .

ولمدينة بورونين التي تقع في السهول على ارتفاع ٧٤٣ مترا عن سطح البحر موقع خاص في تاريخ الكفاح السياسي الثقافي ، الذي تكلل باستقلال بولندا عن كل من روسيا القيصرية ، وجزئيا عن المانيا عام ١٩١٨ . فقد عاش في هذه المدينة ، أو تردد عليها عدد من المع شعراء وكتاب وسياسيي بولندا . وربما كان أشهرهم الشاعر فواديسواف اوركان و « يان كاسبروفيتش » الشاعر الذي سبق ذكره . والشاعرة آنيلا غوت ستابنيسكا » وهي شاعرة شعبية عاشت بين ١٨٩٤ - ١٩٥٤ ، وكتبت الكثير من الأشعار حول المنطقة .

كما عاش في بورونين العديد من الثوريين الروس الملاحقين من جانب القيصر ، أهمهم زعيم الثورة الاشتراكية الروسية فلاديمير لينين الذي عاش هناك بين ١٩١٣ و ١٩١٤ ، حيث قبض عليه بتهمة التجسس ، وأودع السجن الى أن اطلق سراحه بعد تدخل بعض السياسيين من النواب في البرلمان النمسوي عن المنطقة ، وبعد تدخل من جانب الشاعرين اوركان وكاسبروفيتش نجحت الوساطة وخرج من السجن ليغادر بعد ذلك الى سويسرا . وقد تحول المنزل الذي عاش فيه لينين الى متحف صغير في تلك المدينة الجميلة ، بعد أن كان فندقا صغيرا أثناء اقامة لينين فيه .

العنف يغير لون السهول

لكن ملحمة العنف والكفاح الحقيقية سطرت اثناء الاحتلال النازي لبولندا الذي استمر من ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ . حين دخلت الجيوش الهتلرية المنطقة ، وبدأت أعمال القمع والاعتقالات لتصب في محرقة معسكرات الاعتقال النازية . ومن جانب آخر تصاعدت أعمال المقاومة من أشكالها البسيطة الأولى ، مثل توزيع المنشورات التي تحرض على الثورة والهروب الى تكوين عصابات الأنصار ، لتنتقل بعد ذلك الى أشكال أكثر فعالية تمثلت في تكوين فرق « اتحاد الكفاح المسلح » ، وكان ذلك عام ١٩٤٠ أي بعد مضي اشهر قليلة على الاحتلال النازي . وقد ذكر « فواديميرش فنك » في كتابه « الكفاح السري بين القمم » ، ان سكان خوخووف أعادوا أمجاد آبائهم الذين قاموا بانتفاضة ١٨٤٦ ، وكرروا بطولاتهم أثناء فترة الاحتلال ، لكنهم دفعوا ثمنا افدح من ذاك الذي دفعه أسلافهم » فقد كان العدو أشرس بما لا يقاس .

وخلال تلك الفترة ساهم السياسيون والمثقفون ورجال المقاومة في اصدار الصحف والنشرات السرية التحريضية . وكان الاعدام أو الرمي بالرصاص أو الارسال الى معسكرات الاعتقال مصير الخلايا الثورية التي تكتشف . وهو ما حدث عام ١٩٤٢ عندما اكتشفت الخلية السرية الرئيسية التي كانت تنظم أعمال المقاومة هناك . ولم ترتفع المعاناة عن سكان منطقة الجبال الا بعد تحرير بلادهم من الجيش الهتلري عام ١٩٤٥ . لكن ذلك لم يمنع وقوع حوادث متفرقة في تلك المنطقة ، خصوصا بعد اعلان قانون الطوارىء في بولندا في ديسمبر ١٩٨١ ، فقد قبض على العديد من الزعماء المنتمين لنقابات العمال المستقلة (تضامن) الفارين . وهم يحاولون اجتياز الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية هربا من المطاردة . ولكن جاء اللقاء الشهير بين البابا يوحنا بولس الثاني وليخ فاليسا زعيم « تضامن » ، ليكون خاتمة الأحداث السياسية التي شهدتها منطقة التاترا البولندية ، التي تختزل فوق قممها وخلال غاباتها وفوق سهولها تاريخا من الأساطير والخرافات والعنف السياسي والمسلح لم يفلح في تشويه الجمال الأخاذ لتلك المنطقة الفريدة من بولندا . □

وجهاً لوجه

الشاعرة **ملك عبد العزيز** و الشاعر **فاروق شوشة**

وهذه الرحلة مع عقل ووجدان الشاعرة ملك عبد العزيز محاولة للتعرف على أبعاد عالمها الشعرى وعناصره ومكوناته ، ورؤيتها للعديد من القضايا والمشكلات التى يطرحها الواقع الشعرى والادبي الراهن،يصحبها فيها شاعر من جيل الشباب ، واكب الشعر الحديث وأسهم فيه اسهاما طيبا .

* كانت هناك ضغوط اجتماعية تجنبتها باللجوء الى الرمز .

* يرجع الفضل في إشاعة مصطلح الشعر المهموس الى الدكتور مندور .

* أنا أكتب الشعر بفطرتي أكثر مما أكتبه من حصيلتى الثقافية .

تنتمي الشاعرة ملك عبد العزيز الى جيل الشاعرات العربيات الرائدات : نازك الملائكة وسلمى الخضراء وفدوى طوقان ويتميز صوتها من بينهن بظاهرة الهمس الشعرى ، والمزج الفني المحكم بين هموم الذات وهموم المجتمع في معادلة ناجحة ومحكمة .

ومن خلال دواوينها الشعرية المتتابعة ، أغاني الصبا ، وقال المساء ، وبحر الصمت ، وأن ألمس قلب الأشياء ، وأغنيات الليل ، تحققت معالم رحلتها الشعرية ، التي بدأتها ، وهي ما تزال طالبة في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، تتلقى العلم على يد أستاذها الناقد الراحل الدكتور محمد مندور ، والذى اقترن بها فصارت شريكة حياته الحافلة والممتلئة بالنضال الفكرى والنقدي والسياسي ، مما كان له أعمق التأثير في عالمها الشعرى ووجدانها الثرى المرهف .

وللشاعرة ملك عبد العزيز مشاركات ذاتية في النشاط الثقافي والأدبي في مصر ، من خلال المتابعات الصحفية والمحافل الأدبية والشعرية ، كما أنها مثلت مصر في العديد من المؤتمرات الثقافية والمهرجانات الشعرية ، وهي الآن عضو في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر ، ولها جهدها الموفور وحضورها المؤثر في نشاط هذه اللجنة الدائب خلال الأعوام الأخيرة .

أما الشاعر فاروق شوشة الذى أجرى هذا الحوار فهو أحد الأصوات الشعرية من جيل الشعراء ، أمل دنقل ومحمد عفيفي مطر ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وقد صدرت له خمس مجموعات شعرية هي : الى مسافرة - العيون المحترقة - لؤلؤة في القلب - في انتظار مالا يجيء - الدائرة المحكمة ، بالاضافة الى عدد من الدراسات الادبية والنقدية في مقدمتها ، لغتنا الجميلة ، ومشكلات المعاصرة - العلاج بالشعر - وأحلى ٢٠ قصيدة حب في الشعر العربي - وأحلى ٢٠ قصيدة في الحب الالهى .

وهو المدير العام للبرامج الثقافية باذاعة القاهرة ، وأستاذ الالقاء والتذوق الأدبي في كلية الاعلام بجامعة القاهرة .

المكونات الأولى

● نبدأ من البداية : المكونات الاولى للشاعرة ملك عبد العزيز التى صنعت وصاغت وجدانها الشعرى ، وخلفيتها الثقافية . . .

- المنبع الأول لتكوينى الشعرى هو الشعر العربي القديم . بدأت رحلتى معه في سن مبكرة جدا قبل الدراسة الثانوية التى كانت تبدأ فى أيامنا في سن الثانية عشرة . قبل هذه المرحلة كنت أستمع الى أخوتي الكبار يقرأون المحفوظات الشعرية ، وكانت موسيقا الشعر تلفتنى اليه . وأذكر انى في طفولتي كنت اقرأ بشغف كل النماذج الموجودة فى كتب المحفوظات لا المقطوعات المقررة فقط ، وأعنى بعض المقطوعات التى تروقنى . واستطعت فى هذه السن المبكرة أن أقرأ كتب اخوتى الكبار ، بما فيها من نماذج الشعر الجاهلى والشعر العباسي .

وفى السنة الاولى من المرحلة الثانوية بدأ لقائى المدرسى مع مختارات من الشعر الجاهلى والعصر الاسلامى ، على مستوى كبير من الجودة ، وعرفت طريقى الى الشعر ، وتفجرت في اعماقى تلك الملكة الشعرية . واكتسبت الحس اللغوى ، والاحساس بالموسيقا الشعرية .

وفي الجامعة اتسعت آفاقى ، واصبحت أكثر اتصالا بالشعر الأجنبي ، وفي ذلك الوقت أعجبت بنوع خاص بالشاعر الانجليزي وردزورث الذى يتميز بعشقه للطبيعة ، واعتقد انى فى شعرى احتفل كثيرا بالطبيعة ، وفى سنوات الدراسة الجامعية كانت هناك جمعية تسمى « التعاون الفكرى » كان راعيها المرحوم الدكتور محمد مندور ، لكنه لم يكن رئيسها ، وقد فكر فى انشائها أحد الطلبة هو المرحوم محمد عبد العزيز اسحاق . كانت هذه الجمعية عظيمة الفائدة لنا جميعا ، لان كلا من أعضائها إذا قرأ كتابا أعجبه أو قصيدة أعجبته ، فلا بد أن يشرك الآخرين فى تذوقها ومدارستها ، وعن طريق هذه الجمعية عرفنا الدكتور مندور بأشعار الفرنسيين الذين كانوا يمثلون أصوات

التجديد فى ذلك الوقت ، مثل رامبو وفيرلين وبودلير وفاليرى . . ثم عرفنا أيضا بشعراء المهجر . هذا التعريف المزدوج ، مع اتساع الافاق نتيجة الاتصال بالثقافة الأجنبية اعطاني القدرة على التعبير الذى كنت عاجزة عنه من قبل ، وهو التعبير عن المشاعر الخفية المرهفة وليس المشاعر الواضحة او ذات اللون الواضح الصارخ ، كما جعلنى اقدر على استخدام الرمز (ن) بعد أن كان الشعر ينصب مباشرة ويستنفد ذاته فى كلمات قليلة .

● دراستك الأساسية فى كلية الآداب كانت فى قسم اللغة العربية ، وكانت عميقة الاتصال بالأدب العربي والثقافة العربية . ماذا أضافت اليك هذه المرحلة من الدراسة ؟

ـ هذه الدراسة فى الحقيقة جعلتنى أصل الى الاصول الشعرية التى لم تكن على مقربة منى من قبل ، فقد بدأت التعامل مع دواوين القدماء ذاتها ، ولا أكتفى بالنماذج او المختارات او الشذرات الموجودة فى كتب الأدب العامة . وفى تلك الفترة تعرفت تعرفا حقيقيا على الأدب الجاهلى وأحببته ، لانه أصدق كثيرا من شعر العصور التالية له ، التى أصبح الشعراء فيها يحاولون تقليده دون أن يصلوا الى صفاته وأصالته . وكان هذا كسبا عظيما لي تمثل فى الاحساس باللغة احساسا كاملا ، بطبيعتها وصورها وموسيقاها وفنها الأصيل .

● مع بداية التعبير عن ذاتك الشاعرة من خلال قصائدك وعالمك الشعرى الخاص ، هل كنت تحسين بلون ما من القيود أو الخطر على مشاعرك وأحاسيسك ، فى وقت لم يكن صدر المجتمع يتسع لهذا الافضاء والتعبير ؟

ـ طبعا كانت هناك ضغوط اجتماعية شديدة ، حتى وان لم تكن مباشرة ، فأنا كنت استشعرها فى داخلى ، ومن هنا فقد كان الرمز مخرجا لي في الخروج من هذه الحيرة او صعوبة التعبير ، وفى نفس الوقت يبدو أنها طبيعتى أننى الى حد ما الجأ الى التجربة ، بمعنى أننى لا اتحدث عن الحدث ، ولكن عن الموقف الذى صنعه الحدث ، أو المشاعر التى فجرها الحدث . وهذا كان يتجنبنى اجتماعيا الى حد كبير ، وان كان فى الوقت نفسه اسلوبا فنيا وجدت نفسي فيه .

إضافات مندور

● على ذكر الناقد الراحل الدكتور محمد مندور الذى برز فى هذه الفترة من حياتك الجامعية كأستاذ ومعلم ورائد واب روحى لجمعية التعاون الفكرى ، ثم تحولت هذه العلاقة وتطورت بين الاستاذ وتلميذته الى رفقة حياة خصبة ومثمرة .

ماذا اضاف اليك الاقتراب من عالم الدكتور مندور كتلميذة وزوجة ورفيقة حياة ؟

ـ كان اعظم ما اضافه الىّ ان موارد الأدب ـ بفضله ـ اصبحت قريبة منى ، كتب الشعر الفرنسي والانجليزى مثلا فى مكتبته الحافلة ، بالاضافة الى دوره كمعلم لشباب الجامعة فى سنوات الدراسة ، عندما كانوا يتحلقون حوله من خلال اهتماماتهم بشتى ألوان الفنون ، فالدكتور مندور كان موسوعيا ، ولم تكن ثقافته محصورة فى الأدب العربي أو الادب الفرنسي ، أو حتى الادب اليوناني ، وانما كان على صلة عميقة بتاريخ الموسيقا والفن والحضارة ، وكانت ثقافته المتشعبة جدا تجذب اليه الشباب ، الذى كان يعاملهم كأبنائه ثم كاخوته .

الهمس فى الشعر

● كيف ترين امتداده واستمراره فى تلاميذه من بعده ، نقاد وفنان ومثقفى هذا الجيل ؟

ـ فى الواقع من الصعب التحديد فى هذا المجال . لكنى اعتقد ان كثيرين قد تأثروا بدعوته الى الهمس فى الشعر ، ثم بدعوته الى الاحتفال بالأثر الاجتماعى ، وأحسب أنهم قد تأثروا به بصورة واضحة ، سواء منهم الذين تتلمذوا عليه بطريقة مباشرة أو غير

مباشرة ، وهم منتشرون الآن فى وزارة الثقافة وفى المسارح وفى الاذاعة وفى التليفزيون ، وأثرهم واضح فى النهضة الثقافية .

● من بين اهتمامات الدكتور مندور النقدية كان اهتمامه الأساسي بالشعر ، واليه يرجع الفضل فى اشاعة مصطلح الشعر المهموس او الهامس . . والتصقت بشعرك هذه التسمية على نحو خاص ـ هل توافقين على هذه التسمية وهل ترين فيها الصفة الرئيسية والمميزة لعالمك الشعرى ؟

ـ كان الدكتور مندور يقصد بالهمس الصدق . . الصدق الانسانى ثم بالطبع الصدق الفنى ، من هذه الناحية يمكن ان يقال ان شعرى ينطبق عليه هذا المفهوم . . .

اما اذا فسر الآخرون مصطلح الهمس على انه النبرة الخافتة فليس كل شعرى نبرة خافتة . . هناك قصائد فيها عنف ، ولكن فيها الصدق الذى قصده الدكتور مندور ايضا . واعتقد أن قصيدة « أخي » لميخائيل نعيمة التى اختارها كنموذج للشعر المهموس لم يكن بها همس بالمعنى اللغوى ، اى لم تكن هادئة تماما ، وانما كانت تمتلىء بثورة مكبوتة أو مضغوطة . . فالأساس فى الهمس هو الصدق ، لا مجرد النبرة الخافتة كرد فعل للخطابية أو النبرة الزاعقة . . والذى أثار الدكتور مندور ليس شيوع الخطابية فى مجمل الشعر العربي ، وانما تحول هذه الخطابية فى كتابات المتأخرين الى رنين خاو . . . هى عند المتنبى كانت تعكس موقفا ، او تعكس فكرا ، اما عند هؤلاء المتأخرين المقلدين فقد أصبحت مجرد الفاظ خاوية لا تعكس احساسا صادقا ولا فكرا ، ومن هنا كان الدكتور مندور يرفضها ، وقد أعلن فى كتاباته الاولى صراحة انه معجب بشعر المتنبى وشعر فيكتور هيجو وكلاهما شعره خطابي . . لكنه شعر رائع على الرغم من هذه الخطابية ، اما ما شاع فى عصرنا الحديث من الشعر الخطابي الأجوف فقد أثاره ، وأراد أن ننتقل الى مرحلة حضارية نتخاطب فيها بصوت أقل جهارة وأكثر صدقا .

● هذه فرصة لنعرف ما لم يكتبه الدكتور مندور عن شعر الشاعرة ملك عبد العزيز . . . ماذا كان رأيه فى شعرك وتقييمه لرحلتك الشعرية ؟ خاصة وهو لم يسجله فى مقال أو كتاب ؟

ـ فى الحقيقة كان رأيه بشكل عام أنه شعر جيد ، لكنه لم ينقده نقدا تطبيقيا . وأذكر أنه فى كتابه « فن الشعر » . . استشهد بقصيدتى « ذكرى جواد » الموجودة فى ديوانى الاول « أغانى الصبا » . . على انها نموذج لامتزاج النَّفَس الوجدانى بالنَّفَس القومى ، وقال إنها من أجمل ما قرأه من شعر . . .

لكنه لم يتوقف بالتحليل أو الدراسة لشعرى الا فى مقال كتبه لجريدة الجمهورية على صورة حوار بينى وبينه . . وللاسف لا تسعفنى الذاكرة الآن بما جاء فيه من آراء وانطباعات . . .

وللامانة والتاريخ ، لقد كنت أنا وراء ابتعاده عن الكتابة عن شعرى ، وكان اصرارى هذا مبعثه الا يظن أحد أنه يجاملنى بالكتابة عنى وانا زوجته وأم أولاده . . ، وانه غير محايد كما هو مفروض فى النقد . . . .

الدواوين الخمسة

● لو عكفنا الآن على تأمل رحلتك الشعرية من خلال دواوينك الخمسة المتتابعة . . ما هو رد الفعل عند صدور ديوانك الاول « اغانى الصبا » ؟

ـ قوبل الديوان مقابلة حسنة لا بأس بها ، لكن الذى أثر فىّ كثيرا ، ان سيدة لا أعرفها قرأت الديوان وجاءت لتحيينى على قصيدة بعينها اعطتها أملا فى الحياة ورغبة فى المقاومة والصمود أمام الصعاب .

فى الحقيقة لقد خجلت من نفسي ، وشعرت بمسئولية الشاعر أو الكاتب بأكثر مما كنت اتصور .

وبدأت اتساءل هل فيما كتبته ـ غير هذه القصيدة ـ ما يعطى أملا للناس أم أنه مجرد تعبير ذاتى عن نفسى ولا يقدم ما قدمته هذه القصيدة ؟

● في هذا الوقت كان المجتمع الأدبي يموج بمفاهيم ودعاوى مختلفة . الفن للمجتمع والفن للفن . . الأدب الملتزم وغير الملتزم . . وبدايات الكتابة الواقعية . . .

أنت كشاعرة وسط كل هذه الدعاوى . . اين كان موقفك وانتماؤك ؟

ـ في الحقيقة أنا كشاعرة أكتب بفطرتي أكثر مما اكتب من حصيلتي للثقافة ، طبعا الشاعر لا يمكن أن ينعزل عن الحياة ، لكن ما معنى الحياة ؟ ، البعض ينظر اليها نظرة ضيقة على أنها عالم السياسة وعالم الاقتصاد ، وآخرون ينظرون اليها نظرة شاملة على أنها كل ما يعني الانسان ، والانسان تعنيه اشياء كثيرة في الاقتصاد والسياسة والحب والحزن ـ وغيرها ، واعتقد أنني أقرب الى النظرة الواسعة . . . .

● هل ثمة تغير في موقف ورؤية الشاعرة ملك عبد العزيز عن حدود هذه النظرة التي صاحبتها في البداية ؟ ما الذي طرأ بعد رحلة التعبير الطويلة والثرية والمعاناة المستمرة القاسية ؟

ـ ربما عندما أخرج من ذاتي كشاعرة وأنظر اليها كناقدة ، أجد الأشياء الخاصة ـ هناك الرغبة او الدعوة الى العدل والمحبة والسلام مثلا ـ الدعوة الى رفض الجدران سواء الجدران المادية او تلك التي تقوم بين الناس،والرغبة في الأخوة والالتحام بالناس والمحبة بين البشر . . . هذه أشياء أقصدها ولكنها ترددت في شعري .

● المتابعون لك يعرفون أنك في طليعة من يمثلون الفكر الانساني التقدمي . . لا تضنين بالمشاركة السياسية والانتماء والارتباط بقضايا الناس وهمومهم ، وما يحقق مصلحة المجتمع . . هذا الانتماء ملمح أساسي من ملامحك ، كيف انعكس لديك شعرا ؟

ـ انعكس انعكاسا تلقائيا . عندما يكون هناك موقف او قضية انسانية أو سياسية أو وطنية ، فمن الطبيعي أن أجد نفسي وهي تعبر عن بعض هذه المواقف ، لكني لا اقصر نفسي على شيء . ولكني بطبيعتي أنفعل بما ينفعل به من يعيش في هذا الوطن . . ولا بد اذن من مشاركة ، وشعري بالاضافة الى نشاطي الاجتماعي أو السياسي ، كل منها في الواقع يكمل الآخر ، ويؤدي مالا يؤديه الآخر من دور بمفرده .

● كيف تم ارتباطك كشاعرة ـ ونحن ما زلنا في اطار ديوانك الأول أغاني الصبا ـ بصورة القصيدة الشعرية الجديدة ، قصيدة الشعر الجديد او الشعر الحر ؟ متى احسست ان هذه الصيغة الشعرية هي مجالك التعبيري الدائم والمستمر ؟

ـ في هذا الديوان الأول تصرفات كثيرة في القصيدة العمودية ، فهي لم تجيء على الصورة التقليدية تماما ، انما جاءت فيها التنويعات والتوزيعات التي ابتدعتها مدرسة المهجر وجماعة أبوللو ، وداخل هذه التنويعات كانت لي تنويعاتي انا الخاصة ، فكنت أراوح بين الأشطر طولا وقصرا بحسب الاحساس النفسي والفني ، ولم يكن هذا مقصودا ولكني تركته للتلقائية . وهناك قصائد لو تركتها تكتب بالشكل الحر لكانت حرة لان بها اختلافات في الايقاعات والصيغ الموسيقية .

وفي نهاية دراستي الجامعية ، وجدت نفسي و اكتب بالطريقة الجديدة دون ان أجرؤ على أن أتم شيئا ، شعرت أن هذا خطأ أو ليس صوابا . ثم حدث أن توقفت وانقطعت فترة عن الشعر بعد زواجي مباشرة وشغلت بالحياة المنزلية ، وعندما عدت الى الشعر كانت هذه المدرسة الجديدة قد انتشرت وثبتت اركانها وتأكدت ، فوجدت نفسي بالطبيعة أكتب على هذه الصورة . . . .

واقع الشعر الحديث

● كيف ترين الآن حاضر الشعر الجديد بعد حوالي خمس وثلاثين سنة من بداياته ؟ وما هو تقييمك لواقع هذه الحركة الشعرية الراهن ؟

ـ اعتقد ان الشعر الجديد سيظل كما قدر له من البداية طبقا للصيغة والقواعد التى أرساها رواده . وألاحظ أن البعض الآن يكتبون نثرا ، أنا لا أوافق على هذه الكتابات ، واعتقد ان الموسيقا عنصر أساسى فى الشعر ، لانها ليست مجرد حلية او ايقاع اضافى ، ولكنها جزء من التعبير عن النفس تعجز عنه الألفاظ .

قصيدة النثر هذه ربما اعتبرتها فنا أدبيا غير الشعر اذا تكاثفت فيها الصور بحيث تعوضها بعض ما تفقده من فقر الموسيقا وترتفع بها عن الكلام العادى ، ولكن هذا قليل ونادر فيما يسمى قصيدة النثر . وهذه السهولة ـ باعتبارها نثرا ـ تدعو الكثيرين الى كتابة أى شىء وتسميه شعرا .

● ما رأيك فيما يثار حول حركة الشعر الجديد من بعض الأصوات المتشائمة التى ترى ان روافد الحركة قد أخذت تجف وتدخل فى مضيق ، ووقعت أجيالها الجديدة فى الغموض والسطحية والضعف الموسيقى والعروضى واللغوى . . ؟

ـ هناك الآن من الشعراء من يتابعون الحركة كما بدأت على أيدى شعرائها الرواد ، وبعضهم شعره جيد ، وان كانت وسائل النشر لم تبرزهم ولم تعطهم حقهم على الساحة . . أسماء بعضهم معروفة والاخرى تغترب وهكذا ، ولكن هناك بعض الأسماء التى يمكن أن نحترمها بالنسبة للشباب الذين يكتبون بهذه الطريقة .

وهناك تيار جديد أغرق فى الغموض ، بحيث أصبح كأنما يحدث نفسه ، وقد قرأت بعض هذا الانتاج ، وهناك درجات ومستويات من الغموض من الممكن تقبلها ، لأنها قد توحى بشىء ، وأنا أتقبل هذا ، وان لم أفهم فهما مباشرا ، لان القصيدة قد تعلو الى جو بعينه ، ولكنى احيانا اخرى أعجز عن أن اجد هذا الجو ، وابذل جهدا كبيرا يضنينى ثم لا اصل الى شىء . . هذا ارفضه تماما . .

عن شعراء السبعينيات

● هذه فرصة لأسألك الرأى فيما يسمى الآن بالانتاج الشعرى لجيل السبعينيات . . وحتى الثمانينيات ، هذا الجيل الذى يملأ انتاجه الصحف والمجلات ، ونماذجه هى المسئولة عن اعطاء فكرة عن واقع الشعر الجديد بالنسبة للقارىء العام . . باعتبارها الأكثر انتشارا ودورانا . . .

ـ الواقع أن شعراء السبعينيات الذين تطلق عليهم هذا اللقب هم جماعتان بعينهما . . ربما كانتا أعلى صوتا وأكثر ضجيجا . . ولكن لا ينفى هذا وجود شعراء آخرين أقل ضجيجا ، ولكنهم يسيرون على السمت الصحيح . اتيح لى فى العام الماضى أن أحضر مهرجان الشعر فى بغداد وكان به شعراء شباب من كل أرجاء الوطن العربي ، ووجدت أن الأكثرية تكتب بالاسلوب السليم أو الطريقة الصحيحة . . ربما هناك بعض أخطاء لغوية أو عروضية فى بعض الحالات ، لكن هذا يمكن تداركه بالدراسة . .

وهناك تجارب شعرية ناضجة تماما وتخلو من هذه الأخطاء . . الأقلية فقط هى التى تكتب بالطريقة الغامضة الملغزة .

● ماذا تقصدين بتعبير : الاسلوب السليم او الطريقة الصحيحة فى كتابة القصيدة الجديدة ؟

ـ اقصد الاسلوب الذى الفناه منذ ظهرت هذه المدرسة .

● الم يحدث عليه تغيير أو تطور ؟ هل الشعراء الجدد الآن يكتبون بطريقة نازك والسياب والبياتى وصلاح عبد الصبور وغيرهم من الرواد ؟

ـ طبعا هناك الآن رمزية أكثر وغموض أكثر . . ولكن مع ذلك ، نستطيع أن نقول أنها امتداد طبيعى لما سبق ، أما الامتداد الملغز فهو الذى أرفضه ، واذا كنت ـ وانا المتمرسة بكتابة الشعر وقراءته منذ الصبا الباكر حتى الآن ـ لا أجد تواصلا بينى وبين هذا الشعر ، فما بالنا بالقارىء العادي .

● مـاذا عن ديوانـك الثـاني « قـال المساء » ؟

ـ هذا الديوان يمثلني في أواسط الثلاثينيات من العمر ، وأحسست أنني لم أنجز ما كنت أحلم به في طفولتي ، من أن أكون شاعرة معطية ، فأحسست بشيء من الأسى أو الالم أو ما هو أكثر من الأسى . فالمساء هنا هو مساء العمر ، عمري أنا ، فانا أسائل نفسي : قال المساء ما صنعت في نهارك الطويل ؟
من هنا جاءت تسمية المساء ، باعتبارها ذات دلالة رمزية .

● ماذا عن المجموعة الشعرية التالية « بحر الصمت » ؟

ـ هو الزمن . هذه أجدى المسائل التي وجدت أنها تشغلني ، طبعا لم اتعمد أن أكتب فيها ، لكن وجدت أنها تشغلني حتى من سن الصبا ، حيث لا يفترض في الانسان أن يلتفت الى الزمن ، لكني كنت أشعر . دائما أن الزمن يحطم الأشياء ، والناس تتحطم بينما هو باق وسرمدي ، وكل اللحظات الجميلة تنتهي ، لذلك لي قصائد كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع ، من زوايا وجوانب مختلفة . والزمن في تصوري كائن جبار قوي يمتد من الأزل الى الأبد ، يحتوينا ويغنينا ويحتوي كل شيء ويفنيه ، ونحن باعتبارنا نحاول الخروج من أسره أو التغلب عليه ، نلوذ بالفن ، بالكتابة ، بالتعبير . . بينما يحاول الانسان العادي أن يخرج من هذا الاسر بالحلم ، بالعالم الآخر أو الحياة الباقية الخالدة . . فالانسان لا يتقبل أبدا فكرة فنائه ، وانما هو يحلم دائما بعالم مستمر .

● ماذا عن المجموعة الشعرية التالية « أن ألمس قلب الأشياء » ؟

هذه هي الفكرة الثانية التي تعنيني ، وهي الا تكون العلاقات بين البشر سطحية أو نفعية ، وانما أن يكون هناك التحام صادق قوي بين الناس ، وعلاقات حميمة دائمة . واحساسي فقط ليس إزاء الناس ، وانما أيضا ازاء الطبيعة فلست أشعر بأني جزء منفصل عنها ، وانما أنا جزء ملتحم بها ، ومن هذا المنطلق أتحدث من خلالها .

● وديوانك الخامس : أُغنيات الليل ؟
هل الليل هنا ايضا له مدلول رمزي ؟

ـ الطبيعة عندي دائما ممتزجة باشياء اخرى ، كما يحدث في الفن السيريالي «الرجل الجبل او المرأة الشجرة ، فدائما يمتزج الانسان بالطبيعة في كل واحد . وربما كانت الروح الرومانتيكية جوالة تسيطر على جو هذا الديوان . كل ما هنالك ان الفن التشكيلي يعطينا الاحساس دفعة واحدة ، اما الشعر فيعطينا الاحساس درجة بعد درجة وكلمة بعد كلمة وصورة بعد صورة ، فهو اكثر امتدادا في الزمان . ولقد كنت اتمنى لو كنت موسيقية بدلا من كوني شاعرة ، لان الموسيقا فن تجريدي صرف يستطيع ان يعبر عن كافة الخلجات التي لا يستطيع الفكر ان يترجمها باللغة . ومهما جردنا هذه اللغة وحاولنا جعلها شفافة وطائرة فهي في النهاية مدلول عقلي ، بما يؤدي الى الاحساس بالعجز .

زحمة الاهتمامات والشواغل التي يعيشها المجتمع العربي الآن،ما هو احساسك ورؤيتك لوضع الشاعر في هذا المجتمع ؟ ومدى اهتمام الآخرين بمتابعته ؟

ـ زحمة الاحداث لا تترك فرصة لمتابعة الفنون الراقية ، ولكن مع ذلك عندما تقدم هذه الفنون للناس بالفعل فانهم يقبلون عليها ، واعتقد ان وسائل الاعلام عليها مسئولية كبيرة،ولها تأثير كبير في هذا المجال .

● سؤال آخر عن رأي الشاعرة ملك عبدالعزيز في رفيقات دربها الشعري من الشاعرات العربيات الكبيرات : نازك الملائكة وفدوى طوقان وسلمى الخضراء .

ـ نازك يغلب عليها عالم الاستبطان الذاتي والتأمل الداخلي ، وهي تبرع في هذا براعة كبرى .
فدوى مغنية للمشاعر الانسانية في طلاقة وبهجة ، حتى اشعارها الحزينة تعطينا الاحساس بالبهجة ، لانها صادقة ومنطلقة .
سلمى هي اكثر تعمقا ورمزية من سابقتيها . . ربما ، وقادرة على خلق الصور الجديدة الممتازة . □

هـــذا المبـيـــد الـبـشـــري

بقلم الدكتور : بدوي بدران*

« كل سيجارة تدخنها تدق مسمارا في نعشك » عبارة تحولت الى كلمة يرددها الاطباء - والسيجارة بين شفاههم - وهم يؤكدون أن التدخين سم يتناوله الانسان بمتعة . . ويتمثلون بأن محلول النيكوتين كان يستعمل في رش الحقول والمزروعات كمبيد حشري . . فهل آن للانسان ان يتخلص من هذا المبيد البشري . . ؟

إن أول الدلائل عن التدخين ترجع الى المؤرخ اليوناني هيرودتس والذي ألمح فيها أن بعض القبائل كانوا يستنشقون دخان بعض النباتات بعد حرقها .

ولكن اكتشاف التدخين يرجع الى اكتشاف امريكا عام ١٤٩٢ عندما لاحظ كولومبوس وجماعته أن سكان جزيرة قواتشان التي سميت فيما بعد « سان سلفادور » كانوا يحرقون نوعا معينا من النباتات ثم يجتمعون حوله ويأخذون باستنشاق دخانه بشغف وتلذذ ، وأن البعض كان يمضغ أوراق هذه النباتات ، التي سميت فيما بعد بالتبغ ، والتي أصبح يصنع منها فيما بعد لفائف السجائر .

وعندما رجع بعض البريطانيين المهاجرين من امريكا الى بلادهم ، أحضروا بذور هذه النبتة معهم وأخذوا يزرعونها ويصنعون منها السجائر .

أما نبتة التبغ فقد دخلت الى فرنسا لأول مرة عن طريق سفيرها في البرتغال جان - نيكو ، الذي نصح الملكة كاترينا ملكة فرنسا وأحد أبنائها باستعمال ومضغ أوراق التبغ لوجع الرأس . ومن هنا جاءت تسمية المادة السامة في التبغ بالنيكوتين نسبة الى هذا السفير جان - نيكو .

وفي أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر أصبح التدخين ينتشر بسرعة في أوروبا ومنها انتقل الى جميع أنحاء العالم .

انتشار التدخين :

التدخين أكثر العادات السيئة والضارة انتشارا بين الناس ، إذ تدل الاحصائيات على أن أكثر من نصف الرجال ، وكذلك ما يقرب من ربع الناس في العالم يدخنون وبمقادير متفاوتة .

ففي بريطانيا تقدر نسبة المدخنين من الرجال بـ ٦٥٪ ومن النساء حوالي ٤٠٪ كذلك في امريكا فان نسبة المدخنين تبلغ حوالي ٦٠٪ من الرجال و ٣٥٪

* الدكتور بدوي بدران نعيم اخصائي الامراض الداخلية والقلب . عمان - الاردن .

من النساء ، وتدل الاحصائيات على أنه حوالي (٢٨٠,٠٠٠) سيجارة يتم تدخينها كل دقيقة فما بالك كل ساعة أو في اليوم الواحد .

وعادة التدخين تبدأ في سن الطفولة والمراهقة وفي سن الشباب . . . ومن أهم أسباب التدخين أن الأطفال والمراهقين يهوون تقليد من هم أكبر منهم سنا أو تقليد والديهم ، وعلى اعتبار أن التدخين نوع من المودة يجمع بين الأصدقاء ، كذلك فإن الذكور يبدأون التدخين في سن أبكر من الفتيات .

والسبب غير المباشر الذي يجعل المدخنين يولعون بالتدخين هو شعورهم بالانتعاش ، والاحساس بأن عقليتهم قد تنشطت ، وأن قدرتهم على العمل قد زادت ، ويأتي هذا الشعور نتيجة لتوسع شرايين الدماغ بسبب تأثير النيكوتين الموسع للشرايين ، والتحسن المؤقت للدورة الدموية في الدماغ لعدة دقائق ، فيشعر المدخن بتحسن في مقدرته الذهنية وأن صداعه قد زال ، ولكن بعد فترة وجيزة ترجع هذه الشرايين للانقباض فتقل كمية الدم والاكسجين في الدماغ ، فيشعر المدخن من جديد بتعب وصداع مما يضطره الى تناول سيجارة أخرى وهكذا .

تركيب التبغ :

إن أوراق التبغ التي تصنع منها السجائر تتكون من العناصر الأساسية التالية :

ـ نيكوتين	١ ـ ٤٪
ـ مواد كربوهيدراتية	٢ ـ ٢٠٪
ـ بروتينات	١ ـ ١٣٪
ـ أحماض عضوية	٥ ـ ١٧٪
ـ زيوت طيارة	٠,١ ـ ١,٧٪

وعلى كمية هذه النسب تعتمد جودة التبغ ، وفي الأنواع الجيدة تكون نسبة المواد الكربوهيدراتية أكثر من البروتينات والعكس صحيح . أما نكهة التبغ فتعتمد على نوعية الزيوت الطيارة الموجودة فيه .

أما الدخان المتصاعد من السيجارة فيتكون من :ـ نيكوتين وأول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون وأمونيا وزيوت طيارة وأحماض عضوية مثل : حامض الخليك ، حامض النمليك وحامض الكربونيك وغيرها . وكبريتيد الهيدروجين والساج (الشحبار) ومواد مشعة مثل البولونيوم والتي يرجع لها التأثير السرطاني على الجسم .

ويحسن الآن تناول كل من هذه المركبات ومعرفة آثارها :

● **النيكوتين :**

مادة سائلة عديمة اللون ، تتحول الى اللون البني القاتم بمجرد تعرضها للهواء ، وهي مادة سامة جدا ، حيث ان الجرعة القاتلة للانسان ، عبارة عن (ملغم/ كغم من وزن الانسان ، وهو ما يعادل قطرة ونصف من مادة النيكوتين) ، أي أنه لو أخذت كمية النيكوتين المستخلصة من ٢٠ سيجارة ومقدارها قطره ونصف تقريبا ، وأعطيت للانسان بشكل حقنه لقتلته ، وقد أعطيت هذه الجرعة فعلا لحصان فقتلته .

ولكن أثناء عملية التدخين يحترق النيكوتين ، ثم ينفخ مرة ثانية في الهواء ولا يبقى منه الا الجزء اليسير جدا في الرئتين ومنها يدخل الى الجسم . والثابت أن

النيكوتين (محلول النيكوتين) كان يستعمل كمبيد حشري لرش الحقول والمزروعات وقد استعيض عنه اليوم بمواد أكثر فاعلية وأسهل استعمالا .

● أول أكسيد الكربون : CO

هو المادة الثانية ، السامة جدا في الدخان وينتج عن احتراق المواد العضوية احتراقا غير كامل ، وكان يستعمل في السابق من قبل الرومان والاغريق للانتحار وقتل الخصوم السياسيين ، واليه يرجع السبب في الاختناق من الفحم أو من مدافىء الكاز في الجو المحصور . .

إن أول أكسيد الكربون يتحد مع هيموجلوبين الدم مكونا كربواكسيد هيموجلبين Cohb ويمنع اتحاد هيموجلبين الدم بالاكسجين ، وان اتحاد أول اكسيد الكربون بالهيموجلبين أقوى (٢١٠) مرات من الاكسجين . والموت يحدث عنه اتحاد أول اكسيد الكربون مع ٧٠ ـ ٨٠٪ من الدم .

أما التسمم المزمن بأول اكسيد الكربون فيؤدي الى تلف الدماغ تدريجيا وما يتبع ذلك من تغيرات عقلية .

ومع دخول أول اكسيد الكربون باستمرار ، وبكميات قليلة في جسم الانسان ينتج التسمم المزمن ، والذي يؤدي بدوره الى الارهاق الذهني والصداع والدوخة ، وضيق التنفس . .

● الزيوت الطيارة : Volatile Oils

وهي زيوت عطرية تتبخر دون أن تترك أثرا شحميا على الورق ، ومنها النافع ومنها السام . ونظرا لرائحتها الطيبة تستعمل بكثرة في العطور مثل زيت النعنع وزيت القرنفل ومنها :

Alcohol	Phenol	Esters
الكحول	الفينول	الأستر

وهي مختلفة كيميائيا .

وبعضها سام مثل : التربنتين Turpentine فـ ١٥ غم منه يسبب الوفاة بالاضافة الى أنها جميعا تسبب تهيج الأنسجة ، والسام منها يسبب تلف الكلى ، كذلك تسبب تورم الرئتين والدماغ .

● الأمونيا : غاز النشادر NH_3

وهو غاز قلوي الطعم يعمل على تهيج الأنسجة المخاطية في الفم والحلق والقصبات الهوائية .

● المواد المشعة : البولونيوم PO^{210}

واليها يرجع التأثير السرطاني للتدخين كما سيأتي فيما بعد .

تأثير التدخين على صحة الانسان :

بعدما سبق من معلومات عن مركبات التبغ يصبح من السهل فهم تأثير هذه العناصر على جسم الانسان منفردة أو متحدة ، فجميع الاحصائيات والابحاث الطبية تدل على أن التدخين سم يتناوله الانسان بمتعة ، والأمثلة كثيرة وعديدة .

والامراض التي لها علاقة بالتدخين هي :

١ ـ سرطان الرئتين والحلق والشفتين .
٢ ـ التهاب القصبات الهوائية المزمن .
٣ ـ تصلب الشرايين بشكل عام وشرايين القلب بشكل خاص .
٤ ـ قرحة المعدة والاثنى عشر .
٥ ـ أثناء الحمل : زيادة نسبة الطروحات ، كذلك انخفاض وزن الاطفال عن المعدل الطبيعي .
٦ ـ تسوس الأسنان وغيرها من الامراض .

وللتدخين تأثير على جميع الجسم ، وللتسهيل والتوضيح نأخذ تأثيره على أجهزة الجسم كل على حدة .

أولا : تأثير التدخين على الجهاز العصبي :

إن الجهاز العصبي أكثر أجهزة الجسم حساسية للتدخين ، ولما كان الجهاز العصبي هو الجهاز المسيطر والمنظم لجميع أجهزة الجسم الاخرى ، فبطبيعة الحال سوف تتأثر جميع هذه الأجهزة ، فتسمم الجسم بمختلف مركبات الدخان ، يشعر الانسان بالدوخان والارهاق الذهني وعدم التركيز والتوتر العصبي والصداع ، وكلها ناتجة عن تقلص الأوعية الدموية في الدماغ ، وهو ما يؤدي بالتالي الى نقص في كمية الاكسجين والدم اللازم للدماغ ، كذلك النيكوتين يؤثر على أعصاب السمع والبصر والذوق ويضعفها ، فمثلا المدخنون لا يحبون الأشياء الحلوة ولا يتذوقونها بسبب ضعف حاسة الذوق في اللسان ، والناتجة عن تأثير النيكوتين المباشر على اللسان .

ثانيا : تأثير التدخين على الجهاز التنفسي :

لما كان تأثير التدخين مباشرة على الجهاز التنفسي

وعلى الفم ، فان ذلك يؤدي بدوره الى تهيج الأنسجة المخاطية المبطنة لهذه الأعضاء مما يجعل الفم والحلق والقصبات الهوائية عرضة للأمراض المزمنة ، كذلك فان تأثيره على الأوتار الصوتية يجعل الصوت خشنا .

المعروف أن حرق ١كغم من التبغ يؤدي الى تكوين ٥٠ غم من السناج . ولو اعتبرنا أن معدل ما يدخنه الشخص في اليوم الواحد ٢٥ سيجارة ، وأن معدل وزن السيجارة ٢غم فبطريقة حسابية :

٢٥ × ٢ = ٥٠ غم تبغ في اليوم الواحد

٥٠ × ٣٠ = ١٥٠٠ غم تبغ في الشهر

$\frac{١٥٠٠ \times ٥٠}{١٠٠٠}$ = ٧٥غم سناج معدل ما يمر في الرئتين في الشهر الواحد .

وطوال سنوات التدخين يترسب قسم من هذه المواد في الرئتين ويعطيها اللون الأسود ، كذلك يؤدي الى تصلب الرئتين ثم الى نقص في مرونتها ، مما يؤدي الى نقص في وظيفة الرئتين ، وما يتبع ذلك من نقص في كمية الاكسجين اللازمة للجسم .

ثالثا : تأثير التدخين على القلب والدورة الدموية :

المعروف علميا وعمليا أن التدخين يزيد من تسارع ضربات القلب بمعدل ١٠ ـ ٢٠ ضربة في الدقيقة ، ولما كان معدل ما يضخه القلب في الدقيقة ٥ لترات زيادة ، فمعنى ذلك أن القلب يضخ زيادة لترا واحدا عند المدخنين في الدقيقة . أي ٦٠ لترا في الساعة . . أي ٦٠ × ٢٤ = ١٤٤٠ لترا في اليوم الواحدوكذلك يؤدي التدخين الى ارتفاع ضغط الدم بمعدل ٢٠ ـ ٢٥٪ حيث دلت التجارب العلمية على الحيوانات أن التدخين يؤدي الى زيادة افراز هرمونات الغدة الفوق كلوية Cotocho lamines التي بدورها تؤدي الى انقباض الأوعية الدموية والى ارتفاع ضغط الدم ، هذا بالاضافة الى أن ارتفاع ضغط الدم عبارة عن ثقل زائد على القلب ، كما أن التدخين عامل أساسي في تصلب شرايين القلب كما سيأتي فيما بعد ، وبذلك يكون تأثير التدخين على القلب :

- زيادة الضربات ، وهذا يؤدي الى اجهاد القلب .
- ارتفاع ضغط الدم وهذا أيضا عبء كبير على القلب .
- تصلب شرايين القلب وما يتبعه من ذبحة صدرية
- عدم انتظام ضربات القلب .

رابعا : التدخين وتصلب الشرايين :

إن تصلب الشرايين عبارة عن تغيير في جدار الأوعية الدموية مما يفقدها مرونتها ، كذلك في الجدار الداخلي لهذه الأوعية مما يجعل هذا السطح خشنا ، مما يؤدي الى ترسب الدهون وأملاح الكالسيوم على هذا السطح ، والذي بدوره يؤدي الى تقرحاته ، وتضيق هذه الأوعية مما يعيق حركة الدم بداخلها ، ومما يزيد من امكانية تجلط الدم بداخل هذه الأوعية . وتصلب الشرايين يؤدي الى نقص في كمية الدم اللازمة للاعضاء مثل القلب والدماغ وغيرها ، وأحيانا الى جلطة هذه الأعضاء وغيرها من المضاعفات .

خامسا : التدخين وتأثيره على الجهاز الهضمي :

يبدأ تأثير التدخين مباشرة على تجويف الفم بما فيه من لسان وأسنان وحلق وبلعوم ، حيث أنه يلون الاسنان باللون الأسود ثم يجعلها خشنة مما يؤدي الى تشققها وبالتالي الى تسوسها ، كذلك يؤدي الى تهيج الغدد اللعابية ، ثم الى زيادة افرازها ، وهذا ما نلاحظه عند بعض المدخنين من كثرة البصاق .

كذلك دلت احصائيات منظمة الصحة العالمية أن سرطان الشفتين واللسان والحلق عند المدخنين يبلغ ٤ أضعاف منه عند غير المدخنين .

سادسا : التدخين وأثره على الغدد الصماء :

أثبتت الدراسات العلمية أن ١١٪ من الرجال الذين يعانون من ضعف جنسي هم عبارة عن مدمنين للتدخين ، وكذلك فان التدخين يؤدي الى زيادة الدورة الشهرية عند النساء وعدم انتظامها . وهذه الأعراض قد لوحظت أيضا عند النساء اللواتي يعملن في مصانع التبغ وتعليب السجائر .

سابعا : التدخين وتأثيره على الأطفال :

مما سبق نلاحظ مدى خطورة التدخين على جسم الانسان البالغ ، فما بالك بمدى خطورته وضرره على جسم الطفل الذى في دور النمو .

فضرر التدخين يبدأ على الجنين أثناء فترة الحمل ، اذا كانت الام مدخنة ، فقد أثبتت الدراسات العلمية أن نسبة الطروحات عند الامهات المدخنات اكثر بـ ٢ ـ ٣ مرات منه عند غير المدخنات ، كما يسبب التدخين الولادة المبكرة عند الحوامل ، وان وزن الأطفال يكون عادة أقل بـ ١٥٠ الى ٢٥٠غم من الوزن الطبيعي .

العربي - العدد ٣٢٠ - يوليو ١٩٨٥

شكسبير وشهرزاد!

شكسبير

بقلم : الدكتور امين العيوطي

لقد بذلت جهود عديدة لتقصي مصادر اعمال شكسبير الأوروبية . اما احتمال ان يكون من بين هذه المصادر مصادر عربية فلم تحظ بالكثير من الاهتمام ، رغم وجود حقائق تاريخية وشواهد فنية تشير الى هذا الاحتمال ، وليس هذا المقال الا محاولة لاثارة هذا الموضوع .

في مسرحية (ترويض الشرسة) تبدأ الأحداث بمقدمة من مشهدين يقدم فيها شكسبير شخصية سلامي . وسلامي هذا صعلوك تقلب في حرف مختلفة . فقد عمل بائعا متجولا ، واشتغل في صناعة امشاط المغازل ، وحارسا للدببة واخيرا سمكريا . وهو سكير مفلس دائما . هكذا نلتقي به في بداية المقدمة ، وهو يشتبك مع صاحبة الحان ، لأنه لا يملك ثمن الأقداح التي عبها . ولا يلبث ان يغلبه السكر ، فيغط في نوم عميق امام الحان . على هذا الحال يعثر عليه السيد النبيل واعوانه وهم عائدون من رحلة صيد ، وينتهز السيد الفرصة ليتسلى به ، فيأمر بنقله الى فراش وثير في قصره، وتطييب رأسه القذر بالماء المقطر الدافيء ، ولفه بأفخر الأغطية الحريرية ، وتزيين أصابعه بالخواتم ، واعداد اشهى الأطعمة والفواكه له ، وان تقوم الحاشية بين يديه في افخر ثياب ، وأن يحمل احد الحراس طستا مملوءا بماء الورد ، والآخر ابريق ماء ، والثالث منشفة من الكتان ، وان يحرق البخور لتزكو رائحة الغرفة ، وان تستعد فرقة موسيقية لعزف أرق الانغام الساحرة حين يفيق ، وان يقنعه الجميع انه كان في غيبوبة طويلة لسنوات ، وأنه قد استرد عافيته ، ويحدثوه عن كلاب صيده وجواده ، ويصفوا له نواح زوجته لما اصابه ، وان يقوم ممثل من فرقة التمثيل الجوالة بتمثيل دور الزوجة التي استبد بها الحزن على مرضه ، ويغرقه في حنانها ، وأن تعرض عليه الفرقة تمثيلية (ترويض الشرسة) ويجري كل شيء كما دبر السيد تماما ، فيقتنع سلامي بانه سيد عظيم شريف المنبت ، ويجلس ليستمتع بالعرض المسرحي ، وهو يعب الخمر بطبيعة الحال . حتى اذا انتهى العرض حمله اثنان من الأتباع في زيه الأول ، وتركاه حيث كان امام الحان ، ليدخل الخمار فيوقظه ، ويقص عليه سلامي قصة الحلم الجميل

الذي رآه ليلة الأمس ، الذي كان يدور حول كيف افلح جلف قروي في ترويض زوجة مشاكسة ، حتى ان سلامي لا يخشى الآن العودة الى بيته ، ولا من لعنات زوجته ونقارها . فهو يعرف الآن كيف يروضها .

المقارنة مع تراثنا :

وفي ألف ليلة وليلة ترد حكاية مشابهة اثارت خيال المسرحيين العرب ، فصاغها مارون النقاش في مسرحيته الهزلية (هارون الرشيد وابو الحسن المغفل) ، وتناولها سعد الله ونوس في (الملك هو الملك) ، كما نسج منها حسن يعقوب العلي مسرحيته (الثالث) . تقول هذه الحكاية ان الملل اصاب هارون الرشيد ذات ليلة ، فخرج مع وزيره جعفر والشاطر علي الزيبق وسيافه منصور ، ليتجولوا في بغداد متنكرين ، وفي مقهى للداروبش سمع الرشيد درويشا يتمنى لو انه حكم بغداد ثلاثة ايام فقط . واستهوت الفكرة خيال الرشيد ، فصمم على ان يحقق للدرويش امنيته . وهكذا ارسل اليه احد العيارين الذي بنّجه وأتى به الى القصر ، حيث طلب الرشيد من الجميع ان يعاملوه كما لو كان الخليفة فعلا حين يفيق ، في حين ظل هو يراقب ما يفعله الرجل على امتداد الأيام الثلاثة .

أوجه الشبه بين الحكايتين تلفت النظر . هناك العلاقة بين رغبة كل من الرشيد والسيد النبيل ان يتسلى برجله،والدرويش في « الليالي » له نظيره الصعلوك في المسرحية . احدهما يحمل وهو تحت تأثير المخدر والآخر يُوخذ وهو تحت تأثير الشراب . وكلاهما يمر بتجربة النائم اليقظان او حلم اليقظة ، ويكتمل لديه الوهم بانه اما خليفة او نبيل ، ويحقق في حلم يقظته مالايقدر عليه في الواقع . وفي الحالين يفيق النائم اليقظان من حلم يقظته ليعود الى سيرته الأولى ولعل هذا يطرح علينا سؤالا حول ما اذا كان هذا الشبه الدقيق كان مجرد صدفة ، او ان شكسبير اعتمد على بعض المصادر الشعبية الانجليزية ، كما كان يفعل دائما بمصادره الأدبية والتاريخية التي حولها الى تاريخيات وتراجيديات ، أو ان الف ليلة وليلة كانت المصدر الذي أخذ عنه .

تميل د . سهير القلماوي الى ان تنظر الى الأمر على انه مجرد تشابه بين قصص من الأدب الشعبي ، وان شكسبير في هذه المسرحية كان يتناول موضوعات لا تبلى ، وتقول في المقدمة التي كتبتها لترجمتها لمسرحية شكسبير ، ان موضوع المرأة الشرسة والزوج الذي يروضها باللين والقسوة والحيلة والقوة صورة خلدها الأدب الشعبي والقصص الديني ، كما انها من قصص الف ليلة وليلة ترد في قصة « الحمار والثور » وصاحب الزرع وكذلك المقدمة التي يظهر فيها سلامي الصعلوك .

ولذا فانها ترى ان تحقيق نسبة هذه المسرحية لشكسبير أعسر من المسرحيات الأخرى ذات الموضوع المبتكر غير المتداول . ومع ذلك يخوض النقاد في

بعض هذا بالنسبة للمسرحية ، محاولين تحقيق صورتها ، كما وردت في المخطوط الأول ، وما يحتمل ان يكون قد نشر من مثلها قبله وبعده ، والحقيقة ان المقدمة نفسها بالفعل ذات موضوع « مبتكر وغير متداول » حتى ان البحث في المصادر المطروقة التي نعرفها عن شكسبير قد لا يؤدي بنا الى كثير . وربما كان الأجدى ان نبحث عن أصولها في مصادر غير مطروقة ، وفي هذا الخصوص فان د . سهير القلماوي تشير في كتابها الف ليلة وليلة الى ان مقدمة الليالي على الأقل كانت معروفة في ايطاليا حوالي القرن الثالث عشر : وان قصصا من قصصها كان شائعا في اوروبا في القرون الوسطى . وتشير دراسات المهتمين بالتراث الشعبي الى ابعد من هذا ، فتذكر د . نبيلة ابراهيم في كتابها الأميرة ذات الهمة ، أن قصة عروة وعفراء وقصة قيس ولبنى انتشرتا عن طريق العرب الذين رحلوا الى اسبانيا ، ومن هناك كان لها تأثيرها في بعض القصص الأوروبي في العصر الوسيط .

ويشير د . محمد رجب النجار في كتابه (الشطار والعيارون في التراث الشعبي) الى تأثير القصص العربي وحكايات الشطار ، في ادب الشطار الأسباني خاصة ، الذي ظهر في منتصف القرن السادس عشر ، وازدهر في القرن السابع عشر ، وكذلك يشير د . انور عبدالعليم في مقاله « عجائب بحر الهند » الذي نشر بمجلة الدوحة ، يناير ١٩٨٥ الى كتاب عجائب الهند بحكاياته التي كانت تتداولها افواه النواخذة والبحارة العرب وكتاب رحلة التاجر سليمان ، ورواج هذه الحكايات وانتشارها ، وترجمتها الى الاسبانية واللاتينية ، وكونها الأصل المشترك لمثيلاتها في الآداب الاوروبية التي انتقلت اليها عن طريق مراكز الحضارة العربية في مصر والشام وصقلية والأندلس . ومن المؤكد ان انتشار مثل هذا القصص ، وخصوصا أنها وقد ترجمت الى اللاتينية التي كان شكسبير يجيدها ، والتي نقل عنها الكثير من قصص مسرحياته ، لم يقتصر على اسبانيا بل امتد ليشمل بلدان اوروبا ، وعلى الخصوص بعد الاتصال الحضاري الذي تم بين العرب والغرب اثناء الحروب الصليبية وبعدها ، ولعل الصدفة التي تجمع في عمل واحد لشكسبير بين حكايتين من الليالي هي في الواقع اكثر من مجرد صدفة .

ومسرحية اخرى :

ولنتوقف هنا قليلا امام وجه آخر من أوجه الشبه ، أو على الأصح التأثير الممكن . مثل هذا التأثير نلمسه في مسرحية اخرى من مسرحيات شكسبير ، وهي (حلم ليلة منتصف صيف) ، في هذه المسرحية يقيم شكسبير جنبا الى جنب مع عالم البشر مملكة كاملة للجان ، على رأسها اوبيرون ملك الجن وتيتانيا ملكة الجن ، وبك العفريت الساخر المرح ، وتابعات الملكة من زهرة البازلاء ، وبيت العنكبوت وحبة الخردل والفراشة ، في هذا العالم يصور شكسبير نزاعا بين اوبيرون وتيتانيا زوجته حول صبي صغير كانت امه الهندية تابعة لتيتانيا تسامرها وتضاحكها ، ثم ماتت وهي تلد طفلها فسرقته تيتانيا من احد ملوك الهند واتت به الى مملكتها لتربيه ، بينما اوبيرون يريده لنفسه ليكون من فرسانه الذين يجولون معه الغابات . والجفوة التي تحدث بين تيتانيا واوبيرون لها ما يقابلها في الجفوة التي تحدث بين العشاق الآدميين (هيلينا التي تلاحق ديمتريوس الذي يعشق بدوره هيرميا والذين يفرون الى الغابة لحل مشكلتهم ، بل ان الجفوة التي تحدث بين ملك وملكة الجان جفوة من ذلك النوع الذي يحدث بين اي زوجين آدميين . . فهي تهجر فراشه وصحبته وتتهمه بانه زير نساء يخونها مع هيبوليتا ، عروس ثيسيوس دوق أثينا ويغازل حبيبة الراعي ، وهو يتهمها بأنها تعشق ثيسيوس . وهكذا يكيد لها اوبيرون بأن يطلب من بك ، هذا العفريت المرح ، أن يأتيه بزهرة الحب التي يستطيع ان يقطر من سائلها في عيني نائم فيجعله يهيم حبا باول مخلوق تقع عليه عيناه حين يفيق ، وما ان تفيق تيتانيا من نومها حتى تقع عيناها على بوتوم ، الذي جاء ليتدرب في الغابة مع رفاقه من الحرفيين على مسرحية يقدمونها في حفل زواج ثيسيوس وهيبوليتا ، والذي حول اوبيرون

رأسه الى رأس حمار وما ان تسمعه يغني ، أو بالأصح ينهق ، حتى تقع في غرامه ، وتفتن بصورته وتأمر الجنيات ان يسرن به الى عرشها ، وان يدللنه ويقدمن له اطيب انواع الطعام من مشمش وتوت وعسل نحل ويفعل اوبيرون نفس الشيء مع العشاق ، لكنه بدلا من ان يقطر سائل الزهرة في عيني ديمتريوس حتى يحب هيلينا ، يخطيء فيقطره في عيني لايسان فيخلق بهذا مشكلات بين العشاق الأربعة . لكن اوبيرون يرفع الخطأ عن عيني تيتانيا حين تزهد في الصبي ، تحت تأثير حبها لبوتوم ، فترسله اليه كما يرفع الخطأ عن عيون العشاق الأربعة ليكون حفل زفاف دوقة اثينا وهيبوليتا عرسا للجميع .

في تصوير شكسبير لهذه المملكة نرى ان الجان مخلوقات شريرة ، فهذا بك المرح عفريت مليء بالألاعيب والحيل الساخرة حين يخيف القرويات او يعبث بالقرويين ليضلهم في متاهات الغابة ، او يعابث الخيل حين يصهل كما تصهل المهرة اويقوم عن القرويات المتعبات باعمال البيت . وهو في كل هذا عفريت ساخر ضاحك ما يفعله بالعشاق انما يفعله بنية طيبة ، وحين يدرك خطأه يسارع الى تصحيحه ليصلح ما بين العشاق . والجان انفسهم مخلوقات تعشق السمر والرقص والطرب . فهي ترقص في حلقات على زمر الرياح . وهي ارواح انيقة ناعمة تعشق الغناء والبهجة وتكره الحشرات التي تفسد براعم ورود المسك ، وتخشى الرقي واعمال السحر . وهي ليست مثل الارواح الملعونة التي تخشى الفجر ، وتخشى ان يطلع ضوء النهار على مخازيها ، فتهرع الى عالمها السفلي ما ان يصيح الديك . فهي ارواح كما يقول اوبيرون تهوي مداعبة نجمة الفجر ، وتعشق الضياء وترقص وتغني « في رقة الجان » وهي التي تبارك حول بيت ثيسيوس وهيبوليتا في ليلة عرسهما ، كما تبارك العشاق .

أوجه الشبه :

ان مثل هذه الصور لا تختلف في شيء عن الصورة التي ترسمها الليالي للجان ، والتي تستخلصها د . القلماوي من حكايات الجان في هذا الأثر الشعبي . فالجان غير قادرة على الشر ، وغالبا ما تكون علاقتها بالانسان علاقة ود ، وهي مخلوقات لها ممالكها وسلطانها ، تسخر العفاريت لخدمة اغراضها . اما العفاريت فشأنها شأن بك في مسرحية شكسبير ، يحلو لها ان تعبث بقلوب العشاق ، وان تلهو بالبشر . لكن عبثها عبث ظريف ينتهي دائما الى خير الابطال . وهي تخلق مشاكل الحكاية . وحياة هذه المخلوقات بشرية محضة في أكلها ومسكنها وعواطفها وعاداتها . وفي استخدامها للسحر لتغيير حال الانسان من آدمي الى حيوان فانها تستخدم ماء تعقد عليه ، ثم ترشه على الانسان ليخرج الى غير صورته . وهو ما يحدث لبوتوم وما يحدث بشكل آخر للعشاق .

في كل هذه التفصيلات نجد الصورة التي يرسمها شكسبير للجان في الحلم تتطابق في كل حرفياتها مع الصورة التي ترسمها الليالي . بل لعل مما يلفت النظر ان يكون الصبي وافدا من الشرق عالم الغموض والخيال والسحر او العالم الذي اخرج الليالي على وجه التحديد . وربما كانت الخرافات في عصر شكسبير تعرف قصص تحويل البشر الى اشكال حيوانات ، لكن هذا يتم في هذه القصص عن طريق الساحرات الشريرات ، كما في قصة الساحرة القبرصية التي سحرت احد المسافرين الانجليز ، وحولته الى حيوان تحمله الأثقال ، حتى لجأ الى احد الكنائس ، واستطاع ان يجذب انظار المصلين بحركاته . وما ان تعقبه الساحرة بعصاها حتى ينكشف الأمر فتعيده الى صورته الأولى وتنال هي جزاءها . هذه واحدة من القصص التي يرويها ريجينال سكوت في كتابه اكتشاف السحر ، الذي طبع في انجلترا عام ١٥٨٤ ، لكنه لا يشير فيه الى قصص جان شعبية شائعة في انجلترا في ذلك العصر يمكن ان يكون شكسبير قد استند اليها في تصويره للجان . ولعل في تطابق اوجه الشبه بين شخصيات وموضوعات واخيلة الليالي ومثيلاتها عند شكسبير ما يقوم قرينة على ان خيال شكسبير انما استمد مادته من أصول تراثية عربية ، وأكسبها اشكالها البارعة الرائعة . □

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الدعاية والهواية

الدعاية إحدى الكلمات التي تظهر وتشيع بيننا منذ أواخر القرن الماضي ، مع نشوء الصحافة عندنا ، وربما ظهرت ترجمةً للكلمة الاوروبية Propaganda وقد تصدى لها بالانكار يومئذ بعض اللغويين المتشددين عندنا ، وأيد جلّهم إنكارها ، إذ كان من حظها أنها لم ترد في أشيع المعاجم المتاحة يومئذ وفي مقدمتها « القاموس المحيط » وما دونه من المعاجم المدرسية ، وبقيت مطاردة حتى تيسر لأحد اللغويين (وربما كان هو المرحوم معروف الرصافي) أن يصادفها فيتنبه إليها ، لورودها في رسالة النبي - صلوات الله عليه - إلى هرقل عظيم الروم (ملكهم) حين دعاه إلى الاسلام ، وكان مما كتب إليه « أدعوك بدعاية الاسلام » أي بدعوته ، ودعوته هي توحيد الله وتجنب الشرك به ، ومن هنا بدأ يشيع الاعتراف بفصاحتها ، بعد الاصرار على أن المصدر هو « دعاوة » ، التي يذكرها « القاموس » لا « دِعاية » .

ومن العجب أن يغفل عنها الباحثون ، ولا نقول « أن يجهلوها » لأنها واردة في كتب السيرة المحمدية ، وهذه الكتب منتشرة ، تقرأ تبركا أو تثقفا ، وقلما تخلو هذه الكتب من هذه الرسالة القصيرة التي تكاد تكون أشهر رسائل النبي إلى الرؤساء يدعوهم يومئذ إلى الاسلام ، وكثير يحفظونها ويغفلون عن هذه الكلمة فيها . ثم أنها واردة في معجم « لسان العرب » مع الفقرة التي وردت فيها من الرسالة ، فالمعترفون بفصاحتها يرون أنها مسموعة من الفصيحة .

لكن لنفرض أن « دعاية » لم تسمع في المأثور الفصيح من نص أو معجم ، فهل ننكرها ؟

رأيي إنها فصيحة قياسيا من عدة وجوه تتساند لعدّها فصيحة .

أولا : تذكر بعض المعاجم « دعَيْتُ » كما تذكر « دعَوْت » ، وإذن فلنا أن نقول : « دعيت دعاية » كما قيل في الفصيحة « حكيت حكاية » ، « ورويت رواية » ، « وسقيت سقاية » ، « وبريت براية » ، « وكفيت كفاية » . . . .

ثانيا : يذكر « لسان العرب » في مادة شكا أن مضارعه يشكو ، والمصدر شكوى ، وشكاوة وشكاية بقلب الواو ياء ، وينقل عن السيرافي قوله في ذلك « إنما قلبت واوه ياء لأن أكثر مصادر « فِعَالة » من المعتل إنما هو من قسم الياء نحو : الجراية والولاية والوصاية ، فحملت الشكاية عليها لقلة ذلك في الواو » ولهذا نقول لو لم يكن الفعل إلا واويا « دعوت دِعاوَة » لجاز لنا أن نقول قياسا على ذلك « دعوت دعاوة ودعاية » ونلاحظ أن الغالب في تصريف كلماتنا هو قلب الواو ياء .

ثالثا : الفعل « دعيت أو دعوت » صار مع ظهور الاسلام يدل على مهمة مطردة تشبه الحرفة أو الصناعة ، وسُمِّي القائم بهذا العمل الداعي والداعية والجمع دعاة ، وهناك قواعد مصادر الفعل ، وفيها أن الفعل الثلاثي إذا دل على حرفة أو صناعة كان مصدره على « فِعالة » مثل زراعة وتجارة وحدادة . . . فاتباعا لذلك نقول « دعاية » دون تحرج .

وللفعل « دعا » عدة مصادر متعددة المعاني ، وتظهر الفروق في الاستعمال بحسب المقام ، ولكنها تبدأ وتنتهي عند معنى النداء أو الاستدعاء مع اختلاف المقامات .

وتكفينا هذه الاشارة الى تعدد معانى الفعل لنعود الى كلمة « الدعاية » فنقول : انها كانت تعنى عمل الداعى أو الداعية بصدق وأمانة ، ولكن شاب نقاءها أخيرا شىء من الكدر ، فيقال مثلا فى كلام أو عمل « انه دعاية » أى لا ثقة به لما يشوبه من غش أو خداع ، وحلت محلها كلمة « اعلام » ، فلا يقال الآن فى الهيئات أو المؤسسات التى تقوم للتعريف بشىء الا أنها « للاعلام » ولا توصف إلا بأنها إعلامية ، ومن ذلك وزارات الاعلام فى الدول ، ومثلها الهيئات والمؤسسات الأخر .

وكان اللغويون المتشددون اذا نسبوا الى الكلمة قالوا : « دعاوية » ترجمة لكلمة Propagandism ، وأخيرا صاروا يقولون فى النسب اليها « دعائية » ونحن نرى الأخيرة فصيحة مع خفتها ، فقديما كان فقهاؤنا يقسمون الفروض أو الواجبات قسمين : فرض عين وهو ما لا بد أن يؤديه كل شخص بنفسه ولا يجوز أن يوكل فيه غيره كالصلاة ، وفرض كفاية وهو فرض اذا قام به بعض الجماعة سقط عن الباقين كالجهاد فى سبيل الله بأوسع معناه ، ومنه الجهاد دفاعا عن الوطن أو العرض أو النفس أو المال ، وكانوا اذا نسبوا الى « الكفاية » قالوا « فرض كفائى » فنقول قياسا على ذلك « عمل دعائى » فى النسبة الى « الدعاية » .

هواية : ظهرت هذه الكلمة عندنا خلال هذا القرن بعد ما انتشرت بيننا المدارس على النظام الغربى ، ثم عرف ولاة الأمر أن الدروس المقررة - وهى عامة إجبارية - لا تستجيب لكل مواهب الطلاب المختلفة ، ورغباتهم على وفقها ، فعينوا لذلك أوقاتا بين الدروس يمارسون فيها ما يرغبون من أعمال فيقسمون جماعات بحسب الرغبة فى المواد : كالموسيقا والرسم والخط والكهرباء والنساجة والنجارة ، وتسمى الرغبة كما يسمى العمل الذى يرضيها « هواية » ترجمة لكلمة hobby ، وقد يغير الطالب هوايته ، أو يتخذها بعد ذلك حرفة . وقد يتكسب منها أو لا يتكسب ، وتظل أيضا « هواية » .

وهواية مشتقة من الفعل هَوِى الشىء يهواه هوى (مثل عمى يعمى عمى) أى أحبه فهى فى مزاولتها الكثيرة تشبه المهنة ، فيكون وزن المصدر على فعالة .

والجذر « هوى » يختلف تصريف أفعاله ومصادره ، فهناك فعل آخر غير ما سبق : « هوى يهوِى » (مثل بكى يبكى) ومصدره « هُوِيّ » و « هَوِيّ » بمعنى السقوط أو الوقوع ، ويبدو لى أن هذا هو المعنى الأصيل العام للجذر ، فهو يلاحظ فى كل تصاريفه على اختلاف أوزانها ، فتختلف معانيها ، ولكنها قريب من قريب كالإخوة ، حتى ان هوى الشىء بمعنى أحبه تدل على السقوط فيه ، ومثل ذلك الحب ، فإن معنى الجذر « ح ب ب » هو السقوط ، يقال « حب الجمل » بمعنى « برك » ، وفى البروك سقوط ، واذا برك الجمل كان المكان الذى يشغله أوسع من مكانه واقفا ، ولهذا يدل « ب ر ك » على التوسع ، ومنه « البركة » بمعنى السعة . □

لا تقلد سواك فى الدين فالتقليد عجزٌ ، والله اعطاك عقلا
لتفكر فى الخلق تكشف خفايا . لتسعى خلاله مستقلا

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

أبو البنات

كل الأحياء تحب صغارها وتعطف عليها بالفطرة ، وهذه المحبة والعطف أظهر في الأحياء المتقدمة في التطور مع ظهور النزعة الاسرية فيها بين كل أبوين ، وهذا ما نراه في بعض الطيور والاحياء البحرية والبرية ، لحاجة الصغار الى فترة من الحضانة تعتمد فيها على أبويها قبل أن تعتمد على نفسها في المعيشة والحماية .

والشعور الأسري بين الابوين في البشر أشد ظهورا ولزوما ، لان الطفل البشري أشد عجزا من صغار سائر الأحياء ، لفترة أطول ، فهو أحوج الى حضانة طويلة لاتمام تربيته التي قد تمتد سنوات حتى بعد بلوغه الرشد . ويحذرنا القرآن الكريم من تعريض صغارنا للاخطار المنظورة وغير المنظورة ، ومنها أن نترك لهم في ميراثهم منا عداوة أحد ، فينتقم منا في حياتنا أو بعدنا بالانتقام منهم ، فقال : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولا سديدا » .

ومحبتنا لصغارنا تحمل كثيرا منا على أن يتجنب المخاطر ليبقى لحمايتهم بنفسه ، وعلى امساك المال ولو حين يجب بذله في بعض الحقوق ، خوفا عليهم من الفقر معه أو بعده ، وهو يحتمل في نفسه ما لا يحتمل فيهم من آلام ، وفي الاثر « الاولاد مجبنة مبخلة » اذ قد يحملون على الجبن غير الجبان ، أو على البخل غير البخيل .

وبناتنا أحوج من الابناء الى الحماية والعطف ، ولو لم يطلبنه ، فكيف وهنّ لضعفهن يطلبنه دائما بلسان الحال ، وأحيانا بلسان المقال ، وهن أشد بنا تمسكا ، والانسان لا يشعر بكل ما في كيانه من رقة الانسانية وحنانها وأريحيتها ونجدتها الا مع صغاره ، ولا سيما بناته ، وهو أشد خشية عليهن من الضياع لفقد الحماية الشخصية والمالية في حياته وبعده .

وهذا الشعور الاخير هو محور المقطوعات الشعرية الثلاثة التي اخترناها هنا ، وأصحابها الثلاثة شعراء اسلاميون من العصر الأموي .

ولا نعرف المناسبة التي أوحت بكل من المقطوعتين الاوليين ، وان كان مثل هذا الشعر في غنى عن المناسبة ، وهما من « ديوان الحماسة لابي تمام » .

لإسحاق بن خلف

لولا «أُميمة» لم أجزعْ من العدمِ
ولم أقاسِ الدُّجى في حِندسِ الظُّلَمِ(1)
وزادني رغبةً في العيشِ معرفتي
أن اليتيمةَ يجفوها ذوو الرَّحِمِ
أحاذرُ الفقرَ يوماً أن يُلِمَّ بها
فيهتكَ السترَ عن لحمٍ على وَضَمِ(2)
تهوى حياتي، وأهوى موتَها شفقاً
والموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحُرَمِ(3)
أخشى فظاظةَ عمٍّ، أو جفاءَ أخٍ
وكنتُ أُبقي عليها من أذى الكَلِمِ

٢ ـ لحِطّان بن المُعَلّى

أنزلني الدهرُ على حُكمِه
من شامخٍ عالٍ الى خَفْضِ
وغالني الدهرُ بوَفْرِ الغِنى
فليس لي مالٌ سوى عِرْضي
أبكانيَ الدهرُ، ويا رُبَّما
أضحكني يوما بما يُرضي
لولا بُنيّاتٌ كزُغْبِ القطا
رُدِدْنَ من بعضٍ الى بعضِ(4)
لكان لي مضطربٌ واسعٌ
في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنما أولادُنا بيننا
أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هبَّتِ الريحُ على بعضِهم
لامتنعتْ عيني من الغَمْضِ

٣ ـ لأبي خالد القَناني

كان أبو خالد من أصدقاء قَطَريّ بن الفُجاءة الذي كان من كبار قوّاد الخوارج ضد الدولة الاموية، وكبار شجعانهم وشعرائهم، فكتب قطريٌّ اليه يدعوه للحرب معه، وأن لا عذرَ له في القعود عنها بين لصوصٍ وكفار(5)، فأجابه أبو خالد بهذه الأبيات (وهي من كتاب الكامل للمبرد).

لقد زاد الحياةَ اليَّ حُبّا
بناتي، إنهنَّ من الضِّعافِ
أحاذرُ أن يَرَيْنَ الفقرَ بعدي
وأن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعد صافِ(6)
وأن يَعْرَيْنَ إن كُسِيَ الجواري
فتنبو العينُ عن كَرَمٍ عِجافِ(7)
ولولا ذاك قد سوَّمتُ مُهري
وفي الرحمنِ للضعفاءِ كافِ(8)
أبانا، من لنا ان غبتَ عنا
وصار الحيُّ بعدك في اختلافِ

---

(١) العدم: الفقر، الدجى: الظلام والمراد هنا: ظلام النفس من الألم حندس الظلم: شدة الظلمات.
(٢) الوضم: ما يوضع تحت اللحم من خشب ونحوه لوقاية من الأرض، وتركه لحماً على وضم: أوقعه في مذلة.
(٣) الشفق هنا: الشفقة، والحرم: النساء.
(٤) القطا: طيور كالحمام بطيئة الخطوات، والزغب جمع أزغب، والزغب: الشعر النامي على صغار الطير: رددن من بعض الى بعض: متقاربات في العمر.
(٥) كانت حركة الخوارج أشبه في مبادئها بحركة «التكفير والهجرة» التي قامت في مصر في السنوات الأخيرة.
(٦) الرنق من الماء ومن العيش هو الكدر، وعكسه الصافي.
(٧) الجواري: الفتيات، تنبو العين: تنفر من سوء حالهن وهن الكريمات العزيزات.
(٨) لولا ذاك لركبت حصاني وخرجت للقتال.

رسالة القاهـــرة

ألف ليلة وليلة

بين التحقيق الأدبي والتحقيق الجنائي

بقلم : فاروق خورشيد

ألف ليلة وليلة . . . في قفص الاتهام !!
فما هي التهمة ، ولماذا توجيه الاتهام الآن ، وما هي الحيثيات ؟
هناك عنوان كبير وخطير ووصمة وجهت الى الليالي اسمها « خدش الحياء العام » !
فما هذا الاتهام ؟ وهل يقوى على الصمود أمام « ذخائر » الدفاع الكثيرة ؟

عادت ألف ليلة وليلة لتحتل مكان الصدارة من انتباه الحياة الأدبية من جديد . . وقد تعودنا أن تكون ألف ليلة وليلة الشغل الدائم لأجيال متتابعة من الدارسين والمبدعين على السواء .

فعلى الرغم من صدور الدراسات العديدة عن هذا العمل الشعبي الأدبي ، الا أننا جميعا نسلم انه لم يحظ بعد بالكشف الكامل عن كل جوانبه الفنية والاجتماعية على السواء . . وعلى الرغم من استيحاء كبار الكتاب من مطلع عصر النهضة لشخصية شهرزاد نفسها وشخصيات ألف ليلة وليلة الأخرى الثرية وحكاياتها المتعددة الايحاءات والجوانب ، الا أننا نحس جميعا أننا لم نغترف من هذا الكنز ما فيه الكفاية . . من هنا كان من الطبيعي أن تظل ألف ليلة وليلة شغل الدارسين والمبدعين على السواء . . ولكن الغريب أن بروز ألف ليلة وليلة هذه الأيام الى بؤرة الانتباه تجاوز الدارسين والمبدعين ، بل تجاوز المثقفين من المهتمين بالحياة الأدبية ليصل الى شغل اهتمام رجل الشارع العادى . . وما كان هذا ليكون غريبا لو أن هذا البروز كان نتيجة تمثيلية تلفزيونية أو تمثيلية اذاعية واسعة الأثر والانتشار تقدم للجماهير هذه الأيام،وانما مصدر الغرابة كان في أن واقع الحياة نفسه حل محل التمثيلية التلفزيونية أو الاذاعية في هذا المجال . وواقع الحياة وممارساتها هذه الأيام أصبح يحوى ما هو أكثر غرابة من خيال مؤلفى التمثيليات .

القاء القبض على ألف ليلة وليلة !

فقد ألقى القبض على ألف ليلة وليلة نفسها . . وسيقت بكل نسخها التى عثر عليها الى السجن ، وتحرزت النسخ ، ووضعت في مكان أمين حتى لا

تحدث في المجتمع تأثيرا ضارا أثناء التحقيق معها أمام الشرطة وأمام النيابة بعد ذلك ، ثم أمام القضاء آخر الأمر . . وفى أول الأمر ، تحركت الأقلام للدفاع عن ألف ليلة ، وتحرك اتحاد الكتاب فدخل بصفته منتفعا بكتب التراث ، اذ ينص قانونه على الحصول على خمسة في المئة من حصيلة بيع كتبه ، كطرف في القضية .

واستشهدت الأقلام بما قدمته الاذاعة وما قدمته السينما وما قدمه المسرح وما قدمه التلفزيون من أعمال مقتبسة من ألف ليلة وليلة ، كما تحدثت هذه الأقلام عن جهود الكتاب والدارسين فى مصر والوطن العربى بل العالم كله ، التى تركزت حول ألف ليلة وليلة ، ولكن هذا كله لم يشفع للمتهم من أن يظل حبيس التحفظ وأن يقدم للنيابة فالقضاء . والتهمة قاسية فهى ليست تهمة فكرية أو قضية رأى أو موقف مما كان جديرا بنص أدبى يمكن أن يقف من أجله فى قفص الاتهام دون خجل أو تحرج ، ولكن التهمة تمس الخلق . فتهمة « الليالى » أنها نص يروج للفساد بين النشء ويحض على الفسق والفجور ، وبهذه التهمة أخذ ناشران كبيران - سنا وعملا - وأودعا في السجن الى جوار مروجي الصور الفاضحة والأفلام الزرقاء . . وضابط البوليس المتحمس يرى أنه وحده الذى أدرك حقيقة ألف ليلة التى استترت على كل العقول والأفهام منذ أعرق مراحل التاريخ ، وحتى توصل هو وحده الى رفع القناع عن وجهها القبيح . . .

ترجمة . . ولغات عدة

ألف ليلة وليلة خدعت الكثيرين فعلا ، فقد ذُكرت منذ القرن الرابع الهجرى ، ذكرها ابن النديم في الفهرست ، والمسعودى في مروج الذهب ،

والمقرى في نفح الطيب ، ثم ترجمت الى التركية عام ١٦٣٦ وترجمت الى الفارسية عام ١٨١٤ ، وترجمت الى الأوردية والى الهندستانية عام ١٨٣٦ . وبعد هذا ترجمت الى كل اللغات الشرقية المعاصرة ، أما في الغرب فقد عرفها الفرنسيون على يد أنطوان جالان مترجم القرآن الكريم ، وتحتفظ المكتبة الأهلية في باريس بترجمته التي انتهى منها عام ١٧١٧ . وترجمت هذه الترجمة الفرنسية الى كل لغات أوروبا ، وتقول الدكتورة سهير القلماوي في دراستها عن ألف ليلة وليلة المنشورة عام ١٩٥٩ (وقامت الشعوب غير الفرنسية بنقل هذا الأثر الى لغاتها ، فترجمت الترجمة الفرنسية حتى انه لم يبق شعب تقريبا في أوروبا لم يترجم هذه الترجمة ـ ترجمت الى الانجليزية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية والهولندية والداغاركية والألمانية واليونانية والسويدية والروسية والبولندية والمجارية . ولاقت هذه التراجم جميعها نجاحا عظيما) . . الى هنا ينتهي حديث الدكتورة سهير القلماوي الذي جاء في رسالتها التي نالت عليها الدكتوراه تحت اشراف عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، وافتتحت بها الدراسات الأكاديمية لأدبنا الشعبي كله ، فما مرت سنوات حتى أصبح لهذا الأدب الشعبي كرسي أستاذية خاص به شغله الدكتور عبد الحميد يونس في جامعة القاهرة ، التي أدخلت الدراسات الشعبية في مناهجها في أقسام اللغة العربية وأقسام الاجتماع . وحذت حذوها جامعات عربية متعددة . .

كل هذه الشعوب في الشرق والغرب لم تلتفت الى وجه الليالي القبيح ، حتى جاء ضابط شرطة نشط فعرف خبث الليالي ، وألقى القبض عليها متلبسة ثم أودعها السجن ، وألصق بها التهم التي أخذت بها النيابة وضخمتها وزادت عليها من عندها حتى طالبت بالحكم عليها بالاعدام حرقا . . وهو حكم قرأنا عنه كثيرا في القرون الوسطى ، يطبق على الساحرات والكفرة والمشعوذين الذين تدينهم محاكم التفتيش الشهيرة . .

ثم قدمت ألف ليلة وليلة الى القضاء ، وكان على الأقلام أن تسكت . فليس لأحد أن يتناول قضية معروضة أمام القضاء حتى لا يؤثر الحديث عنها على أحكام القضاة ، كما ليس لأحد أن يعقب على حكم يصدره القضاء حتى لا يفقد الحكم قيمته ، فمجال الطعن فيه أمام القضاء نفسه ، فقدسية القضاء تحتم الا تكون أحكامه مضغة في أفواه الناس ، أو مجالا لتعقيباتهم . . وهكذا وقفت الليالي وحدها بلا محام أمام القضاء . فإن المحامين الذين يترافعون في القضية إنما وكلهم الناشرون المتاجرون بها ، أو إتحاد الكتاب الذي يعتبر نفسه بحكم قانونه وريثها الشرعي . . أما الليالي نفسها فلا يدافع عنها سوى وجودها الأدبي الشعبي ، ووجودها الأدبي التاريخي نفسه ، وما كان سيجدى عنها ترافع محام يعتمد على نصوص قانونية ، ولا تمتد معرفته بها الا الى حدود ذكريات قديمة من أحاديث الجدات أو ذكريات معاصرة من أطراف أحاديث بعض الكتب والأفلام والتمثيليات . . وهي التي دافع عنها على مر التاريخ العلماء والمستشرقون من أبناء كل الشعوب حين خصصوا سنوات من أعمارهم لترجمتها الى لغاتهم وتقديمها ذخيرة دسمة لتربية أذواق أممهم وشعوبهم . من ألمانيا يدافع عنها فون هامر ١٨٢٨ ويل ١٨٤١ وهانتج ١٨٩٦ وجريفه ١٩١٨ وليتمان ١٩١٨ . ويدافع عنها من انجلترا سكوت ١٨١١ وتورنز ١٨٣٨ ولين ١٨٣٩ وبين ١٨٨٢ وبرتن ١٨٨٥ . ويدافع عنها من الفرنسيين جالان الأشهر ومردوس بعده بقرنين . وتربيوتن عام ١٨٢٨ كما يتقدم للدفاع عنها المستشرقون دى ساسى وشليجل وفون هامر واويستروب ولين وشوفان وليتمان وماكدونالد ونولدكه وشيجلبرج . وأحدهم وهو أويستروب الداغركي حصل على اجازة الدكتوراة في بحثه الاستشراقي عن ألف ليلة وليلة . . ومن العرب الدكتورة سهير القلماوي التي رجعنا الى رسالتها في ذكر الباحثين السابقين عليها والدكتور طه حسين وأحمد حسن الزيات وجورجي زيدان والأب أنطون الصالحاني والشيخ أحمد بن محمود شيرواني اليماني والشيخ عبد الرحمن الصفتي الشرقاوي . والدكتور محسن مهدي والدكتورة فريال غزولي ، وهؤلاء من الدارسين . أما الذين استوحوها وكتبوا من واقع انفعالهم الفني بها ، واحساسهم بتراثها الفني فيتقدم للدفاع عنها الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم وسيد قطب وعلى أحمد باكثير وكامل كيلاني وأحمد رشدي صالح والفريد فرج وطاهر أبو فاشا وأحمد بهجت

وأحمد سويلم ، وغير هؤلاء وأولئك كثيرون . كما تقدم كورساكوف بصاحبته الرائعة شهرزاد يملأ بها جنبات المحكمة .

أعداء الأدب

آخر الأمر أن ألف ليلة وليلة وقفت وحدها في قفص الاتهام تسمع بلاغة وكيل النيابة ، وحكم القاضي وتصمت هي ويتكلم هؤلاء فلا تعقيب . . ونحن أيضا لا نملك التعقيب على القضية وحكم القضاء ومرافعة النيابة . . ولكن التعقيب جاء في نفس وقت عرض القضية من أمريكا . . فقد حدث ان الأستاذ محسن مهدى أستاذ كرسي (جويت) للدراسات العربية بجامعة هارفارد كان يزور القاهرة في وقت وقوف الليالي في قفص الاتهام . وقد جاءها ومعه نسخ محدودة من كتابه (ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى) الذى طبع في ليدن عام ١٩٨٤ . ليقدمه لمجمع القاهرة العلمي كآخر محاولة علمية قام بها عربي يدرس الأدب العربي في جامعة أمريكية للحصول على نسخة محققة ، أو نسخة (أستاذ) من ألف ليلة وليلة . . وليس بعد هذا الدفاع دفاع . .

فهو لا يقدم دفاعا موضوعيا اذ يحقق الكتاب تحقيقا علميا وحسب ، وإنما هو يقدم دفاعا فنيا وخلقيا أيضا ، ان جاز أستخدام هذه التعبيرات في مجال الفن والأدب . اذ هو يصدر كتابه بفقرة مطولة ينقلها عن مقدمة كتاب (عيون الأخبار) الذى ألفه وكتب هذه الفقرة الامام الحافظ ابن قتيبة الدينورى . . وهذه الفقرة ليست دفاعا عن ألف ليلة ، فما كان يكتب عن ألف ليلة ، وانما هي دفاع عن الابداع الأدبي خاصة ، وعن الانتاج الفني بكل صورة بشكل عام . وذلك من خلال دفاعه عن كتابه (عيون الأخبار) ضد المآخذ التي قد تؤخذ عليه ككتاب أدب . وهي مآخذ قد يأخذها البعض على كل كتاب من كتب الأدب ، في كل لغة من لغات الأدب في العالم كله . . وللأدب أعداء في كل عصر وكل مصر . تقصر نفوسهم عن الاستجابة له ، وتخشن طباعهم فلا يحسون عطاءه ، وتتزمت عقولهم فلا يرون ما خلف الكلمات من معان ، وما خلف المعاني من عطاء ، وما يهدف هذا العطاء اليه من إثراء النفس الانسانية بكشفها وتعريتها في نبلها وزيفها على السواء . وما يحققه هذا العطاء بتحرير النفس من قيودها ، فتعرف وجودها حين ترى التعبير الفنى عن هذا الوجود ، وتحطم قيدها الذى يشدها الى زيفها ، وتندفع باحثة عن صحتها وسوائها ، فتثرى الحياة وتعطى التقدم الحضارى المستمر . .

والامام ابن قتيبة يقسم أعداء الأدب الى عدة أنواع من الناس ، فمنهم المتزمتون المؤثمون ومنهم المتصنعون ومنهم المتحذلقون . . وهؤلاء من أخلصوا العداء ، وعرفهم ابن قتيبة في عصره ، أما من كان عداؤهم لغير ما يجدون في أنفسهم ، وبدافع من هوى خارجي فهم كثر وخصوصا في أيامنا هذه . رحم الله ابن قتيبة فقد كان ينطلق من معنى الاخلاص في العداء الى معنى الاخلاص في الدفاع والبيان .

وللمتزمتين يقول ابن قتيبة الدينورى : (وسينتهي بك كتابنا هذا الى باب المزاح والفكاهة ، وما روى عن الاشراف والأئمة فيها . فاذا مر بك أيها المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به . واعلم أنك ان كنت مستغنيا عنه بنسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج اليه . وان الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهيأ على ظاهر محبتك ، ولو وقع فيه توقى المتزمتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل اليه معك) . . ومعرفة المذهب في المزاح والفكاهة تعني أن المسألة ليست لعبا ، وأن لكل قول معنى وراءه معنى ، وأن هذا المعنى ان أدركه المتزمت والتزم به ، فغيره محتاج الى هذه الوسيلة الأدبية لتقربه الى نفسه ، وارسائه في وجدانه . والكتاب لم يعمل ليرضي طائفة لا تريد عما ترى وتسمع وتقرأ الا ما وقر في نفسها من سابق معرفة ، فلا تريد أن يهز معرفتها شيء يثير فيها التساؤل ويدفعها الى البحث ،

آيات شاهدات

وللمؤثمين يقول ابن قتيبة الدينورى : (واذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة ، فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن

تصعر خدك وتعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم ، وانما المأثم فى شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب .. فتفهم الأمرين وافرق بين الجنسين) .. وذكر العورة أو الفرج أو الأعضاء التناسلية جميعا ليست من المآثم فى شيء ، فهى فى مجال العلم ضرورة ، وهى فى مجال الدين ضرورة . يقول تعالى فى سورة الانبياء الآية (٩١) .. (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) .. ويقول تعالى فى سورة التحريم الآية (٢١) : (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) .. ويقول تعالى فى سورة (المؤمنون) الآية (٥) :(والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) .. والى آخر الآيات التى جاء فيها ذكر الاعضاء التناسلية دون حرج أو تحرج .. كما أن الفعل نفسه لا تحرج فيه . اذ يقول تعالى فى سورة النور آية (٣٢) : (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) .. حيث أطلق اسم الفعل الجنسى للدلالة على معنى الزواج . ويقول تعالى فى سورة النور الآية (٣) :(الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) للدلالة على الفعل الجنسي صراحة . ولم يتأثم أحد من الشراح من الوقوف عند هذه الالفاظ وشرحها ، والاختلاف حولها وتوجيهها وجهة أو أخرى لجلاء المعنى ، دون خوف على أذواق المسلمين ، كما لم يتحرج أحد من أن يحفظ الصبية آيات القرآن الكريم دون خشية عليهم من الفتنة وهم يحفظون هذه الألفاظ الدالة على أسماء الأعضاء أو على أسماء الفعل الجنسى نفسه ، بل ان أحدا لم يتحرج فى أن يحفظ الصبية منذ نعومة أظفارهم من آيات القرآن ما هو اشارة الى أحداث الخيانة الزوجية والزنا والافعال المحرمة . فيقول تعالى فى سورة التحريم الآية (١٠) : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .. فما هى خيانة الزوجتين وكيف خانتا الزوجين ؟ بل هناك تصوير بالغ الروعة ومثير للخيال فى قصة يوسف . يقول تعالى فى الآيات ٢٣ ، ٢٤ : (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) .. لم يتحرج القرآن الكريم اذن لا من ذكر الأعضاء ولا من ذكر الفعل الجنسى ولا من ايراد حكايات الفتنة والغواية والخيانة . فليس في الدين من حرج ، وليس في العلم من حرج ، وليس في التربية الخلقية من حرج ، والفن والقصة من وسائل هذه التربية .

وللمتصنعين يقول ابن قتيبة الدينورى : (أحببت أن تجرى في القليل من هذا - يعنى الترخص في بعض المواقف - على عادة السلف الصالح في ارسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ، ولا تستشعر ان القوم قارفوا و تنزهت وثلموا أديانهم وتورعت) .. ولست أجد عبارة أبلغ من هذه العبارة فى الرد على أصحاب الكذب والنفاق ، الكذب على النفس ، ونفاق المتزمتين من أصحاب المنع وقهر الحياة .. فليس من شك ان (القوم) ونعنى بها البشرية منذ أخرج آدم من الجنة ، ومنذ قتل قابيل أخاه هابيل ، ومنذ خانت امرأة نوح ولوط زوجيهما ، تعيش في صراع أزلى دائم بين الخير والشر ، وبين روح الانسان التى هى من روح الله ، وبين جسد الانسان الذى هو من طين الأرض . ودفن الرؤوس في الرمال لا يخفى عن أحد حقيقة ما يحدث في الحياة من صراع يسجله الفن وتحكيه فنون الأدب . ومن يقرأ كل هذا ويستوعبه لا يقارف اثما ولا يثلم دينا ، أما من ينكره ويتجاهله فهو يتعالى على غيره بدعوى كاذبه ان صدق ، ودعوة مرائية في حقيقتها ..

وللمتحذلقين يقول ابن قتيبة الدينورى : (وكذلك اللحن ان مر بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك أنا تعمدناه وأردنا منك ان تتعمده ، لأن الاعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها .. الا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالأعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ، ولاستبشعها سامعها ، وكان أحسن أحوالها أن يكافىء لطف معناها ثقل ألفاظها) فالترخص أمر يرتبط

بحس الأديب وفهمه لما يقول ، وموافقة الحديث لمجال القول . وهو مقصود لذاته ان كان يضيف الى النص جديدا ، ويقدم له من الطلاوة والرقة ما يتناسب معه ويزيده حلاوة في التلقي ورقة في الدخول الى النفس . وليست المسألة صحة وحسب ، وانما المسألة وخصوصا في النادرة والحكاية ، مدخل الى قلب المتلقي ، ورهافة في التعبير . والترخص هنا ليس جهلا ، بل هو علم فوق العلم ، لأنه يبد من يعلم ويعرف ، ولا يتحرج رغم المعرفة والعلم أن يعطي نفسه الرخصة التي تصله بالقلوب والعقول والأفهام دون حائل . . ومن هنا لم تخالف النصوص الشعبية المكتوبة القواعد ، ولكنها ترخصت قدر الطاقة فخلقت لغة الأدب الشعبي المتداول في كل قطر وكل جيل . لأنها حين ترخصت سهلت وقربت الى النفوس والأفهام .

شاهد الصِّــــدق

وقد أحسن الدكتور محسن مهدى الدارس القادم من الغرب الأمريكي بابراز هذه المقتبسات من مقدمة الامام الدينوري القادم من عمق التاريخ من الشرق العراقي ، فهي أعظم ما يقدم به بين يدي دارسة عن ألف ليلة وليلة ، ونسخة مقارنة محققة ـ على جهد الدارس وطاقته . . هذه الذخيرة الرائعة من ذخائر العربية التي يشرف بها أدبها ويسمو بين الآداب العالمية .

والامام الدينوري صاحب هذه المقتطفات التي جاءت من مقدمته هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قال عنه ابن تيمية (هو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء ، وأجودهم تصنيفا وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف . . وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون ممن استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة .

ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه) . . وقال عنه الخطيب في تاريخ بغداد كان (وثيقة ديِّنا فاضلاً) . .وقال عنه كاتب مقدمة النسخة المحققة التي صدرت في سلسلة تراثنا عن وزارة الثقافة المصرية (أجمع الذين ترجموا لابن قتيبة على أنه كان أحد العلماء والأدباء ، والحفاظ الأذكياء ، وعلى أنه كان إماما في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف) وصاحب عيون الأخبار هذا هو مؤلف : غريب القرآن ومشكل القرآن ، ومعاني القرآن ، وأدب الكاتب وغيرها الى الثلاثمائة مصنف . وقد أسرعت بهذا التعريف حتى لا يقفز المتهمون الى الامام الدينوري نفسه ، فما أكثر ما نؤخذ بجهالة الجُهال ، وتنطع المتنطعين . . فلم يكن الأستاذ محسن مهدى اذن مبعدا عن القصد حين اختار هذه المقتطفات من امام علامة مشهود له بالصدق والأمانة والدين ومعرفة أمر الدنيا معا ، فهو صاحب مؤلفات في الشعر وفي أدب الكاتب وفي النساء أيضا . . والأستاذ محسن مهدى شهادة حية بنفسه اذ أنفق عمره في هذا السفر العظيم الذى أراد به أن يقدم لأمته نسخة قريبة قدر الأمكان ، مما يتصوره النسخة الأم أو النسخة الأستاذ لألف ليلة وليلة . فجمع هذه النسخ في مظانها وقارن وطابق . ثم اختار نسخة أصلية يستند اليها ، ويصححها ويضيف اليها من النسخ الأخرى . وهو جهد يعني أننا دخلنا دنيا العلم المخلص الصادق ، فلسنا نعرف من دارسينا العرب من عنى نفسه كل هذا العناء الذى يشاكل عناء المستشرقين فى موقفهم من ليالينا . . وهى حقا ليالينا أعادها محسن مهدى الينا بسفره الضخم الذى يحتاج الى وقفة خاصة ليس هنا مجالها . . ويكفينا منه أنه كان شاهد صدق وعدل حين احتاجته الليالي ، ويكفينا ان الصدف ساقته الى القاهرة يوم محنة عشقه الأكبر ـ ألف ليلة وليلة ـ ليساندها في قفص الاتهام بجهده الصادق وعرقه المخلص ، وهذه الكلمات الرائعة التي اختارها من الشيخ الامام الحافظ ابن قتيبة الدينوري . . حياه الله ورحم ابن قتيبة الدينوري ، ومد لنا بظل رحمته حتى لا يضيعنا ويضيع تراثنا المتعجلون من شباب لم يقرأ ولم يعرف ، وتصدى لما لا يعرف بضجيج من اللفظ لا يغنى عن المعنى والبقاء ، ولا يحط من تراثنا الفنى ولا يضع من أمر أدبنا الذى شق طريقه من قديم الى معنى العالمية حين عرف العالم ألف ليلة وليلة . ورحمنا الله ان عشنا حتى رأينا ما ينغص عيشنا ويسخر من عقولنا ، ويسفه أحلامنا . . رحمتك بنا يا الهى فأنت خير الراحمين . □

قصة مترجمة

مناسب من جميع النواحي

للكاتبة الانكليزية : جرترود شويتزر
ترجمة : الدكتور عيسى المصو

(طوال حياتي والآخرون يقررون عني ما هو مناسب لي . لكن هذه المرة أردت تنفيذ ما اريد .)

تعرفت على (توني) في نفس اليوم الذى طلب مني (رون) فيه أن أتزوجه .

لكن في الواقع لم يطلب (رون) مني تماما ان اتزوجه فلقد كنا تظاهرنا باننا سنتزوج عندما كان في السابعة وانا في الخامسة . وشاع بين الناس انه يصلح الواحد منا للآخر - فلقد كان طويلا أشقر ، بينما كنت انا سمراء قصيرة القامة .

فالذى قاله (رون) في الحقيقة هو : ألا تعتقدين أن شهر سبتمبر سيكون شهرا مناسبا لزواجنا ؟

اني لم أتعرف على (توني) في ذلك اليوم ، فلقد كنت طريحة الفراش مصابة بزكام ، بينما كان هو في غرفة الجلوس يقيس حجم الموقد ، اذ مضت شهور وابي يتحدث عن تركيب موقد لحرق الاخشاب ، ولكنه لم يتيسر له ذلك ، الا ان شقيقتي (ليبي) التي كانت قد نزلت عندنا في احدى زياراتها نصف السنوية ، عثرت على من يقوم بالعمل ، وها هو ذا الآن منهمك فيه .

قالت (ليبي) : هذا هو (توني ستيفنز) يا (كيم) وهويقول ان المكان صالح تماما لتركيب الموقد فيه .

ولا يستطيع أحد الزعم بأن هذا التعارف هو تعارف حقيقي . فلقد رفع رأسه عن آلة القياس التي كان يستعملها وحياني بكلمة (هاى) فأجبته بنفس الطريقة .

ولو سمع أبي ذلك فربما لم يكن يروق له الأمر ، فكمدرس للغة الانكليزية كان يرغب عن مثل هذا اللون من التحية المقتضبة . وكان ابي يرغب في اشياء كثيرة بعيدة المنال ، ولكن شأنه في ذلك هو شأن الآخرين أيضا ، وكانت (ليبي) تعتقد انه كثير الاحلام ، وانني شديدة الشبه به . وكنت قد بقيت في البيت لأرعى شؤونه بعد موت والدتي ، وسارت الأمور فيما بيننا سيرا حسنا .

وعند قدوم (ليبي) كانت تتولى ادارة المنزل ، الأمر الذى جعلني أدرك مدى التشويش في طريقة حياتنا . لقد كانت شقيقتي متزوجة من أحد المحامين ، وهي تقوم بأعباء مهنتها وبأمور بيتها ، وهي رابطة الجأش دائما ، كما كانت تكبرني بعشر سنوات ، فكانت أشبه ما تكون بمثلي الاعلى ومرشدتي . الا أننا كنا على طرفي نقيض .

سألتني عن موعد زواجي من (رون) ، وذلك في اليوم التالي بعد مجيء (توني) لاخذ قياس الموقد ، اى في اليوم التالي الذى قال فيه (رون) انه يعتقد ان سبتمبر سيكون شهرا جميلا للزواج .

وكنت قد أخبرته أنه لم يبق لسبتمبر سوى أربعة شهور ، وأنني لم أكن أفكر في الزواج بمثل هذه السرعة . وكان ذلك صحيحا ، فلم أكن واثقة تماما أنني كنت بعد مستعدة للزواج .

فطلب مني (رون) بلهجة حازمة ، أن أحسم الأمر حالا .

وكنت قد عقدت العزم على التفكير في الامر ، ولكني الفيت نفسي افكر في (توني) بدلا منه .

ولم يكن في وسعي معرفة السبب ، فلم يكن وسيما ـ وكانت ملامحه كبيرة ولونه ضارب الى السمرة ، ولم يسبق اني سمعته ينطق بشيء سوى تلك التحية المقتضبة . ورغم هذا فانه استحوذ على تفكيري .

وكل ما قلته (لليبي) هو أن (رون) وانا لم نقرر بعد موعد الزواج ، فأجابتني أنها لو كانت مكاني لقررت الموعد ، فمن خطل الرأى اعتبار رجل مثل (رون) وكأنه مضمون .

وكانت على حق بالطبع . كان (رون) حسن الهيئة وكانت له وظيفة مرموقة في احدى شركات التأمين ، فما الذى يحدو بي الى الانصراف عن (رون) والتفكير في رجل لم أره الا دقائق معدودة ؟

وعلى الغداء اشاد ابي (بتوني) مستشهدا بقول صديق له سبق وأن جربه في العمل بأنه صانع ماهر . فاجابته (ليبي) بهدوء انها سبق وان عرفت بذلك قبل استخدامه ووافقها أبي على ذلك ، فهو معجب (بليبي) ، وكان كلانا معجبا بها ، وان كنا نرتاع قليلا من مقدرتها ، وأضاف أبي بانه على كل حال لن يكون بحاجة الى عمل ، فلقد مضى وقت طويل على قريتهم منذ أن كان فيها صانعاً يستعمل أساليب قديمة .

وعندما عاد (توني) بعد ظهر ذلك اليوم لتركيب الموقد سألته هل لازلت تستعمل الاساليب القديمة ؟ فرد بانه يعتقد أن استعمال الأساليب القديمة لا يتساوق مع سنه الصغيرة ، وانه صانع على كل حال ، يحب العمل بيديه ، وانه يتقن ذلك ، وكان في اثناء حديثه يعمل بالمطرقة والازميل دون النظر اليّ .

قلت : لابد وان يكون هذا رائعا ، أما أنا فأبعد ما أكون عن اجادة الاعمال اليدوية ، ولحسن الحظ لا يتبين ذلك في اعمالي ، فانا اعمل مبرمجة كمبيوتر .

وفجأة وجدتني أحدثه عن مواضيع تكاد لا تخطر لي على بال ، فابلغته عن رغبتي السابقة في احتراف الرقص ، ولكن دون ان تسعفني الموهبة ، وكيف أن شقيقتي تدأب على القول انه لا يقدر النجاح الا للقليلات حتى من بين الموهوبات .

قال : ليس تحقيق النجاح هو كل شي ، فعليك أحيانا الاصغاء الى صوت نفسك .

وتفوه توني بهذا الكلام دون التوقف عن عمله بل دون الالتفات إليّ ، وتمنيت لو أنه يلقي نظرة سريعة اليّ على الأقل . غير أنه كان هناك للقيام بعمل ، وخيل الي أنه لم يكن يبدى أي اهتمام بي ، وقسوت على نفسي مرددة اني لن أعيره بدوري أي اهتمام .

لكن ذلك لم يكن صحيحا ، فلم استطع نسيانه ، وعندماجاء (رون) ذات يوم للعشاء وتحدث مع أبي وشقيقتي عن زفافنا ، وكأن كل شيء قد تقرر ، الم بيّ الهلع . فأنى لي ان اتزوج (رون) وانا ما برحت افكر في رجل آخر ؟

قلت : انا لم اقل يا (رون) انني سأتزوجك في سبتمبر . انني لم اتوصل الى قرار بعد . فقد جاء الأمر مفاجئا .

فهقه أبي مرددا : مفاجئا ، ألستما متحابين منذ ثمانية عشر عاما ؟

قلت : لايمكن لطفلة في الخامسة أن تحب .

قال (رون) ساخرا من تصرفي غير المعقول : انها لا تريد الا المعارضة فقط .

ولئن كنت راغبة في الظهور بمظهر الهدوء والاتزان والوقار ، غير أنه لم يسعني الا أن أكرر هذه الكلمات فقط : كلا ـ أنا آسفة ـ لا استطيع ـ احتاج الى وقت ـ واندفعت خارجة قبل ان يستطيع أحد ايقافي .

صعدت الى غرفتي وجلست الى النافذة محملقة في شجرة الخوخ . كان (رون) قد تحداني ان أتسلقها وأنا في التاسعة ، وقبلت التحدى فوقعت عنها ، فجرحت في رجلي ، ولا تزال الندبة الناجمة عن ذلك تذكرني بالحادث . (فلرون) طريقة تجعلني أقوم بعمل الأشياء حتى تلك التي لا أريد القيام بها .

وكنت في العادة أنفذ ما تطلبه (ليبي) مني ، وكانت دائما تفلح في اقناعي بسداد رأيها في كل ما يتعلق بي . ولا مراء أنها الآن يطمئنان أبي في غرفة المائدة ، بانني ساعود الى رشدى كما كان مألوفا ، ولكنهما لم يملكا وسيلة تدلهما على أنني لم أعد نفس الفتاة التي يعهدانها ، وانني لم اعد كما كنت منذ ان تطلع (توني) اليّ وحياني باقتضاب .

قلت : هلا تتوقف عن العمل للغداء ؟

ضرب بمطرقته مسمارا ضربات سريعة دقيقة ثم

التفت لينظر اليّ . كنت أعتقد أن عينيه سوداوان واذ بهما خضراوان اخضرارا غامقا كمياه البحر . وسألني ماذا تريدين ان تعرفي ؟

خطر لي أن أقول انني محبة للاستطلاع ، لكني عزفت عن ذلك أمام هاتين العينين . قلت : فكرت انه ربما استطعنا تناول طعام الغداء معا .

حدجني بنظرة ثم هز كتفيه قائلا : ان غدائي معي ، فاذا أردت أن تحصلي على بعض السندويشات ، واحضارها الى هنا فلا بأس .

قلت : يبدو وكأنك تضن علي بوقتك ، وقد تفضل الانفراد بنفسك .

ـ لا ابدا ، لكني لست متأكدا مما تبغينه ، فلقد سمعت أنك مخطوبة منذ نعومة أظفارك .

ـ ان الامر في بلادنا يختلف عما هو عليه في البلاد الأخرى . فلا يخطب الأطفال هنا ، وعلى كل حال فالامر مجرد غداء .

قال : لا ادرى اذا كان الأمر موقوفا على الغداء ، فلقد أميل اليك كثيرا أثناء الغداء ، وبعد ذلك قد يظفر بك هذا الرجل الآخر . وابتسم لأول مرة ، ولم يكن في ابتسامته شيء غير عادى ، ولكني شعرت وكأنه قدم الي هدية .

ليست عندى فكرة عما أكلته على الغداء . وجلسنا على لوح خشبي في نور الشمس وتحدثنا عن أنفسنا ، ولكني لا استطيع تذكر الكثير مما قيل . الا أنني أتذكر باني أخبرته أن (رون) مجرد صديق عرفته طوال حياتي ، وبدا الأمر صحيحا عند النطق به .

ولم أعرف الآن ، وأنا جالسة في الظلام بعد ان فجرت مشاعرى في غرفة المائدة ، اذا كان الأمر صحيحا أم لا . فلقد كان يخيل الي دائما أنني أحب (رون) ، ولكن هل يمكن ان انجذب في الحال (لتوني) اذا كنت أحب شخصا آخر ؟

صعدت (ليبي) الدرج أولا ، وقرعت الباب ، ودخلت قبل أن تنتظر مني دعوتها . واشعلت النور ووقفت تحدق بي النظر .

قالت : ما الذي المّ بك يا (كيم) ؟ الا تدركين كم أنت محظوظة للحصول على (رون) ؟

قلت : لا أعرف ان كنت أحبه في الحقيقة أم لا .

ـ ما الذى تقولينه ؟ لقد تحاببتما منذ طفولتكما .

ـ لقد نشأت وأنا أعتقد ذلك ، ولكنني الآن لست واثقة من صحة الامر .

ـ ولكن يا (كيم) انك لم تلتقي الى أى شخص آخر و (رون) تتمناه كل امرأة ، فهو مناسب لك من جميع النواحي .

قلت : كنت اعتقد دائما أنك تعرفين ما الذى يناسبني يا (ليبي) . ولكني أعتقد أنه لا يستطيع أحد سواى أن يعرف ذلك .

وقبل أن تجيب قرع (رون) الباب ، وخرجت (ليبي) وهي تهز رأسها .

قال (رون) : ما معنى هذا الأمر كله يا (كيم) ؟ لقد كدرت أباك وأختك تكديرا عظيما .

ولم يقل انني سببت له كدرا . انهما يوافقاني بخصوص سبتمبر . من غير المعقول ان تصري على ان الموعد قريب جدا .

قلت : ليس لأبي أو لأختي أية علاقة بهذا الأمر . فاذا قلت انني بحاجة الى المزيد من الوقت فليس لأحد أن يدحض ذلك . وجلست منتصبة وقد بدأت أشعر انني أطول مما كنت عليه عادة . وأضفت : حتى ولا أنت يا (رون) .

تقطب وجهه . وعندما تحدث كان صوته قد تغير . قال : لقد كنت دائما فتاة معقولة ، وهذا العناد لا يليق بك . واستدار ذاهبا وهو يقول : اذا صممت على انك لا تقصدين ما تقولين وانك تريدين الزواج في سبتمبر كلميني هاتفيا .

وكان في طريقه نحو الباب عندما قررت أن أعلمه بكل شي . قلت بهدوء : اعتقد انني بدأت أحب شخصا آخر يا (رون) .

تحول نحوى محملقا قائلا : ماذا تعنين ؟ من ؟

ـ رجل يدعى (توني ستيفنز)

بدا الشك عليه ، وكأنه يعتقد أنني أختلق الأمر كله .

قال : حسنا ، لايزال في وسعك أن تكلميني هاتفيا اذا عدت الى رشدك .

وحين أغلق الباب وراءه رجعت الى النافذة ، والآن بعد أن تحدثت بكل ما امكنني من حزم ونزاهة ، المت بي قشعريرة . ان جميع ما يترتب على عمله بالطبع هو أن أحدث (رون) هاتفيا قبل فوات الأوان ، وأن أحيطه علما بانني لم اكن اعني ما قلته ، الا ان عملا كهذا كان خارجا عن ارادتي .

وكلمني (توني) هاتفيا في مساء اليوم التالي ، ودعاني للذهاب الى السينما فقبلت دعوته .

وفي منتصف الفيلم أمسك بيدي ، وبعد ذلك لم أدر ماذا حدث على الشاشة . وبعد انتهاء الفيلم تمشينا نحو مطعم صغير ، وقد عوض (توني) عن الأوقات التي لم يكن ينظر فيها الي ، فما انفكت عيناه تطيلان النظر الي .

قال : لم أكن متأكدا ان كنت ستخرجين معي ، فقد كنت أظن أن ذلك اليوم الذي اتيت فيه الى مكان عملي ، وتغدينا معا ، كان تعبيرا عن مجرد هوى من الأهواء . وابتسم تلك الابتسامة التي هي أشبه بالهدية .

قلت : لست متأكدا من نفسك ، أليس كذلك ؟

اجاب بعد هنيهة : انني متأكد من عملي ، وعن الكيفية التي أريد أن أعيشها ، ولكني لست واثقا من النساء . لقد كنت على وشك الخطوبة ذات مرة من فتاة ، ولكنها آثرت الزواج من أحد المحاسبين بدلا مني ، ولست أريد أن يحدث لي ذلك مرة أخرى .

وبدا لي وأنا أوافقه على قوله أنني كنت أعده بشيء ما . وقبل أن يطلب مني توضيحا قلت : هل لي أن أعرف كيف تريد أن تحيا حياتك ؟

أجاب : براحة وشرف مع من أحب ، نقوم بعمل الأشياء التي نحبها ، مقتربين بعضنا من بعض مع وجود بعض المسافة بحيث يستطيع كل منا تأكيد ذاته ، واستطرد بهدوء : اعتقد أن على الرجل ان يقوم بما يريد عمله حتى لو لم يدر عليه ذلك ربحاً وفيرا ، وللمرأة أن تحترف المهنة التي تشاء .

وافقته على رأيه وأنا أعي هذه المرة حقيقة ما ذهب اليه .

وعندما عدت كان (رون) في غرفة الجلوس في البيت مع (ليبي) وابي . ففوجئت به الى حد لم أشعر معه أكنت مسرورة أم آسفة لحضوره ؟

قال موضحا الموقف : لم آت لأراك يا (كيم) ، وانما جئت لاتحدث مع أبيك .

قال أبي : أخبرني (رون) أن هناك شيئا بينك وبين (توني) ، فهل هذا صحيح ؟

قلت بلهجة لاذعة : ذهبت مع (توني) لمشاهدة أحد الأفلام ، ان كان هذا هو ما تقصده بقولك انه يوجد شيء بيننا .

قال (رون) : هل سمعت ؟

وتنهد أبي وسأل : لماذا ؟ يا (كيم) ؟

وجلست على الأرض قرب مقعده واخذت يده قائلة : يا أبي لست واثقة اذا كان بامكاني أن أفسر .

قال (رون) قبل أن أنهي حديثي : تعتقد انها تحبه .

قالت (ليبي) : ان ذلك يبعث على الضحك ، فلقد عشت دائما مع اناس يستعملون ادمغتهم في عملهم . فكيف تتخيلين انك تحبين صانعا ؟ انك نسجت حلما رومنسيا من شيء مستحيل كرغبتك في احتراف الرقص .

قلت : الرقص ؟ اجل ولكن ان لي أن أعرف ان كان ذلك ممكنا .

ونظر أبي الي مندهشا ، وأدركت عندئذ انه سمح (لليبي) ان تقنعه كي لا أحترف هذه المهنة .

أما بالنسبة الى (رون) و (ليبي) فبدا عليهما أنهما لم يسمعا ما قلت .

سألها (رون) : ماذا تعتقدين فيما دار من حديث بيننا ؟ سعر المسامير ؟

وادركت حينذاك انني لم اكن احبه ، وان الذي كان بيننا لم يكن حبا .

قلت له بلهجة جعلتها ألطف ما يكون : (رون) اعتقد ان من الأفضل لك أن تذهب ، فانني أريد أن أحدث والدي على انفراد .

فنهض في الحال للذهاب وقال مخاطبا والدي : انها تعتقد جادة أن في هذا الرجل شيئا خاصا .

لاتنس مطلقا اى نوع من الرجال هو هذا الرجل .

وكرر أبي حال مغادرته الغرفة : أى نوع من الرجال هو هذا ؟ وهل يقصد رجلا يعمل بيديه ؟

ونزع ابي نظارته محملقا في الفضاء بنظرة حالمة وقال : قضيت ذات مرة في طفولتي فصل صيف بكامله مع رجل يعمل بيديه ، كان مزارعا ، ولم انسه ابدا ، فقد كان يعرف ما هو جدير بمعرفته أكثر من أي رجل صادفته .

قلت : انتظر حتى تلقى (توني) .

وبدأت (ليبي) الحديث قائلة : اصغي الي يا (كيم) يا عزيزتي ـ ولكني قاطعتها قائلة : لا يا (ليبي) ليس هذه المرة ، في هذه المرة سأصغي الى صوت نفسي .

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

عقار جديد للقلب

يعتبر انسداد الشريان التاجي وموت أو تلف العضلة القلبية بسببه في طليعة العلل التي تؤدي الى النوبات القلبية القاتلة في الغرب ، وقد بلغ عدد الذين يلقون حتفهم تبعا لذلك ٣٠٠،٠٠٠ نسمة سنويا ـ وذلك في الولايات المتحدة وحدها .

ويوضح الرسم المرافق الشريان التاجي والعضلة القلبية ويظهرهما سويين في أعلى الرسم ، ومعتلين في أدناه ، لاحظ الشريان المغلق والعضلة التالفة (المظللة) .

وقد تم تطوير عقار لمعالجة الذين تنتابهم نوبات قلبية من هذا القبيل ، ويطلقون على هذا العقار اسم (t-pa) ويعطى الى المصابين أثناء النوبة .. فيعمل على التخلص من التجلط الذي في داخل الأوعية الدموية المتصلة بالقلب .. واجريت تجارب عديدة على العقار الجديد ، وأصاب من النجاح نسبة لايستهان بها ٧٢ ـ ٨٠٪

ويتميز العقار الجديد على سائر العقاقير التي تعمل على تسليك الجلطات مثله في أنه يتم تناوله بواسطة القسطر في الوريد .. خلافا للعقاقير الأخرى التي يتم تداولها بواسطة القشتر ..

والجدير بالذكر ان العقار الجديد من ثمار الهندسة البيولوجية . وقد طورته شركة Genentech الأمريكية .

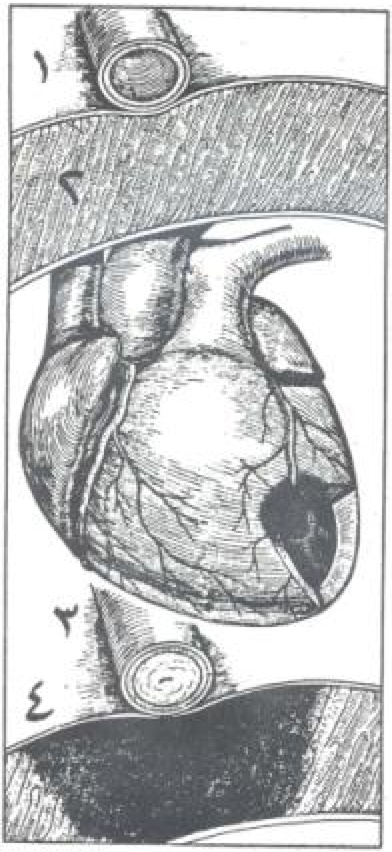

١ ـ الشريان التاجي السوي
٢ ـ العضلة القلبية السوية
٣ ـ الشريان التاجي المغلق
٤ ـ العضلة التالفة

الصلع ثانية

ماأكثر ما كتبنا عن الصلع وعن العقاقير التي استحضرت لعلاجه .. وما أكثر ما كتب لنا القراء ، يطلبون المزيد من المعلومات عن تلك العقاقير ، وعن الجهات التي تنتجها ، وبلغ من كثرة ما كتبوا أننا عجزنا عن الرد عن استفساراتهم .. لاسيما وأننا نضمن الخبر الذي ننشر كل مالدينا من معلومات حوله ، بما في ذلك عنوان الشركة المنتجة ان كان قد وردنا عنوانها .

والخبر الجديد الذي نقدمه اليوم ظهر أول ماظهر في تقرير نشرته مجلة نانشر العلمية ، في أحد أعدادها الصادرة في مطلع هذه السنة (في شهر مارس بالتحديد) ومفاده أن عالمين اسكتلنديين قد نجحا في زرع خلايا الشعر الجلدية التي توجد تحت منبت الشعر مباشرة ، والتي تعرف باسم الحليمات الجلدية Jermal Papillae ، فهذه الخلايا تتحكم بنمو الشعر بحيث يتوقف نموه تماما في حالة انتزاعها من مكانها ، ثم يعود الى النمو ثانية لدى اعادتها الى مكانها .. وتستطيع هذه الحليمات - اضافة الى ذلك - ان تعمل على تكوين منابت شعر جديدة في مواقع جرداء لم يكن فيها شعر ولامنابت .

ونجح العالمان في زرع هذه الخلايا في انابيب المختبرات وفي استنباتها بكميات كبيرة .. وأجريا من التجارب على الخلايا الجديدة المستنبتة ما أكد قدرتها على اخصاب منابت الشعر وكأنها خلايا شعر أصلية .

الا أن هذه التجارب أجريت على خلايا الفئران ، وليس ما يحول دون استنبات خلايا شعر انسانية .. فاذا اثبتت هذه فاعليتها كخلايا الفئران كان في مقدور العلماء اكتشاف الأسباب التي تؤدي الى الصلع .. او الى فقدان خلايا الشعر فاعليتها أصلا .. وكان في استطاعتهم القضاء على الصلع بعمليات بسيطة ، تزرع فيها خلايا شعر فعالة .

حرب النجوم .. ماهي ؟

حرب النجوم كانت - ومازالت - موضع اهتمام الجميع .. في الغرب وفي الشرق . كبارا وصغارا فهي تثير اهتمام الصغار بقدر ما كانت موضوعهم المحبب بين مواضيع الخيال العلمي التي طالما شاهدوها على شاشة التلفاز والفيديو . وهي تثير اهتمام الكبار بقدر ما تبعث على حب استطلاعهم ..

فما هي حرب النجوم التي تتعدى تكاليفها حدود الخيال ، والتي تضمن للعالم الغربي الحماية والوقاية من الصواريخ السوفياتية النووية كما يؤكد الامريكيون ، والتي تؤدي لتفاقم سباق التسلح كما يؤكد السوفيات .. ؟

على أننا لانطمع هنا الى أكثر من ايضاح مقتضب جدا لفكرة هذه الحرب ، مستعينين على ذلك بالرسم الذي وضعه الخبراء بقصد هذا الايضاح ..

ولعل أول مايذكر عن حرب النجوم هو ان اسمها هذا هو الاسم الذي اطلقه عليها الكتاب والصحفيون .. أما اسمها الرسمي فهو : « شبكة الأسلحة الفضائية المضادة للصواريخ والقذائف النووية » فهي اذن لاعلاقة لها البتة بالنجوم أو .. بالكواكب البعيدة في أغوار الفضاء .. انها مجرد أسلحة متطورة مضادة تطلق من الفضاء ، أو من الارض لتعرقل أسلحة أخرى متطورة اطلقت هي الأخرى من الفضاء ، أو الارض ، ولتبطش بها في الفضاء وقبل اصابتها الأهداف .

وأولى الأسلحة المضادة هي أسلحة الليزر الأرضية التي تطلق أشعتها الى الأفق وفق توجيه مرآة خاصة يحملها قمر صناعي (٢) و(٣) .

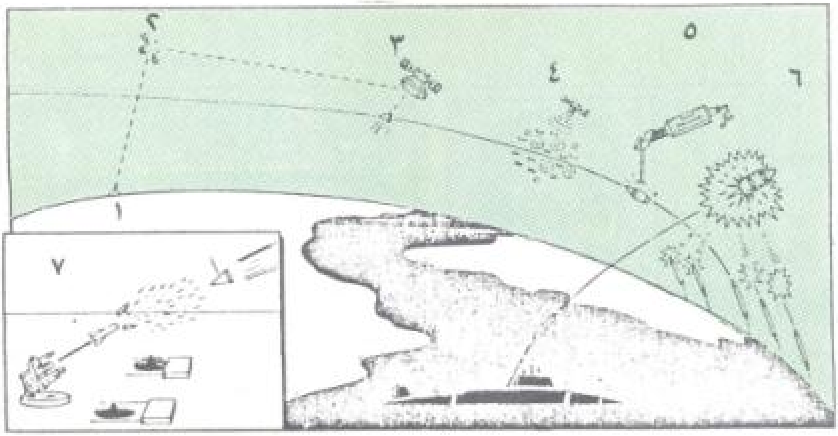

ولما كان من السهل تدمير هذا القمر الصناعي الراصد (٤) وذلك بواسطة أقمار كاذبة خادعة ، أو عن طريق التشويش الراداري .. كان لابد من وجود سلاح مضاد ثان غير نووي كأشعة ليزر الكيماوية(٥) ، والأشعة النيوترونية وما الى ذلك .. على أن يكون هذا السلاح في مداره في الفضاء ليرد على غارة العدو دون أدنى تأخير ..

ولكن الرؤوس النووية المعادية قد تكون مطلية بما يفقد ذلك السلاح المضاد الثاني الكثير من فاعليته .. في تلك الحال يدخل المعركة السلاح المضاد الثالث ، اشعة ليزر السينية (٦) التي تطلقها الغواصات وما اليها من أعماق البحار ، أو من على سطح الأرض .. وهذه الأشعة بالغة الفاعلية ، بحيث يستطيع الشعاع الواحد منها تدمير عشرات الصواريخ ..

أما اذا نجح الصاروخ المهاجم في تخطي كل هذه الأسلحة واقترب من أهدافه فلابد في تلك الحال من اطلاق قذيفة الشظايا (Shrapnel) على ذلك الصاروخ (٧) بما يكفل القضاء عليه .

الجديد في علاج مرض السكري

هذه طريقة جديدة في معالجة مرض السكري .. اجري تجاربها وتعاون على تطويرها فريقان من العلماء الاطباء .. فريق جامعة واشنطن في سانت لويس وفريق جامعة كولورادو للعلوم الصحية في دنفر ... والطريقة الجديدة هي الاخرى تقوم على الزرع .. ولكن زرع بعض خلايا البنكرياس وليس كله . والخلايا المقصودة هي تلك التي تفرز الانسولين (Islets Cells) . فقد تبين أن زرع خلايا سليمة محل الخلايا التالفة كفيل بحصول الجسم على ما يحتاجه من الانسولين بصورة طبيعية ..

وتضمن الخلايا الجديدة ايضا رصدا متواصلا لمحتويات السكر في الدم بحيث يزيد افراز الانسولين اذا زادت تلك المحتويات والعكس بالعكس ..

وقد جربت هذه الطريقة في الحيوانات فكانت نتائجها طيبة .. وستجرب عما قريب في الانسان . يقول الدكتور انطوني موناكو ، رئيس قسم زراعة الاعضاء في مستشفى نيوانجلند في بوسطن ، يقول « لا شك ان التجارب التي ستجريها على الانسان ، في غضون شهرين ، ستنجح مثلما نجحت تجارب الحيوان » .

مكتشفون ومخترعون

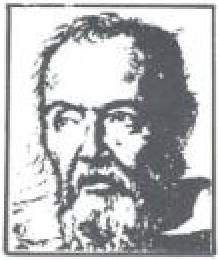

جاليليو
١٥٦٤ - ١٦٤٢م

يحتل جاليليو جاليلي مكان الصدارة بين رواد العلم الحديث جميعا .. فقد كان ذا فضل كبير في اثراء المعرفة البشرية وتوسيع مدارك الانسان .

ولد فى بلدة بيزا الايطالية .. حيث البرج المائل الذى طالما تردد عليه جاليليو فى صباه ، والذى القى من فوقه حسبما تزعم الرواية ، بأجسام ذات أوزان مختلفة ليقيم الدليل على أن تلك الاجسام تصل الى الارض فى وقت واحد .

والتحق جاليليو بالجامعة لدراسة الطب .. ولكنه مالبث أن انصرف عن الطب واقبل على دراسة الرياضيات ، وذلك إثر درس اتفق له ان يسمعه فى الهندسة .. غير أن ظروفه المادية حالت بينه وبين مواصلة الدراسة الجامعية .

وما أسرع ما انطلق جاليليو فى كتابة الكتب .. وما أسرع ماتجلت مواهبه الفذة فى تلك الكتب .

ويعجب المرء كيف اتسع وقت جاليليو لاختراع ميزان الحرارة الرائد ، الذى عمل بالغاز لقياس حرارة الهواء .. أما المرقب (التلسكوب) فلم يكن من ابتكار جاليليو ، بل انه سمع عن اختراعه فى هولندة ، فما كان منه الا أن أعاد تصميم المرقب الهولندى وحسنه فى يوم واحد .. ثم وجهه الى السماء لمراقبة أجرامها ، فكان أول فلكى راقب النجوم والكواكب بمنظار .. وكان أول فلكى رأى أقمار وحلقات الكوكب زحل ، ولاحظ تحركات بقع الشمس .. فوجد فى تحركاتها دليلا على صحة نظرية كوبر نيكوس .

على أن هذه النظرية لم تكن بحاجة الى دليل فى نظر جاليليو ، وقد اعتقد منذ شبابه أن الشمس لا الأرض هى الثابتة ، وان الأرض وسائر الكواكب الأخرى هى التى تدور حول الشمس .

ولطالما شعر جاليليو بحماسة فائقة لنشر تلك الحقيقة .. الا أنه أحجم عن ذلك نظرا لانها تناقض نظرية بطليموس ، وتتعارض وتعاليم الكنيسة .. وآثر عدم الكتابة فيها قبل ترخيص البابا بذلك ، والا اضطهد واتهم بالهرطقة ..

وجاءت موافقة البابا الصريحة سنة ١٦٢٤ ، فكتب جاليليو كتابه الشهير « حوار بين النظامين الرئيسيين : نظام بطليموس ونظام كوبرنيكوس » .. وقد تميز هذا الكتاب بروح النزاهة والوضوح ، وروعة التعبير ، حتى اعتبر من روائع الفكر والعلم والأدب .

ولم يكن من الصعب التعتيم على موافقة البابا ، وقد ظهرت فجأة وثيقة أخرى زعمت ان الفاتيكان حذر جاليليو من نشر كتاب الحوار ....

وهكذا مثل جاليليو أمام محاكم التفتيش ، وقد هددته بالتعذيب مرتين ، فاضطر الى الاعتراف بأنه مذنب .. فأدين بالزندقة ، وحكم عليه بالاقامة الجبرية فى منزله . وأمضى السنوات الثمانى الأخيرة من حياته وهو سجين منزله ، وتوفى سنة ١٦٤٢ عن عمر يناهز ٧٨ سنة .

وتجدر الاشارة الى أن جاليليو لم يتوقف عن الكتابة فى فترة سجنه ، بل انه ألف فيها أحسن كتبه !

بقى أن نذكر أن جاليليو كان بريئا مما اتهم به ، وان الحكم الذى صدر بحقه كان جائرا .. هذا على الاقل هو ما اعلنه البابا الحالى قبل سنة ونيف .. اى أن جاليليو برىء ، ولكن بعد موته بثلاثة قرون □

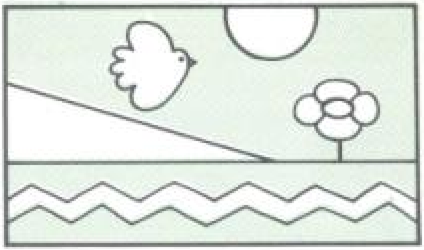

سلامة البشرية فى سلامة البيئة

سمك السالمون والتوازن البيئي ..

سمك السالمون غنى عن التعريف .. انه السمك الذى يقضى طفولته فى الأنهار ، حتى اذا بلغ طوله ٥ ـ ٦ بوصات .. وعمره بضع سنوات انطلق الى أعالى البحار ، الى حقول غذائه المفضل ، وقد تبعد هذه الحقول مئات الأميال أو آلافها ، وقد يقضى السمك فيها عدة سنوات .. ولكنه يعود الى مواطنه الأصلية فى الأنهار ، ويبدأ رحلة عودته فى فصل الربيع .. فتلك هى قصة سمك السالمون .. سالمون المحيط الأطلسى وسالمون المحيط الهادى وهو أكبر حجما ..

ولما كانت مواعيد رحلات السالمون معروفة تماما لدى الصيادين ، ولما كان لحمه مستطابا ، كان حرصهم على التربص له وصيده فى أماكن معينة ، ومواعيد مفضلة .. الا أنهم تمادوا فى صيدهم وتجاوزوا الحد الذى يصبح بعده الصيد جائرا ..

ولم تغفل السلطات المعنية بالأسماك أو التوازن البيئى عما حدث .. فقد بلغ مجموع ما صادوه من سمك السالمون فى أنهار اسكتلندة وحدها ١٥٧١ طنا ، وذلك فيما بين سنة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ .. ثم هبط ذلك المجموع ونقص بنسبة ٣٠٪ تقريبا ، حتى بلغ ١١٨٤ طنا خلال الفترة ١٩٧٦ ـ ١٩٨١ .. ، وقد حدث مثل ذلك النقصان فى كندا والنرويج وايرلندة وغيرها ، حتى أصبحت جموع سمك السالمون العالمية مهددة .

ونقصت تلك السلطات أسباب هذا النقصان ، فوجدته فى الصيد الجائر الذى قام به صيادو جزر الفَروز .. وهى الجزر التى تقع فى شمال الأطلسى ، وتتمتع بحكم ذاتى مرتبط بالدانمرك .. فقد تضاعف مجموع ما صادوه بين ١٩٧٨ ـ ١٩٨٠ عشرة أضعاف ، حتى بلغ ١٠٠٠ طن سنويا .. ولعلهم لم يجدوا غضاضة فى ذلك ، نظرا لان جزر الفروز لم توقع على أي من الاتفاقيات الدولية التى تحدد الكميات التى يسمح بصيدها من السمك السالمون ، تحاشيا للصيد الجائر .

لا عجب اذن أن ضغطت مجموعة الدول الاوروبية العشر على جزر الفروز ، وحملتها على التوقيع على معاهدة تلزمها بحدود تقف عندها فى صيد سمك السالمون ، وهى ٧٥٠ طنا خلال موسم ١٩٨١/٨٢ و ٦٢٥ طنا فى المواسم التى تليه ..

أضف الى ذلك أن بعض الدول المعنية حظرت على صياديها صيد سمك السالمون في رحلة عودته الى الأنهار .. باعتباره صيدا جائرا مهما قلت كمياته .. ولعل من أهم ما ضمن لسمك السالمون الاستمرار وعدم الانقراض ، حقول تربيته الكثيرة .. وقد بلغت حصيلة هذه الحقول في اسكتلندة وحدها ٢٠٠٠ طن سنة ١٩٨٢ ، ثم تضاعفت حتى بلغت ٤٠٠٠ طن سنة ١٩٨٥ . □

الضوضاء .. جهاز الستيريو .. أهم أسبابها

تعتبر الضوضاء ملوثا من ملوثات البيئة ، ولعلها من أسوأ الملوثات اطلاقا ، فهي تسبب ارتفاع ضغط الدم .. وتعكر صفو حياة الانسان النفسية ، وتحد من قدرته على الدراسة واكتساب العلم ، ناهيك عن الأذى الذى تحدثه لحاسة السمع .

فقد دلت آخر الابحاث على أن الضوضاء من شأنها أن تفتك بخلايا الشعر ، او تقضى عليها ، فتحدث الطنين المتواصل في الأذن ، هذا اذا لم تؤدّ الى الصمم الدائم او المؤقت على الأقل .

والجدير بالذكر أن خلايا الشعر التى توجد في الأذن العميقة ، والتى تتحرك ذات اليمين وذات الشمال لدى وصول الصوت اليها ، هي التى تمكن الانسان من سماع الأصوات ، اذ أنها تفرز مادة كيماوية ، وترسلها الى الألياف العصبية ، وتكسب هذه الالياف القدرة على حمل الرسائل السمعية وايصالها الى المخ .

وأفادت تلك الأبحاث أيضا أن ضوضاء ٤٦ ديسبيل كافية لاحداث الأرق .. وأن ضوضاء ٦٥ ديسبيل تسبب تلفا للمخ في الحيوانات ، فيما لو استمرت ٢٤ ساعة أو تزيد .

ولعل الستيريو هو أسوأ مصادر الضوضاء كما دلت دراسات أخرى حديثة .. قام بها أحد علماء جامعة يوا المختصين .. ذلك أن ضوضاء الستيريو ممزوجة بعذوبة الموسيقا ، وهكذا يتلقى عشاق الستيريو السم والدسم في آن معا .. فهم معرضون لفقدان سمعهم جزئيا أو كليا اذا واصلوا الاصغاء للستيريو ثلاث ساعات يوميا لفترة من الزمن .. وكانت ضوضاء الستيريو بمعدل ١٠٠ ديسبيل أو تزيد .

بقى أن نذكر أن وكالة الطيران المدنية في الولايات المتحدة (FAA) نجحت في حمل الطائرات على الحد من ضوضائها بنسبة ٥٠٪ ، وذلك في آخر ميلين تقطعهما قبل الهبوط ، وأول ميلين تقطعهما بعد الاقلاع .. وأن مدينة نيويورك وضعت قانونا ضد الضوضاء ، وفرضت غرامات على المخالفين تبلغ الواحدة منها ٢٥ دولارا كحد أدنى .. وقد حذت شيكاجو وسان فرنسيسكو ومدن أمريكية أخرى حذو نيويورك . □

الضوضاء فئات .. تتفاوت من حيث حدتها التى تقاس بالدسيبل وتختلف من حيث أثرها على الانسان .

	د سيبل
قد تحدث أذى طويل الأجل لسمع الانسان	٧٥ فما فوق
تسبب الأرق وتمنع الحوار	٧٠ - ٧٥
احتمال الأرق ومنع الحوار .. والنوافذ مقفلة	٦٥ - ٧٠
احتمال الأرق ومنع الحوار .. والنوافذ مفتوحة	٦٠ - ٦٥
قد تسبب الازعاج للنائم .. والنوافذ مفتوحة	٥٥ - ٦٠

ملاحظة : الدسيبل هو الاسم الاصطلاحى الذى أطلقوه على الضوضاء ، بل على الوحدة التى يقيسون بها الضوضاء ، ورمز الدسيبل هو (d B A)

الرصاص .. أسوأ الملوثات جميعا

قررت وكالة البيئة فى الولايات المتحدة الأمريكية الحد من محتويات الرصاص فى بنزين السيارات بنسبة ٩١٪ ، وذلك اعتبارا من سنة ١٩٨٦ .. وحظر تلك المحتويات نهائيا وذلك بعد سنة ١٩٩٥ .. ومعنى هذا أن هذه القيود ستسن فى قوانين اتحادية ، وتلزم بتنفيذها كافة الولايات الخمسين .. غير أن مجلس مدينة شيكاجو استبق الحوادث ، وقرر تحريم البنزين المرصرص على الفور ، واعتبارا من شهر ديسمبر الماضى (١٩٨٤)

ويتساءل المرء عما اذا كان الرصاص ـ بكمياته الضئيلة التى توجد فى البنزين ـ يحدث بالفعل أضرارا بالغة تبرر كل هذه الضجة وكل هذه الاجراءات التى نقرأ عنها كل يوم تقريبا ، والتى لا تقتصر على الولايات المتحدة ، بل تتعداها الى ألمانيا وبريطانيا واليابان ودول أخرى كثيرة .. ترى ما هى أضرار الرصاص على وجه الدقة ؟ نعنى الأضرار التى أثبتتها دراسات علمية جادة ودقيقة ..

وأول ما يذكر من هذه الأضرار تلك التى تصيب الأطفال البالغين من العمر ١ ـ ٣ سنوات ، فهم أكثر الناس عرضة لأثر الرصاص الدائم وضرره المقيم .. فوجود الرصاص فى دمهم بنسبة تزيد على ١٥ ميكروجرام كفيل باضعاف أسنانهم والحد من ذكائهم ..

وقد أثبتت الدراسات المسهبة الترابط الوثيق بين نتائج الأطفال فى امتحان الذكاء ، وبين الارتفاع فى محتويات الرصاص فى دمهم .

على أن الأجنة معرضة هى الأخرى لضرر الرصاص .. فقد أثبتت التجارب التى شملت ٥١٨٣ جنينا أن ١٠ ميكروجرام رصاص فى حبل الجنين السرى كافية لاحداث تشويه دائم فى ذلك الجنين .. وهى كفيلة أيضا بامتناع احدى خصيتيه على الهبوط الى مكانها الطبيعى .

أما فى الرجال فقد أكدت الدراسات أن ٣٠ ميكروجرام رصاص فى الدم كفيلة باصابة الرجل

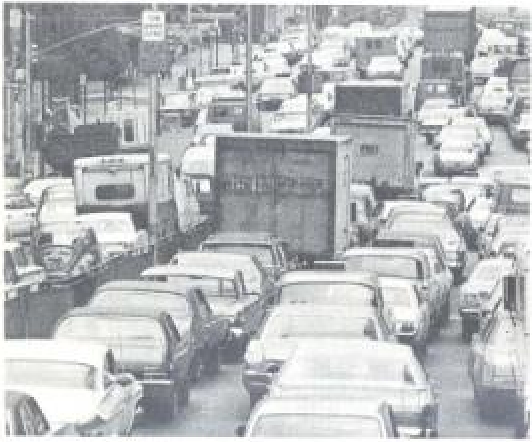

بارتفاع ضغط الدم .. وقد لا تزيد محتويات الرصاص على ١٥ ميكروجرام ، وفى تلك الحالة يكون الرجل عرضة لفقدان بعض قدرته على التعلم .. ذلك أن تلك الكمية من الرصاص كافية ، على ضآلتها ، لاحداث تغيرات فى موجات المخ البطيئة ..

وترجع دراسات أخرى أثر الرصاص المدمر فى قدرة الرجل على اتخاذ القرارات .. وقد تجلى ذلك الأثر فى تصرفات عدد لا يستهان به من أباطرة الرومان ، حتى اتهم بعضهم بالجنون وبعضهم الآخر بالعته أو الصرع أو ما الى ذلك .. ويذهب بعض العلماء والمؤرخين الى أن الرصاص هو الباعث على اتخاذ القرارات الخاطئة التى اتخذها اولئك الأباطرة ، والتى أدى بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى سقوط الامبراطورية الرومانية بأسرها .

ولعل أخطر ما يذكر عن الرصاص هو أنه اذا دخل الجسم بقى فيه .. اذ لا يلفظ الجسم منه سوى ١٠٪ تقريبا ، أما البقية ٩٠٪ فتستقر فى العظام غالبا ، ثم تتسرب الى الدم بين حين وحين . □

استراحة العربي

نصف كلمة :

عجبت لرجلين في قارب .. جهد الناس في التفريق بينهما حتى صمم كل منهما ان يبتعد عن الآخر جهده ، وجلس أحدهما عند مقدمة القارب بينما الثاني في مؤخرته ، ثم هبت ريح عاصفة هوجاء،واصطدم القارب بصخرة خرقت القاع فتسرب منه الماء ، وبدلا من ان يتعاون الرجلان في سد الخرق تركا القارب يشرف على الغرق . وزعق الذي عند المؤخرة مناديا النوتي على الشاطيء يسأله أي طرفي القارب يغرق أولا ؟ فلما أخبره النوتي بأنه يرى أن المقدمة تغوص قبل المؤخرة .. قلّب كفه ظهرا لبطن .. وهو يقول :

- لن يكون الموت بغيضا الى نفسي .. مادام الآخر سيهلك قبلي ..!

***

كلمات :

* بعض الناس يحسبون أنهم يبيّضون صحائفهم بتسويد صحائف الآخرين .
* من قاد نفسه اقتاد الشعوب .. ومن قادته نفسه غمرته العيوب،وابتلعته الخطوب .
* لو كان الناس كلهم عقولا .. لخربت الدنيا ..
* البياض ناصع كالحقيقة .. تعلن عن وجودها بلا تستر ولاغموض والسواد صريح كالمنطق .. لايلتوي ولايدور .. انما يمضي كالصراط .

حكمة :

«الذي يولد ليزحف .. لايستطيع أن يطير» .

حكاية :

مر رجل في الطريق بثعبان كاد يتجمد من البرد .. واخذته به الشفقة .. فتناوله من الارض ووضعه في جيب ردائه .. فلما احس الثعبان بالدفء دبت فيه الحياة وتنبهت الغريزة .. فعض الرجل الذي أحسن اليه ونفث فيه السم ليموت ... !

***

صورة :

التعامل مع الناس فن له قواعد وأصول .. ولكن يظل أبرز مقومات هذا التعامل أن تكون انسانا مع الناس ... فالمعاملة الانسانية ... معناها الالفة مع الذين يحيطون بك .. ومعناها أيضا أن تأخذ وأن تعطى .. فالحياة أخذ وعطاء متبادل .. تؤثر في الناس .... وتتأثر بالناس .. وبالحياة .....

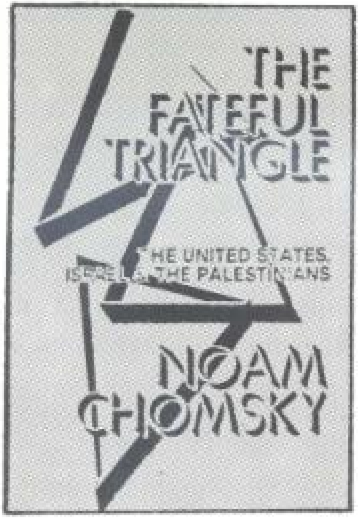

مُثَلث الشؤم

تأليف : نعوم تشومسكي

عرض : نبيل ابراهيم

يمثل نعوم تشومسكى عالم اللغويات اليهودى البولندى الأصل ظاهرة شاذة بالنسبة للأوساط الصهيونية ، فمن قلب امريكا داعمة اسرائيل وحاميتها ، يرتفع هذا الصوت ليقول جزءا من الحقيقة حول أطراف الصراع الثلاثة فى منطقتنا العربية ، ولكن لأن الصهيونية عدوة الحقيقة فقد اعتبرت الكاتب والكتاب معادين لها .

فيما يلى عرض للكتاب الذى عادته الصهيونية وقبله العرب لأنه يعرض جانبا من الحقيقة .

كتاب الشهر

لقد قيل وكتب الكثير عن غزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ ،ونُسي الكثير واختفت الافتتاحيات الجذلة الصاخبة حول « تحرير » لبنان وحول « الفرص الجديدة » للسلام التي تنبعث من وسط الموت والدمار . واختفت تبريرات بيغن الخادعة خلف « عملية السلام من أجل الجليل » مع توكيداته القاطعة بأن اسرائيل لم تطمع ببوصة من الأراضي اللبنانية كما ذهبت أميال شارون « الخمسة والعشرون » التي أعلنها هدفا عسكريا ، الى جانب أكاذيبه الأخرى أمام عالم يفقد الثقة به تدريجيا . فالذاكرة قصيرة المدى وخاصة في أمريكا ، حيث تختلط الاسطورة بالتاريخ تدريجيا بأيدي « الأوصياء على التاريخ » .

ذهبت ولكن لم تنس

« ذهبت ولكن لم تنس » ، ربما كانت هذه عبارة مناسبة لوصف كتاب نعوم تشومسكي الأخير « مثلث الشؤم » . ففي هذا المجلد الكبير يعيد هذا اللغوي البارز-المعروف عالميا بنقده السياسي-صياغة السجل التاريخي للغزو الاسرائيلي الوحشي للبنان ، والاحداث التي نتجت عنه . وهذا الكتاب هو جولة للكتابة السياسيةوالتحليل النقدي الموسوعي في مداه وفي توجهه نحو التوثيق التفصيلي . وفيه يحطم تشومسكي تماما « النسخة الرسمية » السائدة لتلك الفترة ، كما وصفها المدافعون عن اسرائيل في أمريكا .

هناك أمر مطمئن تماما حول عدد كبير من الحقائق التي لا يمكن النيل منها في عمل سهل وموثق بشكل جيد . وقد اعتمد المؤلف اعتمادا أساسيا على الصحافة المكتوبة بالعبرية ، ليوثق كتابه ، مما جعل منها تلك القضية التي لاتدحض لدى القراء . (فهناك على سبيل المثال ما يقرب من ألف حاشية في هذا الكتاب المكون من خمسمائة صفحة) .

وفي الواقع أنه صاغ تاريخا جديدا بالكامل ، تاريخا غير رسمي ، من مئات القصاصات المأخوذة من مصنفات الصحف والمجلات وغيرها ، مما يمكن أن يطوى ويزول ، وهذه هي الكتابة في قمتها .

يمكن القول أن هدف تشومسكي لم يكن اعادة ترتيب السجل التاريخي لهذا الفصل من تاريخ الشرق الأوسط ، الذي عانى من تشويه كبير ، وذلك بغض النظر عن مدى أهمية وبقاء هذا الاسهام . بل كان هدفه المعلن هو التثبت من بعض جوانب « العلاقة الخاصة » بين الولايات المتحدة و « اسرائيل » وأثرها المدمر على ضحاياها المباشرين ، الفلسطينيين . وقد تركزاهتمامه الرئيسي على هذه الجوانب لتلك العلاقة ذات الابعاد الثلاثة ، التي يرى تشومسكي أنه جرى التقليل من أهميتها ، بل كثيرا ما شوهت وعرضت بشكل سيء ، وقادت الى سياسات كانت « مشينة وبالغة الخطورة » في الوقت نفسه . ولم يكن الغزو الاسرائيلي للبنان سوى حلقة واحدة ، ولكن حاسمة ، في مسلسل تلك العلاقة .

الاجماع الدولي

يعبر تشومسكي عن نقطة جدله المركزية « بالاجماع الدولي » على ضرورة ايجاد حل للصراع العربي الاسرائيلي الذي يمكن الرجوع به الى ما بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ . وفي البداية كان الاجماع « رافضا » من حيث اهماله للحقوق الوطنية للفلسطينيين ، واعترافه بصلافة بحقوق « اسرائيل » . وفي منتصف

أدوات القوة والبطش

السبعينات عدل الاجماع الدولي ليشمل الاعتراف بحقوق الفلسطينيين وبالسماح لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كانت ترفض الصيغة السابقة للانضمام لهذا الاجماع . وعند هذه النقطة لم يعد الاجماع رافضا ، لانه اعترف بحقوق طرفي الصراع ، وفسر ذلك عموما بأنه يعني حلا بوجود دولتين ، واليوم يضم هذا الاجماع الدولي الدول الاوروبية ، والاتحاد السوفيتي ، ومعظم دول عدم الانحياز ، والدول العربية الرئيسية ، بما في ذلك جميع دول المواجهة ، وبالطبع ، التيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية .

ومن البديهي القول ان مشهد التطورات ذاك أقرب الى السجل التاريخي الحقيقي منه الى السجل السائد في الولايات المتحدة ، وحسب هذه النسخة فان الولايات المتحدة واسرائيل قد بحثا بشكل حثيث عن تسوية سلمية للصراع ، بينما عارضت ذلك الدول العربية (عدا مصر منذ عام ١٩٧٧ وارهابيو منظمة التحرير الفلسطينية) . وبتعبير آخر « الرافضون » . ويتمكن تشومسكي من قلب هذه النسخة « الرسمية » للاحداث رأسا على عقب بسهولة نسبية ، من خلال تفحصه المتروي للسجل التاريخي منذ عام ١٩٦٧ ، بدءا من قبول الرئيس عبد الناصر لمشروع روجرز عام ١٩٧٠ ، حيث يؤسس قضيته بشكل منهجي على أن دول المواجهة أولا ثم التيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية قد دخلوا ضمن الاجماع الدولي لتلك الفترة . ويتتبع المؤلف عروض السلام العربية المتعددة واحدا تلو الآخر . ومن ضمن أشهر هذه العروض تلك التي تقدمت بها مصر أعوام ٧٠ و ٧١ ، ٧٧ والأردن في عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢ . ودول المواجهة عامي ١٩٧٦و ١٩٧٧ . ومنظمة التحرير الفلسطينية عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٧ . وفي الأعوام الأخيرة طالت القائمة لتشمل مشروع الملك فهد الذي طرحه عام ١٩٨١ وقرارات قمة فاس عام ١٩٨٢ . والنقطة التي يطرحها تشومسكي واضحة تماما : فالسجل التاريخي باعتباره نقيضا للسجل « الرسمي » لايدع مجالا للشك حول النقطة التي تقف عليها الدول العربية الرئيسية ، والتيار الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى لو جادل أحد في غموض بعض مواقفها الذي ربما يكون مقصودا .

معسكر المعارضة

وفيما يتعلق بالسجل الامريكي الاسرائيلي يلاحظ أن هناك نوعا من الثبات في معارضتهما القاطعة للاجماع الدولي ، حتى في صورته الرافضة الأولى ، بغض النظر عن الانشائيات الدعائية التي تظهر العكس . وكلا البلدين هما في الواقع قائدان لمعسكر المعارضة ، مما يجعلهما - وبالمفارقة - ضمن حلف واحد مع الأقلية العربية الرافضة .

كتاب الشهر

وفي حالة الولايات المتحدة يناقش تشومسكي بأنه بعد حرب يونيو (١٩٦٧) حدثت هناك مناظرة حول السياسة الداخلية بين المدافعين عن الانضمام للاجماع الدولي الذي كان في ذلك الوقت قائما على قراري الامم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وكان هذا الاتجاه بقيادة وزير الخارجية الأمريكي روجرز ، وبين الاتجاه الآخر المعارض لهذا الانضمام الذي كان يقوده هنري كيسنجر ، الذي كان مستشارا للأمن القومي حينذاك . وقد كانت الغلبة للاتجاه الثاني . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الولايات المتحدة تتبع في الواقع العملي سياسة دعم « اسرائيل الكبرى » . وقد عرفت أخيرا بمقولة ان اسرائيل « قيمة استراتيجية » . ومثل هذه السياسة تستدعي تطوير اسرائيل لتصبح قوة عسكرية رئيسة في المنطقة ، بحيث تدافع عن مصالح الولايات المتحدة في المنطقة . وبالتالي فان هذه السياسة تتطلب توسع اسرائيل اقليميا . ومن هنا يأتي قبول الولايات المتحدة باستمرار اسرائيل في احتلالها للمناطق العربية . ويسارع تشومسكي الى الاشارة الى أن الصراع الداخلي في الولايات المتحدة لايقوم على الأهداف ، بل على التكتيك الذي يتمحور حول كيفية الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط بالطريقة المثلى (في الأساس السيطرة على موارد النفط واستمرار تدفق البترو دولار .)

وقد ظل الموقف الاسرائيلي ، كما يعلنه الطرفان ، معارضا بلا هوادة للاجماع الدولي لصالح مد السيطرة الاسرائيلية على جميع المناطق المحتلة (الليكود) ، أو الاحتفاظ بجميع أو أغلب المناطق المأهولة في الضفة الغربية (حزب العمل) ويقوم موقف حزب العمل على مشروع آلون القديم ، الذي تقوم اسرائيل بموجبه بمنح سكان الضفة الغربية تمثيلا سياسيا رمزيا مع الأردن . وبموجب هذا المشروع تحتفظ اسرائيل بسيطرتها على الضفة الغربية ، بينما تعفي نفسها مما تدعوه « بالمشكلة الديمغرافية » للعرب . وكلا الحزبين الاسرائيليين الحاكمين يعارضان بصلابة وجود أي نوع من التعبير السياسي الفلسطيني المستقل غرب نهر الاردن ، ناهيك عن اقامة دولة فلسطينية مستقلة .

الذعر والعدوان

وقد ردت اسرائيل « بذعر » نموذجي على عروض العرب ومنظمة التحرير بتسوية سياسية إذ كان يتلوها صمت بارد ووراء نشاط استيطاني متزايد ، مثل اعلان حزب العمل عن « توسيع القدس » بعد عرض السادات للسلام ، الذي قدمه في فبراير ١٩٧١ . وفي مناسبات أخرى نتج عن الذعر عمل عدواني ، كان في العادة موجها الى أهداف مدنية . (من الغريب أنه بعد اعلان مشروع فهد للسلام عام ١٩٨١ انتهكت اسرائيل المجال الجوي السعودي مطلقة تكهنات حول احتمال قيام اسرائيل بضربات جوية لحقول النفط .)

يقول تشومسكي : ان مشروع السلام السعودي وغيره من تلميحات تطلقها الدول العربية لم تكن السبب الوحيد في حالة « الذعر » التي اجتاحت اسرائيل عامي ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، بل كان ما هو أخطر من ذلك ، وهو الصعوبة المتزايدة في تصوير منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها مجرد عصابة من الارهابيين ، خاصة في ضوء محافظتها على وقف اطلاق النار على الحدود اللبنانية الاسرائيلية ، الذي اقترحته الولايات المتحدة رغم استفزازات اسرائيل المتعددة . وهنالك اسباب وجيهة تدفع للاعتقاد بأن هذا الخطر كان واحدا من العوامل التي دفعت اسرائيل لغزو لبنان » .

ومن الواضح أن هذا ما كان يدور في ذهن رئيس

الاركان الاسرائيلي الجنرال ايتان ، عندما صرح ـ والغزو في ذروته ـ بأن « الدفاع عن الضفة الغربية يبدأ من بيروت الغربية » .

ويصر تشومسكي على نقطة يهملها الآخرون في العادة : فبدون الدعم الهائل الذي تلقاه اسرائيل من أمريكا اقتصاديا وعسكريا وسياسيا فانها لاتتمكن من الابقاء على خطها المعارض أو الاستمرار في سياستها القائمة على الحرب والتوسع . وتتضمن المعونة الامريكية أيضا ، حسب قول تشومسكي : الدعم الايديولوجي والمرائي والمعيب لاسرائيل داخل أمريكا « من خلال تزييفها المنهجي للسجل التاريخي ، وممارستها للتشهير بالفلسطينيين وتجاهلها لمعاناتهم » .

وتتحمل الولايات المتحدة المسؤولية الكبرى في اطالة امد الصراع والآثار المترتبة على الرفض الاسرائيلي : وقد كانت الحرب مع لبنان أسوأ مظاهره حتى ذلك التاريخ ، ويناقش تشومسكي أن يكون الرفض الامريكي الاسرائيلي حائلا دون توفر امكانية تسوية سلمية ، وأن الدعم المالي الامريكي لحركة الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة قد خلق حقائق « لايمكن تغييرها بأقل من الحرب » وهكذا فبدلا من النظر بأمل الى تسوية سلمية ، ربما يكون علينا أن نهيء أنفسنا للنتائج الضارة التي يتوقع تشومسكي أن تتضمن احتمال طرد أقسام كبيرة من سكان الضفة الغربية . « وتحويل اسرائيل الى مجتمع على غرار جنوب افريقيا من نظام « البانتوستان » أي نظام الاقاليم المتعددة . المطبق في جنوب افريقيا ، والالتزام بالحفاظ على هذا التمزق » .

وبدلا من القبض على ما تبقى من احتمالات لتسوية سلمية تبدو الولايات المتحدة جاهزة للابقاء على حلفائها في الشرق الأوسط في حالة دائمة من الاعتماد على الغير ، وستواصل اسرائيل من جانبها تنفيذ اوامر الولايات المتحدة ، بينما تقبل بالعيش في حالة حرب . ويحذر تشومسكي أنه « عاجلا أم آجلا فان اسرائيل ستواجه الهزيمة العسكرية ـ التي اقتربت منها عام ١٩٧٣ ـ أو أنها ستحتاج الى اللجوء الى الخيار النووي مع ما يجره ذلك من نتائج لايمكن تصورها . ولا أقل من ذلك سوى انحدارها نحو التفسخ الاجتماعي والأخلاقي والسياسي » . لقد وضعت اسرائيل « الهيمنة » نصب عينيها ، بدلا من التعايش مع جيرانها ، وكان هذا بمباركة أمريكية .

سلاح اسرائيل السري

ودون أن يُبقي حجرا لم يقلبه،يناقش تشومسكي امكانية تخلي الولايات المتحدةعن خطها الرافض ، وانضمامها الى الاجماع الدولي ، والضغط على اسرائيل للحذو حذوها ، كما أنه يضع سيناريو أكثر احتمالا تتخذ فيه اسرائيل خطوات انفرادية ، تعتبرها الولايات المتحدة مخالفة لمصالحها ورغباتها . ونفترض عموما أن حالة الاستقلال الاسرائيلي الممنوحة يجب أن تتوافق مع ما تمليه الولايات المتحدة في هذا المجال .

وبتعبير آخر ، فان على اسرائيل أن تنفذ أوامر الولايات المتحدة ، سواء رضيت بها أم لم ترض . وهناك برهان جلي يتقدم به تشومسكي على أن اسرائيل قد تلجأ الى « سلاحها السري » وعندها يتحول الخطر الى حالة جنون أو وحشية . وحسب هذا المنطق فان بامكان اسرائيل أن تهدد (كما هو الأمر الآن) بفرض حالة من التحدي العسكري على الاتحاد السوفيتي ، وبذا فانها تطلق زناد مواجهة بين القوتين العظميين ، يمكن أن تؤدي في حالة الذروة الى حرب نووية . وقد ألمحت اسرائيل الى أنها قادرة على ضرب الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي بأسلحتها النووية . وبغض النظر عن مزايا هذا التهديد فان هناك طرقا عديدة تستطيع بها اسرائيل اثارة مواجهة مع الاتحاد السوفيتي ،مورطة الولايات المتحدة في الصراع .

وتبقى منطقة الشرق الأوسط واحدة من أكثر المناطق احتمالا لنشوب حرب عالمية ثالثة . وقد شهدت المنطقة من قبل عددا من حوادث المواجهة بين القوتين العظميين ، وتدل جميع المؤشرات على استمرار التوتر والمنافسة بين هاتين القوتين في المستقبل ، والدليل على أن لاسرائيل القدرة على تحويل هذا الخطر الى حالة جنونية « قائم ووارد » ، وحول ما اذا كانت ستشعر يوما أنها تحت الضغط لممارسة « خيارها الشمشوني » وتهدم المعبد على رؤوس الجميع ، فان السؤال يبقى مفتوحا . واذا

كان للسلوك السابق أي دلالة فانه سبب قوي يدعو الى القلق .

ظل أورويل في أمريكا

لقد تجاهل التيار الرئيسي لوسائل الاعلام والمجلات الثقافية والاكاديمية في الولايات المتحدة هذا الكتاب . ومثل ذلك فرقا واضحا عما حدث من استقبال في أوروبا وكندا ، حيث تم استعراضه من جانب التجمعات الثقافية المؤسسية في الولايات المتحدة لفترة من الوقت ، ورغم أنه مقبول تماما فقد رفضت الكثير من أقسام الجامعات التي تتمتع باحترام تبني ظهوره في أروقتها ، التي كانت تجتذب ما يقرب من الف شخص . وعندما لا تقوم بمنعه من الحديث الى مريديه ، فانهم يقومون بلا حياء بنشر المقالات المليئة بالبذاءات والتشهير ضده في المجلات والصحف المرموقة . وبأسلوب « أورويلي » نسبة الى الروائي الانجليزي جورج أورويل ، فان الرجل الذي هللت له واحدة من المجلات الادبية المرموقة باعتباره من أبرز المثقفين الامريكيين ، قد أصبح الآن - ويا للغرابة - شخصية غير محببة لدى نخبة المثقفين الاكاديميين . وفي هذا تفسير لحالة هذه النخبة والمجلات التي يشرفون عليها .

وقد لايبدو السبب في هذا الهجوم العنيف على تشومسكي واضحا للوهلة الأولى . ويمكن الافتراض بأن نقده المعلن لسياسات الولايات المتحدة واسرائيل نحو الفلسطينيين هو رد على القذف والتشهير الموجه له (وهذا على أية حال اتجاه سبق وضع هذا الكتاب بكثير ، اذ كانت له الكثير من الكتب والعديد من المقالات السابقة عليه .) . ومثل هذا الاستنتاج له بعض المزايا بلا شك ، ومنها خلفيته اليهودية التي

جورج أورويل

تضعه في موقع لايحسد عليه ، حيث يمكن اتهامه بأنه « يهودي كاره لنفسه » من جانب المتعصبين من مناصري اسرائيل . وفي العادة فان أكبر قدر من التشهير يحتفظ به لليهود والاسرائيليين الذين لديهم من الشجاعة ما يمكنهم من نقد السياسات والممارسات الاسرائيلية وحماتهم الامريكيين ضد العرب . لكن تشومسكي ليس « درايكاليا » ولا « متطرفا » بأي مقياس اذا أطلقت هذه العبارات لتعني المدح والذم . فلم يحدث أبدا أن دافع عن تحطيم الدولة اليهودية . بل كان على الدوام مدافعا عن دولة عربية يهودية ثنائية القومية ، وهو موقف اتخذه بعد أن أصبح مثل هذا الموقف مقبولا تماما . باعتباره واقعيا فقد اقتنع بالحل على أساس ثنائي القومية المتجسد في الاجماع الدولي الحالي ، باعتباره حلا ممكنا ، مع أنه قد لايكون الحل الأفضل لهذا المأزق . ويفسر هذا الموقف ، ضد عوامل أخرى ، الاهتمام المتزايد بأعمال تشومسكي في أوروبا ،

وأماكن أخرى خارج الولايات المتحدة ، حيث تسود فكرة الاجماع الدولي . ودعمه الواضح للحقوق الفلسطينية لاينعكس بالتأكيد من خلال دعم مماثل لمنظمة التحرير الفلسطينية ، التي تعرضت سياستها وممارساتها للنقد في بعض كتاباته السابقة ، رغم تناسب ذلك مع الدور المحاصر للمنظمة في مواجهة أمريكا أو اسرائيل . ومن الصعب التمييز بدقة بين النقطة التي ينتهي عندها « تطرف » تشومسكي وتلك التي يبدأ عندها تعصب خصومه خلال هستيريا العداء لتشومسكي ، التي تتعدى أحيانا لتصل الى « النقد المدروس » لهذا العالم .

المثقفون والحقيقة

وبالنسبة لتشومسكي فان التقصي الدقيق لسياسات الولايات المتحدة وسلوكها ، هو جزء من الالتزام الذهني « بقول الحقيقة وكشف الاكاذيب » . فان كان الناس مسؤولين عن أعمال حكوماتهم المتعاقبة ، فللمثقفين مسؤولية أكبر ، لانهم كما يجادل تشومسكي « في موقع يمكنهم من كشف أكاذيب الحكومات ، وتحليل الافعال حسب مسبباتها ودوافعها ومقاصدها الخفية أحيانا » فالمثقفون « أقلية مميزة تُوفّر لها الديمقراطية خلف قناع من التشويه وسوء التمثيل والايديولوجيا والمصالح الطبقية ، التي تقدم لنا من خلالها الاحداث والتاريخ الحالي . » وقد لخص تشومسكي موقعه الفلسفي والاخلاقي من مسؤولية المثقفين قبل نحو عقدين من الزمان ، وحافظ عليه باخلاص منذ ذلك الحين .

وقد وضعه موقفه المبدئي بالطبع في تناقض مع اهتماماته الثقافية والاكاديمية ، التي يسميها « الرأي الواضح والاوصياء على التاريخ » ممن يبذلون جهودا كبيرة في انتاج التشوش الفكري والدفاعات السياسية نيابة عن الدولة ونخبها الحاكمة . وخلال حرب الولايات المتحدة في الهند الصينية اكتسب عداءهم عندما « قال الحقيقة وكشف الأكاذيب » التي لفقتها ونشرتها هذه الطبقة المثقفة .

واليوم يعتبر تشومسكي على المستوى العالمي واحداً من المدافعين الرئيسيين عن حقوق الانسان،والناقدين للسياسة الخارجية . ويتراوح مجمل انجازه الثقافي بين ٢٤ كتاباً ومئات المقالات . نصف هذه الكتب تقريباً يتعلق بالسياسة الخارجية وانتهاكات حقوق الانسان أو نقد سياسات الدول . وجريمة تشومسكي في نظر المدافعين عن أمريكا واسرائيل هي أنه وظف المكانة الكبيرة التي يحتلها كعالم ومدافع عن حقوق الانسان في نقد سياسات أمريكا واسرائيل . وبالنتيجة فقد ذبح تشومسكي « العجل المقدس » الأمريكي . وان كانت هناك أسطورة تدين بنجاحها الكبير الى الاستغلال الايديولوجي ، فهي إسطورة اسرائيل في أمريكا ، وقد رفض نعوم تشومسكي المساهمة في هذه اللعبة .

عصامي وعظامي

يحكى أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل ، فأراد اختباره فقال : أُعظاميّ أنت أم عصامي ؟ اراد أشرفت بآبائك الذين صاروا عظاما أم بنفسك ؟ . فقال الرجل : انا عصامي وعظامي ، فقال الحجاج : هذا أفضل الناس ، فقضى حوائجه ، ومكث عنده مدة ، ثم اختبره فوجده أجهل الناس . فقال له تصدقني : كيف أجبت بما أجبتني حين سألتك ؟ فقال : لم أعلم عصامي خير أم عظامي ، فخشيت أن أقول أحدهما ، فقلت كليهما ، فقال الحجاج عند ذلك : المقادير تُصيّرُ الغبي خطيبا .

من المكتبة العربية

بين وعي شعب ما هويته ، وامتلاك هذه الهوية زمن من العمل والبحث والنضال والتضحيات . في هذا الكتاب يعرض المؤلف تجربة تونس في امتلاك هويتها الوطنية ضمن عملية تبلور الوعي القومي الأكبر .

وعي الهوية العربية في الفكر التونسي الحديث

بقلم : رشيد خشانة

يبدأ الباحث الدكتور عفيف البوني كتابه (وعيّ الهوية العربية في الفكر التونسي الحديث) بالتشديد على حقيقة أن كل الشواهد التاريخية التي زخر بها الانتاج الفكري التونسي خلال العصر الحديث تؤكد أن الوعي بعروبة تونس كان حافزا دائما في أعمال الكتّاب ووجدان الجماهير العريضة ، لذلك فهو لم يقصد من كتابه هذا الى اثبات عروبة تونس وانما سعى الى (التأكيد بأن الوعي بها لم يغب أبدا عن الفكر التونسي الحديث) . .

واقتصر د . البوني في رصده للحس القومي على المؤلفات ذات القيمة التاريخية أو الثقافية العامة ، كما يقول في المقدمة ، ولم يتعرض لتاريخ الأحزاب والحكام والأشخاص .

الدين والأمة

خصص المؤلف الفصل الأول من الكتاب لنقد مفهوم الأمة السائد في الغرب ليخلص الى تعريف مؤداه أن (الأمة ظاهرة اجتماعية تربط بينها روابط مشتركة كاللغة والتاريخ والثقافة والأرض المشتركة ، وهذه الروابط تخلق بفعل الاستمرارية والصيرورة التاريخية ، ملامح شخصية قومية ، وهذا ما يقود الى بروز عنصر الوعي والاعتزاز بهذا الانتماء في الضمير الجماعي ، والوجدان الشعبي لكل أفراد الأمة الواحدة)

أما عن علاقة الدين بمفهوم الأمة فيرى الباحث أنه عامل مساعد ومهم . (الا أنه ليس العامل الاساسي في تكوين الأمة بالمعنى العلمي الحديث ، فقد اعتنق أفراد الأمة أكثر من دين ، وقد يكون أحد الأديان أوسع انتشارا ، ولكن يظل الدين لله والوطن للجميع) .

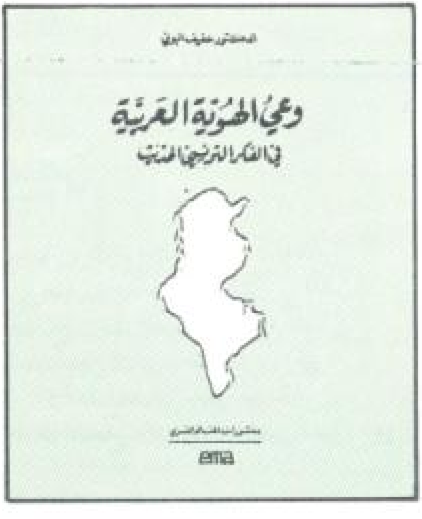

يبقى بُعد أخير وهو علاقة الوعي العربي بالدعوات الاقليمية ، وهنا يؤكد المؤلف على أن من يتصور وجود تناقض بين التراث العربي الاسلامي وبين الحضارات المحلية السابقة على الاسلام كالحضارة الفرعونية والفينيقية القرطاجية . . . الخ . فهو واهم ، لأن التناقض غير موجود لأن هذه الحضارات تشكلت في مناخ واحد تقريبا ، وكانت تربطها علاقات تفاعل وتأثير ، كما أن الهجرات ساعدت على تمازج تلك الثقافات ، ثم أن (انتسابنا الى الحضارة العربية الاسلامية واعتزازنا بها لايتناقضان مع انتسابنا الى تلك الحضارات واعتزازنا بها) .

ويحلل د . البوني أطوار الفتح العربي لتونس فيبين أن تأخر انتشار العروبة والاسلام ، أو طول الفترة التي استغرقها هذا الانتشار لايرجعان الى عامل (قومي)أظهرته مقاومة السكان الاصليين ، وانما تفسرهما كثرة الموانع الطبيعية واتساع مساحة المنطقة ، وكذلك الدور التحريضي الذي قامت به بقايا وفلول الاستعمار البيزنطي وحليفتها الارستقراطية المحلية خوفا على مصالحها من هذا الانتشار العربي ، ويبدو المؤلف هنا وكأنه يتجاهل ضراوة المقاومة العسكرية التي جابه بها السكان المحليون والقبائل البربرية الفتح العربي بقيادة الكاهنة التي لم يكسر الفاتحون العرب شوكتها الا بصعوبة كبيرة .

وعن التاريخ السياسي الذي أعقب الفتح يقول الباحث : انه بعد أن استقر الوجود العربي الاسلامي تأكد استقلال افريقية (اسم تونس في ذلك العصر) اداريا عن الخلافة العباسية وذلك مع نهاية المئة الثامنة للميلاد . وكانت حدود هذه الدولة الادارية تمتد من طرابلس شرقا الى قسنطينة غربا ، وكان أهم ما في هذا الاستقلال الشكلي توارث الحكم بين أفراد العائلة المالكة مع استمرار الدعاء للخليفة العباسي ودفع الضرائب لمركز الخلافة في بغداد .

ويستوقفنا هنا تحليل المؤلف للصراعات في أفريقية في ذلك الوقت ، ذلك أنه يجزم بأن (الصراعات في مختلف أرجاء البلاد العربية هي صراعات سياسية ، وهي في جوهرها لم تكن صراعا دينيا) ، ولكنه يعود لينفي ما جزم به حين يفسر أسباب سقوط الدولة الفاطمية ـ وهي من أهم فترات تاريخ المغرب العربي ـ فيقول : « ان هذا السقوط يرجع بالاساس الى حدة الصراعات المذهبية والدينية التي قام على أساسها . »

الاستبداد التركي

ويستعرض المؤلف الانظمة التي تعاقبت على تونس فيما بعد حتى مجيء العثمانيين ، ويشدد على (أن الاستبداد السياسي الذي سلطه الأتراك على البلاد ونهبهم لثرواتها ،وأفقارهم للثقافة العربية الاسلامية الأصلية ، وتعيين الحكام ومحاولتهم تزكية نمط الحياةوفساد ادارتهم ، كل ذلك أنهك اقتصاد البلاد التونسية ، وأصاب شعبها باستلاب سياسي واقتصادي ترك آثاره في مختلف نواحي الحياة ، وهذا ما أدى الى خلق فراغ سياسي وضعف حضاري خطير كان مدعاة لحصول الاحتلال الاستعماري الفرنسي في مرحلة لاحقة .

بعد هذا العرض التاريخي ينتقل د . البوني الى بحث (وعي الخصوصية في الانتاج الفكري التونسي الحديث) فيقرر أن ابن أبي دينار هو أول من أطلق اسم تونس على أفريقية ، وهو الاسم الرسمي الشائع لهذا القطر منذ الفتح العربي ، ولكن حدود تونس كانت غير واضحة في الواقع ، وهذا ما يفسر الاختلاف بين المؤرخين الى عهد قريب جدا حول « الحيز الجغرافي لتونس ، فهويتقلص ويتمدد ويتوحد مع الوطن العربي في عصر القوة والازدهار ، وينفصل وينقسم ، وحتى يتجزأ ويتفكك في عصر الضعف والانحطاط والتخلف » . كما يقول المؤلف . ثم ظهرت خلال العهد العثماني بعض الظواهر على السطح ، ذات الطابع السياسي ، تعطي الانطباع والرغبة في تمييز تونس عن غيرها ، (فقد اتجه الحكام الاتراك في بداية الربع الأول من القرن التاسع عشر ، الى التقليل من الاعتماد على العنصر التركي والاعتماد تدريجيا على أبناء البلاد ، وذلك لتمرد الجنود الاتراك على الوالي مرارا) .

ثم كان احتلال فرنسا للجزائر انذارا مبكرا بالخطر الذي يتهدد تونس ، لذلك كان الباي (الحاكم) الذي صعد الى العرش في عام ١٨٣٧ أكثر حماسا لابراز الخصوصية من سابقيه ، وساعده على ذلك الوهن الذي أصاب الامبراطورية العثمانية ، مما أضعف الصلة بينها وبين ولاياتها العربية ، وشدة

من المكتبة العربية

الاحتكاك بالغرب ومحاولة تقليده ، وكان أحمد باي هذا أول من كتب المراسلات الى الآستانة باللغة العربية .

التقسيم والهوية القومية

في الفصل الثاني من الكتاب ـ ويحمل عنوان (الهوية العربية بين التغريب وتأكيدالذات) يرصد المؤلف تنامي الوعي والانتماء منذ كتابات ابن أبي دينار الى أدباء القرن التاسع عشر ومؤرخيه رابطا بين ذلك التطور وبين رسم الحدود الاقليمية بين تونس والاقطار المجاورة لها ، مشددا على أن (النتيجة الطبيعية لاقرار هذه الحدود هي عزل سكان هذه الاقطار بعضها عن بعض من خلال حدود سياسية فاصلة لكي تصبح في عهد الاستقلال وكأنها حدود دولية ثابتة ، أو حدود جغرافية طبيعية وهي ليست كذلك البتة ، انها حدود سياسية صنعها الاستعمار ، وتشبث بها الحكام ، ونتج عنها ايقاف التنقل الحر للمواطنين العرب ملزمة اياهم بحمل جوازات السفر ، وهذه الحدود التي أقيمت في عهد الاستعمار وبسعي منه قد قسمت أحياناأفراد القبيلة الواحدة ، فأصبح هذا المواطن (تونسيا) وصهره أو قريبه (جزائريا) أو (ليبيا) أو (مغربيا) ، وأصبح هذا وذاك والآخر غرباء عن بعضهم بعضا يفصلهم من الناحية السياسية والادارية والقانونية الواقع نفسه الذي يفصل الفرنسي عن الانجليزي) .

أما عن تطور الوعي الوطني فيقرر المؤلف أن نهاية القرن الماضي شهدت بروز (تيار اصلاحي اسلامي يتبنى ويدافع عن الكيان العربي الاسلامي لتونس ، وكانت وسيلة التعبير لدى هذا التيار هي جريدة الحاضرة التي ظهرت في ٢٨ أغسطس ١٨٨٨ والتي دافعت عن فكرة الاصلاح بالمفهوم التقليدي .

وكان يقابل هذا التيار تيار ثان ظهر في بدايات القرن العشرين وهو تيار حزب (الشباب التونسي) الذي كان يضم نحو الف عضو ، وكانت قياداته (تنحدر من بورجوازية أصلها المماليك وهي طبقة الأتراك الحاكمة) . ولم يكن هذا الحزب يعكس الطموحات الشعبية بل كان يعبر عن الرؤية الاصلاحية المتذبذبة المبهورة بالغرب . وكانت صحيفته (التونسي) تصدر باللغة الفرنسية ، ولم تصدر باللغة العربية الا بعد فترة ، وبتأثير من الشباب المكوّن تكوينا عربيا اسلاميا مثل عبد العزيز الثعالبي .

أما في فترة ما بين الحربين فيعد ظهور (الحزب الحر الدستوري) سنة ١٩٢٠ حدثا (ذا أهمية بالغة) في تطور الوعي العروبي اذ كان مؤسس الحزب وقيادته وأعضاؤه عربا مسلمين تونسيين (مما جعل هذا الحزب يختلف فكرا وبرنامجا وتركيبا عن حزب الشباب التونسي) .

وفي سياق محاولات الاستلاب والتغريب المفروضة على الشعب التونسي ، جاء قانون التجنيس الصادر في ٢٠ ديسمبر ١٩٢٣ مرغبا التونسيين في تعويض جنسيتهم بالجنسية الفرنسية ، واعدا اياهم بالحصول على الامتيازات التي يتمتع بها الفرنسيون ، وكانت هذه الخطة مناسبة لتجذير الوعي الوطني والقومي وخوض معركة ناجحة مع الاستعمار الفرنسي . ويذكر د . البوني أن من بين الذين وقفوا ضد قانون التجنيس من منطلق عروبة تونس المصلح الكبير طاهر الحداد والزعيم النقابي محمد علي الحامي .

ثم يرصد الباحث تطور الفكرة القومية من خلال المحاضرات والنشاطات الثقافية في الثلاثينيات ، وكذلك من خلال المجلات التي ظهرت في تلك الفترة (كالثريا) و (الفجر) و (البدر) و (العلم) و (العرب) و (العالم الأدبي) ، ويفرد نبذة خاصة لمجلة (المباحث) التي كتبت تقول سنة ١٩٤٧ : (أن اللغة العربية لغة شعبنا الاصيلة وعنصر من أهم عناصر ذاتيته ، وركن من أقوى أركان شخصيته الوطنية ، ورابطة من أمتن ما بين افراده من الروابط ، ولذا فلا نمل البحث في هذا الموضوع ولا

تتردد في العودة اليه ، فهو من المواضيع الحيوية بالاضافة الى كياننا الروحي وثقافتنا القومية وتراثنا الأدبي ، وسنعود اليه في مستقبل الأيام ما لم تحل اللغة محلها الطبيعي من التعليم والمعاملات بهذا القطر العربي)

نكبة فلسطين والوعي القومي

في الفصل الثالث والأخير من الكتاب يرصد المؤلف (تطور الوعي القومي العربي بعد الحرب العالمية الثانية) ويصل الى نتيجة مؤداها أن تجذر الوعي الوطني المتمثل في المطالبة الصريحة بالاستقلال ، (ارتبط بتجذر الوعي القومي العربي في تونس المتمثل في التأكيد على الشخصية العربية الاسلامية للبلاد) . وكان لنكبة فلسطين دور كبير في شحذ الوعي القومي ، وحفز التونسيين على المشاركة في حرب ١٩٤٨ . ويضيف د . البوني أن (الكتابات والأشعار والتصريحات الصحفية للزعماء السياسيين في الفترة ما بين ١٩٤٧ و ١٩٥٦ تطرقت كلها - مع تفاوت الدرجة والوضوح والدقة - الى عروبة تونس ، اما لتأكيدها أو لربطها بقضايا الأمة العربية ، وظهر التشديد على الانتماء العربي في كتب زعماء بارزين مثل حبيب ثامر وعلي البهلوان ويوسف الرويسي ورشيد ادريسي ، وعند تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة سنة ١٩٤٧ كانت احدى النقاط الرئيسية في ميثاقه تقول : (المغرب العربي جزء لا يتجزأ من البلاد العربية،وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي لازم .)

ويختم المؤلف كتابه بفقرة مقتبسة من مقال للاستاذ يوسف الرويسي يقول فيها : (ان الشعور بالقومية العربية التي تجمع بلاد العروبة كلها لم يكن قد تكامل بعد ، فكانت الحركات العربية حركات (قومية) خاصة ، يضاف الى ذلك أن الاستعمار في بلاد المغرب ضرب حول هذه البلاد طوقا حديديا ، وأقام دون اتصالها بشقيقاتها العربيات حواجز لم يكن من الهين اختراقها ، فكانت بلاد المغرب محرومة من الاتصال الذي كان يوجد دائما في البلاد العربية بعضها ببعض ، الأمر الذي يوطد تعارفها ويمتن العلاقات بينها) .

كتاب دون خاتمة

ولسنا ندري لماذا يتوقف د . البوني عند عام ١٩٤٧ ، فهو يبدأ كتابه بداية واضحة ولكنه ينهيه في فترة غير واضحة ، مترجرجة ، كانت حبلى بالارهاصات . ولان النهاية لم تكن واضحة فان الكتاب ترك دون خاتمة

ولعل المأخذ الرئيسي على هذا الكتاب ليس غياب الخاتمة بقدر ما هو غياب الرؤية الجدلية للامور ، فالمؤلف يتصور أن الوعي القومي يكون مكتملا ومتبلورا منذ الوهلة الأولى ، لذلك كان حكمه على الزعماء الوطنيين الأوائل غير واقعي ، وخصوصا على باشا حانبة ، في حين أن الوعي الوطني (الاستقلال عن فرنسا) والوعي القومي (الانتماء العربي) مرا بمراحل نمو متعددة ، بدءا من المرحلة الجنينية (التي ظهر فيها باشا حانبة وبشير صفر (لم يكن حكم المؤلف عليهما متساويا) وانتهاء بمرحلة النضوج والتتويج بعد الحرب العالمية الثانية التي رفعت فيها الحركة الوطنية مطلب الاستقلال بشكل صريح للمرة الأولى ، واعلنت أيضا انتماءها الى العمق العربي .

أما المأخذ الثاني فهو نسيان مراجع هامة في المواضيع التي طرقها المؤلف ، ومن أمثلة ذلك أنه توقف عند زيارة الشيخ محمد عبده الى تونس وآثارها على المثقفين من دون الرجوع الى دراسة د . المنصف الشنوفي عن هذه الزيارة في مجلة (حوليات الجامعة التونسية) ، وحلل أطوار ثورة ١٨٦٤ دون الرجوع الى كتاب الباحثة بيس سلامة عن هذه الثورة ، وهو من المراجع الأساسية . واغفل د . البوني أيضا كتابين مهمين لاغنى لاي باحث في تطور الوعي القومي عن الرجوع اليهما ، وهما كتاب زين العابدين السنوسي (الادب التونسي في القرن الرابع عشر (القرن العشرون) واطروحة الدكتور محمد الهادي الغزي عن الأدب التونسي في العصر الحسيني (القرنان ١٨ و ١٩) .

وبغض الطرف عن هذه الهنات يظل هذا العمل بحثا جديا يرتاد أرضا بكرا ويصدر عن هم قومي أصيل . □

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان . (الجزء الاول)
المؤلف : صالح شهاب
الناشر : الكويت / مطبعة حكومة الكويت .
عدد الصفحات : ٥٦٨ صفحة من القطع الكبير .

رغم العدد الكبير من الوثائق والصور النادرة التي تؤرخ لبدايات انتشار التعليم المنهجي في الكويت ، فان المؤلف صالح شهاب ، وهو أحد اوائل التربويين الكويتيين ، يطلق على كتابه اسم الحكايات .

وكان هذا الكتاب عند نشره على حلقات في صحيفة القبس الكويتية قد أثار اهتماما واسعا من جانب القراء ، لا في الكويت فحسب بل في أقطار الخليج الأخرى .

ومثل كل الكتب المشابهة ، فان كتاب تاريخ التعليم في الكويت يجمع المعلومة الى جانب الحكاية والوثيقة ، الى جانب الصورة والحقيقة ، الى جانب الذكرى الشخصية .

ويأخذ قيمته على المدى الطويل من ذلك الكم الكبير من الوثائق المهمة ، وعلى المدى الآني من خلال بعثه لذكريات مرحلة قريبة بعيدة ، بدأ التعليم فيها يتنقل من خيام وأركان الملالي المتواضعة ، الى المؤسسات الحكومية والرسمية ، تعبيرا عن التحول الاجتماعي الكبير الذي كان عندئذ مجرد ارهاصات .

اسم الكتاب : بيروت .. البكاء ليلا .
المؤلف : شوقي عبد الحكيم
الناشر : شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع .
عدد الصفحات : ١٣٠ صفحة من القطع المتوسط .

بعد الخروج من بيروت المحاصرة عام ١٩٨٢ ، جلس الخارجون من قلب الحصار ليكتبوا رؤاهم الكابوسية ، التي عاشوها دما ودمارا وبطولة .

وبعكس كُتاب آخرين عاشوا التجربة ، ثم خرجوا ليسجلوها على شكل مذكرات شخصية ، أو من خلال وثائق تؤرخ فترة الحصار ، أو من خلال اعادة نشر الكتابات التي أبدعها كُتابها وهم في جوف المعركة ، يختار شوقي عبد الحكيم أسلوب الرواية ليحكي قصة بيروت .

وبيروت في الرواية هي نقيض المدن العربية التي تعيش حالة قمع وقسوة وحصار داخل ، فتتعرض للحصار الخارجي على أيدي القوى الهمجية الصهيونية ، وداخل هذه الكيلومترات القليلة المحاصرة من بيروت تتحرك الشخوص ، وتمارس خوفها وبطولتها وانسانيتها التي تتعرض للدمار .

اسم الكتاب : أوليات النقد الأدبي في اليمن . ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨
المؤلف : د . عبد العزيز المقالح
الناشر : بيروت ـ دار الآداب
عدد الصفحات : ١٣٩ من القطع الكبير .

يأخذ هذا الكتاب أهميته من كونه كتابا يبحث في الجذور التي تراكم فوقها تراب القمع والتجهيل ، طوال سنوات طويلة من اليأس والقلق والغربة عن العصر . ومن داخل هذا الركام ، من قمامة

الكلمات التى تفوح منها رائحة المديح للطغاة ، وتنالة الاتهام للشعب ، فضلا عن الكتابات المتسمة بالسطحية والجهل « على حد تعبيره . . . يخرج الدكتور عبد العزيز المقالح بارهاصات النقد الأدبى فى اليمن ، فى فترة كانت فيها تلك البلاد تعيش « خارج العصر » . ويعتمد الكاتب فى دراسته التأسيسية هذه على الأعداد القليلة لمجلتين صدرتا فى اليمن فى تلك الفترة هما : « مجلة الحكمة » التى صدرت بين عامى ١٩٣٨ ـ ١٩٤١ و « البريد الأدبى » وهى صحيفة خطية توقفت عن الصدور عام ١٩٤٥ . ومنهما بدأت ارهاصات الكتابة النقدية الادبية والشعرية بوجه خاص .

ويقف المؤلف بكتابه عند عام ١٩٤٨ ، وان كان هذا العام يرتبط عند العرب بنكبة فلسطين ، فانه يرتبط عند اليمنيين بأول ثورة دستورية ذكرت اليمن ـ رغم فشلها ـ بزمنها الضائع .

اسم الكتاب : حول الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ودراسات اسلامية اخرى .
المؤلف : حسين أحمد أمين
الناشر : دار النهضة العربية للطباعة والنشر / بيروت ـ لبنان
عدد الصفحات : ٢٣١ صفحة من القطع الكبير .

يقول حسين أحمد أمين مقدما كتابه هذا: « لقد لقيت هذه المقالات بأسرها من الامتعاض والاستياء ، وبعضها من الهياج والثورة ماكان يبرر تسميتها باسم كتاب برتراند راسل « مقالات مكروهة » لولا انها أثارت فى نفس الوقت حماس البعض الآخر واعجابه » .

فى هذا الكتاب الذى يضم عددا من المقالات والدراسات الاسلامية التى نشرها فى بعض المجلات والصحف العربية ، يواصل الكاتب سيره فى الطريق الصعب الذى بدأه بكتابه المثير للجدل « دليل المسلم الحزين الى مقتضى السلوك فى القرن العشرين » .

والكتاب فى مجمله رؤية عصرية متنورة لبعض القضايا الاسلامية ، التى طرحت بقوة فى وطننا العربى ، منذ النصف الثانى من السبعينيات . ومهما كانت درجة الاختلاف مع اجتهادات المؤلف حول تلك القضايا ، فان شجاعته فى طرحها تجعل من صدور هذا الكتاب حدثا لاجدال حول أهميته .

والى جانب المقال الذى أعطى الكتاب اسمه ، يضم الكتاب عناوين اخرى مثل « حجاب المرأة ، هل هو من الاسلام ؟ » و « عن العلمانية فى العالمين المسيحى والاسلامى » و « تأملات فى حقيقة امر السلف الصالح » .

اسم الكتاب : علم الدلالة العربى
المؤلف : الدكتور فايز الداية
الناشر : دار الفكر ـ دمشق
عدد الصفحات : ٥١٠ صفحات من القطع الكبير

تبلور مصطلح علم الدلالة فى صورته الفرنسية لدى اللغوى الفرنسى بريال فى أواخر القرن ١٩ ، ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو « علم الدلالات » ليقابل « علم الصوتيات » الذى يعنى بدراسة الأصوات اللغوية » وبعد أن يحدد المؤلف موقع علم الدلالة من علم الصوتيات ، يعود الى جهود الدلاليين العرب القدماء ، والى المعجم الشعرى العربى والكتب النقدية ، بهدف استجلاء النظرية الدلالية العربية عند الفلاسفة والمفكرين واللغويين والأدباء العرب ، الذين لاحظ المؤلف أن جهودهم قد أغفلت من قبل الدلاليين المحدثين .

ورغم أن الكتاب يبدو متخصصا فى موضوعه ، الا أنه يطرح قضية بالغة الأهمية للمثقفين العرب ، الذين واكبوا انتشار المدرسة البنيوية فى النقد الأدبى الحديث ، وما يستتبعه ذلك من اطلاع على علوم برزت حديثا ، مثل الألسنية والصوتيات واللغويات وعلم الدلالة .

العربي - العدد ٣٢٠ - يوليو ١٩٨٥

المرسم الحر ..

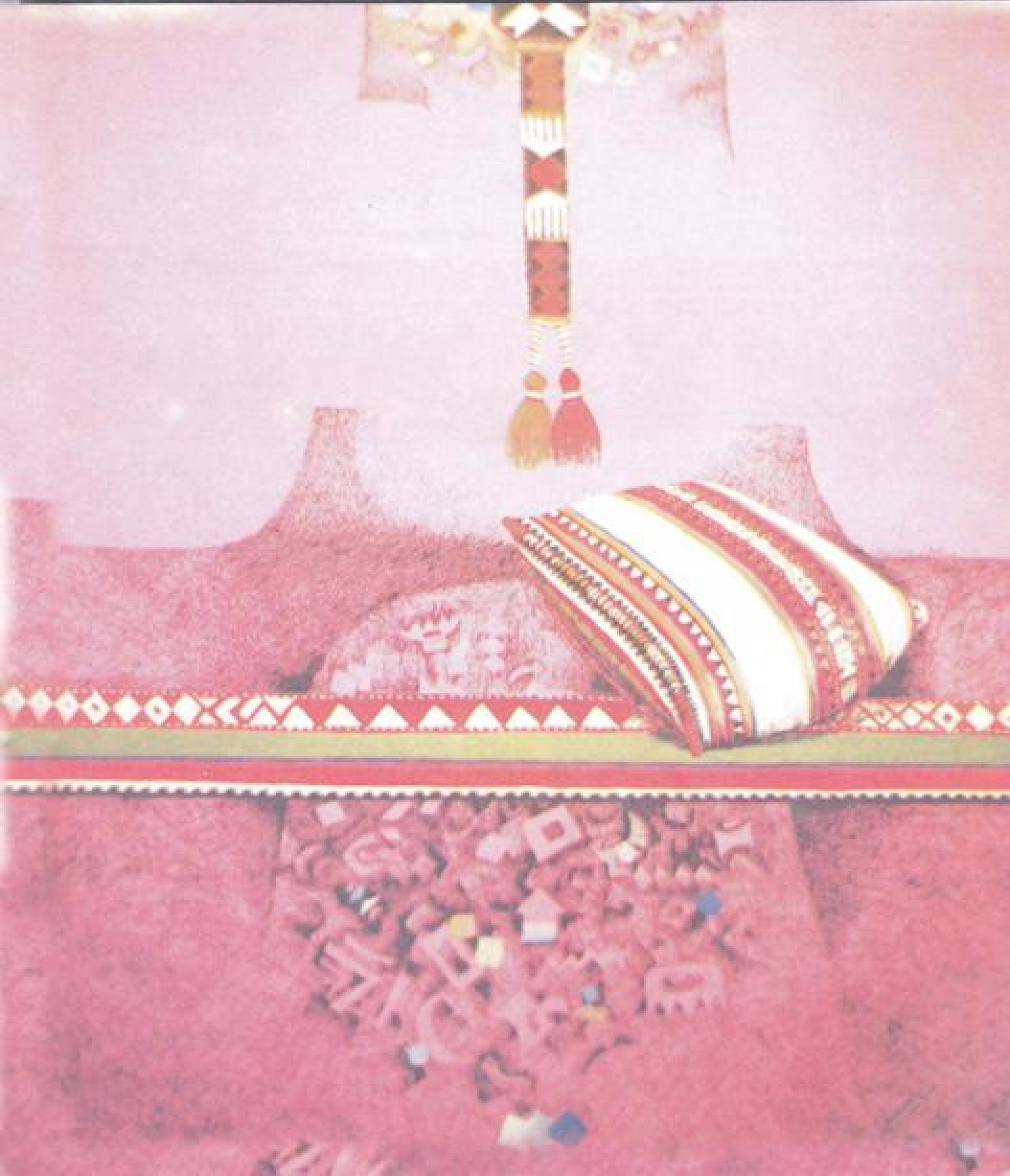

وخمسة وعشرون عاماً من الإبداع

استطلاع : ثريا البقصمي تصوير : سليمان حيدر

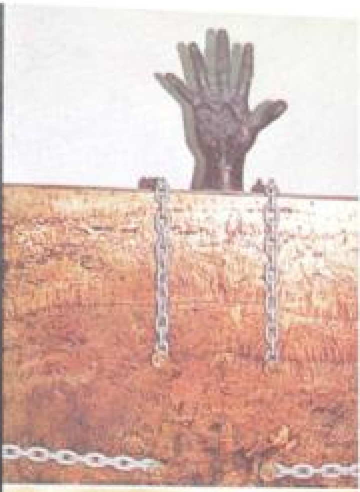

منسوجات السدو برموزها الشعبية الجميلة قدمها الفنان سامي محمد بتقنية حديثة وتكوين فني مفعم بالرمزية (الى اليمين) . الغريق .. تمثال برونزي يغلب عليه طابع الرمزية للنحات الكويتي سامي محمد (الى أعلى فوق) . رقصة شعبية كويتية انتقلت الى عالم النحات عيسى صقر لتحور في منحوتة برونزية ساحرة (الى أعلى) . العودة من البحر .. صورة شعبية جميلة نفذها بالاكريليك الفنان جاسم بوحمد (الى اليسار) .

في عالم الفنانين كلمة تشع سحرا تحمل الفنان الى عوالم الخيال ـ انها كلمة « التفرغ » ذلك المفتاح الذهبي الذي ما ان يمتلكه الفنان حتى تفتح أمامه أبواب النجاح .

لو قلبنا النظر في وريقات التاريخ لوجدنا مئات القصص ، التي تحكي صراع الفنانين وكفاحهم مع مجتمعاتهم ، التي وصمتهم ظلما بالكسل والبطالة لأنهم رفضوا القيام بأية أعمال تسرق الوقت منهم ، ومازلنا تذكر قصة صراع الفنان الهولندي « فان جوخ » مع الوقت ، وكيف حمله إلى مشارف الجنون ، لأنه كان يفضل الموت جوعا على أن يفرط في ساعة من وقته ، لا تعزف فيها أنامله على أوتار لوحة ، يشدو فيها أنغام روحه المعذبة ، ولم ينس التاريخ كيف عانى فنانو الحي الباريسي « موغمارت » « العوز والفاقة » ، وذلك لرفضهم القيام بأي عمل يسرق الوقت منهم . وها هو الفنان الايطالي « موديلياني » يلجأ إلى الرسم على باب مسكنه بعد أن نفدت نقوده ، ولم يعد في استطاعته شراء قماش للوحاته ، وعندما انتهت اللوحة خلع الباب وأخذ يدور على تجار اللوحات الفنية ليبيعه ببعض الفرنكات .

وقد كتب الفنان المصري المعروف « راغب عياد » عن أهمية الوقت في حياة الفنان فذكر « أن الفنان يحتاج للوقت ، لأنه يحتاج للانسجام والتفاعل مع فنه ، كما يحتاج إلى التفكير المتواصل لمعالجة مشاكله الفنية التي تكون أحيانا معقدة ، تحتاج لحلول ومخارج وللاطلاع والدرس المستمر ، وان التفرغ هو رأس مال الفنان وسر نجاحه الفني » ـ .

المرسم الحر تجربة رائدة

أسهمت الحكومة في دفع المسيرة الفنية إلى الأمام ، بتهيئة الظروف المناسبة للعمل الفني الناضج ، وآمنت بفكرة انعتاق الفنان من فرض الوقت في عمل آخر ، ومنحه التفرغ الكامل لفنه ، فأنشأت المرسم الحر ، الذي كتب عنه الفنان العراقي ، شوكت الربيعي : « المرسم الحر هو ذلك المكان الانتاجي الذي يشعرك على الدوام بالنشاط والفاعلية الدائبين على البحث والتقصي والتجربة سعيا وراء وسائل تعبيرية قادرة على ايجاد المعطى الحقيقي لدور الفن في الحياة وعناصرها : الماء ، والهواء ، والنار . وفي نقائضها : الجوع ، والجنس ، والخوف ، والموت » .

تأسيس المرسم الحر

على شارع الخليج العربي ـ في الكويت ـ يقع منزل قديم ، بابه الخشبي وشم التاريخ بذكرياته ، حوائطه البيضاء تحمل لافتة كتب عليها كلمتان ، كان لهما مفعول السحر في نفس كل من عاصر الحركة التشكيلية في الكويت « المرسم الحر » .. هذا الصرح الفني الذي مرت خمس وعشرون سنة على تأسيسه ، كان ولا يزال صومعة فنية دخل إليها الهواة ليخرجوا منها بعد سنوات فنانين محترفين أسهموا في تطوير الحركة الفنية في بلادهم .

ولنرجع إلى بداية هذه الحركة :

كويت الخمسينيات والفن

طبيعة صحراوية بحرية هادئة تلف قوام مدينة الكويت ـ كويت الخمسينيات ـ حيث يتسم كل شيء بالبساطة والفطرة ، التي كان يعكسها طلبة المدارس في منتوجاتهم الفنية في نهاية كل عام دراسي ، وكان أول معرض فني عام ، هو معرض « البطولة العربية » الذي أقيم في عام ١٩٥٨ ، وقد تنبه المتتبعون للنهضة الحضارية المتغلغلة في النسيج الثقافي للكويت الفتية ، إلى تلك المواهب الفنية الشابة ، والطاقات الابداعية التي كانت تنتظر الظروف المناسبة لظهورها واستمرارها ، وكانت فكرة معرض « الربيع » السنوي تظاهرة فنية ، أبرز العديد من الطاقات الشابة ، ولمع فيه أكثر من اسم فني . وهو أول معرض للربيع أقيم في عام ١٩٥٩ بصالة المباركية .

وفي مكتب مدير دائرة المعارف « وزارة التربية حاليا » السيد « عبدالعزيز حسين » دار نقاش مطول ، عن كيفية الحفاظ على هذه المواهب الفنية ،

مبنى المرسم الحر صومعة فنية ، ذات تاريخ فني عريق

وما هي أحسن السبل لتطويرها ودعمها ، وقد طرح موجه التربية الفنية بوزارة التربية السيد « حامد حميدة » فكرة اقامة ناد أو مرسم للهواة من الفنانين مع تزويده بالخامات الفنية والمشرفين الفنيين ، وكان الأستاذ عبدالعزيز حسين يطمح بدوره ، إلى أن يكون هذا المرسم نواة لكلية فنون كويتية ، تسهم في تحريك عجلة التقدم الحضاري لدولة الكويت الفتية .

وخصصت بعض الغرف في مدرسة قتيبة الابتدائية للبنين ، لتكون مراسم للفنانين ومكتبة تحوى الكتب الفنية ، واختيرت نخبة من الأساتذة المتخصصين في مختلف المجالات الفنية للاشراف على المرسم ، ونجحت التجربة ، وبلغ عدد الهواة المنتسبين مائة وثلاثين هاويا وكان المرسم يفتح أبوابه مساء ولا يمنح المنتسب أية شهادة دراسية .

وفكر المسئولون عن المرسم في الصعوبات التي يواجهها الفنانون المرتبطون بالوظائف العامة ، وصعوبة التوفيق بين العمل والفن ، وقرروا إيجاد حل لمساعدة الفنانين ، وكانت فكرة التفرغ الفني ، المخرج الوحيد الذي يحقق للفنان أحلامه في أن يكون عطاؤه خالصاً من أجل الفن ، وكان أول من منح التفرغ الفني ، الفنان « عيسى الصقر » ثم تلاه الفنان « خليفة القطان » ، وقرر المسؤولون إعطاء الفنانين فرصة للالتحاق بالمعاهد الفنية خارج البلاد وذلك لدراسة الفن وإثراء ثقافتهم الفنية ، وكانت معظم هذه البعثات إلى القاهرة وبعض منها إلى انجلترا وفرنسا .

زاد نشاط المرسم في نهاية الستينيات ، لاشتراكه في المعارض الخارجية وكان أول معرض للفنانين المتفرغين عام ١٩٧٢ وذلك بقاعة المتحف ، وعندما انتقلت مسؤولية المرسم إلى وزارة الاعلام ، مُنح مقرا جديدا وهو عبارة عن منزل شعبي قديم ، يتميز بجو فني ومراسم أكثر ملاءمة للفنانين المحترفين أولئك الذين خلعوا عنهم رداء الهواية ، ولبسوا أثواب الدراسة الجادة والتجربة الناضجة .

شروط وقوانين التفرغ

لقد وضعت أسس وقوانين لتحكم أعمال الفنانين المتفرغين ، ومن أهمها : مدى إدراك الفنان للشكل الفني ، وأسلوب الفنان ، ومدى نمو هذا الأسلوب ، والمستوى الثقافي الذي يتمتع به الفنان المتفرغ ، وإجراء مقارنة بين إنتاجه الفني قبل التفرغ وبعده ، ومدى استفادته من المنحة الحكومية التي يندر وجودها في كثير من دول العالم . وللانتساب للمرسم شروط هي : أن يكون المنتسب كويتي الجنسية ، وله نشاطات فنية ملحوظة ، وأن يكون ذا مؤهل علمي عال . وبعد خمس سنوات من تقييم الفنان المتفرغ يُمنح شهادة الامتياز .

نشاطات المرسم

وقد وضعت للمرسم نشاطات وأعمال حدثنا عنها الفنان « جاسم بوحمد » أمين المرسم الحر فذكر : بأنه يوجد في المرسم أحد عشر فناناً متفرغا ، وتتوافر في المرسم الخامات الفنية والمراسم ، وكذلك مكتبة مزودة بأحدث الكتب الفنية ، وأفران للخزف ،

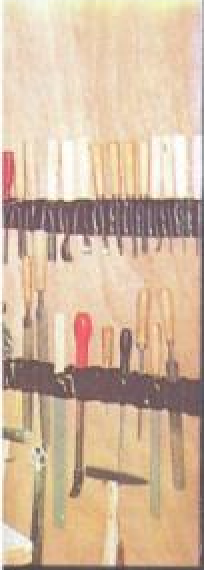

التحات عيسى صقر يعالج

طبيعة بحرية ساحرة ، وعبق الماضي الاخاذ . . بريشة الفنان محمود الرضوان .

البادية برموزها البسيطة غرقت في خضم الأهازيج اللونية التي أسبغها عليها الفنان خزعل عوض .

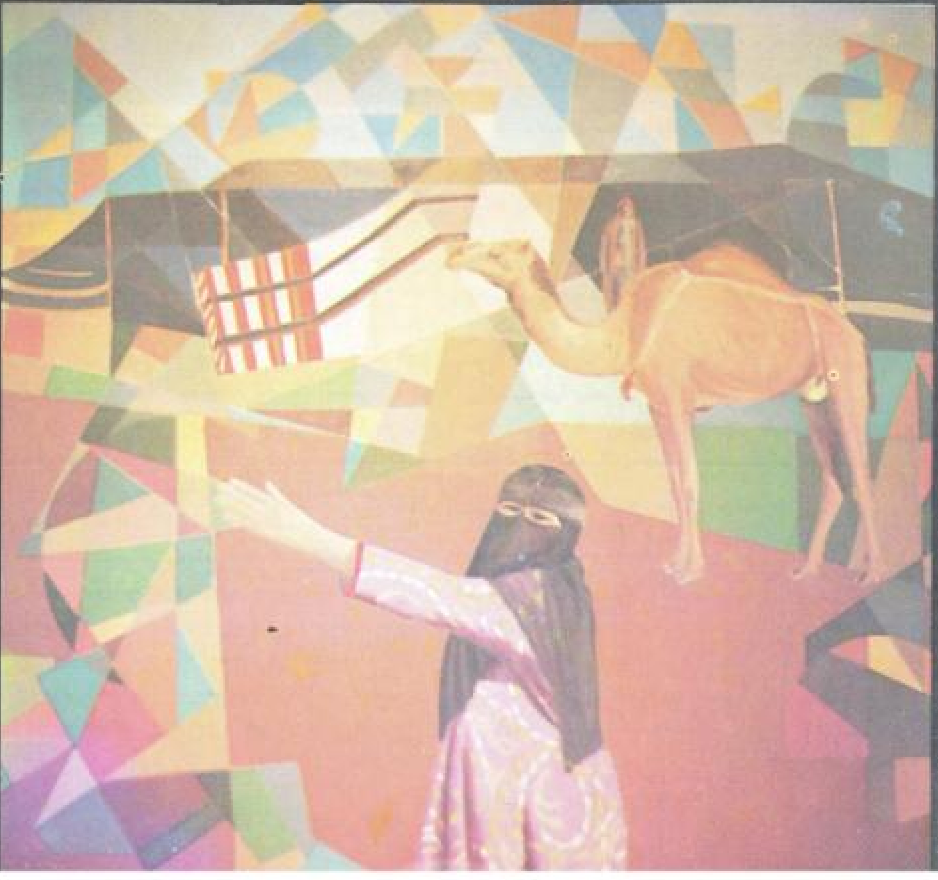

أحد تماثيله في محترفه بالمرسم الحر

النحات خزعل عوض في منحته بالمرسم الحر وعمل متواصل من أجل خدمة الفن .

موروثات شعبية ، في إطار فني حديث قدمه الفنان عبد الله سالم .

ومحترق مزود بأحد أجهزة الطباعة ، ومسبك لصهر البرونز . وقال إن الفنانين يسهمون في الأسابيع الثقافية التي تقيمها الدولة في الخارج ، وكذلك في المشاريع الحكومية ذات الطابع الفني ، ويحق للدولة أن تمتلك أعمال الفنانين مقابل مكافأة رمزية ، وللفنان الحق في التصرف بلوحاته وبيع إنتاجه الفني ، وقد شارك فنانو المرسم في أكثر من (٨٥) معرضا خارجيا ومحليا ، وفي مؤتمرات فنية ، كان من أهمها : « مؤتمر النحاتين في كندا » . وقد قال الفنان جاسم بوحمد : « إن التفرغ شرف أعتز به ، وهي كلمة لا تمنح لأي فنان عادي ، وعن ذكرياته في المرسم يذكر بأنه في أول زيارة للمرسم الحر ، شعر بالرهبة والخشوع لهذا الفن الراقي الذي يقترب من القداسة .

جولة مع فناني المرسم

التقينا مع بعض فناني المرسم الذين كانوا يعالجون الكتل الخشبية بأزاميلهم ، أو قماش اللوحة بريشهم ، وبعض هؤلاء الفنانين حصل على التفرغ منذ عشرين عاما ، وله كثير من الذكريات ، والتقينا بالفنان « عيسى الصقر » وهو أول الفنانين المتفرغين ، وقد قال بأن التفرغ يعني أن يعيش الفنان لفنه فقط ، والفنان عيسى اشتهر بحبه للفنون الشعبية ، التي حورها في تماثيل برونزية جميلة ، تمتاز بالاستطالة ، والرشاقة ، وخبرة فنان نذر نفسه للفن .

ومن فناني المرسم النحات الكويتي المشهور « سامي محمد » والذي قدم تماثيل تعالج قضايا إنسانية وسياسية ، يقول بأنه لولا التفرغ لواصل السير في نفس الطريق ، ولكنه لم يكن يجني نفس الثمار ، ولن يصل إلى ما وصل اليه .

ومن الفنانات الكويتيات المتفرغات الفنانة صبيحة بشارة ، والفنانة سعاد العيسى ، والتي ذكرت بأن العمل الاداري يقتل روح الفنان ويفقده شخصيته الفنية ، وهو يعطي للفنان الفرصة للعمل دون أن تثقل كاهله الأعباء المادية ، أما النحات « خزعل عوض » ، الذي يعشق المواضيع التراثية ذات الطابع الرمزي ، فإنه يسرد ذكرياته عن مدى الأثر الذي تركه المرسم في نفسه إثر أول زيارة له فيقول : عندما دخلت هذا المكان شعرت بشفافية مستقبلية ، وعرفت بأني لن اغادر هذه الصومعة الفنية ، وها هو ميداني فلتنطلقي يا خيول إبداعي ، ومن الفنانين الرواد في المرسم الفنان « خليفة القطان » والفنان « محمود الرضوان » الرافض الانفصال عن الماضي ، والمتغلغل في نسيج التراث الكويتي ، حيث ينقل بأمانة فنية تامة وتقنية رائعة صوراً شعبية جميلة للأحياء الكويتية القديمة التي اندثرت ، وللساحل الخليجي ، ويفسر سبب ولعه هذا بأنه تمنى لو أنه بقي في الماضي

النحات سامي محمد يعالج كتلة خشبية ، ومشروع تمثال .

النحات جاسم بوحمد أمين المرسم الحر ورغبة صادقة في تطوير الحركة الفنية التشكيلية الكويتية .

وظل طفلا صغيرا يراقب أهله وهم يركبون قواربهم ، مبحرين لطلب الرزق ، وعندما لم يستطع تحقيق أمنيته بالعودة للماضي ، حمل هذا الماضي في قلبه ليفجره حبا وألوانا على قماش لوحته . ومن الفنانين المبدعين في المرسم : « الفنان عبدالله القصار » الملتزم في فنه بفلسفات خاصة ، والذى قرر أن يكون إبحاره في عوالم الفن مصحوبا بفكرة الغوص في أعماق النفس البشرية ، وهناك بعض الفنانين الذين عشقوا البادية ، وكل ما يتصل بحياة البدو الرُّحل ، وحولوا عشقهم إلى مواضيع فنية زاخرة بالألوان الدافئة الصحراوية الجميلة ، وهم : الفنان عبدالله سالم » ، الذى اختزل الرموز البدوية ، وحوّل البساط البدوى إلى نسيج رائع من الأحاسيس والأفكار ، والفنان « مساعد القهد » الذى ابتعد عن المدارس الفنية الحديثة ، ويقول عن ذلك « انا ابن هذه الأرض وأحب أن تنبع لوحاتي من روحها .

النقاد والمرسم الحر

وقد كتب كثير من النقاد الفنيين عن الحركة الفنية التشكيلية في الكويت ، ومنهم الدكتور « عفيف بهنسي » مدير الفنون الجميلة في الجمهورية العربية السورية إذ يقول:لعل أهم ما يميز الحركة الفنية في الكويت هو سلامة منطلقها ، فلقد ظهرت هذه الحركة في ظروف فنية فيا كان عليها أن تستمد نسقها من أصول غربية ، أومن مصادر متنوعة كما كان الحال في نشأة الفن في أكثر الأقطار العربية ، ولكن الفن العربي الحديث ، وقد استقام بعد تجربة طويلة استمرت منذ بداية هذا القرن قدّم إلى الكويت حصيلة تطوره المتجهة نحو بناء الشخصية العربية في الفن ، وأنبت في هذا البلد العربي براعم ناشئة ، تفاعلت مع الثقافة الفنية ، الواردة من المعاهد الفنية العربية ، أومن مدرّسي الفن المتخصصين ، وكانت هذه الثقافة ، مقدمة أصيلة جديرة بالمتابعة والاهتمام .

ولو ركزنا نظرتنا في ملامح الفن الكويتي ، لتبين لنا أن الفنان هناك يحاول أن يتخطى الصعوبات التقنية ، لتحقيق نوع من الأصالة الفنية ، ولقد تمثل هذا في محاولات متنوعة بعضها واضح في محاولة تطوير الرقش العربي وبعضها يتمثل في التعبير التلقائي عن المناخ والبيئة المحلية ، وهناك من يؤكد على القضايا العربية المباشرة بأسلوب صادق مبسط » .

كل هذا يبشر بولادة صحيحة لفن عربي أصيل على أرض الكويت .

فن أصيل

نعم إنه فن أصيل يفيض بروح الأرض التي ينتمي إليها ، وإن رحلة الـ (٢٥) عاما التي قطعها المرسم الحر ، منذ تأسيسه ، لتشهد على أصالة هذا الفن ، وبالفضل الكبير للمرسم على تطور الحركة الفنية الكويتية ونموها،وإن فناني المرسم المتفرغين ما زالوا يذكرون مرسمهم وهو يحبو ويخطو خطواته الأولى ، وكيف شب ونضج وأصبح صرحا فنيا يفتخر به على المستويين العربي والعالمي . □

خلاّط ٧٢١ الجديد من مولينكس
صنع فرن
شكل جذاب وقوة فعالة
سوبّر بلندر ميكسّر ٧٢١، الخلاّط الجديد
من مولينكس: قوة، متانة وسُرعة.
بالاضافة إلى وظيفة الخلط فإن
سوبّر بلندر ميكسّر ٧٢١ يطحن ويَبشر
في ثوانٍ بفضل ملحقي مطحنة البن
ومبشرة الأجبان الخاصّة بمولينكس.
سوبّر بلندر ميكسّر ٧٢١،
جهاز مسجّل في جميع أنحاء العالم.
Moulinex
made in france
مولينكس
صنع فرنسا

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

اللعب والتربية

العقم عند النساء

اللعب وأثره في التربية

بقلم : راتب المسعود

ليس كل لعب لهوا وعبثا . وجيل من التربية الحديثة أن تصطنع منه أساليب تعينها على تكوين الناشئة . فتضفي عليهم ثوبا من عافية البدن ، ونشاط الذهن ، واستقرار النفس .

اعتبر اللعب قديما مضيعة للوقت ، ومبدداً للجهد الذي يجب أن يبذل في الدراسة والتعلم ، ولذا فلا غرابة إن وجدنا التربية القديمة تعمل جاهدة لابعاد تلاميذها عنه ، عن طريق تجاهلها له في مناهجها المدرسية أو خططها التربوية .

وقد تغيرت النظرة الى اللعب ، وتبدلت الصورة عنه في عهد التربية الحديثة ، التي أكدت على ضرورة إدخاله ضمن المناهج التربوية في جميع مراحل التعليم ، وغرسه في اكثر النشاطات التربوية والمواضيع الدراسية اعترافا بأهميته الملموسة في ترسيخ التعليم في الذهن .

واللعب الذي نعنيه هنا يشمل مجموعة النشاطات والممارسات التي يقوم بها الطفل سواء من تلقاء نفسه أو التي صممت ونظمت له من قبل غيره كالجري والعوم في الماء وركوب الأراجيح وغير ذلك ، أما الشكل الآخر للعب فهو تلك النشاطات التي يقوم بها الطفل ، مستخدما الألعاب المختلفة ، والتي تنوعت صنوفها في الآونة الأخيرة حتى أصبحت صناعة كبيرة شملت الألعاب التعليمية والأجهزة السمعية والمرئية ، فأصبح منها الثابت والمتحرك ، والبسيط والمعقد ، ومنها ما يستطيع الطفل أن يلعب بها بمفرده ، ومنها ما لا يستطيع الا بالاشتراك مع غيره من الأطفال ، ناهيك عن مادة صنع تلك الألعاب ، فإن بعضها ورقي كرتوني ، وبعضها بلاستيكي وآخر معدني أو خشبي إلى غير ذلك .

وسوف نحاول في هذه العجالة توضيح الأثر المهم الذي يحققه اللعب من أجل تربية الطفل ، وتعليمه وكيف يؤثر اللعب على كافة جوانب نمو الطفل جسميا وعقليا واجتماعيا وانفعاليا ، ليتسنى لنا - آباء ومدرسين - وضع اللعب في المكان الذي يليق به إن أردنا حقا لأطفالنا السعادة ولمجتمعاتنا التقدم .

فوائد اللعب :

اللعب عبارة عن استغلال طاقة الجسم الحركية في جلب المتعة النفسية للفرد ، وهو الوسيلة التي يزداد بها الطفل معرفة ببيئته التي يعيش فيها يوما بعد يوم ، إذ أن اللعب هو عمل للطفل وهو وسيلته التي ينمو بها ويرقى بوساطتها ، ويمكن ان ننظر الى نشاط اللعب على انه رمز الصحة العقلية ، فإذا لم يقبل عليه الفرد كان ذلك دليلا على عيب فطري أو مرض نفسي .

اللعب . . رياضة وترويح وبسمة على الشفاه .

لم تكن التربية الحديثة تولي اللعب كل هذا الاهتمام ، لولا أن هناك فوائد عديدة وثمارا تربوية جمة ، يقدمها اللعب للطفل ، ومنها :

١ . ينفس عن التوتر الجسمي والانفعالي عند الطفل .

٢ . يدخل الخصوبة والتنوع في حياة الطفل .

٣ . يعلم الطفل أشياء جديدة عن نفسه وعن العالم المحيط به .

٤ . يعطي الطفل مجالا لتمرين عضلاته كما في ألعاب الحركة والمجهود الجسمي .

٥ . يعطي الطفل فرصة لاستخدام عقله وحواسه ، وزيادة قدرته على الفهم .

٦ . يتيح الفرصة للطفل ليعبر عن حاجاته التي لا يتاح لها الأشباع في حياته الواقعية .

٧ . يجذب انتباه الطفل ويشوقه الى التعلم ، فالتعليم باللعب يوفر للطفل جوا طليقا يندفع فيه الى العمل من تلقاء نفسه .

٨ . يمكن الكبار من مساعدة الطفل على حل مشكلاته وأزماته الشخصية اذ يوقفهم على مفاتيح مهمة لمسلكه .

٩ . اللعب الجماعي تقويم لخلق الطفل ، اذ يخضع فيه الى عوامل ايجابية كالمشاركة الوجدانية والتضامن مع الزملاء .

١٠ . اللعب يوفر للطفل فرصة التغيير ، وهي حاجة أساسية عند الانسان ، فلا بد في الحياة من تغير رتابة العمل لكيلا تصبح الحياة مملة والعمل مضنيا .

اللعب والتربية :

بعد أن كانت التربية التقليدية تعتبر اللعب عدوا للوقت والجهد ، وتحول بين الأطفال وبينه ، جاءت التربية الحديثة لتعزز موقفه وتجعله ضروريا للنمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي .

شعب لايعـرف كيف يلعب .. شعب لايعرف كيف ينتج ؟ وليس صدفـة إن الأمم الأكثر تقـدما هى ذاتها التى تحتل المكانة الأولى فى الألعاب الرياضية .

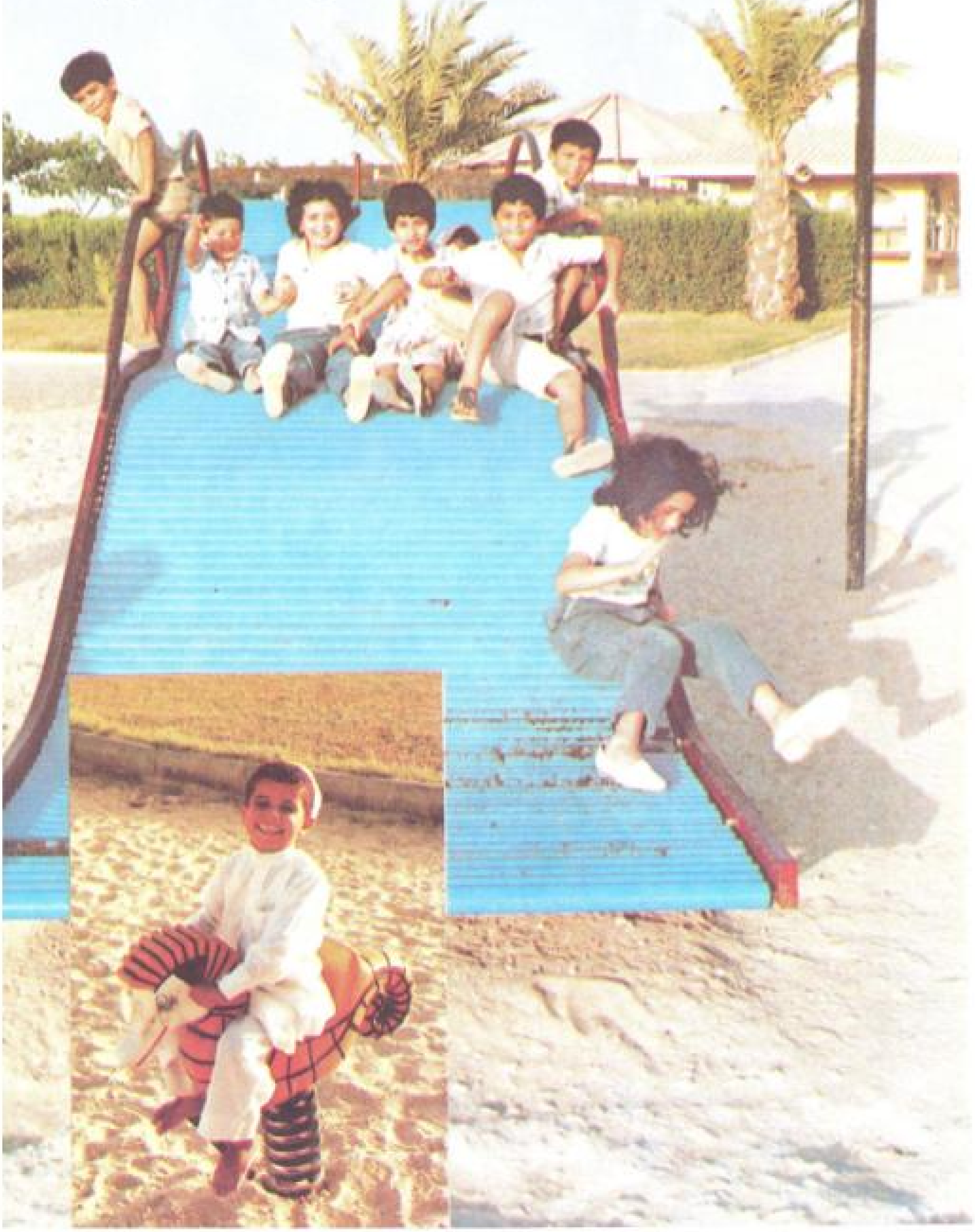

وتؤكد على أنه ميل طبيعي له غاياته التربوية . ولذا فلا غرو ان وجدنا معظم علماء التربية يؤكدون على جعل اللعب مبدأ من مبادىء التربية،وأنه وسيلة مهمة لتربية الصغار .

والتربية الحديثة لاتولي اللعب مثل هذه الأهمية ، الا لأنه يحقق أثرا بارزا في مختلف أنواع النمو عند الطفل ، كما يتضح فيما يلي :

أثر اللعب على النمو الجسمي :

يسهم اللعب إسهاما كبيرا مع الغذاء في زيادة وزن الطفل وحجمه ونمو أجهزته المختلفة ، فالجري والمطاردة والعوم في الماء وركوب الدراجة وتسلق السلالم والسباق وغير ذلك من الألعاب الرياضية المنظمة والنشاطات تعمل جميعها على إعمال الطاقة الكامنة لدى الطفل ، وبالتالي زيادة قوته العضلية ونموه البدني . وتعمل هذه النشاطات على ايجاد نوع من التوافق الحركي عند الطفل وتكتسب عضلاته الصغيرة يوما بعد يوم مزيدا من النضج والمهارة في استعمال الأشياء .

ان اللعب ضرورة أساسية لنمو الطفل في مرحلتي الطفولة المبكرة والمتأخرة لتهيئته لاستقبال الأعمال والمهارات التي تتطلبها مراحل النمو المقبلة ، حيث أن لكل مرحلة نمو معينة ، مهارات وأعمالا معينة لابد من إتقانها والالمام بها حتى ينتقل الطفل الى مرحلة النمو التي تليها انتقالا سويا .

والبيت والمدرسة كلاهما مدعو لتشجيع الطفل على تنويع نشاطه الحركي ، وتشجيعه على الحركة التي تتطلب المهارة والشجاعة ، وعلى مختلف أنواع الالعاب الرياضية المنظمة التي تكسبه قوة ومتانة وتزيد عضلاته نموا وانسجاما .

أثر اللعب على النمو العقلي :

تعد ألعاب الطفل وسيلة مهمة وحيوية لادراك الكثير من المفاهيم والقواعد في مختلف المعارف والعلوم ، واكتشاف حقائق الكون وفهم بعض أسراره .

ان اللعب يعطي الطفل الفرصة لاستخدام حواسه وعقله وزيادة قدرته على الفهم ، إذ أنه يجذب انتباهه ويشوقه الى التعليم ، لما يوفره له من جو طليق يندفع فيه الى العمل من تلقاء نفسه ، فنجده يتعلم مفاهيم الحساب كالعد والوزن والحجم والمقاييس ، عن طريق ألعابه المختلفة السهلة الاستعمال ، سواء أكانت خشبية أم بلاستيكية أم كرتونية ، أم معدنية أم غير ذلك ، وبذا يكون ذخيرة جيدة من المفاهيم التي تستقر في ذهنه ، ويصعب نسيانها ليعزز المبدأ القائل « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » .

وما يندرج على مفاهيم الحساب يندرج على مجموعة كبيرة أخرى من المفاهيم في سائر انواع العلوم ، يكتشفها الطفل بطريقة عفوية غير منظمة بالنسبة له ، مع أنه يفترض أن يكون الكبار قد وعوا وأدركوا جيدا الهدف من هذه اللعبة أوتلك قبل تقديمها للطفل . وبذا تكون الألعاب رافدا مهما لمعلومات الطفل ومفاهيمه ومدركاته بحيث تعمل جميعها على زيادة النمو العقلي له تمشيا مع كافة أشكال النمو الأخرى .

أثر اللعب على النمو الاجتماعي :

سبق أن قلنا في معرض الحديث عن فوائد اللعب، ان اللعب الجماعي يعد تقويما لخلق الطفل، إذ يخضع فيه الى عوامل مهمة كالمشاركة الوجدانية والتضامن مع الزملاء، فمن خلال اللعب يتعلم الطفل كثيرا من جوانب الحياة الاجتماعية ،

حيث أنه يمر في مواقف حياتية تتيح له الفرصة ليتعلم النموذج الأمثل في تكوين العلاقات المتبادلة ، كالتعاون ، والتنافس ، والمشاركة والمناقشة ، والمشاورة مع الآخرين ، والاشتراك في اتخاذ قرار جماعي ، وتقبل رأي غيره ، واحترام هذا الرأي ، وطرح الأفكار التي تهم الجماعة ، وما الى ذلك من الأنشطة الاجتماعية البسيطة ، التي من خلالها يتعلم الطفل أمورا مهمة لمستقبل أيامه ، ويتخذ منها اساسا لعلاقاته الاجتماعية المقبلة .

وهذه المظاهر وغيرها يتعلمها الطفل من خلال مجموعة كبيرة من الألعاب ، قد تبدأ بلعبة يشترك فيها مع طفل واحد آخر كلعبة « السيسو » مثلا ، وتنتهي بالألعاب التي تحتاج لأكثر من طفل للقيام بها . ومما تجدر الاشارة اليه أن المعلم أو المعلمة في مرحلة الروضة أو المدرسة الابتدائية قد يخطط لألعاب كثيرة ولا تكلفه شيئا سوى الاعداد لها ، وقد تقع معظمها في دائرة النشاطات التربوية ، التي من خلالها يعزز المعلم أو المعلمة عند الأطفال القيم الايجابية الجماعية التي سبق ذكرها .

أثر اللعب على النمو الانفعالي :

يعمل اللعب بمختلف أنواعه ، وعلى مدى سني عمر الطفل على تنمية أشكال العواطف لديه ، وعلى ضبط انفعالاته والوصول بها الى مستوى النضج .

فمنذ الأشهر الأولى التي يبدأ فيها الطفل مرحلة جديدة من النمو الحركي وهي المشي ، نجده يستغل هذه القدرة على ابراز كيانه ، والاعتراف بهذا الكيان فيشعر هو بالثقة بالنفس ، وبقدرته على الانجاز والعمل دون إدراك حقيقي لهذا العمل .

ويعد اللعب بالنسبة للطفل أفضل وسيلة للتعبير عما يشعر به ، ولذا فلا غرابة إن وجدناه احيانا يرمي لعبة أو يصرخ بأعلى صوته معبرا عما يجول في نفسه من غضب واستياء ، أو يعطي لعبة الى غيره من الاطفال معبرا لهم عن الحب الذي يكنه لهم ، أما عواطف الكره والبغض والخوف والغيرة والهدوء والسعادة والفرح والتذوق فإننا نكاد نلمحها بوضوح في تعامل الطفل مع دُمَباته واقرانه .

ويتأثر بهذا كله النمو الاجتماعي الذي سبق واشرنا اليه ، لأن هذه العواطف تعزز بعض العمليات الاجتماعية كالتعاون والتنافس والصراع وما الى ذلك مما يجعله يزداد يوما بعد يوم في معرفة ذاته أولا وفي معرفة محيطه آخرا .

وفي حقيقة الامر فإن كل لعب يقوم به الطفل لتنمية جسمه وعقله ، هو في الوقت نفسه عامل على نمو عواطفه وتطور انفعالاته ، وهنا تأتي مهمة الكبار من آباء ومدرسين لأن مسئوليتهم في توجيه الطفل تعد ذات أثر بالغ في العمل على ايجاد التوازن في عواطف هذا الطفل وأحاسيسه والعمل على تعزيز عاطفة نبيلة يظهرها الطفل من أجل نمائها وزيادتها ، وبالمقابل توجيهه الى الابتعاد عن الانفعالات الشريرة التي يحتمل أن تولد وتزرع في نفسه الحقد والكراهية والبغضاء ، ولذا فإن تربية الانفعالات مسئولية عظمى تترك آثارها واضحة في حياة الطفل المستقبلية .

ان مساعدة الطفل في السيطرة على انفعالاته وضبطها والتحكم في نفسه ، والفهم والتقبل لمشاعره نحو نفسه ونحو العالم المحيط به ، اضافة الى اشباع الرغبات النفسية كالحب والشعور بالأمن والتقدير ، كلها أمور تخلق في الطفل توافقا انفعاليا واتزانا عاطفيا يجلب السعادة له ولمن يعيش حوله .

ان اللعب هو وسيلة لتفريغ الطاقة عند الاطفال ، وهو الوسيلة التي يختارها الطفل للتعبير عن ذاته بالعمل دون أي اعتبار للنتائج التي يجنيها ، ولانعدو الحقيقة إن قلنا إن اللعب يمثل مدرسة ، لأن الطفل يتعلم بوساطته ما لا يستطيع احد أن يعلمه اياه ، فهو يتعلم كيف يتعرف على الاشياء ويتجاوب معها ، ويتعلم أنماط العلاقات الانسانية وكيفية الاتصال بالناس ، والكفاح من أجل الوصول الى هدف .

ولما كان للّعب مثل هذا الأثر المهم في التعلم والتربية فما أحرانا ان نجعله موضوع اهتمامنا ودراستنا ، ونحسن تقدير أثره التكميلي في نمو أطفالنا نموا سويا . □

العقم عند النساء

بقلم : الدكتور انيس فهمى

عندما يتأخر ظهور أعراض الحمل على الزوجة تبدأ التساؤلات .. وعندما يقول الطبيب إنها لاتنجب تبدأ سحب الهموم فى سماء الحياة الزوجية ، فماذا تعرفين - سيدتى - عن العقم وأسبابه وعلاجه ؟

العقم من أشد الاشياء ايلاما وإحداثا للقلق عند الزوج والزوجة ، وهناك ملايين من الأزواج لم يستطيعوا الحصول على الاشباع العضوى والوجدانى الذى يحققه انجاب طفل لانهم عقيمون ، وليس أمام اولئك الازواج سوى حل واحد هو تبنى الاطفال . الآن أصبح فى متناول اليد مجموعة من الامكانات الطبية ، ليست مؤكدة ١٠٠٪ ، ولكن أغلبها يعد بآمال كبيرة ، ومجموعة من العقاقير وانواع جديدة من الجراحات ، وحتى اتمام عملية الاخصاب خارج الرحم يمكن أن تفتح الطريق لتحقيق حلم أزواج كثيرين بتكوين اسرة سعيدة .

وقد دلت الاحصاءات على أن ٤٠٪ من حالات عدم الانجاب يقع فيها اللوم على الرجل ، وفى ٤٠٪ من الحالات يقع اللوم على المرأة ، وفى باقى الحالات يقع اللوم على الزوجين معا .

تقدم العلاج فى السنوات الأخيرة :

يبدو أن حالات عدم الانجاب فى ارتفاع مستمر ، وأحد الاسباب هو ارتفاع نسبة الاصابة بالأمراض التناسلية ، وهناك سبب آخر هو ميل النساء إلى تأجيل الزواج والحمل . وفى العشرين سنة الأخيرة اكتسب الخبراء معرفة كبيرة بتعقيدات الغدد الصماء التى تتحكم فى عملية الانجاب ، واكتشفت اختبارات جديدة لتشخيص نقص الهرمونات لم تكن معروفة من قبل ، هذا بالاضافة الى نجاح الباحثين فى عزل الهرمونات الجنسية وتخليقها مما ساعد على علاج الحالات المستعصية بالعقاقير الحديثة . أما العمليات الجراحية التى كانت مستخدمة لعلاج العقم فقد استبدلت الآن بالجراحات الميكروسكبية . وباستخدام عدسات قوية

ومشارط دقيقة للغاية ، وخيوط ارفع من الشعرة ، استطاع الجراحون أن يضاعفوا فرص النجاح فى عمليات تنقية الانابيب فى المرأة او عمليات استعادة الحبل المنوى المقطوع عند الرجل .

أما أكثر العمليات إثارة فهى تلقيح البويضة خارج الرحم ، وفى هذه الحالة يستخرج الطبيب البويضة من المبيض ويلقحها بالحيوان المنوى للزوج فى أحد أطباق المعمل ، ثم يدخل البويضة الملقحة الى رحم السيدة لينمو الجنين نموا عاديا ، وتلد السيدة طفلها بعد انتهاء مدة الحمل بطريقة طبيعية ، ومنذ أن ولدت الطفلة « لويز براون » بانجلترا فى عام ١٩٧٨ وولد بعدها ١٥٠ طفلا بهذه الطريقة وأصبحوا يسمون اطفال الانابيب .

الهرمونات الجنسية :

إن العقم عند النساء غالبا ما يرجع الى اضطراب فى عمل الهرمونات الجنسية ، فان الغدة النخامية تفرز نوعين من الهرمونات : نوع ينشط حويصلات المبيض ويساعد على انضاجها ، ونوع آخر يسبب انطلاق البويضة الناضجة من حويصلة المبيض لتسافر عبر قناة فالوب الى الرحم ، وخلال هذه الرحلة تلتقى بالحيوان المنوى الذى يلقحها ، وفى هذه الأثناء تحدث عمليات كيماوية اخرى لتعد جسم السيدة للحمل ، فالمبيضان يفرزان هرمون الاستروجين ، والحويصلة الفارغة بعد انطلاق البويضة منها تفرز هرمون البروجسترون،هذان الهرمونان يعملان على اعداد الغشاء المبطن للرحم لاستقبال البويضة الملقحة ، فاذا كانت البويضة لم تلقح او فشلت فى ايجاد مكان لها بالرحم فان افراز البروجسترون يتوقف وينفصل الغشاء المخاطى للرحم الذى يطرد خارج الرحم اثناء الدورة الشهرية .

علاج العقم بالعقاقير :

فى حالة عدم التبويض فان العقار الاول الذى يعطى للسيدة هو كلوميد وهو هرمون تخليقى تتناوله السيدة عن طريق الفم بعد الدورة الشهرية ، وهذا الهرمون ينشط عملية التبويض . اما اذا كان سبب العقم يعود الى نقص فى افراز

هرمونات الغدة النخامية المنشطة للمبيض فتعطى السيدة حقن برجونال وهى مادة تستخلص من بول السيدات اللواتى بلغن سن اليأس ، وتحتوى على الهرمونين المنشطين لعمل المبيض . إن علاج السيدة لمدة ثمانية ايام الى عشرة بحقن برجونال كفيل بانضاج البويضة ، ثم تحقن السيدة بعد ذلك بحقنة من هرمون الغدة النخامية المنشط لافراز البروجسترون من المبيض لكى تنطلق البويضة من حويصلة المبيض .

احيانا يكون الافراز المخاطى لعنق الرحم كثيفا بدرجة تشكل مانعا للحمل ، فاثناء التبويض يجب أن يكون الافراز المخاطى لعنق الرحم غزيرا لزجا رقيق الكثافة لكى يسمح للحيوانات المنوية باختراقه ، والدخول الى الرحم ثم الى انبوبة فالوب لتلقيح البويضة ، اما اذا كان الافراز المخاطى كثيفا جدا فان الحيوانات المنوية لاتستطيع اختراقه وبالتالى يتعذر حدوث الحمل ، ان مشكلات الافراز المخاطى لعنق الرحم ليس من السهل علاجها ولكن يمكن استخدام مادة جوايفينيزين وهى مادة منفثة للبلغم وتستخدم فى كثير من أدوية السعال، وللاقلال من كثافة الافراز المخاطى لعنق الرحم .

الاندومتريوزيس

لقد دلت الابحاث على أن نصف السيدات العقيمات تقريبا واللواتى يكون سبب العقم لديهن راجعا الى مشكلات هرمونية يمكن أن يتخلصن من العقم باستخدام العقاقير سالفة الذكر ، ولكن العلاج ليس هينا الى هذا الحد فان بعض الحالات لابدلها من الجراحة مثل حالات الاندومتريوزيس حيث يظهر الغشاء المبطن للرحم فى تجويف البطن ، واذا حدث أن نما هذا النسيج حول الاعضاء التناسلية وداخل قناتى فالوب فانه يسبب التهابا وانسدادا بالانابيب وبالتالى يسبب العقم ، ويمكن اكتشاف هذا المرض بعملية استكشاف للبطن بوساطة انبوبة مضيئة تدخل فى بطن المريضة من خلال شق بطنى صغير ، وبذلك يستطيع الطبيب أن يرى الأعضاء على الطبيعة . ويمكن علاج هذه الحالات اذا كانت بسيطة باستعمال عقار يدعى دانوكرين وهو يؤدى الى ضمور النسيج واستعادة القدرة على الانجاب ، ولكن فى بعض الاحيان ، قد يستدعى هذا المرض اجراء جراحة لاستئصال النسيج غير الطبيعى من خلال شق بطنى آخر اثناء فحص المريضة بالانبوبة المضيئة الا انه فى بعض الحالات قد يستدعى الامر اجراء جراحة كبرى ، وبعض الجراحين يلجأون احيانا الى استخدام أشعة الليزر لازالة الالتصاقات ونسيج الاندومتريوزيس .

انسداد انابيب فالوب :

ان الانسجة الدقيقة لانابيب فالوب يمكن أن تصاب بالانسداد والتليف بسبب الاندومتريوزيس او الالتهابات او الاصابات نتيجة لعملية سابقة بالبطن ، وهذه الحالات تشكل تحديا حقيقيا للجراح . وقد ساعدت الجراحة الميكروسكوبية على زيادة فرص علاج العطب الذى يحدث للانابيب وذلك باستخدام مشارط ومقصات دقيقة جدا لاستئصال الالتصاقات ، وكى الأوعية الدموية التى تقطع اثناء الجراحة بالتيار الكهربى ، وقبل خياطة الشق البطنى يصب فى تجويف البطن سائل يحتوى على احد مضادات الحساسية مع عقار الكورتيزون ، وذلك لمنع الالتهاب الذى قد يحدث بعد

العمليـة ، وللوقـايـة من تكـرار تكـوين الالتصاقات .

أطفال الانابيب

لايوجد أي علاج للعقم بهر انظار العالم كله مثل التلقيح خارج الرحم الذى كان اول من قام به الدكتور باتريك ستبتو والفسيولوجي روبرت ادواردز . ان التوقيت الدقيق أساسي لنجاح عملية التلقيح خارج الرحم ، ومن المتبع أن تعطى السيدة حقنة برجونال بعد ابتداء الدورة الشهرية بثلاثة أيام لتنشيط عملية التبويض ، ولكى يتحقق الطبيب من اقتراب موعد التبويض يُجْرِيْ تحليل للدم لمعرفة نسبة ازدياد هرمون الاستروجين،وتُسلط اشعة بالموجات فوق الصوتية للمبيض لقياس حجم الحويصلات ، وبعد اسبوعين من ابتداء الدورة الشهرية تكون الحويصلات قد بلغت الحجم المطلوب ثم تعطى السيدة حقنة من الهرمون المنشط لانطلاق البويضة ، لكى يحدث التبويض فى ظرف ٣٨ ساعة ، وقبل ذلك مباشرة تدخل السيدة المستشفى وتنزع منها البويضات بطريقة خاصة لتوضع فى اطباق معينة مزودة بمادة مغذية للبويضات ، وبعد ذلك يؤخذ السائل المنوى للزوج وتستخلص منه الحيوانات المنوية وتوضع فى حضانات خاصة ، وفى كل طبق به بويضة واحدة يوضع من خمسمائة الف الى مليون ونصف مليون حيوان منوى ، وهذا المزيج يوضع فى حضانة لمدة ٣٨ ساعة الى ٤٨ ، وفى هذا الوقت تكون البويضة الملقحة قد انقسمت الى عدة خلايا ، وأخيرا تودع هذه الأجنة الصغيرة فى رحم الزوجة بوساطة الحقن ، وينتظر الطبيب والسيدة بقلق التحقق من أن البويضة قد وجدت لها مكانا فى الرحم ، وأن السيدة اصبحت حاملا .

وتتكلف هذه العملية مبلغا يتراوح بين ثلاثة آلاف دولار الى ستة آلاف فى كل محاولة . ان هذه الانواع من العلاج اصبحت حقيقة واقعة ، ومما لاشك فيه ان العلم سيستمر فى الكشف عن أسرار عملية التكاثر ، ومع كل سر يزاح عنه الستار سيستمتع عدد أكبر من الأزواج باشباع رغبتهم فى انجاب الاطفال . □

في الشكر

قال ابن عطاء الله السكندري : الشكر على ثلاثة أوجه : شكر باللسان ، وشكر بالأركان ، وشكر بالجنان .

فشكر اللسان التحدث بالنعمة قال تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » .

وشكر الأركان : العمل بطاعة الله ، قال تعالى : اعملوا آل داود شكرا » .

وشكر الجنان : وهو الاعتراف بأن الله وحده هو المنعم ، قال تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله » . .

هو.... يسرق مملكتي

اعترف لكم أنني قلقة على نفسي، واخشى ان أكون غير طبيعية، وأفكر كثيرا في أن أذهب الى طبيب، ولكني سرعان ما أبعد عن نفسي هذا الوهم. مايقلقني أن ماكان يسرني ويسعدني صار يشقيني، وماكنت أعده نعيما وسرورا.. اصبح يمثل لي عبثا وألما ونارا تحرقني.

بدأ الامر بدعابة، كنا نتناول طعام الافطار في أثناء شهر العسل، واذا بزوجي يقول انه يعد لي مفاجأة.. سأجلس مثل الأميرات (هكذا قال) وهو سيتولى اعداد الطعام، اغرقت في الضحك، واعترضت لانني لست مستعدة أن آكل طعاما سيئا ولا محترقا ولا.. ولكنه أصر وأكد أن الغداء سيكون مفاجأة. وبالفعل كان مفاجأة.. فقد اكلت طعاما شهيا يصعب على كثير من السيدات طهوه بهذه المهارة، ومابدا كأنه دعابة تحول الى عادة.. في البداية كان يقول انه فقط يقدم استعراضا في فنون الطهي، حتى تحول الأمر الى أنه يعد كل شيء.. حتى أنواع المخللات وأصناف الحلوى، صارت ضمن أعماله، وطوال عشر سنوات لم يتخلف يوما عن الوقوف في المطبخ، كنت ارقبه في البداية وأتصور أنه سرعان ماسيمل ويترك هذه الهواية.. ولكنه كان يدخل المطبخ وهو سعيد ويقف يعمل ويغني، وبصراحة في البداية كنت سعيدة غاية السعادة، وأحسد نفسي على هذه الراحة، الا انني الآن ومنذ فترة أشعر بأن هذه السعادة لم تكن حقيقية، ولاشيء ينغص عليّ حياتي مثل هذه الهواية العجيبة، التي أرى أنها تسرق أنوثتي، وتسلب مني مملكتي، وتحرمني من ممارسة احساسي بانني صاحبة بيت اهتم بشئون من فيه، وأصبح أحساسي انني أقرب ما أكون الى شغالة، كل مهامها تنظيف البيت ورعاية الاطفال.. حتى طعام الأطفال.. لم أكن أعده أنا، أما الآن بعد أن كبر الأطفال وأصبح طعامهم معنا.. صاروا متمردين عليّ، أذكر منذ فترة أنني طهوت قليلا من الأرز بشكل سريع، واذا بأكبر أطفالي يدفع الطعام من أمامه ويقول «انه ليس طيبا كالطعام الذي يعده أبي» وثرت يومها عليه، وامتدت يدي تضربه بقسوة، فقد كان بكلمته البريئة هذه يضغط على جرح داخلي، حاولت بعدها أن أحرج زوجي كثيرا أمام اصدقائنا، واذا به يقبل الأمر ببساطة ويضحك، العجيب أن أصدقاءنا ازداد اعجابهم به، وزوجاتهم نظرن اليّ نظرات الحسد، وعندما اعربت لهم عن ضيقي بهذا، وأنني أرغب أن أتولى شئون بيتي كاملة.. تضاحكوا على ابن آدم الذي لايشكر ولايحمد النعمة التي أرسلها الله له، ومازالت سعادتي جحيما، ومازال صدى كلام زوجي في أذني.. انه لايحب ان يأكل طعاما لايصنعه هو.. وما زلت أفكر بالذهاب الى الطبيب.

هي

هي....

الحكمة الغائبة

● لاادري ماذا يوجعها ؟ ففي الأونة الأخيرة ازداد توترها وأصبحت حساسيتها لاتطاق ، واعترف انني عندما وضعت يدي على السبب أصابتني الدهشة ، فقد كانت حساسيتها من اعدادي للطعام بنفسي امر غريب ، وحاولت كثيرا أن اشرح لها وأفسر وأحاول أن أقنعها عبثا .. كنت أقول لها .. اعتبري وقوفي في المطبخ نوعا من المشاركة الانسانية من زوج لزوجته في أعمال المنزل ، وأن اسهامي في العمل المنزلي ليس سلبا لملكتك ولا انتقاصا من قدرك .. قدر ماهو تعبير مني عن احترامي لك واحترامي لقيمة العمل داخل المنزل .. وفهمي أننا شركاء حياة لافضل لاحد فينا على الآخر .. ورغم كل هذا لم تقتنع ولم تهدأ مشاعرها .

وانتقلت في الأيام الأخيرة الى احراجي أمام أصدقائنا .. كانت متصورة ان هذا سيدفع بي الى الثورة والتخلي عن أعمال المنزل ، ولكن رد فعلي وهدوئي على مايبدو أثارها أكثر ، وجلست أقول لها ولاصدقائنا لماذا الاندهاش ؟ ولماذا تستعجب المرأة ؟ وتنسى أن أبرع من ادى أعمالا ـ تزعم المرأة انها من اختصاصها ـ هم الرجال ، فاشهر دور الأزياء وأعظم مصممي الثياب هم رجال .. وأمهر الطهاة رجال .. ولاترتاح المرأة في تصفيف شعرها الا عند الرجال ، ولاتأمن الى طبيب الا اذا كان رجلا . يبدو أن منطقي أثارها اكثر ..

الى أن حدثت الواقعة عندما أعرب ابني الأكبر عن رأيه العفوي ـ وغير المقصود ـ في طعام اعدته لهم .. انهالت عليه ضربا مبرحا .. يومها أدركت ان الأمر تحول عندها الى نوع من الحساسية المرضية ، وانها وصلت الى مرحلة صار يخشى منها على انتظام الحياة .. يومها حسمت المسألة بأن قلت لها بوضوح انني لاأقبل ان آكل طعاما لاأصنعه أنا ، هدأت هي .. ولكن الأمر داخلها لم ينته بعد .. ورحم الله أمي وغفر لها ، فقد صرت لاأدري هل ماعلمته لنا كان نعمة أم نقمة .. فقد كنا ثمانية أبناء ستة بنين وفتاتين ، فخشيت أن نطغى على أخواتنا فعلمتنا كل أعمال المنزل .. ولقنتنا أن هذا لا ينتقص من الرجل بل يزيده احتراما ، وأنه لايخجل الانسان ان يعمل أي عمل .. رحمها الله وأراح زوجتي والهمها قليلا من حكمة أمي وبصيرتها .

هو

من الحياة

الإحساس بالملل.. كيف نغالبه ؟

قالت لها صاحبتها : « اني زوجة سعيدة وأم لأربعة أبناء .. مضى على زواجي أكثر من عشرة أعوام ، ولكنني ، ولاأدري كيف بدأت اشعر بالملل ، بدأت أمل الحياة .. أمل الصورة التي اعتدت أن أراها منذ شروق الشمس في الصباح حتى المغيب .. صورة بيتي الصغير والأطفال ومشاكلهم ، وأطباق الطعام التي أبذل جهدا في اعدادها .. انها هي هي ، لا أكاد أنتهي من اعداد آخر طبق في القائمة التي أعدها كل أسبوع حتى أعود اليها من جديد .. انه الروتين ، أو هي رتابة الحياة التي أحياها .. أليس غريبا ان أشعر بالملل وسط هؤلاء الذين أعيش لهم ؟ الذين أعطيهم كل وقتي وجهدي وحبي ؟ » .

وجلست الصديقة تنصت باهتمام ثم قالت : أنت تعيشين في قفص ياعزيزتي .. أو هكذا صور لك خيالك .. ولابد أن تخرجي من هذه الدائرة الضيقة التي أصبحت كل دنياك ، أنت زوجة غير عاملة ولكنك لست وحدك .. ان هناك الملايين من الزوجات اللواتي يعشن لبيوتهن وأزواجهن وأطفالهن .. المهم أن تعرفي كيف تتخلصين من هذا الشعور الذي ينتابك .. أن تتعلمي كيف تجعلين من كل يوم يمر ، رحلة جديدة في عالم جديد .. فأنت تحبين بيتك وأسرتك ، وهذا الحب وحده هو الذي يستطيع أن يجعلك تنسين كل متاعب الحياة .. تذكرى دائما أنك زوجة سعيدة ، وأنك تحبين هؤلاء الذين يحبونك ويتعلقون بك . وسوف تجدين السلوى في تلك الذكريات السعيدة التي تملأ قلبك وصدرك .

ثم شيء آخر .. ان الوحدة التي تعيشين فيها خلال ساعات الصباح عندما يترك الجميع البيت .. الزوج الى عمله ، والأبناء الى مدارسهم .. هذه الوحدة هي التي تولد هذا الشعور الذي يحتويك بالملل .. املئي وقتك بعمل مفيد ، يبعد عنك هذا الاحساس بأنك تعيشين فقط من أجل ملء هذه الأفواه التي تعود اليك جائعة دائما .. بيتك هو مملكتك الصغيرة ياعزيزتي ، وأنت صاحبته وسيدته .. حاولي أن تخرجي من عزلتك .. من وراء الجدران العالية التي ترتفع أمامك فتحجب عنك ضوء الشمس ، فلا تصل اليك الا بمقدار ما تسمح به النوافذ الصغيرة :

« هل يستغرق عمل البيت كل وقتك ؟ لا أظن ، واذن فلماذا لاتحاولين ان تخرجي أنت من قفصك الصغير .. ؟ لماذا لاتوجهين الدعوة الى صديقاتك وجيرانك لكي يأتوا لزيارتك ، أو تذهبي انت اليهم .. أو ربما ذهبتن جميعا في رحلة قصيرة خارج البيت تلتقين فيها بهذا العالم الصغير الذي يمتلىء بصورة لايراها المرء الا عندما يقترب منها .. ؟ وما

أكثرها من صور تستحق الوقوف والتأمل .. ابحثي عنها باعزيزتي وسوف تجدينها في قلوب هؤلاء الذين كرسوا حياتهم لخدمة الفقراء واليتامى والمرضى والمعوزين .. سوف تجدين نفسك في الجمعيات والمؤسسات التي أقامها أهل الخير من أجل كل هؤلاء .. وعندها فقط سوف تجدين الراحة التي تبحثين عنها من خلال عطائك ومساهمتك .. وسوف تتخلصين من الشعور الذي ينتابك أحيانا بالملل ، وسيمتلىء بيتك بسعادة أكبر .. انها تلك التي تجدينها في العطاء ، لا تحبسي قلبك الكبير داخل جدران بيتك .. دعيه ينطلق من قفصه الصغير ليمتلىء بحب الناس ... كل الناس . »

* * *

وقالت الصديقة : « سأروى لك قصة امرأة عرفتها وعشت قريبة منها على مدى سنوات طويلة قبل أن نفترق عندماذهبت كل منا في طريق .. كانت تعمل مدرسة في احدى المدارس الصغيرة للاطفال ، في احدى ضواحي المدينة التي تزدحم بالناس والأضواء والسيارات .. وكانت تكره الزحام ، وتحب أن تعيش بعيدا عن الأضواء .. فلما علمت باختيارها للعمل في هذه المدرسة ، احسّت بالارتياح ، وراحت تبحث لنفسها عن سكن صغير قريب من المدرسة التي ستذهب اليها كل صباح ، ووجدت أن أقرب سكن مناسب يبعد عن مكان عملها مسافة كيلو مترين تقريبا .

كانت صغيرة وجميلة .. فقد تخرجت لتوها من الجامعة ، واختارت التدريس لأنها كانت تحب الأطفال ، وبدأت الفتاة عملها الجديد ممتلئة حماسا وحيوية ، كانت تترك بيتها قبل شروق الشمس ، وتمشي في الطريق الطويل الذي يقودها في نهايته الى المدرسة التي اختاروها ، لكي تبدأ فيها رحلتها مع الحياة والكفاح من أجل الرزق والعيش .. فاذا

انتهى النهار ، وفرغت من عملها ، وقفت تودع أبناءها الصغار تلاميذ المدرسة ، وحملت حقيبتها وبدأت رحلة العودة الى البيت ، وكانت حريصة دائما على أن تصل الى بيتها قبل مغيب الشمس ، فقد كانت تخاف الظلام .

ومضت السنون ، وكنت ألقاها كثيرا بحكم عملنا في مكانين متقاربين ، هي في مدرسة الأطفال ، وأنا في المدرسة المقابلة لها تماما ، حيث كنت أقوم بتدريس العلوم الاجتماعية لتلميذات المرحلة الثانوية .. كنت أحب هذه الفتاة الصغيرة المكافحة ... وكانت تستقبلني دائما بابتسامة مشرقة .. نفس الابتسامة التي جعلت الأطفال يحبونها ، ويتعلقون بها ، ويلتفون حولها في كل مكان تذهب اليه ، حتى اذا حاولت أن تخلو بنفسها بعيدا عن العيون لتتناول طعام الغداء الذي كانت تحمله من البيت ، فلا تكاد تفعل حتى تجدهم حولها ، فتقتسم معهم ماكانت تأكل ، وكثيرا ماخرجت هي بلا طعام ، ومع هذا فقد كانت ابتسامتها دائما هناك على وجهها الرقيق الحاني ، وكأنها قد وجدت السعادة كلها في تلك اللحظات التي جلست فيها ترقب هؤلاء الصغار وهم يأكلون غذاءها ، لأنه ألذ وأطيب مما يقدم لهم في المدرسة .. هكذا كانوا يقولون لها .. ومن هنا كانت سعادتها .

ومضت الصديقة تكمل القصة : « ثم جاء يوم لقيتها فيه ، فوجدتها أتعس انسانة في الدنيا ، قلت أسألها في قلق : ماذا حدث ؟ ماذا ألم بك ؟ قالت : لقد صدر قرار بنقلي الى مدرسة أخرى .. انها تبعد كثيرا عن المدرسة التي عرفتها ، وأمضيت فيها خمس سنوات من عمري مع أطفالي الصغار الذين أحببتهم ، وأصبحوا جزءا من حياتي ، لاتكتمل الا بوجودهم بجانبي ، انني لا أدري ماذا أفعل . سوف افتقد مدرستي ، سوف أفتقد كل طفل وطفلة من ابنائي الذين وقفت أعلمهم ، وأرقبهم وهم يكبرون .. لقد نشأت بيننا صداقة لن يكون من السهل على أن انساها .. انني لا أتصور كيف أستطيع أن أفترق عنهم ، أن أعيش بعيدا عن الوجوه التي أحببتها ، المكان الذي ألفته .. حتى الطريق الطويل الذي أقطعه مرتين كل يوم .. مرة في الصباح مع الشروق ، ومرة في المساء قبل الغروب .. الشجرة العجوز التي كنت أقف تحتها لأستريح قبل أن أكمل رحلتي .. الساعة الكبيرة التي كانت تتوسط الميدان ، وأسمع دقاتها السبع عندما تقترب رحلتي من نهايتها بالقرب من باب المدرسة الخارجي .. بائع الصحف الصغير الذي كنت أشترى منه جريدة الصباح ، فينقل لي ملخصا لأهم الأنباء وهو يسير بجواري ليستمع الى تعليقاتي عليها .. بواب المدرسة العجوز الذي يقف لتحيتي ، ويلاحقني بدعواته .. كل هذه الأشياء .. وكل هؤلاء سوف أفتقدهم ... » .

« ونظرت الى وجهها وهي تسير معي ونحن نقترب من باب بيتها ، فوجدت عينيها مغرورقتين بالدموع .. قالت وهي تودعني : « حتى شقتى الصغيرة قد نشأت بيني وبينها صداقة لا أتصور أنني سأجدها في مكان آخر .. انني أشعر أنهم بهذا القرار قد أخذوا مني شيئا غاليا أحبه وأعيش له .. انهم يريدون أن ينتزعوا قلبي .. »

« وافترقنا .. وانقضت بضع سنوات قبل أن نلتقي مرة أخرى .. وكانت أخبارها قد انقطعت تماما عني ، ولم أعد أعرف شيئا عن عملها الجديد في مدرستها الجديدة .. ولكنها لم تكن وحدها ، كان معها شاب وسيم تتأبط ذراعه وتسير معه في الطريق الطويل القريب من بيتها القديم .. نفس الطريق الذي طالما سارت فيه على مدى خمس سنوات متصلة الى المدرسة التي أحبتها ، ولم تستطع الأيام أن تمحو صورتها من مخيلتها أبدا ..

« قالت عندما وقفت ترد تحيتي : أقدم لك زوجي ، لقد احتفلنا بزواجنا منذ أسبوعين ، وكانت مفاجأة سعيدة عندما علمت أن شقتي القديمة قد خلت بعد أن كنت قد انتقلت منها لأقيم في بيت خالتي .. وقررنا أن نعود اليها ونقيم فيها .. أنا سعيدة ياعزيزتي .. وغدا سوف أعود الى الطريق الذي أحببته وافتقدته .. فقد عينت مدرسة في المدرسة الثانوية التي تعملين أنت فيها ، وسأعود الى تلميذاتي ، لقد كبرن الآن ، ووصلن الى المرحلة الثانوية .. لاتستطيعين أن تتصوري كم أنا سعيدة بعودتي الى بناتي اللواتي تركتهن اطفالا .

انها لم تمل الحياة التي الفتها وتعودت عليها ، بكل مافيها من رتابة لأنها تحبها .

* * *

يقول علماء النفس : «ليس الروتين نفسه هو الذي يثير في نفوسنا الملل ، ويدفعنا الى الشعور بالزهد في الحياة ، ومحاولة الهرب منها ، وانما هي نظرتنا الى الحياة ذاتها والى دورنا فيها .. اننا نستطيع ، اذا شئنا ، أن نرى كل يوم شيئاً جديداً ، تماماً كما لو كنا ننظر الى لوحة جديدة ، أو نقرأ كتابا جديدا أو نستمع الى قصيدة جديدة مليئة بالمعاني الحلوة . »

ان الدفء الذي يملأ قلوبنا ، والحب الذي يسيطر على مشاعرنا ، والحماس الذي نستقبل به يومنا الجديد .. هذه الانفعالات مجتمعة هي الوقود الذي يدفعنا ويحرك فينا الرغبة في الاستمرار في الحياة التي ألفناها وتعودنا عليها .

ثم لماذا نذهب بعيدا .. ان كل شيء من حولنا في هذا الكون الهائل يسير طبقا لنظام دقيق رتيب لايتغير ، منذ أن بدأت الحياة على الأرض .

وهكذا الحياة نفسها .. كل شيء فيها يسير وفق نظام وضعناه نحن لأنفسنا حتى أصبح بالنسبة لنا عادة .. فالزواج عادة .. والعمل عادة .. وحتى الفكر المتجدد المتطور عادة .. ومع هذه العادات يتولد الشعور بالروتين .. ولولاها لما استطاع الكتّاب والمؤلفون والمخترعون أن يقدموا للبشرية ماقدموه نتيجة لأعمالهم وبحوثهم التي لم تتوقف أبدا .. أما الملل الذي نحس به أحيانا في فترة أو في أخرى من مراحل حياتنا ، والذي نحاول الهرب منه ، فهو شعور ملازم للحياة ، وفي يدنا وحدنا الخلاص منه .. يجب ألا ننسى أن النهار والليل يتعاقبان ، وأننا لم نر شروق الشمس يوما وسط ظلام الليل الطويل .

□

الجمال في ألفاظ

رتب القدماء حسن المرأة في الفاظ فقالوا : اذا كانت المرأة بها مسحة من جمال فهي (وضيئة) و (جميلة) ، واذا كانت لاتبالي أن لا تلبس ثوبا حسنا ، ولاتتقلد بقلادة فاخرة فهي (معطال) .

واذا كان حسنها ثابتا كأنه وسم فهي (وسيمة) ، فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي (قسيمة) ، واذا كان النظر اليها يسر الروح فهي (رائعة) ، واذا غلبت النساء بحسنها فهي (باهر) . واذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي (غانية) وجمعها غوانٍ ، وفي هذا المعنى الاخير أنشد شوقي :

خدعوها بقولهم حسناء … والغواني يغرهن الثناء

واذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي (خود) واذا كانت لطيفة الكشحين فهي (هضيم) . واذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي (ممشوقة) ، واذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي (عطبول) ، واذا كانت عظيمة الوركين فهي (وركاء) و (هركولة) ، واذا كانت عظيمة العجيزة فهي (رداح) ، واذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي (بضة) ، واذا كانت حيية فهي (خفرة) و (خريدة) ، واذا كانت منخفضة الصوت فهي (رخيمة) .

طبيب الأسرة

ماذا تفعلين إذا اصيبَ ابنك بالحصبَة ؟

تعتبر الحصبة من أكثر الأمراض الشائعة والمعروفة لدى الأطفال ، بل هي أكثر الأمراض ازعاجا للامهات وإرهاقا لصحة الاطفال . وهي مرض ناتج عن فيروس ينتقل إما بصورة مباشرة من المرضى عن طريق الرذاذ الذي يفرزه الأنف ، أو بصورة غير مباشرة من الأدوات حديثة التلوث التي يستعملها المريض .

الحصبة عادة تصيب الأطفال بعد السنة الاولى حيث يفقدون المناعة الموجودة في أجسامهم ، التي أخذوها من امهاتهم اثناء شهور الحمل . كذلك قد تصيب الحصبة الكبار الذين لم يصابوا بها وهم صغار .

مراحل المرض

بعد مرور الفيروس بدور من الحضانة يتراوح بين ٧ - ١٤ يوما تظهر الأعراض الاولى للمرض من رشح في الأنف ، ودمع في العينين مع احتقان وعطاس وحمى خفيفة وسعال حاد متكرر . وهذا الدور يستمر حوالي ٤ ايام . تظهر في اليوم الثالث من هذه الأعراض البقع المميزة لمرض الحصبة ، وفي اليوم الثاني لظهور هذه البقع يظهر طفح الحصبة على العنق والوجه ، وترتفع درجة حرارة المريض ، وينتشر بعدها الطفح تدريجيا على الصدر والأطراف العليا ثم البطن والأطراف السفلى حسب التسلسل ، وعندما يبدأ الطفح بالاختفاء يأخذ نفس التسلسل أيضا .

مريض الحصبة يظل معديا خلال الخمسة ايام الاولى لحين ظهور الطفح . وقد يختلط الأمر على بعض الأمهات حيث تتشابه الحصبة مع كل من الحصبة الالمانية وهو مرض ناتج عن فيروس أيضا يختلف عن الحصبة حيث تكون اعراضه خفيفة ، كما لايظهر طفح على الجسم وانما يحصل تضخم بالغدد اللمفاوية العنقية الخلفية ، والغدد التي تقع خلف الأذنين .

هناك مرض ثانٍ مشابه للحصبة حيث يظهر في هذا المرض الطفح مباشرة بعد انخفاض الحرارة .

ومن أهم الأمراض التي قد ترافق الحصبة

التهاب الاذن الوسطى والتهاب الدماغ الذي اما أن يظهر أثناء الطفح أو بعد مرور عشرة أيام من اختفائه .

الوقاية من الحصبة :

تكون الوقاية من الحصبة اما باعطاء مناعة مكتسبة بواسطة مصل يحتوي على مادة « كاماالكوبولين » او باعطاء لقاح الفيروس الضعيف .

ويفيد التطعيم عادة الاطفال ضعاف البنية او الصغار والمصابين بأمراض أخرى اثناء وجودهم مع اطفال مصابين بالحصبة ، وذلك لمنع تعرضهم لمضاعفات هذا المرض . ولاننكر أهمية هذا اللقاح ، ودوره الفعال في منع الحصبة ، حيث ان ذلك يخفف من آلام الطفل ويقلل من ارهاق الام . ويبدو أن هذا اللقاح سيساعد في قطع دابر الحصبة من الارض .

علاج الحصبة :

في حالة عدم وجود أطفال آخرين ، يوضع الطفل في فراشه بغرفة خافتة الضوء وذلك للتقليل من حساسية العين للضوء ، ويعطي أدوية مخفضة للحرارة ، ومسكنة للسعال ، وقطرات مهدئة لاحتقان العينين ، ولفتح المجاري الانفية . ويجدر بالام محاولة ابقاء ابنها داخل غرفته حتى يتعافى تماما . □

☆☆

بريد طبيب الأسرة

ظفر العين pterygivm

● اعاني من وجود زوائد لحمية طرف العين قال لي الطبيب عنها انها ظفر العين ، ونصحني بازالتها بعملية جراحية بسيطة على حد قوله .

ولكنني متردد ومتخوف من المضاعفات فما هو ظفر العين ، وما هي المضاعفات لو تركته ، أو أجريت له العملية الجراحية .

ف . ع الدوحة

ظفر العين أو ظفرة العين ، تعبير عن امتداد لحمي ليفي مخروطي الشكل يتجه من زاوية العين الى وسطها على غشائها المسمى بالملتحمة .

والأغلب أن يكون الظفر من الزاوية الداخلية للعين الواحدة ، وربما كان في الزاوية الخارجية ، أو ربما أصاب العينين معا ، وهذا أمر يندر حدوثه .

والملتحمة conjunctiva هي اسم الغلاف الخارجي للعين ، وباطن الجفون حيث موقع الظفر الذي يبدأ من زاوية العين في خيوط ليفية ، على شكل قمع مدبب الرأس يتجه الى وسط العين حيث القرنية الشفافة ، ببطء ، غير ملحوظ ، وتتخلله شعيرات من الأوعية الدموية الحمراء ، كما أن الالياف تفرز جذورها في بياض العين أو ما يعرف بالصلبة (Sclera) .

ان ظفر العين لا يعتبر في عرف أطباء العيون مشكلة خطيرة الا اذا ترك ليصل الى منطقة القرنية الشفافة ، ومن هنا فانه يحجب الرؤ ية ويسد فتحة

البؤبؤ ، ويؤدى الى عمى جزئي ، كما أن ازالته جراحيا عند هذا الحد قد تؤدى الى عواقب لا تنسحب منها عتامة القرنية .

هذا الى أن ازالة الظفر واقتلاعه من جذوره جراحيا في بدايته مأمونة الجانب ، وليس لها مضاعفات ، واذا ما كانت الازالة تامة صحيحة يكون احتمال عودة الظفر نادرا كما أنه لا يخلف تشوها أو ضعفا .

القلق مرض العصر

● تستولي علي ضغوط فكرية داخلية تدفعني الى اعتزال الناس ، وأكون منطويا على نفسي مما سبب لي فشلا في حياتي العملية والاجتماعية ، وقد تناولت بعض المهدئات ، ولكن دون جدوى ، والأفكار والوساوس المخيفة تلاحقني دوما مع اقتناعي أن هذه الأفكار لاتطابق الواقع والمنطق ، فما سبب هذا المرض وما هو العلاج ؟

ج . ف - الرباط - المغرب

الخوف ظاهرة طبيعية لدى الخلائق ، يقيها من المخاطر التي تحيط بها ويبعدها لملاقاتها . ولكن الخوف عادة يكون من شيء معلوم معروف ، يتوقع له المخلوق نتائج وخيمة .

غير أن هناك خوفا من أمر مجهول غير معروف السبب،يتوقعه الانسان من داخل ذاته ، ومن رسم مخيلته ، ويستجيب جسمه له ، وهذا ما يعرف بالقلق . وهو مرض شائع في عصرنا الذي اختلطت فيه البيئة ، وتعقدت لدرجة قد لايحتملها البعض .

وربما كان بعض القلق في الحدود المعقولة التي يمكن تجاوزها وادراك كنهها ، مثل قلق الأم على ابنها الغائب أو المريض توهما أن سوءا قد يلحق به ، ومنها قلق الطالب عقب الامتحان خوفا من الفشل ، واذا كان الخوف مؤقتا تصاحبه بعض ردود الفعل ، كوقوف الشعر ، وتوتر العضلات ، وخفقان القلب ، وزيادة سرعة التنفس ، فان كان القلق دائما نسبياً ، تطول الأعراض وتدوم ، مما يسبب ارهاقا جسديا ونفسيا للمريض ، لهذا كانت لمرض القلق أعراض متميزة منها :

١ - الشكوى من زيادة ضربات القلب مع رعشة في الأطراف .

٢ - أعراض هضمية مثل عسر الهضم والانتفاخ والغثيان والمغص والاسهال أو الامساك مع الغازات .

٣ - أعراض تنفسية على صورة سرعة التنفس مع شعور بالضيق واللهثان .

٤ - كثرة افراز العرق وتوتر العضلات ، مما يؤدي الى شعور بالتعب مع أقل مجهود ،والاجهاد من أي عمل بسيط .

٥ - شعور بما يشبه الصراع غالبا ما يكون توترا في عضلات الرقبة وفروة الرأس ، مع شعور بالدوار

٦ - أعراض نفسية تتمثل في حساسية المريض وعزوفه عمن حوله ، والملل من أي نقاش مع اضطراب في الذاكرة وضعف في انتاجه الفكري .

كثيرا ما يتهرب المريض من مواجهة مشكلته والاعتراف بمرضه النفسي ، خوفا من أن يتهم بمرض عقلي ، مما يعقد المشكلة ويصعب معه العلاج وخصوصا أن جذور المشكلة عادة ما تكون عميقة وتقوم على محورين :

أ - أسباب كامنة في العقل الباطن منذ عهد الطفولة ، نتيجة التربية الخاطئة سواء منها الافراط أو التفريط في العناية .

ب - مشكلة معقدة يعجز المريض عن حلها والخلاص منها ، لدرجة تلاحقه دوما في كل أوقاته .

والقضية كما نرى على هذه الصورة تحتاج الى الاطمئنان على سلامة الجسد بالتحليلات والفحوص المخبرية ثم عناية طبيب الأمراض النفسية المختص والعلاج بالعقاقير المناسبة .

مساحة وُدّ

تجوع الحرة

كان التناقض حاداً وعميقاً ، وشاءت الظروف أن أرى جانبي الصورة في يوم واحد ونهار واحد . وبقدر قسوة الصورة . . دُفِعَ عقلي الى التساؤل والتفكير ! كنت في إحدى العواصم الافريقية حيث الجوع مسمار يدق العظم ، والفقر يملأ الأفواه ، والشوارع مهولة ، والضواحي مظلمة غارقة في العتمة والعرى والقفر ، وعلى جانبيّ الطرقات وفي بهو الفنادق المتواضعة تتكاثر الفتيات عارضات أنفسهن يتلهفن على ابتسامة عابرة ، وينتظرن اشارة صغيرة ، ومن هذه العاصمة انتقلت الى جنيف في طريقي الى بلد افريقي آخر ، وفي محطة الانتقال أمضيت ليلة ونصف نهار . . قضيت أكثر من ثلثي الليل أطوف شوارع العاصمة السويسرية حيث أعلى دخل للفرد في العالم ، وحيث الثراء والرفاهية ومجتمع الوفرة . ومارأيته في العاصمة الافريقية تكرر بصورة اخرى في جنيف ـ الفتيات والنسوة يقفن شبه عرايا يعرضن انفسهن خلف أبواب زجاجية . . ولايخجلن من الاشاره اليك بالدعوة ، ولا من الجسد العارى . . وكتل الأصباغ فوق الوجه . . وراح العقل يتساءل ويفكر في افريقيا حيث الجوع والعرى . . قد يكون التصرف مفهوما والسلوك الانساني له ما يبرره ، وهو تصرف وسلوك لانحترمه ولانوافق عليه ولكنه مفهوم ، أما غير المفهوم فهو ذات السلوك في عاصمة أعلى دخل للفرد ، فلا توجد الفاقة أو الجوع حتى الموت ، الذى يدفع البشر الى امتهان أنفسهم كحل للخلاص من أسر الجوع . ومن هنا فانني اتصور أنه ليس صحيحا « أن الفقر مسئول عن الانهيارات الاخلاقية » ، وأن العلاقة العكسية التي يراها البعض بين الفقر والاخلاق لاصحة لها ، ففي مجتمعنا العربي هناك ٩٠ بالمائة على الاقل أسر فقيرة ، وبرغم ذلك فان أخلاق هذه الاسر لم تصل الى هذا الانهيار ، فالفقر يخلق حالة من النبل والرقة والحساسية ، اذا كان فقرا داخل بيئة تزخر تقاليدها باحترام الجهد الانساني ، وترى في شموخ الجسد وعفته ونقائه دليلاً على سلامة الروح ، فلا يمكن أن تتطهر روح وانآؤ ها قذر ، ولعل عمق التناقض دليل على صحة هذه الرؤ ية ، ففي الحالة الاولى يطمع البعض في رغيف أو دواء ، أما في الحالة الثانية فالبعض يبحث عن مزيد من الرفاهية ، ولاأدرى لماذا تذكرت واقعتين : الاولى لاحدى شبكات بيع اللحم الأبيض ، فقد كشف التحقيق المبدئي عن ثروات باهظة لدى افرادها . والواقعة الثانية لأب قتل زوجته واطفاله خوفا من الفقر والجوع ، وكلما كانت ابعاد الصورة تتضح امام عيني ، كان ايماني يزداد بان الفقر ليس مبررا معقولا وحتمياً لانهيارات الاخلاق ، ولكن القضية تكمن في التربية ، وثقافة المجتمع الذى يقدر كبرياء الجسد الانساني ، ويعلى قيمة الانسان من حيث هو انسان ، مجتمع يتوارث أجياله مأثورا شائعاً عن الحرة التي تجوع ولاتأكل بثدييها .

في اخلاق المجتمع الاجتماعية وثقافته يكمن السبب وليس في الفقر . . فكم في عالمنا من فقراء نبلاء قديسين .

محمود عبدالوهاب

العربي - العدد ٣٢٠ - يوليو ١٩٨٥

تراتيل صوفية

شعر :
الدكتور عيسى درويش

كلما فكرت فى هذى الحياة
وبسرِّ الخلقِ .. والكونِ وآلافِ الصورْ
وتذكرتُ بأنى عابرٌ نهرَ الزمنْ
رُحتُ يافاتنتى أبحثُ عنكِ
فى السما والموجِ
فى عطرِ الزَّهَرْ
ودعاءِ الطيرِ لله .. بأغصانِ الشجرْ

* * *

كلَّما فكَّرتُ فى الصدفةِ ..
فى اللغزِ الذى جاء بنا
ورأيتُ الناسَ قد مرُّوا
على تلك الدُّنا
ثم راحوا بين طيات الحُفَرْ
رحتُ ياملهمتى أبحثُ عنكِ
فى انبلاجِ الصبحِ
فى بَوْحِ الوَتَرْ
وضياءِ الشمسِ ... أو ضوءِ القمرْ

* * *

عندما أمعنُ تفكيرى .. بأخلاقِ البشرْ
وبفعلِ الناس من خيرٍ وشرْ
وأرى القومَ على جسرِ الصراط
رحت يافاتنتى .. أبحثُ عنكِ
فى كتابِ الله .. ما بين السُّوَرْ

* * *

كلما صَلَّيْتُ للرب صلاةَ التائبين
ونما الإيمان فى قلبى برب العالمين
وسَمتْ نفسى على حبِّ الفضيله
رحت يافاتنتى أبحث عنكِ
فوجدتُ الحل فى أنا بشرْ ... فأنا أنتِ .. ولكنْ فى صُوَرْ

اقرأ في العدد القادم من العربي

□ **جزيرة الحب المنهكة !** استطلاع : صلاح حزين

المفاوضات الدبلوماسية في السياسة الكويتية	هكذا تشكلت القارات والمحيطات	الشباب والإدمان
سليمان ماجد الشاهين	د. فضل أيوب	د. دري حسن عزت

الساهرون .. والعيون نائمة

استطلاع ملون - ريم الكيلاني

كتاب الشهر : تأملات في الفنون الجميلة

د. زينب عبدالعزيز

□ وجهاً لوجه : غائب طعمه فرمان وسليمان الشيخ

□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. فهمي جدعان - د. عبدالوهاب المسيري - عبد الرزاق البصير

د. حسام الخطيب - عبدالله زكريا الانصاري - د. توفيق الطويل - عبدالحميد الكاتب

اب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

« ف »
الفابيـــة

جمعية اشتراكية بريطانية تأسست عام ١٨٨٤ ، تؤمن بالاشتراكية وترى أن تطبيقها يجب أن يتم بالتدريج ، أي عن طريق البرلمان ، وكانت بدايتها جمعية أخلاقية تضم مجموعة من المثقفين الذين يريدون رفع مستواهم الثقافي ، ويديرون نقاشات فيما بينهم حول أوضاع المجتمع وظروفه .

ورغم أن البداية كانت شديدة التواضع ، وبدأت بتسعة أشخاص رأسهم فرانك بادمور ، الذي استأجر شقة صغيرة في العاصمة البريطانية ، لتكون مقرا للجمعية رأسمالها لايزيد عن عشرين شلنا ، الا أن الجمعية امتد تأثيرها واتسع حتى شمل الحياة السياسية والفكرية في الجزيرة البريطانية وأوروبا كلها .

وينتهي نسب اسم الجمعية والذي اختاره « بادمور » الى الجنرال الروماني القديم « فابيوس كانكاتور » واختار مجموعة من أشعار فابيوس لتكون شعارا للجمعية ، وقد كان اختيار فابيوس ايمانا بفكرته في الاستراتيجية والتكتيك وتشبها به ، فقد كانت خطة فابيوس في حربه الشهيرة ضد هانيبال أن يصبر عليه طويلا ، ثم هاجمه من الأطراف ، ولم يصطدم به وجها لوجه أبدا ، وانتصر عليه في النهاية بهذا التكتيك . وهكذا خطة الفابيين:الانتظار طويلا على الرأسمالية ، والتزام الصبر حتى يحين وقت الانتصار .

وقد كان من الممكن أن تظل الجمعية الفابية جمعية أخلاقية اجتماعية ، لولا أن التحق بها شخصيات متوقدة الذكاء شديدة الملاحظة،راغبة في الاسهام في التغير . وتدين الفابية بهذا الى ثلاث شخصيات هي : جورج برناردشو ، وسيدني ويب ، وكير هاردي ، فوضع شو ميثاق الجماعة ونجح في ضم زميله ويب ـ الذي كان يعمل معه في وزارة المستعمرات الى الجمعية ـ ، وقام ويب باجراء البحوث ، وجمع الاحصاءات والبيانات للاسهام في وضع تصور علمي وعملي لقضايا المجتمع ، وكان انضمام كير هاردي ـ زعيم النقابات ـ مؤشرا هاما على تحولات داخل النظام الاقتصادي والاجتماعي . يقول ببساطة:ان العمال لا يأملون خيرا كثيرا من حزبي المحافظين والأحرار ، وأنه لابد أن يكون لهم قوة سياسية مستقلة ماداموا يشكلون قوة اجتماعية .

واذا كان هناك فضل يذكر لتوجه الفابية الى العمال، والعمل من خلالهم،فانه يعود الى بياتريس ويب ابنة الطبقة الارستقراطية ، التي انسلخت عن طبقتها وتزوجت سيدني ويب ، ونبهت الجمعية الى ضرورة العمل وسط العمال ، لأن نقابات ذلك العصر انصرف اهتمامها الى الجمعيات التعاونية ، والحصول

برنارد شو

على امتيازات شخصية ، وأغفلت الصراع من أجل تحقيق وضع أفضل للعمال .

ولمزيد من فهم الاطار الفكري للفابية فانه لابد من فهم التيارات السائدة في المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت . كانت التيارات السائدة في أوروبا وبريطانيا حينئذ هي الماركسية التي ينادي أصحابها بالثورة الطبقية الحاسمة ، وحركة الاشتراكية الدولية ، وجماعة الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي ، وعصبة الاشتراكية ، التي كانت تتأثر بالأفكار الفوضوية ، وكان المجتمع البريطاني يعيش في مرحلة احباط شديد ، فالعنف في المطالبة بتحقيق العدل الاجتماعي لم يصل الى شيء ملموس ، وكانت نهاية الثورات الفرنسية في أعوام ١٨٣٠ ، ١٨٤٠ ، ١٨٧٠ درسا لعدم جدوى العنف ، وأكده نزول الجيش الى شوارع الجزيرة البريطانية بقيادة الأميرال ويلسون ، بظل موقعة واترلو لقمع المتظاهرين .

في هذا المناخ والجو ظهرت وتبلورت أفكار الفابية ومن هنا فليس غريبا ايمانها بالتدرج والنسبية والمهادنة المؤقتة ، والتسلل الى صفوف الخصوم متخذة الرأسمالية مثالا واضحا . فقد استطاعت الرأسمالية أن تتسلل الى برلمان المجتمع الاقطاعي حتى استولت عليه . وانتشرت هذه الصفات واتسعت حتى أصبحت سمة أساسية لكل الاشتراكية الديمقراطية .

ويختلف الفابيون في تصوير الصراع الطبقي ، فهم يرون أن هذا الصراع لا ينشب بين من يملكون ومن لا يملكون ، بل بين الذين يحصلون على ناتج العمل السريع والذين لا يحصلون عليه ، أي بين مجموع الشعب من عمال ومديرين ومفكرين وعلماء وبين الذين يستفيدون منهم . ويتفق الفابيون في كثير من آرائهم الاقتصادية مع جون ستيوارت ميل أكثر من ماركس ، فهم مع ميل في الاصلاح الزراعي واعادة توزيع الأرض،وضد التيار الماركسي في تأميم الأرض ، ويرون أن نظرية الريع وعدالة توزيع الأرض التي هي مصدر الريع لا تنسحب على القطاع الزراعي فقط ، بل تشمل كل منابع الثروة ، وهم بالتالي أصحاب اتجاه اصلاحي،ولا تغيير جذري كالتيار الماركسي .

ومن هنا فقد تبنوا فكرة الضرائب التصاعدية كحل تشريعي لاعادة توزيع الثروة،وانطلاقا من نقطة « البين بين » والحل التدريجي عن طريق البرلمان » انطلقت كل أفكار الفابية لوضع حلول اشتراكية لمشاكل المجتمع واستمرت الجمعية في النشاط ، الى أن خرج من صفوفها حزب العمال البريطاني ، والذي مازال يضع أمام مقره تمثالين لسيدني وبياتريس ويب عرفانا بفضل الجمعية على الحركة الاجتماعية والعمالية . □

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - لو كان لديك شريطان .. أحدهما من النايلون والآخر من الألمنيوم .. وكانا متساويي القطر .. **ترى أي الشريطين يفوق الآخر قوة ومقاومة لفعل الشد ؟**

٢ - حجر رشيد .. اكتشفه في مصر علماء فرنسيون سنة ١٧٩٩ .. وكان لاكتشافه أثر كبير في حل رموز الكتابة الفرعونية .. **ترى أين يوجد هذا الحجر حاليا ؟ :**

- **في القاهرة**
- **في باريس**
- **في لندن**

٣ - مسألة حسابية بسيطة وهي : **٥٠ + ٤٠ + ١٠ = ١٠٠ هل تستطيع كتابتها بالأرقام اللاتينية التي كانت سائدة في شتى أقطار العالم قبل انتشار الأرقام الهندية / العربية ؟**

٤ - علمان من أعلام الدول المستقلة .. يطابق أحدهما الآخر تمام المطابقة ، سواء بالشكل أو الألوان أو النقش ، هذا بالرغم من أن العلمين يخصان قطرين مختلفين متباعدين ، ولا يربط بينهما أي رابط في الحاضر أو الماضي .. **فما هما هذان القطران ؟ .. علما بأن أحدهما يقع في أوربا والثاني في أمريكا اللاتينية .**

٥ - نهر الخابور الأعظم ونهر الخابور الأصغر **أين يقعان وأين يصبان ؟**

٦ - البنسلين - الستروبتومايسين - الكلورومايستين - والانسولين ..

اسماء كلها متجانسة ، ما عدا واحدا .. **فأيها هذا الشاذ .. ولم تعتبره شاذا .. ؟**

٧ - ما عدد الفقرات في رقبة الانسان وفي رقبة الزرافة ؟ .. علما بأن طول رقبة الانسان لايزيد على ٣٠ - ٤٠ سم مهما طالت ، بينما طول رقبة الزرافة يبلغ ٣ - ٤ امتار .

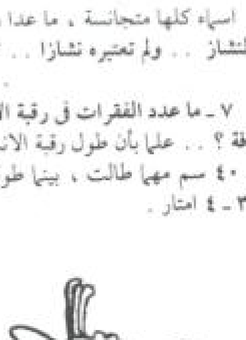

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٠ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول سبتمبر ١٩٨٥ .

٨ ـ الجاحظ والدميري . . لكل منهما كتاب فى الحيوان ، فما اسم كتاب كل منهما . ؟

٩ ـ طائفة الموارنة طائفة مسيحية كبيرة فى لبنان . . ظهرت سنة ٤٠٠ ميلادية ونزحت الى لبنان سنة ٧٤٥ / ٤٦ م ، ترى أين ظهرت ؟

١٠ ـ حجر الفلاسفة لم يكن وقفا على علماء العرب فى القرون الوسطى . . وقد اعتقد به احد كبار العلماء الأوروبيين فى العصور الحديثة : ترى من هو هذا العالم ؟ :

- اينشتين
- مدام كورى
- اسحق نيوتن .

١١ ـ اى دول امريكا الجنوبية تسمى وحدة عملتها قرطبة . ؟

١٢ ـ ميزان فهرنهايت وميزان سلسيوس المئوى للحرارة ميزانان متفاوتان كما هو معروف . . فالصفر المئوى يعادل ٣٢ درجة فهرنهايت . . ترى ما هى الدرجة التى يلتقى عندها الميزانان ويتساويان تماما . ؟

العدد ٣٢٠

يوليو ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ ....
....
٢ ـ ....
....
٣ ـ ....
....
٤ ـ ....
....
٥ ـ ....
....
٦ ـ ....
....
٧ ـ ....
....
٨ ـ ....
....
٩ ـ ....
....
١٠ ـ ....
....
١١ ـ ....
....
١٢ ـ ....
....

الاسم : ....
....

العنوان : ....
....

مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى
الثقافية مسابقة
العربى الثقافية
مسابقة العربى

حل

١ - نعم ، توجد جبال شامخة على سطح القمر ، وبعض هذه الجبال يفوق جبل افرست ارتفاعا . .

٢ - ديوجينس الفيلسوف الاغريقي الساخر (٤١٢ - ٣٢٢ ق . م) هوقائل العبارة ، وقد وجهها الى الاسكندر المقدوني حين زاره هذا قبيل حملته الشهيرة ، وسأله مايريد .

٣ - الهند هي التي اتخذت من اللغة الانجليزية لغة رسمية ثانية لها .

٤ - لامسافة بين فورموزا وطيوان . . لأن فورموزا هي طيوان وطيوان هي فورموزا . . وهي جزيرة تقع على بعد ١٠٠ ميل الى شرق الصين . . وعاصمتها تايباى ، وهي مقر حكومة الصين الوطنية .

٥ - البوابة الذهبية هي المضيق الذي يقع في مدخل خليج سان فرانسيسكو في كاليفورنيا . . ويبلغ طول المضيق ٥ أميال ، وعرضه ميلين تقريبا . . ويسمى الجسر الذي يقطع ذلك المضيق بجسر البوابة الذهبية ، ويعتبر أطول جسور العالم المعلقة (٤٢٠٠ قدم)

مسابقة العدد ٣١٧ ابريل ١٩٨٥

٦ ـ الأصح قولك نقه المريض نقها .. أما نقه نقاهة فتعني فهم الكلام ..

٧ ـ الاسم الطويل (سومي تاسافلتا) هو اسم فنلنده الثاني .

٨ ـ استهتر بالشيء .. أصبح مولعا به لايتحدث بغيره ، ولايفعل غيره ..

٩ ـ لانرى من القمر الا وجها واحدا لأن القمر يدور حول نفسه كما يدور حول الكرة الأرضية ، ويستغرق في كلتا دورتيه نفس المدة تقريبا (٢٧ ١/٣) يوم .

١٠ ـ تبلغ سرعة الصوت ١/٣ كيلومتر في الثانية .. بالضبط ٣٣٢ مترا .. أوما يعادل ٧٦٠ ميلا في الساعة .. وذلك في الهواء وبدرجة حرارة صفر مئوية .

١١ ـ جلد الشموا نسبة الى وعل الشموا الذي له فروة مخملية .. والذي عمدوا الى تقليده في الدباغة ، فكان الجلد المخملي الصناعي الذي سموه شموا .

١٢ ـ مساحة حلبة الملاكمة تبلغ ١٨×٢٥ قدما ..

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٧ ابريل ١٩٨٥

الجائزة الاولى : كمال أبو اليزيد شاه / مدرسة الشوربجي / كفر الزيات/ مصر .

الجائزة الثانية : عبدالزهرة عبدالجبار علي/ العراق/ بصرة/ عشار .

الجائزة الثالثة : فاضل بن نصر/ ١٥ نهج الامل/ سيدي أبو سعيد/ الجمهورية التونسية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ صلاح كاظم بلبيل/ بيروت ـ لبنان .

٢ ـ أميرة خريشه/ عمان/ المملكة الاردنية الهاشمية .

٣ ـ صلاح الدين عبدالقيوم أبو شامه/ بور سودان/ جمهورية السودان الديمقراطية .

٤ ـ أحمد سالم القريقي/ خور مكسر/ عدن ـ اليمن الديمقراطية .

٥ ـ بشير سليم عوامة/ الكويت .

٦ ـ يوسف عبدالله الشبعان/ المحرق ـ دولة البحرين .

٧ ـ بثينه علي محاسنه/ مطار الملك خالد الدولي/ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

٨ ـ رياض الحارس/ دمشق ـ سبع بحرات ـ مديرية المصالح العقارية ـ الجمهورية العربية السورية .

معركة بلا سلاح

مباراة العصر

وأخيرا وبعد ستة أشهر من اللعب المتواصل أوقف السيد فلورنشيو كامبومينز رئيس الاتحاد الدولي للشطرنج مباراة العصر بين بطل العالم الحالي أناتولي كاربوف (٣٣ سنة) ومواطنه الروسي جاري كاسباروف (٢١ سنة) وسط الاحتجاج المصطنع من بطل العالم والثورة العارمة من متحديه على اللقب الذي فاز بثلاثة أدوار متتالية بعد الأدوار الخمسة المتتالية التي فاز بها كاربوف في بداية المباراة . وقد حدّد الاتحاد الدولي موعد الجولة القادمة بين البطلين في شهر سبتمبر القادم من العام الحالي بعد أن سَنّ للمباراة القادمة عددا من القوانين الجديدة أهمها تحديد عدد الأدوار التي يلعبها البطلان بأربعة وعشرين دورا فقط ينعقد النصر فيها لمن يفوز بسته أدوار أولاً أويحصل على نتيجة أعلى في نهايتها .

وما أن أفاق العالم من الصدمة المذهلة التي سبّبتها هذه النهاية العجيبة لماراثون العصر حتى بدأ المحللون من كبار أساتذة الشطرنج يتناولون أدوار المباراة بالدراسة والتحليل والتعليق ، وقد اسفرت هذه الدراسات عن اكتشافات مثيرة حقاً ، فالدور السادس مثلاً الذي انتهى بفوز كاربوف كان يمكن ان يكسبه متحديه بسهولة . (انظر الشكل)

فقد اختار الأبيض (كاسباروف) ان يلعب ٢٧ ٠ ح ـ جـ ٦ لسدّ العمود جـ في وجه قطع الخصم ، واثبت التحليل ان النقلة ٢٧ ٠ ح ـ و٥ أقوى بكثير فهي تهدد بكش مات بمؤازرة ف×ز٧ وفي الوقت ذاته

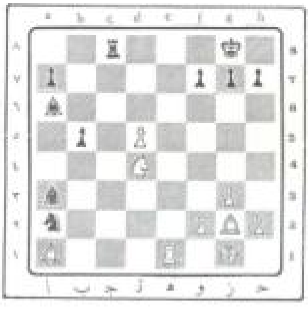

تسمح للبيدق د أن يتحوّل إلى قطعة مهاجمة في منتهى الخطورة . وفيما يلي التفريعات المحتملة بعد النقلة ٢٧ ٠ ح ـ و٥ :

(١) ٢٧	ز ٦
٢٨ . د٦	ز×و٥
٢٩ . د٧	ويليها
٣٠ . ر ـ هـ ٨ +	
(٢) ٢٧	ر-د٨
تفادياً للكشة المضاعفة	
٢٨ . ف×ز٧	ف-جـ٨
٢٩ . ف-و٦	ر-و٨
٣٠ . ح-حـ٦	كش مات
(٣) ٢٧	ف-ب٤
٢٨ . ر-هـ٢	ح-جـ١

٢٩. ر-هـ٤ ف-و٨
٣٠. د٦ ح-ب٣
٣١. د٧ ر-جـ١+
٣٢. ف-و١ ر-د١

وبدلا من اغلاق العمود «د» بالنقلة ٣٣. ف-د٤ يستطيع الابيض أن ينهي الدور كما يلي :

٣٣. ر-هـ ٨ ر×د٧

(لو لعب الاسود ٣٣. . . . . . . ح×أ١ لَرد الأبيض ٣٤. ح-هـ٧ كش مات)

٣٤. ف×ز٧ حـ٥
٣٥. ر×و٨+ م-حـ٧
٣٦. ر-حـ٨+ م-ز٦
٣٧. ر-حـ٦+ م×و٥
٣٨. ف-حـ٣+ ويفوز بالرُّخ

(٤) ٢٧. . . . . . ف-ب٤
٢٨. ر-هـ٢ ح-جـ٣
٢٩. ف×جـ٣ ف×جـ ٣
٣٠. ر-أ٢ (٣٠. ح-هـ٧ قوية أيضاً وتحقّق للابيض الفوز بالفرق)
٣٠. . . . . . ف - ب٧
٣١. ح-هـ٧+ م-و٨
٣٢. ح×جـ ٨ ف× جـ ٨

٣٣. ر×أ٧ ويصبح الاسود أعزل أمام ٣٤. ر-أ٨ او ر-جـ٧ أو د٦ والتي يتبعها ٣٥. ف-جـ٦

مسابقة العدد :

مسألة رقم (٣١)

الابيض يلعب ويكش مات في ٤ إلى ٥ نقلات

حل المسأله رقم (٢٩)

مفتاح الحل : حـ٣

الفائزون بحل المسابقة رقم ٢٨

عدد ابريل ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ حسين الأزهري ـ الزقازيق / ج . م . ع
٢ ـ لولوة المرهوم ـ المنامة / البحرين
٣ ـ احمد سليمان ـ عمان / الاردن
٤ ـ مراد توفيق ـ المانيا الغربية
٥ ـ وليد سعد الله ـ القادسية / الكويت

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ وفاء حناوي ـ اللاذقية / سوريا
٢ ـ مصطفى بن يوسف ـ جربه / تونس
٣ ـ ازهري خضر ـ متزده / ليبيا
٤ ـ طالب العامري ـ حضرموت / اليمن
٥ ـ علاء فريد ـ الزقازيق / ج . م . ع

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

العربي

اللغة العربية هي لغتنا الام ، التي قال فيها الخالق سبحانه « انا انزلناه قرآنا عربيا » ثم ان هذه اللغة هي التي حركت قرائح الشعراء منذ القدم ، وتركت لنا تراثا أدبيا خالدا له أصالته ومكانته . والعامية هي لهجة الناس فيما بينهم ، ولم تكن في أي يوم من الأيام لغة يكتب بها الكاتب أو يقرأ بها القارىء . . فالعربية هي لغة التفاهم بين أبناء العروبة الذين اختلفت لهجاتهم العامية عن التعبير والتفاهم فيما بينهم .

العربية لا الفصحى

● يبرز في مجتمعنا العربي العديد من المشكلات المشتركة والخطيرة ، ومن أهمها مشكلة « احلال اللغة العامية مكان الفصحى »ولما كان دور مجلتنا «العربي» هو تأكيد إصالة اللغة العربية ، فان المطلوب منها التصدي لدعاة العامية ، الذين ينادون بها ونبذ اللغة الفصحى التي جاء بها القرآن الكريم .

وقد كتب « ويلكوكس » الانجليزي كتابا يزعم فيه أن اللغة الفصحى هي السبب الكامن وراء التخلف المصري ، لانها لغة ترف ذهني وليست لغة ابداع علمي ، والدعوة الى العامية لم تكن الوسيلة الوحيدة لمحاربة الفصحى ، بل كانت هناك وسائل أخرى ، منها الدعوة الى استبدال الحروف اللاتينية في الكتابة بالحروف العربية . ويعتبر « سلامة موسى » في مقدمة من دعا الى ذلك في كتابه « البلاغة العربية واللغة العصرية » الذي صدر في عام ١٩٤٥م .

محمد جابر محمد عبد الله ـ أسيوط ـ مصر العربية

النوبة . . منطقة مصرية

● اعتبرت بلاد النوبة من أيام الأسرة الثامنة عشرة احد أقاليم مصر . وكان الملك المصري قد قام بتعيين حاكمها الذي أطلق عليه « ابن الملك حاكم كوش » . وكانوا أيضا يدينون بالعبادات المصرية في ذلك الوقت .

وحين توفي شيشنق الأول ، حاكم مصر قام بعض الكهنة الذين لم يرضوا عن هذا الوضع بالهجرة الى بلاد النوبة وقاموا بطقوسهم الدينية هناك للاله « امون رع » .

واذا كان البعض لايزال ينظر الى أهل النوبة نظرة فيها اتهام بالتخلف والفوضى ، فلهؤلاء أقول : إن أهل النوبة يمتازون بالطيبة والمرح والخلق وسعة الادراك والثقافة . ولهم تاريخهم الذي يجب على كل من ينكرهم الرجوع اليه لمعرفة الحقيقة التي غابت عنه . .

زكي محمد محمود . مصر العربية

ينشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعـداد : يـوسف الشهاب

العربي .. والثقافة الافريقية

● لما كانت مجلة « العربي » لسان القارىء العربي في كافة أقطار العروبة .. ولما كانت هذه المجلة الرائدة صديق كل عربي يبحث عن الثقافة والعلم والمعرفة ، فاننا قراء المغرب العربي نود من مجلتنا أن تسلط الضوء على قضايا الجناح الافريقي العربي ، سواء الثقافية منها أو الاجتماعية أو العلمية أو حتى الاعلامية ـ ذلك لأننا نشعر أن هذه الجوانب الهامة في حياة أقطارنا الافريقية العربية لم تلق الاهتمام المطلوب من مجلتكم العربي ، التي تنطق بالعربية لكل قارىء فيها .

ونحن على ثقة بأنكم سوف تلبون رغبتنا هذه ، وخصوصا وأن العربي تدخل كافة أقطار العروبة من المحيط الى الخليج .

سليمان بركة محمد ـطرابلس ـ الجماهيرية الليبية

العربي

لم نهمل في أي عدد من أعدادنا أنشطة المغرب العربي ، سواء الأدبية منها أو العلمية أو الثقافية . وهو واجب علينا نعمل دائما على التوسع فيه .. ولعلك تلاحظ في هذا العدد أننا قد بدأنا نشر رسالة المغرب العربي التي يتولاها مكتب العربي في الشمال الافريقي ومقره تونس .. والى مزيد من اليقظة الاعلامية الثقافية لأقطار هذه المنطقة من الوطن العربي .

المرأة العربية .. في السينما

● شاهدت الكثير من الأفلام العربية ، وكان معظمها ـ ان لم يكن جميعها ـ يقف موقفا غير عادل تجاه المرأة ، سواء أكانت بطلة للفيلم أم ممثلة كسائر الممثلين .

هذا الموقف وضع المرأة في دائرة الاتهام ، والنظرة السلبية لدور هذه المرأة كأم ومربية .

لقد قدمت السينما العربية الدور السلبي للمرأة في كافة أفلامها حتى صار هؤلاء يعتقدون أنه لادور إيجابي لهذه المرأة .. وهذا التقديم السينمائي السلبي للمرأة جعلها في دائرة الاتهام والظلم ، وأبرزها في صورة مشوهة غير حقيقية ، وغير متفقة مع واقعها الحالي . ان للمرأة دورا كبيرا في كافة مرافق الحياة عندنا ، والوجه المشرق للمرأة يجب أن تبرزه السينما العربية بدلا من اهتمامها بالمرأة كعنصر هدم للأخلاق والفتن والاغراء .

نبيلة عزوزي ـطنجة ـ المملكة المغربية

العربي

من واجب السينما العربية أن تعطي المرأة حقها ، وتكون منصفة لها ، فالدور الايجابي الذي تقوم به هو دورها الذي لايمكن لحركة السينما العربية أن تنكره .. ونأمل أن يأخذ السينمائيون العرب المرأة كعنصر له دوره في المجتمع أكثر من الدور الذي يقدمون به المرأة الآن كعاشقة وفاتنة بطل الفيلم .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

الشغل في اللغة

● جاء في مجلتكم العربي ، العدد ٣٠٦ في مقال للاستاذ عبد الواحد حروق . . « فأي ضير على اللغة يـراه الكـاتب في استعمـال لفظ الشغل في معنى العمـل ؟ أو لم يرد هـذا في القرآن الكريم ؟ حيث جاءت كلمة « شغل » لتدل على التوجه الى العمل « سيقول لـك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا » الفتح .

والحقيقة أن المعنى العجمي لكلمة شغل هو « ضد الفراغ أو الالهاء » وهذا ماقصد بالكلمة من الآية الكريمة ، أي أن المخلفين قد ألهوا بأموالهم وأهليهم ، فلم يتقدموا الى الجهاد . وهذا مفهوم من سياق الآية . كذلك وردت كلمة شغل في القرآن في سورة « يس » الآيـة ٥٥ ، وتؤدي معنى اللهـو لامعنى العمل .

توفيق جرجور . . دمشق ـ سوريا

البربر . . أبناء مازيغ

● تناولتم أكثر من مرة موضوع « البرابرة » وقد رأيت فيها بعضا من الملاحظات التي أود تـوضيحها لكم .

فالبرابرة . . أو الامازيغ هم السكان الأصليـون لشمال أفريقيا ، ويعود أصلهم الى « مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام » . . ويروى أنه حينما كـان عمرو بن العـاص ، واليا عـلى مصر أرسل بعض رؤساء البربر الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فسألهم عن نسبهم فقالوا نحن أبناء مازيغ (المصدر ، تاريخ المغرب الكبير للشيخ أحمد علي دبوز) .

والبربر . . هو الاسم الغالب عليهم ، وليسوا هم أولئك المتوحشين من الاوروبيين الذين أطلق عليهم اليونانيون اسم البربر بمعنى الوحشية والهمجية ، بل هم شعب يحب الحرية والديمقراطية ، وهذا ماجعلهم يرفضون الخضـوع الى كـل الفـاتحين . وكـذلك الـوافـدين من البيـزنـطيـين الى المـغـرب والاسـلام وحده هـو الذي ألف بين قلوب البربر والعرب على الرسالة المحمدية . كما أن لغة القرآن سائدة على بعض ألسنة هذه الأقوام . .

عبد الحكيم يحيى . . الينابيع الجديدة ـ الجزائر

ردود خاصة

● **الاخ عبود محمد باربيد** . . اليمن الديمقراطية ، نشكرك على اعجابك بـالمجلة فيما تقوم بـه من دور تجاه القـارىء العربي . . وهـذا جزء من واجبنا . .

● الى القارىء **سيد بشير محمود** . . بلدية الكويت ، اقتراحك بخصوص قيـام المجلة بـاسـتـطلاع عـن « بنغلادش » نفيدك بأننا سوف نقوم به في القريب العـاجـل.

● من مصر بعث الينا القارىء الطالب **خـالد عبد المعطي** ، يطلب تزويده ببعض قصص الأنبياء . . ولما كانت هذه الكتب غير متوفرة لدينا ، فـاننا نعتذر عن ارسالها ، وهي متـوفـرة في مكتبـات القـاهـرة . . . وعـذرا مـرة أخرى .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

أول يوليو ١٩٨٥ | ١٩٠

العدالة

تأليف : جون جولزورذي
ترجمة وتقديم : د. داود حلمي السيد
مراجعة : د. طه محمود طه

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

مجلة
خاصة
المثقفين
في الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

****

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب
□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات:
١٢ ديناراً في الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد:
٢ دينار في الكويت، دينار للطلاب
٣,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

الموزع في الكويت والخارج:
مجلة العلوم الاجتماعية.

■ توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية. جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة، الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ مباشر ٢٥١٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٢٦١٦ كويت

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يوليو ١٩٨٥م

تربية اليسر وتخلف التنمية

تأليف :

د. عبد العزيز الجلال

الكتاب الواحد والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

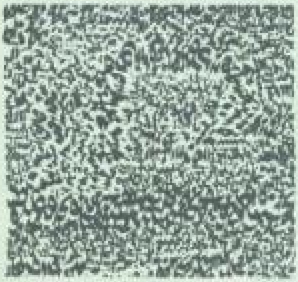

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية
والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية
والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير

د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير

آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

العنوان : ص-ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت

هاتف : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣

تلكس : ٢٢٦١٦ KUNIVER

* *

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ تصل أعدادها الى أيدي نحو ٢٠,٠٠٠ قارئ

مجلة علمية محكمة

يحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية بأقلام نخبة من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون . وتقوم المجلة أيضا باصدار مجموعة من الكتب العلمية المتصلة بالمنطقة ، مع كتاب سنوي يضم ثبتا للوثائق والتقارير المتعلقة بشئون المنطقة خلال تلك السنة .

الاشتراكات

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراك للافراد : سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية : سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت - الشويخ ص ب ١٧٠٧٣ هاتف ٨١٦٧٩٩-٨١٦٨٠٧-٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

بارد وهادئ.

إختر منطقة Toshiba المريحة.

RAV-711KE
(يثبت على الحائط)

مكيف هواء
النظام المنفصل
إختر اللوح الذي تفضله،
للأرض، للحائط، للسقف
ونظام كاسيت
قوة التبريد من ١٢٫٠٠٠ BTU/h
إلى ٦٠٫٠٠٠ BTU/h
مع أو بدون نظام تدفئة
قوة التيار الكهربائي ٢٢٠-٢٤٠ فولت ـ ٥٠ Hz
أو ٢٢٠ فولت ـ ٦٠ Hz

مكيف هواء
يثبت في الشبابيك
مجموعة كاملة لراحتك،
قوة التبريد من ١٢٫٠٠٠ BTU/h
إلى ٢٤٫٠٠٠ BTU/h
مع أو بدون تدفئة
قوة التيار الكهربائي ٢٢٠-٢٤٠ فولت ـ ٥٠ Hz
أو ٢٢٠ فولت ـ ٦٠ Hz

RAC-46JE

TOSHIBA TOKYO, JAPAN

صَبَاح الخَيْر!

نسكافه

نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح

ذو القعدة ١٤٠٥ هـ - أغسطس (آب) ١٩٨٥ م

العربي

جزيرة الحب المنهكة

ثورة التاميل..
برميل البارود المتفجر في سيريلانكا

الساهرون.. والعيون النائمة..

مع العدد : العربي الصغير

نظام كاسيت واحد
لايفي بمتطلباتك ؟
إحصل على كاسيت مزدوج من سانيو!
C35
C40
MW23K
MW220K
MW200K
MW22K
MW18K
MW730K
MW5400K
MW24K
MW770K
مُسجل كاسيت مزدوج/ راديو ستريو ٤ موجات.
يمكنك الآن التسجيل، الدبلجة والإحتفاظ بأحب الموسيقى إليك مع مسجل كاسيت مزدوج/راديو ستريو MW/SW1/SW2/FM من سانيو. إنها عملية سهلة بسهولة الكبس على الزر. ضع شريطين في الستريو وستنساب الموسيقى بدون إنقطاع من الشريط الأول إلى الشريط الثاني. مشكلتك الوحيدة مع مجموعة مسجلات سانيو ذات الكاسيت المزدوج هي الإختيار بينها!
SANYO سانيو

SP 85 118

العـــــــدد ٣٢١ أغسطس ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No.321 Aug. 1985 P.o. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

صدر حديثاً

كتاب العربي

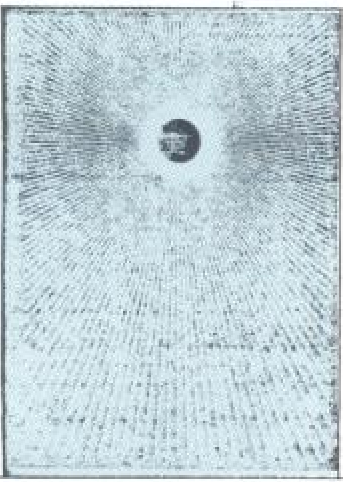

آراء ودراسات فى :

الفكر القومي

ساطع الحصري	د. أحمد زكي
د. محمد أحمد خلف الله	د. عبد العزيز الدوري
د. عبد الله عبد الدائم	د. عبد الرحمن البزاز

د. كلوفيس مقصود

العدد الثامن ١٥ يوليو ١٩٨٥م

عزيزي القارىء

لجنة الفرز الأولية لمسابقة القصة في المجلة فوجئت بسيل القصص التي تلقتها من القراء ، وهواة ومحترفي كتابة القصة ، للاشتراك في المسابقة التي أعلنت عنها العربي في مطلع العام الحالي . . .

وتساءل أعضاء لجنة التحكيم عن هذه الكثرة الغالبة ، من القصص ، التي تجاوزت كثيرا حدود كل التوقعات ، رغم كثرة ما شاركوا فيه من تحكيم عشرات المسابقات من قبل .

لو قلنا ان رقم الفرز قد تجاوز الثلاثة آلاف قصة حتى الآن ، فاننا لا نبالغ ، ولو قلنا أنه مازال في ملفات الفارزين مجموعات أخرى فاننا لا نقدم اعتذارا مسبقا لو أرتأت اللجان تأخير موعد اعلان النتيجة المتوخاة .

مع ذلك فان لجان الفرز والقراءة والتحكيم مازالت تعمل وتتابع هذا السيل العرم من القصص ، التي جعلت منها بعض الأقلام وسيلة لاسماع الصوت حول الكثير من مشاكل الأفراد والجموع العربية في شتى أقطارها .

صحيح أن للصيف مشاكله ، وصحيح أن لحرارة الصيف في الكويت صعوباتها ومعوقاتها ، مع ذلك فان العمل يسير ، وحركة الفرز والقراءة لم تهدأ منذ لحظة الاعلان عن اجراء المسابقة . . وممنوعة هي الاجازات الطويلة ، ومحدودة هي أيام العطل . . والا فان تلال القصص كان يمكن أن تظل مكدسة . . وتلال الأوراق كان يمكن أن تبقى داخل الملفات بانتظار تأشيرات حمراء وزرقاء الى ماشاء الله . .

عزيزي القارىء . . ان ماذكرناه ماهو الا تسجيل لحالة طوارىء نعيشها ، فنأمل أن تعطينا من صبرك صبرا ، وان تمنحنا من وقتك وقتا . . وكان الله في عوننا وعونك .

كلمة أخرى نقولها لك عزيزي القارىء ، ان عددنا هذا سيطوف بك ومعك حول محطات عدة منها :

■ قضايا المرأة . . وهل هي قضايا خاصة أم هي جزء من مشاكل وقضايا المجتمع للدكتور محمد الرميحي .

■ قبرص ـ هذه الجزيرة الصغيرة التي تفيد الأساطير بأنها النقطة التي خرجت من بحرها إلهة الحب أفروديت . . الا أن بعض ناسها والقوى الطامعة فيها حولتها الى جزيرة منهكة بالخلافات والحروب ! استطلاع ملون عن الجزيرة .

■ أما استطلاعنا الملون الثاني فهو عن « ثورة » التاميل في سيريلانكا . وهذه الثورة تحمل في وجه من وجوهها ثورة الأقلية ضد الأغلبية ، وثورة طائفة ضد أخرى .

هكذا يجد القارىء أنه على الرغم من أننا نعد موادنا قبل حوالي شهرين من صدور العدد ، فاننا نحاول قدر الامكان أن نكون على تماس مع الأحداث المتفجرة والمشتعلة في العالم .

هذه بعض الهموم والمشاغل التي تشغلنا ، وهذه بعض مواد عددنا . . نأمل دائما أن نحقق من أجلك الأجود والأفضل .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر :
خطاب مفتوح الى النساء العربيات !
ـ د. محمد الرميحي ٨
■ أقوال ١٧
■ المفاوضات الدبلوماسية في السياسة الخارجية الكويتية .
ـ سليمان ماجد الشاهين ١٨
■ الأمم المتحدة بعد أربعين عاماً من قيامها . ـ عبد الحميد الكاتب .. ٢٥
■ رسالة أسبانيا :
الجديد في الحوار الثقافي بين الشرق والغرب . ـ د. حسام الخطيب .. ٣١
■ أنشودة الانتصـــــار .
ـ د. عبد الوهاب المسيري ٣٥
■ ابداع التراث . ـ د. فهمي جدعان ٣٨
■ الشباب والادمان .
ـ د. دري حسن عزت ٤٨
■ رسالة المغرب العربي .
ـ رشيد خشانة ٦٠
■ أضواء من الفلسفة على الحب كمثل أعلى للانسان . ـ د. توفيق الطويل ٦٤
■ يوم أمطرت السماء ذهباً (قصة) .
ـ ابراهيم عبد الله العلو ١٠٦
■ الشعر وعصر الكمبيوتر .
ـ عبد الله زكريا الأنصاري ١١٠
■ أمراض العيون هل تورث ؟
ـ د. سرى سبع العيش ١١٣
■ نقش متأخر على عرش بلقيس (قصيدة) . ـ سليمان العيسى . ١٢٤
■ هكذا تشكلت القارات والمحيطات .
ـ د. فضل أيوبي ١٢٨
■ الشيخة صابرين (قصة) .
ـ صلاح عبد السيد ١٤٦

عجوز في الجزيرة « المنهكة » تطرز القماش بخيوط عمرها ص ٦٨

■ ألقيت في اليم قلبي (قصيدة) .
ـ د. نصار عبد الله ١٨٠

استطلاعات ومقابلات

■ قبرص جزيرة الحب المنهكة .
ـ صلاح حزين ٦٨
■ ثورة التاميل .. في سيريلانكا .
ـ سليمان مظهر ٨٤
■ وجهاً لوجه : غالب طعمة وسليمان الشيخ ٩٧
■ الساهرون والعيون نائمة .
ـ ريم الكيلاني ١٣٦
■ الأمن الغذائي في برامج المنظمات والذئات الدولية . ـ صادق يلي .. ١٥٠

أبــواب العــربي

■ عزيزي القارىء ٥
■ أرقام : في أوروبا يريدون أطفالاً أكثر . ـ محمود المراغي ٤٢
■ حكايات شرق وغرب ٤٤

● منتدى العربي :

تعريب التعليم في الجامعات .
ـ عبد الرزاق البصير ٥٣
■ من قتل اللغة العربية .
ـ د. مصطفى ابراهيم شعبان ... ٥٦
■ تأثير الموسيقا بين الوهم والحقيقة .
ـ محمد فتحي الحريري ٥٨
■ البيان في أسباب نزول القرآن .
ـ حسين أحمد أمين ١٠٤
■ الجديد في الطب والعلم .
إعداد يوسف زعبلاوي ١١٧
■ مخترعون ومكتشفون ـ البرت اينشتين ١٢٠
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٢١
■ قاموس العربي : ليبرالية ١٢٦
■ استراحة العربي ١٧٨

● من مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر : تأملات الحالة الراهنة للفنون الجميلة ـ للناقد جان كلير .
د. زينب عبد العزيز ١٨١
■ من المكتبة العربية : فتوح البهنسا كتاب شعبي في فتح العرب لصعيد مصر . ـ فاروق خورشيد ١٨٧
■ مكتبة العربي : مختارات ١٩٢

● جمال العربية :

■ صفحة لغة : بين العدد والمعدود .
ـ محمد خليفة التونسي ١٩٤
■ هكذا غنى الآباء : .. ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد(٣١٨) ٢٠٠
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ... ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي ـ العدد ٣٢١ ـ أغسطس ١٩٨٥

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ في تونس يحمون الفتيات من الضياع ـ محمود عبدالوهاب ١٦٠
■ تسلط الآباء ما له وما عليه ١٦٥
■ هو وهي ١٦٨
■ من الحياة : كيف نعيش الغد بلا قلق . ـ منير نصيف . ١٧٠
■ طبيب الأسرة ١٧٤
■ مساحة ود : هكذا يكون الحب .
ـ وفاء طه ناجي ١٧٧

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

خطاب مفتوح إلى النساء العربيات

□ قضيّة المرأة هي قضيّة الرجل .. وهي قضيّة المجتمع .

□ الطبيعة الثانية للمرأة العربيّة : كيف تكوّنت ولماذا استمرت ؟

□ لا يزال بعضنا يعتقد أن المرأة لا تصلح إلا لغسل الصحون وحفظ النسل !

□ لماذا يهرب الرجال من مسئولياتهم الأسرية في بلاد العالم ؟

قضايا المرأة وأوضاعها وشؤونها وشجونها فرضت نفسها على الاعلام العالمي في الشهر الماضي - يوليو ١٩٨٥ - اذ عقد في الاسبوع الثاني منه المؤتمر العالمي للمرأة في نيروبي عاصمة كينيا ، والتقى فيه حوالي ثمانية آلاف امرأة يمثلن حوالي مائة وخمسين دولة ، ويعتبر المؤتمر حلقة من سلسلة طويلة من الحلقات والندوات التي عقدت في السنين العشر الاخيرة،لاسترعاء نظر دول العالم الى قضية المرأة بعامة ، وقضية المرأة في العالم الثالث على وجه الخصوص .

هذا المؤتمر له قصة ، فقد أعلنت الامم المتحدة - كعادتها في تخصيص سنة أو عقد للاحتفال بموضوع معين على مستوى العالم - سنة ١٩٧٥ سنة دولية للمرأة ، وعقد مؤتمر دولي للمرأة في مدينة المكسيك ، وقد ارتأى المؤتمر عدم الاكتفاء بتخصيص سنة دولية واحدة فقط لقضايا المرأة ، فطالب

الامم المتحدة باعلان الفترة من سنة ١٩٧٦ الى سنة ١٩٨٥ عقدا دوليا للمرأة ، وهكذا كان .

وخلال هذا العقد الذي ينتهي بانتهاء هذا العام ، وربما بانتهاء مؤتمر نيروبي السالف الذكر ، تكون المرأة قد عقدت سلسلة ندوات واجتماعات اقليمية ودولية لمناقشة قضايا المرأة ومراجعتها . وعقد المؤتمر قبل الاخير في كوبنهاجن بالدنمارك (يوليو ١٩٨٠) الذي كان بمثابة مؤتمر لالتقاط الانفاس . ثم تلاه المؤتمر الاخير في نيروبي .

ولكن ماذا تحقق من كل ذلك ؟

من المفارقات الاولى اللافتة للنظر أنه عندما كان آلاف النساء في مؤتمر نيروبي يراجعن التقارير والمطالبات ، كانت تلازمهن حقائق صارخة تفيد بأن خمسين في المائة من نساء كينيا العاملات ـ البلد الذي استضاف المؤتمر ـ يتقاضين أجورا عن أعمالهن لا تكفي لشراء الحليب المصنع لارضاع أطفالهن !

بين الشمال والجنوب

☐ من العبث طرح قضية المرأة على أنها قضية خاصة بالنساء ، وقد تكفلت كتابات ومواقف كثيرة بتأييد هذا الاتجاه ، صحيح انها ـ جزئيا فقط ـ مشكلة نساء ، ولكنها كليا مشكلة غنى وفقر ، ومشكلة مجتمع كامل أيضا قبل أن تكون مشكلة خاصة بالنساء . فعلى الصعيد الدولي تقول لنا الاحصاءات ان النساء نصف سكان الارض ، وتعادل ساعات عملهن ثلث ساعات العمل التي تنجزها البشرية ، ولكن كسب النساء لا يتعدى واحدا على عشرة من مجموع الدخل العالمي ، وتقدر تلك الاحصائيات أن النساء ليس لديهن من الدخول المادية أكثر من ١٪ من الدخل المادي العالمي . واذا كانت المرأة في الدول المتقدمة ـ كالدول الغربية والولايات المتحدة وكندا واليابان وفي بعض الاقطار الغنية مما يوصف بدول الشمال عموما ـ قد حصلت لنفسها على حقوق اقتصادية واجتماعية وسياسية نتيجة لظروف تطور تلك المجتمعات ، فان المرأة في دول الجنوب ـ امريكا اللاتينية وأجزاء كبيرة من آسيا وافريقيا ـ قد وقع عليها ما وقع على الرجل في بلدانها من تعسف استعماري تحول الى تخلف انساني .

من المؤكد أن بعض المندوبات في مؤتمر نيروبي اكتشفن حالة الفقر المدقع التي يعيشها معظم النساء الكينيات ، وسوء تغذية الاطفال الناجم عن فقر الأسرة وعمل الأم المتواصل في الحقل أو في غيره، وهذا وضع تشترك فيه النساء والأطفال سواء أكانوا في أرياف افريقيا أم الهند أم تشيلي ، أم في المدن المكتظة بالسكان سواء كانت كلكتا أو مكسيكو على سبيل المثال ، وهذا الوضع لا يترك لهؤلاء الامهات خيارا بين ارضاع اطفالهن رضاعة طبيعية أو شراء المستحضرات التي تأخذ مكان حليب الأم ، والتي تروج لها الصناعات الكبيرة في العالم المتقدم ، فمن الثابت من خلال الاحصاءات العالمية المتوافرة أن الأمهات اللواتي يسهمن في الانتاج داخل المدن المكتظة ، أو في الحقول في

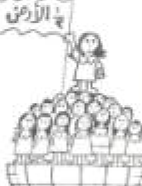

أقطار كثيرة من العالم الثالث ، لا يجدن الوقت الكافي لعملية الارضاع الطبيعية ، رغم تأكيد الطب ـ للفئات الواعية ـ أن ليس هناك ما يعوض الطفل عن حليب أمه !

والاحصائيات الدولية المتوافرة تقول لنا شيئا آخر بجانب ذلك ، فهي تشير الى أن نسبة الوفيات بين الأطفال المحرومين من حليب الأم ترتفع في بلدان مثل تشيلي والهند وبلدان امريكا الجنوبية ، في حين أن وفيات الاطفال تنخفض بين أطفال الامهات اللواتي يجدن وقتا للارضاع الطبيعي في تلك البلدان .

ولعل ضغط الفقر والجفاف والسياسات غير الرشيدة كلها تتكالب على الامهات في اقطار العالم الثالث ليكون أول ضحاياها الاطفال أنفسهم ، وتفيد احصائيات البنك الدولي ـ وهي احصائيات تقريبية ـ الى ان البلدان التي لا يتجاوز فيها متوسط الدخل السنوي للفرد مائة وخمسين دولارا ، لا تنعم بالماء النظيف ولا تتخلص من النفايات بالطرق السليمة ، ماعدا استثناءات قليلة وخصوصا عند الموسرين من بين السكان ، وهناك ١٨٪ من سكان بعض مدن الهند يحصلون على ماء نقي للشرب والاغتسال و ١٣٪ من السكان في زائير مثلا لديهم هذا الامتياز و ١٪ من السكان في اثيوبيا ! وذلك على سبيل التذكير والمثال لا الحصر .

المرأة والأسرة

☐ فكيف يكون وضع المرأة في مجتمعات فقيرة كالتي أشرنا اليها ؟

ان الرجل في معظم هذه المجتمعات ينسلخ عن العمل عند عودته الى البيت من الحقل أو من أي عمل آخر يقوم به ، بينما المرأة في غالب أرياف العالم الثالث ومدنه يتواصل عملها الاضافي الشاق عند العودة الى المنزل كالتنظيف ، وربما جلب المواد الغذائية بجانب عملية الطبخ نفسها ، وأعمال أخرى تضطر الى انجازها قبل أن تأوى متهالكة الى فراشها استعدادا ليوم عمل جديد .

هذه الاوضاع تنعكس سلبيا على الروابط الاسرية في مجتمعات العالم الثالث وعلى تنشئة الأبناء ، ففي كثير من دول العالم الثالث يفتقد حضور الرجل ـ للاسباب التي ذكرناها ـ مع الاسرة ، وتبقى النساء . فقد جاء في احدى الاحصائيات العالمية أيضا أن ٤٠٪ من الاسر في امريكا اللاتينية تنهض فيها المرأة بمسؤولية رب الاسرة ، هذا في المتوسط ، وفي بعض البلدان مثل تشيلي تزيد نسبة الأمهات المهجورات على ذلك ، والبعض منهن لا يتجاوز سنهن الرابعة عشرة فقط .

ويكشف تقرير آخر عن أن مشكلة البرازيل انما تكمن في أطفالها وأن الأطفال المشردين الملقين للعوز والجوع والمرض تفوق كل تصور ، وأن

أربعة الى خمسة ملايين منهم انتفخت بطونهم بسبب الجوع .

وهكذا فان وضع المرأة في دول العالم الثالث ـ دول الجنوب ـ الاكثر فقرا وعوزا ، ليس سوى نقطة لمظاهر عديدة من التخلف ، فالاستغلال المركب للاسرة والمرأة يفضي الى نتائج متخبطة ، منها اندفاعهم الى محاولات ساذجة للخروج من هذا الضنك والحرمان بالمزيد من الانجاب ، فانجاب الاطفال لدى غالبية هذه الاسر في تلك البلدان هو السلاح الوحيد للحلم بحياة أفضل في المستقبل ، وربما لضمان شيخوخة تغني عن الحاجة للاخرين .

ولكن هذا الحل الذي يبدو « منطقيا » للبعض يضاعف المشكلة ، فتصبح مشكلة الاطفال وبالتالي الشباب خاصة في المدن الكثيفة مشكلة مركبة ، ويهرب الازواج كما أسلفنا ملقين بالعبء كله على النساء ، ومع ذلك مازال مؤشر الانجاب هو الحل الأقرب الى اقتناع الغالبية ، ولقد ثبت أن الحل ـ الانجاب الكثير ـ استعصى حتى على البرامج الدولية لتحديد النسل ، مع انها أنفقت عليها بلايين الدولارات في الدول المكتظة بالسكان ، فرغم هذه البلايين التي أنفقت في سبيل ضبط النسل ، وفي تعبير آخر تحديده ، فإنها لم تؤت ثمارها المرجوة .

وهكذا فان الفقر والجوع والموت وهروب الرجال مع الأمية الطاغية ، كل هذا لم يقنع الكثير من نساء العالم الثالث الفقيرات بأهمية تلك البرامج مع أنهن يشاهدن الموت بأم أعينهن يحصد من أولادهن الكثير حصدا بلا هواده . .

ولعل من الظواهر البشرية الملفتة للنظر تلك المعادلة الملموسة من خلال الاحصائيات في العالم ، والتي تؤكد على انخفاض نسبة الولادة من السكان كلما ارتفع الدخل ، مع صحة العكس ، والاحصاءات الدولية تقرر لنا ذلك بوضوح ، فهي تشير الى أن متوسط الولادات لكل ألف من السكان ترتفع لتصل الى (٤٦) مولودا في المناطق التي لا يتعدى متوسط الدخل السنوي للفرد فيها ١٥٠ دولارا تقريبا ، وتنحسر هذه النسبة لتصل الى ١٦ مولودا لكل ألف من السكان في البلدان المصنفة ـ بلدان الشمال ـ حيث يزيد متوسط الدخل السنوي للفرد الواحد فيها على ٦٠٠ دولار تقريبا !!

واذا كان لتلك الاحصائيات معنى . . فهو يعني أن تكاثر السكان في البلدان الفقيرة يرتبط علاجه ارتباطا وثيقا بارتفاع الدخل ، أي يعني في جملة ما يعنيه وظائف ملائمة ورعاية أفضل للنساء .

ولا ننسى أن كثرة الولادة والارضاع في مجتمعات فقيرة تفتقد الحد الادنى من الرعاية ماهي الا مراهنة تدفع فيها المرأة الثمن باهظا ، وكثيرا ما تكلفها ببساطة شديدة حياتها ذاتها . .

والمرأة العربية

☐ مضى على اصدار كتاب « تحرير المرأة المسلمة » للمرحوم قاسم أمين حوالي خمسة وثمانين عاما ، في هذا الكتاب والكتب العربية الكثيرة التي لحقته ، حظيت قضية المرأة العربية بمناقشات واسعة وآراء مختلفة ، وتباعدت كثيرا أو قليلا للاجابة عن سؤال يتعلق بدور المرأة العربية في هذا العصر ، وخصوصا وأن القرن العشرين قد بدأ بعد آخر سنوات عمره .

اسئلة كثيرة أطلقت ومازالت تطلق حول قضية المرأة العربية ، فهي بجانب مشاركتها لاختها في أقطار العالم الثالث في بعض الظواهر والمشاكل ، إلا أن لها خصوصية حضارية واجتماعية من الصعب إنهاء المناقشة حولها دون معرفة الموقف التاريخي أو اللحظة التاريخية التي تمر بها كأمة .

أنا من المؤمنين ـ مع كثيرين غيري في هذا الموضوع ـ بأن قضية المرأة العربية ليست قضية خاصة بالمرأة فقط ، فهي في حقيقتها قضية مجتمع ، وقضايا المرأة العربية ـ رغم تقاربها وتشابهها في كل الأقطار العربية ـ الا أن بعضها له خصوصية قطرية لا يسعنا إنكارها . ولكن الخلاف ليس في كل ذلك . ليس الخلاف على أن نصف سكان الوطن العربي تقريبا نساء ، أو كما تقول الاحصائيات مرة أخرى انه يوجد في الوطن العربي من ٨٥ الى ٩٠ مليون امرأة هذا العام (١٩٨٥) ـ وسيزداد هذا الرقم ، كما تقول لنا الاحصائيات المتوقعة ـ الى حوالي ١٤٠ مليون امرأة في سنة ٢٠٠٠ أي بعد خمس عشرة سنة من الآن .

ولكن الخلاف في تجاهل البعض هذا الرقم الكبير نسبيا وتجاهل حقيقة أن المرأة هي أيضا انسان له حقوق وعليه واجبات . وقد يقول قائل ـ كما يشار في كتيبات الدعاية أو يطرح من على المنصات وفي الاحتفالات النسائية ـ ان المرأة العربية عملت سفيرة ووزيرة واستاذة جامعة وطبيبة وشرطية . . الخ ، وأقول للقائلين بذلك : نعم . . ان ذلك صحيح . ولكن مرة أخرى أريد أن اتحدث عن غالبية النساء في ريفنا العربي ومدننا المكتظة وقرانا النائية وصحارينا الواسعة .

المرأة هناك مازال أمامها شوط كبير لتصل الى تحقيق انسانيتها ، ليس بالقوانين المكتوبة والمفروضة ، ولكن من خلال الممارسة الممكنة والواقع الملموس المحسوس .

القضية ليست في تعليم المرأة العربية فقط ، مع أن الأرقام المتوافرة لدينا في هذا الصدد تثير الحزن ، فتفشي الأمية بين النساء العربيات يصل في متوسطه الى ٧٠٪ لمن هن فوق الخامسة عشرة ، ويجب التذكير أن هذا الرقم هو رقم متوسط يتوارى خلفه كل ما تخبئه الارقام المتوسطة !

فنسبة الأمية بين النساء تتراوح في الاقطار العربية بين حدها الادنى ٣٥٪ الى حدها الاقصى حوالي ٩٥٪ ، وتقع كفة الحد الاقصى في موضع الرجحان .

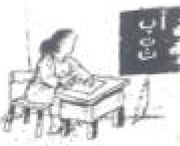

يتجاذب قضية تعليم الفتاة في مجتمعنا العربي طرفان متناقضان ،

فهناك من يملكن قابلية التعليم ويقبلن عليه ، ولكن لا يجدن مقعدا في التعليم الابتدائي .

وذلك ناتج عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لهذا القطر العربي أو ذاك ، أما الجانب النقيض الاخر فيتمثل في بروز عوائق اجتماعية أساسها ضعف الوعي ، وتفشي الجهل ، حتى لنكاد نسمع من خلالها ذلك القول العجيب :

« ليس لدينا فتيات يذهبن الى المدارس » ! بكل ما تعنيه هذه العبارة وتنطوي عليه من غثاثة اجتماعية مؤسفة .

ومن المبكيات المضحكات أن محصلة طرفي الجذب في تعليم البنات في مجتمعنا العربي بين قادر محجم ، ومعوز مقبل ، محصلة ذلك أحد التقارير التي ذكرت أن اسهام المرأة في مجمل قوة العمل العربية ، اسهام هامشي اذ يتراوح بين ١٠٪ و ١١٪ من كامل قوة العمل العربية* في الوقت الذي تسهم فيه المرأة في الاتحاد السوفيتي واوربا الشرقية بـ ٤٥٪ من قوة العمل وفي جنوب شرق آسيا وافريقيا السوداء بـ ٣٣٪ ، وأخيرا في أمريكا اللاتينية ٢٥٪ من قوة العمل .

أي أن قوة العمل النسائية العربية لا تكاد تصل الى نصف قوة العمل في أمريكا اللاتينية على الرغم مما فيها من تخلف !

وهذا يؤكد القول بأننا نقترف إثم تعطيل قوة حقيقية ونغل أيديها عن العمل والانتاج . .

وصحة المرأة العربية

☐ اذا كان تعليم المرأة واسهامها في قوة العمل قضية لها أبعاد اجتماعية بجانب أبعادها الاخرى ، فماذا عن صحة الام العربية ؟

اذا كان بعضنا يفخر بالانجازات الصحية وبناء المستشفيات في المدن العربية ، فهو يرى ربع الصورة على أقل تقدير ، والصورة الحقيقية طبقا للاحصاءات العالمية تقول : ان معدل وفيات الاطفال الرضع يصل الى ١٥ في الألف في المتوسط في دول الشمال (الدول الصناعية) ، ويصل الى حوالي ٤٥ في الألف في الدول المتوسطة الدخل ، أما في معظم الأقطار العربية فهو يتراوح بين ٧٠ و ١٠٠ لكل ألف من الولادات . صحيح أن هذه النسبة تقل كثيرا حتى تصل الى حوالي ٤٠ لكل ألف في بعض الأقطار العربية ، ولكن الثابت أن المتوسط العام يشير الى خطورة الوضع الصحي للام العربية في الارياف والمدن المكتظة والاقطار العربية الفقيرة ، وهي نسبة لا تدعو الى الابتسام ، إلا اذا كان ذلك من باب الرثاء أو القلق .

وتشارك أغلب النساء العربيات أخواتهن في العالم الثالث في موضوع

---

* لقد اختلفت النسبة قليلا بين باحثين عربيين هما د. خضر زكريا (جامعة دمشق) و د. مارلين نصر (لبنان) ، ورغم أن الأخيرة تحدد دراستها بالمشرق العربي ، الا أن متوسط الاحصائيات متقارب .

المستوى الصحي وخصوصا في قصور الخدمات العامة كالمياه الصحية ، والصرف الصحي والتخلص من الفضلات ، أي في قضية ما تعارفنا عليه « بالصحة البيئية » ، ويتضح ذلك أكثر ما يتضح في البيئات الريفية وأحياء المدن الفقيرة ، ولعل من التناقض القول أنه بجانب المشكلات الصحية السلبية لنسبة كبيرة من النساء العربيات ، فان هناك مشكلة صحية أخرى للاقلية من بين النساء العربيات تتمثل في السمنة وثقل الاوزان . فقلة الحركة والافراط في تناول أصناف الطعام تؤدي الى السمنة المفرطة وأمراض الغدد وغيرها مما يعتبر من أمراض الحضارة الحديثة ، وتزداد خطورة هذه الأمراض إذا صادفت قصورا في الوعي الصحي .

في الحالتين - حالة الأغلبية وحالة الأقلية - يؤثر الوضع الصحي المتدهور على مستوى عطاء المرأة وعلى أطفالها وتنشئتهم ، بل حتى على متوسط عمر الفرد في الاسرة والبيئة جميعها . وتتشابه أوضاع أغلبية النساء في المنطقة العربية بأوضاع النساء في بقية بلدان العالم الثالث من حيث تبعيتها للرجل ، فهي مرتهنة لارادته ان كانت ابنة أو زوجة أو أما ، وسواء أكانت حبيسة في المنزل تفرغ جهدها في الغسل والكنس والطبخ وتعنى بالاطفال ، أم تكسب أجرا من عمل في الخارج . فالمفروض عليها أن تخدم كل أفراد العائلة وترغمها أوضاعها العامة على الانصياع للرجل .

حقوق المرأة العربية

☐ لا يجري الحديث عن حقوق المرأة بمعزل عن حقوق الرجل ، ولا يستقيم الحديث في الجزء الأخير إلا بفهم واضح للمحصلة التاريخية بتراكمها الحضاري والثقافي .

ولقد أفاض الكتاب العرب في تناولاتهم لموضوع حقوق المرأة ، فبعضهم انحاز الى الممارسات الغربية ، ومنهم من اتجه الى بطون كتب التراث العربية يتمثلها ويتأسى بما فيها ، كل يريد أن يدلل على صحة مقولته سلبا أو ايجابا ، ومنهم من تجاوز كل ذلك بالحديث عن الانسان العربي وحيثيات وضعه في المجتمع ، فحيثما يوجد تخلف اجتماعي ، وقهر انساني في مجتمع ما ، فان مصاب المرأة فيه أفدح من مصاب الرجل بكثير ، ومشكلات حقوق المرأة العربية كلها داخلة في نطاق العسر والتعقيد والتشتت ، فهي مطروحة من جانب على أنها استلاب لحقوق ، واعتداء على انسانية الانسان من خلال رفض الاعتراف بها ككيان آخر كامل ومنفصل عن الرجل وقائم بذاته . مما يفضي الى التعامل مع المرأة العربية كشيء أو جزء من اثاث البيت . وهي مطروحة من جانب آخر حسب صيغة ما لها من حقوق وما عليها من واجبات في المبادىء والنصوص ، وبين ماهو مطبق في دنيا الممارسة والواقع ، وفي هذا الاطار الاخير تبرز المشكلة في أصعب صورها المعقدة .

فالحقوق المعروفة والمتفق عليها مبدئيا للمرأة كثيرة ، سواء كانت شرعية أو موروثة أو قانونية مستحدثة ، لكن المشكلة تتعلق في تحويل هذا

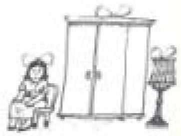

الحق في المبدأ الى حق في الممارسة . كالحق في التعليم والعمل والتجارة واختيار الزوج والسفر ، وتصعيدا الى حقها في ممارسة الحقوق السياسية .

وفي إطار البحث عن نظرة أعمق للاطار الحضاري الذي ينظر فيه العربي للمرأة ، يحدثنا أحد الاجتماعيين العرب* في إطار تفسير اجتماعي لغوي للمرأة فيقول :

(ان كلمة امرأة في اللغة مشتقة من فعل « مرأ » أي طعم ، وهنا تواجهنا صلة المرأة بالطعام والتذوق ، ويقال مرأ فلان مرءا أي صار كالمرأة هيأة وحديثا ، وتجمع المرأة على غير اشتقاقها فيقال : نساء ونسوة ، وتعرف المرأة بأنها مؤنث الرجل ، والنساء تعني « المناكح » ، وهنا تواجهنا صلة المرأة بالتزاوج . واذا تناولنا أصل النساء ، وجدناه مشتقا من فعل نسا ، ينسو ، ومعناه ترك العمل ، وكأن المرأة تعني البطالة .

وترتبط المرأة بعدة أفعال رئيسة أولها فعل « حرم » ويعني « منع » والحرم هو (النساء لرجل واحد) ، والحريم يعني النساء اي ما حرم ولم يلمس ، وكلمة حرامي مشتقة من هذا الفعل وهو يعني فاعل الحرام) .

وكل ما يعنينا التقاطه من هذا السياق أنه قبل أن نضع خطوطا عريضة واقتراحات جادة لاندماج المرأة في مجتمعنا العربي واشراكها في خطط التنمية وتقرير المقولات والشعارات التي نرددها ونرفعها ، يجب علينا أن ننظر في أنفسنا بدءا باللغة التي نستعملها صياغة لأفكارنا ، فاللغة في ظواهر تفسيراتها تقدم لنا المرأة على أنها وسيلة إشباع متعدد الاغراض ، فهي أقرب الى الشيء منها الى الانسان .

وعلى الرغم من أن هذه المقولة تبدو متطرفة متحاملة على اللغة ، إلا أن فيها شيئا من النقد الذي يستلفت النظر ، ويستطيع به بعض الخبثاء الاذكياء أن يفسروا المواقف « الرجالية » من المرأة العربية .

تهميش المرأة العربية

☐ من المظاهر المتناقضة في ثقافتنا العربية ـ والتي تحتاج الى دراسة وتمحيص ـ موقفنا من الاسرة ، والتي تمثل المرأة ركنا « مهما » فيها ، هذا الموقف الذي يضفي على الاسرة هالة من القداسة والاصالة والاهمية ، في الوقت الذي ينظر للمرأة كانسان آخر على أنه هامش غير ذي بال ، خلق لخدمة الرجل وإشباع حاجاته فقط . بالاضافة الى أن أمثالنا وقصصنا الشعبية زاخرة بالتوكيد على أن كل ماله علاقة بالنساء من قريب أو بعيد لابد أن ينطوي على شر .

لقد اعتبرت المجتمعات البدائية أن المرأة شر بطبيعتها ، لأنها مختلفة بيولوجيا عن الرجل ، فهي مدنسة ينبغي أن تنبذ ، وانتقلت هذه الافكار عبر الاجيال والتقاليد حتى كادت تصبح طبيعة ثانية للمرأة بجانب طبيعتها

---

* الدكتور خليل أحمد خليل .

الانسانية . وربما استسلمت بعض النساء من قبيل الضعف الى هذه « الطبيعة الثانية » .

فمن المتعارف عليه أن تختزل المرأة - كما يقول عالم الاجتماع العربي د. مصطفى حجازي - ايجابا أو سلبا ، الى احدى صفات المرأة أو خصائصها أو وظائفها . وهنا يكمن سر تهميش المرأة العربية ، فهناك تجاهل تام للكيان الكلي الانساني لها ، ويحدث هذا الاختزال ايجابا أو سلبا في مبالغة بتكريم ، أو غمط بتحقير . وأشهر أشكال الاختزال يأخذ طابع الأحكام الجاهزة ، فالمرأة قاصر وعورة وفتنة يجب أن ترشد وتستر وتراقب !

أما الصورة المبالغ فيها أو النقيضة ، فهي صورة المرأة الام وما تبثه في أطفالها مما يستوجب الطاعة العمياء ، ومن هذا الموقع تتسلل الام الى أن تغرس في أبنائها قيم الحفاظ على الوضع الراهن واحترامه ،ومقاومة التغيير ورفضه .

ومن هذه المؤشرات والعوامل التي تدفع المرأة العربية دفعا الى التهميش والانعزال في المشاركة ، تخلفها عن التعلم أو ضآلة حظها منه ، ومحدودية دورها في العمل ، وتدهور أوضاعها الصحية مع سيادة قيم وعلاقات اجتماعية معوقة ، كل ذلك دفع بالمرأة العربية الى قبول «الطبيعة الثانية » كما أسلفنا ، والنتيجة أن المرأة العربية شكلت نصف المجتمع العربي المعطل ، ونظر اليها المجتمع أيضا تلك النظرة التقليدية القاصرة ، فالنصوص الدستورية في معظم الاقطار العربية تؤكد على دور المرأة كأم ، وعضو في اسرة لا ككيان قائم بذاته له حقوقه السياسية والاقتصادية ، وحتى لو أقرت النصوص الدستورية أو القانونية بهذا الكيان المستقل فأن التطبيق العملي ينأى عن هذا الاقرار ولا يأبه به .

وبعد . . .

فعلينا - ونحن نخوض أشرس معارك البقاء في تاريخنا العربي الحديث - أن نعترف بأن المرأة معطلة وأن قضيتها لا تقتصر على المساواة القانونية - أي ازالة التمايز القائم بحكم القانون - كما لا تقتصر على قضية التعليم والعمل ، بل تتجاوز ذلك الى المساواة في الحقوق والمسؤوليات ، وفرض مشاركتها في التنمية باعتبارها عنصرا ايجابيا وفعالا ، وباعتبارها ركنا يستند اليه استنادا كاملا في معاركنا القومية .

في هذا الاطار يجب أن تنشط قياداتنا النسوية وغيرها من قيادات الفكر والمجتمع ، فالمهمة كبيرة والعبء ثقيل والطريق طويل . . طويل .

ودون جدية ومواجهة واعية للمسئولية . . فان الأمر سيبقى على ماهو عليه ، ان لم يتنكس الى الاسوأ ، وحينذاك لا يجدي تساؤلنا : اين النساء . . ؟

وربما نعود الى تفقد أنفسنا ونعلو بصيحتنا : وأين الرجال أيضا . . ؟

محمد الرميحي

أقوال

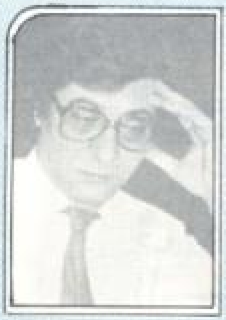
محمود درويش

ريغان

أوسكار وايلد

□ « من تخادعت له فنال منك مأربه فقد خدعك » .

ـ معاوية بن أبي سفيان

□ « قد يتخذ مطلب التنمية شكل قضية قطرية خاصة ، الا أن المفهوم الأمثل للتنمية يحتم على كل قطر عربي التكامل والاندماج مع الأقطار الأخرى » .

ـ د. علي خليفة الكواري

□ « هل عرف شعب آخر غير الشعب الفلسطيني هذا العدد من الهجرات ؟ هذا الكم من المنافي ؟ وهذه الأعداد من المذابح ؟ دون أن يكافأ بوطن . . اعني وطنه ؟ ودون أن يحظى باعتراف أو بوعد ما من بلفور جديد ؟ » .

ـ محمود درويش

□ « إن غير اليهود يقتلون غير اليهود ، فما ذنب اليهود ؟ » .

ـ بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق

□ « ليس هناك أية تدابير مضادة فعالة ضد من يختار الموت . . . » .

ـ الرئيس الأمريكي ريغان

□ « الشعر الذي يكتب بتعاط مجاني مع الحياة ربما يبهر لفترة قصيرة ، لكنه ليس الحداثة ، حينما نقول : شاعر حديث مجدد ، نقصد أن لديه موقفاً جديداً كاملاً من الحياة » .

ـ مظفر النواب

□ « الكاتب كشهرزاد يبتكر كل يوم قصة كي يؤجل موته ليلة أخرى » .

ـ كارلوس فوينتس (كاتب مكسيكي)

□ « الفرق بين النزوة العابرة والحب الى الأبد . . ان النزوة تدوم أكثر» .

ـ أوسكار وايلد

□ « طالما كنا نعيش ، فان هناك أبداً وقتاً لنسأل ، لنبحث ، ولنكتشف ، واذا كنا ضللنا الطريق مرة ، وأخرى ، وثالثة ، فلا بد أن نجد في يوم من الأيام ممراً يقودنا نحو الحقيقة . . نحو الصدق » .

ـ الكاتبة بديعة أمين

المفاوضات الدبلوماسية في السياسة الخارجية الكويتية

بقلم : سليمان ماجد الشاهين *

المفاوضات لها تعريفاتها العملية وتعبيراتها الأكاديمية كما أن لها شكلها المطلق وميادينها المتعددة .. وتجاوزا لكل ذلك وتحديدا للموضوع ... يتحدث الكاتب ـ وهو وكيل وزارة الخارجية الكويتية ـ في هذا المقال عن المفاوضات الدبلوماسية في السياسة الخارجية للكويت ، والعوامل التي جعلت مبدأ التفاوض ركنا أساسيا في سياستها،وطريقا أفضل تنتهجه حلا لقضاياها أو مشاركة في حل قضايا الآخرين .

المفاوضات الدبلوماسية هي الوجه الآخر للحرب أو هي إحدى المعارك السلمية التي يشكّل بعضها طبيعة العلاقات بين دولتين أو أكثر في مرحلة من المراحل ، وحيال موضوع محدد ، ولفترة زمنية تطول أو تقصر،وبحسب أهمية موضوع تلك المفاوضات . ولقد أصبحت هذه الظاهرة سمة العصر بالنسبة للدول الاكثر تحضرا ، ولئن كان دورها محدوداً في حضارات العالم الاولى بسبب عزلة المجتمعات بعضها عن بعض ، غير أنها تكاد تصبح محورا أساسيا للعلاقات بين دول عالمنا الحديث .

ان المفاوضات الدبلوماسية الآن تستوعب مساحات واسعة من القضايا المتشابكة بين الدول ، سياسية كانت أو اقتصادية ، انسانية أو فضائية ، الخ مئات ومئات من المواضيع والقضايا ذات الاهتمام المعين لهذه الدول أو تلك ، في هذا العالم الذى أصبح صغيرا جدا أمام هذا التحول الحضارى الكبير .

* وكيل وزارة الخارجية الكويتية .

ولا بأس من التطرق لبعض أشكال التفاوض كمدخل نستهدي به عند الحديث عن المفاوضات في السياسة الخارجية للكويت ومنها :

١ ـ طريقة المفاوضة الدبلوماسية الاعتيادية :

وهي طريقة مباشرة في اجراء المفاوضات ، وأطلق عليها لفظ اعتيادية لكونها الاسلوب الاول والاقرب الذي تلجأ اليه دولتان لحل خلاف أو توطيد علاقة ، وتتم بين المبعوث الدبلوماسي والجهات المسئولة في الدولة المعتمد لديها بصورة ودية ودون اثارة اعلامية وهي تستهدف علاج القضايا ذات الطابع الخفيف ان صح التعبير ، اذ لا تستدعي اشتراك وفد أو تدخل دولة ثالثة أولجوءاً إلى منظمات دولية أو اقليمية .

٢ ـ المساعي الحميدة :

عندما يتصاعد الخلاف بين دولتين ويتعذر اللقاء التفاوضي أو يتعثر بينهما يتعين على طرف ثالث يتمتع باحترام أو تقدير ورضا من الدولتين مناط الخلاف أن يتقدم بجهد لحل الخلاف أو اقناعهما بالعودة الى التفاوض مرة أخرى بدلا من اللجوء الى القوة .

وهنا يجب أن نلاحظ أن دور الدولة القائمة بالمساعي الحميدة يقف عادة عندما يتفق طرفا النزاع على العودة الى المفاوضات ، فهي لا تشترك كطرف وانما تقوم بدور التقريب ويُترك القرار النهائي أو الحكم في نتائج التفاوض الى الطرفين المتنازعين ، وليس الى الدولة الثالثة التي قامت بالمساعي الحميدة ، كما يُفترض السرية والكتمان في الدور الذي تبذله الدولة الثالثة في حالة قيامها بمثل تلك المساعي .

٣ ـ الوساطة :

ان المساعي الحميدة تتحول الى وساطة اذا تعدت النصح والمشورة الى المساهمة برضا الطرفين في المفاوضات الجارية فتدلي الدولة الثالثة بالرأي حول ما يُطرح ، وتتقدم بالمقترحات اللازمة ، ولهذا فان هناك خطاً رفيعاً بين المساعي الحميدة والوساطة ، ولذا فانه يمكن القول بأن الوساطة تتميز بعدة أمور منها :

١ ـ ان الدولة الوسيطة تقدم وساطتها بارادتها دون أن تكون مرغمة على ذلك .

٢ ـ ان الدولة المتنازعة حرة في قبول الوساطة أو رفضها لان الوسيط ليس قاضيا يفرض الحل .

٣ ـ نتيجة الوساطة ليست الزامية كما هو الحال في التحكيم

٤ ـ ان الوسيط يشترك مباشرة في المفاوضات ويسعى لتقريب وجهات النظر ويتقدم بالحلول دون اكراه .

٥ ـ ان الوساطة تتمتع بطابع رسمي وعلني .

٤ ـ لجان التحقيق :

ان من بين الوسائل التفاوضية التي توصل اليها مجتمعنا الدولي الحديث هي تشكيل لجان دولية تتناول بالدراسة والعلاج القضايا التي تختلف عليها دولتان أو أكثر ، وقد أقرت هذه الفكرة بشكلها القانوني في مؤتمر لاهاي لعامي ١٨٩٩ ، ١٩٠٧ .

وعادة ما تعمل هذه اللجان متى اتفقت عليها الاطراف في صمت ، حتى اذا ما توصلت بعد دراسة وبحث وتدقيق الى المواقف التي تعتقد صحتها تقدمت بتقديرها الى الاطراف دون أية صفة اجبارية أو قضائية ، الا ما تم الاتفاق عليه بين الاطراف في بدء تشكيل تلك اللجنة أو اللجان .

٥ ـ التحكيم :

ربما كان التحكيم من أقدم مظاهر الوسائل الهادفة الى حل الخلافات أو الاختلافات بين طرفين أو أكثر سواءاً في المجتمعات الاولى أو الحضارات المتقدمة .

ويتوقف التحكيم بطبيعة الحال على ارادة الطرفين المتنازعين ، وعادة ما تكون القرارات الزامية ونهائية ولكن بلا سلطة تنفيذية يمكن أن تجبر الاطراف على الرضوخ لها .

٦ ـ التسوية القضائية :

تعتبر التسوية القضائية تطورا عن فكرة التحكيم ، وتمثل محكمة العدل الدولية التي أنشئت نتيجة لقيام عصبة الامم ، حيث أوكلت اليها مهام

محددة لفض المنازعات ، ثم تدعّم وجودها إثر قيام الامم المتحدة حيث أصبحت واحدة من أهم مؤسسات الامم المتحدة ، ويتكون أعضاؤها من خمسة أعضاء ينتخبون لمدة تسع سنوات ويمثلون مختلف الحضارات والثقافات العالمية .

وفي هذا الصدد لابد أن نشير الى أن آخر هيئة قامت على المسرح الدولي - وذلك ضمن اطار التفاوض - هي هيئة فض المنازعات المنبثقة عن المجلس الاعلى لمجلس تعاون دول الخليج العربية والتى حددت اختصاصاتها في :

١ - البت في المنازعات بين الدول الأعضاء .

٢ - البت في الخلافات حول تفسير أو تطبيق النظام الاساسي لمجلس التعاون .

نهج السياسة الكويتية

وهكذا نكون قد تناولنا باقتضاب محكم أهم الوسائل والأجهزة التى تعالج وتخدم المفاوضات التى تستهدف حل القضايا بين دولتين أو أكثر ، بأسلوب عقلاني وحول مائدة المفاوضات بدلا من ساحات الحروب ووسائل الدمار ، ولعله مدخل مفيد يسهل علينا التعامل مع الطرح الخاص بالمفاوضات في السياسة الخارجية الكويتية .

ان النهج الذى اتسمت به السياسة الكويتية في علاقاتها الخارجية وأسلوب تعاملها مع شتى القضايا ذات العلاقة المباشرة بالاشقاء والاصدقاء أو دورها في تلك القضايا التى لا تهم الكويت بشكل مباشر ، هو نتيجة طبيعية لعدة عوامل أساسية بعضها اختياري والبعض الاخر أسهمت به ظروف متعددة ، وتلك العوامل لا تختص بها الكويت وحدها بل هى أمر طبيعي يؤثر مباشرة على سلوك أية دولة في طريقة تعاملها مع الآخرين على فرض أن تكون حرة الارادة مستقلة القرار وذلك وفق المعايير الواقعية .

ولعل الجغرافية والتاريخ يُعدان من أهم العوامل الاساسية في التأثير على نمط التوجهات السياسية لاية دولة أو منطقة ، والكويت في سلوكها السياسي وطريقة تعاملها مع محيطها الدولي ودورها الذى انتهجته يكاد يثبت تلك الحقيقة ، وبالتالى فإننا نكاد نلحظ بوضوح بصمات تلك العوامل على أسلوب معالجة الكويت لقضاياها المعلقة مع الآخرين وهو أسلوب التفاوض ، ولقناعتها بايجابية ذلك الاسلوب وأهميته فقد تبنته كطريقة مثل لعلاج مشاكل الآخرين أيضا ، ولم تكتف بالوعظ أو النصح بذلك بل اسهمت بالدعوة إليه والأخذ به عبر الاجتماعات الاقليمية وخلال المنظمات القومية أو المحافل الدولية .

إذن مبدأ التفاوض هو ركن أساسي في السياسة الخارجية للكويت كأداة للتعامل مع القضايا ذات العلاقات المشتركة مع طرف آخر ، ومن هنا يصبح من المفيد التطرق لاهم تلك العوامل التى وضعت الكويت أمام ذلك الاختيار كطريق أفضل تنتهجه حلا لقضاياها أو مشاركة في حل قضايا الآخرين .

وتتمثل أهم تلك العوامل فيما يلي :

أولا : تحيط الكويت - المحدودة مساحة والقليلة سكانا - ثلاث دول تتميز بمساحات شاسعة وكثافة بشرية كبيرة اذا ما قورنت بالكويت ، وهى السعودية والعراق ثم ايران عبر الخليج العربي ، ومثل هذا الموقع وبهذه المساحة والسكان كان لابد للكويت من أن تسير وفق تعادلية معينة في علاقاتها مع الاشقاء والجيران ، فهى لا يمكن أن تستقطب لطرف على حساب طرف آخر ، كما لا يمكن أن تشعر بالطمأنينة في حالة أي تأزم بين تلك الاطراف ، ولذلك كان لزاما عليها أن تبذل أقصى الجهد في تأمين حالة من الاستقرار بين تلك الدول ، وأن تسعى دوما نحو قيام حالة طبيعية في علاقات تلك الدول بعضها مع بعض ، والكويت في حرصها على ذلك لا تحقق المصلحة القومية فقط ولكن لها مصلحة ذاتية أيضا عندما يتحقق لها ذلك .

ثانيا : الصحراء والبحر :

لقد دفعت صحراء قلب الجزيرة العربية بموجات من الهجرات البشرية عبر تاريخها الطويل فاستقرت على حوافها ، وتطورت مجتمعاتها الى دول من بينها الكويت ، ومجتمعنا الكويتي حمل في ذاته كل صفات الصحراء ، وأورثها بطريقة أو أخرى لكل سكانه أينما كانت جذورهم ، واستوعبها المواطن الكويتي الذى تبلورت شخصيته بعد ذلك في تعامله مع البحر الذى فتح له آفاقا واسعة لاتحد من المعرفة بالنسبة لمجتمعه وبيئته المحدودة .. فتعامل مع كل وافد الى موانيه

يحمل كل جديد ، وعرف العالم الخارجي عبر سفنه التي جابت البحار والمحيط من حوله،واستطلع عالما جديدا أمده بتجارب وأساليب مستجدة على حياته ، ذلك المزيج من الصحراء والبحر كان له تأثير مباشر على تكوين الخصوصية الكويتية ان صح التعبير ، والخصوصية سمة طبيعية يتميز بها كل مجتمع عن الآخر ، ولكن بطبيعة الحال يتم ذلك ضمن اطار الامة الواحدة بصفاتها الأكثر شمولا واتساعا .

ثالثا : ان أي متتبع لتاريخ هذه البقعة المحدودة من الارض الطيبة ، يعرف بأن أولى بدايات المجتمع كانت بالتراضي والتشاور . فاختيار الحكم وممارسة السلطة قامت على الحوار ، فلم يكن هنا اغتصاب حكم أو تغير في السلطة بل سياق متصل وتطور مستمر ضمن نظام واحد منذ نشأة الكويت الى وقتنا الراهن ، وهذه الصفة المميزة أكسبت المجتمع الكويتي مشاعر حقيقية من الاطمئنان والاستقرار والدعة والثقة المتبادلة بين نظام الحكم وبين المجتمع ، وأصبح طابع العلاقة في التوصل لحل المشاكل هو الحوار وتبادل الرأي دون عنف أو إكراه .

كل تلك العوامل ساهمت مع غيرها من المؤثرات الاخرى في توجيه الشخصية الكويتية لمواجهة أي قضية تعترض الفرد أو المجتمع أو الدولة ، وعندما نشير الى ذلك لا ندّعي تفرد الكويت في تلك الصفة من بين المجتمعات أبدا .. وانما نقول أنه اذا ما توافرت عوامل شبيهة بشكل أو بآخر بما أوردناه لدى أي مجتمع فان طبيعة ذلك المجتمع سوف تتجه ذلك الاتجاه في علاج قضاياها وبالتالي فسوف تسلكها في تعاملها مع غيرها بل تعمم أسلوبها كلما تيسرت لها السبل في تحقيق ذلك .

لماذا تأهلت الكويت للدور ؟

وبطبيعة الحال إن الاشارة للعوامل السالفة انما أريد بها الاعتراف بأهميتها كأساس لا يمكن تجاهله عند ظهور بعض المواقف التي تجعل من الكويت مفاوضا أو وسيطا ناجحا . ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

ـ ان صدق الكويت في سلوكها وفق مواثيق المنظمات الدولية والاقليمية ومواعيدها وشروطها التي تنتمي اليها أكسبها احتراما دوليا ومكانة رفيعة أعظم بكثير من حجمها الجغرافي والسكاني .

ـ عدم ارتهان السياسة الكويتية بأية جهة أو اتجاه جعل تحركها السياسي وفق المبادىء والمثل المعلنة تحركا حرا لاتحده قيود ولا يخضع لاية توجهات غير وطنية .

ـ عدم تقلب السياسة الكويتية وفق الاهواء والامزجة والتقلبات السياسية التي تعصف عادة بالعالم الثالث . وبناؤ ها على قواعد اختارتها مدعومة وطنيا ومقبولة قوميا ، أعطاها قوة ووضوحا في ابداء الرأي والإسهام في اتخاذ المواقف الانسب عند طرح أية قضية تخص الكويت أو العالم العربي أو الدولي دون أية شكوك من الأطراف الاخرى .

ـ ان الكويت تتصرف اقليميا ودوليا وفق سياسة معلنة واضحة ، فهي لا تعلن عن سياسة وتتصرف بأخرى مغايرة ، وبعبارة أخرى ان الكويت ليست لها أهداف غير معلنة أو نوايا خفية تهدف لتحقيقها بوسائل متعددة أو مراحل مختلفة ، ومرد ذلك ليست براءة « سياسية » بقدر ما هي استجابة لعامل « الجيوبولتيك » وهذا السلوك له أثره في اشاعة الثقة والاطمئنان لدى أي طرف تتعامل معه الكويت بأي شكل من أشكال التفاوض .

ـ ان الثقل الاقتصادي للكويت بالاضافة الى الانجازات الحضارية والثقافية التي تحققت على هذه الارض جعلت ولا شك ـ للكويت مكانة تتناسب وحجم ذلك الانجاز . وبطبيعة الحال فإن الاحاطة بكيفية استثماره لصالح هدف معين أمر محقق تم اكتسابه من خلال التجارب المتعددة والمختلفة في المحافل الاقليمية والدولية .

تلك بعض الأمور التي جعلت من الكويت مرشحة دائمة للقيام بدور الوسيط أو المفاوض بالنسبة لصالحها أو لصالح الاطراف الاخرى .

شخصية المفاوض أو الوسيط

وهنا نتوقف لنؤكد على حقيقة أساسية وهي أن تضافر العوامل المتعددة وتوافر كل الامكانات والمظاهر المشار اليها لا تعني شيئا اذا لم تجد لها الشخصية التي

تبعث فيها الحياة وتحيلها الى « ديناميكية » تسخرها نحو هدف معين ، فالعامل البشري إذن شرط أساسي لنجاح أية محاولة تفاوضية أو مسعى حيد أو وساطة ناجحة أو فشلها ، وفي هذه الحالة يفترض أن تتوافر في الشخصية المرشحة لقيادة التفاوض أو للقيام بالوساطة صفات متعددة من بينها :

ـ التمتع بالثقة الكاملة من حكومته والوعي بالصلاحيات التي يعرف متى يستفيد منها دون افراط أو تفريط .

ـ القدرة على فهم الطرف الآخر والتعامل معه بكرامة محفوظة واحترام متبادل .

ـ التمكن من الموضوع والاحاطة بتفاصيله كاملة .

ـ الاستعداد للحوار الطويل أو الحاد أو البطيء أو الممل دون فقد السيطرة على النفس .

ـ القدرة على تقديم المقترحات والبدائل في الوقت المناسب وبعقلية لماحة وواعية لنتائجها المستقبلية .

تلك بعض المقومات الاساسية التي يفترض أن تتوافر في شخصية المفاوض أو الوسيط ويتحلى بها سواء أكان بمفرده أم قائدا لفريق من المفاوضين .

ومثل تلك المقومات بالطبع هي صفات مشتركة لاي مفاوض دون تحديد لجنسية أو مكان ، ولكن هناك الخصوصية التي يمتاز بها المجتمع وأفراده نتيجة لطبيعة الظروف التاريخية التي تأثر بها والتي طبعت حياته السياسية وعلى الاخص فيما يتعلق بهذا الجانب الذي نتعرض له .

مثل بارز للمساعي الحميدة

على أنه من المفيد أن نستعرض حالة مساع حميدة قامت بها الكويت ثم تحولت الى وساطة أدت فيما بعد الى تحقيق نجاح تمثل في جمع الطرفين على مائدة مفاوضات مباشرة مازالت جارية حتى تتحقق جميع أهدافها . فلقد سعت الكويت بخطوات حميدة بين مسقط وعدن حين تأزمت الامور بينهما ووصلت الى حد المواجهة الفعلية،واستشعارا من الكويت بواجبها كان لا بد أن تتحرك فكانت تلك البادرة التي قامت بها منفردة،وتتابعت الامور بقيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية،وتحولت القضية الى واحدة من اهتمامات المجلس،وانطلاقا من أهدافه العامة ببذل المساعي الحميدة وكافة السبل الممكنة التي بدورها تسهم في عودة العلاقات وصلات الترابط بين دول المنطقة ، ومن هذا المنطلق وبتكليف من مجلس التعاون قامت كل من دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة ببذل جهود الوساطة لحل الخلاف بين كل من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وسلطنة عمان ، ونتيجة للاتصالات المكثفة والمساعي التي قامت بها دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة تمت عدة اجتماعات على مستوى الخبراء وكان ذلك في شهر يوليو ١٩٨٣م بحضور وفدين من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وسلطنة عمان وبحضور وفد دولة الكويت .

وتم الاتفاق في أثناء تلك الاجتماعات على جدول الاعمال الذى ضم البنود الآتية :

١ ـ الاتفاق على عدم التدخل في الشئون الداخلية والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية وقضية الحدود .

٢ ـ الوجود والقواعد العسكرية الاجنبية .

٣ ـ الحملات الاعلامية .

٤ ـ تبادل التمثيل الدبلوماسي .

كما اتفق الطرفان على عقد اجتماعات لاحقة ، وتم بالفعل عقد اجتماعات للخبراء ما بين ٢٣ـ٢٤ أكتوبر ٨٢ في دولة الكويت توجت باجتماعات بين وفد سلطنة عمان برئاسة معالي السيد يوسف العلوي عبد الله،ووفد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية برئاسة معالي الدكتور عبد العزيز الدالي وبحضور رئيس وفد دولة الامارات العربية المتحدة سعادة عبد الرحمن الجروان ومعالي نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح رئيسا للوفد الكويتي . وقد عقدت عدة اجتماعات للنظر في جدول الاعمال الذى ضم البنود المشار اليها .

وبروح من الصراحة التامة والمسئولية ناقش المجتمعون جميع بنود جدول الاعمال واضعين في الاعتبار الضرورة الماسة لاقامة علاقات حسن الجوار والتعاون بين الجارتين الشقيقتين وازالة جميع العوامل والمسببات المعيقة لبناء علاقات أفضل وأوثق بين الجارتين .

أسس الاتفاق وقواعده

ومن منطلق الرغبة الصادقة في تدعيم أواصر العلاقات الثنائية بين الجارتين الشقيقتين فقد أكّدا على ضرورة وقف الحملات الاعلامية ، كما أكّدا على ضرورة التعاون في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والانسانية ، وتتويجا لذلك أكّدا على ايجاد علاقات طيبة تسهم في اضفاء المزيد من الاستقرار والامن في المنطقة ، وعليه فقد تم الاتفاق على الاسس والقواعد التالية :

١ ـ الاتفاق على عدم التدخل في الشئون الداخلية والاحترام المتبادل للسيادة الوطنية وقضية الحدود حيث يلتزم البلدان باقامة علاقات طيبة فيما بينهما على أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشئون الداخلية ، واحترام السيادة الوطنية لكل منهما ، وحسن الجوار والتعاون بما فيه مصلحة شعبيهما وحل خلافاتهما بالطرق السلمية والودية ، وعدم السماح لاي أعمال معادية تؤدي الى زعزعة الاستقرار والامن في أي من البلدين الجارين بالانطلاق من أراضي أي منهما الى الأخرى،وفي الوقت نفسه الذى يؤكد البلدان على عدم وجود أية أطماع في أراضي أي منهما .

كما اتفق البلدان على تشكيل لجنة فنية تشارك فيها كل من دولة الكويت ودولة الامارات العربية المتحدة ، تعرض أمامها جميع الوثائق والمستندات لغرض الوصول الى حل نهائي لقضية الحدود بين البلدين الجارين بموجب حدود كل منهما في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ .

٢ ـ الوجود والقواعد العسكرية الاجنبية ، حيث اتفق الطرفان على عدم السماح لاي قوات أجنبية باستخدام أراضي أي من البلدين للعدوان والتحرش بالبلد الثاني .

٣ ـ الحملات الاعلامية ، حيث اتفق الطرفان على وقف الحملات الاعلامية من وسائل الاذاعة والتلفزيون والصحافة وكافة أنواع الدعاية والنشر الرسمية ضد أي منهما من الآخر .

٤ ـ تبادل التمثيل الدبلوماسي ، حيث أكد الطرفان على ضرورة دعم العلاقات الثنائية وفتح مجالات مثمرة للتعاون ، ومن هذا المنطلق فقد اتفق على مبدأ الاعتراف السياسي ومبدأ اقامة علاقات دبلوماسية لتطوير العلاقات المستقبلية ، على أن يتفق على اعلان اقامة العلاقات عن طريق الاتصال الثنائي حيث صادق المجتمعون على النقاط الاربع المشار اليها أعلاه بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٨٢ .

ثم تتالت اجتماعات اللجان الفنية للحدود بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وعقدت ثلاثة اجتماعات للحدود .

وتعتبر تلك الاجتماعات سلسلة لفتح الحوار الصريح لحل الخلافات بين الدولتين الشقيقتين ، وحيث اعتبر الاجتماع الاخير بمسقط نقطة تحول ايجابية بصرف النظر عن نتائجه التي تم التوصل اليها ، إذ أنه يأتي بعد فترة زمنية طويلة كانت العلاقات بين البلدين تتسم بالتردي ، ويعد هذا الاجتماع هو الاجتماع الرسمي الاول الذى يعقد في أحد البلدين على مستوى المسئولين حيث كانت الاجتماعات السابقة تعقد على التوالي في أبو ظبي والكويت كما تم مؤخرا تبادل زيارات رسمية بين مسقط وعدن تمثلت الاولى بزيارة وفد من وزارة الداخلية بعمان الى عدن ، ثم تلاه وفد فني في شئون الطيران الى مسقط . ثم قام سفير الجمهورية اليمنية في أبو ظبي بزيارة رسمية الى مسقط حيث قابل وزير الخارجية العماني .

كما تم الاتفاق لعقد الاجتماع الرابع بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

وأرجو أن لا أسبق الامور حين أشير الى أن من الاهداف التي تعرفها الاطراف هو انسحابنا بهدوء في الوقت المناسب من هذه المفاوضات لنترك الطرفين الشقيقين يواجهان بعضهما بعضا بشكل طبيعي ودون وسيط ، وبذلك نكون مع الامارات قد أنجزنا المهمة بنجاح .

جهود كويتية بارزة

تلك الصورة بشكل من التفصيل وهناك الكثيرمن الامثلة ولعل من أوضح تلك الجهود الكويتية في هذا الصدد على سبيل الاشارة لا الحصر هي :

١ ـ المحادثات والاتصالات والجهود الدبلوماسية التي استهدفت قيام-اتحاد لإمارات الخليج العربية .

٢ ـ الإسهام في المفاوضات وجهود الوساطة

العربية بين الجانبين اللبناني والفلسطيني من أجل التوصل الى اتفاق ينظم الوجود الفلسطيني في الاراضي اللبنانية .

٣ ـ الإسهام في الاتصالات الدولية العربية من خلال اللجنة السباعية العربية المشكلة من أجل التوصل الى صيغة للحل السلمي للحرب العراقية الايرانية (قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٤٣٢٦ تاريخ ١٩٨٤/٣/٣١) .

٤ ـ الإسهام في الجهود المبذولة من أجل معالجة الازمة اللبنانية من خلال عضوية الكويت في لجنة المتابعة المشكلة من قبل مجلس الجامعة العربية لهذا الغرض .

٥ ـ الإسهام في الاتصالات الدولية من خلال لجنة المتابعة العربية المشكلة بقرار من مجلس الجامعة العربية (يونيو ١٩٨٢) من أجل فك الحصار عن بيروت وتحقيق الانسحاب الاسرائيلي من لبنان .

٦ ـ الإسهام في المفاوضات التي يقيمها الجانب العربي مع دول السوق الاوروبية المشتركة في نطاق الحوار العربي الاوروبي .

٧ ـ الإسهام في المفاوضات والاتصالات الرامية الى تعزيز التعاون العربي الافريقي من خلال عضوية الكويت في اللجنة المشكلة لتنظيم شئون التعاون المذكور مع منظمة الوحدة الافريقية بموجب قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٣٢٢٨ بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٦ .

٨ ـ المساعي الحميدة عشية تأزم الوضع فيما كانت تسمى باكستان الشرقية وما أدت اليه الامور من قيام بنجلاديش فكانت الكويت واحداً من أهم أعضاء اللجنة التي أوفدها اجتماع منظمة المؤتمر الاسلامي لهذا الغرض .

٩ ـ ولا نستطيع ان ننسى بهذه المناسبة الدور الكبير الذي قامت به الكويت في استقلال البحرين .

مهندس السياسة الخارجية

واستكمالا لحقائق الامور وحين نشير الى هذه الحقبة من حياة الكويت السياسية لا بد من ذكر مهندس السياسة الكويتية منذ فجر الاستقلال عام ١٩٦١ معالي الشيخ صباح الاحمد الجابر نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية عميد وزراء الخارجية العرب ، وثاني أقدم وزير خارجية في العالم بعد السيد جروميكو .

ولا مجال لي شخصياً للافاضة عن شخصية هذا الرجل في هذا المقام لاعتبارات متعددة ، ولكن من المؤكد أن المؤرخ لهذه الحقبة من الحياة الدبلوماسية للكويت ـ ودون انتقاص لأي دور آخر ـ سيجعل من هذا الرجل الوجه المشرق للسياسة الخارجية للكويت ، فيما يملكه من قدرات صقلتها التجارب العملية جعلته القاسم المشترك في أي عملية وساطة أو بادرة أو مفاوضة على صعيد كل الاجتماعات السياسية في الخليج بمجلس التعاون ، أو في الجامعة العربية على الصعيد العربي ، أو في العالم الاسلامي من خلال منظمة المؤتمر الاسلامي أو دولياً في حركة عدم الانحياز .

وأرجو أن أضيف شيئاً الى موضوعنا حين أورد لمحة عن كيفية تحرك هذا الرجل حيال المواقف التي لا تنتظر التريث في الرد ، فلقد قام في شهر ابريل ١٩٨١م بزيارة للاتحاد السوفيتي ، وعبر مائدة المفاوضات كان جروميكو وصحبه،ومن خلال الاجتماع كانت هناك أوقات يقتنصها المفاوض ليطرح بعض « بالونات » الاختبار ليبلغ عن موقف ، أو يكتشف هدفاً ، وإذ تقدم الشيخ صباح الأحمد بقائمة تحوي أنواعاً من الأسلحة قدرها السوفيت بانها تزيد عن حاجة الكويت ، وأمسك السيد جروميكو بالقائمة الطويلة ، وبكل جدية السوفيت ، وبعد أن أنزل نظارته فاستقرت على أرنبة أنفه ، نظر الى الشيخ صباح ليقول بهدوء ثلجي : يبدو أن رفيقنا الشيخ صباح لديه خطط لاحتلال العالم ! ! فما كان من معاليه الا أن أجاب : نعم كدولة صغيرة استطيع أن أحتل العالم ولكن بالسلام والحب وليس بالتهديد والحرب .

ولعل هذا الأسلوب يكشف بعضاً من ذات الرجل وبعضاً من أسباب نجاح الكويت في سياستها الخارجية ☐

الأمم المتحدة

بعد أربعين عاماً من قيامها ولدت قوية.. ثم أصابها الوهن في سن النضوج!

بقلم : عبد الحميد الكاتب

في شهر اكتوبر من العام الماضي أحتفلت الأمم المتحدة ببلوغها سن الأربعين . وكان مولدها حدثاً لانها بدأت عملاقة قوية يحسب لها العالم ألف حساب . ثم مضت السنون ، وكبرت الهيئة الدولية ، وأصبحت تضم اليوم ١٥٩ دولة ، ولكنها أصبحت كيا نا مترهلا ، لا يكاد يرتفع صوتها حتى يضيع وسط هدير مطامع الدول الكبرى ومصالحها وسياساتها . . كيف حدث هذا ؟ هذه هي القصة كما يرويها كاتب عاصر الأمم المتحدة مدة تزيد على الثلاثين عاما !

تبلغ الأمم المتحدة هذه الأيام سن الأربعين . وسن الأربعين في حياة الأفراد هي السن التي يكتمل فيها للفرد ما قدره الله له من قوة وخبرة ونضوج ، بعد انتقاله من مرحلة الشباب وهي مرحلة التجربة والاكتشاف ، وما يقترن بهذا من أخطاء أو نزوات ، وقبل أن تأتي عليه مرحلة الكهولةوما تحمل معها من قلة النشاط وقلة العمل والانتاج .

أما المنظمات الدولية فيبدو أنها تختلف عن الأفراد في هذا . فحين تولد ، تولد كبيرة قوية ، عالية الصوت مسموعة الكلمة ، وتحتفظ بقوتها وتأثيرها بضع سنين لا تتجاوز عقدا واحدا أو عقدين ، ثم يدركها الضعف والانهاك ، ولا تلبث أن تفقد نفوذها وفاعليتها ، وتتعرض لما يتعرض له الشيخ الفاني من الانصراف عنه والاستهتار بأمره . فاذا بالناس ، شعوباً وحكومات ، لا يكادون يدرون ماذا تصنع ، ولا يأبهون لما تقول .

كان هذا شأن (عصبة الأمم) . . فكان مولدها في أعقاب الحرب العالمية الاولى حدثا كبيراً على مسرح السياسة الدولية ، وكانت محوراً رئيسياً للعلاقات الدولية بضع سنوات .

فمثلا عندما غزت ايطالياالفاشستية أثيوبيا كجزء من محاولات موسوليني اقامة امبراطورية رومانية جديدة تمتد من البحر الأبيض الى البحر الأحمر ، فرضت عصبة الأمم مقاطعة اقتصادية على ايطاليا ، واستجابت دول عديدة في العالم الى قرار المقاطعة ، والتزمت بتنفيذه الى حد ما ، ولكن لم تمض الا فترة وجيزة بعد هذا حتى فقدت العصبة نفوذها وتأثيرها ، فلم تستطع أن تفعل مثل هذا مع ألمانيا النازية عندما بدأت تغير على بعض المناطق المجاورةلها ،والتي كان هتلر يعدها أجزاء من ألمانيا الكبرى ، اغتصبت منها عندما هزمت في الحرب العالمية الاولى وضمت الى تشيكوسلوفاكيا وبولندة . . حتى النمسا بأكملها دخلها هتلر بجيشه وأعلن ضمها الى أرض الرايخ الالماني بينما كانت عصبة الامم تتطلع الى ما يحدث عاجزة عن أن تفعل شيئا ، وحتى هذا الموقف العاجز لم يعجب هتلر ، فأعلن انسحاب ألمانيا من عصبة الامم مستهيناً بها وبما يصدر عنها من قرارات . .

مولد الأمم المتحدة :

وكذلك الأمم المتحدة . . ولدت وسط مهرجان دولي عظيم أقيم في مدينة سان فرانسسكو ، وأطل الوليد مبشراً بأن عهد الحروب قد انتهى ، وأن عصر السلام والأمان قد أشرق على العالم ، ووضعت الأمم المجتمعة لنفسها ميثاقا مفصلاً أعلنته يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، فارتبطت به وتعاهدت عليه جميع الدول القائمة والمستقلة في ذلك الوقت ، وأقام الميثاق مجالس ولجانا وأجهزة كانت تبدو كفيلة بأن تجعل العالم يعيش آمنا مطمئنا ، ويتجه نحو أهداف واضحة من التعاون في مجالات الاقتصاد والاجتماع وحقوق الانسان . . وبعبارات بليغة تصدرت ذلك الميثاق أعلنت الأمم المتحدة فيما أعلنت :

(نحن شعوب الأمم المتحدة
(قد آلينا على أنفسنا
(أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب
(أن نؤكد ايماننا بما للأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية
أن ندفع بالرقى الاجتماعي قدما . . وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية فسيح
(أن نأخذ أنفسنا بالتسامح ، وأن نعيش في سلام وحسن جوار
(أن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعا) .

هذه فقرات من ديباجة ميثاق الأمم المتحدة التي جاءت مبشرة بعالم جديد متحرر من الخوف من الحرب ، ومتحرر من الخوف من الطغيان والاضطهاد وانتهاك حقوق الانسان ، ومتحرر من الخوف من الفقر وما يحمله في طياته من جهل ومرض ومساويء . .

ومضت الامم المتحدة خلال السنوات الاولى من حياتها في همة وعزيمة . . تصدر القرارات فتستجيب الدول ـ حتى الكبرى منها ـ الى تنفيذ هذه القرارات ، فمثلا ، كان الاتحاد السوفيتي يحتل بجنوده منطقة أذربيجان في ايران ، فشكت ايران الى مجلس الأمن

وطلبت جلاء هذه القوات ، فأصدر المجلس قرارا يقضي بانسحاب القوات المحتلة ، واذا بالاتحاد السوفيتي يسحب هذه القوات ويجلو عن ايران . ويبدو للعالم أن مجلس الأمن هو صاحب السلطة العليا في شؤون العالم ، وان كان من غير المستبعد أن الاتحاد السوفيتي سحب قواته من ايران لامور تتعلق باستراتيجيته الدولية .

قضية فلسطين :

ومثل آخر ، ولو أنه مثل سيء ، وهو القاء بريطانيا بمشكلة فلسطين في حجر الامم المتحدة .. فقد جاءت بريطانيا الى الجمعية العامة للأمم المتحدة تقول انها لا تدري ماذا تفعل في فلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني ، وانها قررت أن تنهي انتدابها وتسحب قواتها من فلسطين ، وعلى الأمم المتحدة أن تبحث ماذا تستطيع أن تفعل هناك ..

وتداولت الجمعية العامة في الأمر مليا وأصدرت قرارها ، وكان قرارا خاطئا أشد الخطأ ، ظالما الى أقصى حدود الظلم ، وكان من الواضح أنه ينطوي على نتائج وعواقب وخيمة . هذا هو قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود .. ورغم الخطأ والظلم والعواقب المنتظرة فقد قال العالم : هذا ما قررته الامم المتحدة فلابد من احترام قرارها وتنفيذه .. وصار هذا هو الرأي السائد في العالم بأسره ، بما فيه العالم العربي نفسه ، فقد اعتبر قرار الأمم المتحدة أساسا (قانونيا) يستند اليه قيام دولة يهودية كما سماها القرار - فوق أرض فلسطين .. وتجسد هذا الرأي العربي الرسمي عندما وافقت الدول العربية التي شاركت في مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ على قرار المؤتمر بأن تحل مشكلة فلسطين على أساس تنفيذ قرارات الامم المتحدة بما فيها قرار التقسيم طبعاً !

ومثل ثالث على قوة الأمم المتحدة ونفوذها في تلك المرحلة الاولى من حياتها وهي قضية ليبيا ومصيرها ، وقد جاءت الى الأمم المتحدة مثلما جاءت قضيتا أرتيريا والصومال لأنها كانت مستعمرات ايطالية سابقة ، وقد هزمت ايطاليا في الحرب وجردت من مستعمراتها .... فماذا ترى الأمم المتحدة وماذا تقرر ؟

وكانت بريطانيا حتى بداية الخمسينيات من هذا القرن ما تزال تعيش بعقلية الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، وقد زادها انتصارها في الحرب العالمية الثانية وهما بأنها لا تزال قادرة على التوسع والاستعمار ، فاقترحت في الأمم المتحدة أن تقتسم ليبيا مع ايطاليا وفرنسا ، فتأخذ بريطانيا منطقة برقة ، وتأخذ ايطاليا منطقة طرابلس ، وتأخذ فرنسا منطقة فزان المجاورة لتونس . !

وهنا أظهرت الأمم المتحدة قوتها مرة أخرى ، فرفضت الجمعية العامة هذا المشروع ورفضت تقسيم ليبيا ، وقررت أن تبقى ليبيا بلدا موحدا وأن تحصل على استقلالها في موعد قريب .. وفعلا تم تنفيذ قرار الأمم المتحدة ، وبعد سنتين صارت ليبيا دولة مستقلة وعضوا في المنظمة الدولية . وهكذا كان شأن الأمم المتحدة في بعض المشاكل الدولية في سنواتها الأولى .

العدوان الثلاثي :

وربما وصلت الأمم المتحدة الى أقصى قوتها في مرحلة الصبا ، فيما بين الثانية عشرة والتاسعة عشرة من عمرها .. أي فيما بين سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٣ . ففي السنة الاولى من تلك المرحلة اجتمع مجلس الأمن فجأة ، ووضع أمامه مشروع قرار يأمر بريطانيا وفرنسا ومعهما اسرائيل أن توقف فورا عدوانها على مصر ، فأطلقت بريطانيا وفرنسا حق (الفيتو) على مشروع القرار ، فانتقل الموضوع فورا الى الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث لا يسري فيها ذلك (الفيتو) الذي تتمتع به الدول الكبرى ، وكانت الجمعية العامة قد اكتسبت قوة كبرى بمقتضى قرار سابق صدر عند نشوب حرب كوريا ، ويعرف باسم قرار (الاتحاد من أجل السلام) .. وهو القرار الذي ابتكرته الولايات المتحدة ، والذي يعطي الجمعية العامة سلطة تقترب من سلطة مجلس الأمن .. فلا تكون سلطتها مجرد إصدار (توصية) يعمل بها أو يهمل أمرها ، بل يكون قرارها ملزما لمن يصوتون معه ، فضلا عن تأثيره المعنوي على من يعترضون على القرار .

انتقلت مشكلة العدوان الثلاثي على مصر الى الجمعية ، وتوالي على منصتها العديد من الخطباء يندددون بهذا العدوان . . واستمر ممثلو الدول المختلفة يخطبون طول المساء وشطرا من الليل . . وعند الفجر تقريبا أصدرت الجمعية العامة قرارا حاسما يقضي بوقف العدوان فورا ، وبانسحاب القوات المعتدية الى حيث جاءت . ولا شك في أن هذا القرار الذي صدر بما يشبه الاجماع ، والذي كان أشبه بمظاهرة دولية كبرى تتصدرها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معا ، قد هز الرأي العام في بريطانيا هزة قوية ، وأثر أيضا الى حد ما في الرأي العام الفرنسي ، فلم تمض على صدور القرار أكثر من سحابة نهار اليوم التالي حتى أعلنت بريطانيا وفرنسا وقف القتال عند منتصف الليل ، وبدأت الدولتان تسحبان قواتهما بعد أيام قليلة ، أما اسرائيل فتلكأت في الانسحاب بضعة شهور . وخرجت الأمم المتحدة من هذه المعركة وهي أقوى ما تكون ، وبرز على المسرح الدولي أمينها العام ، داج همر شولد ، كأحد القوى الكبرى المحركة لأمور السياسية في العالم .

وتغير وجه العالم :

وفي سنة ١٩٦٣ كان يبدو أن الأمم المتحدة صارت تضم العالم كله تقريبا . . فيما عدا بقايا مستعمرات بريطانية وفرنسية متناثرة في آسيا وأفريقيا وفي بعض جزر المحيطات ، وفيما عدا المستعمرات البرتغالية الكبيرة في أفريقيا ، فقد كانت البرتغال تعيش بمعزل عن العالم تحت حكم القسيس سالازار الذي يبدو أنه مات قبل أن يدرك أن وجه العالم قد تغير ، وأن عصر الاستعمار قد ولى ، وكذلك بقي خارج الامم المتحدة حتى ذلك الوقت الدولتان المهزومتان في الحرب العالمية الثانية ، ألمانيا بشطريها واليابان ، وبقيت الدول المقسمة ، ومنها كوريا وفيتنام ، شمالها وجنوبها وبقيت سويسرا ومازالت ، خارج الامم المتحدة باختيارها . . وفيما عدا هذا فيمكن أن يقال ان الامم المتحدة في أواسط الستينيات صارت تضم من الدول ما يمثل الأغلبية الكبرى من شعوب العالم وصارت تمثل العالم تمثيلا شاملا .

وقد أدى وجود عدد كبير من الدول الأسيوية والافريقية والعربية واللاتينية الى دفع الامم المتحدة دفعة قوية في مجال آخر غير مجال السياسة ، وهذا هو مجال الاقتصاد . . وعلى الأصح مجال التنمية الاقتصادية للدول النامية ، ومحاولة اكتشاف نواحي الخلل الاقتصادي الذي يقسم العالم قسمين متباعدين ، قسم من الدول الصناعية الغنية ، وقسم من الدول الاخرى الفقيرة . . فضلاً عن مجموعة أخرى من الدول ، يناهز عددها الآن ثلاثين دولة ، هي أشد بلاد العالم فقرا . . انها الفجوة الواسعة بين الشمال والجنوب .

كان في الامم المتحدة منذ البداية برنامج متواضع جدا اسمه برنامج المعونة الفنية . . ينفق منه على استئجار بعض الخبراء الأوروبيين والامريكيين ، وأحيانا بعض الهنود والعرب ، لتقديم خبراتهم لعدد من الدول النامية ، وينفق منه أحيانا مبالغ بسيطة للمشاركة في اقامة بعض مشروعات التدريب ، فلما بدأت الدول الصغيرة والمتوسطة تأخذ مكانها في الامم المتحدة ، وتتجمع وتقوى ويرتفع صوتها من فوق المنصات العديدة في الامم المتحدة ، وأخذ العالم يستمع الى أصوات واضحة وكلمات رشيدة تصدر عن ممثلي الهند ومصر والبرازيل والمكسيك وغيرها ، تحول البرنامج الصغير لاستئجار الخبراء ، الى برنامج ضخم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . . وأخذ رأس ماله ينمو سريعا حتى بلغ وجاوز مليارا من الدولارات ، تشارك مشاركة فعالة في كثير من مشروعات التنمية في معظم البلاد النامية ، ولم تعد الخبرة حكرا على عدد محدود من الخبراء الأمريكيين والاوروبيين ، بل صارت البلاد النامية نفسها هي التي تصدر الخبراء لغيرها من البلاد النامية ، فهم أقرب الى مشاكلها وأدرى بها . .

دور الدول النامية :

ومجال آخر اقتحمته الأمم المتحدة مدفوعة بأيدي الدول النامية التي كثر عددها وأحست بمصالحها ومشاكلها المشتركة ، وهو مجال التجارة الدولية . . فدعت الى مؤتمر كبير جدا هو مؤتمر (التجارة والتنمية) الذي عقد في سنة ١٩٦٤ وكانت القوة

الدافعة في المؤتمر تتكون من رجلين من البلاد النامية . . القيسوني الذي رأس المؤتمر من مصر ، وبريبشن ، سكرتير عام المؤتمر ، من الأرجنتين . . وبجانب كل منها مجموعة كبيرة من الخبراء أغلبهم من الدول النامية ، وطرحت مشاكل التجارة الدولية في دراسات وبحوث مستفيضة ، وتنبه الرأي العام المستنير في البرلمانات والمحافل الدولية ، الى أن العالم لا يمكن أن يعيش آمنا مطمئنا ، بينما أسعار المواد الخام متدنية الى حد السلب والنهب ، وأسعار المواد المصنعة مرتفعة الى حد الابتزاز والاستغلال .

ولم يسفر المؤتمر عن رفع أسعار المواد الخام التي تنتجها الدول النامية ، أو خفض أسعار المواد المصنعة التي تشتريها من الدول الصناعية ، ولكن أثار المشكلة وعرضها على العالم ، وأقام جهازا دائما للمضي في تنبيه العالم الى هذا الوضع الشاذ وما ينطوي عليه من خطر ، ونبه الدول النامية الى الطرق التي يجب أن تسلكها ، ويمكن أن يقال ان تلك كانت نقطة البداية في انشاء منظمة الدول المصدرة للبترول « الأوبك » . وفي التفكير المستمر في انشاء منظمات مماثلة للدول المصدرة للقطن والبن وغيرها من منتجات الدول النامية .

وكذلك ضغطت الدول النامية في ميدان آخر هو ميدان التنمية الصناعية ، ودعت الى عقد مؤتمر ، والى اصدار قرارات ، والى انشاء منظمة دائمة ، وصارت أمور هذه المنظمات بأيدي خبراء من بلاد العالم الثالث ، وقراراتها - ولو أنها مجرد توصيات وتوجيهات - تتمشى مع مصالح ومطالب دول العالم الثالث ، بل أخذت دول العالم الثالث تقتحم المجالات العلمية في الامم المتحدة ، فثروات البحار وكنوزها ، وكيف ينبغي كف أيدي الدول الصناعية القليلة عن احتكارها لنفسها ، وكيف ينبغي أن تعتبر ملكية مشتركة لشعوب العالم كلها غنيها وفقيرها .

ان الذي فتح هذا الموضوع في الامم المتحدة دولة من أصغر الدول هي مالطة . . وكان لدولة أخرى من دول العالم هي الكويت دور بارز في هذا المجال . .

ومثله موضوع (الفضاء الخارجي) . . هل هو حكر للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ؟ لا ، فان مقترحات بناءة ، ومشروعات جادة ، تتقدم بها دول من ذلك العالم الثالث . . الهند والبرازيل ومصر وغيرها من الدول النامية التي أقامت معاهد ومراكز ، تحت اشراف الامم المتحدة يفد اليها الطلاب والباحثون من بلاد عديدة للدراسة والتدريب ، ودفعت الدول النامية منظمة الامم المتحدة الى التوسع في مجالات أخرى مثل مساعدة اللاجئين ، ومساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية ، ومثل تكوين رأي عام مدرك لمشاكل تزايد السكان ووسائل تطويق هذه المشاكل المتزايدة .

ولم تكن الدول الكبيرة والغنية وهي دول العالم الأول الغربية ، ودول العالم الثاني الشرقية ، بعيدة عن هذه المجالات والميادين التي أولتها دول العالم الثالث اهتمامها الكبير ، بل كانت تلك الدول تشارك في جميع الاجتماعات واللجان ، وتحضر اليها وفي أيدي ممثليها دراسات وافية ، وتشارك في المناقشة بجدية ونشاط ، وأهم من هذا أنها كانت تسهم بنصيب كبير في تمويل العديد من المشروعات ، ولكن الدول الكبيرة ، وعلى الأخص الدولتين العظميين ، كانتا معنيتين بمشكلة أخرى هي في الواقع أكبر مشكلة يواجهها العالم اليوم ، وهي مشكلة سباق التسلح ، وماذا يمكن الاتفاق عليه لتجميد بعض الأسلحة وتخفيض بعض الأسلحة الاخرى ، وفي مرحلة نشاط الامم المتحدة وحيويتها نجد أن الدولتين العظميين استطاعتا الاتفاق ، داخل اطار الامم المتحدة ، على عدد من أهم الاتفاقيات . . ومنها اتفاقية الحظر الجزئي على التجارب النووية ، أي التجارب في الجو وفي الفضاء الخارجي وتحت الماء وليس على سطح الارض ! والموقعة سنة ١٩٦٣ . . ثم معاهدة الفضاء الخارجي سنة ١٩٦٦ ، ثم معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية في سنة ١٩٦٨ . . ثم معاهدة حظر الأسلحة النووية في قاع البحار في سنة ١٩٧١ ، وفي العام التالي معاهدة منع وتخزين الأسلحة الميكروبية والسامة .

وهن وضعف !

بوجه عام شهدت السنوات العشرون الاولى من حياة الامم المتحدة نشاطا واسع النطاق ، متعدد المجالات ، داعيا الى الاحساس بأن الامم المتحدة في

طريقها الى تحقيق المبادىء والأهداف التي نص عليها الميثاق ، أما بعد هذا - وعلى وجه التحديد خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة - فقد دب الضعف في الامم المتحدة ، وسرى الهزال في كيانها ، وأصابها الاعياء والانهاك . .

وانظر عددا من القضايا المشاكل لترى أن الامم المتحدة على مدى خمس عشرة سنة أو تزيد لم تستطع أن تفرض حكما نافذا فيها ، أو تجد حلا سلميا لها ، أو تجد من الدول الاعضاء استجابة صادقة لما تصدره من قرارات .

وأوضح الامثلة على هذا هو عجز الامم المتحدة عجزا تاما أمام اسرائيل وأفعالها العدوانية قديما وحديثا ، فأما مجلس الأمن فلا يستطع أن يصدر قرارا لان (الفيتو) الأمريكي يتم اعداده مقدما في البيت الأبيض وفي وزارة الخارجية الأمريكية ليحول دون صدور قرار من المجلس يدين اسرائيل أو يطالبها بشيء ما ، وأما الجمعية العامة فهي التي تصدر العديد من القرارات ، وقد بلغت في دورة العام الماضي وحدها أكثر من عشرين قرارا ، ولكن اسرائيل لم تعبأ بهذه القرارات ، ولا أحد في العالم يطالب اسرائيل في شيء من الجدية والحزم أن تستجيب الى أي من هذه القرارت . وهكذا تجمدت القضية الفلسطينية ، وقضية كل أرض عربية امتدت اليها أيدي اسرائيل بالعبث والعدوان .

ومثل هذا قضية التفرقة العنصرية التي تمارسها حكومة اتحاد جنوب أفريقيا ، وتصدر القوانين التي تجعل ممارسة التفرقة العنصرية هي العمل المشروع ، ! ومقاومتها هي الخروج عن القانون الذي يستوجب اطلاق الرصاص ، والسجن لمن لم يصرعه وابل الرصاص .

وكل القضايا السياسية المطروحة أمام الامم المتحدة . . راكدة أو متجمدة ، وليس في المنظمة الدولية الكبرى قوة لتحرك أيا من هذه القضايا خطوة الى الأمام .

● قضية أفغانستان . . وللامم المتحدة وسيط هناك نسمع أحياناشيئا عن تنقلاته واتصالاته ، ولكن الاحتلال السوفيتي باق ويزداد شراسة ، وأكبر حشد من اللاجئين في العالم ، يزيد على ثلاثة ملايين أفغاني ، يعيشون في قرى باكستان وايران .

● قضية قبرص . . والمفروض أن تعمل الامم المتحدة على توحيد شطريها . . ازدادت تعقيداً !

● قضية ناميبيا . . المستعمرة الوحيدة الباقية في أفريقيا . . والتي كان من المفروض أن تستقل منذ أيام (عصبة الامم) في الربع الأول من هذا القرن . . اذ كانت تحت الانتداب ، الذي أقيم بدعوى وضع مؤقت يؤهل للاستقلال . . ما تزال حتى اليوم ترزح تحت حكم جنوب أفريقيا .

وفي المجال الاقتصادي . . تجمدت البرامج التي ذكرناها من قبل وانكمش بعضها ، لان الولايات المتحدة بدأت تقبض يدها عن المساهمة الكبيرة في تمويل مشروعات هذه البرامج . . وهي تنذر من حين الى حين بأن الكونجرس الأمريكي قد يرفض تضييع أموال الشعب الامريكي في تمويل منظمة لا تتمشى أغلبية أعضائها مع أمريكا فيما تريد وما لا تريد ، وتعلو نغمة هذاالانذار كلما صدر قرار يدين اسرائيل أو يصف الحركة الصهيونية بصفتها الحقيقية وهي أنها حركة عنصرية ! . . وبينما كانت الولايات المتحدة تسهم بما يعادل ٦٦ في المائة من ميزانية الأمم المتحدة ، صارت مساهمتها ٢٥ في المائة ، أما الاتحاد السوفيتي فيسهم بما يبلغ ١٥ في المائة من الميزانية ولا يزيد ، ويمتنع عن المساهمة في بعض البرامج والمشروعات التي لا تعجبه .

● هذا . . . وفي المجال الاقتصادي أيضا فان دور الامم المتحدة فيما يسمى بالنظام الاقتصادي الدولي الجديد لم يتعد حتى الآن دور الخطب والمساجلات بين الاغنياء والفقراء ، ودور اعداد الدراسات والتقارير المستفيضة ، دون خطوة واحدة الى الامام في سبيل اقامة هذا النظام .

وهكذا صارت الأمم المتحدة في سن الأربعين كيانا ضخما بأعضائه الذين يبلغون الآن ١٥٩ دولة . . وبموظفيه الذين يبلغون اثنين وعشرين ألف موظف . . ولكنه كيان مترهل ، متخاذل لا يكاد يستطيع العمل والحركة مثلما كان في سنواته الاولى □

الجديد في الحوار الثقافي بين الشرق والغرب

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

بعد مرور عقدين من السنين على حوار الشرق والغرب ، يجد المتحاورون أنفسهم عند نقطة البداية ، وأن الحوار الثقافي ليس أفضل حالا من الحوار السياسي والاقتصادى . فهل كان ذلك لأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا كما قال كبلنج قبل أكثر من نصف قرن من الزمان ، أم ان هناك عوائق حقيقية امام مسيرة الحوار الثقافي بين الشرق والغرب ؟ ذلك هو ما يجيب عنه هذا المقال .

تبدو اسبانيا جادة في تهيئة أرضها ، لتكون ملتقى حوار بين الشرق والغرب أو الاسلام والمسيحية ، أو العرب وأوروبا ، أو غير ذلك من أشكال اللقاء .

وخلال السنة الماضية (١٩٨٤) عُقدت في مدريد واشبيلية وغرناطة عدة لقاءات ومؤتمرات ونشاطات ، دارت كلها حول موضوع الحوار ، وجوانب التقارب بين الشرق والغرب :.

وانطلاقا من تجربة ملتقيين مهمين نسبيا ـ أتيح لي أن أشارك في أعمالها ـ تبلور في الذهن أمران على الأقل :ـ

أولهما : الخطوط الرئيسية لقضية الحوار الثقافي ، كما تبدو في نهاية عام ١٩٨٤ وبعد عقد كامل من بدء حملته .

والثاني : سلسلة الأسئلة الصميمية التي تثيرها في الذهن قضية الحوار ، والتي يخشى أن يبقى الحوار مكتوفا نسبيا اذا لم يسارع الغيورون الى البحث عن حل لها .

والملتقيان هما :ـ

١ ـ اجتماع الجمعية العمومية لجمعية (الاسلام والغرب) في اشبيلية من ١٠ ـ ١٢/٩/١٩٨٤ .

٢ ـ ملتقى (الحوار البرلماني العربي الاوروبي في سنته العاشرة) في مدريد وغرناطة ، من ٦ ـ ٩/١١/١٩٨٤ . وقد خصصت فيه كالعادة قناة للحوار الثقافي الى جانب الحوار السياسي والحوار الاقتصادى .

وحضر الملتقيين مندوبون يمثلون مؤسسات راقية في عدد من البلدان الأوروبية والعربية والاسلامية .

وقد نشرت الصحافة اليومية جوانب مما دار في الملتقين ، مما يعفي المرء من الوقوف عند الوقائع ، ويسمح بالتركيز على الناحيتين اللتين أشرنا اليها آنفا وهما الخطوط الرئيسية والأسئلة .

خطوط رئيسية للحوار :

ليس الحوار الثقافي طارئا على مائدة الحوار الشرقي الغربي [1] ، اذ بدأ منذ عقدين من السنين ، مع الحوار السياسي والحوار الاقتصادي ، ومازال جزءاً لايتجزأ من عمليات الحوار المتتابعة . وفي كثير من الأحوال خصصت له مؤتمرات وملتقيات موقوفة عليه ، تدليلا على أهميته .

ومن الملاحظ أنه جرى التقرب من الحوار الثقافي في بادىء الأمر بحماسة شديدة وذلك نتيجة لوجود شعور عام بما يمكن أن يؤدي اليه (تطبيع) المناخ الثقافي بين الشرق والغرب ، من خلق تربية أفضل لكل من التعاون السياسي والاقتصادي وسائر مجالات الحوار .

على أن امعان النظر في سلسلة حصيلة الحوار الثقافي يشير الى أن هذه القناة - ربما أكثر من القنوات الأخرى للحوار - لم تتقدم أية خطوات تستحق الذكر . ومن الصعب القول بوجود مشروعات متسلسلة ومتساندة ، وهذا لاينفي وجود التطلعات الطيبة والرغبات المخلصة لدى مواقع مختلفة على جانبي قناة الحوار .

ومراعاة للدقة والانصاف يحسن بالمرء أن يشير هنا الى أن مصير الحوار الثقافي لم يكن أسوأ بكثير من مصير الجوانب الأخرى للحوار ، وأنه حين بدأ قبل عقد من السنين كانت هناك توقعات ايجابية ومتفائلة نسبيا بشأنه ، ولكن التطورات اللاحقة أظهرت جسامة الصعوبات التي تعترض الحوار بوجه عام ، وتفرد الحوار الثقافي بمشكلات حساسة دينية وتاريخية وفكرية وغيرها .

على أن هذه التطورات السلبية - التي ينبغي الاعتراف بوجودها - لا يجوز أن تعني أن فكرة الحوار تلاشت أو تمخضت عن خيبة كاسحة ، وانما يجب أن تدفع طرفي الحوار - الى مزيد من التبصر والجهد في توجيه قضية الحوار . واذا كانت جوانب الحوار الأخرى خارجة عن اطار هذه المقالة ، فانه يمكن القول أن الحوار الثقافي وحده يفتح أبوابا كبرى للبحث والتعاون والعمل المشترك ، سواء أكان ذلك مقصودا لذاته أم موجها لخدمة الحوار السياسي والاقتصادي والتعاون الحيوي الشامل . ومن هنا كانت الضرورة تستدعي مواصلة العمل المشترك ، لوضع أساس سليم لارتياد الجوانب الأكثر فعالية للحوار .

وجدير بالذكر هنا أنه نشأت خلال بضع السنوات الفائتة مؤسسات كثيرة تعنى بالحوار الثقافي ، كما أن هناك مؤتمرات عديدة تعقد لهذا الغرض ، بعضها رسمي وبعضها من عمل جمعيات تطوعية . ويصاحب ذلك تزايد شديد في مستوى التبادل الثقافي والعلمي والتكنولوجي الذي تنظمه الاتفاقات الثقافية والتربوية الكثيرة ، التي تربط البلدان العربية والاوروبية بوجه خاص . الا أن الذي كان قائما في الأذهان منذ نشأة الحوار ، ونعتقد أنه ما زال واردا ، هو العمل على ابراز تلك المشروعات الثقافية المشتركة بين طرفين عامين متحاورين ومتعاونين على غير صيغة الاتفاقات الثنائية بين دول مفردة ، أي بين أوروبا والعرب ، أو بين الاسلام والغرب ، أو بين الشرق والغرب . وقد اعترضت ذلك صعوبات كثيرة تكشفت بقوة حين بدأت بعض أقنية الحوار تنتقل من النظري الى التطبيقي ، ومن المجرد الى الملموس . وبالنسبة الى الحوار الثقافي بالذات كانت العقبة المباشرة هي عدم وجود طرفين متبلورين على جانبي قناة الحوار .

وهذا ما يقودنا الى الشق الثاني من هذه الرسالة .

اسئلة صميمية

السؤال الأول :

هل هذه الملتقيات المتعاقبة حوار بين الشرق

---

١ - استعمل هذا المصطلح للدلالة على أشكال الحوار وحينا لا تكون هناك حاجة الى التخصيص .

والغرب ، (ديالوج) أم حوار منفرد بين الغرب والغرب (مونولوج) ؟ أليست المفاتيح الثقافية والكلمات الاصطلاحية والمفهومات التي يستخدمها المناقشون من الطرف الاسلامي تأتي في كثير من الأحيان مطابقة لما يستخدمه الطرف الغربي ؟

ومادمنا نردد دائما أن حوار الثقافة ليس تجريدا ، بل هو حوار حي بين البشر ، أفليس معظم الذين يناقشون الغربيين (من موقع أفكار شرقية) هم من المثقفين الذين تعلموا وتكونوا ذهنيا في الغرب ؟ وكثيرون منهم يفكرون برموزه ولغته ويترجمون الى العربية ؟

وبالطبع يجب ألا يفهم من هذا القول أي اعتراض على اتقان اللغات الاجنبية او الافادة من المعرفة الغربية ، فالاسلام حض على تعلم اللغات وطلب العلم ولو في الصين . ان هذه التساؤلات تهدف الى تصحيح مجرى الحوار المنشود (الذي يخشى ألا يكون قد بدأ) ولنفترض مثلا أنه يوجد بين المتحاورين من يملك ثقافة اسلامية خالصة . لنتخيل كيف يمكن أن يكون الحوار : ألا يحسن أن يضم الحوار على الجانبين ممثلين للموقف التقليدي ، الى جانب غيرهم بالطبع ؟ ألا يفيد ذلك في كشف زوايا مخبوءة من عملية الحوار ، يمكن أن تنتج عن إضاءتها خطوات إلى الأمام (خلافا لما يعتقده الكثيرون) .

وإلا فكيف نأمل تقدما لحوار ينتقى له كل جانب أقرب الناس الى الجانب الآخر ؟ وبالنسبة للطرف العربي الاسلامي أليس المعتاد هو انتقاء مثقفين ممن درسوا التاريخ أو الأدب أو ـ حتى ـ الفكر الاسلامي في الغرب ، وتكليفهم محاورة زملائهم الغربيين من متخرجي الجامعات نفسها والنظام الفكري العام نفسه ؟

السؤال الثاني :

أليس ما نسمعه عادة من مناقشات الطرف العربي الاسلامي يعني بمجمله أن الثقافة الاسلامية تحتاج الى التسامح الغربي وسعة الأفق لكي يتم انصافها . لكن أية ثقافة ؟

من الواضح أن الثقافة الاسلامية التقليدية تحظى باحترام عالمي شامل وقد نطق التاريخ حكمه بتقديرها ، ولم تعد بحاجة الى شهادات فردية . إذن :

أليست المشكلة هي أن الثقافة الغربية المغرقة في الحداثة تحاور ثقافة عريقة لم تتشكل عصريا بعد ؟

ألا تظهر هذه الحقيقة جلية حينما يجلس الطرف الاسلامي لمحاورة الطرف الغربي ، فيشرع المثقفون المسلمون في حوار داخلي لانهم خارج النوايا الطيبة والمبادىء العامة ، ليسوا بالضرورة متفقين على مواقف ملموسة ؟

والنتيجة :

ألسنا نطلب من الغرب أن يحاور نفسه من أجل أن يصالح الثقافة الاسلامية مع نفسه ، وبالطريقة التي تلائمه في المرحلة التاريخية المعطاة ؟ ألسنا نشارك بهذه اللعبة الخطرة ؟ هل فكرنا في مدىء مايحمله ذلك من أخطار مستقبلية ؟

السؤال الثالث :

في أي مناخ عالمي يجري الحديث عن التثاقف وعن الحوار ؟ أليس واضحا أن الغرب ما زال يهيمن ثقافيا على كل مكان في العالم تقريبا ؟ وهل تصالح الغرب مع أية ثقافة أخرى أو على الأقل تحاور معها على المستوى اللائق من الجدية والاحترام ؟

وحين نضع حوار (الغرب ـ الاسلام) في اطاره الأوسع من الحوار الثقافي العالمي فماذا نجد ؟

هناك ثقافة واحدة مسيطرة عالميا هي الثقافة الغربية ، وهي تمد كل حوار ، صغيرا كان أو كبيرا ، بمفاتيحها الخاصة ومصطلحاتها ومفهوماتها . أليس الصراع بين الرجعية والتقدمية والماركسية والليبرالية والديمقراطية والمثالية والمادية والنسبية والتحليلية ، كله يدور في فلك الثقافة الغربية ؟

هل أبدى الغرب أي استعداد لتفهم ثقافة عريقة مثل الثقافة الهندية أو الصينية ؟ وكيف يعامل الغرب ثقافات الشعوب المقهورة فيما يسمى غربيا بالعالم الثالث ؟

ألم نقبل نحن طائعين تسميات (العالم الثالث) و (البلدان المتخلفة) و (الشرق الأوسط) و (الشرق الأقصى) و (الشمال الافريقي) وغير ذلك ، وكلها من اختراع الغرب ؟

ليست هذه مطالبة مباشرة بالتخلي كليا عن هذه التسميات ، ولكنها مطالبة بأن نعي ما نحن فيه .

السؤال الرابع :

هل الغرب ملوم فى موقفه ؟ هل يصح أن نضع اللوم عليه ونحمله الوزر ونغضى فى اللعبة المرسومة ؟ وهل نطلب منه أن يفهمنا أكثر مما نفهم أنفسنا ؟ ألسنا مطالبين بأن نتصدى لمعضلتنا ؟

ها أنذا ـ ربما ـ انتهي الى النتيجة نفسها التى ربما وصلها كثيرون من قبلى وهى المطالبة بالتحليل الذاتى . ولاأدرى بالمناسبة كيف يجرى تصالح هذه النتيجة مع المرافعات الكثيرة التى نسمعها على مختلف منابر الحوار ، والتى تطالب الغرب بتحمل مسؤولية تفهم الثقافة الاسلامية أو العربية أو الشرقية .

على أى حال أليس المطلوب منا الآن ودون ابطاء أن نعمل على تكوين هويتنا الثقافية الحديثة . . فى ضوء احتياجات مجتمعاتنا المعاصرة ، وأن نكون صريحين جدا وقاسين مع أنفسنا ، وأن نكون أيضا واثقين من المستقبل ، لأن تراثنا الحضارى وامكاناتنا المعاصرة المتعددة الجوانب تمنحنا أساسا موضوعيا لثقة بالنفس ، واقعية وبعيدة عن التفاخر والمبالغة ، وبالتالى تؤهلنا لموقف حوارى أكثر جدوى مع ثقافات معاصرة تقف على أرض صلبة من وضوح الهوية ، وتستند الى تراث تاريخى حافل ؟

السؤال الخامس :

ألا تبالغ بعض لقاءات الحوار فى حكمتها حين تلتزم الابتعاد عن السياسة ؟ أليس هناك شىء أساسى مهم ناقص فى تحليلاتنا وهو البعد السياسى ؟ وهل يمكن ان تفهم مشكلات الحوار الثقافى بمعزل عن الصراع السياسى ومحركات المصالح والنفوذ ؟

وهل المسألة مسألة اقتناع أو اطلاع فقط ؟

وهل نتصور أن المانع الوحيد من تطور الفهم المشترك المنشود هو القصور فى الفهم المتبادل ؟

وهل مسألة الفهم المتبادل صعبة الى هذا الحد على العقل الانسانى الذى تمثل خلال العصور الوسطى (مصطلح غربى أيضا) فى أرقى أشكال الفكر والعلم (فى المنطقة العربية) والذى يتمثل اليوم (عند البلدان المتقدمة فى الغرب) فى أرقى اكتشافات الفضاء ؟ وهل هذا العقل عاجز عن تعرف ذاته من خلال التمثلات المتباعدة فى الزمان واللغات ؟

ألا يخشى أن تكون هناك عوائق (فوق ـ فكرية) فى طريق الحوار الثقافى بحيث لا يستطيع الحوار الثقافى أن يتقدم تقدما محسوسا اذا لم يذللها ؟

ألا يصح أن يعدل الحوار الثقافى من حكمته قليلا ليقول : نتجنب تفصيلات الوقائع السياسية ولاندخل فى المماحكات العويصة ، ولكن لانتجاهل البعد فوق الفكرى للحوار الثقافي؟

أسئلة صعبة ما فى ذلك شك ، ولكن لا بد من مواجهتها بشجاعة وتبصر . □

صندوق ونصيحة !

أتى الحجاج بصندوق مقفل ، قد أصيب من بعض خزائن كسرى ، فأمر بالقفل فكسر ، فاذا فيه صندوق آخر مقفل ، فقال الحجاج : من يشتري مني هذا الصندوق بما فيه ، ولا أدري ما فيه ؟

فتزايد فيه أصحابه ، حتى بلغ خمسة آلاف دينار ، فأنفذ الحجاج البيع ، لكنه عزم على المشتري أن يفتح الصندوق ويريه ما فيه .

ففتح الصندوق ، واذا فيه رقعة مكتوب فيها :

من أراد أن تطول لحيته ، فليمشطها من أسفل .

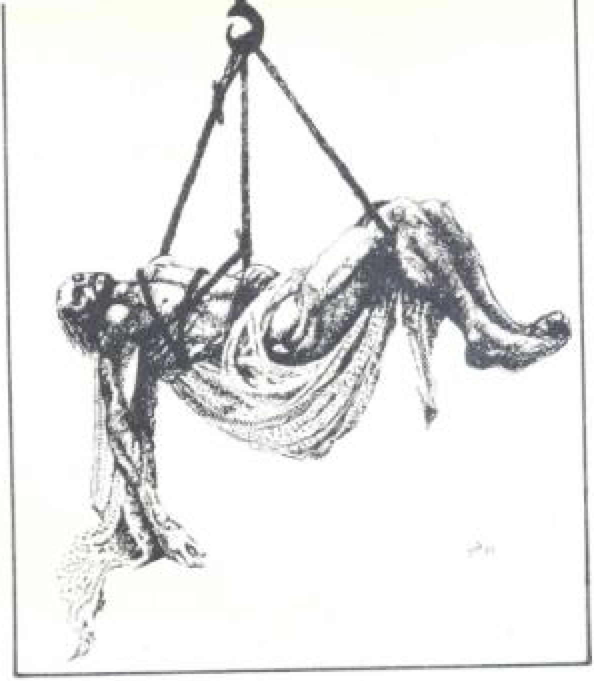

أنشودة الانتصار الفلسطينية

بقلم : الدكتور عبد الوهاب المسيري

في احدى قصائد معين بسيسو ـ رحمه الله ـ يموت الجندي المجهول في صمت دون أن يعلن عن نفسه أو عن تضحيته . وهو في استشهاده يشبه الشاعر الحق الذي لا يلقي بكلماته جزافا ، دون أن يدرك معناها ، ودون أن يكون على استعداد لدفع الثمن ، وانما ينزف دمه ليضفي مصداقية عليها :

ماكان بيده كاميرا ، وعلى فمه
ماكان مكبر صوت
كان يموت وراء خطوط الضوء
وراء خطوط الصوت

والصورة هنا ـ على المستوى المباشر ـ تتحدث عن وسائل الاعلام ، التي يجيد الصهاينة والآخرون

استخدامها ، والتي تزيف الواقع الى أن تسود الأكاذيب اللامعة المصقولة . هذا الجندي الشهيد لا يكترث بذلك ، ويقدم ذاته كي يسود الحق وتعود الحقيقة . ولكن على مستوى أعمق نعرف أن هذه المنطقة التي تقع (وراء خطوط الضوء/ وراء خطوط الصوت) هي الأزلية والدار الآخرة التي وعد الله المجاهدين .

والايمان الكامن وراء هذه الابيات هو أنه اذا مادفع الثمن سيحين وقت الحصاد ، وهو ايمان يصبح واضحا ظاهرا في غنائية توفيق زياد القصيرة التي يقول فيها :

احبائي . . . برمش العين
أفرش درب عودتكم ،
برمش العين ،
وأحضن جرحكم
وألم شوك الدربْ
بالكفين ،
ومن لحمي
سأبني جسر عودتكم
على الشطين . .

والقصيدة تعبير عميق عن الايمان بحتمية الانتصار ، فهي تتحدث عن نهاية الأحزان ، وعن التحام المنفيين خارج فلسطين بالمسجونين داخلها ، وعن الجراح التي ستندمل ، والأشواك التي ستنزع ، والدروب التي ستفرش ، وأخيرا عن الجسر الذي سيبنى - جسر العودة (عنوان القصيدة) . والمصطلح الذي يستخدمه الشاعر هو مصطلح الشعر الرومانسي وأغاني العشق والغرام :

رمش العين ودرب العودة واحتضان الأحزان والشطين (وكلمة الشط أو الشاطىء أصبحت مرتبطة في الأغاني العربية الحديثة بشط الغرام وشط النيل ، حيث يلتقي المحبون) ، ولكن الغنائية المتدفقة والمصطلح الرومانسي ينسياننا لوهلة أن الشاعر هنا ، شأنه شأن جندي بسيسو المجهول ، يدفع ثمنا فادحا . فرموش العين لا تعطي اشارات الغرام وانما هي التي ستفرش الدرب ، والجراح لن تندمل بفعل الزمن وانما بعد أن يحتضنها الشاعر بنفسه ، وشوك الدرب سيدمي كفيه ولا شك ، الى أن نصل الى الصورة الأخيرة حيث نكتشف أن الجسر الذي سيربط الشطين مبني من جسده . وتكتسب القصيدة كثيرا من جمالها وتجددها وصلابتها من هذا التوتر بين المستويين الكامن والظاهر .

وهذا هو النمط السائد في أشعار الانتصار الفلسطينية ، حيث يجب أن ينزف الشاعر ليقام عرس الدم الفلسطيني . يقول محمود درويش في قصيدة (طوبى لشيء لم يعد) :

هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي
هذا هو العرس الفلسطيني
لا يصل الحبيب الى الحبيب
الا شهيدا أو شريدا

وفي احدى قصائد سميح القاسم يحاول الشاعر أن يستكشف لحظة الانتصار الفلسطينية من خلال استخدام اسطورة هندية امريكية قديمة ، اسطورة طائر الرعد - رمز الخير والحرية الذي سيأتي لا محالة :

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوه في غبار مناهج الدرس
ويكون أن يأتي
بعد انتحار الريح في صوتي
شيء روائعه بلا حد
شيء يسمى في الأغاني :
طائر الرعد
لابد أن يأتي
فلقد بلغناها ،
بلغنا قمة الموت . .

ان (حتمية) وصول طائر الرعد مرتبطة بالشمس وبدورات الطبيعة ، ولكنها مرتبطة بشيء أعمق : بالبذل الانساني والدم الفلسطيني ، ولذا فهذه العنقاء الهندية لن تصل الا بعد أن نبلغ نحن (قمة الموت) . .

ولكن ليس كل قصائد الانتصار الفلسطينية تنتمي الى هذا النمط المتكرر (الدم النازف ثمنا لانشودة الانتصار) بل ثمة قصائد تحتفي بلحظة النصر وبثمرة النضال دون ذكر للثمن - وكأننا هناك بالفعل ، وكأننا قد وصلنا .

ولا يوجد في مثل هذه القصائد أي توتر بين ماهو

قائم وما ينبغي أن يكون ، ولا أي ثورة على الحدود أو الكلمات ، لأن الصور تحاول أن تنقل للقارىء «ضربا من اليقين الهادىء» . ولعل أفضل مثل على هذا النوع من القصائد قصيدة فدوى طوقان (طائر النورس ونفي النفي) التي تقابل فيها طائرا آخر ، ولكنه هذه المرة ليس بطائر اسطوري وانما طائر النورس المعروف الذي يسيطر على جو القصيدة سيطرة كاملة ، اذ يحوم فيها وكأنه ملك في مملكته ، يقود الجيوش بثقة كاملة .

عبر الأفق وشق الديجور
ممتلكا ناصية الزرقة منطلقا بجناح النور
لف ودار وظل يدور

يأتي الطائر كرمز للامكانات اللانهائية ، ولكنه لا ينطق حرفا ، فهو صورة متعينة للميلاد والنصر المرتقبين ، ولذا فالحروف والكلمات لا أهمية لها :

دق على شباكي المظلم فارتعش الصوت المبهور
خيرا ياطير . . .
وفشي بالسر ولم ينبس
وتوارى النورس . .

والسكون هنا ليس علامة العجز أو القهر ، وانما هو تعبير عن الامتلاء الذي يتخطى حدود الكلمات . ولذا فالشاعرة تجيب عنه مع أنه لم ينبس ببنت شفة ، فقد أدركت محتوى رسالته : حتى وسط السكون ، والظلمة لا تخيم على الأحزان ، اذ أن كل شيء يتغير :

ياطيري ! ياطير البحر ! الآن عرفت
في الزمن الصعب الواقف في أقبية الصمت
تتحرك كل الاشياء
تنمو البذرة في قلب الموت
ينفجر الصبح من الظلماء . .

وفي وسط هذا الامتلاء والتوازن حينما ترد صورة الطوفان فهي الاخرى تكتسب هدوءا واتزانا ، ولا تفكر الشاعرة في جانبها المدمر وانما في جانبها التطهيري وحسب :

الآن عرفت
وانا اسمع ركض الخيل نداء الموت على الشطآن
كيف اذا جاء الطوفان
تغتسل الأرض من الأحزان . .

وترفض القصيدة حتى النهاية أن تدخل في عالم التوتر والصراعات ، وتظل داخل دائرة الفرح ـ دائرة النورس المحلق ـ التي لا نسمع فيها أية كلمات ، وانما نرى فيها صور الفرح الواضحة المحددة تقف شاهدا على ما سيكون . ولذا لم يبق أمام الشاعرة سوى أن تتمتم وتغمغم بكلمات الحمد والشكر :

ياطيري ، ياطير البحر الطالع من قاع الديجور
بشرك الله بكل خير
الآن عرفت
شيء حدث . . انفتح الأفق وحيا الدار صباح النور .

مثل هذه القصائد (الساكنة) و (المتزنة) ليست كثيرة ، بل يمكن القول انها نادرة فهي لا تتعامل مع ماهو قائم ، وانما تتعامل مع ماسيكون . ولا يوجد الكثير في مخيمات اللاجئين ولا في الجرائد اليومية ماقد يساند هذه الرؤية ، فالدماء الفلسطينية لا تتوقف عن النزيف . ولكن مع هذا . . . مع حق الوجدان الثوري أن يترك عالم الجدل التاريخي ، عالم القتال والاستشهاد ، ليصل الى (هناك) حيث البقعة الموعودة ، وحيث الزمان المرتقب ، فهذا ولا شك يشد من أزرنا ويخلق مسافة بيننا وبين الواقع المتغير ، ونحن في هذا لا نهرب من الواقع وانما نتجاوزه لنصل الى ما نرى انه الجوهر ، وعلى حد قول محمود درويش :

والحلم اصدق دائما ، لا فرق بين الحلم
والوطن المرابط خلفه .
الحلم أصدق دائما ، لا فرق بين الحلم
والجسد المخبأ في شظية
والحلم أكثر واقعية

ان شعر المقاومة الفلسطيني باحتفائه بما سيكون وبما ينبغي أن يكون ، يبين مدى عمق ايمانه بالانسان ، ذلك الكائن الذي يرفض الرضوخ والاذعان للقهر وللبيانات العسكرية والاكاذيب الاعلامية والحقائق المصمتة ولكل ماهو قائم .

وبذلك تتسع ساحة هذا الشعر لتضم لا الفلسطيني وحسب ، ولا حتى العربي وحسب ، وانما كل البشر ، وبذا تصبح أنشودة الانتصار الفلسطينية هي أنشودة انتصار الانسان . □

إبداع التراث

بقلم : الدكتور فهمي جدعان

تعنى فكرة تاريخية التراث ، انه لا يتبقى لنا من التراث ، « هنا . . الآن » ، الا بعضه . وأما بعضه الآخر فليس علينا الا ان نعلقه أو أن « نضعه بين قوسين » ، ناظرين اليه نظرتنا الى أى عنصر أو حدث تاريخى انقضى . الى أين يؤدى بنا هذا القول . . . فلننظر .

إن الذى يهمنا هنا الآن هو فقط ذلك الجزء من التراث الذى يقبل ان يكون ، بقدرما ، جزءا حيا من الحاضر . وامام هذا الذى « يتبقى » لن يكون فى من حال الا واحدا من اثنين : الدمج المادى ، أو ما يمكن أن اسميه بـ « الاستقلاب المعنوى » . وكل واحد من هذين الحالين ينصب على نمط معين من عناصر التراث . فأما الدمج المادى فيقع على العناصر المشخصة العيانية من التراث . وأما الاستقلاب المعنوى فيقع على العناصر الأدبية والجمالية منه . ولكى لا يكون هذا الضرب من القول مجرداً أقول ان جميع العناصر التى تشتمل عليها أعمال المتكلمين المسلمين مثلا مما يمكن أن يكون مقبولا اليوم فى اطار علم العقيدة العقلانى ، هى عناصر يمكن أخذها ودمجها فى مجمل الانظار العقلية الراهنة للقضية العقيدية ، وأن جميع الاجتهادات الفقهية التى نجمت عبر العصور المختلفة مما يمكن أن يكون مقبولا لدى المشرعين اليوم ، ومما يمكن أن يمثل حلا معقولا لمشاكل عملية فقهية مطروحة هى عناصر يمكن أخذها ودمجها فى مجمل التشريعات الفقهية الراهنة ، وأن جميع المفاهيم الفلسفية التى ما تزال مقبولة الآن تظل جزءا من منظوراتنا الفلسفية أو الفكرية ، وهكذا . ومن وجه آخر نحن لا نستطيع الا أن نستخلص فوائد أدبية وجمالية من قراءتنا للأعمال الأدبية والفنية العربية أو الاسلامية الكلاسيكية ، ولا نملك الا الاعجاب والانبهار والتأثر بكثير من روائع الفن القديم . وهذا يعنى أن عملية « استقلاب » آثار هذه الأعمال وتمثلها وادخالها فى حالتنا الشعورية ووعينا الجمالي ، تظل هى الحال الطبيعية لنا بإزاء هذا النمط من العناصر الموروثة . فقراءة الجاحظ مثلا او التوحيدى ، او المتنبى أو المعرى وغيرهم ، وتأمل

أعمال الفن التشكيلي المختلفة والآثار المعمارية وغير ذلك ، مما يثير الاحساس بالجمال والمتعة ... هي أمور لا مجال لاستبعادها أو اهمالها . وهي تدخل ، بكل تأكيد ، في المركب الانساني المعقد لوجودنا الراهن . ويدخل في هذا المركب بالاجمال جميع القيم الأدبية والجمالية التي تثير فينا الرضا والقبول والفائدة . وكلها يكون شأننا معها الاتصال المستمر ، والدربة والممارسة والمعاناة والتعلم والتذوق ، اذ بذلك يمكن لعملية « الاستقلاب » ان تتم فتتحول هذه العناصر الادبية والجمالية الى المركب الثقافي لبنيتنا الشخصية .

ما ينبغي طرحه

ووراء هذه الوجوه من التراث لا يبقى في الحقيقة الا ما يسقط في طريق التاريخ ويتحول الى متحفه . وهذا الذي يسقط ينتمي الى واحد من القطاعات الثلاثة التالية : قطاع المفاهيم والعقائد والأفكار ، وقطاع المصنوعات أو المبدعات التقنية ، وقطاع القيم . فثمة عدد كبير من المفاهيم والعناصر التي تشتمل عليها العلوم النظرية القديمة قد فقد قيمته اطلاقا . وما على انسان يحيط بالعلوم الحديثة الا أن يفتح كتابا في العقائد مثلا ، أو في الفلسفة الطبيعية ليقرر ، بعد التدقيق ، أن معظم المفاهيم أو العناصر الكلامية أو العلمية أو الفلسفية لم يعد مقبولا الآن ، أو أنه متنازع فيه كثيرا . أما قطاع المصنوعات التقنية فلا ينكر أحد أنه تضاءل الى درجة لم يعد يساوي معها شيئا ، بالاضافة الى ما انجز في القرنين الأخيرين . وأما القيم والعادات فمن الواضح أن التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قد ألقت بكثير منها في غياهب اليم .

وعلى هذا الأساس ، وفي كل الأحوال ، ننتهي واقعيا الى حالة من النظر والفعل لحمتها الواقع المباشر وما تبقى من التراث ، ويكون المطلوب منا عمليا مباشرة أفعال مشخصة بهذه الأطراف الماثلة أمامنا أو الحالّة فينا . لكن هذه المباشرة لا يمكن أن تكتمل الا بتدخل عنصر ثالث هو الوحي ، ينضاف الى العنصرين الأخرين ليصبح مخطط النظر والعمل الراهن على النحو التالي : المعطيات المباشرة للواقع ، والتراث الحي ، والوحي :

المعطيات المباشرة والتراث والوحي

١ ـ أما المعطيات المباشرة للواقع فهي الأرض التي نتحرك عليها ، وهي الأصل المباشر لأحوالنا . انها منبع الحياة والفعل ، والمصدر الذي تتفجر منه مشكلاتنا وقضايانا الوجودية . وأول ما ينبغي التصدي له هو الواقع ، لانه هو الحياة . وليس معنى ذلك أن عقولنا وأفكارنا ينبغي أن تتشكل وفقا للواقع باعتبار أنه ذو قوانين نهائية ملزمة ، وانما معناه أن فهم حركة الواقع وبنيته شرط ضروري لكل فعل . وأن توجيه الواقع وتغييره من خلال هذا الفهم أمر لا مفر منه . وهذا يعني أن الفكر يمكن أن يلجأ الى تغيير أحكامه وأساليبه في النظر والعمل ، في ضوء الواقع ، ان كان هذا الواقع يجري مجرى لا يتناسب مع متطلبات الفكر .

وليس هذا الجانب من المسألة في وجهه الفقهي ، الا عين ما عبر عنه القدماء بقاعدة « تغير الأحكام بتغير الأزمان » . فنحن نحيا الواقع الذي يتشكل ، بتضافر عوامل وظروف ذاتية وخارجية جد معقدة ، ونحن نعيد تشكيل حياتنا وأفكارنا عبر هذا الاحتكاك المستمر بالواقع ، ومستندنا في ذلك منجزات العلوم الوضعية الانسانية . وبهذه العملية نقوم ، عمليا ، بانجاز عناصر « تراثية » جديدة تضاف الى العناصر المتبقية من التراث السالف ، وتورث للآتين من بعدنا . وهذا هو الوجه الأول مما أسميه « ابداع » التراث .

٢ ـ واما التراث ، عند حده الماضي ، فقد أصبح شأنه جليا . اذ قلنا ان ما يتبقى منه من عناصر مادية يدمج في نظمنا المادية والحياتية الراهنة ، وما يتبقى منه من عناصر أدبية وجمالية يستقلب بعملية التمثل الأدبي والجمالي ، ويصبح جزءا من حساسيتنا الأدبية أو الجمالية الحالية . وبعمليتي الدمج والاستقلاب هاتين نحن نحيي التراث من جديد ، أي أننا نجعله حيا في الحاضر . وهذا أيضا ابداع له وخلق جديد . بيد أنه لا بد من القول ههنا ان التراث الماضي يفقد

بنيته النوعية ، من حيث هو جزء من الماضي التاريخي ، أو من حيث هو كل تاريخي سالف ، ويصبح عنصرا مركبا من عناصر التراث الذى يتكون أو يصير أو يتشكل . وبهذا الاعتبار يمكننا القول أن التراث دائم التشكل ، وان جوهره فى حراك مستمر ، أى أنه خاضع لعملية ابداع دائمة .

٣ ـ وكما سبق أن قررنا ، فى القسم الأول من هذا البحث ، ليس الوحى جزءا من التراث . لذ لا يمكن الكلام عليه هنا الا من جهة أنه أصل للتراث ، أو أنه واحد من الأصول التى ينبنى عليها التراث . ونحن نتكلم هنا ، بطبيعة الحال ، على التراث العربي الاسلامى لا على سواه . اذ من نافلة القول التذكير بأن هناك ثقافات و « تراثات » ليس لها مبدأ فى الوحى . أما فى الاسلام فالوحى أصل للتراث . وعلى هذا الأساس ليس لدينا أى علم من العلوم التى ظهرت فى الاسلام الا وللوحى أثر ما فيه . ومن قبيل التكرار القول ان علوما برمتها ، هى العلوم الاسلامية ، قد كانت أثرا مباشرا له ، مهمتها خدمته وتحليله وبيانه . فهذه العلوم « التاريخية » هى علوم تراثية ، بينما الوحى نفسه ليس « علما » تراثيا . ومعنى ذلك ان التراث ههنا وفى هذه الدائرة هو هذا الذى ينجم عن عملية الالتقاء بين الانسان القابل من ناحية ، وبين الوحى الفاعل من ناحية . ومن هذا الالتقاء ـ وعبر الشروط الموضوعية التاريخية ـ نجمت العلوم الاسلامية المختلفة . وهذه العلوم ، كما قلنا مرارا وتكرارا ، هى علوم تاريخية مقترنة بالظروف والأوضاع التى ظهرت فيها . ولأن الأوضاع التاريخية متباينة متغايرة ، فان من الطبيعى أن تتفاوت ثمار « الفهم » عبر العصور . وبسبب تفاوت صور « فهم » الوحى تاريخيا كان ثمة « قراءات » مختلفة للوحى الذى يتوجه الى الانسان فى كل الظروف والأزمنة . فاجتمع لدينا قراءة نقلية خبرية ، وثانية لغوية نحوية ، وثالثة عقلية ، ورابعة بلاغية أو بيانية ، وخامسة صوفية كشفية ، وسادسة غنوصية باطنية وسابعة ظاهرية ، وهكذا . وكل هذه القراءات تدخل فى « التراث » ، وليس ثمة واحدة منها بحائزة على اجماع « القراء » جميعا . وكلها ، كما هو بين ، تاريخى . وهذا يعنى أننا نحن اليوم ، اذ يدخل « الوحى » طرفا رئيسا فى حياتنا النظرية والعملية من حيث نحن مسلمون ، لا بد لنا أن نقابل الوحى بقراءة ما ، قد تكون واحدة من تلك القراءات التاريخية القديمة ، لكن ليس ثمة ما يمنع من نجوم قراءات أخرى ، جديدة ، غير تلك القديمة . وليس ثمة حرج فى ذلك طالما أننا نتعامل مع الوحى باعتبار أنه الأصل ، ونتعامل مع مناهجنا باعتبار أنها طرقنا الراهنة لفهم الوحى ووضعه عمليا موضع التنفيذ ، بحسب أنظارنا وأفهامنا الحالية . وموضوعات العلوم الانسانية الحديثة قد أفرزت مناهج لفهمها ودراستها ـ وقد نقول اننا نحن الذين أبدعنا هذه المناهج لفهم تلك الموضوعات : ـ ونحن نستطيع أن نستخدم هذه المناهج لفهم « النص » الدينى ، كما نستخدمها لفهم النصوص غير الدينية . والذى يمكن أن يترتب على هذا نجوم قراءات عدة : قراءة لسانية ، وقراءة بنيوية ، وقراءة وظيفية ، وقراءة فينومينولوجية[1] ، وقراءة برجماتية[2] ، وقراءة ايستيمولوجية[3] ، وغير ذلك من القراءات . **والحقيقة ان هذه القراءات جميعا ممكنة . دليل ذلك أن هناك من يتعلق بها ويستخدمها فى فهم النص القرآنى والدعوة لمضامينه دون الخروج على قواعد « العقيدة » التى يرتبط بها بحبل سرى لا ينقطع .**

القراءة .. واعادة القراءة

لا شك أن هذه المناهج جميعا قابلة للنقد أو للجدل ، ولا شك أنها يمكن أن تقدم النصوص الدينية بثوب يشبه أن يكون كألوان الطاووس ، لكن ما الضرر من ذلك ان كان كل منهج من هذه المناهج

---

(١) الفينومينولوجيا هى فلسفة الظواهر ، أو هى العلم الذى يبحث فى وصف الظواهر وتصنيفها ، وهو وصف علمي للظواهر الواقعية يتجنب كل تأويل أو شرح أو تقويم .

(٢) البراجماتية : هي فلسفة الذرائع ، وهى التى تجعل النتائج العملية مقياسا لتحديد قيمة الافكار وصدقها .

(٣) الأبستيمولوجيا : هي نظرية المعرفة .

يؤدى وظيفة مجدية ويجعل من النص القرآني نصا معاصرا لنا حيا بحياتنا متألقا بألق العصر ، بهيجا بما يخلعه عليه العقل الذى أبدعه الله نفسه وهداه الى ما هداه ! بيد أن ثمة قيدا لا بد من التعلق به فى هذه العملية ، وهو أنه ليس لأحد من أصحاب هذه المناهج جميعا أن يقول أن قراءته هى القراءة الوحيدة الصحيحة ، وأن الوحى فى ذاته هو ما ينتهى الى تحديده هذا المنهج أو ذاك . فهذا غير صحيح ، وهو يشبه تماما قول بعض القدماء ان القراءة الكشفية وحدها هى الصحيحة ، أو ان القراءة البلاغية هى وحدها الصحيحة ، وهكذا . ان الوضع السليم لواقع الحال هو ان يقال أن هذه القراءة أو تلك ممكنة ، وأنها تؤدى وظيفة محددة فى معرض بيان الخطاب الالهى وعرضه على الانسان . وعند هذه النقطة نستطيع القول ان هذه القراءات تمثل انجازا تراثيا جديدا ، هو بدوره تاريخي ، وهو فى حقيقته ابداع لتراث جديد .

ما الذى تصبح عليه ، بعد هذا ، العلائق التى تكلمنا عليها فى مطلع هذا البحث : **علاقة المقدس الدينية ، وعلاقة المقدس القومية ، وعلاقة المقدس الانسانية ؟**

الحقيقة النهائية هو أنه لا شيء مقدس فى التراث ! لأن التراث قد ارتد الى حدوده الطبيعية ، أى الى حدوده الانسانية الخالصة . ونحن لا نستطيع أن نتكلم على قداسة للتراث الا على معنى المجاز . والأنسب أن نتجنب نهائيا الالماع الى وجه كهذا للتراث . لانه لا مسوغ لذلك على الاطلاق ، طالما ان المقدس الحقيقى الوحيد وهو الوحى قد ظل خارج دائرة التراث . ان ما نستطيع الكلام عليه ، بل ما ينبغى الكلام عليه هو تقرير القول ان التراث واقعة لا غنى عنها اطلاقا ، وانه مركب جوهرى من مركبات وجودنا التاريخي .

التوجيه والابداع

ويبقى سؤال ملح هو التالى : **اذا كانت وظيفتنا ابداع التراث ، فما هو التراث الذى ينبغى أن نبدعه ؟ او بتعبير آخر : هل ثمة تراث محدد من واجبنا نحن ، ان نبدعه ونورثه ؟ ام أن ما نبدعه مرهون بظروف الواقع والتاريخ ؟**

الحقيقة ان عملية « توجيه » التراث المبدع ليست أمرا يسيرا فى ظروف العالم الراهنة . لأننا لسنا سادة أفعالنا جميعها ، رغم أننا بكل تأكيد نود أن نكون كذلك . كما أننا لسنا بمنأى عن عوامل الفعل والانفعال الذاتية والخارجية . ولست أجانب الصواب ان قلت اننا « محاصرون » تاريخيا . محاصرون بانماط الفهم التقليدية العقيمة ، ومحاصرون بأوهامنا ورغباتنا وأهوائنا الانانية والطائفية والعشائرية والأسرية والقطرية والشوفينية .

واذا كانت مهمتنا النهائية هى انجاز تراث قومى وانسانى يليق بنا ويحقق وجودنا على نحو سام ، فى هذا العصر وفى الأعصر القابلة ، فان مهمتنا الأولية السابقة على أية مهمة أخرى هى الفعل المباشر من أجل ما أسميته بـ (فك الحصار) المضروب على فعالياتنا الطبيعية والصنعية . وفى اعتقادى أن ما يناضل من أجله مفكرو التيار الجديد الذين يدعون الى (عقلانية نقدية واقعية) هو أمر لا مفر منه . وهو ضرورى لا لأن المعتزلة وابن حزم وابن رشد مثلا قد أخذوا به ، ولا لأن له ما يعززه فى التراث ، وانما لان المعطيات المباشرة لوجودنا العربي الراهن تلزم به الزاما لا محيد عنه . بيد أنه ينبغى أن يظل منا على بال ان « تفرد » العقلانية وريادتها لخطو الانسان العربي الصانع للتراث الممتد الجديد لا يجوز أن يعنى الافتئات على المركبات الأساسية الأخرى للطبيعة الانسانية ، او التقليل من أهمية هذه المركبات وخطورتها . ومن واجب العقلاني أن يعرف قبل غيره أن المركبات البيولوجية والنفسية واللاعقلية والميتافيزيقية .. لها هى أيضا حقوقها فى عملية بناء الانسان . وبهذا الاعتبار عليه أن يجابه المشكلة القديمة نفسها التى جابهها افلاطون وأرسطو وابن سينا وابن رشد ، وهى : كيف يتسنى لنا أن نجعل من هذا الحوذى الذى هو العقل قائدا لهذه العربة التى تحمل كل هذه القوى المتنازعة ، او المتباينة ، او المتفردة ، او المتكاملة ! ؟ □

بقلم : محمود المراغي

في أوروبا يريدون أطفالاً أكثر !

عدد السكان قضية تشغل الجميع . البعض يريد سكانا أكثر ، والبعض يريد سكانا أقل ، والبعض لايريد غير الاستمرار .. بلازيادة أو نقصان .

وبينما يحسم الأمر في النهاية قرار فردي أو عائلي ، فان عوامل عدة تدخل في صناعة هذا القرار ، بينها : موقف الدولة أو الحكومة وماتحبذه من سياسات .

أيضا ، وبينما يصبح الصوت الأعلى لدعوات تنظيم الأسرة وتقليل الزيادة السكانية في العالم الثالث خاصة ، فانه - وفي نفس الوقت - يبرز صوت آخر يقول : لماذا لانزيد عدد سكان هذه الدولة أو تلك ؟ لماذا لانتجب أكثر ؟ .. و .. يقول أصحاب هذا الصوت : « ان الذين يخشون الزيادة السكانية يواجهون خطر نقص الموارد وعدم كفايتها .. أما نحن - هكذا يقولون - فاننا نملك الموارد ولانملك البشر نملك المستقبل الاقتصادي ، ولانملك المستقبل السكاني ، والذي يتهدده النقصان باطّراد ؟ »

النموذج من أوروبا حيث بلغ الكثير من دولها حالة من التوازن يسميها علماء السكان حالة التثبيت .. حيث لازيادة أو نقصان ، وانما يأتي الأطفال الجدد ، والذين يبقون على قيد الحياة ليلعبوا دور الاحلال لآخرين يفارقون الدنيا .

ولأن التوازن لعبة خطرة ، ولأن تكنولوجيا العصر قد ضاعفت امكانية استغلال الموارد ، فان البعض يسلك الطريق الآخر وهو تشجيع الانجاب وزيادة السكان .

وقد مرت بأوروبا عصور عديدة عانت فيها من ظاهرة انخفاض الخصوبة ، وانكماش عدد من تنجبهم المرأة ، ويبقون على قيد الحياة ، ويحددون معدلا لحجم الأسرة .. ففي أوائل القرن التاسع عشر بلغ معدل الوفيات للأطفال فيما يطلق عليه الآن اسم المانيا ثلاثة أطفال بين كل عشرة .. وكان المعدل العام في أوروبا طفلين أي (٢٠) بالمائة من الأطفال . المعدل مرتفع ، لذا كان التباطؤ في النمو السكاني واضحا .

ولم تكن الوفاة هي كل شيء ، فقد حملت سجلات الأبرشيات - وهي مصدر المعلومات لبعض الفترات - أن بعض القرى الفرنسية كانت تعرف تحديد النسل ، وتمارس تخفيضا متعمدا للخصوبة ، وتقف عند حدود الطفلين لكل أسرة ، وكان ذلك في القرن الثامن عشر .

نفس الشيء ، ولأسباب أخرى حدثت في هنغاريا وبولندا في القرن الثامن عشر ، حيث لجأ ملاك الأرض لتحديد حجم الأسرة ، حفاظا على حق الوريث في قطعة أرض مناسبة .. بينما سجلت أسر العمال الزراعيين خصوبة أكبر للمرأة وحجما أكبر للاسرة .

وكما كان الفقر والعوز والمرض أسبابا لنقص السكان ، كان النمو والتقدم سببين لنفس الظاهرة . لقد ثبت - وفي الدول الأوروبية قبل غيرها - أن الوفرة الاقتصادية والصحة والتعليم والتحضر عوامل لتقليل حجم الأسرة والتراجع ، بما يسميه المشتغلون بعلم السكان « مستوى الخصوبة » .

حدث ذلك في الكثير من بلدان أوروبا .. وشهدت بداية هذا القرن انتشار الظاهرة ، حتى أصبح الكثير من الدول الأوروبية « محلك سر » .. وحينذاك تحركت بعض الحكومات في اتجاه عكسي ،

وبدلا من أن تشجع التقييد في الانجاب ، راحت تضع السياسات التي تحبذ كثرة الانجاب .. وكان من هذه الدول التي تمارس هذه السياسة في الوقت الراهن : هنغاريا ورومانيا .

النموذج الأول ـ هنغاريا ـ يثير الانتباه ، فالحالة الاقتصادية والاجتماعية ـ وفقا لأرقام البنك الدولي حالة طيبة . متوسط دخل الفرد ـ وفقا لارقام ١٩٨٢ ـ (٢٢٧٠) دولارا في السنة . معدل النمو (٦،٣) بالمائة سنويا وهو معدل مرتفع ، بينما يسجل التضخم معدلا منخفضا هو (٢،٢) بالمائة سنويا .. وصحة الفرد يعكسها رقم يقول ان العمر المتوقع للطفل الهنغارى عند المولد هو (٧١) عاما ، وهو المتوسط العام للدول الاكثر تقدما .

هناك وفرة اقتصادية ومستوى صحي مرتفع ، ولكن في نفس الوقت فانه لايوجد توقع بزيادة في السكان . التوقع وفقا لحسابات البنك الدولي أن يظل سكان هنغاريا من الآن .. وحتى عام (٢٠٠٠) كما هم وبنفس العدد : (١١) مليون نسمة على أحسن الفروض .

قد يعني ذلك دخلا أكبر للفرد في المستقبل .. وقد يكون سببا في رفاهية معيشية أكثر .. ولكنه قد يعني أيضا : خطرا أكبر ، وهو ماتعكسه أرقام أخرى ، تقول ان معدل المواليد والمتوسط السنوي لنمو القوى العاملة يتراجعان بانتظام ، حتى أصبحت نسبة مايضاف للقوى العاملة في الثمانينيات(وحتى عام ٢٠٠٠ وفقا للتوقع) نصف ماكانت تسجله هذه النسبة في السبعينيات ، وخمس ماكانت تسجله في الستينيات .

لذا ، كان التدخل واجبا لتشجيع الانجاب ، ولتبلغ الخصوبة عام ٢٠٠٠ مايسميه علماء السكان مستوى الاحلال ، وهو المستوى الذي تعوض فيه الزيادة الجديدة الفاقد بسبب الموت .

في عام ١٩٨٢ دفعت هنغاريا (٢،٤) بالمائة من ناتجها المحلي كعلاوات للأمومة والأسرة .. فالنظام يقضي بمنح اعانة شهرية للأطفال ، وهي أعانة تتزايد بعد الطفل الثاني . كذلك تقضي هذه النظم باجازات أمومة طويلة ومدفوعة ، وتمنح اعانات لملابس الأطفال واحتياجاتهم ، وتأمين ضمان العمل لكل أم .. و .. في نفس الوقت واعتبارا من عام ١٩٧٤ ـ أصبح الاجهاض ممنوعا إلا لفئات معينة هي : المطلقة ، والأرملة ، وغير المتزوجة ، والزوجات فوق الأربعين ، ومن لديهن ثلاثة أطفال ، وليس لديهن سكن .

في رومانيا تتشابه الظروف الاقتصادية والصحية من حيث الوفرة وارتفاع متوسط الأعمار .. ولكن معدل المواليد ونسبة نمو القوى العاملة .. في تراجع . ورغم أن هناك زيادة سكانية محدودة الا أن الخطر كان واضحا بسبب الاجهاض ، الذي سجلت أرقامه عام ١٩٦٥ أربعة أضعاف عدد المواليد

وفرت الدولة قدرا من الحوافز الاقتصادية من أجل انجاب أكثر وأعطت قضية الاجهاض اهتمامها ، فحظرته الا في حالات تقدم السن ، أو المرض ، أو وقوع الحمل بسبب الاغتصاب .

كان ذلك عام ١٩٦٦ ، ولكن وبعد ١١ عاما سجلت الارقام أن وفيات الأمهات بسبب الاجهاض غير الرسمي قد بلغت ثلاثة أضعاف ماكانت عليه ، وذلك بالرغم من انتشار وسائل منع الحمل . وبقول آخر فقد أصبح في النموذج الروماني إرادتان .. ارادة الافراد التي تريد أطفالا أقل ، وارادة الجماعة ـ اوالدولة ـ التي تريد أطفالا أكثر ، وبين الارادتين تحاول السياسات الحكومية أن تدفع المجتمع لحجم أكبر ، بعد أن بلغ (٢٣) مليونا عام ١٩٨٢ ، ومن غير المتوقع أن يزيد أكثر من مليون واحدة حتى عام ١٩٩٠ ومليون آخر حتى نهاية القرن .

والنماذج هنا تشير الى أن مسألة السكان ـ سواء بالزيادة أو النقصان .. التحديد او التثبيت ـ قد أصبحت من قضايا العصر التي تشغل بال كل دولة .

لم تعد القضية متروكة للتلقائية ، ولم يعد الأمر خاضعا لقرار خاص يتخذه الزوجان .. ولكن أصبحت الدولة طرفا في هذه العلاقة الخاصة ، وهذا الاختيار الذي يحدد حجم الأسرة ،

الدولة أصبحت طرفا ، والتدخل الاداري أصبح أحد أسس القرار العائلي .. والثقافة والتوعية والحوافز الاقتصادية أصبحت أسلحة تصل بين الاثنين : الفرد والدولة .. وبينما تنتشر في العالم الثالث مقولة « كفى أطفالا ... تنتشر في بعض بلدان الشمال الأوروبي ، مقولة « سيدتي .. لماذا لاتنجبين أكثر ؟ » . □

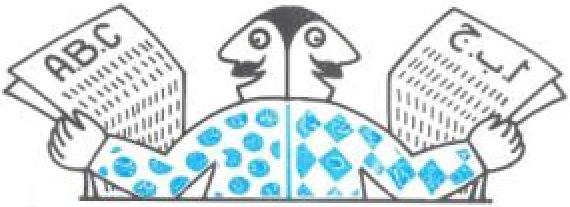

حكايات شرق وغرب

الثروة الحقيقيـــة !

كان صن باتاي العامل الصيني المتقاعد العجوز الـذي جاوز الحـادية والسـبعين من عمـره ، عائدا الى بيته بمدينة زنجزو في اواسط الصين ، عندما احس باحدى قدميه تصطدم بحقيبة ثقيلة على جانب الطريق . وتوقف باتاي وانحنى يفتح الحقيبة ، فاذا به يفاجأ بما لم يكن يخطر له على بال . فقد كانت الحقيبة الانيقة تحوي ثـروة من العملة الصعبة ، عنـدمـا احصوها فيما بعد وجدوا انها تزيد على المائة الف جنيه استرليني .

واعاد باتاي غطاء الحقيبة الى مكانه ، وحملها تحت ابطه وراح يبحث عن اقصر طريق يوصله الى مركز الشرطة الذي لم يدخله مرة واحدة في حياته . وهناك سلم الثروة التي عثر عليها لضابط الشرطة وانصرف في هدوء عائدا الى بيته بعد ان ترك اسمه وعنوانه .

وفي البيت الصغير الذي يحتوي على غـرفتين ويعيش فيه مع زوجته وابنه المتزوج ، جلس الرجل يروي قصته مع الحقيبة والثروة التي امتلأت بها ، ويقول : « لم يخطر ببالي للحظة واحدة ان احتفظ بهذا المال الكثير . كان كل همي عندما عثرت عليه ان اعيده لصاحبه . . ولم يكن امامي الا ان الجأ الى الشرطة لتساعدني ! واستطاعت الشرطة ان تصل الى صاحب الحقيبة . انه احد البنوك المحلية بالمدينة ، وكانت سيارة البنك تحملها مع ست حقائب اخرى تحوي مبالغ كبيرة عندما فتح الباب الخلفي الـذي اهمل الحرس اغلاقه ، وسقطت الحقيبة في الشارع !

وفي مساء ذلك اليوم ، كان باتاي يشاهد برنامج التلفزيون وفجأة سمع اسمه يتردد على لسان رجـل وقور يجلس الى مكتبه . انه مدير البنك الذي اعادت اليه الشرطة المبلغ الضائع . . وراح مدير البنك يشيد بامانة باتاي ويتوجه اليه بالشكر بينما كان العـامل العجوز يستمع الى كلماته وهـو يشعر بـالفخر بين اصدقائه ومعارفه وجيرانه الذين جاءوا يهنئونه !

قالوا بعد ان انتهى التلفزيون من اذاعة الخبر : « الم تحصل على المكافأة التي تستحقها على امانتك ؟ » .

وقـال بـاتـاي : « بل حصلت عليهـا واكـثر . . يكفي انني اعيش اليوم مكرما وسط اسرتي الصغيرة واصدقائي . . انني فخـور بما فعلت . . هـذه هي ثروتي الحقيقية ! » .

الفتاة الصغيرة الغنية المسكينة !

كان أبوها سكيرا عربيدا قاسي القلب ، أما أمها فقد ماتت منتحرة وعاشت هي محرومة من الحب الذي تبحث عنه كل طفلة . . كانت تنتقل من بيت الى بيت مع المربيات اللواتي كن يتغيرن كما تتغير الملابس التي تضع فيها جسمها الصغير .

كانت خجولة وكانت تشعر دائما بالوحدة حتى وهي تسير في أكثر شوارع المدينة ازدحاما . . قال لها أبوها يوما بعد أن لعبت الخمر برأسه وزاغت عيناه : « يجب أن تعلمي أيتها المخلوقة الضعيفة أن ٩٩ ٪ من سكان هذا الكوكب الذي تعيش فيه قد جاءوا اليه « صدفة » !!

وسط هذه البيئة التعسة ولدت ونشأت المليونيرة الأمريكية « باربارة هاتون » صاحبة محلات « وولورث » التي تنتشر في جميع أنحاء الولايات المتحدة وأوروبا،وقد رحلت باربارة عن عالمها التعس الذي عاشت فيه طفولتها وشبابها في عام ١٩٧٩ ، بعد حياة مليئة بالآلام والأحزان . .

حتى وهي طفلة في السادسة ، لم تدرك بالضبط ماذا يعني هذا الكلام الذي تسمعه عندما جاءوا يقولون لها : « لقد ورثت عن جدك محلات وولورث التي تصل قيمتها اليوم ما يوازي خمسمائة مليون جنيه استرليني » .

فقد عاشت باربارة بجرح لا يندمل طوال حياتها . . كتبت يوما عندما بلغت عامها الثالث عشر تقول : « سوف أعيش حياتي عانسا . . أنا أعلم أن أحدا لا يحبني ، واذا وجدت هذا الحب فلن يكون لي ، وانما سيكون لما أملك من مال ، انني أعلم أنني سأعيش حياتي مع الوحدة !! »

وفي كتاب جديد اختار له مؤلفه عنوانا يعبر عن المأساة التي عاشتها باربارة هاتون الفتاة الصغيرة الغنية المسكينة ، يستطيع المرء أن يقرأ صفحات من حياتها التي أمضتها في بعثرة الملايين بحثا عن الحب . . كانت تريد أن تتزوج رجلا يحبها لذاتها . . وتزوجت سبع مرات ، وفشلت زيجاتها السبع في اسعادها .

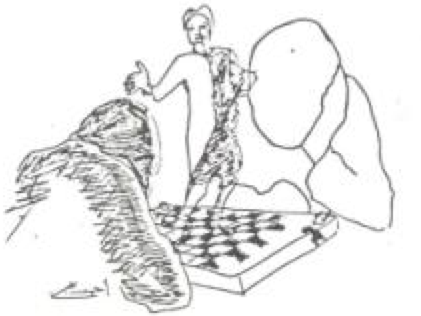

لقد كانت باربارة قادرة على أن تشتري أي شيء وكل شيء ، وعندما صور لها خيالها في احدى مراحل حياتها التي امتلأت بالمرارة واليأس ، أنها ربما استطاعت بفضل ثروتها أن تعيش حياة سعيدة بعيدا عن الرجال الذين كانوا يطلبون ودها من أجل مالها ، سارعت الى شراء قصر منيف في مدينة طنجة وجلست فوق عرش مطعم بالذهب ، وراحت تستقبل ضيوفها كما كانت تفعل كاترين العظمى امبراطورة روسيا القيصرية .

ولكنها ما لبثت أن ملت حياتها الجديدة التي امتلأت بالنفاق ، فتركت القصر وسافرت هاربة الى باريس وأقامت في جناح خاص بفندق ريتز ، وكانت تدفع في الليلة الواحدة مبلغا يوازي الآن أكثر من ثلاثة آلاف جنيه استرليني . ثم تركت هذا كله ومشت حافية فاذا بها تجد نفسها تعيش وسط غابة !

وعندما تقدم بها العمر راحت تبحث عن السعادة في مكان آخر . .

« في المكان الوحيد الذي أعاد اليها الشعور بأنها مازالت تعيش وتتنفس » كما وصفته باربارة هاتون ، في القصائد التي كتبتها وهي تحاول أن تضع فيها بعضا من أحاسيسها ومشاعرها . . ولم يكن هذا المكان سوى الجمعيات الخيرية والمؤسسات التي تعنى بالفقراء والمحرومين . . وأخذت تغدق عليها وتهب الملايين للمحرومين .

ولكن سعادتها لم تطل . . فقد بدأت تشعر بالشيخوخة تزحف الى جسدها النحيل وقلبها

المريض ، فذهبت الى فراشها تطلب فيه الدفء .. ولكنها لم تستطع أن تغمض عينها .. لقد هرب النوم من رأسها المتعب المهموم .

يقول مؤلف الكتاب دافيد هيمان : « وعندما ماتت المليونيرة التعسة ، وجاءوا ليحصروا تركتها ، لم يجدوا شيئا لقد ذهبت ثروتها كلها .. وعادت فقيرة ، وهي أمنية كانت تعيش لها ، ولكنها لم تتحقق الا بعد رحيلها !!

الوحوش في حراسة الانسان !

● مفاجأة تنتظر اللصوص الذين احترفوا السرقة في تايبه عاصمة جزيرة فرموزة ! فقد رأى رجال الاعمال الاثرياء ان الكلاب البوليسية لم تعد قادرة على حمايتهم وحماية اموالهم وممتلكاتهم امام الاساليب الارهابية التي تفتقت عنها اذهان محترفي السرقة والاجرام ، فما كان منهم لأول مرة في تاريخ مكافحة الجريمة ، الا ان لجأوا الى استخدام الحيوانات المتوحشة بدلا من الكلاب .

وفي مقدمة الوحوش التي تتولى الحراسة الآن الاسد والنمر والغوريلا والدب القطبي ، وهم يدفعون مبالغ ضخمة في سبيل الحصول عليها من حديقة الحيوان او عن طريق البحارة الاجانب الذين يدخلون هذه الوحوش خلسة الى البلاد بعيدا عن اعين رجال الامن والجمارك .

وفي بيت احد رجال الاعمال المتقاعدين ، وهو ثري كبير ، تمرح خمسة نمور في الحديقة الواسعة ، بينما يقف قرد من نوع الشمبانزي على مقربة من الباب الخارجي ، علموه كيف يقرع الطبول التي صفت امامه عندما يسمع صوتا غير مألوف .

ويقول رجل الاعمال صاحب النمور والقرد ، انه كان قد تعرض للسرقة عدة مرات ، بمعدل مرة او مرتين في السنة الواحدة ، ولكنه الآن يستطيع ان يغمض عينيه وينام وهو مطمئن ! .

حياة ربة البيت في ايطاليا مهددة بالخطر !

● عمل ربة البيت في ايطاليا ، وظيفة محفوفة بالمخاطر ! هذه هي النتيجة التي توصل اليها اتحاد شركات التأمين على الحياة في العاصمة الايطالية . ففي عام ١٩٨٣ بلغ عدد الحوادث التي ادت الى اصابات مختلفة اكثر من ٨٠٠ ألف حادث ، أصيب فيها أكثر من مائة ألف شخص ، و ٧٠٠ ألف امرأة ، بعضهن كانت اصاباتهن خطيرة أدت الى عجز تام ، بينما بلغ عدد الوفيات اربعة الاف .

وتقول الاحصائيات المعلنة ان اكثر من نصف الاصابات كانت نتيجة للسقوط من فوق السلم الصغير المتنقل الذي تستخدمه ست البيت للوصول الى الاماكن العالية لتنظيفها ، او بسبب السقوط فوق بلاط المطبخ . وبلغت نسبة الاصابات بين النساء اللواتي تعرضن للارتطام بالمقتنيات في البيت اكثر من ٣٠٪ ، واصابات التسمم ٣٪ ، والاصابات الناجمة عن الحروق ٣٪ ، وكذلك الاصابات الناجمة عن الاختناق او التعرض لصدمة كهربائية فقد سجلت هي الأخرى نسبة لا تقل عن ٣٪ .

ثم ماذا ؟ لقد اكتشفت شركات التأمين ان الوفيات بين النساء اللواتي يقمن بأعمال البيت التي تفرضها عليهن وظيفتهن كزوجات وامهات تبلغ ثلاثة اضعاف الوفيات بين اي فئة اخرى من النساء اللواتي يزاولن اعمالا اخرى ، حتى اصبح قائد سيارة السباق اكثر امنا على حياته من ربة البيت !

الشـقيقتـــــان !

دخلت الجـدة العجـوز « نيلي كيف » التي جـاوزت العام السبعـين من عمـرهـا ، مسابقة لاختيـار أجمل جـدة . ونشـرت الصحف البريطانية صورتها مع بقية الجدات المتسابقات ، وفي صباح اليوم التالي كانت جدة اخرى تدعى كويني فيليبس ، تمسك بالصحيفة وتقرأ تفاصيل المسابقة ، وتتأمل صور المشتركات باهتمام ، وما كادت تصل الى صورة الجدة نيلي حتى توقفت عندها وراحت تتأملها في حيرة ودهشة ، ثم ما لبثت ان أسرعت الى مرآتها تتأمل وجهها هي ، وراحت تحدث نفسها : « هل يمكن ان يكون هذا صحيح ؟ هل يمكن أن تكون هي ؟

ولم تطل حيرتها ، فقد اسرعت تتصل بها تليفونيا بعد أن حصلت على رقم تليفونها من الصحيفة . . وعلى الجانب الآخر من الخط سمعت صوتها . . وصرخت : أنت نيلي . . ؟ نعم انا . . انت شقيقتي إذن . . هل تذكرين ؟

وصـرخت نيلي بـدورهـا . . واختلط صوت الشقيقتين بـالـدمـوع . . وكـان اللقاء في مدينة بورتسموث بانجلترا . . ما القصة ؟

لقد افترقت الشقيقتان منذ اكثر من خمسين عاما . . وكان اللقاء اخيرا بعد أن ظننا كل الظن أن لا تلاقيا !

ان الشقيقتين جدتان اليوم لخمسة وثلاثين حفيدا !

نهاية رحلــة كاتـــب !

حتى عندما كان صبيا صغيرا ، كانت تراوده دائما الرغبة في ان يصبح كاتبا مرموقا . . وقد بدأ بالفعل في هذه السن المبكرة بكتابة الموضـوعات الانشائية وقصائد الشعر .

وعنـدما بلغ العشـرين ، استطاع رافـائيل ستامبلوتو ، وهذا اسمه ، ان يفرغ من كتابة اول مؤلف له ، ثم ما لبث ان حمله وذهب به الى احدى دور النشر الكبرى في مدينة ميلانو بايطاليا !

وقرأ الناشر القصة ، ولكنه ما لبث ان اعادها الى « الكاتب » الصغير قائلا : لا تصلح ، لأنها تفتقر الى الواقعية . . . ان الكاتب يا بني لابد ان يخوض تجربة الحياة حتى يستطيع ان يكتب ! وقرر رافائيل ان يلتحق بالفرقة الاجنبية في فرنسا وسافر الى مرسيليا ، واصبح محاربا مأجورا .

وعاد بعد عامين ليكتب من جديد ، وقرأ الناشر ما كتب ، وقال : ليس في كتابك الجديد قلب يخفق ! انه موت ودماء بلا دموع ، لم اجد لمسة دفء واحدة بين سطوره !!

ولم ييأس رافائيل ، راح يجري من جديد ، وكانت تجربته في هذه المرة مع المغامرات الغرامية ، ثم ترك ضحاياه وعاد ليكتب . وقرأ الناشر كتابه وقال : « اين المغامرة في كل هذا . انها قصص يمكن ان تجد ابطالها في اي مكان !

وقرر « الكاتب » ان يذهب الى احراش افريقيا ، وعاد بعد عامين يحمل كتابا جديدا ! ولكن الناشر عاد يقول : « لقد تغير مزاج القارىء . . انه يبحث عن العنف والحركة . . وليس في كتابك اي شيء غير تجاربك مع الحيوانات المتوحشة التي كنت تطلق عليها الرصاص فتسقط امامك بلا مقاومة ! »

واحس رافائيل بخيبة امل ، ولكنها لم تستطع ان تثنيه عن عزمه وفي هذه المرة ، خرج يبحث عن « العنف » ووجده في تلك المحاولة التي قام بها للسطو على أربعة محال تجارية ومصرف كبير في مدينة ميلانو الايطالية !

وقبض عليه بعد معركة مع رجال الشرطة ، وقدم للمحاكمة وحكموا عليه بالسجن لمدة عامين !

قال وهم يسوقونه الى زنزانته : « من يدري فقد استطيع ان اضع كتابي الجديد عن الحياة داخل السجون !!

الشبابُ .. والإدمان !

بقلم : الدكتور دري حسن عزت*

اذا كانت الحضارة الحديثة قد يسرت الكثير من سبل حياتنا ، وأشاعت فيها مزيدا من القوى والامكانات ، وألوانا من المتاع والوفرة ، فانها لم تعفنا من ضجيجها ومنغصاتها ، حتى استغلقت دروب الامن أمام بعض الشباب ، وضاقت صدورهم عن معايشة الواقع ، فاجتذبتهم المواد المخدرة لترمى بهم في عوالم الضياع والدمار.

وفي هذا الموضوع نتعرف الى خطورة هذه المواد ، وسبل وقاية شبابنا منها ، ومعالجة أولئك الذين جرفهم قدرهم التعس الى التردي فيها .

انتشر استعمال المواد الادمانية بين سائر فئات المجتمع في العقدين الأخيرين وظهرت الاثار السلبية لذلك وتنبه الجميع الى خطورة الظاهرة والى ضرورة اتخاذ الاجراءات لمكافحتها حاليا وللوقاية من زيادة انتشارها مستقبلا .

فبعد ان كانت المواد الادمانية لاتتعدى المشروبات الكحولية والحشيش والافيون ومشتقاته اشتملت الان على المهدئات النفسية والمنومات والمنشطات والمواد « المهلوسة » مثل حمض الليثارجيك وكذلك استنشاق المواد الهيدروكربونية التى تدخل فى تكوين الأصباغ والاصماغ والبنزين .

وبعد ان كانت اغلب أعمار المدمنين حول مرحلة منتصف العمر تدنت مؤخرا لتصل الى سن الشباب أي حول سن العشرين وفى بعض الاحيان حول سن العاشرة . وبعد ان كان الادمان ينتشر بين الذكور بدأت تظهر حالات قليلة بين الاناث ، كما زادت نسبة دخول حالات الادمان الى مصحات العلاج النفسى بالنسبة الى الدخول الكلى لكافة الامراض من

* استشارى الطب النفسى ـ الكويت

٣ ـ ٥ ٪ في الماضى لتصل الى حوالى ١١ ـ ١٣ ٪ : في الحاضر .
هذه بلا شك مؤشرات واضحة تدق الناقوس عاليا ليسمعه المسئولون عن قطاعات الشباب وغيرهم لأخذ الامر بالجد الذى يستوجبه .

أسباب الانحراف

هذا المجال مازال فى حاجة الى مزيد من البحث والاستقصاء ، فهناك من يقول إن الشباب يواجه الضغوط والحرمان ، ولايستطيع قسم منه مواجهة ظروف حياته الصعبة فيهرب الى استعمال المواد الادمانية التى تبعده فى الخيال عن واقعه مؤقتا . وهناك من يقول ان الكثيرين يدمنون بالرغم من أن حياتهم راغدة وظروفهم سهلة لاتسبب ضغطا ولاحرمانا ، وهذا القول صحيح ، ولكن بالرغم من هذه الظواهر المتناقضة فإن هناك ثوابت يمكن الاعتماد عليها .
فبشكل عام يواجه الشباب فى المجتمعات المتقدمة مستقبلا غامضا ، إذ انه بالرغم من عظم الجهد المطلوب منه فى حاضره فإن المقابل المتوقع له مستقبلا لايوفر له حياة مستقرة ، فالبطالة وصلت الى أكثر من ١٥٪ من قوة العمل ، ويقع على الشباب العبء

الاكبر من آثارها ، والوضع فى البلاد النامية اكثر سوءا من ذلك بكثير ، ناهيك عن البطالة المقنعة التى تسبب الملل والحرمان من تأكيد الذات وتحقيقها ، كذلك يُدفع الشباب أحيانا للقيام بمهام وتحمل أعباء ليست لديهم القناعة الكافية بضرورتها والمثل الواضح على هذا هو حرب فيتنام ، فنتيجة للاحباط الذى اصاب الشباب الامريكى بسبب هذه الحرب انتشرت بين صفوفه موجة عارمة من الادمان لم يفق من آثارها حتى اليوم .

كذلك سرعة إيقاع الحياة الحديثة وما يتبع ذلك من حدة المنافسة بين الأنداد لتحقيق الاهداف ، وكثرة المتطلبات الحياتية مع محدودية الامكانيات لتلبيتها وازدياد معدل المتغيرات فى المجتمعات ومايستلزمه ذلك من تقبل للقيم الجديدة وضرورة التأقلم على الاوضاع المتجددة ، والشعور بالفجوة بين الاجيال ومفاهيمها المتناقضة ، والمعيشة فى بيئة قلقة كأنها موقوتة من الاحداث التى لاتهدأ ولاتسمح لاحد باستقرار أو هدوء ، كل هذه العوامل تشكل فيما بينها محصلة من الضغوط تعمل عملها فى انسان العصر مما يثير عنده الاحساس بالاغتراب ويدفعه للهجرة الذاتية داخل النفس أو يثقل عليه شعوره بواقعه فيحاول التخفيف من وطأته باستعمال المهدئات او المنومات او المنشطات او المخدرات التى سرعان مايقع فريسة الادمان لها ، كذلك يميل الشباب بطبعه الى التحرر والانطلاق والتعبير عن نفسه وتأكيد ذاته ، وعلينا أن نعترف ان الشباب فى معظم البلاد النامية لايجد امامه المساحة الكافية فى وسائل الاعلام الحديثة للتعبير المأمون عما يجيش به صدره ، وهذا من العوامل التى تدفع البعض منه الى التنفيس فى عالم الخيال الذى تعوضه له المواد الادمانية عما يعجز عنه فى عالم الواقع ، ويلاحظ ايضا ان الادمان ينتشر بين الشباب الذى ينشأ بين الاسر المفككة التى يسودها الاضطراب والفوضى ويحكمها الجمود والقسوة والتسلط ، او تتراخى فيها سلطة الوالدين اوتهتز فيها صورة الاب المثالى بسبب انحرافه او ادمانه هو الآخر .
وأخيرا ، فقد اعلن مؤخرا ان البلاد التى تزرع النباتات المخدرة زادت انتاجها كوسيله للتغلب على أزماتها الاقتصادية فتضاعف التصدير للاسواق العالمية

مما نتج عنه انخفاض سعرها وتوافرها بين أوساط الطلبة والعمال ، ناهيك عن تقدم تكنولوجيا التهريب والترويج وسطوة رجال العصابات مثل (المافيا) وغيرهم وفعاليتهم في توريد المخدرات ونشرها بين راغبيها

اعراض الادمان :

ينتج عن إدمان بعض المواد التي أتينا على ذكرها مجموعة من الاعراض ، هذه تتوقف على نوع المادة الادمانية :

فالافيون ومشتقاته كالمورفين والهيرووين يُشعر المستعمل بحالة من الخدر الحسي تشبه الحلم مع الغبطة والانفصال عن الواقع تستمر لبضع ساعات يعقبها شعور بالانحطاط والانقباض مما يدفعه للبحث عن جرعة اخرى ترجعه للحالة الاولى ، ويستمر هكذا مع اضطراره لزيادة الجرعة للحصول على نفس الاثر ، واذا اضطر المدمن للتوقف فجأة عن التناول حدثت ردة فعل قوية تعرف « بالحالة الانسحابية » تبدأ بعد ساعات من الانقطاع وأهم اعراضها القلق والخوف وعدم الاستقرار ، مع التثاؤب والعرق وزيادة الافرازات وكذلك الغثيان والقيء والاسهال ، مع تقلصات بالبطن والآم بالجسم .

الكوكايين :

وهو منبه للجهاز العصبي«ويتناول بالحقن او الاستنشاق ويسبب النشاط البدني وقوة الرغبة الجنسية والشعور بالغبطة .

واعراض التسمم تشمل الاضطرابات العقلية والشعور بالاضطهاد واحساس بزحف الحشرات فوق الجلد ، واستنشاقه يسبب التهابات وتقرحات للغشاء المخاطي للانف .

الحشيش او (الماريهونا):

هو من اقدم انواع المخدرات واكثرها انتشارا في العالم بين مختلف الاجناس والطبقات والاعمار ، والماده الفعالة هي مادة الكانا بينول

ويستعمل عن طريق التدخين ويسبب حالة تشبه الحلم حيث تكون الافكار تجري بغزارة دون ترابط او سيطرة اوقيود ، كذلك يختل إدراك الوقت والمكان وتقدير الأبعاد ، وبالتعود عليه يصبح المرء متبلدا كسولا ، لايعنيه مايدور حوله ويفقد الدافع الارادي لتحسين احواله وينعزل عن النشاط الاجتماعي الايجابي .

وللحشيش شهرة أن له مفعولا منشطا للقدرات الذهنية والنشاط الجنسي عند الرجال ، لكن ذلك لم يثبت بالدليل العلمي .

القات :

تمضغ الاوراق وتخزن بالفم ويستحلب عصيرها ويبلع ، وتحدث القات تنبيها للجهاز العصبي وشعورا بالغبطة والرضا وحسن الحال ، يصاحب ذلك ميل للثرثرة والخلط في مواضيع التفكير والكلام . وبانتهاء المفعول يشعر المتناول بالتبلد والاكتئاب وفقدان الشهية للطعام .

عقاقير الهلوسة

واهمها حمض الليسارجيك

وينتشر استعماله بين بعض الشباب الفاشلين والعاطلين عن العمل ،وتؤخذ هذه العقاقير عن طريق الفم بجرعات صغيرة جدا ، لهذا فخطر انتشارها كبير إذ أن تهريبها وايصالها للمستعملين لايشكل مخاطرة كبيرة . وتسبب هذه العقاقير حدوث الهلاوس وبالاخص البصرية منها فيرى المتناول مناظر عجيبة بألوان متغيرة وتفاصيل غريبة وتراكيب تتصل وتنفصل ، وتتداخل وتختفي»وتظهر على هيئات واشكال لانهائية في تغيرها تسبب احساسا بالذهول والاغتراب والذعر احيانا ، ويكون الذهن صافيا يراقب مايدور في حالة من الاندهاش والاستسلام والاستغراق ، وبعض من يتناولون هذه العقاقير تحدث لهم حالات اضطراب عقلي تشبه مرض الفصام .

الأمفيتامين :

هو منبه للجهاز العصبي ويستعمله بعض الطلبة قبل فترة الامتحانات واثناءها لازالة الشعور

بالتعب والتغلب على النعاس وسرعة الاستيعاب ، وبعض الاناث يستعملنه للتحكم فى الشهية وتخفيف الوزن ، وبشكل عام يولد الامفيتامين الشعور بالثقة فى النفس وتزايد الطاقة البدنية فيتعاطاه الشباب فى البلاد الغربية قبل حضور الحفلات الصاخبة ليزداد عندهم الصخب وينشطون بلا تعب فى الرقص والغناء والصراخ والاستمتاع ، والادمان على هذا العقار يؤدى الى حدوث حالات اضطراب عقلى تشبه مرضى الفصام وتحتاج للعلاج فى المستشفيات النفسية ، كما يمكن ان تحدث اضطرابات سلوكية غريبة على الطباع الاصلية كالتورط فى السرقات والمطاردات الجنسية دون كبح أو سيطرة ، والكثيرون اهملوا اعمالهم وفشلوا فى دراساتهم او الانتظام فى الحياة الاجتماعية المنتجة .

ومن العلامات الكاشفة للادمان المبكر على الامفيتامين ، ان المدمن يسرف فى عملية المضغ دون أن يكون فى الفم مايمضغ ، وكذلك الكز على الاسنان واحتكاك اللسان من جانبيه بداخل الشفة السفلى إلى درجة التقرح لكليهما .

ويمكن ان تصدر من المدمن افعال خطرة ضد المجتمع كالاعتداء على الآخرين والعنف تجاههم او ارتكاب جرائم القتل نتيجة للمعتقدات الوهمية الاضطهادية او يقدم على الانتحار فى اثناء نوبة من الاندفاع والاستهانة بالمخاطر او نوبة من الاكتئاب الشديد واليأس وفقدان الامل .

الادمان على المشروبات الكحولية :

تعرف منظمة الصحة العالمية المدمنين على الكحول بأنهم « هؤلاء الذين يشربون باسراف ويعتمدون على الكحول فى حياتهم بحيث تظهر عليهم تبعا لذلك اضطرابات عقلية واضحة ، او يؤثر فى صحتهم النفسية والبدنية ويقلل من كفايتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الاجتماعية ، أو الذين تظهر عليهم العلامات الاولى لهذه المرحلة » .

وجدير بالذكر أن تناول الكحول بكميات كبيرة بشكل متقطع غير ادمانى يمكن أن ينتج عنه سلوك عدوانى وتصرفات متفذة اجتماعيا وخلقيا بسبب ضعف القدرة فى السيطرة على النفس . وبعض الناس يتصرفون بعنف وعدوان حتى بعد تناول كميات قليلة من الكحول ولو كان ذلك لاول مرة .

أعراض الادمان على الكحول :

الاعراض البدنية :

- آلام واحساسات غريبة أوفقدان الاحساس فى منطقة القدمين واليدين نتيجة التهاب الاعصاب الطرفية .
- التهاب المعدة المزمن والقرحة نتيجة لتهيج الغشاء المخاطى .
- رعشة فى اليدين او البدن بأكمله .
- تليف الكبد وتضخمه ومن اعراضه القىء الممزوج بالدم .
- التهاب الحنجرة والشعاب الهوائيه نتيجة الاسراف فى التدخين ، فالادمان على الكحول غالبا ما يصاحبه الاسراف فى التدخين .
- نوبات صرعية لتهيج انسجة المخ نتيجة الاغراق المائى لمن ادمنوا تناول البيرة .
- التهاب العصب البصرى مما يؤدى لفقدان البصر بسبب تناول الخمر الرديئة او شرب ماء الكولونيا او الكحول المثيل المستخدم فى الصناعة .
- يصبح المدمن سريع الاستثارة ضيق الصدر دائم القلق والاكتئاب .
- تضعف عنده الذاكرة للاحداث القريبة وتتطور الحالة يمتد الضعف للاحداث التى تتعلق بالماضى .
- يعانى المدمن من المعتقدات الوهمية الباطلة ، وبالاخص التشكك فى سلوك الزوجة واتهامها بالباطل فى إخلاصها .
- الهلاوس السمعية المزمنة اذ يسمع أصواتا تسبه وتلعنه وتقلل من شأنه .
- بطء الانعكاسات العصبية وخلط المدركات مما يسبب الحوادث السيئة .

مضاعفات الادمان :

- بسبب تلوث الحقن تحدث الالتهابات الجلدية والخراج الموضعى ، كذلك تخثر الاوعية الوريدية كما تنتقل الأمراض مثل التهاب الكبد الوبائى وداء الزهرى والملاريا .

- عدم القدرة على العمل المنتج مما يؤدى الى الطرد من الوظيفة أو العمل وفقدان مصدر الرزق .

- الفشل فى الدراسة بالنسبة للطلبة وضياع المستقبل .

- إهمال الأسرة وضياع الصغار من افرادها نتيجة لادمان ربها العائل لها

- التدهور الاجتماعى والخلقى ، اذ يضطر المدمن الى ارتكاب الجرائم للحصول على المال لشراء المخدرات او يُدفع الى ذلك بواسطة المروجين مقابل الحصول على المخدر فينغمس اكثر فى الجريمة ويعيش فى العالم السفلى من المجتمع .

علاج الادمان :

يهدف العلاج الى تغيير السلوك الادمانى بالكلية الى سلوك اكثر توافقا ، ولهذا يلزم دخول المريض لمصح خاص بالادمان يتوافر فيه العلاج الشامل من بدنى ونفسى وتأهيل والبقاء فى المصح لفترة قد تطول لشهور عدة لعزل المريض عن ظروفه التى دفعته للادمان ولحمايته من مطاردة المروجين وصحبة المدمنين الذين يؤثرون عليه باغرائهم له بالرجوع الى الادمان اذا أخرج من المصح مبكرا ، ويجب تضافر جهود المهتمين بالعمل الاجتماعى فى التأهيل ، ولرجال الدين دور اساسى فى تنمية القوى الروحية لدى المريض لمقاومة الاغراء والانتكاس .

الوقاية من الادمان :

الوقاية هى انجح العلاجات لحماية الصغار والشباب من مشاكل الادمان ومضاعفاته ، ليس فقط من اجل الجيل الحالى بل أيضا من اجل اجيال المستقبل التى لم تولد بعد .

وللاسرة الدور الاول فى هذا المجال ، اذ يجب ممارسة سلطة الوالدين لوضع الموانع والحدود امام الابناء ومراقبة التزامهم إياها،وعلى الوالدين مناقشة السلوك غير المرضى عنه مع ابنائهم بكل وضوح ، ووضع المثال الذى يجب أن يحتذى امامهم . فالابناء يحتاجون لهذا الارشاد ويرحبون به لكننا نجد فى أحيان جديدة انهم يفتقدون هذه الرعاية الاسرية الاساسية .

وعلى رب الاسرة ان يؤكد على القيم والأخلاق حتى ينشأوا عليها ويهتدوا بها فى حياتهم ، فاذا وضحت هذه المفاهيم للابناء منذ صغرهم اصبحوا محصنين ليس فقط ضد الادمان بل ضد جميع أنواع الانحرافات ، وليس أنفع من قيم الايمان الصحيح وأخلاقه السامية يُحصّن بها الابناء وتُسلح بها الاجيال .

وعلى وسائل الاعلام وبالاخص التلفاز ، بث التوعية المستمرة المستنيرة التى يقوم بها المتخصصون على أن تكون ضمن خطة قومية شاملة لمكافحة الادمان ، ولن يجدى فى مجال التوعية حديث فردى عابر ، ويجب ان يُراقب بوعى كل ما ينتج ويعرض من مسلسلات وافلام عن الادمان ، فالبعض من هذه الوسائل رغم ادعائها التوعية لمضار الادمان تحتوى من المشاهد والمواقف والحوار مايمكن اعتباره مدعاة اليه وترغيبا فيه ، وقد تعلم الصغار الكثير عن ممارسة الادمان خلال افلام الفيديو التى يشاهدونها سرا فى غفلة من مراقبة الكبار .

كما يجب التدقيق فى الحصول على الأدوية المهدئة والمنومة والمنشطة من الصيدليات والمستشفيات ، اذ ان هذه الادوية يساء استعمالها فى بعض الاحيان وتتخذ بديلا عن المواد الادمانية الاصلية فى حال عدم توافرها ، وهذا التدقيق يجب أن يسرى فى جميع بلاد المنطقة الواحدة فلن يجدى التدقيق فى بلد ما بينما التفريط موجود فى آخر .

وفى الختام نحب أن نبين مرة اخرى ان الشباب ينزع بطبعه الى الحرية والانطلاق وحب المغامرة والتجربة واشباع الفضول .

وعلينا ان ننظر الى الشباب ومشاكله بنظرة متفهمة وبروح متعاطفة ومساندة ، ونيسر له قنوات التعبير الكافية ليفصح عن ذاته فى أسلوب مأمون ملائم ، لكيلا يدفع الى دروب خفية يلتمس فيها ما حُرم منه إذا ما أحيط بجو من القهر والجمود والحرمان ، وعلى الشباب أن يضع المستقبل نصب عينيه ، فالمستقبل له وهو صانعه ، والمجتمع ينظر الى الشباب بثقة واكبار ويتوقع منه الخير الكثير لحاضره ومستقبله . □

الرأي ، والرأي الآخر . . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

منتدى العربي

قضية

تعريب التعليم في الجامعات

بقلم : عبد الرزاق البصير

بالرغم من صدور ونشر مئات الكتب والدراسات ، ربما قبل بداية هذا القرن ، حول ضرورة تعريب التعليم في أقطارنا العربية ، وبالرغم من حصول بعض هذه الأقطار على استقلالها منذ ما يزيد على نصف قرن . .

مع ذلك فان بعض المواد العلمية مازالت تدرس بلغات أجنبية في جامعاتها ومعاهدها . .

فما هي العقبات والصعوبات التي تقف حجر عثرة بوجه التعريب ، وكيف كان الأمر في زمن سابق على زماننا ؟

من المحقق أن المثقفين من الانجليز والفرنسيين والألمان ، وفي كل الشعوب المتحضرة لا يفكرون في التعليم بلغاتهم ، لان ذلك أمر أصبح من المسلمات ، فكل أمة حية تعلم أبناءها بلغتها ، ومن المؤكد أن بعض هذه الأمم ابتلي بمثل ما ابتلينا به من سيطرة المستعمرين ، ولكن هذه الأمم لم تكد تستقل وتسيطر على شئونها حتى جعلت التعليم في جميع مراحله بلغاتها من بديهيات الاستقلال ، ومن عجب أننا معشر العرب الذين نمتلك لغة تعد من أقدر اللغات على استيعاب ما يجد في الحياة ، بشهادة التاريخ الذي مرت به الأمة العربية الاسلامية أيام ازدهارها وقوتها،من عجب أننا ما زلنا ندعو الى تعريب التعليم على الرغم من مرور أكثر من قرن من الزمن على بداية تعريب التعليم ، فمن المعروف أن الطب كان يدرس باللغة العربية في مصر أيام محمد علي الكبير المتوفي سنة ١٨٤٩ .

فالمفروض والحالة هذه أن نكون قد تجاوزنا معالجة قضية التعليم بلغة القرآن في جميع مراحل التعليم ، وينبغي أن نكون قد انتهينا من بحث هذه القضية وأصبحت في الواقع العملي منذ مدة طويلة ، فان التعليم باللغة القومية أصبح من المسلمات عند جميع الأمم الحية كما أشرنا الى ذلك قبل قليل ، فهي لا تحتمل الأخذ والرد ، فمن المعروف أن جميع الامم التي لها لغة قومية متكاملة أصبحت تعلم أبناءها بلغاتها في جميع مراحل التعليم ، وهذه ايران سعت حثيثا الى اتخاذ الفارسية وسيلة للتدريس في الطب والصيدلة والهندسة والزراعة وغيرها من الفروع العلمية ، وهذه الهند سعت بعد استقلالها الى استخدام اللغات الهندية وحدها أو بالاشتراك مع الانجليزية في التعليم العالي للعلوم البحتة والتطبيقية ، وتوضع الأن باللغات الهندية كتب في مختلف العلوم لتدريسها في الجامعات ، وهذا الكيان الصهيوني يستخدم اللغة العبرية في تدريس العلوم ، وقد نجح الصهاينة في ذلك نجاحا كبيرا في بضع سنين .

الآن وليس غداً !

والأمثلة على تعليم الأمم أبناءها في جامعاتها ومعاهدها بلغاتها القومية أكثر من أن تحصى ، فالصين واليابان قد سلكتا هذا السبيل ، على الرغم مما في لغاتهما من تعقيدات شديدة نشأت عن تراكيبها . ان الزام اللغة القومية في التعليم من الأمور التي لا تقبل النقاش ، وذلك ان التعليم الجامعي باللغة القومية من أهم عناصر تقرير المصير ، وهو أمر يعتمد على اتخاذ القرارات الحاسمة من قِبَل مَنْ بيدهم الأمر والنهي ، وكمثال على ذلك ما حدث في الجزائر ، حيث أن المشتغلين في التربية والتعليم عقدوا مؤتمرا حضره المرحوم هواري بومدين ، وأخذوا يتحاورون حول السؤال القائل « متى نبدأ في تعريب التعليم ؟ » « وكيف نبدأ ؟ وقد استمر الحوار عدة ساعات ، وحين انتهى حوارهم ، سأله المؤتمرون عن رأيه فكان جوابه ينبغي أن نبدأ في تعريب التعليم من هذه الساعة ، ولا يجوز السؤال عن متى نبدأ وانما السؤال هو كيف نبدأ في تعريب التعليم ؟ ونحن نعلم جميعا ان اللغة الفرنسية في الجزائر قد أمعنت بصورة قوية الى حد جعل الكثير منهم لا يستطيع أن يعبر عن نفسه باللغة العربية ، واذا ما تساءل متسائل عن سبب لانصرافنا عن تعليم أبنائنا في كليات العلوم بلغة القرآن ، فان الجواب يأتي بأن الأمة العربية قد قدر الله لها أن تحيا عدة قرون تحت ظل حكم أجنبي ، وان يخيم الجهل عليها ، حتى ضعف وعيها الى درجة أصبحت لا تقدر ما يعنيه ضعف لغتها من أثر على وجودها ، فلما جاء الاستعمار الاوروبي زاد في تعميق هذا الداء في نفوس الكثيرين ، لأنه يدرك بأن أهم عناصر قوة الأمة وعزتها يأتي من قوة لغتها . وقوة اللغة تنشأ من ترجمة العلوم اليها وتعليم أبنائها بها ، لأن ذلك يخلق في الأمة اعتزازا بلغتها ، فانه اذا لم يتأكد في نفوس أبناء الأمة أن لغتهم قادرة على استيعاب ما يجد في الحياة انهدمت أو ضعفت على الأقل ثقتهم بلغتهم ، مما يجعلهم ينصرفون الى غيرها من اللغات الأجنبية ، وليس من المبالغة في شيء اذا قلنا إن كل أمة تصل الى مثل هذا الحال يصبح شأنها ضعيفا ، مما يجعلها هدفا للغزو الثقافي .

ومن غريب الأمر أننا كنا نعلم أبناءنا الطب قبل أكثر من قرن باللغة العربية ، وكان الطلاب يتلقون ذلك بكل يسر وسهولة ، بحيث أنهم كانوا ينجحون في فهم ما يلقى اليهم من تلك الدروس أحسن الفهم . فقد كانت مدرسة القصر العيني في القاهرة تدرس الطب باللغة العربية ويضع اساتذتها الكتب بها . يقول الدكتور احمد شوكة الشطي عن هذه الكتب ، في كتابه « نشاط العرب العلمي في مائة سنة » ، « لو تصفحنا الكتب التي ألفت أو ترجمت في مدرسة قصر العيني يوم كان الطب يدرس فيها باللغة العربية لوجدناها كتبا ممتازة لا تقل عن أمثالها في ذلك الحين من كتب الغرب جودة في الطبع وحسنا في التعبير وبراعة في الايضاح » .

على أن مجامع اللغة العربية قد وضعت المئات من المصطلحات العربية في علوم الطب والكيمياء والهندسة والفيزياء الى غير ما هنالك من العلوم التطبيقية ، مما يدل على أن اللغة العربية قادرة على مسايرة الحياة ،ولكن المؤسف حقا أن تظل هذه المصطلحات التي بذل فيها علماؤ نا جهودا مضنية ،

أقول من المؤسف حقا أن تظل هذه المصطلحات حبيسة في كتب المجامع ومجلاتها .. لا ينتفع منها الا انتفاع قليل جدا ، كحديث يذاع من احدى المحطات الاذاعية ، أو مقال صغير بسيط ينشر في بعض المجلات أو الجرائد ، في حين أن هذه المصطلحات ينبغي أن تكون مستعملة في جامعاتنا ومعاهدنا ، ولقد حضرت في مجمع اللغة العربية في الاردن ، واستمعت من رئيسه الدكتور عبد الكريم خليفة حديثا يدعو الى الحزن والألم ... يقول الدكتور خليفة « ان بعض اساتذة مادة الرياضيات في جامعة اربد ترجموا الكتب المختصة في هذه المادة والمقررة على الطلاب في السنة الاولى وأخذوا يلقون منها دروسهم عليهم ، فكان نجاحهم باهرا لان استيعابهم لهذه المادة كان قويا جدا ، ولكن الغريب في الامر أن عميد تلك الكلية قد تغير وجيء بعميد آخر ، فأمر بأن تلغى الكتب المترجمة الى اللغة العربية ، وأن توضع مكانها كتب باللغة الأجنبية ، ولا تسل عما حدث من ارتباك في نفوس الطلاب ، وفي هذا دلالة على أن هناك من يسعى لابعاد اللغة العربية عن التعليم الجامعي ، وهو أمر لا يجوز السكوت عنه .

ومهما يكن من أمر فنحن نعلم جميعا أننا نبعث طلابنا للدراسة في مختلف البلاد الأجنبية كأمريكا وفرنسا وروسيا وانجلترا وغيرها من البلاد ، فيعودون الينا حاملين الشهادات العليا بمختلف اللغات ، فما عسى أن نصنع بهؤلاء من بناتنا وأولادنا ، وكيف ننتفع بدراساتهم بلغات مختلفة ، والتي أنفقنا عليها كثيرا من الأموال ، وبذلوا فيها جهودا عظيمة مشكورة ؟ من المحقق أن الانتفاع بهم لا يمكن الا اذا كان التعليم الجامعي عندنا باللغة العربية ، فان التدريس باللغة العربية يساعد على نمو اللغة وتطورها ، كما أنه يذلل صعوبة اختلاف المصطلحات ، فان ممارسة التعليم هي التي تطوع اللغة في هذا الشأن .

والدليل القوى على ما ذهبنا اليه هو أن التعليم في الجامعات السورية باللغة العربية قد بدأ منذ ستين سنة أو أكثر ، وقد تخرج في تلك الجامعات أعداد كبيرة من الطلاب في مختلف العلوم التطبيقية ، وان من العجب حقا أن تنسب العجز الى لغة كانت لغة العالم المتحضر ، قبل ألف سنة ، وقد نقل اليها من اللغات الأجنبية كثير من الكتب العلمية في زمن لم تبلغ الحاجة الى النقل مثلما بلغته في وقتنا الحاضر ، دون أن يشكو المترجمون من عجز اللغة العربية .. وكيف تعجز لغة تضم أكثر من اثنى عشر مليون كلمة عن احتضان العلوم التطبيقية ، وما نظن أن اللغة الانجليزية والألمانية والصينية وغيرها من اللغات القديمة والحديثة تملك من ثروة المفردات أكثر مما تملكه لغة القرآن . ولكن الذي نحتاج اليه هو الثقة المطلقة بلغتنا العربية .

التدرج في التطبيق

وقد ثبت علميا أن الطلاب المتخرجين في الجامعات التي تدرس باللغة العربية ، يكونون أقدر على فهم ما يلقى عليهم من الدروس ، ومن ثم يصبحون قادرين على تدريس العلوم بلغتهم ، والطريق العلمي أن نتدرج في ذلك ، فنكتفي في أول الأمر باعطاء مادة أو مادتين علميتين ، ثم ننطلق بعد ذلك في تدريس بقية المواد العلمية ، وليس من شك أن التجربة في أى عمل من الأعمال هي التي تذلل كل عقبة وتزيل الحواجز التي خلقها الاستعمار وعملاؤه في النفوس .

أما وسائل تنمية اللغة فهي كثيرة لعل أهمها الاشتقاق والتعريب ، وقد تحدث العلماء عن قواعدها أحاديث مفصلة تضمنتها مؤلفات قيمة ، منها القديم ومنها الحديث ككتاب « المعرب » للجواليقي وكتاب « شفاء الغليل » للخفاجي و « المعرب من القرآن » للشيخ حمزة فتح الله .. وغيرها كثير وكلها تشهد بمرونة اللغة العربية ، لان الاشتقاق من صفاتها ، ومن المحقق أن علينا الا ندخل في لغتنا العربية إلا ما نحتاج اليه ، لان في إدخال مالا نحتاج اليه إضعافا للغة العربية .

وهناك « النحت والتوليد والقياس والتركيب » وقد أقر مجمع اللغة العربية هذه الوسائل ووضع لها قواعد محكمة فيها صون للغة العربية ومراعاة للذوق العربي ، ذلك أن بعض الناس يخرج على هذا كله ، وكمثال على ذلك نشير الى ما فعله البعض حيث قال في قلم الحبر « قلمح » أو « قحبر » أو « قلحب » .

عبر من ماضينا

وعلى كل حال فاننا جميعا نفخر بما لنا من تراث علمي جليل ـ شمل الطب والرياضيات والفلك والفيزياء وغيرها من العلوم التطبيقية ـ قام به علماء أجلاء شهد لهم الأجانب بالنبوغ والتفوق كجابر بن حيان ، ويعقوب بن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة ، والحسن بن الهيثم ، وغيرهم كثيرون ، ولسنا في حاجة الى القول إن هؤلاء العلماء أصدروا آثارهم العلمية باللغة العربية ، دون أن يلاقوا أي صعوبة تمنعهم عن ذلك ، فهل يجوز ـ ولغتنا العربية على ما ذكرناه من القابلية والتكيف ـ أن نمتنع عن تعريب التعليم ، بحجة أن لغتنا غير قادرة على تعريب المصطلحات العلمية الجديدة ؟

والامة الحية هي التي تصل حاضرها بماضيها ، وليس من وسيلة لهذا الأمر أفضل من تعريب التعليم . لان هذا النهج يدفع علماءنا الى المشاركة والمساهمة في مختلف العلوم التطبيقية المعاصرة ، على أن التعريب الذي ندعو اليه لا يقتصر على التعليم في كليات العلوم بالجامعة وانما يجب أن يمتد الى كل المؤسسات والوزارات الرسمية وغير الرسمية لأن من شأن ذلك جعل الثقافة غير مقصورة على صفوة من الناس ، وانما تصبح قدرا مشتركا بينهم جميعا ، فالفرد يصبح مقدرا للغته أعظم التقدير حينما يجدها هي اللغة السيده في الجامعات والمعاهد والمؤسسات ، ثم ان هذا النهج يعزز الوحدة الوطنية بصورة خاصة لما للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية من أثر قوى على الجماهير بما لها من اتصال مستمر بالمؤسسات ، ويعزز الوحدة العربية بصورة عامة ، والتي هي حلم كل فرد مخلص لهذه الأمة . اذ لا توجد مصطلحات فرنسية في هذا القطر وايطالية في ثان وانجليزية في قطر ثالث ، وانما توجد لغة مشتركة بين أمة العرب في جميع أقطارها .

وبالجملة فاني أعتقد اعتقادا جازما أن جامعات جمهورية مصر العربية اذا أخذت بالتعليم باللغة العربية في كليات العلوم ككلية الطب والهندسة ، الى ما هنالك من العلوم التطبيقية ، فان نهج التعريب يصبح ساري المفعول في كل البلاد العربية ، لما لمصر من أثر قوى على كل الأقطار العربية ، فما من اتجاه حدث في مصر الا وكان له أبلغ الأثر في مشرق الوطن العربي ومغربه ، مما يؤكد أن مصر هي قلب الأمة العربية .

وبعد . . فان الحديث عن تعريب التعليم ميدان واسع متشعب جالت فيه أقلام فئة كبيرة من المفكرين المؤمنين بعزة أمتنا العربية ـ أمة القرآن ـ ووحدتها □

منتدى العربي

تعقيبات

مَنْ قتلَ اللغة العربيّة ؟

في منتدى العربي بالعدد ٣١٧ من العربي عدد ابريل ١٩٨٥ مقالان دفاعاً عن الفصحى ، ونعياً على قاتليها ، والذين يدعون الى احلال العامية محلها .

والواقع المر أن الفصحى لم يعد يستخدمها حتى بعض من يفترض فيهم الفصاحة والاشتغال باللغة ، وأصبح الذي يتكلم العربية بدون عي أو فهاهة ، وبدون أخطاء في النحو والصرف ، ودون سوء استخدام للكلمات والحروف ، وبغير الاستهتار الذي يكاد يكون متعمداً في استخدام التنقيط

والفواصل ، أصبح مثل هذا الشخص أندر من أن يعول عليه في الدفاع عن اللغة وحمل رايتها الى النصر المبين .

والمشكلة مرة وحلها انما يتم بأن يتناقش الناس في أمرها ، دون أن يتهم من يخالفنا في الرأي ـ كعادتنا دائماً ـ بالتخريب و « هدم شمل الأمة » وغير ذلك من التعميمات السخيفة التي لم يعد يقبلها أحد . ان الاختلاف في الرأي هو الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة ، والصحافة الحرة في بلاد الله الحرة تنشر مقالين متناقضين في نفس العدد . ولا يوصف أي المقالين ولا من كتبهما بالخروج على الأمة ولا بالخيانة ، ولا بعكس هذا من صفات المديح المجوج التي تصب صباً على من يتفق معنا في الرأي . اذ أن كلاً من المدح والقدح لا يفيد الناس في شيء ، انما الذي يمكن أن يفيد الناس هو أن نشرح لهم ثلاث نقاط :

أولاً : مظاهر المشكلة وأبعادها (أو الجانب الوصفي للمشكلة) .

ثانياً : أسباب المشكلة (أو الجانب التحليلي للمشكلة) .

ثالثاً : علاج المشكلة (أو الجانب البنائي للمشكلة) .

أما عن مظاهر المشكلة فالناس كلهم يعرفونها ، وتكفي مقالة الدكتور الذوادي لبيان بعض هذه المظاهر . وخلال ما يقرب من ربع قرن في التعليم الجامعي بالولايات المتحدة وببعض الدول العربية ، لاحظت أن المشكلة تتفاقم باستمرار . ولم يعد الطلاب وحدهم هم العاجزون عن استخدام اللغة ، وانما وصل الحال الى أن كثيراً من الأساتذة لا يعرف أبسط قواعد اللغة .

أما عن أسباب المشكلة فلعل في القاء الضوء عليها ما يمكن من ايجاد الحل باعتباره السبب الأول في نظري ـ هو في فكرة التعليم الكمي لا الكيفي ، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية . هذه الظاهرة التي بدأت باجبار جميع السكان على دخول المدارس دون الاستعداد الواعي لخلق الكوادر التعليمية ، انتهت بجيش لا نهاية له من طالبي العلم في جامعات غير مستعدة لاستقبال معشار العدد . والنتيجة الحتمية لهذا التيار كانت خلق جيل من أنصاف المتعلمين يعلم جيلاً من الجهلاء ، ولما كان العمل الوظيفي هو النهاية المألوفة لغالبية أصحاب الشهادات ، انتهى الأمر من سيىء الى أسوأ ، وأصبح هنا « متخصصون » في جميع فروع المعرفة ، لا يستطيعون خلق جديد في مجالاتهم ، لأنهم لم يجدوا الفرصة للاطلاع على القديم أصلاً ، وينطبق هذا التحليل بصورة أعم على اللغة العربية وخريجي مدارسها .

السبب الثاني هو الاستهتار باللغة ، واعتبار العلم بها عيباً والعالم بها متخلفاً « أو فقي » ، لا يجوز الاهتمام به . وبدأت الظواهر تتجلى في الكتابات اليومية في الصحف ووسائل الاعلام ، ثم تصاعدت الى أن وصلت الى أعلى صور الصياغة القانونية ، والمقارن لكتب القانون وأحكام المحاكم اليوم بما يناظرها من أربعين عاما يجد الهوة شاسعة حقاً .

السبب الثالث هو الالحاح الدائم من وسائل الاعلام اليومية على استخدام لغة عربية في ألفاظها وقواعدها . والمطابع والاذاعات تمضغ هذا الكلام وتمجه على أسماع الناس وابصارهم كل لحظة ، حتى أصبح العامة يحسبون هذه الغثاثة هي السليم ، وأن ما غيرها « كتباً صفراء » لا يجوز لعاقل أن يقرأها .

والسبب الرابع ـ وهو الأشد خطورة ـ هو أن جيلاً ممن يجهل اللغة العربية جهلاً تاماً أصبح يسيطر على وسائل الاعلام ، ويستطيع بهذا أن يقول للناس ان العربية الحقة لغة عييَّة قديمة لا تصلح لما يقدمه العصر من تقدم وغناء .

السبب الخامس ـ أن الغيورين على اللغة العربية لم يقدموا لنا نتاجاً فكرياً مقبولاً لا في مجال التعريب ولا في مجال التطوير . وما زالوا يقولون لنا ان « الشاي » كلمة غير عربية لا بد أن توضع بين قوسين وأن « الانبج » يؤكل لأنه هو المانجو ، وأن السروال أصح من البنطلون ، الى آخر قائمة هذه السذاجات الفكرية التي تعرقل نمو اللغة ولا تطوره ، والناس تتثاءب في ملل ، أو تترك الأمر برمته وتكتب وتتكلم كما تشاء .

هل هناك حـــل ؟

لا يستطيع انسان أن يزعم بأنه قمين بتقديم حل

واحد للمشكلة ، ولا بتقديم الحلول جميعاً في مقال قصير مثل هذا ، انما نستطيع أن نبدأ بشيء مما يلي : ـ

١ ـ فرض دراسة اللغة على جميع طلاب الجامعة ، ولا عيب في هذا ، فجميع جامعات الولايات المتحدة تفرض دراسة اللغة الانجليزية لمدة سنة على الأقل على كل طالب .

٢ ـ توفير كوادر تدريس اللغة واحترامهم معنوياً ومادياً .

٣ ـ فرض منقحين لغويين على دور النشر ووسائل الاعلام ، والتشهير بالأخطاء كلما ظهرت . ولعل صحافتنا تتعلم من صحافة الغرب التي تقيم الدنيا وتقعدها لسوء استخدام بعض أجهزة الحكومة لعبارات معينة بقصد التمويه .

٤ ـ أن يحاول علماء اللغة التقريب بين الواقع والخيال ، فان كان عالم اللغة يرى مثلاً أن قول امريء القيس جميل حين أنشد :

مسحّ اذا ما السابحات على الونى
أثرن غباراً بالكديد المركّل

فهذا شأنه ، كما أنه من شأن أي عالم أن يعجب بالقديم في علمه . ولكنه لا يجوز لأي عالم أن يفرض على غيره حب هذا القديم . وكما أن عالم الانجليزية يحب اللاتينية التي هي أصل لغته ، الا أنه يستخدم ألفاظاً انجليزية حديثة الكثير منها جرماني وفرنسي بل عربي . وكما نحتنا كلمة تلفاز من كلمة « تلفزيون » الفرنسية ، فقد نحت الفرنسيون كلمة اميرال من عبارة أمير البحر العربية » .

٥ ـ ان يحاول علماء اللغة خلق قاموس عربي عصري يتجدد كل عام أو عدة أعوام ، وتدخل فيه الكلمات الجديدة ، كما يفعل علماء اللغة في كل بلد يعتز بلغته ، فاللغة كائن حي يستخدمه الناس للتعامل اليومي لا للمبارازات البديعة . وكيف يستطيع انسان مثلاً أن يكتب لآخر خطاباً يصف فيه جهازاً اليكترونياً مثل الكمبيوتر دون أن يضع ٩٠٪ من الكلمات بين أقواس أو بالانجليزية ؟ ان انساناً لا يستطيع أن يشرح جل ما يتعلق بهذا الجهاز باللغة العربية ، لا لأنه لا يفهم العربية بل لأن علماء اللغة لا يفهمون الجهاز . وكما قال الجرجاني :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما

القضية ليست مخططا لدفن العربية ، وانما هي جهل المعلم ، وحاجة للتعبير تتغير أمام لغة لم ينجب لنا أصحابها ، فهل يتحركون ! ؟ □

د. مصطفى ابراهيم شعبان

تأثير الموسيقى بين الوهم والحقيقة

بعد التطور المذهل في جراحة المخ والأعصاب ، عرف العلماء أن دماغ الانسان يحتوي على مادتين مخدرتين هما (اندروفين) و (انكوفالين) ، وهما : اقوى من المورفين بمئة مرة تقريبا ، وهذا ما تؤكده الدوائر الطبية في فرنسا واليابان والصين والاتحاد السوفييتي ، وهو ما كشفه تيرانيوس السويدي وسنديدر وج سيمون من امريكا ، وكان للفرنسي (باسي) والياباني (راكو) الفضل في استغلال هذه الناحية والاستفادة منها طبيا ، هذه حقيقة قديمة والفضل فيها ليس لعلماء جامعة اوهايو الأمريكية كما يذكر الدكتور نبيل سليم في مقالته (الموسيقا علاج طبي) المنشورة على صفحات مجلة العربي (العدد ٣١٠) . وأهم تطبيق لهذه الحقيقة هو المعالجة بالوخز (بالابر) ضد بعض الأمراض ، إذ يستخدم العلماء الوخز كمحرّض للدماغ لافراز الـ (اندروفين) والـ (انكوفالين) ويمكن التحريض بواسطة :

"Multiple Electoronic Aupuncto-scope"

كما يمكن الاستفادة من هذه الظاهرة ، وبواسطة

الوخز ايضا ، في معالجة الأمراض العصبية والنفسية وبعض الأمراض المستعصية مثل الأرق والصداع النصفي المسمى بالشقيقة واوجاع المفاصل وتشنج العضلات وتكلس فقرات الظهر والرقبة وبعض الاضطرابات الجنسية . وافاد هذا الاسلوب في علاج كثير من حالات الادمان الكحولي والنيكوتيني ، وكل هذا بالطبع لا يغني عن وسائل الطب المعروفة لكشف المرض وحالة المريض بمساعدة السماعة الطبية وجهاز الضغط والاشعة والمخابر ، أو العقاقير .

ومنذ توصل العلماء لهذه الحقائق بدأوا يبحثون عن بديل للوخز باعتباره مؤلما ، فاتجهوا الى التحريض عن طريق حركات رياضية معينة ، او عن طريق احداث اهتزازات متنوعة،ودراسة التغيرات التي ترافقها ، وهذه محاولة في سلسلة المحاولات التي يسعى اليها الطب للمعالجة بدون عقاقير وادوية،وتغيير الاسلوب الكلاسيكي القديم في الطب ، ومن الطبيعي ان يفتش بعض العلماء في الموسيقا لعلهم يجدون فيها ضالتهم ، وبحثهم في الموسيقا ليس لاجلها بل لانها اهتزازات منظمة،ويمكن التلاعب بذبذباتها لاحداث هذه التأثيرات .

اما ما يقرره الدكتور نبيل سليم من ان الموسيقا تؤثر على الجهاز العصبي فهو صحيح تماما الى هذا الحد ، أما أن الموسيقا تقضي على الالم فهو امر مبالغ فيه جدا ، بل ان المنطق العلمي والطبي لا يجيز بأي شكل من الاشكال تعميم مثل هذا الكلام ، فهو نسبي والى حدود لا تتجاوز ١٥٪ كما قرر العلماء اصحاب هذه النظريات انفسهم ، لا كما نقرر نحن هكذا دون دليل ، ثم نروح نقرر وبالاسلوب ذاته ان الاتجاه العلمي في استخدام الموسيقا يسعى العالم كله اليه الآن (انظر الى كلمة العالم كله) .

ان الـ ١٥٪ ممن يستجيب لنداء الموسيقا ايجابيا هم من فئة معينة من الناس لهم ميول وانفعالات نفسية خاصة ، بمعنى ان العامل الذاتي يلعب دوره ، فضلا عن ان الفضل فيما تم التوصل اليه من استجابات يعود الى الجهد الرياضي الذي يبذلونه اثناء اخضاعهم لهذه التجربة وفي ظروف مناخية معينة . اما تجارب الدكتور (جيفري رودي) في جامعة اوهايو فلا تشكل الموسيقا فيها الا العامل المساعد وليس الرئيسي بشهادة الأخ كاتب المقال نفسه ، كما ان طرق الاستشفاء تقوم على اسلوب ممارسة نوع من التركيز والحصر الذهني الشعوري الشبيه بطرق التنويم المغناطيسي،مما يذكرنا بممارسات بعض فرق المتصوفة في غابر العصور والأزمان . ومن نافلة القول ان اذكر هنا ان بعض (الرومانطيقيين) ممن يمجدون الالم فرحوا عند اكتشاف هذه العلاقة بين الألم والمتعة بعد معرفة عمل الاندروفينات هذه،فراحوا يروجون لارائهم بقالب فلسفي ميلودرامي .

بناء الانسان

يقول الدكتور سليم « ان الموسيقا عنصر جوهري في البناء الروحي للانسان توقظ فيه الشعور بالمعاني الكبيرة ، المعاني السامية ، كالحق والخير والجمال ، وتحرك وجدانه » ثم يربط هذا بمقولة (شوستاكوفيتش) - وانا صراحة لا اعرفه من قبل - وكيف يخدم الفنان قضايا السلام والتقدم .

هذا كلام شخصي محض لأن عملية البناء الروحي للانسان تقوم على اسس اهمها شعوره بالانتماء لجماعة ، وما ينمي هذا الشعور لديه ليس الموسيقا وانما هو القيم والمعتقدات الاخلاقية التي يدين بها ، وتنظم علاقاته مع المجموعة التي يعيش فيها ، والمنطق العلمي - الطبي والاجتماعي - يؤكد هذا الكلام .

ان كثيرا من الفلاسفة واصحاب المذاهب الادبية سبقوا الدكتور سليم في رأيه فبعضهم قال بان الرقص يبني الانسان ، وبعضهم قال ان الرياضة والسباحة هي التي تبنيه ، في حين اصر آخرون على ان البناء الروحي للانسان يتم فوق السطح تحت اشعة الشمس المحرقة ، مع الانهماك بالتأمل وعمل الطلاسم ، وتعصب آخرون للشعر والأدب ، وفريق تحمس للعمل المنتج وجماعة مجدوا الألم والدموع ، فلا مانع من ان يرى الدكتور سليم في الموسيقا بانية للروح ، وهو امر شخصي لا ننكره ، لكن الا ترون معي ان عملية بناء الانسان اعقد واكبر من ان يحملها موسيقي ، وعملية بناء السلام والحضارة اخطر من ان نوكل اعباؤها لعازف اكورديون او غيتار . □

محمد فتحي الحريري

● رسالة المغرب العربي ●

من رشيد خشانة

ندوة حول كتاب :

تكوين العقل العربي

- المغرب : وتكوين العقل العربي .
- الجزائر : تستعيد ذكرى ودور ابن باديس .
- تونس : تناقش إلهامات رجالها في المعجم العربي .

المغرب :

نظم اتحاد كتاب المغرب ندوة حول كتاب الدكتور محمد عابد الجابري الجديد « تكوين العقل العربي » الذي يأتي بعد كتابيه السابقين « نحن والتراث » و « الخطاب العربي المعاصر » . وشارك في الندوة عبدالسلام بن عبدالعالي وسعيد بن سعيد وكمال عبداللطيف ومحمد عابد الجابري . أكدت مداخلات المناقشين للكتاب أن المؤلف لايقوم بتأريخ بارد لمكونات الثقافة العربية الاسلامية أو بمحاولة للتجريب المنهجي المحايد وانما هو يخطو خطوة هامة في افق التحرر مما هو ميت ومتخشب في كياننا العقلي وارثنا الثقافي . ويعتبر الجابري أن عصر التدوين هو الاطار المرجعي الذي يشد اليه جميع مناحي الثقافة العربية ، وينظم مختلف تموجاتها اللاحقة الى يومنا هذا ، وهويقسم الفكر العربي الى ثلاثة أنظمة رئيسية هي : البيان والعرفان والبرهان . ونظام البيان هو الذي يجد أسسه الثقافية في اللغة والدين ، ويتجلى في حقول متعددة ، كالنحو والبلاغة والفقه وعلم الكلام ،وآلته المعرفية هي القياس ، ونظام العرفان أو مايسمى « باللامعقول العقلي » ويعود الى جذور قديمة اندمجت في الموروث الثقافي القديم ، وانصهرت في خليط من العقائد والديانات والفلسفات الباطنية ، ويتجلى ـ في الثقافة العربية ـ في التصوف والفكر الشيعي والفلسفة الاسماعيلية ، وفي السحر والطلاسم وعلم التنجيم ، وتقوم آليته المعرفية على الكشف والوصال والتجاذب . أما النظام الثالث ، نظام البرهان او المعقول العقلي فقد تأسس في حقل الفلسفة ، وشكل ارسطو مرتكزه المرجعي الاول ، ويتجلى هذا النظام في الكتابة المنطقية ، وفي الرياضيات والطبيعيات ، وتقوم آليته المعرفية على مبدأ الاستنتاج العقلي .

وركز الاستاذ كمال عبداللطيف في مداخلته على أن الجابرى حاول دراسة مادعاه بأزمة الأسس فسعى الى تشخيص الأزمة التي عرفها العقل العربي في حركته التكرارية المغلقة ،عن طريق تحليل الانظمة المعرفية المؤسسة للعقل العربي ، فبين أن الاصطدامات التي عرفتها هذه الانظمة (اصطدام البيان بالبرهان ، واصطدام البرهان بالكشف ، ثم أشكال الهدنة التي مورست في الثقافة العربية ، بين هذه الانظمة خلال

مراحل حركتها التكرارية) أدت الى خلل معرفي بارز في بنية العقل العربي ، يتجلى في غياب التقدم اذ يشكل تأريخ الثقافة العربية لحظة متموجة تكرارية ، لحظة تتكفىء داخل زمنيتها المغلقة باستعادة الأوليات والآليات القديمة ، من دون أن تشكك في أسسها أوتحاول كسر قوالبها .

ويستثني الجابري من هذه اللحظة التكرارية التجربة الثقافية الأندلسية المغربية التي تمكنت - في رأي الجابري - من فك الطوق وفتح امكانية التجاوز .

وركز الدكتور سعيد بن سعيد مداخلته على مسألة واحدة اتخذها نموذجا وهي موقف الجابري من الأشعرية ، فهو يعتبره موقفا متقدما ، لكنه يومىء الى أن نصوص الأشاعرة بل الفكر الاشعري لايكون قابلا للفهم الا بمقدار ما تبتعد به عن النظرة التصنيفية الثالثة التي تسعى الى تصنيف المفكر وتأطيره في نفس الخانة مرة واحدة والى الابد ، وتعجب د . بن سعيد كيف يتنصل الجابري بسرعة من الموقف الذي أتخذه بخصوص الأشعري عندما يعرض لفكر زعيم الاشاعرة وكبيرهم : الغزالى ، والحال أن الغزالى احوج منهم جميعا لهذا النوع من التأويل الذى يكون وحده قادرا على فهم شخصيته الغريبة « المتعددة » فلماذا كان الامر حلالا هناك وحراما هنا ؟

أما د . عبد السلام بن عبد العالى فشدد فى مداخلته التى تحمل عنوان « خلدونية جديدة » على أن الجابرى ينحو فى كتابه الجديد منحى ابن خلدون فى منهجه ويحاول مواصلة المشروع الخلدونى ومجاوزته : مواصلته أولا لأن المنهج الخلدونى ، تحرك فى اتجاه تحرير العقل من اللاعقل ، وهذا مايرمي اليه كتاب تكوين العقل العربي ، الا انه حاول - في الوقت ذاته - دمج المشروع الرشدى (ابن رشد) مع المشروع الخلدوني ، والقيام بما قام به الأول ازاء ابن سينا والثانى ازاء اخوان الصفا ، ولكن هذه المرة ازاء الثقافة العربية بمجموعها ، وهنا تكمن محاولة تخطى ابن خلدون .

وتكلم الدكتور الجابرى فى الندوة ليعقب على المداخلات ، وكان أهم ما جاء فى كلمته أننا فى حاجة الى عقل نستطيع به ان نحقق ذواتنا ومشروعنا الحضارى ، ونعيد به بناء استقلالنا التاريخى ، فلا يمكن الفصل بين ما أكتبه - يقول الجابرى - وبين المشروع النهضوى العربي ، لذا يجب ان نطمح الى بناء هذا المشروع عن طريق العقل ، أما باللاعقل فغير ممكن ، فنحن إنما وقعنا فيما وقعنا فيه لاننا استسلمنا لهذا اللامعقول العقل : التصوف والطرقية وما ترتب عنهما من غنوصية وسواها .

كتاب جديد للروائى محمد شكرى :

اصدر الروائى المغربى المعروف محمد شكرى الذى اشتهر بروايته « الخبز الحافى » مجموعته القصصية الثانية بعنوان « الخيمة » وكانت مجموعته الاولى الصادرة عن دار الآداب عام ١٩٧٩ تحمل عنوان « مجنون الورد » تقع المجموعة الجديدة فى ١٣٢ صفحة من القطع الوسط ، وتضم ١٤ قصة قصيرة هى : الرجال المحظوظون - الأفواه الثلاثة - المشحيل - نسيج العنكبوت - الليل والبحر - الجثة الغريبة - الفردوس الصغير - الزاحفون وقوفا - نعل النبى - الخيمة - ازرو - الارامل ١ - الارامل ٢ - عائشة .

الأيام والليالى لادريس الخورى

صدرت للقاص المغربى ادريس الخورى مجموعة قصصية جديدة بعنوان « الأيام والليالى » وتضم تسع قصص قصيرة تتركز حول هموم الانسان العربى . ومن اهم قصص المجموعة الوقوف فى الخنادق و « ألا تعرفون ؟ » و « انا أيضا » و « غسان » و « خطان غير متوازيين » و « أنا اتغير ولذا فأنا كما أنا » و « الأيام والليالى » الخ . .

ورأى النقاد فى هذه المجموعة عودة الى القصة الستينية من حيث التقنية الجمالية ، وان كان المؤلف أفاد من تقنيات الفيلم السينمائى ، وعابوا عليه اغراقه فى المباشرة والسرد باستثناء القصة التى يحمل عنوانها عنوان المجموعة ، والتى نحس فيها ببحث جمالى مميز ، وبتناوله لقضايا انسانية وشمولية .

الجزائر :

مكتبة وطنية جديدة :

تم في يوم ١٦ فبراير (شباط) ١٩٨٥ وضع تصميم لمركز العاصمة الجزائرية الجديد ، في ضاحية « الحامة » ويضم ثلاثة مشروعات ضخمة ، أحداها مبنى المكتبة الوطنية .

وتضم الآن المكتبة الوطنية الجزائرية نحو مليون مجلد وأربعة آلاف مخطوط ، وتحددت مهمتها منذ الاستقلال بجمع التراث الوطني والمحافظة عليه ، وتمكين الباحثين والقراء من مصادر البحث والاطلاع ، الا ان قاعات المكتبة صارت تضيق اليوم بالرواد ، وذلك بسبب قدم المبنى الذي يعود انشاؤه الى فترة الاحتلال الفرنسي أيام كان فرعا للمكتبة الوطنية الفرنسية ، وقد فكر الجزائريون ـ أمام ضخامة مقتنيات المكتبة ، وتزايد عدد المرتادين ـ في توسيع المبنى الحالي ، لكن اتضح أن الكلفة ستكون عالية جدا ، فتقرر انشاء هذا المبنى الجديد .

كتاب عن الاحتلال الروماني للمغرب العربي :

في كتابه الجديد التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال الاحتلال الروماني يحلل د . محمد بشير شنيتي استاذ التاريخ القديم بجامعة الجزائر اوضاع الامبرطورية الرومانية ، والحالة السياسية في المغرب العربي في القرن الثالث الميلادي ، وهي أوضاع اتسمت بصعود أسرة مغربية ـ ليبية الى عرش الامبراطورية ، مما تسبب في احداث تغيرات جوهرية تتمثل اساسا في سن دستور كاراكلا ، الذي أقر حق المواطنة الرومانية لكل أحرار الامبراطورية ، ولو نظريا على الاقل ، ثم تعرض المؤلف الى حملات سبتموس سفيروس ضد الفرس في الشرق .

في الفصل الاول من الكتاب الذي يحمل عنوان « الوضع الاقتصادي في المغرب الروماني : الزراعة والضرائب » يتعرض المؤلف الى وضعية الأراضي واحتلال المستوطنين الرومان لها وتشريد القبائل الأصلية ، وفي الفصل الثاني الذي يحمل عنوان الوضعية الاجتماعية في المغرب الروماني : النسيج الاجتماعي ، يحلل القبائل وأصولها مثل النوميديين والجيتول والبقواط والبوار الخ . . . ثم يدرس علاقاتها بالجماعات الوافدة كالايطاليين والسوريين واليهود .

اما الفصل الثالث والأخير فقد وضعه د . شنيتي تحت عنوان « الاطار الديني للصراع الاجتماعي ـ السياسي » وتناول فيه بالبحث حركة التنصر ،مقارنا اياها بالمعتقدات الوثنية التي كانت سائدة قبلها ، ومحللا عوامل انتشار المسيحية في المغرب الروماني .

موقف الغرب من ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ :

ألقى الاستاذ مولود قاسم رئيس المجلس الأعلى للغة الوطنية بالجزائر محاضرة حول موقف الغرب من ثورة الجزائر في الأول من تشرين الثاني نوفمبر ١٩٥٤ ، بدأها بذكر ماجاء في الدستور الفرنسي من أن الجمهورية الفرنسية وحدة لاتتجزأ ، وأن الجزائر جزء من هذه الوحدة منذ أكثر من قرن ، ولذلك فان المساس بهذه القطعة من فرنسا يعد مساسا بفرنسا نفسها . ثم تطرق الاستاذ قاسم الى مواقف اليسار الكاثوليكي واعطى مثالا من موقف الكاتب فرنسوا مورياك الذي صرح بعد يومين من اندلاع الثورة المسلحة قائلا : ان الذين ينتظرون مني موقفا آخر غير تأييد الحكومة سيخيب أملهم ، لأنني لايمكن ان أصارع حكومتي التي تنطلق من نظرية قانونية موجودة أمامنا ، وهي أن الجزائر جزء لايتجزأ من فرنسا دستوريا .

اما الحزب الشيوعي فظل حتى ١٧ مايو ١٩٥٧ متمسكا بنظرية الوحدة الفرنسية التي تشمل الجزائر ، وهو امتداد للموقف الذي أعلنه الأمين العام للحزب موريس توريز في الجزائر سنة ١٩٣٩ والقائل بأنه ليس هناك شعب جزائري وإنما هناك خليط من عشرين جنسا يعيشون في صراع دائم .

واشار المحاضر الى أن جان بول سارتر وفرانسيس جونسون شكلا نواة لتجمع المثقفين الذين تضامنوا

مع ثورة ١ تشرين الثاني (نوفمبر) . ثم استعرض مواقف معظم بلدان أوربا الغربية ، كألمانيا ، وبلجيكا ، والنمسا ، وسويسرا ، ودول الشمال ، وكانت المواقف الرسمية في هذه البلدان مناهضة للثورة الجزائرية في معظمها ، لكن موقف الاحزاب والشخصيات غير الرسمية كان ايجابيا .

تونس :

ندوة حول اللسانيات

نظمت الجمعية المعجمية العربية بتونس ندوة دامت ثلاثة أيام ، وشارك فيها عدد كبير من الباحثين والاساتذة الجامعيين المتخصصين في علوم اللسانيات وكان موضوع الندوة اسهام التونسيين في اثراء المعجم العربي .في الجلسة الاولى المخصصة لموضوع التراث المعجمي في تونس تكلم د . محمد رشاد الحمزاوي عن تفسير التحرير والتنوير الذي وضعه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور واسهامه في اثراء المعجم العربي ، وتكلم ابراهيم بن مراد عن المعجم العلمي العربي المتخصص في تونس حتى القرن الثامن هجرى ، وكانت الورقة الثالثة لرئيس اتحاد الكتاب محمد العروسي المطوى بعنوان « المصطلح الصوفي في مناقب أحمد بن عروس » . اما الجلسة الثانية فتكلم فيها د . محمد السويس عن التجربة التونسية في التعريب ، وتحدث محمد مواعدة عن دور مدرسة باردو الحربية في التعريب في القرن التاسع عشر ، وتكلم حبيب عونلي عن التعريب في الادارة التونسية .

وخصصت الجلسة الثالثة لمحور قضايا المصطلحات في تونس ، وقدم فيها علي بن قائد ورقة عن دور المعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية في وضع المصطلحات ، فيما قدم د . عبد السلام المسدى ورقة عن « المصطلح اللساني في تونس » وقدم عبد الحميد سلامة ورقة عن « دور التونسيين في اثراء معجم الرياضة البدنية » .

أما الجلسة الثالثة الأخيرة فتكلم فيها عبد اللطيف عبيد عن التأليف المعجمي في تونس في عهد الاستقلال ، وقام هادى بوحوش بدراسة « القاموس الجديد » الصادر سنة ١٩٧٩ . . وقدم د . احمد العايد « معطيات أساسية عن الرصيد اللغوى في تونس » .

ندوة الكتاب والقراءة في افريقيا :

في المركز الثقافي الدولي في مدينة الحمامات عقدت ندوة علمية خلال الاسبوع الاخير من شهر شباط (فبراير) أشرف على تنظيمها معهد الصحافة والاعلام ، وتناولت بالدرس أوضاع البحث العلمي والتكوين والتأهيل المهني في ميدان الكتاب في البلدان الافريقية ، وكان شعار الندوة من أجل تكوين جامعي ومهني للعاملين في قطاع الصناعات الثقافية نهوضا بالكتاب والقراءة .

وشارك في الندوة العديد من المنظمات والبلدان ، كما قدم الدكتور عبد القادر بن الشيخ المنسق العام للندوة ورقة تمهيدية جاء فيها : ان ارادة تعميم التعليم وارساء المؤسسات الأولية للنشر والطباعة والتوزيع بشكلان ـ في تفاعل مع تطور وسائل الاتصال الالكترونية ـ جملة من الوسائل التي يتحتم أن تستجيب لاهداف نمو متحرر من وطأة التبعية .

أما جلسات العمل العلمية فتركزت على بحث العلاقة بين المكتوب وأدوات الاتصال ، وواقع تدريس علم الكتاب في الجامعات العربية والافريقية ، وتقويم البحوث العربية والافريقية في هذا الميدان .

ولم تخلص اعمال الندوة في شكل توصيات كما جرت العادة ، وانما اعتمدت على تصور عام لمشاريع أولى صيغت في شكل محاور من بينها :ـ

- تكثيف العناية بالجوانب النظرية في ميدان نشر الكتاب .
- علاقة المكتوب (النصوص المخطوطة) بأدوات التوصيل .
- اجراء بحث مقارن موضوعه « الشباب وعلاقته بالمكتوب » .

ثم شكلت الندوة هيئة علمية مهمتها التنسيق لاعداد ندوة افريقية مماثلة بعد سنتين ، وذلك في اطار الجمعية العالمية للكتاب التي استقر مكتبها الاقليمي في تونس . □

أضواء من الفلسفة على :

الحب كمثل أعلى للانسان

للدكتور : توفيق الطويل

الحديث هنا عن الحب . المثل الاعلى للانسان فى تصور الفلاسفة :
عند أرسطو ـ عند نيتشه ـ عند الرواقية ـ فى المسيحية ـ فى الاسلام ـ فى أحلام الفلاسفة ـ فى المواثيق الانسانية . فهل يمكن أن تتحقق آمال البشرية فيه مع المستقبل القريب ؟

لا نقصد بالحب هنا ما كان مجرد ميل أو غريزة تربط بين قلبين ، برغم أن مثل هذا الحب يحتل فى قلوبنا مكانا مرموقا من التقدير والاحترام ، لكننا ننظر الى الحب فى هذا المقال فى محيط أوسع ، وبمعنى أعم وأشمل ، ذلك الذى يجمع بين قلوب يربطها هدف انسانى كريم ، يستتب فى ظله الامن ، ويستقر السلام ويقوم التعاون بين الناس بعضهم وبعض،أفرادا وجماعات وأمما فى كل زمان ومكان .

غاندى والامبراطورية البريطانية :

بالحب هزم المهاتما غاندى أعظم أمبراطورية عرفها التاريخ الحديث ، وهى الامبراطورية البريطانية التى كانت ـ عند استعمارها للهند ـ لا تغيب الشمس عن أملاكها ! وقد كفل لها أسطولها البحرى وامكاناتها الحربية ان تفرض سيادتها على الدنيا بأسرها ، فتصدى غاندى لمجابهتها ووراءه مئات الملايين من الهنود العزل من كل سلاح ، الا من الايمان بمبدئه فى « الاهمسا » أى « الكف عن الاذى » ، ومقاومة السيئة بالحسنى ، ومحاربة الحقد والظلم والكراهية بالحب الذى يملأ شعاب النفس ، ويدفع صاحبه الى الصيام والصلاة طلبا للمغفرة لمن أساء وبغى وظلم . .

والعالم كله لم ينس بعد كيف قاد غاندى مسيرات ضخمة مسالمة كانت تحتج على ظلم المستعمر البريطانى وبغيه ، وتعرضت احداها لهجوم البوليس الانجليزى الذى انهال على هؤلاء المسالمين ضربا وطعنا وتشتيتا فى غير رفق ولا رحمة ، وهم يحتملون الاذى صامتين ، لا يردون على العدوان حتى بهتاف عدائى . ونظر البوليس المعتدى فاذا برجل قمىء نحيل قد انتحى ركنا وراح يجهش بالبكاء والنحيب إشفاقا على أقرانه المعتدى عليهم ظلما وعدوانا . . وأدرك البوليس أنه غـانـدي نبي الهنود كما كان يراه

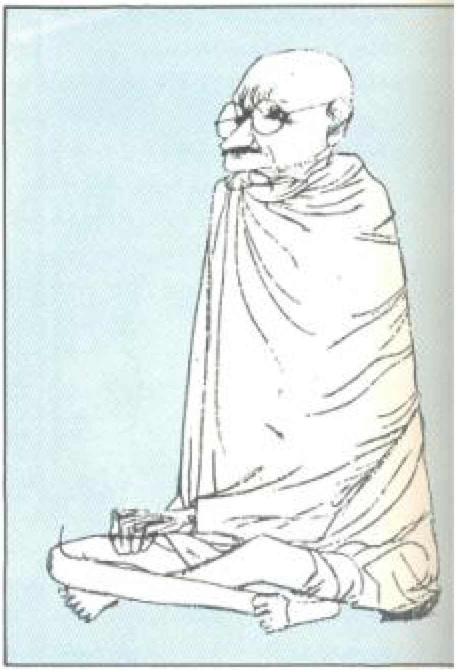

مئات الملايين منهم ، فتوقف المعتدون وكأنما شلت أيديهم ، وخفوا إليه يستغفرونه من سوء ما فعلوا . .

وكان هذا حاله مع مختلف طوائف الهنود ، كلما نشب بين طائفتين منهم صراع سارع الى صلاته ، وأعلن الصيام حتى يتوقف الصراع ويسود الوفاق ، وان خشى المتصارعون على حياته أعلنوا أنهم تصافوا وتحابوا بعد كراهية !

بمثل هذا استقلت الهند المسالمة العزلاء تحت راية الحب والمسالمة عام ١٩٤٧ وخارت أعظم امبراطورية فى التاريخ الحديث أمام رجل أعزل من كل سلاح ، لم يستخدم ـ هو ولا أبناؤه ـ طوال سنوات الكفاح قنبلة ولا صاروخا ولا مدفعا ولا دبابة ولا غواصة ، ولا شىء مما يستعان به عادة فى الحروب من آلات الفتك والقتل والتدمير والتخريب . . ومن أسف أن ما يصلح فى شعب عميق الايمان بالحب قد لا يصلح عند شعوب أخرى تتعارض ظروفها مع ظروفه .

وكان غاندى لا يستريح حين يوصف جهاده بالمقاومة السلبية ، إذ كيف تكون سلبية وهى لا تتحقق إلا لمن وفق فى مجاهدة ميوله وغرائزه ، وضبط دوافعه ونوازعه ، والسيطرة على أهوائه ونزواته ، وهذا هو الجهاد الاكبر كما قال المصطفى عليه صلوات الله وسلامه ، وهذا هو المعنى الذى فات الفيلسوف الالمانى فريدريك نيتشه ١٩٠٠ Nutgsche حين كان يخطط لظهور « السوبرمان » أو الانسان الاعلى ـ كما سنعرف بعد قليل .

ومن سخرية الاقدار أن يموت غاندى أمام الحب والمسالمة عام ١٩٤٨ قتيلا على يد مجرم أثيم من أهل دينه ، اغتاله من فرط ضيقه بسماحته ومسالمته لاصحاب الديانات الاخرى .

هذا هو الحب ، يطهر النفوس من الدنايا والضغائن والاحقاد ، ويصل بين الناس ما انقطع ، ويقيم بينهم التعاطف الوجدانى ويربطهم بالتعاون الذى يتكفل بتحقيق مصالحهم المشتركة ، وحسبه أن يكفل للعزل من السلاح أن يدحروا أعظم امبراطورية فى التاريخ الحديث ، فرضت سيادتها على الدنيا بأسرها . فلنتصور وطننا العربى وقد صفت نفوس أهله وتطهرت من الحقد والكراهية ، وتعاونت دوله على البر والتقوى ، ماذا تستطيع أمتنا العربية بسكانها المائة والخمسين مليونا تقريبا أن تحقق من أمجاد أجدادنا يوم دمروا الصليبيين ، وقهروا المغول ، ويوم كانوا أئمة الحضارة والفكر فى الدنيا بأسرها .

فى تصور الفلاسفة :

كان المثل الاعلى للانسان مثار اهتمام الفلاسفة من قديم الزمان ، وقد عرفت منه نماذج شتى ، نتخير منها ـ الى جانب من ذكرنا ـ أربعة نماذج ، أشار اليها « برترند راسل » ممثلة فى : أحسن الناس عند أرسطو ، والسوبرمان عند نيتشه ، والحكيم المتحكم فى انفعالاته بعقله عند فلاسفه الرواقية قديما ، وقد قيل انه كان ارهاصا بالقديس المسيحى فيما بعد .

فأحسن الناس عند أرسطو يتميز بالكبرياء والغطرسة واحتقار العجزة والاستخفاف بالضعفاء ، والترفع عن حب من كان دونه ، يقدم للناس المنافع ويستحى أن يتلقاها منهم ، ولا يبلغ هذه المكانة ـ

عند أرسطو ـ الا الملوك وأبناء الطبقة الارستقراطية . ومع أن أرسطو قد أطال في بحث الصداقة ، فانه لم يشر بكلمة الى حب الانسانية ، أو تقديم الخدمات الى الاخرين . إنه كان يدرك آلام البشرية ولا يستثار بها ولا يشقى بسببها ، إلا متى كان ضحاياها من أصدقائه ، وهذا هو مكان الحب في أنانية الاعلى . !

وقد أحيا هذه الصورة وبالغ فيها حديثا فردريك نيتشه . فيما سماه بالسوبرمان أو الانسان الاعلى ، اذ أنه أعاد جدولة القيم الاخلاقية ، وانتهى الى أن العوائق التي تعوق هذا الانسان الاعلى هي تمجيدنا لقيم بالية يتمسك بها الدهماء وهم الكثرة الساحقة ، من مسالمة وحب وتعاطف ورحمة وحنان وحلم وصبر ودعة وطاعة وتواضع ومساواة وحرية . . . وغير هذا مما سماه بأخلاق العبيد . . « أما أخلاق السادة عنده التي يتخلق بها الانسان الاعلى المنتظر فهي في رأيه ارادة القوة والقتال والبغي والظلم والعسف والقسوة والسيطرة على الضعفاء والسير على جثثهم » . . . !! وهكذا رد نيتشه الانسان الى شريعة الغابة . . . ولم يفطن الى أن التحكم في النفس والسيطرة على نزواتها وضبط غرائزها ، وتطهير النفس من الحقد والكراهية ، وترويضها على الحب والحنان والتعاطف والرحمة والدعة . . . هي شجاعة لا يقوى عليها إلا صفوة الممتازين من الناس .

ويقول مؤرخو الفلسفة : ان أحسن الناس عند أرسطو ، والانسان الاعلى عند نيتشه كانا على تعارض ملحوظ عند الحكيم الرواقي الذى كان ارهاصا بالقديس المسيحي ، أن هذا الحكيم يعيش وفاقا للعقل ولا ينساق أمام عواطفه ووجداناته ، وهو يحتقر الاهواء والميول ، ويشعر بالانفعالات ولكنه لا يأذن لها ـ من فرط قدرته على ضبط نفسه ـ أن تتحكم في سلوكه ، وهو لا يشعر بالحنان والتعاطف الوجداني ولا يهزه موت الاصدقاء والاعزاء ، ولا يحس الما ولا حزنا ولا خوفا ولا ندما . . . وهكذا أنكر الرواقية الحب كعاطفة في حياة الانسان . !

ومن هنا وبسبب ماديتهم التي لا تتمشى مع منطق الاديان بدا الحكيم الرواقي ـ في رأينا ـ على خلاف مع القديس المسيحي ، برغم أن من آباء الكنيسة من أعجبه تمسكهم بالاخلاق ، فقال ان الفلسفة الرواقية كانت مدخلا الى المسيحية،فالقديس المسيحي بوداعته وحنانه وتعاطفه مع الآخرين تمثلت فيه أعلى صفات الحب في المسيحية .

سطر جديد في المسيحية،أبان المسيح عليه السلام في عظمته للحواريين على الجبل معنى الحب حين أوضح لهم الجديد في دينه الجديد فقال (في الاصحاح الخامس وما بعده من انجيل متى في العهد الجديد) :

« سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن (يقصد ما ورد في التوراه) وأما أنا فأقول لكم :لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الايسر فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه ، ومن أراد أن يعترض سبيلك فلا ترده ، سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، صلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى في السموات ، فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين ، لانه ان أحببتم الذى يحبكم فأى أجر لكم ؟ أليس العشارون يفعلون ذلك ؟ وان سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ أليس العشارون أيضا هكذا ؟ فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم في السموات هو كامل » .

ويقول مؤرخو المسيحية ان خطبة المسيح للحواريين على الجبل قد ارتفعت بالمسيحية الى أعلى قمم شاهقة من الروحية ، وان الحب فيها قد بدا أعلى القيم وأسماها [1] . . فماذا كان الحال في الاسلام ؟ .

في الاسلام :

ان من أسماء الله الحسنى في الاسلام : الودود ـ بمعنى المحب ـ وقد ورد في آيات الكتاب وأحاديث النبى ما يدعو المؤمن الى تطهير قلبه من الحقد

---

(١) (العربي) يرى السيد المسيح أن « الله محبة »

والكراهية ، وبث الحب فى شعاب نفسه ، قال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وفى الحديث النبوى : « أحب لاخيك ما تحب لنفسك » . ومثل هذا فى الاسلام أكثر من أن يحصى .

ولكن الاسلام يحذر المؤمن من أن يصبر على ضيم ، أو يستسلم لذل أو يستكين لظلم ، بل يأمره صراحة بأن يرد العدوان بمثله ، وإن كره الله أن يبدأ المسلم بعدوان . قال تعالى : « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . »

ومضى الصوفية فى طريق الحب الى أقصى أماده ، فجعلوا حب السالك غاية طريقهم ، ونهاية مطافهم ، ودعوا السالك الا ينطوى لغيره الا على الحب صافيا لكى تصفو نفسه ويرتفع عنها حجاب الحس . . . . الى آخر ما هو معروف عنهم .

وهكذا رفع الاسلام الانسان فوق بهيميته ، دون أن يقطع صلته بواقعه .

وفى أحلام الفلاسفة :

صور الفلاسفة أحلامهم فى « يوتوبيات » . . أى مجتمعات مثالية تخيلوها محققة لسعادة أفرادها ، وكمال حياتهم ، دعوا فيها الى تطهير النفوس من الحقد والكراهية ، والنفور من الحروب وآفاتها ، وتوكيد قيم عليا تتمثل في منع الخوف والقلق والجوع الجهل والمرض . . وطلب الأمن والسلم واقرار الحرية والكرامة والعدالة ، وتوفير أسباب المعرفة ، ووسائل العيش الرخى . . . وغير ذلك من قيم عليا يلتقى على طريقها الناس أفرادا وأمما فى كل زمان ومكان .

ووراء هذا كله توكيد للحب فى نفوس الناس بكل معانيه وأسراره .

وفى المواثيق الانسانية :

وضاقت الامم بالصراع الذى قد يهبط بها الى أدنى مراتب الوحشية والبهيمية ، هذا واقع تثقله عند الاقوياء آفات الجشع والعدوان والاضطهاد والاغتصاب ، وعند الضعفاء معاناة الظلم والبغى والذل والاستعباد ، يخفف من هذا الواقع الاليم نزوع الأمم كافة الى التخلص منه والتعالى عليه فى ظل قيم عليا تطلعت اليها بعد الحرب العالمية الاولى فى « عصبة الامم ، حين قبل الحلفاء مشروع ولسون (١٠/٤/١٩١٩) وكان يقضى باقامة التعاون بين الدول الاعضاء ، وكفالة السلام وتفادى الحروب وتوثيق العلاقات الشريفة بين الامم ، وكفالة العدل وابرام المعاهدات والوفاء بالتزاماتها ، وإزالة العوائق الاقتصادية مع توقى الامراض وضمان المواصلات وتحديد التسليح ، وتسوية المشاكل سلميا . . . وهى قيم تتطلب طاقات روحية لا تخفى .

ومن أسف أن الحلفاء قد نسوا كل هذه المبادىء عند عقد الهدنة التى أعقبت الحرب « واقتسموا الغنائم كما تقتسم الوحوش الضارية فريستهم فى الغابة . . !

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية وقع الحلفاء على ميثاق هيئة الامم المتحده (٢٥/٦/٤٥) وقوامه اقرار السلام وتوكيد الحرية واحترام حقوق الأمم ، ومحاربة الظلم والاستبداد ، وكفالة كرامة الفرد وحقوقه السياسية ، مع توخي التسامح ، وكفالة الامن الدولى ، والعمل على ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية لكافة الشعوب حتى يستتب الامن وينتفى العدوان وتنمو علاقات الود بين الامم على أساس من المساواة فى الحقوق والتعاون تحقيقا للرخاء الاقتصادى والتقدم الاجتماعى . . . الى آخر هذه القيم الانسانية التى لا تستقيم بغير طاقاتها الخلقية الروحية ، وتستهدف جميعها توكيد الحب بكل معانيه وأسراره .

وخيبة الرجاء فى تحقيق هذه المواثيق الى اليوم لا ينفى القول بأنها تستهدف التخلص من واقع اليم ، وتؤكد الحب مثلا أعلى يدين به الناس ، أفرادا وجماعات وأمما فى كل زمان ومكان ، والامل كبير فى أن تتقدم البشرية نحو تحقيقه فى المستقبل رويدا رويدا □

جزيرة الحب المنهكة

استطلاع : صلاح حزيـــن تصوير : أوسكار متري

عندما عرفت قبرص احتلالها الأول على أيدي الفراعنة لم تكن أفروديت قد خرجت من زبد البحر من بقعة على شاطئ الجزيرة بعد ، بل كانت جزيرة النحاس الذي أعطى الجزيرة اسمها القديم .

وتعاقب الغزاة عليها على مر العصور ، لكن أيا منهم لم يفلح في حجب شمسها القوية وجمالها الأخاذ ، فبقيت رغم انهاكها جزيرة الحب والخصب والجمال .

« لايكي ايتونيا » مدينة مصغرة لا تتجاوز مساحتها ألف متر مربع بنيت على الطراز القبرصي القديم في قلب العاصمة نيقوسيا .

طائر البليكان : واحد من ثلاثة قدمت الى جزيرة واستقرت بها .

بائعة الأعمال اليدوية الشعبية
في قلب العاصمة نيقوسيا..

شمس قبرص الحارة ، وبحرها الأزرق الممتد حتى الأفق ، وأجساد المصطافين تتناثر بغير انتظام فوق رمال الشاطيء الناعمة الساخنة ، مستسلمين بخشوع لوهج الشمس الحارة ، كأنهم يمارسون طقس عبادة خاصا بهم للشمس باعثة الدفء في اوصال الجزيرة . وعن بعد تتسلق التلال المحيطة مجموعة صغيرة من المباني الحديثة الفخمة ، التي غطت اجزاء منها المظلات الملونة المنتصبة فوق الأجساد . وعلى مقربة من هذا المشهد اصطفت في ميناء المدينة الصغير قوارب الصيد الصغيرة ، التي اسلمت نفسها لحركة المياه الخفيفة ، بانتظار البحارة القدماء ، للذهاب في رحلة صيد بحرية نحو الأفق القريب البعيد .

انها قرية ايانابا القبرصية الساحلية ، الواقعة على نقطة في الزاوية الجنوبية الشرقية للجزيرة ، التي تشبه في شكلها مصباح الزيت القديم ، الذي تتحدث اساطيرنا عنه وعن حارسه ذي القدرة الخارقة .

مصائب قوم

لقد اخترنا ان تكون زيارتنا الأولى لايانابا من بين كل المدن والقرى القبرصية ، لأنها احدث المتجمعات البحرية في الجزيرة . وقد تنظر الى خارطة للجزيرة وضعت قبل خمس او ست سنوات فلا تجدها ، لكنها اليوم واحدة من اكثر القرى الساحلية شعبية ، وخصوصا لدى السائحين القادمين من البلدان الاسكندنافية ، الذين احبوا القرية التي اشتهرت من قبل بديرها العتيق ، ومصائد الأسماك على مدى سنين طويلة . ثم جاء التدخل التركي في الجزيرة عام ١٩٧٤ فهجر سكان فاماغوستا مدينتهم التي تقع الى الشمال منها ، وكانت حتى ذلك الوقت اشهر موانيء الجزيرة ، وتوزعوا على المدن القبرصية الأخرى ، وانبعثت الحياة في عدة قرى مجاورة ، وكان لأيانابا النصيب الأكبر من إرث المدينة المنكوبة .

خلال الايام التالية لاقامتنا في الجزيرة زرنا المتجمعات الساحلية الأخرى: لارناكا ، ليماسول ، وبافوس . كان المشهد التشكيلي واحدا في الجوهر ، مع اختلافات طفيفة في التفاصيل . ففي لارناكا يكبر المشهد البحري ليستوعب اشجار النخيل التي امتدت على طول شارع البلاجات الرئيسي في المدينة ، وامتدت رقعة الرمال ، وانتشرت الفنادق الفخمة التي استوعبتها المدينة الكبيرة بحركتها الدائبة ، وامتدادها العمراني ، في محاولة لاحتواء التوسع الذي تشهده .

والميناء وحوض السفن تراهما هنا ايضا في لارناكا ، وهناك في ليماسول التي يعرفها العرب جيدا ، لكنها اكبر حجما ومساحة واكثر ازدحاما ، فقد امتلأ الميناءان القبرصيان ـ الى جانب السياح والمصطافين الأوربيين ـ بعشرات الآلاف من العرب الذين جاءوا لأسباب متعددة ، تتراوح بين الهروب من جحيم الحرب الاهلية اللبنانية ، والسياحة والاصطياف في شهور الصيف القائظة في بلادهم ، وبين الاستثمار العقاري الذي يكاد ان يتركز في ليماسول ، ذلك الميناء التاريخي العريق الذي كاد ان يتحول الى مدينة عربية لكثرة اعداد السائحين والمستثمرين والمقيمين من العرب هناك ، لذا فليس من المستغرب ان تفاجئك في اثناء سيرك في شوارع المدينة قطع اعلانية باللغة العربية تعلن عن وجود شقق للبيع او للايجار ، او يعترضك اعلان عن وجود مطاعم تقدم اشهى المأكولات العربية او اللبنانية وغيرها . وقد تفاجأ بان صاحب المطعم او من يقدم لك الطعام مصري او سوري او لبناني مثلا .

لقد اصبحت اللغة العربية واحدة من المكونات الأساسية لفسيفساء الناس والتاريخ في قبرص عموما ، وفي ليماسول بوجه خاص .

مدينة أفروديت :

في مدينة بافوس ، الواقعة في اقصى نقطة غربي الجزيرة يختلف المشهد قليلا ، فهي مزيج من بساطة ايانابا وهدوئها ، وزحمة مشاريع الاستثمار العقاري والسياحي التي بدأت تأخذ من العاصمة القديمة لقبرص شيئا من عفويتها وبساطتها . فعلى الطريق بين بافوس القديمة وبافوس الجديدة اللتين ترتبطان بخطوط متصلة من البيوت التي امتدت مع الشوارع بدأت ترتفع الفنادق الفخمة ، وبعضها فروع لسلاسل الفنادق العالمية المعروفة ، وبعضها الآخر فيلات سكنية يمتلك جزءا منها بعض الموسرين العرب والخليجيين منهم على وجه الخصوص .

جزيرة قبرص وفي الشمال تبدو نيقوسيا اخر المدن المقسمة

لكن شيئا واحدا لم يتغير في بافوس منذ زمن الأسطورة الشهيرة التي اعطت الجزيرة اسمها . انه الشاطىء الصخري الذي يفترض انه شهد خروج افروديت من زبد البحر ، لتكون الهة للجمال والحب والخصب كما تقول اساطير الاغريق ، وكما أنشد هوميروس منذ اكثر من الفي عام . ولقرون عديدة ظلت تلك البقعة الصخرية الموحشة مزارا للقادمين من جميع انحاء العالم ، لرؤية صخرة افروديت الواقعة على الطريق بين ليماسول وبافوس . ينزل الزائرون من حافلاتهم وسياراتهم ويتجهون نحو الشاطىء الصخري ، ويخوضون في الماء الافروديتي ثم يعودون تاركين الصخر والموج في عراك ابدي ، في تلك المنطقة الموحشة من الشاطىء ، الذي لم تمتد اليه يد التغيير منذ انبثاق الاسطورة .

لا يختلف مرفأ بافوس كثيرا عن مرفأي ليماسول ولارناكا ، وربما كان هناك وجه شبه آخر بينه وبين مرفأ وشاطىء ايانابا . فالاثنان يخضعان لعملية بناء جديدة تشير الى اهمية قادمة ، وعلى المستوى التشكيلي هنالك قلعة بافوس الشهيرة التي تحرس المرفأ بأبعادها المتناسقة وتضفي على المشهد البحري شيئا من عبق التاريخ .

يقول التاريخ إن هذه القلعة بنيت في عهد احمد باشا ، حاكم قبرص التركي عام ١٥٩٢م ، لتكون حصنا حصينا ، كما تقول الكتابة المحفورة على الحجر الابيض فوق بوابة القلعة ، وانها بنيت فوق قلعة دمرها البندقيون قبل ان تقع في ايدي الأتراك الذين احتلوا الجزيرة عام ١٥٧١ ، وقبل ذلك كان البيزنطيون قد بنوا قلعة في المكان نفسه لكنها دمرت بفعل الهجمات العربية على الجزيرة .

وهكذا ، فخلف هذا الشموخ المتناسق لقلعة هدمت واعيد بناؤها اكثر من مرة تكمن ذكريات التاريخ المريرة لجزيرة انهكها تعاقب الغزاة والمحتلين عبر تاريخ يمتد عميقا حتى العصر الحجري .

هذا العذاب وتلك الوداعة :

لقد كان للموقع الاستراتيجي الذي تحتله جزيرة قبرص في الركن الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط دور كبير في كل هذا العذاب الذي شهدته الجزيرة ، فهي حلقة الوصل بين القارات الثلاث للعالم القديم ، ومنذ فجر التاريخ ، ايام مجد الفراعنة المصريين عرفت الجزيرة الاحتلال لاول مرة عام

سائحة جاءت من أقصى الشمال لزيارة المكان الذي ولدت فيه أفروديت .

على صهوة الحمار القبرصي الشهير ، في الطريق من أياناپا الى لارناكا .

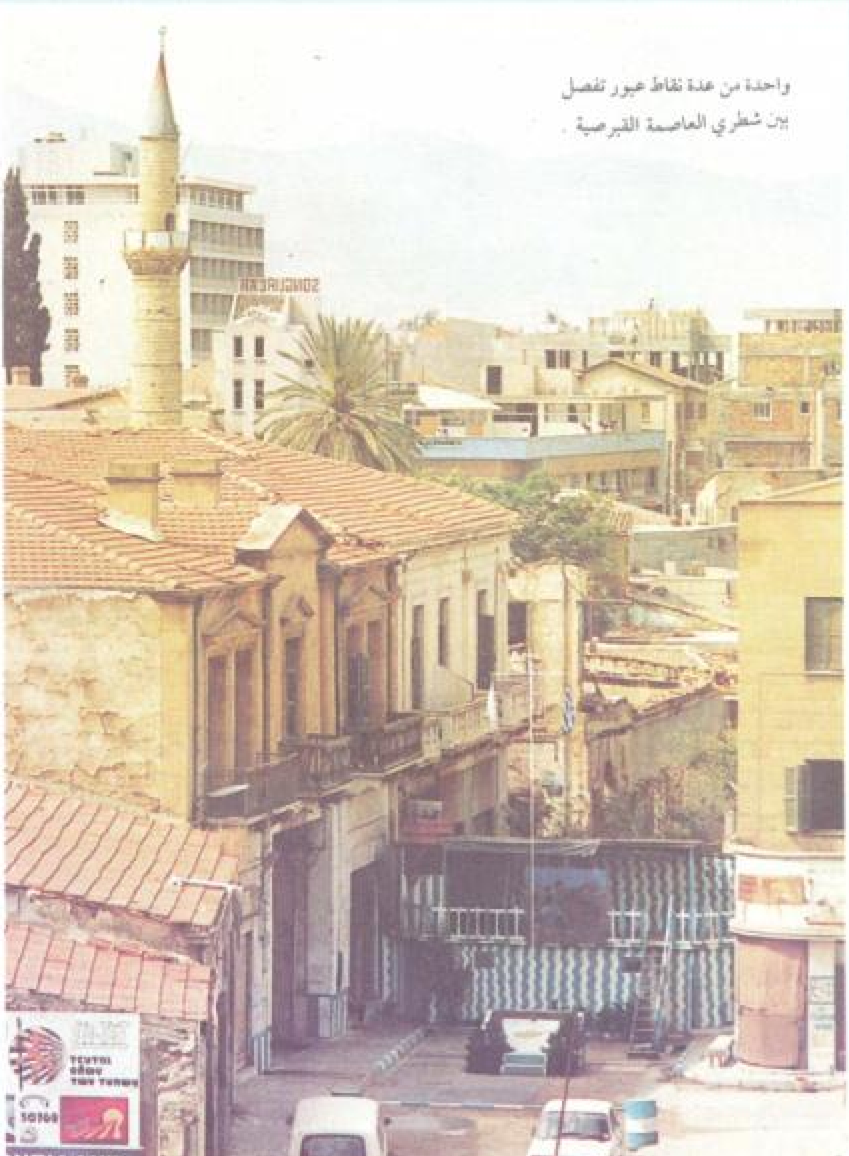

واحدة من عدة نقاط عبور تفصل
بين شطري العاصمة القبرصية .

١٤٥٠ ق . م ومنذ ذلك التاريخ ظلت محطة للغزاة العابرين والمقيمين ، فقد احتلها بعد ذلك الآشوريون والفرس والبطالسة والبيزنطيون والرومان ، والملك الانكليزي ريتشارد قلب الأسد الذي باعها مقابل ١٠٠ ألف جنيه لفرسان المعبد الصليبيين ، ثم عاد فمنحها للمغامر الفرنسي لوزينيان احد فرسان المعبد . بعد ذلك جاء البندقيون ثم الأتراك فالانكليز الذين واصلوا احتلالها حتى الاستقلال عام ١٩٦٠ ، وبعد ١٤ عاما جاء التدخل التركي ليقسم الجزيرة الى قسمين ، تركي وآخر قبرصي يوناني ، ولتصبح العاصمة نيقوسيا مدينة مقسمة في منطقة مضطربة ومجتمع دولي لا حيلة له .

ومع ذلك ، فإن الوداعة والبساطة التي يتميز بها سكان الجزيرة لا تخفى على الزائر بأي حال ، يبدو ذلك من خلال حرارة الاستقبال وعفوية التعامل مع عشرات الجنسيات التي تغص الجزيرة بمواطنيها طوال العام ، كما يبدو من خلال تقبل المواطنين للزوار واستسلامهم لأجهزة التصوير التي تتدخل في خصوصياتهم وتقتحم عليهم منازلهم ، حتى في القرى النائية التي يفترض انها بعيدة عن الاحتكاك السياحي الذي تعرفه المدن الكبيرة .

فوق صهوة حمار قبرصي

في الطريق من ايابانا الى لارناكا يراودك شعور بانك قد سلكت هذا الطريق من قبل ، وأنك دخلت القرى وشاهدت أهلها . فالشبه بينها وبين القرى والطرق الجبلية في فلسطين ولبنان وسوريا اوضح من ان تخفيه اللغة المختلفة التي يستخدمها اهل الجزيرة .

وعلى جانبي الطريق تبدو بين حين وآخر مجموعة من الأشباح تنحني فوق التربة الحمراء الممتدة على مرمى البصر ، انهم الفلاحون والفلاحات يلتقطون محصول البطاطا الذي تشتهر بزراعته هذه المنطقة من الجزيرة ، وتلوح في الأفق قطعان من الماشية منقادة امام كلب يمتثل لأوامر سيده الكهل الذي امتطى صهوة حماره القبرصي الشهير .

ولأن الحمار القبرصي احد المعالم المهمة للجزيرة ، فقد وقفنا لالتقاط صورة للمشهد الجميل الطريف ، فامتثل الراعي وامتثل الكلب والحمار والأغنام .

التقطنا الصور بعد همهمات صامتة ، وبعض الاشارات مع الراعي الكهل ، ثم غادرناه وهو يكبح جماح الكلب المتحفز ، ملوحا بعصاه الغليظة التي امسكها من الوسط فيجري الكلب دائرا حول الاغنام التي انقادت طائعة في الاتجاه المحدد ، فوقفنا عن بعد نرقب حركة المشهد الذي يحمل اكثر من ايحاء !

وتساءلنا عن مصير الحمار القبرصي الشهير فجاء الجواب باننا غير محظوظين ، لأن هذا ليس موسم نقل الملح من بحيرة لارناكا المالحة الذي يتم اساسا على ظهور الحمير القوية التي يتجمع منها عدد كبير ، وبشيء من الفخر قال لنا السائق المرافق انه منذ قرون عديدة وحتى الآن لم تظهر وسيلة لنقل الملح افضل من الحمار القبرصي ، ولكن ـ يضيف محدثنا ـ لم يبق من هذه الثروة « الحيوانية » سوى القليل ، مما اوصل سعر الحمار الى ٥٠٠ باوند قبرصي ، وهو مبلغ كبير نسبيا ، وبشيء باهمية لايستهان بها لحيوان لم ينصفه التاريخ الا في قبرص ، حيث لا تزال القصص تروي عن حادثة وقعت هناك ايام حرب التحرير بطلها الحمار القبرصي نفسه ، ففي احدى مراحل القتال بين الانكليز والثوار تم التوصل لوقف اطلاق النار ، فاراد الانكليز ان يغتنموا الفرصة للقضاء على الثورة فأطلقوا الطائرات ترمي على المدن منشورات تطالب الثوار بالاستسلام ، فما كان من هؤلاء الا ان اطلقوا حمارا يجوب شوارع العاصمة وحيدا متحديا منع التجول وعلى ظهره لوحة كتبت عليها عبارة « اني استسلم » .

الفلسطيني الأول في قبرص :

فيما عدا الشاطيء الذهبي الذي لم تكن الحركة فيه قد وصلت الى ذروتها هنالك ثلاثة معالم سياحية اخرى يتوجه اليها زوار لارناكا ، مسجد هالا سلطان ، والبحيرة المالحة وكنيسة العازر . وتربط احدى الاساطير الدينية بين البحيرة المالحة والعازر الذي اقامه السيد المسيح من الموت ، فهرب من فلسطين الى قبرص خوفا من اليهود ، لأنه ظل شاهدا على معجزات المسيح . تقول الاسطورة ان العازر الذي كان سائرا في يوم قائظ الحر توجه نحو أحد الأكواخ ، وطلب من عجوز كانت تعيش فيه شيئا من العنب

جورج أبوانو وعائلته من قبارصة فلسطين ولد في معان بالاردن وعاش طفولته في القدس قبل أن يغادر الى قبرص .

لاطفاء ظمئه . ولكنها كذبت عليه بقولها ان كرم العنب لديها جف دون ان ينتج عنبا . فقال العازر غاضبا « لانك كذبت علي ، فان كرمك سيجف ويتحول الى بحيرة مالحة » وهكذا كان . ولاثبات هذه الاسطورة يجول حتى اليوم راهب بصحبة غلام على منازل الفلاحين لتلاوة القصة عليهم مستشهدا على صدقها ببعض جذور العنب الجافة التي يصادف وجودها في البحيرة الجافة احيانا ، وبالمقابل يعطي الفلاحون الراهب والغلام البيض ، فيدعوان لهم بحق القديس العازر ان يحفظهم الله ويحفظ مزروعاتهم .

واليوم تقف كنيسة القديس العازر في مدينة لارناكا فوق قبره لتخلد ذكرى قدوم اول فلسطيني الى لارناكا هربا من اليهود ، وذلك قبل نحو الفي عام من قدوم فلسطينيين الى الجزيرة هربا من صهاينة اليهود الذين انشأوا دولتهم على ارض الفلسطينيين عام ١٩٤٨ ، وقبل ان تنزل بها القوات الفلسطينية الخارجة من حصار بيروت عام ١٩٨٢ بعتادها واسلحتها وشموخها ، وقبل ان ينزل بها آلاف اللبنانيين الذين غادروا بلادهم امام الغزو الصهيوني لها في العام نفسه .

في مسجد هالا سلطان تمتزج الأسطورة بالحقيقة ، فهذا المسجد قائم فوق قبر ام حرام التي كانت ترافق جيش المسلمين ، الذين غزوا المدينة عام ٦٤٧ م ، فسقطت عن بغلتها وماتت هناك . وفي عام ١٧٦٠ قام حارس المنطقة التركي الشيخ حسن ببناء ضريح لها ، وفي ١٨١٦م قام سيد امين افندي حاكم قبرص التركي ببناء المسجد على طراز التكايا ، ذات التصميم التركي الذي يذكر المشاهد بالتكية السليمانية في دمشق ، والتكايا التركية الأخرى المنتشرة في البلدان التي وقعت تحت الاحتلال التركي .

وقد تضاربت الآراء حول ام حرام التي قيل انها عمة الرسول الكريم محمد (ﷺ) لكن الدكتور يونس مهران ، استاذ التاريخ الاسلامي في القاهرة يقول بأنها « ام حرام ، عمة انس بن مالك الصحابي الجليل التي كانت موضع احترام النبي هي وابن

نساء قبرصيات من مختلف الأعمار يشتركن في تطريز قطعة قماشية كبيرة في قرية (لفكارا) الشهيرة بأعمال التطريز والأعمال اليدوية الأخرى .

□□

فتاتان من (فلسطيني قبرص) المهاجرين من المنطقة التركية تصنعان الخزف في مركز الفلكلور في نيقوسيا .

يد خبيرة في عرض الشارع .

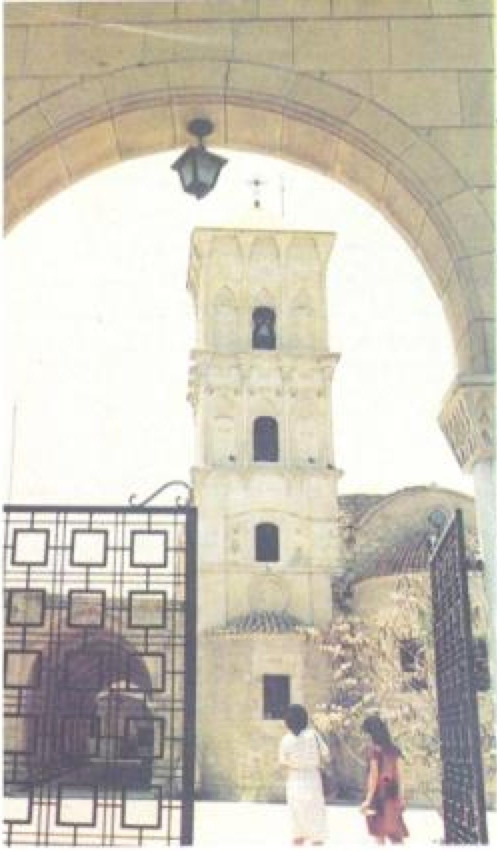

كنيسة القديس العازر أول فلسطيني في قبرص .

مسجد هالا سلطان يتوسط غابة من نخيل في لارنكا .

أشكال فسيفسائية في بافوس ، ويشاهد رمز الصليب المعقوف النازي بجانب نجمة داود الصهيونية ، لقد كانا معا منذ القدم !

اخيها ، وانه ربما من اجل ذلك جاء الخلط حول هويتها » .

وتقول بعض الأساطير ان الحجرين اللذين يغطيان الضريح قد طارا من مكة ، وانتظرا معلقين في الهواء قرونا طويلة قبل استخدامهما في بناء الضريح . وبالطبع فان نسج الأساطير حول احداث التاريخ في جزيرة الأساطير امر متوقع ، لكن ما هو غير متوقع بقاء من يؤمن بمثل هذه الأساطير والخرافات حتى يومنا هذا وفي جزيرة تحسب جغرافيا ضمن قارة العلم والتقدم ، اوروبا .

في المجال الاغريقي :

من ليماسول الى بافوس ، من وسط الساحل الجنوبي لقبرص حتى اقصى الساحل الشرقي منها ، يدخل الزائر ما يمكن تسميته بالمجال الاغريقي .

لاشيء يميز مدينة ليماسول عن غيرها سوى حجم الجالية العربية من لبنانيين هاربين من حربهم الى بعض السائحين من منطقة الخليج اساسا ، الى مستثمرين وتجار ووسطاء عقاريين نقلوا نشاطهم ومراكزهم التجارية من لبنان وغيرها الى قبرص . لذا « فالصوت العربي » مسموع ومألوف في تلك المدينة ، التي كان للملك ريتشارد قلب الأسد فيها من الوقت ما جعله يتوقف ليتزوج في قلعتها من خطيبته بارينغاريا ، في أثناء رحلة عودته مهزوما على يد صلاح الدين الأيوبي .

في الطريق من ليماسول التي اقيمت فوق مدينة قديمة تدعى اماثوس الى بافوس وقرية بوليس تقوم عدة مناطق اثرية رومانية ويونانية وصليبية . تعكس شيئا من التاريخ المتنوع للجزيرة ، فمن قلعة كولوسي التي بناها فرسان المعبد الصليبيون ، والتي تذكرنا بقلاع كثيرة تركها هؤلاء الغزاة في بلادنا ، الى مدينة كوريوم حيث المدرج الصغير المطل على السهول الخضراء المحاذية للبحر ، وأرضيات ما تبقى من منازل مزينة برسوم فسيفسائية ملونة ، نكتشف عند وصولنا الى بافوس انها مجرد عينات صغيرة لتلك القطع الفنية الكثيرة ، التي لا يزال قسم كبير منها سليما في بافوس . ومن فوق المدرج القديم الذي ترد له الحياة في الصيف حين تقدم الفرق المسرحية اعمالها عليه ، ننظر نحو الأفق فتتراءى لنا طائرات ليست كالطائرات ، انهم هواة الطيران الشراعي الذين ينطلقون بأشرعتهم الملونة من تلك الهضبة العالية المحاذية للبحر ، ليمارسوا هواية مثيرة وخطيرة مخففين العبء على الارض مزاحمين الطير في السماء .

هم في الفضاء ، ونحن على الأرض نتحرك في المجال الاغريقي نحو معبد ابولو ، الذي لم يبق منه سوى حلبة المصارعة التي شهدت صورا من عنف الانسان ووحشيته في عصر الرومان . وفي احدى الزوايا قبعت جرة كبيرة الحجم ، كانت تستخدم لحفظ الزيت الذي كان المصارعون يستخدمونه في دهن اجسادهم عند التدريب . وعلى بعد امتار قليلة من تلك الحلبة يقوم الحمام الروماني الذي لا غنى عنه بعد كل هذا العنف . ومن المفارقة ان هذه الساحة الرهيبة كانت تستخدم في ايام السلم لفض الخصومات والمنازعات بين الناس . وفي سبتمبر من كل عام كانت الاحتفالات تقام فيها ابتهاجا بمولد ابولو ، اله الشمس .

نغادر المنطقة متجهين الى بافوس فتلوح لنا عن بعد قلعة كولوسي مرة اخرى ، مطلة على المشهد الأخضر والى جوارها شجر الزيتون العجوز وبناء متهدم قيل أنه كان فيما مضى مصنعا للملح ، فعرفنا شيئا عن قبرص الصناعية في العصر الوسيط . قبل ان نصل الى مكان يسمى « تل المصنع » في بافوس ، لنشاهد كهوفا ضخمة محفورة في الصخر ، قيل انها سميت بتل المصنع ، للاعتقاد بوجود مصنع للقطن في تلك المنطقة في أزمان الصناعة القبرصية الغابرة .

قصور الأغنياء ومقابر الملوك :

بين صخرة افروديت في الطريق من ليماسول الى بافوس وحمامات افروديت التي تقع على بعد ٣١ ميلا الى الشمال الشرقي منها تقع العاصمة القديمة للجزيرة بافوس ، هنا ايضا ، كما في مدن قبرص الأخرى ، الشاطىء الرملي تفترشه مجموعات من الاجساد البرونزية ، التي جاءت لتصطلي بوهج الشمس التي لا تراها كثيرا في بلادها ، وكنائس ومعابد اغريقية ورومانية ، ومساجد غادرها المصلون المسلمون نحو الشمال الذي اعلن من جانب واحد

جمهورية قبرصية تركية منفصلة واشياء مشابهة شاهدنا مثلها في كل المدن القبرصية التي زرناها ، لكن لدى بافوس ما تختلف به عن مدن الجزيرة الأخرى : انها اعمال الموزاييك الملون الذي يغطي ارضيات المنازل الرومانية بالأساطير الاغريقية ، وقبور الملوك الغريبة . تلك المدن المحفورة في باطن الصخر وتحت الأرض لاستقبال جثث الموتى في توابيتها الحجرية المنضدة .

وعلى اي حال فلم تكن تلك قبورا للملوك بل قبورا لبعض الأغنياء اتخذها المسيحيون الأوائل ملاذا للهرب من الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه آنذاك ، وقد سميت بقبور الملوك لفخامة بنائها وضخامتها . ونستمع الى الشرح ونشرد بأذهاننا نحو بعض عواصمنا ، حيث يلجأ المسلمون الفقراء الحاليون نحو بعض المقابر ، هربا من قسوة الحياة خارج المقابر .

نجمة داود والصليب المعقوف :

وان كان لجثث اغنياء ذلك الزمان قبورهم الفخمة فقد كانت لهم في حياتهم بيوتهم الواسعة المترفة التي تغطي ارضيات غرفها رسوم فسيفسائية ، تمثل اساطير الاغريق ورموزهم وآلهتهم . وفي الموقع الذي اطلق عليه اسم بيت ديونيزوس تمتد فوق مساحة الأرضية تصويرات ملونة لتلك الآلهة والقصص والأساطير ، وعند الوصول الى غرفة الرموز التي تغطي ارضية احدى الغرف يدهشك الفن التشكيلي لبعض الرموز التي استكان كل منها في مساحته الخاصة به ، وتقع عيناك على احد اوائل الاعمال التشكيلية لمكعبات ذات ابعاد ثلاثة ، وعلى مقربة منها يفاجئك شكلان تعرفهما جيدا . وتتساءل عن سر وجودهما معا منذ ذلك الزمن السحيق ، انها نجمة داود ، الرمز اليهودي والصهيوني المعروف ، وعلى مقربة منه شكل مقلوب للصليب المعقوف الذي كان شعارا للنازية ، التي اذاقت العالم ويلات الحرب والدمار منذ اكثر من اربعين عاما تحت شعار تفوق العرق الآري والعداء للسامية ورمزها نجمة داود . وبدلا من التساؤل عن كيفية وجود شعار النازية الى جانب النجمة الصهيونية قبل ظهور الفكرتين النازية والصهيونية بأكثر من الفي عام ، قلت لنفسي بصوت مسموع ، لقد كانا على الدوام رمزين لمسمى واحد اسمه الدمار ، وحاولت مرافقتنا ان تستوضح ما اقول ، فأجبت بأن ذلك أمر لا يفهمه الا عربي

ونزل القرية غريب :

في صباح مبكر كنا في بلدة (لفكارا) التي تقع على بعد ٣٧ ميلا جنوبي العاصمة نيقوسيا في الطريق الى ليماسول . الأزقة القديمة الضيقة للقرية التي لم تستيقظ بعد ، تذكرك بقرية جبلية سورية او فلسطينية او لبنانية ، وكما هو الحال في معظم مدن وقرى الجزيرة ، تقف الكنيسة مقابل المسجد الذي لم يعد يرتاده احد منذ الحرب ، عام ١٩٧٤ ، حين غادرت الأقلية التركية المسلمة البلدة الى الشمال .

بعد الساعة التاسعة بقليل بدأت بوابات المنازل والحوانيت تفتح على مصراعيها امام الزوار والسياح القادمين لشراء اغطية المناضد والشراشف المطرزة التي تشتهر بها القرية الجبلية . تفتح العجائز الأبواب وتتركها مشرعة امام العابرين الذين لا يترددون في الدخول الى فناء المنزل ، الذي اختلطت فوق ارضيته الزهور بالاعمال اليدوية للفضيات من ادوات واوان

فلاحات من قبرص يجمعن محصول البطاطا .

أيانابا : بحر ومصطافون وفنادق جديدة .

بائعة وقبعة

بائع خضار في أيانابا يحاول أن
يحمل ثلاث بطيخات بيد واحدة .

ميناء ليماسول وصيادون يفرغون شباكهم . مشهد يتكرر في جميع موانىء قبرص .

قبور الملوك في بافوس ، اختبأ بها المسيحيون الاوائل ودفن فيها الأغنياء .

وتحف وقطع تزيينية ، بالقطع القماشية المطرزة بأسلوب لفكارا المميز والمعروف في انحاء مختلفة من العالم . وتجلس النساء من مختلف الاعمار في الازقة الضيقة امام منازلهن يطرزن القطع القماشية في جو يشي بألفة ومودة لم تنسه قرى الجزيرة المعذبة .

وتمثل قرية لفكارا نموذجا فريدا من بين قرى الجزيرة ، فمنازلها ورش عمل حقيقية لسكانها الذين يقومون فيها باعمالهم اليدوية ، ثم يعرضونها للسياح الذين يمر ثلاثة آلاف منهم بالقرية كل يوم ، يطوفون بالمنازل والحوانيت للفرجة او للشراء . وفي احد الأصباح من عام ١٤٨١ نزل القرية زائر غريب واشترى قطعا من مطرزات لفكارا وعاد الى وطنه ليضع القطعة في كاتدرائية ميلانو الشهيرة في ايطاليا ، اذ لم يكن هذا الزائر الغريب سوى ليوناردو دافنشي ، فنان عصر النهضة الايطالي .

الحرب والجمال :

يمتد موسم الجزيرة السياحي فترة طويلة بكل المقاييس ، فشمس الجزيرة الحارة تصبح محتملة لدى السياح الاوروبيين القادمين من الشمال البارد منذ مارس ، حيث يبدأ الموسم ولا ينتهي قبل نوفمبر من كل عام ، وعندها تتحول افواج السائحين نحو جبال ترودوس التي تقع اعلى قممها على ارتفاع ٥٥٠٠قدم فوق سطح البحر ، ومنذ يناير وحتى اواسط ابريل يبدأ المتزلجون على الثلج بممارسة هوايتهم في تلك المنطقة الجبلية ذات الطبيعة الساحرة ، ويختلط اللون الابيض للثلوج بثلاث قباب بيضاء تتربع فوق واحدة من اعلى قمم المنطقة ، انه المرصد البريطاني الذي يشرف على المنطقة العربية بأسرها بما في ذلك جزء من منطقة الخليج،وهو احدى ثلاث قواعد بريطانية في الجزيرة . وفي الاسفل يمارس المتزلجون او المصطافون في اشهر الصيف الأخرى هواياتهم المفضلة ببراءة لا تتناسب مع مهمة المرصد المتربع فوق قمة الجبل .

في الطريق من نيقوسيا الى ترودوس يراودك مرة اخرى ذلك الشعور الغريب بألفة المكان وألفة الطبيعة المحيطة بجانبي الطريق ، وتبدأ الذاكرة باستحضار صور الطبيعة والأمكنة الشبيهة بها بشكل مدهش في لبنان وفلسطين وسوريا .

ومن خلال مذياع السيارة تأتي اصوات مذيعي محطات الارسال التي أقامتها الميليشيات والقوى اللبنانية المختلفة في الجبال الشبيهة على الجانب الشرقي من البحر . وتحاول ان تكتشف العلاقة بين جمال الطبيعة الجبلية وبين دوي المدافع وازيز الرصاص ، فقد كانت جبال ترودوس ايام حرب الاستقلال القبرصية مسرحا لمعارك شرسة بين قوات الاحتلال البريطاني ، وبين الثوار الذين اتخذوا من الجبال الوعرة والغابات الكثيفة مراكز لهم لشن حرب الاستقلال . ولكن وجه الشبه يأبى ان ينطبق هنا ايضا ، فالفرق كبير بين حروب التحرير والحروب الأهلية .

آخر المدن المقسمة :

لم يبق الا نيقوسيا ـ العاصمة ـ آخر المدن المقسمة في عالم لا يبالي . شوارع حديثة طويلة بين صفوف لا تنتهي من البوتيكات والمحلات التجارية ومقاهي الرصيف ، ليس بها وطأة المدينة الضخمة ، بل بها مسحة المدينة الشرقية ، بيروت ، وربما دمشق او بلدة فلسطينية اخرى ، لكن بيروت تبقى اكثر المدن شبها بها ، ويتعزز هذا الشعور عندما تمضي باتجاه المدينة القديمة (ليدرا) فتصطدم بأحد الحواجز التي تفصل بين شطري المدينة القبرصي والتركي فتتداعى في ذهنك على الفور اسماء كل الحواجز اللبنانية التي سمعت بها في نشرات الاخبار طوال احدى عشرة سنة هي عمر الحرب الأهلية في لبنان .

بعد أن أنهكت الغزوات المتكررة مدن قبرص الساحلية ، اختيرت نيقوسيا الواقعة في وسط الجزيرة تقريبا لتكون عاصمة للبلاد ، وقد مكنها وقوعها بين الجبال من تطوير نفسها بعيدا عن الغزوات في زمن الغزو ، فوصلتها يد الحرب عام ١٩٧٤ ، وقسمت في زمن الأمم المتحدة والدعوة لاحترام استقلال الشعوب،واصبحت لها نقاط عبور خاصة بها يأتي اليها القبارصة الاتراك ، الذين يعيشون في الجزء الشمالي الذي بقي تحت السيطرة التركية منذ عام ١٩٧٤ للقاء ابنائهم واقاربهم الذين فضلوا البقاء في مدنهم وقراهم مع القبارصة اليونانيين في الجنوب . تماما كما ظل الفلسطينيون يلتقون عند بوابة مندلبوم التي كانت تفصل القدس العربية بالجزء المحتل منها بين ١٩٤٨

و١٩٦٧ حين سقطت البوابة والقدس وما تبقى من الأرض الفلسطينية في ايدي الصهاينة .

لا بحر في نيقوسيا ، بل مواقع اثرية تتركز في المدينة القديمة ذات الجدران الضخمة والبوابات الثلاث القديمة الكبيرة ، وفي عدد من الكنائس والمساجد ربما كان اكثرها لفتا للنظر ذلك المسجد في الجانب التركي من المدينة الذي كان كنيسة بنيت على طراز كنيسة نوتردام الشهيرة في باريس مع تغييرات طفيفة ، وفي العهد التركي تحولت الكنيسة الى مسجد واقيمت عليها مئذنتان ، فبدت عن بعد مشهدا غريبا يعكس تعددية المدينة وأزمتها وطابعها الثنائي وتاريخها المتنوع .

فلسطينيو قبرص وقبارصة فلسطين :

قبل ان تصل نيقوسيا قادما من لارناكا تلفت نظرك تلك المجمعات السكنية بأبنيتها الصغيرة المتشابهة ، وتعرف انها للاجئين القبارصة النازحين من القسم الشمالي من الجزيرة ، وتتذكر على الفور حالات اللجوء الأخرى من فلسطين الى لبنان ومنهما الى قبرص ، التي استطاعت بالرغم من كل شيء استيعاب مهاجرين آخرين اليها اضافة الى مهاجريها الأصليين ، فأصبحت الجزيرة المنهكة آخر المهاجر العربية ، وأصبح الوجود العربي هناك احدى الحقائق الكثيرة في الجزيرة . فهناك التجار والمستثمرون والمواطنون والمؤسسات الصحفية والسياحية والمكاتب العقارية للشركات التي وجدت في قبرص بديلا عن بيروت الدمار .

لكن العلاقة بين العرب والقبارصة ليست علاقة جديدة ، بل هي اقدم مما نتصور بكثير،تعود الى اوائل سنوات الحكم الاموي ومنذ ذلك التاريخ كانت الجزيرة هدفا لغزوات عربية عديدة او محطة لغزوات اخرين في طريقهم الى المنطقة العربية ، وفي ايام الاحتلال التركي للبلاد العربية حدثت حالات زواج كثيرة بين عرب وقبرصيات مسلمات للحصول على اعفاء من قانون الجندية التركي الذي كان يعفي المتزوجين من اجنبيات ، وهكذا وجد الفلسطينيون منهم انفسهم يغادرون الى قبرص عند احتلال فلسطين عام ١٩٤٨ مع عدد من الفلسطينيين العرب ، وآخرين من اصول قبرصية او يونانية كانوا يعيشون في فلسطين ، واندمج اكثرهم في التركيبة الاجتماعية القبرصية قبل ان تصل الأجيال التالية من المهاجرين الذين لا يزالون يتدفقون على الجزيرة .

كما اخذ الحضور العربي شكلا آخر تمثل في عدد كبير من القبارصة الذين ولدوا في مصر ، وعاشوا فيها ثم غادروها الى قبرص في اواسط الخمسينات مع عدد من اليونانيين والايطاليين والفرنسيين الذين كانوا يحتلون مراكز اقتصادية مهمة حتى ذلك التاريخ . لذا فليس غريبا ان تجد من يتحدث اليك بالعربية اينما كنت في قبرص .

أما القبارصة الذين توزعوا بين شطري الجزيرة نتيجة لتطورات سياسية فرضت عليهم فلا زالوا يأملون بحل قريب لوضعهم الشاذ ، بل ان هناك بعض المدن المختلفة التي لا يزال فيها القبارصة اليونانيون والاتراك يعيشون جنبا الى جنب تعبيرا عن رفضهم لهذا الوضع وتمردهم عليه فهناك قرية بيلا في الطريق بين ايانابا ولارناكا حيث يعيش ٧٠٠ قبرصي يوناني و٣٠٠ من القبارصة الأتراك في سلام تام . والى هذه المدينة يأتي الأصدقاء القبارصة الأتراك واليونانيون للالتقاء بعيدا عن تعقيدات السياسة القبرصية .

وقبل ان نغادر الجزيرة عائدين سمعنا عن قرية اخرى يتعايش فيها الطرفان تدعى بوتاميا تقع على بعد ١٣ ميلا من العاصمة نيقوسيا ، وهناك جلسنا مع الطرفين على مقهى واستمعنا الى نعيم حميد عميد الجالية التركية في تلك القرية المسالمة يتحدث بلغة انكليزية سليمة عن أخوة القبارصة الاتراك واليونانيين ، وضرورة ضرب المثل بامكانية التعايش . وقبل ان نغادر القرية قال نعيم حميد ان له رجاء خاصا من أشقائه العرب المسلمين ، فمسجد القرية هناك بحاجة الى بعض السجاد ، وأنه يود لو تبرع بعض الأغنياء العرب به لفرشه في أرضية المسجد ، فوعدناه بذكر ذلك في مادة الاستطلاع .

وقبل أن نركب السيارة عائدين الى نيقوسيا تقدم الينا شاب وسأل بلغة عربية تشوبها لكنة تركية مميزة :

ـ انتم عرب ؟ تفضلوا فأنا اعرف العربية .

لكننا اعتذرنا لضيق الوقت وغادرنا ، وفي ذهننا أسئلة عن الحرب والسلام ومصير البسطاء في جزيرة الحب المنهكة . □

ثورة التاميل

برميل البارود المتفجر في سيريلانكا

استطلاع : سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر

من وراء اكياس الرمال تقف قوات الحكومة بأسلحتها في مواجهة عنيفه مع التأميل

مع [illegible] الطفل النيبالي .. يتلقى
ال[illegible] الراهب الهندوسي
وتبرك أول نقطة حليب تدخل جوفه
بالذهب ويمسح بها لسانه وشفتاه

مشكلة الأقليات في العالم .. مشكلة متفجرة .. سواء كانت في أيرلندا بين الكاثوليك والبروتستنت .. أو في اسبانيا بين أبناء الباسك والوطن الاسباني .. أو في الهند بين السيخ والاكثرية الهندوكية .. في كل مكان في العالم نجد هذه المشكلة . وفي الآونه الأخيرة ظهرت المشكلة في سيريلانكا بين التاميل والأغلبية السنهالية .

ما قصة هذا الخلاف الجديد وما هي جذوره

« العربي » تأخذك الى هناك كي تروي لك القصة من أولها .

وانفجر برميل البارود .. وتحولت الجنة الضائعة الى جحيم .. حدث هذا في نهاية شهر يوليو .. قبل عامين بالضبط .. ولم يكن أحد يتوقع ما حدث .. أو على الأقل لم تكن الصورة قد بلغت حد السوء بعد ، ولكن فجأة .. تحولت جمهورية سيريلانكا (ومعناها الجزيرة المتألقة وهي جنة الجزر في المحيط الهندي الواقعة الى الجنوب الشرقي من الهند) الى جحيم متدلع الأوار . ولم تعد هناك قيمة للحياة بعد .. القتل والجرحى بالمئات ، والنار تشتعل في كل مكان ، والدم كأنه السيل يتدفق ليطيح أمامه بكل معاني الحياة .. وتحول كل شيء الى خراب ..

كانت الشرارة الأولى قد اندلعت في منتصف ليلة ٢٣ يوليو ١٩٨٣ ، ولم تكن سيارة الجيب ومن خلفها العربة العسكرية المصفحة تدري أن هناك من ينتظرها وراء أحد الجدران القائمة على الطريق في المعسكر القريب من مدينة « تينغلي » في اقليم « جافنا » ، المركز الرئيسي للتاميل . ولكن أفراد المجموعة المسلحة من المتطرفين الهندوس من « جماعة النمور » ـ أحد فروع جبهة تحرير التاميل ـ كانوا يدركون أنهم قد أعلنوا حرب التحرير ضد الحكومة في سيريلانكا .. وضد السنهاليين ، أصحاب الأغلبية الرئيسية بالبلاد . ووقع الهجوم ، وارتفع صخب الانفجارات ، وسقط أول قتيلين من ركاب الجيب العسكريين وسط الطريق . وبدأ بقية الجنود يطلقون نيران رشاشاتهم ويلقون القنابل اليدوية على المهاجمين . وتزايد عدد القتلى في بضع دقائق لتكون أول الحصيلة ١٣ قتيلا من العسكريين ... بينما لم يعرف عدد القتلى من المهاجمين .

وحاولت السلطات احتواء الحادث ، وقررت دفن القتلى في ستة قبور بالعاصمة كولومبو في منتصف الليل . ولكن الخبر كان قد انتشر وذاع ، وبلغ أسماع السنهاليين الذين تجمعوا خارج أبواب المعبد البوذي في كانانا . واحتوى الجنون الجميع ، وفي محاولة لتهدئة الموقف أمر قائد العسكر جنوده فحملوا الجثث الى داخل معسكر في « باناجودا » ، وزحفت الجموع خلفهم . وفي طريقها بدأت تشن الهجوم على كل من تجده من طائفة التاميل ، وتكتسح مراكزهم ، وتحطم محلاتهم ، وتحرق بيوتهم . وراحوا يقذفون كل ما يجدونه في المحلات والبيوت الى عرض الطريق ويشعلون فيه النار .. وانطلقوا يقذفون بالحجارة ويطعنون بالسكاكين كل من يقف في وجههم من التاميل .

حتى في السجن :

انتشر الهياج واستمر أياما ، وبلغت أخبار ما حدث الى المساجين السنهاليين في سجن « وليكادا »

في كولومبو ، فاندفعوا يهاجمون الحراس ورجال الأمن ، ويفتحون الزنازين على زملائهم المساجين التاميل ويقتلونهم شر قتلة .. وفي خلال وقت قصير كان عدد القتلى التاميل في السجن ٣٧ قتيلا من بين ٧٣ سجينا . وازداد الهيجان وامتد اللهيب الى كل مكان في قرى ومدن سيريلانكا التي يوجد بها التاميل . وكان هدف المهاجمين دائما هو البيوت والمحلات والمصانع . وبعد أسبوع من هذه الثورة الضارية التي قضت على الأخضر واليابس وجرت معها الدماء أنهارا ، بدأت الحكومة تتدخل لحماية التاميل ، وأقامت المخيمات لايواء المشردين والهائمين على وجوههم من الاطفال والنساء والعجزة .

كانت حصيلة المعارك في البيانات الرسمية ٣٨٥ قتيلا ، بينما كانت الأرقام غير الرسمية تؤكد أنها تجاوزت ألف قتيل . وبلغ عدد من تشردوا وفقدوا المأوى أكثر من مائة ألف . وبلغ عدد الدكاكين التي دمرت والمصانع التي احترقت أكثر من ألف وخمسمائة .

على أن الأضرار لم تلحق بالتاميل وحدهم . فان العمال من السنهاليين الذين كانوا يعملون في هذه المحلات والمصانع قد فقدوا موارد رزقهم . وأذاع وزير المالية نداء الى البنوك لطلب مد يد المساعدة والعون ، بعد أن أعلن أن الخسائر المادية قد تجاوزت أربعة بلايين من الروبيات (١٦٥ مليون دولار أمريكي) . ولم يكن الضرر مقصورا على الأفراد ، بل تعداهم الى الاقتصاد الحكومي والى خطة التنمية التي كان لابد أن تتوقف بعد ان انهار الاقتصاد الوطني ..

تلك هي تفاصيل الشرارة الأولى التي أدت الى انفجار برميل البارود بين التاميل والسنهاليين ..

ولكن .. من هم التاميل .. ومن هم السنهاليون ؟

هؤلاء هم التاميل :

لقد عرفنا كل شيء ، حين كنا نلاحق الأحداث بعد انطفاء جذوة النار التي كانت لا تزال تشتعل تحت الرماد ، بعد أن هدأت الأمور قليلا لتنفجر من جديد .. وبين العاصمة كولومبو ومدينة جافنا ـ

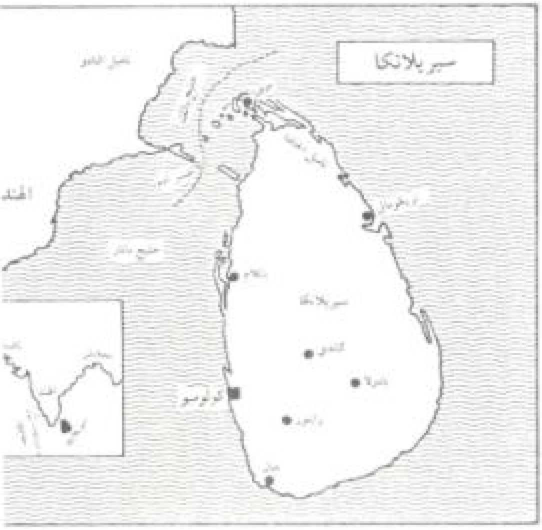

خريطة سيريلانكا .. حيث تقع الجزيرة شرق الهند .. وتبدو مناطق التاميل في الشمال تواجهها مناطق تاميل النادو في شبه الجزيرة

المركز الرئيسي للتاميل في شمال الجزيرة ـ تنقلنا لنشهد بعض الحقيقة ، ونتابع سر الأزمة ، وما وراء البرميل الذي انفجر ..

يشكل التاميل حوالي ١٩ في المائة ـ اي حوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة ـ من سكان سيريلانكا البالغ عددهم حوالي ١٥,٥ مليون نسمة . وحوالي الثلثين من هؤلاء التاميل ـ وهم من يعرفون « بالجافنا تاميل » ـ تمتد جذورهم الى أرض الجزيرة منذ حوالي ألفي سنة . أما الباقون ـ وهم حوالي ٦٪ من السكان ـ فهم من الهنود التاميل الذين وفدوا من جنوبي الهند ـ الوطن الأسيوي الأم ـ خلال القرون الأخيرة .. وكل هؤلاء لايفصلهم عن « تاميل النادو » في الجنوب الشرقي للهند الا ممر مائي هو مضيق بالك .. يبلغ عرضه حوالي ٤٠ كيلو مترا .

على أن تاميل الجافنا يعتبرون أنفسهم أعلى منزلة من التاميل الوافدين .. ليس فقط لارتباطهم بالجذور الأصيلة لأرض سيريلانكا .. ولكن أيضا لمقدار التفاوت الاجتماعي والثقافي والحضاري

فبينما لغة التاميل، والعقيدة الهندوكية، والتقاليد المتوارثة، والعلامات المميزة هي السائدة بين هاتين الفئتين.. تجد أن تاميل الجافنا الفخورين بجذورهم داخل الأرض... يستندون في التفاخر أيضا الى أنهم من نسل المقاتلين الأوائل من ملوك الباندايا والشولا والبالافا الذين جاءوا غزاة من الجنوب الهندي، واستمر حكمهم في القرنين الثاني والثالث الميلادي.

وعلى العكس من ذلك، فقد وصل التاميل الهنود الى سيريلانكا كعمال أجراء، للعمل في مزارع البن والشاي الانجليزية، حيث صحب وصول الاستعمار البريطاني في أواخر القرن الثامن عشر، بداية استقدام موجة جديدة من المزارعين الهنود.. والأغلبية من هؤلاء مازالوا يعملون في مناطق زراعة وصناعة الشاي على سفوح التلال في سيريلانكا. ولا شك أن هؤلاء قد جاءوا من المناطق الأكثر فقرا والطوائف الدنيا في جنوب الهند. لهذا يعتبرون أدنى ثقافيا واجتماعيا وسياسيا بالنسبة لاخوانهم المقيمين القدامى الأعمق انتسابا للأرض.

وحتى بالنسبة للأنشطة العقائدية، فان العقيدة الهندوكية التي عايشها التاميل الهنود هي بشكل عام أكثر تأصلا في أعماقهم وعباداتهم.. وبينهم هؤلاء الذين يمارسون أعمال السير فوق النار، والذين يمارسون أشد أنواع التعذيب للنفس كعقوبة تكفير عن الذنوب..

وتاميل الجافنا ينظرون الى التاميل الهنود على أنهم قد فقدوا حتى نقاوتهم كجنس، وذلك بالتزاوج بينهم وبين الطوائف الأخرى.. ويبدو ذلك أكثر وضوحا بالنسبة لفئة منهم ما يزال التزاوج قائما بينهم وبين المسلمين السيريلانكيين.. والذي يبلغ تعدادهم حوالي المليون.

وبين تاميل الجافنا فئات صارمة تبالغ في التحجر والانغلاق.. وأشد هؤلاء صرامة هم النباتيون من البرهميين المنتسبين الى الرهبان البراهمة الذين يعتبرون أنفسهم أكثر التاميل نقاوة وسموا.

ويأتي بعد هؤلاء.. « الفيلالا » طبقة الفلاحين المتزمتين، ثم الحرفيون وخصوصا الذين يعملون في صناعة المشغولات الذهبية، ثم الحدادون والنجارون. فلكل من هؤلاء الحق في دخول المعابد الهندوسية لتقديم القرابين والتعبد للآلهة.. بينما الفئات الأخرى من التاميل الوافدين بما فيهم الصيادون والنساجون والحلاقون وقارعو الطبول، لا يجرءون على الجلوس بمستوى الطوائف الأعلى، ولا على تناول الطعام على نفس المائدة مع التاميل الأكثر سموا.

والسنهاليون:

ولكن.. ماذا عن السنهاليين؟

تعتبر الطائفة السنهالية نفسها الأسبق في الجزيرة، وأنهم ينحدرون من الاصول السكانية في سيريلانكا. ويحدثنا أحد الدارسين من البوذيين-كان يصحبنا في جولتنا ونحن على أبواب المعبد البوذي الرئيسي في كولومبو-فيقول:

لا تظنوا أنها أسطورة، حتى لو كانت بعيدة عن التصديق بالنسبة لكم، فقد تناسل السنهاليون من أسد عظيم اسمه « سنها » مازال دمه (لي) يجري في عروق أبنائه وأحفاده.

ويبدأ تاريخ السنهاليين وفق التسلسل الزمني بوصول الأمير « فيجايا » قادما من شمال الهند.. وهو حفيد الأسد المقدس الذي تؤكد الموروثات الشعبية أن أباه الملك « سنهاباهو » قد ولدته لبؤة. ونزل فيجايا في المنطقة التي تسمى الآن « مانار »، وأطلق على الأرض التي نزل فيها اسم « تامبا باني » نسبة الى تربتها النحاسية الحمراء. وقد اتفق توقيت وصوله مع اللحظة التي كان بوذا المستنير يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة على الأرض قبل أن يصعد الى « النيرفانا »*.

ويقول « الماها فامسا » الكتاب البوذي المقدس أن

* النيرفانا مرحلة من السمو تعتبرها الكتب البوذية اتحاد الفرد بالله.. ومقوماتها السبعة عند بوذا هي: السيطرة على النفس، والوصول الى الحقيقة، والنشاط، والهدوء، والغبطة، والتركيز، وعلو النفس.. وهو أسمى ما يمكن أن يصل اليه الانسان

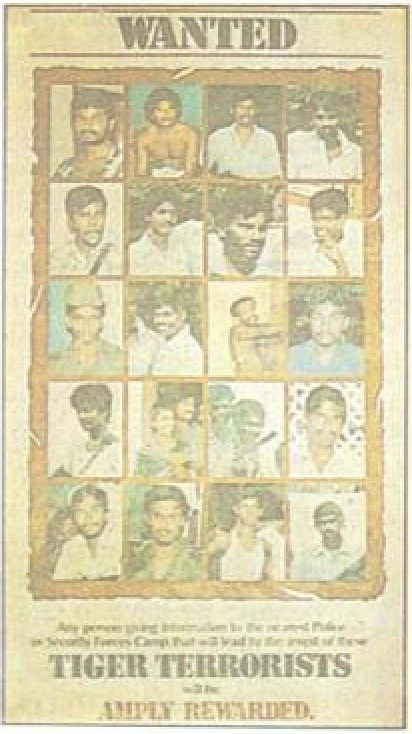

قيادات النمور .. مطلوب القبض عليهم

ثلاث فتيات بعد خروجهن من العزلة .

امرأة من التاميل .. تقدم القربان . وتتلقى البركات في المعبد الهندوسي .

ساحرة تسمى « كوفيني » من قبيلة « باكساس » أغوت رفاق فيجايا وأوقعتهم في أسر هواها . ولكن البطل ـ تحميه مباركة قدسية ـ لم يكن ليضل حتى عندما ظهرت كوفيني أمامه في صورة أميرة رائعة الجمال ذات شعر طويل هفهاف . وأمسك فيجايا بالساحرة وهددها بأن يقطع رأسها إذا لم تخلص رفاقه من سلطان غوايتها .

ووافقت الساحرة ، بل أكثر من ذلك عرضت أن تساعد فيجايا في ذبح أبناء قبيلتها والقضاء عليهم بشرط أن يجعلها ملكته . وهكذا اتفق الاثنان وتمت الصفقة . وأصبحا معا صاحبي السيطرة على كل أرض المنطقة . ولكن ما كادت سنوات قليلة تمضي حتى ضاق فيجايا ذرعا بملكته ، فطردها الى منفاها بين ثنايا الأدغال ، حيث رجمت بالحجارة حتى الموت بأيدي الفلول الهاربة من رجال قبيلتها .

كانت هذه هي بداية وجود السنهاليين في أرض سيريلانكا كما حدثنا بها الدارس البوذي . وأضاف صاحبنا أن الأبحاث التاريخية أكدت أن أصل المستوطنين الهندوآريين هم ممن جاءوا من شمال الهند الى جزيرة سيلان ، وامتزجوا مع الأجناس البدائية في الجزيرة من قبائل الباكساس والناجاس ، وتعلموا منهم لغتهم البراكريتية التي تحولت فيما بعد على مدى القرون الى اللغة السنهالية .

بعد أن تخلص فيجايا من ملكته الساحرة تزوج ملكة ثانية من « مادورا » بادئا بذلك تقليد استقدام زوجات من الهند ممن يجري في عروقهن الدم الملكي .. تماما كما حدث بالنسبة لما نقلوه من الفنون والهندسة ونمط القصور الهندية .. وأكثر من ذلك .. ما أخذوه من العقيدة البوذية .

هذه العقيدة هي التي تمتلىء بها أعماق الغالبية العظمى من السنهاليين الآن . ويمثل السنهاليون ٧٤٪ من سكان سيريلانكا .. أي حوالي ١١ مليونا ، من بينهم عشرة ملايين يدينون بالبوذية . وفي كل جزء من الجزيرة ـ ماعدا القسم الشمالي والساحل الشمالي الشرقي ـ فان السنهاليين البوذيين يمثلون الغالبية العظمى . وبرغم أن عددا من السنهاليين قد تحولوا الى الكاثوليكية أو البروتستانتية أو الهندوسية أو الاسلام .. الا أن عقيدتهم القديمة ما تزال راسخة في أعماقهم وتقاليدهم وتصرفاتهم .

قصص العبور :

ان توافق توقيت فيجايا مع صعود بوذا الى النيرفانا في أرض « تامباباني » جعل من سيريلانكا حارسة العقيدة البوذية وحاميتها . فخلال حياة بوذا قيل انه انتقل عابرا من الهند الى سيريلانكا ثلاث مرات على الأقل ، وقد أصبحت المناطق التي نزل بها أماكن مقدسة . ويقول البعض انه ترك أثر قدمه على قمة جبل « سري بادا » التي تسمى أيضا « قمة آدم » .. حيث يعتقد أن ذلك الأثر هو أثر قدم آدم ابو البشر حين عبر الطريق هابطا من الجنة المفقودة الى الأرض عند سيلان .

وخلال حكم الامبراطور « أشوكا » راعي البوذية في الهند ، أرسل ابنه « ماهندا » الى سيريلانكا ليهدي الملك وقومه الى عقيدة بوذا المستنير .

وتتابعت أحداث التاريخ ، وتم مع تتابعها أكثر من عبور بين الهند وسيلان .

ولعل أبرز عبور بعد عبور بوذا ، هو عبور الجد الاكبر للسنهاليين حفيد الاسد « سنها » الذي جاء من شمال الهند ليستقر في سيلان ، وليقوم من بعده شعب السنهاليين . ثم كان بعد ذلك عبور التاميل من جنوب شرقي الهند الى سواحل سيلان مهاجرين مرة وغزاة عدة مرات .. ولتكون الهجرة والغزو من بعد ، أساسا لاستقرار طائفة التاميل في سيريلانكا ..

الجسر التاريخي المقدس :

أكثر من رباط تاريخي آخر كان يربط دائما بين الهند وسيلان منذ قرون كثيرة .. ولكل منها جذوره المقدسة عند كل من الهندوس والبوذيين . وتتحدث « الرامايانا » .. أهم الاساطير المقدسة في العقيدة الهندوسية ـ عن الجسر التاريخي الذي أقامته القرود بين شبه جزيرة الهند وسواحل جزيرة سيلان . فحين قام « رافانا » ملك الشياطين بخطف « سيتا » زوجة الأمير راما ، وانطلق بها في مركبته السحرية الى مقر عرشه .. عمدت الأميرة الى إلقاء وشاحها وعقدها ليسقطا على سفح جبل القرود . ووقع الوشاح والعقد في يد القرد « هانومان » الذي حكى للأمير راما كيف

أنه رأى بنفسه مركبة رافانا وهو يطير بها ومعه الأميرة نحو الجنوب . وشجع هانومان الأمير أن يستعين بملك القرود للبحث عن المكان الذي نزل فيه رافانا والأميرة المخطوفة . وعلى رأس أحد جيوش أربعة أرسلها ملك القرود انطلق هانومان لاداء هذه المهمة ، وبلغ اخلاص هانومان لصديقه راما حدا جعله لا يهتم بما يقاسيه هو وجيشه حتى بلغ شاطىء المحيط . وأطل فاذا هناك على مسافة بعيدة جزيرة مسحورة يحيط بها ضباب كثيف . وأدرك هانومان أن هذه الجزيرة هي المكان الذي يسعى اليه . واستطاع من خلال مغامرة مثيرة وقوى سحرية جبارة ، أن يقفز من شاطىء المحيط الى شاطىء جزيرة سيلان ، حيث استطاع أن يتعرف على قصر رافانا وأسيرته ، ويثير الذعر في قلب كل الشياطين ويشعل النار في قصر الملك رافانا . وحين عاد هانومان الى راما وأطلعه على ما عرفه أعد ملك القرود جيشا كبيرا سار به راما وهانومان حتى وقفا في مواجهة جزيرة سيلان (وهي التي عرفها الرحالة العرب باسم سرنديب) . واستخدم القرد هانومان ذكاءه في البحث عن وسيلة للعبور الى الجزيرة . ومضت ملايين القردة تجمع كل ما أمكنها جمعه من جذوع الشجر وقطع الصخر ، وأقاموا جسرا بين ساحل الهند وساحل الجزيرة ، عبرت عليه جيوش القردة في الظلام . ودارت معركة رهيبة كان لابد أن تنتهي بهزيمة ملك الشياطين ، وعودة راما ومعه امرأته سيتا وقائد جيشه القرد هانومان منتصرين .

وتقول رواية أخرى ان الجسر التاريخي الذي أقيم عبر المحيط الهندي اقامته القرود بأن تماسكت بعضها في أيدي البعض الآخر حتى قام الأمير راما وعبره على ظهر القرود من الهند الى سيلان حتى تمكن من انقاذ سيتا . . ولعل هذا هو ما جعل للقرود قداستها عند الهندوس . .

ومن المقدسات الرئيسية عند البوذيين في سيريلانكا قصة عبور مقدس آخر هي قصة عبور « سن بوذا المقدس » والذي قامت من أجل امتلاكه عدة حروب .

فقد حدث منذ حوالي ٢٣ قرنا حين بلغ بوذا مرحلة النيرفانا وصعد الى السماء ، أن تم تقسيم بقايا جسده بين الرهبان البوذيين في جنوب آسيا . وكان من بين ذلك سن بوذا الأيسر الذي أصبح في ملكية ملوك كالينجا لعدة قرون . وحين تعرضت المملكة لهجوم اعداء معادين للبوذية ، خاف الملك أن يتعرض سن بوذا لأي ضرر ، فأعطاه لابنته مؤكدا عليها أن تعبر بالسن الى مأمن في سيريلانكا لو هو تعرض للهزيمة . . واذ حدث ما توقعه الملك فقد اخفت الأميرة السن بين ثنايا شعرها ، وعبرت به وهي في ثياب الحجاج الى سيريلانكا . واستقبل الملك السن المبارك في تقديس ، وحفظه داخل صندوق من الذهب ، داخل معبد شيد خصيصا من أجله . ويقول البرتغاليون انهم حين استعمروا الجزيرة بعد ذلك عثروا على السن وكسروه . . ولكن السيريلانكيين ينفون الرواية الاستعمارية ويرفضونها ، ويؤكدون أن السن الذي عثر عليه البرتغاليون كان سنا مزيفا . وأن السن الأصيل مطمور في مكان ما ، وسواء كان السن مكسورا أو مطمورا فقد شيد السنهاليون البوذيون على اسمه أشهر هياكلهم المقدسة في العالم « معبد السن » في مدينة كاندي التي أصبحت بوجوده فيها مدينة مقدسة عند البوذيين . . حيث يحتشد الآلاف في المعبد مع نهاية يوليو من كل عام في احتفال ديني كبير يسمونه عيد « أليالا بيراهيرا » يستمر عشرة ايام ، وتقود حفل الختام مسيرة من مائة فيل مزينة بالمخمل والحرير المطرزين بالذهب والفضة ، ومن وراء الفيل يسير حملة المشاعل والراقصون في موكب بطيء على قرع الطبول

وثمة عبور مقدس آخر يعتبره السنهاليون مفخرة لهم . . هو عبور فرع شجرة « البو » المباركة التي كان يجلس تحتها بوذا ، حين تبين له أنه أوشك على نهاية بحثه الطويل عن حكمة الحياة ، وأدرك أن أول قانون للحياة هو أنه « من الخير يأتي الخير ومن الشر يأتي الشر » وأنه بذلك قد بلغ مرتبة المستنير . فقد قطع الامبراطور أشوكا-راعي البوذية في الهند-غصنا من الشجرة المباركة التي صاغ بوذا تعاليمه في ظلالها وأرسله الى ولده « ماهندا » في سيريلانكا لتحل البركة باتباع البوذية السنهاليين . وحملت فرع الشجرة سفينة ملكية ذهبية صحبتها ابنة الامبراطور لتسلمه الى

أول جسر بين الهند وسيريلانكا تقيمه القرود بقيادة هانومان (اللوحة العليا) ، وعلى الجسر مرت جيوش راما لانقا
سيتا من قصر ملك الشياطين الذي أحرقه هانومان (الى أسفل) ، وهي قصة مقدسة تعرض بالتماثيل على جدرا
معابد التاميل (أسفل يمين) .

جاوتا ما بوذا « المستنير » قبل صعوده الى النيرفانا . . لوحة دينية على جدران المعبد البوذي .

أخيها . وخرج أهل الجزيرة كلهم لاستقبال الغصن المقدس في احتفال ديني كبير ، وحملوه في محفة من الذهب حتى بلغوا به قصر ماهندا الذي أعاد زرعه في حديقته ، حيث ما تزال الشجرة قائمة حتى اليوم . . يقدسها البوذيون ويتباركون بها باعتبارها ما تبقى من شجرة البو المقدسة . .

المهم هو أن هذه الروابط التاريخية بين الهند وسيريلانكا كان لها أثرها في تخفيف الحدود الفاصلة بين أصحاب العقيدتين الرئيسيتين في الجزيرة . . البوذيين والهندوس . . وبمعنى آخر السنهاليين والتاميل . واستمر ذلك زمنا طويلا مع قناعة الطائفتين بانهما ينتسبان الى نفس الوطن الأم . . الهند .

فالبوذيون هنا على سبيل المثال متأثرون بممارسات العبادات الأخرى كالهندوسية والمهايانا . وهم يتباركون بآلهة هذه العقائد ، ولا يجدون ما يمنعهم من أن يلجأوا اليها في أوقات الجفاف ونقص الطعام وأيام الفيضانات . . بل انهم يلجأون اليها حتى لحل المشاكل العائلية . . وفي أوقات الامتحانات المدرسية . وفي ساحة كل بيت أو في مدخله نجد في الغالب هيكلا يقدسون فيه واحدا أو أكثر من هذه الآلهة ، ويؤدون لها صلاة تعبد عند الدخول أو الخروج من البيت . ومن أقرب هذه الآلهة الى السنهاليين البوذيين أنفسهم ، فشنو وكاترا جاما وباتيني وناثا . وتسمع تبريرا لذلك من بعض الشباب من السنهاليين حين يقول لك ان بوذا نفسه لم يمنع أبدا تقديس الآلهة . . وأن كان يقول دائما انها لا تستطيع أن تحول دون آلام البشر ، أو تمنع الأذى عنهم . . والانسان في حاجة الى أن يبحث عن العون من الآلهة المقدسة . . ولا يمنع الأمر أيضا من تقديم القرابين الى آلهة الهندوس إتقاء للشرور . .

ويبدو ذلك واضحا في اثناء الاحتفالات والأعياد الدينية التي تسمى « رقصات الشيطان » لتهدئة

الأرواح الشريرة ، وهم يلبسون الأقنعة التي تررد السحر الأسود الذي قد يتعرضون له . بل ان قصة الرامايانا الهندية توجد مرسومة في بعض المعابد البوذية في سيريلانكا جنبا الى جنب مع قصة حياة بوذا منذ هجر قصر أبيه ملك الساكيا في أعالي الهيمالايا ، بحثا عن الحقيقة حتى بلغ النيرفانا . وقد يعود ذلك الى اعتقادهم بأنهم ـ كما قلنا ـ من نسل الأسد الهندي « سنها » ، وهو ما جعلهم يرون أنهم مزيج من أصول الآريين .

شيء آخر يربط بين العقيدتين ، فلا يوجد فارق كبير في الأسماء بينهما ، ولا تستطيع من خلال أسماء السنهاليين أو التاميل أن تعرف الى أي الطائفتين ينتسب صاحب الاسم ؟

عودة الى الانفجار :

ومع هذا .. فقد انفجر برميل البارود .. وكان هذا الذي حدث بعدما انطلقت الشرارة الأولى في يوليو قبل عامين . على أن تطورات أخرى زادت النار اشتعالا . فهناك في الجانب الآخر .. في القسم الجنوبي الشرقي من الهند .. توجد الأصول الرئيسية للتاميل .. هناك « تاميل النادو » .

وربما لم يكن تاميل النادو بعيدين عن تحريك الأحداث .. وهو ما تؤكده حكومة سيريلانكا وما تشير اليه الأمور من أن حكومة الهند هي القادرة على إيقاف القتال أو العمل على إقرار اتفاق لوقف النار والبحث عن حل سياسي للأزمة .

والرئيس السيريلانكي جايواردين كان في لقائه ومحادثاته مع راجيف غاندي رئيس وزراء الهند في أواسط يونيو الماضي كان يركز دائما على أن الذي يقود النمور من ثوار التاميل شاب لا يتجاوز عمره ٣١ سنة هو « برابا كاران » يتخذ مقرا له في مدراس المركز الرئيسي لتاميل النادو في الهند ، من حيث تتدفق المساعدات لتاميل الجافنا .. هذا الزعيم الشاب هو الذي عمل على توحيد حركات المقاومة التاميلية الأربع خلال أحداث ١٩٨٣ حين قال : « لم تعد هناك وسيلة سوى المقاومة المسلحة . ولن تستطيع هذه المقاومة أن تنتصر إلا بتوحيد قوانا » . وقد تم بالفعل في ابريل ١٩٨٤ قيام الجبهة الوطنية للتحرير تحت اسم « نمور تحرير تاميل إيلام » ويتراوح عدد القوى العاملة فيها بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ عضو بينهم ٥٠٠ في مدينة جافنا وحدها وهم مسلحون بشكل جيد ومدربون أحسن تدريب

ولعل قمة المواجهة التي جرت في الفترة الأخيرة هو ذلك الهجوم الذي قام به النمور على المدينة البوذية المقدسة عند السنهاليين « انورا دبورا » حيث قتل ١٥٠ من المدنيين . ويعتقد أن هذه الهجمات كانت عملية انتقامية ردا على غارة عسكرية قامت بها القوات الحكومية ضد المدنيين التاميل . واذا كان الجيش قد استعد للمواجهة بعنف ، الا انه بذل جهدا كبيرا لمنع الالتحام بين السنهاليين وتاميل الشرق والشمال ، وان صاحب ذلك حملة اعتقالات واسعة شملت حوالي ١٥٠٠ من التاميل احتجزوا بلا محاكمة في معسكرات الجيش حيث عوملوا بشدة وقسوة لعلها كانت أحد الدوافع للمزيد من العنف والضراوة المضادة التي لجأ إليها شباب النمور في صراعهم ضد السنهاليين ...

وفي لقاء مع أحد الشباب السنهاليين في كولمبو قال لنا : اننا معشر السنهاليين قد سببنا لأنفسنا ضررا كبيرا من جراء أحداث التخريب والقتل والحرق والتدمير . فالتاميل يملكون حوالي ٦٠ في المائة من الأعمال التجارية في البلاد ، و ٨٠ في المائة من تجارة التجزئة في العاصمة . وبتدمير القاعدة الصناعية التاميلية حدث عجز كبير في الموارد الغذائية ، مع ارتفاع خطير في الأسعار .. بالاضافة الى فقد كثير من فرص العمل .. وها أنت ترى أننا نعاني من البطالة ، ونضطر الى قبول أي عمل مهما كان للحصول على لقمة العيش .. في الوقت الذي يهتم التاميل في مناطقهم الرئيسية بأن يكونوا أحسن حالا من بقية الأهالي الذين يعانون البطالة . وكان أسوأ ما في الأمر وما زاد الطين بلة ، أن عناوين الصحافة الأجنبية أبرزت الأحداث الدموية التي تجري في البلاد ، وكشف عجز السلطات الأمنية عن الوقوف في وجه المتحاربين من الجانبين . فهرب السياح الذين كانت اقتصاديات البلاد تعتمد عليهم بنسبة كبيرة ، يصل مدخولها الى حوالي ثلاثة بلايين من الروبيات .. والواضح من الصورة الآن أن استرداد نشاط الحركة السياحية لن يتم قبل عدة سنوات .

وتلك في الواقع صورة صحيحة للموقف الاقتصادي المعقد في سيريلانكا منذ بداية الأحداث الأخيرة .. التي كانت لها بدايات أخرى منذ الاستقلال .. فان أحداث العنف كانت تندلع بين الحين والآخر بين التاميل والسنهاليين ، وكان أبرزها أحداث أعوام ١٩٥٨ و ١٩٦١ و ١٩٧٧ و ١٩٨١

و ١٩٨٣ وهي الأحداث التي ما تزال مستمرة بشكل دموي يبعث على الأسى .

وفي لقاء مع عدد من المثقفين من الطائفتين خرجنا بأن سوء العلاقات بين التاميل والسنهاليين له جذوره التاريخية .

فقد وصل السنهاليون الهندوآريون الى سيريلانكا خلال القرن الخامس ليتضم اليهم بعد وقت قليل الغزاة التاميليون القادمون من الممالك التاميلية المسيطرة القوية في جنوب شرق الهند . وخلال القرنين ١٢ و ١٣ قام الحكام الهنود بعدة حملات غزوا فيها سيريلانكا في عدة مناسبات . وبانتهاء القرن ١٣ نجح المستوطنون التاميل في اقامة مملكة مستقلة في الجزء الشمالي من الجزيرة . وقد استمرت هذه المملكة حتى الغزو البرتغالي في القرن ١٧ .. وهي نفس المنطقة التي يعمل التاميل الانفصاليون الآن على تحقيق حلمهم باقامة دولتهم المستقلة على أراضيها ..

دولة إيـــلام :

ويبرز لنا « بالانسجام » المتحدث باسم نمور التحرير في لقائنا معه مواقف التاميل بقوله : « نحن لسنا انفصاليين ولكننا نريد الاعتراف بحق شعبنا في تقرير مصيره في وطنه . فنحن شعب لنا جذورنا التاريخية في أرضنا ولنا لغتنا وثقافتنا . وحق تقرير المصير الذي نطالب به هو حقنا في إقامة دولتنا المستقلة على ضوء استفتاء شعبي حر . وحتى يتم ذلك فاننا نطالب الحكومة مؤقتا بأن تقدم مجموعة من العروض التي تتناسب مع أمنيات شعبنا .. ونحن مستعدون للمفاوضة ولكن على أسس معقولة وسليمة » .

هذا هو ما يقوله التاميل .. اما الحكومة فرغم انها عرضت أكثر من حل ومنحت حقوقاً جديدة للتاميل ، من بينها الاعتراف باللغة التاميلية لغة وطنية ، وإزالة الفروق بين المواطنين الأصليين والمهاجرين ، ومنح حق الانتخاب لعمال الزراعة الهنود .. ثم ما عرضه الرئيس السيريلانكي عن استعداده لمنحهم حكماً ذاتياً في مناطقهم .. إلا أن ذلك لم يرض التاميل بفروعهم المختلفة .. وما زالوا يعملون من أجل تحقيق الأمل في قيام دولتهم المستقلة .. دولة « إيلام » .

ولكن . . . . . .

اذا كان هذا الكيان أن يتحقق ذات يوم فانه سيشغل منطقة من أقل المناطق خصبا في الجزيرة . فالتربة البنية الحمراء تقل تدريجيا . والمرتفعات تزداد ارتفاعا ، وشجيرات الغابات تخف لينتهي كل ذلك الى أرض صحراوية خراب ، تتناثر فيها مجموعات متناثرة من نخيل « البالميرا » ذي السعف المروحي ، فتكسر حدة الرتابة في الصحراء الواسعة التي تشكل ملامح مناطق التاميل . هذه الملامح التي سيطرت لقرون طويلة أكسبت التاميل قيما ، وأورثتهم عادات كان لابد منها للتكيف مع واقع بيئتهم .. وأصبح الجهد والمثابرة والكفاح طابع حياة الفلاح ، والفطنة والحرص طابع التاجر والعامل .. وهي كلها صورة مثالية للتاميلي . ولعل أحد الملامح البارزة هي اهتمام التاميلي بالتعليم الذي يوضع في رأس القائمة . فأطفال التاميل يتطلعون باستمرار الى العلم الذي يشكل اهمية قصوى من أجل المستقبل .. وقد أدى ذلك الاتجاه الى خلق طليعة اجتماعية وثقافية تاميلية يتزايد أعدادها يوما بعد يوم في مجالات القانون والطب والكيمياء والعلوم ، وفي الميادين الاكاديمية .

واذا كانت تأثيرات التغريب والتحديث لها أثرها الكبير على تاميل سيريلانكا ، بما في ذلك التطور الذي شمل العادات والملابس وأسلوب الحياة .. إلا أن ذلك الأثر يقل كثيرا عن التاميل القرويين الذين مازالوا يتمسكون في صرامة بالعادات والتقاليد التي توارثوها .

هذه العادات والتقاليد الصارمة تبدأ مع مولد الطفل ، فان أول نقطة حليب تدخل جوف الطفل يجب أن تمرك بالذهب على شفتيه ولسانه .. وذلك حتى يصبح الطفل عندما يصير رجلا فصيحا بليغا حكيما متمسكا بتقاليد قومه ... ويقضي الطفل أيامه الأولى في غرفة تعبق دائما بروائح ودخان البخور ، وذلك دفعا للأرواح الشريرة عن الاقتراب منه .

وعندما تبلغ الطفلة من التاميل سن البلوغ فانها تعزل في معزل لمدة ستة عشر يوما على الاقل في كوخ خاص مبني من أوراق شجرة جوز الهند الخضراء .. وهي في فترة العزلة لا يجوز أن يقع بصرها على أي رجل حتى لا يحل الشيطان في جسدها .

والزواج عند التاميل حدث له أهميته ويتم حسب طقوس دينية داخل المعبد الهندوسي . وبعد أن يتبادل أهل الزوجين الهدايا يمد بساط أبيض على الأرض حيث تنثر عليه أكوام من الأرز وجوز الهند وأوراق التنبول وبعض النقود المعدنية لجلب الحظ السعيد .

القوارب وسيلة التحرك السريع على سواحل الجزيرة المتألقة . . . سيريلانكا .

ثم يطلق البخور ويقوم والد العروس بربط إبهامي العروسين بخيط ثم يصب الماء على أصابعهما . كما يضع العريس حول رقبة عروسه قلادة تحتوي على فصوص من الأحجار الكريمة عليها رسوم وجوه تقليدية مقدسة . وبعد الاحتفال تصبح العروس ربة نموذجية للبيت ، ويصبح العريس ربها ، والزوجة التاميلية تطيع زوجها طاعة عمياء . تستيقظ قبل زوجها في الصباح ، وحتى يحين موعد استيقاظه تكون قد انتهت من إعداد غسيل الصباح ، وأوقدت النار وصلت لأرباب العائلة وأعدت مائدة الفطور . وهي لا تأكل الا بعد أن يكون زوجها قد انتهى من طعامه وقامت تماما على خدمته . والزوجة هي آخر من يتناول الطعام ، وهي آخر من يذهب الى النوم .

وهناك طقس غريب في غاية القسوة مازال التاميليون يؤدونه حتى الآن في احتفال يسمونه « كاتنجا » . وتبدو القرية في ذلك اليوم كأنها في عيد مرح يغني فيه الجميع ويرقصون في الشوارع وهم يحرقون البخور ويدقون الطبول . . ويستمر الرقص والغناء ودق الطبول ، ويزداد شدة وعنفا مع وصول راقصين يقدمون من أحد اطراف القرية ، وهم يهتزون في عنف بينما يسيرون في صفوف طويلة . . ويظل الراقصون يدورون بعنف حول أنفسهم قبل أن يتوسطوا الساحة ويجلسون القرفصاء . ويتقدم أهل القرية بعد ذلك من الراقصين فيفركون أجسادهم ووجوههم ورؤسهم ويعفرون صدورهم بالرماد وهو ما يزال ساخنا . وبعدها يهتز الجميع كالسكارى ، ثم يبدأون بطعن أنفسهم بالسكاكين والخناجر ، ويقوم آخرون بضربهم بالسهام . ثم يحمل الجميع الى عربة تجرها الجواميس المزينة ، ويمرون أمام الحشود التي تصفق لهم اعجابا وتبركا . ومع نهاية الاحتفال تشعل النار في حطب يصف على الأرض . وبعد أن تخمد اللهب يقوم هؤلاء بالسير فوق الرمضاء دون أن يصيبهم شيء ، بينما الناس يقتربون منهم ويمسحون أجسادهم ويتبركون بهم في اعجاب كبير . .

حكمة الحياة :

في النهاية . . ثمة شيء غريب يربط بين التاميل الهندوس والسنهاليين البوذيين . فالهندوس . . يعتقدون ان « فشنو » هو الاله الحافظ ، وهو أبرع الآلهة ، ومن واجبه أن يحفظ حياة الناس وحياة العالم . وهم يقولون انه نزل من سمائه حيث زار الأرض عشر مرات كل مرة في شخصية وصورة مختلفة . والبطل الديني راما ـ بطل الرامايانا ـ هو أحد الشخوص التي تقمصها فشنو . . ولكن الأهم من ذلك . . أن احدى الشخوص العشر التي يتقمصها هو جاوتاما بوذا . . الذي يتبعه البوذيون . . وهو ما يؤمن به حتى السنهاليون في سيريلانكا . . فالبوذية فرع من فروع الهندوسية .

ان بوذا . . الذي يعترف به التاميل الهندوس كواحد من صور الاله فشنو . . هو نفسه صاحب الحكمة التي يؤمن بها السنهاليون البوذيون ، والتي تقول « على الانسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير . ان النصر يولد المقت لأن المهزوم في شقاء . وان الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها . . إنما تزول الكراهية بالحب » .

ومع هذا فإنهم يتقاتلون ، وينسى الجميع أن الكراهية . . إنما تزول بالحب . . □

وجهاً لوجه

غائب فرمان و سليمان الشيخ

* نعم انا انحصن بالكتابة ضد الغربة والنسيان .
* ذخيرة الكاتب التي لاتنضب .. طفولته وصباه .
* الذين ينكرون مقولة التأثر يغالطون انفسهم .
* ليس كل ماقي الماضي مذموما وسيئا وليس كل ماقي الحاضر جيدا وجميلا .
* المؤجل والمرتجى هو عملي الأول عن الغربة والمغتربين .

يدهشك حضور تفصيلات دقيقة عن معالم الحارة البغدادية ، وأحيائها في رواياته مع أنه تركها منذ ثلاثين عاما تقريبا .

ويدهشك الرصد المتأني الدقيق لنمط العلاقات ، والتسجيل للعلامات الفارقة بين المراحل والنقلات في حياة تلك الحارة .

بغداد حاضرة أبدا في أغلب ماكتب . سكنت فيه وتوغلت بناسها ونخيلها ودروبها وحاراتها وطراز بنائها القديم ، وعلاقات وانماط البشر فيها ونماذجها ، لم يكن نقلا « فوتوغرافيا » ماسجله راوية بغداد كما يقال عنه ، وليس تصويرا تسجيليا هو ماضمنه قصصه ورواياته الكثيرة ، بل كان نوعا من الرصد الفني للحياة والناس وللعلاقات والمواقف .

احساسه فائق بالمكان والزمان ، واستنطاقه للشخصيات دقيق ، يجدل المكان بالزمان ويقدمها ضمن ملامح محددة من العلاقات وانماط العيش وطموحات الناس واحلامهم ، وحتى الكوابيس التي تقض مضاجعهم .

انه الروائي العراقي غائب طعمة فرمان . وقد أدار الحوار معه الزميل سليمان الشيخ وهو كاتب ومحرر أدبي في المجلة .

قال الروائي فرمان أنا من مواليد بغداد سنة ١٩٢٧ ، وبعض الكتاب العراقيين المعروفين والمشهورين ولدوا في هذا العام ايضا ، او في العام الذي سبقه او تلاه ، السياب ولد سنة ١٩٢٦ ، والبياتي ولد ايضا في نفس العام ، والتكرلي ولد في العام الذي ولدت فيه .. وغيرهم ايضا

● ما الذي قدمته في رحلة العمر هذه .. اعني على صعيد الكتابة ؟

ـ صدر لي حتى الآن ـ اكتوبر ١٩٨٤ ـ الكتب التالية :

ـ حصيد الرحى ـ مجموعة قصص صدرت سنة ١٩٥٤م ـ مولود آخر ـ مجموعة قصص صدرت سنة ١٩٥٩م .

ـ النخله والجيران ـ رواية ـ صدرت سنة ١٩٦٦م .

ـ خمسة أصوات ـ رواية صدرت ـ سنة ١٩٦٧

ـ المخاض ـ رواية صدرت سنة ١٩٧٣م

ـ القربان ـ رواية صدرت سنة ١٩٧٥

ـ ظلال على النافذة ـ رواية صدرت سنة ١٩٧٩م

ـ آلام السيد معروف ـ رواية ـ صدرت سنة ١٩٨٠م .

وقد انجزت رواية جديدة في طريقها للنشر تحت عنوان ـ المرتجى والمؤجل ـ وترجمت حوالي ٤٠ كتابا معظمها قصص وروايات عن الروسية الى العربية منها :

ـ اعمال تورجينيف في خمسة مجلدات .
ـ ١٥ قصة في كتاب لمكسيم غوركي .
ـ القوزاق لتولستوي .
ـ مجموعة قصص لدستويفسكي .
ـ المعلم الأول ومنديل أحمر لايتماتوف .
ـ مجموعة اعمال لبوشكين . وغيرها .

وشم بغداد :

● لقد تغربت طويلا ، وانتقلت من بغداد الى القاهرة ثم الصين وبعدها الاتحاد السوفيتي منذ ثلاثين عاما تقريبا . وقد انقطعت عن معايشة بغداد الا لماما . ومع ذلك فان بغداد الأمكنة والناس والعلاقات حاضرة حضورا حادا في رواياتك . كيف تفسر ذلك ؟

ـ ان ذخيرة الكاتب التي لاتنضب حسب ما أرى هي طفولته ومرحلة تحسسه للأشياء والعالم ، وهذه المرحلة تستمر معه كوشم لايزول ، ربما مدى الحياة . ربما تتطور اشياء ورؤى الطفولة الاولى وتتعمق التجربة ، وربما يجد الانسان توكيدات لقناعاته الاولى لكن الطفولة تبقى محتلة ركنا هاما في ذاكرة الانسان واحلامه واسترجاعاته ، انها العالم البكر لتفتح الوعي ، والنهل ـ وربما الشره ـ من ينابيع الحياة وتجاربها . يقول همنجواي : نحن نعيش على ذكريات الطفولة حتى الثلاثين من عمرنا ، وأضيف : وقد يبدأ الانسان فلسفة مارأى وماعاش بعد الثلاثين ومع ذلك فان الطفولة تبقى الينبوع الأول لكل التجارب اللاحقة ، والمنجم الأول الذي يغترف الكاتب منه الكثير من تخطيطاته .

ولو سألتني عن أعمالي ، فان بعض الشخصيات التي طرحتها في قصصي الأولى وجدت صداها على سبيل المثال في رواية النخلة والجيران ، بل ان الرواية بكاملها كانت فكرة طرحتها في قصة قصيرة كتبتها سنة ١٩٥٦ ، ثم تحولت القصة الى فصل من الرواية .

كما أن بعض الشخصيات في رواية النخلة والجيران وجدت لها صدى في رواية القربان وهكذا .

العمل الواحد :

● هل تريد القول بأن الكاتب لايكتب الا عملا واحدا في حياته ، يلونه وينوعه ويضفي عليه بعد ذلك ؟

ـ قد يكون ذلك صحيحا في جزئية من الجزئيات ، أو بمعنى من المعاني ، وهذه المقولة قديمة ومعروفة ، وفيها بعض الصحة .

● هل يمكن اعتبار هذا الالحاح المستمر على استعادة الأحياء البغدادية بعد غربة عنها تقرب من الثلاثين عاما على انه نوع من التعويض عن عيش الواقع ، او التنفيس عن حنين طاغ ؟

ـ نعم ربما هو نوع من الحنين والجيشان العاطفي الذي مازال يلهب خيالي وملكاتي ، ربما هو تحصين ضد الذوبان في الغربة ، ومقاومة لسنابكها ، وربما نوع من مقاومة الانجراف مع تيار النسيان .

هوتفريغ لأجل التوازن العاطفي . لكنه جيشان وتفريغ وفيضان عاطفي محسوب ، تجنبا لتحول الرواية الى « مونولوج » ذاتي كامل ، لذلك فانني أحذف بعد الانتهاء من الكتابة الاولية الكثير من الصفحات التي أجد أنني انسقت فيها مع عواطفي وحواري الذاتي . ومازلت بعد هذا العمر متشككا في كل ماأكتب ، ولكي أزيل شكوكي فانني أعرض ماأكتب على الأصدقاء ، والأصدقاء كما تعرف لهم مشاربهم وتجاربهم ، فيوقعونني في الحيرة أحيانا .

رواية « المؤجل والمرتجى » كتبت ثلاث صيغ لها حتى الآن على سبيل المثال ومن المؤكد أنها سترسو على صيغة ماقي النهاية .

المؤجل والمرتجى :

● هل رواية المؤجل والمرتجى تستوحي أجواء بغدادية أيضا ؟

ـ لا أريد أن أكشف أسرار الرواية قبل نشرها ، لكنني أقول بأنها أول رواية أكتبها عن الغربة والمغتربين ، عن الأصدقاء الذين قابلتهم وعايشتهم في الغربة .

● لماذا تكتب الان وليس قبل ذلك رواية عن الغربة ؟

ـ الغربة لاتتيح لك تعميق علاقاتك بالناس وبالواقع بشكل حميم وانتمائي ، انها تبقيك على الهامش ، كما أن الغربة بالنسبة لي استمرت ومازالت مستمرةومن الصعب الكتابة بشكل روائي عن شيء

مستمر ولازلت تعيش في غمرته وميدانه .

يقول همنجواي : اذا اردت الكتابة عن ميتشغان فانني انتقل الى باريس .

● لكنك مازلت مغتربا .. فكيف تسنى لك كتابة هذه الرواية ؟

ـ هي محاولة ليس الا ، قد تنجح وقد لا تنجح .

● الم تعد الى بغداد بعد ان غادرتها ؟

ـ بل عدت عدة مرات بعد خروجي منها سنة ١٩٥٤ ، منزوع الجنسية من قبل « نوري السعيد » ، فمكثت في القاهرة ، ثم عملت في الترجمة بالصين منذ سنة ١٩٥٧ الى سنة١٩٥٩ وأذكر انني ترجمت بعض أعمال كاتب صيني تشبه كتاباته كتابات غوركي اسمه لوشين من الانكليزية الى العربية .

ثم عدت الى العراق سنة ١٩٥٩ بعد قيام الثورة وبقيت حوالي سنة ، ثم تم التعاقد معي كمترجم للعمل في موسكو ، وبعدها تم سحب جنسيتي سنة ١٩٦٣ ، انا والجواهري والبياتي ومحمود صبري ، ثم اعيدت الجنسية لي سنة ١٩٦٩ وعدت الى العراق لفترة قصيرة ، ثم تابعت عملي في الترجمة بموسكو .

وكنت في الكثير من السنوات ألبي الدعوة لحضور مهرجانات المربد في البصرة .

خيول السباق :

● هل تتابع النتاج الادبي العربي ، خاصة نتاج الأجيال الشابة ؟

ـ نحن كخيول السباق،علينا ان نعرف من يقف في صفنا او وراءنا أو أمامنا . لذلك فمن الطبيعي أن أتابع نتاجات شتى الأجيال ، خاصة جيلي وماتبع ذلك من اجيال عربا واجانب .

● وهل تتأثر بما تقرأ ؟

ـ الذين ينكرون مقولة التأثر يغالطون أنفسهم قبل أن يغالطوا غيرهم . نعم أنا أتأثر بما أقرأ وأعيش وأتعايش وأستفيد وأوظف ذلك ضمن اجتهاداتي وتوجهاتي وأسلوبي ، والقاسم المشترك الذي أثر في جيلي من الأدباء العرب هم : كالدويل ، هيمنغواي ، فوكنر ، شتاينبك ، تولستوي ، ديستويوفسكي ، تورجنيف وغيرهم . تأثرنا بأساليبهم ، وحتى في رسم الشخصيات حسب ماوردت في أعمالهم ، وشخصيا تأثرت بنجيب محفوظ بناحيتي السرد والمعالجة القصصية ، ولازلت مستمرا في قراءة نتاجات الكتاب العرب ، كيوسف ادريس ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وحنا مينا وغيرهم .

واذا كان السياب ونازك والبياتي وغيرهم قد جددوا في مجال الشعر في الخمسينيات ، فان جيلنا من الروائيين والقصاصين قد دخل معترك التجريب والتجديد في البناء القصصي والروائي في الخمسينيات أيضا .

وأجد أن الأجيال قد واصلت التجريب والتجديد واستطاعت تقديم منجزات جيدة على صعيدي القصة والرواية ، مثل محاولات محمد خضير وزكريا تامر ، وبعض محاولات عبدالرحمن الربيعي ، ثم تلا ذلك أجيال شابة أضافت ونوعت ولونت ، كمحاولات الغيطاني وصنع الله ابراهيم والخراط وصبري موسى وغسان كنفاني ـ الذي أثر فيَّ تأثيرا كبيرا ـ ان في أدبه حرارة ودفقا وتواصلا مع قضية مهمة ، وأعجبني يحيى يخلف في تجران تحت الصفر ، ورشاد أبوشاور في العشاق ، وأعجبني كذلك سحر خليفة التي تبشر بظاهرة مميزة صريحة فيها شمولية وأفق واسع ، ويعجبني أميل حبيبي ، والطاهر وطار الذي اعتبر أدبه ظاهرة جديدة تستحق الدراسة والتنويه .

ويعجبني أيضا رشيد بوجدرة ، واجد في أدبه أجواء واقعية خيالية تشبه أجواء الكاتب الكولومبي ماركيز .

كما يعجبني الدكتور عبد الرحمن منيف ، انه يكتب تجربة البحث عن بلد بأسلوب روائي مقتدر .

● انك تتابع نتاجات الأجيال اللاحقة على جيلك ، حتى نتاجات الشبان منهم ومن كل اقطار الوطن العربي ، أفضل بكثير من الادباء الذين مازالوا يقيمون في اقطارهم .

● لقد قلت لك من قبل اننا كخيول السباق ، وأضيف على ذلك بأننا يجب ان نكون كأبناء القرى الصغيرة أيضا ، علينا ان نعرف كل الناس في كل

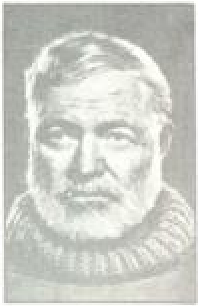
همنجواي

تولستوي

يوسف ادريس

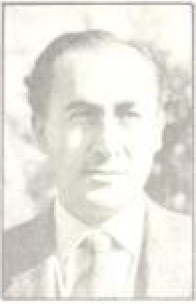
جبرا ابراهيم جبرا

بيوت القرية وما يحصل لهم وما يدخل على البيوت من تطورات وتغيرات .

مطر المدينة ومطر الريف :

● هناك نقطتان تتعلقان بأدبك أود ان تلقي الضوء عليهما ؟

ـ الاولى تتعلق بالقدرة التجسيدية الفائقة على تصوير الشخصيات النسائية العراقية الشعبية ، مع انك ابتعدت منذ زمن عن العراق . والثانية .. نظرتك للمطر ، لقد وجدت أنها تخالف على سبيل المثال نظرة السياب له في الكثير من قصائده .

ـ بالنسبة للنقطة الأولى فانني أود أن أكون واضحا وصريحا كل الصراحة ، وبداية فانني أعترف بأنه لم يكن لي علاقات جيدة مع فتيات من الأحياء الشعبية ، ان غربتي المبكرة لم تتح لي فرصة اقامة أية علاقة حقيقية .

ولو سأل سائل : اذن من اين لك هذه الذخيرة من صور المرأة العراقية الشعبية ، فإنني أجيب ببساطة لقد سمعتها من أمي وجدتي ونساء الحي عندما كنت صغيرا .

يقول ماركيز ان جدته اثرت عليه كثيرا ومنحته الكثير من الصور والأحداث التي بنى عليها بعض قصصه .

وأنا أقول نفس الشيء . نحن كشرقيين أمهاتنا وجداتنا لعبن أدوارا مهمة في حياتنا أكثر من آبائنا . كانت علاقاتنا معهن حميمة وصريحة أكثر التصاقا من علاقتنا بآبائنا ، علاقتنا بآبائنا كان فيها نوع من الجفاء ، كانوا متكبرين ، او على الأصح لايسمحون للصغار بالاقتراب من حياتهم ومجالسهم .

ولذلك فان الامهات قدمن البديل ، وقد التقطت الكثير من التفصيلات من أمي وجدتي ونساء الحي الذي كنا نعيش فيه .

ـ اما بالنسبة للنقطة الثانية أي المطر فانني أقول : المطر بالنسبة لمن يعيش في المدينة وخاصة لمن يعيش في حي شعبي في خمسينات هذا القرن او ستيناته ، هو ظاهرة تتجهم فيها السماء وترعد وتبرق ، ثم ينزل المطر فيخلف مآسيا وكوارث في البيوت التي تتصدع أو تنهار ، ثم تمتلىء الطرق بالوحول وتتعطل بعض المصالح .

أما الصحو .. فهو شمس مشرقة ، وسماء صافية وحياة عادية .

أما الريفي ـ السياب كما هو معروف من ريف البصرة ومن قرية جيكور بالذات ـ فهو يعتبر المطر حياة وخصبا ونماء للزرع والضرع ، ودونه قد لاينمو الزرع ولاتخضر الحياة ، هو خلاف في النشأة والبيئة والاحتياج اذن .

الجديد والقديم :

● يجد البعض أنك منحاز للأحياء البغدادية القديمة بما فيها من أنماط وعلاقات قد تكون متخلفة .. فما هو ردك على ذلك ؟

ـ ان مايبدو انحيازا هو مجرد تصوير وربما تسجيل لنمط من علاقات الترابط والتواد التي كانت تغلف السكان في الأحياء القديمة ، صحيح أنها حياة فيها شظف العيش ، ولكنها حياة من نوع مايسمى بالفقر الموزع ، أو التساوي في المصائب الذي يعتبره البعض عدلا . لذلك فان بعض أبطالي في رواية « ظلال على

السياب

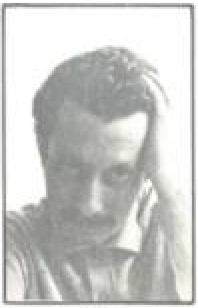

غسان كنفاني

النافذة » بالرغم من انتقالهم الى محلات بغداد الجديدة ، وتغير نمط معيشتهم وبروز مسحة من الغنى النسبي عليهم قياسا على ماكانوا عليه من قبل . فان حنينهم الى أحيائهم القديمة يهيج ويرتفع هديره بين آن وآخر ، ويبقى ملازما لهم .

انه الحنين للطفولة ، ونمط الحياة البسيط ، والعلاقات المترابطة ، إنهم يستعيدون زقاقات الحي فيجدونها ضيقة غير واسعة ، قريبة من بعضها ، كأنها في أذهانهم تحتضن الناس وتحنوا عليهم . في حين أن أحياء المدينة وطرقاتها الجديدة واسعة ومتباعدة .

ان عبدالواحد في رواية « ظلال على النافذة » يبقى مشدودا روحيا الى حيه القديم بالرغم من انتقاله الى الحي الجديد ، انه يصور حالة التناقض بين الحيين فيقول : جو الحي الشعبي يشعرني بثقلي على الأرض ، في حين أنني أشعر في الحي الجديد كأني تائه . ان ذلك كما أرى ليس انحيازا الى الماضي وتفضيلا له على الجديد ، بل هو تصوير لنمط من الناس لايمكنه أن يتعايش بسهولة مع حالة البتر التي حدثت بين الجديد والقديم .

الجديد ليس جيدا أو جميلا في كلياته ، والقديم ليس سيئا ومذموما في كلياته ، وأنا كروائي على أن التقط الجزئي والتفصيلي المميز في تركيب الشخصيات .

في قصة إيفان إيليتش لتولستوى تصوير لموظف عادي ، تدرج حتى وصل الى مركز مرموق ، وعندما تحين ساعة موته يحاول أن يتذكر أجمل مافي حياته ، فلا يجد فيها الا طفولته ، صور الطفولة تستعاد وتطغى على ماعداها بما فيها من احساسات عفوية وصفاء وتطلع وتشوق الى مستقبل افضل .

● التركيز على تسجيل بعض ملامح أيام الطفولة ، والأحياء القديمة وعلاقات وأنماط الناس فيها ، يمكن أن يرسب عند بعض القراء انحيازك وارتدادك الى الماضي ، وهو ـ كما يفسره بعض المجتهدين النفسيين . رغبة في العودة الى رحم الأم .

ـ هذا ما يمكن التقاطه عن سطح ما أكتب ، الا أن من يتعمق في كل ما كتبت يجد انحيازا لكل ما هو قيم واصيل وجميل ومتقدم في حياة الناس .

ان تسجيل أنماط الحياة والعلاقات في الأحياء القديمة ما هو الا محاولة لاعطاء المعمار الروائي نكهة الحياة الحقيقية ، وعليّ أن أكرر ، ليس كل ما في الماضي سيئاً ومذموماً ، أما تفسير النص حسب وجهة نظر بعض المجتهدين في علم النفس ، فانني أرى أن كل مدرسة تحاول تفسير النصوص حسب ما تشتهي وتجتهد ، وأرى أن البعض يملك قوالب معينة يحاول أن يحشر النصوص حشرا داخلها . انه مرض القالب الجاهز .

قد يكون في بعض الكتابة عن تجربة حياة حدثت في الماضي ، نوع من الحنين لأفضل ما حواه الماضي ، لكن هذا لا يعني أبدا وخاصة في أدبي انحيازا لسيئات الماضي على حساب أفضل ما يحويه الحاضر أو ما هو مأمول في المستقبل . □

اقرأ في العدد القادم من العربي

هيروشيما .. تغني للحياة

استطلاع بالألوان في أرض الشمس المشرقة

منير نصيف

في ذكرى عمر المختار شيخ الشهداء
وهبي البوري

الصورة في الصحافة العربية
كامل زهيري

العالم ينتظر المذنب هالي
سعد شعبان، رؤوف وصفي

واقرأ:
- ☐ فهرست النديم .. للدكتور محمد حسن عبدالله
- ☐ عروبة المغرب العربي .. للدكتور صالح الخرفي
- ☐ هل يتكلم الطفل وهو جنين .. للدكتور نبيل سليم علي
- ○ من فوق جسر بين العرب وأفريقيا .. استطلاع ملون: محمود عبدالوهاب
- ☐ كتاب الشهر: بريخت .. سيرة حياة .. عرض حسن محمود عباس
- ☐ وجهاً لوجه ... د. ابراهيم عبده و د. أحمد حسين الصاوي
- ☐ البيت العربي .. ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- ☐ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب:
د. محمد الرميحي - حسين أحمد أمين - فواز عيد
يعقوب السبيعي - فوزي الفيشاوي - د. فوزي عليان .. وغيرهم

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً ، واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيما) . النساء ١٠٥ ، ١٠٦

سرق رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق درعاً من جار له هو قتادة بن النعمان . وكانت الدرع في جراب فيه دقيق ، فجعل الدقيق يتساقط من خرق في الجراب ، حتى انتهى الى دار رجل يهودي فخبأها عنده . وشك قتادة في طعمة ، ففتش داره فلم يجد الدرع فيها ، وحلف له طعمة أنه ما أخذها وماله بالدرع علم . فلما حلف ، تركه قتادة ، واتبع أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي ، ففتشه فوجد الدرع فيه . فلما أمسك باليهودي قال اليهودي ان طعمة أتى اليه بالدرع وطلب منه الاحتفاظ بها عنده ، ولم يخبره بأنها مسروقة . وشهد له أناس من أصحابه على ذلك ، واذ كادت التهمة تثبت ضد طعمة ، أسرع قومه ، وهم بنو ظفر بن الحارث ، الى رسول الله ﷺ وكلموه في الأمر ، وتوسلوا اليه أن يدافع ويجادل عن طعمة بن أبيرق ، وأن يلصق التهمة باليهودي ، وقالوا له : ـ يا رسول الله اعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه ، فإنه ان لم يعصمه الله بك يهلك .

فقام رسول الله ﷺ ، وكان هواه مع بني ظفر ، فبرأ طعمة وعذره على رؤوس الناس ، فانزل الله هاتين الآيتين ومعناهما : إنا أنزلنا اليك القرآن يا محمد لتقضي بين الناس بما أراك ربك من الحق ، فلا تدافع عن الخائنين ، واستغفر الله ، وسله أن يصفح عنك اذا جادلت عن هذا الخائن . وقد قيل أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن قد جادل عن الخائن ، ولكنه هم بذلك ، فأمره الله بالاستغفار مما همّ به من ذلك

ثم نقرأ في الآيتين التاليتين : ـ

(ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، ان الله لا يحب من كان خواناً أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، وهو معهم اذ يبيّتون ما لا يرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطاً) . وهنا إشارة الى بني ظفر بن الحارث الذين خشوا أن يؤدي الحكم على صاحبهم الى الفضيحة والعار ، وكان خوفهم من رأي الناس فيهم أعظم من خشيتهم من الله الذي هو مطلع عليهم ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، وهو أحق أن يستحى منه من غيره .

قد أبان الله لرسوله وللمؤمنين اذن أنه لا يجوز لأحد أن يدافع عن أحد الا بعد أن يتيقن من أنه على حق ، كما لا يجوز أن يدفعه الهوى أو المصلحة الظاهرة الى الانحياز الى طرف دون طرف في أي نزاع ، كما

بيّن أن لليهود والنصارى مثل ما للمسلمين من حق في عدل الحاكم أو القاضي أو الفرد العادي ، وأنه على الناظر في أيه قضية أو خصومة أن يقمع في نفسه الميل الى محاباة أحد أطرافها نتيجة توافق المصالح ، أو الانتماء الى نفس الجماعة أو الملة ، أو أي اعتبار من الاعتبارات .

فهنا اذن مفهوم عن العدالة لم يكن مألوفاً لدى العرب في الجاهلية ، . لم يكونوا يرون في القتل أو السرقة جريمة ، ان كان القتيل أو المسروق منه من غير قبيلتهم ، ولا كان المسلمون في السنين الأولى من الدعوة يرون في إهدار حقوق أهل الملل غير ملتهم خرقاً للمفهوم الافقي عن العدالة ، حتى نزلت هذه الأيات فأوضحت أن عدل الله يسع الكافة ، بغض النظر عن دين المرء وانتماءاته ، وأن الجاني وان كان مسلماً ينبغي على الحاكم أو القاضي أن يتصف منه ، والمجني عليه وان كان غير مسلم ينبغي على الحاكم أو القاضي أن يتصف له .

لقد كان جل ما أتى به الاسلام من قيم مخالفاً للمألوف عند العرب ، وللتقاليد السائدة بينهم ، مناقضاً لمثلهم ونظرتهم الأساسية الى الحياة ، مما توارثوه جيلاً بعد جيل . فلا غرو ان لم تجد الدعوة صدى واستجابة سريعين لدى أهل مكة ، وهم الذين سمعوا رسول الله يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له أصلاً ، ككبح الشهوات ، والتضحية بالمال ، والزهد في الحياة الدنيا ، وينهاهم عن الفخر بالحسب ، وعن التنافس بين القبائل ، ويدعوهم الى أخوة ومساواة ، مؤكداً أنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لحر على عبد الا بالتقوى .

وقد كان لا بد من مرور بعض الوقت حتى يتشرب المسلمون الأوائل هذه المفاهيم الجديدة ، ومن بينها المفهوم عن العدالة الوارد في الأيات المذكورة ، وحتى يتركوا النهج الذي سار عليه آباؤهم لعدة قرون سابقة . غير أن أفراداً من المقربين الى رسول الله ﷺ سرعان ما تخلقوا بأخلاقه ، وتفهموا مقاصد الدين الجديد وغاياته ، وتبنوا قيمه وتوصياته . وكان من أبرز هؤلاء الفاروق عمر ، الذي يروى عنه أنه قال لأحد المتخاصمين عنده (وكان عمر يبغضه ولا يرتاح اليه) :

ـ والله لا يحبك قلبي أبداً .

قال الرجل : فهل يمنعني ذلك من عدلك ؟

قال : لا .

قال : فلا بأس اذن ، انما يأسف على الحب النساء . □

صُحار ومعاوية

قال معاوية لصُحار العبدي : أنتم أخطب العرب .

قال : إن ذلك ليقال ،

قال : فما الخطيب فيكم ؟

قال : من رد بقليل الجواب كثير النطق .

قال : ما هذه البلاغة فيكم ؟

قال : كلام يعتلج في قلوبنا فنقذفه كما يقذف البحر الموج .

قال : فما الإبلاغ ؟

قال : أن تسرع فلا تبطيء ، وتقول فلا تخطيء .

يوم أمطرت السماء ذهبًا..!

قصة للكاتب الكندي المعاصر أيريك كاميرون

ترجمة : ابراهيم عبد الله العلو

لا يزال الناس في قرية لوكست يتذكرون يوم أمطرت السماء ذهبا . ذلك المطر الذي غيّر الكثير من الناس والأشياء . البعض الى الأفضل والبعض الآخر الى الأسوأ ، في تلك الأيام لم تكن النقود معروفة بالنسبة للكثيرمنا . كان الرجل محظوظا اذا استطاع أن يبيع من محصوله ما يكفيه لدفع قسط الرهن على الأرض . ولكن بالرغم من الأحوال الصعبة في المزارع والقرى كان الفلاحون يحسون بالعطف تجاه حشود العاطلين عن العمل في المدن . على الأقل كانت البرية تقدم لهم الهواء النقي والمكان الفسيح ، كان الرجل ينظر الى جاره ولا يحس بالاثم ، لأنه لم يكن له دور فيما حصل . ربما يخسر أحدهم مزرعته أو عمله ، ولكنه كان يحتفظ دوما بكرامته ، لم يكن الناس يُقيّم بعضهم بعضا حسب ما يملكون ، ولكن حسب الطريقة التي يتصرفون بها . لذلك كان من العجيب أن نرى بعضهم يتغير بين عشية وضحاها ، لقد كشف مطر النقود عن خصائص في النفس البشرية أثارت دهشتنا جميعا .

عندما حضرت اللجنة الأولى للتنقيب عن البترول ، تم وضع الرافعة في زاوية من أحد حقول العم رالف . كان الناس يحضرون ليتفرجوا أو يسألوا أسئلة ثم ينصرفون وهم يهزون رؤوسهم . لقد كانوا يتعجبون من الوقت والجهد الذي يبذله أولئك الرجال في بحثهم الميئوس منه عن البترول . كان كل واحد من السكان بما فيهم القسيس بطرس والسكيرواتسون يستطيع اخبارك بأنه لا توجد هناك أية نقطة من البترول في مائة الميل المحيطة بولوكست من كل الجهات . في الحقيقة لم يكن هناك الكثير بجانب الغبار ، منذ أن اتخذ الجفاف مركزا له في قريتنا ، بعد أن فرغ الرجال من محاولتهم الأولى الفاشلة . نقلوا آلة الحفر جهة الشرق الى أحد حقول والدي . جلسنا ننظر من الشرفة الخلفية ، ونحن نتسم ابتسامات مشفقة .

بعد أيام قليلة كانت والدتي قد انهت للتو نشر الغسيل . كان حبل القنب يرفرف بحمله من الشراشف وأغطية الوسائد والملابس الأخرى . كان والدي يحاول اصلاح سيارتنا القديمة . كان مادّاً ذراعيه فوق « الرفراف » ورأسه وكتفاه تحت الغطاء ، وكأن المحرك المعدوم الأمان يبتلعه . كانت قعقعة المحرك عالية لدرجة أننا لم نسمع صوت اندفاق البترول . كانت ملاحظتنا الأولى ظهور بقع سوداء على الثياب المعلقة على حبل الغسيل . عندما نظرنا الى الحقل رأينا نافورة سوداء تتدفق الى الأعلى من آلة الحفر .

لقد حمل النسيم الرائحة المؤذية الينا . نظرت والدتي الى الثياب الملطخة بحنق ، ولكن الكلمات احتبست في حلقها . لم أرها غاضبة لهذه الدرجة من ذي قبل . لو لم يكن والدي قد أستبدل بندقيته بدولاب السيارة لكان أمام رجال الحفر مواجهة تتعدى البئر البترولية .

حضر العم رالف بسرعة مبشرا أن السنوات العجاف قد ولت الى الأبد ، فقط أمضي عقد الايجار ـ كان يحاول أن يشرح لوالدي ـ وسوف يعطينا رجال البترول نسبة من كل البترول الناتج ، وعلاوة

على ذلك فسوف يدفعون لنا ايجارا شهريا أيضا ، كانت والدتى مرتابة لدرجة أنها قالت ان المجانين فقط يقبلون بأن يدفعوا تلك الكمية من النقود ، من أجل سائل فاسد ، ذلك السائل الذى لا يمكن أن يكون قد تخمر الا من قبل الشيطان نفسه .

ولكن العم رالف أصر على القول بأن ذلك هو الذهب الأسود ، وتوقع أنه خلال وقت قصير سوف يتغير كل شىء فى لوكست وهكذا حدث .

عندما انتشرت الأخبار بأنه تم العثور على البترول فى المنطقة ، ظهر قطيع من المضاربين من حيث لا نعلم . كانوا يحملون دفاتر الشيكات ونقودا تكفى لاقناع أكثر المشككين من مُلاّك الأراضى ، لقد كانت المضاربات تقطع الأنفاس .

كان بعض المستأجرين يعرض أموالا لم تكن لتحلم بها فى أى وقت مضى . لقد وقع والدى على كل دونم يمتلكه . وليبين فرحته فقد اشترى سيارة جديدة له ، وغسالة جديدة لوالدتى . لقد كان العقد يوفر لنا من المال كل شهر أكثر من أية نقود حصل عليها والدى من خلال عمله الفعلى فى الأرض . لقد قرر أن يتقاعد ويجعل الأيام تمر كما هى طالما أن المال موجود بكثرة .

لقد ازدهرت الأعمال حول لوكست ، ونفحت رياح السعد المفاجئة كل شخص فى القرية بطريقة أو بأخرى . حتى مشروع بناء الكنيسة جمع تبرعات فاقت كل التوقعات جراء كرم السكان .

ان الخير كثير جدا بالنسبة لنا » قالت والدتى عندما رأت عائلة الدالتون فى سيارتهم الجديدة ، التى تركت وراءها شريطا من الغبار فى البرية اللاهبة .

لا شىء كثير جدا أجاب والدى معنفاً وهو يأخذ كأسا من الليمونادة الباردة من الثلاجة الجديدة التى اشتريناها بنقود البترول . ازداد عبوس والدتى عندما لوحت لنا عائلة الويلسون من سيارتهم فى الجانب الآخر من الطريق ، لقد كانت سيارتهم حمراء لامعة ومرصعة بالكروم .

« انظر الى ذلك ـ قالت والدتى مستنكرة الوضع ـ عندما لا يحتاج الناس للعمل من أجل الحصول على المال فانهم يضيعون ذلك المال . الذين لم يكن لديهم الكثير لا يعرفون كيف يتصرفون عندما يغمرون بذلك » أجاب والدى ـ وهو يضحك خافتا ـ : « ان الكثير منهم يحسون بالغبطة وهم يحاولون أن يتعلموا كيفية التصرف بالمال » .

ولكن السعادة لم تكن وحدها حليف كل ملاك فى لوكست . كان على البعض أن يحاربوا ضمائرهم . مثلا جيف بورتر اتفق مع أحد المستأجرين عبر التلفون . كان ذلك المستأجر يتأكد فى شرعية سند التمليك فى مبنى الحكومة . ولم يكد جيف يضع سماعة التلفون حتى طرق عليه الباب رجل وهو يعرض ثلاثة أضعاف المبلغ من أجل العقد . كان يحاول اخباره بأن الاتفاق عبر التليفون لا يعتبر ملزما . رمى جيف مضغة التبغ من فمه ، وهز رأسه رافضا ، ثم أغلق الباب فى وجه ذلك « الزبون » . ثم انهال بقبضة على الحائط ، لأنه كان حانقا على نفسه ، ولكنه على الأقل وقف عن كلمته . ذلك الأمر الذى لم يكن يحدث كثيرا عندما كان بريق الذهب لا يقاوم . ولكن موجة الرخاء التى غمرت لوكست رسبت أيضا حطامها البشرى الذى تمثل فى بعض المتعدين على الملكية . لقد كانوا رجالا مدققين يقضون أياما فى البحث فى سجلات الأرض ، علهم يجدون أى خطأ يمكنهم من تحدى ملكية رجل آخر . كان المتقدمون فى السن والأرامل ضحاياهم المفضلة . لأنه كان من السهل ترويعهم واجبارهم على دفع نصف العائدات ، بدلا من الذهاب الى المحاكم لمحاكمة المدعى كان المحتالون يحضرون بقبضة من لوحات مسح الأراضى والمفردات القانونية الرنانة ، التى تقنع المُلاّك المساكين بأن هناك خطأ فى حدود الأراضى .

وفى يوم شديد الحر وقفت سيارة أمام باب بيتنا ، مخلفة وراءها عاصفة من الغبار ، ونزل بهدوء من خلف المقود رجل طويل نحيف . بدا وجهه الشاحب رقيقا ، وكأنه يرى قطعة من الصنوبر الأصفر ، كان يتكلم بصوت جاف ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة تلقائية ثابتة . عرّف بنفسه على أنه روكلاند هوبول ، ثم قال انه حضر ليلفت نظر والدى الى خطأ فى سند التمليك فى جزء من أرضنا . تستطيع القول يومها بأن والدى تمنى لو انه لم يستبدل بندقيته مقابل دولاب السيارة .

بسط روكلاند خريطة مسح ملطخة محدثا صوت زقزقة مزعجة . قبل سنوات عديدة كان والدى قد

اشترى بعض الأراضي من أبي السكير واتسون . في تلك الأيام كانت أغلب المعاملات تجرى بصورة عفوية ، لم تكن هناك الحاجة لاحضار مساح من المدينة لتدقيق الحدود .

وحسب مقولة السيد روكلاند فان بعض سجلات المسح الحديثة تثبت بأن الأب واتسون ارتكب خطأ بتقدير مساحة أرضه ، عندما باعها لوالدي ، وكشفت السجلات أن هناك شريطا ضيقا بحذاء قطعة الأرض لم يكن جزءا من البيع ، وعندما ورث السكير واتسون الأرض كان قد باع ما تبقى منها للعم رالف . وشرح السيد روكلاند لوالدي أنه اشترى ذلك الشريط من واتسون ، وأنه ينوى أن يحصل على عقد من أجل التنقيب عن البترول هناك .

خيم سكون مشؤوم عندما طوى روكلاند الخريطة ، وهو يقف وقفة المعتد بنفسه ، وكأنه قد وضع والدى تحت الأمر الواقع .

نظر والدى الى الرجل من الأعلى الى الأسفل وكأنه يفكر الى كم قطعة يستطيع تمزيقه . حبسنا أنفاسنا متسائلين عما يمكن حدوثه ، بعد ذلك لم نكن نتوقع شيئا أقل من العنف . ولكن قهقهة والدى فاجأت كل واحد منا .

ـ « لقد استطاع السكير واتسون أن يخدعك » هتف والدى .

ـ « ولكن هذا هو العقدُ أجاب روكلاند وهو يتكلف الابتسام .

ـ « ولكن ذلك كل ما تملك » أجاب والدى . »

ـ « أوه . سوف أؤجر تلك الأرض أيضا ، أصر والدى والدهشة تعترينا » ولكننى أعتقد أنه سوف يمضى بعض الوقت قبل أن تستطيع أن توقع عقدا مع أى من رجال البترول .

ـ « لماذا ؟ سأل روكلاند .

اهتزت شوارب والدى وهو يقول « لأننى لا أرى كيف بامكانهم أن يحضروا فريقهم وآلياتهم الى ذلك الشريط الضيق من الأرض الا اذا نبتت لهم أجنحة .

وسرعان ما تبخرت ابتسامة السيد روكلاند « ماذا تعنى ؟ » كان والدى يشير بيديه وهو يجيب ، لأنه ليس لديهم أية طريقة للوصول الى تلك الأرض ، لأننى وأخى رالف نمتلك كل شبر من الأرض المحيطة بها « ثم أضاف وحسب السجلات لا توجد هناك أية طريقة قانونية تمكنك من عبور أرضنا الى ذلك الشريط ، يبدو لى أنك دفعت الكثير من أجل أرض لا تساوى شيئا .

بدأت حنجرة روكلاند تهتز كعرف ديكنا الرومى ، وانقلب وجهه الشاحب الى أحمر باهت ، ولكن الكلمات لم تسعفه .

تنهد والدى وهو ينظر الى سيارة روكلاند وهى تناور ، مخلفة وراءها عاصفة من الرمل .

ـ « في المرة القادمة تأكد أن الأوراق قد ملئت كما يجب » قالت والدتى موبخة .

ولكن والدى هز كتفيه بدون مبالاة . . . حسنا . لو أننى وضعت كل شىء بدقة على الأوراق مع هارى واتسون لكان بامكان ذلك المحتال أن يضعنى في موقف حرج ، لأننى اتفقت مع هارى اتفاقا شفويا بأن لديه حق المرور خلال الأرض التى باعنى أياها ، لأن ذلك كان طريقا اقصر بالنسبة له . ذلك هو السبب في وجود بوابات في كلا السياجين . ولكن باعتباره من أبناء المدن فان السيد روكلاند لم يأخذ تلك الامكانية بعين الاعتبار .

ـ « يجب على أن أشكر واتسون لعدم تذكيره لروكلاند بذلك .

□

الشعر وعصر الكمبيوتر

بقلم : عبد الله زكريا الأنصاري

مازال الشعر له مكانة . ومكانته في دنيانا عظيمة بالرغم من حدوث نقلات كثيرة وكبيرة في شتى مجالات الحياة .
لكن هل يمكن أن يموت في عصر « الكمبيوتر » ؟ هذا ما يجيب عليه هذا المقال .

الشعر كلمة ليست كالكلمات ، لها رنين ، وفيها نغم ، ولها ايقاع ، توحي لك بالموسيقا ، وتسير معك في الخيال ، وتأخذك الى عالم السحر والجمال .

خلق الشعر مع الانسان ، يعيش معه ، ويحيا بحياته ، ويسمو بسموه ، ويموت بموته ، انه الصوت الجميل ، والنغم اللذيذ ، واللحن الحلو الناعم .

انه شعور الانسان ، وأحاسيسه ، وعواطفه ، يرق اذا رق ، ويعذب اذا عذب ، ويصفو اذا صفا . يفرح اذا فرح ، ويحزن اذا حزن .

يهدر اذا هدر ، ويثور اذا ثار ، ويغضب اذا غضب ، ويعنف اذا عنف ، ويهيج اذا هاج ، ويضطرب باضطرابه .

انه قابع في الحياة ، في داخل الانسان ، وفي كل شيء في حياة الانسان . انه في السماء وفي الأرض . فوق سطح البحر وفي قاعه ، فوق التراب وفي سفوح الجبال وفوق قممها ، في أشعة الشمس وفي ضوء القمر ، وفي لألاء النجوم والكواكب الأخرى الساطعة .

انه الشعر ، في أنفاس العذارى ، وفوق رؤوس الحراب . يغني للحياة ويغني للحرب . والحرب دعوة للحياة في كثير من الأحيان . ورحم الله الشاعر العربي الذي يقول في هذا المعنى : -

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد
لنفسي حياة مثل أن أتقدما

انه الشعر يطير في الفضاء ، ويجوب السموات العلا ، ويقطع الفيافي والقفار ، يشق عنان السماء ، وينفذ كالسهم ، ويجري كالنجم الثاقب بين النجوم .

هل يموت الشعر ؟

ويأتيك من يسأل ، هل يموت الشعر ؟ وهنا لا بد من القول الصراح : نعم يموت الشعر ، فيكون لجوابك وقع أي وقع !! وقع الذهول والقلق ، وقع الراحة الخادعة ، كيف ؟ ان الذهول والقلق قد يعلوان أوجه محبي الشعر وقد يحزّان في نفوسهم ، والراحة الخادعة قد تبدو على محيا مبغضيه ، أو الذين يقولون بموت الشعر . أما الذين يعرفون الشعر ، ويفهمونه ، ويدركون روحه ، فتتسرب بهم معرفتهم وفهمهم وادراكهم الى صدق الجواب ووضوحه وصراحته ، ويرددون بأنفسهم وفي قلوبهم ، وملء مشاعرهم : نعم ان الشعر يموت ، وكل شيء يموت ، ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام ،

ويقولون: لا بد للجواب على سؤال السائل، من سؤال أيضا ويسألون: لكن متى يموت الشعر؟ واذا لم يجدوا من يجيبهم على سؤالهم، أجابوا هم أنفسهم قائلين:- ان الشعر يموت بموت الانسان وينتهي بانتهاء الحياة، فما دام هناك انسان حي فهناك شعر، ومتى فنيت الحياة مات الشعر، ويجيبون اجابة أكثر وضوحا، وأشمل، ويقولون ان الشعر يموت اذا ماتت الحياة، وما دامت هناك حياة فهناك شعر، ذلك أن الشعر روح الحياة التي تتردد في الانسان، وأنفاسه التي يتنفسها، وبصره الذي يرى فيه، وبصيرته التي ينفذ بها الى لب الأشياء.

انه الشعر الذي يُنطق الشاعرَ بما لايبصر ولا يرى، يصف ما لايبصره، ويصور ما لا يراه، بل ويسمع ما لا يُسمع. انه الشاعر الذي يبصر بمشاعره، ويرى بأحاسيسه، ويسمع بعواطفه. وهل يجب على الشاعر أن يكون مبصرا ليصف ما يبصره، وذا عينين ليصور ما يرى بها؟ أو ذا سمع ليغني بما سمع؟

ان بصر الشاعر وسمعه وبصيرته انما هو شعوره واحساسه وعاطفته، يفقد بصره فيرهف شعوره، وتشتد أحاسيسه، وترق عاطفته، ويفقد سمعه فتدق الأصوات المنبعثة داخل جوارحه فينغمها بأحلى نغم وأجله، الم يقل الشاعر الأعمى (أبو العلاء المعري):

ليلتي هذه عروس من الزنـ
ـج عليها قلائد من جمان

ويقول:

وكأن الهلال يهوى الثريا
فهما للوداع معتنقان

ويقول:

وسهيل كوجنة الحب في اللو
ن وقلب المحب في الخفقان
يسرع اللمح في احمرار كما تسـ
ـرع في اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الأعادي
فبكت رحمة له الشعريان
قدماه وراءه وهو في العجـ
ـز كساع ليست له قدمان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ
ـر فغطى المشيب بالزعفران

الى آخر هذه الأبيات الوصفية الرائعة.

كيف تأتى لهذا الشاعر الأعمى، المغرق في العمى أن يصف ليلته بالعروس الزنجية السوداء المتزينة بالقلائد من الجمان؟ كيف يصور الجمان اللامع على صدر الحسناء السوداء؟ وهو لم ير الجمان، ولم يبصر حسناءه السوداء؟

ويأتي الى الهلال وهو في كبد السماء ليصوره عاشقا ولهانا، ويصور الثريا معشوقة له، ويصور اعتناقها في السماء، مثل اعتناق العاشقين اللذين يهمان بالوداع، وكلما آن الرحيل اشتد العناق بينهما، وكلما أزفت ساعة الفراق تضرم الشوق، وغلى مرجل الحب، وأخذ كل عاشق عاشقه بالاحضان يعتصره ويعتصر منه قلبه، نعم كيف صور هذا الشاعر الأعمى هذا المنظر العجيب، ثم يمضي به الوصف، وتستبد به الرؤى ، ويرسم لوحة متحركة حية خالدة لسهيل، وسهيل هو النجم المتلألىء الذي يحمل الى أهل الكويت وأهل المنطقة تباشير الخريف، حيث تبدأ أيام الصيف الحارقة بالتلاشي، وتحل محلها الأيام التي تتخللها نسمات الخريف المنعشة الباردة التي تسبق نسيم الشتاء.

نعم يصور شاعرنا الأعمى سهيلا بقلب المحب ووجنته، وقلب المحب أبدا في خفقان، ووجنة الحب يعلوها الاحمرار الممزوج بالصفرة المحببة، نعم انه سهيل المتلالىء اللامع سريع اللمح في احمراره كسرعة اللمح في مقلة الغضبان، فكيف رأى شاعرنا الأعمى احمرار مقلة الغضبان كيف رأى الشرر يتطاير منها، بل كيف رأى اللمحات التي يرسلها سهيل في تلألئه، وراح يرسم هذا المنظر الجميل بريشته الشعرية البليغة؟ ثم يصفه بالمحارب الشجاع الذي ضرجته سيوف الأعادي بالدماء فراح يجر قدميه، وبدا ساعيا بدون قدمين، يسحب نفسه سحبا ويجر جسمه جرا. وهكذا ظل محاربنا البطل حتى شاب الدجى، والدجى ليل، والمشيب بياض، أي حتى أرسل النهار خيوطه البيضاء في شعر الدجى الأسود على رأسه، فخاف الدجى أن يهجره الحبيب فلم يجد ما يغطي به شيبه غير الزعفران.

نعم أي لوحة للدجى أروع من هذه اللوحة.

يشيب الدجى ، أو تبدأ خيوط المشيب تجلل رأسه ، ويخشى أن يهجره الأحباب فيصبغ شيبه بالزعفران ، وأنت ترصد الليل فتراه سوادا ، وعندما تبدأ خيوط الفجر تبدأ بيضاء رويدا رويدا ترى الليل الأسود وقد بدأ يكسوه اللون الاصفر الذي يشبه الزعفران ، وهي الصفرة المنبعثة من أشعة الشمس قبيل بزوغها ثم يتحول الليل نهارا ساطع البياض .

ونضا فجره على نسره الوا
قع سيفا فهمّ بالطيران

ولما استل الصباح سيفه هب النسر بالطيران وطار .

انها صور بديعة يرسمها لنا هذا الشاعر الأعمى وهناك غيره من الشعراء كثيرون لو أردنا الاستدلال بهم لضاق بنا المجال ، وهم شعراء مصابون بالعمى أو مصابون بالصمم .

ذلك هو الشعر ، حيٌّ ما بقيت الحياة ، يوحي للشاعر فينطق ويبدع بنطقه ، وفي أحيان يوحى له فيصف ما لم يره ، ويصور ما لم يصوره ، ويسمع وان كان غير سميع .

انه الشعر ، يلهم الشاعر صورا ما كان يدري بها ولم يرها ، ويلهمه معاني ما كانت تدور بخلده ، ويلهمه ابداعا ، ورؤى مجنحة ، ويكشف له لمحات تكاد تكون من الغيب ، ويطوف به في عوالم أخرى ، يجوب أنحاءها ، ويخوض غمارها ، ويجوس خلالها . كل ذلك بمشاعره وأحاسيسه وبعواطفه وخياله الواسع الذي يمده له الشعر مدا ، ويخلقه له خلقا .

الشعر والكمبيوتر

وهناك من يقول في هذا العصر الذي تتكشف فيه أسرار العلم ، ويأخذ بعضها برقاب بعض ، ويسيطر فيه « الكومبيوتر » على حركات ما يأتي به العلم ، ويكاد أن يحصي أنفاس الكون في حركاته وسكناته ، نعم هناك من يقول: إن الشعر بدأ في الانحسار ، وان الشعر لم تعد له فائدة ، ولا جدوى في عصر « الكومبيوتر » انهم ينظرون الى الحياة كما ينظر اليها « الكومبيوتر » تماما ان صح التعبير ، وربما يصح التعبير في عالم لا يتعدى فهمه عالم الأرقام ، ولا يخرج من دائرة علم الحساب ، حتى ولو كان حسابا في دقة ما يحفظه له جهاز (الكومبيوتر) وهو عالم لايدرك ، بل لا يتحمل فكره ، ولا يستطيع أن يتقبل عقلا منطلقا من عقال الارقام أو علم الحساب ، أو جهاز « الكومبيوتر » ، ولا يتصور أن الشعر شيء ، أو خلق يسمو على الارقام ، ولا تحده دائرة علم الحساب ، ولا يتقيد بجهاز « الكومبيوتر » .

لاشك أن هذا هو عصر « الكومبيوتر » و « الكمبيوتر » جهاز أتى به عقل الانسان في العصر الحديث ليساعده على رصد أموره الحياتية ، في صناعته ، وفي عمله المكتبي ، وفي زراعته ، وفي اكتشافاته ، وفي مختلف علومه وأعماله كافة ، وربما أدى الى خدمات أهم وأعظم . الا أن منزلة الشعر تبقى هي الأعلى وهي الأهم ، لأنها هي في صميم الانسان ، وفي صميم جوارحه ومشاعره ، بل انها في صميم خلقه ، وستبقى معه ما دام يتنفس الحياة ، أما جهاز « الكومبيوتر » فربما عصف به العلم وأتى بجهاز آخر غيره بصورة أدق وأروع حتى هذا الجهاز الآخر يظل عرضة بحل محله للالغاء ، وربما عرضه للسخرية والتندر والاستهزاء ، ما دام العلم يسير في تقدمه ، وما دام العقل البشري يتفكر ، والانسان يتدبر مستعينا بالعلم ، ومستعينا بالعمل على العلم ، وبالعلم على العمل . ويظل وسيظل هكذا حاملا معه جوارحه ومشاعره وأحاسيسه وعواطفه ما بقيت الحياة ، وان انتهت حياته انتهى معها كل شيء .

وبانتهاء حياة الانسان تنتهي معها كل حاجاته ، من علم وعمل ، ومن شعر وخيال وابداع .

وسوف يبقى الشعر ما بقيت الحياة ، يترجم وجدان الانسان في افراحه ، وأتراحه ، ويترجم روعة الحياة في مسراتها ، ومآسي الحياة في كوارثها ، خارج دائرة علم الحساب ، وبعيدا عن الأرقام ، وانما في دائرة الخيال على رحبها ، وفي عالم الوحي الذي لا يحده حد .

نعم ، سوف يبقى الشعر ، وينتهي الكومبيوتر » ، وسوف يبقى الشعر وينتهي ما بعد « الكمبيوتر » حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وربما بعث الشعر مع الانسان في حياته الأخرى ، والله بكل شيء عليم . □

الأم والبنت والحفيدة

وراثة غالبة مسيطرة ابيدوبيا انسدال في الاجفان العلوية وتباعد في المسافة بين المآقي الانسية وتضيق في الفرجة الجفنية وقد زادت الاذية سوءا في الجيل الثالث فظهر نقص في الاهداب وتشوه وشتر في حواف الاجفان .

أمراض العيون هل تورث ؟

بقلم الدكتورة : سرى سبع العيش

منذ عرفت الوراثة الجسمية في الطب كان لأمراض العيون نصيب بارز فيها حيث خضعت للبحث أمراض عيون عديدة تنتقل بالوراثة من الآباء الى الأبناء ، ومن الاجداد والأسلاف الى الأحفاد عن طريق أبوين سليمين ظاهراً ، فما السبيل الى معرفة المصاب من السليم ؟

الخلية الناسلة التي تحوي الصبغيات المورثة تحمل شتى الصفات التشريحية والفيزيولوجية ، الطبيعية منها والمرضية ، وهذه الصفات الموروثة قد تنتقل رأسا من احد الأبوين أو كليهما ، أو تنسل من أجيال غابرة وتبقى كامنة لتظهر فجأة في جيل ما ، تاريخا بشريا مستحدثا مكررا لا سبيل لصده بعد أن وجد الظرف الملائم للظهور .

والوراثة العينية تبدو بوضوح في بعض الأجناس والشعوب كالصينيين الذين يتماثلون في شكل فرجة الاجفان وأبعادها وانحرافها عن الخط الافقي الى الاعلى والوحشي،وتتباعد عندهم المسافة بين المآقي الانسية فيصبح جسر الانف عريضا مبسطا خلافا لما هو الامر عند العرب مثلا حيث يميل جسر الانف للحدة والضيق وبعض الارتداد .

وتظهر الاختلافات الارثية العرقية بوضوح في حجم القرنية وتحدبها ولون القزحية ، فهي باهتة الصباغ عند الغربيين ، تبدو خضراء وزرقاء ورمادية حسب الامواج المتصة فيها والمنعكسة منها ، بينما يتراكم الصباغ ويتكاثف في القزحية عند الشرقيين وخصوصا الافريقيين وهو عند العرب بين بين لاختلاطهم وتزاوجهم بالعديد من الجنسيات والاقوام عبر التاريخ ، فهنالك العيون الزرقاء والخضراء والعسلية والبنية القاتمة . ومن الطريف أن اللون الاسود الحقيقي لايوجد في القزحية لذلك ليست هنالك عيون سوداء بالمعنى الدقيق .

اذن فشكل العين واتساع الحدقة وأقنية الفرجة الجفنية ، كلها تورث سواء كانت ضمن نطاقها الطبيعي أو تعدته الى الاشكال المرضية .

ولعل العرب هم من أوائل الاقوام التي أدركت علم الوراثة،فالقرآن الكريم يشير الى انتقال وراثة الجنوح السلوكي (ربِّ لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) والرسول العظيم يقول (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) وكان الرجل يتخير أحسن الخؤولة لابنائه . حتى لا يندس العنصر الخبيث في نسله ، سواء كان مرضا جسميا أو عينيا أو عقليا .

وقد حث الاسلام على التزاوج بين القبائل والشعوب الاسلامية طالما كان الجسم صحيحا والعقل نيرا والقلب مؤمنا والسلوك اسلاميا (لافضل لعربي على أعجمي ولا لاعجمي على عربي الا بالتقوى) ، ولكن الردة القبلية التي برزت عندما ضعفت الامة العربية المسلمة،وانحسرت شمس حضارتها وتقهقرت وتقزمت ، أدت الى التقوقع والاقتصار على العائلة الواحدة والعشيرة الواحدة ، فكثر زواج ذى القربى وأدى الى بروز العديد من الامراض الوراثية ، وخصوصا العينية منها . وتفسير ذلك أن ابناء العمومة أو الخؤولة الواحدة قد يحملون صبغيات مورثة مرضية متماثلة دون أن تظهر عليهم الامراض ، فاذا ما تزاوجوا كان نصيب اطفالهم من الوراثة المرضية مزدوجا مما يساعد المرض الوراثي المستتر على الظهور .

ومن الامراض الوراثية العينية « الساد العيني » ، والحول ، وتشوهات الاجفان وسرطان الشبكية ، وقصر البصر الخبيث ، ومد البصر العالي ، وداء الزرق وضمور العصب البصرى ، وعمى الالوان ، والعشاوة أو العمى الليلي ، واعتلال الشبكية الصباغي .

وقد تتبع وراثة أمراض العيون النمط الغالب المسيطر ، او النمط الوراثي المستتر ، أو النمط الوراثي المرتبط بالجنس .

بعضها يورث

وكمثال على الوراثة الغالبة المسيطرة في امراض العيون«العشاوة»أو العمى الليلي . وهنا يذكر تاريخ طب العيون أكبر دراسة عائلية لفلاح فرنسى اسمه جين نوغاريه كان مصابا بالعمى الليلي ، وقد جرت دراسة تتبعية لعائلته على مدى خمسة أجيال منذ عام ١٨٣٨ وحتى عام ١٩٥٦ ، من قبل عدة أجيال من أطباء العيون توارثوا دراسة أنسال تلك العائلة . وهكذا درس أكثر من الفي شخص من ذرية تلك العائلة،ولوحظ أن كلا الجنسين قد أصيب بهذا المرض المسيطر .

وانه عندما يتزوج المصاب ، يظهر المرض في نصف ذريته ، أما اذا تزوج قريبان خاليان من المرض فإن ذريتهما ستكون سليمة مائة بالمائة حتى وان كان بعض أجدادهم قد أصيب به،لأن نقل الوراثة المرضية

الاب كفيف البصر منذ الولادة والأم مصابة بداء الساد الولادي وهي ضعيفة البصر ، والذرية كلها مصابة بداء الساد الولادي في العينين ، أجريت لهم جميعا عمليات جراحية في العينين .

في هذه الحالة يتم مباشرة من أحد الابوين المصابين .

هنالك أمراض عينية وراثية تترافق مع امراض جسمية وتخلف عقلي ، كما في داء العته المغولي ، فاضافة للاعاقة العقلية هنالك إعاقة بصرية يكثر فيها وجود الساد العيني وتشوهات القرنية ، وتبدو الفرجة الجفنية مائلة للاسفل والوحشي على عكس ما هو عند العرق الصيني . وقد دلت الدراسة الخلوية في هذا المرض على أن هنالك جنوحا في عدد الصبغيات المورثة (كروموزوم) . فالخلية الطبيعية تحوى أربعة وعشرين زوجا من الصبغيات المورثة ، ثلاثة وعشرون منها صبغيات تحمل الصفات الجسمية ، والزوج الاخير خاص بالجنس يختلف حجما وشكلا في الذكر عنه في الأنثى ، وقد وجد ان علة الداء هو التثلث الصبغي ، فالزوج الثامن أو الثالث عشر يحوى ثلاثة جسيمات صبغية بدلا من اثنين .

بين الأقارب أكثر

وهنالك أمراض وراثية عينية تترافق بأخطاء استقلابية ، أى ان العلة الاساسية هي نقص ولادى موروث في بعض الخمائر الهامة التي يعتمد عليها استقلاب بعض الحموض الأمينية ، كما في داء انقلاع العدسة البلورية في العينين المترافق مع بيلة الهيموسستين، وعادة يكون والدا المريض أبناء عمومة أو خؤولة أولى ، وتحدث هنا سلسلة من الاختلاطات العينية تؤدى بالتالي الى العمى . ويكون الطفل مصابا بتخلف عقلي شديد وتشوهات جسمية عظيمة مفصلية . وقد ترزق (أو ترزأ) العائلة بأكثر من طفل واحد مصاب بهذا المرض ، وهنا الطامة الكبرى . ويندرج داء البرص العيني ايضا مع الامراض العينية الوراثية المستترة ، والمترافقة بأخطاء استقلابية . فالخميرة المسؤولة عن عمل الصباغ القتاميني تكون مفقودة ، إما في أنسجة العين فقط أو في الجسم كله . لذا تبدو العين بلا لون ويظهر البؤبؤ أحمرويعاني المصاب من ضعف البصر ورهبة الضوء . والرأرأة العينية .

اذن فوراثة امراض العيون قد تتبع انماطاً واشكالاً شتى ، فقد تكون وراثة غالبة مسيطرة ، اى انه تكفي اصابة احد الزوجين فقط بذلك المرض لينتقل لنصف ابنائه ، وليس هنالك حامل مستتر للمرض .

وقد تكون الوراثة جسمية، أى أن الصفة المرضية المورثة عالقة على إحدى الصبغيات الجسمية، ويشترط ظهور المرض في الأبناء وجود تلك الصفة المرضية في خلايا الأبوين كليهما، فالزوجان كلاهما يحملان المرض بشكل مستتر دون أن يبدو عليهما أذى معين . وهنا تكمن المعضلة ، وهي عدم التوقع ، وفجأة يظهر المرض في الطفل الأول ثم تتكرر الاصابة في الأطفال الآخرين،وما يعقب ذلك من مآس وأوجاع عائلية . ومثال هذا النمط اعتلال الشبكة الصباغي وعمى الليل .

وقد يورث المرض العيني بنمط مرتبط بالجنس ، أى أن الصفة المرضية الموروثة ـ تلصق بأحد فرعي

الزوج الرابع والعشرين من الجسيمات الصبغية الخاص بجنس الانسان ذكرا أو انثى . وكمثال على ذلك - داء الهموفيليا ، أو عدم تخثر الدم،ويرافقه عادة مرض عمى الالوان - وهذا الداء يصيب الذكور فقط ويمر عبر الاناث اللواتي يحملنه بشكل مستتر،ويورثنه لابنائهن الذكور . وكان هذا الداء يعرف بداء الملوك لانه ظهر في الاسرة المالكة في اوروبا،وقد اصيب به ولي عهد القيصرية الروسية .

أما اذا كان المرض المرتبط بالجنس مسيطرا فتختلف النتيجة حسب جنس القرين المصاب ، المصابة تلد أطفالا نصفهم مصاب بغض النظر عن جنسهم . اما اذا تزوج الرجل المصاب بمرض وراثي مرتبط بالجنس فأنه سيورث المرض لنصف ابنائه - جميع بناته - اذا كان يحمل المورثة على الصبغي × وان جميع ابنائه الذكور سيصابون بالمرض اذا كان يحمل الصبغة المورثة المرضية على الفرع القصير Y من الزوج الصبغي الجنسي .

استقراء العوامل الوراثية

ولقد ارتقت الدراسة الالكترونية الخلوية فاصبح بالامكان استقراء الكثير من العوامل المرضية الوراثية مبكرا .

ان امراض العين الوراثية كثيرة ومتعددة في بلادنا ، تنشط في المجتمعات المتخلفة التي يغلب فيها زواج القربى ويصادف اغلبها في الطبقات الفقيرة المسحوقة .

ففي دراسة أجريتها على أطفال معاقين عقليا وبصريا تبين أن ٦٠٪ منهم كانوا نتاج زواج ذوى القربى وخصوصا عندما يكون نمط الوراثة جسميا مستترا .

وعلاج مشكلة أمراض العيون الوراثية يكون بالعمل على تجنبها والاقلال منها وذلك بمراقبة الزواج والتشاور بموضوعه ، لان الزواج لا تنحصر نتائجه بالزوجين فقط بل هنالك المجتمع الذى يستقبل نتاج ذلك الزواج ويتعايش معه . فالمجتمع الصحيح يتخير أعضاء اصحاء قادرين على تحديات الحياة . ويعمل على الوقاية من أحداث تنخر كيانه وتضعف بنيانه ، وهو في نفس الوقت يجند فعالياته للمحافظة على افراده وتخفيف الرزء عنهم ، فيعالج المرض العيني سواء كان المصاب صحيحا أو معاقا عقليا .

ولا بد من دراسة الشجرة العائلية للشخص المصاب أو الفرد الذى لديه قريب مصاب قبل أن يقرر الطبيب نمط الوراثة المرضية الكامنة ، فاذا كان كلا الزوجين مصابين بالمرض لا بد من تجنب انجاب الاطفال اذا اريد ايقاف سلالة ذات اعاقة عينية شديدة ، لان احتمال اصابة عدد كبير من الاطفال بنفس المرض أمر وارد وخطير .

هكذا تقول قوانين الوراثة، ولكنها ليست قواعد حسابية دقيقة،ومع صعوبة ضبط الزواج بقوانين آلية وحسابية ، وخصوصا لما يرافق اختيار الاقران الزوجية من عواطف ومشاعر انسانية ، وتعقيدات اجتماعية لا تنسلك دائما في الحسابات والتخطيطات النظرية ، ولكن يبقى الابتعاد عن زواج القربى وتجنب الاقتران بين زوجين يحملان نفس المرض ادعى لتجنب امراض موروثة وان كان لن يمنع ظهور ذرية جديدة تحمل آلام اجداد واوجاع تاريخ بشرى سحيق . □

فارق السن

قالت الشابة لزميلتها : لقد قابلت خطيبي عندما كنا صغيرين في المدرسة ، كان عمري خمس سنوات ، وكان عمره كذلك خمس سنوات ، أما الآن فقد كبرنا ، فأصبح عمري الآن ٢١ سنة وصار عمره يقرب من ٣٣ سنة !

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الفهم واللغة .. في متناول القردة

نشرت مجلة (ناتشر) الطبيعة ، في عددها الصادر في مطلع شهر أيار الماضي (١٩٨٥) تقريرا لعالم ياباني معروف هو الدكتور تتسورا ماتسوزاوا ، احد الباحثين في جامعة كيوتو .. ويذكر الباحث البيولوجي المتخصص في شؤون القردة انه نجح في تعليم الشمبانزي (آي) مبادىء اللغة والحساب ..

ويجدر بالقارىء أن يستبعد من تفكيره النطق والكتابة من اللغة التي تعلمها الشمبانزي آي .... فهذه لغة اشارات ورموز فحسب .. وكل مايطلب من الشمبانزي بصددها انما هو مجرد فهم مدلول تلك الرموز والتصرف وفق مايتطلبه ذلك المدلول.وقد تعلم الشمبانزي ١٤ منها في المرحلة الاولى من الدراسة ..

وقل مثل ذلك في الحساب ، وقد تعلم آي ستا منها (من ١ ـ٦) واصبح في استطاعته ان يضغط على الزر الذي يضيء خمسة اذا كان عدد البرتقالات التي طلب منه عدها خمسة .

هذا بالاضافة الى الالوان .. وقد درب القرد على ١١ لونا هي كل ألوان الطيف أو تزيد .. ومازال يتعلم المزيد من الالوان والرموز والاعداد حتى أصبح في مقدوره تركيب مايقارب من ٣٠٠ « عينة » او عبارة لغوية ..

وغني عن البيان ان تعليم الشمبانزي اللغة وهو لايتكلم ولاينطق ليتطلب الاعتماد على جهاز الكتروني مجهز بالازرار المناسبة والأضواء المناسبة .. ويسهل على القرد استعماله والضغط على أزراره للتعبير وطرح الاسئلة والرد عليها وذلك بصورة بدائية طبعا ..

لغة القردة ورموزها

بداية التفاهم مع الشمبانزى .. هل هى بداية عهد جديد فى التاريخ البشرى

وثمة وسيلة اخرى شدت الشمبانزي الى التعلم وهي المكافآت المادية التي يحصل عليها اذا نجح،وبقدر مايحرز من نجاح .. وقد تراوحت نسبة نجاحه بين ٦٣٪ و ٩٠٪ وذلك تبعا لبساطة الدروس أو تعقيدها ..

ويبين الرسم المرافق لهذا الكلام ، في السطر العلوي ، لغة الشمبانزي ورموزها ال ١٤ ، وفي السطر الاوسط الالوان والاشارات الدالة عليها .. ويتبين في السطر الثالث ما أتقنه من الارقام العربية / الهندية من ١-٦ ، وهي طبعا في غير حاجة الى اشارات أو رموز .

بقي أن نشير الى ماتدل عليه هذه المنجزات من قدرة الشمبانزي الفائقة على الفهم .. فهو لايقدر على النطق ويمارس الفهم دون كلام .. شأنه في ذلك كشأن الأخرس ..

يصعب تعليمه ان لم يتعذر .. وكذلك الانسانية ككل ، ربما استحال عليها تعلم اللغة واتقانها وبقيت حضارتها عرجاء حتى الآن ، لو لم تنعم بالقدرة على النطق والكلام .. فالنتائج التي أحرزها الشمبانزي اذن جديرة بالتقدير وباعثة على الأمل ، الامل في ألا يبقى الانسان وحيدا في هذا الكون وأن يمضي في تعليم الشمبانزي على نطاق واسع حتى يصبح جليسه الأنيس وخادمه المطيع ...

البيت الابيض يمنح الجائزة الأولى

اقام الرئيس ريجان في الثلاثين من شهر يناير الماضي الاحتفال الخاص باختيار الابتكارات العلمية الصناعية المتفوقة ، وفازت بالجائزة الاولى قدم سياتل كما يسمونها . ، كما فاز بها ١٢ ابتكارا آخر كان بعضها في مجال الانشاء والتعمير وبعضها في مجال الصناعة . ولم تمنح الجوائز عشوائيا بل كان هناك هيئة محلفين من الاختصاصيين لأن شروط الفوز بجائزة تضمنت الاتقان الفني .

- الرجل يعدو بالقدم الاصطناعية التي فازت بالجائزة

معالجة الاكتئاب بالكهرباء

ان المعالجة بالصدمات الكهربائية آخذة في كسب المزيد من الانصار والمؤيدين يوما بعد يوم . ، ويبدو أن سوء الفهم هو المسؤول عن السمعة غير الطيبة التي اكتسبتها تلك الطريقة . هذا هو ماذهب اليه الطبيب النفساني ريتشار داينر (جامعة ديوك) ، وذلك في مقاله المفصل الذي نشرته له مؤخرا مجلة الطب النفساني .

ومما يذكر ان مستشفى باركلي في كاليفورنيا ، حظر المعالجة بالصدمات الكهربائية سنة ١٩٨٢ ، ولكنه مالبث أن رفع ذلك الحظر .

ولعل الحسنة الكبرى التي تنسب الى

ـ المريض قبيل معالجته بالكهرباء ضد الاكتئاب

هذه المعالجة انما هي في شفاء المريض من الاكتئاب شفاء مؤقتا او نهائيا . على أنهم لايعرفون كيف تعمل اجهزة هذه المعالجة ، وكيف تضمن القضاء على الاكتئاب وذلك بالرغم من أن نحواً من اربعين سنة قد مضت على ظهورها .

فكل مايعرفه المختصون هو أن الكهرباء تسبب نوبة للمريض ، وذلك تبعا للتغير الذي تحدثه في الاشارات الكهربائية الطبيعية التي تطلقها اعصابه . وقد يصحب تلك النوبة افرازات هرمونية ، أو ما الى ذلك من المتغيرات البيوكيماوية والمرجح هو أن هذه المتغيرات علاقة مباشرة بالخلاص من الاكتئاب .

اما كيفية المعالجة بالصدمات فاول مايذكر بصددها التخدير الذي لابد للمريض منه . ويتناول المريض ايضا مستحضرات ترخية العضلات . ومن ثم تغرز في رأسه الاقطاب الكهربائية الصغيرة (الكترودات) ليسرى في رأسه ولمدة ثلاثة ارباع الثانية ، تيار كهربائي بقوة ١٥ شمعة . وهكذا تظهر النوبة التي لاتستغرق سوى دقيقة او اقل . وقد يولّد القائمون على المعالجة اكثر من نوبة واحدة . ومهما يكن من امر ، فان استكمال المعالجة يتطلب ٦ ـ١٢ نوبة بمعدل ٣ نوبات في الاسبوع الواحد .

راصد الصلاة

هذا جهاز جديد طور في امريكا في الربيع الماضي ، وذلك لاستعمال المصلين المسلمين ، لتمكينهم من تحديد مواعيد الصلوات الخمس ، لافي مدينة واحدة فحسب ، وانما في عدد كبير من المدن يزيد على ٤٠٠٠ مدينة .

ـ هذا هو راصد أوقات الصلوات الخمس في مشارق الارض ومغاربها

والجهاز صغير الحجم اذ لايزيد على حجم رخصة قيادة السيارة طولا وعرضا ، ولايزيد سمكه على ٤ ملم .

وغني عن البيان أن الجهاز يعمل بالكمبيوتر ، ولكنه يعتمد على ميكروبروسسور متطور جدا . . وهو يعمل باللمس ، لا بالضغط ، ويتوقف اوتوماتيكيا لدى التوقف عن لمسه . ومن مزاياه انه مزود بذاكرة تحتفظ بآخر ماتم احتسابه من مواعيد الصلاة ، وذلك حتى في حالة توقف الجهاز . وجهاز راصد الصلاة يخطىء ولاريب ، فالكمال لله وحده . . ولكن خطأه لايجاوز ٣٠ ثانية في الخمسين عاما . . هذا اذا اخطأ .

مكتشفون ومخترعون

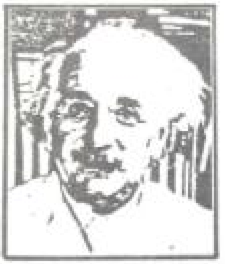

البرت اينشتين
(١٨٧٩ ـ ١٩٥٥)

ولد ألبرت اينشتين سنة ١٨٧٩ ، في مدينة أولم في جنوب المانيا . . وما لبث أن انتقل مع أهله الى ميونخ وذلك بسبب فشل أبيه في أعماله الحرة .

ثم التحق بكلية زيوريخ المهنية (بوليتكنيك) الشهيرة ،والمعروفة آنذاك بالاسم المختصر ETH . . . وقد راق لالبرت نظام التعليم الديمقراطي السويسري الا انه لم يفد منه كثيرا فقد آثر الغوص في أمهات المراجع العلمية على حضور المحاضرات . فاضطر للاعتماد على رؤوس الاقلام التي سجلها احد زملائه ، مارسيل جروسمان ، لتلك المحاضرات . .

وتخرج البرت سنة ١٩٠٠ ليجد أبواب الرزق مغلقة في وجهه . . فقد سعى الى التدريس في الجامعات بلا طائل ، واضطر لاعطاء دروس خاصة هنا وهناك حتى تم تعيينه في دائرة البراءات وتسجيل الاختراعات سنة ١٩٠٢ وذلك بمساعدة نفس الزميل الذي كان ساعده في الدراسة . . مارسيل جروسمان . وكان البرت قد حصل على الجنسية السويسرية قبل حصوله على تلك الوظيفة بعام .

وجاءت سنة ١٩٠٥ واذا بعبقرية اينشتين تتفجر على حين غرة ، وكأنها البرق الخاطف الذي ملأ الدنيا بضيائه في لحظات معدودة .

فقد نشرت احدى المجلات العلمية الرصينة في تلك السنة عددا من الأبحاث الجادة الخطيرة التي أخذت علماء ذلك العصر على حين غرة،وقد تناول اينشتين في احدها نظرية النسبية،وركز في بحث آخر على معادلته الشهيرة ($E=mc^2$) معادلة الطاقة بالكتلة . ومعادلته هذه كانت ومازالت القاعدة الأساسية للتفجيرات الذرية والنووية ، وفتحت تلك الأبحاث لاينشتين أبواب الجامعات على مصراعيها ووثقت عرى الصداقة بينه وبين كبار علماء تلك الأيام .

وبدأ اينشتين عهده الجديد بالتدريس في جامعة زيوريخ ثم في جامعة براغ ، ثم أصبح مديرا لمعهد القيصر فيلهلم للفيزيا ، التابع للأكاديمية البروسية في برلين ، وكانت تحتل القمة بين الجامعات آنئذ . كان ذلك سنة ١٩١٤ أيام الحرب العالمية الأولى ، ولم تحل ظروف الحرب بينه وبين المضي في أبحاثه الخاصة بنظريته النسبية العامة التي ما لبثت أن استكملها في غضون سنتين . أما دراسة انحراف اشعة ضوء الشمس بتأثير الجاذبية ـ وهي الدراسة التي حالت الحرب بين اينشتين وبين اجرائها ـ فقد اجراها الانكليز سنة ١٩١٩ ، وثبتت صحة نظريات اينشتين في هذا الصدد ثبوتا أكسبه المزيد من الشهرة وذيوع الصيت .

ولكن اينشتين كان من دعاة السلام ولا يقر الحرب والقتال ، ثم انه يهودي وان لم يكن متعصبا ولا متزمتا . لا عجب اذن ان بدأ يشعر بالمضايقات التي أخذت تزداد مع الايام ، وخصوصا بعد ظهور طلائع الحركة النازية في العشرينيات . ولم يغير في ذلك حصوله على جائزة نوبل في الفيزياء (سنة ١٩٢١) ، ولا كثرة سفراته التي شملت فيما شملت الشرق الاقصى وجنوب شرق آسيا وفلسطين فضلا عن بريطانيا وبلجيكا وامريكا .

وفي سنة ١٩٣٠ هاجر اينشتين الى الولايات المتحدة واستقر فيها حتى وفاته سنة ١٩٥٥ . □

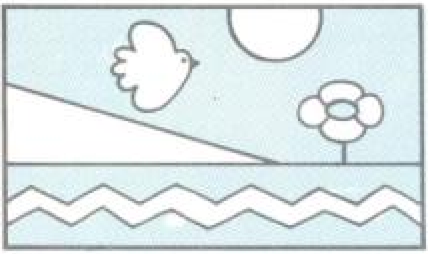

سلامة البشرية في سلامة البيئة

السمك مصاب بالسرطان

من المعروف أن مياه الانهار والبحيرات ملوثة في الولايات المتحدة الامريكية ، ويعزى تلوثها هذا الى آلاف الاطنان من النفايات الكيماوية والصناعية التى كانت تلقى فيها منذ ظهور المصانع وحتى سنة ١٩٧٠ ، حين سُنت القوانين واتخذت الاجراءات وتم بالفعل حظر إلقاء تلك النفايات في تلك المياه ، واطمأن الامريكيون وظنوا ان بحيراتهم وأنهارهم باتت في مأمن من تلك المواد السامة ، ولم يخطر لهم ببال أن أثرها يمكن أن يستمر في تلك المياه حتى يظهر في أواسط الثمانينيات ، ويظهر على نحو بشع مفزع . . .

فقد اكتشف العلماء مؤخرا ان الاسماك في تلك الانهار والبحيرات مصابة بأورام سرطانية مختلفة . . وتحققوا بالتجارب العلمية التى أجروها من أن أكثر الاسماك تضررا كانت أسماك نهر دواميش في واشنطن ونهرى هوسون وبوفالو في نيويورك ونهر بلاك في أوهايو . . فضلا عن بحيرة تورنتش في شمال ميشجان . وتحققوا أيضا من أن النفايات الصناعية التى كانت تلقى في الماضى في تلك الانهار والبحيرات والتى توقف القاؤها اعتبارا من عام ١٩٧٠ ، هي السبب المباشر لاصابة السمك بالسرطان . . ومعنى هذا أن أذى التلوث قد لا يظهر على الفور . . . وقد تمضي عشرات السنين دون أن يظهر ولكنه سيظهر لا محالة ، إن عاجلا أو آجلا . . .

● السمك المصاب بالسرطان والمياه الملوثة التى اكتشف فيها . .

وامتنع الامريكيون بطبيعة الحال عن أكل تلك الاسماك المتورمة .. ولكن امتناعهم هذا لم يقهم شر الاصابة بالسرطان .. فقد دلت الفحوص الدقيقة التي اجريت على نطاق واسع ان سرطان الجلد والجهاز الهضمي منتشر بين سكان منطقتين من المناطق الموبوءة الخمس التي ذكرناها ، وان الوفيات زادت بنسبة ملحوظة بين سكان تلك المناطق كلها .. ذلك ان لمس تلك المياه - مجرد لمسها باليد - يمكن أن يسبب للمرء الاصابة بأحد الاورام الخبيثة .. اما الشرب من تلك المياه فكفيل بإحداث تلك الاصابات بنسبة تزيد على ٦٠٪ .. لا عجب إذن أن حظرت السلطات المعنية السباحة في أكثر تلك المياه .. وحظرت قبل ذلك الشرب منها حظرا تاما .

وتجدر الاشارة الى أن الاذى الذي يترتب على أكل تلك الاسماك المصابة أخطر من كل ما ذكرنا .. فهو يعادل الاذى المتراكم بسبب شرب تلك المياه الملوثة على مدى ألف عام .. □

البلدة الشمسية الاولى

بلدة « سولجرز جروف » بلدة أمريكية صغيرة تقع في ولاية ويسكونسن ، قرب الحدود الكندية وضمن حزام الثلوج .. كانت تعاني من الصقيع والبرد القارس في معظم أيام السنة ، وتعاني أيضا من الامطار والسيول والفيضانات التي انقضت عليها ودمرتها بين حين وحين ..

ونذكر من تلك الفيضانات على سبيل المثال فيضانات السنوات التالية :

١٩٠٧	١٩١٢	١٩١٧
١٩٣٥	١٩٥١	١٩٧٨

ونذكر أيضا أن الأمطار هطلت فيها بمقدار ٨ بوصات خلال يومين فقط وذلك مثل فيضان ١٩٧٨ ، لا عجب اذن أن فاضت مياه نهر كيكابو القريب من المدينة .. فاغرقتها ودمرت أسواقها وحطمت الكثير من منازلها ..

ووضعت الحكومة الاتحادية الخطط لانشاء سد كبير قدرت تكاليفه بحوالي ٣٥٠٠ مليون دولار . ولكنها ما لبثت ان تراجعت وأحجمت عن تنفيذ ذلك المشروع ... على أن المرارة وخيبة الأمل التي شعر بها أهل البلدة لم تغلبهم على أمرهم .. بل إنها أثارت

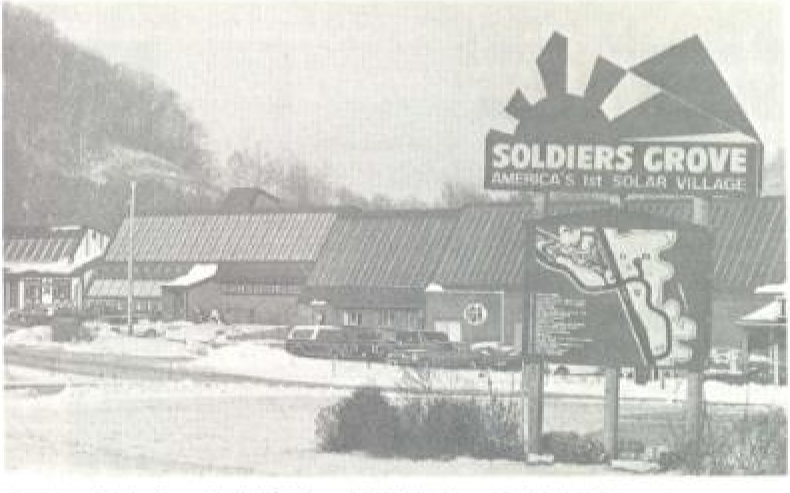

* هذه هي البلدة الشمسية الاولى في أمريكا .. لاحظ اللافتة التي علقها أهل البلدة ، ولاحظ ما كتبوه عليها ..

● القطع المعدنية التي ملأوا بها الفراغ بين السقوف والسطوح ..

همتهم وشحذت عزيمتهم ودفعتهم الى أخذ زمام المبادرة وتحمل المسؤولية .. ووضع الخطة لانقاذ بلدتهم ..

ولم تكن تلك الخطة أقل من نقل أسواق المدينة التجارية برمتها من موقعها المنخفض السابق الى موقع آخر مرتفع اعلى من أن تصله مياه الفيضان ..وقد باشروا تنفيذ ذلك المشروع سنة ١٩٧٩ وأكملوه سنة ١٩٨٣ ولم تزد تكاليفه عن ٦,٥ مليون دولار ... يضاف الى ذلك تكاليف إعادة بناء المنازل في مواقع جديدة آمنة وقد تحملها الاهالي ، كل بمقدار ما يخصه وهكذا نجح أهل بلدة (سولجزر جروف) في قهر الفيضانات التي طالما قهرتهم وشردتهم ... ولكنهم حققوا نصرا آخر على عدو عنيد آخر هو البرد والصقيع . فطقس البلدة بارد جدا ، وتهبط درجة الحرارة فيها في أثناء فصل البرد الى ٣٥ ـ ٤٠ درجة فهرنهيت تحت الصفر ، في كثير من الاحيان ، وقد ترتفع احيانا الى حدها الاقصى ٨ درجات فهرنهيت .. ومعنى هذا أن تكاليف التدفئة كانت باهظة جدا وقد بلغت حوالى (١٢٠٠٠) دولار في السنة في احد المحلات العادية لبيع قطع الغيار .. وتمنى أهل البلدة لو أن جو بلدتهم لم يكن غائما ولم يحجب عنهم أشعة الشمس في معظم ساعات النهار وذلك في فصل الصيف بالذات .. فقد كثر الحديث عن الطاقة الشمسية في السنوات الاخيرة وشعروا بالمرارة لاعتقادهم بأن جو بلدتهم يحرمهم الانتفاع بتلك الطاقة وهي طاقة رخيصة في المدى البعيد ..

ولكنهم ما لبثوا أن أعادوا النظر في المشكلة فاهتدوا إلى الوسائل الكفيلة بتدفئة بيوتهم ومحلاتهم التجارية بالطاقة الشمسية بالرغم من قلة ما تسمح لهم به الغيوم من أشعة الشمس .. وهكذا قرروا ان تكون محلاتهم ومنازلهم الجديدة ذات مناعة ضد البرد .. وتنعم بالدفء الطبيعي .. دفء الشمس ..

وعمدوا الى اقامة المجمعات الشمسية على سطوح منازلهم ومحلاتهم .. وجعلوها منحنية بزاوية ٣٠ درجة ، ولا جديد في هذا كما لا يخفى ولكنهم عمدوا أيضا الى العزل المضاعف فجعلوا السطوح والجدران في منازلهم ومحلاتهم بسمك بالغ ٢٤ بوصة و ١٢ بوصة على التوالى .. وحشوا تلك السطوح والجدران بالفايبرجلاس .. ثم جعلوا فراغا بين السطوح والسقوف وملأوا ذلك الفراغ بشتى المنتجات الحديدية وهي أقدر من غيرها على الاحتفاظ بالحرارة ..

وما أسرع ما ظهرت النتائج المدهشة .. فقد ارتفعت درجة الحرارة في شتى محلات البلدة ومنازلها وأصبحت لا تقل عن ٦٥ درجة فهرنهيت في أى وقت من أوقات السنة .. وارتفعت الحرارة في الفراغ القائم بين السقوف والسطوح حتى بلغت ١٦٠ درجة فهرنهيت أو تزيد حتى في فصل البرد والشتاء .. ويعزى هذا الارتفاع كما لا يخفى الى القطع الحديدية التى يتركونها في ذلك الفراغ ..

وهكذا هبطت تكاليف التدفئة هبوطا كبيرا .. وأصبحت أقل من ١٠٠٠ دولار سنويا في المحل التجارى الذى بلغت تكاليف تدفئته في الماضى ١٢٠٠٠ دولار في السنة . □

نقش متأخر..
على عرش بلقيس..

شعر : سليمان العيسى

غـازِلْ بعينيكَ السماء ..　　وغُضْ بعيداً في الرمالْ
يا عَرْشَها المتألِّقَ ، المغْرُوزَ　　في كَبِدِ المُحالْ

●●●

أنا عندَ جِذْعِكِ نَبْتَةٌ　　شَرَدَتْ كَسَاقِيَةِ الرياحِ
أرنو .. وأشْرَبُ طَيْفَها　　الأزَلِيَّ .. أكوابي جِراحي

●●●

بلقيسُ .. يا عينانِ سَوْ　　داوانِ .. تَحْتَرِقانِ حُلْمي !
أحْلَى وأنبَلُ من كُرو　　مِ الشمسِ أعْصِرُها بوهمي

●●●

يا بِنْتَ مَهْدِ الخالدين ..　　يُؤَرِّقُونَ الدَّهْرَ صَمْتا
تَنْهارُ أعْمِدَةُ الزمانِ ..　　ويَنْطِقُونَ الأرْضَ فَوْقَ

●●●

يا أجْمَلَ المَلِكاتِ تَخْـ　　ـضَرُّ الصَّحارى في يَدَيْها !
ويذوبُ قَلْبُ الليلِ شِعْـ　　ـراً ، وَهْوَ يَلْثُمُ راحَتَيْها

●●●

وتُشِعُّ .. حتى يستظلَّ بِوَهْجِـ　　ـها العربيِّ تاجْ
وعلى ضفائرِ مَجْدِها　　مُتَشامِخاً يعلو « سَبَاخْ »

●●●

أنا عند أعْمِدَةِ الجما　　لِ عِنادُ أغْنِيَةٍ ـ نبوءه
جاءتْ تُلَمْلِمُ من شظا　　يا الشمسِ نافِذَةً مُضيئه

●●●

يا وَرْدَةَ الصحراءِ .. يَنْـ　　ـبِضُ كلُّ شيءٍ في دِمانا
هاتي سنا عينَيْكِ يـ　　ـا أمّاه .. واختَرِقي دُجانا

●●●

أنا عند عَرْشِكِ آهةً　　تَعِبَتْ وما بَرِحَتْ تَقولْ
هيهات .. يا وَطَنَ الضياءِ　　البِكْرِ .. يَمْحَقُكَ الأُفُولْ !

●●●

غازِلْ بعينَيْكَ السماءْ　　وشُكَّ رُمْحَكَ في الرمالْ
يا طَيْفَها المتألِّقَ الآتي ..　　على فَرَسِ المُحالْ !

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

« ل »

ليبراليـــة

يطلق مصطلح ليبرالية على التيار الفكري الذي يؤمن ويعتقد بالحرية الفردية . وذلك في مجالات الحياة المختلفة من اقتصاد وسياسة ، ويعود أصل المصطلح الى اشتقاق لاتيني لكلمة بنفس المنطوق ، وكانت تطلق على المهن الحرة التي لا تخضع لسلطة منظمة بين العميل أو الموكِّل والوكيل . ورغم أن التوسع في استخدام المصطلح كمرادف لمعنى التحررية قد ظهر مع بداية مرحلة الرأسمالية ، ونمو نفوذ رجال الصناعة ، الا أن المصطلح بمعنى التحررية أيضا قد وصف به أشخاص ، ووسمت به مراحل سابقة على هذا التاريخ ، فقد وصف القيصر الروسى الكسندر (١٨١٦) بها ، كما أطلقت الليبرالية بمعنى التحررية على الكاثولوكية الليبرالية في أوروبا (١٩٠١) ، واطلقت أيضا على الأمبراطورية الفرنسية الثانية (١٨٥٩ ـ ١٨٦٩) ، كما يطلق الوصف على حزب الأحرار البريطاني .

وتتخلص دعاوى التحرر هذه في مفهوم يرتكز على ثلاثة محاور هي :

١ ـ ليس للدولة أي حق في التدخل للحد من حرية الأفراد ، ويزيد الرأسماليون ، في ذلك بأنهم يعرِّفون الحكومة النموذجية بأنها هي تلك الحكومة التي لا تتدخل في الاقتصاد وادارته مطلقا ، وفقا لمضمون « دعه يعمل ، دعه يمر » .

٢ ـ حيث ان الفرد هو العنصر الأساسي في الاقتصاد ، فانه لا بد من توافر أقصى حد للحرية الفردية ، وعلى الدولة هنا أن تكون حارسة لهذه الحريات وضمانها .

٣ ـ يؤمن أصحاب الاتجاه الليبرالي بضرورة المنافسة بين الاقتصاديين ، وذلك لضمان التوصل الى مستوى التوازن الطبيعي في النظام الاقتصادي .

وقد توصلت الليبرالية الى هذا المفهوم عبر اكتشافات وانقلابات فكرية ، لم تكن منفصلة عن التغير الاقتصادي والاجتماعي الحادث في المجتمع الأوروبي في أوائل القرن التاسع عشر ، ولعل أفضل

هارولد لاسكي

تحليل لنشأة وظهور الليبرالية هو ما قدمه هارولد لاسكي (١٨٩٣ ـ ١٩٥٠)، الذي يعد من أهم المفكرين الاشتراكيين البريطانيين، في كتابه «نشأة الليبرالية الأوروبية». فيرى لاسكي أن ظهور الطبقة المتوسطة كطبقة جديدة قد جاء ليهدم كل الحواجز التي كانت تحدد الامتياز بناء على المركز الاجتماعي ،وكانت ـ أي الحواجز السابقة ـ تربط بين فكرة التمتع بالحقوق وحيازة الأرض، الى أن جاءت الثورة الصناعية والتغير الاجتماعي والسياسي الذي صاحبها، فأحدث تغيرا أساسيا في العلاقات القانونية، فسادت نظرية العقد الاجتماعي بدلا من المركز الاجتماعي، وبالتالي تلاشت أفكار ونظريات سادت أوروبا لفترة طويلة، مثل نظرية الحق الالهي وأن الحاكم ظل الله في الأرض .. الخ.

وبعد أن كانت هناك طبقة اجتماعية تملك وتحكم وتستمد سلطتها ومركزها من ملكية الأرض ومن عليها .. ظهرت طبقة اجتماعية جديدة تستمد سلطتها ومركزها من ملكية ثروة سائلة أو مستقرة، فكان من أعضاء هذه الطبقة الجديدة التاجر وصاحب المصنع ورجال المال والبنوك .. الخ. كانت هذه التغيرات تتم في عصر يتميز بالانتقال النوعي للاكتشافات والعلوم، فحل العلم مكان العقيدة الدينية كعنصر في تشكيل افكار الناس، وتلاشى دور رجل الكنيسة الذي كان يبيع للناس الجنة مقابل صمتهم واستسلامهم في الدنيا. كان هذا المناخ كفيلا بأن يولد ظروفاً اجتماعية جديدة، تكونت على أساسها فلسفة جديدة، أتهيىء تبريرا عقليا للعالم الجديد الذي تبشر به هذه المتغيرات.

وعلى مستوى الوطن العربي فقد انتشرت وشاعت الأفكار الليبرالية، وحاولت تيارات مختلفة أن تؤكد سيادة العلم والعقل، الا أن خصوصية التركيب الاجتماعي والتاريخي للوطن العربي حالت دون ازدهار الليبرالية، وبالاضافة الى أن الوطن العربي لم يشهد هذا الانتقال الهائل»علميا وصناعيا، الذي كان كفيلا بأن يغير التركيبة الاجتماعية والفكرية له. □

هكذا تشكلت القارات والمحيطات

• ماذا وراء مولد المحيط الجديد .. في جيبوتي ؟

بقلم : الدكتور فضل ايوبي

□□ ماذا يجري في جيبوتي ؟ وماهو سر الصدع الصخري العملاق الذي يعتبره العلماء مقدمة لميلاد محيط جديد أعرض من المحيط الاطلسي ؟ والذي حول جيبوتي الى نقطة استقطاب عالمية ؟ وما هي حقيقة المعجزة المعدنية التي تختبىء وراء هذا « التانجو » الجيولوجي الذي يرسم صورة تشكل القارات والمحيطات ؟ حول هذا الموضوع يتحدث ... هذا المقال.

منذ عقدين من الزمان وعلماء الجغرافيا الطبيعية ومعهم باحثو علم الجيولوجيا مفتونون بجيبوتي ، هذا القطر العربي الصغير ، الذي يحتل رقعة متواضعة محصورة مابين الصومال واثيوبيا ، الفقير في كل شيء الا موقعه الاستراتيجي عند مخرج البحر الأحمر . وسر هذا الافتتان هو بداية ولادة محيط جديد سيكون له عرض المحيط الاطلسي خلال مدة قدرت بـ (٢٠٠) مليون سنة ، وذلك بسبب الصدع الممتد من خليج « تجورا » المطل على خليج عدن ، حتى أواسط الهضاب الصخرية والصحاري الحصوية داخل القارة الافريقية والمسماة « جبة الخراب » .

ان جيبوتي بما تملكه من ظواهر طبيعية هامة مثل : الحفرة الانهدامية المسماة « بمنخفض العسل » وانتشار البحيرات المالحة ، ووجود عدد كبير من ينابيع المياه الحارة وولادة العديد من البراكين التي كان آخرها بركان الاردوكوبا الذي ولد في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٧٨ وبقيت الحمم البركانية تتدفق لمدة اسبوع كامل ، اضافة الى بحيرة عسل نفسها التي تتغذى من مياه البحر بواسطة صدوع ضمنية ، قد اصبحت قبلة البعثات العلمية، وكل أولئك الذين يريدون فهم كيفية تشكل القارات والمحيطات ، لأن هذه الظواهر ليست الا دلائل ملموسة على سبق انفصال كتلتين هما : الكتلة الآسيوية والكتلة الافريقية ، وعن تشكل قشرة محيطية مستقبلية ، لذلك اقيمت المحطات الزلزالية والمراصد الجيوفيزيائية في منطقة « عرتا » غير البعيدة عن مدينة جيبوتي .

التانجو الجيولوجي المكشوف

والمعروف ان العلوم الحديثة تنطلق من النظرية الجيولوجية القائلة بأن الكرة الارضية هي عبارة عن مجموعة فسيفسائية من الكتل الضخمة المتواصلة الحركة الواحدة منها بالنسبة لباقي الكتل وهكذا ، والواقع أن هذا « التانجو » الجيولوجي يحدث في قعر المحيطات على مستوى النتوءات الصخرية القعرية الطولية التي تخترق المحيطات من الشمال الى الجنوب . . ومن هنا تبرز الاهمية التاريخية المميزة لما يحدث حاليا عند خليج تاجورا في جيبوتي ، فلأول مرة في تاريخ الكون سيكون متاحا للانسان ان يشاهد عينيا هذا التكون المحيطي الجيولوجي في جميع مراحله لأنه لأول مرة يحدث على مستوى سطح اليابسة وليس في أعماق البحار .

انه مشهد اسطوري فعلا ، اقل ما يقال فيه انه يشبه نهاية العالم وقيام القيامة : براكين هنا وهناك ، بحيرات مالحة ، مياه جوفية ساخنة ، أوتاد صخرية عملاقة متناثرة في مدى الصحراء الجيبوتية الصخرية وكأنها شواهد قبور لكهنة الأزمنة البائدة أو شواهد عيان على حضارة كانت وحضارة اخرى في طور أن تكون .

والى كل ذلك ، فان ما سينجم عن هذا الصدع الجيبوتي لن يقتصر على ولادة المحيط الجديد فحسب ، بل سيتعداه الى حدث تاريخي كوني آخر يتمثل بانه سوف يكون مؤشرا محسوسا على بداية الانفصال مابين كتلتي آسيا وافريقيا الملتحمتين منذ أقدم العصور .

بالطبع ، ان العلماء والخبراء الجيولوجيين الذين توافدوا الى منطقة الصدع الجيبوتي هذا بالآلاف مصحوبين بأحدث الأجهزة العلمية وأكثرها تعقيدا ، لن يجلسوا مكتوفي الأيدي بانتظار لحظة الولادة التي يعرفون جيدا انها لن تحدث لا في جيلهم ولا في جيل أحفاد أحفاد أحفادهم . . ذلك ان وجود هذا الصدع يتيح أمامهم فرصا علمية للقيام بدراسات وتجارب جيولوجية من جميع المستويات وعلى قدر كبير من الاهمية .

من ذلك مثلا انهم توصلوا الى اكتشاف ان « بحيرة العسل » الواقعة على مستوى ١٥٠ مترا تحت سطح البحر،والمعتبرة بالتالي النقطة الاكثر انخفاضا في القارة الافريقية ، محاطة بسوار عريض جدا وهائل من مناجم الملح الصخري والكلس الشديد البياض . . ولا تخفى الاهمية الاقتصادية القصوى الناجمة عن اكتشاف هذه المناجم الطبيعية ولا ما يمكن أن تحدثه من انعكاسات جذرية في صلب حياة جيبوتي والمنطقة المحيطة بها .

والى جانب مناجم بحيرة العسل ، فقد اكتشف الجيولوجيون الغربيون ، الذين جاءوا اصلا لمراقبة الصدع الصخري ، ان قعر « بحيرة الاب » غني جدا

باحتياطي هائل من الملح الصخري المتراكم منذ ملايين السنين ، بالاضافة الى حقل طبيعي ضخم من التموجات الصخرية القعرية من نوع حجر الترافيرتان الايطالي المعروف عالميا بجودته وندرته وارتفاع ثمنه . . والى كل ذلك ، ففي قعر بحيرة الاب الجيبوتية ينتشر العديد من ينابيع المياه الجوفية الساخنة التي تبلغ درجة حرارتها تسعا وتسعين درجة .

ولعل كل ذلك يدعو الى أن نربط بين هذا الحدث وبين الاساس الذي ارتكز عليه الأمر كله . . وهو كيف تشكلت المحيطات والقارات .

ان موضوع تشكل القارات والمحيطات يعتبر من الموضوعات المعقدة والمثيرة التي كانت ومازالت موضع جدل ونقاش طويلين ، غير انه في الاونة الاخيرة اتخذ طابعا متزايد الاهمية ، بسبب النتائج التي توصلت اليها علوم فيزياء الارض ، والجيولوجيا ، والبحار والمحيطات ، بفضل ما توفر لها من طرائق مثيرة وجديدة في البحث العلمي من جهة ، ومن تقنيات عالية من جهة اخرى .

انسياح القارات :

ان مفهوم انسياح القارات هو عبارة عن مجموعة آراء تقدم بها العالم الالماني الفريد فيجنر عام ١٩١٢ في مؤتمر علمي لجمعية الجغرافيين الألمان في مدينة فرانكفورت ، وقد كانت هذه الآراء عبارة عن معلومات مجزأة لا يمكن مقارنتها بما تملكه اليوم من معلومات عن تحرك القارات . ومع ذلك فان أفكاره قد أوضحت الجوانب الرئيسية لشيء ما يسمح لنا بشرح بنية الكرة الأرضية ، أي ليس فقط حركة القارات وتغير مواقع القطبين ، ولكن أيضا التبدلات المناخية واختلاف توزع النباتات والحيوانات خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة . واذا كانت بعض أفكار فيجنر غير دقيقة ، فان النقاط الأساسة كانت مؤكدة بشكل كلي ، وذلك لأنها تنبيء بالمفهوم الحديث لانسياح القارات ، وتشكل أسسه الحقيقية .

ولا يعرف بالضبط كيف جسَّم فيجنر فكرة انتقال القارات ، ولكن استنادا الى أحد مرافقيه في اثناء رحلة استكشافية الى جزيرة « جرينلند » فان هذه الفكرة وردت له من خلال ملاحظته تكوّنَ الجبال الجليدية العائمة . غير أن أكثرية الذين عاصروه يعتبرون أن توصله الى فكرة انسياح القارات تم من خلال ملاحظته تكامل الشواطىء الشرقية والغربية للمحيط الأطلسي .

ولم تحل مفاهيم فيجنر محل المفاهيم الأخرى التي تصدت لموضوع تشكل القارات والمحيطات الا في الستينيات من هذا القرن ، وأحدثت تبدلا جذريا فرض نفسه بالبراهين « الجيوفيزيائية والاوقيانوغرافية » الجديدة ، أما ما قبل ذلك فقد كان انسياح القارات مفهوما غامضا ومجهولا ينظر اليه باستخفاف ، وكان المدافعون عنه يعاملون بازدراء ، ويعتبرون كمهرجين .

والسؤال الآن : هل قامت نتائج أبحاث فيجنر على براهين وحجج متماسكة وصلبة ، أم أنه تنبأ بها وأصبح هذا التنبؤ واقعا صحيحا بقدرة قادر ؟ واذا كان منهجه الفكري مقبولا ، فكيف تفسر المعارضة الضيقة والدائمة لافكاره ؟

للاجابة على هذه التساؤلات يتوجب علينا معرفة فيجنر وعمله ، وموقف معاصريه وأفكارهم .

ولد سنة ١٨٨٠ في برلين ، وحصل من جامعتها على دكتوراه في علم الفلك ، ولم يكن لديه أي شهادة في علم الجيولوجيا ، كان يحلم دائما بشيئين هما : اكتشاف جزيرة جرينلند ، والتعمق في علم الأرصاد الجوية الذي كان يعتبر آنذاك علما حديث النشأة نسبيا . ولكي يعد نفسه تماما للبعثات العلمية المتوجهة الى القطب الشمالي خصص قسما كبيرا من وقته لتعلم السير والتزلج على الجليد . وبالنسبة للأرصاد الجوية تعلم استعمال البالونات والمناطيد وذلك لمراقبة الظواهر المناخية . ولقد ساعده هذا التكوين على القيام بثلاث رحلات الى جرينلند ، كانت نتيجتها وضع آراء وملاحظات جليدية ومناخية في عدة مؤلفات .

وفي عام ١٩٠٧ عمل استاذا مساعدا للرصد الجوي في جامعة ماربورج ، وفي سنة ١٩١٠ نشر دراسة هامة عن الديناميكية الحرارية للجو . وفي سنة ١٩١٣ تزوج بابنة عالم الأرصاد الجوية الشهير كوبن . وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التحق بوالد زوجته في دائرة الأبحاث الجوية للمرصد البحري في

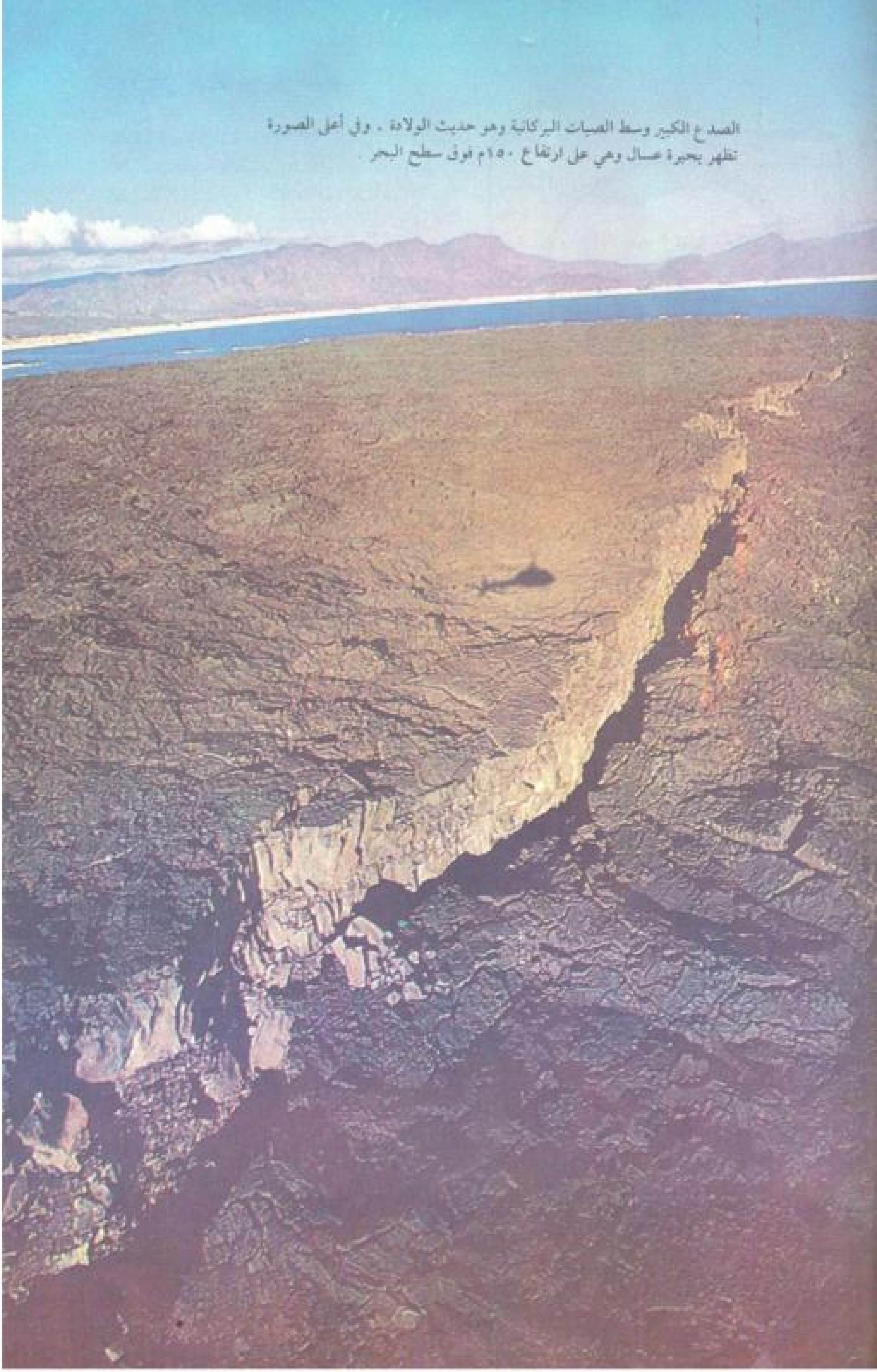

الصدع الكبير وسط الهضبات البركانية وهو حديث الولادة . وفي أعلى الصورة
تظهر بحيرة عسال وهي على ارتفاع ١٥٠م فوق سطح البحر .

هامبورغ ، وفي سنة ١٩٢٤ قبل كرسي الاستاذية للأرصاد الجوية والجيوفيزيائية في جامعة جراز في النمسا ، حيث وجد زملاء أكثر انفتاحا وقبولا لآرائه ، وتوفي فيجنر سنة ١٩٣٠ اثر أزمة قلبية .

وعلى الرغم من أنه قد بذل جهودا للوصول الى فرضية انسياح القارات ، الا أنه لم يعلق عليها اهمية كبيرة ، علما بأنها تشكل إرثه الاساسي .

ان الأفكار التي كانت سائدة في سنة ١٩٢٤ حول بنية وتطور الكرة الأرضية ، لم تستطع قبول فكرة انسياح القارات ، وذلك لان الجيولوجيين ـ الجيوفيزيائيين كانوا يعتقدون بأن الأرض في منشئها عبارة عن كتلة مائعة تبردت وهي تفقد حرارتها باستمرار . وخلال عملية التبرد كانت العناصر الثقيلة كالحديد تسقط نحو النواة ، بينما تصعد العناصر الأكثر خفة كالكالسيوم والألومنيوم الى السطح ، لتشكل القشرة الأرضية الصلبة التي بقيت ثابتة الحجم بسبب تبردها ، أما باطن الأرض فبقي حارا يفقد حرارته بالتدريج ، مما أدى الى تقلصه ، وقد نجم عن وجود قشرة صلبة ثابتة وباطن متقلص ، نشوء فراغ ترفضه قوة الجاذبية مما تسبب في خلق قوى ضاغطة على السطح ، أدت الى ولادة طيات وفق الآلية التي تشكل التجاعيد على سطح تفاحة قديمة . ولكن على مستوى الكرة الأرضية فان الضغط الناجم عن التقلص قد أحدث هبوطا في بعض المناطق مما أدى الى تشكيل أحواض البحار والمحيطات ، وبروزا في مناطق أخرى سبب تشكل القارات ، وقد قبل آنذاك بأن القشرة الأرضية تستطيع التحرك عموديا لكنها لا تستطيع الحركة أفقيا ، كما علل تشابه وتطابق العديد من الحيوانات والنباتات المستحاثة التي عثر عليها في قارات مختلفة ومنفصلة عن بعضها بوجود (قارات ـ جسور) سابقة كانت بمثابة معابر تربط بين القارات المختلفة ، الا أنها انهارت فيما بعد وغمرتها مياه المحيطات . أما تطابق الرسوبيات فقد فسر بطغيان البحر المتتابع وارتداده مرات عديدة . وقد عزى ارتداد البحر الى هبوط أحواض المحيطات ، وطغيانه الى الامتلاء الجزئي لقيعان تلك المحيطات بالرسوبيات الناجمة عن عوامل « الحت » في القارات .

وعندما تقدم فيجنر بفرضيته القائلة بانسياح

الفريد فيجنر عالم الأرصاد الجوية الذي اشترك في ثلاث رحلات استكشافية الى جرينلند . والذي لم تكن لديه أي شهادة في علم الجيولوجيا أو الجيوفيزياء ، ورغم ذلك حقق في هذين المجالين أهم آثاره العلمية .
أنجزت له هذه اللوحة سنة ١٩٢٠ من قبل أحد الرسامين .

القارات ، ووجهت بمقاومة عنيفة ، ذلك أنها جاءت لتبدل المفاهيم التقليدية . فحسب الاطروحة الجديدة فان الحركات العمودية للقشرة الأرضية ستكون محكومة بمبدأ « تساوي الثقالة » أي توازن القشرة الأرضية الناتج عن اختلاف كثافة أجزائها ، وأن تماسك العناصر المختلفة لهذه القشرة الأرضية يتم عن طريق توازن « هيدروديناميكي » خاص ، فالقارات الأقل كثافة من الطبقة التحتية ستطفو فوق قاع المحيط .

كما أن فكرة النواة الداخلية المتقلصة لم ترق لفيجنر ، فتصدى لها وبين أخطاءها وتناقضاتها وعجزها عن تعليل الكثير من خصائص سطح الأرض .

بين السطح والقاع :

وعلى الرغم من أن تكاملية الشواطىء الأطلسية لافريقيا وأمريكا الجنوبية كانت واضحة ، الا أن فيجنر لجأ من أجل توضيح هذه التكاملية الى اتباع طرف الجرف القاري الذي يشكل حدا أكثر تعبيرا من خط الساحل (وهذا ما تتبعه الطرق الحديثة اليوم) أما توزع السلاسل الجبلية المحصورة بشكل رئيسي على شكل أحزمة ضيقة ومقوسة ، فهو يشكل شذوذا آخر بالنسبة لفيجنر . فهو يعتقد أنه اذا كانت هذه الجبال قد تكونت نتيجة لتقلص الكرة الأرضية فانها يجب أن تتوزع على نمط واحد على سطح هذه الكرة ، كما هو الحال بالنسبة للتجاعيد على سطح التفاحة . وقد بين تناقضا آخر بالاستناد الى تحليل احصائي لطبغرافية الكرة ، عندما أظهرت جداول أعدت لارتفاعات مختلفة ، وأعماق محيطية متنوعة ، أن القسم الأكبر من القشرة الأرضية يوجد على مستويين : المستوى الأول يشكل سطح القارات ، والمستوى الثاني يشكل القاع السحيق للبحر . هذا التوزع يؤدي بالتأكيد الى قشرة مكونة من طبقتين ، طبقة عليا مؤلفة من صخور خفيفة كالجرانيت ، وطبقة سفلى تشكلها صخور البازلت والقابرو ، أو من « البيريدوتيت » الذي يشكل قاع المحيط . هذا التقليل أيدته الاختلافات المحلية لثبات الجاذبية الأرضية .

ويعلل فيجنر وجود تشابه في الخصائص الجيولوجية في أطراف القارات على شواطىء الأطلسي الشرقية والغربية بأن القارات كانت فيما مضى ملتصقة ببعضها ، وقد تباعدت بالتدريج خلال الأزمنة الجيولوجية ، وهناك شواهد جيولوجية تدعم هذا الأساس تعتمد على تشابه الكتل الصخرية وتكاملها في كل من افريقيا وأمريكا الجنوبية على طرفي الأطلسي ، بحيث أنه لو قربنا القارتين من بعضهما فان هذه الكتل تندمج مع بعضها بشكل تام . لقد اعتمد فيجنر على مجموعة أخرى من البدهيات ، اذ أنه استنادا الى ملاحظات ابديت في بداية القرن العشرين بدا أن جزيرة جرينلند تتحرك نحو الغرب مبتعدة عن أوروبا بسرعة ممكنة القياس ، هذه الحركة تعطي الدليل الأكيد على انسياح القارات ، وقد بينت القياسات الفلكية آنذاك أن جرينلند تزحف نحو الغرب بسرعة تبلغ ٣٢م في السنة . كما تبين أن خطي طول مدينتي باريس وواشنطن لا يزالان يتباعدان ، أي أن القارة الأمريكية الشمالية لا تزال تزحف نحو الغرب بمقدار ٤م سنويا .

ومن أجل القضاء على هذه التناقضات جميعها ، التي أشار اليها فيجنر بالنسبة للفكر السابق السائد حول الكرة الأرضية ، وتشكل البحار والمحيطات ، تقدم بفرضية جديدة تماما ومتكاملة عن أصل القارات .

قارة واحدة لا قارات :

فحسب رأيه فان القارات لم تكن في البدء ، إلا قارة واحدة ضخمة أسماها « بانجيه » وهي كلمة يونانية تعني الأرض الواحدة ، وقد تصدعت هذه القارة في أواخر الدور الفحمي من الزمن الجيولوجي الأول ، واستمرت في تصدعها الى أن تشكل العالم الحالي بتوزعاته المعروفة عبر العصور والأزمنة الجيولوجية المختلفة ، وقد انساحت كتل « السيال » المتصدعة على « السيما » اللزجة ، وغاصت فيها وارتكزت عليها كالسفينة المنساحة فوق الماء . فاذا استطاعت قارة ما أن تتحرك عمّوديا من خلال هذا السائل ، فانها تستطيع التحرك أفقيا أيضا ، وذلك بواسطة قوة محركة كافية ، ويعتقد أنه قد برهن على وجود هذه القوة من خلال الضغوط الأفقية على الطبقات المطوية للكتل الجبلية . أما الشكل الهندسي للكرة الأرضية فهو تأكيد آخر للطبيعة المائعة لقسم من هذه الكرة .

وعلل فيجنر انسياح القارات بقوى محركة قادرة على تجعيد القشرة الأرضية وتصديعها ، مما يسبب اختلافا كبيرا في مستوى سطح الأرض ، وتغيرا في محور دورانها ، وانتقالا لنقطتي القطبين وانسياحا للقارات .

هل هو المد والجزر ؟

بعد ظهور الطبعات الأولى لفرضية فيجنر عارضها مشاهير الجغرافيين الألمان ، وقبل بها بعض الجيوفيزيائيين ، لكنه يمكن القول أنه بعد عام ١٩٢١

ـ خليج عدن

تعليل حركة القارات :

بعض المشاركين تساءلوا : لماذا انثنت وانطوت القارتان الأمريكيتان تحت طرفيهما الغربي وشكلت سلسلة « الكورديير » ، اذا كانت القشرة الأرضية تتحرك بحرية على قاع المحيط ؟ ألا توحي قوة الضغط التي نتجت عنها هذه السلاسل بوجود مقاومة هامة من طرف القاع البحري المفترض أنه مائع لزج ؟ اضافة الى ذلك لماذا تمزقت قارة « بانجية » بشدة خلال عشرات الملايين من السنين ، وهي التي بقيت سليمة ومتكاملة خلال القسم الأكبر من تاريخ الكرة الأرضية ؟ وأخيرا لم يكتف المشاركون في هذه الندوة بشكهم في التعليلات والنتائج المطروحة من قبل فيجنر ، بل انهم هاجموا كفاءته ، ومنهجياته ، فهو بالنسبة لهم ليس أكثر من عالم متحيز لم يعرض الا الوقائع التي تؤيد فرضيته ـ وهو في آخر المطاف ليس جيولوجيا ، بل انه دخيل على هذا العلم ، ولا يمكن النظر اليه إلا كهاو . لقد تصاعد العداء بشدة لأفكار فيجنر ، وهاهو أحد المشاركين في الندوة يصرخ « اذا قبلنا فرضية فيجنر فانه يتوجب علينا أن ننسى كل ما تعلمناه منذ سبعين سنة ، ويجب أن يبدأ كل شيء من الصفر » ولقد تجرأ أحد الجيولوجيين الأمريكان على اعلان تعاطفه مع هذه الفرضية فكاد أن يفقد عمله .

لم يحاول فيجنر الدفاع عن أطروحته ضد هذه الانتقادات ، بل فضل ترك المجال لباحثين أكثر شبابا . ولعله من سخرية القدر انه في اللحظات التي ادينت فيها فرضيته بشدة ، دعمت بأعمال كل من : دو توات وهولمز من جامعة ايدمبرج ، حيث استبعد الاثنان بعض الحجج الأكثر ضعفا التي قدمها فيجنر ، وجمعا براهين جديدة على الفرضية ، وطرحا آلية محركة أكثر قبولا . فبالنسبة لهولمز كانت حركة القارات ناجمة عن تيارات حمل حرارية في الغشاء الأرضي . واذا كانت أعمال هذين الباحثين لم ترتفع بمستوى هذه الفرضية الى مستوى النظرية ، الا أنها الغت انتقادات جيفريز ، اضافة الى أنها انطوت على تعليل حديث لحركة القارات .

لم يعد يعترض على فرضيته اي من الجيوفيزيائيين الألمان . ولدى ترجمة هذه الآراء الى لغات أجنبية أخرى لفتت الأنظار في كل من بريطانيا وأمريكا . وفي عام ١٩٢٥ تصلبت المعارضة لهذه الفرضية وذلك لسببين :

أولهما : نشر دراسة لهارولد جيفريز من جامعة كامبردج تحت عنوان ـ الأرض ـ هاجم فيها النقطة الأكثر ضعفا الا وهي طبيعة القوى التي أدت الى تحرك وانتقال القارات . فحسب رأي فيجنر فان انسياح الأمريكتين نحو الغرب كان نتيجة لقوى المد والجزر في القشرة الأرضية ، غير أن جيفريز استطاع التبيان بسهولة بواسطة حسابات بسيطة بأن الأرض كانت جدية المقاومة ، لأي قوة يمكن أن تغيرها أو تشوهها ، حتى ولو بشكل خفيف أو بسيط ، وفي حال عدم وجود مقاومة ، فانه يمكن للسلاسل الجبلية أن تنهار تحت وزنها الذاتي . وسوف يكون قاع المحيطات مسطحا قطعيا ، واذا كانت هذه القوة المحركة قادرة بشكل كاف على تحريك القارات نحو الغرب ، فانها ستكون قادرة أيضا على ايقاف دوران الأرض في أقل من سنة . لم يأخذ جيفريز بعين الاعتبار البراهين التجريبية التي تشكل القاعدة الأساسية للنظرية فلم يرفض تماما هذه الفرضية ، وانما اكتفى باظهاره فقط عدم كفاية القوة المحركة .

ثانيها : الندوة التي عقدتها جمعية جيولوجي البترول الأمريكية سنة ١٩٢٨ . لقد كانت مناقشات الندوة في مجموعها متفقة على الانتقادات ، إذ أجمع المشاركون على ان عادة تجميع قارات الأطلسي ليس صحيحا ، ولم تضع في الاعتبار الحركة العمودية للقشرة الأرضية ، وانه لا توجد علاقة الى درجة كبيرة بين التشكيلات الصخرية التي توجد على طرفي المحيطات ، وان التشابه لا يستدعي بالضرورة التلاصق في الماضي . وانه من الممكن جدا أن تكون قد هاجرت اليها حيوانات عبر (القارات ـ الجسور) خلال العصور الجيولوجية القديمة ، وان مستحاثات الزواحف (التيليت) لم تكن بشكل أكيد من اصل جودي ، وان الزيت في نصف الكرة الشمالي لم يكن قطعيا من أصل مداري . وان حركة جرينلند غير مؤكدة .

تغير موقع القطبين :

على أية حال منذ الستينيات من قرننا الحالي ، وفرضية فيجنر تحتل مصاف النظريات الهامة في شرح وتعليل تشكيل القارات والمحيطات ، وقد ألغت كل ما قبلها ، تدعمها في ذلك أدلة وبراهين علمية أكيدة :

« منها ان الدراسات الجيولوجية تدل على تغير موقع القطبين خلال الماضي الجيولوجي ، مما أدى الى فتح آفاق جديدة أمام دراسة التبدلات الميكانيكية للقشرة الأرضية ، استنادا الى هذه الحقيقة التي بفضلها أيضا أمكن تعليل تغير المناخ والنبات على سطح الأرض في مختلف الأزمنة الجيولوجية . ولقد دلت دراسة الطبقات والمستحاثات على أن القطب الجنوبي كان يقع في جنوب افريقيا قرب حوض الكونغو ، ثم انتقل تدريجيا الى قرب استراليا في الدور الفحمي . أما موقع القطب الشمالي فقد تغير ايضا ، فانتقل من وسط المحيط الهادي الى الشمال الشرقي منه . واستنادا الى انتقال موقع القطبين ، فقد أمكن تعليل اختلاف توزع البر والبحر في الماضي الجيولوجي للأرض ، كما أمكن تعليل وجود نباتات وحيوانات مدارية في مناطق باردة حاليا كالنباتات النخلية ، التي وجدت في ضواحي باريس ، وكالماموث وهو جد الفيل الحالي الذي وجد في سيبيريا ، وأمكن كذلك تعليل وجود المورينات الجمودية المنتشرة في حوض الكونغو بافريقيا . وهكذا أصبحت فرضية فيجنر نظرية تدعمها براهين عديدة منها :

تقوس ساحل غربي كندا وآلاسكا ، وتوافق تعاريج شواطىء البحر الأحمر الشرقية والغربية ، وكذلك توافق شواطىء الخليج العربي ، وشواطىء خليج غينيا وجنوب غربي افريقيا مع الشواطىء الشرقية والشمالية لأمريكا الجنوبية .

تفسير مقبول :

لقد تفحص فيجنر بعين ناقدة نموذج الكرة الأرضية الذي كان مقبولا آنذاك بالاجماع ، فرفضه وبين ضعفه وتناقضه . وكان بناء لم يكتف بالنقض ، بل طرح النموذج البديل الذي يختلف بشكل جذري عن الشكل الأول . لقد كان فيجنر مفكرا فذا ، جاءت أفكاره سابقة لأوانها ، فأثارت عليه السخط والاستنكار والمحاربة .

أخيرا .. يقيّم الجغرافي الكبير المرحوم عمر الحكيم فرضية فيجنر فيقول :

« انها تعطي تفسيرا مقبولا خلابا وسهلا للتعقيدات الجغرافية التي تشاهد في أرخبيل اندونيسيا وفي المحيط الهندي والبحر الأحمر ، وتعطي تعليلا مقبولا للحفرة الانهدامية العظيمة التي تضم البحيرات الكبرى في شرق افريقيا . واذا ما تعارضت هذه الفرضية مع الكثير من التفاصيل الجيولوجية الثانوية الضئيلة فان الأمر يتطلب توفيقا مع الفرضية أو تعديلا طفيفا في بعض نواحيها . وعلى الرغم من بعض الأخطاء في الأمور التفصيلية الثانوية فان فرضية فيجنر تفسر بصورة منطقية كثيرا من التعقيدات الجغرافية مدعومة ببراهين قوية : كتفلطح الكرة الأرضية في القطبين ، وتغير المناخ على سطح الأرض خلال الأزمنة الجيولوجية ، وتغير موقع القطبين خلال هذه الأزمنة ، وتعليل توزع القارات والبحار .

وفي كل يوم يظهر تحقيق لهذه الفرضية الجبارة ، وتأييد جديد لها . انها أقوى فرضية طورت علم الجغرافيا في القرن العشرين . □

الساهرون والعيون نائمة

وسائل متطورة لكشف الجريمة في الكويت

اعداد : ريم الكيلاني

الجريمة ظاهرة اجتماعية لا بد من دراستها والبحث في أسبابها ، فهي تعكس خللا في المجتمع واضطرابا في سلوك الفرد ، نتيجة لحيثيات وظروف معينة . فكيف تحدث الجريمة ، وما هي الوسائل التي تتبع لكشفها ؟

المادة لا تكذب

في الادارة العامة للادلة الجنائية بدولة الكويت ، حيث المتخصصون في البحث الجنائي والدارسون لهذا العلم المتعدد المجالات ، التقينا بالعميد منصور الابراهيم ، الذي يقسم الادارة الى قسمين ، مركزية (أولى وتضم مسرح الجريمة والطب الشرعي والمختبرات الجنائية ، ومركزية أخرى تشمل ادارة تحقيق واثبات الشخصية ، والاحتفاظ بملفات تضم السوابق والاحكام الصادرة على الأشخاص من قبل الجهات المختصة .

يقول العميد الابراهيم « لقد أصبح العلم البوليسي قائما بذاته ، بعملية الكشف عن الجريمة لم تعد تعتمد على الصدفة والحظ ، بل تحتاج لرسم تخطيطي واضح لمكان الجريمة ، ومعاينة الآثار على أسس علمية ، والتقاط صور فوتوغرافية لمكان الحادث ، وللآثار المختلفة ، وللقتلى ان وجدوا .

فكل مادة قد تضبط في مسرح الجريمة قرينة هامة ، فالمادة لا تكذب ، لا غش فيها ولا فساد ، في حين أننا لا نستطيع الاعتماد على شهادات الشهود ، المادة هي الدليل القاطع والأكيد لدى رجل المعمل الجنائي ، ولدى رجال القضاء على المجرم » .

ونتساءل .. كيف ينجح رجال الشرطة في ايجاد الدلائل القطعية ، وكيف تستطيع المختبرات الجنائية الخروج بالنتيجة التي تعتمد عليها المحكمة في اصدار حكمها ؟

من أجل كل ذلك ، كان لا بد لنا من جولة داخل مبنى الادارة العامة للأدلة الجنائية لمتابعة طريقة سير العمل ، والنظام المتبع في سبيل كسب الوقت لتحديد الجاني والقبض عليه .

في هذا المبنى تتعدد الأقسام والمختبرات ، وان كانت جميعها تتعاون من أجل مكافحة الجريمة ، بهدف تحقيق السلام والأمن لكل مواطن .

أطباء شرعيون وطبيبات شرعيات

حرصت الكويت على مكافحة الجريمة والحد من نزعات الاجرام ، التي تهدد كيان الجماعة ، وحاولت بكل ما تملك من طاقات وامكانيات حماية المجتمع ، وتوفير الأمن والاطمئنان فيه . ومن أهم الأقسام في الادارة العامة للابحاث الجنائية قسم الطب الشرعي ..

فماذا نعني بالطب الشرعي ؟ وما أهميته ؟

يطلق تعبير الطب الشرعي في وصف العمل الذي يقوم به الطبيب المختص بابداء الرأي في النواحي الطبية أمام جهات التحقيق والقضاء ، ويسمى في اللغة . الطب القانوني أو العدلي .

ينتقل الطبيب الشرعي الى مكان الجريمة ، مع ضابط مسرح الجريمة لمعاينته ، وأخذ فكرة واضحة عن القضية من حيث وضع الجثة ، وتوزيع الدم والبصمات ، وكل ما قد يوجد من آثار ومخلفات ، وفي حوادث القتل يتم نقل الجثة الى المشرحة لفحصها فحصا كاملا دقيقا ، يبدأ ظاهريا بملاحظة العلامات والكدمات التي يعتقد الطبيب الشرعي أنها قد تكون سببا في الوفاة ، ويدخل ضمن عمل الطبيب الشرعي كذلك الكشف عن جرائم الاعتداءات على الجسم البشري ، سواء تلك التي تؤدي للوفاة أو للاصابة فقط ، الى جانب الاعتداءات الخلقية . فهو يحدد نوع الاصابة الواقعة على المجني عليه ، والآلة التي أحدثتها ، وكيفية حدوث الاصابة ، ومدى مطابقة هذه الكيفية مع ما يقرره الشهود ، أو المتهمون أو المجني عليهم . ومن ثم فان الطبيب الشرعي هو الشخص الوحيد القادر على تأكيد صدق روايات الشهود الملفقة أو تكذيبها مستندا في ذلك على أسس وتقارير علمية .

ومراعاة لظروف الكويت البيئية والاجتماعية والدينية ، تولت مجموعة من الطبيبات الشرعيات عملية فحص الاناث في حالات الاصابة أو الوفاة ،

والى جانب القضايا الجنائية ، هناك القضايا المدنية كالحجر والمسؤولية الطبية . ففي قضايا الحجر تتم دراسة الحالة الجسدية والعقلية للشخص المطلوب الحجر عليه ، بالتعاون مع مستشفى الطب النفسي ، لاعطاء تقرير كامل عن الحالة . أما في المسئولية الطبية فيتم تحديد خطأ الطبيب وموقفه من الناحية الجنائية . وهناك أيضا قضايا الانفصال الزوجي التي يعتمد فيها الطلاق على الفحص الطبي قبيل النطق بالحكم .

ولا بد أن نذكر هنا ، أن كل التقارير التي تخرج من الطبيب الشرعي بعيدة تماما عن المجاملة أو التضخيم ، فهي تكتب بكل حرص ، وبعد دراسة مستفيضة وبحث طويل » .

فتاة تعمل في أحد المعامل الجنائية ، تبحث في المادة المضبوطة من مكان الحادث .

يتعامل الباحثون في المعمل الجنائي مع أشكال مختلفة من المواد الصلبة والسائلة

تحرص الادارة العامة للابحاث الجنائية على توفير كافة الاجهزة والأدوات الحديثة والمتطورة في كل الاقسام

العمل في المختبرات الجنائية هو السبيل الأفضل لالقاء الضوء على ملابسات الجريمه

احدى قطع القماش وعليها بقع من الدم ، ويقوم الباحث بتحديد نوعها وطبيعتها وفصيلتها

البصمات هي الدليل القاطع والاكيد على المجرم ، والتي يسعى الضابط في مسرح الجريمة جاهداً لكشفها والتعرف على صاحبها

مسرح الجريمة :

ماذا يجري في مسرح الجريمة ؟

برغم الهلع والذعر والفوضى ، يقوم الضابط بالتقاط الآثار المادية الموجودة ، ورفع البصمات ، والبحث عن كل ما قد يكون له صلة بالجريمة أو بالجاني ، كالدم أو الشعر أو المقذوف الناري وإن ينتقل الضابط برفقة المصور الجنائي المدرب تدريبا خاصا على كيفية تجسيد مكان الحادث عن طريق الصورة ، حيث يقوم بعد مسح مكان الجريمة بنقل جميع الآثار لاجراء الفحص المخبري عليها ، فآثار الدم مثلا ترسل لتحديد فصيلتها ، والشعر يرسل للتأكد من نوعيته ، وما اذا كان يخص الجاني أم لا ، وترسل آثار الخمور الى قسم السموم ، وهكذا . .

بعد الانتهاء من الفحوص المخبرية تجمع النتائج في تقرير واحد شامل ، يقدم لجهات التحقيق والقضاء التي تصدر حكمها في القضية ، معتمدة على التقرير الوارد لها من الادارة العامة للابحاث الجنائية .

ويتبادر للذهن استفسار عن البصمات ، هذا الدليل القاطع الذي يلجأ له الضابط ، ويبحث عنه في مسرح الجريمة . ترى كيف ترفع البصمات ، وكيف تضاهى ، وكيف توصلنا للجاني ؟

النقيب أحمد القبندي رئيس قسم مسرح الجريمة يروي لنا قصة البصمات فيقول : « ان كل من ينظر الى طرف أصبعه أو راحة يده ، وباطن القدم يجدها مكسوة بخطوط عديدة ، تكون أشكالا مختلفة ومتباينة لا حصر لها ولا عد . هذه الخطوط تبدأ في التكون عند الجنين وهو في بطن أمه في الشهر السادس من الحمل ، وتظل هذه الخطوط مع الشخص حتى بعد الوفاة ، بنفس الشكل ونفس الاتجاهات .

ولما كان من المعروف أن البصمات لا تتطابق في شخصين مختلفين ، فان تطابق بصمتين في مكان واحد تعطي دليلا قاطعا لضابط مسرح الجريمة عن شخصية وهوية المجرم . يقوم الضابط في مسرح الجريمة برفع البصمات باستعمال بودرة خاصة باظهار البصمات من على الأسطح ، ونوع البودرة المستخدمة يختلف تبعا لنوع السطح ، ويتم أحيانا رفع المادة التي عليها البصمات من الأطراف بحيث لا تتلفها ، وشهادة ضابط مسرح الجريمة مطلوبة دائما أمام المحكمة ورجال القضاء ، باعتباره مصدرا أكيدا للمعلومات التي تتضح له من خلال المعامل والمختبرات » .

أطياف الجريمة :

لقد حاول خبراء علم البحث الجنائي الاستفادة من العلوم الطبيعية وتسخيرها لكشف غموض الجرائم ، وبيان أسرارها ، لأن التأخر يعني الخسارة ، والتواني في البحث يعني هروب المجرم ، ومن أهم العلوم التي ساهمت بنصيب وافر في تطور علم البحث الجنائي العلوم الفيزيائية والكيميائية . حيث أصبح الأثر المادي الجنائي الذي يتركه المجرم في مسرح الجريمة عبارة عن عينة يجري عليها العلماء التجارب ، ليعرفوا كنهها ويتبينوا علاقتها بالمتهم .

وكما أن للانسان بصماته الخاصة فان لكل مادة بصماتها الخاصة أيضا . وبصمة المادة هي طيفها الذي يشكل صفة لازمة ومميزة لها ، لا يتشابه مع طيف أي مادة أخرى .

وتجدر الاشارة هنا الى أن طيف كل مادة أو عنصر هو صفة لازمة ومميزة لها ، ولذلك يطلق عليه خبراء البحث الجنائي بصمة المادة ، ومن المعروف أن المواد لا تتشابه في بصماتها أبدا تماما كالانسان وهناك جهاز يسمى جهاز الابعاث الضوئي وهو جهاز سهل التشغيل بسيط التركيب ، قادر على تحليل أي أثر مادي جنائي عضويا كان أو غير عضوي ، كالأصباغ والبويات وعينات التربة والزجاج ، كما يمكن بواسطة هذا الجهاز اجراء تحليلات كيميائية نوعية بمقارنة الأثر المادي الجنائي بنسبة قياسية للتعرف على نوع وطبيعة الحادث .

جهاز الأشعة السينية :

أصبحت الأشعة السينية اليوم من أساسيات أي مختبر جنائي في العالم ، نتيجة لما تغطيه من نطاقات واسعة في الكشف عن الجرائم وبيان غموضها .

وتستخدم الأشعة السينية في تقدير السن عن طريق دراسة صور أشعة العظام عند مناطق التحامها حيث يحدد التحام العظام في مناطق معينة من

الجسم البشري ، بسن معينة ، كذلك تساعد في تحديد مواضع الكسور ، ونسبة العجز في بعض أعضاء الجسم البشري ، عن طريق دراسة صورة الأشعة للعضو المصاب ، وتحديد أماكن المقذوفات النارية ، أو شظايا المتفجرات ، والتعرف على الموتى من خلال ملامحهم ومقارنتها بالتقارير الطبية ، الى جانب التعرف على بصمات الأصابع في الأجسام المتحللة جزئيا ، وكل هذا يتعلق بمجال الطب الشرعي ، أما بالنسبة للأدلة الجنائية ، فتستخدم الأشعة السينية في البحث عن الأسلحة والمتفجرات في ملابس وحقائب المتهمين ، وكشف تزييف العملات الذهبية والنادرة خصوصا تلك التي تحتوي على الرصاص ، كذلك مقارنة الملابس المضبوطة بدراسة مادة النسيج وخواصها ، ووجود العناصر المعدنية بين ثناياها ، مثل الرصاص والقصدير ، وعلاقة ذلك بالجناة ، وأخيرا التفرقة بين أنواع الورق في قضايا التزوير والتزييف ، من خلال كشف الشوائب التي تملأ الفراغات في نسيج الورق ، ومن خلال دراسة الشكل التركيبي لمعرفة طريقة صنعه .

السموم :

الدكتور محمد عبد الحكم ، رئيس قسم التحاليل الكيميائية في الادارة العامة للأبحاث الجنائية يقول : « نحن في عملنا هذا نؤمن بضرورة وضع العلوم الطبيعية في خدمة رجال الأمن ، ومحاربة الخارجين على القانون من أجل أمن وسلام البلاد .

فكم من الجرائم بدت للوهلة الأولى غريبة شائكة ، ولكننا استطعنا حل غموضها بمساعدة هذه الاجهزة المتطورة . والحقيقة أنه لا توجد مادة سامة بالمعنى الحقيقي لكلمة سم ، ولكن كل مادة تصنع بواسطة الانسان تصبح سما ، اذا فاق تناولها الحد المعقول والمناسب للجسم البشري ، فالأسبرين مثلا مادة مسكنة للآلام ولكن تناول كمية من الاقراص خلاف المنصوص عليها يحولها الى مادة قاتلة »

وليس معنى ذلك أن قسم السموم يقتصر في عمله على تحليل المواد السمية في مجال ضيق فحسب ، بل يقوم كذلك بتحليل الأدوية والأغذية ، وكل مادة قد تدخل جسم الانسان .

وأي قضية نبحث فيها تتكون من شقين : الأول فني تختص به سلطات التحقيق ، والثاني علمي يقرره العلماء والمختصون في علم السموم ، وهم المخولون بتقرير نوع وكمية السم ، ومدى تأثير المادة على الجسم البشري ، ودورها في الوفاة طبقا لظروف القضية » .

بصمة المسدس :

كم من الجرائم البشعة ارتكبت ، وكم من الأرواح البريئة أزهقت دون أدنى سبب ، الا الاهمال وعدم الانتباه ، فالأسلحة والآلات من أكثر الأدوات الفتاكة ، خصوصا حين توضع بين أيد غير واعية ، لا تعرف مدى خطورتها ولا نتائجها المدمرة .

ولما كان أمر السلاح قضية هامة ، وجدنا ضرورة البحث فيها ، والاطلاع على طريقة البحث والتدقيق للكشف عن الجريمة .

في قسم السلاح وآثار الآلات التقينا بالنقيب شهاب الشمري رئيس قسم السلاح وآثار الآلات ، حيث لخص لنا طبيعة العمل داخل القسم : « في العادة يكون اتصالنا بالقضايا مباشرة مع النيابة ، حيث نسرع لمكان الحادث بمجرد اخطارنا بوقوع جريمة استعمل فيها أحد أنواع الأسلحة أو الآلات .

ويبدأ العمل على مسرح الجريمة برفع الأداة ، والحفاظ على أمانها ، ومن ثم تحريزها ونقلها للمختبرات الجنائية ، مع الحرص على كتابة كافة البيانات الخاصة بالآلة المضبوطة » . ولكن كيف يجري العمل داخل المعمل الجنائي الخاص بقسم السلاح بعد نقله وتحريزه من مكان الحادث ؟

« من المعروف أن لكل سلاح عيارا معينا هو قطر ماسورة السلاح من الداخل ، يقوم الضابط الفاحص باستعمال ذخيرة مشابهة للذخيرة المستعملة في مكان الحادث في محاولة منه لخلق تشابه بين تجربة العمل والقضية نفسها ، للحصول على النتيجة المرجوة في التوصل للجاني .

تكون البداية بتجربة الاطلاق للحصول على بصمة المسدس على الذخيرة المستعملة ، وبصمة المسدس تعني العلامات الدقيقة التي يتركها السلاح نفسه دون أن يتركها غيره على الذخيرة . ومن المعروف أن ماسورة المسدس تحتوي على خطوط

بداية ما يحرص الضابط عليه في قسم السلاح وآثار الآلات ، تحريز الأداة ، والحفاظ على أمانها ، ومن ثم نقلها للمختبرات الجنائية ليتم فحصها بدقة .

يعتبر المعمل الجنائي في الادارة العامة للابحاث الجنائية نقطة الانطلاق ، للتحقيق والايقاع بالمجرم

كما للانسان بصماته الخاصة ، فان لكل مادة كذلك بصماتها الخاصة ، وأطيافها التي تميزها عن غيرها

حلزونية داخلية ، تنطبع على المقذوف الخارج من السلاح ، تتم التجربة باطلاق مقذوف داخل صندوق خشبي به ساند من القطن النقي الخالي من أي شوائب ، قد جرح أو تشوه المقذوف نفسه . يستخرج المقذوف بعد عملية الاطلاق من صندوق الاطلاق ، لتبدأ بعدها عملية المقارنة الميكرسكوبية بين المقذوف المستخرج من الجثة ، والآخر المستخرج من صندوق الاطلاق ، بواسطة جهاز الميكروسكوب المقارن .

وبالمقارنة يتم الحكم على الخطوط الدقيقة الموجودة على احداهما ، ان كانت تنطبق انطباقا مطلقا على المقذوف الآخر أو لا .

القتل البطيء للروح :

المخدرات ، نوع من الأدوية ، قد تؤدي في بعض الحالات خدمات طبية جليلة لو استخدمت بحذر ، وبقدر معين ، وبمعرفة طبيب مختص لعلاج أنواع الامراض ، أو في العمليات الجراحية لتخدير المرضى تخفيفا لآلامهم ، ولكن الادمان عليها يسبب انحلالا تدريجيا في الجسم ، وفي قوى الفرد العقلية قد يؤدي بالمدمن الى الجنون ويجعله فريسة للمرض ، ولما كانت النتائج المترتبة على تعاطي المواد المخدرة نتائج مدمرة ، كان لا بد من مكافحتها ، والحد من انتشارها ، خصوصا بعد التطور الواسع في مجال المواصلات ، مما قصر المسافات الشاسعة بين البلدان المنتجة للمخدرات والبلدان المستهلكة لها . وكان لا بد من تعاون الدول والحكومات للحد من انتشار هذه المادة الخطيرة التي قضت على العديد من الأفراد ، وتنذر اليوم بدمار أمم ومجتمعات .

والمخدرات نوعان :

١ ـ مخدرات طبيعية تحضر من النباتات البرية ، كنبات القنب الهندي ، ونبات الخشخاش والقات والكوكا .

٢ ـ مخدرات تصنيعية أصلها من نباتات مخدرة طبيعية عولجت بطريقة كيميائية ، لاستخلاص المواد المخدرة منها كالمورفين والهيروين .

الى جانب ذلك هناك المخدرات التخليقية التي تحدث جميع مراحل صنعها في المعامل ، ومن مواد كيميائية لا يدخل فيها أي نوع من أنواع المخدرات الطبيعية ، وهي تحدث آثارا مشابهة للمخدرات الطبيعية .

وفي المعمل الجنائي تحلل المواد المضبوطة بطرق كيميائية حديثة ، وباستعمال أجهزة التحليل بواسطة الأشعة فوق البنفسجية ، والأشعة تحت الحمراء اللتين يفصلان المواد بعضها عن بعض ، وجهازي كروماتوجرافيا « الغاز » وكروماتوجرافيا السوائل الى جانب نظام التحليل بواسطة الفصل بألواح الطبقة الرقيقة ، والفحص المجهري بالميكروسكوب ، حيث تجتمع هذه الآلات كلها لتعطي نتيجة مكونات المادة المرسلة كيفا وكما ، ويتم ذلك تمهيدا لعمل تقرير خاص عن المادة المضبوطة ، وبيان موقعها من حيث قانون المخدرات .

البيولوجيا والجريمة :

أما في قسم البيولوجي فيتم رفع الآثار المادية الموجودة بمكان الحادث ، مثل الدم والشعر والحيوانات المنوية والألياف ، وكيفية رفع الآثار من مكان الحادث قد تسهل على الباحثين الكشف عن

في المعمل الجنائي لقسم الحرائق ، يتم فحص المواد المنقولة من موقع الحريق ، بأسلوب فني دقيق

طبيعة المادة الموجودة ، فهم يبحثون في الدم ان كان آدميا أو حيوانيا وعن فصيلته ونوعه .

وقد يستدعي الأمر في كثير من الأحيان معرفة الفصائل المختلفة من الدم ، والمخالفة للفصائل المعروفة ، كذلك يبحث عن فصيلة دم المتهم ومطابقة هذه الفصيلة بفصائل المشتبه بهم .

وحيث أن بقع الدم المتواجدة غالبا ما تكون جافة ، فان الضباط الباحثين يلجأون عادة للفحص الأنزيمي للدم ، باعتباره فحصا يؤكد نوع وفصيلة الدم .

كذلك الأمر بالنسبة للحيوانات المنوية حيث يتم التعرف على فصيلتها والشخص الذي تنتمي اليه . كذلك يمكن التعرف على نوع الشعر (أنثويا أو ذكريا) وتحديد مكانه في الجسم .

جرائم الحريق :

الحريق من الكوارث التي تصيب البشر ، ويتحملونها على أساس القضاء والقدر الذي لا مفر منه ، غير أن استعمال النار كأداة من أدوات ارتكاب الجريمة لحرق الانسان وممتلكاته يعتبر من أكبر الجرائم وأشدها خطورة ، لأن المجرم الذي يتحكم في نقطة البداية لا يستطيع أن يتحكم في نقطة النهاية ، وتعود الصعوبة في التحقيق بجرائم الحريق الى أن النار تلتهم معظم الآثار التي قد تدل على الجاني .

ينتقل خبير الحرائق والمصور الجنائي الى الجهة التي استدعتهما للاطلاع على ملف القضية الموجودة مع المحقق ، والذي يحتوي على معلومات عن موقع الحادث ومدى الخسائر ، ثم يتجه الجميع الى مكان الحادث للمعاينة الفنية ، لتسجيل البيانات الخاصة بالحادث ، مثل تحديد نوع الحادث وطبيعة المكان ، بعدها يوضع رسم تخطيطي لمكان الحادث .

بعد دراسة المكان جيدا وتحديد أبعاده ومساحته ، تحدد مناطق البداية ، ولما كان لا بد لكل منطقة من نقطة بداية ونقطة نهاية ، ومسار للهبوب يتحكم به اتجاه الريح وظروف مكان الحادث ، فان هذه النقاط والمسارات غالبا ما تبدو واضحة جلية أمام الفاحص ، الذي يبحث كذلك عن مدى علاقة أماكن البداية بعضها ببعض .

ترفع عينات من مكان الحادث ومن نقاط البداية ، لفحصها في المعمل الجنائي ، ومعرفة السبب في وقوع الحريق .

يجهد الفاحص كذلك لاستيفاء استفساراته وأسئلته المطروحة على أصحاب العلاقة بالحادث ، وذلك لاستبانة النقاط الهامة التي قد تفيد في معرفة سبب وطبيعة الحريق . والجدير بالذكر أن لون ألسنة اللهب تحدد نوع المادة المحترقة ، فالخشب يعطي عند احتراقه لونا أحمر ، بينما تمتد ألسنة لهب ذات لون أحمر مزرق مع احتراق البلاستيك ، أما احتراق المواد الكيميائية فيعطي ألوانا بيضاء وزرقاء وبرتقالية .

يتوجه المصور الجنائي بعد ذلك لأخذ صور فوتوغرافية ملونة لمكان الحادث ككل ، ولنقطة البداية ولاتجاهات ألسنة اللهب ونهايتها بالتفصيل ، وذلك لاعداد تقرير مصور واف لمكان الحادث ، يشمل مراحل المعاينة الفنية ، ومستوى الحريق وعدد العينات المرفوعة ، ونتائج التحليل ، وأخيرا يحدد فيه سبب الحريق ورأي الفاحص في طبيعة الاشتعال .

فالاشتعال الذاتي ينتج عن وجود مكان ضيق سيء التهوية ، به مواد مخزونة سريعة التأكسد كمخازن القطن والكتان ، حيث تحتوي على نسبة من الرطوبة تساعد على نمو البكتيريا ، ينتج عن نشاطها وتكاثرها اشتعال ذاتي في حالة وجود مواد غير مألوفة في مكان الحادث . أما العثور على أكثر من نقطة بداية للحريق ، فهو دليل واضح على وجود فاعل للحادث .

المزيفون :

مع كثرة جرائم التزوير والتزييف بات الجميع يهتمون بسلامة أوراقهم الرسمية والعملات التي يحملونها ، وعملية التزوير قد تتم بطريقة بدائية يسهل كشفها ، ولكنها غالبا ما تتم بطرق فنية علمية ، فلا يكون أمام المحقق من سبيل سوى الاستعانة بالمعمل الجنائي لكشف الحقيقة .

والتزييف يشمل المستندات الرسمية والعرفية ، الى جانب تزييف العملات الورقية والمعدنية ، أو الشيكات السياحية الى غير ذلك من الاوراق ذات القيمة .

يقوم الخبراء في قسم التزييف والتزوير بفحص القضايا المحالة عليهم من ادارات التحقيق أو النيابة أو مباحث الهجرة لكشف الطرق المادية التي تستخدم في تزوير المستندات الرسمية والعرفية ، كالتزوير بالتقليد عن طريق التمرن المستمر ، أو التزوير بالنقل بواسطة الورق الشفاف .

قد يقوم الجاني كذلك بالضغط على الكلمات بواسطة قلم رفيع وورقة كربون ، وبتحريره على الكلمات تنطبع على الورقة السفلى ، كذلك يلجأ الجاني الى عمل قالب للخط المراد تزويره ، واستعمال هذا القالب في التزوير .. الخ . أما بالنسبة لتزييف العملة ، فيقوم خبراء القسم بالتعاون مع المكتب المركزي لمكافحة تزييف العملة وتزويرها ، وكشف النقاب عن أوكاره واداة طباعته ، ونظرا لخطورة جرائم التزييف على اقتصاديات الدول ، فان مكافحتها لا تجري على النطاق المحلي وحسب ، بل تجري على الصعيد الدولي والعالمي .

لقد أثبت العلم أن خطوط الأشخاص لا يمكن أن تتفق ، ففي خط كل انسان علامات ومميزات تفرقه عن خط غيره من الناس ، وهذه العلامات والمميزات تتجمع من اختلاف أسلوب الأشخاص في مسك القلم ، وحركة اليد عند الكتابة ، وطريقة كتابة الحروف ، واتساع المسافات بين السطور وبين كل كلمة وأخرى .

ومن هذا المنطلق برزت اختصاصات رئيسية للعاملين في قسم التزييف والتزوير . مثل فحص خطوط التوقيعات لمعرفة ما اذا كانت صادرة عن خط أيدي أصحابها أو أنها مزورة ، وفحص خطوط المستندات لمعرفة هوية كاتبها واجراء دراسة وافية على الأختام الرسمية لمختلف الادارات الحكومية ، وأختام الأفراد والهيئات لبيان ما اذا كانت صادرة من قوالب الأختام الصحيحة ، أو من قوالب أختام مقلدة . يقوم المسئولون في القسم كذلك بتحليل مواد الكتابة من ورق وأحبار بالطرق الطبيعية والكيميائية ، لما في ذلك من أهمية كبيرة في كشف التزوير ، وأيضا تحليل السبائك المعدنية المشتبه في تزييفها ، لمعرفة تركيبها ونسب المعادن المكونة لها ، ومدى مماثلتها أو مخالفتها لسبائك العملات الصحيحة .

يجري كذلك فحص خطوط المستندات المحررة على الآلة الكاتبة ، حيث تنفرد كل آلة كاتبة بخواص فردية تميزها عن غيرها من الآلات ، الى جانب فحص المستندات المشتبه في تحريرها بالأحبار السرية غير المرئية ، واظهار الكتابة المحررة بمثل هذه الأحبار ، باستخدام الطرق الطبيعية والكيميائية .

وأخيرا ، فحص طرق طباعة أوراق النقد والوثائق الرسمية ، مثل جوازات السفر واجازات القيادة ، وبطاقات الهوية والشهادات الدراسية ، وما شابهها ، في محاولة لتحديد طريقة تزويرها .

الدكتور **مصطفى شفيق** رئيس قسم التزييف والتزوير يقول : « ان هذا القسم يتعامل مع حياة الناس اليومية ، فالمستندات والأوراق المالية تشكل اليوم عصب المعاملات في حياتنا المعاصرة .

وقد كان لا بد من حمايتها وتأمين الثقة فيها عن طريق أجهزتنا التشريعية والأمنية » .

ويضيف الدكتور شفيق : « ما أشبه حالنا وحال أجهزة الأمن في اتقاء الجرائم بحال المؤسسات الصحية في اتقاء الأمراض ، اذ مهما شيدت هذه المؤسسات من مستشفيات ومهما جهزتها بأحدث المعدات ، ومهما عينت فيها من خيرة الأطباء ، فليس في مقدورها حمايتنا من الأمراض طالما أنها لا تعمل بالوسائل الوقائية العادية على حماية أنفسنا منها . كذلك الحال في جرائم تزوير المستندات والأوراق المالية ، حيث يمكن للمجني عليه تجنب الوقوع ضحية للتزييف اذا راعى في معاملاته بعض القواعد الوقائية التي تسد السبيل أمام جيل المزورين » .

هناك حقيقة واقعة في عالمنا المتحضر ، يجب أن لا ننكرها ، ألا وهي ضرورة تعريف الناس بالجريمة والوسائل التي يتبعها الخبراء في كشف غوامضها ، وتعريفهم بما يجهلونه ، وهم في مسيس الحاجة الى معرفته ، خصوصا وأن الجريمة اليوم تشغل عددا كبيرا من أفراد مجتمعنا ، فباتت مثار فزع وهلع .

من أجل ذلك ـ كان لا بد لهؤلاء الأفراد من التعرف على سبل وطرق الكشف عن الجريمة والقبض على المجرمين .

فالجريمة لم تكن يوما كاملة ، ومهما طالت المدة فلابد للمجرم أن يقع في يد العدالة ، صاحبة العين الساهرة على أمن الناس وراحتهم . □

قصة قصيرة

الشيخة صابرين

بقلم : صلاح عبدالسيد

الليل ينسحب مجهدا ليتوارى .. كمريضة تلد للحياة ساعة موتها .. والنهار يحاول أن ينزلق من جوفه .. ناقرا قشرته الرقيقة .. محاولا أن يخرج رأسه ليتلمس طريقه فى حذر وخوف ..

شاحب ذلك النهار وراكد .. ولونه أصفر .. وعلى وجهه غبار .. امتدت يد بدرية فى حذر تتلمس طريقها الى باب الدار لتفتحه .. فأحدث ذلك صريرا خافتا .

الباب يفتح .. لينفلت منه فى تلصص الى أرض الشارع .. ثم الى البيت المقابل .. الشيخ رضوان .. شيخ الجامع الكبير .. والشيخ طويل وعريض القفا ومعمم .. وله زبيبة فى جبهته من كثرة السجود .. أصبحت تشكل جزءا من معالمه .. وكأنها صك من صكوك الايمان ..

والشيخ لم يتزوج .. نذر نفسه للعبادة ولاشىء آخر ..

انفلت الشيخ خارجا من بيت بدرية فى حذر .. وعيناه قلقتان تدوران فى محجريهما .. كعينى قاتل مأجور .. يمسح بهما المكان قبل أن يخطو اليه .. فارتطمت قدمه بحجر ناتىء أمام البيت .. فترنح

وكاد يسقط من طوله .. وعندما تمالك زمامه .. ارتطمت عيناه بعيني الشيخة صابرين ، الجالسة ليلها ونهارها في شباك بيتها الصغير .. وكأنها تمثال باهت من الحجر لايتحرك .. والشيخة رفيعة .. ممصوصة .. وكأنها شريان رفيع ينبض في جسد الحياة .. لها عينان غائرتان كطريقين لايلتقيان أبدا .. أبدا وجهها ناحل معروق .. ونظراتها الى السماء .. دائما الى السماء .. تتعلق بها .. وترجوها ..

نظرتها تبدو للناظر ذاهلة .. لكنها في الحقيقة واعية .. تلسعك حدتها .. فتتعجب ساعتها كيف استطاعت هذه النظرة المنطفئة .. أن تتوهج .. وأن تلسع بمثل هذه الحدة ..

والمرأة صامتة .. لم تتكلم منذ اختفى زوجها ليلة زفافها .. ولايذكر أحد اطلاقا أنه سمع صوتها ..

وهي تنتظر .. انها في انتظار أن يحدث ذلك الشيء الاكيد .. والذي لابد له أن يحدث يوما .. !! انها في انتظار أن يعود الغائب .. !! متى .. !! ؟ هي لاتعرف على وجه التحديد متى .. !! ؟

قد يعود في الفجر .. أو مع أول ضوء للصباح .. متسللا عبر شباكها الضيق ، أو عندما يُسَبِّحُ طائر الكروان ربه : الملك لك . الملك لك .. وهي لاتعرف أين اختفى ..

ياليت .. !!

« كنت تسلقت قمم الجبال .. ودست الشوك والحصى .. وخضت المهالك من أجل أن أصل الى عينيه .. »

عندما همسوا لها في ليلة زفافها أن زوجها لن يأتي ..

صرخت : « لا .. سيأتي .. لابد أن يأتي .. عيناه قالتا لي انه سيأتي .. عيناه لاتكذبان أبدا بريق عينيه لايكذب . خفق نظرته لايكذب .. لا لاشيء فيه يكذب .. كان مغسول النظرة .. وكنت أرى طري عينيه .. كيف حدث ذلك .. ؟

النظرة في عينيه لم تتمسح بالأرض يوما .. ولم تمرغ رأسها في وحل الطريق .. النظرة في عينيه دافقة بالخير .. منتشية بالفرح ..

كانت نظرته توحدني .. وتجمع بقاياي من الحواري المظلمة ومن عمق الدروب الحزينة .. لتجعلني انسانة واحدة .. فرحة .. متفائلة ..

بسمته كانت تحتويني .. وتدفع عني البرد .. والليل .. والجوع .. والخوف من الطريق .. معه لم أحس بالخوف من الطريق أبدا .. »

انفلت الشيخ من بيت بدرية .. الى بيته المقابل .. وعينا الشيخة مازالتا أمامه .. حادتين .. صارمتين .. كخنجرين مسمومين .. حادي النصل يلمعان في الظلام .. وفمها المطبق على السر الرهيب .. وتكشيرتها .. والوجه الناحل المعروق .. حتى شباكها الضيق كأنه طوق النجاة .. كل هذه الأشياء تطارده .. وتلتصق به ..

حاول أن يهش بيده العينين الملتصقتين به .. لكن بلا فائدة .. فمسح عرقه بمنديله الكبير وغمغم .

اغتسل .. والخنجر المسموم يلمع في الظلام .. وتوضأ .. والخنجر المسموم يقترب من جبهته .. وارتعد .. وكاد يصرخ ، قفز الى الشارع خارجا .. وهو يحس أنه سيختنق .. فاصطدمت عيناه بعيني الشيخة في شباكها .. فأحدث ذلك صوتا .. ضغط على نواجذه .. وكأنه يأكل نفسه .. وابتلع ريقه وكأنه يبتلع الخنجر المسموم في جوفه ..

« هذه الملعونة .'. المصلوبة في شباكها .. وكأنها القدر .. أو كأنها الملاك الذي يختص بي .. والذي يحفر أعماقي .. ويعرف الذي في الداخل .. الذي في الداخل .. »

وأسرع الخطا ..

في الجامع قرفص شاردا .. وأسند ظهره الى عامود .. لدغه صوت يفح في أذنه .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ثم امتدت يد متلهفة الى يده .. وفرقعت قبلة طويلة على ظاهر يده .. تركت أثرا من لعاب ..

جذب الشيخ يده في سرعة وأخفاها في جلبابه .. واستغفر .. عندما وقف ليؤم المصلين للصلاة .. اختلج وتبعثر صوته وأحس بالعرق على جبهته .. وبعيني الشيخة الملتصقة به .. تواجهه .. وبالنصل الحاد يلتمع .. تلعثم وجاهد كي يملك صوته ..

وأحس بعد الصلاة .. أنه يكابد شيئا مرهقا .. يجثم على أنفاسه .. كحجر الطاحون .. فأسرع عائدا الى داره .. والعرق على وجهه وقفاه ..

اصطدمت عيناه في رجعته بعيني الشيخة في جلستها .. فابتلع الخنجر الحاد .. الملتمع النصل .. وأحس به يقطع صدره ..

دخل داره .. وأغلق عليه الباب في سرعة .. وهو يلهث في انفعال .. « الملعونة تطاردني .. الملعونة تجثم على قلبي وعقلي وأنفاسي .. وكأنها ترتديني .. كم أود أن أخلعها عني .. ولكنها تسكنني .. وتعشش في تجاويف رأسي ، كخفاش يتثبت بجدران جفوني .. ويضرب عيني بجناحيه .. ويمتص الدم من شراييني »

ارتمى على سريره .. لكنه لم ينم .. والعينان الغائرتان الى بعيد .. الضاريتان الى أعمق الأعماق .. الحادتان كخنجرين ملتمعي النصل يبرقان في الظلام ..

تقلب على فراشه واعتدل الف مرة .. وبسمل .. واستغفر .. وقرأ الصمدية .. ولكن بلا

فائدة . . وصدره يحتمل . . كأنه وابور طحين خرب ، يلفظ أنفاسه قبل أن يتوقف . . وسمع صوتا يأتى من داخل وعائه يخاطبه .

« اقتلها . . هذه المرأة ستجلب لك الفضيحة . . وستقول للناس من هو الشيخ رضوان الذى يتبركون به . . ويستفتونه فى أمور دينهم ودنياهم . . »

ومسح بيده على الزبيبة فى جبهته . . وكأنه يتأكد من وجودها . لكن الصوت تردد ثانية وارتفع ضجيجه . .

« اقتلها قبل أن تقتلك . . اخنقها . . تسلل الى بيتها واخنقها . . ولن تحوم الشبهات حولك أبدا . . اقتلها قبل أن تتكلم . . » .

والصوت الزاعق يصفر فى أذنيه . . وفى عينيه وفى أعصابه وتحت جلده . . وفى تجاويف رأسه . .

انتفض وعيناه حمراوان . . وأحس بالخفاش ينقر حدقتيها . . عندما استدار الليل موليا ظهره . . كان قد وافق الصوت الذى يأتى من الدخل على قتلها . . دبر كل شىء . . الوقت والطريقة . .

وعندما خاف أن يتسلل الخفاش اليه . . وأن يقترب النصل الحاد من جبهته . . ويلتمع أمامه . . كانت مقاومته قد ذابت وتلاشت . . فتسلل الى منزل الشيخة . . دفع الباب بقوة فانفتح . . ليواجه بها أمامه . . منتصبة فى الظلام . . وقبل أن يسترد أنفاسه . . أطبق على رقبتها بكلتا يديه فى قوة . . وأحس بعظام رقبتها تتكسر تحت ضغط يديه . . وظل ضاغطا على رقبتها وكأنه نسى نفسه . . خاف ان هو تركها أن تصرخ . . وأخيرا دفعها عنه لتسقط . . لكنها ظلت واقفة ولم تسقط . . خيل اليه انها ظلت واقفة ولم تسقط . .

وحاول أن يصرخ . . لكن صوته لم يخرج . . وأسرع مهرولا وهويتعثر فى جلبابه . . فاصطدمت الزبيبة التى فى رأسه بالباب . .

فى الفجر ذهب الى الجامع . . وكل شىء يرتعش . . وصوته قد بلله العرق فأصبح واهنا . . وعندما وقف ليؤم المصلين للصلاة . . أحس بالخفاش ينقر حدقتى عينيه . . وبالنصل الملتمع يقترب من جبهته . . وبعينى الشيخة تحاصرانه وتقفان فى مواجهته . . تلعثم وهويقرأ . . وجاهد لكى يملك صوته . . وأحس بشفتيه جافتين . .

وبصوته غريبا عنه . . وارتج عندما أحس بشىء يسقط داخل صندوقه الصدرى . .

التفت الى المصلين . . فوجدهم ينظرون اليه فى دهشة . . وعندما حدق فيهم . . رأى عينى الشيخة فى وجوههم . .

وأحس بعيونهم تقترب . . وتتقافز . . وكأنها عشرات الضفادع . . تثب عليه . . حاول أن يصرخ . . لكن صوته انحبس داخله . .

همس صوت

ـ ماذا جرى لك ياسيدنا . . ؟

التفت . . ليجد آلاف الخفافيش تنقر عينيه . . وآلاف الخناجر الملتمعة تقترب منه وتحيط به . . فتراجع مذعورا وهويصرخ . .

ـ لا . . لا . . ابعدوا عنى . . ابعدوا عنى . .

وقفز الى الشارع حافى القدمين . . يجرى وهو يصرخ . . كأنه ذئب أصيب بطلق نارى . . والناس فى ذهول غير مصدقين . .

وأمام بيت الشيخة . . رفع رأسه الى شباكها . . فاصطدمت عيناه بعينيها الغائرتين . . تنظر اليه فى صمت واشفاق . .

صرخ وكأن آلاف العقارب تحت جلده .

ـ لا . . لا . .

وارتمى على الارض . .

وعندما أفاق لم يجد صوته .

أصابه الخرس . .

وارتمى الشيخ فى بيته لا يبرحه . . يجلس فى شباك بيته الصغير . . كأنه ينظر للدنيا من خلال طوق نجاة . .

وينظر للطريق . . عيناه عليه . .

انه ينتظر الغائب . .

انه فى انتظار زوج الشيخة صابرين . .

فى انتظار أن يحدث ذلك الشىء الأكيد . . والذى لابد له أن يحدث . . وهو واثق تمام الثقة . . أنه سيتكلم عندما يعود الزوج الغائب . .

لكنه لايعرف على وجه التحديد متى يعود . . !! ؟

فقد يعود فى الفجر . . أو مع أول ضوء فى الصباح . . أوعندما يسبح طائر الكروان فى السماء ربه : « الملك لك . . الملك لك . . !! ؟ » □

الأمن الغذائي

في برامج المنظمات والهيئات الدولية

استطلاع : صادق يلي

« على تخوم الوطن العربي وقريبا منه ، بل وحتى في بعض بلدانه ، زحف الجوع والجفاف وانخفض المطر وقلت انتاجية الأرض ، وأطل شبح الجوع حاملا معه الموت من وسط أزمة غذاء تأخذ بخناق هذه الدول ، فماذا فعلنا في الوطن العربي لتجنب زحف الجفاف وانخفاض المطر ؟ ، هذه محاولة لحمايتنا من نذر المستقبل »!

٩٤٨ هكتاراً هي المساحة الكلية لمحطة الأبحاث الزراعية في تل حديا التي تبرعت بها حكومة الجمهورية العربية السورية لاقامة مراكز البحوث الزراعية عليها .

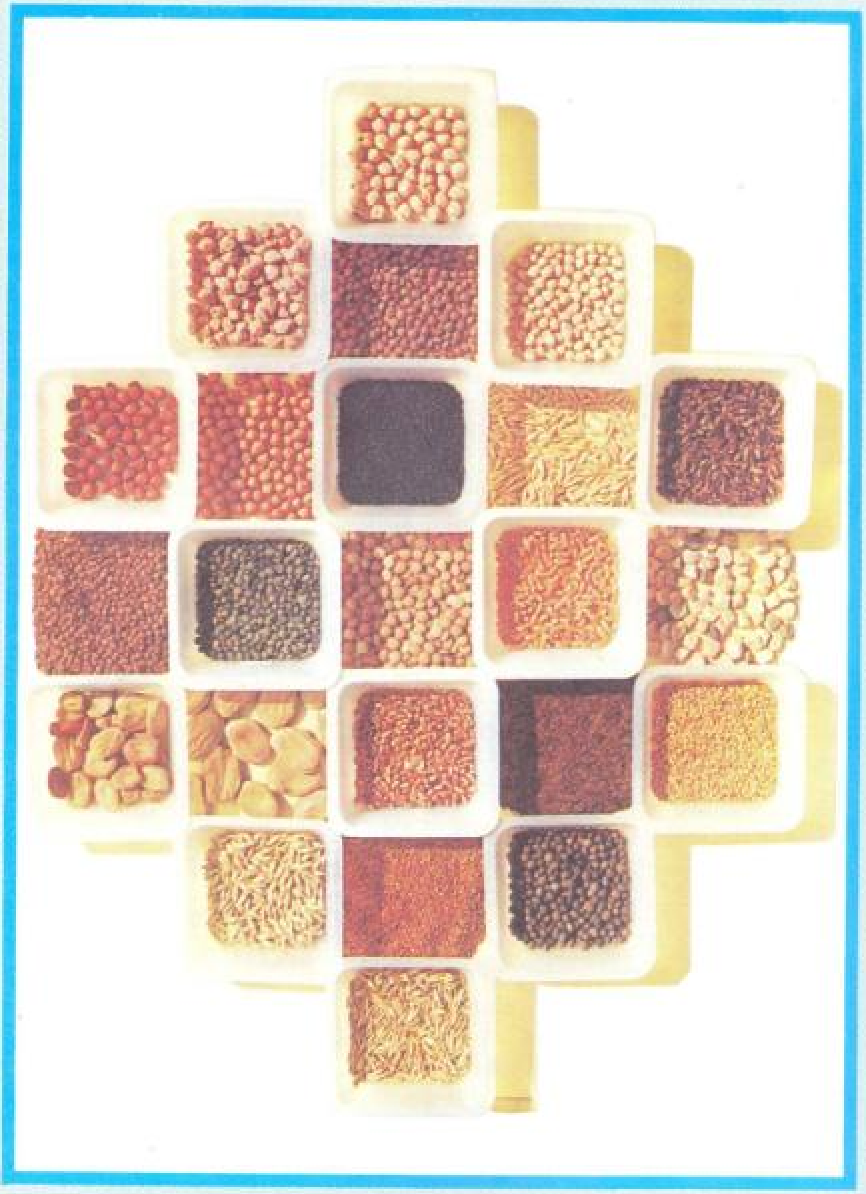

القمح والشعير والفول والعدس والحمص هي المواد الغذائية الأساسية التي تدخل ضمن برامج المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (ايكاردا) .

ظهر مصطلح « الامن الغذائي » كتعبير أزمة عندما عقدت منظمة الأغذية والزراعة للامم المتحدة إجتماعا في روما عام ١٩٧٤ ، لتدرس الرؤ يا الكابوسية بأن شبح المجاعة لا يزال يخيم على المجتمع البشري . واستطاع هذا المؤتمر أن يضع بعض التصورات لاستغلال الموارد الطبيعية في توفير « الأمن الغذائي » . ومنذ ذلك التاريخ بدأت الهيئات والمنظمات الدولية المختلفة تنفيذ برامج محددة لزيادة انتاجية المشاريع الغذائية ، واستصلاح مزيد من الأراضي غير المستصلحة ، ومكافحة التصحر ، وغير ذلك من برامج تصب في خدمة ذلك الهدف الكبير .

ان مشكلة الغذاء تعد من أكبر المشاكل التي تواجه العالم ، وخصوصا في المناطق التي تعتمد في زراعتها على ما تجود به السماء من أمطار ، وهناك عوامل عديدة ساهمت في تفاقم مشكلة الغذاء ، من أهمها اشتداد موجة الجفاف ، وانخفاض معدلات الانتاج للمحاصيل الغذائية الأساسية ، ثم تعاظم الطلب على المواد الغذائية ، بتأثير نمو السكان بمعدلات مرتفعة للغاية ، وكانت النتيجة ان اتسعت الفجوة بين الطلب على الموارد الغذائية وبين ما ينتج منها ، ومن المتوقع أن تصل هذه الفجوة في منطقتنا العربية الى أرقام عالية ، قدرت من قبل المنظمات الدولية بحوالي ٥٢ مليون طن ، تشكل الحبوب وحدها الثلثين ، ومن أجل ذلك كان لابد من تركيز الجهود التنموية لزيادة الانتاج من المواد الغذائية الأساسية ، ومن خلال رفع مستوى مردود المحاصيل الغذائية ، والتوسع في زراعة هذه المحاصيل ، والى توفير موارد مالية خارجية لتلبية احتياجات برامج التوسع الزراعي في بلادنا العربية ، وكذلك دعم وتعزيز البحوث الزراعية الهادفة الى زيادة انتاجية المحاصيل الزراعية .

وفي حلب الشهباء ، عاصمة الشمال السوري ، نظم الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي بالتعاون مع المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (ايكاردا) مؤتمرا بعنوان « المؤتمر العربي للبحوث الزراعية على المحاصيل الغذائية الاساسية »

ايكاردا

ونحن اليوم نريد أن نسلط الضوء على نشاطات أحد هذه المراكز الدولية ، التي تهتم بالبحوث الزراعية ، وهو المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة ، ومقره مدينة حلب في الجمهورية العربية السورية ، واختصر اسم هذا المركز الى « ايكاردا » . وهو جزء من شبكة عالمية تشرف عليها المجموعة الاستشارية للبحوث الزراعية الدولية ، تمتد خدمات هذا المركز من المغرب العربي غربا ، حتى باكستان شرقا ، ومن تركيا شمالا حتى السودان جنوبا ، وتشمل ٢٢ بلدا ، يزيد عدد سكانها عن ٣٠٠ مليون نسمة . ومن المعروف أن هذه المناطق التي يخدمها المركز تعاني من نقص كبير في الغذاء ، اذ تضطر الى استيراد المحاصيل الزراعية أكثر مما تصدر ، ومما يزيد من مشاكلها تعرض المنطقة المتواصل للجفاف وانخفاض الأمطار ، بالاضافة الى انتشار الأمراض والحشرات الضارة ، مما يؤدي الى نقص الانتاج ، وزيادة الاعتماد على الاستيراد ، لذلك تتركز أبحاث « ايكاردا » بشكل أساسي على الأنظمة الزراعية البعلية في المناطق التي تنخفض فيها معدلات الأمطار الشتوية ، كما تعمل على توسيع نطاق أبحاثها ، حيث تشمل المناطق المروية أيضا .

يقول الدكتور محمد عبدالله نور المدير العام للمركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة « ايكاردا » « ان أبحاث المركز تتركز بصورة عامة على محاصيل الشعير والعدس والفول ، وهناك مسؤولية اقليمية اخرى يتولاها المركز ، وهي تحسين القمح الطري والقمح الصلب والحمص ، كما تنصب بحوث المركز على المحاصيل العلفية الرعوية ثم الأنظمة الزراعية » .

ويضيف الدكتور نور قائلا : « يتألف برنامج المركز من أربعة برامج رئيسية ، وهي برنامج الأنظمة الزراعية ، وبرنامج تحسين محاصيل الحبوب ، وبرنامج تحسين البقوليات الغذائية ، وبرنامج تحسين المراعي والأعلاف والمواشي ، وهناك أقسام رئيسية اخرى تعمل لمساعدة البرامج الأولى وهي : وحدة المصادر الوراثية ، وقسم التدريب ، وقسم الاعلام والتوثيق ، ثم قسم خدمات الكمبيوتر .

شام ١ شام ٢

ان أهم انجاز قامت به (ايكاردا) خلال عملها ، هو اعتماد الحكومة السورية توزيع صنفين جديدين من القمح القاسي والقمح الطري تحت اسم شام ١ وشام ٢ ، بعد أربع سنوات من الاختبار والتقييم ، في حقول المزارعين في أنحاء مختلفة من سوريا ، وذلك من خلال برنامج التعاون العلمي المشترك بين وزارة الزراعة و (ايكاردا) .

يقول المسؤول المختص عن هذا البرنامج : « ان هذين الصنفين يمتازان بكفاءة عالية ، فحبوب شام ١ تتمتع بخصائص نباتية جيدة ، وذات نوعية ممتازة ، بالاضافة الى كفاءتها الانتاجية العالية ، وقدرتها الكبيرة على التأقلم ، ويضيف قائلا : وبالرغم من أن هذا الصنف معروف بمقاومته لمرض الصدأ المخطط ، الذي يصيب عادة سنابل القمح ، الا أنه قابل للاصابة بمرض التفحم ، وهو مرض يمكن مقاومته بمعالجة البذور بالمطهرات الفطرية .

أما صنف القمح الطري شام ٢ فهو الآخر هجين يمتاز بقدرة انتاجية عالية ، وقد مر باختبارات عديدة لمدة أربع سنوات ، في حقول المزارعين تحت ظروف الزراعة المروية ، وفي المناطق ذات معدلات الأمطار العالية ، كما أثبت مقاومته للامراض ، ويمتاز شام ٢ بجودته العالية لصناعة الخبز ، واحتوائه على نسبة عالية من البروتين .

وقد تم اكثار بذار هذين الصنفين من قبل مؤسسة اكثار البذار السورية ، تمهيدا لتوزيعها على المزارعين ، وأوصت « لجنة اعتماد الأصناف » بزراعة شام ١ في المناطق البعلية ذات معدلات الامطار العالية ، في حين أوصت بزراعة شام ٢ المناطق المروية ، أو المناطق المرتفعة الأمطار ، كما ثبت أن القمح الصلب شام ١ صنف مبشر في بلدان أخرى من دول المنطقة .

الشعير

ويأتي الشعير كأحد الأنشطة الأساسية في برنامج عمل (ايكاردا) فكانت تونس المكان الذي اختير لاجراء البحوث الزراعية على أرضها ، فمن المعروف أن للشعير دورا غذائيا هاما ، وخصوصا في المجتمعات الريفية المحدودة الدخل ، وذات الطبيعة القاسية والأمطار القليلة ، فالشعير يساهم بقسط وافر من الطاقة الغذائية في مثل هذه المجتمعات ، الا أن النسبة العظمى لاستهلاك الشعير يتمثل في صناعة الأعلاف ، نظرا للتقدم في تربية وتسمين الحيوانات والدواجن في أقطار شمال أفريقيا ، حيث يبلغ ما يستهلك لهذا الغرض حوالي ٥٠٪ من اجمالي الشعير المنتج سنويا ، كما يلعب الشعير دورا كبيرا في تغذية الحيوان خصوصا في المناطق الجافة أو شبه الجافة ، وقد أثبتت الدراسات أن قيمة التبن تمثل ٣٩٪ من القيمة الاجمالية لمحصول الشعير ، وترتفع هذه القيمة في السنوات التي يشح فيها المطر .

لهذا كان لابد من قيام تعاون وثيق بين (ايكاردا) وبين البرامج الوطنية في المغرب العربي ، فقد قام المعهد القومي للبحوث الفلاحية ، والمعهد القومي للعلوم الفلاحية في تونس باستنباط أصناف جديدة من القمح الطري والصلب والشعير ، تكون ملائمة للمناخ في تونس .

يقول أحد المختصين عن هذا البرنامج : « لقد تم الحصول على أربعة أصناف جديدة ذات انتاج عال وهي (كريم وبن بشير) من القمح الصلب (تانيت وصلامبو) من القمح الطري ، أما بالنسبة للشعير فقد استنبط المزارع التونسي صنفين هما (مارتان وسيربس) ، ويضيف المختص قائلا : « لقد حققت هذه الأصناف انتاجا متطورا ، وذلك بفضل التحسين المستمر للتقنيات الزراعية من مستلزمات الانتاج ، كالبذور والأسمدة الكيمائية ومبيدات الحشرات وادخال الميكنة الزراعية ، فقد ارتفع الانتاج من ٤٠٠ كغ للهكتار سنة ١٩٧٠ ، الى ١٠٣٠ كغ عام ١٩٨٣ للقمح الصلب ، ومن ٣٧٠ كغ للهكتار ، الى ٨٦٠ كغ للهكتار بالنسبة للشعير خلال نفس الفترة .

ان برنامج تحسين الشعير في تونس الذي تتولاه (ايكاردا) قد توصل الى انتخاب ثلاثة اصناف جديدة من الشعير أطلق عليها (تاج وفائز وريحان) ، وتمتاز بأنها متفوقة على انتاج البذور المحلية المزروعة في تونس ، وقد أظهرت التجارب المشتركة في السنوات القليلة الماضية وجود سلالات شعير مبشرة ، أعطت تفوقا ملحوظا على كافة الأصناف المحلية والمحسنة ومنها صنف (ريحان) .

عزل أصناف الفول بإحاطتها بزراعة أصناف من النباتات مبكرة الأزهار لجذب الحشرات إليها

وحدة الأصول الوراثية من الأقسام الهامة في (إيكاردا)

قياس رطوبة التربة ، باستخدام جهاز التترون روب

دى التجارب العلمية الزراعية ضمن برامج ايكاردا المتعددة

متدربة تقوم بتسجيل التطورات التي تحدث للنبات

أجهزة الكمبيوتر لها دور كبير في التجارب الزراعية في ايكاردا

البقوليات : الفول والعدس والحمص

تعتمد الملايين من سكان مصر والسودان وخصوصا الفقراء وذوي الدخول المحدودة على الفول كوجبة رئيسية ، وقد تزايد الطلب على الفول خلال السنوات الأخيرة ، بحيث لم يعد الانتاج المحلي يكفي للايفاء بالطلب ، ومع تزايد عدد السكان أصبحت الحاجة ملحة لتبني سياسة رشيدة ، لتوفير هذه المادة الضرورية ، فقد انخفض انتاج الفول في مصر في السنوات الأخيرة ، وتناقصت المساحات المزروعة بالفول من ١٤٧,٨٦٠ هكتارا خلال السنوات من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ ، الى ١١٠,٩٥٣ هكتار خلال السنوات ١٩٧١ ـ ١٩٨٠ ، نتيجة عوامل عديدة ، لعل من أهمها منافسة المحاصيل الشتوية الأخرى ، كالقمح والبرسيم ، كما رافقت هذه زيادة في الطلب ، نتيجة للنمو السكاني السريع ، مما اضطر الى استيراد ١٣٧ ألف طن من الفول عام ١٩٨٠ .

لذلك جاء مشروع وادي النيل الذي تبنته (ايكاردا) والصندوق الدولي للتنمية الزراعية (ايفاد) ومنظمات اخرى دولية ووطنية من مصر والسودان ، ممثلة في وزارات الزراعة في كلا البلدين ، تتويجا لهذا المشروع الحيوي ، فقد أثبتت نتائج الدراسات في محطات البحوث الزراعية امكانية زيادة الكفاءة الانتاجية لمحصول الفول بنسبة كبيرة ، اذ بلغ متوسط الانتاج في محطات البحوث ٥٢,٨ طنا مقابل ١,٦ طنا للهكتار في حقول المزارعين . ومن المعروف أن محصول الفول له أهمية زراعية ، حيث يعمل على تحسين خصوبة التربة ، بما يثبته من أزوت جوي عن طريق العقد البكتيرية ، يقول أحد المختصين في برنامج البقوليات ودور (ايكاردا) في هذا المجال : « ان (ايكاردا) تساهم بدور فعال في انجاح مشروع وادي النيل ، حيث تقوم بتقديم المساعدات العلمية والفنية والادارية ، اذ يشترك علماؤها في الاجتماعات السنوية ، ووضع البرامج البحثية ، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات والزيارات الميدانية لمواقع التجارب ، كما أنها تقدم أيضا مساعدات جليلة للبرنامج الوطني في السودان ، عن طريق تزويدها بالتجارب الدولية لمحصول الفول بمختلف أنواعها ، والطرز الوراثية المختلفة لتقييمها واختبارها تحت الظروف البيئية للبلاد ، وعمل التهجينات بين السلالات المبشرة ، وذلك في المزرعة الرئيسية (لايكاردا) في حلب ، وتقديمها للبرامج الوطنية في مصر والسودان ، وهذه التجارب تهدف الى الجمع بين العوامل الوراثية المرغوبة ، التي تؤدي في النهاية الى امكانية استنباط أصناف جديدة عالية المحصول ، ومقاومة للأمراض والحشرات والأعشاب الطفيلية ، وذات جودة ممتازة .

ولما كان العدس والحمص من البقوليات الأساسية ، فقد أولت (ايكاردا) هاتين الغلتين اهتماما جيدا ، وذلك باستنباط الطرز الوراثية ، أو الأصناف التي تتمتع بالصفات الفينولوجية المناسبة ، ذات القدرة على تحقيق غلة عالية وثابتة في كل من المناطق البيئية الثلاث لانتاج العدس ، وهي المنطقة المرتفعة ، ومنطقة البحر المتوسط ، ذات الارتفاع المتوسط والمنخفض ، ثم المنطقة الجنوبية التي تضم بنجلادش ومصر وأثيوبيا والهند وباكستان والسودان ، فقد شملت أبحاث (ايكاردا) على الصفات الخاصة في التراكيب الوراثية لهذا النبات في المناطق المرتفعة ، بحيث يتحمل البرودة ويقاوم الذبول ، وبالنسبة لبرنامج تحسين الحمص ، فقد ساهمت (ايكاردا) مع المركز الدولي لبحوث المناطق الاستوائية شبه القاحلة (اكريسات) في زيادة انتاج الحمص الكابولي ، وذلك عن طريق استنباط طرز وراثية متفوقة ، مع تحسين طرق الانتاج ، وجعلها في متناول البرامج الوطنية ، يقول أحد علماء ايكاردا المختصين في هذا البرنامج : « لقد استمر اهتمامنا في موسم ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ على تطوير الأصول الوراثية للحمص الكابولي ، واستطعنا استنباط سلالات عالية الغلة ومقاومة للتبقيع الاسكوكيتي ، وهذه الاصناف اقل حساسية لطول الفترة الضوئية ، مع المحافظة على جودتها من الناحية الغذائية والخواص المتعلقة بالطهي ، ولتوضيح مدى الاهتمام الذي نوليه لغلة الحمص فقد بلغت الأصول الوراثية التي يقتنيها بنك الأصول الوراثية (بايكاردا) في الوقت الحاضر ٥٣٤٠ طرازا ، منها ٩٢٠ طرازا أضيفت في موسم ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ ، وقد استطعنا استنباط ٨٤٠ طرازا من الطرز الموجودة في بنك الأصول الوراثية ، عن طريق التهجين ، وهي تمثل ٣٤ بلدا ، وأكبر عدد

الدكتور محمد عبدالله نور/ المدير العام

من هـذه الطرز الـوراثية جـاء من ايران ، ثم من افغانستان ، وتركيا ، وشيلي ، واسبانيا ، وتونس ، والهند » ويضيف المسؤول عن هذا البرنامج قائلا : « ويدل تقييم الاصول الـوراثية عـلى أنه من المفيـد الحصول على مجموعات اضافية من الاتحاد السوفيتي ، لاستخدامها في انتخاب الأصول المقاومة للتبقع الاسكوكيتي والصقيع ، وتمتاز بأن نباتاتها تكون طويلة ، لانتخاب السلالات ، الكبيرة البذور وذات المحصول المرتفع » .

الأعلاف والمراعي

ومن البرامج الأساسية التي تتولاها (ايكاردا) برنامج تحسين محاصيل الأعلاف والمراعي ، الـذي يتمثل في زيادة المراعي والأعلاف المتاحة للحيوانات الزراعية ، فضلا عن تحسين خصوبة التربة كخطوة أولى في سبيل زيادة غلة محاصيل الحبوب ، يقول المسؤول عن هذا البرنامج : « المعروف عن محاصيل الأعلاف الحولية بأنها تلك المحاصيل التي تعاد زراعتها سنويا بقصد الحصول على الدريس أو الرعي ، أما المراعي فهي المساحات الخضراء التي تتجدد من تلقاء نفسها ، وتستخدم أساسا لغرض الرعي ، اننا نركز بحوثنا على استغلال الأراضي التي تترك بورا ، لان توالي زراعة محاصيل الحبوب سنة بعد أخرى يؤدي الى انخفاض المحصول ، لذلك فان زراعة المحاصيل الرعوية أو المحاصيل العلفية قد تساعد في مرحلة لاحقة على تحسين غلة الحبوب ، لأن محاصيل الحبوب تستفيد من زيادة خصوبة التربة ، نتيجة لتثبيت الازوت الجوي بفعل محاصيل الأعلاف البقولية أو المراعي » .

ويضيف المسؤول قائلا : « وقد تمكنا من التعرف على الفصة الحولية أو (النفل) كمحصول بقولي حولي ملائم لظروف التربة والمناخ السائدين في شمال سوريا ، وترجع أهمية هذا النوع الى قدرته على البقاء في مواسم الشتاء الباردة ، وقدرته على تكوين البكتيريا العقدية ، وانتاج محصول عال من المادة الخضراء ، وقد استطاع برنامج الأعلاف أن يطور على نطاق واسع نظها لانتاج الدريس ، مستخدما في ذلك أصنافا من البازلاء العلفية والبيقية ، وكذلك التعرف على العديد من الأمراض التي تصيب المحاصيل الرعوية والعلفية ، وتحديد شدة الاصابة بهذه الأمراض .

في كلمة ألقاها الدكتور محمد العمادي المدير العام للصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي سابقا ، في المؤتمر العربي للبحوث الزراعية على المحاصيل الغذائية الاساسية ، الذي عقد في حلب في ابريل من هذا العام قال : « ان ما يقوم به المركز الدولي للبحوث الزراعية من جهد في مجال البحث الزراعي على المحاصيل الاساسية للغذاء ، انما يجسد خطوة على الطريق الصحيح لدفع عملية الانتاج الزراعي ، والاسهام في تحقيق الأمن الغذائي في عدد من محاصيل الغذاء الأساسية . وتشكل برامج التعاون العلمي بين (ايكاردا) وعدد من الاقطار العربية ، في محاصيل القمح والشعير والفول ، والتطبيقات العملية للأصناف المحسنة من هذه المحاصيل تشكل الادلة الملموسة لهذا الجهد في المناطق البعلية الجافة من وطننا العربي . □

يدٌ واحدةٌ لإهدائه
ويدان لتعداد وظائفه

طقم مولينكس ثلاث هَدايَا سوبر د

الكل يعلم أن الفكرة قبل الهدية. إليكم فكرة رائعة
مضمُونة من مولينكس: طقم ثلاث هدايا سُوبَر ديلوكس
في مجموعة جذابة.
طقم مولينكس ثلاث هدايا سُوبَر ديلوكس: يَدٌ وا
ويَدان لتعداد وظائفه.
إن طقم الهدايا مولينكس، بمُحركاته الأساسيّة الثلا
ما يزيد عن عشر وظائف مختلفة... بسهولة وإتقان. ف
شارلوت ٣ مع ملحقاتها هي أداة فعّالة للفرم والبَرش وا
وسَحق الثلج. ومَع سُوبَر بلندر/ مكبّر المجهّز بوعاء صلـ
تصبح عمليات المزج والخلط في غاية السهول
إضافة مُلحق الطحن تحصلون على خير
البن والبهارات.
أما خفاقة ماجور، المجهّزة بثلاث سُرعا
فتريحكم من عناء خفق الكريما والبيض وتح
العجينة للحلويات.
طقم مولينكس ثلاث هدايا سوبر ديلوكـ
رائعة وأجمل هديّة.

Moulinex®

سلمت يداك يا

مولينكس®

صنع فرنسا

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

في تونس يحمون الفتيات من الضياع

« الظاهرة ليست وقفا على الوطن العربي ، بل هي ظاهرة في العالم الثالث كله ، ونعني بها ظاهرة الانقطاع عن التعليم في فترة ما ، وتصبح الظاهرة أكثر ايلاما عندما يكون الانقطاع من الفتيات اللواتي يواجهن الحياة بأدوات قليلة !! » .

نخطىء كثيرا لو فصلنا الدوائر المتصلة ، حتى لو كان هذا الفصل من قبيل التبسيط لأجل الفهم ، وعندما نعترف أن الوطن العربي يعاني من مشكلة اجتماعية ، فليس منطقيا ولا ممكنا فهمها في اطار جزئية واحدة من جزئيات المشكلة .

فعندما نقول ونعترف مع تقارير المنظمات الدولية أن هناك حالات تسرب من التعليم ، فان هذا التسرب والانقطاع ليس سببه اتجاه هؤلاء التلاميذ الى سوق العمل ، ومساعدتهم في زيادة الدخل ، كما يحدث في معظم الأسر الريفية والبدوية في وطننا العربي ، ليس هذا هو السبب فقط ، فهناك أيضا الثقافة الاجتماعية ، وهناك الظروف الاقتصادية ، وهناك الأسباب القهرية التي تضيع معها محاولة الحصر . والمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي في أحد تقاريرها تقول ان ٨٠٪ من جرائم الأحداث ارتكبها أحداث انقطعوا عن التعليم ، لأسباب اجتماعية واقتصادية مختلفة .

هل فكر أحدنا . . ماذا تفعل فتاة عربية انقطعت

فتيات يتفنن في صناعة مصابيح الاضاءة الخافتة

عن التعليم وفقدت ـ كما يحدث كثيرا ـ مورد رزق مستمر وكريم ؟

وماذا تفعل هذه الفتاة اذا تزوجت ثم بعد فترة لسبب أو لآخر راح الزوج ـ اما بالموت أو الانفصال ـ كيف تعيش وكيف تحيا ؟

في تونس كانت هذه الأسئلة تؤرق مجموعة من النساء في الاتحاد النسائي . . . وبهدوء وصبر ودأب بدأن يضعن حلا بسيطا وعميقا وجديدا .

بداية القصة :

السيدة عزيزة داود عضو المكتب التنفيذي للاتحاد القومي النسائي ، ومديرة معهد بورقيبة للتكوين المتواصل تحكى عن المعهد وتقول :

كانت البداية تساؤلات في ذهننا نحن أعضاء الاتحاد النسائي عن مصير الفتاة التي تنقطع عن التعليم لسبب أو لآخر ، وبخبرتنا في الحياة كنا نخاف على بناتنا من أن يجرفهن الضياع ، اذا لم نفكر في شيء

● الفتيات وقت الراحه .. يجلسن فى الحديقه التى تتوسط المعهد .

ـ فتاة تتعلم إصلاح الأحذية

ـ تجليد الكتب مهن جديدة على بنات حواء .

بحميهن ، وأنا أعني بالضياع كل معانيه النفسية ، والانسانية ، والأسرية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والاخلاقية .

ولمعت في ذهننا فكرة لماذا لا نعلم الفتيات مهنة أو حرفة يتكسبن منها ، وتساءل كثير من الناس أين وكم وكيف و . . . ؟ وعديد من الأسئلة التي لو فكرنا في بالاجابة عنها لاكتفينا من الفكرة بالنقاش .

وبالفعل تجاهلنا كل هذه التساؤلات ، وبدأنا في مبنى مدرسة ابتدائية في صيف أخريات عام ١٩٦٨ ، بستين فتاة تقدمن الينا للالتحاق بثلاثة تخصصات ، وكتبت الصحافة التونسية عن التجربة ، ومع نهاية العام الأول كان لدينا ٣٥٠ فتاة . وفي اكتوبر ١٩٧٠ افتتح الوزير الأول مبنى المعهد الحالي ، الذي بني وفق تقسيم يتناسب طبيعة المعهد وفكرته ، من حيث فصول دراسة وورش تدريب ومساكن مناسبة .

صورة من قريب

مبنى أبيض من طابق واحد . . وسطه حديقة كبيرة ، على بابه الحديدي لافتة **معهد بورقيبة للتكوين المتواصل « الزهور »** ، يحتوي المبنى على ٢٠ ورشة عمل وتعليم ، و٤ قاعات تدريس ، بالاضافة الى عدد من الورش الصغيرة ، وأجنحة البيت ، وقاعة الطعام والمبنى الاداري .

في هذا العام بلغ عدد الفتيات ١٢٠٠ طالبة ، موزعات على ٤٣ تخصصا . . منهم ٣٥٠ فتاة يبتن في المعهد في اقامة كاملة .

ونظام القبول في المعهد يتسم بالمرونة ، كي يستوعب كل الحالات المحتملة ، فمدة الدراسة إما عام واحد أو ثلاثة أعوام أو خمسة أعوام ، وعند فتح باب التقديم للقبول في أوائل العام الدراسي يتم تصنيف المتقدمات الى متعلمات وحاصلات على شهادة مدرسية ، وأميّات ، وبناء على المستوى يتم توجيه الطالبة الى التخصص والمهنة المناسبة ، والمرونة ليست في المستوى الثقافي فقط ، بل في سن القبول ، والذي لا يحدد بسن معينة .

السيدة داود مدير المركز

وتمنح حق المبيت للفتاة اذا كانت اقامة أسرتها تبعد أكثر من ١٢ كيلومترا عن المعهد .

كيف تمضي الفتيات أيام الدراسة ؟

يبدأ اليوم الدراسي في الساعة الثامنة صباحا ، فتتوزع الفتيات على التخصصات المختلفة ، وحسب برنامج اليوم ، أما ورش عملية ، أو محاضرات نظرية ، فنظام الدراسة يحدد ساعات التعليم أسبوعيا بـ ٣٠ ساعة تطبيقية و٦ ساعات ثقافية ، وتنتهي الفترة الأولى في الثانية عشرة والنصف ، وتمنح الطالبات ساعتين للراحة ، يتناولن فيها طعام الغداء ، ثم يعدن من الثانية وحتى الخامسة والنصف ، حيث ينتهي اليوم الدراسي ، فتنقل الطالبات السيارات الخاصة بالمعهد لتعود بهن الى بيوتهن ، وتذهب الطالبات الداخليات الى أجنحة السكن . . للقراءة أو الاستذكار أو انجاز أعمالهن الخاصة .

وداخل الورش يفاجأ الانسان بمهن لم يكن يتصور أن تعمل فيها فتاة ، مثل صناعة الأحذية ، تصليح

دروس في الكي والتنظيف

الساعات ، النجارة ، والتجليد والتصوير والحلاقة وتصليح الادوات الكهربائية والدباغة وصناعة أطقم الأسنان الصناعية ، هذا بالاضافة الى المهن والحرف التقليدية مثل الحياكة والتطريز وصناعة الخبز والحلوى والطهو والنسيج ... الخ وتجميل الأظافر والتنظيف على البخار وأعمال الصيدلة ... الخ .

الى أين ؟

في نهاية الجولة سألت مديرة المعهد الى أين تذهب الفتيات بعد التخرج .. ؟ فأجابت بجملة واحدة يتخاطفهن سوق العمل ، وكل عام قبل موعد التخرج تنهال على المعهد اتصالات من جهات حكومية وأهلية تسجل رغبتها في توظيف عدد معين من الخريجات حسب التخصصات المختلفة .

نسأل مرة أخرى عن تمويل المعهد ؟ فتقول السيدة عزيزة داود هناك مصاريف رمزية من الطالبات لا تزيد في أقصى حد عن عشرة دنانير تونسية ، وتختلف قيمة المصاريف حسب التخصص ، أما الفتيات المعوزات فان مشروع التنمية الريفية يتحمل مصاريف تعليمهن ، ويتلقى المعهد معونات مادية ومعنوية من أكثر من جهة حكومية ، لتكفل له الاستمرار في تأدية رسالته .

ويظل هناك سؤال لا يقدم أحد اجابة له ، لماذا لا تحاول كل الجمعيات والهيئات والمؤسسات على امتداد خريطة وطننا العربي أن تقتدى بهذا النموذج ؟ أليست قيمة العمل الاجتماعي والسياسي في أروع معانيها هي في خدمة الجماهير ومساعدتها على مواجهة الحياة وتجميلها ؟

لا يختلف معنا احد في أنه ليس هناك ما هو أجمل من أن نحمي زهراتنا من الضياع ؟ فلماذا لا نكف عن الحديث الطويل ، ونبدأ جميعا في العمل ؟! □

محمود عبد الوهاب

الأب المتسلط ...

ماله وما عليه

بالرغم من التغيرات الكثيرة التي دخلت على حياة الأسرة العربية ، واقتراب أو ابتعاد الوالدين من نفسيات الأبناء ، فان صورة الأب المتسلط ما زالت باقية في حياة بعض الأسر ، مما يؤثر على الحياة المستقبلية للأبناء .

فما رأي المختصين والآباء والأبناء في هذا الأمر ؟

قال لنا الدكتور عزت اسماعيل ـ استاذ علم النفس بكلية الآداب بجامعة الكويت ـ : تتعدد اتجاهات الأهل في معاملة صغارهم وتربيتهم وتوجيه سلوكهم ، والواقع أن الذين يسببون « الأذى » بكل أشكاله لأولادهم هم هؤلاء الذين يعانون من مشكلات نفسية خاصة ، ويشتركون جميعاً في أنهم لم ينعموا في صغرهم بالحب والتربية الصحيحين داخل أسرهم ، وأغلب هؤلاء الآباء يغفل عن أن طفله لا علاقة له بتقصير والديه في شأنه وهو بعد صغير .

ما هو التسلط . . ؟

ويستمر د. عزت قائلاً : وأساليب التربية الخاطئة متعددة ، وكلها تؤدي الى الاخفاق في اعداد جيل سليم ، مثل التسلط والقسوة والتدليل الزائد والتفرقة في المعاملة ، والتردد وايذاء النفس بالألفاظ أو بالضرب .

والتسلط هو في الواقع استخدام الأهل للسلطة في توجيه سلوك الأبناء ، فبدلاً من الاعتدال في تربية الصغير تكون المبالغة في متابعة حركاته وسكناته ، وفرض القوانين عليه اينما توجه ،

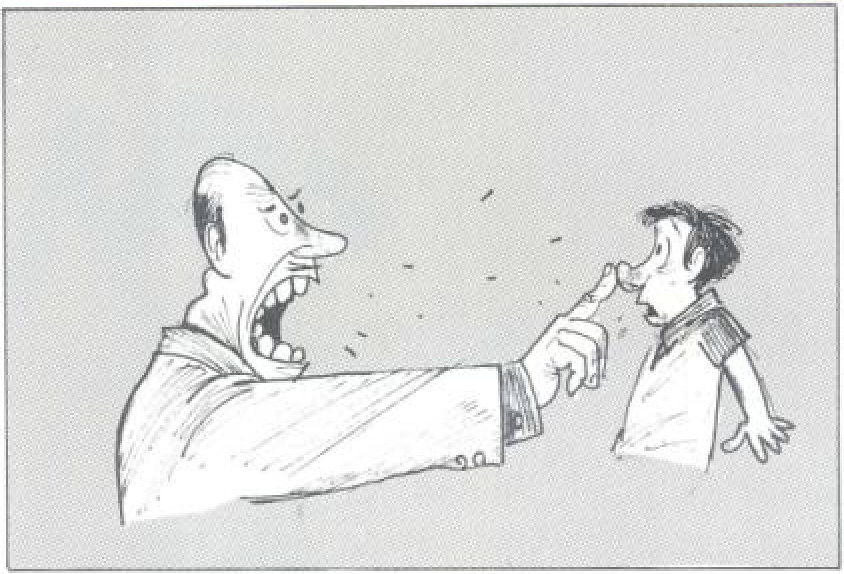

فالسلطة دون ايذاء هي التي يقبلها الأبناء ويردون عليها بالاحترام والثقة ، أما التسلط فهو المثير الأول لدوافع الكراهية والغضب ، لأنه يكون مقروناً بالقسوة في المعاملة وهو سلوك لا يتفق مع عطف وحنو الوالدين .

ويتابع د. اسماعيل حديثه يقول :

ان الأب المتسلط لديه دائماً أعذار يبرر بها سلوكه ، وهي الخوف الشديد على مستقبل الابن وحمايته من الانحراف ، وبالطبع ليس العنف هو الشكل السليم للتعبير عن حب الآباء لأبنائهم ، وحتى يكون ما نقصده واضحاً فإنني لست ضد الحزم أو حد العقاب اذا اقتضت الضرورة .

هذا من ناحية سلوك الآباء ، ولكن كيف يتأثر الابن بذلك ؟ هل يحقق تكيفاً وتوازناً في حياته وعلاقاته بعد ذلك ؟ هل ينجح الابن الذي نشأ في بيئة متسلطة في حياته ؟ .

كيف ينجح الابن ؟

ويجيب د. محمد رفعت عيسى عن هذا السؤال فيقول : لنحدد أولاً ما هو النجاح .. فالانسان ليس هو الذي أصاب تعليماً عالياً أو حصل على أرقى الشهادات .

فهذا يعد تفوقاً ظاهرياً ، فالنجاح الحقيقي يعني أن يتمتع الانسان بشخصية متوازنة علمياً وعاطفياً واجتماعياً ، فتكون له علاقات حميمة مع الأهل والأصدقاء ، ونعود الى حديثنا عن الابن المضطهد أو المقهور من قسوة أبيه . هذا الابن لا يمكن أن يصبح شخصية مستقلة ، ولكنه يظل يعاني سلوكاً قلقاً بين رغبته في الاستقلال وبين تأثره بشخصية والده المستبدة التي كثيراً ما تترك بصماتها على نفسه ، وتنعكس على أبنائه في المستقبل بشكل أو بآخر .

وهنا يجرنا الحديث الى تساؤل آخر ، هل يمكن أن يكون للأب المتسلط وجه ايجابي واحد .

ماذا يقول الأبنـــــاء . . ؟

يقول فاروق بعد تجربة عمرها أكثر من عشرين عاماً في تربية أربعة من الأبناء الذكور ، أؤكد أن الأب لا بد أن يلتزم خطاً جاداً يصل الى الحدة في بعض الأحيان ، فالابن لا بد أن يشعر بقوة أبيه وسيطرته على حياة الأسرة بشكل دائم ، حتى لا يغفل عن واجباته تجاه نفسه ، لأن الهدف النهائي لأي أب هو الاطمئنان على مستقبل الابن .

ويقول محمد : عشت أكثر من أربعين عاماً في بيت والدي ، وبلغت معاناتي من سيطرته وتدخله في كل أموري الصغيرة قبل الكبيرة الشيء الكثير ، وعندما كنت في مقتبل حياتي العملية ، كان عمري وقتها يزيد قليلاً على العشرين عاماً ، كنت أعتبره انساناً بلا عواطف . وكثيراً ما تمنيت أن يكون بيننا حوار بدلاً من اتهاماته الدائمة عند أتفه الأخطاء . لم يكن أبي يستوعب بعض الضعف في ابنه ، ولم يفهم مرة واحدة أنني من الممكن أن أحصل في مادة دراسية على علامة « جيد » بدلاً من « ممتاز » ، كنت في نظره الابن الممتاز دائماً .

الآن أنا طبيب ناجح ، ولكنني أفرط في تدليل ولدي الصغيرين ، ولا اعتقد أنني سأندم .

ويتساءل عن الدور الصحيح الذي يجب اتباعه في توجيه سلوك الأبناء ؟ .

يجيبنا الدكتور عزت اسماعيل فيقول : الأب المتسلط مرفوض مهما كانت نواياه ومقاصده .

ولا أنكر أهمية أن يكون الأب حازماً ، فالحزم مطلوب والحدة مرغوبة في بعض مراحل تربية الأبناء وخصوصا الذكور ، ولكن كما سبق القول دون إفراط يدمر نفسية الابن ويقضي على نمو شخصيته ، فيتحول الى « السلبية التي تدفع الأب الى مزيد من التسلط » . □

السراة

خطب زياد يوما فقال : أيها الناس اني قد رأيت خلالا ثلاثا ، نبذت اليكم فيهن بالنصيحة ، رأيت اعطاء ذوي الشرف ، واجلال ذوي القدر ، وتوقير ذوي الاسنان . .

واني أعاهد الله لايأتيني شريف بوضيع لم يعرف له فضل شرفه على ضعته الا عاقبته له . ولايأتيني كهل بحدث لم يعرف فضل سنه على حداثته الا عاقبته له . ولايأتيني عالم بجاهل لاحاه في علمه ليهجنه بذلك الا عاقبته ، فانما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوي أسنانهم ، وقد قال في ذلك الافوه الاودي :

تهدى الامور بأهل الرأي ماصلحت ... فان تولت فبالاشرار تنقاد
لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولاسراة اذا جهالهم سادوا

هـوَ ....

وَالـــدَتُــهُ

جميلة . . وحيدة . . مدللة ، هكذا كنت طوال حياتي ، فلم يرزق أبواي غيري من الأولاد ، فكنت لهما نور حياتهما ومتعتهما ، فلم يمنعا عني شيئا ، ولم يردا لي طلبا ، ولم يحرماني من تحقيق رغبة أو أمنية ، كنت محط اهتمامهما الدائم ، حتى بعدما كبرت وأصبحت طالبة جامعية . . كان الاهتمام يزداد بمرور الزمن ولا يقل .

فكان والدي اذا خرج مساء يتصل من حيث هو ليسأل:هل أحوالي على مايرام ؟ أينقصني شيء ؟ هل أذاكر دروسي ؟ الى آخر هذه التساؤلات التي ان دلت على شيء فانما تدل على فرط الحرص وغاية الاهتمام .

وتزوجت . . وكل ما حولي يوحي أن الحياة ستصير أجمل . . شاب وسيم متعلم مثقف ، ذو شخصية قادرة على احتوائي ، وفوق هذا شديد التمسك والاعجاب بي .

ومرت أيام تأثيث البيت . . وراحت أسابيع الزواج الأولى تلهث وتمر تاركة كلاً منا أمام الآخر واضحا بلا رتوش ، واكتشفت تعلق زوجي الهائل بوالدته ، وأنه بعد الزواج لم يستطع أن ينفصل عنها ، لا بجسده ولا بعقله ولا بروحه ، فهي محور حياته ، وهي أول من تتمتع باحترامه وثقته . . تلبية خدماتها مسألة لا نقاش فيها ، وكلامها أوامر تجاب ، وحاولت أن أتناقش معه كثيرا ، فأنا لا أنكر عليه حبه لأمه ، ولا أنكر أنها في سن كسنها وحالة صحية كحالتها أحوج ما تكون الى العون والمساعدة ، ولكنني كنت أريده أن يدرك تبعة المسئولية التي التزم بها ، فالمؤسسة التي قبل بتكوينها والتي وافق عليها باختياره وإصراره لابد أن تأخذ حقوقها كاملة . . ولكن ما يحدث هو العكس . . وارتباطاته العائلية قبل الزواج تقلل من وفائه بالتزاماته ، فكل ما أطلبه من احتياجات منزلية يرفض تلبيتها لانشغاله بالعمل ، وكلما طلبت منه الخروج في نزهة أو زيارة بعض الأقارب أو الأصدقاء يرفض مفضلا زيارة الوالدة ، حتى فقدنا أصدقاءنا واحدا إثر واحد . . وابتعد عنا أقاربنا . . وأصبحت والدته كابوسا يهدد حياتي ، ويسحق سعادتي ، وعندما فاض بي الكيل كما يقولون ، دارت مناقشة عاصفة بيننا . . أوضحت له فيها أنني مع حبه لأمه ومع تقديره ورعايته لها ، ولكن كل هذا له حدود ، وأنني لن أسمح لأحد بأن يسرق مني ساعات هي حق لي أقضيها معه ، وأنني عندما وافقت على زواجي منه لم أوافق على زواجي بأمه ، و . . . و . . . وطوال المناقشة كان يبتسم هادئا ، وبعدما فرغت من الحديث نظر الي طويلا وقال مبتسما ، المهم هو رضاء الوالدة ، ونيل رضاها وبركتها ، كي يفتح الله علينا وينير لنا حياتنا ، وتركني مهزومة مغتاظة وشبح والدته يهدد سعادتي . .

هي

هي ....

أُحسِنُ صُحبتَها

لم أك أتصور أن خلف الرقة والجمال .. كل هذه القسوة والأنانية ، فعندما تزوجتها حلمت بأن تقتسم معي الحياة باشراقها وتجهمها ، وكانت كل المؤشرات تنبىء بهذا فهي رقيقة .. جميلة ، بنت بيت ، اثنى كل الناس على أخلاقها ، وحسن تربيتها ، ولكن لا أدري لماذا تفجرت الخلافات بيننا ؟ وآخر سبب كنت أتوقعه هو أمي ..

وكم ثارت بيننا مناقشات ، واحتدم الخلاف حول رعايتي لأمي ، تعيب على أنني أتردد عليها كل يوم أزورها لأسأل عنها ، أقضي لها حاجاتها من الخارج سواء كانت تريد دواء أو حاجة من حاجيات البيت ، فأمي منذ خمس سنوات وهي تعيش وحدها .. تزوج كل أخوتي ، ولم يبق لها في الدنيا من يسأل عنها إلا نحن « أبناؤها » ، ولا يستطيع أحد أن يمنعني عن البر بها والسؤال عنها والاطمئنان عليها .. وتلومني زوجتي على هذا الالتزام ، وتقول أن التزامي بهذا الواجب يقلل من التزامي ببيتي ومسئولياتي ، وأنني لم يكن يصح لي زواج طالما ارتباطي بأمي الى هذه الدرجة ، وأقول لها .. يارفيقة الدرب أنا لا أستطيع أن أتخلى عن واجبي تجاه أمي ، ولا أستطيع أن أتركها وحيدة بين أربعة جدران ، تنعي العمر الذي ضاع على تربية أبناء جاحدين ، ولا ذنب لي أن أخوتي لا يقومون مثلي بهذا الواجب ، فليس معنى تقصيرهم أن أقصر أنا أيضا ، فكل منا مسئول عما يفعل ، ولا أستطيع أن أتركها وأنتظر أن أسمع عنها ، وأنا بامكاني أن أسمع منها ، ويازوجتي هذا دين لا مفر منه ، كما نسدده نحن الآن سيسدده أولادنا تجاهنا ، ولقد كان تصوري أن وفائي لها يسعدك .. أو يعطيك مؤشرا على التزامي نحوك « فخيركم لأهله خيركم للناس » واذا لم يكن لدي خير لأمي فليس لدي خير لأحد بعدها .. ولكنها ـ زوجتي ـ سامحها الله لم تقتنع ، وتصورت أن بري ووفائي بأمي كابوس يهدد سعادتها .. ويغتال هناءها .. ولم تراع مشاعري ، وقالتها لي في وجهي .. وكأنها تغار من أمي .. أو كأنني مملوك امتلكته ـ لا مفر لي من الجلوس بين يديها طوال اليوم .. وعندما وصلنا الى نقطة عدم الفهم في النقاش ، أنهيته بقولي بأني لا أستطيع أن أفعل شيئا ، وسأحسن صحبتها ما بقيت .. فهي أمي التي لن يعوضها الزمان أبدا ، ولن أغفر لنفسي لو قصرت في حقها ..

هو

من الحياة

كيف نعيش الغد بلا قلق ؟

بقلم : منير نصيف

تعقدت الحياة واضطربت ، ووجد الانسان نفسه ضائعا وسط هذا العالم الغريب الذي يعيش فيه . وفجأة وجد نفسه يقف حائرا أمام الأخطار التي تتهدد البشرية ، يتساءل في خوف وقلق : (ترى كيف يكون الغد ؟ كيف ستكون الحياة التي سيعيشها أبنائي وأحفادي وشبح الحرب النووية يخيم على الكون كله ؟) .

لقد ولت الأيام التي عاشها أجدادنا وآباؤنا تحت الشمس الدافئة التي كانت تحنو عليهم .. لم تعد الحياة بسيطة هادئة آمنة .. لقد تغير كل شيء ، وبسرعة هائلة لم تتح لانسان القرن العشرين لحظة تأمل قصيرة يرى فيها ما صنعته السنون التي حملت في مسيرتها حربين عالميتين ، أهلكت نيرانها الملايين من البشر ، وتقدما علميا هائلا لم يكن كله من أجل سعادة الانسان ، وغزوا غريبا للفضاء الذي طالما أحاطه الغموض حتى كشفت السفن الذاهبة اليه والعائدة منه حقائق ، تمنى الانسان لو لم يعرفها .. ألا يكفي أن يكف الشعراء عن وصف الجمال بالقمر بعد الذي عرفوه عن قبحه واستحالة الحياة على سطحه !

انسان هذا القرن اذن يعيش حياة يحتويها التوتر .. ترى ما الذي يمكن أن نفعله للخروج من هذه الدائرة المظلمة ؟

القلق والتفكير

لقد اختلفت آراء علماء النفس وتضاربت ، ولكنهم في النهاية أجمعوا على شيء واحد ، وهو أن هذه المشاعر التي تعتمل في صدورنا ، وتشغل تفكيرنا ، وتهد كياننا ، هي في واقع الحال نتيجة حتمية لاستجابة نفوسنا للعوامل التي تسبب لنا هذه المشاعر .. فاذا تعلمنا كيف نحد من هذا التجاوب ، نجحنا في التغلب على قلقنا ومخاوفنا ، واستطعنا أن نطرد من نفوسنا أسباب التوتر الذي يصيب حياتنا .

والقلق والفكر شيئان متلازمان .. فالانسان يفكر ولكن هناك فرق بين تفكير وتفكير .. هناك من يترك المجال لأفكاره تسبح وسط الظلام الذي يحيط بكل شيء حوله ، وهناك من يفكر ولكن بأسلوب آخر ، فلا يدع للأفكار المظلمة والصور الكئيبة مجالا لغزو رأسه وعقله .. وليس معنى هذا أنها لا تدور في مخيلته ، فهي قد تحوم حولها ، وقد تحاول أن تنفذ إلى قلبه ، ولكنه يطردها ، ويسد الطريق أمامها .

يقول نورمان فنسنت بيل ، أحد علماء النفس المعروفين في كتابه (دليل لحياة مطمئنة) :

« نحن في حاجة الى البحث عن أساليب عملية لتفكيرنا ، لأن ملكة التفكير ، هي واحدة من أعظم القدرات التي يتمتع بها الانسان ، فحياته لا تسيّرها الظروف الخارجية ، ولكنها تخضع للافكار التي تدور في ذهنه . المرء ـ رجلا كان أو امرأة ـ هو وحده القادر على خلق عالمه الخاص به بفضل ما يعتمل في رأسه من أفكار . ولقد قيل يوما (إن الرجل هو ما يأكل) ولكن قبل الأكل يأتي الفكر .. فالرجل يفكر فيما يأكل قبل أن يأكل .. واذن (فالرجل هو ما يفكر) والمرء في النهاية هو خلاصة ما يدور في عقله الظاهر وعقله الباطن في آن واحد! »

حتى في نومه

ويقول ماركوس أوريليوس أحكم حكماء روما : (ان أفكارنا هي التي تصنع حياتنا) بينما يقول ايمرسون فيلسوف أمريكا : (ان المرء هو ما يشغل تفكيره طوال ساعات يومه ، وحتى في نومه !)

وكل واحد منا يجد نفسه مشغولا بالتفكير في أمور كثيرة طوال اليوم ، ولكن كثيرا ما يجد المرء نفسه وقد ركز تفكيره كله في أمر معين ، أو مشكلة بذاتها ولا تلبث هذه المشكلة أن تسيطر على تفكيره كله حتى تنسيه كل ما عداها من أمور أخرى ، حتى اذا كان بعضها يمكن أن يثير في نفسه بعض الانفعالات السعيدة فرأسه المزدحم لم يعد قادرا على افساح مكان لها .

هذا الشعور المضطرب يبدأ أول ما يبدأ بخيط قد نراه كالطيف أمامنا ولكن الصورة لا تلبث أن تتكرر وتستقر في أذهاننا على مر الأيام .. عندئذ نجده قد اتخذ له أخاديد عميقة في رؤوسنا ، أشبه ما تكون بمياه الامطار التي تتجمع في بطن الجبل .. انها لا تبرحها الا اذا وجدت لها منفذا ينقلها من القمة الى السفح .

الخوف ينمو ويترسب

يروي نورمان فنسنت بيل قصة الأم التي كانت تقف أمام ابنتها في صباح كل يوم قبل ذهابها الى المدرسة وتقول لها : (خذي حذرك يا ابنتي وأنت تعبرين الطريق . . لا تنسي أن تتلفتي يمينا ويسارا لتتأكدي من خلو الشارع من السيارات . . الله يرعاك) .

لقد كانت الأم المسكينة تعاني من تعب نفسي ترسب في رأسها وانعكس على كل تصرفاتها وأحاديثها . . فهي لم تكن ترى من الدنيا الا وجهها المظلم .

وقد أدى تكرار هذا التحذير الذي كانت تسمعه كل صباح الى تولد شعور غريب لديها ، فقد أصبحت الفتاة ، حتى بعد أن تجاوزت مرحلة الطفولة . . تشعر بخطورة تلك الرحلة التي تقوم بها يوميا الى مدرستها . . وكبر هذا الشعور معها واستفحل ، فلما غدت زوجة وأما صارت تنظر الى الدنيا من حولها ، كما لو كانت غابة فسيحة مليئة بشتى أنواع المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها في حياتها . شيء واحد استطاع أن يضع حدا لهذه المخاوف ويخلصها منها ، هو حب زوجها لها ، فقد جعلها ترى لأول مرة الحياة من حولها بعينين جديدتين ، وتدرك أن الدنيا ليست بهذا السوء الذي كانت تتصوره ، وانها مليئة بألوان من الصور الجميلة .

وقصة أخرى

ثم قصة أخرى . . قصة امرأة كاد التعب النفسي يودي بحياتها . . لقد عرفت الخوف في طفولتها ، ومع هذا الشعور المدمر ، تولدت في نفسها عقدة ظلت تلازمها سنوات طويلة حتى شاءت الصدفة وحدها أن تخلصها منها . . انها قصة واقعية جرت حوادثها في لندن ونشرت الصحف تفاصيلها .

قصة طفلة صغيرة وقفت منذ ثلاثين عاما ترقب في فزع ورعب شديدين ، ما حدث لأمها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد أن وضعت طفلها الثاني . . فقد أصيبت الأم بنوبة قلبية مفاجئة في نفس الوقت الذي كان طفلها يطلق صرخته الاولى وهو يستقبل الدنيا الجديدة .

وترك الحادث في نفس الطفلة جرحا عميقا ، زادته السنون عمقا على عمق ، حتى كبرت الطفلة وأصبحت امرأة ناضجة . . وتقدم أحد الشبان يطلب يدها من والدها وفوجىء الأب بابنته تختفي تماما . . وراح يبحث عنها في كل مكان يمكن أن تكون قد لجأت اليه . . ولكنه لم يعثر لها على أثر . .

ماذا حدث ؟ وذهب الأب يحمل حيرته الى أحد الأطباء النفسانيين ويسأله المشورة ، ورافق الطبيب الوالد الحائر في رحلته الطويلة وهو يروي له قصة ابنته من بدايتها . . وقال الطبيب أخيرا : (لقد هربت ابنتك من الزواج يا سيدي . . لا لأنها لا تريد أن تتزوج . . ولكن لأنها لا تريد أن تحمل وتنجب أطفالا ويحدث لها ما حدث لأمها !

وانقضت بضع سنوات أمضاها الأب المسكين مع ألمه وحزنه حتى شاء القدر أخيرا أن يجمع بينه وبين ابنته مرة أخرى . . لقد عثر عليها وهي تقف عند محطة الاوتوبيس تنتظر . . وكان لقاء حارا . . وقالت الابنة وهي تمسح له دموعه بمنديلها الصغير : (اعذرني يا أبي فأنا أخاف الموت) .

وعادت معه الى البيت الذي هربت منه . . وانتهت رحلة البحث والعذاب . . ولكن القصة لم تنته ، لقد كان الشاب الذي طلب يدها منذ سنوات ، ما زال بدوره يبحث عنها . . هي أيضا كانت تحبه . . ولكن هل يرضى بها زوجة فقط دون أن تصبح بعد ذلك أما لأطفال قد لا تعيش لتراهم ؟)

ورضي بها زوجة ، ومضت الأيام ، وحملت . . وبدأ عذابها مع نفسها ، هل تتخلص من الجنين ؟ وكيف تضمن أنها في هذه المحاولة ستنجو مما خافت منه ؟ وطردت الفكرة من رأسها وعاشت شهور

الحمل في قلق وخوف حتى جاءت اللحظة أخيرا . . وعندما حملوها الى المستشفى كانت تهذي وتنادي أمها ، وكأنها معها على موعد .

ولم ينتظر الأطباء طويلا . . فقد حملوها الى غرفة الجراحة ، ولم تشعر بشيء بعد ذلك . . لقد ذهبت في نوم عميق بعد أن أجروا لها عملية تخدير سريعة ، وعندما فتحت عينيها وجدت مولودها الصغير بجوارها . . وكان يبكي . . لقد عاشت ورأت طفلها ، ولأول مرة منذ سنوات طويلة أحست الفتاة بالهاجس الغريب الذي ظل يحتويها ، وقد فارقها الى غير عودة . . لقد ولدت من جديد . . وقال الاطباء : « لقد كاد قلبها قبل التخدير يتوقف عن النبض تماما . . لقد جاءت الينا في أسوأ حالاتها » .

عش ليومك

ونعود الى حيث بدأنا . . اننا نعيش اليوم في عالم ملء بأسباب القلق والخوف والتعب النفسي . . وكلها أمراض لازمت الحياة المضطربة التي أصبحت طابع هذا القرن . . الحياة السريعة المجنونة التي نحاول أن نلحق بها وكأننا معها في سباق لا ينتهي ، ونحن لا نستطيع أن نتخلف عن هذا السباق . . ولكن الذي نستطيع أن نفعله هو أن نتعلم كيف نميز بين الأسباب الحقيقية التي تدعو الى القلق والاضطراب ، وبين الأوهام والتخيلات التي قد تثير مخاوفنا بلا مبرر . . ولكي تنجح في محاولتنا هذه ، فلا بد لنا أن نكون على قدر من الذكاء والحكم السليم على الامور . . بهذا وحده نستطيع أن نطرد مخاوفنا ، وأن ندرك متى يجب أن نشرك معنا فيها الآخرين ، ومتى يجب أن نحتفظ بها داخل نفوسنا ، فنواجهها وحدنا بكل ما لدينا من شجاعة وقدرة على التحكم في مشاعرنا .

ان اذاعة الخوف تشل تفكير المذيع والمستمع على السواء ، والافصاح عن مخاوفنا قد يؤدي في الوقت نفسه الى التقليل من حدة التوتر الذي نحس به . المهم أن نعرف متى تكون هذه المخاوف حقيقية ومتى تكون مجرد أوهام وتخيلات .

ويقول علماء النفس ان ٨٠٪ من حالات الأمراض النفسية التي يعاني منها هؤلاء الذين يترددون على عياداتهم لا تقوم على أساس من الخطر الحقيقي الذي يتصورون أنه يتهددهم ، وانما هو خوف قائم على أساس خطر مرتقب أو متوقع .

فالخوف من الغرباء ، والخوف من الجراثيم والامراض ، والخوف من الولادة عند الامهات اللاتي ينتظرن مجيء مولودهن الاول . . كل هذه مخاوف قائمة على خطر غير مرئي ، وقد لا يكون له وجود الا في مخيلتهم فقط .

فلنعش اللحظة التي نحن فيها ، لأن أحدا لا يعلم ما سيأتي به الغد . □

بـ (أحسنت) لا يباع دقيق !

كان جحظة يقرض الشعر ويغني في مجالس الكبار ، فكان اذا حضر وغنى ردد المجلس أحسنت . . . أحسنت ، ولم يكن يحصل على شيء . فقال فيهم جحظة :

إن تغنيت قال : أحسنت زدني   و بـ (أحسنت) لا يباع دقيق .

طبيب الأسرة

مشاكل التسنين عند الأطفال

منذ الشهر الرابع في حياة الطفل تبدأ مرحلة ظهور الأسنان ، وتستمر هذه المرحلة حتى عمر السنتين تقريبا ، وعلى مدى هذه الشهور يصاحب الأم القلق تجاه صحة طفلها الصغير ، ونتيجة هذا القلق والمفاهيم الشائعة يسود لدى كثير من الأمهات اعتقاد خاطىء حول عملية التسنين ، فنجد أن الأم تعزي سبب مرض الطفل وهزاله وارتفاع درجة حرارته لعملية التسنين ، وهذا مفهوم مناف للحقيقة ، فالطفل يفقد مناعته الطبيعية التي اكتسبها وهو جنين بعد ثلاثة أشهر ، ومع الشهر الرابع تضعف المقاومة وتبدأ عمليات التسنين ، ويبدو من هنا أن هذا الارتباط هو الذي خلق هذا المفهوم .

فماذا تعرفين عزيزتي الأم عن عملية التسنين ومشاكلها ؟ تعالي معنا نسترجع بعض المعلومات الأساسية عن هذه الفترة المهمة والحرجة .

لا يتحدد ظهور السن الأولى بعمر معين ، فقد يظهر في الشهر الرابع أو الخامس ، وقد لا يظهر خلال السنة الأولى من عمره ، وهذا لا يعني ضعفا في صحة الطفل ، بل هو أمر طبيعي جدا لا يدعو للقلق .

الا أنه لابد أن تكون قد ظهرت بعض الأسنان في فم الطفل في الشهر الرابع عشر ، أما في حالة استمرار ضمور الأسنان حتى سن ١٨ شهرا ، فلابد من استشارة اخصائي أسنان.وأول ما يظهر من الاسنان هما السنّان الأوليان السفليان (القواطع المركزية) ثم يتلو ذلك ظهور السنين العلويتين ثم الأضراس ، ويظهر الناب في الشهر الثامن عشر ، وتتوالى بقية الأسنان خلال هذه المدة .

وخلافا لما هو شائع فان التسنين لا يصاحبه أي أعراض سوى تهيج واحمرار في اللثة ، الى جانب ازدياد كمية اللعاب السائل في الفم . فلا يحدث ارتفاع في الحرارة ، ولا التهابات معوية ، أو نزلات شعبية أو تشنجات . غاية الأمر رغبة شديدة في الضغط على المواد الصلبة والشد عليها ، مما قد يريح اللثة المتهيجة ، وعلى الأم أن تمنع طفلها عن مضغ المواد الصلبة أو الباردة ، لأنها قد تكون سببا رئيسيا في الالتهاب الرئوي . يفضل الطفل السوائل المختلفة الأنواع عن الأطعمة الصلبة في هذه المرحلة .

كيف تحمين أسنان طفلك ؟

يعتبر السكر العدو الأول لأسنان الطفل ، فهو مادة ضارة بالأسنان ، تؤدي الى اصابتها بالتلف والضرر بصحة الفم . فتناول المادة السكرية يعني تشكيل مادة حمضية حالا في الفم وهي تقضي على المادة غير العضوية الموجودة في المينا الخارجي الذي يحيط بالأسنان ، وهذا من شأنه خلق فجوة في السن تشوه منظر الفم .

ويزداد تلف الأسنان ، وتنتقل المادة الحمضية هذه من سن الى آخر ، لتهاجم كل الأسنان ، بل قد تتسع دائرة التلف والتعفن حتى تشمل اللب الداخلي للسن والأعصاب والشرايين ، مما يعد سببا رئيسيا في الآلام الحادة التي تصيب الانسان ، وفي النهاية تكون حصيلة تناول المواد السكرية موت اللب ، وامتلاء الجزء الداخلي من السن بالصديد حتى يصل الى السطح .

ان الحلويات وأنواع الوجبات الخفيفة أكثر أنواع المأكولات ضررا من حيث طريقة تناولها . وهي بدورها لن تحرر الأسنان من المادة الحمضية القاتلة للب السن .

☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

النكهة

● أرجو افادتنا عن مفهوم النكهة في عرف الطب ، وما هو دورها بالنسبة للانسان ، حيث لوحظ أن بعض الناس يحبون بعض الطعام الذي ينفر منه البعض الآخر ، فما هو السر ؟ ولكم الشكر .

س . ع - حمص

اصطلاح النكهة يرتبط عادة بالطعام ليربط حاستين من حواس الانسان وهما حاسة الشم وحاسة الذوق .

ولاشك أن هناك ارتباطا عصبيا له أهميته في عملية الهضم ، لان نكهة الطعام سواء منها رائحته أو طعمه تساعد على أفراز العصائر الهاضمة ، وأولها اللعاب ومنها عصائر المعدة ، وبالتالى تيسر الهضم والامتصاص .

كما أن النكهة قد تنفر الانسان من طعام ما غالبا ما يكون ضارا أو فاسدا ، وقد درس بعض العلماء قضية النكهة هذه فوجدوا أن هناك مايزيد عن (٢٨) نكهة يستطيبها البشر هى محصلة حاستي الشم والتذوق معا ، ومن هنا نجد أن المصاب بالزكام يفقد متعته بالطعام لانه فقد احساس الشم وهو أحد شروط النكهة ، وكذلك المصاب بالتهاب بالفم .

وقل من يعرف أن حاسة الشم أقوى بكثير من حاسة الذوق ، وربما (على حد زعم العلماء) تفوقها بخمسة وعشرين ألف مرة ، ومع هذا لاتنال اهتماما كما تناله حاسة الذوق التى تتفرع الى أربع حواس ، هى الملوحة في طرف اللسان الأمامى وجانبه ، والمرارة في مؤخرة اللسان ، والحموضة على الجانبين ، والحلاوة مبعثرة في أكثر من موضع وتتركز في الامام ، لكن الغريب في الأمر أن طعم المرارة يفوق كل أنواع أحاسيس الذوق الأخرى بألف ضعف ، ومع هذا فهو طعم مكروه ، منبوذ ، بينما طعم الحلاوة الاقل شأنا والأضعف هو الأكثر قبولا واستساغة من قبل الانسان ،ومع هذا فقد لوحظ أن الحلاوة الزائدة عن الحد قد تتحول الى طعم المرارة أحيانا .

وعلى هذا المنوال تتحول الملوحة الخفيفة الى طعم حلو عند بعض الناس ، ممن نراهم يأكلون الجبن المالح مع البطيخ الحلو أو العنب على سبيل المثال .

على أي حال فالنكهة أمر نسبي تدخل البيئة والتربية والعادات في ترسيب مفهومه ، لانه أمر عصبي يرتبط بمراكز المخ المختصة أولا وأخيرا .

معامل روسوس

اكتشفت مصادفة أثناء تحليل دمى أني أنتمى الى فصيلة روسوس السلبي ، وقد علمت أن هذا العامل يؤثر على أولادى فى المستقبل .

فما هي درجة الخطورة يا ترى . . . وما هو التصرف السليم ؟

و . ن

الكويت

ان اكتشاف فصائل الدم الأربع على يد العالم النمساوى الأصل الأمريكى الجنسية كارل لاند شتايز عام ١٩٠٠ يعتبر منعطفا خطيرا فى تاريخ

بريد طبيب الأسرة

الطب وانقاذ ملايين الأرواح التى كانت تحت رحمة الموت لولا عمليات نقل الدم .

ومع هذا فقد بقيت هناك خطورة فى عمليات نقل الدم ، بالرغم من توافق فصائل الدم بين المتبرع والمريض ، الى أن اكتشف لاند شتايز عام ١٩٠٤ ان هناك فى دم غالبية البشر عاملا جديدا اطلق عليه اسم عامل روسوس ، لوجوده أيضا فى دم بعض انواع من القرود من نوع روسوس ، الا أن هناك حوالى ١٥٪ من البشر يعتقدون أن عامل روسوس هذا فى دمهم ، وهؤلاء يطلق عليهم أصحاب عامل روسوس السلبى ، ولا يصح أن ينقل اليهم الا ذات الفصيلة ، اذا كانوا بحاجة الى نقل الدم .

كما وجد أن النساء من فصيلة دم عامل روسوس السلبي قد يؤدى تراكم العامل المضاد فى دمهن اذا حملن الى تكسير فى كرات الدم الحمراء فى دم الوليد ، غير أن الزوج لا دور له فى هذا الخطر ، اللهم سوى توريثه بعضا من أبنائه هذه الفصيلة .

لهذا تنصح المرأة ذات فصيلة دم روسوس السلبي أن تلد فى المستشفى ، تحت اشراف طبى ، حيث يمكن اجراء نقل دم الوليد فورا ، هذا الى أنه تم استحداث طعم مضاد يعطى للوالدة - يمنع احتمالات الخطر على المواليد فى المستقبل .

الصداع وضغط الدم

اعانى منذ مدة من صداع شديد يداهمنى بين حين وآخر لم اجد له شفاء بالرغم من كثرة العقاقير التى استعملتها الى ان اكتشفت ان السبب هو اصابتى بارتفاع ضغط الدم .

لقد اتبعت ارشادات الطبيب وتعاطيت العلاج المناسب ولكن الصداع مازال يلازمنى كما اننى مازلت اعانى من ضغط الدم المرتفع فهل هناك من علاج شاف يوقف الصداع - ويشفينى من ارتفاع ضغط الدم ؟

صادق . ع . الكويت

من الاخطاء الشائعة عن مرض ضغط الدم المرتفع قناعة الكثيرين أن الصداع هو أحد الاعراض الملازمة لهذا المرض ، اذ من المتفق عليه أن ضغط الدم عندما يرتفع عن حده الطبيعى لا يعطى أعراضا معينة ثابتة ، لهذا سمى بالمرض الصامت ، وانما يكشف عنه فحص الطبيب لمريضه بواسطة مقياس ضغط الدم ، ولقد اتفق الاطباء على أن الصداع الذى قد يصاحب ارتفاع ضغط الدم قد يكون له أكثر من سبب ، والغالب فيها هو التوتر العصبي الذى بدوره يكون سببا فى ارتفاع ضغط الدم ايضا .

كما يصاحب هذا قناعة البعض أن علاج ضغط الدم المرتفع سوف يشفى المريض من الصداع ، ومن ارتفاع ضغط دمه ، والواقع أن ارتفاع ضغط الدم سببه تغيرات مرضية فى جدران الشرايين تؤدى الى تصلبها ، وهى الامر الذى لا يمكن العودة به الى الوراء لهذا فان علاج ارتفاع ضغط الدم يقصد به السيطرة على ضغط الدم وحفظه فى حدود المستويات الطبيعية ، مما يستوجب الاستمرار فى تعاطى العلاج ومراعاة الحمية وخاصة أمر التقليل من ملح « الطعام ، هذا الى جانب القياس الدورى لضغط الدم للاطمئنان على ثباته .

مساحة ودّ

هكذا يكون الحب

كانت فتاة تشع بهجة كأنها « سندريلا » الأسطورة القديمة ، لها ابتسامة في لون الصباح الصافي ، كلما أشرقت بعثت الدفء في شرايين علاقاتها مع الآخرين . أشباؤها في الحياة الحب والارادة ، كانت متميزة متوثبة دائما للنجاح . وكثيرا ما كنا نمزح معها ونعلن عن تعاطفنا مع « عريسها » ، « المسكين » الذى لن يستطع التقاط أنفاسه عندما يشاركها عربة الزواج .

وجاء العريس وتجسد الحلم المتوقع .. التقت به ذات صباح في مدرجات كلية الطب .. زميل شاب يميزه هدوء شديد ، اقرب الى الخجل ، وفي ظاهر أموره لا يتناسب مع حماسة صديقتنا الطموحة بجمالها وثرائها ونسبها العريق ، ووجدت نفسها تسبغ عليه اهتماما خاصا ، ووجد نفسه يحدثها بنبض قلبه ، واتفقا على الزواج وامتد بينهما جسر مفعم بالحب والاخلاص ، حتى تخرجا من الجامعة ، وتقدم لاسرتها « عريسا » .. ذهب اليهم يحمل في يده بكالوريوس الطب ، ويحمل في اليد الأخرى شبابا وطموحا ، وغرفة صغيرة في حي فقير ، وبدا مستحيلا أن يقتنع الأب أن لابنته الوحيدة مستقبلا مع زميلها الطبيب في غرفته المتواضعة ، فأحجم عن منحه تأشيرة دخول .

واختلفت السندريلا مع والدها لأول مرة ، وأعلنت أنه الوحيد الذى تجد فيه « مؤهلات » الانسان الرفيق ، انه الزوج « الشريك » وليس الزوج « الحل » فليس لديها مشكلة يعوزها الحل .

ومنحته اقامة دائمة في قلبها وبدأ معا « رحلة كفاح » طالما اسمتها رحلة سعادة » .

انتقلت للعيش معه في بيته الصغير في الحي الفقير النائي ، واستطاعت أن تحيا معه حياة متواضعة لم تألفها في بيت أبيها الواسع ، وعلى مائدة الطعام القديمة في المطبخ الصغير كانا يتحدثان كثيرا عن المستقبل ، وشهدت جدران البيت الباهتة نسيج أحلامهما في حياة أفضل ، وكانت ابتسامتها تذيب همومه عندما تطل الصعاب برؤوسها ، فدخلهما لا يكاد يفي بأدنى المتطلبات .

ومرت السنوات .. وهما بين العمل والدراسة ، وبقيت ارادتها القوية تحكم الموقف دائما ، حتى حصل الزوج الشاب على الماجستير ، وكانت لحظة لا تنسى ، وبدأ الحلم يخطو أولى خطواته نحو الحقيقة ، عندما أتاح له ذلك فرصة عمل أفضل ، وتفتحت أمامها أبواب كثيرة .

واذ أخفق زوجها في الحصول على الدكتوراه عندما تقدم لنيلها أول مرة ، لم تيأس ، وأغرته بالمزيد من الجهد ، واخذت تسد كل الثغرات التى يمكن أن ينفذ منها الفشل .

وما ان استقر الرداء الجامعي المخمل على كتفي زوجها بعد نيله شهادة الدكتوراة في الجراحة ، حتى بدا لها أن العالم الرحب يضيق بفرحتها .

وبعد خمس سنوات أخرى نالت « قوية الارادة » شهادة الدكتوراه في طب الأطفال .

وأعد لها زوجها احتفالا كبيرا ، دعا اليه الأصدقاء والزملاء ، وفي الصورة التذكارية للمناسبة وقفت مستندة الى ذراع زوجها ، وظهر صغيراها التوأمان وهما يتكئان على ركبتي جدهما في قلب الصورة ، وبدا كأن الجميع يقولون : هكذا يكون الحب .... !

وفاء طه ناجى

أقوال في المرأة :

● المرأة كالطعام .. أبسطه لايمل منه الانسان .
● المرأة العظيمة .. هي التى كلما اقتربت منها أحببتها .. والمرأة التافهة هى التى كلما اقتربت منها زهدتها .
● حب المرأة لأطفالها أمومة .. وحب الرجل لأطفاله انسانية .
● لايموت الحب في قلب المرأة لانه غايتها في الحياة .. ولا يغمر الحب قلب الرجل لانه إحدى وسائله في الحياة .
● إذا اردت أن تتمتع بالحياة .. فخذ الرياح أينما تهب .. والمطر كيفما يهطل .. والمرأة مثلما تكون .

تجربة :

جرب أن تفتح قلبك على مصراعيه لصديق يحبك ويصبر على ما تعترف به من شئونك وآرائك حتى ولو كانت تمسه .
ستحس لو فعلت بأنك قد جمعت همومك كلها وألقيت بها في بحر كبير لاشاطيء له ولاقاع .

□□

****

حكـــاية

حدث مرة أن سمع أحد الاثرياء أن حكيما صينيا كان في حاجة الى طعام وكساء .. فأرسلهما اليه . ولكنه عندما فعل ذلك أرسل الهدية مع خادم له الى الحكيم ومعه رسالة تقول : « عندما اقترض من انسان أنسى ذلك ، وعندما أعطي لاحد شيئا أعطيه خالصا كما لو كنت ألقي به بعيدا » ..

ولكن الخادم عاد بالهدايا قائلا أن الحكيم لم يقبلها ولم يذكر أسبابا لرفضه ، وعندئذ ذهب الثري الى الحكيم يسأله : عندك الكثير وليس عندي شيء .. فلماذا لم تقبل هداياي ؟

أجابه الحكيم : انك تعطي كما لو كنت تلقي بما تعطيه بعيدا في حفرة .. ورغم فقري فاني لا أستطيع أن أتصور نفسي حفرة يلقي الناس فيها فضلاتهم .. ولو كانت من الذهب والياقوت ..!

في الصميم :

● صحبت الأحرار وأمنت العبيد .. فما وجدت اصدق صحبة من ظلي وآمن رفقة من نفسي ..
● عاداني الاعداء وآذاني الحاقدون .. فلم أر أعدى من صديق ولا أخبث من رفيق .
● نصحني الناصحون ووعظني الواعظون .. فما نصحني مثل حزني ولاوعظني مثل همي .
● استضأت بنور الشمس والقمر .. فما وجدت ضياء أطهر نورا وأشد قوة من نور قلبي ..

□□

■

نصائح :

هل جربت مرة أن تتصرف كطفل ؟ جرب .. وستجد أنك أصبحت من أسعد الناس .. حتى وأنت تبكي بمرارة ..!

حاول أن تعبر عن نفسك ببساطة .. لا تكتم سعادتك .. ولا تكتم أحزانك .. تفرح بالناس كما يفرح الأطفال بزملاء اللعب .. واذا أغاظك انسان فعبر بصراحة عن غيظك من تصرفه .. وستجد أنك في أغلب الظن قد احتفظت بصداقته .. بعد أن كنت ستحظى بعدائه

حق الجار

يقرر الامام الغزالي أن حق الجار في الجملة هو : أن تبدأه بالسلام ، وتعوده في المرض ، وتعزيه في المصيبة ، وتهنئه بالفرح ، وتصفح عن زلاته ، ولا تتطلع الى عوراته ، ولا تضيق طريقه الى الدار ، ولا تغفل عن ملاحظة داره ان غاب ، وتتلطف بولده وترشده الى ما يجهله في أمر دينه ودنياه .

□□

امتحان

جاء رجل يمتحن الخليل بن احمد الفراهيدي بمسألة ، فجعل الخليل يفكر ويطيل التفكير ، وابطأ في الجواب ، فأعجب الرجل بنفسه ، وقال للخليل متفاخرا متباهيا : لم تكثر التأمل فليس في هذه المسألة من الصعوبة ما يستدعي اطالة النظر ؟ فقال الخليل : قد عرفت مسألتك وجوابها ، وانما أفكر في جواب أسرع لفهمك فاتعبت نفسي بما قصدت اراحتك به ، فخجل الرجل وانصرف .

□□

****

نفوس الكبار

كان قيس بن عاصم المنقري من سادات العرب في الجاهلية والاسلام ، حكي أنه كان يوما في مجلسه يحدث قومه ، فجيء اليه بابن له قتيل ، وابن أخ له مكتوف اليدين . وقالوا له : ابن اخيك هذا قتل ابنك هذا ، فلم يقطع قيس حديثه ، ولم يغير جلسته حتى اذا فرغ التفت الى القاتل وقال له : يا بني أوهيت ركنك ، وفتت في عضدك وأشمت عدوك ، وأسأت بقومك .

ثم التفت الى القوم فقال : اين ابن فلان ؟

فجاءه فقال : يا بني قم الى ابن عمك فاطلقه ، والى أخيك فادفنه ، والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة ، فانها غريبة لعلها تسلو عنه .

ألقيتُ في اليّم قلبي

شعر: الدكتور نصار عبدالله

ألقيت في اليم قلبي — وذبت في بحر ذاتك
مضيتُ غير هَلوع — من السيوف الفواتك
أو الحراب اللواتي — طوين في طيّاتك
أو السهام بقوس — شُدّت الى حنَاتك
هيهات أخشاك عمري — وكل مافيك فاتك
إن متُّ فيك فهذا — من بعض بعض هباتك
أو لم أمت فطموحا — الى ذرا منّاتك
خبأتَ عني جراحي — فهاتها وصفاتك
خبأتها ألف دهر — يَتَمَّمْنَ في قبضاتك
يَرُحْنَ عبر الليالي — يلُحْنَ في ومضاتك
خبأتَ فاكشف جراحي — يا مُعلناً صدقاتك
وهاتِ موتي فموتي — توحّدٌ بصفاتك
يا قاطعي عن صلاتي — وواصلي بصلاتك
يا مبدعي من حروف — مكتوبة من دواتك
يا منشدي لرواتي — وسامعي في رواتك
يا مبدعي وبديعي — وصانعي من سماتك
ألقيتُ في اليّم قلبي — وذُبت في بحر ذاتك

مكتبة العربي

كتاب الشهر

CONSIDÉRATIONS
SUR L'ÉTAT
DES BEAUX-ARTS

CRITIQUE
DE LA MODERNITÉ

par Jean Clair

LES ESSAIS
CCXXIV

Gallimard

تأملات حول الحالة الراهنة للفنون الجميلة

للناقد الفني : جان كلير

عرض: الدكتورة زينب عبدالعزيز

لم تكن السنوات الاخيرة في تاريخ الفنون الجميلة سنوات عادية فقد ازداد حجم الانتاج الفني وانحسرت المدارس والتيارات الفنية التي شهد القرن العشرون الكثير منها .. هذه المفارقة التي تميز الحالة الراهنة للفن التشكيلي هي موضوع كتابنا لهذا الشهر .

كتاب الشهر

شهدت العشرون سنة الماضية تضاعف عدد متاحف الفن الحديث في العالم ، وازدياد المؤلفات حول هذا الاتجاه بشكل ملفت للنظر . . ومع ذلك كان هناك من يقول إن هذه الفترة تشهد انحسارا واضحا لموجات الفن الحديث ، مصحوبا بانخفاض واضح في تنوع الإبداع الفني ومستواه بصفة عامة ، ترى ما سبب هذا الافول الذي ألم بالفن الحديث ، وما السبب الحقيقي الذي أدى اليه ؟

ذلك هو السؤال الذي يحاول الناقد الفرنسي جان كلير الاجابة عنه في واحد من أهم كتب النقد الفني التي ظهرت حديثا في فرنسا والذي تستعرضه كاتبة هذا المقال :

الناقد جان كلير من مواليد عام ١٩٤٠ ، وهو من متابعي تطور الحركة الفنية التشكيلية عن قرب . فبعد أن أتم دراسته الاكاديمية في جامعة « هارفارد » الامريكية تخصص في تاريخ الفن والقيم الجمالية ، ثم شغل منصب رئيس تحرير واحدة من أهم المجلات الفنية الرائدة للفن الحديث ، ومنذ عام ١٩٧٠ يشغل منصب أمين أحد المتاحف الفنية الحديثة بباريس .

ويقع كتابه « تأملات حول الحالة الراهنة للفنون الجميلة » في حوالي مائتي صفحة من القطع المتوسط ، ويضم اثني عشر فصلا ، يتعرض خلالها المؤلف الى تطور الفن الحديث ووسائل انتشاره وفرضه على المجتمع الدولي بشكل واضح ، ثم يتطرق الى الاسباب التي أدت الى ذبوله واضمحلاله بهذا الشكل الذي لا يمكن اغفاله ولا يليق السكوت عنه .

وهو اذ يتناول قضية الفن الحديث عامة ، فانه يتناولها من وجهة نظره كناقد فني ، ومن واقع خبرته كأمين لاحد متاحف الفن الحديث ، وأول ما يلفت نظره في هذا الفن اجمالا ، ان الصلات المتينة التي نسجتها القرون بين الطبيعة وفن التصوير تبددت في عشرات معدودة من السنين . . ومع ذلك فلم يكن الفن التشكيلي قد حظي طوال مسيرته بمثل ما حظي به من تقدير رسمي وترحيب وإمكانات لا حصر لها من مؤسسات ودور ثقافة ومتاحف وكتب ومجلات ومعارض دورية ومن جهات محلية ودولية ومزادات ، كما لم تتضافر جهود الكتاب مثلما تضافرت جهود مئات من المؤرخين والنقاد وأمناء المتاحف وعلماء الاجتماع ورجال الاقتصاد وعلماء النفس والجامعيين ، وكلهم يتبارون في تقديم الوثائق والتحليلات والبراهين والتغني بما يحدث من جديد في عالم الفن الحديث . . ومع ذلك ، فلا يعرف التاريخ عصرا انقطعت فيه الصلة المنطقية بين تفاهة الانتاج من جهة ، وتضخم الكم والنوع في المحاولات التي تبذل لفرض هذا الانتاج من جهة أخرى . أو على حد قول المؤلف :

« كلما زاد سخف العمل الفني وتفاهته ، زادت محاولات تفسيره وتقديمه بأساليب إنشائية أشبه ما تكون بمهارات البهلوانات » .

ويضيف الناقد قائلا :

« ومع ذلك ، فمن اليسير أن يلحظ المرء ـ رغم كل المهارات المستخدمة ـ أن هؤلاء الداعين قد فشلوا تماما في معالجة الهزال والضعف للكيان الفني الحديث » .

وكأن الحياة قد فارقت جثة هذا الفن المهلهل . .

ويعجب المؤلف من أنه رغم هذا التمزق الواضح ، فقد تم اختلاق دائرة غريبة يسير الفن الحديث داخل اطارها ، انها دائرة تربط بين تجار الفن وأمناء المتاحف وبين النقاد والمستثمرين . . دائرة مغلقة تسير الاعمال الفنية داخلها بإحكام بصرف النظر عن مستواها الفني ، كأن القيمة الحقيقية أصبحت في خط سير العمل الفني في هذا النطاق الاقتصادي من قيم جمالية أو تشكيلية .

متاحف جديدة للفن الحديث :

ويرى جان كلير أن المتاحف التي زحفت على أوروبا كالرداء الرمادي الداكن ، من أهم الوسائل الاعلامية الدعائية التي ساعدت على انتشار الفن الحديث واستتباب أمره . فقد بدأ تشييد متاحف الفن الحديث منذ العشرينيات ، في روسيا أولا ثم في نيويورك ، وتلتها بقية عواصم العالم الغربي . وتباروا في اقامة الابنية الحديثة الخاصة باستقبال وعرض لأعمال الفن الحديث دون سواها . أي أنهم تغافلوا عن عرض الاعمال التي تنتمي الى المذاهب الواقعية . وبذلك أصبح الزمن الفاصل بين المجموعتين حائلا بين نوعين مختلفين من الفن : فن الازمنة الماضية ، وفن العصر الحديث ، وقد أدار كل منهما ظهره للآخر ! . .

وفي خلال السبعينيات ، ووفقا لبيان المجلس الدولي للمتاحف ، فان كل أسبوع من الاسابيع كان يشهد اقامة متحف جديد في بقعة ما من بقاع العالم . « فقد أرادت كل عاصمة أن يكون لها متحفها الخاص بالفن الحديث ، تماما مثلما حدث في مطلع القرن الحادي عشر وأرادت كل بلدة أن يكون لها كاتدرائيتها » .

ولم تكتف المدن والعواصم الكبرى باقامة المتاحف الجديدة بل راحت كل منها تضيف الاجنحة أو الادوار العليا لما لديها من متاحف ، وذلك مثلما حدث في متحف واشنطون ، وبوسطون ، أو في « التيت جالري » في لندن ، ومتحف امستردام بهولندا .

أما متحف نيويورك للفن الحديث فقد ضاعف من مساحته تماما ، وفي باريس تم تحويل العديد من المتاحف القديمة إلى متاحف لهذا الفن الحديث دون سواه ، وتتدفق الجماهير مدفوعة بحب الاستطلاع ، لتطوف بنفس الاجلال الأعمى الذي كانت تطوف به فيما مضى حول أضرحة القديسين . . . ويدهش المؤلف من هذا التباين الواضح بين العمل الفني وبين وسائل عرضه في المتاحف التي أصبحت تمثل مباريات أخرى في حد ذاتها . .

ويختتم جان كلير هذه النقطة بتساؤ ل عما إذا كانت كثرة هذه المتاحف والتسابق الذي لا مثيل له في اختراع شتى وسائل العرض. لابراز أعمال لا قيمة لها ، لا يعني ـ في حد ذاته ـ اننا نعيش حاليا نهاية فكرة الفن الحديث برمته ؟ !

ثم لا يلبث أن يضيف إلى تساؤ له هذا اقتراحا بتشييد مبنى لا يضم سوى اللوحات الفنية على مر العصور ، مثلما اعتدنا ، ولا يعرض به أي شيء آخر سوى اللوحات ، وذلك من كثرة ما استخدم الفنانون من مواد مبتذلة أبعد ما تكون عن الفن أو القيم الفنية والجمالية ، مثل النفايات ومحتويات صفائح القمامة والخرق البالية والاسلاك الشائكة والمواد الغذائية العفنة والبقايا الادمية المتحجرة ، الى ما لانهاية من هذه البدع المبتذلة المهينة والدخيلة على الفن .

ومن الغريب أن تتسابق الأبحاث المتناقضة التي تؤلف لتمجيد فنان ما وأسبقيته في استحداث احدى هذه البدع . . وكم من النقاد تباروا لتحديد مولد مذهب جديد ، أو للمزايدة على تحديد اليوم والساعة التي استخدم فيها أحد الفنانين تلك البدعة قبل غيره من الآخرين المولعين بالبدع « والتقاليع » ! ويضيف الكاتب :

« ان النقاد قد استقبلوا أول لوحة تجريدية بنفس الخشوع الذي يتحدثون به عن الصليب المقدس الاول في التاريخ » .

ولم يتوقف تباري الفنانين عند حد التسابق على ابتكار شتى الاساليب المبتذلة ، وانما تباروا حتى في تزوير تواريخ توقيعاتهم على الاعمال ليثبتوا أحقيتهم في ابتداع ذلك التجديد .

الجديد في الفن .

أما عن قضية الجديد في الفن الحديث ، فيحددها جان كلير بأنها اجمالا قضية قطع الصلة بالتراث . أو على حد تعبيره .

« ان الفن الحديث قائم على قطيعة للتراث بكل ما مضى : فكيف لا يرى المرء في هذا الاندفاع الجنوني لجماعة من المشعوذين الذين ما زالوا منذ قرن من الزمان تقريبا يتبارون في الالتواء ، وكأنهم يعتصرون أنفسهم في حركات مبتذلة خداعة ومأجورة ، من « بيكاسيا الى وارهول » ، ومن « مالفيتش الى

كتاب الشهر

ريهارت » ، ومن « مارينتي الى شوفر » ، بغية انتاج أعمال لا ترمي الا الى الضياع ، مهما استخدموا من أساليب تكنولوجية حديثة » .

ثم يتساءل المؤلف كيف لا نرى أن العدو الوحيد للفن الحديث يكمن بداخله ، وفي تلك السلسلة غير المنتهية من مسميات الـ (إزم) ومشتقاتها التي يذيلون بها شتى الكلمات التي يزخر بها هذا الفن ؟

ومما يدعونا الى الغرابة والدهشة مع المؤلف انهم دائما نفس الاشخاص الذين نراهم يتنقلون من مذهب الى آخر ، ومن بلد الى آخر ، وكأنهم مكلفون بمهمة رسمية عليهم تأديتها بحذافيرها . . وذلك مثل مارينتي الايطالي مبتدع المستقبلية (الفوتوريزم) التي ذهب يبشر بها في موسكو عام ١٩٠٤ ، ثم راح يتغنى بها في برلين عام ١٩٣٤ . . .

إن قطع صلة الفن بالماضي وبالتراث ، لا يعني الا شيئا واحدا في نظر المؤلف هو : موت الفن ، فالفن بلا ماض كنبات اقتلعت جذوره . ونفس الشيء بالنسبة للحاضر ونبذه بعيدا عن الاعمال الفنية فالفن بعيدا عن استلهام الواقع المعاصر له لا يقل موتا وجفافا عن الفن بعيدا عن الأصالة والتراث .

المذاهب في العمل الفني :

ومن النقاط المهمة التي تعرض لها جان كلير في كتابه هذا ، وسائل العرض الحديثة المتبعة بالمتاحف ، وما ترتب عليها من نتائج ، ففيا مضى كانت المتاحف تعكس حضارة الشعوب والعصور المختلفة بطابعها المميز ، أما متاحف الفن الحديث الراهنة فتدعو الى السخرية من كثرة تشابه ما تعرضه وتكراره ، فأول ما يلحظه المؤلف في هذه المتاحف هو اختفاء المعالم الجغرافية بسبب ما يزعمون فرضه من أسلوب دولي يجمع في خلط عشوائي بين أوروبا وأمريكا والجزر المترامية . . .

ففي البداية بدأ عرض الاعمال الفنية وفقا للمذاهب ، لكن سرعان ما تشعبت هذه المذاهب وتفرعت وأصبحت المسافة الزمنية بين المذهب والآخر لا تقاس بعشرات السنين وانما بالشهور والايام . . .
وأصبحت زيارة المتاحف لا تمثل الا مسيرة شبه اجبارية مفروضة على المتفرج عبر القاعات والممرات بحساب مدروس مما يدفع الناقد جان كلير الى الجزم بأن :

« هذه الظاهرة تبدو وكأنها ضرورية للسيطرة على انضباط الانفعالات النفسية والثقافية للمجتمعات التي أفرزتها » .

أي أنه يرى في الفن الحديث برمته وكل ما احتوى عليه من تجريديات ، انه يمثل اتجاه المؤسسات الحكومية التي ابتدعته وتتبناه وتفرضه كنمط يحتذى به . ويستشهد جان كلير بمذكرات الرئيس الامريكي الراحل جون كندي ، وكيف انها تعد بمثابة ميثاق أمريكي فيما يتعلق بموضوع تصدير الثقافة الامريكية للخارج . وهو يؤكد أن هذا التوسع الايديولوجي ليس محصورا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فحسب ، وانما هو بمثابة دعامة ثابتة من دعائم سياسة الولايات المتحدة منذ انشائها . .

وما أكثر الفقرات ـ التي يستشهد بها المؤلف ـ المأخوذة من شتى خطب الرؤساء الامريكيين والتي تدل على تسلط فكرة السيادة والتميز ، وعلى فكرة ضرورة السيطرة على العالم وقيادته . ثم يضيف جان كلير مؤكدا :

« ان الولايات المتحدة قد فرضت على الغرب قيمها الثقافية الذاتية بأجهزة أمريكية لا تقل فعالية عن أجهزتها الاقتصادية » .

من المسئول ؟

وبعد أن تناول المؤلف قضية المتحف ودوره في انتشار الفن الحديث وفرضه ، ثم قضية الاسلوب وما يراه من سلطان مفروض سياسيا على نطاق المجتمع الدولي ، يتعرض لقضية المضمون وما وصل اليه الفن الحديث من اجهاض لقيمها .. ويبدأ بالتساؤل قائلا :

« لماذا لم نعد نرى في متاحف الفن الحديث الا الاعمال التافهة التقليدية في تكرارها ، الشديدة الملل في تفاهتها ، وخصوصا ذلك الكم الهائل من الاعمال التجريدية الخالية من أي مضمون أو أية فكرة ، وكلها أعمال يصرون على شرائها ومدحها والتعليق عليها وعرضها أمام أعين جمهور لا يكترث بها ولا تعنيه ؟ »

ويخرج الناقد من سؤاله ليطرح سؤالا آخر لعله أكثر كشفا لما يحدث في عالم الفن الحديث ، اذ يقول :

« حيال هذا الفراغ المفروض ، والذي تسانده المؤسسات ، ان المرء ليتساءل عما اذا كان الدور الذي يقع على عاتق المسؤولين الثقافيين ومديري المتاحف والنقاد ليس في الواقع الا استبعادا لدراما الوجود الانساني ، ونبذ الواقع ، وفرض هذه السهولة المبتذلة المتكررة في شكلها ونتائجها ؟ »

مما أدى - في رأيه - الى فرض نوع واحد أطلق عليه « فن الدولة » سواء كان في نيويورك أو باريس أو بقية عواصم العالم الغربي . . .

وفي واقع الامر ، فقد تبارى مديرو المتاحف الغربية في تبرير تكاليفها الباهظة وتعويضها باستدراج الجماهير الغفيرة ، وذلك بادخال شتى الوسائل الترفيهية في المتاحف متناسين أن العمل الفني ليس سلعة ترفيهية ، بل انه لا يوجد أندر من العثور على فنان حقيقي صادق .

وأكثر ما يركز عليه جان كلير في هذا الصدد ، هو كيفية التلاعب والابتكار في عرض أعمال لا تتسم الا بالتفاهة والتكرار ، والتي لولا تحايل مهندس الديكور والعرض لما التفت اليها أحد . وذلك كأن يوضع العمل الفني في غرفة داكنة الظلام ، وتسلط عليه اضاءة خافتة ، ولا يسمح الا بدخول زائر واحد فقط في آن واحد - وكأنه يزور « محراب القديسين الغارق في الغموض الالهي » ! . . . وبعد استعراض العديد من الامثلة يعود المؤلف ليؤكد تفاهة تلك الاعمال التي لا تساوي شيئا في حد ذاتها وان كل ما يحيط بها من هالة يرجع الى أساليب عرضها فحسب .

اضافات جديدة :

لقد كانت زيارة متاحف الفن في شتى العواصم ، فيما مضى ، تقدم صورة متكاملة عن حقبة زمنية معينة من تاريخ البلد ، اذ كانت تعكس المستوى الحضاري والثقافي الذي توصل اليه ، بالاضافة الى تقديم العديد من الفنانين المحليين الذين عادة ما يجهلهم الزائر الاجنبي . أي أن الاعمال المعروضة كانت تثري المتفرج باضافة ثقافية جديدة عن الفن والفنانين .

أما الذي يحدث حاليا ، فان كافة متاحف الفن الحديث في العالم تقدم نفس النوعيات ونفس الاشخاص بشكل ممل رتيب ، وكأن الفن في العالم قد أصبح صيغة واحدة مفروضة في قالب واحد محدد لا يحيد عنه ، والنتيجة ، لا يبقى أمام الجمهور الا تلك الرتابة المملة كأن اللوحة ليست الا سلعة تجارية مصنعة بأسلوب حديث دولي ، معروضة في كل مكان أمام المستهلك - ولا تكمن قيمتها الا فيما دفع فيها من مال ، وفيما بذل في عرضها من جهد وعناء .. فلم يعد هناك ما يميز أي متحف في أي بلد عن أي متحف آخر في أي بلد آخر . . .

ان زيارة متحف الفن الحديث حاليا تعني أن المشاهد لا بد أن يرى تسلسلا نمطيا واحدا من أعمال :

« بولوك ورثكو وكلاين ولوحة مربعة فارغة من لوحات جوزيف البرز ، وقطعة من نسجيات دانيال بورن ، وقطعة من « شحميات » جوزيف بويس ، وصفائح نحاسية لكارل أندريه » . .

نفس المجموعات تتكرر أمام أعين المشاهدين ، بنفس الرتابة والملل ، سواء كان في أمريكا أو فرنسا أو اليابان - وكأن هذه الاعمال فحسب هي التي تمثل الفن الحديث بعد توحيد شكلها وتعميمه !

وأهم ما ينتقده الناقد الفني جان كلير في مذاهب

كتاب الشهر

الفن الحديث اجمالا هو محاولتها طمس معالم الاصالة الذاتية لكل شعب من شعوب العالم ولكل بلد من بلدانه ، وفرض نمط واحد أشبه ما يكون بمحاولة لايبنيز في فرض لغة عالمية واحدة تتحدث بها كل الشعوب . .

ويرى كلير أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل في المجال الفني اذ أفرغته من أهم مقوماته ، وهو التعبير عن الاصالة الشخصية المتميزة لكل بلد من بلدان العالم .

أما عن التقدم ، وما أحرزه الفن الحديث في هذا المضمار ، فيرى جان كلير أنه لا يوجد أي تقدم بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة عبر الحضارات وتطورها بل هناك :

« ركود هائل ، مجموعة من التصرفات المتصلبة ، المتكررة وكأنها نسخ مطبوعة من الكربون ، نسخ تتكرر منذ بداية القرن العشرين ، فبعد خمسين عاما نرى بن يقلد بيكابيا ، وشوفر يقلد موهولي ناجي ، وريمان يقلد مالفيتش ، وبويس يقلد شفيترز ، دون ذكر العديد من الفنانين الثانويين . ان هذا الفن الذي زعم لنفسه التجديد ليس في الواقع الا فن التقليد ، لذلك ينجم عنه هذا الملل الرتيب » .

ويخرج المؤلف من هذه النقطة بنتيجة محددة تدفعه الى القول بأن « تضاعف كل هذه الظواهر لا يدل الا على شيء واحد هو أن كل الجماليات الحديثة قد استنفدت أغراضها وأنه لم يعد لديها ما تقدمه من جديد حتى في هذه التشكيلات المتكررة . منذ بدأ الفن الحديث ، حوالي عام ١٩١٠ ، ثم عند فرضه على النطاق العالمي في غضون الخمسينيات ، كان يحمل في داخله ـ منذ ذلك الوقت ـ اعلان افلاسه وخلوه من أي جديد . »

العودة الى الاصول :

ويرى المؤلف أن هذا الافلاس لم يعد خفيا على أحد وخصوصا على الفنانين أنفسهم . . مما دفع بالعديد منهم الى محاولة العودة الى الاصول الاولى لتعلم فن الرسم وبدء المشوار من جديد .

وهذه القضية من أهم القضايا التي يثيرها الناقد الفني ، اذ يجزم بأن سهولة الاداء والعشوائية التي سادت في الفن الحديث والجري وراء الاساليب العفوية لمدة سنين وسنين ، أدى الى ضياع التمكن من التقنية ومن الاداء الفني السليم وأساليبه الاساسية التي أشبه ما تكون بالاجرومية بالنسبة للغة .

وهو لا يشك في أن سهولة هذه الوسائل المستخدمة قد أدت الى تخريب الجانب المهني وجانب المهارة الذاتية . مما انعكس ـ في نظره ـ على مستوى التعليم أيضا . فاذا ما فقد الفنان مهارته ومهارة فنه فكيف له أن يعلمها لغيره ؟ ! وتلك أهم وأخطر ما تواجهه كليات الفنون الجميلة حاليا . لذلك يرى جان كلير أن العودة الى تعلم أصول المهنة والتركيز على تعلم فن الرسم بالقلم أو بالفحم ، يمثل نقطة الخلاص الوحيدة والحقيقية لمكافحة ما ألم بمجال الفن التشكيلي من جهل وضياع .

وبالاضافة الى ذلك ، ينادي جان كلير بالعودة الى تعلم فن الباستيل لاحيائه من جديد ، بعد أن اندثر في خضم العشوائيات التي اعترت العصر .

ويختتم المؤلف « تأملاته في الوضع الراهن للفن الحديث » بأن الامل الوحيد لكسر حالة الركود والضياع والتكرار الاجوف الذي نجم عن هذه السنين الطويلة من العبث العفوي والمقصود ، الامل الوحيد للخروج من كل ذلك هو العودة الى التراث والواقع والاصالة الذاتية لكل بلد ولكل فنان . □

فتوح البهنسا

كتاب شعبي في فتح العرب لصعيد مصر

فاروق خورشيد

الخلق الحضاري الاسلامي يدخل كعنصر رئيسي الى جوار المغامرة الحربية في نسيج روائي متكامل تضمنه كتاب شعبي في فتح العرب لصعيد مصر ..

مؤلف شعبي صعيدي يسجل فتح العرب لبلاده ودخول الاسلام اليها في هذا النص الشعبي الروائي .

كنت كثيراً ما أتساءل عن سر خلو فترة الفتح الاسلامي لمصر من قصص شعبية، تسجل البطولات والمعارك التي خاضها أصحاب الدعوة الجديدة،وهم يواجهون في مصر آخر معقل للروم ثانية القوتين العالميتين اللتين كانتا تسيطران على العالم المعروف آنذاك .. لقد سجل الأدب الشعبي معارك العرب مع الفرس في سيرة حمزة البهلوان وفي سيرة عنترة بن شداد . كما سجل أيضاً معارك العرب مع الروم في المشرق في سيرة ذات الهمة . وسجل معارك العرب مع الأحباش في سيرة سيف بن ذي يزن ، كما سجل معارك المسلمين مع الصليبيين في سيرة الظاهر بيبرس ، ولكن هذه المعارك المسجلة في هذه السير ليست معارك الفتح ، وانما هي انعكاسات للمعارك المريرة الطويلة بين العرب والشعوب المجاورة لهم ، ثم بين الدولة الاسلامية والدول الطامعة فيها،والمقاومة لامتداداتها وفتوحاتها المستمرة .. ولعل الأمر أن كتب السيرة النبوية وكتب المغازي وكتب التاريخ الاسلامي قد وفت هذه المعارك حقها ، ولعل الأمر أن روايات الصحابة عن تجاربهم في جهاد الفتح الاسلامي قد أغنت الخيال الشعبي ، فتبنى هذه الروايات واكتفى بها ، ولعل القداسة التي أحاطت بهذه المعارك ، وبمن خاضوها من الصحابة عقلت جناح الخيال الشعبي فلم يحلق بحرية في هذه المجالات . ولعل الأمر أن البطل

الاسلامي الأول وهو الرسول عليه السلام قد استحوذ بكل الخيال الشعبي،فأنصرف يتغنى بصفاته وأعماله في الملاحم النبوية المتعددة ، وقد طبقت شهرة بعضها آفاق العالم الاسلامي ، وأخذت مكان القداسة عند الكثيرين من المتصوفة وعامة المسلمين كبردة البوصيري ، ومعارضاتها الكثيرة المتنوعة . . وان كان هذا أقرب الى الأدب الديني منه الى الأدب الشعبي بمفهومه المحدد . . ومع كل هذا فقد ظهرت عدة أعمال شعبية حول الفتوحات ، امتزج فيها الخيال الشعبي بالحقائق ، وحارب فيها الأبطال المردة والشياطين الى جوار حروبهم للكفار وعبدة النجوم والأصنام . . ولعل أبرزها ما دار حول فتح اليمن،فقد ظهرت قصتان منفصلتان وان كان البطل فيهما واحداً ، والمؤلف فيهما واحداً أيضاً ، والقصتان هما : (فتوح اليمن المعروف برأس الغول) و (قصة

الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وفتحه السبعة حصون ومحاربته الهضام بن الجحاف بن عون بن غانم الباهلي ، ملك الجان الملقب : بمرارة الموت) . . ومؤلفها ، او المؤلف الذي تنسبان اليه وترويان عنه هو (أبو الحسن احمد بن عبد الله بن محمد البكري) ويلقبه الطابع والناشر المعاصر بالمؤرخ القصصي الشهير . . وقصة (فتوح اليمن) يرويها البكري هذا عن محمد بن اسحاق الكلبي ، عن الأعمش ، عن ابن عباس رضي الله عنه . أما القصة الثانية (قصة الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) فيرويها عن يوسف بن عبد الله وخالد بن رفاعة الجهني . . وهي أسماء يختلط فيها المحدثون بالمؤرخين بالرواة . . وواضح ان البطل في القصة الأولى يواجه فارساً شريراً وملكاً فاجراً طاغية ، كما أنه من الواضح أيضاً أن البطل في القصة الثانية يواجه ملكاً كافراً من ملوك الجان . . والمغامرات في القصة الأولى تذكرنا بسيرة عنترة بن شداد البطل الشمالي العدناني ومعاركه مع أبطال الفرسان ، والمغامرات في القصة الثانية تذكرنا بسيرة سيف بن ذي يزن البطل الجنوبي القحطاني ، ومعاركه مع أبطال الجن والأنس على السواء . . فالبطل الاسلامي هنا وهو الامام علي بن ابي طالب يجمع عند القصاص الشعبي بين قدرات البطلين الشمالي والجنوبي معاً ، ويؤيد بنفس القوى الغيبية التي ساندتهما ، ولكنها هنا قوى مرتبطة بالدين الجديد والنبي الاسلامي . .

فتوح الشام وفتوح مصر

وكما حدث بالنسبة لفتح اليمن حظيت فتوح الشام والعراق بعمل اختلط فيه الحدث التاريخي بالخيال الشعبي وهو (فتوح الشام) للواقدي ، مسجلاً بطولات أبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وخالد ابن الوليد والزبير بن العوام وغيرهم من الصحابة ، ومشركاً المرأة في هذه البطولات وخصوصاً خولة بنت الأزور . وهو في كل هذا لا يخالف النصوص التاريخية المعروفة ، وانما هو يزيد عليها ويضيف ، ويجري خياله في تعميق (الأخبار) تعميقاً دراميا، لتتحول الى احداث قصصية ، فيها الحوار ، وفيها الانفعال ، وفيها المنولوج الداخلي ، وتحظى ببعض الحيلة ، وببعض الاثارة الروائية . ومن هنا خرجت من عباءة التاريخ لتدخل في اطار العمل الشعبي الروائي ، وان لم تصل الى درجة السيرة فهي تصل الى محيط الأعمال البطولية المعروفة في الأدب الشعبي ، والتي يمكن أن نسميها بأدب الفتوة ، وان تدرج فيها أيام العرب ، وكتب الغزوات بعامة . .

ويظل السؤال قائماً عن اختفاء مثل هذا الجهد الشعبي في تسجيل فتح العرب لمصر . حقيقة ان مصر غنية بحكايات البطولة الشعبية ، اذ نجدها أرض سيرة سيف بن ذي يزن في حروبه مع الأحباش لاسترداد كتاب النيل انعكاساً للصراع المصري الحبشي أيام المماليك والذي تزامن مع الحروب الصليبية كأنه قوة ضاغطة لاضعاف قوة المواجهة العربية تجاه الغرب المتستر في حروبه الاستعمارية باسم الدين ، والذي دفع الحبشة باسم الدين أيضاً أن تشارك في هذه الحروب . وحقيقة ان مصر كانت أرض سيرة الظاهر بيبرس لتسجل حروب الصراع المباشر بين العرب والغزاة الذين يرفعون امام سيوفهم شعار الصليب . فدور مصر في الكفاح الاسلامي ، أو كفاح الحضارة الاسلامية ضد الغزاة أبرزه القصاص الشعبي في سيرتين من أهم الموروث

العربي الشعبي من السير . ولكن فترة الفتح نفسها لم تحظ بما حظيت به فتوحات الشام على يد أبي عبيدة وفتوحات فلسطين على يد عمرو بن العاص ، وفتوحات العراق على يد خالد بن الوليد ، وفتوحات اليمن على يد الامام علي الذي تحول فيها الى بطل شعبي . .

وكنا نؤ ول الأمر بأن مصر ـ كما ذكر المؤ رخون ـ قد فتحت صلحا . ويعدد ابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب الأراء التي اختلفت حول فتح مصر ، هل فتحت صلحا أم فتحت عنوة . الا أن الثابت أن مصر في غالبها فتحت صلحا ما عدا بعض القرى مثل قرية (بلهيب) وقرية (خيس) وقرية (بلطيس) وكذلك فتحت الاسكندرية في المرة الثانية عنوة ، أما باقي مصر فقد فتحت صلحا . ومن هنا فقد كان مجال المعارك الحربية أقل بكثير مما تتيحه معارك الشام والعراق . . كان هذا هو التصور الى أن أهداني الصديق الأستاذ عبد المنعم شميس كتاباً وجده في مكتبة والده مطبوعاً بالحروف القديمة التي عرفناها في طباعة الكتب الدينية ودلائل الخيرات باسم (هذا كتاب قصة البهنسا وما فيها من العجائب والغرائب وما وقع للصحابة فيها رضوان الله عليهم أجمعين) . . والكتاب يحكي فتوح العرب لمنطقة الفيوم والبهنسا والصعيد . . ويقع في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط،وجاءت في آخر صفحاته هذه العبارة : (طبع بالأحرف التي ابتدعها حضرة موسى أفندي فهمي بمصر المحروسة بالمطبعة الكستلية وقد تم في خمسة وعشرين من رمضان الشريف تاريخه) ولم يذكر السنة ، وان كانت قد جاءت في ذيل آخر أبيات الشعر في أوائل الصفحة الأخيرة باعتبارها سنة ١٢٧٨ هجرية أي منذ حوالي ١٢٧ عاماً . . وجاء هذا الكتاب ليرد على التساؤلات ، ويقدم نصاً شعبياً يتناول فتح العرب لمصر تناولاً يمزج بين الحقيقة والخيال ، لتحرره من قيود التاريخ وانطلاقه في رحاب الابداع الفولكلوري بشكل واضح وصريح ـ وهو على كل حال يؤكد ان فتوح مصر لم تمر على الخيال الشعبي دون استجابة يقظة،وانتباه واع بدور الأدب الشعبي في تسجيل بطولات هذا الحدث الهام . .

● فتوح البهنسا

تأصيل البهنسا

والواضح من العنوان أن البطولة في هذا العمل مقصودة للمكان وهو البهنسا ، فهو المعنى بهذا الكتاب وهو محوره . ومن هنا كانت محاولة الكتاب تأصيل البهنسا ومنطقتها ، أي العودة بها الى عمق التاريخ ، وذكر حكاياتها عبر التاريخ وحتى مرحلة الأحداث الرئيسية التي يهتم بها وهي الفتح العربي لها . فمن التقاليد الفنية الثابتة للسير الشعبية العربية البدء بتتبع بطل السيرة في عمق التاريخ وتتبع نسبه صعوداً الى أحد أولاد نوح عليه السلام : سام وحام ويافث فربطه بآدم نفسه مع الوقوف عند أهم الأحداث التي تبرز أهمية أبطال هذا النسب من جدود بطل السيرة وأصحاب القيمة في سلسلة نسبه ، وهو ما يعرف في السير الشعبية باسم (التأصيلة) . .

وقبل أن يبدأ الكتاب في الدخول الى مرحلة التأصيلة يستهل المؤلف حديثه بذكر (فضائل البهنسا وتربتها) . والمؤلف يقدم نفسه قائلاً : « يقول الشيخ العلامة والعمدة الفهامة محمد بن محمد المعز (ونحن لا نعرف عنه شيئاً ، كما أن اسمه لا يرد مرة

أخرى في الكتاب) ومع هذا فنحن نجد في آخر الكتاب قصيدة في فضائل الكتاب من شعر محمد السمالوطي . اذ يقول الكتاب : (أما بعد ، فيقول محمد السمالوطي فلما كان هذا الكتاب الشريف والمسطر الفائق المنيف حكاية لغزوة من أعز الغزوات الاسلامية ، ولما أسفر بدر التمام وفاح مسك الختام قلت :) ثم يورد قصيدة متوسطة الطول يشيد فيها بالكتاب وبأبطال الفتح الاسلامي ، فهل هو نفسه محمد بن محمد المعز ، أم هو غيره . ؟ وفي صفحة (٢٠) من الكتاب نرى أسماً آخر يتشابه مع الاسمين السابقين اذ جاء بالكتاب : (قال الراوي : حدثنا ابو عبد الله محمد بن محمد المقري غفر الله له أنه قال . .) ، فهل كل هذه الأسماء لشخص واحد أم هي لعدة أشخاص ثم هل هو المؤلف الأول للكتاب أم هو أحد الرواة والنقلة ، وفي البحث عن هذه النقطة لفتني في (ص ١٩) عند حديثه عن أول الفتح الاسلامي ما جاء في الكتاب وهو : (قال الراوي بأسانيد صحيحة عمّن حضر الفتح وعاين الفضائل من أصحاب السير والتواريخ مثل الواقدي رحمه الله تعالى وأبي جعفر الطبري وابن خلكان في تاريخه «البداية والنهاية»ومحمد بن اسحاق وابن هشام رحمهم الله ، وكل زاد في حديثه على حديث الآخر لما في ذلك من اختلاف الرواية عمّن حضر الفتوحات وشاهد الواقعات من الصحابة رضي الله عنهم) . . والواقدي هو محمد بن عمر المؤرخ العربي الشهير،كان حجة في الحديث واللغة،وقد الف كتبا كثيرة منها التاريخ الكبير وكتاب المغازي والبعث . عاش في عصر الرشيد،وكانت له صلة بالمأمون وقد خصه المؤلف وحده بطلب الرحمة له ، بينما جمع هذا الطلب للآخرين ـ الأعلى مقاماً في دنيا المؤرخين ـ في طلب واحد للرحمة لهم أجمعين . والواقدي هو صاحب (فتوح الشام) الكتاب الذي تحدثنا عنه من قبل ، وكانت المفاجأة حين عدت اليه أنني وجدت في صفحة (١٣٦) من طبعة (عبد الحميد أحمد حنفي بالقاهرة) بباب عنوانه (ذكر فتوح البهنسا وأهناس وأعمالها وفضائل جبانتها) . . فهل فتوح البهنسا من تأليف الواقدي ، وهل محمد بن محمد هذا أياً كانت صحة اسمه متطفل ناقل لجزء من كتاب الواقدي ؟ .

المقري . . أم المصري

كان هذا هو ظننا الأول وخصوصا عندما لاحظنا تطابق الكتاب مع الجزء الأخير من كتاب الواقدي . ولأن الواقدي هو الأشهر ، فقد جرفنا هذا الظن حتى لاحظنا ورود نفس العبارة الواردة على لسان محمد بن محمد في (ص ١٣٦) من كتاب الواقدي بنصها على تصحيح الاسم وايراده كاملاً . . يقول نص (فتوح الشام) « قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري غفر الله له » فالاسم يكون في الطبعة المنفصلة التي بين أيدينا قد صحف مرة الى المعز ولم نعثر لاسمه وجوداً في كتب الطبقات بين كتاب التاريخ والمغازي ، والى المقري « بفتح الميم » وهو مؤرخ مغربي أقام في دمشق وله كتاب مشهور من أنفس المصادر في تاريخ الأندلس وهو نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . ولم يعرف أنه الف في المغازي أو في تاريخ مصر . وتكون صحة الاسم هي (المصري) . . وتكون (السمالوطي) الواردة في النص المنفصل نسبة الى مدينة الكاتب المصري وهي سمالوط ، وهي واقعة في نفس المنطقة التي يتناول الكتابان أحداث فتحها . وهذه الملاحظة قد عدلت من ظننا الأول في نسبة الكتاب الى الواقدي . وأكد هذا التعديل النص الوارد على لسان أبو عبد الله بن محمد المحدث المصري في كتاب الواقدي وفي كتاب فتوح البهنسا اذ يقول هذا النص : (قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري غفر الله له اطلعت على فتوحات كثيرة فوجدت فيها زيادة ونقصاناً وكذلك تواريخ متعددة . كنت قدمت المدينة يعني البهنسا لزيارة جبانتها) ثم راح يعدد فضائل المدينة والجبانة التي حوت أجساد الشهداء ممن قتلوا في سبيل الله ، ثم يقول : « فزرنا الجبانة في ساعة الأسحار ورأينا ما فيها من الأنوار،وبزيارة قبور السادة الأخيار . نرجو من الله أن يحط عنا الذنوب والأوزار . فلما قضينا الزيارة ولاحت لنا تلك الاشارة اخبرنا عن تلك السادة الأمجاد وما كان لهم من الصبر على الغزو والجهاد . فسألني بعض الأصحاب عن

سبب فتح مدينة البهنسا ليدفع البأس والردى . فحرك لذلك خاطري حتى أسهرت ناظري لذلك . وطالعت التواريخ والفتوحات وتجنبت المزاحات حتى انتجت هذا الكتاب . فمحمد السمالوطي المحدث المصري هنا يشرح لنا سر تأليف الكتاب وسببه ، كما يشرح لنا كيفية هذا التأليف ، وما اعتمد عليه من مصادر ، وما حاول أن يتجنبه مما أسماه بالمزاحات . ثم يصف كتابه فيقول : « فهو كالدرة اليتيمة التي لا يعرف لها قيمة ترتاح عند سماعه النفوس وتزيل الهم والبؤس ويشجع على الجهاد ويعين على اقامة العدل في البلاد ابتغاء لوجه الله الكريم راغباً في ثواب الله العميم » . .

المحدث وكتاب الأسمار

لم يبق أمامنا أي شك بعد هذا في نسبة الكتاب الى مؤلفه ، وان كانت هذه النسبة متأخرة إذ جاءت في (ص ٢٠) من فتوح البهنسا و (ص ١٣٦) من فتوح الشام للواقدي الا أنها جاءت صريحة في الكتابين ، ووجودها في كتاب الواقدي قد يعني أنها إضافة من رواة الكتاب الى كتاب فتوح الشام الذي ضم فتح الشام وفتح العراق فشاء من رواه أن يكمله بفتح مصر ، ولما لم يكن أمامه الا هذا الكتاب عن فتح البهنسا فقد اكتفى بضمه الى كتاب الواقدي وخصوصا أن أبطال الفتح عدة ، وليس بينهم بطل واحد مميز تعقد باسمه هذه المحاولة الشعبية في حكاية الفتوحات ، كما أنهم هم أنفسهم يتكررون وبنفس الصورة في الكتابين حتى لقد عقد صاحب فتوح البهنسا بطولة كاملة لخالد بن الوليد في حرب الصعيد رغم أن هذا يتناقض مع التاريخ من ناحية ، ورغم أن خالداً قد توفي بعد عام واحد من فتح مصر أي العاصمة التي سقطت بسقوط حصن بابليون . وهذا لا يمنع مطلقاً أن مؤلف فتوح البهنسا قد اطلع على كتاب الواقدي وتأثر به تأثراً كبيراً . فهو يؤكد أنه قد أطلع على (الفتوحات) وقرأ (التواريخ) . . وكتاب فتوح الشام يدخل بدون مقدمات الى ذكر أمر النبي ﷺ بايفاد المقاتلين الى الشام وفلسطين ، ودور أبي بكر في تنفيذ هذا الأمر . . أما فتوح البهنسا فهذه الخطبة التي أوردنا أجزاء منها تعتبر مقدمة واضحة لكتاب قصد منه الى جوار ذكر الفتح الامتاع واقامة العدل والحث على الجهاد . فواضح أن صاحب البهنسا قد حدد هدفه بما يغاير الى حد ما هدف مؤرخ كالواقدي ، اذ أنه ذكر أنه يريد أن « (ترتاح) عند سماعه النفوس ويزيل الهم والبؤس » يعني ان الكتاب كتاب اسمار بالدرجة الأولى وليس كتاب تاريخ . ثم أنه كتب ليتلى ويسمع لا ليقرأ ويحفظ كوثيقة تاريخية . . واذا لاحظنا أن اسم مؤلفه ابو عبد الله محمد بن محمد المحدث المصري ، قد حوى الاسم والوظيفة معاً ، فهو محدث مصري . والمحدث أو المحدث ـ راو شعبي عرفه الموروث الفني الشعبي العربي في مصر وغير مصر . والمحدث أو المحدث فنان شعبي يمتع بما يسمع الناس من حكايات وقصص . والمحدث كما أنه مؤد فهو مؤلف أيضاً ، اذ تتم عملية التأليف عنده في ابداع ما يمتع من محفوظه وما جمعه من أخبار . فنحن نقترب من اليقين أن عبد الله بن محمد هو مؤلف هذه الصورة من فتوح البهنسا المنفصلة في كتاب ، والمضافة الى كتاب فتوح الشام للواقدي . ويؤكد هذا من ناحية الموضوع ان كتاب الواقدي لم يذكر فتح مصر أو الأسكندرية أو الوجه البحري بل انتقل فجأة من فتوح الشام وفلسطين والعراق الى فتوح البهنسا أو صعيد مصر دون وقوف عند ما سبق فتح الصعيد من فتوحات أساسية أخرى في دخول العرب لمصر . بينما المؤلف عبد الله بن محمد يرد اسمه في قصيدة الختام في آخر الكتاب باسم محمد السمالوطي ، اي انه صعيدي من سمالوط . ولو كان الكتاب من تأليف الواقدي لاورد الفتوح بترتيبها أما ان المؤلف صعيدي فواضح ان الدافع الشخصي الذي جعله يخص الصعيد بكتابه هذا . . كما يؤكد هذا من ناحية الشكل تكامل الكتاب بخطبة الافتتاح التي أشرنا اليها ، وبقصيدة الختام التي تحدثنا عنها .

وينبغي أن نذكر أن كثيراً من القصائد التي وردت في الكتاب المستقل لم توجد في فتوح الشام ، وان قصيدة الختام لا وجود لها أيضاً في النسخة المنسوبة للواقدي . وفضائل البهنسا تدخل في عملية (التأصيلة) الشعبية التي تحدثنا عنها من قبل . الا انها تبدأ بذكر فضائل المكان قبل ذكر تاريخه وتعميق وجوده الأسطوري . □

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : السينما العربية والافريقية
اسم المؤلف : مجموعة من الكتاب
عدد الصفحات : ١٥٧ من الحجم المتوسط
دار النشر : دار الحداثة ـ بيروت ـ لبنان

ينطلق مؤلفو هذا الكتاب عن السينما العربية والافريقية ، من أن الثقافة ليست الكتاب وحسب ، بل هي أنواع الفن الأخرى ، ومن بين هذه الفنون جميعا تحتل السينما مركزا لا جدال في اهميته .

والكتاب تجميع لمواد نشرت في مجلة « الثقافة الجديدة » المغربية بأقلام عدد من السينمائيين والنقاد الشبان ، الذين قدموا هذا العمل باعتباره « تحليلا ومواجهة وشهادة » على غياب سينما وطنية تحررية وضرورية في أن تكون .

اسم الكتاب : لا تقتلوا الكناري ـ مجموعة قصصية
اسم المؤلف : عادل بشتاوي
دار النشر : دار الأمل للطباعة والنشر ـ دمشق ـ سوريا
عدد الصفحات : ١٥٦ من القطع المتوسط

تحتوي هذه المجموعة القصصية على احدى عشرة قصة قصيرة ، تعكس تجربة حياتية غنية أدبية واضحة . وهذه هي المجموعة الأولى للكاتب عادل بشتاوي ، الذي ينتمي الى جيل السبعينيات ، الذي شهد انكسار الحلم وابتعاد صورة الوطن القريب مع كل منفى جديد يصل اليه .

اسم الكتاب : العمران في مقدمة ابن خلدون
اسم المؤلف : د. سعيد محمد رعد
عدد الصفحات : ٥٨٠ من القطع الصغير
دار النشر : دمشق ـ سوريا ـ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .

« كان ابن خلدون أول من فكر في توضيح الصلات الموجودة بين التاريخ والعمران والاجتماع البشري . . . فالتاريخ بمفهومه العام ، ذو فضل كبير على العمران ، كما أن الأخير ذو علاقة وثيقة بالتاريخ ، ولابن خلدون الفضل بربط هذين العلمين بعضهما ببعض » . انطلاقا من هذا الفهم ، لما كتبه الفيلسوف العربي الكبير في كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر » يخلص د. سعيد محمد رعد الى أن كتاب ابن خلدون هذا محاولة للبحث عن نظرية « خلدونية » متعددة الأوجه تنبني عليها المسيرة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، أساسها تقدم العمران الذي هو أساس التقدم البشري .

اسم الكتاب : ابن تيمية وفكره السياسي
اسم الكاتب : قمر الدين خان
ترجمة : د. أحمد البغدادي
دار النشر : مكتبة الفلاح ـ الكويت
عدد الصفحات : ٢٤٦ من القطع الكبير

مع بروز ما يعرف عند البعض بالصحوة الاسلامية التي شملت الوطن العربي والعالم الاسلامي أخيرا ، برز اسم المفكر الاسلامي ابن تيمية باعتباره رمزا لهذه الصحوة . ومن بين كتب عديدة تناولت حياة وفكر هذا المفكر الاسلامي الكبير اختار الدكتور أحمد البغدادي كتاب « ابن تيمية وفكره السياسي » لترجمته والتعليق عليه . والجديد الذي يقدمه هذا الكتاب كما يرى د. البغدادي هو « حصر الدراسة بالفكر السياسي » لهذا المفكر الموسوعي ، قام بها البروفسور الباكستاني قمر الدين خان الذي « تخصص في هذا الجانب من فكر ابن تيمية » .

اسم الكتاب : وعليكم السلام
اسم المؤلف : محمود عوض
دار النشر : دار المستقبل العربي ـ القاهرة ـ ج.م.ع
عدد الصفحات : ٥٦٠ من القطع الكبير

يقول الصحفي محمود عوض في مقدمة كتابه هذا « السلام هو الأصل في الاشياء . السلام وليس الحرب ، هو نقطة البدء بين الدول ، تماما مثل الفضيلة وحب الخير » ومن هذه المقدمة التي تبدأ بكلمة السلام يعود الكاتب الى حروب مصر العربية مع العدو الصهيوني بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٣ ، وذلك ضمن اطار تاريخي يصل الحاضر بحروب مصر الفرعونية ، مرورا بحروب محمد علي والحروب الصليبية ، التي ربطت مصير مصر وسلامها بمصير جيرانها العرب ، وجعلت حربها وسلمها مرتبطين بحربهم وسلمهم .

اسم الكتاب : المرأة ، بحث في سيكولوجية الأعماق
اسم الكاتب : بيير داكو
ترجمة : وجيه أسعد
دار النشر : منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق
عدد الصفحات : ٥٤٣ من القطع الكبير

تقول د. هيلين تيبول أمينة سر الجمعية الفرنسية للتحليل النفسي في تقديمها للكتاب « ان شأن المرأة ليس أكبر من شأن الرجل ولا أقل . انها هي ذاتها ، بكل بساطة ولكنها مختلفة عن الرجل » وبذلك توضع المرأة في مكانها الصحيح من المجتمع الذي تعيش فيه ، فلا هي لغز عصي على الفهم ، ولا هي حيوان نزق كما كانت تعتبرها الثقافة اليونانية اللاتينية ، ولا هي بطن ينتقل من عشيرة الى أخرى كما هي في الشرق .

في هذا الكتاب يحاول بيير داكو من خلال خبرته الطويلة في مجال التحليل النفسي أن يغور عميقا في نفسية المرأة ليكتشف هذه الحقيقة البسيطة .

اسم الكتاب : الشباب والمخدرات في دول الخليج العربية
اسم المؤلف : د. عبدالرحمن مصيقر
دار النشر : شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات : ٣٤٣ من القطع المتوسط

« حتى منتصف السبعينيات كان استهلاك المخدرات في حدود مقبولة نسبيا في دول الخليج العربية ، بيد أنه مع تعقد المشاكل الاجتماعية انتشر تعاطي المخدرات بشكل سرطاني ، وخصوصا مع بداية الثمانينيات » . هذه الملاحظة التي وجدت جذرها في التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمعات الخليجية كانت الحافز للمؤلف لدراسة هذه المشكلة ، التي لا « تتوقف عند ادمان المخدرات » وذلك رغم « النقص الشديد في المعلومات المتعلقة بأنواع المخدرات وخصائصها ، والعوامل المؤدية الى انتشارها » مما يجعل من هذا الكتاب انجازا مهما في هذا الحقل شبه المجهول .

اسم الكتاب : الأعمال الكاملة لاميل حبيبي
اسم المؤلف : أميل حبيبي
دار النشر : دار الجليل ـ دمشق ـ سوريا
عدد الصفحات : ٢٤٠ من القطع الكبير

يحتوي هذا الكتاب على أهم أعمال الروائي الكبير أميل حبيبي ، باستثناء حكايته المسرحية « لكع بن لكع » وقصته الأخيرة « خطية » التي لم تكن قد نشرت بعد . .

والى جانب « سداسية الأيام الستة » التي لفتت اليه الأنظار روائيا جديدا « والوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل » التي جعلت اسم واحدا من الروائيين العرب الكبار ، يضم الكتاب عددا من القصص القصيرة ، وتمثيلية قصيرة كانت قد نشرت قبل أكثر من عشرين عاما ، تدل على مقدرة ابداعية كبيرة برزت بقوة بعد عام ١٩٦٧ .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

بين العدد والمعدود

باب « العدد » في لغتنا الفصيحة من أعقد الأبواب وأكثرها تفصيلا وأطولها ذيولا ، حين يقارن المعدود أو يستقل عنه ، وذلك من حيث تذكيره أو تأنيثه حين يكون المعدود مذكرا أو مؤنثا ، يضاف الى ذلك الاختلاف بين نحاتنا في بعض هذه المسائل ، ثم اختلاف العدد بين مفرد ومركب ومعطوف . وكل هذا جعل دراسة باب « العدد » من أعسر الأبواب النحوية فهما واحاطة على افهام الكبار فضلا عن الناشئة ، ولابد لهم وللكبار من دراسته ، لكثرة استعماله في الكلام .

وقد كنا في صفحتنا اللغوية (العدد ٣١٦/ مارس سنة ١٩٨٥) قد أجبنا عن سؤال من أحد القراء في الأردن ، مؤداه أن هناك كلمات مفردها مذكر ، وجمعها جمع مؤنث سالم ، مثل : كائن وكائنات ، مخلوق ومخلوقات ، حيوان وحيوانات . ومعلوم أن العدد من ٣ الى ١٠ يخالف المعدود في التذكير والتأنيث ، فكيف نعامل هذه الكلمات من حيث تذكير العدد وتأنيثه ؟ وأيها أصح : ثلاثة كائنات أم ثلاث كائنات ، وخمسة مخلوقات أم خمس مخلوقات .. وكان الجواب مايأتي :ـ

١ ـ اذا كان المعدود جمع مؤنث سالما ، وجاء بعد العدد المفرد (من ٣ الى ١٠) فكان تمييزا له ـ نظرنا الى مفرد الجمع ، فاذا كان المفرد مذكرا أنثنا العدد ، فنقول في الأمثلة السابقة : ثلاثة كائنات ، وخمسة مخلوقات ، وسبعة حيوانات ، لأن هذه الجموع ـ وهي مؤنثة ـ مفرداتها مذكرة (كائن ، مخلوق ، حيوان) واذا كان مفرد الجمع مؤنثا ذكرنا العدد ، مثل اربع صفحات ، وفي القرآن « سبع بقرات »

٢ ـ ويصدق هذا ايضا على جمع التكسير ، فيقال : ثلاثة اقلام ، وفي القرآن « سخرها عليهم سبع ليال ، وثمانية ايام » .

٣ ـ ولابد في كل هذه الحالات ان يجتمع الشرطان المشار اليهما قبل ، وهما أن يأتي المعدود بعد العدد ، فيكون تمييزا للعدد ، كما في الأمثلة السابقة ، فاذا لم

يجتمع هذا الشرطان بأن سبق المعدود العدد ، أو حذف المعدود ـ جاز تذكير العدد وتأنيثه ، مثال سبق المعدود العدد : سرت أميالا خمسا او خمسة ، ورأيت العجائب السبع او السبعة ، ومثال حذف المعدود مع ملاحظته في المعنى قولنا : « طفت بالكعبة سبعا او سبعة ، وقبلت الأم طفلها اربعا او اربعة ، وكذلك قولنا : تفقدت اشجار الحديقة (او شجراتها)وقلمت منها عشرا أو عشرة . »

وقد جاء تعقيبان على ماقلناه : الأول صاحبه السيد الهادين محمد ، من « أزغنغان » بالمغرب ، فهو يرى أن جوابنا في الفقرة الأولى لااشكال فيه ، ويستشكل في الفقرة الثانية اذ قلنا : « ويصدق هذا على جمع التكسير فيقال « ثلاثة ـ أقلام » فهو يرى أن كلمة « قلم » مذكرة ومؤنثة ، فيجوز أن يقال : ثلاثة اقلام وثلاث اقلام لأن مفرد الجمع اذا لم يكن مؤنثا حقيقيا (بلد أو بيض) او مختوما بتاء التأنيث يجوز معه تأنيث العدد وتذكيره ، ونحن نوافقه على هذا الرأي ، وقد وضحنا في صفحة لغوية موضوع التأنيث المجازي بأوسع من ذلك قبل أربع سنوات (العدد ٢٦٨ ـ مارس سنة ١٩٨١) ولانعرف وجها لاستشكال السيد المغربي على المعدود اذا كان جمع تكسير ، فنحن لانرى فرقا في استعمال العدد مع المعدود جمعا ، سواء كان جمع مؤنث سالما (كما جاءنا في السؤال) او جمع تكسير ، ونزيد هنا ماسماه النحويون « الملحق بجمع المذكر السالم » ومنه « سنون ، وأرضون ، وعالمون ، كما في الآية : « قال تزرعون سبع سنين دأبا » وحديث السيدة عائشة عن النبي : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » . وكل هذا خاص بتذكير العدد وتأنيثه حين يقدم العدد على المعدود ، فيكون المعدود تمييزا له

وأما تذكيره وتأنيثه حين يتأخر العدد فيكون صفة للمعدود ، فقد عرض له تعقيب ثان .

والثاني صاحبه الأستاذ أنيس خوري من « ساوباولو » عاصمة البرازيل ، وقد جال في تعقيبه جولة واسعة في كتب النحو الحديثة ـ وكل مؤلفيها علماء ـ وذكر أن بعضهم يوافقوننا على ماقلناه في جواز التذكير والتأنيث في العدد صفة ، غير أنهم يفضلون تذكير العدد مع المعدود المؤنث ، وتأنيثه مع المذكر ، وبعضهم يسكت عن الحكم،وكل مايعنينا هو جواز الأمرين ، وقد نبه الى قاعدة جوازهما « الصبان » في حاشيته على«الأشموني»في أول باب «العدد» نقلا عن بعض العلماء ، وأشار بحفظها لأنها قاعدة عزيزة .

أما تفضيل بعض المحدثين تذكير العدد مع المعدود المؤنث ، وتأنيثه مع المذكر ، فلا نعرف له وجها غير توحيد القاعدة استحسانا ، ولم يوحدها العرب ، واخيرا كنا نتمنى لو تطورت لغتنا فأجازت الوجهين في العدد أيا كان موقعه مع المعدود او مستقلا عنه . □

رأى قيس بن الملوح (مجنون ليلى) نفسه عند جبل التَّوْباذ ، حيث كان هو وليلى يرعيان غنمهما في صغرهما ، فهاجت في نفسه ذكرياته معها :

وأجهشت للتوباد حين رأيته ... وكبّر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لما عرفته ... ونادى بأعلى صوته ، فدعاني
فقلتُ له : « قد كان حولك جيرة ... وعهدي بذاك الجمع منذ زمان »
وقلت لهُ : « أين الذين عهدتهم ... بقربك في حفظ وطيب أمان
فقال : « مضوْا . واستودعوني ديارهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان »
وإني لأبكي اليوم من حذري غدا ... فراقك والحيّان مؤتلفان

جمان العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

قَتِيلُ الحُبِّ

تنسب هذه الأبيات الى عروة بن حزام النهدي (من قبيلة نهد) ، وكان يعيش فى صدر الاسلام ، وادرك العصر الاموى ، وهو من الشعراء الذين تغنوا بالحب ، واشتهرت قصته مع عفراء ، حتى ضرب به المثل فى ذلك يومئذ ، كما اشتهر حب مجنون ليلى بعده ، ومن ذلك قول جرير لصاحبته :

هل انت شافية قلبا يهيم بكم
لم يلق عروة من عفراء ماوجدا

قيل : إن اباه توفى ولعروة اربع سنوات ، فنشأ يتيما فقيرا يكفله عمه هصر ابن مالك ابو عفراء ، فنشأ معها ، فلما شب طلبها من عمه ، فوعده بها ، ثم اخرجه الى الشام ليجمع مهرها من التجارة ، وفى غيبته نزل على عمه ابن اخ آخر له يقال له « أثالة » وكان يريد الحج ، فلما رأى عفراء طلبها من عمه واكثر له مهرها ، فزوجه اياها ناكثا بوعد عروة ، فلما رجع عروة بعد رحيل عفراء مع زوجها وعرف قصة زواجها وذهاب زوجها بها إلى الشام - اشتد به القلق والمرض ، حتى اصابه الهزال والهذيان ، وبقى معتلا حتى وفاته .

روى ابو على القالى فى صدر كتابه « النوادر » ان رجلا رأى عروة وقد شارف الموت ، وعنده امرأة تعلله ، فسألها : من هو ؟ فأجابته : هذا قتيل الحب ، عروة بن حزام .

والقصيدة اثنان وثمانون بيتا فى كتاب « النوادر » وسبعة وسبعون فى كتاب « تزيين الاسواق فى اخبار العشاق » لداود الانطاكى ص/ ١٢٤ ، وقد اشار القالى الى اختلاف الروايات فيها وقد اجتزأنا منها الابيات الآتية ، لانها أيسر .

قتيل الحب

خليلىّ من عُليا هلال بن عامرٍ	بصنعاء ، عُوجا اليوم وانتظرانى
ولاتزهدا فى الأجر عندى ، وأجملا	فإنكما بى اليومَ مبتَلَيان
ألمّاً على عفراء ، إنكما غدًا	بشحط النوى والبين مفترقان
على كبدى من حبّ عفراء قرحةٌ	وعيناى من وجدٍ بها تكفان
فعفراءُ أرجى الناسِ عندى مودةً	وعفراء عنى المعرضُ المُتَوانِى
إذا رام قلبى هجرها حال دونَه	شفيعان من قلبى لها جَدِلانِ
إذا قلت « لا » ، قالا « بلى » ثم اصبحا	جميعا على الرأى الذى يريان
فيارب ، انت المستعانُ على الذى	تحملتُ من عفراء منذُ زمان
فياليت كلُّ اثنين بينهما هوًى	من الناسِ والأنعام يلتقيان
فيقضى حبيبٌ من حبيب لُبانةً	ويرعاهما ربى فلا يُريان
وياليت محيانا جميعا ، وليتنا	اذا نحن متنا ضمّنا كَفَنان
وياليت أنّا ـ الدهر ـ فى غير ريبةٍ	خليّان نرعى القفر مؤتلفان
وانى لأهوَى الحشرَ إن قيل إننى	وعفراء يومَ الحشرِ مُلتقيان
تحمّلتُ من عفراء ماليس لى به	ولا بالجبال الراسيات يَدانِ
كأن قطاةً عُلِّقت بجناحها	على كَبِدى من شدةِ الخفقان
ألا لعن اللهُ الوشاةَ وقولَهمْ :	« فلانة اضحت خُلَّةً لفلان »
فواللهِ ماحدثت سرك صاحبًا	أخًا لى ، ولافاهتْ به الشفتان
اذا ماجلسنا مجلسا نستلذُّه	تواشَوْا بنا حتى أملَّ مكانى
تكنَّفنى الواشون من كل جانبٍ	ولوكان واشٍ واحد لكفانى
أعفراءُ كم من زفرةٍ قد أذقْتِنى	وحزنٍ ألجَّ العَيْنَ بالهَمَلانِ
لو انّ أشدَّ الناسِ وَجْدا ، ومثله	من الجنِّ بعد الإنس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ، ثمة أشتكى	لأضعف وجْدِى فوق مايجدان
فويل على عفراء ويلا كأنهُ	على الكَبْدِ والاحشاء حدُّ سِنان
فقد تركتْنى ما أعى لمحدِّثٍ	حديثًا ، وإنْ ناجيتُه ونجانى

١ ـ صنعاء هنا ليست المدينة الكبرى فى اليمن ، بل هى قرية صغيرة كانت فى الشام بين دمشق والمزة (انظر كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعًا للجغرافى المؤرخ ياقوت الحموى ص ٢٨٦ .

وإنى لتعروني لذكراكِ رِعْدةٌ	لها بين جِلْدي والعظام دبيبُ
فما هو إلا أن أراها فُجاءةً	فأبهت ، حتى ما أكادُ أُجيبُ
بنا من جوى الأحزانِ والبعد لوعةٌ	تكادُ لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ
وما عجبي موتُ المحبين في الهوى	ولكن بقاءُ العاشقين عجيبُ

(عروة بن حزام)

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ من هو العالم الذي أسره النازيون ابان الحرب العالمية الثانية . . ولم يطلقوا سراحه الا بعد دفع فدية بلغت ٢٠,٠٠٠ دولار .

٢ ـ الممر الشمالي الغربي والممر الشمالي الشرقي كلاهما ممر بحري، وكلاهما يصل بين شمال المحيط الاطلسي وشمال المحيط الهادي . . . فأي الممرين يسير بمحاذاة شواطيء سيبيريا وايها يسير بمحاذاة شواطيء كندا الشمالية ؟

٣ ـ مادة الكافيين ومادة الثايين . . المادة المنبهة في القهوة والشاي . . ترى في أي المشروبين توجد مادة الكافيين . . وفي أيها توجد مادة الثايين ؟

٤ ـ اللوكيمياء أو سرطان الدم . . ترى أي الكريات الدموية يصيبها ويتلفها هذا المرض الخبيث . . الكريات الحمراء . . أم الكريات البيضاء ؟

٥ ـ أي العلوم أطلق عليه السلف الصالح اسم « الحيل » ؟

٦ ـ الزولو والماوري والمايا والانكا والبزلطي . . كلها متجانسة ماعدا واحدا . . فأيها الناشز ولم كان ناشزا ؟

٧ ـ زراعة القطن وزراعة الارز تحتاجان الى مقادير كبيرة من ماء الري . . وتبلغ حاجة احدهما ٤٠٠٠ طن ماء وتبلغ حاجة الأخر ١٠,٠٠٠ طن ماء . . وذلك لإنتاج طن واحد فقط من المحصول . . فأي الزراعتين هي هذه ؟ وأيها هي تلك ؟

٨ ـ خط جرينتش هو غير خط التوقيت الدولي . . وكلاهما مطابق أو محاذ لاحد خطوط الطول (١٨٠) و (صفر) على التوالي . . ترى ما التغيير الذي تحدثه

الثقافية

للشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢١ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو اكتوبر ١٩٨٥ .

في ساعتك . . بل في الوقت الذي تمثله عند قطع خط جرينتش ؟

٩ ـ قارة استراليا وقارة القطب الجنوبي . . أي القارتين تبلغ مساحتها ضعفي مساحة الاخرى أو تزيد ؟

١٠ ـ البوصلة المغناطيسية كانت ومازالت تهدي البحارة والمستكشفين سواء السبيل . . وهي تعمل في كل مكان على سطح الأرض ماعدا مكانا واحدا تتوقف فيه البوصلة المغناطيسية ولا تعمل أبدا . . ماهو هذا المكان ؟

١١ ـ سوفوكليس، ارستوفانيس ، اسكيلوس ، هوميروس . .
اسماء بعض مشاهير الكتاب الاغريق وثلاثة من هذه الاسماء متجانسة وواحد منها ناشز . . فأيها الاسم الناشز . . ولم كان ناشزا ؟

١٢ ـ الاستقراء والاستنباط : أيهما يستخلص الكليات من الجزئيات ؟ وأيهما يستخلص الجزئيات من الكليات . . . ؟

العدد ٣٢١
أغسطس ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أوعلى ورقة منفصلة ترفقهامعه

الإجابة على الأسئلة :

١ - ....
....
٢ - ....
....
٣ - ....
....
٤ - ....
....
٥ - ....
....
٦ - ....
....
٧ - ....
....
٨ - ....
....
٩ - ....
....
١٠ - ....
....
١١ - ....
....
١٢ - ....

الاسم : ....
....

العنوان : ....
....
....

مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي

حل

١ - تبلغ السنة الضوئية بالضبط ٥،٨٨٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ميل لأن سرعة الضوء تبلغ ١٨٦،٢٨٣ ميلا في الثانية .. ولما كانت سرعة الصوت ٧٦٠ ميلا في الساعة كانت السنة الضوئية تبلغ حوالي ٦،٥ مليون ميل ..

٢ - امستردام عاصمة هولندة وأكبر مدنها .. فقد انشئت على أقنية عديدة .. لذا كثرت فيها الجسور حتى بلغ عددها ٤٠٠ جسر وتزيد .

٣ - نظرا لأن بعد الشمس عنا يبلغ ٤٠٠ ضعف أكثر من بعد القمر ..

٤ - الوحدانية هي محور معتقدات السيخ الدينية .. ويذكر ان مؤسس هذا المذهب هو ناناك (١٤٦٩ - ١٥٣٩) .

٥ - البلدة السورية التي مازالت اللغة الآرامية فيها حية هي معلولا ، احدى قرى جبل القلمون .

٦ - الخِطبة .. هي طلب الزواج .. والخُطبة هي الخطاب أو المحاضرة .

٧ - سلسلة جبال الألب الشهيرة الثانية تقع في نيوزيلنده .. وتبلغ أعلى قممها ١٢٣٤٩ قدما .. وتقع سلسلة الألب الثالثة في استراليا .

٨ - اكرون بلدة صناعية تقع في ولاية اوهايو في امريكا .. اسسوها سنة ١٨٢٤ .. لتكون مركزا لصناعة اطارات السيارات .. ومازالت اكرون هي الأولى في هذه الصناعة في العالم كله .. عدد سكانها ٣٠٠،٠٠٠ نسمة .

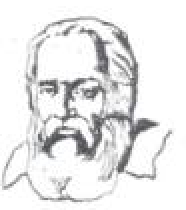

جاليلي جاليليو

مسابقة العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥

٩ ـ سمي بوكسايت نسبة الى منطقة Le Baux في جنوب فرنسا .

فقد اكتشف فيها البوكسايت اول ما اكتشف . والجدير بالذكر أن البوكسايت خاصة يستخرج منها الالمنيوم وليس العكس ، ولعلها أكثر خاماته انتشارا في العالم .

١٠ ـ انه جاليلي جاليليو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) ادانته محاكم التفتيش بالهرطقة وحكمت عليه بالاقامة الجبرية في منزله لا لسبب إلا لأنه قال : إن الكرة الأرضية هي التي تدور حول الشمس وليس العكس ، وهكذا قضى جاليليو آخر ٧ أو ٨ سنوات من حياته سجين بيته .

١١ ـ دسيبل وحدة الضوضاء .

ميلليبار وحدة الضغط الجوي .

رختر وحدة قوة الزلازل ومبتدعها هو العالم الامريكي فرانسيس شارلز رختر .. من علماء القرن العشرين ..

١٢ ـ نعم ... يوجد ليل ونهار على سطح القمر .. ويبلغ طول كل منها ١٤ يوما من أيام الأرض بالتقريب ..

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : محمد فاضل بن محمد البشير / نواكشوط / الجمهورية الاسلامية الموريتانية .

الجائزة الثانية : الهادي بتراهير / ازمور نابل / تونس .

الجائزة الثالثة : عبد الله احمد البزره / الكويت ـ الصفاة

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ السيدة قدرية محمد احمد / كفر الزيات ـ مصر

٢ ـ سهيل موسى يوسف السكر / الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

٣ ـ جودان متير / الدار البيضاء ـ المغرب .

٤ ـ السيدة / هند محمد سليمان خرايشه / الأردن ـ اربد .

٥ ـ علي عبد العزيز السهلي / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .

٦ ـ مصطفى زوابر / حي الصوامع / ولاية عين الدفلى ـ الجمهورية الجزائرية .

٧ ـ سناء عبد الجبار علي / العراق ـ البصرة .

٨ ـ صلاح الدين عبدالقيوم ابو شامه / بورتسودان ـ السودان .

معركة بلا سلاح

الأخذ بالمار

للبيدق كما تعلم في أول نقلة له الخيار بين أن يخطو خطوة واحدة الى الأمام أو خطوتين،وقد تنطوي الحركة الأخيرة على ما يعرف بالأخذ بالمار او التجاوز . والاستفسارات الكثيرة التي تردنا من القراء حول القوانين المتعلّقة بهذه النقلة تحتّم علينا أن نتوقّف عندها قليلاً،راجين أن تتسع لذلك قلوب المتقدمين في اللعب من قرّائنا ، فهذا الباب كما يحرص على تزويدهم بكل جديد ومفيد من مباريات وبطولات وأخبار شطرنجية يحرص في الوقت ذاته على رفع مستوى هذه اللعبة الثقافية لدى جميع محبّيها في وطننا العربي الكبير على اختلاف مستوياتهم ، وللقارىء الضعيف والمتوسط القوة في هذه اللعبة حقّ في اهتمام هذا الباب لا يقل عن حقّ القارىء المتقدم . وأشدّ ما يثلج صدور القائمين على هذا الباب هو تلك الرسائل التي يؤكد اصحابها بأن هذا الباب قد أسهم في رفع مستواهم،ومضاعفة اهتمامهم في هذه اللعبة التي بلغ من اهتمام بعض البلاد المتقدمة بها ان أصبحت جزءاً أساسيا من مناهجها الدراسية .

والشكل التالي يوضّح طريقة الأخذ بالمار :

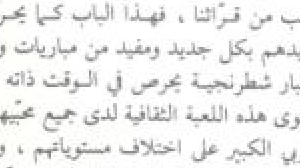

في الشكل الايمن يحتلّ البيدق الأبيض جـ الخانة الخاصة به في صفه الأصلي اما البيدق الأسود ب فيشغل الصف الرابع . نوبة اللعب الآن للأبيض الذي يقدم البيدق جـ خطوتين كما في الشكل الأوسط، واصبح يجاور البيدق الأسود افقياً في الصف الرابع . نوبة اللعب الآن للأسود وتراه في الشكل الأيسر قد نقل البيدق ب٤ إلى جـ٣ بعد ان نزع البيدق الأبيض من الرقعة تماما كما لو كان الأبيض قد تحرك خطوة واحدة فقط وَوَقع تحت ضرب البيدق ب٤ وهو ما يعرف بالأخذ بالمار en passant أو المجانبة او التجاوز . وللأسود على أيّة حال الخيار بأن يأخذ بالمار او لا يأخذ وكأنه عندما يأخذ بالمار يسترد حقاً حاول الأبيض استلابه منه .

وهذا الحق مرهون بنوبة النقل ولا يكون إلا في الحال ، فلو اختار الأسود عندما يحين دوره في اللعب ان ينقل نقلة أخرى مهما كان نوعها فانه بذلك يفقد حقّه بالأخذ بالمار وليس له إلا أن ينقل نقلةً أخرى عاديّة .

ويرجع تاريخ هذه النقلة الى مطلع القرن السابع عشر للميلاد اذ لم يرد ذكر لها مطلقاً قبل ذلك التاريخ والمسألة الاشتراطية التالية ظهرت في كتاب للمؤلف الشطرنجي جيانوتو Gianuto المطبوع سنة ١٥٩٧ للميلاد وهي تشير بوضوح إلى أن قانون الأخذ بالمار لم يكن وارداً حتى ذلك التاريخ :

المسألة : المطلوب من الأبيض ان يضرب كش مات ببيدق الحصان ز٢

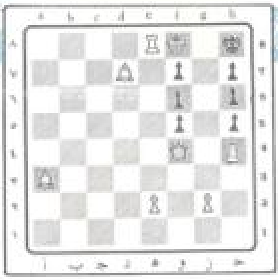

وفيما يلي الحل كما ورد في الكتاب المذكور :

١ ـ ر-هـ ٤	و×هـ ٤
٢ ـ ف ب ٢	هـ ٣
٣ ـ ف - هـ ٦	و× هـ ٦
٤ ـ م - و٧	هـ ٥
٥ ـ و - و٥	هـ ٤
٦ ـ ر- حـ ٣	حـ ٤
٧ ـ ز ٤	حـ ٥

لاحظ ان نقلات الأسود كلها إجبارية ، وأن البيدق حـ لا يأخذ البيدق ز ٤ بالمار مما يدل على أن قانون الأخذ بالمار لم يكن قد استحدث بعد .

٨ ـ ز ٥	حـ ٦
٩ ـ و - حـ ٨+	م - حـ ٧
١٠ ـ ز ٦ كش مات	

مسابقة العدد

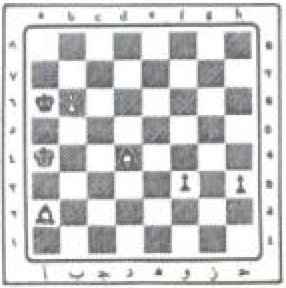

مسألة رقم (٣٢) من وضع القارىء مصطفى محمد
الأبيض يلعب ويميت الشاه في ثلاث نقلات .

حل المسابقة رقم (٣٠)

١ ـ ح-جـ ٨+	ح - جـ٥
٢ ـ و× جـ ٥	و×جـ ٥
٣ ـ ر-د ٨ كش مات	

الفائزون بحل مسابقة مايو ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ فتحي محمود ابراهيم ـ القاهرة / مصر .
٢ ـ حسين بدران حسين ـ تبوك / السعودية .
٣ ـ أسامة السرّاج ـ دمشق / سوريا .
٤ ـ عامر حسن عيادي ـ عمان / الاردن .
٥ ـ محمود طيب أحمد ـ العراق / محافظة الانبار .

الفائزون باشتراك ستة اشهر :

١ ـ محمد سعيد عثمان الرعجي ـ الدوحة / قطر .
٢ ـ سفيان الزوادي ـ تونس / الجمهورية التونسية .
٣ ـ محمود السمّان ـ الرياض / السعودية .
٤ ـ رشاد محمد ابراهيم ـ سوهاج / مصر .
٥ ـ بنمادة محمد ـ الدار البيضاء / المملكة المغربية .

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

نباتات الأمن الغذائي

● نشرت مجلة العربي في العدد (٣١٧) مقالا تحت عنوان « سلامة البشرية في سلامة البيئة » فقالت بأن هناك نباتات تبشر بتحقيق الأمن الغذائي ، وأود منكم ارسال عنوان مركز البحث الذي يجري أبحاثا على هذا النبات - كما أطمع في ارسال بعض الأبحاث والدراسات حول هذا الموضوع إن توفرت لديكم من أجل الاستفادة منها في هذا الميدان . . .

المهندس موفق سعيد - سوريا

العربي

شكرا على اهتمامكم بكل ما ينشر في العربي ، وخصوصا فيما يتعلق بالجوانب العلمية التي تكتشف لأول مرة وتسلط الضوء عليها . . ويطيب لنا أن نخبرك بأن المصدر الذي تناولنا منه الخبر هو مجلة « نيوزويك » الاميركية الصادرة بتاريخ ١٧/١٢/١٩٨٤ ، وفي استطاعتكم الحصول عليه من مكتبة التوزيع في بلادكم .

اهتموا بالفنون الشعبية

● نتابع صدور العربي منذ زمن طويل ، ونحرص على الحصول عليها حين تصل الى بلادنا . . ولا يغيب عن ذهننا ما تقدمه المجلة من جهد ووجبة ثقافية عامة مع مطلع كل شهر . . لكن لدينا بعض الملاحظات التي نرجو أن تأخذوها بعين الاعتبار . ولعل أول هذه الملاحظات . أن المجلة تصل متأخرة عن موعد الصدور ، وقد يمتد هذا التأخير الى النصف الثاني من الشهر . . وثاني هذه الملاحظات أن المجلة لا تعطي الفنون الشعبية للدول الاهتمام المطلوب ، وخصوصا الفنون الكويتية التي يحرص كل باحث على معرفة أنواعها وايقاعاتها

محمد فؤاد مقصود - حلب - سوريا

العربي

فيما يتعلق بتأخير وصول المجلة في بعض الشهور ، فان ذلك يعود لعوامل المواصلات واجراءات الجمارك .

أما عن الفنون الشعبية وخصوصا الكويتية ، فان المجلة تحرص على تناول الفنون العربية بشكل عام بين صفحاتها ، وبامكانك الحصول على ما تريد من بحوث ودراسات متخصصة عن الفنون الكويتية ، عن طريق مراسلة المعهد العالي للفنون الموسيقية بوزارة الاعلام الكويتية .

ينشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

مذنب هالي .. ما حقيقته

● اطلعت على بحث علمي حول « مذنب هالي » والحقيقة أن مثل هذا المذنب لم نعرف عنه من قبل ، ولا نعرف حقائق ومعلومات واسعة عنه ، فما هي حقيقته ؟ ولماذا تكثر عنه الحديث في الأونة الأخيرة .. ؟

محسن عامر الحوجان ـ الصباحية ـ الكويت

العربي

يطيب لنا أن نفيد القارىء العزيز بأن المجلة سوف تنشر بحثا مصورا عن « مذنب هالي » وعن الجهود التي تبذلها شتى الدول لمواجهته وذلك في عدد قادم إن شاء الله ..

الدفاع عن الاسلام واجبنا

● بينما الصحوة الاسلامية تزداد رقعتها في بلادنا الاسلامية ، فان هناك من يحاول التطاول والافتراء على الرسالة المحمدية ، من الحاقدين الذين لا يدينون بالاسلام ، ولا يريدون له الانتشار وزيادة مساحة رقعته ..

ولأن مجلتنا « العربي » هي رائدة المجلات العربية والاسلامية ، نظرا لما تقدمه لنا من طبق ثقافي كل شهر ، فاننا نود منها أن تزيد في القاء الضوء على الجوانب الدينية ، لدحض هذه الافتراءات التي يأتي بها أعداء الاسلام ..

جهاد السيد محمد ابراهيم ـ سوهاج ـ مصر العربية

العربي

تولي المجلة كل اهتمام للقضايا الدينية ، وقد ألقت الضوء على الكثير منها .. وفي المجلة باب شهري بعنوان « البيان في تنزيل القرآن » يتناول العديد من جوانب الدين الاسلامي ، ورسالتنا جميعا كبيرة في خدمة ديننا الذي جاء به سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ..

الرغبة والطموح

● يخلط البعض بين الرغبة وبين الطموح ، ولكل جانب رأيه في هذا الموضوع ... وفي رأيي أن الرغبة هي شعور معين للحصول على شيء يرغب الانسان بالحصول عليه ، وغالبا ما يكون هذا الشيء ماديا .. وكثيرا ما تكون الرغبة رخيصة ليست بذات أهمية ، ورغبة الانسان لا تقف عند حد معين ، لانه يرغب في حمل شيء يراه اذا لم يأت عليه بأي ضرر ..

أما الطموح فهو شعور داخلي لدى الانسان للوصول الى هدف معين يريد الوصول اليه ، ويبذل كل ما في وسعه من دوافع وجهد في سبيل تحقيق الهدف ، حتى وان كان الوصول بعد فترة طويلة ، فانه يسعى لتحقيق طموحاته دون أن يتأخر عنها ...

مفتاح محمد الجروشي ـ مصراته

الجماهيرية الليبية

حوار القراء

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

العربي

الطموح أقوى من الرغبة ، والناس تختلف فيما بينها من حيث هذه الرغبات والطموحات .. وذلك فان من الناس من لا طموح ولا رغبة لديهم ، لعدم احساسهم بها ، لكن الفئة الأخرى تملك الرغبة للوصول الى ما تريد ، وطموحاتها كبيرة لبلوغ أهدافها التي تضعها في طريق حياتها ..

العربية .. اللغة الأم

● قرأت في العدد (٣١٧) مقالا تحت عنوان « لماذا هذه الحرب على لغتنا الجميلة ؟ » للدكتور عمر موسى باشا ـ كشف فيه عما يخفيه دعاة اللغة المحلية أو الدارجة خلف دعوتهم من تجزئة تضاف الى هذا التفكك في أرجاء الأمة العربية ..

ومن الغريب أن الذين يقفون خلف هذه النزعة أدباء وشعراء لهم مكانتهم ... وهؤلاء يريدون تمزيق الهوية التي نعرف بها بين شعوب العالم .

فدعوتهم هذه تدل على عجزهم وقصر نظرهم .

ومن المفارقات الغريبة أن أحد دعاتها عضو في مجمع اللغة العربية الأردني ، الذي وجد لحماية اللغة العربية من زحف العامية .

ونحن في ظل الظروف الحاضرة نحتاج الى توحيد الكلمة ، والتأكيد على ضرورة رفع مكانة اللغة العربية ، وحمايتها من العامية التي لا تكتب ولا تفهم فيما بين أقطار الأمة العربية ..

محمد أحمد علوش ـ الرقة ـ سوريا

العربي

اللغة العربية هي اللغة الأم التي نزل بها القرآن الكريم .. « انا أنزلناه قرآنا عربيا » .. صدق الله العظيم .. واللغة العربية هي لغة التخاطب والتفاهم بين الشعب العربي في جميع أقطاره ، وهي وحدها التي تأخذ طريقها الى لسان كل عربي ، حتى لسان الذين يدرسونها من غير العرب .. واذا كان للعامية أنصارها فان انتشارها لا يخرج عن رقعة الارض التي يتكلم أهلها لهجتهم العامية ، لانها تكون صعبة الفهم في أقطار عربية أخرى .

ردود خاصة

● الاخ رمضان بوجرالى . بخصوص سؤالك حول كيفية الاشتراك في المجلة يرجى قراءة الصفحة الثالثة لمعرفة ما تريد ...

● القارئة رشيدة القبلي ، من اليمن الشمالي ، فيما يتعلق بسؤالك عن « كوبون » المسابقة وزيادة مساحة الاجابة .. نقول ، انه لا مانع من كتابة الاجابة على ورق خارجي يرفق مع الكوبون اذا لم تكن هناك مساحة للكتابة في المكان المخصص داخل العدد ..

● شكرا للقارىء الجزائري ساعد ابن عبدالرحمن ، الذي بعث لنا برسالته من الجزائر مشيدا بالدور الثقافي الذي تقوم به العربي ، وبكتب العربي التي بدأت المجلة اصدارها تباعا ...

Are You Ashamed Of YOUR English?

Be specialist trained in written and spoken English — and increase your earning power!

A good command of English can ensure YOUR SUCCESS! It can improve your chances of PROMOTION — increase your EARNING POWER — get you a BETTER JOB and enhance your SOCIAL LIFE. You can acquire it quickly and easily.

When you can talk **fluently and effectively** – write **clearly and concisely**, you impress your boss – your colleagues and your friends.

You gain **respect — prestige,** and leave your business rivals behind you. It can mean **a prosperous new life for you and your family!**

To help **you be successful,** we offer you a unique, easy-to-understand, home-study training for a **Diploma in Business English.** It has been specially written by leading teachers and businessmen for people whose mother tongue is not English.

Your training teaches you both **written and spoken English** – and how to use it in your job. English grammar is made easy. You learn how to increase your vocabulary. You are shown how to construct sentences and paragraphs, and how to develop a good writing style. You are taught how to write business letters, office memoranda, minutes of meetings, reports, and lots more – including telex, telegrams, agendas, etc. **It is so effective that many successful people started this way.**

The spoken part of your training comes on 3 full cassette tapes. There is 155 minutes of recording time and you are given lots of practical work to do. Thus you learn how to speak English **clearly and distinctly.**

You need to work hard at your training, but you don't need any special **education or qualifications.** If you can understand this advertisement, your English is **good enough to understand** fully the training itself.

So, if you are dissatisfied with your present work, pay or prospects — or are ambitious and want the good things in life — why not send for free details NOW of how we can help you **to acquire a good command of English.** It's an opportunity you can't afford to miss. No obligation. Proof of big success by ordinary men and women. Write immediately to: Business Training Ltd, Dept: B/AAB 25, Sevendale House, 7 Dale Street, Manchester, M1 1JB, England.

BUSINESS TRAINING LIMITED

Dept. B/AAB 25,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England.

C.A.C.C. Accredited

Please tell me about your home-study training and how I can obtain my specialist Diploma.

BLOCK CAPITALS PLEASE

Surname ....

Other names ....

Address ....

....

....

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٥م

عقول المستقبل

تأليف : جون تايلور

ترجمة : د. لطفي فطيم

الكتاب الثاني والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر:
وزارة الإعلام - الكويت

أول أغسطس ١٩٨٥

١٩١

أوبو ملكا

تأليف : ألفريد جاري - ١

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية

تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الإجتماعية

رئيس التحرير	مدير التحرير
د. خلدون حسن النقيب	عبدالرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب

□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات :

١٢ ديناراً في الكويت

٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد :

٣ دينار في الكويت ، دينار للطلاب

٣,٥ دينار أردنيا يعادلها في الوطن العربي .

١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للموزع في الكويت والخارج :

مجلة العلوم الإجتماعية

■ توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ص . ب ٥٤٨٦ صفاة الكويت

هاتف : ٢٥٤٩٤٢١ ، مباشر ، ٢٥٤٠١٨٨ / ٢٧٣ / ٢٥٠ / تلكس ٢٢٦١٦ كويت

* *

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ — رئيس التحرير الدكتور عبد الله الغنيم — تصل أعدادها الى أيدي نحو ٢٠٠,٠٠٠ قارئ

مجلة علمية محكمة

يحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية بأقلام نخبة من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون . وتقوم المجلة أيضا باصدار مجموعة من الكتب العلمية المتصلة بالمنطقة ، مع كتاب سنوي يضم ثبتا للوثائق والتقارير المتعلقة بشئون المنطقة خلال تلك السنة .

الاشتراكات

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراك للأفراد : سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية : سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت - الشويخ ص.ب ١٧٠٧٣ هاتف ٨١٦٧٩٩-٨١٦٨٠٧-٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

VHS
V-57TR
(PAL/SECAM/NTSC 4.43 MHz)
الإختيار الصحيح
تكنولوجيا Toshiba المتقدمة تعطيك صورة أكبر
بمقدار ا_٢ انش وخالية من التشويش بفضل تلفزيون
CORE TV (FS) ذات الشاشة المربعة والمسطحة. كما
يمكنك الإختيار ما بين نظام فيديو BETA أو VHS .
(PAL/SECAM/NTSC 4.43 MHz)
V-53TR
(PAL/SECAM)
V-51D
NTSC
V-M42TL
NTSC
V-M41TL
28" CORE FS
289X4M
21" CORE FS
219X3M
19" CORE FS
199X4M
15" CORE FS
159X4MR/S
TOSHIBA
TOKYO, JAPAN

INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
أُمّنوا لأولادِكم نمُوّاً مُتكامِلا
نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري كامل الدسم مجفف ذو جودة فائقة أنتزع منه الماء فقط. فحين يمزج بماء الشرب الصافي يصبح فورا حليبا طازجا، مغذ ولذيذ.
نيدو مغذ يحتوي على كافة العناصر الغذائية الهامة كالكلسيوم والبروتين والفيتامينات التي لا غنى عنها للأولاد طوال فترة نموهم.
نيدو طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم بارداً أو ساخناً في الصباح والمساء وفي أي وقت من النهار.
نيدو السريع الذوبان
كوب من الحليب في أي وقت.
تقدمه نستله
Nestlé

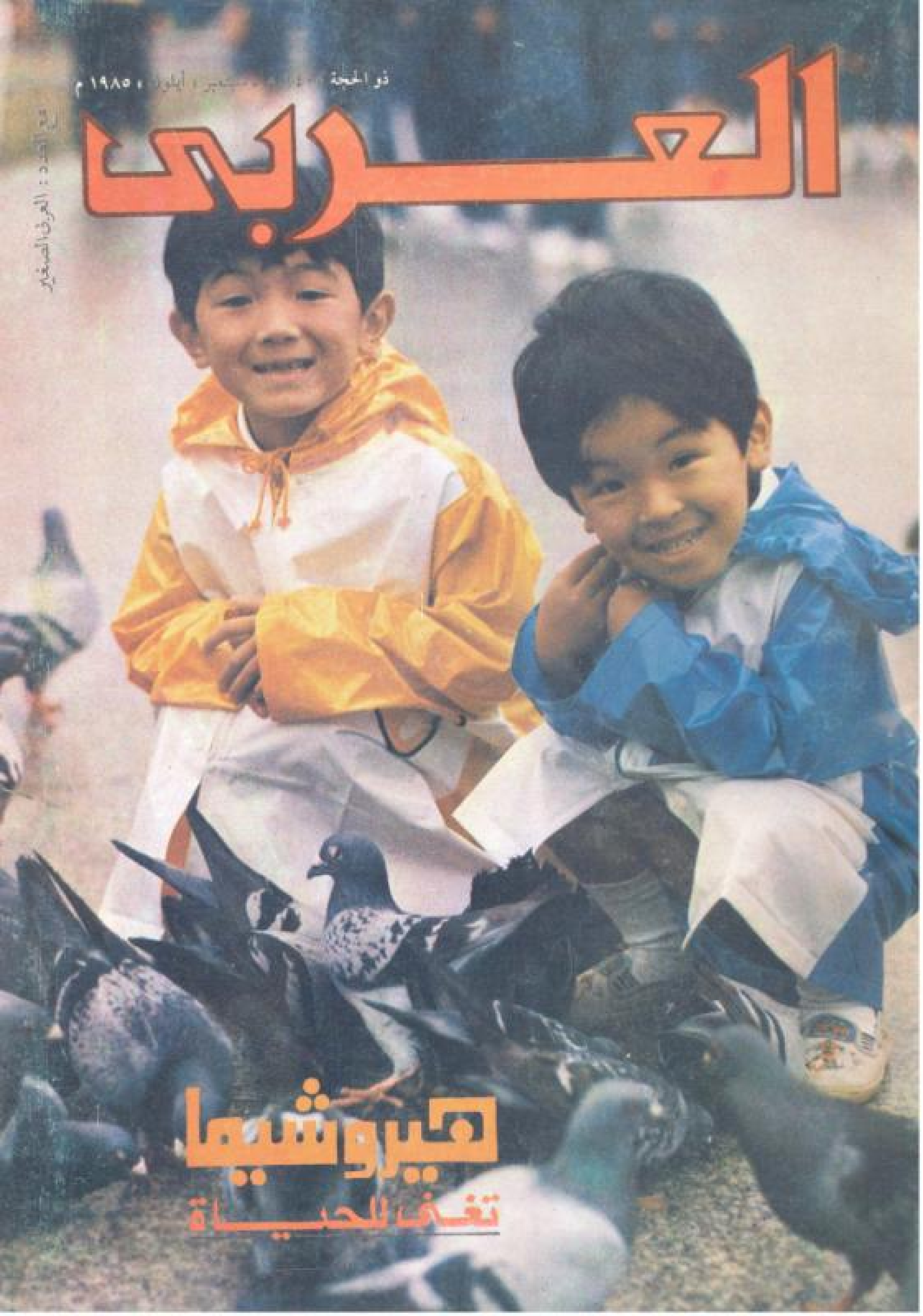
ذو الحجة
سبتمبر، أيلول ١٩٨٥ م
العربي
هيروشيما
تغني للحياة

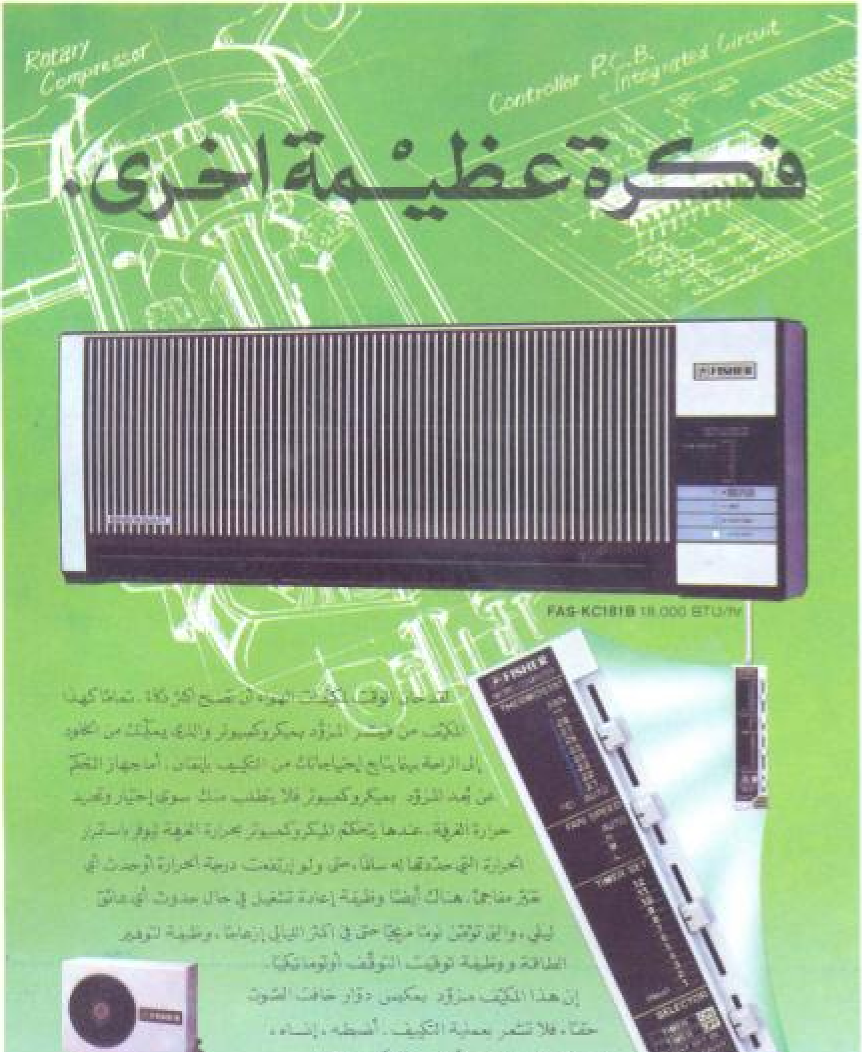
Rotary Compressor
Controller P.C.B.
Integrated Circuit
فكرة عظيمة اخرى!
FISHER
FAS-KC181B 18,000 BTU/H
لقد حان الوقت لمكيفات الهواء أن تصبح أكثر ذكاء. تماماً كهذا
المكيف من فيشر المزود بميكروكمبيوتر والذي يمكنك من الخلود
إلى الراحة بما يتلاءم وإحتياجاتك من التكييف بإتقان. أما جهاز التحكم
عن بعد المزود بميكروكمبيوتر فلا يتطلب منك سوى إختيار وتحديد
حرارة الغرفة. عندها يتحكم الميكروكمبيوتر بحرارة الغرفة ليوفر استقرار
الحرارة التي حددتها له سلفاً، حتى ولو إرتفعت درجة الحرارة أو حدث أي
تغير مفاجئ. هناك أيضاً وظيفة إعادة تشغيل في حال حدوث أي عائق
ليلي، والتي توفر نوماً مريحاً حتى في أكثر الليالي إزعاجاً، ووظيفة لتوفير
الطاقة ووظيفة توقيت التوقف أوتوماتيكياً.
إن هذا المكيف مزود بمكبس دوار خافت الصوت
حقاً، فلا تشعر بعملية التكييف. أضبطه، إنساه،
وتمتع فقط بالبرودة لأنها حقاً فكرة عظيمة.
وحدة خارجية
مكيف هواء يثبت على الأرض
مكيف هواء يثبت بالشباك
مكيف هواء يثبت بالسقف
فيشر
FISHER

العــــــدد ٣٢٢ سبتمبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No: 322 Sept. 1985 P.O.Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص . ب ٧٤٨ صفـــاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٣٩٤٢-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧٦٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITH 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص . ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

صدر من سلسلة كتاب العربي الفصلية

- الحرية .. للدكتور أحمد زكي
- العلم في حياة الانسان .. للدكتور عبد الحليم منتصر
- المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة .. لمجموعة من الكتاب
- مراجعات حول العروبة والاسلام واوروبا .. للدكتور محمود السمرة
- الحياة والناس والوحدة في دول الخليج العربي .. لمجموعة من الكتاب
- طبائع البشر .. للدكتور فاخر عاقل
- حوار لا مواجهة .. للدكتور أحمد كمال أبو المجد
- آراء ودراسات في الفكر القومي .. لمجموعة من الكتاب

عزيزي القارئ

في بلاد كالكويت قررت أن تعتزل الفتنة وتسعى جاهدة لرأب الصدع بين الشقيقات العربيات ، في منطقة ابتلاها الله بالحروب والمنازعات واقتتال الأخوة ، وفي منطقة محاطة بأطماع متعددة . . بلاد هذه سياستها فان قدرها أن تضيف من جديد شهداء أبراراً الى قائمة الشهداء الذين قدمتهم ، سواء على ضفاف القتال في حرب التحرير . . أو في سفاراتها بالخارج حيث استشهد رجال يقومون بأعمالهم الرسمية ، أو في الداخل حيث سقط مدنيون آمنون مطمئنون كانوا يقضون وقت فراغهم في المقاهي الشعبية . . فامتدت اليهم يد الغدر كي تمزق الصغار والكبار من دون ذنب جنوه أو جرم ارتكبوه .

القتل العشوائي للنفس البشرية التي حرم الله قتلها الا بالحق ، أصبح خبز هذه المنطقة العربية وماءها في السنوات القليلة الماضية . ولقد استهدفت الكويت لأنها وقفت وتقف دائما مع الحق . . والحق يغضب كثيرا النفوس الضعيفة .

ونحمد الله على أن شهداءنا الأبرار ذهبوا في صف طويل منذ أن ظهرت الكويت المستقلة الى المجتمع الدولي . . نحمد الله على أن هؤلاء الشهداء خرجوا من مجتمع مؤمن بربه وبرسالته ، سواء كان ذلك على المستوى السياسي أو الثقافي العربي . . واننا اذ ندعو لأرواح هؤلاء الشهداء بالرحمة والمغفرة ، لنشعر أن طريقنا في تعزيز الثقافة العربية هو جزء من سياسة الكويت المستقلة والمستنيرة . . فان كان البعض لم يبخل بروحه ليفتديها ، فلن نبخل نحن في « العربي » ببذل الجهد المضاعف حتى نقدم لك أيها القارىء العزيز ما تتوقعه منا .

ففي هذا العدد يطالعك استطلاع بالقلم والصورة عن هيروشيما . . وهي تغني للحياة بمناسبة الذكرى الأربعين على القاء القنبلة الذرية عليها ، وما خلفته من أهوال وضحايا ونتائج . . كما نعبر معك من فوق جسر بين العرب وأفريقيا . . لننتقل معك بعد ذلك الى حديث صريح حول عروبة المغرب العربي . . ثم الى لقاء مع سيرة ونضال عمر المختار شيخ الشهداء . .

ولما كان العالم ينتظر قرب وصول المذنب هالي . . فالعربي تستعرض معك الحديث عن حقيقة المذنبات قبل أن تتناول قصة هذا الزائر القادم من السماء . . وحين تنتقل معك الى عالم الطب فانها تتساءل ثم تجيب عن السؤال : هل يتكلم الطفل وهو جنين . . . ؟

ان العربي دائما في خدمة قرائها . . وهي لا تألو جهدا من أجل أن تكون علامة مشرقة على طريق الثقافة والفكر . . في سبيل حياة أفضل لكل العرب .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر : ايها السادة .. لقد اكتشفنا الاعداء : إنهم نحن !.
- د. محمد الرميحي ٨

■ ثلاث نظرات على الصورة في الصحافة العربية
- كامل زهيري ١٧

■ عمر المختار شيخ الشهداء
- وهبي البوري ٢٤

■ فهرست النديم أول موسوعة ببليوجرافية علمية
- د. محمد حسن عبدالله ٣٢

■ نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف .. لها قصة !
- بابا خانوف ٣٨

■ الشحاذ (قصة)
- ترجمة : شوكت يوسف ٤٢

■ عروبة المغرب العربي
- د. صالح الخرفي ٤٨

■ الهدية (قصيدة)
- يعقوب السبيعي ٨٧

■ العالم ينتظر المذنب هالي .. المذنبات جبال جليد في الفضاء
- رؤوف وصفي ٨٨

■ مذنب هالي زائر من أعماق الكون
- م. سعد شعبان ٩٦

■ تعلم الطفل وهو جنين
- د. نبيل سليم علي ١٠٢

■ من سلم الطفلين للجلاد (قصيدة)
- عبدالستار سليم ١١٠

■ القبر والقصر (قصة)
- يوسف الشاروني ١١٢

■ انهم يأكلون الفطر
- فوزي عبدالقادر الفيشاوي ١١٦

■ هل تخاف السفر بالطائرة ؟
- د. فوزي عليان ١٢١

اطفال هيروشيما
جيل بلا قنابل ص ٦٨

■ بيننا فنجان قهوة (قصيدة)
- فواز عيد ١٨٠

استطلاعات ومقابلات

■ هيروشيما تغني للحياة
- منير نصيف ٦٨

■ من فوق جسر بين العرب وافريقيا
- محمود عبدالوهاب ١٣٢

■ وجها لوجه : الدكتور ابراهيم عبده
- د. احمد حسين الصاوي ١٥٢

أبواب العربي

■ عزيزي القارئ ٥

■ أرقام : عالم العقل الواعي والطفل اللقيط
- محمود المراغي ٣٠

■ حكايات شرق وغرب ٥٢

■ البيان في أسباب نزول القرآن
- حسين أحمد أمين ٥٦

● منتدى العربي :

■ مستقبل النشر العلمي في الوطن العربي

- د. محمد محمد الجوادي ٥٨
■ رؤية للاسلام
- عبدالله زكريا الانصاري ٦١
■ حول «رحلة الخراساني الى الموت»
- السيد حسن قرون ٦٤
■ أقوال ٦٧
■ قاموس العربي : راديكالية ١٠٨
■ الجديد في الطب والعلم
- اعداد يوسف زعبلاوي ١٢٥
■ مخترعون ومكتشفون - الكسندر فلمنج مكتشف البنسلين ١٢٨
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٢٩
■ استراحة العربي ١٧٨

● من مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر : بريخت سيرة حياة (تأليف رونالد هيمان) - حسن عباس ١٨٣
■ من المكتبة العربية : صور .. مبتداها في يافا (تأليف ابراهيم سكجها) - احمد المصلح ١٨٩
■ مكتبة العربي : مختارات ١٩٢

● جمال العربية :

■ صفحة لغة : الاعراب أحد قرائن النحو اللفظية
- محمد خليفة التونسي ١٩٤
■ صفحة شعر : قصيدة ابن زريق البغدادي ١٩٦
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٨
■ حل مسابقة العدد ٣١٩ .... ٢٠٠
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) .. ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي - العدد ٣٢٢ - سبتمبر ١٩٨٥ م

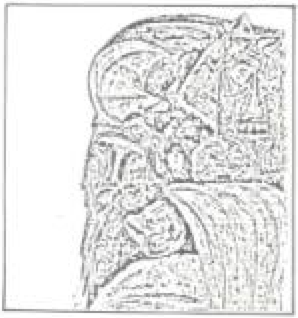

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ قبل أن تحكي لأطفالك عن العفاريت
- ريم الكيلاني ١٥٨
■ أولادنا والمناورات الضارة
- راجي عنايت ١٦٤
■ هو .. هي ١٦٨
■ من الحياة : اننا نعيش مرة واحدة ١٧٠
■ طبيب الأسرة ١٧٤
■ مساحة ود : السقوط ... ١٧٧

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

أيها السادة .. لقد اكتشفنا الأعداء .. إنهم نحن .. !

النفط العربي .. قائد أم مقود ؟

- نحنُ العربَ نواجهُ مصيرًا تاريخيًا .. بَعْدهُ نكون أو لا نكونُ.
- حَربُ الاستنزافِ العربي تستهدفُ شلّ الأمةِ العربيّةِ وَضربَ قدرتها على التقدم في مجالاتِ السياسةِ والاقتصادِ والتنمية.
- كلما ازدادَ الوطن العربي تجزئةً ازدادتْ حِدّة الخطرِ بما يُهدّد أمنَ الجميع.

قال لي صاحبي ونحن نحضر ندوة مركز الدراسات العربية في لندن في نهاية شهر يونيو/ حزيران الماضي ، التي انعقدت تحت عنوان « عرب بلا نفط » ، وبعد أن استمع الى بعض المحاضرين والمعلقين وهم يلومون النفط العربي على أنه مصدر كثير من المشكلات العربية الظاهرة والباطنة . .

قال : يبدو أن كل ما أبتلينا به ـ نحن العرب ـ من سلبيات في ربع القرن الماضي ـ على الأقل ـ كان مصدره النفط !

قلت : وكيف وصلت الى هذه النتيجة ؟

قال : اما انك لاتسمع أو انك لاتتابع ! لقد قال أحد المحاضرين مثلا : (انني لا أرى في النفط منذ ظهوره الا تراكمات سلبية ، هي كل ماورثناه عن عصر الذهب الأسود) وقال آخر : (أن النفط ضد الوحدة العربية) بل وذهب أحدهم الى القول بأن النفط هو الذي أعاق تحرير فلسطين .. وهذا غيض من فيض .

لقد ازداد إنفعال صاحبي لا لانه توقع أن يسمع مديحا لدور النفط ، بل لأنه توقع أن يسمع آراء موضوعية تناقش ماهو مطروح بروح أقرب الى العلمية منها الى التعميمات . قلت له : لاتحزن ، فكل ذلك جزء من معاناتنا - نحن العرب - من جراء الوضع الحالي الذي نعيشه اليوم ، ويجمح الخيال ببعضنا فيبحث عن كبش فداء ، فتبدو له مظاهر الأسباب دون جوهرها ، ويخيل اليه أن ذاك الذي يراه هو الجوهر . وقد تصادف هذه المرة أن كان النفط - ربما في ملتقى آخر وفي مكان آخر - شيئا آخر ..

طوق النجاة

□ لقد حاكم بعض العرب « قضية النفط » كما حاكموا الاستعمار أو الاشتراكية أو التراث .. أو المعاصرة أو الرأسمالية أو النكسة .. أو أية قضية من القضايا العديدة التي طرحت علينا في ربع القرن الأخير .. وفي كل مرة اعتقد البعض منا أن هذه القضية أو تلك هي السبب في كل مشكلاتنا ، أو هي - من منظور آخر - طوق النجاة لخروجنا من الأزمة .

وفي رأيي أن هذا الخلط في الرؤية له علاقة بالمنهج الذي يتبعه البعض في تحليل كثير من المشكلات التي نواجهها .. وهو منهج يفسر الكل بالجزء . انه منهج سهل على أي حال ، يمكنك فيه أن تجد كبش الفداء - ان شئت - دون صعوبة .. ولو انك لجأت الى المنهج الصعب لكان عليك أن تدرس كل العناصر الداخلة في تكوين الموضوع - وهي كما تعلم معقدة متداخلة .

قلت لصاحبي : ماتسمعه من بعض المتحدثين هنا ماهو الا نتاج لنظام كامل في التفكير ، خبرناه فوجدناه سهلا محببا للسامعين ، مثيرا لاهتمامهم .. فانساق بعضنا خلفه . وأرجو ألا تسيء فهم قولي ، ودعني أقول لك - بادىء ذي بدء - أن بعض الآمال العربية في النفط قد خابت - وقد طرقت أنا شخصيا هذا الموضوع - مثلها مثل آمال عربية غيرها في الوحدة مثلا ، وفي موضوعات أخرى عديدة طرحت في الوطن العربي .

ولكنه من العجالة التي تجفو روح العلم ، أن نعلق أسباب كل ماوصلنا اليه اليوم في الوطن العربي من وضع يصفه البعض بأنه « عصر الانهزام والتدهور » ، ويقف أمام ظواهره المخلصون من نساء ورجال العرب موقف الذاهل المفكر ، أقول من الصعب علميا أن نعلق كل هذه المظاهر من الانحدار والتدهور على مشجب واحد ، أو حتى على عدة مشاجب خارجة عن ذواتنا ، ثم نفرك أيدينا بسعادة ونقول : انظروا لولا ذاك لما حدث هذا .

لنأخذ النفط مثالا

☐ اذا أخذنا النفط العربي - وهو موضوع حوارنا - فلا اعتقد أن اثنين يختلفان حول أهميته وعمق تأثيره السياسي والاقتصادي والاجتماعي على النظام الاقليمي العربي ، وعلى الأمن العربي كذلك . ولكن هذا التأثير في رأيي مبالغ فيه ، اذ لايوجد اتفاق بين الدارسين والمحللين حول ما اذا كان النفط يعد متغيرا مستقلا ، أي مؤثرا بذاته على مجموعة العوامل التي تشكل الوضع العربي الحالي ، أم أنه متغير تابع مؤثر فيه من بعض العناصر الفاعلة في تكوين الشكل الحالي للعلاقات العربية والوضع العربي ككل . أي هل أن تأثيره أساسي قائد ، أم تابع لاتابع ! مقود لا قائد ! وكذلك لايوجد اتفاق بين الدارسين والمحللين حول ما اذا كان هبوط أسعار النفط - وبالتالي الدخول المالية العربية منه - أمرا سيئا أم محمودا ، فيما يخص قضيتي « التنمية » و « الأمن العربي » .

قلت لصاحبي : تأمل معي النقاط الثلاث التالية : -

الاولى : أن النفط في تقديري عامل محايد ، مثله مثل بقية العوامل المادية الأخرى المؤثرة ، وعلينا نحن الاضطلاع بواجب استخدامه الاستخدام الأمثل ، وهو - كأي عامل آخر - لايستخدم الاستخدام الأمثل الا اذا توفرت له عناصر أخرى بجانبه ، لا أخالها خافية عليك !

ثانيا : أن النفط أعطى - اما عن جهل أو عن سوء قصد - أكثر من وزنه النسبي فى امكانية تحقيق النهضة العربية المرتجاة ، وقد بدا للبعض أنه بدونه - أو عند احتمالات انقطاعه - ستقع الطامة الكبرى . وحقيقة الأمر أن النفط مادة مستخرجه ، وبح صوت كثير من الاقتصاديين العرب فى القول بأنها مادة ناضبة ، وأن الثروة الناتجة عنه - مهما بلغت - هى ثروة مؤقتة ، وان النفط ليس دخلا منتظما ، ودائما يأتى عن عمل وانتاج ، بل هو مال ناتج عن بيع أصول عينية ، كمصنع باع صاحبه أدوات انتاجه ، فهو لايستطيع بعدها أن ينتج شيئا ، أو أن يبيع مصنعه مرة أخرى ، مع الفارق فى التشبيه .

والأصول الانتاجية الحقيقية تكمن أساسا فى قطاعى الزراعة والصناعة ، ولانملك نحن العرب منها الا القليل ، فالصناعة الاستخراجية (كالنفط والفوسفات . . وغيره) هى التى تحظى بنصيب الأسد من انتاجنا القومى الاجمالى ، أما القطاعان الآخران (الصناعة التحويلية والزراعة) وهما عصب التنمية الحقة ، وقاعدتها ، فهما - كما ترى - محدودان .

فاذا أخذنا هاتين النقطتين بعين الاعتبار ، بقى أن نتساءل عمن دس الينا مصطلح « العرب الأغنياء » و « العرب الفقراء » . فاذا افترضنا حسن النية قلنا أن ذلك تم عن جهل اقتصادى وسياسى كبير ، وان افترضنا سوء النية - لاسمح الله - قلنا أن ذلك يتسم بمغالطة لها أهداف مضادة للمصالح العربية العليا . فلا يوجد فى تقديرى عرب أغنياء وعرب فقراء ، بل هناك عرب فقراء بالمصطلح التنموى الاقتصادى الحقيقى . الكل فقراء اذا تكلمنا عن مستوى تطور القوى المنتجة بشقيها : الناس وأدوات العمل ، الكل فقراء اذا تحدثنا عن الدخل المتولد عن العمل المنتج ، الذى يصبح له قيمة مضافة ومتجددة .

أما النقطة الثالثة : وهى مهمة أهمية النقطتين السابقتين ، فهي أن « الغنى العربي » هو ـ بكل المقاييس ـ غنى مؤقت ونسبى فى نفس الوقت ، والواقع يفرض علينا تأمل بعض هذه الحقائق . فمجموع الناتج القومى العربي كله فى كافة الأقطار العربية ـ فى المتوسط وفى سنوات الثمانينيات المنصرمة ـ وعلى أحسن التقديرات ـ يكاد يشكل ثلث الناتج القومى لبلد مثل المانيا الاتحادية (الغربية) ، ويقترب من أربعة أخماس الناتج القومى لبلد مثل فرنسا ـ كما أنه ـ ووفق أحسن التقديرات أيضا ، وبعد كل هذا الحديث عن الثروة النفطية ـ لايجاوز الناتج القومى الاجمالى لبلد مثل ايطاليا أو حتى اسبانيا ، وهما بلدان فى طور النمو اذا ما قورنتا بالدول المصنعة . واذا اضفنا الى ذلك تدهورا فى الزراعة ، وركودا فى الصناعات التحويلية ، مع شح فى الاصول الانتاجية كالأرض القابلة للزراعة ، ومياه الرى والتدريب الانسانى ، واذا أضفنا ايضا أن بعض الأقطار العربية تئن تحت وطأة ثقل ديون خارجية ذات مستويات مثيرة للقلق ، فى جو عالمى ينذر بتدنى أسعار المواد الاولية الاستخراجية كالنفط ـ اذا عرفنا كل ذلك ازددنا ارتيابا فى تقسيم العرب الى عرب أغنياء وآخرين فقراء على كثرة تقسيماتهم الأخرى .

الجرأة فى قول الحقيقة

□ قال صاحبى : القضية اذن أوسع وأكبر من أن تكون مجرد تمرين فكرى سميناه تارة « عرب بلا نفط » وسماه غيرنا « الدولار النفطى » .

قلت : ذاك ما عنيته بالضبط ، فموضوع النفط كما ترى أحد مكونات الصورة ، ولكنه ليس العنصر الوحيد فيها ، واذا كنا نريد وضع النقاط على الحروف ، فلا بد من أن نمتلك الجرأة على قول الحقيقة ـ حتى لو كانت مرة ـ وأن نبحث مجتمعين فى الأسباب الرئيسية التى أوصلتنا الى قاع ، يعتقد البعض منا أننا ننحدر اليه ولم نصل الى نهايته بعد ، لأننا لو كنا قد وصلنا الى القاع لربما بدأنا الصعود من جديد .

ان مظاهر هذا التدهور كثيرة واضحة وجلية للعيان ، ولا يحتاج أى عربى الا أن يجول بفكره فى أحوال الأمة ، حيث يرى التدهور السياسى والاقتصادى نتيجة حرب استنزاف عربية ، ظاهرها الحرب المستمرة المستعرة بين الأخوة ، وباطنها قطيعة وحرب استنزاف اجتماعية ينزف لها جسم الأمة من جروح عميقة مذهبية وطائفية وأقليمية وحتى عرقية !

ان حرب الاستنزاف بشقيها السياسى والاجتماعى لها ثلاثة أهداف محدودة فى نظرى هى :

أولا : شل قدرة الأمة العربية على تعبئة قوتها وراء أهدافها القومية .

ثانيا : ضرب قدرتها على تحقيق تراكم جدى ، فى مجالات الاقتصاد والتقنية والسياسة .

ثالثا : ضرب قدرة هذه الأمة للحيلولة بينها وبين أن تقدم مشروعا حضاريا متكاملا ومميزا فى اطار العلاقات الدولية القائمة .

تلك هي المظاهر وهذه هي الأهداف ، ولكن هناك أسئلة لازالت عالقة : كيف ، وأين ، ولماذا ؟ ولازالت تلك الأسئلة وأمثالها معلقة دون جواب : هكذا رد صاحبي وهو يتابع الحوار .

قلت : أن الاطار الذي يحكم كل ذلك هو ما يمكن أن نسميه فشل المشروع العربي ، سواء من داخله ـ نتيجة عوامل ذاتية ـ أو من خارجه ـ نتيجة عوامل موضوعية ، ليس أقلها طموح المشروع المضاد ـ الالحاقي الصهيوني .

قال صاحبي : وكيف ذلك ؟

قلت : هل قرأت كتب مجيد خدوري ؟ وذكرت واحدا منها بالذات ، وهو كتاب « العراق الاشتراكي » . لقد لفتت نظري فيه فقرة يجب التأمل وامعان النظر فيها . قال خدوري : (ان العرب بطبيعتهم ميالون كثيرا الى الفردية ، وهم ضيقو الطباع ، ويظهرون في الظروف العادية ولاءات ضيقة أو محدودة هي في طبيعتها قبلية أو محلية ، والعرب خلافا لما يظهر لك من إذعانهم ودماثتهم شديدو المراس ، عنيفون ، وكثيرو الحساسية ، حيث أن عواطفهم شديدة الهياج ، ترتفع الى درجة عالية في لحظات الاستفزاز) .

انتهى كلام مجيد خدوري . وعلى الرغم من تحفظي على هذا النوع من التحليل النفسي الاجتماعي الذي يميل كثيرا الى الانطباعية ، الا أن بيت القصيد الذي أريد أن أصل معك اليه يتلخص في كلمتين : اعرف نفسك ، أو على حد تعبير أحد الفلاسفة الألمان : أيها السادة لقد عرفنا الأعداء : انهم نحن !

لا أريد أن اقول أننا أعداء أنفسنا ، ولكنني أشدد على القول بأننا لابد أن نعرف أنفسنا ، وأن نجرؤ على قول الحقيقة كما أشرت ، حتى نعرف طريقنا للخروج من هذا المأزق الذي سماه البعض منا تشاؤما « عصر الانحطاط العربي الجديد » الى « صحوة عربية جديدة » .

لنا في لقاء الأعداء عبرة

☐ ولنبدأ بالقول بأنه ليس هناك مثاليات تحكم العلاقات بين الدول ، سواء اقتربت تلك الدول من بعضها جغرافيا أو سياسيا أو قوميا أم ابتعدت . فنحن لا نعيش في عالم مثالي ـ ذلك صحيح ـ ولكن بنفس درجة الصحة هناك في الغالب علاقات مصالح تحدد الحد الأدنى والأعلى من العلاقات بين الدول ، مهما اختلفت اجتهاداتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ولنا في احتمال اللقاء القادم في جنيف ، والمعلن عنه بين رئيسي أكبر دولتين في العالم ـ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ خير مثال ، على الرغم من اختلاف رؤيتهما الأيديولجية وتضارب كثير من مصالحها العليا .

ومع ذلك فان اللقاء بين رئيسي الدولتين أصبح ضرورة تقتضيها مصالحهما . ولا نريد أن نطيل في شرح هذا « الخلاف الوفاقي » ان صح التعبير ، فقد أصبح أحد حقائق العصر النووي الحاضر . أما نحن العرب فأن ما نواجهه ليس خلافاً « فكريا أو أيديولوجيا » بل نحن نواجه مصيرا تاريخيا ، بعده نكون أو لا نكون ، وقد تكون بعض مظاهره ونتائجه واثاره ـ ان لم نجرؤ

على قول الحقيقة الآن ، ونتكر المصالح الآنية المؤقتة ـ أقول قد تكون نتائجه واثاره مدمرة تقودنا الى التخلف والانحدار والتبعية لسنوات طويلة قادمة ، وقد يكون من نتائجه نجاح المشروع المضاد الرامى الى تمزيق وطننا الى دويلات صغيرة ، يتحكم فيها المشروع الصهيونى التابع .

فشل المشروع العربي

□ قلت لصاحبي : ان احدى مشاكلنا الفكرية الرئيسية ، وهى فشل المشروع العربى ، لم تناقش لمعرفة الأسباب والنتائج ، لقد انغمس بعضنا في الهموم والسياسة الاقليمية المباشرة ذات الأفق القطرى الضيق ، وأصبحنا نهدر الكثير من وقتنا وطاقاتنا في انشغالنا بتلك القضايا الجانبية واختلافنا حولها ، في الوقت الذى ننسى فيه الخطر الأكبر والهموم القومية التى تؤرق مستقبلنا .

فاذا نظرنا الى واقعنا العربى اليوم ، نجد أن صوت قعقعة السلاح العربى الموجه الى الصدور العربية هو الأعلى ، وان لم يكن ظاهرا فهو خفى . ويحاول حاملو هذا السلاح أن يغتالوا الكلمات والأفكار والمبادىء ، وأن يغتالوا الانسان ، ويهدموا كل ما يمكن أن يبنيه الفكر العربي المستنير . ونجد كذلك أن الأمن العربى مهدد ليس في الأقطار العربية الأصغر حجما ومقدرة فحسب ، ولكن فى الأقطار الأكبر حجما أيضا . ان تخلخل المساندة العربية يعرض الجميع للخطر ، وكلما ازداد الوطن العربى تجزئة ازدادت حدة الخطر والاضطراب على كل الوحدات المكونة له ، وتعرضت دول الأطراف ودول المواجهة لتوتر يخل بأمنها جميعا .

وفي غياب الأُطر المؤسسية ، التى فرضها العصر فى أماكن وبقاع كثيرة من العالم ، في غياب تلك المؤسسات الاقليمية الكفيلة بحل الصراعات ، أو ضبط درجة توترها ومن ثم احتوائها ، في غياب تلك المؤسسات أو تعطيل دورها ، يزداد الخطر على الأمن القومى العربى ، ويزداد الجفاء والتشرذم ، ونحن في غيّنا سادرون .

ويضطرك التاريخ الى تذكر ممالك الطوائف في الأندلس ، بكل ثقل تاريخها المحزن . وتلك واحدة من نتائج فشل المشروع العربى الحضارى ، الذى بدأ يتكون تدريجيا منذ ما اصطلح على تسميته بعصر النهضة العربية فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن ، الذى تمحور واتضحت معالمه السياسية فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ، الذى قامت مبادئه الاساسية على فكرة الترابط بين الحرية والوحدة الاشتراكية ، بصرف النظر عن الاجتهاد في الأولويات .

لقد تعرض هذا المشروع العربى الحضارى الى التفجير في العقد الذى شهدت بدايته هزيمة ١٩٦٧ ، وشهدت نهايته بداية مشروع السلام مع العدو الاسرائيلى .

وقد قذف هذا التفجر بعيدا بالاجتهادات الفكرية والسياسية الموغلة في التطرف يمينا ويسارا .

صحيح أن هذا المشروع قد واجه قبل ذلك صعودا وهبوطا ، وانتصارات وتراجعات ، واجتهادات صحيحة وممارسات خاطئة ، ولكنه ظل متماسكا نسبيا قبل عقد التفجر هذا .

اما بعد ذلك العقد (٦٧ ـ ١٩٧٧) ، عقد الانهيار ، فقد شهدت المنطقة ـ ولازالت تشهد ـ انهيارات مستمرة ، دفعت الكثيرين ـ تحت وطأة سلبيات هذه الانهيارات ـ الى القول بأن القيم التى اعتمدها المشروع العربى هى قيم ليست صلبة بحد ذاتها وليست قادرة على بناء مشروع حضارى متميز . ونسى أو تناسى القائلون بذلك ـ بصرف النظر عن اختلاف بدائلهم ـ ان القيم هى التى تحكم وأن الممارسات هى التى تحاكم ، فانت مثلا لا تحاكم قيم الاسلام العظيمة بممارسات المسلمين في عصر ما ، ولكن تحاكم الأخيرة بالأولى ، وذلك هو منطق الأشياء .

ونسي هؤلاء أيضا أو تناسوا أن الممارسين بشر ، في مجتمع انسانى ملىء بالسلبيات الموضوعية من جهل وتخلف ، وهذا المجتمع ـ مثله مثل بقية المجتمعات ـ يشكل الخطأ الانسانى جزءا من تكوينه ، كما أن الضعف البشرى هو مكون من مكوناته .

العيب في الممارسة

□ ولكننا قبل أن نسترسل ـ نقول : قد يكون لدى بعض المتحدثين حق في انتقادهم لممارسات المشروع العربي . فقد كانت بعض الممارسات (لا القيم) تضطر المخلصين الى سلوك أضيق الطرق لا أرحبها . كما أن المشروع العربي واجه صعوبات نظرية وتطبيقية ذاتية تتلخص في فقدان المواءمة الصحيحة بين الشعار والتطبيق ، مثلما واجه صعوبات موضوعية خارجية نتيجة ضربات المشروع المضاد .

وان أردت ضرب أمثلة على صور من القصور الذاتي نقدا للذات وتذكيرا ، فاليك بعضها :

المثال الأول : قدم المشروع الحضاري العربي فهما أقل ما يقال فيه أنه غير واضح للعلاقة بين التقدم والنهوض ، وبين التراث ـ وعلى الأخص التراث الاسلامي ، ولقد تجاوز هذا الدين ـ وربما بسبب معاركه المستمرة مع الغير ـ تجاوز أهمية اغناء الشخصية القومية ، وعنى بالحرص على تطور الفكر الاسلامي ومواءمته لظروف المرحلة . ولعل ما فرض على المشروع العربي النهضوي من تناقض بينه وبين بعض الحركات السياسية المتشبثة بالتراث قد زاد من التباعد الجماهيري ، حين تجاوز الاختلاف في الرأي ليبلغ مرحلة تصاعد العنف والعنف المضاد ، مما دفع الاطراف كلها الى تنافر لا لقاء بعده ، وأصبح هدف الجميع تصيد الهنات .

لقد غاب عن المشروع الحضاري العربي القومي ربط التوحيد الديني بالتوحيد القومي ـ كما وضحت الفكرة بعد ذلك ـ ولكن بعد تفجر المشروع القومي ، ولقد لفت انتباهنا الى ذلك مفكر اسلامي قومي هو محمد عمارة ،

عندما قال (لو تخيل المرء أن كل أمة من الأمم العريقة ذات الحضارة المتميزة قد (سكّت) لحضارتها عملة تميزها ، لكانت العملة التي تميز حضارتنا مزدانة برمز التوحيد على وجهيها ، التوحيد الديني على وجه والتوحيد القومي على الوجه الآخر) .

لقد غاب عن المشروع العربي الحضاري تمثل هذه الفكرة قبل عقد الانفجار ، وعندما حدث الانفجار أو التفجير تعالت نغمة العداء للعروبة على أنها معادية للتراث ، وانفتح المجال واسعا للعبث بقلوب وعقول الناشئة ، على أن هناك تناقض حقيقي وواقعي بين الاثنين ، والحقيقة غير ذلك .

والمثال الثاني : في فقدان المواءمة بين الشعار والتطبيق .. ومعالجة فكرتي « الوحدة » « والاشتراكية » .

لقد قدمت الوحدة على أنه تحقيقها بحد ذاته فيه المتعة والتقدم .. قدمت خالية من السلبيات ، قادرة على ايجاد الحلول السريعة والناجحة لكل المشكلات التي يواجهها المواطن العربي ، وكان بعد أن تحققت بعض أمثلتها أن وجد الجميع انها تحتاج الى ثمن ليس بالهين أو اليسير ، وأنها ليست بدون أعداء وأنها تحتاج الى نضال مع النفس طويل حتى ترجح كفة الايجابيات على السلبيات . كما نظر الى فكرة الاشتراكية من مفهوم وزاوية ضيقة . نظر اليها أو قدمت على أنها « عدالة في التوزيع » توزيع الثروة وتوزيع الدخول ، وأن كان ذلك ميسورا في بعض الاقطار فهو صعب التحقيق في أقطار أخرى .

لقد جرى التشديد على فكرة « التوزيع » وغابت فكرة «الانتاج » بما يعنيه الانتاج من قدرات علمية وفنية وتنظيمية ، فيها يكمن التحدي الحقيقي .

وقد نضيف أمثلة أخرى تصب كلها في اطار الممارسة ، ولكنها لا تضير أو تؤثر في صلابة قيم المشروع العربي النهضوي القومي ، ولا في مصداقيته .

ومهما كثرت وتعددت سلبيات الممارسة ، فان تفجر المشروع العربي الحضاري النهضوي بين ٦٧ ـ ١٩٧٧ كان نتيجة بلغت من السوء حدا لا يحلم به حتى الأعداء ، فقد تحول النظام العربي الاقليمي من نظام اندماجي له قاعدة اقليمية وأهداف حضارية محددة الى نظام مجزأ ، وبدت الكتلة العربية متناثرة ، تتغير تحالفاتها ، وبالتالي تتغير أحجام الكتل الصغيرة المكونة لها ، ولكنها تبقى دائما كتلا متضاربة متنافرة .

وتمزقت الهوية العربية وأصبحت هلامية على أقل تقدير ، وافتقدت توازنها الذي بني على مدى سنوات طوال ، وظهرت على السطح أسئلة قديمة مفعمة بالشك والحيرة ، ظن الكثيرون أن اجاباتها قد عرفت وعفا عليها الزمن .. أسئلة .. من مثل هذه الأسئلة : من نحن ؟ ومن المسئول عن كل هذا ؟ أم أن فكرة الأمة العربية فكرة غير واقعية ؟ وأسئلة أخرى غيرها محيرة .

ما هو البديل ؟

☐ كان البعض يعتقد أن هناك بديلا للمشروع الحضاري العربي القومي الوحدوي ، وتهاوت قوى عربية عديدة في الدفاع عن ذلك المشروع ، تارة

باسم القطرية ، وتارة أخرى باسم الايديولوجية ، وثالثة باسم المذهبية ، وفي معظم الأحوال كان التهاون نتيجة صراع لا طائل من ورائه .

وعندما تفجر المشروع الكامل تبين للجميع أن المنطقة كلها مستهدفة وأن شرذمتها هو الهدف .

لقد كان هناك اجماع اقليمي عربي على أن اسرائيل تشكل التهديد الرئيسي للأمن العربي ، واستطاع المشروع العربي أن يرص صفوف دول وشعوب أخرى صديقة خلف هذه الفكرة . واليوم لم يبق حتى حالة الاجماع تلك ، كما لم يبق معنا أحد على أقل تقدير ، الا وقد اعاد النظر في موقفه ، أو هو في طريقه الى ذلك .

كان المراد من المشروع العربي ـ توحيد الأمة ـ وبعد سقوطه وانفجاره تفككت الوحدات الوطنية في القطر الواحد .

لقد قال المشروع العربي الحضاري القومي أن مسألة الطائفية والقومية والمذهبية هي نتيجة مداخلات الدول الغربية في بلادنا ، ودلل على ذلك من حوادث التاريخ القريبة منها والبعيدة ، وقال بأن المجتمع العربي مجتمع تعددي ولكنه مجتمع متسامح أيضا ، وبين عشية وضحايا اذ بالفروق الرئيسية في بلادنا تصبح معزوفة الطائفية والمذهبية .

وفي ميزان الخسائر والأرباح يتضح أن ما خسرناه كعرب ـ وما نخسره ـ كثير كثير .

بعض الدروس يمكن استنباطها من تجربة السنوات القليلة المرّة الماضية .

وأول هذه الدروس أنه قد يكون العرب اليوم أقل حماسة عاطفية للمشروع العربي القومي النهضوي مما كانوا عليه في السابق ، ولكنهم في نفس الوقت أكثر حاجة له من أي وقت مضى ، وأكثر معرفة بنتائج فقدان الحد الأدنى منه على الأقل .

وثاني هذه الدروس هو أن الحوار العربي / العربي هو في النهاية الأجدى والأصلح ، لان الحرب العربية / العربية ، أو قل العداء المستحكم بين بعض العرب وبعضهم الآخر مزق ما بينهم من أواصر ، كما أن تكريس الحوار سبيل واع لحل كل الاشكالات المعلقة ، التي تظهر بين أبناء الأرض الواحدة ، أو بين أبناء الوطن الواحد ، هو نتيجة كرستها حكمة الانسانية وتجاربها الطويلة .

وثالث هذه الدروس أن بعض الشعارات المرفوعة اليوم على الساحة العربية ، التي يغلب عليها شيء من المزايدة ، ويتبناها البعض دون أن توضع على محك الاختبار ، سوف تقودنا الى نتيجة خبرناها : شعارات براقة يحتاج تحقيقها الى أكثر من الأماني والآمال .

والتفت الى صديقي وقلت : تلك هي العوامل الرئيسية المكونة لصورة الوضع العربي الحالي .. وهي بالتأكيد ليست كل العوامل .

وابتسم بهزة رأس .. ولم يجب .

محمد الرميحي

ثلاث نظرات على

الصورة

في الصحافة العربية

بقلم : كامل زهيرى

رغم مرور أكثر من ربع قرن على دخول الطباعة الملساء (الاوفست) الى الصحافة العربية ، فان الأستاذ كامل زهيري يرى أن الصورة الصحفية لا تزال تتعرض للاضطهاد . وأن العين العربية تعاني من (الأمية) . ومن خلال هاتين الملاحظتين يعرض لنا مسيرة الصورة الصحفية العربية من خلال نظرات ثلاث : نقدية ، وثائقية ، ومستقبلية .

ظلت قضية اضطهاد الصورة في اعلامنا وصحافتنا تلح علي ، فترة ليست بالقصيرة . وكنت قد أثرت نفس القضية من زاوية أخرى ، ليست بالضرورة جمالية فنية ، ولكن من زاوية اعلامية اخبارية .

ففي اجتماعات جامعة الدول العربية - وفي عدة اجتماعات بتونس والدوحة والقاهرة ، أثرت أن اعلامنا العربي في الخارج اعلام بلاغي ، يعتمد على الكلمة في عصر الصورة والسينما والتلفزيون . وكأنما هو اعلام يحدث نفسه ويتحدث عن نفسه . ويكتفي بطرب البلاغة والفصاحة وموسيقية الكلمة . وهو بذلك يكبو في ملاحقة اعلام الخصوم والأعداء .

وقد يبدو اضطهاد الصورة في اعلامنا العربي لغير المختصين أمرا طبيعيا ، لكن العجيب أن نلحظ نفس الظاهرة تعاد وتتكرر في حرب لبنان ، وعندي كتاب أخرجته عام ١٩٨٣ ، دار نشر فرنسية وعنوانه « السلام في الجليل » . وقد خرج الكتاب في ١١٠ صفحات كبيرة لستة مصورين صحفيين ، يصور بيروت عند العدوان الاسرائيلي عليها ، ويصور خروج الفلسطينيين ، وصبرا وشاتيلا .

وفي هذه المشاهد الثلاثة : بيروت ، والوداع ، والمذبحة ، بلغت فصاحة ٨٣ صورة ما لم تبلغه أبلغ المقالات المكتوبة .

لكننا نلاحظ أن أغلب الصحفيين الستة من الأجانب ، وهم توشون آرال (تركي) ، وبان مورفان (فرنسي) ، وسفن ناكستراند (سويدي) ، ومارك سيمون (فرنسي أيضا) ، ورضا (ايراني لاجىء في باريس) ، وبينهم صحفية عربية مصورة واحدة هي فريدة حملك الجزائرية التي تعمل في وكالة (فيغا) ، وقد تمكنت هذه الصحفية العربية بما يشبه

التخصص أربعة أعوام بتكليف من وكالتها على تصوير المرأة العربية .

ان هول الحرب ، ووجعية الوداع ، وفظاعة الدمار تنطق في صور فصيحة مؤثرة . وهي تبرز - في نفس الوقت - نقص التعبير بالصورة عندنا . وكان أغلب اعلامنا وعلمائنا بمجلس القرفصاء ، ولا ينطلق الى أماكن الأحداث ، حتى أصبحنا تعتمد على غيرنا في أغلب الأحوال ، في تصوير أحداثنا المفجعة أو حتى السعيدة .

فلا يصل الى أجهزة البث المرئي ، أو الى مجلاتنا وصحفنا الا ما تبثه الينا الوكالات الأجنبية ، سواء في تصوير حرب الخليج أو المجاعة في افريقيا ، أو حتى أحداث السودان .

والقضية كما تبدو اذن ليست فقط ما سميته أمية العين ، واضطهاد الصورة للتعبير ، بل في ذلك الخمول الصحفي - الا ما ندر - والتقصير عن ملاحقة الحروب والثورات والانقلابات والحرائق والزلازل والمجاعات ، أو حتى أحداث الرياضة والفنون وعالم المرأة والطفل ، وكلها لطبيعتها تنادي الصورة والمصورين .

ان التطور الهائل في التصوير الفوتوغرافي - خلال العقدين الأخيرين وتعدد أجهزة التصوير ، وتوسع امكانياته الحرفية ، والقفزة التكنولوجية - في نقل الصورة بالتليفون ، والأجهزة الخاصة بها ، وامكانية التصوير استشعارا من كل بعد ولو من الفضاء الخارجي ، تصحبه الآن - على الأرض - نقلة طباعية هائلة .

فقد أصبحت الصحافة كالصناعة الثقيلة في تمويلها وادارتها وتوزيعها ، وهي صناعة دقيقة في طباعتها واخراجها ، وانتقلت أغلب المطابع العربية الى الطباعة الملساء ، وكل ذلك فتح أوسع الأبواب للصورة الجمالية الأخاذة والصورة الصحفية المعبرة .

وقد تكاتف رجال العلوم والفنون والصناعة لتطوير طرق الطباعة ، وساهم التصوير الضوئي والكيمياء والالكترونيات والبصريات - وكلها مجالات علمية ومهنية ، في قفزة الطباعة ، وشهد العقدان الأخيران - بالذات - ابتكارات في الآلات الطابعة نفسها - بابتكار الآلات الدوارة ، التي حققت السرعة المتناهية ، وجاء تطوير صناعة الورق وصناعة الأحبار ، لتظهر الطباعة الملساء (أوفست) ، بدءا من اللوحات المتبلمرة الى اللوحات المعدنية ، ثم اللوحات المائية ، تلافيا لعيوب الطريقة الملساء ، وهي قلة عدد النسخ الناتجة من اللوح الطباعي الواحد .

وكل هذه التطورات من كافة الاتجاهات تصب نحو امكانية هائلة تتوفر الآن للصورة والطباعة المصورة ، لأننا دخلنا بحق ، ومن أوسع الأبواب ، وبما يفوق كل امكانيات الأجيال السابقة عصر الصورة أو عصر السينما والتليفزيون والصحافة المرئية . ان الصورة تغزو العين غزوا ، وهي تنتقل الى المشاهد عبر التلفزيون والفيديو في مخدعه وبيته . وتنتقل اليه وتلح عليه في الأفلام السينمائية ، ولو قارنا نصيب أي مواطن عربي في الثمانينيات من الصور التي يراها يوميا بما كان يصيب العين العربية منذ ثلاثين عاما لوجدنا ما يشبه القفزة الحضارية أو التخمة الطباعية .

الأدب المقروء والأدب المرئي

وحين سئل نجيب محفوظ عن رؤيته للأدب في الثمانينيات ، قال : (في المستقبل ستكون للأدب قاعدة محدودة تمثل أرفع درجات الثقافة . ففي القاعدة أدب مقروء ، وعلى القمة أدب مرئي) .

ولا يقتصر غزو الصورة للعين في العصر الحديث على مداهمة السينما والتلفزيون والفيديو للعين ، ولكن هذا الغزو ينتقل حثيثا لكل المطبوعات المقروءة . فقد كانت الكتب مثلا ، بعد الحرب ، في فرنسا تكتفي بالمشهد المطبوع بغير صورة ، وأصبحت الكتب والروايات الأدبية ، وأغلفة الكتب ، والصحافة الثقافية ، والمجلات السياسية تستخدم الصورة العادية ، والملونة المعبرة .

وقد اضطرت التايمز اللندنية الى تغيير صفحتها الأولى التقليدية ، بعد أن ظلت ما يقرب من ١٨٠ عاما تحافظ عليها ، وتتشبث بها ، وتكتفي بصب الاعلانات المبوبة عليها ، على غرار صفحتها الأولى عام ١٧٨٥ ، واذا بها تستحدث الآن اخراجا

جديدا ، بطباعة حديثة لتستخدم الصورة الخبرية التى تحتل مكانا بارزا يعبر عن حدث اليوم .

كما اضطرت جريدة أخرى ، لا تقل وقارا ، عن التايمز اللندنية وهي جريدة ليموند ، التى ظلت تعتمد على المشهد المكتوب والمطبوع والمقروء ، فادخلت في ملحقين لها كل أسبوع الرسم والصورة ، وكان هذا التعديل على استحياء ، ولكنه مثيرا لجزع اداريها ، حتى أنها استفتت قراءها في العدد (١٥ يونيو ١٩٨٤) لتعرف رأى قرائها القدامى الذين تواصلوا في قراءتها أكثر من خمسة أعوام ، وقرائها الجدد .

ان تقنية الطباعة ، وتطور الصورة يفرض تطورا هائلا في التحرير وادارة التحرير ، ولا تستطيع الصحافة العربية النجاة منه ، للأسباب العديدة والمؤثرات العنيفة على الصحافة والقارىء معا ، حتى أننا نجد أن كل المطبوعات العربية التى انشئت حديثا ـ وخلال العقد الأخير أصبحت تعتمد على الطباعة الملساء ، مما يفرض تغيرا في النظرة والادارة والاخراج الفنى .

ومهما تنوعت الأساليب ، ومدارس الاخراج ، فان الصورة تغزو صحافتنا الجديدة الناشئة ، وتطرق صحافتنا القديمة نتيجة هذا العصر الذى نعيش فيه : عصر الصورة والأدب المرئى ، ورؤية الحياة بالألوان .

النظرة الثانية

نظرة الى الماضى

سبقت الطباعة الصحافة في الوطن العربى ، وسبق المشهد المكتوب ظهور الصورة ، وكان اخراج الصحف العربية الاولى يشبه اخراج الكتب تماما . ولم تتعد الرسوم المحفورة على الخشب رأس الصفحة الاولى كما يتضح من المجموعات الاولى للوقائع المصرية والأهرام والوطن وغيرها .

وأول صورة صحفية في تاريخ الصحافة المصرية نشرتها جريدة الأهرام ، كانت صورة لفرديناند دى لسبس ومعه طفلته ، في ٤ مايو ١٨٨١ ، منذ أكثر من مائة عام ، وقد شغلت الصورة نحو ربع مساحة الصفحة على اليمين ، وطبعت من "وحة خشبية ، وبلغت درجة واضحة من الغاية والاتقان . ولم تظهر الصور مع مواد التحرير الا بعد بداية القرن الحالى ببضع سنوات . وكما كان لطفى السيد مبتكرا مجددا ، فقد جدد أيضا في صحيفته الجريدة (١٩٠٧) ، فكانت الجريدة أول صحيفة تستخدم صورا فوتوغرافية للأشخاص ، والاماكن مع الأخبار والحوادث الهامة ، وظهرت أول صورة في جريدة لطفى السيد في ٢٨ يوليو ١٩٠٨ لمدحت باشا زعيم الاصلاح الدستورى في تركيا .

انشىء بالاهرام قسم خاص لطبع الصور عام ١٩٢٦ وكان ادخال التصوير بالفلاش الى التصوير الليلى دافعا لنشر اللقاءات والمؤتمرات والحفلات العامة ، واحتلت الصورة الصفحة الأولى .

وقد بدأت الاهرام بنشر صور الشخصيات ، أما صور الأحداث (الصورة الخبرية) فقد نشرتها بعد شهرين ، وكانت لمشهد في مقابر اللاتين بالقاهرة ، يوم الاحتفال بذكرى النصر في الحرب العالمية الاولى .

وكانت الاهرام تنشر صور الاشخاص والحوادث ، كل صورة منفصلة عن الأخرى حتى رأت آخر الأمر أن هناك أحيانا صلة بين الشخص والحوادث ، فكانت تضع صورة الشخص في ركن من صورة الحادث . وبذلك تجلو فكرة واضحة لما كتب عن ذلك الموضوع ، وتدخر في الوقت نفسه مكانا يخصص لغرض آخر ، واذا كانت صور الأشخاص والحوادث الفوتوغرافية أولى الصور التى نشرت فيها ، فسرعان ما اقترنت بصور كاريكاتيرية لشخصيات وأحداث . وكانت أول صورة من هذا النوع لمرقص باشا ، بريشة الرسام كيم Kem ، وقد نشرتها الأهرام بمناسبة معرض كيم للصور الهزلية في القاهرة (الاهرام ـ أول مارس ١٩٢٧) .

وكان هذا التجديد بدعا بديعا ، أخذت الصحف الأخرى تقفو على أثرها ، وبقيت الصور التى تظهر في الأهرام صوراً أخذت في وضح النهار ، أما التصوير الليلى فلم يظهر الا بعد سنوات ، حين خرجت الأهرام بأربع صور التقطت بآلة تصوير دقيقة في أثناء الليل في احدى الحفلات التى أقامها رئيس الوزراء

المصري في المفوضية المصرية بلندن . وتمكن مراسل الأهرام من الحصول عليها - كما تقول الأهرام - بعد بذل « جهد كبير » وذكرت أنها أول صورة من نوعها تنشر في القطر المصري ، بل العالم ما عدا انجلترا ، (الاهرام ٩ اغسطس ١٩٢٧) ، وكانت معظم صور الأهرام تطبع على صفحتها الاولى . وبقيت تحافظ على هذا التقليد ، ثم خضعت الصفحة الأخيرة للصور (الأهرام ١٠ يناير ١٩٣١) والتي لم تخل صفحاتها الكثيرة من صور متناثرة هنا وهناك ،

وجددت الاهرام بنشر الأحاديث مع كبار الشخصيات - على غرار الصحف الأوروبية - وكان يحلو لها نشر حديث الكبير مع نشر صورة أو صورتين مناسبتين . وكان أول الاحاديث المصورة ذلك الحديث الذي أدلى به مندوبها الشاعر طاغور ، فور وصوله لميناء الاسكندرية (الاهرام ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦) ثم زاد استخدام الصورة وتوظيفها ، فلم تعد تنشر موضوعا صحفيا دون رسم أو صورة ، وبذلك وضعت الأساس للتحقيق الصحفي المصور في مصر .

وقفة مع المصور

ولست هنا بمجال الأفاضة في الحديث عن تطور الصحافة المصرية في أعقاب ثورة ١٩ ودستور ١٩٢٣ ، ولكنني أظن أن هذه الثورة وذلك الدستور قد أفسحا المجال لقاريء من نوع جديد ، هو القاريء المواطن الذي أصبح يرى أنه يحق له المشاركة في التعرف على أحوال بلده ، وطريقة حكمها ، وأخبار ساستها ، وشخصياتها .

وفي ظني أن ذلك التطور الدستوري الهام صحبه تطور صحفي لا يقل أهمية ، فقد كان محمد التابعي هو الجد الأكبر للمدرسة الصحفية الحديثة ، وقد خلص التابعي أسلوب الكتابة الصحفية من المحسنات اللفظية ، والتعابير الأدبية العويصة ، وبسط اللغة الصحفية ، ودفع ايقاعها ، فجاءت على هوى ذلك القاريء الجديد ، وهو القاريء المواطن الذي قد لا يصل تعليمه الى الجامعة ، ويستكمل ثقافته العامة من الصحافة .

وقد تفرع عن مدرسة التابعي مدرستان هما : مدرسة روز اليوسف واحسان عبدالقدوس وأكثرها فن ، ومدرسة الاخبار ، ومصطفى أمين وأكثرها خبر . ولكن مدرسة هامة في الصحافة ، ظهرت في نفس الوقت الذي ظهرت فيه روز اليوسف (١٩٢٤) هي مدرسة دار الهلال . وكانت الهلال قد ظهرت ثقافية رصينة عام ١٨٩٢ وكسبت الهلال سمعة لاصحابها ودويا في مصر وأنحاء الوطن

العربي ، مما دفع أصحابها أميل وشكري زيدان ، وعيونها على تطور الطباعة والتصوير الفوتوغرافي ، وتلك التجارب الرائدة في الصحف المصورة ، وأهمها اللطائف المصورة ، فأصدرا العدد الأول من مجلة المصور في ٢٤ أكتوبر ١٩٢٤ .

وقال صاحبا المجلة في عددها الأول ما يلي :

« هنا مجلة أصدرناها لنسليك ونبهجك ، ونتحدث اليك حديث صديق يقتطف من كل بستان زهرة ، ومن كل شجرة ثمرة .

وبتحليل الأعداد الاولى من السنة الاولى - ولا بد من التوقف قليلا عندها - نجد أن الغلاف الاول عليه صورة بكامل الصفحة للملك فؤاد ، وصورة الغلاف الأخير لتمثال نهضة مصر للمثال محمود مختار . (الذي كان يجري نصبه في ميدان محطة مصر - رمسيس الآن) .

ونجد على غلاف العدد الثاني صورة سعد باشا زغلول ، تصوير المصور زلمان ، وفي الصفحة الرابعة موضوعا « مصورا » عن الحرب في مراكش وقائده زعيم الريف - عبدالكريم الخطابي - (وبهذه المناسبة نشرنا هنا هاتين الصورتين كما تقول المجلة) .

وينتهي هذا العدد بصورة الغلاف الأخير ، وهي صورة سعد زغلول يحيي الجمهور .

ونستطيع القول باطمئنان أن المصور منذ انشائه كان يعتني بطباعة الروتوغرافور عناية خاصة ، وأنه كان من أوائل من خصصوا قسما للتصوير ، وكان يعتمد أيضا على شراء الصور من مصورين لهم مكاتب أو محلات ، وقد أبلغني المصور محمد يوسف أول مصور صحفي مصري بدأ في جريدة روز اليوسف اليومية ١٩٣٦ ، ثم اشتغل في دار الهلال أنه كان يبيع صوره قبل احترافه الصورة للاهرام بـ ١٥ قرشاً ، ولدار الهلال بـ ١٠ قروش .

ونلاحظ الى جانب الاهتمام بالمرأة والفن اهتماما بالاولاد (العدد ٢٣) ، مما كان بذرة لمجلات أخرى مصورة ، صدرت عن دار الهلال ، وهي حواء للمرأة ، والكواكب للفن ، وميكي وسمير للاطفال .

وقد تجمع في دار الهلال أكبر أرشيف عربي للصور التاريخية ، والفنية ، والسياسية ، كما أصبحت دار الهلال مدرسة المصورين الصحفيين المحترمين ، وأذكر أنني وجدت كنزا من صور الأدباء من أوائل القرن ، وصور ثورة ١٩١٩ ، وحفر قناة السويس وآلاف الصور التي تسجل لحظة هامة في التاريخ . واستعنت بعديد من الصور القديمة لشوقي والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم في اعداد مجلة الهلال الخاصة التي أخرجتها ما بين عام ٦٧ و ٦٩ للأدباء الأربعة الكبار .

وكان العقاد وطه حسين والحكيم من كتاب الهلال الدائمين على اختلاف عهوده ، وكان العقاد يحضر الى استديو المصور محمد صبري للتصوير ، وكان محمد صبري يذهب لطه حسين ، وقد ذهبنا معا لالتقاط صور حديثة لتوفيق الحكيم في حديقة المجلس الاعلى للثقافة ، لاختيارها غلافا . ولكن عشرات من صور هؤلاء الادباء أعانتني على الاختيار في الأعداد الخاصة ، وفي العدد الماسي بمناسبة مرور ٧٥ عاما على مجلة الهلال (سنة ١٩٦٧) .

يقول محمد صبري ، انه بدأ هاوياً ، ولم يكن التصوير يدرس في الاربعينيات أي دراسة اكاديمية ، ولم يظهر معهد السينما ، ولم يبدأ قسم التصوير الفوتوغرافي في كلية الفنون التطبيقية الا بعد الثورة ، وهم يدرسون الكاميرا الثابتة والمتحركة ، ولكن أغلبهم اتجه الى التلفزيون .

واذا كانت دار الهلال - قد أصبحت مدرسة متخصصة في الصور والمصورين ، وقد بلغت المصور الستين عاما - في أكتوبر ١٩٨٤ - فقد عاشت المصور الستين سنة ، نصفها قبل الثورة ، ونصفها بعدها ، وكان العدد الخاص الذي أصدرته المصور بهذه المناسبة سجلا نادرا لا يمكن أن تحويه ذاكرة واحدة . واثبت أن الصورة لها قوة خاصة ، تلخص وتسجل ، وقد تفوق أمهر المقالات وأطول التعليقات .

« وليس أدل على قوة الصورة أن الصورة العسكرية خلال حرب الاستنزاف احتلت ٢٠٪ من أغلفة المصور ، وأنك تكتشف أن محاولة تجميع أول سيارة في مصر كانت في عام ١٩٣٠ ! وأنك تستطيع أن ترى بعض صفحات من الاعداد الخاصة التي تميز بها المصور ، فتكتشف أنه قدم ١٥٠ عددا خاصا في ستين عاما ، وبعضها لا يستغنى عنه قارىء شغوف أو

باحث فطين ، وقد قدم هذا العدد الخاص ما يقرب من ٣٥٠ صورة نادرة معبرة وفنية » .

اللطائف المصورة

وفي هذا المجال لا بد أن نشير الى مجلة اللطائف المصورة (العدد الاول ١٥ فبراير ١٩١٥) لصاحبها اسكندر مكاريوس ونطالع على صفحتها الاولى تحت عنوان « كلمة » :

« تصدر هذه المجلة باسم اللطائف المصورة ، فقد أخذنا لها هذا الاسم تذكارا لمجلة اللطائف التي أنشأها المرحوم شاهين مكاريوس والد كاتب هذه السطور سنة ١٨٨٦ » .

ويقع العدد الاول في ٨ صفحات ، وتهتم المجلة بالتصوير الفوتوغرافي وتعين سكرتيرا « لقلم الصور » وهو الأديب محمد أفندي العطار ، وهو صغير الشيخ العطار شيخ الجامع الأزهر . ويلعب مخرج الصحيفة بالصورة ، فتستعملها ـ لأول مرة ـ في نصف العمود ، (٤ يناير ١٩٣٧) ، ويلعب باخراج شرحها ، ونجدها في العدد ٢٣ يوليو ١٩٣٤ توجه نداء الى هواة التصوير الفوتوغرافي ، وتناشدهم أن يرسلوا « صور الحوادث العمومية ، ولاسيما المفاجآت والاخبار المصورة » وتنشر في كل أسبوع صفحة كاملة من الصور المهداة من قرائها في مختلف أقطار العالم » .

وتبشر اللطائف قراءها في العدد ٢٣ ابريل ١٩٣٦ ، قائلة : بشرى للصحفيين . . . الاستعداد في مطبعة اللطائف المصورة التي تفتح أبوابها قريبا جدا ورشة الصور المتقنة بالزنكوغراف . ونجرى الآن تجربة طبع الصور بالاتقان المنقطع النظير ، على مكنة الروتاتيف في مطبعة اللطائف المصورة . . سواء باللون الأسود أو الألوان الثلاثة الرئيسية الأحمر والأصفر والأزرق مع الأسود .

العربي وجماليات الاستطلاع

يفرض الايجاز المستحب أن نغمض العين عن مقارنات هامة للمجلات العربية المصورة وخصوصا الجديدة منها ، وتطور الطباعة والاخراج فيها ، ولكننا نتوقف قليلا عند مجلة العربي ، باعتبارها مجلة ثقافية ، اهتمت اهتماما خاصا بالاستطلاع المصور ، وعمدت للاهتمام بالطباعة بالألوان منذ انشائها في عهد الدكتور أحمد زكي .

وفي بحثي المقدم لندوة العربي بالكويت خصصت فقرة عن الجماليات في المجلات الثقافية قائلا :

ـ والمجلات الثقافية الموسوعية تعمد بالضرورة الى تنوع وتعدد وتنسيق واتزان ، يعطيها الهارمونية الخاصة ، بل نكهتها وعطرها .

والتنوع يفيد القارىء حتى لا ترص المقالات والبحوث رصًا ، بل تتنوع أشكال عدة من « المادة » ، فهي تارة بحث رصين مركز ، وتارة باب من صفحتين ، وتارة أبواب ثابتة قصيرة مثل بريد القراء ، أو أنت تسأل ونحن نجيب ، وطرائف عربية وغربية وأقوال الصحف ، ومنتدى العربي ، ومن التراث ، وغير ذلك .

وكذلك تقطع الصورة والرسم مجرى الكلمات . فتخفف الضغط على العين . فلا يصبح الكلام زحاما مكدسا . لما يقطع تنوع الطول والقصر وتركيز الأبواب ورشاقة المقتطفات من الرتابة حتى يتوافق الشكل مع المضمون .

. . . وآخر الجماليات هو أول كل عدد أي الغلاف ، وقد تميز الغلاف في الـ ٢٠٦ من الاعداد الاولى بكلاسيكية ثابتة . وكان الغلاف ينقسم الى ثلاثة أقسام ، منها جزءان ثابتان ، في كل عدد . ويغلب أن تكون الصورة لفتاة واحدة (على الاقل) . وهي لازمة تجارية شائعة وموروثة ، أو صورة استطلاع عن اليمن أو المغرب أو مصر . والصورة ثابتة تخلو من الدرامية والتأثير . ولكن الغلاف تحرر في عصري بهاء والرميحي . فألغيت التقسيمات الثابتة على الغلاف ، وكبرت الصورة ، وأصبحت قريبة وتفصيلية ، مما يجعلها أكثر درامية وتعبيرا . (كما زادت العناوين الفرعية وهو ما يجذب القارىء أكثر) وقد تميزت العربي بالاستطلاعات المصورة الملونة ، فاستحدثت هذا الباب بصورة جديدة ، « وتشهد العربي اذ تستهل عددها الاول بفكرة صحفية مبتكرة ، نموذجا للتحقيق المصور ، وضعته تحت عنوان « أيها العربي ، اعرف وطنك » ، ونشرت في هذا العدد خمسة « استطلاعات » تحقيقات مصورة ، واحدا عن الكويت ، وثانيا عن القاهرة بالليل ، وثالثا عن قصة ٣٢ مليون نخلة

بالعراق ، ورابعا عن القات شيطان في صورة شجرة (اليمن) ، ثم تحقيقا عن يوم جيش التحرير الجزائري » .

ونرى على طول الـ ٣٠١ عددا ، وهي ثمرة ربع قرن ، استطلاعات صحفية وبعضها خمسة وأقلها ثلاثة ، تنتقل بالكاميرا والقلم ما بين المشرق والمغرب والجنوب العربي ، وقد لازم هذا التخصص أعداد أحمد زكي (حتى العدد ٢٠٤) ، واستمر عند أحمد بهاء الدين (حتى العدد ٢٨٤) ، وتمسك به الرميحي الى الآن .

وفي ظني أن الاستطلاع المصور ، تحت شعار « ايها العربي اعرف وطنك » لعب دورا ثقافيا وتثقيفيا . لانه أشبع حاجة القارىء العربي الشغوف الذي كان في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات يسمع حديثا مدويا وملحاً عن القومية العربية والعروبة ، وسهلت المجلة للقارىء أن يسافر على الورق بين ربوع الوطن العربي ويكتشف خفاياه وأركانه، وجوانب عن الثقافة والعادات والتاريخ والمكان .

وعالم الصورة الفنية أو حتى الخبرية ، عالم نسيج له أبجدية خاصة ، وكما أن اللغة تقوم أصلا على عدد معين من الحروف ، يبلغ نحو الثمانية والعشرين حرفا ، تتألف منها كلمات تضمها قواميس هذه اللغة .

وكما أن الموسيقا تقوم أصلا على سبع نغمات ، يؤلف منها الموسيقي ما لا سبيل الى حصره من الجمل والألحان .

كذلك ، الفن يعتمد أساسا على عناصر شكلية تتلخص في الخطوط والسطوح والكتل والألوان والأنوار والظلال . ومن هذه العناصر التي يمكن أن تضاف اليها عناصر أخرى مثل الملمس ، أي نعومة السطح أو خشونته ، ومثل شفافية الألوان أو كثافتها ، ومثل توتر الخطوط أو رخاوتها ، يؤلف الفنان لغته الخاصة التي يعبر بها عما يختلج في أعماق نفسه من مشاعر معقدة ، وعواطف مركبة مبهمة .

عنصر البشر وعنصر الحجر

واذا كان الأمل كبيرا في نهضتنا الصحفية والطباعية فعلينا أن نشن حملة ماهرة لمحو أمية العين ، وتدريبها على التذوق والتمتع ببهجة اللون ، ورفع الاضطهاد عن الصورة في الصحافة ، وتوظيفها خبريا وجماليا ، فان ذلك الأمل تتوفر الآن امكانات تحقيقه . وقد شهدنا في تاريخ الصحافة المصورة ، مدى العناء البشري أو تخلف الأدوات ، الذي أحاط بأجيال الصحفيين المصورين والمهتمين بالصورة خلال العقود السابقة .

واليوم تتوفر تلك الثورة التقنية في عالم الصورة والتصوير ، وعالم الطباعة والصحافة ، ويحتدم التنافس بين الأدب المرئي والأدب المقروء ، ونحس مجاعة الصورة أمام هذا الحشد الهائل من المجلات المصورة العربية ، والصحف المطبوعة طباعة ملساء .

ان سد النقص في توفر الصورة لا تكفيه لا نهضة طباعية ، ولا استحداث لآخر تطورات العصر في الطباعة الملونة ، ولا استجلاب أحدث الألكترونيات ، فكل ذلك وسائل في أيدي البشر . وأنا من المؤمنين أن أي نهضة صحفية لا بد أن تقوم على البشر قبل الحجر .

والعنصر البشري في تلك النهضة يقوم على ثلاثة :

١ ـ المصور الصحفي . ٢ ـ الصحفي الفني . ٣ ـ الطابع .

ولا بد من تحقق الحضور والغريزة والتوقع ، وليس الحضور هو مجرد التواجد في المكان ، بل لا بد أن يكون المصور الصحفي مسلحا ببصيرة غريزية ، ولا بد أن يكون فنانا يتوفر فيه الحضور في مكان الحدث ، والغريزة التي يعرف بها متى يصور ، والتوقع ليكون دائما مستعدا لتغطية الحدث بذهنه ومعداته . ولا بد للصحفي الفني المخرج ـ وهو عملة نادرة ـ أن يتوفر فيه الفن السريع . لأن الصحافة هي السرعة والملاحقة بل مداهمة الأحداث ، والمصور ينقل المرئيات ، والرسام يلخصها ، ولا بد للصحفي الفني أن يكون صحفيا ومصورا ، ليلحن الصور المطبوعة ، ويجيد العزف بالألوان ، وليست الألوان صبغة ملونة بل هي نغمة في سلم موسيقي . وتصاب أكثر صحفنا بما أسميه المحسنات الطباعية ، والحشو ، والنشاز . □

عمر المختار

شيخ الشهداء

بقلم : وهبي البوري*

ليبيا .. وعمر المختار .. اسمان تلازما منذ بداية هذا القرن ، وخصوصا في ثلاثينياته عندما أضيف اليهما اسم ثالث هو الفاشست الايطاليون . استعمار ومقاومة ، غزو ونضال ، وجهاد وكفاح . تلك هي القصة باختصار .

لكن كيف سارت معارك المختار ؟ وكيف خاض الشعب الليبي نضالاته ضد الغزاة ؟ هذا ما نجده في هذا المقال .

عندما قررت إيطاليا غزو ليبيا في اكتوبر ١٩١١ ، كان ذلك تحقيقاً لحلم راودها منذ اتمام وحدتها ، وبروزها كدولة أوروبية كبيرة ، لها الحق في نصيب من المستعمرات التي كانت الدول الأوروبية تتكالب عليها ، فجردت ايطاليا للحملة على ليبيا خمسة وثلاثين الف جندي ، مدججين بمختلف الأسلحة تساندهم الطائرات ، التي استعملت في العمليات الحربية لأول مرة في تاريخ الحروب ، بالاضافة الى مشاركة معظم قطع الأسطول الايطالي .

وكانت معركة الهاني التي خاضها المجاهدون العرب ضد القوات الغازية يوم ٢٣ أكتوبر ١٩١١ ،

* مستشار منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط .

أي بعد أيام قليلة من الانزال ، كانت مفاجأة قاسية للغرور العسكري الايطالي ، قلبت جميع مخططات القيادة الايطالية رأساً على عقب ، والحقت بالقوات الغازية هزيمة نكراء اضطرتها الى التخلي عن مواقعها المتقدمة والاحتماء بمدافع الأسطول . وتمثل رد الفعل الايطالي في القيام بمذبحة وحشية ضد سكان المدينة العزل شملت النساء والأطفال والشيوخ ، وقد أثارت استنكار واشمئزاز الرأي العام الدولي والصحافة العالمية .

مرت المقاومة الليبية بثلاث مراحل تاريخية ، ارتبطت بالمتغيرات الايطالية والدولية ، وبالحرب العالمية الثانية ، وبتطور الأوضاع الداخلية في ليبيا : -

المرحلة الأولى امتدت من بداية الغزو الايطالي حتى التوقيع على معاهدة الصلح التركية - الايطالية عام ١٩١٢ وقد تميزت هذه المرحلة بقبوع القوات الايطالية في خنادقها على الساحل تحت حماية مدافع الأسطول .

وامتدت المرحلة الثانية من أواخر عام ١٩١٢ حتى قيام النظام الفاشي في عام ١٩٢٢ ، وتميزت بتحمل الشعب الليبي وحده مسئولية مواجهة العدوان ، بعد انسحاب القوات التركية ، معتمداً على نفسه وعلى موارده وقواته الذاتية ، وعرفت هذه الفترة أعظم انتصارات الشعب الليبي وأكبر هزائم الايطاليين في جميع انحاء ليبيا ، واضطرارهم الى التمركز في بعض المدن الساحلية طوال سنوات الحرب العالمية الأولى .

أما المرحلة الثالثة وهي أقسى فترات الجهاد الليبي ، فقد اقترنت بدايتها بقيام الفاشية في ايطاليا عام ١٩٢٢ ، وانتهت باستشهاد عمر المختار عام ١٩٣١ .

نشأة عمر المختار

ولد عمر المختار بالدفنة بمنطقة البطنان في شرق ليبيا ، وتوفي والده حين كان في السادسة عشر من عمره ، فالتحق بمعهد زاوية جغبوب ، حيث درس الفقه واللغة والعلوم الدينية والتدرب على ركوب الخيل وفنون القتال لمدة ثماني سنوات . ومن المعروف أنه ظل فترة أخرى بالمعهد يساعد القائمين عليه ، ويلتقي بالعلماء والأساتذة الذين كانوا يتوافدون على الزاوية ، ويوطد أواصر الصداقة مع الكثير منهم ، ومع العديد من أهل العلم ورؤساء القبائل ، مما ساعده على معرفة الناس والاطلاع على أحوال بلاده وعاداتها وطباع أهلها ، وكانت هذه الفترة عاملاً هاماً في تكوين شخصية عمر المختار السياسية والاجتماعية ، وبروزه في مجتمعه كأحد الرجال المرموقين .

وعندما بدأ الغزو الايطالي لسواحل ليبيا في عام ١٩١١ ، لعب عمر المختار دوراً هاماً في التعبئة لمواجهة الغزو ، وشارك في معركة السلاوي التي دارت بالقرب من مدينة بنغازي في ١٢/٣/١٩١٢ ، التي الفى الايطاليون فيها بقرابة عشرة آلاف جندي ، كما شارك برجاله في المعارك التي دارت رحاها بين الغزاة والقوات العربية التركية المتحالفة . وقد ظل عمر المختار طوال فترة جهاده ضد الغزاة ، سواء في ليبيا أو في تشاد ، أميناً على مبادئه ، متشدداً في وطنيته وعدائه للمغتصب .

عندما قرر عمر المختار استئناف القتال في برقة ، بعد بداية الحملة الايطالية الجديدة ، انطلق من فراغ قيادي ، وتشتت في القوى المجاهدة ، واسترخاء عام نتيجة لفترة طويلة من المفاوضات والمساومات العقيمة التي ظل عمر المختار دوماً بعيداً عنها وحذراً من نتائجها . وقد شرع في تعبئة وطنية جديدة لتنظيم المقاومة والجهاد على أسس تتناسب وظروف القتال المستجدة . ولبى الجميع نداء عمر المختار والتفوا حوله ، وارتضوه زعيماً وقائداً ، وأمدوه بالمال والمؤن والسلاح والرجال ، مما مكنه من شغل القوات الايطالية الضخمة لعشر سنوات ، وعدم تمكينها من الاستقرار وتحقيق أهدافها الاستيطانية والاستعمارية وسنحاول فيما يلي اعطاء فكرة موجزة عن التنظيم الذي قامت عليه المقاومة في فترة قيادة عمر المختار : -

١ - الأدوار (المعسكرات) :

أطلق على معسكرات المجاهدين منذ بداية الغزو الايطالي اسم الأدوار ، وهي المناطق الجغرافية التي تقيم فيها القبائل الثائرة ، والتي تحولت الى قواعد عسكرية ينطلق منها المجاهدون ، وتقيم فيها

أسرهم ، وتخزن فيها المؤن والسلاح . وأقام عمر المختار ثلاثة أدوار كبيرة كل منها يضم قبيلة كبيرة أو أكثر ، واختار الجبل الأخضر كقاعدة رئيسية لعملياته ، واعتمد حرب العصابات كاستراتيجية جديدة للقتال ، تعتمد على الأدوار أساساً ، وعلى بقية السكان من حيث الدعم والتمويل وتقديم المتطوعين . وجعل في كل دور (قائمقاماً) عسكرياً ، يهتم بالتجنيد والتسليح والتدريب والمراقبة ، وتقصّي أخبار العدو ، والتحرك للقتال عندما تصدر الأوامر اليه من القيادة العليا ، أو عندما يتعرض « الدور » الى هجوم مفاجيء . كما جعل (قائمقاماً) مدنياً يتولى الشؤون الادارية وجمع المؤن وتخزينها وتوزيعها ، وجمع الأعشار والزكاة ، ومساعدة المحتاجين والعاجزين . ويقوم كل دور ، بقدر الامكان ، بالاعتماد على نفسه ، من حيث توفير المتطوعين والمؤن والسلاح والدفاع . ولكل دور مجلس يتألف من المشائخ والأعيان يترأسه ممثل القائد العام الذي ينظر في شؤون الدور وفض المنازعات بين القبائل والأفراد . كما يوجد « بالدور » قاض شرعي وكتاتيب لتعليم الأطفال القرآن واللغة العربية ، ويشرف على جميع الأدوار مجلس أعلى يترأسه عمر المختار ويشارك فيه كبار المجاهدين والقادة ، وهو الذي يقرر التحركات العسكرية والسياسية واستراتيجية القتال .

٢ ـ التسليح والتموين :

كان معظم الشعب الليبي قبل الغزو الايطالي مسلحاً ، وقد عملت الحكومة التركية قبيل الغزو بأيام على ارسال الباخرة درنة وعلى ظهرها شحنة من السلاح ، وقامت بتوزيعها في الحال على السكان . وترك الأتراك قبل انسحابهم من ليبيا ، بعد توقيع معاهدة الصلح مع ايطاليا ، معظم أسلحتهم للمجاهدين العرب ، وتدفقت أسلحة كثيرة على البلاد من مصر وتونس ، كما أن الألمان والأتراك زودوا المجاهدين بأسلحة كثيرة خلال الحرب العالمية الأولى ، بقصد الضغط على القوات البريطانية في مصر ومهاجمتها كما حدث في أواخر عام ١٩١٥ . وغنم المجاهدون أسلحة كثيرة من القوات الايطالية المهزومة خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، كما استولوا على مخازن الأسلحة الايطالية في المناطق التي انسحب منها الايطاليون .

ان الظاهرة التي تميز بها الجهاد الليبي بقيادة عمر المختار هي أن المقاومة كانت تستمد قوتها وأسباب بقائها من الشعب الذي كان يساهم بدرجات متفاوتة في تمويل الثورة وتزويدها بالمقاتلين . وكانت الزكاة والأعشار تجمع في أول كل عام هجري من القبائل أما عيناً أو نقداً ، وكان سكان المدن يدفعون الزكاة نقداً . والوثائق التي جمعت في مركز دراسات الجهاد الليبي بطرابلس تبرز النظام المالي الذي كان متبعاً من محاسبة ومراجعة وتسجيل الواردات ، الأمر الذي كان يضفي على المقاومة صفة الحكومة ، أو كما كان يسميها الايطاليون « حكومة الليل » .

٣ ـ المقاتلـــــــون :

تضمنت الخطة التي وضعها عمر المختار بالاتفاق مع القبائل أن تتولى كل قبيلة تزويد المقاومة بالمقاتلين وفقاً لحجمها وعدد أفرادها ، وأن تتكفل بمؤنهم وملابسهم ، وتعويض من يستشهد منهم في القتال ، وكان يحصي عدد القتلى اثر كل معركة ، ويحدد هويتهم ، ثم يطلب من قبائلهم ارسال بدلهم . وكان هذا العمل يتم بصورة سرية متفق عليها بالنسبة للقبائل الخاضعة للسلطة الايطالية ، علماً بأنه باستثناء الجبل الأخضر والجنوب الليبي اللذين يسيطر عليهما المجاهدون ، فقد كان الايطاليون يحتلون معظم المناطق والمدن والقرى الآهلة بالسكان ، وقد بثوا عيونهم وجواسيسهم في كل مكان للحيلولة دون مساعدة أفراد الشعب للمجاهدين ، سواء في برقة أو في طرابلس . وكانت نوعية الحرب التي خطط لها عمر المختار تتطلب قوات صغيرة سريعة الحركة والانقضاض ، ولذلك كان حجم القوات المقاتلة في حدود الألف رجل وان كان عددها في عام ١٩٢٤ بلغ حوالي ثلاثة آلاف مقاتل . وكان للمجاهدين نظام استخبارات يطلعهم على تحركات العدو ومخططاته ، ومراكز أمامية للمراقبة ولرصد تحركات العدو . وقد استطاع عمر المختار ورجاله من عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٢٩ أن يتحركوا في جميع المناطق الداخلية ،

ويرهبوا الايطاليين بهجمات وغزوات خاطفة وناجحة ، رفعت من معنوياتهم ، وشجعت الشعب على زيادة دعمهم ومساعدتهم .

المفاوضـــــات :

توطد النظام الفاشستي في أواخر العشرينيات ، وارتفع صوت موسوليني يطالب بنصيب ايطاليا من المستعمرات ، وبحقها في تونس وسافويا ونيس ، وأخذ مركزه الدولي يزداد قوة ، وازداد تحديه لفرنسا وبريطانيا ، وباشر في القيام بسياسة نشطة في مصر والبلاد العربية الأخرى ، من منطلق اعتبار البحر الأبيض المتوسط بحيرة ايطالية ، ووضع المخططات لتوجيه الشجرة الايطالية الى ليبيا ، وخصوصا في منطقة الجبل الأخضر التي اعتقد الساسة الايطاليون أنها قد تستوعب ملايين الايطاليين ، لتغدو ليبيا امتداداً للوطن الايطالي بصفتها أرضاً رومانية فأسند وزارة المستعمرات الى المارشال دي بونو أحد أقطاب الفاشستية الأربعة ، وعين المارشال بادوليو رئيس الأركان الايطالية العامة ، وأكبر شخصية عسكرية في ايطاليا ، حاكماً عاماً لليبيا . وكانت المهمة التي اسندت الى هذين القائدين هي سحق المقاومة الليبية بأي ثمن وبأية وسيلة ، وبدون رحمة في جميع أنحاء ليبيا الثائرة .

وبمجرد وصول بادوليو الى ليبيا وجه نداء الى المجاهدين في شرق وغرب ليبيا ، يدعوهم فيه الى السلام والتفاهم ، وهددهم بحرب ابادة اذا لم يتم السلام ، وواجه المجاهدون نداء بادوليو بسلسلة من الهجمات على المواقع الايطالية في الجبل الأخضر وفي جنوب ليبيا ، في الوقت الذي شرع فيه الموظفون الايطاليون في الاتصال برجال عمر المختار لفتح مفاوضات بين الطرفين . وقد مهدت هذه الاتصالات الى عقد لقاء بين عمر المختار والجنرال سيشلياني نائب الحاكم في برقة ، أعقبه لقاء بين عمر المختار والمارشال بادوليو بالقرب من مدينة المرج يوم ١٣/٦/١٩٢٩ ، حيث دارت المفاوضات بين الطرفين حول شروط السلام والتسوية السياسية ، وقد سأل بادوليو عمر المختار عن الداعي الى هذه الحرب المدمرة ، فأجابه عمر المختار : « لولا هذه الحروب لما كان هناك عربي يسير على أرض ليبيا » .

واتفق الطرفان على عقد هدنة لمدة شهرين ، تستأنف فيها المفاوضات لايجاد تسوية تضع حداً للقتال وترضي الطرفين . وقدم بادوليو بعض الهدايا لعمر المختار وبعض رجاله ، كما أهدى عمر المختار بادوليو جواداً أصيلاً .

وكانت الهدنة في جوهرها مكيدة ، الغاية منها خلق جو من الاسترخاء بين المجاهدين والتغلغل في صفوفهم ، ومعرفة أسرارهم واستراتيجيتهم ، وقد عمل الايطاليون على انتهاك الهدنة ، ونشر عمر المختار بياناً في الصحافة المصرية يحمل ايطاليا مسؤولية استئناف القتال ونتائجه .

غراتسياني يتولى القيادة :

ونتيجة لفشل المفاوضات وعدم قبول المجاهدين لشروط ايطاليا ، اسندت الحكومة الايطالية الى الجنرال غراتسياني مهمة القضاء على المقاومة وعلى عمر المختار ، ووصل غراتسياني الى بنغازي في أواخر شهر مارس ١٩٣٠ ، تحيط به هالة من الغرور والصلف والاعتداد ، بعد أن اكتسب شهرة في الاجرام واللاانسانية في حربه الطويلة ضد المجاهدين في ليبيا الغربية ، وخصوصا في الجنوب الطرابلسي ، وبعد أن قابله موسوليني والبرلمان الايطالي مقابلة الفاتحين ، ومع ذلك فان غراتسياني لم يخف تهيبه من لقاء عمر المختار حيث كتب : « اني اتجه نحو كفاح مرير ومتاعب ، واضعاً مصيري على كفة القدر هناك في برقة » ، وفي تقاريره الأولى الى رؤسائه لم يخف عنهم « ان الثورة عامة وان كل فرد ليبي ، سواء أكان ثائراً أم خاضعاً لسلطتنا ، وسواء أكان يتقاضى راتباً منا أم لا ، يشارك بصورة مباشرة أو غير مباشرة في مقاومتنا » واقتنع غراتسياني انه كي يستطيع ان يقضي على المقاومة يجب :

١) نزع السلاح من السكان .
٢) فصل السكان عن المجاهدين فصلاً تاماً .
٣) تغيير السلاح الذي بيد الجنود .
٤) احتلال واحة الكفرة ومنع الاتصال بمصر .
٥) خلق قوات سريعة الحركة مزودة بأحدث

الأسلحة تساندها الطائرات لملاحقة المجاهدين حيثما وجدوا .

وباشر غراتسياني في نزع السلاح من السكان وقام بعد ذلك بالخطوة الثانية ، وهي ترحيل كافة سكان الجبل عن مواطنهم الى مناطق قريبة من المراكز الايطالية ، لتتسنى مراقبتهم ومنعهم من الاتصال بالمجاهدين ، أو تقديم العون لهم . وأنشأ المحكمة الطائرة ، لتتنقل من مكان الى آخر ، لمحاكمة المشتبه فيهم بتقديم المساعدة للمجاهدين ، وإعدامهم فوراً وعلناً ، وقد حكمت هذه المحكمة ، وفقاً للمصادر الايطالية ، بالاعدام على ٢٥٠ ليبيا في أقل من عام ، ونفذ فيهم الحكم فوراً وعلناً لارهاب الناس .

وقابل المجاهدون تدابير غراتسياني القمعية الارهابية بسلسلة من الهجمات المتلاحقة على مختلف المراكز الايطالية ، وألحقوا بها ضربات قاسية .

كانت جرأة المجاهدين وهجماتهم على القوات الايطالية تحدياً لغرور الفاشستيين وطعنة لكبريائهم ، الأمر الذي دفعهم الى اتخاذ قرار خطير ، وهو ترحيل جميع قبائل الجبل الأخضر والبطنان الى أماكن نائية ، وحشرهم في معتقلات محاطة بالأسلاك الشائكة ، وتحت حراسة القوات المسلحة ، وفي أقصى حالات الضنك والجوع والاذلال ، ووضع بقية السكان تحت الحراسة والرقابة ، بحيث لا يتسنى لهم الاتصال بالمجاهدين ومساعدتهم .

الأسلاك الشائكة :

في سبيل أحكام الحصار على المجاهدين وقطع الامدادات والذخيرة عنهم ، قررت الحكومة الايطالية احتلال واحة الكفرة التي تقع على قرابة ألف كيلومتر الى جنوب بنغازي ، ومد الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية من البحر الأبيض الى واحة جغبوب بمسافة ٢٨٠ كيلومتراً تقريباً .

وشرعت السلطات العسكرية الايطالية في نفس الوقت في عملية مد الأسلاك الشائكة المكهربة على طول حدود مصر ، ودام العمل فيها أكثر من ستة أشهر ، وكلفت الخزينة الايطالية ثمانية عشر مليون ليرة بقيمة ذلك الوقت .

عمر المختار أسيراً ،
أسد الصحراء في قبضة الفاشست

التحدي الأخير :

بانتهاء الايطاليين من مد الأسلاك الشائكة على الحدود الليبية المصرية ، تم احكام عزل عمر المختار ورجاله ، وتفريغ الجبل الأخضر من السكان والحيوانات ، وتحويله الى ساحة للمعارك المتواصلة بين القوات الايطالية التي كان عددها يزيد على ١٣ الف رجل ، مزودين بالأسلحة الحديثة والطائرات ، وبين بضعة مئات من الرجال تتناقص مؤنهم وذخيرتهم وعددهم ، وان كان يتضاعف ايمانهم بقدسية نضالهم ، وتتزايد فيهم روح التضحية والفداء ، ومواصلة الكفاح حتى الموت . واشتد الحال بهم لدرجة أنهم كانوا لا يستطيعون البقاء في مكان واحد أكثر من بضع ساعات ، ولا يمر يوم دون صدام مسلح مع قوات العدو ، وتعذر عليهم

الحصول على القوت الضروري لسد الرمق .

ومع ذلك لم ييأس عمر المختار ، وقد اعترض الايطاليون يوم ١٩٣١/٨/٢٥ ، أي قبل اسبوعين من أسر عمر المختار ، قافلة تحاول الوصول الى مصر ، وعثروا معها على رسائل من عمر المختار موجهة الى أمراء مصريين ، وشخصيات عربية ومصرية يطلب منهم المساعدة والعون لمواصلة الكفاح .

النهايـــــة :

وتسربت أنباء المأساة التي يعيشها الشعب الليبي الى الخارج ، واتخذت بعداً دولياً ، وتناولت الصحافة العالمية والعربية جرائم الفاشست في ليبيا بالنقد والتعليق وتعاطف العالم العربي مع الشعب الليبي في محنته . وأدركت ايطاليا تأثير ردود الفعل هذه على سياستها الدولية ومطامعها التغلغلية في البلدان العربية . وحاولت وزارة الخارجية الايطالية تلمس طرق أخرى غير عسكرية لحل القضية الليبية . الا أن القدر شاء أن يسقط البطل أسيراً يوم ١٩٣١/٩/١١ ، في معركة أصيب فيها وسقط من على جواده وكانت آخر معاركه . لم يعرف بالضبط نص الحديث الذي دار بين عمر المختار وغراتسياني ، الا أن هذا الأخير نشر بعض ما دار بينه وبين عمر المختار ، وهو تمسك البطل بشرعية قتاله من أجل حرية وطنه ومن أجل دينه ، وتحمله مسؤولية كل ما حدث في الحرب ، ورفضه لدعوة رفقائه الى الاستلام لأنهم : « أقسموا على الموت واحداً تلو الآخر دون أن يلقوا السلاح » .

وعمت ايطاليا موجة من الفرح لأسر عمر المختار ، وأعطى غراتسياني حجماً لانتصاره بالاشادة بعظمة خصمه فكتب يقول : « هذا الرجل ، أسطورة الزمان ، الذي نجا آلاف المرات من الموت والأسر ، والذي اشتهر لدى الجنود بالقداسة والاحترام ، الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية في برقة ، والقائد الذي نظم القتال ، لسنوات كثيرة ، بصبر ومهارة لا مثيل لها ، وقع الآن أسيراً بأيدينا » .

خاض عمر المختار ورفاقه ٧٤ معركة كبيرة ضد الايطاليين و ٢٧٠ صداماً مسلحاً ، والحق بالقوات الايطالية هزائم كثيرة في وقائع معروفة ، وتغير خلال فترة مقاومته خمسة ولاة ايطاليين في برقة ، واستطاع أن يؤخر مشاريع ايطاليا الاستيطانية في ليبيا ، ويفسد جميع مخططاتها في هذا الخصوص . وقام الطيران الايطالي منذ بداية الاحتلال بدور فعال في القتال ضد المجاهدين الذين كانوا لا يملكون غير البندقية ، وقد ألقت الطائرات على المجاهدين في برقة في الفترة ما بين نوفمبر ١٩٢٩ ومايو ١٩٣٠ ما يقدر بـ ٤٣,٥٠٠ طن من القنابل ، وحلقت الطائرات في سماء المعارك ، في نفس الفترة ، ١٦٠٥ ساعات ، ولا يعرف كم طناً من القنابل كانت معبأة بالغازات .

وفي يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣١ ، جندت السلطات الايطالية سياراتها وقطاراتها لتنقل الى منطقة سلوق في جنوب بنغازي ، أكثر من عشرين ألف عربي ، جلهم من المعتقلين ، لمشاهدة تنفيذ الاعدام في زعيمهم وقائدهم . وكان مظهراً ينم على ما وصل اليه الفاشيون في تلك الفترة من انحدار في القيم والأخلاق ، وابتعاد عن مفاهيم حضارة القرن العشرين . وصعد عمر المختار الى المشنقة بثبات ورباطة جأش ، رغم شيخوخته وجروحه ، مرفوع الرأس غير هياب ، وأسلم روحه الطاهرة الى بارئها في صباح يوم ١٦ سبتمبر ١٩٣١ ، بعد أن أدى واجبه في الدفاع عن وطنه وعروبته ، وبعد أن رفض كل ما عرض عليه من رغد العيش والأموال .

سجل التاريخ للمختار صفحة ناصعة في تاريخ الذود عن الأوطان والفداء ، وسجل لأعدائه الخزي والعار ، فقد أعدم موسوليني المارشال دي بونو عام ١٩٤٤ رمياً بالرصاص بتهمة الخيانة ، كما وقع المارشال بادوليو على وثيقة استلام إيطاليا في الحرب العالمية الثانية وساهم في تمزيقها واحتلالها ، وعاش بقية حياته محتقراً ومهملاً . أما غراتسياني فقد انضم الى جمهورية موسوليني الصورية ، التي كونها هتلر ، وخان مليكه وبلده وقبض عليه في نهاية الحرب وسجن وأهين ومات ذليلاً محتقراً .

ودارت عجلة الزمن ، وجاء جيل من أحفاد عمر المختار ليأخذ بثأره ويطرد الفاشيين من ليبيا ، ويحاسبهم على ما اقترفت أيديهم من جرائم ضد الشعب الليبي . □

العربي ـ العدد ٣٢٢ ـ سبتمبر ١٩٨٥ م

أرقـام

بقلم : محمود المراغي

عالم العقل الواعي والطفل اللقيط

إنهم ينجبون تحت العشرين .. لا يهم أن يكون ذلك شرعيا أو غير شرعي ، صحيا أو غير صحي .. المهم أن ذلك يحدث بشكل قد يخالف ما ألفناه وعرفناه في المجتمعات الزراعية والبدوية ، والأقل نموا التي يتم فيها الزواج والانجاب في سن مبكرة .

الجديد والمثير رقم نادر يحاول أن يقدم حجم الظاهرة في الدول النامية والغنية على السواء .. من خلال الزواج أو بدون زواج .

الرقم الذي يقدمه تقرير أخير للبنك الدولي تحت عنوان « حمل المراهقين » يحدد نسبة الذين يولدون في العالم من آباء وامهات في سن المراهقة بـ (١٠) ـ (١٥) بالمائة من المواليد على النطاق العالمي .. وفي التفاصيل تبرز أرقام أكثر اثارة :

** ففي الولايات المتحدة الامريكية ارتفعت نسبة الانجاب في سن المراهقة ، وكان (٦٦) بالمائة أى ثلثا عدد المواليد لهؤلاء المراهقين .. من أمهات غير متزوجات .

** وفي البرازيل هناك ١٦ مليون طفل هجرهم آباؤهم .. وجاءوا من علاقة غير شرعية وغير مستقرة .. وأغلبهم من آباء وأمهات في سن المراهقة .

** وفي بومباي ووفق دراسة أجريت في اوائل السبعينيات كانت هناك نسبة (١٢) بالمائة من النساء اللاتي أقدمن على الاجهاض تقل أعمارهن عن (١٨) سنة .. وتمثل نسبة غير المتزوجات منهن (٩٢) بالمائة وهي نفس النسبة تقريبا في مستشفى بلاجوس الذي اجريت عليه نفس الدراسة .

الارقام تصدم العين ، ومع ذلك فالتقرير يعترف : (الاسباب في الدول النامية لما يسمى حمل المراهقين تختلف عن الاسباب في الدول الصناعية .. فالسبب الرئيسي في المجموعة الأولى هو الزواج المبكر .. بينما السبب الأول في المجموعة الثانية هو الزواج المتأخر مع الاباحية الجنسية وانتشار قيم لا تستهجن العلاقات غير الشرعية) .

وهكذا تبدو الاسباب متناقضة ، لكن لها منطقها الذي لا يتقصاه التقرير أو يفسره .

ان الدول النامية في معظمها لم تتحول الى مجتمعات صناعية ، ولم ترتفع فيها نسبة التعليم كما ارتفعت في العالم المتقدم .. الدول النامية زراعية أو رعوية أو منتجة للمواد الأولية .. وكلها مجتمعات درجت على قبول فكرة الزواج والانجاب المبكرين .. ولعب الطفل والصبي في العديد منها دور القوة الاقتصادية المنتجة ، فهو مصدر دخل بما يقدمه من عمل .. وليس عبئا اقتصاديا على اسرته كما هو الحال عند زميله الذي تربى في المدينة ، ودخل المدرسة .

أيضا وفي المجتمعات النامية التي تتغير تدريجيا لا يوجد على الأرجح تثقيف حول شؤون الاسرة والزواج والانجاب .. وعلى العكس يوجد تراث اجتماعي يشجع الزواج المبكر ويعتبر الزواج المتأخر وخصوصا للفتيات .. مشكلة اجتماعية .

صحيح أن الوضع قد بدأ يختلف ، فمع التحضر

وزحف المجتمعات الى المدينة ودخول الصناعة تدريجيا يتغير سلوك الاسرة في الدول النامية ، ويتأخر سن الزواج لاسباب اقتصادية وثقافية .. ولكن بالرغم من ذلك فمازال الأغلب الأعم (الزواج مبكرا) ، ومازال الزواج تحت العشرين للفتيان والفتيات يحقق درجة عالية من الانتشار ، ذلك بالاضافة الى مجتمعات تسمح بالعلاقات غير الشرعية ، وتنتمي ايضا لمجموعة البلاد النامية .

على العكس من ذلك تجيء الأسباب في الدول الصناعية المتقدمة ، فالزواج متأخر .. لكن عناصر القلق والتفسخ الاجتماعي ، والانحلال وعدم الاحساس بالمسؤولية ، وغياب الوازع الديني ، تلعب كلها دورا في انجاب مبكر .. بلا زواج ، وهو انجاب تحت العشرين في حالات كثيرة .

أطفال أقل حظاً :

هذه الظاهرة ـ الزواج تحت العشرين ـ تترك آثارا وخيمة .. فالأطفال يأتون أقل وزنا وأقل اكتمالا ونموا .. يتعرضون للوفاة بدرجة أكبر ممن يجيئون من آباء وامهات فوق العشرين .. وتسجل الأرقام ذلك فتقول إن فرصة وفاة الذين يولدون من أمهات مراهقات تزيد في الباكستان بنسبة (٥٠) بالمائة عن الذين يولدون من أمهات تتراوح أعمارهن بين العشرين والتاسعة والعشرين . نفس الشيء أثبته بحث في بيرو ، وتثبته أبحاث أخرى كثيرة ..

فاذا أضفنا لذلك أن كثيرا من حالات حمل المراهقات تنتهي بقرار اجهاض شرعي لأضفنا في نفس الوقت حقيقة أن نصف الوفيات المتعلقة بالأمومة سببها الاجهاض وهو ما تقوله دراسة أجريت في ٢٤ بلدا ناميا خلال ثماني سنوات بدأت عام (١٩٧٠) .

وتمضي سلسلة الأخطار لتشمل حرمان الأم من فرص التعليم والتوظف ولتنشر نوعا من الاجيال التي تنشأ في ظل « نصف الاسرة » لأن أحد الأبوين في حالة غياب أو فرار أو عدم مسؤولية .

امهات في الثانية عشرة :

نماذج التصدي لظاهرة انجاب المراهقين تتعدد في العالم ..

في جامايكا تم تصميم برامج تخاطب الامهات اللاتي تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والسادسة عشرة .. والهدف : اعادتهن الى المدرسة والكف عن الانجاب .

وفي بنجلاديش هناك برامج لخفض الخصوبة ، والمكافآت سندات تتراوح قيمتها بين (٨٠) و (١٢٠) دولارا ، وتأمين ضد الشيخوخة لمن يؤخر المولود الأول ثلاث سنوات بعد الزواج،أو يؤخر المولود الثاني والثالث خمس سنوات .

وبشكل عام تعتمد برامج تنظيم الاسرة عددا من الاليات لتخفيض الخصوبة وعدد السكان ومن بينها : التركيز على النساء تحت العشرين وفوق الرابعة والثلاثين .

أيضا ، وكطريقة للمواجهة بدأ العديد من البلدان النامية ـ كما هو في الدول المتقدمة ـ تطوير برامج التعليم لتقدم ثقافة اسرية وجنسية ودينية تقاوم بها الانجاب تحت العشرين ، ومن هذه الدول : غانا وكوريا والمكسيك والفليبين وكينيا .

السؤال : ماهو موقع الوطن العربي من هذه الظاهرة ؟

والجواب واضح فالزواج المبكر والانجاب في سن المراهقة ينحسران تدريجيا تحت عوامل المدنية والتعليم وخروج المرأة للعمل وتزايد المشاكل الاقتصادية في عدد كبير من الدول العربية .

الزواج يتأخر بطبيعته .. وخطر انتشار الابناء غير الشرعيين غير قائم فالوازع الديني وجهاز القيم يلعبان دورهما في كبح جماح الشباب رغم تعقد الحياة وصعوبتها ، النفق المظلم الذي سارت فيه مجتمعات غربية لا يهدد الوطن العربي .. وهذا فارق أساسي بين ما يجري هنا وهناك . انه مقياس آخر للتقدم والتخلف .. فالمتقدمون في الصناعة والزراعة وعلوم الفضاء متخلفون في العلاقات الاجتماعية ، والدليل : أرقام دولية وليس بحثا فرديا أو انطباعا شخصيا .

انه عالم العقل الواعي .. والطفل اللقيط ، او هكذا بدت الصورة في بعض البلدان .. □

تراث

الذكرى الألفيّة للنديم
فهرست النديم أول موسوعة ببليوجرافية علميّة

بقلم : د. محمد حسن عبد الله

كانت تجربة النديم تجربة رائدة في فهرسة الكتب والتعريف بها لم يسبقه اليها أحد في التراث العربي كله .

ولقد جمع النديم بين الدقة والتنظيم وبين سعة الاطلاع ، فلم يكتف بتصنيف الكتب وانما قدم لكل مقالة بلمحة تعرف بالموضوع ، من حيث الأطوار وأعلام الرجال والجذور التاريخية .

وفي الذكرى الألفية لهذا الكاتب نقدم هذا البحث .

ليس بين المهتمين بالحضارة العربية وما انبثق عنها من علوم متنوعة من يجهل الأهمية الزائدة التي يحتلها كتاب الفهرست ، لمؤلفه (أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق) ، النديم ، الوراق ، البغدادي . فهذا الكتاب قد تضمن قوائم شاملة لأسماء الكتب ، والمصنفين ، في مختلف فروع المعرفة ، حتى أواخر القرن الرابع الهجري ، غير أنه يضيف الى هذه الوظيفة البيليوجرافية ـ على خطرها وما تحتاج من دراية وجهد ـ وظيفة أخرى تتجاوزها ، وتحتاج الى خبرة ومعايشة ومخالطة للعلماء طويلة ، لأن النديم لم يقف عند توزيع ما انتهى اليه خبره من الكتب في مقالات وفنون على حسب الموضوع ، وانما قدم في صدر كل مقالة أو فن لمحة تاريخية تعرف بالموضوع : جذوره التاريخية ، وأطواره ، وتفريعاته ، وأهم رجاله ، ومصطلحاته . ولا يندر أن يقابل بين أكثر من رواية ، ويمحص القول ويدققه ، وأن يصدر أحكاماً على الرجال ، معتمداً على ما انتهى الى علمه ، أو من خلال درايته الخاصة بما ألّفوا ، وقد يغوص في بعض المسائل الجوهرية التي تضمنها هذا الكتاب أو ذاك ، فيحلل ، وينقد ، ويصحح النسبة ، ويربط ما بين الأول والآخر . . وبهذا كله يأخذ كتاب الفهرست مكانه بين الموسوعات

العلمية التي لا غنى عنها لكل مشتغل بالعلم ، أو راغب في توثيق المعرفة ، سواء كان التراث بغيته ، أو العصر الحاضر ، لأن الوعي بالتاريخ أساس في صواب التصور للحاضر والمستقبل .

النديم ، مولده وحياته

تتفق أقوال المؤرخين على اسم الكتاب ، فهو الفهرست ، وان عرّبها بعض المتأخرين الى : الفهرس . كما تتفق على اسم صاحبه : محمد بن اسحق ، وعلى موطنه : بغداد . ثم تختلف على السنة التي ألف فيها الكتاب ، وفيه اشارات تدل على أن ابتداء صناعته كان سنة ٣٧٧هـ ، وفي الكتاب إشارات تدل على أن مؤلفه عاش الى العقد الثاني من القرن الخامس الهجري ، مع أن مصادر أخرى قررت أنه مات أواخر القرن الرابع (٣٩٢هـ أو ٣٩٩) .

وكما يحتمل أن النديم عاش عدداً من السنين أوائل القرن الخامس ، فانه يحتمل أن الاشارات التي دلت على ذلك قد زادها النساخ في كتابه بعد وفاته . ولن يغيب عنا هنا وجه المفارقة في رجل قضى الشطر المثمر من عمره ، يوثق التواريخ ويصحح المعلومات ، ثم مات دون أن يقوم أحد بتوثيق ميلاده أو وفاته . وقد تكون لذلك أسباب ذكر بعضها في مصادر قديمة ، تمس مذهبه ، وسواء كان استنتاجنا صحيحا أو مجرد ظن ، فاننا نتجاوز هذه النقطة الى ما هو أهم . وقد اختلف مؤرخوه حول صفة النديم ، وهل هي لاصقة به أو بأبيه ؟ ومن هنا كان شيوع تسميته بابن النديم ، وأغلب الظن أنها صفة له ناتجة عن اشتغاله بالرواية والأدب ، وكذلك الأمر في الوراق ، فهل كان الأب تاجر كتب ونشأ الفتى مهتماً بالثقافة من خلال ذلك ، أو كان هو نفسه وراقاً ؟ كلا الاحتمالين جائز ، وليس بمستبعد أن يكون وراقاً ابن وراق ! !

ومهما يكن من أمر الخلاف في الميلاد والوفاة ، فان من المؤكد أن ألف عام قد انقضت على ظهور كتاب الفهرست . ومن الصحيح أنه لم يكن رائد التوثيق الببليوجرافي اذ سبقه الفارابي ، صاحب (إحصاء العلوم) (٣٣٩هـ) والخوارزمي ، صاحب (مفاتيح العلوم) (٣٨٧هـ) ولكن هاتين المحاولتين اقتصرتا على حصر أسماء الكتب والمؤلفين حسب موضوع العلم ، ولم يتطرق أحدهما الى مادة الكتب في ذاتها ، ولا الى حياة هؤلاء المؤلفين ، وبهذا الشمول الذي اتسمت به محاولة النديم يستحق كتابه منزلة فريدة . وتكون وقفتنا هذه معه بمثابة تذكير للأجيال الحديثة من الدارسين والمثقفين ، المشغولين دائماً أو غالباً بالمعاصرة والمستقبل ، وليس في هذا ما يعيب ، بل هو واجب أساسي مقدم على غيره ، ولكن بعضهم يخطىء الطريق فيلغي الاهتمام بالماضي ، وليس هذا من الصواب ، فالحضارة كيان له جذور ، والتقدم ليس نوعاً من التراكم المعرفي الكمي ، انه انتقاء وتنمية لعناصر العافية والقوة المتوارثة في أمة من الأمم ، ولن يتيسر هذا الانتقاء في غيبة الوعي بالتراث بكل نشاطاته المتشعبة .

النديم والمنهج

وكما جرى العرف على تقسيم الكتاب في أيامنا الى أبواب ، تنقسم الى فصول ، فان النديم قسم كتابه الى عشر مقالات ، تنقسم كل منها الى فنون .

وشأن ابن النديم في كل فن أن يذكر أسماء أهل هذا الفن محافظاً على التسلسل الزمني ما أمكنه ذلك ، ثم يرصد عناوين كتبهم ومقالاتهم ، ويتوقف عند المهم من بين هذه الكتب فيعرض فكرته الأساسية ، وقد يربطه الى أشباهه ، أو يرده الى أصله . ونستطيع أن ندرك الشمول ، أو الموسوعية التي تحققت عبر هذه المقالات والفنون ، وسيرى من يعود الى الكتاب ليقف على تفاصيل كل فن ، كيف أن بعض الفنون تكاد تنطوي على أقسام توشك أن تصير بدورها فنوناً . وبصفة عامة فان الكتاب تناول أهم الموضوعات العلمية بالتمهيد الذي قدم به لكل مقالة أو فن ، وبحصر الكتب والمصنفين الذين تناولوا هذا الموضوع ، ومع هذا تبقى لنا ملاحظتان : الأولى أن تسلسل المقالات لم يخضع لترتيب محكم ، واذا كان البدء باللغة والدين له دواعيه في نفس النديم ، وفي حكم العقل فان الكلام عن النحو ليس هو الحلقة التالية بالضرورة ، وبصفة عامة فاننا نجد مناسبة بين المقالة الأولى ، والمقالة السادسة ، ثم الخامسة ، ثم التاسعة ، ومناسبة بين المقالة الثانية ثم الرابعة عن

الشعر والشعراء ، ثم الثالثة عن الرواة . ولعل النديم ألف كتابه في شكل مقالات مستقلة حيث تهيأت له المادة ، ولم يهتم بفكرة التدرج المنطقي ، أو لعل ذلك من عمل النساخ . والملاحظة الثانية أنه اهتم بالعلوم الانسانية أكثر من اهتمامه بالعلوم العملية ، فنصيب الهندسة والرياضة والطب والصناعة أقل اذا ما قيس الى حوار المتكلمين واختلافات النحويين ، وعذر النديم في ذلك واضح ، فهو تابع لنوع النشاط التأليفي ، وهذا هو الغالب على موجة الحضارة العربية الاسلامية ، أو لنقل ان هذا ما كان يشغل المثقفين في عصر النديم وما قبله من عصور . وقد أدى هذا الاتجاه الى قصور في حصر بعض العلوم ، فلا نكاد نجد ذكراً لعلوم النبات ، أو فن الزراعة مثلاً ، أو النظم الاقتصادية ، وهي بالطبع تتجاوز ما ألف عن الخراج ، وكذلك علوم البحار والحيوان ، في حين أنه اهتم بشكل واضح بالأسماء والقصص والخرافات ، وهذا أمر يحمد له لا ريب ، ويدل على نفاذ البصيرة والوعي ، اذ كانت تلك الآداب الشعبية مستهجنة بعيدة عن الجد والاعتبار حتى مشارف القرن الحالي ، ولعل اهتمامه بها تفريع على ممارسته لها النابعة من كونه (نديماً) ، ولكن العلوم العملية التي أشرنا اليها لم تنل شيئاً من الاهتمام ، مع وجودها في غير الجزيرة العربية .

فهرسة وتوثيق

ان الجهد الأكبر في كتاب الفهرست ليس وقفاً على تقصي أسماء الكتب ومؤلفيها ومن ثم تبويبها حسب الموضوع ، انه يتجاوز ذلك الى (التوثيق) ، وهي كلمة سهلة ولكنها قد تقتضي من انسان عمره كاملاً ، وخصوصا في الزمن القديم حيث تتباعد المسافات ، ويواجه نشر الكتاب صعوبات شتى ، ويسهل التزييف والحذف والاضافة ، وتغيب المؤسسات التي تعنى بتسجيل المطبوعات . ولكن الأعمال الكبيرة تتحدى الصعاب وتتجاوز قدرة المرحلة ، وتشهد مادة الفهرست على أن كاتبه اتصل بشكل مباشر بالمصادر التي أخذ عنها ، بالسماع مباشرة من صاحب الشأن ، أو قراءة خطه في مؤلفه الأصلي ، أو تلقي رواية عن ثقة ، أو النقل عن مصدر موثق . سنجد في الكتاب مثل هذه العبارات : قرأت بخط أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء تأليفه (ص ١٥)[١] ـ قال لي أماد المويد (ص ١٥) ـ ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلي . . . مصحفاً بخط علي (ص ٣٠) ـ قرأت بخط ابن مقلة (ص ٦٠) وعن المبرد قرأت بخط أبي الحسن الخراز (ص ٦٤) ـ قرأت بخط أبي الطيب أخي الشافعي ، قال (ص ٧١) وهكذا يتقلب بين السماع من المصدر الأصيل ، أو النقل عنه ، أو عن من له صلة مباشرة به . وقد نجد عبارات لا تدل على التحديد ، مثل : قرأت في بعض التواريخ القديمة (ص ١٧) ـ عن اليهود : سألت رجلا من أفاضلهم (ص ٢٥)،والمعلومات الواردة بهذه الطريقة لاتمثل مركز الثقل الحقيقي في الكتاب ، فهي قليلة ، وتنتمي الى أمم بائدة أو قديمة،أما ما يتعلق بالحضارة العربية والفكر الاسلامي ، فكله محدد المصادر موثق النصوص . ولهذا نجده لا يستسلم للرأي الشائع أو المعلن ، وانما يحتكم الى معرفته الخاصة الموثقة ، فلا يتردد في إصدار تصويبات لا تجري مع ما هو معروف .

التواصل الثقافي

ومع أهمية توثيق المصادر التي اعتمد عليها النديم والتنسيق بين الموضوعات أو توزيعها على أبواب أو مقالات ، فان هذين الجانبين لا يمثلان الانجاز الوحيد في منهج كتاب الفهرست ، ويستطيع المتأمل أن يجد اضافات أخرى على جانب من الأهمية ، وهي تكاد تكون من الظاهرات التي سبق اليها النديم ، أو أبرزها أكثر من غيره ، منها :

١ ـ الاهتمام بقضية التواصل الثقافي ، أو الاستمرار ، وهو ما ندعوه في زماننا بقضية التأثير والتأثر ، وكيف يتم الثاني عمل الأول ويفيد من تجربته ، فيقول مثلاً عن المطوق (ص ١٤٣) : له من الكتب كتاب الوزراء ، وصل به كتاب محمد بن داود بن الجراح ، وعمله الى أيام أبي القاسم الكلوذاني . أما ابن الجراح نفسه (ص ١٤٢) صاحب كتاب الورقة في أخبار الشعراء ، فمن كتبه :

كتاب الأربعة على مثال كتاب أبي هفان . وكذلك ابن المراغي (ص ٩٤) وله من الكتب كتاب البهجة ، على مثال كتاب الكامل . أما الآمدي (ص ١٧٢) فقد كان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب ! !

٢ ـ وكما يراعي النديم هذا الجانب في مجال الكتب فانه يبدي الاهتمام ذاته على نطاق أعظم ، فيما يتعلق بالتواصل بين الأشخاص ، فالنديم لم ينظر الى المثقف أو العالم في حدود ذاته الفردية ، بل وضعه في إطار من ثقافة العصر المكونة من مجموعة الأطر ، وقد تجاوز الانتماء الثقافي ـ ان صح التعبير ـ حدود الوقوف عند المدينة ، كما لاحظنا في البصرة والكوفة مثلاً ، الى أنواع أخرى من الكتل أو الجماعات ، فيشير الى اليزيديين ، وآل وهب ، وآل طاهر ، كأسر أو عائلات تناسلت علمياً وشهر أفراد منها بنشاط معين ، كما يشير الى المدرسة العلمية المتمثلة في أستاذ كبير يتبعه تلاميذ على مدى أجيال ، والأمر يتجاوز أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة الى الرياضيين مثل ثابت بن قرة وتلاميذه (ص ٣٣٢) وجابر بن حيان (ص ٤٢١) والرازي (ص ٤٢٣) ولا يستثني الأطباء والفلاسفة والمنجمين .

٣ ـ واذا كانت مادة الفهرست تقوم أساساً على حصر وتبويب المؤلفات العربية ، فان الكتاب قد تضمن إشارات مهمة توضح جوانب غامضة في حركة التأليف وتطورها ، لا يتاح ادراكها الا لمن كان على درجة النديم من الالمام بالمصادر والخبرة في معايشة الكتب . فهو يقول مثلا في معرض حديثه عن كتاب منسوب لعبد المطلب بن هاشم كان في خزانة المأمون (ص ٨) : (وكان الخط يشبه خط النساء) ! ! هذه ملاحظة وذات أهمية في اثبات صحة النسبة أو عدم صحتها ، وتفطن النديم لاختلاف خط الرجال بصفة عامة عن خط النساء ، في عصر لا تشيع فيه كتابات النساء ، مما يدل على ذكاء وتيقظ . وفي أخبار حماد (ص ١٠٤) يذكر أنه عاش الى سنة ست وخمسين ومائة . . . ولم نر لحماد كتاباً ، وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده ! ! وفي العبارة الأخيرة تحديد للفترة التي ضعف فيها الاعتماد على الرواية الشفهية وبدأ عصر التدوين . وفي مكان آخر ، وفي معرض الترجمة لمحمد بن حبيب (ص ١١٩) يذكر أن له كتاب القبائل الكبير ، جمعه للفتح بن خاقان (ورأيت النسخة بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخطاب بن الفرات في طلحي ، نيف وعشرون جزءاً ، وكانت تنقص ، تدل على أنها من نحو أربعين جزءاً ، في كل جزء مائتا ورقة وأكثر ، ولهذه النسخة فهرست لما يحتوي عليه من القبائل والأيام بخط السندي بن علي الوراق في طلحي ، نحو خمس عشرة ورقة بخط نزك) . بهذه الاشارة يمكننا أن نعرف متى ـ على وجه التقريب ـ بدأ نظام وضع الفهرس لكتاب ما . والفهرس هنا في يحصي القبائل والأيام التي ورد ذكرها في الكتاب ، كما نعرف أن هذا الجانب التنظيمي لم يكن في مبتدئه من فعل المؤلفين ، الذين كانوا يسترسلون في الاملاء على سجيتهم واختلاط معارفهم أو تداخلها أكثر من اهتمامهم بتحديد الموضوعات وخطوات عرض كل موضوع ، ولهذا جاءت هذه المحاولة ، ولعل هناك الكثير مثلها ، من فعل الوراقين .

دوافع التأليف

لقد كان النديم واسع المعرفة متنوع الاهتمامات ، وعاش في عصر مزدهر بالعلوم قد بلغ بالحضارة العربية الاسلامية أرقى ما أتيح لها أن تبلغه ، وهو القرن الرابع الهجري ، الذي سماه العلامة أحمد أمين (ظهر الاسلام) . وكما كان رواج تجارة الكتاب ، وكثرة المكتبات العامة في عواصم الأقاليم ، والخاصة في بيوت السراة والعلماء ، من الدوافع الموضوعية التي حبذت ـ لدى المؤلف ـ وضع كتاب الفهرست ، فان هناك دوافع ذاتية خاصة جعلته يقدم على المحاولة ، وتذكر بعض المصادر ، كما يتضمن كتابه نفسه أن النديم قد سمع من أهم علماء عصره مثل : الحسن بن سوار بن الخمار ، وأبي الفرج الاصبهاني ، وأبي الحسن محمد بن يوسف الناقط ، وأبي اسحق السيرافي ، واسماعيل الصفار ، ويونس القس . وهؤلاء جميعاً من ذوي المكانة العلمية في زمانهم ، والى الآن ، كما أنه نقل من خطوط آخرين على نفس الدرجة ، وهذا يعني الاتصال المباشر بهم . أو بمكتباتهم الخاصة ، مثل أبي

سعيد وهب بن ابراهيم ، وأبي الحسن بن الكوفي ، وأبي سهل نوبخت ، وأحمد بن الطيب . كما أنه اطلع على كتب قديمة لم يذكر اسمها ولا أسماء مؤلفيها ، تدل على أنه واسع الاطلاع ، حتى لقد ظن بعض الدارسين أنه رحل الى الصين حتى قرأ ما كتبه عنها في آخر الفهرست (ص ٤١٢ وما بعدها) ولكننا اذا اعتمدنا على هذا الدليل الوحيد فان من حقنا أن نزعم أن النديم رحل الى جميع بلدان العالم القديم ، وهذا ما لم يكن ، وانما هو حب المعرفة وسعة الاطلاع . وغاية ما نريده هنا عن الدافع الذاتي لتأليف الفهرست أن الرجل مع هذه السعة في الخبرة بالكتب وما حوت كان صاحب عقلية تنظيمية ، هي التي صرفته عن التأليف بشكله وطريقته المعهودة ، الى وضع هذا الكتاب الذي أدى في بابه خدمة جليلة غير مسبوقة . وللنديم كتاب آخر أشار اليه ياقوت (معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٧) اسمه كتاب التشبيهات ، ولم نطلع عليه ، ولم ينوه به أحد في أي فن ، مما يعني ـ استنتاجا ـ أن الملكة الابداعية عند النديم ذات نزعة تنظيمية تهتم بالتقسيمات وترتيب المعلومات وعرض الأفكار ، أكثر من قدرتها على التحليل والابتكار .

وهذا الرأي لا يعني التهوين من منزلة النديم ، فقد أدى للثقافة العربية والاسلامية خدمة جليلة لا يستطيعها غير أولي العزم من العلماء . وتنظيم المعلومات وحصر المصادر هو بمثابة (كلمة السر) في حركة التقدم العلمي في الحضارة الحديثة ، وهو ما تتفوق به الثقافة والعلوم في البلاد المتقدمة الآن ، ومع أننا كنا أصحاب الخطوة الأولى على هذا الطريق ، تلك الخطوة الواثقة الفسيحة التي صنعها النديم وحده ، فاننا نعاني في نظام الفهرسة وتجميع المعلومات تخلفاً محزناً في عالمنا العربي لم تستطع أقسام الوثائق والمكتبات في جامعاتنا أن تفعل ازاءه شيئاً ، وأكثر جهد هذه الأقسام أن تخرج موظفي مكتبات يجلسون في انتظار القراء . ولعل (العلم) هو الذي ينقصهم ، ونعني (العلم) الذي يتجاوز المعرفة النظرية ، بأسس تنظيم مكتبة ما على نظام ديوي أو غيره . فهذا العلم الموسوعي هو الذي توفر للنديم ، ودفعه الى وضع كتابه ، ونجد في صفحاته التي تتجاوز الأربعمائة من القطع الكبير ما يؤكد علمه واستقلال رأيه ، وأنه لم يكن جامع عناوين أو منضد قوائم .

وقد أشرنا من قبل الى ملاحظته الذكية حول اختلاف خط الرجال عن خط النساء ، ويذكر في مكان آخر (ص ٨) أن العرب امتنعت عن زيادة اللغة توقيراً للقرآن ، أي أنها اكتفت بالمعجم القرآني ، وتوقفت اختياراً عن توليد الألفاظ .

وتترادف دلائل هذه الخبرة الواسعة ، مثل تعليله لأسباب تطرف ابن الرونلدي (ص ٢١٦) في نزعته المادية ، فهو يرجع هذا التطرف لأسباب شخصية نفسية اذ جُفي الرجل من أصحابه ، فكان هذا الجفاء سبباً في الميل الى أن يحدث صدمة للآخرين . كما رسم للحلاج صورة نادرة حقاً (ص ٢٤١) نعتقد أن شاعرنا المعاصر صلاح عبد الصبور لم يطلع عليها ، والا فنحن نرى أنها أصلح للمعالجة الدرامية من تلك الصورة التي آثرها ، مقتفيا سبيل اليوت في (جريمة قتل في الكتدرائية) ولم تكن شخصية الحلاج التاريخية تعين عليها . كما أشار الى الآثار السلبية للكبت السياسي وكيف تتولد عنه الحركات السرية ، فيقول عن الشراة (ص ٢٩٥) : هؤلاء القوم كتبهم مستورة ، قل ما وقعت ، لأن العالم تشنأهم ، وتتبعهم بالمكاره ، ولهم مصنفون ومؤلفون في الفقه والكلام . وحين يتعرض النديم للعشق والعشاق فانه يضع ثبتاً بأسماء العشاق في الجاهلية والاسلام وألف في أخبارهم كتب ، وآخر بأسماء العشاق الذين تدخل أحاديثهم في السمر (ص ٣٦٥) وهذه أول محاولة واضحة للتفرقة بين العشق التاريخي ، والعشق الفني ، ونجد كتباً كثيرة ، قبل النديم وبعده ، تخلط بين الشخصيات التاريخية ، والأخرى المخترعة ، حين تورد أخبار العشاق ونوادرهم . واذ يرجع كتاب كليلة ودمنة الى الهند فانه يشير (ص ٣٦٤) الى أنه رأى من الكتاب نسخة تضمنت زيادة بابين ! ! فهل كان هذا القول دافع ما قام به الدكتور عبد الوهاب عزام في دراسته عن كليلة ودمنة ، حين حدد فصلين أضافهما ابن المقفع ؟ !

فيه من كل فن ولون

وأخيراً نشير الى أمر نحب أن ننبه اليه ، وقد يغير الكثير من أفكارنا عن تراثنا العربي ، وهو أننا ـ في العادة ـ نقيس الماضي على الحاضر ، ونفترض ، أو

يفترض بعضنا ، أن لكل كتاب موضوعاً واحداً لا يهتم بغيره ، فيما عدا الكتب الموسوعية المعروفة بدءاً بالبيان والتبيين ، والى صبح الأعشى . وهذا ليس من الدقة في شيء ، فأكثر المؤلفين القدماء كانوا يتركون خبراتهم المتنوعة تتنفس بكثير من الحرية حتى من خلال الكتاب ذي الموضوع الواحد ، ولو قرأنا هذا الكتاب قراءة متأنية فاننا سنجد فيه ألواناً من المعارف تغني أفكارنا عن موضوعات لم يخطر ببالنا أن نجدها في مثل هذا الكتاب . وعلى سبيل المثال : لو أن القصص والأخبار القديمة قرئت قراءة اجتماعية أو سياسية ، أو اقتصادية ، فانها ستعطي صوراً وأفكاراً عن عصرها وما سبقه من العصور قد تفوق ما نجده في كتابات المؤرخين الذين وقعوا أسرى أسماء الملوك وأعمالهم وتراجم المشاهير وأفضالهم . وفي الفهرست سنجد دلالات حضارية تحتاج الى القراءة التي لا تهدف الى مجرد اكتشاف أسماء الكتب وأسماء المؤلفين . ونذكر بعضاً من هذه الدلالات ، لعلها أن تكون حافزاً لمزيد من الجهد في هذا الاتجاه .

١ ـ فهو يذكر في معرض حديثه عن الكتاب والنساخ أن للمصاحف كُتاباً مخصوصين بها في كل عصر (ص ٩) وبعد أن يذكر أنواع الأقلام التي يستخدمها الكتاب المختصون بكتابة الرسائل ، يقرر أن استخدام نوع معين من الأقلام (وعددها ١٢ نوعاً) تحدده شخصية من توجه اليه الرسالة .

٢ ـ وفي اطار الحضارات والديانات القديمة يذكر لُمعاً دالة ، فحين يذكر أشياء تتصل بعقيدة النصارى ، يقول : (على ما في أيدي النصارى في وقتنا هذا) (ص ١٤) وعن الفرس يشير الى اعتقادهم القديم بشخص جيومرث ، الذي يسمونه (الكل شاه ومعناه ملك الطين ، وهو عندهم آدم أبو البشر) (ص ١٥) وهذا يعني أن الانتماء لآدم فطري مركوز في الطبع الانساني حتى وأن اختلفت التسمية . كما يذكر أن بعض المذاهب المسيحية (ص ٢٦) حاولت أن تبتعد عن أصول الاسلام لتحمي نفسها من محاولات التقارب معه .

٣ ـ وللنديم إشارات دالة فيما يتعلق بالنظام التعليمي وحركة الثقافة ودوافع التأليف ، ونعرف أن نظام المعيدين ، والدرجات العلمية كان معمولاً به عند العرب ، فيقول في ترجمته للزجّاج (ص ٦٦) تلميذ المبرد : (وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه . وفي وصف مجلس الرازي سنجده لا يختلف في شيء عما يجري عليه العمل في الكليات العلمية ، وخصوصا كلية الطب وما يتبعها من مستشفيات جامعية . يقول النديم في وصف مجلس الرازي (ص ٣٥٦) : كان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ أخرى ، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فاذا كان عندهم علم ، وإلا تعداهم الى غيرهم ، فان أصابوا ، والا تكلم الرازي في ذلك) . فهذا طبق الأصل مما يجري عليه العمل ، اذ يبدأ طبيب الامتياز والا حول المريض الى النائب ، ثم ينتهي الأمر بين يدي الأستاذ في آخر المطاف .

وعن أبي زيد البلخي (ص ١٥٣) يذكر أنه كان يتلقى صلات معلومة دائمة ، أي معونات مالية من بعض القوى السياسية والاتجاهات المذهبية في زمانه ، وأنه ألف كتباً معينة قطعت عنه هذه الصلات . وفي ترجمته للاسكافي (ص ٢١٣) وهو معاصر المعتصم يشير الى ذكائه النادر وفقر أسرته ، فتمسك بتعليمه جعفر بن حرب الهمداني ، ولكي يعوض الأسرة الفقيرة عن مساعدة ولدها أجرى عليهم عشرين درهماً كل شهر بدلاً من كسب الفتى وهذا ما يشبه نظام التفرغ العلمي ، وان كان (الأستاذ) هو الذي يدفع من جيبه الخاص حرصا على نبوغ التلميذ .

٤ ـ وعن أخلاق العلماء ومنزلتهم في شعوبهم يذكر عن ثابت بن قرة (ص ٣٣١) وهو من أشهر الرياضيين والمهندسين العرب أنه كان صيرفياً استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلاد الروم ، لأنه رآه فصيحاً ، وقد تعلم في داره فوجب حقه عليه ، فوصله بالمعتضد ! ! فتأمل حقوق التلميذ على الاستاذ في هذا الاقتباس . ويقول عن المحاملي (ص ٢٨٨) أنه توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة . . . ونودي في شوارع بغداد ! ! فنعرف أن إعلان وفاة المشاهير بالنداء في الشوارع كان معروفاً في بغداد في ذلك العصر .

في الذكرى الألفية لصدور الفهرست ، نحيي هذه المحاولة الرائدة ، وندعو الى تنميتها ، ونرجو أن نكون قد اكتشفنا وجوهاً للافادة تتجاوز الجانب البيليوجرافي الى ما هو أكثر اتساعاً وتنوعاً . □

نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف

لها قصّة !!

بقلم : شمس الدين باباخانوف*

القرآن كتاب الله المنزل ، وحجته الخالدة ، كان ـ ولا يزال ـ موضع تكريم المسلمين وحفاوتهم ، حتى تلك الدول التى لا تدخله فى شئون حكمها وادارتها ، فانها لا يسعها مع مواطنيها المسلمين الا أن تخلى بينهم وبينه ، حتى يستطيعوا كما نرى هنا ان يحتفظوا بنسخة نفيسة منه ، ويحيطوها بمشاعر الاعزاز ، ويتشبثوا بتمثلها واستبقائها .

وفى هذا الموضوع نتابع قصة محفوفة بالقداسة والطرافة ، عن النسخة التى يقال انها لسيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ من المصحف الشريف

من المعروف ان هناك ست نسخ من القرآن الكريم الذى جمع فى عهد عثمان رضى الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين ، وقد أرسلت خمس منها إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة والشام ، وبقيت نسخة واحدة من القرآن الكريم لدى الخليفة الذى قتل سنة ٦٥٦ ميلادية وهو يتلو بعضا من آياته فخضب دمه احدى صفحات هذا الكتاب الكريم عند الآية الخامسة « من سورة البقرة » .

ويُحفظ اليوم في مدينة طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفياتية في متحف تاريخ شعوب

* رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان .

الجمهورية ـ مصحف قديم كبير الحجم كتب على الرق . وكان هذا المصحف يحفظ قديما في مدينة سمرقند في صومعة خاصة به بمدرسة « ديوان بيكي » قرب مسجد « خوجا احرار » ، الشخصية الصوفية البارزة في القرن التاسع الهجري ، الذي خلف بهاء الدين النقشبندي . وتفيد الاحاديث المتداولة بين الناس ان هذا المصحف الذي كان يعرض على الناس في مناسبات مشهودة هو نفس المصحف الذي قتل ـ في اثناء قراءته ـ الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وكان المصحف ملكا لاحفاد « خوجا احرار » حتى حلول سنة ١٨٦٩ .

ثم في منتصف سنة ١٨٦٩ اثار هذا الكتاب الكريم اهتمام موظفي روسيا القيصرية المحليين ، واتفق الجنرال ابراموف محافظ اقليم وادي زيرافشان مع شيوخ مسجد « خوجا احرار » على أن يأخذ منهم المصحف ليرسله الى طشقند . وبعد ذلك أرسل المصحف يوم ٢٧ تشرين الاول / اكتوبر سنة ١٨٦٩ الى بطرسبورغ .

محطات ومراحل

وفي بطرسبورغ حفظت نسخة عثمان من المصحف الشريف في قسم المخطوطات القديمة بالمكتبة الامبراطورية ، وكان أبرز العلماء المستشرقين هناك يشتغلون بدراستها ووصفها العلمي .

وفي سنة ١٩٠٥ أنجزت نسخة طبق الاصل من المصحف الشريف بجهود بعض المستشرقين ، وتم فيما بعد اصدار ٥٠ نسخة عنها ، واشترت مكتبات العالم الكبرى العديد من هذه النسخ ، وبقي عدد منها داخل ربوع الاتحاد السوفياتي ، مع العلم بأن نسختين منها تحفظان حاليا في مكتبة الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان .

وكان المسلمون يأملون ان تعود اليهم عاجلا أو آجلا ـ نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف ، لانها ستعود ملكا للشعب بأسره . بيد ان هذا لم يحدث الا بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ، ففي يوم ٩ كانون الاول/ ديسمبر سنة ١٩١٧ اى فور انتصار ثورة اكتوبر مباشرة كتب « فلاديمير لينين » مؤسس الدولة السوفياتية الى «لوناتشارسكي » مفوض الشعب لشؤون التنوير (وزير المعارف) ما يلي :

« ورد إلى مجلس مفوضي الشعب كتابٌ من مؤتمر المسلمين الاقليمي لدائرة « بتروغراد » القومية يطلب فيه المؤتمر بغية تلبية اماني جميع مسلمي روسيا ـ إعادة نسخة عثمان من المصحف الشريف الذي يحفظ الآن في المكتبة الحكومية العامة الى المسلمين ليكون ملكا لهم » .

وقرر مجلس مفوضي الشعب فورا تسليم هذه النسخة من المصحف الشريف الى مؤتمر المسلمين . وكلف لينين لوناتشارسكي باسم مجلس مفوضي الشعب باجراء كل ما يلزم . وهكذا عاد المصحف الشريف الى أصحابه المسلمين .

وقد كتب « موسى جار الله » في صحيفة « المنبر » التي كانت تصدر في لينينغراد مايأتي : إن المصحف الشريف الذي سُلب في ظل تغاضي بعض الشيوخ والمفتين من مسجد خوجا احرار ، عاد اخيرا الى المسلمين ، واذا بقي في سمرقند فقد يسرقه الزوار والسياح جزءا جزءا » .

ونقل هذا المصحف الشريف في البداية من بتروغراد الى « أوفا » حيث كانت حينذاك الادارة الدينية لمسلمي سيبيريا والشطر الاوروبي من الاتحاد السوفياتي هي ادارة المسلمين الوحيدة في تلك الأزمنة ، وبقي المصحف هناك حتى سنة ١٩٢٣ التي تقدم فيها مسلمو تركستان بطلب نقله من « أوفا » الى طشقند أو سمرقند .

وقبل ذلك الحين كانت قد أسست الجمعية الاسلامية لمسلمي منطقة طشقند وسيرداريا واقترحت الجمعية اعادة المصحف الى مكان وجوده الاصلي .

فرح وبهجة الاعادة

هذا في سنة ١٩٢٤ اوفدت الجمعية الاسلامية في مدينة طشقند الى « اوفا » وفدا برئاسة ظهير الدين العلوم ، الذي كان وقتئذ مفتي تركستان ، لنقل هذا المصحف ، فنقل في عربة قطار خاصة الى طشقند ، وقام بمرافقة المصحف في طريقه شخصيات دينية بارزة من تاتاريا وبشكيريا امثال المفتي فخر الدين والشيخ عبد الله سليمان والشيخ عبد الرحمن وكثيرون غيرهم

● نسخة المصحف التي يعتقد انها تعود للخليفة عثمان رضي الله عنه في المكتبة الرئيسية للادارة الدينية في مدينة طشقند في كازاخستان

وقام الوفد المسلمين بتحية القطار الذى يُقِلُّ المصحف الشريف في طريق سيره وتحية العلماء المرافقين ، وكان فرح اهالي طشقند كبيرا جدا وتوافدوا مرارا وتكرارا ليروا الكتاب الكريم وقد ملأهم السرور بعودته اليهم .

هذا هو موجز قصة اعادة المصحف من بيتروغراد الى تركستان .

واليكم الآن بعضاً مما يفصل كيفية وصول هذا المصحف الشريف الى سمرقند ، وفي أي وقت ومن ، أين ، والى اين ترجع أسباب ذلك ؟

معروف انه بعد مرور نصف قرن فقط على نزول القرآن الكريم ـ كتاب المسلمين الأول ـ بلغ هذا الدين الحنيف ربوع تركستان ، وتركز في المدن الكبرى مثل بخارى وسمرقند علماء الدين والفقهاء والمحدثون والمفسرون الكبار .

وليس لدينا معلومات اكيدة عن كيفية وصول نسخة عثمان من المصحف الشريف الى سمرقند ، ولذا نستند في حججنا الى ماهو متداول على السنة الناس والتقاليد وبعض المصادر التاريخية ، والحجج الواردة فيها مختلفة جدا بالطبع ومع ذلك فانها تحوى شيئا من الحقيقة .

معروف انه في نهاية القرن السابع الهجرى قامت علاقات طيبة بين خانات « القبيلة الذهبية » وبين الملك الظاهر بيبرس المنحدر من آسيا الوسطى ، وهناك حكاية تفيد ان بركة خان الذى صار المسلم الاول بين احفاد جنكيز خان كان يسعى دائما الى اقامة علاقات جيدة مع ملوك مصر ، ولجأ الطرفان ـ وعلى نطاق واسع ـ الى التراسل وتبادل السفراء والهدايا . واقام هذان الملكان المسلمان العلاقات بغرض إضعاف قدرة دولة هولاكو الوثنية في ايران ، ووصلت ذات مرة الهدايا المصرية الى « القبيلة الذهبية » وكان بينها ـ كما يفيد النويرى ـ احدى نسخ عثمان من المصحف الشريف ، وفيما يتعلق بخبر النويرى هذا يشير الشيخ محمد مراد بن عبد الله الرمزة البلغارى وهو مؤلف كتاب « تلفيق الاخبار في تاريخ قازان والبلغار » الى ان الكتاب الكريم الذى اشتهر باسم

نسخة عثمان والذى نقل من سمرقند الى بطرسبورغ وحفظ في المكتبة الامبراطورية ، يمكن ـ ولا يستبعد ـ ان يكون ذلك المصحف هو نفسه الذى نقله تيمورلنك الى مدينة سمرقند بعد انتصاره على قوات توكتاميش خان وغزو مدينة ساراى عام ١٣٩٧ ، وهذا الافتراض يُعتقد أنه الأنسب ولا داعي لدحضه اذ ان داحضيه يفتقرون الى إثبات المخالفة .

اجتهادات ابن بطوطة

هذا ـ وان اسماعيل مخدوم النائب السابق لرئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان يورد في كتابه « تاريخ نسخة عثمان من المصحف الشريف في طشقند » آراء اخرى ايضا فيما يتعلق بطريقة وصول هذه النسخة الى سمرقند ، ويستند أحد هذه الآراء الى معلومات ابن بطوطة التى ترد في مؤلفه « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » حيث يقول :« في أثناء اقامتي في سورية رأيت في المسجد الاموى بدمشق مصحفا مخطوطا بحروف كوفية ، ورأيت مصحفا مماثلا في مسجد على بن ابى طالب (عليه السلام) بمدينة الكوفة ، اما المصحف الذى رأيته في دمشق فقد احترق اثناء الحصار الذى فرضه تيمورلنك على هذه المدينة بينما نقل تيمورلنك المصحف الذى كان في البصرة الى سمرقند » .

وهذه الفكرة يميل اليها ايضا شيبونين الكاتب المستشرق الروسى الذى يشير في كتابه « المصحف الكوفي » قائلا :« لقد زار ابن بطوطة مدينة البصرة قبل غزو تيمورلنك لسورية ، وبالتالي فان معلومات ابن بطوطة مقبولة تماما لا يمكن ان تبقى تحفة كنسخة عثمان من المصحف الشريف خارج اهتمام تيمورلنك باعتباره قائدا مغرورا كثيرا » .

وهكذا ، فان المعلومات الآنفة الذكر تعطى اساسا للاعتقاد ان نسخة طشقند هي من نسخ المصحف الشريف التى استنسخها الخليفة عثمان رضي الله عنه ، ومن ثم وبغية المزيد من الوضوح ينبغى التذكير ان نسخ عثمان التى ارسلت الى الأمصار يومئذ لا تزال حية حتى ايامنا هذه ، وبينها نسخة طشقند وهى مخطوطة بنفس الخط ، وهذا الخط بعيد تماما عن تلك التحديثات والتعديلات التى شهدتها الكتابة الخطية العربية في عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان الاموى اى في سنوات ٨٦ ـ ٩٦ الهجرية حينما ظهرت القراءات المختلفة بسبب تكاثر أتباع الاسلام من غير العرب ، ويعتبر ذلك حجة مهمة اخرى تؤيد فكرتنا ، وهى ان نسخة طشقند يمكن اعتبارها احدى نسخ المصحف الشريف الست التى استنسخها الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

مفخرة للمسلمين

هذا ـ وان المصحف الذى يحفظ في متحف تاريخ شعوب اوزبكستان حتى لو يكن احدى النسخ الست التى نسخت في عهد الخليفة عثمان بن عفان المرسلة الى مختلف الأمصار الا أنه مفخرة مسلمي اوزبكستان بل جميع مسلمى الاتحاد السوفياتي والعالم طرا ، وهو يستحق اهتماما واحتراما بالغين . وسيجد العلماء والاختصاصيون أن الحاجة ماسة الى دراسة المصحف دراسة دقيقة بغية تقديمه بكامل مهابته وقدسيته .

ويحفظ هذا المصحف الآن ، كما سبق أن ذكرنا في متحف تتوافر فيه كل الظروف لحمايته من تأثيرات الزمن المهلكة . اما نسخته التى صنعت طبق الاصل فيستخدمها كثيرا قراء مكتبة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . وتقع الى جانب اقدم نسخة من المصحف الشريف التي تجاوز عمرها ١٢٦٠ سنة ، نسخ أخرى من هذا الكتاب المقدس بما في ذلك نسخة من المصحف الشريف الذى صدر في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٨٤ . واشير بالمناسبة الى ان الادارة الدينية خلال الثلاثين سنة الأخيرة اصدرت المصحف الشريف سبع مرات وفاءً منها بحاجة المسلمين الى هذا الكتاب ، وفضلا عن ذلك تصدر إدارتنا كتبا دينية مثل كتاب الحديث « صحيح البخارى » و « الأدب المفرد » و « الشمائل النبوية » بأقوال النبى محمد (ﷺ) وكتبا مدرسية من اجل مؤسسات التعليم الدينية والتقاويم القمرية ومجلة « المسلمون في الشرق السوفياتي » وغير ذلك من المطبوعات الدينية . □

الشحاذ

تأليف : ايزانغا اوخايتو

ترجمة : شوكت يوسف*

في العشية كان الجو مكفهرا وكل شيء يعد بالمطر . لكن أطل الصباح وبقيت السماء متلبدة بالغيوم دونما مطر . وكالعادة بقيت الريح تصفر فتهتز مع هبوبها دعامات الجسر .

تحت الجسر بالقرب من مستودعات الفحم في طرف اينوجو* نام جمع من الناس . كانوا مستلقين على الألواح الخشبية التي قذفتها ساقية الماء التي تفيض في موسم الامطار وتجف في بقية ايام السنة ، حمل التيار القذر الكريه الرائحة معه ، من فضلات أطعمة ، وعلب فارغة وأقذار شتى .

كان الناس مستلقين صفوفا الواحد قرب الآخر دونما حراك ، وغير متميزين في العتمة . سمعت قرقرة أحدهم ـ ذاك المضطجع على طرف الجماعة . أحسّ بالبرد قبيل حلول الفجر فاخرج يده من تحت كومة الاغطية البالية المختلفة الأشكال ، واقتلع بضع قبضات من العشب وألقاها فوق الاغطية لعله يستشعر بعض الدفء .

انبلج الصبح . انسحبت الغيوم الى الغرب كأنما تخشى اللقاء مع الشمس الساطعة .

فجأة لاح في الفراغ بين الجسر والارض شيء ما أسود ، ثم سقط على المسكين الباحث عن الدفء . صرخ برعب وقفز واقفا على رجليه .

ـ ماهذا ؟

ايزنغا اوخايتو قاص وكاتب مسرحي نيجيري معروف . تخرج في كلية الآداب في جامعة نسوكا « Nsukka » . نشر بواكير اعماله في المجلة الادبية المشهورة ـ « اوكيكي » . « الشحاذ » احدى قصص مجموعته الاولى .

---

* كاتب ومترجم يعمل في وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية .

* اينوجو ـ المركز الاداري للمقاطعة الشرقية في نيجيريا .

عشرات النائمين من رجال ونساء وأطفال فتحوا أعينهم بصعوبة وحملقوا بدهشة بالرجل الخائف حتى الموت . ألقى نظرة متفحصة على كل ماحوله باحثا عن الشيء الذي سقط وقطع عليه نومه ـ حالة النعيم تلك التي شكلت احدى المتع غير الكثيرة الباقية له .

ها . . ها . . قوقعة حلزون كبيرة . . اختطفها فورا وألقى بها بكل قوته . ارتطمت بدعامة الجسر الخشبية فتكسرت وسمع انين الرخوية التي كانت بداخلها .

ـ آدي ، ـ سمع همس صوت نسائي . ـ تخرق القانون من جديد !!

ـ أعرف يامارتا ، ـ تمتم الرجل وهو يمسح عن وجهه المادة المخاطية اللزجة .

ـ سيترتب علينا دفع غرامة . . .

ـ اخشى ان يكون ذلك .

ـ ومن اين لنا النقود ؟

ـ لاادري .

ـ يجب أن تتدبر الامر .

كانت لدى الساكنين تحت الجسر أعراف خاصة ، وقواعد صارمة . منها أن على من يوقظ الجماعة قبل حلول النهار دفع خمسين كوبو * كغرامة . ولاتقبل بهذا الخصوص أعذار أيا كانت .

ـ لااتناول طعام الغذاء ليومين . . . . وبذلك سيبقى معي ما أدفعه . ـ قال آدي باكتئاب . أمس لم أتناول طعام الغداء ايضا . بهذا لن تسعفك رجلاك في السير طويلا . من الأفضل توفير ثمن الفطور .

ـ ثمن الفطور لايزيد عن ثلاثة كوبو . . . لابأس سآكل البرتقالات التي التقطتها قرب المقبرة . طبعا اذا لم يكن قد نبشها أحد ما .

ـ شي ـ شي ـ اسكت ! همست مارتا بخوف ، علما انهما كانا يتكلمان بلغتهما الخاصة . اعتبر اتهام اعضاء الجماعة بالسرقة جريمة ايضا توجب العقاب .

ـ لايجب ان تكوني جبانة هكذا ـ قال آدي .

ـ ماعدت استطيع التحمل أكثر ! يجب اسقاط هذا الشاويش انظري كم بطانية عنده ، ويبقى علينا أن نقتسم معه كل مانحصل عليه . وبأي شيء هو أفضل مني ؟

ـ يجب أن تكون لدى شاويش الجماعة يد قوية ، أما أنت فبسيط وضعيف ـ قاطعته مارتا .

ـ ويمكن أن يحكم الانسان باللين ، بدون قسوة .

ـ مهلا . سنتحدث حول هذا فيما بعد ، اما الآن فآن أوان العمل .

كانت الشمس قد ارتفعت في السماء وغدت واضحة وضوح هذا التجمع البشري المتنافر تحت الجسر . سمعت همهمات وشكوى الأطفال الجائعين الذين يرق امام نظراتهم المتوسلة حتى قلب الحجر . كانت شعورهم الشعثاء المنفوشة المتدلية فوق وجوههم كالعشب الطفيلي النامي في حقل الجاقر ، بينما يحكون بأيديهم الرقيقة بطونهم المحمرة من لسعات الناموس .

تلفت الجيران بلوم الى آدي . عرف الجميع انه ليس لديه مايدفعه ، بيد ان القانون السائد في هذا الوسط هو ـ « البقاء للأقوى » .

طوى آدي بعناية الخرق والأغطية المهترئة وربطها بحبل . وجمعت مارتا كذلك اشياءها الأخرى . ففي كل دقيقة يمكن توقع هجوم البوليس . وتطبق تعليمات واوامر الحكومة حول مطاردة مثل هذه التجمعات بغيرة وحماسة . وفي مثل هذه الحالة غالبا مايلقى كل هذا المتاع الرخيص في الماء .

ـ آدي ! مرة ثانية تخرق القانون ، ـ سمع صوت الشاويش . ادفع غرامة .

ـ سقط على وجهي حلزون كبير . . . كان أملس باردا . . خلته أفعى . . .

ـ وصرخت بأعلى صوتك ! ـ قاطعه الشاويش . ـ لابأس أمهلك ثلاثة أيام . واذا لم تدفع الغرامة حتى نهاية هذه المدة امامك الجهات الاربع . أوكي ؟

ـ أوكي . . ردد آدي الكلمة بتذمر واضح .

كان الشاويش قويا كالثور . ويكفي القاء نظرة على عقد عضلاته القوية حتى يدرك المرء أن رفض قرار هذا الرجل معادل للانتحار .

تذكر آدي ما حدث ذات مرة حين سقطت أفعى على الشاويش . وياالهي كيف عمت الفوضى المكان ، لكن لم يتجرأ أحد على اتهامه بخرق القانون .

ـ الى متى يمكن ان يطول ذلك ؟ ـ دمدم آدي بلغته الأصلية .

ـ لاتحزن . لست مذنبا . ـ قالت زوجته مواسية

---

* كوبو ـ عملة معدنية صغيرة متداولة في نيجيريا .

- لكن لايريد أن يفهم . فمن اين لي ان اعرف ان هذا حلزون ؟
- آدي ، يجب ان تأكل . سأذهب اليوم الى محطة القطار ، أما أنت فاذهب الى المدرسة في آغوي . لابد أن تصيب شيئا ما هناك .
- حسن . . . سأجرب حظي . أعجبته رجولة مارتا . بالنسبة لها لاتوجد معضلة بلاحل . تعرف مقدما مايجب فعله . التقيا منذ عدة سنوات مضت ، ومنذ ذلك الحين يعيشان معا . وجد آدي في مارتا الانسان الذي يستحق حبه ، فاعتنى بها وعمل من أجل أن تبقى شبعى دوما . كانت دقائق عشرتها نادرة . ربطت بينهما الصداقة أكثر من العلاقة الزوجية .

قطع صوت مارتا تأملاته :

- من جديد تستغرق في التفكير يا آدي . من الأفضل لو تأكل البرتقال . تهدىء الجوع على الاقل .

نفر آدي لدى سماعه كلمة « جوع » . تبخرت كل الافكار الاخرى كما الضباب تحت أشعة الشمس الحارقة . قرقرت أمعاؤه وأحس بحرقة شديدة في بطنه .

- لماذا لاتأكل يا آدي ؟ - سألته مارتا بقلق . ضعفت تماما وشحب وجهك .

التقط آدي الثمرات المهترئة وراح ينزع عنها قشرتها بلهفة . انغرزت أظافره القذرة الطويلة في قشرتها الرقيقة فتحولت تحت ضغط يده الى قطعة لاشكل لها ، يسيل ماؤها بين يديه . راح آدي يلمس العصير الاصفر الذي سال على رسغه وحتى الكوع ، ثم دفع البرتقالة في فمه .

- مارتا ، - قال وهو يمضغ فصوص البرتقال بعد تنظيفها . - انتبهي في المرة القادمة لاتنبشي كل ما تقع عليه يدك . اختاري الأفضل .

كانت البرتقالات الساقطة إما مهترئة او ناشفة مع قشرة داكنة متشققة .

- آه لو تمكنت من الصعود الى الشجرة لقطفت أفضل البرتقال . لكن حراس المقابر لايسمحون بالقفز خلف السور والدخول الى المقبرة . وماذا - يحرسون هناك ؟ قل لي ماذا يمكن أن يسرق الانسان من المقبرة ؟ عظام بالية ؟ شردت للحظة وبدت على وجهها مسحة من الحزن ثم تابعت : - اذكر انهم سجنوا ذات مرة عجوزا لانه . . .
- حسن . حدثيني عن ذلك فيمابعد . دعينا الآن نذهب والا تأخرنا .

نهضت مارتا وبدأت ترتدي بلوزتها القديمة الحائلة اللون . دخلت اصابع يدها في ثقب بجانب الياقة . حاولت اخراجها لكن النسيج كان مهترئا فانمزقت نهائيا . تأوهت المرأة بعمق .

- يجب شراء ابرة . اذهبي الى مشغل الخياطة وفتشي عن خيط - قال آدي .
- عندما ذهبت الى هناك في المرة الماضية هجموا على بالقضبان . نظرت مارتا بشكل عفوي الى الجرح الملتئم تحت ركبتها . - صرخ في وجهي احد الصبيان وقال ان رائحتي كريهة .
- لكن لايمكن بدون خيط .
- طبعا . . . . .
- هل اغتسلت البارحة ؟ سألها آدي
- اي غسيل ، وفي هذه المرة لحق بي الشاويش
- مرة ثانية ، وخالط صوت آدي غضب واستياء .
- سمعت خلفي وقع خطوات . لم أكد التفت حتى مسكني من . . . اندفعت بكل قوتي ، فسقط ارضا وارتطم رأسه بالحجر اما أنا فهربت . .
- اذن هكذا . . . يريد الانتقام مني على مايبدو . .
- وهل تعتقد ان الحلزون سقط بنفسه عليك ؟
- آ . . آ . . الامر واضح اذن . . كيف لم احرز بنفسي .
- انتبه اكثر ، أمثاله قد يفعلون مالا يخطر على بال .
- اليس من الأفضل لو ننتقل الى مكان آخر ؟
- الى أين ؟ الى جسر اوفاني ؟ سمعت ان شاويشهم اسوأ .
- الى أغوي ؟ يطارد البوليس جماعتنا هناك على الدوام . ام انك تريد مغادرة المدينة بوجه عام ؟
- ولم لا ؟ قضينا فترة طويلة هنا .
- مارأيك ان نذهب باتجاه آبو - اقترحت مارتا
- الى آبو أو أفيري او انيتشو لافرق عندي . فكري جيدا في الامر وفي المساء نقرر . لنذهب الآن . اصبحت الشمس حارقة .

لبس آدي بعجلة بنطاله المرقع الملطخ بالبقع المختلفة وارتدى سترة حائلة اللون بأكمام قصيرة كأنما خيطت لمن لاذراعين له . كانت الازرار مقطوعة

والعـروات ممطوطـة حتى صـارت بحجم الجيب تقريبا ، والجيوب ممزقة . انحنى ليرفع عصاه من الأرض وفجأة وضع يده على بطنه وتأوه .

ـ مارتا ، ـ وبصعوبة شد قامته لينهض . ـ حاولي أن تحصلي على صابون . يجب أن نغتسل .

ـ حسنا ، سأحاول . ـ اجابته بينما كانت خارجة .

احد ما صرخ له من الخلف . التفت آدي . لحق به كائن غريب الشكل : كتفان عريضان ـ كتفا رجل ، اما الثياب فنسائية .

ـ آ . هذا أنت يا أغبادا . ـ عرف آدي فيه رفيقا قديما . ـ الى أين ؟

ـ الى المحطة . ـ اجاب أغبادا مسرعا في الخطا . ـ ينتظرون هناك اليوم ضيفا هاما .

ـ هناك لن تكسب الكثير . ذهبت اليها منذ حوالي شهر . جلست على الرصيف طوال النهار لكن لم يلتفت إلى احد أبدا .

ضحك اغبادا :

ـ اما انا فأستلقي في العادة على ظهري وأخمص بطني . اضع بالقرب مني صحنا فيلقون لي فيه طعاما واحيانا بعض النقود . الاطفال دوما يعطون شيئا ما .

ـ الاطفال عموما أطيب من الكبار ، ـ وافقه آدي . ـ ولذا قررت اليوم الذهاب الى المدرسة . في الماضي كنت أوفق هناك . لكن بعض الأطفال مزعجون . . يضايقوننا ويسخرون منا .

ـ منذ أن صرت اطلب الصدقة لم يمر يوم دون ان أكسب شيئا .

ـ حقا ؟ اما انا فتمر اسابيع كاملة احيانا لااحصل فيها على قرش واحد .

قطب اغبادا حاجبيه مستغربا ثم قال :

ـ عدا ذلك أفكر الآن ان احشو خدتي اكثر واعرج اكثر ايضا ، فليس من السهل اثارة شفقة الناس .

توقف اغبادا للحظة ثم اضاف :

ـ آه ، تعبت ومللت ، . . هات نتحدث حول شيء آخر . هل هذه المرأة تعيش عندنا تحت الجسر من جديد ؟

ـ تلك ذات المؤخرة السمينة ؟

ـ نعم بنفسها ـ اجاب اغبادا مبتسما وفرحا بعض الشيء .

ـ مابها ؟

ـ آدي ، انت كالطفل تماما . الم تر أن بطنها يكبر ويكبر .

ـ يمكن انها تأكل كثيرا . . الناس حظوظ يا أخي .

ـ وماذا تأكل برأيك ؟

ـ ماهذا السؤال ؟ تأكل طعاما بالطبع . ـ اجاب آدي بعفوية وبساطة .

ـ طعاما ، . . . الم تر كيف كانت تبكي من الجوع ؟ لقد رأيت أنا ذلك واقتسمت معها زادي .

ـ انت ؟ اعاد آدي السؤال غير مصدق الكلام .

ـ وماذا في الامر ؟ هل يجب ان تموت من الجوع برأيك ؟ أجاب أغبادابصوت عال وبنرفزة .

ـ طبعا لا ، من قال ذلك ؟

ـ لا ، قل لي ماالامر غير الطبيعي في حديثي ؟

ـ سامحني بحق الله . لم أقصد شيئا .

انقطع الحديث لفترة غير قصيرة . شق على اغبادا ، على مايبدو ، هذا الصمت الطويل فانحنى على رفيقه ملقيا نظرة على هيئته .

ـ أنت معنا عن طريق المصادفة فقط . واضح انك لاتصلح لمثل هذه الحياة . . . قال اغبادا بلهجة مشفقة .

ـ ماذا تعني ؟ سأل آدي باستغراب

ـ انت غريب عن هذه المهنة . لست متأقلما مع العمل .

ـ كلنا مخلوقون من أجل حياة أخرى ، ـ قال آدي مقاطعا . طبعا لم اصبح شحاذا باختياري كان عندي بيت فأخذه الفيضان . فيما بعد اصيبت يداي بما يشبه الشلل ـ لم اعد اقوى على العمل في الحقل . ومن الصعب علي الآن رفع الفأس .

ـ ولم يساعدك أحد ؟

ـ من سيساعد ؟ اعتقلوني ثلاث مرات بسبب التسول واتهموني بمحاولة الاعتداء على الملكية الخاصة .

ـ الامر مختلف بالنسبة لي ـ فأنا منذ الطفولة لاأحب العمل . قال اغبادا .

ـ بدأت بالحديث حول تلك المرأة ولم تكمل . مابها ؟

ـ قال آدي مقاطعا .

ـ حامل .

ـ ماذا ؟ هي نفسها ليس لديها ماتأكله . فكيف ستقدر على إطعام طفل ؟

ـ الافضل ان تسأل من والده ؟

- من والده ؟
- شاويشنا
- انت متأكد ؟
- تماما
- عجبا . . . كيف ذلك ؟ ! . . .
- اسمع آدي ، لماذا ليس عندك اطفال ؟
- مارتا لاتلد .
- مابها ؟ مريضة ؟
- كلا ، لايبدو انها مريضة
- اذن قد تكون انت السبب ؟

كز آدي على اسنانه وصوب نظرة غاضبة الى زميله . آله أغبادا دوما قصد منه . ومن جديد ساد صمت محرج .

- الى اللقاء مساء - واتجه اغبادا الى محطة القطار . ومشى آدي كذلك باتجاه المدرسة سار ببطء شديد . شعر بوهن في رجليه وبدوار في رأسه وغطى العرق جبهته المتغضنة .

تعثر وكاد يسقط . وجد امامه على الجسر بضع قطع من الموز ، التقطها رغم مظهرها غير المغري . كانت قشورا التهم الدود والذباب مابداخلها سوى قرن واحد سليم بلعه آدي على الفور . هدأ جوعه قليلا .

- ابتعد عن الطريق » - صرخ به راكب دراجة هوائية ، قفز آدي مرعوبا الى جانب آخر فكاد يسقط تحت عجلات السيارة التي صرّت كوابحها فجأة وتوقفت . نظر السائق من النافذة الجانبية الى آدي بعينين تقدحان شرراً ، سحب بيده الغليظة السيجار من فمه وصرخ :

- أي شيطان أتى بك الى هنا ، الاتنظر امامك ؟

ارتد آدي بشكل عفوي مبتعدا عن السيارة فاصطدم بأحد المارة . دفعه ذاك بعنف « سامحني ياسيد » - تمتم آدي وكاد يصطدم مرة ثانية بالسيارة .

- أي سماح ؟ ابتعد من هنا قبل أن اكسر عظامك أو تحدث مصيبة - زمجر السائق بأعلى صوته .

- دعه وشأنه ، - قال الشخص الثاني الجالس قرب السائق - مسكين لايستحق أن تبصق عليه ، واذا مادهست أمثاله تتدخل الشرطة وتتذكر فوراً انه مواطن مثل الناس .

ابتعدت السيارة . مسح آدي العرق عن جبهته . شعر بحرقة مؤلمة عند فوهة معدته وان رجليه لاتقويان على حمله .

بدا بناء المدرسة امام سورها الخارجي ، وقرب المدخل ثمت شجرة مانجا متهدلة الأغصان . أحب آدي هذا المكان منذ زمن بعيد . جلس وتنهد بعمق .

- مرحبا ياشحاذ - صاح أحد التلاميذ وقفز أمامه .
- هل لديك ماتحسن به علي . . . قطعة نقود - ومد آدي يده .
- لاأعرف بعد . وعدا الصبي في الاتجاه الآخر .

اخذ آدي نفسا عميقا . مع ذلك قد اتمكن اليوم من الافطار . استند ظهره على الشجرة ومد رجليه . . احسّ فجأة بما يشبه وخزة الابرة في ساقه . نملة . . هي ، من جهتها ، محقة . . تحتج ضد اعتداء الانسان على ممتلكاتها . سقطت ورقة صفراء ولامست خده . هبت نسمة هواء قوية وأثارت غمامة من الغبار .

آله بطنه ، ضعف قلبه وبالكاد سمع خفقانه . لماذا لم يخرج التلاميذ حتى الان ؟ هل تغير برنامج الدروس ؟ رأى آدي بشكل غائم ، كأنما في المنام ، رتيلاء تزحف نحوه . آلاف الاوراق الصفراء واليابسة تتطاير باتجاهه مع هبوب نسمات الهواء « يجب تأديب هذا السافل » - فكر آدي في نفسه .

سافل فعلا . تذكر ماحدث له أمس في الليل . كيف يمكن حماية مارتا من تطاول هذا الشاويش السافل ؟ لابد من اتخاذ اجراء ما و إلا . .

اندفع من باب المدرسة حشد من الصبيان .

- انظر ، الشحاذ نائم - قال احد التلاميذ الصغار
- ارمه بحصاة يمكن أن يستيقظ . - قال آخر
- لا ، لايجوز . الأفضل ان ترمي له قطعة خبز . ألم يبق لديك شيء من رغيف البارحة ؟
- قفوا ، - تدخل تلميذ ثالث ، - انظروا الى هذه الرتيلاء التي تزحف على وجهه .
- هل سيأكلها ؟
- اسكت ، غبي ، . . . انظر كيف تختلج يداه . . يأولاد . . انه فاقد الوعي .
- قد يكون أغمي عليه من شدة الجوع . . .

سمع صوت المعلمة .

- تعالوا الى هنا ، اسرعوا ، حان وقت الدرس ، ثم ماهذا ؟ إياكم والاقتراب من أمثال هؤلاء المعتوهين .

وقادتهم المعلمة الى الصف . ☐

عروبة المغرب العربي

بقلم : الدكتور صالح الخرفي*

عروبة المغرب العربي عروبة أصيلة خالدة ، لأن الاسلام كان ، ولم يزل ، المدخل التاريخي لها . أصّلها بقوة الروح ، وخلّدها بصلابة العقيدة ، ظلل أرضيتها بالدستور السماوي ، وربط مقومها الأساسي بلسان عربي مبين . .

اذا أردت أن تدخل البيوت المغربية من أبوابها ، فادخلها من الاسلام وبالاسلام ، فستتكشف لك العروبة في أصفى منابعها عراقة ، وأروع مواقفها بطولة ، وأسمى غاياتها انسانية .

ولولا الاسلام ، لما بقيت للعروبة بقية في هذه الربوع التي ظلت على مرّ العصور هدفا للحملات الصليبية المتعاقبة ، وحسبك مائة وثلاثون عاما ، استيطانا مسعورا ، وتغريبا مسموما ، وفرنسة حاقدة .

وكما أدرك المواطن بأصالته ، أن المدخل الطبيعي لعروبته هو الاسلام ، أدرك المحتل الغاصب بدهائه ومكره ، ومع طلائعه الأولى على شواطىء شمال افريقيا ، بأن محاربة الاسلام هي المخرج الحتمي للمواطن من حضارته العربية الاسلامية الى الحضارة اللاتينية الرومانية الغازية .

قال (الكاردينال لافيجري) رائد الحملة الصليبية في ظل الغزوة الفرنسية لهذه الربوع :

« علينا أن نخلص هذا الشعب ، ونحرره من قرآنه ، وعلينا أن نعنى على الأقل بالاطفال لتنشئتهم على مبادىء غير التي شب عليها أجدادهم ، فان واجب فرنسا تعليمهم الانجيل ، أو طردهم الى أقاصي الصحراء ، بعيدين عن العالم المتحضر » . .

بين لافيجري وابن باديس

وبعد مرور مائة سنة ، أو تزيد ، على هذا القول المسعور ، لـ (لافيجري) ، مائة سنة من النار والحديد لوضع هذه المقولة موضع التنفيذ القهري على رقاب الناس وعقولهم . جاء رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي رفعت الاسلام والعروبة دستورا لها ، الامام عبدالحميد بن باديس ، ليقول سنة ١٩٣٦ :

« ان هذه الأمة الجزائرية ، ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد ، في لغتها ، وفي أخلاقها ، وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين . هو الوطن الجزائري » . .

---

* مدير ادارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كاتب وناقد من القطر الجزائري .

عبد الحميد بن باديس رائد من رواد الكفاح والتعريب في المغرب العربي

ودخول العروبة الى هذه الربوع في ظل الاسلام ، هو الذي ضمن لها المقومات الأساسية ، من لغة وحضارة ، وفكر وثقافة ، ودعم هذه المقومات بالروح والعقيدة ، وخفف من غلواء العرقية التي تعاني منها قوميات كثيرة ، لم تؤت ما أوتيته العروبة من رعاية الاسلام لها ، وسهره عليها ، بمقومات تسمو فوق العرق ، وبميزات ترقى فوق الجنس :

« ليست العروبة بأحدكم من أب ولا أم ، ولكنها اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي » .

ومن هذا المنطلق ، حفظ الاسلام للعروبة في شمال افريقيا مواقف وبطولات على مر العصور ، وأنجب لها أبطالا وقوادا ، وبناة حضارة ، تخطوا العدوة المغربية الى الاندلس ، وحسبك من هؤلاء ، ومن كثرتهم ، كما قال ابن باديس :

« القائد الفاتح ، والخطيب المصقع (طارق بن زياد) ثم ما قامت مملكة من أبناء هذا الوطن ، الا وهي عربية في كل شيء ، مثل سائر الممالك العربية في المشرق ، بل فوق بعضها » .

كان ذلك ، في العهد البعيد زمنا ، المائل انتماء وتواصلا ، واذا التفتنا الى العصر الحديث ، فاننا نجد العروبة في المغرب العربي ، تعيش أعز أيامها بطولة واستماتة ، في أحلك أيامها اضطهادا من المستعمر ، فبقدر ما استُهدفت العروبة لغة وثقافة وحضارة ، واضطُهدت روحا وفكرا وجسدا . بقدر ما تأصلت في الأعماق ، وتجذّرت في النفوس بفضل الاسلام ، وتواصلت في السر ، عندما ضاق عنها العلن ، وتعانقت في المشاعر ، عندما طوّحت بها المسافات والحدود . يقول عبدالحميد بن باديس في الثلاثينات :

« ان الاتحاد الاسلامي ، والوحدة العربية بالمعنى الروحي ، والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي ، هما موجودان ، تزول الجبال ولا يزولان ، بل هما في ازدياد دائم ، بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ، ضد العروبة والاسلام » .

المؤتمر الافخارستي

هذه الصرخة القومية ، تصعدت في ذروة الكيد الاستعماري لعروبة الشمال الافريقي ، وبطشه بالاسلام ، في الثلاثينات ، يوم تصور المستعمر أن (البربرية) يمكن أن تكون حربة في ظهر الاسلام والعروبة ، وأن الصليبية يمكن أن تكون البديل ، في ظل سطوة عسكرية ، لم يغمض لها جفن على مدى قرن من الاحتلال ، فأعلن (الظهير البربري) في المغرب في مايو/ أيار ١٩٣٠ . واحتفل في نفس السنة ، في استعراضات عسكرية مستفزة ، بالذكرى

المائة لاحتلال الجزائر ، وعقد المؤتمر (الافخارستي) في تونس في نفس الفترة .

كان المؤتمر الافخارستي (ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي ، جاءت لتمثل مأساة الاندلس من جديد في شمال افريقية) :

« ان المؤتمر الافخارستي أصبح مظهرا للحملة العدائية العنيفة التي يقوم بها رجال الكنيسة ضد الاسلام ، والتي أخذت تتشكل بشكل خطير في هذه الأيام ، فقد أعلنوا عن هذا المؤتمر بأنه (حملة صليبية) وبأن الدافع لهم على عقده هنا ، هو تحقيق الفكرة التي كانت تدور بين جنبي « لويس التاسع » والتي حملها بعده الكاردينال « لا فيجري » وليست هذه الفكرة سوى ما كان يقصده « لويس التاسع » وهو ارجاعها الى الصليب الذي أجبرت على قبوله بعسف الرومانيين » .

كانت الفترة فترة حملة حاقدة على الاسلام ، متأرجحة بين الترغيب والترهيب ، بين الوعد والوعيد ، الترغيب والتلويح ببعض الحقوق المزعومة ولكن على حساب الشخصية العربية المسلمة ، والتجنيس بالجنسية الفرنسية .

كانت خطة مبيتة ، وعلى جبهات متجاورة ، وبأسلحة متكاملة لضرب الاسلام ، ووحدة أبنائه في شمال افريقيا . فجاء التحدي باسم (العروبة والاسلام) شعارا لـ (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي تأسست سنة ١٩٣٢ . وتصاعدت الانتفاضات الوطنية ، وحميت المواجهة في كل من تونس والمغرب في وجه (الظهير البربري) و (المؤتمر الافخارستي) . الأمر الذي زاد اللحمة الاسلامية وثوقا ، والوشيجة العربية تماسكا وصلابة ، وأتاح الفرصة من جديد لبلورة فكرة العروبة ، وتأصيلها في نفوس الشعب بمختلف أعراقه كما قال علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال في المغرب :

« ان القضية ، ليست قضية جنسية أو عنصرية ، ولكنها قضية واقع وفكر وثقافة ، والقبلية لا محل لها في بلد وحّده الاسلام ، ومنحته العربية القرآن ، وعلوم اللسان » .

ويلتقي زعماء الاصلاح ، والحركات الوطنية في أقطار المغرب بالنسبة لهذه القضية التاريخية ، والمواجهة المشهودة ، والمنعرج الحاسم ، على فكرة واحدة ، ومنطلقات متحدة ، بدون سابق تنسيق أو تخطيط ، انما هي الرسالة الجامعة ، والعدو المشترك .

فالامام (محمد البشير الابراهيمي) زعيم الحركة الاصلاحية في الجزائر ، يلتقي والزعيم (علال الفاسي) في نفس المفهوم لعروبة المغرب العربي ، ويتنظمان جبهة واحدة للدفاع عن هذا المفهوم في مختلف مواقعه .

« عروبة الشمال الافريقي بجميع أجزائه طبيعية ، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء ، والينابيع التي انفجرت منها الاخلاق والخصائص ، والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد ، وهي أثبت أساسا وأقدم عهدا ، وأصفى عنصرا ، من انجليزية الانجليز ، وألمانية الألمان » .

ويوم كان المستعمر يستدرج (البربرية) لضرب الاسلام ، كان أبناء الاسلام والعروبة من البربر ، يرابطون في الصفوف الأولى المتصدية للمؤامرات الاستعمارية ، ويكافحون روّادا في الحركات الاصلاحية ، وكتابا وشعراء في الصحافة الوطنية ، ومعلمين أحرارا في المدارس الحرة للحفاظ على العروبة والاسلام ، وغرس النخوة بهما في الشباب ، والتحدي بهما في وضح النهار .

فـ (الفتى الزواوي) باعزيز بن عمر ، وهو من رواد الحركة الاصلاحية في الجزائر ، ومن دعاتها قلما ولسانا في الثلاثينيات والاربعينيات ، في مجلة (الشهاب) وجريدة (البصائر) يقول وهو البربري من بلاد القبائل :

« واننا لنشعر من قبل ومن بعد بدم العروبة يجري في عروقنا وهو صاف لم يمازجه كدر ، وان اختلف المظهر ، ونسمع صوتها الحنون يرن في آذاننا ، فنفتح له الطريق ، الى قلوبنا وأعماقنا » .

فالعروبة حية فينا ، ونحن أحياء فيها ، ما دامت السماوات والأرض » .

مغاربة في المشرق

ومن مظاهر الوفاء للعروبة والاسلام من أبناء هذا الجناح الغربي من الوطن العربي ، أن الذين هاجروا من أبنائه الى المشرق ، عندما خانتهم الحيلة في البقاء الشريف في الوطن الصغير ، فتحوا هنالك ، بدافع

الشعور بأنهم لم يتخطوا حدود الوطن الكبير - جبهات جديدة لنضالهم وكفاحهم ، وانك واجدهم في كل موقف بطولي ، وثورة مسلحة ، بل هم في الصدارة في الحركات الاصلاحية ، والتنظيمات السرية ، والمؤسسات العلمية التي رادت النهضة العربية الحديثة .

فالشيخ طاهر الجزائري (١٨٥٢ - ١٩٢٠) وهو بربري من جبال القبائل في الجزائر ، يعتبر أب النهضة الحديثة في بلاد الشام ، فهو مؤسس (دار الكتب الظاهرية) في دمشق ومديرها ، ومؤسس (المكتبة الخالدية) في القدس ، وباني المدارس الحديثة ، وعاقد الحلقات التي تعتبر بداية الوعي العربي الحديث في بلاد الشام .

تحت أعواد المشانق

وعلى مشانق (جمال باشا) السفاح ، علق أبناء المغرب العربي مع شهداء العروبة سنة ١٩١٦ ، وكان من بينهم (أركان حرب سليم الجزائري) وهو من أصل بربري من جبال القبائل ، و (الامير عمر الجزائري) نجل الامير عبدالقادر .

ومن أبطال ثورة (الغوطة) وشهدائها ، ضد الجيش الفرنسي سنة ١٩٢٥ الامير عز الدين الجزائري ، وهو من أسرة بطل المقاومة الجزائرية الامير عبدالقادر .

و (بدر الدين الحسني المراكشي ١٨٥١ - ١٩٣٥) لم يكن (محدث الشام في عصره) فحسب ، كما قال الزركلي في (الاعلام) ولا الزاهد في البيعة على الخلافة من أهل دمشق في وجه (الاتحاديين) وبطشهم ، وانما كان الاب الروحي للثورة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام . قال عنه سعيد الحمزاوي نقيب الاشراف بدمشق ، لما قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي في سورية « كان الشيخ يطوف المدن السورية ، متنقلا من بلدة الى أخرى ، حاثا على الجهاد ، وحاضا عليه يقابل الثائرين ، ويغذيهم برأيه ، وينصح لهم بالخطط الحكيمة ، فكان أبا روحيا للثورة والثائرين المجاهدين » . .

وبين (الشيخ طاهر الجزائري) ابي النهضة الحديثة في الشام ، وبدر الدين الحسن المراكشي الأب الروحي للثورة والثائرين والمجاهدين ، والشيخ محمد الخضر حسين التونسي ، المؤسس في (جمعية الشبان المسلمين) و (مجمع اللغة العربية) في القاهرة . والذي كان شيخا للازهر الشريف ، بين هذه الوجوه الرائدة من أبناء المغرب العربي ، وجوه عديدة وأجيال متعاقبة في الاصلاح الديني ، والنضال السياسي والأدب والشعر (هم بعض من عناهم عبدالحميد بن باديس بقوله سنة ١٩٣٧) في مجلة (الشهاب) :

« مضت حقبة من الدهر ، كاد فيها الشرق العربي ، أن ينسى هذا المغرب العربي ، والى عهد قريب ، كانت صحافة الشرق - غالبا - لا تذكره الا كما تذكر قطعة من أواسط افريقيا ومجاهلها . بل في هذه الايام ، يغمط حقه ، ويتجاهل وجوده في كتب لها قيمتها كـ « ضحى الاسلام » وغيره .

ولكن هذا المغرب العربي - رغم التجاهل والتناسي من اخوانه المشارقة - كان يبعث من أبنائه ، من رجال السيف والقلم ، من يذكرون به ، ويشيدون باسمه ، ويلفتون نظر اخوانه المشارقة الى ما فيه من معادن للعلم والفضيلة ، ومنابت للعز والرجولة ، ومعاقل للعروبة والاسلام » . .

صديق ثقيل

دخل أحد الثقلاء على صديق له ، ولما جاء الليل سأله صاحب الدار : أين منزلك ؟ فأجابه : مالي منزل ، وإنما أشتمل الليل إذا عسعس ، وأظهر في النهار إذا تنفس .

حكايات شرق وغرب

هل دمر تشرشل ابنه الوحيد ؟

● هذا سؤال يطرحه كتاب جديد صدر في لندن بعنوان « ابن العم راندولف » وراندولف هو الاسم الذي اختاره ونستون تشرشل السياسي البريطاني الداهية الذي رحل بعد حياة طويلة حافلة اقترب فيها من التسعين ، لابنه الوحيد الذي قتلته الخمر التي كان يعب منها طوال ساعات الليل والنهار .

وقد مات راندولف منذ ثمانية عشر عاما . . وقال طبيبه الخاص يومها : « ان كبده وكليتيه ورئتيه قد اهترأت ، لم يعد هناك أي شيء لم تصبه الخمر بسمومها حتى شخصيته ، فقد اصبح رجلا جبانا » .

ولم يصدق احد العلماء الانجليز وهو يفحص كليتيه انها لانسان ، فقد قال في دهشة وحيرة : « هذه سمكة وليست كلية » .

وتقول مؤلفة الكتاب « انيتا لزلي » : « لقد كان صديقا حميا للمليونير اليوناني اريستوتل اوناسيس الذي تزوج جاكلين كندي ارملة الرئيس الامريكي الاسبق ، وفي احدى الامسيات وصل الاثنان الى استديو التلفزيون البريطاني ، وكانا على موعد لتصوير لقاء بينهما يذاع على الهواء . . وفوجيء المخرج والمصورون بالرجلين يصلان وهما في حالة سكر شديد . . ولكن المخرج لم يشأ أن يحرجهما ، فتظاهر بالاستمرار في عملية التصوير لبضع دقائق ، ثم شكرهما وانصرفا وهما يترنحان » .

وعندما التقى راندولف باصدقائه في اليوم التالي

راندولف تشرشل

راح يسأل : « كيف كنت أبدو في حديثي امس على شاشة التلفزيون ؟ » وهنا فقط اكتشف أن احدا لم ير البرنامج وانه لم يكن هناك حديث . . فقال وهو في « دهشة » مما حدث : غريب أمر هؤلاء الناس لقد كنا ـ صديقي أوناسيس وانا ـ في احسن صورة وكان حديثنا ممتعا للغاية .

وتروي انيتا مؤلفة الكتاب الذي جمعت مادته من العديد من زملائه الصحفيين ، ومن اصدقائه ومعارفه ، تقول انه في أحد اللقاءات التي كان يجريها مع كبار الشخصيات وكان يحرص دائما على أن يملأ جوفه بالخمر قبل الذهاب للقائهم ، لم يعجبه حديث الرجل الذي كان يجلس معه في بيته فضربه بقبضة يده في وجهه ، وكان الضحية هو السفير الامريكي في لندن .

ولكن وقاحته التي كانت تطفو على السطح كلما

لعبت الخمر برأسه عرضته لمواقف لا يحسد عليها ، فقد اضطرت زوجة أحد النبلاء الايطاليين وكان يرقص معها في احدى الحفلات أن تدفعه بكلتا يديها بقوة اسقطته على الارض ، وفي مناسبة ثانية لم يجد السفير البريطاني في باريس الا أن يرفع يده ويصفع بها راندولف على وجهه صفعة قوية أفقدته وعيه ، ليضع حدا لوقاحته وقلة أدبه ، بينما اضطر لورد كاسل روسي الى قذفه بقدح الشمبانيا ، الا أن ليدي اليزابيث باجيت وجدت أن أنسب وسيلة لتلقينه درسا في الاخلاق ، هي أن تفرغ محتويات طبق المكرونة الاسباجيتي فوق رأسه على مرأى من كل المدعوين في احدى الحفلات .

لقد تزوج راندولف مرتين ، وفشل زواجه في المرتين حيث كان ينتهي بالطلاق . وعندما أجرى له الاطباء عملية جراحية لاستئصال ورم بريء ، أي غير خبيث . قال احد اصدقائه معلقا : « لقد نزع الاطباء الجزء الوحيد الباقي في راندولف الذي لم يكن خبيثا » .

لقد كان راندولف ضحية أب تزوج السياسة ، ولم يكن عنده من الوقت ما يسمح له بأن يرعى ابنه ، وأم لم يرها الا مشغولة بمشاكل والده . . لقد كان والده يدلله خلال اللحظات القصيرة التي يراه فيها ، لأنه اراد أن يعطيه شيئا حرم هو منه في طفولته . . وبقي راندولف طفلا لم يكبر أبدا ، طفلا عنيدا مخمورا وقحا لا يعرف ماذا يريد من الحياة . .

روبن هود في نابولي

هل يمكن أن يكون للصوص وقطاع الطرق قلب يخفق بالحب ؟ في مدينة نابولي بايطاليا ، كان سالف توري جيوبلو (٣٥ سنة) يمشي في الشارع حزينا مكتئبا وكأنه يحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسه . فقد كان العامل المسكين عاطلا عن العمل . ولكن يبدو أن اللص الذي كان يتتبع خطاه من بعيد قد رأى شيئا آخر . . رأى فيه صيدا جديدا ، فراح يتحين الفرص حتى خلا الشارع من المارة ، فأسرع الى ضحيته وصوب مسدسه الى صدره وهو يقول : « بسرعة اعطني كل مافي جيبك من مال » .

بكى سالف توري المسكين وهو يقول لهذا الغريب : « ليتني استطيع أن اساعدك ولكن قد تدهش لو علمت أنني لا أملك ليرة واحدة . . لقد استغنوا عن خدماتي منذ اسبوع ، وانا زوج وأب لثلاثة أطفال وقد تركتهم في البيت بلا طعام » .

وراح اللص يتطلع الى وجه الرجل في ذهول ، وانقضت بضع دقائق ، قبل أن يضع هو يده في جيبه ويخرج محفظة منتفخة بالنقود ، وضعها في يد سالف توري ، ثم اقترب منه وهمس في اذنه : « خذ هذا المبلغ ، وكف عن البكاء . . عد بسرعة الى

اسرتك » . ثم انطلق يجري في الطريق بحثا عن صيد حقيقي .

ولكن سالف توري المسكين اخذ حافظة النقود ، وقصد الى أقرب مركز للشرطة ، وروى لهم ما حدث وهو يسلمها للضابط الذي لم ينس ان يسجل اسم وعنوان هذا المواطن الامين .

ومرت ثلاثة ايام عندما فوجيء سالف توري بصاحب المحفظة يطرق باب بيته ويقدم له كل ماكانت تحويه محفظته من مال مكافأة له على امانته ، ويعده بأن يلحقه بوظيفة في المصنع الكبير الذي يملكه .

ورحل الأب وهو يبتسم للحياة

قال له الطبيب : « ان قلبك مريض ياسيدي ، وقد تحتاج الى جراحة ، ولابد من أن تعرض نفسك على اختصاصي في أمراض القلب .. ارجوك : لا ترهق قلبك خلال الايام القليلة القادمة حتى اتمكن من أن أحدد لك موعدا مع احد الاختصاصيين » .

وخرج ساندرو تولا من عيادة طبيبه بمدينة ميلانو الايطالية ، وهو مصمم على أن ينفذ تعليماته بكل دقة ، ولكنه لم يستطع أن يقاوم توسلات ابنه الصغير اندريا (٨ سنوات) عندما طلب اليه في صباح اليوم التالي أن يصطحبه في نزهة الى شاطىء نهر تيسينو ليمارس هوايته في صيد السمك .

كان الاب الذي اشرف على الخمسين يحب ابنه الصغير ويتعلق به ، ولا يرفض له طلبا ، فقد تزوج في سن متأخرة وهو يقترب من الأربعين ، وكانت امنيته ان يرزق بولد ، وقد حقق له الله ما كان يرجو ويبتغي .

وعلى شواطىء النهر ، جلس ساندرو مستلقيا فوق مقعد مريح ، يرقب ابنه الصغير وهو يلقي بسنارته في المياه وينتظر .. وكان الهواء عليلا واشعة الشمس الدافئة تبعث على النعاس ، فذهب الاب في غفوة ، ولكنها لم تطل ، اذ سرعان ما صحا منها على صوت صراخ ابنه اندريا .

واتجه ساندرو مذعورا الى الشاطىء حيث تركه منذ دقائق ولكنه لم يكن هناك .. لقد كان الطفل يستغيث وسط مياه النهر التي سقط فيها ، وبدأ التيار يجرفه معه بعيدا عن الشاطىء ، فهو لا يعرف السباحة .

وبلا تردد القى الأب بنفسه في النهر ، وراح يسبح في اتجاه ابنه حتى لحق به وراح يدفعه امامه الى الشاطىء وهو يحاول ان يبقي على رأسه فوق الماء ، حتى استطاع اخيرا أن يراه واقفا على قدميه على الرمال وهو يضحك ويقول لأبيه : « لقد نجحت ياأبي وانقذتني من الغرق » . ولكن الاب المسكين لم يستطع أن يتحرك من مكانه في تلك اللحظة ، فقد أحس بألم شديد في صدره ، ثم ما لبث أن غاص بجسمه في الماء .

وعندما وصل الناس على صراخ الابن الذي كان يرقب والده وهو عاجز عن مساعدته كان ساندرو قد غرق .. لقد اصيب بنوبة قلبية نتيجة للمجهود الذي بذله في انقاذ طفله ، والقلق الشديد الذي كان يشعر به قبل وفي اثناء المحاولة التي بذلها لانتشال ابنه من الماء .

قال اندريا الطفل الصغير يحدث امه بعد أن عاد الى البيت وحده ، وهو يبكي حزنا على الأب الذي ذهب ولن يعود : « لقد كان ابي يضحك فرحا وهو يغوص في الماء قبل أن يختفي تماما .. كان ابي سعيدا بأمي » .

وقالت الأم : « نعم يابني .. لقد رحل ابوك سعيدا ، فقد كنت تقف امامه فوق أرض صلبة ، وعرف انه اخرجك من الماء سالما » .

ثمن رئاسة أمريكـــا !

رفع والد صبي أمريكي صغير في الحادية عشرة من عمره ، وهو محام كبير بمدينة سان فرانسيسكو ويدعى جون فاليسكويز ، قضية ضد طفل صغير يدعى سيث روبرتس (٨ سنوات) ، مطالبا بتعويض قدره مليونان ونصف دولار ، لأن الطفل تسبب في كسر أحد أسنان ابنه في أثناء مباراة في كرة السلة .!

وقال المحامي في دعواه : « ان ابني الصغير « جون » اصبح يبتسم الآن بطريقة غريبة ، ويضع يده على شفتيه ليخفي السن المكسورة ، وسوف تؤدي هذه الابتسامة المعوجة الى القضاء على احتمال وصول جون الى مقعد الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية عندما يكبر ويصبح رجلا !

ولا تزال القضية منظورة امام محاكم المدينة الكبيرة ، ويتولى الدفاع عن الطفل سيث المدعى عليه ، أمه ، جين ، وهي ايضا محامية معروفة !

مع الشعر والموسيقا بعيدا عن السياسة !

العالم الذي يعيشان فيه لا يمت الى المجتمع من حولهما بصلة .. عالمهما موسيقا ، وشعر وأدب ، ولا مكان فيه للسياسة ولا لصانعي السياسة ، وبالرغم من هذا فقد استطاع الزوجان أن يحتملا الحياة في هذه المدينة التي ترقص على الانغام السياسية ، دون أن يشعرا للحظة واحدة أنها غريبان عن هذا المجتمع الذي ينتميان اليه .

اسمها آن لندبرج ، وهي ابنة أول طيار يعبر المحيط الأطلسي قبل الأخوان رايت ، وهي تنظم الشعر ، وتكتب للاطفال الذين تحبهم جميعا ، فهي لم تستطع أن تحقق أمنيتها في أن تصبح طيارا مثل والدها .. ولكنها ورثت عن أمها تلك الموهبة التي بدأت معها منذ أن كانت طفلة صغيرة تتلقى العلم في باريس .. فالأم العجوز « آن مورو » كاتبة ومؤلفة ، وهي ما زالت تكتب وتؤلف ، رغم أنها اقتربت من عامها الثمانين ، وهي تقول ان أروع أعمالها جاء في شيخوختها ، وهي تطفىء خمسا وسبعين شمعة في كعكة عيد ميلادها .

أما زوج « آن » الابنة فهو موسيقار يكتب ويؤلف الموسيقا التي أحبها وهاجر من بولندا الى أمريكا من أجلها : « لأنني شعرت أنه ربما أجد في هذا العالم الجديد مجالا أوسع لتنمية هذه الموهبة » .

وتقول آن وهي أم لثلاثة أطفال :

انني كاتبة محترفة الآن ، ولكنني أنظم الشعر لنفسي .. انها هواية شخصية . أما كتب الأطفال فقد كانت دائما في رأس قائمة الكتب التي أحب قراءتها ، لأنني كنت أحب كل طفل ألقاه في الطريق ، حتى قبل أن أتزوج وأصبح أما ، انني أستوحي الكثير من القصص التي أكتبها للأطفال ، من تصرفات أطفالي معي في البيت .

آن لندبرج وزوجها جيرزيه سيفسكي

ماذا يصنع الزوجان الآن ؟ سيفسكي مشغول باعداد مقطوعة موسيقية للمهرجان الموسيقي الذي تقيمه مكتبة الكونجرس في واشنطون ، ولم يجد أجمل من كلمات زوجته آن في احدى قصائدها الشخصية التي تتحدث فيها عن الحب بمعناه الكبير ... ومنها سوف يضع أساس مقطوعته الموسيقية الجديدة » .

ربما كان هذا التزاوج بين الشعر والموسيقا هو سر الاهتمام المفاجىء بالزوجين اللذين يعيشان بعيدا عن الأضواء ، وربما أيضا كان هذا المعنى الذي اكتشفه النقاد في حديث سيفسكي وهو يقول : « الموسيقا هي التي تستطيع أن تعطي المرء القدرة على الهرب من نفسه .. ان هذا الدور الذي يقوم به الكاتب أو الموسيقار وسط تلك العواصف السياسية التي لاتهدأ هو الطريق الوحيد الذي يحتاج الفنان الى السير فيه وخصوصا في واشنطون » . وربما أيضا لأن الشاعرة التي تحب الأطفال وتكتب لهم هي ابنة لندبرج .□

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا . والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) . البقرة ١٧٧ .

قال قتادة في معرض الحديث عن سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يسأل عن البر ، فأنزل الله هذه الآية ، فدعاه النبي فتلاها عليه .

وقال المفسرون في معنى الآية انه ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا ، ولكن البر هو ما ثبت في القلوب من طاعة الله ، وان من كانت فيهم الخصال التي تحدثت الآية عنها ، لامن ولى وجهه قبل المشرق والمغرب واهتم بالقشور والمظاهر . هم الذين صدقوا الله في ايمانهم ، وحققوا قولهم بأفعالهم .

ووصف القرطبي هذه الآية بأنها من أمهات الاحكام اذ تضمنت ست عشرة قاعدة : الايمان بالله ، وبالجنة والنار ، والملائكة والكتب المنزلة والأنبياء ، وانفاق المال فيما يعن من الواجب والمندوب ، وايصال القرابة وترك قطعهم ، وتفقد اليتيم وعدم اهماله ، والمساكين كذلك ، ومراعاة ابن السبيل والسائل ، وفك الرقاب ، والمحافظة على الصلاة ، وايتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد ، فمن فعل هذا كله فقد وصفه الله بالصدق والتقوى وبأنه جاد في الدين ، وهذا غاية الثناء .

فان كانت هذه الآية من سورة البقرة قد أتت ببيان جلي واضح لما يطالب الله المسلمين به ، فقد جاءت الآيتان ١٥١ و١٥٢ من سورة الأنعام ببيان جلي واضح لما حرمه الله على المسلمين (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون) .

ومع هذا الوضوح الذي لا وضوح بعده في هذه الآيات الكريمة التي نصت على ما أمرنا الله به وما نهانا عنه ، تجد البعض في مجتمعاتنا الاسلامية قد نصبوا أنفسهم قيمين على سائر المسلمين يدعون ان الله قد فرض عليهم ما لم يفرضه ويحرمون ما لم يحرمه ، ويخلقون جوا من الارهاب والتزمت قد كاد يفلح في خنق كل فكر اسلامي مستنير . وقد عرفت أقطارنا في القرن السادس عشر من كفروا شارب القهوة ، وحكموا بهدم المقاهي في أرجاء الدولة العثمانية ، وبجلد من يرى وهو يحتسيها . ثم عرفت أقطارنا من كفروا اختراع الطباعة ، فظل استخدامها محرما فيها على مدى ثلاثة قرون كانت أوروبا قد أفلحت خلالها ربما بفضل هذا الاختراع ذاته ، في أن تسبق العالم الاسلامي في مضمار الحضارة .

وقد ابتلينا في السنوات الأخيرة بمن صار يرى جوهر الدين وحقيقة الاسلام في مسائل مثل لبس الجلباب وتقصيره الى ما فوق الكعبين ، وضرورة الاكل باليمين والشرب باليمين ، وضرورة حمل العصا واطلاق اللحى ، ويحرمون اقتناء الصور الفوتوغرافية ، وشرب الانسان وهو واقف ، ويستفظعون الاكل على المناضد ، والجلوس على الكراسي ، لأن الرسول صلوات الله عليه وصحابته لم يأكلوا على هذه ولم يجلسوا على تلك ، مركزين دعوتهم واهتمامهم على مثل هذه الأمور ، وكأنما هي من المسائل التي لا يجدر بالمسلمين أن يكترثوا الا بها .

والارجح عندي أن مثل هؤلاء الذين يغفلون فحوى الآيات القرآنية المذكورة ، أو يضيفون اليها الاوامر والنواهي ، يسيئون الى الدين عن قصد أو عن غير قصد ذلك أنه ما من شيء يضمن استمرار هذا التخلف وهذا الانحطاط قدر ما يضمنه ايهام المسلمين بأن هذه الامور هي قضية القضايا واس الاسلام . وقد استمال هؤلاء بعض المسلمين بفكرهم ونفروا البعض من الاسلام بأسره . وكلا الاستمالة والتنفير مما يسعى أعداء الاسلام الى تحقيقه . فانتشار هذه الجماعات كفيل بأن يعود بأمة المسلمين الى الوراء ، في حين يخطو غيرها من الامم خطوات واسعة في طريق التمدن والعمران . وتنفير شبابنا المثقف من الاسلام برمته كفيل بأن يزيد من تهلهل نسج أقوامنا وفقدانهم الصلة بمجتمعهم وتراثهم وهويتهم الحضارية .

فلو أن شبابنا تحول عن الاصغاء الى هذيان هؤلاء المضللين عن جهالة أو المضللين عن عمد وفساد نية ، الى النظر في آيات الله البينات ، لقرأ في الآية الاولى تعريفا مستفيضا لماهية البر والصلاح والتقوى ، ولقرأ في الآيتين الاخيرتين تعريفا بينا لما حرم الله علينا ، ولوجد في وضوح عباراتها جميعا ما يغنيه عن سؤال غيره ، والوقوع في براثن من لا يري بها الخير . □

فضل العمامة

ذُكرت العمامة عند أبي الاسود الدؤلي فقال : جُنَّة في الحرب ، ودثار في البلاد ، وكُنَّة في الحر ، ووقار في النادي ، وشرف في الأحدوثة ، وزيادة في القامة ، وهي عادة من عادات العرب .

الرأي ، والرأي الآخر .. والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

منتدى العربي

قضية

مستقبل النشر العلمي في الوطن العربي

بقلم : الدكتور محمد محمد الجوادي

أصبحت ظاهرة النجاح في مجال الدوريات الثقافية العربية تستحق التقدير ، وتطمئن الى مستقبل مزدهر بإذن الله. تنمو فعاليتها ، ويزداد توزيعها ، ويرتفع كذلك مستوى موضوعاتها بعدما ترتفع هي بمستوى القراء والجيل الجديد منهم خاصة ، ويبلغ أثرها في الحياة الجارفة والهادئة على حد سواء حدا لا يستهان به ، بل على العكس سوف يحسب له ألف حساب .

ومع أن كثيرا من هذه المجلات لا يزال الى اليوم يتلقى العون المادي من ادارات الاعلام في الوطن العربي ، وهو عون مشكور ، ويزيد في تقديرنا له أنه غير مشروط . هذه النقطة بالذات واضحة ومعلنة وصادقة الى أبعد الحدود ، وخصوصا في المملكة العربية السعودية ومعظم دول الخليج . ومع هذا فان الأمل في أن يأتي اليوم الذي تصل فيه هذه المجلات الى نقطة الاتزان أو التعادل في جانب التمويل الذاتي ، ليس بالأمل بعيد التحقيق . انما يلزمه شيء غير قليل من الادارة ، وتوجيه الادارة نحو الاعلانات ورسم سياسة بعيدة المدى ، والتعاون بين عناصر متعددة ، واقامة عامل الزمن الكفيل بأن يتحقق كل ذلك على نار هادئة ، تضمن معها سلامة النتائج وقوتها ، وان تكون فعاليتها على المستوى الذي يمكن الاعتماد عليه في تطوير استمرار وتجديد - بل توليد - الصحافة الثقافية العربية العامة ..

كل هذا لا شك في أنه قد أصبح واقعا ، أو على الأقل أحلاما لا يصعب الوصول اليها من على أرض الواقع .

لكن الخطوة التي يجب علينا أن ننظر في الكيفية التي سنخطوها بها هي مسألة النشر العلمي العربي . أعني في اختصار : الثقافة العلمية الخاصة !!

وهي تلك التي تتمثل في المجلات العلمية المتخصصة ، ألتي تصدر لأرباب مهنة معينة ، بل تخصص معين من مهنة معينة تتحدث بلغتهم الاصطلاحية الخاصة ـ وقد تكون الخاصة جدا ـ وتنشر أخبار الاكتشافات والمؤتمرات والندوات ـ الخاصة وقد تكون الخاصة جدا ـ ومراجعات الكتب والأسئلة والاستفسارات والتعليقات الخاصة ، وقد تكون الخاصة جدا .

هذه الخطوة لا تأتي في تلقائية وراء الخطوة السابقة ، ولكنها تأتي في تلقائية سببية ـ وزمنية أيضا بعد عدة خطوات : تكون هذا المجتمع العلمي الخاص على المستوى الوطني أو القومي ، وقد يكون هذا التكون هو الخطوة الأولى ، ولكنها ليست الوحيدة ، فلا بد من فعالية هذا المجتمع الحديث التكوين ، ولا بد من انتشار أفراده ووصولهم الى عدد ما ، يسمح بأن يكون فيه ومنه وبه الاكتشاف والتجديد والتحليل والنقد والرأي (العلمي التخصصي طبعا) والرأي الآخر .

ثم لا بد أن يكون بين هذا المجتمع من مقومات التماسك والترابط عوامل وحدة أخرى أكثر من اتفاق الزمان والمكان . . ولعل أبرزها هو وحدة اللغة ، بعبارة الشارع البسيطة أن يتكلم لغة واحدة . . ، ولا يقتصر معنى اللغة هنا ، على اللسان الذي يجمع أهل العلم فيه ، ولكن على مصطلحات هذا العلم ومقاييسه أيضا !!

وأخيرا وليس آخرا لا بد أن تكون هناك « المادة » التي تدور فيها أوسوف تدور فيها وحولها الصحافة المتخصصة ! « والاهتمام » الذي يدفع أهل العلم والتخصص الى البحث عن هذه المادة !! والبحث فيها !! وفي هذه الصحافة المتخصصة بالذات .

وبقدر ما تبدو هذه كلها مصاعب تقف أمام انشاء الصحافات العلمية المتخصصة أو نشأتها ، فإنها على الجانب الآخر هي الجوانب المميزة لهذا النوع من الصحافة ، والتي تجعل من الصعب أن يقوم جهاز أو وسيلة أخرى بما يمكن أن تقوم به !! واذن فهذه النقاط التي تبدو صعابا هي على الجانب الآخر مميزات هائلة متى أحسن استخدامها .

وعلى سبيل المثال فإن شركات الأدوية لن تؤثر الاعلان عن دواء جديد لمرض ما من أمراض القلب وعن مميزاته وتركيبه ونتائج التجارب (بالتفصيل) في صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية على الاعلان عن نفس الدواء في مجلة الطب المتخصصة ـ مجلة القلب العربي (مثلا) . ، وهكذا .

وعلى الرغم من أن البعض قد يظن أن أمر اعلانات الشركات الكبرى وقف على أهل الطب وشركات الدواء ، فإن الحقيقة أن لكل مجال من العلوم ـ حتى العلوم البحتة ـ مجالها الذي تبرز فيه أنشطة تجارية على أرفع مستوى ، هي بحاجة الى الاعلان والاعلان الدائم عن نشاطها .

هذا كله بالاضافة الى الاعلانات المهنية من طلب الوظائف والاعلان عن المنح الدراسية والمؤتمرات والدورات الخاصة ، والكتب الجديدة ، والحاجة الى مؤلفين ومحررين ومراسلين ومندوبين ، وبيع المؤسسات وتأجيرها ، ونشوء الكيانات . الخ هذه الأنشطة الحيوية !!

ان واقع الأمر أن هذه المجلات العلمية المتخصصة ، أو النشر العلمي أو الثقافة العلمية الخاصة هي قضية السنوات القادمة في التنمية العربية (العلمية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء) ولعل هذا المقال أن يكون من العوامل التي تبعث على وضع الدراسات الكفيلة بتهيئة السبيل أمام النشر العلمي ، ليأخذ طريقه الى الحياة غير منقوص النمو ، ولا متأخرا عن موعده الذي حان أوانه .

ولكننا مع هذا ينبغي أن نأخذ العبرة من تجربة المجتمع العلمي في مصر في هذا المجال ، والتي ترجع الى ما قبل عام ١٩٢٠ ، حين أصدر علي باشا ابراهيم المجلة الطبية المصرية ، أو الى منتصف الثلاثينيات حين بدأ الدكتور علي مصطفى مشرفة ـ عميد العلوم العربي الاول ـ اصدار سلسلة المجلات العلمية المتخصصة ، بدءا بالمجلة المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية ! ولا يستطيع أن ينكر أحد ذلك النجاح والاستمرار الذي حققته مجلاتنا طوال الفترة الماضية ، على الرغم مما قد يعترورها ـ أو قد أعتورها بالفعل ـ من فترات أثرت فيها تأثيرا قاسيا . . ولكننا مع هذا لا نجد في هذا التاريخ أزمة كالتي تحيط بها هذه الأيام مع ارتفاع تكاليف الطباعة ، وعدول المؤسسات الصحفية الى طباعة الأوفست ، واشتغال المسئولين عن هذه المجلات عن المتابعة الصعبة لها يوميا . .

وبعد أن كانت مهمة اخراج هذه المجلات في الماضي القريب يقوم بها فرد من الأكفاء أصبحت مع الزمن وتعقيدات الحياة وتطورها في ذات الوقت ـ في حاجة الى جهاز كامل ، وهو ما لم تهيىء له جمعياتنا العلمية نفسها منذ زمن طويل ! ولن تستطيع قبل مضي وقت قد يطول .

ولقد تعاني بعض هذه المجلات اليوم وخصوصا تلك التي في مجالات العلوم ، من وقوفها جميعا ومرة واحدة في انتظار معونة مادية لتغطية الجزء الباقي من نفقاتها ، وهي نتيجة لوضع كنا نظنه مثاليا ، حين انشأنا مركزا قوميا للاعلام والتوثيق (في إطار المركز القومي للبحوث) يقوم أمر هذه المجلات جميعا على نمط واحد ، ولا شك أنه نجح في فترة من الفترات ، ولكنه أصبح اليوم كعنق الزجاجة .

كل هذا قد يقودنا الى التساؤ ل هل تصدر هذه المجلات بطريقة عرضية أم طولية ؟ وأيها أجدى ! بعبارة أخرى ، هل الأولى بنا أن نصدرها عن الجامعات مع اختلاف التخصصات وتباينها في الجامعة الواحدة وعلى النحو الذي تصدر به مجلة الجامعة الأردنية ، أو مجلة جامعة حلوان التي تضم بحوثا في التكنولوجيا المختلفة جنبا الى جنب مع بحوث الاقتصاد المنزلي والتربية الموسيقية !! أم تصدرها عن الجمعيات العلمية الوطنية فيكون لدينا مجلة للقلب وأخرى للرمد وللتربية الفنية وللهندسة المعمارية ولتربية الدواجن ؟ وهكذا !!

وما هي جدوى أن تكون هذه المجلات على مستوى اللسان العربي كله ؟ وما هي أهمية هذه النقطة بالذات في مجال تكوين المدرسة القومية في العلوم المختلفة ، اذا ما آمنّا أن تكوين المدارس القومية في العلوم المختلفة هي من أنجح ـ ان لم تكن أنجح ـ الوسائل نحو تحقيق تقدم ذاتي حقيقي في هذه العلوم !!

كل هذه الأفكار في الحقيقة نرجو أن تتاح لها دراسة متأنية ، ولكنها غير متباطئة ، وفي ذات الوقت تعرض لنا جميعا الجوانب الكثيرة التي تحيط بهذه المسألة ومستقبلها ، في وقت أصبح من الواجب علينا وضع اللمسات الهامة في شخصيتنا القومية .

ولعل من أكثر هذه الدراسات الحاقاً أن نقيم ما هو موجود بالفعل في هذا المجال ، وأن نسجله ، وأن نجعله معروفا لدى كل المهتمين في هذه المجلات ، لا يكون صعبا على النفس أن تذكر ، مع صعوبة ذلك ، أن كثيرا منا لا يعرفون أن هناك مجلة علمية تصدر في تخصصهم في القطر المجاور لهم !! ولكن استمرار الوضع هكذا هو مأساة حقيقية .

وعلى صفحات هذا المقال ننشر احصائية مقارنة عن مجلات الطب الامريكية في فرع واحد هو فرع أمراض القلب (مع العلم أن هناك مجلات أخرى في جراحة القلب ، والصدر وفي أمراض الصدر والأوعية الدموية .. وفسيولوجيا وفارماكولوجيا وباثولوجيا ذلك كله) .. ومجلات أخرى في ذات المجال تصدر باللغة الانجليزية .. أربع أمريكية ، وواحدة أوروبية ، وواحدة بريطانية وثالثة دولية وهذه المجلات ، في فرع واحد هو أمراض القلب ، والاحصائية تعرض لنا عدد صفحات هذه المجلة على مدار العام ١٩٨٣ .. ولعل مطالعتها خير من ألف مقال يحدثنا عن السطوة التي يتمتع بها النشر العلمي اليوم .. أو عن أهمية هذا الذي نتحدث عنه .

ان طبيب القلب الذي يحرص على متابعة الجديد في اللغة الانجليزية وحدها ، وسوف يجد نفسه بين ما مجموعه اكثر من الفين وخمسمائة مقال جديد في عام واحد !! صفحاتها تزيد على ١٤ الف صفحة . وتكلفتها تزيد قليلا عن اربعمائة دولار (لسبع مجلات في اثنى عشر شهرا) .. كل هذا قد يجعل الأمر بعيدا عن تصديق كثير من القراء الكرام .. ولكننا مع هذا نؤ كد لهم أن هناك واحداً وتسعين ألف اشتراك في هذه المجلات !! والمجلة الأمريكية لأمراض القلب تتمتع وحدها بثمانية وعشرين الف مشترك ! وهو الرقم الذي يمثل سقف التوزيع لكثير من مجلاتنا العربية الاسبوعية العامة . □

قيل لاعرابي : مالك لاتجاهد ؟

قال : والله اني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أسعى اليه راكضا ..

منتدى العربي

تعقيبات

رؤية للإسلام

بقلم : عبدالله زكريا الانصاري

الدكتور أحمد كمال أبو المجد كاتب اسلامي يفكر بروح العصر ، ويتناول الموضوعات الاسلامية تناولا عقليا ، ويعالج أمورها بحرية الفكر الذي دعا اليه الاسلام العظيم ، ونقول إنه مثقف في تفكيره ، مطلع على مايجري من معالجات طارئة وفهم مشوب بالخطأ في كثير من الاحيان . وفي مقاله « الحاجة إلى الاسلام في هذا الزمان » المنشور بمجلة العربي العدد رقم (٣١٩) نقاط في غاية الاهمية ، ودعوة الى « رؤية جديدة للاسلام » . ولابد من تجديد الرؤية للاسلام في كل عصر ومكان ، ذلك أن الاسلام روح يتجدد ، وجوهر لكل زمان ومكان ، وعلامات على الطريق للحاضر والمستقبل كما كان للماضي . والتجديد معناه الفهم والتطبيق بما يتلاءم وحياة الانسان ، وفهمه أمور دنياه لفهم أمور آخرته ، والانسان موصول من دنياه بآخرته ، وحياته ، بل الحياة يطرأ عليها التغيير والتجديد دائما وأبدا ، لأنها حياة متحركة ، ليست جامدة ، والناس فيها تتلاءم طبائعهم في تصرفاتهم ، وفي عيشهم ، ولباسهم ، وفي أعمالهم أيضا وماتأتي به من متغيرات ، إذن فالرؤية الجديدة معناها الفهم الجديد ، والفهم الجديد يدعو إلى التغيير والتطوير والتجديد ، ولعل بعض الأفهام تشتبه في مفهوم الرؤية الجديدة ، أو التجديد والتطوير والتغيير للاسلام .

رؤية تتجدد

إذا قلنا ان الاسلام علامات على الطريق في كل زمان ومكان ، أدركنا معنى الاسلام من أنه رسالة عظيمة لاصلاح الخلل في الانسان مدى الحياة ، وليس في انسان معين من الناس ، أو في عصر خاص من العصور ، وأدركنا أيضا أنه حركة تجديد وتطوير ، وحركة تغيير لبعض المفاهيم التي قد لاتكون قابلة لملاحقة متغيرات العصر ، فالعصر الذي نعيشه هو عصر الفضاء ، وعصر العقل الآلي ، وما هو العقل الآلي ؟ إنه عقل الانسان بلا جدال ، ولاندري ماذا سيكون عليه العصر القادم والعصور الأخرى ، ومن يدري ؟ ربما توصل عقل الانسان الى توفير الأسباب لكي يعيش إنسان الأرض فوق الكواكب الأخرى ، وربما تغير نمط عيش الانسان تغيرا جذريا لايمكن أن يخطر على بال في هذا العصر . إذن فالرؤية للاسلام لابد أن تتجدد أبدا مادامت الروح تتردد في الانسان ، ومادامت الحياة باقية ، وتلك دعوة يتحمل مسئوليتها الذين يدركون روح الاسلام ، ومعناه العظيم ، ويفهمون طبيعة الانسان وميله أبدا الى الهوى والانحراف عن خدمة الانسان والخير ، ان لم يجد له رادعا يردعه عن غيّه وضلاله . والاسلام العظيم جاء رادعا وهاديا إلى طريق الخير في الدنيا والآخرة ، ولو لم يكن الانسان كذلك لما أنزل الله سبحانه وتعالى رسالته على نبيه منذرا ومبشرا .

استغلال وادعاء

ذلك هو الفهم أو المفهوم الجديد للدكتور الأخ أحمد كمال أبو المجد في مقاله على ما أعتقد ، ولعل التمادي الذي وصل بالناس أو بالمسلمين على

الأصح ، حكاما ومحكومين ، في استغلال الاسلام العظيم لأهوائهم وميولهم الشخصية هو الذي دفع به الى كتابة مقاله هذا ، ذلك أن الذي نراه يجري في بلادنا الاسلامية لايمت الى الاسلام بصلة ، بل انه يخالف روح الاسلام في كثير من الأمور ، ويتمادى بعض الحكام في تصرفاتهم وفيما يأتون به من أحكام وأعمال وينسبون ذلك الى الاسلام ، ويتمادى بعض الناس من المسلمين في دعواتهم التي تأتي إرهابية في كثير من الاحيان باسم الاسلام ، وهناك من يرفع راية البطش باسم الاسلام ، ومن يرفع راية التضليل باسم الاسلام ، حتى رأينا الاسلام يستغل لفرض الأنظمة ، واصدار القوانين الظالمة ، وابتزاز أموال المسلمين ، الأمر الذي أدى إلى التعدد في الأنظمة ، وفي الجمعيات ، وفي الكتل ، وكل نظام يدعي أنه يمثل الاسلام الصحيح ، وكل جمعية وكتلة تدعي أنها تدعو للاسلام الصحيح ، حتى بدا الانحراف واضحا ، والزيف مكشوفا ، والغش صريحا ، والتضليل بارزا بروزا بينا .

ملاحظات ورأي

نقول إن مقال الدكتور أبوالمجد لابد أن يقراه هؤلاء وأولئك ، ولابد أن يقرأه المسلم والمثقف والأديب ، وكل من يهمه أمر دينه وأمر دنياه ، على أن هناك بعض الملاحظات عنت لي في أثناء مطالعتي لهذا المقال ، رأيت أن أبديها حسب فهمي لها ، ولست في صف الدكتور أحمد في فهمه وادراكه وثقافته ، لكنه رأي أبديه ، لعل فيه بعض الفائدة ، أو على الأقل نستفيد جديدا من جديده ، والجديد مرغوب ومطلوب ، فمابالك إذا أتى بمفهومنا لديننا الحنيف ، وكلنا عيال على ذوي الفهم و الاطلاع على الدين الاسلامي وعلى جوهره وروحه .

يقول الدكتور أحمد وهو يتكلم عن « الحقيقة الأولى » لواقع المسلمين :-

(ان الخروج من أزمة التخلف الذي تعيشه المجتمعات الاسلامية لايمكن أن يتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالاسلام وحضارته وثقافته ونظامه القيمي . .)

ونقول : - ان الأدوات الحضارية مقطوعة الصلة بالاسلام يمكن اخضاعها لروح الاسلام ، أما الابتعاد عنها فأمر لا يرضاه الاسلام في مفهومي المتواضع . . . . أليست هي أدوات حضارية ؟ إذن لابد من أخذها أو أخذ جوانب منها لاثراء حياتنا ثم هضمها وبلورتها واخضاعها لمفهومنا ، والحضارات تأخذ وتعطي مهما كانت مقطوعة الصلة ، ولعل الحضارات مقطوعة الصلة تكون أثرى وأجدى وأنفع من تلك الموصولة ، والحضارة العقلية الراقية لاتخشى الأخذ من الحضارات الأخرى الراقية ، لاسيما إذا ما كانت حضارة تعالج صميم الحياة ، وتدعو لتقدمها وازدهارها وفوق كل ذلك ترفع شعار الأخلاق ، وتربط الانسان بخالقه ، خالق الحياة .

إن الأخذ من ثقافة الآخرين ليس معناه تقليدها ، إلا إذا كان الأخذ غير محصن ، فهنا لابد من الدعوة الى فهم حضارتنا ، وفهم إسلامنا ، وفهم ثقافتنا ، وتحصين دعاتنا بفهم جوهر الدعوة وفهم روحها ، ولاخوف بعد ذلك . . أما أن تقول إن « الخروج من أزمة التخلف لايتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالاسلام ، إلى آخره » ، فدعوة الى الابتعاد عن الحضارات الأخرى المتقدمة التي قد لاتدرك شيئا من حضارة الاسلام ، ومن ثم الدعوة الى الابتعاد عن الأخذ من الحضارات الأخرى مقطوعة الصلة بالاسلام .

لابد من الخوض في ثقافات الآخرين ، فان روح الاسلام كفيل باستخدامها لصالح الحياة ، وتلك ضرورة من ضرورات الاسلام .

تناقض وتساؤل

ويقول الدكتور أبوالمجد :- « إن استخراج أدوات النهضة . . وشروط التقدم من داخل الحضارة الذاتية . . يغدو المسلك الأمثل ، إن لم يكن الطريق الوحيد الفعال ، لمتابعة مسيرة التقدم متابعة لايتهددها خطر الاندفاع الذي ينخلع أصحابه من ذاتهم . . ولاخطر الرفض والتحفظ ، ومقاومة « الأدوات الجديدة » لأنها وافدة وغريبة وتحمل في طياتها مداخل متعددة للتبعية وفقدان الاستقلال وضياع الهوية » .

يتراءى لي هنا بعض التناقض في هذا القول فكيف نوفق بين شروط التقدم من داخل الحضارة الذاتية والرفض ومقاومة الأدوات الجديدة ؟ فهل هي دعوة الى الانكماش على حضارتنا الذاتية ؟

ويقول : ـ « من هنا تغدو عملية تجديد الفكر الاسلامي » واستخراج « شروط النهضة من باطنه عملية بالغة الأهمية في التوجه للخروج من الأزمة التي يعيشها المسلم المعاصر ، وتعيشها المجتمعات العربية والاسلامية القائمة » .

لاجدال في أن الحضارة الاسلامية حضارة متكاملة الجوانب ، لكن المشكلة تكمن في تجليتها من جديد وتقديمها للناس في وضوح كما يقول الدكتور أبوالمجد ، لكن مع ذلك فان الفكر الاسلامي لاينغلق على نفسه فهو يعطي مثلما يأخذ ، ولذلك فهو للناس عامة ، إنه دعوة لجميع الناس كافة لفهم الحياة ، وفهم الانسان الذي خلقت من أجله الحياة ودعوة تربط الانسان بخالقه خالق الحياة ، ولهذا لابد أن يخوض في غمار الحضارات الأخرى ، ويناقش كل فكر إنساني ، ويجادل كل دعوة إنسانية ، وان كانت لاتمت بصلة الى الفكر الاسلامي ، والفكر الاسلامي فكر عقلي يخاطب كل عقل ، ويبسط رسالته ، رسالة السماء ، وهل تخشى رسالة السماء من رسالات الأرض ؟

الفهم هو الأساس

المشكلة الكبرى في رأيي المتواضع تكمن في عدم فهم الفكر الاسلامي فهما منطقيا عادلا ، ولهذا تعددت الفرق الدينية ، وكل فئة سلكت سبيلا يختلف عن سبيل الفئة الأخرى ، وبتعدد الفرق تعددت المفاهيم ، وانصبت معظمها على شكليات الحياة ، وقام من يستغل هذا التعدد من الحكام والمتنفذين إلى أن وصلوا الى درجة الطعن والتكفير أحيانا ضد البعض الآخر ، فتل الفكر ، ومنع العقل من العمل ، وحرم اجتهاد الرأي ، وحرف مفهوم الرسالة ، وقُدِّس التقليد وليس القدوة ، والقدوة غير التقليد ، فاذا كان التقليد يتم بدون فكر عميق ، فان القدوة تتم بالفكر والعقل . فقام من يستغل المسلمين بالاسلام ، دون رادع يردعه ، بل إن ذوي الرأي والنظر تواروا عن الأنظار ، يبغون الأمان لأنفسهم .

كان أحدهم يقول ، أين نحن من عصر النجوم ؟ قلت إن عصر النجوم كان المفروض أن يكون عصرا إسلاميا رائعا ، لأن الاسلام يدعو اليه ، لكن الذين دعوا اليه ونفذوه لايمتون الى المسلمين ولا إلى الاسلام بصلة ، فكأنهم قرأوا دعوة الاسلام العظيم وراحوا ينفذونها ، ولهذا استغلت لغير صالح الانسان ، ولو كان المسلمون يدركون رسالة الاسلام ادراكا سليما لجعلوا عصر النجوم عصرا يخدم الانسان ، ذلك أن رسالة الاسلام تدعوا للتفكير في خلق السموات والأرض ، تفكيرا أخلاقيا لصالح الناس عامة .

ان رسالة الاسلام تدعو الى النمو الاقتصادي ، وتدعو الى التقدم الصناعي لصالح الانسان ، وتدعوا الى إعمار الكون .

ان الاهتمام بالمظاهر السطحية ليس من الاسلام في شيء ، وان إلهاء الناس بقشور الحياة ليس من الاسلام في شيء ، وإلهاءهم عن التفكير العميق في الحياة والكون ليس من الاسلام في شيء .

ونرفع صوتنا مع الدكتور أحمد كمال أبو المجد في مقاله الرائع (الحاجة الى الاسلام في هذا الزمان) ، وندعو معه إلى فهم الاسلام فهما صحيحا ونقول معه : ـ

« فهل يحمل بعض مثقفينا عبء رحلة جديدة على هذا الطريق الرائع ـ على وعورته ـ يجددون من خلالها للناس أمر دينهم ويصلحون بها كثيرا مما فسد من أمر دنياهم ؟ » .

ولانقول مع القائل أبدا : ـ

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لاحياة لمن تنادي !!!

● الضعفاء اذا ما حذروا لم يقتلهم الأقوياء اذا ما وثقوا قتلهم الضعفاء .

(مهابهارتا)

منتدى العربي

تعقيبات

حول «رحلة الخراساني إلى الموت»

في العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥ من مجلة العربي الرائدة ، قرأت مقالاً عن أبي مسلم الخراساني ، جاء في أسلوب قصصي ، بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل ، روى لنا فيه الأيام الأخيرة من حياة أبي مسلم الخراساني ، وموقفه من الخلافة العباسية وأبي جعفر المنصور .

وقد أعجبني السرد والصياغة ، وقد كنت أودّ أن تتوازن الصياغة مع الحقائق وصادق التاريخ ، ولكن الكاتب خلط الأحداث وأبهمها ، واستخدم الأماكن وأسماء الشخصيات استخدام من لا يعرف المدن القائمة ، والمدن التي لم تنشأ ، ولم يفرق بين قرابة وقرابة ، مما جعل القارىء ينسى حلاوة القصص ، ويحس بمرارة مزايلة الحقيقة ، وحتى لا أكون متجنياً أو متحاملاً ، أضع ما وقع فيه من هفوات ، ثم أعقب عليها ببيان جلية الأمر فيها ، ولا أدري هل الأداء القصصي هو المسئول عن الخطأ ، أو أن الكاتب لم يدرس تلك الحقبة القصيرة التي اتخذها محوراً لما قصده ؟

وأول ما أبدأ به قوله : بدأ الرحلة من خراسان ، في قافلة طويلة محملة بالهدايا ، لعل الخليفة يرضى ، محفوفاً بالفرسان لعله يرتدع ، وأبو مسلم في المقدمة صامت الوجه ، يردد في داخله بيتاً من الشعر :

ما للرجال مع القضاء محالة
ذهب القضاء بحيلة الأقوام

وفي هذا الكلام خلط بين موقفين ، فحين بدأ الرحلة كان قادماً باذن الخليفة أبي العباس السفاح ، يأمل أن يحج وأن يكون أميراً للحج ، ولقي الإكرام وان لم ينل إمارة الحج ، فقد كان المنصور أخو الخليفة يروم أن يحج في هذا العام ١٣٦هـ ، فأعطيت له إمارة الحج .

أما حين أنشد الشعر ، فبعد أن رجع من حرب عبد الله بن علي ، الخارج على الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور ، وأراد الرجوع الى خراسان ، فحال المنصور بينه وبين مرامه ، فحين بلغ « حلوان » من أرض فارس جرت المراسلات بين أبي مسلم والمنصور ، وانتهت بإذعانه والقدوم إلى المنصور .

تقول الرواية أن نيزك صديقه حاول أن يثنيه عن عزمه ، ولكن أبا مسلم كان يشعر بقوة قاهرة تجبره على الذهاب ، ولما أطال عليه نيزك تمثل أبو مسلم بالبيت الذي ذكره الكاتب . وكان ذلك سنة ١٣٧هـ .

ولتحظى الفكرة بالوضوح أقدم دليلاً نهتدي به في كشف تلك الفترة ، ببيان خريطة الدولة في ذلك الحين ، وأبرز الرجال القائمين على الولايات : حين استقرت الخلافة للسفاح سنة ١٣٢هـ ، وقضى على بني أمية ، كان عليه أن يختار ولاة لها ، فجعل أبا مسلم الخراساني والياً على خراسان ، واتخذ أبو مسلم « مرو » حاضرة لولايته ، وهي التي كانت المرجع لرجال الدعوة والقواد قبل قيام الخلافة العباسية ، وولى عمه عبد الله بن علي على الشام ومصر ، وولى أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة ، وما ولاها شرقاً الى أرمينيا وأذربيجان . وكل من هؤلاء يدل على الخليفة بأعماله الكبيرة في سبيل الدعوة والدولة . أما أبو مسلم فهو صاحب الحظ الأوفر من بين الدعاة ، مع أنه التحق بها بعد ربع قرن من ارسال الدعاة الأذكياء المخلصين ، وبدأت الدعوة سنة مائة من الهجرة ، بأمر الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وقدم أبو مسلم عليه في السنة التي مات فيها سنة ١٢٥هـ ، ولما قام بالأمر ابراهيم الإمام بعد أبيه ، جعل من أبي

مسلم رئيساً على الدعاة ، وقال له القولة المعروفة « أنت منا آل العباس » ومن توجيهاته اليه : « إن استطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل ، ومن شككت في أمره فاقتله » وقد نفذ أبو مسلم وصايا ابراهيم الإمام بحزم وعزم وقوة ، وهو الذي أعلنها ، وأمر بلبس السواد ، ولأنه دخل الدعوة بعد تمهيد طويل وجهاد شاق ، قال سليمان ابن كثير عنه : « حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا وأجرى فيه الماء » وكان مصيره القتل بيد أبي مسلم ، لأنه شك في أمره بعد نجاح الدعوة وقيام الخلافة . فأبو مسلم في نفسه وعند عامة القواد والجنود صاحب الدعوة . على أنه ولد عام بدء الدعوة سنة ١٠٠هـ .

وأما عبد الله بن علي فهو عم الخليفة السفاح وأخوتهم أخو واحد وعشرين رجلاً ، يصلح كل رجل منهم أن يكون رئيس دولة ، حزماً وإقداماً وبصراً بشئون الملك والسياسة ، وهو يدل بقيامه بحرب مروان بن محمد والانتصار عليه وقتله في مصر ، ويمني نفسه بالخلافة بعد السفاح ، لأن السفاح قال لمن حضره من آل العباس : « من انتدب منكم فسار اليه فهو ولي عهدي » فكان عمه عبد الله هو المجيب والمنتدب .

أما أبو جعفر فهو أخو الخليفة ، والآخذ ببيعته ، والقائد المظفر في حصار يزيد بن عمر بن هبيرة أحد عشر شهراً حتى سلم وطلب الصلح ، وبذلك تمت رياسة السفاح على الدولة من فرغانة الى عانة ، والأندلس كانت في فوضى وحروب بين القيسية واليمانية ، وهؤلاء الثلاثة يتنافسون ، والخليفة الشاب على وعي مما يدور في نفوسهم ، ووضع كلا منهم في المكان الذي يحبه ، حتى يضمن استقرار الأمور واستتباب الأمن .

ولما تولى أبو جعفر قضى على ثورة عمه الذي بايع لنفسه ، وأراد أن يولي أبا مسلم الشام ومصر ، ويترك خراسان فرفض أبو مسلم ، ومن ثم كانت المراسلات ، ودعوته الى أن يقدم على الخليفة بالمدائن أو رومية المدائن بعد أن توقف في حلوان . مات السفاح سنة ١٣٦هـ ، في الثاني عشر من ذي الحجة ، وأبو مسلم وأبو جعفر في العودة الى الخليفة .

يقول الكاتب : « وأعلن أبو العباس نفسه خليفة للمسلمين ، وأبا جعفر ولياً للعهد . كان أبو جعفر طوال هذا الصراع الدامي معتكفاً في قرية « الحميمة » يدرس الفقه والتفسير ، وخرج فجأة من هذه العزلة لكي يتصدر الدولة » وهذه العبارة تحمل خطأين ، الأول : أن السفاح لم يعلن ولاية العهد الا في آخر حياته ، حين شعر بالموت في أثناء حج المنصور وأبي مسلم ، فجعل المنصور ولي عهده ومن بعده عيسى بن موسى بن محمد ، وهو ابن أخي السفاح ، وقد مات السفاح بالجدري في ريعان شبابه (١٠٤هـ - ١٣٦هـ) وقد مكث في الخلافة أربع سنوات تقريباً .

والمنصور الفقيه كان ثائراً على بني أمية مع كل ثائر ولم يكن في بني العباس رجل مثله نشاطاً وترقباً لنجاح الدعوة ، اجتمع في مؤتمر بني هاشم سنة ١٢٦هـ لاختيار إمام يدعون له ، وخرج مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، الذي استولى على كثير من أطراف الدولة في فارس وغيرها ، فعمل له والياً على « كورة ايذج » وهي بين خوزستان وأصبهان ، وارتكب خطأً عوقب عليه ، فقد جمع الأموال وضمها لنفسه ، واتجه بها الى البصرة ، فقبض عليه سليمان المهلبي والي البصرة لبني مروان ، فأمر بضربه بالسياط . فقال أبو أيوب كاتبه - ووزير المنصور فيما بعد - : « أيها الأمير ، لا تفعل ، فان الخلافة ان بقيت في بني أمية فلن يسوغ لك ضرب رجل من عبد مناف ، وان صار الملك الى بني هاشم ، لم تكن لك بلاد الاسلام بلاداً » ، ولكن المهلبي لم يتصح فضرب أبا جعفر أربعين سوطاً ، فارتمى أبو أيوب عليه ليمنع الضرب عنه . . وكان أبو جعفر يذكر تلك الحادثة ويتمعض من ذكرها ، وقد خاض البلاد الاسلامية شرقاً وغرباً ، وذهب الى القيروان بأفريقية لاحضار زوجة أحد العباسيين التي مات عنها زوجها وأنجبت بنتاً ، وتعرض لطلب والي بني أمية ، واختبأ في قصر صهره الحميري هناك ، فهو ثائر جائل لا يكف عن العمل ، أما فقهه فكل أبناء علي بن عبد الله بن عباس على شاكلته ، كانوا أحفظ الناس للقرآن ، وأعمقهم فهماً له حين قامت دولتهم ، كما يقول ابن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبرى ، وكيف لا يكونون كذلك وهم أحفاد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ؟

شيء واحد كان يؤلمه في أغلب ظني وهو أمه ، اسمها سلامة ، اشتراها محمد بن علي وأعتقها

وتزوجها ، وهي من صنهاجة المغربية . فكان أبو مسلم يذكره باسمها « ابن سلامة » .

وتحدث الكاتب عن « أبي سلمة حفص بن سليمان » وزير آل محمد الذي اتهم بحب « بني فاطمة » « العلويين » فقال : ان أبا مسلم أسرع باستدعائه ، ولم يترك له فرصة لتوضيح أي شيء ، ولكن قتله على الفور أمام عيني الفقيه ـ يعني أبا جعفر ـ المذهول . . والتاريخ يقول : ان أبا مسلم كان في مرو حين قُتل أبو سلمة ، وان كان قتله بأمره وأخذ رأي الإمام ، وكان قتله مأساة مثلت بالهاشمية ، أمر السفاح منادياً فنادى ان أمير المؤمنين رضي عن أبي سلمة ودعاه وكساه ، ولم يزل عنده حتى مضى من الليل أكثره ، ثم خرج أبو سلمة الى منزله يمشي وحده فعرض له « مرار بن أنس الضبي » ومن كان معه فقتلوه .

وأغلقت أبواب المدينة وقالوا قتل الخوارج أبا سلمة . وفي الغد أخرج فصلى عليه أخو الخليفة يحيى ابن محمد ، ودفن بالهاشمية ، فلم يشهد مقتله أبو مسلم ولا الفقيه المنصور ، وان اتفق المنصور معه على قتله حين استشاره في مرو .

وتمت بيعة أبي مسلم لأبي جعفر ، يقول الكاتب : وأمرٌ من ذلك أن جروح القرابة القديمة بدأت في النزف مرة أخرى ، فقد استيقظ أبناء العم من « العلويين » وبدأ زعيمهم « عبد الله بن علي » يطالب بالخلافة لنفسه . وهذه العبارة تحتاج الى تصحيح سريع مريح ، ففي ذلك الوقت سنة ١٣٧هـ لم تكن هناك عداوة بين العلويين والعباسيين ، وكان الشعراء يهتفون بخلافة بني هاشم . . وأمام من ؟ أمام عبد الله بن علي الذي وضعه الكاتب في العلويين ، جلس عبد الله بعد انتصاره وحوله جنوده من خراسان ، وبمجلسه بعض من بني أمية ، يبلغ عددهم أكثر من ثمانين رجلاً ، فقال شاعره :[1] .

أما الدعاة الى الجنان فهاشم
وبنو أمية من دعاة النار
من كان يفخر بالمكارم والعلا
فلها يتم الأمر غير فخار

فعبد الله بن علي هذا عم السفاح وأبي جعفر ، كان قد مني نفسه بالخلافة ، لأن السفاح صرح بولاية العهد لمن ينتصر على مروان بن محمد ، ولذلك خرج على المنصور وبايع لنفسه وحدث ما حدث ، ولم تنشأ العداوة بين العلويين والعباسيين الا سنة ١٤٥هـ حين ثار « النفس الزكية » ودعا لنفسه بالخلافة ، وأغلب الظن أن كلمة « علي » في نسب عبد الله لبست عليه الأمر .

ويقول الكاتب عن استقبال أشراف العباس لأبي مسلم في المدائن : « كانوا كلهم تركوا بغداد والبصرة والكوفة ، وهرعوا ليكونوا في انتظاره » ونقول للكاتب : في ذلك الحين سنة ١٣٧هـ لم تكن بغداد قد بنيت لتكون حاضرة الخلافة ، فقد شرع المنصور في بنائها سنة ١٤٥هـ ، وتوقف عن البناء لثورة « النفس الزكية » فلما قضى عليه عاد المنصور فأكمل بناءها ، فذكرُ بغداد في حوادث ١٣٧هـ مخالف لواقع الأحداث والتاريخ .

ويقول الكاتب : « لم ينس الخليفة شيئاً ، فبين أشراف بني العباس كان عيسى بن موسى خال الخليفة وصديق أبي مسلم ، وسأله أبو مسلم في قلق : يا عيسى أترى الخليفة يغدر بي » ؟ .

والأمير عيسى بن موسى بن محمد ليس خال الخليفة ، وانما هو ابن أخيه ، وولي العهد من بعده ، وكان رجلاً جليلاً في بني العباس كما يقول الجاحظ ، وهو الذي قضى على العلويين والنفس الزكية وأخيه . أما سؤال أبي مسلم « يا عيسى أترى الخليفة يغدر بي » ؟ فلم يكن في الاستقبال ، وانما كان في اليوم الثاني ، وفي منزل عيسى بن موسى .

وبجانب ذلك بعض هفوات لا داعي لذكرها مثل حميد المروزي ونيزك الذي غير اسمه ، وأبو حميد هذا كان السبب في تعجيل بيعة السفاح ، وحديث الدعوة العباسية يطول فنكتفي بهذا .

ولا يفوتني أن أشكر للكاتب ما كتب ، فقد أغراني بالرجوع الى المراجع ، ونقد مقاله وبيان الحقيقة ، وكلانا شريك في جمع المعلومات وتنسيقها ، طلباً لتوضيح السِّير ، وإشاعة الثقافة الصحيحة . □

السيد حسن قرون

---

(١) أنشد الشعر سنة ١٣٢هـ .

اقوال

□ افلاطون هو صديقي ، ولكن صديقي الاكبر هو الحقيقة .

اريسطو طاليس .

□ لا يبقى في الوادى الا حجاره .

الطاهر الوطار

الجزائر

□ الابداع يأتي قبل أو بعد الاحداث الكبرى وليس في اثنائها .

عصام محفوظ

لبنان

□ « ما كل مثقف يصمت لأنه مقموع ، وما كل مثقف عربي مقموع يصمت ، وما من مثقف عربي يقوى أمام هذا القمع على أن يصمت ، فاذا صمت فذلك يقيناً لأنه ليس لديه ما يقوله ، أي تكون ثقافته ولو جاوزت الجوزاء جوزاً فارغاً » .

ـ أميل حبيبي

□ « شعر اليوم لم يعد ذلك الشعر الذي كان يزاحم على أبواب السلاطين ، أو الذي يكون أهم أهدافه الرسائل الأخوانية ، الشعر اليوم هو الشعر الحقيقي ، النابع من هموم ، والصاعد من هم ، ولا يزال له دور أكثر مما كان له في الماضي » .

ـ الشاعر عبد الله البردوني

□ « رأسمالي عاقل خير من اشتراكي جاهل » .

ـ كامل زهيري

□ الانسان العربي وبشكل خاص رجل السياسة هو طفل ! ومشكلته انه يريد ان ينفرد بالحكم وينتزع السلطة من الآخرين ، بعبارة أخرى أن يحتكرها كلما اتيحت له الفرصة .

د . فاطمة المرنيسي

المغرب

□ « ما الذي يجمعني واليهود ؟ ليس هناك أي شيء تقريباً يجمعني ونفسي أنا ، ان علي أن اختبيء في زاوية ما راضياً بحقيقة اني قادر على التنفس » .

فرانتز كافكا

عصام محفوظ

أميل حبيبي

كامل زهيري

د . فاطمة المرنيسي

العربي
عيونك على العالم

هيروشيما تغني للحياة

استطلاع : منير نصيف

تصوير : طالب الحسيني

وتمضي السنون .. ويتوقف النـزف .. ويلتئم الجـرح .. ولكن تبقي الذكرى .. ذكرى مأساة مدينة احرقوا اهلها ، ولكنهم لم يستسلموا لجراحهم .. لقد راحوا يبنون مدينتهم فوق الحطام والركام لتصبح واحدة من أجمل مدن آسيا .. انها قصة حياة ولدت من العدم .. قصة مدينة تعيش وتغني للسلام !

- هيروشيا وقت الحريق .

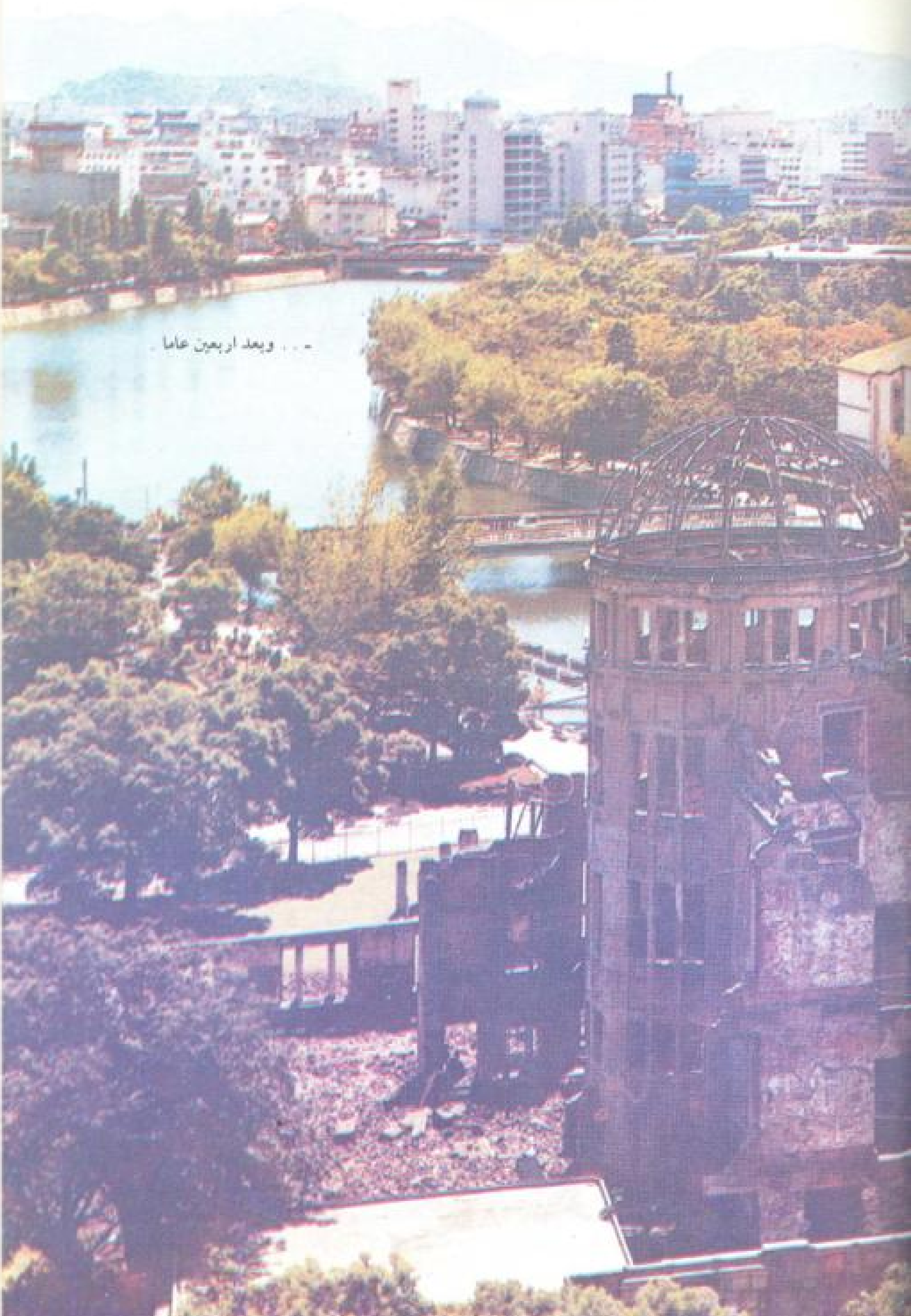

. . . وبعد اربعين عاما .

لم يكن غـريبـا أن يتصـور الكثيـرون أن مدينة هيروشيما اليابانية قد اختفت الى الابـد عندما احترقت بهذا الجبل من النيران الـذي خلفته أول قنبلة ذرية أطلقها الانسان من معقلها لتضرب المدينة وتقتل وتحرق كل اثر للحياة فيها .

لقد عاش اليابانيون بحتويهم الشعور بالتشاؤم والاحبـاط بعد ان رأوا عشـرات الالوف من الاطفال والنساء والرجال يحترقون أحيـاء في ثوان معدودة تحت وهج الحريق المروع ، وما تلا ذلك من سـقـوط عشـرات الالـوف قتـلى نتيجـة اصـابتهم بـالاشعاع الـذري الـذي واكب الانفجار واستمر يعرض حياة أهلها للخطر لسنوات طويلة .. هؤلاء الذين لم يحترقوا في اللحظات الأولى للانفجار لانهم كانوا بعيدين عن دائرة الموت .

ولم يقتصر خطر الاشعاع على البشر ، لقد امتـد لينفذ في بطن الارض وينفث سمومه في ترابها ، وقال الخبراء :

« لقد قتل الاشعاع الارض الطيبة ولن تنمو شجرة واحدة ولا نبتة في هيروشيما ، ان المدينة لن تكـون صالحة للعيش فيها لسنوات وسنوات طويلة .. لقد ماتت ، ولن تعود اليها الحياة أبدا .. ! »

وذهبنا اليها ، وفي رأسنا هذه الصورة .. وكانت المفاجأة ..

كانت هيروشيما تستعد لـلاحتفال بمرور أربعين عـاما عـلى الصيحة التي انطلقت تحت سمائهـا في أعقاب الحريق المدمر داعيـة الى السـلام .. ووقفنـا نتأمل المعجزة التي تحققت .. لقد رفضت المدينة ان تستسلم للجرح الدامي الذي أصابها فقامت تستعيد حيويتها ورفاهيتها ...

لماذا هيروشيما ؟

ولكن لماذا اخترنا الذهاب الى هيروشيـما ، ولماذا كان اصرار « العربي » على ان تكون هذه المدينة في مقدمة برنامج رحلتنا الطويلة الى اليابان ؟ لقد خرج العالم بعد الحرب العالمية الثانية أشلاء ممزقة .. في أوروبا وآسيا بصفة خاصة حيث بدأت الحرب وحيث انتهت .. كـل المدن الكبيرة والصغيرة البعيـدة والقريبة أصـابها الخراب والدمار .. وعلى مـدى الشهور التي انقضت وقف العالم كله يتذكر .. فقد كـانت هنـاك مناسبـة سـتظل ذكراهـا محفـورة في الأذهان .. كان التاريخ يقول ان أربعين عـاما قـد انقضت على نهاية الحرب التي ذهب ضحيتها الملايين من البشر ! .

ولكن تبقى بعد هذا هيروشيما رمزا لأبشع مأساة شهدتها البشرية .. حتى الذين لم يكونوا قريبين من مسرح الحريق الهائل المدمر .. وحتى الذين لم يكونوا قد أتوا بعد الى هذا العـالم المضطرب الـذي مزقته الاحقاد والاحداث الدامية .. حتى هؤلاء وهؤلاء يعرفون هيروشيما ويدركون حجم المأساة التي عاشتها هذه المدينة عندما ضربها الامريكيون بأول قنبلة ذرية فأحترقت بمن فيها وما عليها .. البشر والـزرع .. والحيوانات والطيور .. البيوت والحياة التي انتزعت من جذورها - حتى صخور الجبال التي مرت امامها الاجيال ، وذهبت لتأتي من بعدها أجيال وأجيال .. حتى هذه الصخور تفتتت . وهي التي بقيت شامخة قرونا تتحدى الزمن !

حدثنا صاحبنا المسؤول الياباني الـذي رافقنا في رحلتنـا ، قال : « لقد أحصـوا الـذين احتـرقـوا في هيروشيما من سكانها في اللحظات الاولى من الانفجار المروع ، فوجدوهم يزيدون على المائتي الف قتيل .. واحصـوا الذين قضـوا نحبهم بعد ان هـدأ الحريق وانطفأت جذوته فـأذا بهم يزيـدون على المـائة الف قتيل .. ماتوا جميعا تحت تأثير الاشعاع النووي الذي تسبب في اصابتهم بامراض قاتلة ..

« في السـاعة الثامنة والربـع من صبـاح اليـوم السادس من أغسطس عـام ١٩٤٥ ، كانت مـأساة هيروشيما التي مازالت صورتها حية في أذهان اليابانيين وفي ضمير العالم كله .. وفي الشهـر الـذي مضى خرجت المدينة ، كما تعودت أن تفعل كل عام تحتفل بالسلام الذى تحمله أسراب الحمائم فوق أجنحتها وهي تحلق في سماء هيروشيما .. انها لن تنسى هذا التاريخ الذي انتهت فيه الحياة فوق أرضها ثم جاءت من بعده حياة جديدة ! »

صيحة السلام

من هنا . . من قلب هذه المدينة الجديدة التي قامت فوق أنقاض هيروشيما المحترقة ، ارتفعت الصيحة ، وسمع العالم كله دويها . . وهي صيحة تكررت وتتكرر مع مولد كل عام جديد في اليوم السادس من شهر أغسطس ، وقد انطلقت لأول مرة بعد مرور عام واحد على الحريق ، وكان اليابانيون لم يفيقوا بعد من هول المأساة التي عاشها اخوانهم في هيروشيما . . كانوا قد بدأوا يعودون اليها . . الى الأرض التي تحولت تحت أقدامهم الى رماد وحطام . . ونظروا حولهم فلم يجدوا شيئا . . كان كل أثر للحياة التي كانت،قد اختلط بالرماد الذي خلفه الحريق المدمر . . كانت الصورة قريبة لما يمكن أن يصنعه الشر الكامن في قلب الانسان عندما يتحالف مع التقدم العلمي الذي لايكون دائما لخير البشرية !

« قال مرافقنا : في السنوات الأولى بعد الطوفان كان العائدون يلتقون في ذكرى احتراق هيروشيما ليصلوا من أجل هؤلاء الذين دفعوا حياتهم ثمنا لمولد سياسة السلام أو المسالمة في هذا العالم الواسع الذي مازال يعيش تحت شبح القنابل الذرية والهيدروجينية . .

« ثم تحولت الصلاة من أجل ضحايا هيروشيما ، الى صلاة من أجل السلام . . وشدت الاجتماعات التي تقام سنويا في ذكرى احتراق هيروشيما الالوف من زعماء العالم المحبين للسلام فجاءوا ومازالوا يجيئون ليشاركوا عمدة المدينة في صلاته : « لاهيروشيما بعد اليوم » . الى أن كانت ذكرى مرور ربع قرن على مأساة هيروشيما ، في عام ١٩٧٠ ، عندما شهدت المدينة لأول مرة أضخم تجمع من نوعه للسلام في الفترة مابين الحادي عشر من نوفمبر واليوم الثاني من ديسمبر . . وخلال تلك الاسابيع الثلاثة ، كان المدعوون من العلماء والفلاسفة ورجال الفكر وقادة الحركات السلمية في اليابان وفي العالم الواسع من حولها يلتقون في هيروشيما . . لقد أصبحت معبد السلام »

وانتصرت ارادة الانسان

ويمضي المرافق في حديثه :

« وفي هذا المؤتمر ، كان مولد هيروشيما الجديدة قد

ـ خريطة تبين موقع هيروشيما في قلب الجزر اليابانية التي تسبح في المحيط الهادي .

اكتمل أو كاد . . لقد تحققت المعجزة وقامت المدينة الحديثة الجديدة في أقل من ربع قرن فوق الرماد والحطام والركام ! »

« ولم يكن غريبا ان تنتصر ارادة الانسان وهو يرى كل شيء من حوله مهددا بالزوال . . الارض التي يقف عليها والسماء التي يستظل بها وحتى وجوده نفسه . . وكان عملا شاقا متصلا لايهدأ،شارك فيه كل من كتبت له الحياة بعد الحريق . . حتى الذين لم تكن تربطهم بالمدينة المحترقة صلة من بعيد أو من قريب . . كلهم جاءوا اليها وكلهم ساهموا في اعادة بنائها . . فقد كانت اليابان كلها تئن من الجرح الدامي الذي أصابها ابان الحرب،وكان لابد أن تصحو من هذا الرقاد الذي كانت تغط فيه ، وبدأت بناء

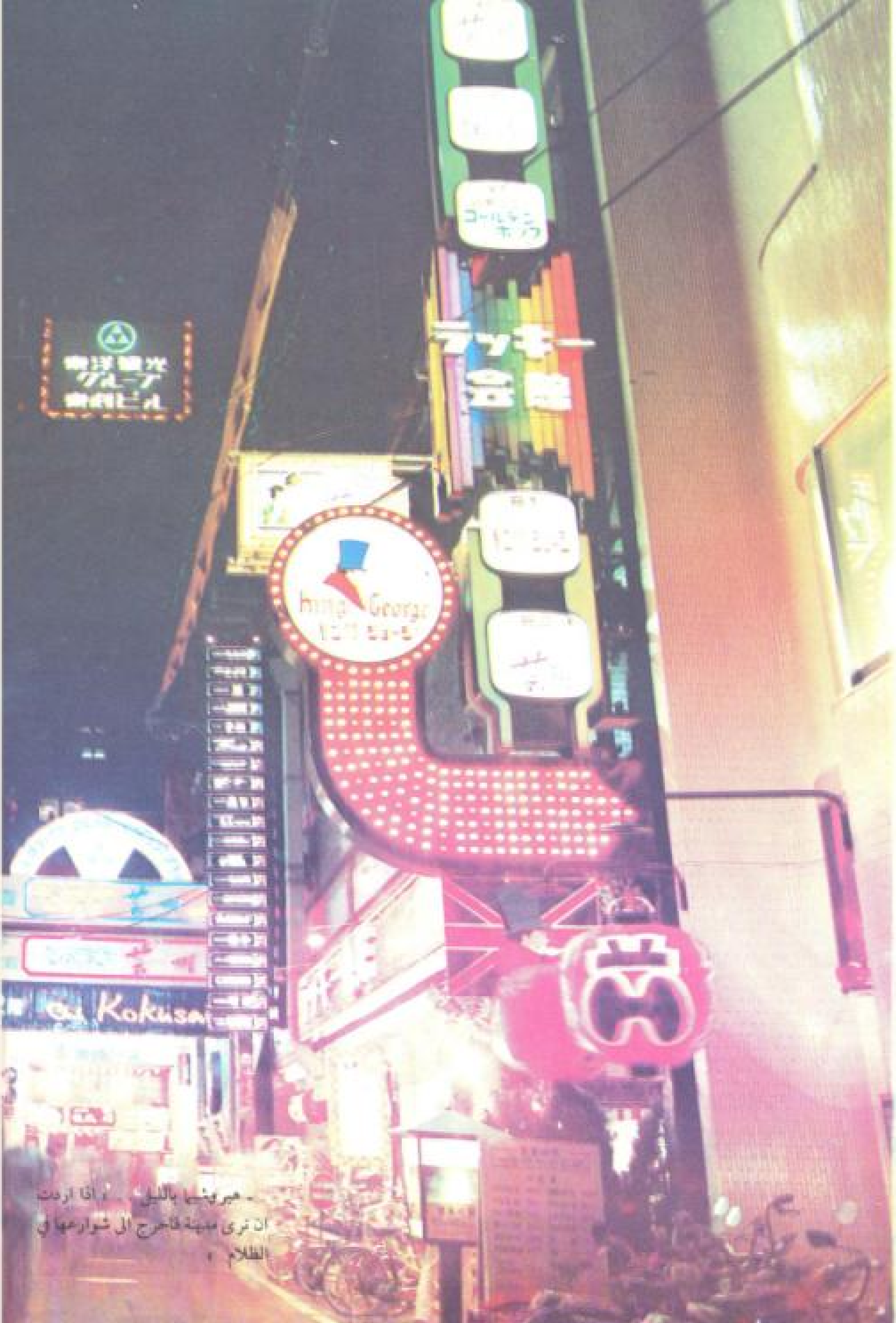

- هيروشيما بالليل .. واذا اردت ان ترى مدينة فاخرج الى شوارعها في الظلام .

ـ صلاة من أجل السلام .

ـ الهروب من الجحيم . . أم مع طفليها .

ـ الجرس يدق للسلام مرة كل عام .

ـ احد شوارع هيروشيما الحديثة خلال النهار ... انه يكاد يخلو من المارة ، لأن الجميع في أعمالهم ...

نفسها وبناء الحب من أجل السلام وبناء الانسان الياباني الجديد الذي نزعوا عنه الروح العسكرية وغرسوا في وجدانه الحب من أجل السلام والبناء والحياة .. »

ومن وراء نافذة الطائرة التي حملتنا من طوكيو العاصمة وثاني أكبر مدينة في العالم رأينا معالم المدينة الجديدة .. مدينة هيروشيما بعد رحلة استغرقت ساعة وبعض الساعة .. وفاق ما رأيته كل ماكان يدور في رأسي منذ تلك اللحظة التي بدأنا نستعد فيها لزيارة هذا البلد البعيد الذي يسبح بجزره في المحيط الهادي ، بعد أن عاد الهدوء الى أمواجه العاتية التي ابتلعت مئات الالوف من البشر في الحرب التي شوهت وجه البشرية !

وكنا كلما ازداد اقتراب الطائرة من الارض وهي تستعد للهبوط ازدادت دهشتنا .. هل يمكن أن تكون هذه هي هيروشيما ؟ ان الصورة التي بقيت عالقة في ذهني على مدى هذه السنين التي أعقبت الحرب العالمية الثانية هي صورة الفراغ المخيف الذي تخلف عن القنبلة الذرية .. والتي نقلتها كل صحف العالم وبعدها لاشيء .. هل كان تقاعسا من جانب أجهزة الاعلام عندهم ؟ ربما .. ولكن الاحتمال الاكبر هو ان اليابان لم تنفتح على العالم العربي الا في السنوات الأخيرة .. وربما كان هذا أحد الاسباب التي أخفت عنا وجه اليابان الجديد رغم هذا الزخم الهائل من السلع والمنتجات اليابانية التي امتلأت بها الاسواق العربية من الراديو الترانزستور الى السيارة .

كل شيء جديد !

وكان لقاؤنا أخيرا بهيروشيما .. مدينة جميلة كادت بيوتها تختفي وراء الأشجار الخضراء الباسقة والزهور والحدائق .. مدينة حديثة .. كل شيء فيها جديد حتى الناس الذين تلقاهم في طريقك .. انهم يمثلون جيلا جديدا من الشباب والاطفال الذين جاءوا الى

ـ البيوت الحديثة في هيروشيما قامت عند سفح الجبل في صفوف متراصة فوق بعضها بعضا .

هذه الارض بعد الطوفان . . قليلون هم الذين عاشوا مأساة هيروشيما ورأوا المدينة تحترق . . ولكن كلهم يعرفون قصة هيروشيما . . بعضهم جلس ينصت اليها وهي تنقل اليهم على السنة الذين كتبت لهم الحياة . . وبعضهم رأوها ماثلة أمامهم من خلال الصور والتماثيل التي امتلأ بها متحف السلام في هيروشيما . . والاغلبية عرفوا تفاصيل المأساة أمام البيت الذي دمره حريق القنبلة وتركوا مابقي منه وسط حديقة السلام التذكارية في قلب المدينة وقريبا جدا من المكان الذي سقطت فيه قنبلة الفناء . .

والبيت لايمكن أن تخطئه عين . . انه يقف هناك في مكانه وكان من أجمل المباني التي شيدت في هيروشيما قبل الحرب . . ولايملك من يمر أمامه الا ان يتوقف ويتساءل : « ولماذا أبقيتم عليه ؟ » ويجيء الجواب « حتى لاننسى ! » ومع هذه المقدمة القصيرة تتابع القصة الكاملة للمأساة يرويها لك حارس الحديقة اذا كنت زائرا ولم تسمعها وحتى الذين قرأوا عنها وسمعوها تجدهم على استعداد دائما لان يسمعوها مرة ثانية وثالثة ، كلما مروا بالبيت الذي أحرقته القنبلة ووقفوا يتأملون مايحمله من ذكريات . .

ونجول في أنحاء هيروشيما . . الاشجار الوارفة ولون الزرع الاخضر . . لون الحياة يضفي على المكان صبغة خاصة . . على كل مكان ذهبنا اليه خلال رحلتنا القصيرة التي لم تستغرق اكثر من أربع وعشرين ساعة ، كانت تحتضنه وتحنو عليه الأشجار التي زرعوها ونمت وكبرت حتى باتت تغطي بفروعها وأوراقها كل شيء حولها . . لقد عادت الحياة الى الارض التي احترقت ونفذ الاشعاع القاتل الى اعماقها !

البيوت الصغيرة شيدت عند سفح الجبل في صفوف متراصة تعلو بعضها فوق بعض . . العمارات الشاهقة والفنادق الأنيقة والمطاعم التي تنتشر في كل شارع . . في كل متجر كبير . . وحتى في دور الحكومة ، تقدم لروادها الوجبات في

- مدينة يجري كل شيء فيها على عجلات . فقد قام في هيروشيما اكبر مصنع لانتاج الدراجات .

- صورة من الحياة التي يمكن أن تراها في أي مكان من مدن اوروبا لولا اللافتات التي كتبت باللغة اليابانية .

ـ الجيل الجديد أو المستقبل .. وجوه بريئة لا تعرف عن هذه المدينة الجميلة الا يومها وحاضرها في هذا السن على الأقل .

مواعيدها . . وهي تهتم بوجبة الغداء ، لان يوم العمل يبدأ في الصباح ولاينتهي الا قبل غروب الشمس بقليل . . وليس هناك متسع من الوقت يسمح للعاملين والموظفين بالذهاب الى منازلهم لتناول الغداء والعودة الى أعمالهم مرة أخرى . . ثم ان الزوجة أيضا تعمل . . والاطفال في مدارسهم ، أو في دور الحضانة ، وشمل الاسرة لايجتمع الا عند الغروب . .

دور المرأة !

والمرأة في اليابان ليست عضوا خاملا في المجتمع . انها تشارك الرجل في المصنع وفي الحقل وفي شتى مجالات الحياة قبل الزواج وبعد الزواج . . وربما كان دورها هنا في هيروشيما أكبر وأهم منه في أي مكان آخر . . فقد ساهمت مساهمة فعالة في اعادة الحياة الى هذه المدينة التي ماتت ثم بعثت الى الحياة من جديد . .

والفتاة اليابانية تتزوج ولكنها تفضل ان تدخل هذه التجربة بعد سن النضوج ، وهو عندها حول الخامسة والعشرين . أما متوسط سن الشاب الذي يقدم على الزواج فهو يرتفع قليلا الى الثامنة والعشرين . .

قال لنا صديقنا الذي رافقنا خلال رحلتنا الى هيروشيما » : ان الاحصائيات تقول أن هناك عرسا يتم كل أربعين ثانية في اليابان وأن معظم الزوجات يفضلن الاستمرار في عملهن بعد الزواج . . وهذه الاسر الصغيرة الجديدة غالبا ماتكتفي بطفل واحد أو طفلين على الاكثر . . ولذلك فان نسبة الزيادة في تعداد السكان لاتزيد على سبعة من عشرة في المئة ، أي أكثر من نصف في المائة قليلا . .

ويقام تسعون في المائة من حفلات العرس في معابد الشنتو(1) وقد زرنا أحد هذه المعابد الشهيرة بمدينة هيروشيما ، وهو يقع على الجانب الآخر من شاطىء الخليج الدافىء الضيق الذي تجري فيه العبّارات التي تربط بين قسمي المدينة اللذين تفصل بينهما مياهه . . معبد كبير يأتي اليه الزائرون من كل مكان . . وقد بقي على ماهو عليه باستثناء بعض الدمار الذي أصابه من الانفجار الذري ، ولكنه صمد وأعيد ترميمه رغم مرور ثمانمائة عام على بنائه وتوسيعه في القرن الثاني عشر الميلادي . .

وحول المعبد الكبير رأينا قطعان الغزلان تمرح في هدوء وتشارك الزائرين الطعام الذي يحملونه معهم . . ان الغزال هنا حيوان مقدس وهو يتكاثر وينتشر في المنطقة المحيطة بالمعبد على شاطىء الخليج مباشرة . . ثم هو لايكتفي بالطعام الذي يقدم اليه ، وانما يشارك أيضا في مهرجان البحر الذي يقام أمام المعبد في اليوم السابع عشر من شهر يونيو من كل عام ، عندما ترتفع مياه الخليج ويزداد المد ويبدو المعبد كله وكأنه يسبح في البحر . .

وتضاء الانوار وتعزف الفرق الموسيقية الحانها ويرقص الزائرون على أنغامها الهادئة وترقص الغزلان طربا . .

ونترك المعبد ونستقل العبّارة عائدين الى المدينة . وكانت الشمس قد أوشكت على الغروب . . ولا أدري لماذا ولا كيف قفزت الى رأسي فجأة كلمات قرأتها لارنست هيمنجواي عندما قال : « اذا أردت أن تتعرف على شعب ، فاخرج الى الشارع عندما يغوص قرص الشمس في الأفق ويلف الظلام المدينة التي جئت اليها تبحث عن الحقيقة ! »

ولم نعد الى الفندق ، لقد مضينا نجول في شوارع هيروشيما بالليل . . كان هذا « العالم الجديد » من حولنا يسبح في الاضواء . . الشباب يغني للحياة الجديدة . . الطرق الواسعة تضيق بالدراجات التي تتزاحم للوصول الى قلب المدينة الذي ينبض بالحياة . . المحال التجارية والمطاعم ودور السينما واللهو تزدحم بروادها الكبار والصغار .

---

(١) الشنتو ، ديانة اليابان الأهلية وهي تقوم في المقام الأول على تقديس أرواح الأبطال والأباطرة والقوى الطبيعية ، والكلمة بمعناها الحرفي تعني الطريق إلى الآلهة . ولكن الشنتو ليس لها مؤسس ولا عقيدة ، ولا تعاليم مكتوبة ومع هذا فقد عاشت طويلا في اليابان . ثم جاءت البوذية والكونفوشية ، وتأثر اليابانيون بتعاليم كونفوشيوس فيلسوف فلاسفة الصين أكثر من الصينيين أنفسهم .

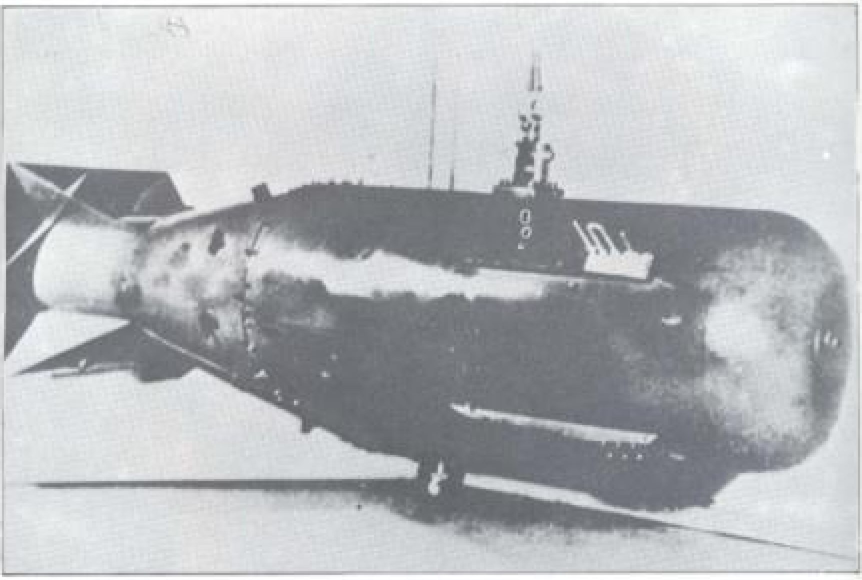

ـ القنبلة الذرية التي القيت على هيروشيما منذ اربعين عاما . . . كانت تحوي في جوفها كيلوجراما واحدا من الذرة التي اشعلت ابشع حريق على الارض .

الضحكات . . . الابتسامات على الوجوه . . انها فرحة الحياة !

أين نحن ؟

ونمضي في رحلتنا نتأمل صور الحياة الجديدة من حولنا . . كل شيء فيها يقول انها قد تكون احدى مدن أوروبا . . فهي قريبة الشبه بمدن المانيا وسويسرا . . ولولا هذه « الشخصيات » الغريبة التي كتبت بها أسماء المحال التجارية والشوارع والميادين التي تنتشر في كل مكان وتحمل كلها اسم « السلام » لقلنا أننا ضللنا الطريق وأن الطائرة قد حطت بنا في مكان آخر بعيد تماما عن اليابان التي عرفناها من خلال ملابس أهلها وتقاليدهم وعاداتهم . . اللغة اليابانية وحدها هي التي مازالت تميز هيروشيما وغيرها من المدن اليابانية عن أية مدينة أخرى . . حقيقة أن الحضارة الغربية بدأت تزحف على اليابان منذ منتصف القرن التاسع عشر أو أكثر أو أقل ولكن الزحف لم يكتمل ولم يتأثر به الياباني الا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبداية دخول اليابان عصر البناء الحديث . . بناء اليابان الجديدة فوق الدمار الذي أحدثته الحرب وحوّل اكثر من ٧٠٪ من مدنها الى انقاض وأشلاء . .

هنا في هيروشيما ، ومع الطفرة الهائلة التي حولتها من تراب محترق اختلط باشلاء ودماء الضحايا والاشعاع المميت ، الى واحدة من أكبر المدن الصناعية في اليابان . . هنا في المدينة التي كانت مسرحا للدمار الذري الذي أعلن عن بداية عصر الذرة في الحرب والسلام تقوم اليوم احدى أكبر الشركات لصناعة السيارات في العالم . .

وهنا أيضا قامت المصانع لانتاج الدراجات الهوائية والنارية . . ووجد أهل هيروشيما في الدراجة أفضل وسيلة عملية للتنقل ، فأصبحت المدينة كلها تجري على عجلات . . وفي كل شارع ، في كل مكان يتسع لاقامة موقف للدراجات استطعنا أن نرى صورة لحجم هذا الاعتماد الكبير على الدراجة التي

ـ احتفال بعرس في هيروشيما « العريس » مع اصدقائه يؤرجحونه في الهواء بأمر التقاليد !

ـ وجوه من هيروشيما .

ـ عجوز ، على وجهها اخاديد المأساة .

ـ لم تكن هناك وقت الانفجار .

راهب بوذي لا يكف عن الصلاة

- تحية .. وزهور وابتسامة للحياة .

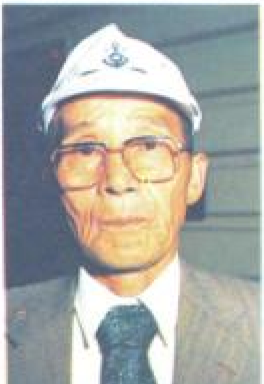

- إثنان من المحاربين القدامى .. رأيا جهنم على الأرض .

- أستاذ جامعي عاش الحريق

يستخدمها معظم أهالي المدينة .. الشباب والشيوخ .. النساء والاطفال من مختلف الاعمار .. !

عودة الى الأرض

ان اقتصاد المدينة التي أرادوا لها الموت ، لايعتمد على الصناعة وحدها ، فقد عاد أهلها الى الارض أيضا وراحوا يستصلحونها ويزيلوا عنها آثار الدمار والحريق والاشعاع السام المدمر .. وأصبحت اليوم من أكثر أراضي اليابان الزراعية عطاء .. انها تنتج الان جميع أنواع الفاكهة وفي مقدمتها اليوسفي الذي تصدره الى مختلف انحاء البلاد .. وكل انواع الزهور في بلد يعشق أهله الورود والرياحين والاشجار الخضراء الوارفة التي تظلل كل شبر من الارض بقي شاغرا ، حتى ليخيل اليك وانت تنتقل ببصرك خلال جولتك بين شوارعها ومبانيها الحديثة أن الاصل هو الزرع ، وأن المباني من حوله انما جاءت بعد البساتين والحدائق وصفوف الاشجار التي تلقي بظلالها على جانبي الطرق الفسيحة التي تتقاطع في شكل هندسي رائع بطول المدينة وعرضها عبر الكباري والجسور التي أقيمت فوق مياه الخليج وفوق أحد فروع نهر اوتا الذي تتدفق مياهه الحلوة في قلب المدينة .

وفي هيروشيما كان لقاؤ نا بالمعنى الكبير الذي تحمله كلمة السلام التي اصبحت أغنية ونشيدا وصيحة مايزال صداها يدوي كل عام مع ذكرى اليوم الذي ماتت فيه المدينة .. في الميادين ، ووسط الحدائق العامة ، حول الارض الفسيحة التي تحيط بمتحف هيروشيما الذي يحكي قصة مأساتها .. وفي كل مكان يمكن أن تصطدم عين الزائر به ، رأينا ترجمة رائعة شارك فيها العديد من الفنانين اليابانيين وغير اليابانيين .... هؤلاء الذين جاءوا ويجيئون مع مولد كل عام من الاعوام الاربعين التي مضت والتي سوف تجيء .

السلام .. السلام

هناك النصب التذكاري الذي أقيم قريبا من المكان الذي سقطت فيه قنبلة الموت وقد حفروا عليه باللغة اليابانية عبارة تقول « كتب من الماضي » وتحوي هذه الكتب أسماء كل الذين أحرقتهم القنبلة الذرية ثم عبارة تحمل صلاة ورجاء : « لترقد كل الارواح هنا في سلام .. لاننا لن نعيد الشرور التي ارتكبت » .

ثم المقبرة الجماعية التي تحوي رفات اعداد لاتحصى ولاتعد تحت مرتفع أقاموا فوقه نصبا ، ومن حوله أشجار خضراء وارفة تظلل المكان الذي اختلطت فيه الاجساد المحترقة بأديم الارض التي تكسوها الحشائش الخضراء ..

وعند تمثال أطفال القنبلة وقفنا نستمع الى قصة الطفلة الصغيرة التي احترقت بعد تعرضها الى الاشعاع الذري وهي ذاهبة الى مدرستها في الصباح لحظة القاء القنبلة واندلاع الحريق الهائل .. لقد كانت مأساتها هي التي حفزت أهالي هيروشيما الى اقامة هذا النصب التذكاري في الحديقة العامة للسلام تعبيرا عن أملهم في قيام عالم يسوده السلام بعيدا عن شبح القنابل الذرية .

قال لنا مرافقنا : « ومع هذا الامل تدوي دقات هذا الجرس وترتفع الصلوات من أجل السلام ، في ذكرى احتراق هيروشيما في السادس من اغسطس كل عام !

ثم أشار بيده الى الجرس الذي مضى يدق على مدى هذه السنوات الطويلة .. انه يتدلى تحت قبة شيدت من الاسمنت المسلح لتحميه من مياه الامطار حتى لايعلوه الصدأ وتخفت دقاته التي يريدون لها أن تبقى قوية عالية تدوي تحت سماء هيروشيما ..

وتماثيل أخرى كثيرة امتلأت بها المدينة التي تعيش المستقبل وتصلي من أجله ، ولا تنظر أبدا الى الوراء .. تمثال المدرسة التي تحمل طفلا احترق في الجحيم الذي نزل الى الارض .. تمثال رجل وامرأته وطفلهما يصلون من أجل السلام .. وآخر لأم مع طفليها في محاولة للهرب من هذا الجحيم ! وأخيرا « نافورة » السلام التي تتدفق منها المياه وتتجمع حولها الحمائم والاطفال !

ثم ماذا ؟ قال لنا مرافقنا الياباني الذي يتحدث الانجليزية بطلاقة وهو يشرح لنا معنى السلام الذي أعادت اليابان في ظلاله بناء نفسها من جديد : « لقد استسلمت اليابان في الحرب العالمية الثانية بعد ضرب هيروشيما ، ثم ناجازاكي بالقنبلة الذرية .. ولكن

ـ جانب من المتحف الملحق بمعبد الشنتو الذي نجا من الحريق المدمر .

ليس معنى هذا ان اليابان قد ركنت الى الاستسلام .. بالعكس .. ان هناك فارقا كبيرا بين السلام والاستسلام واذا كنا قد استسلمنا ، فلأننا أردنا ان نجنب أنفسنا وأعداءنا مزيدا من الدمار والقتل .. ان لدينا اليوم جيشا قويا .. ونحن قادرون على الدفاع عن أنفسنا ضد أي عدوان .. ولكننا أبدا لن نكون البادئين بالعدوان .. لقد ارتكبت اليابان أخطاء كثيرة ابان الحرب ، ولكنها لن تتكرر .. ثم نحن لانملك القنبلة الذرية ، ولن نمتلكها ، فنحن لانريد أن نصنع بأحد ماصنعه أعداء الامس بنا ، ومن أجل هذا ندعو الى قيام عالم جديد تعيش فيه البشرية بعيدا عن شبح هذا السلاح المدمر الذي سيقضي على الحياة كلها في أي حرب ذرية !!

وتبقى بعد هذا قصة هيروشيما .. المدينة التي عادت الى الحياة من جديد .. ترى كيف بدأت الحياة في هذه البقعة من الأرض ؟

أقرب تاريخ لهذه البداية كان منذ أربعة قرون أو في عام ١٥٨٩ على وجه التحديد عندما شيد أحد امراء الاقطاع في اليابان واسمه تيروموتو موهري قصرا عند مصب نهر اوتا وأطلق على القصر اسم « هيروشيما » .. وبعدها بدأت المدينة تنتعش واشتهرت بين اليابانيين باسم « مدينة القصر » ، ثم راحت تنمو وتتسع كواحدة من أجمل مدن اليابان !

ثم كانت الحرب العالمية الثانية التي انتهت بدورها ، بعد ان تحولت هيروشيما الى ترسانة عسكرية .. وكان تحول « مدينة القصر » الى مخزن للاسلحة والعتاد الحربي ، هو السبب المباشر في اختيار الامريكيين لها ، دون سائر المدن اليابانية لضربها بأول قنبلة ذرية .. !

.. ثم بدأت الصحوة !

هيروشيما كانت قمة المأساة التي تعرضت لها اليابان في الحرب فقد كان الدمار فيها شاملا كما ذكرنا لم يبق منها شيء ولو صغيرا يوحي بالحياة التي كانت تنبض بها هذه المدينة الصغيرة قبل الجحيم الذي احترقت فيه .. ولكنها لم تكن وحدها فقد كان الدمار ، كما ذكرنا ، قد عم أجزاء كبيرة ومساحات هائلة من مدن اليابان وقراها .. في الريف والحضر .. في المصانع والمزارع ، كان حجم الكارثة التي حلت بالبلاد اكبر من كل تصور ..

ـ متحف السلام . هذا اسمه ، ولكنه يحوي في داخله قصة هيروشيما كاملة بالصوت والصورة .

ـ العبّارات التي تنتشر في مياه الخليج وتربط بين شطري المدينة

ـ لورد اقطاعي .. لم يبق منه الا تمثال !

ـ شارع في المدينة التي قامت فوق الحطام والركام .. انها ارادة الانسان الذي انطلق يبني من العدم .

- الغزال المدلل في الأرض المحيطة بمعبد الشنتو الشهير .. انه حيوان مقدس يأتي الزائرون ليقدموا له الطعام ، ويحتفل مع أهل المدينة « بيوم النحر » فيرقص على أنغام الموسيقى

ولكن كانت هناك دولة ومن ورائها شعب يرفض الهزيمة . . وقام الاثنان قومة رجل واحد ، وكان الهدف الملح والعاجل هو اعادة بناء وتعمير البلاد وانقاذ الاقتصاد القومي الذي اصيب بانهيار شامل . .

في البداية كانت الحاجة الى لقمة العيش تزداد الحاحا ، فالشعب جائع والمواد الغذائية شحيحة . . وبدأت الحكومة على الفور في تنفيذ برنامج توزيع الغذاء على الاهالي . ثم كانت المشكلة الثانية التي تمثلت في التضخم المالي الذي أحدثه اصدار الاوراق المالية بلاحساب فى اثناء الحرب وكانت من أعقد المشاكل التى واجهت اليابان .

وكان الموقف العصيب يتطلب نهضة قومية شاملة ، ولكن من أين تبدأ وكيف ؟ واتجهوا أول ما اتجهوا الى الارض والى الاصلاح الزراعي ، من واقع المنطق الذي يقول إن المعدة الخاوية لاتعمل،وازداد الاهتمام بالزراعة نتيجة لانخفاض نسبة النمو الزراعي حتى في الفترة التي سبقت نشوب الحرب مباشرة نتيجة لنزوح أعداد هائلة من المزارعين الى المدن تاركين الريف يلفه الاهمال والنسيان ، فلما أعادوا توزيع الارض على المزارعين الذين أصبحوا ملاكها الجدد قوى التصاقهم بها واعتمادهم على نتاجها،وتضاعفت رغبتهم في العمل في الارض التي نسوها وهجروها . .

كانت البداية اذن في الارض ومع الزرع ولكنهم لم يهملوا الصناعة ، وعمدت الدولة الى توزيع أموالها التي كانت تتركز في المدن ، لتشمل الريف أيضا بعد أن انخفض عدد العاملين في الزراعة من ٤٥٪ ١٩٥٠ الى ١٩ ٪ فقط عام ١٩٦٧ ، نتيجة للحاجة الملحة الى الايدي العاملة في المناطق الحضرية حيث تتركز كل المصانع اليابانية . .

واستطاعت السياسة الجديدة للاصلاح الذي واكب حركة البناء والتعمير في كل أنحاء البلاد ، ان تحقق زيادة ملموسة في الانتاج الزراعي أغنت اليابان عن استيراد الكثير من المواد الغذائية التي كانت تنفق الملايين في سبيل توفيرها لعامة الشعب . .

ومضت عجلة الانتاج تدور ، وسياسة الاصلاح الاقتصادي تنطلق حتى وصلت باليابان الى ما وصلت اليه الآن من تقدم في مجال الصناعة تقفز بها الى الصفوف الاولى بين الدول الصناعية الكبرى . . والحديث يطول وليس هذا مجاله . . وسوف نعود اليه في مجال اخر .

اعظم مباراة !

المهم أن هيروشيما ، كان لها النصيب الأوفر من هذه الاصلاحات ومن الجهود التي بذلت لاعادة الحياة اليها من العدم ، وربما نجد في بعض النتائج التي تحققت صورة لحجم هذا المجهود الذي شارك فيه اليابانيون ليصنعوا الحياة الجديدة على هذه الارض التى احترقت منذ أربعين عاما . .

لقد كان تعداد سكان المدينة حوالي ٣٥٠ الف نسمة لم يبق منهم احياء أكثر من خمسين ألف ممن شاء حسن حظهم أن يكونوا وراء الجبل الذي حماهم من وصول الاشعاع الذري اليهم . . وكانت مساحتها لاتزيد على ٦٥٠ كيلو متر مربع وقت الحريق المدمر . .

واليوم يعيش في هيروشيما أكثر من مليون نسمة . . ولم تعد مساحتها كما كانت عليه ، فقد اتسعت رقعة الارض في بلد تشكل فيه سلسلة الجبال أكثر من ٧٠ ٪ من كل مساحة الجزر اليابانية المأهولة ، فقد لجأوا الى هذا الجبل نفسه وراحوا يقتلعون أحجاره المحترقة ويجرفون صخوره وترابه ويردمون بها أجزاء من الخليج . . وزادت مساحة اليابس وأصبحت هيروشيما اليوم تقوم على أرض تصل مساحتها الى ٧٥٠ كيلو متر مربع . .

وبعد خمس سنوات من اليوم ، سوف تشهد هيروشيما أهم حدث في تاريخها بعد خروجها الى عالم الوجود من العدم الذي صارت اليه ، فسوف تقام على أرض هيروشيما الدورة الاولمبية للالعاب الرياضية ، بعد كوريا في العام المقبل . . هكذا سوف تتاح الفرصة للعالم كله أن يشهد قصة صمود الشعب الذي أعاد بناء اليابان . .

قصة البلد الذي سقط جريحا ، ثم عاد يقف من جديد ويضمد جراحه وينطلق . . انها أعظم مباراة فاز فيها الفريق الياباني ضد الهزيمة والدمار . □

الهديّة..

الشاعر يعقوب السبيعي

هو الحُبُّ من شتى دواعيهمُ أدعى   فلا تمنحى الأصواتَ من حولنا سَمْعا
وإن مرت الأيامُ خلواً من الهوى   فلا تحسبى الأيام قد أحسَنَتْ صُنعا
فما كُلُّ من ألقى علينا تحية   محباً ، ولا من غابَ ضاقَ بنا ذَرْعا
هو الحبُّ يدعونا الى الفوزِ بالمُنى   فياخيرَ من يَدعو الى خيرِ ما يُدعى
يدور بنا حولَ النجوم مداعبا   وإن جدّ فالعشاقُ من حوله صرعى
دعانا الهوى همساً وقال لنا : ائتيا على الرغم أو طوعا ، فجئنا له طوعا
فوالله لا ينأى عن الحُبّ عاقلٌ   يرى نفحاتِ الله تدعوه للرُجعى
هنيئاً لقلبينا فقد شَعَّ فيهما   غرامٌ غدا زاداً لأفئدةٍ جوعى
فهيّا معى نسعى الى الغايةِ التى   تُضىء لها الأيام والروحِ والمسعى
كأن الذى بينى وبينك سابقٌ   وجودي ، فلما جئت كنت به أوعى
تجيئين لى من كل حلم مليئةً   بما يُسعد الأرواح أو يَمسَحُ الدمعا
وكنتُ أجُرُّ العمرَ - قبلكِ - متعباً   فمن ليلةٍ وَجْلى الى ليلةٍ وَجعى
أبثّ خِفافَ الصدر بالغيمةِ التي   ستمطرهُ وعداً فتملؤه زَرْعا
وتأتينَ لى من عالياتٍ مشيرة   الىّ بأنْ أرقى اليكِ وأن أسعى
أتدرين يا عصفورة الحُب ، كلما   خفضت جناح الوصل حلق بى سبعا
أفيضي علينا من عطاياك نغتنى   فان تصدق الأمطارُ لا يكذبُ المرعى

العالم ينتظر المذنب هالي

في نوفمبر من هذا العام، سيحل على كوكبنا زائر من الفضاء. إنه المذنب «هالي» الشهير الذي يزور كوكب الأرض مرة كل ست وسبعين سنة. ومنذ زمن والعلماء والفلكيون يستعدون للقاء زائرهم القادم من أعماق الكون للقياس والتصوير والتسجيل لمعرفة كل شيء عنه، ويبحث العلماء في الأضرار الرئيسية والجانبية التي يمكن أن تنتج عن مروره، من تلوث للغلاف الجوي للارض بتأثير غاز سيانيد الايدروجين السام الموجود في ذيل المذنب «هالي».

فما هي المذنبات وما هو أصلها ومم تتكون؟.. وما هو مذنب هالي؟ وما سر شهرته دون المذنبات جميعا؟ هذه الأسئلة جميعا يجيب عليها اثنان من كتاب العربي هما رؤوف وصفي الذي يقدم لنا دراسة متعمقة للمذنبات وتكوينها وأصلها وحركتها. والمهندس سعد شعبان الذي يقدم مادة وافية عن مذنب هالي وطريق مشاهدته، والجهود التي تبذل لاكتشاف ما بقي خافيا حوله

والمقالان مساهمة متواضعة تقدمها العربي لقرائها بمناسبة هذا الحدث الفريد.

المذنبات

جبال جليد في الفضاء

اعداد: رؤوف وصفي

يقترب مذنب هالي من كوكب الأرض في شهر نوفمبر القادم.. كرة هائلة متألقة من الغازات تجر وراءها ذيلا يبلغ طوله عشرات الملايين من الكيلو مترات.. فما هي المذنبات؟ ومن أين أتت؟ ومم تتكون؟ وهل هناك احتمال أن تصطدم بكوكب الأرض؟..

أقزام المجموعة الشمسية :

تتكون المجموعة الشمسية من الشمس وتسعة كواكب ـ وهي حسب بعدها عن الشمس ـ (عطارد ـ الزهرة ـ الأرض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ بلوتو) ، وكذلك نحو خمسة وأربعين قمرا طبيعيا تدور حول هذه الكواكب على أبعاد مختلفة . وبجانب هذه الأجرام العملاقة ، هناك عدد من الأجسام القزمة تتخلل المجموعة الشمسية هي المذنبات والكويكبات والشهب والنيازك .

ان أي نظرية تتعرض لدراسة أصل المجموعة الشمسية لا بد أن تعنى بدراسة هذه الأقزام الفضائية ، ذلك أن البعض منها يأتي من مناطق في الأطراف البعيدة للمجموعة الشمسية ، ومن ثم يحتوي على مواد لم تتغير منذ تكوين المجموعة الشمسية منذ حوالي ٦ ، ٤ بليون [1] سنة ، ولهذا كانت دراسة هذه الأقزام بالغة الأهمية للعلماء ، للتعرف على المراحل الأولى لتكوين المجموعة الشمسية . وستقتصر دراستنا في هذا المقال على المذنبات .

وتعتبر المذنبات من أعجب الأجسام الفضائية التي تجوب نظامنا الشمسي ، ويرجع هذا الى الطريقة الغريبة التي تظهر بها ثم تختفي وكذلك بسبب تغيير بعض المذنبات لمظهرها .

وتثير المذنبات عند ظهورها في السماء خوف الناس ، أكثر من أي جسم فضائي آخر . فالمذنب يبدو متألقا ويجر وراءه ذيلا طويلا جداً ، قد يمتد عبر الأفق ، ومن ثم يبدو شكله مروعا ، كإبرة فضية هائلة تشق نسيج الفضاء .

وظن الناس قديما أن المذنب نذير شؤم ، وأن ظهوره في الفضاء يعني دمارا فوق كوكب الأرض ، حيث تصادف حدوث حروب وكوارث طبيعية عند ظهور المذنبات في السماء .

ـ المظهر العام للمذنب .

(١) البليون : ألف مليون (١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ويكتب هكذا ١٠^{٩}

كما اعتقد الناس أن للمذنب شعراً طويلاً ينسدل وراءه [٢] ، ولم يكن العلماء قد اكتشفوا بعد طبيعة ذيل المذنب .

وعندما تقترب بعض المذنبات من الشمس ، يمكن لأي مشاهد فوق كوكب الأرض أن يراقبها بوضوح ، بالعين المجردة في أثناء الليل وخصوصا قبيل الفجر .

لقد تم اكتشاف حوالي ألف مذنب ، وفي الوقت الحاضر يتم اكتشاف مذنبات جديدة بمعدل خمسة الى عشرة مذنبات في العام ، ويطلق عليها أسماء مكتشفيها مثل مذنب كوهوتيك (عام ١٩٧٣) ومذنب وست (عام ١٩٧٥) وغيرها .

كرة الثلج القذرة

يتكون المذنب من غلاف غازي (يعرف بالذؤابة) يتخذ الشكل الكروي ، ويضم في مركزه مادة تعرف بالنواة ، ويسترسل من الغلاف الغازي ذيل طويل ، يمتد الى مسافات هائلة وراء المذنب .

ويمكن تقسيم المذنب الى : الرأس والذيل . ويضم الرأس ، النواة والغلاف الغازي . وتمثل النواة كتلة المذنب ، ويبلغ قطرها من ١٥ ـ ٣٠ كيلومتراً ، وهي مكونة من جزيئات مجمدة من الماء وثاني أكسيد الكربون والنشادر والميثان ، وكلها مختلطة بالغبار ، ومن ثم أطلق على النواة : كرة قذرة من الثلوج .

ويرى العلماء أن النواة مكونة من عدة أجزاء من الصخور ملتصقة ببعضها ومواد هشة ، بها مسام كالاسفنج ، وتحتوي على تجاويف غازية متفجرة .

ويكمن سر المذنب في نواته ، ولكن بسبب صغر حجمها فان من الصعوبة دراستها بمراصد كوكب الأرض ، ومن ثم يلجأ العلماء الى الدراسة الطيفية [٣] للغازات التي تنشأ عن تحلل النواة عند اقترابها من الشمس . وقد اتضح من هذه الدراسةوجود الكربون والنيتروجين والايدروجين والاكسجين بين هذه الغازات .

وفي الموطن البعيد للمذنبات على مسافة شاسعة من الشمس ، فان هذه الغازات تتجمد مكونة غازات الميثان والنشادر والثلوج .

واتضح للعلماء أنه على بعد حوالي ثلاث وحدات فلكية [٤] من الشمس ، تصبح النواة ساخنة الى حد أنها تطلق كميات من الغازات ، ومن ثم يبدأ المذنب في تكوين الغلاف الغازي والذيل ، ويمكن معرفة نسبة تبخر الغازات من النواة الى الغلاف الغازي من كمية الضوء التي تمتصها الغازات ثم تعيد اشعاعها ، وهذا بدوره يوضح كمية الطاقة الشمسية التي تمتصها النواة حتى تسخن وتطلق الغازات .

وتأكد العلماء أن النواة تتكون من مواد هشة ، عندما شاهدوا من خلال مراصدهم نوى حوالي خمسة وعشرين مذنبا وقد انقسمت الى أجزاء ، سواء في أثناء اقترابها من الحضيض الشمسي ، أو عند مرورها بالقرب من كوكب المشتري ، ويرجع هذا الانقسام في النواة الى شقوق تحدثها القوى المدية الناتجة عن قوة جاذبية الشمس أو كوكب المشترى .

ويرجع هذا الانقسام في النواة أيضا الى أنها تتكون من مواد مجمدة ، أصبحت ضعيفة بسبب اطلاقها للغازات ، ومن ثم تحدث بها الشقوق فتنقسم .

وقد استطاع العلماء الحصول على عينات من غبار الفضاء ـ يعتقد أنها من حطام المذنبات ـ واتضح عند تحليلها أنها غنية بالكربون وذات لون أسود ، ومن ثم استنتج العلماء أن نواة المذنب مغطاة بطبقة سوداء من الكربون على الأقل ، عندما تكون مجمدةفي موطنها البعيد عند أطراف المجموعة الشمسية ، ولكنهم لم يتأكدوا تماما من هذا الأمر ، حيث ان الغلاف الغازي الذي يحيط بالنواة يكون شديد التألق ، ومن ثم

---

(٢)اشتقت الكلمة الانجليزية Comet أي مذنب من الكلمة اليونانية Koma وتعني الشعر .

(٣) أي تحليل الضوء للتعرف على العناصر التي تكون مصدره .

(٤) وحدة لقياس المسافات داخل المجموعة الشمسية ، وهي تعادل المسافة بين كوكب الأرض والشمس ، أي حوالي ١٥٠ مليون كيلومتر .

يصعب رؤية النواة من مراصد كوكب الأرض .

وقد تتركز هذه الطبقة من الكربون فوق سطح نواة المذنب بعد تبخر طبقات الثلوج عندما يبتعد المذنب عن الشمس ، وهذا يفسر اطلاق كميات هائلة من الغبار عندما يعود المذنب للاقتراب من الشمس ، ولهذا يتخيل العلماء أن المذنب يشبه جبلا من الجليد يسبح في الفضاء وهو مغطى بطبقة من الغبار الأسود .

الغلاف الغازي المتألق

أما الغلاف الغازي للمذنب (الذؤابة) فهو عبارة عن سحاب رقيق يحيط بالنواة وقد يبلغ قطره حوالي مائة ألف كيلومتر أو أكثر .

ويتكون الغلاف الغازي للمذنب كما يلي : عندما يقترب المذنب من الشمس تبدأ المواد المجمدة في النواة في الذوبان والتبخر بسبب الرياح الشمسية (٥) . أي أن الغلاف الغازي يتكون من مادة النواة التي تحولت الى غازات وغبار ، وقد يفوق حجمها كوكب الأرض بعشرات المرات .

ويبدو الغلاف الغازي متألقا ذلك أن الذرات التي تتحرر من نواة المذنب الصلبة ، تتعرض للاشعاعات الشمسية التي تحولها الى ذرات مثارة ، أي أن الاشعاعات الشمسية وخصوصا فوق البنفسجية تؤثر على الذرات فتغير من تركيبها الداخلي ، وتنطلق منها الالكترونات . ويطلق على الذرات التي فقدت أو اكتسبت الكترونات : أيونات ، ويكون لها القدرة على الاشعاع والتألق .

أما السبب الثاني في تألق الغلاف الغازي فيرجع الى انعكاس أشعة الشمس على جزئيات الغاز والغبار المكون لها .

ويتوقف مدى تألق الغلاف الغازي على كمية الذرات فيه ، وعلى نوعيتها ، وأيضا على الأشعة فوق البنفسجية التي تمتصها ، وفي بعض الأحيان يزداد تألق الغلاف الغازي أكثر مما لو كان يعكس أشعة الشمس فقط .

واكتشف في عام ١٩٧٠ أن هناك سحابة هائلة من الأيدروجين تحيط بالغلاف الغازي للمذنب ، وقد يبلغ قطر هذه السحابة أكثر من مليون كيلو متر ، وربما تكون قد تكونت من تحلل جزئيات الماء في النواة بتأثير الاشعة فوق البنفسجية . للاشعاع الشمسي ، ويفقد المذنب جزءا من مادته في كل مرة يقترب فيها من الشمس ، وبعد دراسة مدى تألق خطوط الابتعاث (٦) في الغلاف الغازي والاشعاع من هالة الأيدروجين لتي تحيط به ، اتضح للعلماء أن المذنب يفقد عدة أمتار من سطح نواته في كل مرة يقترب من الحضيض الشمسي . وقد ينتهي المذنب تماما بعد حوالي ١٠٠٠ دورة حول الشمس .

وتختلف المذنبات فيما بينها في الحجم ، وكمية الغبار ، وربما في التركيب الكيميائي أيضا ، وهناك الكثير من المتغيرات بحيث يكون من الصعب التنبؤ بما سيكون عليه شكل المذنب وتألقه في المستقبل .

ذيل المذنب .. والأيونات

إن كتلة المذنب ـ التي تتركز في النواة ـ ضئيلة الحجم جدا ، فهي غير قادرة على الاحتفاظ بالغازات والغبار في الغلاف الغازي بقوة الجاذبية .

وبسبب تلك الجاذبية الضعيفة بين النواة والغلاف الغازي ، تتمكن الرياح الشمسية من دفع الغازات والغبار من الغلاف الغازي ، بعيدا عن المذنب ، لتكون منها ذيل طويل قد يبلغ طوله مائة وخمسين مليون كيلومتر أو أكثر .

ويبدو ذيل المذنب دائما في عكس اتجاه الشمس ، سواء كان المذنب يقترب من الشمس أو يبتعد عنها ، وذلك لأن الرياح الشمسية تضغط بقوة على الذيل الى الخلف ، فيظل دائما في الاتجاه المضاد للشمس . ويمكن أن نشبه هذا بفتاة ذات شعر طويل تواجه

---

(٥) سيل من الجزئيات ذات الشحنات الكهربية (غالبا بروتونات والكترونات) وتصدر من اكليل الشمس .

(٦) الخطوط التي تتخلل ألوان الطيف لمصدر ضوئي معين .

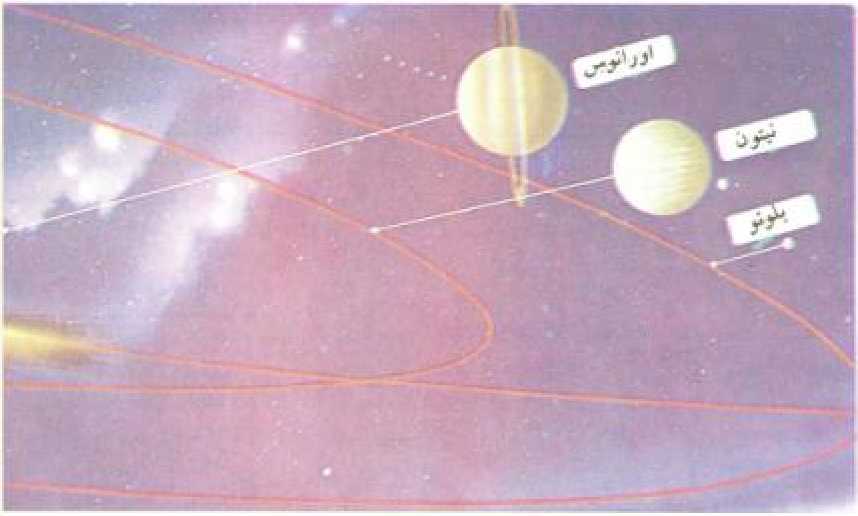

مذنب وست (١٩٧٥).

مذنب هوماسون (١٩٦٢)

الانفجارات التي تحدث في نواة المذنب عندما تقترب من الشمس .

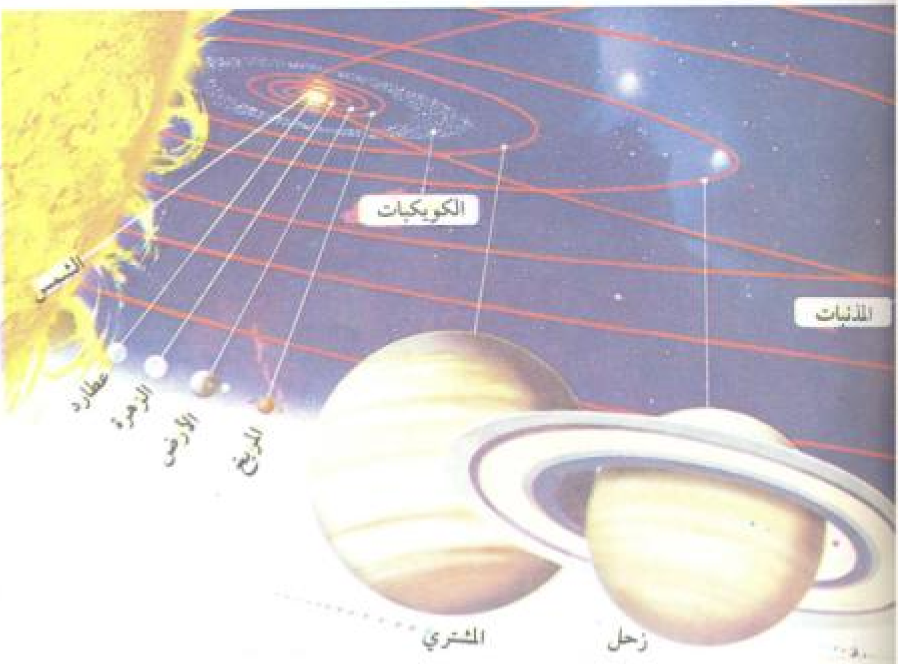

رأس مذنب هالي (١٩١٠)

صورة لمذنب كوهوتيك (١٩٧٣) (التقطها معمل الفضاء (سكاى لاب) بالأشعة فوق البنفسجية) .

الريح ، فيندفع شعرها الى الخلف أي عكس الريح ، وحتى اذا استدارت بجسمها فان شعرها يتجه الى أمام وجهها ، أي عكس الريح أيضا .

وقد أثبت العلماء أن قوة الدفع التي تؤثر على ذيل المذنب تنتج عن عدة عوامل ، منها ضغط فوتونات [٧] أشعة الشمس ، التي تصدم جزيئات الغلاف الغازي ، وهذا ما يطلق عليه (الضغط الاشعاعي) بالاضافة الى تأثير الرياح الشمسية . وفي واقع الأمر ، فان معظم المذنبات لها ذيلان يتفقان بأن كليهما بعكس اتجاه الشمس ، ولكنهما يختلفان في المظهر . فأحدهما ذيل عريض من الغبار يتكون من جزيئات الغبار ـ التي تعتبر شوائب في مادة النواة ـ والتي تنطلق عندما يتبخر جزء من المادة المجمدة في النواة بتأثير الضغط الاشعاعي . وكنتيجة لاستمرار دوران المذنب حول الشمس فان ذيل الغبار يميل الى الانحناء وراءه .

أما الذيل الثاني فيطلق عليه الذيل الغازي (أو الذيل الأيوني) ، ويتكون من الأيونات التي تنطلق من الغلاف الغازي ، ليتكون منها ذيل رفيع خلف المذنب بتأثير الرياح الشمسية ، وهو يتخذ شكلا مستقيما . ويحتوى الذيل الغازي على ذرات مؤينة (أي الكترونات ونوى ذرات) التي تتفاعل مع الرياح الشمسية ، فتعجل من ابتعاد الايونات عن الشمس ، فيتكون منها الذيل الغازي (الأيوني) .

وبينما تكون ذرات الجزيئات في الغلاف الغازي متعادلة كهربيا ، فان الجزيئات في الذيل الغازي مؤينة ، حيث أن كل جزيء قد فقد الكترونا ، ومن ثم أصبح ذا شحنة كهربية موجبة ، وبالتحليل الطيفي اتضح أن الذيل الغازي للمذنب يحتوى على أول وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين ، وبسبب قوة الرياح الشمسية فان سرعة أيوناته تبلغ عند رأس المذنب حوالي كيلومتر في الثانية ، أما بالقرب من نهاية الذيل فتبلغ تلك السرعة عدة مئات من

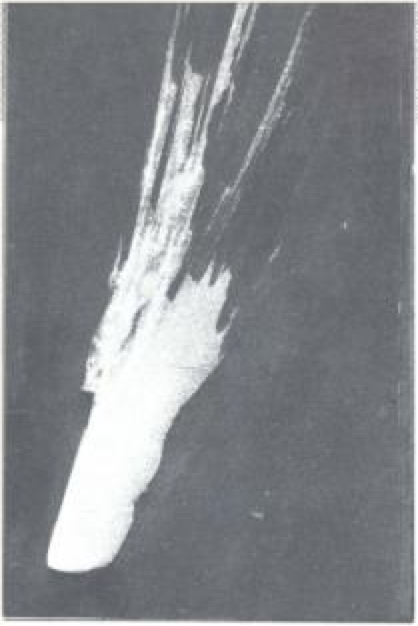

ـ مذنب مركس (١٩٥٧) يلاحظ ذيل الغبار (المنحني الى اليمين) والذيل الغازي « المستقيم » .

الكيلومترات في الثانية ، ومن ثم يتخذ الذيل الغازي الشكل المستقيم .

ومن أشهر المذنبات التي كان الذيل فيها واضحا ، مذنب (مركوس) في عام ١٩٥٧

صائد المذنبات

تتخذ المذنبات مدارات مختلفة حول الشمس ، وهي اما من القطع الناقص (بيضاوي) أو القطع المكافيء ، أو القطع الزائد .

ويتخذ القطع الناقص (البيضاوي) مدارا مغلقا مهما بلغت استطالته ، أما القطع المكافيء والقطع الزائد فمدارهما يتباعد الى مدى بعيد جدا . أي أن المذنبات تتخذ مدارات طويلة أو مدارات قصيرة في رحلتها حول الشمس .

وتقضي المذنبات ـ التي لها مدارات طويلة حول الشمس ـ زمنا طويلا جدا قد يبلغ آلاف السنوات أو أكثر بعيدا عن الشمس ، ومن ثم فانه من النادر أن

(٧) أحد الجزئيات الأولية الذي يتحرك بسرعة الضوء (حوالي ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية) .

يرى الناس مذنبا يعود الى الاقتراب من كوكب الأرض خلال الفترة الزمنية القصيرة لحياة الانسان .

وفي كل دورة تفقد بعض المذنبات بعضاً من طاقتها بسبب حدوث اضطراب ما ، قد يكون الاصطدام بعضها بعضا أو التأثر بجاذبية النجوم القريبة ، ومن ثم تتخذ لها مدارات قريبة من الشمس .

وهناك بعض المذنبات ذات المدارات القصيرة التي تأتي الى المجموعة الشمسية كل عدد من السنوات ، ذلك أن مداراتها قد انخفضت منذ زمن طويل ، بسبب قوة جاذبية المشترى

وعندما يمر المذنب بالقرب من كوكبي المشتري وزحل ـ وهو في طريقه نحو الشمس ـ فان مداره يتغير كثيراً ، فقد يبطيء ، الى الحد الذي لا تبقى لديه طاقة للعودة الى موطنه البعيد عند أطراف المجموعة الشمسية ، ومن ثم يستمر المذنب في مدار حول الشمس ، داخل مدار كوكب المشترى

ولهذا فقد أطلق على كوكب المشترى (صائد المذنبات) .

أصل المذنبات :

من أين تأتي المذنبات ؟

ان النظرية التي تلقى قبولا لدى معظم علماء الفضاء في الوقت الحاضر ، هي تلك التي جاء بها العالم الهولندي جان أورت في عام ١٩٥٠ ، بعد دراسة طويلة لمدارات المذنبات حول الشمس . وتقول النظرية ان هناك سحابة هائلة مكونة من حوالي ٣٠٠ بليون مذنب على مسافة تبلغ سنتين ضوئيتين [٨] من الشمس ، وقد أطلق عليها (سحابة أورت) نسبة الى اسم مكتشفها ، ويبلغ نصف قطرها حوالي سنة ضوئية .

ولكن كيف تكونت في الأصل ؟

تقول احدى النظريات ان المذنبات نشأت مع ميلاد المجموعة الشمسية ، أي منذ حوالي ٤,٦ بليون عام كما سبق واشرنا . ومن ثم تكونت (سحابة أورت) منذ هذا الزمن الموغل في القدم . وترجع نظرية أخرى أصل المذنبات الى المادة التي بين النجوم . فمن المعروف أن الفضاء بين النجوم يحتوى على ذرات وأيونات وجزيئات وجسيمات من الغبار ، واذا تم تجميد هذه المادة التي بين النجوم وضغطها في شكل كرة ، فان تركيبها الطبيعي سيماثل تماما نواة المذنب . وترى هذه النظرية أن الشمس وهي تدور في الفضاء حول مركز المجرة (طريق التبانه) ، فان مجال جاذبيتها يدفع بالمادة ما بين النجوم الى منطقة محددة تبعد عن الشمس عدة آلاف من الوحدات الفلكية ، وهذا يؤدى مع مرور الزمن الى تراكم هذه المواد فوق بعضها ، حتى تكون منها في النهاية (سحابة أورت) .

وتقول نظرية ثالثة ان المذنبات تأتي من بقايا السديم الأصلي الذي كون المجموعة الشمسية ، والذي يقع خلف مدار كوكب بلوتو

ويتساءل العلماء عن السبب الذي يدفع المذنب الى ترك موطنه في سحابة أورت والاتجاه الى الشمس ؟

هناك عدة نظريات تحاول تفسير هذا الأمر ، فتقول احدى النظريات أن للشمس رفيقاً خفياً هو النجم (نيميسيس) الذي يستغرق حوالي ٢٦ مليون عام ليكمل دورة حول الشمس ، وهذا النجم المعتم يقترب كثيرا من سحابة أورت ، ومن ثم يدفع ببعض المذنبات نحو المجموعة الشمسية وتستمر هذه المذنبات في مداراتها .

وتقول نظرية أخرى بأن هناك كوكبا عاشرا في المجموعة الشمسية أطلق عليه (الكوكب اكس) وهو يتخذ مدارا بيضاويا حاداومائلا ، ويتغير هذا المدار بسبب قوة جاذبية كواكب المجموعة الشمسية الاخرى ، وكل ٢٨ مليون عام يمر الكوكب اكس بشريط من المذنبات خلف مدار كوكب نبتون فيدفع ببعضها نحو كوكب الأرض . بينما ترى نظرية ثالثة أن دوران المجموعة الشمسية حول مركز المجرة هو السبب في قدوم المذنبات الى نظامنا الشمسي . □

---

(٨) السنة الضوئية : وحدة القياس المسافات في أعماق الكون ، وتعادل ما يقطعه الضوء في سنة كاملة ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر

مذنب هالي

زائر من أعماق الكون

اعداد : المهندس سعد شعبان

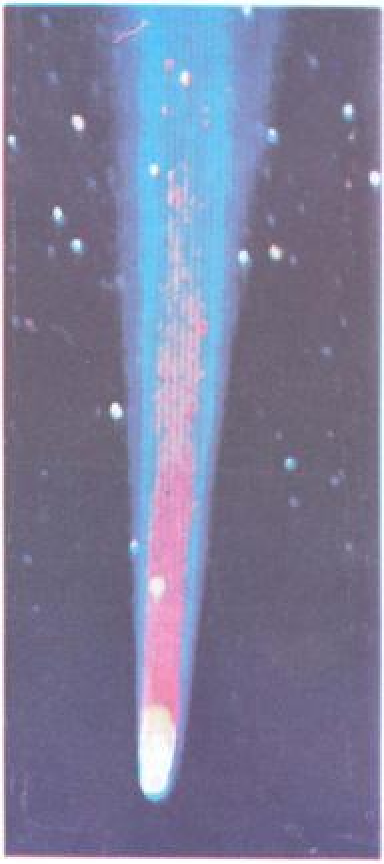

ـ تحليل لطيف المذنب هالي عام ١٩١٠ .

ـ السفينة جيوتو ستكون على بعد ٥٠٠كم من المذنب .

ظاهرة فلكية نادرة ستظهر في السماء في أوائل عام ١٩٨٦ ، وسبب ندرتها أن حدوثها يتكرر في دورة منتظمة كل ٧٦ عاما ، هذه الظاهرة هي « المذنب هالي » .

ولقد كانت آخر مرة ظهر فيها هذا المذنب في سماء الأرض في عام ١٩١٠ . ومعنى ذلك أنه لايحدث في عمر الانسان الواحد ـ الا نادرا ـ امكان مشاهدة هذه الظاهرة أكثر من مرة واحدة .

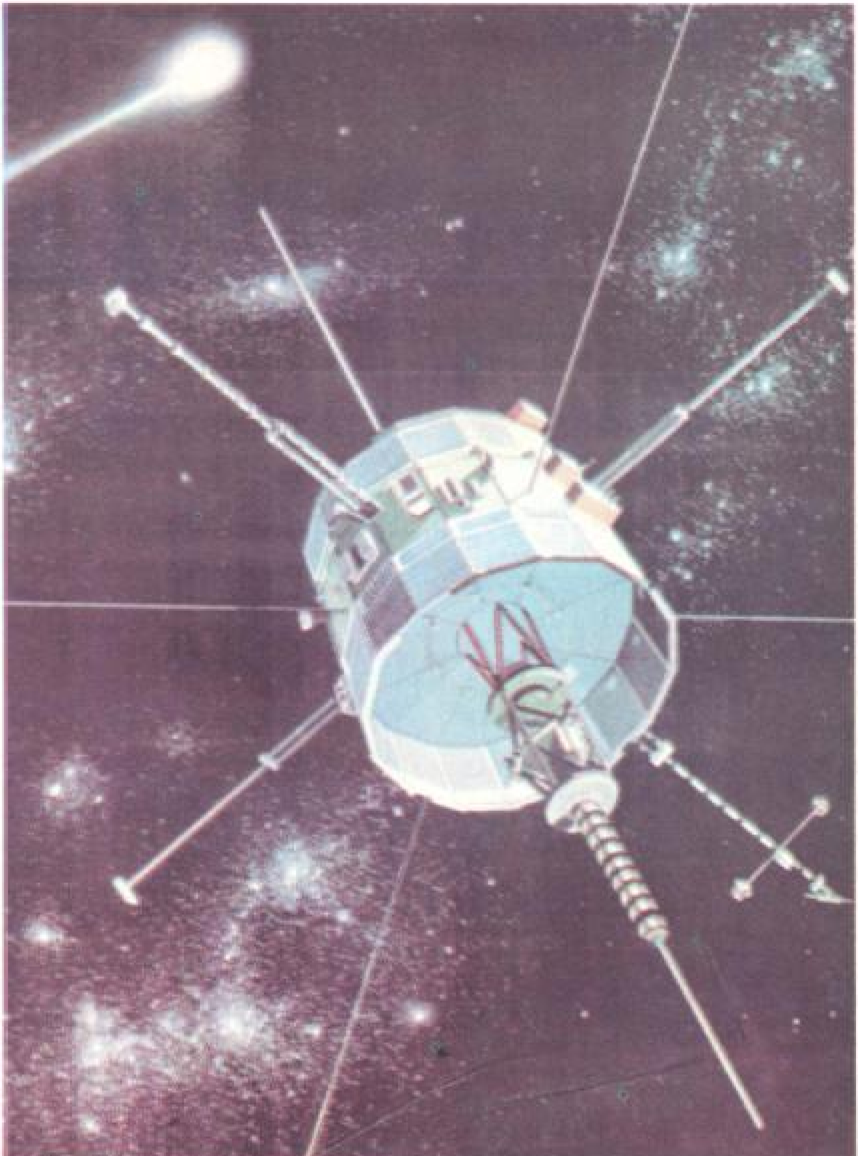

ـ القمر الأمريكي اكسبلورر (الكاشف) سيوجه نحو المذنب .

لقد سبق لاجدادنا على مر العصور أن شاهدوا هذا المذنب بالعين المجردة وتكرر ذلك بايقاع منتظم كل ٧٦ سنة . وسبق لبعضهم أن شاهدوا مذنبات أخرى ، ولكن بمناظير مقربة ، فكثير من المذنبات يتجول في الفضاء على هيئة فريدة تميزه عن سائر الاجرام الكونية ، فكل مذنب يجر خلفه ذيلا يمتد لعدة ملايين من الكيلومترات ، الأمر الذي يجعله واضحا وسهل المراقبة .

النجم ذات الشعور

والمذنبات ظاهرة فلكية ، نادرة الحدوث للمشاهدين لها على الأرض بالعين المجردة ، ولكنها بالنسبة للفلكيين حدث عادي ، قد لايظهر لمناظيرهم بين أجرام السماء كل يوم . والمذنب جرم كوني معروف بشكله المميز لأن كل مذنب يجر وراءه ذيلا شفافا ، ولذلك أطلق البعض عليه اسم « النجم ذات الشعور » . ولاتحمل المذنبات رسائل ولا دلالات ، الا في كونها كسائر المخلوقات في هذا الكون العجيب . غير أن « مذنب هالي » تفرد بالشهرة لأنه أمكن رؤيته بواسطة الملايين من سكان الأرض بالعين وبالمناظير عبر كثير من الحضارات . ولم يلتصق اسم العالم الفلكي البريطاني « ادموند هالي » بالمذنب الذي شوهد عدة مرات الا منذ عام ١٧٥٨ ، لأنه هو أول من أشار الى تكرار دورته كل ٧٦ سنة . فالثابت أن الصينيين شاهدوا هذا المذنب عام ٢٤٠ قبل الميلاد ، وأنه رئي بعد ذلك ٢٤ مرة مؤكدة حتى عام ١٩١٠ . الرسام الايطالي « جيوتو دي بوندون » قد رسم المذنب على جدران إحدى الكنائس عام ١٣٠١ ميلادية وأطلق عليه أسم « نجم بيتلهام » . وأتت دقة ملاحظة هالي في اكتشاف تكرار ظهوره في أعوام ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ أي كل ٧٦,١ سنة ولذلك فقد توقع بأنه سيظهر عام ١٧٥٨ . وأسر بذلك لاستاذه « اسحاق نيوتن » بما يتوقع ، مستندا الى ما اكتشف الأخير عن قوانين تحكم ميكانيكا حركة الاجرام السماوية . ولكن الأجل لم يمهل « ادموند هالي » حيث توفى عام ١٧٤٢ . وفي عام ١٧٥٨ صدق ماتوقعه وظهر المذنب في السماء ، فأطلق عليه اسم « هالي » احتراما لصدق نبوءة هذا الفلكي الذي كان استاذا للهندسة بجامعة اكسفورد وأدلى بمعلومات لم تكن معروفة عنه من قبل . وكان ضمن المراصد الفلكية التي أسهمت بجهد بارز في هذا الأمر مرصد حلوان بمصر نظرا لما تتمتع به سماؤها من صفو أغلب أيام العام . وتمتع الأحياء آنذاك برؤيته بالعين المجردة لعدة شهور .

وقد رصد الفلكيون رأس المذنب هالي عام ١٩١٠ وكان قطره ٥٥٠,٠٠٠ كيلومتر بينما كان قطر الهالة المحيطه به ٩٧٠,٠٠٠ كيلو متر ، وكان ذيله ممتدا الى مسافة ٤٨ مليون كيلو متر . وعندما اقترب المذنب من الأرض ، كان رأسه يبعد عنها مسافة ٨ ملايين كيلو متر ، وحفت نهاية الذيل بالارض . وظل العلماء يتابعون رصده وتصغيره حتى صار على مسافة ٨٥٠ مليون كيلومتر من الشمس ، فصعب على عدسات المراصد متابعته بعد ذلك ، فودع على أمل عودته بعد ٧٦,١ عاما أي في عام ١٩٨٦ .

وسيكون « المذنب هالي » ، زائر الأرض على أقرب مسافة من الشمس يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ ، وأقرب مايمكن من الارض مرتين ، أولهما في نوفمبر ١٩٨٥ والثانية يوم ١١ ابريل ١٩٨٦ .

وقد اكتشف العلماء من زياراته في المرات السابقة ، والقياسات التي أجريت مؤخرا أن مادة الذيل تحوي غازات متعددة مثل ثاني أوكسيد الكربون ، والميثان والنشادر ، كما تحوي مواد صلبة كالنحاس والكربون والسيلكون والحديد والمنجنيز والكارميوم . ويأمل العلماء أن يتجمع لديهم قدر هائل من التفاصيل في زيارة المذنب المقبلة والتي يمكن أن تتبع رؤيته حتى شهر مايو ١٩٨٦ . ولقد استطاعت بعض المراصد الفلكية الأرضية رصده قبل عدة شهور اذ تمكن مرصد جبل بالومار في كاليفورنيا الامريكية في ١٦ اكتوبر ١٩٨٢ من رؤيته وهو مازال يشق طريقه في الفضاء متجها نحونا بسرعة تقرب من ٥٢٠ كيلو مترا في الساعة .

نجم المذنبات

انفرد المذنب هالي بالشهرة دون غيره من المذنبات، لقربه من كواكب المجموعة الشمسية فيسهل رؤيته لعدة شهور بالمراصد الفلكية الأرضية، كما يمكن رؤيته بالعين المجردة لعدة أيام. ولقد كان آخر عهد الفلكيين بالمذنب هالي عام ١٩١٠، واستعد مئات العلماء في عديد من دول العالم على مدى ٦٠٠ يوم لعمليات رصد وقياس وتصوير وتسجيل أثرت في البحث العلمي.

تجارة المذنبات

بعد أن مضى على بدء عصر الفضاء قرابة الثلاثين سنة، بدأت الدول المتقدمة في بحوث الفضاء، والفلكيون في كل بقاع العالم لرصد عودة هالي بالاساليب والأجهزة التي أتاحها عصر الفضاء والتي لم تكن معروفة عام ١٩١٠، ومن أهمها الأقمار الصناعية وسفن الفضاء، الأمر الذي سينهي الجهل بأي شيء غير معلوم عن هذا المذنب، وسيفتح الباب على مصراعيه لمعرفة أسرار ظاهرة المذنبات عامة.

ولم تقتصر الاستعدادات للقاء المذنب هالي عام ١٩٨٦ على العلماء والفلكيين وهواة الرصد الفلكي، بل امتدت الى البارعين في التجارة قبلهم. ولأنهم لايستطيعون أن يبيعوا الوهم والخرافات والاقراص الواقية من الأمراض في عصر أصبحت تجول في سمائه آلاف من الأقمار الصناعية وسفن الفضاء، فقد اغرقوا السوق الأوروبية بدعايات عن التلسكوبات الفردية التي يمكن مشاهدة المذنب بها. الى جانب ذلك صنعت آلاف من فانلات الشباب (تي شيرت) التي عليها رسم المذنب وأسمه، وبدأت بعض شركات السياحة التسويق لبيع تذاكر لرحلات طائرة جامبو الضخمة التي ستقلع بهواة المشاهدة في رحلة طويلة من اليابان الى استراليا، ليتيسر لهم الاستمتاع برؤية المذنب من الجو. لكن ماهو أكثر أهمية أن الدول المتقدمة أطلقت منذ عدة شهور عددا من سفن الفضاء والأقمار الصناعية، للالتقاء بالمذنب عن قرب للقياس والتصوير والتسجيل، بل ومس الذيل لمعرفة كل شيء عنه. ولقد اتفقوا على تنسيق هذه الجهود خلال مؤتمر عقد مؤخرا في بودابست. وهذه الدول هي: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان وانجلترا والمانيا الاتحادية بالاضافة الى منظمة أبحاث الفضاء الاوروبية «ايسا» وشاركت دول أخرى بجهود فرعية في تصنيع أجهزة تحملها هذه السفن هي فرنسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا وبولندا وسويسرا وايرلندا.

لم يتمكن العلماء الامريكيون من اقناع المسئولين بتخصيص ميزانية لاطلاق سفينة جديدة لهذا الغرض. ولذلك ستتوجه سفينة الفضاء «بيونير» التي اطلقت الى الفضاء عام ١٩٧٨ لتترك مهمتها بالقرب من كوكب الزهرة، وتقترب نحو المذنب هالي في ٩ فبراير ١٩٨٦. ويوجد على سطح هذه السفينة جهاز تحليل طيفي قادر على تحليل الاضواء الصادرة من المذنب في نطاق حزمة الأشعة تحت البنفسجية. وبالاضافة الى هذا ستوجه السفينة (ICE) التي توجد حول القمر الآن في مهمة اضافية لرصد مذنبين معا هما (جياكوبيني - زينر) في سبتمبر ١٩٨٥ ثم توجه بعد ذلك نحو المذنب هالي في مارس ١٩٨٦.

أما العلماء السوفيت فيعتمدون على السفينتين «فيجا - ١» و «فيجا - ٢» اللتين سبق اطلاقهما في ديسمبر ١٩٨٤ نحو كوكب الزهرة، بحيث توجهان بعد الانتهاء من مهمة جس تربة الزهرة نحو المذنب هالي، في أواسط شهر يونيو ١٩٨٥ لتكونا على مقربة منه في أوائل شهر مارس ١٩٨٦. وستحلق السفينتان على بعد ١٠,٠٠٠ كيلومتر من المذنب لتخترقا ذيله بسرعة تقرب من ٨٥ كيلومترا في الثانية، لكي تعمل الأجهزة الدقيقة التي شاركت في صنعها كل من المانيا الغربية وفرنسا وبعض الدول الاشتراكية في رصد العناصر العلمية اللازمة. وسيتيح ذلك الفرصة النادرة للحصول على صور ملونة لاجزاء المذنب وذيله

بالضوء العادي وبالاشعة تحت الحمراء . وستبث هذه الصور من السفينتين الى الأرض بشفرة خاصة عن طريق أجهزة شاركت في صنعها المانيا الشرقية . وسوف يعمل السوفيت على مراقبة المذنب كذلك من المحطة المدارية (ساليوت ـ ١) التي تحلق في الفضاء منذ عدة سنوات .

وتمثلت الجهود اليابانية في اطلاق قمرين صناعيين الاول تحت اسم « كوكب ـ ١ » في يناير ١٩٨٥ ، والثاني تحت اسم (MST —5) سيطلق في أغسطس ١٩٨٥ . وقد زود الأول بأجهزة لقياس الرياح الشمسية المتأنية وأجهزة للتصوير بالاشعة فوق البنفسجية عندما يمر على بعد ٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر من المذنب في ٨ مارس المقبل .

وقد بادرت منظمة أبحاث الفضاء الاوروبية « ايسا » الى اطلاق سفينة الفضاء « جيوتو » في يوليو ١٩٨٥ حاملة اسم الرسام الهولندي « جيوتو » الذي سبقت الاشارة اليه ، لكي تلتقي بالمذنب وتخترق ذيله على بعد ٥٠٠ كيلومتر من الرأس في يومي ١٢ ، ١٣ مارس ١٩٨٦ . وبذلك ستتمكن دون السفن الاخرى من التقاط صور دقيقة لمكونات المذنب ستصل الى ايضاح كل ماتزيد أبعاده عن ٥٠ مترا من مكونات رأسه أو ذيله . وقد اتفق مع السوفيت أن تعمل السفينتان الروسيتان « فيجا ـ ٢,١ » كمنارات فضائية لمساعدة السفينة جيوتو في الاقتراب من هدفها بدقة .

وهناك جهد أوروبي آخر ، هو ارسال معمل الفضاء الاوروبي سبيس لاب (Spacelab) محمولا فوق متن مكوك الفضاء الامريكي في وقت يتزامن مع الالتقاء بالمذنب للقيام بالقياسات اللازمة . وكان نفس المعمل قد ارسل في رحلة سابقة للمكوك ومعه طاقم من العلماء . وقد قضت منظمة « ايسا » مايزيد على عشر سنوات في تصنيع هذا المعمل وتزويده بأدق الأجهزة العلمية .

انفردت المانيا الاتحادية بتجربة مثيرة اجريت في أول يناير ١٩٨٥ وتمثلت في اطلاق أربع عبوات تحوي مسحوق الباريوم المشع والنحاس من قمر صناعي

ـ الفلكي أدموند هالي .

الماني ، لكي يتكون منها مذنب صناعي مشع على ارتفاع يقرب من ١٠٠ ألف كيلو متر . وقام قمران صناعيان أحدهما بريطاني والآخر امريكي برصد اشعاعات سحابة الباريوم التي أخذت شكل ذيل مذنب ، وذلك لدراسة تأثرها بالرياح الشمسية والمجال المغناطيسي للأرض . ولقد ظهر المذنب المشع بنجاح ورصده القمران الصناعيان بل لقد تمكنت طائرة ارجنتينية من رؤيته كذلك ، ولكن تعذرت رؤيته من الأرض بسبب الغيوم .

من العرض السابق يتبين لنا أن سفن الفضاء والاقمار الصناعية التي خصصت لرصد المذنب هالي ، وضع فيها حشد من الأجهزة الدقيقة كأجهزة تحليل الطيف ، وكاميرات التصوير في نطاق حزم الاشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية والضوء المرئي ، فضلا عن أجهزة قياس للمجال المغناطيسي الأرضي ، ودرجات تأين الرياح الشمسية (البلازما) .

وقد استعدت المراصد الفلكية الأرضية ، وخصوصا الامريكية مثل مرصد « جبل بالومار » في كاليفورنيا ، ومرصد «قمة كت » في اريزونا ، ومرصد « جبل هويكنز » ، ومرصد « جبل ولسون » للقيام بواجبها في الترقب لرصد المذنب هالي . ولم تكتف بعض الدول بما لديها فشرعت في اقامة مراصد جديدة بعدسات ومرايا أكثر قدرة على التوغل في الفضاء ، ونخص بالذكر منها استراليا التي اقامت مرصدا جديدا بالتعاون مع بريطانيا قطر عدسته ١٥٠ بوصة ، كما اشتركت مجموعة من الشركات الاوروبية في اقامة مرصد جديد في جنوب اسبانيا .

كيف يمكن رؤية هالي

يحضرني تساؤل لابد أنه يطرح نفسه على أذهان القراء ، فما الهدف من كل هذه الاستعدادات ؟ .

ان الغاية الكبرى هي معرفة سر من اسرار الكون ، لكي يستطيع العلماء بعد ذلك ان يضعوا حدا للغز المحير عن نشأة الكون العظيم الذي لانشغل منه قدر نقطة فوق هذه الصفحة .

وقد يكون الى جانب جهود العلماء ، دور للهواة وخصوصا الشباب الناشئين ، أقلها أدراك عظمة ماخلق الله حولنا من فضاء فسيح حار فيه القدامى ، فقالوا انه محدود ، ولكنه بلا حدود !! .

ولقد ضرب أحد الهواة المثل في العصور الوسطى على أهمية دور الهواة اذ كان معروفا ان المذنب هالي سيقترب من الأرض عام ١٧٥٨ تدليلا على صدق ماتنبأ به الفلكي « ادموند هالي » كما اسلفنا من قبل . لكن أحدا من الفلكيين لم يستطع رؤية المذنب هالي رغم تحفزهم واستعدادهم لذلك . وكان من سخرية الاقدار أن استطاع الفلاح الالماني « يوهان باليتش » أن يرى المذنب يوم ٢٥ ديسمبر ١٧٥٨ بمنظار صغير للهواة من مدينة درزدن . ولكي يتمكن أي هاو من رؤية المذنب فلن يكلفه ذلك غير اقتناء تلسكوب صغير قطر عدسته يقرب من ٦ أو ١٠ بوصات . ويمكن أن تبدأ المشاهدة من شهر نوفمبر ١٩٨٥ حتى منتصف شهر ابريل ١٩٨٦ .

وخلال هذه المدة سيختفي جزء من المذنب ليلة يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ عندما يكون في دورته حول الشمس . وبعد ذلك سيمكن مشاهدته لأيام معدودة بالعين المجرده قرب يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ عندما تصفو السماء وتختفي السحب . وعلى الذين سيقومون بذلك أن يتذكروا أن ظهور المذنب لايصاحبه أي أصوات ، وأن حركته بطيئة بين النجوم ولاتلحظ الا ليلة بعد ليلة ، ولكن يميزه عن النجوم ذيله الطويل . □

وصية أب لابنته

أوصى عبد الله بن جعفر ابنته وهى تزف فقال : يابنية وإياك والغيرة ، فانها مفتاح الطلاق ، ويباك والمعاتبة فانها تورث البغضاء ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمى أن ازين الزينة الكحل واطيب الطيب الماء .

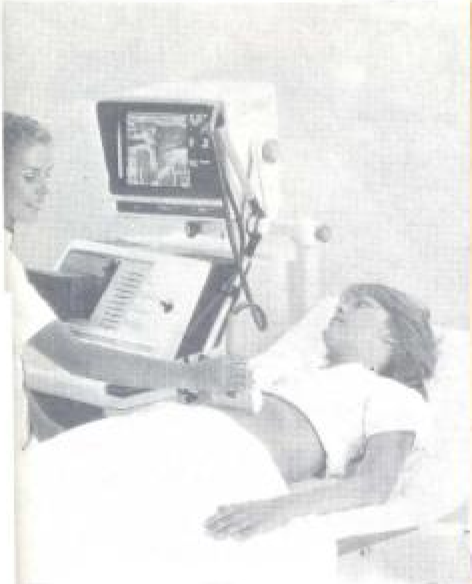

الحامل التي تعاني من الضغط النفسي والتوتر العصبي بك

تعلَّم الطفل وهو جنين

بقلم : الدكتور نبيل سليم علي

طفلك هذا الكمبيوتر الصغير ، أكدت النتائج العلمية المثيرة والهامة ، التي توصل اليها العلماء بعد تجارب سلوكية وطبية أجروها على الأطفال ، وهم مازالوا في الرحم حتى لحظة الولادة وبعدها ، ان تعلم الطفل يبدأ قبل ولادته ـ وهو جنين ـ فهو يرى ويسمع ويفهم ، وهو مهيأ ورائيا لعقد صداقات مع أي شخص بالغ يحنو عليه !.

اذا كان كل طفل ينبغي له ان يمضي تسعة أشهر داخل رحم أمه ليتكامل نموه الجسدي ، ولكي يكون على استعداد وقدرة كاملين لمواجهة الحياة الجديدة ومتطلباتها وظروفها . واذا لم يتعرض وهو جنين الى أية عوامل ضارة ، فإنه عادة يكون مستعدا في الشهر التاسع لرحلة الولادة نحو النور .

فماذا يعرف الأطفال حديثو الولادة عندما يخرجون الى الدنيا ؟ وكيف يبدأ هؤلاء الأطفال في استخدام وتنظيم هذه المعلومات ، خلال شهورهم او سنواتهم الأولى ، لكي يشقوا طريقهم نحو المستقبل ؟.

ان نتائج الأبحاث العلمية الحديثة تتحدى المفاهيم الأولية لكيفية تنشئة الأطفال ، وكيف يكون

وليدها ميالا الى الجبن والخوف ويفتقد الثقة بنفسه .

تعليمهم ، بل وماذا ستكون قدرتهم عندما يكبرون ، فلقد أثبتت الأبحاث الأخيرة في علم الوراثة أن هناك خصائص نفسية وذهنية ، كالذكاء والشخصية والمزاج ،وأخرى بدنية كلون الشعر والجلد والعينين وملامح الوجه وغيرها ، تعتمد على تمازج وتفاعل الجينات الآتية من الوالدين في تكوين الطفل النفسي والبدني .

فالخلية الأولى المندمجة ، او البويضة المخصبة من اندماج خليتين جنسيتين ، تتضمن كل منها نصف العدد المقرر من العوامل الوراثية ، وتؤدي عملية الاندماج والتوحد الى تكامل العناصر الوراثية في الخلايا ، وهي محمولة على خيوط صغيرة جدا مجتمعة في نواة خلية تسمى الكروموسومات ، ويكون عددها في الخلية الكاملة الاعتيادية ثلاثة وعشرين زوجا متقابلا ، اي ستة واربعين كروموسوما ، وتتناثر على امتداد تلك الخيوط داخل النواة عناصر الوراثة الأساسية على شكل حبيبات صغيرة متخصصة تدعى بالجينات ، وهذه الجينات تحمل الرموز والمكونات الأساسية في عملية انتقال الصفات والمميزات الوراثية ، وتتكون عادة من مادة كيميائية معقدة التركيب تدعى D.N.A وهي مجموعة من الأحماض الأمينية ، تحمل في تركيبها تفاصيل الصفات الوراثية ، ويعتقد أن الخلية البشرية الواحدة تحتوي على مليون جين ، وقد يكون أقل من هذا العدد بما لا يؤثر على النمو الطبيعي للطفل .

ويعتقد ان مادة D.N.A ذات تركيب لولبي ثنائي متصل ببعضه ، ويتألف من مادتي السكر والفوسفات ، ولكل جزء من هذا التركيب المعقد خصائص أخرى في عملية الانقسام والوراثة .

وحتى لا يجرنا الحديث الى الدخول في تفاصيل التركيبات المعقدة لعناصر الوراثة في كل طفل وليد ، والتي لا تهم الا الباحثين والمتخصصين ، نقول ان هذه الجينات هي اللمسات الدقيقة التي تتحكم في تكوين هذا الكمبيوتر الصغير ، ألا وهو الطفل وكما يقول د . وليم كيسين ، استاذ علم النفس الذي اجرى دراساته على الأطفال اكثر من ثلاثين عاما ، معربا عن اعجابه بالطريقة الحماسية التي يستقبل بها الطفل الوليد للحياة .. « انه يكاد أن يلتهم العالم ... » .

لغز التعلم داخل الرحم :

حقا انه للغز ، لأن الأطفال يظهرون مرارا بعض المهارات والأفعال المختلفة التي يبدو لنا انه لا أساس لها في خبراتهم الماضية .

ففي مركز « هارفارد » للدراسات السلوكية ، اطفال في عمر اسبوعين ووجهوا بمكعبات ، واحيانا بمجرد أن ظلَّ مكعب بدأ في التحرك ببطء ناحيتهم ، وفي اللحظة التي يشعرون فيها انهم على وشك التعرض لما يطلق عليه علماء النفس « رد الفعل القوي التجنبي » تجدهم وقد استداروا جانبا ، وحاولوا تجنب الصدمة على الرغم من عدم وجود خبرة سابقة تجعلهم يفكرون بأن الشيء المقترب قد يصطدم بهم ! أما إذا تحرك هذا المكعب او ظله في مسار منحرف عن الأطفال وقد يخطئهم ، فإنهم يتابعون حركته بعيونهم ، ولكنهم لا يظهرون أي علامة للانزعاج ! .

وفي جامعة أدنبره توصل العلماء من خلال تجاربهم العديدة الى واحدة من أهم النتائج ، وهي أن الأطفال يستطيعون ادراك نوع الأطفال الآخرين بمجرد نظرة ، بل انهم يفضلون رؤية الأطفال من نفس نوعهم ، فكيف يفعل الأطفال ما يفعلونه ؟ . . انه أمر غاية في التعقيد ، ولكنه يؤكد ان الطفل يبدأ في تعلم طرق السلوك وهو مازال في الرحم .

ومما يؤكد هذا المفهوم - وهو أن صغار الأطفال من الممكن ان يبدأوا في تلقي التعليم - قد دفع طموح الآباء والأمهات لقرون عدة الى الاهتمام بهذه الظاهرة ، مثلما حدث في سن الثالثة « لجون ستيوارت ميل » هذا الفيلسوف الانجليزي عندما درس اللغة اليونانية في هذه السن المبكرة ، كما بدأ « موزارت » في العزف على آلة الهابسيكورد ، وعزفت مؤلفاته الموسيقية في عواصم اوروبا وهو في الثامنة .

وفي بحث مستفيض اجراه المفكر الأمريكي « ويب جريسون » حول بصمات الأمهات الوراثية على شخصيات الأبناء ، يقول:ان الأم الصالحة هي القدوة الصالحة لأبنائها والعكس صحيح .

فوالدة دكتاتور المانيا النازية الغاشم « أدولف هتلر » التي كانت تدعى كلارا كانت هي الزوجة الثالثة لوالد هتلر ، وهو ابن عمها ، وكان يكبرها بأكثر من ٢٣ عاما . فبعد وفاة زوجته الثانية بادرت كلارا بخدمة ابن العم ، وكانت تناديه بالعم « أليوس » . . وأحبها العم وتزوجها . . وكانت حياتها الزوجية كئيبة غير موفقة ، فقد كانا على خلاف مستمر ، وعندما غدا هتلر في سن الشباب طلبت منه والدته ان يلتحق باحدى الوظائف الشاغرة بإدارة الجمارك في فيينا عاصمة النمسا اسوة بوالده ، ولكن هتلر عارض هذه الفكرة ، لأنه كان يزمع ان يكون فنانا ، اذ انه كان لا يرغب في الجلوس امام مكتب حكومي يقوم بانجاز الاعمال الروتينية . فقد كان يرى ان هذه الروتينية في العمل هي العدو الأول للتفكير والابتكار والابداع ، وتغلب هتلر على والديه ، فاكتسب روح النضال والشراسة والصبر ، وقد تضامنت هذه الصفات مع صفة الشراسة في اعماقه ، فكونت شخصية دكتاتور المانيا النازية ، وكان هتلر يتصف بالروح الشريرة القاسية الغادرة ، وقد يرجع ذلك كما يعتقد المؤرخون الى حقيقة هامة ، وهي ان والدة « هتلر » أي « كلارا » كانت قد اصيبت بمرض السرطان ، وعالجها طبيب يهودي يدعى د . بلوك ولكنها توفيت ، وكان هتلر لم يتجاوز الثمانية عشر من عمره بعد ، ومن هنا كانت عقدة هتلر من اليهود ، وتدبير المذابح الجماعية لهم فيما بعد . ثم تأتي المرأة الثانية في حياة هتلر وتكون يهودية ، تلك التي خدعته وفجرت براكين حقده .

وعلى النقيض من ذلك كانت حياة الزعيم الانجليزي « سير ونستون تشرشل » فقد كانت حياة والديه مملوءة حبا وتفاهما ، كما انه ولد وترعرع في اسرة انجليزية ارستقراطية ، وكانت امه تتميز بالشخصية القوية والعلاقات الاجتماعية الطيبة ، وبعد ولادته استمرت تهتم به الى درجة انهم كانوا يطلقون عليه انه « ابن امه » ، وحتى هو نفسه قال في مذكراته « ان علاقته بأمه لم تكن علاقة ابن بأمه ولكنها كانت علاقة « ابن بأخيه » فقد كان متفاهما معها الى اقصى حدود التفاهم . . كما انه يعترف بأنها هي التي دفعته الى نجاحه في السياسة ، وانطلاقه في آفاقها التي دفعته الى مقدمة المراسلين الحربيين في المملكة المتحدة ، ونجح كما لم ينجح احد من قبل ، وهكذا كانت والدة تشرشل هي المرأة العظيمة وراء نجاحه ، نظرا لأنها وفرت له بسعة ادراكها وقوة شخصيتها الجو الأسرى الأمثل المؤسس على الحب والتعاون والاخلاص .

اذن صدق أحد الحكماء عندما قال ان تربية الطفل يجب ان تبدأ قبل ولادته بعشرين عاما ، وذلك بتربية امه ، فالأم هي المدرسة الحقيقية ، وشخصية الأم تنعكس على شخصية الأبناء تلقائيا ، إن لم يكن وراثيا . فان كانت سوية كان شخصية الابن قوية طيبة ، اما اذا كانت غريبة الأطوار ففي هذه الحالة تكون شخصية الابن ضعيفة معقدة .

ذكاء الطفل ترجمة لحنان امه :

ان الفكرة في إمكان تعلم الطفل وهو جنين تنحصر في امكانية تقويم شخصية وسلوك الوالدين من قبل وفي اثناء الحمل ، فالأبحاث الجارية عن قدرة الطفل على الرؤية والسمع والمعرفة في نفس لحظة الولادة ،

- علاج مرض الاستسقاء الدماغي للجنين.. يتم بسحب السائل الزائد .

تجعل المسئولية الملقاة على الوالدين اكثر جسامة .. فهذه النتائج سوف تغير من الطريقة التي يرى بها الناس اطفالهم ، ومن الأسلوب الذي يكلمونهم به ، وما يتوقعونه منهم ، وهذه التغييرات وان كانت بطيئة ، الا أنها ستغير ايضا من الأطفال انفسهم ، الذين سيصبحون يوما رجال الغد .

والعقبة الوحيدة التي طالما عرقلت البحوث الطبية على الأطفال ، هي عدم قدرتهم على الكلام ، وانهم غير قادرين على ان يقولوا لنا ما شاهدوه او فكروا فيه وهم أجنة . لكن التكنولوجيا الحديثة جعلت بالامكان ابتكار تجارب كانت في حكم الخيال ، فمثلا جهاز الفيديو مكن علماء النفس واطباءها من تسجيل اهتزاز الطفل ، وبيان أنه غالبا ما يتحرك بايقاع منتظم مع صوت امه ، ومكنهم ايضا من علاج مرض الاستسقاء الدماغي « وهي حالة مرضية تنتج من زيادة السائل النخاعي في الدماغ » وذلك بادخال انبوبة الى رحم الأم ومنها الى دماغ الجنين لكي يسحب السائل الزائد .. ومما ساعد على هذه الابتكارات هو الكمبيوتر ، الذي باستطاعته ان يقلد صوت الأم بالسهولة التي يحصى بها عدد المرات التي يمص بها الطفل ثدي امه ، أويقيس بها حركة العين .

التشخيص المبكر :

والحقائق العلمية تؤكد أن شخصية الانسان تتحدد داخل الرحم ليس فقط بسبب العوامل الوراثية ، ولكن بسبب العوامل البيئية المحيطة بالأم الحامل ايضا ، التي تؤثر سلبا أو ايجابا على تكوين الجنين . وهي عوامل تنشأ من ممارسات او فهم خاطىء للوالدين بالبيئة .

فمثلا ثبت علميا ان الحامل التي تعاني من ضغط نفسي وتوتر عصبي وقلق ومخاوف يكون وليدها ميالا الى الجبن والخوف ويفتقد الثقة الطبيعية بنفسه .

وقد تم اجراء تجارب على إناث الفئران الحوامل ، حيث وضع بعضها في أقفاص مزدحمة جدا ، مما خلق جوا غير مريح ، ووضعت مجموعة اخرى في اقفاص مريحة ، وبدراسة المجموعتين وبفحص الذرية التي عاشت امهاتها في جو مزدحم قبل فترة النضوج ، وجد أنها بطيئة الحركة وتستغرق وقتا طويلا كي تصل الى طعامها بالمقارنة بالفئران الأخرى .

ومن العوامل الأخرى التي تؤثر في شخصية وتكوين الجنين في التوازن الهرموني للأم : « الهرمونات » وأهمها هرمون التشرون (هرمون الخصية الذكرى) وهو موجود لدى الأنثى بكميات قليلة ، وهرمون الغدة الدرقية (الثيروكسين) الذي يؤثر على النمو ، ومادة « الادرينالين » التي تفرز في حالات التوتر العصبي والغضب ، وهي مادة تستطيع ان تعبر « الخلاص » من الأم الى الجنين بسرعة .

وبناء عليه فإن اية اضطرابات هرمونية ، او أية زيادة في مادة الادرينالين لدى الأم ، قد تؤدي الى امراض جسدية ونفسية لدى الجنين ، الذي يصبح وليدا مصابا بمرض ما نفسي او عضوي .

كذلك فإن تعاطي العقاقير في اثناء الحمل ، وبشكل خاص المنوم منها (الباربيتورات) وبعض الأدوية التي تستخدم لسد الشهية (الأمفيتامين) تؤثر على تطور الجنين بالضرر ، أو تسبب له تخلفا وتشوهات بالجهاز العصبي المركزي .

ومن العادات السيئة التي اكتسبتها امرأة اليوم وخصوصا الحامل انها لا تأبه لما يقدم لها من نصيحة بخصوص التدخين ، والآثار المدمرة لمادة النيكوتين ، وبصرف النظر عن مادة النيكوتين التي تسري الى دم الأم الحامل عن طريق التدخين والتي تعد عاملا هاما في كثير من المشاكل ، فقد حدث من خلال دراسة هامة تم فيها فحص اطفال لأمهات كن يدخن عشر سجائر او اكثر يوميا خلال فترة الحمل ، ومقارنتهم باطفال لم تدخن امهاتهم اطلاقا ، وجد أن اطفال المدخنات اقل وزنا « ربما لعدم انتظام تناولهم للطعام بسبب التدخين » . . وانهم ورثوا اضطرابات في شخصياتهم من امهاتهم اللاتي كن يدخن بسبب عوامل نفسية قاسية .

ولاشك ان من أهم وأخطر الأسباب - قاطبة - تأثيرا على الشخصية هي تغذية الأم الحامل ، فمن المعروف ان عددا لا يستهان به من الأمهات في كافة دول العالم الثالث يعانين من سوء التغذية ، بشكل مفزع في فترات يكون فيها مخ الجنين في تطور سريع ، وفي حالة تسمح له بالتأثير العضوي ، ولأن الخلايا العصبية تنمو باطراد وبسرعة ، في الفترة من الشهر السادس للجنين الى الشهر الثامن عشر من عمر الوليد . ولأنها تحتاج الى تغذية دائما بالبروتين والجلوكوز ، ولأنها ايضا اذا ماتت فلا تعوض ، فإن الوليد ، تتأثر قدراته الذهنية سلبا ، وينخفض ذكاؤه ويقل انتباهه ويضعف تركيزه ، وتنحط قدراته الاجتماعية ، ويكون سلوكه وتصرفاته مختلفين عن حالتها الطبيعية .

كذلك فإن نقص كمية الأكسجين التي يستنشقها الطفل عند ولادته لسبب او لآخر ، ثبت انها مقصورة على مجرد الاحساس بالجوع . ولكن التجارب الحديثة بنيت على ان مثل هؤلاء الأطفال ليسوا فقط قادرين على الاستجابة للكثير من المؤثرات ، ولكن لديهم ايضا افضليات محددة في كل شيء ، فقد أثبت أحد علماء الأعصاب ان الطفل الذي لا يزيد عمره عن ١٢ ساعة ، والذي لم يتذوق من قبل حتى لبن امه ، سوف يتلمظ برضا عندما نضع قطرة من الماء المحلى بالسكر على لسانه ، ولكنه يقشعر امام قطرة من عصير الليمون . . وانه يتحرك مبتسما عندما نضع قطعة من القطن بها رائحة الموز تحت أنفه ، ولكنه يتأفف ويتعفص من رائحة البيض النتن . .

ويبدو ان الوليد يخرج من ظلام الرحم بحاسة بدائية من النظر سرعان ما تنمو ، حيث يبدأ في النظر الى كافة الأشياء وكأنه يستكشف ما حوله ، وحتى عندما نطفيء النور ، كما اظهرت اجهزة التصوير بالاشعة الحمراء ، أن عيون الطفل تتسع لكي يستأنف اكتشافاته لكل ما حوله ، وفي الأسبوع الثامن يصبح قادرا على التمييز بين اشكال المرئيات والوانها ، وعادة ما يفضل اللون الأحمر ثم الأزرق . ثم يبدأ في شهره الثالث في تكوين الرؤية المجسمة .

وعلى الرغم من طبيعة هذه التجارب ، فانه من الممكن ان يكون لها فائدة علمية مباشرة ، لأن بعض الأطفال يعانون من امراض العيون مثل اظلام عدسة العين (الكتاركتا) ، او خلل شديد في البصر ناتج عن اختلاف انكسار الضوء داخل العين ، وكلها تستفيد من العلاج كلما بدأ مبكرا ، وقد أكدت الأبحاث الأخيرة ان اي خلل في قوة ابصار الطفل قد تؤذي تلك الأجزاء من المخ النامي والذي يعتمد على المعلومات البصرية ، وتلف المخ هذا قد يصبح مستديما ان لم يتم علاج البصر مبكرا .

قارئو الشفاه :

وعلى خلاف العيون فإن أذني الطفل تؤديان وظيفتهما حتى قبل الولادة ، والطفل الوليد يأتي بجهاز متكامل للسمع . . ومن بداية الثمانينيات اثبتت الدراسات ان الأطفال ينامون ويسترخون ويفضلون الأصوات النسائية ، بل انه في خلال اسابيع قليلة يستطيعون تمييز اصوات امهاتهم . ورغم ان الأطفال بصفة عامة لا يستطيعون التكلم الى عمر سنة ، فإن عالم النفس « بيتر ايماس » قد بين ان الأطفال الى عمر شهر واحد قادرون على التمييز بين الأصوات بمختلف اللغات ، وهم لديهم قدرة عشوائية لكي يصنفوا الأصوات في طبقات مختلفة .

وارجاع أصول اللغة الى الطفولة المبكرة يعتبر اقترابا هاما لفهم ذكاء الطفل .. ومفتاح السر في هذا الاكتشاف هو رغبة الطفل لتقليد حركات وجه الأم . وهو ما تقوله استاذة الصوتيات « باتريشيا كول » فقد مدت تجاربها الى اللغة ، وقامت بعرض فيلمين لوجوه تقول .. « آه » .. و « آي » ثم وضعت بين الصوتين مكبرا للصوت يصدر ايا من الصوتين ، فظهر ان الأطفال وجهوا انظارهم الى الصورة التي تتطابق مع الصوت الصادر .. وهذا معناه ان الأطفال قادرون على اكتشاف العلاقة بين حركات الفم وبين الأصوات التي يسمعونها ، وتعلق قائلة : « ان الاطفال هم اساسا قارئو شفاه » . اما عالمة النفس « اليزابيث سيلكي » فقد عرضت امام اطفال في عمر اربعة شهور اثنين من الأفلام تبدو فيهما لاعبتان تقفزان بطريقتين مختلفتين ، وكل حركة لها صوت مطابق لها ، ثم أدارت شريط الصوت ، واستطاع الأطفال ان يطابقوا الفيلم الصحيح مع صوته ، مما يعني ان لديهم قدرة متقدمة لكي يحددوا ماذا يتفق مع الآخر .

هذب نفسك يتهذب نسلك :

نستخلص مما سبق من آراء ـ وكما أكدت أغلب الأبحاث ـ مدى أهمية علاقة الطفل بوالديه ، أو أي شخص آخر يعوله ، فليس على الأم ان تطعمه وتحبه فقط ، ولكن عليها اذا ارادت ان تهذب نسلها فلتهذب نفسها وكذا الأب . فقد فحص « رونجر لويس » النمو العقلي لمائة طفل في سن ثلاثة شهور ، وسجل رد فعل الأمهات لعلامات الضيق عند اطفالهن ، وقد تعجب بشدة عندما وجد أن الأطفال الذين عوملوا بحب وحنان قد تعلموا اكثر عندما اعيد اختبارهم في سن عام ، وهذا النوع من « الحنان » هام جدا « للنمو العاطفي » .

ويقول د . جيرالد يونج من المركز الطبي في مانهاتن بالمانيا الغربية : « اذا اردت ان تخمن ماذا سيصبح الطفل في سن السابعة ، انظر أولا الى خلفيته الاجتماعية والاقتصادية ، فالمسألة ليست صعوبة اقتصادية او سوء تغذية ، لأن المؤشر الاجتماعي الاقتصادي هو تنبؤ قوي على القدرات الذكائية ، كأي متغير آخر ، ولكنه لا يعمل من فراغ ، فهو يمثل الطريقة التي يعيش بها الناس ، ويتصلون بعضهم بعضا ، والأسلوب الذي يعاملون به اطفالهم .

هذا وقد اجرى فريق من علماء النفس بجامعة ويسكونسين تطبيقا هاما لهذه النظرية ، وقد صدمتهم حقيقة ان كثيرا من الأطفال المتخلفين عقليا لديهم امهات متخلفات ، فاختاروا اربعين طفلا كان مستوى ذكاء امهاتهم اقل من ٧٥٪ ، ووضع عشرون منهم في مركز رعاية يومي ، ومن عمر ثلاثة شهور بدأوا يأخذون رعاية كاملة بجانب انواع اخرى من الأنشطة ، وفي الوقت الذي وصلوا فيه الى سن المدرسة ، كان متوسط اختبار ذكائهم اكثر من ١٠٠٪ ، ولا يوجد متخلف واحد . اما العشرون طفلا الذين لم يأخذوا اي رعاية ، كان متوسط ذكائهم ٨٥٪ ، واعتبر ٦٠٪ منهم متخلفين كما ان كثيرا من الأبحاث العلمية الحديثة المعتمدة تؤكد ان ما كان يعرفه الآباء باستمرار ، سواء بالفطرة او الاحساس العام ، او مما تلقوه عن والديهم ، بأن الاطفال يحتاجون ويتأثرون بالحب والاهتمام والتعليم ، والأبحاث تقرر ليس فقط اهمية هذه الاحتياجات ، ولكن الضرر الذي قد ينشأ عندما لا تلبي مثل هذه الاحتياجات .

ان تنشئة الطفل مليئة بالألغاز ، ولكن أن يكون لك طفل يعني لأغلب الناس فعلا من افعال الايمان ، فهو يمثل عقيدة بأن الأشياء الجميلة سوف تأتي ليس فقط لأنفسهم ولكن للعالم .. هذه هي العقيدة التي يشاركهم فيها عدد لا نهاية له من باحثي الأطفال الذين دائما يتساءلون . هل من الممكن انشاء مجتمع افضل بأطفال اكثر صحة ؟

والاجابة التي تتفق عليها ... نعم ... لأن جذور الشخصية البيولوجية مسئولية كل ام ... فهي المسئولة عن صحتها وصحة جنينها .. اما المجتمع فهو مسئول عن توفير الرعاية والغذاء اللازمين .. والأب مسئول عن توفير الراحة والاطمئنان والجو النفسي الآمن والملائم ، حتى يأتي الوليد القادم في صحة نفسية وبدنية جيدة .. ففي نفس لحظة الولادة ، عندما ينبثق رأس مظلم الى العالم .. حينئذ فإن كل طفل يحقق عقيدة ان الأشياء الجميلة سوف تأتي .. ثم تأتي الصرخة الأولى . □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

« ر »

راديكالية

كلمة مشتقة من أصل لاتيني ، وأقرب ترجمة عربية لها هي « جذرية » وتطلق على الذين يريدون التغيير من جذوره ، سواء كان التغيير اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً ، رغم عدم واقعية الفصل بين الأنساق الثلاثة التي تعبر كلها عن نظام وفلسفة قائمين في مجتمع ما .

وتعبير « راديكالية » يطلق اليوم على المتطرفين بشكل عام سواء نحو اليسار أو نحو اليمين . وعلى الرغم من أن شيوع استخدام المصطلح يطلق على المتطرفين اليساريين أكثر من غيرهم ، الا أن المصطلح أول ما استخدم كان يطلق على المتطرفين الى اليمين . ولقد ظهرت الكلمة أول مرة في ثورة (١٧٩٧) في بريطانيا حينما استخدمها « جيمس توكس » مطالباً باصلاح راديكالي ، ثم عاد واستخدمها حزب « الهويج » ـ الأحرار فيما بعد ـ في المطالبة باصلاح دستوري راديكالي يعطي الحق في الانتخاب لكل المواطنين دون تفرقة سواء كانوا يملكون أو لا يملكون .

وفي اطار الفلسفة السياسية أطلق المصطلح على النظرية الفلسفية والسياسية والاقتصادية التي تؤمن بالحرية في كل أشكالها وخصوصاً حرية التجارة وحرية الفرد والايمان بالعقلانية (أي أصحاب الاتجاه الليبرالي*) ، كما تؤمن النظرية بالمشاركة الاجتماعية ، وكان أعلام هذه النظرية من الفلاسفة والمفكرين : جون ستيوارت ميل ، هنري جيمس ، جريمي بنتام ، وهكذا كانت النشأة حتى في اطارها الفلسفي تعبيراً عن اتجاهات أقصى اليمين السياسي .

وقد شاع المصطلح كتعبير عن مطالب قوى اجتماعية اعتباراً من عصر الثورة الصناعية ، فمع ظهور الطبقة الجديدة التي تغير فيها شكل الثروة ، وملكية أدوات الانتاج بدأت الطبقة (الصناعية) تعارض قيود طبقة ملاك الأراضي (الاقطاع) واستبداد طبقة النبلاء أصحاب الوصاية والسلطة على النظام السياسي ، ولقد وصل الأمر الى الحد الذي وقف فيه الراديكاليون الى جانب الثورة الأمريكية

---

* راجع قاموس العربي عدد ٣٢١ اغسطس ١٩٨٥

● جون ستيوارت ميل

عندما نشبت حرب الاستقلال الانجلو أمريكية .

ولقد ساهمت أفكار الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ، وثورة ١٨٣٠ في تحول استخدام المصطلح من تعبير عن اليمين السياسي الى اليسار السياسي ، فلقد انتشرت الأفكار التي كانت تدعو اليها الثورة الفرنسية في الجزيرة البريطانية ، وعندما شهدت بريطانيا أزمة اقتصادية فيما بين أعوام ١٨٣٠ ـ ١٨٣٣ خرج العمال الى الشوارع ، وظهرت للراديكالية جريدة « حامي الفقير » وسقطت وزارة المحافظين وجاء الأحرار للحكم ، واستمر ضغط الراديكالية من أجل اصلاح سياسي ودستوري واجتماعي . وصل الى حد الصدام والمظاهرات ، الأمر الذي دفع بالحكومة الى تفويض الجيش لفض الثورة .

وعرفت هذه الثورة بثورة الراديكالية التي اسفرت عن « قانون الاصلاح العظيم » يونيو ١٨٣٢ ، وتعد تجربة الراديكالية في فرنسا دليل الذين يرون ان الراديكاليين هم اليساريون فقد تكونت مجموعة الراديكالية الاشتراكية ومجموعة اليسار التقدمي وكلتاهما منشقة عن الراديكاليين ، وعندما أعلن حزب الراديكاليين في عام ١٩٠١ شن حملة على نفوذ رجال الدين ، كما طالب بالتأميم وفرض ضريبة على الايراد العام ، ولم يكتب نجاح كبير لتجربة الراديكالية في فرنسا لضعفهم تنظيماً ، واعتمادهم على أسماء لامعة كثيرة مثل أميل زولا ، كليمنصو وموريس سارو ، وفي التاريخ المعاصر منديس فرنس والجنرال ديجول حتى عام ١٩٥٨م . وهكذا نجد أن المصطلح بدأ تعبيراً عن قوى اليمين ثم تحول الى التعبير عن القوى السياسية لأقصى اليسار التي ترغب وتطالب بالتغيير الجذري كحل وحيد للاصلاح . □

قال بنيامين فرانكلين :

إن الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل أمان مؤقت ، لا يستحقون لا الحرية ولا الأمان .

مَنْ سَلَّمَ الطفلينِ للجلّاد ؟

« صابرا » و « شاتيلا »
طفلان فوق التل
يستسقيان الطل
طفلان من حنظل
في حومة الجندل
كانا قد اغتيلا

* * *

الليل يجيء
والغول يجيء
الغول القابع في الأنواء
الغول الرابض في قصص الجدات
يتبعثر في أفكار الصبية كل مساء
يتربّص - فوق التل - بوقت النوم
يتحسس لحم القوم

* * *

في ذات ظلام
(اذ كان القمر اختنق ... فنام)
ما بين الليل / الغبش .. الليل / الصمت / الهمس
يموج الليل / الزئبق - بحرا - فوق ذراع « يهوذا »
لما جاء يقبل باب مخيم أهل الأرض

شعر : عبد الستار سليم

(يربدُ الأفق . . يسيل على آثار . . قد تركتها
- فوق تراب الأمس - أصابع طفل غض) .
فيعانق وجه يهوذا . . الليل و / القار
ويصفع وجه التل . . الليل و / النار
واحتدّ الغول (القابع في قصص الجدّات)
على قصص الجدّات فثار .

* * *

يستيقظ الطفلان
والأرض مذعورة
قد هشم الصورة
غول . . بألفي رأس
من - ياهول البأس -
يستصرخ الطفلان ؟
قالت كتب التوراة
« من يَقْتلْ . . يُقتَلْ » .
من يسرقْ . . . . يحرقْ
قال التلمود . . بمفتتح الاصحاح
يا شعب الله . .
ميراثك فاحمل . . واستسفح
أوردة الخلق
قال التلمود بمختتم الاصحاح
لحم الأيام مباح
اقتل . .
اسرق . .
احرق . .
كتب التوراة يا شعب الله .

* * *

(تعليق)
الحق أقول لكم
من تحت هزيم الرعد . . ولمع البرق . .
وصوت تصاريف الجلاد
يزداد عنادا رَحمُ الأم
ويظل دفينا هذا الدم
الحق أقول لكم
ان غيض النبض
وراحت مزق اللحم الطفليّ الرعشات
تستاف تراب الأرض
سيجيء الوقت
يتفجر من أعلى أنهار الصمت
وتفيض بحيرات الصحراء
كي تغسل أودية لزجة
من فرط الموت

عن قصة شعبية عمانية :

القبر والقصر..

بقلم : يوسف الشارونى

يحكى أن رجلاً غريباً دخل مدينةً ، وكان عليه أن يمر بمقابرها أولا قبل أن يصل الى مساكن الأحياء ، ومع أن بناء المقابر كان يدل على شىء من اهتمام الأحياء بموتاهم واعزازهم لهم ، الا انه شاهد فى وسطها مبنى يبدو عليه شىء من القدم ، لكنه ما يزال محتفظا بجماله بحيث يكاد يكون أقرب الى القصر مما هو الى القبر ، وكانت عليه بقايا نقوش دقيقة ، وزخارف اذا دققت النظر فيها وجدتها وحدة زخرفية متكررة من رسوم الحيوان ، فاذا دققت أكثر وجدت أن الرسوم المتكررة لكلب متوسط الحجم من كلاب الصيد .

وتساءل الوافد الغريب عما يكون هذا البناء ، لكن تساؤله لم يطل لأنه وجد كتابة بخط كوفى جميل قرأها فاذا هى : اذا اردت ان تعرف قصة هذا البناء ، فعليك بسؤال أكبر الاحياء .

ثم مر بأحياء المدينة يتجول فيها حتى وصل الى ساحة فى الحى القديم منها حيث شاهد قصرا أثريا يطل عليها ما يزال يحتفظ ببقايا عظمته وفخامته ، وبريق طلائه الذهبى يلمع فى وهج الشمس ، وكان واضحا أن زمن بناء القصر يرجع الى زمن بناء القبر الذى سبق أن مر به السائح المتجول ، بل ربما كان المعمارى الفنان الذى وضع تصميمها شخصاً واحداً

لان طراز بنائها متشابه وان كان القصر يتسم بالمهابة والجلال ، بينما القبر يتميز بالدقة والجمال . وقد تأكدت للغريب ظنونه حين وجد على واجهة القصر لافتة مشابهة لتلك التي سبق أن قرأها على القبر مكتوبة بالخط الديواني هذه المرة : اذا اردت ان تعرف قصة هذا البناء فعليك بسؤال أكبر الأحياء .

وبدافع من حب الاستطلاع أسرع الغريب يستفسر عمن يكون أكبر الناس عمرا حتى دلوه عليه وارشدوه اليه .

قدم له القهوة العربية مع التمر العماني وهو يقص عليه قائلا : كان يا ماكان ، من قديم الزمان لهذه المدينة حاكم ، وكان عند هذا الحاكم جارية في العشرينيات من العمر على جانب من الجمال لكنها بكماء صماء لاتنطق بشر ولا بخير ، وكانت تتفانى في خدمته لانه ـ رغم ما هي عليه ـ رضي أن يؤويها في بيته . كذلك كان لديه كلب جميل قوي كله شباب وحيوية ، شديد الوله به حتى انه كان حين يأكل يأمر باحضار طعام الكلب في الغرفة نفسها . وكان القصر مكونا من سبعة طوابق يصل بينها سلم رئيسي وسلّمان جانبيان ، وكانت غرفة الطعام تقع في الطابق الأول فوق الطابق الأرضي مباشرة .

وكان من عادة هذا الحاكم أن يعود كل يوم من النظر في قضايا رعاياه وشئون مدينته ليجد طبقا من الحساء معداً له على مائدة الطعام التي تتوسط كلبه وهو يتناول طعامه بدوره ـ وجاريته الصماء البكماء الواقفة على خدمته .

وقد حدث ذات يوم أن وقعت الجارية على درجات السلم وهي في طريقها الى غرفة الطعام فكسرت ساقها بحيث لم تستطع المشي ولا التحرك . ولما كانت غرفة الطعام أقرب غرفة اليها فقد حملوها هناك وهي تصرخ من الالم ، ووضعوها على فراش أعدوه لها . وهكذا ظلت مائدة الطعام تتوسط الكلب والجارية ، ثم اتوا لها بالمجبر الذي عمل لها جبيرة لساقها المكسورة .

وبعد ذلك بأيام كان طبق الحساء معدا على المائدة كما هي العادة ، واذا بأفعى أقبلت تزحف ثم صعدت المائدة وشربت الحساء كله ثم بخته في الطبق مرة اخرى ، وكانت الجارية شاهدا على كل ما حدث دون أن تستطيع حراكا ، وهي التي روت فيما بعد ما

رأت . أما الكلب فقد دخل الغرفة في اللحظات الأخيرة حين كانت رأس الافعى في طبق الحساء ، فاشرأبت اذناه ولمعت عيناه ببريق الذكاء والتأهب ، احساسا منه برائحة الخطر ، ويبدو أنها كانت لحظات كافية لان يدرك كل شيء ، فقد اندفع نحو الأفعى يحاول سحق رأسها بمخالبه وهو ينبح نباحا مسعورا هز جدران الغرفة ، بل ربما جدران المبنى كله ، لعله يريد ازعاجها فيشيع الاضطراب في زحفها السريع ويعرقله ، ولعله يريد أن ينبه الاخرين فيعاونوا على سحقها او يلمحوها فيدركوا ما حدث . لكن يبدو ان الافعى قد احست بالخطر الوشيك المحدق بها ، لانها زحفت بسرعة البرق ـ كما كانوا يقولون وقتها ـ بحيث استطاعت ان تخطئها بالكاد مخالب الكلب ، وان تفلت بأعجوبة من مصير تستحقه واختفت من حيث أتت .

وبعد قليل وصل الحاكم عائدا من عمله وجلس الى المائدة يهم بشرب حسائه كالمعتاد ، لكنه قبل أن يلمس الطبق كان الكلب ينبح نباحا لم يألفه منه الحاكم من قبل ، بينما اخذت الجارية العاجزة عن

الحركة تصدر اصواتا من فراشها وهي تشير بيديها وكل تقاطيع وجهها ليبتعد عن شيء لعله المائدة او الطبق .

ودهش الحاكم مما يحدث ولم يفهم سببا له ، وكان كلما عاود الاقتراب من الطبق تكرر الامر نفسه ، واخيرا امسك عصا واخذ يضرب الكلب حتى يصمت ، لكن الكلب كان يتكمش على نفسه كما تتكمش الجارية على نفسها كانما دور ضربها آت ، حتى اذا تركه صاحبه واتجه نحو طبق الحساء عاد الكلب الى نباحه واندفاعه نحو سيده ، وعادت الجارية الى همهمتها المفزوعة واشاراتها المنذرة المحذرة

ويبدو ان الحاكم كان قد نفذ صبره ورأى انه قد اضاع ما يكفى من وقت ـ وربما جهد واعصاب وقرر الا يعبأ بتصرفات كلبه وجاريته التى شذت تلك الليلة . ومد يده ليتناول طبق الحساء ، عندئذ بلغت ثورة كل من الكلب والجارية ذروتها ، فاندفع الكلب نحو الطبق يضربه بيده حتى وقع على أرض الغرفة وانسكب كل ما فيه ، بينما الجارية ـ وان لم تستطع التحرك كثيرا لاصابتها ـ الا أن عقدة لسانها كانت قد فكت وهى تصرخ على سيدها .

واستشاط الحاكم غضباً ، ولكن قبل أن يهم بتأديب الكلب على فعلته كانت احدى قطط القصر قد تسللت ، وأخذت تلعق الحساء المسكوب ، غير أنها ما لعقت بضع لعقات حتى كان شعرها قد ابيض كله فاصبح كالثلج ، ثم ما لبث أن تساقط ، ومن بعده تساقط جلدها كانما هناك من يشويه على نار حامية ، ولم تعد ارجلها تقوى على أن تحملها فارتمت على الارض ، وهى تموء مواء خافتا وكل ما فيها يتساقط ويذوب ويتلاشى حتى مواؤ ها ، وبعد دقائق لم يكن هناك الا هيكلها العظمى .

عندئذ أدرك حاكمنا مدى وفاء كلبه واخلاص جاريته ، أما الكلب فعندما مات بعد ذلك بسنوات قلائل اقام له هذه المقبرة الجميلة تخليدا لذكراه ، بل تخليدا للوفاء . اما الجارية فقد تزوجها ـ وقد عاد اليها سمعها ونطقها ، وبنى لها هذا القصر حيث انجبت البنين والبنات الذين ينحدر من أصلابهم حاكم مدينتنا اليوم . □

فى خطبة خديجة

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عمه ابا طالب ليخطب له خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال فى خطبته : الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم ، وذرية اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم ان محمد ابن عبد الله ابن اخى ، من لايوازن به فتى من قريش إلارجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا ، وان كان فى المال قلا « اى قليل المال » فانما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك ، وما احببتم من الصداق فعلى .

وجبة علمية خفيفة

إنهم يأكلون الفطر!

بقلم : فوزى عبد القادر الفيشاوى

ماذا تعرف عن عالم الفطريات ؟ وما هى علاقة الفطر بمشتقات البترول ؟ وكيف برز دور الفطريات كمصدر جديد للبروتين غمر الاسواق العالمية كواحد من أغنى الاغذية للانسان ؟

مثل كل الاكتشافات العظيمة .. تبدأ حكايتنا بملاحظة ظاهرة غريبة .. فمنذ أوائل الستينيات لاحظ العاملون فى حقل الطيران أن خزانات الوقود فى الطائرات تتعرض جدرانها الداخلية لرواسب غريبة .. تنمو بغزارة فتؤدى الى سد مجارى الوقود فى الطائرات ، وتسبب بذلك الكثير من حوادث الطيران .. لم تكن تلك الظاهرة مفهومة لأحد .. غير أن تكرار حوادث الطيران ، ولنفس السبب جعل الكثيرين ينادون بضرورة تحديد المسئولية . والقبض على الجناة الذين يتسببون فى انسداد انابيب وقود الطائرات .. وفعلا تشكلت لجان تحقيق ، ضمت اليها بعض العلماء والباحثين .. وراح الجميع يتتبع خيوط المؤامرة ، ويجمع الأدلة والبراهين .. وفى اجتماع مشهود ، وقف احد علماء الميكروبيولوجى يعلن : أن الجناة مقبوض عليهم فى الانابيب ... وأنهم ليسوا الا كائنات حية دقيقة تسمى فى لغة العلم .. الفطريات .

ـ وراح عالمنا الشهير يشرح للحاضرين كيف ينفذ الجناة مخططهم المرسوم ... فهم محبون للنفط ، مغرمون به .. فما ان تمتلىء خزانات الوقود بالنفط ، حتى تتعرض جدران الخزانات لهجوم مكثف من آلاف الفطريات الدقيقة ، التى تستمرىء هذا الطعام البترولى الشهى ، وبسرعة تنمو وتتكاثر ، لتكون فى النهاية كتلا خلوية تسد مجارى الوقود .. وتكون النهاية .. نهاية احدى الطائرات ...

وبسرعة يتلقف العلماء الكرة .. أقصد الظاهرة .. ويوجهون بحثهم فى اتجاه آخر .. فقد تساءل العلماء .. اذا ما كانت للفطريات كل هذه الامكانيات الهائلة للنمو على مشتقات البترول ، وتكوين هذه الكتل الخلوية الضخمة ، والتى تمثل البروتينات أهم مكوناتها .. فلماذا لا ندرس إمكانيات واحتمالات زراعة هذه الكائنات على مشتقات البترول ، بحيث تمثل فتحا جديدا فى تكنولوجيا النفط . وفى نفس الوقت تحمل البُشرى لملايين الجوعى فى أنحاء العالم .. ؟

وهكذا برز دور الفطريات كمصدر بروتينى جديد . وانضم بذلك الى رفاقه من الجيل الجديد .. جيل البروتينات غير التقليدية ..

تتبع الفطريات عالم النبات .. غير انك اذا راقبتها تحت المجهر فلن تجد لها جذورا أو سيقانا أو أوراقا .. وسوف تلاحظ خلو خلاياها من مادة اليخضور (الكلوروفيل) وهى المادة المسئولة عن عملية البناء الضوئى فى النباتات الراقية ..

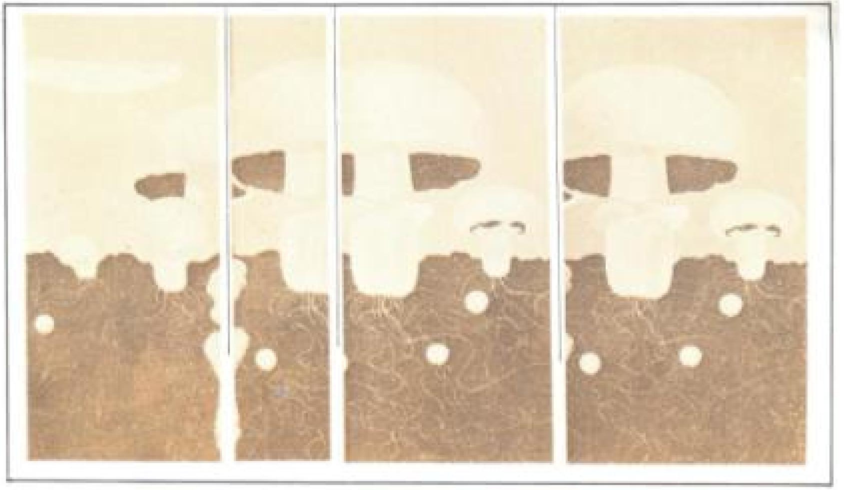

فطر يصلح للاكل

والفطريات لهذا السبب لا تستطيع العيش بمفردها . ولكنها تعيش عالة على غيرها من الكائنات ، أو مترممة على المخلفات النباتية والحيوانية فتنمو عليها نموا سريعا ، وتعطى فى النهاية كتلا خلوية غنية بالبروتين .

وهذا ما شجع العلماء على الاهتمام بتلك الكائنات . فقد اعتقدوا أننا نستطيع بواسطتها (ضرب عصفورين بحجر واحد) كما يقولون . .

فمشكلتنا الكبرى فى الزراعة . هى تلك الاطنان الهائلة من المخلفات الزراعية سواء النباتية أو الحيوانية ، والتى نضطر فى كثير من الاحيان للتخلص منها بحرقها . . ولكن . . ها هى ذى الفطريات على استعداد للنمو عليها ، وتستهلكها فى بناء خلاياها الغنية بالبروتين ، فنتخلص بذلك من المخلفات ، ونحصل فى نفس الوقت على أغذية بروتينية طيبة الطعم والمذاق . . !!

حقا . . ما أجملها من فكرة . . ولكن كيف سنحصل على بروتين الفطريات ؟

حسنا . . ما علينا حينئذ الا أن نجهز للفطريات بيئة النمو المناسبة وهى خليط من الماء ، وأى نوع من المخلفات الزراعية أو مخلفات مصانع الاغذية مثل (المولاس) المتخلف من صناعة السكر . . وعندئذ تتشرب الاكياس الجرثومية للفطريات كميات من هذا السائل ، وتنتفخ ، وبعد ساعات قليلة تنفجر الاكياس الجرثومية وتبرز الخيوط الدقيقة التى تستطيل وتتفرع . . وكل منها ينمو ويتضاعف ليعطى ملايين الجراثيم الجديدة ـ وهكذا ـ وبعد أربعة أيام تفصل المستعمرات وتجفف وتطحن على هيئة مسحوق بروتينى . . !

والنفط . . كذلك . .

ولا تقتصر بيئة زراعة الفطريات على المخلفات الزراعية ومخلفات مصانع الاغذية ، ولكن التجارب أثبتت امكانية استغلال بعض المشتقات البترولية ، مثل الغازات الطبيعية وزيت الغاز ، كبيئة لزراعة الفطريات بهدف انتاج البروتين البترولى Petroprotein من الفطريات . .

وقد اكتشف العلماء أكثر من ألف نوع من الكائنات المجهرية لها قابلية النمو على مشتقات النفط . . وهى كلها سلالات فصلت من الطبيعة . والتى تعتبر المصدر الاساسى لكل السلالات الميكروبية ، غير أن العلماء تمكنوا من انتاج سلالات جديدة ، عن طريق احداث الطفرات الصناعية ،

نوعان من الفطر أحدهما صالح للأكل (الأعلى)
والثاني سام (الأسفل)

مثل تلك التى قام بها علماء مركز ابحاث (لورد رانك) فى انجلترا حيث انتجوا سلالة من الفطر تمتاز بارتفاع نسبة البروتين ، ويمكن تنميتها بسهولة على بيئة من المخلفات البترولية . .

بروتين الفطريات . . فى الميزان

تشير نتائج معامل التحليل ، أن نسبة البروتين فى الفطريات يتراوح بين ٣٠ - ٦٠٪ بالمقارنة بنسبة ٢٦,٥٪ فى اللبن المجفف الكامل .

ولكن الامانة العلمية تقتضى أن نشير الى أن هناك نقطة ضعف فى بروتين الفطريات ، ويتمثل ذلك فى افتقار هذا البروتين لبعض الاحماض الامينية الاساسية مثل التربتوفان والميثونين (وهى أحماض لازمة لتغذية الانسان) .

غير أن البروتين الفطرى يتمتع بميزة هامة . . فهو غنى بحامض أمينى أساسى يسمى (الليسين) وهذا الحامض الاخير لا يتوافر فى البروتينات النباتية مثل الفول والعدس والبسلة والفاصوليا . . وغيرها . .

ولهذا فقد اقترح العلماء إمكانية اضافة بروتين الفطريات (الغنى بالليسين) مع بروتين النبات (الفقير بالليسين) بهدف رفع القيمة الحيوية للوجبة الغذائية .

ومن ناحية أخرى فقد أثبت بروتين الفطريات أنه يشبه بروتين السمك ، وكذا البروتين النباتى المنتج من فول الصويا . .

اربعة انواع سامه من الفطر : « المكاريا والفالويدس والاسكولنتا والمارغاى » .

ومما يزيد ايماننا بهذه البروتينات الجديدة .. تلك التجارب التى أجريت على الحيوانات كما حدث فى المعهد المركزى لبحوث الطعام والتغذية فى هولندا ، فقد اقبلت العجول والدواجن على الأعلاف التى خلطت ببروتين الفطريات ولوحظت زيادة معدلات نموها ..

وهذه التجارب ، تعيد الينا ذكرى ما فعله الألمان فى أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) حينما قاموا بانتاج أعلاف للماشية من الفطريات .. فكانوا يضعون أملاح النوشادر مع علف حيوانى ثم يزرعون فى العلف المندى أنواعا من الفطريات ، التى تنمو وتحول أملاح النوشادر الى بروتين سهل الهضم ورخيص الثمن ..

من فضلك .. طبق فطريات ..

نداء ستعود على سماعه وترديده فى المطاعم ، وربما مع تحوير بسيط فى النداء .. فمازال لفظ .. فطريات ، وعفن يثير الاشمئزاز لدى كثيرمنا . وتجنبا لسوء الفهم هذا ، فمن المتوقع أن تدخل بروتينات الفطريات كمرحلة أولى ضمن أغذية تقليدية مألوفة مثل اللحوم المفرومة أو السجق أو اللنشون ، بهدف خفض سعرها .. وقد تدخل ضمن تركيب المكرونة وأنواع الشعرية وغيرها من منتجات العجائن ، بهدف رفع قيمتها الغذائية مع خفض اسعارها ، نظرا لرخص ثمن بروتين الفطريات ، والذى وصل سعر الكيلوجرام منه الى حوالى دولار واحد ..

وفى الأونة الاخيرة ، فقد خطت تكنولوجيا الفطريات خطوة واسعة . عندما صرحت الحكومة البريطانية لشركة (هوفيزماكدوجال) وهى اكبر شركة للانتاج الغذائى فى أوروبا ، بالبدء فى غمر الاسواق العالمية بطعام غنى جدا بالبروتين ، مصنوع من الفطريات مع فطر عيش الغراب ..

والطعام الجديد سيباع على هيئة (أصابع سميكة) ، وكذلك على هيئة أجزاء الطيور ولحم البقر . وقد تمكنت الشركة بعد ابحاث طويلة من تقليد انسجة اللحم الحيوانى ولحوم الطيور ، وكذلك اعطت اللحم الجديد نفس رائحة ومذاق اللحم الطبيعى ، بحيث لا يمكن للمستهلك أن يفرق بينه وبين اللحم الطبيعى

ليس هذا فحسب .. بل ان المجال فسيح أمام بروتين الفطريات لاستخدامه للاغراض الصناعية كمنكهات (أى عوامل طعم ورائحة) للأغذية التقليدية فمن قبل استخدم الشرقيون بعض انواع الفطريات لتكسب نكهة خاصة لشوربة فول الصويا . وفى معهد باتل التذكارى بمدينة كولبس بولاية أوهايو الامريكية توصل الباحثون لانتاج البروتينات الفطرية على هيئة بودرة للشوربة . كما أثبتت بعض الفطريات مثل فطر مورشيلا نجاحا ملحوظا لانتاج بروتين غذائى يتميز بروائح مرغوبة .

ومن ناحية أخرى فقد استخدمت هذه البروتينات كعوامل استحلاب فى كثير من الصناعات الغذائية ..

مزيد من انواع القطر .

واليوم .. تحتل منتجات البروتين الفطرى مكانة مرموقة فى السوق الدولية .. سواء فى أمريكا أو اوروبا أو دول الكتلة الشرقية .. ولكن .. أين نحن من هذا العالم الجديد .. عالم بروتين الفطريات .. ؟

مجتمعنا العربي .. يخاصم الفطريات

من المدهش حقا أن نتابع عن بعد اخبار جيل جديد من البروتينات غير التقليدية ، بدأت تأخذ مكانها على موائد العالم شرقا وغربا . فى الوقت الذى لا يسمع كثير منا عن هذه البروتينات .. ناهيك عن تناولها ..

والاغرب من هذا .. أن الدول المتقدمة التى تمثل فى تعدادها ربع سكان العالم تنتج وحدها حوالى ٤٠٪ من البروتين العالمى بالطرق التقليدية بينما الدول النامية التى تمثل ثلاثة أرباع سكان العالم تنتج حوالى ٦٠٪ من البروتين العالمى ، مما انعكس على نصيب الفرد من البروتين فى كل من المجموعتين .. اى أن عالمنا النامى كان أولى به أن يسبق الآخرين فى البحث عن مصادر جديدة للبروتين .. الا أن العكس هو الذى حدث ، فمعظم أبحاث البروتينات غير التقليدية ، ومعظم المصانع التى تنتج هذه البروتينات منتشرة فى داخل حزام الدول المتقدمة ..

واذا كنا فى عالمنا العربي .. ما زلنا حتى الآن نخاصم البروتينات غير التقليدية ، برغم أنها أمل الكثيرين لفك حصار الجوع وسوء التغذية .. فاننا لا نلقى باللائمة على شعوبنا فهى لم تُهيأ بعد نفسيا لتقبل هذه الأغذية الجديدة . ولا يرجع ذلك ـ فى رأينا ـ لقصور فى العقل العربي كأن يقال انه عقل رافض لكل جديد .. لا .. بل ان العقل العربي لقادر على استيعاب المرحلة ، ولا ينقصه الا التوجيه الرشيد من أولى الامر المعنيين بمشاكل التغذية وانتاج الطعام ، ومن ورائهم رجال المال العرب الذين يضنون بأموالهم للدخول فى سباق انتاج البروتينات الجديدة .

ولعلنا ونحن نعرض للعقل العربي وللذوق العربي ، جانبا من هذا العالم المثير .. عالم البروتينات غير التقليدية .. لعلنا بهذا نقدم للعقل العربي بعضا من حقه فى أن يعرف .. وتلك ـ بلا شك ـ أولى خطوات تقرير المصير ... □

هل تخاف السفر بالطائرة ؟

بقلم الدكتور : فوزي عليان

ما زال بعض الناس يخافون ركوب الطائرة رغم التطور الهائل الذي حدث في صناعة الطائرات . . فهل أنت ممن يخافون السفر الجوي ؟ وهل تعلم أن السفر جوا أكثر وسائل الانتقال أمنا ؟ ومع ذلك فان عليك قبل أن تسافر أن تكون مدركا للأخطار الصحية للسفر الجوي .

ان مصدر الخوف من ركوب الطائرة كما يقول بعض علماء النفس هو الشعور الذي ينتاب الناس بأنهم لا يسيرون فوق أرض صلبة . . ان التحليق في الجو بين الأرض والسماء يثير الرعب في نفوس الكثيرين من الرجال والنساء على السواء ، ويضاعف من هذا الشعور ، المنظر الذي يتكرر أمام ركاب الطائرة وهي تستعد للانطلاق ، عندما تقف المضيفة أمام ركاب الطائرة ، وهي ترشدهم إلى ما يجب أن يقوموا به في حالة انخفاض الضغط داخل الطائرة وفي حالة الطوارىء ، ثم وهي تحدد لهم أماكن الخروج الاضطراري على الجانبين .

والخوف من الطائرة شعور بدأ مع بداية دخول عصر الانتقال من مكان الى مكان بطريق الجو .

وعندما تنبأ .هـ . ج . ولز في كتابه (مكنة الزمان) بقرب توصل الانسان الى هذا الاختراع ، قال الذين قرأوا كتابه : (وكأنه يتنبأ بنهاية الحياة على الأرض ! ترى أين يريد لنا الكاتب أن نعيش ؟)

هذا الخوف . . هل له ما يبرره ؟ لو عرف الناس أن حوادث السيارات . ، طبقا للدراسات والاحصائيات ، تبلغ أضعاف حوادث الطائرات من حيث عدد الضحايا الذين يسقطون تحت عجلاتها التي تسير على أرض صلبة ، أو الذين يقضون نحبهم وراء عجلة القيادة نتيجة لحوادث التصادم المروعة حتى أصبحت السيارة نقمة . . لو عرف الناس هذه الحقائق العلمية لأدركوا أن حوادث الطائرات أقل بكثير جدا نسبيا من حوادث السيارات . . ولقد وقفوا على الرعب الذي يصيب البعض من ركوب الطائرة التي اصبحت تنطلق اليوم بركابها بسرعة تفوق سرعة الصوت .

ولكن لنا بعد هذا وقفة . . ترى متى يكون السفر بالطائرة محفوفا ببعض المخاطر ؟ ان هناك بعض الحالات التي تتطلب حرصا وحذرا من جانب المسافر بالطائرة ، نتيجة للتغييرات التي قد تطرأ فجأة ، وهي تغيرات يحتملها المسافر السليم ، ولكن قد تسبب ضيقا لمن يشكو علة أو مرضا .

والمتاعب الصحية التي تنجم عن السفر الجوي تنتج عن عدة أسباب ، من بينها انخفاض الضغط الجوي داخل الطائرة ، أو اهتزاز الطائرة ، أو الجلوس الطويل بلا حركة ، أو الانتقال السريع الى مناطق زمنية مختلفة عن تلك التي اعتادها الانسان .

وتبدأ بانخفاض الضغط الجوي . والطائرات الحديثة مكيفة الضغط ، ومعظم النفاثات تطير على ارتفاع يتراوح ما بين ثلاثين الفا الى اربعين ألف قدم من مستوى سطح البحر . وعند هذه الارتفاعات فان الضغط داخل قمرة الركاب يكيف ليتساوى مع ضغط جوي يعادل الارتفاع على خمسة آلاف الى سبعة آلاف قدم من مستوى سطح البحر ، أي حوالي ٦٠٠ ملليمتر زئبق بدلا من ٧٦٠ ملليمتر زئبق عند سطح البحر .

وينتج عن انخفاض الضغط هذا تأثيران هامان : أولهما : انخفاض الضغط الجزئي للاوكسجين ، والثاني : تمدد الغازات .

وأكثر من يعاني من هذه المشكلة هم من اعتادوا السكن على ارتفاعات قريبة من مستوى سطح البحر .

انخفاض ضغط الاكسجين

تتأثر نسبة تشبع خضاب الدم (الهيموجلوبين) بالأكسجين ، ولكن هذا التأثير ليس بكثير ، وذلك نتيجة للخصائص الفسيولوجية لخضاب الدم .

ويقدر نقص الاكسجين عند ارتفاع ستة آلاف قدم بأربعة بالمئة فقط عند الشخص العادي . أما اذا كان المسافر مصابا بأحد امراض الدم أو الجهازين الدوري والتنفسي فان الأثر كبير وضار . ويزداد الأمر سوءا اذا كان المسافر من المدخنين . فمن المعروف أن دم المدخن يحتوي على ما يقرب من خمسة بالمئة من الهيموجلوبين المشبع بغاز أول أكسيد الكربون ، بدلا من الأكسجين ، واذا اضيفت هذه النسبة الى ما ينقص من أكسجين اتضح مقدار الضرر الحاصل .

وذلك فان المصابين بفقر الدم الشديد ينصحون بعدم السفر بالطائرة حتى يتم علاجهم .

وكذلك ينصح الأطباء بعدم سفر المصابين بفقر الدم المنجلي (وهو حالة وراثية) بطريق الجو حيث ان نقص الاكسجين قد يسبب تكون جلطات مختلفة في الجسم ، مثل الطحال والعظام والمخ . واذا كان لا بد من سفرهم فمن الأفضل أن يتم تزويدهم بالأكسجين خلال الرحلة .

وكذلك ينصح بعدم سفر المرضى المصابين بجلطة حديثة في القلب أو الرئة أو الدماغ .

وهناك نتيجة أخرى لانخفاض الضغط وجفاف الهواء هي ازدياد فقد الجسم لسوائله عن طريق التنفس . وعند البالغين فان هذه ليست بمشكلة كبيرة ، وكل ما يشعر به المسافر هو بعض العطش ، أما في الأطفال وخصوصا حديثي الولادة فان الأمر قد يكون خطيرا ، فهم يفقدون سوائلهم بنسبة أكبر من الكبار ، ويجب إعطاؤهم المزيد من السوائل خلال الرحلة .

وتتمدد الغازات بانخفاض الضغط ، وتقدر الزيادة في حجم الغازات على ارتفاع ستة آلاف قدم بما يقرب من الثلث .

وأغلب المسافرين يشعرون بهذا عن طريق الأذن ، وكذلك يشعرون بتمدد الغازات في أمعائهم ، وبعضهم قد يصاب بمغص ورياح ، وهي آثار جانبية لا تلبث أن تزول بعد فترة زمنية وجيزة .

ان الأذن الوسطى متصلة . . بالبلعوم عن طريق قناة استاكيوس ، والتي تقوم بوظيفة معادلة ضغط الأذن الوسطى بالضغط الجوي الخارجي . واذا كانت هذه القناة مسدودة كأن يكون المسافر مصابا بالزكام ، فان الضغط يزداد داخل الأذن الوسطى ، وقد يسبب ألماً شديدا ، وكذلك المصابون بالتهاب الجيوب الأنفية ، الذين تزداد أعراضهم سوءا مع انخفاض الضغط الجوي .

وتمدد الغازات داخل الأمعاء ، وقد يشكل الأمر خطرا كبيرا على من أجريت له عملية جراحية خلال الأيام القليلة السابقة للسفر اذ قد تتفتق جراحه .

كما يمنع المريض المصاب باسترواح صدري (دخول هواء الى الغشاء البللوري للرئة) من السفر جوا خوفا من ازدياد الضغط على الرئة وبالتالي نقص كفاية الجهاز التنفسي .

اهتزاز الطائرة ودوار الحركة

تطير معظم النفاثات على ارتفاعات عالية فوق السحب ، حيث الاضطرابات الجوية ، ولكن مازال هناك بعض الطائرات المروحية التي تطير على ارتفاع أقل ، حيث يكون الجو أكثر اضطرابا ، الأمر الذي يعرضها للاهتزازات التي تؤثر على جهاز التيه في الأذن الداخلية .

وقد يشعر بعض المسافرين بالدوار والغثيان والقيء . ولذلك فان المسافر الذي يصيبه الدوار ينصح بتناول الأدوية المضادة للتقيؤ قبل صعود الطائرة ، كما أن الجلوس في وسط الطائرة بين الجناحين أفضل ، حيث ان الاهتزازات هناك أقل .

ومن الملاحظ أن الدوار يقل كلما اعتاد المرء ركوب الطائرة .

والجلوس الطويل بدون حركة في أثناء الرحلات البعيدة يصيب الأقدام بالتورم والاحتقان ، وقد يتجمع الدم في الأوردة .

وأكثر المعرضين للاصابة هم أولئك الذين أصيبوا بجلطات سابقة في أرجلهم والمصابون بدوالي أوردة الساقين الذين ينصحون بارتداء جوارب مرنة ضاغطه . كما أنه من الأفضل أن يترك المسافر مقعده ليتمشى في ممر الطائرة اذا سمحت الفرصة بذلك .

كما يمكن للمسافر أن يقوم بتمارين رياضية خلال جلوسه ، وذلك بشد عضلات الساقين بدون تحريكها .

عبور المناطق الزمنية بسرعة

ومن المعروف أن للجسم دورة فسيولوجية يومية تحدد للانسان نشاطه اليومي من نوم وأكل ونشاط . واذا انتقل المسافر الى بلد يكون فارق التوقيت بينه وبين بلده الأصلي كبيرا ، فانه يشعر لعدة أيام بالتعب والارهاق والأرق ، وقد تنخفض قدرته الذهنية . ويحتاج لعدة أيام للتكيف مع طبيعة البلد القادم اليه .

وينصح المسافر الى بلاد بعيدة بالنوم في الطائرة ، والامتناع عن القيام بأعمال تتطلب تنبها وتركيزا ذهنيا لعدة أيام . وتزداد هذه المشكلة حدة عند كبار السن .

كما أن فئة أخرى من المسافرين تتأثر من جراء السفر ، وهم مرضى البول السكري ، حيث قدتتغير عليهم مواعيد تناول الدواء والطعام ، ولذلك فان عليهم المحافظة على المواعيد التي اعتادوها في بلادهم قبل السفر ، حتى يصلوا وجهتهم ويتكيفوا التكيف المناسب مع طبيعة البلاد الجديدة .

سفر الحوامل :

أن تأثير السفر قليل على الحوامل ، وينصح بعدم سفر الحامل بعد الاسبوع الخامس والثلاثين . والسبب الوحيد لذلك هو خشية الولادة خلال السفر . وفي النساء اللائي أنجبن الكثير من الأولاد فان الطلق والولادة قد يأتيان سريعا ، ولذلك فان هذه الفئة تنصح أكثر من غيرها بعدم السفر خلال الحمل .

ان السفر بطريق الجو أصبح آمنا ومريحا ، واذا كان للمسافر أي شك باحتمال أن يشكل سفره خطرا عليه فعليه أن يراجع طبيبه . كما أن الكثير من شركات الطيران الكبرى لديها أطباء متخصصون في هذا المجال ، وهم قادرون على اعطاء النصيحة . □

اقرأ في العدد القادم من العربي

□ **بومباى .. تحت العاصفة**

استطلاع بالألوان ... سليمان مظهر

حمى البحر الأبيض المتوسط	الميكروبات وفساد الغذاء النباتى	لغة الإعلام بين الفكر والمجتمع
د. محمد بركات	د. حسين العروسى	د. محمد سيد محمد

○ ملف عن الجامعة العربية يشارك فيه:

د. أسامة أمين الخولى - جابر شعراوى

واقرأ: □ دفاع عن أبى حيان التوحيدى .. د. جعفر هادى حسن

□ النقد الأدبى عند لسان الدين بن الخطيب .. د. إحسان عباس

□ إصابات الرأس واللحظات الذهبية .. د. سامى محمد على

□ قناة البحرين .. خطر إسرائيلى قادم ! استطلاع سليمان الشيخ

○ كتاب الشهر : وجوه عديدة لعاشق واحد اسمه مجنون ليلى ! جليل العطية

○ وجهاً لوجه : الطيب صالح وصلاح حزين

□ البيت العربى : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت

□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحى - د. نبيه الغبرة - د. فخرى إسماعيل - قاسم حداد
وليد أبو بكر - إبراهيم نصر الله - محمود منقذ الهاشمى - جمال وردة

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

(كوستو) في رحلة حول العالم

العالم الفرنسي جاك كوستو يبلغ من العمر ٧٤ عاما .. وقد تحدثنا عنه في عدد سابق بصدد اختراعه الجديد .. القارب الشراعي الآلي الذي يعتمد على الريح جزئيا ويوفر بذلك الكثير من البترول الذي يستهلك .. وقد دار حديثنا السابق حول الفشل الذي لقيه في رحلته التجريبية الاولى ، والذي اضطره الى العودة من حيث أتى .. مؤكدا أن التلف الذي حل بشراعه آنذاك كان سببه خلل اللحام الذي اكتشفوه عند قاعدة الشراع والذي أدى الى خلع ذلك الشراع أو كسره .. ولم يشك كوستو عندئذ بأن المسؤول عن ذلك الخلل كان احد العمال الذين أسهموا في بناء القارب .. وأن اختراعه سليم ١٠٠٪ كما ستدل على ذلك التجربة الثانية ..

ويبدأ كوستو تجربته الثانية هذه في أواسط شهر مايو الماضي (١٩٨٥) وانطلق بقاربه الجديد (الكيون) من لاروشيل في فرنسا الى نيويورك .. فهو اذن ينوي قطع المحيط الاطلسي باعتباره المرحلة الاولى من رحلته .. وسيواصل الابحار بعد ذلك في اتجاه الجنوب حتى يصل الى كيب هورن في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية ، ليدور حوله ويتجه بعد ذلك شمالا فغربا حتى يصل الى اليابان ومنها الى بيكيني وجزر انيوتوك المرجانية في أواسط المحيط الهادي .. حيث سيقوم بقياس الرواسب

جاك كوستو

الذرية التي يمكن أن يكون قد خلفها هنا التفجير النووي الامريكي الاول . وسيعود الى فرنسا بعد مضي سنتين ونصف السنة على مباشرته الرحلة .

وقد قال كوستو للصحفيين قبيل بدء الرحلة « ستقيم رحلتنا الدليل على أن قاربنا الجديد ـ المصمم والمصنوع في فرنسا ـ كفيل بتوفير الكثير من البترول الذي درجت السفن (غير الشراعية) على استهلاكه بمقادير كبيرة .

وحينما سئل عن قاربه (الكيون) وعما اذا كان من القوة والمتانة بالقدر الذي

تتطلبه تحديات الرحلة ، أجاب « ان الكيون قارب صغير نسبيا ولايزيد على ٦٥ طنا .. ويجهز بمحركين ديزيل وتوربينات رياح جعلت على هيئة مداخن بطول ٣٠ قدما ، ولكنه جرب قبل عشرة أيام حين ابحر في يوم عاصف بلغت سرعة الريح فيه ٢٧ عقدة .. واحرز الكيون سرعة ١٠,٥ عقدة في تلك الريح القوية .. ولم يستهلك القارب سوى قطرات معدودة من الوقود وهي التي يحتاجها تسيير محركات الشراع الضرورية لبدء عملية امتصاص الهواء » .

وتجدر الاشارة الى أن الرئيس ريجان سيستقبل كوستو ويقلده وسام الحرية،أعلى الجوائز المدنية التي تمنحها الولايات المتحدة الامريكية وذلك في ٢٣ يونيه ..

قصة نجاح .. بطلها عربي مغترب

يعجب الانسان والانسان العربي بالذات ، للنجاح الفائق أو النبوغ ، الذي تحرزه الأدمغة العربية المهاجرة والعاملة في شتى البلدان الاوروبية والامريكية . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لماذا يتعذر على هذه الأدمغة مثل هذا النجاح فيها لو بقيت تعمل في المحيط العربي ، او في حالة عودتها اليه في هجرة معاكسة ؟ وقصص نجاح العرب المغتربين كثيرة ، ويكاد لايمضي شهر واحد دون أن يفاجأ المتتبع لها بقصة أخرى جديدة .

وقصة النجاح التي نود استعراضها هنا باختصار وقعت في بلاد السويد ، حيث توجد شركة استرا لصناعة الادوية ، اكبر شركات الأدوية في السويد .. وحيث توجد شركة فرمنتا المتفرعة عن شركة استرا ، والمختصة بانتاج البنسلين وشتى المستحضرات التي تتطلبها المضادات الحيوية ، فقد مرت شركة فرمنتا هذه بأزمة خانقة .

وفجأة انقلبت الأوضاع رأسا على عقب وحققت شركة فرمنتا ـ دون غيرها من النجاح مالم يكن في الحسبان .

ذلك أن رفعت السيد (٣٩ سنة) ، العالم المصري والخبير في شؤون ادارة الاعمال ، اقدم على شراء شركة فرمنتا سنة ١٩٨٢ . وحسبك الارقام الموجزة التالية لتقدر مدى النجاح الذي أحرزته شركة فرمنتا منذ أن اشتراها وتولى ادارتها رفعت السيد .

السنة	المبيعات	الارباح او الخسائر
١٩٨١	٧٠ مليون كراون	١٠ ملايين كراون خسائر
١٩٨٤	٤٥٠ مليون كراون	٨٠ مليون أرباح

ورافق ذلك كله ارتفاع في قيمة اسهم شركة فرمنتا ، وقد بلغت في شهر مايو الماضي (٢٤٨) كراون للسهم الواحد ، اي ثلاثة أضعاف قيمته في سنة ١٩٨٤ .

والجدير بالذكر أن رفعت السيد عالم في الميكروبيولوجيا ، وقد درس في الولايات المتحدة وفي السويد وهو ذو طموح كبير ويتوقع لمبيعات فرمنتا ان تبلغ في هذه السنة (١٩٨٥) ١,٦٠٠ مليون كراون .

وقد توسعت الشركة السويدية وأسست لها فروعا في فرنسا والولايات المتحدة ، وذلك بعد أن اشترت المصانع المناسبة في تلك البلاد . وكان آخر ما اشتراه رفعت السيد الشركة الايطالية بيربل وهي شركة تصنع المستحضرات الصيدلانية ، فضاعف بذلك مبيعات شركته وعدد عمالها ، وكانت الزيادة ٧٦٠ مليون كراون .

ولعل في هذه القصة دليلاً لاعلى مواهب الفرد العربي وطاقاته فحسب ، ولكن على الدور الاساسي الذي يلعبه فن ادارة الاعمال ، ايضا ، فهو الفن الذي لاغنى عنه في الاعمال التجارية وفي الجامعات وفي اعمال الوزارات وفي كل مجال آخر من مجالات الحياة . . بما في ذلك الحروب . . . □

حقيبة يـد
فتاكة وخبيثة

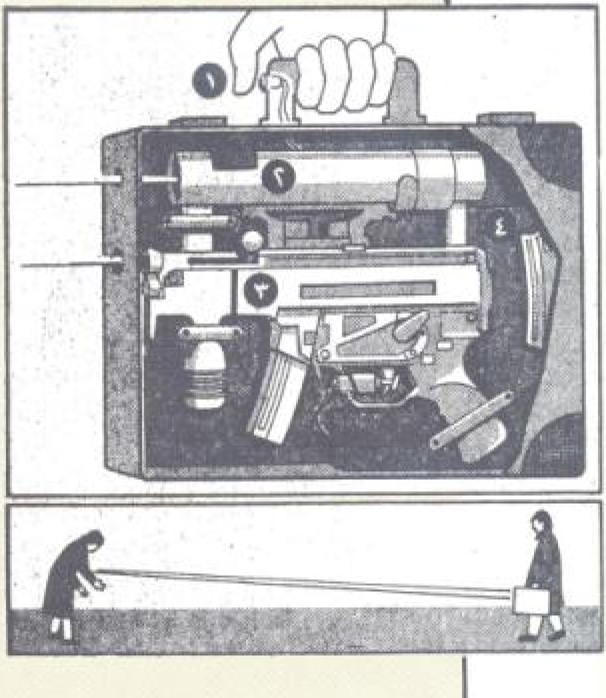

١ ـ زناد المسدس يضغط عليه بالابهام .

٢ ـ فيعمل جهاز التسديد بأشعة ليزر .

٣ ـ ويطلق المسدس عياراته على الهدف باحكام .

٤ ـ والحقيبة مجهزة بمخزن عيارات اضافية للمسدس .

والجدير بالذكر ان هذه الحقيبة مستعملة على نطاق محدود ، وبخاصة في ايرلنده الشمالية .

مكتشفون ومخترعون

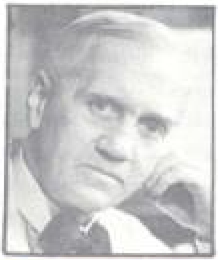

السير الكسندر فلمنج ١٨٨١ - ١٩٥٥ مكتشف البنسلين

ظهر التداوى بالمركبات الكيماوية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثم اخذ يحل محل التداوى بالأعشاب فى مطلع القرن العشرين . . فقد نجح العالم الألمانى بول ارلنج سنة ١٩٠٧ فى تركيب (سلفرسان ٦٠٦) العلاج الفعال فى معالجة السفلس ، او ان شئت « الطلقة السحرية » كما سموه آنذاك . وقفز التداوى بالكيماويات قفزة كبيرة سنة ١٩٣٥ ، حين نجح عالم المانى آخر ، هو جيرارد دوماج فى تركيب البرونتوسيل ، عماد مركبات السلفا ، وهى التى نجحت فى معالجة عدد من الأمراض القتالة حتى سميت « الادوية العجيبة » وحسبك انها قضت على امراض التهابية Infectious عجزت عن معالجتها الأعشاب .

ولكن التداوى بالكيماويات دخل عصره الذهبى باكتشاف البنسلين وسائر المضادات الحيوية .

فما هي قصة البنسلين هذا ؟ وما هى قصة مكتشفه السير الكسندر فلمنج . . عالم الجراثيم الاسكتلندى المعروف ؟ .

ولد الكسندر فى بلدة لوخفيلد سنة ١٨٨١ ، وتخرج من كلية الطب التابعة لمستشفى سان مارى فى لندن ، ثم التحقق بجامعة لندن ، ومضى فى ابحاثه ودراساته للمواد الكفيلة بقتل البكتريا ومعالجة الأمراض الناشئة عنها ، دون الاضرار بجسم الانسان . وواصل فلمنج ابحاثه بعد التحاقه بفرقة الجيش الملكية الطبية . وما لبث ان عاد الى كلية سان مارى ، ثم شغل منصب البروفسور المحاضر فى كلية الجراحين الملكية فى لندن ، كان ذلك سنة ١٩٢٨ وهى نفس السنة التى اكتشف فيها البنسلين .

وتجدر الاشارة الى أن البنسلين لم يكن أصلا من المركبات الكيماوية ، بل كان مادة عضوية ، أو بكتريا على وجه التحديد ، فهو اذن بكتريا تقتل بكتريا أخرى وتقضى على الأمراض الناجمة عنها .

ثم جاء الكسندر فلمنج سنة ١٩٢٨ وراح يركز تجاربه على بكتريا Staphilococci فلفت نظره ذات يوم وجود تلك البكتريا فى مواضع من أطباق المختبر وعدم وجودها فى مواضع أخرى من تلك الأطباق . ولاحظ العالم ان المواضع الخالية كانت تعج باشياء اخرى غير البكتريا . . بفطريتين من سلالة واحدة بالذات هى سلالة بنيسليوم (Penicillium) ويعنى اسمها اللاتينى هذا : « فرشاة الدهان » وقد اطلقوه على تلك السلالة لان شكلها يشبه الفرشاة .

غير ان بنسلين فلمنج هذا لم يكن دائم الفاعلية ، اى ان فاعليته كانت بحاجة الى تثبيت قبل أن يصبح العقار المعتمد الموثوق به . ونجح عالمان آخران حيث فشل فلمنج وقد تسنى هوارد فلورى النمساوى ، وارنست تشين ، الألمانى تثبيت فاعلية البنسلين سنة ١٩٤٠ ، حتى أصبح بحق « العقار المعجزة » واستحق العالمان مشاركة السير الكسندر فلمنج فى جائزة نوبل فى الطب ، وقد ظفر بها الثلاثة سنة ١٩٤٥ .

وبدأ انتاج البنسلين على نطاق واسع فى أمريكا سنة ١٩٤١ ، اى عقب تثبيت فاعليته مباشرة وبذلك اكتسح التداوى بالكيماويات ميدان الطب اكتساحا ، وقد وجد الأطباء فى البنسلين ضالتهم المنشودة والعلاج الناجع لأمراض عديدة فتاكة ومستعصية نذكر منها التهاب السحايا والسفلس والالتهابات الرئوية والسل . □

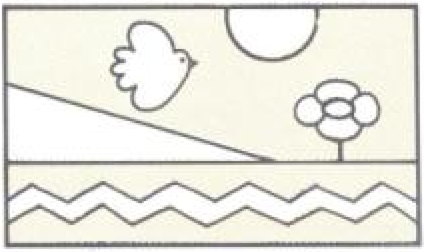

سلامة البشرية في سلامة البيئة

فاكهة الكيوى في نيوزيلندة

الكيوى طير صغير لا يطير . . يكاد يكون مجهولا لدى أكثر سكان العالم . . ولكنه معروف ومألوف في نيوزيلنده . . ويحتل مكانة خاصة لدى سكانها وحكومتها حتى أصبح يمثل الشعار القومى لتلك البلاد البعيدة النائية ، التى لا يزيد عدد سكانها على ٣٫٢ مليون نسمة ولم يمض على ضمها الى بريطانيا سوى مائة عام تقريبا . .

على أن الاسم (كيوى) يطلق في نيوزيلنده على أشياء أخرى عديدة ، تخص بالذكر منها فاكهة الكيوى ، أو كما يسمونها هناك (الكيويفروت) ذلك أن هذه الفاكهة أصبحت محورا لثورة اقتصادية عارمة في تلك البلاد وقد تصبح عماد الاقتصاد الوطنى فيها قبل نهاية القرن العشرين . .

والجدير بالذكر أن نيوزيلنده كانت وما زالت تعتمد على الماشية والأغنام في حياتها الاقتصادية ، فعدد أغنامها يربو على ٧٠ مليونا و ٧٠٪ من دخلها القومى انما يأتيها من تصدير اللحوم ومستخرجات الالبان . . ولكن هذه الصادرات استوجبت في السنوات الأخيرة عون الحكومة ودعمها نظرا للمزاحمة الشديدة التى تلقاها في الأسواق العالمية . . وهكذا تراكمت الديون على حكومة نيوزيلنده وأصبحت صادراتها التقليدية مصدر ارهاق للاقتصاد الوطنى . . وبالتالى سببا في هبوط مستوى المعيشة الذى طالما اشاروا الى ارتفاعه بالبنان في وقت مضى .

واكتشفت الحكومة فجأة الكيويفروت ، بل اكتشفت خواص الفاكهة المميزة لا الفاكهة نفسها . .

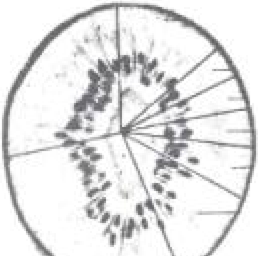

وقد كانت تزرع في احدى مناطق نيوزيلنده منذ زمن بعيد ، اكتشفت ان الكيويفروت غنى بالالياف المفيدة للجهاز الهضمى وغنى بالفتامين ، إذ تبلغ محتوياته من هذا الفتامين (٣) أضعاف محتويات البرتقال ، واكتشفوا أيضا أن الكيويفروت غنى بالبوتاسيوم والكالسيوم . . وانه بلا صوديوم وان سعراته الحرارية قليلة نسبيا . . هذا بالاضافة الى طعمه المستطاب وهو يشبه طعم الشمام . . والاهم من ذلك كله الارباح الكبيرة التى يتيحها لهم تصدير الكيويفروت . .

لا عجب اذن أن اقبلت حكومة نيوزيلنده بحماسة شديدة على تشجيع زراعة الكيويفروت وتشجيع تصديره الى الاسواق العالمية . . وبدأت جموع الزراع تتحول عن زراعة الكثير من النباتات التى درجت على زراعتها لتركز على زراعة الكيويفروت .

وهكذا بلغت كمية ما صدرته نيوزيلنده من هذه الفاكهة ٢١ مليون طبق خلال السنة الحالية ولم تجاوز هذه الكمية ١٣٫٧ مليون طبق في السنة الماضية

(١٩٨٤) وقل مثل ذلك في الدخل الذي لم يزد على ٧٠ مليون دولار في السنة الماضية . . وقد بلغ ١٠٥ مليون دولار في سنتنا هذه (١٩٨٥) ، والظاهر ان الحكومة مصممة على مضاعفة كميات التصدير هذه لتصبح ٧٢ مليون طبق سنة ١٩٩٠ . والجدير بالذكر ان في نيوزيلنده وزارة أو سلطة خاصة بالكيويفروت . . يسمونها (سلطة الكيويفروت) وذلك منذ سنة ١٩٧٧

طريقة القضاء على النفايات الصناعية

كانت النفايات الكيمياوية والصناعية مصدر قلق بالغ للعلماء الامريكيين والمختصين . . فما دامت مؤذية ، وقد تسبب الاصابة بالسرطان . . وما دامت المصانع قد امتنعت عن القائها في مياه البحار والأنهار والبحيرات منذ عام ١٩٧٠ . . فما السبيل اذن الى القضاء على تلك النفايات والتخلص من أذاها ؟

لقد درج البعض على طمر تلك النفايات ودفنها في باطن الارض . . ودرج آخرون على إحراقها على اليابسة . . وظهرت مؤخرا طريقة جديدة مبتكرة . . احراق تلك النفايات في أعالي البحار ، بعيدا عن المدن والقرى المأهولة ويتم حرقها بواسطة سفن خاصة طُوِّرت لهذا الغرض بالذات وتضمن حرق النفايات بنسبة ٩٩٪ أو تزيد . . وهذه نسبة تفوق بكثير نسبة الحرق على اليابسة . . فالطريقة الجديدة اذن أكثر فاعلية فضلا عن كونها أقل كلفة . . .

على ان وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة لم تتخذ بعد قرارا نهائيا بصدد هذه الطريقة الجديدة .

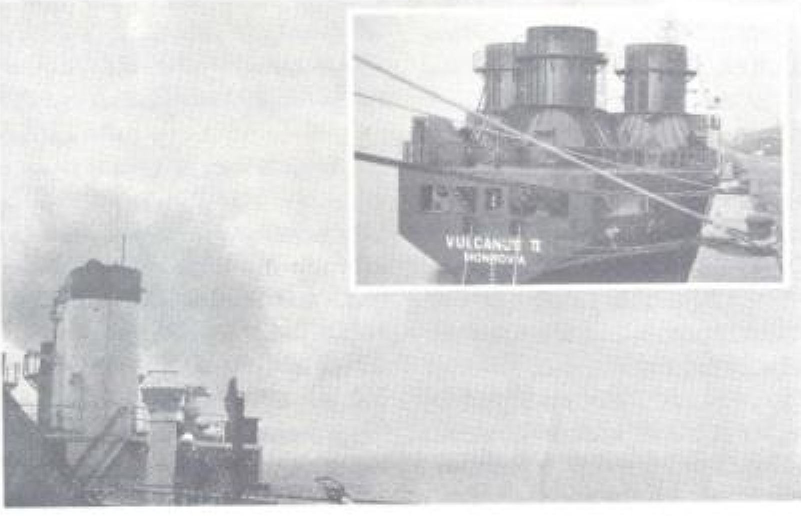

● السفينة فولكانوس كما تبدو وهي ساكنة (الاطار الصغير) وكما تبدو وهي ماضية في حرق النفايات في بحر الشمال (الصورة الكبيرة) .

المراحل المختلفة التي تمر بها القمامة لتحويلها من ملوثات ضارة الى اسمدة مفيدة .

لفظ « سيلودا » ، هو الاسم الذي اختارته الشركة الفرنسية (أو تي في) (ماركة مسجلة) لاجهزتها وطريقتها الخاصة لمعالجة القمامة .

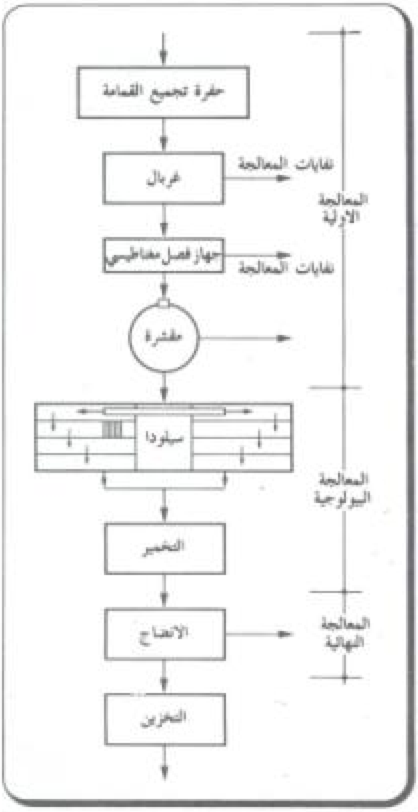

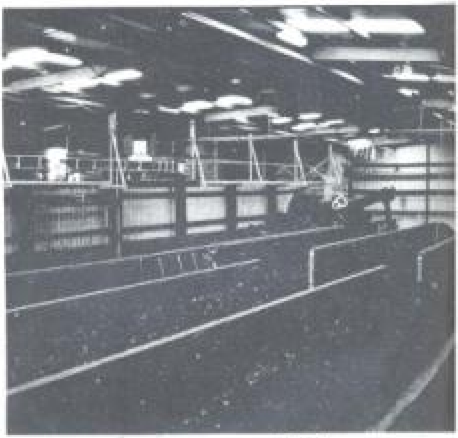

القمامة في مصانع التخمير والانضاج والتحويل الى اسمدة مفيده .

حرب شعواء على الخمر

يخوض الاتحاد السوفيتي حاليا ومنذ منتصف شهر مايو الماضي (١٩٨٥) حربا واسعة النطاق ضد المشروبات الروحية وضد المدمنين عليها .. فقد اتخذت السلطات عددا من الاجراءات المشددة وذلك في أعقاب حملة صحفية قامت بها الصحف ووكالة الانباء طوال اسبوعين .

من تلك الاجراءات الحد من انتاج الفودكا . ومنها عقوبات صارمة لمن يشرب من الموظفين في اثناء الدوام . أما المخمورون من سائقي السيارات فيغرمون بمبلغ ١٠٠ روبل (= ٨٥ دولارا) وتسحب منهم رخصة القيادة لمدة قد تبلغ ٣ سنوات . أضف الى ذلك كله تحريم المشروبات الروحية تحريما مطلقا على الذين لم يبلغوا ٢١ سنة من العمر ، وكان هذا الحد في الماضي ١٨ سنة .

وتجدر الاشارة الى خطورة هذه الاجراءات ، فصناعة المشروبات الروحية صناعة حكومية في روسيا ولا يقل دخلها منها على ٤٠٫٠٠٠ مليون روبل ، أي أن ما تجنيه الحكومة منها يعادل ١٠٪ من الميزانية العامة على وجه التقريب . فالحد من هذه الصناعة يعني ولا ريب خسارة كبيرة ومحققة للدولة .

ويحتل الاتحاد السوفيتي مكان الصدارة بين الدول من حيث الادمان على الكحول ، ويعزى هذا الى نسبة الكحول العالية في المشروبات الروسية أكثر مما يعزى الى مقدار ما يستهلكه المواطن الروسي من تلك المشروبات سنويا ، وهو يبلغ ٤٫٥ جالون للفرد الواحد بالمتوسط . وحسبك ان عدد الوفيات بسبب الخمرة بلغ ٥١٠٠٠ نسمة سنة ١٩٧٨ ولم يزد على ١٢٥٠٠ نسمة سنويا في الستينيات . □

من فوق جسر بين

العرب وأفريقيا

استطلاع : محمود عبدالوهاب

تصوير : سليمان حيدر

« يعيش العالم مأزقا اقتصاديا حرجا ألقى بظلاله على

الناس والحياة ، ووسط العلاقات غير المتكافئة ، فهناك

من يحاول أن يعيد بعض التوازن الى العالم ..

.. جزء من الجوع ..

مقابل جزء من الشبع ..

الجوع يترجل ..

الشبع يمتطي ..

الجوع ينام ..

الشبع يصحو ..

من أجل هذا التوازن يعمل البعض » ..

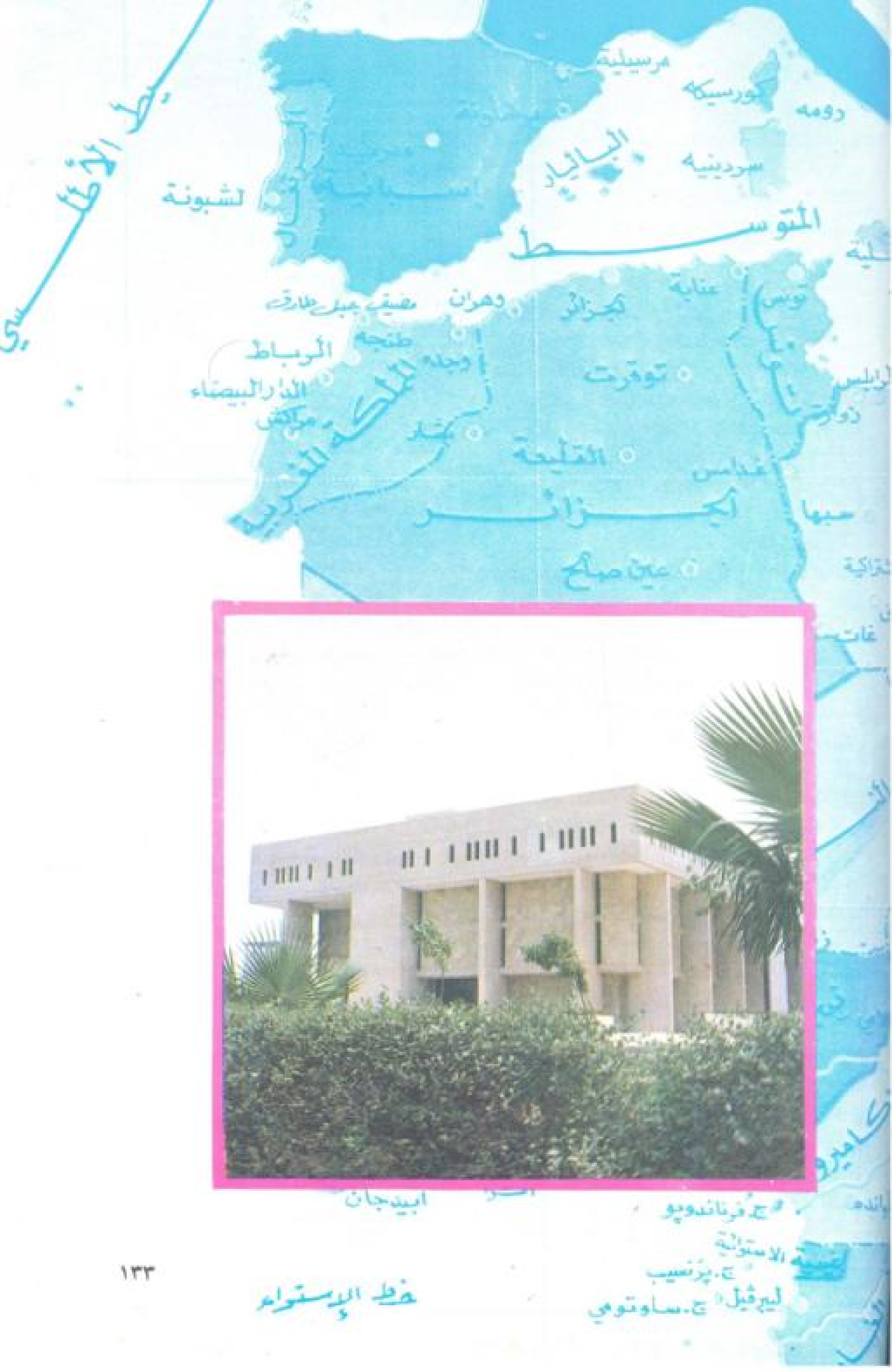
المحيط الأطلسي
مرسيليه
كورسيكه
روما
سردينية
البليار
لشبونة
اسبانيا
المتوسط
عنابة
تونس
وهران
مضيق جبل طارق
الجزائر
طنجة
الرباط
وجدة
توقرت
الدار البيضاء
مراكش
المملكة المغربية
بشار
القليعة
غدامس
سبها
الجزائر
عين صالح
غات
ج. فرناندوبو
الاستوائية
ج. برنسيب
ليبرفيل
ج. ساوتومي
ابيدجان
خط الإستواء

في نصف العالم الشمالي يعيش ربع سكان العالم ، ويحظون بأربعة أخماس دخل العالم . . . وفي الجنوب يعيش ثلاثة أرباع يتقاسمون خمس دخل العالم فقط .

في الشمال متوسط العمر يقارب السبعين ، وفي الجنوب يموت طفل بين كل أربعة أطفال قبل بلوغ الخامسة ، في الجنوب ٤٠٪ من السكان لا شيء يشغلهم سوى محاولة البقاء على قيد الحياة ، والوفاء بحاجاتهم الأساسية ، في الجنوب . . . تتوقع أفضل التقديرات أنه سيكون هناك ٦٠٠ مليون كائن انساني يعيشون في حالة الفقر المطلق بعد ١٥ عاما فقط ، أي في عام ٢٠٠٠ مطلع القرن الحادي والعشرين .

ومحنة الجنوب هذه تعود جذورها الى عوامل كثيرة . . فالتخلف هو ابن شرعي للتاريخ المثقل بفترات الاستعمار واستنزاف الموارد ، والتفاوت الاقتصادي لا يقتصر على تفوق الشمال من حيث الثراء ، أو تراكم الأرصدة ، هذا المعنى البسيط للثروة ـ ولكن التفاوت يكمن في شكل الثراء المعقد ـ القوة الاقتصادية ـ فما يزيد عن ٩٠٪ من منشآت الصناعة التحويلية في العالم مقره دول الشمال ، وأغلب حقوق الاختراع وفنون الانتاج الجديدة ملك لشركات شمالية ، والشركات المتعددة الجنسية تملك الجزء الأعظم من النشاط الاستثماري في العالم ، وتتحكم في التجارة الدولية سواء في المواد الاولية أو في المنتجات المصنعة ، وهذه القوة التي خلقت التفاوت هي التي مكنت دول الشمال الغنية من فرض سيطرتها على النظام الاقتصادي الدولي وعلى هيئاته الدولية في ميادين التجارة والنقد ، وكما يحدث في المجتمع المحلي البسيط عندما تزداد حدة التفاوت الاجتماعي والنفوذ بازدياد عناصر القوة الاقتصادية ، فقد شهد العالم تعاظما في نفوذ دول الشمال الغنية من .وازديادا في شكل السيطرة وامعانا في الدفاع عن مصالحها أيا كان الثمن . . ومهما بلغت فداحته حتى لو كانت موت ملايين من البشر . .

وكلما ارتفعت أصوات فقراء العالم مطالبة باسقاط الديون عنهم ومدهم بمعونات للبدء في مشروعات جديدة تخلق فرص عمل . . لتحسين الحياة الاجتماعية وتزويدهم بالتقنية الحديثة والتدريب عليها . . قابلتها مصالح الأغنياء . . تطالب بمزيد من المواد الأولية الرخيصة . . ومزيد من التسهيلات التجارية والجمركية ، لاغراق أسواق الفقراء بالسلع المصنعة ، والمطالبة بمزيد من تخفيض قيمة العملات الوطنية . .

وبين أصوات الفقراء ومصالح الأغنياء . . مساحة هائلة من الاختلاف لن تنتهي.وتكرس الفقر والأزمة في الجنوب . . فقر يدق العظم . . وأزمة بلغت ذروة المحنة بالفقراء الذين يموتون جوعا .

والجنوب الذي نعنيه هو دول العالم النامي التي يتفاوت الفقر فيما بينها ، وتختلف حدة الأزمة الاقتصادية فيها . إلا أنها ـ دول العالم النامي ـ تشترك في نفس المشاكل ، مستوى دخل منخفض ، قلة فرص عمل ، سوء حال الخدمات الاساسية (اسكان ـ صحة ـ تعليم ـ مواصلات) قلة استثمارات واردات تفوق قدرة التصدير ، وفي جملة القول تعاني بلدان العالم النامي مشكلة تنمية حقيقية .

الاتجاه نحو الجنوب

ميراث وتاريخ طويل . . يقف خلف مأساة الجنوب التي هزت العالم أوائل هذا العام . . بجيوش الموتى جوعا ، ولقد كانت تراكمات التاريخ منذ عصر المستعمرات ، وكل قصص الوحشية والاستعباد التي مارسها الغازي الابيض جزء أساسا في خلفية ما يحدث اليوم ، وحتى في التاريخ الحديث ، وتحديدا بعد الحرب العظمى الثانية ، عندما بدأ العالم يعيد النظر في بقاء المستعمرات . . فان جلاء الجنود بأحذيتهم لم يكن الا بعد ربط المستعمرات اقتصاديا وسياسيا ، وتأمين تبعية ملائمة . . وكان أكبر ضمان لدول الغرب هو سوء الوضع الاقتصادي الذي كان استمراره ضمانا أكيدا لرواج سيطرة الغرب . . فالجنوب هو السوق الواسعة المتعطشة والكثيرة العدد، وهو منبع المواد الخام الأولية اللازمة لدوران عجلة الصناعة بل استمرار الحياة نفسها .وبدأت دول الغرب في تطبيق سياسة افقار الجار التي كانت تمارسها بلدان اوروبا فيما بينها حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، وظهور النظريات الاقتصادية الجديدة وثبوت بطلان فعالية هذه السياسة .

ولم تكن دول الغرب حسنة النوايا تجاه الجنوب ، وما يردده البعض من ضرورة اسهام الدول الصناعية المتقدمة في دعم ومعاونة الدول النامية للخروج من أزمتها دعوة مشكوك فيها لأن تقدم ونمو البلدان النامية ضد مصالح البلدان المتقدمة .

ولعل خير دليل على صحة هذه الرؤ يا هو ماحدث من قبل منظمات المساعدة الغربية،فعقب الحرب العالمية الثانية اجتمعت الدول الغربية في مدينة بريتون ودز بمقاطعة نيوهامبشير عام ١٩٤٤ وتم الاتفاق على انشاء البنك الدولي للانشاء والتعمير ، ومهمته أن يتولى تقديم القروض لاعادة بناء أوروبا واليابان والدول النامية . وصندوق النقد الدولي ومهمته تنظيم العملات وتحقيق الثبات في اسعار الصرف للعملة ، وتوفير غطاء من السيولة ليخدم حرية العلاقات التجارية ، وبينما قامت هاتان المؤسستان بدورهما كاملا لاعادة تعمير أوروبا فان دورهما تجاه بلدان العالم الثالث أقل ما يوصف به أنه شديد السلبية .

واصبح السيناريو « معروفا بكيفية تقديم البنك أو الصندوق » وصفة لعلاج الاقتصاد الوطني في بلد ما مقابل إعطائه القرض أو الايعاز لبيوت المال العالمية باقراضه وكثيراً ما تأتي نتائج هذه .. الوصفة بأثار وخيمة .. وكثيراً ما تتوامم نتائجها مع مصالح الاقتصاد الغربي . وهكذا وجدت دول العالم النامي نفسها أمام طريق مسدود .. الأزمة تشتد،وتتراكم المشكلات يولد مشاكل جديدة ويفجر القديم .. وتتوالى التراكمات ..

مازلنا نتجه جنوبا

يقع الوطن العربي على امتداده ضمن دائرة الجنوب .. وقد تكون آثار محنة الجنوب ليست واضحة تماما ، ولكن الجفاف والجوع اللذين اقتربا من حدوده في السودان مـاهُما إلاّ منبهين لكي نظل متذكرين اننا في دائرة الجنوب والمحنة ليست في الجوع ولكنها تكمن قبل ذلك في مؤشرات وأزمات كبيرة .. فأزمات الاسكان وسوء حال المرافق الأساسية وانخفاض مستوى الدخل .. وسوء الرعاية الصحية .. وقلة فرص العمل ، وتوازن الصادرات والواردات وعدم قيام نشاطات انتاجية بما يمثله هذا من فرص عمل الى آخر كل عوامل الأزمة الاقتصادية التي لا ينكر أحد أن الوطن العربي يعيشها بدرجات متفاوتة ولعل الدول العربية الاكثر حظا هي دول النفط العربية التي تجاوزت هذه الأزمة الا انها ووفق المؤشرات الدولية تدخل ضمن بلدان العالم النامي رغم ارتفاع مستوى دخل مواطنيها وتمتعهم بأفضل رعاية اجتماعية ممكنة من اسكان وتعليم وصحة ومشروعات البنية الأساسية المتكاملة (طرق مواصلات،مرافق) ... رغم هذا فان الوطن العربي يعيش أزمة العالم النامي بكل ما فيها من اختناقات وقروض وديون ، ومحاولة جذب دائمة الى فلك التبعية . فمنذ بدء استقلال هذه الدول وهي تجد نفسها دائما في معارك لا تنتهي من أجل البحث عن تمويل مشروعات التنمية .. وكثيرا ما كانت تجد نفسها أمام وصفة البنك الدولي وصندوق النقد ، وكثيرا ماكان يطلب من أقطارنا التنازلات ، فان كان

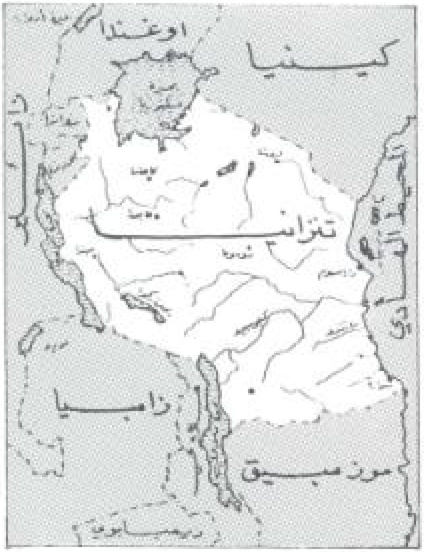

خريطة تنزانيا توضح موقعها وجيرانها وأهم المدن بها .

ورشة الصيانة في سكك حديد تنزانيا التي أسهم الصندوق الكويتي في تمويلها

محطة سكك حديد دار السلام .. مبنى شديد التواضع من الخارج والداخل

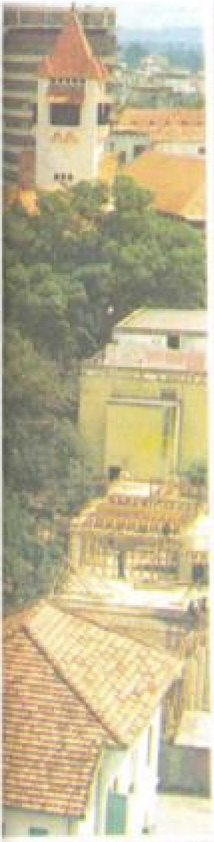

خلف هذا الجما
المتاوع يختبىء القف
والأزمنة وشوارع د
السلام المهملة .

عامل
تنزاني يعمل
بيده على
مخرطة
جديدة لقد
عرف الآلة
وتعامل
معها .

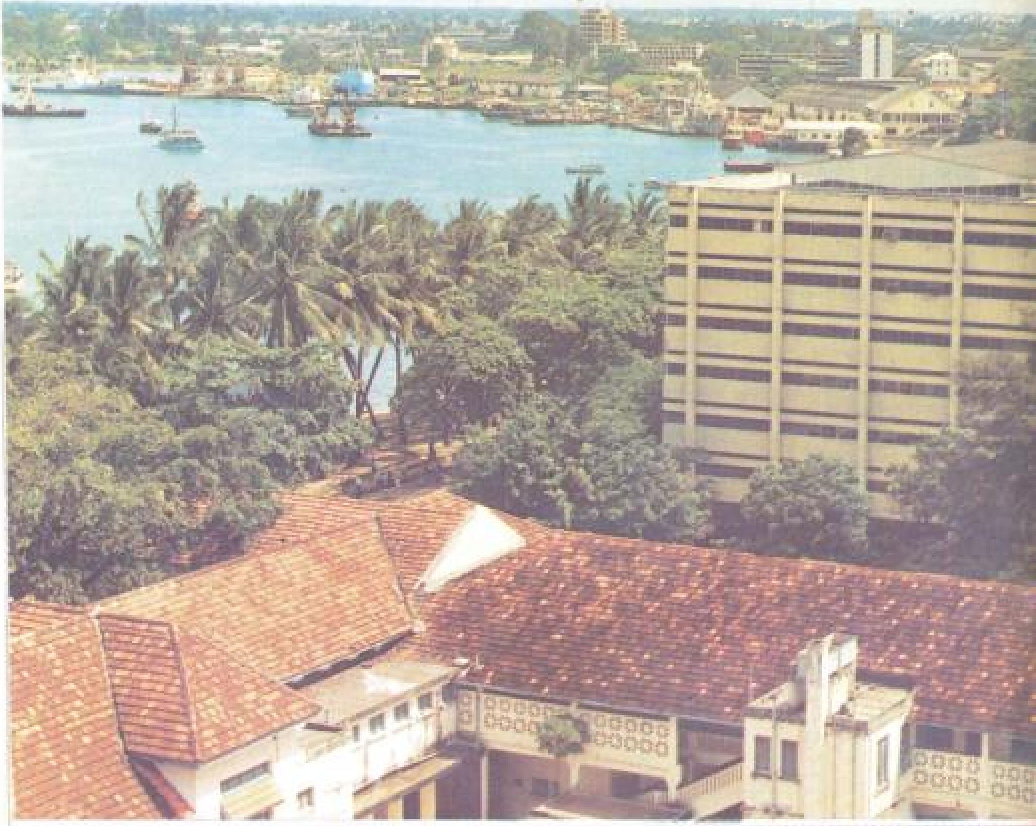

الوطن العربي يعيش مأزق الجنوب الفقير فانه يعيش ايضا مأزق صاحب الموقع الأخطر وعند صراع المصالح ويل للأضعف . . واقسى الويل للاضعف اذا كان لديه امتياز ما وكان واقعا في براثن الاحتياج . ولعله جزء من التاريخ القريب حين حاول البنك الدولي ان يلوي ذراع مصر في أواخر الخمسينيات للحصول على قرض لتمويل بناء السد العالي . . وليس سرا الآن أن شكل الاعتراض الاقتصادي حول عدم جدوى المشروع . . وعدم مقدرة الاقتصاد المصري على الوفاء بالقرض . . ليس سرا ان هذه الاعتراضات كانت ردا على موقف سياسي وعدم استجابة لضغوط سياسية . . وجاء الرد على هذا الموقف ، والتفنيد بعد ربع قرن عندما أنقذ هذا المشروع مصر من زحف الجفاف !!

بقعة ضـوء

لا أحد يدري هل كانت هذه التجربة ماثلة في ذهن صانع القرار . . بالقطع لم تكن هذه التجربة سوى جزء صغير على هامش التفكير . . ولكن الشيء اليقيني أن القرار كان جريئا وجديدا وخطيرا . كان ذلك في شهر ديسمبر عام ١٩٦١ وبعد اعلان الاستقلال بشهور قليلة . . صدر مرسوم أميري يعلن فيه أمير دولة الكويت انشاء « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » بهدف تقديم الدعم والمعونة والقروض الميسرة للبلاد العربية الشقيقة في تمويل مشروعاتها ، وتحدد للصندوق ٥٠ مليون دينار كويتي كرأس مال .

في هذا الوقت وبهذا التوقيت يصبح المرسوم شهادة ميلاد لأول مؤسسة من مؤسسات الدعم الثنائي في العالم الثالث ، فلم يكن العالم الثالث حتى ذلك التاريخ ـ ولزمن طويل بعد ذلك قد عرف مؤسسة اقتصادية مستقلة تقدم الدعم للدول من داخل العالم الثالث ، فقد كان هذا الامر حتى ذلك الحين مقصورا على دول الشمال والغرب .

ومن هنا فقد جاء القرار جريئا وجديدا وخطيرا .

بدر الحميضي نائب رئيس مجلس ادارة الصندوق يتحدث عن نشأة الصندوق وتطوره فيقول : « عقب الاستقلال مباشرة أدركت الكويت أهمية توثيق علاقاتها العربية ، ايمانا بفكرة مازالت قائمة الى اليوم وهي أن أمن الكويت وازدهارها يكمن في ازدهار وتنشيط علاقاتها العربية»ومقولة « الكويت بلاد العرب قديمة قدم تاريخ الكويت ، وكان اتخاذ القرار عشية الاستقلال ـ ومازالت الدولة في طور تدعيم انشاء مؤسساتها ـ يتفق مع هذه النظرة العربية القومية ، ورغم ان موارد البترول في ذلك الحين كانت قليلة جدا فبرميل النفط في ذلك الحين كان يتراوح سعره من ١,٥ ـ ١,٧ دولار ، الا ان كل هذا لم يمثل عائقا أمام انشاء الصندوق ، وباشر الصندوق عمله . . وظل لفترة طويلة تزيد على عشر سنوات هو المؤسسة العربية الوحيدة التي تقدم الدعم والمعونة لمشروعات التنمية في البلاد العربية ، ومنذ اليوم الأول فقد وضع الصندوق سياسة عامة له تتلخص في « اننا نعمل بعيدا عن الهموم والخلافات السياسية وان غرض الصندوق هو تقديم الدعم والمساعدة غير المشروطة . . لتحقيق انجازات لها الأولوية في خطط التنمية .

وفي يوليو ١٩٧٤ صدر قرار بتوسيع نشاط الصندوق ليشمل كل دول العالم ، فأصبح يشمل نشاطه تمويل المشروعات والبرامج الانمائية في افريقيا وآسيا ومحيط الباسيفيك ، وتقرر زيادة رأس المال الى ١٠٠٠ مليون دينار ثم تضاعف بعد ذلك الى ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي في عام ١٩٨١ والتزم الصندوق ايضا بنفس السياسة والتي اصبحت منهجا وخطا اساسيا للصندوق . . ونحن نقدم الدعم والمساعدة من أجل التنمية . . ولقد أثمرت هذه السياسة من حيث العلاقات الطيبة والوطيدة التي نشأت بين دول العالم والكويت ، وفتحت المجال للكويت الدولة أن تمارس دورا مميزا ومؤثرا في العلاقات الدولية ، وأعطتها مساحة تقدير كبيرة لدى دول العالم الثالث بشكل خاص .

نحن جزء من ذلك العالم

مازلنا نتابع السيد بدر الحميضي وهو يشرح لنا سياسات الاقراض وقطاعاتها فيقول : كان واضحا لدينا بأننا جزء من ذلك العالم بكل مشاكله وآلامه ، وبكل ما فيه من خير وشر ومصالح وصراع . . ومن

في أحد مواقع سد ميتز الكهربائي خبير ايطالي يشرح خطوات العمل بالتفصيل لمجموعة من الكوادر الفنية .

هنا كانت سياسات الاقراض التي يتبعها الصندوق تراعي وتتوخى دائما مصالح البلدان الاخرى ، وبالطبع عصرنا هذا ليس عصر ملائكة أو انبياء ، وعندما اقول اننا نتوخى مصالح الدول المقترضة فليس معنى ذلك اهمال حقوق الصندوق ولكن لأن جزءا كبيرا من مشاكل البلدان النامية يكمن في الادارة فقد حاولنا أن نقدم المشورة غير الملزمة من اعداد الدراسات الاستطلاعية للمشروعات الى اعداد دراسات الجدوى وتوفير الخدمات الفنية والاستشارية ثم بعد الاتفاق على المشروع والتمويل نقدم القرض بشروط ميسرة جدا ، فسعر الفائدة في الصندوق يتحدد حسب طبيعة المشروع ومدته وقيمة القرض ، وهو يتراوح بين ٠,٥ الى ٥٪ ومدة القرض بين ١٥ ـ ٤٠ سنة بفترة سماح من ٣ ـ ١٠ سنوات .

ودعني اسوق لك مثالا على اننا نتوخى مصالح البلد المقترض كي ازيدها ايضاحا ونلقي ضوءا على مفهومنا نحو العالم النامي الذي ننتمي اليه جميعا . لنفترض أن هناك مشروعا لاقامة شبكة طرق برية ، وتولي الصندوق اعداد الدراسات ـ التي تتم مجانا ـ وادارة القرض ، عندما نطرح اعمال الانشاءات فاننا نعلن بصراحة أن الأولوية لشركات المقاولات الوطنية في ذلك البلد ثم لشركات المقاولات من دول العالم الثالث ، لماذا ؟ لأنه عندما تتولى شركة وطنية التنفيذ فهناك جانب هام بخلاف العائد المادي وهو التدريب والتأصيل للاضطلاع بمشروعات كبرى . فهو تطوير لها من حيث الكفاءة والعمل ، وهذا دور هام جدا ، والمستفيد بالدرجة الاولى وعلى المدى البعيد هو البلد المقترض والا فليس أيسر من اسناد المشروع الى شركة عالمية ـ مهما كانت جنسيتها ـ ومع الاشراف والمتابعة ستقوم بتنفيذ المشروع وانتهى الامر ، وهذا يحقق مصالح البلد بتنفيذ المشروع ومصالح الصندوق ، ولكن هناك المسئولية الادبية والالتزام والا نكون قد انفصلنا عن العالم الذي نحن منه .

ويتضح المعنى اكثر من خلال القطاعات التي يتولى الصندوق التركيز على تمويلها ، فنحن في الصندوق ـ والحديث مازال لنائب رئيس مجلس الادارة ـ نركز على قطاعات وسائل الاتصال ، من طرق وموانئ وسكك حديدية وهاتف وبرق ومطارات ، وفي افريقيا نركز

مهندس بورشة الصيانة يشرح للعمال كيف التشغيل .

عمال متخرجون من معهد التدريب المهني والذي ساهم الصندوق في تمويله .

صيانة الآلات القديمة جزء من خطة للتطوير .

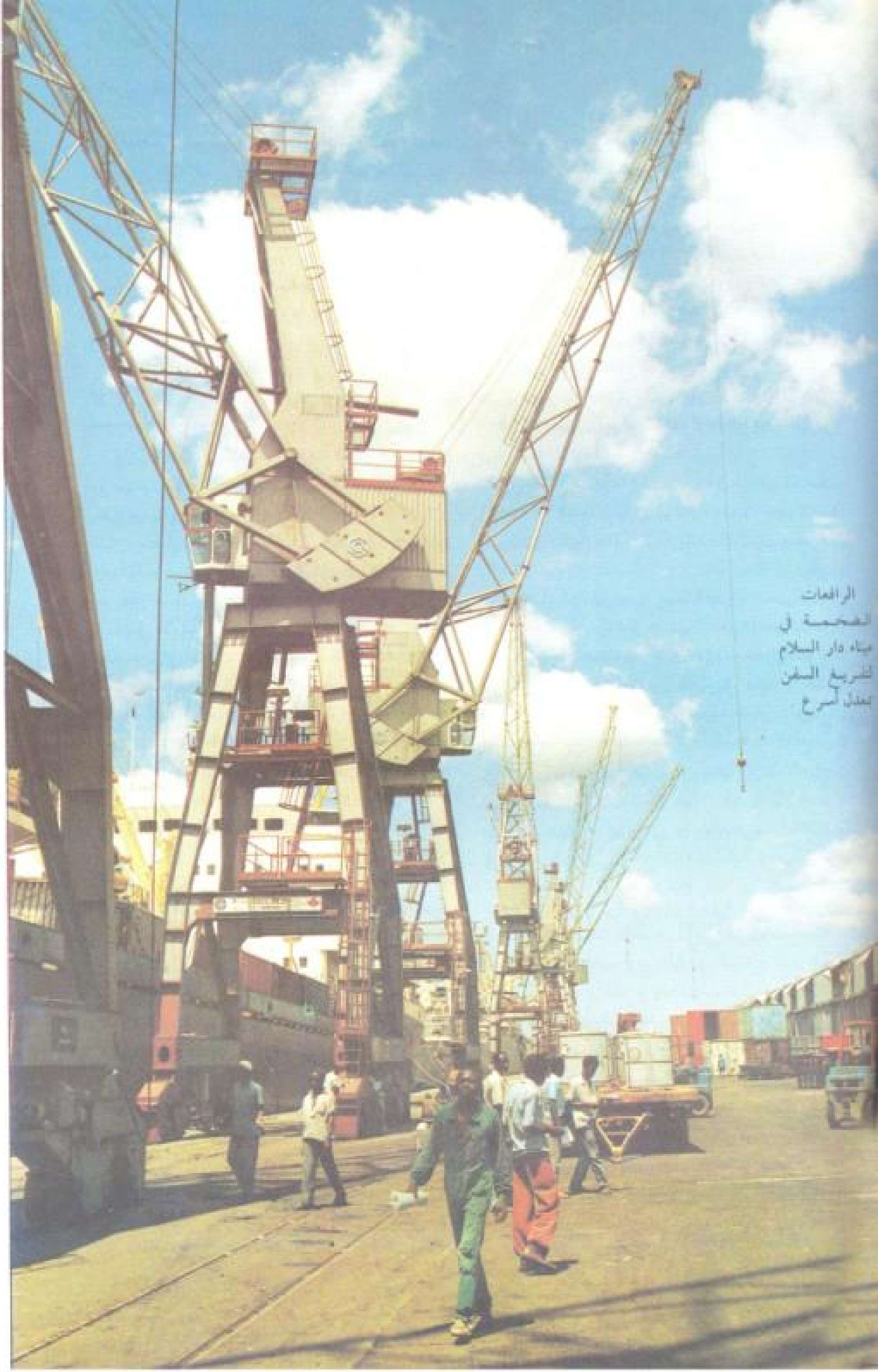

الرافعات الضخمة في ميناء دار السلام لتفريغ السفن بمعدل أسرع

بالاضافة الى ما سبق على مشروعات توفير المياه والمشاريع الغذائية ، وهذه هي توجهات وسياسات الصندوق في الاقراض وهي كما ترى مشروعات غير تجارية .. أي لا تدر عائدا بقدر ماهي مشروعات هامة لأي خطط للنمو والتنمية .. فأهمية مشروعات البنية الاساسية فوق انها ذات تكلفة عالية الا انه بدونها لا يمكنك القيام بمشروعات تطوير الاقتصاد والرعاية الاجتماعية .

قراءة في الوثائق

رغم أن السبعينيات قد شهدت انشاء عدد من مؤسسات الدعم العربية الا ان الصندوق الكويتي يبقى متميزا وأكثر اسهاما من كل المؤسسات الاخرى سواء بفضل الريادة والسبق أو حجم المساعدات وقيمتها أو من تنوع البلدان وانتشار مساعداته على خريطة العالم .

ولعل الأرقام وهي لغة لا تكذب هي التي تؤكد هذا دون أي شك ، فماذا تقول الأرقام من واقع وثائق الصناديق والمؤسسات العربية ؟ .

بلغ عدد قروض الصندوق الكويتي منذ انشائه وحتى عام ١٩٨٤ (٢٥٧) مشروعا ، وتقدر قيمة القروض بـ ١٢١٤ ، ٢٢٨ مليون دينار كويتي . وكان توزيع المشروعات كالاتي ١٣٣ مشروعا في البلاد العربية ، و ٦٥ مشروعا في افريقيا و ٥٤ مشروعا في آسيا وخمسة مشروعات في دول اخرى .

ولعل مقارنة أرقام قروض مؤسسات التنمية العربية مع ما قدمه الصندوق الكويتي للتنمية يوضح هذا التفوق والسبق للصندوق ، فقد بلغت قيمة القروض نهاية عام ١٩٨٢ الآتي : البنك الاسلامي ٢٤٥١,٠٤ مليون دولار ، صندوق ابوظبي ١٠٠٤,٢٣ مليون دولار،صندوق الاوبك ١٦٢٨,٨٩ مليون دولار ، الصندوق السعودي ٣٧٨٥,٨٩ دولار ، الصندوق العراقي ١٧٣٣,٠٢ مليون دولار ، الصندوق العربي ١٥٦٥,٦٢ مليون دولار ، المصرف العربي ٤٧٤,٢٨ مليون دولار وبلغت قيمة ما قدمه الصندوق الكويتي ٣٨٦٥,٥٨ مليون دولار .

وتتنوع قروض الصندوق فتشمل قطاعات مختلفة وبلدان عديدة ، فمثلا في قطاع الزراعة قدم الصندوق للبلاد العربية قروضا تقدر ١٥٦,٨٧٠ مليون دينار ، وللبلاد الافريقية ٤٩,٤٠ مليون دينار ، والبلاد الآسيوية ٤٧,٦١٠ مليون دينار ، وفي قطاع النقل والمواصلات قدم الصندوق ١٩٦,٥٧٠ مليون دينار للبلاد العربية و ١١٢,١٥٢ مليون دينار للبلاد الافريقية ، وللبلاد الآسيوية قدم (٥٢,٣٠٠) مليون دينار . وفي قطاع الكهرباء قدم (١٠٥,٧٠٦) مليون دينار للبلاد العربية ، والى البلاد الافريقية (٣٧,٢٠) مليون دينار ، وقدم (١٦,٢٧٤) مليون دينار للبلدان الاسيوية .

وفي قطاع الصناعة قدم الصندوق للبلاد العربية (١٢١,٦٨٦) مليون دينار ، وقدم (٢٣,٥٠٠) مليون دينار للبلاد الافريقية،وللبلاد الاسيوية قدم (٨٧,٩٨٩) مليون دينار .

وداخل الوثائق يلمع اسم الصين الشعبية .. واحدة من الدول والقوى في هذا العصر .. وتكشف لنا الوثائق أن الصندوق هو اول مؤسسة عربية تقدم قروضا الى الصين الشعبية لتمويل مشروعات تنموية ، فقدمت (٥٢,٦٠٠) مليون دينار لتمويل مشروعات تنموية ، ،اسمنت ، سماد ، الواح ، كما قدمت قرضا آخر قيمته ٦ ملايين دينار كويتي لتمويل مشروع انشاء مطار شايمن الدولي بالاضافة الى تمويل مشروع كهرومائي في ولاية فوجيان بتكلفة ٩ ملايين دينار كويتي .

ولم يقتصر دور الصندوق على هذه النشاطات والمشروعات ، فقد ساهم في تمويل مشروعات محاربة الجفاف ومشروعات توفير المياه في البلدان الافريقية التي تعاني من المشكلة ، فقدم للسنغال ٢١,١٠٠ مليون دينار كويتي لعدة مشروعات مائية منها : تطوير حوض نهر السنغال ومشروع آخر لتوفير مياه الآبار للقرى والأرياف ، وقدم الصندوق الى السودان ١٥,٩٩١ مليون دينار لتطوير مشروعات المياه ايضا ، وقدم للصومال ٦ ملايين دينار لاحياء المراعي الطبيعية ، و ١٥ مليون دينار الى مالي ، ٩,٢٠٠ مليون دينار لموريتانيا و ٦,٨٥٠ مليون دينار الى النيجر ، وهذه القائمة من الدول تعاني كلها من

مشكلات الجفاف وشبح الموت جوعا وعطشا . وبجوار القروض قدم الصندوق منحا لا ترد الى غينيا والصومال ومنطقة حوض نهر السنغال لتطوير مشروعات المياه ايضا وتأمين وصولها للسكان .

لماذا الاختيار ؟

كان الاختيار في البداية محيرا الى اين تذهب ؟ وأي المشروعات نزور ؟ ولم يطل التردد . . . كان القرار متوافقا مع البدايات . . نذهب الى الجنوب أي الى افريقيا أما لماذا افريقيا ؟ فلهذا رؤية وأسباب .

افريقيا هي بؤرة اهتمام العالم ولفترة طويلة قادمة ، ولقد بدأ هذا الاهتمام منذ اوائل الستينيات ، كانت افريقيا وقتها تقدم للعالم كل فترة دولة جديدة مستقلة ، والآن هي صاحبة الثقل العددي في الامم المتحدة ومنظمات اخرى عالمية واقليمية ، ثم فوق هذا فهي في بؤرة اهتمام العالم استراتيجيا،فالجغرافيا تقول ان افريقيا تحكم طرق العالم جنوبها عند الممر البحري القديم ـ رأس الرجاء الصالح ـ غربها مضيق جبل طارق ، شمال شرقها قناة السويس ، شمالها البحر الابيض الفناء الخلفي لاوروبا . . شرقها البحر الاحمر حافة منابع النفط . . وفوق هذا فهي الطوق الذي يحيط بمنطقة الشرق الاوسط ، ومن هذا الفهم هي في بؤرة الاهتمام لنا نحن العرب في الوطن العربي حيث انها هي العمق الاستراتيجي الوحيد والمتاح للوطن العربي،وهي المساحة البكر التي يمكن فقط من خلالها فتح المسارات وطرح الخيارات وبدائل المستقبل سياسيا واقتصاديا واستراتيجيا للأمة العربية .

وقد شهدت السبعينيات بداية أفكار لتوطيد الوصل العربي الافريقي من خلال الدعم والتعاون العربي الافريقي ، وكانت محاولات تستند الى خلفية تاريخية متسعة وعميقة بين العرب والافارقة الى الحد الذي يصل لدى بعض دارسي الجيولوجيا والانثربولوجيا الى القول ان افريقيا والجزيرة العربية كانتا منطقة واحدة قبل « الانفلاق العظيم » الذي نتج عنه البحر الاحمر . . ويدللون على ذلك بشدة التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية والشعوب الناطقة باللغات السامية (كالعربية والامهرية والتقرية) .

وكانت حركة العرب قبل الاسلام وبعد الاسلام من والى افريقيا متواصلة متتالية ، وأقام العرب في افريقيا،وكانت لهم حضارة امتزجت بالحضارة الافريقية وتزاوجت . . أقول انه منذ السبعينيات وهناك بدايات لافكار تبلورت في مؤتمرات تصعدت حتى مستوى القمة . . وظهرت مؤسسات للتعاون والتمويل . . و . . وكانت محاولة لتثبيت دعائم الجسر الواصل بين العرب وافريقيا . . وللاسف لم تكن النتائج زاهرة . . وعلى مدى السنوات القلائل الماضية ارتفعت اصوات تنتقد وتطالب بوقفة قصيرة للنظر والتأمل لهذه الأسباب والرؤية ، كان الاختيار ان نقف فوق جسر بين العرب وافريقيا وتحت ما تتيحه البقعة المضيئة عليه ـ الصندوق الكويتي للتنمية ـ نرى ونرصد . . لهذا ذهبنا الى تنزانيا ثم الى تونس .

آخر الحكماء

على الساحل الشرقي لافريقيا تقع تنزانيا حيث بقايا مملكة العرب القديمة في زنجبار ، فتنزانيا هي اتحاد بين تنجانيقا وزنجبار اعلن عنه في سبتمبر ١٩٦٤،وانتخب جولوس نيريري رئيسا للدولة الذي مازال حتى الآن رئيسا ليصبح اخر رئيس من زعماء افريقيا منذ السبعينيات باق في الحكم ، ويلقبه الأفارقة بأخر حكماء القارة ، ربما لهذه الخاصية أو لكبر سنه أو لأنه بدأ حياته قسيسا في الكنيسة ومازال مواظبا حتى الأن على الذهاب صباح كل يوم الى الكنيسة لاداء الصلاة ثم التوجه الى مكتبه .

ولقد عرفت أرض تنزانيا العرب منذ بداية القرن الثامن الميلادي وكان أول مكتشف أوروبي يصل الى المنطقة هو « بدور كابرال الذي كتب فيها بعد انه فوجيء بوجود عدد من المدن العربية المزدهرة فيها وظلت اجزاء كبيرة من تنزانيا خاضعة في فترات طويلة لحكم العرب الى ان خضعت للاحتلال الالماني عام ١٨٨٤ وظل الوضع هكذا حتى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، فقسمت مستعمرات المانيا في منطقة اقليم شرقي افريقيا بين بريطانيا وبلجيكا الى أن استقلت تنجانيقا عام ١٩٦١ ثم اتحدت مع زنجبار كما

قنوات المياه لتحويل الأرض الى ري دائم .

ميكنة الزراعة في وادي مجردة

يعمل بيده لتنقية الأرض من الحشائش

مراعي الأغنام لتنمية الثروة الحيوانية .

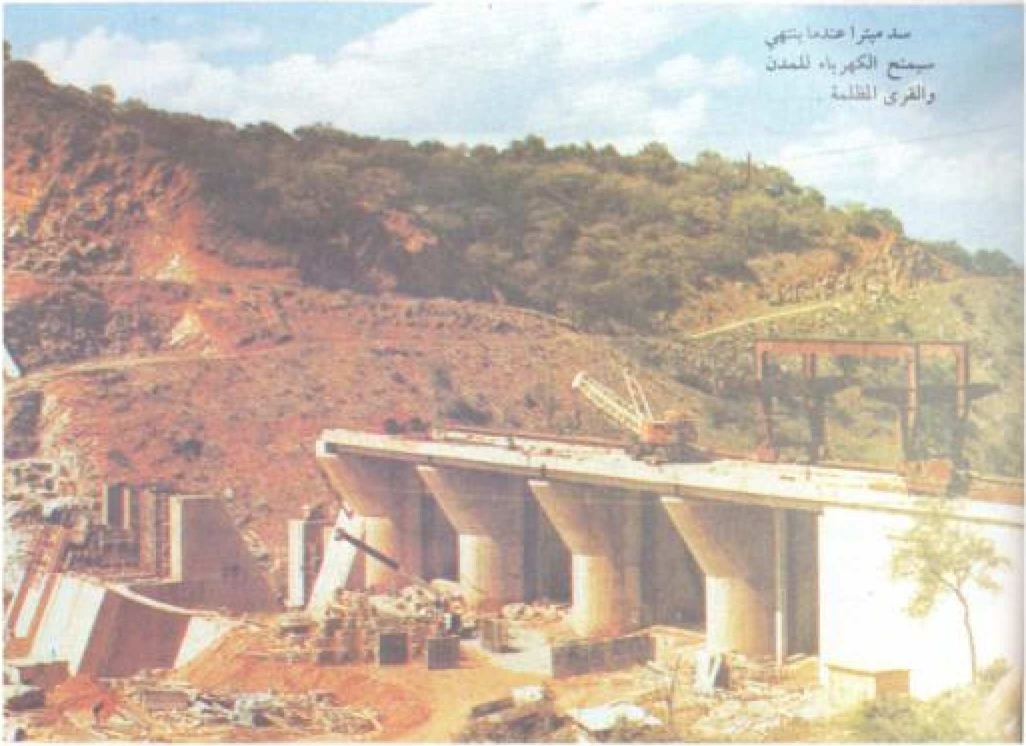

سد ميترا عندما ينتهي
سيمنح الكهرباء للمدن
والقرى المظلمة .

أوضحنا . وتبلغ مساحة تنزانيا حوالي ٩٤٥ الف كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي ١٩,٨ مليون نسمة حسب احصاء ١٩٨١ منهم ٧٠٪ مسلمون ، يطل ساحلها الشرقي كله على المحيط الهندي وتجاورها موزمبيق من الجنوب وكينيا واوغندا من الشمال وزائير غربا .

تعد تنزانيا كما تشير تقارير البنك الدولي من البلدان ذات الدخل المنخفض فمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي يبلغ ٢٨٠ دولارا في العام (أي اقل من دولار في اليوم الواحد) ، ويعتمد اقتصاد تنزانيا بشكل رئيسي على الزراعة ورسوم استخدام مينائها كمنفذ بحري وحيد لعدة دول مجاورة ، ونتيجة للتخلف وعدم تدريب الكوادر وتوفر الميكنة فان اجمالي الناتج القومي شديد التواضع ، الا أن أكثر ما يواجه تنزانيا من أزمات اقتصادية هي مشكلة الطاقة التي تستهلك ٦٠٪ من قيمة واردات تنزانيا ، ونتيجة العجز الدائم بين الصادرات والواردات والاحتياج الى التمويل الخارجي فان تنزانيا تعد واحدة من الدول الافريقية المدينة التي تمثل الديون فيها عبئا على قدرتها على السداد ، فاجمالي ديون تنزانيا يبلغ ١٦٥٩ مليون دولار ، أي ما يعادل ١٩,٤٪ من اجمالي الدخل القومي ، تسدد عنه فوائد تقدر بـ ٣٣ مليون دولار سنويا .

دار السلام العاصمة تمنحك احساسا بالالفة ، تشعر انك زرتها من قبل . . رأيتها . . . مشيت فيها . . الطبيعة شديدة السخاء تمنح خضرة وأشجارا تظلل شوارع متربة مهملة ، الزحام خانق . . وسط المدينة حيث المباني الحديثة بعيدة عن قلب المدينة ، تتوزع المباني على النمط القديم ، السقف الهرمي . . القرميد وخارج حدود هذه الصورة تنتشر البيوت الطينية المدعمة بألواح الخشب والصفيح . . رائحة الفقر تفوح . . ومع الفقر تنتشر كل الامراض الاجتماعية من عمولات ورشاوى . . . في المطار كان أول استقبال من موظف الحجر الصحي الذي طلب بهدوء مبلغ ١٠٠ دولار مقابل التغاضي عن عدم التطعيم ضد الحمى الصفراء . . في الفندق أنكر موظف الاستقبال وجود غرف شاغرة حتى تدفع فتظهر الغرفة،حتى التقينا مصادفة بأحد التجار العرب . . ومنه عرفنا حقيقة مذهلة ، إن الدولة تضع قيودا على تداول العملات الاجنبية وتقصر ذلك الحق على البنوك الرسمية ، ولذلك فان هناك سعرين للعملة وكي تدرك الفارق . . سألته عن سعر السوق السوداء وكان الفارق مذهلا المائة دولار تساوي رسميا في البنك ١٧٠٠ شلن تنزاني ولكنها في السوق السوداء تساوي ١٣ الف شلن ! ومهما تشددت الحكومة في العقوبة فلا يمنع هذا من أن يهمس شخص في اذنك عند باب شركة طيران أو باب الفندق (change) وبرغم انهيار مستوى الخدمات من مرافق وطرق ورعاية صحية ونظافة ورعاية اجتماعية . . رغم هذا الا ان تنزانيا واحدة من أقل البلدان النامية معاناة من الأمية ، فهناك ٨٤,٧٪ من السكان يجيدون القراءة والكتابة ، ونتيجة للظروف الاقتصادية السيئة فان تنزانيا تعتمد في تنفيذ كثير من مشروعاتها على المعونات والقروض .

ويساهم الصندوق الكويتي للتنمية في تمويل ٤ مشروعات بتنزانيا هي مصنع نسيج ، مشروع مصنع ورق ، سكك حديد ، مد كهرومائي ، وتبلغ قيمة اسهامات الصندوق ٣٣,٥٠٠ مليون دينار كويتي . تاريخ اول قرض في يوليو ١٩٧٥ واخر اتفاقية في يناير ١٩٨٤ .

الاستثمار باعداد البشر

ماذا قدمت المشروعات لتنزانيا ؟

مدير مشروع سد ميترا الكهرومائي يقول : هذا المشروع هام لنا للتنمية القومية ، فالنظم الحالية في محطات الكهرباء وطاقة التحمل ضعيفة ، المشروع سيوفر لنا ما يزيد عن ٢٠٠ الف كيلووات وستمكن من انشاء محطات تحكم أفضل وبالتالي ستمكن من زيادة عدد المدن المستخدمة للتيار الكهربائي ، لانه حاليا لا يتمتع بهذه الخدمة سوى سكان ١٨ مدينة فقط . وفوق هذه الاستفادة المباشرة فهناك جانب هام وهو أن المشروع قد خلق مهنا جديدة ، وعندما يتم بناء السد سيسهم في تحويل المنطقة الواقعة حوله الى منطقة حضرية ، والعاملون في المشروع جميعهم وطنيون ويبلغ عددهم ٥٠٠ عامل من مهن مختلفة

الاستثمار في قطاع السياحة أحد مصادر الدخل القومي .

بالاضافة الى مجموعة خبراء وهم أربعون خبيرا فقط من ايطاليا .

المشروع يعد من المشروعات مشتركة التمويل ، فتساهم أكثر من جهة في التمويل ، فمثلا البنك الدولي قدم ٤٠ مليون دولار ، ووكالة التنمية النرويجية قدمت ٣٠,٥ مليون دولار والوكالة السويدية للتنمية ١٦ مليون دولار خصصت أجورا ومكافآت للخبراء ، وايطاليا ٢٣,٧ مليون دولار مقابل المعدات،أما الصندوق الكويتي فقدم ٣٠,٥ مليون دولار خصصت للخدمات الهندسية وتمويل برامج التدريب واعداد كوادر التشغيل .

في مشروع اخره مصنع موفندي للورق » ، يقول مدير المشروع:الصندوق الكويتي انقذ هذا المشروع من التوقف فقد قدم الصندوق قرضا في البداية قيمته ٥ ملايين دينار كويتي بالاضافة الى مساهمين اخرين ، وبعد سنة من العمل توقفنا لعجز في التمويل وانقذنا الصندوق الكويتي بأن قدم قرضا آخر قيمته ٧ ملايين دينار كويتي . ولكي اوضح لماذا استخدم تعبير انقذنا اتحدث عن اهمية المشروع .. هذا المشروع سيوفر للدولة ٤٠ مليون دولار سنويا وستمكن من الاكتفاء الذاتي في استيراد الورق ، ونصدر الفائض . وأهمية الورق بالنسبة لنا في تنزانيا هي للنسبة العالية من السكان التي تقرأ وتكتب ، والورق الذي تستخدمه الصحف ، بالاضافة الى ذلك فهناك استخدامات المدارس .. فكل الاطفال يجب أن يذهبوا الى المدرسة في سن السابعة ، وهذا يعني الحاجة الى مزيد من الورق ، والمشروع نموذج متكامل حاليا ، استخدم المواد الخام (الخشب) والمواد الكيمائية .. بعد عام واحد سنحقق اكتفاء ذاتياً في المادة الخام ولن نستورد الا كيمائيات فقط ، ونسبة هذه المواد المستوردة لن تتجاوز الـ ١٥٪ وعندما اخترنا موقع المشروع اخترناه قرب النهر لاحتياجنا الى الماء واستخدامه في توليد كهرباء المصنع والمنطقة المجاورة له والتي يتم حاليا بناء مستشفى بها ومدرسة لخدمة العاملين في المصنع . العمالة في المصنع ١٦٠٠ شخص يعمل معهم ١٢٣ خبيرا أجنبيا ، وبعد عامين من التشغيل اي في منتصف عام ١٩٨٧ سنصل الى الطاقة القصوى للانتاج . وتمويل المشروع مشترك

مزرعة أبقار في تونس ضمن مشروع إحياء وداي مجردة .

الطرود
مكدسة في ميناء
دار السلام .

عربات توزيع الحليب والتي يغطي انتاج المزرعة استهلاك العاصمة

خط السكك الحديد الجديد الذي سيزيد من طاقة خط تونس / الضواحي

هكذا يهبط الركاب من القطارات بعد انتهاء المشروع سيصبح هناك رصيف ليحميهم من الخطر.

فيسهم مع الصندوق الكويتي البنك الدولي (كومنولث) للتنمية ، والوكالة النرويجية .

مشروع تطوير السكك الحديدية : قدم الصندوق الكويتي قرضا قيمته ٨ ملايين دينار كويتي خصص منه ٦ ملايين دينار لتطوير السكك الحديدية و ٢ مليون دينار لتطوير الميناء ، وتأتي مساهمة الصندوق ضمن مساهمات اخرى تشترك فيها الدانمرك وكندا والمانيا الاتحادية ، وقدمت هذه الدول مساعدتها كمنحة باستثناء الصندوق الذي قدم المساعدة كقرض وفق شروط ميسرة . وسيرفع بعد التطوير كفاءة السكك الحديدية ، فعلى شبكة طرق سيبلغ طولها ٢,٦٦٠ الف كيلومتر سيتم نقل ٤ ملايين مسافر و ١,٣ مليون طن بضائع سنويا . وخصص قرض الصندوق لتمويل شراء قطع الغيار وانشاء ورشة صيانة بآلات اصلاح حديثة ، وتدريب العاملين واعدادهم مهنيا .

أما مشروع تطوير الميناء فهو شديد الأهمية للاقتصاد التنزاني واقتصاديات البلدان المجاورة لأن تنزانيا تقدم خدمة بحرية لجاراتها أوغندا وروانـدا وبروندي ومالاوي وزامبيا وشرق زائير وزيمبابوي فكل هذه البلدان بلدان بلا شواطىء بحرية وتعتمد في تصدير حاصلاتها ومنتجاتها واستيراد احتياجاتها على الموانىء التنزانية ، وتنزانيا لها ثلاثة موانىء بحرية تطل على المحيط الهندي هي : تانجا ومتوارا ودار السلام .. وقد خصص القرض لتطوير ميناء دار السلام وهو الميناء الرئيسي وقد خصص القرض الكويتي لتمويل شراء قطع غيار وبعض المعدات البحرية فتم شراء سفينة (قطر) لسحب السفن الى الميناء ، وسفينة صغيرة لنقل المعدات من والى السفن التي يتم تفريغها في البحر ، وسفينتين لنقل البضائع من السفن بالاضافة الى بعض المعدات البحرية وورش الصيانة . ورغم سوء حالة طرق الميناء من الداخل والأرصفة ، الا أن هيئة الميناء تعد دراسة جديدة لطلب منح وقروض لانهاء مشروعات تطوير الميناء .

غادرنا تنزانيا وفي كل موقع من مشروع أيد وطنية تعمل على آلة جديدة بالنسبة لها ، مطارق .. وماكينات وورش تعمل .. وبشر يتدرب ويعرف ويتعلم .. تتغير ثقافته ومن الاحتكاك بالآلة تنكسر دائرة الفطرة ، ويعرف الانسان ببساطة أنه يعمل ويعرق من أجل وطنه ، لأن هناك من ارادوا أن يسهموا في تغيره ، ورفضوا أن يستسهلوا تقديم الكعكة جاهزة .

الحلم حقيقة

كان اختيار تونس لخصوصية حالتها بالنسبة للصندوق ، فتونس هي أكثر البلدان التي حصلت على قروض من الصندوق ، فقد حصلت على ٢٣ قرضا لتمويل مشروعات متنوعة ومختلفة تقارب قيمتها ٩٠ مليون دينار كويتي . ولتونس تمايز خاص بين بلدان الوطن العربي ، والتمايز ليس وقفاً على منحة الله لها بجمال الطبيعة الرائع بقدر ما هو ايضا تمايز لخصوصية التجربة والاصرار على تحقيق الذات .

تعد تونس من الدول ذات الدخل المتوسط ، فيبلغ متوسط دخل الفرد السنوي فيها ١٣٩٠ دولارا ، وتلتزم الحكومة التونسية بتنفيذ تنمية الا أنه نتيجة لاعتماد الاقتصاد على عوامل متغيرة فان معدل النمو يتأرجح بين الازدهار والتراجع ، فقد حققت تونس معدل ٦,٢ ٪ سنة ١٩٧٣ وارتفع الى ٩٪ عام ١٩٧٥ ثم تراجع الى ٧٪ عام ١٩٨٣ ، والسبب في هذا ان الاقتصاد التونسي يعتمد على سلع تتأثر بأسعار السوق العالمية ، فيعتمد على الزراعة ٤٠٪ من الصادرات و ١٦٪ من الناتج القومي ، وتعتمد على البترول والفوسفات وعائدات السياحة وهذه كلها عناصر متغيرة تخضع لتقلبات الاسعار أو لعوامل التحكم فيها خارج دائرة سيطرة الاقتصاد التونسي ، ولعل الخوف الاكبر الذي كان يهدد الاقتصاد التونسي هو انضمام اليونان واسبانيا (حزام الزيتون) الى السوق الاوروبية المشتركة بما يعنيه هذا من تأثر صادرات تونس في الزيتون والاعناب الى دول السوق .

ويقوم الصندوق الكويتي للتنمية بتمويل مشروعات في تونس لا تستطيع أن تحدد أيها اكثر اهمية ، فمثلا هناك مشروع احياء وادي مجردة وهو وادٍ زراعي وتهدف الخطة الى تحويل الوادي من ري موسمي بالمطر الى ري دائم . ومساحة الوادي تبلغ ٣٠ الف هكتار .. اقتصر تمويل الصندوق على

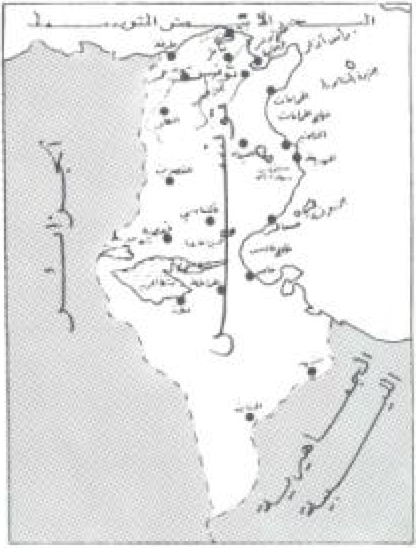

تونس رغم صغر المساحة الا ان الحرص على موقع أفضل تحت الشمس يجعلهم يستغلون الامكانيات المتاحة .

١١ الفا و ٢٠٠ هكتار ، سيخصص القرض لتمويل عمليات أشغال التجهيز الاساسية وحفر القنوات وتبسيط الارض واقامة مشروع صرف مغطى ، واشغال ري وبعض الانشاءات للمباني الاجتماعية ، والمشروع ـ كما يوضح المهندس عبدالقادر حمدان مدير المشروع مقسم الى عدة مشاريع ، مساحته ٤٥٠ هكتارا تزرع خضروات وفواكه حسب الدورة و ١١٢ هكتارا تزرع أشجارا مثمرة . وفي موقع اخر من الوادي يقسم الجزء الممول الى عدة مشروعات مماثلة حسب طبيعة المناخ ، والمحصول الذي تجود زراعته ، وطبيعة تربة هذا الجزء من الوادي . وحتى نفهم كيفية هذا التقسيم فان وادي مجردة هو واد زراعي طويل يشق تونس من سد سيدي سالم حتى الحدود الجزائرية ، ومشروع اخر لتطوير سكك حديد الضواحي ، وكما يقول (وجدي مساعد) مدير دائرة الاعلام في هيئة سكك حديد تونس : شبكة السكك الحديدية الحالية هرمة لأن عمرها يعود الى العقد الاخير من القرن التاسع عشر ومع ازدياد الكثافة السكانية وزيادة الطلب على استخدام السكك الحديدية كوسيلة انتقال كان لابد من التفكير في تطوير الشبكة ، وخصوصا اذا علمنا أن عدد المسافرين يقارب ٣٠ مليون مسافر سنويا منهم ٧٠٪ على خطوط الضواحي ، ففكرنا في انشاء خط ثالث وانشاء أرصفة للمحطات لحماية الناس وتأمينهم . . وفي تصوري فان تطوير شبكة السكك الحديدية سيسهم في خلق تجمعات سكنية جديدة مادامت هناك وسيلة مواصلات مريحة مما سيخفف الضغط عن العاصمة كما انه يتفق وسياسة توسيع نطاق النقل العام على حساب النقل الخاص توفيرا للطاقة .

ليس كافيا

ومن مشروع الى مشروع في تونس تستطيع ادراك الفرق بين حالتين ، حالة مجتمع مازال يخطو ويبني ومجتمع تجاوز مرحلة البناء ويحاول الانطلاق .

ويقينا ليس هذا كافيا لعرض كل ما يفعله الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية من دعم ومساندة ، وبنفس اليقين فان جهود الصندوق وحدها ليست كافية لتغطية كل مناطق الاحتياج الى الدعم في العالم النامي .

ولكن ماذا لو أعدنا نحن العرب ترتيب أوراق المؤسسات التمويلية ، وأعدنا النظر ووضعنا في الاعتبار كل تجارب الصناديق العربية وخصوصا تجربة الصندوق الكويتي في تنمية المصالح والشروط ، وحاولنا ان نمد أيدينا الى عمقنا الاستراتيجي ، الى بؤرة اهتمام العالم ، الى افريقيا . . فافريقيا شديدة الاحتياج الى الدعم والمساندة ، وهي أرض بكر للاستثمار سواء على مستوى القطاع الحكومي أو القطاع الخاص . . افريقيا . . تقف في النقطة الحرجة واذا كنا نياما فغيرنا يقظ . . واذا كنا كسالى فالآخرون يعملون،الموقف اننا الآن في سباق مع الزمن كي تظل تجربة الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية هي بقعة الضوء الوحيد فوق الجسر الممتد بين العرب وافريقيا فهل نتحرك . . القضية تتسع للمناقشة حول كيف نسق ؟ وماذا نعطي ؟ وكيف نحمي ؟ فمن يستجيب ويبدأ ؟ □

وجهاً لوجه

دكتور إبراهيم عبده و دكتور أحمد حسين الصاوي

* بدأت العمل الصحفي وأنا طالب في المرحلة الثانوية .

* شرعت الصحافة العربية في الأخذ بكل مستحدث من تقنيات .

* الصحافة العربية أصبحت صناعة لها كل مقومات الصناعات الاخرى .

* تستطيع الصحافة ممارسة دور مهم في دفع عجلة التنمية الوطنية .

يلتقي في هذا الحوار اثنان من الاعلاميين الاكاديميين . أما الدكتور أحمد حسين الصاوي فهو أستاذ غير متفرغ بقسم الصحافة بكلية الاعلام بجامعة القاهرة ومستشار بالمعهد القومي للصحفيين العرب ، وخبير اعلام باليونسكو . وأما الدكتور ابراهيم عبده فاننا نترك للدكتور الصاوي مهمة تقديمه والتعريف به ، فيقول : حصل الدكتور عبده على الدكتوراة في عام ١٩٤٣ وعين مدرسا ثم أستاذا مساعدا فأستاذا للفن الصحفي ورئيسا لمعهد الصحافة في عام ١٩٥٢ ، وأسس دارا للنشر هي اليوم في صدر دور النشر في القطاع الخاص ، وللدكتور ابراهيم عبده أكثر من أربعين كتابا معظمها في فنون الصحافة وتاريخها ، ثم تاريخ مصر الحديث وبعض الكتب السياسية .

● معهد التحرير والترجمة والصحافة هو أول معهد اعلامي تعرفه الجامعات العربية . وقد ارتبط اسم هذا المعهد دائما باسم الدكتور ابراهيم عبده ، فمتى بدأت صلتكم به ؟

ـ الحقيقة أن الفضل في انشاء هذا المعهد يرجع الى اثنين هما الدكتور طه حسين والدكتور محمود عزمي ، وبعدهما بدأت صلتي بالمعهد عندما عينت مدرسا بعد حصولي على الدكتوراة . وعندما رقيت الى درجة « استاذ » مساعد لم يكن هناك استاذ بالعهد فأصبحت أرأس المعهد وأمثله في مجلس الكلية . وقد بذلت كل جهدي في تلك الفترة لارفع من شأن المعهد ، وعملت على أن تستقبله الصحافة المصرية استقبالا حسنا بعد أن كانت غير مرحبة بقيامه في البداية ، لان الجيل القديم في الصحافة لم يكن يعتقد أن الصحافة يمكن أن تعتمد على العلم والدراسة ، وأن الموهبة وحدها تكفي .

تاريخ الصحافة المصرية

● أود أن أعرف كيف اخترت لدراستك العليا بعد أن تخرجت في قسم التاريخ بكلية الآداب موضوع تاريخ الصحافة المصرية الذي كان ـ ولاشك ـ مجالا جديدا في ذلك الوقت ؟

ـ كنت وأنا طالب أعمل في جريدة « كوكب الشرق » . وبعد أن حصلت على درجة الليسانس اقترح على أستاذي شفيق غربال أن يكون موضوع دراستي لدرجة الماجستير صحيفة « الوقائع المصرية » وهي ـ كما تعلم ـ أول صحيفة مصرية ، بل أول صحيفة في الوطن العربي والعالم الاسلامي جميعا . واقتضت هذه الدراسة كذلك متابعة تاريخ دخول المطبعة الى مصر في عهد الحملة الفرنسية ، وتناول ما أصدرته الحملة من مطبوعات . أما موضوع دراستي للدكتوراة فكنت أنا الذي اقترحته على أستاذي شفيق غربال ، وكان عن « تطور الصحافة المصرية » منذ نشأتها حتى العام الذي فرغت فيه من كتابة الرسالة « الاطروحة » وهو عام ١٩٤٣ .

● نحن الذين درسنا بمعهد التحرير والترجمة والصحافة كنا خليطا من خريجي مختلف كليات الجامعة وأقسامها . فهل هذا هو الاتجاه الذي ينبغي أن يسود ، بمعنى أن يكون دارس الصحافة قد حصل من قبل على مؤهل جامعي ـ أيا كان تخصصه ـ يكسبه خلفية ثقافية معينة ؟ أم أن الاتجاه الحالي الذي يجعل دراسة الصحافة في المرحلة الجامعية الأولى هو الافضل ؟

ـ لكل من الاتجاهين مزاياه ، سواء من حيث الدراسة الاكاديمية او الممارسة العملية . ولقد فكرت عندما كنت مسئولا عن معهد الصحافة في ان أستقل عن كلية الآداب التي كان المعهد تابعا لها ، وأن أطور الدراسة به بحيث تشمل المرحلة الجامعية الاولى ، اي للحاصلين على الثانوية العامة ، والمرحلة الجامعية المتقدمة لخريجي مختلف الكليات . بالاضافة الى اتاحة فرصة الدراسات العليا للمختارين من المرحلة

الجامعية الاولى المتخصصة في الصحافة أو غيرها من وسائل الاعلام . .

● اذن فقد فكرت في توسيع نطاق هذا النوع من الدراسة لتشمل الى جانب الصحافة وسائل الاعلام الاخرى ؟

ـ نعم هذا صحيح . ولذا فقد سعدت بانشاء كلية الاعلام لانها حققت ماكنت أتمناه ، وذلك بعد أن مررنا بتجربتي معهد التحرير والترجمة والصحافة وقسم الصحافة وكلاهما كان تابعا لكلية الآداب .

معاهد اعلامية

● لقد آمنت معظم الدول العربية ـ بعد نجاح التجربة المصرية ـ بفكرة انشاء معاهد للدراسة الاعلامية ، وتعددت هذه المعاهد في السنوات الاخيرة حتى بلغ عددها مايقرب من عشرين قسما وكلية . ألا ترى ، ونحن العرب ، نتكلم لغة واحدة ، أنه من الضروري أن نعمل على التقريب بين مناهج الدراسة في هذه المعاهد ان لم يكن توحيدها ؟

وألا يساعد هذا على تحقيق مزيد من التقدم نحو فكر عربي موحد ؟

ـ بل ، هذا صحيح ولكن تحقيق هذه الفكرة لايعني بالطبع صب جميع مناهج الدراسة الاعلامية بالبلاد العربية في قالب واحد فلكل قطر عربي ظروفه المحلية .

● أنا أقصد الخطوط العامة على الاقل ، بحيث يمكن في النهاية أن يستخدم الاعلاميون العرب من خلال مختلف وسائل الاعلام التي يعملون بها لغة مشتركة وأن يكون أداؤهم وأسلوب تعبيرهم من نمط واحد متفق عليه يقوم على أسس تقنية واحدة . وبالطبع فان هذا يرتبط أو ينبغي أن يرتبط بجهود أخرى تقوم بها بعض المنظمات العربية ، مثل توحيد تعريب المصطلحات .

ـ لاشك أن هناك من المقدمات والبوادر مايمكن أن يكون أساسا لما تدعو اليه . فكثير من العاملين بمعاهد الدراسة الاعلامية العربية مواطنون من مصر التي سبقت غيرها بتجربتها ، وكذلك الأمر في وسائل الاعلام ذاتها من صحف واذاعات وغيرها .

● تعلم انك عملت ـ منذ كنت طالبا بالجامعة ـ في صحيفة يومية هي كوكب الشرق التي أنشأها الصحفي أحمد حافظ عوض ، كما نعلم أنك بعد ذلك بسنوات رأست تحرير احدى المجلات النسائية ، فما هي قصتك مع العمل الصحفي ؟

ـ بدأت العمل الصحفي في أثناء دراستي بالمدارس الثانوية . منذ كنت طالبا بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ، وهي من أعرق المدارس الثانوية في مصر ، وكانت المدرسة ـ كغيرها من المدارس ـ تصدر مجلة سنوية يتولى تحريرها الطلاب الذين يختارون لهذا العمل بعد عقد اختبار لهم . وكان أن نجحت في هذا الاختبار بتفوق ، وتوليت تحرير المجلة ، وكان يعمل معي في المجلة عدد من الزملاء الذين أصبحوا بعد ذلك من الشخصيات المعروفة مثل مصطفى أمين والمرحوم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة والمرحوم محمود المليجي الممثل العظيم .

مراحل في حياة الصحافة

● ماهي أبرز الفوارق التي تراها بين الصحافة العربية حينئذ وصحافة هذه الأيام ؟

ـ تطورت الصحافة العربية ولاشك تطورا كبيرا واكب التطورات العامة في الوطن العربي ، ويمكن اجمال مظاهر هذا التطور في النقاط التالية :

* ان الصحافة العربية أخذت بكل مستحدث من تقنيات العمل في هذا الحقل من حيث الطباعة والتيبوغرافيا ، واستقاء الانباء واستخدام الصور والرسوم والألوان وما الى ذلك .

* ان المواد الخبرية فيها غلبت على مواد الرأي .

● اتسع نطاق ماتؤديه من خدمات ، وأصبح التخصص سمة أساسية من سمات العمل الصحفي .

● تحولت الصحف من مطبوعات فردية ارتجالية الى مؤسسات تقوم على أساس سليم من « الادارة » الحديثة ، حتى لاتتعرض لهزات تطيح بها كما كان الحال قبل ذلك .

● هل تقصد أن الصحافة العربية أصبحت « صناعة » لها كل مقومات الصناعات الاخرى ؟

ـ نعم ، مع الأخذ في الاعتبار أن صناعة الكلمة قد تكون أصعب من غيرها من الصناعات في كثير من الاحيان .

● أعتقد أن من معالم هذا التطور كذلك بروز أهمية الاعلان من حيث هو قوة مؤثرة في اقتصاديات الصحيفة وفي سياستها كذلك ، بعد أن زادت ـ أو تضاعفت تفقات اصدار الصحف ، وأصبح العائد من توزيعها لايغطي الا نسبة ضئيلة من تكاليفها .

ـ أوافقك على أهمية الاعلان للصحيفة العربية الحديثة من الناحية الاقتصادية ، ولكني لاأعتقد أن له تأثيرا كبيرا على سياستها ، أي أن المعلنين في بلادنا لايمثلون « قوة ضغط » كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية الكبيرة في الغرب كالولايات المتحدة مثلا .

الاعلان

● فماذا تقول اذن في كبار المعلنين الذين أصبحت اعلاناتهم تحتل أبرز الأماكن في أهم الصفحات بمساحات كبيرة لاتتناسب ومضمونها ، فضلا عن اخلال ذلك بالتناسق المطلوب للصفحة بين مواد التحرير والاعلانات ، ومخالفته لكل ذوق سليم ؟ ولكن المسئولين عن الصحف يغمضون أعينهم عن ذلك في سبيل مايحصلون عليه من أجور ضخمة لتلك الاعلانات . وبالطبع لاتستطيع هذه الصحف أن تنشر من مواد التحرير مايتعارض ومصالح أولئك المعلنين .

الدكتور ابراهيم عبده في حوار مع الدكتور الصاوي .

ـ قد يكون ذلك صحيحا في بعض الصحف ، ولكن مازالت هناك صحف أخرى تضع من القواعد والمبادىء ، بل والقيود ، مايحول دون أن تتجاوز الاعلانات فيها حدودها المعقولة . وعلى أية حال فالاعلانات في كثير من الصحف العربية تحتاج الى ترشيد من حيث المضمون والتصميم والاخراج .

● ان الحديث عن الاعلان يقود الى الحديث عن الصحف التي لاتستطيع أن تغطي تكاليف اصدارها لقلة مواردها الاعلانية . فمثل هذه الصحف اما أن تتوقف عن الصدور أو تضطر الى طلب الدعم (أو قبوله) من جهة ما .

ـ هذا صحيح ، وفي صحافة الوطن العربي أمثلة كثيرة على مانقول . فحكومات بعض الدول العربية تدعم الصحف الاهلية الصادرة بها دعما ماليا مباشرا أو دعما غير مباشر عن طريق الاعلانات ومن خلال بعض التيسيرات . ومن الطبيعي أن تكون نتيجة هذا الدعم سيطرة من جانب من يدفعه ، وولاء من جانب من يتلقاه .

● هناك أيضا قضية التنمية فبلادنا العربية ، وهي جزء من العالم الثالث تشغلها قضايا التنمية الى حد بعيد . ولاشك أن الصحافة تستطيع أن تلعب دورا كبيرا في هذا الصدد ، فتسهم بجهودها في دفع عجلة التنمية الوطنية في شتى المجالات .

ـ على أن ذلك مرتبط بضرورة تحول الصحافة من الاهتمام بارضاء الحكومات الى الاهتمام باحترام حق المواطن في أن يعلم ، فلا تخفى عنه الحقائق ولاتحرف .

● ولعل من أهم التحديات التي على الصحافة العربية أن تواجهها كذلك مشكلة التدفق الاعلامي من جانب واحد . فوكالات الأنباء العالمية ، وهي مؤسسات غربية ، تبث نحو ثلاثة أرباع المادة الاخبارية التي تستقيها الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام . ومن الطبيعي أن يخضع اختيار هذه المادة ومضمونها ونقاط الاهتمام فيها وصياغتها .. الخ لسياسة تلك الوكالات وأهدافها واتجاهاتها ، مما يؤثر كثيرا على مبدأي الحياد والموضوعية من ناحية ، ويتعارض ومصالحنا واهتماماتنا من ناحية ثانية .. ويمكن أن نضيف الى وكالات الأنباء العالمية في هذا الصدد وكالات المواد المتخصصة التي تبث المقالات والتحليلات والتحقيقات ، وتعتمد عليها صحافتنا في الحصول على ماتبغيه من هذه المواد التي تنشرها بكثير من حسن النية ، دون أن تلتفت الى ماقد تحويه من سموم . وقد قامت منظمة اليونسكو منذ سنوات بجهود كبيرة لمحاولة كسر هذا الاحتكار الاعلامي وتحقيق لون من التوازن في هذا المجال بين العالم المتقدم والعالم النامي . وقد تعرضت هذه المنظمة العالمية من جراء ذلك الى حملة ضارية من بعض دول الغرب . ان وسائل اعلامنا نحن العرب ، وفي مقدمتها الصحافة ، ينبغي أن تسهم في تلك الجهود الرامية الى ايجاد نظام عالمي جديد للاعلام ، لتتخلص من تلك السيطرة الاعلامية وماتؤدي اليه من نتائج سيئة ...

ـ ان هذا الامر ينبغي أن يكون موضع بحث جاد ودراسة واعية من أجهزة الاعلام العربية . وأعتقد أنه يمكن التوصل الى « صيغة » لاعلام عربي موحد في هذا الاطار العالمي الذي تحدثت عنه .. □

« ما أتعس من يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك »

جبران خليل جبران

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

قبل أن تحكي لطفلك عن العفاريت!

المناورات الضارة.. هل نعلمها لأولادنا؟

قبل أن تحكي لأطفالك عن

العفاريت

اعداد : ريم الكيلاني

« نرأف بهم من العقاب البدني .. ونخاف عليهم من الزَجْر .. فنلوِّح لهم بشيء يخيفهم ، لنشترى الصمت والهدوء .. »

حدث يومي في كل البيوت .. وفي حياة كل منا هذه الوقائع .. وذكريات عن أسماء لحيوانات أو مخلوقات غريبة كان الاهل يلوحون بها كي نصمت ونطيع، والغريب أن شراء الطاعة تحت ظل الخوف كان لأشياء متناقضة .. فمن طاعة تناول الطعام .. الى طاعة في التزام الهدوء .. الى الحفاظ على مقتضيات السلوك الواجبة .. خليط من أشياء وأوامر .. كان ثمن عصياننا جميعا هو الترويع بالفأر أو القط أو ذي الساق المقطوعة أو .. الخ

وقد طرحنا هذا السلوك اليومي المتكرر في كل البيوت أمام اثنين من المشتغلين بعلم النفس والتربية .. فماذا قالا ؟

رأي العلم

د . محمد عودة استاذ علم النفس التربوي بجامعة الكويت يقول : ان للتراث الثقافي دورا هاما في هذه المخاوف . فهو مخبأ في أعماق الانسان، والتعلم لن يزيل بالضرورة تلك المعطيات الثقافية الخرافية التي كونها اللاشعور الجماعي، ويعتبر كثير من الامهات أن التخويف يمكن أن يكون أسلوبا تربويا لاكساب الطفل السلوكيات المرغوب بها .

ان عملية التخويف المستمرة والعقاب البدن المؤلم ، الى جانب التخويف بقوى غير منظورة وخارجية ، سينتج عنها انسان ضعيف الشخصية ، لايستطيع مواجهة المواقف ، أما التربية المعاكسة من حيث التدليل المبالغ به والثواب المستمر سينتج عنها بلا شك طفل مغامر ، لايتردد في اتخاذ القرارات وقد يكون لديه أيضا اتجاهات عدوانية ، وهذا اسلوب خاطيء أيضا ، مرفوض تربويا

الاسلوب الامثل لتكوين شخصية متزنة مقبولة اجتماعيا وتربويا يعني بالضرورة وضع خطة تربوية صحيحة ، فالعقاب المستمر لا يجدي ولكن اثابة الطفل عند النجاح بعمل سلوكيات مرغوبة أمر مقبول . كما على الاهل معاقبة الابناء عقابا تربويا لايكون بالضرب أو الصراخ ، وانما بأسلوب منطقي كالاستنكار البسيط ، فعدم التعليق على الفعل أحيانا أو العبوس هما نوع من أنواع العقاب ، فالضرب لن يجدي بل سيجعل الطفل يعيد الكرة في محاولة منه لاثبات الذات ، الثواب أيضا لن يكون باغراق الطفل بالعطف والحنان ، فكلمة استحسان أو مدح ستكون كافية للطفل .

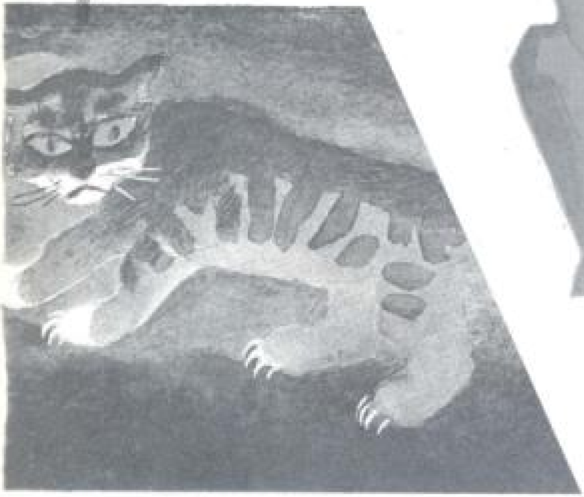

ـ تخويف الطفل للحصول على الراحة تنتج عنه شخصية مضطربة ومذعورة .

ويضيف الدكتور عودة : أن تثيب باعتدال ، وتعاقب باعتدال وأن لا تخوف بمصادر لا وجود لها ، وأن تتيح الفرصة للطفل لكسب الخبرة بالممارسة ، وأن لا تعرض الطفل لمؤثرات الثواب والعقاب ، كل هذا يساعد في تكوين الشخصية المتزنة .

وعلى الأهل تناسي عمليات العقاب الصارم «الا في حالات انعدام نتائج الوسائل السابقة .

أنت لن تستطيع أيها المربي أن تمنع عملية التعلم ، أو تقف حائلا دون وقوعها من أجل تحقيق انانيتك في الراحة وعدم الجري وراء الطفل ، فهي ضرورية لاكساب الطفل سلوكيات مرغوبة ، وخصوصا وأن عمليات العقاب والتخويف قد تظهر في المستقبل على هيئة حالات مرضية .

كيف تتكون المخاوف

والدكتورة نادية شريف الاستاذة المساعدة بقسم علم النفس : تزيد الامر وضوحا أيضا فتقول : ان مخاوف الاطفال ماهي الا نوع من أنواع السلوك الانفعالي الذي ينمو ويتطور ويتغير بنمو الانسان وتطوره ، وتلعب عوامل النضج والتعلم دورا هاما في نمو الانفعالات وتطورها ، ومن ضمنها انفعالات الخوف أو مخاوف الاطفال .

والواقع أن معظم المخاوف عند الانسان بصفة عامة ، وعند الاطفال بصفة خاصة هي أساليب انفعالية متعلمة ، نتيجة للظروف البيئية التي يعيش الطفل في وسطها .

واذا كانت هناك مخاوف توجد مع الطفل منذ ولادته ،فيمكن اجمالها في مصدرين أساسيين فقط ، وهما : الخوف من الاصوات الشديدة المفاجئة أو الخوف من السقوط من أعلى ، أما ما عدا ذلك من أمور يخاف منها الطفل فانها جميعها مكتسبة من الظروف الموجودة من حوله ، مثل خوفه من الظلام أو الثعابين أو غير ذلك من الحيوانات الاخرى . وقد أكدت الدراسات أن الطفل الصغير لا يكاد يخاف الا من الاصوات العالية المفاجئة أو السقوط أما فيما عدا ذلك فهي مخاوف تتكون من خلال التعلم والاكتساب .

وتكثر مخاوف الطفل لاسيما في مراحل العمر المبكرة، نتيجة لطبيعة وامكانيات نموه العقلي ، فطفل مرحلة الروضة تتميز فترة نموه العقلي بعدة مميزات :

أولا : طفل متميز بنمو الخيال والقدرة على التخيل

- ان بث الخوف في نفس الطفل بهدف تأديبه يصدم الطفل ويؤدي الى ارهابه .

واضفاء صفة الاحيائية على الامور المحيطة به ، ونقصد بالاحيائية هنا أن العقل يعطي الحياة و الشعور للاشياء الجامدة والمتحركة من حوله ، فالمطر ينظر اليه ككائن حي يسقط من السماء الى الأرض ، والشمس عندما تشرق علينا تعرف انها تشرق ، والقمر يلاحقنا في كل مكان وهو يعرف ذلك . والطاولة تشعر والحجر الذي نضربه بقوة يشعر بالالم والعنف .

كذلك يتميز الطفل بصفة التمركز حول ذاته حيث يرفض تماما أن يأخذ بوجهة نظر الأخرين ، ويعتبر أن وجهة نظره هي الصحيحة وبالتالي تبقى الاشياء أمامه معلقة غامضة ، وتبقى السببية الفيزيائية بعيدة عن ادراكه لمدة طويلة ، بل ان مفاهيمه تتميز بأنها بدائية في كثير من الأحيان .

طفل هذه المرحلة لم يصل بعد الى نمو التفكير المنطقي بعملياته الفعلية المختلفة .

لكل هذه الاسباب الخاصة بامكانيات النمو العقل لطفل هذه المرحلة فأننا نجد أن تكون المخاوف تكون بداياتها هي هذه المراحل المبكرة من العمر ، ويصبح من غير المستغرب أن نوجه اهتمامنا الى التعرف عل هذه المخاوف ، وتقديم كل عون وقائي وعلاج للتخلص من مثل المخاوف ، لاسيما أن هذه المخاوف

التي يكونها الطفل قد تكون مصدرا من مصادر القلق والاضطرابات الانفعالية عند الصغار .

مسئولية من ؟

ان أساليب التنشئة الاسرية تلعب دورا هاما في نشأة وتكون مخاوف الاطفال . فسلوك الأم في بعض الاحيان يكون سببا في تكون مثل هذه المخاوف ولاسيما اذا علمنا أن الطفل في مراحل العمر المبكر يتعلم من خلال الملاحظة وتقليد الوان السلوك التي يلاحظها .

ولما كانت الأم هي أقرب انسان الى طفلها الذي يقضي معها معظم وقته ، كان لسلوكها وانفعالاتها الدور الاكبر في تكون مثل هذا السلوك فاذا كانت تظهر أمام طفلها خوفها من أمر من الأمور ، وتكرر سلوكها أمام الطفل كان ذلك كفيلا بتعلم الطفل الصغير أن يخاف من نفس الشيء ، علما بأن الخوف له خاصية هامة هي قابليته للانتشار والتعميم فالطفل الذي تعلم الخوف من الفأر مثلا قد يخاف بعد ذلك من القطط والكلاب وكل الحيوانات ذات الفراء . . لذلك فان مخاوف الام أو الأب أمام الطفل تغدو قدوة وتوحي له بالخطر . فاذا لم يستطع الكبار درء الخطر عنهم فكيف له أن يبعد هو هذا الخطر ؟ من هنا يتكون لديه شعور بالخوف

ان استغلال وبث الخوف في نفس الطفل كوسيلة تأديبية يؤدي الى تكون مخاوف الطفل ، فتهديده بأن عفريتا سيخطفه لأنه عصى والديه مثلا سينتهي الى احساس الطفل بخطر محتمل ، فيصدق الكبار ويصبح فزعا وتتكون في نفسه من ثم مخاوف من الأمور الغيبية غير المنظورة .

ترك الاطفال مع الخدم غير المؤهلين للتربية والتنشئة الذين غالبا ما يلجأون الى سرد الخرافات أو الحكايات الخرافية التي لايستطيع الطفل فهمها والتي يكون عنها افكارا خاطئة ناتجة عن شعوره بالخوف والفزع هو من الأمور غير المستحبة ، ويترك آثاره المستقبلية في نفسية الطفل .

وقد يكون للمدرسة دور في خلق المخاوف لدى الاطفال ، ولا سيما المخاوف التي لايستطيع الفرد تقليل اسبابها مثل خوف الطفل من التحدث أمام الغرباء أو ابداء رأيه ووجهة نظره ، أو طرح اسئلة استشارية ، فكل هذه المخاوف تنشأ من عدم شعور الطفل بالثقة في نفسه ، نظرا لما قد يصادفه من المواقف سواء في المدرسة أو داخل الاسرة من عقاب على محاولاته للقيام بمثل هذه الالوان السلوكية من الاقدام أو الجرأة وطرح الرأي . وبالتالي تكون المدرسة قد أسهمت بدور كبير في خلق حالات من القلق والخوف المبهم الغامض الذي قد يشكو منه كثير من الناس ولا يعرفون له سببا .

وبناء على هذه الاساليب الفاشلة والسيئة وتبعا لامكانيات الطفل العقلية ، وقدرته على فهم الامور والتي سبقت الاشارة اليها فان كثيرا من هذه المعاني والخرافات تصبح ذات قوة كبيرة في استثارة مخاوف الطفل وتكوين تلك الشخصية المهزوزة غير الواثقة من نفسها .

العلاج الخاطىء

وتستمر الدكتورة نادية في حديثها :

فكثيرا ما يلجأ الآباء الى ابعاد الشيء المخيف عن الطفل ويحولون دون رؤيته لما يخاف منه ، وهذا خطأ ، بل انه يزيد من حدة الخوف لدى الابن .

كما أن كثرة تعريض الطفل للشيء المخيف : وهو عكس الحالة الأولى ، بحيث يعمد الآباء الى تقريب الشيء المخيف بالنسبة للطفل لن يظهر أثره على مايخاف منه الطفل فقط بل سينتقل اثره الى أمور أخرى فقد يرتبط الخوف من القطة بالاشخاص الذي يقربون القطة من الطفل وبذلك تزداد وتتعدد مخاوف الطفل .

ومن اخطر الأمور على نفسية الطفل التوبيخ والسخرية مما يجعله يفقد الثقة بنفسه وبالمحيطين به ، ويتخذ ألوانا من السلوكيات العدائية بجانب المخاوف .

ومن ثم عليك ، ايتها الأم ان تمنعي كل تلك

التشنجات النفسية من الوصول الى طفلك . عليك أن تساعدي طفلك للتغلب على مخاوفه .

فالام المثالية هي التي تدخل الطمأنينة الى ابنها عن طريق تصحيح التعلم أي محاولة تعليم الطفل كيف يتعامل مع الاشياء التي يخاف منها . ويكون ذلك عن طريق تقديم الاشياء التي تمثل مصدر المخاوف للطفل بطريقة ما بحيث لا تزيد من مخاوفه مثال ذلك ، اذا كان الطفل يخاف الظلام فمن الممكن أن يذهب الى الأماكن المظلمة بصحبة والدته في أول الامر . . ويتكرر اطمئنانه بوجود والدته الى أن الظلام لا يوجد به ما يسبب الخوف وشيئا فشيئا يقل اصطحاب الام لطفلها ، فقد تقف على باب الغرفة فقط ، وقد تبقى بعيدة تنادى عليه وشيئا فشيئا يتأكد من أنه لا يوجد ما يؤذي في الظلام .

نفس الحال اذا كان يخاف من القطة فمثلا تقريب القطة منه في أثناء وجوده في موقف سار بصفة عامة ، كأن يكون جالسا بين والديه واخوته ، ثم يمكن بعد ذلك احضار القطة في قفص ونجعلها بعيدة عنه وبتكرار هذه العملية وتقريب القطة من الطفل تدريجيا ، واللعب معها في أثناء تواجد الكبار معه ، وخطوة أثر الأخرى يمكن ازالة مخاوفه

التقليد الاجتماعي

ان الطفل يتعلم بالتقليد فمن الممكن أن تسهم الملاحظة والتقليد في تعديل أنماط السلوك الخاطئة ، لذلك فرؤية الطفل لمجموعة صغار يلعبون مع القطة مثلا يساعده على الاتجاه لتقليدهم .

اذا كانت مخاوف الطفل تعود الى أمور وأشياء تتصل بما كوّنه هو نفسه وعن ذاته ، أو راجعة الى ضعف ثقته بنفسه وبقدرته ، فانه بالامكان مساعدة الطفل لاكتساب بعض المهارات الأساسية بحيث ييسر له ذلك اعادة الثقة بنفسه وبامكانياته .

واتاحة الفرصة للطفل من خلال المعلم والمدرسة والأسرة لممارسة حقه في ابداء الرأي والمبادرة والابتكار دون احساس بالخجل أو بالفشل حتى نبعد عنه المخاوف التي ترتبط بمفهومه عن ذاته الذي هو أساس تفاعله مع المجتمع المحيط به بأسره . □

المرأة والرجل لا بد منهما

يقول الأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة : « أيجوز ان ندعو الرجل انسانا وهو لولا المرأة لماكان رجلا ؟ او أن ندعو المرأة انسانا وهي لولا الرجل لماكانت امرأة .

انما المرأة نصف انسان ، وانما الرجل نصف انسان . اما الانسان الكامل فلا يكون الا بالاثنين متحدين .

يقول أحد الحكماء : ان الله غضب على المرأة فجعل النار وجهنم والهاوية والظلمة والخطيئة الرذيلة اسماء مؤنثة . وجعل النعيم والفردوس والنور والصلاح اسماء مذكرة .

أولادنا .. والمناورات الضارة

هذه المناورات الضارة .. هل نزرعها في نفوس أولادنا ؟

بقلم : راجي عنايت

هل نزرع في أبنائنا ، دون أن ندري - وبنية حسنة - جذور الأنماط الضارة في التعامل مع الآخرين ، والتي تفرض عليهم طوال حياتهم ، وتجلب لهم المتاعب في كل مكان ؟

عندما نلقن أطفالنا مبادئ الأخلاق الحميدة ، والسلوك الطيب ، هل نفعل ذلك بطريقة ترسخ لديهم عادات التعامل السيئة ، التي تتسلل الى تركيبهم الاجتماعي بطريقة لاشعورية ، وتظل تلاحقهم بعد بلوغهم وتفسد عليهم حياتهم الزوجية والعملية ؟ هذا سؤال أتصور انه يجب أن نحاول الاجابة عنه :

فالمعروف أنه عندما يفشل الأطفال والبالغون في التكيف مع الظروف التي يعيشونها ، فان فشلهم هذا يرجع الى نمط التعامل مع الآخرين الذين تعودوا عليه خلال السنوات السابقة ، والذي يمارسونه دون أن يدركوا طبيعته ، بشكل لاشعوري . هذا النمط الخاص أو الشخصي في التعامل مع الآخرين يعتبر ظاهرة غير صحية . لا يمكن التخلص منه الا اذا جرى أولا تحديده ، واتيح لأطرافه ، أن يعوه بشكل شعوري ، ثم لابد بعد ذلك من ايقافه ، لكي تحل محله انماط سوية في التعامل .

هذا هو جوهر المدرسة الحديثة في مجال علم النفس الاجتماعي . فبينما كان سيجموند فرويد يهتم بما يجري (داخل) الفرد ، جاء سوليفان - رائد المدرسة الحديثة ليصب اهتمامه على ما يجري (بين) الأفراد . ويعود الفضل في تبسيط واشاعة هذا الفهم الجديد الى العالم النفسي اريك بيرن ، الذي استطاع أن يضع يده على مجموعة من هذه المناورات الضارة ، والألعاب الخطرة ، التي نمارسها في حياتنا اليومية ، والتي تكون مسئولة عن معظم ما يعكر حياتنا ، ويعقد علاقاتنا مع الآخرين ، في البيت ، وفي العمل .

مسئولية الوالدين

الانسان لا يستطيع أن يعيش بشكل صحي في عزلة عن الآخرين ، هذه حقيقة ثابتة تتأكد لنا من حاجته الشديدة الى انشاء العلاقات مع البشر من حوله . وهذا الاحتياج يبدو أكثر وضوحا والحاحا عند الطفل . ومن الطبيعي أن يكون المجال الأول للطفل ، والذي يتم فيه تأسيس انماط علاقاته مع الآخرين هو البيت ، من خلال التعاملات التي تجري بين الطفل من ناحية وبين الوالدين والاخوة من ناحية

أخرى .

وهذا يضع مسئولية كبرى على عاتق الوالدين ، تقتضي منهما ادراكا كاملا لأنواع المناورات التي تدور في البيت ، ووعيا بأساليب التعامل مع الطفل التي قد تؤدي الى تثبيت الانماط السلوكية الضارة لديه . .

وقد اكتشف اصحاب المدرسة النفسية الجديدة ، أن الصفات الأساسية التي تحدد شخصية الفرد تنمو تدريجيا خلال سنوات حياته العشر الاولى ، على اساس انماط التعامل مع الآخرين .

الحـوار الضـــار

كلما كان أطراف التعامل لا يدركون طبيعة النمط الضار الذي تجري على أساسه تعاملاتهم ، زاد احتمال ظهور أشكال التعامل غير الصحية المزمنة .

اضف الى ذلك أن انماط العلاقات البشرية غير الصحية التي نطلق عليها اذا تكرر حدوثها لفظ (المناورات) تميل الى الظهور خلال فترات التوتر التي يمر بها أطراف التعامل .

لكي نفهم ذلك نبدأ بتأمل هذا الحوار الذي يدور بين أم وابنها الذي في الرابعة من عمره :

الام : هل القيت هذا المقص في مهد اختك الصغيرة ؟

الابن : لا . .

الام : بل نعم . . لقد فعلت هذا . اذا لم تكن انت ، فمن الذي فعل هذا ؟ الا تعلم انك يمكن أن تؤذيها بهذا ؟

الابن : انا لم أفعل ذلك .

الام : من الذي فعلها إذن . . كان من الممكن أن تقتلها ، كيف كنت تشعر حينئذ ؟

الابن : شخص آخر هو الذي ألقى المقص في سريرها . .
الام : من ؟ . . قل لي من ؟ . . انت تكذب .
الابن : على أي حال فهي سليمة لم يصبها أي اذى . .
الام : اذن فأنت تعترف بأنك القيت المقص .
الابن : لا . . لم أفعل هذا . .
الام : انتظر حتى يصل أبوك الى البيت . . ساخبره ، سأقول له انك فعلتها ، وكذبت بعد ذلك .
الابن : لقد ضربتني . .
الام : كيف يمكن لطفلة رضيع أن تضربك ؟ ها أنت تكذب ثانية .
الابن : لست كذابا . .

مؤشرات خطيرة

ماذا ترى في هذا الحوار ؟ ربما يكون قد تكرر أمامنا ما يشبهه أكثر من مرة ، دون أن نجد فيه ما يستوقف النظر ، أو يدعو الى التأمل . لكن المدرسة النفسية الجديدة ترى فيه مؤشرات خطيرة . وتنظر الى هذا التعامل نظرة مختلفة .

أول حقيقة تكشف عنها مدرسة تحليل التعاملات هو أن هذا الحوار يكشف عن عدم وعي الأم أو الابن بالموضوع الأساسي الذي خلق ذلك الحوار . الام تؤنب الابن وتهدده ، وهو يكذب ، ويتحول الى طفل خائف متجهم ، وهكذا تبقى المشكلة الأصلية دون حل .

قياسا على موقف الأم الذي طرحناه ، يمكنها أن تواصل الحاحها على ابنها لعدة دقائق اخرى ، أو ساعات ، أو أيام . ونتيجة لذلك تتضاعف عدوانية الابن تجاه اخته الصغيرة . ومثل هذا الموقف اذا تكرر من الام والاب بالقدر الكافي ، فانه يشكل لدى الابن بالتدريج ، نمطا مختزنا وغير صحي للتعامل مع الاخرين ، وهو ما يطلقون عليه تعبير (المناورة) . وهو يمضي في استخدام هذه المناورة مع اخته خلال سنوات طفولته ، ثم بعد بلوغه ، مما يضاعف المشاعر العدوانية بينهما .

ما بعد الوعي

دعنا نرى الآن ما كان يجب أن يكون عليه الحوار السابق ، اذا ما كانت الأم واعية بجوهر الموضوع الذي تتصدى له .
الام : لقد وجدت مقصا في مهد اختك . ولانه لا يوجد في البيت سوانا ، ولأن المقص لم يكن موجودا منذ عشر دقائق فقط ، فلابد أن تكون أنت الذي فعلت هذا .
الابن : لقد ضربتني . .
الام : هذا غير صحيح ، وأنت تعلم ذلك . لكننا لن نمضي في هذا الآن . المسألة الأساسية هي أنك تخاف أن يقل حبنا لك أنا ووالدك عن حبنا لاختك الرضيع . . هذا انت غاضب من اختك . .
الابن : على أي حال . . ما هي حاجتنا اليها ؟
الام : ان نحبها ، لقد أصبحت الان ضمن الكبار في اسرتنا . وكما احببناك ، أنا ووالدك ، ومازلنا نحبك بنفس القدر ، علينا نحن الثلاثة أن نحب الصغيرة . وأيضا لانك أصبحت الان واحدا من الكبار ، عليك أن تساعد في رعايتها . .
الابن : ماذا يمكنني أن أفعل ؟
الام : احضر ذلك الدب اللعبة الذي جاءت به خالتك ، وضعه الى جوارها في السرير، في عمرها هذا لن تعرف ماهو الدب ، لكنني واثقة أنها ستحب فروه الناعم .
الابن : ساضع الدب الى جوارها .
الام : شكرا . .

التعامل السليم

في هذا الحوار كانت الام (واعية) بمصدر انزعاج الطفل ، لهذا تراها تتكلم معه في صلب الموضوع ، وتكشف له المسألة التي تعذبه ، فتجعله (واعيا) بها ، قبل أن تجسد الأم لابنها مشاعره بالكلمات ،

وأغلب الظن أن الابن لم يكن يعي ما يثيره مولد اخته الصغرى من غضب وفقدان للامان .

لقد طمأنت الام ابنها بالنسبة لمخاوفه . اخبرته ان حبها وحب ابيه له لم يتناقص بتقدم الاخت الصغيرة . ثم رسمت له دورا جديدا في حياة الرضيعة لا يتسم بالتنافس . بأن جعلته ابا اضافيا لها . هذا لم تعد الاخت الصغيرة مصدر تهديد له ، فاختفى غضبه عليها .

واخيرا .. احلت الام نشاطا صحيا سليما محل النشاط غير الصحي الذي كان الابن يمارسه . فطلبت منه ان يقدم لاخته الدب في مهدها ، بدلا من القاء المقص فيه .

ويمكن أن نحصر الموقف في النقاط الاربع التالية :

١ ـ لقد استطاعت الام ان تكتشف نمط التعامل غير الصحي الذي يمارسه ابنها ، والذي اذا ما ترك ليتكرر في مناسبات مختلفة ، يمكن أن يتحول الى مناورة ضارة ، يلتزمها الابن باقي حياته .

٢ ـ لقد جعلت الابن يدرك بشكل تفصيلي ذلك النمط غير الصحي من التعامل الذي يمارسه ، وخلال هذا الجهد ، اتضحت لديها الصورة بشكل أدق .

٣ ـ أوقفت النمط غير الصحي من التعامل ، عن طريق تبديد مخاوف الابن التي كانت تؤرقه .

٤ ـ استبدلت بالنمط غير الصحي من التعامل ، نمطا صحيا ، عندما اعطت الابن دورا بناء ، وتحققا للذات ، في علاقته باخته الصغيرة .

العناصر الخمسة

من هذا المثال نرى أهمية حرص الوالدين على الوصول الى ادراك متزايد ، وفهم عميق لطبيعة التعاملات التي تتم في اطار الاسرة ، لكي لا يساهمان من حيث لا يدريان في تثبيت أنماط التعامل الضارة لدى الأبناء .

الا أن مجرد الادراك المتزايد لطبيعة الأنماط الضارة ، لا يكفي وحده لترسيخ أنماط التعامل السوية بين الأبناء . فالادراك عنصر واحد من خمسة عناصر تجنب الابناء الالتجاء الى المناورات الضارة في تعاملاتهم صغارا وكبارا .

من هذه العناصر الحرص عند التعامل مع الابناء على عدم ترسيخ صورة سلبية لذواتهم ، فكل شخص يحمل داخله صورة كاملة لنوع الانسان الذي يكونه ، أهو قادر أم ضعيف ، مهم أم تافه ، وسيم أم قبيح .. وتعامل الاباء والامهات مع الابناء يساعد أساسا في رسم هذه الصورة الشخصية ، حتى لو تناقضت معالمها مع الأمر الواقع . اذا ظل الاب يردد للطفل في كل مناسبة (انت غبي) يمكن أن تدخل هذه الصفة ضمن الصورة التي يرسمها لنفسه طوال حياته .

العنصر الثالث هو قدرة الفرد على التعبير عن مشاعره . فالطفل أو البالغ يجب أن يكون قادرا على أن يعطي تعبيرا معقولا عن مشاعره بطريقة معتدلة من المجتمع . يجب أن يكون قادرا على صياغة الكلمات التي تعبر عن شوقه أو غضبه أو خوفه ، حتى لا يضطر الى اختزان هذه المشاعر ، مما يدخلها في نطاق لا شعوره ، لتؤثر بعد ذلك على استجاباته ، دون أن يدرك ذلك .

أما العنصر الرابع فهو مساعدة الطفل على تحديد هويته ، الأمر الذي يعتبر من أهم مكونات شخصيته ، التي تؤثر في تعامله مع الآخرين . والطفل الذي تتحقق له علاقة صحية مع أبويه يميل الى أن يتبنى معاييرهما الاخلاقية ، ووجهة نظرهما الاجتماعية . أما اذا تعقدت العلاقة بين الطفل والابوين ، فان هذا سيؤدي الى رفض ومعارضة الطفل لطريقة الوالدين في الحياة ، صراحة أو خفية .

وأخيرا ، يبقى الحرص على خلق الاحساس بالاطمئنان لدى الطفل ، وتجنيبه الشعور الدائم بالقلق ، والذي يمكن أن يتولد لديه نتيجة للمآزق التي يجد نفسه فيها عند تعامله مع الوالدين أو مع الآخرين في محيطه . فان مثل هذا القلق يبقى ملازما للطفل بعد أن يكبر ، ويؤثر على تعامله مع الآخرين بطريقة لاشعورية . □

هو .... الحب

● تشغل بالي كثيراً . . وتؤرقني . . أحاول أن أبحث لها عن تفسير ، ولكن ذهني لا ينجح في الوصول الى سبب واضح ، وأعرف أن كثيرين يرون أن ما يشغل بالي أمر تافه . . ولكن هذا الأمر التافه أصبح كبيراً معي ، زوجي لا يجاملني ولا يدللني أمام الناس . . عفواً . . لا تضحكوا مني . . ولكن ناقشوا الأمر مثلما أناقشه أنا .

تزوجنا عن علاقة طيبة . . متعلم مثقف . . أعرف وأثق أنه يحبني ويحرص على مشاعري ، تتألق بيننا مساحات من الاحترام المتبادل والثقة . . وعندما نكون معاً في بيتنا نضحك ونمرح ونسخر من كل شيء . . مني . . منه حسبما يملي الموقف . . نعرف نحن الاثنين معنى المرح والضحك الانساني بحضور ذهن وبديهية

متألقة . . دون اسفاف أو افتعال . . ولكن فجأة أمام الناس في أي مجتمع . . سواء كانوا أهلي أو أهله . . أصدقائي أو اصدقاؤه يتجنبني . . يقل حديثه معي تماماً . . حتى لو كانت هناك ضرورة للحديث،كل الأزواج يجلسون بجوار زوجاتهم . . الا هو يبحث عن مقعد بعيد عني ويجلس . . اذا جاءت مناسبة حديث أو كلام من نوع هذه الأحاديث التي تدور بين العائلات عن طعام . . عن ثياب عن موقف لزوجة . . يتبارى الأزواج في الثناء على زوجاتهم ، وتتبارى الزوجات في مديح أزواجهن ، وأنا أعرف أن منهم من يمدح بلسانه فقط ، ولكنهم يجاملون أمام الآخرين . . حاولت كثيراً أن الفت نظره . . أقول له ان هذه مجاملة علنية . . شهادة إعلان عن لحظة سعادة أمام الناس . . يقدمها الزوج لزوجته أو العكس . . شيء رائع أن ننتهز الفرص كي نقدم مجاملة . . شحنة اهتمام علنية وشيء رائع أن يتم ادراك أهمية وأثر باقة الزهر العلنية من الثناء التي تنزل على مشاعر الزوجة ونفسيتها برداً وسلاماً ، ومهما كانت ثقتها انه يعترف لها بفضلها ويقول لها فيما بينهما أكثر من المجاملة العابرة ، الا أنها تسعد بالاعلان أمام الناس .

مهما مرت الأيام بها فهو يحمل شيئاً دافئاً داخله يرسل منه امتناناً واحتراماً . . ولكنها تريد منه أن يفضي به أمام كل الناس . بهذا كما تقول الزوجة وبأشياء أخرى كثيرة أتوازن ولكنه لا يريد أن يفهم .

هي

هيَ ....

مَابعدَ الحُبِّ !

بيني وبينها ما هو أكبر من الحب .. لقد تجاوزت هذا من زمن ، بيني وبينها هذه المودة والألفة والتواصل ، هذا الطوفان من المشاعر الذي يملأ خلايا الدم والأعصاب عندما نكون معاً وحدنا .. كل منا بعفوية وتلقائية ، يتفنن في أن يزرع بسمة على شفاه الآخر ، يترقب حركة عينيه ليلبي له ما يطلب .. في لحظات الصفاء يتألق بيننا المرح والدعابة ، نعود بعفوية الى زمن الطفولة النادر .. نتخلص من إحساسات كثيرة قيدتها الزمن والحياة أرواحنا .. بيني وبينها الامتنان .. الذي يختزل كل المشاعر ويسمو فوقها ، الخلاف بيني وبينها ، هو الاعلان عن ذلك أمام الناس » .. هي لا ترى حرجاً في إطرائها ـ أي العلاقة ـ أمام الناس والثناء عليها .. أنا أرى كل الحرج ، لأني تجاوزت ذلك وملء روحي الامتنان .. فلم أعد أرى في

الأحرف والكلمات أداة تعبير ، لحظة الصمت أداة تعبير .. تألق العين أداة تعبير ، تهلل الوجه تعبير .. ويصبح هذا التعبير أكثر بلاغة وأعظم صدقاً ، ولكن يبدو لي أن الأمر ليست له أية علاقة بالبلاغة والصدق .. الأمر كله يتلخص في ارضاء الذات أمام الناس ، هي لا تريد أن تسمع الكلمة .. تريد أن ترى وجوه الناس لحظة سماعها .. وأنا لا أعرف هذا .. أي أن أمر الى مشاعرها عبر آذان الآخرين ، أنا لا أعقد الأمور ولا أحاول أن أفلسف أخطائي ـ كما تقول هي أحياناً ـ ولكنني ببساطة أرى أن الانسان ليس مضطراً أن يقول شيئاً لا يريد قوله .. وبالتالي فهو ليس مضطراً لأن يتيح للناس كل الناس أن يتفرجوا عليه وهو يثني أو يمدح أو يشكر أو يجامل أو يدلل .. ويقيناً نحن لسنا محتاجين الى تقديم مشاعر ليست متواجدة ساعتها ـ حسب الموقف والواقعة وسياق الحديث ـ لا أستطيع أن أكون صادقاً واثني على طعامها وأنا جائع .. أقول انها طاهية ماهرة .. لكنني لا أتحمس حماس من يكتشف شيئاً لأول وهلة كما يفعل كل أصدقائي المنافقين ، لا أستطيع أن أقف عندما يقف عنده بعض الناس فأقول : إنها تفعل كذا بمهارة ، وترتب الشيء الفلاني بامتياز .. أنا لم أقف معها أبداً عند هذه الصفات التي تريد هي تأكيدها اليوم أمام الناس ، لقد وقفت معها طويلاً بفرح غامر نادر ، أمام روحها النقية نقاء طفلة ضحوك لم تفسد روحها بعد .

هوَ

من الحياة

إننا نعيش مرّةً واحدة ..

قليلون هم الذين يدركون المعنى الحقيقي للحياة . فالحياة رحلة يمضيها الانسان على الأرض ، وهو وحده الذي يستطيع أن يجعل منها رحلة ممتعة . وهو وحده أيضا الذي يمكن أن يحولها الى جحيم تستعر فيه نيران الشقاء .

ولكن كيف نفسر هذا الكلام الذي قاله تولستوي كاتب روسيا الكبير ؟ انه يكمل المعنى الذي ذهب اليه عندما يقول « ان الحياة لا تكتمل الا في الزواج .. فالرجل وحده لا يمكن أن يصنع اسرة ، وكذلك المرأة » ..

واذن فالعبء على الزوجين ، ففي أيديهما وحدهما حلاوة الحياة ومرها .. وقد كان تولستوي تعسا في زواجه .. كان قلبه الكبير يمتلىء بحب الحياة والناس ، وكانت هي ناقمة على الحياة بكل ما حملته لها من صور جميلة .. لعل أجملها اطلاقا انها كانت زوجة لهذا الكاتب والمفكر والمصلح الكبير .. وعلى الرغم من هذا فقد مضى في رحلته معها حتى آخر ايام عمره .

ونعود الى حديثنا ، ترى كيف ننعم برحلة حياتنا على الأرض . كيف نتمتع بكل لحظة تمر من عمرنا الذي نعيشه مرة واحدة ؟ هذه قصة زوج ، لم يكن تعسا ولم يكن سعيدا ، كان يمضي في حياته كأي زوج دون أن يتوقف مرة واحدة ، ويتأمل تلك الأسرة الصغيرة التي يعيش لها ويعمل من أجلها ربما لأنه كان مشغولا عنها بعمله ، أو ربما لأنه كان يعتقد انه كل شيء في حياة زوجته وابنائه ، وان حبهم له وتعلقهم به لم يكن ابدا محل تساؤل . فهو ليس زوجا سيئا ولا أبا جحودا .. ولكنه فقط لم يحاول مرة واحدة أن يشعر هؤلاء الذين ارتبط مصيرهم به ، أنهم جزء منه ، وأنه يحبهم كما يحبونه تماما وربما أكثر .

***

وتمر السنون .. عشر سنوات أو أكثر أو أقل في حياة الأسرة الصغيرة التي كانت تسير في هدوء لا يعصف به شيء .. الى أن كان اليوم الذي عصفت فيه السماء واكفهرت،وكان الزوج خارج البيت .. لم يكن قد عاد من عمله بعد .. واستبد القلق بالزوجة المسكينة وهي ترى كل شيء من حولها يتطاير ويسقط وتذروه رياح العاصفة .. ولكنه عاد .. كتبت له النجاة بمعجزة ..

ومضى اليوم وهدأت العاصفة .. واقتربت منه والقت برأسها الصغير على كتفه وبكت . ومد يده ليحتضن أناملها الصغيرة ، ويتجهان الى الله بالشكر والدعاء .. فقد كان عدد ضحايا العاصفة يفوق كل تقدير ..

وجاء صباح اليوم التالي ، وقامت من نومها مبكرة لتعيد كل شيء الى مكانه،وتتخلص من آثار الدمار الذي أحدثته العاصفة بالبيت الصغير الذي يجمعهم ، ولكنها كانت تتمنى لو أنه عدل عن الذهاب الى عمله حتى ينتهي العمل من اصلاح الطرق التي تهدمت وامتلأت بالأشجار وأعمدة الكهرباء،

والسيارات المحطمة ..

ولكنه صحا من نومه فجأة ، وقال وهو يرتدي ملابسه : « لابد ان اذهب الى عملي ياعزيزتي » .

وأسرعت الزوجة تعد لزوجها طعام الافطار ، وجلس هو الى المائدة يأكل .. وانقضت بضع لحظات سادها الصمت ، لكنه ما لبث أن أحس بشعور غريب يحتويه .. شعور الرجل الذي عاد من موعد مع الموت .

وقرأت ما كان يدور في رأسه في تلك اللحظة .. وراحت تطمئنه ، رغم انها كانت في حاجة الى من تزيل عن صدرها هي هذا الكابوس المخيف .. ولكنه ذاهب ولا سبيل لمنعه من الخروج ..

وفجأة وجد نفسه يتجه اليها بعينيه .. ويتأمل هذا الوجه الذي رافقه طوال تلك السنين ، وبدا وكأنه يرى صاحبته لأول مرة ، وانطلق يتحدث في هدوء .. كانت كلماته تقطر حبا وحنانا .. قال : « لا أعرف ماذا حدث لي اليوم ، ولكنني اريد أن اقول لك إنني سعيد بك ، سعيد ببيتي وأطفالنا .. إنني احبك ياعزيزتي ، ولو عادت عقارب الزمن الى الوراء ، الى اليوم الذي اخترتك فيه زوجة لي لما فعلت غير ما فعلت .. انني لا أستطيع أن اتصور أن هناك من هو أسعد مني في هذا العالم الواسع » .

●●●

كان غريبا أن تستمع الزوجة الى هذا الحديث الرقيق الحلو من الرجل الذي عاشت معه طوال هذه الأعوام ، دون أن يفكر مرة واحدة في أن يعبر لها عن مشاعره التي ظل يختزنها الى أن انطلقت من شفتيه تماما كما تنزل قطرات المطر فوق الأرض المتعطشة للماء والحياة ..

وانقضت بضع دقائق والزوجة تتأمل وجه الرجل

الذي أحبته وأسعدته ، وسرحت ببصرها في عينيه ، فوجدتهما تلمعان ببريق عجيب وكأنهما تحدثانها وتؤكدان لها أنه صادق في كل كلمة قالها . .

ولكنها ما لبثت أن احست بالحيرة تحتويها . . لماذا الآن . . ؟

وحاولت أن تبحث عن اجابة لهذا السؤال الذي كان يلح عليها بينها وبين نفسها ، ولما لم تجد تفسيرا يريحها اقتربت منه في هدوء ووضعت يديها فوق كتفيه ولثمت شعر رأسه بقبلة رقيقة ، وقبل أن تبتعد عنه شعرت بالدموع تغرق عينيها الجميلتين .

وفي غرفتها التي أغلقت بابها وراءها حتى تخفي عنه ما كان يعتمل في صدرها في تلك اللحظة ، ارتمت على فراشها وراحت تبكي . فقد خطر لها خاطر ، حاولت جاهدة أن تطرده من ذهنها : « ترى هل هو حديث الوداع ؟ هل أحس زوجها ووالد أطفالها بأنه لن يعود اليهم ثانية ؟ » .

ووقف يودع زوجته وابناءه ، كما يفعل كل صباح ، قبل الذهاب الى عمله . . فقد كان وداع اليوم أكثر حرارة . . وغادر البيت دون أن ينظر وراءه وهو ينتزع ابتسامة من بين شفتيه انتزاعا . . وقال : « أعدكم بأن اعود اليكم سالما . . لقد هدأت العاصفة كما ترون » . .

وذهب الزوج . . ولكنه لم يعد . . فقد هبت العاصفة من جديد ، وكانت قوية عاتية . . وسقط الزوج والأب بين من سقطوا . .

وعاشت الزوجة مع الذكرى التي تركها لها . . مع أطفاله الصغار . . وصورته في صدرها ورأسها لم تغادرهما أبدا . . عاشت وفية له بعد ذهابه وهي تمضي وحدها في رحلة الحياة ، وكأنه مازال يعيش معها كل لحظة من عمرها . .

***

الذي يعنينا من قصة هذا الرجل هو هذا الاحساس المفاجىء بحلاوة الحياة عندما انتابه ذلك الشعور بأن رحلته على الأرض قد اقتربت من نهايتها .

لماذا نخفي مشاعرنا عن هؤلاء الذين نحبهم ؟

ماهو المعنى الكبير للحياة ، ذلك الذي غاب عن ذهن هذا الزوج ؟ إنه عمرنا على هذه الارض ، انه الدقائق والساعات والايام والسنون التي نقضيها قبل رحيلنا عن هذه الدنيا . . لماذا نعيشها في صمت ، لماذا نتركها للامواج والرياح تعبث بها ، لماذا لا نشعر أننا أحياء ، وأن ندع الذين نحبهم يحسون بدورهم بقيمة الحياة وجمالها ؟

قلة هم هؤلاء الذين يفعلون ، وأقل منهم هؤلاء الذين يعرفون المعنى الحقيقي لحياة الانسان القصيرة على الارض . . ولقد كان الزوج ـ بطل هذه القصة ـ أبا لاسرة سعيدة ، ولكنه لم يشعر بهذه السعادة ويحس بها الا عندما اقترب أجله . . لقد كان في وسعه أن يقول ما قاله لزوجته قبل لحظة وداعه لها منذ سنوات وسنوات . . كان في مقدوره أن يعيد على مسامعها تلك الكلمات الحلوة التي رأت معناها في عينيه ، كلما كانت هناك مناسبة لأن يقولها لها . . ولكنه لم يفعل الا عندما لم يعد في العمر بقية . . لقد كان يشعر بالسعادة التي يعيشها ، ولكنها لسبب أو لآخر ، قد لا يعرفه هو نفسه ، شاء أن يحبس مشاعره ، حتى اذا ما أحس بأجله يقترب وجدها تنطلق من سجنها دون أن يدري . .

ولعلنا نجد في قصة الرجل الذي اكتشف معنى الحياة بعد أن أوشكت الشمس على الغروب بعيدا عن حياته التي نسيها في الزحام . . . لعلنا نجد في قصته سر السعادة التي اكتشفها فجأة في وحدته وهو يقترب من الشيخوخة .

كان قد جاوز عامه الخمسين . . وكان يعيش وحده بلا صديق ، ولا رفيق . . كلهم انفضوا عنه بعد أن امتلأت جيوبه بالمال وهجرته زوجته عندما نسيها ، ونسي أبناءه الذين كانوا يملأون حياته قبل أن تهبط عليه هذه الثروة المفاجئة منذ أكثر من خمسة عشر عاما أو يزيد .

ومضت الأيام . . ومضى معها في وحدته . . في البداية كان كل شيء آخر غير المال يبدو أمامه بلا معنى . . فقد كان يعيش في ترف ، ولا يعوزه شيء . . أي شيء ، فقد كان الثمن دائما في جيبه مهما كان كبيرا . . لقد سخر ماله في اسعاد نفسه بالطريقة التي تروق له ، ولم يعد يشعر بالفراغ

لقد كان يملك كل شيء .. البيت الجميل والسيارة الفاخرة والخدم الذين يسهرون على راحته .. كل شيء كان محروما منه في شبابه وأيام كفاحه مع المرأة التي شاركته حياته في فقره وحرمانه ، أصبح اليوم بين يديه ورهن اشارته .

***

وفجأة ، صحا من غفلته ، على الحقيقة التي يعيشها .. ما معنى هذه الحياة ؟ ما قيمتها وهو ينعم بهذا كله وحده بعيدا عن هؤلاء الذين أحبهم وأحبوه في يوم كانت الشمس لا تغيب فيه عن حياته لحظة واحدة ، في ذلك الربيع القصير الذي وضع هو نهايته بيده .

وخرج الى الشارع يضرب فيه كما لو كان يبحث عن شيء افتقده .. كان يحدث نفسه كما لو كان قد اصيب بمس من جنون : « أولادي اين هم الآن .. زوجتي التي أهملتها ونسيتها وانا منهمك في رصد حساباتي في البنوك .. ترى ماذا صنع الزمان بها .. هل يمكن أن استمر في الحياة في هذه الوحدة الموحشة بعد ان اضعت أثمن وأجمل ما كنت امتلك ؟ » .

ولم تطل رحلته في الشارع .. لقد كانت اول مرة يخرج فيها ماشيا على قدميه ، تاركا سيارته الفارهة في مكانها امام البيت الذي قضى فيه كل هذه الأعوام يبحث داخل نفسه عن الهدف الذي يعيش من أجله .

ففي منتصف الطريق التقى بأحد اصدقائه القدامى ، وكان واحدا من هؤلاء الذين عرفوه ايام كان زوجا وأبا مازال يبحث عن الطريق الذي سوف يسير فيه لكي يحقق الثروة والجاه .. هدفه الأول من الحياة منذ أن بدأ بريق الذهب يخطف بصره ويعمي بصيرته .

وسارع يسأل صديقه في لهفة .. هل تعرف عنوانهم .. هل تعرف أين يعيشون؟ وماذا صنعت الأيام بهم ؟

ـ نعم اعرف .. وأنا أزورهم .. لقد كبر ابناؤك وتخرجوا في الجامعة .. كم هي فخورة بهم هذه الام المسكينة التي كافحت من أجل تنشئتهم وتربيتهم .. ولكن ماذا تريد منهم اليوم ؟

ـ اريد أن اراهم .. اريد ان أضمهم الى صدري واركع عند أقدامهم طالبا الصفح والغفران . اليوم فقط اكتشفت أن مال الدنيا كلها لا يساوي لحظة واحدة أقف فيها أمام ابني ارقبه وهو يكبر وينمو ويدرك معنى الحياة ..

***

وذهب .. وطرق باب البيت الذي ضم تلك الاسرة الصغيرة طوال هذه الاعوام .. وفتحت الزوجة والأم الباب ورأته يقف امامها في توسل .. وعرفته على الفور .. وكانت أول مرة يزورها فيها ذليلا مطأطأ الرأس ، لا يقوى على النظر اليها .. لقد وقف يتحدث في خشوع وكأنه يخاطب نفسه : « اولادي .. هل أستطيع أن ارى ابنائي .. ارجوك ... انا لا أطلب شيئا ، فقط اريد ان املأ عيني بوجوههم الحلوة .. اريد أن اقترب منهم ولو مرة واحدة بعد كل هذه السنين الطويلة التي انقضت على فراقي لهم .. اتوسل اليك » .

ونادتهم ووقف الابناء الثلاثة يتطلعون الى صاحب هذا الوجه الغريب .. ولما رأت الأم الحيرة التي ارتسمت على وجوههم ، قالت وهي تستعد للدخول :

« انه والدكم .. نعم انه الاب الذي ترككم وذهب منذ خمسة عشر عاما » ..

وألقى بجسده البدين المترهل نحوهم باسطا ذراعيه .. ولكن أحدا منهم لم يكن هناك ليمسك بيده .. لقد اغلقوا الباب ، وعادوا يلتفون حول الأم التي كانت تجلس في تلك اللحظة أمام صورة صغيرة مع ابنائها الثلاثة منذ خمسة عشر عاما عندما غاب الاب عن اسرته . كانت رحلتها معهم ، رحلة كفاح طويل .. ولكنها كانت أجمل وأمتع رحلة في الحياة .. □

طبيب الأسرة

داءُ الكَلَبْ بينَ الإنسانِ والحيوان

بقلم : الدكتور فؤاد فاضل الشيخلي

يصيبنا الذعر عندما يُقترب أطفالنا من الكلاب وفي ذاكرتنا عديد من الوقائع عن أطفال تعرضوا لمضاعفات خطيرة ، لأن الأمهات والآباء أساءوا فهم عضة الكلب .

فما هو هذا الداء . وما هي مضاعفاته ؟

داء الكلب RABIES واحد من الأمراض الفايروسية المعدية ، والمشتركة بين الانسان والحيوان . وقد عرف المرض منذ الأزمنة القديمة ، ولكن لم تتم معرفة المسبب الحقيقي له ، ولا مدى تأثيره على الجهاز العصبي المركزي الا ما بين عامي ١٨٥٢ ـ ١٨٩١ من قبل العالم السوفيتي ن . ب فاسيليف (N.P. Vasilyev) وبالتحديد عام ١٨٧٦ حين وصف المرض من خلال أثره الباثولوجي على أنسجة الجهاز العصبي المركزي . أما في فرنسا فقد أوضح العالم الفرنسي لويس باستور عام ١٨٨١ ـ ١٨٨٨ ، ومن خلال دراسة تجاربه القيمة ، أن الفايروس (الراشح) المسبب للمرض يتمركز في أنسجة الجهاز العصبي .

ومع التقدم العلمي التكنولوجي الحديث تمكن العلماء والباحثون في مجال علم (الحمات) الفيروسات من دراسة مسبب هذا المرض بصورة دقيقة ومتناهية من خلال استخدامهم للمجهر الالكتروني ، فوجدوا أن الفايروس المسبب (الراشح) ينتسب الى مجموعة الفايروسات المخططة القابلة للترشيح والتي تدعى بالاسم العلمي (Neuro ryctes Vabiei) يطول من (١٠٠ ـ ١٥٠) ملي مايكرون ، وبشكل يشبه رصاصة البندقية ، ومؤلف من حامض رايبو نووي يحمل معه المعلومات الموروثة ويقع في وسطه ، ومحاط بغلاف بروتيني سكري (كلوكوز) لاحق بالبنية التحتية بشكل ضيق مع شوكات على السطح . ومن صفات هذا الفايروس القدرة على التغلغل ضمن خلايا الجهاز العصبي المركزي وطرحه من خلال الغدد اللعابية .

وبائيــــة المرض :

الطريق المعتاد لنقل العدوى في هذا المرض هو (العض) من قبل حيوان (كلب) يطرح مع

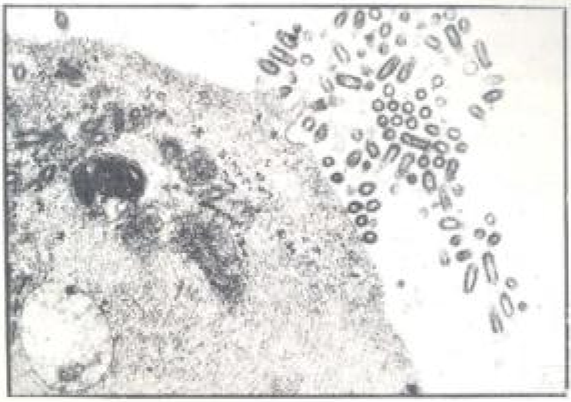

فيروسات المرض في لعابه ، ويزرعه في النسيج في لحظة العض . ويمكن لعدوى الانسان أن تحدث عبر الخدوش أو بالتماس دون عض وباللمس لجلد فيه جروح سطحية جلدية أو بالتماس مع الزبد السائل في أشداق الحيوانات الكَلِبَة . وتظل العدوى عن طريق الهواء شاذة عند الانسان رغم أنها أكيدةٌ تجريبياً ، وقد انتشرت حالات هذا الداء بعد الاقامة في مغارات فيها خفافيش كَلِبَةٌ .

يبدأ طرح الراشح (الفيروس) في لعاب الحيوان بعد بضعة أيام وقبل ظهور العلامات الأولى للداء ، ويستمر طوال مدة المرض ، وقد أشارت الاحصائيات الى أن في ٨٠٪ من الحالات تبدأ الأعراض من بضع ساعات الى ثلاثة أيام ، و ٤ ـ ٥ أيام بنسبة ١٥٪ من الحالات ، وقد تصل الى ثمانية أيام بنسبة ٥٪ من الحالات ، وهكذا فان الحيوان الذي يعض شخصاً ما دون أن تظهر عنده في تلك اللحظة أي علامة للداء يمكن بكل بساطة أن سبق وطرح فيروس الكلب ومن أجل هذا فقد أدرج في قانون الصحة العامة والبيئة ضرورة وضع الحيوانات العاضة تحت المراقبة البيطرية ولمدة تتراوح ما بين (١٠ ـ ١٤) يوماً وبعد العدوى يدخل الفيروس في الخلايا العضلية الواقعة قرب الجرح مما يزيد عددها بشكل هائل مما يشكل جرعة ثانية :

وصف المرض والتشخيص :

تظهر الأعراض بعد مرحلة خرساء لدور الحضانة وذات اختلاف زمني يتراوح من اسبوع الى عدة أشهر ، وقد يتعدى الى عام أو أكثر،ولكن المعدل العام يمكننا الاشارة اليه بفترة بين شهر وشهرين حيث ظهور المرحلة (البادية) والتي تدوم من ٢ ـ ٧ ايام متصفة بظهور علامات غير نوعية مع حمى ووهن وصداع وتغيرات في السلوك تبدو بشكل ازدياد عاطفي غير معتاد ، وعكسه وهو اللامبالاة مع أعراض حزن وهجمات بكاء مع الأم وتشويش في الحس ملفت للنظر (هنا مستوى مكان عبور الراشح وتمتد الى كل المناطق) بعدها تبدأ المرحلة الحادة التشنجية والمتصفة بتشنجات فجائية متواترة مؤلمة وتنطلق لتصيب مجمل الجهاز العضلي ولكنها تفضل التمركز في منطقة الحنجرة والبلعوم إضافة هذه الأعراض توجد رجفات خاصة في الوجه مع فرط سيلان اللعاب ، واضطراب في الجهاز التنفسي وفوضى حرارية .

بعد هذه المرحلة الحادة تأتي المرحلة الهياجية في أشكالها الخانقة ، وقد تحدث الوفاة بعد مرور ٣ ـ ٤ أيام خلال مرحلة التشنج الحنجرى أو الحصار

التنفسي أو توقف القلب . هنالك أمراض شبيهة بأعراض داء الكلب تشكل نسبة ٢١٪ من الحالات ، والتشخيص هنا صعب لتشابهه مع شلل الأطفال أو التهاب النخاع المستعرض أو مرض متلازمة غيلين ـ بار . وللتشخيص المبكر لهذه الحالات يجب إجراء الفحوصات الطبية المختبرية للسائل الشوكي (C.S.F) مع اجراء تخطيط للدماغ (E.E.G) مع الكشف الأولي لراشح داء الكلب من خلال اللعاب أو الجلد ، وتعتمد النسبة على ظهور الأعراض . في الختام نقول إن الشخص المشتبه باصابته يحتاج لتعقيم منطقة العض بالمطهرات وإعطائه مصل باستور للوقاية منه .

☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

الحرقوص

● **هل هناك مرض أسمه الحرقوص ؟ أرجو افادتكم عن ماهية هذا المرض وأعراضه وعلاجه ولكم الشكر ..**

ي . ف . أ
عمان

ـ هو مرض الديدان الخيطية أو الاكزوريوس ، كما قد تعرف باسم الديدان الدبوسية ، نسبة الى شكلها المغزلي الرفيع القصير ، وكأنه الدبوس ، هذا بالنسبة الى اسمها العامي ، وهي ديدان المقعدة نسبة الى انه يشاهدها العامة في منطقة المقعدة ، حول فتحة الشرج وعلى الفخذين .

ان الحرقوص أو الاكزوريوس تعتبر أوسع الطفيليات المعوية انتشارا ، ولكنها أقلها ضررا ، وهي تستوطن المصران الأعور وما جاوره من أمعاء ، كالقولون والزائدة الدودية والأمعاء الدقيقة ، منها الذكر ومنها الأنثى التي تبلغ حوالي ١٠ ـ ١٢ مليمترا طولا ، والخيط الرفيع سمكا ، ذات لون أبيض تحمل في جوفها ما يقارب العشرة آلاف بويضة صغيرة ، والذكر الذي قلما يشاهد يبلغ طوله نصف طول الانثى وهو قابع داخل الأمعاء .

ومن عادة أنثى الحرقوص أن تتحرك وتتجول حتى تصل الى فتحة الشرج ، حيث تضع بويضاتها الناضجة المغلفة بمادة لزجة حمضية تساعدها على الالتصاق بمقعدة المصاب ، وهذا عادة ما يكون أثناء نومه وسكونه ليلا ، مما يسبب له شعور الحكة والأكلان ، فيهرش مقعدته بأصابعه حيث تلتصق البويضات بها ، فاذا ما مص أصابعه أو أكل بها عادت اليه العدوى مضاعفة .

وكثيرا ما تتطاير البويضات في الهواء ، ويستنشقها من حوله ، أو تتبعثر على أغطية السرير ، أو ألبسة المصاب الداخلية ، ومن هنا جاءت سهولة العدوى ، واكتمال دورتها في حلقة مفرغة ، من المريض لمن حوله من أفراد الأسرة ، أو على الأغلب من المريض لنفسه ذاتيا ، وعليه يعتبر المرض عائليا لا فرديا ، ويتوجب العلاج والوقاية لجميع أفراد الأسرة .

ولما كانت الديدان لا تعيش طويلا بأكثر من شهور معدودة ، فكسر حلقة العدوى باعتماد النظافة هو الأفضل ، من حيث قص الأظافر دوما ، وغسل الأيدي عقب الغائط وقبل الطعام ، بالاضافة الى غسل الملبوسات والمفروشات وغليها يوميا .

كما أن هناك عقاقير فعالة يصفها الطبيب قد تؤخذ دفعة واحدة ، أو أنواع أخرى تؤخذ على مدى أسبوع ، غير أن النظافة المطلقة لكافة أفراد الأسرة وبيئتها هي الحل المعتمد .

مساحة وُدّ

السقُوط

كنا صحبة نعمل في مؤسسة صحفية واحدة ، كان هو أكثرنا حركة وأوسعنا علاقات ، وكانت صفحته التي يشرف عليها تمتلىء بالأخبار الشخصية .. وزوايا الرأي التي يتطوع بكتابتها ويضع اسماء بعض المسئولين عليها .

وعندما كنا نجلس معه ونناقشه وننتقد ما يفعل ، كان يسوق مبررات واعذارا كثيرة ، لكن على الرغم من ذلك فاننا كنا نحس أن في نفسه طيبة وشهامة ، ولكن أزمته كانت في المال .. عندما كنا نجلس في لحظة صفاء ونثرثر عن أحلامنا كانت احلامه أحلام من يملك الملايين - بيت في اوروبا واملاك هنا وهناك ، وسيارة بمواصفات كيت وكيت ... الخ . وكثيرا ما كنا نضحك لتعليقاته على أحلامنا . كان يقول إننا فقراء حتى في الحلم ..

وفوجئنا به يوما يستقيل من العمل دون مقدمات ، ودون استشارة احد ، وعندما اتصلنا به نسأله لماذا فعل ؟ وماذا سيفعل ؟ أعطانا موعدا مسائيا لكنه لم يحضر . بعد اسبوعين على اختفائه ، فوجئنا بتعيينه مديرا لتحرير احدى الصحف .. وبدأ الانهيار الحقيقي بعدها ، ذهبنا لتهنئته ، فطلبت منا مديرة مكتبه الانتظار طويلا .. ثم بدأنا نسمع كيف يعامل زملاءه المحررين كسعاة .. وكيف عين أقاربه وكيف يسافر ويجيء .. ويمسك في يديه كل أعمال الادارة بالاضافة الى التحرير .. من فترة قريبة سمعت باقي التفاصيل .. التي انقطعت عني زمنا .. بدأ مسؤول الجريدة يعيد ترتيب أوراقه ، فوجد أنه طرف في معارك مع أطراف كثيرة والسبب صاحبنا ، أما في المجال المالي للجريدة فانه فوجيء بفضائح كثيرة ارتكبها صاحبنا ومدير الحسابات الذي يمت له بصلة قرابة .. فأبعد مدير الحسابات عن العمل ..

أما صاحبنا فقد سافر واختفى وعندما اتصل به أحد الاصدقاء القدامى ليسأل عنه وان كان يريد أية مساعدة ، أجاب بضحكة طويلة وقال : إنه سيسافر بعد ساعات ليقضي اجازة قصيرة في بيته في اوروبا ثم يعود مستعدا للمعارك ، عندها تذكرنا حلمه الذي كان ، والثمن الفادح الذي دفعه لتحقيقه ..

مساحة العربي

العرب . . . والمطبخ

طعام المناسبات

□□ من يقرأ كتاب ابن سيده يدرك أن العرب كانت تشتهر بأكلات غير الثريد الذي تتحدث عنه كل قصص وحكايات العرب القديمة . ويقدم في كتابه المخصص قائمة باسماء بعض الأطعمة التي تؤكل في مناسبة بعينها سواء كانت مناسبة فرح أو حزن . وستلاحظ عزيزي القارىء أن وقع اسم الطعام وجرسه لا يتناسب بالضرورة مع المناسبة التي يقدم فيها ، فعند الزواج مثلا يقدمون طعام (النقيعة) و (الشندخي) ، وفي ليلة الدخول بالزوجة يقدمون (العرس) ، وعند الولادة يقدمون (الخرس) . أما عند ختان الطفل فيقدمون طعام (الاعذار) الذي يسمى كذلك العذار والعذير والعذيرة . ويقدم طعام (الأعذار) أيضا عندما يربح الرجل شيئا ما . .

وعندما يقوم الرجل ببناء بيت جديد فانه يقدم طعام (الوكره) أو (الوكيره) ، أما في المآتم فيقدم طعام (النقع) و (الوخيمة) ، وعند قدومه من سفر فانهم يقدمون له طعام (النقيقة) .

****

كلمـــات

وراء كل عظيم امرأة . . مندهشة . .

حكمـــة

الدليل على أن كل النساء متشابهات هو أن كلا منهن تعتقد أنها مختلفة .

قول على قول

قديما قال فولتير : قد اختلف معك ، لكنني على استعداد لأن أسفك دمي مقابل حقك في الدفاع عن نفسك .

وحديثا ، قال ديكتاتور : قد تختلف معي ، لكنني على استعداد لأن أسفك دمك مقابل حقك في هذا الاختلاف .

□□

عالم ما بعد

الحياة الدنيا

يقول الشاعر الانجليزى ت . س اليوت : ان دانتى لم يكن أول من تناول في كتابه « الكوميديا الآلهية » عالم ما بعد الحياة الدنيا ، فالمصريون القدماء عرفوا فى تراثهم الجحيم المظلمة بما تحتويه من عذاب ، وتصوروا الفردوس بما فيها من نعيم وسعادة ، فعندهم اوزوريس راعى ميزان العدالة فى الدار الخالدة .

وفى ديانة بابل تهبط عشتروت الى الجحيم لتبعث تاموز الى الحياة ، وعند اليهودية أرض الظلام والعذاب تحت الأرض . وفى ديانة الفرس جحيم ومطهر وفردوس ، وفي الالياذة اليونانية عالم الموتى والأبالسة وأنهار الجحيم ، وفى المسيحية رؤى القديسين عن العالم الآخر . وفى الاسلام مشاهد محتشدة تصور العذاب والنعيم وشجرة الزقوم وآرائك النعيم وجنات عدن .

□□

يكره يوم الجمعة

قيل أن عبد ربه اليشكرى كان عاملا لعلي ابن موسى عل المدائن فصعد المنبر يوما فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ارتج عليه فسكت ثم قال : والله انى لأكون فى بيتى فتجىء على لسانى ألف كلمة ، فاذا قمت على أعواد منابركم هذه جاء الشيطان فمحاها كلها من صدرى ، ولقد كنت وما فى الأيام يوم أحب الى من يوم الجمعة ، فصرت وما فى الأيام يوم أبغض الى من يوم الجمعة ، وما ذاك الا لخطبتكم هذه .

طرفة يهودية

• يقال ان الزعيم النازي ادولف ايخمان الذي كان يحرق السجناء في افران الغاز في المعتقلات النازية لم يعدم في اسرائيل كما يشاع . لكنه مات بالصدمة عندما وصلته فاتورة استهلاك الغاز .

□□

طرفة عربيــة

• كان أحد الاشخاص يسير في أحد أزقة مدينة بلفاست في ايرلندا الشمالية حيث الصراع المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت . فجأة خرج عليه أحدهم يشهر بوجهه مسدسا ، وسأله :

ـ اجب بسرعة ، هل انت كاثوليكي أم بروتستانتي .

ـ لا هذا ولا ذاك ، انني يهودي ياسيدي .

ـ لا شك ، اذن انني عربي محظوظ .

□□

تعريفات

مختزلة

الزوجة : هي المرأة التي تقف الى جانبك خلال جميع الظروف الصعبة التي لم تكن لتمر بها لو لم تتزوج .

الزواج : هو انتصار الأمل على الخبرة . .

النفقة : نظام يدفع بموجبه شخص واحد ثمن خطأ ارتكبه اثنان .

المعتدل : هو ذلك الشخص الذي يصنع الاعداء يمينا ويسارا . .

حسن الاستماع

قال الامام الحسن ابن علي بن ابي طالب رضى الله عنه لابنه : يا بنى اذا جالست العلماء فكن على أن تسمع احرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ، ولا تقطع على أحد حديثا وان طال حتى يمسك .

بيتنا..

بيتنا فنجان قهوة
بيتنا تفاحة الجرحِ . . وهذي الكبرياءْ
بيتنا البستان اذ يَطرقُ . .
اذ يأتي الى العينين والقلب . . مساءٌ من تعب
بيتنا الاغماء . . . ليل الصيف . .
سوقُ الخوف . . أن يغدو كلانا
رجفةً من ذهبٍ رخصٍ . .
وأمطاراً ضريرةْ
غربة اخرى . . على نافذة في الغرب
أو في الشرق . . وجهاً للمساء .
قلت ما عندك . . مرّت بيتنا شمس صغيرةْ
أبحرت في كوب ماء . .
فالتقى الوجهان . . قبل الظلمة الأولى . الأخيرة
جاءنا النادل . . ماذا تطلبينْ
قبل أن تفترق الليلة بالسيف . .
. . فلا ندري متى يسقط هذا البرقُ . . أينا
قبلَ ان نفترق - الليلة - بالسيف . .
فتمضي بين كفيك يدي . .
أو في يَدينا
بعضِ شيء . . كان شيئا . .
نصفُ شيء . . كان شيئا
نصف هذا الكأس . . يبقى في يدي . .
من قبلِ أن ينهار نصف الماءِ
في منتصف اللحظة . .
من عمر انسلالِ السيفِ . .
من عمر السْراب . . الشعرة البرقِ . .
الشفاهِ الباكرة
اطلبي شيئا ليمضي النادل الواقف . . عنّا
اطلبي فنجانَ قهوه

● شاعر فلسطيني مقيم في الجمهورية العربية السورية . صدرت له الدواوين التالية : في شمسي دُوار ، أعناق الجياد النافرة ، من فوق - انحل من أين .

فنجان قهوة

شعر :
فواز عيد*

مرة . . لو تذكرين . .
قبلةٌ منك مضت . . قد كان فيها ،
طعم شيء . . كان محموسا على النار . .
مريرا كان . . حلوا . .
كان عُمْراً كاملاً . . قد مر في تهويم غفوه . .
فاطلبي فنجان قهوة
حسنا . . نحن اختلفنا

***

بيننا تفاحة الحب . . اقسميها
بيننا الاطراقةُ المرتبكهْ
بيننا الأسفار . . دفء الليل
خوفي أن تفيقي
كلما أوغل في الليل القطار
بيننا تلك المساحات . . التي ترتدُّ عنّا
مذ دخلنا البابَ عصراً . . لنصفي التركه
بيننا النوم . . . وأحلامُ الظُّهيره
اقسمي العتمة نصفين . .
اقسمي ضوء النهار

***

حسنا . . نحن اختلفنا
منذ أن غادرتِ هذا الجسمَ . . هذا الفيء . .
هذا الاتكاء
منذ أن غادرت هذا الليل . .
حتى عشبك المسجى بباب الصيف . .
باب القلبِ . . .
اذ تمضي به ريحٌ ونارْ
منذ أن غادرت هذا الجسدَ الرغبة . .

صرنا ههُناكْ . .
جانحيْ طيرٍ يسمى كلَّ ميلادٍ جديدْ
جانحيْ طيرٍ يحومْ . .
فوق ماكنّا بنيناه معاً . .
فوق . . أحلامٍ . . حكاياتٍ . . ودارْ . .
نحن ماعدنا سوى اثنينِ عطوفينِ . .
باسرارٍ مَشاعْ . .
تعرفين الداء في قلبي . . فترفين قميصي
وتردّين الى العينين . والقلب نهاري
وأنا أعرفُ عينيكِ . . وداري
انما . . نحن اختلفنا . .

***

انت . . يا آخرَ ما يبقى عصيّاً . . من ثمارِ الشوكِ
ما يبقى من الوردة . .
من زيتٍ يفوحْ . .
انتِ يا آخرَ من يجلو عن القلبِ . .
الى كفٍ ضنينةْ . .
حاصرتها آخر الحربِ . . . وأدمتها الجروحْ . .
انتِ . . يا منْ كان قلبي . .
حين يشتاقُ الى النومِ . .
تمدين له كفَّيكِ بالسِّر فيغفو
موصداً يغفو . .
فان آذنتهِ بالبوح . . عن أسراريَ الصغرى . .
يبوح . .

(فتفيقُ ـ الفجرَ ـ في عينيكِ خرفٌ . .
في قميصي . . من نجوم الليل . . رفٌ
بيننا فنجانُ قهوة)

فجأة أدرك .. أنَّ السرَّ شاعَ ..
في ارتباك اليد .. تذرو السكرَّ الشلالَ
في الفنجان ...
تحصى كلَّ ذرَّة
في اختياراتِ الرُّدودِ المقفلة
في انعطافِ الريف .. من عينينِ تصطفاني ..
في بريَّةِ اليومِ المطيرْ
بيننا الشارعُ خالٍ .. والطقوسُ الصامتهْ
بيننا البرد .. وأمطار كثيفهْ
بيننا اليوم الذي قد كانَ ..
يمضي وحده الآن الى الموعدِ ..
في أولِ مرة ..
يذعن الآن .. فينقادُ الى اليوم الأخير ..
نحن ـ يا سيدةَ الحزن الذي في القهوة المرّة ..
قد نختلف الآن ..
وقد نفترق الآن .. بحد السيفِ
لكنَّ الذي كنا صنعناه معا .. ما عادَ منّا
هذه الشمسُ التي كانت لنا .. صارت هناكْ
تلكمُ الآمالُ .. والوقفةُ بالبابِ ..
وأحلام الظهيره
لم تعد منّا .. وإن نحنُ اختلفنا
ما الذي يبقى اذن ..؟
كي ننهض الآن غريبينِ ..
ليروي الناسُ عنّا
ـ اننا ـ والسيف يهوي بيننا ـ آخرَ مرّه
اقتسمنا كلَّ شيءْ ..
ما عدا الآمال .. والوقفة بالبابِ ..
وأحلام الظهيره
وانحناءات المساة ..
ماعدا .. الأطفال ..
اذ يمضونَ للحربِ معاً .
ما عدا .. انّا معاً ..
دون أرض أو وطـــنْ ...

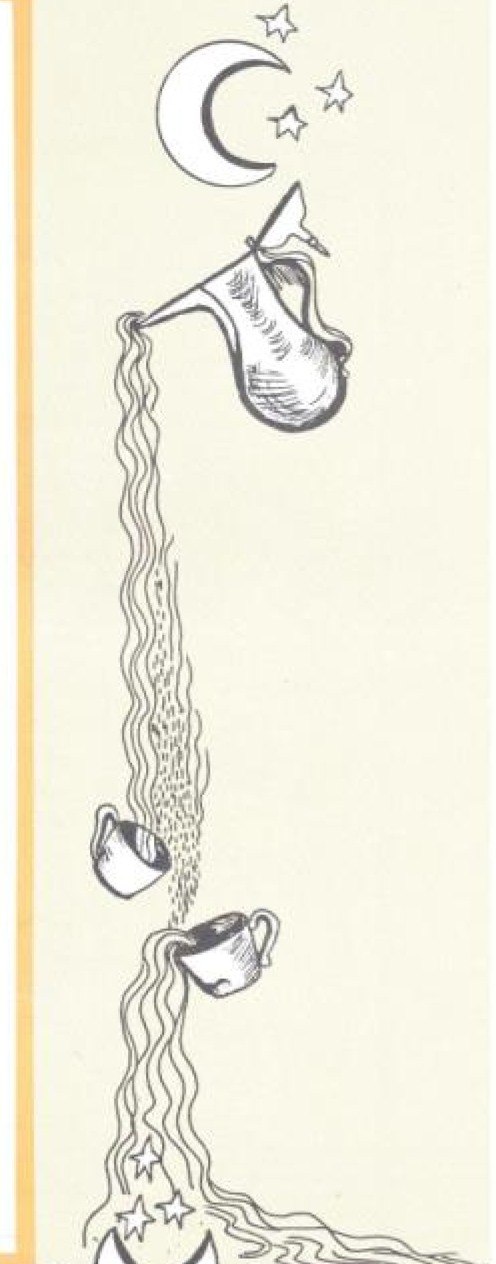

مكتبة العربي

كتاب الشهر

بريخت

سيرة حياة

تأليف : رونالد هيمان

عرض وتحليل : حسن محمود عباس

لم يستطع الا نفر قليل من كتاب المسرح العالمي المعاصر أن يثيروا من الاهتمام والجدل حولهم كما استطاع الكاتب والمنظر المسرحي والشاعر الألماني بيرتولت بريخت . وعلى الرغم من مرور أكثر من ربع قرن على وفاته ، الا أن دور النشر ما زالت تتلقى وتنشر عنه الكثير . . .

كتاب الشهر

هذه الدراسة التي نحن بصددها هي واحدة من الدراسات الحديثة ، أو ربما كانت أحدث دراسة صدرت عن بريخت ، وفيها يكرس المؤلف كتابه لتتبع سيرة بريخت دون التعرض لأعماله المسرحية بالنقد والتحليل الا حيثما دعت الضرورة . لكن الكتاب يظل - على الرغم من هذا النقص - مرجعاً مهماً يزود الدارس بمادة وافرة من المعلومات التي قد تعينه في فهم ما يمكن أن نسميه لغز « بريخت » .

وقد ظهرت كتب تجمع بين السيرة الذاتية والنقد الأدبي لأعمال بريخت ، منها كتاب مارتن أسلن ، الذي ما زال يحظى ببعض اهتمام ، على الرغم من أنه لا يخلو من افتراء . وهو - أي أسلن - يدعي بأنه يحاول أن يرى بريخت مؤلفاً مسرحياً عظيماً وشاعراً عظيماً مثل كل العظماء في هذا العصر ، فيرد عليه رونالد جراي قائلاً : بأن أسلن لا يعطينا في أي جزء من كتابه توضيحاً كافياً لهذه العظمة ، ثم نراه يخصص ثلث الكتاب للبحث في أعماله الأدبية ، أما فيما تبقى من الكتاب فنراه مشغولاً بالمسائل المتعلقة بحياة بريخت وبعقيدته السياسية . وهذه الموضوعات ممتعة بحد ذاتها ، لكنها غير مرتبطة بالفكرة الأساسية للكتاب . وبامكان الانسان أن يقرأ الكتاب كله ، دون أن يخرج برأي يساعده على الوصول الى قرار ، فيما اذا كانت أعمال بريخت تستحق حقيقة ما قوبلت به من تقدير .

على هذا النحو يمضي رونالد جراي في نقده لكتاب أسلن ، أنه معني عناية خاصة بموضوع العقل والغريزة في أعمال بريخت ، وهو يرى أن هذه الأعمال تخفق في بلوغ الغاية المرجوة منها ، لكن اخفاقها هذا مصدر من مصادر عظمتها . أما كتاب جراي ذاته فهو لا يتطرق الى الجانب الشخصي أو الذاتي من حياة بريخت ، الا بقدر ما يتصل الأمر باحدى المسرحيات . والكتاب يقدم تحليلاً نقدياً وتقويماً لأعمال بريخت ونظرياته في المسرح .

ولعل الناقد ايريك بنتلي من أكثر الدارسين حماساً لاثارة الاهتمام ببريخت خارج المانيا وفي الولايات المتحدة بصورة خاصة ، فقد قام بترجمة سبع مسرحيات لبريخت الى اللغة الانجليزية ، وقدم لها بمقدمة اضافية ، ولم يفتر حماسه له في أي من الكتب التي أصدرها عن المسرح الحديث ، بل كان يخصه بفصل واحد أو أكثر في كل منها ، وهي كتاب « الكاتب المسرحي مفكراً » الصادر في عام ١٩٤٦ وكتاب « في البحث عن مسرح » الصادر في عام ١٩٥٣ وكتاب « حياة الدراما » الصادر في عام ١٩٦٤ وغيرها . لقد كان بنتلي معنياً بعروض مسرحيات بريخت على مستويين : مستوى عروض الهواة ، ومستوى عروض المحترفين .

السيرة الذاتية

ومن الكتب المهمة التي تناولت سيرة بريخت الذاتية كتاب كلاوس فولكر : « بريخت - سيرة ذاتية » وهو كتاب يزخر بالمعلومات التي كان قد جمعها مؤلفه ودونها في ترابط منطقي متين ، لقد عاصر بريخت وكان على صلة به ، وعلى دراية بالكثير من المواقف والظروف المحيطة ، لكن كتاب فولكر كان منصباً في معظمه على سيرة حياة بريخت ، دون التطرق لأعماله الأدبية ، أو لنظريته في المسرح ، علماً بأن مؤلفه كان مؤهلاً للخوض في كل هذه المسائل ، نظراً لمكانته الفكرية وقربه من بريخت . ان الكتاب لا يكاد يلتفت الا الى واحدة أو اثنتين من مسرحيات بريخت ، ويصرف همه في كل ما تبقى منه الى جوانب من سيرة حياته . والكتاب - على الرغم مما تقدم - غني بالحقائق والمعلومات ، التي يوردها مؤلفه مما يجعل منه أي من

الكتاب وثيقة تاريخية مهمة ينبغي لكل من تعنيه دراسة بريخت الرجوع اليها ، والانتفاع بما تورد من معلومات . ولقد وصفت بأنها وثيقة تاريخية ، وكنت اعمد الى هذا الوصف عمداً ، لأن الكتاب يكاد يخلو من أي موقف نقدي ، فهو يتحرى الحقائق ويوردها ويترك النقد لخيال القاريء وفكره .

ولعل كتاب فريدريك اوين : « برتولت بريخت .. حياته وفنه وزمانه » هو خير ما ظهر عن بريخت ، الانسان والكاتب المسرحي والمنظر والشاعر . فقد اهتم المؤلف بالبحث عن مادة لم تنشر من قبل عن حياة بريخت ، فاستقاها من أرشيف بريخت الخاص في برلين ، ومن التحدث الى أصدقائه الأحياء ، أو ممن كانت تربطه بهم صلات عمل . وتابع التدريبات التي يقوم بها مسرح « برلنر انسامبل » وهو مسرح بريخت الخاص ، الذي أهدي اليه بعد عودته من الولايات المتحدة الى برلين واستقراره فيها . وتابع العروض لكثير من مسرحيات بريخت على خشبة ذلك المسرح ، وهو واحد من أكثر مسارح العالم رقياً . وقد عكف اوين على كل ما توفر لديه ، ففحص ودقق ودرس وتأمل ، وخرج على الناس بكتابه القيم الذي حاول به الا يترك ثغرة . فقد غطى جانب السيرة الذاتية فيه حياة بريخت من المهد الى اللحد ، بكثرة في التفصيل . ودقة في التأمل ، ثم عمد الى أعماله المسرحية فلم يترك واحدة منها الا وتعرض لها ناقداً محللاً مبيناً صلتها بأحداث الحقبة التاريخية التي كتبت فيها ، وأثرها في تطور بريخت الفني . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا الكتاب قد ترجم أخيراً الى اللغة العربية ، ترجمة بائسة مكدودة لا تتناسب وقيمة الكتاب ذاته من جهة ، ولا تليق بمكانة بريخت عند المسرحيين من جهة أخرى .

علاقاته العاطفية

والحديث عن الكتب على هذا النحو قد يطول ، وينأى بنا بعض الشيء ـ عما نحن بصدده ، أو لعله يوصلنا الى سؤال مهم هو : أين هذا الكتاب الذي نعرضه من تلك الكتب التي تقدم ذكرها ؟ انه أقرب الى طبيعة كتاب كلاوس فولكر من أي كتاب آخر ، فهو سيرة ذاتية محضة . واذا كان فولكر قد وقف عند بعض المسرحيات ناقداً ، فان هيمان لم يفعل ذلك ، وانما كان يقف عند الظروف المحيطة ببعض الأعمال المسرحية ، كالتعديلات التي كانت تطرأ على المسرحيات والتدريبات والعروض وبعض ردود الفعل أحياناً ، ولم يكن يعنيه أن يحلل نصاً مسرحياً ـ أو شعرياً وانما كان يكتفي بوصف ما قد أحاط بذلك النص . وقد كان اهتمامه منصباً على سيرة بريخت الذاتية ، على صلاته بأسرته وبالطبقة الاجتماعية التي تحدر منها ، وعلى صلاته بالأصدقاء وبالصديقات وما أكثرهن ! لقد أولى المؤلف صلات بريخت مع الجنس الآخر عناية خاصة ، فأتى على ذكر كثير من التفاصيل ، وهي وان لم تكن مهمة بحد ذاتها الا أنها تلقي ضوءاً على نموذج السلوك الذي كان بريخت يتبعه في صلاته بالآخرين ، وهو سلوك فيه شيء من مراوغة يصرّ بعض الدارسين على وصمه بها ، والصاقها بتصرفاته على أنها سمة مميزة . لقد كان بريخت يرتبط بعدد من النساء في آن واحد ، وكانت اذا صدته احداهن أو أعرضت عنه شكا همه الى أعز الأصدقاء ، وأقربهم الى قلبه : كاسبر نيهر ، ذلك الفتى النحيل الرقيق العود ، زميل الدراسة في مراحلها الأولى واللاحقة ، ورفيق النجاح في كل الأعمال المسرحية التي اتمها بريخت ، وقدمت على مسارح ميونيخ وبرلين حتى عام ١٩٣٣ ، وهو عام الهجرة من ألمانيا بعد وصول هتلر وحزبه الى السلطة . انه يشكو اليه روز ماريا أمان ، صديقته التي هجرته وعلقت بغيره ، هذا في الوقت الذي كان فيه على علاقة حميمة مع مغنية الأوبرا ماريان زوف ، التي جاءت الى اوجسبورج ـ وهي البلدة التي ولد فيها بريخت ونشأ ـ لتعمل في مسرح المدينة ، تلك العلاقة التي انتهت ـ على الرغم منه ـ بالزواج ! وفي نفس هذا الوقت كان على علاقة حب مع فتاة اسمها بولا بانهولزر ، وكانت تحمل منه طفلاً ، وتلح في أن يولد هذا الطفل ولادة شرعية ، أي أن يكون له أب شرعي ، ولكن ماريان زوف كانت هي الأخرى قد حملت منه ! وكان بريخت كلفاً بالفتاتين معاً ، ولا يرغب في اختيار احداهما دون الأخرى ، فأتفقتا عليه بغير علمه وقررتا دعوته الى مكان ما ، لا يعلم أنه سيلقاهما فيه معاً . وهناك أضطر بريخت الى اختيار ماريان زوف لتكون زوجته ،

كتاب الشهر

لا لأنه يحبها أكثر مما يحب بولا ، ولكن ليكسب ابن ماريان صفة المولود الشرعي ثم يطلقها ويعود الى بولا ، حبه الصادق العميق !

الشباب . . . والضيــــاع

حدث هذا كله فيما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ ، أي في الفترة التي كان يكثر فيها من التردد على مدينة ميونيخ ، حيث كان يمنى النفس بالنجاح ، بعد أن تخلى عن تعلم الطب نهائياً ، واتجه بكل قوة الى المسرح ، وبعد أن يئس من امكانية التقدم وبلوغ الشهرة في بلدة صغيرة مثل أوجسبورج . وقد حاول كثير من دارسي أدب بريخت ـ ومنهم رونالد هيمان ـ التأكيد على أن عدداً من مسرحياته يعكس جانباً من سيرته الذاتية . فان صح مثل هذا التوجه ، فان مسرحية بريخت الأولى المسماة « بعل » هي سيرة ذاتية تعكس اهتماماته في تلك المرحلة من مراحل العمر . أما بعل فهو يبدو شاعراً غنائياً ومهرجاً محترفا وسفاحاً ومنحرفاً جنسياً ، وعاشقاً عنيفاً . .

كما أنه ساخر ، يساعد العجائز من النساء ، وعربيد يستمتع بشتى الملذات الحسية . . . وهو بلا ضمير ولا ادراك ذاتي ، انه كتلة مكتظة بالصفات المتناقضة ، يعيش حياته على أعنف مستويات المتعة ، فهل كان « بعل » صورة شوهاء لبريخت اقتضت رسمها على هذا النحو البشع ضرورات فنية ، ومؤثرات من الحركة التعبيرية التي كانت تلقى ظلها على الأدب الألماني كله في فترة ما بعد الحرب الأولى ؟ وانسجاماً مع ما كان يعانيه بريخت من فقدان للهوية ، ومن ضياع في مرحلة الشباب تلك ، فقد جعل كراجلر بطل مسرحيته الثانية « طبول في الليل » انتهازياً ، يرى ثورة العمال فيدير لها ظهره ، ويؤثر الزواج من حبيبته التي حملت في غيابه عندما كان مقاتلاً في الحرب ، على الانضمام الى صفوف الثوار ، لقد اسقط بريخت شيئاً من أزمته الشخصية على بطل مسرحيته ، فكلاهما قد دخل الحرب وعاد منها ضجراً برماً ناقماً على كل شيء . أما الثورة التي تشكل خلفية المسرحية ، فقد كانت ثورة حقيقية قامت في المانيا بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وكان يقودها كل من روزا لوكسمبورج وكارل ليبكنخت . وقد فشلت الثورة بعد أن قمعها الجيش ، وقضى عليها ، وأما ما كان قد تعلمه كراجلر بطل المسرحية من الحرب فهو أن يعرف كيف يظل حياً .

والكتاب يحفل بعلاقات بريخت الانسانية والنسائية منها بوجه خاص . ولا ينال هذا من قيمة الكتاب شيئاً ، فهو سيرة ذاتية ، قصر مؤلفه همه وجهده على تتبع علاقات بريخت مع الآخرين في حله وترحاله ، وهوكثير .

جائزة كلايست للأدب

لم يكن لبريخت علاقات أسرية حميمة . فبعد أن انهى تعليمه في أوجسبورغ ، وقبل في إحدى كليات الطب في ميونيخ أدار ظهره للأسرة ، ولم يعد يعبأ بها ، فانقطعت بينهما الصلة ما عدا زيارات قصيرة كان يقوم بها الى بلدته ليرى والدته وبعضاً من صديقاته ! أما والده فقد كانت علاقته به محدودة جدا ولم يكن يذكره الا متذمراً ، وتعدُّ مثل هذه العلاقة طبيعية الى حد ما ، نظراً للثورة العارمة التي أعلنتها التعبيرية على كل سلطة ومنها سلطة الأب . ولا يفوتنا أن عدداً من مسرحيات تلك الفترة كانت تتبجح بالثورة على الآباء ، وأن بعضها كان يحمل عنوان « قتل الأب » .

وبعد مجموعة المسرحيات التي كانت قد قدمت لبريخت ، وبعد أن كثر الحديث عنه ، وصار له انصار بين النقاد وبين مرتادي المسرح بوجه عام ، رشحه الناقد اهرنج لنيل جائزة كلايست للأدب وفاز بها .

وأخذت شهرته تتوطد بعد مسرحيته المرموقة « رجل برجل » فقد أخرجت هذه المسرحية ، وعرضت في دار مشتات في عام ١٩٢٦ ، وفي برلين في عام ١٩٢٨ . وتعد بحق البداية الناجحة للمسرح الملحمي ، ولكن النجاح المدوي الذي حققه بريخت كان في مسرحية « اوبرا القروش الثلاثة » التي اقتبسها عن مسرحية تحمل نفس العنوان ، للكاتب المسرحي الانجليزي جون جاي وهو من كتاب القرن الثامن عشر . وكانت مساعدته اليزابيث هاوبتمان قد لفتت انتباهه الى النجاح الذي قوبلت به هذه المسرحية ، عندما أعيد إخراجها وعرضها في لندن في عام ١٩٢٠ . ولما كانت المسرحية مثقلة بالهجاء والسخرية من رئيس الوزراء البريطاني آنذاك روبرت والبول ، ومن كثير من الأوضاع السائدة ، فقد رأى فيها بريخت عملاً ملائماً يستطيع الانتفاع به على النحو الذي يتطلع اليه . فأعاد كتابتها بالتعاون مع مساعدته ، وعهد الى كورت فيل أحد الموسيقيين الكبار بوضع الألحان المناسبة لأغانيها . وقد قدر لهذه المسرحية نجاحاً يعز مناله ، وكان لها الفضل في ذيوع شهرة بريخت في القارة الأوروبية كلها .

لقد أغرى النجاح الذي حققته أوبرا القروش الثلاثة كلا من بريخت وكورت فيل بعمل آخر مشترك . فكتب بريخت مسرحية أوبرا ، ازدهار وسقوط مدينة ما هاجوني ، ووضع فيل ألحانها وعرضت في ٩ مارس ١٩٣٠ . وقد كان الناقد الفريد بولنجار حاضرا عند افتتاح العرض ، فكتب يصف استقبال الناس للمسرحية ولأسلوب بريخت الملحمي بشكل عام : « أصيبت المرأة التي كانت تجلس الى يساري بأزمة قلبية ، وأبدت رغبة في الخروج ، ولم يثنها الا التحذير الذي يقول : ان هذه اللحظة التي تمر بها ربما تكون لحظة تاريخية . . . وكان يجلس وراء مقعدي رجل يتميز غيظاً ويتمتم قائلاً : سأنتظر ظهور بريخت . . . ثم ارتفعت أصوات تندد بالعمل ، واعقبتها أصوات أخرى تشيد وتهلل ! ومرت أحداث بالغة التأثير . ففي أحد المقاعد كان يجلس رجل يتسم بالوقار ، وقد أخرج من جيبه علاقة مفاتيح واستعان بها على خوض معركة ضد المسرح الملحمي . . فوضع العلاقة فوق شفته السفلى ونفخ فيها ، فأحدثت صوتاً شديد القوة حتى يخيل للمرء بأنه ينفذ الى أحشائه . . . أما زوجته فقد وضعت اصبعيها في فمها وأغلقت عينيها ، ونفخت خديها لتطلق صفيراً أشد من صفير المفتاح . . » .

المسرحيـــة التعليميـــة

لقد عكف بريخت على دراسة النظرية الاشتراكية ، وتفرغ لذلك مدة لا تقل عن ثلاث سنوات ، وبعدها خرج بريخت العقائدي الملتزم ، واختفت صورة الفوضوي العدمي ، التي كان عليها منذ مطلع شبابه وحتى أواسط العشرينات . وفي هذه الفترة كان بريخت قد جاوز الثلاثين من عمره ، وبدأت مرحلة المسرحية التعليمية ، وهي نوع من أنواع المسرحية يدل عليها اسمها . ولم تخل من جفاف وتزمت ، على الرغم من كل وسائل المسرح الملحمي والتغريب ، التي اتبعها بريخت من أجل التخفيف من حدة لهجتها التعليمية ، وجعلها مقبولة سائغة . ومن تلك المسرحيات مسرحية « الاستثناء والقاعدة » ، « الام » المقتبسة عن مكسيم جوركي ، ومسرحية « قائل نعم وقائل لا » ، ثم مسرحية « جان قديسة المذابح » وهي ليست من أفضل هذه المسرحيات فحسب ، بل هي من خير ما كتب بريخت .

وقد انتهت هذه المرحلة ـ مرحلة كتابة المسرحية التعليمية ـ بحلول عام ١٩٣٣ وهو العام الذي تسلم فيه هتلر السلطة ، وكان على كل الأحرار أن يبحثوا عن مأوى يهاجرون اليه . أما بريخت فقد أحرقت كتبه كما أحرقت كتب عشرات الأدباء والمفكرين ، ممن لم يكن النازيون يطمئنون الى ولائهم .

خرج بريخت الى المنفى وقد اصطحب معه أسرته ، وكانت تتكون من زوجته هيلينا فيجل (التي كان قد تزوجها في عام ١٩٢٩ بعد أن طلق الأولى ماريان زوف) وابنه ستيفان ، ولم تتبعه صديقته ومساعدته اليزابيث هاوبتمان ، التي كان قد خيب ظنها بزواجه من هيلينا فيجل . وابتعد لأول مرة عن صديق العمر كاسبر نيهر ، الذي لم يكن يستطيع فراقه وهو داخل ألمانيا ، فكيف به وقد فارقه لخمسة عشر عاماً تلت !

لقد حلت الكارثة بعدد كبير من الكتاب والأدباء الألمان ممن بقوا في ألمانيا ، فمنهم من سجن ومنهم من عذب حتى الموت . أما أولئك الذين هاجروا فقد

كتاب الشهر

كانت وطأة الهجرة ثقيلة على بعضهم فلم يحتملها ، فمات عدد منهم انتحاراً مثل الناقد فالتر بنجامان ، وفالتر هاسنكليفر وستيفان زفايغ وارنست تولر وغيرهم ، أما الذين ظلوا على قيد الحياة فقد كانوا يفرون من بلد الى بلد يطاردهم الخوف وشبح القتل . وقد وصف بريخت هذا الحال في قصيدة له بعنوان : « الى الذين يأتون بعدنا » قال فيها : « . . . كنا نخوض حرب الطبقات ، ونهيم بين البلدان ، نغير بلداً ببلد ، أكثر مما نغير حذاء بحذاء » !

زمن الاغتراب

وقد ظن بريخت ـ كما يظن كل المهاجرين عن الأوطان ـ أن البعد لن يطول خارج ألمانيا ، وقد طلب الى أحد أصدقائه بألا يبتعد كثيراً ، فان زمن الاغتراب لن يطول . وانتقل ـ في المنفى الى براغ ثم الى فينا فزيوريخ . وقد وجد فيها عدداً من الكتاب منهم آنا سايجرز وهونريش مان وفالتر بنجامان ، وفيها قضى بعض الوقت الهادىء الذي ظل يذكره حتى مماته . وبعدها توجه الى باريس حيث قدم مسرحية « الخطايا السبع المميتة » . ثم عرضت عليه كاتبة من الدانمرك أن تعثر له على مسكن في بلدها ، فقبل العرض حيث قدر أنه هناك سوف يكون على مقربة من أرض الوطن ، فيلتقي بموجات المهاجرين الجدد الذين يفدون بكثرة الى الدانمرك .

لقد ساهم بريخت في الكتابة الى بعض الصحف المعادية للنازية ، واشترك في العديد من المؤتمرات التي كانت تعقد في انحاء القارة ، وتندد بالنازية . ولم يتخل عن الكتابة للمسرح ، فكتب مسرحية « الرؤوس المدببة والرؤوس المستديرة » وقد استلهم فيها مسرحية شكسبير « العين بالعين » وعرضت في كوبنهاجن ، ثم أعقبها بآخر مسرحية تعليمية هي « الأخوة هوراس والأخوة كورياس » . وكان يرى أن من واجبه في هذه الفترة أن يتحدث كثيراً الى المنفيين لاقامة جبهات شعبية معادية للنازية .

ذهب في عام ١٩٣٥ الى موسكو ، حيث التقى هناك بأصدقاء من أمثال أرفين بسكاتور المخرج الألماني المعروف ، وكارولا نيهر وسيرجي تريتياكوف وغيرهم . وكانت الولايات المتحدة هي آخر بلد لجأ اليه قبل أن يعود الى برلين بعد تقسيمها في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ان سنوات النفي الطويلة هذه هي أخصب السنوات في حياة بريخت ، ففيها كتب أكثر المسرحيات خلوداً حياة غاليليو (١٩٣٨) ، والأم شجاعة (١٩٣٩) ، والسيد بنتلا وتابعه ماتي (١٩٤٠) ، وانسان ستشوان الطيب (١٩٤١) ، ودائرة الطباشير القوقازية (١٩٤٥) .

وبعد العودة الى الوطن أسس فرقة برلين (بيرلنر انسامبل) هو وزوجته هيلينا فيجل ، وأهدته الدولة مسرح رصيف بناة السفن ، لتتخذه هذه الفرقة مقراً لها ، حيث افتتحته بتقديم مسرحية الأم شجاعة في عام ١٩٤٩ ، وما زالت تعمل فيه حتى يومنا هذا . وظل بريخت يقوم باخراج مسرحياته ، الى أن توفي أثر نوبة قلبية في ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٦ .

ان المنهج التاريخي هو الذي يطغى على كتاب رونالد هيمان ، فهو يقدم بأسلوب وصفي مشرق كثيراً من المعلومات النافعة ، ويعرض لعدد من القضايا المهمة التي تتصل بعلاقات بريخت مع عدد من الشخصيات البارزة ، من بينها فالتر اولبريشت رئيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية لفترة ما بعد الحرب ، وتوماس مان ، أعظم الروائيين الألمان ، وارفين بسكاتور أحد كبار مخرجي ألمانيا في هذا القرن ، وجورج لوكاتش الفيلسوف والناقد المجري البارز . والمؤلف يقف وقفة مطولة يحاول فيها استقصاء أسباب الخلاف بين بيرتولت بريخت وبين كل من هؤلاء المفكرين . □

من المكتبة العربية

صُوَر مُبتَداها في يافا..

تأليف : ابراهيم سكجها

عرض وتحليل : أحمد المصلح

عُرف ابراهيم سكجها بكونه صحفياً لامعاً ينتمي لجيل رواد الصحافة في فلسطين . وعندما أصدر أخيراً مجموعته القصصية الأولى كان يؤكد حقيقة مهمة حول ارتباط الأدب والصحافة في فلسطين منذ بداية هذا القرن .

في ضوء هذه الحقيقة المهمة يستعرض أحمد المصلح مجموعة ابراهيم سكجها القصصية (صور مبتداها في يافا) .

يقول ابراهيم سكجها في تقديمه لمجموعته القصصية الوحيدة (صور مبتداها في يافا) الصادرة عن دائرة الثقافة والفنون بعمان عام ١٩٨٢ (كنا في أوائل الخمسينات نجد مع فسحة الأمل فسحة من الوقت للتأمل والتذكر والتسجيل ، فكانت هذه الصور بعضاً من ذلك ، وقد نشرت بين أعوام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ في جريدة فلسطين ، وحتى الآن لم يخطر في البال أنها وأخوات لها من مثلها أو يختلفن عنها خطوطاً والواناً يمكن أن تجمع للنشر في كتاب) .

ونقول نحن بدورنا ، أن إصرار المؤلف على اعتبار ما يحتويه كتابه صوراً وردت على الخاطر وليست قصصاً ، ليس مهماً في منظور النقد ، بل نضيف أن هذه الصور قصص بكل ما تحمله الكلمة من مدلول .

تضمن كتابه (صور مبتداها في يافا) أربع قصص أخذت العناوين التالية : تأبي الا أن تنتظر ، و لقد انهار حصن الخنازير،و كانت وقفة،ومأساة . لدى قراءة هذه القصص نلاحظ أنها تأخذ مادتها الخام من واقع المأساة الفلسطينية مادياً وبشرياً . وهو واقع خصب بالتأكيد ، سواء على مستوى الحدث ، أو على مستوى الرؤية ، وخصوصاً بالنسبة للغالبية العظمى من المثقفين والأدباء الفلسطينيين في تلك الفترة .

يقيم القاص معماره الفني في هذه القصص على مبدأ التقابل . اذ يحرك شخوصه في زمنين متتاليين هما ما قبل نكبة ١٩٤٨ او ما بعدها ، وفي حالتين متقابلتين حالة السعادة والحياة المستقرة مادياً وعاطفياً ، وحالة الشقاء ، وحياة التشرد والقلق مادياً وعاطفياً كذلك ، ثم أيضاً في مكانين متقابلين أولهما في يافا وثانيهما في عمان . معتمداً أسلوب السرد الواقعي

من المكتبة العربية

البسيط في جميع القصص ، ومستندا على ضمير الغائب في أغلب الأحيان .

ففي قصة (تأبى الا أن تنتظر) نرى « عديلة » ، الشخصية في القصة ، في وضعين متقابلين : الوضع الأول عديلة الفتاة اللعوب الجميلة ، التي تلبس من الثياب أحدثها ، وتسكن مع أسرتها في حي من أحياء يافا الراقية . وفي الوضع الثاني بعد نكبة ١٩٤٨ ، نرى عديلة ترتدي ملابس فلاحة ساذجة ، تحمل على رأسها طبقاً تبيع ما عليه من تفاح وبرقوق ومشمش ، وقد ذبل جسمها وعلته صفرة قاتلة ، وتسكن في إحدى القرى القريبة من عمّان .

وبين الحالتين يرسم لنا القاص تطور الحدث المأساوي ، من خلال هجرة الأسرة من يافا الى بيروت ، ثم الى نابلس بعد وفاة معيل الأسرة ، ثم أخيراً الى عمّان ، ولم ينس القاص أن يضفي على « عديلة » هالة من القداسة في نهاية القصة ، حيث نراها تنتظر عودة خطيبها « سعيد » الذي لا تعرف عنه شيئاً منذ غادرت يافا .

وفي قصة « لقد انهار حصن الخنازير » يرسم لنا القاص صورة حية للمقاومة الفلسطينية في ذلك الحين ، أي قبل نكبة ١٩٤٨ ، وذلك من خلال عملية هدم حصن الخنازير ، وهو مصنع للمرطبات في مستعمرة « بات يام » بالقرب من يافا ، يتخذ منه الصهاينة مركزاً لعملياتهم الارهابية ضد السكان في حي الجبالية في مدينة يافا .

ومن خلال هذه الصورة الحية ، يحرك القاص بطل القصة (نواف) المرشح في الجيش العربي في ذلك الحين ، ليلعب دوراً رئيسياً في صنع الأحداث من جهة ، ويستند عليه في تقنية (التقابل) التي اعتمدها المؤلف في البناء العام للقصة من جهة أخرى .

فنواف في الحالة الأولى قبل عام ١٩٤٨ ، كان في إجازة ، ولكنه يستغل إجازته للمشاركة في الحدث البطولي للقصة (المقاومة) أما نواف هذا الذي التقاه الراوي في عمّان بعد عام ١٩٤٨ فهو ما يزال ضابطاً في الجيش العربي ، ولكنه ليس في إجازة كما تقول الكلمات الأخيرة في القصة .

وفي قصة (كانت وفيّة) يتناول المؤلف حياة اسرتين فلسطينيتين بائستين ، فقدتا معيليهما ، وذلك من خلال شخصية « سلمى » و « سليم » اللتين آلت اليهما تبعة المسؤولية فيما بعد . وقد ربط المؤلف بين الأسرتين برباط القرابة . ثم تحدث نكبة عام ١٩٤٨ ، فيستقر سليم في عمّان كاتباً في دائرة المعارف ، وتستقر سلمى في نابلس معلمة في إحدى المدارس التابعة لدائرة المعارف بعمّان أيضاً .

ويستمر القاص في رسم تطور الحدث المأساوي ، فيفضح نمط العلاقات الأسرية السائدة من خلال عم سلمى ، « السكير » الذي أرادها بقرة حلوباً تجلب اليه المال ، فيرفض زواجها من قريبها سليم . لينتهي بها الأمر في المستشفى جسداً ذابلاً أنهكه المرض .

وكما انهى القاص حياة « عديلة » بحالة من القداسة ينهي كذلك هذه القصة بحالة من القداسة أيضا ، اذ سرعان ما يذهب سليم الى حبيبته سلمى ، وهي على فراش المرض يمدها بالقوة ، لكي ينتهي بها المطاف في عش هادىء في عمان يداعبان طفلة صغيرة جميلة سمياها وفاء .

وفي قصة « مأساة » يعود المؤلف الى المقاومة الفلسطينية في تلك الفترة ، فيصف استبسال مدينة يافا مع أخواتها عرائس فلسطين ، في دفع الأذى وصد هجمات الأعداء التي كانت تأتيها من خلف كل ركن من أركانها ، ومن خلال هذه الصورة تطل علينا شخصية « سعاد » في وضعين متقابلين ، الأول في يافا : حيث تفشل في الزواج من موظف الشؤون الاجتماعية الذي تعرفت عليه حين جاء الى منزلها يقدم لها المساعدة ، والذي ارتبطت معه بقصة حب

ابراهيم سكجها

شريفة ، أفسدها سفره الى بريطانيا في بعث زواجها سنتين ، وإصرار والدتها على وزاجها من ابن عمها خلال هذه المدة .

أما الوضع الآخر : فهو بعد نكبة ١٩٤٨ ، حيث تقبع سعاد الآن في ركن بيت متواضع جداً في عمان ، تروي قصتها لكل من يستطيع أن يسمعها منها كما تقول نهاية القصة .

●●●

واضح من استعراضنا السريع لمضامين قصص (صور مبتداها في يافا) أنها تنتمي الى ما اصطلح على تسميته بالقصة الفلسطينية الكلاسيكية ، وهي كغيرها من القصص الفلسطينية التي كتبت في تلك الفترة تأخذ منحى تعليمياً أخلاقياً وتعتمد أسلوب السرد الواقعي البسيط كما أسلفنا ، كما يمكن أن نلاحظ في هذه القصص مزجاً بين تقنية أسلوب المقال وتقنية أسلوب القصة .

ففي الجانب الأول نرى سيطرة هاجس الاقناع على الكاتب سواء بحشد الحجج لتبرير موقف الشخصية أو بتدخل المؤلف لتوضيح ما يراه ضرورياً . ويتجلى هذا بشكل جذري في قصة (كانت وفيّة) حيث يقول الكاتب في نهايتها (هل أنهي قصة سليم وسلمى بذبول هذه الزهرة اليافعة .. وسليم هل أجعله يدفن أحزانه في الخمرة ..) .

أما تقنية أسلوب القصة فيتجلى في الابتعاد عن اللغة التقريرية المباشرة ، والاعتماد على صفاء اللغة ورومانسيتها بمعنى استغلال عناصر البيان والبديع والبلاغة جهراً ، ولهذا لا نستغرب عبارات كثيرة وردت في القصص مثل (وتهالكت على الأريكة ، يطلبون الحياة من جفن الردى ، أقدح زناد فكري ، يسترسل بظلام الليل ، هش في وجهه وبش .. الخ) .

غير أن ما تمتاز به قصص ابراهيم سكجها حقيقة عن قصص تلك الفترة هو ما يمكن أن يطلق عليه (الاقتصاد اللغوي) فلغة القصص تمزج بذكاء واضح بين خاصتي الاقناع والايحاء ، الى جانب ابتعادها عن التكرار سواءً على مستوى اللفظة أو على مستوى العبارة ، كما نلاحظ أيضاً خلو القصص من الاقتباسات والتضمينات ، ومواقف الوعظ والخطابة التي كانت سائدة في قصص تلك الفترة .

كما نسجل للقصص ميزة أخرى ، وهي لجوؤها الى رسم بعض الأجواء على نحو كاريكاتوري ، وذلك بهدف سبرغور الحدث أو الشخصية ، أو بهدف تعزيز عنصر (التشويق) في القصة ، ويتضح ذلك في قصة (لقد انهار حصن الخنازير) وفي قصة (مأساة) .

كما نسجل ميزة بنائية أخرى لهذه القصص تكاد تنفرد بها ، وتتعلق بافتتاحية القصة ، فالملاحظ أن افتتاحيات جميع القصص تلخص الحدث ، أو تشير الى ذروته منذ البداية ، وهذه تقنية أخذت بها القصص الحديثة فيما بعد كما نعلم .

بقيت نقطة أخرى أود أن أشير اليها وهي أنني الاحظ أن هذه القصص تشي بقدرة روائية كامنة في المؤلف . فالزمن واحد في كل هذه القصص ، والمكان واحد تقريباً ، والشخصيات متقاربة من حيث حركتها وخصائصها ، والمضمون واحد الى حد بعيد ، وأخيراً فان الراوي يكاد يكون واحداً في جميع القصص . □

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : نشيد الحياة ـ رواية
اسم المؤلف : يحيى يخلف
الناشر : دار الحقائق ـ دمشق ـ سوريا .
عدد الصفحات : ٢٠٣ من القطع المتوسط

تنويع آخر وتسجيل مختلف لتجربة بيروت الحصار عام ١٩٨٢ ، يقدمها فى اطار روائي القاص والروائى الفلسطيني يحيى يخلف الذى خرج من التجربة ليرويها بضمير الغائب فى اسلوب جمع بين الحقيقة التى اقتربت من التسجيل ، والفن الذى يعطى الأحداث الحقيقية أبعادها الانسانية الاخرى . هذه الرواية هى الرابعة ليحيى يخلف عدا مجموعتين قصصيتين .

اسم الكتاب : بين المرسى والشراع ـ شعر
اسم المؤلفة : هند هارون
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق ـ سوريا
عدد الصفحات : ١٩٦ من القطع الصغير .

هذا الديوان الشعرى هو الرابع فى سلسلة الكتب الشعرية لواحدة من أبرز شاعرات سوريا . والى جانب قصائدها التى تتراوح بين اغانى الحب والروح وأغانى الوطن الجريح ، يضم الكتاب مجموعة من القصائد الطويلة ذات النفس الملحمى ، استخدمت خلالها الشكلين العمودى والمرسل للشعر ، مثل قصائدها بين المرسى والشراع وحوار الجرح وعوالم قديمة .

اسم الكتاب : ادغار الن بو
اسم المؤلف : ديفيد سنكلير
اسم المترجمة : سلافة حجاوى
الناشر : وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ـ العراق
عدد الصفحات : ٣٩٥ من القطع الكبير .

كتاب جديد يضاف الى المكتبة العربية يتناول سيرة حياة وفن واحد من اكثر الشخصيات الأدبية الامريكية إثارة للجدل ، هو الشاعر الأمريكى ادغار الن بو ، الشاعر الذى اشتهر بكونه ملهما للشعراء الرمزيين فى أوروبا ، كما اشتهر بكونه أشهر كاتب لروايات الرعب فى أمريكا والعالم .

اسم الكتاب : أعلام الكويت ـ فرحان بن فهد الخالد
اسم المؤلف : سيف مرزوق الشملان .
الناشر : دار ذات السلاسل ـ الكويت
عدد الصفحات : ١٣٢ من القطع الكبير .

يواصل المؤرخ الكويتى المعروف سيف مرزوق الشملان كتاباته التاريخية عن رجالات الكويت المعروفين الذين أسهموا فى بناء الكويت الحديثة .

وهذا الكتاب سيرة لحياة فرحان بن فهد الخالد مؤسس أول جمعية خيرية كويتية عام ١٩١٣ . وقد ضم الكتاب الى جانب سيرة حياة فرحان الخالد ملحقا يحتوى على عدد من الوثائق المتعلقة بحياته وبعصره .

اسم الكتاب : قضية "اسرائيل" والصهيونية السياسية
اسم المؤلف : روجيه غارودى .
اسم المترجم : د . ابراهيم الكيلانى
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ دمشق

عدد الصفحات : ١٩٦ من القطع الكبير

منذ أربعينيات هذا القرن عُرف غارودى باهتمامه الواسع بالحضارات الشرقية ، ومنها حضارتنا العربية الاسلامية . ولم يكن اهتمامه مجردا بل كان ممارسة فعلية تمثلت فى مواقف سياسية مؤيدة للحق العربى ومعادية للصهيونية "واسرائيل".

فى هذا الكتاب يعرى غارودى الجانب اللاانسانى للصهيونية السياسية التى أقامت دولة "اسرائيل" فى المنطقة بمساعدة الدول الاستعمارية الكبرى ، وذلك باسلوب يجمع بين عمق التحليل والاسلوب الادبى الرفيع ، والثقافة الغزيرة لواحد من أبرز الفلاسفة الفرنسيين .

اسم الكتاب : هموم النفط وقضايا التنمية فى الخليج العربى
اسم المؤلف : د . على خليفة الكوارى .
الناشر : دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع - الكويت
عدد الصفحات : ٢٢٤ من القطع الكبير .

هذا الكتاب لواحد من أبرز المختصين بقضايا النفط والاقتصاد فى منطقة الخليج العربى ، وهو عبارة عن مجموعة من الأبحاث العلمية المختصة والمحاضرات والاوراق التى كتبها د . على خليفة الكوارى بين عامى ١٩٧٤ و ١٩٨٢ .

وبصفتها هذه فان مجموع المقالات التى يضمها الكتاب ترسم لوحة شاملة لصورة النفط وظروف التنمية فى الخليج ، فى واحدة من أكثر فتراته حرجا وأهمية .

اسم الكتاب : الأدبيات اليمنية فى المكتبات والمراكز الثقافية العالمية .
اسم المؤلف : كارل بروكلمان .
اسم المترجم : صالح بن الشيخ ابو بكر
الناشر : مركز الدراسات والبحوث اليمنى - صنعاء ودار الحداثة - بيروت .
عدد الصفحات : ٢٣٠ من القطع المتوسط .

يسد هذا الكتاب فراغا حقيقيا فى المكتبة العربية التراثية ، وينبه الباحثين والدارسين العرب الى أهمية واحد من اهم فروع الكتابة التوثيقية ، ونعنى بها « البيليوغرافية » . والكتاب سجل عصرى مبوب تبويبا جيدا لكل ما كتب عن الأدب اليمنى ، مع دليل للمصطلحات والرموز التى تشير الى مكان وجود هذه الكتابات مع نبذ مختصرة جدا عنها .

وعلى الرغم من أن مادة هذا الكتاب مأخوذة من كتاب المستشرق الالمانى كارل بروكلمان الا أنه جهد يمنى مهم فى الأساس يفيد منه كل المثقفين والباحثين العرب .

اسم الكتاب : شعر ابن عثيمين ، دراسة في الشكل والمضمون
اسم المؤلف : محمود محمد بركات
دار النشر : دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع
عدد الصفحات : ٣٩٥ من القطع الكبير

لا تأتي أهمية الشاعر النجدي ابن عثيمين من أهمية الأحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية التي واكبها وهي تنتقل بالجزيرة العربية من عصر الى آخر ، بل تأتي أيضا من خلال الدور الريادي الذي لعبه على مستوى فنية القصيدة في هذه المنطقة ، مما جعله صلة الوصل بين عصر التقليد وعصر القصيدة الحديثة ، وذلك ضمن حدود تطور هذا الفن في منطقة الجزيرة العربية .

والكتاب في الأصل رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير تقدم بها « باحث فلسطيني عن شاعر نجدي في جامعة مصرية » كما يقول د . محمد الرميحي في تقديمه للكتاب .

□

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الإعراب أحدُ قرائن النحو اللفظية

« كنا في بعض هذه الصفحات اللغوية[١] قد عرضنا لكلمات التوكيد السبعة : نفس ، وعين ، وكلا ، وكلتا ، وكل ، وجميع ، وعامة » ، ووضحنا أن لها حالين في الاستعمال : فقد تكون تابعة للمؤكد ، فتعرب اعرابه « رفعا ، نصبا وجرا » ، وقد لايسبقها مؤكد فلا تكون تابعة له في الاعراب ، وقد ذكرنا مثلا أو اكثر لكل كلمة من هذه الكلمات السبع [٢] في الحالين .

وخلاصة ماقلنا هناك انه اذا لم يكن مؤكد قبل أي كلمة من هذه الكلمات السبعة[٢] لم تعرب هذه الكلمة توكيدا في الاصطلاح النحوى ، وان أفادت التوكيد معنى ، بل تعرب على حسب موقعها في الجملة ، وأخذنا على النحاة اهتمامهم بإعراب الالفاظ أكثر أو أشد من اهتمامهم بالمعنى ، مع أنهم يقولون : ان الاعراب فرع المعنى ، فهم قد اهتموا بالفرع فوق اهتمامهم بالأصل[٣] .

وقد جاء تعقيب مطول من الدكتور الفاضل (م . ر) بجامعة اليرموك في الأردن يراجعنا في بعض ماقلناه هنا ، ويسألنا عدة أسئلة في بعض التعليقات ، ونبدأ بشكره على ماتفضل به من ثناء ، ثم نقف معه فيما راجعنا فيه .

كان من الأمثلة التي ضربناها للفظ التوكيد حين لايتقدمه مؤكد ، قول شاعر في أبي دلف العجلي :

ابا دلف ، ان الفقير بعينه
لمن يرتجي جدوى نداك ويأمله .

فسألنا الدكتور : بأي اعراب تعرب مثل هذا التوكيد « بعينه » ، وماذا نسميه اذا كنا لانسميه توكيدا ، وجوابنا : ان اعرابه كأمثاله من كل جار ومجرور ومضاف اليه ، ولاحاجة بنا الى زيادة الا أن نقول انه يفيد التوكيد وان لم يجز أن يعرب توكيدا بحسب المصطلح النحوى ، لأنه ليس تابعا ، وانما يعرب توكيدا لو لم تذكر الباء ، وكانت الجملة هكذا : ان الفقير عينه .. فتكون « عين » توكيدا تابعا في اعرابه للفظ الفقير منصوبا مثله . ومثل ذلك حين نقول : « كل الابطال محبوبون » فإن كل مبتدأ والابطال مضاف اليه . ولازيادة ، ولكن حين نقول « الابطال كلهم محبوبون » فإن « كل » هنا توكيد يتبع المؤكد في الاعراب ، أي أنه مرفوع مثله .

ونلاحظ أن التوكيد هو أحد التوابع : كالعطف والنعت والبدل ، فيا لم يكن قبل كل واحد منها متبوع لم

يوصف مابعده بأنه « تابع » ، وانما وصف بأنه تابع وأعرب اعراب متبوعه لانه مسبوق بمتبوعه ، والتابع والمتبوع لفظان متضايفان كما يقول المناطقة ، فلا يسمى تابعا مالم يسبقه متبوعه ، ولا يسمى متبوعا مالا يَلِه تابع ، ومثل ذلك لفظ ابن وأب ، فلا ابن حيث لا أب ، ولا أب حيث لا ابن .

ويرى الدكتور أن « النحو صناعة لفظية ، وهذا مايجب أن يعرف . ولو أن النحويين القدماء اعتمدوا في احكامهم المعنى ، أو معاني الجمل وحدها لما أتوا بهذا النحو الغني المغني » ، ونحن نوافق الدكتور على أن النحو صناعة لفظية ، ولكنها قائمة على المعاني فهي الأصل ، وليست الوجهة اللفظية فيها محصورة في الاعراب ، اذ ليس يعدو الاعراب أن يكون قرينة لفظية من عدة قرائن تتساند في الابانة عن المعنى وهو الأصل ، وهذه القرائن الاخرى هي التي تتساند في أداء المعاني في اللغات واللهجات الخالية من الاعراب ومنها لهجاتنا الدارجة .

ويكفي هنا ان نذكر من القرائن الأخرى قرينة النغمة في الكلام ، فقد يتغير معنى الكلام بتغيير نغمة نطقه مع بقائه على أصواته او حروفه ، مثل : « حضر الضيف » فقد تنطق بنغمة التقرير فتكون بمعنى الخبر ، وحينئذ لاتحتاج الى جواب ، وقد تنطق بنغمة السؤال فتحتاج الى جواب ، وتدل على الاستفهام وان لم تذكر معها اداة استفهام ، ونحن نستعمل مثل هذه الجمل في الفصيحة وفي الدارجة كثيرا كل يوم .

ومن القرائن ذكر الأداة مع النغمة ، مثل قولنا لآخر « قصة كتب أم مقالة ؟ » فإن الحرف « أم » مع نغمة السؤال يغني عن علامة الاستفهام . ومثل : « بعت ومحمدا سيارة » مقابل : بعت محمدا سيارة ، فالجملة الاولى تدل على اشتراك القائل ومحمد في بيع سيارة ، والثانية تدل على بيع محمد سيارة لآخر ، ومن القرائن اللفظية الرتبة فيما يلتزم فيه الترتيب ، ومن أمثلتها التوابع : كالعطف والبدل والنعت والتوكيد ، فلا بد أن يكون متبوع كل منها متقدما ، فالعطف يتقدمه المعطوف عليه ، والبدل يتقدمه المبدل منه ، والنعت يتقدمه المنعوت ، ومن أمثلة قرينة الرتبة سبق الموصول صلته ، ومنها تقدم الفاعل على المفعول به عند خوف اللبس كما في قولنا : « اكرمت ليلى لبنى » فإن اسم ليلى هنا فاعل ، ولو تأخر لكان مفعولا به .

ومن الواجب أن نفهم أن الاعراب هو معرفة وظيفة الكلمة بارتباطها بغيرها في الجملة ، ووظيفة الجملة في ارتباطها بغيرها من الجمل ، ومن الخطأ أن نقصر معنى الاعراب على حركة آخر الكلمة ، فيما تظهر على آخره الحركة من الكلمات كبعض الاسماء والصفات والافعال المضارعة ، ومعلوم أن حركة آخر الكلمة في امثال هذه الكلمات تستفاد من وظيفة هذه الكلمة ، فهي نتيجة للوظيفة وليست سببا لها .

ومن هنا يبدو أننا لانريد - كما يظن الدكتور - الغاء النحو القديم والاتيان بنحو جديد يقتصر على معاني الجمل ، ولكنا نريد استكمال ما أغفله النحويون ولاسيما المتأخرون حين حصروا الاعراب في حركات أواخر الكلمات ثم قدروا الحركات حين لم يجدوها ظاهرة .

ونحب أن يعلم الدكتور أن النحو ليس الا جملة القواعد التي استنبطها او يستنبطها النحوى من النظر المجتهد في النصوص الفصيحة كما تبدو له أنظمتها ، وللغة أنظمتها الثابتة مهما تختلف قواعدها المستنبطة ، فقد تصح هذه القواعد حين تطابق الأنظمة ، أو لاتصح حين تخالف الانظمة ، وأنظمة اللغة من عمل أصحابها ، وأما النحو فهو عمل العلماء فيما يجتهدون لفهمها ، وقد يصيب فهم المجتهد أو يخطىء ، فالقواعد مجرد تأويلات ، وهي تختلف سدادا وانحرافا مثلها مثل النجوم والكواكب في أفلاكها ، ولكن القدماء فسروا حركة الارض والشمس بأن الشمس هي التى تدور حول الارض ، وبالعكس فسرها المحدثون . □

١ - العربي الاعداد ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥

٢ - يجوز تذكير العدد وتأنيثه اذا جاء صفة بعد المعدود الجمع كما هنا (العربي العدد ٣٢١)

٣ - بلغ من افراط متأخرى النحاة أنهم سموا النحو « علم الاعراب » وابتدعوا نظرية العامل فيه ، وجعلوا له علامات فرعية تنوب عن علاماته الاصلية التى هي الحركات ، وذكروا الاعراب التقديري عند فقط علاماته الظاهرة ، كما ذكروا الاعراب المحلي لبعض الجمل حين تحل محل معربة ، وإلا قالوا إنها جمل لا محل لها من الاعراب .

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

قصيدة ابن زريق البغدادي

من شعرائنا من اشتهر كل منهم بيننا بقصيدة واحدة لجودتها ، سواء عرفنا له شعرا غيرها او لم نعرف ، ومن هؤلاء مالك بن الريب المازنى التميمى الذى اشتهر بشهرة قصيدته اليائية التى يرثى بها نفسه . (العربي العدد ٣١٥ يناير ١٩٨٥) .

ومنهم ابن زريق البغدادى صاحب القصيدة العينية التى نقدمها هنا ، ولا نعرف له غيرها ، ومعلوماتنا عن حياة الشاعر وعصره والمناسبة التي كتب فيها قصيدته نزرة ، واهم ماروى فى كل ذلك انه كان يعيش فى بغداد (ومن هنا نسبته البغدادى) وقد عشق ابنة عمه ، ووفى لها ، ولكن ضاقت به احوال المعيشة ، فعزم ان يرحل الى المغرب ولعله كان يقصد الاندلس ، حيث يلتمس سعة من المال ، وحاولت ابنة عمه ملحفة ان ترده عن عزمه دون جدوى ، فرحل ، وفي اضطرابه بين البلاد شريدا احس وحشة الغربة وخيبة الأمل ، وعاودته ذكريات حبه الضائع في موطنه ، فنظم هذه القصيدة منفسا عن مواجعه وآلامه ، نادما على رحيله ، مؤنبا نفسه على ماكان من فراق ابنة عمه ، ورفضه رجاءها له بالبقاء الى جانبها .

ويقال انه احس المرض اخيرا فلجأ الى خان فسكنه ، وفيه ادركه اجله ، وحين اريد دفنه وجدت هذه القصيدة مكتوبة فى ورقة تحت وسادته ، وقد روى هذه القصيدة كثير من رجال المغرب .

لاتعذليه ، فانَّ العذْلَ يُولعه ... قد قلتِ حقا ، ولَكنْ ليس يسمعهُ (١)

جاوزتِ في لومه حدًّا أضرَّ بِهِ ... من حيثُ قدرتِ ان اللَّوْمَ ينفعُه

فاستعمل الرفق في تأنيبه بدلا ... من عُنْفهِ ، فهْو مُضْنَى القلبِ مُوجعهُ

قد كان مُضْطَلِعا بالخَطْبِ يحمِلُه ... فضُلّعتْ بخطوبِ البينِ أضلُعُه (٢)

يكفيه من لوعةِ التفنيد أنَّ له ... من النوى كلَّ يوم ما يروِّعه (٣)

ما آبَ من سفرٍ الا وأزعجه ... رأيٌ الى سفرٍ بالرّغم يتبعه

كأنَّما هو في حلٍّ ومرتحلٍ ... موَكَّلٌ بفضاء الارض يذرعه

اذا الزماع أراهُ في الرحيل غنى ... ولو الى السد أضحى وهو يزمعهُ[4]

تأبى المطامع الا أن تجشمه ... للرزق كدًا ، وكم ممن يودعهُ

وما مجاهدةُ الانسان واصلةً ... رزقًا ، ولا دعةُ الانسان تقطعُه

قد قسّم الله بين الناس رزقهم ... لم يخلق الله مخلوقا يضيّعُه

لكنهم مُلئوا حرصًا ، فلست ترى ... مسترزقا ، وسوى الغايات تقنعُه

والدهرُ يُعطي الفتى ما ليس يطلبُه ... حقا ، ويُطْعِمُه من حيث يمنعه

استودعُ الله في بغداد لي قمرًا ... بالكرخ ، من فلك الأزرار مطلعُه[5]

ودعته ، وبودّي لو يودعني ... طيبُ الحياة ، وأنّي لا أودعُه

وكمْ تشفّعَ بي أن لا أفارقَه ... وللضرورات حالٌ لا تشفّعُه

وكمْ تشبّثَ بي يوم الرحيلِ ضُحى ... وأدمُعي مُستهلاتٌ وأدمُعُه

اعطيت مُلْكًا فلم تُحسن سياسته ... وكلُّ منْ لا يسوسُ المُلْكَ يَخلَعُه

ومن غدا لابسًا ثوبَ النعيم بلا ... شكر عليه ، فان الله ينزعُه

كم قائلٍ لي:- « ذنبُ البين » قلتُ له : ... الذنبُ والله ذنبي ، لست أدفعُه

إني لأقطع أيامي ، وأُنفِدُها ... بحسرةٍ منه في قلبي تُقطعه

بمَنْ اذا هجعَ النُّوّامُ بتُّ لهُ ... بلوعةٍ منه ليلي لستُ أهجعُه

ما كنت أحسب ريبَ الدهر يفجعُني ... به ، ولا ظنَّ بي الايامَ تفجعُه

حتى جرى البينُ فيما بيننا بيدِ ... عسراء تمنعُني حظّي وتمنعُه

بالله ، يا منزلَ الأنسِ الذي درستْ ... آثارُه ، وعفتْ ، مذ بنتُ ، أربُعُه[6]

هل الزمانُ معيدٌ فيك لذتنا ... أم الليالي التي أمضته تُرجعُه

في ذمة الله من أصبحتْ منزلُه ... وجادَ غيثٌ على مغناكَ مَرْبعُه[7]

من عنده لي عهدٌ لا يضيع ، كما ... عندي له عهدٌ ودٌّ لا أضيعُه

ومن يُصدِّعُ قلبي ذكرُه ، واذا ... جرى على قلبه ذكري يصدّعُه

لأصبرنَّ لدهرٍ لا يمتّعُني ... به ، ولا بيَ في حالٍ يمتّعُه

علماً بأن اصطباري مُعقبٌ فرجًا ... فأضيقُ الأمرِ ان فكّرتَ أوسعُه

عسى الليالي التي أضنت بفرقتنا ... جسمي ، ستجمعني يوما وتجمعه

وإن تُغلْ أحدًا منا منيّتُه ... فما الذي بقضاء الله يَصنعُه

---

١ ـ لا تعذليه : لا تلوميه ، والعذل : اللوم ـ يولعه : يغريه بالاصرار على موقفه .

٢ ـ الخطب : المصيبة ، والجمع خطوب . وضلعت : انتفخت والقلت .

٣ ـ التفنيد : المعارضة والتكذيب .

٤ ـ الزماع : العزم ، والسد : سد يأجوج ومأجوج ، والمقصود هو المكان البعيد .

٥ ـ يقسم نهر دجلة مدينة بغداد قسمين : الغربي منها هو الكرخ ، والشرقي هو الرصافة .

٦ ـ عفت اربعه : زالت معالمه .

٧ ـ جاد : نزل . غيث : مطر . مغناك : دارك .

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الثانية ٣٠ دينارا و الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - فلورانس نايتنجيل ، رائدة مهنة التمريض بمفهومها الحديث ،ارتبط اسمها بإحدى الحروب في القرن التاسع عشر . . فأي حرب تلك . . . ؟

٢ - أيها أكبر حجماً . . البكتريا أم الفيروس ؟

٣ - كيف تصلنا الاذاعات الأوروبية والأمريكية فور ارسالها بالرغم من أن الصوت بطيء ، وينتقل بسرعة بطيئة جداً لا يتجاوز ٣/١ كيلومتر في الثانية ؟

٤ - كتاب مفاتيح العلوم . . الذي يعتبر أقدم دائرة معارف أو موسوعة عربية . من هو مؤلفه ؟

٥ - الأجمة والأكمة . . أيها تحتوي من الشجر . أكثر من الأخرى ؟

٦ - ثعبان الكوبرا - البائيون - الأناكوندا - الراند أسماء متجانسة كلها ما عدا واحدا . . فأيها الناشز ؟ ولماذا ؟

٧ - القطب الشمالي والقطب المغناطيسي . . هل هما صنوان ويقعان في نفس المكان . . أم هما مختلفان ويقعان في مكانين مختلفين ؟

٨ - أيها أكبر مساحة . . تايلاند أم سيلان ؟

٩ - ثمرة شجرة النخيل تسمى بالأسماء التالية تبعاً لمراحل نموها المختلفة . . التمر - البلح - البسر - الرطب . .

المطلوب ترتيب هذه الأسماء وفق الترتيب الذي تتعاقب فيه مراحل نمو ثمرة النخيل .

١٠ - ثمة نوعان شائعان من ورق التغليف . . أحدهما أبيض ويعرف باسم ورق السلفايت والآخر

الثقافية

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ترسل الإجابات على العنوان التالي : -
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٢ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول نوفمبر ١٩٨٥ .

بني فاتح مصفر ويعرف باسم ورق الكرافت .. فما هو سبب اختلافهما في اللون ؟

- السبب هو لون الخشب الذي يصنع منه كل منهما .. فهو خشب أحمر في حالة ورق الكرافت .. وأبيض في حالة ورق السلفايت .
- السبب هو الصبغ .. فمصانع الورق تصبغ ورق الكرافت ولا تصبغ ورق السلفايت .
- السبب الشمس فالمصانع تعرض عجينة ورق الكرافت لأشعة الشمس ولا تعرض عجينة ورق السلفايت لها .

١١ - صناعة الصابون وصناعة الفولاذ تحتاج إحداهما الى ٢٧٠ طناً من الماء ولا تحتاج الأخرى الا لطنين من الماء فقط .. وذلك لانتاج طن واحد من السلعة التي تصنعها .. صابوناً كانت أو فولاذاً .. فأي الصناعتين هذه ؟ وأيها تلك .. ؟

١٢ - هنري دونانت مؤسس هيئة الصليب الأحمر الدولية .. ارتبط اسمه باسم إحدى الدول العربية .. فأي دولة تلك ؟

العدد ٣٢٢

سبتمبر ١٩٨٥ م

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١- ....
....
٢- ....
....
٣- ....
....
٤- ....
....
٥- ....
....
٦- ....
....
٧- ....
....
٨- ....
....
٩- ....
....
١٠- ....
....
١١- ....
....
١٢- ....

الاسم : ....
....

العنوان : ....
....

مسابقة العربي الثقافية

مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي

حل

١ - لغة الصفير (السيلو) لغة يستعملها سكان جزر الكناري .

٢ - اسكندنافيا لا تضم بالمفهوم الجغرافي سوى السويد والنرويج .. اذ انها شبه الجزيرة الاسكندنافية المكونة من الدولتين المذكورتين فحسب .. أما بالمفهوم الحضاري والتاريخي فاسكندنافيا تشمل الدانمرك وايسلنده وجزر الفيروز بالاضافة الى السويد والنرويج ... وهي تشمل أيضاً فنلنده في نظر البعض .

٣ - المملكة المتحدة هي الكبرى فهي تشمل بريطانيا العظمى وشمال ايرلنده .. أما بريطانيا العظمى فلا تعدو كونها الجزيرة الكبرى بين الجزر البريطانية وهي تشمل انكلترا وويلز واسكتلنده وجزيرة آيل أوف مان وجزر القنال . وتبلغ مساحة المملكة المتحدة ٩٤,٥٠٠ ميل مربع ، ولا تزيد مساحة بريطانيا العظمى على ٨٩,٠٣٨ ميلاً مربعاً .

٤ - تقع لهاسا ، عاصمة التبت على ارتفاع ١٢٠٠٠ قدم .. ومعنى هذا أن الأوكسجين قليل نسبياً في هوائها الجوي .. من هنا كانت قلة الحرائق التي تشهدها لهاسا ..

٥ - الرجل صِفْرُ اليدين هي الأكثر شيوعاً في كلام العرب .. ويقولون أيضاً صَفِرَ الأناء من اللبن فهو صَفِرٌ .. والصُفر والقِبْقر والصَّفر تعني كلها الشيء الخالي .. ويستوي فيها الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث .

٦ - عصارة الميموزا تستعمل في دباغة الجلود .. ونبات الميموزا أكثره أعشاب والقليل منه أشجار .. وهو من النباتات الاستوائية ، ويزرع في أواسط أفريقيا وأمريكا الوسطى .. وتتميز الميموزا بحساسية أوراقها للضوء .

٧ - لا فرق بين الشاي الأخضر والشاي الأسود ، الا في الطريقة التي تصنع بها أوراق الشاي

مسابقة العدد ٣١٩ يونيو ١٩٨٥

الخضراء . . . فاذا عولجت هذه بالتخمير ولمدة ٣٦ ساعة كان الناتج هو الشاي الأسود ، أما اذا عولجت بالتبخير ، بقيت خضراء وكان الناتج هو الشاي الأخضر .

٨ ـ شركة (بك) شركة فرنسية وهي التي اشترت حقوق صنع القلم الناشف الذي سمته باسمها والذي اخترعه لادسلاوبيرو في المجر سنة ١٩٣٨ .

٩ ـ جزر العذارى الأمريكية ، اشترتها الولايات المتحدة سنة ١٩١٦/١٩١٧ من الدنمارك ، وذلك لقاء ٢٥ مليون دولار ، وقد أقدمت على شرائها تحاشياً لاقدام المانيا على شرائها .

١٠ ـ ليبيريا هي الدولة الأفريقية المستقلة التي ترفع علماً يشبه علم الولايات المتحدة،والجدير بالذكر أن ليبيريا هذه ظهرت أول ما ظهرت سنة ١٨٢٢ وذلك تبعاً للجهود التي بذلتها جمعية الاستيطان الأمريكية وقد أسست هذه الجمعية من أجل الزنوج الأمريكيين المحررين الى ساحل أفريقيا الغربي ونجحت في تهجيرهم وتوطينهم في المنطقة التي اقيمت فيها العاصمة منروفيا بعد ذلك . .

١١ ـ الزولو هم النشاز . . فهم قبيلة أفريقية بينما الأسكيمو واللابيون من سكان المناطق القطبية الشمالية .

١٢ ـ انه المضيق الذي يقع في خليج سان فرنسيسكو . . فهو بمثابة مدخل المدينة .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٩ يونيو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : اكرم طه عبد السلام سليمان ـ المنوفية / الباجور / جمهورية مصر العربية .

الجائزة الثانية : محمود داود الجباب ـ الشعبية / الكويت .

الجائزة الثالثة : غربال عبد الحق ـ المغرب / ص . ب رقم (١١) تارويدت .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ وليد فوزي الشوبكي ـ اربد / الاردن .
٢ ـ حاتم السيد حسين ـ الزقازيق / منشية الفتح ١٢ شارع عطا / مصر .
٣ ـ صلاح محمد تيبازا ـ درارية / دائرة الشراقة / ولاية تيبازا / الجزائر .
٤ ـ عبدالقادر علي النعيم ـ الخرطوم / السودان .
٥ ـ عبدالرحمن محمد المتودي ـ المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية .
٦ ـ ابراهيم مصطفى عبد الرحمن ـ المنامة / البحرين .
٧ ـ لبنى يوسف عبدالرحيم مصطفى حمد الله ـ دولة الكويت .
٨ ـ فاروق كرادشة ـ مأدبا / المملكة الاردنية الهاشمية .

معركة بلا سلاح

أصغر أستاذ كبير في العالم

نايجل شورت

كان اللاعب البريطاني الشاب « نايجل شورت » يحتفل بعيد ميلاده التاسع عشر عندما فاز ببطولة بريطانيا للشطرنج في مباراة برايتون المنعقدة في مثل هذا الشهر من العام المنصرم . وبالاضافة الى فوزه ببطولة بلاده حصل هذا الفتى الصغير من الاتحاد الدولي بجدارة على لقب أستاذ كبير في الشطرنج بمعدل يبلغ ٢٥٣٥ نقطة وبذلك اصبح أصغر أستاذ كبير في الشطرنج في العالم .

حقق هذا اللاعب الفذ أول انتصاراته في الشطرنج بفوزه على البطل الروسي الأصل والسويسري الجنسية كورشنوي في مباراة من عدة أدوار في آن واحد . ومن أحدث انتصاراته هزيمته الساحقة للبطل الامريكي ل . البرت في المباراة المنعقدة في بلدة فوكسبورو في ولاية ماساسوستش الامريكية التي جرت في مطلع العام الحالي على بطولة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة .

وقد خيبت هذه المباراة توقعات المراقبين ومن أبرزهم ممول المباراة الذي خرج قبيل المباراة بالتصريح التالي :

« سيكون شورت محظوظا لو حصل على نصف نقطة فقط » أمام البطل الامريكي فقد كان ينظر الى الفتى الصغير شزرا ولسان حاله يقول : « ألم يجدوا في طول بريطانيا وعرضها للاقاتي سوى هذا الصبي » ! وكم كانت النتيجة مخيبة لآمالهم جميعا عندما حقق الصبي الصغير انتصاره المذهل بنتيجة لا تقل عن ٧-١ والبكم أحد الادوار التي جرت بين البطلين .

شورت (أبيض)	البرت (أسود)
١ - هـ ٤	ح - و ٦
٢ - هـ ٥	ح - د ٥
٣ - د ٤	د ٦
٤ - ح - و ٣	ز ٦
٥ - ف - جـ ٤	ح - ب ٦
٦ - ف - ب ٣	ف - ز ٧
٧ - ح - ز ٥	هـ ٦
٨ - و - و ٣	و - هـ ٧
٩ - ح - هـ ٤	د × هـ ٥
١٠ - ف - ز ٥	و - ب ٤ +
١١ - جـ ٣	و - أ ٥
١٢ - ح - و ٦ +	م - و ٨
١٣ - د ٥	هـ ٤
لو ١٤ - و × هـ ٤	حـ ٦ !
١٥ - د × هـ ٦	ف × هـ ٦
١٦ - ف × هـ ٦	و × ز ٥ ويفوز الأسود

١٤ ـ و ـ ز ٣ !	ح ٦ ـ د ٧
١٥ ـ ح × د ٧ +	ح × د ٧
١٦ ـ د × هـ ٦	ح ـ جـ ٥
١٧ ـ هـ ٧ +	م ـ هـ ٨
١٨ ـ ت !	حـ ٦

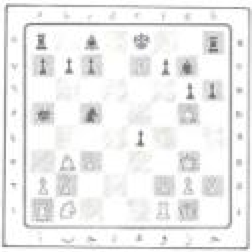

الوضع بعد النقلة ١٨

لو ١٨ . . .
ح × ب ٣
١٩ أ × ب ٣
و × أ ١
للعب الأبيض
٢٠ ـ و × جـ ٧ و ٦
٢١ ـ ر ـ د١

١٩ ـ ف ـ و ٤ ؟	(ف ـ هـ ٣ كانت أفضل)
١٩ ـ	ح × ب ٣
٢٠ ـ ف × جـ ٧	و ـ ز ٥ !
٢١ ـ أ × ب ٣	و × ز ٣
٢٢ ـ حـ × ز ٣	م × هـ ٧

وبذلك يكون هجوم الأبيض قد باء بالفشل وليس أمامه الآن سوى استثمار وضعه الأفضل .

٢٣ ـ ح ـ د ٢	و ٥
٢٤ ـ ف ـ ب ٦	أ ٦
٢٥ ـ ح ـ جـ ٤	ف ـ هـ ٦
٢٦ ـ ف ـ جـ ٥ +	م ـ و ٧
٢٧ ـ ح ـ د ٦ +	م ـ ز ٨ ،
٢٨ ـ ب ٤	ر ـ ب ٨
٢٩ ـ ف ـ أ ٧	ر ـ أ ٨
٣٠ ـ ف ـ ب ٦	ف ـ هـ ٥
٣١ ـ ر (ف) ـ د١	ر ـ حـ ٧ !
٣٢ ـ ر ـ أ ٥	ف ـ و ٦
٣٣ ـ ف ـ د ٤	ف × د ٤ ؟ (رديئة ف ـ ب ٣ أفضل)
٣٤ ـ ر × د ٤	ر ـ ب ٨ ؟!
٣٥ ـ ر ـ هـ ٥	ر ـ هـ ٧
٣٦ ـ ز ٤ !	(يفوز ببيدق)
٣٦ ـ	م ـ و ٨
٣٧ ـ ز × و ٥	ف × و ٥
٣٨ ـ ر × هـ ٧	م × هـ ٧
٣٩ ـ ح × هـ ٤	ف × هـ ٤
٤٠ ـ ر × هـ ٤ +	ومن ثم يفوز بالدور

حل المسألة (٣١)

١ ـ ز ٤	ف × هـ ٢
٢ ـ ر × حـ ٥ + .	ز × حـ ٥
٣ ـ ز ٥ +	ر × ز ٥
٤ ـ (حـ) (و) × ز ٥	كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٠) يونيو ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنه كاملة :

١ ـ خضير مسير ـ المثنى / العراق .
٢ ـ محمود مسلّمي ـ الزقازيق / ج م ع .
٣ ـ فتحي العكروت ـ طرابلس / ليبيا .
٤ ـ حمد محمد ـ مدني / السودان .
٥ ـ الهامي عبد الرحمن ـ زم / المغرب .

الفائزون باشتراك ستة اشهر :

١ ـ مأمون علي ـ الفحاحيل / الكويت .
٢ ـ رجاء العفو ـ السنابس / البحرين .
٣ ـ محمد صلاح ـ دبي / الامارات .
٤ ـ ابراهيم مهدي ـ روي / عُمان .
٥ ـ مها الرميحي ـ الدوحة / قطر .

مسابقة العدد
مسألة رقم (٣٣)

الأبيض يلعب ويميت الشاه في نقلتين

حوار القراء

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

الصيف العربي

فصل الصيف هو فصل الحرارة في معظم أقطار الوطن العربي .. والحرارة في كثير من الاحيان عامل طرد وهجرة بشرية عربية تزحف الى اصقاع عديدة من عالم الغرب تبحث عن جمال الطبيعة وبرودة الطقس .. ومع هذا الزحف تزحف الاموال مع المسافرين وهي أموال تشكل عبئا كبيرا على حساب الوضع المالي في أقطار العروبة .

ولو ان الذين يملكون ناصية السياحة في وطننا العربي ، وفروا اماكن السياحة واستثمروها وسهلوا عبور ابناء العروبة بين اوطان العروبة ، لو كان هذا حدث لكانت السياحة العربية في حال افضل مما هي عليه،ولكانت اموال العروبة تنفق فوق أرض العروبة .

المحرر

لبنان ـ يا لبنان

● اصرخ بكل صوت على ما يجري في بلادي لبنان ، لقد كانت محجا للسياح كل صيف ، وكانت ارضا خضراء وماء عذبا وطبيعة لا تضاهيها معظم دول السياحة الاوروبية ، تغير ذاك العصر الذي كنا نشعر فيه بالراحة ورغد العيش ونتمع بالهواء النقي الطلق .. ما الذي يجري في لبنان الآن ، هل هي مؤامرة علينا ؟ ! ما هي قصة هذا الذي نعانيه في بلادنا من حروب ودمار وقتل يهدد الشيخ الوقور والمرأة العجوز والطفل الرضيع والشباب والفتاة ؟ الكل يلاحقه الموت والكل يسعى له .. وكأن الانسان قد نزع الضمير والرحمة من قلبه ..

لبنان في حاجة الى اعادة ابتسامته الخضراء التي سلبت منه ، وهو في حاجة الى اعادة الأمان والتآلف فيما بين ابناء شعبه حتى يعود كما كان شمعة مضيئة تضيء في سماء العروبة والاسلام ..

محمد الحاج ـ بعلبك ـ لبنان

العروبة

الذي يتعرض له لبنان الشقيق يقطع نياط قلب كل عربي مخلص .. ولبنان الذي نعرفه هو ارض الثقافة والابداع والسياحة والزراعة بكل انواعها .. ولم نعرف لبنان في هذا الحال الذي عليه ، الله وحده نسأله ان يزيل المحن عن هذا البلد الشقيق فهو جزء من العروبة وما يتعرض له يؤلم بقية أقطار العروبة .. وهي كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ..

اعــداد : يــوسف الشهاب

شكرا للكويت

● كنـا نعاني منـذ مدة من تـأخر وصـول مجلتنـا العربي ، وكنا نـواجه الكثير من المتاعب من اجـل الحصول عليها بين مكتبة واخرى .

ومع بداية هذا العام بدأت المجلة تصلنا اسرع مما كانت عليه وصار أمر الحصول عليها أسهل بعد ان اجتازت « العربي » عنصر التأخير واختصار الوقت في الشحن والطريق ـ فشكرا للكويت التي اعطتنا هذه المجلة الثقافية الرائدة وشكرا للقائمين عليها من اسرة التحرير . .

نايف بشير ـ فنزويلا

العروبة

● ما يهمنا هو ان تكون هذه المجلة في متناول ابناء العروبة والناطقين بلغة القرآن في كل مكان . ومادمنا قد نجحنا في اجتياز مرحلة تأخير وصول المجلة فاننا نكون قد قطعنا شوطا آخر من اهداف المجلة . هذه ناحية أما الأخرى فان صدور المجلة من الكويت ينبع من ايمان هذه الارض برسالتها تجاه ابناء العروبة والاسلام .

الفلاسفة الاسلاميون

قرأت في العدد (٣١٨) عرضا لاطروحة « نظرية الشعر عند الفلاسفة الاسلاميين » وتبين ان هناك بعض النقاط تحتاج الى تصحيح ، إذ انني لم اقتصر في رسالتي على الفلاسفة الأربعة : الكندي والفارابي وابن سيناء وابن رشد « لعدم نضج آراء غيرهم من الفلاسفة المسلمين كما ورد في المراسلة » بـل لان آراءهم لا تمس سوى عناصر جزئية في نظرية الفلاسفة للشعر . ومن هنا لم أولها اهتماما عليا بأن اغلب آراء الفلاسفة احتوتها شروحهم لفن الشعر ـ وان شكل نتاجهم الفلسفي عامة إطار لهذه النظرية ولم نعرف لغيرهم شروحا لفن الشعر هذا ، عدا ما نسب لابن الهيثم ولم يصلنا .

وورد ايضـا في العرض المنشـور حديث عن قلة الدراسات الحديثة التي بحثت الموضوع وذكر المقال فيما ذكر كتابا للدكتـور شكري محمـد عياد (نـظرية ارسطو في الشعر) ولعل الكاتب يقصد كتابه « كتاب ارسطو طاليس في الشعر » والحق ان الكتاب لا يحتوي على اشارات الى نظرية الفلاسفة في الشعر وحسب بل احتوى على اغلب عناصر نظرية الفلاسفة في الشعر ، وشكـل بـذلـك اساسـا لعمـل الأطـروحـة التي قدمتها . . .

الاخضر جمعي

لامية العرب . . ولامية العجم

● في العدد (٣١٨) مايو ١٩٨٥ م وفي باب جمال العربية « صفحة شعر » بصدد لامية العجم وردت العبارة التالية . . . التي اشتهرت باسم لامية العجم لان صاحبها اعجمي . . .

وحيث ان هذه العبارة غير صحيحة ، وان كاتب المقال لم يناقش مدى صحتها فاني اورد هنا ما ذكره الاديب عبد المعين الملوحي في كتابه « اللاوميتان » الذي نشرته وزارة الثقافة والارشاد السـورية عام

حوار القراء

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

١٩٦٦ م ، تحت عنوان « لماذا سميت القصيدة لامية العجم » يقول الكاتب :

« عرفنا ان الطغرائي كان عربيا (الحسين بن علي ابن عبد الصمد المشهور بالطغرائي ويكنى ابا اسماعيل ويلقب بمؤيد الدين وينعت بالاستاذ) ولد عام ٤٥٣ هـ ، من اسرة عربية تنسب الى ابي الاسود الدؤلي « فلماذا سميت قصيدته هذه بلامية العجم ؟ » ذلك موضوع يتناول بحثه الدكتور علي جواد الطاهر في مقالة يقول فيها :

اول ما يفهم من قصيدة تسمى لامية العجم ان صاحبها عجمي أو انها تمجد العجم وتسجل مفاخرها ، فماذا في اللامية من هذه الامور؟ ليس فيها شيء ، إذ ان الطغرائي شاعر عربي ، هذا أمر اصبح مفروغا منه ، وقد نسبته مصادر مهمة لابي الاسود الدؤلي ، اما ان يلقب احيانا بالاصبهاني وانه من مواليد هذه المدينة فليس لذلك دلالة كبيرة . ثم انه حين قراءة اللامية لا تجد فيها داعيا لربطها بأمة من الامم بل انها اصلح ان تكون مصدرا عن اخلاق العرب ومعاشهم .

واول من سمى هذه القصيدة بلامية العجم هو « ياقوت الحموي » المتوفى عام ٦٢٦ ، أي بعد تأليف اللامية بمائة وعشرين سنة ، ثم يأتي ابن خلكان فيقول شيئا يشبه ما قاله الحموي حتى اذا جاء الصفدي خصها بشرح مفصل .

أما قصيدة لامية العجم ، فانها سميت كذلك تشبها بلامية العرب لانها تضاهيها بحكمها وامثالها ، ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى واولها . . اقيموا بني أمي صدور مطيكم . .

وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها . .

رياض حارس - دمشق

العربي

لم تتعرض مقالتنا في ترجمة الطغرائي لنسبه ، وإن قلنا أنه عجمي ، وهو أعجمي المولد على كل حال ، لأن مولده في أصفهان وهو ينسب إليها ولا شك ، ان قصيدته تسمى لامية العجم ،ولا تتعارض عروبة نسبة مع أعجمية موطنه .

ابن فضلان - لم يقابل « الفايكنغ »

● في الاستطلاع الذي نشر في العدد (٣١٨) مايو ١٩٨٥ بعنوان « فنلندا والانغام » استوقفتني بعض الاخطاء الموضوعية التي ينبغي ردّها الى حقيقتها . فقد وقع كاتب الاستطلاع في مطب حين تناول موضوع رسالة احمد بن فضلان رسول المقتدر الى ملك الصقالبة ، هكذا ورد عنوان الرسالة في المخطوطة الاصلية الوحيدة التي عثر عليها وقام بتحقيقها ونشرها للمرة الاولى المستشرق الروسي « كوفالفكي » وكذلك المتخصص التركي زكي وليدي طوغان ، كما نشرت الرسالة ذاتها في منطقتنا العربية عام ١٩٥٩ م في دمشق بتحقيق الدكتور سامي الدهان .

وطبقا للرسالة والابحاث العلمية التي تمت عليها فان ابن فضلان لم يصل الى ابعد من مدينة « بلغار » على نهر الفولجا قريبا من مدينة « كازان » الحالية في الاتحاد السوفيتي الآن . . اما ما ورد في استطلاعكم عن رحلة ابن فضلان فقد كان هناك خلط بين رحلته الحقيقية والقصة الخيالية التي صدرت للروائي الامريكي « ما يكل كريكتون » والتي استوحى بعض احداثها من قصة ابن فضلان وبشكل بعيد عن الواقع تماما ، واريد ان اؤكد ان ابن فضلان قد شاهد الروس فعلا الا انه لم يقابل الفايكنغ ، وهذا هو الخلاف بين المدرستين النورماندية واللانورماندية .

احمد نظمي احمد - جامعة وارسو - بولندا

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

أول سبتمبر ١٩٨٥

١٩٢

أوبو عبدا

تأليف : الفريد جاري - ؟

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٥م

لغة الكيمياء

عند الكائنات الحية

تأليف : د. أحمد مدحت إسلام

الكتاب الثالث والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

هناك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعاً

كانت المراسلات المتبادلة بين الخليفة العباسي الكبير هارون الرشيد وشرلمان مبادرة عربية رائدة في اقامة الصلات بين الشرق والغرب

دينار هارون الرشيد ٧٩٦ ميلادية

ان مجموعة بنوك اليوباف Al Ubaf Banking Group هي المجموعة الوحيدة التي أحرزت نجاحا في اقامة الصلات بين الشرق والغرب عن طريق انشاء بنوك مشتركة في جميع المراكز المالية الدولية.

والدول العربية بأسرها البالغ عددها اثنان وعشرون ممثلة كلها في المجموعة من خلال ٢٦ مؤسسة عربية.

وبالاضافة الى ذلك فان ٢٢ مؤسسة مصرفية من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق أهدافنا المشتركة.

وفضلا عن هذا فان تنوع عمليات البنوك المساهمة في المجموعة وانتشارها الجغرافي على الصعيدين المحلي والدولي، يجعلنا في وضع متميز يتيح لنا النفاذ بيسر الى كافة أرجاء المعمورة.

وتقدم المجموعة للعملاء الخدمات المالية والمصرفية على نطاق بالغ الاتساع بفضل ما لديها من خبرات مهنية رفيعة المستوى تدعمها أحدث مبتكرات التكنولوجيا، ومن دراية لا تضارع بالأوضاع المحلية.

اليوباف

AL UBAF

BANKING GROUP

البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونغ كونغ	يوباف انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد، شركة اليوباف القابضة المحدودة
لوكسمبورغ	يوباف البنك العربي الألماني وفرع في فرانكفورت
نيويورك	البنك العربي الأمريكي، يوباف وفرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف)
	فروع في البحرين، سيول، سنغافورة، طوكيو
روما	يوباف البنك العربي الايطالي ومكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان: ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف: ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس: ٢٢٦١٦ KUNIVER

* *

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

■ صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ ■ تصل أعدادها الى أيدي نحو ٠٠٠ر١٢٥ قارئ

تعالج الشئون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين، مع مراجعات لأهم الكتب عن المنطقة، مع ملخصات للأبحاث بالانجليزية، كما تصدر للمجلة أيضاً دراسات مستقلة متعلقة بشئون المنطقة

■ العنوان: ص.ب ١٧٠٧٣ الخالدية - الكويت

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

TOSHIBA TOKYO, JAPAN

صَبَاح الخيْر!

نسكافه

نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير .

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

محرم ١٤٠٦هـ - أكتوبر - تشرين الأول ١٩٨٥م

العربي

بومباي
تحت العاصفة

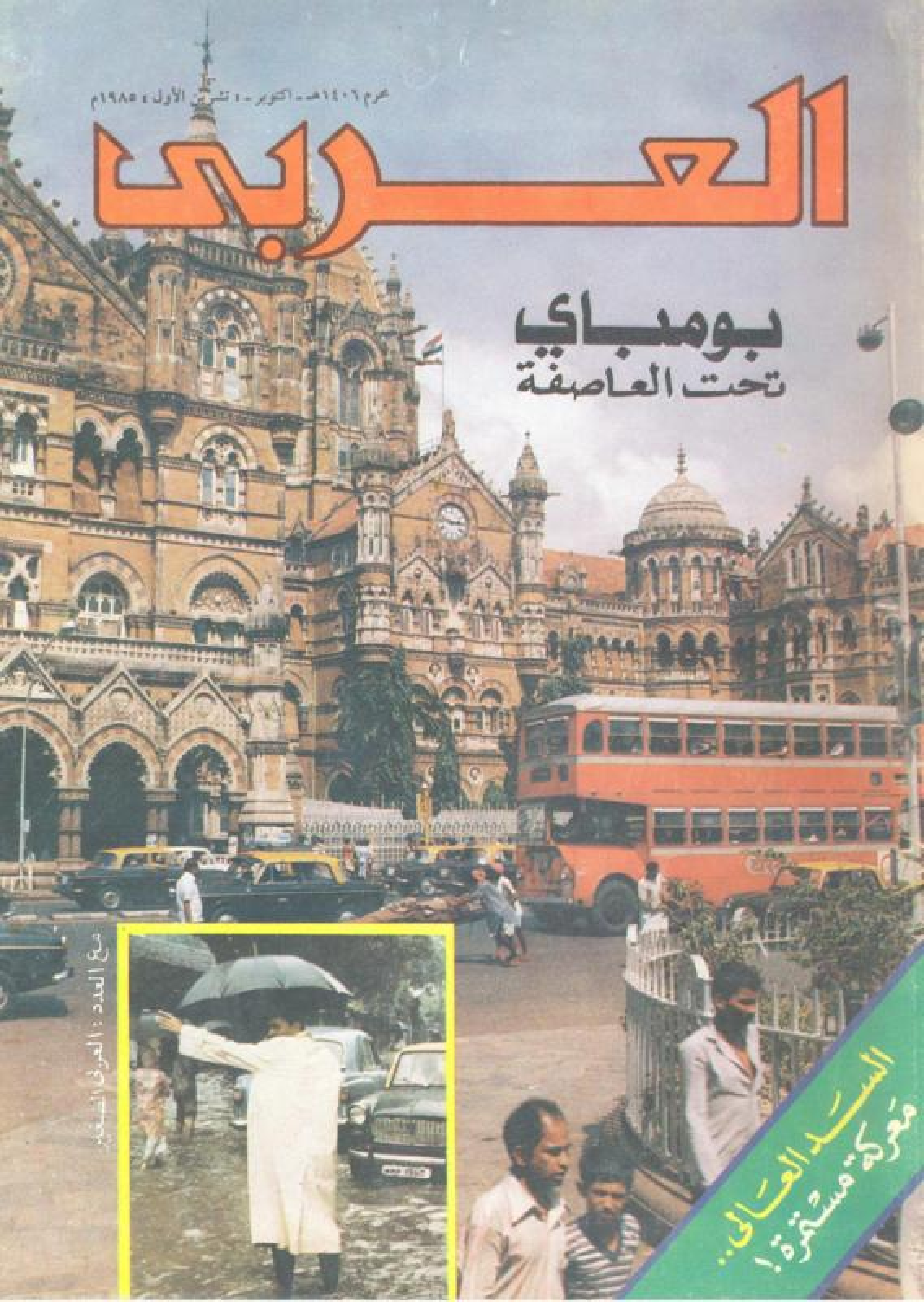

مع العدد: العربي الصغير

السد العالي.. معركة مستمرة!

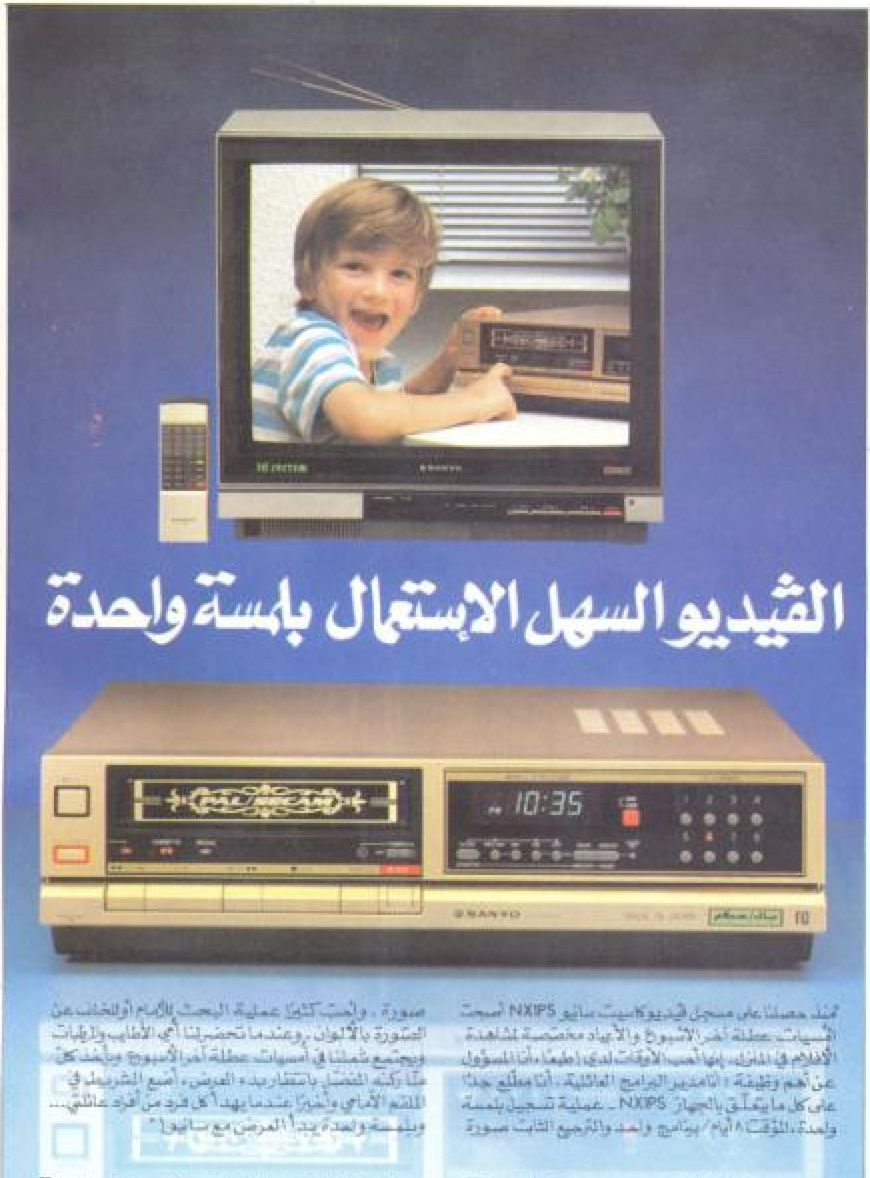

الڤيديو السهل الإستعمال بلمسة واحدة
10:35
منذ حصلنا على مسجل ڤيديو كاسيت سانيو NXIPS أصبحت أمسيات عطلة آخر الأسبوع والأعياد مخصصة لمشاهدة الأفلام في المنزل. إنها أحب الأوقات لدي طبعاً. أنا المسؤول عن أهم وظيفة: أنا مدير البرامج العائلية. أنا مطلع جداً على كل ما يتعلق بالجهاز NXIPS - عملية تسجيل بلمسة واحدة، المؤقت ٨ أيام / برنامج واحد والترجيع الثابت صورة
صورة، وأحب كثيراً عملية البحث للأمام أو للخلف عن الصورة بالألوان. وعندما تحضرنا أمي الأطايب والزينات ويجتمع شملنا في أمسيات عطلة آخر الأسبوع ويأخذ كل منا ركنه المفضل بانتظار بدء العرض، أضع الشريط في المقدم الأمامي وأخيراً عندما يهدأ كل فرد من أفراد عائلتي... وبلمسة واحدة يبدأ العرض مع سانيو!"
مسجل الڤيديو كاسيت سانيو السهل الإستعمال بلمسة واحدة. جميع الوظائف الأساسية بين يديك.
SANYO سانيو

SP 85-143

العـــدد ٣٢٣ أكتوبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No: 323 Oct. 1985 P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٣٧٢-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات بإسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

١٥ أكتوبر

موعدك مع كتاب العربي

للغتنا العربية أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية السمحة . وقد حاول علماؤها تحديد هذه الأنظمة في قواعد ، فاصابوا في بعضها وفاتهم الصواب في بعضها الآخر ، فضيقوا منها واسعا ، وخطئوا صحيحا. لهذا احتاج الأمر الى مراجعة هذه القواعد ونقدها ، مع التعمق في منطقها وروحها ، والاهتداء بكشوف علم اللغة العام .

وهو ما تحاول صفحات هذا الكتاب توضيح جوانب منه .

عزيزي القارئ

من بين عشرات الالاف من الرسائل التي تصلنا منك شهريا نعتز كثيرا بتلك الرسائل التي توجهنا وتقدم لنا الاقتراحات البناءة لتطوير مجلتك « العربي » كي تواكب الزمن وتسير مع الأحداث .

مايكتبه لنا قراؤنا عن الخطوات الايجابية التي تحققت حتى الان في اطار التحرير نعتز به . . ولكننا في نفس الوقت نعتبره واجبا ، فقد كتبنا عن قضية التاميل في سيرلانكا وهي لازالت قضية حية متحركة . . وزرنا لاول مرة اليابان فنشرنا أول تحقيق صحفي عربي حي عن مدينة هيروشيما بعد أربعين عاما من القاء القنبلة الذرية المدمرة عليها ، وهذا الاستطلاع ليس هو الاخير عن اليابان ، فما زال في خطة المجلة موضوعات أخرى عن هذا البلد . . وفي هذا العدد نزور بومباي وهي تحت العاصفة ، ليست السياسية ولا الاقتصادية ولكنها العاصفة الطبيعية . كل ذلك بجانب المقالات العلمية والثقافية والأدبية .

نقول لك شكرا على تشجيعك ومتابعتك ونقول أيضا ان اهتمامات القراء تفرض علينا المتابعة ومازال في خططنا الكثير من المبادرات كي تبقى « العربي » مجلة العرب الثقافية الاولى .

عندما أردنا أن نختار بعض الموضوعات في هذا العدد لنشير اليها في هذه العجالة انتابتنا الحيرة ، فهناك لمن يهتم بالعلوم أكثر من موضوع . . ولمن يهتم بالثقافة كذلك ، ولمن يهتم بالفكر الكثير مما يريد . .

واذا كان علينا أن نختار فاتنا نلفت النظر الى الاقلام الشابة الجديدة التي بدأت تساهم في « العربي » . فتلك سياسة نحرص عليها وهي أن يكون لاجيالنا الصاعدة التي وصلت مرحلة النضج مكان بجانب كتاب العربي من جيل الآباء . وفي هذا العدد يلتقي الجيلان على صفحات العربي . كما لايفوتنا أن نلفت نظرك عزيزي القارىء الى أن نتيجة مسابقة القصة التي وعدنا باعلانها هذا الشهر قد تم تأجيلها الى بداية عام ١٩٨٦ نظرا لكثرة المشتركين فيها . .

والى عدد قادم .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر :

مستقبل « الأوبك » هل تنهار أو تقاوم ؟

ـ د . محمد الرميحي ٨

■ صراع التحدي العلمي مع « اسرائيل »

ـ د . عبد المنعم عبيد ١٧

■ تاريخ الماء (قصيدة)

ـ قاسم حداد ٢٤

■ ملف الجامعة العربية ٢٨

■ العمل العلمي العربي المشترك

ـ د . أسامة أمين الخولي ٣٠

■ مؤسسات التعاون العربي الأفريقي

ـ حلمي شعراوي ٣٦

■ دفاع أبي حيان التوحيدي عن احراقه لكتبه ـ د . جعفر هادي حسن .. ٤٢

■ الميكروبات وفساد الغذاء النباتي

ـ د . حسين العروسي ٤٦

■ ماذا تعرف عن حمى البحر المتوسط

ـ د . محمد بركات ٥٤

■ لسان الدين بن الخطيب .. والنقد الأدبي ـ د . احسان عباس ١٠٢

■ شعر الإضحاك عند العرب

ـ د . توفيق الفيل ١٠٥

■ عجائب الكون الثلاث

ـ د . فخري اسماعيل الحسن .. ١١١

■ ولادة (قصة) تأليف أنايس نن

ـ ترجمة : محمود منقذ الهاشمي .. ١١٤

■ كتابات غير معروفة لسميرة عزام

ـ وليد أبو بكر ١٢٤

■ اصابات الرأس .. واللحظات الذهبية

ـ د . سامي محمد علي ١٥٠

■ الفصول (قصيدة)

ـ ابراهيم نصر الله ١٧٩

عاصفة الامطار الموسمية « المونسون » تحمل مع هبوبها الشر .. والخير .. فكيف يجتمعان في بومباي ؟ .. أقرأ ص ٦٨ .

استطلاعات ومقابلات

■ بومباي تحت العاصفة

ـ سليمان مظهر ٦٨

■ السد العالي .. يتحرك !

ـ نجاح عمر ٩٠

■ قناة البحرين خطر اسرائيلي قادم

ـ سليمان الشيخ ١٢٧

■ وجها لوجه : الطبيب الصالح

ـ صلاح حزين ١٣٧

■ الحرير .. ملك الأنسجة

ـ ريم الكيلاني ١٤٢

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء ٥

■ أرقام ـ محمود المراغي ٢٦

■ قاموس العربي : امبريالية ٥٢

● منتدى العربي :

■ لغة الاعلام بين الفكر والمجتمع
ـ د . محمد سيد محمد ٥٨
■ تعقيب على مقال « الحساب الفلكي »
ـ عبدو الأحمر ٦١
■ حول موضوع تلوث البيئة والتسمم الغذائي ـ د . نبيه الغبرة ٦٣
■ البيان في أسباب نزول القرآن
ـ حسين أحمد أمين ٦٦
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة
ـ اعداد يوسف الزعبلاوي ١١٨
■ الجديد في الطب والعلم ١٢٠
■ مخترعون ومكتشفون ـ نيوتن ... ١٢٣
■ أقوال ١٥٥
■ استراحة العربي ١٨٠

● من مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر : وجوه عديدة لعاشق واحد اسمه مجنون ليلى !
ـ جليل العطية ١٨٢
■ من المكتبة العربية : ثلاثية الرفض والهزيمة ـ جمال وردة ١٨٨
■ مكتبة العربي ـ مختارات ١٩٢

● جمال العربية :

■ صفحة لغة : النسب الى فَعِيلة وفُعَيلة
ـ محمد خليفة التونسي ١٩٤
■ صفحة شعر : هكذا غنى الآباء
ـ الدنيا دول ١٩٦
■ مسابقة العربي ١٩٨
■ حل مسابقة العدد (٣٢٠) ٢٠٠
■ الشطرنج (معركة بلا سلاح) ٢٠٢
■ حوار القراء ٢٠٤

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ توقيعك ماذا يقول ؟
ـ ضياء القاروني ١٥٨
■ الانسان حيوان مائي !
ـ موفق الدليمي ١٦٠
■ هل يدوم الحب بين الزوجين
ـ راجي عنايت ١٦٣
■ طبيب الأسرة ١٦٩
■ هو ... هي ١٧٢
■ قراءة في البدن
ـ د . محمد حكمت عبدالدايم ١٧٤
■ الخضراوات غذاء ودواء وعلاج
ـ د . عزالدين فراج ١٧٦
■ مساحة ود : بائعو الوهم
ـ محمود عبد الوهاب ١٧٨

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

مستقبل «الأوبك»

- هل تنهار الأوبك ... أو تقاوم ؟
- التدابير المضادة للأوبك تدابير منظمة ومدروسة.
- مسيرة ناجحة لمؤسسة من الجنوب استطاعت المحافظة على مصالحها ضد استغلال الشمال .

خلال الصيف السابق وهذا الخريف ، واجهت وتواجه منظمة الأقطار المصدرة للنفط « أوبك » أقسى امتحان لتماسكها منذ أن ظهرت الى الوجود قبل خمسة وعشرين عاما .

فقبل ربع قرن تقريبا ظهرت هذه المنظمة الجديدة في أعقاب اجتماع سبقته محاولات حثيثة في بغداد عام ١٩٦٠ ، وحضر ذلك الاجتماع خمس دول من العالم الثالث - كلها منتجة للنفط - ثلاث منها أقطار عربية هي الكويت والسعودية والعراق ، وواحدة شرق أوسطية هي ايران ، والأخيرة من دول أمريكا اللاتينية هي فنزويلا .

وكان لهذا الاجتماع ، ومن ثم ظهور المنظمة الى الوجود ، هدف جد متواضع .. هو : الحيلولة دون التدهور في أسعار النفط والذي كان يشكل لكل هذه الدول المداخيل الكبرى في انتاجها القومي .

قبل سنوات قليلة من ذلك التاريخ (سبتمبر ١٩٦٠) كانت شركات

النفط العالمية الكبرى ـ وهي ثماني شركات معظمها أمريكية ـ قد بدأت ـ نتيجة تحكمها في أسعار النفط من خلال نفوذ شبكاتها في الانتاج والنقل والتسويق ـ بدأت تفرض أسعارا للنفط الخام المستخرج من تلك البلدان حسب ما تقضي به مصالحها ، ضاربة عرض الحائط بمصالح البلدان المنتجة ، الى درجة لا تحافظ على ثبات السعر وعدم زيادته ، وبالتالي ثبات مداخيل تلك الدول المستقل معظمها حديثا ، بل تؤدي الى التراجع في الاسعار على تواضعها . مما أفقد بعض المنتجين صبرهم فتداعوا الى تشكيل تلك المنظمة ، على أمل تحقيق مصالح أفضل . . .

وقد كانت الشركات تقف بالمرصاد للدولة أو الدول المنتجة التي تعارض الكل أو الجزء من سياسات تلك الشركات في الانتاج أو التسعير ، وكانت تعاقبها عن طريق التقليل الحاد من الانتاج النفطي من أراضيها ، وبالتالي تعرضها الى متاعب اقتصادية وسياسية . وكانت تلك التدابير واسعة التطبيق ، كما أن حكومات البلدان المنتجة للنفط وعت ذاك الموقف بوضوح ، ولعل أكثر التدابير التي اتخذت من قبل شركات النفط ضد الحكومات وضوحا وقوة ـ من بين تجارب عديدة ـ تجربة تأميم النفط الايراني بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ، والتي انتهت بعد صراع مرير بفشل ذريع للتأميم ، لم تنفرد في إفشاله شركات النفط الكبرى واحتكاراتها ، ولكن شاركتها حكوماتها أيضا .

مولد المنظمة ومواجهة التشكيك

☐ من هنا جاءت ولادة منظمة الاقطار المصدرة للنفط « الاوبك » في تلك الفترة مخاضاً متعسرا ، وقد اختلفت وجهات النظر حول فاعليتها . وشك كثيرون ـ في ظل أوضاع دولية متوترة ـ في فعالية مثل هذه المنظمة ، ونظر اليها البعض كاتحاد شكلي يضم بعض بلدان العالم الثالث ، والذي يشكل حلقة هشة في التقسيم الرأسمالي الدولي للعمل ، وبالتالي فان هذه المنظمة لا يحتمل أن تلعب دورا فعالا في مواجهة الاحتكارات المنظمة العريقة الخبرة المتمثلة في الشركات النفطية ، وفي ظلال هذه النظرة كان الاعتقاد أن المنظمة الوليدة سوف تبقي منظمة شكلية تتضاءل في فاعليتها أمام الشركات النفطية ولن تكون بحال ندا لها !

أما وجهة النظر الاخرى المضادة ـ وكانت وقتها محدودة ـ فقد رأت أن هذه المنظمة ، رغم تشكلها من بلدان حديثة الاستقلال ، الا أنها بلدان طموحة لتحقيق السيطرة على ثروتها الطبيعية ، وتسخير هذه الثروة لبناء قاعدة اقتصادية حديثة ومندمجة في الاقتصاد الوطني استكمالا للاستقلال السياسي ، فهي ترى أن النفط هو المصدر الاول ـ وربما الوحيد ـ لتطوير اقتصادها المتخلف ، وأن أية مواجهة مع الشركات النفطية لكونها « احتكارا » عالميا لا تتوافر له فرص النجاح الا اذا تحقق حد أدنى من التنسيق بين المنتجين ، لذا فان انشاء مثل تلك المنظمة « الاوبك » في اطار تنامي حركة التحرر الوطني في العالم الثالث ، هو الاطار الوحيد الممكن في حالة المواجهة ، وان احتمالات نجاحها كافية وقابلة للتحقيق .

وما لبثت المنظمة الجديدة أن استقطبت أقطاراً أخرى منتجة للنفط ، وهي على التوالي حسب تاريخ الانضمام الى المنظمة : قطر ١٩٦١ ، ليبيا وأندونيسيا ١٩٦٢ ، أبو ظبي (الامارات العربية المتحدة) ١٩٦٧ ، الجزائر ١٩٦٩ ، نيجيريا ١٩٧١ ، الاكوادور ١٩٧٣ ثم الجابون ١٩٧٤ .

ولكن المنظمة احتاجت لاكثر من عشر سنوات كي تظهر فعاليتها في الدفاع عن مصالح أعضائها ، بعد أن ازدادت الدول المكونة لها خبرة ونضوجا في العمل السياسي الدولي .

ولعل المتتبع لتطور مسيرة الصراع النفطي يلحظ فترتين زمنيتين هامتين هما : فترة الستينيات ثم بعدها فترة السبعينيات .

الصراع مع الشركات في الستينيات

☐ لا يستطيع أي مراقب منصف أن ينظر الى صراع البلدان المنتجة للنفط مع الشركات الاحتكارية خلال الستينيات من هذا القرن ، ويتجاهل في نفس الوقت دور الاوبك في خلفيات هذا الصراع . صحيح أن دورها ظهر أكثر وضوحا وفعالية إبان السبعينيات ، الا أن العلاقة التي نشأت بين البلدان المصدرة للنفط من خلال الاوبك ساعدت جزئيا على شد أزر البلدان التي انفردت بالمواجهة مع الاحتكارات النفطية ، وقصص المواجهة ساخنة وظاهرة للعيان ، أو باردة خلف (الكواليس) بين الحكومات المضيفة وشركات النفط ، وهي كثيرة بعضها حقق النجاح وبعضها أصابه الفشل المؤقت .

هذه القصص كتبت مرارا في الأدبيات الاقتصادية والنفطية ، وهي اليوم جزء من تاريخ كفاح هذه الشعوب وتلك البلدان ، الا أنها بكل المقاييس لم تكن مواجهات سهلة ، فلقد اختلطت فيها السياسة بالاقتصاد بالانقلابات والانقلابات المضادة ، وبمحاولات التقسيم والتشرذم ، حتى في داخل حدود البلد الواحد (مثل محاولة فصل بيافرا الاقليم النفطي الغني في نيجيريا في أوائل السبعينيات) . *

محصلة تلك الصراعات كانت في النهاية إيجابية لصالح شعوب الاقطار المنتجة للنفط ، وانتصرت وجهة نظر تلك الاقطار التي استنزفت ثرواتها لمدة طويلة ـ دون مقابل حقيقي يعوض هذا الاستنزاف ـ انتصرت وجهة نظر تلك البلدان القائلة ، بأنه من الصعب بل من المستحيل أن يتم تخطيط للتنمية الكلية للاقتصاد الوطني في أي بلد منتج للنفط طالما ظل قطاع النفط المهيمن فعليا على الاقتصاد ، جزيرة معزولة .

وانقضت معظم فترة الستينيات في الهجوم والهجوم المضاد ـ ان صح هذا التعبير ـ بين الشركات النفطية الكبرى العاملة في الاقطار المنتجة للنفط ومن ورائها حكوماتها وبين حكومات البلدان المنتجة وشعوبها .

ولقد كانت الاقطار العربية في معظم تلك الفترة هي مركز الثقل النسبي في ذاك الصراع ، حيث ان سبعة أعضاء من الاعضاء الثلاثة عشر في الاوبك

---

* لقد حدثت على سبيل المثال ستة انقلابات عسكرية في نيجيريا حتى الآن

هم أقطار عربية . ثم أصبح العرب المنتجين النفطيين الوحيدين الذين تركز عليهم اللوم والهجمات المضادة بعد ذلك في الصحافة والاوساط السياسية والاقتصادية الغربية ، مما يفسر زخم النزعات المضادة من العوامل الثقافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية التي اندمجت وتفاعلت كي يستقر في النهاية في عقل المواطن في الغرب أن « أوبك » تعني العرب ، وتعني أيضا من وجهة نظرهم السياسات غير العقلانية في رفع الاسعار !

ولكن عندما نعاود الكرة لننظر مرة أخرى الى مسلسل الكفاح الذي خاضته الاقطار العربية لتصحيح العلاقات مع الشركات ، نتبين بوضوح الجهد المضني والمحاولات الكثيرة التي بذلت لتصحيح هذه العلاقات القانونية والاقتصادية بطريقة معقولة وتدريجية ، والتي تعرضت للرفض في معظم الاوقات من تلك الشركات .

لقد حصلت معظم تلك الشركات على امتيازات حصرية للتنقيب عن النفط وتسويقه وتسعيره تحت ظروف كانت معظم تلك البلدان الاعضاء في المنظمة خاضعة فيها لسيطرة أجنبية مباشرة أو غير مباشرة ، كما أن تلك البلدان من جهة أخرى ، افتقدت لفترة طويلة التأهيل التقني والفني لخوض غمار صناعة معقدة مثل صناعة النفط ، الا أن الجهود التي بذلت لاحقا لتصحيح تلك العلاقة لم تفلح في اقناع الشركات العالمية باجراء التعديلات والمراجعات .

في حقيقة الأمر كانت مطالب أوبك محدودة ومتواضعة ، فقد طلبت في بداية الستينيات من شركات النفط العالمية أن تربط أسعار النفط بمؤشر أسعار السلع المصنعة ، بعد أن لاحظت السعر المصطنع الذي تبيع به الشركات النفط الخام . ولم يلتفت الى هذا المطلب العادل ضمن مطالبات عادلة أخرى .

وعندما قارب الحوار على الانقطاع بين الشركات النفطية وبعض الحكومات المضيفة ـ وفي ظروف دولية مواتية ـ قامت بعض الاقطار العربية باتخاذ اجراءات قانونية من طرف واحد لحماية مصالحها .

وهناك أمثلة بارزة يمكن أن نذكر القراء بمثلين بارزين منها ، هما تجربتا العراق والجزائر .

فالحكومة العراقية في اوائل الستينيات ، ومن خلال القانون الشهير رقم ٨٠ سنة ١٩٦١ سحبت بموجبه ٩٩,٥٪ من مساحة الامتياز الممنوح لشركة نفط العراق ـ بعد أن فشلت كل المفاوضات السابقة في تحقيق اتفاق عادل ـ وأبقت الحكومة العراقية بموجب ذاك القانون للشركة فقط المساحة قيد الاستغلال ، وقد كان هذا الاجراء بداية سلسلة طويلة من الاجراءات اللاحقة ، انتهت بالتأميم الجزئي في بداية السبعينيات .

أما في الجزائر فقد أصبحت السيطرة على النفط والغاز الجزائري أهم هموم الجزائر المستقلة ، وما أن انقضت سنوات قليلة على استقلال الجزائر ، حتى كانت من أوائل الاقطار العربية التي حققت هيمنتها على جزء كبير من الشركات العالمية في أراضيها .

وغير هذين المثلين فاننا نستطيع ذكر أمثلة عديدة مشابهة في الكويت وليبيا وأقطار عربية أخرى ، وكانت الاقطار العربية المصدرة للنفط في كل هذه الاجراءات تناضل من أجل استعادة حقوقها ، وما أن شارفت الستينيات على الانتهاء حتى أصبح كثير من الاقطار العربية على وشك اتخاذ تشريعات - من جانب واحد ان استدعى الأمر - لارغام الشركات على التنازل بعد أن أصبحت طرق التعاون شبه مسدودة خلال فترة طويلة من الزمن .

وقد كانت الاوبك في هذا العقد - رغم ضعفها - الأداة التي تتوحد فيها مصالح الاقطار المنتجة .

تصحيح الأوضاع في السبعينيات

ليس هناك عامل وحيد يمكن الاشارة اليه على أنه السبب المباشر في تصحيح أوضاع علاقة الحكومات العربية المنتجة للنفط بالشركات العالمية ، بحيث تعود بعد ذلك الى التصحيح الشامل في هيكل الاسعار ، وكذلك ملكية الشركات من بعد .

ولقد تضافرت أسباب عديدة أثرت مجتمعة في تغيير هيكل القوة بين الفريقين ، فلقد تراكمت الخطوات المحدودة والمتناثرة التي اتخذتها البلدان المصدرة للنفط على امتداد فترة العقد السادس كي تشكل في نهاية الأمر فارقا نوعيا جديدا .

ويمكن الاشارة الى بعض العناصر : فعلى الصعيد السياسي نجد أن بلدان العالم الثالث كافة قد وجدت لها مكانها تحت شمس السياسة الدولية في اطار التوازن بين القوتين العظميين ، مع تزايد حركات الاستقلال وخروج الدول تباعا من السيطرة الاستعمارية الى رحابة الاستقلال .

وتزامن ذلك مع عناصر عديدة على المستوى الاقتصادي ، حيث تشابكت أيضا مجموعة من العوامل كالتآكل التدريجي في السيطرة الحصرية للشركات السبع أو الثماني الكبرى الدولية (الاحتكارية) ، بعد ظهور شركات نفط مستقلة قدمت شروطا أفضل للتنقيب عن النفط ، وأيضا مع ظهور شركات وطنية - لدى البلدان المنتجة - فوضتها حكوماتها للعمل في هذا الميدان .

كما تزامن ذلك ايضا مع فترة طلب شديد على النفط في سوق اتسمت بالندرة النسبية ، زادها حدة ما سببه الموقف العربي في حظر النفط عن بعض البلدان الغربية ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كل تلك الاسباب مجتمعة جعلت خطوات تصحيح الاسعار أمرا حتميا ، ولعلنا نشير الى الدورة الثانية والعشرين لمنظمة « الاوبك » في طهران في فبراير سنة ١٩٧١ - تلك الدورة التي يشير اليها المتابعون على أنها نقلة مهمة في علاقة شركات النفط بالدول المنتجة - فقد تم لأول مرة نقل المبادرة في تحديد الاسعار النفطية من يد الشركات النفطية الى يد البلدان المصدرة ، حيث فرضت ست دول - معظمها عربية هي السعودية والكويت والعراق وقطر والامارات العربية المتحدة وايران - فرضت زيادة في الضرائب على أرباح الشركات حتى بلغت ٥٥٪ ورفعت سعر نفطها بمقدار ٣٥ سنتا للبرميل الواحد . ولم تمر تلك

الاجراءات دون مقاومة عنيفة من جانب الشركات ، الا أن وقوف أعضاء أوبك جميعا مع تلك الاجراءات أنجح القرار وحسم القضية لصالح الدول الست ، وكانت بداية تاريخية لفرض قبضة « الاوبك » على زمام المبادرة .

وما يهمنا هو التأكيد هنا على أن تصحيح الاسعار اللاحق والذي حدث في ديسمبر ١٩٧٣ ـ والذي تسميه الأدبيات الغربية (بصدمة النفط الاولى) ! ـ هو في حقيقة الامر لم ينفجر بشكل درامي مثير بل كان ضمن سلسلة من الخطوات العملية التي قادت الى هذا التصحيح الأول في الاسعار ، بجانب ذلك هناك حقيقة أخرى تأكدت عمليا مفادها أنه لايمكن لأي بلد منتج للنفط وحده أو حتى لمجموعة صغيرة من المنتجين ، أن يواجهوا الشركات النفطية أو يخوضوا معركة انجاح قضية التسعير وتصحيح السياسات النفطية دون اتفاق كامل بينهم .

لقد ثبت أن قصور العلاج الذي طرح في بداية الستينيات من قبل مجموعة قليلة من البلدان المنتجة للنفط ـ والذي يتمثل في أن التجمع ضروري من أجل بناء قوة تفاوضية معقولة توازن قوة شركات النفط المترابطة والمتماسكة ـ هذا العلاج ثبت أنه الأنجع المحقق للغاية .

ومن تلك الحقيقة نستطيع أن نفسر الهجوم المتتابع والمضاد الذي قادته المصالح الغربية ضد الاوبك خلال العقد الماضي كله وحتى يومنا هذا تقريبا ، وأصبح الهدف الاساسي الذي تسعى اليه تلك المصالح هو فرط عقد الاوبك .

تقول : « الايكونوميست » Economist

« ان الحمقى وضعفاء النفوس وحدهم سيقلقون لمشاكل الاوبك » !! .

"الأوبك" هل هي احتكار ؟

□ كثيرا ما نسمع أن الاوبك هي مجرد احتكار للمنتجين ، ولكن عند المقارنة بين ما تمارسه الاوبك وبين ما كانت تمارسه شركات النفط العالمية (الاحتكارية) تظهر لنا علامتان فارقتان : من حيث الاهداف والسياسات ، ومن حيث تحديد الاسعار : العلامة الفارقة الاولى من حيث الاهداف والسياسات : نجد أن شركات النفط شكلت روابط وثيقة التماسك فيما بينها من جهة ، وبينها وبين حكوماتها من جهة أخرى ، وكان من الصعب اختراقها لفترة طويلة ، ولقد تعقبت فوهات المدافع وقطع الاساطيل مصالح هذه الشركات الى أماكن كثيرة من العالم ، ومن كان يجرؤ على المساس بمصالح هذه الشركات كان يلقى العقاب الصارم في التو والساعة ، كما كانت هذه الشركات تطبق سياسات الانتاج والتسعير والتسويق بتجانس وتضامن ، وقد فرضت أسعارا متدنية للنفط الخام لفترة طويلة ، وأما أهداف الاوبك وسياساتها فلم تخرج عن تنسيق مواقف دولها تجاه أسعار النفط وطريقة حساب تكاليف الانتاج في بداية الأمر ، ثم انتقلت بعد ذلك الى فكرة اطار المشاركة في الملكية . وهي في ذلك لجأت الى الممكن والمستطاع لأنها لا تملك أساطيل أو طرق تهديد غير استخدام الطرق المشروعة والسلمية .

أما العلامة الثانية فهي أن تحديد الاسعار من قبل شركات النفط العالمية لم يكن في يوم من الايام خاضعا لطرفي معادلة (العرض والطلب) بل كانت هذه

الاسعار تحدد في اطار (احتكار) لصالح الشركات المنتجة ومصالح بلدانها .

ويذهب اليوم بعض المحللين المنصفين الى القول بأن أسعار النفط ازدادت تعرضا لعمل قوى السوق (العرض والطلب) منذ سنة ١٩٧٣ وما بعدها ، عما كانت عليه تحت نظام احتكار الشركات ذات الامتيازات السابقة .

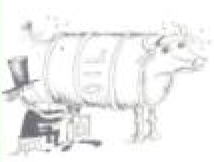

وهناك أمثلة عديدة تضرب للتدليل على بعد الأوبك عن الاحتكار ، منها اختلاف أعضاء الاوبك في مؤتمر الدوحة عام ١٩٧٦ عندما كانت هناك وجهتا نظر للتسعير : واحدة تدعو الى رفع السعر بمقدار ١٥٪ والاخرى تدعو الى تجميد الاسعار ، وانتهى المؤتمر باقرار سعرين لنفط الاوبك لفترة محدودة .

بل ويعتقد بعض المحللين أن مصدري النفط العربي كانوا أكثر من حذرين مع الاعتبارات الدولية والبعد عن صفة الاحتكار عندما اختار بعضهم زيادة انتاجه من النفط في وقت يفيض فيه دخله على حاجته المالية ، اسهاما في خلق فرص أفضل لاستقرار الاقتصاد العالمي ، وكان ذلك في معظم فترة السبعينيات عندما كان سوق النفط « رائجا للبائعين » .

ومن هذه الامثلة وغيرها نجد أن الحديث عن « احتكار » يلصق بالاوبك لايعدو أن يكون محض افتراء .

الغريب أن أصواتا جديدة تعود اليوم في حلقات ما يسمى بخبراء النفط العالميين للقول باطلاق « قوى السوق » لتحديد أسعار النفط ، وأن على الاقطار المنتجة أن تبيع النفط بعد أن تأخذ نسبة معقولة فوق تكاليف الانتاج !

هذا القول على سذاجته يكتب ويقال في الندوات العالمية في وقت يتدنى فيه الطلب على نفط الاوبك بالذات .

ويعتمد هؤلاء في حقيقة الامر على المغالطة المنطقية بأن سعر النفط مثله مثل سعر أي سلعة أخرى يتحدد في المدى الطويل والقصير بتفاعل « العرض والطلب » ، ولكنهم يتناسون أن هناك عوامل وتأثيرات كثيرة تختفي وراء فكرة « العرض والطلب » الاكاديميتين .

من هذه العوامل أن النفط ليس سلعة موحدة المواصفات . فهناك أكثر من مائة نوع من الخامات النفطية على أقل تقدير تصدرها البلدان المنتجة للنفط ، كما أن تحديد سعر عادل للنفط لابد أن يأخذ في الحسبان بجانب نوعية النفط وتكاليف انتاجه عوامل أخرى ، منها قرب المصدر المنتج من السوق أو بعده ، وتكلفة انتاج الطاقة البديلة ، والتعويض عن التضخم المالي ، وتأمين احتياجات التنمية التي تحتاجها الدولة المصدرة . . . الى غير ذلك من العوامل المعقدة

الهجوم على الأوبك

☐ نستطيع أن نعدد الكثير من الاقوال والاحاديث التي فجرتها الآلة الاعلامية الغربية ضد منتجي النفط وخصوصا العرب في السنوات العشر أو الخمس عشرة الاخيرة ، ولكن الاهم من ذلك هو رصد الخطوات العملية التي اتخذتها ومازالت تتخذها تلك المصالح الغربية ضد الأوبك .

لقد ذكر « جيمي كارتر » رئيس الولايات المتحدة السابق . . وعلى شاشات التلفزيون الامريكي في منتصف عام ١٩٧٧ ، وهو يقدم برنامجه لتقليص

استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة ، هذه الكلمات :

(تهددنا كارثة قومية في المستقبل القريب ، ان ازمة الطاقة لم تقهرنا بعد ولكنها ستقهرنا حتما ، اذا لم نتخذ التدابير على الفور) .

وكان قبل ذلك بسنوات قليلة جدا قد أعلن في الغرب عن انشاء الوكالة الدولية للطاقة ، والتي كان من بعض مهماتها تنسيق الاستهلاك للطاقة النفطية وتحديد سقفها في الدول الصناعية ، والهدف هو الحد من الاعتماد على نفط « الاوبك » .

والخطوات المضادة التي حدد لها عشر سنوات من الزمن يأتي بعضها أو كلها قبل ذلك الموعد نتيجة لهجوم علمي منظم ، كان من ضمن الخطوات المضادة استخدام الطاقة البديلة للنفط ، أو ما سمي لاحقاً ببرامج الاحلال (الفحم والطاقة النووية بدلا من النفط) ، وايهال التحريض على انتاج النفط خارج الاوبك حتى لو كان بتكلفة نسبية عالية مثل نفط بحر الشمال .

وبدأت أنشطة التراكم الاقتصادي تُحوِّل وتتجه نحو قطاعات يقل فيها استخدام الطاقة بشكل ملحوظ مثل الخدمات وصناعة التقنيات المتقدمة وتقليص نصيب الصناعة الثقيلة في الناتج القومي الاجمالي في الدول المتقدمة ، وبدأ المشترون للنفط يفضلون المنتج منه خارج الأوبك ، فبجانب افتقاد ميزة السعر النسبي تكمن عوامل ذات طبيعة سياسية .

وبعد عشر سنوات من تصحيح الاسعار نجد أن البرنامج المضاد قد أثر تأثيرا كبيرا في موقف الاوبك . فقد كان نصيب الاوبك في سنة ١٩٧٤ من عرض النفط العالمي قد بلغ ٦٦٪ انخفض في عام ١٩٨٤ الى ٤٤٪ فقط ، وكانت الضحية الاساسية هي النفط العربي ، فبينا تنتج الدول خارج الاوبك كمية تعادل طاقتها الكاملة ، وأعضاء الاوبك من غير العرب ينتجون نحو (ثلثي) طاقتهم ينتج العرب نحو (ثلث) طاقتهم فقط .

ولقد اضطرت منظمة الاوبك لاول مرة في سنة ١٩٨٣ لخفض الاسعار الى جانب تخفيض مبرمج في الانتاج . فبين ١٩٧٩ الى ١٩٨٥ انخفض انتاج الاوبك من النفط بحوالي النصف . (كان ٣١ مليون برميل يوميا تقريبا فأصبح حوالي ١٦ مليون برميل يوميا) .

بالاضافة الى ذلك فقد اضطرت الاوبك الى اتباع برمجة الانتاج عن طريق وضع حد أعلى للانتاج الاجمالي ثم توزيعه في صورة حصص على الدول الاعضاء ، وهنا أيضا عانت الدول العربية المنتجة للنفط بشكل أكبر وتدهورت عائداتها المالية الى حوالي النصف ، من ٢٠٤ بليون دولار في سنة ١٩٨١ الى ١٠٢ بليون دولار في سنة ١٩٨٤ .

ويعني ذلك ـ اذا ترجم من أرقام الى واقع ـ أن الاقطار العربية المنتجة للنفط ستواجه سنوات عجافا ، تؤثر على خططها التنموية قطريا ومساهماتها القومية والدولية ، وتهون الصعوبات المالية في ضوء تهديد أكثر خطورة هو خلاف أعضاء الاوبك على توزيع حصص الانتاج والذي يمكن أن يؤدي ـ لو

بين الحقيقة والوهم

تأزم ـ الى أن تشهد الاوبك آخر أيامها مما يجعل سوق النفط فوضى تعود بالدمار على معظم المنتجين .

ويرى الخبراء النفطيون أن الاوبك من واجبها الصمود والمقاومة لفترة السنوات الخمس القادمة على الاقل حيث يتوقع بعدها ارتفاع الطلب العالمي على النفط . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو : من الذين يجب عليهم أن يضحوا أكثر في هذه السنوات القادمة . . هل هم العرب أيضا !

□ يقودنا مجمل التحليل السابق الى مجموعة من الحقائق أهمها : أن السياسات المضادة للأوبك قد نجحت في وضعها في موقف الدفاع ، وهنا يبرز عنصر التعاون والتنظيم الحديث الذي وصل الى كل فرد من أفراد الشعوب المستخدمة للنفط في أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ، كما أن الحقيقة الاخرى تقودنا الى مراقبة نجاح التعاون بين حكومات الاوبك ، وهو تعاون يحتاج الى تضحيات من الجميع ، وليس من الاقطار العربية فقط .

ان الهدف السياسي لتحطيم الاوبك واضح للعيان ، فقد كان ظهورها وقدرتها اللاحقة على انتزاع حقوق أعضائها يمثل حدثا تاريخيا وعلامة بارزة في خبرة مصدري النفط من العالم الثالث وتجربتهم ، وقد مثلت حتى الآن موقعا فريدا بين كافة روابط العالم الثالث العاملة بانتاج المواد الخام وبيعها ، لذلك فان خريف هذا العام سيشهد اما انتصار الاوبك ، وبالتالي قدرة ورغبة بعض أقطار العالم الثالث على التعاون ، وإما ـ لا سمح الله ـ انهيارها .

ولعل الحلول المطروحة للخروج من الأزمة تبشر ببعض الأمل ، فالفكرة القائلة بانشاء هيئة مراقبة لالزام الاعضاء جميعا بالحصص المقررة والسعر المتفق عليه ، تبدو مستعصية على التطبيق لاول وهلة ، إلا أن كثيرا من الافكار التي تبدو مثالية في بداية الامر يمكن تطبيقها ، كما أن هناك خطوات أخرى تقوم بها الأوبك لتوحيد جهودها منها استقطاب بعض منتجي النفط خارج الأوبك لأن تدهور الأسعار سوف يعرض مداخيلهم هم أيضا الى التدهور .

هذه الخطوات على أهميتها ستبقى نتائجها محدودة ، ولن تستطيع الاوبك وحدها ومن طرف واحد ، الوصول الى علاقة عقلانية بين المنتجين والمستهلكين ، واذا أردنا أن نحقق حالة من الاتحاد المتبادل والصحي فان ذلك يتطلب المشاركة والاهتمام من أطراف ثلاثة :

أعضاء الاوبك ، والمنتجين خارج الاوبك ، والمستوردين للنفط ، على حد سواء .

والمستقبل القريب سيتمخض عن كثير من الاجابات بخصوص الأسئلة السابقة . . .

محمد الرميحي

التحدي العلمي الإسرائيلي للقارة العربية

بقلم : د . عبد المنعم عبيد

يدرك المهتمون بمستقبل الوطن العربي أنه بما يمتلك من موقع مهم وثروات كامنة وتراث تليد ، سيدفع الى الوجود كتلة سياسية حضارية منتجة غنية ، تساهم في بنيان الحضارة الانسانية ، ولايسهل العدوان عليها ولايجوز تجاهلها ، فماهي آفاق استثمار هذه الثروات وماهي التحديات التي تواجهنا في هذا السبيل ؟

تشكل الارض العربية المترامية الأطراف مايشبه قارة قائمة بذاتها ، وتحتضن في جوفها أخصب الاراضي الزراعية،وأثمن الثروات وأكثر مصادر الطاقة تنوعا ، الى جانب تراث حضاري متميز وعريق . ومع ذلك فالامكانات مبددة والجهود مشتتة،ويكاد لهيب النزاع أن يضطرم بين أفراد القبيلة الواحدة ، التي تضرب بخيامها فوق أرجاء هذه القارة الواعدة ، مما يهدد امكانية أخذ العرب لموقعهم الحضاري المتميز في عالمنا المعاصر ، فما هي الاسباب لهذه الفرقة وهذا النزاع ؟

أساليبنا وأساليبهم

ان الأسباب ليست كامنة فينا ، وفي قياداتنا فحسب بل تكمن أحيانا في عزوفنا عن استعمال العقل ومايتوصل اليه من تداعيات منطقية ، وبث الصلة بينها وبين الحياة العملية ، كما تكمن احيانا أخرى في طرائقنا وأساليبنا في التفكير وفيما تمثله هذه الاساليب من مسلمات فكرية فرضت قيودا صارمة على حركة الفكر ذاته ، وبالتالي على قدرتنا على التصور البعيد والاعداد المسبق لحركة المستقبل

واختيار الأولويات ورسم الخطط المحددة والواقعية والاضطلاع بتنفيذها على مراحل متوالية تتميز بالثبات والثقة .

ولكي نتفهم انفسنا جيدا ، علينا ان نقوم بدراسة مقارنة لأساليبنا في بناء دولنا العربية وكذلك لاسلوب « اسرائيل » في بناء دولتها على اساس من العلم ، وكيف اعدت لنا منذ بداية هذا القرن « ما استطاعت من قوة ومن رباط الخيل » . وسيجد الباحث ان الكثير من المعلومات والأرقام منشور في كتب الاحصاءات الحكومية السنوية التي تصدرها الحكومة الاسرائيلية ، وفي غيرها من الكتابات بأقلام المؤلفين الغربيين والاسرائيليين ، والتي تنشر على أوسع نطاق في الكتب والدوريات العالمية وفي التحليلات النفاذة والكتابات العميقة التي تصدر عن رواد النهضة العربية المعاصرة ، والباحثين في قضايا التخلف العلمي ومشاكل التجزئة والتبعية التي يواجهها الوطن العربي ، والمهتمين بوضع التصورات المستقبلية العربية.(١) ومع الاهمية الفائقة لمتابعة الاحصاءات والكتابات الاسرائيلية الا ان علينا الانغفل الميل المتعمد فيها الى التضخيم أو الكذب ، والى مانفرضه مقتضيات السرية العسكرية والمدنية ، كما علينا ان ندرك ان هناك افتقارا الى المزيد من المعلومات التي يجب ان تكثف مصادر المعلومات العربية جهدها من أجل الحصول عليها اولا بأول من مصادرها الاسرائيلية والعالمية .

العقول في خدمة العلوم

صدر أول اقتراح بانشاء جامعة يهودية في فلسطين عن هيرمان شابيرا استاذ الرياضيات في جامعة هيدلبرج الالمانية في المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١ ، واعطي هذا المشروع الأفضلية على مشاريع الاستيطان الأخرى ، لأن اليهود في أوروبا الغربية والمانيا بنوع خاص كانوا يدركون أهمية الجامعات والبحث العلمي وانشاء معهد ينبثق منه الحافز الروحي والمادي .

وتبنت المنظمة الصهيونية فكرة وايزمان التي تهدف الى انشاء معهد عال هدفه الأول اجراء البحوث العلمية ، ضمن اطار مدرسة لتخريج الطلاب بدلا من انشاء جامعة هدفها الأساسي هو التعليم وأخذ انشاء الجامعات ومعاهد البحوث وتطويرها يحظى بالأفضلية الكبرى لأهميتها في الاستيطان وفي الربط بين يهود العالم ويهود فلسطين .

وقد راحت الحركة الصهيونية منذ البداية تعمل على تطوير العلوم البحتة والتطبيقية معا ، عن وعي تام للدور الرئيسي الذي يمثله هذان اللونان من العلم في السلم والحرب ، وفي ٢٤ يوليو ١٩١٨ أرسى الصهاينة ١٢ حجرا اساسيا للجامعة العبرية بالقدس (تيمنا بأسباط اسرائيل الاثنى عشر) .

وتزعم الباحث الكيميائي حاييم وايزمان الحركة الصهيونية طوال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، حتى اذا اصبح أول رئيس لدولة « اسرائيل » ، انطلق في تطبيق العلوم على جميع المستويات ووضع الاعتبارات العلمية موضع التنفيذ ، مما ادى الى نمو سريع للمستويات الزراعية وانشاء الصناعات الاساسية وتنمية القدرة العسكرية الصهيونية ، وجعل الجيش قادرا على الافادة من المعدات العسكرية وعلى تطويرها كما سنرى فيما بعد .

استعملت « اسرائيل » عقلها المفكر اولا في خلق القيادة الفكرية اللازمة لتطورها العلمي المستقبلي حيث انشأت في رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٤٩ مجلس الابحاث العلمية والذي اشرف بدوره على انشاء معظم المختبرات الصناعية . ثم اقدم بن جوريون عام ١٩٥٩ على انشاء « المجلس القومي للبحوث والانماء » . وتم خلق علاقة وطيدة بين المؤسسة الاكاديمية والمؤسسة العسكرية ، كما تم توسيع المعامل العسكرية الصناعية والاكاديمية ، وبعد ان رتبت « اسرائيل » عقلها وفكرها هي في مجال القيادة العلمية استعانت منذ فترة مبكرة بالعقول

---

(١) وهناك في هذا الصدد الكتابات العديدة للاساتذة الأجلاء:انطوان زحلان واسامة الخولي وعلى نصار وسعد الدين ابراهيم ومحمود عبد الفضيل ونادر فرجاني وقسطنطين زريق وابراهيم سعد الدين واسماعيل صبري عبد الله . وقد رجعت الى كتابات العديدين منهم والى الدراسات الرائدة للاستاذ زحلان في اكثر من موضع في هذا المقال .

الالكترونية ، فاهتم معهد وايزمان في « رحابوت » بممارسة النشاط في حقل العقول الالكترونية لحاجة القوات المسلحة الى طرق جديدة للشفرة العسكرية . وتم انشاء العقل الالكتروني (وايزاك) في منتصف الخمسينيات ، واستبدل به العقل الأرقى وفي نهاية عام ١٩٦٧ كان في « اسرائيل ٨١ عقلا الكترونيا خمسة منها صنعت محليا ، وتم استجار الباقي من شركات أمريكية وفي عام ١٩٦٨ تم تركيب عقل كبير cdc 6400 في الجامعة العبرية .

التكيف وفقا للقدرات

أدركت « اسرائيل » منذ البداية الفوارق بينها وبين دول القارة العربية في الطاقات الكامنة والتي تتلخص في الفروق السكانية والمساحات الواسعة التي تمنح الجانب العربي العمق الاستراتيجي ، والموارد الطبيعية الهامة مما يجعل الطاقات الاسرائيلية الكامنة تعسة والموارد الطبيعية محدودة .

فقامت بتطوير النظام الاجتماعي ، والمؤسسات اللازمة ووضعت السياسات المناسبة لحشد هذه الموارد الضئيلة ، والحصول على مردود كبير منها ، واكتسبت المؤسسات العلمية والصناعية والعسكرية فيها قدرة على صيانة المعدات المعقدة لتوفر مقادير كبيرة من العملات الاجنبية كما حرصت القيادة الفكرية للمؤسسات العلمية الاسرائيلية المتمثلة في المجلس القومي الاسرائيلي للبحوث والانماء على ايجاد النظام الملائم من مؤسسات الأبحاث التي يتعاون فيها كل من العالم ، أو المهندس الباحث مع الاستراتيجي مع التقني جنبا الى جنب لتطوير العمليات المستحدثة (مثل تصميم القنابل التي دمرت مدارج الاسمنت في المطارات المصرية في ٥ يونيو ١٩٦٧ نتيجة للأبحاث في مجالات الاندفاع الصاروخي والديناميكيات الجوية) . ومنذ الستينيات شرع في تنفيذ ثلاثة برامج متوازية اولها الاستثمار المشترك بين الحكومة والصناعة في مشاريع محددة ضمن خطط تقترحها الشركات المعنية .

وثانيها تعلق ببذل جهود موحدة لانشاء مجموعة من الأبحاث التكنولوجية أو الأساسية ، والتي لها أهميتها بالنسبة الى قطاعات معينة في الاقتصاد . وثالث هذه البرامج كان انشاء مراكز بادارة المجلس القومي للبحوث والانماء لتنمية أبحاث صناعية طويلة المدى ، وذلك بالعمل في نطاق أوسع وأكثر فعالية مما تتيحه المخططات والصناعات الفردية أو تؤمنه جمعيات الأبحاث .

وقد اعاد المجلس القومي الاسرائيلي توجيه نشاطات البحوث والتطوير في الفترة مابين اعوام ١٩٦٧ ـ ١٩٧٨ ووضع نصب عينيه الهدفين المتكاملين التاليين في مجال العلوم : ـ

أولا : تكريس الانجازات في العلوم الاساسية وتوجيه النشاط في مجالي البحث والتطوير صوب القطاعات الانتاجية ، وزاد بذلك مجموع الانفاق على البحث والتطوير حتى وصل الى ٢,٣٪ من الناتج القومي والاجمالي ، وارتفع عدد الباحثين من ٩٤٠٠ باحث عام ١٩٧٩ الى ١٢٦٠٠ باحث عام ١٩٨٠ .

ثانيا : تشجيع المعاهد الأكاديمية ـ من خلال الانفاق الحكومي ومساهمات الهيئات وغيرها ـ على زيادة مساهمتها في البحوث التطبيقية والابداع التكنولوجي ، بالاضافة الى زيادة البحث والتطوير في القطاع الانتاجي نفسه ، وفي المؤسسات الحكومية للبحث والتطوير .

وتشير المقابلة المنشورة في جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٩٨٥/٦/١١ مع الدكتور انطوان زحلان الى انخفاض نسبة العطاء العلمي بين «اسرائيل» والوطن العربي من حوالي ٢,٥ في أواخر الستينيات الى ١,٩ في اوائل الثمانينيات ، وبقاء نسبة العطاء العلمي الفردي دون تغيير رغم الزيادة السكانية في الدول العربية وزاد الفرق في عدد البحوث العلمية بين « اسرائيل » والوطن العربي من ٦٦٠ بحثا عام ١٩٦٧ الى ٢٠٤٥ بحثا عام ١٩٨٣ ، اي ان الفارق الفعلي تضاعف ثلاث مرات خلال ١٧ عاما ، ويعادل العطاء العربي عموما العطاء الاسرائيلي قبل عشر سنوات وفي عام ١٩٦٧ بلغ عدد العلماء الذين ينشرون بحوثا علمية في القارة العربية كلها ٤٦٥ عالما بينما بلغ عددهم في « اسرائيل » ١٢٥ عالما ، وفي عام ١٩٧٣ ارتفع عدد العلماء العرب الى حوالي ٨٥٠ وعددهم في « اسرائيل » الى ٢٤٠٠ ، وبعد عشر سنوات (عام ١٩٨٣) أصبح عدد العلماء العرب

جميعا ٢٦٠٠ وعدد الاسرائيليين ٤٦٠٠ . اما عدد المؤسسات العلمية التي ينشر علماؤها بحوثا علمية فيتراوح عددها بين ٢٧٥ الى ٧٠٩ أبحاث في العام فقد أصبح في « اسرائيل » خمس مؤسسات وليس هناك مؤسسة واحدة مثيلة في أي بلد عربي .

العلم في خدمة العدوان

انشأت « اسرائيل » المجلس الوطني للقوى العاملة عام ١٩٦١ وهيئة تخطيط القوى العاملة عام ١٩٦٢ لتنسيق الأبحاث الضرورية في تقدير حجم القوى العاملة والتخطيط لها . وقد وجد رئيس المجلس القومي الدكتور اليعازر تال أن معظم أهداف المجلس قد تحققت عام ١٩٨٠ ـ اذ سهلت الادارة الجديدة السابق ذكرها التطابق بين البحث والتطوير وبين النشاطات الجارية وحسنت التكامل بين قدرات المعاهد الأكاديمية والبحوث التطبيقية ، وطور المجلس السياسة الوطنية وساهم في اعتمادها وتنفيذها .

راعى وايزمان منذ البداية ان يصبح الجيش الاسرائيلي قادرا على استخدام المعدات المشتراة بكفاءة عالية وذلك بالافادة التامة من مؤسسات الأبحاث لكي تقوم بتصميم معدات مماثلة لتلك المستوردة وتصنيعها وادخال التحسينات على تقنية الحرب بجهود العلماء والفنيين في معاهد الأبحاث العسكرية التي تتلقى الدعم من الجامعات ومن مؤسسات الأبحاث المدنية بهدف احداث تعديلات جديدة بارزة في المفاهيم والعقائد والمعدات العسكرية المستوردة لكي يتسنى للجيش استخدام عنصر المباغتة في عملياته التكتيكية . وعهد الى المختبرات العسكرية مهمة تحويل المكتشفات في العلوم البحتة الى معدات حربية صالحة للعمل،واستيراد التطورات العلمية الجديدة البحتة وتطبيقها على الجهاز الحربي ، كما شجعت وزارة الدفاع تنمية البحوث في طول « اسرائيل » وعرضها ، فأنشأت الوكالة الاسرائيلية للطاقة الذرية مراكز للابحاث النووية في كل من « سوريك ناحال » و « ديمونا » .

وامتلكت وزارة الدفاع واعانت على التطوير بضع عشرة صناعة في حقل الالكترونيات وصناعة الطائرات النفاثة ووضعت ثقلها السياسي والمادي في تأمين الدعم الاقتصادي الضروري للصناعات الالكترونية وصناعة الطيران بوجه خاص .

كما ادخلت اساليب التخطيط الاداري النظامي في القوات المسلحة على الهيئات المدنية والاقتصاد المدني على اساس النمط المعتمد في التخطيط العسكري الاداري **High Pressure Planning** وكذلك في التصميم والانتاج والتوزيع ورقابة النوعية مع اشراك الباحثين المدنيين في حل مشاكل الصناعات العسكرية .

ولقد اقترنت الهيئات العلمية الاسرائيلية اقترانا وثيقا بالابحاث الجارية في الغرب وأصبحت تتفرد بين دول العالم الثالث بهذه العلاقات مع الاسرة العلمية الدولية ، بفضل ماسبق ذكره من انشاء المؤسسات الداخلية والمهارات التنظيمية القادرة على الافادة من الموارد المحدودة في مجالات البحوث،والدور البارز للتعليم العالي في الحفاظ على الدولة الحديثة ، وكان للعطف الشديد للغرب على « اسرائيل » وللعلاقات العضوية الحميمة مع الولايات المتحدة وللتطابق في الغايات الاستراتيجية وللوشائج الحميمة مع الحركة العلمية اليهودية في العالم عموما وفي الولايات المتحدة خصوصا دور بارز في تدعيم علاقات العلماء الاسرائيليين بالدوائر العلمية الغربية ، الا ان العلماء الاسرائيليين العاكفين على الانتاج والابداع في مؤسساتهم العلمية ، غير مشتتي الذهن بالانشطة الأخرى في العمل والحياة،وسعوا اتصالاتهم الدولية على جميع المستويات من مجرد الاشتراك في المجلات العلمية ، الى حضور المؤتمرات العالمية واستضافتها ورعايتها في « اسرائيل » .

وقد هدفت « اسرائيل » من هذه العلاقات الدولية الى تحسين صورتها في الخارج ، والتقدم بأبحاث في عديد من المؤتمرات الدولية تزيد اضعافا عما يقدمه الباحثون العرب،وقد حدث في الستينات في مؤتمر في ايطاليا لفرع من فروع الطب مثل التخدير مثلا أن كان الوفد الاسرائيلي ثلاثة اطباء تقدموا بخمسة بحوث ، وبلغ حجم وفد احدى الدول العربية أربعين فردا لم يقدموا بحثا واحدا ، بل اكتفوا بالتقاط بعض المعلومات من بعض الجلسات

وانصرفوا معظم ايام المؤتمر الى النشاط الاجتماعي والشخصي .

اسرائيل والنشاط النووي

اشارت دائرة المعارف البريطانية عام ١٩٦٩ الى معهد وايزمان والى ماتضمنته نشاطاته العديدة من عقد المؤتمرات التي تناقش مشاكل تعليم العلوم في القارات الثلاث (اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية) مع ممثلين منها والاهتمام بجذب منظمات الشبيبة والشبان والرواد في الميادين العلمية تحت شعار « طريقة جديدة للتعاون » وتقديم المساعدات الهندسية والعلمية والطبية الى هذه البلدان منذ الخمسينيات ، فاصدرت الهيئات الدولية الموالية للصهيونية في الستينيات التوصيات بأنه (في وسع « اسرائيل » ان تلعب دورا رئيسا في مساعدة البلدان النامية على الازدهار بايجاد الوسائل لتوسيع مواردها الغذائية وتأمين العمل عن طريق صناعات اساسها العلم) . ولم يكن قصد المؤتمر السنوي العاشر للعلوم التكنولوجية في « اسرائيل » والشرق الأوسط المنعقد في نيويورك من هذه التوصية الا تمهيد الطريق لتغلغل « اسرائيل » في القارات الثلاث .

لقد سبق ان تناولت مجلة العربي « التعاون الاسرائيلي الوثيق في مجال الطاقة النووية مع الولايات المتحدة منذ وقت مبكر [٢] (مفاعل ناحال سوريك) ومع فرنسا بعد فشل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ (مفاعل ديمونا) ثم ماتواتر عن تجدد العلاقات الذرية بين فرنسا ذات الوجهين « واسرائيل » في الماضي ، ثم تأييد الولايات المتحدة في عهد جونسون « لاسرائيل » في مجال انتاج الاسلحة النووية وبلغت أهمية الترابط الذري حدا كبيرا يتضح مما كشف عنه مؤخرا عن اتجاه « اسرائيل » الى تحريك اسلحتها النووية في اثناء حرب ١٩٧٣ لمواجهة الانهيار المحتمل للجبهة العسكرية الاسرائيلية امام مصر ، ومانتج عنه تحريك الاتحاد السوفيتي لبعض سفنه الذرية واعلان الولايات المتحدة للتعبئة الشاملة لأسلحتها النووية واصبح واضحا الآن التعاون المشترك والتجارب النووية المشتركة « لاسرائيل » مع جنوب افريقيا .

وكما اصبح الآن معلوماً بوضوح ـ مدى التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة « واسرائيل » بحسبانها القاعدة الاساسية للتدخل السريع في الشرق الأوسط ، ولجمع المعلومات الواسعة عن دوله في خزائن العقول الالكترونية وللتعاون المفترض في الخدمات الصحية للقوات البحرية الاميركية في البحر المتوسط ، وللتعاون في ميادين الفيزياء الحديثة ، مثل استخدام اشعة الليزر والجسيمات الدقيقة في التصويب على الاقمار الصناعية والصواريخ العابرة ، وقد اشرت في كتابات سابقة منذ الستينات الى تبادل التدريس بين الاساتذة الاسرائيليين والامريكيين في معهد وايزمان ، والجامعات الأمريكية والى البحوث المشتركة بين الفريقين في مجال العلوم الفيزيائية والكيماوية المرتبطة بوسائل الاستشعار والمراقبة العسكرية . واخذ علماء « اسرائيل » ينتجون الأجهزة الدقيقة التي يتوصلون الى قوانينها العلمية في معهد وايزمان في عدة مصانع محمية من الغارات الجوية في الفناء الخلفي لهذا المعهد ، مثلما انتشرت المستوطنات العلمية اليهودية في وادي السليكون في كاليفورنيا منذ الخمسينيات وقد اخبرني وزير البحث العلمي المصري الاسبق د . صلاح هدايت بأنه حين اطلع على بعض جوانب هذه النشاطات الامريكية الصهيونية لجامعة كاليفورنيا في زيارة رسمية اشترطت عليه سلطات الجامعة في اوائل الستينات لكي يتم اي تعاون علمي مشترك مع الجامعات المصرية . ايام عبد الناصر ـ الا تحصل الجامعات المصرية على اي بحوث اساسية وانما على بعض النواتج التطبيقية فقط ، وان يكون الوكيل المعتمد والمكلف بالاتصال بمصر هو دولة « اسرائيل » في ذلك الوقت .

وبالمقابل فلا يخفى على العلماء العرب الصعوبات الكبيرة في معاهد البحوث العربية في هذا الصدد بما سنناقشه بالتفصيل مستقبلا ، ولقد اشير الى ان اول محاولة لوضع نموذج رياضي لتصور مستقبل الوطن العربي ، سواء من ناحية الامكانات العسكرية

(٢) اسرائيل والسلاح النووي ـ د . عبد الرحيم حسين ـ مجلة العربي فبراير ١٩٨٥ ص ٢٢

والاحتمالات التنموية ، كانت محاولة اسرائيلية . ويبعث الحاخ « اسرائيل » على تطبيع العلاقات مع كل دولة عربية على حدة ، على التفكير في أهداف ومدى سهولة الحصول على المعلومات المدنية والعسكرية في كل بلد عربي يسمح لنفسه مستقبلا بتجوال جامعي المعلومات الاسرائيليين من العلماء والجواسيس في ربوعه ، وبعضهم يتقن اللغة العربية بلهجاتها المحلية وينطق اهل الأحياء الشعبية .

ماذا يعني كل ذلك

وخلاصة الأمر ان الازدهار العلمي في « اسرائيل » قام منذ بداية نشأة الدولة على فهم واضح سبقه بسنوات طويلة ، وعلى ادراك للعلاقة الوثيقة بين العلم وحياة المجتمع اليومية ومتطلبات المواجهات العسكرية المرسومة وتثبيت المستوطنات وحياتها ، وحل مشاكلها المعاشية والتدبير للهجمات العسكرية الدورية على البلدان العربية ، كما قام هذا الازدهار على اعتبار العلم من صميم الكيان الاجتماعي ومقوماته الاساسية ، وعلى فهم الطبيعة الدولية للعلم وعلى توفير المستويات الدولية للعلماء الاسرائيليين كما هو متوفر في علماء البلدان المتقدمة ، وعلى نيل العلماء والمؤسسات العلمية الدعم الكافي لتمكينهم من انجاز ابحاث لها قيمتها الدولية ، وعلى زيادة الاطلاع على الأبحاث الجارية في البلاد الأخرى ، وعلى استجلاب المعلومات العلمية باتساع وانتظام ، وعلى اعادة النظر وتقييم الاداء العلمي على المستوى الاساسي وعلى مستوى ارتباطاته بالمشاكل الزراعية وتطوير المؤسسات الصناعية .

لقد اسهبت في بداية المقال في الاشارة الى الامكانات التي حبت بها الطبيعة قارتنا العربية ، والامكانات التي توفرها لنهضة عربية مستقبلية ممكنة وضرورية . وما اريد ان أؤكده في نهاية هذا المقال ليس هو التميز الاسرائيلي على الوطن العربي في مجال العلوم والبحث العلمي بما لايمكن تجاوزه ، ذلك ابعد مايكون عن الظن والقصد . وانما اردت ان اقول ان ماتفعله اسرائيل « ان هو الا اتباع للاصول المعاصرة لدور الدولة الحديثة على النمط الغربي ، مع جهد « اسرائيل » في الاستفادة من الامكانات المحدودة ، وفي استغلال كنوز العلم وهي الكنوز الرئيسية المتاحة لكل من قرر الاغتراف منها ويعد نفسه لذلك ويبذل من الجهد المجدى والمستمر ماهو لازم لذلك ، حتى لمن لم يملك الكنوز الطبيعية اذا ما امتلك النية على اعلاء شأن العلوم الطبيعية والانسانية ، وبوأ العلم والفكر اعلى مكان . وقد ادركت « اسرائيل » هذا الدور الهام لكي تعد نفسها بعد مرحلة الحروب التي دقت بها على الحديد العربي الساخن - للمرحلة الراهنة للسلام المراوغ ، ولما يليها من ارهاق عربي كامل في دوائر تتسع بالتدريج وبصبر ودأب على أمل الحصول على سلام مسيطر على كل دولة عربية على حده وقد سبق ان عبر حاييم وايزمان عن احلامه حين قال « ان اسرائيل » قد تواجدت في منطقة تعيش حالة من الضياع العقائدي بسبب الارتجاجات الطويلة التي تعرضت لها اي انها تفتقد الكثافة النفسية التي تمكنها من استيعاب اي حالة تقابلها وهي الى ذلك منطقة مستهلكة ويستخدم البدوي اسنانه جيدا ولكن قلما يستخدم يده بصورة جيدة فاذا وجد الاسرائيليون في هذه المنطقة استطاعوا تصنيع الهواء ثم تسويقه عربيا »

ولكن خاب فألهم الذي اعدوا له بناءهم العلمي منذ قرن من الزمان ، فهل قد آن الأوان لكي يضع العرب ما يجب عليهم أن يضعوه من سياسات علمية متبصرة ويقيموا في الخمسين عاما القادمة ، ومنذ اللحظة ، ما يجب عليهم ان يقيموه من مؤسسات تعليمية والبحوث العلمية الاساسية والتطبيقية ليتمكنوا من استثمار الثروات الراهنة وحل مشاكل البناء الحضارى حتى لايكون عبء ذلك السلام المراوغ اثقل عليهم من ويلات الحرب ؟ ! □

■ أما بعد ، فاسلم تسلم . . والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة
(خالد بن الوليد)

اقرأ في العدد القادم من العربي

□ "العربي".. تخترق أدغال.. صباح

استطلاع ملون .. سليمان مظهر

سوق السلاح تجارة أم سياسة؟	الفضاء ساحة الحرب المقبلة	الإيدز قصة مرض.. وصرخة تحذير
أمين هويدي	م. سعد شعبان	د. عماد شمس باشا

واقرأ: □ طبيعة الإبداع .... د. فاخر عقل

□ مواقيت المسلمين في أقصى الشمال والجنوب د. عبدالمنعم النمر

□ وجها لوجه ... د. عبدالحميد يونس وفاروق خورشيد

□ كتاب الشهر : الاكتشاف المحبط .. د. أمين العيوطي

□ الأسواق الشعبية في الخليج .. استطلاع بالألوان .. ثريا البقصمي

□ البيت العربي : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت

□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضا للكتاب :

د. محمد الرميحي ـ عبدالرزاق البصير ـ د. عبدالله عبدالدايم ـ د. حسين الوردي

د. حسان حتحوت ـ د. أحمد أبو زيد ـ محمد الفايز ـ فاروق شوشة

تاريخ الماء

شعر : قاسم حداد

- ١ -

● جاء مأخوذا
تقمصه الرماد ، وغادرت عيناه في هلع
سيأل :
لماذا مرت العربات في بطء على رئتيه ؟
جاء مطهيا بالملح
كان البحر يعرفه ، وكان النخل يعرفه
لماذا عندما تاهت سفائنهم
نسوه معفرا في الرمل ؟
أينسى الرمل في وجع
هل سينسى البحرُ مقبرةَ الصوارى والقراصنة النهاريين ؟
لماذا عندما اختلجت جوارحهم نسوه ؟
كان الماء جنته
وكان الماء نارا للذي ينسى
لماذا عندما اكتنزت قوافلهم
نسوا تاريخ هذا الماء ؟
والجياد مدججات بالقبائل
كنت لا أبكي على أحدٍ سواي
وكنت أنسى عندما أمشي
وانسى عندما ابكي
وأنسى عندما أنسى
ولكن المدى ، شباك أحزاني . يجيء نورسا
يبكي على كتفي
سيذكرني .. وينساني
فتفتح لي جياد الفاتح الرملي تاريخا تزينه القبائل
تفتح الأفاق حيث النورس المذبوح لايبكي على أحد سواى
وشمس أيامي تغادر خيمتي
فأظل مشدوها ، أمد الى المدى يأسي : . وأنسى

- ٢ -

● جياد الفاتح الرملي في رئتي وأنسى
ربما أنسى ليذكر كاهلي المكسورُ
قوس الماء

● من قصيدة طويلة بعنوان (سلالة الغبار)

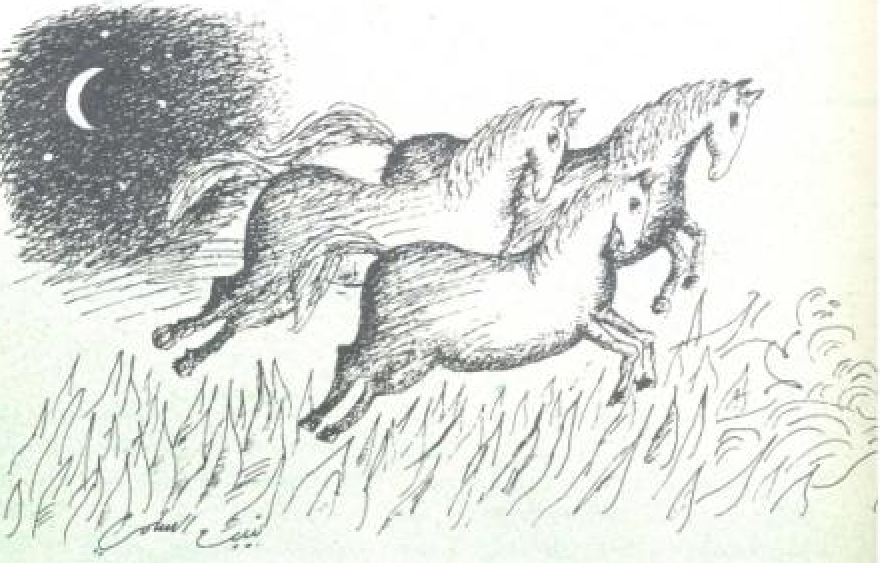

لي أرض وكوكبة تسافر
والمدى يأتي الى بابي ويرمي في حقائبه نخيل الدار
يرمي زنبقات
والمدى شباك شطآني
يناديني . . وينسى .
كنت مأخوذا بترديد القواقع والطحالب
عندما جاءت جياد الفاتح الرملي
مأسورا بوقع الموج عند حديقتي . .
أمشي وأنسى

-٣-

□ . . فاستسلمت شرفات روحي عند مفترق الوضوح
كانت الأشجار ذاهلة الغصون ورفقتي تهذي
على طرف الحوار بلا طموح
كل غامضة من التذكار محتمل
وكل مدجج بالرمز مفتوح ويحلم بالفتوح

ساحرا انسى
وتأخذني التأويل الجديدة
كنت مزدانا بأعراسي ومنتشيا
وكان الكأس يدَّخرُ النبيذ على جراحي
مستسلما في خلق أشكالي
لي الانخاب
لكن ليس لي درع يصد الفتح
لي صدر ينازل
لست أسأل عن حدود القتل أو شكل السلاح
فلكل أصل سره
من يحتفي بنهاية الأسرار
من يعطي لهاوية الحوار خديعة
ويدس في أمل الصباح
قلت : في حل أنا من شهوة التوضيح

نسر جامح صوتي
لي الشهق الشموخ
وللضفادع شهوة الموت البطيء على السفوح

العربي - العدد ٣٢٣ - اكتوبر ١٩٨٥

بقلم : محمود المراغي

المتهم البريء في أفريقيا

المطر . . متهم برىء فى افريقيا ، فعندما قل هطوله وحلّ الجفاف لم يكن ذلك وحده هو سبب الازمة الغذائية فى القارة السوداء،فقبلها . . كانت الازمة

وبعدها . . سوف تكون او سوف تستمر طبقا لتوقعات الخبراء .

اما الدليل فهو رقم يقول ان نصيب الفرد من الغذاء فى السبعينيات كان يتناقص سنويا بنسبه (١و١) بالمائة طبقا لارقام منظمة الاغذية والزراعة . . وان الازمة كانت سابقة على ذلك حين عجزت افريقيا-جنوب الصحراء-ان تقدم غذاء أكثر للفرد فى الستينيات الا بمقدار (١و٠) بالمائة سنويا . . وهو لايكفى لاشباع الحاجات او تلافى امراض سوء التغذية أو الموت المبكر للاطفال .

الازمة اذن قديمة . . والازمة ايضا ممتدة . . حتى انه من بين ٤٣ دولة افريقية جنوب الصحراء تعانى (٣٠) دولة من نقص الطعام فى الوقت الراهن ، وطبقا لتقديرات نفس المنظمة (الاغذية والزراعة) فإنها سوف تصبح ٩ دول عام (٢٠٠٠) . . و . . ذلك مع افتراض استخدام تكنولوجيا ومدخلات للزراعة بمستوى متوسط .

وبالطبع فان الغذاء ليس الا حلقة ضمن حلقات متصلة بدايتها الزراعة والسكان ، ففى افريقيا يوجد اعلى معدل لخصوبة المرأة فى العالم . . وبينما يهبط معدل الخصوبة الى طفلين لكل امرأة فى العالم المتقدم يزيد المعدل فى افريقيا الى (٤و٦) طفلا لكل امرأة . . مما يجعل النمو السكانى يفوق (٣) بالمائة سنويا . . بينما قل الانتاج الزراعى عن هذا المعدل فى النمو منذ اول الثمانينيات .

وداخل مجموعة الزراعة : قلّ الغذاء بنسبة اكبر . . وداخل مجموعة الغذاء كان للحبوب - وهى نصف غذاء العالم الفقير - نصيب الاسد فى التراجع !

و . . من هنا كانت المأساة : (٤٧٠) مليون نسمة يعانون من مجاعة دائمة ويهبط نصيبهم من الـ رات الحرارية الى (٨٥) بالمائة مما يحتاجون ، ومن البروتين الى (٤٠) بالمائة فى بعض الاحيان . .

و . . يموت (٤٠) بالمائة من الاطفال قبل سن الخامسة . . ويتراجع متوسط العمر اكثر من اى قارة اخرى . . ويقف سوء التغذية على رأس الاسباب .

الغريب ان افريقيا ليست الاكثر كثافة من ناحية السكان . . . . فالبنك الدولى يعتبرها قارة غير مأهولة بالكامل . . مساحات شاسعة . . وعدد قليل نسبيا من السكان حتى ان آسيا تسجل كثافة تبلغ خمسة اضعاف كثافة السكان فى افريقيا . . ولكن ، وكما يقول البنك الدولى ايضا . . فانه بالنظر لطرق الزراعة البدائية فان كثيرا من بلدان افريقيا وبالقياس على ما هو متوافر لديها من غذاء - تصبح مكتظة بالسكان . . !

. . والسؤال : لماذا ؟

الزراعة اذن هى محور الازمة ، وهو محور خطير لانه يمثل ثلاثة ارباع صادرات افريقيا ويستوعب (٧٠) بالمائة من العمالة فيها . . و . . مع ذلك فان

القدرة على تحقيق اكتفاء ذاتي من الغذاء تتراجع من (٨٣) بالمائة في اول السبعينيات الى (٧٣) بالمائة في عام ١٩٨٢ .. الى (٥٦) بالمائة وفق توقعات عام (٢٠٠٠) .

وعند الحديث عن اسباب التدهور تأتي قائمة طويلة تمتد من عوامل الطبيعة الى فن ادارة الموارد وضعف الامكانات وتركة الاستعمار .

يتحدثون عن انسحاب اللون الاخضر وتقلصه في ظاهرة اطلقوا عليها اسم « التصحر » اى التحول الى الصحراء .. ويخلط البعض بين الجفاف ـ الذى يأتي بسبب نقص الامطار ـ وبين ظاهرة التصحر ، وهي الاخطر والابعد تأثيرا بالنظر لمشكلة اكبر هي مشكلة الارض المتاحة للزراعة .

ويقول العلماء ان الجفاف مهما كان شديدا فسوف يزول بنزول المطر .... اما التصحر فالامطار لاتزيله ، والارض تحت المطر لاتستعيد عافيتها بعد ان اصابها الجفاف بسبب عوامل عدة استأصلت اللون الاخضر ، وحرمت التربة من غذائها العضوى عبر اجراءات كثيرة كالافراط في الرعي والافراط في استخدام اخشاب الغابات مما يعرض الارض للتعرية والشمس والرياح ، والجفاف الحقيقي يزحف الان على مائة بلد في العالم ، جزء كبير منها في افريقيا جنوب الصحراء .. وبمساحة سنوية تزيد عن مساحة بلد كالسنغال .

مع ذلك فان التصحر وتدهور البيئة واحد من الاسباب ...

وربما يأتي نمط التنمية وتخلف اساليب الزراعة كسببين اكثر انتشارا ، فالكثير من الدول النامية ـ بعد الاستقلال ـ دفعها الطموح لخوض تجربة التصنيع ... وكان ذلك رغم ضرورته على حساب الاهتمام بالزراعة والغذاء .. وعندما اتجهت هذه الدول للتصنيع لم تعط الاولوية لما يلزم الزراعة من أسمدة ومبيدات حشرية وجرارات تدفع بالزراعة الى مستوى افضل .. وهكذا بقيت المشكلة الزراعية في افريقيا كما هي : زراعة متخلفة يسيطر عليها في معظم البلدان المحصول الواحد .. فالكاكاو محصول غانا الرئيسى ، والبن محصول اثيوبيا وبوروندى ، والقطن محصول السودان و .. هكذا ، مما كرس تخلف القطاع الزراعى .

وقد ساعد على ذلك وجود نسبة عالية من الاراضي المشاع ، كما ساعد عليه سيطرة الوسائل البدائية في الانتاج حتى ان (٨٠) بالمائة من فلاحى افريقيا يعتمدون على سواعدهم في فلاحة الارض ، (١٥) بالمائة يملكون حيوانات جر .. و (٥) بالمائة فقط يستخدمون الجرارات ..

وبمقارنة سريعة نجد انهم في اوروبا الغربية يستخدمون ٦٠ جرارا ليخدموا ألف هكتار ، وفي أمريكا اللاتينية سبعة وفي آسيا خمسة .. اما افريقيا فيهبط نصيبها الى جرارين فقط ، وفي مجال السماد اللازم لتخصيب الارض يبلغ المعدل في الولايات المتحدة ثمانية اضعاف افريقيا وفي اليابان (٢٥) ضعفا .

ثم .. تأتي مشكلة مياه الرى وسوء ادارة المياه وهو ـ وفقا لرأى الخبراء ـ اهم سبب من اسباب المشكلة الزراعية .. والمشكلة هنا ليست نقصا في الامطار فهذه مشكلة طارئة على الارجح .. لكن المشكلة في وضع نظم دائمة للرى وتخزين المياه ، وزراعة اكثر من محصول في العام وهو ما يحتاج لاستثمارات تفوق اى قارة اخرى ، وبما يجعل الهكتار الواحد يحتاج الى مبلغ يتراوح بين عشرة آلاف وخمسة عشر الف دولار وبما يفوق آسيا ـ على سبيل المثال ـ عدة مرات .

.. الثورة الخضراء

المطلوب إذن : ثورة خضراء تواجه عوامل الطبيعة ، وتوقف تخريب الانسان للبيئة باستئصاله للغابات التي تحمى الارض .

المطلوب : طرق متقدمة في الزراعة تنهى عصر الانسان الذى يعمل عوضا عن الحيوان ، والحيوان الذى يعمل عوضا عن الجرار والآلة الزراعية .

والمطلوب : علاقات دولية اكثر عدلا واكثر انصافا لما تنتجه افريقيا من خامات تبادلها في النهاية بغذاء وتكنولوجيا ومستلزمات انتاج ..

لذا فلا مفر من التكتل والتحرك الجماعى على مستوى افريقيا والعالم الثالث كله .. وربما كان مؤتمر القمة الافريقى الاخير البداية ... بشرط ان تتسع نظرتنا لتشمل الازمة الاكبر

وليست الازمة الاقل .. إنها أزمة الغذاء واللون الاخضر ، وليست ازمة الأمطار الطارئة . □

الجامعة العربية بعد ٤٠ عاماً

دعوة للتأمل

أربعون عاما مرت على انشاء جامعة الدول العربية ، ومنذ ذلك اليوم الذى وقعت فيه سبع دول معلنة اعلان التأسيس وحتى اليوم ، حدثت على الخريطة العربية تغيرات كثيرة ، وجرت دماء كثيرة في الأنهار والاراضى العربية ، وملأت الدنيا خلافات العرب . . وشهدت أيامنا القتال العربي / العربي ، وعاصرنا تبادل الاتهامات بالخيانة والعمالة . . واتهامات أخرى بالكفر والمروق والعصيان . .

أربعون عاما هبت فيها رياح التغير على هذا الجزء من العالم ، فلم يعد قط كما كان عشية اعلان الجامعة . . ولم تنته الرياح من تشكيل ملامح المنطقة بعد ، فمازالت التفاعلات والاحداث تتوالى وتتابع .

كانت هذه الرؤية كلها أمامنا ونحن نفكر كيف نقف أمام الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة الدول العربية ، ندرك ـ كما يدرك كل العرب ـ الأزمة التى يعيشها الوطن العربي . . ولكننا نختلف قليلا في أننا نملك أملا لغد أفضل ، نختلف لأننا لا نؤمن بأن المنطقة مقبلة على الانهيار ، ونختلف لأننا نرى أنه ليس صحيحا أن هناك انتحارا جماعيا يمارسه العرب ، فكل ما في الأمر هو تفاعل ديناميكى لمجموعة من العوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، لم تنته بعد وتفرز نتائجها ، فلم تزل القوى الاجتماعية العربية تتفاعل داخل مجتمعاتها ، لتعيد تشكيل البنيان الاجتماعي بنظمه وقوانينه وعلاقاته ، وفق متغيرات الاقتصاد وعلاقات السياسة . ولذلك . . فعندما فكرنا في خيارات الموضوعات لهذا الملف ، كان واضحا لنا أننا لا نقيم مأتم ولا نحتفى بمعنى الفرح والبهجة ، ولكننا نحاول أن نضيف اضاءة للطريق ونطرح أفكارا للمناقشة والحوار ، قلنا فلندع خلافات السياسة ، ولنترك قضاياها ، ولنفكر في محاور استراتيجية نؤمن من خلالها ان جامعة الدول العربية لو منحتها كثيراً من الوقت وكثيراً من الجهد لأثمرت وأعطت نتائج تسهم في صياغة غدنا العربي الأفضل .

وكانت المحاور الثلاثة هى :

أ ـ أزمة الغذاء العربي

ب ـ التعاون العلمى العربي

ج ـ التعاون العربي الافريقى .

وكان تصورنا أن هذه المحاور هي أهم ما يشغل بال كل مهتم بالهمّ العربي ، فالوطن العربي يعيش أزمة غذاء ، وهي أزمة لم تعد مشكلة اقتصادية خالصة ، بل أصبحت مشكلة سياسية بالدرجة الأولى . فلقد شهد الوطن العربي في العقدين الأخيرين تدهورا كبيرا في الوضع الغذائي ، وعجزت برامج التنمية الزراعية العربية عن سد الفجوة الغذائية ، واتجه الوطن العربي الى الاستيراد ، الذى اتسع نطاقه ليشمل بالاضافة الى القمح السكر واللحوم ومنتجات الألبان والزيوت النباتية والدهون ، وفي سلعة واحدة حيوية كالقمح ، فإن معدل نمو الانتاج العربي منها لا يتجاوز ١,٧٪ وهو معدل لا يجاوز نصف معدل نمو السكان ، وتبلغ واردات الوطن العربي منه أكثر قليلا من نصف حجم الاستهلاك ، وتتجاوز أزمة الغذاء حدودها الاقتصادية كما اشرنا ، اذا أدركنا أن سوق القمح العالمية ـ السلعة الاكثر حيوية ـ موضع احتكار رئيسى لثلاثة بلدان هى الولايات المتحدة وكندا واستراليا ، وتتجاوز أزمة الغذاء حدودها الآنية لترتبط بكل عمليات النمو والتنمية ، فحجم الحاصلات الزراعية العربية ومساحة ما يخصص من الأراضى الزراعية لزراعة حاصلات صناعية . . لا يكفى لتأمين تشغيل طاقة صناعية ذات فائدة وجدوى ، فضلا عن أن التشغيل يكون عادة موسميا ، ولفترات محدودة ، لا تصل الى مستوى التشغيل الكامل . ويرتبط بأزمة الغذاء تخلف اقتصاديات الانتاج الحيوانى ، وتخلف اساليب الانتاج الزراعى ، واعتماد الزراعة العربية في جزء كبير منها على الأمطار ، اذ أن ٧٨ بالمائة من جملة الأراضى المزروعة تروى بالمطر . . .

المحور الثانى هو التطور العلمي العربي وامكاناته ومستقبله ، وهو محور يشمل عدة جزئيات من حيث أهمية التربية والتعليم في اللحاق بالعصر وتطوير تدريس العلوم الاساسية ، وتطوير مؤسسات البحث العلمى ومراكز الأبحاث، والتعاون والتنسيق فيما بين هذه المؤسسات والمراكز العربية ، فمما لا شك فيه أن العالم يعيش ثورة علمية كبرى تعادل الثورة الصناعية أهمية ان لم تكن تفوقها .

المحور الثالث هو التعاون العربي الافريقى ، وهى قضية بالغة الأهمية والحيوية للمستقبل العربي ، فأفريقيا هى العمق الاستراتيجى للوطن العربي ، وهى الامتداد الجغرافى له ، وهى سلة خبز العالم القادمة ، وسوقه الكبيرة المقبلة ، ففى دولة كالجابون أراض زراعية صالحة لانتاج ما يكفى سكانها مائة مرة ، وفى الكونغو أراض يكفى انتاجها سكانها ٧٥ مرة ، فضلا عما تحويه افريقيا من مصادر للمواد الأولية التى تكفل قيام صناعات كبرى وتوفر احتياجاتها .

كانت هذه تصوراتنا من المحاور الثلاثة عند التفكير في ملف عن الجامعة العربية ، ورأينا أن نكتفى بالتعاون العلمى العربي والتعاون العربي الافريقى من منظور نقد وتقييم ما هو قائم . . آملين ان تكون هذه بداية للتأمل والتفكير لتطوير الواقع، واثرائه ، انها دعوة للتأمل فى أى مسار نسير ، وأى الدروب نختار ، وأى الخيارات نقبل ، وكيف نواجه تحدى المستقبل والحضارة والبقاء !! . . .

« العربــــى »

الجامعة العربية بعد ٤٠ عاماً

العمل العلمي العربي المشترك
ذكريات وآمال

بقلم : الدكتور أسامة أمين الخولي

إن النظر في تجربة العمل العربي المشترك ، في المجال العلمي - التكنولوجي ، يقودنا إلى مناقشة الأسس التي قام عليها ، وإلى التعرف على مدى اتساق الممارسات الفعلية فيه مع هذه الأسس ، وإلى متابعة التطورات التاريخية التي مرّ بها الادراك الحكومي والشعبي لهذه الأسس ، والتي لا بد وأنها قد انعكست بشكل أو بآخر على الممارسات في العمل العربي المشترك .

قد يكون من المفيد - في محاولة لاستعراض مسيرة العمل العلمي العربي المشترك - أن نشير إلى بعض الشروط الأخرى التي لا بد من توفرها حتى يكون لأى عمل جماعي بين عدد من الأقطار في مجال من المجالات ، من الفاعلية والجدوى ما يبرر قيامه وإنفاق الجهد والمال فيه . ومثل هذه الشروط مهنيّ أو تقني ضروري للعمل الجماعي حتى بين أقطار لا تربط بينها أواصر خاصة بالهوية الحضارية . وفي هذا يستوى العمل الجماعي الذى تشترك فيه أقطار عربية مع أقطار أخرى غير عربية ، مع العمل الجماعي العربي المحض . إن تأكيد هذا الفارق النوعي ضروري لفهم الدوافع الحقيقية للأعمال العربية العلمية المشتركة التي تمت حتى الآن ، وللتمييز بوضوح بين المنطلقات المهنية - التقنية المحضة لتبرير قيام عمل جماعي ، وبين المنطلقات القومية لهذا العمل في المجالات المتخصصة . ففي الحالة الأخيرة يرتبط النشاط المشترك بمفهوم سياسي معلن ومسيطر في الوعي الجماعي ، يكسب النشاط المشترك صفات خاصة وتوجهات مميزة . ولكنه يجعله - في نفس الوقت - مستهدفا لاعتبارات سياسية ومع ما يأتي به هذا من عزم مضاعف وإصرار على تجاوز العقبات من جانب ، ومع ما قد يحمله هذا في الجانب المقابل ، من مخاطر في لحظات الأزمة أو اختلاف وجهات النظر بين الأقطار المشاركة .

أما وقد نبّهنا منذ البداية للبعد السياسي للعمل المشترك ، فلنذكّر أيضا بأن المتطلبات المهنية التقنية هي الشرط اللازم في جميع حالات العمل الاقليمي أو الدولي المشترك ، بينما المتطلبات السياسية هي إضافات تكسبه صفات نوعية جديدة ، ولكنها وحدها لا تصلح ، في أى ظرف من الظروف ، أساسا لعمل مشترك في مجال متخصص مهما كان قدر العزم والارادة والاصرار .

والمتطلبات التقنية التي لا بد من توفرها في أى عمل مشترك في مجال ما هي في جوهرها قسمان . الأول هو وجود حد أدنى أو كتلة حرجة من النشاط القطرى في الأقطار المشاركة في العمل الجماعي . فبدون هذه القاعدة ذات الفاعلية الدنيا على المستوى القطرى يكون العمل المشترك كيانا فوقيا لا يستند إلى قواعد راسخة في الأقطار المشاركة ، ونبتا يفتقر إلى الجذور الضاربة في أرض هذه الأقطار والتي تغذيه دوما بحصيلة الخبرة القطرية التي تبرّر قيامه من أجل التنسيق بين جهود قطرية ، أو من أجل تبادل الخبرات . وسيبقى فاقدا القدرة على الحد الأدنى من التأثير المحمود على كمّ أو نوع العمل القطرى . أما الأمر الثاني ، فهو مشاركة أكبر عدد ممكن من أقطار المنطقة أو الاقليم بحيث يمكن أن يطلق عليه بجدارة اسم العمل الجماعي ، متميزا بهذا عن العلاقات الثنائية أو الثلاثية والتي لا ترقى ـ مع التسليم بأهميتها وجدواها ـ إلى مستوى العمل الجماعي في منطقة أو اقليم .

وعلينا أيضا في استعراضنا لخبرات الماضي القريب أن نميز بوضوح بين مستويي العمل العربي العلمي المشترك ، ألا وهما مستوى العمل الشعبي للأفراد العلميين أو التنظيمات المهنية للعشائر العلمية العربية ، ومستوى العمل الحكومي الرسمي للمنظمات والهيئات الاقليمية التي تشارك فيها الأقطار العربية كدول أعضاء تلتزم بسياسات قطرية معينة ، تعكس توجهاتها وترتب أولوياتها . وربما يبدو لأول وهلة أن العمل العلمي على المستوى الشعبي يكون أكثر حساسية للمنطلقات القومية ، وأقل تأثرا بالمواقف الرسمية . وسنرى فيما بعد أن هذا صحيح في جملته ، وأن التنظيمات الشعبية للعشائر العلمية العربية كانت أكثر تحررا في مواقفها من التنظيمات الحكومية ، وأنها قد صمدت وتماسكت في ظروف الخلافات والانقسامات ، بمثل ما لم تقدر عليه هذه الأخيرة . وفي الجانب المقابل ، لا بد أن نشير هنا أيضا إلى أن التنظيمات الحكومية بدورها ، قد سُمعت فيها ـ إبان أزمات الخلاف والشقاق بين الدول الأعضاء ـ أصوات كثيرة تؤكد دورها المتخصص ، وذلك في محاولات محمودة الدوافع لتجاوز هذه الأزمات ، ولاستمرارها في أداء رسالتها . وفي تاريخ هذه المنظمات الحكومية أمثلة كثيرة لجهود مكثفة بذلت في تجاوز محن الخلافات بين الدول الأعضاء ، كانت تركز الاهتمام على أنها ليست أساسا منابر لاعلان المواقف السياسية اللحظية ، بل إنها كانت تستلهم المنطلق الوحدوى القومي لتأكيد دورها التخصصي ، مؤكدة على أن من مصلحة الجميع أن تنأى المنظمات بنفسها عن حلبة هذه الصراعات وأن تستمر في أداء رسالاتها التخصصية خدمة لكل الأطراف المشاركة فيها .

البدايات التاريخية

جذور العمل العربي المشترك ، على مستوييه الشعبي والحكومي ، لا تضرب إلى ماض بعيد ، ولا تتجاوز بداياتها الأولى نصف قرن أو أقل . فحتى نشوب الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك عشائر علمية أو تكنولوجية تذكر إلا في قطرين أو ثلاثة في المشرق العربي . وحتى على الصعيد السياسي كانت الأقطار العربية كلها تقريبا تعاني وطأة الاستعمار بصورة أو بأخرى ، ولا شك أن إعلان قيام جامعة الدول العربية ، وتصاعد حركات التحرير ، وحصول الأقطار العربية تباعا على نوع ما من الاستقلال السياسي ، كل هذه العوامل قد أكدت مفهوم الوحدة العربية ووطدت دعائمه في وعي شعوب المنطقة ، في الوقت الذى نمت فيه العشائر العلمية ـ التكنولوجية واكتسبت قياداتها مكانة معترفا بها في كثير من الأقطار العربية من خلال مشاركتها المرموقة في حركات التحرير ، ثم في إدارة شئون البلاد .

والمشاهد أن العشائر العلمية ـ التقنية العربية كانت سباقة للتواصل والتعاون . ولقد شهد الوطن العربي في الخمسينيات والستينيات نشأة العديد من الاتحادات العلمية ـ التقنية العربية واتساع دائرة نشاطها ، وإن اقتصر هذا النشاط لعدة سنوات على المشرق العربي وحده ، فلقد كان المغرب العربي ما زال يخوض في تلك الآونة معاركه الضارية مع الاستعمار الفرنسي ، والتي كان آخرها انتصار حركة التحرير الجزائرية التاريخي . وسوف يذكر التاريخ لحفنة من الرواد الأول من العلماء والتكنولوجيين العرب عزمهم ودأبهم في هذا المجال ، وسيزداد التقدير لانجازاتهم إذا ما تذكرنا أنها قد تحققت دون أية معونة تذكر من الحكومات العربية ، بل إنها قد تعرضت للمقاومة الصريحة والخفية في عدة مناسبات .

ولقد جمعت منطلقات هذه الجهود الرائدة بين الوعي القومي والايمان بالوحدة العربية ، وبين نزعات مهنية كان أبرزها تأكيد شخصية العشيرة العلمية أو التقنية داخل مجتمعها القطري ، والدفاع عن مصالحها في إطار شبه نقابي ، إلى جانب اهتمامها بالمشاركة في تطوير مجتمعاتها ، وتقديم خدمات محدودة في مجالات تخصصها فيما نسميه جهود التنمية .

ومع أن هذا كان الرافد الرئيسي في نهر العمل الشعبي العلمي المشترك ، إلا أننا نستطيع أن نميز رافدين آخرين كان لهما شأنهما ولا شك ، وإن وقعا وسطا بين العمل الشعبي والنشاط الحكومي . فلقد شهدت فترة ما بعد الحرب حركة الاستعانة بالأفراد العلميين من الأقطار التي هيأت لها ظروفها التاريخية قاعدة سكانية عريضة ونظاما تعليميا أكثر تطورا في مجال بناء قدراتها الذاتية في مجالات العمل العلمي التقني ، وذلك في الأقطار الأخرى الآخذة بسبيل تنمية مجتمعاتها وكوادرها المتخصصة ، وبالذات في مجالات التعليم العالي وتطوير المرافق العامة والبنى الأساسية والخدمات الاجتماعية (كالتعليم والصحة) ، ثم في الصناعة والزراعة . ولم يكن الحافز المادي سببا رئيسيا في بداية هذه الحركة . ولعلنا لا نكون مخطئين إذا ما رأينا فيه مظاهر نزعة مستمرة بين العشائر العلمية ـ التقنية العربية للتواصل والتعاون وتبادل الخبرات . ولقد تعاظم دفق هذا الرافد مع تسارع جهود التنمية في شبه الجزيرة العربية والخليج بالذات في السنوات الأخيرة . وغدا واضحا أن توفر ظروف أفضل للعمل ، وحوافز مادية غير متاحة في دول المنبع ، والمضايقات السياسية التي تعرضت لها بعض الفئات في أوطانها قد غدت اليوم العوامل المسيطرة على هذه الحركة التي تشغل الآن بال دول المنبع والمصب على حد سواء ، وإن اختلفت أسباب هذا الاهتمام ودوافعه .

الرافد الثاني الذي كان له في تقديرنا دوره المحسوس ـ وإن نضب معينه الآن ـ هو دور الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية في عقد تسعة مؤتمرات علمية عربية ، عالج كل واحد منها موضوعا شغل أذهان العشائر العلمية ـ العربية وقتئذ . فسرعان ما أصبحت هذه المؤتمرات حدثا هاما تتطلع إليه هذه العشائر وتحرص على الاسهام في إعداده وعلى المشاركة المؤثرة فيه ، إذ وجدت فيه منبرا يعبر من فوقه قادة هذه العشائر عن تصوراتهم بشأن مشاكل العمل القطري والقومي . ولا شك أن الاعداد الجيد لهذه المؤتمرات ، والذي كانت الادارة الثقافية تحرص على أن يشترك فيه أفراد من كل الأقطار العربية ، وجو الحرية في النقاش والمداولات ، كانت أسبابا رئيسية في نجاح هذه المؤتمرات . وكانت البحوث التي تقدم لهذه المؤتمرات ، والتوصيات التي تخرج عنها تصدر فيما بعد في مجلدات ، تظل التنظيمات العلمية ـ التقنية تتداولها وترجع إليها وتجد فيها زادا قيما في ترشيد عملها . واكتسبت توصيات هذه المؤتمرات أهمية معينة اعتبرت بموجبها سبيلا لاثارة اهتمام الحكومات العربية بقضايا العلم والتقنية . ولقد عقد المؤتمر التاسع والأخير عام ١٩٦٩ في القاهرة . وكان السبب في هذا التوقف هو قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مطلع السبعينيات ، واندماج الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فيها . ولقد ارتأت المنظمة بحكم كونها منظمة حكومية أن تبدأ سلسلة من المؤتمرات لوزراء العلم ورؤساء أجهزة البحث العلمي العربية . وتم عقد المؤتمر

الأول في بغداد عام ١٩٧٤ . ومن الأمور التي لا مفر من التذكير بها هنا ، هو أن سلسلة مؤتمرات وزراء العلم العرب هي الوحيدة من بين المؤتمرات الوزارية العربية المتخصصة التي توقفت بعد عقد المؤتمر الأول وحتى الآن . ومن إحقاق الحق أيضا أن ننوه بتنظيم مكتب العلوم والتكنولوجيا بالأمانة العامة للجامعة لعدد من اللقاءات المتخصصة الرائدة ، لعل من أهمها الندوة العلمية العربية في موضوع التلوث البيئي عام ١٩٧٢ (وهو عام انعقاد مؤتمر ستوكهولم عن البيئة) ومتابعته لتوصيات المؤتمر العربي الأول للثروة المائية وعلوم البحار الذى نظمته الجامعة عام ١٩٦٨ .

ويقودنا هذا مباشرة إلى النظر في البدايات التاريخية للعمل المشترك على المستوى الحكومي . وطبيعي أن يكون لجامعة الدول العربية دور رائد في هذا المستوى . وكانت قد نشأت في الأمانة العامة للجامعة ، بعد أن تجاوزت الأعوام الأولى من حياتها ، إدارات متخصصة قامت إلى جانب الجهاز السياسي فيها . ويعنينا منها هنا الادارة الثقافية التي كانت أقرب ما تكون إلى مجال العلوم والتقنية ، وإدارة البترول التي كان قيامها داخل الأمانة العامة انعكاسا طبيعيا لأهمية النفط في اقتصاديات عدد غير قليل من الدول العربية . وقد شغلت ببعض القضايا العلمية ـ التقنية في مجال تخصصها . وقرب نهاية الستينيات أنشىء مكتب للعلوم والتقنية ألحق بمكتب الأمين العام ، وانتقل إليه القدر الأكبر من اهتمامات الادارة الثقافية في هذا المجال ، وإن ظلت العلاقة بينهما داخل الأمانة العامة غير واضحة المعالم .

وحوالي هذا الوقت أيضا بدأت حركة إنشاء المنظمات العربية المتخصصة على نسق مماثل لما كان يجرى في الأمم المتحدة . ففي عام ١٩٦٩ أنشأ مركز التنمية الصناعية للدول العربية (إيدكاس) كجهاز متخصص في هذا المجال داخل الأمانة العامة . وجاء هذا بعد عامين تقريبا من تحويل مكتب التنمية الصناعية في أمانة الأمم المتحدة إلى منظمة متخصصة . ويلاحظ أن المركز العربي ، وان تشابه تنظيمه الداخلي مع التنظيم الداخلي للمنظمة الدولية ، قد اختلف تنظيم مجلسه الرئاسي عن التنظيم الدولي ، إذ اكتفى بمجلس إدارة يضم عضوا ممثلا عن كل دولة مشاركة . وسمّت كل دولة مندوبا من مواطنيها العاملين في هذا المجال ليكون نقطة الاتصال بين المركز وبين دولته . واستطاع مركز التنمية الصناعية بفضل القيادة المحنكة والجسورة لمديره العام الأول ، والذي قضى نحبه بعد أقل من عامين من نشأة المركز وهو منكب على عمله فيه ، أن يفرض نفسه كجهاز فعال ومفيد في التنمية الصناعية . ولقد اضطلع المركز خلال أشهر معدودات من نشأته المتواضعة في غرفتين في مبنى الأمانة العامة ، بمشروعات طموحة للمسح الصناعي والتدريب المتخصص ورفع الانتاجية والكفاءة الادارية في عدد غير قليل من الدول الأعضاء في المشرق والمغرب على سواء .

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) والتي أعدت الادارة الثقافية مشروع تنظيمها وميثاقها فقد ظلت لعدة سنوات حلما ينتظر التحقيق عند توقيع عدد كاف من الدول الأعضاء على ميثاقها ، الأمر الذى لم يتحقق إلا في بداية السبعينيات . وجاء نظامها صورة طبق الأصل لمنظمة اليونسكو الدولية ، إذ كان لها مؤتمر عام ينعقد كل سنتين ومجلس تنفيذى يجتمع كل ستة أشهر ، ومع أن الظروف الموضوعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، والمناخ الفكرى السائد آنئذ واللذين نتج عنهما الجمع بين أشتات الثقافة والتربية والعلوم في إطار واحد لم تعد قائمة ، لا دوليا ولا عربيا ، في مطلع السبعينيات عندما نشأت المنظمة العربية . والواقع أن المنظمة بوضعها الحالي تكاد أن تكون ثلاث منظمات منفصلة لكل منها توجهاته واهتماماته ، ولا يجمع بينها موضوعيا في أعمال كل جناح من أجنحتها الثلاثة قاسم مشترك تخصصي واضح . إلا أن الاهتمام بشأن هذه المنظمة الجديدة نما بسرعة ملفتة وتضاعف نشاطها وحجم موازنتها وعدد العاملين فيها بسرعة خلال سنوات معدودات . وأخذت المنظمة الجديدة على عاتقها مسئولية عقد أول مؤتمر عربي لوزراء العلم والمسئولين عن البحث العلمي في بغداد عام ١٩٧٤ ، اشترك فيه جمع غفير من العلميين والمسئولين الحكوميين وخرجت عنه توصيات شاملة تطرقت إلى العديد من

قضايا العلم والتقنية ودورهما في تنمية المجتمعات العربية . ثم تصادف موعد عقد المؤتمر الثاني مع موعد انعقاد المؤتمر العربي في سلسلة مؤتمرات نظمتها اليونسكو في مناطق العالم للوزراء المسئولين عن العلم والتقنية وتطبيقهما في التنمية . واتفقت المنظمتان على الاشتراك سويا ومع اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا في عقد مؤتمر « كاستعرب » الأول في الرباط عام ١٩٧٦ . وسيطرت المنظمة الدولية بأسلوب ديكتاتوري ، وبفضل إمكاناتها الكبرى ، على مراحل الاعداد وعلى سير أعمال المؤتمر واستطاعت بتدخل سافر ومباشر أن تنتزع من الوزراء العرب قرارا بأن يتحول هذا المؤتمر إلى مؤتمر دوري تدعو إليه وتنظمه اليونسكو بالتعاون مع المنظمة العربية . وكانت هذه نقطة تحول خطيرة في مسيرة العمل العلمي العربي المشترك وفي تطور العلاقات بين المنظمات والهيئات العربية وتلك الدولية .

وفي عام ١٩٧٤ ظهرت الدعوة لانشاء اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ، ولقيت اهتماما وتدعيما من حكومة الجمهورية العراقية بالذات التي قدمت للاتحاد الوليد تسهيلات هامة ساعدت وسارعت بقيامه عام ١٩٧٦ . واستطاع الاتحاد بعد بداية لم تخل من التعثر أن يصوغ عددا من البرامج وأن يباشر تنفيذها . وأنشأ علاقات عمل ، شابها التوتر والتداخل أحيانا مع المنظمات القائمة ، واتسع نطاقها مع مرور الزمن ، كما استطاع أن ينشىء علاقات عمل مع هيئات علمية في بعض الدول الصناعية والنامية ومع المنظمات الدولية . ويتكون الاتحاد من مجالس أو هيئات البحث العلمي في الدول الأعضاء . وللمجلس أو الهيئة العضو صفة مزدوجة ، إذ أنه يعتبر أيضا ممثلا للدولة التي يعمل فيها . وجاء تنظيم الاتحاد ، على عكس الكثير من المنظمات الحكومية المتخصصة التي تحاكي نظيراتها الدولية ، متميزا بسمات خاصة به ، ولا يحاكي دون مبرر تنظيما دوليا آخر ، ولو أن الصيغة التنظيمية التي تميز بها ونشأته خارج أسرة منظمات الجامعة العربية قد نتجت عنها بعض المشاكل في تنسيق علاقته معها ، خصوصا في السنوات الأولى لنشأته . ولقد لقي الاتحاد في بداية عمله صعوبة في إيجاد مكان له بين المنظمات العربية القائمة من قبل . وزاد من حدة الموقف أن الأمانة العامة في أول اجتماع لمجلس الاتحاد ، دعت بعض هذه المنظمات إلى التخلي عن برامج معينة لصالح الاتحاد . ولكن الاتحاد انصرف بعد هذا إلى نشاطات أخرى مكملة لنشاطات المنظمات العربية الأخرى وأكثر التصاقا باهتمامات أجهزة البحث العلمي العربية . ويبدو الاتحاد اليوم ، وبعد أن استكمل المقومات الأساسية لكيانه ، وكأنه مقبل على مرحلة الاتقان والتجويد . وهو يبدو الآن حريصا على الوصول إلى تحديد دقيق للمهام التي يجب أن يتصدى لها تحقيقا لأهدافه .

العمل العربي المشترك والعلاقات الدولية

قضية أثر العلاقات الدولية في العمل العلمي العربي عموما قضية لم تلق ما تستحقه من الاهتمام حتى الآن . ولعلنا لا نبالغ إن زعمنا أنها في جوهرها وجه آخر لقضية التبعية والعلاقات غير المتكافئة . ونستطيع أن نميز هنا بين مجموعتين رئيسيتين من العلاقات ، الأولى العلاقات مع المنظمات الدولية ، والثانية مع المنظمات الاقليمية والدول . وسنجد في كل من هاتين المجموعتين طيفا من العلاقات يتفاوت من حالة إلى أخرى ومن وقت لآخر . ولكننا نستطيع مع ذلك أن نميز بعض الملامح .

لقد لاحظنا قبلا النزعة التي تميزت بها المنطقة العربية وحدها في محاكاة الأشكال التنظيمية لهيئات الأمم المتحدة عندما شرعت في إنشاء المنظمات العربية وعدم الالتفات إلى تجارب مناطق أخرى مثل أمريكا اللاتينية التي اهتمت بقيام منظماتها الاقليمية في نفس الوقت تقريبا . ولسنا بحاجة أن نشير إلى أن الاطار التنظيمي لعدد يزيد على مائة دولة ، متنوعة الحضارات والثقافات واللغات والنظم السياسية ، ليس بالضرورة أفضل نظام لحوالي عشرين دولة نرى أنها تجمعها وحدة الثقافة واللغة والهدف . وتعنينا هنا دلالة هذا الأمر على موقف الاستسلام بأن لدى هذه المنظمات الدولية معينا من الحكمة يجعلها نموذجا يحتذى ويدفع المنظمات العربية لمحاولة تقليدها .

ولقد غذت هذا الموقف نزعة غير صحيحة تقتضينا الأمانة أن نشير إليها بشجاعة من منطلق الاحساس بالمسئولية . فلقد عمدت هذه المنظمات إلى أسلوب احتواء العناصر القيادية بإغراءات المزايا المادية والمعنوية التي تملك توزيعها ، وباضفاء هالة زائفة على إمكانات هذه المنظمات وحجم إنجازاتها وأهمية أعمالها . ولسنا نزعم أن الكل قد انقاد لهذا الاغراء أو أن العرب الذين التحقوا بالعمل بهذه المنظمات أو تعاونوا كانوا كلهم أدوات سهلة التوجيه . ولكننا لا نملك ، في الوقت نفسه ، إلا أن نواجه وجود شيء من هذا وأن ننظر في أسبابه وسبل تصحيحه .

ولم تكن كل المنظمات الدولية على علاقات عمل صحية مع المنظمات العربية تقدر الأولوية التي توليها لمشاكلنا ومواقفنا القومية . فلقد رأت بعض هذه المنظمات الدولية في الهيئات العربية منافسا لها يغتصب قدرا من المكانة التي تريد أن تنفرد بها على الساحة العربية ، فنشأت بينها صراعات حادة ومدمرة أحيانا . ولقد وقفت الحكومات العربية مواقف غير حاسمة في هذه الصراعات ولم تكن راغبة ـ على الأقل حتى الآن ـ في تأكيد شخصية منظماتنا العربية ، وتدعيم مكانتها . وقد يكون لها بعض العذر في هذا ، فمنظماتنا لم تثبت كلها كفاءة الأداء والفاعلية التي تؤهلها للدور الذي نريده لها . والملاحظ أن المنظمات العربية التي حققت هذه المكانة استطاعت أن تتعامل من موقف قريب من موقف التكافؤ والنِّديّة مع نظيراتها الدولية .

أما علاقات العمل العربي المشترك مع التنظيمات الاقليمية ، فأهمها في نظرنا هو ما دار بعد حرب أكتوبر في إطار الحوار العربي الأوروبي . ونقصر النظر هنا على اللجان المرتبطة بالعلم والتقنية ، فنلاحظ أن الموقف العربي اتسم بالعفوية في هذه اللجان وبعدم الاعداد الجيد له وبتغير الشخصيات العربية المشاركة فيه إلى الحد الذي لم يحقق موقفا عربيا متناسقا أو مطردا . وحتى وقت قريب جدا لم يهتم العرب عموما بالعلاقات بالعالم الثالث أو النامي ، ولم ينشطوا بشكل ملحوظ مثلا في النشاطات التخصصية لمجموعة دول عدم الانحياز ، ولم يحاولوا إقامة علاقات مع دول أمريكا اللاتينية أو جنوبي شرق آسيا في مجالات العلم والتقنية . وقد نستثني من هذا شيئا من الاهتمام ، الذي كان في غالبه فرديا ، بإقامة جسور مع الدول الأفريقية ومنظماتها المتخصصة .

وقد لا يكون من التعسف أن نقرر بشكل عام أن الهدف من إقامة علاقات دولية ما زال غامضا غير مبرمج ، وأن السمة الغالبة عليه حتى الآن هي إبراز دور عربي ما على الأصعدة الدولية من خلال هذه العلاقات الشكلية ، والحضور الدائم في المناسبات والاجتماعات وإنشاء قنوات للتعرف على التطورات العالمية ومتابعتها .

ثم ماذا عن المستقبل ؟

القضية في الواقع العربي ليست بهذه البساطة . فالأقطار العربية تتفاوت كثيرا في أوضاعها الراهنة وفي ثرواتها الطبيعية ، وقدراتها البشرية ، ومراحل تطورها ، وواقع مسيرة التنمية فيها . وما يصلح لقطر عامر بالسكان تهيأ له نظام تعليمي عريق وعريض لا يصلح لقطر آخر وهبه الله من الثروات الطبيعية الخير الكثير وإن قل عدد سكانه ، أو لثالث يعاني من نقص فادح في الموارد ، وقصور في الهياكل الأساسية . وهذا أحد المبررات الأساسية للعمل المشترك في إطار مخطط قومي شامل ، وإنما من خلال برامج تجمع بين عدد من الأقطار التي يحقق اشتراكها معا جدوى ملموسة وتقف وراءه إرادة سياسية قوية . وما زالت مسألة الربط بين مستويات العمل القطرية والجهويّة والقومية غير واضحة المعالم وغير مدروسة بتمعن وموضوعية .

ـ وإذا ما كان العمل المشترك لا يقوم إلا على دعائم راسخة من العمل القطرى ، فإن المسار الثاني الذى لم نسلكه بإصرار وعزم حتى الآن هو رسوخ القناعة على كل المستويات بأن للعلم دورا في تحقيق نهضة الأمة العربية وإقالتها من كبوتها . ونحن لا نتحدث هنا عن شعارات يطلقها الساسة والقادة في المناسبات معلنين إيمانهم بأهمية العلم ، وإنما نعني أفعالا تعكس قناعة حقيقية بهذا المنطلق . ولا مجال هنا لترديد ما نعرفه جميعا من قصور في الانفاق على العمل العلمي وتعجل لعطائه وضيق بمتطلباته .

□

الجامعة العربية بعد ٤٠ عاماً

مؤسسات التعاون العربي الأفريقي
ملاحظات أساسية

بقلم : حلمي شعراوي

اذا لم يسلم القارىء ببعض الأوليات حول حتمية وجود حد أدنى « للتعاون العربي ـ العربي » أو «بالضرورة التاريخية» لقيام « المؤسسات العربية المشتركة على الأرض العربية » أولا ، فان تردده أمام هذه « المسلمات » سوف يوقعه في حالة من الاحباط ويمنعه من الاستمرار في مطالعة هذا المقال . وخصوصا وأن تأمل الموقف على الجانب الافريقي بدوره لايقل اغراء بالاحباط .

لو أن ما يقوم من مشكلات يرجع الى صعوبات التفاهم بين ٦٤ دولة عربية وافريقية هي مجموع دول القارة والوطن العربي ـ أو أن هؤلاء جميعا لم تجمعهم أية مواثيق مشتركة أو ساحات وهموم وثقافات موحدة بطبعها . لتركت القارىء لانفعالاته ضد منطق التوقع لما لا ينتظر ، أو احباطه لنتائج الفوضى المتوقعة في العلاقات لكن القارىء الذكي لن يطلق مشاعره لمثل هذه التوجهات في التفكير ، وهو يرى أمامه هذه المؤسسات الجامعة على المستوى العربي والافريقي ـ معا وعلى حدة ـ بل يرى المجموعتين في حراك دائم ، وسط تجمع آخر لعدم الانحياز وثالث للدول النامية ، ورابع لمنتجي البترول والمواد الخام ، وخامس في الجامعة الدولية للامم المتحدة . . . .

ومعنى ذلك أنه يتوفر للمجموعة العربية والافريقية من الساحات لتحقيق أوزانها ما لايتوفر لأية مجموعة اخرى غير الاوروبية ـ نقيضنا التاريخي حاليا ـ وان تنسيق التعاون بين العرب والافارقة خصوصا فيما

تسمية « بمأسسة » العلاقات بينها على النحو الذي تم ـ نسبيا ـ يعتبر كسبا خاصا وسط هذه التجمعات الدولية ، وهذا ما يضاعف من عبء التأمل فيه والمحاسبة على نتائجه . .

البدايات

لم تكن الاحداث بين عامي ١٩٧٧/٧٣ اذن في حياة العلاقات العربية الافريقية مجرد أحداث عارضة أو غير ذات دلالات مستقبلية فقد توجت باجتماع رؤساء الدول العربية والأفريقية بالقاهرة في مارس ١٩٧٧ ليضعوا مواثيق التعاون الاربعة الشهيرة ، ويعلنوا الالتزام « الجماعي » بمخططات وبرامج متفق عليها ، ويؤكدوا أدوار جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية في تنسيق هذا العمل ، تسندهما لجنة دائمة للتعاون العربي الأفريقي من ٢٤ دولة (١٢ عن كل طرف) ويقسمون مجالات العمل على ٥ لجان فرعية ، ويحددون جدولا زمنيا لاجتماع كل هذه الهيئات من قمة الرؤساء (كل ٣ سنوات) الى قاعدة اللجان (كل ستة شهور) . . .

واستبشر الجميع خيرا . . .

فها هي أموال البترول وقد استقرت مجاريها في يد العرب وعدد من الدول الافريقية أيضا . . وها هي بعض الدول العربية والأفريقية ذات طاقات تنفيذية لايستهان بها

وها هي مجالات العمل بين ٦٤ دولة تزخر بالايدي العاملة ، والمواد الخام ، والمساحات الزراعية الشاسعة ، ثم تأتي أخيرا مرحلة « المأسسة » لكل ذلك ، باقامة هياكل ومؤسسات تضمن ضبط كل هذه الأطر وفق مواثيق ١٩٧٧

فكيف مضت الامور ؟ وأين نجد أنفسنا من كل ذلك بعد ثماني سنوات خلت ؟

وماهي حدود مسئولية « المؤسسة الرئيسية » . . . جامعة الدول العربية ؟

لن أمضي هنا كثيرا في تفاصيل عالجتها كثرة من الكتابات والدراسات حول « الأموال » كيف صرفت أو الاجهزة كيف صُرِّفت ؟ ولكن ونحن بصدد الجانب « المؤسسي » للموضوع ، فاننا سنركز على بعض هذه المؤسسات التي كنا نتوقع أن تحمل التعاون بين « كتلتي » العرب والافارقة ـ بما توفر لهما من ظروف ـ مثلا يحتذى فيما يسمى بحوار الجنوب / الجنوب ، او الحوار الثنائي الخاص وسط محاولات « العالم الثالث» المقهور للتحرر من السيطرة المركزية المعروضة عليه . . .

وهنا تقفز أسماء هيئات أساسية في التعاون مثل « الامانة العامة لجامعة الدول العربية » ومقابلها في منظمة الوحدة الافريقية »،« والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا »«وصندوق المعونة الفنية للدول العربية والافريقية »« وجهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية » بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الى جانب المنظمات العربية المتخصصة الاخرى . . . وهي التي تعتبر المؤسسات الفاعلة للجان الدائمة والفنية والاجهزة المنفذة للتوصيات والقرارات . . . « الجماعية » . . .

النقد من الداخل

أمانة جامعة الدول العربية : لابد أن يلاحظ القارىء أنها جامعة « الدول » العربية وليست « الجامعة العربية » وبقدر أثر « النزوع القطري » المبكر في أسس قيام هذه المؤسسة

ومعنى ذلك أنها ليست ذات سلطة او امكانيات « فوقية » تمكنها من عمل جماعي يتجاوز « افراد » الجامعة ، فهي لاتدعو لجنة لايوافق عليها « جميع » الاعضاء ، ولا تنفذ مشروعا لايلقي تأييدهم « جميعا » !

ولم يمض وقت طويل على تطلع هذه المؤسسة للقيام بدورها بعد القرارات « الجماعية » في مارس ١٩٧٧ حتى تفجرت مسألة كامب ديفيد فاستحال عقد لجنة التنسيق واللجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي فيما بين ١٩٧٩ و ١٩٨٢ ، وساعد تفجر مسائل « الصحراء الغربية » « وتشاد » ـ اي النزاعات العربية / العربية على استمرار الجمود ثم كانت « أفرقة » هذه النزاعات جميعا بما جعل الافارقة يصرخون في كل مكان أن العرب يصدرون مشاكلهم للقارة التي لاتنقصها المشاكل !

ويحضرني هنا تحذير بعض علماء التربية من أن « المقهور » يظل يتمثل سلوك قاهره حتى يتبناه تماما ،

تابعا ومحررا ورغم اننا لانتمنى حدوث ذلك بالطبع فاننا نندهش أننا لانتمثل من السلوك الاوروبي الا الرغبة في الرفاهية واستهلاك « معداته » دون تمثل « أدواته » في السيطرة على بيئاته وادارة مصالحه .

وتظل « ادارة السوق الاوربية المشتركة » مثلا ناصعا لنا جميعا رغم الاختلافات بين أعضائها . ورغم غرامنا باستيراد المعدات والحديث الدعائي عن « استيراد » الافكار فاننا لم « نستورد » ما ينفع من ادارة المصالح المشتركة في مجال هام مثل التعاون العربي الافريقي . .

ولم ندرس مثال « شيسون » حين اختلف معه الرئيس ميتران كوزير لخارجيته فاعاده لادارة التعاون الاوروبي مع العالم الثالث . . تخصصه المفضل والناجح !

الظروف الضبابية

في هذه الظروف من الضبابية العربية بذلت أمانة جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية أقصى جهدهما لانقاذ ما يمكن انقاذه من آثار التشرذم العربي والافريقي . وحين كنت اراقب اجتماعات لجنة التنسيق بالخرطوم في مارس ١٩٨١ ، وهي لاتضم الا رئيسي الجانب العربي والافريقي في اللجنة الدائمة مع الامينين العامين للمنظمتين وبعض رؤساء المنظمات المتخصصة ، كنت اشفق تماما على أماني المنظمتين وتوقعاتهما في جو لايستطيعان فيه جمع اللجنة الدائمة بسبب عضوية مصر فيها ، ثم ما أصاب منظمة الوحدة نفسها بسبب مشكلتي الاعتراف بالجمهورية الصحراوية وتشاد لكن هاهي الايام تمضي فتؤسس الامانتان علاقاتها الثنائية باتفاقيات التعاون ، وصياغة اتفاقيات مقاطعة النظامين العنصريين في فلسطين وجنوب افريقيا ، وتنسيق اتفاقيات المنظمات العربية المتخصصة مع منظمة الوحدة الافريقية ، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة العمل . . . الخ

وتنجح الامانتان في عقد اللجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي لثلاث مرات بعد عام ١٩٨٢ كما تمضي العلاقات المباشرة بين الامانتين بشكل مطرد . لكن اية اتفاقات لاتستطيع الا أن تبقى في الحيز المعنوي للعلاقات والتعبير عن الطموحات « الجماعية » ، وهيكلة مؤسسات التعاون واعدادها للمستقبل واما الواقع فيمضي بعيدا عن ذلك ، فلا الامانتان هما مجموع الدول الاعضاء ، ولا القرار السياسي في المجموعتين أصبح جماعيا في حدوده الدنيا وكامب ديفيد العربية تكاد تستقر في الواقع العربي مثيرة المزيد من الانقسامات ، يقابلها كامب ديفيد افريقية في الجنوب الافريقي . ولعل كل ذلك هو الذي أدى مؤخرا لشكل جديد يصيب عمل الامانتين اللتين ترقبان دفعة جديدة باجتماع المجلس الوزاري المشترك للمنظمة الافريقية والجامعة العربية في طرابلس ابريل ١٩٨٥ واذ بالاجتماع يؤجل الى أجل غير مسمى بسبب ضرورة حضور الجمهورية الصحراوية مع الجانب الافريقي على الاقل ، وهو حضور مرفوض من قبل عدد من الدول العربية . . من هنا وبدون اجتماع مجالس التصديق النهائي على هذا التحوفانه يتوقع شلل كبير في عمل الامانتين . فما هو دور المؤسسات الاخرى ، على المستوى الجماعي والذي يتوقع أن تمضي بها الامور متجاوزة العقبات « الفردية » بين الدول الاعضاء ؟

المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا : يبدو من اسمه انه ليس مشروعا عربيا افريقيا مشتركا وانما هو « مصرف عربي » للتنمية » الاقتصادية » موجه لافريقيا ، وترجع اسباب ذلك الى نزوع بعض الدول العربية الغنية لضمان تصريف أموالها من جهة ، ونزوع بعض الدول الافريقية الغنية (نيجيريا - الجابون مثلا) الى عدم الرغبة في المشاركة بأموالها خلال موجة تحميل البترول العربي وحده كل مسئولية الأزمة الاقتصادية في العالم الثالث على نحو ما أرادت ذلك الحملة الدعائية في السبعينيات . بل وقد كانت بعض الدول العربية تدفع فكرة « الصب » في « بنك التنمية الافريقي » بابيدجان وحده ، لترضية الافارقة وليس صياغة لعمل عربي افريقي تنموي مشترك .

والمصرف العربي الذي يعتبر عملا « اقتصاديا » ناجحا وبحق ، والذي يبلغ رأسماله حوالي ٨٠٠ مليون دولار ، وأصبح يسهم في أكثر من ٨٠ مشروعا اقتصاديا افريقيا ، لايستطيع وحده أن يكون نقطة

انطلاق رئيسية في تقييم التعاون الاقتصادي العربي لافريقي . .

ان القارة الافريقية التي تعاني من خطة رأسمالية عالية لخفض أسعار المواد الخام بينما التزايد فلكيا في أسعار المواد المصنعة . . قد وصلت فيها عملية التنمية الى طريق شبه مسدود . فالديون على الدول النامية أصبحت تزيد على ٤٥٠ مليار دولار وسداد الديون نفسه يحتاج الى أكثر من مائة مليار في العام . . .

ويكفي لتصور « الظلم العالمي » أن تعرف أن العجز في ميزان مدفوعات الدول الغربية مجتمعة حين وصل الى ٥٠ مليارا عام ١٩٨٠ اتخذت من الاجراءات الحمائية ضد وارداتها من العالم الثالث ما جعل العجز ينخفض مباشرة في العام التالي الى ٣١ مليارا بينما يرتفع العجز في دول العالم الثالث من ٥٣ مليارا ١٩٧٠ الى ٤٦١ مليارا عام ١٩٨٠ ، ومع ذلك تلهث دول العالم الثالث « لتنظيم » علاقتها بالدول الغربية في ذلك الاتفاق المجحف المسمى باتفاقية « لومي » فقط لتنظيم الاجحاف . . . !

من هنا فانه بدون نظرة تنموية حقيقية في العالم العربي وافريقيا ، فانه لايجدي اقامة مصرف لاغراض اقتصادية بحتة ، حتى لو كان هو بيت الخبرة العربية المنظمة على نحو ما يبدو فعلا .

سيولة عربية لافريقيا

ان « المصرف » يملك أية أداة تنسيقية لسيولة حوالي ٨ مليارات دولار عربية اتجهت لافريقيا في السنوات الثماني الماضية عبر قنوات معظمها « دولية » وقليلها محلي ، والمصرف لا يملك نفوذا يستثمر به خبرته المتراكمة كاحدى مؤسسات التعاون العربي الافريقي ليوزع الاموال العربية توزيعا عادلا ، فلا تتمركز في مراكز النفوذ الامريكية والفرنسية على نحو ما حصلت عليه زائير والسنغال وغينيا بعد توجهها الجديد في عهد توري ومالي،حيث حصلت كل منها على حوالي نصف مليار دولار من القروض والمساعدات ، وهي لاتتحكم في وسائل استثمارها والمصرف نفسه ـ وهو القائم على أساس اقتصادي ـ لاتنموي ـ (الربحية وتمويل التجارة) لايملك نظرة استقلالية تحمي المال العربي من الاستيعاب في الشركات والعالمية » ومتعددة الجنسية ، مقابل تنمية دور شركات وطنية قادرة أو تتدرب على القدرة ، مهما تحملت من خسائر ، فالمقصود « بمأسسة » التعاون العربي الافريقي ليس فقط زيادة استثمار الاموال ، وانما نمط وطني في دفع عملية التنمية ، ومع ذلك ، فالمصرف يقود حملة جذب رأس المال العربي لافريقيا وسط مخاوف غير مبررة كثيرا لدى هذا الراسمال الى حد أن مؤتمر المستثمرين العرب والافارقة لم يستطع الانعقاد حتى الان لاذابة مابين الطرفين من « جليد الخوف » ، كما وان تضاعف الازمة الاقتصادية والفساد السياسي في افريقيا لايساعد على خلق الثقة من جهة بل لا يساعد على توفير البنية المناسبة لاستثمار واسع على نحو مايتطلع اليه المال العربي من جهة اخرى . ولذا نقول ان بناء الثقة يحتاج لعمل سياسي معمق ـ شعبي وثقافي ـ وبناء البنية التحتية يحتاج لتوجه تنموي للتعاون اكثر من التوجه الاقتصادي السائد .

ولذا نكرر أن المسئولية مزدوجة على الجانب العربي والافريقي ، وانه آن أوان قيام المشروع المشترك الكبير الذي يبقي تاريخيا في ذهن الشعوب وعلى خريطة التنمية الحقيقية ، وليست أمثلة السد العالي وسد الفولتا ببعيدة . . .

ـ صندوق المعونة الفنية للدول العربية والافريقية : هو أحد اجهزة الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وهو ايضا من القصص الدرامية في واقع التعاون العربي الافريقي . . . فقد انشىء الصندوق بناء على قرار من القمة العربية بالرباط ١٩٧٤ ، وبرأسمال مقدر بحوالي ٢٥ مليون دولار على أن تعد ميزانيته ونفقاته السنوية بعد ذلك في حدود ٥ ملايين دولار سنويا ، وكان مقدرا أن يكتسب المشروع قوته من مصدر القرار وهو القمة العربية ، كما أنه قد قام على مبدأ « تقديم الخدمات الفنية والعلمية البشرية للدول الافريقية وسوف يكوّن مجال اتصال واسع على المستوى الانساني والاجتماعي بين العرب والافارقة » ، ومجالا لتوجيه العون دون طمع في الربحية او الظرفية . . .

المعونة الفنية والتعريب . . . والقومية

ولكن منذ البداية تجاهل الجانب العربي تأكيد هذه الروح ، فلم يتم تصور أي تكوين مشترك (عربي / افريقي) للصندوق ، وانما يديره الجانب العربي كادارة في الجامعة العربية من ممثلي « الممولين » كمجلس ادارة بأكثر من ممثلي الكفاءات العربية وهيئات المعونة الفنية العربية المعروفة . ومنذ البداية شعر المسئولون العرب كأن مبلغ ٢٥ مليون دولار اكبر من ان يقتصر على افريقيا ، فأدرجوا فيه المساعدة الفنية للدول العربية التي تقوم بعملية التعريب كعون « فني » عربي في المجال وليس كقضية قومية تحتاج الى تمويل خاص اكثر من نصيبها مع ٤٠ دولة افريقية اخرى في مبلغ متواضع مثل راس مال الصندوق !

ومع ذلك لم يمض تمويل الصندوق وتشجيعه على الاستمرار بسهولة كأداة عربية في دفع الجانب الفني والاجتماعي للتعاون العربي الافريقي فسرعان ما تراكمت العقبات ولم تستطع مؤسسة الجامعة أن تدفع « المؤسسات » الاقتصادية الى مشاركتها هذا الهم .

ومع أن مجلس الجامعة العربية هو الذي قرر في دورته ٦٧ لعام ١٩٧٧ بالقاهرة « بان تؤول فوائد صندوق الاقراض والبالغة ١٣,٣ مليون دولار الى صندوق المعونة الفنية ، وأن تعتبر كأنصبة اضافية دون ان تحتسب ضمن مساهمات الاعضاء في رأس المال الاصلي » الا أن هذا التقليد لم يتم تطبيقه من مؤسسة الجامعة بعد ذلك لا على أرباح المصرف العربي للتنمية في افريقيا ، ولا باقناع الدول العربية المانحة للقروض في افريقيا بتخصيص جزء من ارباحها لمثل هذا الهدف الفني والاجتماعي .

أقول ذلك وتحت يدي التقرير الأخير للصندوق عن نشاطه حتى عام ١٩٨٤ ، والمفروض أن يقدم للقمة العربية المنتظرة حاليا مستصرخا المسئولين العرب بانقاذ هذا الكيان الذي يكاد يتوقف تماما كما سنرى مما سيشكل عيبا مشينا في وجه العرب جميعا على الساحة الافريقية . . فما الذي تصرخ به حقائق هذا التقرير :

* ان راس المال الاساسي (٢٥ مليون دولار) لم يدفع منه حتى عام ٨٤ الا مبلغ ١٤,٩ مليون دولار .

* ان المساهمات الدورية التي قررت منذ انعقاد مجلس الجامعة في مقديشو ١٩٧٩ بمبلغ ٥ ملايين سنويا على مجموع الدول العربية لم يجمع منها حتى ١٩٨٤ وهي المقدرة بمبلغ ٣٠ مليون دولار ـ الا مبلغ ٤,٧ مليون دولار !

* لم ينقذ الصندوق الا حملة تبرعات في مؤتمر القمة بعمان سنة ١٩٨٠ جمعت مبلغ ٢٠ مليون دولار .

* ان مجموع ماكان يجب أن يكون في الصندوق كالتزامات باشكالها المختلفة على الدول العربية خلال السنوات الثماني هو ٩١ مليون دولار لم يسدد منها اجمالا الا ٥٢ مليون دولار جمد منها في القاهرة بعد نقل الجامعة الى تونس حوالي ١٧ مليون دولار ولم يصرف فعليا على المساعدات الفنية الا مبلغ ٣٦,٨ مليون دولار

ولن ازعج القارىء كثيرا بتفاصيل اخرى تقول ان اكثر من ٥٠٪ من هذه المبالغ وجهت لالتزامات ذات طابع عربي قومي أساسا ، وهي التعريب في الصومال وجيبوتي وموريتانيا وجنوب السودان ، ان الباقي المحدود الموزع على اكثر من ٤٠ دولة افريقية خلال ثماني سنوات جعل حضور الفنيين العرب الموفدين من مؤسسات التعاون العربي الافريقي هزيلا الى درجة لم يزد فيها عدد الفنيين العرب في مجموع الدول الافريقية غير العربية في اية سنة عما يتراوح بين ١٠٠ ـ ١٥٠ خبيرا او مدرسا الى جانب بعض المنح التدريبية أما الأرقام الاخرى فتخص معلمي العربية في الصومال وموريتانيا وجيبوتي او الأراضي الفلسطينية المحتلة .

أقول هذا وأمامي أيضا تقارير اخرى تتحدث عن الخبراء الاسرائيليين في افريقيا فترة انقطاع العلاقات المزعومة معها في السبعينيات حيث بلغوا حوالي أربعة آلاف خبير منهم ٢٠٠٠ في نيجيريا و ٤٠٠ في زائير وحدها . . . . . !

اننا ـ وعلى الأقل مثل اسرائيل ـ ندرك الاهمية الحضارية لوجود الخبراء الوطنيين في البلاد الصديقة ، ووجود المتدرب الافريقي في بلادنا ، وندرك ان المشاريع الاقتصادية حتى بالمنطق الراسمالي وفي بلاد الراسمالية التي « نعتز » بالعلاقات معها ، حيث تمول المؤسسات الاقتصادية عمليات العون الفني والثقافي ، وتقدم المنح الدراسية وتمول الدراسات

والبحوث بما يعرفه اي مثقف وفني في بلادنا . والمشكلة الان أن صندوق المعونة الفنية يكاد يتوقف تماما منذ عام ١٩٨٤ بعد أن سحب العديد من الفنيين العرب في الدول الأفريقية ، واصبحت ميزانيته بالسالب أي أنه لايستطيع تمويل الا مرتبات جهازه الاداري . . وفي انتظار رحمة القمة العربية المنتظرة .

فهل يمكن أن نتوقع دعم عمل قومي مؤسسي بهذا المنطق ؟

نشر الثقافة العربية الاسلامية

- جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية والاسلامية : هو جهاز ملحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، احدى منظمات الجامعة العربية ، قام على أثر تصاعد الرغبة في دعم العلاقات الثقافية العربية الخارجية عامة ليس فقط مع افريقيا ولكن نغمة العمل في افريقيا تكاد تكون هي السائدة فيه استجابة لروح التعاون العربي الافريقي النامية . وكان المؤتمر الكبير الذي اقامته المنظمة في نوفمبر ١٩٨١ وجمع كبار المتخصصين والمفكرين العرب المتحمسين لفكرة « نشر الثقافة العربية بالخارج » هو نقطة الانطلاق في هذا العمل ، حيث توجه الجميع الى الدول العربية والاسلامية بالنداء لتمويل المشروع ودعمه . وكان الاغراء لنجاح هذا المشروع هو حجم العلاقات الحضارية والدينية والثقافية الفعلي القائم مع العديد من شعوب افريقيا ، ومع الجاليات العربية بأفريقيا وامريكا اللاتينية واوربا ومع الشعوب الاسلامية في آسيا . .

ويزخر الواقع الافريقي بوجه خاص بعناصر الاغراء للتحرك في هذا المجال ، فثمة تراث ديني وحضاري ولغوي مشترك يبرر تنشيط هذه العلاقة ، وثمة غزو ثقافي استعماري يعمل على التأثير فيها بالسلب ضد العرب ، وثمة مؤسسات ثقافية ومجموعات من المثقفين القياديين راغبين في احياء هذه العلاقات ، سواء منهم من يتصرف وفق المنطق الديني البحت او من يتصرف وفق منطق علماني لمفهوم الثقافة العصرية كعنصر التقاء دينامي في حد ذاته من أجل التحرر الانساني المشترك . . .

وعلى الجانب العربي نجد نفس الاعتبارات والاتجاهات تقريبا تدعمها ظاهرة حيوية مثل التعاون العربي الافريقي ، وحاجة ملحة في الثقافة العربية تدفعها للحوار مع الثقافات الاخرى والانفكاك معا من ميراث التبعية الثقافية الثقيل للثقافات « العالمية » المهيمنة .

لكن كل هذه الاعتبارات لم تقنع الأجهزة العربية المسئولة بالمسارعة بتمويل المشروع فبدأ بعون من صلب ميزانية المنظمة العربية لجهازه الاداري والفني ، ثم وقعت اتفاقية بين المنظمة وليبيا ضمنت له بعض الحراك في السنوات الثلاث التالية في حدود مبلغ ٢,٥ مليون دولار . . . فقط .

ان قصر العلاقات والحوارات الثقافية والحضارية والاقتصادية في اتجاه مؤسسات السيطرة الاوروبية القديمة على نحو مايتم لن يتيح للعرب فرصة بناء مستقبلهم في الحوار مع شعوب العالم الثالث«وتشير الازمة الاقتصادية والثقافية الحالية الى توقع موجة من الخضوع الكامل تعود معها جميعا الى « تمثل قيم القاهرين » على نطاق أوسع ـ وهو مالا نتمناه «أو موجة من التحرر الوطني ، اقتصادية وثقافية تحتاج الى « تأسيسها » جيدا من الان عبر أجهزة عربية قائمة بالفعل ولاشك في أنها تعرف طريقها ، ولكننا نأسى لاوضاعها المالية الحالية التي لا تسمح لها بأي دور □

حقيقة المال

يقول ابسن : المال يمنحنا مظاهر الأشياء دون جوهرها : انه يمنحنا الطعام لا الشهية ، والدواء لا الصحة ، والمعارف لا الاصدقاء ، والخدم لا المخلصين ، والمرح لا السعادة .

دفاع أبي حيان التوحيدي عن إحراقه لكتبه

لم ينصف الوزراء أبا حيان التوحيدي فكتب في نقدهم . ولم يجد في الناس من يستحق قراءة كتبه فجمعها وأحرقها في لحظة يأس واحباط شديدين ، فضاعت آثاره . لكن التاريخ حفظ لنا رسالة لأبي حيان تتضمن دفاعه عن هذا الانتحار المعنوي .

بقلم : الدكتور جعفر هادي حسن

أبو حيان علي بن محمد بن العباس مؤلف مشهور ، وكاتب معروف ، له باع طويل في الادب والفلسفة والتصوف ، قال عنه ياقوت في معجمه : « وكان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام ... فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين ، وامام البلغاء ... فرد الدنيا الذي لانظير له ، ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة ، كثير التحصيل للعلوم ، في كل فن حفظه ، واسع الدراية والرواية »

بين الثقافة والوزارة

ولد أبو حيان في الربع الاول من القرن الرابع الهجري ، قدم الى بغداد وأقام بها مدة ، وسافر الى مكة والى الري وشيراز . ثم وشى به الى الوزير المهلبي ، فطلبه فاستتر عنه ، ومات عن نيف وثمانين عاما ، سنة ٤٠٤هـ .

ألف أبوحيان مجموعة من الكتب ، منها المقابسات والبصائر والذخائر ، والمحاضرات والمناظرات ، والامتاع والمؤانسة ، والصداقة والصديق ، والاشارات الالهية . وقد وصلت الينا هذه المؤلفات ، ومن يقرؤها لايسعه الا أن يعجب بموهبة أبي حيان وأسلوبه البليغ ، الذي لايقل روعة وجمالا عن أسلوب الجاحظ .

لقد كان أبو حيان معجبا بالجاحظ ، وكتب رسالة في مدحه عنوانها : « رسالة في تقريظ الجاحظ » . عاش أبو حيان عمره المديد فقيرا محارفا مع علو كعبه في العلوم والادب والفلسفة . وقد حاول أن يحيا حياة هانئة يتوسل إليها بثقافته ، إلا أن الحظ لم يحالفه والتوفيق لم يساعده . وكان من جملة من جرب حظه معهم الوزير ابن العميد والوزير ابن عباد ، ولكن

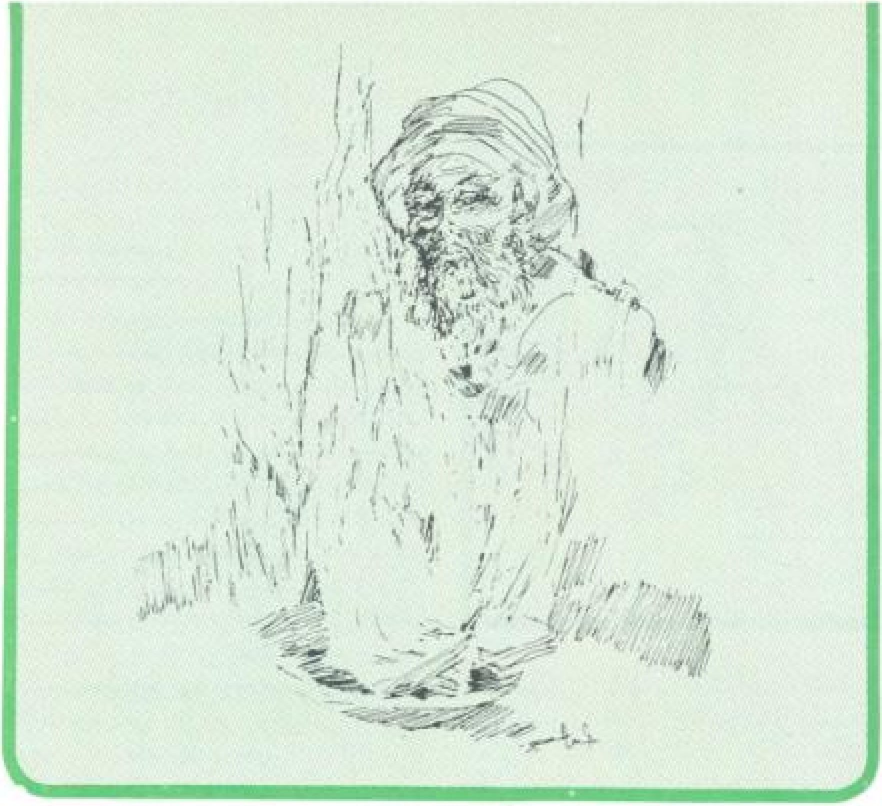

نتيجة هذه التجربة كانت على عكس ما يرجو ويأمل الى الحد الذى جعله يكتب كتابا فى نقدهما والنيل منهما أسماه كتاب « مثالب الوزيرين او أخلاق الوزيرين » ولاتخلو كتب أبى حيان من الاشارة الى حاله هذه ملمحا تارة ومصرحا أخرى .

ومما ذكره أبو حيان صراحة عن فقره أن القومس الفيلسوف قال له يوما : (ماظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من انسان مابلغ منى)«ان قصدت دجلة لأغتسل فيها نضب ماؤها ، وان خرجت الى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلدا أملس) . فقال أبو حيان : (ما أعرف لك شريكا فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواى ، ولقد استولى علىّ الحُرف (أى الحرمان) وتمكن منى نكد الزمان الى الحد الذى لاأسترزق مع صحة نقل ، وتقييد خطى ، وتزويق نسخى وسلامته من التصحيف والتحريف ، بمثل مايسترزق البليد الذى ينسخ النسخ ويمسخ الاصل والفرع »وقد وصل به سوء الطالع الى أن ياقوتا الحموى لم يعثر على مؤلف ترجم له كما ذكر ذلك فى معجمه . بل حتى ابن خلكان لم يذكره فى وفياته الا عرضا . ومما ذكره عنه أن كتابه (مثالب الوزيرين) من الكتب المحدودة ، ماملكه أحد الا تعكست أحواله . وقال : لقد جربت ذلك وجربه غيرى على ماأخبرنى من أثق به .

وقد ذكر السيوطى فى « بغية الوعاة » : (ان الايام قد انقلبت بابى حيان وان كتبه لم تنفعه ، وضن بها على من لايعرف قدرها ، فجمعها وأحرقها فلم يسلم منها غير مانقل قبل الاحراق) ، ومن حسن الحظ أن وصلتنا الرسالة التى كتبها أبوحيان ردا على رسالة صديقه أبى سهل على بن محمد ، الذى لامه فيها على إحراق كتبه . وقد ذكر ياقوت الرسالة كاملة فى ترجمته لابى حيان : أقول من حسن الحظ لأن الرسالة بجانب كونها قطعة نثر فنية فإنها أيضا تكشف الأسباب التى أرغمت هذا العالم الأديب على الاقدام على مثل هذا العمل ، حيث لانضطر للتخمين أوالظن والتكهن .

ولقد كتب أبوحيان رسالته هذه فى رمضان عام ٤٠٠ هـ فى العشر التاسع من عمره كما ذكر هو ذلك

. ان الرسالة طويلة نوعا ما ، ولذلك فانى سوف أقتصر على ذكر أسباب دفاعه عن احراق كتبه :

رسالة التوحيدي

يبدأ التوحيدي رسالته بقوله : حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظنى بمودتك وطول جفائك ، وأعاذنى من مكافأتك على ذلك وأجارنا جميعا مما يسود وجه عهد ، إن دعيناه كنا مستأنسين به ، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله . وأدام الله نعمته عندك وجعلنى على الحالات كلها فداك . وأفادنى كتابك غير محتسب ولامتوقع على ظمأ برح بى إليه . وشكرت الله على النعمة به علىّ . وسألته المزيد من أمثاله ، الذى وصفت فيه ذكر الشوق الىّ والصبابة نحوى مانال قلبك والتهب فى صدرك من الخبر الذى نمى اليك فيما كان منى من إحراق كتبى النفيسة بالنار وغسلها بالماء . فعجبت من انزواء وجه العذر عنك فى ذلك ، كأنك لم تقرأ قوله جل وعز : (كل شىء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون) . وكأنك لم تأبه بقوله تعالى (كل من عليها فان) . وكأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشىء من الدنيا وان كان شريف الجوهر كريم العنصر مادام مقلبا بيد الليل والنهار ، معروضا على أحداث الدهر وتعاود الايام) .

ويذكر أبوحيان بأن ماقام به لم يكن هينا عليه ، وإنما هو عمل كان مكرها عليه مضطرا اليه فهو يقول : (ثم انى أقول ان كان - ايدك الله - قد نقب خفك ما سمعت به،فقد أدمى أظلى ما فعلت) .

وهو يقول انه لم يكن ، ليقدم على ما أقدم عليه الا بعد أن فكر فى الامر كثيرا . وقد أخذ منه ذلك ليالى وأياما يقلب الأمر على وجوهه ، وهو لم يصل الى تلك النتيجة إلابعد أن استخار الله عز وجل فى ذلك فهو يقول لصديقه : (فليهن عليك ذلك ، فما انبريت له واجترأت عليه حتى استخرت الله عزوجل فيه أياما وليالى ، وحتى أوحى إلى فيه فى المنام بما بعث راقد العزم ، وأجدّ فاتر النية ، وأحيا ميت الرأى ، وحث على تنفيذ ماوقع فى الروع وتربع فى الخاطر) .

ومن الاسباب التى يذكرها أبوحيان اعتقاده بأنه لم يقرن علمه بعمله ، وأن عمله كان قاصرا عن علمه ، وبما أن الحال كذلك فالأولى بذلك العلم أن

يحرق فهو يقول : (العلم أحاطك الله يراد للعمل ، كما أن العمل يراد للنجاة . فاذا كان العمل قاصرا عن العلم كان العلم كلاً على العالم . وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلا وأورث ذلا وصار فى رقبة صاحبه غلاً) .

وأحد الاسباب التى يذكرها أبوحيان هو أنه لم يكن يرغب أن يترك كتبه لاناس لا يستحقون ذلك ولايحرصون عليه بل غير راغبين فيه .

ومما قاله بهذا الصدد (ان هذه الكتب قد حوت من أصناف العلم سره وعلانيته . فأما ماكان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا . وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبا) .

ثم ان أباحيان يذكر سببا آخر يحجم كثير من الناس عن ذكره فى حال شبيهة بحال أبى حيان ، ويحاولون أن يخفوه وراء ظلال من الاسباب والتعليلات غير الصحيحة . ولكن أبا حيان كان صريحا مجاهرا لم ير مانعا من ذكره أو التنويه به والافصاح عنه . فهو يعترف بأنه كان يطمح بأن يتبوأ مكانة مرموقة بين الناس ، وجاها عريضا يبز به أقرانه ويفوق به أصحابه ، ولكنه لم يحصل على شىء مما أتعب نفسه فيه على هذا أوذاك . وهو يقول عن ذلك:(على أنى جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله) .

والسبب الآخر يذكره أبوحيان هو أنه لم يكن له ولد يورثها له ، أو صديق عزيز يستفيد منها ، ولم يهن عليه أن يتركها لقوم لايعتمد عليهم ولا يأمن جانبهم . فهو يقول : (ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا وتابعا أديبا ، فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي اذا نظروا فيها ، ويشمتون بسهوى وغلطى اذا تصفحوها ، ويتراءون نقصى وعيبى من أجلها) .

آلام أبي حيان

ثم يسترسل التوحيدى فى نقد المجتمع الذى عاش فيه نقدا لاذعا يتسم بالمرارة والألم ، ويكشف فى الوقت نفسه عما كان يعانيه أبو حيان ويحز فى نفسه حيث يقول : (فان قلت ولم تسمهم بسوء الظن وتقرع جماعتهم بهذا العيب ، فجوابى لك ان عيانى منهم فى الحياة هو الذى يحقق ظنى بهم بعد الممات . وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة ، فما صح لى من أحدهم وداد ، ولاظهر لى من أناس منهم حفاظ ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة فى أوقات كثيرة الى أكل الخضر فى الصحراء ، والى التكفف الواضح عند الخاصة والعامة ، والى بيع الدين والمروءة ، والى تعاطى الرياء بالسمعة والنفاق ، وما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح فى قلب صاحبه الألم) ويقول فى مكان آخر من الرسالة : (وماذا أقول وسامعى يصدق أن زماننا أحوج مثلى الى مابلغك ، لزمان تدمع له العين حزنا وأسى ، ويتقطع عليه القلب غيظا وجوى وضنى وشجى) .

ثم يذكر أبوحيان بأنه لم يكن فردا فى عمله هذا ، وإنما قد سبقه الى عمل ذلك أو ما يشابهه علماء معروفون مشهورون ، فهو يرى أن ماقام به لم يكن شاذا أو استثناء . فيقول عن ذلك : (وبعد فلى فى احراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم ويؤخذ بهديهم ويعشى الى نارهم منهم أبو عمرو بن العلاء وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف ، دفن كتبه فى بطن الارض فلم يوجد لها أثر وهذا داود الطائى وكان من خيار عباد الله زهدا وفقها وعبادة ويقال له تاج الامة ، طرح كتبه فى البحر وقال يناجيها : « نعم الدليل كنت»والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول ». وهذا يوسف بن أسباط حمل كتبه الى غار فى جبل وطرحها فيه وسد بابه فلما عوتب على ذلك قال : « دلنا العلم فى الاول ثم كاد يضلنا فى الثانى فهجرناه لوجه من وصلناه وكرهناه من أجل ما أردناه »،وهذا أبو سليمان الدارانى جمع كتبه فى تنور وسجرها بالنار ثم قال « والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك » وهذا سفيان الثورى مزق ألف جزء وطيرها فى الريح ، وقال « ليت قطعت من هنا بل من ههنا ولم أكتب حرفا » .

يضاف الى ذلك أن أبا حيان كان قد زهد فى آخر أيامه ، واعتقد بأن الكتب جزء من حطام الدنيا وبهرجها وان جامعها كجامع الذهب والفضة يقول فى ذلك : (وهل أدرك السلف الصالح فى الدين الدرجات العلا إلا بالعمل الصالح ، واخلاص المعتقد والزهد الغالب فى كل ماراق من الدنيا وخدع بالزبرجد ،وهوى بصاحبه الى الهبوط ؟ وهل وصل الحكماء القدماء الى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد فى السعى ، والا بالرضا الميسور ، والا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم ؟ فأين يذهب بنا وعلى أى باب نحط رحالنا ؟ وهل جامع الكتب الا كجامع الفضة والذهب ؟ وهل المنهوم بها الا كالحريص الجشع عليها ؟ وهل المغرم بحبها الا كمكاثرهما ؟ هيهات الرحيل ، والله قريب ، والثواء قليل ، والمضجع مقض ، والمقام ممض ، والطريق مخوف ، والمعين ضعيف ، والاغترار غالب ، والله من وراء هذا كله طالب) .

ثم يختم أبوحيان رسالته بما يلى : (على أنى لو علمت فى أى حال غلب على مافعلته وعند أى مرض وعلى أية عسرة وفاقة ، لعرفت من عذرى أضعاف ما أبديته ، واحتججت لى بأكثر مما نشرته وطويته ، واذا أنعمت النظر تيقنت أن لله جل وعز فى خلقه أحكاما لايعاز عليها ولايغالب فيها ، لأنه لايبلغ كنهها ولاينال غيبها ولايعرف قابها ولايقره بابها ، وهو تعالى أملك لنواصينا ، وأطلع على أدانينا وأقاصينا ، له الخلق والأمر ، وبيده الكسر والجبر ، وعلينا الصمت والصبر ، الى أن يوارينا اللحد والقبر) . □

الميكروبات

وفساد الغذاء النباتي

بقلم : الدكتور حسين العروسي

« الاغذية ، نباتية كانت أو حيوانية . . بحالتها الطبيعية كانت أو بعد معاملتها معاملات خاصة للتصنيع ، معرضة للفساد بفعل الكثير من الميكروبات التي تعجز أعيننا عن رؤيتها . فأين تكون هذه الأحياء الدقيقة وما هو أثرها وكيف تحول غذاءنا الصحي الى طعام غير مقبول » ؟ .

ان الكثير من المنتجات النباتية والحيوانية التي نستعملها غذاء أو شرابا هي في نفس الوقت غذاء ممتع لكثير من الأحياء الدقيقة التي تكون عادة بهذه الأغذية ولا تراها عيوننا المجردة ، بل نرى لها آثارا ، قد تكون على الطعم ، وقد تكون على الرائحة ، وقد تكون على القوام .

فيا كان لنا غذاء شهي أصبح بعد نمو وتكاثر تلك الكائنات فيه طعاما غير مقبول . . . غير مستسيغين لطعمه . . كارهين لرائحته . . . غير تواقين لمظهره . وقد يصبح الطعام في وجود تلك الميكروبات داء ممرضا أو سما قاتلا ، فنلقي بقوتنا في سلال القمامة ، مستسلمين لتلك الميكروبات . . تاركين لها غذاءنا لتستكمل توغلها حتى تنتهي من استغلاله ، ثم تنتقل منه بوسيلة أو بأخرى حتى تجد غذاء آخر تستسيغه ، فتفعل به ما فعلت بسابقه .

لايقتصر هجوم الميكروبات على النباتات في أثناء نموها ، بل يستمر في ذلك بعد جمعها أو حصادها . . . بعد أن تصير ثمرا نافعا وغذاء شهيا ، فتهاجم المحصول بعد جمعه بضراوة أشد من هجومها عليه وهو في أوج حيويته عندما كان محمولا على نباتاته ، . . . متلفة ما جمعناه وسوقناه قبل أن يصل الى أفواهنا .

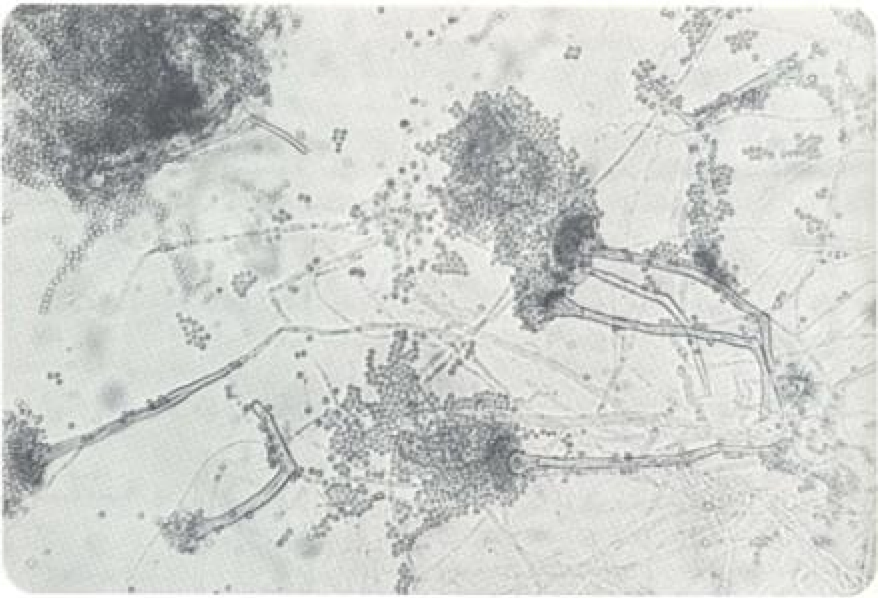

شكل (١) : فطر اسبرجيللس

النشاط في ظروف قاسية

أحيانا ، تجرى على تلك الأغذية بعض المعاملات لتصبح صالحة للتسويق أو لاطالة أمد حياتها والاقلال من أضرار الميكروبات عليها ، ومع ذلك فإن من الميكروبات ما يتمكن من تلك النباتات (المعاملة) رغم أن ظروف معيشة تلك الميكروبات قاسية وغير ملائمة لنشاط معظمها .

وقد يحدث فساد طبيعي فسيولوجي للمنتجات النباتية بعد فصلها عن النبات الأم وذلك نتيجة للنشاط الحيوي للانسجة الحية ، الا أنه في كثير من الأحوال تتدخل بعض الميكروبات فتعجل من حدوث الفساد ، وتغير من صور ذلك الفساد . وقد يساعد على ذلك وجود الجروح ، التي قد تكون ناتجة عن منطقة الانفصال عن النبات الأم أو نتيجة للمعاملات المختلفة التي يتعرض لها الجزء النباتي في أثناء الجمع والتسويق والتخزين ، أو بفعل بعض الحشرات أو الحيوانات أو الطيور . والميكروبات التي تحدث الفساد تكون مصادرها عادة التربة أو الهواء أو الماء ، وتكون موجودة قبل الفساد عادة ، على الأسطح الخارجية للأجزاء النباتية في أثناء الجمع وبعده . فمحاصيل ثمار الفاكهة والخضراوات التي تتكون طبيعيا فوق سطح الارض تكون ملوثة عادة بميكروبات الهواء ، زيادة على تلوثها في أثناء العمليات المختلفة ببعض ميكروبات التربة . ومحاصيل مثل البطاطس والبطاطا والفجل والجزر والبنجر تنمو تحت سطح التربة ويعلق بها كميات من الطين عند جمعها تكون عادة ملوثة بميكروبات التربة . كذلك فان ماء الرى في الاراضي الزراعية يكون مصدر تلوث للمحاصيل الارضية والنامية قريبا من سطح التربة . أيضا ، فان عمليات غسل المنتجات النباتية التي تتبع عادة بالنسبة لبعض المحاصيل تساعد كثيرا على تلوث تلك المحاصيل بميكروبات الماء ، وخصوصا اذا كان الغسيل بماء الترعة والقنوات . وعموما فالماء اذا كان نقيا فانه يقلل اعداد الميكروبات كثيرا ، الا انه في نفس الوقت يساعد على تنشيط وتوزيع ميكروبات الهواء والتربة الملوثة للمنتجات النباتية ، فتتكاثر بنشاط وترتفع

معدلاتها ثانية بسرعة . وقد درست متوسطات أعداد البكتيريا الموجودة على البازلاء الخضراء المعدة للتجميد في عدد من المصانع فوجد أن معدلاتها لكل جرام من المحصول كانت حوالي أحد عشر مليونا عند دخولها المصانع ، ثم انخفضت عقب الغسيل الى حوالي مليون فقط ، ثم انخفضت ثانية عند غسيلها بالماء الساخن أو البخار الى حوالي عشرة آلاف فقط ، الا أنها ارتفعت ثانية خلال العمليات التالية فوصلت لحوالي سبعمائة ألف عند بدء تجميدها ، ثم انخفضت ثانية مع التجميد فصارت حوالي نصف مليون من البكتيريا لكل جرام من البسلة .

فساد الأنسجة

لايعني تلوث المنتجات النباتية بالميكروبات ضرورة حدوث الفساد ، اذ أنه لابد من وجود الميكروبات الخاصة باحداث التلف لذلك المحصول ، كما أنه لابد من توفر استعدادات خاصة لدى المحصول النباتي لحدوث العدوى ونجاحها .

يتلاءم نشاط كثير من الميكروبات مع ارتفاع نسبة الماء في الانسجة النباتية ، وارتفاع درجة حرارة ورطوبة الجو . لهذا نجد أن المنتجات النباتية الغضة أسرع تلفا من المنتجات ذات المحتوى المائي المنخفض فحبوب القمح والشعير أكثر مقاومة لفعل الميكروبات من درنات البطاطس وثمار الموز ، والاخيرة أكثر مقاومة لفعل الميكروبات من البصل وثمار التفاح ، والبصل والتفاح أكثر مقاومة من الكرنب والسبانخ .

ولهذا نجد أن فترات التخزين تتناسب عكسيا مع معدلات الماء في المحصول ، فحبوب القمح والشعير تتحمل التخزين أكثر من البطاطس وثمار الموز ، والبصل وثمار التفاح أقل تحملا ، أما الكرنب والسبانخ فتسوق سريعا لسرعة تلفها . ولهذا السبب ولتقليل معدلات الماء .. اتبعت طريقة التجفيف لاطالة أمد تخزين بعض المحاصيل كما يتبع في البصل .

أما درجات الحرارة والرطوبة فخفضها يؤدي الى تقليل تعرض الميكروبات للتلف ، ولهذا يطال أمد تخزين كثير من المحاصيل مثل البطاطس والتفاح والكمثرى بحفظها في ثلاجات ، ويراعى في خفض درجات الحرارة والرطوبة حدود معينة لاتتعداها ، لأن الخفض الزائد يؤثر على الصفات الطبيعية للمحصول المراد المحافظة عليها .

وهناك ميكروبات أخرى تعيش داخل أجسام بعض الحشرات أو على سطحها ، وتقوم تلك الحشرات بنقل ما تحمله من ميكروبات من مكان الى آخر ، وكثيرا ما تضع الحشرة حمولتها الميكروبية على الجزء النباتي الملائم لنشاطها . وقد تهيء الحشرة لتلك الميكروبات فرص حدوث العدوى ، وذلك بأن تثقب خلايا النسيج النباتي ... واضعة الميكروبات في وسط النسيج القابل للاصابة ... وقد تضع الحشرة بيضها حيث وضعت الميكروبات ، فيفقس البيض وسط النسيج النباتي الملوث بالميكروبات ، وتخرج اليرقات وتتغذى على الأنسجة النباتية ، متحركة بينها موزعة الميكروبات داخلها . وكثيرا ما تنتج عن اليرقات حشرات جديدة حاملة ميكروب المرض . ومن الامثلة الشهيرة على ذلك حالات العفن الطري الذي نشاهده على كثير من منتجاتنا الزراعية مثل البصل والبطاطس والخس والجزر والذي ينتج عنه تلف سريع للمحصول يظهر في صورة عفن طري ذي رائحة كريهة مميزة وتلون داكن للانسجة المصابة ، والذي يتسبب عن ميكروب بكتيري وحيد الخلية يعرف باسم أرونيا والذي تنقله بعض الحشرات ومنها حشرة الذباب المنزلي .

أكثر من الإتلاف

بعض تلك الميكروبات المهاجمة للغذاء تتعدى في آثارها الضارة علينا حد إتلاف الغذاء ، فقد تحدث زيادة عن تلك الخسائر المادية ضررا خطيرا بآكليها ، فتمرضهم وقد تقتلهم . اذ أن البعض من الفقراء أو ممن يجهلون تلك الميكروبات وأضرارها ، قد يتحملون على أنفسهم ، ويأكلون ما اشتروه أو صنعوه من غذاء ، رغم ما يلاحظون عليه من تغير في الطعم أو اللون أو الرائحة أو القوام ، مفضلين التضحية بالصحة عن التضحية بالمال . كثيرا ما تمر الأمور دون ما ضرر ملحوظ ، مما يشجعهم باستمرار السير على

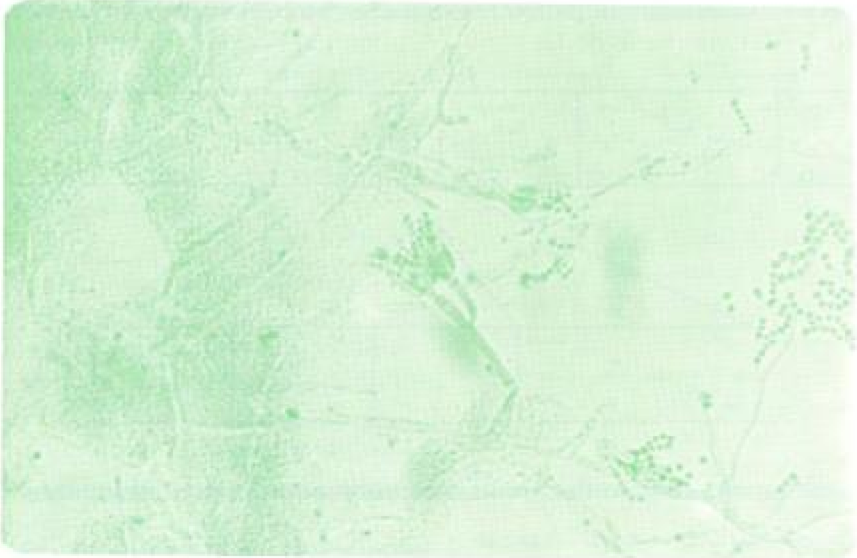

شكل (٢) : فطر بنسيليوم

هـذا المنوال الخـاطىء ، الا أنه قـد يحدث الضـرر فجأة ، اذا وجد في الغـذاء نوع أو أنـواع معينة من الميكروبات الضـارة بصحة الانسـان أو المميتة لـه مباشرة أو عن طريق سمومها .

تصاب ثمار الفاكهة ومحاصيل الخضراوات، عادة بأنواع من الفطريات والبكتيريا بعد أيام قليلة من وجودها على درجة حرارة الغرفة ، وأحيانا تصاب في الثلاجات وخصوصا اذا ارتفعت درجة الحرارة قليلا . كذلك فان عصير الفاكهة معرض للفساد الميكروبي ، وقد يحدث له تخمر مصحوب بتصاعد غازات نتيجة للاصابة بفطريات الخميرة .

بعض الفطريات التي تنمو على النباتات ومنتجاتها تنتج مواد ضارة أو سامة للانسان وبعض الأحياء الأخرى . فمن عصور قديمة عرف تسمم الارجوت الذي ينتج عن التغذية بحبوب نجيلية مصابة بفطر يسمى كلافيبس ، وقد سجلت عنه أربعون الف حالة تسمم أدت الى وفاة ، سنة ٩٤٣ م بفرنسا . وفي سنة ١٩٦٠م مات أكثر من مائة الف من الدواجن الرومية بمزارع انجلترا نتيجة تغذيتها على دقيق فول سوداني مستورد من أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وبدراسة على مادة العلف تلك ، اتضح أنها مصابة بفطر اسبرجيللس فلافس الذي أمكن عقب ذلك فصل مادة سامة منه سميت افلاتوكسين . وقد ثبت أنها من المواد المحدثة للسرطان في كبد الانسان . وقد أثبت العلم أن الفطريات المنتجة لهذا السم تنمو في محاصيل أخرى منها الارز والقمح والذرة وفول الصويا والبازلاء والفاصوليا .

ومن السموم الفطرية الأخرى التي تتكون على منتجات نباتية(مادة الباتيولين) ويكونها فطر من نوع بنسيليوم يسبب عفنا في ثمار التفاح . ولهذا السم تأثيره كمضاد حيوي يوقف نمو كائنات حية دقيقة أخرى ، الا أن له تأثيرات سرطانية .

درهم وقاية

لم يقف العلم هكذا مكتوف اليدين أمام هذا الهجوم الكاسح من الميكروبات ، بل قد توصل الى طرق عديدة لمنعها والحد من أضرارها . وتختلف

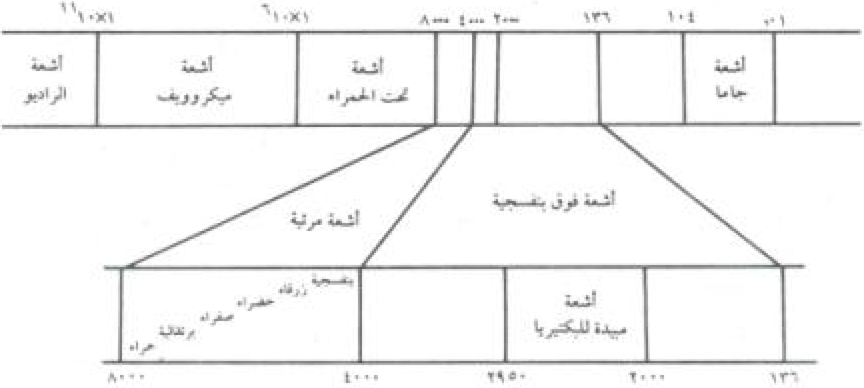

شكل (٣) : موقع بعض الأشعة ، وخصوصا المستخدمة في تعقيم الغذاء ، من الخريطة الطيفية مقيسة بالانجستروم

الطرق المتبعة للوقاية حسب نوع الغذاء المراد حمايته ، وحسب الغرض من استعماله ، وحسب درجة تلوث الغذاء بالميكروبات ونوع ذلك التلوث . وكثيرا ما تتبع أكثر من وسيلة لحفظ الغذاء بعيدا عن متناول الميكروبات كلها أو بعضها ، ولايقاف نشاط ما تمكن منها من غذائنا .

وتعتمد طرق حماية الغذاء على عاملين أساسيين . أول هذين العاملين يعتمد على قتل الميكروبات الملوثة للغذاء ، أو الاقلال منها أو منع وصول ميكروبات جديدة اليه ، ومن ذلك تعقيم المواد الغذائية بالتعريض لدرجات حرارية مرتفعة تقتل الميكروبات ولا تضر بالغذاء ، أو ترشيح المشروبات خلال مرشحات تفصل الميكروبات ، أو اضافة بعض الكيماويات الى الاغذية بغرض قتل ما بها من ميكروبات ، أو ايقاف تلك الميكروبات ومنع نمو أية ميكروبات جديدة تصل اليها .

ويعتمد ثاني هذين العاملين على حفظ الأغذية بطريقة لاتتلاءم مع النشاط الميكروبي كما في حالات الحفظ تحت درجات حرارية منخفضة ، أو بتقليل كمية الماء في الغذاء ، أي بالتجفيف كتجفيف الاسماك وبعض ثمار الفاكهة ، أو بزيادة تركيز السكر كما في عمل المربيات ، أو بزيادة تركيز الأملاح كما في صناعة المخللات وتمليح الاسماك .

ومع دخولنا عصر الذرة ، اتجه كثير من الابحاث الى الانتفاع بالاكتشافات الذرية الجديدة في نواحي الحياة المختلفة ، ومن ذلك استخدام الاشعة في تعقيم المواد الغذائية مما بها من ميكروبات .

التعقيم البارد

تختلف الاشعة وفقا لطول موجاتها ، وتقدر أطوال الموجات بوحدات الانجستروم . والانجستروم يعادل جزءا من عشر مليون جزء من المليمتر الطولي . وجزء بسيط من أشعة الشمس هو الذي يمكن رؤيته ، وهو يتراوح ما بين ٤٠٠٠ الى ٨٠٠٠ انجستروم ، وما عدا ذلك من الاشعة لاترى بالعين .

والاشعة التي تستخدم في التعقيم تقع ضمن الاشعة غير المرئية ؛ نذكر من ذلك أشعة الميكروويف وهي أشعة طويلة الموجات تقع بين الاشعة فوق الحمراء وأشعة الراديو ، وتستخدم في تعقيم مواد غذائية مختلفة منها الخبز والمشروبات الكحولية ، أما

تأثير أشعة الميكروويف فهو تأثير حراري .

معظم عمليات التعقيم بالاشعة تستخدم فيها الاشعة القصيرة ، وتشمل الاشعة فوق البنفسجية . وأهم أنواع الاشعة القصيرة استخداما في التعقيم الغذائي هي ما تعرف بالاشعاعات ، وهي ذات الموجات التي تقل عن ٢٠٠٠ انجستروم وتشمل اشعة الفا وبيتا وجاما .

وحيث أن هذه الاشعاعات تحدث تعقيما دون احداث حرارة في المادة (المعاملة) لهذا سميت العملية بالتعقيم بالبارد .

وقد اتجهت الانظار الى بعض الاشعاعات ذات القدرة العالية على التغلغل في المنتجات الغذائية ، ومن ذلك أشعة جاما التي تنتج في الانفجارات الذرية عن النشاط الاشعاعي لعنصر اليورانيوم . وحاليا يستخدم الكوبلت المشع الذي يعرف بكوبلت ٦٠ وكذلك سيزيوم ١٣٧ كمصدر لتلك الاشعاعات . وتؤثر هذه الاشعاعات في معظم الاغذية حتى عمق ١٤ سنتيمترا ، الا أن تأثيرها يضعف كلما ازداد العمق .

ومن عيوب التعقيم بالاشعاعات وخصوصا باستخدام أشعة جاما ، تأثيرها السيء على القائمين بالتعقيم ، مما يتحتم معه اتخاذ كافة الاجراءات الوقائية للحيلولة دون تعرض القائمين بالعمل لتلك الاشعاعات . ويفضل البعض استخدام أشعة الكاثود رغم ضعف تخللها في تعقيم الاغذية لكونها أقل خطورة على القائمين بالعمل .

وحتى الآن لم تظهر أية آثار ضارة على المستهلكين لتناول الاغذية المعاملة بالاشعاعات ، الا أن الكثير من تلك الاغذية يتأثر من المعاملات الاشعاعية حيث تحدث تغييرات غير مرغوبة في الطعم أو اللون أو الرائحة أو خواص الغذاء الطبيعية . وقد نجحت المعاملة بالاشعاعات مع بعض الاغذية ، ولم تنجح مع البعض الآخر . ومن الاغذية التي ثبت نجاح تعقيمها بالاشعاعات البطاطس والقمح ومنتجاته والموالح والفراولة والخوخ والفاصوليا والزبيب والقراصيا □

عجائب أسماء

أولاد الحيوانات

يقال لولد الفرس : مهر . . ولولد الحمار : جحش . . ولولد البقرة : عجل . . . ولولد الناقة : حوار . . ولولد الماعز : جدي . . والانثى : عناق . . ولولد الضائنة : حمل . . والانثى : رخل . . ولولد الشاة : سخلة . . ولولد الظبي : خشن . . ولولد الارنبة : الخرنق . . ولولد الثعلبة : التتفل . . ولولد الخنزير : الخنوص . . ولولد القرد : القشة . . ولولد الضبع : الفرغل . . ولولد الأسد : الشبل . . ولولد الفأرة : الدرص . . ولولد الضب : الحسل . . ولولد الذئب : السمع . . ولولد النعام : رأل . . ولولد الحباري : النهار . .

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

«أ»

إمبريالية

مجموع سياسات (اقتصادية ـ عسكرية ـ سياسية ـ ثقافية) تمارسها الدول الكبرى تهدف الى التوسع وفرض سيطرتها على شعوب واراضي الغير لاستغلالها ونهب ثرواتها واستغلال امكانياتها الجغرافية والطبيعية والبشرية .

وقد نشأت الامبريالية كظاهرة سياسية مع عصر التحول الصناعي والاكتشافات العلمية في بدايات القرن الثامن عشر تقريبا ، فلقد صاحب هذه الفترة زيادة عدد السكان وزيادة الانتاج ، والحاجة الى مواد خام ووقود ، وفي نفس الوقت الحاجة الى ايجاد أسواق للمواد المصنعة وذلك لتصدير فائض الانتاج ، وتصدير رأس المال المتراكم ، واعادة تشغيله مما يعني مزيدا من الارباح ، واستتبع ذلك السماح لمواطني الدول الاستعمارية بالهجرة وحرية الاستيطان ليتمكنوا من السيطرة على الموارد في المستعمرات ، وتنظيم التجارة وحمايتها . ولم تظل الظاهرة في هذا الاطار بل تجاوزته الى العمل العسكري لتحقيق الأهداف الاقتصادية ، وقد كان التنافس الشديد بين المحتكرين ، والرغبة الحادة في الاحتكار وطرد المنافسين وفرض الهيمنة هو الذي حدد طريق القوة العسكرية لحماية المصالح .

وقد مرت الامبريالية كظاهرة سياسية أفرزها النظام الرأسمالي العالمي بعدة مراحل : المرحلة الاولى هي التعاظم الشديد والانطلاق : وهي مرحلة الامبراطوريات والشركات الاحتكارية ، وفرض الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على المستعمرات ، وتمتد هذه الفترة من القرن الثامن عشر حتى الحرب العظمى الاولى ، وكان عالم ما بعد الحرب حتى نهاية الحرب العظمى الثانية مرحلة مخاض حقيقية . . فقد عانى فيها النظام الرأسمالي العالمي من ويلات الحرب ونتائجها ، ثم الازمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩ بالاضافة الى نشوب الثورة الاشتراكية في روسيا القيصرية ، وظهور الوعي القومي والنضال الوطني في المستعمرات ، فظهر ما عرف بمؤتمر الامم المضطهدة والفقيرة الذي عقد في باريس سنة ١٩٢٠م .

المرحلة الثانية وهي مرحلة انتهاء الامبريالية التقليدية ، وقد بدأت عقب الحرب العظمى الثانية التي خرج منها الحلفاء منتصرين ، فتم الاستيلاء على مستعمرات المانيا وايطاليا ، ثم ما لبثت الولايات المتحدة الامريكية أن ورثت الامبراطورية البريطانية والفرنسية .

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى

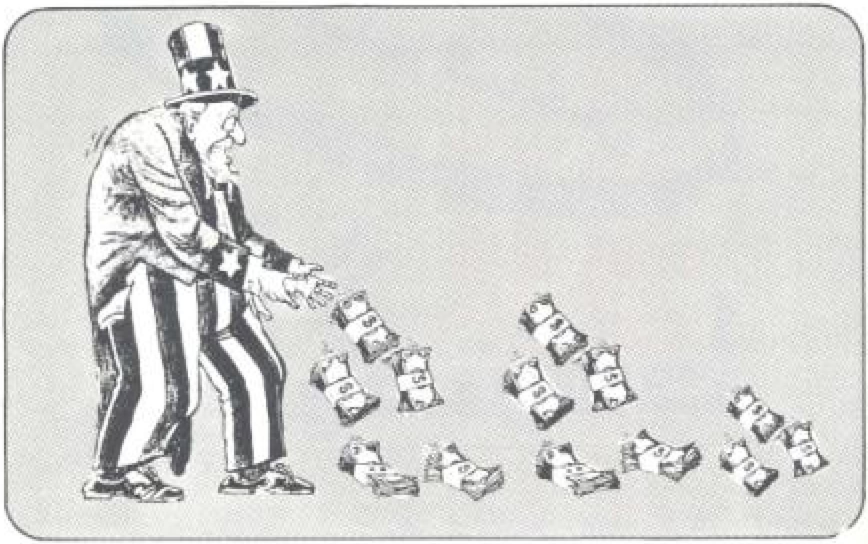

المرحلة الثالثة : ظهور الامبريالية الجديدة وهذه مرحلة تزعمتها الولايات المتحدة دون جدال ، وتميزت هذه المرحلة بسمات ومظاهر متعددة ، فقد حاولت الامبريالية ان تستفيد من دروس الماضي ، وحاولت التكيف مع الواقع الجديد للعالم . فنحت جانبا فكرة الاستعمار من خلال التواجد العسكري ، واستبدلته من خلال توسيع نطاق الاحتكارات والسيطرة ، فامتدت أصابع بيوت المال العالمية داخل المصارف الوطنية ، وتغلغلت الشركات الاحتكارية في اقتصاديات البلدان النامية كموزع وحيد للسلع وكمشترٍ وحيد للمنتجات الخام ، واقترن الاحتكار الاقتصادي بالضغط السياسي ، وتفننت في ابتداع السبل لابقاء الدول النامية في مكانها كدول صغيرة ، ومحكوم عليها أن تظل صغيرة وتابعة . . واتبعت الامبريالية سياسات الاغراق بالديون وتشغيل الفائض . . وأبقت دول العالم النامية في دائرة تبعية مفرغة . وعلى الرغم من هذا التجديد في العلاقة فان الامبريالية الجديدة لا تتردد ولا تتوانى في استخدام القوة العسكرية اذا ما تهددت مصالحها أو تعرضت للخطر .

وعلى نفس المستوى مارست المؤسسات الامبريالية غزوا ثقافيا لدول العالم النامي ، تمثل في تقديم أعمال فنية وثقافية تبشر بقيم وانماط سلوك ، وتشجع عليها وتدعمها مما يسهم في إحداث تغيير قيمي في المجتمعات النامية ، وهو تغير ليس في صالحها على الاطلاق ، ويتوازى مع هذا الغزو تشجيع المؤسسات الامبريالية لهجرة العقول من العالم الثالث الى العالم الغربي ، ولعل انتشار العديد من الأسماء اللامعة في الغرب التي تعود بأصولها الى دول نامية ، دليل على حرص الامبريالية على أن تبقى الدول النامية صغيرة تابعة .

وعلى الرغم من كل الاتجاهات التقدمية التي تشن نضالا وطنيا ضد التغلغل الامبريالي ، فان الامبريالية مازالت هي ظاهرة العصر الذي نعيش فيه بعدما استبدلت أدواتها ، فاستبدلت بالجندي السلعة ، وبالبندقية الاعلان الجذاب □

ماذا تعرف عن

حمّى البحر المتوسط

بقلم : الدكتور محمد بركات*

نشرت وسائل الاعلام في الفترة الأخيرة معلومات تتعلق بزيادة انتشار مرض أطلقت عليه اسم « التهاب الأغشية المصلية » أو « حمّى البحر المتوسط » .

فما هذا المرض ؟ ولماذا أطلق عليه هذا الاسم ؟

تحيط بالأعضاء الداخلية في تجاويف الجسم أغشية رقيقة شبه شفافة تعرف باسم الأغشية المصلية . ومن خصائصها البيولوجية أنها تسمح بمرور السوائل المصلية بمحتوياتها المذابة عبرها ، إضافة الى كونها تشكل عازلا طبيعيا يمنع تسرب الجراثيم الى داخل التجاويف الجسدية . وأكبر هذه الأغشية هو الغشاء البريتوني الموجود في التجويف البطني ، يليه من حيث الأهمية والحجم الغشاء البلوري (غشاء الجنب) الذي يحيط بالرئتين داخل التجويف الصدري ، والغشاء السحائي الذي يغلف

* استاذ الامراض الباطنية ورئيس قسم الجهاز الهضمي بكليه الطب جامعة الكويت .

الدماغ والحبل العصبي داخل العمود الفقري : ويوجد كذلك غشاء مصلي يبطن تجويف كل مفصل من مفاصل الجسم الكثيرة . وهذه الأغشية مثلها مثل أنسجة الجسم وأعضائه المختلفة تصاب بشتى أنواع الالتهابات والأمراض سواء كان ذلك بسبب اصابة الأعضاء المجاورة كما يحدث حينما يصاب الغشاء البلوري في أثناء النزلة الرئوية أو كما يحدث للغشاء البريتوني اذا انفجرت الزائدة الدودية في التجويف البطني ، أو أن تكون الاصابة محصورة في واحد أو أكثر من هذه الأغشية المصلية : ولعل مرض « حمى البحر المتوسط » هو أحد الأمراض القليلة التي تصاب فيها تلك الأغشية دون أعضاء الجسم الأخرى بالتهاب حاد مؤلم .

هل هو مرض عرقي ؟

وقبل الخوض في بحث هذا المرض لا بد من التوقف قليلا أمام هذا الاسم « الرومانسي » ، ان التسمية توحي بان ثمة علاقة سببية بين هذه « الحمى » وبين البحر الأبيض المتوسط . والعلاقة هذه - إن وجدت - هي علاقة ظرفية فقط ، كان أول من أشار اليها جملة من الأطباء الفرنسيين العاملين في بلدان الشمال الأفريقي على الشاطىء الجنوبي للبحر المتوسط في أوائل الخمسينيات من هذا القرن . وقبل ذلك التاريخ عرف هذا المرض بأسماء أخرى وصفية . ولما كانت الغالبية العظمى من المرضى حتى أواخر الخمسينيات قد صودفت في بلاد المغرب العربي وسوريا وفلسطين ولبنان وتركيا ، وكلها تقع على شواطىء المتوسط بدا اسم « حمى البحر المتوسط » جذابا لبعض الباحثين رغم الاعتراضات على مثل هذه التسمية . لكن بغض النظر عن الأسماء فان من الحقائق المؤكدة الآن أن هذا المرض يكاد يكون حصرا على جنسيات عرقية محدودة تشمل الساميين بما فيهم من عرب ويهود خصوصا الشرقيين منهم والأرمن والأتراك وهي شعوب لها إمتداد جغرافي يبتعد احيانا آلاف الكيلومترات عن شواطىء المتوسط كما هي الحال في أرمينيا السوفيتية والتركية وهضبة الاناضول وأقاصي الصعيد وشرقي العراق ، وكلها أماكن يتواجد فيها هذا المرض . هذا اضافة الى ان أبناء وأحفاد الجاليات المهاجرة من هذه الشعوب الأربعة الى كلتا الأمريكتين وأوروبا يصابون بهذه الحمى دون سواهم في أماكن معيشتهم الجديدة . هاتان الحقيقتان تشيران الى ان هذا المرض هو مرض عرقي ووراثي ينتقل بواسطة الجينات من جيل الى جيل مع الصفات الوراثية الأخرى . وتحت ظروف معينة تظهر الأعراض المرضية . وتجدر الاشارة هنا الى ان درجة انتشار هذا المرض وتوارثه بين العرب غير متساو في الأقطار العربية المختلفة فبينما هو شائع الانتشار بين عرب مصر وفلسطين ولبنان وسوريا نراه أقل بكثير بين عرب شمال أفريقيا والعراق ونادراً بين عرب الجزيرة ، وغير موجود عند عرب السودان . ومثل هذا الاختلاف في درجات الانتشار لا يبرره الاختلاف المناخي أو الجغرافي لأن درجة انتشاره بين الجاليات العربية الوافدة الى الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي توازي درجة انتشاره في مواطنها الأصلية .

نظريتان في الأسباب :

ان أسباب هذا المرض مازالت غير واضحة وان كانت النتائج الأولية للأبحاث العلمية الجارية تشير الى وجود خلل خلقي في بعض خمائر الجسم الضرورية لتمثيل مركبات الأدرينالين والنورأدرينالين أو نقص في بعض عناصر المناعة في الكريات الدموية البيضاء ، وهاتان النظريتان ليستا متعارضتين علميا بالصورة التي يمكن أن يوحي بها هذا العرض للقارىء ، فهما ساران علميان قد يؤديان في النهاية الى تحديد مكان الخلل ونوعه وكمه .

لقد أشرت في البداية الى كون هذا المرض نوعا من الالتهاب يصيب واحدا أو أكثر من الأغشية المصلية المذكورة تحت ظروف معينة ، تنتج عنه بالتالي الأعراض المختلفة التي يمكن ان يحس بها المريض ويلاحظها الطبيب . ويحدث هذا الالتهاب فجأة وعلى شكل نوبات حادة متكررة قد تتعاقب أسبوعيا أو شهريا أو مرة كل بضعة شهور وربما مرة كل سنة او سنتين . وتستمر كل نوبة في العادة فترة تتراوح بين

يوم وأربعة أيام ، وتعتمد نوعية الأعراض خلال النوبة على المكان الملتهب وعمر المريض وأحيانا على نوع الجنس ذكراً أو أنثى . والمرض هذا يصاب به الذكور والاناث وفي أعمار مختلفة تمتد من الأشهر الأولى من سن الرضاع الى ما بعد سن الأربعين . ورغبة في التسهيل يمكن تقسيم أعراض هذا المرض الى ثلاثة أقسام :

الأعراض :

أولا : الأعراض البطنية : وهي أكثر الأعراض شيوعا اذ يندر أن ينجو منها مريض خلال النوبات التي يتعرض لها عبر سنوات المرض الطويلة . وتبدأ النوبة في مثل هذه الحال بألم حاد في أي مكان من البطن ما يلبث أن ينتشر الى أماكن أخرى قد تشمل البطن بأكمله . ويزداد الألم شدة ليصل خلال ساعات قليلة الى درجة يصعب فيها احتماله . ويصحب الألم عادة ارتفاع في درجة حرارة الجسم قد تبلغ الأربعين درجة مئوية . وقد تسبق هذه الحمى قشعريرة . وأغلب الاحيان يشكو المريض إضافة الى ذلك من إنتفاخ وغثيان مصحوباً بالتقيؤ . ويبدو المريض عادة في حالة صحية سيئة تجعله يستغيث إذا كان قادراً على الاستغاثة بحكم سنه . وينتهي المطاف بزيارة الطبيب الذي لا يستطيع والحال هذه إلا النصح بادخال المريض الى المستشفى . فإذا كانت هذه النوبة تحدث لأول مرة لا يسع أي طبيب يقوم بمعاينة المريض إلا الاعتقاد بأنها حالة جراحية مستعجلة كالتهاب الزائدة الدودية أو التهاب المرارة الحاد أو التهاب البنكرياس أو انفجار قرحة معوية أو ما شابه ذلك . ولهذا فان نسبة عالية جدا من المصابين بهذا المرض يتعرضون لعمليات جراحية استكشافية بسبب مثل هذه النوبات .

وعادة يصاب الجراح بخيبة أمل وإحباط حين لا يجد في بطن المريض غير إحتقان حاد في الغشاء البريتوني ، ولكن خيبة أمل المريض وذويه تكون أعظم بكثير حينما تعاوده النوبة بعد فترة زمنية محددة تتكرر آلامها المبرحة دون تشخيص واضح أو علاج مانع لها .

ثانيا : الأعراض الروماتزمية (المفصلية) : وهذه تصيب الأطفال واليافعين عادة ويندر أن يصاب بها أحد بعد سن الخامسة والعشرين . وفي مثل هذه الحال يشكو المصاب من ألم وتورم في واحد أو أكثر من المفاصل الكبرى في الأطراف كمفصل الركبة أو العقب أو كوع الذراع . وتكون مثل هذه النوبة عادة مصحوبة بحمى خفيفة أو عالية الأمر الذي يوحي للطبيب أنه بصدد حالة من حالات الحمى الروماتزمية ولكون مثل هذه النوبات تحدث في سن مبكرة فقد ينصح الطبيب باعطاء المريض حقن البنسلين شهريا ، وقد ينصح باستئصال اللوزتين نظراً لتكرر النوبات إلى أن تختفي تلقائياً بعد عدة سنوات ليعقبها بعد ذلك بفترة (قد تمتد عدة سنوات أخرى) الأعراض البطنية .

ثالثا : الأعراض الصدرية : تحدث هذه نتيجة لالتهاب الغشاء البلوري المحيط بالرئتين حيث يشكو المريض من آلام وَخْزِيَة في أي مكان في الصدر أو الظهر أو الكتفين ، تزداد شدة في أثناء التنفس أو السعال أو حتى الحركة . والفحص السريري وأشعة الصدر لا يظهران في أغلب الأحيان أي دليل مرضي باستثناء إرتفاع في درجة الحرارة مما يجعل الطبيب يميل الى تشخيص الحالة على أنها التهاب فيروسي .

وجدير بالذكر أن الأنواع الثلاثة من الأعراض قد تظهر معاً عند بعض المرضى في أثناء كل نوبة أو قد يظهر منها نوعان دون الثالث ، أو قد تبدأ الأعراض بصورة معينة تختلف مع الزمن من نوبة إلى أخرى ومن صورة إلى أخرى .

تشابه الأعراض وخطأ التشخيص :

ان الأعراض التي سبق وصفها تشبه أعراض عدة أمراض أخرى أشير الى بعضها ، ولهذا لا يسهل التأكد من حقيقة نوع المرض عند حدوث النوبة الأولى . وبما أن الأمراض التي يشتبه بها هي في العادة من النوع الجراحي المستعجل كالتهاب الزائدة الدودية أو المرارة أو انفجار في المعدة أو الأمعاء فإن حالة المريض تستدعي تصرفاً مستعجلاً قد ينتهي بالمريض إلى غرفة العمليات قبل وضوح التشخيص . أما إذا خلت النوبة من الأعراض الجراحية فإن

الأمراض المشابهة تدور عادة ما بين الحمى الروماتزمية أو الروماتزم المفصلي أو الالتهابات الرئوية بأنواعها . ومع أن نتائج الفحوص السريرية والمخبرية عادة تكون سلبية إلا أن الكثير من المرضى يعالج كما لو كان يعاني من أحد هذه الأمراض . وصعوبة التشخيص هذه ناتجة عن الافتقار إلى فحص مخبري خاص « لحمى البحر المتوسط » كما هي الحال في كثير من الأمراض المعروفة . ولقصر فترة النوبة فإن المريض والطبيب يشعران بعدم الحاجة الى مواصلة البحث عن السبب مادام قد تحسن وأصبح معاق . وبحدوث النوبة التالية تعاد الكرة دواليك إلى أن يشعر المريض وذووه باليأس والطبيب بالإحباط . وخلال سنوات المرض ونوباته المتعاقبة تجري للمريض عشرات (وأحياناً مئات) الفحوصات المخبرية والشعاعية تكون نتائجها دائماً مخيبة للتوقعات ، وتوصف له أنواع عديدة من العقاقير والأنظمة الغذائية والوصفات الطبية الشعبية وجميعها تكون بلا فائدة . وتنتهي دوامة اليأس والأمل هذه عادة بالصدفة إذا التقى مريض بمريض آخر سبق أن عرف مرضه أو بطبيب له خبرة بهذا المرض .

لقد أشرت قبل قليل الى صعوبة تشخيص المرض نظراً لعدم توفر فحص مخبري خاص به ، ولكن فريقاً من الباحثين العرب توصل الى استنباط وسيلة للتأكد من التشخيص تعتمد على استفزاز عناصر المرض عند المريض وإحداث نوبة مرضية خفيفة لا تدوم أكثر من ساعات قليلة ، لقد أثبتت أبحاث هذا الفريق وباحثين آخرين في أماكن مختلفة امكانية الاعتماد على هذا الفحص في أكثر من ٩٥٪ من الحالات وهي نتيجة ممتازة في عالم الطب . وإنطلاقا من نتائج هذه الأبحاث أصبح لدينا الآن أمل كبير أن نتوصل الى إيجاد الفحص المخبري المنشود في وقت قريب وكذلك الى معرفة أسباب هذا المرض إذا توفرت لأبحاثنا الإمكانيات المادية المناسبة .

العلاج بعقار قديم :

أشرت في سياق الحديث عن أسباب « حمى البحر المتوسط » إلى كونها مرضاً وراثياً بوساطة الجينات من أحد الأبوين إلى الأبناء فالأحفاد . لكن هذا لا يعني أن أعراض المرض لا بد أن تظهر في كل جيل من الأجيال أو في كل الأبناء إذا وجد في أحد الأبوين . ولذا فإن المرض يتواجد عند أكثر من شخص واحد في العائلة الواحدة في حوالي ٥٠٪ من الحالات . أما بقية المرضى فلا يوجد ما يدل على أن أحداً آخر من أفراد عائلاتهم أصيب أو مصاب بالمرض . وتزداد احتمالات الاصابة بالطبع إذا وجد في العائلة شخص آخر مصاب به وذلك نتيجة منطقية لوجود الجينات الوراثية الخاصة بالمرض في الأسلاف ولذا يصبح التزاوج بين أفراد مثل هذه العائلة أمراً غير مرغوب من الناحية الطبية .

أما في حالة ظهور الأعراض المرضية فإن العلاج الآن ينحصر في اتجاهين : الأول منهما معالجة الأعراض المؤلمة الحادة والثاني لمنع تكرار النوبات . لقد ظل الأطباء طوال الثلاثين عاماً يعالجون هذا المرض بشتى أنواع العقاقير المتوفرة لهم بدءاً بالأسبرين ومشتقاته والمضادات الحيوية بأنواعها ومضادات الحساسية وإنتهاء بمركبات الكورتزون دون أي دليل على فعالية كل هذه الأدوية . وبمحض الصدفة وجد أحد الأطباء الأمريكيين أن عقاراً قديماً يستعمل في علاج مرض النقرس يمنع تكرار نوبات حمى البحر المتوسط . كان ذلك سنة ١٩٧٢ ، ومنذ ذلك التاريخ أثبتت عشرات التجارب ومعالجة آلاف المرضى ان هذا العقار المعروف باسم كولشيسين (Colchin-cine) يحمي من حدوث النوبات المؤلمة وتكرارها في أكثر من ٩٠٪ من الحالات ، واتضح من خبرة السنوات الثلاث عشرة الماضية أن استعمال هذا الدواء بصفة دائمة في الأطفال والبالغين لا يقترن بأية مضاعفات أو آثار جانبية سيئة مادام المريض مواظباً على مراجعة الطبيب المعالج بصورة منتظمة . لقد ثارت بعض المخاوف في البداية حول ما اذا كان استعمال عقار كولشيسين يقلل من خصوبة الرجال أو نمو الاطفال لكن لم يظهر الى الآن أي دليل علمي يثبت ذلك ، وتبددت هذه المخاوف بعد سنين من متابعة درجة خصوبة الرجال ومعدل نمو الأطفال المعالجين مقارنة بغيرهم من الأصحاء . على أن ثمة تحفظا مازال قائما حول إمكانية استعمال هذا الدواء في اثناء فترة الحمل فقط . □

الرأي ، والرأي الآخر . . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

منتدى العربي

قضية

لغة الإعلام بين الفكر والمجتمع

بقلم : الدكتور محمد سيد محمد

في فجر التاريخ الانساني كان الإعلام قائماً على المشافهة ، الى جانب الاشارات والحركات التعبيرية . من ذلك نستنتج مباشرة أن لغة الاعلام كانت أقرب ما تكون الى لغة التخاطب اليومي العابرة . نقول أقرب إحتراساً ، فربما كان المنادي أو الخطيب يحاول انتقاء تعبير الاستغاثة أو التحذير أو انتهاز فرصة الصيد . ولولا هذا الاحتراس لقلنا ان تطابقاً كان بين لغة التخاطب اليومية وبين لغة الاعلام في فجر التاريخ الانساني .

فاللغة ـ وهي أداة الفكر ومساعدته ـ هي التي مكنت الانسان من الشعور بذاته ، ومن الاتصال بأمثاله ، وجعلت من الميسور تكوين الجماعات . ومن العسير أن نتصور حالة أولية للانسان كان فيها محروماً من مثل هذه الوسيلة الناجعة للعمل . فتاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود لغة منظمة ، وما كان في وسع الانسان أن يسير في طريق التطور دون اللغة . ويقسم « شوشار » التعبير عند الانسان الى خارجي يتيح لنا الاتصال والابلاغ ، والى داخلي يفصح عن عقولنا وعن مدى ادراكنا .

وتدور معظم أدوار اللغة بين محورين رئيسين : هما : الفكر من جانب ، والمجتمع من جانب آخر . وترتبط اللغة بالفكر ارتباطاً مباشراً وثيقاً ، وتفسير هذه العلاقة موضع اختلاف فلسفي و « ايدولوجي » يعكس الخلاف بين الفلسفة المادية والفلسفة المثالية من جانب ، واختلاف الفلاسفة من جانب آخر ، ولكنه يؤكد العلاقة بين اللغة والفكر . فاللغة كما

يصفها « كارل ماركس » هي حقيقة الفكر المباشرة ، و « ستالين » يوضح هذا المفهوم الماركسي في قوله : « يقولون ان الأفكار تتكون في عقل الانسان قبل أن تصبح ألفاظاً وأساليب تعبير ، وانها توجد عارية تماماً ، دونما أي حاجة الى أجهزة اللغة . ولا شك أن ذلك القول ينطلق من خطأ بيّن ، فمهما كانت الأفكار التي تتجمع في عقل الانسان فهي لا تستطيع أن تولد وتحيا الا من مصدر الفاظ وعبارات اللغة،فلا وجود للافكار العارية ، المتحررة من أجهزة التعبير . . وان حقيقة الفكر تظهر في التعبير . ولا وجود أيضاً لأفكار بدون التلفظ بها » .

ويرى انصار المذهب المادي أن المخ يفرز الأفكار كما تفرز الكبد الصفراء .

ولقد أظهر « دي لاكروا » العلاقة بين اللغة والفكر قائلاً بأن الفكرة تكوّن اللغة بعد أن تكون قد تكونت بواسطة النطق .

وينسب الى « سقراط » قوله : حينما يفكر العقل يتكلم الى نفسه . ولقد صاح سقراط في رجل صامت : يا هذا تكلم حتى أراك . « وجيته » يقول نحن أحياء فقط عندما نتكلم . وقال « هوبز » ان المعرفة ما كانت لتأتي الى حيز الوجود بدون اللغة . ووافقه « لوك » الذي قال ان الحاجة الى الاتصال هي منبع اللغة ، وان اللغة تولّد الفكر بدورها ، وان الناس ليطلبون في بيان أفكارهم عون اللغة أكثر مما يستعينون بالطبيعة الحقيقية المحددة للأشياء كما هي . وقال « كونديلاك » ان المرء لا يفكر دون عون اللغة . ويرى « وارد » انه في الوقت الذي أصبح من المؤكد فيه أن الفكر لا يتم الا باللغة كما يبدأ الفن بالأدوات ، تساعدنا اللغة مع هذا على أن نتقدم بعملية التفكير تقدماً عظيماً الى الأمام ، وجاء « ستاوت » بعد ذلك ليسأل : ما الوظيفة الخاصة للغة في تفكيرنا ؟ ويجيب أن للغة وظيفة تعبيرية ، فالكلمة أداة للتفكير في المعنى الذي تعبر عنه . ويرى « برجسون » أن اللغة وسيلة رئيسية يستطيع الذكاء بها أن يتحرر من روابط الغريزة . ويقول « كروتشي » إنه يبدو واضحاً أنه اذا لم يتكلم الانسان فلن يفكر . وذهب « واطسون » الى القول بأن ما نسميه تفكيراً ليس الا كلاماً صامتاً . و « برتراند راسل » يقول : يكاد كل النشاط الذكائي الأعلى أن يكون مسألة كلمات . وقال « فرويد » ان النشاط العقلي يصير نشاطاً عقلياً شعورياً الى حد انه يظهر في شكل صور نطقية . ولقد شرح « بنكام » هذه الفكرة بقوله . إن الأفكار أحلام ما دامت لم تكْسُها الكلمات وما دامت عارية منها ، وهي تطفو في العقل حيناً ، وتختفي منه حيناً آخر ، كما يفعل السحاب في السماء . وكان « اوسكار وايلد » يقول ان الأفكار تولد دائماً مكسوّة لا عارية .

و « ميرلو - بونتي » يقول ان الفكر لا يوجد خارج العالم أو بمعزل عن الكلمات . وما نقع فيه من وهم يجعلنا نعتقد بوجود فكر لذاته قبل التعبير . انما الأفكار التي انتظمت من قبل وعبر عنها من قبل هي التي نستطيع أن نستدعيها الينا في صمت ، وبها نوهم أنفسنا أن لنا حياة داخلية بغير لغة . والحقيقة ان هذا الصمت الظاهر يعج بالكلام . وقال بونتي انه ليس بين الفكر والكلام علاقات خارجية زمانية أو مكانية ، ليس الفكر قبل الكلام ولا خارج الكلام ، انما الفكر في الكلام ، وقد انطوى كل منهما في الآخر . وشبههما باتحاد النفس والبدن .

واهتمام الفلسفة باللغة يبلغ مداه في دلالة الألفاظ . « ان الموضوع الحقيقي للفلسفة هو دراسة المعنى . والفيلسوف لا يدرس هذا المعنى بصفته واقعة نفسية أو عقلية ، بل يدرس وحسب الجانب المنطقي منه . ولا يوجد المعنى المنطقي خارج بناء اللغة ، ولذا فان عمل الفيلسوف هو دراسة المعنى اللغوي ، بتحليل العبارة المختلفة ، سواء كانت تقريبية ، أو خلقية معيارية ، أو قانونية الخ . ليعرف كيف يتحقق المعنى في كل استخدام . وهو لا يهدف من وراء هذا الجهد الى اضافة معلومات جديدة الى العلم الطبيعي أو الأخلاق ، أو سواهما ، بل يرمي الى توضيح وايضاح غايات اللغة ، أو الطرق التي تتمكن بها من تحقيق هذه الغايات ، وهكذا - كما يقول لودفيج فنجنشتين - فان الدلالة اللغوية هي الموضوع الأول للفلسفة .

واذا كان الفكر هو المحور الذي دارت حوله معظم أدوار اللغة فان المحور الذي يناظره هو المجتمع . وفي معرض تحليل العلاقة بين اللغة والمجتمع يبرز علماء اللغة الرباط الوثيق الذي يشدهما وهو رباط

الاتصال . فيرون أن الطرق الخاصة للتفكير انما تشيع في المجتمع بواسطة الاتصال . هذا الاتصال الذي يشمل الى جانب اللغة ، الرموز التصويرية ، والطقوس ، ولكن تظل اللغة هي الوسيلة الرئيسية لهذا الاتصال ، ومن ثم تظل الوسيلة الرئيسية للتأثير في الادراك . وهي رباط تذكر الماضي عند الفرد والجماعة ، ورباط الوعي بالحاضر والتنبوء بالمستقبل فالفرد يكتسب من اللغة طرق التفكير الشائعة في المجتمع الذي نشأ فيه .

وتمثل الثقافة مرحلة جديدة في تطور الانسان وهي مرحلة القدرة على الحصول على المعلومات وخزنها وتبادلها ومن ثم نقلها للجيل التالي ، بحيث أن الفرد في الجيل التالي لا يحتاج الى أن يعيد اكتشاف تلك المعلومات وتعلمها من جديد . وتطور الثقافة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالرموز وخصوصا المتعلقة بلغة الكلام والكتابة الى جانب الرسم والموسيقا وغير ذلك . ولكن اللغة هي أهم الرموز وهي التي تجعل النشاطات الأخرى ممكنة .

ويقول سابير (١٩٢٩) العالم اللغوي أن بني الانسان لا يعيشون في العالم المحسوس الخارجي وحده ، ولا في عالم النشاط الاجتماعي ـ كما يفهم عادة ـ وحده ، بل يكونون ـ الى درجة كبيرة ـ تحت رحمة اللغة الخاصة بهم ، والتي أصبحت وسيلة الاتصال في مجتمعهم .

وأغلب ظننا أن « ماكلوهان » عندما قال ان الطباعة هي التي انشأت القوميات كان متأثراً بقول بنيامين عالم اللغة : ان اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل انما هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار . فنحن نقسم الطبيعة أو العالم بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغاتنا القومية . ان المرء يفكر بلغته . ولغة المرء انعكاس لثقافته . ولقد ضرب لنا سارتر مثلا في محاضرة له (عن دور المثقف في المجتمع) عن طالبين صديقين كانا يدرسان الطب في باريس أحدهما فرنسي والآخر زنجي . وكان الفرنسي يعتقد أن ميوله بعيدة عن التمييز العنصري ولكنه تكلم مع صديقه مرة حين أرسل نفسه على سجيتها . فشرع يقول العبارة الفرنسية الجارية على الألسنة « لنشتغل الآن كما يشتغل الزنجي » ، ولكنه بدأها قائلا : « لنشتغل الآن كما يشتغل . . » وتوقف عن النطق بكلمة « الزنجي » فكان توقفه عن النطق مشيراً الى أنه فطن الى ما تحمله الكلمة من زراية وامتهان لصديقه ، وهو ان الزنوج هم وحدهم الذين عليهم أن يقوموا بأشق الأعمال التي يترفع عنها الأوربيون . وفهم الصديق الزنجي أموراً كثيرة تواردت على خواطره : خلفية الفرنسي البرجوازي ، وتمييزه بين الأبيض والأسود . استثارت الكلمة المحبوسة هذا الجو كله ، ودلت على أن المتحدث انما يعبر عن أفكار فرنسية وعقلية برجوازية،وكانت القطيعة بين الصديقين بسبب هذه الكلمة التي لم ينطق بها . وكان لسان حال الزنجي يقول للفرنسي انك لم تتحرر ياصديقي من أفكارك المسبقة التي تشير اليها لغتك الفرنسية فحرر لغتك حتى تستطيع أن تحرر فكرك .

والفيلسوف الألماني نيتشة يقول أن اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد الى أعماق كيانه . وتبلغ أخفى رغباته وخطراته . انها تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصاً خاضعاً لقوانين ، انها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان .

ولقد ربط بعض المفكرين والفلاسفة بين قضية اللغة أو ما أسموه ثورة في اللغة ، فمن اللغة تبدأ ثورة التجديد ، لأن اللغة عندهم هي الفكر ، ومحال أن يتغير هذا بغير تلك . فقد تسود العصر روح دينية صوفية تبحث عن الخفاء وراء الظهور ، وعن المطلق وراء الجزئي ، وعن البقاء وراء الفناء ، فعندئذ ينعكس هذا كله على طريقة استخدام الناس للغة في مدارج الثقافة العليا لا في تصاريف الحياة اليومية فيجعلون اللغة للايحاء لا للدلالة . وقد تسود العصر روح علمانية واقعية . يشتغل الناس فيها بالعلوم الطبيعية والرياضية أكثر مما يشتغلون بالوجد الصوفي فعندئذ ينعكس ذلك على اللغة فترى أصحابها يتخذون منها اداة ترمز الى الواقع المحسوس .

والدكتور زكي نجيب محمود يحترس من التعميم القاطع فيقول : ذلك على وجه التعميم الذى لا ينفي أن يتأثر في الحالة الاولى أفراد أشبه بالعلماء في استخدامهم للغة كما لا ينفي ان يكون في الحالة الثانية أفراد أشبه بالشعراء في صياغة القول .

ان اللفظ في اللغة تكمن فيه الثقافة التاريخية .

ومن بين مفردات اللغة ما يعتبر وثائق تاريخية ومنها ما ينطق بمواصفات اجتماعية خاصة بكل شعب ، كما أن منها ما يحمل شحنة عاطفية لا تدري عادة لماذا اختصت هذه الكلمة أو تلك بحملها .

واللغة كما يصورها بعض علمائها مركب معقد تمس فروعاً من المعرفة مختلفة ، وتعنى بها طوائف متفرقة من العلماء . فهي فعل فسيولوجي من حيث انها تدفع عدداً من أعضاء الجسم الانساني الى العمل ، وهي فعل اجتماعي من حيث أنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الانسان،ثم هي في النهاية حقيقة تاريخية لا مراء فيها نعثر عليها في صور متباينة وفي عصور بعيدة الاختلاف على سطح المعمورة قاطبة . ومن ثم كان لنا أن نتصور دراسة للغة يقوم بها عالم من علماء وظائف الأعضاء ، فيصف الطرائق التي تؤدي بها أعضاء الكلام وظيفتها . أو عالم من علماء النفس فيحلل حركة التفكير مهتدياً بنتائج علم النفس ، أو عالم من علماء الاجتماع فيظهر لنا أثر التنظيم الاجتماعي في تطور اللغات ، او مؤرخ فيصنف اللغات في اسر ويحدد توزيعها الجغرافي . كل واحد من هؤلاء يستطيع أن يكتب كتاباً يدخل في علم اللغة ولو أن نقطة البدء التي صدر عنها توجد خارج هذا العلم ، والنتائج التي يصل اليها تمتد حتى تخرج من حدوده .

وهكذا تبدو اللغة بحراً مترامي الأطراف ، فما هي علاقتها بالاعلام ؟ وأين تتجه ؟ ان الهدف الأساسي لهذه العلاقة هو اجلاء نقطة التماس بين دائرة الاعلام ودائرة اللغة ، وكيف يمكن شحذ هذه النقطة لتولد مجالاً ايجابياً بين الدائرتين ؟ . ومن ثم تصبح نقطة التماس بين دائرتي اللغة والاعلام ، قنطرة لإثراء وتطوير وترقية المجالين ، مجال اللغة ومجال الاعلام . □

منتدى العربي
تعقيبات

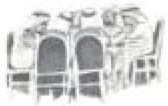

«الحساب الفلكي في بداية الشهور القمرية»

نشر الدكتور عبدالمنعم النمر مقالا في مجلة العربي ، العدد ٣١٩ حمل عنوان (الحساب الفلكي في تعيين بداية الشهور القمرية) وقد ورد في فقرة بدء الشهور العربية العبارة التالية : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » . وبين الرسول اسماء هذه الأشهر الحرم ، وهي رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة .. انتهت العبارة .

تأكدت من أسماء الأشهر الحرم الأربعة وذلك بالنظر في تفسير الجلالين ، فتأكدت أن الأشهر الحرم هي (رجب ، ذوالقعدة ، ذوالحجة ، المحرم) أي ان شوال ليس شهرا حراما ، وبهذا تتوافق حرمتها وسلامة الحجاج في الأشهر الثلاثة المتصلة « عدا رجب » ، وهي أشهر الحج بحيث يتسنى للحاج حسب المواصلات القديمة « الجمال والخيول »-من الذهاب الى الكعبة والعودة سالما . وتابع المقال حتى

الصفحة (٣٢) ، وبالتدقيق في الرسم المرفق الذي بينه الدكتور نلاحظ أنه لا ينطبق على الشرح في البحث ولا على المراد منه ، فالرسم يبين أن الزاوية بين القمر والشمس عند الغروب تساوي ٩٠ درجة ، فكان يجب أن ترسم الشمس في الطرف الآخر للافق فيتفق ذلك مع الشرح حيث يبدو للمراقب على سطح الارض ان الزاوية بين القمر والشمس أو ميل القمر = ٨ درجات أو (٥) درجات حسب أدنى مسافة بين القمر والشمس . ويمكنه أن يرى القمر بالعين المجردة « وربما أقل من خمس درجات » .

في الرسم الموضح : تسقط القمر والشمس على مستوى عمودي على المستوى الافقي .

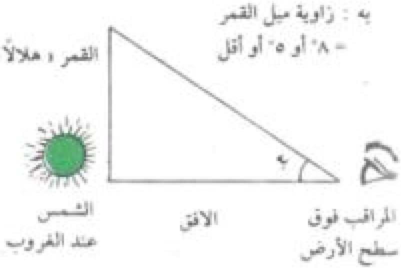

أما عن أهمية أخذ المسلمين بالحساب الفلكي ، والاستعانة بالوسائل العلمية الحديثة ، فمع الكاتب كل الحق . وذلك من أجل معرفة بداية الشهر القمري ونهايته بكل دقة ، لأن العين المجردة تقف عاجزة في أغلب الأحيان عن رؤية الهلال فيما لو كان بُعد القمر عن الشمس « الزاوي » أقل من خمس درجات كما أوضح الدكتور وذلك لأسباب اورد بعضها :

أولا : يستمد القمر ضوءه من الشمس ، ولكن الجزء المضاء من القمر والذي يرى من سطح الارض (عندما يقترب القمر من وضع المحاق) صغير ويتناسب صغره طردا مع اقتراب القمر في نهاية الشهر القمري .

ثانيا : في اثناء غياب الشمس واحتجابها تحت الافق « والقمر قريب منها أقل من خمس درجات » لا ننسى الضوء غير المباشر الناتج عن تشتيت الأمواج الضوئية الصادرة عن الشمس ـ وخصوصا القصيرة منها ـ بواسطة جزيئات الهواء التي تؤلف الغلاف الجوي الأرضي ذا السماكة الكبيرة . ونظرا لصغر المساحة المضاءة من القمر والتي يجب أن ترى من الأرض (ذات استطاعة ضوئية صغيرة) ولكون عاكسية القمر الضوئية منخفضة بسبب انعدام الغلاف الجوي القمري (لأن أشعة الشمس عندما تسقط على القمر ترفع درجة حرارته فلا يعكس الا قسما بسيطا منها ثم يبث هذه الحرارة على شكل أمواج كهرطيسية تحت حمراء « غير مرئية ») ، ونتيجة لهذا يمكن أن تطغى الاشعة المشتتة عن جزيئات الهواء (في الغلاف الجوي الارضي) على الضوء المنعكس عن الجزء المضاد من القمر .

للاسباب السابقة تتعذر رؤية القمر بالعين المجردة ، والاعتماد على الحساب الفلكي والوسائل العلمية الحديثة يجعلنا نتحقق من بداية ونهاية الشهر القمري ، ولا نكون في موضع شك من هذا . □

بدر الاحمر

قال ابن عطاء : ان للدعاء أركانا ، واجنحة واسبابا واوقاتا ، فان وافق أركانه قوي ، وانوافق مواقيته فاز ، وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور القلب ، واجنحته الصدق ، ومواقيته الأسحار ، وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

منتدى العربي
تعقيبات

حول موضوع :
تلوث البيئة والتسمم الغذائي وسوء استعمال الدواء..

بقلم : د . نبيه الغبرة

كان حديث الشهر للدكتور الرميحي في العدد ٣١٦ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٥ ـ آذار ١٩٨٥ ـ بعنوان : « التلوث . الدواء الفاسد . الغذاء المسموم » . ولاشك أن الموضوع مهم بالغ الخطورة له آثار سلبية كبيرة ، وخصوصا في المجتمعات المتخلفة ، ولكن من الممكن معالجته او التخفيف من آثاره إن أحسن تدبيره .

ولقد أحببت أن اشارك في هذا الموضوع بصفتي المهنية ـ لانه في الاصل موضوع صحي طبي ، وان كانت له جوانب أخرى كثيرة ، لانني وجدت في المقالة كثيرا من النقاط التي تحتاج الى شيء من التحديد والايضاح . فقد وجدت الدكتور يلوم المؤسسات الغربية بصورة خاصة وكأنها المصدر الوحيد لمصائب التلوث والغذاء الفاسد والدواء المسموم مع أن البلاد المتخلفة هي التي تتحمل الوزر الأعظم وعليها أن تحمل مسؤولياتها .

فمن الناحية الفنية كنت أفضل الفصل بين المواضيع الثلاثة التي جعلت عنوانا للمقال . وأن تبحث مشكلات كل موضوع على انفراد . وان كان هناك أحيانا شيء من التداخل فيما بينها ، وخصوصا مابين قضايا التلوث والتسمم الغذائي .

فالتلوث ، يعني تلوث بيئة الانسان (الهواء والماء والتراب) بأية مادة ضارة بصحة الانسان أو الحيوان أو النبات ومنها فضلات المصانع ونفاياتها وتسرباتها ،والمبيدات الحشرية التي ركز عليها الدكتور في مقالته بصورة خاصة ، كما أن منها النفايات الشعاعية وتسرباتها ، ومنها وهو الأهم في البلاد المتخلفة تلوث بيئة الانسان بالاقذار والنفايات البشرية التي تجعل البيئة مرتعا للحشرات والقوارض والجراثيم والطفيليات وتجعل الأمراض المستوطنة في هذه البلاد مشكلة المشاكل والعقبة الكبرى التي يجب التخلص منها ، فترى النهر مثلا يصدر من منبعه عذبا فراتا فلا يسير بين المجمعات السكنية بضعة كيلومترات حتى يصبح مليئا بالأقذار وبالجراثيم والطفيليات المسببة للمرض .

بهذا التعريف للتلوث تخرج مواضيع التدخين ـ وان كان هو القاتل الاول في العالم كما تسميه منظمة الصحة الدولية ـ وانتهاك البيئة واستنزافها . إن معالجة التلوث تكون بجعل البيئة صحية ، ومنع تلوثها او بتخفيفه على قدر الامكان . ومثل هذا

العمل الضخم لابد فيه من مؤسسات حكومية فنية متخصصة . ولابد لنجاحه من . تجاوب الناس السلوكي والوجداني والايجابي . فعندما حذرت اليابان المواطنين مثلا من خطر غازات احتراق محركات السيارات وشجعتهم على ركوب الدراجات شاهدنا أن الشعب استجاب وأقبل على ركوب الدراجات . وأن بلادا شرقية ـ مثل سنغافورة ـ لاترى فيها قمامة ملقاه في الطريق ولاتجمعات مياه قذرة ولاذباب ،مضاهية في ذلك البلاد الغربية . ففيها وزارة خاصة بالبيئة تسهر على صحة البيئة ومنع تلوثها البشرى . وأما بالنسبة للتلوث الصناعي فهو موضوع واسع لاتزال تعاني منه البلاد المتقدمة ايضا ، ويجب على كل حكومة محلية أن تسعى للتخفيف من اخطاره .

أما الغذاء الفاسد : فيحسن ان يستخدم للدلالة عليه تعبير التسمم الغذائي أو التسمية الفنية : « الامراض الناجمة عن الطعام » ، ويقصد بها كل مرض أو أذية تنجم عن الطعام ، وهذا لايقتصر على تلوث الطعام بالسموم الكيماوية الصناعية ، وفساد المعلبات بل يشمل ـ وهو الأهم وخصوصا بالنسبة للبلاد المتخلفة ـ الأمراض الوبائية والطفيلية والتسممية الناجمة عن تناوله . وهذه الآثار السيئة تحصل بطرق مختلفة وكثيرة يأتي في مقدمتها فساد الأطعمة العادية وتلوثها بدءا من نشأتها ومرورا بإعدادها وحفظها وانتهاء باستهلاكها . ويزداد الخطر طبعا عندما يكون الطعام معدا للجماعات . في المدارس والمعاهد والمشافي والمطاعم والفنادق والرحلات السياحية والطائرات وتجمعات الجنود وصوامع الحبوب وغيرها .

وأما الامراض والتسممات الناجمة عن الاطعمة المحفوظة فهي واردة بلا شك ولكنها ليست بالشكل المخيف . فالصناعات الغذائية هي الاولى من حيث الضخامة في العالم الغربي بل في العالم أجمع . وعليها يقوم توفير الأمن الغذائي للعالم . وبدونها لايستطيع المرء أن يتصور حلا . وان المعارف والتقنية الحديثة مسخرة لنجاح هذه الصناعة . وهنا نرى أن مصلحة المستهلك والصناعة تسير جنبا الى جنب . فحفظ الطعام الجيد يعني بيعه والاستفادة منه . ولا أعتقد ان هناك مرجعا علميا معتمدا يقول بخطر الاطعمة المعلبة بشكل مطلق ، فكل بلاد العالم تسعى وراء هذه الصناعة اليوم لتوفير الطعام للناس . ولكن قد تسيء بعض البلاد المتخلفة استعمال الاطعمة المحفوظة بالتبريد مثلا ، وهنا يكون الذنب ذنبها .

فمن الواجب أن يكون في كل بلد مؤسسات فنية متخصصة لمراقبة الطعام المستورد والمنتج وبترك الامر للأفراد .

ان القوانين الموضوعة في العالم المتقدم اليوم لحماية الطعام ـ ومنه المعلبات والمحفوظات ـ على غاية من الدقة والاحكام ، والتطبيق والمراقبة ـ وهي الأهم بالطبع ـ بحيث يطمئن الانسان الى استعمالها ، فنحن نصف ونستعمل الحليب المعلب والطعام المعلب والمحفوظ ـ وان كنا لانشجعه الا في الظروف والاحوال الاضطرارية . وكلنا اطمئنان الى سلامته وجودته . وحول ماجاء في مقالة الدكتور في مطلع الصفحة ١٩ : « الزبدة ـ والحليب المجفف .. منتجات حضارية رغم مضارها الكبيرة على صحة الانسان » ، او « الوجبات الغربية قاتلة » . (ص ١٩ سطر ١٩) فأنا أتصور أنه قد يكون هناك غش واحتيال وتآمر . ولكن يجب على كل عيون حكومة محلية أن تكون متفتحة ساهرة على أمن غذاء شعبها فهذا من اولى واجباتها .

واما الموضوع الثالث الذي طرحه الدكتور بشكل رئيسي بعنوان الدواء المسموم فيمكن القول ان له جانبين : جانب فني وجانب اجتماعي .

فالجانب الفني هو من اختصاص المهن الطبية والعاملين على انتاج الدواء . وعلى هؤلاء السعي لايجاد الدواء الفعال المأمون بقدر الامكان .

ونستطيع القول بايجاز إن الدواء بوجه عام هو في الأصل مادة سامة ، ولايعطى الا بمقادير محددة . فاذا اعطي بأيد أمينة حسب المقادير المحددة لم يحدث عند متعاطيه أي أذى أو ضرر . ولكن مع كل التقدم العلمي يبقى لبعض الأدوية تأثيرات سمية عند بعض الناس تسمى بالآثار الجانبية وهي قد تكون قليلة هينة وقد تكون كثيرة وخطرة ، ولكن الطب لايستغنى عن هذه الادوية لعدم وجود بدائل لها . وكلما وجد البديل الافضل استغني عن القديم المفضول ، فالادوية الكيماوية السرطانية مثلا ذات آثار جانبية شديدة

وخطرة ولكن لايستغنى عنها ، حتى الاشعة والمواد المشعة لابد وأن نلجأ اليها عند الضرورة .

كما أن لكثير من الأدوية مضادات استطباب ، أي التحذير من استعمال الدواء عند المكبود ، او المصاب في كليته أو عند الحامل او المرضع ، وهكذا . وعلى كل طبيب أن يعرف مضادات الاستطباب كما يعرف الأثار الجانبية .

فالطب ليس بغافل عن تعاطي الادوية وهو يأخذ من الاحتياطات الشيء الكثير كما يقوم بالدراسات والتجارب قبل البدء باستعمال الدواء الجديد بما فيه الكفاية وزيادة . وعلى كل طبيب أن يكون على وعي كامل بكل دواء ومخاطره حين وصفه وخصوصا للحامل . وأعتقد ان علينا أن نطمئن القارىء الى أن الدواء الذي يقرر عدم تداوله او عدم صنعه او انه قد ظهرت له بعض التأثيرات غير المعروفة سابقا وماشاكل ، انه في مثل هذه الاحوال تصبح جميع الهيئات الصحية والأطباء في العالم على دراية وعلم بالموضوع . فالبلاغات والتعميمات بهذه المسائل ليست وقفا على عدد من الدول بل هي للعالم اجمع وغالبا ماتوزع مثل هذه المعلومات عن طريق الصحة الدولية .

ولتطمئن الأمهات ان التشوهات التي تنجم عن الدواء لاتشكل الا نسبة ضئيلة جدا ، هي جزء من خمسة وعشرين جزءا من الأسباب المشوهة الأخرى . وبالطبع لايوصف الدواء الا في الضرورة القصوى .

وهنا نستطيع القول ـ كما قلنا ـ في موضوع الطعام ، إن الاحتيال والغش والتآمر والاستغلال أمور واردة بلا شك ولكن على الحكومات المحلية أن تراقب الاتجار بالدواء وسلامته .

واما الجانب الثاني في قضية الدواء فهو **الجانب الاجتماعي** ـ ان صح التعبير ـ واقصد به سوء استعمال الدواء وتعاطيه وصرفه . وهذا الجانب يمثل مشكلة كبيرة ، وفي كثير من البيئات المتخلفة على مااعتقد . وهو الذي يؤدي الى مصائب لها أول وليس لها آخر . فبيع الدواء بدون وصفة وكأنه طعام أو فاكهة هو المشكلة التي يجب العمل على تدارك مخاطرها ، ولاأريد أن أطيل في هذا الموضوع فكل من يعيش في بلد يصرف فيه الدواء بدون مراقبة فنية دقيقة يدرك خطورة الموضوع ، فسوء استعمال الدواء هذا هو الذي يجب العمل على تنبيه الرأي العام اليه والعمل على ايقافه .

انها مواضيع هامة وخطرة ويجدر أن تعقد حول كل مشكلة من مشاكلها الندوات واللقاءات والمناقشات . □

اسمه . . . . . أكثر من ثمنه :

صاد أعرابي سنورا . . ولم يكن يعرفه أو رآه من قبل .
فقابله رجل وقال له ممازحا : ما هذا السنور ؟ ولقيه آخر . . فقال له : ما هذا القط . . ولقيه ثالث . . فقال : ما هذا الهر ؟ . . . ولقيه رابع . . فقال : ما هذا الخيدع ؟ ثم لقيه خامس . وقال : ما هذا الزنم ؟
فقال الأعرابي في نفسه : أحمله فأبيعه فيجعل الله منه لي مالا كثيرا .
فلما أتى السوق . . قالوا له : بكم هذا ؟
قال بمائتي درهم .
فقالوا له : انه لا يساوي أكثر من نصف درهم لمن أراد أن يشتريه . .
فرماه الأعرابي على الأرض . . وقال : ما أكثر أسماءك وأقل ثمنك . .

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين احمد امين

قوله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل) البقرة ١٠٨

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية فى عبد الله بن ابى أمية ورهط من قريش ، قالوا : يامحمد اجعل لناالصفا ذهبا ، ووسع لنا أرض مكة ، وفجر الأنهار خلالها نؤمن بك . فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال غيره : ان اليهود وبعض المشركين طالبوا الرسول بأن يبرهن على صدقه بأن يأتيهم بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل ان عبد الله بن أبي أمية قال له إئتنا بكتاب من السماء فيه : من رب العالمين الى ابن ابى امية ، اعلم انى قد ارسلت محمدا الى الناس ، وقيل بل إن بعضهم قال له : لن نؤمن لك أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، فأنزل الله هذه الآية .

على أى حال ، فان المفهوم الواضح من الآية وتفسيراتها أن بعض قوم النبى عليه الصلاة والسلام اشترطوا عليه حتى يؤمنوا بدعوته أن يأتى ببعض الخوارق ، مما يخالف قوانين الطبيعة ، فأبى الله أن يجيبهم الى سؤالهم ، وهو الذى خلق لهم من العقول ما يمكنهم باستخدامها التمييز بين صحيح العقائد وفاسدها ، وصادق الرسالات وكاذبها دون حاجة الى الاستعانة على هذا التمييز بضروب من الخوارق والسحر .

والواقع أنه ليس ثمة كتاب مقدس هو أحفل من القرآن الكريم بالآيات التى تحض الناس على النظر والتفكير وتحكيم العقل ، والا أحوى منه على عبارات مثل : أو لم ينظروا .. فلينظر الانسان .. أفلا يتدبرون .. افلا يعقلون .. لعلهم يتفكرون .. لو كانوا يفقهون .. أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف .. فهنا ثقةمطلقة بأن تقليب النظر واعمال الفكر والرأى والنقاش القائم على مقارعة الحجة بالحجة ، أمور كفيلة وحدها بالاقناع بالرسالة ، والهداية الى الدين الحق . (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ) .

ان قدرة الخالق انما تتجلى في انتظام عمل قوانين الطبيعة لافي تعطيلها . وقد وضع الله هذه القوانين من أجل تحقيق مقاصد وغايات ، ولا يُقبل ـ عقلا ـ أن يعطل بعض الناس عمل هذه القوانين بسبب رغبات لهم خاصة ، أو غايات عارضة ، أو أن يصرفوا الله ـ سبحانه وتعالى عما يصفون ويعتقدون ـ عن قصده ، ويغيروا له ارادته .

وقد كان عبد الله بن أبي أمية في طلبه من النبي عليه الصلاة والسلام أن يجعل من الصفا ذهبا ، أو يفجر الأنهار في مكة ، وفي تعليقه الايمان بالدين الجديد على شرط تحقق مطالبه ، انما يعبر تعبيرا صادقا عن نظرة الجاهليين الى الدين والى الآلهة . فعبادة الأرباب لديهم انما كان الدافع الرئيسي وراءها تحقيق مآرب شخصية أو قبلية ، يستعان عليه بالتوسل وتقديم القرابين والنذور . وقد ذكر ابن سعد والجاحظ وابن ابي الحديد مثلا لذلك أنهم كانوا في الجاهلية اذااشتد الجدب وامتنع المطر اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها فروع الشجر ، ثم صعدوا بها في جبل وعر ، واشعلوا فيها النيران . واذ يصرخ البقر من الألم يضج الناس معها بالصراخ والدعاء والتضرع ، فيرتفع صراخ الكافة الى الآلهة ، فتدخل قلوبها الشفقة وترسل المطر .

وقد شاء الله تعالى بهذه الآية الكريمة التي نتحدث عنها أن ينبه الناس الى أنه ليس ثمة علاقة ، ولا ينبغي أن تكون هناك علاقة بين الايمان بالحقيقة الدينية وبين الاستجابة أو عدم الاستجابة لمطلب مثل الانتصار على عدو ، أو سقوط مطر ، أو زيادة كسب ، أو الابلال من مرض . فالرضا بقضاء الله وقدره على أية صورة يتخذها هذا القضاء ، وحتى ان جاء على خلاف ما يهوى الفرد ، هو أصدق دلالة على الايمان الصادق . وقد دعا السيد المسيح ربه وهو في محنته ان يجنبه شرب ذلك الكأس ، غير أنه سرعان ما تراجع عن دعائه هذا الذي كان يهدف به الى التأثير في الارادة الالهية ، فهتف قائلا : ـ ارادتك يارب ، لا ارادتي .

كذلك استنكر النبي عليه الصلاة والسلام هذا المنحى غير العقلاني من الجاهليين ، وحاول التصدي للطقوس الجاهلية بالتهذيب وباستئصال مظاهرها الهمجية المحضة ، وهو موقفه صلى الله عليه وسلم من كثير من عادات قومه التي كان من العسير القضاء عليها دفعة واحدة . فقد كان الرسول أروع مثال للتأني والصبر ، وأعلم الخلق بطابع الخلق ، وأرفقهم أخذا بايديهم ، اذ ينتقل بهم من طور الى طور ، وأدراهم بمقتضيات الحكمة والسياسة ، مع التزامه دوما بالهدف الأسمى الذي يتوخاه . وكان يدرك أن غرس المفاهيم الجديدة لا بد له من درجة فائقة من الترفق واللين ، فلم يصدم بالحقيقة كاملة مشاعر الجاهليين . وكان يؤمن بأنه في هذا العالم المجبول على الجهل والخرافة والنقص لا بد من التدرج والمداراة في سبيل الهداية . ولا شك عندي في أنه ـ وهو الذي جاء يبلغ احرص الرسالات على إعمال الفكر والمنطق والاحتكام الى العقل ـ كان يأمل في أن يؤدي الرقي التدريجي للامة الى استئصال كل الاتجاهات والمواقف التي لا تعني في الواقع غير خرق قوانين الطبيعة التي هي من صنع الله ، وتعطيلها ، وتعني امكان تأثير البشر عن طريق اعمال السحر في الارادة الالهية . □

قال « البروفسور شيربل » عميد كلية الحقوق في جامعة فيينا : إن البشرية لتفخر بانتساب محمد إليها ، ذلك الأمي الذي استطاع أن يأتي بشريعة سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمتها بعد ألفي عام .

العربي
عيونك
على العالم

بومباي تحت العاصفة

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

حين تتوهج الشمس . . وتبلغ الحرارة اللافحة أقصى درجاتها . . تأتي الرياح الموسمية مزمجرة من بحر العرب ، لتهب على السواحل الغربية لشبه القارة الهندية ، مستأنفة سيرها بعد ذلك من الجنوب الى الشمال الى ماوراء سفوح الهيمالايا . . وحين تنفض الحقول عن نفسها المياه الرطبة وندى الفجر ، يكون الفلاحون في سباق مع الزمن . . يحرثون الارض ويبذرون البذور ويغرسون شتلات الارز ، « فالمونسون » تلك الرياح الموسمية المتوحشة التي تسوق أمامها الغيوم الداكنة المليئة بالماء . . تقترب في بطء لتهمر أمطارها دون أن تحدد لخطوها أي زمان أو مكان . . ففي كل عام تتجاوز بعض المناطق حتى لتعز عليها قطرة الماء وتموت من قسوة الجفاف . بينما تغرق أراض أخرى غرقا تاما يبلغ حد الكارثة . أما فيما بقي من الارض فهي تغدق عليها الخصب والنماء والحياة . . فتبدو حسب عقائد الهندوس وكأنها « شيفا » اله الخصب والنماء . . الخالق الحافظ المدمر ، الذي يحيى الأرض أو يميتها بريح أنفاسه المنطلقة من بين شفتيه . .

وكما يحدث كل ذلك في شبه القارة الهندية وماحولها ، فانك تستطيع أن تشهد صورة مصغرة من ذلك الحدث الكبير : . إذا انطلقت مع الصيف ونفحة الحر الى بومباى . .

اذا اردت أن تعرف بومباى على حقيقتها . . فتأمل بيضة مليئةوجدتها أمامك وأنت جائع . . ستجد قشرتها الخارجية ناعمة ملساء ناصعة البياض . . وستجد أنها تغريك بجمالها وتستثير لهفتك الى ماقى داخلها من مح وزلال حي . . يجد متنفسه من خلال مسام القشرة مابقيت سليمة لم تدقها بأصابعك فتكسرها . . ولم ينقرها فرخها من داخلها ليخرج الى الحياة . .

ولكنك لن تدرك أن هذه القشرة خادعة . . فالبيضة قد ظلت مهملة لمدة طويلة ملقاة تحت هجير الحر بلا عناية ولاتبريد . . فاذا ما بداخلها قد فسد بحيث لم يعد يتحرك فيه سوى سائل سقيم فقد لزوجته وساح فيه المح على الزلال . . وماتت في خلاياه الحياة . . واصبح يكتم ريحا كريهة . . تنقلب لها الأمعاء ، وتفسد بها كل الأجواء . .

تلك البيضة . . هي صورة مصغرة من . . بومباى . . !

هذه الرياح الممطرة

وحين انطلقنا الى بومباى - بوابة الهند الغربية وميناتها البحرى الرئيسي وعاصمة ماهاراشترا المطلة على بحر العرب - لم يكن هدفنا ان نتحسس نعومة القشرة الملساء التى يزدهى بها مشهدها الخارجي ولا كان في نيتنا أن نخوض في سراديب الشوارع الخلفية ، ونغوص في خضم ذلك الحشد الرهيب من البشر بكل ما يحيط بهم من فقر وجوع ومعاناة . .

ولكننا حين اتجهنا الى بومباى . . كان لنا هدف آخر . . فقد كنا في الحقيقة نريد أن نلاحق بدايات « المونسون » .

والمونسون - كما يطلق عليه الجغرافيون وكما

يسمونه في جنوب شرق آسيا وحتى جبال الهيمالايا والصين في الشمال ـ هو اللفظ المأخوذ من كلمة « موسم » العربية ويعنى به موسم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الممطرة .. التى تنطلق مزمجرة مع بدايات يونيو كل عام لتستمر الى اكتوبر .. مرسلة سيول أمطارها ومطلقة رعودها وبروقها لتتحول في كثير من الاحيان الى عواصف واعاصير .. ويستقبلها الناس بترحاب برغم كل ما ينتج عنها من فيضانات مدمرة وإغراق للحقول واكتساح للبيوت وضياع للنفوس ، حتى ليتجاوز عدد ضحاياها في أحيان كثيرة بضع مئات من الغرقى ومئات الالاف من المشردين . برغم كل ذلك فالناس يستقبلون « المونسون » مهللين شاكرين باعتبارها هبة الخير من السماء ،وكما قال الشاعر الهندي « كاليدسا » قبل الف وخمسمائة عام :

« هذه الرياح تتقدم بغيومها الثقيلة كالفيلة المنطلقة الى الامام .. عظيمة هائلة محملة بالأمطار الخيرة تتقدم وكأنها ملوك على رؤوس جيوشهم .. البروق أعلامهم ... والرعود طبولهم » .

ويحدثنا الجغرافي العربي الدكتور حسن ابو العينين عن المونسون فيقول :

هذا الفصل المطير الذي يسيطر على بومباى وعلى شبه الجزيرة الهندية كلها في الغالب يمتد من يونيو الى اكتوبر .. ويبدأ هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الاسبوع الاول من يونيو .. وتبلغ سرعتها نحو ٤٠ كيلو مترا في الساعة على طول الساحل الغربي .. ولكن هذه السرعة تتجاوز الضعف واكثر عندما تتحول الى عواصف رهيبة تكتسح أمامها كل شىء .. وإن كانت تقل كلما اتجهنا نحو الشرق . ويختلف طول الفصل المطير من مكان الى آخر تبعا لأثر الموقع الجغرافي والظروف المحلية .. فتسقط الامطار فوق اقليم بومباى خلال الاسبوع الاول من يونيو وتنتهي مع نهاية الاسبوع الثانى من اكتوبر .. بينما يمتد الفصل المطر فوق اقليم البنغال وبنجلاديش من منتصف يونيو وحتى نهاية اكتوبر .. وفوق اقليم البنجاب من اول يوليو الى أواخر سبتمبر .

خريطة الهند وتبدو بومباى على الساحل الغربي والى أسفل ولاية مهارشترا «المظللة»

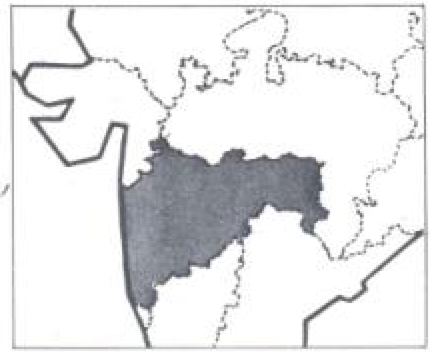

سر « المونسون »

ولكن ماهى الاسباب والبدايات ؟

فى فصل الصيف الشمالى .. تتعامد الشمس على مدار السرطان وتتكون مع ارتفاع درجة الحرارة فوق القسم الشمالى الغربى من شبه القارة الهندية منطقة عظمى من الضغط المنخفض .. ومن ثم تنجذب اليها الرياح الآتية من فوق المسطحات المائية والمحملة بالرطوبة . فتنساب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية من مناطق الضغط المرتفع المدارية نحو الشمال .. ثم سرعان ما تنحرف على يمين اتجاهها بعد أن تعبر الدائرة الاستوائية وتصبح جنوبية غربية ، وتسمى هنا باسم الرياح الموسمية الصيفية . وتسقط هذه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية أمطارا غزيرة فوق الساحل الغربي . وتقل كمية الأمطار فوق مناطق ظل المطر ثم تتعلق نحو المناطق الشرقية . وعندما تمر هذه الرياح فوق مياه خليج البنغال وتعظم بها نسبة الرطوبة من

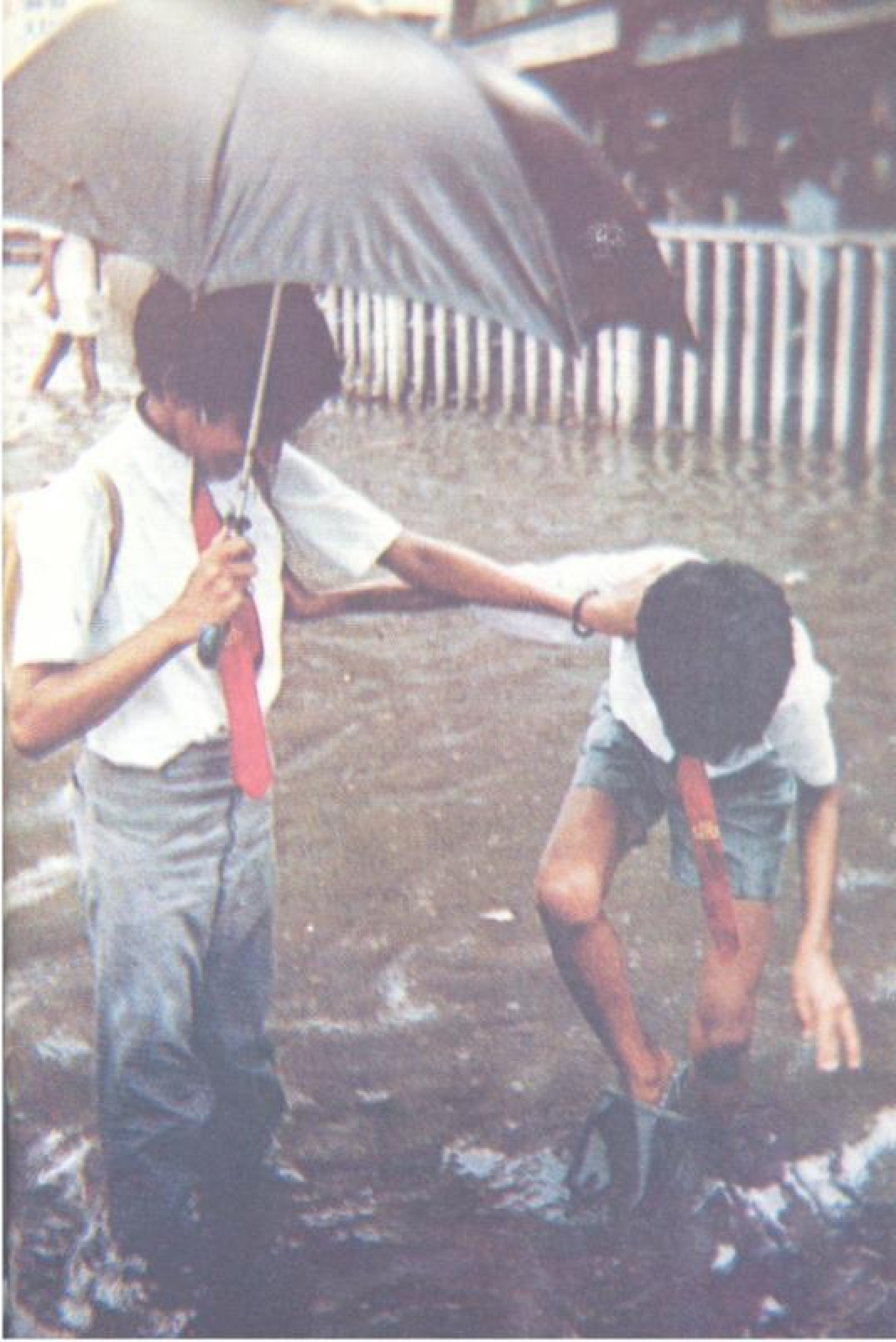

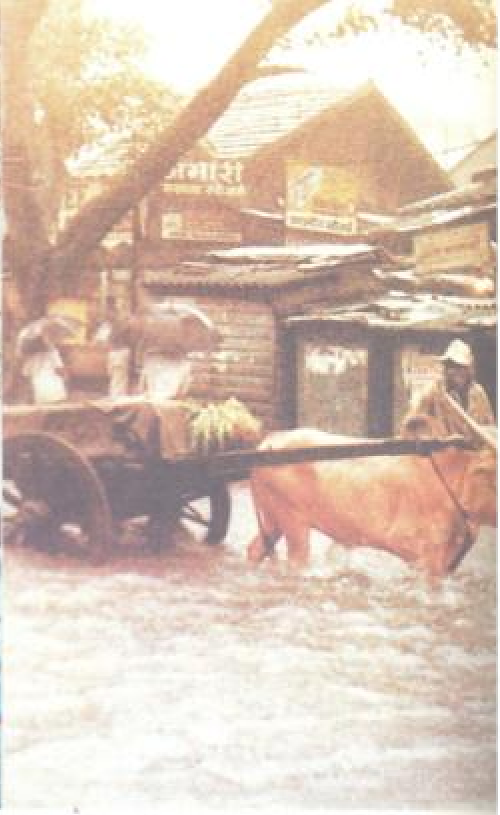

الخوض في الماء .. أصبح عادة عند سكان المدينة لايمنعهم من الوصول الى أعمالهم . وليس مهما أن يصلوا الى العمل والماء يقطر من ملابسهم .. فالجميع سواء .. حتى ولو بدون حذاء والمظلة فيها الكفاية ولو كان لرجل المرور .

جديد ، تتجه بدورها نحو الشمال الغربي جنوب مناطق الضغط المنخفض المظمى . . ومن ثم تسقط أمطارا غزيرة فوق الحوض الادنى لنهر الجانجز والسفوح الجنوبية لمرتفعات الهيمالايا في نيبال وماوراءها جنوبي الصين .

وحين نسأل رجال الأرصاد يقولون ان المشكلة تكمن في صعوبة التنبؤ ببداية سقوط الأمطار الموسمية . . وكمية ما تسقط من المياه في مختلف الاقاليم والدول التي تهب عليها الرياح الصيفية . وبرغم الاستعانة بمختلف اجهزة الرصد والكمبيوتر والاقمار الصناعية فما تزال هناك مشكلة عدم إمكانية التنبؤ بدقة الا لعدد قليل من الايام . . حتى ان رجال الارصاد يقولون انه كلما ازدادت المقارنات بين توقعاتهم وبين البدايات الواقعية للمونسون يجدون أن الامر اصبح اكثر تعقيدا . . ويبدو لهم وكأنهم يتعاملون مع مشكلة لاحل لها .

هذا الاضطراب في تحديد مواعيد هبوب الرياح المحملة بالأمطار الموسمية ، وتوقع كمياتها ومدى تحولها الى عواصف وماقد ينتج في نفس الوقت من اعاصير ، هو مايثير الأمل المختلط بالقلق بين السياسيين والاقتصاديين والزراعيين والفلاحين في جميع انحاء آسيا حيث تعتمد الزراعة ـ وبالتالي حياة نصف سكان الارض البالغ عددهم في هذه المناطق ما لايقل عن ٢٥٠٠ مليون نسمة ـ على المونسون . وتتخذ قرارات سياسية واقتصادية مصيرية ، وينجح سياسيون ويسقط آخرون ، بسبب قلة أو زيادة كميات الامطار التي تسقطها هذه الرياح الموسمية . .

بومباي تستقبلنا بالأمطار :

كل ذلك كان في تقديرنا ونحن ننطلق الى بومباي لمتابعة بدايات المونسون .

كان الوقت في الصباح الباكر من السابع من يونيو . . نفس الفترة التي يتوقعون فيها بداية هطول الامطار مع هبوب الرياح الموسمية .

واستبشرنا خيرا . . فمع لحظة وصولنا ادركنا اننا قد بدأنا رحلتنا مع المونسون . . وعلى طول الطريق الذي يمتد ٣٠ كيلومترا من المطار الدولي في ساهار الى وسط مدينة بومباي كان كل شيء يغرق تحت وابل من الأمطار .

وقال لنا سائق السيارة : انه اول يوم تهطل فيه الامطار بهذه الغزارة فلأيام طويلة سابقة لم تسقط على بومباي قطرة ماء واحدة . . وكان كل شيء يتنسم ريح المونسون . . وها قد جاء الخير اخيرا مع قدومكم . .

هكذا كانت الصورة في صباح ذلك اليوم الباكر من يونيو وسائق السيارة يقطع بنا الطريق من المطار الى الفندق . . الامطار تسقط بغزارة لم نشهد مثلها من قبل . . الماء يتدفق ويرتطم بزجاج السيارة وكأنه سيول من قطع الثلج تنهال من السماء . . .

السائق يتراقص بسيارته غير عابيء بالدفق المائي الذي يهطل بشدة . . الفرحة تكاد تطير بالرجل وهو يتغنى بأغنية لم نفهم معناها ولكنها بلاشك تحية للسماء أن أرسلت هذا الفيض المنهمر الذي ينتظره ويتمناه الجميع . .

لانكاد نقطع عشرة كيلومترات حتى نجد انفسنا ونحن نخوض نفس الطريق على طول مجرى « قناة ماهيم » ولكن الماء قد ارتفع حتى وكأننا داخل غواصة تسير على سطح مجرى مائي عريض . . . جميع انواع المركبات تتزاحم وهي تسير مسرعة بينها الحافلات والباصات والسيارات ولوريات النقل وعربات التونجا التي تجرها الثيران وعربات الراكشو ذات الثلاث عجلات والدراجات البخارية والهوائية ، كلها في سباق مجنون لا يوقفه الا تاكسي او سيارة تعطلت هنا او هناك بسبب وصول المياه الى محركاتها وتكون فرصة لنسترد انفاسنا قبل أن يستأنف السائق طيرانه ويواصل أغانيه . .

هنا على الجانبين تقوم اكواخ واكشاك بعضها من الصفيح وبعضها من الخشب ، وكلها مغطى اما ببقايا اسبست او بأغصان اشجار او بقطع من الخشب واعواد الذرة ولفائف اعواد الأرز . . وهي كلها لا تستطيع ان تحول دون تسرب الماء الى داخل الاكواخ ، فكأنها والطريق الموحل الغارق في الماء سواء . . . لا فرق بين من يقيمون بداخلها وبين من ينطلقون في الطريق واغلبهم بلا مظلات ، ومن يجرون العربات باجسادهم النحيلة التي لا تغطيها

الملابس الداخلية الممزقة التي تلتصق بأجسامهم او من يحملون اطفال المدارس ليعبروا بهم الطريق بين هذا الزخم الغريب من الحركة التي لا تنقطع . .

وتنطلق الكاميرا في يد زميلي المصور وقد غطى رأسه بالغطاء الواقي من المطر ، وأدخل آلة التصوير في كيس من النايلون فتح للعدسة فيه منفذا وراح يسجل اللقطات الأولى لامطار المونسون .

ووصلنا الى الفندق . وابى السائق بشدة ـ الا بعد الحاح شديد ـ ان يأخذ منا اجر انتقالنا من المطار الى الفندق . . فالبشرى قد جاءت معنا . . . وما دمنا قد جئنا مع البداية الغامرة بالامطار . . . فذلك هو الأجر الذي كان يتمنى ان يحصل عليه ولا مزيد . .

ولو درى السائق المسكين ما كانت تحمله الايام القليلة التالية ، لأخذ منا الأجر عشرة اضعاف . . فقد كان ذلك اليوم هو اليوم الوحيد الذي هطلت فيه الامطار على بومباي طوال اسبوع . . وكانت الشمس طوال الايام التالية مشرقة محرقة . . والسماء صحوا صافية ليس فيها اثر لاي سحابة ولو بيضاء . . . تحمل على الأقل قطرة ماء . .

وفي ذلك الاسبوع بالذات . . كانت الانباء تتوالى عن الفيضانات والسيول والأعاصير التي اكتسحت خليج البنغال وبنجلاديش . . وادت الى كوارث رهيبة في الارواح والممتلكات . . والى اغراق الحقول واكتساح البيوت والحيوانات في السفوح والسهول وحول مجاري الانهار على حد سواء .

ولم نكن قد نسينا بعد . . انه في نفس الوقت من العام الماضي ـ وكنا في جزر المالديف ـ كانت رياح المونسون تغرق الارض والجزر بامطار لا تنقطع ليل نهار . . وكان الناس يستقبلونها استقبالهم لفيض من الخير يهبط عليهم من السماء .

بوابة الهند :

قالت لنا مرافقتنا وقد مضى اليوم التالي لوصولنا والسماء صحو والشمس مشرقة ولا اثر لغيوم المونسون :

ـ لماذا لا تنتهزون الفرصة فتقوموا بجولة لمشاهدة معالم بومباي وما تزخر به من الوان الفتنة والجمال ؟ ولعل اولها ذلك الفندق الذي تقيمون فيه ؟

وكأنما لم نكن قد تنبهنا ـ ونحن نحلم بالمونسون ـ الى ما يتميز به فندق تاج محل الذي يعرفه كل زائر لبومباي ، كواحد من ابرز معالم المدينة . فقد اقامه رجل اعمال ثرى اسمه « جي تاتا » عام ١٩٠٣ ليضاف اليه مبنى اضافي عام ١٩٧٢ يمثل اخر صيحة من الهندسة المعمارية الحديثة ، عبارة عن مبنى شاهق الارتفاع تتجاوز طبقاته ٢٥ طابقا ، ويجعلك حين تطل الى المبنيين القديم والحديث تشعر انهما يلخصان لك تاريخ بومباي .

وتتحرك ليكون اول لقاء لنا مع بوابة الهند ، اشهر معالم المدينة ورمزها المميز ، البوابة تشبه « الماربل آرش » او قوس المرمر في لندن ، وقد بنيت تخليدا لذكرى الزيارة الملكية الأولى لبومباي عام ١٩١١ التي قام بها الملك جورج الخامس والملكة ماري . البوابة مشيدة على الطراز الهندي من البازلت الاصفر المحلي مع ملامح خليطة من الفن الهندي والفن الاسلامي .

نعبر الطريق لنقترب اكثر ، الساحة المواجهة لبوابة الهند تؤكد لنا اننا الان في اعمق اعماق الهند . لوحة كاملة لكل ما نعرفه عن هذا البلد الذي يعيش على ارضه اكثر من سبعمائة مليون نسمة ، اغلبهم من الفقراء الذين يمارسون جميع مظاهر الفقر برغم ما تنعم به بلادهم من سحر وجمال وتاريخ . . ومئات العقائد والعبادات .

زحام الساحة يشكل لوحة سكانية من مختلف الاجناس والاشكال والالوان . . هنود من مختلف الولايات الهندية جاءوا الى المدينة للعمل والاقامة . . البعض سود البشرة والبعض اكثر بياضا . . وقوس قزح من الالوان الزاهية التي يرتديها قادمون وقادمات من الكوجارات الصحراوية القاحلة ليعملوا في التجارة او الصناعة وهم غالبا من اتباع العقيدة الجانتية . . وكثيرون آخرون من « الماهاراسا » من نسل المحاربين الأشداء الذين جعلوا الحياة في غاية الصعوبة سواء للمغول او الانجليز . . اضافة الى وجوه متباينة من الهندوس والمسلمين والسيخ . . ثم البارسيين اتباع ديانة زرادشت مع سياح من جميع الجنسيات .

ولاتكتفي الساحة بهؤلاء وحدهم ، بل هناك ايضا عمال وفلاحون وافاقون ومتسولون من جميع الاعمار ، وصبية وفتيان يطلقهم تجار السوق السوداء

طريق «عقد الملكة» .. أو القشرة الخارجية لبيضة بومباي .. على طول الطريق الساحلي الذي يحيط بالمدينة ويتوسطه بوابة الهند.

فندق تاج محل .. حيث يقوم المبنى الحديث الى جوار القديم .. أمام بوابة الهند .. وتمثال للمهاتما غاندي .. رمز الهند وصاحب سياسة اللاعنف .. والى أقصى اليسار صورة من الرقص الشعبي الذي يعتبر نوعا من العبادة في الهند.

وراء السياح ليستبدلوا منهم الدولارات والجنيهات والماركات بالروبية الهندية بأرخص الاسعار . يختلط بكل هؤلاء باعة الزهور والفاكهة ، مع سحرة ينفخون في مزاميرهم لتخرج الكوبرا الراقصة رؤوسها من السلال مقابل حفنة من الروبيات ، بينما رجال مرفهون او سائقون ينزلون من السيارات حاملين اكياسا مليئة بالغلال يتثرونها امام المئات من الحمام الذي يطير ويحط وسط الساحة في امن وسلام .

ونلقي نظرة الى بعيد على طول الشاطيء الممتد لنواجه المشهد العام للقشرة الخارجية « لبيضة بومباي » .

طريق ممتد ينحني مع طول الساحل ، تطل عليه بنايات حديثة شاهقة يبدو جمالها ورونقها اكثر جاذبية عندما يأتي الليل وتتلألأ الاضواء مشكلة ما يشبه العقد حتى اطلقوا عليه طريق « عقد الملكة » .

من هنا ونحن نطل الى بعيد ، نستطيع ان نتصور تفاصيل القصة الحقيقية لتاريخ بومباي . .

أصل الحكاية :

كانت بومباي هي الجزيرة الرئيسية بين جزر سبع منفصلة بخلجان صغيرة واسعة .

والجزيرة نفسها عبارة عن سهل منبسط منخفض يقع حوالي ربعه تحت مستوى سطح البحر . ويحد السهل سلسلتان متوازيتان من التلال المنخفضة ، حيث تقترب الصخور في الجنوب من سطح الماء . . . وبسبب خطورتها على الملاحة كان لابد ان تقام فوقها منارة . . ويبلغ طول الجزيرة احد عشر ميلا ونصف ، ويتراوح عرضها ما بين ثلاثة وأربعة اميال ، وتغطي مساحة قدرها ٢٥ ميلا مربعا . .

بدأت المدينة تاريخيا ربعا مهملا ينغمر دون حماية بمياه المد الأتي من بحر العرب . وكان صائدو الاسماك هم السكان الوحيدون في مجموعة الجزر السبع المعلقة بشبه القارة الهندية . وبسبب المناخ الحار والرطوبة العالية وتعرضها المستمر للعواصف البحرية الأتية من بحر العرب ، لم يهتم بها البرتغاليون ـ الذين كانوا قد استولوا على جوا ـ حين تنازل لهم عنها السلطان بهادور شاه كوجارات عام ١٥٣٤ . وقد اعطوها بسهولة لشارل الثاني ملك انجلترا كجزء من مهر عروسه كاترين برجانزا اخت ملك البرتغال . وفي الثاني من ابريل ١٦٦٢ تقدمت حملة على رأسها السير ابرهام شيمان مبحرة الى بومباي لتسلمها . . ولكن فايسروي انطونيو البرتغالي رفض ان يسلمها ولم يسمح للانجليز بالرسو . . وظل على رفضه لمدة سنتين واربعة شهور حتى احتلها همفري كوك باسم الملك . وفي عام ١٦٦٨ ضمت بومباي رسميا الى شركة الهند الشرقية البريطانية بايجار سنوي يثير السخرية . . عشرة جنيهات فقط بشرط ان تدفع ذهبا . . !!

اما الاسم « بومباي » فيقال انه مأخوذ عن اللغة البرتغالية « بومباهيا » وتعني المرسى الواسع ، ولكن الصيادين يصرون على أنه تحريف لاسم الهة الصيد « ممباي » .

معالم حديثة

اتخذت الجزيرة مقرا رسميا لشركة الهند على الساحل الغربي عام ١٧٠٨ . وكان لهذا اثر عظيم في ان تطير شهرة بومباي لتصبح ميناء مهما ومركزا تجاريا كبيرا . وشهدت المدينة فترة جديدة من الازدهار والاهمية تحت قيادة اول حاكم لها ، الملازم الفينسون ، وانتظم الطريق البحري الشهري بين بومباي وانجلترا عن طريق قناة السويس والاسكندرية ، وكانت الرحلة تستغرق ٤٥ يوما تم اختصارها الى ثلاثين يوما بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ . . وفي تلك الاثناء بدأ مد خطوط السكك الحديدية ليتم نقل القطن الخام الى المدينة لتزويد الصناعة الرئيسية في البلاد . وبعد عامين تمت إقامة محطة فكتوريا للسكك الحديدية على أرض مستصلحة .

وبعد عدة أعوام ازداد الازدهار التجاري عندما احتكرت بومباي تجارة القطن العالمية بعد قيام الحرب الأهلية الأمريكية . وخلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر تحولت المدينة تحولا كبيرا . فقد اقيمت على طول طريق مهاتما غاندي مجموعات رائعة من البنايات ، بينها مقر ضخم لسكرتارية الحكومة ومقر للمحكمة العليا ومكتبة الجامعة والمجلس الاعلى

للجامعة وبرج الساعة ومكاتب الاشغال العامة والبريد ومبنى سوق كروفورد .

كل هذه المعالم الأخيرة البارزة كانت بعض ما شاهدناه ونحن نواصل جولتنا في المدينة التي تزخر بتراث غني من المعمار القوطي الجديد الذي ورثته عن الحكم البريطاني ، والذي يتمثل في محطة السكة الحديدية التي تعتبر احدى ابهى محطات السكك الحديدية في العالم حيث خرج منها اول قطار عام ١٨٥٣ .

اما برج الساعة المعلقة باعلاها فيزيد طول قطر دائرتها عن ثلاثة امتار . كما يتمثل الفن القوطي في مبنى المحكمة العليا وتمثالها الذي يرمز للعدالة والرحمة .

على بعد خطوات يقوم متحف امير ويلز الذي يمتاز بمظهر خارجي ذي طابع هندي اسلامي في غاية الروعة والفتنة . اما في داخله فذخيرة حية تعبر عن الفن الهندي والمغولي مع لوحات مغولية نادرة . وتوجد قطع بارزة من احجار الزبرجد والزمرد الكريمة الساحرة ونماذج مثيرة من التاريخ الطبيعي . وقرب المتحف يقوم برج راجاباي الذي يرتفع ٨٥ مترا ويطل على الملعب البيضاوي الواسع المفتوح .

وعلى بعد خطوات قليلة تقع ينابيع فلورا او « هوتا تما جوك » التي تعتبر مركز بومباي النابض بالحياة .

سوق كراوفورد

اما سوق كراوفود الذي شيد عام ١٨٦٧ ففي اعلى صالته المركزية تقوم ساعة اخرى معلقة لعلها تسترعي انتباه هؤلاء الذين يبدو انهم لا يهتمون كثيرا بالوقت . والسوق يزخر بالحركة والنشاط . . . وهو يعج بالبائعين والمشترين والطباخين والمتسولين طوال ساعات الليل والنهار .

وفي سوق الفاكهة نجد اشخاصا حفاة يحملون على رؤوسهم السلال الثقيلة من الموز والاناناس والبطيخ والمانجو وما عداها من فواكه المناطق الحارة . . وفي سوق السمك نجد البومفريت المفضل لدى السكان و« بطة بومباي » وهذه لا علاقة لها بالبط وانما هي سمكة صغيرة الحجم تباع مملحة .

اما سوق الحيوان فهو الذي يجتذب العدد الأكبر من الزوار . وهو يضم انواعا من القردة والنسانيس والببغاوات . . ويحرم هنا بيع الثعابين ، وان كان ساحر الكوبرا هنا يواصل النفخ بمزماره لترقص الكوبرا على أنغامه . .

ومثل الباعة الجائلين وبائعي مراوح ريش الطاووس ، فان لطبيب او حكيم السوق ركنا خاصا به . ومن بين العقاقير التي يصرفها هذا الطبيب لمرضاه مسحوق رأس السلحفاة وجوز الهند ودهن الوزق المخلوط بقطرات الندى ،ومن ورق المانجو والذي يوصي به لمرضى الروماتيزم . وعلى سوق كراوفورد يطل مسجد الجمعة في بومباي حيث يزدحم فيه المصلون المسلمون . . وهو ازدحام يفتقر لمثله مسجد الحاج علي الذي وافته المنية وهو في طريقه لأداء فريضة الحج ، فأقيم له ضريح داخل المسجد الذي تصعب زيارته الا في اوقات الجزر لأنه مبنى عند اقدام البحر .

عند شاطيء تشاوباتي وعلى تل ملبار يمكن الوقوف لالقاء نظرة شاملة على المدينة من عل . وتقوم على هذا التل مبان جميلة كالقصر الحكومي . . كما يوجد ملعب الاطفال المعروف باسم « كمالا نهرو بارك » نسبة الى زوجة جواهر لال نهرو . . وتوفر الحدائق المعلقة في هذا المكان فرصة طيبة للتنزه وسط النباتات التي تشذب على شكل حيوانات مختلفة . كما ان بينها كوخا طوليا على شكل حذاء برقبة هو مجال رائع لتسلية الاطفال . . والى جوار المكان توجد حديقة الاسماك على شاطيء تشاوباتي . .

البارسيون وأبراج الصمت

في الجهة المقابلة وداخل الحديقة القائمة على تل ملبار تقوم « ابراج الصمت » الخاصة بفئة البارسيين ، من اتباع الديانة الزرادشتية ، الذين جاء اجدادهم من فارس هاربين من وجه المد الاسلامي ، واستقروا في جنوب غربي الهند وخصوصا في بومباي التي يعيش فيها ٧٠ ألفا من البارسيين البالغ عددهم في جميع انحاء الهند حوالي ١٠٠ ألف .

وابراج الصمت ليست ابراجا حقيقية ولكنها عبارة عن جدران دائرية توضع على قمتها جثث الموتى لتنهشها جوارح الطير ، حتى لا تدنس العناصر

بوابة الهند .. تقف شامخة رمزا لمدينة بومباي (الى اليمين) ومشهد من سوق الملابس (اعلى) .

في سوق كراوفورد .. كل شيء يباع لافرق بين الفاكهة والخضراوات .. والأحذية ولا شيء يهم .

المقدسة بدفنها في الارض او حرقها في الهواء . . . وهذه العناصر اربعة هي الماء والهواء والأرض والنار .

ولا يسمح لاي انسان من غير البارسيين بدخول ابراج الصمت . . تماما كما لايسمحون لاحد بدخول معبدهم حيث شعلة النار تظل مشتعلة ابدا . وهم يقولون انهم يقدسون النار ولكنهم لا يعبدونها لانها مقدسة كرمز . من اجل ذلك فقد تحملوا التبعة التي القاها زرادشت على اكتافهم بالاحتفاظ بشعلة النار مضطرمة بالمعنى الرمزي والمعنوي ، فراحوا يوقدونها أبدا ويحملونها تتأجج في صدورهم كما في معابدهم .

واذا كان البارسيون يشكلون مجتمعا صغيرا بالنسبة لسكان بومباي البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة اغلبهم من الهندوس ، الا انهم يملكون ناصية المال والتجارة والصناعة في المدينة . ومع ذلك وبرغم انهم يعتقدون ان عقيدتهم هي افضل عقيدة في العالم ، الا انهم لم يعلموها للهندوس او يجذبوهم اليها . وليس هذا فحسب ، بل انهم يحرمون على اي انسان لم يولد بارسيا ان يعتنق هذا الدين .

في المعبد الجانتي :

غير بعيد عن الحدائق المعلقة ندخل معبد الجانتيين . والمعبد الجانتي نسبة الى العقيدة الجانتية التي وضع أسسها فتى ثري ، خلع في شبابه عن جسده كل ثيابه وثرائه ، وطرح العالم كله واساليب العيش فيه ، وراح يجوب ارجاء الاقليم زاهدا متقشفا ينشد تطهير نفسه من ادرانها ، قاصدا ان يزداد لسر الوجود فهما وعلما . وبعد ان قضى في انكار ذاته على هذا النحو ثلاثة عشر عاما ، أعلنت جماعة من اتباعه انه « جنا » اي معلم من عظماء المعلمين وسموه « ما هافيرا » أي البطل العظيم ، واتخذوا لانفسهم اسما اشتقوه من اسم عقيدتهم فأطلقوا على انفسهم اسم « الجانتيين » ، وقامت عقيدتهم على اساس افتراض عالم لم تسبقه اسباب ولم يخلقه خالق ، وان الكون موجود منذ الأزل ، وأن تغيراته واطواره التي لا نهاية لها ترجع الى قوى كامنة في الطبيعة اكثر من ان تعزى الى صناعة اله . ولما افرغ الجانتيون السماء من إلهها لم يلبثوا ان عمروها من جديد بطائفة من القديسين المؤلهين ، وراحوا يعبدونهم مخلصين لهم العبادة ، يقيمون لهم الشعائر . لكنهم اعتبروا هؤلاء المؤلهين انفسهم خاضعين للتناسخ ولم يعدوهم خالقين للعالم ، او سادة عليه .

سألنا فتاة كان من الواضح انها ذات ثقافة عالية وكانت قد ادت عبادتها داخل المعبد فقالت : اننا نحن الجانتيين نرى ان الطريق المؤدية الى الخلاص هي توبة تقشفية مع الامتناع عن ايذاء أي كائن حي . ولزام على كل متقشف جانتي ان يأخذ على نفسه عهودا خمسة . . الا يقتل كائنا حيا ، والا يكذب ، والا يأخذ مالم يعطه ، وأن يصون عفته ، وأن ينبذ الاستمتاع بالأشياء الخارجية كلها . ولهذا فالزراعة حرام على الجانتي لانها تمزق التربة وتسحق الحشرات والديدان . والجانتي الصالح يرفض اكل العسل لأنه حياة النحل ، ويصفي الماء قبل شربه خشية ان يقتل ماعساه ان يكون كامنا فيه من كائنات ، ويغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء احياء عالقة فيقتلها ، ويحيط مصباحه بستار حتى يقي الحشرات لذع النار .

كل هذه الجولة حول معالم بومباي ومازال امطار المونسون لا يظهر لها بشير بعد . . واذن فثمة مكان لابد من مشاهدته ، وان كان يبعد عن شاطيء بومباي عند بوابة الهند بمسافة حوالي عشرة كيلومترات . . انه جزيرة الفانتا . . حيث المعابد الشهيرة المحفورة في الصخور الكهفية التي يرجع تاريخها الى القرن السابع .

كهوف الفانتا :

قالت لنا مرافقتنا وهي تدعونا الى الا ندع هذه الفرصة تفوتنا :

ـ حين تتأخر امطار المونسون ، فان الناس هنا من الهندوس يتجهون الى معابد الفانتا ليؤدوا صلاة استسقاء للاله شيفا استدرارا لرحمته حتى يأمر الامطار بالسقوط . . ستشهدونهم اذا ذهبتم الى هناك ، وسيفعل مثلكم كثيرون من الاجانب والاهالي .

من أمام بوابة الهند . . تحرك القارب البخاري يحملنا الى جزيرة الفانتا . . هناك تبدأ عملية صعود طويلة على درجات ترتفع حوالي ٧٠ مترا على سفح

الجبل ، لنجد انفسنا امام كهف محفور كله داخل صخور الجبل . . . الكهف عبارة عن معبد كان مكرسا للاله شيفا و الخالق الحافظ المدمر » في عقيدة الهندوس" . . ولكن العبادة لا تجري فيه الان لانهم يعتبرون ان قدسيته قد تدنست عندما دخله البرتغاليون وحطموا اغلب تماثيل الاله وارتكبوا فيه الموبقات .

اهم الكهوف الموجودة التي يزورها الناس هو الكهف رقم ١ . . . هنا حفرت تماثيل شيفا في صخور الجبل . . تماثيل متعددة تستعرض حياته ورؤوسه الثلاثة التي تجمع بين الثالوث « شيفا وبراهما وفشنو » وحين ننظر الى الوجه نحس انه يحمل نظرات بعضها غاضب وبعضها مبتسم ، بينما تمثال زوجته برافاتي يبدو الى جواره اقل حجما . . كما حفرت تماثيل اخرى تمثل شيفا نصفه الأيمن في جسد رجل ونصفه الايسر في جسد امرأة . ويتوسط الكهف ما يسمونه قدس الاقداس حيث وقف بعض الهندوس يواجهون تماثيل شيفا وهم يقدمون له الابتهالات في صلاة استسقاء من أجل أن يطلق العنان لريح المونسون . . !

ولكن الايام تمضي . . وما تزال الشمس ساطعة والسماء صافية ولا اثر لسحابة ولو من بعيد . . وكان علينا ان نواصل متابعتنا لنشاط الرياح الموسمية الممطرة . . ان لم يكن الأن في بومباي . . فلنأخذ طريقنا الى الشمال ، ولتكن بعد ذلك عودة الى بومباي . .

المونسون في الشمال :

وبدأنا جولة جديدة . . كان واضحا خلال جولتنا في الهند وحتى كشمير ونيبال على سفوح الهيمالايا انهم هناك يتوقعون رياح المونسون دائما ،ولكن لايمكن التنبؤ بشدتها أو اتجاهها . انهم يدركون أنها ستأتي حتما ، ولكنها قد تكون هادئة أو عاصفة تضج بالرعود والأمطار ، وقد تستمر الأمطار أياما وأسابيع ، وحين يبدأ هطول الأمطار مرة أخرى فانها تسقط بغزارة وعنف تنسي المرء كيف يمكن أن تبدو الأرض جافة متشققة من العطش في يوم من الأيام . .

وفي العاصمة نيودلهي التي تستلقي على حافة الصحراء بعيدا في الشمال . . يتابع الانسان من خلال تقارير الارصاد أنباء الرياح الموسمية على الشواطىء الغربية والشرقية ، حيث تهب فجأة وتتقدم على مدى واسع من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . . وحين كناهناك وجدنا الأمطار وقد انقضت في غزارة لعدة أيام لم تكد تنقطع ، ونحن نتنقل بين دلهي وأجرا وفاتحبورسكري ، ثم ونحن على طول الطريق الى سريناجار عاصمة كشمير . .

كانت أمطار المونسون تنقض على الأرض اقليما وراء اقليم . . ولم يكن انقضاضها يمنع الفلاحين وخصوصا على سفوح الجبال من مواصلة العمل بعد أن يضعوا على رؤوسهم أغطية من السعف أو أوراق البوص المجدولة بطريقة تحمي رؤوسهم وظهورهم المحنية على الأرض من المياه الغزيرة . . ثم فجأة تفيض الأنهار لتكتسح أمامها كل شيء . . حتى البيوت والدواب والانسان نفسه . ولكن أحدا لا يهتم بحجم الكارثة الا من تصيبه في حياته وماله وبيته . . بينما الأخرون يهللون ويصخبون ويضجون استقبالا وترحيبا بالمونسون . .

وفجأة تنقلب الغيوم الداكنة السوداء فتغير اتجاهها مع الريح بقوة دراماتيكية ، لتتوقف الأمطار ويتحول الهواء رطبا جافا ، حتى لايكاد الانسان يستطيع التنفس الا بصعوبة شديدة ، بينما يغرق في عرقه الذي يجف مع السخونة تاركا خيوطا من الأملاح على جلده . وتلك الحالة المتغيرة تستمر طوال الموسم الذي يمتد لاربعة شهور وتزيد . . وبرغم أن الأمطار لاتهطل كل يوم فان الجو يظل مشبعا بالرطوبة العالية ، ولكن تتحول الأراضي والسفوح لتخضر وتزهر وتظل الأنهار متخمة بالماء . طوال ذلك الموسم تحتضن رياح المونسون الهند كلها مثل حبيب مشتاق .

المونسون والتاريخ

والحقيقة ان الرياح الموسمية التي تترك آثارها على الحياة وعلى الانسان . . كان لها أيضا آثارها على تاريخ الهند .

فحين لم يكن الانسان في الهند يعرف شيئا عن الحرث أو فلاحة الأرض ، كان يتجنب السهول التي كانت كثيرة التعرض للرياح الموسمية . وعندما

زحام في أحد الطرقات الرئيسية في بومباي حيث تختلف الأجناس والالوان

سكان الأرصفة لايمنعهم شيء عن النوم على جانب الطريق وعند نقل البضائع من مكان لآخر .. فكل شيء مباح .

اخترع الادوات التي عرف عن طريقها كيف يتغلب على مخاوفه ويستغل الأرض الخصبة ، تقدم بسرعة الى هذه المناطق مقيما ممالك وامبراطوريات ، حيث كانت زراعة الوديان الهندية هي التي قادت الى قيامها .

كانت الامطار في هذه الفترة تسقط على شمال الهند ، وكانت الأرض الغنية بالخصوبة في دلتا الانهار الخمسة العظمى سهلة الاستغلال . ولكن سهول نهر الجانجز كانت في ذلك الحين مليئة بالغابات الكثيفة حيث لم يجرؤ الغزاة المستعمرون على الاقتراب منها واختراقها . ولكن عندما حلت فترة جديدة من القحط والجفاف بسبب تجاوز الامطار الموسمية لهذه المناطق ، أدى ذلك الى انهيار الحضارة وازالة الغابات التي كانت تقف حاجزا أمام الشماليين المهاجرين الذين جاءوا من المنطقة القزوينية التي كانت تسمى « ايرانافيجو » ومعناها الوطن الآري . فكانوا يسمون أنفسهم الآريين . وأصبحوا قادرين على اتخاذ طريقهم نحو الشرق ليجدوا ممالك صغيرة في سهول الجانجز الخصبة . في البداية كان هؤلاء المهاجرون القساة الجدد يزحفون وهم يسوقون أمامهم ماشيتهم .. وفضلوا البقاء في أرض الأنهار الخمسة (البنجاب) التي تسقيها منابعها العظمى . وقد أدت بهم خصالهم الوحشية ويسر الحياة الزراعية الخصبة في الأرض التي غزوها الى السيادة عليها ، ولم يخفوا ابداهدفهم من أنهم ارادوا أرضا ومرعى لماشيتهم ومزيدا من الأبقار والماشية . ومع استقرارهم وتحولهم الى الزراعة تماما في القرن السابع قبل الميلاد بدأوا يكونون دويلات وامارات اعتمادا على قيام جماعات قروية مستقلة بعضها عن بعض استقلالا نسبيا ، وراحوا يزرعون الأراضي الخصبة بقدر ما يستطيعون بين نهري الجانجز والجومنا في شمال الهند . وظلت الأرض الشرقية أيضا على مدى هجماتهم ، وتلك هي أحسن الأراضي المزروعة حاليا حيث يزرع الأرز بشكل واسع ، وهي أيضا أكثر المناطق ازدحاما بالسكان .. فحيثما انتعشت زراعة الأرز انتعشت معها حياة الانسان ..

الزراعة والحضارة

ومنذ ذلك الوقت ومع استخدام الهنود الآريين للآلات الزراعية التي توصلوا الى صنعها ، اتسع نطاق زراعة الأرز في كل المناطق حيثما نزلت الأمطار .. ولم يشمل ذلك المناطق الشرقية فحسب ، بل شمل المناطق الغربية أيضا . وظلت حياة الانسان الرئيسية من حيث الاقتصاد والسياسة على صورة واحدة لاتتغير ، فكانوا يربون الماشية ويستخدمون البقرة دون أن ينزلوها من أنفسهم منزلة التقديس ، ويأكلون اللحم أينما استطاعوا اليه سبيلا . أما الحقول والأراضي الزراعية التي اعتمدت على المونسون وفيضانات الانهار ، فكانت الجماعة القروية تقسمها بين عائلاتها على أن يقوم الكل بريها . وكانت الكثرة الغالبة من الناس فلاحين يملكون أرضهم التي يفلحونها لأن الآريين كانوا يعدونه عارا أن يعملوا لقاء أجر يتقاضونه .

في كل من هذه المناطق قامت ممالك وامارات حيث الاعتماد الأساسي على الزراعة التي لاتزدهر الا من خلال الامطار الموسمية وفيضانات الانهار وخصوصا على ضفاف الجانجز .. ثم كان بعد ذلك قيام الامبراطورية العظمى للامبراطور أشوكا في القرن الثالث قبل الميلاد حيث امتدت أملاكه من البنغال الى الهندكوش وجنوب الهند .

حكم أشوكا مدة خمس وثلاثين سنة . وبعد أن خاض غمار الحروب وانتصر في غزوات كثيرة جربا على السياسة التقليدية في الهند .. أثر في نفسه ما تخلفه الحروب من بؤس وشقاء وخصوصا للفلاحين

الذين عجزوا كثيرا عن استغلال أراضيهم بسبب استمرار الحروب وتخريب الحقول . وقد أدى هذا الى أن عاف أشوكا الحروب والغزوات وانصرف عنها ، ثم التحق بالبوذية ولبس مسوح الرهبان حينا من الزمن ، وأبطل الصيد وأكل اللحم وعمل على نشر الديانة البوذية في ربوع الهند . وبدأ أشوكا يعني بوجه خاص بتأكيد الاعراض عن استعمال العنف وبدعوالى الرأفة بجميع الأحياء .. وبدأ الاهتمام يتجه من جديد الى الأرض الزراعية وزراعة الأرز مع سيطرة النزعة الى السلم والبعد عن العنف .. وكانت هذه النزعة أيضا هي التي ترسمتها الممالك والامارات في خطى الامبراطور أشوكا . واستمرأ السكان حياة الدعة والسلم واتجهوا بكل امكاناتهم نحو الانتاج الزراعي والسلام الاجتماعي والاستغراق العقائدي وأصبح الهندي يعني بواجباته الادبية والطريق الذي يسلكه في الحياة ، أكثر مما يعني بتنوع الحكم وأسلوبه . لم يعد بعد يشغل باله كثيرا بالدفاع عن الحكومة القائمة مما يفسر بعد ذلك سهولة سقوط الامبراطوريات المتوالية نسبيا في الهند والانتصارات التي كان يحرزها الغزاة القادمون سواء من الشمال الغربي برا .. أو من الجنوب الغربي بحرا .. هؤلاء الذين جاءوا الى الهند على طريق الرياح الموسمية القادمة عبر بحر العرب والمحيط الهندي .

على أن هذا الاعتماد على الحياة الزراعية المرتبطة بالرياح الموسمية المطيرة ، والنشاط التجاري المرتبط بالاستعانة بالرياح الموسمية في دفع اشرعة السفن التجارية بين موانيء الهند ومراكز التجارة غربا وشرقا ، قد جعل حكام الهند ومقاطعاتها يستكينون الى هذه الدعة التي استسلمت لها شعوبهم .. فلم يلقوا بالا الى ضرورة العمل لمواجهة أي عدوان بحري ، ولم يهتموا بانشاء اسطول بحري قوى يستطيع حماية شواطئهم الواسعة ، وما عملوا على أن تكون لهم قوة بحرية للدفاع عن مصالحهم التجارية في بحر العرب والمحيط الهندي .. فلما جاءت القوى الاستعمارية الأوروبية على اختلاف انواعها لغزو الهند ، لم تجد أدنى مقاومة .. بل ان بعضها لم يهتم بالغزو العسكري اذ وجد في الغزو عن طريق الشركات التجارية طريقا سهلا للسيطرة على اقتصاديات البلاد .. مع وضع الموانيء التجارية تحت السيطرة الكاملة .

بومباي والشوارع الخلفية

كان لابد لجولتنا أن تنتهي وأن نعود مرة أخرى الى بومباي لمتابعة المونسون . الآن كل شيء غارق تحت الأمطار الموسمية التي انقضت بكل قوتها لتصبح صاحبة السيطرة على كل مقدرات المدينة .. شدة هطول أمطار المونسون لم تعد تلك التي شاهدناها عندما جئنا في أوائل الموسم ، فقد تحولت الرياح والامطار المرافقة لها لتصبح عواصف مستمرة تغرق المدينة كلها بفيضانات وسيول لاتكاد تنقطع .. وفي مثل هذا الوقت تصبح الصورة أقدر على التعبير في الشوارع الخلفية لبومباي ...

هنا .. في الشوارع الخلفية .. وبين سكان المدينة البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة ، يعيش أكثر من مليوني انسان تحت مستوى الفقر ، بالاضافة الى بضعة ملايين يتدرجون تحت خانة الفقر المدقع .

كانت بداية هذا المجتمع السكاني في بومباي مع بدء تطور المدينة عندما استقرت فيها رئاسة شركة الهند الشرقية . كان عدد السكان في ذلك الوقت لايتجاوز ٦٠ الف نسمة . ومع الازدهار التجاري الذي صحب بروزها كمركز تجاري وميناء رئيسي ، وبعد مد خطوط السكك الحديدية الى المناطق الداخلية واحتكار بومباي لتجارة القطن العالمية .. وأصبحت المدينة منطقة جذب لمئات الآلاف من المهاجرين والهاربين من المناطق الصحراوية القاحلة والباحثين عن عمل .. وبلغ عدد السكان في عام ١٩٠١ حوالي ٨٤٠ الف نسمة كان أغلبهم يعيشون في عشش وأكواخ من الصفيح أو البامبو أو في ظل الواح من الخشب يجمعونها من بقايا المصانع ونفاياتها .. وبرغم الخطط الكثيرة لاقامة التحسينات اللازمة لمواجهة السيل الجارف من القادمين الجدد وما يصحب ذلك الازدحام الشديد عادة من القذارة ونقص الخدمات اللازمة لحياة الانسان .. كان لابد من توسيع قاعدة المدينة واستصلاح المزيد من أراضي البحر لاقامة مساكن لعشرات الالاف من العاملين في المصانع ، بينما لم يكن من الممكن ايجاد مساكن تؤوي مئات

الالاف من الزاحفين العاطلين عن العمل .

كانت جاذبية المدينة كمركز تجاري وصناعي وميناء رئيسي تستدعي كل هؤلاء ، وكانت قطارات السكك الحديدية الممتدة الى جميع أنحاء الهند تقذف كل يوم بعشرات الألاف من القادمين الجدد على رصيف محطة فكتوريا ، بالاضافة الى اللوريات والحافلات المحملة بكل أنواع البشر . واذا كانت بنايات القشرة الخارجية « لبيضة بومباي » قد استوعبت كبار الموظفين والقادرين وقيادات العمل في الميناء ومصانع القطن والنسيج والجلود والكيماويات والنفط ومختلف أنواع التجارة المرتبطة بالتصدير والاستيراد بجميع نوعياتها . . . فقد كان لابد للالاف المؤلفة من العاملين والبنائين وصغار الموظفين والحمالين والسائقين وعمال التنظيف والنقل وكل النوعيات التي ترتبط بأعمال مدينة تجارية صناعية ضخمة كبومباي ، أن يجدوا مكانا للسكن والمأوى . واذا كانت المستعمرات والمجمعات العمالية التي أقامتها المصانع لاستيعاب بعض عمالها قد استوعبت الكثيرين رغم أنها لاتكاد تفي بامكانيات الايواء والمعيشة ، اذ هي من عشش الصفيح كل عشة صغيرة يقيم فيها عشرات من البشر . . الا أن الباقين من أصحاب الاعمال الدنيا ومن العاطلين والباحثين عن الرزق اليومي مع أسرهم لم يكن لهم سوى الشوارع الخلفية . . والنوم على الارصفة وامام واجهات المصانع والمحال ومحطات الحافلات وأي فجوة في أي طريق أو مبنى يمكن أن يستوعب بضعة اجساد يتلاصق بعضها مع بعض .

سكان الأرصفة . .

ان ٧٥٪ من سكان بومباي يسكنون فيما يسمى « بالشاولات » . . وهي مجمعات سكنية ترتفع حوالي خمس طبقات مقسمة الى غرف لكل عائلة غرفة . . وحوالي ١٥٪ يسكنون مع أسرهم في أكواخ من الصفيح والخشب والبوص كتلك التي كانت تطل على « مجرى ماهيم » حيث كل كوخ تقيم به أسرة كاملة وهو لايزيد عن ثلاثة امتار مربعة . وهي كلها تفتقر الى مرافق الصحة والصرف واداء احتياجات الانسان . . كما أنها مرتع خصيب لجميع احجام الفئران والحشرات . الى جانب كل ذلك فهناك ٣٪ على الأقل ليست لهم أماكن لايوائهم مما يجعلهم ينامون على الارصفة وتحت أسقف مواقف السيارات ومحطات السكك الحديدية واركان الشوارع ، أما الباقون وهم ٨٪ فقط فهم الطبقات القادرة التي تسكن البنايات . . أما الذين يعيشون من هؤلاء في مستوى الفقر فهم القادرون نسبيا على الحصول على أجر شهري من خلال العمل في المصانع يصل الى ٥٠٠ روبية (حوالي ٦٠ دولارا) أما الذين يعيشون تحت مستوى الفقر وهم كما تؤكد الارقام لايقلون عن ٣٠٪ ممن يمكنهم الحصول على أجر ضئيل - اذا اتيحت لهم الفرصة ليوم عمل - يتراوح بين ١٠ روبيات و١٥ روبية (١,٢٥ الى ٢دولار) ومثل هؤلاء جميعا لايمكن تصور أن يكونوا قادرين على الحصول على ملابس تستر اجسادهم عدا مايستقر على هذه الاجساد طوال شهور من ملابس رثة ممزقة أو مايعثرون عليه في نفايات وبقايا المزابل أمام مباني أصحاب القمة .

ولكن ماذا عن سكان الارصفة وجوانب الطرقات وفجوات البنايات ؟ الواقع أن مشكلاتهم مع افتراش الارض والتحاف السماء هي أبسط ما يعانون ، لأن الجو بالنسبة لهم محتمل في أغلب شهور السنة ، حيث لايحتاجون الى غطاء ثقيل يقيهم البرد . . ولكن الشقاوة الحقيقية هي في موسم الرياح الموسمية المطيرة خصوصا عندما تستمر الامطار لأيام متواليات دون أن ينقطع هطولها ، ودون أن تترك مكانا جافا يتيح لهم الحصول على أرصفة مريحة - هكذا شاهدنا معاناتهم والأمطار تهطل بعنفها الشديد - وان كان ذلك يتيح لهم فرصا جديدة ، اذ يتقدمون لحمل من يريد العبور من رصيف الى رصيف أو من منزل لآخر أو بين المحلات مقابل روبية أو أقل .

أما الذين لايجدون عملا . . فيتسولون . . الآلاف من المتسولين يفاجئونك وأنت تسير في الطريق أو عند تقاطع الطرقات . . أو عند مواقف اشارات المرور لاستجداء ركاب التاكسي وسائقي السيارات . . ولعل من الأسباب الأخرى التي تشجع

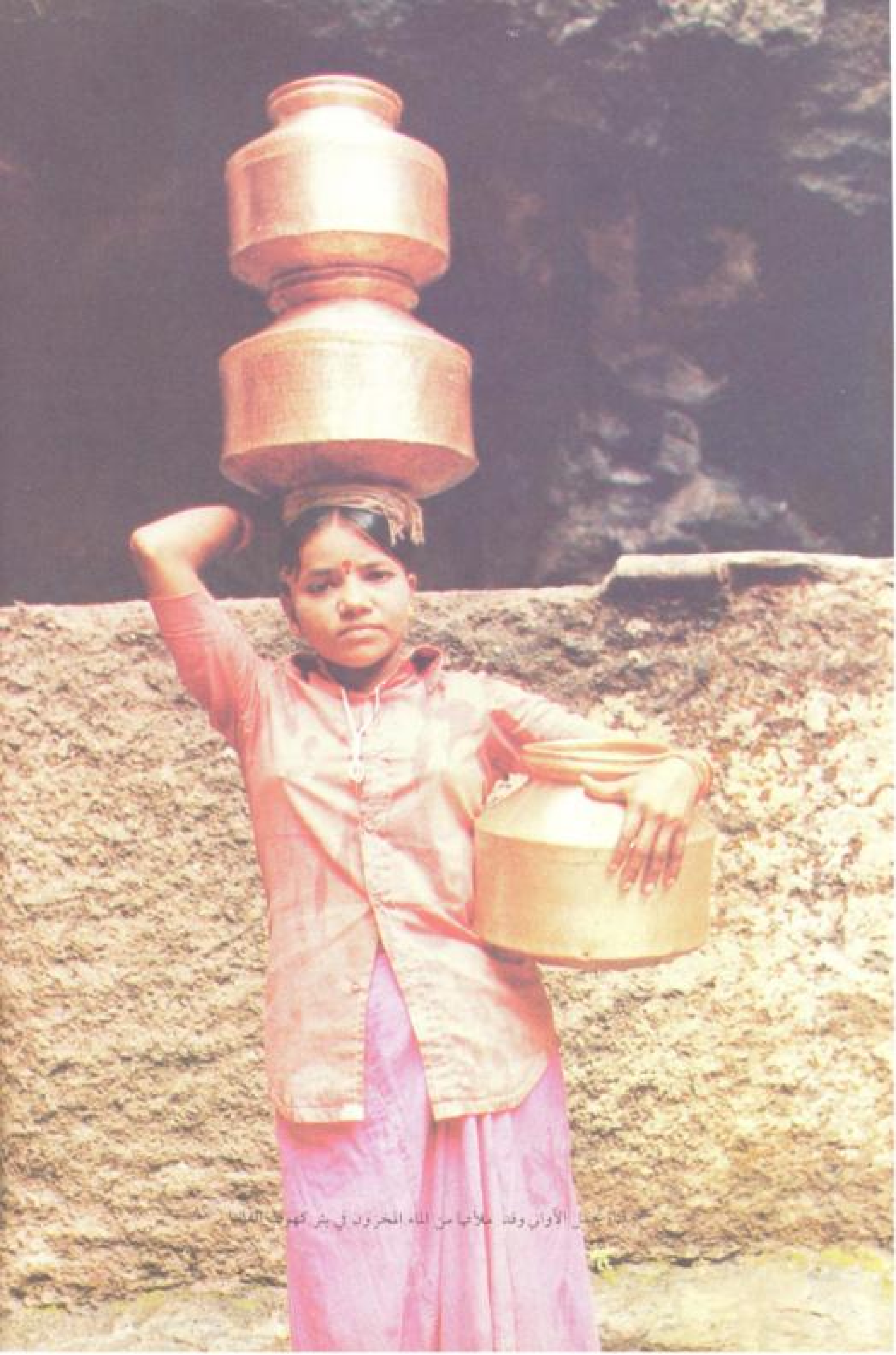

الأواني وقد ملأتها من الماء المخزون في بئر كهوف

على التسول أن من عادات الهندوس الاحسان للمتسولين ومنحهم العطايا كقربان للآلهة . ولهذا أصبح المجتمع الهندوسي في بومباي لايرفض وجود المتسولين . ولكن أغلب هؤلاء المتسولين المتخصصين في المدينة وخصوصا الاطفال منهم اتخذوا هذا العمل مهنة يتم التدريب عليها وامتهانها تحت قيادات هي نوع من عصابات المافيا . وهذه العصابات تقوم عادة باختطاف الأطفال دون أن يهتم أهلوهم بالبحث عنهم لكثرة ما لديهم من أبناء يعجزون عن الانفاق عليهم عن فقر أو املاق . ويتلقى هؤلاء الصغار دروسا فيما يشبه مدارس التسول والنشل لتعليمهم الطرق المثلى للقيام بمهمتهم الجديدة وكيفية اختيار زبائنهم وأماكن تواجدهم .

كل ذلك لايمنع من وجود متسولين حقيقيين وبأعداد تتجاوزالآلاف . فبعض عائلات الفلاحين في المناطق القاحلة في ماهارشترا يضيقون ذرعا بكبار السن من آبائهم ولا يتحملون الانفاق عليهم . فيذهبون بهم الى بومباي ويتركونهم لمصائرهم في شوارع المدينة . ولايكون أمام هؤلاء مع عجزهم عن العمل وضعفهم الا أن يتسولوا ليبقوا على بعض رمق الحياة . وهناك أيضا زوجات فقدن أزواجهن هربا أو موتا في المدينة فلم يعد أمامهن - وبين أيديهن أطفال صغار - الا أن يتسولن للحصول على ما يقيم أودهن وأود صغارهن .

ويقودنا ذلك الى أبشع ماتشهده الشوارع الخلفية في بومباي . . فئة النساء المنحرفات في حي كاماتيبورا واللواتي تزداد تجارتهن خلال موسم المونسون .

قالت لنا مرافقتنا من مكتب سياحة حكومة الهند في بومباي ، وهي تشيح بوجهها قليلا ، ونحن نغوص بسيارتنا في الطين تحت وابل الامطار خلال شارع فورش الخلفي الضيق ، الذي تطل عليه من الجانبين بيوت خشبية من طابقين ، وتقف عند أبوابها نساء في ملابس صارخة الالوان ، بينما النوافذ ذات القضبان كأقفاص الحيوانات تمتلىء بوجوه فتيات تلوثها الاصباغ ، وكلهن غير عابئات بالمطر المنهمر .

في مدينة كبومباي تزداد فيها نسبة الرجال عن النساء حتى ليقابل كل ألف رجل ستمائة وخمسون من النساء . . وفي مجتمع يأتي اليه المهاجرون والباحثون عن العمل من أفقر أنحاء الهند . . رجال يخلفون وراءهم زوجاتهم حتى يجدوا العمل المناسب . . وشباب يحلمون بالعودة الى قراهم للبحث عن عروس مناسبة بعد أن يتمكنوا من ادخار ما يكفي لبناء اسرة جديدة . . تكون هذه الصورة طبيعية ، خصوصا مع لجوء بعض العائلات الفقيرة للتخلص من بناتهن ، أو مع انتشار مافيا خطف البنات من القرى والمناطق المجاورة وبيعهن الى أصحاب هذه البيوت ، الذين كانوا يحبسون الفتيات وراء هذه القضبان ليمنعوهن من الهرب حتى يتعودن على الاقامة فيها ، حيث لامورد آخر ولا عائلة ولا غذاء ولاكساء . . وليس لهن لو هربن الا أن يصبحن بعضا من الآلاف من سكان الارصفة ، حيث تتعرض النساء عادة خلال الليل للاعتداء من بعض معدومي الضمير . . بلا ثمن .

ومع هذا فهي هوليود الشرق

الحقيقية ان السلطات في بومباي لاتقف مكتوفة الايدي أمام كل هذا الذي يجري في الشوارع الخلفية، سواء في موسم الرياح الموسمية ، أو فيما بقي من شهور السنة الأخرى . . واذا كانت هذه السلطات لاتملك شيئا لمواجهة الاندفاع المستمر لعشرات الآلاف من القادمين الجدد كل يوم . . وما يخلقه ذلك من أعباء بسبب الازدحام الشديد الذي يتكاثر باستمرار ، وما يتبعه من عجز في قدرة الخدمات والمرافق العامة على مواجهة هذا الدفق الذي لاينقطع من البشر . . بحثا عن فرص عمل قد لا يكون أغلبها متاحا اليوم . . الا أن الحكومة المحلية تبذل كل ما في جعبتها لامكان تحسين صورة المدينة ، مع التوسع في الميادين الصناعية والتجارية والثقافية ، وانشاء المزيد من المجمعات السكنية .

وبرغم كل ذلك فان جهود الحكومة المحلية - وهي ممثلة في دائرة البلدية التي تعتبر واحدة من أقدم السلطات في الهند وأقواها أثرا وينتخب أعضاؤها من جميع أنحاء المدينة - تصنع ما يشبه المعجزات ، لتظل بومباي مركزا تجاريا مرموقا نابضا بالحياة والحركة والحيوية . . ولتكون جديرة بالتسمية التي يطلقونها عليها . . هوليود الشرق . □

في يوبيله الفضي

السد العالي يتحرك..!!

استطلاع : نجاح عمر

عدسة : محمد يوسف

لم يكن السد العالي معركة عند البناء فقط ، ولكن معاركه مستمرة حتى اليوم مع كل مايمثله لمرحلة وعهد وفكر واتجاه . وكان السد هدفا لتصفية الحسابات . . . كل الحسابات . . حتى جاء الرد حاسما عندما أنقذ السد - البنيان والرمز - مصر من زحف الجفاف وشبح الجوع ، ولم يمض على السد بعد . . الا ربع قرن . .

نحن الآن على ضفاف أحدث بحيرة عربية ..
نحن الآن على ضفاف ثاني أكبر بحيرة صناعية في العالم ، بحيرة ناصر التي تخترق بلدين عربيين .. مصر .. والسودان ولمسافة خمسمائة كيلو متر .

سطح المياه هادىء .. الامواج وديعة .. النهر الهادر ـ في شهور الصيف ـ يذوب في البحيرة .. يحبسه السد ، ينعطف الى الجبل في مجرى جديد غير الذي عرفه منذ آلاف السنين .

قال لي مرافقي ونحن نقف فوق جسم السد العالي .. « لكن هدوء المياه يخفي الكثير .. مدينة كاملة هي النوبة ، ومعارك طاحنة هي معارك السد طوال ثلاثين عاما بدأت مع الثورة المصرية ، واستمرت حتى المجاعة الافريقية هذا العام »

وقال المرافق . . .

لكن آخر المعارك هي معركة السد مع الاحتمالات المقبلة .. الزلازل .. والجفاف.وسكت الاسواني العجوز ، ورحت أبحث عن السد . . . المعركة » .

لم يسبق لمشروع عربي أن أثار هذا القدر من الجدل ..

ولم يسبق لمشروع عربي أن تحول لسلسلة من المعارك السياسية .. والعسكرية .. والاقتصادية كما حدث للسد العالي ، وذلك فضلا عن معاركه الدائمة مع الطبيعة . ففي هذا الموقع انتقل الجبل الى النهر .. وانتقل النهر الى الجبل . ورغم هذا لم يكن ذلك اصعب المعارك !

من أجل السد نشبت الحرب وهدمت جيوش بريطانيا وفرنسا واسرائيل ثلاث مدن مصرية (بورسعيد ـ الاسماعيلية ـ السويس)وهاجرت آلاف الاسر .. وسقط مئات الشهداء و تحول خزان الماء .. والكهرباء .. الى معركة عربية من المحيط الى الخليج .

من أجل السد .. حدث التحول الشديد في « مجرى الثورة المصرية داخليا وخارجيا » ذلك المجري الذي أرادوا تعكيره بعد أن رحل الزعيم فخرج من يقول . . . :

ـ عبد الناصر ـ خروشوف ـ عارف ـ البلال ـ تحويل مجرى النهر .

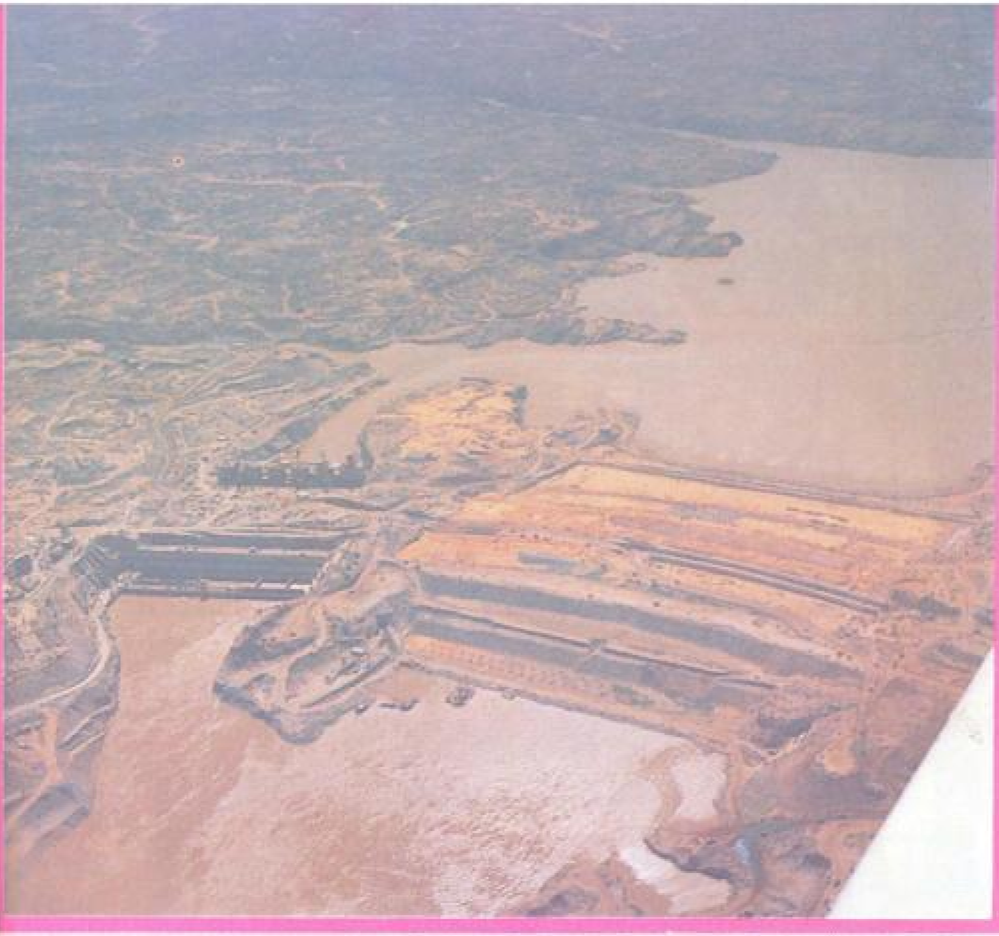

▲

ـ منظر عام للسد العالي .

ـ منظر عام اخذ بالطائرة للسد العالي ومن أمامه بحيرة ناصر ومن خلفه مجرى النيل .

- محطة الكهرباء عند بدء العمل.

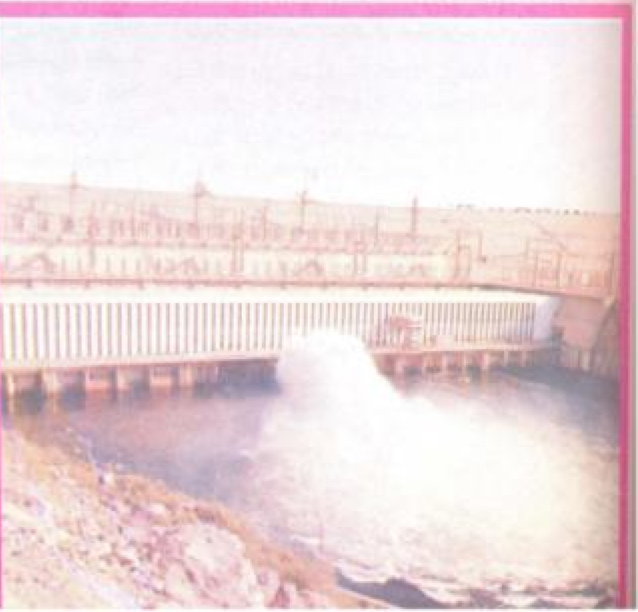

- محطة الكهرباء كما تبدو الآن.

« اهدموا السد .. وحاكموا الذين بنوه » .

ولم يكن ذلك غريباً .. فالسد العالي هو أحد رموز ثورة يوليو ذات التوجهات العربية .. وعدم الانحياز .. ودعم حركات التحرر الوطني .. والاعتماد على الذات .. لذا .. وجب « هدمه » !! ولنفس الأسباب .. كان ـ ومازال ـ السد العالي معركة مستمرة .. !

هذا فضلا عن كونه معركة مع النهر .. والصخر .. والجبل .

هو معركة منذ أن كان جسرا ..

السد والتاريخ

التاريخ: قبل الميلاد عندما حاول الفراعنة أن يضعوا مشروعا كان في عداد عجائب الدنيا ، في عهد أمنحتب الثالث ، استعمل الفراعنة بحيرة موريس لخزن مياه الفيضان وانقاذ البلاد من أخطارها .

ويقول هيرودوت ...

« انهم أحاطوا البحيرة بجسر طوله سبعون ميلا ووصلوا بين البحيرة والنيل بترعتين .. أنشأوا على كل قنطرة تستخدم احداها لاختزان المياه ، والاخرى لصرفها ، ومن أجل هذا حاول الفراعنة دراسة النهر والالمام به وبأطواره ، ورصد مناسيبه وتسجيلها على مقاييس خاصة أقاموها لهذا الغرض في عام ٦٤١ قبل الميلاد .

وهو معركة منذ أن كان فكرة تشتعل أحيانا ، وتهدأ أحيانا .. ولكنها في كلتا الحالتين معركة تستمد ضراوتها من صعوبة العمل ذاته ، فليس سهلا ترويض نهر عمره يقرب من خمسين ألف عام ، ويزيد طوله عن ٤١٦٠ ميلا ، وتبلغ مساحة حوضه عُشر ($\frac{1}{10}$) القارة الافريقية كلها ، ويمر بسبعة بلدان هي كينيا .. والكونغو واوغنده والحبشة .. وتنجانيقا .. والسودان ومصر .

ومن هنا كان السد العالي حلما صعبا ، فشلت أحزاب ماقبل الثورة في تحقيقه واكتفت منه بمناورات حزبية في المناسبات فقط ، وخزان صغير هو خزان أسوان الذي حجز جزءا من مياه النهر .

ثم ..

أصبح السد معركة كبرى بعد أن تحولت الفكرة بعد الثورة الى مشروع يبحث عن « ممول » .

روى لي المهندس زكي قناوي وزير الري السابق وأحد بناة السد هذه الواقعة ... « وقف عبد الناصر وأعلن تأميم قناة السويس وفي اليوم التالي ذهبت الى مكتبي في خزان أسوان ، فوجدت الخبراء الفرنسيين يجمعون حقائبهم ويستعدون للرحيل .. فسألت : .. الى أين ؟

قال أحدهم .. سنرحل .. ولكننا سنعود بعد فترة قصيرة .. ونحن نرتدي ملابس الحرب ! » .

وبالفعل لم تمض شهور على تأميم قناة السويس حتى عاد الفرنسيون ضمن حملة العدوان الثلاثي : « فرنسا .. انجلترا .. واسرائيل . »

كان العدوان ردا على تأميم قناة السويس .. وكان التأميم نتيجة انسحاب أمريكا من تمويل السد بعد رفض عبد الناصر شروط البنك الدولي .. والتي كان الصلح مع اسرائيل واحدا منها !!

رفض عبد الناصر الخضوع .. اتجه الى الاعتماد على الذات فأمم القناة ليأخذ من دخلها مايبني به السد العالي كجزء من بناء الاقتصاد المصري المستقل . وكانت الترجمة الرقمية حينذاك تعني ...

- زيادة في الدخل الحكومي مقدارها ١٨ مليون جنيه ، بعد تنفيذ المرحلة الاولى من السد .
- أراضي مستصلحة مساحتها مليون فدان .
- زيادة في الدخل الحكومي مقدارها ٢٣ مليون جنيه .. وزيادة في الدخل القومي تصل الى ٣٥٥ مليونا وذلك عند استكمال محطة توليد الكهرباء .
- التوسع في الزراعة بمساحة مليونيّ فدان .
- ضمان الزراعة في فترات المياه الشحيحة .
- الوقاية من خطر الفيضان .
- القفز بنصيب الفرد من الكهرباء الى ٤٠٠ كيلووات ساعة بدلا من ستين كيلووات قبل السد .

كذلك اتجه عبد الناصر شرقا ليطلب من الاتحاد السوفيتي الاسهام في تمويل السد العالي . وهنا نترك السطور لهذه الشهادات :

شهادة رقم (١) :

يرويها أيضا المهندس زكي قناوي :

عندما زار نيكسون عبد الناصر ذهب الى أسوان

ورأى السد العالي على الطبيعة ، واستمع على مدى ثلاث ساعات لشرح رئيس هيئة السد العالي .. يومها قال رئيس الولايات المتحدة الامريكية .. « نحن آسفون لاننا لم نأخذ هذه العملية » .

شهادة رقم (٢) :

من الاوراق القديمة الخاصة بالمرحوم المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الري السابق وأحد الذين عاصروا مراحل بناء السد العالي والذي كان يعمل مديرا لمكتب وزير السد العالي خلال فترة المفاوضات التي جرت قبل البدء في تنفيذ المشروع .. ثم سكرتيرا للجنة بناء السد العالي ثم وكيلا لوزارة السد في أثناء عملية التنفيذ .

أوراق هذا الرجل - ومضابط مجلس الشعب عام ١٩٧٨ التي سجلت رده على أحد الاعضاء المطالبين بهدم السد العالي ومحاكمة المسئولين عن تنفيذه - تشهد على قدرة المصريين المفاوضين .. وعلى رأسهم القيادة السياسية التي تركت الفرصة واسعة أمام الفنيين دون أي محاولة للتدخل في سير المفاوضات ، حتى عندما تعثرت المفاوضات عام ١٩٦٠ ، وذهب المهندس عبد العظيم أبو العطا الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأطلعه على نقاط توقف المفاوضات .. ورأي المفاوضين المصريين ... فلم يكن من جمال عبد الناصر الا أن أمر بالسير في المباحثات على ضوء مايراه الفنيون ..

وتشير التقارير المرسلة من موسكو في تلك الفترة أنه خلال الخلاف بين عبد الناصر وخروشوف ، كانت برامج العمل في السد العالي لتوريد المهمات والالات وفتح الاعتمادات وابقاء الخبراء ، واجراء الدراسات والأبحاث كلها في واد والمعركة السياسية في واد آخر .

ورغم الخلاف .. وبمساعدة الدكتور مراد غالب سفير مصر في موسكو في تلك الفترة .. حصلت مصر على قرار برفع قيمة القرض بما يسمح بتوريد مائة وعشرين الف طن اضافية من المهمات الخاصة بكهرباء السد العالي ولولا ذلك لأظلمت مصر خلال حرب الاستنزاف .

الذين يبحثون عن أضرار السد

السد العالي ليس مشروعا ركاميا من صخر أصم .. انه جبل وضع أقدامه في منطقة لن يطأها انسان بعده .

وكنت واحدة من هذا الجيل ..

وقفت في قاع النهر .. رأيت آلاف العمال ينقلون الجبل . وآلافا أخرى وهي تصنع للنيل مجراه الجديد ، زرت مدينة هي الآن في قاع بحيرة ناصر كانت تسمى يوما « بالنوبة القديمة » ، ومشيت في طريق شقه الرجال في صدر الجبل هو الآن قاع نهر النيل بعد تحويله من مجراه الاصلي .. حيث يهدر مسقط مائي يفيض ضوؤه على العيون .. والقلوب .

كنت وصحفيا أمريكيا وهدفنا غير مشترك ..

أنا .. أبحث عن المستقبل بين الصخور المتفجرة وحبات العرق .. وآلاف العمال الذين كانوا يبدون من أسفل كنقط سوداء متحركة تحيط بأعالي الجبل .

وهو .. ليبحث عن أضرار السد .. كان يريد أن يثبت أنه لافائدة من السد العالي .. فالطمي سوف يرتفع في قاع البحيرة وغياب الطمي سوف يفسد الارض الزراعية على طول الوادي وعرضه .

يومها .. كانت الابحاث والدراسات العلمية تقول .. نعم سوف يصبح الطمي مشكلة أمام السد .. ولكن بعد خمسمائة عام .. نعم ستخلو المياه من طمي النيل ولكن مصانع كيما سوف تفي بالغرض وتؤدي مهمة الطمي بالنسبة للارض الزراعية .

والغريب .. أنه رغم مضي واحد وعشرين عاما على هذا الحوار الا أن الموقف الامريكي كما هو .. لم يتغير .. « البحث عن أضرار السد » .

عندما وقع زلزال أسوان .. كان الامريكان أول من أسرع بالحضور الى القاهرة ، لاخوفا على السد .. ولكن بحثا عن « آثاره الجانبية » .. الى أسوان توجهت بعثة أمريكية مولتها بعض المكاتب الامريكية العلمية !! للبحث عن العلاقة بين الزلزال والسد . ثم أعلنت هيئة المعونة الامريكية عن منحة مقدارها ستة ملايين دولار لتمويل الدراسات الزلزالية للسد العالي .

▲ ـ منظر من الجو للسد بعد الانتهاء منه .

بالجهد الشاق والأيدي العملاقة قام السد على أكتاف ابناء مصر .

البعثة مازالت موجودة حتى الآن ، وسوف تستمر حتى ديسمبر القادم .. و .. الى أن تنتهي الدراسات حتى نستطيع أن نقرأ معا تقاريرها المبدئية التي كانت تقدمها مرة كل ثلاثة شهور .

شهادة رقم (٣) :

الشهادة للمهندس زكي قناوي .. لا بصفته واحدا ممن ارتبطت أسماؤهم ببناء السد العالي في مراحله المختلفة .. ولكن كعضو اللجنة الفنية المشتركة التي تتولى هذه الدراسات . يقول شيخ السد ..

« يسرني أن أقول ان النتيجة النهائية التي ستقدم في ديسمبر القادم ، سوف تشير الى كفاية السد العالي وقدرته على تحمل الزلازل .. حتى الزلزال البالغ قوته سبع درجات بجهاز ريختر .. لن يستطيع أن يهز صخرة واحدة من جسم السد .

وقد اجتمعت البعثة الامريكية أربع مرات .. وكان بودها أن تقول ان السد هو السبب فيما حدث من زلازل لكنها لم تستطع ، فعلى مدى عام كانت اللجنة المشتركة والتي شكلت لهذه الدراسة بالتحديد .. تكتب تقاريرها كل ثلاثة أشهر وبعد الكشف الجيولوجي تبين أنه يتحمل هزات أرضية حتى سبع درجات .

قلت : ماسبب الزلزال .. هل كان السد وراء ذلك ؟

قال الخبير ذو الثمانين عاما .. ؟

لماذا يكون السد هو السبب واذا كان الامر كذلك فمن كان وراء زلزال عام ١٩٢٧ و ١٩٥٥ .. ؟ لقد حدثت زلازل عدة قبل أن يبنى السد ، كان أحدهما من العنف بما جعل الناس يقذفون أنفسهم في النيل .. ولم يكن السد قد أقيم بعد .

قلت : .. يقولون ان السد يتحرك .. فهل هذا صحيح ؟

قال زكي قناوي مبتسما : لقد سمعت ذلك على ما أذكر منذ أيام .. دعني أقل .. : نعم انه يتحرك ، وكل مبنى يتحرك ، الحركة بالنسبة للسد العالي لاتهمنا فقد صممناه بطريقة تزيده الحركة صلابة ، لقد بني على شكل نصف دائرة وبالتالي لاتهمنا الحركة حتى سنتميترين كل عام لان ذلك يزيده صلابة .

ـ ويقولون أيضا .. ان جوانب النهر تتحرك ..

أقول : لماذا الان بالذات تثار مثل هذه الشائعات ولماذا هذا الخوف .. ان البحر الاحمر يتحرك سنتميترين كل عام ولم يتكلم أحد !

ثم ..

يعود بذاكرته الى الوراء .. الى خمسة وعشرين عاما مضت ..

« الحكومة لم تبدأ في عمل السد من فراغ ، لقد عملت في عهد عبد الناصر كل مايمكن من أبحاث لاستكمال جميع المواصفات اللازمة للسد ومعرفتها بما فيها « التخزين القرني » أرسلنا المبعوثين صغارا وكبارا الى اغلب بلاد العالم بصرف النظر عن مبدئها السياسي .

أنا زرت عشرين بلدا في أوروبا .. وتقدم من الابحاث مايزيد عن ١٢٠ بديلا للمشروع الحالي من جهات ولجان متعددة .. منها لجنة كبرى مكونة من خبراء أمريكان وفرنسيين وألمان وسوفييت .

رأيت أشياء كثيرة في أمريكا .. ولم أر احتياطات مثل تلك التي عملت للسد العالي ، حقنا تحت السد بطبقات رملية بعمق ١٨٠ مترا ، وكنا نحقن كل خمسة أمتار ، ثم وجدنا أن هذا لايكفي فكان الحقن كل مترين وتلك عملية فنية تمنع تسرب المياه من جسم السد » .

وسألته : ماذا تعني « بالتخزين القرني » ؟

قال : أعني تخزين المياه لعدة سنوات تصل الى سبعة أعوام .

وقلت : اذن هل يعني ذلك أن مصر في منطقة الآمان بالنسبة للجفاف ؟

قال على الفور : لا .. مازال الخطر قائما .. نحن لانستطيع الآن أن نؤكد الامان ، وللعلم هذا الخطر منذ خمسة أعوام ، ولكن لم يشعر به أحد بفضل السد العالي ، لقد سحبنا من « بنك المياه » (يقصد بحيرة ناصر) ماقيمته اثنان وعشرون مليار متر مياه مكعب في العام الماضي .

في السنوات الخمس الماضية .. وصل جملة ماسحب من هذا البنك الى سبعين مليار متر وكان الرصيد تسعين مليار متر ويبقى من التخزين الحي

ـ مياه السد تكاد تغطي النخيل وتزحف نحو القرية .

عشرون مليار متر . .

سألته : هل يوجد تخزين حي . . وآخر ميت ؟

قال : نعم . . ان سعة البحيرة ١٦٠ مليار متر منها ثلاثون مليار متر ميت . . أي طمي . . وحجر . . .

ثم يكمل :

كان عام ١٩٦٤ أول عام نحجز فيه مياها . . في ذلك العام وقعت قصة غريبة . . كان ارتفاع السد يومها ١٢١ مترا ، وكنا في شهر يوليو والجميع في اجازة ولا يوجد غيري وعدد قليل من العاملين ، كنت أتوقع فيضانا غير معتاد ، وانتابني خوف من أن تفيض المياه فوق السد وتهدم كل ما بنيناه ، فأمرت بتعلية السد مترين . . وأمرت بتحويل كل الجرارات والشاحنات الكبيرة الى هذا العمل . . ولحسن الحظ انتهينا من ذلك قبل أن يكتمل تخزين السد وبالفعل وصل منسوب ذلك العام الى ١٢٢ مترا . . أي بزيادة متر واحد عن الارتفاع الاصلي ، لكن هذا المتر الواحد كان يمكن أن يهدم كل مابنيناه ، هذا المتر يعني ٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه لمدة أشهر !! »

ومن الفيضان . . الى الجفاف . .

من الماضي الى الحاضر يقفز زكي قناوي بشهادته فيقول . .

« لولا السد لما زرعنا أرزا . . ولاذرة . .

ويكفي السد فضلا أننا نزرع الارز في أيام الجفاف على مدى خمس سنوات متتالية ، والفيضان لايأتي بما نحتاجه ، نحن تستهلك ٥٥ مليار متر مكعب مياه . . بينما وارداتنا لاتزيد عن ٣٣ مليارا فقط . . فأين لنا بهذا الفرق لو لم يكن السد العالي ؟

في عام ١٩٨٣ كان المنصرف ٣٦ مليار متر مكعب ماء . . وفي عام ١٩٨٤ كان ٣٣ مليارا فقط . .

قلت : وهذا العام ؟

قال : مازال الخطر قائما . . ومازلنا معرضين للجفاف ، أقول اننا لانزال في محنة وأن علينا الترقب

والعناية والانتظار . . هذا فضلا عن الاحتياطات اللازمة . .

قلت : هل تعني ترشيد استهلاك المياه ؟

أجاب : لا . . أرجو الغاء كلمة ترشيد ، فالحالة خطرة ، نفرض أن الفيضان جاء بستين مليار متر من الماء . . في هذه الحالة لابد ألا يزيد المنصرف عن خمسين مليارا وحتى يتم ذلك لابد من . .

* التقليل من زراعة الارز .
* التقليل من مياه الري .
* استعمال مياه الصرف في الري .
* منع زراعة قصب السكر فيما يسميه الزراعيون « العروة الجديدة » .
* التحكم في مياه الري والشرب .
* تبطين بعض الترع الكبرى .
* منع المفقود من الاسماعيلية والذي يصل الى مليار متر سنويا .
* تجفيف البحيرات الداخلية .

ثم . .

● تقليل التوسع الافقي في الزراعة والاكثار من التوسع الرأسي ، ذلك أن الاول يحتاج الى مياه . . بينما الثاني لايحتاج الى كميات كبيرة من المياه في الوقت الذي ينتج فيه محصول أكبر .

قلت : والصيادون الى أين يتجهون . . ؟

قال : اذا كان لدينا آلاف الصيادين . . فعندنا أيضا مشاريع البحر الاحمر . . وبحيرة ناصر حيث تتوافر أكبر ثروة سمكية كان يمكن أن تزيد لولا الجفاف الذي أدى الى انخفاض منسوب البحيرة والذي أثر بدوره على ما فيها من أسماك لذلك لابد من الاتجاه الى عمل مزارع سمكية في أحواض خاصة بالبحيرة بمجرد ارتفاع منسوب المياه مرة أخرى .

شهادة رقم (٤) :

مازال السد العالي معركة . . معركة سياسية تصدى لها المهندس عصام راضي وزير الري المصري في مجلس الشعب هذه الايام . . .

ومعركة علمية يخوضها العلماء والباحثون . . . والخبراء . . .

عقل اليكتروني
لرصد الزلازل

أشرفت اللجنة الفنية للدراسات الزلزالية للسد العالي على الانتهاء من دراساتها الفنية وكتابة التقرير النهائي بنتائج هذه الدراسات .

سوف تتقدم اللجنة الى الجهات المصرية بتقريرها هذا في ديسمبر القادم .

وكانت اللجنة قد شكلت من خبراء دوليين . . من كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية . . واليابان . .

ومن المعروف أن هيئة المعونة الامريكية قد أسهمت في تطوير هذه الدراسات بمنحة قيمتها ستة ملايين دولار في صورة أجهزة ، بينما رصدت الحكومة المصرية ثمانية ملايين جنيه لانشاء أول شبكة رصد زلازل تضم اثنتي عشرة محطة تم توزيعها حول السد وداخله تعمل بالعقل الاليكتروني بالمركز الاقليمي للزلازل في أسوان .

آخر هذه المعارك أو أحدثها . . دراسة لتطوير مجرى النيل بلغت تكاليفها ٤ ملايين دولار قدمتها الحكومة الكندية كمنحة لمشروع ضخم قدرت تكاليف جزء منه ـ محطة كهرباء وقنطرة بحوالي ٢٠٠ مليون دولار . .

وعن معارك السد مع الطبيعة يشهد الدكتور محمود أبو زيد رئيس مركز بحوث المياه .

« ان السد العالي يعد الصمام الذي ضمن لمصر حجما سنويا ثابتا من المياه ومكننا من التحكم في مياه النيل ، ولذلك سيظل لسنوات عديدة هو مفتاح التنمية الزراعية لمصر .

ولقد مكن السد مصر حتى الآن من تحويل أراضي الحياض في مساحة مليون فدان الى ري دائم ، بالاضافة الى استصلاع نحو مليون فدان جديدة ، وبالاضافة الى مشروعات السد من محطة كهرباء تمد

ـ لحظة الالتحام : آخر دفعة صخور يتم القاؤها في النهر ليلتحم .

مصر بـ ٦٠٪ من احتياجها السنوي بالكهرباء . . بدأت وزارة الري في وضع تفاصيل خطة لتطوير مجرى النيل مائيا . . وكهربيا . . وسياحيا . ولقد أعدت الخطوط الرئيسية لهذا المشروع بمساعدة فنيين كنديين ، ويشمل استغلال أقصى طاقة كهربية في جميع الأعمال الصناعية ، بالاضافة الى انشاء مجرى ملاحي من الدرجة الاولى يسمح بمرور البواخر الكبيرة بغاطس مائي طوله متران ونصف .

وقد أعلن التصميم النهائي في عطاء عالمي .

قلت : والجفاف كظاهرة عالمية . . أين السد العالي منه ؟

قال : ظهر الجفاف كظاهرة في أماكن كثيرة من العالم ، وهو ظاهرة طبيعية شأنها مثل الفيضانات ، ومازال من الصعب تحليلها والتنبؤ بها ، وقد تختلف النظرة العلمية الى هذه الظاهرة من منطقة لأخرى ، أو من قارة لاخرى . . ولكن من المؤكد أن حدوث فيضانات في منطقة مايقابلها جفاف في مكان آخر بالكرة الارضية ، فحجم المياه على سطح الارض ثابت رغم التغيرات الكثيرة التي تتدخل في الصور المختلفة لهذا الماء .

فاذا ما تناولنا ما حدث في أفريقيا في الاعوام القليلة الماضية وبالذات في حوض النيل نجد أن معطيات النيل ومعظمها من أمطار الهضبة الاستوائية ، كانت دون المتوسط خلال ست السنوات الماضية ، ومن المعروف أيضا من خلال أرصاد النيل في مدة مائة العام الماضية ان اختلاف هذه المعطيات يتبع دورة غير متماثلة تتوالى في مجموعات من السنوات العالية أو المنخفضة وفيضانات مختلفة ، وقد يكون طول كل دورة أربع سنوات أو خمسا ، الا أن توالي الانخفاض بالدرجة التي حدثت خلال ست السنوات الاخيرة لم تحدث من قبل الا مرتين .

وبالطبع كان لوجود السد العالي الأثر الاساسي في حماية مصر من خطر الجفاف نظرا لوجود بحيرة ناصر التي أمدتنا بالفرق من حصتنا المقررة طوال هذه

قلت : ماذا عن السودان .. والسد العالي ؟

ـ من المعروف أن متوسط تصرف نهر النيل السنوي خلال مائة العام الماضية يبلغ ٨٤ مليار متر مكعب مقدرا عن أسوان ، وهي الأساس الذي صُمّمَتَ عليه سعة خزان السد ، وأي فيضان أقل من هذا القدر يعد دون المتوسط .. هذه الكمية « ٨٤ مليار متر مكعب » تقسم بين مصر والسودان طبقا لاتفاقية مياه النيل عام ١٩٥٥ ، فاذا كان الفيضان دون المتوسط فان مصر تستكمل حصتها من المخزون في البحيرة ، وهذا ما حدث خلال خمسة الاعوام الماضية ، حتى أصبح حجم المخزون الآن في البحيرة عشرين مليار متر مكعب .

قلت : ماموقف السد عربيا في رأيك ؟

قال : لاشك أن الخبرة التي اكتسبها المصريون في أثناء اقامة السد تعتبر ذخيرة لكل من يعمل في هذا المجال ، ومنهم من يسهم في أعمال مشابهة في البلاد العربية وكثير من دول العالم .. أي أن السد مدرسة عربية للخبرات الفنية في مجال السدود .

قلت : بصفتكم رئيس مركز أبحاث علمية .. هل تمت دراسة الأثار الجانبية للسد العالي أو التنبؤ بها ؟

قال : مركز البحوث المائية يضم أحد عشر معهدا بحثيا من بينها معهد خاص لدراسة الأثار الجانبية قبل السد وبعده وتناولت هذه الدراسات أمورا كثيرة منها .. أثر الطمي وترسبه في البحيرة ، تآكل جوانب النهر خلف السد ، نوعية مياه النيل وتأثرها داخل البحيرة وعلى طول المجرى الثروة السمكية ، وقد نوقشت هذه الدراسات في مؤتمرات دولية ، ومازال بعضها تحت البحث في معهد دراسة الأثار الجانبية للسد العالي والجامعات .. وأكاديمية البحث العلمي .

شهادة رقم (٥) :

مر الوزير فرأي أحدهم يرتدي جلبابا أبيض وعباءة ويجلس دون عمل فسأله :

أنت صاحب هذه الارض ؟

قال : نعم ... منذ الخزان الاول !!

سأله الوزير : ولماذا لم تزرعها حتى الان ؟

أجاب الرجل : على الحكومة أن تزرعها .

و ... دار حوار بين النوبي والوزير كان الاول يعبر خلاله عن مجتمع كسول .. يستورد العمالة من « أسوان » لتزرع الارض .. ويهاجر رجاله الى القاهرة بينما تظل النساء لترعى الاسرة .

ولم تكن النوبة فريدة في هذا الكسل .. كانت أسوان مجتمعا طاردا تحول بعد السد الى شيء آخر . فقد ازداد عدد السكان .. وتغيرت نوعيتهم .. تحولت المنطقة الى مجتمع صناعي به معهد لتدريب الفنيين في السدود والتفجيرات .. به مصنع .. بل مصانع ونقابات ..

تعاملت النوبة مع الآلة والثلاجات .. والبواخر الكبيرة .. ووسائل النقل الحديثة .. انتقلت النوبة من مجتمع الكسل الى مجتمع نشط لايربطه بالقديم الا تلك الرسوم التي تشير من فوق الجدران الجديدة الى الاصل القديم .. لكنها فقط .. على سبيل الذكرى .

□

لسان الدين ابن الخطيب والنقد

بقلم : الدكتور احسان عباس

للسان الدين ابن الخطيب مكانة لا تخفى في تاريخ الفكر الأندلسي ، فقد كان ذا مواهب متعددة وقدرات متنوعة ، واستطاع رغم ما اضطلع به من مسؤوليات سياسية كبيرة أن يترك تراثاً ضخماً في التاريخ والتصوف والطب والشعر والترسل والفكر السياسي وغير ذلك من الفنون . فهل كان للنقد في تراثه نصيب ؟

لم يمنح النقد الأدبي قسطاً وافراً من جهده ، شأنه في ذلك شأن معاصره وصديقه ابن خلدون ، ولكن من السهل أن نعدّ هذين الرجلين ممثلين لطبيعة الذوق الأدبي ـ في عصرهما ـ في الأندلس والمغرب ، ذلك الذوق الذي لخصه ابن خلدون حين حدثنا أن شيوخه كانوا يرون « أنّ نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب » . وهو حكم عجيب ، غير أنه لا ينبيء عن ضيق صدر بالفلسفة في ذاتها ، فقد كان كثير من أولئك الشيوخ ـ كما كان لسان الدين وابن خلدون ـ من طلاب الثقافة الفلسفية ، وانما هو تعبير عن عدم الارتياح إلى وضع الفكر المفلسف في نطاق الشعر (كما فعل كل من المتنبي والمعري) ، وذلك شيء لم تنفرد به الأندلس والمغرب ، بل كان أنصاره في المشرق هم اصحاب الغلبة في تاريخ النقد الأدبي .

القريحة الشعرية :

فاذا كان للسان الدين وابن خلدون من آراء في النقد فذلك متصل ـ في الدرجة الأولى ـ بثقافتهما الأدبية ، وبكون كلّ منهما مارس نظم الشعر ، وفي هذه الناحية الثانية يتفوق ابن الخطيب على صديقه ابن خلدون الذي تعسّر عليه قول الشعر بعد فترة من الزمن ، وعلّل ذلك بان محفوظه من المتون الفقهية والنحوية وغيرها قد عاق قريحته عن الفيضان ، وخدش وجه الملكة الشعرية لديه . فأما ابن الخطيب

فقد استمرّ يحاول التوفيق بين شقّي ملكاته ، ومنها الشعر ، حتى آخر ايام حياته ، ولم يواجه تصعباً أو تعسراً في نظمه ، رغم أنه كان يحفظ متوناً أكثر مما يحفظ ابن خلدون ، مثلما أنه عاني نظم متون في الطب والتاريخ . فالمتون ليست وحدها سبباً في إجبال القريحة ، ولا بد من ان تجتمع اليها اسباب اخرى نفسية واجتماعية واقتصادية .

ولعلّ مما اسرع في تقصير فترة الانتاج الشعري لدى ابن خلدون غلبة الميل الفكري لديه على كل ميل آخر ، وهذا استدعى منه أن ينتحي في كتابته منحى عقلانياً خالصاً . وفي دور مبكر كان يؤمن بالفصل التام بين الأسلوب النثري والأسلوب الشعري « إذ الأساليب الشعرية تناسبها اللوذعية ، وخلط الجدّ بالهزل ، والاطناب في الأوصاف ، وضرب الامثال ، وكثرة التشبيهات والاستعارات ، حيث لا تدعو الى ذلك ضرورة في الخطاب » فأخذت الملكة التصويرية لديه بالضمور . أما لسان الدين فظلّ يمنح العنصر الجمالي التصويري في نثره اهتماماً خاصاً غير عابيء بموقف صديقه من الفصل العامد بين الشعر والنثر ، فبقي على مستوى الانشاء النثري شاعراً مصوّراً ، وبقيت ملكة التصوير لديه تتمتع بقوتها على مرّ الزمن ، وكان مما يرفد هذا الجو الشعري من حوله عوامل أخرى لم تتوفر لابن خلدون منها شمولية اطلاعه على التيار الشعري في عصره ، واهتمام بتدوين تراجم معاصريه وأشعارهم ، هذا بالاضافة إلى اطلاع على الشعر العربي في كلّ عصوره . وكان بحكم منصبه السياسي ممدّحاً يستقطب كثيراً من قصائد معاصريه ، كما كان يرى أنه مسؤول عن تربية الذوق الفني أو على الأقل يميل إلى إشباع رغبة ذاتية لديه في انتخاب الاشعار والموشحات ووضعها في مجموعات خاصة (مثل كتابه جيش التوشيح) ، فكل هذه العوامل شحذت لديه الجانب النقدي ، فظل اتجاهه « شعرياً » ـ إن صحّ القول ـ حين أصبح اتجاه صاحبه « فكرياً » .

الشعر ظاهرة انسانية :

ويلتقي ابن الخطيب مع نقاد سابقين ـ وخصوصا فريق النقاد المتفلسفين ـ في قوله إن الشعر بالمعنى المطلق ظاهرة انسانية لا يمكن ان تحصر ضمن شكل محدد ، فالشعر بهذا المعنى لا يوضع في إسار وزن معين أو قافية مرسومة ، لأنه أوسع حدوداً من ذلك ، وعلى هذا الأساس لا يمكن ان يكون وقفاً على أمة دون أمة أو على صنف من البشر دون غيره . وهو إذن يشمل « الصور المثّلة ، واللُّعب المخيَّلة ، وما تأسس على المحاكاة والتخييل مبناه ، ككتاب كليلة ودمنة وما في معناه » . فما هذا الذي يعنيه لسان الدين بالصور المثلة واللعب المخيلة ؟ إن كانت الصور لديه تعني الرسم ، واللعب تعني التماثيل والدمى ، فالشعر في نظره هو جماع الفنون ، وان كانت تلك الصور واللعب تعني ضروب « النشاط المسرحي » في عصره ، وكان أقوى ما يمثلها « خيال الظل » أو « لعبة اليهودي » حسب تعبير الأندلسيين ، فالشعر يتناول كل تصوير تعبيري قائم على المحاكاة والتخييل .

ولكن هناك مفهوماً للشعر أقلّ شمولاً ، لأنه يقتصر على ما عناه العرب انفسهم حين استعملوا لفظة « شعر » وعنوا بها « كلّ كلام يحضره الوزن والقافية ، ويقوم الرويّ بجناحه مقام الخافية » ، فكيف تكون أحكامنا على هذا اللون المحدد من الشعر ؟ هب أن متذوقا اراد ان يختار لابنه أو لبعض الناس عدداً من القصائد ، فما هي المعايير التي يعتمد عليها في الاختيار ؟ هنا يطالعنا لسان الدين بفهم دقيق لطبيعة الشعر الذي يحكمه الوزن والقافية ، فهناك شعر مغرق في الشعرية « وهو ما جنح الى التخييل والتشبيه ، وأحلّ الاستعارة بالمحلّ النبيه » وهناك شعر مستحسن مرضيّ قصد عن التشبث بالاستعارة والتخييل ، وإنما عدّته العرب شعراً لخصائص أخرى فيه تميزه ، ولا يجوز ان تنزع عنه اسم الشعر وان وقع في المنزلة الثانية . وتمييزا لهذين النوعين أحدهما عن الآخر يسمّي لسان الدين النوع الأول باسم « السحر » ويسمى النوع الثاني باسم « الشعر » (وليته اختار لفظة أخرى ليبقى لفظة « شعر » شاملة للنوعين معاً) .

إن اختيار لفظة « السحر » عودة الى أصول بدائية في تصوير أثر الكلمة التي تستطيع أن تحدث تأثيراً بالغاً (أو تغييراً للواقع) ، ثم ارتبط ذلك مع الزمن بالتعبير عن الاعجاب الغامر الذي لا يجد له المتلقي

تعليلاً إزاء نصّ من النصوص ، وعن الحيرة التي تتملك ذلك المتلقي وهو يحسّ بنشوة طاغية آثارها ذلك الاعجاب ، وفي مرحلة فنية متأخرة تقترن لفظة « السحر » بالكشف عن « الرائع » أو « الرفيع » أو « المعجز » في الآداب والفنون . ولعل الكثيرين يذكرون موقف الوليد بن المغيرة حين سمع آيات من القرآن الكريم لأول مرة ، فقد رفض أولاً ان يطلق على ما سمعه اسم « السحر » فلما لم يجد لفظة أخرى تؤدي ما يحسّ به قال : والله إن لقوله لحلاوة وان أصله لعلق (ويروى لغدق) وان فرعه لجناة . . . وان أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو « سحر » .

وفي استعمال كلمة « السحر » كان لسان الدين يستلهم ايضا الموروث النقدي الأندلسي ، حسبما بلغ إليه من تطور في القرن السابع ، وخصوصا لدى ابن سعيد المغربي الذي رأى ان ما يستحق اسم الشعر أحد نوعين : وهما المرقص والمطرب . والأول يتمتع بالجدة والغرابة ، فلا يعتمد على محض التشبيه بل على « غريب التشبيه » أو غريب الصور ، ويبلغ من تأثيره في المتلقي ان يعبر عن اعجابه بالرقص . والثاني أقل تأثيراً من الأول ، فهو يبعث في النفس هزة ارتياح ونشوة طرب ، ولذلك فهو « مطرب » لكنه لا يخرج المتلقي الى حال الرقص ، والتفاوت بين النوعين هو التفاوت في درجة الغوص على التشبيه والتمثيل ، فأما ما يجيء بعد هذين النوعين فقد يكون في رأي ابن سعيد من المقبول أو المسموع او المتروك .

ولا يتركنا لسان الدين نتأوّل السبب الذي من أجله اختار مصطلح « السحر » للدلالة على تميز احد نوعي الشعر لديه بل هو يبسط ذلك شارحاً . فالسحر حين يسلط على شيء ما ينقل هيئته من حال إلى حال ، وكذلك الشعر ، فتحت تأثيره تتم تحوّلات ما كانت لتتحقق بدونه : فهو الذي يشجع ويدعو الى الاقدام ، ويسهّر وينوّم ، ويحبب السخاء الى النفس ، ويضحك حتى يلهي ، « وهذه قوى سحرية ومعان بالاضافة الى السحر حَرية ، فمن الواجب أن يسمّى الصنف من الشعر الذي يخلب النفوس ويستفزها ، ويثني الأعطاف ويهزها باسم السحر » ، ويرى لسان الدين ان قوة الشعر في التأثير وفي إحداث التحولات تزداد اذا اقترن بالألحان ، وهذا ليس نابعاً وحسب من شيوع التغني بالموشحات الأندلسية التي لم تكن تصلح إلا للغناء ، بل هو صادر عن تجربة أثر الغناء بعامة في تعميق تأثير الشعر في النفوس .

أذواق مختلفة :

هل هذا المعيار الذي وضعه لسان الدين قابل للتطبيق على المستوى النظري ؟ كل شيء قد يبدو سهلاً ، ولكن كيف يمكن للناقد أن يفرز ما هو سحر مما هو شعر ؟ لقد أحسّ لسان الدين بصعوبة ذلك وعبّر عما أحسّه بنوع من الاعتذار حين ذكر أن الفرق بين هذين النمطين « كثير الدقة واللطافة » وأحال الأمر على قاعدة النسبية ، وأن ما يراه أحدٌ سحراً لا يجده الآخر كذلك ، وأضاف يقول : « ان أشخاص المحبوبات تقع بينها وبين النفوس التي تكلف بها وتتعلق بسببها علاقاتٌ لا تُدْرَكُ ، ومناسباتٌ يعجز وعي المدارك عنها فتترك ، وكثيراً ما عُشِقَ الغُفْلُ من الجمال لهذا السبب ، وأخلاقُ نفوس البشر مثار العجب » .

ولا يلبث لسان الدين ـ بعد هذا الاعتذار ـ من أن يأخذ نفسه بتطبيق المعيار الذي وضعه ، فهو يميز السحر من الشعر في سته من الفنون وهي المدح (والفخر لاحق به) والرثاء والنسيب والوصف (على تشعّب مذاهبه) والملح والحكم والجد . وسرعان ما أخذت الصعوبات تواجهه متلاحقة ، فقد شاء أن يفتتح باب المدح بمختارات في مدح الرسول ، وفتش وأطال التفتيش فلم يجد قصيدة واحدة أو قطعة من قصيدة يمكن أن تُدْرَجَ تحت عنوان السحر ، فلما أعياه الأمر اضطر إلى البحث عن العلة ، فاهتدى إلى أنّ امتناع وجود « قسم السحر » في مدح الرسول إنما يعود إلى أن الشعر يعتمد المحاكاة والتخييل ، ووقار جناب الرسول ﷺ يبهر النفس ويمنع من استرسالها في ذلك ، ولذلك كان أقصى ما يستطيعه الشاعر في ذلك المجال أن يعتمد على نصاعة اللفظ وقصد الحق وقرب المعنى وايثار الجدّ . ولما انتقل الى باب الفخر لم يجرؤ على أن يقسمه في صنفين : سحر وشعر ، وترك تمييز ذلك للقارىء ، لأنه احس ـ بزعمه ـ أن السحر والشعر يتنازعان هذا الباب بحيث لا يأمن من يميز بينهما من خلط أحدهما بالآخر . □

شعر الإضحاك عند العرب

بقلم : د. توفيق الفيل*

قالوا عن الشعر إنه ديوان العرب ، سجل حياتهم . فهل عبر الشعراء عن جوانب انسانية غير ما عرفناه من الوقائع والحروب والغزل ونحوه ؟ وهل كان لهم نوع من الكوميديا التي تثير الضحك ، وتعبر عن الجوانب الاخرى في الانسان ؟ ذلك ما يتحدث عنه هذا المقال . .

اتخذ العرب من الشعر قالبا فنيا يعبرون من خلاله عن أفكارهم ومشاعرهم ، ويبثون في ضروبه وبحوره ما يريدون أن ينقلوه للناس . وقد شاع بين الناس أن الشعر ديوان العرب . وعلى الرغم مما نجده في الشعر العربي من تسجيل لوقائع أجدادنا وأيامهم ، وما نقرؤه من حديث عن معاركهم وانتصاراتهم ، تبقى لدينا قناعة بأن الشعراء لم يكونوا ينقلون الواقع على نحو ماهو موجود . . لأن الشاعر اذا كان النصر حليف قومه بالغ فيما فعلوا ، ونسب اليهم مالم يقوموا به من أمور . واذا لحقت بهم الهزيمة عمل على التماس الأسباب التي يرجع اليها ذلك ، وجهد في دفع ما قد يظن بأن ذلك حدث عن تراخ من قومه ، أو عن وهن في نفوسهم . وأيا كان الرأي الذي نراه او يراه غيرنا من الباحثين ، فقد خلف اسلافنا تراثا غنيا عبروا فيه عن كل نواحي الحياة . . ما كان موجودا منها ، وما تاقت نفوسهم لوجوده . وكان من بين هذا التراث ما عبروا به عن الانسان في قوته وضعفه ، في صفوه وكدره . في ايمانه وشكه . .

(*) استاذ البلاغة والنقد الادبي المساعد ـ كلية الاداب ـ الكويت ـ دكتوراة عن القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي ـ له عدة بحوث منشورة في الادب والنقد .

في جده وهزله . . ولعل الجانب الأخير هو ما يعنينا في هذه الدراسة . ذلك لأن مظاهر الحياة والنفس حظيت بكثير من الدراسات ، والقى عليها الباحثون العديد من الأضواء . . لكن الجانب الهزلي من حياة العربي لم يأخذ ما يستحق من الدراسة ، على الرغم من كثرة النتاج الادبي الذي خلفه القدماء في هذا الجانب .

وعلى الرغم من أن ما خلفه العرب يجعلنا نقف على الشخصية السوية عندهم . فليس صحيحا أن العربي القديم عاش حياته كلها بين طعن القنا وخفق البنود . . . واذا كان العرب لم يعرفوا « الملهاة » كما كانت عند شعراء اليونان من أمثال : اسخيلوس وغيره ممن وضعوا اصول هذا الفن . ليعالجوا من خلاله القضايا عن طريق الاضحاك . فان العرب قد عرفوا لونا من ألوان الشعر يهدهدون به النفوس ، ويثيرون به الضحك . . ولعل أول ما نصادف في هذا المجال . . ذلك الهجاء الذي لا ينحو فيه الشاعر منحى هجاء الحطيئة في الجاهلية وصدر الاسلام ، أو منحى شعراء النقائض الذين كانوا يجعلون شعرهم الى السباب والقذف اقرب منه الى الفن مما يرمي اليه من تهذيب النفوس ، وتأديبها وتنقيتها من العيوب التي علقت بها .

واذا كان الجاحظ قد اثار سخريتنا ، وضحكنا من أنماط البخلاء التي قدمها في كتابه الجليل ، والتي كشف عن طريقها كثيرا من المرض النفسي لدى بعض الناس ممن سيطر المال عليهم ، وحولهم الى عبيد له . اذا كان الجاحظ قد فعل شيئا من ذلك . . فقد أدلى الشعراء بدلوهم في هذا المجال : فهذا شاعر يصف بخل صديق له نزل عليه ـ على الرغم منه ـ فأخذ يسأله عن السبب الذي رمى به اليه . وحاول الشاعر أن يلتمس فضيلة للسفر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . لكن المضيف تمم له الحديث بما يفيد أنه لن يقدم له شيئا من الطعام . يقول عبدالمحسن الصوري .

واخ مسه نزولي بقرح
مثل ما مسني من الجوع قرح
قيل لي انه جواد
والفتى يعتريه بخل وشح
بت ضيفا له كما حكم الدهر
وفي حكمه على الحر قبح
قال لي اذ نزلت وهو من السك
رة والهم طافح ليس يصحو . .
لم تغربت ؟ قلت : قال رسول
الله والقول منه فصح ونجح
« سافروا تغنموا » فقال وقد قا
ل تمام الحديث « صوموا تصحوا » .

ولعل ما يعنينا فيما نحن بصدده ، ذلك التلطف في التعبير عن الشح الذي وقر في نفس هذا الرجل ، والحرص الشديد الذي دفعه الى عدم تقديم شيء يسد به هذا الصديق رمقه . . كما تجدر الاشارة الى هذا النوع من التضمين الذي يلجأ اليه الضيف ، في اظهار جوعه ورغبته في القرى ، والايحاء الى الصديق بذلك . ويلجأ اليه المضيف في ادخال اليأس في قلب الرجل ، والاشارة الى انه لن يقدم اليه شيئا .

أما ابو نصر « كشاجم » فيقدم لنا نموذجا آخر من نماذج البخل ، وهو ذلك الصديق الذي دعاه فكان منه أنه لبى هذه الدعوة . وذهب اليه . وقدم الرجل الطعام لكنه كان في هذا يجاهد نفسه ، ويحملها على غير ما تهيأت له ، واستقر في أعماقها من الشح الى الحد الذي جعله يرى في كل لقمة يتناولها الضيف قطعة من جسمه يأكلها ، ولهذا يمتلىء بالغيظ ، ويسب عبده .

لقد كان أبو نصر جائعا ، وهو مضطر الى أن يأكل ـ ولم يعد أمامه غير أن يختلس الطعام اختلاسا ويغافل مضيفه متنبها لذلك ، وكان يحسن الرقابة ، فينظر الى الشاعر بغيظ ، ولا يجد صاحبنا حيلة سوى أن يعبث بالبقل ، ويصطنع اللعب . ولا شك أننا لا نريد أن نفسد على القارىء متعته من جمال التصوير ، وحسن التعبير والتلطف فيه ، وخصوصا حين يصور الشاعر هواجس النفس ورغباتها ، ولذا نحيله على هذه المقطوعة التي انشأها ابو نصر كشاجم والتي يقول فيها .

صديق لنا من أبرع الناس في البخل
وأفضلهم فيه ، وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه
فجئت كما يأتي لمثله مثلي

فلما جلسنا للطعام رأيته
يرى انه من بعض اعضائه أكلي
ويغتاظ أحيانا، ويشتم عبده
واعلم ان الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلت أستل الطعام مخافة
والحاظ عينيه رقيب على فعلي
أمد يدي سرا لأسرق لقمة
فيلحظني شذرا فاعبث بالبقل
الى أن جنت كفي لحيني جناية
وذلك ان الجوع اعدمني عقلي
فجرت يدي للحين رجل دجاجة
فجرت - كما جرت يدي - رجلها رجلي
وقدم من بعد الطعام حلاوة
فلم استطع فيها أمر ولا احلي
وقمت لو اني كنت بيت نية
ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

اذا تشكت الى الجوع قلت لها
ما هاج جوعك الا الري والشبع
لا والذي يا أمير المؤمنين قضى
لك الخلافة في أسبابها الرفع
مازلت اخلصها كسبي فتأكله
دوني ودون عيالي ثم تضطجع
شوهاء مشنأة في بطنها بجل
وفي المفاصل من أوصالها قدع
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا
ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة
أأنت تتلو كتاب الله يالكع
اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة
كما لجيراننا مال ومزدرع
واخدع خليفتنا عنها بمسألة
إن الخليفة للسؤال ينخدع

ويلفت النظر ما يقوم به كل من الرجلين من حركات تثير الضحك، فالضيف يغافل ليسرق والمضيف ينظر شذرا، ويحكم الرقابة، ويرتد الضيف عما كان عزم عليه من سرقة اللقمة لكن الجوع يدفعه لحينه، ويجر رجل الدجاجة، واذا بالمضيف يجر رجله، ويحول بينه وبين ما يريد، ويصنع الضيف والمضيف مواقف وحركات كوميدية تثير الضحك، وتصور خلجات النفس. ولون آخر من الوان الاضحاك يلجأ اليه ابو دلامة، ويتوجه به الى الخليفة لينال عطاءه، أو بالاحرى ليخدع به الخليفة، وهو يتخذ السخرية من نفسه وزوجه وعياله ليثير ضحك الخليفة. يقول.

إن الخليط أجد البين فانتجعوا
وزودوك جنا لا بئس ماصنعوا
والله يعلم ان كانت لبينهم
يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
عجبت من صبيتي يوما وامهم
ام الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة
هبت تلوم عيالي بعدما هجعوا
ونحن مشتبهو الالوان أوجهنا
سود قباح وفي اسمائنا شنع

ولنقف قليلا نمعن النظر في هذه المرأة القبيحة التي صورها زوجها عظيمة البطن مسترخية، معوجة العظام والمفاصل، مشوهة الخلقة منفرة، تأكل ما يأتي به زوجها من الطعام ولا تترك له ولا لعياله شيئا منه، ثم تضطجع بعد أن تفرغ منه. وهي لا تكتفي بذلك بل تغضب حين يراجعها الزوج فيما بدر منها من تصرفات وترفع أنفها في استكبار، وتتوجه اليه بالحديث محقرة له، متهمة اياه بما لا تتهم به الكريمة زوجها.

واذا كان لنا أن نقف عند تعبير أبي دلامة، وما يسهم به من رسم هذه الصورة العجيبة لأسرته، تلك الاسرة التي تتشابه في قبح الوجوه، وبشاعة الأسماء، ثم تتفرد فيها الام بما سلفت الاشارة اليه من الاوصاف، وينفرد الاب بالمهانة والهوان على امرأته بل نفسه، وجدنا تلك الحركة المضحكة التي تصطنعها (ام الدلامة) حين الرد على زوجها (واخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة) ولا شك أن هذه الحركة قد زادت من قبح أم الدلامة، وانتزع الشاعر بذلك الضحكات من القلوب. ثم نجد من الالفاظ « شوهاء مشنأة » وغيرها من الألفاظ التي جلبها الشاعر من أجل تجسيد صورة القبح عند زوجه.

ويقال إن أبا دلامة حمل احدى بناته فبالت عليه ، فقال :

بالت علي ـ لا حييت ـ ثوبي
فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم ام عيسى
ولا رباك لقمان الحكيم

ثم قال لأحد جلسائه أجز فقال :

صدقت ابا دلامة لم تلدها
مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها ام سوء
الى لبانها وأب لئيم

ولا يسلم ابو دلامة من نفسه ، بل يسخر منها ليثير الضحك ، ويتخلص من مأزق وجد نفسه فيه ، وذلك انه دخل على المهدي ـ فيما يروي أبو الفرج الاصفهاني ـ وعنده اسماعيل بن محمد ، وعيسى بن موسى ، والعباس بن محمد ، ومحمد بن ابراهيم الامام وجماعة من بني هاشم . فقال له المهدي ، انا اعطي الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لاقطعن لسانك ـ او قال : لاضربن عنقك ـ فنظر اليه القوم ، فكلما نظر الى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ، فلم ير مفرا من هجاء نفسه ، فقال :

الا أبلغ اليك ابا دلامة
فليس من الكرام ولا كرامة
اذا لبس العمامة كان قردا
وخنزيرا اذا نزع العمامة
جمعت دمامة ، وجمعت لؤما
كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
فان تك قد اصبت نعيم دنيا
فلا تفرح فقد دنت القيامة

يقول أبو الفرج : « لقد ضحك القوم عند سماع هذه الابيات ، ولم يبق منهم احد إلا أجاز ابا دلامة » .

لقد كان ابو دلامة يمتاز بخفة الروح ، وحسن المنادمة ، وكان بتطفله ينتزع الضحكات ، وهو ينتهز اي فرصة تواتيه ليوظفها في هذا السبيل . فمما يروى عنه أن المهدي خرج يوما للصيد ومعه علي بن سليمان ، فسنح لهما قطيع من الظباء ، فأرسلت الكلاب ، واجريت الخيل ، ورمى الخليفة المهدي ظبيا فصرعه ، ورمى سليمان بن علي فأصاب أحد الكلاب فقتله ، فقال ابو دلامة :

قد رمى المهدي ظبيا
شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان
رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل
امرىء يأكل زاده

ولم يكن أبو دلامة علما مفردا على الاضحاك في شعرنا العربي القديم ، فنحن نجد من الشعراء من يقف أغلب شعره على الهزل والسخرية ، ويبتعد به عن أي مظهر من مظاهر الجد ، ويرى انه بذلك يجبر نقصا في الحياة ، ويصور جانبا من جوانبها ، فالحياة ليست جدا خالصا ، بل هي مزيج من الجد والهزل . ويصور ذلك قول الشاعر :

وللجد مني ساعة لا أضيعها
وللهزل مني والخلاعة جانب

ولا يقلل مثل هذا الشعر من قيمة هذه الأمة ، بل على العكس من ذلك يكشف عن سلامتها النفسية ، ويظهر وجهها الحضاري والانساني ، ويبين المدى الذي وصلت اليه من التفتح والسماحة .

ولعلنا نجد في مثل الحسين بن الحجاج نموذجا للشاعر الذي يتخذ من الهزل والسخرية شعارا له . ويرى أن شعره في السخف والهزل ضرورة تكتمل بها الحياة الفنية . يقول :

وشعري سخفه لابد منه
فقد طبنا وزال الاحتشام
وهل دار تكون بلا كنيف
فيمكن عاقلا فيها المقام

ويقول . . .

تراني ساكنا حانوت عطر
فان انشدت ثار لك الكنيف

وعلى الرغم من سقوط ألفاظ ابن الحجاج ، وسخفه في شعره نجد من النقاد من يضعه في مرتبته بين الشعراء . بل يمتدحه على نحو ما نجد عند الثعالبي الذي يقول عن ابن الحجاج ، ومناظره في خروجه « ابن سكرة الهاشمي » : ان زمانا جاد بابن سكرة ، وابن الحجاج لسخي جدا ، وما اشبههما الا بجرير والفرزدق .

واذا كان ابن الحجاج قد سخر من تقاليد الفن الشعري ، ولم يعن بسمو الغرض أو جزالة الالفاظ ، او شرف المعنى ، وحوّل الشعر الى مادة للاضحاك والسخرية ، اذا كان هذا اسلوب ابن الحجاج فان ابن سكرة الهاشمي قد وجه جانبا من شعره للسخرية من قينة سوداء يقال لها « خمرة » وقد جعل منها ابن سكرة هدفا لملحه وطرائفه ، وعبث بها وضحك عليها في مثل قوله :

غشت خميرة يوم العرس حاجبها
بريقها وأتتني وهي مختضبة
فقلت للزوج لا تغررك حمرتها
فانها القفل موضوع على خربة

كما يقول فيها :

حسبي سواك وبشي من وصالك لي
شغلت عنك بمن اهواه فاشتغلي
لا تعذليني على ماكان من ملل
من ذا يراك فلا يصبو الى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحون معا
وصرت مفرغة الالحاظ والمقل
ان كنت أبصرت أشنا منك في بصري
فلا بلغت الذي أهواه من أملي

فهو يجسد ما كانت عليه هذه القينة من القبح ، أو بعبارة اخرى هو يرسم لها صورة قبيحة تنفر منها النفس . ففي ليلة عرسها لا ينسى أن يكشف عن الدمامة التي حاولت ان تخفيها بالخضاب ، والتي نصح الزوج بعدم النظر اليها لانها لا تنم عن حقيقة هذه القينة التي تشبه « الخربة » . كما نجده يعود اليها فيبين كم هي مملة ، ولا يجدها انسان او ينظر اليها دون ان تمتلىء نفسه بالملل . . فقد اصبحت هرمة ، لا تعرف من اللحون شيئا ، وغارت عيناها ولم يعد شيء اشنأ منها . ويلفت النظر تعبيره عن دماماتها ، وكما سخر ابن سكرة من خمرة ، واتخذ منها مادة لبث طرائفه فعل بغيرها . فهو يضحكنا من احد الشعراء فيجهد في رسم صورة قبيحة له ، ومضحكة في نفس الوقت ، فلهذا الشاعر قرنان وذنب ، ورائحته كريهة تجعل من يستمع الى حديثه يلجأ الى ثيابه فيسد أنفه بها ، وأخادعه تعط كما تعط ارنب عكفت عليها العقبان . يقول :

كل العجائب قد سمعت، ولا أرى
أني سمعت لشاعر قرنان
قرن يحك به السماء، ومثله
ذنب يزور الحوت في الأزمان
واذا تحدث أحدثت لهواته
فترى الانوف تلوذ بالأردان
وترى أخادعه تعط كأرنب
عكفت عليه مناسر العقبان

ولون آخر من ألوان السخرية والاضحاك نجده عند « أبي الشمقمق » فهذا الشاعر يتخذ من الفقر موضوعا يثير الضحك . انه يحول مأساته الى كوميديا ، وذلك من خلال المبالغة وخفة الروح اللذين يصور بهما هذه المأساة .

حقيقة تشف عبارة ابي الشمقمق عن الالم ، وتنم عن الحزن ، لكنها تمتلىء بالسخرية المرة . يقول مصورا الفضاء الذي يعيش فيه :

برزت من المنازل والقباب
فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء، وسقف بيتي
سماء الله أو قطع السحاب
فأنت اذا أردت دخلت بيتي
علي مسلما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب
يكون من السحاب الى التراب

ومن الواضح أن بيت أبي الشمقمق كان ذلك الفضاء ، أي أنه لا بيت له يؤويه ، على الرغم من شاعريته ، وعلى الرغم مما يراه من سيادة من لا يستحق السيادة . والذي يقول عن مثله :

وراكب فوق طِرْفٍ
كأنه فوق طَرْفِ
له قذال عريض
يجل عن كل وصف
يذوب شوقا اليه
نعلي ، وخُفي وكفي

وسيادة من لا يستحق السيادة ، وخمول أهل النباهة والعقل كانت من أبواب الفن التي وجد فيها الشعراء فرصة للتصوير والاضحاك . فهذا الذي يركب طرفا وهو لا يستحق الركوب لم يسلم من

سخرية ابي الشمقمق ، وانتهى به الأمر الى أنه غبي ، هكذا تنبىء الكناية في قول الشاعر « له قذال عريض » وهو يستحق الصفع بالنعل والخف والكف . على أية حال كان الشعراء يرفضون أن يسود أمثال هذا الغبي الجاهل ، أو أن يظهر مثله في ثياب أهل الفضل والسيادة . وهم قد تصدوا لكل من كان هذا شأنه ، ومزقوا الاستار عن زيفه وجهله . وابو اسحاق الصابي يتحدث لنا عن واحد من هذه الفئة يلبس عمامة مروية ، على الرغم من أنه يحمل رأسا فارغا . يقول :

يامن تعمم فوق رأس فارغ
بعمامة مروية بيضاء
حسنت وقُبّح كل شيء تحتها
فكأنها نور على ظلماء
لما بدا فيها أطلت تعجبي
من شر شيء في أجل اناء
لو انني مُكّنت مما اشتهي
وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها
في رأس حر من ذوي العلياء

أما الشاعر : « عبدان الاصفهاني » فيجد ابن احد الحلاجين قد سما به دهره ، وارتفع به زمانه ، واصبحت تعد له المطايا ، ولم يعد القطن المندوف يعلق بوجهه وعينيه ، كما لم يعد صوت المحلاج هو ما يقطع عليه صمته ، فيتعجب من تلك الحال ، ويجسد القضية في قوله : إن ارتفاع مثل هذا الوضيع انما هو دليل على اتضاع آخر عالي الهمة ، نابه العقل ، يقول :

أقول وقد قالوا ابن مأسدة غدا
على مركب لا من حمير أبيه
ولا الصوت « محلاج » ولا السرج لوحة
ولا حبُّ قطن كالشعير بفيه
مقال الوليد البحتري فانه
قد انبأنا عن مثله وذويه
(متى أرت الدنيا نباهة خامل
فلا ترتقب الا خمول نبيه)

واذا كان هذا الشاعر يعتمد مقالة الوليد البحتري ، ويجعل ارتفاع من لا يستحق الرفعة يقتضي ان ينحط الرفيع عن درجته ، فاننا نجد شاعرا آخر يرى في مثل هذه الحالة انتكاسا للزمان . حتى ليصبح وكأنه يمشي على رأسه ، ويرفع رجليه الى الأعلى . .

لقد أصبح السفل في الأعلى وأصبح الأعلون في السفل . يقول الشاعر :

أرى زمنا نوكاه أسعد أهله
ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه ، والرأس تحته
فكبُّ الأعالي بارتفاع الاسافل

ولقد كان الشعراء على صواب في بعض ما ذهبوا اليه من سخرية ، وما تحسه من المرارة في أفواههم ، فقد وجدوا في زمان وصل فيه الى سدة الحكم من قعدت به همته ، ولم تؤهله قدراته لغير التافه من الامور . . لقد اشغلوا بالصغائر ، فجعلوا من أنفسهم هدفا لسخرية الشعراء على نحو ما نجد في قول ابي الطيب الطاهري ، في أحد الحكام الذي شغل عن مصالح الناس بصيد البط :

طال غزو الامير للبط حتى
ماله من عاداته اقفال
فهنيئا له . . هنيئا مريئا
كل قرن لقرنه قتال

ويدل هذا الشعر بما يشتمل عليه من التضمين على اتساع ثقافة هؤلاء الشعراء واستحضارهم لشعر سابقيهم ، واسقاط هذا الشعر في الموضع الذي يلائمه ، والذي يتفق مع الغاية منه .

وأخيرا يدل هذا الشعر على عمق في الخيال ، وحسن التلطف في ايراد المعنى . □

عرف المسلمون مهنة التمريض وان فيها الكثير من الثواب والتقرب الى الله ، وقد سموا الممرضات بالأواسي والآسيات ، وذهبوا فى ذلك كثيرا حتى أن الامام احمد بن حنبل قال : بانه يجوز للمرأة أن تخدم الرجل المريض وأن ترى منه عورته .

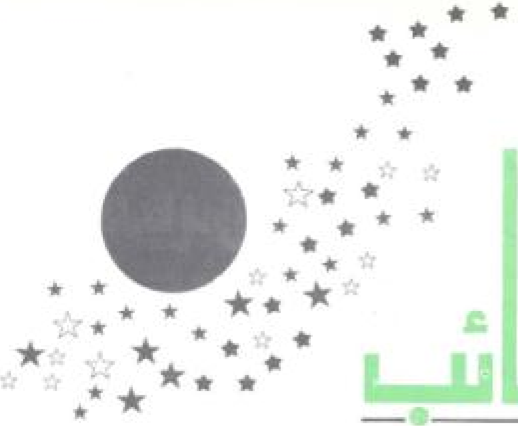

عجائب الكون الثلاث

بقلم : الدكتور فخري اسماعيل الحسن

إن الكون المترامي الأطراف الذي نعيش في جزء صغير جدا منه مليء بالنجوم والكواكب المنتشرة في هذا الفراغ الهائل ، فمجرتنا « طريق التبانة » وحدها تحتوي على ما يقرب من (٢٥٠) الف مليون نجم ، واتساعها يقدر بحوالي مائة الف سنة ضوئية فكيف ينتظم هذا الكون وما هو السر في ذلك ؟

هنالك عدد كبير جدا من المجرات المنتشرة في هذا الفضاء الهائل ، والتي قد يصل عددها الى (عشرة آلاف مليون مجرة) وبالتالي فانه يتعذر معرفة عدد النجوم والكواكب الموجودة في هذا الكون .

يمر كل واحد من هذه النجوم في مراحل مختلفة من التطور ، فيبدأ النجم بالتكون من سحب من الغبار تتكون أساسا من غازي الهيدروجين والهيليوم ، وهما أبسط الغازات المعروفة ، ويكون النجم في مرحلة التكون هذه باردا نسبيا وكثافته صغيرة جدا ، وتبدأ طاقة النجم الحرارية بالزيادة بتعاقب ومرور ملايين السنين ، وتبدأ أيضا داخل النجم تفاعلات نووية تزيد من درجة حرارته ، ويتحول الى نجم متوسط الكثافة والحرارة والسطوع ، وتعتبر هذه المرحلة في حياة النجم مرحلة متوسطة أو مرحلة الشباب والنضوج ان صح التعبير ، وتمر شمسنا في الوقت الحاضر في هذه المرحلة من التطور ، التي تستمر لعشرات الملايين من السنين ، وتستمر خلال هذه الفترة التفاعلات النووية ، التي تؤدي لانتاج ضغط حراري هائل داخل النجم ، وتؤدي كذلك لنقصان في كتلة النجم ، وتتحول الكتلة المفقودة لطاقة تنتشر في الكون . ان الطاقة الحرارية التي تصلنا من الشمس وتبعث الدفء في أرضنا تنتج من جراء ما تفقد الشمس من كتلتها ، اذ أنها تفقد ما يقرب من أربعة ملايين طن من كتلتها في كل ثانية ، وتتحول

هذه الكتلة المفقودة الى طاقة تنتشر في الكون ، ولا يصل الى كوكبنا الاجزء صغير جدا منها .

تفاحة نيوتن والجاذبية

ان قوة الجذب بين الأجسام المختلفة معروفة منذ القدم ، ولقد اسقطت هذه القوة تفاحة نيوتن الشهيرة ، وتعتبر هذه القوة أصغر وأضعف القوى الأربع المعروفة في الطبيعة ، ولا يكون تأثيرها محسوسا الا اذا كانت كتل الاجسام ضخمة كما هو الحال في النجوم والكواكب ، ولكن لا تؤثر هذه القوة على النجم عندما يكون في مرحلة الشباب ، لان الضغط الحراري الهائل والناتج عن احتراق وقوده النووي يعادل قوة السحب نحو الداخل ، ويبقى النجم في حالة اتزان خلال هذه المرحلة .

ومع مرور السنين يستنفد النجم وقوده النووي ، وتخمد بالتالي حدة التفاعلات النووية بداخله ، ولا يستطيع توليد الضغط الحراري الهائل واللازم لتوازن قوة الجذب او السحب نحو الداخل ، ويخضع النجم في هذه المرحلة التي تعرف بمرحلة النهاية والفناء الى قوة سحب نحو المركز ، تؤدي لانهيار وانكماش النجم على نفسه ، فيصغر حجمه وتزداد كثافته وتزداد أيضا سرعة التحرر ، أو سرعة الانفلات من مجاله الجذبي ، وتعرف هذه السرعة بأنها أقل سرعة لازمة لانطلاق جسم من على سطح النجم ، لكي يغادر المجال الجذبي للنجم نهائيا ولا يعود اليه .

ويعتمد المدى الذي ينكمش اليه النجم في مرحلة النهاية على كتلته ، وهنالك ثلاث حالات مختلفة :

الحالة الأولى : اذا كانت كتلة النجم تساوي كتلة الشمس أو تزيد عنها قليلا (يجب أن لا تزيد كتلة النجم عن سبعة أخماس كتلة الشمس) فان انكماش النجم على نفسه يؤدي لزيادة الكثافة بشكل كبير ، واتاج ضغط داخلي في النجم ، وهذا الضغط ليس له علاقة بدرجة الحرارة ، ولكنه ينتج بفعل وجود الالكترونات الذرية ، يتعادل هذا الضغط اللاحراري عند مرحلة معينة من الانكماش مع قوة الجذب الداخلي ، ويصل النجم لحالة من الاستقرار بعد أن يكون قد صغر حجمه كثيرا جدا ، يسمى هذا النوع من النجوم بقزم أبيض وتكون كثافته كبيرة جدا ، وقد تصل الى مليون مرة أكبر من كثافة الماء ، ان هذا يعني أن ما يملأ علبة ثقاب عادية من مادة هذا النجم قد تصل كتلتة لأكثر من ٢٥ طناً ، ويتوقع علماء الفلك وجود مئات الآلاف من هذه النجوم ، ولقد اكتشف منها بضع مئات حتى الآن .

الحالة الثانية : اذا كانت كتلة النجم أكبر من الحالة السابقة أي حوالي ضعف أو ثلاثة أضعاف كتلة الشمس ، ولكنها لا تزيد عن ذلك ، فان قوة الجذب التي تسبب الانكماش تكون اكبر كثيرا من الحالة السابقة ،ولا يستطيع الضغط الاليكتروني معادلتها أو ايقافها ، بل تحطم هذه القوة التركيب الاليكتروني للذرات ، ويتصور بعض العلماء أن هذه القوة تدمج الألكترونات الذرية مع البروتونات النووية ، وتحولها معا الى نيوترونات ، وتصبح مادة النجم عبارة عن نيوترونات متراصة بعضها بجانب البعض ، ويتزن النجم بعد أن تصبح كثافته عالية جدا ، وتساوي كثافة نواة الذرة ، ان كثافة مثل هذه النجوم اكبر بمائة بليون (مليون مليون) مرة من كثافة الماء ، والمذهل أن كتلة ما يملأ صندوقاً أو علبة الثقاب العادي من مادة النجم النيوتروني قد تصل الى (الفين وخمسمائة مليون طن) ، ولقد اكتشف حتى الآن ما يزيد عن ٣٠٠ نجم نيوتروني ، وتبين أن هذه النجوم ترسل نبضات قصيرة السعة ، وتختلف من نجم لآخر ، ولكنها غاية في الدقة ، وتصل دقتها الى واحد من مليون من الثانية ، ولذلك تعتبر كساعات كونية ، والسبب الحقيقي لهذه النبضات غير معروف ، ولكن يعتقد أنها تنتج بسبب الكثافة العالية والدوران السريع لهذه النجوم . ولقد اكتشف أول نجم نيوتروني عام ١٩٦٧ .

الثقوب السوداء

الحالة الثالثة : اذا كانت كتلة النجم تزيد عن ثلاثة أضعاف كتلة الشمس ، فان قوة الجذب نحو الداخل (عندما يفقد النجم وقوده النووي) هائلة ، ولا يمكن ايقافها ، وينكمش النجم الى حجم صغير جدا بالنسبة لحجمه الأصلي ، ولدرجة أن سرعة الانفلات أو التحرر من مجاله الجذبي (والتي تزيد مع نقصان نصف القطر) تصبح أكبر من سرعة الضوء ،

والتي تساوي ٣٠٠ الف كيلو متر / ثانية وتعتبر الحد الاقصى للسرعات ، ان هذا يعني أن الضوء لا يستطيع أن ينطلق أو يتحرر من هذا النجم بل يُحجز بداخله ، وهو نتيجة لذلك لا يمكن أن يُرى ، لأننا نرى الأجسام من خلال الأشعة التي تُصدرها ، او تَعكس أو تتشتت عنها ، فهو لذلك أسود ، ولا يمكن أن يُرى ، ويطلق على هذا النوع من النجوم اسم ثقب أو حفرة سوداء black hole، وسبب التسمية واضح ، اذ ان هذا النجم لم يعد جزءا من الكون ، بل اختفى أو انتهى ، وترك مكانه حفرة أو فجوة ، وهو اسود لأن الضوء لا يمكن أن يغادره وهو بالتالي لا يرى .

اذا تحول نجم كتلته عَشْرة أضعاف كتلة الشمس الى حفرة سوداء فان هذا النجم يصبح عبارة عن كرة ذات كثافة عالية جدا وغير مرئية ، ويقل نصف قطرها قليلاً عن ثلاثين كيلومترا ، علما بان نصف قطر الشمس يقرب من حوالي ٧٠٠ الف كيلومتر ، وهذا قد يوضح لنا المدى الذي تنضغط اليه المادة في الحفرة السوداء ، وللتوضيح أكثر نأخذ الكرة الأرضية كمثال علما بانها لا يمكن أن تتحول ـ من ناحية نظرية على الأقل ـ الى حفرة سوداء ، وذلك لأن كتلتها أصغر من كتلة الشمس ، ولكن اذا تخيلنا أنها تحولت الى حفرة سوداء (مثلا بفعل ضغط خارجي كبير جدا يؤثر على سطحها الخارجي) فان هذا الكوكب الضخم بما عليه من جبال وبحار ومدن وغير ذلك يتحول الى كرة صغيرة وأصغر من كرة تنس الطاولة (كرة البنج بونج) ، قد يبدو هذا الكلام ضرباً من الخيال ، وليس من العلم في شيء ، لأن العقل لا يستطيع أن يتصوره ، وهذا ما عناه البعض عندما قالوا إن الحفر السوداء تحول العلم الى خيال .

لا أحد يعرف شيئا عن تركيب المادة داخل الحفرة والفجوة السوداء ، لأن ما يدخلها مفقود ولا يمكن أن يعود اطلاقا ، ولكن نتيجة لانضغاط المادة بصورة كبيرة جدا ، وارتفاع الكثافة بصورة غير مألوفة ، فان تركيب المادة في هذا النجم الغريب يختلف بالتأكيد عن تركيب المادة المعروفة ، ويُعتقد أن الأشياء تفقد ماهيتها وأصلها في داخل الحفرة السوداء ، ولا يمكن التمييز والتفريق بينها ، وتصبح جميعا بعد دخولها سطح الأفق وكأنها شيء واحد لا فرق بين شجرة وكرسي وحيوان و . . . .

هل هي موجودة حقاً ؟

والسؤال الذي لا شك أنه يتبادر الى الذهن الآن هو : هل هذه النجوم الغريبة موجودة فعلا ؟ وكيف يمكن الكشف عنها والتعرف عليها اذا كانت لا ترى ولا يمكن أن يغادرها شيء ؟ إن الكشف عن الحفر السوداء ـ من الناحية النظرية ـ سهل وذلك من خلال مجالها الجذبي الكبير الذي يؤثر على جميع الأجسام المحيطة بها ، ولكن ذلك صعب من الناحية العلمية ، وخصوصا اذا كانت الفجوة السوداء عبارة عن نجم مفرد ، ويعود ذلك لبعدها الشاسع عن مجموعتنا الشمسية ، حيث يتوقع علماء الفلك أن تكون الفجوات السوداء ـ ان كانت حقيقة ـ على بعد ملايين السنين الضوئية من مجموعتنا الشمسية ، أما اذا كانت الحفرة السوداء جزءاً من نجم مزدوج Dou-ple star ، وهذا ما يتوقعه علماء الفلك ، فان الكشف عنها يصبح ممكنا ، وذلك بدراسة طيف النجم المرئي في أوقات مختلفة ، وباجراء بعض القياسات الفيزيائية التي يمكن من خلالها استنتاج كثير من صفات النجم ، مثل درجة الحرارة والتركيب والكتلة ونصف القطر وغير ذلك ، ويمكن معرفة ما اذا كان هنالك جزء غير مرئي تابع للنجم ، أي حفرة سوداء أم لا .

والاحتمال الآخر ـ اذا كانت الحفرة السوداء جزءاً من نجم مزدوج ـ أن يؤثر المجال الجذبي الكبير للحفرة السوداء بقوة هائلة على الغاز الذي يتكون منه الجزء الثاني من النجم ، ويجذبه نحو الحفرة السوداء ، وعند وصوله اليها ترتفع درجة حرارته بشكل كبير ، وتصدر منه أشعة سينية X—Ray، ومن أشهر النجوم التي يُعتقد انها حفرة سوداء مجموعة نجوم تُدعى كوكبة الدجاجة ١ ـ Cygnus حيث قرر الباحثون أن احتمال كونها حُفرة سوداء هو ٩٠٪ ، ولكن الدليل غير قاطع على أنها كذلك .

وتبقى الحفر السوداء أغرب ما انتجته النظريات العلمية على الاطلاق ، ويتسابق علماء الفلك في مختلف أنحاء العالم لاثبات وجودها بصورة علمية وقاطعة ، ولكن بدون نتيجه حتى الآن . □

ولادة

قصة : انايس نن

ترجمة : محمود منقذ الهاشمي

تعريف بالكاتبة :

ولدت انايس نن في باريس سنة ١٩٠٣ ، وهي من أصل اسباني وقد أمضت طفولتها في أقطار اوروبية متعددة ، وفي الحادية عشرة من عمرها غادرت باريس لتعيش في الولايات المتحدة ، وبدأت تكتب بالانكليزية وهي في السادسة عشرة ، نشر كتابها الاول في الثلاثينيات . وتحظى كتبها الآن بشعبية كبيرة سواء بين الطليعة أو الجمهور العريض . وقد ترجمت أعمالها الى ٢٦ لغة ، والكتاب الذي ترجم لها الى العربية هو « رواية المستقبل » الذى صدر عن وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٨٣ . ومن أشهر أعمالها « اليوميات » وعدد من الروايات منها « القلب ذو الحجرات الاربع »و « اولاد القطرس » و « عين في منزل الحب » و « الملصقات » .

وخلال سنواتها الاخيرة حاضرت في فترات متقطعة في جامعات الولايات المتحدة ، وفي ١٩٧٣ نالت الدكتوراة الفخرية من كلية فيلادلفيا للفن ، وفي ١٩٧٤ انتخبت عضوا في الجمعية الوطنية للفنون والآداب . وتوفيت سنة ١٩٧٧ . □□

قال الدكتور « الطفل ميت » .

انا ممدّدة على منضدة ليس لدى مكان اريح عليه ساقيّ ، على أن ابقيهما مرفوعتين؛انحنت فوقي ممرضتان ـ وأمامي جلس الدكتور الذي له وجه امرأة وعينان نائتتان بالغضب والخوف . ظللت ساعتين أبذل جهودا عنيفة . وكان للطفل في داخلي ستة أشهر من العمر ، ورغم ذلك فهو كبير جدا بالنسبة الى . كنت منهكة ، وعروقي تنتفخ في توتر ، جاهدت بكل كياني ، جاهدت كأنني اردت ان يخرج هذا الطفل من جسدي وينطلق في عالم آخر .

« اضغطي ، اضغطي بكل قوتك » .

أكنت اضغط بكل قوتي ؟ كل قوتي ؟

لا ، فجانب مني لم يشأ أن يضغط على الطفل ليخرج ، وعرف الدكتور ذلك ، وهذا هو سبب

غضبه الغامض . و كان يعرف « جانب مني متمدد بسلبية . لايود أن يقذف أي شيء ولاحتى هذا الجزء الميت مني ، ليخرج الى البرد ، ليخرج مني كل ما أختار أن يحتفظ ، ويهدهد ، ويعانق ، ويحب ، كل ماحل فيّ ، وثابر ، وحيي ، كل مأسر في العالم كله بحنانه المتقد ، هذا الجانب مني لايريد أن يدفع الطفل الى الخارج ، ولو مات في داخلي . ولو هدد حياتي لما استطعت أن أقطعه ، أنزعه ، أنفصل عنه ، أتنازل عنه ، أنفتح وأتوسع وأتخلى عن هذا الجزء من الحياة الذي هو جزء من الماضي ، وهذا الجانب مني تمرد على طرح الطفل ، أو أي شيء ، لئلا يخرج الى البرد ، فتلتقطه أيد غريبة ، ويدفن في أمكنة غريبة ، ويضيع ، ويضيع ، ويضيع . . وعرف الدكتور ذلك . كان قبل بضع ساعات يهتم بي ويخدمني ، وهو الآن غاضب ، وأنا غاضبة وغضبي الأسود هو على هذا الجانب مني الذي رفض أن يضغط ، أن يفصل ، أن يفقد .

« اضغطي ، اضغطي ، اضغطي بكل قوتك »

ضغطت بغضب ، بيأس ، باهتياج ، أشعر أنني سأموت من الضغط ، كمن يلفظ آخر أنفاسه ، ذلك أنني وددت أن أخرج كل ما فيّ داخلي ، وأن تختنق روحي في الدماء المحيطة بي ، واعصابي وقلبي في

داخلها ، وأن ينفتح جسدي ويرتفع الدخان ، وأشعر بالحدة القصوى للموت .

مالت الممرضات عليّ وتحدثن مع بعضهن حين اخذت استراحة ، ثم ضغطت حتى سمعت عظامي تطقطق ، حتى انتفخت عروقي . اغمضت عيني فرأيت بصعوبة ومض الأحمر والارجواني وأمواجه . وكان في اذني اضطراب قرع متكرر كأن الطبلة ستتمزق . اغلقت شفتي باحكام شديد فصار الدم يقطر . كانت ساقاي تشعران بثقل شديد ، كأنهما عمودان منْ الرخام وكعمودين هائلين من الرخام تعصران جسدي . فأخذت التمس أن تمسكهما احداهن . ووضعت الممرضة ركبتها على بطني وصاحت : « اضغطي ، اضغطي ، اضغطي » وتصبب عرقها علي .

وراح الدكتور يذهب ويجيء بغضب ، بنفاذ صبر « ستمضي الليلة كلها هنا ، مضت الآن ثلاث ساعات . . » .

كان الرأس ظاهرا ولكنني كنت مغميّ علي ، وكان كل شيء أزرق ، ثم أسود ، والالات تومض امام عيني . والسكاكين مشحوذة في اذني . الجليد والصمت ثم سمعت اصواتا تتحدث اليّ او لا بسرعة بالغة لأفهم ، وانشقت الستارة ومازالت الاصوات تتعثر ببعضها وتسقط سريعا كالشلال ، ذي البروق ، وتخترق اذني . وكانت المنضدة تدور بلطف وتدور . والنسوة يتمددن في الهواء ، والرؤوس الرؤوس معلقة حيث علقت المصابيح الكهربائية البيضاء . وظل الدكتور يسير ، وتحركت المصابيح ، واقتربت الرؤوس ، اقتربت كثيرا ، واقبلت الكلمات شديدة البطء .

كن يضحكن وكانت احدى الممرضات تقول : « حين وضعت أول طفل لي تمزقت اربا اربا ، فخاطوني من جديد ثم وضعت طفلا آخر ، فخاطوني ، ثم وضعت طفلا آخر . . »

وقالت ممرضة اخرى : « ولادتي مرت كمرور المغلف في صندوق البريد . ولكن بعد ذلك لم يشأ الكيس أن يخرج . لم يشأ الكيس ان يخرج . يخرج يخرج »

لماذا يكررن انفسهن ، والمصابيح تدور ، وخطوات الدكتور سريعة جدا ، سريعة جدا .

« لاتستطيع أن تجهد نفسها أكثر ، الطبيعة لاتساعدها في ستة أشهر ، يجب أن تحقن مرة أخرى . . . »

احسست بالابرة تنغرز ، كانت المصابيح ساكنة ، والجليد والزرقة اللذان كانا يحيطان بي اخترقا عروقي ، وقلبي خفق بشدة . وكانت الممرضات يتكلمن : « الان طفل السيدة ل الذي كان سوف يظن أنها صغيرة جدا في الاسبوع الماضي سيراها امرأة ضخمة على هذا الشكل ، امرأة ضخمة على هذا الشكل . . وظلت الكلمات تدور ، كأنها في اسطوانة كن يتكلمن ، كن يتكلمن ، كن يتكلمن .

أرجوكم امسكوا بساقي ، ارجوكم امسكوا بساقي ، ارجوكم امسكوا بساقي ، ارجوكم امسكوا بساقي ، انا مستعدة من جديد . وبالتفاتة رأسي الى الوراء استطيع أن أرى الساعة . جاهدت أربع ساعات ، أفضل أن أموت . لماذا اعيش واجاهد بيأس ؟ لم استطع أن اتذكر لماذا علي أن اعيش . لم استطع أن اتذكر أي شيء . كان الدم والالم هما كل شيء . علي أن اضغط ، علي أن اضغط ، تلك هي النقطة السوداء الثابتة في الابدية . عند نهاية نفق طويل مظلم وصوت يقول : « اضغطي ، اضغطي ، اضغطي » وركبة على بطني ومرمر ساقي يعصرني والرأس كبير وانا علي أن اضغط .

أنا اضغط أم أموت ؟ الضوء في الاعلى ، والكرة الضخمة التي تتوهج بالضوء الابيض تشربني . تشربني بتمهل وتنشرني في المكان . ولو لم اغمض عيني لشربتني كلي . اتسرب الى الاعلى ، في خيوط جليدية ، شديدة الخفة ، ومع ذلك فالنار في الداخل ، والاعصاب تدور ، وليس من بقية لهذا النفق الطويل الذي يجرني ، ام انني اضغط نفسي لاخرجها من النفق ، ام ان الطفل يخرج مني ، ام ان الضوء يشربني ؟ انا اموت ؟ الجليد في العروق ، طقطقة العظام ، الضغط في الظلام ، تسلة صغيرة في عيني كحد السكين ، الاحساس بسكين يقطع الجسد ، الجسد في مكان مايتمزق كأنما يحترق باللهب ، في مكان مايتمزق جسدي والدم ينفسخ .

وأنا اضغط في الظلام ، في الظلام المطبق . اضغط حتى تنتفخ عيناي وارى الدكتور يمسك بأداة طويلة يغرزها فيّ بسرعة فيجعلني من الالم اصرخ . صيحة حيوان طويلة . ويقول للممرضة : هذه ستجعلها تضغط ، ولكنها لاتجعلني كذلك انها تشلني بالالم . ويود أن يعيد الكرة . فانهض جالسة واصيح فيه بغضب شديد لاتحاول ذلك مرة اخرى ، لاتحاول وتدفئني حرارة غضبي ، ويذوب كل الجليد والوجع في الغضب . وبالغريزة شعرت أن مافعله ليس ضروريا ، وانه ماقام بذلك الا لانه مغتاظ ولان عقارب الساعة ماتزال تدور ، والفجر آت ، والطفل لم يأت ، وانا افقد قوتي والحقنة لاتحدث النوبة .

انظر الى الدكتور يسرع في السير ذهابا وايابا ، أو ينحنى لينظر الى الرأس الذي يظهر حاسرا . ويبدو مرتبكا ، كأنه امام لغز وحشي ، ويربكه هذا الصراع . ويود أن يتضارب مع ادواته ، على حين انني اصارع مع الطبيعة ، ومع نفسي ، ومع طفلي والمعنى الذي وضعته فيه ، مع رغبتي في أن اعطي وان احتفظ ، في ان أبقي وأن افقد ، وان احيا وأن اموت . لاأداة تعينني . عيناه غاضبتان . يود أن يأخذ سكينا ، وعليه أن يراقب وينتظر .

وطوال الوقت اريد أن اتذكر لماذا يجب أن اعيش ، كل اوجاع ومامن ذكرى ، وكف المصباح عن شربي ، وارهقني أن اتحرك ولو نحو الضوء ، أو أن استدير لانظر الى الساعة ، وفي داخل جسدي ، نيران ، احتراقات ، والجسد يتوجع . والطفل ليس طفلا ، انه شيطان يخنقني ، والشيطان يضطجع جامدا عند باب رحمي ، يسد الحياة ، ولا استطيع التخلص منه .

وبدأت الممرضات يتحدثن من جديد . قلت : دعوني وحدي ، وبسرعة بالغة وضعت كلتا يدي على بطني ، وبأناملي قرعت قرعت قرعت قرعت قرعت قرعت على بطني بشكل دائري هنا هناك بسرعة بعينين مفتوحتين في صفاء كبير . الدكتور يقترب وعلى وجهه انشداه . الممرضات صامتات .. قرع ... قرع ... قرع ... قرع ... قرع ... قرع ... قرع .. انا مستعدة ، الممرضة تضغط ركبتها على بطني والدم في عيني ، نفق ، اضغط ، في هذا النفق ، واعض شفتي واضغط . هناك نار وجسد يتمزق ومامن هواء ، الخروج من النفق ، كل دمائي تراق . اضغط ، اضغط ، اضغط ، انه آت . انه آت ، انه آت . احس بالانزلاق ، ذهب الثقل . أسمع اصواتا ، أفتح عيني ، اسمعهم يقولون : « انها طفلة صغيرة ، الافضل ألاتريها اياها » تعود كل قوتي ، أنهض في جلستي ، فيصيح الدكتور « لاتنهضي » .

« أرني طفلتي » .

تقول الممرضة : « لاترها اياها فتتكدر » تحاول الممرضة أن تعيدني الى الاستلقاء . قلبي يخفق بشكل مرتفع فأكاد لااسمع نفسي وأنا أكرر : « أرني الطفلة » . فيمسك بها الدكتور ويظهرها لي ، انها تبدو قاتمة وصغيرة ، كرجل مصغر جدا . ولكنها طفلة انثى ، لها اهداب طويلة على عينيها المغمضتين ، وقد خلقت خلقا سويا وتتلألأبكاملها بمياه الرحم . □

●

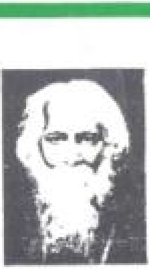

طاغور

قال طاغور :

ان الله حين اراد أن يخلق حواء من آدم لم يخلقها من عظام رجليه حتى لايدوسها ، ولا من عظام رأسه حتى لا تسوده ، وانما خلقها من أحد اضلاعه لتكون مساوية له قريبة الى قلبه .

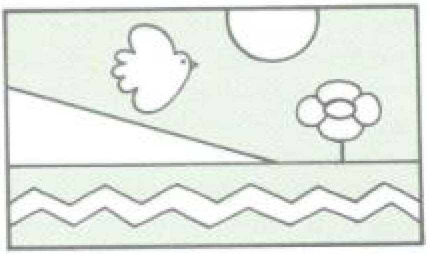

سلامة البشرية في سلامة البيئة

الفـزع من « القات » في العـاصمـة البريطانية

ما كنا لنتعرض للحديث عن القات - وهو موضوع حساس للغاية - لولا قصة تسربه الى العاصمة البريطانية في مطلع هذه السنة (١٩٨٥) .. والقصة معروفة للجميع ولا ريب .. ولسنا بحاجة الى أكثر من الاشارة الى أن التاجر المستورد لورق القات انما هو عربي يمني يعيش في لندن ، وأن أكثر عملائه إنما هم من الجاليات العربية والجالية اليمنية بصفة خاصة .. وان الشحنة الاسبوعية التي يستوردها بالطائرة ضمن صناديق كرتون .. يبلغ وزنها الاجمالي ٥٠ كيلو .. لا تلبث أن تنفد كلها قبل وصول الشحنة التالية بأيام .. هذا بالرغم من أن الرزمة الواحدة (٢٠٠ غرام) أو ما يكفي لتخزينة واحدة ، كما يقولون ، تباع في لندن بخمسة جنيهات استرلينية ..

الا أن ما يلفت النظر في هذه القصة هو القلق والفزع الذي عم الاوساط الصحفية والحكومية في لندن .. فقد انطلقت الصحف .. الصنداي تايمز خاصة ... فنشرت من المعلومات الاضافية عن القات ما قد لا يجده المرء في أكبر المراجع .

ونددت بأضراره ومخاطره .. وحذرت الحكومة البريطانية من مغبة السكوت على استيراده وانتشاره .. هذا على الرغم من أن الصحيفة تؤكد أن شراء القات ما زال وقفا على الجاليات العربية حتى الآن .. وكان للضجة أثرها فقد علق ناطق رسمي بلسان وزارة الداخلية على هذا الموضوع بقوله : « لم نر شيئا من القات حتى الآن .. ولكننا لن نتردد في اتخاذ الاجراءات الجادة المناسبة في الوقت المناسب » .

وانبرى الاطباء والمختصون يتحدثون عن القات .. والاذى الذي يلحقه بالمدمنين عليه .. فذكر أحدهم أن القات منبه وأن أثره يشبه كثيرا أثر الامفيتامين وهو منبه اصطناعي .. قد يؤدي الى الموت .. اذا تناوله المرء بكميات كبيرة .. ويشير هذا الطبيب الى اليمني الذي صرعه القات والذي عالجه في مستشفى ليفربول ..

وتحدث طبيب آخر عن المضاعفات النفسانية التي يحدثها الادمان على القات .. والتي تشمل فيما تشمل روح العدوان والريبة والجزع .. وأكد هذا الطبيب أن القات ادمان بالمفهوم السيكولوجي ، ان لم يكن بالمفهوم الفسيولوجي أيضا .. وانه قد يسبب الذهان - والذهان آفة عقلية كالجنون - للمدمنين عليه .. هذا الى جانب الاوهام والاضاليل التي تجعلهم يشعرون وكأنهم مضطهدون ..

وأشار طبيب ثالث الى ما يسببه الادمان على القات من أمراض الاسنان وتشمع الكبد والعقم الجنسي .. ناهيك بارتفاع ضغط الدم والصداع النصفي ونزيف المخ ، أما الآفات التي يسببها القات للجهاز الهضمي فلعلها أكثر شيوعا من كل ما ذكرنا وهي في منأى عن كل شك ويذكر هذا الطبيب بأن هذه الاضرار كلها قد ورد ذكرها في تقرير لهيئة الأمم صدر سنة ١٩٨٠ ...

والجدير بالذكر أن القات محظور في أكثر البلدان

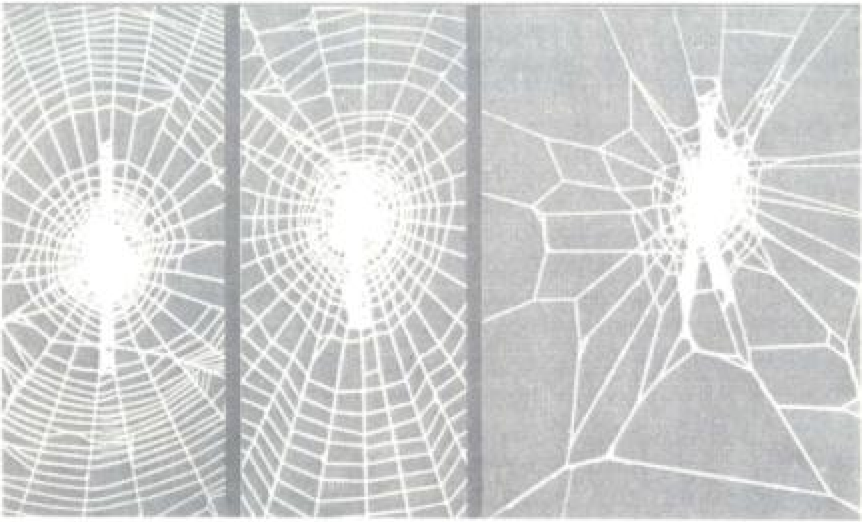

* تفتك المخدرات بالجهاز العصبي المركزي . . انظر كيف اخفق العنكبوت في نسج بيته فحلت الفوضى محل الانسجام وذلك بسبب المخدر الخفيف الذي أعطوه اياه بمقادير ضئيلة .

فقد حظرته المملكة السعودية منذ نحو ثلاثين عاما . . وفرضت عقوبة السجن لمدة ٢ ـ ١٥ سنة ، على المخالفين ، وقد حظرته اليمن الشعبية الجنوبية في أواخر السبعينيات ولكن هذا الحظر غير شامل . . والقات مباح هناك في أيام الخميس والجمعة . . وحظرته الصومال أيضا سنة ١٩٨٣ . .

أخبار هامة للمدخنين :

يحسب البعض أن الحديث عن أضرار التدخين حديث عشوائي لا يستند الى حقائق علمية ثابتة ولا يعدو كونه دعاية يقصد منها تنفير الناس من عادة التدخين . ولعل في الآلة المدخنة التي تراها في الصورة دليلا على خطأ اولئك البعض ...فهذه أجهزة وآلات صممها وابتكرها العلماء ، لاجراء التجارب العلمية الدقيقة ، و قد كان لها النصيب الأوفر في الكشف عن أضرار التدخين ، وما يحتويه من قطران ونيكوتين وغير ذلك .

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الكلى وكيف تعمل ؟

هل تعلم أن الكليتين تحتويان على انابيب صغيرة يبلغ طولها ٦٠ كيلومترا ؟ .. وهل تعلم أنهما تنظفان وترشحان مايبلغ حجمه ١٨٠٠ لتر من الدم - دم الانسان - يوميا ، ولاتزيد حصيلة هذا التنظيف والترشيح بمجموعها على ١,٥ لتر فقط . ؟

فهما اذن مصفاة البدن .. وان كانت الكلى تقوم بأعمال اخرى غير التصفية ..

هذا والكليتان لايزيد طولها على ٤ بوصات ، ووزنهما ٥ اونصات ، وهما تقومان بتصفية الدم عدة مرات بالضبط (٣٦ مرة) كل ٢٤ ساعة .. وتقومان بهذه التصفية لتعزلا النفايات وخصوصا

النفرونات في الكلى ، او الوحدات الكلوية هي التي تقوم بتنظيف الدم . وتوجد هذه النفرونات فيما يسمى بأهرامات الكلى . وهي تقوم بوظيفتها كما يلي :

تنقل الأوعية (أ) الدم من والى الكبيبات (ب) ، حيث يجري سحب الماء وجزئيات اخرى من الدم الى كبسولة بومان (جـ) ثم يمر عبر انابيب دقيقة متصلة بعقدة هنلي (د) وتعود اكثر المادة السائلة الى مجرى الدم ثانية ويذهب المتبقى الى قناة التجميع (هـ) ثم يجري افرازه .

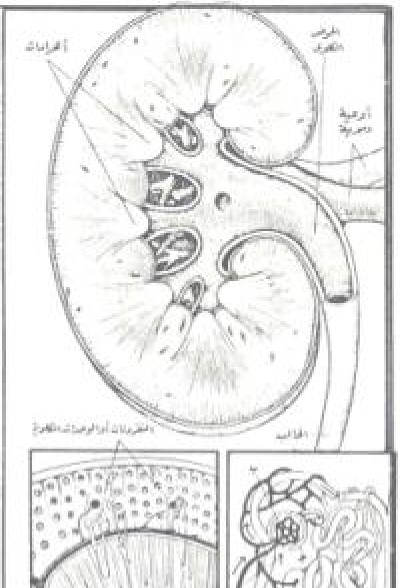

البول عن الدم . . وتبقيا على مايحتويه الدم من المواد الغذائية والماء الضروري .

وسر الكليتين إنما هو في النفرونات ـ او الوحدات الكلوية ، او الاجزاء الصغيرة الدقيقة التي تتكون منها الكليتان وهي تعد بالملايين ، وقد رصت بعضها على بعض رصا لتكون أداة تصفية . . كالمسامات التي توجد في المرشحات . . او الأنابيب التي لابد منها في المصافي .

ويدخل الدم أول مايدخل الكبيبات وهى رزم من الأوعية أو الشرايين الدقيقة ، وهذه الكبيبات (Glameruli) عديدة . . وهي بداية النفرون . . ولايكاد يدخلها الدم حتى يرتفع الضغط فيها ، فتدفع الماء والأملاح ومحتويات الدم الأخرى الصغيرة الى محفظة تعرف بمحفظة بومان . . ثم تنتقل حصيلة الترشيح الأول من هذه المحفظة الى شبكات الأنابيب الدقيقة المتشعبة والملتوية . . حيث ينتهي الترشيح الثاني الى استخراج الجلوكوز والأحماض الأمينية والأيونات والأملاح ، تستخرجها تلك الأنابيب الدقيقة ثم تعيدها الى مجرى الدم . .

وتتجمع المواد بعد ذلك في أنابيب تنقلها الى داخل الحوض الكلوي Renal Pelvis والحالب Ureter لتأخذ سبيلها الى المثانة . .

غير أن الكلى تقوم بوظائف أخرى غير تصفية الدم من شوائبه . . فهي تعمل على تنظيم بيئة الجسم الداخلية ، فتضبط حجم السوائل وتركيب الدم وضغطه . . وتصنع الكلى أيضا خمائر (رنين) التي تتحكم بضغط الدم ، بحيث تقوم النفرونات بأعمال التصفية على نحو منتظم وثابت . . بصرف النظر عن مقدار الماء الداخل اليها أو الخارج منها . . وهذا من شأنه أن يحافظ على حجم الدم . . ويبقى على ملوحته وحموضته ضمن الحدود المناسبة .

بقي أن نذكر أن نفرونات الكلى كثيرة جدا . . ويستطيع الجسم أن يكتفي بثلثها ان لم نقل بعشرها للابقاء على الحياة . . من هنا كان في الامكان استئصال احدى الكليتين ، اذا تلفت ، وترك الجسم بكلية واحدة ، تستطيع القيام بوظيفتها ووظيفة الكلية المستأصلة على أكمل وجه ممكن .

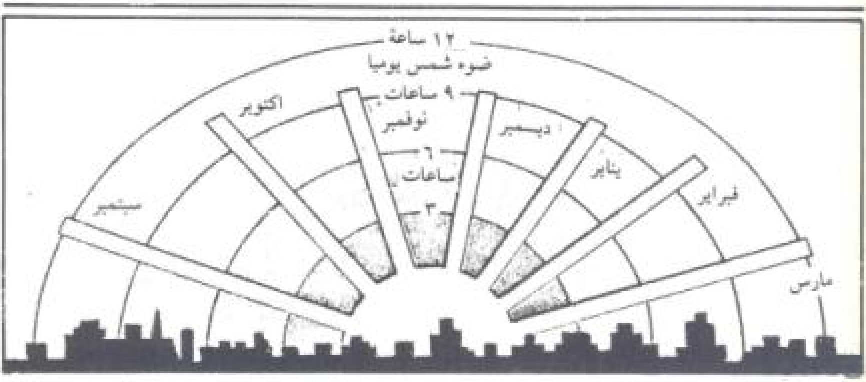

يبين الرسم كيف يتغير مزاج الانسان تبعا لمدى تعرضه لضوء الشمس ، اذ يغلب عليه الاكتئاب حين لا يتعرض لضوء الشمس أكثر من ٣ ساعات من ضوء الشمس يوميا ، ويخف اكتئابه حين يحظى بست ساعات من ضوء الشمس في اليوم . . ثم بتسع ساعات . . واخيرا باثنتي عشرة ساعة من ضوء الشمس يوميا وذلك حسبما يتضح من نصف الدوائر .

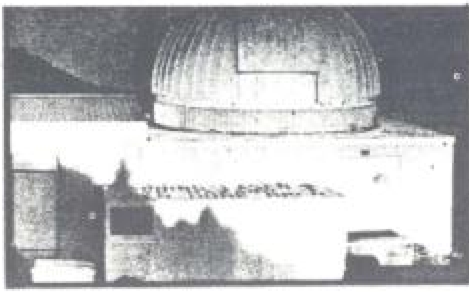

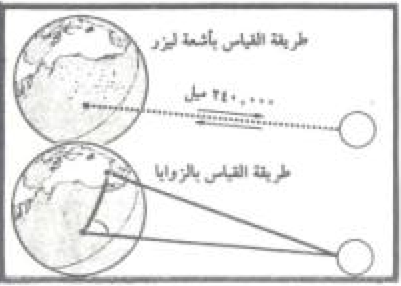

مرصد جبل هليكالا في هواي

قياس الأبعاد الفلكية .. أدق وأخطر من قياس أبعاد الغرفة

توصل العلماء الى استخراج أشعة جديدة من أشعة ليزر تمكنهم من قياس المسافة بين الارض والقمر ، بابعادها المتغيرة دوما . وهم يؤكدون أن القياس الجديد للمسافة المذكورة يتفوق على القياس القديم من حيث الضبط والدقة بعشرة أضعاف ، ويضمن تجنب الخطأ بما يزيد على ٣ بوصات على المسافة الشاسعة كلها . وقد كانت نتيجة القياس الذي اجرى مؤخرا هي ٢٣٠,٠٠٠ ميل .

ومما يذكر أن التلسكوب الارضي الذي ساهم في اجراء ذلك القياس هو تلسكوب مرصد جبل هيكالا في هاواي .. وهو تلسكوب ضخم قوامه ٨٠ عدسة وفي استطاعته تلقي أشعة ليزر المرتدة من مرايا القمر ، وهي ذات نبضات قصيرة وقوية للغاية . أضف الى ذلك مراصد أخرى متخصصة في تكساس وفي فرنسا كانت هي الاخرى تدلي بدلوها في هذا الصدد .

أما المرايا القمرية التي تنعكس عليها أشعة ليزر المنطلقة من هذه المراصد فهي التي وضعها على سطح القمر الرواد الامريكيون (سنة ١٩٦٩) ورواد آخرون سوفييت وفرنسيون .

والجدير بالذكر أن أشعة ليزر الجديدة لاتحتاج لقطع بوصتين اثنتين فقط الى أكثر من ٢٠٠ جزء من ترليون جزء من الثانية .. تطلق من مرصد هاواي بضوء أخضر ، وهو الضوء الذي يمكنها من اجتياز الهواء دون عقبات . وتبلغ نبضات هذه الاشعة من القوة ما يزيد على بليون شمعة (Watt) بحيث تترك اثرا في الجو .. في المسار الذي تنطلق فيه . ثم انها من القوة بحيث تشكل خطرا على بصر الانسان ، وقواد الطائرات بصفة خاصة . لذلك حرصت السلطات المعنية على عدم اطلاقها الا حين يرتفع القمر فوق الأفق بمعدل (٢٠) درجة . لكن القراءات المترتبة على انعكاس هذه الاشعة لاتتم على الفور .

بقي أن نذكر أن الفائدة من استعمال هذه الاشعة لاتقف عند قياس المسافة بين الارض والقمر ، فهي تساعد على جمع معلومات جديدة عن دورة الارض حول نفسها ،

وعلى معرفة المزيد من القلقلة البسيطة التي تتعرض لها الارض في دورتها حول نفسها . وتساعد أيضا على فهم أعمق لما يجري في باطن الأرض من زلازل وما يشهده سطحها من ظواهر غريبة كظاهرة ثورة تيار النينو الاخيرة .

مكتشفون ومخترعون

اسحق نيوتن
١٦٤٢ - ١٧٢٧

يحتل نيوتن قمة شامخة بين علماء القرن السابع عشر ، إن لم نقل علماء التاريخ جميعا ، ودون استثناء . ويعجب المرء كيف جمع نيوتن بين مواهب فذة مختلفة ندر أن اجتمعت لعالم واحد في آن معا . . فقد تمتع بموهبة عالم الفيزياء النظري ، تلك الموهبة التي تجلت في دراسته جاذبية الأرض ، واهتدائه الى قوانينها . . وتمتع أيضا بموهبة عالم الرياضيات المجردة . . وقد برزت في اكتشافه علما كاملا من علوم الرياضيات ، وهو علم (الكالكولاس) calculus أو حساب التفاضل والتكامل كما يسميه الكثيرون في العربية . وجمع نيوتن الى ذلك كله موهبة المخترع والصانع العملي الماهر ، وقد ابتكر وصنع بيده تلسكوب المرآة العاكسة . وذلك الى جانب مواهبه الاخرى التي مكنته من دراسة الحركة ووضع قوانينها ، ودراسة الضوء واكتشاف الكثير من خصائصه كالانحراف الذي يتمثل في أشعته المتكسرة واجتماع الوان الطيف في ضوء الشمس الذي يبدو لنا أبيض .

ومن طريف ما يذكر أن نيوتن العالم الفذ المواهب ، المتعدد الكفايات . . لم يكن من المتفوقين في المدرسة . ويرى البعض في المعركة التي وقعت بينه وبين أحد زملائه الطلاب ، والتي خرج منها نيوتن منتصرا ، يرون في هذه المعركة بداية ظهور مواهبه الدفينة ويجمع الكثيرون على أن ظهور مواهبه تأخر حتى اصبح من طلاب الجامعة ، وجامعة كمبردج بالتحديد . فقد تحسس أحد اساتذته ملامح النبوغ والعبقرية فيه ، وقد حجبها عن الآخرين مزاجه الانفعالي المتمرد المتغطرس ، فتولى أموره ، وأصبح مدرسه الخاص ، وأتاح له بذلك التقدم السريع ، ومفاجأة علماء تلك الايام بعبقرية متألقة نادرة المثال . . وتخرج نيوتن في الجامعة سنة ١٦٦٥ . . واتفق أن شهدت تلك السنة بالذات انتشار وباء الطاعون في لندن وكمبردج وغيرهما فحال ذلك دون مباشرة نيوتن حياته العملية ، واضطر للجوء الى الريف ، الى مزرعة العائلة حيث قضى سنتي (١٦٦٥ و ١٦٦٦) في عزلة تامة تفرغ فيها للتأمل والتفكير العلمي . وتعتبر تلك الاجازة القسرية فترة ذهبية في حياة نيوتن العلمية . وقد اكتشف في اثنائها ، فيما اكتشف ، قوانين الجاذبية وصاغها ، ثم باشر في وضع كتابه الشهير (البرنسيبيا) الرياضية . . ذلك الكتاب تردد كثيرا في نشره لا بدافع الخوف من الكنيسة ، وانما بدافع الخوف من أن يكون كتابا تافها بلا قيمة .

وعاد نيوتن الى جامعة كمبردج بعد اختفاء الطاعون ، وشغل منصب استاذ زميل فيها طوال ٢٨ عاما ، واشتهر اسحق نيوتن وذاع صيته في تلك الفترة حتى توافد كثير من علماء العصر على كمبردج لزيارة العالم العظيم .

وانقطع نيوتن عن عمله في الجامعة مرتين : الاولى بسبب انتخابه عضوا في البرلمان ، وقد استغرقت سنة كاملة ، والثانية بسبب مرض خطير ألم به . وقد استغرقت سنتين . غير أن نيوتن تخلى عن منصبه في جامعة كمبردج سنة ١٦٩٥ وذلك بسبب تعيينه في دار سك النقود الحكومية ، وواصل عمله الاداري الجديد بهمة ونشاط حتى عين رئيسا للدار المذكورة . واستمر نيوتن في رئاسته هذه نحوا من ٣٢ سنة ، ولم ينقطع عنها الا سنة ١٧٢٧ حين وافته المنية عن عمر يناهز ٨٥ عاما .

كتابات غير معروفة لسميرة عزام

بقلم : وليد أبو بكر

اذا كان الشعر الفلسطيني قد كتب تاريخ فلسطين قبل النكبة ، على لسان شعرائه الذين عاشوا الصراع كله (ابراهيم طوقان ، ابو سلمى ، مطلق عبدالخالق ، عبدالرحيم محمود) فان هذا الشعر قد تخلى عن مهمته بعد النكبة مباشرة ، ليتحول - في غالبيته - الى بكاء غير مجد ، وترك مكانه للقصة كي تؤرخ ، لا للاحداث وإنما لمحصلة هذه الأحداث ، وما أوقعته من تغير في سلوك الانسان ، ومواقفه تجاه كل ما يحيط به من آلام .

لاشك أن سميرة عزام هي رائدة القصة الفلسطينية الحديثة ، في هذا المجال على وجه الخصوص ، كما انها واحدة من اهم الأصوات القصصية العربية ، في الفترة التي نشطت فيها ، خصوصا اذا ما قيس انتاجها بما قدمته المرأة العربية في ميدان القصة حتى الآن .

ومع ذلك ، فان حظ أدب سميرة عزام من الاهتمام لم يكن كبيرا ، ليس على مستوى دراسته وحسب ، وانما على مستوى جمعه أيضا . واذا كانت الكاتبة قد أصدرت في حياتها أربع مجموعات قصصية ، كما صدرت لها مجموعة واحدة بعد رحيلها ، فان ذلك لا يمثل كل انتاجها ، فهناك ما كتبته للاذاعة ، وهناك بعض خواطرها ، وما كتبته قبل النكبة في جريدة فلسطين المقدسية بتوقيع (ابنة الساحل) وهناك مقالاتها النقدية الكثيرة ، الموزعة في الصحف ، والتي ساهمت في اضاءة الطريق أمام عدد من كتاب القصة وكاتباتها ، وكلها أمور تستحق العناية .

الكتابة والمعنى :

أما على مستوى الانتاج القصصي ، فمن الصعب القول أنه قد عرف بالكامل ، ولعل ما يمكن أن يشير الى ذلك ، وجود واحدة من أهم قصصها ، وقد تكون آخر قصصها ، لم تدخل في واحدة من المجموعات الخمس ، هذا بالاضافة الى مقطع من روايتها (سيناء بلا حدود) الذي لم يلتفت اليه أحدٌ ممن كتبوا عن أدبها ، على قلتهم ، رغم سهولة الوصول الى هذين الأثرين ، ورغم ما يمكن أن يقدماه من اضافات ، تفيد في فهم أدب سميرة عزام ، وتطور فكرها وأسلوبها القصصي . بل لعل ما حدث للرواية ، يمكن أن يكون مؤشرا مفيدا الى الحالة النفسية التي كانت الكاتبة تنطلق منها في التعبير ، فسميرة عزام تمنت أن يمهلها الموت حتى تنشر هذه الرواية ، لأنها بذلت فيها جهداً حتى رضيت عنها ـ بما يشير الى أنها قد أتمت كتابتها ـ ومع ذلك ، وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، مزقت الرواية في انفعال شديد وهي تقول : ان كل ما كتبته قد فقد معناه .

ويشير الجزء الصغير المنشور من الرواية الى ظاهرة الرفض الشعبي العربي للخنوع ، والى مشاركة الشارع العربي لما يحدث في وطنه من أحداث ، في الوقت الذي يبدو فيه بطل الرواية مراقبا فحسب ، وهو يتطلع الى مظاهرة تقطع وسط المنطقة التجارية في بيروت ، معبرة عن مطالب نضالية . لكن المظاهرة تجرفه معها فلا تترك له مجالا لعدم الاهتمام .

ولأن فن الرواية يُعطى الانسان الحق في أن يتنبأ .

فانه يمكن القول أن الرواية كانت تتجه الى جعل الانسان العربي ، العادي ، واللامبالي ، يحس بما يدور حوله ، ويشارك في صنعه ، مما يوحي بخطوات ايجابية نحو المستقبل ، تصل حدود سيناء بحدود فلسطين المحتلة ، بفعل النهوض الشعبي العربي ، الذي كان واضحا في الستينيات ، وكان يزرع الأمل في تحول حقيقي .

القلب والنكسة

ولأن أدب الكاتب الجاد يعبر عن مواقفه الحقيقية ، فان القول أن سميرة عزام قد أرادت أن تزرع الأمل في قلب الانسان العربي ـ من خلال روايتها ـ لايكون غريبا ، فقد كان الأمل العربي منتعشاً ، لكن النكسة جاءت مثل صفعة قاسية في جبينه ، فانهارت أشياء كثيرة ، وانهار ما هو أكبر في قلب سميرة عزام ، القلب الذي كانت تقول عنه في أواخر أيامها : (انه أضعف من أن يحتملني ، فأنا لا أترفق به ، دائما أحمله أكثر من مستطاعه) .

وكانت سميرة عزام صادقة في حدسها ، فقلبها لم يحتمل نكسة يونيو ، وفي سعيها لفهم ما حدث ، أو استيعابه ، توقف القلب في الطريق .

وكانت تجربة سميرة عزام مركبة : فعلى المستوى الشخصي ، طوحت بها الآفاق في بلدان كثيرة : من بيروت ، الى بغداد ، الى بيروت فقبرص فبغداد ثانية . . وبيروت أخيرا ، حتى فاجأها الموت في الطريق الى عمان .

لقد كان الوضع الناجم عن التشرد هو المادة الخصبة التي استقت منها سميرة عزام مادة قصصها ، كان هذا الوضع مذلا للانسان الفلسطيني الذي انقطعت صلته بمصدر رزقه في وطنه ، فصار يمد يده الى وكالة غوث اللاجئين ، دون أن ينسى تجربة الاعتماد على النفس ، في مجالات عمل لم يمارسها ، وفي الحيز الذي كانت تسمح به الدول (المضيفة) كما أن الانفصال بالهجرة قد هز المجتمع الفلسطيني حتى جذوره ، فتغيرت قيم كثيرة فيه ، وولدت من هذا التغير المفاجيء مآسٍ كثيرة .

أية هوية أخرى ؟

لقد خافت سميرة عزام أن يفقد الفلسطيني هويته وسط هذه الظروف القاسية ، وكانت الهوية بالنسبة لها تشكل قضية هامة ، حتى في المنفى ، لأنها وحدها القادرة على أن تبقي قضيته حية . وحين عبرت عن هذا الموقف ـ قصصيا ـ جاءت قصتها (الفلسطيني) مليئة بالسخرية المرة من كل من حاول التخفي في هوية جديدة ، هربا من هذه الظروف . لقد صرخت في وجهه : أية هوية أخرى ليست سوى تزييف ، والفلسطيني يبقى فلسطينيا حتى لو تنكر ،

وقد ظل هم الهوية بارزا في أدب سميرة عزام ، حتى في قصصها التي لا تتحدث عن الفلسطيني ،

فأصبح هذا الهم تعبيرا عن الانسان ذاته ، وسط ظروف تحاول أن تقهر هذه الذات .

الرجل والأرض :

تعتبر قصة (الحاج محمد باع حجته) تلخيصا للتجربة الفلسطينية المرة ، على مستوى الفرد ، وعلى مستوى المجموع ، وعلى مستوى القضية ، حين تصور (الانفصال) الذي حدث بين الانسان وتاريخه ، وما خلفه هذا الانفصال من مرارة وبؤس ، كاد يجعل الانسان معرضا للخروج عن قيمه .

تتحدث القصة عن الحاج محمد ، وجيه القرية ، الذي عاش حياته كما يعيش الفلاح الفلسطيني الشريف والمكافح : ينعم بما تقدمه له أرض يجهد فيها ، ولا يبخل بما تجود به على الآخرين ، ويشكر ربه على النعمة صلاة وصياما وحجا . وهو شخصية شديدة التكامل في الحياة العامة وفي العمل ، ويبقى هكذا حين تتغير الظروف ، ويجد واجبا جديدا في مساندة الشباب وهم يدافعون عن القرية ، حتى يسقط ابنه الوحيد فيها (بين ثلاث بنات) ، وتتدخل الهدنة ، وترسم شريطا يقسم القرية عندما كان غائبا عنها في الديار المقدسة ، ولأنه يرفض الابتعاد عن أرضه ، ويرفض التخلي عن وعده باقامه شاهد على قبر ولده ، فانه يعود ، ويقابل الشريط الحدودي بالصمت ، ويسمح بضياع موسم العنب ، ثم يستجيب لرجاء أهل قريته ، ويعد بجني المحصول القادم مما تبقى له من أرض ، لكن الناس يفاجأون بانه كلف الأطفال بجمع الزجاجات الفارغة ، فتكثر حوله الهمسات التي تقول أنه تخلى عن صناعة (الدبس) الذي اشتهر به ، ليقطر الخمر ، وتزداد هذه الهمسات حين يغلق باب بيته عليه ، بعد أن يهمل مصنع الدبس ، ويكاد الشك أن يصبح يقينا ، لولا أن زجاجات الحاج محمد وصلت الى الناس ، هدايا مملوءة بالخل .

وهذه القصة ، تعتبر ـ فنيا ـ قمة ما وصل اليه أدب سميرة عزام القصصي ، فبالاضافة الى قوة السبك التي تتميز بها ، استطاعت الكاتبة أن تتميز (بالتكنيك القصصي ، الذي يتعدى محاولة السرد والوصف ، ليتلاعب باهتمام القارىء وعواطفه ، عبر ذبذبات المشاعر التي تتراوح بين العطف والكراهية . إن الأحداث هي التي تتكلم هنا ، وتشرح وتصف ، وهي أبطال القصة الحقيقيون) .

وقد لجأت الكاتبة الى الرواية عن طريق السرد ، والاسترجاع ، في تداخل شديد الاحكام ، يكاد لا يشعر القارىء بالنقلة التي تتم عن طريق صورة تؤدي الى صورة ، بشكل طبيعي لا افتعال فيه .

والقصة اضافة الى ذلك ، تحمل أهم السمات التي يتميز بها أدب الكاتبة القصصي ، والتي يمكن تلمسها في قصصها الأخرى ، وان كانت قد تجمعت هنا بشكل يثير الاعجاب : فهي تطرح فكرة الارتباط بالمكان ارتباطا وجوديا ، كما تصور الظروف الشديدة القسوة التي تعمل على تشويه الانسان ـ وخصوصا قيمه ـ رغم مقاومته .

كما تتحدث عن الصراع بين القديم والجديد بشكل أكثر وعيا مما فعلت في قصصها السابقة ، لأن الاتجاه هنا يسير في صالح الجديد ، بينما كان الجديد يعامل بلون من الادانة في قصص أخرى ، وخصوصا اذا كان هذا الجديد متمثلا في الآلة التي تنافس الانسان ، ففي قصة (الغريمة) تصبح آلة الغسيل الكهربائية مدانة ، لأنها تنافس امرأة تتعيش من غسيل الثياب بيديها . كما تطرح القصة قيمة جديدة للعمل من ناحية أثره في بناء شخصية الانسان ، ومساهمته في ربطه بالمكان الذي يعمل فيه ، وهي قيمة لم تظهر بوضوح في قصص أخرى كثيرة ، مثل قصة (حكايتها) التي لم يكن للعمل أثر في بطلتها .

وتقدم الكاتبة كل ملامح مضامينها وسط جو من الاحباط الشديد الذي يحيط بالحاج محمد ، وهو احباط يخلقه نقص الامكانيات في مواجهة القوى المعادية ، وهو شبيه بالاحباط الذي تحلل معظم قصص الكاتبة .

ان هذه القصة تلخيص ناجح لفن سميرة عزام القصصي بشكله ومضمونه ، وحتى بموضوعاته الأساسية ، خصوصا وأنها تصور الواقع الجديد الذي يعيش فيه الفلسطيني بعد النكبة ، بعيدا عن أرضه ، وهو قريب منها ، وما يسببه له هذا الواقع من احباط يصل حد اليأس ، وما قد يزرعه فيه من أمل ، يصل الى حد الفعل في بعض الأوقات . □

قناة البحرين خطر إسرائيلي قادم

نظرة منظارية على الجانب الآخر

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : أوسكار متري

أصدر وزير الطاقة الاسرائيلي موشي شاحل قرارا بايقاف العمل بمشروع قناة البحرين الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت بتاريخ ١٢/٦/١٩٨٥م .

وأفادت بعض المصادر الأردنية بأن العمل بالمشروع توقف عمليا منذ شهر شباط ـ فبراير من عام ١٩٨٥ . .

فما هي تفصيلات هذا المشروع ، وما هي خطورته على الحياة العربية وخصوصا في الاردن ؟ ولماذا اصدر الوزير الاسرائيلي قرارا بوقف العمل فيه ؟ وما هي آفاق المستقبل بالنسبة لهذا المشروع ؟

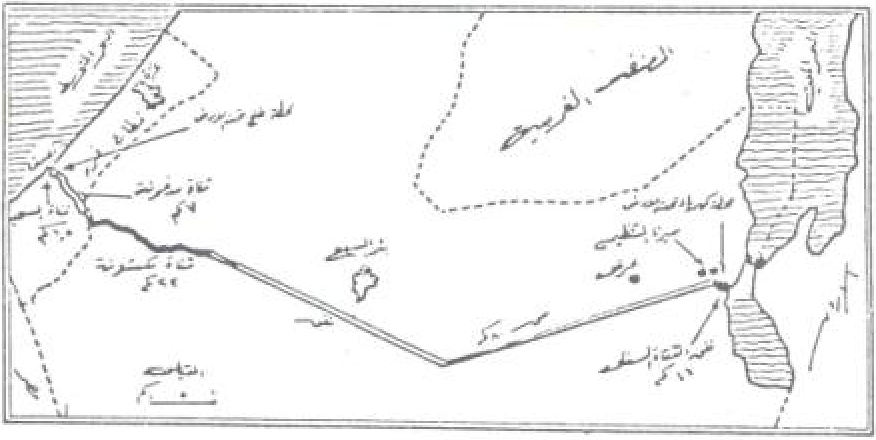

التصميم العام للمشروع .. عن مجلة صامد الاقتصادي

لاهدير ولا صخب ، وموج ـ أو على الأصح ما اعتقدت أنه موج ـ .. هادىء مستكين يتلاحق بهمس ، وقلما يعلو أو يطفو فوق بعضه ، يتلاعب بخفة مع النسمات ويتأرجح بتؤدة بين الضفاف باتزان .

تقترب اكثر ، لا يوجد هنا صخب البحار وشقاوة الموجات وصراعها وصراعها المعروف . هنا لا يوجد جبال موج .. ولازبد يعانق صخور الشاطىء .

مستكين ، ومستسلم لما فيه وحواليه ، خط نهر الاردن يظهر كلسان شق لونه المتطامن ، فادخل لونا يميل الى الازرق الفاتح في مساحة يختلط فيها الازرق الغامق بالازرق الفاتح ، مسور بجبال على حديه الشرقي والغربي .. . مساحته الغالبة طولية تبلغ ١٠٥ كلم٢ ، طوله ٧٦كلم ، ومتوسط عرضه ١٥كلم .

أطلقوا عليه اسم البحر « الميت » لكثرة ملوحته التي تتراوح ما بين ٣٠ الى ٣٣٪ وهي أعلى نسبة ملوحة في البحار والمحيطات ، حيث ان نسبة ملوحة مياه المحيطات تتراوح ما بين ٤ الى ٦ في المائة .

الأحياء لا تعيش فيه ، مع انه غني بعشرات المعادن .

يكمل مساحة الانهدام الطولي الذي يمتد من بحيرة طبريا في الشمال . نصف هذا الانهدام يتألف من سهول الاغوار التي يخترقها نهر الاردن بعد أن يلتقي بنهر اليرموك والنصف الآخر بحر هو البحر الميت أو البحر المغلق .

أخفض نقطة عن سطح البحر في العالم ، تصل الى حوالي ٤٠٠م ، فتلتهب المنطقة بوهج الشمس وحرارتها في الصيف ، ويسود الاعتدال في الشتاء .

الهدوء المريب :

يضايقك الهدوء ، وترتاب فيه وتمد النظر في شتى الاتجاهات ، مدينة اريحا تظهر من وراء سياج الاشجار والمستعمرات ـ تبعد حوالي ١٠ كيلومترات ، وجبال سوداء وعمال زراعة يعملون في الحقول والبساتين ، وأصحاب جمال ينتظرون سياحا قلما يأتون في ذلك الشهر ـ ديسمبر ـ كانون الأول . وعمال بناء يبنون استراحة حكومية على الشاطىء .

قرية السويمة على مرمى حجر من البحر ، قرية كغيرها من قرى الأغوار تعيش على زراعة الخضراوات والحمضيات والموز ، تحتل ركنا شرقي رأس البحر الشمالي .

هي أيضا فيها جِدُّ العمل الصامت العادي والروتيني المعيشي . تستفزُّ من الهدوء .. والعمل العادي والروتيني ، وخصوصا وانك معبأ بتفصيلات

صخب المعلومات عما يسمى بقناة البحرين التي ستغير الكثير من واقع ومواقع الحياة في المنطقة .

تنفجر المفارقة في داخلك وتتحول الى اسئلة . هنا سكينة وهدوء وعمل عادي ، وتطامن « هش » وهناك على الجانب الغربي مشروع عمل ربما يقضي على الكثير من موارد الرزق والحياة على الجانب الشرقي .

تسأل عدنان ابو الوفا خريج ادارة فنادق من مدريد سنة ١٩٧٦ ، ومدير الاستراحة الحكومية التي تبنى على الشاطيء فيجيبك :

« اذا حصل وتم المشروع الاسرائيلي ، فان ما نبنيه سيغرق ، وسيغرق معه الكثير من المزارع والمصانع .

● اذن ما العمل ياعدنان ؟

ـ ينقل بصره الى مياه البحر .. ثم الجبال المحتلة .. ثم منشآت العدو على الجانب الآخر . ثم يقول : انظر جيدا .. تلك الجبال البعيدة هي جبال القدس ـ تبعد القدس ٣٠ كيلومترا عن البحر الميت ، انظر النقط البيضاء تلك هي مباني العيزرية على جبال القدس .

● اكرر .. ما العمل يا عدنان ؟

ـ يذهب بصره من جديد الى نفس الأماكن .

فأفهم ان السابق لا يختلف كثيرا عن اللاحق ، ودون وجود القوة التي تردع فلابد مما ليس منه بد !

● نسأل المهندس الشاب عمر الحلاق الذي استصلح ارضه الطولية المحاذية لشاطيء البحر ، وحشد فيها تشكيلة من الأشجار المثمرة : التين والعنب والبرتقال والزيتون والموز والرمان والخضراوات . وسقاها بالتنقيط ، وبنى فيها « فيلا » حديثة . مصب نهر الاردن لايبعد عن أرضه الا حوالي ١٣٠٠ متر . حفيف موج البحر الخافت يتحاور مع أسلاك ارضه ويتحاور .

ـ قال المهندس : ان ما بنيناه وتعبنا عليه سنوات يمكن ان يغرق اذا ما تم انجاز مشروع قناة البحرين . واضاف والده محمد علي الحلاق الذي يرتدي الملابس الفلسطينية التقليدية : على الرغم من كل شيء علينا أن نعيش ونواجه التحديات .

● والمستقبل يا والدي ؟

ـ صحيح انه غير مطمئن .. لكن علينا أن نبني بالرغم من كل الاحتمالات .

● صرفتم على المزرعة والدار الكثير ..

ـ الحياة مغامرة ، علينا أن نعمل كأننا نعيش ابدا .

● وموت الغد .. ألا يدخل في الحسبان يا والدي ؟

ـ يجيب الشيخ السبعيني : الأعمار بيد الله يا ولدي .

● ويعلق المهندس « أواديس » .. مهندس سلطة مياه نهر الاردن في المنطقة :

ـ إن مصانع البوتاس والملح وغيرها ، وهي من اكبر المصانع والاستثمارات في المملكة الاردنية يمكن ان تغرق اذا ما مضى الاسرائيليون في اتمام مشروع قناة البحرين ، بل ربما تتأثر مياهنا الجوفية من زيادة حقن المياه في البحر .

● واكد السيد عبدالجواد صالح عضو لجنة تنفيذية سابق في منظمة التحرير الفلسطينية ، ورئيس بلدية سابق لمدينة البيرة :

ـ ان خطورة القناة ليس في كونها خطرا على المنشآت والمصانع والمزارع الاردنية ، او تصادر حقا للفلسطينيين والاردنيين فحسب ، بل في اضافتها طاقة كهربائية كبيرة للعدو ، وانها ستمثل حاجزا بين فلسطين ومصر ، هذا عدا كونها تضيف مشروعات حيوية مهمة في صحراء النقب ، مما يزيد من عدد السكان الاسرائيليين ويساعد في تنمية القوة الذرية الاسرائيلية .

وقائع قريبة :

عزيزي القاريء هذه بعض ملامح من أخطار ما يسمى بقناة البحرين التي يخطط لها ان تربط بين البحر الأبيض المتوسط عند نقطة القطيف بين غزة وخان يونس على البحر الابيض المتوسط لتصل الى البحر الميت عند نقطة قريبة من قلعة مسعدة او ماسدا التي يتخذها الصهاينة رمزا للمقاومة اليهودية وعدم التسليم .

فما هي قصة هذه القناة ؟ وما هي اخطارها ؟ وما الذي تقوله الوثائق والوقائع عنها ؟

نبدأ بالوقائع الحديثة والقريبة :

ـ بتاريخ ١٩٨٠/٨/٢٤ اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرارا سياسيا بالاجماع يقضي بالعمل على

تنفيذ مشروع قناة البحرين .

ـ ويوم الخميس ١٩٨١/٥/٢٨ ازاح مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي يومها الستار عن نصب تذكاري بمناسبة بدء العمل بمشروع شق القناة بين البحرين ، وقد اقيم احتفال بهذه المناسبة بالقرب من قلعة مسعدة او مسادا .

ـ ذكرت صحيفة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ١٩٨٥/٣/٢٢م الخبر التالي : « انه الى الشمال من مصب « زوهر » على شاطىء البحر بدأت بتاريخ ١٩٨٤/٣/٢١ اعمال حفر نفق الابحاث التابع لمشروع قناة البحرين الذي يصل طوله ـ اي النفق ـ الى ١٤٠٠ متر وهيكله مربع ، حيث تم حفر الامتار الأولى في النفق ، وقالت الصحيفة انه قد تم خلال الشهرين الماضيين شق وتسوية طريق الى المكان الذي بدأت فيه اعمال حفر النفق لتمكين المعدات الثقيلة التي ستقوم باعمال الحفر من الوصول الى الشمال من مصب « زوهر » والبدء بعملها وفي هذا المكان سيكون المدخل الشرقي للنفق الأرضي ، في حين انه وعند مدخله الغربي ستقام محطة توليد ارضية ، كما قامت شركة تطوير المحاجر بأعمال الحفر المعقدة بهذا النفق في نفس اليوم » .

ـ وبتاريخ ١٩٨٥/٦/١٢ اصدر موشي شاحل وزير الطاقة الاسرائيلي أوامره لايقاف العمل في نفق التجارب لقناة البحرين بشكل نهائي وفوري حسب تصريحه الذي نقلته عنه الصحافة في اليوم التالي بسبب اعذار شتى منها عدم وجود تمويل كاف للمضي قدما في المشروع .

لمحة من تاريخ :

فكرة اقامة قناة لتوليد طاقة كهربائية من مساقط المياه المتأتية من فرق انخفاض البحر الميت عن مستوى سطح البحر المتوسط فكرة قديمة ، بل إن فكرة ربط البحرين المتوسط والميت بخليج العقبة والبحر الاحمر ثم المحيط الهندي راودت اذهان الانجليز في القرن التاسع عشر وذلك لربط منطقتنا .. بدرة تاج الامبراطورية الانكليزية : الهند ، لأجل اختصار الطريق البحري .. قبل انشاء قناة السويس ، وبعد ان تم انشاء قناة السويس فان الانكليز صرفوا النظر عن المشروع السابق .

الا ان ثيودور هرتزل القائد والمنظر الصهيوني المعروف التقط جزءا من الفكرة فسجلها في كتابه « التنويلاند » الصادر سنة ١٩٠٢ حيث ذكر ضرورة انشاء قناة بين البحرين الابيض المتوسط والبحر الميت ، يصل عرضها الى عشرة امتار لزيادة كمية الكهرباء واقامة مصانع عديدة .

وصف فني للمشروع :

طُرحت عدة مشروعات لوصل مياه البحر المتوسط بمياه البحر الميت منها : الشمالي الذي يصل بين حيفا على البحر المتوسط وبيسان القريبة من مجري نهر الاردن ، او الأوسط بين رحوبوت على البحر المتوسط وتل قمران على الجزء الشمالي الغربي من البحر الميت ، ويمر بين القدس وبيت لحم .

أما التفصيلات المتعلقة بالمشروع الجنوبي الذي تم اعتماده فان الكثير من المصادر تجمع على ان مواصفات المشروع تتكون من :

ـ بداية المشروع تمتد من تل القطيفة على شاطىء البحر المتوسط بين منطقتي دير البلح وخان يونس في قطاع غزة المحتل . وينتهي في منطقة مسادا بالقرب من البحر الميت مارا بالنقب الشمالي جنوبي بئر السبع .

يبدأ الخط بسحب مياه البحر الابيض المتوسط بواسطة جهاز « ادخال للمياه » يركب اسفل الجرف المتعرج في تل القطيفة ، ويتوغل هذا الجهاز ٦٠٠ متر داخل البحر بواسطة عائم بحري حاجب للامواج حيث تركب مضخات كبيرة تضخ ٥٠ مترا مكعبا من المياه في الثانية عبر انبوب ضغط يبلغ طوله ٧ كلم الى منطقة التلال شرقي قطاع غزة ، ومنها ترفع المياه بواسطة مضخات خاصة الى ارتفاع مائة متر فوق سطح البحر بالقرب من مستعمرة يتريم التي تبعد عن خطوط الهدنة بالقرب من حدود قطاع غزة حوالي ٣ كلم . وبعدها تصب المياه بفعل الجاذبية والثقل في قناة مفتوحة ذات جدران من الاسمنت ويبلغ طولها ١١ كلم وعرضها ما بين ١٠ الى ٢٠ مترا ، وفي منطقة الحلصة في النقب يبلغ عرض القناة ٢٠ مترا وستكون

عبد الجواد صالح

بحيرة كبيرة يمكن استخدام مياهها لاغراض التبريد في المحطة النووية وكمواقع سياحية جديدة . ثم ستتدفق المياه بعد ذلك عبر نفق يقع على عمق ٤٠٠ متر ويبلغ طوله ٨٦ كلم وقطره خمسة امتار . ويقطع النقب الشمالي جنوبي بئر السبع ، وتسير المياه هنا في قناة مغلقة عبر الكتلة الصخرية في جبال عراد حتى تصل الى بركتي تجميع للمياه شمالي غربي مسادا على المرتفعات التي تطل على البحر الميت . وستقام في اسفل بركتي التخزين محطة الطاقة الهيدروكهربائية داخل الصخور مقابل لسان البحر الميت . ثم تتساقط المياه من ارتفاع ٤٠٠ متر على حافة الجرف في انبوب ضغط لتشغيل اربعة طوربينات للمحطة . وبعدها تدفق المياه على البحر الميت الذي ينخفض منسوبه بمقدار ٤٠٠ متر تحت سطح البحر تقريبا .

ويتضمن المشروع ايضا كما ذكر سمير جبور ويولا البطل ورندة حيدر في كتاب « قناة البحرين المتوسط والميت » وكما ذكر د . محمد سلامة النحال في كتابه الذي يحمل نفس الاسم السابق « قناة البحرين المتوسط والميت » .

« اقامة سبع بحيرات على مرتفعات مستعمرة يئير فوق شواطئ البحر الميت وعلى مستوى سطح البحر المتوسط ، وسوف تتدفق المياه منها وتسقط في البحر الميت من ارتفاع ٤٠٠ متر ، وسوف يقام حول هذه البحيرات الفنادق ونوادي الاصطياف ودور السكن الحديثة ، وبواسطة مياه هذه البحيرات يتم توليد الطاقة الكهربائية عن طريق محطة تقام تحت الأرض .

ويستغرق انجاز العمل حوالي عشر سنوات اذا ما تم المضي قدما في انجاز المشروع ، ويبلغ الطول الاجمالي للقناة حوالي ١١٤ كيلومترا ويتراوح عمقها في بعض المناطق ما بين ٤٠ الى ٥٠ مترا ، وسيتم رفع مستوى البحر الميت في السنوات الأولى من انجاز المشروع الى حوالي ٣٩٠ مترا بعد ان وصل انخفاضه الان الى حوالي ٤١٠ أمتار .

ويتضمن المشروع انشاء محطات لاستغلال الطاقة الشمسية ، وطبقا للمصادر الاسرائيلية فان الطاقة الكهربائية التي سينتجها المشروع تتألف من ٦٠٠ ميغاواط من المحطة الهيدروكهربائية ، و١٨٠٠ ميغاواط من محطتين للقوى النووية و١٥٠٠ ميغاواط من محطات الطاقة الشمسية (هذا اذا امكن تنفيذ تلك المحطات الأخيرة فنيا) .

فوائد ومضار :

هذا ويمكن اضافة عدة فوائد اخرى للكيان الصهيوني من جراء تنفيذ القناة . . منها :

ـ استغلال الصخور الزيتية القائمة في البحر الميت لانتاج ما يقرب من ٢٠ الف برميل من الزيت الخام يوميا .

ـ تحلية مياه البحر لاغراض الشرب والزراعة والصناعة .

ـ اقامة مستوطنات زراعية (حوالي ١٠٠ مستوطنة) على امتداد النقب الشمالي وزيادة عدد السكان في المنطقة مما يهدد القطرين المصري والاردني ويثبت الاحتلال خصوصا في الاراضي التي تم احتلالها بعد عام ١٩٦٧م . كما جاء في مجلة صامد الاقتصادي العدد ٥٢ نوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٨٤م . اما أضرار المشروع على الجانب الاسرائيلي فيمكن ايجازها بالتالي : ـ

ـ لن يغطي المشروع تكاليفه التي ستصل الى حوالي مليار وخمسمائة الف من الدولارات الا بعد مضي

الشيخ محمد علي الحلاق .. زرعوا فأكلنا ، ونزرع ليأكلوا .

استراحة تقوم بالرغم من كل الاخطار

هل تغرق هذه المزرعة يوما ما ؟

فى انتظار الذى يأتى !

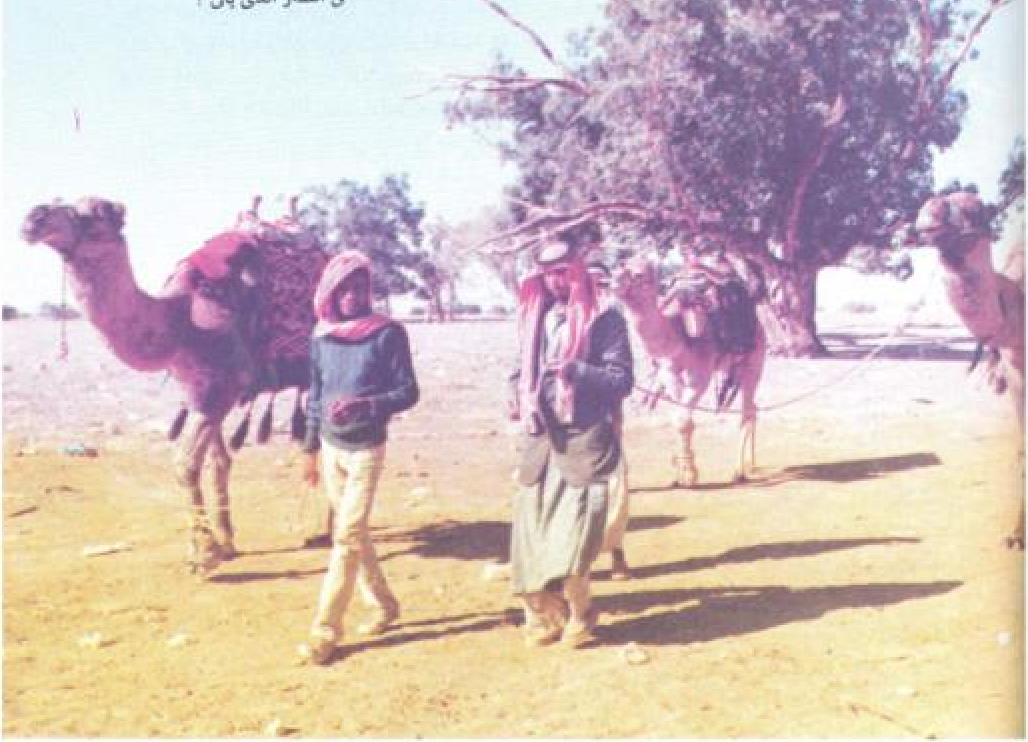

حوالي ثلاثين عاما من بداية تشغيله وانتاجه .

ـ ستلحق الاضرار بمصانع البوتاس الاسرائيلية القائمة وستخسر حوالي ٢٠ مليون دولار في السنة نتيجة هذه الاضرار .

ـ ستتغير تركيبة المياه والمعادن في مياه البحر الميت ، بحيث تتحول المياه الى خليط من الجبس الأبيض حسب ما جاء في بعض المصادر الاسرائيلية .

أما الجانب الاردني فان اخطارا كثيرة ستلحق بأراضيه ومنشآته الصناعية والسياحية ومزارعه وسكانه بعد انجاز المشروع ـ منها :ـ

ـ اغراق الأراضي نتيجة رفع مستوى سطح البحر الميت .

ـ غمر المنشآت والمرافق السياحية .

ـ غمر بعض منشآت مصانع البوتاس .

ـ التأثير سلبيا على استغلال بعض المعادن مثل : صخور البوتاس ، والملح والقار ، والبترول والغاز .

ـ غمر بعض الاراضي الزراعية مما سيؤدي الى هجرة السكان .

ـ احتمال حدوث زلازل وبراكين نتيجة ازدياد الضغط على قعر البحر الميت .

ـ احداث تغييرات بيولوجية نتيجة تدفق المياه من مصادر جديدة .

ـ تحريك الحد الفاصل بين المياه الجوفية العذبة والمالحة .

والسؤال هنا : اذا كانت القناة تحقق هذه الفوائد للجانب الاسرائيلي وتلحق هذه الاضرار الكبيرة والكثيرة للجانب العربي .. فلماذا اصدر موشي شاحل وزير الطاقة الاسرائيلي اوامره بايقاف العمل بالمشروع ؟

أسباب اقتصادية وسياسية :

ان اجتهاداتنا في هذا الموضوع تتركز على جانبين :

١ ـ جانب اقتصادي   ٢ ـ وآخر سياسي .

بالنسبة للجانب الاقتصادي فاننا ذكرنا ان تكاليف المشروع ستصل الى حدود مليار وخمسمائة الف دولار ، وان تغطية التكاليف لن تتحقق الا بعد ثلاثين سنة تقريبا . فاذا اضفنا الى ذلك بان هناك عجزا كبيرا في ميزان المدفوعات الاسرائيلي وصل الى حوالي ٥,٣ مليار دولار في نهاية عام ١٩٨٤ وبلغت الديون الخارجية حوالي ٢٣ مليار دولار في نهاية عام ١٩٨٤ ، ووصلت بطالة الايدي العاملة في الربع الاخير من عام ١٩٨٤ الى حوالي ٩٨ الف عاطل عن العمل ، أي ما يعادل ٦,٩ من قوة العمل المدنية ، وقد قدر مكتب العمل الاسرائيلي أن عدد العاطلين عن العمل سيصل في نهاية عام ١٩٨٥ الى حوالي ١٧٠ الف عاطل في الكيان الصهيوني . كما جاء في صحيفتي يديعوت احرونوت وهآرتس الصهيونيتين (تاريخ ٢٩/١/١٩٨٥) .

فاذا اضفنا الى هذا العامل المهم ، عاملاً آخر يتمثل في اقامة العدو الصهيوني لمشروعين حيويين هما :

ـ مشروع صناعة طائرة اللافي الذي تبلغ تكاليفه حوالي مليار وخمسمائة مليون دولار .

ـ بناء مفاعلات نووية لانتاج الطاقة الكهربائية تصل تكاليفها الى نفس تكاليف المشروع السابق .

هذه المشروعات الثلاثة العملاقة تتطلب مبالغ كبيرة تعجز ميزانية العدو المرهقة بالديون عن القيام بها كلها دفعة واحدة .

وقد ذكر جدعون بات وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي السابق « بأن مشروع قناة البحار ، ومشروع طائرة اللافي واقامة المفاعلات النووية للطاقة تتطلب مصادر تمويل ضخمة ، وانه يؤيد تخفيض حجم اعمال المشاريع الكبيرة بسبب الكلفة المالية العالية المطلوبة لتنفيذها » . كما جاء في مجلة الأرض العدد ٢٠ من السنة العاشرة ١٩٨٣/٧/٧ نقلا عن صحيفة دافار الاسرائيلية الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/٥/١١ . فاذا اضفنا الى ذلك اسعار البترول التي اخذت تميل الى الانخفاض مما يشجع على الاعتماد عليها ، بدلا من السعي وراء مشروع ضخم التكاليف ، وقد ذكرت صحيفة على همشمار الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/٢/١٧ « ان مشروع قناة البحار جدير بالحفظ ضمن (حجرة التجميد) في الظروف التي تسود الآن سوق الوقود العالمي بعد خفض الاسعار الى ٢٨ دولارا للبرميل الواحد من النفط ، ويتوقع محللون في البنك الدولي وفي منظمة مستهلكي الطاقة هبوطا آخر في اسعار الوقود » .

خريطة الخطوط الثلاثة لمشروع قناة البحرين

هذا والجدير بالذكر أن كتلة المعراخ التي تحكم في « اسرائيل » الان كانت تحاول الانتقاص من قيمة هذه المشروعات في اثناء حكم كتلة الليكود ، وتقلل من الفوائد الاقتصادية لهذه المشروعات وتنعتها بانهامشروعات اعلامية وسياسية هدفها الكسب الانتخابي وليس تحقيق الجدوى الاقتصادية . وبما ان هذه الكتلة اصبحت على رأس الحكومة الان ، فانها اوقفت مشروع قناة البحرين .

اما الجانب السياسي لقرار وقف العمل بقناة البحرين الان فانه يستند على خيار مشروعات « السلام » التي أخذت تروج في المنطقة ومنها مشروع « السلام » مع الاردن .

ذكرت صحيفة هتسوفيه الاسرائيلية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/١ مايلي :

« ان هذا المشروع ـ قناة البحرين ـ سيؤثر على آفاق السلام مع الاردن ، كذلك فانه سيؤثر على مفاوضات ما يسمى بالحكم الذاتي حيث ان القناة ستمر من قطاع غزة » .

أما اليشع كالي اخصائي تخطيط في شركة المياه الاسرائيلية ـ تاهال فكان اكثر وضوحا . . فقال : « لو اخذنا البعد السياسي بالحسبان لرأينا ضرورة تفضيل مشروع آخر على مشروع البحار ولأقمنا « مشروع سلام » يتلخص في الاستفادة المشتركة « للدولتين » يعني الاردن والكيان الصهيوني من الطاقة الناتجة من المشروع كما جاء في مجلة الارض الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/٨/٧ نقلا عن صحيفة دافار الصهيونية الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/١/١٦ .

عنق التاريخ :

هذه بعض العوامل الاقتصادية والسياسية التي ساهمت في اتخاذ قرار وقف العمل بمشروع قناة البحرين ، اعني ان هذا المشروع قد تم تجميده لا إلغاؤه ، وانه يمكن الرجوع اليه والاستمرار فيه ، متى ما توفرت الظروف الاقتصادية والسياسية المناسبة .

فهل تبقى الجغرافيا ساكنة هادئة تنتظر قرار التاريخ على الجانب الغربي من البحر الميت ؟ وهل « قدر » الجانب الشرقي من البحر هو الاستكانة وانتظار فعل الجانب الاخر الذي سيغير من طبيعة الجغرافيا ويمسك التاريخ من عنقه ؟

وبعد : الموج او ما اعتقدت انه موج يمشي الهوينا في البحر الميت ، لا ضوضاء ولا هدير ، مستسلم وهادىء ومستكين . . لازبد ولاصراع او تسارع مع ان الصراع عليه وحواليه كبير وخطير .

وهكذا وانت تولي ظهرك لهذا البحر . . تنفجر في ذهنك المفارقة : بحر هادىء الا أن المخاطر تحف بمصيره ، وورش العمل التي تنتظر اشارة البدء في جانبه الغربي ستغير الجغرافيا لتوجه « رسن » التاريخ الى الوجهة التي تريد ، وعندها قد يختلف الموج . . ويغير من طبيعته . . وربما يصبح اكثر شراسة وزخماً وتصارعا ، وأقل رحمة ورأفة . ويصبح موز وبرتقال وخضراوات الاغوار اكثر ملوحة ودموية وشوكا . . او ربما . . يوأد في مهده !! □

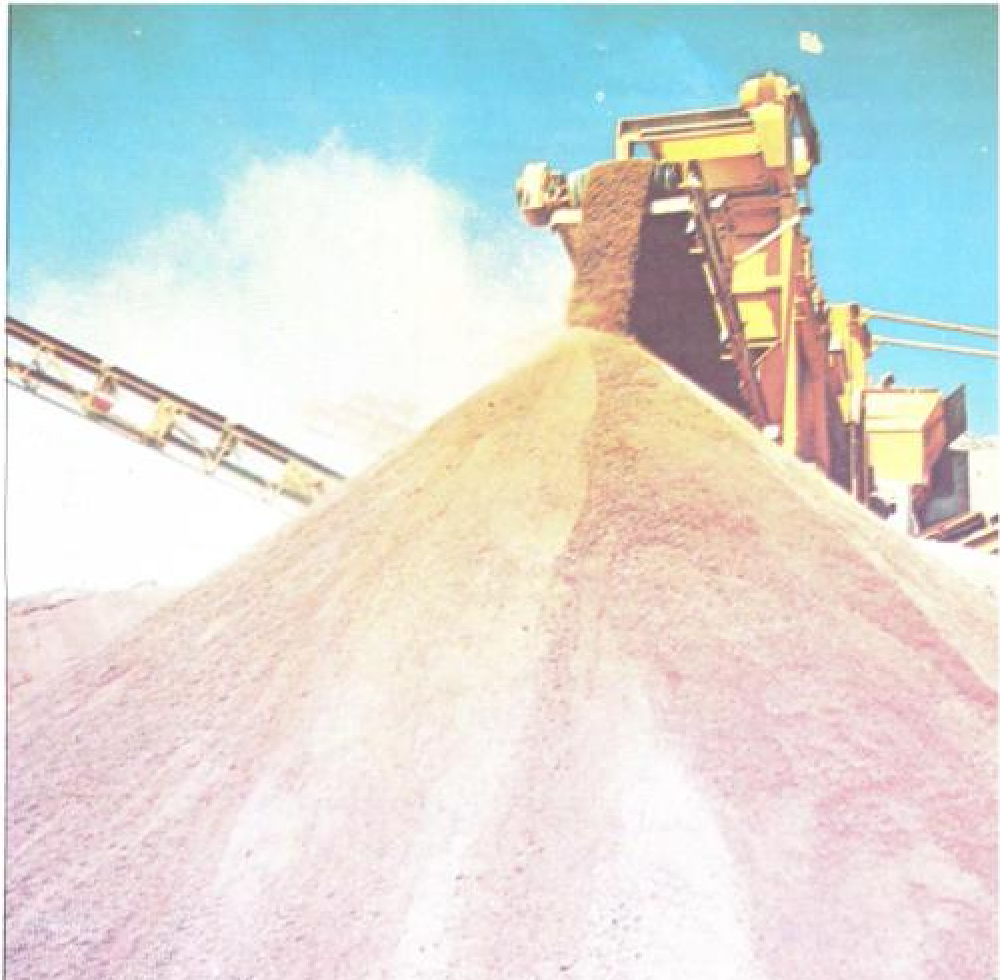

مصنع
للفوسفات . . .
يمكن ان يغرق بعد
انجاز مشروع
قناة البحرين

احتفالات على البحر
الميت . . عندما كان
الخطر بعيدا .

وجهاً لوجه

الطيب صالح و صلاح حزين

* نحن نقرأ الادب الاجنبي لنكتشف شيئا لدينا لكننا نسيناه .
* ماركيز نهل من مؤثرات عربية مثل ألف ليلة وليلة .
* أنا لاأحب تعقيد العمل دون سبب ، كما أنني لاأتعمد البساطة .
* الرواية العربية تمكنت من طرح الأسئلة الكبيرة واستكشاف آفاق الحياة العربية .
* البلدة الوهمية التي أكتب عنها باستمرار هي نوع من المسرح الذي ابتدعته .
* احدى مُتعي هي التعبير عن أفكار معقدة من خلال شخصيات بسيطة

في منتصف الستينات ، عندما كان عدد الروائيين العرب يعد على الأصابع برز اسم الطيب صالح كروائي متميز . يومها كانت روايته « موسم الهجرة الى الشمال » موضع اهتمام الأوساط الأدبية في جميع أنحاء الوطن العربي ، فقد كان هناك الكثير مما يدهش في هذا العمل الأدبي الفذ القادم من قلب افريقيا العربية .

ورغم أن « موسم الهجرة الى الشمال » لم تكن العمل الأدبي الاول للطيب صالح الا أنها كانت السبب في لفت الانظار اليه ، وانتظار أعماله التالية . فقد كانت الرواية تطويرا نوعيا لفكرة لقاء الشرق بالغرب التي تناولها من قبله روائيون آخرون ، لكنها جاءت هنا لتطرح أبعادا جديدة لهذا اللقاء الرهيب . ومن ناحية اخرى فقد اثارت بين الأوساط الادبية قضايا تتعلق بموضوع الرواية وفنيتها وتقنيتها ومحتواها والمستوى الذي وصلت اليه الرواية العربية . وأخيرا فقد تنبه النقاد العرب الى حقيقة أن هذا العمل قادم الينا من قلب افريقيا وليس من مراكز الابداع الأدبي التقليدية في مصر والشام والعراق .

المداحون وشكسبير

* في رواياتك يختلط السحر والأعمال الخارقة برتابة الحياة الريفية التي تركت أثرا واضحا عليك فهل لك أن تحدثنا عن أوشاب البداية والتكوين الأولى ؟

- منذ البداية استفدت كثيرا من الشعر العربي ومن مؤثرات خاصة في البيئة السودانية نفسها . فقد قرأت القرآن الكريم في الكُتاب الذي يسمى عندنا « الخلوة » ، وهذه مسألة مهمة جدا ، فمثل هذه الدراسة تعطي المتلقي حساسية فائقة للغة والجرس . وانا أحب كثيرا من السور في القرآن لان لها جرسا خاصا مثل سورة الرحمن ومريم والانسان . كما استفدت كثيرا من خصوصيات المنطقة التي نشأت فيها في شمال السودان ، وهي منطقة اجتمعت فيها مؤثرات الحضارة الفرعونية القديمة بالمؤثرات العربية . وخصوصا تأثير أناس يقال لهم المداحون الذين كانوا ينشدون بأصواتهم الجميلة على أنغام الطار شعرا في مدح الرسول ﷺ بلغة فصحى رغم عدم تمكنهم من اللغة . ثم ان منطقتنا هي امتداد لقبائل الكبابيش وهم من عرب جهينة الذين يعتبرون أكبر تجمع بدوي في العالم العربي وهم يتحدثون لغة قريبة من لغة أهل الجزيرة العربية . يأتي بعد ذلك الاهتمام بالشعر العربي القديم ثم الادب الحديث واعلامه ، وانتقلت بعد ذلك للآداب العالمية . وقد تأثرت كثيرا بأعمال اثنين من عمالقة الأدب الانكليزي هما شكسبير وجوزيف كونراد الذي اعتبره الاستاذ الاكبر لفن الرواية في هذا القرن . وقد أثر في كثير من الكتاب الانجليز أنفسهم ، ومنهم غراهام غرين الذي لايزال النقاد يراقبون أثر كونراد في أعماله . لكن من الصعب الوقوع على أثر مباشر لهؤلاء الكتاب في أعمالي .

الرحلة والرحلة المعاكسة

* لكن من يقرأ روايتك «موسم الهجرة الى الشمال»ورواية«قلب الظلام» لجوزيف كونراد يقع على أكثر من وجه للشبه مثل فكرة الرحلة من أوروبا الى افريقيا ، وهي معكوسة في روايته ، ثم الصراع الذي يأخذ شكلا عرقيا ، والموت في النهر في النهاية ، بل وقضايا فنية مثل الراوية بدوره الثانوي يحكي قصة شخصية فذة . . الخ

بالطبع رواية « قلب الظلام » من أعظم الروايات في هذا القرن ، وربما يكون هناك وجه للتشابه

وخصوصا من حيث رحلة مصطفى سعيد من افريقيا الى اوروبا التي ربما تكون رحلة معاكسة لرحلة « كورتز » في قلب الظلام ، لكن هناك اختلافا بين كل من الشخصيتين . فكورتز أوروبي فاوستي وهو نتاج واقع ثقافي محدد يختلف عن حال مصطفى سعيد . وحين كتبت موسم الهجرة » كنت تحت تأثير فرويد ، وكنت قرأت كتابا لاحد تلامذته اسمه مانتغر بعنوان «الانسان ضد نفسه» فأثر بي جدا . لذا فان في هذه الرواية بعض مؤشرات علم النفس لكن الكاتب عندما يجلس ليكتب فانه يكون هو نفسه في نهاية الامر .

وبالمناسبة فان فكرة الرحلة في الادب العربي فكرة أساسية . ومنذ القصيدة الجاهلية ظلت الرحلة كفكرة مسيطرة على مجمل الأعمال الادبية العربية . فالشاعر الجاهلي يبدأ بوصف الناقة التي يرتحل عليها ، ثم تبدأ عملية الرجوع او مايسمى فلاش باك . ويحضرني الان كلام قلته سابقا واعتقد أنه صحيح . فنحن نقرأ الأدب الاجنبي او الفكر الاجنبي لالنستفيد من شيء غير موجود لدينا بل لنكتشف شيئا لدينا لكننا نسيناه . والنقد العربي في احدى مراحله أبخس من القصيدة الجاهلية بحجة أنها غير عضوية مع أنها في تقديري متقدمة مرحليا عن كل الشعر الانجليزي مثلا،والثغرات الموجودة بين بيت الشعر والاخر مليئة بالمعاني وليست خالية كما يقال. وفي نهاية الامر فان الكاتب العربي يغرف من أدب عظيم . ومايسمى بتأثير الكتاب العرب هو تلاقح بين أدب خصب هو الأدب العربي وبين ايضاحات لديه لم يكن منتبها لها أصلا .

العنصرية المضادة

*** ثمة من يقول بأن مصطفى سعيد في « موسم الهجرة» يمثل مايمكن تسميته « بالعنصرية المضادة » فقد كان يتعامل مع البيض بقسوة تعكس قرونا من الاضطهاد اتخذ احيانا شكلا انتقاميا عنيفا ؟**

ـ بعض النقاد العرب يبحثون عادة عن عمل اجنبي ويضعون مقابله عملا عربيا يشبهه . وأنا يشرفني أن اكون متأثرا بكونراد ، لكنني لا أعتقد أن من المفيد أن نحضر رواية « قلب الظلام » لنبدأ عملية البحث عن مواقع التأثير هنا وهناك .

واحيانا أقرأ اشياء عجيبة مثل تأثري بكولن ويلسون أو د . هـ . لورنس أو كامو . لكن التراث الانساني واحد فيما اعتقد . وأرى أن كاتبا مثل جابرييل ماركيز قد نهل من مؤثرات عربية مثل ألف ليلة وليلة التي احدثت أثرا كبيرا في الشكل في أوروبا عند ترجمتها الى الانكليزية . تماما مثلما حدث عندما تسرب الشعر العربي من الأندلس الى أوروبا عن طريق شعراء التروبادور . ليس هنالك ما هو « قح » هذه الايام . المهم هو سمات العمل الخاصة . ولابد لكل عمل أن يبرر نفسه من خلال نفسه .

اما عن فكرة العنصرية المضادة ففي رأيي أن سلوك الشخصية لاتمليه قواعد اجتماعية أو سياسية وأنا في هذا قريب جدا من فرانز فانون في (معذبو الارض) الذي يقول ان الاستعمار هو نوع من الاغتصاب حتى بمعناه الجنسي . وحتى التعبيرات التي تستخدمها أمة تستعمر أمة اخرى تحمل معنى الاخصاء لذا فان اثبات الفحولة عند مصطفى سعيد هو اثبات للشخصية وليس اذلالا للاخرين عمدا والانتقام منهم .

الحوار مع النفس

*** تتكرر الشخصيات في جميع رواياتك وتتحرك في مكان مفترض ومجتمع مفترض في الشمال الأوسط للسودان فهل تلك محاولة لترسيخ صورة مكان ما باشخاصه وناسه وحركته أم هو تكنيك خاص أخترته لرواياتك ؟**

ـ من حيث التكنيك الروائي فان الكاتب يجد نفسه باستمرار في حوار مع نفسه ومع فنه . ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في شعر المتنبي مثلا الذي اعتقد انه كان مشغولا بالقصيدة ، وكل رحلاته الى القاهرة وحلب والكوفة .. الخ .

وربما كان هذا ايضا ماقصده شكسبير بقوله « المسرحية هي المسألة » . وهذه كلها اشكال مختلفة

لحوار الكاتب مع فنه . واحدى متعي هي التعبير عن افكار معقدة ، من خلال شخصيات بسيطة . ويمكن القول أن البلدة الوهمية التي اكتب عنها باستمرار هي نوع من المسرح الذي ابتدعته ، تتحرك فوقه الشخصيات . وفي رواياتي الاخيرة «بندر شاه» «ضو البيت» و«مريود» تكررت الشخصيات لافي المكان فحسب بل في الزمان ايضا ، فقد تكررت عبر قرون نفس الشخصيات ولكن بأسماء اخرى ، وحتى الان فانني لاأشعر بالرغبة في خلق مسرح آخر فأنا احس بأنه لاتزال هناك مادة لم استنفدها بعد ، بل ان كل مافعلته هو انني نبشت السطح ولم أغص في أغوار تلك الشخصيات .

*** ألا تعتقد أن هذا يؤدي الى بروز قضية فنية أساسها التطور الافقي للشخصيات بدل تطورها في العمق ؟ اذ تبقى الشخصيات بنفس سماتها واسمائها ووظائفها ومواقعها ؟**

انني لاأقصد خلق أحداث تدهش القارىء بقدر تقديم احداث تؤدي الى نوع من التنامي الوجداني للشخصيات ، فان في ذهني أفكارا اتابعها من خلال هذه الشخصيات . فشخصية مريم في « مريود » هي بشكل ما امتداد لنعمة في « عرس الزين » وحسنة في « موسم الهجرة الى الشمال » ولكن من خلال أوضاع مختلفة تماما . واعتقد بأن القارىء لو سار معي ببعض الاهتمام فسيجد أن هذه الشخصيات تشبه بعضها ظاهريا لكنها تختلف في الوقت نفسه،أما أن تنمو الشخصية بمعنى أن تتقلب بها الاحوال وتتعرض لمقادير مختلفة فقد جربت هذا ايضا في « موسم الهجرة الى الشمال » وذلك لضرورات موضوعية وفنية . وعموما فان لنمو الشخصية عندي منطقا آخر . وانني كثيرا ما أتساءل الى أي حد نحن ننمو ؟ فالعمر يتقدم بنا وننتقل من مكان الى آخر لكن لحظات النمو نادرة . فهي ليست مايبدو على وجوهنا من غضون . ان هذه اللحظات بمعناها العميق نادرة جدا . لذا ، فان الكشف الحقيقي في العمل الفني ربما يأخذ شكلا عاديا جدا ويحدث بطريقة عفوية جدا . ولااعتقد أن الكاتب بحاجة الى رسم دراما كبيرة لخلق هذا التأثير .

العربي والافريقي

*** من حيث الصنعة الفنية ، لو استعرنا تعبير الناقد الانكليزي بيرسي لابوك ، فان رواياتك تنتمي الى تقليد الرواية الاوروبية من حيث قوة المعمار الفني وتماسك احداثها والاقتصاد في لغتها ، ومن حيث الاجواء فانهاشديدة المحلية مما يجعل أعمالك تنتمي الى الرواية الافريقية التي تحمل هذه السمات وليس الرواية العربية فما رأيك ؟**

ـ ربما كان وجه الشبه بيني وبين كاتب افريقي مثل « تشينوا أتشيبي » هو انني مثله درست اللغة الانكليزية وامتلكتها تماما . وهذه اللغة كما هو معروف ليست لغة خطابة واستطراد ، وقد يكون تأثير هذه اللغة على كاتب عربي مختلفا عن تأثير اللغة الفرنسية مثلا . وربما تؤدي الى احساس مختلف عما يحدثه كاتب ليست لديه معرفة بلغة اخرى . وأنا اتوقع مزيدا من التنوع عندما يبدأ بالكتابة أولئك الذين امتلكوا ناصية اللغة الروسية او الصينية مثلا . وكل هذه الامور تثري اللغة العربية بلا شك . ورغم كل ذلك فانني اعتقد ان هناك حيوية مافي الادب العربي ، ويشرفني أن أكون جزءا من انتاج ادبي اعتقد انه حي وغزير . وعلى أي حال فأنا اعتقد أن بعض الكتاب الأفارقة مثل اتشيبي وسوينكا ونغوغي كتبوا بدوافع وطنية بالدرجة الاولى ، كما أن « نغوغي » مثلا بدأ يكتب اخيرا بلغة محلية مما يؤكد ماذهبت اليه .

*** تتميز رواياتك عموما بالبساطة الشديدة التي تجعلها اقرب الى الحكاية ربما باستثناء «موسم الهجرة الى الشمال» ففيها قدر كبير من الصنعة الفنية . لكنك ذكرت اكثر من مرة كم هي مضنية لحظة الكتابة بالنسبة لك فكيف تفسر الجمع بين المعاناة الكبيرة قبل وأثناء الكتابة ، والبساطة الشديدة في الانتاج الفني ؟**

ـ لاأدري كيف اجيب عن هذا السؤال لكن

يحضرني قول الناقد الانكليزي هازلت الذي يقول بأن « البساطة هي نتاج عملية معقدة » أنا لا اعتقد أن هناك شيئا اسمه البساطة . وفي موسم الهجرة الى الشمال أقول « ان الشجرة تنمو ببساطة لكن كم هو معقد أن تكون الشجرة شجرة » . وأنا لا احب أن اعقد العمل دون سبب رغم بعض الاتهامات لي بتعقد أعمال مثل مريود وضو البيت . كما أنني لا اتعمد البساطة ، ايضا فيا يسمى بالشكل والمضمون هما في واقع الامر شيء واحد .

الأسئلة الكبيرة

● هناك مايشبه الاجماع بأن الرواية العربية منذ السبعينيات قطعت شوطا كبيرا وحققت انجازات مهمة . ماهو تقييمك الخاص لهذه الانجازات ؟

ـ دون الدخول في تفاصيل لاداعي لها ، اعتقد أن الرواية العربية اصبحت اضافة كبيرة للادب العربي . وقد تحقق ذلك بمجهودات اناس كثيرين لايحصون عدا عن نجيب محفوظ الذي قام بدور ريادي في مجال الكتابة الروائية الى مابتجه كتاب جدد آخرون في تونس والمغرب والعراق وغيرها . ولاشك أن الرواية العربية قد تمكنت من طرح الاسئلة الكبيرة وقامت بمحاولات نبيلة لاستجلاء واستكشاف آفاق الحياة العربية والوجدان العربي ، وربما اكثر من أي فرع من فروع الكتابة ربما كانت هناك بعض المحاولات الفاشلة ولكن لو قارنا بين الجانب الابداعي عموما ومنه الروائي وبين الاضافات في مجال الفكر مثلا فاننا نجد أن الرواية قد اضافت اكثر .

● في السنوات الاخيرة بدأ الأدب في امريكا اللاتينية يتحول الى ظاهرة عالمية في الوقت الذي بهت فيه الابداع الروائي الاوروبي . فهل أنت مع القول بنمو شجرة الأدب في امريكا اللاتينية بينما تحولت الرواية الاوروبية الى شجرة ميتة ؟

ـ في اعتقادي أن الادب في انكلترا وفرنسا تحول الى عملية يحكمها قانون العرض والطلب وآلية عملية الطباعة والنشر والاعلان . بالطبع هناك بعض الالتماعات التي لاتزال على قيد الحياة مثل غراهام غرين في انكلترا ، لكني اعتقد أن الادب في أمريكا اللاتينية له سمات الادب العربي ، ورغم انني لم أقرأ عن ماركيز انه تأثر بالادب العربي الا أنني متأكد من أنه متأثر به . واعتقد أن رواية مثل « مائة عام من العزلة » كان يمكن أن يكتبها روائي عربي . فما فعله ماركيز هو انه حطم قواعد الكتابة العقلانية بالمنطق الاوروبي الغربي فسلوك شخصياته لايخضع لتلك القواعد بل يأخذ شكلا لامعقولا . وفي اعتقادي أن هذا بالضبط مافعلته « الف ليلة وليلة » حيث الجن والعفاريت والأعمال الخارقة وما الى ذلك .

لقد فعلت هذا عندما كتبت « عرس الزين » قبل ظهور مائة عام من العزلة . وحينها قال بعض النقاد العرب ان هذا العمل ملىء بالخرافات وخصوصا شخصيتي الزين والحنين ، ولم يدرك هؤلاء ان للعمل الفني منطقا آخر وايقاعا مختلفا . ولكن عندما قرأ هؤلاء اعمال ماركيز ومن قبله جورج أمادو احترموا تلك الاعمال التي كانوا قد اعترضوا عليها سابقا . لكنني اعتقد أن مثل هذه التناقضات بدأت تقل اخيرا بين نقادنا .

وفي اعتقادي أن على النقاد الاوروبيين الغربيين احترام اختلافنا وغربتنا عنهم مثلما احترموا اختلاف الادب الامريكي اللاتيني الذي لاشك انه ادب عظيم ، واخص بالذكر جورج امادو الذي اعتقد أنه اعظم من ماركيز وقد سبقه كثيرا في ادخال مؤثرات كثيرة ، وخصوصا المؤثرات الافريقية . .

● وماذا عن بورخيس الارجنتيني الذي يكتب باسلوب أوروبي وذهنية أوربية وبتقنية اوروبية عالية ؟

ـ في اعتقادي أن الاحتفاء الكبير به في أوروبا يرجع الى أنه يمثل العنصر الابيض في امريكا اللاتينية ، وأنا استخدم هذا التعبير بحذر لكن هذا رأيي .

● بعد مريود التي نشرت عام ١٩٧٦ لم نقرأ لك شيئا فهل من أعمال جديدة ؟

ـ هذا صحيح . ولكنني الآن بصدد عمل كبير أعمل فيه ببطء ، واتوقع أن يأخذ مني وقتا طويلا . اذا مد الله في عمري . □

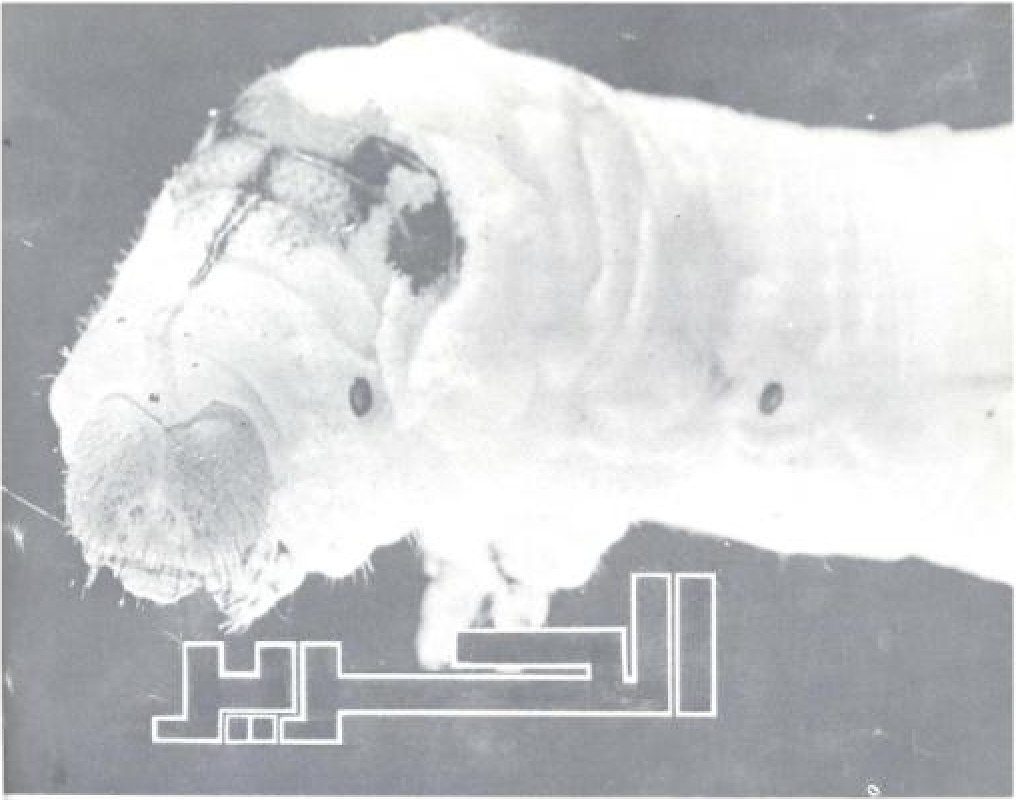

الحرير

ملكة الأنسجة

اعداد : ريم الكيلاني

عرفت البشرية منذ نشأتها عديدا من أنواع الألبسة والأغطية والفراش ، وجهدت في صنع الحديث منها، غير أن هناك نسيجا فذا يأتينا عن طريق ديدان وشرانق ، يكتب له التألق والتميز على سائر الأنسجة ، هو الحرير .

هذا الموضوع يأخذنا إلى تاريخ هذا النسيج وانتاجه ، وأساليب تنميته ، والامم التي اشتهرت به .

وهي خطوات لن نعدم فيها روعة الطبيعة ، ومهارة الصنعة .

نسيج رائع الجمال ، ناعم الملمس ، تصنعه ديدان وشرانق ضئيلة الحجم .

نسيج متألق .. براق .. بقي سر صناعته كامنا وراء سور الصين العظيم لمئات السنين ..

ناعم كنسمة هواء رطبة .. متألق كالثريا ..

شال من الحرير تمت حياكته وتطريزه بتصميم رائع ، وضعه الفنان الصيني « زنك وينشونك » ، فيه لمسات غربية ، تنطق بالجديد .

منذ أكثر من ٤٠٠ عام كان هذا الثوب البالغ الحساسية والنعومة لا يلبس الا في أعمال السحر والشعوذة لكن سره بقي محفوظا عند الامبراطور الصيني كل تلك السنين .

نسيج الرفاهية

بمرور الزمن أصبحت فراشة القز ملكة الأنسجة بلا منازع ، حيث تبدع حريرا .. آية في الجمال والروعة .

ويعود تاريخ منتجات الحرير من أقمشة وسجاد وملابس لأكثر من ٤٠٠٠ عام ، حيث كان اللحاف الحريري في الصين الصداق المؤخر للسيدة الصينية .

كما تبدو المرأة أكثر جمالا وجاذبية حين ترتدي الكيمونو الحريري (عباءة يابانية للسيدات) فهو يحمل في طياته عبير الملوك ، ودائما يشارك الحرير في العروض التي تتم في اثناء اللقاءات القبلية بين رؤساء العشائر .

ولكن ، ما الذي يجعل صناعة الحرير أمرا يستحق الاهتمام ؟

ان طبقة البروتين التي تغطي الحرير تعطيه لمعانا لؤلؤيا يجعل منه مادة غاية في النضارة .

وفراشة القز ، التي تقوم بانتاج الحرير ، هي في الواقع شرنقة ، وتنتمي الشرانق الى طائفتين هما : الدود التجاري والرخليات أو الدود البري ، والاثنان يتبعان فصيلة الحشرات القشرية الاجنحة .

دودة القز الكاملة النمو والتي تتغذى على نباتات الطماطم تنتج حريرا لا يضاهي روعة الحرير الذي تنتجه الشرانق التي تعيش في المنازل وتتغذى على أشجار التوت .

فكثير من يرقات الفراش وبعض ديدان الحشرات الأخرى تغزل مساكن لها من الحرير ، قبل أن تتحول الى عذارى ، ومن أهم هذه الأنواع دودة لها أجنحة بيضاء يطلق عليها العلماء اسم « بومبكس » أو دودة الحرير ، وهما أقرب الى الفراشة في طور اليرقة منها الى الدودة ، هذه الفراشات لا تأكل شيئا خلال أيام حياتها القصيرة ، بل تبيض من ٣٠٠ الى ٤٠٠ بيضة ، تخرج منها بعد الفقس اليرقات التي تسمى خطأ دودة الحرير .

ولقد كان الحرير سرا من أسرار الصين زمنا طويلا ، ولكن أخيرا أدخلت دودة القز الى أقطار البحر المتوسط ، وزرعت هناك أشجار التوت لتتغذى عليها ، كذلك تمت صناعة الحرير في انجلترا ، حيث تغزل اليرقات الحرير لملابس الملوك ، أما الهند فتحتكر فراشة الموجا التي تنتج الحرير الذهبي المتألق في وادي آسام الرطب .

وليس الحرير الا لعاب الفراشة الذي يتجمد عند ملامسة الهواء له ، ويخرج من فم اليرقة بمعدل ست بوصات في الدقيقة ، وقد ينتج منه خيط واحد طوله ألف قدم ، وتلفه الفراشة المرة بعد المرة حول جسمها لتصنع منه مخبأ لها يسمى الشرنقة التي بداخلها ، تهدأ اليرقة المتعبة كي تتحول الى عذراء ، وحينئذ ، تجمع الشرانق وتغمس في الماء الساخن لتموت الحشرات داخلها ، ثم تفك الخيوط الطويلة باليد ، وقد يحتاج الأمر الى ٢٥ ألف شرنقة للحصول على رطل واحد من الحرير ، وتترك بعض الشرانق جانبا بدون قتل ما بداخلها ، ومن هذه الشرانق تخرج الفراشات لتضع بيضا آخر يفقس ويعطي يرقات أكثر تنتج شرانق أخرى وهكذا .

ومن الحشرات المفيدة العاملة أيضا نوع من « المن أو بق النبات » ويوجد في الهند ويسمى « صانعة الصمغ » وهي تنتج الصمغ المعروف « باللاك » الذي يدخل في تركيب مواد التلميع ، وتأكل هذه الحشرة أوراق أشجار كثيرة ، ولكنها تفضل نوعا خاصا من أشجار التين ، تثقب قشر الشجر اللين وتلصق نفسها بالعصارة اللزجة التي تفرزها الشجرة ، وتصبح بمثابة الغطاء الواقي للحشرة ، يحميها من الشمس والمطر ، الى أن تضع بيضها تحته ، ثم تموت وتبقى أجسام هذه الحشرات الجافة ممتزجة بالاصماغ التي تباع تحت اسم « اللاك » .

وحين تدعى الأنثى للتزاوج ، فان من ٣٠٠ الى ٥٠٠ بيضة تلقى بعد ساعات قليلة من اللقاء ، لتموت بعدها خلال يومين أو ثلاثة ، بينما ينمو البيض نموا منظما في جو بارد ، ويفقس في مدة تتراوح بين ستة أسابيع الى اثني عشر شهرا .

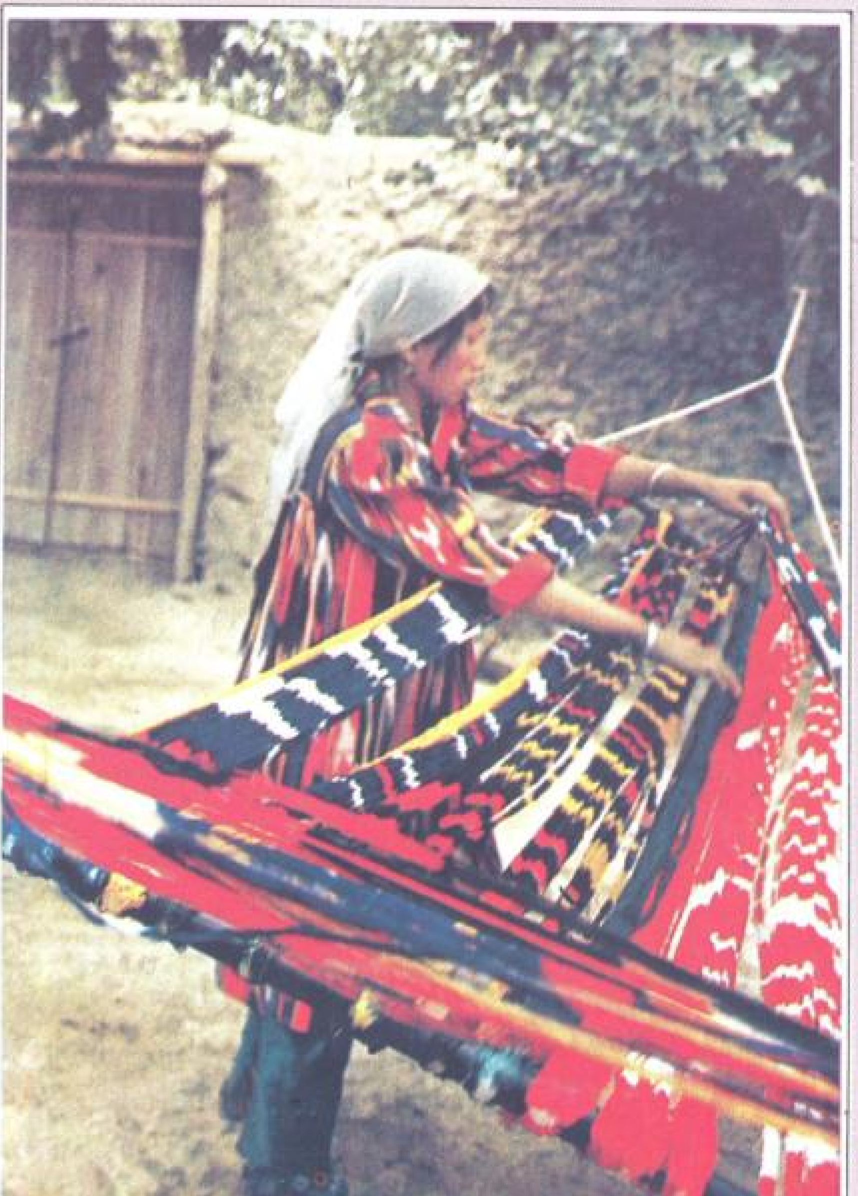

نماذج من خيوط الحرير تُحبك مع بعضها البعض في محاولة لترتيب شبكة الحبال وجمعها معا حيث تقوم المرأة الصينية في مدينة « يوغور » بجمع الخيوط لتحبكها معا في تشكيل رائع ثم تعدها للصباغة لانتاج نماذج ذات الوان متآلفة .

خيوط حريرية ذات ألوان زاهية تطرز صديري من الساتان الحريري
تحمل في طياتها همسات التألق والنعومة الرومانتيكية .

...نك لا تدرك أنه لعمل رباط عنق واحد قد تستهلك ١١٠ من الشرانق ، بينما تقوم ٣٦٠ شرنقة بانتاج ما يصنع قميصا من الحرير ، أما العباءة الحريرية فهي انتاج ثلاثة آلاف شرنقة تستهلك ١٣٥ ألف باوند من أوراق أشجار التوت .

قدسية فراش الحرير

ان معظم الحرير المصنع الذى يستعمل اليوم ويجلب من فرنسا وايطاليا ، كانت نشأته أيضا في الصين التي تسهم بأكثر من نصف انتاج العالم من الحرير ، أي ما يعادل ٤٨٠,٠٠٠ شرنقة ، واليابان أكبر مستهلك للحرير ، وبعد أن كانت الرائدة في انتاجه تراجعت الى الخلف ، واحتلت الصين المرتبة الأولى في انتاج الحرير .

ان جودة فراشة القز يحدد بالنوع والكمية التي تنتجها من الحرير ، وعلى الرغم من أن عمليات التهجين قد تطورت مع تقدم الزمن ، فان عملية التلقيح التي تتم بين الأجناس اليابانية والصينية تتم في جو من التدليل والرفاهية ، باعتبارها مخلوقات قصيرة العمر ، وتستعين الصين في تربية فراشة القز بالاساليب الآتية :

١ ـ نباح الكلب ، وصياح الديك ، وأحيانا رائحة العفن ، فهذه المحسوسات ينشط عليها تكاثر الفراش ، ومن ثم يزيد انتاجه من الحرير .

٢ ـ ترقد الشرنقة على فراش ناعم جاف ، وتعمل بانسجام تام حينما تتاح لها أنغام الموسيقا الهادئة .

٣ ـ حين تتخطى الشرنقة مرحلتها ، أي تتحول الى فراشة متكاملة النمو ، فانهم يجعلونها طعاما للسمك ، وذلك لمنع تغير نوع الحرير وجودته .

٤ ـ يجب أن تتوافر للفراشة الأم نظافتها ، فلا تشم رائحة كريهة ، كما يجب أن تمنع عن أكل البقول أو حتى لمسها .

٥ ـ تتلذذ الشرانق بمداعبة زغب الدجاج لتطوير عملية الغزل .

وهذه التقاليد والأساليب بالنسبة للصين نادرا ما تحول أو تعدل ، بل انها لا تزال باقية حتى اليوم ، ولفراش الحرير قدسية يلتزمها النساء والرجال ، والنساء اللاتي يربين فراش القز لا يدخن أو يضعن المساحيق على وجوههن ... أثناء النوم ، بل يجب أن يتعلن في ... ...يلة .

ويسعين لتقديم ... ت لآلهة الحرير مرة كل عام ، وتلك الحـ... ...ة الحذر لا تقتصر على الصينيين فحسب ، بل تجد الرجال في جنوب غرب نيجيريا (يوروبا) لا يدنون أو يعاشرون نساءهم اللاتي ينقين أو ينسجن الحرير ، أما الرجال الذين يبقون في المزارع فهم لا يقصون شعورهم أو يحلقون لحاهم ، كما يتبعون نظاما غذائيا خاصا ، وتحضر زوجات هؤلاء المزارعين طعام العشاء الا أنهن يفترقن عنهم بقية الليل .

وفي مدينة زوزاوا وطوكيو لا بد لمن يزور مزارع فراش القز أن يرتدي طقما أبيض منشى باليابان ، مع قبعة وقناع شبكي شفاف للوجه ، والا واجهته رائحة غاز الفورمالدهيد المطهر الذى يعمي العين ، كما سيضطر الزائر الى تركيب أظافر صناعية .

كذلك تقاس درجة الحرارة ونسبة الرطوبة خمس مرات يوميا ، وبينما يتم كل ذلك يدويا في الصين ، الا أن اليابان تفضل استعمال الآلة حتى في هذا المجال .

وللنساء دور

وفي الصين يكون انتاج الحرير في مرحلته الأولى معتمدا اعتمادا كليا على النساء ، ففي مصنع دانج دونج في الصين ، تجلس النساء أمام آلة الغزل ليغزلن الشرانق ، ويخلصن خيوط الحرير من المادة الصمغية العالقة بها ، بوساطة الماء الساخن العكر ، فترى أصابعهن تتحرك بخفة وسرعة لتجمع الخيوط والألياف من ست شرانق ، وتمدها بالقوت مع كل دورة للآلة . وعدد الشرانق المستعملة يعتمد على مدى سمك وكثافة الخيوط المنتجة ، ولكنه عادة ما يتراوح بين ٥ الى ثمانية خيوط تكفي الحاجة .

وقد تجد في الهند في منطقة نواباتنا ، فتاة لا تتعدى العاشرة من عمرها ، بصحبة عشرين فتاة أخرى يقبعن بجانب خيوط الحرير ، ويقمن بغزلها ولفها حول سيقانهن في غرفة شديدة الظلمة ، ذات أرضية موحلة ، وتسحب الفتيات الخيوط من خمس شرانق بوساطة ساقها اليسرى ، تجمعها معا أو تبرمها أو

تجدلها معا لتصنع منها خيوطاً متينة ، وتفضل الفتيات العمل في هذا المجال لأن سيقانهن أقل شعرا من سيقان الرجال .

كما تشترك في الهند الأسرة بكاملها في صناعة الحرير ، فقد تجد فتى صغيرا يقبع أمام نول ينسج سجادة ، ووالده بجانبه يهمس بترنيمة عذبة ، وهو يرسم نموذجا فعليا لتصميم ما ، كما قد تجد الزوجة تنقي الحرير والجدة تحوكه ، وطفلا يجدل الخيوط ، وآخر يعاون والده في العمل على النول ، لينتجوا معا « ساريا » فاخر الصنع .

وقد ترى حكاية الحرير في بعض القصص والأساطير التاريخية ، مثل نقل « ماركو بولو » للحرير من الصين الى فينيسيا بايطاليا . والصين ، موطن الحرير ، البلد الفنان في صناعته ، الرائد في حياكته . ان روعة خيوط الحرير الصينية جعلت منها مقياسا للتميز وتحديد الثمن .

وقد افتتحت المحكمة الملكية في الصين مصانع نسج الحرير لأغراض تجارية ، ولتقديم الهدايا للدول الأجنبية ، وبذلك فهي تضمن توسع نفوذها خارج حدود بلادها .

وتحتفظ الصين بسر تربية فراشة الحرير منذ مئات السنين ، ويقتل تعذيبا من يبوح بهذا السر ، وهذا القرار أصدرته لائحة القانون الملكي حينذاك . .

ومع انهيار الامبراطورية الصينية ، اتسعت دائرة مربي وحافظي وصانعي الحرير ، وبات سر لمعان النسيج الحريري وتألقه ونعومته معروفا لدى الجميع . .

ومع بداية القرن الرابع عشر ، كان يصنع الحرير الايطالي في فلورنسا وفينيسيا وجنوا ، كما شجعت العائلات النبيلة تلك الصناعة ، وتعتبر منطقة « كومو » مرتعا خصبا لصناعة الحرير ، فهي تنتج سنويا ١٥ مليون ربطة عنق ، و ٦٠ مليون متر من أجمل أنواع الأقمشة الحريرية نعومة وتألقا . .

باريس والحرير

وقد حققت مدينة « ليون » في القرن السادس عشر ، وبمعاونة فرانسيس الأول انتعاشا في صناعة الحرير ، وخصوصا بعد أن حدثت عملية استيراد الحرير في محاولة من الملك لانتاجه داخليا ، وقد تقدم فرانسيس الأول بمغريات عديدة للعمال ، ومنحهم حرية كاملة في مجال عملهم .

ولقد كانت صناعة الحرير تستدعي حرفيين متخصصين ، حاولت ايطاليا اجتذابهم بكل السبل ، وقد وضع وزير المالية لحكومة لويس الرابع عشر معدلا ثابتا للانتاج ، وبمكن بوساطته ـ الى جانب الاكتفاء الذاتي ـ التصدير للدول المجاورة ، كما تم وضع نموذج للرسم وللحياكة يتغير بنهاية كل عام .

وبانتهاء القرن الثامن عشر ، كان هناك ما يساوي ١٨,٠٠٠ نول ينسج الحرير . وباندلاع الثورة الفرنسية ، ووقوع فرنسا في أزمة كبيرة باعدت بينها وبين الترف ، حل القطن مكان الحرير ، وتوقفت الأنوال عن العمل . . وانهارت صناعة الحرير .

وفي عام ١٨٠٤ قدم « جوزيف ماري » آلة نسج وتخريم تسمح للحرفي بالتحكم في النول ، وتعمل على انتاج نماذج معقدة بسرعة ودقة أكبر ، وفي عام ١٨٣٠ احتلت آلة الندف مكانا مرموقا في مجال صناعة الحرير .

ولما تسلم نابليون الحكم ، كان من حبه للحرير أن أمر الأعيان والنبلاء بارتداء الحرير الذي تنتجه ليون ، كما ضم قصره مفروشات حريرية فاخرة .

وقد استغرقت لديه صناعة لحاف من الحرير سبعة عشر عاما ، وأنت حين تراه تذهلك مقدرة كل من « تاسيناري وشاتيل » على عمل الخرائط وتحديد اتجاهات الرسومات بمثل هذه الدقة والروعة .

الحرير المدمر

وعبر الاطلنطي . . ظفرت تربية دودة الحرير بعناية أولية ، في المستعمرات الأمريكية ، حيث شجع جيمس الأول في عام ١٦٠٩ قيام صناعة الحرير ، وذلك باجتثاث نبات الدخان واحلال شجر التوت مكانه لتتربى على أوراقه صانعة الحرير . بعد ذلك بعشرة أعوام بدأت تجربة أكثر نجاحا في حقل تربية دودة القز ، ولكنها كانت شاقة مملة تحتاج لجهد كبير ، ولا تدر ربحا كالقطن ونبتة الدخان ، وبذلك فان الجهود التي تبذلها تلك المستعمرات كانت بالفعل عقيمة ، فأمريكا تفتقر للعامل الصبور المحتمل

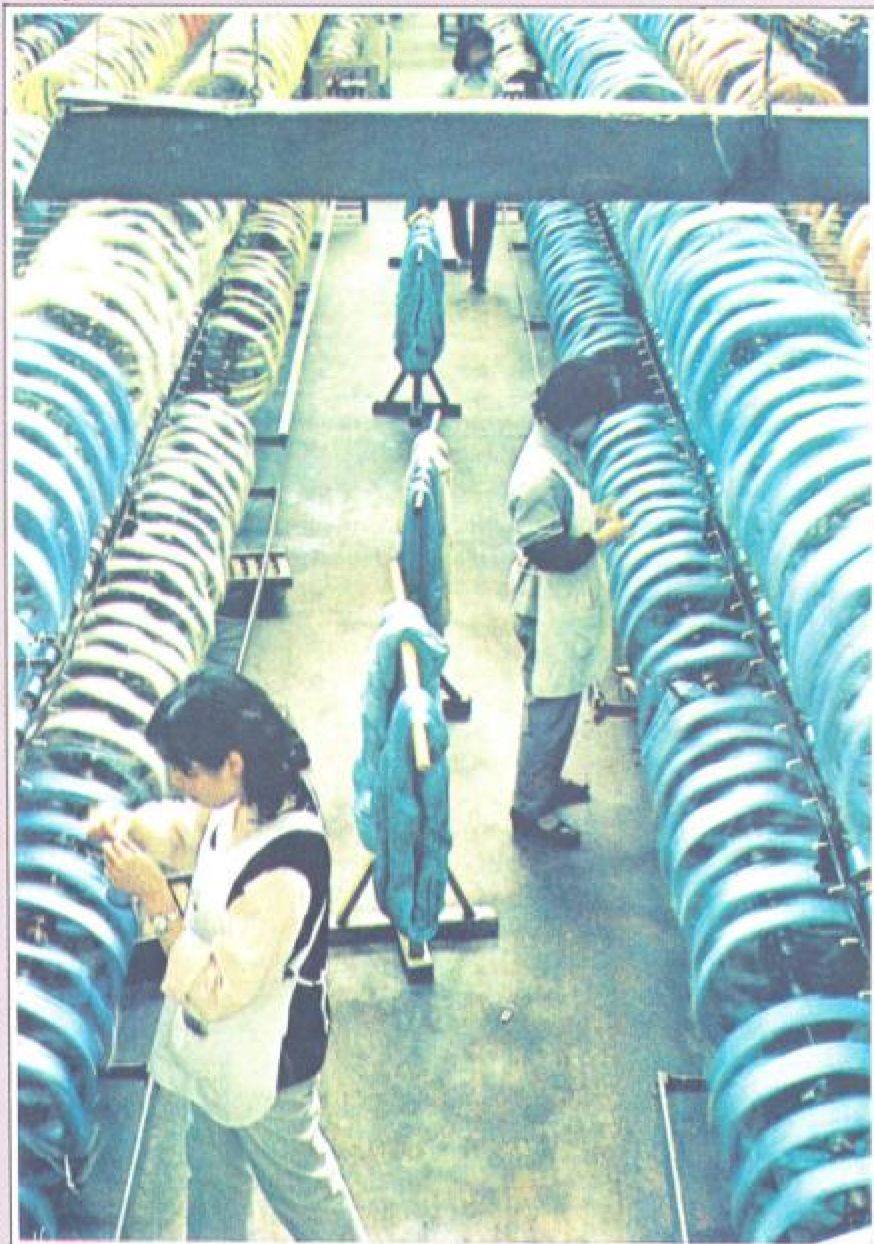

مصنع للحرير في الصين : تلف الخيوط المغزولة على بكرات ، ثم تصنف ، تطلى بطلاء مؤقت ، تجدل ثم تغزل وتحول الى لفات وتعد للشحن .

لعملية انتاج الحرير .

وان الهدوء الطبيعي لمياه نهر « الباسيك » كانت المكان الأفضل لازدهار صناعة الحرير في شمال شرق الولايات المتحدة في باترسون التي تعتبر اليوم مركزا حيويا في مجال صناعة الحرير .

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية قوطع سوق الحرير الياباني ، وتحول الباقي منه للاستعمالات الحربية فقد كانت المظلات الهابطة المصنوعة من الحرير قوية مرنة ، أما مسحوق الحرير المستعمل في الحروب فيوضع في فوهة السلاح ليحرق كل شيء ، ولا يترك خلفه الا الدمار والخراب،أما في الصين . فالحرير الصناعي لم يكن متوافرا مع بداية عام ١٩٥٠ .

الا أن سحر الحرير الصناعي وبهجته بدآ يتضاءلان في الآونة الأخيرة ، وبات للحرير الطبيعي مزاياه المتفوقة في جميع المجالات (الملابس والأثاث) . ويحاول الصينيون اليوم أن تظل الصين الأولى في انتاج وتصدير الحرير الطبيعي للعالم ، ولكنهم جوبهوا بفشل ذريع في تسويق منتجاتهم ، لأن أمريكا تنتج حريرا جيدا وبكميات كبيرة وألوان عديدة ، وذلك لأن فراش القز يتغذى في أمريكا الاستوائية على عصارة أشجار معينة ، وتظهر على أجسامها الجافة أصباغ ذات ألوان بهيجة ، ولافتقاد الصين للآلات الحديثة التي تملكها أمريكا ، فقد بادرت الولايات المتحدة في منتصف عام ١٩٧٣ بمنح الصين ٢٠٠,٠٠٠ دولار لتتمكن من شراء أنوال أوتوماتيكية .

واليوم ، يدخل الكمبيوتر الى الأنوال ليضاعف كمية الحرير المنتجة ، كما يمكن للمصمم بوساطة الكمبيوتر ، عمل أكثر من ٢٠٠ تصميم كل منها مختلف عن الآخر في وقت واحد .

وباستثناء سِنِيّ الحرب حيث تقل الحاجة للتزود بالحرير ، فان انتاجه مواز لكمية استهلاكه .

وللنساء نظرية في نسيج الترف والرخاء ، فيقول بعضهن : يسحر الحرير جسد المرأة ، كما تسحر الحلي يدها وعنقها .

هذا هو الحرير .. فمن الشرنقة الصغيرة كان ملك الانسجة .. وكانت الخيوط اللامعة □

عملية التحول من خيط الى لفة ، تنقع الشرنقة في الماء الساخن لتلين المادة الحريرية ولجعل نهاية الخيوط متماسكة .

ساعة كبيرة صنعت بخيوط حريرية ناعمة في فرنسا .

إصابات الرأس واللحظات الذهبية

بقلم : الدكتور سامي محمود على

.. وليس عجيبا مثل المخ .. هذه المادة الهلامية التي لايزيد وزنها عن ٢٪ من وزن الجسم .. الا أنها تحمل في طياتها أسرار الوجود الانساني كله .. ماذا تعرف عن هذا المخ وكيف يمكن مواجهة اصابات الرأس في الوقت المناسب حين تكون هناك لحظات فاصلة بين الحياة والموت .. هذا هو ما يعرضه هذا المقال .

المخ هو بعض اعجاز الخلق كما أراد له سبحانه أن يتجلى في أروع صور الاعجاز والابداع .

ان ما يقرب من اثني عشرة خلية عصبية تؤدي من الاعمال ما يفوق كل خيال ويطيح بكل وصف ، ولو أتيح لنا أن نزيل حجاب الجلد والعظم ونطالع المخ من الداخل ، لوجدنا أن هناك شبكة معقدة من الأوعية الدموية تمد المخ بما يقرب من ٢٠٪ من أوكسجين الجسم كله ، كما أننا نلاحظ أن ما يقرب من ٨٠٪ من حجم المخ كله يمثل القشرة المخية ، وهي أرقى نقطة حيوية نصادفها في كل الكائنات الحية ، وتتولى هذه القشرة مسئولية الفكر وتسجيل الذكريات والاحلام وتبادل اللغة والكثير من الوظائف التي يعزى لها السبب فيما نراه حولنا من مدنية وتقدم ورقي .

ان المخ البشري قد أودعه الله علبة عظيمة متينة البنيان ، وحفظه سبحانه بسوائل يغوص فيها فضلا عن أغشية ثلاثة : الواحد يلي الأخر ، فكأنه بمأمن من الاخطار ، يعمل في هدوء لبقاء الكائن البشري

واستمراريته .. الا أنه وعلى الرغم من هذه الاحتياطات الأمنية فان المخ قد تصيبه حادثة أو يتعرض لأصابة ، ومن المؤسف أن خلايا المخ سريعة العطب فهي تموت في دقائق معدودة ، كما أن خلايا المخ ليست لها القدرة على التكاثر كبقية خلايا الجسم ، ومن هنا فان اصابة الرأس وما تتركه من آثار على المخ تكون وخيمة في عواقبها اذا لم تعالج بسرعة . ولا عجب اذن في ان اللحظات التي تلي اصابة الرأس هي بحق لحظات ذهبية في حياة المريض . فخلالها يكون المريض بين الحياة والموت .

الاسعافات الأولية

ان المصاب في الرأس يكون عادة في حالة غيبوبة ، يصحبها اختناق أو ضيق في التنفس ، لذلك فان الاسعافات التي يجب أن تجري في مكان الاصابة نفسه « بالغة الاهمية » في المحافظة على حياة المصاب ، ومن الممكن تحديد هذه الاسعافات في الخطوات الآتية :

١ ـ التأكد من كون مجرى التنفس نظيفا وأن الهواء لايعوقه شيء في دخوله الى الرئتين ، وهنا يجب ملاحظة الا يكون اللسان واقعا الى أسفل الحلق ، أو يكون هناك أسنان مكسورة أو دم متجلط في تجويف الفم أو الحلق ، وحتى يتمكن المصاب من التنفس بصورة سليمة فيجب أن يكون راقدا على جانبه ووجهه الى أسفل .

٢ ـ وعند تحريك المصاب فان هذه الحركة يجب أن يقوم بها عدة أشخاص لا شخص واحد ، وذلك حتى يكون جسم المصاب في وضع مستقيم فلا يحدث أي ضغط على النخاع الشوكي في منطقة الرقبة التي قد تكون مصابة مما قد يؤدي بالمصاب الى التعرض لخطر الاصابة بالشلل الرباعي أو شلل الاطراف الأربعة

٣ ـ ان أفضل دم للمصاب هو دمه نفسه ، لذلك يجب وقف أي مصدر للنزيف الخارجي وذلك بالضغط بشدة على مكان النزيف .

٤ ـ يجب الا تترك الأجزاء المصابة بكسور كما هي حتى وصول المصاب الى المستشفى ، بل يجب وضع جبيرة لكل الاطراف المكسورة .

اللحظات الذهبية

ان اللحظات التي تلي وصول المصاب الى المستشفى مباشرة هي ـ بحق ـ لحظات ذهبية وفاصلة في ذات الوقت ، انها ميلاد جديد للمصاب .

ولعل أول ما يعاني منه المصاب نقص أوكسجين المخ والصدمة ، ان اصابة الرأس قد تؤدي الى حدوث « أوديما » مخية واضطراب في الدورة الدموية بالمخ مما يجعل حجم الدم الواصل الى الدماغ قليلا ، وبالتالي فان امداد المخ بالاوكسجين يكون منخفضا . ان هذه الحالة ذات خطر عظيم على حياة المصاب ، لذلك فان الحكمة تقتضي تنظيف حلق المريض وفمه ، كما يصل الامر في بعض الأحيان الى عمل فتحة صناعية في مقدمة عنق المصاب تفتح على القصبة الهوائية للمحافظة على تنفس المصاب .

في الوقت نفسه فان المصاب قد يكون في حالة صدمة اثر اصابته ، وهنا لابد من الحفاظ على مستوى ضغط الدم وعدد كرات الدم في حالة طبيعية . كما يمكن اعطاء المصاب كميات مناسبة من المحاليل والجلوكوز عن طريق الحقن بالوريد ، أو عمل نقل دم له اذا اقتضى الأمر . وفي الغالب فان استمرار حالة الصدمة لدى المصاب بعد القيام بهذه الاجراءات قد يعزى الى عدم كفاية عضلة القلب مما يجعله بحاجة الى العلاج بمواد التنشيط العضلية .

ومن المعروف أن حالة الصدمة لا تحدث الا اذا كان المفقود من دم المصاب يقل عن ٣٠٪ من مجموع حجم الدم الذي يزن حوالي ٧٪ من كل وزن الجسم . ويلجأ الطبيب الى حساب كمية السوائل التي يخرجها المصاب في البول . ومثل هذه المعالجة لابد وأن تحسن الى حد كبير من حالة الصدمة ، أما استمرارها لأكثر من ساعتين بعد ذلك ، فان الامر هنا لايعني اصابة الدماغ فحسب ، بل قد يكون هناك خلل ما في التجويف الصدري أو أعلى البطن .

بجانب معاناة المصاب من نقص أوكسجين المخ والصدمة فانه قد يعاني أيضا من اصابات أخرى تشمل مناطق شتى من الجسم ، فقد يكون مصابا بجرح في الصدر أو كسر في الضلوع أو ارتشاح سوائل داخل التجويف الصدري ، وكل هذه المضاعفات يجب أن تعالج على الفور ، فان كسر الضلوع يعالج

الاسعافات الأولية في علاج اصابات الرأس .

وضع المصاب
على جانبه بمساعدة
أكثر من شخص .

وقف أي مصدر
للنزيف في الرأس
أو أي جرح آخر قد
يكون موجودا .

تنظيم ممر الهواء ورفع الفكين لأعلى وللامام .

بتعديل وضع الضلع المكسور ولصقه جيدا بعد تثبيته ، كما يجب سحب السوائل المرتشحة داخل تجويف الصدر .

واذا كانت الاصابة في البطن فانها تتضمن تمزقا في الكبد أو الطحال الذي ينتج عنه نزيف داخلي مما يتطلب تدخلا جراحيا سريعا ، وقد يكون التمزق في المثانة وهنا يحقن الطبيب المصاب بصبغة ملونة بعد عمل قسطرة للمثانة ، ثم يأخذ صورة أشعة فتبدو الصبغة منتشرة في جدران البطن .

الجراحة ضرورية . . ؟

هناك عة مؤشرات تحتم ضرورة التدخل الجراحي لانقاذ حياة المصاب . . وهذه المؤشرات تضم في ثناياها ما يمكن تسميته بالدورات الحيوية داخل الجسم كالنبض والتنفس ودرجة الحرارة ، فمعدل نبض المصاب اذا كان عاديا أو سريعا عند دخول المصاب للمستشفى ثم أخذ في النقصان أو التباطؤ فان ذلك يعني أن هناك ضغطا ما يعاني منه الدماغ . كذلك اذا كان معدل التنفس بطيئا وعميقا في ذات الوقت وكان مصحوبا بمعدل نبض منخفض فان ذلك يكون مؤشرا لوجود نزيف داخل الدماغ ، ويكون ارتفاع درجة الحرارة دليلا على وجود اصابة في الجذع المخي الذي يحتوي على مركز التحكم في درجة حرارة الجسم .

لا تخلو هذه المؤشرات بالطبع من بعض الاستثناءات ، فالأشخاص كبار السن مثلا أو المدمنون على شرب الكحوليات والخمور فانهم يعانون بشكل أو بآخر من ضمور في حجم المخ وهذا الضمور يكون من شأنه ترك مسافات بين المخ وعظام الجمجمة فلا تظهر علامات وجود النزيف المخي التي ذكرناها أما الاطفال وصغار السن من الشباب فيكون اي تجمع دموي ولو كان صغيرا جدا داخل ادمغتهم واضحا في علاماته بأن هناك ضغطا قد ازداد داخل الدماغ .

وقد يحدث النزيف داخل الدماغ في أماكن مختلفة أو تحت غشاء الأم الجافية ، وقد يحدث النزيف داخل نسيج المخ . وفي كل الحالات فان هناك عدة اختبارات وفحوص يجب أن تجرى لبيان مدى اصابة

المصاب وكتفاه مرفوعتان ثم يحقن بمخدر موضعي في مكان الفتح .

عمل قطع في مقدم العنق ثم ابعاد العضلات لشق القصبة الهوائية .

عمل فتحة صناعية في مقدمة الرقبة لدخول الهواء الى الرئتين .

الدماغ ووسيلة المعالجة . وهذه الفحوص تشمل القيام بعمل ثقوب تربنة في عظام الجمجمة ، وقد يكون ضروريا بعد ذلك القيام بعملية تربنة في الجزء الخلفي أو الامامي من الجمجمة . كما تتضمن الفحوص عمل رسم للمخ بالموجات فوق الصوتية ، وهنا يكون أي انحراف في مسار الأشعة دليلا على وجود نزيف أو تجمع دموي أو يدل على وجود ورم .

• وهناك علامات تؤدي الى الاسراع بالعملية الجراحية في وقت مبكر وأخرى تحتم اجراء مثل هذه العملية فورا ودون أي تأخير ، ومن العلامات التي تدل على القيام بالعملية في وقت مبكر كلما أمكن ذلك نجد :

١ـ وجود كسر في عظام الجمجمة يزيد عن نصف سمك عظم الجمجمة .

٢ـ ظهور نتوء أو ما يسمى « كرة بنج بونج » في رأس الطفل .

٣ـ نزول سوائل من الانف أو الاذن .

أما العلامات التي تحتاج الى جراحة فورية فهي :

١ـ انخفاض مستوى الشعور أو الوعي عند دخول المصاب المستشفى .

٢ـ عدم التناسق في اتساع بؤبؤ العين في كلتا العينين .

٣ـ الاصابة بالشلل النصفي أو فقدان الاحساس بالالم (التنميل) .

٤ـ الاضطراب الكبير في بعض العمليات الحيوية بالجسم مثل تباطؤ النبض مع ارتفاع الضغط .

اللحظات الحرجة . . ؟

ان الرعاية المكثفة هي كل ما يحتاجه المصاب في الرأس ، فهذا المصاب بحاجة مستمرة لقياس نبضه وسرعة تنفسه ومعدل ضغط دمه كل ١٥ دقيقة خلال الأربع ساعات الأولى من دخوله المستشفى ، ثم تقاس هذه المعدلات بعد ذلك كل نصف ساعة ، كما أن درجة الحرارة تقاس كل ساعتين ، وعند اعطاء سوائل يجب أن تعطى في الأطراف العلوية (الذراعين) أفضل من الأطراف السفلية (الساقين) لأن مصاب الرأس يكون غير قادر على الحركة ومن ثم فان فرصة انسداد الأوردة في الاطراف السفلية تزيد ٢٠ مره عن الاطراف العلوية .

واذا كان المصاب يعاني من صدمة فيجب أن يعطى السوائل على الفور ، وعادة يتم حقنه بما يعادل لترا ونصفا من السوائل ، هذا بالاضافة الى كمية متساوية لكمية البول التي يخرجها ، يكون ذلك خلال الايام الاربعة الأولى ثم تزيد هذه الكمية الى لترين ونصف بعد ذلك . . وقد يحتاج المصاب الى التغذية عن طريق انبوب المعدة ويكون ذلك فور عودة أداء الأمعاء لوظيفتها الطبيعية ، وعادة ما يكون ذلك بعد ٤٨ ساعة وتكون التغذية من الانبوب عبارة عن خليط من الديكترون ١٠٪ والماء (٥٠ سم كل ساعة) ثم يضاف اليهما اللبن والمواد البروتينية الخفيفة بعد ذلك .

ويمكن اعطاء المصاب بعض الادوية المناسبة في حالة معاناته .

ان زيادة الضغط داخل الدماغ ـ يعمل على زيادة الارتشاح داخل المخ أو ما يسمى « بالأوديما » وهذه الأوديما تزيد من حجم الضغط الواقع على المخ والمحصور بالفعل بين عظام صلبة هي الجمجمة .

وقد وجد أن حقن اليوريا يؤدي الى انكماش في انسجة المخ كما يعرض المصاب لفقدان كمية كبيرة من الماء تصل الى ٤ لترات لذا يجب تعويض المصاب عن هذا الفقدان للماء والا تعرض لحالة جفاف حادة .

ان هذه الرعاية المكثفة يجب أن تنبهنا في الوقت نفسه الى بعض المضاعفات التي يمكن أن تحدث في أثناء المعالجة ، ومن هذه المضاعفات حدوث السدة الدهنية في المخ التي يمكن أن تحدث خلال ثلاثة الأيام الأولى من الاصابة واذا ما حدثت هذه السدة فان المصاب يعاني من شعور بعدم الراحة والتهيج .

وهناك أيضا الالتهاب الرئوي الذي يعتبر سببا رئيسيا للوفاة في مصاب الرأس ، وهذه الحالة تنتج اذا استمر المصاب مستلقيا على ظهره لفترة طويلة دون تغيير وضعه ، وهنا لا بد أن ينام المصاب على جنبيه بالتوالي ثم بالعودة مرة أخرى للنوم على ظهره ، ذلك بحيث لايتجاوز ما يمضيه نائما على ظهره ثلث الوقت فقط .

اننا عندما نتعامل مع اصابة في الدماغ فاننا نكون مدركين أننا نتعامل مع مايسترو الحياة في الانسان ، ان تعاملنا ـ ولاشك ـ يجب أن يتسم بالحرص والحذر معا . . □

اقوال

□ اذا رغب الناس قراءة كتاب أكثر من مرة فذلك يعني أن الكاتب جيد .

شولوخوف

□ « في طفولتي ، عندما كنت أتفتح على المعرفة ، بفضل لغتي الأم ، بدا لي أن اقحام اللغة الفرنسية شبيه بحضور دركي » .

جيراز شونيه / كاتب من هايتي

□ لايكفي أن تتوفر لديك عناصر نجاح اللعبة ، ولكن يتعين عليك أيضا أن تعرف كيف تلعبها .

هيرمان التيس / السفير الاميركي الأسبق في مصر

□ ان أمن الشام يبدأ من جبال طوروس ، وأمن جبال طوروس يبدأ من ممرات سيناء ، وأمن القاهرة يبدأ من هذه الممرات ، ان القاهرة مفتاح الشام ، والشام مفتاح المنطقة .

العقيد . شريف باشا الفرنساوي

□ « تستطيعون أن تدخلوا حديقتي في أي وقت ، وأن تأخذوا ماشئتم من ثمار المانجو ، ولكن لاتقذفوا الأشجار بالحجارة . »

هيمنجواي / كاتب أميركي

□ اذا أطلقت نيران مسدسك على الماضي ، أطلق المستقبل نيران مدافعه عليك .

رسول حمزاتوف / شاعر داغستاني

□ البلاد كالاشخاص بعضها يروقك من الزيارة الاولى وتنقطع حبال المودة مع البعض الأخر ربما من النظرة الاولى .

حسين فهمي
نقيب الصحفيين المصرين الاسبق

□ الملك حسين يريد استعادة كل ما خسره في حرب الايام الستة مقابل السلام . فأذا كان هذا هو الموقف العربي فلن يكون هناك سلام .

حاييم بارليف

شولوخوف

هيمنجواي

كل العصير ولا شيء سوى العص
الجزر والبندورة، والتفاح، والإجاص، والدراقن والعنب والفريز... كلها تتحول
الى عصير طازج مع عصارة الفاكهة مولينكس الجديدة. لقد لقبناها "توتي فروتي"
لأنها تعطيكم دوما العصير الطازج ولاشي سوى العصير.
"توتي فروتي" تستخلص العصير من كافة أنواع الفاكهة والخضار حتى آخر قطرة.
ان البرهان على ذلك هو درجة نشاف الثفل الذي يقذف إلى وعاء مخصص له.
وإمكانية قذف الثفل تسمح بعصر كمية كبيرة من الفاكهة
والخضار بدون التوقف لتنظيف الجهاز.
ان تصميم "توتي فروتي" العصري والمتماسك
يعتمد على عدد أقل من القطع المتحركة مما
يجعل عملية التنظيف واعادة تركيب الجهاز
في غاية السهولة.
"توتي فروتي" من مولينكس:
كل العصير، ولا شي سوى العصير.
توتي فروتي
مولينكس
مرجع ٧٥٣
مولينكس

قسم خاص

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

هل يدوم الحب بين الزوجين؟

توقعك

هذا

منذ سنوات عندما طرح علماء النفس تفسيرهم للرسوم والخطوط العشوائية التي يخططها المديرون والزعماء والرؤساء في اجتماعاتهم وأثناء اصغائهم لمتحدث أو تفكيرهم في شيء .. صار الجميع شديدي الحرص على تمزيق هذه الورقات ، والآن ماذا سيفعل الناس بعدما يطرحه علماء النفس هذه المرة عن تفسيرهم للامضاء والتوقيع ؟ !

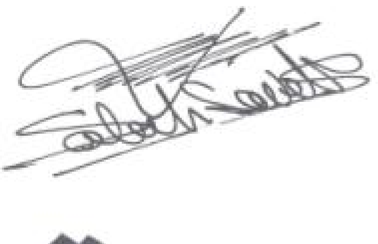

توقيعك ماذا يقول ؟

استرعى انتباهي قبل أيام مضت دقة وأناقة توقيعين ذيل بهما شيك تسلمته مؤخرا من احدى شركات الصرافة . رب سائل ، ولم هذا الاهتمام في تواقيع الشيكات ؟ والجواب ، وأظنه لا يخفى على القارىء الذكي ، ربما يكمن في سر تلك الخصوصية التي يتميز بها امضاء كل أمين صندوق « ومحاسب وكأنه يصرخ فينا » أنا ابن جلا . . . وحذار حذار من التقليد !

والأمر لا يقتصر على تواقيع موظفي المصارف وأصحاب الأموال ، بل يتعداه أحيانا ليشملك في كتاب يبحث في علم الدلالة ، صدر حديثا عن جامعة اكستر ، حاول المؤلف الدكتور فريس ، الأستاذ في الجامعة المذكورة التمييز بين نوعين من المعنى ، دعا الاول بـ (المعنى القاموسي) والمقصود به المعنى المدرج ضمن المعاجم والموسوعات العلمية ، وأطلق على الثاني تسمية (نظير المعنى) Parameaning على غرار مصطلح (شبه عسكري) Paramilitary ويريد به الشيء الذي لا يمكن الاشارة اليه صراحة بعبارة (معنى) رغم كونه شديد الشبه به .

ويبدو أن ما أسماه بـ (Parameaning) أو بالأحرى « المضمون الدقيق » اذا جاز التعبير ، على الرغم من احجام علماء الدلالة الأوروبيين عن استخدام كلمة « مضمون » بهذا المفهوم ، هو عين الشيء الذي يبحث عنه الخبير العدلي في النسخة المنقولة عن المضمون الدقيق المنزوي خلف ذلك الرمز المدون ونقصد به التوقيع .

ومن الطريف جدا أن هناك سيدة انكليزية تدعى المسز هالفن تدير وزوجها في لندن مكتبا للتحليل الخطي ، يتلقى باضطراد طلبات من شركات انجليزية تنظر الى كتابة اليد كدليل يعول عليه في اختيار المرشحين الذين يمكن الوثوق بهم

لأن يعينوا في الوظائف المالية الشاغرة . تقول السيدة هالفن في معرض دفاعها عن هذه الطريقة « ثمة احتمال لتدخل العواطف في تغيير شكل ومسار الخطوط أثناء الكتابة » . بيد أنها تؤكد أن « الملامح الأساسية لشخصية كاتبها تبقى رغم ذلك ثابتة على الدوام » . ويبين جيمس جرين ودبفد لويس مؤلفا كتاب « اللغة الكامنة في خط يدك » . ان توقيع المرء يكشف عن نظرته الى العالم من حوله ، وعن الصورة التي يرغب أن يراه فيها الناس الآخرون ، كما يحمل من ناحية أخرى في طياته العديد من الدلائل التي تشير الى مواطن ضعفه وقوته على السواء . رغم هذا نرى العديد من الناس وبخاصة أولئك الذين يشغلون المناصب المالية يسعون جاهدين أن يخرج توقيعهم بحلة مهيبة تتحدى التزوير ، معبرة عن أهمية المركز الاجتماعي لأصحابها . وعلى الرغم من أن التوقيع عملية مقصودة ، الا أن هذه العملية تكشف أحيانا وبصورة عفوية عن سمات تشير بشكل خفي الى هوية كاتبها . على سبيل المثال وجد الأستاذ (توم ديفز) وهو أستاذ محاضر في قسم اللغة الانكليزية في جامعة برمنجهام ، أن من السهولة التعرف على خط يد الأشخاص الايرلنديين الشماليين بسبب ميل هؤلاء الى كتابة حرف الـ (r) الصغير كحرف الـ (R) الكبير .

من هنا نرى أن الامضاء ليس مجرد عينة خطية ، بسبب حقيقة أن التواقيع هذه تمثل رموزا مادية لصنف متميز في علم النحو والصرف ! فلو سألنا على سبيل المثال الشخص العادي : من أنت ؟ لأجابنا دون تردد بذكر اسمه ويبدو لنا هذا الموقف المتواتر ، طبيعيا الى حد يكون التوقف عنده أمرا استثنائيا ، بيد أننا لو أمعنا النظر في المضامين المنزوية في ثنايا مثل هذه الاجابة الآلية ، لاكتشفنا أن أسماءنا ليست محض (ماركات) أو رقع مميزة، القصد منها فرد المتكلم . انها في الواقع ، نحن دما ولحما .

من ناحية ثانية ، هنالك من يرى أنها ليست سوى عون لنا في أية عملية لانتقاء شخص واحد من مجموعة ما . ولكن ان كان الأمر بهذا اليسر ينبغي اذن ألا يغيب عن بالنا أن من الممكن جدا ـ والحالة هذه ـ الاستعاضة عن أسمائنا بأرقام حسابية هي أكثر كفاءة وفعالية في أداء مهمة التمييز تلك . أضف الى ذلك أن الأسماء تمتاز عن الارقام بكونها أكثر انسانية وتجسيدا لفكرة « الانسان » وبخاصة لو أخذنا بعين الاعتبار مدى ما يحصل من لبس لو أن مجموعة من الاشخاص اشتركت بأحد الأرقام . ومن الجدير بالذكر ان اعطاء السجناء والجنود أحيانا أرقاما بدل أسمائهم بهدف فرض الطاعة العمياء عليهم ، ما هو في الواقع الا فعل متعمد ، القصد من ورائه الغاء شعور هؤلاء الناس بفرديتهم ، وطمس تلك الملامح الانسانية التي تسود عادة بين الأشخاص أنفسهم لو كانوا في مواقف مختلفة . وعلى الرغم من ميل العديد منا ـ نحن العرب ـ مقارنة بالأوروبيين ، الى طمس بعض معالم أسمائهم أثناء توقيعها ، الا أن ما يحدث غالبا هو أننا نبقي فقط على ما نحب فيها وعلى الجزء الذي نحب أن يراه فينا الآخرون . وقد نكون محقين في قولنا ان ما نكشف وما نحجب في امضائنا هو رد فعل لحافز مماثل لما يدفع بعض الممثلين والممثلات وآخرين الى التخلي عن أسمائهم « غير الملائمة » والتي حملوها منذ ولادتهم ، بعدما أدركوا في فترة لاحقة من حياتهم أهمية « الاسم المناسب » الذي يمكن أن يعكس للجمهور صورة طالما تمنوها لأنفسهم .

وفي ضوء المحاولات الجادة لباحثي علم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي لتفسير معظم الظواهر اللغوية المتعلقة بمغزى العديد من الرموز والتعابير المكتوبة ، تبرز أهمية تناول التوقيع كوسيلة من وسائل الانسان المتمدن ، لتأكيد حاجته الى ترجمة جزء من ذلك الجانب المنزوي بعناد خلف اسمه الشخصي وكموضوع يستحق التأمل والتحليل .

ضياء القاروني

كولا جولوس (٢،٥ سنة) يتعلم السباحة باشراف والده سيرجي جولوس ، مدرب السباحة تحت الماء .

الإنسان حيوان مائي !!

اعداد : موفق الدايمي*

النسبة الأعظم من مكونات الجسم الانسانى من الماء وبدايات تكوين الانسان فى رحم امه تتم فى وسط مائى . . وفى ضوء هاتين الحقيقتين حاول العلماء فى الاتحاد السوفيتى أن يجروا تجربة ان يعيش الطفل تحت الماء فماذا كانت النتيجة ؟

* باحث ومترجم من القطر العراقي يعمل في وكالة انباء نوفوستي في الاتحاد السوفيتي .

كولا (٢٫٥ سنة) ونادیا جولوس (١٠ أشهر) مع والدهما أثناء التدريب .

ثمة رأي يقول ان الانسان ـ في الأصل ـ حيوان مائي ، ومهما يكن من أمر هذا القول ، فان الثابت علميا ، الآن ، ان الوسط المائي شديد الشبه بالوسط الذي يحيط بالجنين قبل الولادة ، وربما كانت هذه الفكرة هي أساس التجارب الجارية ، حاليا ، في الاتحاد السوفيتي لتنشئة الصغار في أحواض مائية ، فمنذ الولادة التي تتم ـ بالمناسبة ـ تحت الماء ، شأنها شأن الرضاعة التي تجري هي الاخرى تحت الماء ، نشأ هؤلاء الصغار في الأحواض المائية ، ويؤكد العلماء أن [illegible] "مة ، بل مبهرة فيما يتعلق بسرعة نمو الطفل .

* الطفل كولا يجيد السباحة بعُدَّة رجال الضفادع ، والغوص الى عمق يصل ٦ أمتار ، والقفز الى الماء من برج بارتفاع ٥ أمتار ، كل هذا وهو لم يتجاوز بعد الثلاثين شهرا من العمر .

ليس هذا ضربا من الخيال ، ففي الاتحاد السوفيتي تعكف العديد من الأسر على تعليم أبنائها السباحة قبل أن يتعلموا المشي ! ومن بين هذه الأسر الأبوان جولوس .

بدأ كولا يزاول السباحة منذ الأسبوع الثالث من العمر ، أما شقيقته ناديا باشرت بمزاولتها قبل هذه السن ، وفي الشهر الخامس كان الصغيران يقضيان بمفردهما عشرات الدقائق سباحة في البانيو . وعندما بلغت ناديا شهرها الثامن عشر قطعت في حوض السباحة مسافة ١,٥ كيلو متر دون توقف .

* رحبت عائلة جولوس على الفور باقتراح تصوير الفيلم التسجيلي في الطريق الى المحيط ، واقتضى ذلك نقل الصغير كولا (٦ سنوات) وشقيقته ناديا (٤ سنوات) من موسكو الى بحر اليابان ، حيث جرى تصوير الفيلم .. كان تحمل الصغيرين لأعباء

هذه الرحلة الطويلة المضنية وتأقلمها السريع قائلا : فبعد مرور يوم واحد فقط غاص هذان (الضفدعان البشريان) الى أعماق بحر اليابان ، فتفتحت أمامهما مملكة نبتون السحرية المدهشة ، التي كانا يسمعان بها في الحكايات : على الصخور المغطاة بالأعشاب المائية ، والملفوف البحري ، تستكين قنافذ البحر وتزحف نجومه بمختلف ألوانها الزاهية ، وأمامهما تمرق أسراب من الأسماك الفضية الصغيرة ، وفي الرمل ترقد متوارية أسماك موسى المفلطحة ، وهناك التقى الصغيران كولا وناديا ببطل فيلم الكارتون الذي يعرفانه : الاخطبوط ، الذي تحول لونه البني - الرمادي الى ارجواني ، حالما همّ كولا بلمسه .

هذا ما قصه الصغيران على ذويهما ، وعلى مخرج الفيلم عندما عادا الى السطح ، بعد أن بادرهم كولا بنبرة حزينة : للأسف فقد نفذ هواء البالون .

قضت عائلة جولوس على ساحل بحر اليابان شهرا كاملا ، وبعد انتهاء تصوير الفيلم (الذي استغرق عشرة أيام) رفض الصغيران العودة قبل أن يصادقا الدلافين . فما كان من الأب الا أن يصنع لصغيره « زعنفة قدم » شبيهة بذنب الدلفين ، ولم يجد كولا صعوبة في تعلم السباحة تحت الماء ، على غرار صديقه الجديد الدلفين غراي . وفي وقت لاحق أطلق على هذا الاسلوب في السباحة اسم « سباحة الدلفين » .

أما الدلافين فقد استقبلتهما بترحاب واضح أخذت هذه الحيوانات البحرية التي يكثر الحديث اليوم عن مؤهلاتها الذهنية ، تدور حول الصغيرين باغتباط ، وتدعوهما الى اللعب بأصوات تشبه النقر تارة والتغريد تارة أخرى .

وعندما سئل كولا : ماذا يعجبه في الدلفين ؟ قال : انه ناعم . لم يكن الصغير يقصد ملمس جلد الدلفين فحسب ، انما يقصد أيضا أنه مسالم ومؤدب ورقيق الطبع . يهوى الأبوان جولوس السباحة وركوب الخيل ، ويندر أن يمرضا ، لذا فهما يؤكدان أن السباحة تربي لدى الصغار الاعتماد على النفس ، مثلما تنمي لديهما ملكة التفكير ، بيد أن المهم باعتقاد الأبوين جولوس ، هو أن السباحة تطور طاقات الجسم ومرونته واتساق حركاته ، كما تعتبر خير وسيلة لتفادي الاصابات البدنية لدى الاطفال .

يبقى أن نقول ان الصغيرين كولا وناديا يهويان أيضا الحمام الفنلندي (الساونا) فبعد المكوث عشر دقائق في الحمام الجاف الذي تصل الحرارة فيه الى ١٥٠ درجة مئوية ينطلقان الى العراء الشتوي الزمهريري ليدلكا جسميهما بالثلج □

السؤدد

روى أنه لما احتضر ذو الاصبع العدواني دعا ابنه اسيدا فقال : يابني ان اباك قد فنى وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وانا موصيك بما إنْ حفظته بلغت فى قومك ما بلغته : ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، واعز جارك ، واعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك واسرع النهضة فى الصريخ ، فان لك اجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة احد شيئا فبذلك يتم سؤددك .

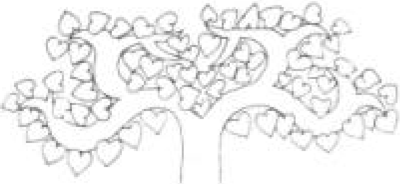

هل يدوم الحب بين الزوجين؟

بقلم : راجي عنايت

« يموت الحب بعد الزواج ولا تبقى الا المودة والاولاد .. بمجرد الزواج ينتهي الحب وتستمر الحياة بقوة الدفع .. وبكلمات قصيرة مفادها ببساطة أن الناس لا تعرف كيف تحتفظ بحرارة مشاعرها قبل وبعد الزواج » .

ما الذي يجب علينا أن نفعله حتى يبقى الحب ويتواصل ؟ .. ما الذي يجعل علاقة الحب بين الزوجين قائمة ومستمرة ؟ .. هل هناك وصفة خاصة تحقق لنا هذا اذا ما التزمنا بها ؟ .. كيف يمكننا أن نقيم التوازن المطلوب بين الاحساس بالأمان والابقاء على احساس الاثارة والجدة ؟ .. كيف نطرد السأم من العلاقة الزوجية ؟

يقول الكاتب النفسي الاجتماعي المعروف أريك فروم ، حول صعوبة استمرار علاقة الحب بين الزوجين « من الصعب أن تجد نشاطاً أو مشروعاً ، يبدأ بطوفان من الآمال الكبيرة والتوقعات المبشرة ، ثم ينتهي آخر الأمر بخيبة الأمل مثلما تجد دائماً في

الحب بين شخصين » .

المشكلة دائمة ، الحب يدعو الطرفين الى التقارب ، والتقارب إما أن يكشف التناقض أو يقود الى السأم .. ويورد الكاتب فاسيليكوس في ثلاثيته النبات والبشر والملوك » هذه الصورة الخيالية اللطيفة حول هذه المشكلة .

ذات يوم ، كانت هناك سمكة صغيرة .. لكنها كانت سمكة غريبة ، من أسفلها حتى وسطها سمكة ، ومن وسطها حتى رأسها طائر .. وقد وقعت في غرام طائر صغير ، كان هو أيضاً من وسطه حتى رأسه على صورة السمكة . كانت السمكة الطائر تقول للطائر السمكة « لماذا خلقنا هكذا ، بحيث يستحيل علينا العيش معاً ؟ ! .. أنت فوق الريح ، وأنا وسط الأمواج .. أي حظ تعس ؟ ! أجاب الطائر السمكة « بل هذا هو حظنا السعيد ... فبهذه الطريقة سيظل الحب بيننا قائماً لأننا سنبقى دائماً على انفصال ! » .

الزواج كالأرجوحـــــة

لقد قام الباحث النفسي الاجتماعي مارتن روزنمان بتقديم نصائح سبع للمتزوجين تساعدهم على الاحتفاظ بالحب في علاقتهم الزوجية ، حيا متوقداً .. وقبل أن نقدم هذه النصائح الذهبية دعنا نستعرض بعض الحالات التي خضعت للدراسة والتي يمكن أن نتفهم من خلالها بعض أسرار الحياة الزوجية السعيدة .

مضى على زواجنا ستة أعوام ، وكان زواجاً سعيداً ، لا أنكر أننا صادفنا بعض المشاكل والحساسيات من وقت لآخر ، الا أنه عندما كنا نتعاون على حلها كانت تتناقص ويتباعد حدوثها . ونحن اليوم نحمل لبعضنا قدراً عظيماً من الحب والاحترام ، كما أننا توصلنا الى قدر من الفهم والادراك ، يسمح لنا بمناقشة الأمور وتبادل المساعدة . فالقدرة على التفاهم والاتصال هي بلا شك مفتاح السعادة .

« لقد كانت حياتنا الزوجية أشبه بركوب الارجوحة ، لها قمتها العليا وحضيضها الأسفل .. بل إن أحدنا كان يسقط في بعض الأحيان من فوق الارجوحة ويتألم من أثر السقطة .. لكننا كنا نجد متعة في الصعود مرة ثانية الى الارجوحة ... » .

فضيلة الاستماع الى الزوجة

وتقول زوجة أخرى :

« أشعر بأنني أعيش حياة زوجية سعيدة ، فقد حظيت برجل يشاركني النجاح والفشل .. رجل أكون معه على سجيتي ، حتى وأنا في أسوأ حالاتي . إني أعتبره في واقع الأمر أفضل أصدقائي . وخلافاتنا الزوجية ، وقد مررت بالكثير منها خلال سنوات زواجنا العشر أجدني بعد كل خلاف منها أكثر حباً له ... » .

ومن ناحية أخرى يقول أحد الأزواج :

« أنا زوج سعيد ، مضت على زواجي عشر سنوات ، وكنت أحرص خلال هذه السنوات على القيام بشيء لا يقوم به الكثير من الرجال .. أعني بذلك الاستماع الى زوجتي . ولا أقصد بذلك الاستماع الى دردشتها ، بل الانتباه الى أقوالها التي تتيح لي أن أفهم مشاعرها ، وأعرف ما الذي يخلق لديها هذه المشاعر .. والا كيف لي أن أحبها حباً حقيقياً دون أن أعرفها ؟ .

الزواج .. شركـــــة

وتسرد إحدى الزوجات فلسفة حياتها الزوجية كما يلي :

« لعل أهم ما نجحنا في تحقيقه أنا وزوجي ، هو إحساسنا بالالتزام والارتباط والمسئولية تجاه بعضنا البعض ، وتجاه اسرتنا الصغيرة . زواجنا ينجح ، لأننا نعمل على نجاحه . نحن نرى من حولنا زيجات فاشلة تتهاوى . أما السر في نجاحنا أنا وزوجي ، فيتلخص في أمرين : الأول هو فهمنا أن الزواج شركة

وزمالة ، وأي شركة تحتاج الى جهد لكي تستمر . الزواج شركة لها رئيسان عليهما أن يكونا على استعداد للتضحية والتنازل الى الحد الذي يتيح للشركة أن تستمر وتنجح . لا يمكن لأحد الطرفين أو الشريكين أن يحصل على ما يريد كاملاً وطوال الوقت ، ولذا فعلى الطرفين أن يعرفا مسبقاً أنهما سيفقدان جانباً من حريتهما الشخصية أما الأمر الثاني فهو حرصنا على أن نتحدث الى بعضنا حول كل شيء . . شيئاً قرأته ، أو شيئاً رآه ، فكرة جديدة ، ذكرى قديمة . لا يهم موضوع الحديث ، الذي يهمنا هو أن يستمر التلامس الفكري والعقلي بيننا . . » .

احتياجات الطرف الآخــر

وأخيراً يتحدث زوج قديم عن تجربته فيقول :
« في العام القادم سنحتفل بعيد زواجنا الخامس

والعشرين . وعلى مدى هذه السنوات الطويلة ، لم تخطر على فكر أحد منا مسألة الانفصال . والحب الذي بيننا جعل كلاً منا يفكر في احتياجات الآخر أولاً ، بعكس ما يفعله معظم الناس عندما ينحصر تفكيرهم فيما يجعل كل واحد منهم سعيداً .

« فما هي مصادر سعادتنا وأسرار قوة ارتباطنا ؟ .. الأذن المنصتة عندما تسوء الأحوال في العمل مثلاً .. روح المشاغبة اللطيفة ، عندما تظهر الحاجة الى الدعابة .. المشاركة في تهيئة الظروف لتنشئة الأطفال .. مشاركتنا لمن يحيطون بنا في حياتهم وفلسفاتهم . والارتباط بين الزوجين لا يعني أبداً أن يلتصق الواحد بالآخر حتى يكتم أنفاسه ، بل هو نوع من الالتزام نحو الطرف الآخر . ونحن أدرى الناس بنواقصنا ، لكننا نعمل معاً على تغليب العناصر الايجابية في كل منا ويبذل الجهد لانجاح هذه العلاقة التي تسمى « الزواج » ...

الحب والــــزواج

في مقابل ما يلصقه البعض من نواقص بنظام الزواج عامة . يطرح الكاتب روزنمان ظاهرة ، تشيع في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وهي ظاهرة المعاشرة والمعايشة الدائمة بدون زواج . وهو يقول إنه من واقع دراسته لهذه الظاهرة ، قد اكتشف صعوبة إقامة علاقة حب دائمة بدون زواج .

وهو يقول إن العدد المتزايد من الفتيات والفتيان الذين يرتبطون بحياة مشتركة كالزواج ودون زواج تكون علاقاتهم عارضة ولا تدوم .

وفي بحث للعالمة البانور ماكلين حول « المعاشرة بدون زواج في الولايات المتحدة الأمريكية » تقول إن ظروف حياة الذين يتعاشرون ويعيشون في بيت واحد بدون زواج ، تشبه في كثير من الوجوه ظروف حياة نظرائهم الذين لا يعيشون في نفس المكان . وان نسبة صغيرة جداً من اولئك الذين يعيشون في بيت واحد ، يفضلون أن تستمر حياتهم بلا زواج . وهي تعلل ذلك بأن المزايا الاجتماعية والاقتصادية والشرعية للزواج ما زالت قوية ومقنعة ، ورغم شيوع موجة الهجوم على الزواج ، الا أن الباحثة البانور ماكلين تؤكد أنه اذا لم تكن البشرية قد عرفت بعد فكرة الزواج ثم اقترحها الآن ولأول مرة أحد علماء الاجتماع مثلاً ، فان إقتراحه هذا سيحظى بالتقدير ويوصف بالذكاء . ذلك لأن فكرة الزواج تكون حافلة باحتمالات العطاء الهائلة ، باعتباره وسيلة خلاقة للمشاركة في الحياة رغم ما ينشأ من مشاكل على مدى الحياة الزوجية .

الأمــــان والاثـــــارة

ومن بين المشاكل التي تقف في طريق استمرار الحب ، عدم القدرة على حفظ التوازن بين الأمان من ناحية والاثارة من ناحية اخرى . فالانسان يبحث عن شريك حياته الذي يفهمه ويعتمد عليه ويسهل توقع ردود فعله ، لكنه في نفس الوقت يريد الاثارة ويسعى الى الجدة . والشائع في الزواج حالياً هو حرص الشريك في العلاقة الزوجية على تحقيق الكثير من الأمان على حساب الاثارة وذلك السأم الذي يعاني منه عدد من المتزوجين ، ترمز اليه صورة ساخرة لزوجين من الطبقة المتوسطة ، يجلسان في أحد المطاعم ، يتناولان طعامهما في صمت مطبق ، لا يتبادلان كلمة واحدة .

لكن ذلك السأم لا يقتصر على المتزوجين ، فقد أجريت دراسة على ١٠٣ حالة انفصل فيها المتحابان قبل الزواج . وظهر من الدراسة أن أحد الأسباب الرئيسية لانهاء العلاقة هو الاحساس المشترك بالسأم من العلاقة ، سواء من جانب الرجل أو المرأة . التشويع هو أمضى أسلحة القضاء على السأم . والمشكلة هي أن الحب غالباً ما يؤخذ كقضية مسلم بها ، أو كحقيقة قامت وما تزال قائمة لا تحتاج الى جهد من الطرفين ، وواقع الأمر أن الحب قابل للنمو بصفة دائمة ، اذا ما أولاه الطرفان قدراً من الوقت والجهد والعناية ، على الأقل نفس الجهد الذي يبذله الطرفان في رعاية النباتات المنزلية الخاصة بهما . كما أن

الابتكار والتلقائية والخيال والمرونة يمكنها أن توفر فرصاً جديدة يكتشف فيها كل طرف آفاقاً جديدة في الطرف الآخر .

والخطأ الذي يرتكبه كل من طرفي العلاقة الزوجية هو تصورهما أنهما قد اكتشفا كل ما هو موجود في الطرف الآخر . وأساس الخطأ هو تصور أن الطرف الآخر يبقى على حاله على مدى السنوات لا يتغير فيه شيء .

العناصـــر السبعـــة

ومن واقع الدراسات التي قام بها علماء النفس والاجتماع ، يمكننا القول بأن هناك سبعة عناصر تساعد على بقاء الحب بين الزوجين . لكن من المهم أن نؤكد بداية أن علاقة الحب قد تبقى في غيبة عنصر أو عنصرين من هذه العناصر السبعة ، وبشكل عام كلما تحقق قدر أكبر من العناصر التالية ، كانت فرصة الوصول الى علاقة أفضل أكثر احتمالاً . . أما العناصر السبعة فهي :

١ ـ احترام وقبول الانسان لذاته

يقول أحد الأزواج « لم يكن الزواج بالنسبة لكلينا نتيجة إحساس أي منا بالسأم أو الخوف أو الوحدة في حياته السابقة على الزواج . لقد كان كل واحد منا يستمتع بحياته قبل الزواج . لكنا قررنا أن نبني معاً حياة أكثر ثراء . فالكثير من العلاقات الزوجية تصاب بالفشل ، لأن أحد الطرفين لا يحب نفسه ولا يحترمها أو يرضى عنها ، ومن ثم يصبح غير قادر على حب الآخرين . .

كلما زاد قبولك لنفسك ، ورضاك عنها ، تضاعفت قدرتك على فهم وقبول الطرف الآخر . والرضا عن الذات لدى كل من الطرفين يساعد على تطور العلاقة بينهما .

(٢) التفاهم والاتصال الجيد

التفاهم الجيد والقدرة على تبادل الأفكار والاتصال الجيد ، هذه الأشياء مفتاح هام لانجاح العلاقة بين الزوجين ، ولاستمرارها طويلاً .

(٣) القدرة على مواجهة الخلافات بشكل فعال

الذين يسعون الى علاقات متآلفة دائمة ، عليهم أن يتصدوا لما يعترض علاقاتهم من أزمات ومشاكل وخلافات ، لا أن يهربوا منها أو يغمضوا عيونهم عنها ، عليهم أن يقتحموا المشاكل بصدق وإخلاص ، لا أن يدوروا حولها .

(٤) الآمـــال الواقعيـــة

المجتمع الذي يعيش فيه الانسان ووسائل الاعلام والأعمال الفنية ، تلح علينا بالآمال الرومانتيكية الحالمة ، وتبشر بأسطورة الحب الكبير الذي يكتسح أمامه كافة العقبات ، ويحل جميع المشاكل . وحقيقة الأمر أن أفضل علاقات التآلف والحب يعجز فيها الطرفان عن تحقيق الكثير من آمالهما والوصول الى توقعاتهما بشكل كامل .

(٥) الالتـــــزام

المحبان المتآلفان اللذان يلتزمان بالعمل معاً للحفاظ على علاقاتهما بكل ما يطرأ عليها من تغير ، وكل ما تحققه من تطور ، تكون لديهما أفضل الفرص للاحتفاظ بحبهما طويلاً ، ولتحقيق النمو المطرد للذات بالنسبة لكل منهما . ففي كل علاقة حب وتآلف تمر الأوقات الصعبة . وعندما ينجح الطرفان في مواجهة الأزمات فإنهما في نفس الوقت يدعمان إحساسهما بالالتزام والمشاركة والأمان .

(٦) الأماني والاهتمامات المشتركة

عندما تتوفر الاهتمامات المشتركة بين الطرفين تتزايد فرص إجراء الحوار والاستمتاع المتبادل . عندما يصل الطرفان الى مستوى الاشتراك في أحلام واحدة ويعملان معاً على تحقيقها ، فان المشاكل اليومية والأزمات الكبيرة لا يمكن أن تقف في وجه حبهما .

(٧) تقدير الطرف الآخر

تقول إحدى الزوجات « اذا ما اعارتك صديقة طبقاً من الصيني الثمين فانك تهتمين به خير اهتمام . تغسلينه بيديك وترفعين عنه التراب كل قليل بحيث يبدو لامعاً زاهي النقوش على الدوام . وعندما تستعملينه يتم ذلك بحرص شديد . . ولكن بمجرد أن تقول لك الصديقة : أرى اعجابك بهذا الطبق واهتمامك به . . ولهذا فقد قررت أن أهبه لك كهدية . بمجرد أن يصبح الطبق ضمن ممتلكاتك ، يظهر على الفور اهمالك له . عند غسله تضعينه في آلة غسل الأطباق واذا ما أصابه شرخ لا يظهر عليك الانزعاج . . نفس الشيء يحدث بالنسبة للمحبين ، بمجرد أن تدرك الواحدة أنها قد حصلت على رجلها بشكل كلي ، تعمد الى اهماله . . . » .

ورغم أن التقدير المتبادل بين الطرفين ، قد يبدو من الأمور البسيطة السهلة ، لكن واقع الأمر يقول : إن من مصادر الشكوى المتكررة بين الزوجين ، هو أخذ أحد الطرفين للطرف الآخر كقضية مسلم بها ، واعتبار وجوده واستمرار العلاقة أمراً مضموناً . في العلاقات الجيدة ، يبذل الطرفان المتآلفان جهداً لتقييم وتقدير بعضهما البعض ، وهما يتبادلان التعبير عن هذه المشاعر بشكل بسيط . □

كان برناردشو معجبا طوال حياته بشخصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام فكان يرى فى حياته ورسالته تجسيدا للبطولة كما يفهمها ، وقد اراد شو أن يكتب مسرحية تتناول حياة الرسول الا ان السلطات البريطانية منعته لان ذلك سيثير رعاياها المسلمين،لأن الدين الاسلامى يحرم تمثيل شخصية الرسول على المسرح ومع ذلك فقد نطق شو فى مسرحياته بكثير من التعليقات التى تشير الى حياة النبى الكريم فالشيخ فى مسرحية (العودة الى متوشالح) يقول عن النبى (إنه عميق الحكمة . . .) كما ان فى مسرحية (القديسة جان دارك) الكثير من الاشارات الى النبى محمد . وفى قول مأثور له يقول عن النبى محمد : اما انا فأرى واجبا ان يدعى محمد « منقذ الانسانية » ، واعتقد أن رجلا مثله لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته وأحل فيه السعادة والسلام .

طبيب الأسرة

عزيزتي الام .. تذوقي دواء ابنك :

السُّكروتسوُّسُ أسنَانِ الأطفال

« لم تعد نحن المسئولين فقط ، فلم تعد قطع الحلوى التي نكافىء بها أطفالنا هي السبب في تسوس أسنانهم بل صار ـ وياللعجب ـ من بعض الدواء الداء ! »

الدكتور عدنان الظاهر ينبهك عزيزتي الأم الى سبب جديد من أسباب تسوس الاسنان . يدخل السكر تقريبا في تركيب ادوية الأطفال السائلة ، حيث يكون الفم السبيل الطبيعي لتناولها ، سواء أكانت مشروبا للقضاء على سعال الطفل ، أم مضادا حيويا قويا . والسبب مفهوم ومعروف يقوم على اغراء الطفل بتقبل الدواء ، وهو غالبا مايكون غير سائغ . ولقد وجد أنه رغم أن معاجين الاسنان الحاوية على الفلور ووسائل التحلية الصناعية قد اختزلت فعلا من وتائر الاصابة بمرض تسوس الاسنان لدى الاطفال،الا ان الادوية المحلاة لم تزل تسبب بعض حالات التسوس ولاسيما بين الاطفال دائمي الاعتلال ، اما أطباء الاسنان المختصون المعنيون بهذا الامر فان غالبيتهم الان ترى ضرورة منع انتاج مثل هذه الادوية بشكل قطعي ، والتوقف عن تعريض اسنان الاطفال للدمار ، وخصوصا أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والرابعة . يقول رئيس الاطباء في مستشفى مدينة تورنتو الكندية : إن الادوية التي تعطى للكبار عادة بشكل كبسولات هي نفسها التي تعطى للصغار مذابة في سوائل حلوة ـ غير أن هذا الطبيب يسارع للقول انه ليس أمام الطبيب من خيار آخر مادامت معظم الادوية المتوفرة اليوم لاتخلو من السكر ، وعليه فان اصلاح السن المعطوبة يتطلب في اغلب الاحوال عملا مرتفع الثمن حتى بالنسبة لاطفال هم في سن الثانية فقط .

يضع أطباء الاسنان اللوم على أدوية الاطفال التي

تدخل في تركيبها نسبة عالية من السكر ، ويعتقد خبراء طب الاسنان الوقائي أن محلولا من السكر ضعيف التركيز لايؤثر على الاسنان بشكل كامل . وعليه فان مثل هذا المحلول ليس بالضرورة قادرا على تكوين المناخ اللازم لعملية التسوس ، ثم ان استعمال مواد التحلية الصناعية البديلة للسكر يمكن أن يكون الحل الافضل ، رغم ان شركات الادوية مازالت تتجنب استخدام مثل هذه المواد بسبب غلاء ثمنها بالمقارنة مع السكر .

هناك مادتان معروفتان اليوم للتحلية الصناعية : اسبرتام وزابليتول

ويمكن استعمال أي منها لجعل الدواء مقبول الطعم مع المحافظة على الاسنان دونما أي تسوس . فلقد بينت تجارب اجريت في كل من فنلندا والولايات المتحدة الامريكية أن الزابليتول قد قضى على البكتريا المسببة للحموضة . ولكن رغم ذلك فان الزابليتول لم يستعمل الا في كندا كمادة محلية تدخل في تركيب اللبان بدل السكر .

فمادامت الأدوية المتداولة اليوم هي سكرية الطعم فان أطباء الاسنان ينصحون أن يغسل الطفل أسنانه بالفرشاة ومعجون الاسنان قبل وبعد تناوله مثل هذه الادوية . □

☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

الحاسة السادسة

● أسمع عن الحاسة السادسة ولا أتبين حقيقتها ، فأرجو افادتي عنها ، ولكم وافر الشكر .

ج . ع . ق

طرابلس الغرب

- يعزى تحديد الحواس عند الانسان بخمس حواس الى الفيلسوف اليوناني القديم أرسطو ، الذي وزع أحاسيس الانسان على الشم والذوق والبصر والسمع واللمس .

ومنذ عهد أرسطو سار الناس على نفس النهج ، دون جدال أو مناقشة ، واعتبروا الأمر مسلما به ، غير أن بعض المجتهدين الذين أرادوا أن يجدوا تفسيرا لشعور الانسان المبهم ، وتوقعه لحدوث أمر ما ربما يصدق معه الحدس والتخمين ، فاطلقوا اسم الحاسة السادسة على اعتبار أن الشعور بالغيبيات ، وتوقع أمر ربما يحدث هو شكل من أشكال الأحاسيس ، وما هو الا توقع مبهم ، يعتمد على أمور عدة ، منها الشك ، ومنها التجربة السابقة والتخمين ، ورصد الاحتمالات المتوقعة التي لا علاقة لها بموقع محدد من الجهاز العصبي ، كما هو شأن الحواس الخمس الأخرى .

غير أن أمر الحاسة السادسة ، الذي وجد هوى عند المؤمنين بالغيبيات ، لا يجد قبولا عند جمهور الأطباء ، الذين رفضوا أيضا مبدأ تحديد الحواس بخمس فقط ، فقد اكتشفوا أن حواس الانسان أكثر من أن تحصر .

ولو كان لنا أن نعد ما عرف من حواس لدى الانسان فاننا قد نتجاوز الثلاثين عدا ، اذ سنعتبر العطش احساسا ، والجوع أيضا احساسا كما أن الألم احساس .

هذا الى أن قصر احساسات الجلد على اللمس

يعتبر رأيا خاطئا ، بعدما وجد العلماء نهايات أعصاب متعددة مختلفة ، منها ما هو خاص باحساس الحرارة ، ومنها احساس البرودة ، أو احساس الضغط ، بالاضافة الى احساس الألم واحساس اللمس .

ومن هنا نجد أن الحاسة السادسة لا مكان لها في العرف الطبي الذي لا يرقم الأحاسيس .

الدهون المشبعة

● **تنصحني الطبيب بتفادي الدهون الحيوانية واستعمال الزيوت النباتية ، خوفا من تصلب الشرايين ، لأن الدهن الحيواني دهن مشبع بالكوليسترول فهل هذا صحيح ، و أي الدهون تكون خالية من الكوليسترول ؟ .**

سالم . أ . و

الكويت

ـ من المعروف أن الدهون بصفة عامة هي تركيب معقد أساسه شقان :

الشق الأول : جزيء الجلسرين

الشق الثاني : الأحماض الدهنية

والأحماض الدهنية متعددة ، وكل منها له تركيب معقد متميز عن الآخر ، فاذا اجتمع بعض منها ـ وعادة ما يكون ثلاثة أحماض مع جزيء الجلسرين ـ نتج نوع من الدهون التي منها الزبد مثلا ، أو زيت الزيتون ، أو زيت الذرة . والأحماض الدهنية المعقدة التركيب يدخل فيها عنصر الهديروجين بدرجة أو بأخرى ، فاذا ما كانت ذرات الهيدروجين مرتبطة بمواضعها بنسبة كبيرة ، قد تصل الى مستوى التشبع ، أطلق عليها العلماء لقب المشبعة وصار الدهن الذي دخلت في تركيبه هذه الأحماض مشبعا .

أما العكس فيحدث عندما تقل نسبة ذرات الهيدروجين في تركيب الأحماض الدهنية المكونة للدهن .

وقد لوحظ أن الدهون ذات المصدر الحيواني تكون من النوع المشبع ، وعلى نقيضها تكون الدهون النباتية .

وقد اتخذت الدهون المشبعة ونقيضها الدهون غير المشبعة صفات ملحوظة متفقا عليها ، منها : أن الدهون المشبعة ذات المصدر الحيواني تكون جامدة القوام ، في درجة حرارة الغرفة العادية ، كما أنها غنية بمحتواها من مادة الكوليسترول المتهمة في قضية تصلب الشرايين ، حيث تترسب عندما تزيد بين طبقات جدران الشرايين ، وتؤدي بمرور الأيام الى تصلبها ، وتنتهي الى نوبات القلب وارتفاع ضغط الدم ، أو مضاعفات اصابات المخ وما اليه .

أما الدهن النباتي غير المشبع عادة فانه يكون سائلا في درجة حرارة الغرفة العادية ، و أقل احتواء لمادة الكوليسترول ، لهذا فهو مرغوب به صحيا ، للوقاية والعلاج من المشاكل المشار اليها . غير أن الدهن حيواني المصدر أطيب نكهة لدى الناس وأشهى مذاق في الطعام ، ومن هنا لجأ العلماء الى حيلة توفق بين هذا وذاك ، عن طريق اضافة الهيدروجين الى الزيوت النباتية ، لتكتسب صفة الدهون الحيوانية ، مع ضمان نسبة من الكوليسترول أقل من نسبته في الدهن الحيواني الطبيعي .

ومن هنا أصبح الدهن الصناعي دهنا مشبعا ، ولكن من مصدر نباتي .

هو ....
الفندُق

بعد عام واحد فقط من الزواج ، بدأ يفر من البيت ، ولم يكن هذا الفرارمفاجئا ولامباشرا ، ولكنه بدأ بالتدريج .. حتى اصبح البيت بالنسبة له اشبه بفندق ، يعود من العمل ، يتناول الغداء .. ينام ، يستيقظ ، يغادر البيت ، يعود ليلا فينام .. ليبدأ دورة يوم جديد ..

حاولت كثيرا أن اوقف حالة الهروب في بدايتها لكن كنت كمن يحاول أن يحتفظ بالماء بين أصابعه ، بدأت حالته بعد ستة شهور من الزواج ، ذات يوم وجدته قد ارتدى ملابسه واخبرني انه ذاهب لموعد مع بعض اصدقائه .. ظننت يومها انها نزوة لن تتكرر ، بعد اسبوع عاد وخرج .. بعد اربعة ايام ، بعد يومين .. ثم كل يوم .. خلال هذه الفترة حاولت كثيرا بالنقاش ان أصل الى تحديد المكان الذي يذهب اليه ، ومن يقابل .. ، و .. و .. وتحول النقاش في كل مرة الى شجار ، قلت له انني اقلق عليه لتأخره في

الخارج ، سمعت كلاما عن انه ليس طفلا .. ووعد بأنه قبل أن يغادر البيت سيقول لي متى يعود .. اقترحت عليه أن يلتقي مع أصدقائه في البيت عندنا ، نظر الى بريبة وشك وصمت .. في نهاية الاسبوع فوجئت بستة رجال يحتلون مقاعد الصالون ويحتسون عددا لااذكره من أكواب الشاي والقهوة .. ويلتهمون كمية كبيرة من طعام العشاء .. واصواتهم تصل الى غرفة النوم فيملأونها بالضجيج والضحكات والصخب والكلام الجاد والنكات،والالفاظ التي تخدش الحياء تصل كالهمس .. مهما حاولوا ان يخفضوا من نبرات اصواتهم ، صباح اليوم التالي وانا واقفة اغسل الاطباق والاكواب لعنت الفكرة والمحاولة .. ونحن نتناول الافطار قلت له بهدوء .. ارجو الايتكرر ماحدث في ليلة أمس .. وقابلهم في اي مكان تشاء .. وانتهت مناقشاتنا ومات اى تفكير لي بأن احاول ايقاف هروبه .. واعترف أن مشاعره تجاهي كما هي .. ورعايته لي لاتنقص، ولم أطلب شيئا وتقاعس عن تحقيقه ، ولم أسأله يوما ان نخرج وحدنا لنزهة او زيارة وتردد ، وصارت الاوقات التي يقضيها في البيت ـ على قلتها ـ يحاول ان يكون فيها رقيقا ودودا .. متساهلا .. ولكنه يهرب ، يفر من البيت .. اشكو الوحدة ساعات طويلة ، ابحث عن نقاشاتنا ومشاجراتنا وصفائنا .. افتقد الانسان ، التواجد ، الحوار .. المشاركة في الدقائق والساعات .. في الزمان والمكان ، ولكنني لأاجده .

هي

هيَ ....

خوفُ الملل

لا اذكر تماما من الذي قال إن كل الأشياء تحمل في داخلهابذور موتها وفنائها .. وكم هي صحيحة هذه المقولة .. على الاقل بالنسبة لي .. تتهمني دائما بانني لاافهم الحياة الزوجية ، وانني أحلت البيت الى فندق للطعام والنوم .. وانه مطلوب مني أن أتواجد في البيت .. اتكلم معها اتناقش .. حتى أتشاجر ، تصوروا تشتاق للمشاجرة .

لم أستطع أن أشرح لها وجهة نظري كاملة خشية أن اجرح مشاعرها .. ولكنني أتصور انني على صواب ، فماذا يفعل بنا الالتصاق الشديد

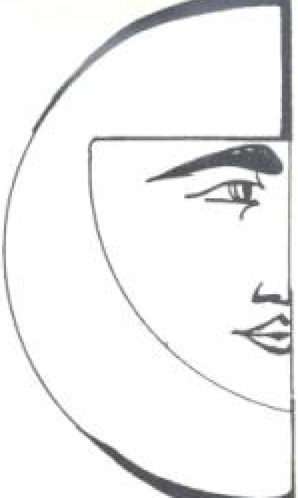

بمن نحب ؟ والى ماذا يؤدي ؟ اننا لانرى العالم الا من خلال عيوننا ، واننا لانحتك بالحياة الا في اطار خبراتنا ، ببساطة شديدة ستظل احاديثنا ورؤانا واحساسنا بالاشياء يدور في مستوى مغلق لايتجاوزه ... تصبح ردود الفعل محفوظة .. والآراء متوقعة والاحاسيس متكررة .. وتنتقل عدوى رتابة الحياة وأزماتها لتلتصق باحساسنا الداخلي فتعطله ، ويعشش الملل والتكرار فوق الحياة وأنا الحريص على تجددها وتألقها .. فماذا فعلت ؟ انسحبت من دائرة الالتصاق .. الى دائرة الاصدقاء .. حيث الآراء متنوعة ..

والاختلافات قائمة والرؤية مختلفة .. ووقائع الحياة متباينة فتزداد الخبرة تنوعا .. والآراء نضجا ، واعود اليها محملا برؤية مستمرة ومتجددة للحياة والناس .. تمتلىء بتفاصيل ووقائع تثرى المعرفة الانسانية .

ولم اقصر في علاقة عائلية تربطنا او مناسبة تستدعي وجودنا معا .. وبرغم هروبي كما تسميه هي .. لم تخفت مشاعري تجاهها .. واعود الى البيت وفوق وجهي ابتسامة .. والقاها متهللا .. ولكنها تريدني ضمن اثاث البيت قطعة ثابتة لاتتحرك .. واذا لم تجدها فهذه سرقة .. حاولت كثيرا أن افهمها انني ادافع عن حياتنا ضد شبح الملل والرتابة ولكنها لاتؤمن ولاتصدق ولاترى أي خوف من الالتصاق .

هوَ

قراءة في البدن

بقلم : الدكتور محمد حكمت عبد الدائم

هل تعلم أن بدنك أعضاء وأجهزة شتى قد تمايزت وتآلفت أشد التمايز والتآلف ؟ طبعا تعلم . لكن هل تساءلت يوما أى هذه الأعضاء هو الأجل والأهم ؟

أهو دماغك ، الحاكم غير المتحكم ، الذى يدبر معاشك في النوم واليقظة ، وبه تعلم وتتعلم ، وتسعد وتغضب ، وتحزم وتتردد ؟ أما خلاياه فملايين مؤلفة في صفوف مرتبة بانتظام لا تيه فيه . وقد توزعت المهام فيما بينها ، فمنها المحرك ، ومنها صاحب الحس ، ومنها المدرك ، ومنها المُنطق ، ومنها السامع ، ومنها المنفعل ، ومنها الكثيرات لانعلم بعد ماذا تفعل ؟

أم هي عينك التي تصغر قبضة يدك ، والتى بها تحدق في الصغير والكبير الدانى والقاصى ، المتحرك والساكن ، الجميل وغير الجميل ، ترى ما تقرأ ، وتقرأ ما ترى بسرعة هى لمح البصر ؟ أدام الله لها جفنيها يقيانها من سهاد وغبار وطول نظر .

أم أذنك التى لا ترى منها سوى صيوانها جامع الأصوات ، وما خفى منها أعظم شأنا وأدق تركيبا ، ومهمتها التقاط الموجات الصوتية الأثيرية على اختلافها ، ثم تركيزها ، ثم تحويلها الى اشارات كهربائية عصبية يفهمها دماغك ؟ وفى جوف أذنك ثلاث عظيمات دقيقة التصميم ، هى أصغر العظام التى فيك . تهتز المطرقة أولا ، فتطرق السندان ، وهى الوسطى التى تهز بدورها الركابة وهى الصغرى . وباهتزازها تحوّل العظيمات الأصوات الواردة من تموجات هوائية فى خارج أذنك الى تموجات خلطية فى باطنها ، فتهتز لذلك شعيرات الخلايا العصبية السابحة فى باطن الخلط من باطن الأذن ؟

أما انفك فما خبره ؟ أيكفى انك عبره تستنشق الهواء وتزفره ألف مرة كل ساعة .. ساعة بعد ساعة ، فيدفئه ويرطبه وينظفه ؟ لا . فهو ايضا الذى يستشم لك ما حولك ، فتميز الطيب من الخبيث من نبات وطعام وريح ؟

أم الفم ؟ مدخل الشراب والغذاء وملفظ النطق وحسبه هاتان ذكرا . واسأل عن أهميته رجال الطوارق الذين ستروه حرصا عليه .

أما العنق فهو الذى يصلك (وقد اعتبرناك موجود

في رأسك) بسائر أعضاء بدنك ، عبره تمر كل رسالة ذاهبة أو واردة من دماغك المميز الى جسمك المسيّر ، وما اكثرها ، وعبره يمر الهواء من رئتيك واليهما ، وينزل المبلوع الى معدتك ، والدم فيه صاعد ونازل ؟

والرئتان ، الا تحس بهما تنتفخان عشرين مرة في الدقيقة من أجل مص الهواء اليهما واستخلاص أوكسجين الحياة منه ، ثم زفر ثاني أوكسيد الكربون فيه ؟ زد على ذلك أن الرئتين مصفاتان للدم الساري عبرهما بغير استقرار ، تبرئانه مما فيه من جراثيم وشوائب شتى . ثم زد على ذلك أيضا أن للرئتين دورا في استقلاب بعض هرموناتك . وأضف في النهاية أن في رئتيك خلايا بيضاء مجندة لمواجهة كل جرثومة متسللة مع الهواء . وما أكثرها ؟

أما القلب فاسمه يكفي دلالة على أهميته . يخفق أربعين مليون خفقة كل سنة ، وملياري خفقة ونصف المليار في سبعين سنة ليلا ونهارا دون راحة ، هذا اذا لم يسرع ، وهو يسرع ان أنت أسرعت ، ويبطىء ان أنت ابطأت،ولو سكن خمس ثوان وقعت مغشيا عليك ، واذا سكن خمس دقائق فقدناك وما فقدك الله . يدفع بعشرة ألتار من الدم في كل دقيقة ، نصفها الى الرئتين ونصفها الى سائر أنحائك .

أما أمعاؤك فتهضم كل ما ترمي فيها من طعام مقطع أو شراب مركز أو دواء مركب ، دافعة به الى الأسفل لا الى الأعلى ، ولو دفعت به الى الأعلى لتقيأت ، تمتص منه ما يلزم لحياة سائر أعضائك ، ثم بعد ذلك تقذف مما فضل خارجا .

تلتحق بها الكبد الكبيرة القابعة في كشحك الأيمن ،وزنها ألف وخمسمائة غرام ، وشأنها عظيم ، تختزن السكر والدسم وربما البروتين ، وكذلك الفيتامينات ، بل وتختزن الدم ذاته ، ثم هي المصنع الكيماوي الأول في البدن ، تركب فيها تركيب بروتينات وعوامل التخثر التي تمنع استنزاف دمك . كما أن الكبد تفرز صفراء هاضمة ، طارحة فيها من السموم التي لم يتم تقويضها في خلاياها ، وكبدك في الختام هي مركز الاستقلاب الأول في بدنك ، وكفاها هذا عملا جللا .

أم الكليتان ؟ وفي كل واحدة منها ألف مصفاة . ربع الكليتين يكفي لاداء عمل الاثنتين . ولولا عملها لفسد خلطك وافتقر دمك،وارتفع ضغطك ، ورقت عظامك ، واختلت اعضاؤك ، وتخبل دماغك ، ثم نفرت روحك من جسمك .

أم العظام ؟ وقد أنشئت صغيرة وكبيرة ، عريضة وطويلة ، تقويما لك تحسبها جامدة وهي في تخلق لا يتوقف . اذا كسرتها التحمت ، واذا حركتها تفاصلت . ظاهرها صلد ترتكز عليه ، وباطنها رخو يصنع الدم الذي تخشى إراقته .

هذا بعض عن البعض من جسدك ، وقد تمايزت أعضاؤه أبلغ التمايز ، ولكنها تآلفت وتراحمت أشد التآلف والتراحم ، حتى اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد ، بالحمى والسهر . ولذلك علة . فهذه الأعضاء كلها ما نشأت الا من خلية واحدة ، وان شئت من نصفين خلويين من أب ومن أم ، اجتمعا وتوحدا ليشكلا وحدة خلوية واحدة تحمل رسالة وراثية مسطورة على شريطين وراثيين صبغيين قابعين في النواة تكاثرت وتناسلت لتعطي كل ما فيك . فأنت من أولك الى آخرك من تلك الخلية ، وأنت من اولك الى آخرك تلك الرسالة المستنسخة الواحدة المقروءة في كل خلية من خلاياك وكل عضو من أعضائك ، شئت أم أبيت . فاذا أدركت هذه الحقيقة ما ادركتها الا بها ، فأنت قارئها ومقروؤها ، وأنت العبرة والمعتبر ، وهي فيك أصلك وعلة وجودك . فاعلم . فان علمت علمت مما فيك وما زدت ، وان جهلت جهلت ما فيك وما نقصت . □

الخضراوات غذاء ودواء وعلاج

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

الخضراوات اذا أحسن إنتاجها واعدادها لا تعد عظيمة القيمة لغذاء الانسان فحسب،بل يمكن الاستفادة منها في علاج الحالات المرضية . . . . وفي هذا المقال عرض للفوائد التي تعود على الانسان اذا أحسن اختيار نوع الخضراوات غذاء ودواء وعلاجا .

تحتوي الخضراوات على عدة قلويات وأملاح تبطل الضرر الناشيء عن الأحماض الضارة المترتبة عن الهضم ، وعن تحلل المركبات الغذائية ، لذا فهي تعطى للأطفال لتعويض النقص الناتج عن قصر التغذية على الحليب والألبان الجافة الصناعية التي تعطى لهم ، لأن الحليب لا يحتوي على ما يكفي من حديد .

واذا تحدثنا عن الأملاح المعدنية والفيتامينات وجدنا أن السلطة الخضراء غنية جداً بما يحويه الجرجير من يود وجير زائدين،ومما في البقدونس والخس من حديد وفير .

وثراء البقدونس والجزر بفيتامين « أ » الذي يحافظ على كيان الأغشية المخاطية ويزيد من مقاومة العدوى ، كما يساعد على النمو .

وقد عرف اليونان والرومان البازلاء قديماً ووصفوها غذاء للناقهين والمسنين والمصابين بضعف المعدة . وهذا ما أيدته تجارب الهضم ، فقد ثبت ان البازلاء الطازجة أسهل خضراوات الشتاء هضماً واسرعها .

وهذا مما يجعلها من أنسب الخضراوات التي تعطى حتى للاطفال الذين مازالوا في طور الرضاعة ، فلا يوجد من بين الخضراوات من يجمع في آن واحد سهولة الهضم ووفرة البروتين والحديد ، فضلا عما بها من كميات غير قليلة من الفيتامينات .

الخضراوات « والكولسترول » :

« الكولسترول » مادة موجودة في دم كل انسان ،

منها تتكون الحصيات التي نجدها في حويصلة المرارة ، ويتخلص منها المريض بعملية جراحية . (كول = المرارة ، واستيرول = اسم الفصيلة الكيماوية . وهي ملحقة بالزيوت والدهون التي مصدرها الحيوان) . وهي المادة التي تكثر في الدم فتصيب الشرايين بالتصلب،وتلحق بالجهاز الدموي ومن ورائه القلب بأضرار كثيرة .

والطريقة التي ينصح بها الأطباء في المعالجة هي أن يكف المريض عن الاكثار من أكل الأطعمة التي تزيد نسبة « الكوليسترول » في الدم كالزبد ، ودهن اللحوم والكلى والمخ والبيض . وهنا يظهر دور الخضراوات في غذاء الانسان ، فهي تحتوي على مادة غذائية خالية من « الكوليسترول » .

الامساك والخضراوات :

وتحتوي الخضراوات على كثير من الألياف التي تقاوم العصارات الهاضمة ، فتبقى دون تغيير حتى تبلغ الامعاء الغليظة ، وفيها تبدأ أهمية الألياف وفائدتها ، اذ تدخل بقايا الأطعمة في الجزء الأول من الأمعاء الغليظة . وهي في حالة سائلة ، فيمتص هذا الجزء أغلب ما في بقايا الطعام من ماء ، فتصبح لا هي بالسائل الذي يخرج اسهالا ، ولا هي بالجامد الذي يخرج امساكا . وما بقي في بقايا الطعام من ماء فانه كاف لجعل الألياف منفوشة .

وبذلك تملأ الأمعاء الغليظة ، وتحك جدارها ، فتنشط تبعا لذلك حركتها الدودية ، فيتحرك ما بداخلها ويندفع الى الامام ليطرد الى الخارج .

وتذكرنا علاقة الخضراوات بالامساك بقصة الفلاح الانجليزي الفقير توماس بار ، الذي ظل يزاول عمله الشاق حتى المائة والثلاثين ، ولم يمت الا في سن الثانية والخمسين بعد المائة . وقد اهتم الدكتور هارفي مكتشف قوانين الدورة الدموية بتشريح جثته بنفسه ، فأدهشه أن يجد اعضاءه الحيوية على أحسن حال ، فالقلب طبيعي من كل وجه ، والأوعية الدموية خالية من أي أثر للتليف أو التصلب ، وكان أهم ما ثبت من الاستقصاء الدقيق ، ان توماس بار لم يصب طول حياته بمتاعب هضمية تعوق التبرز ، فلم يعرف الامساك طول حياته ، وثبت أيضا أنه كان قليل الأكل ، وان غذاءه كان في الغالب الجبن القريش واللبن الرائب ، ، وكميات كبيرة من الخضر والخبز الأسمر .

الخضراوات والبول السكري :

يوجد السكر دائما في الدم بمقدار معلوم تقريبا ، ولا يظهر في البول عند الفرد السليم الجسم . أما في حالة المرض فان قدرة الجسم على الاستفادة من المركبات النشوية والسكرية والكربوهيدراتية عموما ، تتأثر بدرجة تزيد أو تنقص حسب مقدار النقص في عصارة غدة البنكرياس المسماة « انسولين » وهذه العصارة هي الافراز الداخلي لتلك الغدة ، وهو غير افرازها الخارجي الذي يصب في الامعاء .

والأنسولين مهم وضروري لحرق وأكسدة السكر الذي يأتي عن طريق الدم . فاذا قلت كمية الأنسولين ، فان السكر لا يتأكسد ولا يستهلك كله أو بعضه حسب درجة المرض ، فتزيد كميته في الدم عن معدلها الطبيعي ، بحيث يرتفع منسوب ما تحجزه الكلى ، فينصرف المقدار الزائد منه مع البول .

ومن سبل علاج هذه الحالة اتباع نظام غذائي خاص ، يراعى فيه تحديد كمية المركبات « الكربوهيدراتية » ، بالقدر الذي يجعل المريض قادرا على استهلاكها من غير ظهور سكر في البول ، وتكوين الدهون في الجسم ، كما يجعل مقدار المواد الدهنية في الحدود التي يمكن للجسم أن يحرقها .

وعلى العموم فان من الضروري الاكثار من الخضراوات الطازجة ، لتمد الجسم بكثير من حاجاته ، وذلك دون زيادة في معدل المركبات «الكربوهيدراتية» والدهنية ، فالخضراوات الطازجة لا تحتوي من المركبات النشوية والسكرية والدهنية الا على قدر قليل يتناسب مع ظروف هذا المرض ، ولا نستثني من ذلك غير البطاطا والبقوليات خصوصا الجاف منها . □

بائعو الوهم

لماذا نكتب ؟ يقيناً ليس لمجرد أن نرى أسماءنا مطبوعة ، ولا رغبة منا في أن نكتسب نفوذاً أو تقرباً من السلطة ، ورغم أن بعض الذين يكتبون لا هم لهم سوى هذه الأهداف القصيرة المدى .. الصغيرة الحجم .. الا أننا نتصور أن الكتابة عمل انساني يهدف بالدرجة الأولى الى تنوير القراء والى وضع كثير من النقاط فوق كثير من الأحرف .. كي تصبح قراءة الواقع ممكنة وفهم الحياة مستطاعاً .. والتعامل مع المتغيرات أيسر . الكتابة ما لم تكن تعبيراً عن حق ملايين الفقراء في حياة أفضل بكل معانيها فهي لا تساوي وزنها ورقاً ، حق الانسان في الحرية والتعبير والاعتقاد ، وحق التعليم والعمل ، وحتى حقه في الاختلاف . وهذه الحقوق لا تنفصل ابداً عن المجتمع الذي يحيا فيه البشر .. وعن طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تفرز من داخلها شكل السلطة السياسية .

وفي زمان الأزمة والتردي فإن البعض للأسف قد احترف كتابة ما يسمونه بالسطور المتفائلة الوردية ، واحترف تجميل وجه قبيح لا تجدي فيه جراحات التجميل ، وامتهن تقديم الحلول الجاهزة والأحلام الزائفة .. عن الفقراء الذين نبغوا فجأة .. وعن الأحياء الذين انتصروا على كل التقاليد والأزمات .. وعن البسطاء الذين أثروا لأن الحظ أراد أن يكافئهم على طول صبرهم ورضاهم ، وأدمن الفقراء معهم الأحلام البسيطة المريضة .. وأصبح حل مشكلات الحياة ـ على كثرتها ـ يترقب الحظ والقدر وعديداً من الأسباب ليس من ضمنها ارادة الانسان من حيث هو انسان فرد ، وارادة المجتمع من حيث هو تنظيم وقوة ضغط كبيرة لإحداث التغير ، لكن الحياة ليست بالجمال الذي يزيفونه ولا بالبساطة التي يروجونها ، وأزمات الفقراء ليست دراما اسطورية تحل على طريقة الشاطر حسن أو الأميرة سندريلا . الحياة إرادة إنسانية واعية ، تدرك عمق الأزمة التي يحياها انسان العصر .. ورؤية عميقة لمشكلته ، وانها ليست حالة شخصية بقدر ما هي جزء من مشكلة المجتمع ككل وان حل المشكلة الفردية لا يمكن أن يكون حلاً صحياً الا في إطار تطور المجتمع والتغلب على مشاكله .. أما ان يردد البعض القصص والحكايات عن نماذج انسانية انتصرت فجأة على كل هموم الحياة .. ويظل يرددها كأنها هي القانون والقاعدة ، فهؤلاء هم الذين يحترفون بيع الوهم ... يقدمون للفقراء جرعة من المخدرات كي تنسى همومها وعذاباتها وتنتظر هذا الأمل العبثي .. الذي يحيل كل البسطاء الفقراء الى أثرياء أصحاء سعداء .

وتظل كتابات البعض رغم كل هذه الأحلام الزائفة .. محاولات حقيقية لأن يرى بسطاء هذا الوطن حقيقة الحياة وعمق الواقع .. وان أي غد جميل لا يصنعه الا كل الناس المؤمنين بالخير والحق والجمال .. للجموع .. كل الجموع . ■

محمود عبد الوهاب

الفصول

شعر : ابراهيم نصر الله

فليذكر الخريف
حين تسقط الأوراق
والألوان
بأني ريح على الأغصان
تنمو
وتعلو
ثم تغدو غيمة
وشارعا يخضر بالطوفان

- ٢ -

فليذكر الشتاء
حين تسقط الأمطار
ويدخل الغناء في المساء « ميجنا »
ويوقد الأسرار
بأني زيتونة من نار
تمتد بين الموت والحياة
وتوقظ الينبوع من سباته
وتوقظ الأنهار

- ٣ -

فليذكر الربيع
بأني تلك الشوارع التي تمضي بها أزهاره
وتورق الرمال
وليتكر ماشاء من حدائق
وليتكر ماشاء من ظلال

فإنني التلال والحقول
وانني الغابات في الجبال .

- ٤ -

فليذكر الصيف
بأن هذي الأرض لي
وهذه الآفاق لي سفينة
ووردتي السيف
فليذكر الصيف
اني اذا ماجاءني الرصاص
من شباكي المفتوح
في ليلة تمضي لكي تغفو
فليذكر الصيف
بأني قتيل هذا الضوء في شرفته
وانني لنخله
ونجمه سقف
فليذكر الصيف .

استراحة العربي

طرفة :

جلس الرجل في قاعة انتظار المحلل النفسي فسأله المريض الوحيد الذي كان في القاعة .
- تبدو مضطربا . ما الأمر ؟
أعتقد أنني أعاني من ازدواج في الشخصية
- هاقد أصبحنا أربعة اذن

تعريفات :

الطبيب النفسي : هو الرجل الذي لايقلق طالما قلق الآخرون .
النجاح : هو الحصول على مال لدفع ضرائب ماكنت لتدفعها لو لم تنجح .
الانتحار : هو أقسى أنواع نقد الذات .

النسبة والتناسب :

الرجل الذي يعتقد أن الزواج خسارة بنسبة ٥٠٪ هو رجل لايعرف النساء .. ولا النسب المئوية .

قول على قول :

قال حكيم : لاتؤجل عمل اليوم الى الغد
وأضاف حكيم آخر :
● ..... نعم فلو أنك استمتعت بما فعلته اليوم فإنك ستكرره غدا .

****

حكمـة :

النساء هن سبب معظم أكاذيب الرجال ، وذلك لاصرارهن على توجيه الأسئلة لهم .

□□

هذه هي السعادة

يقول قاسم أمين :

اللذة الحقيقية التي تجعل للحياة قيمة ، ليست حيازة الذهب ولا شرف النسب ، ولا علو المنصب ، ولا شيئا من الأشياء التي يجري وراءها الناس عادة ، وإنما هي أن يكون الانسان قوة عاملة ذات أثر خالد في العالم

بعد الأوان

زحف الشعرات البيض يقتضي منا دائما أن تسكب الماء البارد على جذوة حبنا وحماسنا .. ونقيم حولنا على الرغم منا قضبانا حديدية ثقيلة من الحشمة والوقار والحرص على المظاهر .. مع برود رتيب كدقات الساعة ... يثير الأعصاب .. !

□□

خواطر يهودي ساخط

« خواطر يهودي ساخط » عنوان كتاب ألفه كاتب يهودي فرنسي معاد للصهيونية يدعى شلومو رايخ . في كتابه المذكور الذي نشر في باريس منذ عامين لا نلمس روح الدعابة التي يقال ان اليهود يتميزون بها فحسب ، بل نشعر بالسخرية المريرة من هذا الخليط الرهيب من الأساطير القديمة والمقولات المرعبة والأحلام الشرسة . وعلى غرار هذا الخليط يبني رايخ عالما من المقولات الساخرة صاغها على شكل خواطر ومقولات اليك بعضا منها :

● اسرائيل تتحرق شوقا للسلام مع الفلسطينيين ، شرط أن يكون الحرق صناعيا .

● اذا قلت لاسرائيل « كفّ عن الحماقة » فسيعتقد انك تطلب منه التوقيع على معاهدة سلام .

● من نصر الى نصر تركض اسرائيل نحو هزيمتها .

● امريكا تواجه مشكلة حيال اسرائيل هي تأمين خدمات مابعد البيع .

● الناس يتحدثون كثيرا عن اسرائيل واليهود لانهم يحبون الحديث عن كل شيء ولا شيء .

● الاسرائيلي يمر بأشياء كثيرة لايراها ، وخصوصا جيرانه .

● اذا كانت اسرائيل راعي البقر في الشرق الاوسط فان أبقارها موجودة في المهجر .

● الفرنسي : لا يموت الانسان الا مرة واحدة ولكن لمدة طويلة .

● الاسرائيلي : لا يبعث الانسان الا مرة واحدة ولكن لمدة قصيرة .

● اينشتاين كان يهوديا بشكل مطلق وملحدا بشكل نسبي .

● اليهودي الحقيقي يعرف كيف يجدل الشعرة الواحدة أربع مرات .

● الفرق بين العالم واسرائيل هو : أن العالم يكون أبكم عندما تكون اسرائيل صماء واسرائيل تسمع جيدا عندما يكون العالم أبكم .

جحا في رأي محمد فريد أبو حديد

ان من بين شخصيات الأساطير العربية شخصية فذة تكاد تكون وحيد في مميزاتها وملامحها العقلية والنفسية ، وهي شخصية (جحا) الفيلسوف الضاحك الساخر ، الذي يقوم بتمثيل فلسفته في قوالب تشبه المسرحيات ، ذات المغزى الواضح ، وهو في مواقفه التمثيلية ظريف دائما ، عاطف دائما ، يبدو وكأنه مهرج ، ويتصرف أحيانا تصرفا شاذا عن المألوف ، حتى كأنه ذولثةمن الجنون ، ولكنه يلمس نواحي الضعف الانساني في رحمة ، ويكشف عن نواحي الظلم أو النفاق ، وهو أقرب ما يكون الى الرثاء والمواساة منه الى الحقد ، واستطيع أن أقول أنني لم أطلع في آداب الشعوب الأخرى على شخصية مماثلة لهذه الشخصية ، ذات الفلسفة الانسانية التي تختفي تحت المظهر الفكه الساخر .

وقد حاول بعض الاجانب أن يرسموا صورة لجحا في لغتهم ، فلم يستطيعوا الا أن يرسموا صورة مهرج به لوثة ، ذلك لانهم لم يتمكنوا من ادراك فلسفته ولا مرامي فكاهاته .

مكتبة العربي

كتاب الشهر

وجوه عديدة لعاشق واحد اسمه مجنون ليلى

عرض وتقديم : جليل العطية

« مجنون ليلى » إحدى القصص التي عرفها العرب منذ قديم الزمان ، وتعاملوا معها على أنها حقيقة واقعة اكدها الكثير من المسلسلات التلفزيونية والافلام السينمائية وغيرها من وسائل الاعلام .

هذه القصة .. كيف ينظر اليها ويفسرها الغرب الاوروبي ، او على الاصح بعض القطاعات في الغرب الاوروبي ؟

مجنون ليلى : الحب المجنون . . عنوان كتاب جديد للمستعربين أندريه ميكيل وبيرس كامب صدر حديثا عن دار سندباد الفرنسية .

بهذا الكتاب يواصل ميكيل دراسته واهتمامه بظاهرة الحب العذري في الشعر العربي .

فلقد أصدر مجموعة مختارة من قصائد مجنون ليلى ، تولى ميكيل ترجمتها الى الفرنسية وقدم لها بلمحة عن أسطورة قيس وحبه لليلى وما رافق ذلك من ملابسات وأحداث اجتماعية وتاريخية . .

وقبل هذا أصدر رواية من تأليفه ـ طبعا ـ عنوانها : ليلى ، هي عقلي أو ليلى عقلي ! Layla, Ma Raison ـ مستوحاة من أسطورة مجنون ليلى العربية .

وهكذا ينصرف ميكيل بكل جد لدراسة الحب العذري في الشعر العربي ، محاولا تحليل ظاهرة مجنون ـ ليلى تحليلا فلسفيا ، سيسيولوجيا ، وبحثها وفق نظرة تاريخية اجتماعية باستخدام أحدث المناهج المعاصرة في الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي . .

يغوص ميكيل في دراسته لشعر قيس بن الملوح وفق منهج النقد البنيوي الذي وضع أسسه الناقد الراحل رولان بارت .

يفضل ميكيل تسمية عاشقه بـ « مجنون » مسقطا منه أداة التعريف ، وكأن الجنون قد تحول الى اسم لقيس وليس صفة له !

الأسطورة . . لماذا ؟

ومنذ البداية يصارح القراء بأن حكاية مجنون ليلى ليست سوى أسطورة لامجال لها في الصحة ، وان شخصية مجنون ما هي الا شخصية مختلقة ، ومن افرازات المخيلة الجماعية (ص ١١) .

ان المخيلة العربية بحاجة ماسة لهذه الشخصية الاسطورية ، وتكاد تجمع المصادر العربية ، وخصوصا الموثوق بها ـ على أن هذه الشخصية لا وجود لها !

والواقع أن كبار المؤرخين العرب نفوا وجود هذه الشخصية : فكان الاصمعي ينكر وجود المجنون ، ويراه اسما بلا مسمى .

والجاحظ يقول : ما ترك الناس شعرا ، مجهول القائل ، فيه ذكر ليلى الا نسبوه الى المجنون .

ويقول ابن الكلبي : حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له . .

على أن نفي وجود المجنون لا يعني الاعراض عن دراسة هذه الاسطورة العاصفة التي خلقها في الادب العربي ، بل ينبغي دراستها لخصوصيتها الحضارية في التاريخ العربي . لذلك قام أندريه ميكيل بدراسة ظاهرة الحب العذري عند العرب ، وخصوصية شعره ، قبل الدخول الى حكاية قيس وليلى . . فيناقش طبيعة الحب العذري الذي ينسب الى قبيلة بني عذرة التي خرج منها شعراء كثيرون . . وكذلك المجنون الذي ينتمي الى قبيلة عامر بن صعصعة .

ولا بأس أن نقدم بايجاز حكاية المجنون !

قيس بن الملوح بن مزاحم العامري ، من المتيمين ، شاعر غزل ، من أهل نجد ، ولم يكن مجنونا وانما لقب بذلك لهيامه بحب « ليلى بنت سعد » .

قيل في قصته : نشأ معها الى أن كبرت وحجبها أبوها ، فهام على وجهه ينشد الاشعار ويأنس بالوحوش ، فيرى حينا في الشام ، وحينا في نجد ، وحينا في الحجاز ، الى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل الى أهله .

ويذكر بعض المؤرخين أنه توفي سنة ٦٨ هـ ـ ٦٨٨ م وزعم راوية غير معروف ، يدعى نوفل بن ساحق قال :

أنا رأيت مجنون بني عامر ، كان جميل الوجه أبيض اللون ، وقد علاه شحوب . . وقد طبع بعض شعره في ديوان ، وصنف بعض المؤلفين كتبا في أخباره ، ووصل الينا منها : بسط مسامع السامر في أخبار مجنون بني عامر ، ويذكر بعض المؤرخين أن أبا ليلى اشتكى قيسا للخليفة مروان بن الحكم .

بعد أن يذكر أندريه ميكيل موجزا للروايات المختلفة حول قصة المجنون يبدأ في السرد التفصيلي المقترن بتحليل تاريخي وسيسيو ـ فلسفي عميق لهذه الاسطورة التي شغلت الادب العربي منذ العصر الاموي وحتى الوقت الحاضر !

كتاب الشهر

لقد تناول قصة المجنون مؤرخون وأدباء عمالقة بينهم أبو الفرج الاصفهاني صاحب « الاغاني » وأبو علي القالي صاحب « الامالي » وأخيرا فقد تناولها الشاعر المصري المعروف أحمد شوقي في مسرحيته الشعرية الشهيرة .

يقوم ميكيل بعد ذلك بتقديم تفاصيل كثيرة عن أبطال هذه الاسطورة وأحداثها فيبدأ بسرد حياة قيس ابن الملوح ويقدم تفاصيل عن عائلته وقبيلته كما وردت في المصادر العربية ويؤكد أن والده كان « سيدا » ويشرح معنى هذا اجتماعيا وطبقيا ، ويقارن بين هذا اللقب وبين كلمة 'Seigneur' باللغة الفرنسية . .

ويصف ميكيل المجنون بأنه « أجمل فتيان قبيلته . . طويل القامة ، ذو بشرة سمراء صافية وذو شعر مجعد يميل الى اللون الكستنائي الغامق !

يقر بأن المجنون في هذه المواصفات ـ يحظى بالمؤهلات الهامة ـ الاصل والنسب والثروة والوسامة التي تسمح له للتقدم بخطبة ابنة عمه ليلى ، مقابل مهر طائل مقداره : خمسون جملا جميلا ! غير أن عمه يرفض الزيجة ، لان قيسا فضح حبه لها ، وهذا أمر مرفوض لدى المجتمع العربي حينئذ !

يرصد ميكيل الروايات التي أرخت لحب قيس لليلى ويحاول الربط بينها وتحليلها تحليلا مقارنا ليخرج باستنتاج حديث حول الميزة المتفردة لهذا الحب في الناحية السيكولوجية والمحتوى الفلسفي لمثل هذا النمط من العاطفة .

فمع اقرار ميكيل بأن قصة مجنون ليلى هي أسطورة من نسج الخيال الا أنه يتعامل مع المحتوى الموجود لهذه الاسطورة كما ورد في الروايات ، ويتتبع التطور التاريخي لهذه الاسطورة التي اتخذت لها مكانة كبيرة في المدن الكبيرة الحديثة التأسيس كالكوفة والبصرة التي قامت فيها مجتمعات بدوية في مضمونها وذهنيتها . .

كانت المجتمعات البدوية الجديدة ـ هذه ـ تردد حكاية مجنون ليلى ـ كحكاية بدوية جاءت في ميدان اجتماعي غير حضري ، ولكنه يشكل الاصالة الذهنية والعاطفية لمجتمع المدن الحديثة البناء .

ظاهرة جديدة :

ان ظاهرة جنون قيس تسترعي اهتمامافكريا ونظريا كبيرا من قبل اندريه ميكيل ، فان حب المجنون لليلى دفعه للانفصال عن طبيعة تقاليد مجتمعه المحافظ . . دفعه لينفي نفسه عن مجتمعه مفضلا العيش في الصحراء بعيدا عن الوحدة الاجتماعية الممثلة بالقبيلة ، وهنا يسلط المؤلف نظرة سيسولوجية تفسر هذاالنفي الذي اختاره المجنون لنفسه ، وتقبله المجتمع على الرغم من أن وجوده ـ وجود المجنون ـ كان يهدد النظام الرمزي العام للمجتمع وللقبيلة . ثم ان قيسا كان يستعيد على الدوام قصة حبه لليلى ويرددها بشكل علني ، ولم يكن هذا الامر مقبولا في العرف الاجتماعي آنذاك ، ولذلك فان قيسا كان خارج النظام الجماعي الذي هرب منه والذي كان يشكل بعض الخطورة على كيانه (ص ٣٧) .

ميسالين والمجنون :

يقارن ميكيل بين حب قيس وجنونه وتناقضه مع المجتمع وبين قصص حب شبيهة حصلت في حضارات أخرى وضمن قيم اجتماعية مغايرة لطبيعة الحضارة العربية ـ الاسلامية كالحضارة الرومانية.

ويرى المؤلف أن المجنون قد لا يكون مجنونا غير أنه ببساطة يمثل نموذجا أصيلا وفريدا من نوعه ، ولذلك فانه دفع الثمن غاليا لقاء هذه الاصالة وهذا التفرد ، وذلك بأنه تحول الى منبوذ ومنفي من قبل المجتمع الذي ينتمي اليه (ص ٣٧) ، وهو بهذا يشبه ميسالين الايطالي الذي عشق مومسان لحد الموت ، الامر الذي لم تتقبله روما ولا المجتمع الايطالي في ذلك الوقت .

عقلانية قيس :

ويحاول أندريه ميكيل أن يكتشف المنطق الذي أقام قيس عليه حبه ثم جنونه بعد ذلك ، « والعقل » الذي اتبعه في مناقشة الآخرين لبدافع عن طبيعة حبه وتعلقه بليلى فيرى بأن منطق المجنون كان عقلانيا وصافيا ونقيا . .

ان منطقه هو البساطة والنقاء في التعامل مع ظواهر الاشياء ، ومن ذلك الحوار الذي دار بين أبي ليلى والمجنون ، والذي يورده ميكيل للدلالة على « عقلانية » قيس المتمثلة في الصفاء والنقاء الذهنيين (ص ٣٩) .

ان دراسة ميكيل تقوم على عدم تقبله لظاهرة حب قيس وجنونه بشكل عفوي بل يقوم بتحليلها بالاعتماد على دراسات أدبية فلسفية للحب ، كالدراسة التي قام بها رولان بارت في كتابه « مقاطع في خطاب غرامي » وأندريه بريتون في بعض دراساته ، هذه الميزة يتفرد بها ميكيل في دراسة قصة قيس وليلى ، انه يصدمنا بعمق الدراسة لموضوع يقر منذ البداية بأنه أسطوري خرافي .

والواقع أننا لم نفكر في يوم ما باخضاعها للتحليل والدراسة الجادة للوصول الى أقصى ما تحمله من مضامين وأبعاد حضارية ونفسية واجتماعية !

ان حقيقة هذه الاسطورة ورسوخها في أذهاننا جعل منها أسطورة بلا عمق فكري بينما نجدها ـ بعد تحليل ميكيل ـ وكأنها « حقيقة » راسخة ، بل أكثر واقعية من وجودها السابق .

تغدو قصة قيس وليلى الساذجة عبر تحولاتها التاريخية داخل المنظور الفلسفي ، ذات كيان حي يعبر عن احتياج نفسي جماعي لمجتمع متعطش لصياغة عواطفه المحرمة داخل رموز يبيتها غيره . . ويكون هو ، ضحية هذا الرمز !

ليلى والليل :

يجعل ميكيل من اسم ليلى حبيبة قيس موضوعا للتحليل أيضا ، فليلى بالنسبة له تحول موسيقي شعري لاسم الليل بالفرنسية «Nuit» ولكنها ليست ليلة كبقية الليالي ذات الزمن المنتهي ، بل هي ليل دائم يغرق فيه المجنون ، وتغدو عبارة : مجنون ليلى هي مجنون الليل ، وهكذا يمكن استلهام الليل والمرأة داخل وجود متحد يتشكل عبر امرأة يكون اسمها هو الليل (ص ٤٩) .

كتاب الشهر

يتوسع المؤلف في التحليل الجمالي لاسم ليلى ليتناسب بشكل متكامل داخل هذه الاسطورة الرومانسية الجميلة .

يبين ميكيل في دراسته بأن حب قيس لليلى وهو حب وجودي ، عميق ، رائع ميتافيزيقي أكثر من العادة ، انه البحث عن شيء ما كالمطلق .

كان المجنون يعتبر بأن اللذة لا تدوم عنده ، وعندما يجد نفسه في الصحراء الخالية كان وجود ليلى يطارده ، وكان مرور أي شيء أمامه كالغزال ـ مثلا ـ يذكره بليلى ويملأ عليه هذه الصحراء الجرداء .

قيس وروميو :

ويقارن ميكيل المجنون بنماذج مشابهة من الحضارات الاوروبية الاخرى ، فيقارن بين طبيعة موته وموت روميو ـ مثلا ـ غير أنه يمنح المجنون خصوصية متفردة عن سواه هي بالضرورة خصوصية مجتمعة . .

فمن بين كل الشعراء والعاشقين المشهورين كان المجنون هو الوحيد الذي رفض من قبل مجتمعه ، رفضا تاما ، بل وضع خارج هذا المجتمع وعاش مرحلة من التوحش في الصحراء مع الحيوانات ، وبالشكل الذي تعيشه هذه الحيوانات (ص ٧٢) .

هذا التوحش والانصراف الى حب ليلى هو حالة (طوباوية) فريدة من نوعها ترتبط بحالات نادرة من الحب المثالي المتعالي واللاواقعي ، ويستند الى آراء فلسفية في الحب لرولان بارت ويستشهد بمختارات رائعة ، منتقاة بدقة من أشعار المجنون تجسد لا واقعية حبه ، ويقول بأن قلب العاشق يكون هكذا . . الموضع الموحد والكلي لكل الشموليات التي تميزه وتباركه (ص ٨٩) .

ومن هنا يقارن أشعار المجنون باشعار حب لويس أراغون الشاعر الفرنسي الشهير ـ ويرى بأنها مستوحاة من أشعار المجنون العربي !

يورد بعد ذلك كل الروايات التي نقلت عن المجنون في كتب الادب العربي بدءا من أبي الفرج الاصفهاني ، صاحب الاغاني ، وحتى أحمد شوقي حيث يتناول مسرحية « مجنون ليلى » فيقدم ترجمة لمقاطع هامة منها (ص ١٣١) .

يرى ميكيل أيضا أن هذه الاسطورة ألهمت الكثير من الشعراء غير العرب ، كما أنها وظفت بشكل ثوري لانها خارجة عن التقاليد الاجتماعية المعروفة ، فشخصية قيس ذات طابع صوفي وثوري (ص ١٤٩) .

كان المجنون يستطيع العمل بنصيحة عائلته بالتزوج من امرأة غير ليلى ، ولكنه لم يفعل ذلك وفضل الجنون والتشرد ، هنا يصل ميكيل الى سؤال جوهري وعميق هو : ما الذي كان ينتظره المجنون من الحب الذي يعيشه في كل لحظة ؟ (ص ١٥٨) .

وهل كان المجنون يحب ليلى حبا حقيقيا ، وفي سبيلها عانى كل هذا الانهيار النفسي والفكري والصحي ؟ . . . ومن اجلها (ص ١٥٨) أم أن الحب يتخذ في مثل هذه الحالة شكل نزوع رمزي نحو المطلق ؟

الملاحظ في أسطورة قيس وليلى أن ليلى غائبة كوجود فيزيائي وسلوكي يتصرف ويتخذ المواقف داخل هذه الاسطورة ، ونرى بأن حضورها يتم من خلال المجنون وسلوكيته وذاكرته وتخيله .

دراسة مقارنة :

هذا يدفع أندريه ميكيل الى اضاءة هذا الجانب ـ اللغز من حب المجنون لليلى ، فيعتمد على بعض تحليلات رولان بارت ويستشهد بمقاطع هامة من كتابه الشهير مقاطع من خطاب غرامي ، الذي يفلسف بارت فيه الحب كعلاقة وجودية وفلسفية معقدة وعميقة ، ويرى ميكيل بأن المجنون لم يكن ينتظر شيئا من حبه لليلى ، وانما كان يعيشه من أجل الحصول على امتيازات خاصة في مجالات الحرية الخارجة عن

التقاليد الاجتماعية القبلية الضيقة ، فالقبيلة لا تسمح لاحد بأن يمارس السلوكية التي سلكها قيس الا اذا كان مجنونا ، وأن حب المجنون لليلى وتشبيبه وسلوكيته داخل اطار هذا الحب قد رفض من قبل القبيلة ، الا أن هذه القبيلة نفسها جعلت من قيس شخصية رمزية وأسطورية ثم شخصية جماهيرية ذات شعبية كبيرة .

ان الحب ، وشعر الحب بشكل خاص ، يمنع المجنون من الاقتران بليلى الا أنه يجعل قيسا ممسكا بوسيلة من وسائل الانتصار هي :

ـ الشعر !

أي معنى آخر . . الكلام . . فبواسطة الكلام ، وبالكلام بحد ذاته وعبر استخدامه استخداما رائعا وخلاقا واستراتيجيا يمنح المجنون سلطة قوية خاصة ، ومتميزة هي هذا الكلام نفسه ـ كغايةووسيلة في الوقت نفسه ـ ثم كهدف منتصر وفعال في النهاية . .

ألم ينتصر المجنون في النهاية على الرغم من جنونه ، بسبب الحب ؟

نعم . . . لقد انتصر ، وان لم ينتصر هو فان قبيلته انتصرت ، لانها تدين الى المجنون بشهرة اسمها « بني عامر » . . وبأن المجنون كان أفضل شعرائها . . واسطورة أدبية من أشهر أساطير العرب (ص ١٧٤) .

وفي ضوء كل ما سبق من منهج تحليلي قام به ميكيل لاسطورة هذا العشق ، يقود بشخصية قيس المجنون الى معالجة نفسانية ـ سسيولوجية داخل واقع التاريخ العربي مستعينا بالنتائج الفعالة التي توصل اليها كل من الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز والعالم النفسي فيلكس كوتاري في ميدان علم النفس الاجتماعي في كتابها الهام « ضد أوديب » ووضعها لمقولة « ماكنة الحرب » ، والمعطيات المنبثقة عنها (ص١٨٨ ـ ١٨٩) .

ان مقولات فرويد وانجازاته في مجال التحليل النفسي تنفع كثيرا في اضاءة أسطورة قيس وليلى بالاتجاه الذي يرسخ مكانتها التاريخية الاجتماعية في الحدود الخاصة لطبيعة التاريخ العربي .

دراسة فلسفية :

دراسة ميكيل دراسة فلسفية بالدرجة الاولى تتخذ من موضوع المجنون وحبه مشروعا منجزا لبحث علمي جديد من نوعه ، يمهد لقراءة قصة حب مجنون ليلى وفق طريقة عقلانية ، تحليلية ، ومغايرة لبنية القراءات السابقة .

والرواية التي ثبتها ميكيل في نهاية كتابه حسب ورودها في كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني ، تجعل القاريء ـ بعد أن استوعب تحليله للاسطورة ـ يتعامل مع التفاصيل الواردة في نص الاصفهاني ، بشكل أكثر عمقا وتواصلا مع المضامين التي اختفت تحت وطأة السرد المباشر للقصة خلال مراحلها التاريخية والتي حولتها الى بديهية سطحية مجردةمن التحليل الضروري ، المساعد على اعادة كشف رموزها وترابطها مع الذهنية الخالقة لها ، ضمن مواصفاتها الحضارية . □

لذة الدنيا

سئل ابو عثمان بن خريم المرى عن لذة الدنيا فقال : الأمن ، فانه لاعيش لخائن،ثم العافيه ، فانه لاعيش لسقيم ، ثم الغنى ، فانه لاعيش لفقير .

وقيل له ما بلغت من نعمتك ؟ قال : لم ألبس جديدا فى صيف،ولاخلقا فى شتاء .

من المكتبة العربية

ثلاثية الرفض والهزيمة

دراسة نقدية لثلاث روايات لصنع الله إبراهيم

بقلم : جمال وردة

يعد هذا الكتاب الذي صدر حديثا عن دار المستقبل العربي في مصر اسهاما جادا للاستاذ محمود امين العالم في نظرية للنقد الادبي يستند بها الى المنهج الجدلي ويسعى لابراز معالمه خلال التطبيق النقدي على ثلاث روايات لواحد من أبرز الروائيين العرب الشبان .

في اواخر ديسمبر ٧٩ شارك الاستاذ العالم في ندوة عقدت في فاس بالمغرب حول الرواية العربية الجديدة . واختار موضوع التاريخ والفن والدلالة في ثلاث روايات مصرية معاصرة هي : « نجمة أغسطس » لصنع الله ابراهيم ، « وقائع حارة الزعفراني » لجمال الغيطاني و « يحدث في مصر الآن » ليوسف القعيد . وقد حاول من خلال هذه الدراسة ابراز طبيعة العلاقة الجدلية بين الواقع والمتخيل . بين التاريخ والفن ، وخصوصا ان هذه الروايات الثلاث تعبر عن واقع واحد تقريبا أو مرحلة تاريخية واحدة رغم اختلاف المناهج الفنية وقيمها الدلالية .

وقد صدمته بعض التعقيبات في الندوة المذكورة التي اخذت تحاسبه بمعايير بعض المدارس النقدية الفرنسية المعاصرة وعندها وجد نفسه من جديد في قلب معركة النقد الادبي بعد ان كان قد شغل عنها بالدراسات التراثية والتدريس الاكاديمي فترة طويلة ، ولهذا كان هذا الكتاب استكمالا للحوار الذي لم يتم في ندوة فاس حول منهج دراسة الرواية العربية .

وكالفارس القديم الجديد يحمل الاستاذ امين العالم سيفه مدافعا عن مرحلة الخمسينيات النقدية في نفس الوقت الذي يدعو فيه بعض الدارسين الى اعادة النظر في تلك المرحلة وتقويمها في غير تعال أو تجن أو استخفاف مذكرا ان ذلك التيار في النقد الادبي في ذلك الوقت كان ثورة على التفسيرات والتحليلات الاكاديمية والوصفية والانطباعية والتذوقية والنفسية

التي كانت تسيطر بمستوى أو بآخر على النقد الادبي آنذاك . وفضلا عن هذا فقد كانت تلك المرحلة متواقتة ومتواكبة مع مرحلة النهوض الوطني والقومي والاجتماعي التي احتدم فيها الصدام بين القوى الوطنية والديمقراطية العربية من ناحية والقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية من ناحية اخرى ، ومع ذلك ، فان هذا التيار النقدي لم يهمل الجانب الفني أو الجمالي لحساب المضمون الادبي ، بل كان يرى ان الشكل الفني هو عملية فنية يتشكل فيها الموضوع مضمونا وكان يحرص على التحليل « الفني » ـ الدلالي للعمل الادبي كما وضح ذلك في كتابيه « في الثقافة المصرية » بالاشتراك مع زميله الدكتور عبد العظيم انيس و « تأملات في عالم نجيب محفوظ » ، علاوة على مقالات اخرى في كتاب له بعنوان « الثقافة والثورة » .

رواية ثلاثية لا ثلاث روايات

يتناول الاستاذ محمود امين العالم تطبيقاً لمنهجه الجدلي ، الروايات الثلاث لصنع الله ابراهيم محللا البنيات الاساسية داخل هذه الروايات كشفاً لدلالتها في اطار سياقها الاجتماعي والتاريخي ذاكراً انها ليست ثلاث روايات مستقلة بل رواية ثلاثية واحدة سواء من الناحية الفنية أو الدلالية . فبطل القصص الثلاث هو نفس الرواي « الانا السارد » ، وهو بلا اسم وبلا ملامح . على اننا نستطيع ان نتبين بعض المعلومات عنه ، فهو كاتب وصحفي ذو اتجاه يساري يخرج من السجن في وسط الستينيات حين يُفرج عن بعض السجناء السياسيين . والرواية تعبر عن خيبة الامل التي اسفر عنها اللقاء بين هذا السجين المفرج عنه وبين هذا الواقع (القديم ـ الجديد) فرواية«تلك الرائحة»تعكس هذا التناقض الرهيب بين مجتمع يرفع شعارات وسياسات اشتراكية ولكنه يحجز ويراقب الاشتراكيين في الوقت الذي تستشري فيه روح الاستهلاك والفساد والتطلع الرأسمالي . وفي واقع الصدمة هذا يقف الانا السارد مغتربا داخل نفسه محاصرا من السلطة باحثا دون جدوى عن حب ، عن علاقة انسانية ، عن عمل . وفي ظرف آخر يقف المجتمع غارقا في تطلعاته الاستهلاكية ، ففي اللحظة التي يخرج منها هذا السارد للرواية من السجن فإنه يعود اليه ـ لعله لا يعود الى نفس السجن الذي خرج منه ولكنه يعود الى سجن ما ـ الى حجز ما ـ الى تقييد ما لحريته وحركته . وحتى في حالة خروجه من هذا الحجز فسيظل مقيدا في مكان ، في مسكن ، حيث تذهب الشرطة اليه كل ليلة لكي«تتمم عليه» كما يقول في لغة الشرطة .

تكاد بنية حركة الرواية كلها ان تكون هذه الحركة الدائرية : الخروج من السجن والعودة المتصلة اليه ، حركة داخل سجن ـ حرية داخل قيد .

ان الحرية التي خرج اليها لا تثير في نفسه انفعالا ، بل انه يعاني منذ البداية شعورا بأنه يسير في عالم غير مكترث به سواء كان سجينا او حرا . اخوه لا يترك له شقته وكذلك صديقه«والعسكري الذي يرافقه يسعى لاستغلاله . إنها صدمة البوابة التي تكاد تشكل طبيعة العلاقات بين الانا السارد والآخرين ، وبين الانا وعناصر واقع الرواية كلها بأبعادها الزمانية والمكانية واللغوية . فالسارد يتحرك طول الرواية من غرفته في مصر الجديدة الى القاهرة ، فإلى غرفته ثانية قبل الغروب ، اننا في حالة متصلة من الخروج والعودة ـ حركة متصلة ولكنها متكررة ومجدبة لا تفضي الى شيء جديد . حركة بلا جدوى وبلا طائل . على اننا نجد في مواجهة هذا المكان ـ القيد ـ ذلك المكان الحرية ، وهو مكان أو فضاء متخيل يتحرر فيه السارد من قيده ليتحرك بحرية في ذكرياته واحلامه مستخدما لغة اخرى غير اللغة المكانية التقريرية هي اللغة الغنائية الحلمية . وهكذا يزدوج المكان في الرواية بين مكان أفقي محتجز ومكان متعامد على المكان الافقي .

تلك الرائحة وهذه النجمة :

كما اننا نتبين تناقضا من نوع آخر . تناقضا مع الزمان الذي يشكل إطاراً للقصة ، وتناقضا مع الزمان الذي يعيشه السارد . وقد برز هذا التناقض في زمان اجتماعي سائد معاش عبر الرواية كلها ، ولنأخذ بعض النصوص .

وقال خطيب اختي : « هل يعرف احدكم شخصا مسافرا ليأتي اليّ بريكوردر ؟

« وتوقف السائق في الطريق ليضع قطعة حشيش

في فمه ، وشرب الشاي » .

وقالت نهاد : « امريكا رائعة » .

وقال الاب : « ان الرأسمالية افضل» .

« واعلن صوت الراديو عن احدى حلقات«الشبح الأسود» » .

بهذه الامثلة وبعشرات غيرها نشعر بزمان اجتماعي قوامه الفساد والاشتغال بثقافة التسطح والمغامرة . وهو زمن اجتماعي متناقض دلاليا مع الزمن ـ الاطار حيث الشعارات والاجراءات التقدمية . كما يتناقض مع الزمن المحاصر الذي يعيشه السارد دلاليا . ولكننا نلاحظ ان الازدواج والتناقض يعبران عن عالم ذي طبيعة ثنائية يغلب عليها التحاور لا التصارع . فالتناقضات بين المعلن والمحقق ـ بين الشعار والتطبيق ، بين الحرية والقمع ـ بين الرائحة النظيفة والرائحة التي لا تطاق ، هي ثنائيات متناقضة ولكنها غير متصارعة وكأن الرواية تريد ان تعبر في الحقيقة عن سيادة احدى طرفي هذه الثنائية وغلبته على الطرف الآخر . ولهذا تسود تلك الرائحة الكريهة من داخل واقع الرواية . على ان هذه الرواية ليست الا الجزء الاول . فجزؤها الثاني هي رواية « نجمة اغسطس » وهي الرواية التي استلهمها من رحلته الى السد العالي وتكاد هذه الرحلة الى السد العالي ان تكون امتداداً لرحلة ايامه الاولى في القاهرة عند خروجه من السجن .

ان نجمة اغسطس « هي رواية رحلة » ، والرحلة دائما هي البحث والاكتشاف ـ هي رحلة نحو الآخرين ونحو الذات .

ثلاث رحلات وثلاثة قطارات

ونستطيع ان نتبين من خلال الرواية ان هناك ثلاث رحلات لا رحلة واحدة ـ الرحلة الاولى وهي رحلة مكانية من القاهرة الى ابي سمبل مرورا بمنطقة السد في اسوان .

ـ الرحلة الثانية وهي رحلة زمانية بين الحاضر والمستقبل الى الماضي .

ـ الرحلة الثالثة هي رحلة عميقة عبر الذكريات والمذكرات والتضمينات من مذكرات مايكل انجلو وذكريات السجن وقراءات في التاريخ القديم .

ولقد استخدمت الرحلتان الاولى والثانية عدة وسائل للاتصال،كان القطار الوسيلة الاولى فيهما،على اننا سنجد في الرواية اكثر من قطار . هناك القطار الذي نقلنا من القاهرة الى اسوان وهو حديث ومكيف يمتلىء بالاجانب أساسا ، ويعبر هذا القطار عن اتجاه من الحاضر الى المستقبل المنشود ، على اننا داخل هذا القطار الحديث المتجه الى الحداثة المستقبلية نستشعر بغربة الانا عن من حوله ، وامتلائه بالتوجسات العميقة . اما القطار الثاني فهو قطار متواضع قديم بطيء تتكدس فوق ارضه اجساد العمال المرهقين العائدين من عملهم في السد .

ويكاد هذا القطار ان يكون نقيضا طبقياً وحضاريا للقطار الاول رغم انه يتحرك داخل منطقة المستقبل . ولعل هؤلاء العمال يذكروننا بالعمال الذين التقينا بهم في « تلك الرائحة » وهم يتزاحمون لركوب المترو وقد بدا على وجوه بعضهم الارهاق الشديد .

وهناك قطار ثالث وهو القطار ـ الذكرى . انه قطار عربات الحيوانات الذي حمل السجناء السياسيين ومن بينهم الانا السارد بسلسلة حديدية الى سجنهم في صحراء اقاصي جنوب مصر .

أما وسيلة الاتصال الاخرى فهي المركب ، وكانت في الحقيقة وسيلة للتواصل مع الماضي . ان اغلب العلاقات بين الانا والآخرين هي علاقات عابرة برجماتية ـ علاقات برانية خالصة باعتبار الآخرين مجرد ادوات من اجل خدمة او متعة أو معلومات ، ولهذا فهي تفتقد الاستمرارية والعمق ـ حتى علاقة « الانا » بسعيد ـ صديقه الصحفي أو بتانيا حبيبته أو بذهن المناضل الهارب المطارد ، فإنها رغم عمقها النسبي ـ سرعان ما تختفي سواء من المجال الشعوري أو مجال الذكريات .

ان السارد يرى الآخرين ينظرون اليه نظرة الشك والاتهام والحذر أو الاستخفاف والاحتقار ، وهم بالمقابل موضع شك وسخرية من جانب الانا نفسه ـ انه احساس غريب بالدونية والاستعلاء في وقت واحد مما يعمق المسافة المزاجية والفكرية بين الانا والآخرين طوال الرواية،ويعطي لواقعه وحدته الفنية والدلالية .

ويرفض الاستاذ العالم الرؤيا البنيوية للرواية باعتبار انها تعبير عن ازمة مجتمع ما بعد الآلة ، وان الجنس في الرواية هو المهرب والخلاص . ان الآلة في

بقية هذه الرواية ليست اداة قمع وانما هي اداة تعمير وتطوير وابداع سواء في فعل الفن (ازميل ومطرقة مايكل انجلو والات الفنانين المصريين القدماء) أو في الألات الحديثة المستخدمة في بناء السد .

موعد مع اللجنة

الانا السارد يعود بعد انحسار واختفاء نجمة اغسطس الى القاهرة ، ولكن اية قاهرة ؟ لقد اصبحت قاهرة اخرى ـ قاهرة هؤلاء الذين التقى بعضهم في منطقة السد ، وتنبأ بأنهم سوف يكونون حكام المستقبل ـ لقد اصبحت قاهرة المقاولين ـ وفي هذه القاهرة وذات صباح كان الانا السارد على موعد مع اللجنة في بداية رحلته أو محنته الجديدة . لقد استبدل الآن بحقيبة السفر حقيبة رجال الاعمال . انه في زيارة بحث عن عمل ذي طبيعة خاصة . انه نفس الانا السارد الذي بدأ حياته باحلام عريضة ثم سقط في محنة ازمته الفكرية مما جعله يضيق ذرعا بكل شيء ومن اجل ارضاء اللجنة وتملقها نراه يتقبل كل ما تطلبه منه من اعمال مشينة .

ورغم اشاعة جو الغموض والغرابة الكافكاوية حول اللجنة فمن الواضح انها لجنة اجنبية لها نفوذ غامض في مصر تطالبه اخيرا باعداد دراسة عن المع شخصية عربية معاصرة .

وفي رحلة البحث عن هذه الشخصية تبدأ عملية الفرز والتحليل النقدي للواقع الاجتماعي واذا بالجميع يتزلقون الى منحدر واحد . كتابا ومفكرين وشعراء وفنانين علماء واطباء فالحاضر هو حاضر الانفتاح ـ حاضر السماسرة والمقاولين وعملاء الشركات الاجنبية والفئات الطفيلية . فألمع شخصية هي الاكثر فاعلية وتأثيرا . وهكذا يصبح الدكتور بماله من علاقات وارتباطات دولية ولعمالته للشركات الاجنبية هو رمزها اللامع .

ان هذا البحث قد اتاح للكاتب ان يجد معنى للحياة وهو ليس مستعداً لأن يقعده كي لا يعود الى ذلك الخواء . انه اول بحث عن خلاص وعن نجاة ـ اذن لا بد من الرفض لطلب اللجنة بايقاف البحث حين اكتشفت انه سيكون فاضحا لها ولدورها ـ لا بد من الرفض ولو كان دمويا وسكين المطبخ يتخلص من سجانه ـ من سلطان اللجنة عليه وبهذا الرفض المسلح ينتفي الازدواج والالتباس ولكن الرواية تعود بنا الى اطارها الكافكاوي الذي بدأت به حيث يحاكم « الانا » امام اللجنة نفسها ويقوم بتنفيذ الحكم على نفسه .

الا اننا نرى ان الانا السارد لم يأكل نفسه ـ كما حكم عليه ـ رغم المظهر الروائي ولكنه تخلى عن مواصلة المواجهة وارتضى العزلة والاعتزال وبدأ بذلك يجتر احاسيس العجز والخذلان ربما تعبيرا عن مشاعر الندم والتقصير أو مرحلة اعتكاف يجرى خلالها مراجعة حاسمة ونقداً ذاتياً مريراً .

ان هذا البحث المؤوب الطويل عن الحقيقة وعن الخلاص بدءا بتلك الرائحة ومرورا بنجمة اغسطس وحتى أبواب اللجنة هو في الحقيقة رحلة الهروب من الرائحة الفاسدة في مطلع الستينات الى النجمة المتألقة في سماء الجنوب ، نجمة الامل ـ هذه النجمة التي كانت تبرز متوهجة وكبيرة في القسم الاول من الرحلة ـ الرواية ولكنها لا تلبث ان تصبح واهنة وصغيرة . وان هذه النجمة تضعف وتتضاءل رمزاً لخيبة الامل والشعور بالاحباط والتناقض مرة اخرى ـ فالقمع والفروق الطبقية والانتهازية والفساد تمارس جميعها في ظلال هذا المشروع التعميري الانساني الضخم .

واذا كنا قد لاحظنا في تلك الرائحة كثرة التعابير الدالة على النظافة (الماء ـ الصابون ـ دعك الجسد الخ) اي فعل التطهير الجسدي فإننا في رواية نجمة اغسطس نتبين كثرة الافعال المتعلقة بالرؤية والتأمل رمزا للتطهير النفسي .

ان الشعور بالخوف والاحساس بالمطاردة تلازمان الكاتب في قصصه الثلاث وكذلك التداعيات والذكريات ـ واذا كان الانا السارد في تلك الرائحة يعبر عن احتجاجه على فساد مستشر فإنه في نجمة اغسطس يعبر عن رفضه للنظام كله وللسلطة كلها وربما الاوضاع السائدة في مصر ابتداء من منتصف السبعينات .

□

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : هكذا تكلم عرسان . . هكذا تكلم عن الغزالة .
اسم المؤلف : مازن شديد
الناشر : دار الكرمل للنشر والتوزيع - عمان - الاردن .
عدد الصفحات : ٨٢ من القطع المتوسط .

هذا هو الكتاب الشعرى الأول للشاعر مازن شديد جمع فيه عددا من قصائده التى كتبها فى السنوات الأخيرة .

وفى هذه القصائد التى تتحرك خلالها شخصية عرسان فى مختلف مناطق الشتات والعذاب الفلسطيني يبنى مازن شديد عالماً يختلط فيه الرمز بالواقع والرؤيا بالحقيقة على ارضية من الرموز الفلسطينية من حنين وحبر ورصاص وحلم .

والديوان فى مجموعه يشكل اضافة الى فن قصيدة النثر التى تعددت فيها الآراء لكنها اصبحت احدى الحقائق فى حياتنا الادبية المعاصرة .

اسم الكتاب : فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط
اسم المؤلف : د . جعفر آل ياسين .
الناشر : مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع - بغداد
عدد الصفحات : ١٦٥ من القطع الكبير .

هذه الطبعة « المزيدة والمنقحة » هى الثالثة لهذا الكتاب المهم والممتع فى آن واحد . ورغم ان الكاتب يتناول فترة قصيرة نسبيا لا تتعدى قرنا ونصفا من تاريخ الفلسفة اليونانية الا انها فترة ثرية خصبة ظهرت خلالها سمات الفكر الفلسفى اليونانى الذى تطور بعد ذلك على أيدى افلاطون وارسطو وآخرين الى آفاق بعيدة ولا يزال أثر انجازاتهم باديا حتى الآن .

لا يكتفى المؤلف بعرض الفكر الفلسفى اليونانى عرضا وصفيا فحسب ، بل يدخل فى مقارنات وسجالات مع الفلسفات الحديثة والمعاصرة مما يعطيه سمات الكتاب الممتع والمفيد .

اسم الكتاب : الاستيطان اليهودى فى الأدب الصهيونى .
اسم المؤلف : عبد الوهاب وهب الله .
الناشر : دار الكلمة - بيروت .
عدد الصفحات : ١٦٨ صفحة من القطع الكبير .

يقسم المؤلف كتابه هذا الى ثلاثة ابواب يشمل كل منها عددا من الفصول . ومن خلال هذه الابواب الثلاثة يقدم الكاتب عرضا وافيا لبدايات التواجد الصهيونى فى فلسطين الذى اخذ شكلا منظما منذ عام ١٨٨٢ حتى اليوم عبر هجرات سبع معروفة .

وفى البابين الثانى والثالث ينتقل الكاتب بنا خطوة واسعة نحو ادب شموئيل عجنون الروائى الصهيونى الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٦ الذى كان احد ابرز شخصيات الهجرة الثانية مع تركيز على روايته « امس الاول » .

ورغم التشتت الظاهرى فى موضوع الكتاب الا ان

فصوله يرتبط بعضها ببعض من خلال موضوع الهجرة والاستيطان .

اسم الكتاب : التحليل النفسي للامثال العربية
اسم المؤلف : سمير عبده
الناشر : منشورات دار النصر ـ دمشق .
عدد الصفحات : ١٦٩ من القطع الكبير

يقول مؤلف الكتاب في تقديمه « ان الامثال غدت اكثر من مجرد كلمات مشكلة في معاني الالفاظ » ومن خلال هذا الفهم للامثال يمضي الى تحليل نحو خمسين منها تحليلا نفسيا مع محاولة البحث عن أمثال مشابهة لها عند الامم الاخرى ، والاستفادة من طرق التحليل النفسي الذي « لايمكن أن تقوم له قائمة اذا لم يكن متضمنا للتحليل الاجتماعي والثقافي للمثل » كما يرى المؤلف . والكتاب رغم عنوانه الذي يوحي ببعض الخصوصية دراسة مبسطة يتوجه الكاتب بها للقراء العاديين الذين تشكل الأمثال جزءا أساسياً من حياتهم .

اسم الكتاب : لعنة الأرض
اسم المؤلف : نور الدين عامر
الناشر : مطبعة فجر السعادة ـ الدار البيضاء ـ المغرب
عدد الصفحات : ١٢١ من القطع الصغير

رواية مغربية جديدة تدور أحداثها في قرية مغربية نائية « لم تكن في حاجة الى شخص اجنبي عنها لايجاد حل لكل مشكلة او عارض يطرأ . . او تعرف سلطة ترتدي بزة تثير الرعب في النفوس وتخشاها الكلاب » وان كان المغرب قدم لنا في الآونة الاخيرة عددا من المفكرين اللامعين والشعراء والمسرحيين الذين أثروا الادب والفكر العربيين فان هذه الرواية تفتح نافذة جديدة نطل منها على الرواية المغربية والريف المغربي الذي لا يزال مجهولا لدى القارىء العربي .

اسم الكتاب : رواية المستقبل
اسم المؤلف : انانيس نن
ترجمة : محمود منقذ الهاشمي
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق
عدد الصفحات : ٢٧٦ من القطع الكبير

بترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية يتيسر للقارىء العربي الاطلاع على واحد من اهم النصوص الاوربية حول الرواية ومستقبلها باعتبارها اوسع الفنون الادبية انتشارا .

ومن خلال عرض ذكي يشي باطلاع واسع على هذا الفن تلاحظ الروائية الفرنسية انانيس نن اننا « الآن في عهد وسيط . وثمة هوة بين الشعر والنثر الذي فقدت فيه الكتابة قوتها السحرية ، هوة بين الفن والعلم . وهوة بين الشعور واللاشعور . وهذه الامور سوف تندمج ذات يوم » . ومن خلال هذه الملاحظة الثاقبة تحاول نن رسم صورة رواية المستقبل .

اسم الكتاب : الثورة والادب والتكنولوجيا
اسم المؤلف : فالنتينا ايفاشيفا
ترجمة : فخري لبيب
الناشر : دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة
عدد الصفحات : ٢٧٨ من القطع الكبير

يتضمن هذا الكتاب مناقشة لواحد من أهم الموضوعات التي تشغل العالم المتقدم بشقيه : الاشتراكي والرأسمالي ، هو موضوع الثورة التقنيه واثرها على الابداع الادبي في عالم يقف على مشارف القرن الحادي والعشرين .

ولا تكتفي الكاتبة السوفيتية بدراسة أثر التقنية على المجتمع الاشتراكي الذي تعيش فيه بل تبرز بعض آثارها على المجتمع الرأسمالي ايضا من خلال اطلاع جيد على الآداب التي افرزها كل من المجتمعين . □

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

النسبُ إلى فَعِيلة وفُعَيلة

باب النسب في لغتنا من أوسع أبواب الصرف وأكثرها تفصيلا ، وهكذا شأنه في بعض اللغات الراقية الأخرى ، ولكن بعض علماء الصرف عندنا زادوا فيه بعض التعقيدات لعدم توسعهم في استقراء الشواهد التي تستمد منها القواعد .

والقاعدة العامة في النسب أن نزيد على الكلمة التي يراد النسب إليها ياء مشددة في آخرها دون تغيير في بنية الكلمة ، فيقال مثلا : إسلام وإسلامي ، وقرآن وقرآني ، لكن العرب غيّروا أحيانا كثيرة في بنية الكلمة أيضا ، كقولهم : مَلِك ، ومَلَكي ، وهم يحذفون تاء التأنيث فيقولون مثلا : مكة ومكّي ، وفاطمة وفاطمي .

وهذه التغييرات صور مختلفة ، يعنينا منها هنا الصيغتان الآتيتان :

١ ـ فَعِيلة (بفتح فكسر) : إذ تعسف الصرفيون في تقسيم الكلمات التي تأتي على هذه الصيغة أقساما فقالوا :

أ ـ إذا كانت عين الكلمة صحيحة غير مضعفة ولامها صحيحة ، حذفت الياء وفتح الحرف الذي كان قبلها مكسورا ، ففي النسب إلى مَدِينة ، وحَنِيفة وبَجِيلة وصَحِيفة ، يقال كما قالت العرب : مَدَنيّ ، وحَنَفِيّ ، وبَجَليّ ، وصَحَفِيّ .

ب ـ وإذا كانت عين الكلمة معتلة لم تحذف الياء مثل : طَوِيلة فالنسب إليها طَوِيليّ .

جـ ـ وإذا كانت عين الكلمة مضعّفة لم تحذف الياء أيضا مثل جَلِيلة ، فالنسب إليها جَلِيليّ . ولو أنصف الصرفيون لأبقوا على الياء عند النسب إلى ما جاء على فَعِيلة ، ولم يوجبوا حذفها مادامت لام الكلمة صحيحة ، كما في القسمين الثاني والثالث ، وكما أبقاها العرب في بعض أمثلة القسم الأول ، إذ نسبوا إلى عَمِيرة وسَلِيمة وسَلِيقة فقالوا : عَمِيريّ وسَلِيميّ ، وسَلِيقيّ ومنه قول الشاعر :

ولستُ بنَحْوِيّ يلوكُ لسانَه
ولكن سَلِيقيّ أقولُ فأُعْرِبُ

ولكن الصرفيين اعتبروا إبقاء الياء في هذه الكلمات : عَمِيريّ وسَلِيميّ وسَلِيقيّ شذوذا في قياسهم ، مع أن الشائع في الأقسام الثلاثة هو إبقاء الياء كما تقدم .

وإذا كانت العرب قد حذفت الياء في بعض الكلمات ، مثل : مَدِينة وحَنِيفة وبَجِيلة وصَحِيفة ،

عند النسب إليها ، فقالت طلبا للخفة : مَدَنِيٌّ ، وحَنَفِيٌّ ، وبَجَلِيٌّ وصَحَفِيٌّ - فإن ذلك لا يوجب حذف الياء في أشباه هذه الكلمات ، كما يريد الصرفيون ، بل علينا أن نقبل هذه الكلمات مادامت قد سُمعت عن العرب ، ولانلتزم حذف الياء فيها أو في أمثالها ، بل نبقيها كما أبقتها العرب في عَميرِيّ وَسَليمِيّ وَسَليقِيّ .

وأذكر أن بعض شيوخنا كانوا إذا رأوا في كراساتنا كلمة « بديهي » نسبة إلى بَدِيهَة ، « وطَبِيعِيّ » نسبة إلى طبيعَة - اعتبروا ذلك خطأ وأوجبوا أن يقال : « بَدَهِيّ » و « طَبَعِيّ » ، مع أن الوجهين جائزان ، وقد يكون من الأولى إبقاء الياء لإظْهار المنسوب إليه ، كما في النسبة إلى : جَزِيرَة ، وطَلِيعَة ، وخَلِيفَة ، فقولنا : جَزِيرِيّ ، وَطَلِيعِيّ وَخَلِيفِيّ أفضل من قولنا : جَزَرِيّ ، وَطَلَعِيّ ، وَخَلَفِيّ .

وهكذا يقال فيما هو على صيغة « فَعِيل » مثل : ثَقِيف ، فقد نسب إليها العرب فقالوا : ثَقَفِيّ ، ومن الواجب قَبول هذا النسب ، الذي حذفت فيه الياء ، دون التزام بحذفها في كل ما ورد على هذه الصيغة ، مثل : أمير ، ورئيس ، وعَزيز ، وبَريد ، ورَبيع ، بل نبقي الياء فنقول : أميرِيّ ، وَرَئِيسِيّ ، وَعَزِيزِيّ ، وَبَرِيدِيّ ، وَرَبِيعِيّ .

وقد نسبت العرب إلى « رَبيع » فقالوا : « رِبْعِيّ » وسَمّوا به بعض أولادهم أحيانا ، ومن ذلك أن سليمان ابن عبدالملك احد ملوك بني أمية اراد أن يبايع لأحد أولاده بعده ، ولما عرضهم في احسن هيئاتهم وجدهم جميعا صِغَارا ، فقال متوجعا : -

إنّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّون

أفلح من كان له رِبْعِيُّون

واختار بعده ابن عمه عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .

٢ - فُعَيْلَة (مُصَغّرة) : سمع عن العرب حذف الياء في النسب إلى بعض ما جاء على وزنها صحيح اللام مثل : جُهَيْنَة وقُرَيْظَة ، فقالوا : طَلَبا للخفّة : جُهَنِيّ ، وقُرَظِيّ ، وعلينا قَبول ذلك لوروده عن الفصحاء ، دون التزام حذف الياء فيها ولا في أمثالها ، فيجوز أن يقال : جُهَيْنِيّ ، وقريظي ، قياسا على ما ورد من أمثالها . فقد قالوا : ردينة ورديني ، ومنه قول مالك ابن الريب المازني في رثاء نفسه وقد شعر بدنو أجله :

تذكرت من يبكي عَلَيَّ ، فلم أجِدْ

سِوَى السيفِ والرمحِ الرُّدَيْنِيِّ باكيا

وقالوا : سُكَيْنَة وسُكَيْنِيَّة ، وهكذا فُعَيْل (مصغرا) فقد نسبت العرب إلى قُرَيْش ، وسُلَيْم (صحيح اللام) فقالوا : قُرَشِيٌّ وسُلَمِيّ ، بحذف الياء وعلينا أن نقبل ذلك لوروده عن الفصحاء ، ولكنه لا يمنعنا ان نقول : قُرَيْشِيّ وسُلَيْمِيّ قياسا على أمثاله كما قالوا في النسبة إلى قُهَيْم : قُهَيْمِيّ ، وطُفَيْل وطُفَيْلِيّ .

ولابن قتيبة رأى يعول عليه في النسبة إلى هاتين الصيغتين ، وهو قوله في كتاب « أدب الكاتب ص ٢٠٩ : إذا نسب الى اسم مصغر كانت فيه الهاء (هاء التأنيث) او لم تكن وكان مشهورا ألقيْتَ (حذفت) الياء منه ، نقول في جُهَيْنَة ومُزَيْنَة : جُهَنِيّ ومُزَنِيّ ، وفي قُرَيش قُرَشِيّ ، وفي سُلَيْم سُلَمِيّ . وهذا هو القياس إلا ما أشذوا (اعتبروه شاذا) . وكذلك إذا نسبت إلى فَعِيل أو فَعِيلة من أسماء القبائل والبلدان ، وكان مشهورا - ألقيتَ منه الياء : مثل : رَبِيعة وبَجِيلة ، تقول : رَبَعِي وبَجَلِي ، وحنيفة وحَنَفِيّ ، وثَقِيف وثَقَفِي ، وعَتِيك وعَتَكِي ، وإن لم يكن الاسم مشهورا لم تحذف الياء الأول ولا الثاني » .

فشهرة الكلمة عنده لها أثرها في حذف يائها حين ينسب اليها وإلا بقيت الياء عند النسب ، وهذه الشهرة تختلف مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ، فشهرة الكلمة في زمان أو مكان لا تستلزم وجود شهرتها أو بقاءها في زمان أو مكان آخرين ، فالأحوط إبقاء الياء عند النسب .

ثم إن الأصل هو إبقاء الكلمة على أصلها ما أمكن عند النسب إليها ، وكان ذلك سائغا . ولكن لابد من قبول كل ماورد عن العرب مخالفا لهذه القاعدة ، طلبا للخفة دون التزام به أو التزام بقياس أمثاله عليه .

ومهما يكن فلا بد من مراعاة أمن اللبس في كل كلمة وكل جملة .

ومن هنا يبدو أن الصرفيين تسرعوا حين أوجبوا ما لا يجب وهو حذف الياء من صيغتي فَعِيلة وفُعَيْلَة ، واعتبروا اثبات الياء فيها شذوذا مثل سَلِيقِيّ ورُدَيْنِيّ مع أن هذا هو الأصل ، فهم قد جعلوا المطرد أو الغالب شاذا ، وجعلوا الشاذ مطرداً . □

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

الدُّنْيَا دُوَلُ

تنسب هذه القصيدة الى الامام علي كرّم الله وجهه ، ونرى انها ليست له وان وجدت في بعض طبعات ديوانه ، اذ لم تُؤْثَر عنه القصائد الطوال ، وكل ما أثر له من الشعر مقطوعاتٌ في الحماسة او الزهد او الحكمة أو الحث على الفضيلة ، وكانت بلاغتُه العليا تتجلى في خطبه ورسائله وجوامع كلِمِه ، فتكفيه في التعبير عن خواطره ، وتغنيه عن الشعر .

ونرجح أن هذه القصيدة - كما يظهر من اسلوبها واشاراتها التاريخية - قد نُظِمت في عصر العباسيين بعد أن فقدت خلافتهم هيبَتَها وسلطانَها ، وصارت امورها إلى قوادهم يتلعَّبون بمن يُسَمَّون الخلفاء ، فيُولُّونهم ويعزلونهم كما شاءوا ، وقد يتبعون العزل بالقتل أو الحبس مع الإذلال ، وقد ظهر ذلك في أواخر عهد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) الذي اشترك ابنه في قتله ليخلفه في الحكم .

باتُوا على قُلَلِ الأجْبالِ تحرسُهمْ ... غُلْبُ الرجالِ ، فلم تنفَعْهمُ القُلَلُ[١]

واستُنْزِلُوا بعد عزٍّ عن معاقِلِهمْ ... فأودِعوا حُفَراً ، يابِئْسَ ما نَزَلُوا[٢]

ناداهُمُ صارِخٌ من بعدِ ماذُفِنوا ... أين الأسِرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ ؟

أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل ؟ [٣]

فأفصح القبرُ عنهمْ حين ساءلَهُمْ : ... تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقتتِلُ

قد طالما أكلُوا دهرا وما شرِبُوا ... فأصبحوا ، بعد طول الأكل ، قد أُكِلُوا

وطالما كثّروا الأموال وادّخروا ... فخلّفوها على الأعداءِ ، وارتحلُوا
وطالما شيّدوا دُوراً لتحصنَهمْ ... ففارقوا الدُّورَ والأهلِينَ وانتقلُوا
أضحت مساكنُهمْ وحشاً مُعطّلةً ... وساكِنوها الى الأجداثِ قد رَحلُوا[4]
سَلِ الخليفةَ اذ وافت منيّتُهُ ... أين الجنود وأين الخيل والخَوَلُ ؟[5]

أين الكنوزُ التي كانت مفاتحُها ... تنوءُ بالعصبة المُقْوين لو حَملُوا ؟[6]
أين العبيدُ الأُلى أرصدْتَهم عددا ؟ ... أين العديدُ وأين البيضُ والأَسَلُ ؟[7]

أين الفوارسُ والغِلْمان ، ماصنعوا ؟ ... أين الصوارمُ والخَطّيّة الذُّبُلُ ؟
أين الكفاةُ الم يكفوا خليفتَهم ... لما رأوه صريعا وهو يبتهل ؟[8]

أين الكماةُ ؟ أما حَامَوْا ، أما غضبوا ؟ ... أين الحُماةُ التي تُحْمَى بها الدُّولُ ؟[9]
أين الرُّماةُ ؟ ألم تُمنَعْ بأسهُمِهِمْ ... لَمّا أتتْكَ سِهامُ الموت تَنْتَضِلُ

هيهات ، ماامَنَعوا ضَيْما ، ولادَفَعُوا ... عنك المنيةَ اذْ وافى بها الأجلُ !
ولا الرُّشى دفعتْها ، صاح ، لو بَذلُوا ... ولا الرُّقَى نفعت شيئا ولا الحِيَلُ
ماساعدوك ، ولا واساك اقربُهم ... بل اسلمُوك لها ، يا بِئْس ما فَعَلوا
ما بالُ قبرِك لايَغْشَى به أحَدٌ ... ولا يَطُورُ به من بينهم رجل[10]
مابالُ قصرِك وحشاً لا انيسَ به ... يغشاك من كَنَفَيْهِ الرَّوْعُ والوَهَلُ

ما بالُ ذِكْرِك منسيا ومطَّرَحا ... وكلُّهُمْ باقتسام المالِ قد شُغِلوا
لاتنكرَنْ ، فما دامت على مَلِكٍ ... الا أناخَ عليه الموتُ والوَجَلُ
وكيف يَرجو دوامَ العيش متصلاً ... وروحُه بحبالِ الموت متَّصِلُ
وجسمه لِنُبَاناتِ الرّدَى غرضٌ ... ومُلْكُه زائلٌ عنه ومُنْتَقِلُ[11]

---

١ ـ قلل الأجبال : قمم الجبال ، غلب الرجال : اقوياؤهم .
٢ ـ معاقلهم : حصونهم ، حفرا : قبورا
٣ ـ الكلل : الستائر
٤ ـ وحشا معطلة : خالية من السكان عارية عن الزينة .
٥ ـ المنية : الموت ، الخول : الخدم
٦ ـ لا تستطيع حمل مفاتيحها الا جماعة قوية
٧ ـ البيض والأسل : السيوف والرماح
٨ ـ الكفاة : الصالحون لحمل المسئوليات ، يبتهل : يتضرع .
٩ ـ الكماة : الابطال ، الضيم : الذل
١٠ ـ لايغشى : لايعلم ، لا يطور : لا يطوف ،
١١ ـ لبانات الردى : مطالب الموت .

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ من هي مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين ..؟

٢ ـ جزر ملفنيا .. كم تبعد عن جزر فوكلاند ؟

٣ ـ هانيبال قائد قرطاجة العظيم .. اشتهر بغزو روما برا عن طريق اسبانيا ، فجبال الألب سنة ٢١٩ ق . م ، واشتهر كذلك بالفيلة التي اعتمد عليها في حملته تلك .. ترى هل احتل هانيبال روما ..؟

* نعم احتل روما وحكمها حكم المستعمر .
* لم يحتل روما بالذات ولكنه احتل اجزاء واسعة من ايطاليا ، وبسط نفوذه عليها طوال عشر سنوات أو تزيد ..
* لم يحتل هانيبال شيئا اذ لم يكد يصل الى أسوار روما حتى استدعته قرطاجة .. فعاد اليها مسرعا ..

٤ ـ النهى معناه العقل .. وسمي به لأن العقل ينهي عن القبيح .. ترى ما هو مفرده إن كان جمعا ، وما هو جمعه إن كان مفردا .؟

٥ ـ الفتاة الأمريكية (سوزان انتوني) هي زعيمة حركة المرأة في الولايات المتحدة ، تلك الحركة التي تكللت بحصول النساء في أمريكا على حقوقهن .. حق التصويت بالتحديد .. فمن هي زعيمة حركة المرأة في بريطانيا .. الحركة التي تكللت بحصول المرأة الانكليزية على حقوقها ..؟

٦ ـ يعتبر صوف المارينو في طليعة أصواف العالم جودة وانتشارا .. وتعتبر استراليا الدولة الأولى في تربية خراف المارينو وتصدير أصوافها في الوقت الحاضر ، ترى ما هو الموطن الأصلي لهذه الخراف ؟

* افريقيا .
* أسبانيا .
* مارينو .

٧ ـ ساهمت اليونسكو في انقاذ معابد أبي سنبل من خطر الغرق في مياه النيل عند إنشاء السد العالي .. ترى ما اسم الجزيرة التي كانت تلك المعابد قائمة عليها قبل نقلها ؟

* جزيرة الفيلة .
* جزيرة فيلة
* جزيرة الفيل

٨ ـ الاسمنت ، عماد البناء والعمران منذ اكتشافه عام ١٨٢٤ ، يقترن اسمه باسم بورتلاند .. لماذا ؟

* نسبة الى مدينة بورتلاند الأمريكية التي اكتشف فيها .
* نسبة الى حجارة بورتلاند الشهيرة في انكلترا .. فالشبه كبير بين هذه الحجارة وبين الاسمنت بعد جفافه من حيث اللون .

الثقافية

الشروط:

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٣ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ديسمبر ١٩٨٥ .

٩ ـ قامت الحروف الابجدية مقام الأرقام قبل ظهور الأرقام الهندية / العربية وانتشارها .. فحرف (أ) رمز الى رقم (١) وحرف (ي) رمز الى رقم (١٠) فما هي الأرقام التي رمزت إليها الحروف التالية :
(هـ) (ق) (غ)

١٠ ـ صناعة السكر وصناعة السماد .. سماد النترات الأزوتي بالذات تحتاج احداهما الى ٦٠٠ طن ماء ولا تحتاج الأخرى الا الى ٩ أطنان ماء . فأي الصناعتين هي هذه ؟ وأيهما هي تلك ..؟

١١ ـ قطط وأرانب الانجورا ، وماعز الانجورا .. لم سميت انجورا ..؟

* نسبة الى انجولا .. وقد اصبحت انجورا نتيجة التحريف .
* نسبة الى انجلترا وقد اصبحت انجورا نتيجة التحريف .
* نسبة الى انقرة عاصمة تركيا ..

١٢ ـ الصلصال والفخار .. أيها أقوى ..؟

* متساويا القوة .
* الفخار هو الأقوى .. فهو طين مشوي بالنار والصلصال طين غير مشوي بالنار .
* الصلصال هو الأقوى .

العدد ٣٢٣

اكتوبر ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ ....

٢ ـ ....

٣ ـ ....

٤ ـ ....

٥ ـ ....

٦ ـ ....

٧ ـ ....

٨ ـ ....

٩ ـ ....

١٠ ـ ....

١١ ـ ....

١٢ ـ ....

الاسم : ....

العنوان : ....

مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي

حل

١ - شريط النايلون هو الأقوى . . ذلك أن قوة الشد Tensil في النايلون تفوق نظيرتها في الألمنيوم . .

٢ - يوجد حجر رشيد حاليا في لندن . . وفي المتحف البريطاني بالذات . . وتجدر الاشارة الى أن احد ضباط نابليون هو الذي عثر على ذلك الحجر ، في بلدة رشيد سنة ١٧٩٩ . . واستولى عليه الانجليز سنة ١٨٠١ ، ثم وضع في المتحف البريطاني سنة ١٨٠٢ . .

٣ - المسألة الحسابية البسيطة :
في الارقام الهندية / العربية ٥٠ + ٤٠ + ١٠ = ١٠٠
في الارقام اللاتينية الرومانية L + XI + X= C

٤ - امارة موناكو في أوروبا وفي جنوب فرنسا بالتحديد . . وجمهورية اندونيسيا في جنوب شرق آسيا . .

٥ - نهر الخابور الأصغر هو أحد روافد دجلة ، ينبع من أرمينيا ، ويتصل بدجلة بين مغارة وحزرة . .
نهر الخابور الأعظم من أعظم روافد الفرات . . يصب في الفرات عند الميادين .

٦ - الثلاثة الاولى متجانسة ، فهي كلها مستحضرات طبية ومن المضادات الحيوية بالتحديد ، والرابع هو الناشز . . فهو هرمون تفرزه غدة البنكرياس ، ومن شأنه أن يحرق فائض السكر في الدم .

٧ - عدد الفقرات في كلتا الرقبتين هو سبع . .

٨ - كتاب الجاحظ هو كتاب الحيوان ، ويقع في (٧) أجزاء ، وكتاب الدميري هو حياة الحيوان الكبرى . وتجدر الاشارة الى أن الجاحظ (أبو عثمان) عاش في

مسابقة العدد ٣٢٠ يوليو ١٩٨٥

البصرة فيما بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين .. وأن محمد كمال الدين الدميري عاش في القاهرة ١٣٤٩ - ١٤٠٥ .

٩ - يذكر فهرس الاعلام الملحق بالمنجد أن طائفة الموارنة ظهرت أول ماظهرت ، في وادي العاص سنة ٤٠٠ م . وقد نزحوا الى لبنان سنة ٧٤٥ / ٧٤٦ . وذلك في عهد مروان بن الحكم .

١٠ - اسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) هو العالم الذي اعتقد بوجود حجر الفلاسفة ، وانفق من الجهد والوقت ماانفق في البحث عنه .

١١ - نيكراجوا هي الدولة الامريكية اللاتينية التي تطلق اسم قرطبة على وحدة عملتها .

١٢ - يلتقي الميزانان ويتعادلان عند درجة (٤٠) تحت الصفر .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٠ يوليو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : علي عبدالله آل ثويمر / الظهران / السعودية .
الجائزة الثانية : زكريا عادل محمود موسى الحاج / عمان / الأردن .
الجائزة الثالثة : حمادات حسن / مريرت / المغرب .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - محمود داود الهياب / الشعبية / الكويت .
٢ - حاتم محمد السيد حسين / الزقازيق / مصر .
٣ - فاضل عباس يعقوب يوسف / سنابس / البحرين .
٤ - حميتي الزبير / بريكة / الجزائر .
٥ - محمد أحمد محمد / كفر الزيات / مصر .
٦ - بلال جبايل / بيروت / لبنان .
٧ - عبدالله محمد سليمان / الظهران السعودية .
٨ - حامد المصمودي / صفاقس / تونس .

معركة بلا سلاح

الطفلة المعجزة

الطفلة الهنغارية سوزان بولجار التي تبلغ من العمر حاليا خمسة عشر عاماً هي إحدى معجزات الشطرنج ، فقد فازت في بلدها بلقب أستاذة وهي لا تزال في العاشرة ، ومنحها الاتحاد الدولي للشطرنج لقب أستاذة دولية كبيرة في الثالثة عشرة ، وما ان احتفل بعيد ميلادها الرابع عشر حتى منحها الاتحاد الدولي لقب استاذ دولي (رجال) في المؤتمر العام للاتحاد المنعقد في سالونيكا بتقدير يبلغ (٢٤٠٥) نقطة . وفي التصنيف الأخير للاتحاد الدولي فان هذه الطفلة المعجزة تتصدر قائمة البطولة للسيدات بتقدير يبلغ (٢٤٣٠) نقطة في حين لم يتجاوز تقدير بطلة العالم الحالية للسيدات « مايا » « شيوردادنز » (٢٤٠٠) نقطة (انظر عدد ابريل ٨٥) .

وفي مقابلة حديثة مع والدها « لازلو بولجار » ذكر ان اهتمام ابنته بالشطرنج بدأ في سن الرابعة وانها تتقن الحديث بخمس لغات غير انه شكا من قلة ما تلقاه ابنته من الرعاية والدعم في المحافل الشطرنجية بالمقارنة بما يلقاه أمثالها من الأبطال الذكور . . . ويذكر على سبيل المثال الامتيازات التي كانت تمنح لكاربوف وفيشر عندما كانا في مثل سنها .

وقد اخترنا لهذا العدد المباراة الحديثة التالية (٨٤) بينها وبين البطل اليوغسلافي « ب . نيكولك » (٢٥٧٥) نقطة والحائز على لقب أستاذ كبير . ويعتبر « ب . نيكولك » واحداً من الأبطال العشرين الأوائل في الشطرنج في العالم .

ب . نيكولك (أبيض)	ز . بولجار (أسود)
١ ـ ز٣	هـ ٥
٢ ـ جـ ٤	ح - جـ ٦
٣ ـ ح - جـ ٣	ز٦
٤ ـ ف - ز٢	ف - ز٧
٥ ـ د ٣	د٦
٦ ـ ح - و٣	و٥
٧ ـ ح - د٥ ؟!	ح جـ ـ هـ ٧
٨ ـ ف - ز٥ ؟!	حـ ٦
٩ ـ ف×هـ ٧	ح×هـ ٧
١٠ ـ ح×هـ ٧	و×هـ ٧
١١ ـ ح - حـ ٤	و - و٦
١٢ ـ هـ ٤	ث
١٣ ـ هـ ×و٥	(ث كان أفضل)
١٣ ـ	ز×و٥
١٤ ـ ت	و٤
١٥ ـ ر - ب١ ؟!	(و - حـ ٥ أفضل)
١٥ ـ	جـ ٦
١٦ ـ ب ٤	أ٦ !
١٧ ـ و - حـ ٥	و - ز٥
١٨ ـ و - ز٦	(و - هـ ٢ أفضل)
١٨ ـ	و×ز٦
١٩ ـ ح×ز٦	ر - و٧
٢٠ ـ ز×و٤ ؟!	(ف - هـ ٤ أفضل)
٢٠ ـ	هـ ×و٤٠
٢١ ـ ح - حـ ٤	ف - و٦ !

٢٢ ـ ح ـ و٣	ف ـ و٥
٢٣ ـ ر ـ ب٣ ؟	(رب ـ د١ أفضل)
٢٣ ـ	ر ـ ز٧
٢٤ ـ م ـ حـ١	م ـ حـ٨
٢٥ ـ ح ـ د٢	رأ ـ ز٨
٢٦ ـ ح ـ هـ٤	(انظر الشكل)

٢٦ ـ	ف ـ د٤
٢٧ ـ ح×د٦	و٣ !
٢٨ ـ ف × و٣	ف ـ حـ٣
٢٩ ـ ر ـ د١	ف × و٢
٣٠ ـ رب ـ ب ١	ر ـ و٨
٣١ ـ ف ـ هـ ٤	ر ـ و٤

٣٢ ـ يستسلم (لأن الاسود يهدد بالأخذ في هـ ٤ فلو لعب :)

٣٢ ـ ر ـ د٢	ف ـ د٤
٣٣ ـ ح × ب٧	رو ـ ز٤ !
٣٤ ـ رد ـ د١	ر×هـ ٤ !

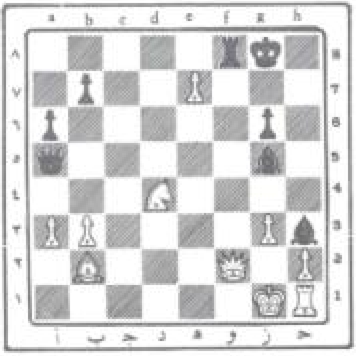

مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٤)

الأسود يلعب ويميت

الشاه في ثلاث نقلات

حل المسألة (٣٢)

١ ـ ف ـ د٥ و٢أوحـ٢

٢ ـ ب ٨=ح كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣١)

العدد ٣٢٠

يوليو ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ خالد ابو دعابس / الاردن

٢ ـ شريف عبد الماجد محمد ماضي/ المنيا / مصر

٣ ـ محمد عبد الوهاب محمد/ ليبيا

٤ ـ د. محمد عادل جيجه/سوريا

٥ ـ خالد مبارك سليم المزيودي / طرابلس / ليبيا

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ غسان بني المرجة / الكويت

٢ ـ بابا عمر جلمام اسماعيل / غارداية / الجزائر

٣ ـ منير بن يعقوب / قابس / تونس

٤ ـ عبد اللطيف منير / الجزائر

٥ ـ عبد المجيد العليلي / زنقة الاطلس/ خريبغة/ المغرب

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

حوار القراء..

عزيزي القارىء

على هذه الصفحات يتجدد لقاؤنا معك ، نستمع الى ملاحظاتك حول ما ينشر في مجلتك العربي ، الى تساؤلاتك التي تفتح لنا آفاقا جديدة الى معلوماتك التي تثري وتغني ، ومن خلال هذا الحوار بين كتاب العربي وقرائها يكتسب الانجاز الذي تقدمه العربي نبض المشاركة ، ودفء العلاقة الانسانية الى جوار العلاقة الفكرية .

اننا نتطلع الى ان يكون هذا الباب فرصة لنمو العلاقة بين كتاب العربي وقرائها ، وهي فرصة لتبادل الادوار بين الكاتب والقارىء تضع العلاقة بينها في اطارها وهو اطار التفاعل وتبادل الاهتمام وتنمية الفكر من خلال الحوار والمناقشة .

ان أي كاتب جيد يعتز دائما بصفته الاولى والاساسية وهي انه قارىء جيد ، والقارىء الجيد اليوم ربما هو كاتب المستقبل وما اجمل ان تكون هذه الصفحات فرصة للقاء والتفاعل بين الماضي والحاضر والمستقبل .

المحـــرر

« الجراكسة » .. من هم وكيف قدموا الى الوطن العربي ؟

قرأت في العدد رقم ٣١٩ من العربي مقالا بعنوان : « الجبرتي يصوم رمضان » ورد فيه اسم « الشراكسة » ص ١٣١ كما سبق ان قرأت في العدد رقم (٣٠٧) مقالا بعنوان « المماليك يصومون رمضان » ورد فيه اسم « الجراكسة » ص ١٩٤ ، والمقالان المذكوران بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل ، وأرغب في معرفة أصل هؤلاء الشراكسة أو الجراكسة وكيفية قدومهم الى الوطن العربي ، لذلك فأرجو ان تنشروا في مجلتكم الغراء تحقيقا موسعا حول هذا الموضوع أو بالاحرى حول موضوع الاقليات الاجنبية المقيمة في الوطن العربي من شركس وكرد وارمن وغيرهم . . .

هيثم حاج حسن
سوريا ـ دمشق

العربي

نشكر للقارىء كريم متابعته . . .

والى أن تتحقق للقارىء السيد هيثم حاج حسن رغبته في نشر دراسة أو دراسات موسعة عن الجركس أو عن الاقليات في الوطن العربي يسر العربي ان تقدم له لمحة موجزة عن الجركس .

« ففي دائرة المعارف الاسلامية » تحت عنوان

(جدك) « جركس » كلمة فارسية الاصل بمعنى « الرجال الأربعة ، سميت بها قبائل الجركس الاربعة المتحدة النسب » .

ثم تشير دائرة المعارف الاسلامية الى ان الجركس : « جيل من الناس يسكنون حوالي جبال القوقاز ، وهي سلسلة جبال بين البحر الابيض وبحر الخزر ، وينقسمون الى قبائل عديدة ثم تتحدث عن بعض صفاتهم فتقول : « انهم من أكمل البشر خلقة وأحسنهم وجوها واشجعهم قلبا ، واشدهم مقاومة للشدائد ، وان صالحهم صالح لا نظير له ، وطالحهم طالح لا مثيل له » .

وعن قدومهم الى الوطن العربي تذكر ان الملك الصالح ايوب هو اول من استقدمهم ليكونوا عساكر في جيشه .

والامير عز الدين ايبك الذي تزوج من شجرة الدر وهو اول ملوك الدولة الجركسية بالديار المصرية ، ومن اشهر ملوك الدولة الجركسية الملك الظاهر بيبرس ، وقد احيا الظاهر بيبرس الازهر ، فدام الى اليوم معقلا للسنة وعلى اثر ضعف الدولة الايوبية قويت مملكة الجراكسة المشهورة بدولة المماليك ، ولمزيد من المعلومات يمكن الرجوع بالاضافة لهذين المرجعين الى كتاب « الشركس اصلهم ، تاريخهم ، عاداتهم ، تقاليدهم » بقلم الاستاذ محمدخير حقندوقة .

« استطلاع العربي بين المشهور والمغمور »

اني ألاحظ ان مجلة العربي عندما تقدم استطلاعا عن قطر ما سواء أكان عربيا أم أجنبيا فانها تسلط الضوء على ما هو معروف ومشهور في هذا القطر ، وقد لا تتوقف طويلا امام ما هو غير معروف رغم اهميته أحيانا وحتى تكون الصورة واضحة لكم ، فإني أشير الى المثال التالي : حين انتقلت العربي الى سوريا اتجهت الى العاصمة دمشق وما فيها من آثار وأماكن هامة كالجامع الأموي مثلا ولم تتجول في باقي المدن السورية ومن هذه المدن مدينة دير الزور - التي يمر بها الفرات - بما تضم من آثار قديمة مثل « مملكة ماري » و « والصالحية » و « قلعة الرحبة » وكذلك « الجسر المعلق » الذي بناه الفرنسيون على نهر الفرات . . . الخ .

لذلك فاني اقترح على مجلة العربي عندما تذهب الى قطر ما أن تعنى الى جوار العاصمة بزيارة البلاد التي لها اهمية خاصة تاريخية أو جغرافية أو حضارية أو اقتصادية ، وبما ان صفحات الاستطلاع لا تستوعب كل ذلك في عدد واحد فلا مانع من أن تقدم العربي مثل هذا الاستطلاع في أكثر من عدد ، وعلى حلقات ليتاح للقارىء أن يتعرف على أشياء جديدة غير مشهورة لكنها مهمة الى جوار ما هو معروف ومشهور .

هشام محيسن الحق
سوريا - دير الزور

العربي

لعل القارىء الكريم يلاحظ بمراجعة أعداد العربي في المرحلة الاخيرة ، ان استطلاعاتها عن أي قطر من الأقطار تشمل أكثر من زيارة لأكثر من بلد في القطر الواحد بهدف تغطية الجوانب المهمة في هذا البلد أو ذاك ، وأن مثل هذه الاستطلاعات تنشر بالفعل كما يقترح في أكثر من عدد ، ولعل القارىء الكريم يأخذ في اعتباره ان العربي وهي تخاطب مختلف الأجيال العربية في مساحة واسعة من الوطن العربي والاسلامي تلاحظ ان ماهو معروف ومشهور لجيل أو في مكان قد لا يكون كذلك لجيل أو مكان آخرين .

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

« بلاد واق الواق »

بين الواقع والاسطورة

يعتقد الكثيرون ان بلاد « واق الواق » بلاد اسطورية ، وانه لا يمكن الوصول اليها الا على « بساط الريح » أو بواسطة « خاتم سليمان » أو « الرخ » كما ورد في قصص الف ليلة وليلة،ولا شك أن لمثل هذه القصص أكبر الاثر في انتشار ذلك الاعتقاد ، وطمس حقيقة واق الواق ، الحقيقة هي ان « واق الواق » اسم اطلقه العرب على بلدٍ من البلاد التي طالما زارها التجار والبحارة العرب على الساحل الشرقي من آسيا في شمال الصين ، وهذا هو رأي المستشرق الفرنسي « فران » والمستشرق السوفيتي « كراتشكوفسكي » وهناك بعض المستشرقين يؤكدون ان البلد الاسيوي الذي سماه العرب « واق الواق » هو جزر اليابان ويقول بذلك الرأي المستشرق البريطاني كرامرز .

كما يشير أيضا الى ان العرب قد اطلقوا اسم « واق الواق » على جزيرة مدغشقر « في القارة الافريقية ، ولعل في خريطة الادريسي ما يدعم هذا الرأي ولعل الطابع الخرافي الذي ارتبط باسم « واق الواق » هو الذي دفع بعض الجغرافيين العرب الذين سلموا بوجود تلك البلاد الى وصفها وصفا خرافيا ومن هؤلاء محمد بن ابي بكر الزهدي الذي تحدث عنه « كراتشكوفسكي » فقال : « ويبدو من كتاباته في الجغرافية الفلكية ميل واضح الى جميع انواع العجائب وهو في هذا العدد يحدثنا عن اسطورة الشجرة المسحورة الموجودة بجزائر « واق الواق » التي تثمر كل عام نساء بدلا من الفاكهة .

نجيب عبدالعزيز الاصبحي
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
محافظة عدن ـ ثانوية عبود

ردود خاصة :

الاخ الكريم معتز نديم الاسعد ـ سوريا ـ ادلب ـ قرية النيرب .

نعتز بصداقتك للمجلة ، وباهتمامك بما ينشر فيها ، انت واصدقائك ، وفي انتظار ملاحظاتك وحوارك معنا . .

***

الاخ العزيز احمد حمزة خضر ـ كفر الدوار ـ محافظة البحيرة،ملاحظاتك عن النقد جيدة ، ونتمنى ان تجد فيما تقدمه العربي من فصول النقد الادبي ما يحقق ما تتطلع اليه من نقد موضوعي هادف وبناء .

***

الى الاخ جهاد وشاح ـ حمص ـ سوريا

مشاكلك الثلاث هي اعراض متعددة لمشكلة واحدة هي عدم الثقة بالنفس ورحلتك للوصول الى هذه الثقة يجب ان تبدأها بنفسك . . ان تبدأ بمحاولة صادقة لاجادة شيء ما من هذه الاشياء التي تحبها ، قد يكون الشعر الذي تحب كتابته ، قد يكون الدروس التي تدرسها ، قد يكون هواية او مجرد عمل يدوي ، ان مثل هذا النجاح المبدئي هو افضل ما يقدمك للآخرين متغلبا على خجلك وأوهامك ، حائزا لثقتهم وتقديرهم ، فلغة العمل الناجح يفهمها ويقدرها جميع الناس ، وتقدير الأخرين سوف يدعم ثقتك بنفسك ، فتزداد قدرة على الانجاز الجيد ، وهكذا تستمر دورة النجاح،المهم ان تثابر والا تضخم ما تسميه عقبات ، وان تتجنب العزلة التي هي اخطر ما يتهددك في هذه المرحلة من عمرك .

□□

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

١٩٣

أول أكتوبر ١٩٨٥

أوبو فوق التل
أوبو زوجًا مخدوعًا

تأليف : ألفريد جاري - ٣

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أكتوبر ١٩٨٥م

النظام الإعلامي الجديد

تأليف: د. مصطفى المصمودي

الكتاب الرابع والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

مجلة
خاصة
للمثقفين
في الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

* *

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب
□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات:
١٢ ديناراً في الكويت
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد:
٢ دينار في الكويت، دينار للطلاب
٢,٥ دينار أردنيا في سائر أقطار الوطن العربي.
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

الموزع في الكويت والخارج:
مجلة العلوم الاجتماعية

■ توجه جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة، الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ مباشر ٢٥٤٠١٨٨/٣٧٣/٢٥٠ تلكس ٢٦١٦ كويت

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية
والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية
والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبد الله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان : ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف : ٨٢٦٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس : ٢٢٦١٦ KUNIVER

* *

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ تصل أعدادها الى أيدي نحو ٢٠٠,٠٠٠ قارئ

مجلة علمية محكمة

يحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية بأقلام نخبة من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون . وتقوم المجلة ايضا باصدار مجموعة من الكتب العلمية المتصلة بالمنطقة ، مع كتاب سنوي يضم ثبتا للوثائق والتقارير المتعلقة بشئون المنطقة خلال تلك السنة .

الاشتراكات

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .
الاشتراك للافراد : سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)
الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية : سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت . الشويخ ص.ب ١٧٠٧٣ هاتف ٨١٦٧٩٩-٨١٦٨٠٧-٨١٦٨٢٤
جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

تجميد سريع.

مع نظام Toshiba للتبريد المباشر.

صنع في اليابان
TOSHIBA

GR-1205

سعة كبيرة • براد/فريزر بابين مع نظام تبريد مباشر للعائلات الكبيرة

• موفر للطاقة • فريزر كبير • مفتاح لإغلاق البراد والفريزر
• إزالة أوتوماتيكية للجليد (الفريزر فقط)

GR- 1005

سعة كبيرة • براد/فريزر بابين مع نظام تبريد مباشر

• موفر للطاقة • فريزر كبير • إزالة أوتوماتيكية كاملة للجليد وحدة تصريف ماء للثلاجة • لوحة متشدية • مستوى خلفي مسطح عملي

نظافة مستمرة.

مع غسالة Toshiba الكبيرة جداً.

VH- 1300

غسالة بحوضين

• نابض كبير لقوة غسل أكبر • نظام فلتر دائري فعال للغسالة • مجفف دوار موفر الماء والوقت

VH-3300

غسالة بحوضين

• سعة كبيرة لكمية غسيل أكبر • نابض كبير لقوة أكبر
• مجفف دوار موفر الماء والوقت

VH-S450

غسالة أوتوماتيكية بحوضين

• سعة كبيرة جداً • نابض SWING لمنع تشابك وإتلاف الثياب والتأمين تنظيف أفضل • مجفف دوار موفر الماء والوقت

TOSHIBA

INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
أمنوا لأولادكم نموًّا متكاملًا
نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري كامل الدسم مجفف ذو جودة فائقة أنتزع منه الماء فقط. فحين يمزج بماء الشرب الصافي يصبح فورًا حليبًا طازجًا، مغذ ولذيذ.
نيدو مغذ يحتوي على كافة العناصر الغذائية الهامة كالكلسيوم والبروتين والفيتامينات التي لا غنى عنها للأولاد طوال فترة نموهم.
نيدو طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح والمساء وفي أي وقت من النهار.
نيدو السريع الذوبان
كوب من الحليب في أي وقت.
تضمنه نستله
Nestlé

صفر ١٤٠٦ هـ - نوفمبر ، تشرين الثاني ، ١٩٨٥ م

العربي

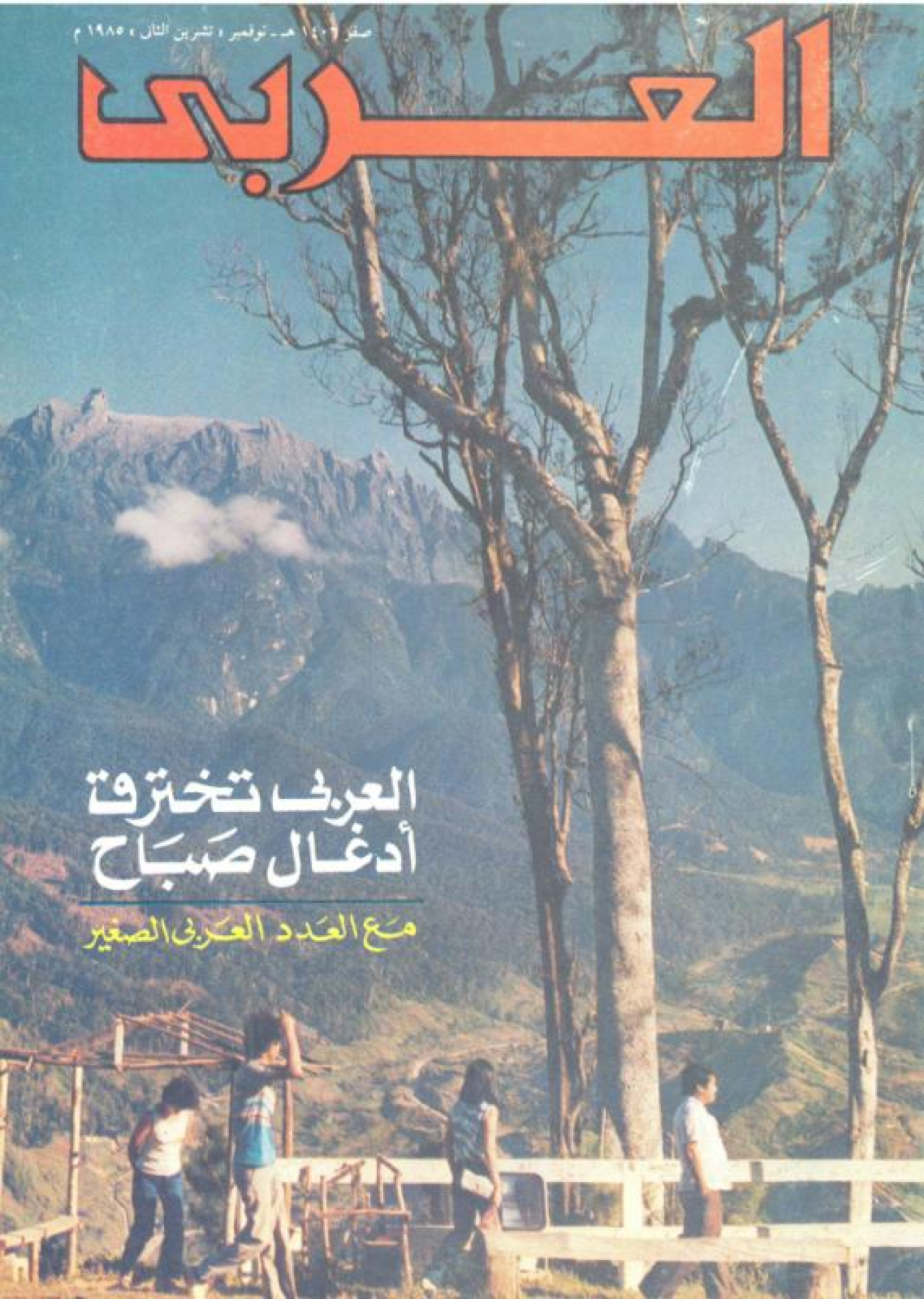

العربي تخترق أدغال صباح

مع العدد العربي الصغير

فكرة عظيمة اخرى.

VHS FVH-D720 PAL/MESECAM

في عام ١٩٣٧، خطرت على بال رجل اسمه افري فيشر فكرة عظيمة. فقد إخترع أول نظام هاي فاي في العالم. هذه الفكرة وغيرها من الأفكار المرئية والسمعية، التي تبعتها بدأت تقاليد الأفكار العظيمة التي مازالت تتابع حتى اليوم في شركة فيشر التي أنشأها.

مثال عظيم على ذلك: مسجل الفيديو كاسيت VHS المبين في الصورة أعلاه، والذي يتميز بالدائرة الهجينية المتكاملة التي طورت خصيصاً له وهي بقشر قياس IC التقليدي وبرأس الفيديو في غاية الدقة (ميكرون). إحدى القطع التي تنتجها فيشر من خلال نظامها الخاص للتصنيع المتكامل. هذه الميزات توفر مجتمعة لمسجل فيديو كاسيت فيشر صورة ذات جودة عالية في كل طرق التشغيل. تقدم / ترجيع عند البحث عن الصورة، حركة بطيئة / سريعة أو ثابتة / صورة صورة، جربها لتتلمس الفرق. ويتوفر جهاز التحكم عن بعد بـ ٨ أزرار وا وظيفة بالأشعة تحت الحمراء، ستحصل على نظام لا يضاهى.

فيشر، إسم يعتمد لتحديد المستويات القياسية في "العصر السمعي المرئي". لا تقبل بالأقل وقدم لنفسك فكرة عظيمة، قدم لنفسك فيشر.

CFM-2110SR

FVH-D620

CFM-2610SR

FVH-M540

فيشر

FISHER

The first name in high fidelity

العدد ٣٢٤ السنة الثامنة والعشرون نوفمبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI

Issue No: 324 Nov. 1985 P.O.Box 748 Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

مع الباعة

صدر حديثاً

كتاب العربي

للغتنا العربية أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية السمحة ، وقد حاول علماؤها تحديد هذه الأنظمة في قواعد ، فاصابوا في بعضها وفاتهم الصواب في بعضها الآخر ، فضيقوا منها واسعا ، وخطئوا صحيحا.لهذا احتاج الأمر الى مراجعة هذه القواعد ونقدها ، مع التعمق في منطقها وروحها ، والاهتداء بكشوف علم اللغة العام .

وهو ما تحاول صفحات هذا الكتاب توضيح جوانب منه .

عزيزي القارئ

ما يزال الارهاب الرسمي هو السمة البارزة للعدو الاسرائيلي ، الذي لم يعد يردعه شيء ، طالما تواصل له الدعم والمساندة من القوة الامريكية العظمى التي سودت وجه العدالة ، وعميت بالحقد على العرب ، واستمرأت الاستهانة بقدراتهم ومصائرهم وشعوبهم .

واذا كان وعد بلفور في مثل هذا الشهر من عام ١٩١٧ هو الايذان الرسمي الاستعماري بسلب حقوق الشعب الفلسطيني . . فقد كان اعتراف واشنطن الفوري سنة ١٩٤٨ بقيام ما سمي « بدولة اسرائيل » هو الايذان الرسمي الأمريكي باغتصاب أرض فلسطين ، ودعم الارهاب المنظم الذي استهدف منذ ذلك الوقت العمل على إبادة الشعب وسلب الأرض لصالح الفئة الصهيونية الباغية .

واذا كان البغي الاسرائيلي قد تطاول لأكثر من مرة مع المساندة الامريكية الى أراضي أقطار المواجهة العربية . . . فقد بلغ هذا البغي مداه حين انقض بطائراته ـ المزودة بالوقود الامريكي في الطريق ، والمطمئنة الى مساندة الفيتو الامريكي في مجلس الأمن ـ على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس . . بنفس المنطق الاجرامي المدعوم باللامنطق الأمريكي . . الذي يؤكد أنه سوف يظل يطارد الفلسطينيين حتى يقضي على كل رمز لوجودهم وكل قوة لبقائهم .

وقد كان حقا ما أعلنه الشيخ صباح الأحمد الجابر نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي باسم العرب ، بصفته رئيسا للمجموعة العربية في الأمم المتحدة ، بأن العدوان الوحشي هو حلقة في أطول مسلسل عدواني ضد الشعب الفلسطيني ، وأنه ارهاب دولي رسمي وعدوان صارخ على ميثاق الأمم المتحدة . . وان الحصانة الغريبة التي يتمتع بها هذا الكيان الاجرامي قد تولدت عن ظاهرتين لا تبشران بالخير : أولاهما الشلل الذي يعتري الادارة السياسية للأسرة الدولية ، وثانيهما حماية بعض الدول التي ساهمت وتساهم في خلق هذا الكيان وتحويله الى وحش مفترس وذلك بمده بأسباب القوة والغطرسة والتمرد ، ثم تبرير جرائمه البشعة وأفعاله الهمجية البربرية بمنطق أخرق دون أي اعتبار لسيادة الدول وحقوق الشعوب .

بقي أن يعي الحكام العرب هذا الدرس . . وأن يدركوا أن قوتهم في اتحادهم لمواجهة الهجمة الاستعمارية الارهابية . . وأن يتناسوا خلافاتهم . . وأن يقفوا صفا واحدا في مواجهة « اسرائيل » ومن يقفون وراءها من « عرّابي الجريمة » ومنكري حقوق الدول والشعوب .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر :

تعلم كيف تقرأ الناس !

ـ د . محمد الرميحي ٨

■ سوق السلاح .. تجارة أم سياسة ؟

ـ أمين هويدي ١٦

■ لقاء في المنامة (قصيدة)

ـ محمد الفايز ٢٢

■ تجديد التربية مطلب حضاري قومي

ـ د . عبد الله عبد الدايم ٢٤

■ فرنان برودل عاشق البحر المتوسط

ـ د . أحمد أبو زيد ٢٩

■ مواقيت الصلاة والصيام في أقصى الشمال والجنوب

ـ د . عبد المنعم النمر ٣٤

■ البيان في أسباب نزول القرآن

ـ حسين أحمد أمين ٤٠

■ حكاية شخص هامشي جدا (قصة)

ـ محمد صوف ٤٢

■ الوطنية في شعر عبدالحميد الديب

ـ حلمي الخولي ٤٨

■ رؤوس أقلام في طب المجتمع

ـ د . حسين الوردي ٥٤

■ الفضاء .. ساحة الحرب المقبلة

ـ سعد شعبان ٨٩

■ المركبات سريعة التبخر وتلوث البيئة

ـ د . عدنان الظاهر ١٠٤

■ طبيعة الابداع

ـ د . فاخر عاقل ١٠٧

■ غارق في العيون (قصيدة)

ـ فاروق شوشة ١١٠

■ الايدز .. قصة مرض وصرخة تحذير

ـ د . عماد شمس باشا ١١٦

■ الأدب في أفريقيا الجنوبية :

تعال معنا نعيش مع القبائل البدائية ونخترق الادغال .. في أعماق صباح طالع (ص ٦٨)

اسم هذه الارض جاء مني أنا

ـ د . عبد القادر ياسين ١٣٠

■ الذي مات خطأ (قصة مترجمة)

ـ د . محمود موعد ١٤٤

■ كائنات بحرية سامة

ـ رجب سعد السيد ١٤٨

استطلاعات ومقابلات

■ العربي تخترق أدغال (صباح)

ـ سليمان مظهر ٦٨

■ وجها لوجه :

د . عبدالحميد يونس ـ

فاروق خورشيد ٩٧

■ الأسواق الشعبية في الخليج العربي

ـ ثريا البقصمي ١٣٢

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء ٥

■ أرقام : بدلا من الملعب والمدرسة

ـ محمود المراغي ٤٦

■ قاموس العربي : أبارتيد

« التفرقة العنصرية » ٥٨

● منتدى العربي :

■ خواطر انتخابية : المرأة ..

وديمقراطية الاسلام

ـ د . حسان حتحوت ٦٠

■ حول مشكلات الحوار الثقافي

ـ عبد الرزاق البصير ٦٥

■ حكايات شرق وغرب ١١٢

■ الجديد في الطب والعلم

ـ اعداد يوسف زعبلاوي ١٢٥

■ سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١٢٨

■ استراحة العربي ١٧٨

● من مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر : الاكتشاف المحبط

د . أمين العيوطي ١٧٩

■ من المكتبة العربية : الموسوعة الفلسطينية

ـ زياد عودة ١٨٦

■ مكتبة العربي : مختارات ١٩٠

● جمال العربية :

■ صفحة لغة : الوادي والأودية والوديان

ـ محمد خليفة التونسي ١٩٢

■ صفحة شعر : ابن الرومي

يرثي ولده الأوسط ١٩٤

■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦

■ حل مسابقة العدد ٣٢١ .... ١٩٨

■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) .. ٢٠٠

■ حوار القراء ٢٠٢

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ مسرح العرائس والأطفال

ـ حسين أبو زينة ١٥٨

■ مساحة ود : الموت حياة

ـ محمود عبد الوهاب ... ١٦٣

■ ازاحة الستار عن

أسرار الألم

ـ د . أنيس فهمي ١٦٤

■ هو .. هي ١٦٨

■ من الحياة : ثم كان

اللقاء قبل الخريف !

ـ منير نصيف ١٧٠

■ طبيب الأسرة ١٧٤

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

تعلّم كيف "تقرأ" الناس!

□ هذا هو ما لا يعلمونه لك في معاهد إدارة الأعمال.

□ إدارة الشركات لا تعني التقيد بالأنظمة.. ولكن تعني الخروج المستمر عليها.

□ العين هي أفضل ساحة لاستقراء ما يخفيه الآخرون.

□ الفراسة تعني أن تستمع أكثر.. وتتكلم أقل.

اتصور أن أي قارىء سيجد نفسه مشدوداً لقراءة كتاب يحمل هذا العنوان المثير:

« ما لا يعلمونه لك في مدرسة هارفرد لادارة الأعمال »* خصوصا اذا كان هذا الكتاب قد أصبح أكثر الكتب مبيعاً على مدار حول كامل، خصوصا أيضاً لأن الدراسة في أي مدرسة أو كلية عادية لادارة الأعمال، لا تستطيع أن تصل الى مستوى ما تحققه الدراسة في كلية هارفرد لادارة الأعمال. والتي عرف عنها انها من أفضل الكليات العالمية لهذا النوع من الدراسات.

* MARK H. Mc CORMACK : What they Don't Teach you at Harvard Business School.

الا أن الكتاب لا تكمن إثارته وانتشاره السريع في عنوانه الغريب فحسب . . ولكنها تكمن فوق ذلك في فلسفته ومادته الجديدة .

واذا كانت مادة الكتاب يمكن مناقشتها سواءً لقبولها أو التحفظ على بعض وقائعها أو لرفض بعضها الآخر ، الا أن فلسفتها قائمة وواضحة المعالم . . وهي فلسفة ـ برغم غموضها في الكتاب نفسه يمكن البحث عنها بين السطور ـ تقود في رأيي الى فكرة يرددها المهتمون بالتعليم وتطويره في أركان العالم الأربعة . . وجوهرها في التساؤل الحاسم : هل يحصل أبناؤنا في الكليات والجامعات والمدارس المتخصصة على علم يفيدهم في حياتهم العملية ، أو أن هناك فصلاً بين ما يتعلمه الطلاب والطالبات على مقاعد الدراسة ـ في معظم الدراسات ـ وبين ما يتعلمونه في الواقع العملي الحقيقي ؟ !

إن ذلك ـ في نظري ـ ما يجعل كتاباً كهذا الكتاب الذي بين أيدينا مثار جدل في فلسفته ان لم يكن في تفصيلات محتواه .

كاتب الكتاب هو « مارك آش ماكورماك » أكاديمي متخصص في القانون ، درّس في كلية هارفرد لادارة الأعمال ثم انقلب الى الأعمال الحرة فوفق فيها الى درجة كبيرة . . لذلك فانه يصف كتابه هذا بأنه نتيجة لعلاقات طويلة مع مجموعة من شركات الأعمال في العالم ، ولدت أفكاره في مجالس الادارات واجتماعات المديرين في فنادق الدرجة الأولى ، ومن خلال الاحتكاك المباشر بجميع مستويات الادارة ومختلف مشارب أصحابها الثقافية .

ذكاء رجل الشارع

□ ان استخدام « ذكاء رجل الشارع » ان صح هذا التعبير ، أي استخدام الحدس والتوقعات والتصورات بشكل منظم للوصول الى الغايات التي يستهدفها المشروع التجاري أو الصناعي الذي يتناوله المدير ، هو أحدى القواعد الرئيسية التي يوصي بها الكتاب .

« ذكاء رجل الشارع » يمكن استخدامه بنجاح في أعمال البيع والشراء والتفاوض ومداولات التعامل مع الناس وفهمهم ، أي كيف تقرأ الناس قراءة صحيحة ، وكيف تستخدم نتائج تلك القراءة للوصول الى النتائج المبتغاة ، انها العلاقة بين الأعمال والانسان .

هذا بالتحديد ما يعلمه الكتاب : كيف تقرأ الناس ؟ وكيف تؤثر على قراءتهم لك وكيف تستخدم تفاعل الجانبين معاً لتحقيق عمل ايجابي . .

إن الخروج عن المألوف وكسر الأنظمة والتفكير في مبادرات جديدة : كل ذلك لا يتأتى في مدارس التجارة والأعمال لأن هذه المدارس مضطرة أن تَدْرُسَ وتُدَرِّس الماضي . . وذلك ليس تفكيراً تقليدياً فقط ، ولكنه أيضاً حائل دون الابتكار .

ملء الفراغ بين العلم الأكاديمي في المدرسة أو الكلية ، وبين المعلومات التي تأتي من الخبرة اليومية ، يحتاج الى جسر ، والى نوع جديد من التدريب ، حتى لا يكتشف الخريجون من الكليات الجامعية أنهم ضحايا تدريبهم

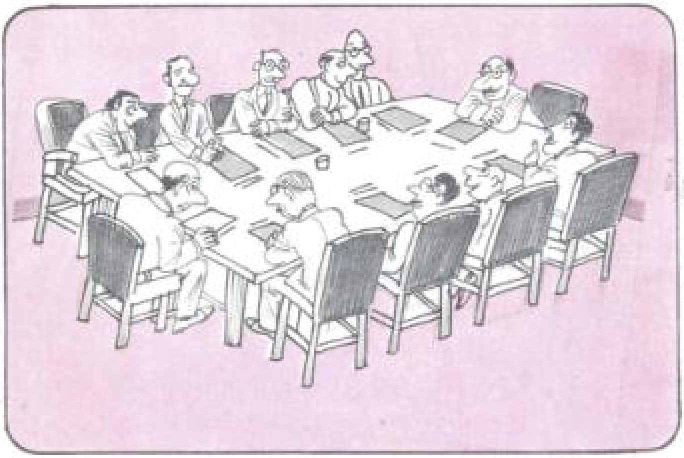

لغة العيون .. ليست فقط في الحب

الأكاديمي ، ويبدون أمام غيرهم اما بسطاء ، وإما على استعداد عقلي للتردي في الفهم الخاطيء .. وكلا الحالين مدمر لأعمالهم ، ولحياتهم الشخصية على حد سواء .

لقد ثبت ـ كما يقول الكاتب ـ أن الحكم على رجل الأعمال بأنه سيكون ناجحاً في المستقبل ـ مديراً أو صاحب عمل خاص ـ بمجرد حصوله على شهادة في ادارة الأعمال مع توافر مستوى جيد من الذكاء ـ ثبت أن هذا الحكم ، حكم خاطيء وباهظ في خطئه ، ليس لأن الثقافة والدرجة العلمية شيء سيء ، ولكن لأنها ليست بديلاً عن الفهم الحقيقي للناس ، ولأن الناس ومشكلاتهم لا يمكن أن يُصَبُّوا في قوالب جامدة ، من هنا تأتي أهمية الابتكار والمبادرة من واقع الفهم المتفتح على ظروف الناس وشخصياتهم .

فهم الناس

☐ الدعوة الى النظرة الواعية للناس ودراستهم دراسة معمقة في إطار التعامل ، تفضي بنا الى ادراك حقيقة مهمة هي أن الناس يختلفون في ارتباطهم مع الرئيس .. وفي تصرفاتهم مع المرؤوس .. وهم في حالة البيع يختلفون عنهم في حالة الشراء . لذا فان أول ما يجب أن يعرفه رجل الأعمال هو كيف يعمق ملاحظته للناس : النظر في عيونهم ، الطريقة التي يتصرفون بها عندما يسمعون سؤالاً معيناً خاصاً بموضوع المفاوضة أو المساومة مع الآخرين ، فهناك بعض التصرفات التي لا تبدو بسيطة ولا عفوية ، وعند ملاحظتها ملاحظة دقيقة يمكن أن نخرج بالكثير مما ينفع ويعجل باتمام الصفقة التجارية .

الا أن كثيراً من مديري الأعمال يفقدون الاحساس تماماً بما يدور حولهم ، إما لأنهم مشغولون بالأصغاء الى أنفسهم أكثر من استماعهم لأي شيء

آخر .. أو مشغولون بانجاز الصفقة التي توجه جل تركيزهم الى انهائها دون ملاحظة ما يبدر من الشخص الآخر .

فقدان الفراسة في الناس يعطل العمل ، والفراسة تعني أن تسمع أكثر وتتكلم أقل ، حتى تخلص الى فهم محدثك الفهم الصحيح ، فالناس لا تتكشف شخصياتهم الحقيقية من الوهلة الأولى في اجتماع واحد أو اجتماعين .

صحيح أن السمات الأساسية للشخصية لا تتغير ، ولكنها تتوارى ولا تظهر على حقيقتها الا بعد الاطمئنان الى نوع من الثقة بين الجانبين .

خطوات عملية

☐ في إطار فهم الناس يقدم الكاتب مجموعة من النصائح العملية ، بعضها قد يكون جديداً ، والبعض الآخر لا يعدو أن يكون قراءة عملية من وجهة نظر رجل أعمال لحقائق علم النفس الاجتماعي المتداولة بين المختصين ، من هذه النصائح .

● استمع بجديــــة :

إن القدرة على الاستماع ليست موجودة لدى معظم الناس . وهي قدرة تعطي نتائج ايجابية وتذلل الطريق للفراسة وفهم الناس .

فالناس غالباً يستهويهم الحديث عن أنفسهم وعن أعمالهم ونجاحاتهم .

وتستطيع أن تذكر كم مرة قاطعك صديق أو زميل عمل أو رئيس عندما كنت تتحدث معه في شيء .. قاطعك ليبدأ هو الحديث عن شيء يهمه - في معظم الأوقات - ذاتيا ، لذلك فان الاستماع بجدية يعطيك فرصة أفضل للبيع أو الشراء ، وليس بالضرورة أن الاستماع في كل الأوقات أفضل من الحديث ، فالحقيقة أن كل موقف من مواقف الأعمال تعوزه المرونة المفضية الى التصرف المستقل المبتكر ، ولكن الفرق أن هناك اختلافاً جوهرياً بين شخص يستمع الى الآخرين ، وآخر لا يسعه الا أن يستمع الى نفسه فقط ! فلا بد من مراقبة البون الشاسع بين سماعك وكلامك .

● لاحظ بجديــــة :

مقابلة الناس وجهاً لوجه أفضل من الحديث « بالتلفون » ، خصوصا اذا كنت بصدد انهاء معاملة مهمة ، فالمقابلة تستطيع أن تعطيك فهماً أفضل لمن تقابلهم ، ليس فقط لاستيعاب ما يقولون عن أنفسهم ، ولكن لفهم لمحات أخرى مثل الاشارات التي تصدر منهم عن وعي أو من غير وعي ، والايماءات التي يريدونك أن تحصل منها على نتيجة معينه ، واكثر من ذلك لفهم لغة الجسم نفسها : كيف يجلس وكيف يقوم .. ولكن عليك وأنت تقوم بالملاحظة الجدية ألا تتعجل الوصول الى نتائج سريعة وحاسمة ، فمن الصعب أن تفهم الناس في فترة قصيرة ، وعليك أن تحذر قراءة أشياء موهومة في الشخص الذي تتحدث

معه ، وأفضل ساحة لاستقراء الملاحظة هي العين ، فالعين سوف تظهر لك ـ أكثر من أي شيء آخر ـ حقيقة تفكير الشخص حتى لو كانت كل المؤشرات توحي باتجاه آخر ، فالعين هي المرآة ، وتذكر أن الناس تتواصل بالعين ليس في المجال العاطفي فقط ولكن أيضاً في المجال العملي والتجاري ، وعندما تكون مع أكثر من شخص في شركة ، وفي اطار مفاوضات أو عقد صفقة ، فلا تنظر الى انفعالهم وتسمع ما يقولونه فقط ، ولكن انظر الى عيونهم أيضاًفسوف تقرأ فيها القليل أو الكثير مما لم يصرحوا به ، وفوق ذلك فسوف تعرف أيهم أكثر سلطة ، كما ستعرف موقعك في نفوسهم ، وهل كنت تزعجهم الى حد الملل !

● تحقق من الذات :

في المؤسسة ـ أية مؤسسة ـ لا يوجد ذات واحدة أو مجموعة من الأشخاص التي تستطيع أن تحدد مسار المؤسسة . فالذات الانسانية تموج بالعواطف والرغبات . والمؤسسة التي بها ألف موظف وعامل ، بها في الحقيقة ألف ذات ، كل واحد من هؤلاء يحمل تفسيراً خاصاً للحقيقة كما يراها من وجهة نظره ، هذه التعددية الانسانية هي التي تفسر في نطاق المؤسسة أن هناك أشياء يجب أن توجد ولكن لا يكتب لها الوجود ، وأن هناك أشياء ما كان ينبغي أن تحدث ولكنها تحدث !

تلك هي الطبيعة البشرية والحقيقة المنطقية فهناك علاقة بين الرؤساء والمرؤوسين في المؤسسة ، هذه العلاقة لا يلزم بالضرورة أن تكون إيجابية ومتوائمة مع أهداف المؤسسة ، فهناك طموح وطموح مضاد ، وهناك اجتهاد صحيح واجتهاد خاطيء ، كما أن البشر يختلفون كأفراد في تصور الأمور وادراكها .

وهكذا فان النجاح الذي يتحقق للمؤسسة هو في تكوين ذات موحدة للعاملين ، وهذه عملية طويلة صعبة لها شروط متعددة .

● اهتم بالأشياء الصغيرة :

هناك مقولة قد تكون صحيحة تقول : « اذا ارتدت المرأة رداء سيئاً فان نظرات الناس ستتجه الى الرداء نفسه ، في حين أن نظرات الناس ستنصب على المرأة نفسها اذا كان رداؤها جيداً » .

لذلك فان خلق تصور وانطباع ايجابي عنك له جدواه في تيسير عملك وتطويره ، والملابس هي في حقيقة الأمر ثقافة لها علاقة بالمجتمع ، فالمجتمعات الصناعية تتوقع منك نوعاً معيناً من الملابس يتوافق مع تكوينها ، والمجتمعات الاخرى الشرقية مثلاً تتطلب شكلاً آخر . . وهناك مثل آخر مشابه . . فان كان لديك سكرتير يتبرع بالمعلومات دون أن يطلب منه ذلك سيؤخذ عنك نفس

الانطباع . . وعندما يتحدث بالسوء عن أشخاص معينين فغالباً ما سيتصور الناس انك على نفس الرأي . فالناس تحكم على الآخرين بما يلمسونه في معاونيهم الملتصقين بهم من صفات .

وعليك ألا تستخدم الصفات والاشارات في تقديمك لنفسك ، لأنه ليس من الضروري مهما كنت مشهوراً ومعروفاً أن يحفظ كل الناس اسمك . . فلا بد من أن تعتاد على تقديم نفسك لأي جماعة جديدة ذاكرا اسمك مجرداً من الألقاب .

ومن الأشياء الصغيرة الجديرة باهتمامك أن تتولى بنفسك متابعة مكاتباتك أو مراسلاتك ، فما أكثر النتائج السلبية التي تنشأ حين يضع مدير مكتبك أو سكرتيرك رسالة موجهة الى شخص ما في مظروف موجه الى شخص آخر . . وقد تكون الرسالة شخصية ولكنها تكتب وكأنها منشور دعائي لمن يهمه الأمر ، وأهم من ذلك ألا تتصرف تحت وهم أن المرؤوسين مفطورون على طبائع رؤسائهم . فان كان رئيسك مجاملاً مهذباً ناجحاً في علاقاته التي تعود على العمل بشكل ايجابي كان ذلك جيداً . . ولكن كثيرين يقلدون رؤساءهم حتى في سلبياتهم . . . وتلك قضية خطيرة لا ينتبه لها الرئيس ولا المرءوس . . ولكنها عادة تؤدي الى تعطيل الأعمال وفشلها في وقت لاحق .

من الأشياء الصغيرة المهمة أن تعني ما تقوله ، فالاسراف في الوعود دون تحقيقها ـ حتى لو كانت هذه الوعود باجراء مكالمة هاتفية مع شخص معين ـ يعطي انطباعاً سلبياً عنك ، استخدم كلمة « لا » ان كنت قادراً عليها ولا تعد بشيء تعرف انك غير قادر على تحقيقه ، فالناس تحب الوضوح وتصفح في حالة عدم المقدرة أو عدم الرغبة ، ولكنها لا تصفح عن التسويف والاغفال واخلاف الوعد .

في نفس الوقت لا تكره الآخرين على أن ينجزوا لك شيئاً وعدوا به أو تحدثوا عنه في وقت حرج وتحت ظروف صعبة عليهم ، فعندما تشعر الناس بفهمك لمواقفهم وتقديرك لظروفهم تنمو ثقتهم ورغبتهم في التعامل معك ، وكن سمحاً مع الآخرين قاسياً على نفسك ، تكسب الاثنين .

ومن الأشياء الصغيرة التي يجب أن تنتبه اليها كرجل أعمال تربطه علاقات بأنماط مختلفة من البشر ، ألا تخلط المديح المستحق بالتملق الكاذب تجاه شخص ما تشعر انت بقيمته ، فمدح الناس بما ليس فيهم هو في حقيقة الأمر ذم ، ورغم ضعف البشر واغتباطهم لسماع المديح الا أنهم يكشفون التملق ، واذا أرضاهم في الظاهر فانهم يسخطون عليه في قرارة نفوسهم .

الملاحظة الأخيرة لها علاقة بخطوة مهمة في عالم الأعمال وهي حفظ الأسرار . . ربما يسر البعض بانك تفشي اسرار الآخرين لهم ، ولكن ذلك في نفس الوقت يقلل من ثقتهم بك .

التعبيرات الصعبة

□ في الأعمال التجارية - كما في الحياة - هناك تعبيرات صعبة ، وكثير من الناس يتفوهون بتعبيرات خاطئة ظناً منهم أنهم يتركون انطباعاً صحيحاً في نفوس محدثيهم ، كما أنهم يتجنبون بعض التعبيرات ظناً منهم انها تترك الانطباع الخاطيء ، ويشير الكاتب الى ثلاثة تعبيرات صعبة : -

« أنا لا أعرف »

مما يدعو الى العجب أن الناس يتجنبون التعبير بالقول : « أنا لا أعرف » ، ويظنون أن استخدامهم هذا التعبير سيظهرهم للآخرين بأنهم غير أكفياء ، والحقيقة أن استخدام تعبير « لا أعرف » يدل على ثقتك بنفسك ، وليس مطلوباً من أحد أن يعرف كل شيء عن كل شيء ، كما أن تعبير « لا أعرف » تعطيك دافعاً للتعلم ، وهو يمنحك ثقة أكبر في تصرفك ، فان قلت لا أعرف في موضوع ما ثم جاء موضوع آخر وأدليت بدلوك فيه ، فانت - أمام محدثيك - لا شك تعرف خير المعرفة والا لقلت فيه أيضا ما سبق أن قلته في الموضوع الأول .

ان عدم مقدرة بعض الناس في التعبير بلفظ « لا أعرف » - حتى في الظروف الاجتماعية العامة - يعطيك انطباعاً لا يخطيء عن شخصيتهم في أعمالهم فهم يحيطون بالموضوع مجال الحديث من أطرافه ويحاولون تغييره في أقرب وقت حتى يتجنبوا فقط قولهم « أنا لا أعرف » .

« أحتاج الى مساعدة »

من التعبيرات الأخرى التي يتجنبها الكثيرون تعبير « أحتاج الى مساعدة » ، فهم يخافون من طلب المساعدة أو قبولها عندما تعرض ، على أساس أن ذلك سوف يعني بشكل مباشر أو غير مباشر عدم قدرتهم على أداء أعمالهم ، ولو فكروا قليلا لوجدوا أن أي نظام عمل لم يوضع الا من أجل إعطاء المساعدات والحصول عليها ، فغاية الشركات والمؤسسات هي وضع أهداف

وتحقيقها ، وفي كثير من الأوقات فان هذه الأهداف تتحقق من خلال المجموع بشكل أفضل مما يتحقق من خلال الفرد ، طلب المساعدة هو طريق آخر لزيادة التعلم والمعرفة وذلك يضيف الى خبرة المؤسسة خبرات جديدة ، كما أنه يشير الى رغبة في العمل مع الآخرين .

ان قبولك للمساعدة واعطاءك إياها ، سوف ينظر اليها من قبل الادارة بشكل ايجابي ، في هذا الاطار لا يجب أن ننسى الظاهرة الطبيعية النفسية وهي الذاتية والأنانية لدى الأفراد . . وليس في ذلك عيب ، ولكن عندما تتعارض هذه الأنانية الفردية في اتمام الأعمال مع مصالح المؤسسة ككل ، هنا يبرز العيب الرئيسي في عدم طلب المساعدة أو تقديمها للآخرين .

« أنا مخطـيء »

اذا لم ترتكب أخطاء فأنت لا تبذل جهدك الكامل ، فالأخطاء هي نتيجة محاولتك الوصول الى الأفضل ، وتجريب طرق جديدة في أعمالك ، وهذا يعني أنك كثيراً ما سوف تقع في الخطأ ، وهنا أهمية أن تكون مستعداً للاعتراف بخطئك ولا تبحث عن مشجب تعلق عليه تلك الأخطاء ، فالاداريون الجيدون قد يخطئون في كثير من الأوقات ، ولكن لديهم الاستعداد للاعتراف بخطئهم عندما يظهر ذلك ولا يجدون غضاضة في تحمل مسئوليته .

الناس غير الواثقين من قدراتهم هم أقل الناس اعترافاً بأخطائهم ، وهم يفشلون في التفريق بين الوقوع في الخطأ والاعتراف به ، وهاتان ـ في الحقيقة ـ قضيتان منفصلتان ، فاذا كان حصول الخطأ فيه شيء من السلبية الا أن الاعتراف بهذا الخطأ كله ايجابي . الاعتراف بالخطأ واصلاحه أو تجاوزه خير الف مرة من اضاعة وقت الآخرين في محاولة تبريره ، أو تغطيته أو اسقاط لومه على الآخرين .

●●●

على الرغم من أن نصائح الكتاب وتجارب الكاتب كثيرة ومتعددة ، فهو يدعو في نهاية مؤلفه الى تطويع هذه الأفكار لتلائم الجو العام الذي يجري فيه العمل وينمو سواء أكان تجارياً أم صناعياً أم خدمياً ، وقيمة الكتاب ـ في نظري رغم طرافته وتعدد مداخلاته ـ هي العودة الى وضع العلاقات الانسانية والقيم العليا من جديد موضع الصدارة ، صحيح أن الكتاب يعترف بأن الأعمال والادارة هي منافسة لا بد منها . . ولكنها يجب أن تكون منافسة منضبطة اذا أريد لها ان تنجح وتستمر ، وفي رأيي أن هذا الكتاب يقرأ للعلم بما نتصور أن تكون عليه أصول المعاملة في دنيا العمل والادارة . . وضوابط العلاقة بين الأعمال . . والانسان . □

محمد الرميحي

سوق السلاح

تجـارة .. أم سـيـاسـة ؟

بقلم : أمين هويدي *

بدأت سوق السلاح ببداية اختراع البارود فى القرن الرابع عشر ، وازدهرت سلع هذه السوق على مر الايام حتى اصبحت فى عصرنا الحالى ركنا هاما من اركان التجارة الدولية ، فعن طريقها تقوم حكومات على انقاض نظم أسقطت باستخدام القوة ، وعن طريقها يمكن تشكيل السياسات الخارجية للدول وتوجهها وجهة معينة فليس هناك عامل مؤثر على طبيعة العلاقات بين الدول كالسلاح مهما قيل عن اهمية الوسائل الأخرى .. وذلك هو ما يتناوله هذا المقال . .

لم تعد تجارة الأسلحة مجرد تجارة تنشر الحروب والدمار ، ولكنها تجارة تفرض سياسات معينة ، وتشكلها . فان كان الاستقطاب هو غرض رئيسى فى الاستراتيجية العالمية فان تجارة السلاح أو على الاصح نقل السلاح هو أداته الحاسمة Arms Transfer .

ولكى نبين الحجم الحقيقى للسلع المتداولة فى هذه السوق الغربية التى ينفق فيها اكثر من ٥٠٠ مليار

* مفكر وكاتب مهتم بالقضايا الاستراتيجية وقضايا الأمن القومي ، شغل منصبي وزير الحربية والمسئول عن المخابرات العامة في مصر عقب نكسة ١٩٦٧ مباشرة . عضو في عدد من اللجان الدولية المهتمة بالدراسات العسكرية .

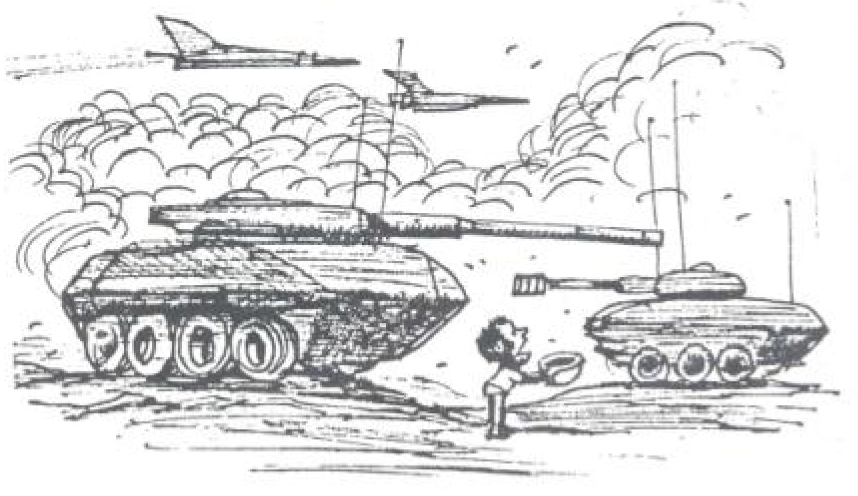

دولار فى العام اى بمعدل مليون دولار فى الدقيقة ، فاننا سوف نستند الى دراسة قام بها « بول رانك » رئيس الوفد الامريكى لتحديد الاسلحة والتى يقول فيها :ـ

● من بين كل ٦ دولارات تحصلها الضرائب ، ينفق دولار على التسليح .

● الضرائب التى تدفعها العائلات على التسليح تفوق ما تدفعه لتعليم اولادها .

● لدى الدول النامية جندى من كل ٢٥٠ من السكان ، وطبيب واحد لكل ٣٧٠٠ من الافراد

● تجعل التكنولوجيا الحديثة من الممكن نقل قذيفة حول العالم فى دقائق معدودة ، والنساء فى بلاد آسيا وافريقيا يسرن يوما كاملا للحصول على الماء .

● تدفع الدول النامية فى التسليح ٥ امثال ما تدفعه فى الانتاج الزراعى من حصيلة العملة الصعبة . وفى نفس الوقت الذى تتصاعد فيه النقود المتداولة فى هذا السوق ، نجد أن الحالة الاجتماعية والاقتصادية للدول فى أزمة حقيقية . ففى تقرير للامم المتحدة فى ١٩٨٢/١/٢٥ نجد فيه الحقائق الآتية :ـ

ـ ازداد عدد الافراد الذين يعانون من سوء التغذية الى ٥٧٠ مليون ، وعدد الأميين الى ٨٠٠ مليون ، ومن تنقصهم الرعاية الصحية الى ١٥٠٠ مليون . . وكان هذا قبل حالة الجفاف والجوع التى تمر بها دول وسط افريقيا الآن .

ـ انخفض معدل نمو الاقتصاد العالمى من ٥٪ الى ٣،٤٪ وفى الوقت نفسه ارتفعت صناعة الاسلحة لتبلغ ٥٠٠ مليار دولار سنويا كما سبق القول .

ـ بالرغم من أن متوسط دخل الفرد من العالم الثالث لا يزيد عن ١/١٢ من متوسط دخل الفرد فى الدول الصناعية ، فإن العالم الثالث اشترى ٧٥٪ من كل صادرات الدول الصناعية من الاسلحة خلال السبعينيات بمتوسط إنفاق ١٩،٥ بليون دولار سنويا .

نتائج ايجابية

من جانب اخر فان تأثير صناعة السلاح ونقله وتصديره له نتائج إيجابية على الدول المنتجة : إذ يعمل في هذه الصناعة ٥٠ مليون عامل ، و ٢٠٪ من مجموع المهندسين والعلماء ، ويقدر البعض عدد

العلماء والباحثين الذين يعملون في هذا المجال بنصف مليون باحث ، كما يخصص ٣٥ مليار دولار للابحاث الحربية .

وبذلك أصبحت الصناعات الحربية صناعة رئيسية يعتمد عليها النظام الاقتصادي العالمي ، إذ أنها تحتاج الى المواد الخام من الدول النامية ، مثل الالمنيوم والنحاس والنيكل والبلوتونيوم واليورانيوم . وفي نفس الوقت فهي تسعى لايجاد أسواق للتوزيع لتغطية نفقات الانتاج ولموازنة ميزان المدفوعات ، وبذلك زادت معدلات الانتاج من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨٠ كالآتي :ـ

الولايات المتحدة ٤٥٠٪

الاتحاد السوفيتي ٢٥١٪

بريطانيا ٦٥٠٪

المانيا الغربية ٦٧٨٪

ايطاليا ١٠٢٣٪

وبالتالي يمكن تحديد نسبة تصدير المصدرين الكبار في الاسلحة التقليدية عام ٦٥ كالآتي :

الولايات المتحدة ٣٩٪ والاتحاد السوفيتي ٣٤٪ والمانيا الغربية وبريطانيا وفرنسا كل منها ٣٪ اما في عام ١٩٧٤ فنسبة الولايات المتحدة ٤٥٪ والاتحاد السوفيتي ٣١٪ وفرنسا ٦٪ وبريطانيا ٥٪ والصين ٣٪ .

وكان التوزيع الاقليمي لاستيراد الاسلحة التقليدية عام ١٩٦٥ كالآتي :ـ

شرق آسيا ٥٥٪ والشرق الاوسط ١٣٪ وجنوب آسيا ١١٪ وامريكا الاتينية ٤٪ وافريقيا ٩٪ .

اما في عام ١٩٧٤ فكان التوزيع الاقليمي كالآتي : ـ الشرق الاوسط ٤٥٪ وشرق آسيا ٣٠٪ وجنوب آسيا ٤٪ وامريكا اللاتينية ٦٪ وافريقيا ٦٪ .

وحتى نتصور الحجم الهائل من الاسلحة الذي يصب في منطقتنا ، علينا ان نتذكر أنه كان لدى البلاد العربية في حرب ١٩٧٣ حوالي ٤٦٠٠ دبابه وهي ٣/٢ مالدى دول الناتو إذ لديها ٧٠٠٠ دبابه ـ وكان لدى العرب ١٢٢٥ طائرة قتال اي ٣/٢ مالدى الناتو إذ لديها ٢٠٥٠ طائرة . وقد قفزت هذه الارقام فنجد أن عدد الدبابات التي لدى البلدان العربية عام ١٩٨٠ هو ١١،٠٠٩ في مقابل ٣٠٥٠ لاسرائيل . وعدد المصفحات الاخرى وصل إلى ٨٨٢٢ في مقابل ٤٧٠٠ لاسرائيل ، والطائرات ١٩٤٣ للعرب في مقابل ٦٧٩ لاسرائيل عام ١٩٨٠ .

ولعلنا لاحظنا ان سوق السلاح يعتمد على حركة السلعة من المنبع وهي الدول المصنعة ، الى المصب وهي الدول المستخدمة . والمنبع يطلق عليه « الدول المركزية أو القوى المركزية Central Powers) والمصب تمثل ما يعرف بالدول الهامشية (Perepherial) وكثير من كتابنا يغضب من لفظ « الهامشية » . ولكنه لفظ علمي متعارف عليه لا يعني التقليل من الشأن بقدر ما يعني تعبيرا عن واقعها .

والحركة في ظاهرها كما نرى أمر طبيعي في السلع الاخرى كما يتم في السلع المتعلقة بشئون الدفاع . ولكن الواقع غير ذلك تماما . فالتحرك في مجال السياسة العالمية أصبح محكوما بعدة عوامل اهمها مصلحة الدولتين الاعظم وسعيها لتحقيق التفوق في توازن القوى الذي وصل الى حد التعادل بين القوتين بحكم الرعب النووي ، ولذلك انطلقت القوتان الاعظم الى « الهامش » لكسب معركة التوازان هناك . وعلى الدول النامية ـ ونحن منها ـ ان تتحرك في ظل هذه الحقيقة . والحركة في المجال العسكري تحتاج الى طاقة . والطاقة الذاتية تجعل الحركة ممكنة الى مسافة محدودة . ذلك لأن الطاقة المتاحة هي التي تحدد المدى الذي يمكن للحركة ان تصل اليه . وإذا كان المرغوب فيه ان يتجاوز المدى الطاقة المتيسرة اصبح لزاما تعويض هذا النقص من المصادر الخارجية ومن اهمها القوتين الاعظم .

ولكن الحصول على الطاقة في سوق السلاح ليس مطلقا سهلا كما يتخيل البعض ، أي إضافة شحنات من غير حساب ، وفتح المخازن على مصراعيها لاعطاء السلاح ايا كان نوعه او كيفه أو حجمه ، طالما توفرت قيمة شرائه . هذه العملية التجارية في ظاهرها لها قوانين تتدخل وتتحكم فيها .

القوانين المتحكمة في سوق السلاح

أولى هذه القوانين هي مصلحة الدول المتحة في العطاء . وهذه المصلحة هي التي تحدد طبيعة القرار

بالموافقة أو الرفض .

والقانون الثانى هو الحجم المحقق لمصلحة الدول المنتجة من وراء ذلك فى إطار سياستها العالمية . وهذا يوضح ويحدد حجم الشحنة المعطاة ونوعها ، ولو وضع الحجم المحقق لمصلحة الدولة المنتجة وحجم الشحنة المباعة أو الممنوحة فى كفتى ميزان ما رجحت احداهما الاخرى . فالولايات المتحدة مثلا ترى ان اسرائيل تحقق لها مصلحتها « كعصا غليظة » تشق بها خطوات السير فى المنطقة «اذن فلتكن اسرائيل دولة اقليمية عظمى . . . . . باعطائها نوعا وحجما من السلع الحربية يمكنها من ذلك .

القانون الثالث هو عدم تجاوز الشحنة المعطاة لدولة من الدول الحد الذى يسمح لها بتجاوز الخط الحرج وهو الخط الذى يهدد بتصادم القوتين الاعظم لصعوبة التحكم فى مدى التحرك حينئذ بما يتفق والاطار المرسوم .

وهذه العوامل مجتمعه تحدد : نوع السلاح وحجمه ومداه .

والقانون الرابع فى التعامل هو ان يتم التنفيذ بحيث يضمن الابقاء على العلاقة المستمرة بين الدولة التى تعطى والدولة التى تأخذ ، وذلك بتحديد حجم الذخيرة المنقولة وحجم قطع الغيار ، وكمية أعمال الاصلاح التى يسمح بعملها خارج الدولة المنبع وكذلك فترات التوريد .

والقانون الخامس الذى ينظم هذا النوع العجيب من التعامل هو ضمان عدم كشف ما فى الترسانات من وسائل الدمار . وعلى ذلك فان الدولة المنبع التى تعطى حريصة كل الحرص ألا تعطى أو تبيع إلا من الاصناف التى تجاوزتها ابتكارات تقنية اخرى اصبحت فى خطوط الانتاج . لانه من يدرى ؟ فقد يقع السلاح المعطى بطريقة أو اخرى فى يد الجانب الاخر بطريق مباشر أو غير مباشر فيكشف شيئا كان من الضرورى أن يبقى فى طى الكتمان فيخسر جولة فى الحرب التكنولوجية الدائرة .

من الأفراد الى الحكومات

فى ظل هذه القوانين يتم التعامل بعمليات حسابية دقيقة تجرى فيها موازنات شاملة ، بين مايجب وبين ما ينبغى أن يكون . ويخطىء من يظن أنه قادر على إلغاء هذه القوانين ، فمن يريد ان يأخذ اكثر عليه ان يدفع اكثر ، والدفع ليس بالضرورة عملة نقدية ، ولكن هناك وسائل اخرى كثيرة ومتعددة يتم بها تغطية الحساب ، كالقواعد والتسهيلات والاستقطاب والوفاق الاستراتيجى .

والتعامل مع الشركات يخضع لنفس القوانين ، وكذلك مع الافراد علما بأن تطورا خطيرا حدث فى ايامنا هذه فقد بدأت تجارة السلاح أول ما بدأت بواسطة الافراد ، وكان الامر سهلا اذ كان على طريقة ادفع واستلم « ومبروك عليك . . » وتعقدت الامور اكثر حينما اصبح الامر فى يد « الشركات الضخمة » واقتصر دور الافراد على القيام بأعمال السمسرة . اما الآن فهو من صميم اعمال الحكومات فهى التى تبيع أو تسمح بالبيع .

والمسألة فى غاية التعقيد . ولكى نتصور مدى ذلك نضرب مثلا واحدا من الولايات المتحدة . هناك شركات عملاقة لانتاج الاسلحة ولبيعها مثل شركة ، روكويل العالمية ، ولو كهيد ، ماكدونالد دوجلاس ، وصناعات ليتون ، وهوجز للطائرات ، وبومشيل ، وكلها شركات يسيطر عليها بنك امريكا The Bank of America . وبهذا الوضع يصبح هذا البنك قوة ضاغطة حتى على القرار فى البيت الابيض اكثر من بنوك روكفلر وميلون ودى بونت ، ولكنه وفى نفس الوقت لا يمكنه التصرف لا هو ولا أحد من شركاته دون قرار من هناك . وأصبحت الأمور متشابكة بين جهات التمويل واصحاب القرار وبذلك فان البنوك وليس الشركات هى التاجر الرئيسى فى سوق السلاح .

ويزداد الأمر تعقيدا حينما نبحث الموضوع فى ضوء تضخم نفوذ الشركات ، لتصبح متعددة الجنسية ، مكونة علاقاتها مع شركات وراء البحار . فشركة لوكهيد الامريكية لها علاقة مع شركة مسر شميدت الالمانية Messer Shmidt وهذه الشركة بدورها لها علاقة مع شركة الفضاء البريطانية British Aerospace وكذلك شركة الطيران الايطالية Aeritalia وهما الشركتان اللتان تشتركان مع شركة داسو Da ssault الفرنسية فى إنتاج الطائرة التورنادو .

وبهذا التعقيد أصبحت الدبلوماسية هي فن الامداد بالاسلحة .

التمويل والعملة

وجانب معقد اخر يمكن ان نقف عنده لنتحدث عنه في عجالة وهو الجانب المتعلق بالتمويل . اذ ان العامل الحاسم في اي سوق هو « العملة » وهي التي يتحقق عن طريقها البيع والشراء . والعملة في سوق السلاح لاتكون بالضرورة عملة نقدية ، ولكن هناك انواعا اخرى من العملات تسدد بها فواتير الحساب . ولكن سيقتصر حديثنا في هذه الفقرة على « العملة النقدية » مركزين على « المنبع الامريكي » وهو المصدر الاساسي لاغلب البلدان العربية .

فمن يطلع على الخطوط العامة لبرنامج المساعدات الأمنية الامريكية لعام ١٩٨٥ والذى قدمته الادارة الامريكية للسكونجرس لمناقشته والتصديق عليه ، فاننا نرى ان المساعدة تتوزع على النحو الآتى :

١ - برامج تمويل المبيعات العسكرية الأجنبية
٢ - صندوق العون الاقتصادى
٣ - برنامج المساعدات العسكرية
٤ - عملية حفظ السلام

ومن يقرأ هذه الخطة يجد أن أرقامها تترجم حرفيا السياسة الخارجية الامريكية وليس السياسة الاسرائيلية أو العربية . فالولايات المتحدة الامريكية لا تنفذ الا سياستها ، ودافع الضرائب الامريكى لا يدفع ضرائبه لتنفيذ أى سياسة اخرى غير سياسة بلاده التى اقترع عليها اثناء عملية الانتخابات . وبناء على ذلك نجد ان اى بند من بنود الخطة تم اختياره بدقة كى لا يخرج عن اطار تحقيق الهدف الذى وضع وهو تمكين الادارة الامريكية من تنفيذ سياستها فى الشرق الاوسط مرتكزة على اسرائيل كأداة اساسية .

سياسة « العصا والجزرة »

ويلاحظ ان الولايات الامريكية تتبع فى تعاملها فى هذا البرنامج سياسة « العصا والجزرة » ففى الوقت الذى تعطى تسهيلات حقيقية ، تقوم بوضع القيود التى لا يستطيع العميل ايا كان الفكاك منها . ولنأخذ اسرائيل مثلا على ما نقول :-

يتم التعامل بين الولايات المتحدةواسرائيل بالمرونه الكاملة :

١ - فتتمتع اسرائيل بما يسمى بالتدفق النقدى (Cash- Flow Method) وفى هذه الطريقة يحدد الشارى عند التعاقد تواريخ التوريد وجداول الدفع التى يوزع فيها المبلغ المطلوب الحصول عليه من البرنامج على اكبر عدد ممكن من السنين . وبموجب هذاالاستثناء تجنب اسرائيل القسط الاول فقط المطلوب بموجب العقد ، وتستخدم باقى المبلغ المخصص فى تعاقدات جديدة . فاذا كان القرض على سبيل المثال بمبلغ ١٠٠ مليون دولار ، واتفق فى التعاقد على ان يكون الدفع على اساس ٥ اقساط سنوية كل منها ٢٠ مليون دولار ، فاسرائيل تجنب ٢٠ مليون دولار فقط قيمة القسط الاول ، وتتعاقد تعاقدات جديدة بالباقى وقدره ٨٠ مليون دولار ، علما بأن القانون الامريكى يحتم تجنيب كل مبلغ القرض حتى ضمان السداد .

وفى حالة مصر مثلا كانت المعونة توجه الى مشروعات محددة منذ بدية المعونة عام ١٩٧٥ وقد ادى ذلك الى تراكم قسم كبير من هذه المعونة فى الفترة من ٧٥ - ١٩٨٣ دون ان تستخدمه مصر بسبب اختلاف وجهات النظر بين الحكومة المصرية وبين وكالة التنمية الدولية التابعة للحكومة الامريكية حول اهمية وجدوى واولويات المشروعات التى تريد الوكالةتوجيه المعونه اليها . وقد بلغت هذه المعونات غير المستخدمة ما يقرب من ٢,٧ بليون دولار كان يفترض حسب القانون الامريكى ان تعود الى الخزانه الامريكية ، ولكن اتفق الطرفان على ان تبقى معلقة اى ما يطلق عليه « اموال فى الانبوب » حتى يتم الاتفاق على استخدامها . وقد حمل هذا الموقف مصر ان تطالب بتغيير هذا النظام من توجيه المعونة الى مشروعات محددة ليكون توجيه المعونة الى « قطاعات محددة » وفعلا منذ عام ١٩٨٤ بدأت المعونة تسير على اساس مزج الطريقتين ، وتطالب مصر الان بمعاملتها بالمثل على طريقة « التدفق النقدى » كاسرائيل أو على الاقل مزيجا بين طريقة التوجيه الى قطاعات وطريقةالتدفق النقدى .

٢ ـ تقوم الولايات المتحدة بكثير من التنازلات عن اقساط القروض . ففي ميزانية عام ١٩٨٣ تنازلت عن ٧٥٠ مليون دولار من اقساط القروض من المبيعات الحربية الاجنبية .

٣ ـ تلتزم الشركات الامريكية عند شراء اسرائيل للمبيعات الحربية الامريكية بشراء حصة من السلع أو الخدمات الاسرائيلية ، الامر الذي يعتبر شيئا طبيعيا في حالة المبيعات التجارية العادية ، ولكنه امر ممنوع في حالة برنامج المبيعات الحربية الاجنبية ، اذ يحرمها القانون الامريكي .

٤ ـ القروض طويلة الاجل وبفترة سماح طويلة وبفوائد بسيطة مع اجراءات استثنائية تقفز من فوق قيود القانون .

٥ ـ التغاضي عن المخالفات التي ترتكبها اسرائيل في ظل القانون الامريكي الذي ينص على استخدام الاسلحة للدفاع عن النفس ، أو الحفاظ على الامن الداخلي ، وتفسير الدفاع عن النفس مطاط لاحدود له .

زيادة التحكم

هذا من ناحية « الجزرة » اما من ناحية « العصا » فتتمثل في الفيتو الامريكي على مبيعات اسرائيل لمنتجات اسرائيلية بها أجزاء امريكية لطرف ثالث ، النص على قيام اسرائيل باستيراد سلع امريكية تساوي حجم المساعدة الاقتصادية التي تخصص لها ، وان يتمتع المصدرون الامريكيون بنفس الحقوق التي تتمتع بها اسرائيل حينما يصدرون الى الاسواق الاسرائيلية ، وان يتم نقل ٥٠٪ من كافة البضائع المستوردة بوسائل نقل امريكية .

ونلاحظ هنا ان « ميكانيزم » التبادل يهدف اولا واخيرا الى زيادة التحكم في الدولة الهامشية حتى لو كانت هذه الدولة هي اسرائيل .

هذا من ناحية الجانب الاسرائيلي ، اما من ناحية الجانب العربي فتصر السياسة الامريكية على :

● ان يكون التوازن دائما في صالح اسرائيل في كل الظروف والاوقات

● الابقاء على « فجوة تكنولوجية » بين البلاد العربية واسرائيل تعوض التفوق العربي العددي والكمي .

● لا بد ان يتغلب السلاح الامريكي على السلاح السوفيتي في اي تصادم

● التصدير على آجال طويلة .

● فوائد عالية للقروض العسكرية بحيث تستهلك الجزء الاكبر من المعونة الاقتصادية .

وبخصوص النقطة الاخيرة نضرب مثلا بمصر التي بلغت المعونة الاقتصادية التي تلقتها من الولايات المتحدة عام ١٩٨٣ حوالي ٧٥٠ مليون دولار بينما كانت اقساط « خدمة الديون العسكرية » ٤٠٠ مليون دولار سوف ترتفع الى ٧٠٠ مليون دولار حينما تنتهي فترة السماح ويحل موعد تسديد الاقساط . وقد بلغت الديون العسكرية لمصر ٤ بليون دولار بفائدة مركبة تبلغ ١٣,٥٪ سنويا ، اي تقارب الفوائد السنوية ٦٠٠ مليون دولار دون المساس بأصل الدين . وقد بدأت مصر في التخلف عن سداد الاقساط ربع السنوية من العام الماضي ، وبعد زيارة وزير التخطيط مؤخرا قدمت الحكومة الامريكية مشروع موازنتها للكونجرس وتطلب فيه ٨٥٠ مليون دولار معونة اقتصادية لمصر ، اي بزيادة ٦٥ مليون دولار فقط عن معونة العام الماضي وهي زيادة وصفها احد المسئولين المصريين بأنها بالكاد تعادل نسبة التضخم النقدي في الولايات المتحدة .

من ذلك نرى ان السوق الدولية للسلاح سوق مختلفة تماما عن باقي الاسواق العالمية ، اذ ان السلع المتداولة فيها وطريقة التعامل بين البائع والمشتري بكل وسائل تسديد « الفواتير » للبضائع التي يتفق عليها . كلها تتم بطريقة مختلفة تؤيد ما سبق ان ذكرناه من ان الدبلوماسية اصبحت في الامداد بالاسلحة .

ويبقى السؤال الهام الذي يجب ان نفكر فيه ليل نهار ، وهو كيف يمكننا ـ نحن العرب ـ ان نجعل التعامل في هذه السوق العجيبة الغريبة بالنسبة لنا اقرب الى التجارة منه الى السياسة ؟ !

وأؤكد مرة ومرات ان الاجابة على هذا السؤال بطريقة صحيحة تصحح المسار وتضع استراتيجيتنا الحائرة على الطريق السليم . □

لقاء في المنامة

الشاعر محمد الفايز

سقاكِ الله من فيضِ السواقي
ووشّعَ مِنْ جوانبِكِ الرِّفاقِ
لأنكِ قد أتيتِ مع انبهاري
بما يأتي وجئتِ مع انعتاقي
وأخشى أنْ يُفجّرني احتوائي
لنوركِ أو يرنحني انطلاقي
وأنت منافذُ الشُّعَلِ اللواتي
تجيءُ من الجوانحِ والتراقي
وأنك قد عرفتِ بأيِّ عشقٍ
صُليتُ وأنتِ باردةُ الرواقِ
دحانا الماجنُ الأقصى فجئنا
نسيرُ على الأضالعِ والمآقي
وليلٍ لم يكنْ ليلاً ولكنْ
مسالكُ طارقٍ ومدى اشتياقِ
خرجنا نقتفي شجراً غريباً
ففي أغصانِهِ فزعُ الفراقِ

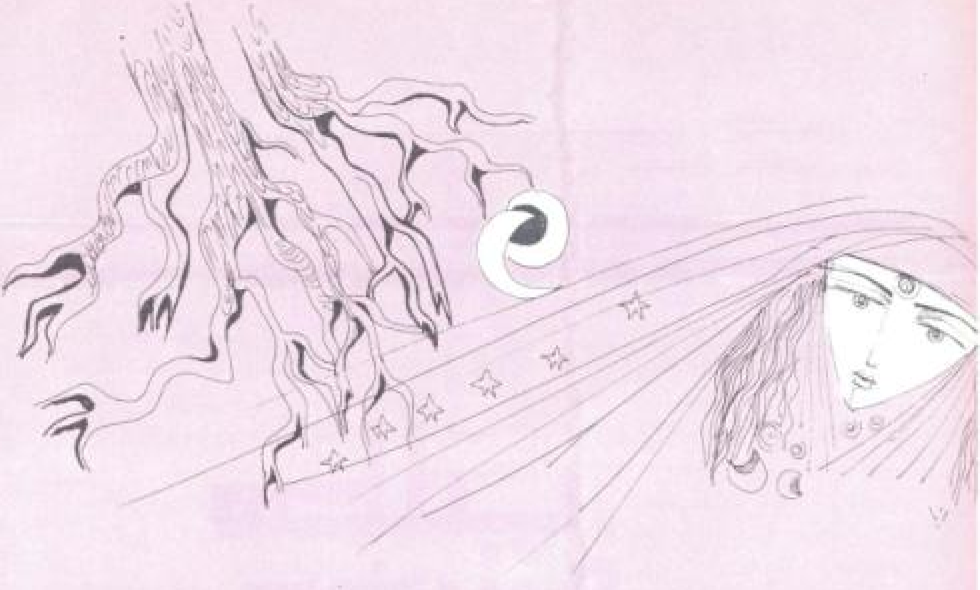

وللأشجار أشجانٌ وفيها
مواصلةُ الرحيلِ بلا تلاقِ
سلكناهُ إلى أقصى هوانا
ووقّانا وَقَاهُ كلُّ واقِ

وكانت تقرأ الأشجارَ كلٌّ
لَهُ وطنٌ وأسماءٌ بواقي

وكنت كذاك أقرأ ما عليها
وأوغلُ في معانيها الدقاقِ

كأن بجسمها نوباتُ برقٍ
وإلا فهي من ماء مُراقِ

وواضحة الحراك إذا تمشّى
بها عشقٌ وطبْعةُ العناقِ
وما برحتْ ثيابي في عبيرٍ
أكرّزُ في بواقيه احتراقي

تجديد التربية

مطلب حضاري قومي

بقلم : د . عبدالله عبدالدايم

التجديد في ميدان التربية . . هو أساس التقدم الحضاري والنهوض القومي . . وهو يستهدف بالضرورة اطلاق الطاقات الفكرية وتفجير الخلق والابداع عند أبناء الوطن العربي . . والبحث لتحديد الأوجه المرجوة لهذا التجديد والسبيل الى تحقيقها .

لن نفتح أبوابا مفتوحة ، ولن نطرق دروبا طالما طرقتها الأدلة . لن نتيه في شعاب البحث عن ذلك الشعار ، الذي شاع وذاع في دنيا التربية منذ نيف وعشرين سنة ، والذى بلغ عنفوانه حدا دعا بعض الكتاب من أمثال « ايليش » الى المناداة بالغاء المدرسة جملة وتفصيلا ، والذي ذهب في أكثر أشكاله اعتدالا الى المطالبة بتجاوز اطار التربية التقليدي ـ اطار الصف والمعلم والسبورة ـ والى المطالبة بصيغ تربوية محدثة تدعو في الجملة الى اللجوء الى تقنيات تعليمية جديدة ، هدفها النهائي تعليم عدد أكبر من الصغار والكبار تعليما أفضل ، بنفس الامكانات المادية والبشرية المتاحة .

ان جل قصدنا أن نمضى من وراء هذا الجدال النظرى حول التجديد ومرتجياته ودعاواه وغلوائه ، الى استقراء الواقع العالمي عامة والواقع العربي خاصة ، استقراء يبين لنا أن تجديد التربية شرط

ضروري لامتطاء صهوة العصر ، والدخول في رحابه ، واللحاق بركب تقدمه .

التجديد التربوى في البلدان المتقدمة

ولنبدأ بالبلدان المتقدمة ، اذ قد يخيل للقارىء أن ما نقول عن شأن التجديد ودوره في بناء التقدم الحضاري يصدق على البلدان النامية وحدها لا على البلدان المتقدمة . والأمر ليس كذلك ، فالتقدم أولا نسبي دوما ، وأمام التقدم تقدم لا ينتهي ، وهو دوما أمامنا لا وراءنا،والبلدان المتقدمة بعد ذلك مراتب ودرجات ، والسباق بين من يرتقى أعلى السلم ، وبين من يزحف في بداياته أو أواسطه سباق حاد ، يأخذ حقا شكل الصراع القومي والحضاري .

وحسبنا دليلا على ذلك أن نشير اشارة عابرة الى مثالين حديثين من أمثلة كثيرة : أولهما الصراع مؤخرا بين المشروع الأوروبي (الذي تتزعمه فرنسا) حول صناعات الفضاء وأبحاثه (مشروع أوريكا) وبين المشروع الأمريكي في هذا المجال . والمثال الآخر هو ما لجأت اليه أمريكا في الآونة الأخيرة ، من بيع كميات كبيرة من القمح للجزائر منافسة في ذلك فرنسا التي تعتبر سوق الجزائر سوقا تقليديا لها .

وكلا المثالين ـ والأمثلة أكثر من أن تحصى ـ يشيران الى طبيعة الصراع وجوهره ، ويضعاننا في صلب موضوعنا الأساسي موضوع التجديد التربوي ، فقوام الصراع هو مدى التقدم العلمي والتقنية التي يملكها كل طرف ، ومدى قدرته على تحديث وسائل انتاجه تحديثا يزيد في انتاجية مشروعاته الصناعية والزراعية وسواها ، وصفقات القمح أمكن بيعها الى الجزائر بأسعار مزاحمة لأسعار القمح الفرنسي ، بسبب جودة القمح الأمريكي ، وبسبب انخفاض كلفته نتيجة لزيادة الانتاجية الزراعية ، عن طريق تحديثها ، وادخال أدق الأجهزة والوسائل التقنية اليها .

السباق القومي بين الأمم يقوم اذن بوجيز العبارة على أرض التحديث العلمي والتطوير الجذرى في وسائل الانتاج ، وتحقيق المزيد من آلية الآلة ، والمزيد من حلولها محل الانسان . ولا يتم ذلك الا اذا تم قلب سريع لبنى الانتاج ووسائله ، واستخدام متزايد للاوتوماتية والسبرانية والمعلوماتية وسواها من التقنيات الطليعية ، التي تزيد في الانتاجية ، وترفع من مستوى فعالية الادارة والتنظيم . والحديث عن التغيرات المرجوة وعما يجرى بهذا الشأن في البلدان المتقدمة حديث يطول،وله غير هذا المجال والذى نود أن نخلص اليه من وراء هذا كله أن مثل هذا التحديث والتغير لا يمكن أن يتم الا بتجديد التربية بنى ومحتوى وطرائق . ومن هنا تشعر البلدان الأوروبية أن سعيها من أجل تحديث وسائل الانتاج ، لا بد أن يرافقه جهد مواز يتصل باعداد القوى العاملة اللازمة لوسائل الانتاج الجديدة ، وللبنى الاقتصادية والاجتماعية الجديدة بوجه عام . ومثل هذا الجهد لا تجدى فيه الجهود الاصلاحية البطيئة ، بل لا بد فيه من جهد تربوى تجديدى جذري .

البلدان العربية والتجديد التربوى

ولكن لا بد من الارتحال عن تجربة البلدان المتقدمة ، فهي على غناها بالدروس ، لا تغني عن الحديث عن شجوننا التربوية الخاصة . وحسبنا أن رأينا من خلال هذه اللغة البرقية الخاطفة كيف أن تجديد التربية في البلدان المتقدمة هو سبيل التجديد الحضاري القومي وهو الدرب اللازب لتأكيد الوجود واثبات القدرة في حلبة السباق العالمي ، السباق الذي غدا سباقا علميا تقنياً أولا وقبل كل شيء .

أما في البلدان النامية عامة والبلدان العربية خاصة ، فالصلة بين تجديد التربية وبناء الحضارة القومية صلة أعمق وأوضح . لقد قطع معظم هذه البلدان شوطا واسعا في طريق تعميم التعليم . وبالاضافة الى ذيوع التعليم الابتدائي تعاظمت نسب الملتحقين بالتعليم الثانوى بله العالي . ومع ذلك فحصاد هذه الجهود العديدة التي استلزمت سنوات عديدة وأموالا ينوء بحملها أصحابها ، ما يزال مقصرا تقصيرا فاضحا عن الشأو المطلوب ، اذا نظرنا اليه من منظار حاجات اللحاق بالعصر ، وبناء حضارة قومية في مستوى التقدم العالمي . ذلك أن الوقت الذي كان يظن القوم فيه ان التربية ضرب من مكافحة الأمية لاغير وقت قد مضى وانقضى ، كما أنه زال الى غير

رجعة ، ذلك الذي راود بعض الاذهان ، ان مجرد بناء المدارس وفتح أبوابها على مصراعيها لطارقيها ومرتاديها يؤدي الى التنمية المنشودة ، بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وفي البلدان العربية بوجه خاص ، أدرك القوم أن المدارس الشاسعة التي فتحت أبوابها للطارقين ، والجامعات المتكاثرة التي بلغ بعضها من العمر عتيا ، والتي خرجت أفواجا من بعدها أفواج ، لم يكن حصادها حتى الآن الا حصادا محدودا ، ولم تؤد الى تجاوز البلدان العربية منزلة الدول التي ما تزال تحبو نحو مرحلة الثورة الصناعية الاولى ، في عالم جاوزها وجاوز الثورة الصناعية التي تلتها ، وانتقل يغذ الخطا الى عالم ما فوق الصناعية والى الثورة العلمية التقنية . ويكاد الشعور يسود بأن الطاقات الفكرية لأبناء الأمة العربية شأن طاقاتها المادية ، طاقات مغلولة ، لا تجد في نظم التربية ما يعمل على تفتيحها الى أقصى مدى ممكن ، والى تفجير الخلق والابداع فيها ، بل كثيرا ما تعمل النظم التربوية السائدة على اخمادها ووأدها منذ طور مبكر .

ونستدرك فنقول : اننا لا نعني بذلك أن نحمّل التربية وحدها أوزار التخلف العام ، فالتربية نظام فرعي من نظام كلي ، وهو النظام الاقتصادي والاجتماعي الشامل ، ولابد من جهد متوازن ومتواز في التربية وفي سائر مقومات النظام الكلي ، ان اردنا لهذا الواقع صلاحا . على اننا نؤمن بأن الهامش المتروك للتربية في البلدان العربية وفي البلدان النامية ، هامش اساسي . ذلك ان التربية تكاد تكون في مثل هذه البلدان المؤسسة الثقافية والعلمية الوحيدة ، وليس من حولها الا القليل من المؤسسات والمواقع الأخرى ، التي تسهم في تطوير الفرد وتنميته في اثناء وجوده في المدرسة وبعد تخرجه فيها ، زد على ذلك أننا لا نستطيع ان نتخيل تقدما في الجوانب الاقتصادية لحياتنا وفي المؤسسات التابعة لها من صناعية وزراعية وادارية وسواها ، لايدعمه جهد تقوم به المدرسة من اجل البناء العلمي الصحيح لنفوس الناشئة ، بدلا من تشويهها على العكس وتعبئتها تعبئة مناقضة ، لأغراض التقدم الحضاري العام .

الأوجه المرجوة للتجديد التربوي الحضاري :

غير ان التجديد التربوي المرجو في بلادنا ليس أي نوع من التجديد كما قلنا منذ البداية . انه التجديد الذي يتحلق حول مطلب أساسي ، مطلب اللحاق بركب التقدم العالمي من أجل بناء الحضارة العربية . ومن هنا لن نتريث عند الأوجه والاشكال المتكاثرة للتجديد ، وعند تجارب التجديد التي ذر قرنها هنا وهناك ، بل سنقصر حديثنا على الجوانب التي تبدولنا ألصق بمطلبنا هذا ، دون أن ننكر شأن الجوانب الأخرى العديدة من التجديد .

وفي هذا الاطار يبدو لنا ان التجديد التربوي المنشود في بلادنا العربية ينبغي ان يدور حول محاور خمسة : ربط المدرسة بعالم العمل ، وربط المدرسة بعالم العلم والتقنية ، وبث وسائل التثقيف والتعليم الذاتي ، نعني تعليم المرء نفسه بنفسه ، والتربية على الحياة الديمقراطية ، وتكوين ارادة العمل المشترك في السعي القومي المتكامل .

١ ـ أما ربط المدرسة بعالم العمل والانتاج فمطلب واضح الصلة بمستلزمات التقدم العصري ، ويلبس هذا المطلب اهمية خاصة في مجتمعنا العربي الذي ورث ارثا قبليا ماتزال آثاره باقية ، يحقر العمل ويمتهن المهنة ويعير فيه الفرزدق جريرا بأنه « القَيْن وابن القَيْن » ويذكره بجده الذي « نفخ الكير » ، ووسائل التجديد وتقنياته في هذا الميدان كثيرة معروفة ، لامجال الى التفصيل فيها ، وحسبنا ان نقول ان أهم هذه الوسائل ان نلجأ الى غرس محبة العمل لدى الأطفال منذ نعومة الأظفار . وان نعودهم على العمل وعلى حياة العمال ، وأن نجعلهم بوجه خاص يدركون عن طريق الأساليب التربوية الملائمة ، جمال الابداع اليدوي ، وروعة العمل المتقن ، وبراعة اليد الصانعة «ولذة الاشتغال بالأصابع الخمس ، وعبقرية « الدماغ الذي في اليد ، والذي يفوق الدماغ الذي في الرأس » على حد قول غاندي . . . واهم من هذا وذاك ان نوجههم بعد ان يصبحوا على ابواب الصبا في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي ، نحو قابلياتهم الحقيقية ، بعد ان نكشف عنها كشفا علميا سليما ، بحيث نوجههم بعد ذلك الى فروع الدراسة

وانواعها المختلفة ، استنادا الى ما ظهر من تلك القابليات والى ما يُسِّروا اليه بطبعهم . وبعد هذا وذاك ، لابد من تعريفهم على عالم العمل ، واطلاعهم على مجرى الحياة في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة القائمة في البلد ، بل لابد من اقامة ضرب من التعاون بين المدرسة وبين عالم العمل ، هذا لاسيما في المراحل المتقدمة من التعليم ، هذا اذا لم نأخذ ببعض الافكار الهامة الحديثة المنادية بالتناوب بين المدرسة والعمل ، أو بالتربية الراجعة المتكررة .

٢ ـ ويلحق بمطلب ربط المدرسة بعالم العمل ويكمله مطلب ربط المدرسة بعالم العلم ، عالم التقدم العلمي التقني في ارقى صوره ومنجزاته . وقد رأينا ان العلم غدا قوام العمل والانتاج في ايامنا هذه ، وانه والتقدم الحضاري ءامة صنوان لا يفترقان . وههنا ايضا شجون كثيرة. حسبنا منها ان نؤكد ان التجديد المنشود في هذا السبيل لا يعني مجرد بث الروح العلمية ، أو مزيد العناية بالمواد العلمية على اهمية ذلك ، بل يعني شيئا اوسع واعمق وأكثر جذرية ، نعني بناء مناهج التعليم وطرقه وبناه واشكاله وكل ما فيه ، بناء جديدا انطلاقا من حاجات الثورة العلمية التقنية . لقد رأينا بعض ابعاد هذه الثورة . ومن المهم ان نذكر هنا انها أدّت فيما أدت اليه الى توليد علوم جديدة ، والى تقادم علوم عفا عليها الزمن ، كما أدت الى خلق مهن جديدة ، واسقاط الحاجة الى كثير من المهن التقليدية ، وأهم الميادين العلمية الجديدة التي تبزغ ويتزايد شأنها من خلال هذه الثورة : الدراسات المتصلة بالطاقة وبالطاقات البديلة خاصة ، والدراسات المتصلة بالأدوات التي يحتاج اليها تقدم الكهرباء الميكانيكية ، والدراسات المتصلة بالحاسبات الالكترونية ، فضلا عن الصناعات الفضائية ، وعلوم البيولوجية الذرية ، والصناعات البيولوجية ، وعلم النسل . . . ولاشك ان هذه التغيرات الجذرية في بنى الحياة العلمية والتقنية الحديثة ، تستلزم من البلدان العربية والبلدان النامية عامة تجديدا تربويا جذريا في مواد التعليم ومناهجه وطرائقه .

٣ ـ ويرتبط بهذا كله القول بمطلب التثقيف الذاتي . فلئن أدى الاغراق في آلية الآلة الى ضرب من التسيير الذاتي لكثير من المؤسسات الصناعية تسييراً تقوم به الآلة بدلا من الانسان ، فإن الدراسات الحديثة في علم النفس وفي التعلم ـ فضلا عن العون الذي تقدمه الآلة نفسها ـ تبين أن مثل هذا التسيير الذاتي للتربية ينبغي أن يحتل مكانة متعاظمة في التربية ، ان أردنا فعلا أن نفتح طاقات الانسان حتى آخر مداها ، ونعني بالتسيير الذاتي هنا وسائل التعلم الذاتي ، أي تلك التي تسمح للمتعلم أن يعلم نفسه بنفسه . وقديما قيل : « من لم يعلم نفسه لم يعلمه معلم » ويتيح ادخال الحاسبات الالكترونية في التعليم الى جانب التقنيات الحديثة الأخرى مجالا واسعا لمثل هذا التعلم الذاتي . وقد خطت بعض البلدان العربية خطوات في هذا المجال ، وهنالك جهود قائمة ، عربية وقطرية للافادة من الحاسبات الالكترونية في التربية . على أن الآلات والأجهزة الحديثة ليست شرطا لازبا للتعلم الذاتي ، كما أنها ليست شرطا لازبا لتقدم سائر أساليب التربية ووسائلها . والآلة على كونها عنصرا مساعدا ، ليست هي الأصل في تجديد الوسائل والأساليب ، سواء اتصلت بالتعلم الذاتي أو سواه . وهنالك وسائل تربوية عديدة لا تلجأ الى الآلة تمكن الطالب من تعليم نفسه بنفسه ، ومن تعويده على أن يثقف ذاته .

٤ ـ وقد يبدو للوهلة الأولى أننا نقحم مطلب التربية الديمقراطية في عداد محاور التجديد المرجو اقحاما فيه بعض القسر . لا سيما أننا نتحدث عن التجديد التربوي في اطار التقدم الحضاري ، ولا سيما التقدم العلمي التقني . وليس الأمر كذلك ، فأي تقدم حضاري حق لا يمكن أن يتحقق دون تربية ديمقراطية وثقافة ديمقراطية . والتقدم التقني لا يمكن أن ينبت في غير مناخ الحرية الفكرية والعلمية والاجتماعية . والتربية لا تستطيع أن تجدد نفسها وتتجاوز ذاتها أصلا الا اذا كان المجال فسيحا للنقد الفكري والحوار الحر . والابداع ـ وهو أهم عناصر التجديد في كل ميدان ،وأهمها التجديد العلمي والتقني ـ يعني في تعريف علماء النفس شيئا يجاوز مجرد الذكاء « الذكاء المقارب » على حد قولهم ، انه كما يقول أولئك الذين تحدثوا عن روح الخلق والابداع (الابداعية كما يقولون) ذلك « الذكاء المباعد » الذي لا يكتفي بحل المشكلات كالذكاء المقارب ، بل يفتق

دروبا جديدة ، ويحلق في عوالم مبتكرة ، ويتخيل دُنى أخرى مباينة للمألوف والمعروف ، وتربية هذه الروح الابداعية لها وسائلها العديدة ، كما يبينون ، غير أن رأس وسائلها تنمية روح النقد الحر ، والقدرة على الاتيان بالأفكار البكر ، وتعوّد التساؤل عن كل شيء ، واعتياد الخروج من القوالب المألوفة وتجاوزها .

أما وسائل التربية الديمقراطية فقد أطال في الحديث عنها رواد التربية الحديثة : تنظيم العمل المدرسي في فرق ، المكافأة الجماعية بدلا من الفردية ، تقدير تقدم الطالب بالقياس الى ذاته لا بالقياس الى سواه « النحن بدلا من الأنا » الجمهوريات المدرسية ، المطبعة المدرسية ، التعاونيات المدرسية ، المشروعات المشتركة الخ . . . . غير أن حركات التجديد التربوي تجاوزت هذا كله الى المناداة خصوصا بالتسيير الذاتي للمدرسة ، من قبل الطلاب والمعلمين والأبناء مجتمعين ، على نحو ما فعل أصحاب « المدرسة المؤسسية » بوجه خاص . وفي رأينا أن ما هو أهم من هذا كله وأبقى اشاعة روح النقد الفكري في مناهج التعليم وطرائق التعلم من جهة ، وتحقيق التفاعل والحوار الدائم بين المعلمين والطلاب ، وكذلك بين الطلاب أنفسهم من جهة ثانية . ويتبع هذا الاهتمام بتدريب الطلاب طوال حياتهم المدرسية على الجرأة في قول الحق والحقيقة ، وعلى قبول الحوار الحر حولها في الوقت نفسه ، والخضوع لنتائج الشورى في كل أمر .

٥ - أما تكوين « ارادة العمل المشترك » فهو بحق المطلب الذي يمنح للمحاور التجديدية جميعها لحمتها القومية وتماسكها . فالارتباط بعالم العمل والتمرس بالتعلم الذاتي والدربة على الديمقراطية أمور لا تلبس كامل معناها ، ولا تتخذ كامل مداها ، اذا لم تسعفها ارادة مشتركة ، توظف ذلك كله في خدمة الهدف القومي المشترك ، وتضعه في أقنية الجهود المتكاثرة المتلاقية ، الهادفة في النهاية الى بناء مجتمع قومي حضاري جديد . ان أي دعوة لا تملك الحرارة اللازمة لانطلاقها الا اذا انبثقت من ايمان عارم يحركها . ودعوة التجديد التربوي لا تنطلق عنيدة شديدة اذا لم يوجه انظار دعاتها أفقٌ قومي يه يؤمنون ، ولبنائه يجهدون ، والتجديد التربوي الذي يستهدف بوجه خاص بناء الحضارة القومية الجديرة بالأمة والعصر على نحو ما أردنا في هذه الكلمة ، يعمل في فراغ كبير ان لم يسعفه تجديد لارادة البناء القومي المشترك والعمل الجماعي المتضامن المرصوص . وسائر محاور التجديد التي تريثنا عندها ، العمل والعلم والتعلم الذاتي والديمقراطية ، تبقى جسدا بلا روح ان لم يكن رائدها في النهاية بناء حضارة ، وتكوين أمة متقدمة ينعم الجميع في أرجائها . ان سائر تلك المحاور باردة جامدة في ذاتها ، لا تملك من قوة الاندفاع الذاتي ما يحركها ويحرضها . وهي تلتهب وتضيء حين تتجلى أدوات أساسية لبناء قومي مكين يعمل له الكل .

ولا شك ان المشروع الحضاري الموعود الذي تشد الرحال اليه المحاور التربوية التجديدية التي أشرنا اليها ، مشروع لا بد أن يجعل من الارتباط بالتراث القومي أحد عناصره الأساسية . غير أننا قد ندرك من خلال العرض الذي قدمناه ان الأصالة المرجوة في مشروعنا الحضاري المرتقب لا تقتصر فقط على الأصالة النابعة من الارتباط بالتراث ، بل تتجلى أيضا فيما أشرنا اليه من جهد تربوي ذاتي نقوم به من اجل تجديد التربية تجديدا يربطها بالعمل والعلم والثقافة الذاتية والديمقراطية (وكلها قيم نجد بذورها ونظائرها مع ذلك في صلب تراثنا ، وان لبست أيامنا هذه لبوسا جديدا) .

فالأصالة أولا وآخرا هي بناء الحضارة بناء ذاتيا غير مجلوب ، واشادة صرحها من تربة تمتاحها من أرض الأمة وواقعها وحاجاتها وضرورات تقدمها . انها البناء الذاتي أي الأصيل للحضارة ، بل انها البناء المتفرد لحضارة لا بد ان تكون جديدة رغم أن جذورها في الماضي عميقة ضاربة . □

العَدد الممتاز من العربي
أول يناير ١٩٨٦
مع «هديتك السنوية»

فرنان برودل

عاشق البحر المتوسط

بقلم : الدكتور أحمد أبو زيد

في مايو الماضي احتل المؤرخ الفرنسي فرنان برودل مكانه الشاغر منذ زمن طويل في الاكاديمية الفرنسية ، وبالرغم من تقلده مناصب رفيعة وحصوله على العديد من الشهادات والأوسمة والنياشين ، الا أنه بقي على الدوام زاهدا في كل ذلك ، مخلصا لعشقه القديم ، للبحيرة الحضارية التي تسمى البحر المتوسط . . . .

استقبلت الاكاديمية الفرنسية في أواخر مايو الماضي (١٩٨٥) المؤرخ الفرنسي الشهير فرنان برودل . وفي خطاب الترحيب الذي ألقاه عضو الاكاديمية موريس دريون قال موجها الحديث اليه : « أرجو أن تسمح لي قبل كل شيء أن أعتب عليك ، لأنك أخذت وقتا طويلا قبل أن تقرر الانضمام الينا »

ثم تساءل عما اذا كان ذلك راجعا الى أن طريقه كان دائما مليئا بالنجاح وآيات التشريف ، ولذا لم يكن يري أن دعوة الاكاديمية له كانت دعوة عاجلة . وهذا عتاب رقيق ، ولكنه يخفي وراءه أشياء كثيرة لها معناها . فخلال السنوات العشر الماضية كان أعضاء الاكاديمية يقترحون على برودل أن يبدي رغبته في الترشيح للعضوية ، حتى يمكن انتخابه ، ولكنه لم يكن يستجيب لهذه الدعوات . فلما استجاب لدعوتهم أخيرا انتخبته الاكاديمية على الفور ، بعد أن

كان قد بلغ الثالثة والثمانين من عمره ، وذلك لكى يملأ المكان الذى شغر بموت الكاتب أندريه شامسون .

وخرجت صحافة باريس ترحب بذلك الاختيار الذى طال انتظاره . ولم ينس البعض مع ذلك ان يقول ان برودل كان يتردد في ترشيح نفسه ، لأن عضوية الأكاديمية لم تكن تضفى عليه مزيدا من الشهرة أو الشرف ، فهو أكثر شهرة من أغلب الأعضاء الذين انتخبوه ليجلس بينهم . فقد تخطت شهرته حدود فرنسا الى بقية أنحاء العالم ، كما أن كتبه تعتبر من أكثر الأعمال الفرنسية ذيوعا وانتشارا فى أوروبا وأمريكا ، ولا يكاد يفوقها فى ذلك الا بعض الروايات التاريخية ، التى اعتنق أصحابها نظرته الى التاريخ ، وتأثروا بأسلوبه ومنهجه وطريقة معالجته له ، كما هو الحال فى رواية مونتايو التى كتبها ايمانويل لروا لادوري الذى كان يعتبر من أقرب أتباعه اليه ، حتى غضب الأستاذ عليه ، وأبعده عن دائرته .

ويقال ان مكانة لادوري اهتزت اهتزازا شديدا بعد هذه القطيعة .

نكهة الكتابة

ولم يكتسب برودل شهرته نتيجة المشاركة في الحياة العامة ، أو اعتناق أحد المبادىء السياسية التقدمية ، أو مساندة حركات التمرد على الأوضاع القائمة في فرنسا ، والدعوة الى الانقضاض عليها وتغييرها ، أو السير فى المظاهرات ، كما كان يفعل كثيرون غيره من كتاب فرنسا وفلاسفتها وأدبائها ، من أمثال جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار وجاك دريدا وغيرهم . فهو على العكس من ذلك تماما أقرب الى التحفظ والعزلة والابتعاد عن الأضواء والزهد فى الحياة العامة . انما ترجع هذه المكانة العالية التى يتمتع بها الى تمسكه الشديد بالقيم والمعايير العلمية الصارمة ، وأخذه نفسه بالشدة والدقة فى العمل . فالكتابة الجيدة فى نظره ليست هى الكتابة الطريفة الخفيفة ، وانما هى الكتابة الدقيقة الرصينة . ولذا لم يكن يبخل بوقت أو جهد فى جمع المعلومات الكثيرة ، وتتبع مصادرها ، والتحقق من صحتها ثم تحليلها . وليس أدل على ذلك من أنه أمضى عشر سنوات كاملة فى جمع المعلومات اللازمة لكتابه الأول عن « البحر المتوسط والعالم المتوسط فى عصر فيليب الثانى » ، وهو الكتاب الذى نبه الأذهان اليه وفتح آفاق الشهرة واسعة أمامه ، ولا يزال اسمه مرتبطا به حتى الآن . كذلك فإن كتابه الضخم عن « الحضارة المادية : الاقتصاد والرأسمالية فى القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر » ، الذى ظهر عام ١٩٦٧ فى ثلاثة مجلدات ضخمة ، ظل يشغل فكره ويأخذ الكثير من جهده فى جمع المادة اللازمة له طوال ثلاثين سنة . وكان في أثناء ذلك كله ينشر عشرات المقالات فى أهم المجلات العلمية ، وقد جمع بعضها فيما بعد فى كتاب بعنوان « كتابات في التاريخ » ظهر عام ١٩٦٩ . ولايزال برودل حتى الآن ورغم بلوغه الثالثة والثمانين يقبل على البحث والكتابة بنفس الهمة والجدية والتفانى والصرامة .

وهو فى هذا كله يصدر عن موقف نظرى ومنهجى محدد ، ويعالج مادته التاريخية بأسلوب متميز ، يجمع بين الدقة والجزالة . وهذه كلها عناصر أساسية ، تضفى على كتاباته شخصية قوية متميزة ، بحيث نجد هناك من يقول ان لكتاباته (نكهة) فريدة وطابعا خاصا أقرب الى أن يكون نوعا من (الماركة المسجلة) .

وكتاب « البحر المتوسط » الذى ارتبط به اسم فرنان برودل له قصة طريفة ، تكشف لنا عن الكثير من جوانب شخصيته ، وطريقة تفكيره وأسلوب عمله . فحين أراد اختيار موضوع لرسالته للدكتوراه عرض على أستاذه لوسيان فيفر ان يكون عنوان الرسالة : « فيليب الثانى والبحر المتوسط » ، ولكن الأستاذ اقترح عليه تغيير العنوان الى « البحر المتوسط وفيليب الثانى » بحيث يكون التركيز على تلك المنطقة الجغرافية والحضارية المهمة وليس على شخص الملك . وكان ذلك بداية اتجاه جديد ومدخل جديد فى الدراسات التاريخية . وعكف برودل على جمع المادة العلمية الغزيرة المتعلقة بالموضوع ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، واشترك فيها ، ولكنه وقع فى أيدى الألمان منذ البداية ، وأمضى فى معسكر الاعتقال خمس سنوات بعيدا عن مذكراته التى يقال انها كانت تملأ أكثر من عشرة آلاف بطاقة . ولم يتسرب اليأس الى قلبه ، وانما عكف على الكتابة من الذاكرة ، وهو

فرنان برودل

فى (حجرة) المعتقل التى يشاركه فيها تسعة عشر شخصا آخر . وكان يسجل مايكتبه على قصاصات صغيرة من الورق يخفيها فى فراشه ، حتى تحين له فرصة تهريبها وارسالها الى أستاذه ، وبذلك تم تأليف الرسالة التى اصبحت كتابا يقع فى الف ومائتى صفحة مليئة بالمعلومات والتفاصيل الدقيقة ، التى تدل على قوة الذاكرة وصلابة الارادة . وقدظهر الكتاب عام ١٩٤٩ ، وجذب اليه فى الحال انتباه العلماء والنقاد ، ثم ترجم الى الانجليزية ، ووقع عليه الاختيار ليكون هو « كتاب الشهر » فى أمريكا ، وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لكتاب مترجم . وكان ذلك كله بداية الشهرة العريضة التى يتمتع بها برودل الآن .

مؤرخ من أصل فلاحي

يصف لنا فرنان برودل نفسه بقوله : « لقد كنت فى البداية ، ولاأزال حتى الآن ، مؤرخا من أصل فلاحي » . وهذا القول يفسر لنا بعض جوانب حياته المحافظة من ناحية ، ونظرته الى التاريخ واهتمامه بدراسة موضوعات معينة بالذات ، تجمع بين اتساع النظرة ، والاهتمام بتعرف أثر البيئة المحيطة بأحداث التاريخ ونظمه وعصوره المختلفة من الناحية الأخرى .

فقد ولد فرنان برودل عام ١٩٠٢ فى قرية صغيرة بشرق فرنسا ، على حدود اللورين - شمباني ، وهى منطقة كانت دائما ساحة للحروب بين الجيوش الفرنسية والألمانية ، وبذلك شاهدت كثيرا من التغيرات والتقلبات والصراع بين الدولتين على فترات واسعة من التاريخ . وقد انحدر هو نفسه من أصل (فلاحي) متواضع . فقد كان جده لأبيه عاملا فلاحا عاديا ، كما كان بقية أجداده وأسلافه يشتغلون اما بقطع الحجارة ، أو العمل فى المناجم اومن العمال اليدويين العاديين ، وان كان واحد منهم عاش فى النمسا لبعض الوقت ، واصبح قنصلا لها فى الجزائر . أما أبوه فكان معلما ، ويبدو أنه كان يتمتع بشخصية متسلطة ، فقد استطاع أن يجبر ابنه على أن يسلك طريق التدريس الذى سار هو فيه ، وان يمنعه من أن يدرس الطب حين أراد أن يدخل الجامعة . وأغلب الظن أن الابن لم يكن يستطيع أن يحقق لنفسه كل هذه الشهرة والسمعة الطيبة والمكانة العالية ، لو أنه سار فى الطريق الذى كان يريده لنفسه .

اشتغل فرنان برودل بعد تخرجه بتدريس التاريخ لبعض الوقت ، ثم رحل الى الجزائر حيث عمل مدرسا للتاريخ أيضا فى بعض مدارسها الثانوية فى قسنطينة ثم فى الجزائر العاصمة . وهذه الفترة التى امتدت الى عشر سنوات هى التى ربطته بالبحر المتوسط ، الذى ملك عليه لبه وفكره وخياله ، كما أنها هى الفترة التى أتاحت له ان ينظر الى التاريخ نظرة عامة شمولية ، تتعدى الأحداث الواقعية ، وتبحث عن العوامل الثابتة والقوى « اللاشخصية » الكامنة وراء تلك الأحداث . ثم هى أخيرا الفترة التى أوحت اليه بأهمية البحر المتوسط من حيث هو « بحيرة حضارية » حسب تعبيره ، وأن يدرسه فى عصر فيليب الثانى ملك اسبانيا . وكما يقول موريس دريون فى خطاب الترحيب وهو يوجه الحديث اليه انه (اى برودل) عرف البحر المتوسط من واجهته الجنوبية ، بسواحله الذهبية المتسعة المترامية ، وأراضيه الطينية الصلبة ، وشعوبه المختلفة المتباينة ، وتقاليده القديمة المتوارثة عبر القرون ، ومنشآته الاسلامية ، وعلاقاته وروابطه مع أوروبا ومع المسيحية ، وأسواقه التى يفوح منها عبق الشرق ، وان معرفته بالبحر المتوسط لم تكن معرفة السائح العابر ، لأنه ذهب الى هناك للعيش والاقامة والعمل ، مما ساعده على أن يتغلغل الى أعماقه ويدرك تنوعاته . وهكذا أفلح البحر

المتوسط في أن يملك عليه أمره ، وأن يثير في ذهنه كثيرا من التساؤلات عن الأسباب التي جعلت منه تلك « البحيرة الحضارية » المتميزة ، سواء أكانت هذه الأسباب هي الأوضاع الجغرافية الخاصة أم الموارد البشرية .

بعد هذه السنوات العشر التي أمضاها برودل في الجزائر عاد الى باريس واشتغل في بعض المدارس الثانوية ، ثم انتقل للتدريس في كلية الآداب جامعة سان باولو بالبرازيل ، ولكنه لم يلبث أن رجع الى فرنسا عام ١٩٣٧ ، على أمل أن ينهي رسالته للدكتوراة .

ولكن قامت الحرب العالمية الثانية ، وكان ماكان من قصة الرسالة ، والكتاب الذي أصبح أحد المعالم الرئيسية فيما يعرف الآن باسم « التاريخ الجديد » .

خلاف مع السوربون :

لم يكن التاريخ بالنسبة لفرنان برودل مجرد دراسة وضعية للأحداث الجزئية ، ورصد هذه الأحداث في تتابعها الزمني ، كما يرى الكثيرون من المؤرخين الذين يصفهم بأنهم تقليديون وأعضاء في (المؤسسة) ، أي السوربون ، وانما التاريخ في نظره دراسة كلية شاملة تعطى أولوية مطلقة للأوضاع والعوامل والعناصر الأساسية ، التي تتفاعل معا داخل المجتمع ، وتحدد بتفاعلها سير الأحداث ان لم تخلقها خلقا . فليس هناك في نظره سوى تاريخ واحد هو هذا التاريخ الكلي الشامل ، الذي لايكاد يضارعه في شموله أي علم اجتماعي أو انساني آخر ، بل انه يستعين في دراسة موضوعاته بنظريات واتجاهات ومناهج هذه العلوم كلها ، وبوجه خاص الانثربولوجيا ، وبعض التأويلات المستمدة من التحليل النفسي . وهذا واضح بشكل خاص في كتاب« البحر المتوسط » اذ تظهر فيه تأثيرات عدد كبير من العلوم ، مثل الجيولوجيا والانثربولوجيا والاجتماع والاقتصاد والاحصاء وغيرها .

ولقد كان من الطبيعي أن يرفض المؤرخون (التقليديون) هذا الاتجاه . ولذا أغلقت السوربون أبوابها في وجهه ، مما جعله يتجه الى « المدرسة العملية للدراسات العليا »

الرأسمالية ظاهرة مؤسفة

ولقد كان عام ١٩٤٩ عاما فريدا في تاريخ حياة استاذ التاريخ . فهو العام الذي شهد ظهور كتاب « البحر المتوسط » ، وفيه أيضا أفلح برودل في أن يدخل الكوليج دو فرانس ويشغل كرسي الحضارة الحديثة . وهنا أيضا نجد أنه يخلف استاذه لوسيان فيفر الذي كان يتربع على هذا الكرسي حتى تقاعده . وفي محاضراته الافتتاحية لكرسي الاستاذية حدد برودل موقفه بصراحة ، اذ أعلن رفضه للنظرة الضيقة الى التاريخ ، وعدم ايمانه بالرأي الذي يقول ان الانسان يصنع التاريخ ، وانما التاريخ هو الذي يصنع الانسان ، ولم يكن يقصد بذلك أن يقلل من شأن الفرد أو دوره في الحياة ، وانما كان يقصد ضرورة أن يتجاوز البحث التاريخي أفعال ومنجزات الأفراد أيا كانوا ، ويتعدى الأحداث الواقعية الملموسة ، بحثا عن المقومات الأساسية التي ترتكز عليها هذه الأفعال والأحداث . فعصر فيليب الثاني ملك اسبانيا ومنجزاته ليست كلها الا نتاجا لذلك الكل الحضاري المركب الذي نسميه « البحر المتوسط » ، ولايمكن فهم هذه المنجزات والأحداث الا في ضوء هذه الوحدة الحضارية الكلية الشاملة . ولم يكن انتماؤه للكوليج دو فرانس ليمنعه من ان يعبر صراحة عن رفضه لكثير من الأوضاع الجامدة السائدة فيها ، والتي تفرض كثيرا من القيود على انطلاق الفكر . ولم يغير رأيه فيها أبدا ، حتى تقاعد عام ١٩٧٢ بعد أن أمضى ثلاثة وعشرين عاما استاذا بها . فقد كان يراها آلة تنزل بالانسان العالم المثقف الى مستوى ادنى وأقل من حقيقته . وكان ذلك يثير عليه زملاءه . ولكن الذي كان يهمه هو الدعوة الى التخلص من القيود التي تعوق انطلاق الفكر في البحث العلمي .

ثم أتيح له في آخر الأمر أن ينشيء (مؤسسته) الخاصة التي تعبر عن موقفه ، وتحمل تعاليمه للآخرين ، والتي ينضوي تحتها الآن عدد كبير جدا من التلاميذ والاتباع والمريدين ، وذلك حين انشأ عام ١٩٦٣ بيت علوم الانسان وهذه هي المؤسسة العلمية الوحيدة التي أنشأها بنفسه ، والتي ترتبط بإسمه هو دون سواه ، وان كان قد عاونه في انشائها

عدد من العلماء الشبان . وقد تولى ادارتها بعد انشائها ، وكان يعمل فيها تحت رئاسته ما لا يقل عن ثمانمائة عالم وباحث وموظف اداري . وهنا أيضا نجد الاسم ذاته الذي تحمله هذه المؤسسة ، وهو « بيت علوم الانسان » يكشف عن نفس النظرة الكلية الشاملة ، وعلاقة علوم الانسان بعضها ببعض من ناحية ، وعلاقتها كلها بالتاريخ من الناحية الأخرى . وقد لعبت هذه المؤسسة مع « الشعبة السادسة » دورا هاما في نشر « التاريخ الجديد » الى خارج حدود فرنسا ، وبوجه خاص الى بعض دول شرق أوروبا وامريكا الجنوبية وكندا ، ثم أخيرا الى أمريكا ذاتها . ولكنها لم تفلح في غزو بريطانيا وألمانيا بنفس القوة حتى الآن .

ولقد شجعت هذه النظرة (البانورامية) الى البحر المتوسط على قيام دراسات أخرى كثيرة مماثلة ، اتبعت نفس الاسلوب والمنهج ، بحيث كانت تهتم بدراسة مناطق وأقاليم أخرى جغرافية محددة بدلا من الاكتفاء بدراسة الأحداث . وظهر بذلك عدد كبيرمن هذه الدراسات المونوجرافية ، التى تؤكد كلها المدخل الكلى الشامل أو المدخل البنائى . وقد طبق برودل نفسه هذا المدخل في دراسته المهمة عن « الحضارة الرأسمالية » التى ظهرت في ثلاثة مجلدات في الستينيات . فقد أخذ في هذا الكتاب التاريخ الاقتصادي بأوسع صورة ، وحاول أن يدلل على أن كل عصر تاريخي كانت تسيطر عليه مدينة تجارية عظيمة واحدة . وأن هذه المدينة كانت دائما احدى هذه الموانى الكبرى . ففى الفترة من ١٣٨٠ تقريبا حتى ١٥٠٠ كانت البندقية هي المركز التجاري والحضاري في العالم ، ثم جاءت أمستردام في أواخر القرن السادس عشر ، ثم تلتها لندن في أثناء الثورة الصناعية ، ثم أخيرا وفي عام ١٩٢٩ أصبحت نيويورك هي ذلك المركز . وتحليل برودل للرأسمالية يبرزها على أنها النتيجة الاقتصادية لظهور ونشأة الصفوة ، وانها على أي حال ظاهرة طبيعية ، ولامفر منها ولا يمكن تجنبها أو تحاشيها ، وان كانت مع ذلك ظاهرة مؤسفة ، وقد تختلف الآراء حول هذه النظرة ولكن الذي يهمنا هو أن هذا الكتاب يكشف عن مدى اتساع المجال الجغرافي الذى يعالج فيه هذه المشكلة المحددة .

كلمة برودل الخاصة

وهكذا نجد أن فرنان برودل الاستاذ العالم الجاد البعيد عن الحياة العامة يفلح في أن يجمع في وقت من الاوقات بين اربعة مناصب هامة في اربع مؤسسات لها دورها الفعال المؤثر في الحياة العلمية (الحوليات ـ الكوليج دو فرانس ـ المدرسة العملية للدراسات العليا ـ بيت علوم الانسان) . وتكشف لنا هذه المناصب طبيعة العلاقة التى كانت تربطه باستاذه العظيم لوسيان فيفر ، وتبين كيف يمكن للأستاذ الذي يتوسم الخير في أحد تلاميذه أن يأخذ بيده ويدفعه الى النجاح ، بحيث يخلفه في اعماله ومكانته ، كما تبين كيف يمكن للتلميذ المخلص أن يحمل الرسالة ، ويحافظ على التركة ، بل يضيف اليها ، ويعمل على تدعيم المدرسة التى أنشأها استاذه ، ويعتبر ذلك خير وسيلة للاعتراف بفضل الأستاذ عليه وعلى العلم . كذلك تكشف لنا هذه المناصب ذاتها عن مدى مايتمتع به برودل من سلطة ونفوذ وتأثير في الأوساط العلمية والثقافية . ولقد حمل علمه اليه الشهادات والدرجات ، والالقاب الفخرية ، والأوسمة ، والنياشين ، وعضوية المجالس العلمية والاكاديميات في كثير من الدول ، وكان تتويج هذا كله عضوية الأكاديمية الفرنسية التى كان يمتع عليها لفترة طويلة .

وعلى الرغم من بلوغه الثالثة والثمانين ، فلا يزال يعمل ويقبل على المشروعات العلمية الكبرى ، التى تتطلب الكثير من الوقت والجهد والمثابرة والحماس والايمان . فهو يعكف الآن على كتاب ضخم عن (تاريخ فرنسا) يقع في ستة مجلدات ، وقد ظهر المجلد الأول منها بالفعل . ومع أن هناك مؤلفات وكتبا كثيرة جدا عن تاريخ فرنسا فإن ذلك لم يمنعه من أن يطرق الموضوع الذى عالجه مئات غيره من قبل ، ليقول كلمته هو أيضا بطريقته الخاصة .

فالتاريخ يتغير ويتجدد ، لأن المشاكل التى يطرقها تتغير وتتجدد . وهذه النظرة تنم عن مدى احترامه لمادةتخصصه ، بحيث لايستنكف الرجوع الى الموضوعات والمشكلات القديمة التى سبقه اليها الكثيرون ، فيعالجها من زاوية جديدة ومدخل جديد وفكر جديد . وهذا أساس هام لتقدم العلم . □

مواقيت الصيام والصلاة

في أقصى الشمال والجنوب

دكتور/ عبدالمنعم النمر

قضية جادة طالما شغلت اقلام المجتهدين، وتساؤلات المسلمين، عبر القرون الخوالي.. وما زالت.. ألا وهي كيف يصلي المسلمون ويصومون في الاصقاع التي يتبدل فيها النهار والليل على خلاف ماهو مألوف..؟ حول هذه القضية نطرح هذه الدراسة..

جاء القرآن والسنة بتحديد أوقات الصلاة والصيام حسب الظواهر الشمسية والقمرية في المناطق المعتدلة والاستوائية التي تبدو فيها هذه الظواهر المتغيرة. فصلاة الصبح حين يبدو الشفق من الشرق، والظهر حين تميل الشمس عند الزوال، والعصر حين يصير ظل الشيء مثله أو مثليه، والمغرب حين تغرب الشمس، والعشاء حين يغيب الشفق الأحمر أو الأبيض.. ومن خلال هذا يعرف وقت الفجر وبدء الصيام اليومي ونهايته عند الغروب، ويبدو وقت كل من النهار والليل متقاربا. أو بينها فرق حيث يبدو النهار أطول بساعة أو أقل، أو أكثر صيفا، والليل أطول كذلك شتاء، في النصف الشمالي والنصف الجنوبي في الكرة الأرضية.

ولم يكن المسلمون يجدون أية صعوبة في تمييز هذه الأوقات لأداء العبادات فيها، فالشمس تشرق وتغرب، والقمر يظهر ويغيب.. ويضبط المسلمون أوقاتهم على ما يرون من هذه الظواهر.. ولم يتعرض القرآن ولا السنة ولا الصحابة والفقهاء وأئمتهم لما عدا ذلك الذين يرونه حولهم، حيث لم يكونوا على علم بما يجري من ظواهر في أقصى الشمال وأقصى الجنوب، وبالتالي لم يضعوا أحكاما لذلك.

ولكن حدث بعد القرون الأولى أن صعد المسلمون الى الشمال في اسبانيا وخوض البحر

الأبيض في فرنسا وايطاليا ووسط آسيا . . ولاحظوا تغيرا في طول النهار أو قصره ، عما عهدوه في بلادهم الأصلية المعتدلة ، وكذلك بالنسبة الى الليل . . ووجدوا صعوبة في صيام يوم قد يصل الى نحو عشرين ساعة من الفجر حتى الغروب ، فكان من الطبيعي أن يتساءلوا عن الصوم في مثل هذه الحالة . . ؟ أما من ناحية الصلاة فظواهرها موجودة من فجر وزوال وغروب الخ . . .

ثم صعد المسلمون الى الشمال أكثر وأكثر . . ولمسوا تغيرا أوضح في المظاهر الشمسية والقمرية . . ولمسوا طولا أكثر في اليوم في وقت الصيف ، حتى ليصل أحيانا الى ٢٣ ساعة أو يزيد دقائق . . ويضيع وقت الليل أو يكاد . .

وأحيانا يكون طول الليل مثلا ٣ ساعات أو أقل ، ولا يغيب فيه شفق الغروب حتى يؤذن بوقت العشاء ، ثم يظهر شفق الفجر بعد غياب ، حتى يؤذن بوقت الفجر وبدء الصيام ، بل يظل مستمرا ، فمتى يصلون العشاء والفجر ويبدءون الصيام ؟

ثم اذا صعدنا للشمال أو للجنوب نحو القطبين تغيرت الظواهر الشمسية تغيرا كليا ، فلم تغب الشمس لأيام قد تصل الى شهور ، ويكون هذا طول اليوم ، وعلى العكس في الشتاء لا تظهر الشمس أبدا لأيام قد تصل الى شهور ، ويكون هذا طول الليل .

حقائق فلكية

وبودي أن أضع أمام القارىء بعض الحقائق والمعلومات الفلكية التي يقررها علماء الفلك ، لتظهر الصورة التي نتحدث عنها بوضوح .

اذا بلغنا خط عرض ٦٧ شمالا أو جنوبا ، وهو يمر بشمال كندا ، والاسكا ، وجزيرة جرينلند القريبة من ساحل كندا ، وجزيرة أيسلندا شمال الجزر البريطانية ، وشمال السويد والنرويج ، وفنلندا وشمال روسيا ، وسيبيريا . اذا وصلنا الى هذا الخط فما فوق شمالا ،أو جنوبا،يتواصل النهار فيها حتى يبلغ ستة أشهر أحيانا في أثناء فصل الصيف ، والليل ستة شهور في أثناء الشتاء .

الجزر البريطانية وما يوازيها شرقا وغربا تقع بين خطي عرض ٥٠ ، ٦٠ ، والشمس تشرق فيها وتغرب طول العام بانتظام ، ومن السهل الوقوف على أوقات الصلاة فيها والصيام ، الا في الشهور الصيفية التي يتصل شفق الغروب بشفق الشروق ، فلا يمكن تمييز وقت العشاء ، ولا تمييز وقت الفجر . . حيث تكون الشمس باستمرار تحت الأفق بـ ١٢ درجة ، ويظهر شفقها باستمرار .

يختلف وقت زوال الشفق ، أو مدة وجوده بعد الغروب حسب خطوط العرض . فعند خط الاستواء مدته ١٢ق و ١س . ثم يطول شيئا فشيئا ، حتى يصل الى ٣ ساعات في شفق الغروب ، وشفق الشروق ، وذلك عند خط عرض ٦٧ تقريبا ، عندما يكون طول النهار ١٨ ساعة أو أكثر .

وفي هذه الحالة ينعدم الاظلام التام ويتصل الشفقان : ٣ + ٣ + ١٨ ساعة = ٢٤ ساعة وكلما زادت مدة الشفق ظهر الضوء وانعدم الظلام ، فيكون النهار الدائم عند خط عرض ٦٧ فما فوق .

المنطقة الفلكية المدارية : هي الواقعة بين مداري السرطان شمالا والجدي جنوبا ، بين ٢٣ درجة شمالا ، و ٢٣ درجة جنوبا .

المنطقة الفلكية المعتدلة : هي التي تشرق الشمس فيها بانتظام ، ويكون صيف وخريف وشتاء وربيع ، ويختلف فيها الليل والنهار ، ولا يتساويان الا مرتين في السنة ، وهي التي تمتد من خط عرض ٢٣ شمالا وجنوبا ، حتى خط عرض ٦٧ .

المنطقة القطبية من ٦٧ ـ ٩٠ شمالا وجنوبا .

متى يتصل الشفقان ؟

قلنا ان شفق الغروب قد يستمر غربا ، حتى يظهر من الشرق شفق الشروق فيتلاقيان في بعض شهور السنة ، فمتى يحصل ذلك ؟ وعلى أي خطوط من خطوط العرض ؟

قال الفلكيون ان هذا يحصل كما يأتي :

من أول مايو كل سنة الى ١٥ منه : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٨ ـ ٦٠

من ١٥ مايو لنهايته : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٤ ـ ٦٠

مدة النهار والليل في الكرة الأرضية

خط عرض	أطول نهار وصيف	أقصر نهار وشتاء	خط عرض	أطول نهار وصيف	أقصر نهار وشتاء
	ق س	ق س		ق س	ق س
خط الاستواء	ـ ١٢	ـ ١٢	°٥٠	١٨ ١٦ صيفا	ـ ٨ شتاء
١٠	٤٠ ١٢ صيفا	٣٠ ١١ شتاء	°٥٥	١٧ ١٧	٠٥ ٧
°٢٠	١٨ ١٣	٥٣ ١٠ شتاء	°٦٠	٤٥ ١٨	٤٥ ٥
°٣٠	٠٢ ١٤	١٠ ١٠ شتاء	°٦٥	٤٣ ٢١	٢٢ ٣
°٤٠	٥٨ ١٤	١٦ ٩ شتاء	°٦٦	٢٤	٣٠ ٢
°٤٥	٢٣ ١٥	٤٢ ٨ شتاء	°٦٧	يستمر الضوء ويكون نهارا دائما	يستمر الظلام ويكون ليلا دائما
°٤٩	١٦	٠٥ ٨ شتاء			

طول النهار والليل القطبي

طول النهار القطبي يختلف حسب درجات العرض شمالا وجنوبا . وكذلك الليل القطبي هكذا :

خط العرض شمالا	طول النهار القطبي	طول الليل القطبي	خط العرض جنوبا	طول النهار القطبي	طول الليل القطبي
	صيفا	شتاء		صيفا	شتاء
°٧٠ش	٧٠ يوما	٥٥ يوما	°٧٠ج	٦٥ يوما	٥٩ يوما
٧٥	١٠٧ يوما	٩٣ يوما	٧٥	١٠١ يوما	٩٩ يوما
٨٠	١٣٧ يوما	١٢٣ يوما	٨٠	١٣٠ يوما	١٣٠ يوما
٨٥	١٦٣ يوما	١٥٠ يوما	٨٥	١٥٦ يوما	١٥٨ يوما
٩٠	١٨٩ يوما	١٧٦ يوما	٩٠	١٨٢ يوما	١٨٣ يوما

وفي هذا النهار الطويل أو الليل الطويل الذي يبلغ من شهرين وعشرة أيام الى ستة شهور وكسور كيف يؤدي المسلمون المقيمون في هذه المناطق عبادتهم ، من صلاة وصوم ؟

في يونيو ويوليو : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٠ ـ ٦٠

من أول أغسطس الى ١٥ منه : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٤ ـ ٦٠

من ١٥ أغسطس لآخره : لايغيب الشفق ابتداء من خط عرض ٥٦ ـ ٦٠

وقبل ذلك الوقت وبعده ، يغيب شفق الغروب ، ثم يظهر شفق الشروق ، ويعرف وقت العشاء ، ووقت الفجر ..

فمتى تؤدى صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ومتى تبدأ الصيام وتمسك عن الأكل كل يوم . في الليالى التى يتصل فيها الشفقان ، وهى تكون من خط عرض ٥٠ كما ترى في الجدول السابق في الجزر البريطانية ، وما يوازيها على خطوط عرضها ، اذ ان هذه الجزر تقع بين خطى عرض ٥٠ ـ ٦٠ شمالا ..

ومن هذه المعلومات والحقائق الفلكية[1] ، التى عرفت من بعد القرون الاسلامية الأولى ، أى من بعد عصر الرسول والصحابة والتابعين والأئمة وتلامذتهم ، برزت أمام العلماء المتأخرين ابتداء من القرن الخامس الهجرى حتى الآن مشكلة او نسميه

مسألة ذات شقين :

الاول : كيف يؤدى المسلمون الذين يقيمون في هذه البلاد التى يتواصل فيها الشفقان عبادتهم ؟

الثاني : كيف يؤدي المسلمون الذين يقيمون في هذه البلاد التى يستمر فيها النهار أكثر من ٢٤ ساعة حتى يصل الى نحو ستة أشهر ، وكذلك الليل . كيف يؤدون عباداتهم من صلاة وصوم ؟ هذه المشكلة برزت منذ القرن الخامس الهجري كما قلنا وما زالت حتى الآن . فما الحكم فيها ؟ هذه تساؤلات عن هذه الظواهر التى عرفها المسلمون بعد قرون امتدت حتى الآن ، بل ويعيشون فيها الآن بعد ان تقاربت أجزاء العالم ، وأصبح السفر والاقامة في هذه البلاد أمرا سهلا .

ولاشك أن الاجابة عن هذه التساؤلات سيكون مصدرها الاجتهاد من الفقهاء . . حسب وجهة نظرهم . اذ لا يمكن أن يقفوا امامها عاجزين دون رد . .

وبالرجوع الى المصادر التى أمكن الرجوع اليها وجدنا أن فقهاء القرن الخامس الهجرى كانت لهم اجابات ، وكانوا أول من تعرض للفتوى . . فأفتى شمس الأئمة عبدالعزيز الحلواني (توفى ٤٤٨هـ - ١٠٦٥م) وزين الدين البقالى (٥٦٢هـ - ١١٦٧ م) من فقهاء الأصناف بفتوى سريعة بعدم وجوب أداء الصلاه التى لا تظهر لها العلامات المعتادة ، وأفتيا بعدم وجوب صلاة العشاء على الذين يعيشون فى المناطق التى لايغيب فيها الشفق . وتابعهم فى ذلك فقهاء أتوا بعدهم مثل الزاهدى (٦٥٨هـ - ١٢١٠م) وأبى البركات النفسى (٧١٠هـ - ١٣١٠م) والزيلعى (٧٤٣هـ - ١٣٤٢م) وملاخسرو (٨٨٥هـ - ١٤٨٠م) والحصكفى (١٠٨٨هـ) والرنلالى (١٠٦٩هـ) ورأى هؤلاء جميعا رأى فطير يتساقط أمام أدلة قوية كثيرة ، وأهمها وجوب التقدير في هذه الحالة حسب ماجاء في حديث الدّجال ، حين قال الرسول لهم « أقدروا له » وأداء الصلاة على حسب هذا التقدير وهو رأى الشافعية والمالكية . .

وما هذا الحديث ؟

هو حديث رواه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث لأصحابه عن الدّجال ، وحين سأله احد الصحابة قائلا : « وما لبثه في الأرض ؟ أجاب الرسول قائلا : أربعون يوما . يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة (اسبوع) ، وسائر أيامه (أي الباقية) كأيامكم هذه . قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذي كسنة ، تكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا . أقدروا له قدره »وواضح من هذا أن الأيام التي لاتظهر فيها العلامات المميزة لأوقات الصلاة ، والأيام التي تطول عن أيامنا العادية (٢٤ ساعة) لاتسقط عنا فيها الفرائض ، ولكنا نلجأ الى تقدير الأوقات التي يمكن أن نصلي فيها كل وقت ، فلا تسقط الفرائض لعدم ظهور العلامات ، كما تقدر الشهور بـ ٢٩ يوما أو ٣٠ يوما على حساب اليوم ٢٤ ساعة .

وعلى هذا استقر رأي العلماء الآن ، اذ لايمكن اسقاط الفرائض عن مسلم واعفاؤه منها لعدم وجود مثل هذه العلامات . . فكل أربعة وعشرين ساعة تحسب يوما ، وتؤدى فيه الفرائض على أساس التقدير . . وكل ٢٩ أو ٣٠ (أربعا وعشرين ساعة) تحسب شهرا ، ويمكن أن يكون فيها رمضان .

صور من الاجتهاد في تقدير الأوقات

واذا كنا قد انتهينا الى ضرورة تقدير الأوقات التي يؤدي فيها المسلمون فرائض دينهم من صلاة وصوم . فان العلماء الذين يجتهدون في تقدير هذه الأوقات كانت لهم وجهات نظر مختلفة . ولا غرابة في هذا ، فانه شأن كل موضوع يحصل فيه اجتهاد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . كما اجتهد الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم من صحابته ، الا يصلوا العصر الا في بني قريظة ، فبعضهم فهم أن الغرض من أمر الرسول هو المسارعة في الوصول ،

(١) مأخوذة عن الدراسات الفلكية التى تقدم بها لندوة لندن : الفلكيون / الدكتور حسين كمال الدين والدكتور محمود خيرى على ، والدكتور محمد الهوارى . .

فرأوا أن يصلوا العصر في الطريق حاضرا ، ويعوضوا ذلك بالاسراع الى بني قريظة .. وبعضهم التزم حرفية نص كلام الرسول ، عليه الصلاة والسلام فظلوا سائرين حتى وصلوا الى بني قريظة بعد المغرب وفاتتهم صلاة العصر .. ولما علم الرسول بهذا وذاك لم يعترض على فهم هؤلاء ، ولا هؤلاء ، لأنه فهم قائم على اجتهاد ووجهة نظر في تنفيذ أمره .. « ومن اجتهد فاصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » ، قد صوب الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهاد كل من الفريقين ، ولم يؤاخذ واحدا منهما .. فهكذا شأن الاجتهاد « ولكل وجهة هو موليها » .

وقد اختلف الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون ومن بعدهم في فهم الأحكام ، وبيانها للناس في فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما نعرف ذلك ، ونقرؤه كل يوم في الكتب دون أية غضاضة ، أو اعتراض أو حساسية ..

فلا بأس - اذن - اذا اختلف المجتهدون والمحدثون في طريقة تقدير الأوقات التي يؤدي المسلمون في تلك البلاد القاصية شمالا أو جنوبا صلاتهم وصيامهم فيها ، لاسيما والأمور في الأصل مبنية على التيسير ..

وكان الصحابة والفقهاء الذين انتفعوا بفقههم ، يأخذون بالتيسير في عباداتهم .. فقد روى عن الزهري من أئمة الحديث أنه قال : بلغني أن أبا هريرة قال : من خشي أن ينام قبل صلاة العشاء ، فلا بأس أن يصلي قبل أن يغيب الشفق »

وكان عطاء بن ابي رباح ، وهو أحد كبار التابعين (توفي ١١٥ هـ - ٧١٣م) يصلي المغرب ، ثم يطوف سبعا ، ويصلي ركعتين ، ثم يصلي العشاء عقب ذلك ، وفي رواية ، قبل أن يغيب الشفق » وكان عطاء يقول : صل العشاء قبل أن يغيب الشفق ، واني لأطوف أحيانا سبعا بعد المغرب ، ثم أصلي العشاء » .

وقد حكي أن ظهير الدين المرغيناني ، لما قدم فرغانة رأى كسالى من بخارى يصلون العشاء قبل أن يغيب الشفق ، فأراد منعهم عن ذلك ، ثم لقى الامام الرضي (ت ٤٣٧ هـ - ١٠٩٠ م) وشاوره في قصده ، فقال : لاتفعل فانك ان منعتهم عن ذلك تركوها بالكلية ، وأما الآن فانهم يؤدونها في وقت يجيزه بعض الأئمة »

وقد رأينا اليسير من رسول الله في كثير من المواقف . وفي الحج بخصوص الرمي والذبح والتقصير قال لكل من سأله : افعل ولا حرج ، ولا داعي للترتيب ، وكان يجيز لمن له عذر أن يؤدي الشعيرة قبل وقتها .. وكان يستجيب لبعض تحفظات من الذين يسلمون حديثا مراعاة لحالهم الخ ..

فمن فقه الشريعة أن نقدر حالات وظروف هؤلاء الناس ، وننير عليهم بقدر المستطاع ، حتى يؤدوا فرائض دينهم ، ولا يتركوها بالكلية ..

وأي اجتهاد في التقدير يراعى فيه أسس الاجتهاد ، وأصول وقواعد روح الشريعة ، هو اجتهاد مقبول ، وان اختلفت طرقه ، وتعددت مسالكه ، وهو يؤدي في النهاية الى أن يؤدي هؤلاء فرائض دينهم ، دون عسر وعقبات تثقل كاهلهم ، وتكلفهم فوق طاقتهم ، وفي ظروف هذه البلاد الأجنبية الصعبة ..

رأي المرحوم الشيخ محمود شلتوت

ان تقدر أوقات هذه البلاد الاستثنائية على حسب أوقات أقرب خط عرض لهم تظهر وتنتظم فيه علامات الأوقات ،

وتدل الحسابات العلمية الفلكية أن البلاد حتى خط عرض ٤٨ تنتظم فيها هذه العلامات ولكن تبدو من هذا الرأي مشكلة حين يكون طول الليل عند خط عرض ٤٨ أو ٤٩ ثماني ساعات بينما يكون في الوقت نفسه عند خط عرض ٦٥ ساعتين فقط فكيف نطبق عليه ليلا مدته ٨ساعات ..

الأخذ بالنسبة :

وهنا برز رأي اجتهادي آخر يقول : تقدر ما بين المغرب والعشاء عند خط عرض ٤٨ ونسبه الى مدة الليل كله ، فاذا كانت المدة ساعتين فهي ربع الليل ، فيكون ما بين المغرب والعشاء عند خط عرض ٦٥ فيما فوق ربع ليلة أي نصف ساعة ، وتصلي العشاء ،

وهكذا بالنسبة لوقت الفجر وصلاته وبدء الصيام . وقد استقر على ذلك رأي ندوة المركز الاسلامي في لندن في ما يو سنة ١٩٨٤ وقد حضرتها واشتركت فيها .

الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء :

على أنه يجوز بين صلاتي المغرب العشاء جمع تقديم لاسيما في رمضان لضيق وقت الليل عند الافطار ، صلاة المغرب ثم العشاء والتراويح وقت العشاء ، ثم السحور ، ثم الفجر وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء في صحيح مسلم وفي الموطأ ، وشرح معاني الآثار للطحاوي والمحلى لابن حزم قال « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء في غير خوف ولا مطر » قيل لابن عباس ، ماذا أراد بذلك ؟ قال : أراد ألا يحرج أمته » وظروف هؤلاء أشد حاجة الى عدم الاحراج . .

الفطر لطول النهار :

كما يجوز الفطر لمن لم يستطع الصوم لطول النهار ثم يقضي في أي وقت شاء . .

أما رأي لجنة الفتوى في الأزهر .

فيقضي بالقياس على وقت أهل مكة ، فيصوم مدة صيامهم ثم يفطر ، ولو كانت الشمس موجودة ويقيس عليه أيضا وقت صلاته . .

ورأى مجلس هيئة كبار العلماء في الرياض :

فقد رأى في ١٢ /٤ /١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ . أن يصلي الذين لاتظهر عندهم علامات الأوقات على حساب أقرب البلاد التي تظهر فيها العلامات ، وكذلك رأى المجمع الفقهي في مكة في ١٤٠٢/٤/٨ هـ ١٩٨٢/٢/٢

وهناك رأي آخر

يقول : تسير هذه البلاد على الأوقات التي كانت تظهر فيها العلامات عندهم قبل أن تختفي .

وما العمل الآن ؟

هذه الآراء الاجتهادية الحديثة هي كالآراء الاجتهادية بين الأئمة ، يجوز لأي انسان أو أية جماعة الأخذ بالرأي الذي يختاره ، ولا حرج ، كما نختار الآن من المذاهب الفقهية مع الاختلاف بينها . . لكن الأمر لو ترك على ذلك ـ كما شاهدت في انجلترا وعلمت ما في الدول الأخرى من تعصب كل عالم لعلماء بلده ، أو للجهة التي تدفع له راتبه ، فان أدى يؤدي الى صورة سيئة من الخلافات بين المسلمين ، في بلاد تنظر الى فعلهم على أنه الاسلام ، ويؤدي هذا الى صورة سيئة لانحبها . .

والرأي عندي لقمع هذا الخلاف أن يجتمع مؤتمر مصغر من علماء الأزهر والسعودية ودول المغرب وباكستان والهند ، ويختاروا رأيا من هذه الآراء يسير عليه الجميع في هذه البلاد النائية حتى يتوحد العلماء والمفتون فيها على رأى ، ويظهر المسلمون بالمظهر الطيب الذى يحبه الجميع . □

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى:(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف(٣٢)،

نقل الطبري عن يونس عن ابن وهب عن ابن زيد ان قوما كانوا يحرمون ما يخرج من الشاة ، لبنها وسمنها ولحمها ، فأنزل الله هذه الآية ، ومعناها : قل يا محمد لهؤلاء الذين يحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق : من حرم أيها القوم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها ، وتتجملوا بلباسها ، والحلال من رزق الله الذي رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم .

وقد كان من بين صحابة الرسول (ﷺ) من اختار الا يكتفي بأداء شعائر الدين ، واطاعة أحكام القرآن ، والاقتداء بالنبي في أفعاله ومسلكه ، وانما أراد أن يدخل في علاقة بربه هي في زعمه أوثق ، وأن يحرر روحه من ربقة الجسد ، فبالغ في الصوم والعزلة والزهد في متاع الدنيا ، وفرض على نفسه قيودا ولشهواته حدودا ما فرضها عليه الاسلام قط .

وقد قاوم الرسول هذا الاتجاه عند صحبه واستنكره . فكان يقول لمن شغلته الصلاة والعبادة ليلا عن رعاية حقوق أهله ، ان إتيان الرجل امرأته صدقة ، ولمن رأى في الزواج ركونا الى الدنيا : « ان كنت من رهبان النصارى ، فالحق بهم ، وان كنت منا فمن سنتنا النكاح » ولمن آثر الاقتداء بمسلك هؤلاء الرهبان انه « لا رهبانية في الاسلام » كذلك فقد ورد بكتاب الله من الآيات ما يؤكد هذا المنحى ، مثل الآية التي نتحدث عنها ، ومثل :«يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله » (البقرة ١٧٢) و « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (البقرة ١٨٥) . و « وما جعل عليكم في الدين من حرج » (الحج ٧٨) .

فإن كان بعض الزهاد المشهورين من الصحابة - كأبي الدرداء وأبي ذر الغفاري - قد استندوا الى آيات قرآنية تحث على الزهد في متاع الدنيا ، وتصفه بأنه متاع الغرور، فان المؤكد على ضوء سيرة النبي ﷺ

وماذكرناه لتوّنا من آيات ـ أن هذه الآيات ما عنت بالزهد التخلي عن متاع الدنيا ، وإنما عنت صرف العقل عن الاستغراق فيه ، وشدة الاهتمام به ، حتى لا يصرفه ذلك عن التفكير في الله . اما عن اختيار هؤلاء لحياة الفاقة والشظف التي رأوها شرطا للكمال الروحي ، فما من آية واحدة في القرآن تتحدث عن « فضيلة الفقر » هذه . وقد حكى عن الحسن بن علي أنه لما بلغه قول أبي ذر الغفاري : « الفقر أحب الى من الغنى » . قال : « يرحم الله أبا ذر ، وانا اقول : من اتكل على حسن اختيار الله لـه لم يحب غـير مـا اختاره » .

يقول القرطبي في تفسره لهذه الآية : كان لتميم الداري حلة بألف درهم يصلي فيها ، وكان مالك بن دينار يلبس الثياب العدنية الجياد ، وكان ثوب ابن حنبل يشترى بنحو الدينار . . فأين هـذا ممن يؤثر اللبـاس الخشن ؟ أترى من ذكـرنـا تـركـوا لبـاس التقوى ؟ لا والله . بل هم أهل التقوى وأولو المعرفة والعقـل ، وغيرهم أهـل دعوى وقلوبهم خـالية من التقوى . ان البر ليس في الخشن من الثياب ، انما البر ماوقر في الصدر وصدقه العمل .

وقال ابو الفرج بن الجوزي في حـديثه عن هـذا المسلك : إنّه يتضمن ادعاء الفقر ، وقد أمر الانسان أن يُظهر أثر نعم الله عليه ، ويتضمن اظهار الزهد ، وقد امرنا بستره ، فكان لسان حالهم الشكوى من الله تعالى . والجواب أنه ليس كل ما تهواه النفس يذم ، ولا كل ما يتزين به للناس يكره . وانما ينهى عن ذلك اذا كان الشرع قد نهى عنه ، أو على وجه الرياء في باب الدين .

وقد روى مكحول عن عـائشة ان النبي (ﷺ) كان اذا خرج الى النـاس نظر في المـاء يسوى لحيته وشعره ، وكان ان سئل عن هذا قال ان الله جميل يحب الجمال . ولم ينقل عن النبي قط أنه امتنع من طعام لاجـل طيبه قط ، بـل كان يـأكل الحلوى والعسـل والبطيخ والرطب ، وفي حين كان البعض يترك أكل اللحم خوفا من عارض شهوة النسـاء ، كان رسول الله يقول : سيد أدام الدنيا والآخرة اللحم .

وقد بذل بعض الزهاد جهدا في اختراع واذاعة قصص عن الرسول (ﷺ) لا تزال العامة الى يومنا هذا تصدقهـا وترددهـا ـ تتحدث عن فضيلة الفقـر والجوع ، وكيف كان يربط الحجارة الى بطنه احيانا ، أو كيف أنـه التقى ذات يوم بـأبي بكـر وعمـر وقـد اخرجهم الطوى جميعـا الى الطريق . وهي قصص أثـارت غضب أحمد بن حنبـل الذي انبرى لهؤلاء يهاجمهم ويفند مزاعمهم . كما انبرى غيره من علماء المسلمين يستهجنون تقليد البعض لرهبان النصارى في تقشفهم واختيـارهم لحياة الفقـر ولبس أردية الصوف : « وهم انما اظهروا التواضع في لباسهم ، وأكنوا الكبر في قلوبهم . وان أحـدهم لاشد عجبـا بكسائه الصوفي من صاحب المطرف الثمين بمطرفه .

وأمـا عن نسكهم وأخـذهم النفس بـالقسـوة فبئس الناس هؤلاء ، الذين يظنون أن الله لا يرحمهم حتى يعذبوا أنفسـهم . وما أصدق قولة عمر بن الخطاب لرجل رآه يظهره النسك متماوتاً : ـ

« لاتمت علينا ديننا أماتك الله » . □

■ نحن في حاجة الى الهامكم ، وأنتم في حاجة الى معرفتنا ، نحن في حاجة الى حركتكم ، وأنتم في حاجة الى ثباتنا . . نحن في حاجة الى وثبتكم ، وأنتم في حاجة الى تجربتنا

(د . عبد الرزاق السنهوري)

قصة قصيرة

حكاية شخص هامشي جداً..

بقلم : محمد صوف*

قال لى رئيس المستخدمين :

تأتى كل يوم متأخرا ، لماذا ؟ هذا ليس من اختصاصى ، تدبر أمرك ، هذا انذار شفوى ، بقية الطريق ليست فى صالحك .

الحافلة ياسيدى ، لو كنت تقطن فى الحى الذى أقطنه ، لو عانيت من الاستيقاظ المبكر والانتظار الطويل أمام المحطة . . لو . . لادركت . .

ـ لماذا تجمد أمامى هكذا ؟ انصرف الى عملك ، وأكرر ، تدبر امرك ، فطأطأت رأسى وانصرفت الى مكتبى .

تبتدىء الحافلة عملها عادة فى الساعة السادسة صباحا . استيقظ قبلها بنصف ساعة ، أرتب نفسى ، وكم مرة قضيت ساعتين فى الانتظار .

تفتح المكاتب ، يبدأ الزملاء عملهم ، وأنا مازلت انتظر الحافلة .

بطاقة تعريف :

اسمى حمان ، قبل ستة شهور أسعفنى الحظ ، وعثرت على عمل فى احدى المؤسسات التجارية ، أقطن فى حي يرسم علامات الاستغراب على ملامح كل من يسمعه ، واصبح السؤال أين يوجد هذا الحى ؟ منتظرا فى كل حوار . حتى أنى أجيب على السؤال قبل أن يطرح .

بيتنا تستنزف أجرته ثلاثة أرباع أجرة الوالد ، يتكون من غرفتين ومطبخ وحمام ، الوالدان ينامان فى غرفة ، والغرفة الأخرى أتقاسمها مع أحد عشر فردا ، أسعفنى الحظ ووجدت عملا ، أسعف الحظ أحد عشر فردا ، فقد أصبح يعوضهم شخصان بدل شخص واحد .

قال رئيس قسم المستخدمين :

مر على عملك معنا ستة شهور ، ولم تتعلم الاعتناء بهندامك بعد ، ذقنك تحلقه مرة كل أسبوع ، ربطة العنق هذه كأنها رفضت التخلى عن رقبتك ، ياقة قميصك كأنها فى خصام مع الصابون ، يا أخى ، نحن فى مؤسسة تجارية ، ومظهر مستخدمينا جزء من معاملاتنا .

الحالة الشخصية :

تأكل العائلة راتبي ، انى احتفظ فقط بما يؤمن لى ركوب الحافلة ، والحمام الأسبوعى ، وشفرة حلاقة

* كاتب قصة من المملكة المغربية

أسبوعية ، وحفلتين فى قاعة السينما الوحيدة الموجودة بحينا كل شهر .

عندى قميصان كلما فكرت فى قميص ثالث أثرت غضب العائلة . حلق ذقنى كل صباح قد يفوت على حافلة الساعة السادسة ، هذا ، اذا جاءت فى ميعادها . ربطة العنق فعلا تثير اشمئزازى ، وكلما فكرت فى شراء واحدة أدركت أن ثمنها يؤمن امتطائى الحافلة لاكثر من أسبوع ، وكلما حاولت خصم ثمنها من مرتبى أتت تكاليف اخرى لتنتزعه منى .

الحالة العائلية :

قلت لوالدى :

ـ أصبحت مهددا بالطرد ، الرئيس يؤنبنى على هندامى ، عملنا يتطلب مظهرا لائقا .

قالت أمى . هى دوما تتدخل دون أن يطلب منها ذلك :

ـ يريدون عملك أم أناقتك ؟ اذا كنت تفضل ربطة عنق علينا فافعل ما بدا لك ، ثم كم منهم يعملون فى المكاتب ولا يحملون ربطة عنق .

قلت لوالدى :

ـ لكى لا أصل كل يوم الى العمل متأخرا ، مارأيك لو اشتريت دراجة نارية بالتقسيط ؟

قالت والدتى :

ـ وسنزداد ضيقا نحن فى هذا البيت ، أين سنضع دراجتك عندما تشتريها أولا ، ثم من سيعوض لنا نحن الأقساط الشهرية التى ستدفعها فيها ، الا تكفيك هذه اللعنة التى تتعرض لها ؟

قال والدى :

ـ نريد سلامتك ياولدى . . الدراجة النارية خطر ، والطريق تزخر بالحوادث ، الناس يستعملون الطريق دون عقل ، الحافلة أضمن لسلامتك ولـ . . .

قال رئيس قسم المستخدمين :

ـ حليقا ، أريد أن أراك كل يوم ، تدبر أمرك ، لقد تحملناك كثيرا .

طقوس خاصة :

سأحلق ذقنى كل مساء قبل أن أندس فى فراشى ، كيف لم أفكر فى هذا من قبل ؟

المرآة مكسرة أرى خطوطها ترتسم على وجهى وأنا أمامها ، تمتد كثير من الشفرات ، لا ، بل هى صورة متكررة لشفرة واحدة . لن أتلقى عتاب رئيسى غدا ، على الأقل سأرتاح من ملاحظاته ، حتى ياقة القميص سأغسلها ليلا كلما اتسخت ، أما ربطة العنق فتلك مشكلة حلها سهل ، قال لى أحد أساتذتى يوما :

ـ تذكر أن ماحك جلدك مثل ظفرك .

غبى ، كيف لم انتبه لهذا أيضا من قبل ، على كل فأنا أتعلم ، الذقن محلوق ، الياقة نظيفة .

النتيجة كمية عتاب تتناقص

ثم انهى مشكلة ربطة العنق ، وهاهو يبتسم لى كلما رآنى كما يبتسم لزملائى الآخرين ، ابتسمت وأنا أمرر الشفرة على خدى الأيسر فانغرست فى احدى ثناياه ، وارتسم خط أحمر على الذقن ، تساقط كقطرة مطر على وجه الصغير النائم عند قدمى .

يوم غير معتاد :

هذا الجرح البسيط لايشوه الوجه ، وقد رأيت خدوشا أكثر خطورة منه على وجه الزملاء الذين يبتسم لهم الرئيس ، الياقة نظيفة تماما اليوم : والشعر ممشوط كعادته ، شعرى هو رأس مالى ، ولايكلفنى غسله ومشطه عناء كبيرا .

هو الوحيد الذى لم يتعرض لمضايقات الرئيس .

رغم الازدحام ورغم ضغط الأجساد فأنا سعيد ، وهذه التى تحدق فى ، قد أكون أثرت انتباهها بأناقتى ، أنا أشعر أننى اليوم أنيق جدا .

مازالت نظرتها تتركز على ، قد يكون لى معها شأن ، مالت على اذن رفيقتها تهمس لها بشىء ، اصطدمت نظرتى بنظرة صديقتها . . وانفجرتا ضحكا .

متى كانت الأناقة تثير الضحك ؟ ولم تضحكان اذن ؟ هناك شىء مايبعث على السخرية ؟ هل هو الجرح ؟

الازدحام يتكاثف والجابى يصرخ ، يطلب من الناس أن يتقدموا الى أمام الحافلة لتخف وطأة الزحام ، وهما تضحكان ملء شدقيهما ، لم تضحكان ؟

سأندفع نحوهما وأعطيهما درسا فى الاخلاق ، وسط

هذا الخصم البشرى حتما لااستطيع .

سأغير نظرتى تجاهها ، ساعطيها طابع الغضب والعتاب . لم تعودا تنظران الي ولكن حديثهما ظل ضاحكا . وقفت أمام مرآة أحد المتاجر وحدقت فى نفسى جيدا ، وجدتنى أثير سخرية السخرية ذاتها ، لكن مصدر هذه السخرية لااستطيع تحديده .

لم لا اكون انا . . انا . . نعم انا .

قال لى رئيس قسم المستخدمين :

ـ انت لاتنفع معك نصيحة .

حلقت ذقنى ، غسلت ياقة قميصى ، فقط كتب على أن اخدش ، هذا أمر يحدث لاى كان ، أم أنك وجدت فى ما يضحك انت الآخر ؟ لقد بلغ السيل الزبى ، أيها الرئيس المحترم ، قضية ربطة العنق سأجد لها حلا فى القريب العاجل . .

ـ التأخر عدم النظافة !

ماذا يقول هذا المعتوه اذن ؟

والفتاتان تضحكان ملء شدقيها فى الحافلة ، الزميلة الضاربة على الآلة الكاتبة لم تكلف نفسها يوما عناء توجيه كلمة الي ، حتى تحية الصباح التى ألقيها لاتردها ، أصدقائى فى العمل تختلف أمزجتهم وطبائعهم ، وهذا الذى يلومنى يوميا . اركض دائما وراء رضاه . . اليوم كنت متأكدا من ابتسامة منه ، وهاهو يلومنى . .

والآن أذهب الى عملك وهذا آخر انذار . .

لم أسمع ما قال ، ولماذا يوجه الى انذاره الأخير ؟ سخرية فى الحافلة وانذار فى العمل ، انه لظلم . هل أثور فى وجهه ؟ وبعد ؟ رغم ذلك فهو انسان طيب .

لو كان غيره لتعرضت للطرد منذ مدة ، مادام طيبا فلأ طلب منه اعادة ماقال ، مازلت لا أعلم سبب هذا التأنيب .

ـ تحرك .

الزميلة التى ترفض تحيتى كل صباح . . تبتسم . . تضحك . . ماذا حدث ؟ تهمس الأخرى فى أذن صديقتها ، تنفجران ضحكا ، تضحك الكاتبة ، يؤنبنى الرئيس ، يصافحنى الزملاء وفى أعينهم أشياء لايريدون قولها . ابتساماتهم يتحكمون فيها . يقمعونها ، لاتظهر على الشفاه لكنى أراها آتية . أقف أمام مرآة المرحاض ، أتأمل نفسى جيدا .

ـ مابك أيها المخبول ؟ لماذا أصبحت مصدر سخرية الكل ، من أعلى الرأس الى أخمص القدمين ، أنت مهزلة .

يرفضونك ، تثير ضحك من لايضحك ، نعم . . أنت فعلا مضحك . انظر الى نفسك . . . الى كل شىء فيك . . أضحك أنا من نفسى ، أضحك ، تتعالى ضحكتى ، أشير الى المرآة وتتضخم القهقهة ، تدمع عيناى وتزداد القهقهة تضخما .

الحالة العقلية :

صورق تضحكنى ، ظل يضحكنى ، اسمى يضحكنى ، انا أضحك نفسى . قال زميل : يجب عرضه على اخصائى ، الشاب فقد توازنه العقلى .

قال رئيس قسم المستخدمين :

ـ لانعرضه على أحد ولايجزنون نستغنى عن خدماته ، هذا هو القانون .

بطاقة تعريف :

اسمى حمان ، أحب الضحك ، اسمى يضحكنى ، ظلّ يضحكنى ، صورق ، تنفسى ، عملية دغدغة دائمة ، حتى أولئك الذين كلما رأونى قالوا عنى انى السعيد حقا ، يضحكوننى . □

■ لم أجد في الحياة سوى قضيتين أوليين هما الجمال والحق . . . أما الجمال ففي قلوب المحبين ، وأما الحق ففي سواعد العمال

(جبران خليل جبران)

العربي ـ العدد ٣٢٤ ـ نوفمبر ١٩٨٥

أرقام

بقلم : محمود المراغي

بدلاً من الملعب والمدرسة

المؤشرات على فقر الفقراء .. وبؤس البؤساء .. تتزايد كل يوم . في السنوات الماضية كانت أرقام الصحة والتعليم ومستوى الدخل المنخفض وسن الوفاة المبكرة مؤشرات واضحة تقول : « هنا في العالم الثالث يوجد صنف آخر من البشر يعيش حياة أقصر وأشد قسوة » .

أخيرا ، أضيف مؤشر آخر يقول « وفي العالم مائة مليون طفل يعملون في أشغال شاقة و (٩٨) بالمائة من هؤلاء يعيشون في دول نامية ويعملون في المناجم والمصانع والمزارع » .

وطبقا للتعريفات الدولية فان هؤلاء الاطفال يعتبرون خارج قوة العمل ، التي تبدأ من الخامسة عشرة الى سن الرابعة والستين .

وطبقا لتقرير منظمة العمل الدولية أيضا ، وهي صاحبة هذا الرقم ، فان الاحصاء قد لايكون دقيقا ، وقد يكون المشتغلون من الاطفال في أعمال صعبة يزيدون عن ذلك ، لكن حصرهم أمر متعذر ، فالكثيرون يعملون في أعمال سرية أو بشكل غير مشروع .

و .. وتدعم هذه الحقيقة منظمة الدفاع عن الاطفال التي تتخذ مقرها في جنيف ، فتقول ان هناك (٣) ملايين طفل يعملون في كولومبيا ، وبعضهم يعمل في مناجم الفحم على عمق ٢٨٠ مترا تحت الارض .

ثم .. تتعدد الأمثلة :

في الهند (٤٥) الف طفل يعملون في صناعة أعواد الثقاب والالعاب النارية .

وفي بانكوك ينتشر الأطفال في خمسة آلاف مصنع من مصانع الشوارع الخلفية غير المسجلة !

وفي أكثر من بلد افريقي يخرج الطفل للعمل في سن مبكرة ، حتى أصبح الأطفال قيمة اقتصادية يحرص الآباء على انجابها من أجل دخل أكثر .

وبينما تستنكر الدول المتقدمة ذلك ، تستخدم الولايات المتحدة مليون مكسيكي يعملون بشكل موسمي !

ما هو التفسير الذي يمكن أن نضعه لهذا الرقم الذي يصدم العين والعقل : مائة مليون طفل يتركون اللهو واللعب .. والعلم والتعلم .. ليتحملوا مسؤولية ثقيلة تنوء بها أعمارهم وأجسادهم وخبرتهم المحدودة ؟ .

ما هو التفسير ، والتعليم في تزايد ، ومستوى الدخل يرتفع ؟

هناك العديد من الاسباب والتفسيرات .

فالذين يدخلون في سن العمل تبلغ نسبتهم في الدول الصناعية عام ١٩٨٣ ـ طبقا لاحصاءات البنك الدولي ـ (٦٧) بالمائة من السكان .. بينما يهبط الرقم الى (٥٩) بالمائة في الدول النامية منخفضة الدخل ..

و .. معنى ذلك أن هناك نسبة أكبر مما يسميه خبراء

الاقتصاد بالاعالة في الدول الفقيرة .. أي أن المشتغل الواحد يعول عددا أكبر من الافراد غير المشتغلين .

الظاهرة الثانية وهي التي تتصل بعمل الاطفال وهي توزيع السكان بين ريف وحضر .. فبينما يعيش (٧٧) بالمائة من سكان الدول الصناعية و (٦٤) بالمائة من سكان أوروبا الشرقية في الحضر .. فان النسبة تهبط إلى (٢٢) بالمائة في الدول النامية منخفضة الدخل و (٨٤) بالمائة في الدول النامية متوسطة الدخل .

وبالطبع عندما تكون النسبة الكبرى في «الريف يكون الخروج المبكر للعمل .. واردا ومنطقيا فكثيرا ما يكون ابن الفلاح .. فلاحا .

ثم تأتي الظاهرة الثالثة أو السبب الثالث ، وهو تخلف الطفل عن المدرسة ، وبينما يسجل التعليم تقدما ملحوظا .. وبينما يذهب الى المدرسة الابتدائية في الدول منخفضة الدخل (٨٥) بالمائة وممن هم في سن هذه المرحلة من التعليم ، .. بينما يحدث ذلك فان النسبة في العديد من البلدان تهبط بشكل واضح ، ولا تزيد عن (٣٠) بالمائة في مالي والصومال وبوتان .. وتزيد عن ذلك قليلا في موريتانيا والسنغال وسيراليون وبوروندي ..

وبديهي أنه كلما تخلف الاطفال عن التعليم .. اتجهوا للعمل .. وربما العمل الشاق الذي تتحدث عنه احصائية منظمة العمل الدولية .

فاذا أضيف لذلك قضية انخفاض الدخل فاننا نستطيع أن نفسر : لماذا يخرج الاطفال للعمل الشاق .. في سن مبكرة ، وقبل أن يصلوا الى سن الخامسة عشرة ، وينضموا الى قوة العمل »

نستطيع أن نفسر الظاهرة ، لكننا قد لانستطيع أن نحصر النتائج بنفس الدقة .

في قائمة النتائج نستطيع أن نتوقع لابناء الدول النامية ـ أو لشريحة واسعة منهم ـ مستوى صحيا أدنى من أقرانهم في الدول المتقدمة .. فهاهم يخرجون للعمل قبل أن يكتمل نموهم الجسدي ..

وهاهم يتحملون المسؤولية الاجتماعية والاقتصادية المبكرة بكل ما تتركه من آثار قد تصقل الشخصية وتثقلها بالهموم .

وفي قائمة النتائج أيضا لابد أن نسجل فقدان فرصة التعليم ، وما يتركه ذلك من أثر ثقافي .

.. فالذين يعملون سنوات أطول في عمرهم ، يقضون سنوات أقل في تعليمهم ، والذين ينالون قسطا أقل من التعليم ينالون ـ في معظم الأحوال ـ قسطا أقل من الثقافة .

و .. مع ذلك ، فليست هذه هي كل النتائج أو أكثرها سوءا .. فهناك نتيجتان تسيران في عكس الاتجاه المرغوب فيه في معظم الدول النامية .. أعني الاتجاه لتحديد السكان ، كإحدى وسائل الاسراع بالتنمية والتغلب على أسباب الفقر .

وبصرف النظر عن اشتغال الطفل بعمل شاق وبما يخالف حقوق الانسان .. فان مجرد خروجه للعمل .. قبل موعده يعني تشجيع الزواج المبكر ، وتشجيع النسل الأكثر .. فالطفل عندما يتحول في سن صغيرة الى قوة منتجة ، يتزوج على الأرجح في سن صغيرة أيضا ، ومما يزيد من فرص الانجاب أيضا ، ولنفس السبب ـ وهو تحول الطفل الى قوة اقتصادية منتجة ـ فان الآباء يجدون الاغراء لمزيد من الانجاب ، فالاطفال مصدر رزق ، وليسوا سببا في المزيد من الانفاق .

وهكذا تتاح فرصة كثرة الانجاب مرتين .. مرة عند الآباء .. ومرة عند الأبناء !

هل من سبيل لتغيير هذه الصورة ؟

كثير من الدول تحمي المرأة بقوانين تمنع اشتغالها في أعمال صعبة أو ليلية ..

وكثير من الدول تشن التشريعات لتحمي الطفولة وتمنع الصبية من الاشتغال بالاعمال الخطرة ، أو الضارة بالصحة ، أو تمس الآداب العامة ..

والقوانين الدولية تضمن الأمرين : حماية المرأة وحماية الطفل .. ولكن .. يبقى الأمر أبعد من قانون يصدر أو تشريع يحظر .. فالقضية هي التطور الاجتماعي والاقتصادي .. وعندما يزيد الدخل وتزيد فرص التعليم ويزيد التحضر يتراجع دور الطفل في دائرة العمل بشكل عام .. والعمل الشاق بشكل خاص .

وغدا تختفي ظاهرة « الطفل .. ربا للأسرة .. » والكثير من الاطفال يلعب هذا الدور بالفعل .. يلعبه على مسرح الحياة .. وليس على مسرح العرائس أو المسرح المدرسي . □

الوطنية في شعر عبد الحميد الديب

بقلم : حلمي الخولي

لم يبن شاعر عالمه الشعري من البؤس والفاقة والحرمان ، مثلما بنى عبد الحميد الديب عالمه . ورغم شاعريته الراقية ورقة تراكيبه ، إلا أن أحدا لا يذكر له الا قصائده عن البؤس . وفي هذا المقال جانب جديد من شعره ، لم يتناوله النقاد الذين ظلموه حيا وميتا .. !

حينما يذكر اسم الشاعر عبدالحميد الديب ، يذكر مرادف هذا الاسم « شاعر البؤس » لأنه عاش بين فكي البؤس والحرمان ، واذا ابتسمت له الدنيا يكون الابتسام للحظات لا تذكر ، ثم تكشر عن أنياب البؤس والفاقة مرة أخرى ، فأصبح البؤس شيئا لازما في حياة الشاعر ، وأصبح الترف شيئا غريبا عن حياته ، فعندما قطن في حجرة بها بعض الأثاث لم يطق هذا الوضع الجديد ، واضطر الى بيعه حتى لا يخرج عن قانون بؤسه في السكن ، كما يوضحه لنا من خلال وصفه لحجرته التي أسماها « جُحْر الديب » فيقول :

أرى النمل يخشى الناس الا بأرضها
فأرجله أمضى من الصارم الهندي
تساكنني فيها الأفاعي جريئة
وفي جوها الأمراض تفتك أو تعدي
تراني بها كل الأثاث ، فمعطفي
فراش لنومي أو وقاء من البرد
وأما وسادي بها .. فجرائد
تُجدد اذ تبلى على حجر صلد

وكثيرا ، ما كان يضطر الى قضاء العديد من الأيام في أحد بيوت الله ، ليجد فيه الراحة من التشرد والضياع ، فيصف حياته البائسة المكدودة فيقول :

نهاري إما نومة بين مسجد
غرارا .. واما بالطريق .. تسكع
وأطوي عصي الليل في القر ساعيا
ومن أين للأفاق في الكون مهجع
اذا أذّنوا للفجر طرتُ مسرة
الى مسجدٍ فيه أصلي وأضجع
أصلي بإذكاء المرائي وقلبه
ونشت صلاة يحتويها تصنع

عاش الديب مشردا ، لا سكن له ، ولا أهل ولا مال ، فكانت حياته محنة ومأساة يصور لنا أبعادها فيقول :

أذله الدهر لا مال ولا سكن
فتى تزيد على أنفاسه المحن
اذا سعى فجميع الأرض قبلته
وان أقام فلا أهل ولا وطن
مهاجر بين أقطار الأسى أبدا
كأنه بيد الأرزاء .. مرتهن

ويصور لنا ثيابه التي لم تتغير أبدا فيقول :

ثيابه . كأمانيه ممزقة
كأنها وهو حي .. فوقه كفن

وعاش عمره يشكو من الجوع والطوى ، ليله ونهاره ، فلم يكن يجد تلك اللقيمات التي يقيم بها أوده ، وربما ألفيت أفخم الموائد في صناديق « الزبالة » .. فاسمعه يقول :

واجلس الليل في صحبي أسامرهم
وكلهم بمجالي رقتي حفل
حتى اذا سلموا للعود وانصرفوا .
سريت جوعان يفري عزمي الكلل

فيعذبه جوعه ، وتشتد قسوة الطوى ، فيصرخ صرخة حزينة ، بائسة يائسة تنم عن مدى حزنه وبؤسه وفاقته فيقول :

جوعان ! .. يا محنة أربت على جلدي
كأن ليلي بيوم البعث متصل

كان حظي رحيق الدهر يشربها
بكرا معتقة، والدهر بي ثمل
فإن تطلبتُ عيشي مُتُّ من كمد
وإن تطلبتُ حيني يبعد الأجل

فمن عاش حياة الذيب، وعانى محنته، وقاسى فاقته، هل يكون له أمل غير الموت، ينشد فيه راحته المأمولة؟ . ولم يكن الدهر هو الذي قسا على الذيب وحده، ولكن الناس أيضا جمعوا عداءهم الى عداء الدهر، فساء ظنه بالناس، وأصبحوا في نظره أعداء، ويصور لنا هذا بقوله:

امر على المقهى .. فاسمع شامتا
يمزق في عرضي، وآخر يشفع
وقد ساء ظني بالعباد جميعهم
فاجمعت أمري في العداء وأجمعوا

وقد رمى بعض الناس الذيب بالعزلة، وعدم الايجابية والمشاركة الوطنية في أحداث الوطن فقد توفي في عام ١٩٤٣ . وأين له الصواب الذي يفكر به في أمور الوطن . وقد شل فكره من كثرة ماعاناه وكابده في الحصول على أقل الأشياء الحياتية وهي لقمة العيش، ولو لم يشارك الذيب في أحداث الوطن، فله عذره الذي يقيه اللوم .

بؤس الفرد والوطن

ولكن المتصفح لأشعاره يجد أنه كان ذئبا قويا في قوة الأسد، حين يتصدى لقانون فاسد، أو مؤامرة حقيرة . وقد عاش الذيب أخريات حياته في ظل الملكية الفاسدة، ومن يعاونها من الوزارات التي تنتمي الى أحزاب كل همها مصلحة أناس في الحزب، لا مصلحة الوطن، فقال يهجو حزبا جمع الى الوزارة رئاسة الديوان الملكي ويعرض بالملك السابق:

برامكة وليس لهم رشيد
وأقيال وكلهم عبيد
مدحتهمُ فما شرفوا بشعري
لحنتهم، وما شرف القصيد
وضِعت هجاءهم فاذا الأهاجي
على الأفواه لحن أو نشيد

وقد اختلط الحكم في مصر . فالقصر الملكي هو الصورة الحاكمة، والحاكم الفعلي هو الاستعمار وأذنابه، ولقد خرست من بطش الحكم ألسن، وزاغت عن الحق أقلام، ولكن الذيب من شدة الهول، وعنف العاصفة يخرج مكشرا لهم عن أنيابه، مرسلا عُواءه الذي منه:

أبِنَ عجاجها نبلي بخُلف
يوجهه انقلاب وانسحاب
نعام في الوغى يا آل مصر
وفي غير الوغى ظفر وناب
وما يبغون حربا أو سلاما
ولكن كل همهمو اكتساب
تعالى مجد مصر أن يردى
بشرذمة أخافوا واسترابوا
الى الهيجاء ان بها حياة
ومجدا لا يزول ولا يشاب

ونجده ينتقد تصرفات الحكومة الفاسدة في عنف شديد حين اختصت الحكومة أنصارها من الأغنياء والأمراء بالقناعات الواقية من الغازات، على حين أنها تحرم الفقراء وتتركهم الى الموت فيقول:

يا رب ما مصر أمام عدوها
الا «كمائم» خصصت لسراة
للأغنياء، وعبيدهم، وكلابهم
أما الفقير فطعمه الغازات

وكثيرا ما كانت حكومات الأحزاب التي تتولى الحكم، تتاجر بأقوات الشعب، فيخرج الذيب منددا بأسلوب احدى الوزارات الرخيص في الاتجار بقوت الشعب الكادح المطحون، ويفضح أسلوب وزارة التموين في احدى الوزارات فيقول:

في غابة الوحش ثارت
عواصف من جهنم
الأرض منها استجارت
والصخر منها تكلم
وما شدا الطير فيها
الا النعيب المنغم
قال الوحوش «لذئب»
مُرِ العواء: تقدم!

فالحاكم اليوم ليث
وصاحب الليث «مكرم»
كم قبل حكمك شمنا
فيك المسيح بن مريم
يا مستغاث جياع
أكلت شعبك فارحم

وكان الديب يرى في الملك الذي يحكم ، انه ليس من الشعب ، وليس الشعب شعبه ، فلما طلب اليه أن يصوغ قصيدة في عرس أحد أولياء العهد ، رفض بل ندد به فقال :

أأصوغ في عرس المليك قصيدة
وأنا الى الموت الرهيب زفافي
لو كنت من شعب المليك نظمتها
من مهجتي ، وعواطفي ، وشغافي

وحين سنت احدى الحكومات الفاسدة تشريعا تحرم به أكل اللحم يومين في الأسبوع ، وجد الشاعر فرصته سانحة ليعرض بأسلوب تلك الحكومة ، التي تظهر أمام العالم بشعبها الثري الذي يأكل كل يوم اللحم ، في حين أن واقعه أليم ، فالعديد من أبناء الشعب ربما لم يذقه منذ عدة أسابيع ، فكانت صرخة أرسلها الديب عالية فقال :

كلوا الحكومة أو موتوا من الجوع
صوت الضعيف المرجى غير مسموع
من حرموا اللحم في يومين، هل علموا
أن ليس في حكمهم زيد لتشريع
حكومة الفقر والأيام قبلهمو
على الورى حرمته ألف أسبوع

وهذه أبيات من قصيدة بعث بها الشاعر الى رئيس وزراء سابق ، يندد فيها بمن ينهبون خير مصر مع حرمان أهلها منه فقال فيها :

تحيرت في مصر فمرجع خيرها
الى ثعلب يعدو على الناس أو ذئب
اذا ما كشفنا كنزها أرض تبره
لمن لم يكن منه على مركب صعب
لكل خمول أو جهول ، وتنتهي
الى يدنا منه الفجائع بالندب
أعوذ بآلاء الكنانة انها
غدت هملا كالعيش تعطو الى شرب

وكانت صرخاته مدوية مهيبة في آذان من يتهافتون على الحكم ، ويخشون الحرب من أجل الدفاع عن الوطن ، فندد بهؤلاء قائلا :

يا خائفي الحرب ماذا تحذرون بها
وأنتم دون هول الحرب أموات
قتلتم الناس جوعا من تهالككم
على الثراء فلا عشتم ولا ماتوا
أنتم عبيد الغنى والحرب كافلة
أن يعمر الأرض قوامون سادات
كم ذا أكلتم على حرماننا ذهبا
واليوم تعوزكم في الحرب أقوات ؟
لولا الأشحة في الدنيا لما رويت
بها الظبي وغدا للسيف اصلات

ويمضي في نفس القصيدة بأسلوب هجائي تهكمي مفندا ضلال هؤلاء :

قالوا : سلام ، فقلنا : ضل رأيكم
الأرض فيها ثعابين وحيات
أعاد طوفان نوح طهرها غرقا
واليوم طوفانها : نار وغارات

ان كان للبعث أشراط مقدرة
فما لها في هدوء السلم ميقات
هي القيامة من يحيا، بصرعتها
تمت به الأرض سكان وأبيات

وحينا ظهرت اليد الخفية التي تحكم مصر من وراء الستار، حينا بدت الخفافيش في ضوء النهار، وأطلقت الساسة الانجليزية يدها في شؤون مصر الداخلية، كان عواء الذئب زئيرا يرهب أعتى الشجعان، حين قال وهو الفقير الكادح المطحون البائس.

ماذا استخفك حتى جست آجامي
لا راهبا غضبي أو خائفا جامي
رزء السماحة أن تعطي لجاحدها
وأن يجود حياها ربع اجرام
حطمته صولجانا ليس يعصمني
لؤم الضعاف طغوا من فيض اكرام
أشبعتهم فأجاعوا من خلائقهم
مالا يهذب في جوع واطعام
قل للخفافيش: ان الشمس طالعة
وساحة النور لم تخلق لهوام

ويستمر الشاعر في نفس القصيدة في صب غضبه على تلك الشراذم التي تكون عونا للدخيل، ليحكم بهم الشعب المسكين بيد من حديد:

ما للثعالب ضلت من مطاردها
جحورها، واستباحت غيل ضرغام
أمام ذئب فلاة قد جرت فزعا
وفي حمى الليث تبدي بأس هجام
تلك الثعالب يستعلى بها ملأ
هم عصبة الجبن في شعبي وأقوامي
الأمة عجزت عن صون بيضتها
وما لها عصمة من جرحها الدامي
تُعلى وتخفض من حكام مملكتي
كلا، فليس رضاع الذل حكامي

وكما يرفض هؤلاء الذين نصبتهم يد الاستعمار الآثمة على الشعب حكاما، ويوضح لهؤلاء ـ في وطنية وعزيمة صادقة ـ أن تاجهم تاج مزيف، التاج الحقيقي هو في شرف الشعب وعزة ايمانه واقدامه فقال:

لا تحسبوا فوق تاجي تاج ملككمو
البأس بأسي والصمصام صمصامي
بنيت عرشي في عز، وفي شرف
على أساسين: ايماني واقدامي

ويعلو صوته مهددا، بفناء هؤلاء، ان سولت لهم أنفسهم مس شرف الوطن، وسوف يستعين بالله ناصرا عليهم حتى تظل أعلامهم فوقها أعلام الوطن، ويمضي مفندا مزاعمهم هاجيا أكاذيبهم فيقول:

هي القيامة ان مست مطامعكم
على سريري ورمتم فيه ارغامي
لي من معونة ربي صبر مقتدر
وفوق أعلامكم في الروع اعلامي
هي الحقيقة مهما ضل رائدكم
فكل دعواكم أضغاث أحلام
يا كاذبين على الدنيا بحربكمو
ونصركم بينها تزوير أرقام

ويستمر في هجائه محقرا اياهم فيقول:

ذل الأسار عليكم قيده، ذبحت
به مهابتكم، يا شعب أغنام
لو شئت أو شاء شعبي كنتم أكلا
لحوت نيلي، وأحجارا لأهرامي

من الخاص الى العام

ورغم الحياة المرة التي عاش منها الذيب، ورغم الطوى الذي كان ينهش في أمعائه، وخناجر البرد التي تفتك في عظامه، ورغم الانكار لعبقريته ممن يعرفون قدرها وضياعه في وطنه بأيد من رفقائه، فهو يرغب في الجهاد الذي يحفظ للوطن شرفه، ويريد أن يذوب في المجاهدين، ليقدم نفسه قربانا لأمته الغالية فيقول:

أريد سماه بالجهاد تعزني
وشعبي يأبى أن يبوئني أرضا
أحولي هذا الرعد والبرق وأمضا
وتخبو حياتي لا أشيم بها ومضا

قضاه باعدامي غداة شبيبتي
عجزت فلم أملك لضربته نقضا
أريد انتظامي بين أجناد أمتي
أقدم قربانا شبابي لها غضا

وترتفع صرخات الديب عالية ، لتخرج عن حدود وطنه الصغير - مصر - الى كل وطنه الكبير - الوطن العربي - ليلفت نظر العرب الى تلك الجريمة التي تحاك في الخفاء يدبرها الاستعمار والصهيونية لتمكين شرذمة من اليهود في فلسطين العربية ، وكان الشاعر واحدا من أولئك الذين جزعوا لهول تلك الكارثة ، وقد سجل الشاعر العربي الوطني عبد الحميد الديب كل هذا في قصيدته الوطنية ، التي تنم عن أنبل المشاعر الانسانية ، وتفيض بأزخر المعاني وأصدقها ، حين تجيش في صدر وقلب كل عربي غيور ، وقد اختار أن يكون عنوانها « فلسطين الدماء » وقد كتبت سنة ١٩٣٦ وقال فيها :

أقتلتهم بالحسن أو قتلوك
الشمس أمك .. والهلال أبوك
دار النبوة .. والعروبة .. والهدى
خفروا ذمامك بالدم المسفوك
جهلوا عليك وما دروك فأمعنوا
في قتل قومك .. ليتهم عرفوك
تيهي « فلسطين الدماء » على الورى ان الملائك والملوك بنوك
فلرب ظبي من بنيك مهفهف
بجماله وحسامه يفديك
نامت عيون الناس الا عينه
حتى يصيب الثأر من راميك
ولرب شيخ من بنيك محطم
بهر الوجود صبا لكي يحميك

وقد صدقت نبوءة الشاعر وصارت فلسطين ، فلسطين الدماء ،ولم ينتهبها اليهود لانهم أقوياء ، ولكن الاستعمار والمتخاذلين قدموها لهم لقمة سائغة . والشاعر العربي عبد الحميد ، قد سبر غور هؤلاء اليهود الذين يستدرون عطف الناس ، ويبكون بدموع التماسيح ، قد كشف عن نواياهم الخبيثة التي تنطوي على الغدر والمكر والخبث والدهاء ، فحينما يهون أمره في العيد على المسلمين يقول :

عيد تطالعني .. والعيش منكود
لأنت يوم الأسى والحزن يا عيد
يجدد الناس من لبس ومن فرح
وعندنا للأسى والهم تجديد

وفي قصيدة أخرى له ، حينما يريد اظهار قسوة الناس عليه يقول :

اذا رمت عيشي عاملا فكأنني
رجوت « يهوذا » رحمة « بيسوع »

وهو قد علم أنهم عباد الدراهم ، فحينما يصور تكبر صاحب البيت الذي يسكن فيه لمماطلة الديب في دفع الأجر ، فيصور تعاليه قائلا :

تكبر فالالفاظ منه اشارة
كأن عباد الله طرا من الخرس

ويسترسل الشاعر العربي ، صاحب الفؤاد المجروح على وطنه العزيز فلسطين ، فيصور لنا هذه الشرذمة فيقول :

أعمى اليهود وباء الاستعمار
وأضلهم عن ذمة وجوار
يحيون أعداء الشعوب لأنهم
قوم أذلهم هوى الدينار
إن فاتهم ذل النفوس تفتهمو
نعم الحياة وعيشها المدرار
حذقوا محاباة العباد فأصبحت
لهمو ، طوال الدهر شر شعار
قضت السماء بأن يشرد شعبهم
ويعد بين طوائف الفجار
فهمو عبيد الانجليز وما لهم
في نهضة الأحرار أي قرار

● رحم الله عبد الحميد الديب ، الذي ارتفع فوق آلامه وبؤسه ، وتشرده وطواه ، وصعد بوطنيته فوق أي مأساة اعترضت حياته ، فكان شاعرا وطنيا صادق الحس ، على ساحة وطنه الصغير - مصر - والى ساحة وطنه العربي الكبير ، وكانت وطنيته مثالا صادقا لابن الشعب الكادح المغبون ، المظلوم فارتفع ذلك حين ألم الخطب بوطنه ، فالوطن أعلى وأسمى من أي ظلم ، ومن أي آلام خاصة .

● ندعو الله أن يعوضه مرارة ما عاش ، وقسوة مالاقي ، بنعيم مقيم . □

رؤوس أقلام في طب المجتمع

بقلم : د . حسين الوردي *

طب المجتمع اصطلاح ظهر وانتشر بعد الحرب العالمية الثانية . وكانت بعض ممارسات طب المجتمع مألوفة منذ أوائل هذا القرن ، وحتى منذ القرن التاسع عشر للميلاد . بل ان البعض من هذه الممارسات ضارب في القدم،فأين نحن الآن من طب المجتمع ؟

ليس غريبا أن يبدأ طب المجتمع بالتبلور في النصف الثاني من القرن العشرين ، فإن تعقيد المجتمع وتعقيد الحياة ، ومايفرزه هذا التعقيد من عوامل مؤثرة تؤدي الى أمراض عضال بطرح الحاجة الملحة اليه . هذا من جهة،ومن الجهة الأخرى ، فان سرعة العلوم وموسوعيتها وتيسر التقنية المساعدة جعلت هذا العلم في متناول اليد،صحيح أن طب المجتمع علم ناشىء ، غير أن الحاجة الماسة اليه ،

* طبيب تحليلات مرضية ـ دبلوم في الباثولوجي السريري ـ كلية الطب جامعة بغداد

ويسر تناوله يكسبانه قابلية ان يسود ميدان الطب ، فلا بد لمثقال الوقاية الزاخر بالعطاء الثري ، أن يتجاوز العوائق ويغنينا عن قناطير العلاج .

من الممكن أن تكتب المجلات عن معنى الوطنية وممارساتها . ولكنها في طب المجتمع تعني أمرين :

ـ ان علومه ، بالأساس ، محلية تخص المجتمع المعين بالذات ، فظروف أي مجتمع تختلف عما هي عليه في المجتمعات الأخرى ، ونستطيع أن نقول إن طب المجتمع محلي ، وطني ولكن هذا لايعني أن لاعلاقة له بطب المجتمع في المجتمعات الأخرى ، بالعكس فانه يتفاعل واياها ويندمج معها في تيار واحد من أجل صحة المجتمع البشري. نحن نريد فقط أن نؤكد على أن لكل بيئة أمورا لانجدها في البيئات الأخرى ، وبالتالي فهي من مهام طب المجتمع في هذه البيئة .

ـ والأمر الثاني ، هو أن طب المجتمع وتطوره ، مؤشرات على عمق وعلى ادراك المجتمع بالمسئولية الجماعية ، المسئولية الوطنية ، فكلما تقدم طب المجتمع علما وممارسة وأثرا دل ذلك على عمق ادراك عناصر المجتمع المختلفة لاهمية المسئولية الجماعية ، والمسئولية الوطنية ولعلميتها ، والعكس صحيح : فرجال الادارة الصحية وعلماء الطب قاطبة ، والمواطنون عموما يساهمون بهذه الحصيلة سلبا وايجابا .

فما هو طب المجتمع ؟

اذا قلنا : طب المجتمع ، فذلك يعطي انطباعا أن هنالك « طب الفرد » . وفي الواقع فان الذي نعرفه عن ممارسات الطب هو بالاكثر في باب طب الفرد « الذي يهتم بفحص المريض ويطلب له التحليلات ويجري حوله التجربات والتتبعات ليشخص المرض ويصف الدواء ويعالج المريض حتى يكسب الشفاء ، ان الطبيب الذي يقوم بهذه المهمات هو « طبيب الفرد » وان لم نتعود بعد سماع هذا المصطلح .

هنالك أيضا طبيب العائلة . وقد نفهم من ذلك أن العائلة بكل أفرادها تراجع طبيبا معينا بالذات ، فقد تكون لهم ثقة بهذا الطبيب تماما كوضع الثقة في البقال « العميل » أو الصانع الذي ينسجم فنه مع ذوقها . ولكن الأمر أبعد من ذلك ، حيث ان العائلة انحدرت عن صفات وراثية معينة كما تحيط بها وتربطها عوامل بيئية ذاتها . وهذا وذاك يجعلانها وحدة صحية محددة . ان تراكم الخبرة عن هذه الوحدة الصحية عند نفس الجهة يسهل كثيرا أمر العناية بصحتها ، وحتى باستطاعة هذه الخبرة أن تنصح باجراءات وقائية مسبقة تجنب العائلة الكثير من الامراض .

طبيب العائلة

لانريد ان نغوص عميقا ، فهذه رؤوس أقلام ، ونكتفي ان نقتصر على طبيب العائلة وطبيب صحة المدينة ، فاذا استطاع طبيب العائلة ان يوفر عليها الانزلاق الى مطبات الأمراض ، فانه طبيب عائلة ناجح . أما اذا نجح في علاج كل من يمرض من افرادها بتقنية متطورة ، وبحنان حميم ، وبأخلاق عالية ، وبمعاملة انسانية فانه طبيب فرد ، وليس طبيب عائلة .

وكذلك طبيب صحة المدينة ، فان اقتصر على ملاحقة مخالفي تعليمات الدوائر الصحية فانه سيتحول من الطبيب العالم ، المتتبع ، المشخص لأمراض مدينته والمنظم لوصف علاجها وخلاصها من أمراضها ، يتحول الى موظف اجراء وحتى مجرد (مخبر) للدوائر المكلفة بالتنفيذ لقوانين وأنظمة الدوائر الصحية . بهذا الصدد ، ان أراد طبيب صحة المدينة أن ينجح بصلب مهامه علميا ، فعليه أن يهتم بالاحصاء الصحي والحياتي عموما ، وبالخارطة الوبائية لمدينته ، وأن يقيم بشكل دوري أثر تنفيذه لمشاريع قراراته على صحة المدينة .

قالوا ان الاختصاص يعني كل شيء من موضوع واحد ، وتعلم شيء واحد من بقية المواضيع . وهذا مطلوب في فروع الطب ومواضيعه ، بما فيها طب المجتمع ، ولكن طب المجتمع يتطلب صيغة أخرى ، فهو يتطلب من المختص به أن يلم بكل شيء عنه ، وكذلك فانه يتطلب من كافة الأطباء أن يلموا بعمومياته وبعلاقتهم به . ان لكل طبيب من مختلف الاختصاصات دورا مؤثرا وفعالا في نجاح طب المجتمع بمهامه .

ان طبيب الفرد - ان قبلنا هذا المصطلح - بحاجة الى ان يتعرف على واقع المريض في اللحظة القائمة، وان يتعرف على تاريخه المرضي، وكذلك فهو بحاجة الى أن يتعرف على تاريخ العائلة المرضي. وايضا فانه بحاجة الى التعرف على مجتمعه ومنطقته وعلى أمراض المجتمع وواقع البيئة. وبهذا الشكل يرتبط طبيب الفرد بطب المجتمع وهو بالتالي بحاجة اليه. ومن الناحية الأخرى فان الظواهر المرضية (كظهور مرض معين بين مراجعيه ومدى تكرر هذا المرض) هي نقاط أساسية لايستغنى عنها طب المجتمع بل هي مفتاح نشاطه، ولايجوز التغافل عنها بأي حال من الأحوال، فان السكوت عنها يضيع على المجتمع المبادرة للتغلب على أمراض قد تكون مهلكة، وبذلك يضع الطبيب نفسه تحت طائلة العرف، اذ لاتستطيع القوانين أن تطاله.

أسس ومواضيع طب المجتمع

ان الحالة الصحية - كأي ظاهرة حياتية - تخضع لنوعين من المؤثرات والعوامل: وراثية، وبيئية. الأسماك لاتمرض فقط، بل تموت أيضا اذا خرجت من الماء الى ظروف بيئية أخرى بينها اللبائن تموت اذا انغمرت في الماء. هذا يقرره ماورثته الأسماك واللبائن في جيناتها. واذ تفقد الأجسام حياتها ان غاب عنها الأوكسجين الطلق في الهواء، أو المذاب في الماء، فهنالك أجسام حية تحمي نفسها بالتكيس اذا تعرضت للأوكسجين ونسميها «اللاهوائية» وهذا أيضا ورثته عن السلف.

غير أننا نستطيع أن نتعامل بحرية أكثر مع عوامل البيئة، كما أن الأغلبية الساحقة من الأمراض تنشأ بالاساس بسبب عوامل بيئية. ولذلك كان على طبيب المجتمع أن يدرس عوامل البيئة، ويوازن بين متغيراتها وبين ظهور الأمراض المختلفة، ثم يطرح الأسئلة الملائمة، ويتتبع الأوضاع القائمة، ليعطي الجواب عن هذه الأسئلة. مثلا هل هنالك علاقة بين انتشار (الكوليرا) وبين مستوى النظافة ومستوى الشبع في هذا المجتمع أو ذاك؟ ومثلا هل هنالك علاقة بين تصاعد عدد المصابين بداء السكر وبين تحول الناس عن تناول التمر الى تناول حلويات الدقيق الأبيض والسكر المتقن التنقية؟ ومدى علاقة سرطان الرئة بالتدخين؟ تماما بنفس النمط الذي تستطيع به دوائر المرور ان تحدد العلاقة بين عدد حوادث الطرق وبين كثافة السيارات مضافة الى مستوى الوعي والثقافة المروريين.

ويمكن أن نصنف الأمراض من وجهة نظر طب المجتمع بسبب عواملها الى ثلاث مجموعات: -

١ - مجموعة تنشأ نتيجة لوجود عامل (جيني) قائم أو (موروث) في جينات الجسم الحي، وتسمى أمراض هذ المجموعة «امراضا وراثية».

٢ - مجموعة تنشأ نتيجة عوامل بيئية بسبب الاصابة بجرثوم (مكروب) أو طفيلي ينتقل اليه من جسم حيّ آخر (مريض، أو حامل أو خازن) فيؤدي الى المرض بأي حال، ليجعل منه محطة انتشار الى أجسام حية اخرى.

٣ - مجموعة تنشأ أمراضها نتيجة عوامل بيئية غير جرثومية وغير طفيلية، ويتعرض لها كل أفراد المجتمع، ويتأثر بها كل الناس الى هذا الحد أو ذاك فيمرض بعضهم. وبهذا الشكل يمكن أن نسمي انتشاره وبائيا، وان لم يكن لينتقل من مريض الى آخر، وانما كل المرضى تأثروا بنفس عوامل البيئة القائمة في مجتمعهم.

ان طب المجتمع لايغفل المجموعة الاولى، وانما بمقدوره ان يلعب دورا فعالا مؤثرا في المجموعتين الاخريين. من المعروف أن فقر الدم المنجلي المنتشر في أواسط افريقيا وغربها ذو علاقة بعوامل وراثية قائمة في جينات أقوام هذه المنطقة. والمطلوب من الطب في مثل هذا المرض أن يتدخل في علاج المرض ومداواته.

أما مرض التيفوئيد (الجرثومي) والذي ينتقل مع الطعام والشراب، فباستطاعة الانسان أن يلجمه تماما بتوفير مياه الشرب المعقمة وتوفير الطعام النظيف وكذلك بالارتفاع بمستوى العناية الصحية. وكذلك الامر مع مرض الكوليرا فهي تسلك طريق حمى التيفوئيد في الانتقال والعدوى، كما أن تجنب الاصابة بمرض التيفوئيد يساعد الانسان على تجنب الاصابة بمرض الكوليرا.

وكذلك فان الطب في تعامله مع داء السكر يجد

أمامه نوعين ، نوعا من المجموعة الأولى وراثيا ومرضاه لايستغنون عن الأنسولين ، وليس أمام الطب الا مداواة المريض مدى الحياة ، أما النوع الثاني الذي لايعتمد علاج مرضاه على الانسولين فهو من المجموعة الثالثة (مجموعة العوامل البيئية غير الجرثومية) وهو الذي ترافقه السمنة . هذا النوع باستطاعة طب المجتمع ومطلوب منه أن يحرر المجتمع من براثنه ، وذلك باعادة النظر بالواقع البيئي (وهو هنا نمط المائدة) . وبهذا الشكل يستطيع المجتمع أن يتخلص منه الى حد كبير ، وربما سيبلغ الحماس مداه اذا علمنا أن هذا النوع من داء السكر موجود عند ٨٥٪ من مجموع المصابين بداء السكر في بعض المجتمعات وربما أكثر من ذلك ، كما أنه يهدد الأخرين بشكل كثيف .

فأين نحن من طب المجتمع . . ؟

نلاحظ أن طب المجتمع علم ناشىء كما أنه وطني برغم علاقاته ومساربه البشرية العامة ، أخذا وعطاء ، اذ ينبغي لنا أن نلم بتجارب وخبرات المجتمعات المتقدمة والنامية . ومن الجهة الأخرى فان دخولنا الحثيث الى هذا الميدان ودراسة وتقييم خبرتنا واعادة النظر بها وبتفاعلها مع خبرة المجتمعات الأخرى ، خصوصا النامية ، ستهيىء لنا الأرضية الصالحة لاقامة صرح هذا العلم ولتطوره . ان النجاح في ممارستنا الوطنية بهذا الميدان يتطلب مايلي : -

١ - توحيد المؤسسة الطبية باندماج التعليم الطبي ببرامج الخدمات الصحية باستراتيجية عملية التقدم الصحي ، وبتجاوز الهوة المفتعلة بين التعليم الطبي (خصوصا طب المجتمع) وبين الممارسة (في دوائر الوقاية والبيئة وصحة المدن . . .) وبوحدة طرفي الصلة هذين ، وبتفاعلهما ، يمكن لاساتذة طب المجتمع - القائمين على تنفيذ ممارساته المتابعين والمقيمين لنتائج هذا التنفيذ - يمكنهم أن يكتبوا هذا العلم وهذا الفن ، وبدون ذلك ستبقى فروع طب المجتمع مبتسرة وفجة ان اقتصرت على أن تكون مرآة عاكسة تأخذ ما تكتبه المجتمعات الأخرى لتجتره وتعكسه - املاء - على طلاب طب المجتمع في مجتمعها . كما ستبقى ممارسات طب المجتمع تتخبط مادامت منقطعة عن اي متابعة وتقييم لنتائجها وتنظير لعملية التقدم العلمي .

٢ - كما ينبغي أن يكون لفرع طب المجتمع كرسي متميز في كليات الطب مجاور لكرسي العميد ، ان لم يحتله ، بحيث يضمن تخريج أطباء مدركين لدورهم في طب المجتمع برغم تخصصاتهم المتنوعة التشخيصية والعلاجية .

٣ - وهنالك ضرورة للتأكيد على أهمية الاحصاء ، الوسيلة الوحيدة والمجربة في تقييم الانجازات ، والتعرف على حجم الأمور ونقطة البدء في البرمجة والتخطيط اللاحقين . ولذلك ينبغي التأكيد على تنمية العقلية الاحصائية والنظر الاحصائي عند خريجي كليات الطب ، فهم يشكلون الخطوة الأولى في بناء وتطور علم طب المجتمع ، وفي ممارسة طب المجتمع ، وبالاستناد الى المعطيات المتجمعة والمأخوذة من الأطباء السريريين ودوائر التشخيص والتحري كالاشعة والمختبر .

٤ - وأخيرا ينبغي لكليات الطب أن تضع أمام عينها أنها ليست مكتب منح شهادات التخرج ، بقدر ماتكون معاهد تربية طبيب يتفاعل مع مجتمعه ومن كل قلبه وبكل حرص وعلمية ووعي .

ان كتابة علم طب المجتمع ليست بالمهمة اليسيرة ، بالقدر التي هي ضرورية ، وانما الأخذ بناصيتها يتطلب الجدية والمثابرة واعتماد العلمية خصوصا البرمجة والتخطيط والاحصاء وتقييم الانجاز ، وبالتالي تضافر الجهود ، وطبيعي سوف لا ننتظر أن ننتهي من كتابة هذا العلم لنضعه موضع التطبيق في ليلة وضحاها،انما يكفي أن نغرس البذرة لينبت زرعها ، ونرعاه في تفاعل النظرية المتيسرة والخبرة الحاصلة مع التطبيق المستمر ، والخاضع للتقييم الدوري . □

اب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

« أ »

" التفرقة العنصرية "

أبارتيد

مصطلح سياسي يطلق على سياسات التفرقة العنصرية والتمييز العنصري ، وهي السياسات التي تقصر التمتع بالحريات العامة على فئة من المواطنين ، دون فئات أخرى وفقا للعرق واللون .

ولا تُمارس سياسات التفرقة العنصرية كواقع ونصوص قانون الآن في العالم الا في جمهورية جنوب افريقيا ، التي تمارس تمييزا وفصلا عنصريا بين السكان ، فبينما يعامل ٤ ملايين أبيض منحدرين من أصول أوروبية كسادة ، يعامل مالايقل عن ٢٠ مليون نسمة كمواطنين من الدرجة الثانية ، وتتفاوت درجات التفرقة في اطار الوطن الواحد ، فالبيض هم السادة كما قلنا ، يليهم الملونون ، وهم ذوو الأصول المختلطة بأصل أبيض ، ثم الأسيويون ثم السود . ويحدد نظام « الأبارتيد » لكل فئة من هذه الفئات مناطق السكن ومستوى التعليم ونوعيته ومدى الحرية في الزواج والحقوق المدنية الأساسية ، بل يصل حتى تحديد نوع الترفيه لكل فئة .

وتعود قصة الجنس الأبيض في جنوب افريقيا الى عام ١٦٥٢ ، عندما هبط أول ممثلي شركة الهند الشرقية الهولندية الى هذه المنطقة المطلة على رأس الرجاء الصالح - الممر البحري الى الهند - حيث مملكة الشركة ، وفي عام ١٦٥٧ جاءت مجموعة من المواطنين القدامى بالشركة الى المنطقة للعمل لحسابهم الخاص ، وتوالت مجموعات الموظفين حتى وصل عددهم عام ١٦٨٨ الى ٨٠٠ عائلة ، وسرعان ما انضم الى المستوطنين الهولنديين مستوطنون من جنسيات أوروبية أخرى ، وبعد توقيع اتفاقية لندن ١٨١٤ ، تولت انجلترا زمام الأمور في جنوب افريقيا ، وبدأت بادخال التطويرات على نظم الحياة ، فأنشأت مجلسا تشريعيا ومحكمة عليا ، وأعلنت اللغة الانجليزية لغة رسمية ، وشجعت الارساليات والهجرة من انجلترا ، وشهدت الفترة من ١٨٤٤ وحتى ١٩٠٢ حروبا واضطرابات حادة ، فشبت حرب بين انجلترا والبوير (الاسم الذي أطلق على المستوطنين من أصول هولندية) . ثم استقلت مستعمرات ، ونشأت تمردات بين القبائل ، وتدفقت موجات الهجرة من الأوروبيين خصوصا بعد اكتشاف الماس . وفي عام ١٩١٠ أعلن ممثلو المستعمرات الأربع (ترنفال ، ناتال ، الكاب ، اورانج) قيام اتحاد جنوب افريقيا كدولة موحدة ، وان المستعمرات

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى

الأربع هي مقاطعات تتمتع بنوع من الحكم الذاتي في ادارة شئونها الادارية الداخلية ، وفي عام ١٩٦١ أعلنت جنوب افريقيا انسحابها من الكومنولث : وفي مايو من العام نفسه صدر دستورها الجمهوري الجديد ، الذي نص فيه على تطبيق سياسة « الأبارتيد » وفي نوفمبر ١٩٦٢ أعلنت الأمم المتحدة مقاطعتها لنظام جنوب افريقيا ، وطالبت بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية معه .

ورغم أن الجماعات الافريقية الوطنية بدأت كفاحها متبعة اسلوب المقاومة السلبية ، الا أن هذا لم يمنع السلطة من ارتكاب مجزرة « شاربيل ولانغابانغا » عام ١٩٦٠ ، التي ذهب ضحيتها مئات من القتلى ، وشهدت أوائل السبعينيات انبعاث الحركة الوطنية الافريقية بعد سنوات الكمون التي أعقبت اعتقال السلطة لقيادات حركة الكفاح المسلح عام ١٩٦٣ ، والحكم عليهم بالسجن مدى الحياة ، ولعل الأرقام التي أوردتها الأونيسكو عن واقع حال السود والملونين هي أوضح بيان على قوة سياسات التفرقة ، فنصيب السود ١٣٪ من الأراضي مقابل ٨٧٪ للبيض ، و٢٠٪ من الدخل القومي مقابل ٨٠٪ للبيض ، وطبيب واحد لكل ٤٤ الف شخص ، بينما للبيض طبيب لكل ٤٠٠ ، ومعلم لكل ٦٠ تلميذا مقابل معلم لكل ٢٠ تلميذا للبيض ، تحصل الضريبة على الدخل بدءا من ٣٦٠ راندا سنويا بالنسبة للسود ، أما البيض فتحصل ابتداء من ٧٥٠ راندا . وفي مواجهة تزايد القمع والسياسات اللاانسانية انفجرت حركات الغضب والمظاهرات ، ففي ابريل ١٩٧٣ اشترك اكثر من ٣٠٠ ألف افريقي في مظاهرات حادة ، ثم في عامي ١٩٧٦ ، و ١٩٧٧ ، وفي مايو ١٩٨٠ تحولت المظاهرات الى هجمات عنيفة على المنشآت الحكومية ، فدمر الثوار ٣ مصافي نفط حكومية ، وآخر هذه الانتفاضات التي اشتعلت في صيف هذا العام .

ورغم كل الادانات والنداءات الدولية المتكررة لايقاف العمل بسياسة الأبارتيد ، فإن السلطات الحكومية في جنوب افريقيا تصر على أن هذا الأمر موضوع داخلي ليس من حق أحد التدخل فيه ، وأن اطلاق الرصاص على المتظاهرين ليس الا اجراء حكوميا لقمع حركات الشعب ! . □

قضية الحقوق السياسية للمرأة ما تزال فوق السطح . . . بين مؤيد ومعارض . . وقد دخلت هذه القضية أخيرا مرحلة جديدة . . يمكن مناقشتها في ظل ديمقراطية الاسلام . . وحق نصف الأمة في أن يكون لها فرصة الاختيار . . وهو ما يناقشه هذا المقال .

منتدى العربي

قضية

خواطر انتخابية :

المرأة .. وديمقراطية الاسلام

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

الناظر فى أرجاء عالمنا العربى وعالمنا الاسلامى لا يرى أن اقطاره استقرت على نسق واحد فى الأخذ بهذا الذى نسميه النظام البرلمانى الانتخابى أو الديمقراطى . . فمنهم من تركه البتة لمبررات متباينة بعضها على الأقل اسلامى الشعار ، ومنهم من أخذ به وادعاه كاذبا كل الكذب أو صادقا غير كامل الصدق ، على تباين فى ضمان النتيجة المرغوبة سلفا بالوسائل المباشرة ، أو بسلسلة من السببية ذات الأشراط المقننة ، والحيل المحسوبة التى تجعلها الى أسلوب المرابين أقرب منها الى التعرف الصادق والشجاع على رأي الأمة . ولكن منهم كذلك من اختار الصدق الصحيح والحمد لله فأنعش أملا كاد يقضى عليه اليأس ، وحقق حلما طال ارتقابه فى غير عشم كبير . ومن أمثلة هذا النوع الأخير لا بد هنا أن اشير الى الانتخابات الأخيرة فى الكويت . . كان من بين المرشحين عناصر يعرف الجميع أنها ان دخلت البرلمان فستكون معارضة ناشطة بل مرهقة ، وفتح الناس اعينهم ليروا كيف يكون التصرف ، ودارت معركة انتخابية كان سلاحها الاول المحاضرات والندوات يعقدها المرشحون فى مقارهم الانتخابية فى حرية لاتحابى ولاتجامل ، ولم تقع اشتباكات ولاسقطت ضحايا ، وفقدت الخراف المذبوحة والاموال المبذولة سلطانها فى شراء الأصوات ، أما السلطة فوقفت على طول الشوط فى حياد عجيب ـ

وأستأذن القارىء في أن استعمل كلمة عجيب ، فأنا أعيش فى العالم العربى - حتى أعلنت النتائج ، فكان بين من فاز المعارضون والفقراء ، والذين لا يعتمدون على جاه أو حظوة أو عصبية . أقول هذا وأنا أتخطى صعوبة نفسية ، فما أختار لقلمي أن يدرج فى سلك المداحين ، ولكنني كذلك أرى أن الجحود من الظلم ، فضلا عن أنني أطمع أن أثير غيرة الآخرين ، ممن لا يرون بعد أن شعوبهم قد استعدت لتلقى الديمقراطية الكاملة ، أو أنهم أنفسهم قد استعدوا لقبول رأي الأمة الحقيقى مهما كان هذا الرأى . . لقد عملتها الكويت ولم تندم عليها ، ولا أحسبها على المدى الطويل ستندم عليها أبداً ان شاء الله .

الشورى فى الاسلام

ومهما قيل فى النظام الديمقراطى من الناحية الاسلامية ، وهل هو يفى بالشورى التى أمر بها الاسلام ، وهل الشورى ملزمة أو غير ملزمة ، فمما لا أشك فيه بعد طول التفكير أنه الآن أوفى النظم بتحقيق مقاصد الاسلام فى سياسة مجتمعاته ، الشرط الأوحد والأكبر الذى أصر عليه هو أن يتأسس النظام على الاسلام ، ويلتزم به فيما حلل وحرم،فلا يكون ديمقراطية منفلته كديمقراطية الغرب التى تحسم عظائم الأمور بأغلبية الأصوات فقط ، غير عارفة أو عابئة بما حلل الله وحرم ، فكان أن حللوا الفواحش ، وقننوا المظالم وتردوا فى المهالك . . ومهما قيل فى تقدم الحضارة الغربية المعاصرة فانها صائرة الى دمار ولو بعدحين ، لا بسبب نظامها الديمقراطى ، ولكن لأن ديمقراطيتها انحجبت عن الهدى الالهى ، ولعلهم هم معذورون لأنهم محرومون ، أما نحن فدينتا يعصمنا إن اعتصمنا له وعملنا به .

وأعود فى التاريخ الى بداية الاسلام ثم الى عصر الخلافة الراشدة ، ومن ذاك الموقع فى الزمان والمكان أحاول أن أمد بصرى الى المستقبل أستقرئه ، فيقر فى ذهنى أن نمو أمة الاسلام واتساع رقعته كان سيفضى بالأمة لو سارت الأمور مسارها الصحيح الى نظام سياسى اسلامى ربما كان كبير الشبه بالديمقراطية المعاصرة ، لولا أنه مؤمن لا ملحد . فى البدء كان انتقال الأمر الى يد أبى بكر ثم الى يد عمر ثم الى يد عثمان ثم الى يد علي يتم فى كل مرة بطريقة مختلفة ، دليلا للأمة على عدم وجود قالب واحد جامد عليها أن تلتزم به ، وأن المجال أمامها اذن فى المستقبل مفتوح لها ان تصل فيه الى الصيغة التى تجدها مناسبة ، ولكن كانت هناك البيعة « الحرة » تعطيها أغلبية الأمة ، ولم تكن البيعة مطلقة أو مؤبدة ، بل كانت مشروطة بما عبر عنه أبو بكر بقوله « أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم » ، وكان الحاكم يطالب الأمة ان رأته على الحق ان تؤيده وان رأته على الباطل أن تسدده ، فان ابدت الأمة استعدادها لأن تقوم اعوجاج الحاكم ولو بحد السيف فرح الحكم متمثلا فى عمر وفى تعقيبه « لا خير فيكم ان لم تقولوها ولا خير فينا ان لم نسمعها » وحمد الله على مثل تلك الرعية . أما الشورى فكانت ان بذلت وقعت على آذان سميعة وأفئدة لله مطيعة ، وكان النبى عليه السلام يقبل النصح ويغير بمقتضاه رأيه الا فيما أوحى به الله اليه ، وكان سياج الحاكم من بعده أن يدعو الناس أن يشيروا عليه ، والمشير والمستشير جميعا لا يبغون الا وجه الله ، بل يؤكد حديث الرسول أن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم .

ضمانات الحكم

كانت تلك بواكير لو تمت نماءها الطبيعى مع نماء الأمة واتساع رقعتها وتعقد ادارتها لأفضت فيما أعتقد الى نظام نيابى انتخابى سليم . ولكن هذا النماء فى هذا المضمار بالذات قد توطع بل اجهض اجهاضا فيما تمخضت عنه الفتنة الكبرى ، وانتقال الحكم الى معاوية ، ثم الطريقة التى أخذت بها البيعه لابنه يزيد . . ثم ما كان من وقوع الأمة فى قبضة الدكتاتورية من يومها ذاك الى يومنا هذا ، الا فيما ندر من فترات قليلة مؤقتة ، لم تصحح من بعدها المسار أو تصوب التيار . وبينما تقدمت الأمة بانطلاقة أفراد الشعب فى مجالات الفتوح والعلوم والفنون والفقه والحضارة ، ظلت ضامرة قاصرة قزمة بل شوهاء ، فى المجال السياسى والدستورى ، والميزان بين سلطة الأمة وسلطة الحكم .

أيام كان على رأس الأمة الخلفاء الراشدون كان للحياة طعم خاص ، ولكن عندما عرفت الأمة حكاما ومارس بعضهم الظلم وولغوا فيه قطعا ، وأحالوا الحكم ملكا ونعمة وترفا ، وتصرفوا على أنهم سادة الأمة لا خدامها ، ووقعوا فى الحرام بغير شبهة ، آنذاك كان الدرس الأكبر الذى ينبغى أن تتعلمه الأمة هو قضية الضمانات التى تحول بين الحكم وبين الانحراف ، واستنباط النظام الذى يكفل أن تكون البيعة حرة لامغصوبة بالرغب والرهب ، وان تختار الأمة من يمثلها فى مراقبة الحاكم ، وأن من يملك أن يعطي البيعة يملك أن يسحبها اذا قضت مصلحة الأمة ، وفى سهولة ويسر وفى غير عنوة ولا سفك دم . كان هذا هو الدرس . . وللأسف الشديد انه لا يزال هو الدرس . . من أمسنا الغابر الى يومنا الواقع . . ومن أجل ذلك أقمنا حضارة ثم فقدناها . . ومن أجل ذلك نحن الآن من دول العالم الثالث ، ومن أجل ذلك نحن خفيفو الوزن قليلو الحيلة ضعيفو الأثر حتى فى قضايانا المصيرية . . ومن يومها الى يومنا ظهر فينا الفقهاء الذين يغمضون عن شرعية الحكم وعن صحة البيعة وعن نزاهة الانتخابات ، ويفتون للحاكم بما يريد ، ويؤثرون الوضع القائم على الوضع الواجب ، على اعتبار أنه يحقن دماء الأمة ويجنبها الفتنة ، ولا يرون بعد ان إلزام الشورى للحاكم ضمان حيوى واساسى لصالح أمة المسلمين ، وظهرت آثار ذلك قديما وحديثا ، ومن امثلته الواضحة ما ظهر فى الفترة الأخيرة من فجوة الثقة بين الشباب والعلماء ، فرغم حاجة الشباب الجلية الى قيادة اسلامية راشدة فانهم فى كثير من الحالات لم يجدوها فى الفقهاء ، وان كانوا خزائن علم زاخرة ، ولعل في هذه الايجازة بينت الداء ودللت على الدواء ، وبقى أن تصدق نية الأمة ـ حكاماً ومحكومين ـ على الرغبة في الشفاء وتوخى العافية .

المرأة والترشيح والانتخاب

وثمة خاطرة أخرى أريد أن أتناولها فى هذا المقام وهى قضية اشتراك النساء فى الانتخابات؛إما ناخبات فقط ، وإما مرشحات وناخبات ، فليس الأمران واحدا . . وهو موضوع تردد فى ذهنى على مدى طويل أقدره بعشرات السنين ، وانما جذبتنى اليه الآن فتوى شرعية صدرت فى الكويت منذ قريب بعدم شرعية اشتراك المرأة فى الانتخابات البرلمانية مرشحة أو ناخبة . وأعلن أننى لست هنا على الاطلاق أرد على الفتوى أو أزمع تفنيدها . ولست من أهل التخصص فى التصدى للاجتهاد الشرعى ، فضلا عن ثقتى الكاملة فى الاخوة أعضاء الهيئة العامة للفتوى بوزارة الأوقاف بالكويت ، وفى كفاءتهم العلمية ونزاهتهم الأخلاقية ، وأنا بعد منهم وهم منى نقف فى خندق واحد للدفاع عن الاسلام والذود عنه .

ولقد رأت اللجنة فى غيبة النصوص الخاصة من الكتاب والسنة فى هذا الموضوع أن تؤسس فتواها على الاجتهاد بقواعده وضوابطه المعروفة ، فجزى الله أعضاءها خيرا ، وهم من الله اجر أو اجران ان شاء الله . ونعلم ان من شروط الاجتهاد أنه لا ينقض بمثله ، ولكنه كذلك يمنع من اجتهاد جديد ولو فى نفس الموضوع ، ان استبانت خفايا أو أزيلت غوامض ، أو أمنت محاذير ، أو تعدلت تكييفات ، أو تطورت مصالح الناس بتطور ظروف العصر أو المصير . ولهذا قضى عمر رضى الله عنه فى حادثة بقضاء ، وبعد زمن قضى فى حادثة مشابهة بقضاء مختلف ، فلما روجع قال:ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضى .

مكانة المرأة فى الاسلام

لو طرحتَ صورة وحيدة وادعيتَ أنها وحدها الصواب ، لارتكبتَ خطأً يقع فيه للأسف الشديد كثير من عامة المسلمين وخاصتهم . فالحلال بيّن والحرام بيّن . ولكن الذى يفوت كثيرامن الناس أن رقعة الحلال واسعة . . وان مساحة المباح كبيرة تسمح بحرية الحركة وحرية انتقاء البدائل واستنباطها حسبما يرى أهل الرأى أنه أكفل لمصلحة الأمة فى يومها هذا،وظرفها هذا ،غير سادّين بظروف الماضى طريق الحاضر ولا مبرمين بظروف الحاضر أمر المستقبل . . فقهنا وتراثه تعدد المذاهب ،

بل ان يكون للشافعي مذهب فى بغداد ثم مذهب فى القاهرة ، فيقال قال فى القديم وقال فى الجديد . ولهذا فليس علينا من بأس على الاطلاق فى ايماننا وعقيدتنا أن نحمل ما قاله العتيبي وابن رشد مثلا بكل احترام وتوقير ، ولكن ليس بالضرورة بالتقديس الذى يجعله قيدا على زمان غير الزمان وظروف غير الظروف .

وأعود الى مجتمع اسلامى افتراضى فى عصرنا الحاضر أحاول أن أستقرىء ملامحه من أيام الاسلام الباكرة والناصعة ، ولكن بعد أربعة عشر قرنا من التطور السوى البرىء ، بما أصاب المسيرة من نكسات أو نكبات ، والمتحرر كذلك من أغلال التقاليد والعادات الاقليمية والجغرافية التى أضفيت عليها صبغة الاسلام ، دون أن تكون بالضرورة من تعاليمه ، بل قد يكون منها ما يجافيه ويجانبه .

أما مكانة المرأة فى الاسلام فيكفى أن نشير فيها الى أن أول من أجاب الدعوة اليه امرأة هى خديجة ، وان أول شهدائه امرأة هى سمية أم عمار بن ياسر ، وان من بين الصفوة المعدودة والمحدودة التى ائتمنت على سر الهجرة فتاة هى أسماء بنت أبى بكر ، وان أوامر الاسلام ونواهيه تندرج على الرجال والنساء مثوبة وعقوبة ، وان النساء شقائق الرجال ، وان دور المرأة فى مجتمع الاسلام الأول دوائر متداخلة مركزها بطبيعة الحال أن تكون سكنا وحاملا ووالدة ومرضعا ومربية (وهو ما لا يصلح له الا المرأة) ولكنه يتسع حتى يكون السلاح الطبى فى جيش النبى كله من النساء (الأسيات) بل حتى الى حمل السلاح والاشتراك فى القتال كما فعلت نسيبة بنت كعب ، عندما تحرج موقف المسلمين فى أحد فألقت بعدة الضماد ، وحملت السلاح وقاتلت وأصيبت بالجراح وامتدحها النبى عليه السلام بقوله « ما نظرت يمنة أو يسرة الا وجدتها دونى تنافح عنى » وليت شعرى ماذا كان يقول بعض المتشددين اليوم عن امرأة مثلها فى ظرف مماثل ؟ وفعلتها نسيبة مرة أخرى بعد وفاة الرسول اذ اشتركت وأبناؤها فى حرب مسيلمة الكذاب .. اننا لسنا مع الصرعة الحديثة التى أصابت القوم فى الغرب فجعلتهم يطالبون بالتماثل الكامل بين الرجل والمرأة ، فهذا فى عرف الطبيعة محال .. ولكننا نخطىء كذلك الذين لا يرون فى المرأة الا مظاهر الأنوثة كما نخطّىء الذين لا يرون الرجل الا فى مظاهر الرجولة ... وانه ليحزننا ان قطاعات كبيرة من المسلمين ترى فى المرأة مخلوقا دون الرجل وتغلف ذلك بغلاف اسلامى . ان التماثل بين الرجل والمرأة محال ، ولكن التكافؤ قائم ، وتوزيع الادوار من بديهيات الطبيعة ، فى غير تقليص لحقوق أيهما ، ولواجباته فى خدمة المجتمع كل حسب استطاعته وعلى اساس فردى محض .

الدرجات المتفاوتة مشروعة

قد سمعنا وآمنا بقول ربنا « الرجال قوامون على النساء » قوامة قائمة على أسبابها « بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » وسمعنا وآمنا بتأصيل المساواة بينهما ثم درجة الرجال عليهن « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » ... ولكن ليس لنا أن نعتسف فى التأويل ، فالدرجات المتفاوتة مشروعة حتى بين رسل الله صلوات الله عليهم « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلمّ الله ورفع بعضهم درجات » بل بين عبادة المؤمنين قاطبة « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » .. لادرجة واحدة ..

نعم جعل الله القوامة للرجال فليس للمرأة أن تحكمهم ، والحديث صريح « لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » ولكن هل المناط هنا عملية الانتخاب واشتراك المرأة فيها ؟ ان هذه القواعد الشرعية لم تمنع المرأة من أن تكون لها ذمتها المالية المستقلة ، وأن تباشر بنفسها ادارة أموالها، وان ترفض الزواج من رجل يريد أبوها أن يزوجها اياه على غير رغبتها ، وأن تتعلم وأن تعلم كما أوصى النبى أن تأخذ من السيدة عائشة ، وكما أخذ الشافعي عن السيدة نفيسة ، بل أن تكون قاضية بين الناس فى الخصومات ، وقد ورد فى الاختيار التعليل المختار للموصل أن عمر بن الخطاب ولّى الشفاء بنت عبد الله المخزومية قضاء الحسبة ، وأجاز الحنفية قضاءها فى غير الحدود (الهداية شرح بداية المبتدى للمرغيناني) .

لم تناقش المرأة وليّ الأمر (صلى الله عليه وسلم) بل وتجادله جدالا حتى فى أمر التشريع ذاته ، حين قصدته خولة بنت ثعلبة تشكو ظهار زوجها لها ، مما يحرمها عليه فى منطق الجاهلية ، وتسأل النبى أن يجد لها رخصة ، ويحجم النبى فى انتظار شرع الله ، فتراجعه قائلة « انه ما ذكر طلاقا » ولكنه عليه السلام يمسك ، فتراجعه قائلة ان لى صغارا ان ضممهم اليه ضاعوا وان ضممتهم اليّ جاعوا . . ولكنه يمسك فتشكو الى الله حتى ينزل الوحى بما يفرج كربها فى قوله تعالى « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله ،والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير . . . »

أو ليست المهمة الأساسية للبرلمان أن يكون رقيبا على الحاكم ، وأن ينوب عن الأمة فى رده الى الصواب ان جانبه ؟ فلقد فعلت ذلك المرأة التى ردت عمر بن الخطاب حين خطب الناس يأمرهم بخفض المهور ، فقالت ليس ذاك لك يا عمر فان الله قال « وآتيتم احداهن قنطارا » فيقول فى تواضع شجاع أصابت المرأة وأخطأ عمر . .

نصف الأمة وفرصة الاختيار

والأمة تختار نوابها للدفاع عن قضاياها،أيحرم نصف الأمة حتى من فرصة اختيار المحامين من بين المرشحين المتقدمين ، وهم محامون توكلهم الأمة ، والأمة رجال ونساء ؟ أبعد أن تسلحت المرأة بالعلم لأعلى درجاته ، وتسلمت مناصب الدولة من أول السلم حتى وكالةالوزارة ، واثبتت كفاءتها فى مضامير الحياة ادارة واقتصادا وكتابة وفكرا وتعليما وتطبيبا ، ومالا أعد ولا أحصى تقف الأنوثة حائلا بينها وبين مجرد الادلاء بصوتها الانتخابى ، بدعوى أنها ان فعلت فواضيعتاه لاننا اسلمنا النساء ولاية الأمر ؟ وما دام البرلمان ينظر فى أمور التشريع ومنها أمور تلمس صميم مصالح الأمومة والطفولة بوجه عام ، أفلا يثرى النقاش ويقرب الى الصواب ان تمثل المرأة فى هذا الموقع ؟ بقيت مسألةالمحاذير التى يخشى المخلصون الوقوع فيها ، ان نحن فتحنا هذا الباب ، ونحن معهم فى خشيتهم ، وان كنا نرى أن التوقى منها قد لا يكون بالضرورة اغلاق هذا الباب بادىء ذى بدء . فإن التعرف الكافى على المرشحين فى زمننا هذا لم تعد تلزم له المخالطة فى الأخذ والعطاء ، والسفر معهم ومرافقتهم ، كما أوصى ابن رشد على زمانه ، بل لم تعد تلزم له زيارة المقر الانتخابى والازدحام والاختلاط كما يحدث فى يومنا هذا . . وفضلا عن المطبوعات التى توزع وعما تنشره الصحف فان فى وسع جهاز التلفزيون الآن ان ينظم اذاعة الندوات الانتخابية ، بل ان ينظم لكل مرشح فرصة موقوته ، فى أن يعرض مالديه وأن يناقشه ناس فى الاستوديو ، أو بتوجيه الأسئلة تلفونيا وفوريا ليجيب عنها على الهواء مباشرة ، فتسمعه الأمة رجالا فى بيوتها أونساء فى خدورها ، وهو أمر يؤديه التلفزيون فى بلاد أخرى ، ولا أحسبه يتقاعس عنه فى بلادنا خلال موسم الانتخابات كل بضعة اعوام ، ولعله أولى من كثير مما يطلع به التلفزيون على الأمة ، ويغزو به البيوت والأفكار ، أما عملية الانتخاب فنرى بطبيعة الحال أن تكون للنساء لجانهن الانتخابية الخاصة باستعدادها الخاص ، ولا نظن شهود يوم انتخابى كل سنوات سيصرف المرأة عن واجباتها الاساسية ، ربة دار وأم اطفال، والتذرع بذلك فيما أعتقد جدل غير ذى وزن .

فماذا عن المرأة ان كانت مرشحة ؟؟ تبث دعايتها بالنشر او بالتلفاز أو حتى بالاذاعة من وراء حجاب . . ولكن ماذا اذا تحالف جمهور النساء وتعصب للمرشحات ، فاصبحت - فرضا - اغلبية البرلمان من النساء ، فتكون بذلك جعلنا الولاية للمرأة بحكم الأغلبية ؟؟

حتى هذه يمكن تلافيها بتحديد نسبة محدودة من عدد المقاعد للنساء ، يقدرها أهل الحل والعقد فى نطاق العدد الذى تظل فيه الولاية بايدى الرجال بحكم الاغلبية الرجالية والاقلية النسائية ، التى لا تحرم النساء من حقهن فى الشورى ، دون أن تجرح التركيبة الرجالية العامة للبرلمان . فان الولاية للمجلس عامة وليست للعضو ذاته .

هذه خواطر أردت أن أشرحها مؤمنا بأن سد الذرائع لا يرتكز على المصادرة وحدها ، وانما أيضا على البدائل والاحتياطات والحيلة البناءة . □

منتدى العربي
تعقيبات

حول مشكلات الحوار الثقافي

بقلم : عبد الرزاق البصير

للجانب الثقافي لأي أمة من الأمم أهمية بالغة لاتخفى على أحد ، اذ أنه هو الذي يرسم مكانة الأمة وقيمتها الحقيقية بين الأمم ، لأن الجانب الثقافي للأمة يعني نشاط علمائها وأدبائها وفلاسفتها وفنانيها ، ومن المحقق أن ابراز هذا النشاط يرسم الصورة لما تقوم به تلك الأمة من مشاركة في الحضارة الانسانية ، ومن هنا يتبين معنى ما نشاهده في التاريخ الماضي والحاضر من تقدير الأمة لمن يبرز فيها، وفي كل فن من الفنون ، وفي كل ميدان من ميادين العلوم النظرية والتطبيقية . اذن فليس من المبالغة في شيء اذا قلنا ان الحوار الثقافي بين العرب وأوروبا يكتسب أهمية كبرى ، وهذا يعني بأن على كل من يتصدى للحديث عن هذه القضية أن يعطي صورة واضحة للقضايا التي طرحت في ذلك الحوار ، والاعتراضات والعقبات والشبهات التي برزت من قبل كل من المتحاورين وهذا مالم نلمسه في المقال الذي نشره الدكتور حسام الخطيب في مجلة العربي عدد (٣٢١) .

فاننا نجد استاذنا الدكتور قد بدأ مقاله برأي يقول بأن الحوار الثقافي ليس أفضل من الحوار السياسي والاقتصادي ، وفي تقديري أن هذا رأي لايوافق عليه الا القليل من الناس ، لأنه يحتاج الى توضيح أكثر ، فنحن نعلم أن الحوار السياسي يرتكز على قضايا تعتمد أكثر ما تعتمد على القوة ، لان عالم السياسة وعالم الاقتصاد يرجع القوة في جميع الأحوال ، أما الجانب الثقافي فانه يرجح المنطق والعقل والفن في تقديره .

ولا أدل على ذلك من أن المثقفين يقبلون على الأعمال الأدبية الرفيعة ، سواء كان مصدرها أمة صغيرة أو كبيرة ضعيفة كانت أو قوية . فكم من أديب مرموق وهو في الواقع ينتمي الى أمة ضعيفة مستعمرة ، وكمثال على ذلك نذكر أسماء بعض الأدباء الذين نالوا شهرة واسعة لانهم قدموا أعمالا أدبية فرضت نفسها على من يقدر الفن والفكر ، كالاديب المعروف « مانوييل جاليتش » صاحب المسرحية المشهورة « سمك عسير الهضم » وهو أديب جواتيمالي . فانك حين تقرأ مسرحيته هذه لايسعك الا أن تكبره اعظم الاكبار ، اذ انه عالج مشكلة قديمة تطرق لها الكثيرون من القصاصين ، وتعني بها تلك التي تحدث لمن يطرأ عليه الغنى دفعة واحدة ، فيبقى على فطرته ، ولكن زوجته اجتذبتها الحياة الناعمة ، وعن هذه المشكلة ينتقد المؤلف هذه الطبقة التي تتنكر لماضيها ، وأجرى بين شخصيات روايته حوارا يدل على تمكنه وقدرته .

وهذا هو الأديب (نيقوس كازنتزاكي » الذي طبقت شهرته الآفاق ، والذي ترجمت رواياته الى عديد من اللغات ، ولقيت رواياته من الرواج مالم تلقه روايات أخرى في السنوات الأخيرة ، وقدمت مسرحياته في فرنسا والمانيا والسويد واليونان . وهو

أديب يوناني يمكننا أن نقول عن أمته بأنها أمة صغيرة ، لم يعد لها في دنيا السياسة مركز يخشى بأسه . واذا ما أتينا الى الأمة العربية فاننا نجد فيها أدباء ترجمت بعض آثارهم الأدبية الى عدة لغات ، كالدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم والطيب الصالح .

علما بأن الضعف يكتنف أقطار هذه الأمة مع الأسف الشديد . وهل نحن في حاجة الى القول بأن فئة كبيرة من أدباء الجزائر قد أصدرت آثارا أدبية استقبلت بكل تقدير يوم ان كانت الجزائر مستعمرة فرنسية .

بل نستطيع أن نقول ان الاهتمام بآثار أي أديب من الأدباء المثقفين المخلصين للثقافة لا يأتي لكون ذلك الأديب ينتمي الى أمة لها نفوذها السياسي أو الاقتصادي ، وانما يأتي لأن آثار ذلك الأديب تعني بأنه متمكن في فنه وقدرته ، بالاضافة الى أنه يعالج قضايا انسانية .

وأنا لم أطالب الدكتور حسام الخطيب بان يعطينا صورة متكاملة عن ذلك الحوار الثقافي ، الا لأنه ألمح بانه سيلخص اجتماع الجمعية العمومية لجمعية « الاسلام والغرب » في اشبيلية من ١٠ ـ ١٢/٩/١٩٨٤ وملتقى الحوار البرلماني العربي الاوروبي في سنته العاشرة في مدريد وغرناطة من ٦ ـ ٩/١١/١٩٨٤ ، ومما يدل على أن الدكتور الخطيب كان متابعا لهذه القضية المهمة مابثّه من نشر الصحافة اليومية لجوانب مما دار في الملتقين ، وهذا يحتم على كاتب المقال أن يعطي القارىء العربي تلخيص مانشرته الصحف من تعقيبات على مادار في الملتقين ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك .

والحق أنني لم أفهم ما الذي يقصده الدكتور كاتب المقال من قوله « من الملاحظ انه جرى التقرب من الحوار الثقافي في بادىء الامر بحماسة شديدة ، وذلك نتيجة لوجود شعور عام بما يمكن أن يؤدي اليه (تطبيع) المناخ الثقافي بين « الشرق والغرب » لان هذه الفقرة تعني بأن حوارا لم يجر بين المجتمعين ، وانما جرى اقتراب من الحوار ، والاقتراب شيء والتحاور شيء آخر كما لايخفى . ويبدو أن الذي منع الدكتور من تلخيص وقائع هذا الحوار تخوفه من اثارة الناس عليه ، بدليل قوله في فقرة طويلة « لكن التطورات اللاحقة أظهرت جسامة الصعوبات التي تعترض الحوار بوجه عام ، وتفرد الحوار الثقافي بمشكلات حساسة دينية وتاريخية وفكرية » .

وفي تصوري أن مجال الحوار مجال حر واسع ، طرح فيه بعض كتاب الغرب ماعلق في أذهانهم من شبهات حول الاسلام ، وأن المفكرين المسلمين المتحاورين معهم ردوا عليهم تلك الشبهات . ومن المحقق أن في تلخيص ذلك اثراء للعقل والمنطق ، بل ان في ذلك افهاما لنا كيف يتصور الغرب دين الاسلام الحنيف ، وفي هذا ما فيه من فوائد جمة ، ثم انني اعتقد بأن الحوار لابد أن يكون قد شمل تصور مستوى الفكر والفن عندنا بصورة عامة في أذهان أولئك الغربيين المتحاورين . واعتقادي هذا ناشىء من قول الدكتور حسام الخطيب نفسه « وجدير بالذكر هنا أنه نشأت خلال بضع السنوات الفائتة مؤسسات كثيرة بعضها رسمي وبعضها من عمل « جمعيات تطوعية » . فهل يمكن أن تعقد كل هذه المؤتمرات والاجتماعات الا لتعالج كل ميادين الثقافة ، وهي كما تعلم متعددة واسعة » ، وفي تقديري أن الدكتور كاتب المقال يشك شكا قويا في جدوى هذا الحوار لاننا نجده يتساءل قائلا«أفليس معظم الذين يناقشون الغربيين (من موقع أفكار شرقية) هم من المثقفين الذين تعلموا وتكونوا ذهنيا في الغرب ؟ وكثيرون منهم يفكرون برموزه ولغته ويترجمون الى العربية» ويعني هذا القول بأن الذين ذهبوا الى المشاركة في الحوار ليسوا مؤهلين للقيام بهذا العمل ، لانهم تعلموا وتكونوا ذهنيا في الغرب ، والكثير منهم يفكرون برموزه ولغته ويترجمون الى العربية .

واعتقد أن من حقنا أن نسأل عن كيفية ذهاب المشاركين من العرب في الحوار ، هل كانوا متبرعين ذهبوا دون أن يطلب منهم أحد ذلك ؟ أم أنهم مختارون من قبل جمعياتهم ومؤسساتهم التي تعرف أنهم يملكون رصيدا ثقافيا عربيا اسلاميا يجعلهم يفكرون تفكيرا عربيا اسلاميا ؟ والا فانها نكبة مابعدها نكبة . وهل توجد كارثة أعظم علينا من أن يذهب منا أناس للحوار مع الغربيين وهم يفكرون بذهنية غربية ؟

وبعد فان هذه ملاحظات بدت لي عندما قرأت مقال الدكتور حسام الخطيب ، رأيت ان أنشرها لأسمع رأيه فيها ، لما لمقاله من أهمية كبيرة . □

صدر حديثاً

فهرس
مجلة العربي
في ثلاثة أجزاء

ثمن الجزء الواحد ٢ دينار كويتي أو ما يعادلهما
يُطلب من وزارة الإعلام - المكتب الفني - ص ب ١٩٣ الكويت

وعن طريق موزعي مجلة العربي في الأقطار العربية

العربي - العدد ٣٢٤ - نوفمبر ١٩٨٥

العربي
عيونك على العالم

العربي تخترق أدغال صباح

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر

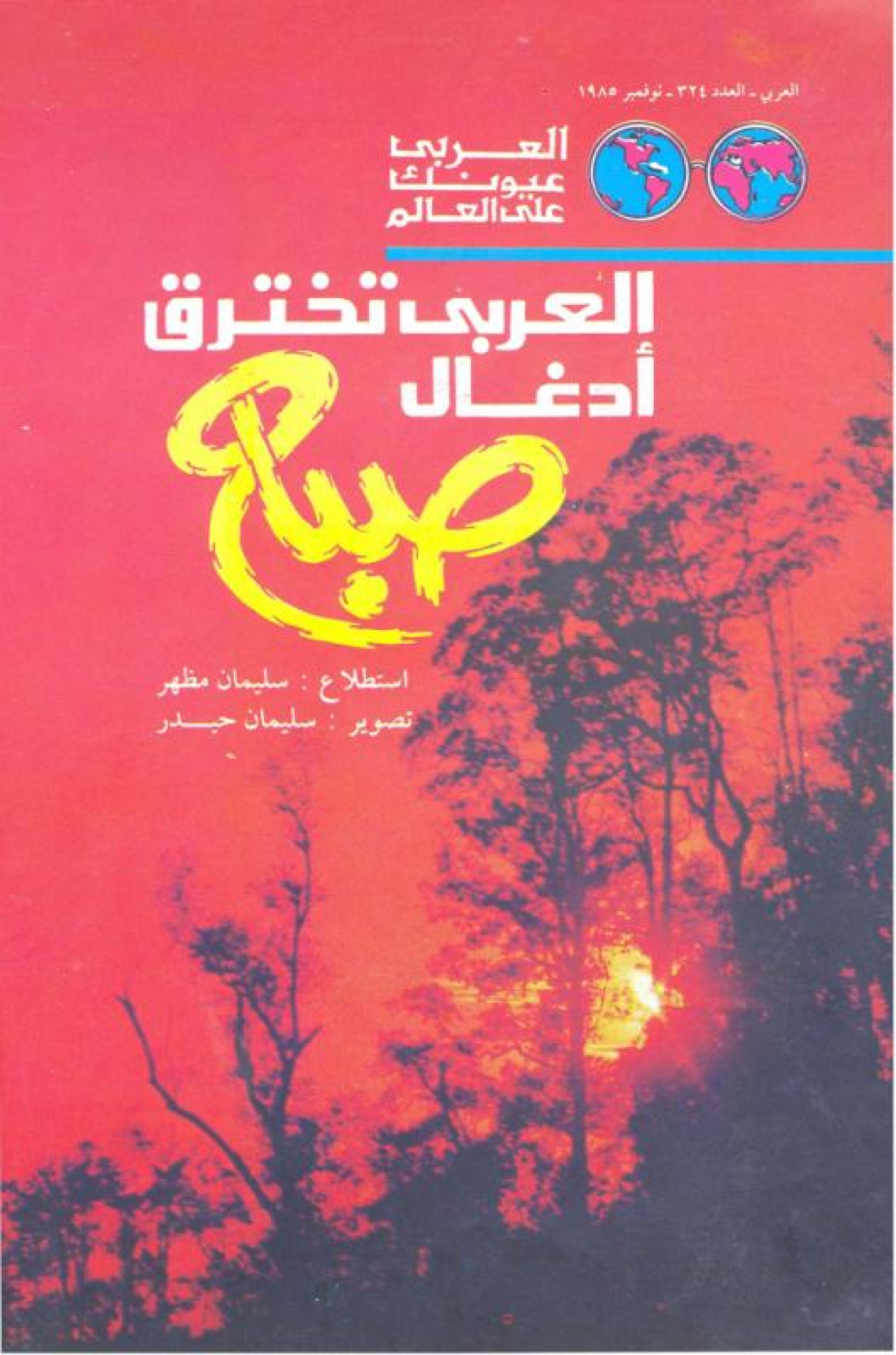

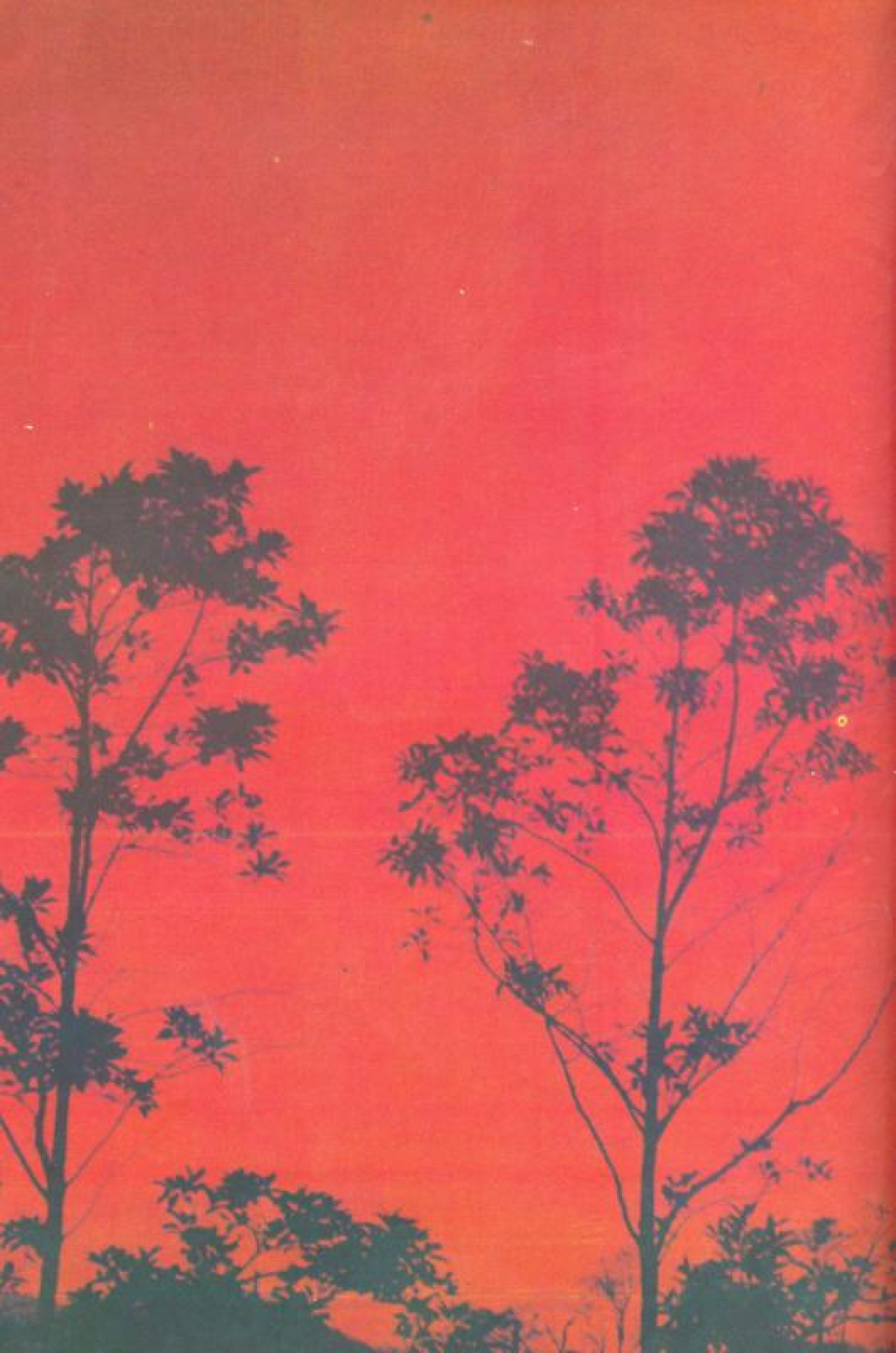

هل تمنيت يوما أن تعيش على الفطرة بين الأدغال ؟ . . وأن تشارك القبائل البدائية حياتها وهي تطارد فرائسها بالسهام المسمومة تنفخها بالفم من تجويف قصبة البامبو ؟ ! وهل جربت أن تنام وعيناك مفتوحتان على « ديكور » جماجم بشرية تتراقص على جدران الكوخ الذي تقضي فيه ليلتك ؟ ! وهل خطر ببالك ان تشهد بالعين والعدسة مدى الفارق بين جيل الاجداد الذين قدسوا أرواح الجبال والاشجار والاسلاف ورقصوا لها وهم في ملابس لا تكاد تغطي أسفل الجسد ، وبين جيل الأبناء الذين تفرقوا بين مختلف العقائد والديانات وارتدوا الجينز والقميص المشجر ، وانتقلوا من حضيض البدائية والوحشية الى قمة الحضارة والمدنية ؟

اذن . . تعال معنا ونحن نعيش وسط القبائل البدائية ونخترق الأدغال . . في أعماق « صباح » .

لبضع مئات من السنين ، لم يكن احد يعرف شيئا عن « بورنيو » .

تلك الجزيرة الغامضة التي تقع في قلب بحر الصين الجنوبي في جنوب شرق آسيا . . ممثلة ثالث اكبر جزر العالم . . ويحيط بها من الشمال تايلاند ، ومن الشمال الغربي شبه جزيرة الملايو وسنغافورة ، ومن الجنوب اندونيسيا بجزرها الرئيسية سومطرة وجاوة وبالي ، ومن الشمال الشرقي أرخبيل الفلبين . . .

وحدهم التجار الصينيون الذين كانوا يخوضون بسفنهم أمواه المحيط الهادي وبحر الصين الجنوبي . . هم الذين رسوا على السواحل الشمالية ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون اكثر من أنهم ـ في سبيل الحصول على الأحجار الكريمة والريش الذهبي والرؤوس العاجية لطائر « أبي منقار ملك الاسماك » ـ يتعاملون مع رجال القبائل الذين لا يكادون ينهون عملية المقايضة التجارية معهم ، حتى ينطلقوا عائدين الى اعماق الغابات حيث يختفون في الأدغال الكثيفة التي لا تخترقها الشمس .

وحين جاء المستعمرون الأوربيون وأقاموا لأنفسهم مستعمرات على السهول الساحلية ، لم يجدوا لديهم الجرأة قط ليخترقوا أعماق الغابات ، ولم يستطع رجالهم سوى أن ينسجوا من الخيال قصصا وأساطير عن أبطال من صيادي الرؤوس المتوحشين الذين وقعوا في الأسر . . ولكن حكاياتهم ـ إذا كان في بعضها شيء من الحقيقة ـ إلا أنها في أغلبها كانت مجرد خيالات واوهام . . !

دولة من أعماق المجهول

من خلال هذا الغموض وتلك الخيالات . . انبثقت دولة صباح . . بعد أن نفضت عن نفسها اسم « بورنيو الشمالية » الذي أطلقته عليها شركة شمال بورنيو الانجليزية . . التي راحت تتوسع في أراضي سلطنة بروناي وتسلخ منها بالقوة أجزاء كبيرة من مقاطعاتها في ظل الحماية البريطانية التي فرضت على مقدرات السلطنة . .

كان اعلان قيام دولة صباح ـ التي شملت كل الاقليم الواقع في منطقة الرأس الشمالي من جزيرة بورنيو ـ مع بداية الانسحاب البريطاني عام

١٩٦٣ . . واحتلت الدولة الجديدة مساحة من الأرض بلغت حوالي ٧٤ الف كيلومتر مربع ، في الوقت الذي كانت جارتها سرواك قد شغلت المنطقة الشمالية الغربية على مساحة تصل الى ١٢٥ الف كيلومتر . . وليشغلا معا بعد دخولهما في نطاق اتحاد ماليزيا الفيدرالي حوالي ثلث مساحة جزيرة بورنيو . . وأكثر من مساحة ماليزيا الغربية بولاياتها الاحدى عشرة في شبه جزيرة الملايو . .

وحين أخذنا وجهتنا الى « صباح » كان أقصى مانعرفه عنها أنها مثل بارز لمزيج متداخل من البدائية والمدنية . . وأنها « بلاد ما تحت الريح » وهو وصف اطلق عليها لأنها محصنة بوساطة الجزر الاستوائية المرجانية من الرياح والتيارات الهوائية ، حيث تطل سواحلها على بحر الصين الجنوبي . . الزاخر بالاسماك والأحياء المائية الاستوائية الرائعة . . وتمتلىء أجواؤها بزهور وفراشات وطيور نادرة زاهية الالوان بالغة الفتنة والجمال . . كما عرفنا أن في الاعماق منها تقوم أدغال كثيفة لاتخترقها أشعة الشمس ، بقدر ماتخترقها الانهار والجداول والمجاري المائية والمستنقعات ، وكل ذلك يجعل الانتقال بين أنحائها مقصورا على القوارب ذات المجاديف التي ارتقى بعضها الى قوارب بخارية ، ويجعل مساكن قبائلها متناثرة في مجموعات من الاكواخ يطلق على بعضها اسم « البيوت الطويلة » وعلى البعض الاخر اسم « القرى المائية » . . . .

غير أن الصورة الحقيقية لطبيعة حياة القبائل في أعماق الادغال ، لم يكن من الممكن أن ندركها تماما إلا بعد أن اتيحت لنا الفرصة لاختراقها . . وبعد أن قمنا بزيارة العاصمة « كوتاكينا بالو » ومايحيط بها من مدن . . حيث شهدنا مظاهر التقدم والتطور الذي يعيشه الناس في المدينة الحديثة . . واطلعنا على المعالم البارزة التي استقطبت سكان الادغال واخذت بيدهم على مدى سنوات قليلة . . لينطلقوا على طريق الحضارة والمدنية . .

كوتاكينا بالو :

كان هذا هو أول مافعلناه منذ لحظة هبوطنا في مطار « كوتاكينا بالو » . . عاصمة صباح . لأول وهلة ، ونحن في الطريق من المطار الى مكان إقامتنا ، انطبعت في أذهاننا تلك الصورة المشرقة لمدينة غاية في الهدوء والنظافة والاناقة . . تبدو كفتاة في ميعة الصبا ، فتحت عينيها مع بداية يقظتها على مستقبل مشرق بالنور والأمل . . وتأكدت هذه الصورة حين وجدنا أنفسنا ننزل أجمل منتجع صيفي في شكل جنة . . يحمل اسم « بوفورت تانجونج ارو » .

لاتعجب لهذا الوصف . . فالمنتجع لم يكن حين أنشيء يستهدف استقبال الزوار أو السائحين العاديين . . فقد شيد خصيصا ليكون مقرا ملكيا لراحة ثلاثة عشر من السلاطين واستجمامهم مع اسرهم ومرافقيهم بالاضافة الى ١٢٨ مسئولا من قادة الحكم .

فهنا . . في هذا المنتجع الرائع ، والذي يعد أروع فندق على اتساع جنوب شرق آسيا ، نزل سلاطين الاتحاد الفيدرالي الماليزي خلال مؤتمر حكام الولايات الذي عقد في اكتوبر ١٩٨٣ . . فكانوا اول ضيوف ينزلون في المنتجع الملكي الذي شيد على مساحة ١٤ هيكتارا من الاراضي الساحلية على أجمل بقعة من شاطيء خليج تانجونج آرو ، وصمم على اساس أن تتوافر له الفخامة اللائقة بالملوك . . والمتعة التي يسترخي معها الحكام وهم يطلون من شرفات غرفهم على مشهد الشاطيء ، بجزره التي تشكل حدائق خضراء رائعة تتناثر على صفحة المياه الزرقاء . . وتتوسطها حمامات سباحة ذات أشكال دائرية تحيط بها شاليهات من البامبو صممت على أحسن الصور وأبهاها . .

وتبدأ جولتنا في كوتاكينا بالو . . .

المدينة كانت تحمل من قبل عدة اسماء ، ونسجت حولها اساطير ومغامرات . ومنذ قيامها تعرضت اكثر من مرة للتدمير . . وكانت كلما دمرت عادت مرة أخرى لتنهض من جديد . . واول ما تلمست لنفسها مكانا في الخريطة على خليج جايا حملت اسم « آبي آبي » بمعنى « النار النار » . فقد كان القراصنة وهم يجوبون شواطيء شمال بورنيو قد اتخذوا من القنوات الممتدة بين الجزر المرجانية الصغيرة القريبة من السواحل ملاجيء لبقايا سفنهم الحربية ومستودعات لتخزين ما يستولون عليه في أثناء غاراتهم ، وحين ازداد تكدس القوارب والسفن القديمة ومحتويات المستودعات المستهلكة وراحوا يبحثون عن ملاجيء أخرى . . أشعلوا النار في المساكن والبيوت والاكواخ والمستودعات . . فكانت التسمية التي أطلقت على المدينة منذ ذلك الحريق الكبير . .

ومرة أخرى قامت المدينة من جديد تحت اسم « سنجاماتا » حين اراد المستعمرون الانجليز ان

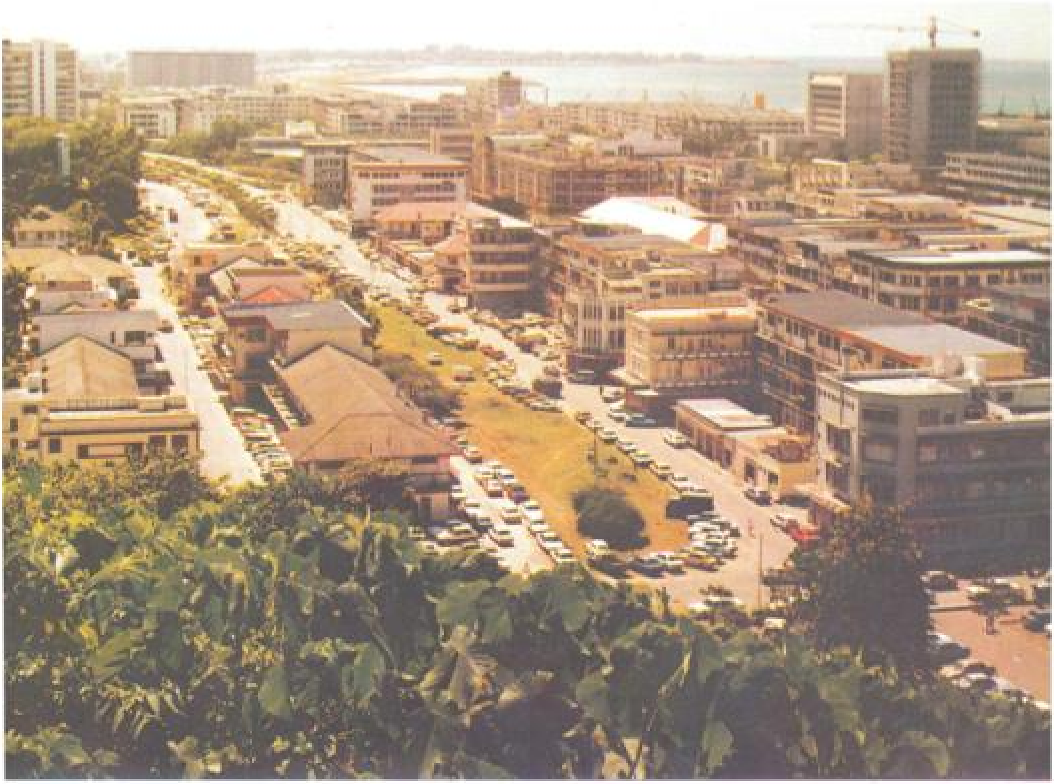

● العاصمة كوتاكينالو . . . المدينة الحديثة التي دمرت أكثر من ست مرات . . . . لتعود كل مرة في ثوب جديد . . وباسم جديد .

● (الى اليسار) فتيات وفتيان من قبائل المووروت في الملابس التقليدية . . . . وفي الخلف احد البيوت الطويلة التي تسكنها القبائل في قلب الغابة العذراء . (وفي الوسط) ثلاث فتيات من الكادازان خلال الاحتفال بموسم الحصاد (والى اقصى اليسار) زهرة الكادازان . . . وزهرة من الاوركيد .

● برج بايا سين . . رابع برج دائري في العالم . . . ومنه تنطلق كل اشعاعات التطور والتقدم لتصنع الحياة الجديدة . . لشعب يتطلع الى المستقبل .

يقيموا مستوطنة لهم على الشاطىء لتكون مركزا لتجارتهم ومخازن لبضائعهم .

ولكن خلال الثورة الوطنية التي قادها الزعيم محمد صالح ضد الانجليز تم تدمير المنطقة كلها عام ١٨٩٧ . ومن جديد اقامت شركة بورنيو الشمالية البريطانية مدينة في نفس المكان ، أطلقوا عليها اسم « جيسلتون » نسبة الى رئيسها تشارلز جيسيل ، وصارت ميناء تجاريا خطيرا يحظى بأهمية كبيرة ألجأت اليابانيين الى ضربها وتدميرها عام ١٩٤٥ خلال الحرب العظمى الثانية بقنابلهم .

وعلى انقاض المدينة التي تناوبها الدمار لاكثر من مرة ، قامت عاصمة صباح الجديدة بتخطيط هندسي دقيق على مساحة من الأرض تبلغ ٣٥ الف هكتار ، ليصل عدد سكانها الى ١١٣ الف نسمة ، ولتزداد اتساعا مع امتداد العمران على جانبيها ودخول القرى المجاورة في نطاقها . . وسميت في هذه المرة « كوتاكينا بالو » نسبة الى جبل كينا بالو العظيم الذي يشرف عليها من الجنوب . . بينما يستلقي حيثما امتد البصر ذلك الشاطىء الفضي الرائع الذي تحتضنه الامواج بلطف ، وذلك الأفق الصافي الذي لايشقه سوى مشهد الجزر المرجانية الصغيرة والشمس المنحدرة نحو الغروب .

القرى المائية :

تكاد « كوتاكينا بالو » أن تكون اكثر المدن ضيقا وازدحاما بالسكان في آسيا .

الشوارع تمتد موازية لشاطىء البحر لعدة كيلومترات ، ولاتكاد تنحني عند أي ركن حتى يجد المرء نفسه صاعدا او هابطا الى قناة ماء ، وعلى سفوح التلال الخضراء تقوم شاليهات « البانجالو » المبنية على أحدث طراز أوروبي فاخر ، ووراءها تلك اللوحة الخلفية من خطوط اشجار الغابة وألوانها . . بينما يستلقي الميناء ومن حوله مجموعات الجزر المسترخية في إغفاءة على صفحة الماء .

وفي وقت الأصيل تمتلىء الشوارع والساحات والملاعب بتلاميذ المدارس وهم يمارسون لعب كرة الهوكي أو البولو . . ويسير الناس في نشوة وهدوء وهم يحدقون في مشهد الغروب على الطريق الساحلي حيث المتعة الرئيسية للأهالي مساء كل يوم . . وباعة الخضر والفاكهة الصينيون يفرشون سلالهم على الجانبين . .

وعندما يهبط الليل فإن كوتاكينا بالو تبدو مدينة بعيدة كل البعد عن الابهار والاضواء والصخب الذي تزخر به جارات لها مثل هونج كونج وسنغافورة . . فلا شيء هناك غير ممارسة المشي أو الجلوس على المقاهي المتناثرة في كل ركن من اركان الشوارع ، وتدور عيناك مع حركة فتيان قبائل الكادازان في بنطلونات الجينز والقمصان المشجرة وهم في طريق عودتهم راكبين دراجاتهم البخارية . وقد تتناثر هنا أو هناك بعض النوادي الليلية التي تتمثل فيها حين تدخلها ظلمات الغابات التي تخترقها أضواء ضئيلة لشموع متناثرة . . . أو بطاريات يقودك على ضوئها النادل ليدلك على مائدة خالية . . اما القرية المائية التي تحتل مساحة كبيرة على صفحة النهر حيث تعيش مجموعات من الأسر الصينية . . فقد كانت ذات يوم غير بعيد هي كل مايعمر المنطقة قبل أن تقوم المدينة ، وهي مازال تحمل بقايا ذكريات قبائل الباجاو الذين كانوا يسكنونها حين كانوا يصطادون السمك أو يزرعون الارز . . ولم يكن لهم اعتماد بعد ذلك الا على مايغنمه القراصنة .

الآن احتل اكواخ القرية أحفاد المهاجرين الصينيين الذين جاءوا منذ ايام كوبلاي خان . . واصبحوا يشكلون اليوم نسبة تقل قليلا عن ثلث سكان صباح . . وفي المناسبات الكبيرة مثل ذكرى العيد الوطني أو استقبال المجموعات السياحية ، فإنهم يرتدون ازياءهم الوطنية بينما هم في حياتهم اليومية يحرثون حقول الارز ويشقون ويعملون في المصانع ويمارسون التجارة بمختلف انواعها بما في ذلك الاخشاب وزيت النخيل والفلفل والكاكاو وأم الريان . . وهي التي يعتمد عليها اقتصاد البلاد .

وقد كان الصينيون يشكلون ثقلا اقتصاديا مهما بين السكان أيام الحكم البريطاني . وبعد أن استطاعت الشركات اقامة صناعات الاخشاب والتجارة ، اتجه الصينيون القدامى الى هذه الصناعة وأصبحوا من أبرز الخبراء العاملين في هذا الميدان ، وقد عمل الصينيون على التجمع في مناطق معينة وتكوين مجتمعات منفصلة عن الآخرين ، وأقاموا معابدهم الخاصة بهم ومدارس لتعليم ابنائهم واصبحت لهم احتفالاتهم ومناسباتهم ، وما زالوا حتى الآن يقيمون المعابد الكثيرة ويتابعون ممارسة عاداتهم وتقاليدهم ويشاركون في المناصب الرئيسية وعضوية المجلس الوطني ويسهمون في مختلف الاعمال الاقتصادية والسياسية والخدمات العامة .

أضخم برج دائري :

لايسعك وأنت تسير في شوارع كوتاكينا بالو الا أن تتعلق بنظرك الى « برج باياسان » رابع أضخم برج دائري في العالم ، البرج هو المقر الرئيسي للدولة ويطل على خليج ليكاس . وهو ليس برجا قائما على ساق يحمل في أعلاه كرة أو صينية دائرية كما هو معروف عن أبراج أشهر مدن العالم ، ولكنه بناء متكامل من أسفله الى قمته يقوم على مساحة من الأرض تبلغ حوالى ٧٠ الف متر مربع ، جميع أدوار البرج ذات واجهات مضلعة الشكل يبلغ عددها ٧٢ واجهة تدور حول المبنى من أدناه الى أعلاه . . والجدران كلها من الزجاج السميك العاكس (المدخن) المقاوم للحرارة والبرودة ، ولسرعة رياح تبلغ ١٧٠ ميلا في الساعة ، وعدد الالواح الزجاجية يبلغ ٢١٦٠ لوحا . وللبرج عمود تحكم واحد رغم ضخامته وطوله ، وتتدلى من قمته سنادات من الحديد الصلب نصف القطري عددها ٩٦ عمودا تحمل ثلاثين طابقا ، أعلاه طابق دائري يدور على المحور الرئيسي حيث مكتب رئيس وزراء الولاية . وفي الأيام التي تصفو فيها السماء فإن الجدران الزجاجية للبرج تعكس صورة جبل كينابالو العظيم ، بينما في الأيام العادية تعكس الألوان المتباينة لصفحة السماء بألوان غيومها من الفجر حتى الغروب .

ومنذ بدأ انشاء برج باياسين عام ١٩٦٦ وهو يؤدي دورا متميزا في حياة الحكام والشعب في صباح . . ففي طبقاته الثلاثين توجد وزارات الدولة واغلب المؤسسات العامة والادارات التي تعمل من أجل التقدم والتطور العلمي والتقني والحضاري والثقافي والتعليمي والاجتماعي والاقتصادي ،

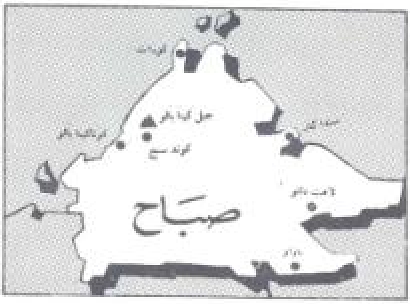

خريطة تبين موقع صباح بالنسبة لجزيرة بورنيو . . وشبه جزيرة الملايو (ماليزيا الغربية) .

وينبثق منها كل ما يتبع منح التسهيلات والخدمات لابناء الشعب . شرح لنا مدير الاعلام ـ ونحن ننتظر لقاء رئيس الوزراء في الطابق الثلاثين ـ أهمية الدور الذي يلعبه برج ساسان فقال :ـ

ـ ان الدور الرئيسي هو تأكيد التطورات الحضارية والتنموية التي تجري لصالح شعب صباح مع التوسع الكبير في الأنشطة التي تتصل بحياة الناس وابراز الجهود الحكومية في تطوير الدولة ، واضافة الى ذلك فهو يضم مركزا للمعارض الفنية والثقافية ومسرحا للدولة ومكتبة عامة ومركزا للبحوث مزودا بكل اجهزة البحث العلمي والمواصلات اللاسلكية لتتيح الاتصال بجميع مراكز البحوث في مختلف انحاء العالم .

وأشار مدير الاعلام من فوق قمة البرج الى مجموعة من المباني الحديثة الممتدة على مساحة كبيرة من الأرض وهو يضيف :ـ

هذه المباني هي جامعة مالا للتكنولوجيا على مساحة

● الصعود الى سفح الجبل فى الطريق الى السوق . . . والسلال المليئة بالفاكهة والخضروات تكاد تقصم الظهور . (والى اليمين) وجه معبر من الاصول الملاوية فى صباح .

● هنا .. مركز تحميد المدمنين .. حيث أحدث وسيلة للعلاج .. بالاقتراب من الله ..

٣٠٠ هكتار وتكلفت حتى الآن حوالي خمسة ملايين من الدولارات وهي تستوعب حوالي الفي طالب ، ومن هنا ينبثق الاشراف على التعليم في الولاية حيث الدراسة في جميع المراحل بالمجان وتمنح التلاميذ الملابس والاحذية والكتب المدرسية والاجهزة العلمية، مع الرعاية الصحية والغذائية واللبن اليومي

مسجد الدولة :

ولعل من ابرز معالم العاصمة ايضا المسجد الوطني الكبير ذو القباب الذهبية والمئذنة المدببة التي يعلوها الهلال والنجمة ، وقد أنشيء المسجد في عهد رئيس الوزراء الاسبق داتو حاج مصطفى هارون وافتتحه ملك اتحاد ماليزيا يحيى بن السلطان ابراهيم يوم ٢٨ يونيو ١٩٧٧ ، قاعة الصلاة في الطابق الثاني فسيحة حيث تقوم القبة الرئيسية على اعمدة من المرمر ، والى جانب اقامة الصلوات في مواقيتها تعقد كل ليلة لقاءات تلقى فيها دروس القرآن والتفسير والحديث واللغة العربية ، وهناك قسم خاص للنساء يطل على صحن المسجد حيث شاهدنا مئات من طالبات المدرسة العالية التي أنشأتها « حاجة رحمة » وهن يؤدين الصلاة ثم يشاركن في الاستماع الى الدروس الدينية والاستفادة من المكتبة الاسلامية المقامة في الطابق الأول بالاضافة الى ديوان الامام والقاعة الخاصة بالمحاضرات .

جبال كينا بالو :

من يزور صباح لابد له من رحلة الى جبال كينا بالو ، السيارة اللاندروفر تقطع بنا طريقا طوله ١٣٠ كيلومترا وكأنه ثعبان ضخم على سفح الجبل حتى نصل الى المتنزه الوطني على ارتفاع حوالى ١٧٠٠ متر فوق سطح البحر . على جانبي الطريق وقرب القرى التي تعيش فيها قبائل الكادازان والباجاو نشاهد قوافل الطلاب والطالبات ، والملامح الصينية هي الطابع الواضح على وجوههم ينطلقون صعودا وهبوطا على سفح الجبل الى مدارسهم . ونساء الكادازان يحملن أحمالهن فوق ظهورهن في سلال كبيرة مربوطة بأحزمة الى رؤوسهن وهن يصعدن السفح . الغالبية منهن عجائز تملأ وجوههن تجاعيد الزمن وشقوة الحياة . أحمالهن من الخضراوات والفاكهة يحملنها الى سوق القرى أو الدكاكين القائمة على جانب القرية المطل على طريق الصعود . على طول الطريق تقوم أسواق الكادازان حيث تفرغ النساء أحمالهن من الأقفاص والسلال . والبائعات في السوق لايجدن حرجا في بعض الأحيان من ترك الفاكهة والخضروات والى جوارها صندوق صغير للنقود ، تاركات أمر الشراء ودفع القيمة لأمانة المشترين .

ونصل الى المتنزه الوطني حيث بعض الراحة والاستعداد للصعود على طريق القمة .

الصعود الى القمة يبدأ على دروب ضيقة صاعدة على درجات من فروع الاشجار تمتد تحت ظلال الغابة الخضراء على اتساع السفح .

يقوم جبل كينابالو بارتفاع ٤١٠٠ متر . . وهو بذلك يعد أعلى الجبال في جنوب شرق آسيا . . حيثما وليت وجهك وأنت تدور حول ولاية صباح ، فستجد دائما أن ناظريك معلقان بذلك المشهد للجبل الذى يمتد على طول البلاد وتبدو قمته الشامخة من كل مكان .

وقد يثير الاستغراب أن هذه القمة الضخمة أصغر من الصخور المحيطة بها . وهم يسمون هذه القمة الجرانيتية باسم تنكو عبد الرحمن الأب الروحي لماليزيا . . وتبرز الى جوار القمة قمتان أصغر منها يسمونها « أذني الحمار » اذ يبدوان على نفس الشبه ونحن نطل الى القمة أول الأمر نتأملها مع الفجر من نافذة فندق باركازا القائم وسط الجبل غير بعيد من المتنزه الوطني .

مواطن أرواح الاسلاف :

تعتقد قبائل الكادازان (الدوسون) ان هذا الجبل العظيم إنما هو موطن أرواح الاسلاف قائلين ان اسمه مشتق من كلمة « أكي نابالو » وهي تعني « مكان الخلود للموتى » .

ولا يزال البعض يؤكد أن ارواح الأسلاف تحيط بمنازلهم وتحوم حولها قبل أن تنطلق في رحلة الخلود وراء قمة جبل كينابالو . . وترتفع صرخات العجائز في القرى وهن يودعن الميت في جنازته ويرفعن ايديهن الى بعيد في دعاء واشارة كأنها تطلب من الروح الابتعاد بسرعة عن القرية فلا تسبب ازعاجا لأهله ، وهن يذبحن ذكر الجاموس قربانا قبل دفن فقيدهن لمساعدته على سرعة الرحيل . .

أما في مواسم الحصاد فيحتفل الكادزان احتفالا كبيرا يقوده الكهنة الدينيون لتقديم الشكر لروح الارز التي غمرتهم بالبركة والرزق الوفير .

ففي ساعة الغروب في يوم محدد يرتفع صوت غريب كأنه قادم من السماء . تتبعه هتافات نسائية . انها الأغاني والترانيم التي تقودها الكاهنات العجائز وهن يحيين الاله الخالق « كينو تيجان » الذي ضحى بابنته الوحيدة « هيمبودان » حتى لا يموت الناس من الجوع . وكما يعتقد الكادازان فإن الأرز نبت وتغذى على ذرات جسد ابنة الاله التي نثرها فوق الأرض وتجسدت روحها فيما يسمونه « البامبازون » التي منحت الشعب حصادا وفيرا يؤمن لهم حصادا أكثر وفرة في العام التالي . وتستمر الأغاني والأناشيد والرقص وتقديم القرابين طوال الليل في احتفال بهيج يأكل فيه الجميع حتى تشبع روح الأرز . فتغذى الارض من جديد من أجل حصاد قادم وفير .

العروس تحولت الى صخرة :

ان أول من تسلق جبال كينابالو وسجل الحدث في عام ١٨٥١ كان « هونج بو » المقيم البريطاني في جزيرة لابوان . . وقد أطلق اسمه على رأس أعلى قمة في الجبل برغم أن مغامرته لم تصل الى هذه القمة . .

وهناك قصة تروى حول تسمية كينابالو . . وترتبط بقدوم الصينيين الى صباح قبل قرون وامتزاجهم بالأهالي ومصاهرتهم . ومن المحتمل أن « كينا » مأخوذة عن « تشاينا » ، أما « بالو » فتعني « العروس » ويقال ان أحد الامراء الصينيين تسلق الجبل خلال بحثه عن ماسة ضخمة كان يحرسها الدراجون (التنين) الذي يقيم في قمته . وبعد ان قتل التنين واستولى على الماسة تزوج الأمير من فتاة من الكادازان . ولكنه اضطر الى هجرها وعاد فورا الى الصين . ويقال ان العروس كانت تذهب الى روح الجبل حيث تبكي وتنوح على زوجها الذي فقدته . . وقد ظلت كذلك حتى تحولت الى صخرة . .

ان نصف الزهور المعروفة في العالم هي من نباتات جبل كينابالو بما في ذلك كل أنواع زهور الاوركيد . . أكثر من ألف نوع من الاوركيد توجد هنا . . وهناك اكتشافات حديثة أيضا . . ولعل شهرة كينابالو جاءت من صادرات الاوركيد الى جميع أنحاء العالم . وعلى سفوح الجبل تنتشر هذه الزهور بألوانها الزاهية بين الأحمر والأبيض . وعلى سفوح كينابالو تنمو أنواع من النباتات هي أروع من كل النباتات في أي مكان في العالم .

أما عن الفراشات فهناك أكثر من ألف نوع من الفراشات الزاهية الألوان في صباح ، أغلبها على ارتفاعات تتجاوز الألفي متر . . ولكن بعضها أمكن مشاهدته على ارتفاعات تصل الى ثلاثة آلاف متر على جبل كينابالو .

مركز تخميد المدمنين :

والآن . . تعال بنا نخترق غابات السفح وننطلق في اللاندروفر في منطقة كنداسنج لنزور أول مركز من نوعه لتخميد مدمني المخدرات .

التجربة مثيرة حقا . . والمركز الذي أقيم لتنفيذها عبارة عن عشرة أجنحة تتسع لحوالي ٢٠٠ مريض ومدمن بالاضافة الى حديقة واسعة وملاعب رياضية وصالة للمحاضرات والندوات وورش صغيرة لممارسة الهوايات وتعلم الحرف اليدوية المختلفة .

الهدف من إنشاء المركز ان يكون مصحة نفسية لعلاج المدمنين . . هنا لا أطباء ولا ممرضين ولا أدوية ولا حقن ولا ارغام على شيء . . حتى حرية الحركة متاحة للجميع ما عدا الابتعاد كثيرا عن المنطقة . . فعندئذ . . لن يترك لهم الحراس المدنيون الفرصة ، وحتى لو أرادوا فمن الصعوبة بمكان أن يجدوا من يحملهم أو ينقلهم بعيدا . . فلا مواصلات ولا أي وسيلة انتقال ، وسفح الجبل لن يسمح لهم بالذهاب بعيدا سيرا على الاقدام .

العلاج يعتمد على إتاحة الفرصة للمدمن ان يفكر في الله . . والا تكون لديه من شواغل الحياة ما يبعده عن الاسترخاء والتأمل والتفكير . . كما أنه سيعتاد على استحالة وجود أي مواد مخدرة أو مسكرة أو تهريبها ، حتى ولو أحس بالحاجة الملحة اليها في أيام المعاناة الاولى لوجوده في المركز ، مما يجعله يستسلم للحياة الطبيعية مع توفر الغذاء والشراب الطبيعي وعصير الفواكه المعد له باستمرار ، بحيث تنقطع الصلة تماما بينه وبين كل عاداته القديمة . . هنا ومن خلال دروس ولقاءات دينية يجد نفسه مع الفراغ الذي يحيط به منقادا الى حضورها والاستماع اليها . وهي تستهدف هدايته الى الفضائل الدينية والى وعيه بالمضار التي كانت تلحق به خلال فترة ادمانه . . وشيئا فشيئا يبدأ المدمن الاعتياد على الحياة العادية

• الصغار بمظلتهم فى الطريق الى المدرسة .. والأم تحمل رضيعها على ظهرها حسب الطريقة التقليدية حتى لايشغلها وهى تجوب السوق .. (والى اليسار) مزرعة الشاي .. والايدى تجمع الاوراق الخضراء تمهيدا لنقلها الى المصنع .

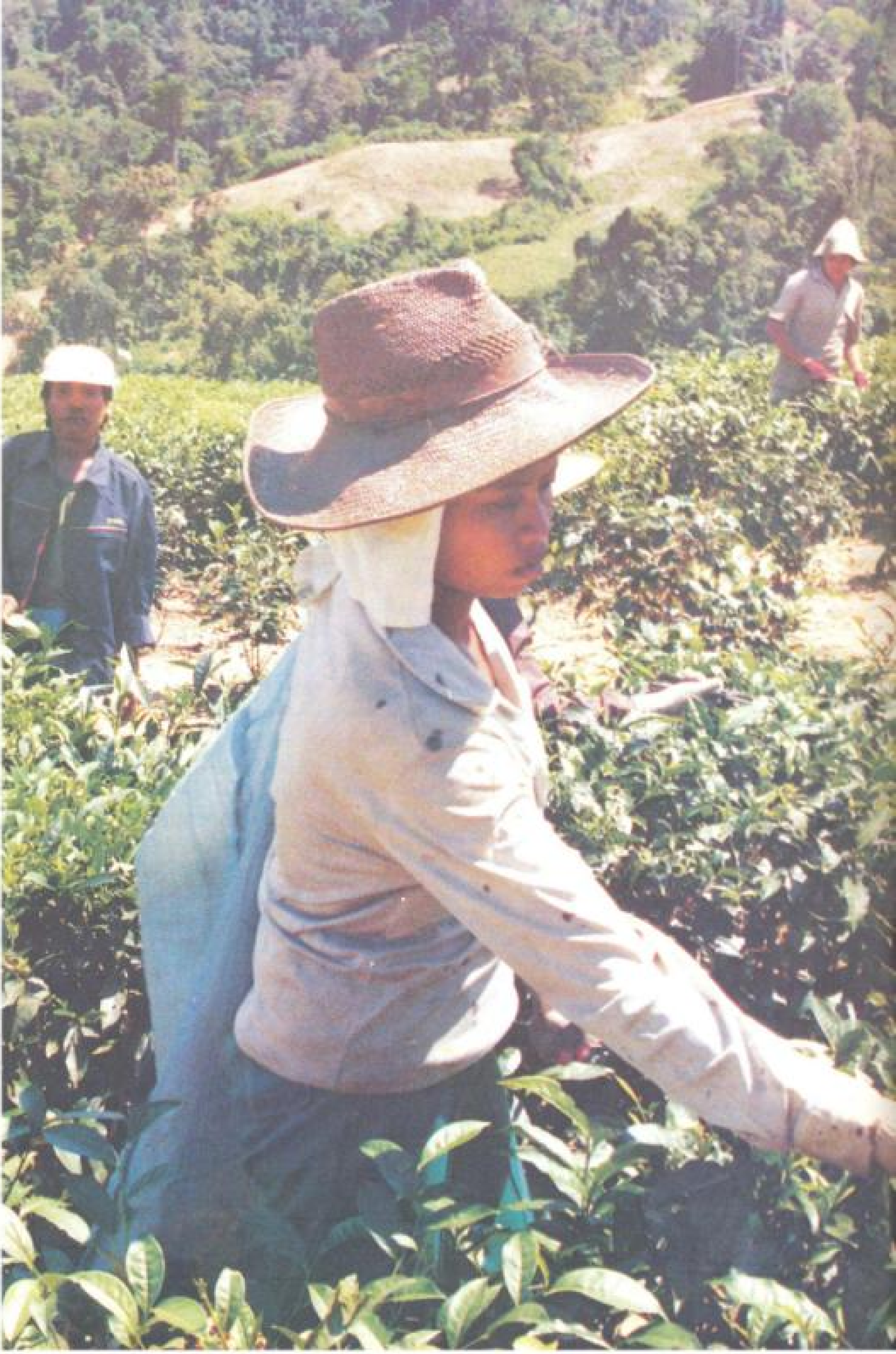

حتى يصبح عاديا في تصرفاته ، فيتولى المركز بعد ذلك رعايته ومتابعته لفترة محدودة ، مع إتاحة فرصة العمل المناسب له حتى يُطمأن الى أنه قد برىء تماما من الادمان القديم .

شاي صباح :

نعود مرة أخرى الى الانطلاق على سفح الجبل منحدرين الى دائرة ريناو . .

هنا نشهد تجربة مثيرة أخرى . . زيارة مصانع « شاي صباح » . التجربة بدأت قبل حوالي أربعة أعوام فقط حين التقى رئيس الوزراء داتو حارث محمد صالح مع أحد المهندسين الزراعيين المتخصصين في مصانع الشاي بسيريلانكا . كان المشروع الذي عرضه على المهندس هو إمكان زراعة الشاي وتصنيعه في صباح ، وعلى الأخص ان هناك ظروفا طبيعية ومناخية متشابهة بين مناطق زراعة الشاي في سيلان وبين بعض مناطق صباح . وتم التعاقد على تنفيذ التجربة . . وجرى استصلاح مساحة كبيرة من أرض الغابة بعد إزالة أشجارها في منطقة ريناو . . وبدأ جهد كبير يقوده مدير المزرعة السيلاني بقدرته على اجتذاب العاملين ومعاملتهم بطريقة تحببهم في العمل . وبذل أقصى الطاقة من أجل إنجاح المشروع ، وكان وراء هذا النجاح قدرة ادارية مميزة واسلوب مثالي في التضحية والبذل لا يقدر عليه الكثيرون ، وجرى تمهيد الارض وزراعتها بينما كانت الالات تستورد لاقامة المصنع . وبدأ العمل الانتاجي بالفعل بعد سنتين . . وكانت النتيجة رائعة . . وبدأ ظهور أكياس « شاي صباح » في الاسواق منافسا لأشهر شاي في العالم « شاي سيلان » .

خلال جولة في اللاندروفر مع مدير المصنع لمشاهدة مناطق زراعة الشاي الممتدة على سفح الجبل قال لنا ان شجرة الشاي عادة تعيش في الارض أكثر من عشر سنوات . . وجذع الشجرة غليظ قوي وأوراقها تشبه أعواد الملوخية . . وقطف أوراق الشاي يتم على مراحل كما ان زراعة الشجرة يتم في فسائل تحت حضانات مظللة ، حتى إذا نمت بشكل جيد بدأ غرسها في الارض ، فإذا كبرت الأشجار بدأت النساء في قطف الأوراق حيث ينقلها العمال في عربات الى المصنع ، ومن ثم يتم قطف الاوراق وفصلها عن السيقان .

ونشهد مراحل التصنيع . . بوضع الشاي الأخضر على ألواح تمر على سطح آلة تتعرض للهواء الساخن الصناعي لتخفيف الرطوبة الموجودة في الأوراق . تبدأ بعد ذلك مرحلة ثانية بوضع الشاي الذي خفت رطوبته في آلة تشبه آلة العصير لتحطيم الأوراق وعصرها حتى تصفى بقايا العصارة الموجودة فيها . . أما الناتج بعد ذلك فينقل الى آلة كهربية لتخفيف بخار الماء بحيث لا يتبقى إلا الشاي المركز فوق الأوراق المعتصرة المحطمة ، والذي يدخل في أفران كهربية تهزها هزا شديدا وبصورة مستمرة حتى تصل نسبة الرطوبة الموجودة في الشاي الى أقل من ٢٪ . هنا تكون الأوراق المطحونة المجففة قد تحولت الى لون قريب من اللون الاسود . . فينقل الى ما يشبه المصفاة أو « الغربال » الذي يهزه بشدة ويغربله ، فينزل الشاي الناعم الى الأسفل ليتم جمعه ولتعاد البقايا الخشنة لتحطيمها من جديد . . ثم يمر الشاي الناعم في عملية تجفيف أخرى في الهواء العادي ، لتجيء بعد ذلك مرحلة مهمة هي عملية معرفة رتب الشاي ودرجاته . وتحديد لونه ورائحته وتجربة مذاقه بمعرفة خبير « ذواقة » خاص يستطيع بحساسيته وخبرته ان يضع كل التقديرات الخاصة بنوعية الشاي ، قبل أن تدخل الكميات الجاهزة في آلة تدور لتملأ علبة الشاي المعدة ، أو لتوضع في الأكياس الصغيرة ، وهي عملية تتم بالأيدي بعد ذلك عند التعليب . .

وهكذا يخرج الى الاسواق . . شاي صباح . .

البدايات . . والقبائل . . والأدغال :

الأصول السكانية في صباح ـ والتي يبلغ عدد سكانها مليون و ٣٠٠ ألف نسمة ـ هم من الدوسون الذين فضل احفادهم ان يطلقوا على أنفسهم اسم « الكادازان » وهم يشكلون نسبة ٢٨٪ من السكان . . أما الصينيون الذين جاءوا الى صباح واستوطنوها فنسبتهم ٢١٪ بينما الملاويون المسلمون يشكلون ١٠٪ يضاف اليهم قبائل الباجاو المسلمة وتتجاوز نسبتهم ١٠٪ وكذلك مجموعات أخرى قليلة من الفيليبينيين والباكستانيين والاندونيسيين مما يجعل نسبة المسلمين تصل الى حوالي ٤٠٪ من السكان . وهناك مجموعات أخرى قليلة من أعراق مختلفة مثل الرونجوس والموروت . واذا كانت أعداد كبيرة من أبناء هذه الجماعات قد انتقلت من أعماق الغابة لتعيش حياة التحضر والمدنية في العاصمة والمدن

الكبرى ، إلا أن الذين بقوا في المناطق الداخلية والأدغال ما زالوا يعيشون حياة بدائية أولية منعزلين في الغابات والمناطق المستنقعية . وقد عمل المهاجرون الجدد ، الذين وفدوا من إقليم جنوب شرق آسيا من أندونيسيا وجاوا ونتجار الى جانب الصينيين والملاويين ، على استغلال الاراضي في الانتاج الزراعي وخصوصا بعد التطور والتحديث الذي أدى الى إزالة مساحات كبيرة من الغابات لتقوم محلها أراض زراعية ، ومن أهم الغلات المزروعة بالبلاد الارز والذرة وقصب السكر وجوز الهند وزيت النخيل ، كما يشتغل بعض السكان بقطع الاخشاب من الغابات الواسعة في البلاد وهي صناعة ازداد ازدهارها مع تطويرها تحت الاشراف الحكومي ، وتمثل الاخشاب أكثر من نصف قيمة الصادرات السنوية لصباح . . .

اختراق الأدغال :

الآن . . أتيحت لنا الفرصة لاختراق الأدغال . . واللقاء مع القبائل التى تعيش في المناطق الداخلية في أعماق صباح .

كنا نتنقل من تامبونان الى كينتجاو عائدين من منطقة كونداسنج وكيناباللو حيث التقينا بالأغلبية السكانية من قبائل الكادازان والذين ما زالت اصول منهم تتمسك بالاسم القديم « الدوسون » . وخلال الطريق الذى ستنحرف منه أكثر من مرة لاختراق الادغال وزيارة القبائل حدثنا مرافقنا العلامة الشيخ على الدين فقال : ان اكثر من ٤٠٠ ألف من رجال القبائل ما زالوا يعيشون في أدغال صباح . . وهم يتميزون بفنونهم الشعبية وطقوسهم ورقصاتهم ولغاتهم ، ومعتقداتهم الدينية تتباين وتبدو من خلال أقنعتهم وقلائدهم التى يعلقونها على صدورهم والرسوم التى يرسمونها على أجسادهم ، وهم يتذاكرون أبطالهم وأساطير بطولاتهم في مقاومة الاعداء الذين كانوا يتربصون بهم . .

الآن كثير من هؤلاء قد تركوا الصيد وأزالوا مساحات من الغابات المحيطة بهم ليزرعوا الارز والفلفل . . كما أن حياتهم البدائية تغيرت بشكل واضح إذ بدأوا يملكون التليفزيونات ويقرأون الصحف ويسمعون الاذاعات ويرتدون أحذية التنس في تحركاتهم . وتتوافر البضائع الغربية المستوردة داخل أكواخهم وبيوتهم الطويلة الى جانب بقايا الجماجم التى يحتفظون بها ويتوارثونها ويزينون بها جدران بيوتهم ومداخلها ، وبعد أن كانوا يتعاملون بتبادل السلع فقد أصبحوا يتعاملون الآن بأوراق النقد التى تفى بحاجتهم أكثر حين ينزلون الى المدينة تاركين البيوت الطويلة حيث يجدون لهم مكانا في المدينة فلا يعودون الى حياة الأدغال .

وبينما البوتان والنيجوريشو يستخدمون الأدغال كمنازل لهم فإن الملاويين يجاهدون من أجل أن يجعلوا الغابات وراء ظهرانيهم . ولا يكاد المرء يبتعد لأكثر من كيلومتر واحد عن المدينة حتى يجد نفسه داخل الأدغال .

واخترقنا الادغال في أكثر من منطقة من مناطق إقامة الجماعات القبلية في حياتها البدائية . . وخرجنا بحصيلة كبيرة من المشاهد والمعلومات . .

كل السكان في منطقة تامبونان أو أغلبهم هم من الكادازان (الدوسون) وان كانوا يختلفون في كثير من العادات والتقاليد عن هؤلاء الذين التقينا بهم على سفوح كيناباللو ومزارعها . . وهم يوجدون أيضا في بعض مناطق كينتجاو .

تسمية « الدوسون » لها أصل اذ كانت هذه القبائل في البدايات تسمى « اورانج دوسون » وتعنى « أهالى البساتين » ذلك أنهم مزارعون بشكل رئيسي وما زالوا حتى الآن برغم أن عددا كبيرا منهم قد انطلق الى المدينة وأصبحوا موظفين في الحكومة يعمل اغلبهم في العاصمة « كوتاكيناباللو » . وقبل عام ١٩٥٠ ابتدعت هذه الجماعات لنفسها اسم كادازان بدلا من دوسون . وتوجد جماعات قبلية أخرى مثل اللوتود في منطقة تاوران ما زالت تسمى نفسها بالدوسون . وبعض الناس يسمون الرونجوس في منطقة تودات بالدوسون أيضا وان كانت لهم حضارتهم الخاصة .

ومن المعتقد ان الدوسون هم السكان الاصليون في صباح . . نزحوا الى المناطق الداخلية من السواحل تحت ضغط المهاجرين والقادمين الجدد الذين عبروا التلال والسهول مستقرين في أى مكان ينزلون به . . ولم يكن من السهولة بمكان لهؤلاء ان يخترقوا الادغال ليقيموا صلات مع الذين نزحوا الى الداخل مع اختلاف اللغة والعادات والتقاليد .

يدين نصف هؤلاء الكادازان الدوسون بالديانة المسيحية . . وعشرهم مسلمون ، أما الباقون فيدينون بعقائد أخرى وعلى الاخص العقائد البدائية

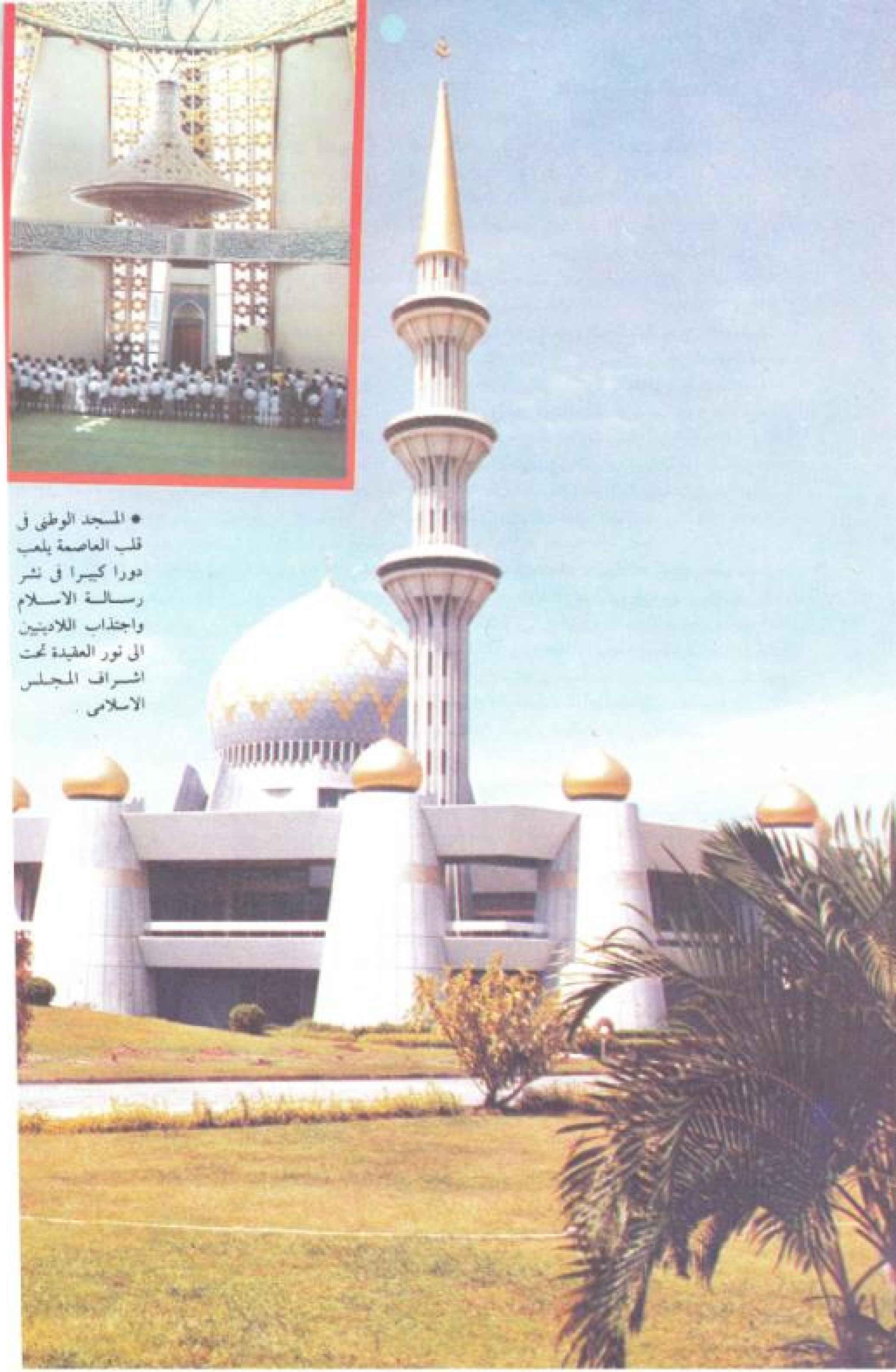

● المسجد الوطني في قلب العاصمة يلعب دورا كبيرا في نشر رسالة الاسلام واجتذاب اللادينيين الى نور العقيدة تحت اشراف المجلس الاسلامي .

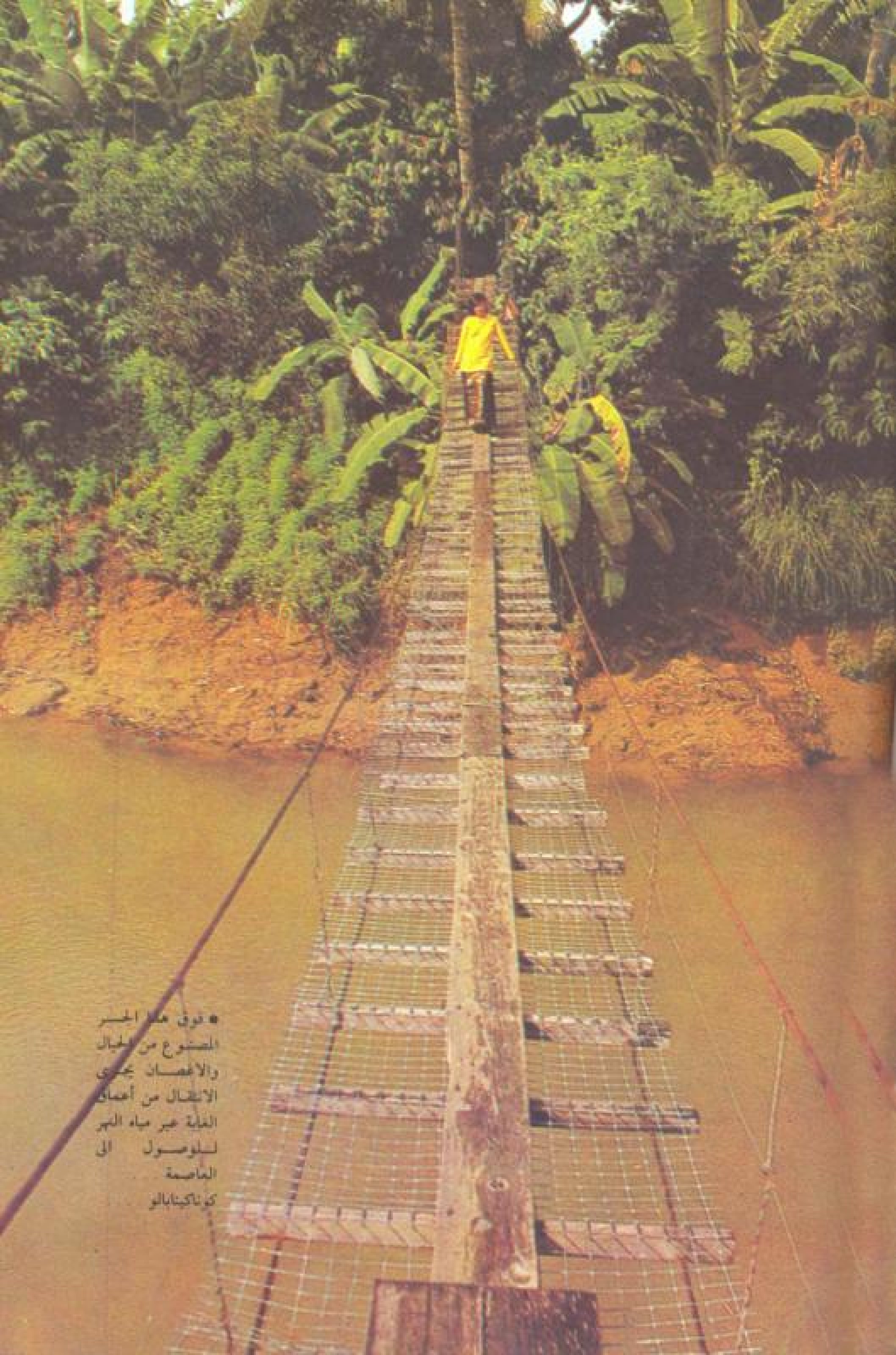

● فوق هذا الجسر المصنوع من الحبال والأغصان يجري الأطفال من أعماق الغابة عبر مياه النهر للوصول الى العاصمة كوتاكينابالو

التي توارثوها عن أجدادهم .

أما الباجان المتمسكون بالعقائد القديمة فيؤمنون بالأرواح .. لكل شجرة أو صخرة أو نهر روح يجب استرضاؤها . وأي مرض يصيب الانسان يعتبرون أنه من غضب الأرواح،وكل احتفالاتهم ترتبط بهذه « الكائنات العلوية » وبعضها غير محبوب .. وبعضها الآخر ضار شرير . وكل منها يعامل بالطريقة التي تناسبه .. فمثلا الأرواح الشريرة القادرة على الحلول بجسم الانسان تعامل بوساطة السحر ، أما الأرواح الخيرة فيمكن ان تعامل بلطف واحترام .

وطالما ان المهنة الرئيسية التي يمتهنها الدوسون هي زراعة الارز والحبوب ، فان أغلب قرابينهم وصلواتهم تقدم الى الأرواح الشريرة لتمنع الاضرار من ان تحيق بمزروعاتهم وبمحاصيلهم وبالعاملين منهم في الحقول ، وخصوصا أن هؤلاء يبذلون جهودا كبيرة في ازالة المساحات الواسعة من الغابات ليحولوا أرضها الى أرض زراعية ليستغلوها لزراعاتهم واقامة بيوتهم ومخازن محاصيلهم ، وهم بالتالي يخشون عليها من لعنة الأرواح الشريرة ، ولهذا فإنهم كلما جاء موعد انتهاء الحصاد في شهر مايو من كل عام يقيمون مهرجانات غنائية راقصة يشارك فيها معهم كل جيرانهم من الجماعات الاخرى القريبة .. على أن هناك عادة غريبة كان الدوسون يمارسونها قبل سنوات مضت تلك هي عملية صيد الرؤوس . فالرجل لا يستطيع أن يؤكد رجولته لامرأته ونساء بيته الا اذا رجع الى البيت من صيده وفي أعلى رمحه رأس رجل آخر استطاع ان يهزمه .. وكان صيد الرؤوس جزءا من عقيدتهم وما يقدمونه للأرواح من قربان .. ولم يكن من الضروري صيد الاعداء ولكن المهم هو صيد أي رأس حتى ولو كان صاحبها من نفس الجنس ولكن من قرية أخرى .

والذي ما يزال يذكر بهذه العادة التي توقفت أخيرا هي هذه الجماجم المعلقة على جدران البيت .. وكلما كثرت الرؤوس ازداد الاعجاب بهذا الديكور البشري .. ولكن بعض هذه الجماجم لا بد ان تعلق وتتدلى عند مدخل الدار حتى تهدأ الارواح عن السكان الذين قدموا هذه القرابين لارضائها .

وكان من عادتهم حين ينتقلون من مكان الى آخر أن يحمل الواحد منهم على سن رمحه جمجمة لتأكيد قوته ورضاء الارواح عنه . وحين دعينا لدخول أحد هذه الاكواخ عند سفح جبل كينابالو استطعنا ان نحصي ٤٢ جمجمة معلقة يفخر أهل الدار بأن جدهم كان محاربا شجاعا لا يشق له غبار في صيد الرؤوس .

الباجاو والموروت :

أما قبائل الباجاو فقد جاءوا الى صباح منذ أكثر من مائتي سنة ، بعد الدوسان الكادازان ، وقد جاءوا غالبا من جنوبي الفيليبين حيث كانوا يعيشون قراصنة بحريين . وهؤلاء يختلفون عن الباجاو البريين الذين استقروا في كوتابيلود في سهول تمبازوك شمال غربي صباح أسفل جبال « كينابالو » .

وتشير آثار بروناي الى الدور المهم الذي قام به الباجاو في الايام الباكرة للسلطنة العظمى .. ويبدو أن الباجاو كان لهم دور كبير في فرض السيطرة البحرية وتزاوجوا مع الأرستقراطية المالوية حتى أعلى المستويات . والتقارير الأولى الأوروبية تصفهم بأنهم أنقى سكان السواحل الذين كانوا أصحاب خبرة كبيرة في صيد السمك ، وعندما كانوا لا يعملون في البحر فإنهم كانوا يعملون بالتنقيب عن الملح والمعادن كما كانوا صناع أقمشة في الاراضي الداخلية .

وعندما أقامت شركة بورنيو البريطانية حكومتها في صباح لحق بها الباجاو ورغبوا في العمل معها .. والذين كانوا في كوتابيلود تعلموا تماما طرقا جديدة للحياة . والآن يشكل الباجاو أغلبية السكان في المنطقة .. يزرعون الارض ويربون الماشية وأصبحوا ركاب خيول مهرة يشاركون بخيولهم الراقصة المزينة في المهرجانات والاحتفالات .

أما عن جماعة أو قبيلة « الموروت » فإنها توجد في المناطق الداخلية حيث زرناهم في منطقة « كنتجاو » وهذه القبيلة بالنسبة للمعتقدات الدينية تنقسم الى ثلاثة أقسام : قسم اللادينيين وهو الأصل ، وقسم المسيحيين ، والثالث والمتجدد والمتطور هم الذين اعتنقوا الاسلام .

واللادينيون من الموروت لهم عادات اجتماعية خاصة بالنسبة لطريقة الزفاف . فأما عن المهر عندهم فيسمى « مهر طول الحياة » فماذا يعنون بذلك ؟

المقصود بهذا المهر انه بعد عقد الزواج يعتبر كل ما كان ويكون في بيت الزوج من حق أب الزوجة وأمها وأسرتها بما في ذلك البقر والجاموس .. أما لماذا ؟ فلأنهم يعتقدون ان كل أملاك الزوج وكل الاموال الموجودة في بيته أصبحت من حقهم مقابل الزوجة التي أخذها منهم بموجب « مهر طول الحياة » .. !

ومن أبرز التقاليد الأخرى للموروث تكريم الأموات . فاذا مات أحد منهم نشروا الخبر بين جميع أفراد القبيلة الذين يجيئون أفواجا ، منهم من يأتي بالسفن والقوارب ، ومنهم من يأتي على الاقدام ، حسب المنطقة التي يقيم بها .

فـإذا وصلوا الى البيت بدأ الاعلان عن تكريم الميت . . البعض يبكي والبعض يغني والبعض يمتدح محاسن الميت . . فهو رجل طيب وسخي وكريم وشريف وهكذا . . وبعد انتهاء البكاء والطواف حول الميت يأكلون ويشربون حتى يأتوا على كل ما في بيت أهل الفقيد .

يستمر البكاء والغناء والطواف لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام أو اسبوع كامل . الميت لا يغسل وانما يبدل بالثوب القميص والحذاء حتى يبدو في ملبس جميل ، وبعد ذلك يصبون على جسد الميت العطر ثم يلفونه بالزنك داخل صندوق للمحافظة على الجسد حتى لا يبلى ثم يحملونه بعد ذلك الى القبر .

أما بالنسبة لعبادتهم فهم يعبدون أي شيء كبير الحجم مثل أكبر شجرة في الغابة أو أكبر صخرة على سفح الجبل . . وهم يقدسون كل قوة خارقة على العادة . . فالبحر له قوة والشمس لها قوة والحجر له قوة والشجر له قوة . . ومن أجل ذلك نجد أنهم يقدسون الاشجار والاحجار والبحار والانهار والجبال كما انهم يعتقدون بتناسخ الارواح .

أما في المنطقة الساحلية الغربية وفي كودات ، فهناك قبائل الرانجوس دوسان الذين يسكنون في البيوت الطويلة في كودات . وقد تخصص النازحون منهم الى المدن في صناعات الفندقة والسياحة واستقبال السياح الاجانب وخدمتهم ، والخدمة في المطابخ وصناعة الاطعمة وتسهيلات الرياضة المائية ، بالاضافة الى الزراعة التي يشتغل بها الفقراء منهم . كما انهم يمارسون زراعة الكاكاو وتجفيفه وزراعة الأرز على سفوح الجبال بين كوتابيلود وكودات .

وتحاول الحكومة الآن إزالة الفوارق بين الاغنياء والفقراء . . ومن بين برامجها منح الاراضي للمزارعين المعدمين القادرين على الزراعة ورفع المستوى الاجتماعي للجميع .

ففي كودات على سبيل المثال نرى المؤسسة العامة لتطوير الغابات في صباح (سافودا) تولى هذه المهمة . فهي تقوم بازالة أشجار الغابات وتستصلح الارض للزراعة وتقسمها على الفلاحين من أجل مزيد من تطوير حياتهم . . وقد تمكنت بذلك من اسكان حوالي ألفي أسرة في ٣٦ ألف هكتار من الاراضي المستصلحة ، وستزود كل أسرة بمنزل مقام على واحد من عشرة من الهكتار ، وتمنحهم المعدات التي تقسط عليهم بأقساط تمتد الى عشر سنوات ، وستكون كل أسرة مسئولة عن قطعة أرض مجاورة مماثلة تتبع (للسافودا) التي تدفع أجورا يومية لكل مقيم مسجل لديها .

وكجزء من برنامج النهوض والتطوير فانها تقوم بعمل التسهيلات المعيشية والاجتماعية وطرق المواصلات والخدمات التعليمية والصحية والمحلات التجارية والمراكز التعاونية مع تزويدها بالماء والكهرباء ، والى جانب الألفي أسرة فهناك ١٧٥٠ عاملا سيوظفون للعمل الزراعي مما يؤدي الى رفع مستوى المعيشة للجميع .

الحياة السياسية في صباح :

لعله من المستغرب الا يكون لكثرة النعرات العرقية تأثير على مجرى الحياة في ولاية صباح . . ولكن الحقيقة ان هذه الجماعات والقبائل التي تشكل بنية المجتمع تتعايش معا بطريقة غاية في البساطة والحب والتعاون ، بحيث لا تترك مجالا لأي صراعات عرقية أو طائفية أو اجتماعية . . فالكل يعمل ويبذل كل الجهد من أجل تطوير الحياة وإرساء أسس النهضة وتغيير طبيعة المجتمع من حضيض البدائية الى قمة المدنية . . ولعل كل ذلك كان وراء الاجماع على الانضمام الى الاتحاد الفيدرالي الماليزي بعد الانسحاب البريطاني . . فقد كانت الآمال معقودة على أن المحافظة على الاستقلال والانطلاق على مسيرة التقدم لا يمكن أن يتم الا من خلال الدخول في نطاق دولة قوية ناهضة . . .

ولكن على الرغم من مرور حوالي ٢٢ سنة على دخول صباح في اتحاد ماليزيا الفيدرالي ، الا أن الاندماج الكامل بين شعبها المتعدد الاعراق مع السكان في ولايات ماليزيا الغربية لم يتم بالصورة المرضية . وقد حرصت حكومة الاتحاد على أن تمنح صباح درجة كبيرة من الحكم الذاتي بما جعلها تعتز بقدرتها على التصرف باستقلال كامل في شئونها الداخلية . . ولكن ليس من الممكن ان نتخطى الحقيقة القائلة بأن الاندماج الفعلي يحتاج الى كثير من الجهد . . . فطبيعة الاعراق السكانية متباينة وطريقة

التقدم مختلفان . . فقد جاءت البداية في صباح متأخرة كثيرا عما كانت عليه في ماليزيا الغربية . وفي ذلك يحدثنا الدكتور محاضر محمد رئيس الحكومة الاتحادية في كوالالمبور ويقول : « لا شك ان الاندماج القومي يتقدم ببطء . . ولا شك أيضا انه سيستغرق وقتا . . ومن أجل ان يتحقق الاندماج الكامل لا بد من فترة تتسم بالهدوء مع ادراك حقيقة ان الاتحاد الفيدرالي يحتاج للاستمرار والاستقرار . وما من شك في أن وجود بعض الاتجاهات الانفصالية التي تتجاوز المطالبة بمزيد من الحكم الذاتي في صباح تسبب المتاعب للاتحاد .

والواقع ان التهديدات من بعض الفئات السياسية بالانسحاب من الاتحاد برزت خلال فترة حكم تون مصطفى هارون عندما كان على رأس منظمة الاتحاد الوطني في صباح بين ١٩٦٧ و ١٩٧٥ ، ولكن هذه التهديدات خفت صوتها كثيرا في الاعوام التسعة التالية بعد ان تولت السلطة حكومة حزب برجايا برئاسة « داتو حارث محمد صالح » ، ولم تكن تطفو على السطح الا خلال الخلافات الأخيرة المثيرة للجدل حول جزيرة لابوان الاستراتيجية التي اتفقت حكومة برجايا مع كوالالمبور على أن تصبح ميناء حرا تحت ادارة الحكومة الاتحادية ، فحين ذهبت صباح الى صناديق الاقتراع في ابريل الماضي ارتفعت الاصوات المنادية بالانسحاب من الاتحاد . وبرغم أنه لم يكن هناك حملات سياسية عنيفة للمطالبة بذلك ، إلا أن قيادات الحزبين السياسيين اللذين كانا يعارضان حزب برجايا استطاعا الحصول على نسبة ٦٥٪ من أصوات الناخبين . . وبذلك فاز في الجولة حزب « برساتو » برئاسة بايرين الذي ركب موجة تأييد طارئة من الكادازان أكبر مجتمعات الولاية بعد ان حصل على دعم من الصينيين . وبرغم أن الحزب لم يعلن إلا قبل ذلك بشهور قلائل إلا أنه استطاع ان يقتنص الاغلبية ، ويزيح حزب برجايا وحكومة حارث محمد صالح عن الحكم .

وكان غريبا ان يفشل رئيس الوزراء حارث صالح في الحصول على أغلبية الاصوات في عملية الانتخاب رغم كل الجهود البارزة التي قام بها الحزب في تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية والخدمات بحيث استطاعت صباح أن تنافس أى دولة متقدمة مضى على حركة النهضة فيها عشرات الأعوام . .

لهذا فعندما القى حاكم الولاية عدنان روبرت في ١٦ مايو الماضي البيان الوزاري ببرنامج الحكومة والذى أعدته له الوزارة الجديدة برئاسة بايرين لالقائه أمام المجلس التأسيسي الجديد . . حاول أن يقوم بتهدئة الموقف فأضاف فقرة الى البيان قال فيها : ـ « ان حكومة الولاية يجب أن تحذر من أى تحرك للانفصال عن ماليزيا باعتباره عملا خطيرا غير مأمون العواقب . لقد حصلنا على الاستقلال من خلال اتحاد ماليزيا . فلا تثيروا الشك بأن تقدم صباح وتطورها يرتبط بخروجها من الاتحاد الفيدرالي . . فإن تقدمنا ومستقبلنا لا يمكن ان يتم الا من خلال مشاركتنا واستمرارنا في دولة الاتحاد » .

وبرغم تلك التصريحات فقد برز خطر السياسات المتباينة حسب تقلبات الاعراق السكانية ، خصوصا ان بايرين اعتمد في تشكيل حزبه الجديد ـ بعد خروجه من حزب برجايا حيث كان نائبا للرئيس حارث صالح ـ على الكادازان المسيحيين (٢٨٪) الذين تساندهم القوى البشرية ذات الثقل في المناطق الداخلية في صباح مع جهود واضحة لاجتذاب الصينيين . قبل ذلك كان الصينيون (٢١٪) يساندون حكم منظمة الاتحاد الوطني بقيادة مصطفى هارون الذى كانت قيادته ملاوية اسلامية . . كما ساندوا حزب برجايا بقيادة حارث صالح والذى كان مؤيدا أيضا من كل الاجناس المتعددة وبينها قبائل الكادازان والصينيين ، واستغل بايرين فرصة سخط المسيحيين والصينيين على سياسات حارث صالح الأخيرة واستقطب هذه الاصوات التي تحولت الى حزبه مما أخل بالتوازن وأدى الى ظفره بالاغلبية وتوليه كرسي رئاسة الحكومة .

ولكن بايرين الآن لا يجلس على كرسى مريح . فالمحاولات كثيرة لاسقاطه من خلال عدم تمثيل المسلمين في الوزارة بشكل مناسب . . ويبذل حزب برجايا ومؤيدوه كل فرصة لخلق المصاعب أمامه لارغامه على الاستقالة . والذى يساعد على ذلك هو أن بايرين يفتقد وجود صداقات له مع أعضاء الحكومة الفيدرالية . ويقول هؤلاء ان خطأ واحدا يقترفه بايرين يمكن أن يؤدى به الى السقوط وخصوصا ان استمراره مرهون بقدرته على اجتذاب حكومة الاتحاد وارضاء بقية المجتمعات السكانية التي تعارضه . . وفي مقدمتها الملايين المسلمون . □

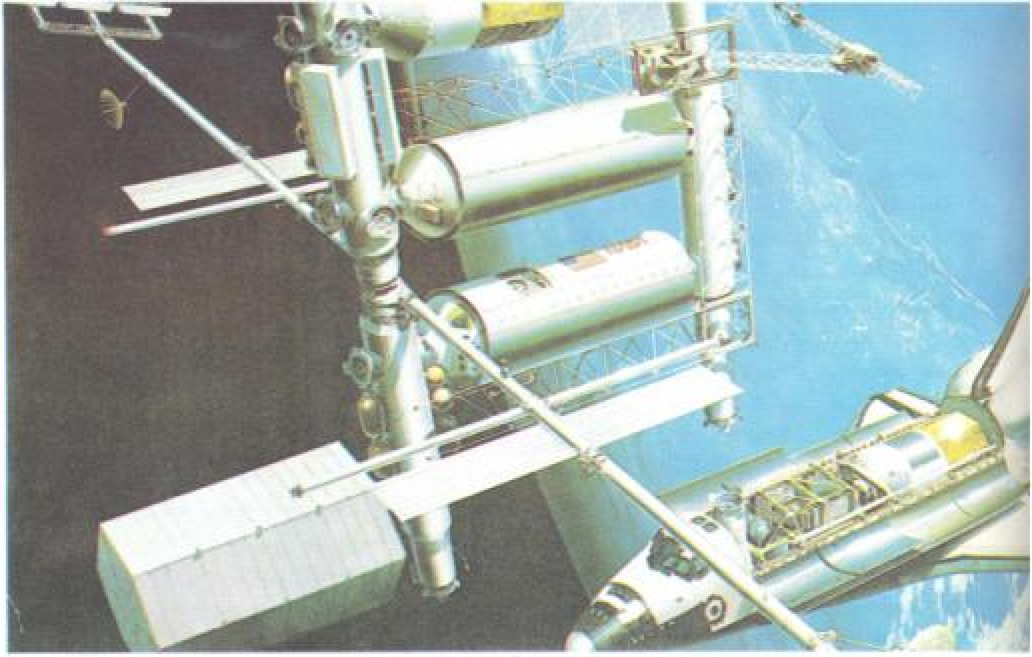

مستعمرة فضائية تجمّع بواسطة المكوك

الفضاء
ساحة الحرب المقبلة

بقلم سعد شعبان

« قامت قيامة الدنيا ولم تقعد ، ولم يعد لوكالات الأنباء حديث الا عن آخر أخبار « حرب النجوم » ، وفرض الموضوع نفسه حتى على اجتماع رؤساء دول العالم الغربي الذي عقدوه في بون في شهر مايو الماضي .. كما يفرض نفسه بطبيعة الحال على اجتماع قمة ريجان وغورباتشوف هذا الشهر ، وموضوعه الأول عن مشكلات عسكرة الفضاء ... فماذا سيحدث بالضبط في الفضاء المحيط بنا ؟

سيأخذ الصراع العالمي بين الدولتين العظميين في العالم ، بعدا جديدا خلال التسعينات ، ذلك أن القرار الاستراتيجي الذي أصدره الرئيس ريجان في أوائل عام ١٩٨٣ ، بالتخطيط لنقل ساحة الحرب الى الفضاء ، بانتاج سلاح دفاعي فضائي مضاد للصواريخ المعادية ، ذاتية الدفع العابرة للقارات ، ولأقمار التجسس ، ولاشك أن هذا القرار ، سيحدث تغييرا في مجرى التاريخ ، وقد أتى على غرار قرار الرئيس الراحل كينيدي في الستينات ، بتوجيه الجهود الفضائية الأمريكية لارساء انسان على سطح القمر . ولقد أعقب اعلان الرئيس ريجان ، تصريحات توضح ان الاستراتيجية الجديدة ، لن تكتمل قبل حلول القرن القادم عام ٢٠٠٠ وانها لن تدخل الخدمة قبل حلول القرن ٢١ . ويأتي القرار من منطلق أن التفوق العسكري في كل العصور يمكن ان تحققه بكفاءة وفاعلية الاكتشافات العلمية الجديدة . والتاريخ خير شاهد على ذلك ، فصواريخ ف٢ الألمانية التي اعتبرت تطويرا بعيد المدى للمدفعية الثقيلة ، لعبت دورها في التعجيل بانهاء الحرب العالمية الثانية ، وشجعت الجانب الآخر على استخدام التفجير الذري الذي غرس الرعب في قلوب اليابانيين وحلفائهم ، فاستسلموا أمام بشاعة القدرات التدميرية التي حاقت باثنتين من مدنها . ودائما تكون التحولات الجذرية في الحروب على أيدي الاكتشافات العلمية الجديدة ، كما حدث عند استخدام الرادار والغواصات والطائرات والأسلحة الكيماوية . لذلك فانه لامر طبيعي أن يكون قرار ريجان ، بجعل التفوق العسكري مرتكزا على احدث تقنيات العصر ، وهي تقنية الفضاء ، بالاقدام على خطوة جريئة في مسار التوازن النووي بين الدولتين العظميين ، والسائد بينهما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

الخطر النووي يعبر القارات

وفي مجرى ما أوجدته التقنية الحديثة من صناعات ، دفعت الى حلبة التنافس العسكري بين القوتين العظميين بآلاف من الصواريخ ذاتية الدفع العابرة للقارات ، التي أصبح مدى كل منها يقاس بعشرات الآلاف من الكيلومترات ، والتي تستطيع حمل الرؤوس الذرية أو النووية المدمرة . وتساندها عمليات توجيه دقيقة جعلتها قادرة على بلوغ أهدافها بكل دقة . ولقد تعددت في ترسانات الأسلحة وسائل تحميل وطرق اطلاق هذه الصواريخ ، اذ أصبح بعضها يطلق من آبار خرسانية مجهزة تحت الأرض ، وأصبح البعض الآخر يطلق من غواصات تجوب تحت سطوح مياه المحيطات ، أو من فوق منصات متحركة . كل ذلك ساندته تدخل تقنية الحواسب الألكترونية في اختزان المعلومات اللازمة لاحكام ودقة التوجيه ، وتوالي التحكم من المحطات الأرضية . ولذلك لانجد بدعا في احتدام التنافس بين الولايات المتحدة واليابان في حقل صناعة الحواسب الألكترونية ، ومحاولة الاتحاد السوفيتي اللحاق بركب هذا التسابق . الأمر الذي كان من نتائجه ظهور سوق كبيرة « للميني كومبيوتر » ، ثم « السوبر كومبيوتر » ، للتحكم في الخطوات المؤثرة على اتخاذ القرار العسكري . حتى غدت صناعة جمع المعلومات ، أهم ماييز عصرنا ، نظراً لأهمية الثانية قبل الدقيقة في تحقيق عنصر المفاجأة العسكري لمداهمة الأراضي المعادية بصب كل وسائل الدمار عليها . ولا يحد من غلواء الجنون النووي ، الا وجود التوازن بين القوتين العظميين ، ولكن كلاً منها يتربص بالآخر الدوائر .

التجسس أصبح ضرورة

وأعقب ذلك اطلاق مئات من الأقمار الصناعية للتجسس العسكري لالتقاط الصور الفضائية لأراضي الكتلة الأخرى ، وتحليل هذه الصور بوسائل عدة ، سواء كانت المساحة المصورة تحت ضوء الشمس ، أو مغلفة بأستار الظلام .

فقد تطورت أقمار التجسس في التصوير بالعدسات البصرية ، والعدسات التليفزيونية ، وبكاميرات حساسة للأشعة تحت الحمراء ، للتعامل مع الأهداف التي يكسوها الظلام ، وأصبح فن تفسير الصور ، أمر يرتبط بحدقة العين البشرية ، وقدرة الحواسب الألكترونية أيضا ، لهتك ستر كل ما على الأرض من أهداف يزيد طولها أو عرضها عن متر ونصف ، اذ يمكن معرفة كل ما على وجه الأرض من

انشاءات ومعدات ، وتميزها من شكلها والنشاط الذي يدور من حولها .

ولم تستعص الأهداف المخبأة تحت الأرض عن عدسات أقمار التجسس ، التي يمكنها اكتشاف الآبار الخرسانية للصواريخ العابرة للقارات ، وهتك ستر كل ما تحويه الأرض من كنوز معدنية ومياه جوفية حتى عمق يقرب من ١٠ أمتار . لذلك أصبحت قواعد بطاريات الصواريخ ، والمطارات ، ونطاقات انتشار المدرعات والمجنزرات والآليات كلها ، تحت نظر الجانب الآخر .

وهكذا أصبحت انجازات الفضاء ، مبهرة في كثير من المجالات ، وتخدم الجانبين العسكري والمدني سواء في حقل الاتصالات أو التنبؤ الجوي أو الكشف عن الموارد الأرضية ، أو التفجيرات التي تحدث في أي مكان أو المسح الجغرافي والزراعي والاقتصادي .

وخلال الحرب الباردة ، لم تعدم الأساليب السياسية والدبلوماسية وجود مفاوضات بين طرفي القوتين العظميين تتقن أساليب اللف والدوران حول بعضهما ، بغية عدم تفوق أحدهما على الآخر ، ولقد تمخض هذا الحوار الدبلوماسي عن اتفاقيتين دوليتين : أولاهما بين الرئيس الأمريكي نيكسون والرئيس السوفيتي بريجنيف ، ووقعت في موسكو عام ١٩٧٢م واطلق عليها اتفاقية « سالت ـ ١ » ـ وهي اتفاقية الحد من الأسلحة الاستراتيجية ـ وثانيتهما وقعت عام ١٩٧٩ في جنيف واسميت « سالت ـ ٢ » . ولكن الكونجرس الأمريكي رفض التصديق عليها .

اسم على غير مسمى

واليوم اذا كان قرار ريجان قد حول ساحة الحرب من على سطح الأرض ، الى الفضاء ، فإن كثيرا من وسائل الاعلام قد تناقلت ذلك تحت اسم « حرب الكواكب » أو « حرب النجوم » . وهي تسمية غير معبرة ، لأن حقيقة الأمر ان المقصود هو تحول رقعة الصراع من على وجه الأرض ، وفي غلافها الجوي ، الى أغوار الفضاء السحيقة . ويرتكز العمل الأساسي في المشروع الأمريكي عن « حرب الفضاء » على انتاج نظام دفاعي ضد القذائف الصاروخية العابرة للقارات . يمكن أن نصفه بأنه سيكون نظاما صاروخيا ، نوويا ، فضائيا ، اشعاعيا . اذ سيكون الاعتماد الرئيسي في هذا النظام على توجيه « أشعة الليزر » لاعاقة حركة الصواريخ العابرة للقارات ، وتدميرها قبل بلوغها اهدافها ، وهي في الفضاء . وذلك باعتبار اشعة الليزر هي سلاح المستقبل ، الذي يجري تطوير انتاجه في صمت منذ اوائل الستينات ، الذي مازال استخدامه يتم في نطاق محدود تحت اسم « اشعة الموت » . وان كان قد نجح استخدامه على نطاق ضيق في بعض الاستخدامات المدنية ، وخصوصا الطبية أو الصناعية . وكان أول استخدام فضائي لهذه الأشعة في فجر عصر الفضاء وخلال رحلات أبوللو الناجحة للهبوط على القمر ، لقياس بعد القمر عن الأرض قياسا دقيقا . اذ وضع رواد رحلة ابوللو ١١ عام ١٩٦٩ جهازا خاصا على سطح القمر يتكون من مائة مرآة عاكسة قطر كل منها ٣,٨ سم في وضع يسمح بأن تعكس هذه المرايا شعاعا من الليزر يوجه اليها من ثلاثة أماكن متفرقة على سطح الكرة الأرضية . ولقد ظل الجهاز يعمل لمدة عشر سنوات ، لتسجيل الانعكاسات على سطح وهي المرايا البعد الفعلي للقمر بدقة بالغة يحققها شعاع الليزر الشديد التركيز . ولنا أن نتصور مبلغ هذا التركيز من تصور مقدرة اختراقه للغلاف الجوي ، وطبقات الفضاء مسافة تقرب من ٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر .

والحقيقة ان هذا المشروع الفضائي لحرب الفضاء ، قام على نتائج جهود متعثرة سبقته بعشرات السنوات ، ومحاولات لم يقيض لها النجاح ، كان اولها محاولة تصنيع « صاروخ مضاد للصواريخ » في الستينات نجح منها الصاروخ طراز « زيوس » عام ١٩٦٣ ، ولم يكن اداؤه دقيقا بالقدر الكافي ، لافتقار وحدات التوجيه الألكتروني الى عنصر الدقة اللازمة لأغراض الصواريخ المعادية . كما قامت افكار لم تبلغ مرحلة النضوج عن انتاج « قمر صناعي مضاد للأقمار المعادية » و « صاروخ مضاد للأقمار الصناعية » . لكن الركيزة الأساسية في « حرب الفضاء » المقبلة هي اقامة « **منصات فضائية** » يمكن منها توجيه اشعة الموت الى الأقمار الصناعية او

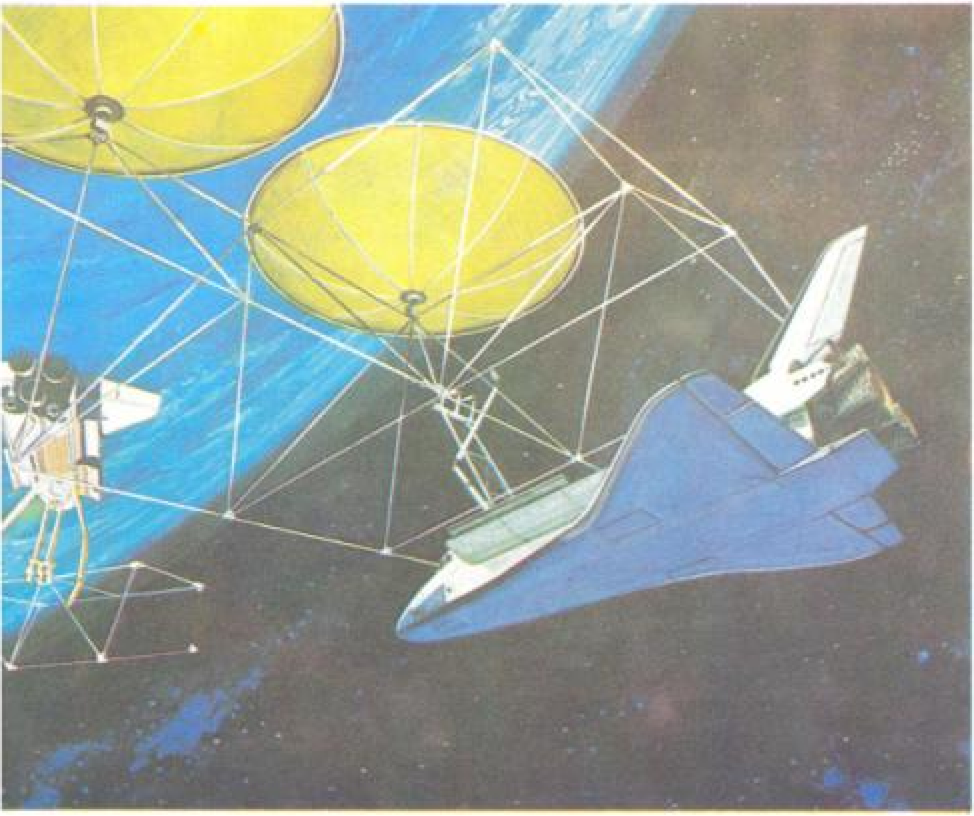

المرايا والهوائيات يحملها المكوك الى المستعمرات الفضائية

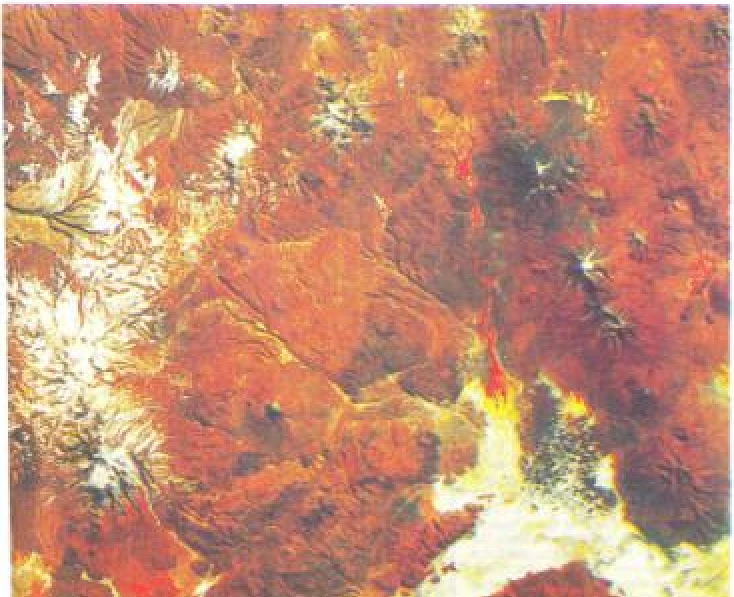

صورة من المكوك لتفاصيل جيولوجية في أمريكا اللاتينية .

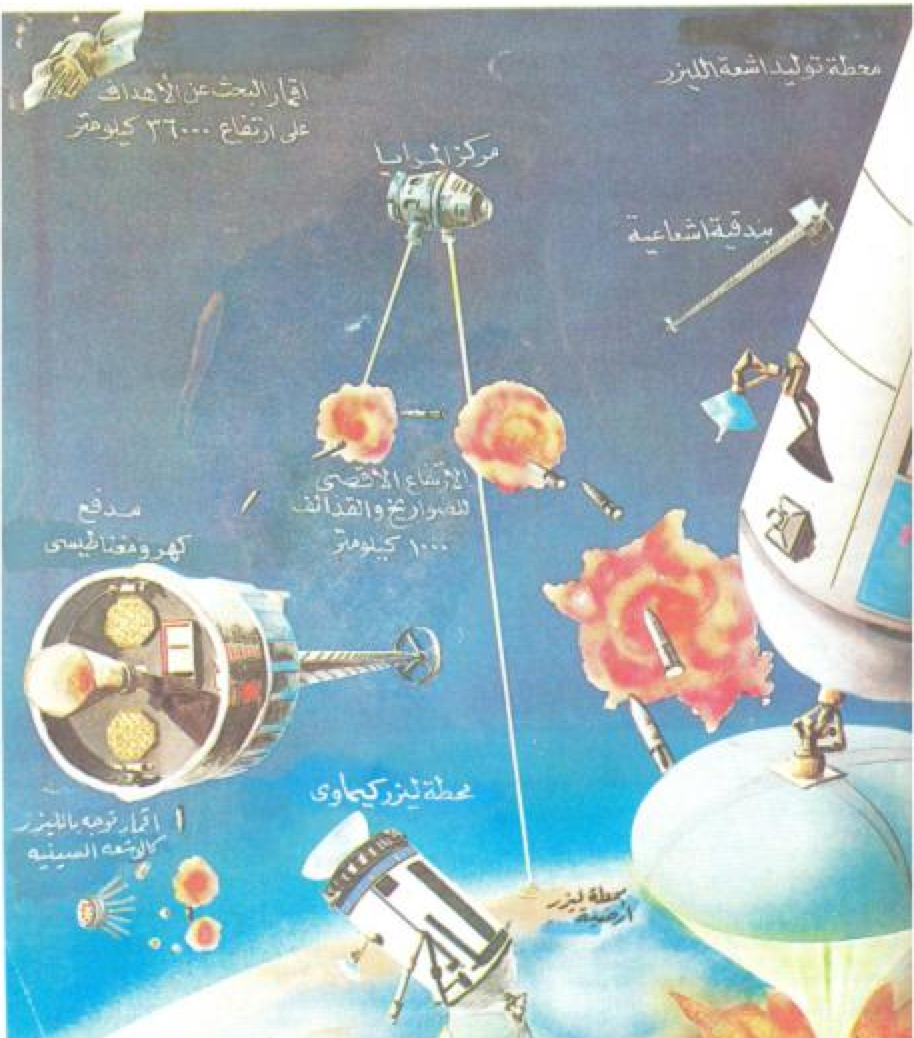

أقمار البحث عن الأهداف
على ارتفاع ٣٦٠٠٠ كيلومتر
محطة توليد أشعة الليزر
مركز المرايا
بندقية اشعاعية
الارتفاع الأقصى
للصواريخ والقذائف
١٠٠٠ كيلومتر
مدفع
كهرومغناطيسى
محطة ليزر كيماوى
أقمار توجه بالليزر
والأشعة السينية
محطة ليزر
أرضية
انفجار
غواصات ذرية
حاملة الصواريخ
قاعدة أرضيه للصواريخ
العابرة للقارات

الصواريخ العابرة للقارات المعادية ، فتمنعها من تحقيق الوصول الى اهدافها . وحسب تقديرات الخبراء الأمريكيين ، فان صناعة المنصات او المستعمرات الفضائية العسكرية ، لوضع الأسلحة الاشعاعية عليها لن يبدأ قبل حقبة التسعينيات ، ولن يكتمل في صورة فعالة للردع قبل نهاية قرننا . ووقتئذ ستنتقل البشرية الى عصر يمكن ان ينعت بانه « **عصر الاشعاعات** » ، وسيؤدي بعصر الفضاء الى عالم النسيان ، كما اودى هذا بالعصر الذري من قبل .

الخواص الفريدة لليزر

رغم ان اشعة الليزر عرفت علميا منذ اوائل الخمسينيات من قرننا ، الا انها لم تثر فضول العلماء الا في الستينيات . ويصعب نسبة اكتشافها الى عالم معين ، اذ يعود فضل معرفة خواصها الخارقة الى عديد من علماء دول مختلفة ، على رأسهم « بوهر » أبو الذرة الذي كشف عن الاشعاع الذي يصدر من الذرة عند انتقالها من مستوى طاقة عال الى مستوى طاقة اقل . ويليه العالم العبقري (اينشتين) الذي استطاع حساب الطاقة التي يمكن ان تصدر من مادة ، وواصل المسيرة بعدهما عديد من العلماء منهم الأمريكي « تشارلز تاونز » والروسيان « الكسندر بردشوروف » و « نيكولاي بازوف » وقد حصل ثلاثتهم على جائزة نوبل عام ١٩٦٤ .

والأصل في تسمية اشعة « الليزر » **(LASER)** مشتق من الجملة التي تعني « تضخيم الضوء بواسطة اطلاق الأشعة المثارة » **(Light Amplification stimulated Emission Radiation)** أما عن ماهية اشعة الليزر فهي تقع ضمن نطاق الموجات الكهرومغناطيسية ، شأنها شأن أشعة الضوء المرئي كضوء الشمس والأشعة غير المرئية مثل الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية واشعة اكس وجاما ، وموجات الراديو ، وهذه كلها تشترك في كونها تتموج في الهواء او الفضاء بموجات ذات اطوال مختلفة ، ولكنها تتحد في السرعة التي تنتقل بها ، فهي سرعة الضوء والتي تعارف العلماء على انها اكبر سرعة موجودة في الحياة،وتعادل حوالي (٣٠٠) الف كيلومتر في الثانية الواحدة او ما يعادل (١٨٦) الف ميل في الثانية .

ولأن شعاع الليزر له هذه الخواص الفريدة ، فقد امكن توجيهه عبر المسافة الكبيرة من الأرض الى القمر ، فلم يتشتت ولم ينكسر ، وأمكن رصد البقعة الساطعة التي يحدثها على القمر بواسطة المراصد الفلكية .

واستغلالا لهذه الخواص دخل الليزر عدة مجالات للتطبيق ، من اهمها حقل الاتصالات ، وابحاث الفضاء . ومن اهم المجالات التطبيقية المدنية مجال الطب ، حيث استغل الاطباء القدرات الخارقة لليزر واجروا به بعد اضعاف قوته الجراحات الدقيقة بدلا من استخدام المشارط ، وتفتيت حصى الجهاز البولي ، وازالة عتامات العين . ولكن لاشك ان العسكريين كانوا اذكياء في استغلال الخواص الخارقة لليزر لاستخدامه كسلاح ، وبدأ يتردد من اوائل السبعينيات اصطلاح « **اشعاع الموت** » الذي بدأ تطبيقه في مجال توجيه الصواريخ المحدودة المدى كصواريخ الطائرات جو - جو .

تجارب رائدة على الطريق

● لم يأت تصريح الرئيس الأمريكي ريجان عن الحرب الاشعاعية في الفضاء من فراغ ، بل استند الى نجاح عدة تجارب احيطت بالكتمان في اول الأمر ، ثم اميط اللثام عن اهدافها فقط دون توضيح للنتائج ، بقصد حث الاتحاد السوفييتي على المضي في الحوار عن اسلحة الفضاء ، رغم ان السوفييت كانوا يحرزون عنصر المبادأة منذ عام ١٩٦٨ ، بصناعة قمر صناعي قاتل للأقمار الاخرى ، يعتمد على توجيه قمر صناعي قاتل من الفضاء نحو قمر اخر يعمل كهدف معادي ، وتكون عملية التدمير بالشظايا التي تخرج من القمر القاتل متناثرة في شتى الاتجاهات .

ولقد رصدت المخابرات الأمريكية هذه التجارب التي تمت بين القمرين كوزموس (٢٤٨ ، ٢٤٩) وثبت ان مداها لا يتجاوز ٢٢٠٠ كيلومترا ، وهي لا تشكل خطورة الا على الاقمار ذات المدارات المنخفضة . فقد تمت التجربة على ارتفاع ١٩٣

كيلومتر . وثبت انه منذ عام ١٩٧٦ اجرى الجيش الأمريكي تجارب على اسلحة تعمل بأشعة الليزر ، اثبت فاعليتها على اهداف مختلفة مثل الطائرات التي تطير بدون طيارين .

وفي عام ١٩٧٣ تمكنت طائرة امريكية مزودة بجهاز ليزر من تدمير طائرة بدون طيار واطلق على السلاح « شعاع الموت » . كما وجهت اشعاعات الليزر ايضا على الصواريخ المضادة للدبابات من نوع « تاو » . بل لقد افلحت بندقية اسميت « بندقية الليزر » في شل حركة الأشخاص اذ تحدث لهم الاصابة بالعمى ، حيث يخترق شعاع الليزر عدسة العين .

وفي خريف عام ١٩٨٢ تجح سلاح اشعاعي يعمل بالليزر في تدمير صاروخ ارض - ارض من طراز (ثور) ثبت على قاعدة اطلاقه ، ووجه اليه شعاع ليزر ضعيف على مسافة قريبة فثبتت قدرته التدميرية .

● ثم كرر الاتحاد السوفييتي تجربة اعتراض قمر صناعي لآخر في يناير ١٩٨١ عندما اطلق القمر كوزموس ١٢٤١ وجعلوا القمر ١٢٤٣ يعترضه في الفضاء على ارتفاع يتراوح بين ٩٧٦ ، ١٠٠٩ كيلومترات فوق الأرض . وقد تمكن القمر الثاني من تدمير الأول على هذا الارتفاع العالي ، الذي يكاد يكون ضعف الارتفاع الذي تمت عليه تجربة عام ١٩٦٨ .

ولقد وضع ذلك الأمريكيين في وضع قلق ، لأن هذا معناه القدرة على تحقيق الدمار من الفضاء ، بواسطة اي سفينة فضاء بعيدة المدى مثل تلك التي توجه نحو الكواكب .

لعبت اقمار التجسس دورا هاما لدى الكتلتين المتصارعتين ، وثبت للأمريكيين ان الاتحاد السوفييتي لا يقف في سكون ، وانه يطور اسلحته الفضائية الاشعاعية . ولقد دون ذلك في تقارير قدمت للجنة التسليح في الكونجرس الأمريكي .

وتردد في عدة تقارير للمخابرات المركزية الأمريكية ، ان الاتحاد السوفييتي قد شرع في اقامة « مجمع فضائي عسكري » سيكتمل في التسعينات ، ويستهدف ادارة الحرب في المستقبل من الفضاء ، معتمدا على استخدام الأشعة الجزئية في شل فاعلية الأسلحة الأمريكية الفضائية .

لذلك شرع السلاح الجوي الأمريكي اواخر عام ١٩٨٣ في استخدام اشعة ليزر ذات طاقة عالية في الفضاء على صواريخ جو - جو تتحرك بسرعة ٣٥٠٠ كيلومتر في الساعة . وقد عرف بعد ذلك ان هذه الصواريخ من طراز « سايد واندر » (Side Winder) وكان قد تم قبل ذلك نجاح استخدام اشعة الليزر في تغيير مسار صاروخ بالتشويش على اجهزة التوجيه به . ولكن اشعاع الليزر كان ينطلق من الأرض . لذلك فالجديد في الأمر هو اطلاق اشعة الليزر من الجو .

ولقد صرح مسئولون علميون رسميون ان الولايات المتحدة ، يمكن ان يكون لديها قبل عام ١٩٩٠ سلاح ارضي يعمل بالليزر ، قادر على تدمير الاقمار الصناعية كذلك . وتعود اهمية هذه التجربة الى اجتياز عقبة هامة ، وهي التغلب على الظروف الطبيعية لتحقيق كفاءة اشعاعات الليزر في اجتياز الطقس البارد والسحب الباردة ، فجهاز الليزر يستخدم غاز ثاني اكسيد الكربون في درجة حرارة عالية للغاية ، لتوليد شعاع ضوئي شديد التركيز بالتبريد المفاجىء .

وفي مطلع عام ١٩٨٤ قامت الولايات المتحدة باجراء اول تجربة لاطلاق صاروخ مضاد للاقمار الصناعية ، اطلق من طائرة من طراز (ف - ١٥) . واطلق على الصاروخ اسم « قاتل اقمار التجسس » (آسات Anti Satellite Weapon(ASAT) أساب. وقد عرف ان الطائرة تستطيع حمل صاروخين من هذا النوع ، وتصعد بهما حتى ارتفاع ٢٩ كيلومترا ، ثم توجههما نحو القمر الصناعي لتدميره .

وقد صرحت مصادر رسمية امريكية ان عملية تصنيع هذا الصاروخ تجري في سرية منذ عام ١٩٧٨ ، وانه قد رصد لتصنيعه ١,٤ مليار دولار ، وكانت المصانع الأمريكية قد أدخلت تعديلات فنية على الطائرة (ف - ١٥) شملت اجهزة الرادار والتصوير لتتلاءم مع مهام اصطياد الأقمار الصناعية المعادية .

جولة بين الخيارات

يبدو من التجارب التي اشرنا اليها سابقا ، ان كلا الطرفين في حالة سباق ، لتحقيق التفوق العلمي ، بقهر المجهول في مجال الحرب الاشعاعية الفضائية . ويبدو كذلك ان قرار الرئيس الأمريكي ريجان قد اتى بعد تمحيص مع اللجان العسكرية ، وكأنه امر لابديل عنه ، والا فسينقلب ميزان القوى . والجديد في الأمر ان الرئيس ريجان بتصريحه عن المضي في تصنيع سلاح دفاعي اشعاعي ضد الصواريخ المعادية والأقمار الصناعية ، هو ان حلقات الصراع قد تحولت الى العلانية ، بعد ان كانت تجارب غير معلنة . ورغم ما أثاره من جدل احتدم في اوساط البنتاجون ، والكونجرس ، والصحافة ، فانه على ما يبدو لم يتبلور اتجاه البحوث الفضائية التي سيستقر عليها الأمر ، لأن هناك بعض خيارات لابد من المفاضلة بينها .

الخيار الأول : سلاح الليزر الكيماوي

ويعتمد على توليد اشعة الليزر من اتحاد غازي الهيدروجين والفلورين ، ومازالت هناك مشاكل تعترض هذه الطريقة ، فالمواد الكيماوية المستخدمة شديدة الاحتراق ، ويحدث عنها تآكل ، ومازالت هناك عقبات في التغلب عليها حتى الآن .

الخيار الثاني : سلاح المرايا العاكسة .

وتتم عملية التوليد هذه على الأرض ، ثم توجه اشعة الليزر من مئات من محطات الارسال الى الفضاء ، لينعكس على مجموعة من المرايا الضخمة ، التي قد يصل قطرها الى نحو ثلاثين مترا . ويمكن ان تعلق هذه المرايا في منصة فضائية ، من السهل تجميعها ، بعد ان نجحت عمليات تجميع الأجزاء المكونة لهياكل معدنية في الفضاء ، بواسطة رواد مكوك الفضاء الأمريكي ، وبعد ان نجح استخدام الذراع الآلي ، الذي يمكنه ان يبرز خارج المكوك ، ليمسك بالأقمار الصناعية او الأجسام السابحة في الفضاء . ولقد اكتسبت الحركة في الفضاء مرونة منذ يونيو ١٩٨٤ ، باستخدام الكرسي النفاث للسباحة به خارج المكوك . وتأكدت هذه المرونة بالنجاح في انقاذ القمر الصناعي الأمريكي المتعطل منذ عام١٩٨١ ، واستبدال الأجزاء المعطوبة فيه . لذلك تعتبر عملية تجميع هذه المرايا في الفضاء امرا سهلا . ولكن الصعوبة قد تكمن في ان اشعة الليزر في اثناء اختراقها لطبقات الغلاف الجوي ، نحو هذه المرايا لابد انها سترفع درجة حرارة الهواء المحيط بها ، الأمر الذي قد يقلل من تركيز حزمة الليزر . ولاشك ان هناك محاولات للتغلب على هذه المصاعب .

الخيار الثالث : سلاح الصواعق

الاسم العلمي لهذا النظام الذي مازال في طوره النظري هو « شعاع الجسيمات » لأنه يتكون من شعاع من الجسيمات الدقيقة المشحونة بشحنات عالية ، يمكن ان تحدث مثل ما تحدثه الصواعق الطبيعية في الأهداف التي توجه اليها .

ويتم توليد « شعاع الجسيمات » من « تسارع » اي زيادة سرعة البروتونات والأيونات في ذرات المادة ، فينطلق منها شعاع عالي الطاقة من الجسيمات المشحونة ، لو وجه نحو صاروخ معادي لحطمه ، وحرق الوقود الذي به ، وأعطب اجهزة التوجيه الالكترونية فيه تماما كما يحدث عندما يتعرض جسم الصاروخ لصاعقة طبيعية من تلك الصواعق التي يصاحبها البرق والرعد . لكن الشحنة الكهربية التي تحدث الصاعقة الطبيعية لابد أن تكون ذات قوة عالية للغاية ، قد تبلغ ٥٠ مليون فولت ، لكي يكون معدل تدفقها عاليا .

ويرى العلماء الأمريكيون ان سلاح الصواعق اسرع في أداء مهمته التدميرية ، التي لاتحتاج الا جزءا من الثانية ، على خلاف شعاع الليزر الذي قد يحتاج بضع ثوان .

الخيار الرابع : المضخات النووية

في هذا النظام يحدث انفجار نووي محدود ، تصدر عنه حزمة من الأشعة السينية (أشعة اكس) ، توجه بواسطة شعاع من الليزر نحو القذائف المعادية لتدميرها وتحطيمها .

وجهاً لوجه

د. عبد الحميد يونس و فاروق خورشيد

- كل معرفة جديدة .. إعادة تركيب واكتشاف .
- لا ألوم العلم واكتشافاته إذا سخره رجال السياسة والاستعمار لأهدافهم .
- الموروث الشعبي يحقق التوازن في فهمنا لتاريخ الانسان العربي .
- الاضافة هي الحياة .. وهي تمرد على القديم وتقديم للجديد .
- الأدب يجب أن يكون قائما على المعايشة الحقيقية .. ومعبرا عن الواقع .
- فقدت قدرتي على الابصار عندما أصبت وأنا ألعب كرة القدم .
- أتمتع بذاكرة بصرية قوية .. والقراءة والكتابة وميلي لتحويل المسموع الى مرئي .

الدكتور عبدالحميد يونس هو رائد الدراسات الشعبية في الجامعات العربية ، فهو أول استاذ لكرسي الأدب الشعبي الذي أنشيء في جامعة القاهرة ، كما أنه درس هذه المادة في كل الجامعات العربية تقريبا ان لم يكن مباشرة ، فعن طريق تلاميذه الذين تخرجوا عليه وتخصصوا في هذا الفرع من الدراسات التي كانت غائبة عن اهتمامات الجامعات العربية من قبل . . وقد انتخب الدكتور يونس في شهر أغسطس هذا العام رئيساً لجماعة القصص الشعبي التي عقدت أول اجتماع لها في تونس تحت رعاية الجامعة العربية ، وقبل هذه بأسابيع تسلم الدكتور يونس جائزة مؤسسة التقدم العلمي في الكويت فرع الدراسات الأدبية لهذا العام والتي خصصت للدراسات في الفن الشعبي ، وذلك لدوره الرائد في هذه الدراسات ، وأبحاثه المتخصصة ، واضافاته العديدة والقيمة الى حصيلة المعرفة العلمية في هذا الميدان ، ومن قبل حصل الدكتور عبدالحميد يونس على جائزة الدولة التقديرية من المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة .

والدكتور عبدالحميد يونس من مواليد ٤ فبراير عام ١٩١٠ وعاش في حي السيدة زينب بالقاهرة ، وكان عضوا في فريق كرة القدم بالخديوية الثانوية . وفي أثناء تدريب لهذه اللعبة اصطدمت رأس زميل منافس بوجهه ، وأغمي عليه ، وفي المستشفى عرف أنه في الطريق الى فقد ابصاره الذي تم تدريجيا . وقد حاول الحصول على شهادة اتمام الدراسة الثانوية رغم الظروف الجديدة التي أحاطت به ، ونجح بعد محاولات ثم التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية ، ومنها حصل على درجة الماجستير عن سيرة الظاهر ، والدكتوراه عن السيرة الهلالية ، وانضم الى جماعة الأمناء التي كونها استاذه أمين الخولي .

أجرى الحوار معه فاروق خورشيد أحد الدارسين للأدب الشعبي والمهتمين بالسير الشعبية على الخصوص ، وله عدة كتب مطبوعة في هذا الميدان ، وله محاولات في ميادين القصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبي ، وقد عمل فترة في اذاعة القاهرة ، ودرّس مادة الاعلام في أكثر من معهد اعلامي عربي . وهو حاليا أستاذ متفرغ للأدب الشعبي بالمعهد العالي للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون بالقاهرة الى جوار عمله الأصلي ككاتب وأديب متفرغ .

* * *

قلت له في أول اللقاء : نحن متفقان في أشياء كثيرة ، ولكني أحب أن نختلف في حوارنا .

قال : ان لم يكن هناك اختلاف ، فلا حوار هناك .

قلت : هذا استهلال مريح ، فوعد اذن ألا يغضب الاستاذ من تلميذه .

ضحك وقال : وتعدني ألا يغضب التلميذ من أستاذه .

قلت : ما تعودنا في حياتنا أن يغضب التلميذ من استاذه ، فله حق الريادة والأبوة والصداقة معا ، وكلها تجعل من الخلاف توجيها من الاستاذ لتلميذه عليه أن يفهمه ويدرك مغزاه ، ويعدل مساره العلمي بمقتضاه . .

قال : أدخلتني في متاهة فلست أحسب أن المسافة بيننا تحتاج الى كل هذا ، ولو شئت لندخل في الموضوع المطروح مباشرة .

ـ جائزة مؤسسة التقدم العلمي ـ

قلت : حصلت على جائزة مؤسسة التقدم العلمي في الكويت وهي أول جائزة تمنح لباحث عربي في ميدان الأدب الشعبي ، وقد نافسك في الجائزة تلاميذ حقيقيون ، كما نافسك في الجائزة كل من كتب بحثا في الأدب الشعبي أو الفن الشعبي على العموم ، فما تقييمك لهذا السلوك من ناحية ، ومارأيك في الجائزة من ناحية أخرى ؟

قال : التقدم للجوائز حق مشروع لكل صاحب جهد علمي يرى أنه يؤهله للتقدم الى الجائزة . وكلما ازداد عدد المتقدمين الى جائزة زاد هذا من قيمتها وأهميتها ، لأنه يعني أننا قد أصبحنا من الثراء العلمي بحيث أفرز مجتمعنا نخبة كبيرة من أبنائه يعنون أنفسهم بالاجتهاد العلمي في مختلف التخصصات العلمية ، ومنها هذا التخصص وهو ـ كما تعلم ـ تخصص جديد في ميدان الدراسات الأدبية العربية . .

قلت : كثيرون من دارسي الفولكلور في العالم

العربي اليوم ـ وقد كثروا عددا وعدة ـ يعتبرون اصحاب الدرس الأدبي ، متطفلين على الدراسات الشعبية ، ويصمونهم بأنهم يبحثون عن الفن الشعبي من مكاتبهم . . فما قولك في هذا الموقف . . ؟

قال : الدراسات الفولكلورية في العالم كله قامت على أساس من الدراسات الأنثربولوجية والسيسيولجية والاثنولوجية ، ومن هنا كان الاهتمام بها يستقطب دارس الاجتماع والانثروبولوجيا . . وهؤلاء أساسا يعتمدون على مناهج بحث مقررة علميا من قبل ، وتدور كلها حول الجمع الفولكلوري الميداني ، ثم التصنيف ، ثم المقارنة ، ثم تبادل المعلومة الفولكلورية ، وتصنيفها آخر الأمر . . ونحن في كل هذا في مواجهة عمل ميداني ومعملي بالدرجة الأولى ولامكان فيه لرؤية أصحاب الأدب ومناهجهم وتذوقهم الشخصي . ولهذا أنا لا ألوم الدارسين العرب الذين يقدسون هذه المناهج التي وان تعددت الا أنها تصب آخر الامر في معين واحد ، وتتجه نحو هدف محدد ، هو المزيد من الكشف عن المجهول الفولكلوري عند الشعوب ، وخصوصا الشعوب النامية والبدائية . . ولاشك أن الكثير من نتائج هذه الدراسات قد أفاد في فهم التطور الحضاري للانسان ، وفي تحديد معنى الحضارة ومراحل تطورها سواء عند شعب ما بالذات ، أو عند الانسان بمعناه الأشمل والأكمل . . ولاشك أيضا ان الكثير من نتائج هذه الدراسات قد أفاد من أرادوا قيادة الشعوب البدائية ، أو التي مازالت تعيش في مرحلة متخلفة وفي بلاد غنية بالثروات الطبيعية المهملة لتطويع هذه الشعوب لارادة من يستغلون نتائج الدرس والبحث الفولكلوري استغلالا سياسيا أو بمعنى أصح استعماريا . .

الشعوب النامية

قلت : لاأظن أننا نلوم العلم واكتشافاته اذا ماسخره رجال السياسة والاستعمار لأهدافهم ؟

قال : بالطبع لا ، ولكنى أقرر حقائق هامة لابد من وضعها في الاعتبار الجاد عندنا نحن بالذات فنحن من هذه الشعوب التي تدرس ـ ومازال ـ مجال جمع فولكلوري وتصنيف وبحث . .

قلت : نعود الى سؤالنا الذي جر الى كل هذا الحديث .

قال : نحن في صميم الاجابة عن سؤالك . . ان الكثير من أجزاء مجتمعنا وخصوصا في أفريقيا وفي المناطق البدوية البعيدة عن مركز الحركة الحضارية ظلت بعيدة عن نظر الجامعين الفولكلوريين القدماء ، من أصحاب كتب الرحلات وكتب الطرائف وكتب العلم المجمع والمختلط . وهؤلاء تستهدفهم الأبحاث الجديدة بتركيز واهتمام زائد . أما باقي أجزاء مجتمعنا الذي تطور وتحضر ، بل قاد الحركة الحضارية في مراحل متعددة من التاريخ الانساني ، فهي قد تم مسحها فولكلوريا على أيدي المؤلفين القدماء فدونوا لنا العادات والتقاليد ، وأثبتوا لنا الطقوس والاحتفالات الدينية والموسمية والاجتماعية على السواء ، كما دونوا لنا الموروث الفولكلوري الشعبي ، والأدب الشعبي الذي اعتمد عليه واستغله في تكوين ثروة أدبية شعبية هائلة هي التي يهتم بها أمثالي من اصحاب الدرس الأدبي ، وهي التي يجب أن تفرغ من دراستها دراسة معاصرة تعتمد على المنهجين الفولكلوري والأدبي معا لتحقق نوعا من التوازن في فهمنا لتاريخ الانسان العربي وشخصيته ومكوناته عبر التاريخ .

قلت : ـ بالفعل الانسان يحس في قدرة التلاعب بمكونات الشعب الواحد بتعمق حقيقي في فهم الفروق الدقيقة ، وكيفية اثارة النعرات وخلق القلاقل الطائفية والعرقية في كل مكان في العالم العربي الآن ، وهذا لايمكن ان يتم الا بدراسة عميقة ووافية للجذور ، وما الجذور الا البدايات الفولكلورية لكل مجتمع .

قال : أنت معي اذن ، ولكن ليس معنى هذا ان نتوقف عن الدراسة بل لابد من الاستمرار فيها وبسرعة ، ولكن على الدارسين الفولكلوريين أن يحرصوا على مادتهم المجموعة ، وأن يوظفوها وبسرعة في ارساء المفاهيم الاجتماعية السياسية الصحيحة ، وان يقدموا نتائج دراساتهم لنا أولا ثم بعد هذا لأصحاب الاموال الممنوحة والأجهزة المبذولة والعناية والرعاية المالية . وأن يكونوا على حذر وهم يعملون ، حذر العارف والفاهم ، وحذر الوطني الذي يعمل

لبلاده وقومه أولا ، والذي يعرف أن العلم وان كان ملكا للجميع ، ولكنه آخر الأمر ضرورة قومية في عملية التنمية الاجتماعية وضرورة قومية في عملية التوحيد لا التفريق ، وعملية البناء لا الهدم ، وعملية خلق المعنى القومي لا المعنى الطائفي أو العرقي . . وأنا واثق أن كل الدارسين العرب ، ايا كانت الجامعات التي تشرف على دراساتهم الفولكلورية يعرفون هذا الخط ، ويدركون دورهم الهام . . ويضعون نصب أعينهم أن الخصوصية الفولكلورية لبيئة أو مجموعة انما هي احد المكونات او اللبنات للكل الفولكلوري العربي العام ، فالخاص الشديد الخصوصية انما هو وسيلة رئيسية لمعرفة العام المشترك في المكون العربي الكلي . . ونحن اصحاب الدرس الأدبي نستفيد من هذه البحوث الميدانية كل الاستفادة ، ونعيد تقييم نتائج ابحاثنا السابقة طبقا لمتغيرات الكشف العلمي الفولكلوري المتجدد على أيدي أصحاب البحث الميداني . ومحاولة الهجوم على الدراسة الأدبية للأدب الشعبي محاولة في رأيي تحتاج الى وقفة طويلة لأن الدراسات التي قام بها اصحاب الدرس الأدبي للموروث الشعبي قادت وتقود دائما الى المعنى القومي وأبرزت وتبرز دائما وحدة الموقف ووحدة المعاناة ووحدة الأمل . .

قلت : لعل هذا كان من أسباب المحاولات الدائمة التي بذلت لصرف أصحاب الدرس الأدبي عنها ، مرة باعتبارها من (تخاريف) العامة ، ومرة باعتبارها من الأدب الجنسي كما حدث لألف ليلة وليلة ، ومرة باعتبارها تخرج من محيط العمل الأدبي الفصيح . .

قال : يخطىء من يظن أن أصحاب الدرس الأدبي يلوون عنق هذه الأعمال الشعبية لتنطق بالمعنى القومي ، وبالعطاء البناء ، بل الحقيقة هي أن هذه الأعمال نفسها صاحبة الموقف والرسالة ، وأحسب أن الدارس بعد لم يكمل عملية استكشافها واستنطاق كل أبعادها واعماقها . . وهي مهمة نكلها بكل ثقلها وعنائها الى أصحاب الغد من الدارسين في الأدب الشعبي ، وفي الأدب العربي بعامة

ـ الأدب والحياة ـ

قلت : ألا ترى أن الأدب هنا تشابك مع السياسة الى حد ما ؟

قال : بل قد تشابك مع الحياة ، فنحن من مدرسة الفن والحياة . . واذا كان غيرنا يجد ان العلم والفن والأدب وسيلته الى السيطرة والقوة فلماذا لانفعل نحن هذا أيضا ؟ سأحكي لك تجربة من حياتي أنا . . عندما كنت طالبا في المدرسة الخديوية كنت في فريق كرة القدم بالمدرسة وحدث في أثناء التدريب أن اصطدم رأس احد اللاعبين بوجهي فأغمي علي ، وعندما افقت وجدت الدنيا تظلم في عيني ، ونقلوني الى المستشفى وبعد عدة عمليات فقدت الأمل في الاستعادة الكاملة للابصار . ولكن هذا لم يثنني عن مواصلة الدراسة . وبعد توقف عامين كاملين تقدمت الى امتحان (البكالوريا) وهي المقابل للثانوية العامة هذه الأيام . . وبعد عدة محاولات نجحت في الحصول على هذه الشهادة التي تؤهل للالتحاق بالجامعة . . وقد حاولت الالتحاق بكلية الحقوق لرغبتي في ممارسة العمل السياسي الذي كانت شهادة الحقوق ـ أيامنا ـ هي الباب الأمامي اليه ، ولكني لم أنجح في هذا فقد كان فقدي للبصر عاملا اساسيا في هذا الاخفاق . . واتجهت الى كلية الآداب ، وكانت رغبتي الأولى ان أدخل قسم الفلسفة لأني كنت أريد أن أدرس الحياة الاجتماعية لأن الدراسة في هذا القسم وقتنا كانت تشمل دراسة الفلسفة والاجتماع معا . . كما كنت أفكر في الدراسة بقسم اللغة الانجليزية فقد كنت ولوعا بقراءة الأدب الانجليزي وكانت لي بعض الترجمات المبكرة لقصص ومقالات ظهرت في بعض المجلات ، وهنا حدثت ظاهرة غريبة هي التي أقصدها بكل هذا الاستشهاد . فقد بدأ الاهتمام بشأني يأخذ شكلا ملفتا وذلك من بعض الجمعيات الدينية والانسانية الخيرية ، بل وجدت ان بعض السيدات الأجنبيات والمصريات من غير المسلمات يتصلن بي ويعاونني في السير والقراءة والكتابة . . ووجدت سيلا من الكتب يتدفق علي ، والمدهش ان كل هذه الكتب ترتبط بالدين المسيحي . وبلغت المسألة حد الخطورة حين وجدت رئيس قسم اللغة الانجليزية في كلية الآداب وهو رجل انجليزي

يدعونى الى الكلية ويعرض على بنفسه ان ادخل قسم اللغة الانجليزية ، وقال لى اننى سألقى كل العناية والرعاية ، وأننى بعد النجاح والحصول على الليسانس يمكن ان اكمل تعليمى فى انجلترا . واخبرنى أيضا أنه سيخصص لى سكرتيرا يقودنى فى الطريق ويقرأ لى ويكتب باللغة الانجليزية . . وأخبرنى ان عنده فكرة مسبقة عن اهتمامى باللغة الانجليزية وتفوقى فيها وانه يتوقع لى مستقبلا زاهرا فى دراستى بالقسم . .

ـ الاضافة أولا والاضافة أخيرا ـ

قلت : ومع هذا لم تدخل قسم اللغة الانجليزية .

قال : قلت لك ان العملية التبشيرية كانت قد اتضحت لى . . وانا عندما أجد أمامى اغراءات غير مبررة اتردد دائما واعيد التفكير محاولا معرفة ما الذى يكمن وراء كل هذه الاغراءات . . ومع هذا كان من الممكن ان أدخل قسم اللغة الانجليزية لولا أننى سألت نفسى سؤالا هاما دائما ما اطرحه على نفسى عندما أجد نفسى فى مفترق طريق . والسؤال هو : ماهى الاضافة الحقيقية التى ساضيفها انا الى دراسة الأدب الانجليزى ؟ وعلى هذا دخلت قسم اللغة العربية وكلي أمل أن تقودني الدراسة الى اضافة شيء جديد .

ـ مالذى رجح دخولك قسم اللغة العربية يا دكتور ؟

قال : شخصية الدكتور طه حسين ، وكنت معجبا به كمثل للقدرة على التغلب على الظروف الشخصية القاهرة ، وشق الطريق بالارادة والمعرفة ، وكنت قد قرأت له قبل ظروفي البصرية فصوله التى كان ينشرها من كتابه الأيام في مجلة الهلال . . كما أننى لاحظت انه بالفعل أحدث اضافة لدراسة الادب العربي أثرت على أجيال الدارسين من بعده .

قلت : كررت كثيرا كلمة الاضافة كشيء هام وضرورى فماذا تعنى بها ؟ .

قال : **ـ الاضافة هي الحياة . . فليس معقولا ان يتقدم جيل جديد للدرس والبحث دون أن يكون هدفه الأساسي هو الاضافة الى ما هو قائم وموجود . والاضافة في هذه الحالة تمرد على القديم الى حد ما ، وتقديم الجديد الى أبعد حد .** . وعندما دخلت قسم اللغة العربية بكلية الآداب كان هذا الوضع قائما . . كان هناك من يدرس اللغة العربية والأدب العربي بطريقة محافظة جدا . وكان هناك المتمردون

الدكتور عبد الحميد يونس أثناء الحديث مع فاروق خورشيد

والثائرون ، والمتطلعون الى الاضافة أو اتاحة الفرصة لخلق هذه الاضافات المتعددة . فمثلا أنا وجدت مدرس النحو في الكلية يصر على نفس التعريفات التى تعلمها في مدرسة محمد على الابتدائية ، بينما كان هناك أساتذة يعاونون على الرؤية الجديدة في كل شيء ومنهم الاستاذ ابراهيم مصطفى وأستاذى أمين الخولى الذى أدرك أننى مرتبط بالمجتمع ، مرتبط بالحارة ، مرتبط بالقرية . وكنت أرى أن الكثير من دراستنا لا تتناول الأشياء الحقيقية ، أنا لا أعنى العامية كلغة وانما أنا أعنى المعايشة ، ان يكون الدرس ابن الحقيقة والواقع . .

ـ أدب الثورة ـ

قلت : لكى يكون درس الأدب مبنيا على المعايشة يجب أن يكون الأدب نفسه قائما على المعايشة الحقيقية ، ومعبرا عن الواقع . .

قال : وهذا ما أعنيه ، وأنا صغير كان اعجابي الشديد بأدب سنة ١٩١٩ أدب الثورة ، أدب الخطب والشعر والزجل والاغانى التى تترجم عن مخاض الثورة ، ثم عن ثورة الشعب على الاحتلال . وهذا ما دفعنى عند الانتهاء من الليسانس ان اتجه الى دراسة أدب سنة ١٩ في الماجستير باعتباره أدبا معايشا يتضمن بلا شك أدبا شعبيا حيا . وقد وافق أستاذى أمين الخولى على هذه الدراسة ولكن واجهتنى صعوبة جمع المادة فقد كانت متناثرة ، ولم يكن تتبعها يلائم ظروفى الخاصة . وبهذا اتجهت الى دراسة أدب (بين بين) فكانت دراستى للماجستير عن الظاهر بيبرس ، ورغم صعوبات الدرس فيها الا أن مشاكلها كانت أخف من مشاكل الدكتوراه التى واجهت فيها صعوبات حقيقية وخصوصا من جانب العنصر المحافظ في الكلية . وكانت الدراسة في الدكتوراه كما تعرف عن السيرة الهلالية .

ـ القرية والسيرة الشعبية ـ

قلت : ـ ولماذا السيرة الهلالية بالذات ؟

قال : ـ هناك سبب شخصى ، فعندما كنت أذهب الى القرية كنت أسمع الشاعر ينشد هذه السيرة ، وكانت القرية منقسمة بين من ينتسبون الى القيسية وبين من ينتسبون الى الهلالية . كما أننى وجدت في (خزنة) الكتب في البيت نسخة قديمة جدا من الهلالية قرأتها في وقت مبكر . وقد أحسست أن القرية تعيش في السيرة ، بل ان السيرة تؤثر في العادات والتقاليد بل في الازياء وطريقة الكلام أيضا عند الناس . . والواقع ان معظم معلوماتى أستقيها من الملاحظة قبل القراءة . ومن هنا كان عملى يتجه الى حد كبير الى الاستفادة من الدرس الميدانى الى جوار الاستفادة من القراءة والتدوين .

قلت : ـ عفوا ، لست أفهم هذه النقطة .

قال : أعنى بالنسبة لظروفى البصرية الخاصة . . أنا بالفعل أتمتع بذاكرة بصرية قوية وهي ذاكرة لونية ولونية معقدة أيضا . والقراءة والكتابة وسيلة لتحويل المسموع الى مرئى . . والشعر عندى يتحول الى مجموعة نغمات ، هذه النغمات تتحول الى صور تمكن رؤيتها بوضوح من خلال العقل الانسانى فتتحول الى معنى واضح وهذه الظاهرة أيضا تتمثل عندى في الايقاع المصاحب للكلام . وهو ما يصل في صورته الأخيرة الى الرقص . ولكن في صورته الفنية يمثل الايقاع اضاءة للكلام ، وأنا أقول لطلبتى دائما ان الحركة والاشارة والايماءة جزء من الابانة . . وهذا هو الذى جعلنى أكثر حساسية لما حولى ، وأكثر استفادة من الملاحظة الدقيقة لكل ما أسمع . .

قلت : ـ فكأن كل معرفة جديدة عندك ، اعادة تركيب .

قال : اعادة تركيب واكتشاف ، ومن هنا كانت متعة الدراسة الشعبية عندى ، فهذا الميدان اضافة الى عطائنا الأدبى من ناحية ، والى دراساتنا الاجتماعية بالمعنى العام من ناحية أخرى . . وبعد هذا أصبح الدرس الشعبي استمرارا للتواصل التخصصى ، واستمرارا في نفس الوقت لمحاولة الكشف . فأنا الى الآن أكتشف . وأنا أقول لتلامذتى دائما ان التخصص ليس شيئا مغلقا ، بل لا بد من الاضافة والكشف مع الاستفادة من المناهج الجديدة التى تقوم على العمل الميدانى والملاحظة الواقعية .

قلت : أنت تكلف الدارس ان يستفيد ممن هو قبله ولكن على ألا يردد ما قبله دون اضافة .

قال : ـ على المستوى الفردى هذا صحيح ، ولكن

على المستوى العام هناك أيضا ملاحظة هامة . . فمن سوء الحظ اننا لا ننظر نظرة علمية تكاملية الى الدراسة الجامعية بمعنى أن كل من صادفته فكرة يسجلها للدراسة الجامعية ويوافق عليها الاستاذ ، ويوافق عليها القسم دون مراجعة للدراسات الجامعية السابقة ، انما يجب قبل الموافقة على دراسة علمية جديدة أن نراجع ما تم ، ونخطط لما ينقصنا في مجال البحث العلمي .

ـ التخطيط للدراسة الجامعية ـ

قلت : ـ تعني داخل التخصص الواحد في جامعة بذاتها .

قال : بل أعني داخل التخصص الواحد في كل الجامعات العربية ككل ، بحيث تتكامل الدراسات ، فثقافتنا واحدة ، وهمومنا واحدة ، وكل بحث جديد يلقى اضاءة على تراثنا ككل فيجب اذن **أن نشترك في التخطيط لكيفية أن تسير الدراسات في نقلات متابعة ولا تكرر دراسة سبق أن قدمت لجامعة أو أخرى فيضيع الجهد ولا نحصل جديدا .**

قلت : ـ لا يختلف أحد على أهمية هذا ، ولكن هناك ملحوظة هامة بالنسبة لانتاجك ، فأنت كما تهتم بالادب الشعبي تهتم اهتماما واضحا بالترجمة . .

قاطعني قائلا : ـ هذا تكامل في العمل فالاكتشاف لا ينبغي أن يسير في اتجاه العمق فقط وانما ينبغي أن يتجه أيضا الى الحياة المعاشة حولنا ، والحياة العلمية حولنا لن نعرفها الا بالقراءة في اللغات الاخرى وترجمة ما في هذه اللغات الى العربية . وفي عهد الصبا كان اهتمامنا بالاطلاع بالانجليزية كبيرا ومن حسن حظنا أن المجلات الانجليزية والكتب كانت ترد وكانت رخيصة الثمن . . وفكرنا ان نترجم دائرة المعارف البريطانية ، وكانت فكرة طموحة . واتصلنا بهم فطلبوا ثلاثة ملايين جنيه استرليني وكان هذا في الثلاثينيات ، وبالطبع ماتت الفكرة . وأخذنا نترجم بعض القصص والمقالات وننشرها في المجلات الثقافية الى ان نبعت عند واحد منا هو الدكتور محمد ثابت الفندي فكرة ان نترجم دائرة المعارف الاسلامية على ان نستفيد من الاساتذة المتخصصين في الرد على آراء المستشرقين في بعض المواد . وبدأنا العمل بالفعل ثم توقف المشروع لأسباب مالية وادارية ، ولكني لم أتوقف عن الترجمة حتى الآن فأنا من هواة الترجمة .

قلت : أي أن الترجمة تدخل في اطار الهواية .

قال : ـ هي هواية وهي عمل . **فالترجمة مكابدة حقيقية فليست المسألة تحويل الالفاظ من لغة الى لغة ، ولا ترجمة المعاني ، وانما المهم هو ترجمة المضامين الفنية وخصوصا في الشعر والقصة والمسرح .**

قلت : ـ يثور سؤال هنا عن قدرة اللغة العربية على التعبير عن هذه المعاني والمضامين .

قال : ـ لا تنس أن اللغة العربية احتفظت بكيانها ثابتا مدة طويلة ، واضافة مفردات جديدة اليها عمل صعب ، ولكننا كنا نتغلب على الصعوبات بعملية نحت وتغيير ، دون أن نغير من تقاليد اللغة العربية نفسها . وقد حاولنا نقل العامية الى الفصحى ولكن بحذر .

قلت له : بمناسبة العامية ألا ترى تناقضا في أن تكون استاذا للأدب الشعبي ولا تكتب بالعامية .

قال : ـ أنا لا أكتب بالعامية لأن لغتي هي العربية أفكر بها وأكتب بها وأترجم بها أيضا ، والأدب الشعبي ليس أدب العامية ، وانما أدب العامية جزء منه يدرس ويناقش . . وأنا احتفي بالنص العامي وأحاول فهمه ولكني حين أكتب عنه أكتب عنه باللغة الفصحى . وهذه مشكلة قديمة وأزلية . أعني مشكلة الفصحى والعامية ، ولكنها بالنسبة لنا محلولة ، لأن النص العامي لا يأخذ صفة العروبة العامة ، أو لا يصبح من الأدب الشعبي العربي بعامة الا اذا جاء من يصوغه بلغة الأدب الشعبي ، وهي فصحى أو قريبة جدا منها ، ولا تحتفظ من العامية الا ببعض العلاقات الفولكلورية العامة . ولكنها آخر الأمر تقريب للعاميات العربية المختلفة ، وتقريب بينها وبين الفصحى الأم ، المهم أن يكون الاتجاه ـ كما قلت معك في أول الحديث ـ الى التوحيد لا الى التجزئة ، والعربية الفصحى تجمع وتحقق الارتباط ، وهي قابلة لامتصاص الخلافات والبحث عن صيغ عامة تحقق الالتقاء الثقافي والفكري ، حتى الشعبي منه في كل المنطقة العربية . □

المُرَكَّبات سريعة التبخر وتلوث البيئة

بقلم : د . عدنان الظاهر

بعيدا عن مفهوم التلوث المألوف وخطر السموم الكيميائية والموت بالأشعة ، تمثل بعض المركبات المتطايرة أو سريعة التبخر عاملا آخر من عوامل تلوث البيئة . لكن هذا العامل له خصائصه المتميزة ، وعلى رأس هذه الخصائص أنها ليست سامة وانها لاتمثل أي خطر معروف على صحة الانسان وعلى مستقبل أجياله القادمة .

اذا شئنا أن نكون متحفظين فلنقل أن العواقب البايولوجية لأبخرة مثل هذه المركبات لم تدرس بعد بشكل علمي منهجي .

فيم اذن تصنيفها كعامل من عوامل تلويث البيئة ؟ الجواب : في كونها تنفث روائح كريهة ينفر منها الانسان ولاتتقبلها حاسة الشم لديه . فهي والحالة هذه تصنف ضمن ملوثات الغلاف الجوى بانتشار جزيئاتها فيما بين جزيئات مكونات الهواء الرئيسية وهي النايتروجين ٧٩٪ وغاز الاوكسجين (حوالى ٢٠٪) .

اذن ليس بالضرورة أن يكون عنصر التلوث قاتلا ، بل وكل مامن شأنه أن يسيء الى الذوق العام شما أو بصرا أو حتى سمعا . نعم ، فالاصوات العالية النشاز تلوث المدينة وتسيء لحاسة السمع ، ثم الى الصحة النفسية والبدنية على حد سواء .

الأمينات والنايتروجين

أظهرت بعض الدراسات أن من بين الروائح الكريهة جدا مركبات أمينية يدخل النايتروجين في تركيبها بدون استثناء ، وبالطبع ليس النايتروجين بحاله مسؤولا عن هذه الخاصية المنفرة للذوق . اذ أن غاز النايتروجين كجزيئة ذات ذرتين لا رائحة له ، وهو يشكل النسبة الأعظم في الهواء الذي يحيط بنا .

هذا صحيح ، ولكن يوازيه في الصحة القول ان ليس كل المركبات التى يحتوي بناؤها على ذرة نايتروجين أو أكثر تتميز بالرائحة الكريهة . وأحسن مثال على ذلك محلول الأمونيا (النشادر) أو بخارها . صحيح أنه نفاذ وصادم ، لذلك يستخدم أحيانا في المستشفيات للتنبيه من حالة الاغماء أو بعض حالات الغيبوبة ، كشميم للغائب عن الوعي أو المغمى عليه .

لكن رائحة الأمونيا على أية حال ليست كريهة ، ولذا يستخدم هذا السائل كذلك في البيوت كمنظف جيد .

في جزئية الأمونيا ذرة نايتروجين واحدة ترتبط بها ثلاث ذرات هايدروجين . اذن هل هناك علاقة بين عدد ذرات النايتروجين في جزئية ما وبين خصائص هذه الجزئية الشمية ؟ وهل هناك علاقة بين هذه الخصائص وترتيب ونوع ارتباطات ذرة أو ذرات

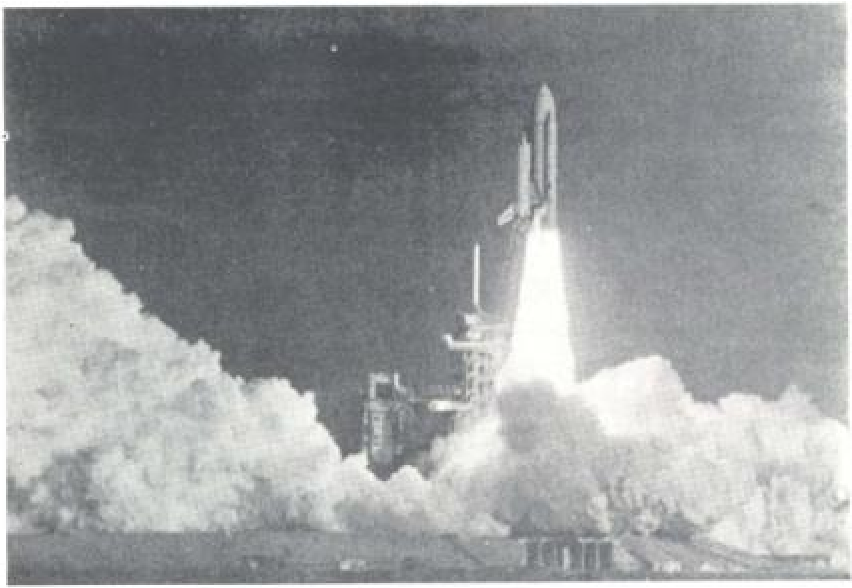

النايتروجين بذرات العناصر الأخرى التي تشكل البناء الهندسي والتوزع الفضائي النهائي للجزئية ؟

ليس من اجابة شافية عن السؤال الاول بعد ، ولكن التركيب الجزئي المعروف يجيب عن السؤال الثاني بنعم . فحين تحل مجموعة المثيل ch_3 Methyl groupمحل ذرة هايدروجين في جزئية الامونيا nh_3 وتكون رابطة كيميائية جديدة لم تكن موجودة أصلا في جزيئه الامونيا ـ انها الأصرة التي تربط ذرة النايتروجين الأساسية الوحيدة بذرة الكربون القادمة مع مجموعة المثيل ـ يبقى المركب الجديد ويسمى الامين المثيل $ch_3\ nh_2$ Methy-lamine محتفظا برائحة الأمونيا النفاذة الصادمة لخلايا حاسة الشم ، ولكن الصورة تنقلب كلية اذ تحل مجموعتا مثيل محل ذرتي هايدروجين في جزئية الأمونيا ، عندئذ يكتسب المركب الجديد ويسمى الأمين ثنائي المثيل رائحة كريهة لايطيقها المرء .

وكذلك الأمر فيما لو حلت ثلاث مجاميع محل ذرات الهايدروجين الثلاث في جزئية الأمونيا فهنا تصبح الرائحة أكثر قوة وأشد ازعاجا للانسان والبيئة . ويتفاقم الأمر أكثر عندما تحل مجموعتا اثيل Ethyl group أو أكثر محل عدد مساو من ذرات الهايدروجين ، فتكون النواتج هي الأمين ثنائي الاثيل والأمين ثلاثي الاثيل .

ويكون لهذين المركبين روائح أشد إيلاما للنسيج المخاطي الذي يبطن الانف والحنجرة وباقي ممرات الجهاز التنفسي المعتادة . الدور الذي تلعبه مجاميع المثيل في تحول رائحة الأمونيا من شيء مقبول الى آخر كريه لايطاق يجعلنا نركز على أمر نفهمه أكثر عن طريق الاستدلال بالمقارنات ، أردت أن أقول أن ذرة الكربون بالذات المحاطة بثلاث ذرات هايدروجين (في مجموعة المثيل) هي السبب الأول والأخير في اعطاء المركب الجديد ، الأمين ثنائي أو ثلاثي المثيل هذه السمة الشمية الكريهة ، فالأمر قريب جدا من جزئية غاز الميثان Ch_4 حيث تحيط ذرة الكاربون المركزية أربع ذرات هايدروجين كما هو واضح من التركيب الجزئي . ورائحة هذا الغاز السام القاتل معروفة وكثيرا ما يتسبب في قتل عمال المناجم وطيور الكناري وعمال تنظيف البالوعات وحفر بقايا الفضلات الادمية قبل اتباع هندسة المجاري الحديثة . هناك مركبات كيميائية أخرى مشهورة

بخصائصها السمية أو بروائحها الكريهة ، تتميز بدخول ذرات معينة في تركيبها الجزئي (وهو أمر يدعو للمزيد من التأمل) وأبرز هذه الذرات هي الكبريت كما في حالة غاز كبريتيد الهايدروجين وغاز ثاني أوكسيد الكبريت السام ثم ذرة الفسفور كما في غاز الفوسفين والكلور والكاربون في الفوسجين القاتل الذي ينطلق من أواني ومعدات البلاستيك المصنوع من مادة الكلوريد متعدد الفنايل نتيجة حرقها أو احتراقها قضاء وقدرا . وأخيرا ذرة النايتروجين كما في حالة غازات النايتروجين ، ولا سيما أول أوكسيد النايتروجين وثاني أوكسيده وهي تعتبر من ملوثات الجو الغازية السامة وذات الخطورة . الغريب في الأمر ـ ولاغرابة في العلم ـ ان هذه العناصر غير الفلزية تدخل في تركيب أعضاء جسم الانسان المختلفة ، ونقص أحدها يؤدي الى مالاحصر له من العيوب والمضار التي تتهدد صحة الانسان ، فالضار نافع والنافع ضار ، ولاننسى أن في القليل من سموم الأفاعي العلاج الشافي للكثير من الأمراض .

لست ادري أمن المجدي اثارة السؤال القديم حول طبيعة تأثير الروائح الكريهة : أهو ذاتي أم موضوعي ؟ أي أهو كائن في التركيب الخاص لمادة خاصة ، أم أنه تأثر خاص لخلايا معينة في أجسادنا ؟ ثم لماذا تؤثر مركبات خاصة في خلايا خاصة وكيف ؟ لقد أخلت الفلسفة مكانها للعلم ، وفي التفاعلات الكيميائية نجد عادة الجواب الشافي .

تجربة علمية :

قامت مجموعة (١) من الباحثين الكيميائيين في مركز أبحاث التلوث البيئي في مدينة أوساكا وكلية الهندسة في جامعة هيروشيما في اليابان عام ١٩٨٣ بتجربة رائدة اكتشفت فيها بطريقة الكروماتوغرافيا الغازية المكيفة تكيفا خاصا للكشف عن آثار بعض الغازات في الجو . لقد ركز هؤلاء البحاثة على أماكن وبيئات خاصة وكما يلي :

١ ـ جمعوا عينات من هواء زريبة ماشية .

٢ ـ وعينات هواء من منطقة خاصة لتجميع فضلات المواشي .

٣ ـ وغازات ناتجة عن تخمير فضلات خنازير .

٤ ـ وهواء من حقل دواجن .

٥ ـ ونماذج هواء من حوالي جهاز تخمير فضلات دجاج وطيور .

فماذا اكتشف هؤلاء البحاثة ؟ لقد اكتشفوا وجود غاز الأمين ثلاثي المثيل TRIMETHYLA-MINE في هواء زريبة المواشي بتركيز يساوي ٨٪ جزء في البليون كما وجدوا غاز مركب الامين المثيل Methylamine في الجو المحيط بجهاز تخمير فضلات الدجاج والطيور بتركيز تبلغ ٩٧٪ . . جزء في البليون فضلا عن الأمين ثلاثي المثيل بتركيز يضاهي ماوجدوه في أجواء حظيرة الأبقار .

هذه التجربة تثبت بشكل قاطع أن الروائح الكريهة التي نشمها في أو بالقرب من حظائر المواشي والطيور وأماكن لفظ فضلاتها (وربما يصح الأمر على الخيول وفضلات الانسان أيضا) انما سببها مركبات كيميائية من نوع الأمينات التي يدخل كل من عنصري النايتروجين والكربون في تركيبها بالاضافة الى الهايدروجين . □

العناية بالتربية البدنية

○ من الحكم اليونانية المشهورة : العقل السليم في الجسم السليم ، وقد اهتم أجدادنا بالرياضة البدنية والالعاب الحرة التي يرتاح لها الأطفال بغريزتهم ويقومون عليها برغبتهم وفطرتهم .

قال الامام الغزالي في احياء علوم الدين : ينبغي أن يؤذن للصبي بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب الكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه في التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا .

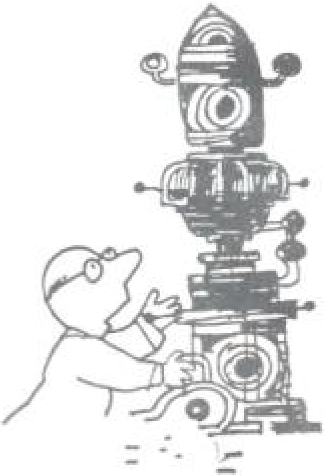

طبيعة الإبداع

بقلم الدكتور : فاخر عاقل

يستطيع دارس الابداع وطبيعته وركائزه ان يقول مطمئنا إن دراسات الابداع وصلت اليوم الى ما وصلت اليه دراسات الذكاء في الخمسينات من هذا القرن ، أى أن طبيعة الابداع أصبحت معروفة ، وركائزه مستقرة .

النصف الأول من هذا القرن يعد الزمان الذي درس فيه الذكاء من هذا القرن يعد الزمان الذى درس فيه الذكاء وبحثت طبيعته ووضعت روائزه ، فان النصف الثاني هو الزمان الذى درس فيه الابداع والمبدعون ، فعينت طبيعة الابداع ، ووضعت روائزه وكثر الكلام على تربية المبدعين .

وما نظننا بحاجة الى تبيان الصلة الوثيقة بين هذين النوعين من الدراسات ، والعلاقة الطبيعية بين الذكاء والابداع ، مما سنمر به حين نتحدث عن الابداع حديثا مفصلا ، ولعله من المفيد ان نسارع فنقول (إن كل مبدع ذكي) ولكن ليس كل ذكي مبدعا بالضرورة . ذلك لان الذكاء شرط أساسي من شروط الابداع ، ولكن الذكاء بحد ذاته غير كاف للابداع .

طبيعة الابداع :

ويرى (تورانس) أنه منذ الولادة يبدو بعض الأطفال أكثر ابداعا من البعض الآخر ، انهم فعّالون ونشيطون ، ويبدون وكأنهم يلاحظون كل شيء ، ويستجيبون لكل صوت أو رائحة أو صورة . إنهم يتعلمون بسرعة كيف ينقلون حاجاتهم وطلباتهم الى من حولهم ، وكيف يفسرون سلوك هؤلاء الذين يحيطون بهم . انهم يتفحصون كل شيء ، وما ان يبدأوا بالحبو حتى يحشروا أنوفهم في كل أمر وحينئذ نقول ، انهم فضوليون .

ومن الغريب أن هذه الفروق الفردية في الابداع تمحى بواسطة الطريقة التي يلجأ إليها الأهل في مواجهتهم لهذه القدرة الابداعية وهذا الفضول . وبطبيعة الحال فإن الأمر لايقتصر على الأهل بل

يتعداهم إلى كل من يحيط بالطفل ويلعب دورا في حياته . وكلما تقدم العمر بالطفل فان الفروق الفردية التي تُلاحظ بينه وبين سواه من الأطفال فيما يخص الابداع تبدو وكأنها عائدة بكاملها الى الخبرة وليس الى الوراثة . وبما أن فعالية الأطفال الصغار ونشاطهم أمر يزعج الراشدين ويتعبهم فانهم لايشجعون مثل هذه الفعاليات والنشاطات . وليس من المبالغة أن نقول ان الطفل النشيط الطلعة يعاقب على سلوكه هذا أكثر من الطفل (الوديع) الطيع .

ويقول (كاتينا) إنه لو كان السلوك الابداعي محددا بالوراثة فان الأهل والمعلمين لا يستطيعون فعل الشيء الكثير لزيادته . لكن الحقائق تدل على خطأ هذا الاعتقاد ، كما تدل على أن كيفية معاملة السلوك الابداعي للطفل من قبل الأهل وسواهم ممن يحيطون به هي أكثر أهمية .

ومن هنا كان اهتمام علماء النفس بفهم قابليات الطفل الابداعية والمساعدة على تنميتها ، بل انهم تعدوا ذلك الى الاهتمام بالقدرات الابداعية لدى الراشدين ، واقترحوا طرائق عدة لتعليم الأطفال والمراهقين والراشدين كيفية التفكير بطريقة أكثر ابداعا .

ان الأمم المتحضرة اليوم تبحث عن المبدعين من أبنائها في كل مجال من مجالات المعرفة ، بل هي توجدهم وتسهل لهم سبل العمل والابتكار ، وتعطيهم من اهتمامها وتشجيعها وسخائها المادي ما يسمح لهم بالانطلاق في آفاق الاختراع والاكتشاف والتقدم ، وماأحوجنا نحن العرب الى المبدعين المبتكرين ، ينطلقون بنا الى حيث يجب أن تكون بين أمم العالم المتقدمة .

قدرات التفكير المبدع الأربع :

القادة في دراسة الابداع وروائزه وهم (غيلفورد) و (تورانس) و (كاتينا) يرون أن قدرات التفكير المبدع الأربع هي : الطلاقة ، والمرونة ، والأصالة ، والتوسيع . وسنمر بها سراعا الواحدة تلو الأخرى .

اما الطلاقة فهي القدرة على انتاج العديد من الأفكار فيما يخص مهمة ما . ولنضرب على ذلك مثلا أن انسانا طلب اليه أن يفكر في استعمالات غير عادية للقرميد ، وحينئذ فانه قد يقول : « ان من الممكن قذف الآخرين به ، أو استعماله كثقل يوضع فوق الأوراق ليمنع تطايرها ، أو تغليفه بالشيكولاته وتقديمه الى صديق بوصفه قالب حلوى ، وذلك بمناسبة عيد ميلاد الصديق بقصد النكتة ، أو تسخينه واستعماله كمكواة ، أو وضعه فوق قطعة خشب لتغطيسها في الماء» .

لقد أعطى هذا الشخص خمسة استعمالات للقرميد غير مألوفة ، فاذا ما خصصت علامة واحدة لكل استعمال فان هذا الشخص ينال خمس علامات ، ولو أنه أعطانا عشرين فكرة فانه ينال عشرين علامة في الطلاقة . وبالطبع فانه كلما زاد عدد الأفكار المعطاة ارتفع مستوى الانسان في الطلاقة .

وأما المرونة فهي القدرة على انتاج الأفكار التي تظهر تحرك الانسان من مستوى تفكير الى آخر ، أو نقلاته التفكيرية بالنسبة الى مهمة معينة . ان الافكار التي تكرر الأعمال ذاتها لاتظهر مثل هذه النقلات التفكيرية ، ومثال ذلك أن اثنين من استعمالات القرميد آنفة الذكر وهما : استعمال القرميد كثقل لمنع تطاير الاوراق ، ووضعه فوق الخشب لتغطيسه في الماء ، إن هذين الاستعمالين متماثلان ، ففي الحالتين يستعمل القرميد كثقل ولذلك فليس ثمة اية نقلة في التفكير . أما الاستعمالات الثلاثة الأخرى فتقوم بمهام مختلفة ، وتظهر نقلات في التفكير أو أصالة فيه . وهكذا يحصل الشخص المذكور سابقا على أربع علامات فقط فيما يخص المرونة .

وأما التوسيع فهو القدرة على اضافة التفاصيل الى فكرة اساسية ثم انتاجها . افرض أنك أعطيت انسانا عددا من المربعات ، وطلبت اليه أن يفكر وأن ينتج أفكارا لم يُسبق اليها وأن يرسم صورا مستعملا هذه المربعات . انه قد يستعمل المربع في رسم (باب) ، وقد يعطي الصورة اسم (باب) فاذا ما أضاف الى الصورة مقبضا وتزيينات ، ووضع عليها لوحة باسم صاحب البيت ، وثقبا للعين السحرية وغير ذلك ، فانه يكون قد وسع فكرة الباب الاساسية ، وحينئذ يمكن أن يعطى علامة على كل تفصيل اضافة الى الفكرة الأساسية ، ، فكرة الباب . لكن وضع

المقبض لايعطي أية علامة بالنسبة للتوسيع وذلك على اعتبار أنه بدون مقبض لايكون المربع بابا .

وأخيرا فان الاصالة القدرة على انتاج أفكار غير عادية ولايستطيع انتاجها الكثيرون من الناس ، انها أفكار بعيدة وذكية . وواحدة من أكثر الطرائق المستعملة في روائز الأصالة ، هي وضع علامات للأفكار التي يقدمها خمسة أشخاص أو أقل من بين مائة شخص ، وفي بعض الأحيان تعطى للأفكار مابين خمس علامات للأفكار الجديدة تماما ، وعلامة واحدة للأفكار المألوفة . والأفكار التي ينتجها أكثر من خمسة أشخاص من بين مائة شخص تعطى صفرا ، فاذا ما جمعت كل العلامات التي يحصل عليها الانسان حصلت على تقدير رقمي لأصالته .

وقد أضاف (توارنس) ومعاونوه مؤخرا قدرات جديدة الى القدرات الأربع المذكورة أعلاه ، الا وهي : القدرة على التحليل والتجريد ، والقدرة على الاغلاق أي القدرة على تأجيل إكمال مهمة ما الى وقت يسمح بانتاج الافكار الأصيلة .

التفكير المطابق والتفكير المجانف :

ويميز علماء النفس بين نوعين رئيسيين من التفكير هما : التفكير المطابق والتفكير المجانف .

والتفكير المطابق هو ببساطة التفكير وفق الطرائق العادية المألوفة . اما التفكير المجانف فهو التفكير وفق طرائق جديدة غير مألوفة ولا مكرورة .

ويرى علماء النفس أن الناس بصورة عامة ـ ينقسمون الى قسمين أساسيين وهما : المفكرون تفكيرا مطابقا ، والمفكرون تفكيرا مجانفا ، كما يرون أن المبدعين الأصليين هم ذوو التفكير المجانف .

ومن سوء الحظ أن التفكير المطابق أي التفكير وفق الطرائق المألوفة هو ما يشجعه المربون غير الواعين من آباء وأمهات ومعلمين وسواهم ، مما يقتل في الطفل القدرات الابداعية ، ويجعل منه انسانا عاديا لا يبتكر ولايثور ولايغاير ، ولذلك فهو في نظرهم طفل (مثالي) وهو الجدير ـ فيما يزعمون ـ بالنجاح والتقدم .

والحق ان التفكير المجانف هو التفكير الذي يقود الى الابتكار والاختراع والابداع ، ولذلك فان علماء النفس والتربية اليوم يشجعون هذا النوع من التفكير ويوجدون الطرائق والوسائل التي تعين على استغلال هذا النوع من التفكير بعد تفتيحه واظهاره .

ان واحدا من الأمور المهمة التي قام بها (غيلفورد) هي توجيه اهتمام علماء النفس لا الى الطرق المختلفة التي تظهر ذكاء الانسان وابداعه فحسب ، وانما ـ إضافة الى ذلك ـ الى التفكير الذي يستطيع ان يقود الى العديد من البدائل المختلفة ، التي توصل الى الأجوبة عن التساؤلات وحلول المشكلات ، وبالتالي الى الابداع . ان هذه القدرة متصلة اتصالا وثيقا بالتفكير المجانف والقدرة على التحويل والتركيب واعادة التعريف .

ويرى علماء النفس أن كل إنسان يمكن أن يكون مبدعا في مجال أو مجالات معينة ، ولكن يبقى أن تعنى التربية والمربون باظهار قدرات الانسان ـ كل انسان ـ وأن تفتحها وتشجعها وتهيىء لها الفرص اللازمة ، وحينئذ يقدم الفرد ابداعه وابتكاراته لمجتمعه وأمته ، لاسيما وأن الأمم تتنافس الآن في عدد المبدعين في كل منها ونوعهم وقدرتهم على العطاء .

□

■ قال أحد البخلاء الأغنياء لخادمه : هات الطعام . . وأغلق الباب .

فقال الخادم . . ياسيدي هذا خطأ . .

قال : ولماذا ؟

قال الخادم : قل أغلق الباب . . وهات الطعام . .

فقال له السيد : أنت حر لوجه الله . . لمعرفتك بعزم الأمور .

غارقة في العيون

شعر : فاروق شوشة

من وحي المهرجان الشعري الذي عقد في بغداد - في اطار احتفالات اعياد المرأة العراقية - وشارك فيه الشاعر ممثلا لشعراء مصر ».

أخرستني العيون والأحداقُ
فكلامي الشرودُ ، والإطراقُ
الخُطى لهفةٌ ، وبعضُ انعطاف النفس
وجدٌ وغربةٌ واشتياق
وجناحان من حنينٍ يرفّا
نِ ، فهذا المدى ضُحىً وانعتاق
والهوى مركبي لدار حماها
وحماها النجومُ والأشواق
قيّدتني سبيكةُ العطرِ فارتعْ
تُ وللعطرِ سطوةٌ ووثاق
واحتوتني مفاتن السحر ، لحظٌ
بابليٌّ ، وكرمةٌ وعناق
واستُبيحت ممالكي ، فخيالي
مُشْرَئِب الخُطا ، وقلبي يساق
والهوى دائرُ الحُمَيّا ، فقلبٌ
مستجير اللظى ، وقلبٌ مراق
عنفوان الجمال يَغْشُو ، فأهفو
وبعينيَّ من لظاهُ احتراق

حيثما درتُ ، بصعدُ الدفءُ طقسا
عبقريا ، وتجهش الأعماق
ويغيب المَحْلُ الجديبُ ، وتحيا
من جديد وتُنبِتُ الأوراق
خفرٌ في العيون ، ان تكتم الشجوْ
وللشجو في العيون انبثاق
وارتدادٌ الى المسافات ينأين ،
وينأى الوميض والإبراق
السنون التي قطعنا .. اغترابٌ
والطريقُ التي احتوتْنا فراق
غارقٌ في العيون ، هيهات أطفو
بالقلْبِ يَلَذُّهُ الاغراق
رب القبتني بوادٍ ظليل
تتمنى وُرُودَهُ العشّاق
ما الذي الآن أشتكي ؟ رُبَّ نُعْمَى
قتلتني ، وللعبير اختناق
قد يُطاق الجمالُ فَرْدا ولكن
كلُّ هذا الجمال كيف يُطاق !

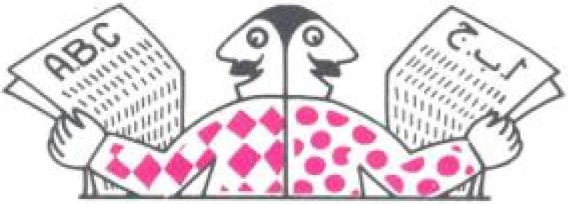

حكايات شرق وغرب

عيد ميلاد « سعيد جدا ! »

كانت مفاجأة لحرس السجن في لوس أنجيلوس بولاية كاليفورنيا الأمريكية ، عندما عرض السجين « سوتيللو » أن يعد لهم مأدبة عشاء فاخر بمناسبة عيد ميلاده الأربعين . فقد كانوا يعلمون أن سوتيللو كان يعمل رئيسا لطهاة أحد الفنادق الكبرى ، قبل أن يدخل السجن بتهمة الاعتداء على الزبائن !

وأعد الحرس مطبخ السجن ، واشتروا اللحوم والخضراوات والأسماك التي سيقوم الطاهي باعدادها شخصيا وتقديمها لهم على مائدة العشاء . . وبدأ « سوتيللو » المكسيكي الأصل يعمل في هدوء ، وامتلأ الجو برائحة اللحوم والأسماك المشوية ، وسال لعاب الحرس ، وراحوا يتعجلون الرجل لكي يفرغ من اعداد الأطباق الشهية التي كانوا ينتظرونها !

وأخيرا خرجت الأطباق من المطبخ يحملها « سوتيللو » ويرصها بنفسه فوق المائدة . . وجلس الجميع حولها يأكلون ويمتدحون صاحب هذه الأيدي الماهرة ، التي قدمت لهم ألذ وأشهى وجبة منذ جاءوا لحراسة المسجونين في هذا السجن المظلم القديم !

ثم حدثت المفاجأة عندما بدأ رجال الحرس يشعرون بالنعاس . . وفي البداية حاولوا مقاومة هذه الرغبة المفاجئة للنوم حتى يستطيعوا الاستمتاع بتناول الأطباق اللذيذة . . ولكن مقاومتهم ما لبثت أن انهارت . . وذهب الجميع في نوم عميق . !

ومن وراء باب المطبخ كان الطاهي الماهر ينتظر هذه اللحظة ، حتى اذا ما تأكد من أن جميع الحراس وعددهم ثمانية غير مدير السجن الذي وجهوا اليه الدعوة ليشاركهم هذا العشاء الشهي ، قد أغمضوا عيونهم واستغرقوا في النوم ، راح ينقلهم الواحد بعد الآخر الى الزنزانة التي كان يقيم هو فيها ، ثم أغلق عليهم الباب بالمفتاح الذي ألقى به بعد ذلك في بالوعة المطبخ ، ثم خلع ملابس السجن ، وارتدى ملابسه في هدوء ، وخرج من الباب الرئيسي ، وقد وضع فوق رأسه قبعة مدير السجن ، وراح يرد تحية الحرس الخارجي في كبرياء حتى اختفى تماما !

ماذا حدث ؟ لقد وضع « سوتيللو » الأقراص المنومة التي هربها اليه أصدقاؤه داخل أرغفة الخبز التي كانوا يحملونها اليه في أطباق الطعام الذي قدمه للحرس في عيد ميلاده . . وقد اتضح أنه كان يستعد للاحتفال بهذه المناسبة داخل السجن ، منذ أن دخله قبل ثلاثة أشهر !!

الحياة سنة ٢٠٠٠ !

الأطفال الذين يولدون اليوم لن يتجاوزوا الرابعة عشرة من أعمارهم ، عندما يحتفل العالم باستقبال سنة ٢٠٠٠ . سوف يعيش الطفل الذي جاء الى الدنيا في هذه الأيام ، شبابه ورجولته في القرن الحادي والعشرين ، وسيكون عالمه مختلفا اختلافا مذهلا عن العالم الذي نعيش فيه اليوم ، كما اختلف عالمنا عن عالم أجدادنا وربما أكثر !

سوف يصبح هذا الطفل قادرا على أن يعرف في خلال ثوان معدودة الاجابة عن أي سؤال بمجرد الضغط على زر صغير من أزرار الكومبيوتر . سوف يقف وسط بيته ويعطي الأوامر شفويا الى الفرن الذي يعمل بالموجة القصيرة ، والى ماكينة غسل الأطباق ، والانسان الآلي الذي يعمل في خدمته .

أما سيارته فلن تكون في حاجة الى البترول ، فسوف تستعيض عن هذه الطاقة التقليدية بالفحم السائل أو عصير قصب السكر . وسيحتوي طعامه على بعض أنواع أوراق الشجر والطحالب . وسوف يتمكن الجراحون من اجراء عمليات زرع مخ جديد ، وقلب اصطناعي كامل يعمل بالطاقة الكهربائية .

هذه بعض التنبؤات التي ظهرت حديثا في كتاب جديد بعنوان « الحياة في المستقبل » التي حاول فيها المؤلف « اسيموف » أن يرسم لنا صورة لشكل الحياة سنة ٢٠٠٠ ، أو بعد مرور بضع سنوات من اليوم .

ويقول المؤلف في كتابه : « واذا تقدمت صناعة السيارات بنفس السرعة التي تتقدم بها صناعة أجهزة الكومبيوتر ، فسوف نجد سيارة الأسرة الصغيرة تسير بلتر واحد من الوقود الذي يكفيها مدى الحياة ، ولا تكلف صاحبها أكثر من خمسة جنيهات استرلينية ! »

ثم يقول : « ان اليابانيين قد تمكنوا حديثا من انتاج آلة تستمع الى أي حديث بالانجليزية وتترجمه فورا الى اليابانية ، وهم يؤكدون أن الترجمة الفورية من أية لغة الى لغة أخرى سوف تتحقق بفضل هذه الآلة مع قدوم عام ٢٠٠٠ !

ومع اطلالة القرن الجديد الحادي والعشرين سوف يتمكن الانسان من الحديث الى أي شخص في أي مكان من العالم عن طريق الراديو ، في ساعة اليد الصغيرة التي يضعها حول معصمه ، وبفضل الأقمار الصناعية القوية التي تنتشر في الفضاء !

وسوف يعمل الملايين من البشر من منازلهم ، عن طريق أجهزة الكومبيوتر ، واذا أراد أن ينتقل من مكان لآخر ، فسوف تتولى السيارة التي يوجهها جهاز الكومبيوتر ، أو القطار الذي ينطلق بلا سائق بسرعة لا تسمح بملامسته للخط الحديدي المعد لسيره ، مهمة نقله الى المكان الذي يريد الذهاب اليه .

بقي بعد هذا الشبح المظلم الذي يخيم على الحياة في القرن الحادي والعشرين ، وهو الحرب النووية .. ثم يعدد الكتاب بعض الدول الصغيرة التي قد تسعى لاستملاك القنبلة الذرية قبل مجيء القرن الجديد !!

.. ووجد الأب « الحرية » التي يبحث عنها !

عندما ترك كالفين موس بيته وزوجته وطفله الصغير روبرت الذي لم يكن قد بلغ بعد العام الخامس من عمره ، كان يريد أن يجد « الحرية » التي افتقدها بعد الزواج ! فقد كان موس يقول لاصدقائه ان الزواج سجن بلا أبواب ، ولابد من تحطيمه اذا كنت تريد الخروج منه !

وذهب موس الى حيث لا يعلم أحد ، وابتلعه الشارع بمدينة كليفلند بولاية أوهايو الأمريكية ، ومضى على هذا الحادث أكثر من اثنين وعشرين عاما ، انقطعت خلالها كل صلة كانت تربط الأب الهارب وأسرته الصغيرة !

ثم كان اللقاء أخيرا ، ولكنه كان لقاء مثيرا حافلا بالذكريات التي صحت فجأة من رقادها .. فقد قبض بوليس الولاية على الأب كالفين موس وقدم للمحاكمة بتهمة تعاطي المخدرات وبيعها ، وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاما !

ودخل موس زنزانته ، ومرت بضعة أيام قبل أن يكتشف أن جاره في الزنزانة الملاصقة له تماما يحمل نفس الاسم ، وسأله : « من تكون أنت يابني ؟ » فقال : « أنا روبرت موس . وقد دخلت السجن لأمضي فيه عشر سنوات ، بعد أن اعترفت بتهمة السرقة من أحد المحال التجارية الكبرى ! »

وراح الأب يتفرس في وجه الشاب الذي كان يحدثه وهو يبكي : « لقد تركنا أبي ورحل منذ سنوات طويلة مضت .. رحل ، كما قالت لي أمي ، بحثا عن الحرية .. ولا بد أنه وجدها ، لانه لم يعد الينا مرة واحدة منذ رحيله ! »

وسقط الأب على الأرض بعد أن عجزت ساقاه عن حمله .. سقط وهو يتمتم : « روبرت ابني ، سجين مثلي لانه لص ، يالها من حرية .! »

وفي صباح اليوم التالي عرف الابن القصة .. عرف أن جاره هو والده الذي لم يكف عن البحث عنه لسنوات طويلة بعد رحيله .. عرفها من حارس السجن الذي كان بجواره وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة !

.. ومات المدرس بطلا !

كان الملازم السابق في الجيش السوفيتي « يوري ليلكوف » يشرح لتلاميذه الصغار في الفصل كيفية ابطال مفعول القنابل اليدوية ، كجزء من التدريب العسكري في المدارس ، وقال الملازم المدرس لتلاميذه وهو يمسك باحدى هذه القنابل بين يديه : « كل ما يجب عليكم أن تفعلوه هو الضغط على صمام الأمان ، ثم شد الحلقة الى الخارج !

راقبوني جيدا وأنا أقوم بهذه العملية البسيطة أمامكم !! »

وضغط المدرس على الصمام وشد الحلقة الى الخارج ثم عاد يوري يقول : « والآن عندما أترك الصمام ويعود الى مكانه الأول سوف تسمعون صوتا يشبه دقة الساعة ، لان هذه القنبلة هي مجرد نموذج لقنبلة حقيقية ، فالأمر يختلف مع الثانية ، لاننا عندما نعيد الصمام الى مكانه ينطلق عمود رفيع من الدخان ، ثم يحدث الانفجار بعد لحظات من القاء القنبلة على الهدف ! »

وقام ليلكوف ، بما كان يزمع القيام به وهو منهمك في الشرح لتلاميذه ، ولكنه ما كاد يفعل حتى شاهد عمودا من الدخان يخرج من القنبلة ، فهي لم تكن

نموذجا كما توقع ، وانما كانت قنبلة يدوية حية وضعت بطريق الخطأ !

وراح المدرس يفكر بسرعة .. انه لا يستطيع أن يلقي بها من نافذة الفصل لان التلاميذ يلعبون في فناء المدرسة ، ولا يستطيع أن يلقي بها من الباب ، لان هناك فصولا أخرى على جانبي الممر الطويل الذي تقع الفصول الدراسية على جانبيه ... ماذا يفعل اذن ، والقنبلة توشك على الانفجار خلال ثوان معدودة ؟!

لقد أمسك بها بكلتا يديه ، وابتعد حتى اقترب من

الحائط تماما ، والتصقت القنبلة بجسمه من الأمام ، بعد أن أدار ظهره الى تلاميذه . .

وانفجرت القنبلة أخيرا.. ومات « ليلكوف » بعد أن مزقت القنبلة جسده ، ولكن أحدا من تلاميذه لم يصب بسوء !

لقد استطاع بجسده أن يمنع الشظايا الصغيرة من الانتشار في الفصل الذي كان يضم أكثر من ستة وعشرين تلميذا بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة .

وعندما علمت زوجة الملازم السابق بما فعله زوجها لانقاذ تلاميذه من موت محقق ، قالت : « لقد مات يوري بطلا . . وسوف أروي لابنه الصغير ما صنعه والده حتى يستطيع أن يمشي دائما مرفوع الرأس بين زملائه ! »

أغنية العصافيـــــر !

عندما فقدت تريزا جيو شيلي توازنها وسقطت على الأرض في مطبخ البيت الصغير الذي تعيش فيه مع الوحدة والآلام الشيخوخة بمدينة ميلانو ، أدركت على الفور أنها لن تستطيع الوقوف على قدميها مرة أخرى ، فقد تقدم بها العمر وأصابها الوهن والضعف . . لقد جاوزت الثمانين !

ولكنها لم تنس في تلك اللحظة صديقيها اللذين بقيا يؤنسانها في وحدتها . . انهما كارلا وبولا العصفوران الصغيران الكناريان اللذان كان يملآن البيت بصفيرهما ! وقالت تريزا العجوز تحدث نفسها : ترى ماذا سيكون مصيرهما وأنا راقدة في مكاني غير قادرة على الحركة أو حتى الاستغاثة ؟ »

كانت تعلم أن أحدا لن يسمعها حتى لو استطاعت أن ترفع صوتها طالبة النجدة . . ولم يكن في البيت جهاز تليفون أو أقارب أو أصدقاء قريبون منها . . وأدركت أن رحلتها مع الحياة سوف تنتهي في هذا المكان الذي سقطت فيه . . ولكنها لم تستسلم رغم الآلام الشديدة التي كانت تحتوي جسدها الضعيف العجوز . . راحت تزحف بكل جسمها المنهك في اتجاه القفص الصغير الذي يعيش فيه صديقاها كارلا وبولا . كانت تريد أن تفتح لهما باب القفص ليخرجا منه لانها لا تريد لهما ان يموتا معها من الجوع والعطش !

ووصلت اليها أخيرا وخرج الصديقان ، وانطلقا عبر نافذة المطبخ الصغيرة ، ثم أغمي عليها !

ولكن الصديقين لم يتركا صاحبتهما . . لقد كان في وسعهما أن ينعما بالطيران في الحرية التي أعادتها اليهما صاحبتهما ولكنهما لم يفعلا . . لقد بقيا هناك فوق سور شرفة البيت المطلة على الشارع ، وراحا يصفران ويملآن الدنيا بغنائهما الجميل !

ولفت هذا المنظر غير المألوف أنظار الجيران . . فقد تعودوا أن يروا العصفورين الصغيرين ، ولكن داخل القفص ، أما هكذا وهما خارجه وفي مكانهما لايبرحانه فهذا الشيء الجديد الغريب !!

وأشفق الجيران على العصفورين من الضياع وسط هذه البيئة التي لم يألفاها ، فأسرعوا الى البيت يطرقون الباب ، ولكن أحدا لم يجب ، فقد كانت صاحبته العجوز ما تزال في غيبوبتها!

واستنجدوا بالشرطة وفتح باب البيت أخيرا . . ووجدوا صاحبته ملقاة على الأرض وقد أصيبت بكسور في ساقها . . ونقلوها الى المستشفى للعلاج ، وعلى فراشها الصغير ، قالت وهي تتطلع الى عصفوريها الجميلين ، كنت أعرف أنهما كل ما تبقى لي في هذه الدنيا . . لقد انقذا حياتي !

قال رجال الشرطة وهم يتطلعون في اعجاب الى هذا الوفاء : هل تعرفين باسيدتي أن صديقيك قد عادا الى القفص عندما ادركا انك لم تعودي وحدك !

اننا ما كدنا نصل اليك ونحملك في طريقنا الى المستشفى ، حتى فوجئنا بهما يعودان الى بيتهما الصغير ، فعدنا نغلق الباب عليهما ، وحملناهما اليك ليكونا بجوارك عندما تفتحين عينيك مرة أخرى على الحياة التي تصورت انها قد انتهت !

الإيدز

قصة مرض .. وصرخة تحذير

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

تاريخ الانسانية حافل بما لا يحصى من الانجازات العظيمة والاكتشافات الباهرة ، وفي مجال الطب بالذات نماذج رائدة وأسماء خالدة .. وفي العقد الذى نعيشه من تاريخ الانسانية شهدنا مقدم مرض حاد الأنياب والأظافر ، ثم شهدنا السيوف تستل من كل حدب لمواجهته والاجهاز عليه .. انه « الايدز » ، وانها قصة اكتشاف فريدة لمرض كان مؤهلا لان يكون أخا للطاعون والجدرى والسل ...

غادر كثير من العلماء أماكنهم في قاعة المؤتمر ، فقد تأخر بهم الوقت ونال منهم التعب ، ولكن القلة الباقية منهم أصروا على البقاء ليستمعوا الى المحاضرة الأخيرة التي سيلقيها العالم الفرنسي لوك مونتاجنير والتي سيعرض فيها اكتشافه لفيروس جديد يعتقد أنه العامل المسبب لمرض الايدز . هذا المرض الذي تسبب حتى ذلك الوقت في وفاة ما يزيد على ألفي شخص والذي يهدد آلافا آخرين غيرهم بالموت .

ومع ما كان مونتاجنير يتمتع به من مكانة علمية مرموقة ، الا أن عرضه لنظريته الجديدة حول هذا الفيروس لم يرق للحاضرين ، بل لقد كان مثار جدل علمي طويل بينه وبينهم ، ولقد كان أكثر الحاضرين شعورا بخيبة الأمل العالم الأمريكي روبرت جالو ، خبير الفيروسات الذي طالب المحاضر ببراهين تدعم أقواله ، وتخرج بها الى حيز القطع .. وأمام هذه « المحاصرة » العلمية لم يجد مونتاجنير أمامه من سبيل الا أن يوافق على وجوب اجراء المزيد من الأبحاث لتأكيد النظرية وتوثيقها . يومذاك .. لم يكن ليدور في خلد أحد من الحاضرين ، حتى ولا في خلد مونتاجنير نفسه ، أنه وضع يده على كشف علمي جديد ، وان تلك المناقشات الحادة التي شهدتها قاعة المؤتمر لم يكن لها أن تدحض حقيقة قائمة ، وان كانت قد اسهمت في اذكاء حماسة العالم الفرنسي لاثبات نظريته ، وازالة الغموض المتوهّم حولها ..

كان ذلك اللقاء في الخامس عشر من شهر سبتمبر/ ايلول عام ١٩٨٣ .. وكان المؤتمرون نخبة من جلة العلماء المعنيين بموضوع الفيروسات ودراسة الجديد فيها .. ولقد أعقبت هذا المؤتمر ستة أشهر كاملة من البحث الجاد الدؤوب ، حتى تمكن مونتاجنير من اقامة الدليل على صدق ما أشار اليه في محاضرته ، وحتى أثبت بالبرهان القاطع أن ذلك الفيروس الذي وصفه هو بالفعل الفيروس المسبب لمرض الايدز .

القصة من بدايتها :

كانت البداية في صيف عام ١٩٨١ ، حين أصيب عدد من الشبان في ولايتي كاليفورنيا ونيويورك الأمريكيتين بمرض غير مألوف .. مرض مجهول الهوية .. مرض تفاقم وتطور حتى انتهى بفرائسه الى الوفاة ، قبل أن يتمكن الطب من الاهتداء الى العلاج ، وكانت الملاحظة اللافتة للنظر في هذا المرض أن ضحاياه مشتركون في ظاهرة واحدة ، وهي أنهم جميعا من الشاذين جنسيا ، وبالتحديد من الأشخاص الذين يمارسون الجنس مع آخرين من نفس جنسهم ، ولقد غلب على ظن الأطباء وهم يتعاملون مع هذه الحالات الفردية انها حالات طارئة وغير عادية ، وأنها قد لا تستحق من الاهتمام الا قدر ما يثيره الفضول العلمي ، ولم يكن واضحا لأحد أن هذه الحالات انما هي نذير الخطر بقدوم مرض جديد

دويل : يعتمد على عطف الغرباء

يهدد المجتمع بأكمله ، ويستوجب استنفار الفعاليات الطبية على مختلف الأصعدة ، لصد هذا الخطر الداهم ، حتى جاءت الاحصاءات وعمليات القياس لتضع المشكلة في حجمها الصحيح الكبير .. فقد أعلن أن الرقم الحالي للاصابات أصبح يقدر بـ ٦٠٠٠ اصابة ، كان مصير أكثر من نصفها الوفاة ، ويتوقع وفاة النصف الآخر في غضون السنوات الثلاث القادمة ، وأن هذا العدد قد يرتفع في غضون السنوات الخمس القادمة الى مايقرب من (٣٠,٠٠٠) اصابة ، وأن نسبة غير قليلة من هذا العدد مصابون بالفعل ، ولكنهم لم يكتشفوا اصابتهم بعد .

ومع هذه التوقعات المخيفة اعتبر مرض الايدز المشكلة الصحية الاولى فى الولايات المتحدة، وخصص لمواجهتها ميزانية قدرت بـ (١٦٣) مليون دولار.. اضافة الى أن هذه المشكلة أصبحت الشغل الشاغل لأكثر العلماء والباحثين شهرة فى مجال الفيروسات والأمراض الوبائية. وفى مقدمة هؤلاء عالمان أمريكيان وثالث فرنسى.. فمن هم هؤلاء الثلاثة، وكيف استطاعوا بجهودهم المتضافرة أن يصلوا آخر الأمر الى تحديد هوية مرض الايدز؟

فأما أول الامريكيين فهو روبرت جالو الذى اتينا على ذكره فى صدر هذا المقال، والذى يرأس حاليا مختبر أبحاث بيولوجيا السرطان فى معهد السرطان القومى فى ولاية ماريلاند الأمريكية، والذى كان اهتمامه منصبا بالأساس على دراسة نوع نادر من سرطان الدم (Leukemia) الذى كُشف فى اليابان وبعض مناطق افريقيا، ولم يكن مرض الايدز داخلا فى اطار اهتماماته بادىء ذى بدء.

وأما الثانى فهو العالم الأمريكى ماكس ايكس الذى كان يجرى أبحاثه فى منطقة قريبة من مدينة بوسطن، والذى كان معنيا بالفيروسات التى تسبب الاصابة بسرطان الدم عند القطط، كما كان معنيا بتأثير هذه الفيروسات على الجهاز المناعى عند القطط، وقد كان هو الآخر غافلا عن الايدز منصرفا عن الاهتمام به..

وأما عالمنا الفرنسى فقد كانت اهتماماته محصورة فى مجال أبحاث سرطان الثدى، وفى محاولة ربطه بأسباب فيروسية، بعد أن استطاع أن يثبت علاقات الفيروسات بالسرطان لدى حيوانات التجربة.. ولم يكن هذا العالم سوى مونتانيير نفسه... ومن العجيب أنه حتى مونتانيير هذا لم يكن مدركا لعلاقة أبحاثه هذه بمرض الايدز.

كانت حالات الايدز الاولى قد ظهرت، وبشكل محصور نسبيا، فى منطقتين محددتين، وكان الظن أولا أن الأمر قد يكون وباء.. ولكنه جاء محدود الانتشار، ومن هذا المنطلق عهد مركز مكافحة الأمراض فى مدينة أتلانتا ـ وهو الجهة الأمريكية المتخصصة بأمور الأوبئة ودراستها والعمل على احتوائها ـ عهد هذا المركز الى فريق من الباحثين مكون من عشرة أشخاص للتصدى لهذه المشكلة، واقتراح الحلول اللازمة لمعالجتها.. ومن الطريف ألا يكون لأى من العلماء السالف ذكرهم وجود فى هذا (الفريق) من الباحثين، وان تلقى مهمة ترؤسها الى طبيب متخصص بالأمراض التناسلية، هو الدكتور جيمس كوران، ولم يكن مستغربا وقتها أن تلقى هذه المهمة على عاتق اختصاصى فى الأمراض التناسلية، على اعتبار أن المرض كان ينتقل عن طريق الاتصال الجنسى، اعتمادا على المشاهدات الأولية، وعلى القصة السريرية للحالات المرضية..

وبدأ أعضاء الفريق عملهم بالانتشار فى الأحياء التى يكثر فيها أصحاب الشذوذ الجنسى، فى كل من مدينتى سان فرنسيسكو ونيويورك، وعملوا على جمع المعلومات الميدانية المتعلقة بالموضوع، من مقابلتهم للعديد من أصحاب الشذوذ الجنسى، ومحاولة معرفة التفاصيل الكاملة عن ممارساتهم الجنسية.. لقد كانوا يريدون أن يعرفوا ـ قبل كل شىء ـ لماذا يصاب بعض الأشخاص بهذا المرض، ولايصاب به البعض الآخر على الرغم من اشتراكهم جميعا بصفة الشذوذ الجنسى..؟ ولم تكن هذه المهمة بالمهمة اليسيرة، فقد تطلب ذلك منهم الدخول الى صميم حياة تلك الفئة من الأشخاص مع كل ما يكتنفها من السرية والانغلاق، والى القيام بزيارات عديدة الى الملاهى والخمارات، والى الأقبية السرية الملحقة ببعض النوادى، حيث كانوا يجتمعون ويمارسون شذوذهم... وقد بينت هذه الاستقصاءات ان الأشخاص المصابين بالايدز هم من أصحاب النشاط الجنسى الشاذ المفرط، ومن المتعاطين لأنواع من المخدرات تساعدهم على تحقيق المزيد من النشوة الجنسية.

ورغم أن هذا العمل استغرق شهورا عدة، الا أن الفكرة التى كانت منطلق البحث، وهى أن الايدز مرض ينحصر وجوده عند هذه الفئة من الناس، ظلت هى الفكرة الراجحة، الى أن ظهرت فى الميدان حالات جديدة من الايدز لم يكن لضحاياها أية علاقة بهذا الشذوذ..

ومن هنا بدأت المشكلة تأخذ أبعادا جديدة أكثر تعقيدا، وبدأت جهات عديدة ومن أنحاء متفرقة من العالم، تتنادى لبحث الموضوع بشكل أكثر عمقا

واوسع اطارا .. لقد بدأ المرض يصيب ـ اضافة الى الفئة السابقة ـ الأشخاص المدمنين على المخدرات ، ولا سيما المخدرات التى تحقن وريديا ، ثم ظهرت اصابات بين الأشخاص المصابين بمرض الناعور (الهيموفيليا) ـ وهو مرض دموى وراثى ، يتظاهر بالنزف المديد غير العادى ، التالى لاصابات مرضية ، ويتطلب علاجه حقن المريض وريديا بمثبطات النزف ـ كذلك ظهرت اصابات عديدة بين المهاجرين من أصل هايتى ، وحالات أخرى أعقبت عملية نقل دم لاصحابها لأسباب مختلفة .. كل ذلك الاختلاف فى نوعية المصابين أظهر أن المعضلة لن تحل بتوجيه الجهد والانتباه ناحية أصحاب الشذوذ الجنسى وحدهم ، وأن جهودا أخرى لا بد أن تبذل ـ وعلى مستويات مختلفة ـ للوصول الى حل ، وأن جهود اختصاصى الأمراض التناسلية وحدهم لن تكون كافية للتعرف على كنه هذا المرض وسببه .

ومضى عام :

فى صيف ١٩٨٢ .. وبعد مرور عام كامل على ظهور الحالات الأولى لهذا المرض ، كان عدد الاصابات فى أمريكا قد وصل الى ٧٠٠ حالة ، وعلى الرغم من أن اختصاصى الأوبئة لم يكونوا قد توصلوا آنذ الى معرفة أصل المشكلة ، الا أن بعض الحقائق كانت قد بدأت تتكشف فى المخابر السريرية .. فقد أظهرت تلك المخابر أن أساس العلة يكمن فى دماء أولئك المصابين ، وبشكل أوضح أن دماء أولئك المصابين كانت تفتقد الكريات البيضاء اللمفاوية المتخصصة بمقاومة الأمراض ، والتى تشكل عند الانسان خطا هاما من خطوط الدفاع عن البدن ضد الجراثيم والفيروسات ، وحتى السرطانات التى تهدده بالمرض ، ويبدو أن الايدز لم يكن سوى نتيجة لفقدان هذه الكريات البيضاء ، وبالتالى لانهيار أجهزة الدفاع عن البدن ، وجعله فريسة فاقدة الحيلة تجاه أى غزو متمثل فى مرض من الأمراض .. وقد فسرت لنا هذه الملاحظات مجتمعة لماذا يتعرض ضحايا الايدز الى أمراض وعلل مختلفة ، ولماذا يتنوع السبب المباشر للوفاة .. فمنهم من يصاب بنوع خبيث من السرطان (سرطان كابوزى الذى يصيب عادة المتقدمين فى السن) ومنهم من يصاب بنوع نادر من التهاب الرئة الذى يصيب فى العادة الأشخاص الذين يتعاطون أدوية معينة ، تضعف عندهم أجهزة المناعة والدفاع ، لأغراض طبية خاصة ، أو يكونون عرضة لأمراض طفيلية قليلة المشاهدة ، يصاب بها عادة الأطفال المولودون بفقد خلقى لجهاز المناعة عندهم .. وهكذا تتنوع الاصابات ، ولكنها كلها انعكاس لما فقده الجسم من أسلحة الحماية والمناعة .. ومن هنا سمى هذا المرض بالايدز ، وهى حروف مختصرة تعبر عن المرض المتميز بضعف الجهاز المناعى ، وقد كان لكشف هذه الحقيقة أهمية بالغة فى توجيه دفة البحث والاستقصاء ، وفى لفت انتباه الكثير من الباحثين المعنيين بأمور المناعة وأمراضها ... وهذا ما حدث بالفعل ، فقد وجد علماء المناعة بين ايديهم مرضا متميزا يصيب جهاز المناعة وحده دون أجهزة الجسم الأخرى ، وقد اعتبروه ـ أى الايدز ـ وسيلة فريدة لكشف الكثير من الغموض الذى يكتنف موضوع المناعة عامة ..

ولقد كان من هؤلاء العلماء الذين أثار الايدز انتباهم العالمان ماكس ايسكس وروبرت جالو ، فأما ايسكس فقد لفت نظره أن الايدز يدمر جهاز المناعة بطريقة تشابه فعل الفيروس (FELV) المسبب لسرطان الدم عند القطط ، وأما جالو فقد جذب انتباهه حقيقة أن الايدز يقضى على الخلايا اللمفاوية ، ويؤدى الى اختفائها من دم المصابين ، وهذا يماثل ما يحدثه فيروس آخر هو فيروس (HTLVI) الذى يسبب تدمير الخلايا اللمفاوية ، ويحدث نوعا من سرطان الدم عند الانسان .

وهكذا احتل الايدز مركز الصدارة فى اهتمام العالمين المذكورين ، لاسيما أن الفيروس (FELV) الذى يدرسه ايسكس والفيروس (HTLVI) الذي يدرسه جالو ينتميان الى مجموعة فيروسية واحدة ، وهى المجموعة المسماة بـ (الرتروفيروس) وهكذا أيضا نهض سؤال جديد واحد فى ذهن كل من العاملين : الا يمكن أن يكون الايدز ناجما عن فيروس مشابه لفيروس الـ (HTLVI) ؟

رحلة البحث عن السر :

رغم أن الهدف كان واحدا لكل من أيسكس وجالو الا أن كلا منهما سلك اليه طريقا خاصا ، فكلاهما كان يسعى لمعرفة ما اذا كان الايدز ناجما عن الاصابة بفيروس ينتمى الى مجموعة الرتروفيروس ، ولكن كلا منهما نحا نحوا مستقلا . .

أما جالو فقد وجه اهتمامه للكشف عن الفيروس المنشود فى أنسجة الشخص المصاب بالايدز ، وخصوصا فى خلاياه اللمفاوية التى هى الهدف الأول للاصابة . . مثله فى ذلك كمثل رجل الشرطة الذى يبحث عن حل القضية الجنائية فى مسرح الجريمة ، وأما ايسكس فقد أراد الكشف عن الفيروس بالتحرى عن الأجسام المضادة الخاصة ، التى يكونها الجسم عادة حين يتعرض لغزو جرثومى أو فيروسى ، فمثله كمثل من يتتبع المجرم بالبحث عن بصماته . . وفى الواقع فان تشبيه الأجسام المضادة التى يشكلها الجسم ببصمات الأصابع تشبيه صحيح الى حد بعيد ، فكما أن البصمات تخص فردا بذاته ، فالأجسام المضادة كذلك توجه ناحية نوع معين ومحدد من الغزاة ، فى حين تتوجه أجسام ضدية ناحية غاز من نوع آخر . . . واعتمادا على هذه فى الاجسام الضدية يمكن الكشف عن وجود الغازى ، فعن طريق الكشف عن الأجسام المضادة لفيروس الحصبة مثلا يمكن البرهنة على فيروس الحصبة ذاته . . وهكذا كانت عناية ايسكس منصبة على الكشف عن أجسام مضادة لفيروس (HTLVI) فى دم المصابين بغرض الكشف عن تعرض الجسم للاصابة بفيروس الـ (HTLVI) .

وهكذا تحدد اسلوب البحث وخطة العمل ، وبدأت العينات من المرضى المصابين بالايدز ،ومن أولئك الذين فقدوا حياتهم بسببه تصل تباعا الى مختبرى الأبحاث ، حيث يعمل كل من ايسكس وجالو . . وكان ذلك فى خريف عام ١٩٨٢ .

لقد عمد جالو الى البحث عن الفيروس في الخلايا اللمفاوية بالذات ، فهى كما ذكرت هدف الاصابة الأول ، ولم تكن مهمته تلك بالمهمة اليسيرة ، فهو يبحث عن شىء لا يعرف شكله أو صفته ، والأسلوب المتبع علميا فى مثل هذا البحث أن يعمد خبير الفيروسات الى محاولة تكثير عددها ، الى حد يمكن معه كشفها والتعرف عليها ، وهذا التكثير انما يتم بمحاولة « استنبات » الخلايا التى يظن باصابتها بذلك الفيروس فى محاليل خاصة ، وحينما تزداد أعداد تلك الخلايا ستزداد معها أعداد الفيروسات المطلوبة ، وتسهل رؤيتها وتحديدها وتمييزها عن سواها ، وهذا بالضبط ما فعله جالو ، فقد وضع الخلايا التى يعتقد أنها مصابة بالفيروس فى محاليل الزرع الخاصة ، وراح ينتظر أن تتكاثر أعداد تلك الفيروسات . . ولكن النتيجة لم تأت حسب توقعه ، فعلى الرغم من تكاثر أعداد الخلايا واستمرارها فى الحياة لعدة أسابيع ، الا أن جالو فشل فى كشف الفيروس الذى يبحث عنه ، لقد ظلت تلك الخلايا حية لمدة ثلاثة أسابيع كاملة ثم أخذت بالموت والاختفاء ، الامر الذى أزعج جالو كثيرا ، فقد كان يعتقد أن هذه الخلايا ستستمر فى التكاثر والحياة لفترات طويلة غير محددة ، وبنفس النمط الذى تتكاثر فيه الخلايا السرطانية ، مادامت الخلايا المزروعة خلايا مصابة بفيروسات من نوع (HTLVI) التى سبق لجالو أن أثبت أنها تسبب التكاثر السرطانى اللامحدود ، وهكذا أسقط فى يد جالو وفشل فى الكشف عن الفيروس ، كما فشل حتى فى اثبات أثره على الخلية المصابة به .

لقد كانت النتائج السلبية السابقة كفيلة بأن تقعد جالو عن الاستمرار فى محاولاته ، لولا ما بلغه من حصول أيسكس على بعض النتائج المشجعة ، باستخدام طريقة الأجسام المضادة ، فقد تمكن ايسكس من كشف الأجسام المضادة لفيروس الـ (HTLVI) فى أكثر من ثلث عينات الدم الخاضعة للدراسة ، وكانت هذه النتيجة مذهلة حقا ، لا سيما بعد أن تحرى عن مثل هذه الأجسام الضدية لدى الأشخاص الأصحاء ، للمقارنة ، فلم يعثر لها على أثر . وهكذا بدأ يتضح أول معالم الطريق ، اذ لو لم يكن لفيروسات الـ (HTLVI) علاقة بالايدز لما ظهرت أضداد لها فى دم المصابين ، فى حين برىء دم الأصحاء من هذه الأضداد . فى الوقت نفسه نهض فى ذهن ايسكس تساؤل هام ،

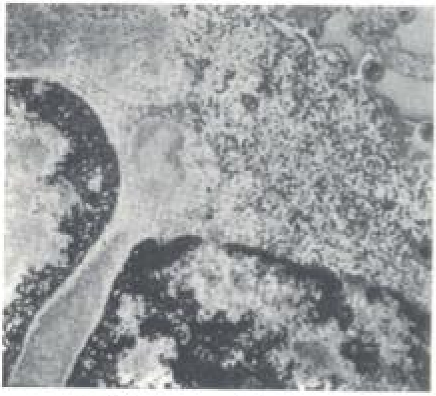

صورة مجهرية لفيروس مرض « الايدز »

كان لا بد معه من جولة أخرى من جولات البحث العلمى الدؤوب : على فرض أن هذه الفيروسات علاقة بالايدز ، فان هذا يعنى حتمية كشفها أو كشف أضداد لها فى دماء كل المصابين بهذا المرض ، الأمر الذى لم يكن تأكيده واقعيا بالفحوص المخبرية .. فما الذى يمكن عمله اذن لتفسير مثل هذا الغموض أو التناقض ؟

اقترح جالو على ايسكس تعليلا يمكن أن يعزى اليه هذا الغموض فقال : لنفكر فى أن نجد التعليل فى ظاهرة التفاعل المتصالب ، وهذه الظاهرة معروفة فى علم المناعة والأجسام المضادة ، وتعنى أنه اذا وجد نوع من التشابه فى التركيب الكيماوى لنوعين من الجراثيم أو الفيروسات مثلا فان الأجسام المضادة التى يشكلها البدن ضد واحد من هذين النوعين ، حين يغزو الجسم ، يمكن أن تتفاعل وتهاجم النوع الثانى حين يغزو الجسم ، بالرغم من أنها ـ أى الاجسام المضادة قد شكلت أصلا ضد النوع الأول من الفيروسات .. وبمعنى آخر فكأن الأمر « يلتبس » على هذه الأجسام المضادة ، فتهاجم فيروسات مشابهة نوعا ما للفيروسات الخاصة بها ، والتى شكلت أصلا لمقاومتها ومكافحتها .

واعتمادا على هذه النظرية افترض جالو أن الفيروس الذى يحدث الايدز ليس هو الفيروس (HTLVI) ـ الذى أثبت أنه يحدث نوعا من سرطان الدم فى اليابان ـ وانما هو فيروس مشابه له فى التركيب الكيماوى الى حد ما .. ومن هنا فالأجسام المضادة التى تشكلت فى دماء المصابين بالايدز تجاه هذا الفيروس ، لها القدرة على مهاجمة فيروسات الـ (HTLVI) اضافة لقدرتها على مهاجمة فيروسات الايدز طبعا ، نظرا ، للتشابه الكيماوى بين الفيروسين .. وهكذا تبادر الى ذهن ايسكس ان الاجسام الضدية التى كشفها انما هى أجسام مضادة ليست موجهة ضد فيروسات الـ (HTLVI) أساسا ، بينما هى فى الواقع موجهة ضد فيروسات مشابهة ، وقد حدث هذا اللبس بسبب ظاهرة التفاعل المتصالب .

الدور الفرنسى فى الموضوع :

لننتقل الآن الى مكان آخر من العالم ، وبالتحديد الى فرنسا موطن العالم المتخصص بأبحاث الفيروسات ـ مونتاجنير ـ والذى يرأس قسم الفيروسات فى معهد باستور الشهير ، ولندخل عليه مخبره فى محاولة من جانبنا لمعرفة ما توصلت اليه أبحاثه فى هذا المضمار .

بدأ مونتاجنير أبحاثه بطلب عينات دم من الأشخاص « المشتبه » باصابتهم بالأيدز وليس من المصابين به فعلا ، أى من أشخاص يظن لبعض الأعراض مثلا أنهم قد يكونون فى المرحلة البدائية للمرض . ومن ضمن هؤلاء تم اختيار أشخاص يعانون من تضخم مجهول السبب فى العقد اللمفاوية ، مع كونهم من الفئة التى يكثر الايدز بينهم ، لأنهم من الشاذين جنسيا .

لقد ظهر لمونتاجنير ـ ولأسباب غير معروفة ـ أن عدد فيروسات الأيدز يصل الى حد كبير فى عينات الخلايا المدروسة خلال فترة أسبوعين ، ثم يبدأ هذا العدد بالتناقص السريع في الوقت الذى تبدأ فيه الخلايا بالموت والاختفاء ، وهذا يعلل السبب فى أن جالو لم يتمكن من كشف الفيروس فى الخلايا التى أخضعها للدراسة ، بعد أن زرعها لمدة ثلاثة أسابيع .. ذلك أن معظم الفيروسات كانت قد اختفت حينما بدأت الخلايا بالموت .

وككل كشف جديد لم يكن مونتاجنير واثقا كل

الثقة من أن ماعثر عليه في الخلايا هو فيروسات الايدز ، وخشي أن تكون هي فيروسات ال (HTLVI) المشابهة لها ، ولكي يقطع الشك باليقين اتصل بزميله جالو وطلب منه ارسال بعض المواد الكيماوية ، والتي يمكن بواسطتها التحقق من كون الفيروسات الجديدة هي الفيروسات التي يبحث عنها .. وأرسلت المواد الكيماوية المطلوبة الى فرنسا على جناح السرعة ، وبعد اسبوع من العمل المتواصل ظهرت النتيجة : ان الفيروسات المكتشفة ليست بفيروسات الـ (HTLVI) وانما هي فيروسات أخرى .. لقد اكتشف الفرنسيون اذن فيروسات جديدة من مجموعة الرتروفيروس مسئولة عن مرض يصيب الانسان ، وكان هذا بحد ذاته كشفا علميا رائعا . ولكن هل هذه الفيروسات المسببة للايدز ؟ ام أنها فيروسات جديدة حقا تم اكتشافها بالصدفة ، ولا علاقة لها بالايدز .. وتأتي الأيام بعد ذلك لتثبت أن ما كشفه الفرنسيون ـ ولم يكن باستطاعتهم وقتها تأكيده ـ انما هو الفيروس المسئول عن الايدز بالفعل .

مع حلول ربيع ١٩٨٣ أصبح الايدز مشكلة عامة ، وأصبح موضوع الحديث ومصدر الخوف للعامة والخاصة على السواء ، وخرج عن كونه فضولا علميا أو هما طبيا ليصبح قضية لها آثارها العديدة على المجتمع الأمريكي .

ومع قدوم صيف ١٩٨٣ أصبح عدد المصابين بالايدز يقدر بـ ١٥٠٠ مصاب ، توفي منهم ٦٠٠ شخص ، وينتظر الباقون نفس المصير في غضون سنوات ثلاث .

البرهان على الاكتشاف الجديد :

على الرغم من أن الفرنسيين استطاعوا اكتشاف الفيروس ، الا أنهم ظلوا يفتقرون الى الطريقة التي بواسطتها تأكيد ماتوصلوا اليه . وكانت المشكلة الرئيسية بالنسبة اليهم هي في الحصول على عدد كاف من الفيروسات لدراستها ... أو بمعنى آخر زراعتها باعداد كافية . ولما كانت هذه الفيروسات قد كشفت في خلايا شخص مصاب بتضخم في العقد اللمفاوية ، فقد أطلق على هذه الفيروسات اسم (LAV) ـ أي الفيروسات المرتبطة بتضخم العقد اللمفاوية ـ الى أن يثبت أنها السبب الرئيسي الفعلي للاصابة بالايدز .

وكما يقول المتخصصون بأمور الفيروسات ، فان استزراع هذه الفيروسات والعثور على الخلايا الملائمة لتكاثرها ضمنها ليس بالمهمة اليسيرة دائما . وقد حاول جالو أن ينجح في هذا المضمار ، بعد أن خانه حظه وحدسه العلمي في المرحلة الأولى من الكشف ، وقد كان قاب قوسين أو أدنى من النجاح ـ وكان أول ماعمله هو أن أعاد دراسة العينات التي سبق له أن فحصها الرتروفيروس في ٤٨ عينة من عيناته ، وبذلك يكون قد تحقق مما ذكره الفرنسيون ، بعد أن اتبع طريقتهم في البحث .

ولكن السؤال الجديد الذي برز والذي بات يتطلب الاجابة : هل جميع هذه الفيروسات المشاهدة في العينات مسئولة عن الايدز أم أن بعضها فقط هو الذي يحمل هذه الخاصة ؟

وهل هذه الفيروسات من نوعية واحدة أم أنها مختلفة بعضها عن بعض ؟ لقد افترض أنه اذا كانت هذه الفيروسات مختلفة بعضها عن بعض ، فان هذا يعني أن وجودها في تلك العينات المدروسة انما يعود في الواقع الى كون المصاب بالأيدز شخصا معرضا للاصابة بكل أنواع الفيروسات وان وجود هذه الفيروسات ماهو الا « نتيجة » لاصابته بفقدان المناعة ، وليس هو سبب الاصابة بالمرض ذاته ..

ولاثبات الاختلاف أو التشابه أو نفيهما في تلك الفيروسات ، كان لابد من الحصول على عدد كبير منها لاستزراعه وفرزه ، وهذا يعني أن أمام جالو عقبتين أساسيتين : ـ اولاهما أن يحصل على الخلايا الملائمة القادرة على الحياة لمدة طويلة ، بالرغم من اصابتها بالفيروس ، اي خلايا مقاومة للموت نسبيا . والعقبة الثانية ايجاد وسيلة لانتاج العدد الكبير اللازم من هذه الفيروسات . ومن الجميل أن هاتين العقبتين حُلّتا في وقت واحد .. ولكن ليس على يد جالو نفسه ، وانما على يد أحد مساعديه في المختبر ويدعى بوبوفيك . لقد كان بوبوفيك هذا مقتنعا بأنه لن يكون من السهل الاعتماد على الخلايا اللمفاوية العادية في انتاج فيروسات الايدز ، على الرغم من كون تلك اللمفاويات الهدف الأول للاصابة بالفيروس .. لذلك فقد سعى الى البحث

عن نوع آخر من الخلايا ، له قدرة أكبر على الحياة والنمو ، ثم بدا له أن يستخدم الخلايا اللمفاوية المفصولة من دماء المرضى المصابين بسرطان الدم ، لان مشاهداته السابقة أكدت له أن تلك الخلايا تتمتع بقدرة أكبر على مقاومة تأثير الفيروسات عموما .. وهذا مافعله بالضبط ، فقد قام بمساعدة زميله في المختبر (اليزابيث ريد) بمزج الخلايا اللمفاوية من مرضى سرطان الدم بالعينات الحاويةعلى فيروسات الرتروفيروس المشتبه بأنها سبب الأيدز ، وأخذا يرقبان تطور الأمور ، ومضت أسابيع قبل أن تظهر أية نتيجة مشجعة ، وفي غضون ذلك غادر بوبوفيك مخبره لتمضية اجازته السنوية في موطنه سويسرا ، تاركا مهمة المتابعة لزميلته اليزابيث ..

وفي عصر يوم من ايام اكتوبر من عام ١٩٨٣ ، وبينما كانت اليزابيث تقوم بالفحص العادي لانابيب التجربة ، اكتشفت ماطال انتظارها له .. لقد شاهدت نشاطا فيروسيا كبيرا في العينات الخاضعة للدراسة ، وبشكل لم تر له مثيلا من قبل ، ولم تصدق عينيها بادىء الأمر ، فأعادت النظر مرات ومرات .. وكانت الحقيقة : وكان مما ضاعف من دهشتها أن الخلايا اللمفاوية المزروعة مع تلك الفيروسات لم تمت ولم تختف ، بل ـ على العكس ـ تكاثرت وتضاعفت أعدادها ..

وحين عاد بوبوفيك من اجازته ووقف على هذا التطور الجديد لم يشأ أن يخبر صديقه جالو بالأمر ، بل أراد التأكد بنفسه من تلك النتيجة ، وأن يطمئن الى صحتها . وأعاد بوبوفيك العمل بنفسه ودقق فيه طويلا حتى حصل على النتيجة ذاتها ، بل لقد استطاع ـ اضافة الى ذلك ـ ان يعزل الخلايا اللمفاوية

عودة الى فرنسا :

في الوقت الذى كان فيه الأمريكيون مشغولين بموضوع زراعة الخلايا اللمفاوية ،وتكثير أعداد الفيروسات اللازمة للدراسة ، كان الفرنسيون مهتمين بموضوع فيروس الـ (LAV) الذى كشفه مونتانيير في دماء المرضى المشتبه باصابتهم بالايدز.. وكانوا في دوامة البحث عن البرهان على أن تلك الفيروسات ـ التى هى من مجموعة الرتروفيروس ـ هى بالفعل سبب الأيدز . واستمر التعاون بين العلماء الفرنسيين والأمريكيين ، واتصلت حلقاته ، قام مركز مكافحة الأمراض في « اتلانتا » بتزويد المخابر الفرنسية بالعديد من العينات المأخوذة من مرضى مصابين بالايدز ، أو من آخرين تحوم الشكوك حول اصابتهم به ، وذلك للكشف عن فيروس الـ (LAV) في تلك العينات . وكان الرأى يومئذ أنه اذا اكدت الفحوص وجود فيروس ال (LAV) في جميع تلك العينات ، أو في غالبيتها على الأقل ، كان ذلك دليلا قويا على علاقة الـ (LAV) بالايدز . وجاءت نتائج الفحص كما كان مرجوا ومتوقعا ، فقد عثر على فيروس الـ (LAV) في كل العينات المأخوذة من الأشخاص المشتبه باصابتهم بالايدز ، كما عثر عليه في غالبية الأشخاص المصابين به بالفعل .

وهكذا اصبحت علاقة الايدز بـ (LAV) علاقة شبه مؤكدة ، واقتنع الكثيرون بأن الـ (LAV) هو الفيروس المسبب للايدز .

المحطة التالية :

والأن وقد تم للعلماء معرفة سبب الايدز ، فقد أخذت الجهود تتجه نحو المحطة التالية : كيف يمكن اكتشاف المرض في مراحله المبكرة عن طريق فحص مخبرى بسيط ؟ ثم يأتى بعد ذلك الهدف الأهم وهو كيف تتم معالجة هذا المرض ؟ .

أما بالنسبة لعملية اكتشاف المرض فان بعض شركات الأدوية على وشك أن تطرح في الأسواق بعض المصول التى يمكن استخدامها من قبل الأطباء للتحرى عن وجود الفيروس في دم المشتبه به .. وقد تكون هذه هى الخطوة الأولى نحو تصنيع لقاح واق من المرض ، وهذه الخطوة لن تكون بعيدة المنال كما تشير الدلائل . الى ذلك .

وأما العلاج .. فحتى يومنا هذا ما يزال الطب عاجزا عن تقديم المداواة الفعالة لهذا المرض الذى يجرد الانسان من وسائل دفاعه ، ويجعله لقمة سائغة لأضعف الكائنات ولكن البحث جار ـ وبخطا حثيثة ـ لاختبار تأثير العديد من الأدوية على هذه الفيروسات ، التى يقع ضحيتها كل يوم ثلاث عشرة حالة في امريكا وحدها ، فيما هو ظاهر للعيان فقط .. □

اقرأ في العدد القادم من العربي

□ الفن الشعبي .. في جمهوريات البلطيق
استطلاع ملون ... سليمان الشيخ

الفكر الإسلامي والأغلال الاختيارية
د. عبدالعزيز كامل

أشعة ليزر في عالم العيون
د. سري سبع العيش

الدبلوماسية الإعلامية ذات الوجهين
حمدي قنديل

واقرأ □ قسطرة الزهراوي آخر صيحة في عالم الطب .. د. سامي عزيز
□ شبتاي زفي .. ويهود الدونمة ... د. جعفر هادي حسن
□ التصنيع الحربي .. وتحرير القرار السياسي ... أمين هويدي
□ ترجمة الصور بين الفضاء والأرض ... طاهر القيسي
○ كتاب الشهر : همة الهمام في نشر الإسلام .. عرض د. محمد موفاكو
○ وجهاً لوجه : د. إسماعيل صبري عبدالله ونجاح عمر
□ البيت العربي : ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب :
د. محمد الرميحي - شوقي بغدادي - د. علي شلش - د. أحمد خطاب
د. عزالدين غربية - د. صلاح بركات - محمد التهامي - خليل قنديل

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

خلق الانسان من طين

منذ أيام شارلز دارون والاعتقاد السائد بين العلماء هو أن الكائنات الحية ظهرت أول ما ظهرت في الماء ، لا في الطين .. ولكن هذا الاعتقاد الذي وجد اذنا مصغية لدى الكثيرين قد تعرض لهزة عنيفة في الشهور الأخيرة .. ولم تأته هذه الهزة من أوساط التفكير النظري الفلسفي ، وانما من أحد مراكز الابحاث والتجارب العلمية المعروفة « مركز أبحاث آميس في كاليفورنيا » التابع لوكالة الفضاء الامريكية (ناسا) .

فثمة لفيف من العلماء العاملين في هذا المركز مازالوا يركزون ابحاثهم وتجاربهم على الاصول العديدة المحتملة التي يمكن للكائنات الحية أن تكون قد انبثقت منها . وقد وقفوا جهودهم كلها على هذا الموضوع بالذات طوال السنوات الخمس عشرة الماضية ، ولعلك تتساءل عن العلاقة بين أبحاث كهذه وبين الفضاء الخارجي البعيد ، الذي لا أمل يرجى في ارتياده حتى الآن .. والذي يعمل المختصون في وكالة ناسا على تصميم السفينة الفضائية التي يمكن أن تنطلق بسرعة الضوء أو ما يقاربها والتي قد تنجح في نقل رواد الفضاء الى أجوازه أو أغواره السحيقة .

فمثل هذه الرحلات التي قد تستغرق عدة سنوات لايجوز القيام بها قبل أن يتوصل العلماء الى فهم أعمق لنشأة الكائنات في الحياة ولاصولها العديدة المحتملة . من هنا كانت الجهود المتواصلة التي كان يقوم بها لفيف العلماء السالف الذكر ، منذ مطلع السبعينيات ، بإشراف الدكتورة ليليا كوين والتي أعطت ثمارها الاولى في مطلع شهر ابريل الماضي (١٩٨٥) فما الذي اكتشفه هؤلاء العلماء ؟

اكتشفوا أن في الطين العادي معادن وبلورات تتميز بخاصيتين : خزن الطاقة وتحويلها ، ولكن من أين تأتي هذه الطاقة الموجودة في الطين ؟؟ تأتيه من باطن الارض ، بل من انحلال النشاط الاشعاعي الذي يتم تحت سطح الارض .. وتأتيه أيضا من الشمس .. ومن طاقتها الاشعاعية على وجه التحديد.

أما بلورات الطين ومعادنه فقد استطاع العلماء تصنيعها أو تخليقها في المختبر . الا أنهم لم يكونو بحاجة الى ذلك نظرا لأنها توجد في الطين بصورة طبيعية .. وقد حللوها في المختبر فاكتشفوا في الكريستال الطيني خللا في صميم بنيته .

واكتشفوا أيضا أن هذا الخلل بالذات هو سر قدرة الطين على الاحتفاظ بالطاقة ، وعدم التخلي عنها الا تحت ظروف معينة . ومضى العلماء في تجاربهم وابحاثهم حتى تبين لهم أن الطين يعطى تلك الطاقة بصورة أشعة بنفسجية ، ولا يعطيها الا في حالة تفاعل معادنه مع الماء ، أو مع سوائل اخرى . وهكذا فان الطين يستطيع تحويل المواد غير العضوية الى مواد أكثر تعقيدا أو ان شئت عضوية

على أنهم لم يقفوا عند هذا الحد . فهم

ماضون في اجراء التجارب على التقارب أو الانجذاب القائم بين الطين والمواد الكربونية ، اذ لابد للمعادن التي في الطين من التفاعل مع مركبات كربونية ، ابتداء من ثاني اكسيد الكربون الذي في الجو . لتتكون القاعدة التي يقوم عليها التركيب الكيماوي العضوي (الجوي) وتنبثق الحياة .

مع الكذابين

كثر الحديث في المدة الأخيرة حول الكذب والأجهزة الكاشفة التي تستعملها دوائر المباحث والشرطة في تحقيقها مع المجرمين . والظاهر أن الدراسات العديدة التي اجريت في الشهور الأخيرة لموضوع الكذب والكذابين زعزعت الثقة في الأجهزة الكاشفة المذكورة،والقت ضوءا جديدا على ظاهرة الكذب ، وعلى حرص الكذاب الشديد على اخفاء كذبه .

وقد بينت تلك الدراسات أن المؤشرات التي اعتمدت حتى الآن باعتبارها مؤشرات كذب قد تكون مضللة الى حد كبير . فلعلها مؤشرات في حالة الكذب العفوي ولكنها ليست كذلك في حالة الكذب المعد والمخطط له سابقا .

وعددت احدى تلك الدراسات التي أجريت برئاسة عالم النفس المعروف البرفسور اكمان المؤشرات التي يعجز الكذابون عن اخفائها ، حتى لو كانوا محترفين ، ويتقنون الكذب ، ومنها التحاشيات التلقائية . ولعل أكثر تلك المؤشرات هي المبالغات وانصاف الحقائق . وقد تذكر منها الكذبات الاجتماعية ، كالتذرع بارتباط سابق وذلك تفاديا لاجتماع لاحق .

من تلك المؤشرات التي يعجز الكذابون عن اخفائها الشفاه المضغوطة ، وهي التي غالبا ما تعبر عن الغضب وتقطيب الحاجبين مع رفع الحاجبين ، وتعبر في الغالب عن المعاناة من مأزق أو كارثة والحاجة الى نجدة (انظر الصورتين) .

الانزلاق الغضروفي ومعالجته بالانزيمات

عقار الدسكيز (Discase) المستحضر من فاكهة البابايا ، من عصارتها بل خمائرها بالتحديد ، عقار نافع وخطير . فهو يعالج الأمراض الغضروفية التالفة (الدسك) ، ويغني عن اجراء العمليات الجراحية . . وقد كتبنا في هذا الموضوع بشيء من التفصيل في مقالنا ؟

ونعود الى الكتابة عن العقار خاصة . . لايضاح ما التبس من المقال على الكثيرين من القراء ، وقد كتبوا الينا مستفسرين . . ونظرا لأن بعض الأخبار الهامة وردتنا عن الدسكيز في الاسابيع الأخيرة فاننا نوردها فيما يلي :

١ ـ الدسكيز لايباع في الاسواق كما تباع سائر العقاقير . فالمستهلك لا يستفيد من شرائه شيئا ، اذ يتعذر عليه استعماله . . ذلك أن العقار ليس حبوبا أو ما الى ذلك مما يسهل ابتلاعه . فهو حقن . . معدة للحقن في الغضروف التالف مباشرة . ولا مفر من الاعتماد على طبيب مختص وخبير لاجراء عملية الحقن هذه .

الانزلاق الغضروفي

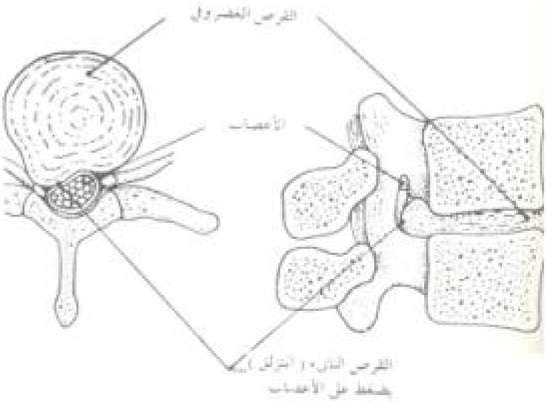

٢ ـ ذلك أن حقن هذه الخمائر ـ واسمها العلمي هو chemo-(papian) في القرص الغضروفي مباشرة عملية دقيقة للغاية .. ما لم يكن الطبيب المعالج على خبرة ودراية في اجرائها فان الحقنة تصبح نقمة وخطرا . فقد تحدث الشلل وقد تسبب الوفاة أيضا فيما لو تم الحقن في الموضع غير المناسب .. في العصب الذي يضغط عليه القرص .. حقا انها احتمالات ضعيفة ولكنها واقعية . وقد وقعت بالفعل في الحالات التي كان الأطباء المعالجون فيها بلا خبرة كافية .

٣ ـ من هنا كان حرص الأوساط الطبية على توفير التدريب والتلقين الكافيين للاطباء الراغبين في اجراء عمليات حقن الدسكيز . وعمدت بعض المستشفيات الى ابتكار أساليب خاصة تضمن تلك العمليات وسلامتها ، نذكر منها ما يعرف باسم (دسكولوسيس) ، وهي تعتمد على التصوير بالاشعة ، لتحديد موضع الحقن المناسب على وجه الدقة . والجدير بالذكر أن هذه الطريقة هي الاسلوب المعتمد في اجراء تلك العمليات في مستشفى /آلام الظهر في لندن (Royal National Orthopaedic Hospital) وان الطبيب الذي ابتكرها أو ساهم في تطويرها والذي يجري عمليات حقن الدسكيز في المستشفى المذكور هو الدكتور ما يكل سوليفان (Michael Sullivan)

٤ ـ هذا «عملية حقن الدسكيز في غاية البساطة ، ولا تختلف كثيرا عن الحقن العادية التي تحقن فيها الأدوية في العضلات .. فهي تستغرق ثوان معدودة ، وقد يسمح للمريض بمغادرة المستشفى فور اجرائها .. ولا تكلف الا ـ ر١٧٥ جنيها استرلينيا (في مستشفى لندن الذي سبقت الاشارة اليه) أو نحو ذلك .

٥ ـ والأهم من ذلك أثر حقنة الدسكيز السحري . اذ لاتكاد خمائر البابايا تدخل القرص الغضروفي التالف حتى يزول تلفه أو انبعاجه تماما .. ويصبح قرصا سالما سويا .. ويشفى المريض من الالام المبرحة التي طالما عانى منها على مدى الشهور أو السنين ، ويكون شفاؤه تاما ونهائيا بخلاف الشفاء المترتب على العمليات الجراحية التي غالبا ما تترك شيئا من التصلب في العمود الفقري . وكثيرا ما تتطلب اجراء عملية اخرى لاحقة ، ناهيك عن التكاليف الكبيرة التي تتطلبها هذه العمليات ، وعن فترة النقاهة الطويلة التي قضاءها في المستشفى أولا .. وفي البيت ثانيا ..

٦ ـ وتجدر الاشارة الى أن آلام الظهر ليست حالات أقراص غضروفية تالفة (دسك) فهذه الحالات لا تشكل أكثر من ٥٪ من مجموع حالات آلام الظهر . وهذه الخمسة بالمئة من الحالات لا تعالج كلها بحقن الدسكيز عوضا عن العمليات الجراحية وان يمكن علاج أغلبها .

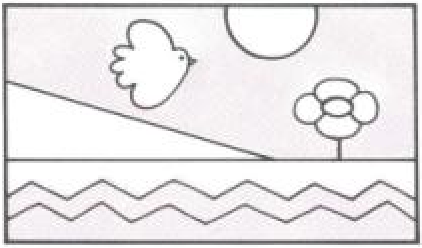

سلامة البشرية في سلامة البيئة

العالم الثالث وقصة الأدوية القتالة

يبدو أن شركات السجاير ومبيدات الحشرات والمواد الغذائية في اوروبا وامريكا ليست الشركات الوحيدة التي درجت على استغلال دول العالم الثالث . فقد ثبت لصحيفة الصنداي تايمز اللندنية المعروفة أن بعض شركات العقاقير والمستحضرات الطبية هي الأخرى ماضية في استغلال عالمنا التعس . وذلك على نحو أبشع بكثير من استغلال الشركات الاخرى . اذ أنه يقوم على الغش والتزييف وبيع مستحضرات هي في ظاهرها أدوية علاجية شافية وفي حقيقتها سموم قتالة . فالمسألة اذن ليست مسألة جشع واستغلال ، انها حملة قتل واغتيال .

والمقصود هنا المضادات الحيوية على وجه التحديد ، فقد كانت هذه موضع تزييف واسع النطاق .. وذلك بقصد بيعها في دول افريقية مختلفة .. والغريب أن المزيفين لايتورعون عن دمغ منتجاتهم القاتلة بماركات تجارية عالمية شهيرة، كفيلة بخداع الاطباء والصيادلة فضلا عن تضليل عامة الناس .

وتوجد أكثر مصانع التزييف هذه في بعض دول الشرق الأقصى ... تايوان وكوريا الجنوبية بالتخصيص . وتوجد أيضا في دول أوروبية ، تذكر منها بلغاريا وايطاليا ، وتوجد بعض مصانع التزييف أيضا في بعض دول الشرق الاوسط .. كما تؤكد الصحيفة دون أن تحدد هذه الدول بالاسم .

والظاهر أن نيجيريا قد تنبهت لموجة التزييف هذه فبدأت حربها الشعواء على المستحضرات الكاذبة وقبل مثل ذلك في شركة الصناعات الكيماوية البريطانية (ICI) وقد اكتشفت أن عددا من المستحضرات المزيفة قد انتحلت ماركاتها المسجلة كماركة صابونها الطبي تيتموسول .

المناخ العالمي يزداد حرارة وينذر بكارثة

تحدثنا في عدد سابق عن تكاثر غاز ثاني أكسيد الكربون في جو الارض وعن تزايد الحرارة ، حرارة الجو ، تبعا لذلك .. وقلنا أن للغاز المذكور مثل أثر البيت الزجاجي في المزارع . فهو يسمح لاشعة الشمس بالسقوط على سطح الارض ، ولايسمح لها بالانعكاس والارتداد الى الفضاء الخارجي . اي أن غاز ثاني أكسيد الكربون من شأنه أن يحبس المزيد من أشعة الشمس اذا زادت مقاديره في

قصة اليوم   قصة الغد

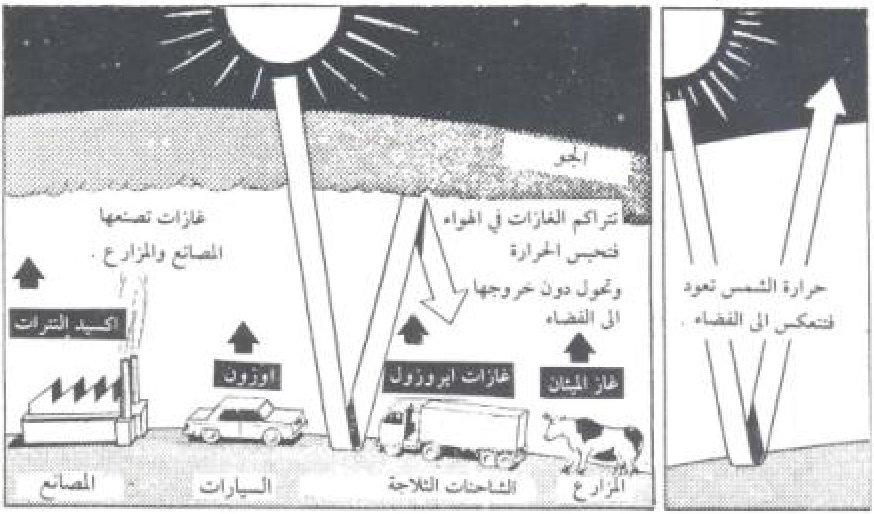

الجو . وحبس المزيد من هذه الاشعة معناه المزيد من حرارة الجو والطقس . . وشعر الكثيرون أن تلك الصورة القائمة المتشائمة لاتخلو من المبالغة .

الا أن الدراسة المستفيضة التي أجراها لفيف من علماء مركز الابحاث الجوية في الولايات المتحدة تعطي صورة اكثر حلكة وتشاؤما من الصورة الأولى . فهي تؤكد أن طقس الارض مقبل على كارثة . وتبين أن غاز ثاني أكسيد الكربون ليس الغاز الوحيد ولا الأهم الذي يمهد لتلك الكارثة ، فقد عددت تلك الدراسة التي اكتملت في أواسط شهر مايو الماضي عشرين غازا لها مثل أثر البيت الزجاجي ، وأثر غاز ثاني أكسيد الكربون او يزيد .

ونذكر من هذه الغازات العشرين غاز الميثان (وقد اشرنا الى خطر تكاثره في الجو في عدد سابق) ، فهذا الغاز تصنعه الميكروبات في شتى المزارع والحقول التي تكثر فيها المياه ، وتصنعه على نطاق واسع ، ثم انه ينمو ايضا في معدة المواشي .

ونذكر ايضا غاز الأوزون الذي يقذفه عادم السيارات واكسيد النترات الذي يتصاعد من المصانع ويقذفه عادم السيارات ايضا ، اذا كان وقودها رديئا . ونذكر كذلك الايردزول وما الية من غازات تتصاعد من مخازن التبريد والثلاجات ومستحضرات التجميل والاسمدة الخ .

ويقدر العلماء المعنيون أن الضرر الذي تحدثه الغازات العشرون في جو الكرة الارضية يبلغ ثلاثة اضعاف الضرر الذي يترتب على غاز ثاني اكسيد الكربون .

وهم يقدرون ايضا أن حرارة الجو سترتفع ثلاث درجات بالمتوسط في غضون الثلاثين او الاربعين سنة القادمة . وقد ترتفع اكثر من ذلك في القطبين بما قد يكفي لاذابة الثلوج فيها ، وعندئذ يتضاعف الارتفاع في درجة الحرارة وتتفاقم الأمور بقدر يتعذر على العلماء التكهن به .

■ **الأفكار العظيمة . . . تأتي من القلب !**

■ **نحن ننسى لأننا نحتاج للنسيان ، لا لأننا نريده**

الأدب في أفريقيا الجنوبية :

اسم هذه الأرض جاء مني أنا ..

بقلم : الدكتور عبد القادر ياسين

يعتبر معظم كتاب أفريقيا الجنوبية المعاصرين من طلائع انتفاضة سويتو . فهم جميعا انطلقوا من تيار ثوري انفجر أمام الظلم والاهانات ، وبقوا في دوامة هذا التيار يفجرون من أعماقهم الكلمة الرصاصة سواء كان ذلك عن طريق الشعر أو القصة القصيرة أو الرواية . واذا كان بعضهم من أصل هندي (مثل أحمد أيوب وشامبير بانوباي وأيوب باتل) فان ذلك لم يمنعهم من مشاركة المواطنين السود نفس الاضطهاد والعذاب ونفس الهموم والكفاح ضد سياسة التمييز العنصري .

لقد شهدت السنوات الأخيرة غليانا فكريا منقطع النظير جاء مباشرة اثر منع سلطات الحكم العنصري في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٧٧ لنشاط المنظمات والجمعيات التابعة أو الموالية لحركة الضمير الاسود . فبعد ذلك مباشرة تشكلت مجموعات عمل وتفكير وانتاج جماعي توزعت في طول البلاد وعرضها . فأصدرت هذه المجموعات مجلة (ستافريور) المتعددة اللغات في عام ١٩٧٨ . وجمعت هذه المجلة حولها معظم الكتاب والمفكرين والمبدعين في ميدان الرسم والتصوير . كانت هذه المجلة تصدر عن احدى دور النشر في جوهانسبورغ ، ومملوكة لعناصر تقدمية من البيض ساعدوا على فتح ثغرة في الحصار العنصري المفروض على الثقافة والتفكير الحر بنشر ما يكتبه السود والبيض الملتزمين في ميادين المسرح والشعر والقصة القصيرة والرواية .

أنا هذه الأرض

ولم تكن هذه الحركة في حاجة الى موجه أو قائد لان الفنون تساهم كلها في الواقع في عملية التوعية . وكل واحد من الكتاب والمبدعين معني بالامر لانه أحد عناصر هذه الحركة ، ولأنه في الوقت نفسه معرض كغيره لقمع السلطة العنصرية وتهديداتها . لذلك تجمعت الطاقات تشجع بعضها بعضا ، فأبدعت في

ميدان الانتاج الادبي،وأبرزت الاصرار على الاستمرار والارادة الجماعية،ليس في الكفاح وحده وانما في الانتظار أيضا . وعلى سبيل المثال لا الحصر لنستمع الى سمبالا يقول في ديوان شعر (سوفيتو) مؤكدا اصرار الشعب الافريقي العريق وايمانه بعدالة قضيته ، وبأنه صاحب هذه الارض مهما كان الرفض والعناء الذي يواجه به من قبل المحتلين العنصريين :

« لم أكن يوما في حاجة لان أقول
هذه الأرض ملكي أنا
هذه الأرض كانت دوما لي
واسمها نفسه جاء مني أنا
تركيبة هذه التربة أحددها أنا ،
وأنا من يعطي ملحا لعرقها ودمعها .
عضلاتي المربوطة لعجلتها
تديرها متى مددتها
أنا هذه الارض ، وهي ملكي أنا ،
لم أطالب يوما بحصتي من الميراث
لاحاجة لي بذلك
فأنا هذه الارض »

كان أدب السود في أفريقيا الجنوبية في بدايته أدب احتجاج واستنكار ، يحمل في طياته في الوقت نفسه المعاناة اليومية واللحظة المعاشة،فكأن الادباء أرادوا له أن يكون شهادة على ما يقاسيه الرجل الأسود في بلاده حتى لايقول الرجل الأبيض (وبقية العالم) انهم يجهلون ما يجري في هذه البقعة من العالم التي فقد فيها الرجل الأبيض انسانيته في عصر التحرر من القيود والانطلاق نحو غزو الفضاء . ثم أصبح هذا الأدب على مر الايام أدب الرفض والتصدي ، وتحول الى أداة لجمع القوى وحشد الطاقات،وسلاحا في معركة المصير . لقد كانت الافكار التي يبثها والكلمات الصارخة التي يطلقها تدعو الى ضرورة توحيد الصفوف والتضامن والعمل وخوض المعركة دون تردد .

نحو تحرير العقول

ونظرا لأن القنوات الرسمية والشرعية للتعبير مغلقة امام الكاتب الأسود ، سواء أكان ذلك الشارع أو البرلمان أو الصحافة المكتوبة والمسموعة ، فقد فرض الأدب نفسه وسط جمهوره الافريقي كعنصر رائد لاستعادة الشخصية الجماعية وتثبيتها ، وذلك عبر الدعوة الى التجمع وتوحيد صفوف المنبوذين . وبما أن الكاتب ـ شأنه في ذلك شأن أي فرد من أفراد الشعب يعتبر منبوذا ، فالفرد أيا كان ـ يذوب وسط الجماعة ، والكاتب يصبح معبرا عنها وعن ثورتها وطموحاتها ، عن افراحها ومآسيها ، وعن مطالبها وآمالها . فكان انتاج الكتاب السود في افريقيا الجنوبية دعوة الى تحرير العقول ، وهو الطريق نحو التحرير الكامل في جميع المجالات . انه المخاض لصنع الوطن المتكامل بكل أبعاده ، صنع وطن يرفض كل العصبيات وروح العشيرة ، ويزيل الحواجز التي تفصل الافارقة بعضهم عن بعض ، وتحول دون تشكيل جبهة موحدة في مواجهة الاضطهاد الذي يشتركون في معاناته .

ان الادب الافريقي الذي كان نبعة من فيض الرجل الافريقي السمح ومن قلبه الزاخر بالعواطف الانسانية لانه عانى قرونا من المحن وظلم الانسان ، لايتعرض للرجل الابيض بالحقد والكراهية رغم سيطرته على كل شيء وحرمان الرجل الاسود من كل شيء . ان الواقعية سمة بارزة في الادب الافريقي ، والرجل الابيض يحتل مكانه فيها لانه موجود ، وكل مايطلب منه هو أن يأخذ مكانه وليس كل المكان . كما ان الرجل الاسود ليس وحده على الساحة الافريقية ، وليس كل اسود معدودا في صفوف الحرية .

ويتفق النقاد الذين د رسوا هذا الادب على القول أنه غير عنصري ، ويدعو في مجموعة الى بعث مجتمع تمحي فيه فكرة التصارع بين الأجناس ، وانطلاقا من ذلك يعمل على كشف زيف ومغالطات السياسيين الذين يحاولون اخفاء الواقع المرير الذي ساهموا في خلقه وترسيخه بمختلف الأساليب والدعايات . انه أدب يحرك الضمائر النائمة ويوجه المترددة منها . انه يكشف المتهربين من المعركة والمتعاونين مع نظام عنصري تدينه الانسانية بأجمعها.انه باختصار ، أدب يحاول فك العزلة التي أرغمهم عليها النظام العنصري لتفتح بلادهم على افريقيا السوداء ، وذلك بالدعوة الى الرجوع الى القيم التقليدية الانسانية ، والى نبذ الانانية والفردية المتقوقعة . □

سوق نزوة الأسبوعي تجمع فرضته التقاليد العمانية العريقة وتحت شجرة الصبار الضخمة هذه تجري تقاليد البيع والشراء والمصاهرة . وفي سوق الحدادة بالبحرين ، يعزف السندان لحن العمل الأبدي . (الى اليسار)

الأسواق الشعبية

في الخليج العربي

استطلاع : ثريا البقصمي

اشتهرت أسواق الخليج العربي منذ القدم - نظرا لموقعها الجغرافي - كمركز تجاري حي ، ونقطة مهمة .

ولكن معظم هذه الأسواق جرفه الزحف العمراني لمواكبة عجلة التقدم .

وهذه جولة في بعض أسواق دول الخليج العربي .

أصوات مطارق الصفارين ، تختلط بضحكات الباعة من كبار السن اثر نكتة أطلقها أحدهم ، الروائح العطرة والتوابل الحادة ، تجذب النساء الملتحفات بعباءاتهن ، ممرات ضيقة مسقوفة ، جدران فقدت ألوانها ولكنها احتفظت ببصمات الماضي .

جو شرقي آسر ، يقطعه شبح الخرافات الواقفة على أبواب هذه الأسواق ، والذي يرسم لونا من الكآبة على الوجوه المسنة ، على الرغم من كل البدائل المطروحة ، واغراءات الأسواق المركزية الحديثة المكيفة . فهذه العتبة المتصدعة التي تتصدر باب أحد الباعة ، والتي لعب أمامها طفلا ، وجلس عليها شابا واتكأ عليها شيخا هرما ، هي جزء منه لن ينفصل عنه ولن يحمله إلى أية بقعة جديدة . وهذا السوق بكل قدمه وإن لم يواكب روح العصر وتقدمه ، فانه يبقى منزلا للذكريات ، يشيع جوا حالما ينطق الأصالة والجمال .

أسواق الكويت ـ قديما ـ

لعبت الأسواق ـ في الكويت القديمة ـ دورا رئيسيا ، كمكان لالتقاء الناس من جميع الفئات المختلفة . وكان هناك حاكم لفض المنازعات بين رواد السوق ، وحراس لفرض النظام وحماية ممتلكات الباعة والتجار .

ويعتبر سوق « الداخلي » من أوائل الأسواق في الكويت ، وهو يضم متاجر الحدادين الذين يزودون تجار السفن بكل لوازم البناء ، كما كانت تباع فيه الخضراوات .

وينتهي هذا السوق إلى ممر مسقوف ، يجتمع فيه البدو الرحل ، حيث يبتاعون الأرز والحبوب ، ويقوم رجل من الجمارك ، يدعى « ابن عسكر » بأخذ الجباية على هذه المواد العينية .

وفي نهاية هذا السوق غرفتان خشبيتان ، يجلس فيهما حكام الكويت لاستقبال أبناء الشعب في ساعات معينة ، والتشاور معهم في أمور الحكم . ومن أشهر الشخصيات في هذا السوق الحاكم « صباح السوق » ، وكان رجلا شديد المراس ، ذا قدرة على فض المنازعات . التي كانت تزداد في شهر رمضان بين شباب منطقة « قبلة » ومنطقة « الشرق » .

أسواق للنساء :

إن أشهر الأسواق التي كانت تتداول البضائع النسائية هو « سوق البنات » الذي كان مركزا لبيع الأقمشة ، وتجاره من الكويتيين واليهود المهاجرين ، وكان هناك من النساء من يحملن البضائع المختلفة ويترددن على البيوت لبيعها ، ويطلق عليهن اسم « الدلالات » ، وتتميز بضائعهن بأنها من الصناعات اليدوية التي تصنعها النساء في بيوتهن . و« الدلالة » هي الوسيط في تسويق هذه البضائع . هذا وللنساء دور كبير أيضا في سوق « الصفاة » حيث كن يبعن الحبوب والبن المطحون ، وعلف المواشي ، والخبز الجاف ، ويغزلن الأصواف . ويعتبر سوق « الحريم » هو السوق الوحيد الذي تبقى من هذه الأسواق النسائية ، وما زال قائما حتى الوقت الحاضر ، وفيه تتاجر البائعات بالملابس الشعبية الفلكلورية من « أثواب » مطرزة ، وعباءات ولوازم التجميل الطبيعية مثل « الحناء » و« الديرم » ، وهو لحاء شجر يصبغ الشفاه .

وقد ازداد عدد الأسواق وتنوعت بضاعتها ، تمشيا مع التطور الحضاري للكويت ، واتخذت تسميات تنبع من صميم شخصياتها الاقتصادية ، وكان أشهرها « سوق سكة عنزة » ، وسوق « الدهن » الذي تباع فيه الدهون النباتية والحيوانية ، وسوق « الخرازة » وقد اشتهر بصناعة « النعال » والصنادل الجلدية وأشهرها « النعال النجدية » ، وسوق الخيال المتفرع من سوق السلاح ، الذي اشتهر ببيع الأسلحة والذخائر ، وسوق التجار ، وسوق السمك ، وسوق الصاغة ، وكانت هناك أسواق موسمية ، تعقد في فترات معينة ، وهي عبارة عن مهرجان للبدو الرحل الذين يجلبون الدهون والجلود والمواشي للاتجار بها ، وكانت تعقد عند قصر « نايف » وساحة « الصفاة » وسوق المناخ ، وهو

عبارة عن باحة كبيرة نصب فيها ميزان ضخم يسمى « بالقبان » ويستعمل لوزن العينات الغذائية ، وأخذ ضريبة عينية عليها ، وجاورت هذه الأسواق مقاهٍ شهيرة لعبت دورا رئيسيا في حل كثير من المشاكل التي واجهت المجتمع الكويتي في بداياته ، وكان مقهى « أبو ناشي » في مدخل سوق التجار من أشهرها فهو يعتبر منتدى للتجار ووجهاء البلاد .

وفي الثلاثينيات اجتاحت البلاد فيضانات نتجت عن الأمطار الغزيرة ، وسميت بسنة « الهدامة » وفيها غرقت الأسواق وتلف العديد من المحال التجارية .

الأسواق القديمة ـ حديثا :

إن ما تبقى من القديم لا يكاد يذكر ، والأسواق الحالية لايزيد تاريخها عن بضع عشرات من السنين . والسوق الحالي حديث البناء ، وكان سابقا في موقع « للسكراب » أي بقايا حطام السيارات والنفايات المتناثرة بالقرب من ساحة الصفاة ، وقد أمر الشيخ « فهد السالم » مجموعة من المهندسين الكويتيين وأشهرهم الأسطى « أحمد البناء » ببناء سوق في هذا الموقع ، وحال انتهائه انتقل إليه الباعة ، وقسم إلى مجموعات صغيرة ، أطلقت عليها تسميات مختلفة ، وهي سوق « الجت » ـ علف المواشي ـ ، وكان موقعه السابق على ساحل البحر ، وسوق « الزل » ـ السجاد ـ الذي اشتهر فيما بعد بالمزادات العلنية ، التي يجريها التجار على السجاد ، أما المشترون فهم في الغالب من أصحاب الحوانيت التجارية المجاورة ، كما يباع هناك السجاد الفارسي ـ وقد بقيت بعض الحوانيت التي تبيع « البشوت » وهي العباءة الرجالية ، وكانت في السابق تستورد من سوريا والأحساء ، وتخاط يدويا ، أما الآن فهناك مصنع ضخم في الكويت يزود السوق والأسواق في منطقة الخليج بهذه البضاعة التي لا غنى للرجل الخليجي عنها ، كما أن هناك بعض الأسواق التي في طريقها إلى الزوال مثل « سوق الحمام » و« سوق الحريم » . أما سوق « الصفافير » فقد تم نقله إلى مقر جديد ، وهو مايزال يزود السوق بالصناعات المعدنية الخفيفة .

الأسواق في الامارات العربية المتحدة

إن الزحف العمراني الذي غمر ذلك الجسد الخليجي الفتي ، لم يبق إلا على قليل من بصمات الماضي العميقة ، وكل ما تبقى من أسواق شعبية قديمة في مدينة دبي ، لايتعدى بعض الممرات المستطيلة المسقوفة ، والتي تقع على « الخور » الساحلي مباشرة ، ويطلق عليها الناس اسم « سوق الديرة » .

إن عمر سوق الديرة لايتعدى سبعين عاما ، وقبل أن يتأسس هذا السوق كان يطلق عليه اسم « سوق الخيام » وذلك لأنه كان محطة لالتقاء تجار المواشي ، الذين ينصبون خيامهم حتى تنتهي فترة السوق الموسمية ، ويعد سوق « بندر طالب » أول سوق في المنطقة ، وفيه مخازن لبيع سعف النخيل ، وساعد قرب هذا السوق من البحر إلى انتعاشه الدائم ، هذا وقد شب حريق في هذه الأسواق ، قبل خمسة وعشرين عاما ، أدى إلى القضاء على أكبر مجموعة من المخازن القديمة . وفي ممر ضيق عثرنا على بائع « للتبغ » يدعى « محمد عباس » يبيع (المدواخ) وهو الغليون والذي يستعمله البدو للتدخين ، و« الأراجيل » للحضر ، وقال : إن التبغ كان يصدر من دبي لدول المنطقة ، وذلك لأنه يزرع محليا ، والتبغ تجارة رابحة ، لأنه يخزن فترة تتراوح مابين الخمس والست سنوات .

عطار يبطل السحر :

جلس « الحاج حسين » وسط أكوام مختلفة من الأعشاب ، وهو يتحدث عنها بحب كبير ، قال : إني أبيع ستمائة نوع من الأعشاب ومواد العطارة المستوردة من الهند والصين وإيران ، وبعضها من الصومال واليمن ، ولاهتمام الناس بالطب الشعبي فإن تجارتي رائجة ، وللأعشاب تسميات طريفة مثل « قرص الشمس » وهو دواء [illegible] ، و« حب الزمونة » [illegible] القصم ، و« بنت الذهب » للطفل الرضيع » و« مبطل السحر » وهو يحضر من الزئبق وأعشاب مختلفة ثم يوضع في حجاب تحت وسادة « المسحور » فيبطل السحر ، وإن سكان عمان

الصورة الى اليمين عدسة مصور العربي سليمان حيدر فاجأت هذا الرجل العماني وهو يحتسي فنجان القهوة العربية في سوق مطرح بمسقط اليسار بائع النحاس العماني يجتمع حوله رواد السوق

والى اليمين اسفل ... صائغ ذهب عماني يقضي يومه في مناجاة المعادن الثمينة

والى اسفل بائع البخور ، بسوق الجت في الكويت يبيع هذه المادة المعطرة

المشهورين بالسحر ، يتوافدون إليّ لشراء « مبطل السحر » هذا .

أسواق الشارقة

على شاطىء الكورنيش في الشارقة ، يمتد ممر ضيق يسمى « بسوق الفحم » ، وهنا يباع الفحم الباكستاني والسيريلانكي والعماني والأفريقي ، وبجانبه تباع أعلاف المواشي والأسماك المملحة ، وكميات كبيرة من الملح الخشن ، وحسب أقوال أحد الباعة فإن الملح يخلط مع الفحم ويردم في حفرة لاستعماله في أغراض الطاقة الكهربائية .

الأسواق الشعبية في البحرين

اشتهرت البحرين بأسواقها منذ القدم . وقد اندثر بعضها ، أما البعض الآخر فما يزال يعكس تراث شعب (يتميز بالأصالة .) وقد تنوعت الأسواق الشعبية حسب تنوع البضاعة ، وكان من أشهر الأسواق قديما « سوق الخميس » وسمي بذلك لأنه يقع بالقرب من « مسجد الخميس » وفي باحة كبيرة مسوّرة كان يجتمع تجار الماشية والبدو الذين أحضروا صناعاتهم اليدوية لتسويقها ، وكانت هناك أسواق موسمية وأسبوعية من أشهرها سوق الاثنين والأربعاء ، - ويتعقد حاليا سوق الأربعاء في المنامة وهو زاخر بالصناعات الشعبية ، ويعتبر تجمعا لمختلف الفئات ، وأغلب رواده من النساء .

ومن الأسواق التي اندثرت سوق « خارو » وكان عبارة عن مخازن للغلال والحبوب ومرابط لتجار الماشية .

سوق الحدادين :

في مدخل سوق المنامة يقع « سوق الحدادين » . ومن خلال أكوام الحديد شيء كالسواد يتسرب إليك وإلى كل الأشياء الصغيرة ، وينتشر ليغمر سحنة ذلك الانسان المطحون المنهمك أثناء حديثه بمطرقته وسندانه ، وتؤجج نفخات « الكير » (المنفاخ) احمرار قطع الحديد الملتهبة . رفع السيد « علي الحداد » اللحام رأسه وهو يبثني شكواه لاعنا تلك الصناعات الحديثة ، والتجار الذين يستوردونها من الخارج ، لكي يصيبوا مهنتنا بالكساد : ولتعلمي أن سوق الحدادين هذا ، هو السوق الوحيد في منطقة الخليج ، وقد كان في السابق يصدر مصنوعاته إلى جميع الدول ، والمناطق المجاورة ، أما الآن فقد أنشأت هذه الدول مصانع حديثة واستغنت عن مصنوعاتنا ، وأصبحنا نغطي حاجة البحرين فقط .

وعن مصنوعاتهم اليدوية قال : إننا نصنع لوازم البناء و « باورات السفن » المرساة ، وأدوات زراعية وعندما سألته عن هذه الفوضى العارمة التي تحيط به ، أجاب والدهشة تكسو وجهه : إنه لا يرى أي فوضى ، فأكوام الحديد الصدئة هذه ، تنتظر النار لتصهرها عندما يقدم الزبون أي طلب جديد .

ولاحظت بأن العاملين أحجامهم ضئيلة ، وعمل الحداد شاق يحتاج إلى الجهد العضلي ، ولكنه صحح هذه الفكرة قائلا : بأن عمل الحدادة يحتاج إلى الذكاء والخبرة قبل احتياجه إلى العضلات المفتولة .

سوق التمباك « التبغ » :

يعد سوق المنامة من أكبر الأسواق الشعبية مساحة في منطقة الخليج ، وهو عبارة عن ممرات ضيقة متشعبة . ستجد نفسك - اذا كنت غريبا - في نفس النقطة ولن تستطيع الخروج إلا بمساعدة مرافق من أهل المنطقة ، وفي سوق التبغ تثير انتباهك متاجر قديمة لا تتعدى مساحتها بضعة أمتار تتكدس فيها أكوام من ورق التبغ الجاف ، والباعة المسنون يتحدثون عن تجارتهم ببهجة ، إنها تجارة مربحة - كما قال أحدهم - والسبب يعود إلى أهل البحرين ، وخاصة كبار السن الذين لم يقلعوا عن تدخين (الأرجيلة) ولا يخلو أي بيت بحريني من هذه العادة ، والنارجيلة البحرينية صغيرة الحجم ، مصنوعة من قشرة ثمر جوز الهند ، ولها عنق فخاري وتملأ بالماء الساخن ، ويقول بأنه كلما ازداد اخضرار التبغ ارتفعت جودته ، والتبغ أنواع ، مثل : تبغ « خاكة » و « الحجري » و « شبات » و « باطني » .

وكلما كان للتبغ مفعول أقوى ، ارتفع سعره ،

ومن أجود الأنواع ، التبغ العماني ، وفي البحرين لا يزرع التبغ بل يستورد من الخارج .

سوق « الصفافير » :

ومرورا بمخازن مختلفة لبيع البذور والعطارة واحبال الماشية ، أتينا الى شيخ هرم يخيط الأكياس التي تستعمل لتخزين الحبوب والطحين . عرف نفسه وهو رفيق للابرة وقطع (الخيش) . ومن داخل السوق ينبعث صوت طرقات رتيبة تصيب بالصداع ، بينما يشعر العاملون هناك بالبهجة وهم يسمعون هذه الأصوات ، وأغلب المصنوعات المعروضة هي براميل لحفظ المياه ، وأوعية منزلية ، و« والصفافير » هم الأشخاص الذين كانت مهنتهم تصفير الأواني المنزلية ، والقدور النحاسية القديمة ، وتلميعها وتنظيفها بمادة النشادر والقصدير ، لتعود صالحة لأغراض الطبخ ، ونادرا ما يخلو أي مطبخ بحريني من هذه الأواني . ومع ظهور أواني « الألمنيوم » ، توقف نبض الشارع لفترة ، ثم عاد يستجمع قواه من جديد ليواجه الموقف ، والآن يقوم شارع الصفافير بجميع الأعمال المعدنية ، وتشاهد في شارع الصفافير لوحة شعبية جميلة حيث تتجاور المحال ، وقد افترش أصحابها الأرض يعملون بلا كلل .

أسواق المحرق :

من أشهر أسواق مدينة المحرق سوق « الطواويش » وهو سوق موسمي يقام لتجار اللؤلؤ ، وبقيت هذه الأسواق ولكن اختفى اللؤلؤ منها لتباع فيها بضائع أخرى أقل تكلفة ، وأكثر التصاقا بحياة الناس .

سوق العباءة (أو سوق القيصرية) :

في هذا السوق الضيق تنتشر متاجر صغيرة ، تباع فيها العباءة الحريرية السوداء ، وكان الخياط « حسن الخرس » منهمكا في محادثة إبرته ، تحيط به تلال من الأقمشة السوداء اللامعة ، قال : إن صناعة العباءة النسائية ما زالت تلاقي رواجا ، على الرغم من انتشار ظاهرة السفور ، وكانت أقمشة العباءة تستورد من سوريا ، أما الآن فان الأقمشة اليابانية غزت الأسواق ، وهناك عباءات للفتيات ، وأخرى للنساء ، وتختلف العباءات باختلاف التطريز المحاط بها ، كما تتفاوت أسعارها حسب نوع القماش ، وتستغرق كل عباءة أربعة أيام لانجازها ، والمرأة البحرينية تبتاع العباءة في الأعياد والمناسبات والأعراس ، وتسمى العباءة باللهجة البحرينية « بالدفة » .

وتنتشر في هذا السوق محال الندافين ، الذين يحشون الوسائد القطنية ، ويحلجون القطن ويغزلونه بطرق بدائية وآلات يدوية بسيطة في مخزن ملحق بمعمل الندافة ، وتحتاج العملية إلى إبر سميكة ، وذلك لأنها عرضة للكسر أكثر من مرة . ولعل أجمل ما في هذا السوق المنازل الطينية القديمة والحواري الضيقة ، ورائحة بخور عبق تنبعث من خلف نافذة مزخرفة بأحلام شعبية وطراز بحريني أصيل .

سلطنة عُمان

أسواق لمزادات الخناجر والمواشي :

تعتبر « عُمان » وهي في ذلك الركن البعيد من شبه الجزيرة العربية ـ أشبه ما تكون بجزيرة من الجبال ، ولكنها جزيرة تسيطر على أقدم الطرق التجارية البحرية في العالم ، وهو الطريق البحري بين الخليج والمحيط الهندي ، ونتج عن موقعها هذا أسواق ساحلية ، اكتسبت عمان شهرتها منذ القدم

سوق مطرح :

ففي مدينة « مطرح » الواقعة على بعد ميلين من مدينة « مسقط » العاصمة ، يحتل « سوق مطرح » مساحة كبيرة من المدينة . ومعنى كلمة « مطرح» مكان الرسو أو محط الرحال ، الذي قد يشير إلى المكان الذي كانت تلقى فيه قوافل الجمال القادمة من الداخل أحمالها بعد رحلة تستغرق أسبوعا عبر الجبال والوديان . وكانت بوابات سوق مطرح حتى شهر يوليو ١٩٧٠ تغلق عند غروب الشمس . ويعتبر سوق مطرح أول سوق بني في عمان،وهذا

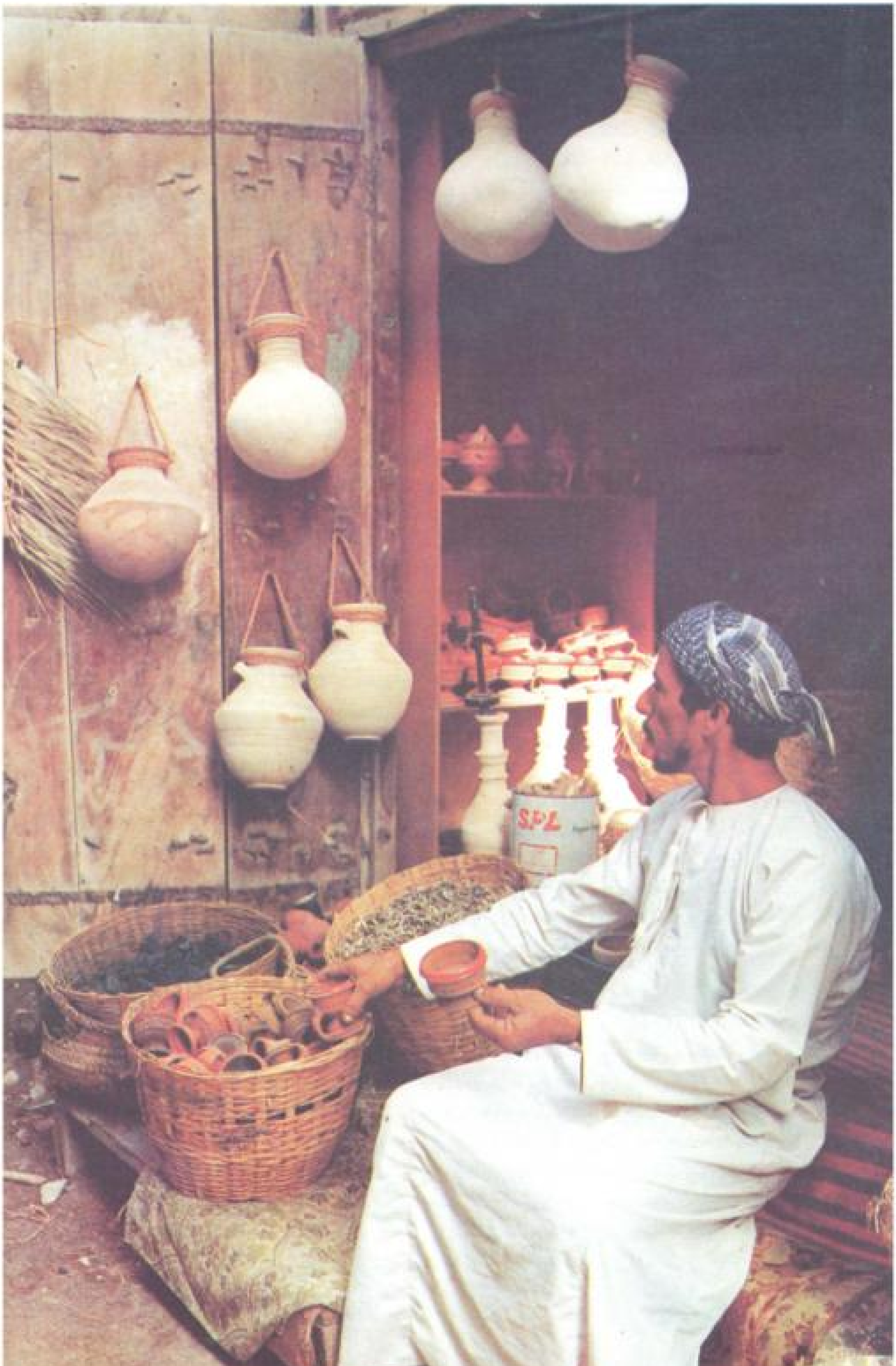

بائع فخار عماني بسوق مطرح ، ينتظر زبائنه من القرويات اللاتي لاغنى لهن عن هذه الجرار الفخارية . (الصورة الى اليمين) .

بائع « التمباك » البحريني بسوق المنامة ، قضى حياته بين أوراق التبغ الصفراء ومساومات زبائنه .

سوق « الحريم » بالكويت مسحة من الماضي ، في طريقها الى الزوال .

عمانيون يخوضون عملية مزايدة لبيع الأسلحة بسوق مطرح الساحل .

السوق لم تنله يد الترميم ، وهو عبارة عن محال متقابلة تربطها ممرات ضيقة مسقفة ، وقرب « ميناء قابوس » من هذا السوق ، سهل عملية تسويق البضائع ، وعلى الرغم من سيطرة الهنود على هذا السوق فإن الصناعات العمانية التقليدية ما تزال في أيدي العمانيين ، لأنهم يعرفون أسرارها ، ويرفضون أن تؤول إلى الأجانب .

يقول بائع « الكميم » و« الكميم قبعات قطنية ، غنية بالمطرزات يعتمرها الرجل العماني : إن بعض قبعاتي محلية ، وغالبا ما تقوم النساء بتطريزها ، » إذ يستغرق تطريزها أحيانا شهرًا كاملا ، وهي مرتفعة الثمن ولا يقتنيها غير الميسورين ، أما القبعات المستوردة فهي زهيدة الثمن ، والرجل العماني بدون « الكمة » يعتبر ناقصاً في زيه وفي مظهره الرجولي ، وكان البائع قد عرض قطعاً من القماش التي تحمل رسوما تخطيطية ، تنتظر النساء القرويات لكي يحملنها إلى منازلهن ويقمن بتطريزها ثم يحملنها إلى السوق مرة أخرى لبيعها ، وكلما تعقد التطريز ارتفع سعر « الكمة » .

بائع الخيزران : وتفاجأ بمجموعة من الرجال المسنين وهم يثنون عصي الخيزران ، ويعيبون لا تنقصها الخبرة يحاولون معرفة جودة الخيزران ، وهنا قال البائع : إن بضاعتي مازالت رائجة فإن الرجل العماني يجب أن يكون مظهره كاملا ، فإن لم يعتمر خنجرا ويحمل خيزرانة ، يشعر بأنه يسير عاريا ، وأضاف بأنه نظرا لارتفاع أسعار الخناجر ووصول بعضها لمبالغ خيالية ، فان الخيزران يحل محل الخنجر العماني في بعض الأحيان .

وفي الماضي كان الرجل العماني لا يسمح له بدخول المحكمة ، إن لم يحمل خيزرانة في يده ، وفي هذا السوق تصادف بعض الباعة الذين يعرضون بضاعة بسيطة ، مثل عطار يبيع على الرصيف ثلاثة أنواع من البهارات فقط ، وذلك لضيق الحال وآخر يبيع الصواني النحاسية ، والقدور المعدنية ، والسجاد ، ويجذب الجمهور بالنداء على بضاعته بالرقص والغناء وإلقاء النكات المختلفة وقد رد البائع على أحد أسئلتي اللحوحة عن نوع بضاعته قائلا : هذه الصينية اسمها « الشبه » ثم أكمل مشيرا إلى نفسه « وهي مثل راعيها الشايب » . ! ! . . .

وتعتبر « العِمّة » العمانية مكملة للزي الحكومي في السلطنة ، ولن يدخل أي موظف دائرته الحكومية إذا لم يعتمر العِمّة ، وقد قال البائع « جواد علي » إن هذا القرار أنعش تجارة بيع العمائم ، وبعضها من الأقطان الرخيصة وهي لعامة الناس ، وبعضها الآخر من الأصواف الغالية والحرائر النفيسة ، وتصل إلى مبالغ خيالية ، ويتواكب الناس على شراء الأقمشة وخصوصا النساء ، ومعظمهن يقمن بخياطتها في منازلهن ، وتمتاز العمة العمانية بثرائها اللوني والزخرفي .

ومن أشهر المناطق في سوق مطرح « سوق الصاغة » ، وقد التقينا بالحاج « سعيد خميس » وهو صائغ هرم لا يعرف عمره بالضبط ، ولكنه بدأ العمل في الصياغة منذ التاسعة من عمره ، وكان الذهب يجلب من الهند ، ويصهر بالفحم . أما الآن فقد استبدل الغاز بالفحم ، وقال الحاج سعيد : في السابق كنا نصوغ الفضة ، ولكن قل الطلب عليها في الوقت الحاضر أما بالنسبة إلى الذهب فقد بقي في السوق اليوم خمسون محلا فقط لصياغة الذهب ، بينما كانت في السابق تبلغ الضعف .

وقال صائغ آخر يبلغ السابعة عشر من عمره : إني أحاول أن أتعلم مهنة والدي ، وهي مهنة تحتاج إلى الصبر والدقة وكثير من الفن ، ونحن نحاول دائما تقديم تصاميم جديدة وذلك لأن النساء سريعات الملل ويرغبن في كل ما هو جديد .

وفي بعض الممرات الضيقة تفاجأ بمحال (الروبابيكا) ، وهي تحوي كل ما تخلى عنه الناس من علب فارغة وأحذية بالية ، وعندما سألت البائع عما يبيع قال : مشيرا إلى بضاعته بفخر ، إني أجمع ما يلقيه الناس ويتخلون عنه ، وهناك زبائن يحتاجون إلى أشياء تافهة يجدونها عندي ، وتأملت محله جيدا ، فمن السقف تتدلى الحبال والجرار ، وعلى الأبواب علقت أقفال صدئة ، وأشياء بلا هوية ، وحدثه على الرضا الطافح على وجهه الهرم . وكانت المحال المجاورة أكثر جدية فيما تعرضه من بضائع تشمل أواني الطهي ، ومجامر البخور ، والجرار الخزفية والفخارية التي تقوم النساء بزخرفتها قبل بيعها ، وهذه الجرار تجلب من مدينة « بهلة » حيث تقع معامل الفخاريين .

سوق السيب :

تشتهر « مدينة السيب » الساحلية بسوقها المتاخم للساحل ، والذي يشتهر ببيع الحلوى العمانية المصنعة يدويا ، طبق مواصفات معينة ويكثر فيها استعمال نبات الزعفران والمكسرات ، وتتفاوت أسعارها حسب جودتها ، وهي عنصر مهم في عملية الضيافة العمانية ، حيث تحتل الصدارة بجانب القهوة العربية ، وتقدم في الأعراس والمناسبات .

مزاد الخناجر :

وفي حلقة دائرية لبعض الرجال (المتزودين) بمختلف أنواع الأسلحة أثار انتباهي وجود مجموعة من الخناجر الفضية المعقوفة وقد صفت على الأرض ، وأحد الباعة يقوم بالمناداة بما يشبه عملية المزاد ، وقال المنادي : بأن سعر بعض الخناجر يصل إلى أربعة آلاف دولار ، وهناك أنواع مختلفة من الخناجر ، منها خنجر سحري ، وخنجر هندي وخنجر صيفاني ، وكلما قدم الخنجر ارتفع سعره ، وبعض الخناجر تصنع محليا والأخرى تستورد من الهند ، وللخناجر مقابض من العاج أو الفضة . والخناجر الرخيصة مقابضها من عظام الحيوانات والخنجر الأصيل هو الخنجر الحاد النصل ، ويتهافت السياح الأجانب على شراء واقتناء الخناجر العمانية .

ولاحظت بأنه كانت تجري في الأسواق عملية مزاد للخناجر ، ولكن بطريقة غريبة وهي المزاد المتجول ، حيث يقوم أحد البائعين بحمل خنجر ، ويتجول به في السوق وهو يعرض سعرا معينا ، ويظل يتجول حتى ينال السعر الذي يرضيه ثم يبيع بضاعته ويعود لعرض خنجر آخر .

سوق نزوة :

من أهم المدن الداخلية في عمان التي تحيط بالجبل الأخضر مدينة نزوة ، تتحدث السجلات القديمة عن « نزوة » بأنها كانت العاصمة في القرن الثامن بعد الميلاد،وتشتهر بصناعة الفضة والنحاس . ولسوقها أربعة مداخل رئيسية ، تحتل مخازن الفضيات الجزء الاكبر منه ، حيث تتدلى القلائد العمانية القديمة « بدولارات ماريا تريزا » .

وقال أحد البائعين : إن المرأة العمانية العصرية كفت عن شراء الفضة ، وزبائننا في الوقت الحاضر من السائحات الأجنبيات والنساء البدويات ، وأهالي المناطق الشرقية الذين مازالوا يحبون هذا المعدن الجميل .

وفي زاوية من السوق المسقوف ، التقيت بالحاج « عبد الله الخميس » وهو يبيع قطع قماش زاهية الألوان ، تشبه الشرائط الطويلة ، وتسمى « بذيول » ملونة ، وقال إن اسمها « المحضية » وتباع للسيدات لكي تخاط في حواشي العباءات النسائية وقال : إنه ينسج يوميا ثلاث قطع من هذه اللفائف ، ويساعده في عملية النسيج أحد أبنائه ، والقرويات أكثر من يفضلن بضاعته هذه .

وفي باحة السوق وبجانب قلعة نزوة التاريخية ، وتحت ظلال شجرة صبار ضخمة يعقد في يومي الخميس والجمعة « سوق الماشية » ، ويجلس المشترون القرفصاء في شبه دائرة ويقوم تجار المواشي بعرض مواشيهم ، ويتبع في عملية البيع والشراء أسلوب المزاد العلني ويبدأون بالأغنام لينتهوا بالأبقار ، وينتهي السوق قبل أذان الظهر ، وهناك رجل مسن يدون في دفتره أسماء المشترين بالأجل أو الدين . .

وتجلب البدويات ماشيتهن ويدخلن في عملية مساومة مع الرجال . كما يباع في هذا السوق عسل النحل الطبيعي ، وفروخ النخيل ، وتحت شجرة الصبار الضخمة بئر جافة حبست فيها صغار الماعز التي جلبت لبيعها ، وبجانب البئر فتاة عمانية ، تمسك بيد والدها،وعيناها تتفرس في وجوه الغرباء ورجل مسن يتحسس ضرع البقرة بيده ، مطمئنا على البضاعة المعروضة ، وآخر يقطع شعرة من صوف الماعز ، ليقيس مدى جودتها ، ووجوه متعبة جاءت من البراري والسهوب المجاورة لتعرض كل ما لديها ، لعلها تعود بالنقود أو تعود بما حملته ، وجوه جديدة ووجوه مألوفة ، وعالم يسوده المرح والمزح ، ملتقى لعادات وطقوس منذ مئات السنين ، والسوق يظل نقطة التقاء ، تقرب بين الناس وتترجم ترجمة حية الطقوس الاجتماعية التي يمارسونها . □

قصة

الذي مات خطأً

للكاتب الايطالي دينو بوتزاتي
ترجمة : د . محمود موعد

ذات صباح ، ذهل الرسام الشهير « لوشيو بردونزاني » ذو الستة والأربعين عاما ، والذي انسحب منذ زمن طويل الى منزله في الريف في « فيمركات » ، ذهل وهو يطالع صحيفته اليومية عندما لاحظ في الصفحة الثالثة ، الى اليمين في الاسفل ، على أربعة أعمدة ، العنوان : -

الفن الايطالي في حداد « وفاة الرسام بردونزاني » .

وتحت ذلك ملاحظة صغيرة بالحرف الايطالي المائل :

« فميركات ، ٢١ شباط (فبراير) بعد مرض قصير وقف الأطباء ازاءه عاجزين ، انطفأ نجم الرسام « لوشيو بردونزاني » منذ يومين . وقد عبر المرحوم عن رغبته بألايذاع خبر وفاته الا بعد مراسم الدفن .

وقد تبع ذلك مقالة تأبينية تقريظية من عمود تقريبا ، كلها مديح موقعة من الناقد الكبير « ستيفاني » ، وكان ثمة صورة له يعود تاريخها الى عشرين سنة خلت .

قرأ بردونزاني المقالة التأبينية باضطراب ، منتبها بلمح البصر - على الرغم من سرعته - جملا قليلة فيها تحفظ لاذع ، انزلقت هنا وهناك بدبلوماسية ، وسط طوفان من المدائح .

صاح بردونزاني حالما استطاع التقاط أنفاسه :

- ماتيلدا ، ماتيلدا .

أجابت زوجته من الغرفة المجاورة :

- ماذا هناك ؟

نادى متوسلا :

- تعالي ، تعالي بسرعة ياماتيلدا .

- انتظر قليلا ، انا مشغولة بكي الثياب .

-ولكن تعالى أقل لك .

كان صوته مشوبا بقلق بالغ ، حتى أن ماتيلدا تركت المكواة وهرعت اليه :

قال الرسام متأوها وهو يمد اليها بالصحيفة :

- خذي . . اقرئي .

أخذتها ، شحب لونها وانفجرت - كما تفعل النساء دون تفكير - بنحيب يائس - تلعثمت وتمتمت من خلال دموعها :

ـ أوه عزيزي لوشيو ، يا مسكيني لوشيو ، ياكنزي . . .

وانتهى المشهد بغيظ الرجل :

ـ ولكن أنت مجنونة ماتيلدا ؟ الا ترين أني هنا ؟ أنت لا تفهمين اذا . . انها غلطة . . غلطة شنيعة ؟

توقفت ماتيلدا عن البكاء على الفور ـ ونظرت الى زوجها ، فعاد الاطمئنان الى وجهها ، وفجأة وبالسرعة التي أحست فيها بأنها أصبحت أرملة ، لمست الجانب الفكاهي في القصة واخذتها موجة من الضحك .

ـ أو ، ياالهي ، ياله من شيء مضحك ، أوه ، اوه ، أية قصة ، اعذرني لوشيو ولكن أنت تعلم ، الفن في حداد وأنت هنا سليم معافى .

كانت تصيح مقهقهة .

واحتد الرجل :ـ

هيا هذا يكفي ، ألا تدركين ؟ هذا رهيب . . رهيب بالتأكيد ، آه ، سأريه ، مدير الصحيفة ، ستكلفه غاليا هذه المزحة .

أسرع بردونزاني الى المدينة ، وهرع الى الصحيفة رأسا ، واستقبله المدير ببشاشة :

ـ أرجوك يا سيدي العزيز . . تفضل بالجلوس ، لا . . لا . . هذه الكنبة مريحة أكثر ، سيجارة ؟ أوه ، هذه القداحات التي لاتعمل . . شيء يثير الأعصاب . . تفضل هذه هي المنفضة ، والآن أنا أصغي اليك ، أي ريح طيبة حملتك الينا ؟

يتظاهر بالجهل أم يجهل حقا مانشرته صحيفته ؟

بقي بردونزاني مشدوها :

ـ ولكن ؟ . . ولكن ؟؟ في صحيفة اليوم في الصفحة الثالثة هناك اعلان عن موتي ؟

ـ عن موتك ؟

أخذ المدير الصحيفة المطوية على مكتبه ، وفتحها ، ورأى وفهم (أو تظاهر بالفهم) وأخذته لحظة حرج قصيرة . . أوه ، جزء من الثانية فحسب ، استدرك وسعل سعالا خفيفا :

ـ أيه ، أيه بالطبع هي غلطة صغيرة انزلقت . . مجرد اختلاف طفيف . .

كان موقفه كموقف الأب الذي يوبخ ابنه شكلا ، أمام مار ضايقه الطفل .

فقد بردونزاني صبره فصاح :

ـ مجرد اختلاف طفيف ؟ أنت قتلتني ، هذا ما فعلته بي ، هذا شيء وحشي .

قال المدير بهدوء :

ـ نعم . . نعم . . يمكن . . سأقول بأن ، . . . ها ، كان سياق الخبر . . ها ، قد تجاوز قليلا نوايانا . . من جهة أخرى آمل أن تكون قد قدرت قيمة الاطراء الذي كالته صحيفتي لفنك ؟

ـ اطراء رائع ، أنت أهلكتني .

ـ همم . . م ، لاأنكر بأن خطأ بسيطا قد تسلل الى . .

ـ كيف تقول بأني ميت بينما أنا حي ؟ وتسمى هذا خطأ ؟

لا يلام المرأ اذا أصبح مجنونا بكل بساطة ، أطلب تصويبا طبقا للاصول المرعية ، وفي موضع هذا المقال ذاته ، كما احتفظ بحقي كاملا في ملاحقتك بالعطل والأضرار .

ـ اضرار ؟ ولكنك ياسيدي الطيب ـ تحولت من معلم الى مجرد سيد ، وهذا فأل سيء لاتدرك الحظ الرائع الذي يقبل عليك .

أي رسام آخر سيقفز عاليا من الفرح هكذا .

ـ الحظ ؟

ـ نعم الحظ ، وكيف وعندما يموت الفنان فان أسعار لوحاته تقفز قفزات واسعة . دون أن نقصد ، نعم تماما دون أن نقصد ، أعترف بذلك ، نحن قدمنا لك خدمة لاتقدر بثمن .

ـ واذن علي أن أموت ؟ أن أختفي ؟ أن أتبخر ؟

ـ ولكن بالتأكيد ، اذا أردت أن تغتنم هذه الفرصة العظيمة . .

اللعنة ، أنت لاتريد أن تدعها تفلت منك ؟ فكر قليلا : معرض رائع بعد الوفاة ، دعاية متقنة جيدا . . سنعمل كل جهدنا لهذه الحملة . . ستكون صفقة ببضعة ملايين ، يا معلمي العزيز .

ـ ولكن أنا في كل ذلك ماذا أصبح ؟ أيجب علي أن أختفي من الحياة اليومية ؟

ـ قل لي . . ألا يوجد لك أخ ؟

ـ بلى ، لماذا ؟ انه يعيش في أفريقيا الجنوبية .

ـ رائع هل يشبهك ؟

ـ قليلا . . نعم . . ولكن له لحية .

ـ حسن ، دع لحيتك تطل وقل بأنك اخوك . .

سيكون الأمر سهلا كرسالة في البريد ثق بي : من الأحسن أن تترك الأشياء تصب في مجراها الطبيعي .. ومن ثم أنت تدرك تصويبا من هذا النوع .. لا أدري ما فائدته .. أنت شخصيا ، اعذرني على صدقي ، لك وجه مضحك قليلا .. من غير المجدي الاعتراض .. احياء الموتى ليس لطيفا دائما .. وفي عالم الفن ، أنت تعلم جيدا كيف تجري الأمور .. احياؤك ، بعد قيض من المديح ، سيعطي أثرا اسيئا ، وسيكون عملا مريبا .

لم يستطع أن يقول لا ، عاد الى بيته في الريف ، سجن نفسه في غرفة ، وترك لحيته تنمو ولبست زوجته الحداد ، أصدقاء كثيرون جاءوا لرؤيتها ، وخاصة أوسكار برادلى رسام هو الآخر ، وكان دائما ظلا لبردونزاني ، وبدأ المشترون يتوافدون : التجار ، جامعو اللوحات ، أناس اشتموا رائحة صفقة رابحة . لوحات لم يصل سعرها من قبل إلى الاربعين أو الخمسين ألفا الا بصعوبة ، بيعت الآن ، دون مشقة بمائتين من الآلاف ، وهناك في مخبئه السرى ، كان بردونزانى يرسم لوحة بعد أخرى ، ويكتب عليها تاريخا سابقا بالطبع . وبعد شهر ـ وكانت لحيته قد طالت ـ جازف بالخروج على اعتباره الأخ الذى وصل من افريقيا الجنوبية .. كان قد وضع على عينيه نظارات ، وأخذ يقلد فى كلامه لهجة غريبة ، وكان الناس يقولون : شيء عجيب أن يشبهه بهذا الشكل .

ودفعه الفضول فى إحدى جولاته الأولى ، بعد حبسه الى الوصول الى المقبرة ، وعلى البلاطة الرخامية فى مدفن الاسرة كان ثمة نحات يحفر اسمه مع تاريخ ميلاده ووفاته .

انه لأمر عجيب ، بقدر ما أصبحت زيارات أوسكار برادلى تزداد شيئا فشيئا فان ما تبلدا كانت تتفتح وتبدو اكثر فتوة وشبابا . وقد لاق بها الحداد بكل تأكيد ، وكان بردونزانى يلاحظ تحولاتها بشعور هو مزيج من الغبطة والحذر . وذات مساء ادرك انه يشتهيها على اعتبار ان هذا لم يحدث منذ سنوات .. لقد أصبح يشتهى أرملته .

اما بالنسبة لبرادلى ، أليست مواظبته على الزيارة فى غير موضعها ؟

ولكن عندما فاتح بردونزانى زوجته فى الأمر كان ردها عدوانيا الى حد ما : « مالذى أصابك ؟ مسكين أوسكار .. صديقك الحقيقى الوحيد . وحده الذى يأسف بصدق لفقدك ، ويتحمل العناء ليعزى وحدق وأنت تشك فيه .. يجب أن تخجل من نفسك » .

وخلال ذلك ، أقيم معرض ما بعد الوفاة ، وحقق نجاحا رائعا ، كما حقق زيادة عن المصروفات المدفوعة ، خمسة ملايين ونصف . ثم سقط النسيان ، بسرعة مذهلة على بردونزانى وأعماله الفنية ، ونادرا ما أصبح يذكر اسمه فى بعض الزوايا من المجلات الفنية . وبعد حين اختفى منها نهائيا .

وبوجوم عميق أدرك انه حتى دون « لوشيو بردونزانى » فان الحياة تستمر فى الجريان كما كان الأمر قبلا : الشمس تشرق وتغرب ككل يوم ، وكما كان يجرى : تنفض الخادمات السجاجيد ، وتوغل القطارات فى سيرها ، ويأكل الناس ويمرحون ، وفى الليل يتعانق الشباب والفتيات واقفين ، مستندين الى سياج الحديقة المعدنى الأسود .

حتى كان يوم ، بعد عودته من نزهة الى الريف ، تعرف فيه الى المعطف الواقى من المطر ، الضائع فى المدخل لصديقه العزيز « اوسكار برادلى » . كان المنزل هادئا حقا ، وحميما بغرابة .. ومن هناك ، كانت أصوات تتحدث هامسة ، ووشوشات وتنهدات رقيقة .

على أطراف أصابعه استدار حتى الباب ، خرج بهدوء وتوجه نحو المقبرة ، كانت أمسية لطيفة ماطرة .

وعندما وجد نفسه أمام مدفن الاسرة ، نظر حواليه ليس هناك من روح تهوم ، عند ذاك فتح المصراع البرونزى . ودون عجلة ، ومع سقوط الليل ، نزع ببطء بموس صغير ، البراغى التى تغلق التابوت الحديد ، تابوته هو « لوشيو بردونزانى » .

فتحه بهدوء كبير ، استلقى على ظهره آخذا الوضعية التى يفترض أنها تناسب الموتى فى رقادهم الأبدى ، وجدها أكثر راحة مما توقع .

ودون أن يضطرب أعاد برفق ، الغطاء فوقه . وحين لم يتبق الا شق صغير أصغى بانتباه ، لحظات ، فربما كان هناك من يناديه ، ولكن لا أحد على الاطلاق ينادى ، عند ذاك ترك الغطاء يعود الى السقوط نهائيا . □

كائنات بَحريّة سَامة

بقلم : رجب سعد السيد*

هواة الغوص معرضون للسعات وتجريحات الشعاب المرجانية .

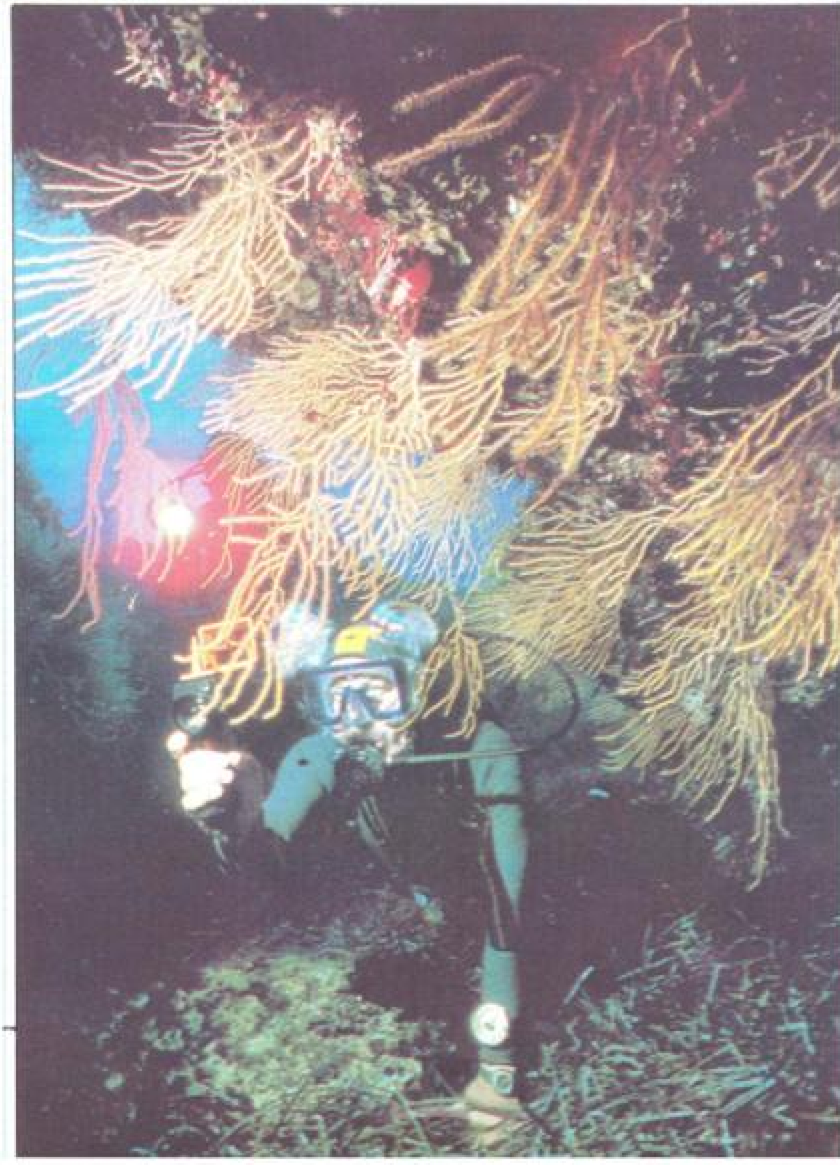

« اذا كان ظهر اليابسة فى بعض أجزائه مرتعا للزواحف والحشرات السامة ، فإن بطون البحر لاتخلو من الأحياء السامة ، وعلى الانسان أن يصطنع لنفسه - كما فعل على وجه الارض - من وسائل الوقاية والمعالجة مايدفع عنه مخاطر سموم البحر » .

لاتغامر بالامساك بهذه النجمات البحرية ويدك عارية . . فوراء هذا الجمال ابر تلدغ ومتاعب صحية .

فى كتاب قديم ، عن الكائنات البحرية السامة ، يصف المؤلف السمكة المعروفة باسم (البقرة اللادغة) ، فيقول :

« هى سمكة سامة جدا ، حتى أنها إذا تمكنت من شجرة قد تقتلها ! . إنها قادرة على وخز أى درع قوى . . فهى تضرب بشوكتها كسهم يخترق الهدف بقوة ، كما لو كانت مصنوعة من الصلب ، وتترك الجرح الذى تحدثه فى الضحية ملوثا بالسموم » .

وقد ارتبطت عضات الكائنات السامة ولدغاتها - بعامة - فى الأزمنة القديمة بالقوى فوق البشرية ، وصورت فى الأساطير والحكايات الشعبية على أنها انتقام إلهى .

وتحكى أوراق طبية مصرية قديمة - ١٦٠٠ سنة ق . م . - جانبا من هذه الأساطير ، كما تحتوى على أوصاف لبعض الكائنات السامة ، ونصائح طبية لعلاج السمم وإزالة آثاره .

ويوجد فى البحار والمحيطات مايزيد على ألف نوع من الكائنات الحية القادرة على إنتاج السم واستخدامه ، وهى منتشرة فى كل بحار ومحيطات العالم ، لايخلو منها شاطىء ، وقد درس العلماء معظم هذه الأنواع ، غير أن الكثير منها لايزال مجهولا حتى الآن ، خصوصا تلك التى تقطن الأعماق .

ولايهدف هذا المقال إلى إزعاج القراء وإقلاق راحتهم فى رحلاتهم الصيفية ونزهاتهم الشاطئية ، ولكنه يلقى الضوء على جانب قد يخفى على الكثيرين ، والحرص - كما يقولون - واجب .

وعلى كل حال ، فإن الكائنات البحرية السامة تمثل جزءا لايتجزأ من البيئة البحرية ، يجب أن يؤخذ في الاعتبار مع الاقبال المتزايد للبشر على البحر لاستغلال موارده ، وثمة مؤشرات إلى احتمالات كبيرة لامكان الانتفاع بالسموم البحرية في مجال كيمياء الدواء .

أنواع الكائنات البحرية السامة

ويمكن تقسيم الكائنات البحرية التي لها نشاط سُمي إلى ٣ أقسام :

١ - كائنات سامة إذا استخدمت كطعام ، فهي سامة في كل أنسجة الجسم أو بعضه ، وهذا تأمين لها ضد وقوعها ضحية الافتراس .

٢ - كائنات تفرز السموم ، ولكنها لاتملك أداة العض أو اللدغ التي تنقل بها هذه السموم إلى جسم الضحية ومعظم هذه الكائنات كسول ، وبعضها يعيش مستقرا ، مثبتا أو ملتصقا إلى جسم حي أو جماد . وهي تلجأ إلى إفراز المواد السامة في الوسط المحيط بها ، فقط عند إحساسها بالخطر من عدو مقترب ، أو تفرزها بصفة مستمرة لمنع الكائنات المجهرية من التسلل إلى داخل قنواتها الحيوية أو الالتصاق بأجسامها .

٣ - كائنات تفرز السموم ولديها وسيلة اللدغ أو الحقن ، وتساعدها هذه الوسيلة المتحركة على مفاجأة ضحيتها أو عدوها - في الهجوم أو الدفاع - فتشل فيهما الحركة .

ومن الحقائق العلمية المهمة في هذا المجال أن الكائنات البحرية السامة موزعة على الأعماق المختلفة للبيئة البحرية ، ولكن معظمها وأشدها خطورة يعيش في المياه قليلة الغور ، حيث تتركز معظم النشاطات البحرية الانسانية .

ومن غرائب عالم الكائنات البحرية السامة أن بعضها لايفرز السموم ، ولكنه يكتسبها من كائنات سامة أخرى ، في صورة استفادة مباشرة من هذه السموم ، أو بطريق غير مباشر ، خلال سلسلة الغذاء . . أي تتغذى كائنات غير سامة بطبيعتها على كائنات منتجة للسموم ، وعلى هذا فهي لاتكون دائمة السمية ، ولكن لأوقات معينة وفي أماكن محددة ، أي حين تخرج وتتواجد في مكان يتوافر فيه غذاؤها المكون من الكائنات التي تفرز السموم .

ولعله من الغريب أيضا أن بعض الكائنات البحرية يفرز مركبات سامة دون أن يدري . . أي دون أن يكون لديه نية استخدامها ! . . فهذه المركبات تأتي كنواتج ثانوية للعمليات والتفاعلات الأيضية التي تتم في أجسام هذه الكائنات . وتوجد مركبات كيميائية لها خاصية سمية عالية بالنسبة لأنواع من الكائنات الحية ، وهي - في الوقت نفسه - جزء من التركيب الكيميائي لأجسام كائنات أخرى .

ويهمنا ، فيما يلي ، أن نتعرض للكائنات البحرية التي يمكن أن تؤذي الانسان إذا اقترب منها أو تعامل معها ، أو التي قد تضطره الظروف إلى تناولها كطعام ، والأضرار التي تصيبه منها ، وكيفية علاجها .

لنبدأ من أول السلم . إن الكائنات البحرية وحيدة الخلية هي القاعدة العريضة لهرم الحياة في البحر . بعض هذه الكائنات سام ، ويؤدي إلى قتل غيره من الكائنات البحرية الأعلى في التطور .

المحارات

وهي ، في حد ذاتها ، لاتسبب أي ضرر للانسان ، ولكنها ، بطريق غير مباشر ، يمكن أن تلحق به أشد الأذى . . اذ تتحول - وهي من أشهى أنواع الأطعمة البحرية وأحبها للانسان - إلى مصدر خطر على صحته . فهذه المحارات تعتمد في تغذيتها على (غربلة) الماء وابتلاع كل ما يعلق به من كائنات أو أجسام دقيقة دون تمييز ، فإذا استبقت المحارات في قنواتها الهضمية بعضا من هذه الكائنات الأولية السامة ، ووصلت هذه المحارات بعدئذ إلى مائدة طعام الانسان ، فإنها تصيب من يأكلها بحالة تسمم تتراوح في شدتها تبعا لحالة المصاب ونوعية التلوث وكميته ، وجدير بالذكر أن القنوات الهضمية للمحارات يمكن أن تختزن أيضا أنواعا من الميكروبات والفيروسات ، أو تركيزات عالية من العناصر الفلزية الثقيلة ، أو المركبات الكيميائية السامة .

وتظهر أعراض التسمم خلال يوم أو يومين بعد تناول وجبة المحارات المسممة ، ويمكن أن تمتد (فترة

الحضانة) إلى سبعة أيام ، وتتمثل هذه الأعراض فى : آلام فى المعدة مع عدم إقبال المصاب على الطعام ـ غثيان وقىء ـ إمساك وصداع وحالة إعياء عام ، وبعد حوالى يومين أو ثلاثة من بداية ظهور الأعراض الأولية ، يحدث إدماء من الأغشية المخاطية للأنف والفم ، ، وتأخر فى تجلط دم المصاب ، كما لوحظ حدوث اضطرابات وتضخم فى الكبد ، وقد سجلت بعض حالات التسمم المتقدمة ، وفيها يصاب الضحية بحالة هياج وهذيان تنتهى بغيبوبة ، وقد تحدث الوفاة خلال أسبوع من الاصابة بالتسمم إذا لم يسعف المصاب ويعالج . وفى الحالات المعتدلة يتم الشفاء ببطء ، ويحتاج المريض إلى وقت طويل حتى يشفى من الضعف الشديد الذى يطرأ على صحته العامة .

وأهم بنود العلاج أن يلزم المصاب الفراش ، وينصح بحقن المريض بالجلوكوز فى الوريد ، ويعطى فيتامينات (ب) ، و (س) ، و (د) ، والأنسولين .

ويهمنا أن نؤكد على ضرورة أن تتبع عملية إنتاج المحارات ، من المصايد أو من المزارع ، بعملية تنظيف وغسيل لها ، حتى تقلل من احتمال تسميمها للمستهلك ، ولابد للمستهلك ، من جهة أخرى ، أن يتأكد من خلو المحارات من الفضلات ، وألا يتناولها نيئة ، لعل الطهى يقضى على ما يمكن أن يعتريها من ملوثات .

وقبل أن نتحدث عن سم (الاسفنج) ، نبادر بالقول بأن قطع الاسفنج التى تصل إلى يد المستهلك ليست إلا الهيكل الخارجى للحيوان ، وقد مرت بمراحل من الاعداد والتجهيز ، بحيث ينتفى تماما احتمال أن تصيب من يستخدمها بضرر ، كما أن الأنواع السامة من الاسفنج قليلة العدد ، وغير اقتصادية ، ولاخطر منها إلا على من يعملون فى مجال صيد الاسفنج ، أو هواة الغوص فى أعماق البحار .

وتعيش الاسفنجيات السامة فى البحار المدارية وتحت المدارية . وليس معروفا على وجه الدقة كيف تحس هذه الاسفنجيات بحاجتها إلى بث السموم وكيف تبثها ، وقد وضع نوع من الاسفنج الحى فى حوض تجارب مع أنواع من الأسماك والقشريات والمحارات والديدان البحرية ، فماتت هذه الحيوانات كلها بعد ساعة أو أقل من بداية التجربة ، وبقى الاسفنج ! ، كما أجريت تجربة على بعض حيوانات المعمل ، فحقنت بمستخلص كحولى لنوع من أنواع الاسفنج ، فأصيبت الحيوانات بالقىء والاسهال والاعياء الشديد ، ونزيف معوى وضيق فى التنفس .

ويحدث التسمم للانسان إذا خدش جلده بواسطة الأشواك الدقيقة الحادة التى تمثل هيكل الاسفنج ، إذ تسرى الافرازات السامة خلال الخدوش السطحية ، وقد سجلت حالات تسمم دون أن تحدث الخدوش ، وهذا دليل على قدرة السم على النفاذ خلال الجلد .

وبصفة عامة ، فإن تأثير سم الاسفنج على الانسان ينصب على الجلد ، فيلتهب ويحمر ويتورم مكان الاصابة ، وفى حالات متقدمة يؤدى التسمم إلى اعتلال عام فى الصحة وضعف ، مع إفراز للعرق وغثيان ودوار .

الأسماك الهلامية والشعاب المرجانية

وهما من الحيوانات الجوفمعوية البحرية السامة :

فالأسماك الهلامية كائنات شفافة تشبه الجرس أو المظلة ، وتعيش طافية على سطح البحر ، ولهذه الحيوانات أذرع أو لوامس ممدودة فى الماء تتحسس طريقها ، وتبحث عن طعامها ، وتغطى هذه اللوامس خلايا محورة ، تشبه « الكبسولة » وتسمى بالخلايا اللاسعة Nematocysts وهى التى تفرز السم ، ولكل خلية لاسعة أنبوبة تنتهى بما يشبه الابرة ، تنطلق بقوة فى حالة الدفاع أو الهجوم على فريسة ، فتخترق جسم الهدف لتحقن فيه السم .

وتصبح هذه الكائنات الرقيقة مصدر إزعاج إذا انتشرت بوفرة ، كما يحدث فى المصايف السياحية المشهورة بجنوب اوروبا ، وتحرص شركات السياحة على أن تحصل على تأكيدات بخلو المياه من هذه الأسماك الهلامية ، قبل أن تبعث إليها بالأفواج السياحية .

أما الشعاب المرجانية ، فإن التهتكات واللسعات الناتجة من ملامستها أو الاحتكاك بها ، معروفة تماما لكل الذين يعملون فى المياه الاستوائية . وترجع شدة

نوع من (البقرة اللاذعة) ينتشر في مياه البحر المتوسط . لاتظهر الشوكة الذيلية لان الصياد لا يأمن لها ، فيسارع باستئصالها فور خروج السمكة في شبكته .

الألم الناتج عن هذه الاصابات إلى اتحاد عدة عوامل : التمزق أو التهتك الذى يحدثه الهيكل الخارجى للشعاب ، وله حدة الموسى ، وتأثير المادة الكيماوية التى تفرزها الخلايا اللاسعة ، وتلوث الجرح بالبكتيريا والمواد الغريبة التى تدخل فيه .

وللصيادين ، وهواة الغوص ، والعاملين فى مناطق الشعاب المرجانية ، نورد الاسعافات السريعة التى يجب إجراؤها فى حالة التعرض للاصابة بجروح هذه الشعاب :

يأتى فى البداية تنظيف الجروح وإزالة المواد الغريبة الملوثة لها ، ولو تطلب الأمر توسيع الجرح . ويستخدم للتطهير أى من المحاليل المناسبة ، مثل ٢٪ صبغة اليود ، وفى حالات الاصابة الشديدة ، يستحسن أن يلجأ المصاب إلى الراحة التامة فى الفراش ، مع رفع الأطراف إلى أعلى ، وتغطية مكان الاصابة بضمادات مغموسة فى محلول سلفات الماغنيسيوم والجلسرين والمضادات الحيوية .

وبالنسبة للسعات الأسماك الهلامية ، يراعى فى المعالجة أن تزال اللوامس التى تكون ملتصقة بالجلد ، ويستخدم فى ذلك الرمل أو الأعشاب البحرية أو قطعة قماش .

وهذه خطوة هامة فى الاسعاف ، لأن هذه اللوامس تظل تفرز السم فى جسم الضحية طالما هى ملتصقة بالجلد ، وللتأكد من تمام القضاء على نشاط هذه الخلايا المجهرية ، يمسح موضع الاصابة وما حوله بالكحول أو أى (لوسيون) مناسب .

وفى العلاج ، يصف الأطباء بعض مركبات الكورتيزون ، سواء كانت شرابا أودهانا وقد وجد أن مضادات الهستامين تخفف من حدة أعراض الاصابة ، وفى الحالات الشديدة ، يعطى المصاب منشطات للقلب والتنفس .

وللبحر نجوم وقنافذ

أما نجوم البحر وقنافذه فهى حيوانات يغطى الشوك جلدها وتسمى : (الجلد شوكيات) ، ومنها ما يأكله سكان السواحل فى بعض المناطق من العالم ،

سمكة (العقرب) مليئة بالابر - في الزعانف - والاشواك في الغطاء الخيشومي . حاذر اذا اقتربت منها .

نوع من الاسماك الهلامية (قنديل بحر) جلبه الكاتب من مياه الاسكندرية .
اذا انتشرت هذه الاسماك فى منطقة شاطئية كانت مصدر ازعاج للمصطافين .

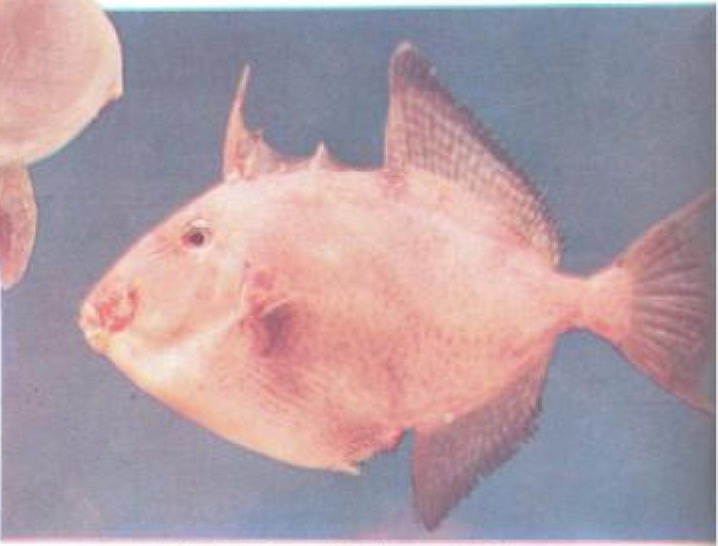

ة من نوع (الخنتزير ثلاثى الاشواك) .. والاشواك مشرعة للدفاع او الهجوم .

وبعض أنواع القنافذ (وتسمى أيضا بالرتسا أو الرتزا) سام كطعام ، كما توجد أنواع أخرى تحمل السم فى مناسلها فقط .

وأشواك نجم البحر مغطاة بأغشية تفرز المواد السامة التى تنتقل إلى أى جسم يلمسها ، وينتج عن وخز الأشواك جروح مؤلمة ، واحمرار ، وتورم ، وقىء يستمر لمدة طويلة ، ويتخدر العضو المصاب كما لوكان مشلولا ، أما أشواك قنفذ البحر ، فهى طويلة ، مجوفة ، ومملوءة بسائل قرمزى اللون ، ولها نهايات مدببة حادة قادرة بسهولة على النفاذ فى لحم الضحية ، مما يؤدى إلى التهابات وتورم فى موقع الأصابة فى الحال ، وقد يخف الألم بعد ساعات ، ولكن مكان الاصابة يظل ملتهبا لعدة أيام .

ويركز المسعفون فى هذه الحالات على ضرورة نزع الأشواك المتكسرة فى الجرح قبل تطهيره ، والمشكلة هنا أن هذه الأشواك هشة للغاية ، بحيث يصعب الامساك بها ، ويوصى الخبراء بضرورة استخدام أى مادة دهنية مناسبة تساعد على سهولة تجميع فتات الأشواك وإزالتها داخل الجرح ، بينما يرى فريق من الأطباء أنه لاضرورة لازالة أشواك قنفذ البحر ، لأن جسم المصاب يمتصها خلال يوم أو يومين .

الرخويات البحرية

وهى كائنات طرية الجسم ، تتخذ لنفسها دروعا وهياكل مختلفة الأشكال لحماية لحمها الرخو ، فتقبع داخل قوقع أو تلتصق بصدفة ، أو تحتمى بين مصراعين ، أو تكتفى بعماد قرنى كما فى « الرأسقدميات » (الحبارات والأخطبوط) . وكثير من أنواع الرخويات البحرية طعام مقبول لدى الانسان ، وتأتى المشكلة من أن هذه المجموعة من الكائنات البحرية لاتخلو من بعض أنواع تفرز السم .

وقد تحدثنا عن المحارات كوسيط لنقل سم بعض الكائنات الأولية ، أما القواقع فإن لبعضها غددا تفرز مادة (التترامين) السامة ، وفى اليابان ، رصدت حالات تسمم إثر تناول وجبات من الحبارات (السبيط) ، والأخطبوط .

وطبيعة سم « الرأسقدميات » غير معروفة ، ولكن الأنواع السامة منها تسبب آلاما بالبطن مصحوبة بقىء وإسهال وحمى وصداع وجفاف شديد ، وتشنجات ، وتشفى حالات الاصابة بعد يومين إذا عولجت جيدا .

وتملك الحبارات والأخطبوطات القدرة على اللدغ

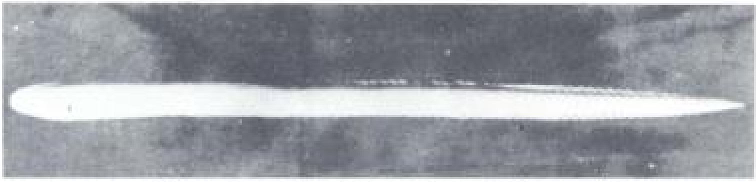

هذه هي شوكة السمكة المسماة بالبقرة اللادغة ، وهذا نوع مسنن من الأشواك يحدث جروحا تهتكية كبيرة يطول علاجها .

بواسطة بروز قرني حاد يشبه الفك أو المنقار ، ويمسك الأخطبوط بالفريسة بين أذرعه القوية التي تقربها من الفم ، فيعضها ، فتسرى المادة السامة من الغدد اللعابية في الفم الى الجروح التهتكية التي أحدثها الفك . ويؤدي السم الى شلل فوري للفريسة اذا كانت سمكة أو حيوانا قشريا مثلا . وقد سجلت في استراليا حالات كان الانسان فيها ضحية مثل هذه اللدغات الأخطبوطية . وفي هذه الحالات أدى سم الأخطبوط الى شلل العضلات الهيكلية للضحية الآدمية ، وهبوط في التنفس أعقبته الوفاة .

القشريات البحرية

وهي في غالبيتها العظمى ولحسن الحظ ـ غير سامة ، ومباحة كغذاء للآدميين ، غير أن بعض العلماء يؤكدون أن النوعين من سرطان البحر (الكابوريا) المسميان : (حذوة الفرس) و (الملك) ، يحتويان على مواد قلوية سامة ، مما يجعلهما غير صالحين للاستهلاك الآدمي ، ويعتقد هؤلاء العلماء أن أنواعا أخرى تحتوي على مواد سامة ولكن في بعض أطوار حياتها الأولى فقط .

القروش والقوابع اللاسعة

ونصل لأقرب المخلوقات البحرية الى حياة الانسان : الأسماك ، لنجد أن بينها أكثر من خمسمائة نوع سام ، وتنتشر هذه الأنواع في كل بحار العالم ، ولكنها تتركز بأنواع كثيرة وأعداد ضخمة في الشعاب المرجانية والمياه الضحلة في المناطق الحارة ، وخصوصا في المحيطين الهندي والهادي .

ومن أهم أنواع الأسماك الغضروفية السامة : القروش والقوابع اللاسعة ، وبعض أنواع القروش ، مثل (قرش جرينلاند) الذي يكمن السم في لحمه ، بينما أنواع عديدة من قروش المياه الاستوائية لا تحتوي على السم الا في أكبادها . ويؤدي تناول لحم القروش السام الى نزلة معوية ، أما الأكباد السامة فهي شديدة الضرر ، وتظهر أعراض التسمم بعد ٣٠ دقيقة من أكلها : غثيان وقيء وإسهال ، وآلام في البطن ، وصداع ، ونبض ضعيف مصحوب بعرق بارد غزير ، والتهابات في اللسان وما خلفه مع المريء .

ويأخذ الصيادون حذرهم اذا وقعت في شباكهم قروش من الأنواع ذات الأشواك . . ففي هذه الأنواع ، توجد شوكة حادة قوية أمام كل من الزعنفتين الظهريتين ، وتتصل كل شوكة بنسيج غدي عند قاعدتها ، يفرز السم ، وتسبب اللدغة من هذه الأشواك ألما فوريا حادا يستمر لعدة ساعات ، مع ورم واحمرار في الجزء المصاب .

أما القوابع اللاسعة ، فهي أسماك غضروفية مفلطحة ، تعيش قابعة فوق القاع ، وفي المناطق الضحلة ، وهي أهم مجموعة من الأسماك السامة ، لأنها تحتوي على أكبر عدد من هذه الأسماك ، ولأنها توجد بكثرة في المناطق البحرية والتي يرتادها الانسان كثيرا في أنشطته المتعددة .

والجسم في هذه الأسماك عبارة عن جذع شبه دائري في الغالب ، يمتد منه ذيل طويل رفيع ، وجهاز اللدغ عبارة عن شوكة قوية حادة (وأحيانا تكون مسننة) تبرز من الناحية الظهرية قرب قاعدة الذيل ، فاذا أحست السمكة بالخطر ، أو اذا استثيرت أو وطئتها قدم عارية عاثرة الحظ ، فإن جسم السمكة يتقلص بسرعة وقوة ، ويلتوي الذيل الى أعلى ،

وتنتصب الشوكة طاعنة الهدف بقوة ، محدثة جرحا تهتكيا كبيرا ، وتتكسر - فى معظم الحالات - داخل مكان الاصابة ، والسم هنا مركب بروتينى يؤثر على القلب والأوعية الدموية والجهازين العصبى والتنفسى للثدييات .

وتسبب هذه اللدغة آلاما مبرحة ، فورية أو بعد عشر دقائق من الاصابة ، ويصل الالم إلى أقصاه بعد حوالى ٩٠ دقيقة ، ثم يبدأ فى التلاشى بعد مدة من ٦ الى ٤٨ ساعة .

الأسماك العظمية

وثمة أكثر من ٣٠٠ نوع سام من الأسماك العظمية ، من بينها أفراد من فصيلة الوقار وفصيلة شبيهات الببغاء ، والعديد من الأسماك الشاطئية .

وسم الأسماك العظمية معقد التركيب ومكون من عدة مشتقات : جزء قابل للذوبان فى الدهون ، وجزء آخر قابل للذوبان فى الماء ، والشفاء من هذا السم يستغرق وقتا طويلا ، ويروى أن بعض الحالات احتاج الى أكثر من عشرين سنة للتخلص من أعراض التسمم وآثاره .

أسماك التونة

ولعله من المفيد أن نشير هنا الى ان بعض أنواع الأسماك الاقتصادية المهمة مثل أسماك (التونة) ، وهى بطبيعتها غير سامة ، اذا ساء حفظها ، أو اذا تركت فى درجة حرارة الغرفة (١٥°م) لعدة ساعات فانها تصبح سامة وتصيب من يتناولها طعاما بأعراض التسمم .

ويفسر العلماء ذلك بأن البكتيريا تؤثر كيميائيا على مادة (الهيستيدين) فى عضلات السمكة وتحولها الى (الهيستامين) ، وعلى هذا يمكن تقدير مدى صلاحية السمكة أو فسادها بحساب نسبة الهيستامين فيها ، ويعتقد فريق من العلماء اليابانيين أن المسئول عن سُمّية أسماك التونة الفاسدة مركب آخر ينتج عن تأثير البكتيريا على عضلات السمكة ، هو (السوارين) ، ولا يزال هذا المركب محل دراسة العلماء فى المعهد القومى للصحة فى اليابان .

علاج التسمم

ولعلاج التسمم من منتجات البحر ، عن طريق الفم ، يسعف المصاب فى أسرع وقت ممكن بافراغ المعدة ، وباسعاف سريع أيضا يحقن فى الوريد بمحلول ١٠٪ جلوكونات الصوديوم ، ويعطى أحد المركبات المنشطة للتنفس ، ويزود بالأكسجين للتغلب على صعوبة التنفس ، وفى حالة استمرار الآلام الشديدة ، تستخدم المسكنات مثل المورفين ، على جرعات صغيرة مجزأة ، وقد وجد أن الأدوية المضادة للهيستامين مفيدة فى علاج التسمم من التونة .

أما علاج التسمم الناتج عن اللدغات ، فيتلخص فى ثلاث مهام رئيسية :

١ - تخفيف ألم المصاب . ٢ - مقاومة تأثيرات السم .

٣ - منع حدوث اصابات أو تلوثات ثانوية .

فالألم ينتج فى الجرح بتأثير الشوكة أو الابرة والسم والمخاط ، وغير ذلك من المواد المهيجة التى دخلت الجرح ، لذلك يجب البدء بتنظيف الجروح باستخدام الماء المالح البارد ، أو محلول ملحى معقم ان وجد .

وينصح بعض الأطباء بوضع الطرف المصاب فى ماء ساخن لمدة ٣٠ الى ٦٠ دقيقة ، بحيث تكون درجة حرارة الماء مرتفعة إلى أقصى حد يمكن للمصاب احتماله ، وإذا كانت الاصابة فى الوجه أو فى منطقة يصعب غمرها فى الماء ، يوضع فوقها قطع القماش المبللة بالماء الساخن ، وهذه النصيحة مبنية على أساس أن الحرارة العالية تحطم المركبات السامة .

وفى مجال الاسعافات السريعة أيضا ، ينصح الأطباء باستخدام رباط مناسب للأوعية الدموية لمنع تسرب السم الى باقى الجسم ، ويمكن أن يحقن المصاب بمضادات التيتانوس كإجراء احتياطى .

ولمعالجة الصدمة العصبية الناتجة عن اللدغة ، يجب الاهتمام بالحفاظ على انتظام ضربات القلب ، وعلى نشاط الجهاز التنفسى . □

---

* باحث بمعهد علوم البحار والمصايد عضو اتحاد الكتاب المصريين

"فاريوجت ٧٤٧"
تستعدّ للهبوط
مولينكس تدخل أجواء جد
مَع فاريوجت ٧٤٧.
Moulinex
Variojet 5
أرخوا
الحزام وابسطوا
البنطال حيث تهبط
مولينكس وتحط بخفة وسهولة
لتحديد ثناياه بفعالية البريسنغ
اضغطوا على البخاخ واضبطوا منسوب
البخار بلمسة إصبع حسب القماش:
"فاريوجت ٧٤٧" تنقاد بسهولة وتحط
بدقة لكن مفعولها مدهش.
جربوا مولينكس وسافروا على متن
"فاريوجت ٧٤٧"، ست مكاوٍ جميلة،
جذابة وفعالة من مولينكس.
مولينكس
صنع فر
Moulinex
made in france

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

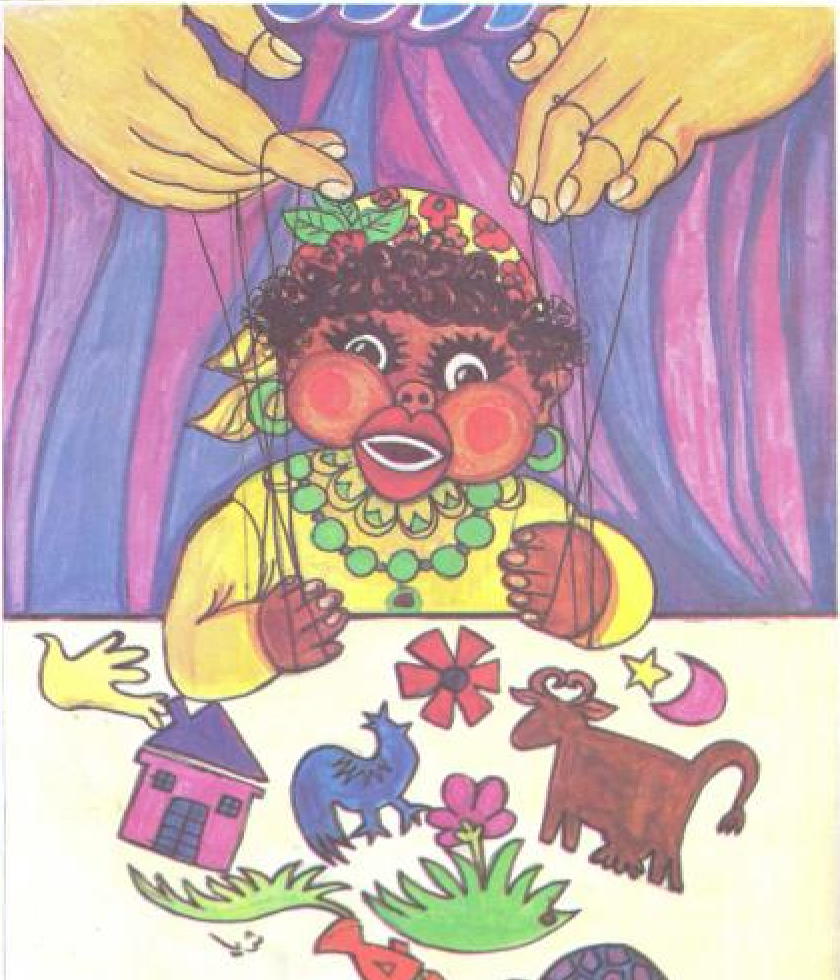

مسرح العرائس والطفل

مسرح العرائس والطفل..

بقلم : حسين ابو زينة

«يفتن أطفالنا بالعرائس ، وتزداد فتنتهم عندما يرونها تتحرك وتتكلم وتغني من فوق خشبة المسرح ، ويصبح مسرح العرائس مكانا أثيرا لهم ، لهم ، ولكن ماذا يجب أن يقدمه مسرح العرائس وهو يخاطب أطفالنا ؟ » .

ـ صندوق الدنيا والأراجوز هما بدايات المسرح والذي كان يجمع الأطفال حوله في الطرقات

ـ شخوص وأبطال المسرح تداعب خيال الأطفال وتصبح نجوما لديهم .

ان من أوضح الآثار التى يمكن ان يعكسها التفهم الدقيق لمسرح الطفل ، ذلك الأثر الذى يمارسه المسرح ذاته على الأطفال أنفسهم ، فلقد أصبح من اللازم أن تقدم أشكالا معينة للمسرح تتعاطف مع دراما الطفل . وتوجد الآن فى انجلترا فرق فنية من الكبار تحاول فى هذا الأمر بجد واهتمام . وهذه مسألة تخص الكبار الذين يقومون بالتمثيل للصغار ، مقدمين تمثيلياتهم فى الأشكال التى تظهر فيها دراما الطفل للأعمار المختلفة ، وهم يشجعون المتفرجين على المشاركة فيها ، مستخدمين الأصوات المثيرة للاهتمام .

واذا كنا فى نهضتنا الأدبية قد استجبنا لحاجات الحياة ، واستعرنا التمثيل الدرامى المباشر ، وتوسلنا بضرب آخر من التمثيل بعرض الصورة المتحركة الناطقة أمام الناس ، فلقد كان الواجب يقتضينا أن نفطن أولا الى تصحيح مفهوم التراث الفنى ، فنحتفى بآثار خيال الظل ، وهى آثار ترتبط بالأدب ارتباطها بفنون الايقاع والرسم . وليس من شك فى أننا لو أدركنا هذه الحقيقة لكنا قد كشفنا عن القاعدة الأصلية التى لابد من الارتكاز عليها ، لكى تبدع فنا قوميا يتسم بالملامح الانسانية ، ونشغل أنفسنا بالتطوير ، مستغلين التقدم الذى أحرزته البشرية فى وسائل الاعلام والعرض .

ونحن الآن مشغولون بمسرح العرائس ، والصور المتحركة ، ومسرح الأطفال والأفلام الخاصة بالتربية : أفلا يحق لنا أن نعيد النظر فى تراث خيال الظل ، لنتخذ من موضوعاته وتقاليده الفنية ركيزة تشبه التقاليد التى لايستطيع فن من الفنون أن تحقق وجوده بدونها ؟ ان كثيرين من المثقفين يتصورون أن فنون التمثيل والتصوير والتشكيل دخيلة على تاريخنا ومجتمعنا ، والواقع أن هذا التصور خطير الى حد كبير ، ذلك لأنه يجعل فنوننا معلقة بلا تاريخ .

ولقد عاش فن العرائس مدة طويلة دون أن يكون هناك حكم عليه بأسلوب علمى ، وذلك لأسباب مختلفة ، لكن الآن وبعد أن نضج المسرح فى عدة بلدان ، أصبح لفن العرائس نقاد متخصصون يقوّمون العمل من خلال جزيئاته المختلفة ، ومن هنا بدأت حركة الصعود لهذا الفن .

ومسرح الطفل للعرائس يعدّ مسرحا عالميا فى فكرته وامكانية مخاطبته للأطفال فى كل مكان بالعالم .

- حتى الحيوانات عندما يتم تقديمها في شكل العروسة تستحوذ على انبهار الطفل ودهشته .

ان رواد هذا الفن الرفيع في تزايد مستمر ، ولهذا يجب بذل المزيد من الجهد للارتفاع بمستوى هذا الفن ، حيث لم يعد يليق بنا الابقاء على الأطفال أمام شاشة التلفاز ، انتظارا لبرامجه التي لا تناسب أعمارهم ، إن انجاح هذا الفن العرائسي يأتي مباشرة من الأطفال أنفسهم ، فاما أن يجذب التفاتهم تماما ، واما أن ينصرفوا عنه .

ويعدّ المسرح العرائسي من أرقى أنواع الفنون ، ذلك لأنه يبث القيم الروحية والاجتماعية التي تعدّ الطفل اجتماعيا ، لكي يستقبل حياته العملية في الكبر وهو محصن بمجموعة كبيرة من الخبرات التي تلقاها بطريقة غير مباشرة ، والتي تؤثر في تكوينه النفسي ، حتى يستطيع التكيف مع متناقضات مجتمعه الذي يعيش فيه ، وحتى لا يصطدم بجهامة الواقع .

مسرح العرائس - اذن - يستطيع أن يلعب دورا مهماً في التربية الفكرية للأطفال ، فالطفل في سنواته

الأولى تتكون ملامح شخصيته من خلال تجاربه الخاصة ، فتتجدد قدراته الفكرية بمجالات الادراك التي تتهيأ له ، وادراك الطفل للأشياء لا يتأتى الا بالممارسة والعمل ، وهنا يلعب مسرح العرائس دورا جوهريا في تجسيد الأفكار التي تدور بذهن الطفل وبشكل مشوش ، وقد يكون الطفل أتم تجسيدها من وجهة نظره ، وبشكل خاطىء ، وهنا يأتي دور مسرح العرائس في تصحيح التصور الخاطىء لدى الطفل .

وهناك حقيقة لا بد أن نؤكدها ، وهي أن المسرح العرائسي يلعب دورا مهماً وخطيرا في عملية التطبيع الاجتماعي ، وفي تكوين وبلورة شخصية الطفل ، فاذا أردنا تقديم الأسطورة أو قصة من قصص الخوارق ، فمن المهم أن نضع القصة في شكل يتناسب مع عقول الأطفال ، مع الحفاظ على المستوى الفكري ، وبحيث تناقش قضية بعينها . فالطفل يجد لذة لسماع أو رؤية القصص الخيالية ، ولديه القدرة على استنباط القيم الخلقية مما يعرض أمامه ، الأمر الذي يؤدي الى تفتح طاقات خياله وآفاق تأمله ، بالاضافة الى تبين الطفل لعناصر الصراع العنيف الدائر بين الخير والشر فإذا انتصر الخير يدرك الطفل عدالة العقاب وأهميته ، وأهمية اثابة المحسن الخيّر الكريم ، مما يؤدي الى نمو الوعي الدرامي عند الطفل .

ومسرح العرائس يلقى اهتماما وجاذبية كبيرة من

عالم كامل بكل تفاصيله التي تقترب من الواقعية قدمت بالعرائس والدمى .

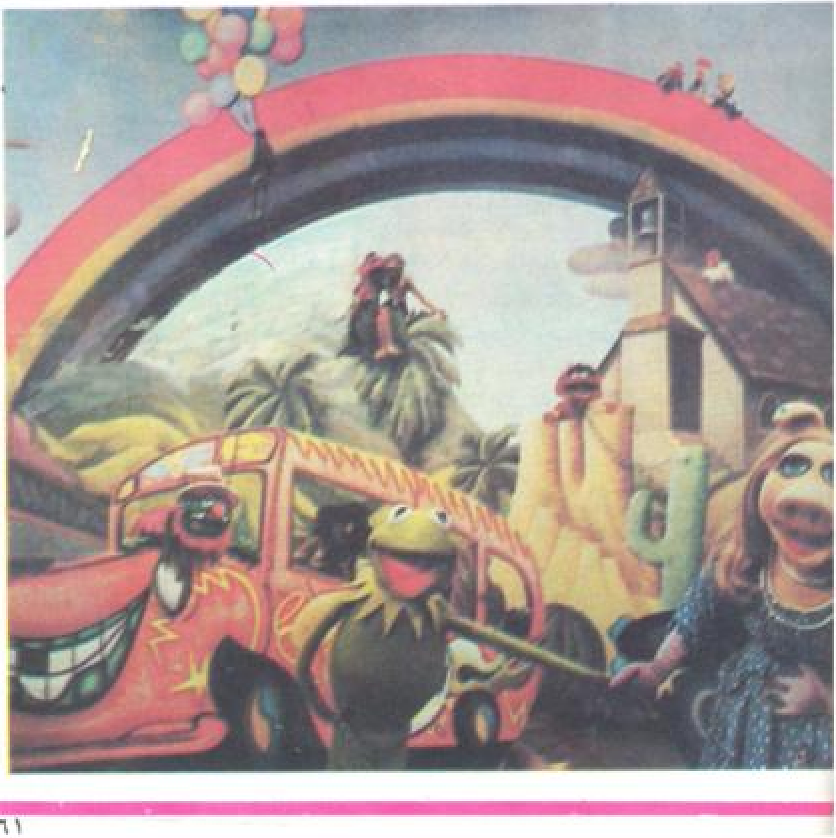

- يلعب تجهيز المسرح والديكور واقتراب المشهد من الواقعية دورا في اثارة خيال الطفل .

ناحية الطفل ، وخلال جميع مراحل نموه وتطوره ، وقد يمتد الاهتمام بمسرح العرائس الى مرحلة المراهقة . فبمجرد مشاهدة الطفل للعرض العرائسي تقوى ذاكرته وتصوره للخبرات السابقة ، تمهيدا لاستدعائها ، كما تنمو قدرته الخيالية ، وهذه القدرة لها دور كبير في بناء الأفكار وابتكار كل جديد .

واندماج الطفل مع العرض العرائسي يوفر له نوعين من التوازن بين اتجاهاته العقلية والانفعالية والفكرية والحسية وبين الوعي واللاوعي ، ويمكن أن تتحول بعض الدوافع الهدامة لدى الأطفال الى دوافع بناءة .

كما يساهم مسرح العرائس فى تنمية الادراك الحسى عند الأطفال والادراك البصرى عن طريق الاحساس بحركة العروسة التعبيرية ، وايماءاتها وشكلها وحجمها ولونها الجذاب ، كما ينمو الادراك السمعى عن طريق الموسيقا التصويرية وكلمات الأغنية المناسبة مع المشهد .

ويسهم مسرح العرائس فى تنمية مدركات الطفل التى تعد ضرورة مهمة فى عملية تنشئته ، فمما لا شك فيه أن الثقافة عملية مهمة فى حياة الانسان ، فهي تلعب دورا عظيما فى تغيير وجه المجتمع وبنائه ، واذا كانت الثقافة تعنى المعارف المختلفة فى شتى أنواع الخبرات الانسانية ، كالخبرات الاجتماعية والعملية والفنية ، واذا كانت الثقافة تعمل على تطوير عقلية الانسان ، وتعكس الأسلوب الذى تتشكل به عاداته وسلوكه ، وجب علينا الاهتمام بتنمية عقلية الطفل تنمية سليمة وكاملة من كافة النواحى ، ومسرح العرائس قادر على المساهمة فى تقديم الثقافة الى الطفل .

وعلينا ونحن نقدم عملا عرائسيا بعيدا عن المحلية ، ان نستخدم في أثناء التأليف اللغة المبسطة التى تتفق مع قدرات الطفل ، وأن نبتعد عن لهجات الشعبية ، حرصا على هذا الفن من الاندثار والتلاشى ، ذلك لأنه يعالج قضايا حيوية تمس احتياجات الطفل فى كل مكان ، فاذا ما كتب بلغة عربية معروفة كان من السهل ترجمتها للغة المراد التعامل معها . □

الموت حياة

المشهد يكاد أن يكون يوميا .. ومتكررا ، في المساء وفي نشرة الأخبار منذ ثلاثة شهور ، تأتي صور الملونين السود في جنوب أفريقيا ، وهم يرفضون سياسات التمييز العنصري .. وكم كانت مذهلة هذه الصور والمشاهد .. عندما تخرج آلاف البشر .. يرقصون رقصاتهم الأفريقية ، ويغنون ضد الغاصب الأبيض : كان المعروف دوما أن المظاهرات عمل عنيف .. أصوات غاضبة تهدر .. وأذرع متشنجة تلوح بالغضب والرفض .. حتى أطل علينا هؤلاء الثوار الفنانون الحالمون الرائعون .. ورأينا الأغنية وهي تصبح أنشودة لمجد الوطن وللجمال والحق .. والأجساد وهي لاتتشنج ، ولكنها تصفق باليد وتدق بالقدم .. تعزف نغمة ليرقص عليها تراب الوطن .. وبرغم كل الرصاص ومحاولات الاغتيال من قبل قوى النظام الحاكم في جنوب أفريقيا لناس وملح الأرض .. الا ان مسيرات الغناء والرقص لم تتوقف .. ويطغى صوت الرصاص السافل .. على اللحن الجماعي .. الذي يميز الانشودة .. ويخل سقوط جسد من وسط الرفاق بايقاع الرقصة للحظة ولكنها تستمر ، ولم تكن هذه المواجهة الرائعة النبيلة للموت مقصورة على مدينة واحدة ولا حي واحد .. ولكنها تجاوزتها الى كل أنحاء المدن في جنوب أفريقيا ..

ومنذ فترة قصيرة عاد صديق لي من جنوب لبنان .. وأخذ يحكي عن رقصات الاهالي للدبكة وغنائهم للوطن وللمجد ولشجرة الأرز ، كلما سقط شهيد في عملية انتحارية ، وكيف تصبح تجمعات البشر تجمعات للاحتفال وليس للعزاء ..

وتذكرت صورة جنوب أفريقيا .. وقلت له انه العالم الذي يتغير .. ان ملايين الفقراء والمسحوقين في هذا العالم .. أدركوا ـ وهم يرزحون تحت الفقر والقهر ـ ان الغد لهم .. وفي مواجهة كلاب القهر .. ومصاصي الدماء .. يبقون هم الطير .. والخير والغد والمجد .. ورغيف الخبز .. وانشودة الموت التي تهب الحياة للوطن .. كل الوطن .. الوطن الانساني الذي يغني للمجد والحرية والجمال .. □

محمود عبد الوهاب

إزاحة الستار عن ..
أسرار الألم

بقلم : د . انيس فهمى

لا أحد منا لم يتألم . . ونعني بالألم هنا ذلك الألم الجسماني وليس ألم النفس . . ولكن ماذا نعرف عن الألم وكيف ينشأ وماهي مسبباته ؟ هذا المقال يوضح لنا كيف يحدث ذلك ويعطينا الجواب .

الألم من أهم المشكلات التى شغلت بال الأطباء والعلماء منذ فجر التاريخ حتى اليوم ، إن الالم أيا كان نوعه ، وسواء كان ناتجا عن التهاب بالمفاصل أو عن الصداع النصفى ، أو عن أى سبب آخر معلوم أو مجهول يصيب بالعجز عددا من الناس أكثر من عدد المرضى بالسرطان أو بأمراض القلب . . ومع ذلك فان أسباب الألم مازالت تمثل الى حد كبير منطقة مجهولة تحتاج الى البحث والاكتشاف ، وقد أدرك الباحثون أخيرا أهمية الحاجة الى علاج خاص للعقل والجسم معا ، عندما يصرخ المريض متوجعا من الألم .

كان الألم ينسب فى العصور القديمة الى الأرواح الشريرة . فى حين أن الانسان البدائى كان يستطيع أن يدرك مصدر الألم الحاد الناتج عن الاصابات أو الحروق ، الا أنه بالنسبة للألم المزمن كان يلجأ الى السحرة ومدّعى الطب . . وكان قدماء المصريين يعتقدون أن الألم المزمن مصدره الأرواح أو الآلهة أو الموتى . ولكنه فى القرن السادس عشر قبل الميلاد اكتشف المصريون فائدة الأفيون فى تسكين الألم ، وجاء ذكره فى بردية ايبرس Ebers Papyrus التى تحوى ألف وصفة علاجية تقريبا ، كانت تستعمل فى أيام امنحوتب .

كان المصريون القدماء يعتقدون أن المركز العضوى للألم هو القلب ، وقد ظل هذا الاعتقاد سائدا الى أن نادى الفيلسوفان الاغريقيان ديموكريتوس وأفلاطون بأن مركز استقبال الألم هو المخ ، وقد تأكد ذلك بعد اكتشاف أن المخ متصل بشبكة ذات نوعين من الألياف العصبية : نوع مختص بالحركة ، والآخر مختص بالاحساس . وخلال القرون الوسطى اندثرت هذه المعرفة ،

وعاد الأمر الى الدجل والشعوذة ، وظل الحال كذلك حتى أقبل عصر النهضة الذى رفعت فيه القيود على تشريح الجسم الانسانى ، واثبت العلماء وعلى رأسهم ليوناردو دافنشى أن الألم له علاقة بالجهاز العصبى . وأغلب التعديلات التى حدثت لهذا المفهوم تمت فقط فى السنوات العشرين الأخيرة .

رسالة الألم

أصبح العلماء الآن على دراية بما يحدث مثلا عندما يصطدم اصبع القدم الكبير بجسم صلب ، ان رسالة الألم تبدأ عند نقطة التصادم ، بانطلاق عدد من المواد الكيماوية المخزونة فى النهايات العصبية أو بالقرب منها . ومن بين هذه المواد المادة أ ، والبروستاجلاندين والبراديكينين ، هذه المواد الكيماوية تزيد من حساسية النهايات العصبية ، وتساعد فى نقل رسالة الألم من المنطقة المصابة الى المخ ، وبالاضافة الى ذلك فان البروستاجلاندين يزيد من الدورة الدموية فى المنطقة المصابة ، وبذلك يسبب الورم والاحمرار اللذين نطلق عليهما اسم « الالتهاب » . ومنذ أيام أبو قراط والأطباء يكافحون باستخدام حمض الساليليك الذى يستخرج منه الاسبرين ، ولكنهم لم يعرفوا الا منذ خمسة عشر عاما فقط أن الاسبرين يحبط افراز البروستاجلاندين .

ان اشارة الألم الناتجة عن اصابة اصبع القدم تصعد كتيار كهربائى كيميائى على طول عصب

الاحساس الى القرن الخلفى للحبل الشوكى ، ثم يذهب التيار بعد ذلك الى الـ THA-LAMVS أو (السرير فى الترجمة العربية) وهى أول منطقة تدرك فيها احساسات البرودة والحرارة والألم واللمس . وبعد ذلك يصعد التيار الى قشرة المخ ، حيث تدرك شدة الألم ومكانه . وهذه المنطقة الأخيرة هى الأرض الكبيرة المجهولة فى الابحاث الخاصة بالألم . وعلى أيه حال فان قشرة المخ هي التى تنظم الاستجابات المتطورة المتعددة للانواع المختلفة من الألم .

نظرية « رقابة البوابة على الألم »

عندما يشعر الانسان بالألم فى اصبع القدم فانه يدعكه ، ويبدو أن دعك الاصبع المتألم له هدف معين ، إذ أن الانسان يشعر براحة كبيرة عندما يدعك عضوا متألما . وفى عام ١٩٦٥ استطاع العالمان باتريك وول ، ورونالد ميلزاك ان يصوغا نظرية لتفسير هذه الظاهرة ، وهى نظرية « رقابة البوابة على الألم . وطبقا لهذه النظرية لايستطيع الجهاز العصبى الاستجابة الا الى كمية محدودة من الاحساس فى لحظة معينة . وعندما تكثر مصادر الاحساس فإن خلايا معينة بالحبل الشوكى تقطع اشارات الألم ، وكأنها تغلق البوابه التى تمر منها هذه الاشارات ، وعلى ذلك فانه يمكن منع الألم من المرور من خلال البوابة عندما تكون هناك منافسة له من احساسات أخرى مثل دعك الاصبع . وقد استخدمت هذه النظرية كقاعدة لطريقة جديدة لعلاج الألم يطلق عليها اسم : « التنبيه العصبى بواسطة استخدام الكهرباء من خلال الجلد » . وفى هذه الطريقة يوضع موصلان للكهرباء فوق الجلد لكى يسرى بينهما تيار كهربائى ضعيف ، ينافس اشارات الألم الصادرة من الجلد ، وبذلك يسد عليها طريق البوابة ، فلا يدركها الجهاز العصبى . ويعتقد ان العلاج

بالوخز بالابر الصينيه يفعل مفعوله الى حد ما باغلاق بوابة الألم .

ان نظرية « رقابة البوابة » فتحت المجال لأنواع كثيرة من الأبحاث الحديثة ، كما أفادت فى تفسير بعض الظواهر النفسية المحيرة للألم . لنأخذ على سبيل المثال الظاهرة الشائعة في اثناء الحروب ، التى تحدث للجندى الذى يكون منغمسا أشد الانغماس فى حرارة المعركة ، فلا يشعر باللغم الذى انفجر تحت قدميه ، أو لاعب الكرة الذى يكون منغمسا أشد الانغماس فى المباراة ، فلا يشعر بالخلع الذى أصاب مفصل كتفه الا بعد انتهاء المباراة ، فما معنى ذلك ؟ معناه أنه يوجد شىء ما فى الجهاز العصبى منع الاحساس بالألم .

اكتشاف الأندروفين

منذ عشر سنوات مضت اكتشف العلماء فى سكوتلندا ماهية هذا الشىء الذى يمنع الاحساس بالألم . فقد استطاع جون هيوز ، وهانز كوستر ليتز فى جامعة ابردين بسكوتلندا أن يعزلا مواد كيماوية قوية قادرة على كف الألم ، وهذه المواد موجودة بشكل طبيعى فى المخ والحبل الشوكى ،

وقد اطلق عليها اندروفين ENDORPHIN وهي قادرة على اغلاق الانذار بالألم تماما مثلما يغلق المفتاح القفل . وهذه الأقفال هي مستقبلات الألم على سطح الخلايا العصبية . ان المخدرات مثل الأفيون والمورفين والهروين تغلق أيضا هذه الأقفال ، وبذلك تنشط جهاز الجسم الخاص بتخفيف الألم .

ان جهاز الاندورفين أيضا هو احدى الوسائل التى تستطيع اغلاق بوابة الألم . ومنذ اكتشاف النوع الأول من الاندروفين فى عام ١٩٧٥ اكتشفت أنواع عديدة من الأفيون الطبيعى ، وأنواع أخرى لاصلة لها بالأفيون موجودة داخل الجسم للتأثير على رسالة الألم . وبعض هذه المواد الكيماوية والتى أطلق عليها اسم « الناقلات العصبية » ليست مختصة بالألم فقط ، بل لها علاقة أيضا بالاستجابات العاطفية مثل الاكتئاب . وقد عرف الأطباء أن الادوية التى تعالج الاكتئاب يمكن أيضا استخدامها بجرعات قليلة لتخفيف الألم .

الألم تجربة معقدة

ان العالم رونالد دابنر بالمعاهد القومية للصحة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، الذى يكرس وقته لازاحة الستار عن كيمياء الألم والعقاقير المخففة للألم توصل الى الحقيقة التالية ، وهى أن الألم تجربة معقدة تشتمل على الانفعالات ، وتجارب الألم السابقة ، ومعنى الألم بالنسبة لنا فى أى وقت معين . وباختصار فان الخط الفاصل بين فسيولوجيا الألم وسيكولوجيته خط مهتز وغير واضح . ويقول البروفسور هود رئيس أبحاث أدوية الألم بمركز السرطان بنيويورك أن الخوف والقلق والتوتر وتوقع الكوارث يجعل الألم يبدو أكثر سوءا مما هو فى الواقع . فبالنسبة لمريض السرطان يتضخم الألم فى أغلب الأحوال لأن المريض يفسره بأن المرض قد عاد ، أو استجدت احدى مضاعفاته ، أو أن الموت قريب على الأبواب . وعلى العكس من ذلك فان الأمل والتشجيع يستطيعان أن يجعلا الالم يبدو أخف مما هو فى الواقع .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية وجد أن الجنود الذين أصيبوا اثناء معارك حامية الوطيس احتاجوا لكمية من المورفين أقل بكثير من المدنيين الذين أصيبوا بجراح مشابهة ، والسبب فى ذلك أن الجراح كانت تمثل للمدنيين مصدرا للقلق والخوف ، اما بالنسبة للجنود فكانت الجراح تعنى أنهم سيعودون الى منازلهم !

وفى كثير من حالات الألم المزمنة يكون لدى المريض سبب مادى أو معنوى يجعله يستفيد من الألم الذى يشعر به . فقد حكى أحد الاطباء النفسانيين عن حالة سيدة بدأت تشعر بألم فى أسفل ظهرها ، عندما أحيل زوجها الطبيب الى المعاش . ويفسر الطبيب النفسانى ظهور ذلك الألم بأن هدفه ربما يكون اتاحة الفرصة للخروج لكى يعاود مزاولة مهنة الطب بعلاج زوجته !

وقد أثبتت الأبحاث أن الأفراد الذين يقيمون دعاوى بقصد طلب التعويض عن اصاباتهم لاتتحسن حالتهم الا بعد الفصل فى الدعوى !

ويعتقد الكثير من الأطباء أنه توجد خصائص مميزة تجعل بعض الناس أكثر استعدادا للألم ، ومن أهم هذه الخصائص عدم الاقبال على الحياة ، أو ضعف الحافز ، أو عدم الثقة بالنفس ، أو الاعتماد على الآخرين . ومن المعروف لدى الأطباء أن بعث الأمل لدى المريض بأنه سيشفى ، ومعاملته برقة وحنان يساعدان كثيرا على تخفيف الاحساس بالألم ، وفى هذه الأحوال فان اعطاء المريض حبة مغلفة من السكر بدلا من حبة الدواء ، بدون علمه بالطبع يمكن أن تشفى المريض من آلامه ، وعلى أية حال فان الألم موضوع شائك معقد ، وبالرغم من التقدم الذى حدث فى السنوات الأخيرة فى ازاحة الستار عن أسراره الا ان الكثير من أسرار الألم لم يكشف عنه بعد . □

هو....

أرض جدباء

● عذاب ونار تشتعل داخلي .. ولاأتصور أن أحدا يستطيع أن يشعر بما أحس به وأعانيه ، الا اذا كان قد اكتوى بالعذاب مثلي !!

عشر سنوات مرت منذ زواجنا .. والأمل يصعد بي كل يوم .. واللاجدوى تصفعني كل مساء .. أترقب بدايات الأشهر .. وأنتظر هلال القمر .. دون أن أيأس ولكن الأيام تركض كجواد جامح ، تقطع بي أيام العمر وأشهر الترقب وسنوات الازدهار ..

في البداية كنت أتندر .. أتية بجمالي وعندما تأتي سيرة الانجاب أو غمزة من هنا أو غمزة من هناك .. كنت أهز كتفي بدلال .. وأصيح .. ماذا ينقصني ... ذراع .. أم ساق .. قبيحة أو شوهاء .. لاهذا ولاذاك . ثم أقرر في لهجة تعليمية « اكتمال الأنوثة شيء والقدرة على الانجاب شيء آخر » ، ولكنني لم أقو كثيرا على الصبر .. فقد زارني القلق والتوتر .. ولكنهما قلق وتوتر يحتاجان الى صبر من نوع خاص .. صبر يلغي إحساسك بذاتك .. صبر يفوق احساسك بوجودك وكيانك ،ولأن مثل هذا الصبر عزيز فقد عرفت طريق الأطباء .. في البداية ذهبت سرا ، ثم اصطحبت زوجي معي ، وتحول الأمر الى ادمان ، ترددنا على عشرات الاطباء ، وأجرينا مئات التحاليل الطبية وجربنا عديدا من الطرق في ضرورة الهدوء النفسي ، ومحاولة نسيان الرغبة في الانجاب ... وأصبح همنا أن نسمع عن طبيب ماهر .. أو عن أسرة رزقت بطفل بعد طول انتظار ، فنهرع اليهم نسألهم .. ونستفسر ونجرب طب العرافين والعرافات والأحجبة والتمائم .

وبرغم أن زوجي يأخذ القضية ببساطة وسخرية ، فإنه يقول مادام الطب أثبت أننا صالحان طبيا للانجاب ، فلا توجد مشكلة ، فما لايأتي اليوم يأتي غدا .. وما لايجيء غدا فأمامنا العمر .. واذا راح العمر .. فتلك مشيئة الله .. ويجن جنوني وتثور ثائرتي وهو هادىء مبتسم .. وأصبحت المشاجرات بيننا عادة يومية ، سواء كان هناك سبب يستحق أو لم يكن .. لو كنا سائرين في طريق ووقف أمام محل أزياء أطفال ، لو كنا في زيارة لعائلة وداعب طفلا .. أشعر أن سكينا يمزق أحشائي .. وتحترق أعصابي ، وتصبح الكلمة التالية أيا كانت مادة شجار .. صحيح أنني بعدها أبكي .. وكثيرا ما يتفهم هو ذلك فيضحك ويهدىء من ثائرتي .. لكنني أشعر أني أرض جدباء لافائدة منها .. شجرة ملعونة لاتمنح ظلا ولاثمرا .. عذاب .. ونار .. كلما همست لنفسي بيني وبين نفسي .. انني ... انني .. انني عاقر .

هي

هي....

ولكنها الحياة

أعذبتني معها .. ولولا نعمة الله بأن منحني ايمانا وصبرا لكانت الحياةبيننا قد انتهت ، فلم يعد هناك شيء لانتشاجر حوله .. ولايوجد شيء لايثير أعصابها ، وبرغم أننا قد قضينا سنوات الزواج الأولى في هدوء وراحة بال ، ولم تكن هذه المشكلة تلح على ذهنها ولاتقف عندها .. فمنذ اليوم الأول لزواجنا وأنا أسلم أمري لله في موضوع الانجاب ، فلم أشجعها على استخدام أي نوع من أنواع موانع الحمل .. ومضت بنا الأيام ، ولا أدري بالضبط كيف تفجرت المشكلة داخلها،هل هو كلام الصديقات .. أم احساس الأمومة الغريزي ؟ الا أنني في كلتا الحالتين أعذرها وأفهم ، وأسأل الله أن يهبها راحة نفس وسكونا .

حاولت كثيرا أن أقول لها تلك مشيئة الله ، وانه قدر لنا ألا نرزق بأولاد ، والله سبحانه يرزق من يشاء ذكورا ويرزق من يشاء اناثا ، والحمد له اننا لا أنا ولا أنت نشكو مرضا .. فلعله امتحان من الله ، أو لعلها هي تلك مشيئته ، ولكن كلامي يذهب أدراج الرياح .

وأعترف أنني كثيرا ما تقتلني نار الكلمة .. أن أسمع مناداة ابني لي .. أن أراه أمامي صبيا يدخل البيت صائحا مهللا .. حاملا كتبه يملأ الدنيا حيوية وحياة .. وكثيرا ما أشعر ببرودة الأيام القادمة ، عندما أصير شيخا ولا أحد يسأل عني .. ولا ابن يرعاني في شيخوختي ..

عذابات أشعر بها تأكلني وتورثني احساسا عبثيا قاتلا بأنني أحرث البحر .. لا أحصد الا الزبد الخاوي . وتعلمت مع الأيام والوقت فن الصبر .. وتعلمت كيف أعلل نفسي وأروضها ، وأفترض انه لو جاء ابن يشكو من مرض أو علة ، أوليس ما أنا فيه أرحم .. وحينا آخر أقول ربما لو جاء ولدا كان عاقا .. كالغلام الذي قتله الخضر وكان أبواه صالحين ، وكان يرهقهما طغيانا وكفرا .. وعديد من الافتراضات .. من باب السلوى والعزاء .. ثم من منا تعطيه الدنيا كل ما يريد وكل ما يحلم ؟

ومن منا أزهرت أحلامه كلها وايعنت امانية انها الحياة تعطي وتأخذ ، تحنو وتقسو .. ونسير فيها حاملين الأحلام والأمنيات والخيبات والأسى .. حتى نغادرها يوما ، عزاؤنا فيها صبر وايمان ورضا ، ولتكن كما تكون حتى بدون ولد يحمل الاسم ، ويبقى الأثر فيها حتى بعد الرحيل .

هو

من الحياة

وفاءُ امرأةٍ

.. ثم كان اللقاءُ قبل الخريف!

بقلم : منير نصيف

هذه القصة عشت نهايتها .. أما بدايتها فقد رواها لي الزوجان .. انها قصة حب كبير ... في الربيع كانت البداية ، وكانت أقوى من الحياة ذاتها ، فقد عاشت الى ما قبل مجيء الخريف بقليل !

جاءت اليه تلهث في فستانها الأبيض الجميل ، الذي اشترته لها أمها منذ يومين .. كان العرق يكسو وجهها ورأسها الصغير الجميل .. وقالت وهي تقف أمامه في في الحديقة الصغيرة التي تعودا على اللقاء فيها ، واللعب وسط زهورها وأشجارها : اليوم عيد ميلادي . سوف أطفىء أربع عشرة شمعة .. لقد كانت مفاجأة لي عندما صحوت من نومي في الصباح ، واقتربت مني أمي لتقول لي كل سنة وأنت طيبة ياصغيرتي ! وقلت لها انني أريد أن أدعو صديقي الى الحفل الصغير الذي ستقيمينه لي . فقالت لي : انه عيد ميلادك ، ومن حقك أن تدعي اليه كل اصدقائك !

ووقف الصبي الذي يكبرها بعام واحد ، يتأمل وجهها الجميل ، قبل أن يمد يده الى جيبه ليبحث فيه عما تبقى له من مصروفه .. ولكنه وجده خاويا .. لقد انفقه كله ، ولن يستطيع أن يشتري شيئا .. أي شيء يقدمه هدية لصديقته الصغيرة في عيد ميلادها .. وأحس بخجل شديد .. ولكنه لم يفقد الأمل تماما .. فقد عبرت برأسه فكرة ، حاول أن ينفذها ، لماذا لايعود الى البيت قبل الذهاب الى الحفل ، ويرجو والدته أن تعطيه مبلغا صغيرا يستطيع أن يدفعه ثمنا للهدية التي سيختارها لصديقته ؟ .. وقال لها : عودي أنت الى بيتك الآن وسوف الحق بك !

وذهبت ، وهي ترجوه ألا يتأخر ، فقد أوشكت الشمس على الغروب ، ولابد من أن يبدأ الحفل في ساعة مبكرة ، وينتهي قبل أن يحين موعد الذهاب الى النوم قبل التاسعة ، ففي الغد يوم جديد ، سيذهبان فيه الى المدرسة معا ، في نفس السيارة الكبيرة التي يلتقيان فيها كل صباح ..

وذهب الصبي الى أمه ، ووقف يرجوها أن تساعده في شراء هدية لصديقته الصغيرة بنت الجيران التى قضى معها رحلة السنوات السبع الأخيرة ، عندما انتقل مع والدته للعيش في هذه الضاحية الصغيرة ، بعد أن رحل والده وهو يدافع عن تراب الأرض التى ولد فيها ، وكبر وسط جبالها ووديانها . .

وابتسمت الأم في حنان ، واقتربت من ابنها الوحيد ، وضمته الى صدرها ، وقالت : هل تعرف أيها الرجل الصغير أننى معجبة بصديقتك . . أنا ايضا أحبها . . ومن أجل ذلك سوف أعطيك هدية جميلة لتقدمها لها في عيد ميلادها !

وفتحت خزانتها الصغيرة ، وأخرجت منها خاتما ذهبيا يحمل لؤلؤة ثمينة . وقالت وهى تقدمه له : « لقد أعطتنى أمى هذا الخاتم عندما كنت في مثل سن صديقتك . . اذهب اليها الآن وقدمه لها ولاتنس ان تبلغها تمنياتي لها بعيد ميلاد سعيد . . قل لها أن تحرص عليه دائما ، وألا تنزعه من اصبعها أبدا !

وحمل الصبي الخاتم في جيبه ، وذهب الى بيت صديقته . . . كان يحبها . . فقد كانت حياته مع أمه في وحدتها - بلا أخوة ولاأخوات - قد ملأت قلبه الصغير بالحب لكل الناس . . ولكنه كان يحمل حبا خاصا لهذه الصبية الصغيرة . . كان يرى فيها أخته وصديقته وزميلته التى لايفترق عنها طوال سنى الدراسة ، التى أمضياها في المدرسة التى جمعتهما في فصل دراسى واحد ، وفي الحى الذى يسكنان فيه قريبا من بعضهما بعضا . . كانا يلعبان ويستذكران دروسهما معا . . يخرجان للنزهة معا . . كانا يجدان في تلك الصداقة التى ربطت بينهما شيئا جديدا ، جعل للحياة البريئة التى يعيشانها طعما وهدفا . .

هى أيضا كانت وحيدة والديها ، وكانا يفيضان عليها من حبهما وحنانها كل ما يمكن أن يحمله قلباهما الكبيران اللذان اتسعا لحب كل أبناء الحى الصغير ، الذى يمضيان فيه أجمل سنى العمر !

ووصل الصبي أخيرا ، وكان الحفل قد بدأ . . وما كادت تراه قادما حتى أسرعت اليه مهرولة ، ومدت يدها الصغيرة تصافحه : لقد تأخرت كثيرا . . انى لم أطفىء الشموع في كعكة عيد ميلادي بعد ، فقد كنا جميعا في انتظارك . . أمى وأبى وكل أصدقائنا تعال معى لتساعدنى في اطفاء الشموع !

ولكنه بقى واقفا ، حيث هو ، ومد يده الى جيبه ، وأخرج الخاتم الذي أعطته له أمه ، وقدمه اليها ، ولم ينس أن يتمنى لها عيد ميلاد سعيدا !

واحتضنت الصبية الخاتم بكلتا يديها ، وضمته الى صدرها ، وأسرعت الى أمها : انظرى ياأمى ماذا أعطانى . . انه خاتم جميل . . هل أستطيع أن أضعه في أصبعى ؟؟

وفعلت ، وأطفئت الشموع . . وأكل الصغار الكعكة اللذيذة التى أعدتها الأم ، وانتهى الحفل وانصرف الجميع عائدين الى بيوتهم ، وبقى الخاتم في

اصبع صديقته .. كان الصبي حريصا دائما على أن يبحث عنه في اصبعها كلما لقيها في المدرسة ، أو في نزهاتها أو كلما خرجا معا للعب في الحديقة العامة القريبة من البيت !

وتمضي الأيام .. وينتهي العام الدراسي ، ثم تحدث المفاجأة ، لقد انتقل والد الصبية الصغيرة للعمل في احدى المدن البعيدة .. وبدأت الأسرة تستعد للرحيل ...

مرة مرة منذ أن تفتحت عينا الصبي على الحياة في القرية الصغيرة القابعة في بطن الجبل ، احس بأن شيئا ثمينا قد ضاع منه .. ان صديقته التي أحبها وعرفها وملأت حياته بهذه المعاني والصور الجميلة ، سوف تذهب ، وقد لايلتقي بها مرة أخرى .. ترى كيف سيكون شكل الحياة بعد رحيلها مع والديها الى هذا البلد البعيد .. كيف سيمضي في هذه الرحلة الهادئة بعد أن تترك القرية والبيت الذي تعود أن يزورها فيه ، والمدرسة التي أمضيا فيها هذه السنين معا في فصل واحد ؟

هي ايضا ، لقد احتواها شعور بالألم والحزن ، وهي تجمع ملابسها وذكرياتها وتستعد للرحيل .. ولم تفلح كلمات الأم في أن تخفف عنها ألم فراق صديقها الصغير ، الذي كان لها أخا ورفيقا في غدوها ورواحها ..

ولم ينجح الأب بدوره في أن يزيل عنها الهم الكبير الذي انتابها وهي تردد أمامه : معنى هذا أنني لن أرى صديقي مرة أخرى بعد اليوم !

أبدا ياعزيزتي ، سوف نعود الى القرية في عطلة الصيف ، وستمضي في ربوعها أسابيع طويلة ، تستطيعين خلالها أن تلتقي بصديقك ، وتتذكرا معا أيام طفولتكما السعيدة !

وجاءت لحظة الوداع .. وجاءت هي لتودعه في بيته .. وبكى الاثنان بكاء الأطفال .. ولكنهما تواعدا على تبادل الرسائل ، وتبادل الزيارات كلما سنحت الفرصة !

ومرت الأعوام .. في البداية كانت تكتب له رسالة كل أسبوع ، وكان بدوره يبعث اليها برسالة يجمع فيها كل ما يهمها أن تعرفه عن المدرسة وزملائها وزميلاتها ، وعن حياته في القرية بعد أن رحلت عنها !

ولكن الرسائل بين الصديقين ، مالبثت أن تقلصت وتناقصت ... أصبحت تصل مرة كل شهر ، ثم كل شهرين .. وبدلا من الصفحات الطويلة التي كانت تمتلىء دائما بالحكايات والذكريات أصبحت مجرد سطور قليلة تحمل التحيات والتمنيات ..

ثم انقطع الاتصال فجأة بين الصديقين .. بعد مرور بضع سنوات على بقائهما بعيدا عن بعضهما ! .

شيء واحد بقي عالقا في ذهن الصبي الصغير .. إنه صورة الصبية التي أحبها في طفولته ، وقد بقيت تحتل مكانها في قلبه ، وفوق مكتبه ، وهو يعد لدرجة الماجستير ، بعد أن أكمل دراسته الجامعية،ورحل هو للعيش في المدينة التي راح يكمل في جامعتها دراساته العليا .. انه لم ينس أبدا الأيام الحلوة التي قضاها معها في قريتهم الصغيرة ..

وما أكثر المرات التي وقف فيها حائرا أمام صورتها يسال نفسه : أين هي الآن ؟ ماذا صنعت الأيام بها .. ترى كيف تبدو بعد مرور هذه السنين .. هل مازالت جميلة ؟

كان يحدث الصورة .. ولكن باسلوب جديد .. باسلوب الرجل الذي يبحث عن المرأة التي كان يتمنى لو أنها ظلت قريبة منه ، لتشاركه حياته في الزواج !

ومضى يكمل رحلته مع العلم ، حتى حصل على الدكتوراه ، وأصبح استاذا في الجامعة ، وطبيبا ناجحا ، الى أن ساق القدر في طريقه يوما فتاة رقيقة تنتمي الى أسرة رقيقة الحال ، وقدمها الى أمه وقالت الأم : « تزوجها يابني فقد طالت رحلتك وحدك في هذه الدنيا ، وقد تقدم بي العمر ، ولا أريد أن أتركك في وحدتك .. أريد أن أرى أطفالك قبل رحيلي !

وتزوجا في حفل صغير وجاءت الزوجة لتعيش في بيت الزوج مع أمه . ومضت الحياة في هدوء ..

كان الابن يصحو من نومه مبكرا ويذهب الى الجامعة ويلتقي بطلبته ، فاذا حان موعد الغداء ، عاد الى البيت ليتناول وجبة سريعة ، يستريح بعدها قليلا ، ثم يستعد للذهاب الى عيادته في المساء .. وهكذا لم يكن عمله يسمح له بقضاء وقت كاف يتعرف من خلاله على زوجته ، التي كانت تمضي معظم وقتها في الحديث مع الأم عن الزوج الغائب دائما .. وكان الحديث بين المرأتين صريحا دائما مليئا بالقصص والحكايات عن ايام الطفولة و حياة الريف ، وصديقة العمر التي اختفت من دنياه الصغيرة منذ سنوات بعيدة مضت ، وأخيرا رغبة الأم في أن ترى لابنها ولدا يملأ البيت ، ويملأ حياتها التي امتلأت بالفراغ منذ رحيل والده ، وهو بعد مازال طفلا !

ولاحظت الأم أن زوجة ابنها تحاول دائما أن تغير مجرى الحديث ، عندما يقترب من الحمل والأطفال .. الى أن جاء اليوم الذي جلست فيه الزوجة تعترف لأم زوجها : « لقد عرضت نفسي على الأطباء ، وأكدوا لى أنه لايوجد سبب عضوي واحد يحول دون انجابي للأطفال !

واذن لابد أن يكون السبب عند الزوج ، وأجفلت الأم وأسرت الى ابنها بالامر .. ولكنه لم يهتم به كثيرا .. أنه سعيد في زواجه ، وزوجته فتاة طيبة .. وهي تحبه .. !

وتمضي الأيام .. وتذهب الأم في رحلتها الطويلة البعيدة التي كانت تتمنى الا تجىء قبل أن ترى أحفادها ...

وتحاول الزوجة أن تبحث لنفسها عن شيء يشغلها في وحدتها .. ولكن حياتها الجديدة بعد رحيل أم زوجها لم تدم طويلا ، فقد أصيبت بمرض حار الأطباء في علاجه ، ثم ذهبت هى الأخرى وفي عينها دمعة تحمل معاني الاعتذار : أرجو أن تغفر لى لأنني فشلت في ، أن أعطيك ولدا !

ويعود الابن الى وحدته .. ولكنه يترك البيت ويترك المدينة كلها ، ويبدأ حياة جديدة في مكان بعيد عن الماضي وذكرياته التي مازالت تعيش في رأسه وقلبه !

وهناك في قلب المدينة الكبيرة التي ازدحمت بالناس والحياة والاضواء هال الرجل ان يجد نفسه يعيش الماضي بكل تفاصيله ودقائقه .. هل يمكن أن يحدث هذا ...

هل يمكن أن يجد المرء نفسه وحيدا وهو يعيش في واحدة من أكثر مدن العالم ازدحاما بالناس ..

وفي مساء أحد الايام كان يشق طريقه وسط هذا الزحام ، في طريقه الى المطعم القريب لتناول طعام العشاء .. وفجأة أحس بقدمه تصطدم بشيء على الأرض .. وانحنى يلتقطه ، فاذا به حقيبة اليد الصغيرة التي تحملها السيدة التي كانت تتقدمه ، وهم واقفون في الطابور الطويل في انتظار الموائد التي تخلو ، بعد أن يفرغ أصحابها من تناول طعامهم ..

والتقط الحقيبة وقدمها الى صاحبتها ، ولكنه أحس أن قدميه قد تسمرتا في الأرض .. هي أيضا لم تمد يدها لتستعيد حقيبتها .. لقد بقيت واقفة في مكانها تحدق في هذا الوجه .. !

هل يمكن أن تكون هي ؟ وتذكر على الفور الخاتم الصغير الذي أهداه لها في عيد ميلادها ، فنظر الى أصابع يديها .. وكانت المفاجأة .. لقد وجده هناك في اصبع يدها الصغير .. وكان لقاء حارا لقاء صامتا .. لم يقاطعه أحد .. ولم ينته أبدا .. الدموع .. دموعها فقط كانت التعبير الوحيد للفرحة التي ملأت قلبيهما .. نفس القلبين اللذين افترقا في الربيع ، والتقيا قبل أن تسقط أوراق الشجر في خريف الحياة بسنوات قصيرة ..

قال لها : لاتحدثيني عن الماضي . قولي لى من أنت الان ؟

قالت : أنا .. أنا ، لم أتغير صديقتك الصغيرة التي امضت اجمل سني عمرها تبحث عنك .. فقد بقيت بلا زواج ! قال : لقد تزوجت وماتت زوجتي .. هل هل تقبلينني زوجا لك ؟

وتزوجا ، وكان قد مضى على اليوم الذي افترقا فيه أكثر من خمسة وعشرين عاما ! .. وبعد عام واحد كانا يحتفلان بمولد الطفل الذي انجبته له زوجته قبل مجيء الخريف ! □

طبيب الأسرة

قضايا منزلية

مِيزان الحَرارة الطِبّى ضرورة لكل بيت ..

بقلم / د . حسن فريد أبو غزالة

لم تكن حرارة الانسان ذات مدلول معين فيما مضى من عصور ، سوى أن سخونة المريض تعتبر دلالة غامضة مبهمة على انحراف الصحة ووجود مرض ما ، وكانوا يستدلون على العارض بجس جسم المريض ، أو بملاحظة هجرة الحشرات وخصوصا حشرات القمل ، ورحيلها عن جسم المريض حيث لاتستطيب الحشرات سوى حرارة الانسان الطبيعية ، التى تقارب ٣٧ درجة مئوية ، فلا تطيق ارتفاعها أو انخفاضها ، لهذا تهجر جسم المريض بالحمى كما تهجر المتوفين .

غير أن طبيبا اسكتلنديا يدعونه جورج مارتن شغله الاهتمام بالتحرى عن ارتباط ارتفاع درجات حرارة الانسان بمختلف الامراض ، ودورها فى تشخيصها ، فكان هذا أول بادرة لتشخيص الأمراض ، باستخدام مدلول درجات الحرارة عام ١٧٤١ .

لقد كان القرن الثامن عشر هو بداية انطلاق الاهتمام بقياس درجات الحرارة ، اذ قام العالم الألمانى جابريل دانيال فهرنهايت بابتكار ميزان لقياس درجات الحرارة عرف باسمه ، وهو ميزان الحرارة الفهرنهايت ، حيث سجل درجة العد باستخدام الجليد المخلوط بالأمونيا ، ومن ثم وافقت درجة انصهار الجليد العادى عنده درجة ٣٢ .

كما وافقت درجة غليان الماء درجة ٢١٢ ، باعتبار أن المسافة بين تجمد الماء وغليانه قد قسمها الى ١٨٠ درجة .

لقد كان ابتكار ميزان الحرارة الفهرنهايت هذا عام ١٧٠٩ ، ثم أعقبه عام ١٧٤٢ ابتكار آخر للعالم السويدى اندرز سلسيوس ، حيث صمم ميزانا آخر لقياس الحرارة عرف باسم ميزان الحرارة المئوى ، لانه قسم المسافة بين تجمد الماء وغليانه الى مائة درجة ،

واعتبر تجمد الماء هو درجة العد ، بينما غليانه هو درجة المائة .

لقد سجلت درجة حرارة الانسان على ميزان الحرارة الفهرنهايت حوالى ٩٨,٥ تقريبا . فيما سجل ميزان الحرارة المئوى درجة ٣٦,٥ تقريبا .

غير أن الموازين القديمة كانت بطول المتر تقريبا ، ولاتصلح للاستعمال الطبى ، حيث لايثبت الزئبق عند قراءة معينة ، مما يتحتم على الطبيب أن يقرأ درجة الحرارة والميزان مازال فى فم المريض ، الى أن جاء طبيب يدعى توماس اليون من ليدز بانجلترا ، فطلب من شركة هارفى ورينولدز تصميم ميزان يثبت درجة الحرارة ، ويكون ذا طول مناسب ، لايزيد عن ست بوصات (١٥سم) فكان هذا مولد موازين الحرارة الطبية ، التى تعتمد على وجود انحناءة فى قناة الزئبق أعلى الخزان ، تمنع عودة الزئبق داخل قناة الميزان الشعرية الى داخل الخزان السفلى ، ولكنها تسمح بارتفاعه فقط ، ومن هنا وجب رج الميزان بشدة عقب استعماله ، لدفع الزئبق المرتفع الى الهبوط ثانية فى خزان الميزان .

ان طول الميزان قصير طبعا ، نظرا لعدم الحاجة الى قياس مدى كبير من درجات الحرارة ، وانما يكفيه التدريج بين درجة ٣٥ مئوية ودرجة ٤٢ مئوية ، وهما أدنى وأقصى درجات حرارة الجسم الانسانى ، ومن هنا وجب المحافظة على ميزان الحرارة من ارتفاع

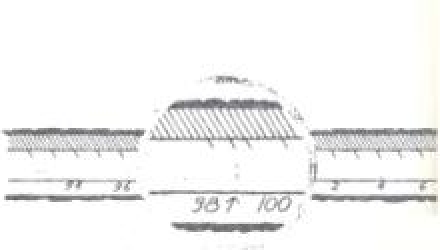

شديد ، قد يدفع بالزئبق الى تدمير الميزان عند تمدده وتكسير الزجاج ، وهذا ما يلاحظ عند ترك الميزان فى الشمس أو مكان حار .

ان هناك شكلين شائعين من موازين الحرارة الطبية ، هما ميزان الحرارة الفهرنهايتى المستعمل فى انجلترا وأمريكا ، وما جرى على نمطهما من بلدان ، وميزان الحرارة المئوى الأكثر شيوعا فى العالم ، فالأول يعتبر درجة حرارة جسم الانسان الطبيعية حوالى ٩٨,٥ درجة ، بينما القياس المئوى يعتبر درجة حرارة ٣٦,٥ هى درجة جسم الانسان الطبيعى من الفم ، وعادة ماتقاس درجة حرارة الجسم بوضع الميزان تحت اللسان لمدة دقيقة تقريبا ، ولكن الشرج قد يكون اختيارا مناسبا بديلا للفم عند قياس درجة حرارة الأطفال ، أو اذا تعذر القياس من الفم ، وهنا تعتبر درجة الحرارة الطبيعية أعلى قليلا عما هى بالفم ، بما يتراوح بين نصف درجة أو حتى درجة تقريبا .

وهناك اختيار ثالث لقياس درجة الحرارة ، وهو تحت الابط ، غير أن درجة الحرارة تعتبر أدنى بنصف درجة أو ربما درجة واحدة عن مستواها من الفم .

ان استعمال الميزان يجب أن يعقبه رج الميزان مع تنظيفه ، سواء بالماء والصابون ، أو باستعمال المطهرات كالكحول وما اليه ، لضمان عدم نقل العدوى من مريض لآخر . مع التأكيد على حفظه فى مكان مناسب ذى حرارة منخفضة ، بعيدا عن تناول الأطفال .

من الملاحظ أن اختلافا بسيطا لدرجات الحرارة قد يصاحب بعض الأطعمة ، مثل المواد الحريفة والتوابل والحلاوة الطحينية ، أو عند القيام بنشاط جسدى ، أو مع اختلاف ساعات اليوم ، فالحرارة أدنى ما تكون عند ساعات الصباح الأولى ، وأعلى ما تكون عند ساعات المساء ، وهذا ما يجب أن يوضع فى الاعتبار .

كما يلاحظ أن ميزان الحرارة الخاص بالفم يكون خزانه مستطيل الشكل ، بينما الميزان الشرجى كروى الشكل ، حتى لايخدش الطفل أو يجرحه . □

بريد طبيب الأسرة

الحليب وغازات البطن

● بالرغم من قناعتي بفائدة الحليب للصحة ورغبتي في شربه فانني أعاني من انتفاخ وعسر هضم وآلام الأمعاء عقب شرب أية كمية من الحليب . .

لقد جربت شتى أنواع الحليب ، وعملت بنصائح عديدة ، ولكن دون فائدة ، فما هو السر في هذا ، وهل من سبيل للعلاج ، علما بأن الكثيرين ممن هم حولي يشاركونني هذه الشكوى . ولكم الشكر .

عبدالله ع . ع ـ درعا

ان الشكوى من غازات البطن وعسر الهضم وما يصاحبها من معاناة هي شكوى عامة ، بل ربما كانت عالمية ، ولكنها أشيع في بلدان الشرق منها في بلدان الغرب ،وفي الشعوب الفقيرة نسبيا منها في الشعوب الغنية .

لقد حار الاطباء قديما في تفسير هذه الظاهرة ، واجتهد بعضهم فقال ان هناك ميكروبات أليفة تعيش في أمعاء بعض الناس دون البعض الآخر ، هي التي تسبب تخمر الحليب وتصاعد الغازات وتولد الأحماض ،غير أن البحث والتقصي لم يؤكد هذا الرأي ، ولم يصل العلماء الى ذلك الميكروب المتهم ، فذهب فريق آخر الى انها أحياء دقيقة من نوع الفيروسات ، غير أن هذا المذهب لم يجد قناعة ولادليلا .

وعلى أي حال فقد انتهى العلماء الى رأي جديد ، ربما كان هو الاصوب والمعتمد المتفق عليه ، وهو أن الحليب يحتوي دون غيره على سكر خاص يدعى اللاكتوز ، أو سكر الحليب ، وهذا من أنواع السكريات الثنائية التي تحتاج الى هضم وتحلل الى سكريات أولية ، مثل سكر الجلوكوز القابل للامتصاص ، وقد زود الله سبحانه أمعاء الانسان بغدد خاصة مفرزة لخميرة هاضمة لسكر الحليب تدعى أنزيم اللاكتاز (خميرة سكر الحليب) وهي نشطة عند الاطفال ، غير أن انقطاع الانسان عن شرب الحليب فترة من حياته عقب الطفولة الأولى يدفع بالغدد المفروزة لانزيم اللاكتاز هذا الى الخمول والضعف والكسل ، وربما وصل الى حد التوقف عملا بقانون الطبيعة المسمى « ضمور الكسل » تماما كما هو الحال مع العضلات تضعف من قلة الاستعمال وتقوى بالرياضة .

من هنا يتراكم حليب السكر « اللاكتوز » في الأمعاء دون هضم في غياب خميرة اللاكتاز ، وقد تعمل الميكروبات الأليفة في الأمعاء على تخمره ، شأنه شأن كل السكريات الأخرى ، من هنا تتصاعد الغازات وتتولد الأحماض كنتيجة طبيعية لعملية التخمر ، ممايعاني معه صاحبها من الانتفاخ والحموضة وعسر الهضم والآلام .

وحلا لهذا الاشكال الصحي الغذائي ، فقد عمدت بعض شركات الحليب الى انتاج أنواع من الحليب خالية من سكر الحليب (اللاكتوز) أسوة بالانواع الخالية من الدسم مثلا .

لهذا يعتبر العيب في الأمر كامنا في عجز الشخص ، وليس في الحليب ، تماما مثل مرضى السكر الذين يعانون من عجز البنكرياس عن افراز الانسولين وليس من عيب في الاطعمة التي يتعاطونها .

دوالي الساق

● أصيبت والدتي بمرض الدوالي في ساقها الأيمن ، مما أدى الى تشوه منظرها ، وهو أمر يسوءه ويستفحل يوما بعد يوم ، وقد سمعت أنه مرض وراثي وعائلي ، مما أصبحت أخاف منه على نفسي ، بمثل ما اتمنى الشفاء لوالدتي ، فهل لنا في نبذة عن هذا المرض وأسبابه وطرق الوقاية والعلاج ؟

سلوى ع . ع / دمشق .

الدوالي اصطلاح طبي يقصد به انتفاخ الوريد وتعرجه ، واستطالته في أي موقع من مواقع الجسم ، وهو أمر شائع بين الناس ، يصيبهم في الساق أكثر ما يصيب ، حيث تؤكد الاحصائيات أن نسبة دوالي الساق تصل الى ما بين ١٠ ـ ٢٠ في المائة من مجموع السكان .

وأمر دوالي الساق قديم موغل في تاريخ الانسان ، رصدته الحضارات الاولى ، فقد وجدت كتابات طبية تتناول دوالي الساق عند المصريين القدماء ، وعند أهل اليونان القدامى .

وحتى نتفهم سر دوالي الساق التي تصيب الأوردة علينا أن نستعرض الحقائق العلمية التالية :ـ

اولا : ان الأوردة التي تعود بالدم الى القلب هي بخلاف الشرايين التي تحمل الدم من القلب ، تتميز بضعف جدرانها لعدم وجود طبقة عضلية في جدار الوريد ، كما هو الحال في الشريان .

ثانيا : لضمان سريان الدم داخل الأوردة وعدم عودته الى الوراء ، تعتمد على صمامات في جدرانها تشبه أكواب النواعير ، بينما الشرايين تعتمد على توتر عضلات جدرانها .

ان هذه الحقائق تجعل من الأوردة عرضة لظاهرة الدوالي ، وخصوصا اذا ما كان صاحبها مهيئا وراثيا أو خلقيا بعدم وجود صمامات داخل أوردته ، أو لضعف شديد في جدرانها ، وهو الأمر الذي يمثل ٩٢ ٪ من الحالات ، واذا أضيف لهذا عوامل ثانوية مثل الوقوف الطويل او الامساك الذي يضغط على أعلى أوردة الحوض أو الحمل أو الأورام ، وربما البدانة والسمنة ، بل قيل ان أمراض الحمل لها دور في الأمر .

وأوردة الساق تنقسم الى قسمين رئيسيين هما :ـ الأوردة الداخلية التي تصاحب الشرايين داخل عضلات الساق وأنسجته ، والأوردة الخارجية التي أهمها الوريد الصافي الكبير ، وهذا هو أطول أوردة الجسم ، يبدأ من سطح القدم وينتهي عند أعلى الفخذ ، مارا بالجانب الداخلي من الساق تحت الجلد مباشرة ، وزميله الصافي الصغير الذي يمر من جانب الساق وينتهي فوق الركبة تقريبا ، وهذان الصافيان هما المعرضان للدوالي لعدم وجود دعم لهما سوى الجلد الرقيق ، على غير حال ، أوردة الساق الداخلية وأعراض الدوالي تدور حول شعور المصاب بالألم والتعب ، وخصوصا عقب الوقوف الطويل مع انتفاخ في الساق والتواء وتعرج ظاهر في الأوردة ، مما يشوه منظر الساق وخصوصا لدى السيدات ، وهن الأكثر تعرضا للاصابه ، وربما أدى الحال الى تلون الجلد بلون بني داكن ، أو ربما تقرح موضع الدوالي وتحول الى قرحة مزمنة ، وأحيانا تؤدي الاصابة الى التهاب موضعي .

ان أمر الوقاية والعلاج ميسور بادراك هذه الحقائق والتعامل معها بعدم الوقوف طويلا ورفع السيقان عاليا عند النوم ، أو الجلوس ومعالجة اى ضغط داخل الحوض ، كالامساك مثلا ، وربما احتاج المريض حسب اشارة الطبيب الى ربط ضاغط يلفه حول الساق ، أو كلسات مطاطية خاصة .

والعمليات الجراحية سواء بحقن الأوردة بمواد مخثرة للدم ، أو بازالة الأوردة المصابة كلية ، قد اثبتت نسبة عالية من النجاح تصل الى ٩٠ ٪ ولكن الاختيار الانسب لوسيلة العلاج هو من مسؤولية الطبيب المعالج .

له في الأرض ما ليس لله في السماء

دخل حذيفة بن اليمان على عمر بن الخطاب ، فسأله : كيف أصبحت يا حذيفة ؟ فأجاب حذيفة : أصبحت أحب الفتنة . . وأكره الحق . . وأصلي بغير وضوء . . ولي في الأرض ما ليس لله في السماء . . . فغضب عمر غضبا شديدا . . وولى وجهه عنه . . واتفق أن دخل علي بن أبي طالب فرآه على تلك الحال . . فسأله عن السبب . . فذكر له ما قاله بن اليمان . . .

فقال علي : لقد صدقك فيها قال يا عمر . . . فقال عمر : وكيف ذلك ؟

قال علي : انه يحب الفتنة لقوله تعالى « انما أموالكم وأولادكم فتنة » ، فهو يحب أمواله وأولاده . . ويكره الحق . . بمعنى الموت . . لقوله تعالى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » ويصلي بغير وضوء . . يعني أنه يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم . . ومعنى أن له في الأرض ما ليس لله في السماء . . يعني أن زوجة له وأولادا . . والله تعالى هو الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد . .

فقال عمر لعلي كرم الله وجهه : أحسنت يا أبا الحسن . . لقد أزلت ما في قلبي على حذيفة .

مع البخلاء

■ وقف أعرابي على أبي الأسود وهو يتغدى . . فسلم عليه . . . فرد عليه . . . ثم أقبل على الأكل ولم يدعه اليه ليأكل معه . .

فقال الاعرابي : مررت بأهلك . .

فقال له : كذلك كان طريقك . .

قال : وامرأتك حبلى . قال : كذلك كان عهدي بها . .

قال : قد ولدت . . قال : كان لابد أن تلد . . قال : ولدت غلامين . .

قال : كذلك كانت أمها . . قال : مات أحدهما . . قال : ماكانت تقوى على ارضاع اثنين . . قال : ثم مات الأخر . . قال : ما كان يبقى بعد أخيه . .

قال : وماتت الأم . . قال : حزنا على ولديها . . قال : ما أطيب طعامك . .

فقال له : من أجل ذلك . . . لا تذوقه أبدا .

كتاب الشهر

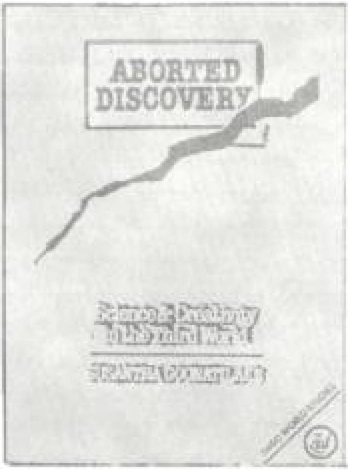

الاكتشاف المحبط

تأليف : سوزانثا جونانيليك

عرض : د . امين العيوطى

الكتاب الذي بين أيدينا اليوم يوضح كيف أن العلوم الغربية الحديثة ، بالرغم من استعاراتها من العلوم العربية وغيرها ، قد اكتسحت التقاليد الثقافية والعلمية للحضارات غير الأوروبية ، وأصبحت لها السيطرة كاملة .

وقد ارتبطت عملية الازاحة الكاملة هذه بنمو الاستعمار الأوروبى ، حتى سيطرت العلوم الغربية على كل الصياغات العلمية خارج نطاقها ، وكانت نتيجة اعتماد هذه البلاد على تقليد علمى غريب على تاريخها ومبادراتها الثقافية أن أصبحت العلوم في العالم الثالث تقوم على التقليد لا الابداع . وعلى هذه المجتمعات أن تستعيد العناصر العلمية العقلانية التى تنبع من تراثها الثقافى ، وأن تنفصل عن أنماط البحث والتطوير الحالية التى تقوم على التقليد .

كتاب الشهر

تقنية القدماء :

لم يكن الاغريق أول من حمل الشعلة العلمية الى أوروبا ، فقد عرفت الهند القديمة الزراعة والرى ، والعمارة المتطورة وتخطيط المدن . وفي مجال الفلك عرفت التقويم القمرى ، في القرون الميلادية الأولى إذ بحثت في حركات الكواكب ، والخسوف والكسوف ، ومقاييس وحسابات الشمس والقمر ، ودوران الأرض ، وتطور الكواكب مستخدمة الأدوات الفلكية ، وفي الرياضيات عرفت الأوزان والمقاييس والعمليات الحسابية البسيطة ، والجمع والطرح ، والضرب والكسور ، حتى تطورت حسابات التربيع والتكعيب والمثلثات والدوائر والأجسام الكروية ، والمتواليات الرياضية في القرون الميلادية الأولى . وفي علم الأحياء كان لديها معرفة منظمة بالنباتات والحيوانات وتصنيفها على أساس طريقة توالدها وتكاثرها ووظائف أعضائها ، وبأمراضها وأساليب علاجها . وفي القرن السادس ق . م . توصلت الى نظام يفسر الطبيعة على أساس العناصر الخمسة :ـ الماء ، التراب ، الهواء ، النار ، الفراغ . كما عرفت فلسفاتها أنظمة الذرة والمنطق والسلبية ، وظهرت نظريات لتفسير المادة على أنها تركيبات من ذرات في حركة دائمة قادرة على الالتحام والانفصال ، تسبب اتحاداتها المختلفة اختلافات نوعية المواد . وفي الطب توصلت الى علم وظائف الأعضاء ، والعلاقة بين النظام العضلى الارادى واللاارادى ، والأمراض وتفسيرها ، ونظريات علاج العظام والجهاز العصبى ومصل الجدري ، وأدوية مختلفة نباتية ومعدنية وحيوانية . كما عرفت الجراحة وأدواتها . وفي الهندسة المدنية عرفت مبكرا انشاء أعمال الرى ، وبناء السدود وخزانات المياه . واذا كانت الهند القديمة قد عرفت التقنية التى تقوم على الآلات الحجرية والأدوات البرونزية وتصنيع الفخار ، فانها عرفت في القرن الاول ق . م صناعة الزجاج ، وعلم المعادن وتنقيتها ، وعمل القوالب لصبها .

هكذا أيضا كان الحال في حضارات وادي النيل ومنطقة البحر الأبيض ، وفي العالم الجديد عرفت قبائل الانكا زراعة المصاطب ، وشق الطرق الضيقة ، والبناء بدون ملاط ، وان لم تعرف الحديد والعجلة والمحراث . أما قبائل المايا فقد عرفت الفلك والرياضيات ، والتقويم الشمسى من خلال ملاحظات فلكية دقيقة من المعابد العالية بأدوات بدائية ، فوصلت معرفتهم بكوكب الزهرة درجة عالية من الدقة ، كما استخدموا النجم القطبى في الملاحة .

لكن منذ القرن ١٨ بدأ تأثير العلوم والتقنية الغربية على هذه الحضارات ، بسبب نمو انظمتها في تفسير العالم المادى ، والاستعمار الذى قمع ودمر هذه الأنظمة العلمية .

العلوم الأوروبية :

يؤكد تاريخ العلوم الأوروبية في القرنين ١٩ ، ٢٠ على تفرد الاكتشافات الأوروبية ، فقد أدى الاحساس بالتفوق الأوروبى الى تجاهل الانجازات التى حققتها الشعوب غير الأوروبية ، غير أن الدراسات الحديثة عن التقاليد العلمية في الشرق أوضحت أن مسار العلوم بدأ من مصر وجنوب آسيا الى اليونان القديمة ، ومن اسبانيا الاسلامية الى ايطاليا عصر النهضة ثم بلدان أوروبا ، هذه الثقافة الكلاسيكية ، مع اضافات من الاسكندرية وروما ، تمثل حجر الأساس في الثقافة العالمية الحديثة .

كان الاغريق يرون في الماء أصل الأرض والهواء والحياة ، وامكانية تحويل العناصر من خلال النار .

كما نشرت مدرسة فيثاغورس المعرفة الرياضية ، وفكرة كروية الأرض ودورانها حول نار مركزية غير منظورة ، وطور ديموقريطوس نظرية الذرات التى رآها جزيئات هندسية تلتحم لتخلق أشكالا مادية مختلفة ، وفي عصر بيريكليز طور يوكليد الرياضيات الاغريقية ، وظهر طب أبقراط ، وعلم الطبيعة والأحياء ، وفي القرن الثانى ق . م وصل الفلك الى ذروة جديدة على يدى هيباركوس ، طورها بطليموس فيما بعد لتصبح الشمس مركز الكون ، وهو الرأى الذى نقله العرب الى أوروبا ليستخدمه كوبر نيكوس وجاليليو وكليبر ونيوتن . وشهد العصر أيضا تطورا في الميكانيكا والمبادىء الميكانيكية والآلات البسيطة .

أما الرومان فانهم لم يضيفوا شيئا ، الا في الهندسة المدنية وشق الطرق ، والقنوات والصرف الصحى ، واستخدام طواحين الماء والهواء ، ووضع خريطة للعالم . وفي القرن الثالث عشر الميلادى تأسست جامعات في أوروبا ، وظهرت فئة مثقفة من الباحثين همهم الأول توحيد علم اللاهوت مع الفلسفة الطبيعية .

لهذا لم ينشأ عصر النهضة من فراغ ، وهو العصر الذى ظهرت فيه أسماء كوبرنيكوس وكيبلر وجاليليو في مجال الفلك (١٤٤٠ ـ ١٥٤٠) (وبيكون) وديكارت في مجال أساليب البحث العلمى (١٥٥٠ ـ ١٦٥٠) ثم بويل وهوك ونيوتن الذين بدأوا عصر العلم الحديث (١٦٥٠ ـ ١٦٩٠) .

. كان اعظم انجازات عصر النهضة النظام الفلكى الذى وضعه كوبر نيكوس ، والتشريح الذى وضعه فيساليوس ، كما شهد العصر عباقرة في مجالات الظواهر الطبيعية والمعادن والتعدين والجراحة ، وبناء السفن وصناعة البارود والتقنية الكيمياوية ، والرياضيات التى أدخلها العرب .

وفي القرنين ١٦ ، ١٧ ، بدأت التطورات الهامة في العلوم في انجلترا وفرنسا بتكوين الجمعيات والاكاديميات العلمية في انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا . وكان أهم الاكتشافات اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية ، وقانون الطرد المركزى وبناء نموذج رياضى لنظام الكواكب ، وعلى يديه وصلت العلوم الى نضجها ونمت المعرفة العلمية نموا سريعا .

وقد ارتبط هذا التقدم بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية مثل الثورة الصناعية ، والثورة الفرنسية ، والرأسمالية الاحتكارية ، والأزمة الاقتصادية والسياسية التى أدت الى حربين عالميتين ، ورعاية الدولة للعلوم والتقنية . كما أدى هذا التطور الى ظهور العلوم الاجتماعية ، وتطبيق القوانين العلمية على الحياة الانسانية لاكتشاف القوانين العامة التى تحكم حياة الانسان وبيئته ، وامتدت هذه النظرة لتشمل ميادين الاقتصاد والسياسة وعلم الأجناس ، فظهرت أسماء آدم سميث وكارل ماركس وسان سيمون ودير كايم ، وهم التعبير الايديولوجى الثقافى للتطورات الاجتماعية .

وفي الأبنية الاجتماعية التى أوجدتها أوروبا في مستعمراتها نمت ثقافة جديدة مشتقة من أوروبا ، ومنذ ذلك الحين ظلت ثقافة المستعمرات معتمدة على اوروبا ، ضعيفة ومقلدة في مجال العلوم والتقنية .

التأثير المتبادل :

تباعد التقليدان الأوروبى والشرقى منذ القرن ١٨ في كمّ انتاجهما ، ومدى تطورهما ، بل فقد التقليد الثقافى الشرقى مشروعيته ، وفرض عليه التقليد الأوروبى ، وأصبح المعرفة المشروعة التى تدرس في الجامعات وتمارس في مراكز الأبحاث . غير ان هذا التشعب لايعنى أنه لم يكن هناك تأثير متبادل بين التقليدين قديما وحديثا . فقد غذت الحضارة المصرية والسومرية والآرية حضارة الاغريق منذ وقت مبكر ، فقد تأثر فيثاغورس في رحلاته بالحضارات المصرية والآشورية والهندية . فمن الهند أخذ فكرة تناسخ الأرواح ، وتأثر بالرياضيات،وتحمل نظرية امبيوكليس عن العناصر الأربعة تأثير الفكر الهندى . وهناك نقاط التقاء بين الحضارتين في شأن كروية الأرض وتغلغل الخالق في الخلق كلية . وعن الهند أخذ ديموكريتوس نظريته عن الذرة ، كما أثرت المعارف الطبية الهندية على الطب الاغريقى غير أن الاغريق أثروا كذلك في مجال الهندسة والفلك في جنوب آسيا .

وفي العصور الوسطى ظلت الاتصالات بين أوروبا وجنوب آسيا من خلال الباحثين العرب مثل البيرونى في القرن الثالث عشر . وقد نقل العرب

كتاب الشهر

أساسا الرياضيات والاعداد ومفهوم الصفر والكسور العشرية والجبر وحساب المثلثات . وفي الطب كان مؤلف الرازي ، الذي اشتمل على كثير من المعارف الطبية الهندية ، الأساس الذي قام عليه الطب الأوروبي وأسهم في التطورات اللاحقة .

وفي بداية عصر النهضة ورثت أوروبا الأفكار التي نقلها العرب . ففي الكيمياء لم تكن اضافة باراسيلس لعنصر الملح الى عنصري الكبريت والزئبق الا استعارة من الهند من خلال العرب الذين غذوا علم الكيمياء في أوروبا ، كذلك كان الحال في مجال الملاحة والفلك ، فطور البرتغاليون معرفتهم بالملاحة في شكل الجداول والخرائط والاسطرلاب ، التي كانت من أفكار الهنود والعرب . ومن الصين أخذت اوروبا البوصلة ، ومن العرب الشراع ، ومن جنوب آسيا الأشرعة المتعددة ، فقد اعتمدت العبقرية الاوروبية على جمع وتطبيق المعارف المتفرقة لدى الشعوب المختلفة .

وبعد رحلات الاكتشاف دخلت أوروبا أفكار جديدة عن صناعة النسيج ، والأثاث الخشبي ، والكتب والصور والخزف ، والمقاييس وورق الطباعة والمعمار في القرن ١٦ . وفي البلدان المكتشفة وجد الاوروبيون أدوية وأعشابا جديدة مما فتح عيونهم على علوم النبات .

ومنذ القرن السابع عشر تميزت العلوم والتقنية الغربية عن مثيلاتها في الشرق في حجم ونمو الاختراعات والاكتشافات الجديدة ، وان قامت على أساس شرقي في مجالات العمارة ، واستخدام البارود ، والطبيعة وجراحة التجميل ، واستخدام الأمصال الطبية ، ولم يكن تطور تقنية الحديد والصلب الا بتأثير مباشر من الهند .

ومن الملاحظ ان تطور العلم في الغرب قد صاحبه صراع بين العلم والدين ، في حين لم يشهد الشرق مثل هذا الصراع . وهو صراع فقد فيه الكثيرون حياتهم في ثورة كوبرنيكوس . وعند ظهور نظرية دارون ، والى حد أقل عند ظهور نظرية فرويد في علم النفس ، فقد تصادمت هذه النظريات مع تفسيرات المسيحية لتعمير الكون ، ومركزية الأرض ، واعتقادها بان الانسان مركز الكون ، وان عقله هبة الهية ، أما في جنوب آسيا فلم تكن هذه النظريات لتواجه مثل هذه المعارضات لان الانسان في فلسفاتها ليس الا واحدا من المخلوقات ، وخلق الكون أزلي ودائم التطور ، وهناك أكوان أخرى فيها وراء هذا الكون ، كما أن نظرتها الى العقل تتجاوز العقل الواعي الى طبقات أخرى من اللاشعور واللاوعي .

السياسة وتطور العلوم :

غير ان العلم منذ القرن السابع عشر ، أخذ ينمو بشكل مطرد في الغرب ، حين ارتبط بتطور أوروبا الاجتماعي والاقتصادي ، من مرحلة الاقطاع الى الرأسمالية التجارية ، الى الرأسمالية الصناعية ، وأخيرا الرأسمالية العالمية . ويتفق الماركسيون وغير الماركسيين على العلاقة بين العلم والتقنية ، والاطار الاجتماعي الذي يضمهما .

ففي زمن ميلاد العلم الأوروبي الحديث ، كان تأثير السياسة والظروف الاجتماعية سلبيا بالنسبة لكوبرنيكوس وجاليليو ، حين استخدمت سلطات الدولة والدين لخنق اكتشافاتهما ، بل حتى في عشرينيات القرن الحالي أصدرت عدة ولايات أمريكية قوانين تحرم تدريس نظرية التطور في المدارس ، واليوم تظهر في أمريكا محاولات لتدريس ما يسمى « بعلم الخلق » ضد نظرية التطور ، وهي محاولات تحظى بتأييد شخصيات كبيرة بما فيها الرئيس ريجان .

أما اكتشافات نيوتن في الفلك فقد ارتبطت بحاجة التجار الى معرفة ملاحية ، كما ارتبطت اكتشافاته في

قوانين الحركة وحركة القذائف بحاجتهم الى معرفة فى مجال استخدام المدافع . وهناك علاقة أساسية بين ظهور حساب التفاضل والتكامل ، وحاجة التجار الى حساب العمليات التجارية ، وحاجة أصحاب رؤوس الأموال الصناعيين الى التحكم فى العمالة والسلع ، هكذا أيضا كان التحول الى الرأسمالية الصناعية ، سببا فى ظهور نظريات آدم سميث وريكاردو وكونت وكارل ماركس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

واليوم يرتبط العلم بالسياسة ، فيرتبط البحث العلمى فى أمريكا بالدعم السياسى والمادى ، وعلى العلماء الأمريكيين أن يتفاعلوا مع الجماعات السياسية ، للحصول على دعمها ، كما أن اعتماد العلم على المعايير السياسية ، والتمويل الصارخ للعلوم والتقنية المرتبطة بالعسكرية وعلوم الفضاء ، قد أدى الى تمتع العلوم الطبيعية بدرجة عالية من الدعم السياسى . وقد تم هذا على حساب العلوم الاجتماعية التى لم تزدهر الا بعد الانتقادات التى وجهت لحرب فيتنام والمؤسسة العسكرية ، ودعمها للأبحاث العلمية العسكرية .

كذلك الحال فى الاتحاد السوفيتى ، حيث القرارات العلمية قرارات سياسية داخل اطار التخطيط الاقتصادى . والتخطيط تتحكم فيه السياسة والايديولوجية السياسية ، وشخصيات القادة السياسيين وأولويات تمويل العلوم ، كما يخضع العلم لاعتبارات سياسية خاصة بعد ظهور التنافس بين السوفييت والامريكيين فى مجال أبحاث الفضاء والسيطرة العسكرية .

وعلى المستوى القومى فى الغرب يرتبط العلم باعتبارات اقتصادية ، وخصوصا العلوم والتقنية الصناعية ، حيث أصبحت التطورات التقنية تمول من جانب القطاع الخاص والدولة معا . بل أصبحت الشركات المتعددة الجنسية مؤسسات للبحث والتطور لانتاج معدات وأجهزة علمية وتقنية موجهة الى السوق ، وخصوصا فى مجال الاليكترونيات . وهكذا تدعم الاعتبارات الاقتصادية الاعتبارات السياسية فى تحديد الاتجاهات التى تتخذها العلوم ، وأصبح البناء الاجتماعى للعلوم الحديثة معتمدا على تنظيم المجتمع اقتصاديا وسياسيا .

الاستعمار والعلوم :

وقد تطلب تصنيع أوروبا تكاملا بين الأنظمة الاجتماعية والثقافية فى المستعمرات ، وبين أنظمة المستعمرين ، فتحولت المستعمرات الى منتجة للمواد الخام ، والى أسواق للنظام الصناعى ، مما تطلب نقل أشكال المعرفة من الغرب . هكذا ادى اهتمام شركة الهند الشرقية بالاستثمارات فى المناجم والمزارع لانتاج أدوات تخدم الصناعة الى التأثير فى الزراعة فى جنوب آسيا . وقد شهد هذا التحول فى الهند دخول السكك الحديدية والمعرفة العلمية والتقنية اللازمة لبنائها ، وشق الأنهار وحفر الأنفاق واقامة أعمدة التلغراف . كما أنشئت صناعات لتصنيع المنتجات الزراعية جزئيا أو كليا . واستلزم هذا التحول نقل المؤسسات العلمية ونظم التعليم الى جنوب آسيا ، فشجعت شركة الهند دراسة النباتات والمعادن ذات الأهمية الاقتصادية لبريطانيا .

وفى مجال التعليم انتقلت مناهج التعليم الغربية الى المستعمرات لتزويد الحكومات الاستعمارية بكوادر ادارية ، واعتبر التاريخ الأوروبى أهم من كل ماكتبه الهنود والعرب فى التاريخ والميتافيزقيا ، والطبيعة والفكر الدينى . واستجابت لهذه التغيرات طبقة أصحاب رؤوس الأموال الصناعية الجديدة فى الهند ، وصاحب هذا ادخال اللغة الانجليزية كوسيلة للتعليم ، ونشر التعليم العلمى الجديد ، الذى أكد على أهمية الرياضيات ، والتاريخ الطبيعى والكيمياء والتشريح والعلوم المفيدة ، اقتداء بنظم التعليم فى أوروبا . وفى الجامعات أصبحت مواد الطب والهندسة المدنية والانسانيات والقانون مطابقة لمايدرس فى جامعة لندن . وهكذا أصبحت الأنشطة العلمية والتقنية فى خدمة النشاط الاقتصادى الاستعمارى .

بعد الاستقلال :

وبعد الاستقلال اتجهت البلاد المستعمرة الى انشاء قاعدة علمية موازية لبنائها الزراعى والصناعى ، والى التأكيد على العلوم والتقنية بهدف توفير بدائل للمواد

كتاب الشهر

الصناعية المستوردة ، مما أدى الى خلق مؤسسات علمية متخصصة ، والتوسع فى نظام التعليم الجامعى . وقد أقيمت هذه المؤسسات على نمط مثيلاتها فى بريطانيا وأمريكا .

غير أن عبء التدريس فى الجامعات ونقص التمويل لم يترك لأعضاء هيئات التدريس وقتا وامكانيات للبحوث ، وامتدت أوجه عدم الكفاية الى المكتبات والمراجع ، مما أثر على نوعية العلماء وتدريبهم وسطحية أبحاثهم . وفى المؤسسات العلمية الأخرى انفصلت الأبحاث عن الأساس الاقتصادى الاجتماعى القومى ، نظرا لعدم وجود محكمين محليين ، وتوجه الابحاث الى محكمين غربيين ، يحددون نقاط بحث تتفق والمشكلات السائدة في المجلات العلمية الأوروبية ، ولاتعكس هذه الابحاث مناهج بحث واضحة أو نتائج جديدة ، أما من نجح فى الابتكار من العلماء المحليين فهم أولئك الذين وصلوا الى اقامة علاقات مع العلماء الغربيين الذين يعملون في مجالهم . ونتيجة لعزلة الجماعات العلمية في المؤسسة المحلية الواحدة ، وعدم وجود مجتمع علمى محلى أو مناقشات أو تبادل آراء أو تقييم علمى دقيق للأبحاث الجديدة ، ظلت العلوم تابعة للغرب . كما أدى عدم وجود تفاعل بين المجلات المتخصصة في الطبيعة والمجلات المتخصصة في الكيمياء مثلا ، وعدم الاطلاع على أحدث الأبحاث فى العالم الى تخلف الأبحاث عن الأبحاث الغربية .

وقد أدى هذا الى استمرار اعتماد العلوم والتقنيات فى العالم الثالث على الغرب ، بحيث تبدأ القضايا العلمية الأساسية في الغرب ، ثم يتناول العلماء المحليون تنويعات عليها . وحتى عندما تحدث اضافة أساسية مبتكرة فى العالم الثالث فلابد أن تكتسب مشروعيتها فى الغرب أولا ، ولهذا يحدد الأكاديميون مناهجهم فى ضوء الأساليب الغربية فى البحث . ونتيجة لهذا يختنق الابداع والابتكار لدى العلماء المحليين .

وهذه التبعية تعنى وجود فجوة بين العلوم فى الغرب وبين مثيلاتها فى البلدان التابعة ، كما تعنى أيضا ترديد العلماء المحليين لاتجاهات الفكر التى تعرضوا لها فى الغرب ، ثم جمودهم عليها ، اذا انقطعت صلتهم به ، بينما تظل الثقافة العلمية فى الغرب فى حالة تجدد دائم ، ولهذا قد تجد أحد المثقفين المحليين غير منتج فى ظروف العالم الثالث ، ولكنه ما أن ينتقل الى مراكز التعليم فى العالم الأول ويتكامل مع المجتمع العلمى فيه حتى يصبح منتجا مبدعا .

لكن مما يلفت النظر أن مظاهر الابداع الموجودة فى العالم الثالث تتحقق فى التقاليد العلمية التى ترتبط بالثقافات الشعبية ، وخصوصا فى مجال الأدوية التى تستخلص من نباتات وأعشاب محلية . وغالبا ماتؤدى التجارب المحلية الى اكتشافات جديدة فى هذا المجال ، مما يعنى أن الابداع من الممكن أن يوجد وسط المجموعات التى لم تنل منها المعارف التى تعتمد على الغرب .

الخريطة التقنية :

وفى مجال التقنية يحدث شىء مماثل ، فقد ضاعفت التقنية فائض الانتاج فى المجتمعات التى أوجدتها ، وكمية وأنواع السلع لسكان هذه المجتمعات . واجتذبت هذه القدرة التقنية اهتمام البلدان الواقعة خارج الاطار الاجتماعى والاقتصادى المباشر لها . وهكذا تبنت تلك البلدان تقنيات البلدان المتقدمة دون ادراك ان هذه التقنية ليست عالمية ، بل تتموقع اطر تاريخية واجتماعية محددة ، بحيث تتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وتؤثر فى شكل بناء المجتمع ، وتعكس طبيعة النظام الاقتصادى وأنماط صراعاته وادارة هذه الصراعات . كما أن تبنى دول

العالم الثالث هذه التقنية يعنى تبعية ثقافية واستعمارا ثقافيا . فنقل التقنية يعنى علاقة تبعية مكشوفة ، وخصوصا وأن مستورديها ليسوا الا طبقة متعاونة خلقها الوجود الاستعماري . . كذلك فان التقنية بمثابة عامل وراثى اجتماعى ينقل معه العلاقات الاجتماعية السائدة فى البيئة التى انتجتها ، ومثال ذلك التقنيات الزراعية . وهكذا أدى ادخال التقنية الجديدة الى اقامة علاقات رأسمالية زراعية فى الريف فى العالم الثالث ، على نمط العلاقات الموجودة فى بلد منشئها ، ولعبت التقنية دور العامل الوراثى الاجتماعى الذي ينقل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية من بلد المنشأ الى العالم الثالث .

الابداع فى العالم الثالث :

ان انفصال علوم العالم الثالث عن العالم الأول أمر ضرورى ، وقد يعمل علماء العالم الثالث فى بداية الانفصال على معارف عتيقة وضعها الباحثون فى الغرب ، وقد يعجزون أول الأمر عن بدء أبحاث مبدعة فى ميادين جديدة ، مالم يصاحب هذا الانفصال تغييرات تنظيمية داخل الأوساط العلمية كما حدث في كمبوديا ، وفي الصين في الخمسينيات والستينيات . فى التجربة الصينية جمعت التجربة بين الأساليب العلمية الحديثة والتقليدية ، فلم تنفصل كلية عن الغرب ، وظلت الاتصالات قائمة من خلال المجلات العلمية . وقد أكدت الثورة الثقافية على وحدة النظرية والتطبيق ، فنجح العلماء فى تطوير مشروعات عملية مثل تهجين النباتات واطلاق الصواريخ وتطوير القدرة النووية ، وان لم يوجدوا علوما بديلة .

غير أن التقاليد العلمية التاريخية فى الصين والهند يمكنها أن توفر بدايات لمشكلات ومناهج علمية عديدة . فالباحث عن أفكار مبدعة داخل مجال النظرية الذرية ، سوف يجد ثروة خيالية هائلة فى فلسفات الهند التى تناولت فكرة الذرة . واذا كان الغرب قد بدأ من نظرية ديموكريتس فى الذرة ، فمن الممكن الرجوع الى النظريات الفلسفية الخاصة بالذرة، وهى نظريات أكثر تنوعا ومرونة ، وقد يؤدى البحث في هذه الجذور الى رؤية أكثر تكاملا عن الذرة . فلو طبقنا مثلا نظرة البوذية الى الذرة على أنها تتجدد وتتبدد وتشغل أدق جزيئة زمنية ممكنة ، فقد توفر هذه الفكرة الخيالية تطورات جديدة في العلوم . وهكذا أيضا فى مجال العمارة والطب .

ففى الطب يمكن تقسيم الأنظمة الأساسية الى النظام الاغريقى ـ العربى ، النظام الصينى ، نظام جنوب آسيا . والنظام الأول يرتبط بتطور الطب فى أوروبا الحديثة ، رغم انكار أوروبا لكل الأنظمة السابقة . وفي حين أن عصر العقاقير لم يبدأ الا في ١٨٩٩ باكتشاف الاسبرين ، قبل أن تتوالى العقاقير الجديدة ، فلابد أن نلاحظ أن القليل منها فعال حقا ، والكثير ضار أو خطر . أما الأنظمة السالفة فانها تحمل امكانيات التطور والنمو ، اذا اعتبرنا نقطة البداية المخزون الهائل من الأساليب والعقاقير المستخلصة من الأعشاب وأوراق الشجر وجذوره . بل ان منظمة الصحة العالمية لديها برنامج لتطوير طب جنوب آسيا ، وان كانت تهدف الى الوصول الى عناية صحية رخيصة التكاليف لا تطوير الطب القديم كعلم .

وفى العمارة نجد أن مقررات العمارة التى تدرس فى الجامعات تؤكد على المبانى الضخمة التى تضم مكاتب وشققا سكنية ، تتفق فى تصميمها الخارجى والداخلى وأنظمة تهويتها مع النموذج الغربى . والعمارة فى حقيقتها تعبير عن ثقافة ، وعن التركيبة الاسرية ، ولها علاقتها بالمناخ والسمات الجغرافية ، ولهذا فان المأوى في القطب الشمالى يلبى احتياجات بيئية مختلفة عن احتياجات آسيا المدارية فى مواد البناء وتنظيم المساحات الداخلية والخارجية وأنظمة التهوية . ومنطقة جنوب آسيا بها تراث معمارى ثرى فى قصورها ومعابدها وبيوت فلاحيها ، يعكس استجابة للبيئة الطبيعية والاجتماعية . ومن هذا التراث يمكن بعث تقليد معمارى متطور .

ان التاريخ يتطلب من العالم الثالث الآن ان يعود الى حواره مع الطبيعة ، فى كافة مجالات المعرفة ، ليستعيد الطريق الذى بدأه منذ فجر التاريخ ، ويواصل استكشاف الطبيعة والكون الذى يعيش فيه . □

من المكتبة العربية

الموسوعة الفلسطينية

بقلم : زياد عـــودة

في نهاية عام ١٩٨٤ ، تم الانتهاء من طبع « الموسوعة الفلسطينية » بأجزائها الأربعة على مطابع ميلانو ستامبا الايطالية . هذه الموسوعة التي جاءت لتلقي الأضواء على تاريخ وطن وشعب وقضية منذ اقدم العصور حتى وقتنا هذا .

كم شهدت فلسطين من حروب طاحنة ، وغزوات كبيرة ، كان آخرها الهجمة الاستيطانية الكبيرة من قبل الصهاينة المدعومين من القوى الاستعمارية ، الذين تمكنوا من احتلال فلسطين العربية ، واقامة كيان غريب فوق أرضها ، بعد أن تم تشريد أصحاب الوطن الشرعيين .

لقد كتب الكثير عن فلسطين أرضا وتاريخا وشعبا ، وتناولتها الدراسات من كل جانب ، ومع هذا فقد كانت الحاجة ملحة لموسوعة ضخمة ، تعطي فكرة واضحة عن وطن جريح ، عانى شعبه الكثير من الظلم والحرمان والابادة .

والتفكير بهذه الموسوعة ، واخراجها الى حيز الوجود يؤكد هذا الارتباط الكبير بفلسطين . فكل معلومة جديدة عن أي مدينة أو قرية أو أثر دارس أو شخصية لا شك انها تقربنا الى فلسطين التي ستظل الأمل الساطع لكل المشردين والمنفيين من أولادها وأولاد أولادها ، الذين عشقوها ويحنون اليها حنينهم الى كل مقدس .

لقد اشترك في اعداد هذه الموسوعة أكثر من مائتي باحث من جميع التخصصات منهم العالم والمؤرخ والأديب والموسوعي ورجل السياسة .

ومن هنا يصبح لهذه الموسوعة التاريخية العلمية دور أساسي في معركة تحرير فلسطين يتمثل في عرض الحقائق التاريخية حولها أرضا وشعبا وحضارة وقضية ، لتكون وثيقة علمية تدحض الأساطير التي ظل يروج لها المستعمرون في ميدان انفردوا فيه واحتكروه . لقد بدأ المشروع باتفاقية عقدت بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة

التحرير (دائرة التربية والتعليم) في العاشر من شهر كانون الاول عام ١٩٧٤ ، لاصدار هذه الموسوعة التي كان المؤتمر العام للمنظمة قد اقرها في دورته الثالثة .

جاء الجزء الأول من الموسوعة في ٦٤٦ صفحة من القطع الكبير تضمن الحروف من (أ - ث) ، ونجد في مواد باب الأرض مثلا المواقع والاماكن والتجمعات السكانية وغيرها التي تدخل في حدود فلسطين المعروفة ، بموجب صك الانتداب ، باستثناء منطقة الجولان الواقعة خارج حدود فلسطين.

وادخلت في الموسوعة : ـ

ـ جميع القرى المندثرة على يد الصهيونيين ، مهما يكن حجمها وعدد سكانها ، باستثناء القليل منها الذي لا يتجاوز سكانه عشرة أشخاص .

ـ ضم الى الموسوعة بحث موحد عن القرى العربية المندثرة قبل قيام الكيان الصهيوني ذكرت فيه اسماؤ ها ولمحة في وصفها وردت في نهاية البحث .

ـ جميع القرى العربية القائمة الآن ويقطنها سكانها العرب ، ويزيد عددهم عن ٥٠٠٠ نسمة حين صدور الموسوعة ، وترد فيها تحت تسمية بلدة .

وضمن الموسوعة ايضا التجمعات الصهيونية الكبيرة التي يجاوز عدد سكانها عشرين الفا .

جاء الجزء الثاني من الموسوعة في ٦٥٢ صفحة من القطع الكبير ، وتناولت المواد التي تبدأ من حرف (ج - ش) .

الجمعيات الأدبية في فلسطين

وتحت هذا العنوان جاء في الجزء الثاني من الموسوعة : كانت الجمعيات الأدبية في فلسطين عاملا من العوامل البارزة في نهضة هذا القطر العربي الثقافية .. وما يلاحظ على هذا العامل الثقافي انه لا يخلو من بذور سياسية ناعمة تدخل ضمن العناصر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وانه كان باعثا على وعي التيارات السياسية التي كان المستعمر يخلقها لدفع هذا القطر وجرفه نحو نهاية بعيدة عن مصلحة الشعب العربي فيه .

غير أن الجمعيات الأدبية لم تكن مقصورة على فترة الانتداب الانجليزي في فلسطين . بل سبقت هذه المرحلة . فكان في فلسطين جمعيات ادبية زمن الحكم العثماني . منها في القدس جمعية « سوسنة صهيون » فرع جمعية « اتحاد الشبان المسيحيين » بلندن سنة ١٨٧٧م . ومنها في هذه الفترة جمعية « الغيرة المسيحية » الشبان الروم الارثوذكس في القدس ايضا ، فكان من جمعيات هذه الفترة المبكرة ثلاث جمعيات أنشئت في عكا وهي « شعبة المعارف » و « الجمعية الادبية الخيرية » و « جمعية مار منصور » . وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر عرفت فلسطين نشاط « الجمعية الالمانية الفلسطينية » التي عنيت بنشر المباحث المطبوعة ذات العلاقة بمختلف شئون فلسطين .

وقد عرفت بعض الأوساط في فلسطين الدواوين او المجالس العائلية التي تشبه الجمعيات الأدبية وغير الأدبية في بعض ما تؤثره في المجتمع . ومن أمثلة هذه المجالس ، المجلس الذي كان ينظم في دار عثمان بن سليمان النشاشيبي ، والد الاديب الفلسطيني المشهور محمد اسعاف النشاشيبي . وكان ينتظم في ذلك المجلس محمد جاد الله ، وعارف الحسيني ، وموسى عقل وآخرون .

ويقع الجزء الثالث من الموسوعة في ٦٩٠ صفحة ، وتناولت المواد التي تبدأ بالأحرف الهجائية من (ص - ك) وجاء كالجزء السابق بدون مقدمة . وقد احتوى هذا الجزء على بحث موسع عن الصحافة العربية في فلسطين . فقد نشأت الصحافة العربية في فلسطين وتطورت عبر اربع مراحل تاريخية تبدأ الأولى بصدور الصحف باللغة العربية في القدس في العهد العثماني سنة ١٨٧٦م ، وتنتهي بتوقفها في مطلع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ . وتبدأ المرحلة الثانية بعودة الصحف الى الصدور في ظل الانتداب البريطاني ١٩١٩ وتمتد لنهاية ١٩٤٨ . والثالثة مرحلة ما بعد النكبة وقيام الكيان الصهيوني وضم الضفة الغربية الى المملكة الأردنية الهاشمية ١٩٥٠ . وتأتي المرحلة الرابعة بعد حرب ١٩٦٧ ، والاحتلال الصهيوني لبقية الاراضي الفلسطينية ولجزء من الأراضي العربية . وفي نهاية البحث تم ترتيب جدول باسماء أكثر من مائتي مجلة وصحيفة ونشرة كانت تصدر في فلسطين من عام (١٨٧١ ولغاية ١٩٦٨) .

واحتوى هذا الجزء أيضا بحثا عن الصحافة

الاسرائيلية التي كانت تصدر في فلسطين قبل قيام « اسرائيل » بثلاثين عاما . . وقد كانت الصحافة اليهودية في فلسطين احدى الأدوات الرئيسية لخدمة اهداف الحركة الصهيونية ، في بلورة الوجود الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، وتوجيهه وارشاده والتعبير عن طموحاته وتطلعاته وتعبئة نفسها ، وتحويله الى مجتمع ذي خصائص محددة ولغة موحدة .

وقفة مع الموسوعة

ان أي عمل مهما كان صغيرا ، لابد وان تعتوره بعض الأخطاء . . . فقد وقعت في الموسوعة اخطاء صغيرة ، كان من الممكن تفاديها بسهولة . فقد جاء في التعريف بالقائد عبد الرحيم الحاج محمد في الجزء الثالث من الموسوعة ص (١٦١ ـ ١٦٢) « هو واحد من قادة ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، وقائدها العام لمدة تزيد على السنة ، كنيته « ابو كمال » ولد في ذنابة في قضاء الخليل ، والصحيح ان قرية ذنابة مسقط رأس القائد عبد الرحيم الحاج محمد تقع في قضاء طولكرم وهي الان ضاحية من ضواحي طولكرم، حيث يطلق عليها ضاحية ذنابة . وجاء ايضا في الموسوعة : « تابع عبد الرحيم الحاج محمد جهاده في ظل القيادة الجديدة التي ترأسها فوزي القاوقجي ، وانتصر في هذه الفترة ايضا في جميع المعارك التي خاضها ، ومن اهمها : معركة نابلس ١٩٣٦/٩/٢٤ ، ومعركة بلعا ١٩٣٦/٩/٢٥ ، ومعارك جبع ودير شرف . والصحيح أن معركة نابلس التي استهدفت الهجوم على معسكر نابلس وقعت ليلة ١٩٣٦/٩/٢٨ ، ومعركة بلعا الثانية وقعت بتاريخ ١٩٣٦/٩/٣ وكانت اول معركة خطط لها القائد فوزي القاوقجي مع القادة الفلسطينيين عند وصوله الى فلسطين . وجاء ايضا في الموسوعة عن عبد الرحيم الحاج محمد «خلال هذه الفترة خاض الثوار بقيادة عبد الرحيم معارك ضارية ، والحقوا بالقوات البريطانية خسائر كبيرة ، ومنها معركة بيت امرين التي جرح فيها القائد عبد الرحيم ، ومعركة دير غسانة (١٩٣٨/٩/٢٠) التي وقعت عندما كان قادة الثورة يعقدون مؤتمرا لتدارس اوضاع الثورة . وقد استشهد فيها القائد محمد الصالح « ابو خالد » . والصحيح ان القائد عبد الرحيم الحاج محمد جرح في معركة النزلة الشرقية على اثر كمين نصبته له القوات البريطانية . وان معركة « دير غسانة » وقعت يوم الخميس الموافق ٢٠ رجب سنة ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨/٩/١٥م . بالقرب من قرية بيت ريما ودير غسانة،ولو عاد محرر الموسوعة الى مادة ثورة المثبتة في الجزء الأول من الموسوعة لما وقع في الخطأ ، وخصوصا حول تاريخ المعارك التي خاضها فوزي القاوقجي في فلسطين بالتعاون مع « الثوار الفلسطينين » .

وجاء في الجزء الثاني من الموسوعة ص ٤٣٤ تحت مادة دير ياسين (مذبحة ١٩٤٨) ما يلي : ـ

في ١٩٤٨/٤/٧ قتل الشهيد عبد القادر الحسيني . . . وفي الجزء الثالث ص١٦٩ نقرأ حول مادة عبد القادر الحسيني .

انه استشهد بتاريخ ١٩٤٨/٤/٨ ، وهو التاريخ الصحيح الذي استشهد فيه عبد القادر الحسيني حيث ورد النص التالي : . . ووصل عبد القادر الحسيني الى القدس صباح ١٩٤٨/٤/٧ ، فنظم هجوما مسلحا على القسطل ، استطاعت قواته ان تسترد الموقع في اليوم التالي ١٩٤٨/٤/٨ ، ولكن هذا القائد استشهد في اثناء القتال .

وجاء في الجزء الثاني صفحة ٤٣٥ ـ مادة دير ياسين ـ حول الوضع العسكري بعد مذبحة « دير ياسين » .

اما من الناحية العسكرية فقد جاءت النتائج لصالح (اسرائيل) . . . يقول مناحيم بيغن « قائد المنظمة الارهابية الارغون تسفاي لئومي » المنظمة القومية شيرين « ورئيس وزراء « اسرائيل » السابق : لقد حاولت دعاية العدو أن تلطخ أسماءنا ، ولكنها النتيجة ساعدتنا . . فلقد طغى الذعر على عرب أرض اسرائيل،«نلاحظ هنا أن جملة « عرب أرض اسرائيل ، جاءت في سياق الحديث كأنها شيء طبيعي ، فقد كان المفروض في المحرر أن يضع علامتي تعجب واستفهام على هذا الكلام الذي لا أساس له من الصحة .

وجاء في مادة عز الدين القسام في الجزء الثالث من الموسوعة ص ٢٣٠ : انه استشهد بتاريخ ١٩٣٥/١١/١٩ ، في قرية الشيخ زايد . . .

والصحيح انه استشهد بتاريخ ١٩٣٥/١١/٢٠ ، في قرية الشيخ زيد قرب احراج يعبد قضاء جنين .

وجاء في مادة « القدس ـ مدينة » في الجزء الثالث ص٥٠٩ : هجرت النواة الأولى للمدينة بمرور الزمن وحلت محلها نواة رئيسية تقوم على تلال اخرى غير تلال الضهور (الطور) مثل مرتفع بيت الزيتون (بزيتا) في الشمال الشرقي للمدينة بين باب الساهرة وباب حطة ، ومرتفع ساحة الحرم (موريا) في الشرق ، ومرتفع صهيون في الجنوب الغربي ، وهي المرتفعات التي تقع داخل السور ، فيما يعرف اليوم بالقدس القديمة ، والصحيح ان جبل صهيون وجبل الطور واقعان خارج أسوار مدينة القدس القديمة فاذا نظرنا الى الخارطة المنشورة في الكتاب نرى صفحة ذلك . . . وجاء في كتاب « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ بيت المقدس (١) هامش صفحة (١٤) : (وطور زيتا) يقصد جبل الزيتون ، مشرف على المسجد ـ يقصد الحرم ـ وفيما بينهما وادي جهنم ومنه رفع عيسى عليه السلام .

وفي ص ٤٢٣ جاء : جبل الزيتون ـ الطور زيتا . .

وجاء في المصدر السابق بيت المقدس (٢) ص ١٨٨ : . . . . وجبل صهيون الواقع عليه مقام النبي دواد .

معلومات قديمة

وبعد . فالذي قرأ اسماء الباحثين التي وردت في مقدمة الجزء الأول من الموسوعة استبشر خيرا بتلك النخبة الطيبة من العلماء والأدباء والمؤرخين . . ولكن شاب تأليف وتحرير الموسوعة بعض القصور ، والدليل على ذلك اعتمادهم على المصادر والمراجع المعنية بالبحث ونقلها حرفيا في معظم الأحيان ، بما فيها من معلومات غير دقيقة . فمثل هذا العمل الموسوعي الضخم يحتاج الى دراسات ميدانية ، من اجل جمع المزيد من المعلومات وخصوصا حول القرى والمدن والشخصيات الفلسطينية ، واضافة تلك المعلومات ضمن المادة المراد الكتابة عنها .

فالاعتماد على كتاب « بلادنا فلسطين » للاستاذ مصطفى مراد الدباغ غير كاف من اجل الاحاطة باخبار القرى والمدن الفلسطينية ، وخصوصا وان الطبعات المعتمد عليها معظمها صادر قبل سنة ١٩٧١ ، بل قبل ذلك بسنوات . . ولهذا فمعظمها قديمة بحاجة الى اضافات جديدة عليها ، من أجل أن يأخذ الموضوع حقه في البحث والتنقيب . . ونحن نسجل هذه الملاحظة ليس تقليلا من أهمية كتب الاستاذ الدباغ التي تعتبر مرجعا لا غنى عنه لاي دارس أو باحث ، ولكننا كنا نأمل لو تم اثراء المواضيع المطروحة بمعلومات جديدة ، وخصوصا اذا علمنا أن هناك عشرات الجمعيات والروابط التي تحمل اسماء المدن والقرى والعائلات ، ومعظمها يوجد لديه نشرات حديثة جدا عن مدنهم وقراهم ، ومع هذا تظل الموسوعة من المراجع المهمة التي لاغنى عنها لأي بيت أو مدرسة أو جامعة أو مؤسسة ، فهي تاريخ حافل وثري عن فلسطين العزيزة آملين ان يتم تلافي الأخطاء في الطبعات القادمة . □

■ الوفاء لأخيار الناس يضطرنا أحيانا الى ان نقول فيهم من الخير ، ما يضيقون به أشد الضيق ! (طه حسين)

■ الشعوب التي تقصر في واجباتها . . تستريح الى من ينفخ لها في بوق الحقوق ، ولا يذكرها بالتبعات (أحمد لطفي السيد)

■ السلطة فساد ، والسلطة المطلقة فساد مطلق (لورد اكتون)

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : الوجه الآخر .
اسم المؤلف : فؤاد التكرلي .
الناشر : وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد .
عدد الصفحات : ٢٤٢ من القطع الكبير .

هذه الطبعة هي الثالثة لمجموعة فؤاد التكرلي الشهيرة ، التي صدرت لأول مرة في بغداد في بداية الستينيات ، لكنها ضمت مجموعة اخرى من القصص في طبعتيها الثانية والثالثة .

وهذه المجموعة لواحد من أبرز كتاب القصة القصيرة العراقية ، تضم قصصا تتراوح في حجمها بين صفحات لا تتجاوز الست ، وأخرى يمكن اعتبارها رواية قصيرة مثل القصة التي أعطت المجموعة اسمها .

كما تغطي هذه القصص فترة تمتد من عام ١٩٥٠ الى ١٩٧٢ ، وهي فترة غنية في الانجازات الفنية والأدبية وغناها في الانجازات السياسية والاجتماعية . ومن هنا تأتي اهمية هذه المجموعة لواحد من أكبر القاصين العراقيين موهبة ، وان يكن أقلهم حماسا للنشر .

اسم الكتاب : تنمية ، أم تبعية اقتصادية وثقافية .
اسم المؤلف : د . جلال أمين .
الناشر : مطبوعات القاهرة .
عدد الصفحات : ١٨٩ من القطع المتوسط .

بالرغم من أن د . جلال أمين « أستاذ للاقتصاد » ، فإنه لا يتعامل مع القضايا الاقتصادية بمنهج أحادي جانبي ، وهذا ما أعطى الكتاب قيمة اضافية ، ووسع من دائرة القراء الذين يخاطبهم المؤلف . فهو يناقش مشكلات التخلف والتنمية من منظور شامل ، يربط هذه المشكلات بقضايا التبعية الاقتصادية والثقافية .

وخلال ذلك كله يعيد صاحب كتاب « محنة الثقافة والاقتصاد في مصر » النظر في المقولات السائدة بين الاقتصاديين والمثقفين والمهتمين بهذه القضايا المصيرية .

اسم الكتاب : قصص مختارة .
اسم المؤلف : جنكيز ايتماتوف .
الناشر : دار رادوغا ـ موسكو .
عدد الصفحات : ٢٩٣ من القطع الصغير .

ترجمة جديدة تقوم بها دار رادوغا لثلاث من أشهر قصص الكاتب القيرغيزي السوفيتي جنكيز ايتماتوف هي « المعلم الأول » و « شجيرتي في منديل أحمر » و « جميلة » التي وصفت بأنها أجمل قصة حب حديثة .

وان كانت أهمية هذه القصص بالنسبة للقراء السوفييت تأتي من كون كاتبها يمثل جيلا جديدا من المبدعين السوفييت ، الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية ، فانها تمثل بالنسبة لنا أعمالا مهمة ، تدور في أجواء شرقية ، لم يفقدها التقدم الحضاري بساطتها وعفويتها وأصالتها .

اسم الكتاب : دماء على الظلال .
اسم المؤلف : سعيد الشيخ .
الناشر : دار الصمود العربي ـ نيقوسيا ـ قبرص .
عدد الصفحات : ٨٢ من القطع المتوسط .

تضم هذه المجموعة القصصية ـ وهي الأولى للقاص الشاب سعيد الشيخ ـ عشر قصص قصيرة ترسم في مجموعها صور المعاناة والعذاب ، الى جانب صور الكفاح والثورة والموت والشهادة في المخيم الفلسطيني ، الذي أعادت الثورة تكوينه من جديد .

وبالاضافة الى رسم هذه القصص الاستمرارية حياة المخيم في ظل ظروف جديدة ، فانها اعلان عن ظهور جيل جديد من الأدباء الفلسطينيين الشباب ، ممن خرجوا من رماد المأساة .

اسم الكتاب : سورية والانتداب الفرنسي .
اسم المؤلف : يوسف الحكيم .
الناشر : دار النهار للنشر ـ بيروت .
عدد الصفحات : ٣٥٤ من القطع الكبير .

* هذا الكتاب هو الجزء الرابع من « ذكريات » يوسف الحكيم السياسي السوري المخضرم ، الذي استعرض خلال كتبه الثلاثة الأولى تاريخ سوريا في العهد العثماني ، والعهد الفيصلي ، وفي هذا الكتاب الرابع والأخيرة يروي بدقة وتفصيل كبيرين تاريخ سوريا في عهد الانتداب الفرنسي ، الذي استمر بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٤٦ .

وفي الكتاب مزج بين التاريخ بما هو تفاصيل لأحداث يومية ، عاشتها سوريا خلال عهد الانتداب ، والسيرة ذاتية لكون المؤلف أحد الشخصيات السياسية التي شاركت في صنع أحداث تلك الفترة .

اسم الكتاب : مشكلات علم الجمال الحديث ـ قضايا وآفاق .
اسم المؤلف : مجموعة من علماء الجمال السوفييت .
المترجم : فريق من دار الثقافة الجديدة .
الناشر : دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة .
عدد الصفحات : ٢٤٢ من القطع الكبير .

يضم هذا الكتاب ثلاثة عشر بحثا في قضايا علم الجمال المختلفة ، بأقلام مجموعة من الكتاب الاكاديميين السوفييت في هذا الفرع المهم من فروع الفلسفة .

وتتراوح مواضيع هذه الأبحاث بين قضايا أقرب الى التجريد الفلسفي ، مثل « الصورة الفنية » وقضايا ذات طبيعة سجالية مثل (الواقعية والمودرنية) الى جانب موضوعات لا تزال موضع نقاش في أدبنا العربي مثل « المثل الأعلى والبطل في الفن » .

ورغم المستوى المتقدم الذي صيغت به الأبحاث ، الا أن الكتاب موجه أساسا الى « القارىء العادي ذي الاهتمامات العامة بالمشاكل الثقافية في عصرنا الحالي » .

اسم الكتاب : الأرض الحرام .
اسم المؤلف : محمود شاهين .
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق .
عدد الصفحات : ٣٩٦ من القطع الكبير .

« الأرض الحرام » عند الروائي محمود شاهين هي الأرض الفلسطينية المحرمة على أهلها ، في واحدة من أكثر لحظاتها حسما ، ما قبل حرب الأيام الستة بقليل .

في هذه الرواية يواصل محمود شاهين ما بدأه منذ مجموعته القصصية « نار البراءة » من رسمه لصورة شريحة مجهولة من شرائح المجتمع الفلسطيني ، ونعني بها تلك المجتمعات الرعوية التي لا تزال أسيرة نمط انتاجها التقليدي القديم ، تكافح من أجل البقاء في عالم من القسوة .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الوادي والأودية والوديان

لشاعر النيل محمد حافظ ابراهيم قصيدةٌ وطنية نظمها قبل سبعين سنة ، يقول فيها :

نـظرت لـلنيـل فـاهـتـزت جـوانـبـه
وفـاض بـالخـير في سـهـل ووديـان

والمتشددون اللغويون منذئذ يأخذون عليه في هذا البيت كلمة « وديان » ويرون أن القافية وحدها هي التي ألجأته اليها ، وأن كلمة الوادي لاتجمع على وديان ، وهم في ذلك يعتمدون على أنهم لم يجدوها في معجم ولا نص مأثور .

ونحن نرى أن كلمة كهذه ينبغي قبولها ما دامت سائغة ولها جذر في الفصيحة ، ولها سند من نظير فصيح نقيسها عليه ، ولو لم ترد في معجم أو نص مأثور .

ولا شك في فصاحة كلمة « الوادي » وجذرها « وَدَي) ودلالته على السيولة ، ومن معاني « الوادي » الماء السائل ، أو مكانه وهو المنخفض أو المتسع الذي يمتد بين اثنين أو أكثر من الجبال أو التلال ، فيسيل فيه الماء ، ومن معانيه المكان أو الجهة بعامة ، كما في آية الشعراء « أَلَمْ تَرَ أَنَّهم في كلِّ وادٍ يَهيمون » ، أي في كل جهة أو اتجاه ، وقد يقال « الواد » بحذف الياء اكتفاء بالكسرة ، شأنه شأن كل منقوص ، وهكذا ورد « الواد » في المصحف مرات .

وقد ذكر له في القاموس المحيط : أربعة جموع : أَوْداء ، وأَوْدية ، وأَوْداه ، وأودابة .

أوداء مثل صاحب وأصحاب ، وأودية مثل ناد وأندية ، وأوداه بالقلب وقد ورد الجمعان الأخيران في قول الفرزدق :

فـلولا أنـت قـد قـطـعـت ركـابي
مـن الأوداه أوديـة قـفـارا

وقد ورد الجمع « أودية » وحده في القرآن مرتين : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ولم تذكر بقية الجموع .

ومما يستوقف النظر أن الجوهري في معجمه

« الصحاح » يقول : « الجمع أودية على غير قياس ، كأنه جمع وَدِيّ ، مثل : سَرِيّ وأسْرِية للنهر ، ومهما يكن من عدم قياسية هذا الجمع ، فقد ذكر في القرآن الكريم ، وكذلك العرب يشبهون وزنا بوزن فيجمعونه كجمعه .

ولكن هل الجمع « وديان » صواب .

والجواب « نعم » ونقفز الى السند المعجمي ، فقد ذكر الزبيدي في مادة « ودى » من تاج العروس ، فقال « وقد يجمع الوادى أيضا على وُديان بالضم » .

ثم ننظر الى السند القياسي ، فقد ذكر سيبويه في « باب تكسير ما عدة حروفه أربعة أحرف للجمع » ان ما كان من الأسماء على وزن فاعِل أو فاعَل فكله يجمع تكسيرا على فواعل ، مثل : تأبل وتوابل [1] ، وطابَق وطوابق ، وحاجِز وحواجِز ، وحائط ، وحوائط ، وقد يجمع تكسيرا على فُعلان ، مثل حاجر وحجران ، وسالّ وسُلّان ، وحائر وحُوران ، وغال وغُلّان ، وفالق وفُلقان ومالّ وملان ، وجمعه بعضهم على فِعلان ، مثل : حائر وجيران ، وغائط وغيطان ، وحائط وحيطان . وأما الصفة التي أجريت مجرى الأسماء فقد تُبنى كالأسماء على فُعلان ، مثل : راكب ورُكبان ، وصاحب وصُحبان ، وفارس وفُرسان ، وراع ورُعيان .

ونستطيع أن نضيف الى الأمثلة التي نقلناها هنا عن سيبويه ما يأتي : راهب ورُهبان وواحد ووُحدان أو أُحدان [2] ، وشاطىء وشُطآن ، وباطن وبُطنان ويافع ويُفعان ، وحسبنا هذه الأمثلة الكثيرة لكي لانستغرب قياسا جمع « واد » على وديان .

ثم لنسأل من نصادف من اخواننا في البلاد العربية عن جمع واد ، فان أول ما يخطر على ألسنتهم هو الجمع « وديان » وقد يذكرون « أودية » . وللشهرة هنا قيمتها الكبيرة يستأنس بها ، ولكن يلاحظ أننا في الدارجة نقول « وِديان » بكسر الواو ، لابضمها كما جاء في لسان العرب ، وخَطْبُ الخلاف في هذا هين ، فالكسرة والضمة صوتيًا قريبٌ من قريب ، ثم ان كثيرا من الكلمات على هذه الصيغة تأتي بفتح أو بكسر ، مثل حُزّان وحِزان ، وحُوران و حِيران ونحن نعلم أن العرب يجيزون في قوافي القصائد الجمع بين الكلمات التي يسبق الروى فيها واو ، وياء كقول مسلم بن الوليد :

من لام في هواها فنصحه مردود
يا سحر واصليني فانني عميد

ولا يشترطون التزام الواو ، ولا التزام الياء □

---

(١) التابل : ما يطيب به الطعام

الحاجر : الأرض المرتفعة ووسطها منخفض ، تمسك الماء .

الحائر : مجتمع الماء . الغيط والغائط : المكان المنخفض الواسع

الطابق : الآجر الكبير . السال : واد واسع ينبت الشجر

الفالق : الشق في الجبل ، أو مكان منخفض بين مرتفعين . الباطن : البطن أو الشيء الخفي

(٢) وحدان ، كما في قول قريط بن أنيف (من شعراء الحماسة)

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم
طاروا اليه زرافات ووحدانا

أي جماعات وآحادا

ومثال (أحدان) قول العقاد من قصيدة عنوانها « الحب الأول »

ان الجسوم مثناة جوارحها
الا القلوب فصيغت وهي أحدان

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

ابنُ الرُّومِيِّ يَرْثِي وَلَدَهُ الأوسَطَ

هذه القصيدة لشاعرنا العبقري الكبير ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) في رثاء ولده الأوسط ، ويندر نظيرها في الشعر العربي بل الشعر العالمي ، وهي تدل على أعمق الفجيعة في نفس أب فقد ابنه الصغير.وهو يصف فيها خيبة آماله التي كان يتوقعها في ابنه ، والآلام التي عاناها في مرضه ، ويبين ان الأولاد لايسد بعضهم مكان بعض في قلب الأبوين . وابن الرومي صاحب أطول ديوان في الشعر العربي ، وله عشرات القصائد الطوال وبعضها يزيد على مائة بيت ، وهو يسترسل في خواطره الى آفاقها البعيدة .

بكاؤكما يَشْفي ، وان كان لا يُجدي ... فَجُودا ، فقد أودى نظيرُكما عندي(١)
ألا قاتل الله المنايا ورميَها ... من القوم حباتِ القلوبِ على عمد
توخّى حِمامُ الموت أوسطَ صِبيتي ... فلله كيف اختار واسطةَ العقد (٢)
على حين شِمْتُ الخير من لمحاته ... وآنستُ من أفعاله آيةَ الرشد
طواه الرَّدى عني ، فأضحى مزارُه ... بعيدا على قرب ، قريبا على بعد
لقد أنجزتْ فيه المنايا وعيدَها ... وأخلفت الآمالُ ما كان من وعد
لقد قلَّ بين المهد واللحدِ لُبْثُه ... فلم ينْسَ عهدُ المهد ، اذ ضُمَّ في اللحد
ألح عليه النَّزْفُ حتى أحاله ... الى صُفْرة الجاديّ عنْ حُمرة الورد (٣)

وظل على الأيدي تساقط نفسه ... ويذوي كما يذوي القضيبُ من الرَّنْد (٤)
فيالكِ من نفسٍ تساقطُ أنفسا ... تساقُطَ دُرٍّ من نظامٍ بلا عقد (٥)
عجبتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ له ... ولو أنه أقسى من الحجر الصَّلْد
وما سرّني أن بعته بثوابه ... ولو أنه التخليدُ في جنة الخلد
ولا بعته طوعا ولكن غُصِبْتُه ... وليس على ظُلم الحوادثِ من مُعْدِ
واني وان مُتِّعتُ بابْنيَّ بعده ... لذاكرُه ما حنَّتِ النِّيبُ في نجد (٦)
وأولادنا مثلُ الجوارحِ أيُّها ... فقدناهُ كان الفاجعَ البيِّنَ الفقد
لِكُلٍّ مكانٌ لايسد اختلالَه ... مكانُ أخيه من جزوعٍ ولا جَلْد
هل العينُ بعد السمعِ تكْفي مكانه ؟ ... أم السمعُ بعد العينِ يهدي كما تهدي
لعمري ، لقد حالتْ بيَ الحالُ بعده ... فياليت شعري كيف حالَتْ به بعدي ؟
ثكِلْتُ سروري كلَّه اذ ثكلْتُه ... وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد (٧)
أريحانةَ العينين والأنف والحشا ... الا ليت شعري هل تغيرت عن عهدي ؟
سأسقيك ماء العين ما أسعدَتْ به ... وان كانت السُّقيا من الدمع لاتُجْدي
أعينيَّ جُودا لي ، فقد جدتُ للثرى ... بأنفسَ مما تسألان من الرِّفد (٨)
كأني ما استمتعتُ منكَ بضمَّةٍ ... ولا شمَّةٍ في ملعبٍ لك ، أو مهد
ألامُ لما أُبدي عليك من الأسى ... واني لأخفي منك أضعاف ما أبدي
محمد ماشيءٌ تُوُهِّمَ سلوةً ... لقلبي ، إلا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما ... يكونانِ للأحزانِ أوْرى من الزَّند
اذا لَعِبا في ملعبٍ لك لذَّعا ... فؤادي بمثل النار عن غير ما قصْد
فما فيهما لي سلوةٌ ، بل حزازةٌ ... يهيجانها دوني ، وأشقى بها وحدي (٩)
وأنت وان أُفردْتَ في دار وحشةٍ ... فإني بدار الأُنس في وحشةِ الفرد
عليك سلامُ الله مني تحيةً ... ومن كل غيْثٍ صادقِ البرقِ والرعد.

(١) يخاطب عينيه ، ويقول أن ابنه مثلها عزيز . لايجدي : لاينفع ، أودى : مات
(٢) المنايا : جمع منية وهي الموت ، وحمام الموت : قضاؤه
(٣) كان في عاقبته أحمر كالورد قصيره الزف أصفر كالجادي (نبت أصفر)
(٤) القضيب : الفرع . الرّند : شجرة طيبة الرائحة
(٥) النظام : الخيط ينتظم حبات العقد .
(٦) الناب : الناقة المسنة ، والجمع : نيب
(٧)ثكلته : فقدته
(٨) أسعدت : ساعدت . الرفد : العطاء
(٩) الزند : الزناد ، تقدح به النار . الحزازة : كل ما يحز في القلب

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - أيها أكبر مساحة : أمريكا الجنوبية أم امريكا اللاتينية ؟

٢ - أيهما أكثر تعرضا للاصابة بتضخم البروستاتا : الرجل أم المرأة ؟

٣ - الاسفلت من مشتقات البترول .. إنه الرواسب المتبقية بعد تقطير زيت البترول وتصفيته .. ولكنه يوجد على الطبيعة أيضا .. وقد اشتهرت احدى البلدان ببحيرات واسعة من الاسفلت .. ترى أي البلدان تلك .. ؟

- ترينداد
- ليبيا
- قبرص

٤ - دار الصناعة التي أقامها السلف الصالح في فجر الدولة الاسلامية والتي سماها الأوروبيون (ارينال) ، ترى ماهي الصناعة التي تخصصت فيها تلك الدار ؟

٥ - البترول هو السلعة الأولى لأي الأسواق العالمية بلا نزاع .. فما هي السلعة التالية في تلك الأسواق .. ؟

- الفحم الحجري
- القمح
- البن

٦ - القمح والأرز والذرة .. كل منها يمثل الغذاء الرئيسي بالنسبة لمجموعة كبيرة من سكان العالم .. ترى أي المجموعات الثلاث هي الأكثر عددا .. ؟

٧ - أي الكواكب التالية يوصف بالكوكب الأحمر .. ولماذا ؟

- المريخ .. فهو يبدو أحمر أو مشعا باللون الأحمر لكل من يشاهده بالتلسكوب .
- الزهرة .. فحرارته المرتفعة كفيلة بظهوره محمر اللون .
- عطارد .. أقرب الكواكب من الشمس وبالتالي أشدها حرارة واحرارا .

٨ - ليوناردو دافنشي ، الفنان الايطالي الشهير .. لم سموه دافنشي ؟

٩ - أي الشعوب الاسلامية تظهر نساؤه بغير

حجاب أو لثام .. ويحرص رجاله على تغطية وجوههم بلثام أسود أو ازرق ...

١٠ - افلوطين فيلسوف يونانى معروف .. عاش فى القرن الثالث بعد الميلاد .. وهو مؤسس مذهب الأفلاطونية الجديدة ذلك المذهب الذى كان له أعمق الأثر فى تفكير الفلاسفة المسلمين .. ترى أين ولد أفلوطين ؟

- اثينا
- الاسكندرية
- اسيوط

١١ - تولستوى ، دوستويفسكى ، تشيكوف ، باقلوف

أسماء لامعة فى تاريخ الفكر الروسى .. ثلاثة منها منسجمة وواحد ناشز .. فأيها هذا الناشز ؟ .. ولم هو ناشز ..

١٢ - درج السلف الصالح على نظم الأراجيز او الألفيات (١٠٠٠ بيت من الشعر أو اكثر) فى علوم وفنون شتى .... والمطلوب أن تسمى ثلاث ألفيات .. احداها فى الطب والثانية فى النحو والثالثة فى الألغاز الخفية ...

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٤ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو يناير ١٩٨٥ .

العدد ٣٢٤

نوفمبر ١٩٨٥

اكتب الحلول فى هذا "الكوبون" أوعلى ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١- ....

٢- ....

٣- ....

٤- ....

٥- ....

٦- ....

٧- ....

٨- ....

٩- ....

١٠- ....

١١- ....

١٢- ....

الاسم : ....

العنوان : ....

مسابقة العربي الثقافية

حل

١ ـ العالم المقصود هو عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) وقد اسره النازيون سنة ١٩٣٨ بالتحديد .. في فينا لدى احتلالها قبيل الحرب العالمية الثانية ..

٢ ـ الممر الشمالي الغربي هو الذي يسير بمحاذاة شواطىء كندا الشمالية والممر الشمالي الشرقي هو الذي يسير بمحاذاة شواطىء سيبيريا الشمالية ، ولعل من السهل استنتاج خط السير هذا من التسمية نفسها ...

٣ ـ الكافيين والثايين صنوان .. انها مادة واحدة .. ورمزها الكيماوي واحد .. ومعنى هذا ان المادة المنبهة في كل من الشاي والقهوة هي كافيين وثايين في آن معا .

٤ ـ اللوكيميا او سرطان الدم هو المرض الخبيث الذي يصيب كريات الدم البيضاء .. فالجزء الاول من الاسم ، (أي لوكي أو لوكو) انما يعني اللون الأبيض بالمفارقة مع اللون الرمادي .

٥ ـ علم الحيل هو علم الميكانيكا .

٦ ـ الأسماء الأربعة الاولى اسماء قبائل .. فهي اذن متجانسة ، أما الاسم الخامس (الزلطي) فهو الاسم الذي تطلقه بولونيا على وحدة عملتها ، وهو اذن الاسم الناشز ...

٧ ـ كمية الماء التي تحتاجها زراعة طن واحد من الارز المقشور تبلغ (٤٠٠٠) طن ، وكمية ماء الري التي تحتاجها زراعة طن واحد من القطن المحلوج هي

(١٠,٠٠٠) طن .. وذلك خلافا لما قد يتصور المرء .

٨ ـ تؤخر ساعتك او تقدمها ستين دقيقة لدى قطعك ١٥ درجة من خطوط الطول الواقعة إلى شرق خط جرينتش او الى غربه على التوالي .

٩ ـ مساحة استراليا ٢,٩٦٧,٩٠٩ ميل مربع .. مساحة القارة القطبية الجنوبية = ٥ ـ ٦ ملايين ميل مربع .

١٠ ـ تتوقف البوصلة المغناطيسية عن العمل في القطب المغناطيسي ..

١١ ـ هوميروس هو الناشز .. فهو شاعر وكاتب ملاحم .. ملحمة الالياذة والاوديسا بالتحديد.. بينها الثلاثة الآخرون هم من كتاب المسرحيات اليونان .

١٢ ـ الاستقراء هو الذي يستخلص الكليات من الجزئيات ، وهو عماد العلم الحديث كما هو معروف .. والاستنباط هو الذي يستخلص الجزئيات من الكليات وهو ، بالمقابل ، عماد التفكير الفلسفي .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢١ اغسطس ١٩٨٥

الجائزة الاولى : وفاء امين الشيخ / كفر الزيات / مصر .
الجائزة الثانية : محمود داود الهباب / الشعبية / الكويت .
الجائزة الثالثة : عبدالله محمد سليمان / الظهران / السعودية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ كمال أبو اليزيد شباره /مدرسة الشوربجى / كفر الزيات / مصر
٢ ـ Mr.C. Kunhimohamed Madani, Islamic Library Kottakkal 676503 Keaala , India
٣ ـ بنونة خليل /زنقة أبي عباس / العرائش / المغرب .
٤ ـ عبدالمجيد آزر علي /الشارقة / دولة الامارات العربية المتحدة .
٥ ـ مبارك سلمان محمد أحمد /ودمدنى السودان .
٦ ـ طارق شمس / بيروت / لبنان .
٧ ـ حامد المصمودى / استاذ بالمعهد الثانوى / صفاقس / الجمهورية التونسية .
٨ ـ روضه الزيتونى / حى عين متاخ / الكاف / الجمهورية التونسية .

معركة بلا سلاح

الأولمبياد السادس والعشرون

عقد الأولمبياد السادس والعشرون من ١٤ نوفمبر الى ٤ ديسمبر ١٩٨٤ في سالونيكا ثاني اكبر مدن اليونان المتاخمة لجبال الأوليمب في شمال البلاد . وقد تزامن هذا الأولمبياد مع الأولمبياد الحادي عشر للسيدات . واشترك في هذا المهرجان الدولي ـ الذي يقام كل عامين ـ ٨٨ فريقا من جميع بلاد العالم ، كان بينهم عشر فرق عربية احتلت بينها الامارات العربية المركز الأول وكان ترتيبها ٣٦ بين دول العالم ، وتلتها مراكش ثم مصر وتونس فالعراق ولبنان والبحرين وليبيا والأردن وفلسطين .

وقد توقع المراقبون ان يجد الفريق الروسي صعوبة في الاحتفاظ ببطولة العالم نظراً لغياب بطل العالم أناتولي كاربوف ومتحديه على اللقب جاري كاسباروف من الفريق وكانا مشغولين في مباراة البطولة ، ولكن هذه التوقعات ما لبثت ان تبخرت منذ البداية عندما تغلب الفريق الروسي على الفريق المجاري بنتيجة ٤ ـ صفر . وقد احتل الرقعة الرئيسة عن الجانب السوفييتي اللاعب الخارق بيلافسكي بديلا عن بطل العالم واثبت انه خير بديل له بتحقيق خمسة انتصارات متتابعة على منافسيه من كبار ابطال العالم من امثال بورتيش وتمان ومايلز .

وهكذا فاز الاتحاد السوفييتي كالعادة بالمرتبة الأولى وتبعته بريطانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية . ويعتبر فوز بريطانيا بالمرتبة الثانية فوزا ساحقا لها بعد ان كانت تحتل المرتبة العاشرة بين بلدان العالم في اولمبياد ١٩٨٢ المنعقد في لوزان في سويسرا . ومن ابرز اللاعبين البريطانيين الذين حققوا لبلدهم هذا النصر جون نن وتعتبر المباراة التالية بينه وبين ج . سوسونكو (الهولندي) من ابرز مباريات هذا الأولمبياد وفازت بجائزة دنكان لوري لأفضل دور لعبه بريطاني في هذا المهرجان الدولي .

جون نن (أبيض)	ج . سوسونكو (أسود)
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و٣	ح ـ جـ ٦
٣ ـ د ٤	ج×د ٤
٤ ـ ح×د٤	ح ـ و٦
٥ ـ ح ـ جـ ٣	د ٦
٦ ـ ف ـ جـ٤	هـ ٦
٧ ـ ف ـ هـ ٣	أ٦
٨ ـ و ـ هـ ٢	و ـ جـ ٧
٩ ـ ث ت (طويل)	ح ـ أ٥

١٠ ـ ف – د٣　　ب ٥
١١ ـ أ٣　　ف – ب٧
١٢ ـ ز٤　　د ٥
نقله حرجة لعبها سوسونكو دون تروّ
١٣ ـ هـ × د٥　　ح × د ٥
١٤ ـ ح د× ب ٥ !　　أ×ب ٥ ؟
(و – ب ٨ أفضل لأنها تضطر الأبيض للتخلّي عن الحصان)
١٥ ـ ف×ب ٥ +　　م – د٨
١٦ ـ ح×د ٥　　هـ ×د٥
١٧ ـ ر – د٣ ! لمنع الملك من الهرب الى جـ ٨ ثم ب ٨ الأمن)
١٧ ـ . . . .　　ح – جـ ٤
١٨ ـ ر – جـ ٣　　ف – ب ٤
الأبيض لا يستطيع الأخذ (الشكل)

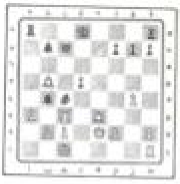

١٩ ـ ر×جـ ٤ !　　د×جـ ٤
٢٠ ـ ر – د١+　　م ـ جـ٨
٢١ ـ ر – د٤　　ف ـ د٥
نقله يائسة
٢٢ ـ ر×د ٥　　ف – د٦
٢٣ ـ ر – د٤　　يستسلم
لو ٢٣ . . . .　　م – ب ٨
٢٤ ـ ر×جـ ٤　　و – هـ ٧
٢٥ ـ ف – جـ ٦ وبذلك يحقق الأبيض تفوقاً ملحوظاً في المادة والطريق امامه مفتوح لهجوم ساحق .

مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٥)

الأبيض يلعب ويميت بخمس نقلات

حل المسألة (٣٣)

مفتاح الحل : و – أ٤

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٢) أغسطس ١٩٨٥	الفائزون باشتراك سنة كاملة :	الفائزون باشتراك ستة أشهر :
	١ ـ مازن مشوّح ـ دمشق/ سوريا . ٢ ـ بهاء جابر ـ الأسكندرية/ ج٠ م٠ ع٠ . ٣ ـ محمد الزروالي ـ البيضاء/ المغرب . ٤ ـ مالك شكري ـ الزرقاء/ الأردن . ٥ ـ عاطف سالم ـ القاهرة/ ج٠ م٠ ع٠ .	١ ـ محمد عيسى ـ اربد/ الأردن . ٢ ـ مصطفى أحمد ـ القاهرة/ ج٠ م٠ ع٠ . ٣ ـ فاطمة أصغر ـ البحرين . ٤ ـ حضراوى حمادي ـ تادله/ المغرب . ٥ ـ هشام مختار ـ مصراته/ ليبيا .

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

حوار القراء ..

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

« مشاعر كريمة من اخوة كرام »

في الفترة الأخيرة وصلت الى مجلة العربي رسائل عديدة من أخوة في مختلف الأقطار العربية والاسلامية ، تعبر كلها عن صادق المشاركة وعميق الألم ، للاعتداء الاثم على أمير الكويت وشعبها ، ونختار من بين كل هذه الرسائل هذه الرسالة تعبيرا عن المعاني النبيلة التي تضمنتها ، مع شكرنا العميق لكل من كتب حول هذا المعنى ، وتقديرنا الخالص لما تعنيه هذه الرسائل ، من عمق الصلة بين الشعوب وعمق الرفض لأسلوب الغدر والتآمر .

المحـــرر

● الأخ الكريم الدكتور محمد الرميحي
سلام الله عليك ورحمته وبركاته
وبعد

فاني أخاطب فيك شعب الكويت الحبيب كله في هذه الأيام العصيبة التي تمر بالكويت ، حيث تتوالى التفجيرات والحرائق ، تصيب أرضا جديدة من أرض هذا الوطن .

أأقول اني حزين ؟ وقد فقد الحزن اندفاعه داخل نفسي ، بعد أن غطى مساحات عمري كله ، أأقول اني غاضب ، وقد غدا الغضب صراخا أحمق في بئر لاقرار لها .

لاتعجب يا أخي فأنا من الشعب الذي يقتل منذ عشرات السنين في كل مناسبة ، يقتل البعض منه في أيام النحس ، وفي أيام السعد ندفن قتلانا . ورغم ذلك فاني أشعر بالحزن والغضب والأسف لما يحدث في الكويت ، فالكويت حبيب الى القلب رغم أني لم أره من قبل ، الا اني عرفته في اصدقاء لي من أبنائه خلال دراستي في الجامعة ، وقد تفرقت بنا السبل ، وانقطعت حبال الوصل ، فلم أجد غيرك أخاطب الكويت في شخصه .

ترى هل كتب على جيلنا أن ينزوي في الأركان القصية المظلمة ، ونشاهد الفناء يجري في الأوصال جزءا فجزءا ، يذهلنا الخوف على الجيل القادم الذي سيرث هذه التركة البشعة !؟ أنا لست سياسيا ، ولا ممن يصنعون الحدث أو القرار ، ولكني انسان ابكي حين أفقد ، وابكي حين يفقد أخي ، وابكي حين يفقد أي انسان ابنا أو ابا أو اختا أو اما أو صديقا .

امتلأ القلب بالحزن ، والحلق بالمرارة ، والعقل بالضباب ، فأردت ان أخاطب شعبا أشد على يده ، أواسيه وأعزيه ، أتمنى له السلامة ، فاخترتك لأتوجه اليك بالخطاب كواحد من أبناء هذا الشعب الذي اقدر دوره ، وأشعر بما يتعرض له ، ولكم جميعا خالص محبتي .

درنة - ليبيا - محمد عقيلان

ويبقى الحوار حول ألف ليلة وليلة . . .

● جاء في مجلة العربي العدد رقم ٣٢٠ في مقال الاستاذ فاروق خورشيد عن (ألف ليلة وليلة) مايلي :

« بل ان احدهم لم يتحرج في أن يحفظ الصبية منذ نعومة أظفارهم من آيات القرآن الكريم مافيه اشارة الى أحداث الخيانة الزوجية والزنا والأفعال المحرمة ، فيقول تعالى : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما » ولي على هذه الفقرة ملاحظة خاصة ، ثم لي ملاحظة عامة على ماقبلها .

اولا : ليسمح لي الاستاذ فاروق خورشيد أن اسأله عن المصدر الذي من خلاله اعتمد على أن خيانة امرأتي نوح ولوط كانت زنا ، وبهذا الصدد أسوق له ماورد في تفسير القرطبي حول هذه الآية : ضرب الله هذا المثل تنبيها على أنه لايغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب اذا فرق بينهما الدين » . . . الى ان نقل عن ابن عباس قوله : مابغت امرأة نبي قط ، وهذا اجماع من المفسرين . انما كانت خيانتهما في الدين حيث كانتا مشركتين . . . »

ثانيا : حول مقارنة الكاتب نقلا عن ابن قتيبة الدينوري بين ماذكر عن الأعضاء التناسلية في ألف ليلة وليلة وماذكر في القرآن ، أشير الى أن هذا قياس مع الفارق ، فالاسلوب والسياق الذي تناول بهما القرآن الكريم هذه المسائل يخلو من الاثارة ويتسم بالنقاء ، وهذا مالا وجود له في تناول ألف ليلة وليلة هذه الأمور وشكرا .

الدار البيضاء . المغرب . ابراهيم أدواب

معاني المصطلحات

● لي مطلبان :

أولا : أن تعرفوني بعنوان الجهة المسئولة عن السياحة في الكويت لأتمكن من طلب بعض المطبوعات السياحية منها .

ثانيا : أن تقدموا لنا في العربي شرحا للمصطلحات التالية :

حيث ان الكثير من الشباب يقرؤها في المقالات المنشورة في العربي وغيرها ، ولايعرفون معناها بالتحديد .

- أيدولوجية
- فلسفة عقلية
- فلسفة روحية
- كلاسيكي
- تفكير موضوعي . . . الخ

فراس قاسم علعالي
المملكة الأردنية الهاشمية - الرمثا

العربي

بالنسبة لطلبك الأول فالجهة المسئولة عن السياحة في الكويت هي وزارة الاعلام ، باسم السيد وكيل الوزارة ، وبالنسبة للسؤال الثاني فيسرنا أن نوضح للقارىء الكريم أن سياسة المجلة في اختيار المصطلحات التي تقدم في باب « قاموس العربي » هي البدء بالمصطلحات الأكثر شيوعا ، ثم ننتقي من بينها المصطلح الأكثر التصاقا بسير الاحداث أو المناسبات ، وفي اطار هذه السياسة قدمنا « باندونغ » في ذكرى انعقاد مؤتمر باندونغ ، وقدمنا « صهيونية » في شهر مايو ، ونقدم في هذا الشهر عن التفرقة

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

العنصرية فى ضوء الأحداث التى تشد الأنظار فى جنوب افريقيا ـ وهكذا ، ونود أن يطمئن القارىء الكريم الى أن الدور سيأتى لشرح المصطلحات التى يقترحها علينا ان شاء الله .

الفيديو :
أداة تعمير أم تدمير

● لاشك أننا نعيش فى عصر التنافس والتكتل بين الامم ، والسبق الحضارى المتسارع الذى يعتمد العلم والتقنية أداة ووسيلة للفوز فى هذا السباق ، ونحن ـ العرب ـ لامكان لنا فى هذا السباق مالم نأخذ بمناهج العلم وأساليب التقنية ، وما لم نتخل عن دورنا كمجرد مستهلكين لمنتجات العالم المتقدم ومستخدمين لأدوات الحضارة التى يصنعها ، ولب الموضوع الذي أريد الوصول اليه فى هذه الرسالة هو ما ألاحظه من الانتشار الخطير لوسيلة تقنية من أخطر الوسائل التى أنتجها هذا العصر وهى جهاز الفيديو ، ومن سوء استخدام هذه الوسيلة فى الوقت ذاته ، فهى عندنا بكل أسف تعمل كأداة تخريب وتدمير ، حيث تنشر الأفلام التجارية الهابطة ، والأشرطة التى تتنافى مع الأخلاق ، وتدمر الشخصية وتقتل الوقت ، وتسلم الشباب الى الضياع ، مع أن الفيديو يمكن ان يستخدم لاحداث ثورة علمية حقيقية ، وثورة تعليمية كذلك ، ويمكن ان يحقق معجزة فى كثير من المجالات ، مثل مجال محو الأمية ، وتنمية الوعى الصحى والاجتماعى والاقتصادى وغير ذلك ، اننا ندعو جميع الجهات المختصة فى جميع الدول العربية الى التنبه لهذا الأمر الخطير ، وعلى جميع وزارات الاعلام والثقافة والتربية فى البلاد العربية أن تعمل على حسن استخدام هذا الجهاز الخطير ، وتخصيص أوقات محددة من خلال البث التلفزيونى كل يوم لتقديم البرامج التعليمية المناسبة للمستويات المختلفة بين جماهير الشعب ، والبرامج العلمية المعدة خصيصا للجمهور فى مختلف مجالات المعرفة ، كل هذا الى جوار البرامج الترفيهية النظيفة والراقية .

ان هذا هو الطريق الوحيد لاختصار الفجوة الحضارية بيننا وبين الشعوب المتقدمة .

اننا نأمل أن تولوا هذه القضية ماتستحقه من اهتمام فى مجلة العربي وشكرا .

سلطان عبده سيف الشيبانى

الجمهورية العربية السورية / حمص

العربي

لانملك سوى ان نحيى القارىء الكريم على هذه الرسالة ، وان نؤكد صدق وسلامة ماتحتوى عليه من تحذير واقتراحات بناءة ....

ونود أن نطمئن القارىء الكريم الى أن العديد من الحكومات العربية تتوجه بالفعل الى حسن استخدام التقنيات الحديثة فى المجالات التربوية والاعلامية ، وان العربي تحرص فى المجال الثقافى على تسليط الضوء على الجوانب التى تضمنتها رسالته ، سواء فى اعدادها السابقة أو اللاحقة .

آراء ومقترحات لمجلة « العربي »

● اقترح ان تضيفوا الأبواب التالية الى مجلة العربي ـ باب ثابت تحت عنوان (على طريق الوحدة العربية) تتناولون فيه الخطوات التى تتخذها كل دولة عربية على طريق الوحدة ، والعوائق التى تظهر على هذا الطريق ، وآراء مفكرينا فى قضية الوحدة ، والعالم

والوحدة العربية ، وتجارب شعوب العالم الوحدوية .... الخ .
ـ اعادة تقديم باب « انت تسأل ونحن نجيب » حتى يتسنى للقراء تقديم أسئلتهم ، فكم من سؤال لدى الشاب العربي لايجد من يجيبه عليه .
ـ اعادة تقديم باب « مسلمات خالدات » وتقديم باب جديد بعنوان « شخصيات من تاريخنا » ، حتى يتسنى لأبناء العروبة والاسلام معرفة أجدادهم الذين قدموا للبشرية ـ فى عصر ازدهار الحضارة العربية والاسلامية ـ أفضل زاد على طريق التقدم الانسانى .

أحمد محمد أحمد باذيب
اليمن الديمقراطية / كريتر / عدن

أرجو أن تعملوا على تحقيق المقترحات التالية :
ـ ان تعطونا معلومات عن اقطار افريقيا التى انضمت الى جامعة الدول العربية مثل موريتانيا والصومال .
ـ الاكثار من الموضوعات العلمية ، وخصوصا عن علوم الكون الخارجى
ـ نشر مقالات أو دراسات عن تأثير اللغة العربية فى اللغات التى جاورتها وتفاعلت معها ، مثل اللغة الفارسية والتركية والهندية وغيرها ..

أسامة حمدالله عربيات
محافظة البلقاء / السلط / الأردن

ان مجلة العربى بمثابة دائرة معارف متجددة بلا شك ، ومع ذلك فألاحظ أنه ينقصها أن تهتم بناحية الابتكار وتنمية المواهب ، ومن هنا فأتقدم بهذه المقترحات لاستكمال هذا الجانب في المجلة ..
ـ ماذا لوخصصت المجلة كل شهر نموذجا لتوضيح فكرة جهاز أو آلة مما يستخدم فى حياتنا اليومية . وتوضيح كيفية تركيب وتشغيل وصيانة تلك الآلة أو الجهاز .
ـ تخصيص جائزة سنوية لكل مبتكر أو لكل مجموعة من المبتكرين بقدر اهتمامهم ، والاستفادة من مبتكراتهم على مستوى الوطن العربى .
أرجو أن تنال هذه الفكرة اهتمامكم وشكرا .

خضر أحمد عبدالرحمن خضر
جامعة القاهرة / كلية التجارة

العربي

تسعد كثيرا بمثل هذه الرسائل التى تتضمن مقترحات من القراء الأفاضل ، لتطوير الخدمة الثقافية التى تسعى مجلة العربى دائما لتقديمها للقراء ، وسواء أكان هذا التطوير عن طريق اضافة ابواب جديدة ، أم اعادة أبواب قديمة ، أم ادخال بعض التعديلات الحالية للمجلة .

فكل هذه المقترحات تعنى ان قارىء العربى يشعر حقا بأنها مجلته ، وبأنه يشارك فيها مشاركة فعالة ، وليس مجرد مستقبل لما تقدمه له ، وهذا من أعز أهداف أى مجلة .

ولعل نشر كل هذه المقترحات يطمئن الأخوة أصحاب الرسائل الى اننا نفكر معهم ومن خلالهم ، ونأخذ بعين الاعتبار كل مايتفضلون به من مشاركة جادة ومسئولة .

وقد يكون من الملائم أن نضع أمامهم بعض الملاحظات تأكيدا لفكرة المشاركة والحوار البناء .

ـ ان فكرة الابواب داخل المجلة سواء الثابتة أو المتغيرة تخضع دائما لقدر من التخطيط والتجريب معا ، يأخذ فى اعتباره مدى الحاجة الملحة الى ضرورة استمرار الباب أو امكانية تغييره موضوعا أو شكلا ، فى ضوء استجابة القارىء له ، اذ ليس من المناسب ان يحدث التغيير فى أى وقت وبأى كيفية .

ـ ليس عدم وجود باب فى مجال معين أن المجلة لاتولى هذا المجال مايستحقه من اهتمام ، فقضية الوحدة العربية مثلا بالنسبة لمجلة العربى هى قضيتها الأساسية ، وهى أكبر من أن تحتوى فى باب واحد أو صفحات محدودة . وهى مطروحة دائما ومستهدفة من خلال كل الأبواب ، مهما اختلف الشكل أو العنوان .

ـ من هنا فالأبواب القديمة التى اختفت كعناوين موجودة كمضامين فى صفحات المجلة الأخرى .
ـ دائما ستبقى هناك أشياء لانملك تحقيقها ، وقد تتحقق بشكل أفضل فى مجلات أخرى أو مجالات أكثر التصاقا بهذه الأشياء .... كالنوادى العلمية والعملية .

هناك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربية جميعًا

كانت المراسلات المتبادلة بين الخليفة العباسي الكبير هارون الرشيد وشرلمان مبادرة عربية رائدة في اقامة الصلات بين الشرق والغرب

دينار هارون الرشيد [illegible] ميلادية

ان مجموعة بنوك اليوباف Al Ubaf Banking Group هي المجموعة الوحيدة التي أحرزت نجاحا في اقامة الصلات بين الشرق والغرب عن طريق انشاء بنوك مشتركة في جميع المراكز المالية الدولية.

والدول العربية بأسرها البالغ عددها اثنتان وعشرون مشتركة كلها في المجموعة من خلال ٢٦ مؤسسة عربية.

وبالاضافة الى ذلك فان ٢٢ مؤسسة مصرفية من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق أهدافنا المشتركة.

وفضلا عن هذا فان تنوع عمليات البنوك المساهمة في المجموعة وانتشارها الجغرافي على الصعيدين المحلي والدولي، يجعلنا في وضع متميز يتيح لنا النفاذ بيسر الى كافة أرجاء المعمورة.

وتقدم المجموعة للعملاء الخدمات المالية والمصرفية على نطاق بالغ الاتساع بفضل ما لديها من خبرات مهنية رفيعة المستوى تدعمها أحدث مبتكرات التكنولوجيا، ومن دراية لا تضاهى بالأوضاع المحلية.

اليوباف
ALUBAF
BANKING GROUP

البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونغ كونغ	يوباف انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد ، شركة اليوباف المالية المحدودة
لوكسمبورغ	يوباف البنك العربي الألماني وفرع في فرانكفورت
نيويورك	البنك العربي الأمريكي ، يوباف وفرع في جزر الكيمان
باريس	البنك المتحد للمصارف العربية والفرنسية (يوباف)
	فروع في البحرين، سيول، سنغافورة، طوكيو
روما	يوباف البنك العربي الإيطالي ومكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

١٩٤

أول نوفمبر ١٩٨٥

ما ثمن المجد ؟

تأليف : ماكسويل أندرسون

ترجمة وتقديم : محمد الحديدي

مراجعة : د. طه محمود طه .

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

نوفمبر ١٩٨٥م

تغيير العالم

تأليف : د. أنور عبد الملك

الكتاب الخامس والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

عالم الفكر

تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

مجلة
خاصة
المثقفين
فى الوطن العربي

■ فصلية تعنى بنشر
الدراسات والبحوث الجادة فى مختلف فروع المعرفة

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

مستشار التحرير
دكتور أحمد أبو زيد

****

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصليّة أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات فى
مختلف حقول العلوم الإجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب

□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات:
١٢ ديناراً فى الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً فى الخارج

للأفراد:
٣ دينار فى الكويت، دينار للطلاب
٣,٥ دينار أوربا بما رطماقى الوطن العربي.
١٥ دولاراً أمريكياً فى الخارج

الموزع فى الكويت والخارج:
مجلة العلوم الإجتماعية

■ توجه جميع المراسلات الى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب ٥٤٨٦ صفاة، الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ - مباشر، ٢٥٤٠١٨٨ / ٣٧٣ / ٢٥٠ تلكس ٢٢٦١٦ كويت

المجلة العربية للعلوم الانسانية

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير

د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير

آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

العنوان: ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت

هاتف: ٨٣١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣

تلكس: ٢٢٦١٦ KUNIVER

* *

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ تصل أعدادها الى أيدي نحو ٢٠٠,٠٠٠ قارئ

مجلة علمية محكمة

يحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية بأقلام نخبة من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون، وتقوم المجلة أيضا بإصدار مجموعة من الكتب العلمية المتصلة بالمنطقة، مع كتاب سنوي يضم أبرز الوثائق والتقارير المتعلقة بشئون المنطقة خلال تلك السنة.

الاشتراكات

ثمن العدد: ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج.

الاشتراك للأفراد: سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية: سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي).

العنوان: جامعة الكويت - الشويخ ص.ب ١٧٠٧٣ هاتف ٨١٦٧٩٩-٨١٦٨٠٢-٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

VHS
V-57TR
• نظام ثلاثي
(PAL/SECAM/NTSC 4.43 MHz)

الاختيار الصحيح

تكنولوجيا Toshiba المتقدمة تعطيك صورة أكبر بمقدار ٢ انش وخالية من التشويش بفضل تلفزيون (FS) CORE TV ذات الشاشة المربعة والمسطحة. كما يمكنك الاختيار ما بين نظام فيديو BETA أو VHS .

V-53TR • نظام ثلاثي (PAL/SECAM/NTSC 4.43 MHz)

V-51D • نظام ثنائي (PAL/SECAM)

V-M42TL • نظام NTSC

V-M41TL • نظام NTSC

28" CORE FS 289X4M	21" CORE FS 219X3M	19" CORE FS 199X4M	15" CORE FS 159X4MR/S

TOSHIBA
TOKYO, JAPAN

صَبَاحَ الخَيْر!

نسكافه

نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

2960

ربيع الأول ١٤٠٦ هـ - ديسمبر ، كانون الأول ، ١٩٨٥
العربي
الفنّ الشعبي
في جمهوريات بحر البلطيق
مع العدد العربي الصغير

شاشة تنال إعجابك
الشاشة المربّعة المسطّحة من سانيو.
حين يعرض هذا الطير ألوانه، لن يفوتك أي من مباهج التلفزيون
الجديد الملون الهاي - فاي CMX 2100STR (٢١ إنشاً) من سانيو.
إن الشاشة المربعة المسطحة تمكنك من المشاهدة الكاملة حتى
الزوايا. وظيفة البحث الإلكتروني وذاكرة كمبيوتر توفّران
وضوحاً إضافياً وألواناً طبيعية مثالية. إستعمال ١٦ نظاماً و
مكبرات صوت ستريو هاي - فاي تفي بكل متطلباتك للفيديو.
إنه ركيزة نظامك الكامل السمعي المرئي، الآن وفي المستقبل، من سانيو
سانيو SANYO

العدد ٣٢٥ السنة التاسعة والعشرون ديسمبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. : 325 Dec 1985 P. O. Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨-٢٤٦٨٢٤٢-٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: NITB 44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

١٥ يناير

موعدك مع كتاب العربي

هل هي مصادفة ان يأتي كتابنا العاشر من سلسلة كتب العربي حاملا تجربة الكويت الانسانية والتنموية وهي تحتفل بمرور ربع قرن على استقلالها الحديث ؟

ليس بالضرورة أن يكون ذلك مصادفة بحتة ، فالكويت منذ ذلك الزمن - أي زمن الاستقلال - اخذت على عاتقها أن تقدم ، بجانب الانجازات الداخلية المهمة التي بناها الانسان الكويتي العربي على هذه البقعة العربية من الأرض ، تجربة ثقافية رائدة ايضا .

واحدى نتائج هذا التفاعل واللقاء هو إصدارنا هذا الكتاب الذي نقدمه للقارىء العربي ، كي يطلع على عمق هذه التجربة وإصالتها .

عزيزي القارئ

عندما يكون هذا العدد من مجلة العربي بين يديك . . نكون قد أصدرنا عددين من العربي الصغير ، العدد الذى يوزع كالعادة هدية للقارىء مع المجلة ، والعدد التمهيدى « الصفر » من العربي الصغير التى ستصدر مستقلة عن العربي . . وتخاطب الفتيان والفتيات العرب من سن السادسة حتى الرابعة عشرة .

وقد تم توزيع العدد التمهيدى « الصفر رقم ١ » على عدد من المهتمين والمختصين بشئون الكتابة للفتيان والفتيات فى الوطن العربي بهدف التعرف على وجهة نظرهم فى هذا العمل ، والافادة منها فى الوصول بهذا الانجاز الى آفاقه المرجوة .

وفى الوقت ذاته بدأ العمل فى العدد التمهيدى الصفر « رقم ٢ » . وربما ليس هذا هو الوقت الذى يمكن أن نتحدث فيه عن الجهود التى بذلت وتبذل وراء هذا العمل ، ولا عن الطموحات والأهداف المرجوة ، ولكن ما نود ان نؤكد عليه فى هذه المرحلة ، هو أن مثل هذه الجهود والتطلعات لن تبلغ غاياتها الا حين تتحاور مع تطلعات وجهود القراء والكتاب والمهتمين بثقافة الطفل فى الوطن العربي ، وذلك بعد صدور مجلة « العربي الصغير » في شكلها النهائى المستقل ، والذى نأمل ان يكون فى شهر فبراير القادم مواكبا لمناسبة مهمة في تاريخ الكويت هى العيد الوطنى الخامس والعشرون لاستقلال الكويت .

اننا نخطط الآن لاصدار العربي الصغير مجلة مستقلة وشهرية . . ونتطلع فى ضوء التجربة الى أن نتمكن من اصدارها اسبوعية مستقبلا ، توسيعا لنطاق الخدمات الثقافية التى بدأتها العربي منذ ما يزيد على ربع قرن من الزمان .

لقد كانت مجلة « العربي » هدية الكويت للثقافة العربية عشية استقلالها . . وها هى تتحول مع نمو التجربة الى مؤسسة لخدمة الثقافة العربية من خلال :

مجلة العربي ، وكتاب العربي الذى أصبح له قراؤه كما أصبحت لـه شخصيته ، والعربي الصغير الذى نأمل ان يسهم فى تأصيل الثقافة العربية ، لدى الفتيان والفتيات فى الوطن العربي ، وأن يصحبهم فى رحلة البحث عن الجديد والمفيد فى الثقافة الانسانية المعاصرة .

المحرر

محتويات العدد

■ حديث الشهر : الأبيض والاسود بين القهر والفقر في جنوب أفريقيا .

ـ د. محمد الرميحي ٨

■ هل التصنيع الحربي وسيلة لتحرير القرار السياسي ؟ ـ أمين هويدي ١٧

■ الفكر الاسلامي والأغلال الاختيارية .

ـ د. عبد العزيز كامل ٢٥

■ لا تحبيني غداً (قصيدة) .

ـ شوقي بغدادي ٣٠

■ هل الآثار لمن يصونها ؟

ـ د. علي شلش ٣٢

■ الدبلوماسية الاعلامية ذات الوجهين .

ـ حمدي قنديل ٣٨

■ « سيناي صفى » ويهود الدونمة .

ـ د. جعفر هادي حسن ٤٢

■ قطرة الزهراوي .. كيف أصبحت آخر صيحة في الطب ؟

ـ د. سامي عزيز ٥٠

■ المغنيزيوم .. هل هو من متطلبات العصر ؟ ـ د. صلاح بركات ... ٥٨

■ الروائح (قصة) .

ـ خليل قنديل ٨٨

■ ترجمة الصور بين الفضاء والأرض .

ـ طاهر سكر القيسي ٩٢

■ العبور نرق جبل طارق مرة أخرى ـ محمد التهامي ١٠٨

■ كل الفنون في مهرجان جرش .

ـ وليد أبو بكر ١٣٢

■ أشعة ليزر في عالم العيون .

ـ د. سري سبع العيش ١٤٢

■ قصة مدينة : « يافا » مدينة الجمال والكفاح ـ د. عز الدين اسماعيل غربية ١٤٩

■ الشمس خلف تجاعيد الأفق (قصيدة) .

ـ عبد الستار سليم ١٤٨

الفن الشعبي كجزء من تراث الامم يمكن أن يتحول الى وسيلة مقاومة كما حدث في جمهوريات بحر البلطيق ـ اقرأ الاستطلاع ص٦٨

■ الفهرس العام لسنة ١٩٨٥ .

ـ اعداد صلاح صادق ١٨٥

استطلاعات ومقابلات

■ الفن الشعبي عندما يقاوم .. في جمهوريات بحر البلطيق .

ـ سليمان الشيخ ٦٨

■ وجهاً لوجه :

ـ د. اسماعيل صبري عبد الله ـ نجاح عمر ٩٧

أبواب العربي

■ عزيزي القارىء ٥

■ أقوال ٢٤

■ أرقام : للكبار فقط !

ـ محمود المراغي ٤٨

■ البيان في أسباب نزول القرآن .
ـ حسين أحمد أمين ٥٦

● منتدى العربي :

■ لماذا مجلة جديدة للأطفال العرب ؟
ـ عبد التواب يوسف ٦١
■ مرة أخرى حول الموسيقا بين الوهم والحقيقة .
ـ د. نبيل سليم علي ٦٥
■ حكايات شرق وغرب ١٠٤
■ قاموس العربي : العالم الثالث .. ١١٢
■ الجديد في الطب والعلم :
اعداد يوسف الزعبلاوي ١١٤
■ مخترعون ومكتشفون .. ليوناردو دافنشي ١١٧
■ سلامة البشرية في سلامة البيئة .. ١١٩

● من مكتبة العربي :

■ كتاب الشهر : همة الهمام في نشر الاسلام . د. محمد موفاكو ١٢١
■ من المكتبة العربية : الأبعاد الاستراتيجية للتنمية الثقافية في الوطن العربي .
رشيد خشانة ١٢٧
■ مكتبة العربي : مختارات ١٣٠
■ استراحة العربي ١٥٥

● جمال العربية :

■ صفحة لغة : إعراب المنقوص .
ـ محمد خليفة التونسي ١٧٢
■ صفحة شعر : من شمائل السيادة العربية ١٧٤
■ مسابقة العربي الثقافية ١٧٦
■ حل مسابقة العدد (٣٢٢) ١٧٨
■ الشطرنج (معركة بلا سلاح) .. ١٨٠
■ حوار القراء ١٨٢

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ وصفات الرجيم بين الحقيقة والخيال .
ـ د. ابراهيم أبوطاحون . ١٥٨

■ مساحة ود : كي تنمو ألف زهرة .
ـ محمود عبد الوهاب ١٦٣

■ هو .. هي ١٦٤

■ من الحياة : أم الشهيد !
ـ منير نصيف ١٦٦

■ طبيب الأسرة . ـ د. حسن فريد أبوغزالة ١٦٩

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

الأبيض والأسود

بين القهر والفقر في جنوب أفريقيا

- قف .. أنت أسود .. وليس مكانك بيننا !
- التاريخ يؤكد : النهاية تكون دائماً لصالح الشعوب
- تاريخ طويل من النضال دفاعاً عن حقوق الرجل الأسود
- أسرار وظواهر «المقاومة التخريبية» ضد الحكم العنصري !
- مانديلا "الأسطورة" أقدم سجين سياسي في العالم.

من بين الشرور الانسانية الكثيرة التي لا تزال تحيط بعنق الانسانية المعاصرة ، تلك القبضة المسعورة للتفرقة العنصرية ، وعلى الرغم من أن المبادىء الانسانية قد تجاوزت هذا الشر في بعض مناطق المعمورة ، الا أن مساوىء ممارساته اللاانسانية تتراوح بين المجاهرة والتستر في مناطق متعددة من عالمنا اليوم .

ولعل أبرز أشكال التفرقة العنصرية اللاانسانية هو الاستيطان بالقوة عن طريق اذلال الشعب صاحب الارض بواسطة قلة قليلة من المستوطنين ، سواء كانوا مستوطنين تحت اسم الدين والديانة كما هو في فلسطين العربية ، أو باسم العرق الأبيض كما هو في جمهورية جنوب افريقيا .

والشبه بين الممارستين لا تخطؤه عين ، كما أن الاشمئزاز والاحتقار الانساني لمثل هذه الممارسات يجب ألا يجزأ . فاحتقار الانسان وتشريده ، ووضع القوانين المقيدة لحرياته ، وحرمانه من حقوقه الاساسية كمواطن وكانسان .. كل ذلك في حقيقته وجوهره شيء واحد مهما اختلفت أشكال التطبيق .. ومهما تخفت الممارسة تحت أقنعة متباينة .

والعالم - معظم العالم - يقف اليوم ليُدين مثل تلك الممارسات العنصرية ، ولكن مصالح بعض الدول الكبرى تميل إلى التخفيف من صور البشاعة المتمثلة في تلك التفرقة - أو حتى إخفائها - لاسباب استراتيجية أو اقتصادية .

واذا كنا نحن العرب قد عرفنا وخبرنا مواقف كثيرة من ذلك النوع مثل موقف الولايات المتحدة من حقوقنا العربية في فلسطين وهي مواقف معادية ، فلننظر الى موقفها من حقوق الاغلبية السوداء في دول الجنوب الافريقي بعامة .

لقد وقع في يدي وأنا أبحث في الموضوع كتاب نشر في أواسط السبعينيات ، كان في الاصل مذكرة سرية تحمل رقم ٣٩ قدمت لمجلس الأمن القومي ، كان قد أعدها هنرى كيسنجر مهندس السياسة الخارجية الامريكية إبان فترة مهمة هي الستينيات والسبعينيات من هذا القرن ، هذه المذكرة التي قدمت لمجلس الامن القومي كتبت عام ١٩٦٩ كي تشرح الخيارات المختلفة أمام السياسة الامريكية تجاه أقطار افريقيا الجنوبية ، وهي أقطار كان بعضها في ذلك الوقت يناضل من اجل الخلاص من قبضة الرجل الأبيض الاستعمارية .

وعندما نشرت المذكرة السرية في وسط السبعينيات - بعد أخذ ورد - أثارت ضجة كبيرة ، ومرد هذه الضجة هو موقف الولايات المتحدة الاساسي من حكم الأقلية البيضاء في جمهورية جنوب افريقيا .

فعلى الرغم من المبادىء المعلنة ضد مبدأ التفرقة العنصرية ، ورغم الاشارة الى حساسية الموضوع بالنسبة للمواطنين السود الامريكان ، الا ان القاعدة التي تبنى عليها السياسات - وهي دعم « الاقلية الحضارية البيضاء » - لا زالت هي نفس القاعدة ، حتى بعد التغييرات الكبيرة في الجنوب الافريقي ، خاصة في الدول المحيطة بجمهورية جنوب إفريقيا ، التي يسميها الافارقة « دول المواجهة » - لاحظ التشبيه بما لدينا نحن العرب - وهي انغولا وبوتسوانا وناميبيا في الشمال والغرب ، وزمبابوي وموزمبيق في الشمال والشرق .

بيت القصيد أن السياسة الامريكية تجاه ما يحدث في جنوب افريقيا - برغم كل الضجة الاعلامية - تقوم على قاعدة « المشاورة بدلا من المواجهة » وهذا هو ما يحدث حتى اليوم .

جنـوب افـريقـيـا

☐ لا يكاد يمر يوم - ومنذ فترة طويلة حتى الآن - دون أن تنقل لنا وكالات الانباء المذاعة والمصورة الاحداث العنصرية المروعة والصدامات بين القوة البيضاء الحاكمة في جمهورية جنوب افريقيا ، وبين الاغلبية السوداء المحرومة من حقوقها ومن وطنها . ولقد كانت الاستراتيجية الاقليمية والدولية التي بنت عليها جمهورية جنوب افريقيا سياساتها تتلخص في أن الوضع الداخلي سوف يبقى مستتبا للاقلية البيضاء ما دامت قادرة على وضع الاغلبية السوداء تحت طائلة القوانين الجائرة من جهة ، والفقر المدقع من جهة أخرى ، وفي نفس الوقت تستطيع أن تمد ذراعها الى الدول السوداء المحيطة - إن هي غامرت بنجدة الافريقيين في الداخل - لتأديبها إما بالقوة العسكرية التقليدية ، أو حتى بالقوة غير التقليدية ، الامر الذي اعتقد الحكام

البيض بعده أنهم قد وضعوا تلك الدول المحيطة كرهينة لهم ضد أي تحرك ، وهو وضع يكاد يتكرر بحذافيره في منطقتنا العربية . . اذا ما قارنا اسرائيل بجمهورية جنوب افريقيا !

الامر على كل حال لم يستتب للعنصريين البيض ، فقد سادت الاضطرابات ، التي يقوم السود والملونون خلالها بفتح صدورهم لرصاص الرجل الابيض دفاعا عن حريتهم الى حد قال معه احد المحررين الغربيين أخيرا وهو يكتب لجريدته : (لقد قضيت وقتا طويلا في جنوب افريقيا ، ولكنني لم اشهد عنفا وحقدا مثل هذا الذي شهدته في الشهور القليلة الماضية ، السود يقتلون الهنود ، والهنود ضد السود والبيض ، والبيض بدورهم يقتلون الجميع ، ولا احد يعرف على وجه اليقين كيف ستكون النهاية) .

واذا كان هذا التقرير الصحفي بالذات لا يعرف كيف ستأتي النهاية ، الا أن التاريخ يقول لنا ان النهاية دائما تأتي لصالح الشعوب

ان معركة الصراع العنصري المقيت التي تجري في جنوب افريقيا هي أحد المواقع الاخيرة في العالم التي يحارب فيها الاستعمار الاستيطاني . وفي تلك البقعة من الارض اختلطت المصالح الاقتصادية الاستعمارية بالمواقف العنصرية / الدينية وتواصلت منذ اكثر من قرن من الزمان كي تصل في يومنا هذا بعد صراع طويل الى فصلها الاخير وجذورها المتراكمة .

المقارنة بين ما يحدث من استعمار استيطاني في الوطن العربي وبين ما يحدث في جنوب افريقيا ، ليست مقارنة عاطفية ، كما أنها ليست المقارنة الوحيدة . فبجانب الاستيطان الغريب عن الارض والشعب ما زالت هناك تفاعلات نفسية من بقايا الحملات الصليبية القديمة . . . .

ولكن قبل أن نتعجل دعونا نقرأ القصة من البداية .

استعمار .. ولكن طويل

☐ جنوب افريقيا هو بلد افريقي قلبا وقالبا ، تاريخيا وجغرافيا وعرقيا ، وتاريخ نكبتها الطويل مرتبط بتاريخ الحركة الاستعمارية الغربية ، والتي استهدفت ضمن ما استهدفته نهب الثروات من بلاد المشرق . وكان القرنان السادس عشر والسابع عشر الميلادي قد شهدا الصراع بين الدول الأوربية الاستعمارية بعضها مع البعض الآخر . ولم يكن الصراع لاسباب قومية ودينية مذهبيه فحسب ، ولكن أيضا لاسباب استعمارية هي اقتسام المستعمرات خارج القارة الاوروبية .

وكان اكتشاف أقصى الجنوب الافريقي ورأس الرجاء الصالح كممر للوصول الى الهند والشرق ، قد فتح لهذه الشعوب الاوربية طريقا لم يجعلهم فقط بمنأى عن ديار المسلمين ، ولكن مهد لهم أيضا محاصرة هذه الديار من الجنوب ، ولعل التاريخ يؤكد لنا هذا التوجه الاخير عندما نعلم أن البيض اليوم في جنوب افريقيا يطلقون على السود ـ استهزاء بهم ـ لفظ « الكافرز » وهو لفظ محرف من كلمة عربية هي « الكفار » ـ يطلقونها عليهم بوصفها شتما مقذعا .

على كل حال أصبحت مدينة الكاب فيما دون الطرف الجنوبي الغربي لجنوب

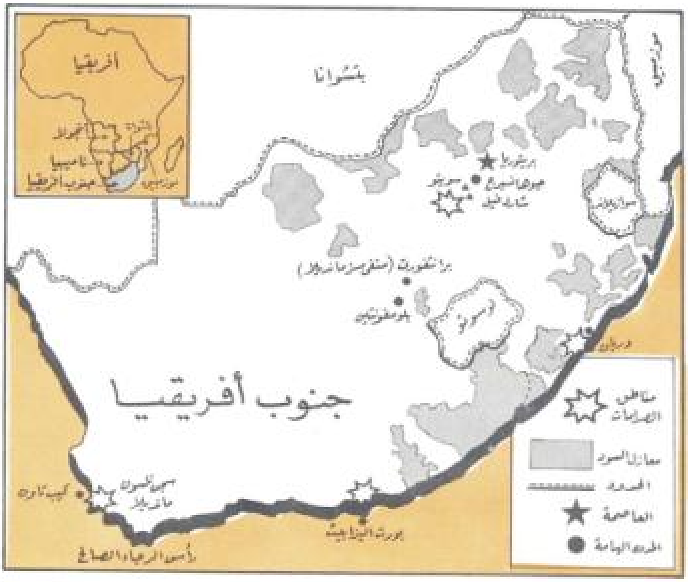

افريقيا هي الاستراحة الاولى التي أنشأها طلائع الهولنديين في منتصف القرن السابع عشر .

وكانت هي المنطقة التي استقبلت أولى دفعات المستوطنين الغربيين الذين مالبثوا ان تدفقوا ليس من هولندا فقط ، ولكن من ألمانيا وبعض دول اوربا الغربية ، وكان هؤلاء المستوطنون قد هاجروا الى الارض الجديدة نتيجة للاضطهاد الديني الذي واجهه البروتستنت من الكاثوليك ، ومنذ ذلك الوقت ظهر في اللغة لفظ (البوير) وهي تعني باللغة الهولندية (المزارعين) ، وأصبح (البوير) هم المواطنين الجدد على حساب أصحاب الارض الاصليين ، ومع تكاثرهم وتشبثهم بالعقيدة البروتستنتينية ومع الرخاء الذي أتاحته لهم الارض الجديدة الخصبة ، ورغبة في عزل أنفسهم عن الافريقيين ، تكوّن لدى (البوير) شعور بأنهم شعب الله المختار ، الامر الذي يذكرنا من جديد بالفكرة الصهيونية .

ومع مرور الوقت أصبح هؤلاء المهاجرين سادة لاصحاب الارض الحقيقيين ، فأسسوا المزارع الكبيرة لتربية الماشية والرعي .

وهذا النوع من النشاط الاقتصادي يحتاج الى أيد عاملة رخيصة وقريبة من الاسترقاق ، وهو يتمثل في الأفارقة شبه البدائيين في نظرهم ، لذلك لجأوا الى تسخير هؤلاء للعمل في المزارع ، ولم يكتف البيض بهذه اليد العاملة الرخيصة ، بل جلبوا بالاضافة الى ذلك أرقاء آخرين من مناطق أخرى واستباحوهم الى درجة معاشرة نسائهم دون ضوابط . ومع مرور الزمن ظهرت نتيجة لهذه العلاقة جماعة أخرى هي « الملونون » ، والغريب أن هذه الجماعة تسمى في جنوب افريقيا

(بالجريكاي) وهي أقرب في المعنى إلى أولاد الحرام ! وينظر اليهم البيض نظرتهم إلى السود والاسيويين سواء بسواء ، كما اتاح البريطانيون بعد ذلك لمجموعات كبيرة من الهنود فرص السكن والعمل في جنوب افريقيا لمساعدة الآلة الاستعمارية البريطانية على ادارة الارض الجديدة .

القبائل الأفريقية وحرب البوير

□ لقد كان للحروب والتنافس بين القوى الاوروبية أثرها في التوسع الاستعماري . ولان القوة البريطانية كانت هي القوة الصاعدة خلال القرن التاسع عشر ، وهي سيدة البحار فقد اتسعت شهيتها لابتلاع جنوب إفريقيا ، وعلى الرغم من أن مؤتمر برلين (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) قد نظم تقسيم النفوذ الاوروبي في القارة الافريقية بين الدول المتنافسة ، إلا أن الربع الاخير من القرن التاسع عشر قد شهد تفوقا دبلوماسيا وعسكريا بريطانيا ، واصبح التسابق على السيطرة على أرض الجنوب الافريقي بين كل من البرتغال وألمانيا وبريطانيا هو الاكثر حدة ، وكانت الاخيرة هي الأوفر حظا في جنوب إفريقيا ، الامر الذي لم يكن سهلا ، فقد قاوم السكان البيض (البوير) النفوذ البريطاني الجديد . . مما نتج عنه نشوب حرب ضروس بين القوات البريطانية وبين البوير ، عرفت في التاريخ « بحرب البوير » . ولم تكن هذه الحروب سهلة ، فقد قاسى منها البريطانيون كما قاسى منها ايضا « الافريكانر » او البوير ، ودفعت القبائل الافريقية نتيجة هذا الصراع ثمنا باهظا خاصة قبائل الزولو التي تصدت للمستعمرين البيض بمختلف جنسياتهم . وعندما اضطر البوير إلى النزوح شمالا وشرقا تحت ضغط التقدم البريطاني اصطدموا بسبب هذا النزوح بالقبائل الافريقية التي دفعت دما غزيرا ثمنا لهذا الزحف العدواني على أراضيهم .

وفي النهاية تغلبت المصالح الدائمة والطويلة الأمد على الصراع بين البيض (البريطانيين والأفريكانر) فتوصلوا الى تسوية تاريخية ملفتة للنظر ، حيث قبل البوير (الأفريكانر) الارتباط بالتاج البريطاني ، في نفس الوقت الذي قبل فيه البريطانيون بالحفاظ على هوية (الأفريكانر) حيث تبقى لغتهم هي اللغة الرسمية للبلاد مع احتفاظهم باستقلال كنائسهم ، والأغرب من ذلك ، أن يقيموا نظاماً سياسياً دستورياً برلمانياً يقتصر على البيض فقط ، وتبقى الجماهير السوداء والملونة خارج هذا النظام . يحدث هذا في الوقت الذي كان البريطانيون قد حرّموا فيه منذ وقت ليس بالقصير أشكالاً من العبودية في مستعمراتهم الأخرى ! وتشكل على أثر ذلك ما عرف في وقت لاحق باتحاد جنوب أفريقيا ، والذي أصبح فيما بعد عضواً في الكمنولث البريطاني .

استمر هذا الاتحاد ـ تحت سيطرة الرجل الأبيض ـ يعمل لتعميق ما عرف لاحقاً بسياسة التفرقة العنصرية (الابارتيد) والتي كانت جذورها تمتد تعمقاً في القرنين الثامن والتاسع عشر حتى برزت فروعها وبسطت أوراقها بعد الحرب العالمية الأولى .

الأبارتيد

☐ **APartheid** أو **hood** ـ والكلمة تتكون من مقطعين : الأول بمعنى الإبعاد أو العزل ، أما المقطع الثاني فلا يعني أكثر من تأكيد واقع الإبعاد أو العزل ، هذه الكلمة تعني السياسة البغيضة التي اتخذتها حكومة جنوب أفريقيا دستوراً ضد المواطنين السود والملونين . وهي السياسة التي يتبناها حزب الأفريكانز الذي اسسه جيمس هيرتزوج الهولندي الأصل ، والذي أصبح رئيساً للوزراء منذ عام ١٩٢٤ وحتى عام ١٩٣٩ . ومما يذكره لنا التاريخ أن هرتزوج هذا قد استطاع وهو رئيس للوزراء أن يقوم بدور رئيس ومؤثر في دفع حكومة بريطانيا لاصدار وعد بلفور المشؤوم .

ولعل (الابارتيد) كسياسة قد بذرت بذورها مباشرة بعد الانتصار البريطاني على (البوير) . فقد ظهرت اقلية ترفض هذا الواقع وأسست جمعية الاخوان الأفريكانز (برويدربوند) في سنة ١٩١٨ وهي جمعية بدأت سرية ثم أصبحت علنية فيما بعد . وتنظيمها فاشي ، ويشترط لمن يحمل عضويتها ان يكون ذكراً أبيض ، يدين بالبروتستنتينية الكالفانية (نسبة الى كالفن) ولا يقل عمره عن خمس وعشرين سنة ، وأن يكون شديد الايمان بأن (أرض جنوب أفريقيا هي الوطن الأم والأوحد للأمة) . ولقد انتشرت عضوية هذه الجمعية حتى قدر لها أن يصل عدد الأعضاء في أواخر السبعينات إلى اثني عشر الف عضو ملتزم .

ولقد أبدت هذه الجمعية نشاطاً مميزاً في إيصال الحزب القومي الأفريقي « أفريكانز ناشيونالست » الى السلطة في عام ١٩٤٨ ، وهو الحزب الذي أخذ على عاتقه منذ ذلك الوقت تقنين (الأبارتيد) فأصدر القوانين والتشريعات التي تجمع الجماعات السود في مناطق سكنية منعزلة خارج مدن البيض ، كما اطلق عليهم تسمية « البانتون » بدلاً من « الكافرز » كاصطلاح مخفف يعني السود والملونين . كما شرّع الحزب بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٠ قوانين الفصل العنصري في استخدام الأماكن العامة مثل الحدائق والسكك الحديدية وفي السكن والمدارس ودورات المياه العامة وفي أماكن العمل حتى أصبح لكل شركة أو مصنع أربعة أبواب للدخول مخصصة للأجناس المختلفة ، فهناك باب للبيض وباب للسود وباب للهنود وباب للملونين ، وبالتالي أربعة مصاعد وأربع دورات مياه وأربعة مطاعم وأربعة أماكن لخلع الملابس . . . . الخ .

لقد أصبحت سياسة (الأبارتيد) تعني في نظر الحكومة البيضاء (التطور المستقل للاعراق) . ولقد حرمت هذه القوانين حتى مجرد الاختلاط بين البيض والسود والهنود الى درجة أنها أباحت لرجال الشرطة تسليط أضواء مصابيحهم الكشافة عبر النوافذ في المساكن التي يشتبهون فيها لضبط ما إذا كان هناك ذكر وأنثى ، بينهما اختلاف لوني يمارسون علاقات حميمة ! ! والتحريم هنا على الاختلاط العرقي وليس الشرعي أو الاخلاقي .

مجموعة هذه القوانين جعلت أصواتاً كثيرة في العالم ترتفع بالتنديد بهذه السياسات ، خاصة وأن اتحاد جنوب أفريقيا عضو في الكومنولث ولحكومتها علاقات اقتصادية واستراتيجية واسعة مع الغرب ، ولم يكن بد بعد هذا الضغط

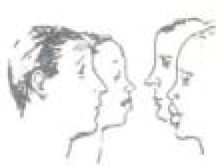

المعنوي إلا أن تتلمس الأطراف المختلفة حلاً مناسباً لها ، بأن تنسحب حكومة اتحاد جنوب أفريقيا من الكومنولث وتعلن الاستقلال تحت اسم « جمهورية جنوب أفريقيا المستقلة » ، وهكذا كان في سنة ١٩٦١ . وكان لهذه الخطوة ميزتان أساسيتان من وجهة نظر الأقلية البيضاء ومناصريها في الغرب : الأولى تخفيف الضغط المعنوي على ممارسات الأقلية البيضاء على أساس أن جمهورية الاتحاد دولة مستقلة لا يحق لأحد التدخل في شؤونها الداخلية ! والخطوة الثانية هي تقنين أكثر لسياسات العزل العنصري دون ضغط أو حرج خارجي .

وخلال الستينات وبداية السبعينات شهدت جنوب أفريقيا سلسلة من قوانين العزل ، بدأت باعطاء بعض المناطق الأفريقية استقلالاً ذاتياً وتنصيب حكام مصطنعين لهذه الكيانات تحت سيطرة الحكومة المركزية (انظر الخريطة) وذلك من أجل تحويل جنوب أفريقيا الى اتحاد كونفدرالي تكون السيطرة فيه للبيض ، أو حشد بعض السكان السود في مناطق معزولة « تونشب » مع تجريدهم من جنسية جنوب أفريقيا ، حتى لا يصبح لهم حق المواطنة ، ومن الجانب الآخر إصدار سلسلة من القوانين التي تؤكد العزل وتحميه .

بداية التغيير

□ لايسع أى متابع منصف أن يزعم أن المواطنين السود والملونين والاسيويين قد قبلوا دون مقاومة قوانين الرجل الابيض فى جنوب إفريقيا ، فقد غرست بذرة المقاومة هناك منذ فترة طويلة ، وتأسس المؤتمر الوطنى الافريقى فى سنة ١٩١٢ من أجل الدفاع عن حقوق الرجل الاسود ، وهو تنظيم سياسى لازال يعمل حتى اليوم ، وهذا يعني أن هناك رصيدا ضخما من النضال ، إلا أن مجموعة من العوامل جعلت هذا النضال يتأجج ويأخذ الشكل الذى نعرفه اليوم ، ولعل من بين تلك العوامل ماطرا بعد الحرب العالمية الثانية على حركة الشعوب الافريقية القريبة من جنوب افريقيا ، حيث اندحر الاستعمار الابيض هناك من بلد بعد بلد ، ونالت تلك الاقطار حريتها مما جعلها أكثر قدرة على معاونة الحركة الداخلية الوطنية فى جنوب افريقيا ، وتزامن ذلك كله مع قدر من التعليم ، خاصة التعليم الكنسي للافارقة السود إذ ما لبثت كنيستهم أن استقلت وبرزت من بينهم مجموعة من رجال الدين المسيحي السود المقاومين للتفرقة العنصرية ، ومن أشهرهم دزموند توتو الحائز على جائزة نوبل للسلام .

ومن هنا يجب التوقف قليلا للاشارة الى التعاطف « الديني » بين بعض المطالبين بحريات أكبر للسود فى جنوب افريقيا من الغربيين ، وبين « الحركة التبشيرية » فى جنوب إفريقيا .

ومن المفارقات الملفتة للنظر أن تبدأ حركة العصيان ضد هيمنة البيض فى جنوب إفريقيا المعتمدة على الشعب الافريقى نفسه ، فى الوقت الذى نجحت فيه جنوب افريقيا كدولة فى فرض التطبيع على دول المواجهة الافريقية المحيطة بها ، بل ووقعت بعضها نتيجة للضغط العسكرى والسياسى والاقتصادى معاهدات عدم تدخل لاتقاء شر البيض وشراستهم العسكرية .

زينزي ابنة مانديلا . . صيحة من أجل الحرية

ديزموند توتو . . نضال مستمر

في هذا الوقت بالذات تلتهب جنوب افريقيا ، وتجبر السلطة البيضاء على التنازل عن بعض القوانين الشكلية ، أو مايسمى « بالابارتيد الأصغر » التى تمنع الزواج بين مختلف الاعراق او الاختلاط فى السكن أو حمل المصابين منهم فى عربة اسعاف واحدة . بالاضافة الى منح السود بعض المسئوليات الادارية من خلال اقامة مجالس بلدية ، أو من خلال تعديل الدستور بحيث أصبح البرلمان يتضمن الى جانب مجلس النواب من البيض مجلسين آخرين واحد للسود من ثمانين عضوا ، وآخر للاسيويين (الهنود) من أربعين عضوا ، على أن وظيفة المجلسين استشارية فقط ، وقد ادركت الاغلبية محدودية هذه الاصلاحات وقاطعت الانتخابات التى أجريت سنة ١٩٨٤ .

ولازال الاصلاح الجذرى (للابارتيد الكبير) بعيدا عن ذهن الاقلية البيضاء الحاكمة ، ولقد أدى الاعتراف المنقوص بحقوق الاغلبية الى ردة فعل عكسية ، فقد رأت الاغلبية أن هذا الاعتراف يحمل فى طياته بذور التغير الحقيقى وإمكانيته ، لهذا انتشرت اعمال المقاومة التى ملأت أبصار العالم وسمعه ولازلنا نسمع عنها حتى اليوم .

وعلى الرغم من النبرات الحادة فى الصحافة الغربية ضد الممارسات العنصرية واللاانسانية فى جنوب افريقيا ، فلا زالت الخطوات العملية الخارجية لحمل البيض هناك على تحسن الواقع قليلة وموسمية ، كما أن زعماء السود مثل نلسون مانديلا ، والذى أصبح اسطورة الكفاح الوطنى ضد البيض بعد أن مر على اعتقاله حوالى ربع قرن من الزمان رغم عمره المتقدم نسبيا (٦٦ سنة) ، ومثل اوليفر تامبو رئيس المؤتمر الوطنى الافريقى فى المنفى فى (لوزاكا) عاصمة زامبيا ، ومثل آخرين من القيادات الوطنية ، هؤلاء لايتوقعون ـ فى ظل التوازنات الداخلية وفى ظل ضراوة الآلة القمعية التى يملكها الرجل الابيض ـ ان يوم الخلاص قريب ، فالطريق مازال محفوفا بالمخاطر والنضال الطويل ، ولكنهم يهدفون الى إقامة قاعدة الاغلبية خلال عشر السنوات القادمة ، ووسائلهم فى ذلك متعددة منها الدعوة الشعبية عن طريق الجبهة الديمقراطية الموحدة والتى تعد الجناح السياسى للمؤتمر

الوطنى ، ومنها اشعال التوتر بما فى ذلك اللجوء الى المقاومة التخريبية فى المدن البيضاء من أجل أن تصبح « جنوب افريقيا بلدا يتعذر حكمه » .

مانديلا.. أعظم أسلحة المقاومة

□ ولكن أعظم سلاح لحزب المؤتمر هو نلسون مانديلا نفسه ، أقدم سجين سياسي فى العالم ، وفى شعب معروف عنه تشبثه بالرموز ، فقد أصبح الافراج عن نلسون منديلا خبز المقاومة وماءها في جنوب افريقيا . ونلسون مانديلا ـ الاسطورة ـ هو وحده الذى يستطيع أن يقنع الافريقيين بقبول اية اصلاحات يقتنع بها ، فقط على أن تكون حقيقية .

وشروط مانديلا قليلة وواضحة ، فعندما قابله أحد الصحفيين الغربيين فى سجنه أخيرا حدد مطالبه :

أ ـ وحدة جنوب افريقيا كاملة ورفض تام (لـلاوطان) المصطنعة داخل التراب الجنوبى الافريقى . (الدويلات المستقلة) .

ب ـ تمثيل كامل للشعب فى البرلمان المركزى وليس عضوية محدودة فى مجالس عنصرية خاصة للملونين والافارقة .

ج ـ مساواة تامة فى الحقوق الدستورية وحق التصويت لكل مواطن أيا كان لونه .

واذا تذكرنا أن عدد سكان جنوب افريقيا يبلغ حوالى ثلاثين مليون نسمة بينهم مالايزيد عن خمسة ملايين من البيض يتدرجون ضمن شرائح وفئات وأديان وثقافات مختلفة ، وقد توحدوا فقط ضد مطالب أهل البلاد السود ، إذا تذكرنا ذلك فإننا نستطيع أن نتصور ماذا يمكن أن يحل بهم فى حالة تصعيد الكفاح الافريقي .

إن انتصار الافارقة فى جنوب افريقيا وامتلاكهم ناصية الحكم فى بلدهم يعنى لنا نحن العرب شيئا كثيرا . فبجانب الانتصار الانسانى والاخلاقى ، يجب أن نتذكر أن هناك طائفة يهودية كبيرة نسبيا فى جنوب افريقيا ، ساعدت وتساعد الاستعمار الاستيطانى فى فلسطين ، وفى عام ١٩٤٨ كانت مساهمتها المالية هى الثانية من حيث الحجم بعد مساهمة اليهود الامريكيين ، ولكنها لو قيست بحجم السكان اليهود لتبين أنها تفوق بثلاثة أضعاف جهد الامريكيين فى جمع المال ، ومن المعروف أن هجرة اليهود من جنوب إفريقيا إلى اسرائيل قليلة نسبيا ، ومن أشهر من هاجر منهم « ابا ايبان » الذى كان وزيرا للخارجية الاسرائيلية فى وقت ما ، إلا أن المساهمة الاقتصادية والسياسية من جنوب إفريقيا ومن اليهود الصهاينة فيها كثيفة ومتعددة ، ولقد أسهمت جنوب إفريقيا فى إقامة سلاح الطيران الاسرائيلي كما أن شركة « العال » الحالية هى وليدة لشركة (يونفرسال ايرويز) التى أسسها يهود من جنوب افريقيا ، أما المساعدات المالية الاستثنائية الى اسرائيل من جنوب افريقيا والعلاقة الخاصة فى البحث العلمى فقد أفردت لها مؤلفات كثيرة ، ولايرقى إلى الشك اليوم حقيقة هذا التعاون فى تجارة الماس والتعاون العسكرى والعلمى .

من هنا يأتى فهمنا لحقيقة الصراع فى جنوب إفريقيا فهما صحيحا مواكبة مضيئة لفهمنا طبيعة الصراع ضد الاستعمار الاستيطانى فى كل مكان من العالم . . وخاصة في فلسطين العربية .

محمد الرميحي

هل التصنيع الحربي وسيلة لتحرير القرار السياسي ؟

بقلم : امين هويدي

الحرب اداة من ادوات السياسة ، وأدوات الحرب هي السلاح الذي شهد تطورا هائلا في تصنيعه واحتكارا في مصادره ، وتجارة السلاح ليست كأي تجارة تخضع لقوانين الربح فقط ، ولكنها تخضع لاعتبارات أخرى : لمن هذا السلاح وضد من سيستخدم ؟ وكثير من الاعتبارات التي تمثل في النهاية قيدا على الادارة السياسية » .

ان تحرك السلع الحربية في السوق العالمية يصدر من الدول المركزية الى الدول الهامشية في ظل قوانين تنظيم حركة نقل السلعة وسرعتها واتجاهها سواء من ناحية الكم أو الكيف ، إذ ان السلع المتداولة في هذه السوق سلع استراتيجية يتم عن طريقها « التلاعب » في موازين القوى سواء على الصعيد العالمي أو الصعيد الاقليمي ، وكما نعرف فإن العمود الفقري للسياسات العالمية أو الاقليمية هو « توازن القوى » ، ومن ينسون أو يتناسون هذه القاعدة الذهبية وهم يسيرون في غابة السياسة العالمية سوف يجدون انفسهم دائما « كالأيتام على مأدبة اللئام » .

وتفاديا للقيود الثقيلة التي تفرضها عملية « نقل السلاح من المنبع الى المصب تلجأ بعض الدول الصناعية أو النامية الى تصنيع السلاح ظنا منها ان هذا الاتجاه يقلل الى حد كبير من القيود المفروضة على التعامل في « السوق » فبدلا من ان تكون دولة « مشترية أو مستوردة » تصبح دولة « بائعة أو مصدرة » والأهم من ذلك تصبح دولة ذات اكتفاء ذاتي في سلع استراتيجية على جانب كبير جدا من الخطورة .

وتتراوح محاولات هذه الدول المنتجة من تصنيع « التكنولوجيا البسيطة مثل الذخائر والاسلحة الصغيرة ، الى « التكنولوجيا المتوسطة » مثل الهاونات

وتدريع العربات وانتاج القنابل ، الى « التكنولوجيا العالمية » مثل انتاج الطائرة والدبابة والصاروخ .

تساؤلات

ويمكن اجمال الدوافع لهذا الاتجاه في الآتي :-

١ - تحرير القرار السياسي من الضغوط الخارجية بالتقليل من تأثير القوانين المتحكمة في انتقال السلاح باستيراد التكنولوجيا اللازمة لتصنيعه والاستغناء عن استيراد السلاح المصنوع .

٢ - اختلاف شكل الصراعات الاقليمية وتطورها وتصاعدها فقد ازداد حجم القوات المشتركة في القتال ، ففي الحرب العالمية الثانية كان لدى الفرنسيين ٢٠٠٠ دبابة في خط « ماجينو » وقام الالمان بهجومهم الى الغرب بواسطة ٣٠٠٠ دبابة ، وفي العلمين كان لدى مونتجمري ١٠٣٠ دبابة وكان لدى روميل ٦٠٠ دبابة ، ولكن في حرب اكتوبر ١٩٧٣ هاجمنا العدو بوساطة ٥٥٠٠ دبابة ، وقد استخدم المصريون في الجبهة الجنوبية ضعف ما استخدمه مونتجمري في العلمين واستخدم السوريون نفس عدد الدبابات الالمانية التي هاجموا بها جيوش الحلفاء وطاردوهم حتى دنكرك .

إضافة إلى ان الخسائر الجسيمة في الارواح والمعدات طوال الاسابيع الثلاثة التي استغرقها القتال في حرب رمضان،وصل معدل الخسائر الى تدمير اكثر من دبابة كل ١٥ دقيقة ، وأكثر من طائرة كل ساعة ، واستخدم اكثر من ٢٠٠٠ مدفع في عملية التمهيد للهجوم بمعدل ١٧٥ قذيفه في الثانية اي ١٠٥٠٠ قذيفة كل دقيقة .

٣ - وهناك حوافز اقتصادية منها تقليل تكلفة الوحدة الانتاجية اذ هناك فارق في سعر الاستيراد عن الانتاج ، وموازنة ميزان المدفوعات بتصدير السلاح المنتج الى الاسواق الخارجية للحصول على العملة الصعبة التي تستخدم بدورها في البحوث والتطورات وزيادة الانتاج .

مأزق التصنيع الارتجالي

٤ - زيادة حجم العمالة بالتصنيع المحلي ، وزيادة المستوى التكنولوجي في الصناعات عموما ، ولكن هناك صعوبات عديدة تعترض هذا الاتجاه الذي يظن البعض انه يجعل تصنيع السلاح موازنا للضغوط التي تؤثر في شرائه :-

١ - ان اتجاه أي دولة لحل مشاكلها الاقتصادية بما فيها العمالة عن طريق الانتاج الحربي هو اتجاه خاطىء، يقود الى « الكنزية العسكرية » باعتناق مذهب زيادة الطلب عن طريق زيادة الانفاق في شئون الدفاع ، علاوة على ان حل المشاكل الاقتصادية لا يحتاج فقط الى اجراءات اقتصادية ولكنه في المرتبة الاولى يحتاج الى قرارات سياسية .

٢ - ان نقل التكنولوجيا أشد خطرا على تآكل الارادة السياسية في نقل الاسلحة وينقل الدول من استقلالية القرار الى الاعتماد المتبادل الى الاعتماد الكامل على غيرها لأن مراحل التصنيع في الدول النامية تمر بالمراحل الآتية :-

أ - مرحلة تجميع المعدات والاجزاء المستوردة ويحتاج الامر فيها الى خبراء مدربين وتسهيلات اخرى .

ب - مرحلة انتاج بعض الاجزاء بتراخيص ، أي الجمع بين تصنيع بعض الاجزاء واستيراد اجزاء اخرى ، وفي الغالب تباع بعض الاجزاء المصنعة للدولة التي ينتقل منها التكنولوجيا .

ج - انتاج بعض الانظمة الكاملة وشراء مصانع كاملة من الدولة المصدرة ويحتاج الامر الى زيادة الخبرة الاجنبية والى تمويل خارجي .

د - يصبح في مقدور الدولة المنتجه ادخال بعض التعديلات لتحسين النظم المستوردة ولكن هذا يحتاج الى انفاق ضخم في البحوث والتطورات .

هـ - انتاج انظمة كاملة هي في الحقيقة صورة طبق الاصل من الانظمة المستوردة ، وهذه الأنظمة معرضة دائما للتغير بأحسن منها في دولة المنبع .

اذن فالوصول الى مرحلة الاكتفاء الذاتي هو وهم ، إذ تظل الدولة معتمدة على غيرها في استيراد التكنولوجيا وهذا اخطر لأن الاستيراد حينئذ سيؤثر على كل القاعدة الاقتصادية للدولة ، علاوة على ان الاكتفاء الذاتي شيء نسبي يقاس بما يملكه الطرف الآخر من اسلحة ومعدات ، وهي انواع متطورة غير ثابته لتعدد المنابع ، ولأن ما هو محرم إعطاؤه اليوم قد يسمح باعطائه في الغد .

٣ ـ ان القول بأن التصنيع المحلي لمعدات الدفاع يقلل من حجم استيراد معدات الدفاع هو قول معكوس . فاذا اخذنا « اسرائيل » مثلا نجد ان نفقات الدفاع في ارتفاع مستمر وان استيراد الاسلحة في ارتفاع مستمر وان معدل الانفاق الحربي بالنسبة للدخل مرتفع الى ٤٣,٣٪ في حين انه ٥,٥٪ في فرنسا ، ٣,٨٪ في المانيا الغربية ١,١٪ في اليابان ، ٦,١ في بريطانيا ٨,٣٪ في الولايات المتحدة .

٤ ـ ثم هناك قاعدة عامة في الانتاج وهي انه كلما كان خط الانتاج اطول كان ثمن الوحدة الانتاجية ارخص . بمعنى انه لا بد من التصدير وفتح الأسواق ، والتصدير الى الخارج يخضع للمنافسة الشديدة مما جعل « اسرائيل » تقترح على الولايات المتحدة ما يعرف بمذكرة يعقوب ميريدور وزير الدولة في حكومة مناحيم بيجن التي كتبها اولا في « هاارتيز في اغسطس ـ آب ١٩٨٠ . . والتي اصبحت فيما بعد قاعدة لمذكرة التفاهم المتبادل ، ثم قاعدة للاتفاق الاستيراتيجي بين البلدين اذ قال ما نصه « سوف نقول لامريكا لا تنافسونا في تايوان ولا في جنوب افريقيا ولا في الكاريبي او في اي مكان آخر يمكننا فيه بيع أسلحتنا مباشرة وحيث لا يمكنكم اللعب فيه على المكشوف ، أعطونا الفرصة لنقوم بذلك وضعوا ثقتكم فينا ونحن نبيع الأسلحة والذخائر ، مكنوا اسرائيل لتعمل كعميل لكم ولتحافظ على مصلحتكم بالوكالة » .

٥ ـ ويواجه التصدير ايضا صعوبات كثيرة اهمها تراجع السوق في الثمانينات اذ تراجعت واردات الاسلحة للعالم الثالث من ٤٦,٨ مليون دولة عام ١٩٨٢ الى ٢٤,٧ مليون دوله عام ١٩٨٣ اي بنسبة ٤٧٪ ، وبالرغم من ان هناك بعض المؤشرات لاحتمال تحسن الموقف عام ٨٤ الا ان التراجع سوف يظل قائما ويرجع بعض الباحثين اسباب ذلك الى الآتي :ـ

أ ـ انهيار الاقتصاد العالمي وبتزايد مديونية دول العالم الثالث تراجع سوق السلاح .

ب ـ مشكلة القدرة على الاستيعاب لنقل اطقم التشغيل والطيارين .

جـ ـ درجة التشبع التي وصلت اليها بعض الدول .

د ـ زيادة الرغبة في مواجهة الحقيقة امام التكنولوجيا الحديثة فقد اكتشفت كثير من الدول ان مجرد استيراد التكنولوجيا الحديثة . لا يضيف شيئا الى القوة الحقيقة اذ يحتاج الامر الى التفوق في الفكر الاستيراتيجي والتطبيق التكتيكي .

وقد يقول البعض ان هذا الوضع يساعد على نحو ما يعرف « بالطبقة الثانية في سوق السلاح وهي الدول التي تنتج الأسلحة بمستوى اقل مثل « اسرائيل » والبرازيل وكوريا الجنوبية ، ولكن المشكلة التي تتخلف عن سوء الاحوال الاقتصادية تتمثل في عدم توافر المال اللازم للشراء ، وتعذر الحصول على القروض ، ووضع شروط ثقيلة بوساطة الدول المقرضة على كيفية انفاق القروض والتسهلات الممنوحة للدول المقترضة .

وكما نرى فإن كان سوق السلاح سياسة في ناحية المعدات والاسلحة والذخائر فانه سياسة ثقيلة من ناحية نقل التكنولوجيا التي تحتاجها دول « الطبقة الثانية » اذا اتجهت الى تصنيع السلاح .

ولعلنا لمسنا حتى الآن مدى حساسية السلاح المنقول او المصنع بالنسبة للدول الهامشية ، تلك الحساسية تكمن في انه سواء كان السلاح مستوردا او مصنعا فانه يشكل العامل الرئيسي في تحقيق توازن القوى ، الامر الذي يعتبر القلب النابض لادارة عملية الصراع .

إدارة التوازن

العامل الفعال لتحقيق التوازن هو وجود السلاح ، صحيح لا يعد هذا الوجود حلا لمشكلة التفوق اذا لم تتوفر معه الكفاءة الاستراتيجية والتكتيكية لرفع القدرة على استخدامه استخداما سليما ، ولكن توافر السلاح يحمل في طياته الجانب السياسي اذ سواء تم ذلك عن طريق استيراد السلاح أو عن طريق استيراد تكنولوجيا تصنيع السلاح فإن هذه العملية بالذات تغلب القيد السياسي على العامل التجاري ، إذ ان الصراعات الاقليمية اصبحت المجال الاهم لادارة الصراع على المستوى العالمي .

وحينما تدير القوتان العظميان الصراع العالمي فان حركتها داخل هذا الاطار تتضمن ادارة الصراعات

الاقليمية بهدف الاستقطاب لتحقيق التوازن الى جانبها في احدى مناطق العالم ، ووسيلة ذلك هي الامداد بالسلاح أو بتكنولوجيا تصنيعه ، وعلى ذلك فإن الصراع الاقليمي ـ في جزء كبير منه ، هو صراع بالوكالة تنقل فيه الاسلحة بقدر ما يراد لها ان تحققه :

ولنضرب لذلك مثلا بما دار خلال زيارة الرئيس عبد الناصر الى موسكو في ١٩٧٠/١/٢٢ حينما كان يدير الصراع عقب النكسة عام ١٩٦٧ . استمرت الزيارة حتى ١٩٧٠/١/٢٥ اذ لم يكن الرئيس مطمئنا الى سير برنامج الامداد من دولة المنبع وهي الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت ، وكان عبد الناصر منفعلا في اثناء اجراء المباحثات وهدد بترك الحكم الى زميل له هو السيد زكريا محيي الدين الذي يمكنه التفاهم مع الولايات المتحدة وامكن للرئيس ان ينتزع من القيادة السوفيتية الموافقة على الامدادات الآتية :ـ

٣٢ كتيبة صواريخ سام ٣ بأطقمها السوفيتية أي فرقة دفاع جوي كاملة :ـ

٨٥ طائرة ميج ٢٠ معدله

٥٠ طائرة سوخوي .

٥٠ موتور جديد لطائرات الميج ٢١ لتطوير الطائرة الميج ٢١ .

١٠ طائرات ميج ٢١ تدريب .

٤ أجهزة رادار بـ ١٥ للعمل ضد الطيران المنخفض .

ثم عاد وسافر مرة اخرى الى موسكو في ١٩٧٠/٦/٢٩ الى ١٩٧٠/٧/١٧ للمطالبة بأدوات للحرب الالكترونية ولامدادنا بطائرات ت ـ بو ١٦ اس التي تضرب اغراضها من على مسافة ١٥٠ كم لتعمل في السلاح الرادع ، ووافق الاتحاد السوفيتي على الامداد ولكن في اطار الآتي :ـ

أ ـ من المصلحة ـ مع اخذ قوانين الصراع الدولي في الاعتبار ـ الا تتركز الطائرات في مصر وتبقى مركزة في الاتحاد السوفيتي .

ب ـ ترسل الى مصر في ظرف ٦ ساعات من طلبها .

جـ ـ اعداد مطاري اسوان ووادي سيدنا لاستقبال لواء جوي قاذفات ثقيلة مكون من ١٠ طائرات تي بو ١٦ اس .

د ـ اتفق على كيفية ادارة عملياتها وتحديد الاهداف التي ستضرب داخل « اسرائيل » .

وكان السبب في ذلك هو ان الولايات المتحدة كانت ـ اذا تركزت الطائرات في مصر ستمد اسرائيل بالصاروخ « لانس » طويل المدى وهو صاروخ ارض ـ أرض للعمل ضد صواريخنا في القناة .

وفعلا حينما علمت الولايات المتحدة بالاتفاق زودت « اسرائيل » فورا بالصواريخ لانس ذات المدى الذي يزيد عن ٢٠٠ كيلومتر بعيدا عن الغرض .

توضيحات

وبذلك فان الاجابة عن السؤال الذي أثرناه في أول الحديث تنحصر في الآتي :

١ ـ ان ما يجري في سوق السلاح من بيع وشراء ، من دفع بمجرد التسلم أو بالأجل ، من تسديد فاتورة الحساب من المال الخاص أو عن طريق الاقتراض ، عملية سياسية أكثر منها تجارية .

٢ ـ ان محاولة الالتفاف حول القوانين التي تنظم عملية نقل السلاح من المنبع الى المصب عن طريق التصنيع الحربي يخضع القرار السياسي للدولة الى قيود نقل التكنولوجيا وهي أشد خطرا وتأثيرا من نقل السلاح .

٣ ـ ان الاكتفاء الذاتي من أدوات الدفاع هو مجرد وهم لا يمكن أن يتحقق .

ويبقى سؤال حاسم : كيف يمكننا أن نجعل سوق السلاح « تجارة » أكثر منه سياسة ؟ وبمعنى آخر كيف يمكننا أن نجعل السلاح طوع ارادة مستخدمة لا أداة في يد صانعه ؟

والسؤال صعب عويص من السهل التحدث فيه « على الورق » وعلى بعد من التعامل الحقيقي مع العوامل المتصارعة في السوق الرهيب . ولكن هناك حقيقة واقعة لا جدال فيها ، فانه بالنسبة للمنبع القادر على الامداد بأحجام كبيرة لا يوجد الا منبعان : الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، ولكن يخفف من هذا الاحتكار دخول دول أخرى الى سوق الانتاج مثل بريطانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا وسويسرا والسويد ، وكلها لديها سلع ممتازة علاوة على أنها أميل للاساس التجاري من الاساس السياسي في التعامل ، وهذه الدول تدخل في منافسات بين بعضها والبعض الآخر ، وبينها وبين

المنبعين الاساسيين لا يهمها في ذلك الا تحقيق المكسب التجاري ، وهناك حافز آخر لعملية تعدد المصادر في هذه السوق وهو التقدم التكنولوجي الذي يدفع الى خطوط الانتاج في المصانع كل يوم بالجديد من أنواع الأسلحة والذخائر التي تجعل المخزون قديما يجب التخلص منه ، ليحل محله الافضل .

هذا من ناحية المصدر ، ولنطرح سؤالا آخر أشد حساسية وهو : هل من الأصلح للدول العربية أن تنوع مصادر السلاح ، وعلى أي مستوى ؟ وقبل أن نجيب عن السؤال هناك عدة حقائق بالنسبة للبلاد العربية تضعها أسواق السلاح العالمية موضع اعتبار :

١ ـ فهي سوق مهمة لم تحسم مشاكلها بعد ، بل هي في ازدياد سواء باستمرار الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، أو بالصراع العربي ـ العربي ، أو بالصراعات المحلية .

٢ ـ وانها سوق ذات قوة شرائية ضخمة تكدس فيها رؤوس الأموال .

٣ ـ وان كانت سوق السلاح بطبيعتها سوقا ذات قوة ضاغطة في يد البائع فان السوق العربي قوة ضاغطة على البائع اذ يتوافر لها رأس المال الجاهز والطاقة التي تحرك المصانع للانتاج ، فان كنا نعتمد على غيرنا في التسلح فعلينا أن نتذكر أنه يعتمد علينا في الحياة .

٤ ـ ان البائع في حاجة الى تصريف سلعه ، حتى تستمر عجلة الانتاج ، وفي حاجة الى تحقيق تكلفة الوحدة الانتاجيةلاستهلاكه الشخصي عن طريق البيع بأثمان تحقق ذلك ، وهو أيضا في حاجة الى اختبار معداته في أرض المعركة بدماء غير دماء أبنائه . ونحن لانفون لكل ذلك .

وبعد هذه الحقائق فاننا نعرض مزايا الاعتماد على مصدر واحد :

١ ـ سهولة استيعاب الاسلحة بوساطة عدد كبير من الافراد .

٢ ـ سهولة صيانة المعدات عن طريق توحيد التخزين والصيانة .

٣ ـ سهولة الامداد في أثناء المعركة .

٤ ـ سهولة التعامل على المستوى القومي في مواجهة الاخطار المشتركة .

ولكن العيب الرئيسي ان الدولة أو مجموعة الدول المشترية سوف تكون تحت رحمة الدولة البائعة .

وعيوب الاعتماد على المصادر المتعددة هي نفس مزايا الاعتماد على المصدر الواحد ، ولكن من أهم مزاياه :

١ ـ تعدد الارتباطات مع دول متعددة المصالح .

٢ ـ التقليل من الضغط المحتمل خصوصا وقت الازمات .

٣ ـ تنوع مصادر التكنولوجيا بتعدد مصادر التسلح .

٤ ـ توافر المعدات اللازمة لشئون الدفاع في وقت أقصر .

نحو تصور استراتيجي عربي

اذن فتعدد المصادر أفضل من الناحية السياسية والاستراتيجية من عيوبه الفنية ، وعلى ذلك فإن الاستراتيجية المثلى للبلاد العربية هي المزج بين الطريقتين على المستوى القومي وليس على المستوى المحلي اذا تمكنا من التغلب على حالة التفتت الحالية ، أما اذا استمرت هذه الحالة المؤسفة فلا بد لكل دولة من توزيع مصادر شراء سلاحها كسبا للظروف السياسية كما سبق القول ، بالرغم من المحاذير الكثيرة في اتباع هذا الحل ، ولكن للضرورة أحكامها .

وسؤال آخر نجازف بالاجابة عنه : هل يمكن للدول العربية أن تكتفي ذاتيا بانتاج احتياجاتها عن طريق التصنيع الحربي ؟ وهو سؤال خطير إجابته لازمة ونحن نجتاز أسواق السلاح العالمية بمنحنياتها ومنعطفاتها ، ولكن لا بد أن تطرح الحقائق الآتية قبل الاجابة عن هذا السؤال :

١ ـ فالتطور التكنولوجي في مجال تصنيع معدات الدفاع يقفز بقفزات واسعة في فترات قصيرة ويقتحم مجالات في غاية التعقيد في الالكترونيات والاشعة والعدسات .

٢ ـ ترتب على ذلك أن كثيرا من الأنظمة الدفاعية تتعرض للالغاء ، حتى قبل دفعها الى خطوط الانتاج حينما يمتلك الجانب الآخر أنظمة أكثر تطورا .

٣ ـ تضخم ميزانيات نفقات الدفاع سواء عن طريق البحوث والتطورات أو الانتاج أو الاستيراد أو

التخزين والصيانة والاصلاح .

٤ ـ يحتاج الانتاج الحربي الى عدة متطلبات مهمة :

أ ـ قاعدة صناعية ضخمة .

ب ـ قاعدة تكنولوجية متقدمة ، سواء من ناحية الأبحاث أو العمالة .

جـ ـ أسواق داخلية وخارجية تعتمد على تحقيق الوحدة الانتاجية .

ان توافر قاعدة صناعية معقولة يزيد من القدرة على تصنيع الأجزاء خصوصا الرئيسية منها بدلا من استيرادها من المنابع فتنقلب الصناعة الى مجرد تجميع لا يعالج مشكلة الضغوط التي يتعرض لها القرار السياسي .

وتوافر القاعدة التكنولوجية الى حد معقول لا يخضع القرار السياسي لضغوط أخطر من نقل السلاح نفسه . وكلما تطلعت الدولة الى انتاج تكنولوجيا أكثر تطورا دون توافر القاعدة التكنولوجية الذاتية تآكلت حريتها السياسية ، فالحد التكنولوجي الذي لا يجوز تجاوزه يجب تحديده بدقة ، والا كان تجاوزه بمثابة الاندفاع في طريق ملىء بالحفر والمحاذير .

ودون توافر الرغبة المحلية في استخدام المعدات المنتجة ودون انفتاح الأسواق الخارجية فان الانتاج بأحجام واعداد محددة تبعا لذلك يزيد من النفقات زيادة قد تصبح في حد ذاتها قيدا ثقيلا ، لما سببته من خلل اقتصادي يدفع الدولة الى الاقتراض ونخرج من ذلك بالاستنتاجات الآتية :

١ ـ ان الأمل في تحقيق الاكتفاء الذاتي الذي يطوف في مخيلتنا بين وقت وآخر ، لانتاج الأسلحة ذات التكنولوجيا العالية أو حتى المتوسطة هو أمل طموح قد يستغرق عشرات السنين من العمل الصامت .

٢ ـ ان تحقيق الاكتفاء الذاتي في الانتاج التكنولوجي العادي ممكن، اذ كلما تناسب الغرض مع الامكانات المتاحة تميز أسلوب العمل بالواقعية .

٣ ـ ان الاسبقية سوف تبقى ولعشرات السنين لاستكمال النقص في تسليحنا بالاستيراد من الاسواق الخارجية ، وعلينا أن نبني سياستنا على هذا الاساس .

وهذا يضعنا أمام خيار صعب ولكنه واقعي ، وعلينا أن نبحث ليل نهار في مواجهة هذا الموقف ، مع العمل على أن يكون السلاح تجارة أكثر منه سياسة ، وفي هذا المجال يمكن أن نضع أفكارا عامة كل فكرة منها تحتاج الى بحث مستقل ، وكلها تدور حول ضمان استمرار تدفق السلاح والمعدات الحديثة من مواردها المختلفة في كل الأوقات .

● توزيع الادوار العربية بين الاسواق العالمية فالسلاح لا يميز بين الشرقي والغربي .

● المبادلة العادلة بين النقد والنفط للدول المستوردة ، والنقد والسلع الحربية للدول المصدرة .

● استيراد المصانع جنبا الى جنب مع المعدات ، واستيراد ورش الاصلاح في خط متواز مع استيراد الاسلحة .

● التوسع في توفير العمالة الفنية على مستوياتها المختلفة ، وتشجيع البحث لتطوير المعدات المستوردة لتحقيق أكبر فائدة منها بالنسبة لاستخدامنا لها .

هنا يكون العائد الفعلي من الانفاق على تحقيق الامن القومي عائدا اقتصاديا ، ليس مهما ضخامة الانفاق في حد ذاته فالأهم من ذلك هو مقدار العائد في هذا الانفاق .

ولا بد عند الانفاق في سوق السلاح أن نلحظ الآتي :

١ ـ السعي لكسب معركة التوازن بيننا وبين العدو في ناحيتي الكم والكيف .

٢ ـ السعي لتحقيق التوازن في أفرع القوات المسلحة المختلفة .

٣ ـ تحقيق خفة الحركة الشاملة في البحر والجو والارض ، والتفوق في قوة النيران .

٤ ـ تحقيق المفاجأة في النوع والاستخدام .

٥ ـ لا يتحقق النصر أبدا بتوافر السلاح الصالح أو التقنية العالية ، ولكنه يتحقق بالمهارة في الاستخدام على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي والاقدام على استخدام السلاح دون تردد اذا دعت الحاجة الى ذلك ، فردع العدوان الصغير يمنع حدوث العدوان الكبير .

وبذلك تتوافر لنا أسلحة صالحة تحقق الأمن القومي ، فالدولة ـ أي دولة ـ تحتاج الى قوانين صالحة ، وفي نفس الوقت تحتاج الى أسلحة فعالة كما قال « نيقولا ميكيافيلي » من مئات السنين . □

اقـرأ في العـدد القـادم من العربي

عدد يناير الممتاز

وجهًا لوجهٍ مع :

محمد حسنين هيكل

وحوار حول : الصّحفي .. والسّلطة .. والحريّة

مؤتمر دولي للمسيحيين الصهاينة أيضًا !	بعد ربع قرن : المستشار مؤتمن !	الإسلام والتعدد الحضاري المعاصر
يوسف الحسن	د. عبدالوهاب جوهر	د. عبدالعزيز كامل

نيبال : سَقف العالمْ .. ومجمع المعابد والأساطير

استطلاع مصور : سليمان مظهر

واقرأ : ☐ تلوث البيئة .. خطر جديد / د. أسامة الخولي

☐ تحولات ابن خلدون / د. حسن فتح الباب

☐ صيدا .. قصّة مدينة ومخيم / استطلاع سليمان الشيخ

مع الأبواب العلمية واللغويّة والطبيّة والقصّة والشعر

نتيجة مسابقة القصّة القصيرة

واقرأ أيضًا للكتاب :

د. محمد الرميحي - د. عفيف بهنسي - د. غسان حناحت - رؤوف وصفي

د. محمد المنسي قنديل - د. عبد الرؤوف ثابت - محسن علاء الدين - سهيل أيوب

اقوال

- ان عالمنا اصبح فيه العلم قوة والقوة علما ، واذا تخلفنا عن ركبي العلم والقوة اصبحنا معزولين عن بناء الحياة وان كنا من الشاهدين .

جابر الاحمد/ في افتتاح مجلس الامة الكويتي

- ان المدرسة الحقيقية الراهنة للأدب التركي اليوم هي السجن !

ياشار كمال روائي تركي

- مشكلة الشاعر الحديث الأولى والأخيرة انه شاعر تعددت قضاياه وصارت أكبر من كلمته وأكبر من مدى صوته .

د . عبد العزيز المقالح

استاذ وشاعر يمني

- ان ملذات الحياة ومكتسباتها لاتعطي الفرح والاستقرار .

هيرمان هيسة شاعر الماني

جابر الأحمد

د . عبد العزيز المقالح

مع هذا العدد من " العربي "

العدد الأخير من : هدية العربي الصغير

هدية عدد يناير " الممتاز "

لوحة بالالوان

" المعادن والأحجار الكريمة "

احجز نسختك من :

مجلة العربي الصغير " الجديدة "

للفتيان والفتيات العرب

تصدر في أول فبراير

تباع مستقلة

٦٤ صفحة بالألوان

الفكر الإسلامي والأعلام الاختيارية

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

الذي دعاني الى كتابة هذا الحديث مجموعة من البرامج التلفزيونية المتابعة ، شهدتها صباح يوم الأحد في باريس في ربيع ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

ففي هذا الموعد من كل أسبوع يخصص التلفزيون الفرنسي لكل دين أو مذهب ديني رئيسي وقتا محددا ، يعرض فيه أصحاب الدين جانبا من أنشطتهم . ومن طريقة استغلال الوقت ، تتبين مناهج متعددة في عرض الأديان والمذاهب .

وسأقف عند أربعة منها : الكاثوليكية ، البروتستانتية ، اليهودية ، الاسلام .

الكاثوليك

أبرز ما كان في الوقت المخصص لهم : أداء الصلاة . الاستماع الى التراتيل والموسيقا الدينية . عظة ألقاها مسئول ديني ، تناولت شرح نص من العهد الجديد ، وبيان أن الانسان المعاصر يستطيع أن يفيد من روح الدين وهو يقابل مشكلات الحياة .

كان الالقاء على درجة عالية من الوضوح والاتقان ، مع عناية بالغة باللغة : جمالا وبساطة عرض . وفي الكاتدرائية التي نقلت منها العظة الحية ، كان الحضور رجالا ونساء وأطفالا . وكان المشاركون في اقامة الشعائر من أعمار متتابعة : الفتيان في الاناشيد . كبار السن في الطقوس الكنسية الرئيسية ، كأن الكنيسة تعكس صورة المجتمع .

البروتستانت

واتجهت عناية البرنامج البروتستانتي الى زاوية أخرى : المشهد الفاتح مدخل « معهد الدراسات البروتستانتية » . وصورة باحث يدخل المكتبة . المراجع تغطي الحوائط . فهارس منظمة للكتب والوثائق المخطوطة والمصورة والخرائط . جو علمي هادىء يعين على البحث . أمينة المكتبة في خدمة الباحثين . ثم حوار بين أحد الباحثين ومعد البرنامج . .

ومن الحوار نرى عنايته بتاريخ البروتستانت في فرنسا . وله عناية محددة بموجات الهجرة من فرنسا الى دول أخرى بعد الاضطهادات الدينية التي لقوها من الكاثوليك ، وكيف تكونت الجاليات البروتستانتية في مهاجرها الجديدة ، وأصبحت عناصر فعالة في تلك المواطن ، وهي تحمل معها روح الصمود التي تخطت عقبات الاضطهادات، وكيف تجلت هذه الروح في حياتهم اليومية وابداعهم . .

اليهود

وجاء دور اليهود . .

محور الحلقة كتاب عنوانه « أطفال بوخن فالد » تأليف الكاتبة يوديت هامردنجر .

و « بوخن فالد » هو أحد المعتقلات النازية لليهود في أثناء الحرب العالمية الثانية .

والكتاب محاولة لحصر هؤلاء الأطفال « أطفال الاعتقال » . وقد تتبعت المؤلفة بقدر ما تستطيع هجرتهم بعد الحرب الى عالم لا يعرفونه . الاقطار التي ذهبوا أو حملوا اليها . الظروف التي عاشوا فيها . المدارس التي التحقوا بها . الكفاح الذي مر به كل منهم . المهن التي مارسوها . ومن هؤلاء تكون « اتحاد بوخن فالد » . وهدفه ايجاد ودعم الرباط بين هؤلاء على تباعد مواطنهم ، وذلك عن طريق التراسل والصداقات والتعاون وحفلات اللقاء . .

ولقد استضافت مقدمة البرامج بعض العلماء ورجال الدين اليهود ، فكان الحديث كله عن الطفولة وكفاح هؤلاء الأطفال . . . شباب اليوم ورجاله ، والتعاون مع يهود فرنسا . . وعرضت مقدمة البرنامج نماذج من أعضاء الاتحاد : منهم من أصبح مديرا مسئولا أو مهندسا الكترونيا أو ميكانيكيا . .

الاسلام

وجاء مقدم البرنامج ، وكان ضيف الحلقة مسئولا اسلاميا كبيرا . . ودار الحوار عن حقوق الانسان في الاسلام . سؤال من مقدم البرنامج . أجابة من الضيف . والاسئلة والاجابات تعتمد على « مصادر » الاسلام . أما الواقع الذي نعيشه فكان بعيدا .

وانتهى الحوار الذي يصلح لأن يقدم في أي مكان ، وفي أي قرن من القرون من صدر الاسلام حتى الآن .

صواب كله ؟ نعم . ولكن : أين الرباط الزماني والمكاني ؟ هذه هي القضية .

مقارنة وتحليل

انتهت البرامج . وجلست الى نفسي أفكر ، بعد أن سجلت ملاحظاتي على هذه البرامج في صبيحة ذلك اليوم .

وأبادر فأقول : ان الحكم على البرامج ـ في شمولها ـ من مشاهدة أسبوع واحد غير وارد . وانما هذا الحديث مقارنة بين برامج أربعة في يوم واحد من تلفزيون واحد . هي مجرد « شريحة » نحاول وضعها تحت الفحص . . أما الدراسة الشاملة فهذه لها مجال آخر ، وفريق عمل لا يقتصر على ما يذاع من التلفزيون الفرنسي ، وانما يتناول مناهج العرض في امتدادها المكاني ، وآفاقها الموضوعية ، ومدى اعتمادها على الصوت والصورة والحركة والتنوع ، ثم الأهداف المتوخاة منها .

ولنتناول هذه البرامج الاربعة بالترتيب الذي عرضناه به :

١ ـ أما الكاثوليك : ففي البرنامج ربط الدين بالحياة ، بحيث كان مشهد الشعائر صورة من الأسرة والمجتمع : رجالا ونساء وأطفالا . كأن الحاجز بين الدين والمجتمع قد تلاشى أو كاد . بدا هذا أيضا في العظة المختارة ، كما بدا في الربط بين الترتيل والموسيقا والحركة وتتابع الشعائر . . وتجمعها جميعا كلمة هي : النظام والتناسق . .

ومهما تكن مكونات البرنامج فانه كان من الحياة . . ومرتبطا بالحياة ، ويصب أخيرا في تيارها .

٢ ـ ان طبيعة الفكر البروتستانتي التي أشعل نارها « مارتن لوثر » (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦) عندما ثار على صكوك الغفران التي كانت تصدرها البابوية ، وتغفر بها ذنوب الأفراد مقابل مال تحصل عليه ، ثم امتدت الثورة فشملت جوانب أخرى وأساسية من الفكر والنظام الكاثوليكي ، هذه الطبيعة في أساسها متحررة ومناضلة .

ولقد كتب لوثر بعد زيارته روما ورؤيته مشاهد الترف هناك في حياة الكنيسة :

« انني أقول : لا البابا ، ولا أي قسيس ، أو أي رجل ـ مهما يكن وضعه ـ له الحق في أن يضع نصا يقيد رجلا مسيحيا ، ما لم يكن هذا الرجل راضيا به . وان أي شيء يخالف هذا ، فهو نابع من روح الاستبداد . انني أصرخ عاليا باسم الحرية والضمير ، وأعلن بكل ثقة ، أنه لا يمكن أن يفرض ـ بحق ـ أي نوع من القانون على المسيحيين ، الا اذا أرادوا هم أنفسهم ذلك . . ذلك لأننا أحرار من الجميع » . .

ولقد حاول البروتستانت عبر العصور المحافظة على « روح الكفاح » في شخصيتهم ، وربط هذا بالحياة اليومية ، والحرص على الجذور التاريخية لئلا تضيع في دروب القرون . ويحاولون تحقيق هذا بأسلوب علمي موضوعي ، يتجه أولا الى الايجابية في الحياة اليومية ، دون أن يكون هذا ـ في المراحل المعاصرة والمقبلة ـ مدعاة الى ايقاد نيران العصبيات التي أصاب شررها ولظاها كلا الفريقين .

٣ ـ أما البرنامج اليهودي فيحتاج الى وقفة أعمق :

لقد مس موضوع معتقلات النازي ما انسانيا ، والويل في عالمنا المعاصر لمن يحاول تحقيق المبالغات الخرافية التي أدخلها اليهود على هذه المعتقلات ، انها خطيئة « آدم الألماني » التي ينبغي على الألمان وعلى الدنيا معهم أن تكفر عنها وتدفع ثمنها .

لقد بالغ اليهود فيها أيما مبالغة . وذكروا أرقاما لا أساس لها من الصحة ، ولا يمكن أن تتناسب مع حجم اليهود في أوروبا التي وقعت تحت السيطرة النازية ، اذا أخرجنا منهم من استطاع الفرار أو لم تبلغه أيدي النازي .

ولقد حارب اليهود ـ في كل أجزاء العالم ـ وبخصوصا أوروبا وأمريكا ـ أي بحث منصف وموضوعي ـ في هذا الأمر . ومازالت الحرب مستمرة . . وقد ابتز اليهود ـ ونعني هنا اسرائيل ـ ابتزوا العالم . . وحاربوا الكتاب المنصفين في أرزاقهم وأوضاعهم الاجتماعية . وليس لعداوة الصهيونية حدود دون القاع الأسفل من هذه التصفيات !! ؟

على هامش هذه القضية كان الحديث عن أطفال أحد المعتقلات ، وماذا نقول في حديث عن الطفولة والسلام والكفاح في سبيل الحياة في وطن غريب أو جديد ؟ وما احساسك ورجل الدين والكاتب والمتحدث . . كأنهم جميعا حمائم وديعة لا تعرف الا العش الهادىء وتربية « أفراخ زغب الحواصل » خرجوا من المعتقل « لا ماء ولا شجر » ؟ !

٤ ـ أما صديقنا المسلم . فلم يكن معنا . وان كنا معه ، في رحلة عن مبادىء اتسعت لها المراجع ، وضاقت بها الحياة اليومية للمسلمين . وأين في أرضنا السلام وحقوق الانسان ؟

من التحليل الى البناء

أردت بهذا القول أن نتعاون على ايقاد مصباح ـ مجرد مصباح ـ على طريق يحتاج الى كثير من الأيدي والمصابيح .

ولنبدأ بالاعتراف بأننا نعاني الكثير من التخلف في طريق عرض الاسلام . واننا لا نفيد كثيرا من أساليب العصر ، ولا نتعامل مع مشكلاته بمنهج واضح المعالم والأهداف ، واكتفى أكثرنا بالحديث عن عموميات الاسلام فهي أيسر . وعن الجوانب النظرية فهي أسلم . وعن المناقب والمحاسن وهي الى النفس أقرب . وعن الأمجاد فهي رحلة الى الماضي تدع فيها بؤس الحاضر الى حين .

وبعض الذين أرادوا الاصلاح حملوا في أيديهم معاول الهدم لما هو قائم ، أو أسلحة الدفاع عن القديم . وبين المعاول والأسلحة وما تثيره من غبار وصليل غام الطريق . . وفي الغيم والضباب تحس نفسك وحيدا ، وان كنت من غيرك قريبا .

والآن : ماذا نريد حتى نحرر الاسلام من هذه الأغلال الاختيارية التي قيدناه بها ، وحصرنا أكثر

عرضه بين سؤال وجواب ، أكثرهما عن الماضي والجوانب النظرية ، دون أن تضع المشكلات أقدامها على أرض الواقع .. الا قليلا ؟

كثافة الحواجز

أول سلسلة من العقبات نلقاها - وهي من صنع أيدينا - هي كثافة الحواجز التي وضعتها الفرق والطوائف الاسلامية ، فيما بينها ، والتي وضعها المسلمون بينهم وبين العقائد الحية .

لقد اكتفى كل فريق بما عنده ، واعتبر حدود الأرض عند حدود المذهب أو الطائفة : باطنه أرض السلام ، وظاهره من قبله الصراع .

موقف لا يكاد يختلف - بل يكاد يتجسد - في أسلوب الحواجز الوهمية في مدن الصراع الطائفي . والأمثلة قريبة .

ولقد نشأت الأجيال المتتابعة على ذلك : تتوارث السلام والاسلام الداخلي،والصراع والعداوات الخارجية .

المذهب أو الطائفة هو الحصن ، ومن حوله أرض القتال . هو سفينة النجاة ، وما حولها من الطوائف موج وصخور وسفن أعداء . هكذا ينظر كل منهم الى غيره .

ولسنا وحدنا الذين نعاني من ذلك . لقد التهبت الحروب الطائفية المعاصرة في أكثر من دولة معظمها في العالم الثالث . ولم تبق الا جزائر محدودة منها في العالم المتقدم .

ولو رجعنا الى التاريخ قليلا لرأينا هذا ونظائره في الصراع بين الكاثوليكية والبروتستانتية في أوروبا :

- كمثال نذكر مذبحة سان بارثلميو (أغسطس ١٥٧٢) ، التي راح ضحيتها عشرون ألفا من القتلى البروتستانت في عهد الملك شارل التاسع ، وكيف لجأ البروتستانت الى الدفاع المسلح ، حتى استطاعوا في صلح نانت ١٥٩٨ تحقيق مستوى من التسامح الديني ، حصلوا به على حرية العقيدة والحقوق المدنية ، ثم ألغى لويس الرابع عشر هذا في مرسوم نانت ١٦٨٥ ، واعتبر الوجود البروتستانتي غير قانوني ، ولم يستعد البروتستانت في فرنسا حقوقهم الا في عهد نابليون .

تراجع هذا الصراع الديني الدموي ، وأصبح مجرد صفحات في بحوث تاريخية . وبقي نفر من الباحثين - كالنموذج الذي رأيناه في معهد الدراسات البروتستانتية في باريس - يدرس ، ليؤكد ايجابيات الشخصية البروتستانتية وآثارها في الحياة اليومية .

- والفاتيكان يبذل عناية متزايدة بالحوار المسكوني . وبسطت الكاثوليكية موائد البحث ، يلتقي حولها المختصون من أديان شتى ، وليزداد كل منهم معرفة بما عند الآخرين . ولهم في هذا المجال مطبوعاتهم الدورية ، والخاصة بموضوع ، أو أفق من آفاق البحث والحوار .

وتبدلت عندهم أساليب « الرعاية » و « الاتصال بالآخرين » أو « أصحاب العقائد الحية » .

وكل هذا احتاج الى اعادة نظر في مواصفات رجل الدين ومناهج اعداده ، واللغات التي ينبغي أن يلم بها ، والعلوم الأصيلة والحديثة التي يتزود بها . ودراسة المجتمعات والبيئات التي تؤهله الدوائر المختصة للعمل فيها .

- وكما ينطبق هذا على النشاط الكاثوليكي ، ينطبق على النشاط البروتستانتي الذي استطاعت كنائسه تنظيم جهودها على تنوع اتجاهاتها تحت مظلة « مجلس الكنائس العالمي » ومقره الرئيسي في جنيف بسويسرا .

وأمامي عند كتابة هذا الحديث العدد الثامن من مجلة « الحوار الجاري CURRENT DIALOGUE » الصادر في يونيو ١٩٨٥ عن ذلك المجلس ، وفيه أحدث أخبار حواره مع البوذية ، واليهودية ، وأفكار عن الحوار الاسلامي المسيحي في باكستان وأندونيسيا ، ومقال عن حوار العقائد المشترك الذي عقد في فندق سان جورج ، بوندسور في بريطانيا ، بدعوة من سمو الأمير حسن ولي عهد المملكة الاردنية الهاشمية ، وضم مسلمين ومسيحيين ويهود بصفاتهم الشخصية . وكان هذا في نوفمبر ١٩٨٤ ، ويعقبه لقاء في عمان / الاردن في ٢٨ - ٣٠ سبتمبر ١٩٨٥ . وفي ختام النشرة بحث كتبه « آنس فان در بنت » عنوانه « حوار مع أصحاب عقائد حية : مسح علمي وببليوجرافي » يتتبع فيه مسار الحوار من عام ١٩٤٧ حتى الآن ، وذكر فيه اثنين وثلاثين مرجعا منشورا عن الحوار .

ألا يستوقف النظر أن تكون خطوات الحوار بين الاسلام كعقيدة وبين العقائد الأخرى ، تسبق - عمليا - خطوات اللقاء والحوار الموضوعي بين الفرق والطوائف الاسلامية ؟ ألا يؤكد هذا وجود الحواجز غير المنظورة أو الحواجز الاختيارية أو الحواجز الوهمية بين المسلمين ؟

ولكن كيف نبدأ

سأقف في هذا الحديث عند موضوع الحوار ، تاركا - الى حين - جهودا ايجابية في مجالات متخصصة من الفكر الاسلامي ، ذلك لأن معظمها يدور في أفق مذهب أو طائفة دون أن تكون المشاركة الايجابية والمنتظمة فيها على الصعيد الاسلامي الشامل .

وأتصور أننا بحاجة الى « وحدة بحث » قد تنمو في المستقبل لتصبح « معهدا » .

ولنبدأ بكل تواضع - مع « وحدة البحث » التي يمكن أن تتبناها منظمة المؤتمر الاسلامي أو أي جامعة أو مجمع في العالم العربي أو الاسلامي ، تتوفر فيها - عمليا - حرية البحث والحركة ، وتأمين العلماء ليفرغوا الى بحوثهم مع نوع من « الحصانة العلمية » اذا أمكن قبول هذا التعبير .

ولنبدأ ببحوث وندوات محدودة العدد ، متدرجة في الاتساع ، يتعود بها علماء الاسلام المعاصرون - على اختلاف مذاهبهم - أن يحلـوا الى العلم في موضوعية ، ينظرون فيها الى الاسلام ككل . يبدءون بما يتفقون فيه - وهو كثير - وأود أن أؤكد هذا البدء : ذلك لأننا كثيرا ما نبدأ بما نختلف فيه ، فلا نتنهي الى غاية الا اليأس من الحوار . .

سننظر الى الاسلام ككل : ماذا نتفق فيه ؟ ما الأخطار المحدقة بالاسلام ؟ ما أثر الفرقة - عمليا - على طاقة الاسلام المعنوية ، والمادية ؟ ما وضع الاسلام على خريطة العالم المعاصر ، وكيف تتحرك قواه لخير مشترك .

هذا النوع من البحوث - اذا تابع مساره الخصب - سيقودنا الى دراسة استراتيجية العالم الاسلامي ، في القرن الخامس عشر الهجري والحادي والعشرين الميلادي . .

استطراد

وأذكر أنني كنت أحاور صديقا في هذا الأمر . فقال لي : أي اسلام تقصد ؟ ولكل قوم فهم للاسلام ، حتى لقد تكلم بعض الكتاب الغربيين عن « اقليمية الفهم الاسلامي » ، وعنوا بها في العالم المعاصر أكثر من عنايتهم بشموله ؟ قلت : لنبدأ بالاسلام الذي ينادي به المؤذن خمس مرات في اليوم : التكبير والشهادتان والدعوة الى الصلاة والفرح .

وقلت له : لندع الأمور الخلافية للبحوث الجامعية . ولنحاول معا أن نعبد طريقا يجمع الأجيال الجديدة على الاخاء والحب والتعاون .

وقلت له : لا تعلموهم في سن النشأة كراهية الآخرين ولعن الآخرين . علموهم أن أكثر أسماء الله الحسنى ترددا على شفاه المسلمين وفي قلوبهم هي « الرحمن الرحيم » : يفتتح بها المسلم عمله وهي مفتاح حياته . علموهم أن التحدي الأكبر الذي يلقاه المسلمون الآن هو التحدي الحضاري ، وأن أعظم سلاحين لمقابلة هذا التحدي هما : الايمان والابداع . ولا ايمان دون محبة ، ولا ابداع دون تعاون وعلم . .

والأطفــال

ولا أود أن أدع موضوع البرنامج اليهودي دون تعقيب محدد : لقد جاء الى ذهني مباشرة عندما استمعت الى برنامج « أطفال بوخن فالد » ضرورة صدور كتاب عن « أطفال دير ياسين » أو « أطفال الشتات الفلسطيني عام ١٩٤٨ » .

وكم من المذابح قامت بها اسرائيل في أرضنا بعد ذلك ؟ ألا يحتاج أطفالنا الى أكثر من كتاب ؟ سنقتصر في هذه الكتب على الجوانب الانسانية فقط . ونتابع الشتات الفلسطيني والعربي الذي وصل بهذا الجيل ! الى استراليا جنوبا والشرق الاقصى ، وغربا الى العالم الجديد في كندا والولايات المتحدة والكاريبي وأمريكا اللاتينية . وكيف استطاع هذا الشباب الغض أن يشق بجذوره الصخر ، وأن يرتفع بسوقه وفروعه وسط الأعاصير . □

لا تحبيني غدًا

شعر :
شوقي بغدادي

لاتحبيني غداً
لم يبْقَ ما يبقي
وبين الغدِ مفتوحا حوار
لاتحبيني غَداً
حُبك ينبوعٌ
وحبي جبل
من أينَ لي أن أمسِكَ الينبوع
والأرض انحدار
لاتحبيني غدا
كل الذي عندك لايكفي
ولايكفي الذي عندي
إذا فات القطار
أجملُ الأيام هذا اليوم

لايهرب
أو لأيستعار
لاتحبيني اذن
الا اذا كنت جريئا
ووسيما ، ومضيئا .
وغد قد يشبه اليومَ
ولكنَّ مناخَ الروحِ غدار
رحالاتي دوار
ليس يكفيني غروري
لا . . . ولا [illegible] الخدّ على الخد

ولا صوتك مثل الضرب بالأنمل
فوق الوتر المشدود
والنبض القرار
إنني لاأدعي
انتِ اختياري الصعب
والأصعبُ أني لستُ أدري
مااللذي يصنعني في هذه اللحظة
كي يجسّمَ في لمحةِ عينيكِ الخيارُ
أنتِ قررت إذن
أم قدَرتِ الآن على الفهم
والا ما الذي يجعل منديلاً بحجم اليد
شيئا خارقا
كالعلم الساقط في الحرب
وأن أبذل روحي
كي ألاقيه قُبَيْلَ الأرض
خفاقا على كفي
وأن أغدو مليكا في ثوانٍ
وعلى أطراف كفي
راية الحرب اعتزاز وانتصار
هل هي الأشياء مايربطنا
أم صورةُ الشيء التي نُخْلَقَ
في لحظة الهام
كأن الحب خلق وابتكار
ملمس العنقود

أم نكهتهُ
أم جنة الصيف
أم السُكْر الذي في البال
حين البال شمس واخضرار
آه من رعشةِ هديك
التي كانت بلا معنى
فصارت ألف معنى
ثم لاشيء سوى التفكير
أي من معانيك خلاصي
وهي من حولي أسْر وحصار
آه من منكبك الواهي
وقد أرهقه سير من الجلدِ تدلى
فارتخى
فانزاح
فارتد الى صدري المدار
ماالذي يجعلني أصغر
كي أقفزَ
كي أنشط في تأويل حالاتك
أنت المتْنُ ، والهامش والتفصيل
أنت الاختصار

***

لاتجيبي غدا
أو ماالذي يضمنُ في الليل
سواد الليل
إن عكرّه الضوء
وعراه النهار
أغمضي عينيك
وانساقي وراء الحلم
ما أدراكِ أن العين
لاتبصر في إغماضها أفضل
هل أبصرتني الآن ؟
اذن هيا ، افتحي عينيك
لا خوف عليّ الآن
من أن لا تريني
ساقطاً عني عنف الأرض حولي
والغبار
أنت من يجعلني مختلفا
أو لأقل أصلاً
تغشاه ضجيج وسُعار
لاتجيبي غدا
حبك طيرٌ نادر
لاقفص عندي له
لاشيء يغري
ثم شباكُ على المغرب مفتوح
وشخصٌ يتملى منظرَ الشمس وحيدا
ثم لاشيء على الأطلال
الا الانتظار .

هل الآثار لمن يصونها ؟

بقلم : الدكتور علي شلش

خلبت الآثار من قديم الزمن أنظار الناس وعقولهم وعواطفهم ، وظفرت باعتزاز مواطنيها على توالي أجيالهم ، وامتدت بعض الأيدي الى سلبها من أهلها في فترات العوز أو الغفلة أو الضعف . . . وبرز التساؤل المهم : من الأحق بهذه الآثار ؟

عن ذلك كله يحدثنا هذا المقال .

أقام المتحف البريطاني في لندن معرضا فنيا طريفا نظمته ومولته إحدى شركات الأدوات الكتابية ، وهي شركة أوروبية المولد ، بدأت صغيرة كما تبدأ المخلوقات ثم كبرت مع الزمن ، وأصبحت شركة دولية كبيرة تنتج العديد من أنواع الآلات الكاتبة « والكومبيوتر » ، وتسهم في الوقت نفسه في رعاية الفنون والآداب مثل غيرها من الشركات الرأسمالية الكبيرة .

ولست أسوق هذه المعلومات على سبيل الدعاية للشركة بدليل أنني أغفلت ذكر اسمها ، لأستفز بها همم شركاتنا الكبيرة التي لا تنفق مما رزقها الله على رعاية علم أو فن .

من أسباب طرافة هذا المعرض ، على أي حال ، أنه يثير قضية خطيرة تتصل بتراثنا وآثارنا ، ولكني سأرجىء مناقشة القضية حتى أنتهي من الحديث عن المعرض نفسه وحكايته المثيرة .

كنوز سان ماركو

أطلق على المعرض اسم « كنوز سان ماركو » ، وسان ماركو هو نفسه القديس مرقص أحد حواريى المسيح ، وقد دفن فى الاسكندرية بعد وفاته ، وفى سنة ٨٢٨ ميلادية ، أى بعد حوالى ثمانية قرون سطا اللصوص على جثمان القديس ونقلوه إلى مدينة فينيسيا الايطالية ، أو البندقية كما سماها أجدادنا ، وهناك أقاموا له كنيسة ضخمة تطل على الميدان الرئيسى بالمدينة ، عاصمة جمهورية البندقية ، وسرعان ما أصبحت الكنيسة خاصة بالدوج Doge وهو اللقب الذى يطلق على حاكم أو رئيس جمهورية البندقية فى عصرها الذهبى .

وقد كان القديس مرقص رجلا زاهدا فى الحياة ، ولكن « الدوج » لم يكن كذلك فيما يبدو ، فقد راح يجمع الثروة من هنا وهناك ، بمختلف الوسائل غير الشريفة فى الغالب ، ثم يودعها فى خزائن كنيسته ، كنيسة الجمهورية . وكانت هذه الجمهورية دولة بحرية تحتكر التجارةفى شرقى البحر المتوسط ، وتتلقى الهدايا والغنائم من كل مكان ، وتقوم مقام البنك للشرق والغرب على السواء ، بل كان فى يدها مفاتيح الأمن والقروض المالية فى المنطقة ، وعلى شاطئها تتجمع الحملات الصليبية التى هددت الشرق وأهله قبل أن تنطلق إلى أرض « اللبن والعسل » كما كانوا يسمون بلادنا .

فى بداية القرن الثالث عشر وصلت إلى البندقية الحملةالصليبية الرابعة التى كانت وجهتها القدس ، وهدفها طرد المسلمين من المدينة الشريفة ، ولم يكن الصليبيون يملكون سفنا تنقلهم إلى القدس ، ولاكانوا يملكون المال الكافى لتحركاتهم ، ولكنهم كانوا يستغلون الدين لجمع المتطوعين ، ويحركون فيهم غرائز الطمع والاقتناء والعدوان ، ولم يكن البنادقة ـ أهل البندقية ـ أقل منهم طمعا واقتناء وعدوانا ، وعلى هذا الأساس بدأت بين الطرفين مفاوضات مريرة حول نقل الحملة وتمويلها ، وانتهت بموافقة البنادقة على تأجير سفنهم ، وتعهد الصليبيون بدفع الايجار مؤخراعند العودة ، لا فى صورة مال وإنما فى صورة غنائم ومنهوبات ، وهذا دليل على أن الدين كان عند الصليبيين مجرد صليب يضعونه على صدورهم !

واذا كان هذا دليلا ظاهرا فما خفى كان أعظم ، وما حدث بعدها كان أفظع !

لم تتحرك الحملة نحو القدس كما كان مقررا ، ولكنها تحركت نحو مدينة أخرى شعارها الصليب أيضا !

لقد غير الصليبيون خطتهم فجأة ، وتعددت أسباب التغيير كما قدمها المؤرخون ، ولكن كان أهمها أن الصليبيين وجدوا غنيمة أخرى أسهل وأقرب ، وأن البنادقة شجعوهم على ذلك بهدف ضرب عصفورين بحجر واحد : العصفور الأول هو الحصول على عائد سريع لعملية تأجير السفن ، والعصفور الآخر ـ الأهم ـ هو كسر شوكة الامبراطورية البيزنطية ، واسقاط عاصمتها ، والاستيلاء على كنوزها . وكانت هذه الكنوز تعد وقتها قمة ما وصل إليه العالم المسيحى فى أوروبا من ثراء ، وكان البيزنطيون يتباهون بهذا الثراء لدرجة أنهم اعتادوا تخصيص يوم فى القصر الامبراطورى لعرض كل ما يملكونه ، وما فى حوزة خزائن الكنائس ، من تحف وجواهر ، بغرض إشعار زوار عاصمتهم بسطوة الثروة البيزنطية وعظمتها ، ولا سيما إذا كان بين الزوار سفراء عرب ؟

وهكذا تحركت الحملة نحو القسطنطينية عاصمة بيزنطة ، وموقعها الحالى مدينة استنبول التركية ، أو الآستانة سابقا .

كان ذلك عام ١٢٠٤ .

وكان سقوط القسطنطينية سهلا وسريعا ، ولكن نهب كنوزها كان أسهل وأسرع .

وأسرعت سفن البنادقة بنقل نصيب جمهوريتها من الصفقة ، وفتحت أبواب خزائن كنيسة سان ماركو لاستقبال الغنائم ، وبلغ من اتساع نطاق النهب أن ميدان سان ماركو نال شيئا من الغنيمة ، فقد أعجب « دوج » البندقية بتمثالين بالحجم الطبيعى لحصانين صُبّا من النحاس فى القرن الرابع الميلادى ، فشحنهما بنفسه إلى عاصمته ، ونصبها أعوانه فى الميدان أمام الكنيسة ، حيث استقرا هناك ، وما زالا موجودين حتى اليوم ، ولكن كثيرين من زوار المدينة لا يعرفون أن الحصانين مسروقان فى الحقيقة .

وقد ظل الصليبيون والبنادقة مسيطرين على القسطنطينية فترة تزيد على نصف قرن ، وطوال هذه الفترة ظلت السفن رائحة غادية بين العاصمتين ، والمسروقات من كل نوع تصب فى خزائن الكنيسة وقصر الدوج وبيوت أعوانه وجنوده ، ولكن البيزنطيين لم يتوقفوا عن مقاومة هؤلاء القراصنة ، ومع أنهم نجحوا عام ١٢٦١ فى استعادة عاصمتهم وإجلاء الصليبيين والبنادقة عنها فقد فشلوا فى استعادة المسروقات .

الحرام لايدوم

لم يهنأ البنادقة طويلا بما نهبوا ، ولم يتمتع « الدوج » نفسه بحصانيه النحاسيين اللذين أمر بنقلهما إلى عاصمته . فقد مات فجأة فى القسطنطينية بعد أشهر من غزوها . وفى سنة ١٢٣١ شب حريق هائل فى كنيسة سان ماركو ، والتهم الكثير من التحف فى خزائنها ، ومع ذلك استطاع فنانو البندقية إنقاذ بعض التحف واصلاح ما تلف منها ، بل استطاع أهل البندقية وتجارها تعويض الكنيسة عن بعض ما فقدته ، والاحتفاظ بباب الاقتناء مفتوحا ، حتى سقطت جمهوريتهم فى النهاية أمام جحافل نابليون بونابرت سنة ١٧٩٧ ، وعند ذاك تعرضت البندقية لما تعرضت له القسطنطينية من قبل . فقد جعلها بونابرت كلأً مباحاً لنفسه ولجنوده ، وفتح خزائن كنيستها المشهورة ، واستولى على ما فيها من ذهب وفضة ، وحول بعضها إلى أفران سك النقود للحصول على العملات السائلة ، بل إنه استولى على الحصانين النحاسيين ، وأمر بنقلهما إلى باريس ، ومع ذلك نجح البنادقة بعدها فى تنظيم صفوفهم واستعادة حريتهم ، وحصانيهم أيضا .

وكان ما بقى فى خزائن سان ماركو من تحف يعد ـ ومازال ـ أكبر كنز تملكه كنيسة فى العالم كله ، وهو كنز يشهد على تاريخ أصحابه من أهل تلك الجمهورية التى عاشت على القوة والمغامرة والقرصنة .

هذا الكنز نفسه لم تأت به الشركة إلى لندن ، ولكنها جاءت بعينات قليلة منه لتعرضها فى المتحف البريطانى ، فعدد القطع المعروضة لا يزيد كثيرا على ٤٠ قطعة ، يتراوح تاريخ صنعها فيما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الحادى عشر ، ومعظمها أيقونات وأوان ومباخر تصل دقة صناعتها إلى درجة عالية من الفن الجميل المطعم بالذهب والأحجار الكريمة ، وتبدو على بعضها آثار الاصلاح والترميم بعد ذلك الحريق المدمر ، ومن هذه القطع مقعد بمسندين نحت من قطعة واحدة من الحجر ، وكان من المعتقد أن القديس مرقص قد استخدمه فى حياته ، لولا أن بعض النقوش التى على ظهره كشفت عن صنعه فى القرن السادس ، ومعظم هذه القطع تكشف عن مدى ما وصل إليه الفن البيزنطى نفسه من تقدم ورهافة .

ولكن أهم ما فى هذا كله أن المعروضات ضمت أربع قطع من الفن الاسلامى على جانب كبير من الأهمية التاريخية والفنية ، وكلها من البلّور الفاخر على هيئة قوارير بالغة الاتقان والدقة ، نحتت وسويت باليد بلا فرن ولا نفخ !

مسلة مصرية في ساحة بروما

أهم هذه القطع قارورة ذات مقبض من جنسها دون لحام ، وعليها حفر دقيق يمثل أسدا جالسا مفتوح الفم ، وتحمل اسم الخليفة الفاطمى « العزيز بالله ٩٧٥ - ٩٩٦ » وأغلب الظن أنها صنعت فى القاهرة ، أما كيف وصلت إلى كنيسة سان ماركو فيحتمل أن تكون قد بيعت فى الأسواق بعد نهب قصر الخليفة سنة ١٠٦٢) ثم نقلت إلى البندقية ، أو أن تكون قد نقلت إلى القسطنطينية ، ثم نهبت من هناك وقت النهب السابق وانتهت إلى البندقية ، ويرجع هذا الاحتمال الأخير أن صناعة البلور عند الفاطميين كانت مشهورة عند البيزنطيين وغرب أوروبا ، أما بقية القطع الأخرى فيحتمل أن تكون قد انتقلت الى البندقية عن طريق العلاقات التجارية والدبلوماسية التى قامت بينها وبين الدولة العثمانية ، ولا سيما بعد سقوط القسطنطينية فى أيدى العثمانيين سنة ١٤٥٣ ، والله أعلم فى النهاية فليست مهمتنا هنا أن تحقق خط سير هذه القطعة أو تلك ، وانما أن نروى حكاية طريفة من حكايات نهب الآثار .

والنتيجة التى توصلنا إليها هذه الحكاية هى أن سرقة الآثار ليست حرفة جديدة ، وهى حرفة تعلو إلى مرتبة الهواية فى بعض الأحيان ، ولا فرق فى تعاطيها - كما رأينا - بين القرصان البندقى المحترف وحاكم البندقية المحترم ، أو بين الجندى الفرنسى البسيط وقائده الامبراطور ، فالجميع يتساوون عند النهب والسرقة ، حتى لو حاول المؤرخون ستر الجريمة بعبارات مهذبة مثل : « وأمر بنقل الحصانين إلى البندقية أو باريس » !

كيف تسربت آثارنا ؟

هذه النتيجة نفسها أزعجتنى كثيرا وأنا أشاهد قطع الآثار الجميلة فى ذلك المعرض الطريف . كما أزعجنى أن المعرض نفسه أقيم فى أحد مراكز العالم المشهورة بنقل آثار الآخرين إذا صح استخدام هذا التعبير المهذب ! ولكن ، كيف نقلت آثارنا أو تسربت إلى خارج بلادنا ؟

لقد بدأ التسرب فى عصر الحروب الصليبية على الأقل ، وكانت أشهر وأقدم وسيلة لتسرب هذه الآثار هى السرقة ، وقد سجل بعض المؤرخين الأوروبيين ذلك حين أرخوا للحروب الصليبية ، كما سجله بعض مؤرخينا مثل المقريزى وابن تغرى بردى ، وأذكر أن هذين المؤرخين الجليلين قد أشارا وهما يؤرخان لحملة لويس التاسع على مصر سنة ١٢٤٨ ، إلى أن عسكر الفرنسيس كانوا يدخلون البيوت فى دمياط قبل هزيمتهم ، ويخلعون المرايا ومشغولات الخشب ثم يعودون بها إلى معسكراتهم ، ولم يكن فى أوروبا وقتها مرايا ولا خشب مشغول فى بيوت هؤلاء « العسكر » ، ولا بد أن أيديهم طالت وامتدت إلى القوارير والأوانى وغيرها من تحف

ولكن السرقة لم تكن الوسيلة الوحيدة لتسرب آثارنا ، فهناك وسائل أخرى ، أهمها الشراء والاهداء .

أما الشراء فأمره معروف ، ولا تترتب عليه أى جريمة ما دام يقع فى دائرة الممتلكات الشخصية ، ولكن يحدث أحيانا أن يبيع القوامون على الممتلكات العامة بعض مفرداتها ، ومن أمثلة ذلك عملية بيع جسر لندن القديم ، فقد أحيل ذلك الجسر الى التقاعد سنة ١٩٧٣ بعد ١٥٠ سنة من الخدمة ، وحل محله جسر جديد ، ثم بيع الجسر القديم بمليون جنيه إلى بعض الأميركيين المهووسين بالآثار ، ونقله هؤلاء إلى ولاية أريزونا حيث أقاموه فى الهواء هناك على غير نهر ولا ماء !

وأما الاهداء فأمره معروف أيضا ، ولكنه فى الحقيقة نوعان :

نوع يهدى فيه المواطن العادى شيئا من تحف بلاده التى يملكها إلى صديق له من بلد آخر أجنبى ، ونوع يهدى فيه حاكم البلد عادة شيئا من آثار بلده أو تحفها لحاكم أو مسئول مثله ، وهذا أمر منتشر فى بعض بلادنا للأسف ، والأمثلة عليه أكثر من أن تحصى .

ومع ذلك يحدث أحيانا أن يهدى الحاكم شيئا من هذه الآثار لمواطنين لاحكام ، وقد وجدت أمثلة من هذا القبيل فى متحف « متروبوليتان » فى نيويورك ، فقد شاهدت بعض القطع الفرعونية الثمينة وقد كتبت تحت كل منها عبارة مثل : « هذه القطعة أهداها والى مصر محمد سعيد باشا الى المستر فلان ، وورثتها عنه ابنته فلانة التى أورثتها لابنها فلان . ثم قام فلان هذا باهدائها للمتحف ، وهكذا ، وقد تم

الجيش الفرنسي عائدا من سوريا

هذا الاهداء بالطبع قبل إنشاء دار الآثار المصرية ، ولكنه في النهاية يكشف عن طبيعة تصور بعض الحكام لآثار بلادهم ، ونظرهم إليها على أنها ممتلكات شخصية .

كانت مصر أكثر بلاد العالم تعرضا لتسرب آثارها ، وأبلغ دليل على هذا أن الآثار الفرعونية بصفة خاصة لاتملأ متاحف العالم الكبيرة فحسب وانما ينتشر بعضها في ميادينه العامة أيضا ، مثل المسلة (مسلة كليوباترا) التي تشرف على نهر التيمس في قلب لندن وزميلتها التي تتوسط ميدان الكونكورد في قلب باريس وغيرهما .

ولاشك أن وراء تسرب كل قطعة آثار حكاية ، وربما حكايات ، ومن يقرأ كتب الرحالة الأوروبيين والأمريكيين عن مصر خلال القرن الماضي سيجد الكثير من هذه الحكايات التي يرويها أصحابها حول شراء قطع الآثار من الفلاحين والتجار المحترفين ، ولكن هذه الحكايات وغيرها تدور في النهاية حول تسرب الآثار بالمفردات ، في حين أن تسرب الآثار بالجملة كان أكبر وأفدح ، ومع ذلك فحكاياته مختصرة عادة ومهذبة العبارات ، عن عمد بالطبع ، فالمصادر الانجليزية ـ على سبيل المثال ـ تفسر سر وجود الآثار المصرية ـ ومنها حجر رشيد المشهور في المتحف البريطاني بأن القائد الانجليزي نلسون حصل عليها بعد توقيع معاهدة سنة ١٨٠٢ في الاسكندرية .

ولكن هذه المصادر نفسها لم تفسر سر استمرار تدفق الآثار المصرية نحو لندن طوال الاحتلال الانجليزي لمصر بعد ذلك .

تأتي اليونان بعد مصر من ناحية اتساع عملية تسرب الآثار ، وقد تعرضت لكل وسائل التسرب ولا سيما في القرن الماضي . وأشهر عملية تسرب بالجملة عرفتها أثينا هي المعروفة اليوم باسم « رخاميات إلجين » نسبة إلى اللورد إلجين Elgin (١٧٦٦ ـ ١٨٤١) وكان دبلوماسيا انجليزيا في اليونان ، استطاع أن يقنع اليونانيين ـ لاندري كيف ـ ببيع المنحوتات الرخامية التي تغطي جدران معبد البارثينون الاغريقي القديم في قلب أثينا ، وتعد النقوش التي على هذه المنحوتات قمة في الفن والجمال ، وتقول المصادر الانجليزية إن اللورد دفع مقابل هذه المنحوتات مبلغ ٣٥ ألف جنيه استرليني ، ثم قام بتفكيكها ونقلها إلى لندن ، حيث استقرت في المتحف البريطاني تاركة جدارن المعبد وراءها أشبه بالهيكل العظمي .

عودة الغائب

لا شك أن كل ألوان تسرب الآثار ، بالقطع والجملة ، قد تمت في غياب الوعي بالتاريخ القومي من جهة ونمو الفقر والضعف السياسي من جهة

أخرى ، وكانت نتيجتها أننا أصبحنا نرى آثارنا فى متاحف غيرنا ، وكأن هذا هو العقاب الذى نستحقه على عدم وعينا وشدة فقرنا وضعفنا ، فهل من سبيل اليوم لاستعادة ما فقدناه ؟ هل يمكن أن يعود حجر رشيد والمسلات الثلاث وألوف القطع الأخرى الفرعونية واليونانية والرومانية والقبطية والاسلامية إلى متاحفنا بعد أن أصبح عندنا وعى وقوة ومتاحف ؟

الاجابة تحتاج فى الحقيقة إلى طرفين : نحن وهم .
أما نحن فلا نملك أن نعيد آثارنا الا بطريقتين : التفاهم والتفاوض ، كما فعل البنادقة من قبلنا حين استعادوا حصانيهم من فرنسا ، أو المعاملة بالمثل ، وتطبيق مبدأ : ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، ولكن المشكلة أن الطريقة الأخيرة لم تعد عملية ولا مقبولة بالنسبة للآثار ، ولا يبقى أمامنا إذن إلا الطريقة الأولى ، وحتى هذه أصبحت بعيدة المنال !

وأما هم ، الذين نقلوا آثارنا الى متاحفهم ومياديـنهم ، فلا يملكون إلا أن يصغوا إلى شكوانا ، وأن يطيبوا خاطرنا ، والبقية معروفة .

هناك سابقة طريفة لهذا الموضوع على أى حال ، ففى شهر اغسطس (آب) ١٩٨٢ اجتمع مؤتمر اليونسكو بمدينة المكسيك ، وكان من بين القرارات التى اتخذها قرار يقضى بأن تعيد بريطانيا « رخاميات إلجين » الى اليونان ، وكانت وزيرة الثقافة اليونانية ، نجمة السينما السابقة ميلينا مركورى ، قد طالبت باعادة هذه المنحوتات التى لا تقدر بثمن ، وهددت باتخاذ إجراء قانونى فى المحاكم البريطانية إذا لزم الأمر ، ولم تكتف الوزيرة النشيطة بهذا ، فقد جاءت بنفسها إلى لندن فى محاولة لتأكيد مطلبها ، وأعلنت فى الصحف والراديو والتليفزيون عن شرعية المطلب واصرارها عليه ، ولكنهم طيبوا خاطرها ووعدوها خيرا ، والبقية معروفة أيضا ، بالرغم من أن المفاوضات ما زالت جارية حتى اليوم .

وليس معنى هذا أن إعادة الآثار عملية مستحيلة ، فهناك سابقة أخرى أكثر ايجابية ، فقد أعادت بريطانيا قبل سنوات جواهر تاج ملك بورما ، أى أن أبواب إعادة الآثار لم تفقد مفاتيحها ، والطَّرق على الأبواب عملية مشروعة ، ولا بأس من محاولتها .

ولكن ، حتى تتم عودة الغائب من آثارنا المنتشرة فى متاحف العالم لا بد أن نحرص على الحاضر منها فى متاحفنا ، والحرص على الآثار ليس معناه تكديسها فى متاحفنا التى أصبحت أقرب إلى المخازن من شدة اكتظاظها بالمعروضات ، وانما معناه إقامة المتاحف اللازمة لها ، وصيانة معروضاتها من عوادى الزمن وتلوث البيئة ، وهذه الصيانة أصبحت ضرورة حتمية فى عصر التلوث الذى نعيش فيه ، ولا سيما بالنسبة للآثار التى تعيش فى الهواء الطلق مثل أبى الهول المسكين ، ومن جهة أخرى يعنى الحرص على الآثار أن ننشر فى الناس الوعى بصيانتها ، وهذا الوعى الشعبى بالآثار أهم فى الحقيقة من الوعى الحكومى أو الرسمى ، لأنه يعصم من أضرار كثيرة مثل السرقة والتلوث ، واذا كان الوعى بالآثار قد بلغ فى أمريكا حد الهوس ، فهم معذورون لأنهم محصورون فى مساحة زمنية من التاريخ لا تزيد كثيرا على ٢٠٠ سنة ، وقد دفعهم هذا الهوس إلى حفظ الكثير من الأشياء التى قد لا تبدو مهمة فى متاحفهم المنتشرة فى كل ولاية ، ومن هذه الأشياء قبعة رعاة البقر التى استخدمها الممثل ج . آر عند تمثيل حلقات المسلسل المشهور « دالاس » ، فقد أصبحت هذه القبعة التى لا يزيد عمرها على خمس سنوات « أثرا » ، وأصبح الأثر محفوظا اليوم بمتحف « السميثونيان » الكبير فى واشنطن العاصمة :

نحن محتاجون لشىء من هذا الهوس لأن مساحة تاريخنا معروفة ، وآثارنا أكبر من أن توصف بجسر لندن القديم ، أو قبعة ج . آر العجيبة .

ومع ذلك كله يجب أن أعترف بأنه ما من مرة شاهدت فيها شيئا من آثارنا فى المتحف البريطانى أو غيره من متاحف العالم إلا وانتابنى إحساس آخر مساو ومضاد للانزعاج الذى أحسست به هذه المرة .
هذا الاحساس الآخر يتلخص فى ثلاث كلمات هى :

ـ الآثار لمن يصونها !
وأرجو أن يكون ؟ إحساسى خاطئا على أى حال ! □

الدبلوماسية الاعلامية ذات الوجهين!

بقلم : حمدى قنديل

مضى الآن نحو عشر سنوات على مؤتمر قمة عدم الانحياز ، الذى عقد في الجزائر ، وأصدر صيحة تبلورت فيما بعد فى الدعوة الى اقامة نظام عالمى جديد للاعلام والاتصال ، يتيح للدول النامية قدرا من المساواة والعدالة ، ويصحح نواحي الخلل القائمة فى هذا الميدان .. ولكن .. ماذا بعد ؟!

هناك أمثلة كثيرة توضح الخلل في نظام الاعلام والاتصال للدول النامية . فإذا ما اخذنا مؤشر عدد أجهزة استقبال الراديو والتلفزيون كمثال ، فسوف نجد أنه في الوقت الذى يمثل فيه عدد سكان الدول النامية نحو ٧٤٪ من سكان العالم ، الا أن الاحصائيات تفيد أنه لايوجد في هذه الدول سوى ١٥٪ من أجهزة التلفزيون ، و ٢٥٪ من أجهزة الراديو .

وفيما يتعلق بأجهزة الهاتف فإن الهوة بين الشمال والجنوب مازالت هى الأخرى هوة هائلة . ففي حين يوجد في الولايات المتحدة ١٩١,٥٩٥,٠٠٠ جهاز ، أي بنسبة ٨٣,٧ لكل مائة من السكان ،

فاننا نجد أن أعلى نسبة في الدول العربية على سبيل المثال ـ وهي تلك التي في قطر ـ لاتزيد على ٢٦,١٪ ، أي ٥٣,٣٢٤ جهازا (احصائيات ١٩٨٣) وتنطبق مثل هذه النسب على كافة مجالات الاتصال الأخرى . إذ يجري الآن إطلاق ما يقرب من ١٢٠ قمرا صناعيا في المتوسط كل عام ، يخص الدول الصناعية منها مايزيد على ٩٠٪ . ويخص الدول الصناعية أيضا نحو ٩٠٪ من ترددات الطيف الكهرومغناطيسي (أي الموجات التي تبث عليها كافة أنواع الاتصالات المنقولة بالراديو) . كما أن نصيب هذه الدول من التجارة العالمية في معدات الاتصالات يزيد على ٩٠٪ هو الآخر . ومرة أخرى نجد الرقم السحرى (٩٠٪ على الأقل) يتكرر بالنسبة للحاسبات الالكترونية ، وكذلك بالنسبة لسوق الأخبار المتداولة عالميا ، التى تحتكرها تقريبا وكالات الأنباء الخمس الكبرى (رويتر واسوشيتدبرس ويونايتدبرس ووكالة الأنباء الفرنسية ووكالة تاس) .

ولقد كانت مظاهر الخلل هذه هى الباعث لمناداة الدول النامية بالنظام الجديد ، والشرارة التى أطلقت النقاش الدولى الذي ظل دائرا حتى الآن حول قضايا الاعلام . ومن أبرز ما يمكن استخلاصه من هذا النقاش ، أن معظم الأطراف التى تقف فيه على طرفي نقيض يتماثل بعضها مع بعض في شيء واحد ، هو أنها تتبع سياسة ذات وجهين ، احداهما للاستهلاك الداخلى ، والأخرى للتصدير الخارجى .

شراك وخدع

فمنذ خرجت صيحة عدم الانحياز ، والدول النامية تهدف الى اجراء مراجعة شاملة للنظام (أو عدم النظام) القائم في المجال الاعلامى ، في عالمنا الراهن وتحليل مشكلاته ووضع حلول لها . ولكن دول الغرب ، على النقيض من ذلك ، أرادت أن تبرز الأمر على أنه مسألة عملية ، تتعلق أساسا بتقديم المعونات ، وتوفير المعدات للدول النامية ، حتى تقيم المؤسسات الاعلامية الخاصة بها .

وفي حين ظل الغرب يحرض الدول النامية على الابتعاد عن المناقشات التى وصفها بأنها جوفاء رنانة ، وبأن الغرض من ورائها سياسى في المقام الأول ، ويضغط على هذه الدول ويغريها بأنها اذا ما كفت عن « التعيق » فسوف تحصل على المساعدات التى تلزمها ، من خلال إطار دولي محصن ، ضد لىّ الأذرع وابتغاء المصالح (التصدير الخارجى) ، الا انه عندما حانت ساعة تقديم كشف الحساب وجدنا أن لدول الغرب سياستها الخاصة بها ، وان وعودها المعسولة تبخرت في الهواء ، ووجدنا أنها وضعت جل معوناتها المتواضعة في إطار الاتفاقات الثنائية ، التى تخضع لأهدافها وأهوائها ، في حين لم تقدم إلى اجهزة التعاون الدولى سوى النزر اليسير الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع .

وهكذا ففي عام ١٩٨٠ على سبيل المثال بلغت قيمة القروض (وليس المساعدات) التى قدمها البنك الدولى في مجال الاتصالات نحو مائتي مليون دولار ، في حين وصلت القروض في مجال الزراعة والتنمية الريفية مثلا الى ٣,٣٠٠ مليون دولار . وبلغ المتوسط السنوى لقروض البنك للاتصالات في الفترة بين ١٩٧٩ ، ١٩٨١ نحو ١,٧٪ من اجمالى القروض التى قدمها البنك ، في حين كان متوسطها ٢,٣٪ بين عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٨ ، وقبل ذلك كان ٤,٥٪ بين عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٣ . أي أن قروض الاتصالات التى يقدمها واحد من أهم أجهزة التعاون الانمائي الدولى في انخفاض مستمر طوال السنوات الخمس عشرة الأخيرة .

وقد حاولت دول نامية كثيرة أن تتظاهر بأنها زاهدة في مثل هذه القروض والمعونات ، وبأن أمر النظام الاعلامى الجديد بالنسبة لها هو مسألة مبدأ ، وجانب واحد من جوانب فلسفة شاملة ، تتعلق باقامة عالم جديد . وظلت هذه الدول تقيم الدنيا وتقعدها ، مهاجمة الامبريالية والاستعمار الاعلامى ، وتعلن أن مبادئها ليست مطروحة للبيع ، مقابل ستوديو أو تلفزيون أو آلة طباعة (السياسة المعلنة) في حين أنه عندما يجد الجد نرى بعض هذه الدول نفسها تتلهف للحصول على المساعدات المادية ، وتغمض عيونها عن جذور المشكلات القائمة في نظم الاعلام الدولية (السياسة الخفية)

وحتى عندما تجاهر بعض هذه الدول بأنها لاترغب إلا في المعدات والمعونات المادية ، وتندد بشح الغرب

وتقتيره (في المؤتمرات والصحف) فانها عندما تتقدم بطلبات المعونة الى دول الغرب نجدها تضع الاعلام في مرتبة دنيا ، بعد كافة مجالات التعاون الأخرى (في الغرف المغلقة) وقد دفع هذا بوزير الدولة السابق للخارجية وشئون الكومنولث في بريطانيا الى القول - في معرض الحديث عن إحجام دول الغرب عن تقديم المعاونة المتوقعة في مجال الاتصال - بأنه « اذا ما كان هناك اعتراف أكبر بالحاجة الى إيلاء مزيد من الاهتمام لمجال الاتصال ، فنحن نتوقع أن تبرز الاحتياجات الاتصالية بشكل أوضح في طلبات المعونة التى ستقدم في المستقبل الى الأجهزة القائمة للتعاون الثنائى أو المتعدد الأطراف » .

على أن هناك شواهد أخرى على ما نسميه بالدبلوماسية الاعلامية ذات الوجهين ، في النقاش الدولى الراهن حول قضايا الاعلام والاتصال . فلقد نجح الغرب في تصوير هذا النقاش ، على أنه نقاش حول حرية الصحافة من عدمها ، وأنه في حين أن الدول النامية في معظمها تصادر هذه الحرية ، فان الغرب وحده هو الذى يحميها (التصدير الخارجى) . ولكن الفضائح الاعلامية التى انكشفت هذا العام وحده وفي جهاز اعلامى واحد ، هو هيئة الاذاعة البريطانية ، تكفى دون غيرها للتدليل على أن الغرب ليس في واقع الأمر حريصا على الحريات الصحفية بالقدر الذى يبديه ، وأن له سياسة أخرى (داخلية) خاصة به ، تختلف كثيرا عن تلك التى تعلنها أجهزته العالية .

فقد حدثت في هيئة الاذاعة البريطانية ثلاث ازمات شهيرة في السنة الأخيرة . أول هذه الأزمات أن الحكومة حددت رسوم رخص حيازة أجهزة التلفزيون الملون ب ٥٨ جنيها في العام ، أي أقل بسبعة جنيهات مما طلبته الهيئة . وبما أن الهيئة هى التى تحصل على الرسوم في النهاية (في حين أن الحكومة هى التى تقدر مقدارها) فقد كان التخفيض يعنى أن على الهيئة أن تخفض ميزانيتها المقترحة لهذا العام بنحو ٦٥ مليون جنيه . وقد اعتبر هذا واحدا من الأساليب التى اتخذتها الحكومة البريطانية للضغط على الهيئة ، سواء لأنها لاتتبع السياسة التى تتوقعها منها الحكومة في كل الأحوال ، أو لأن الحكومة تريد تحويل الهيئة من هيئة قومية تعتمد على المال العام الى مؤسسة تجارية تعتمد في تمويلها - ولو جزئيا - على الاعلانات ، شأنها شأن كثير من الهيئات المماثلة ، التى تحولت الى شركات خاصة في ظل حكم المحافظين الحالى .

أما الأزمة الثانية فقد وقعت بعد منتصف العام ، عندما طلبت الحكومة من الهيئة عدم اذاعة برنامج تلفزيونى ، كانت قد أعدته حول الموقف في ايرلندا الشمالية ، واستجوبت فيه قائد الجيش الجمهورى الايرلندى المناوىء لبريطانيا ، ورضخت الهيئة لهذا المطلب ، مما حدا بالعاملين فيها وفي غيرها من الهيئات الاذاعية الى إعلان الاضراب الذى توقفت فيه الاذاعة والتلفزيون عن العمل لمدة يوم كامل لأول مرة في تاريخ البلاد . وبعد ذلك بقليل فجرت « الاوبزرفر » الأزمة الثالثة عندما كشفت عن ان أجهزة الأمن البريطانية لها مكاتب دائمة بالهيئة ، وأنها تتدخل في التعيينات والترقيات المتعلقة بالوظائف الكبرى .

حرية أم عدالة

وفي الوقت الذى تحدث فيه كل تلك الأزمات في هيئة واحدة بدولة واحدة من دول الغرب ، فاننا نجد هذه الدول تكيل الاتهامات لحكومات الدول النامية ، بأنها تصادر الحريات الصحفية . وبالطبع فان الدول النامية سرعان ماتدرأ عن نفسها هذه التهمة بحماس (الوجه الخارجى للدبلوماسية الاعلامية) في حين أن الكثير منها يصادر الرأى الآخر ، ويمنع صحف المعارضة من الظهور ، ويكبت آراء الكتاب ، ويضع الصحفيين في السجون ، ويشردهم بل يغتالهم (الوجه الداخل) .

وقد انكشف أمر الحريات الصحفية في الدول النامية ، حتى أننا نرى هذه الدول تحاول أن تقوم بحركة التفاف حول نداء الغرب بالحرية ، فتنادى في مواجهة ذلك بالعدالة ، وتبنى حجتها الأساسية في النقاش العالمى الدائر على ضرورة ايجاد توازن في الموارد الاعلامية الطبيعية (مثل الطيف الكهرومغناطيسى ومدارات الأقمار الصناعية)

وأيضا في تبادل الأخبار والبرامج ، ونشر الكتب وتوزيع الأفلام ، بحيث لا تكون دائما في اتجاه واحد من الشمال الى الجنوب من الدول الصناعية (بما فيها الدول الاشتراكية) الى الدول النامية ، من الأغنياء الى الفقراء .

لكن الدول النامية وهى تقيم سياستها في النقاش الدولى على أسس العدالة والتوازن (التصدير الخارجى) نجدها أبعد ما تكون عن تطبيق هذين المبدأين في داخلها ، إذ نادرا ما نجد عدالة في تمتع أبنائها بحقهم في الاعلام ، أو توازنا بين الريف والحضر ، أو الفقراء والاغنياء ، في توفير الخدمات الاعلامية (الوجه الداخلى للعملة) . ويقول تقرير لليونسكو عن الدول العربية على سبيل المثال« أن من الظواهر الملحوظة في تلك الدول الهوة السحيقة التى تتسع باطراد بين الحضر والريف ، وهى ظاهرة لاتقل وضوحا في المنطقة عنها في المناطق الأخرى . اذ نجد توزيع منجزات التنمية غير متكافىء بين فئات السكان . وفي العديد من البلدان توجد أوضاع تحابي الصفوة ، ولا تتفق مع أهداف المساواة التى تنص عليها الدساتير والقوانين . وفي مجال الاتصال تتمثل هذه النزعة في كون الطبقات المحظوظة تكاد تحتكر تلقي المعلومات ونشرها أيضا . »

واذا ماكانت تلك هى السياسة المزدوجة التى يتبعها الغرب من ناحية ، والعالم المسمى بالثالث من ناحية أخرى ، فالدول الاشتراكية هى الأخرى لها باعها في هذه السياسة . فنحن نجد هذه الدول تقف مرة في صف دول الشمال الصناعية ، وخصوصا اذا ما كانت تتقاسم مع هذه الدول حصة الأسد في الموارد الاعلامية ، كما هو الحال بالنسبة لموجات الراديو ومدارات الفضاء وتقنيات الاتصال الحديثة ، ونجدها مرة أخرى تقف الى جانب الدول النامية ، عندما يتعلق الأمر بمقاومة الاحتكار الغربي لتداول الأخبار والكتب والأفلام والمواد الاعلامية الأخرى .

كل يغنى اذن على ليلاه ، والصوت العالى لا يعبر بالضرورة عن الموقف القوى ، والتصويت في صف جانب من الجوانب أو في صف غيره لا يعنى دائما الوقوف حقيقة مع هذا الجانب أو ذاك أو ضده ، وما يقال في الميكروفون ليس هو الذى يكتب في الوثائق الخاصة ، وما يكتب بلغة عن موضوع ليس هو الذى يكتب عندما يترجم النص الى لغة أخرى ، أو يوجه الى منطقة أو مناسبة أخرى ، الدبلوماسية الاعلامية ذات الوجهين ، ذات النغمة في الخارج والنغمة الأخرى في الداخل .

ولايزال النقاش مستمرا ، وضجيج آلة الطحن يعلو ويهبط دون أن يخرج منها دقيق ، والنظام العالمي ليس فيه جديد ، لافي الاعلام ولا في غيره . □

كتمان السر

قال عمرو بن العاص : **الصدور خزائن الأسرار ، والشفاه أقفالها ، والألسنة مفاتيحها ، فليحفظ كل امرىء مفتاح سره .**

وقال بعض الحكماء في هذا المعنى من عجائب الامور **ان الاموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها ، وأما الأسرار فانها كلما كثرت خزائنها كان أضيع لها .**

"سبتاي صفي" ويهود الدونمة

بقلم : الدكتور جعفر هادى حسن

لم تكن قصة اسلام سبتاي بن صفى المزعوم قصة عادية . كما لم تكن كذلك قصة نبوءته وادعائه بأنه المسيح المنتظر . لكن ما هو غير عادى هو استمرار مذهبه فى الوجود وتمكين طائفته من البقاء حتى اليوم تحت اسم يهود الدونمة ذات النفوذ الكبير فى تركيا . .

من هم يهود الدونمة ، وما هى علاقتهم بسبتاي بن صفى ذلك اليهودى المثير للجدل ، مؤسس السبتائية ، الذى ظهر فى منطقتنا قبل ثلاثة قرون من الزمان ؟

فى عام ١٦٦٥ م والعام الذى تلاه اجتاحت الجاليات اليهودية فى العالم شرقه وغربه موجةمن الفرح والابتهاج ، فأقيمت الاحتفالات وكثرت المهرجانات . وكان سبب ذلك ظهور شخص يهودى ادعى بأنه المسيح الموعود، الذى سيحكم العالم ويكون اليهود أسياده ، واسم هذا الشخص سبتاي صفى . ولم يكن ادعاء هذا الشخص فريدا فى نوعه ، لأن أشخاصا آخرين كانوا قد ظهروا فى مراحل مختلفة من التاريخ ، ادعوا نفس الادعاء ولكنهم اختفوا بسرعة فى زحمة أحداث التاريخ ، ولم يعد لهم أثر سوى ما تذكره عنهم كتب التاريخ . ولكن الغريب فى أمر هذا الشخص ، أن حركته كانت من أكبر الحركات وأكثرها تأثيرا فى التاريخ اليهودى منذ القرن الثانى الميلادى . وما زال أتباعها موجودين الى يومنا هذا . وقد سميت هذه الحركة بالسبتائية تبعا لاسم مؤسسها سبتاي صفى .

ولد سبتاي فى أزمير فى تركيا عام ١٦٢٦ م [١] وكان أحد إخوة ثلاثة ولدوا لتاجر يهودى اسمه

مردخاي ، كان قد هاجر من اليونان . وقد رأى مردخاي أن يوجه ابنه لدراسة العلوم الدينية لكي يصبح حاخاما ، وهكذا كان . فيا ان أتم سبتاي ثمانية عشر عاما حتى اعترف به حاخاما . ولقد تميز سبتاي منذ شبابه بعدم استقراره العقلي ، وبدأت تظهر عليه أعراض ما يسمى في علم النفس بـ سيكلوثاميا Cyclothmia وهي حالة نشاط وهيجان بالغين يعقبها انقباض وقنوط . وتذكر الوثائق بأن هذا المرض صاحبه حتى الايام الاخيرة من حياته . وقد أطلق أتباعه فيما بعد على الحالة الاولى بحالة الاستنارة ، وعلى الحالة الثانية بحالة اختفاء الوجه .

وكان سبتاي كثيراً ما يتغنى بالاشعار في حالة نشاطه وينشد من المزامير . وفي أوقات أخرى كان يرقص أيضا خصوصا أمام زواره ، أما في حالة القنوط فقد كان يلجأ الى العزلة عن الناس ، ولا يكلم أحدا ، وكان يخبر الناس بأنه يعتزل من أجل ان يصارع قوى الشر .

من تركيا الى فلسطين :

كان سبتاي في تركيا يلمح بشكل أو بآخر الى المسيح المخلص ، ويتحدث بين وقت وآخر عن ظهوره ، الا أن ذلك لم يثر انتباه الناس ، ولكنه أيضا بدأ يقوم بأعمال غريبة ، بل ومخالفة للتعاليم اليهودية في نظر اليهود . فكان مثلا ينطق يهوه في التوراة كما هو مكتوب وليس كما يتلفظه اليهود أي ادوناي أو هاشم HA-SHEM . وهذا العمل لم يثر الجالية اليهودية كثيرا لما عرف عنه من شذوذ في السلوك . ولكن عندما تكررت هذه الاعمال منه طرده الحاخامات من تركيا عام ١٦٥٤ م فغادرها وذهب الى اليونان ، واستقر في سالونيكا ، لكن الجالية اليهودية طردته عام ١٦٥٨ م ، فرجع الى تركيا واستقر في اسطنبول .

وفي عام ١٦٦٢م سافر الى فلسطين ، وفي طريقه اليها مر بالقاهرة ، فتعرف على رئيس الجالية اليهودية في مصر رفائيل جوزيف جلبي ، وكان ثريا جدا وأحد المسؤولين الحكوميين في مصر آنذاك . وعند وصوله الى فلسطين استقر في القدس حيث اشترى فيها بيتا .

وهناك تعرف على شخص متنبيء اسمه ناثان ، وكان هذا يدعي بأن روح النبي ايليا قد حلت فيه ، فالتقاه مرات وتوثقت علاقته به .

الاعلان عن ظهور المسيح :

كانت الجالية اليهودية في القدس بحاجة الى أموال ، وأرادت أن ترسل شخصا الى مصر لهذا الغرض ، فوقع اختيار رؤسائها على سبتاي لعلاقته برفائيل جلبي .

وصل الى مصر عام ١٦٦٣م ، وبقي فيها

صورة خيالية لسبتاي جالسا على العرش وهو يتوج من قبل الملائكة والصورة الاخرى لقبائل اسرائيل الاثنى عشرة تدرس التوراة مع سبتاي .. رسمت الصورة عام ١٦٦١م .

سنتين . وفي أثناء وجوده في مصر سمع من يهود قدموا من ايطاليا عن بنت اسمها سارة تسكن ذلك البلد تحكى عنه قصصا غريبة . ومن جملة ما كانت تقوله بأنها سوف تكون زوجة للمسيح الموعود . فأرسل سبتاي خبرا بأنه يرغب في الزواج منها ، فوافقت على ذلك . وقد احتفل سبتاي بزواجه في قصر رفائيل . وكان احتفالا تميز بالبذخ والأبهة . وفي عام ١٦٦٥م رجع الى فلسطين ، والتقى مرة أخرى ناثان المتنبىء ، وتكررت لقاءاتهما ، واتفقا على أن يعلن سبتاي بأنه المسيح .

وفي أحد أيام مايو المشهودة من هذه السنة ، أعلن سبتاي نفسه بأنه مسيح رب يعقوب . وأخبر ناثان المتنبىء اليهود بأن يتوبوا لأن المسيح المخلص قد ظهر .

فجاء اليهود من أنحاء فلسطين الى سبتاي يعلنون توبتهم ، واجتمع حول سبتاي مجموعة كبيرة من أتباعه ، فركب أحد الأيام فرسا وطاف مدينة القدس سبع مرات هو وأتباعه ، فأغضب ذلك الحاخامات ، وكذلك قاضي المدينة فأخرج منها .

الاعلان والجاليات اليهودية :

انتشرت أخبار سبتاي بين الجاليات اليهودية بسرعة ، وأخذ هو يتصرف ويتحدث على أنه المسيح المخلص ، فرجع الى تركيا واستقر فيها مرة أخرى ، فأخذ ممثلو الجاليات يتوافدون عليه ، يحملون له رسائل موقعة من رؤساء جالياتهم ، مؤيدة له ولدعوته ، ويعترفون به مسيحا وملكا على اسرائيل .

وبدأ قسم من اليهود يستعد للذهاب مع مسيحهم الى القدس ، فباعوا ممتلكاتهم وبيوتهم ، واستأجر بعض أغنياء اليهود سفنا لنقل الفقراء اليها ، بينما اعتقد البعض الآخر بأنهم سيحملون الى القدس على السحاب ، فكانت مجموعات منهم تعلن توبتها . وفي أثناء وجود سبتاي في المعبد اليهودي كان اليهود يصرخون باسمه فتصيبهم حالة هستيرية ويغمى عليهم .

يبدو أن سبتاي عندما رأى هذا التأييد لدعوته من قبل يهود العالم أخذ يصدق بأنه المسيح الموعود ، فألغى الدعاء للخليفة العثماني الذي كان يقرأ في المعبد اليهودي ، ووضع بدلاً منه الدعاء له كملك على اليهود ومخلص لهم . وقد استمر هذا الدعاء يقرأ عند بعض الجاليات اليهودية الى فترة متأخرة .

وأخذ هو يضفي على نفسه القابا يوقع بها رسائله التي كان يرسلها الى رؤساء الجاليات اليهودية . ومن هذه الالقاب لقب (ابن الله البكر) و (أبوكم اسرائيل) وكذلك (أنا الرب الحكم سبتاي صفي) وهذا اللقب الاخير أثار غضب الحاخامات ، ولكن معارضتهم ضاعت في خضم التأييد الجارف .

ثم ألغى سبتاي الوصايا العشر ، وأحل محلها الوصايا الثماني عشرة . وألغى صيام اليوم السابع عشر من تموز من التقويم اليهودي ، وكذلك ألغى صيام التاسع من آب ، واليهود يصومونه لأنه اليوم الذي هدم فيه المعبد اليهودي ، وجعله عيدا لميلاده ، وقال لاتباعه (اجعلوه يوم فرح عظيم ، ويوم مأدبة عظيمة ، تأكلون فيه الطعام اللذيذ ، وتشربون فيه الطيب ، ولتكن فيه شموع وأنوار كثيرة ، وأغان وأناشيد ، لأنه يوم ذكرى ملككم سبتاي صفي أكبر ملوك الارض ، ولا تعملوا في هذا اليوم ، واجعلوه يوم راحة تامة ، والبسوا فيه أحسن ما تملكون من ملابس) .

كما عين ممثلين من أتباعه لقبائل اليهود الاثنتي عشرة ، وأخذ يقسم أقطار الارض بين أتباعه وعينهم ملوكا عليها .

خيبة أمل :

في العام نفسه أعلن سبتاي لاتباعه بأنه سيذهب الى الخليفة العثماني ويأمره أن يسلمه الحكم ، وأن الخليفة سيطيع هذا الامر ويستجيب له بدون حرب وانه سوف يكون خادما له .

ثم ذهب مع مجموعة كبيرة من أعوانه الى قصر الباب العالي . ولما كانت الحكومة العثمانية تعلم بتحركه خشيت أن يفلت زمام الامور من يدها ، واستقر رأيها على اعتقاله بمجرد وصوله الى هناك . وكان اليهود في أثناء هذا الوقت يجوبون شوارع اسطنبول ، يغنون بحياة المسيح الجديد ، يتوقعون حدوث معجزات قبل وصول سبتاي الى اسطنبول

وتسلمه كرسي الخلافة . ولكن ما ان وصل سبتاي الى أحد موانىء بحر مرمرة حتى وضع القيد في يديه واقتيد الى أحد السجون .

ومن هناك أخذ يرسل رسائل الى أتباعه يوصيهم بألا يضعف ايمانهم به كمسيح ، واستمروا يتظرون أحداثا عظيمة . ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، بل حدث مالم يكن بحسبانهم حيث أخذ سبتاي الى الخليفة ، وحوكم أمامه ، وحين طلب منه الادلة على كونه المسيح الموعود ، أنكر أن يكون قد ادعى ذلك خوفا من أن يقتل ، وأقنعه طبيب الخليفة الذي كان من أصل يهودي أن يعتنق الاسلام ، فقبل سبتاي نصيحته وأظهر الاسلام ، ولبس العمامة ، وتبعته زوجته وبعض أتباعه ، وأعطي لقب قابجي باشي ، وعين له راتب من قبل الحكومة .

أحدث اظهار سبتاي الاسلام هزة عميقة عند اتباعه ، وأصابهم بالذهول ، ولم يدروا لأول وهلة كيف يفسرون ذلك ، فأعلن ناثان المتنبىء بأن ما حدث انما هو سر عميق لا يعرفه الناس ، وسيكشف عنه في الوقت المناسب .

واحتار بعضهم .. فأظهر بعضهم الاسلام كما أظهره هو ، وبقي البعض الآخر على ما هو عليه وقالوا بأن ما قام به انما هو خاص به ولا يجوز تقليده فيه . ومنذ أن تظاهر بالاسلام الى أن مات بصورة مفاجئة عام ١٦٧٦م عاش سبتاي حياة مزدوجة ، فكان يقول للمسلمين بأنه ليس المسيح الموعود ، بينما يقول لاتباعه ان انقاذهم وشيك وقريب ، وقد بقيت ظاهرة الازدواجية هذه سمة من سمات السبتائية حتى اليوم .

سبتاي والسبتائية :

لم تمت حركة سبتاي بموته ، بل استمر بقاؤها بعده الى قرننا الحالي ، وأصبحت السبتائية فرقة متميزة . وبعد موت سبتاي مباشرة ادعى صهره قوريدو ، أخو زوجته الثانية بأن روح سبتاي قد حلت فيه ، وانها مستمرة من أجل خلاص العالم .

ثم ظهر شخص آخر اسمه هاشل زُرف دعا الناس الى اعتناق السبتائية لفترة ثلاثين سنة . ثم ظهر يهودي آخر اسمه بروخيا وادعى الوهية سبتاي ، ثم أدعى

صورة لسبتاي صفي رسمها شاهد عيان عام ١٦٦٦م بعد ما لبس سبتاي العمامة .

هو نفسه الألوهية .

ثم في عام ١٧٠٠م اتفقت مجموعة من رجال الدين اليهود على تكوين حركة تدعو الى السبتائية ، وسميت هذه الحركة بحركة يهودا حصيد انضم لها مئات من اليهود في أوروبا .

وفي سنة ١٧٤٠م ظهر شخص في بولندا اسمه يعقوب فرانك ، من أتباع بروخيا المتقدم ذكره ، وأظهر اتباعه الكاثوليكية كما أمرهم ، وحث الناس على الاغراق في اقتراف الذنوب من أجل تعجيل ظهور المسيح . وقد صحب كل ذلك تأليف كتب ألفها أتباع سبتاي بلوروا فيها معتقدات السبتائية .

وأهم ما يميز السبتائية أن أتباعه يعتقدون أن الاله قد تجسد في سبتاي ، ثم الايمان بأن التوراة الحالية قد ألغيت وبطل العمل بها لأن المسيح قد ظهر ، ثم

الالتزام بالوصايا الثماني عشرة التي شرعها سبتاي ، التي تنظم علاقة أتباعه به وعلاقتهم ببعضهم . وكذلك مع غيرهم كوجوب التزاوج فيا بينهم فقط ، والالتزام باقامة الاعياد والصلوات التي فرضها ، وكذلك تبرير كل الاعمال الغريبة التي قام بها سبتاي وأصحابه . وكذلك وجوب ازدواج الشخصية ، وذلك باظهار معتقد معين واخفاء المعتقد الحقيقي ، ويقارن السبتائيون ذلك بالبذرة التي لا تثمر ولا تبين حقيقتها الا بعد أن تغطى بالتراب ، ويقولون بأن الايمان الحقيقي والصادق هو الذي لا يظهر ، والذي يظهر انما هو زيف . لذلك فمن الصعب معرفة وتمييز اتباع السبتائية ، لأنهم يظهرون غير ما يخفون ، ويؤمنون بغير ما يظهرون ، ويعيش الغالبية العظمى من هؤلاء اليوم في تركيا ، حيث أطلق عليهم الاتراك اسم الدونمة .

الدونمة :

الدونمة كلمة تركيةتعني المتحول من دين الى دين آخر ، ولقد بقي الدونمة يحافظون بكل سرية على شعائرهم وتقاليدهم وآدابهم لفترة قرنين ونصف . ولم تكتشف بعض أسرار هذه الفرقة الا في النصف الاول من هذا القرن ، وعلى مر السنين تفرعت الدونمة الى ثلاثة فروع :

(١) اليعقوبيون : وهذا الفرع هو أقدم فروع الدونمة ، وسموا كذلك لأنهم أتباع يعقوب فوريدو الذي مر ذكره . وهم يسمون أيضا بالحليقين النظاف لأنهم يحلقون شعر رؤوسهم كاملا ، ولكنهم يرسلون لحاهم ، وكان يسميهم الاتراك بلابسي الطرابيش . وأعضاء هذا الفرع هم الاكثر عددا . . وقد انفصل عن فوريدو هذا أحد أتباعه واسمه بروخيا (عثمان بابا) . وكون فرعا منفصلا سمي الكركاش .

(٢) الكركاش أو الكركاشلر : وهؤلاء يعتقدون بأن بروخيا يمثل العقيدة السبتائية الحقيقية ، ويضفي عليه أتباعه نوعا من التأليه ، ولذلك فهم يتوجهون في صلاتهم اليه والى سبتاي . ويتميز هؤلاء بأنهم يرسلون لحاهم ولا يحلقون شعر رؤوسهم ، وبعد وفاة بروخيا جاء أحفاده ، ومنهم درويش أفندي الذي أدخل الاباحية الجنسية ، مستندا في ذلك على تأويلات لبعض نصوص كتب اليهود الدينية .

(٣) الكباندجيس : وهي كلمة تركية تعني القدماء ، ويسمون أيضا بالبولار أي الانصار الحقيقيين والفرسان . وقد انفصل هؤلاء عن جماعة بروخيا في العشرينيات من القرن الثامن عشر ، أي بعد وفاته مباشرة . وهم لا يعترفون بفوريدو ولا ببروخيا ، ويتميزون بأنهم يحلقون لحاهم ويرسلون شعر رؤوسهم . ونساؤهم يضفرن شعورهن ضفائر رفيعة جدا . وأعضاء هذه الفرقة اليوم هم المثقفون من الدونمة ، فأغلبهم أطباء ومهندسون وأساتذة . ومن الملاحظ أن الدونمة لهم معابدهم الخاصة بهم . ويقع المعبد عادة في وسط الحي ، ويطلق عليه (قهل) وهي كلمة عبرية تعني جماعة المصلين أو اجتماع عام .

وعلى الرغم من أن الدونمة يذهبون الى المساجد ، ويؤدون الصلاة وبعض الشعائر الاسلامية الاخرى ، الا أن العبادة الحقيقية تكون في معابدهم . ويطلقون على الشخص الذي يقودهم في صلواتهم الخوجا أو الحاخام ، وذلك جريا على عاداتهم في الازدواجية .

وعلى الرغم من أن هذه الفروع الثلاثة من الدونمة لها اختلافاتها فيا بينها ، الا أنهم يدفنون موتاهم في مقابر واحدة ، ولهم مجلس أعلى يضم رؤساءهم ويحافظ على مصالحهم .

ازدواجية اللغة :

كان الدونمة يستعملون لغة عبرية محرفة في الحديث فيا بينهم ، الا أنهم في بداية هذا القرن بدأوا يستعملون اللغة التركية في أحاديثهم والعبرية في صلواتهم ، وهم يكتبونها الآن بحروف لاتينية . أما كتب صلواتهم فهي كتب صغيرة الحجم جدا لسهولة اخفائها عن غير الدونمة . ولم يكن قد اطلع أحد غيرهم على كتبهم هذه قبل عام ١٩٣٥م .

وفي هذا العام حصل بعض العلماء المهتمين بهذا الموضوع على نص مخطوط يتضمن بعض صلواتهم . وقد تبين أن أغلب صلواتهم مأخوذة من الكتب الدينية اليهودية ، كالسدور والمحزور ، وان كان

هناك بعض التغييرات كوضع اسم سبتاي صفي في كل مناسبة ممكنة .

ومن صلواتهم التي يرددونها المقطع الآتي :

أؤمن ايمانا حقا باله الحق رب اسرائيل .

وأؤمن ايمانا حقا بأن سبتاي صفي هو الملك والمخلص الحق .

وأؤمن كذلك بأن سبتاي صفي جل جلاله المخلص الذي سيجمع بني اسرائيل المتفرقين في أطراف الارض الاربعة .

ومن المزمور الثاني نقرأ : لقد غاب عني أقرب الناس الى سبتاي صفي الذي اختاره الاله . سأبقى عبده المخلص ، وسأبقى أطلبه وأمجده الى الساعة الاخيرة من حياتي ، فلعله يغفر ذنوبي .

انني أرفع اليه عيني بالدعاء والامل .

امدحوه بأصوات عالية من أجل خلاصكم .

تبادل الزوجات :

ذكر عن الدونمة بأنهم يتخذون تبادل الزوجات والاباحية الجنسية طقسا من طقوسهم . ومن الانصاف أن يقال بأن هذا الطقس لا يطبقه كل أتباع الدونمة كما هو شائع ، وانما يطبقه بعض فروعهم . ويجب أيضا أن يقال بأن هذا الكلام ليس تهمة الصقت بهم ، وانما هو حقيقة قامت عليها أدلة ، فقد ذكر أحد الباحثين واسمه ابراهام جلنت ، كان قد اطلع على بعض طقوس الدونمة ، بأن هذا الطقس يطبق على الشكل التالي : في ليلة الثاني والعشرين من آذار ، الذي يعتبر يوم عيد الحمل ، تلبس الزوجات أحسن ملابسهن ، وأجمل حليهن ، ويبدأون بأكل العشاء ، ثم بعد العشاء تطفأ الانوار ، وتبدأ عملية تبادل الزوجات . ويعتبرون الاولاد الذين يولدون نتيجة ذلك أولادا متميزين .

بين اليهودية والاسلام :

في الثلاثينيات من هذا القرن ظهر كتاب عن سبتاي صفي والدونمة كتبه ابراهيم قوفزا Ibrahim A. Govsa وهو كاتب تركي معروف ، يذكر فيه أن من يدرس حياة الدونمة من خلال عقيدتهم وصلواتهم وامتناعهم عن الزواج من غيرهم ، الى غير ذلك ، يرى بأنهم فرقة متميزة ليست من الاسلام في شيء .

يضاف الى ذلك بأن الدونمة لم يذكروا أبدا أي شيء عن الاسلام في أدبياتهم ، وكذلك لم يلجأوا في أي وقت من الاوقات الى المحاكم الاسلامية ، أو الى علماء المسلمين في خلافاتهم .

أما بالنسبة الى علاقتهم باليهودية فان مؤرخي حياة مؤسس فرقتهم يذكرون عنه أنه لم يتخل عن علاقته باليهود واليهودية .

أما بالنسبة الى الدونمة فانهم لم يتخلوا عن اللغة العبرية ، وان أئمتهم كانوا الى وقت متأخر يدرسون التلمود . وقد عثر على وثائق مؤرخة منذ عام ١٩١٥م ... تتضمن أجوبة كان قد أجاب بها حاخامات اليهود عن أسئلة دينية وجهها الدونمة لهم .

يضاف الى ذلك بأن مجموعة كبيرة من الدونمة قدموا طلبا الى رجال الدين اليهود في سالونيكا ، طالبين قبولهم في الرجوع الى اليهودية ، وقد رفض طلبهم لأنهم اعتبروا أولادا غير شرعيين ، بسبب ما ذكر عن موضوع تبادل الزوجات .

ومما يذكر أيضا في هذا الصدد أن بعض أعضاء الدونمة هاجروا الى اسرائيل ، ولا ندري كيف كانت معاملة اسرائيل لهم . ومع كل ذلك فانه يجب أن يقال بأن الدونمة فرقة متميزة مستقلة لها عاداتها وتقاليدها وأماكن عبادتها الخاصة بها . □

(١) كانت ولادة سبتاي في اليوم التاسع من آب حسب تقويم اليهود . وهذا اليوم هو الذي هدم فيه المعبد اليهودي في القدس والاعتقاد التقليدي عندهم أن مخلصهم المسيح يولد في هذا اليوم .

أرقام

بقلم : محمود المراغي

للكبار فقط !

ليس صحيحاً أن التعلم للصغار فقط ، لكن الكبار أيضاً يستطيعون التعلم ، ويرغبون فيه .

وليس صحيحاً أن تعليم الكبار له مجال نوعي واحد هو :

محو الأمية .. ونطاق جغرافي واحد هو : الدول النامية ... فقد أثبتت الأرقام أخيراً أن خمس الراشدين في كندا - طبقاً لاحصاءات اليونسكو يتابعون دورات تعليمية .. وأن ثلث سكان السويد فيما بين (١٨ و ٦٥) عاماً من العمر يفعلون نفس الشيء .. وأن (٧٠) بالمائة من العمالة اليابانية تشارك في برامج تدريب مستمر .

الفصول الدراسية اذن ليست مقصورة على التلميذ الصغير والمنتظم والمتفرغ للدراسة .. وتعلم الكبار يمتد من مجال الأمية وتعلم القراءة ، الى مجالات أخرى للتدريب أو التعليم ونقل المعرفة .. ولكن ...

وعندما يكون الحديث عن العالم الثالث أو الوطن العربي ، فان محو الأمية يكون هو المجال الرئيسي للحديث ، وإنْ تزايد الاهتمام بمجالات تعليم الكبار الأخرى .

في الوطن العربي بدأ الاهتمام قديماً ، وشهد العصر العباسي منذ (١١) قرناً أنواعاً من التعليم المستمر ، وكان ذلك تطبيقاً لتعاليم الرسول ﷺ « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » .. ولكن في فترات التدهور تراجع الاهتمام بالتعليم وفر الكبار - قبل الصغار - من مدارسهم ، ان جاز استخدام هذا التعبير .

لا ينفي ذلك أن فترات نهضة قد مرت على الوطن العربي ، وأن تلك الفترات قد شهدت جهوداً منظمة لنقل المعرفة الى كبار السن ، وفي نطاق برامج تعليمية وليس نطاق التثقيف العام .

وقد ارتبط ذلك بفترات البعث الحضاري والقومي .. كما ارتبط بالتقدم الاقتصادي .. وأخذ أشكالاً عدة آخرها : إنشاء جهاز عربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، وهو أحد أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة .

نظرياً .. هناك خطة لدى الجهاز لتعليم الكبار في الوطن العربي حتى عام (٢٠٠٠) ....

وعملياً .. هناك حملات قومية لمحو الأمية في العديد من البلدان العربية ....

ولكن .. في نفس الوقت فان النتائج تتباين ، وتختبىء معلوماتها .. ربما لأن النتائج متواضعة ... وربما لأن قنوات الاتصال ضعيفة .

في مصر ، على سبيل المثال ، كان النفاذ الى عقول الكبار متعدد السبل .. ففي الأربعينيات والخمسينيات أنشىء ما يسمى بالجامعة الشعبية ، وفي الستينيات - مع النهضة الصناعية - تم وضع برامج ضخمة للتدريب المهني والاداري .. وامتد ذلك ليشمل المديرين ووكلاء الوزارات ورؤساء المؤسسات من القادة الاداريين ، وأنشىء لهذا

الغرض العديد من الأجهزة الحكومية والمعاهد العلمية ، التي تحول بعضها فيما بعد الى كليات تمنح الشهادات الدراسية العليا .

وفي الستينيات أيضاً صدر أول قانون يمنع الترقي في الحكومة والقطاع العام لمن لا يحسنون القراءة والكتابة ، وتجمعت الجهود السياسية من أجل محو الأمية .. ثم انتكست الحملة بعد ذلك .

بعدها .. أنشئت في مصر جامعة عمالية تقوم على تعليم الكبار مختلف أوجه المعرفة التي يحتاجونها في أعمالهم كالاقتصاد والادارة والعمل النقابي وبعض أنواع المعرفة الفنية ، خارج نطاق من التدريب المهني ، فالتدريب شيء آخر .

نفس الشيء - وبدرجات متفاوتة - حدث في بلدان عربية عديدة .. فأنشئت معاهد للادارة - على سبيل المثال - لتعليم من هم في نهاية السلم المهني بفنون الادارة والقيادة الادارية ..

وقد كانت القضية باستمرار : كيف نجذب شخصاً تقدم به السن الى مجال الدراسة ؟ ..

وبينما كان الاعتراف واسعاً بأنه لا بد من ارتباط تعليم الكبار بمصلحتهم المادية والمهنية .. فان الاعتراف كان أقل بارتباط نوع من أنواع هذا التعليم - وهو محو الأمية - بتقدم الفرد مادياً ومهنياً ..

أيضاً .. وبينما كانت الحاجة لتعليم الكبار مسلماً بها .. فان السؤال الذي كان يشغل القائمين على هذا التعليم غير النظامي هو : كيف نخاطب عقولاً تركت المدرسة وتركت سن التعليم ، وربما أصبحت قادرة على أن تعطي الكثير في مجال المعرفة .. لكنها - وفي نفس الوقت - بحاجة لأنواع أخرى من المعارف ؟ .. كيف تجلس امرأة في الخمسين من عمرها على مقعد في فصل دراسي تستمع لمدرس شاب أو مدرسة شابة ، تعلمها أصول الكتابة والقراءة ؟ .. وكيف يستمع مدير مضت به سنوات العمر والخبرة لشاب متخصص أو خبير محنك يحاضره في فن من فنون العمل ؟

ولأن الأمر كان متعلقاً بتنمية الطاقة البشرية وزيادة المهارات والكفاءة الانتاجية وتحسين ظروف العمل .. فقد تم ابتكار الوسائل المختلفة أو انتاجها مما جرى تطبيقه في الدول الصناعية ..

لم يقتصر محو الأمية على فصل دراسي يضم أربعين طالباً في سن الأربعين أو الخمسين .. لكن الفصل انتقل الى المنزل عبر المذياع والتلفاز .

ولم يقتصر تعليم الفنيين والخبراء والمديرين على البرنامج الدراسي الجامعي ، لكن الأمر امتد لدورات خاصة ذات أساليب مناسبة ، فكان التدريب والتعليم : عبر الندوة العلمية والحلقة النقاشية والمؤتمر .. وكانت الفلسفة واضحة ، وهو أن التلقين لا يناسب هذه الأعمار وهذه المهن .. وأن المشاركة شيء أساسي لنجاح التلقي .. وأن البداية أن يجتمع المديرون - على سبيل المثال - ويعرضوا مشاكلهم ، ويعيد المدرب أو المحاضر ترتيب أفكارهم ، بحثاً عن حل بالطريقة العلمية ، ووفقاً للنظريات الحديثة .

و .. بينما كان التلقين والمعرفة المباشرة أسلوباً للصغار ، أصبح التسلل الى العقل والحوار والتخاطب غير الرتيب أسلوباً لمخاطبة الكبار .

حدث ذلك في الوطن العربي ، ولكن .. في المجال العالمي كان الاهتمام أشد .. وحين اجتمع (٨٠٠) مندوب من ١٢٢ دولة في مؤتمر أخير لتعليم الكبار نظمته اليونسكو ، كانت أهم وثائق المؤتمر إعلان حق التعليم ، وكان المقصود كل أنواع التعليم ..

تقول الأرقام أن هناك - بخلاف الأطفال (٨٠١) مليون أمي في الدول النامية .. وأن عدد الذين يتعلمون القراءة في العالم (١٥٠) مليون شخص كل عام ... ولكن من بين هؤلاء يرتد الى الأمية مائة مليون .. أي أنه لا يبقى قارئاً غير الثلث ..

وتقول المعلومات ان المشكلة ليست مقصورة على الدول النامية ، فبالرغم من أن كل قارىء في الدول الصناعية يجد الفرصة ليطالع عشرة كتب ، وذلك في مقابل نصف كتاب لكل قارىء في الدول النامية ... بالرغم من ذلك فإن المشكلة تمتد على نطاق العالم كله .. وذلك أن عصر « ما بعد الكتاب » .. عصر التلفاز وأجهزة الاتصال الحديثة قد ترك بصماته على الكلمة المكتوبة ، التي لم تعد هي السبيل الوحيد للمعرفة المنتظمة .. أصبحت هناك سبل أخرى ، حتى برزت الحاجة لانشاء جمعية دولية تحمل اسم : « الجمعية الدولية للقراءة » ... وهو ما تم بالفعل ! □

قسطرة الزهراوى

كيف أصبحت آخر صيحة فى الطب ؟

بقلم الدكتور سامى عزيز

ماهى القسطرة ؟

ابوالقاسم الزهراوى . . هل ننسى فضله ؟

كيف تطورت الفكرة حتى أصبحت على صورتها الحالية ؟

ماهى أنواع القساطر ؟ وما الجديد فيها ؟

ما الفرق بين قسطرة القلب وقسطرة الاوردة وقسطرة الشرايين التاجية ؟

هل يمكن استخدام القسطرة بدلا من الجراحة ؟

عرف العرب القساطر واستخدموها في العلاج ، وكلمة قسطرة عربية الاصل ، اطلقها العرب أولا ونقلها عنهم الغرب بعد تحريفها . . وأول من وصفها من العرب الطبيب الجراح « ابوالقاسم الزهراوى » ففى كتابه التصريف الذي يقع في ثلاثين جزءا ، وقد نقل الى أكثر من لغة ، وظل مرجعا للجامعات في أوروبا حتى مطلع القرن السابع عشر . . في هذا الكتاب يصف « الزهراوى » عددا من القساطر التى استخدمت فى ذلك الوقت بغرض غسيل المثانة البولية ، أو ادخال بعض السوائل فيها ، أوبغرض ازالة الدم من تجويف الصدر أو من الجروح . والقسطرة التى وصفها الزهراوى عبارة عن انبوبة مخروطية الشكل مصنوعة من العظام ، أو من العاج ، او من المعدن ، ويتصل بطرفها من الناحية الاخرى كيس جلدى أو مثانة حيوان ، وبالضغط عليها يندفع السائل الى الأمام

خلال الانبوبة الرفيعة (شكل رقم ١) .

قسطرة المثانة البولية

يرجع احتباس البول الى العديد من الأسباب :
١ ـ احتباس البول الذى يلى بعض العمليات كالبواسير مثلا .
٢ ـ سرطان البروستاتا او تضخم البروستاتا الحميد عند الرجال .
٣ ـ اصابات الحبل الشوكى .
٤ ـ اصابات المثانة البولية .
٥ ـ ضيق عنق المثانة .
٦ ـ ضيق مجرى البول نتيجة اصابة أو التهاب أو وجود حصوة في مجرى البول .

لذلك فعلاج حالات الاحتباس البولى يجب أن يشتمل على :-
١ ـ تشخيص وعلاج سبب الاحتباس .
٢ ـ التخلص من الاحتباس وذلك بحقن المريض ١٠ ملليجرام من عقار المورفين ، لايقاف الألم ، ووضع كمادات مياه دافئة على الجزء السفلى للبطن ، وتشجيع المريض على التبول ، فاذا مانجحت هذه الوسيلة فانه يمكن البدء فى اعداد المريض لاجراء عملية ازالة للبروستاتا المتضخمة اذا ماإحتاج الأمر .

اما عند فشل هذه الوسائل البسيطة فانه يمكن اللجوء الى احدى هذه الوسائل

● أولا : قسطرة مجرى البول : توجد أنواع مختلفة من هذه القساطر ، فمنها القساطر المعدنية الصلبة التى استخدمت في الماضى ، وقساطر الكاوتشوك اللينة الحمراء التى يمكن تعقيمها بالغليان ، وقساطر البولى ايثلين التي يتم تعقيمها في مصنع بأشعة جاما ، لذلك تستخدم مرة واحدة ، ولكنها دون شك أفضل أنواع القساطر وأقلها مضاعفات . كذلك تختلف القساطر في أحجامها لتناسب كل سن (يرمز الى كل حجم برقم معين) كما أن قساطر البولى ايثلين توجد على أشكلة مختلفة فمنها :

أ ـ القسطرة الاعتيادية .
ب ـ القسطرة ذات الطرف البالونى ، التى يمكن عن طريق حقن ٢٠ سنتمتر ماء خلال فتحة معينة بالقسطرة بعد ادخالها في مجرى البول ، نفخ الطرف البالونى وبالتالى تبقى القسطرة في مكانها .
ج ـ القسطرة ذات الطرف المنحنى ، التي يفضل استخدامها في حالات الاحتباس البولى المصاحب لتضخم البروستاتا .

● ثانيا : ادخال القسطرة للمثانة البولية مباشرة من خلال فتحة صغيرة اسفل جدران البطن (أعلى عظمة العانة) وغالبا مانلجأ لهذه الطريقة عند الفشل في ادخال القسطرة خلال مجرى البول .

قسطرة الوريد :

من أيسر وسائل العلاج ، استخدام العقاقير التى تؤخذ عن طريق الفم ، ولكن هناك احتمالات كثيرة يتعذر معها العلاج عن طريق الفم ، مثل حالات الغيبوبة والانسداد المعوى والصدمات المختلفة وحالات الجفاف وغيرها .. هذه الحالات في حاجة الى وسيلة علاجية سريعة وفعالة ، كما أن تناول العقاقير عن طريق الفم في هذه الحالات غير ممكن .

ويعتبر العالم والباحث الانجليزى « كريستوفر

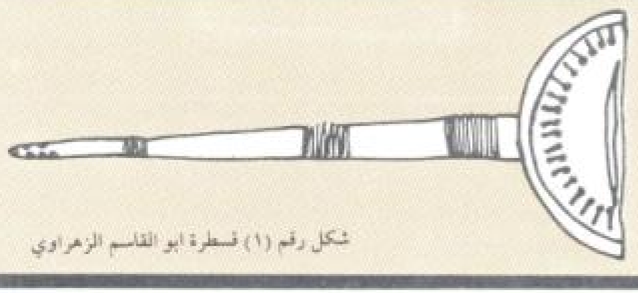

شكل رقم (١) قسطرة ابو القاسم الزهراوي

قرن ، أول من استخدم الحقن في تيار الدم كوسيلة علاجية ، اذ قام بحقن بعض الخمر والبيرة في وريد كلب له ، وبدأ في دراسة تأثيرها على الكلب . كما أن (بويل) الكيميائي الشهير وصف تجارب (نفس القسطرة التي وصفها أبو القاسم الزهراوي في كتابه التصريف) ثم قام بالضغط على المثانة فأفرغت ماءها من سائل الى تيار دم الحيوان .

وتطورت قسطرة (ابوالقاسم) واصبحت من مادة البولي ايثلين بدلا من عراق ريشة طائر ، كما أن قطرها أصبح لايتجاوز المليمتر الواحد ، أما تعقيمها فيتم في المصنع المنتج لها باستخدام أشعة جاما ، لذلك تستخدم مرة واحدة .

ومؤخرا أمكن ابتكار قسطرة جديدة يمكن عن طريقها حقن ثلاثة محاليل مختلفة دون خلطها من قسطرة واحدة . القسطرة الجديدة يتم ادخالها في الوريد بواسطة « مدخل » ويمكن من خلالها حقن ثلاثة محاليل في نفس الوقت دون خلطها . . اذ أنها رغم صغر قطرها الداخلي تحتوي على ثلاثة مسارات منفصلة . . والقسطرة تم صنعها من مادة البولي ايثلين ، ويصل طولها الى ١٢ بوصة ، أما المسارات الداخلية الثلاثة فتنتهي بفتحات على مستويات مختلفة ، وبذلك تخرج المحاليل من فتحات مختلفة وعلى مسافات متباعدة ، مما يتيح عدم تفاعلها فيما بينها ، وسرعة اسعاف المريض من خلال قسطرة واحدة دون الحاجة الى استخدام أكثر من وريد لحقنها .

الفشل الكلوي وقسطرة الغسيل البريتوني :

يرجع ارتفاع بولينا الدم وغيرها من المواد الضارة الناتجة عن عمليات الايض (الفشل الكلوي المزمن) الى العديد من الأسباب وأهم هذه الأسباب : التهاب الكليتين المزمن ، وارتفاع ضغط الدم ، ومرض القناع الأحمر ، والتيبس الجلدي والبول السكري ومرض النقرس (داء الملوك) وبعض أمراض الكلى الخلقية ، وتناول المسكنات لفترات طويلة . وقد يظن البعض أن الفشل الكلوي يعني فشل الوظيفة الاخراجية للكليتين ، ولكننا في الواقع نعني بالاضافة الى ذلك :

١ ـ فشل الوظائف الايضية والهرمونية للكليتين .
٢ ـ سوء التغذية واضطراب العمليات الأيضية (الخاصة بالمواد الكربوهيدراتية والدهون والبروتين) .

وتختلف أعراض الفشل الكلوي من مريض لآخر ، وتتوقف شدة الأعراض وحدتها وسرعة حدوثها على كتلة الكلية المصابة وسرعة انتشار المرض ، وأهم أعراض وعلامات الفشل الكلوي :ـ

١ ـ ارتفاع ضغط الدم ، فقر الدم (الأنيميا) .
٢ ـ زيادة كمية البول وكثرة التبول الليلي .
٣ ـ اضطراب الجهاز الهضمي : فقدان الشهية ، الشعور بالغثيان والقيء ، والنزلات المعوية ، قرحة المعدة ، الالتهاب الكبدي،الاستسقاء .
٤ ـ اضطراب الجهاز الدوري : قصور القلب (هبوط القلب) التهاب غشاء التمور المحيط بالقلب ، التهاب عضلة القلب .
٥ ـ اضطراب الجهاز العصبي : الشعور بالتعب ، اضطراب النوم ، الصداع المزمن ، التهاب الاعصاب الطرفية ، الشلل ، الصرع ، غيبوبة الفشل الكلوي .

ويعتمد العلاج الحديث لحالات الفشل الكلوي المزمن بالاضافة الى العلاج بالعقاقير على ثلاث نواح اساسية تحددها حالة المريض وعمره ، ومدى استجابته للعلاج ووضعه المالي .

١ ـ الغسيل الدموي .
٢ ـ الغسيل البريتوني .
٣ ـ زرع كلية جديدة .

ويهمنا هنا الحديث عن الغسيل البريتوني وقسطرة (تنكوف) التي ابتكرها سنة ١٩٦٨ ، وتم تطويرها فيما بعد حتى وصلت الى صورتها الحالية ، ويمكن بهذه الوسيلة عمل غسيل بريتوني مرتين الى ثلاث مرات في الأسبوع (مايقرب من ٣٠ ساعة الى ٤٠ ساعة في الاسبوع) وقد تمكن العلماء مؤخرا من ابتكار طريقة جديدة يمكن بها تثبيت قسطرة في الغشاء البريتوني من خلال فتحة صغيرة بجدران البطن أسفل السرة ، ويتم توصيل طرف القسطرة الخارجي بمحاليل خاصة

موضوعة في عبوات من مادة البولي ايثلين تصل الى لترين ، ويمكن بهذه الوسيلة عمل غسيل بريتونى مستمر كل ٤ الى ٦ ساعات ، وتمتاز هذه الطريقة عن الغسيل الدموى بالمميزات الآتية :-

١ - لايحتاج استخدامها الى تناول عقار الهبارين الذي يحدث سيولة الدم ، ويمنع تجلطه ، كما هو الحال في الغسيل الدموى .

٢ - لايحتاج استخدامها الى عمل جراحة في الأوعية الدموية .

٣ - استخدامها يؤدى الى تنقية الدم من المواد الضارة بصورة تدريجية ، وبالتالي لاتحدث مضاعفات .

٤ - لايحتاج استخدامها الى البقاء في المستشفى ، بل يمكن للمريض مزاولة حياته اليومية العادية ، والقسطرة والعبوة المحتوية على المحلول تبقى مربوطة حول البطن أسفل ملابسه .

٥ - رخيصة الثمن بالمقارنة الى الغسيل الدموى .

الا أن هذه الطريقة لاتخلو من بعض العيوب مثل :

١ - العلاج بهذه الوسيلة قد يطول لفترات تصل الى عدة شهور .

٢ - الالتهاب البريتونى أكثر حدوثا .

٣ - غالبا ماتكون هذه الوسيلة عديمة الجدوى في مرض الفشل الكلوى ، الناتج عن بعض الأمراض مثل ارتفاع ضغط الدم والتيبس الجلدى . (شكل رقم ٢) .

شكل رقم (٢) قسطرة الغسيل البريتوني

قسطرة القلب والأوعية الدموية :

يمكن عن طريق قسطرة القلب وتصوير الأوعية الدموية بعد حقنها بالصبغة ، الحصول على العديد من المعلومات التشخيصية والتشريحية والفسيولوجية . وأهم هذه المعلومات :

١ - معرفة مستوى الضغط داخل حجرات القلب ، وخلال الأوعية الدموية المختلفة ، وعبر صمامات القلب .

٢ - تحديد كمية الدم التى يضخها القلب في الدقيقة ، ومقاومة الأوعية الرئوية والطرفية .

٣ - التصوير الراديولوجى التشريحى لحجرات القلب والأوعية الدموية الكبيرة المتصلة به (الأورطى والشريان الرئوى) .

٤ - التصوير الراديولوجى التشريحى للشرايين التاجية ، واكتشاف أى تقلصات في الشرايين التاجية .

٥ - اكتشاف وتحديد اى مسارات غير طبيعية داخل حجرات القلب .

٦ - ادخال قطب كهربائى داخل حجرات القلب لعمل تسجيل خاص برسام القلب الكهربائى ، وتحديد المنطقة صانعة الحركة لانقباض عضلات القلب .

٧ - دراسة العقاقير التى تؤثر على نظم القلب وحركاته .

٨ - تحديد كمية الدم التى تجرى في الشرايين التاجية .

٩ - الدراسة الهستولوجية لعضلة القلب وذلك بادخال

القسطرة حتى البطين، وأخذ عينة من عضلة القلب، ودراسة التركيب الهستولوجي لها تحت الميكروسكوب.

اما دواعي استخدام قسطرة القلب وتصوير الأوعية الدموية فهي :ـ

١ ـ الأمراض المكتسبة لصمامات القلب : تساعد قسطرة القلب والتصوير الراديولوجي للقلب بعد حقن مادة ملونة، على تحديد طبيعة المرض، ومدى الخلل في وظيفة الصمامات، وبالتالي التأكد من ضرورة الاتجاه الجراحي قبل البدء فيه. وغالبا مانحتاج الى قسطرة القلب في حالة خلل الصمام الميترالي، المصحوب باضطراب الصمام الأورطي، كذلك في حالات اختلال الصمام الثلاثي الشرفات، المصحوب بامراض الشرايين التاجية.

٢ ـ امراض القلب الغير مكتسبة (الخلقية) : تساعد قسطرة القلب في تحديد نوع العيب الخلقي والتغيرات الوظيفية المصاحبة له.

٣ ـ آلام الصدر الغير معروفة السبب : يمكن باستخدام المواد الملونة (الصبغة) تصوير الشرايين التاجية للقلب، وتشخيص بعض الأمراض المسئولة عن ألم الصدر مثل : تصلب الشرايين التاجية للقلب أوتقلصها، كما يمكن تحديد مدى نجاح الاتجاه الجراحي في العلاج.

٤ ـ ربما تعود بعض الاعراض المرضية الى الظهور بعد اجراء عملية للقلب.. وهنا تساعد القسطرة في تحديد مدى نجاح العملية، ومعرفة السبب المباشر لعودة الأعراض مثل :

أ ـ الفشل الوظيفي للصمام الصناعي.

ب ـ فشل الشريان التاجي المزروع.

ج ـ الاصلاح غير التام للعيب الخلقي.

٥ ـ لتشخيص أمراض عضلة القلب المختلفة، وأمراض غشاء التامور المحيط بالقلب، والتأكد من عدم مصاحبة الحالة بأحد هذه الأمراض :

أ ـ الارتجاع الميترالي.

ب ـ امراض الشرايين التاجية.

ج ـ تضخم عضلة القلب الوراثي.

٦ ـ حالات ارتفاع ضغط الدم الرئوي : تساعد القسطرة في معرفة السبب المباشر لارتفاع ضغط الدم الرئوي.

٧ ـ مرضى العناية المركزة في حاجة الى تحديد كمية السوائل المطلوب حقنها في الوريد بدقة شديدة، لذلك لابد من قياس الضغط للشريان الطرفي الرئوي باستخدام قسطرة خاصة (قسطرة سوان جانز) وبالتالي يمكن معرفة مستوى الضغط داخل البطين الأيسر المصاب، وتحديد قدرته على دفع السوائل المراد حقنها في الدورة الدموية.

حتى الشرايين التاجية لها قسطرة :

سميت شرايين القلب بالشرايين التاجية لانها مع فروعها تغطي القلب على شكل تاج، وتتكون الشرايين التاجية من شريانين رئيسين هما :

الشريان التاجي الأيسر (الأمامي)، والشريان التاجي الايمن (الخلفي)، وهما يخرجان من الشريان الأورطي، ثم ينقسمان عدة مرات الى فروع أصغر فأصغر، حتى تتكون منهما شبكة من الشرايين الصغيرة، والشعيرات تحمل الدم الى جميع خلايا القلب.

وقد يحدث انسداد كامل بأحد الشرايين التاجية (جلطة الشريان التاجي) وينتج عن هذا الانسداد امتناع وصول الدم الى الجزء الذي يغذيه هذا الشريان من القلب، فيحدث في هذا الجزء المصاب مايسمى بالاحتشاء.

في سنة ١٩٧٩ تمكن الدكتور الألماني ريتتروب من ابتكار طريقة جديدة لعلاج جلطات الشرايين التاجية الحديثة التكون، وذلك بادخال قسطرة خاصة الى الشريان التاجي المسدود وحقن مادة « استربتوكايناز » التي من شأنها اذابة الجلطة، وبالتالي اعادة الدم والأوكسجين اللازم الى الجزء المصاب من عضلة القلب.. ولكن هذا النوع من التدخل يحتاج الى مراكز متخصصة تتوافر فيها الاستعدادات الكافية لاجراء جراحات القلب، بحيث يمكن التدخل عند حدوث أي مضاعفات. هذا وقد ابتكر الدكتور « جرونترج » في زيوريخ « بسويسرا قسطرة خاصة جعل في نهاية طرفها بالونا صغيرا، وعند ادخال القسطرة في الشريان التاجي الى المنطقة المصابة بالضيق يتم نفخ البالون الصغير، وبالتالي توسيع أي ضيق به، وعند سحب القسطرة يعود سريان الدم في

الشريان التاجى بكميته الطبيعية ، وبالتالى تزول آلام الذبحة الصدرية ، وتصل نسبة النجاح في الحالات التى تم علاجها بهذه الطريقة الى أكثر من ٥٥٪ ، ويلاحظ أن بعض الحالات قد تستدعى عمل ترقيع للشرايين التاجية بصفة عاجلة.

القسطرة بدلا من الجراحة :

الأساس العلمى لهذه القسطرة يرجع الى سنة ١٩٠٤ .. ففى هذه السنة وصف « دابارن » طريقة جديدة لعلاج أورام الرأس السرطانية ، وذلك بحقن مزيج من البارافين والفازلين في الشريان السباتي الخارجى ، ليسد الأوعية الدموية التى تغذى الورم ، وبالتالى يسهل ازالته جراحيا بأقل نزيف .. الا أن فكرة « دابان » لم تخرج الى حيز الوجود الا في السنوات القليلة الماضية .. اذ امكن ابتكار انواع جديدة من القساطر الرفيعة للغاية ، والتى يمكن توجيه طرفها الأمامى الى الفرع الشريانى المراد سده دون غيره (امكن التوصل الى ذلك بواسطة أجهزة التصوير الاشعاعى الحديثة ، التى تحتوى على شاشات يمكن بواسطتها رؤية طرف القسطرة داخل الشريان ، وبالتالى تحريكها في الاتجاه الصحيح) .

أما المواد التى تستخدم حاليا في سد الشرايين فأهمها :

١ ـ الجلطات الدموية وحامض الامينوكابرويك
٢ ـ الاسفنج الطبى المانع للنزيف .
٣ ـ الأم الحنون
٤ ـ الرغاوى الطبية .
٥ ـ مادة التفلون والرصاص .
٦ ـ مادة السليكون .

كما أن دواعي استخدام السدادة الشريانية كوسيلة علاجية كثرت وتعددت بعد أن كانت مقصورة في الماضي على الأورام السرطانية .
وأهم هذه الدواعى :

١ ـ تصلح السدادة الشريانية لعلاج التشوه الشريانيوريدى في الوجه الذي قد يصاحبه الم ، صداع ، نزيف متكرر او تقرحات .. اذ أنها تقلل في الحجم ويسهل ازالتها جراحيا .

٢ ـ الناسور الشريانيوريدى الذي قد يكون عيبا خلقيا أو مكتسبا .

٣ ـ الأورام الموجودة في قاع الجمجمة والتى يصعب الوصول اليها جراحيا ، ويهدف العلاج بالسدادة الشريانية الى :

أ ـ حقن العقاقير القاتلة للخلايا السرطانية مباشرة في الورم من خلال الشرايين المتصلة بالورم .

ب ـ الحد من كمية الدم التى تصل للورم .

ج ـ الحد من نمو الورم .

٤ ـ التحكم في نزيف الأنف (الرعاف) الذي قد يصاحب بعض الأورام ، ويصعب ايقافه بالطرق التقليدية .

٥ ـ علاج الصداع النصفى بادخال سدادة شريانية في الشريان السباتى الأوسط .

٦ ـ علاج نزيف المخ الحاد (العرضى والمرضى) .
ولكن يجب التنبه الى أن العلاج باستخدام السدادة الشريانية لايخلو من بعض المضاعفات مثل :

أ ـ تقرحات الجلد أو تغير لون الجلد .
ب ـ تقرحات اللثة والشفاه واللسان .
ج ـ ارتفاع درجة حرارة الجسم .
د ـ تورم الوجه أو ضمور انسجته .

والحقيقة أن هذه المضاعفات مجتمعه لاتمثل شيئا بالمقارنة الى مضاعفات التدخل الجراحى ، والتى غالبا ماتهدد حياة المريض .. كما أن نسبة نجاح السدادة الشريانية في علاج الناسور والتشوه الشريانيوريدى والرعاف أعلى بكثير من نتائج التدخل الجراحى ، هذا بالاضافة الى امكانية علاج بعض الحالات التى يستحيل علاجها جراحيا مثل الأورام الموجودة في قاع الجمجمة وغيرها .

والقسطرة هي هي مهما تغيرت وتطورت وتعددت استخداماتها ، والفضل الى صاحب الفكرة الاولى العالم العربى أبوالقاسم الزهراوى . □

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

جاء في قوله تعالى : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عَقِبَيْهِ فلن يضرّ الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين) آل عمران ١٤٤ .

انفرط عقد المسلمين في أثناء موقعة أحد ، ولم تعد لهم فئة ولا جمع ، وكتائب قريش توجع فيهم قتلا ذريعا وهي تنادي بشعارها : « باللعُزّى ، يَاهُبَل ! » وقصدت جماعة من جيش المسلمين حصن بني حارثة في اتجاه المدينة يلجأون اليه ، فقتل عدد كبير منهم في أثناء فرارهم . أما عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد أحدق به بعض المهاجرين والانصار ، وانطلقوا به الى سفح تل أحد حيث أعاد بعض النظام الى صفهم ، بينما كانت النبل تأتي عليهم من كل ناحية .

وأقبل من جيش قريش عبدالله بن قميئة وهو يصيح : « دلوني على محمد فو الله لئن رأيته لاقتلنه ! لا نجوت ان نجا ! » فما أن رأى النبي ، وكان واقفا عند حفرة ولا يشعر بها ، حتى ضربه بالسيف على منكبه الايمن ، فوقع النبي في الحفرة حتى توارى . واعتقد ابن قميئة أنه قد قتله ، فرجع الى قريش يقول : « قتلت محمدا » .

ونادى جُعال بن سراقة وهو يقاتل مع المسلمين : « أيها الناس ، ان محمدا قد قتل ! » فسقط في أيدي المسلمين وتفرقوا في كل وجه . وصاح أحدهم : « ان رسول الله قد قتل ، فارجعوا الى قومكم فانهم ـ أي قريش ـ داخلو البيوت » . وقال البعض : « ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان » . وقال آخرون : « لو كان نبيا لما قتل . ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم الاول ! » .

وصعد رهط منهم الجبل فجلسوا وألقوا بايديهم ، وكان فيهم عمر بن الخطاب . واذ مر بهم أنس بن النضر سألهم : « ما يقعدكم ؟ » قالوا : « قتل رسول الله ! » فقال : « ياقوم ، ان كان قُتل محمدٌ فإن رب

محمد حي لايموت . ما تصنعون بالحياة بعده ؟ ! قاتلوا على ما قاتل عليه » . ثم قال : « اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء » . ثم أقبل يجالد العدو بسيفه حتى قتل . ومر مالك بن الدخشم على خارجة ابن زيد جريحا فقال له : « أما علمت أن محمدا قد قتل ؟ » قال خارجة « ان كان قد قتل فقاتل عن دينك ! » .

وقد أوحي الى رسول الله بعد انتهاء وقعة أحد نحو ثمانين آية من سورة آل العمران تعرضت للمعركة (وهي من أطول مجموعات آيات القرآن المتصلة في موضوع واحد)ومنها هذه الآية الكريمة .

والجدير بالذكر هنا أن هذه المواقف المتباينة من جانب المسلمين ازاء اشاعة مقتل الرسول ، قد تكررت بحذافيرها عند وفاته ، ونشأ من جرائها ما يسميه بعض المؤرخين بأول أزمة خطيرة في التاريخ الاسلامي ، بل يمضي هؤلاء فيقولون أنه لولا أن تمكن عمر بن الخطاب وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح من حسم الامر على النحو الذي حسم به في اجتماع سقيفة بني ساعدة ، لما كان هناك تاريخ اسلامي على الاطلاق !

ذلك أنه ما أن أعلن نبأ وفاة الرسول عليه السلام حتى ظن بعض المسلمين ، خصوصا البدو ، أن قصة الدين الجديد برمتها قد انتهت ، وأن الوقت قد حان للعودة الى ما كانوا عليه قبل الرسالة ، وأن الامر قد قضي بوفاة سيد الجماعة الذي كانوا يدينون له بالولاء .

ورأت جماعة أخرى أن الدين الجديد لابد له من أن يظل قائما حتى بعد وفاة الرسول ، غير أنه بالنظر الى أن الرسول لم يوص قبل وفاته بنظام حكم يريد قيامه بعده ، ولا اختار رجلا معينا ليخلفه ، فلا مناص من العودة الى التنظيم الاجتماعي القديم ، والاوضاع التي كانت مألوفة لدى القبائل في الجاهلية ، ويترك أمر الدين والحياة الروحية للافراد ، كل يرى لنفسه بصددها ما يعتبره خيرا له .

أما الجماعة الثالثة التي قدر لها أن تفرض رأيها على الآخرين ، وهي جماعة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ، فقد ذهبت الى ضرورة استمرار أمة المسلمين وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية واحدة ، وأن على هذه الوحدة المتميزة أن تواجه العالم خارجها في سبيل نشر الرسالة ، قوية متماسكة في ظل من يختاره المسلمون خليفة لرسول الله . وأن الآراء والمواقف التي دعا اليها الفريقان الاولان هي بالضبط ما عنته الآية « أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

وقد تمكن أبو بكر وعمر وأبو عبيدة في اجتماع سقيفة بني ساعدة ، من أن يقنعوا الغالبية بحكمة ما ذهبوا اليه ، وباختيار أبي بكر ومبايعته .

والواقع أن هذا القرار الذي اتخذ في سقيفة بني ساعدة يعتبر من أهم القرارات التي اتخذت في تاريخ البشرية ومن أبعدها أثرا ، وأن تاريخ الدولة الاسلامية الذي نعرفه لا يمكن تصوره بدونه ، والغريب أن الكثيرين ـ بل الغالبية العظمى ـ من المسلمين اليوم يكادون يرونه أمرا طبيعيا منطقيا لامفر منه أن يتوصل المسلمون الاوائل الى قرار استمرار التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي للامة الاسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يختاروا خليفة له لحكم هذه الامة وادارة دفة أمورها ، وكأن هذا الاستمرار وهذا الاختيار من أسهل الامور وأيسرها ! كذلك فان الكثيرين من المؤرخين المسلمين وعلماء المذاهب وقادة الفرق القدماء كانوا أكثر اهتماما ببيان فضائل هذا الصحابي أو ذاك وحقه في خلافة رسول الله ، منهم بتأكيد خطورة القرار الذي اتخذ في اجتماع السقيفة وأهميته في تاريخ الاسلام ، فكأن احاطتهم بالتاريخ الاسلامي اللاحق قد خلقت لديهم ـ كما خلقت لدى مسلمي اليوم ـ الوهم بأن القرار كان منطقيا حتميا يكاد يكون مفروغا منه مسلما به ، ناسين أن النزر القليل من أحداث التاريخ البشري هو الذي يمكن أن نصفه بأنه منطقي .

لقد كان قرار استمرار الامة قرار أبي بكر وعمر وأبي عبيدة . وكان يمكن ألا يتخذ القرار في اجتماع السقيفة وأن يختار المسلمون أن ينقلبوا على أعقابهم . غير أن الله تعالى شاء لرأي من فهموا الحكمة من وراء آياته البينات أن يكون لهم الغلبة . □

المغنزيوم

هل هو من متطلبات العصر أم هو لضرورة الشفاء ؟

بقلم : الدكتور صلاح بركات

من الملاحظ في أوروبا الآن، ازدياد الطلب على الأدوية المحتوية على مركبات المغنزيوم . لأنه يعتبر الدواء المطلوب في إبعاد الأحزان والقلق - وما أكثرها - عن النفس الانسانية ، وهو أيضاً البلسم الشافي من كثير من الأمراض ! فما هي قصة المغنزيوم ؟

يخيل لبعض الاشخاص ان اكسير الراحة لهم أو ترياق الحياة الهانئة ، هو تناول دواء مؤلف من مركبات المغنزيوم ، سواء كان بصورة حبوب او بصورة سوائل لترد لهم النشاط وهدوء الاعصاب ، ولتقوية الذاكرة عند الامتحان . . . ولكن قبل الاسترسال بسرد أوصافه ، يجب التعرف على خواصه الحقيقية ، بعيدا عما يقال . لاشك بأن المغنزيوم يلعب دورا هاما في وظائف الجسم ، ولشدة اهميته فاننا نجد أن هناك اكثر من مؤسسة انشأت للبحث في خواصه ، وقد

أقيم في عام (١٩٨٢) مؤتمر دولي في فرنسا لمناقشة النتائج التي توصل اليها ، والمغنزيوم كما هو معروف عنصر أساسي للجسم ، فهو يلعب دورا في بعض التحولات الهامة ، وخاصة في آلية انتاج الطاقة - وهذا ما يفسر وصفه في حالة التعب - وفي استقلاب الدهون والبروتينات والسكريات ، عندما تنخفض كميته عن الحد اللازم في الجسم فانه ربما يسبب مرض السكر ، ولذلك علينا ان ندرك اهميته في نمو الأطفال ، ويشترك المغنزيوم مع الكالسيوم في تهدئة أعصاب العضلات وفي ايجاد واستقرار الراحة

النفسية واخيرا فهو من جملة المعادن التي تكون العظام .

أمكنة وجوده في الجسم

تقدر كمية المغنزيوم الموجودة في جسم انسان بالغ وزنه ٧٠كغ بـ ٢٥غ ، وتكـون ٦٠٪ من كميته الموجودة في العظام وبصورة مرتبطة مع الفسفور والكربونات ، ولذا فان العظام تشكل مخزون الجسم من المغنزيوم ، يؤخذ منه حين الحاجة ، و١٧٪ منها تكون في العضلات ونفس النسبة تتواجد ايضا في الجهاز العصبي والقلب والبنكرياس والكلية والكبد ، وتحتوي سوائل الجسم (مصل الدم ، السائل المنوي ، والبنكرياس . .) على ١٪ من كمية المغنزيوم الكلية .

ان حاجتنا اليومية من المغنزيوم تكون ما بين ٥ الى ١٠ مغ لكل كيلو من وزن الجسم ، ومعدل ما نحصل عليه من التغذية اليومية يكون ما بين ٢٠٠ و٤٠٠ مغ ، وهي كمية غير كافية ، واذا توالى هذا النقص لفترة طويلة من الزمن فان ذلك غالبا ما يؤدي الى ظهور اعراض مرضية .

تعتبر الحبوب بانواعها غنية بالمغنزيوم وكذلك البقوليات والحيوانات القشرية والمحار والاسماك الدهنية والفواكه ، والجدول التالي يبين مقدار وجود المغنزيوم في بعض الأنواع التالية :

ما بين المغنزيوم والكالسيوم ، هذا الاختلال يسبب تبلور الكالسيوم وتكوين الحصى في الكلية . ومن ناحية اخرى فان المغنزيوم يخرج من الجسم بعدة طرق أهمها عن طريق الجهاز الهضمي اذ يتم طرح أكثر من ٦٠٪ منه مع فضلات الطعام وعن طريق التعرق عبر مساحات الجلد ، وعن طريق البول ، والملاحظ بان طرح المغنزيوم من الجسم يعتمد على طبيعة الغذاء المتناول ، كما أن التقيؤ الاسهال سواء بسبب اصابة مرضية أو الاسراف في استعمال المسهلات ، يزيد من خروج المغنزيوم من الجسم وبالتالي يزداد تناقصه في الجسم ، مما يؤدي الى ظهور بعض الأعراض الغير طبيعية خاصة عند الأطفال الذين في طور النمو .

أعراض نقص المغنزيوم

ان انخفاض كمية المغنزيوم في جسم الانسان عن الحد اللازم ، يسبب ظهور بعض الأعراض الخاصة والتي تتسم بالوضوح كلما ازداد النقصان ، وهذه الأعراض تتباين في حالة النقص الخفيف عن النقص الشديد ، ففي الحالة الأولى تظهر بشكل أسرع على الأطفال بصورة تعب غير عادي عند بذل أقل جهد ، وألم في العمود الفقري وتخدر عابر للأطراف ، وينتاب

اسم النبات	الرز	الفاصولياء	البندق	السبانخ	الكستناء	البصل	
						أخضر	جاف
مقدار المغنزيوم مغ / ١٠٠غ	١٩٧	٢٥	١٤٥	٥٠	٤٠	١١٠	١٦

ان المغنزيوم الآتي عن طريق الغذاء يمتص من قبل الأمعاء ، ويزداد هذا الامتصاص بوجود فيتامين D وكذلك هرمون البراثيرويدين Parathyroidienne ونظام غذائي عالي المحتوى في البروتينات ، وعلى العكس فإن هذا الامتصاص يكبح ويحد بزيادة وجود الدهنيات او وجود أملاح الفوسفات ، وأيضا بوجود كمية كبيرة من الكالسيوم ، بحيث تسبب اضطرابا في العلاقة الكائنة

المريض شعور حين ذهابه للنوم كأنه يقع بالفراغ ، ومع اشتداد النقص في الجسم تكثر الأعراض وتتنوع ، فيلاحظ اعراض التشنج على عضلات الأطراف والوجه عند البالغين وكبار الأطفال بينما نرى ظاهرة انقباض العضلات عند الأطفال الرضع ، ولو قمنا بتسجيل النشاط الدماغي لهؤلاء عن طريق تسجيل التيار الكهربائي له يظهر لنا بشكل جلي وجود اضطراب غير عادي ، وهناك اعراض مميزة لهذا

المرض وتعتبر خاصة به وهي تلك المدعوة بأعراض شفوستيك Chvostek حيث تظهر على فم المصاب شقوق صغيرة ، كما يبدو التقاء الشفتين وكأنها مسحوقة تحت تأثير ضربة قوية ، بالاضافة الى ذلك فان المريض يشعر بعض الأحيان باضطراب في جهازه الهضمي وفي نظام دقات قلبه وينتابه شعور بأن قلبه معرض للوقوف ، أو أن هناك شيئا ما في صدره يقبض عليه أنفاسه ، كما أن هذا المرض لا يخلو من وجود أعراض نفسية فيبدو القلق عليه بدون سبب ظاهر ، ويصبح عصبيا وعاطفيا لدرجة كبيرة ، هذا القلق أو الاضطراب يحرمه من لذيذ النوم فيستيقظ عدة مرات في الليل وهذا ما يجعله يبدو في النهار متعبا مصابا بالصداع والدوخة ، ولكن علينا الانتباه انه ليس من الضروري ربط احدى هذه العوارض الفردية مثل الدوخة او المغص لنقول بأن المصاب لديه نقص بالمغنزيوم ، وحتى نزداد يقينا نجري تحليلا وتقديرا للمغنزيوم الموجود في كريات الدم الحمراء والتي تحتوي عادة مابين ٥٠ و٦٠ مغ لليتر فاذا انخفض عن ذلك كان دلالة على وجود النقص،ولا يستفاد من تحليل مصل الدم الا بصورة قليلة ومحدودة بسبب انخفاض كمية المغنزيوم الموجودة بشكل عادي اذ تكون من ١٨ الى ٢٤ مغ في الليتر،ويمكن ملاحظة النقص أيضا عن طريق تحليل البول اذ يتم افراز من ٥٠ الى ١٥٠ مغ خلال ٢٤ ساعة في الحالة الطبيعية .

ومتى تم تأكيد الأعراض السريرية بالتحاليل المخبرية ، عندها يجب البحث عن السبب المؤدي لنقص وانخفاض كمية المغنزيوم في الجسم ، وهناك حالتان شائعتان لنقصه عند الأطفال الرضع وذلك عندما تكون الأمهات مصابات بنقص في المغنزيوم بالاضافة الى ذلك اما ان يكن مصابات بمرض السكر أو اضطراب في افراز الغدد المنظمة لاستقلاب الكالسيوم Hyperparathynoide أو أن تكون الأم مدمنة على شرب المشروبات الكحولية،والحالة الثانية تكون حين تغذية الطفل الرضيع على لبن بقرة يحتوي على كمية كبيرة من الفوسفات التي تعرقل امتصاص المغنزيوم والكالسيوم من قبل الأمعاء ، ومن الملاحظ ان هناك بعض الأمراض كالتي تصيب العظام مثل الكساح أو بعض أمراض الحساسية كالربو والطفح الجلدي والأكزيما مترافقة غالبا بعجز أو انخفاض في كمية المغنزيوم في الجسم .

ان اتساع رقعة الحضارة اليوم أفادت في الكشف عن كثير من الأمراض التي كانت خفية في السابق ، لكنها أيضا أتت بأمراض جديدة وعملت على نشر أمراض كثيرة أخرى ، واضحت العوامل النفسية التي يتعرض لها الانسان وخاصة الاطفال من قلق ورعب وافتقاد الأمان والحنان تسبب الكثير من الأمراض لهم ، وهذا جزء مما يدفعه الانسان ثمن الحضارة . . . □

الامام مالك والمدينة

كانت علاقة الامام مالك بن انس بالحكام سواء أكانوا ولاة أم كانوا خلفاء أساسها النصح والارشاد ، فكان ينصحهم ان وجد ما يوجب النصح ، وكان الخلفاء والولاة يستمعون اليه لانه كان يخلص فيما يقول لا يبغي به علوا ولا فتنة ، وكان يوصي الخلفاء بأهل المدينة ، ويُرْوَى انه دخل على المهدي العباسي فقال له : أوصني يا مالك ، فقال : أوصيك بتقوى الله وحده ، والعطف على اهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه ، فإنه بلغني ان رسول الله قال : المدينة مهاجري وبها قبري ، واهلها جيراني وحقيق على أمتي حفظي في جيراني ، فَمَن حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة .

منتدى العربي

قضية

لماذا مجلة جديدة للأطفال العرب ؟

بقلم : عبدالتواب يوسف •

منذ سنة - تقريبا - و « العربي » تعد لاصدار مفاجأة ثقافية هى : « العربى الصغير » ق ثوبها الجديد .

وحتى نقوم بذلك كان علينا دراسة الموضوع بشكل مكثف مع كثير من المتخصصين ق الوطن العربى ، لاستقطاب وجهات نظرهم . ونحن نطرح ق هذا العدد قائمة مقالات تناقش الأسباب التى من أجلها سوف تصدر مجلة خاصة للاطفال والفتيان والفتيات العرب . وقد حددنا موعد صدور العدد الاول من المجلة ، ق فبراير ١٩٨٦ .

و « العربى » اذ تطرح هذا الموضوع تتوقع أن يسهم كل صاحب رأى واهتمام بصحافة الطفل ق هذا النقاش . •

« العربى »

تمر مجلات الاطفال ق الوطن العربى ، بما هو أكثر من أزمة ، بل إن هناك « مجاعة » حقيقية ق هذا المجال كما ، وكيفا .

ونظرة سريعة الى مايصدر منها تكشف لنا عن سوء ادراك واضح للدور الذى يجب أن تلعبه تلك المجلات ق تثقيف الطفل ، كوسيلة اعلامية تواكب مايجرى ق عصرنا .

ونحن اذا ماأحصينا هذه المجلات على مستوى الوطن العربى ، نجد أن عددها ، وعدد النسخ المطبوعة منها - نسبيا - قليل جدا ، اما مضمونها فيحتاج منا الى وقفة طويلة ، ومراجعة شديدة .

واذا قسمنا عدد النسخ المطبوعة على أطفالنا ق

• أديب وكاتب متخصص ق أدب الأطفال . حائز على جائزة الدولة التشجيعية ق ثقافة الطفل بمصر .

• الطفل هو الصغير حتى سن البلوغ « لسان العرب »

الوطن العربي ، تنال كل منهم - سنويا - سطرا او كلمة ، وجانبا من صورة ، في الوقت الذي تصدر منه دار « فروزو » في المانيا الشرقية - ١٧ مليون نسمة - مايزيد على سبع عشرة مجلة للاطفال . . وهناك دار نشر في انجلترا تصدر ثلاثا وثلاثين مجلة للاطفال . . ويصل عدد مجلات الاطفال المطبوعة في الولايات المتحدة الامريكية الى أربعمائة مليون نسخة .

تفاوت مجلات الاطفال العربية :

تتفاوت مجلات الاطفال في الوطن العربي ، من حيث فهمها لرسالتها . فيتصور البعض أن دور هذه المجلات ماهو الا امتداد لدور المدرسة ، لذا تكون مهمتها هي حشد اكبر قدر ممكن من المعرفة والمعلومات ، الى جانب حشد آخر من المواعظ والارشادات .

- وينحو البعض بالمجلة الى غرس مفاهيم سياسية ، وطنية وقومية ، بأسلوب يعتمد الالحاح والتطرف ، الامر الذي يؤدى الى نتائج عكسية .

- ويتجه آخرون الى الاعتماد على التسلية والترفيه فقط ، مما يفقد المجلة العمق الذي توفره المعرفة .

- وهناك مجلات مختبئة عن عجلة الزمن ، فهي منفصلة تماما عن الاحداث التي يزخر بها وطننا ، حتى تكاد اعدادها الصادرة منذ اعوام ، لاتختلف عن الاعداد التي تصدر في الوقت الحاضر .

اهداف المجلة الجديدة :

١ - ونحن نريد من المجلة الجديدة ان تهتم بالمعرفة التي يستطيع أطفالنا وفتياتنا هضمها واستيعابها . على أن تكون هذه المعرفة مدخلا لمعارف اوسع .

فالمدرسة والمجلة واجهزة الاعلام لن تقدم كل المعارف والعلوم ، ولكنها تيسر السبل اليها .

٢ - ومن واجب المجلة ربط الاطفال بوطنهم الكبير عن طريق التعرف على طبيعته التاريخية والجغرافية وثقافته ، وأوجه التشابه الكبير بين عادات سكانه وتقاليدهم ، وأشتراكهم جميعا في الهدف والمصير .

٣ - كما يجب أن تولي المجلة عنصر الترفيه والتسلية قدرا من الاهتمام ، فالطفل العربي - في هذا الزمن المزدحم بالاحداث المتلاحقة بما في ذلك الفتيان والفتيات - بحاجة ماسة الى الترويح عن النفس ، ولكن ليس الى درجة الانفصال عن العصر ، بل لابد من مواكبته ومتابعة اخباره ، ومعرفة مايجرى في الوطن الام ، بالقدر الذي يتناسب مع مستوى الطفل والفتى الصغير وقدراته العقلية .

٤ - محاولة استشراف الغد ، والتطلع الى المستقبل واعمال الخيال من اجل تصور مايمكن تصوره بالاستعانة بالتقدم العلمي ، وذلك بصياغة قصة الانسان الحديث مع التطور الصناعي ، ورحلاته الى القمر ، الى جانب تقديم القصص الشعبية التي توسع خيال الطفل ، وتثري وجدانه .

وبالتأكيد هذه ليست مهمة يسيرة ، ولكنها ممكنة إذا مابذلت من اجلها محاولات جادة .

ماهو سبيلنا الى تنمية ذكاء ابنائنا ؟

ان في المجلات التي نصدرها لهم قصورا في المجال الابداعي ومجالات تنمية الذكاء ، فهي لاتمكنهم من اعمال عقولهم فيما يعرض لهم من مسائل ومشكلات . ولعل « ابن الجوزي » ادرك - منذ قرون بعيدة - اهمية أن يكون الانسان ذكيا ، فأخرج كتاب « الاذكياء » كما لم يفته ان يكتب عن الحمقى والاغبياء .

هذا بينما نجد أن المجلات الصادرة في الدول المتقدمة يغلب عليها الاسلوب الذي يعتمد على تنمية العقل ورفع مستوى الذكاء - حتى أن المكسيك - مثلا - قد ابتدعت وزارة لتنمية الذكاء .

وقد كان لاجدادنا من قبل ، فضل السبق بادراك اهمية الذكاء ، فكتب ابن الجوزي كتابه « الاذكياء » - كما لم يفته أن يكتب عن الحمقى والاغبياء .

ولكن الملاحظ في مجلات الدول المتقدمة ، أن الجزء الذي لايصل الينا يتميز بمستواه الجيد الذي يحرص على تنمية العقل ورفع درجة الذكاء بينما تزخر الاجزاء التي تصلنا بالسخرية من العرب ، وعقلياتهم ، وأسلوب حياتهم .

- هذه صورة من صور السياسة التي يتبعها الغرب تجاه وطننا العربي ، وهي حبسه في خندق معتم وعزله عن منابع المعرفة والعلوم .

ومن هنا يصبح من واجب المجلة الجديدة التوجه الى بناء التفكير السليم ، وتنمية القدرة الابداعية لدى الاطفال والناشئة .

الناشئة والتراث :

هناك لونان من التراث :

الاول : وهو الحكايات الشعبية ، والسير ، وهي لم تستثمر بشكل سليم لصالح اطفالنا . اما اللون الثاني فهو : القصص والنوادر التي تحويها كتبنا القديمة مثل : (الاغاني ، العقد الفريد - الحيوان - البخلاء - الاذكياء . . .) وقد امتلأت بها كتب المطالعة المدرسية ، ولايزال هناك كم كبير ينتظر أن ينفض من فوقه غبار النسيان . وكل مايمكن أن يوجه من نقد الى هذه المحاولات ، هو أن بعض مايكتب ليس في المستوى اللغوى البسيط للطفل ، اما البعض الآخر فهو لايكتب بشكل عصري مواكب للزمن ، مرتبط بالاحداث .

مادة القراءة في مدارسنا الابتدائية :

ان مادة « القراءة » و « المطالعة » تدرس في مدارسنا الابتدائية والمتوسطة . . على أنها جزء من مادة اللغة العربية ، والحق أنها في تقديرنا يجب أن تكون مادة منفصلة بذاتها . وأطفالنا يتعلمونها بطريقة تحتاج الى اعادة نظر ، اذ لابد أن يتدربوا على القراءة الجهرية - حتى يتمكنوا من معرفة الأخطاء اللغوية التي يقعون فيها ، ثم يتم تدريبهم على القراءة الصامتة بعد ذلك .

وفي مدارس البلاد المتقدمة نجد أن هناك استاذا متخصصا في مادة القراءة ، متفرغا لتعليمها للاطفال ، مما يخلق لديه الاستعداد لابتكار أساليب الترغيب التي تجذب الاطفال الى تعلم القراءة وتحببهم فيها ليشبوا قراء كتب في المستقبل في شتى المجالات ، وليسوا قراء حكايات فقط .

اما عندنا فالكتاب المدرسي ، والمعلم ، والمدرسة ، لايقومون بالدور المطلوب لبناء قدرة الطفل على القراءة ، ومما يدعو للأسى هو أن اغلب أولياء الامور من الامهات والاباء اما أميون تماما يجهلون القراءة والكتابة ، أو انصاف متعلمين يجهلون اصول القراءة السليمة لهذه اللغة التي كرمها الله بأن جعلها لغة القرآن .

- وما نريده من هذه المجلة التي نحن بصددها ، هو ان تكون المدخل الى عالم القراءة ، عن طريق اتباع اساليب حديثة متطورة تربط الطفل بلغته ، تدربه عليها ، تحببه فيها ، وتكون هي الطريق الذي يوصله بكافة المعلومات التي يدفعه فضوله لمعرفتها . فتكون اللغة هي المفتاح الذي يفتح له أبواب العلوم المختلفة ، وهي التي تعينه على فهم أسرار التراث الزاخر بمختلف المعارف القديمة التي شع نورها بالحضارة العريقة التي نهل منها الغرب في عصور ظلامه .

ولكن كيف يمكن تبسيط التراث بشكل يروق للاطفال ؟

اعتقد بأن المشكلة تكمن في طريقة « التناول » و « المعالجة » ، واذكر هنا بعض الاسماء مثل « ميكل وست » و « جون ويستر » وغيرهما ممن بسطوا الكتب الخاصة بتراثهم للاطفال .

تنمية الذوق الفني :

وهنا نتطرق الى الرسوم التي تحفل بها مجلات الاطفال - ومعظمها رسوم توضيحية - ونقول بأن رسوم مجلات الاطفال لم تعد توضيحية بقدر ماهي تعبيرية .

انها رسوم تستهدف تثقيف عيني الطفل ، وزرع الجمال فيهما ، فهي ليست رسوما للزينة ، وليس مدرسية ساذجة ، ونحن في هذه المجلة لانرسم فنا بدائيا ، بل نحاول ان نقدم له مايشبه اللوحات الفنية الرائعة البديعة التي تفتح له آفاق الفن التشكيلي الذي عرفته حضارات بلادنا منذ القدم .

الاخراج الفني :

والمجلة الجديدة يجب أن تترك مساحات تريح عين الصغير ، ولاتحتشد كل صفحاتها بالرسوم .

ويشارك الخط واحرف الطباعة في رسم الشكل الفني المتناسق للمجلة ، اذ كثيرا مانرى في المجلات الحالية خطوطا تفسد على الطفل متعة القراءة .

ان الخطوط ، وحروف الطباعة لابد ان تشارك ايجابيا مع فن الرسم والتصوير والاخراج ، ليتكون من ذلك كله قطعة فنية تترك في النهاية انطباعا جيدا في نفس القارىء الصغير .

مشاركة القراء الصغار في مجلتهم :

من العيوب الملاحظة في مجلات الاطفال العربية ، أن قراءها لايتمتعون بصفة المشاركة في مجلاتهم بينما الواجب أن يسهم الاطفال في مجلتهم بالفكرة والرأى ، والنقد والتعبير عن انفسهم بالكلمة ، والريشة . ومن هنا يجب أن يولى البريد عناية كبيرة ـ فهناك رسائل تحمل انتاجا ادبيا ، يحتاج الى التشجيع ـ اما اذا لم يصل الى المستوى المطلوب ، فيمكن الاعتذار برسالة موجزة تؤكد ابتهاجنا بعمله ، راجين منه تكرار المحاولة .

وهناك خطابات تطرح اسئلة واستفسارات ، فاذا ما كان لها طابع العمومية يكون الرد عليها في المجلة مفيدا ، لانه يفتح الباب لمزيد من التواصل بين القراء والمجلة . وهذا يحتاج الى افراد مساحة كافية لهذه الردود وجهد مخلص وجاد للرد على الاسئلة المختلفة .

كما لابد من التصدى للعقبات التى تواجه بعض الصغار ومساعدتهم على تخطى الصعوبات .

اما اصحاب الاقتراحات والافكار ، فالعناية بما يقدمونه ضرورية ولازمة ، فنشجعهم على التفكير المستمر والمركز وخصوصا في بعض الامور مثل : كيف تكون سيارة المستقبل ؟ ماذا تحب في المدرسة ، وماذا يضايقك فيها ؟ وربما نتطرق الى موضوعات اكبر مثل ، كيف السبيل الى مزيد من التعاون العربي ؟ ـ ماذا ترى في معسكرات صيفية عربية ؟

وهناك باب المراسلات الذى يجتمع له هواة كثيرون ، وجذب الصغار الى هذا الباب مفيد ومثمر ، ومن الممكن ان تكون هناك مسابقة لافضل الرسائل المتبادلة ، بنشرها وتقديم كتاب معين كهدية لاصحابها .

وبعد

اننا لسنا في حاجة الى مجلة واحدة للاطفال والناشئة ، بل الى عشرات المجلات ، ولكن اصدار مجلة حديثة متطورة يمكن أن يكون هو الحجر الذى يحرك الدوائر في هذه البحيرة الراكدة ، ويخلق من حوله دوائر تتسع وتتسع وخصوصا اذا ظهرت هذه المجلة بفكر جديد يشعر معه اصحاب المجلات الحالية بحاجتهم الماسة الى التغيير والتطوير .

ونحن بذلك نكون قد اسهمنا بشكل بناء في اعادة النظر فيما ينشر للاطفال .

وما اجمل أن يسهم الكتاب ، وقراء « العربي » بمقترحاتهم من اجل المجلة الجديدة ، وليتهم يسألون ابناءهم عما يرغبون فيه ، وسيكون ذلك خير عون يقدم للمسئولين عن التحرير ، والمشاركين فيه . □

خير الامــــور

قال احد العارفين : لا خير في القول الا مع العقل ، ولا في المال الا في الجود ، ولا في الصديق الا مع الوفاء ، ولا في الفقه الا مع الورع ، ولا في الصدقة الا مع حسن النية ، ولا في الحياة الا مع الصحة .

منتدى العربي
تعقيبات

مرة أخرى حول :
الموسيقى بين الوهم والحقيقة

تعقيب على تعقيب

بقلم : الدكتور نبيل سليم على

نشرت مجلة « العربي » الغراء في عددها الصادر في مطلع شهر أغسطس (١٩٨٥) وفي باب « منتدى العربي » صفحة ٥٨ تعقيبا بعنوان « تأثير الموسيقى بين الوهم والحقيقة » للسيد/محمد فتحى الحريرى ، على مقال نشر لى بعنوان « الموسيقى علاج طبى » في العدد ٣١٠ (سبتمبر ١٩٨٤) .

وليسمح لى القارىء أن أتناول بالتحليل ما كتبه السيد/الحريرى في تعقيبه .

أولا ـ يقول المعقب : ان اكتشاف الاندروفين والأنكوفالين « حقيقة قديمة والفضل فيها ليس لعلماء جامعة أوهايو الأمريكية كما ذكر الكاتب في مقالته » .

والحقيقة أنى لا أدرى كيف فهم القارىء الكريم هذا المعنى من المقال،لقد ذكرت في مقالى « أن هناك حقيقة هامة أعلنها فريق من علماء جامعة أوهايو الأمريكية ، وهى أن الأجسام في أثناء سماع الموسيقى تفرز كمية أكثر من مواد طبيعية أو هرمونات من بعض مراكز المخ تعد نوعا من المورفين الطبيعى الذى يفرز عند الشعور بألم لتخفيف الاحساس به » .

معنى هذا أن ما اكتشفه العلماء هو تأثير الموسيقى في افراز هذه المواد ، وذكرت في نفس المقال ما يؤكد هذا المعنى فقلت بالتحديد « وكانت النتائج واضحة حيث تشير الى أن الغدد النخامية للعدائين في أثناء سماع الموسيقى ، كانت تفرز كمية أكبر من مادة « الأندروفين » . . الأمر الذى يشير إلى أن إحساسهم بالتعب في أثناء الجرى ، كان أقل من الفريق الثانى الذى لم يستمع إلى الموسيقى في أثناء ممارسته للجرى فقط ، وأكثر من هذا فقد أكد فريق من المزارعين أن انتاج ابقارهم من الحليب ، يزيد بشكل واضح اذا تمت عملية الحلب على أنغام الموسيقى » .

« من هنا انطلقت أبحاث العلماء تجرى على قدم وساق الى أن نجحوا » ، فالمقصود هنا هو دور الموسيقى كأحد العناصر التى تساعد على افراز هذه المادة المخدرة من دماغ الأنسان .

ثانياً ـ تحدث المعقب عن الوخز بالأبر ونقول له إن الوخز هو أحد الأساليب العلاجية وليس الأوحد ، ففى فروع الطب تتعدد أساليب العلاج لكن يبقى الهدف واحدا دائما ، وهو الوصول الى الشفاء السريع وهذه بديهية لا تحتاج الى مناقشة .

ثالثاً ـ يقول المعقب « أما أن الموسيقا تقضى على الألم فهو أمر مبالغ فيه جدا بل ان المنطق العلمى والطبى لا يجيز بأى شكل من الأشكال تعميم مثل هذا الكلام ، فهو نسبى والى حدود لا تتجاوز ١٥٪ كما قرر العلماء أصحاب هذه النظريات أنفسهم ، لا كما نقرر نحن هكذا دون دليل » .

ولا أدرى كيف حسم المعقب الفاضل القضية بهذا القطع ، إلا أننا نلتمس له العذر ، فلم يكن أحد من

الناس يتصور يوما ما ، وحتى غلاة أنصار الموسيقى منهم ، أنها سوف تحتل موقعا فعالا في العلاج والطب الذي وصلت اليه اليوم ، حتى أن جمعية متخصصة في هذا المضمار قامت في الولايات المتحدة تحت اسم الجمعية الوطنية للعلاج بالموسيقى عام ١٩٥٠ .

لقد اقتحمت الموسيقى ميدان العلاج الطبي مع تطور الفلسفة الطبية في ادراك التفاعلات المختلفة للجسم البشري ، ولقد أكدت الأبحاث والتجارب وجود مراكز متخصصة في أعماق المخ ، تتحكم لا اراديا في أغلب وظائف الجسم الجسدية ، واختلال هذه المراكز ينعكس بالتالي على العضو التابع لها مثل المعدة والقلب وما إليها ، ولا شك أن هناك علاقة جوار وتوافق بين جميع هذه المراكز العصبية من جانب وبين أجزاء المخ الأخرى الواعية واللاواعية أو الشعور واللاشعور .

وما دام للموسيقى أيضا موقع في المخ - ضمن اطار ما يسمى بمركز العاطفة يتأثر بهذه الموسيقى وبأشكالها ، وأنواعها - يصبح من السهل تصور العلاقة القائمة بين الموسيقى وأعضاء الجسم المختلفة صحة كانت أو مرضا . وانا لا أزعم أن الموسيقى أصبحت رائدة العلاج الطبي في عالم اليوم ولكنها سلاح جديد يدخل ترسانة السلاح الطبي لمقاومة المرض ، واقرار الصحة الجسدية والنفسية على السواء . فلقد أصبح من المألوف أن نسمع مثلا عن قرحة المعدة وارتفاع ضغط الدم ونوبات القلب ومرض البول السكري بأنها ترتكز على جذور نفسية وعصبية ينبغي مراعاتها عند العلاج ، بالرغم من رفض الكثيرين من المرضى لهذا المنطق وعدم تجاوبهم مع العلاج .

رابعاً - ويقول المعقب الكريم « ثم نروح نقرر وبالأسلوب ذاته أن الاتجاه العلمي في استخدام الموسيقى يسعى العالم كله اليه الآن » ، ان المعنى المقصود واضح تماما ، وهو عالم البحث العلمي والمحافل الطبية وليس العالم الجغرافي كما تبادر الى ذهن الاستاذ الحريري .

ورغم أن هذا الأسلوب قديم (اذ بدأه قدماء المصريين) ثم جاء الاغريق ووضعوا السلم الموسيقي ، وفي القرن الثالث قبل الميلاد كانت الموسيقى أقسى أنواع العقاب حتى الموت مما يؤكد ادراك ذلك الزمان الماضي للتأثير الخطير للموسيقى على جسم الانسان ، كما أن عمر بن الخطاب مر يوما برجل يغني فعلق قائلا « ان الغناء زاد المسافر » ولقد عرف العرب بالبديهة ما للموسيقى والغناء من التأثير النفسي على البشر، ولهذا فلا نعجب عندما نقرأ في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه « زعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسري في الجسم ويجري في العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتهش له النفس وتهتز له الجوارح وتخف الحركات » .

أما الاغريق فقد امتد ادراكهم لعلاقة الموسيقى بالطب بأن جمعوا بينها في إله واحد ، ولهذا تقول أساطيرهم أن المشترى تعلم من أبولو وأصبح ماهرا في الموسيقى والجراحة معا .

ومن يقرأ عن فيثاغورث يجد انه أول من أشار الى السلم الموسيقي المعروف ويجد أنه هو نفسه الذي أدخل علم الحساب في شئون الطب والعلاج أيضا .

من هنا نرى أن أعلام الاغريق والرومان في الطب قد جمعوا بينه وبين فن الموسيقى لما بين الفنين من روابط ووحدة . ولأن العلم يتقدم والبحث مستمر ، أصبح هذا الأسلوب الآن ينال اهتمام عالم العلم المتقدم كله لا العالم الجغرافي .

خامساً - يعترض المعقب على جملتي التي تقول « ان الموسيقا عنصر جوهري في البناء الروحي للانسان توقظ فيه الشعور بالمعاني الكبيرة . . الخ » ويقول ان هذا الكلام شخصي محض لأن عملية البناء الروحي للانسان تقوم على أسس اهمها شعوره بالانتماء لجماعة ، وما ينمي هذا الشعور لديه ليس الموسيقا وانما هو القيم والمعتقدات . . الخ » .

ولا أدري كيف بني حكمه هذا ! لكني أقول ان الدراسة العلمية أو المقال أو حتى صيحة النفي أو التحذير التي تأخذ شكل المقال يجب على الكاتب أن يستخدم فيها منهجا في اختياره للحقائق وفي طريقة اشارته اليها وعليه أن يستخدم التحديد ، لا التعميم ولا التجريد ولا التهويم البعيد عن الحقائق الفعلية للأمور ، وهو مطالب بأن ينتقل من التركيب الى التحليل ومن اطلاق الأحكام دون « حيثيات » الى تقديم « البيانات » عن حقائق الظاهرة التي يدرسها ، أو يحذرنا من وضعها « المتدهور » حسب رؤيته ، هذه البيانات ستكون حيثياته ، والتي لو درسها

فعلا ، ولو عرفها حقا ، لربما رأى شيئا آخر غير ما أوصلته اليه طريقة تركيب أشياء واطلاق احكام عن قضية لم يعرف دقائقها ، ولربما وضع أصابعه على الأسباب الحقيقية لأي قصور أو نقص قد يكتشفه ، ولربما ساعدنا بالفعل على أن نعالج وجه القصور .

فالمكانة الرفيعة التى تحتلها الموسيقى ليست وليدة التطورات الحديثة التى مر بها هذا الفن ، بل لقد كان القدماء يؤمنون بأن للموسيقى فى النفس تأثيرا يتجاوز تأثير سائر الفنون فيها ، وآية ذلك تلك القصص التى تنسب الى الموسيقى قوى خارقة تؤثر على الطبيعة أو على النفس البشرية ، وفى عالم العقائد كان للموسيقى أهمية كبرى ، تبتدى ايجابيا أو سلبيا فى آن واحد ، فمن العقائد ما كانت تستعين بالموسيقى فى بث الايمان فى نفوس الناس ، ويكفى دلالة على ذلك أن الموسيقى الأوربية خلال العصور الوسطى كانت مرتبطة بالكنيسة ارتباطا أساسيا ، بل كانت بعض أسرارها وقفا على رجال الدين الذين يتوارثونها دون أن يحاول أحدهم أن يبوح بها ، ومن العقائد ما كانت تحرم الموسيقى أو تراها أقرب الى الحلال البغيض ، وكان فى ذلك اعتراف ضمنى بما للموسيقى من تأثير على النفوس وان كان التأثير هنا يعد خطرا أخلاقيا ينبغى تجنبه .

وفى الفكر القديم حفظ لنا التاريخ أثرا ربما كان هو أول وثيقة تثار فيها مشكلة التأثير الأخلاقى للفنون بوجه عام ، والموسيقى بوجه خاص ، أعنى جمهورية أفلاطون ، التى يوصى فيها بالعناية بالتعليم الموسيقى ، ويعده عنصرا أساسيا فى تربية النشء ، ويدعو الى استبعاد مقامات موسيقية معينة لما لها من تأثير أخلاقى ونفسى ضار .

ولكن هل تغير موقف المدينة الحديثة من الموسيقى ؟ : كلا . فالحق أن مكانة الموسيقى بين سائر الفنون لم تتغير ، وكل ما فى الأمر هو أن تقدير الموسيقى أصبح واعيا بعد أن تكشفت الأسباب التى من أجلها نظروا الى الفن الموسيقي فى بداية الأمر نظرة يحوطها جو صوفى خفى ، ويغلفها الغموض .

ولقد ربط الفلاسفة منذ عهد غير قريب بين الزمان وبين الذاتية، ذلك لأن احساساتنا التى تصاغ فى قالب مكانى ، كالمرئيات والملموسات ، هى احساسات موضوعية ، تدركها مباشرة بوصفها خارجة عنا ، مستقلة عن ذاتنا ، بل ان هذه الاحساسات التى تصاغ فى قالب زمانى ، كالمسموعات هى بطبيعتها ذاتية ، أعنى أنها تعتمد على الذات التى تتلقاها اعتمادا أساسيا ، وتبعث فينا شعورا بأنها صادرة عن أعماقنا وليس أدل على ذلك من أن التفكير بدوره ، وهو عملية باطنة تماما ، يتخذ قالبا زمانيا ، يتمثل فى تعاقب الأفكار بعضها وراء بعض ، ولكنه يستحيل أن يتخذ قالبا مكانيا ، أى أن نشاهد الأفكار فيه خارجيا ! فالموسيقى على هذا الأساس ، ألصق الفنون بأعماق الذات الانسانية .

من أجل هذه الصفات الفريدة كان للموسيقى مكانة خاصة لدى المفكرين والفلاسفة ، وعدها بعضهم عنصرا من عناصر فهمه للكون بأسره .

ولكن تقدم العلم واستطراد البحث لم يقتصر على جانب دون جانب ، فكانت هناك بحوث فى علوم الحياة وعلوم الانسان باطنه وظاهره ، وكان الاهتمام بهذه القضية شيئا عظيما ، لأنها حجر الزاوية فى الأخلاق وفى العقائد والأديان وفى نظريات النفس ، وحتى فى نظريات الحكم ومذاهب الاصلاح .

ولا بأس أن نورد للعلماء آراءهم ، فهى شهادة على كل حال ، ولكننا نحب أن نقول ان آراءهم قد يلتمس منها التأييد كما يلتمس عند الشهود فى كل قضية ، ولكن لا يلتمس منها الحق أو الرأى أو الاعتقاد لأن الرأى والاعتقاد من اختصاص الفلاسفة والمفكرين أكثر مما هو من اختصاص العلماء فى الرأى الا بمقدار ما لهم من مشاركة فى الفلسفة والفكر .

سادساً ـ أختتم المعقب تعقيبه بسؤال يحمل داخله مفهوماً ضاراً فيقول : ألا ترون معى أن عملية بناء الانسان أعقد وأكبر من أن يحلها موسيقي !! وعملية بناء السلام والحضارة أخطر من أن توكل أعباؤها لعازف أكورديون أو جيتار ؟!! وأنا لا أدرى حقيقة كيف فهم أو اختصر القضية الى هذا الحيز الضيق لكنى أجيبه قائلا : لو كنا حقا نعرف للانسان ـ أى انسان ـ حقه فى حرية التفكير والتعبير ، لأصبح الأمر واضحا وضوح الشمس ، وهو أن أي مواطن يهتدى الى رأى يراه فى اصلاح حياة الناس ، ثم يدفعه ضميره الى الافصاح عن رأيه ليكون ملكا للجميع يناقشونه ويفكرون فيه لعلهم واصلون به الى ما فيه الخير . فهو حق لكل مواطن بل واجب كل قادر . □

العربي
عيونك
على العالم

الفن الشعبي
عندما يقاوم
في جمهوريات
بحر البلطيق

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : اوسكار متري

عندما يزحف موج الاستعمار على شعب ما فان هذا الشعب يعود الى جذوره ، يستلهم منها سر المقاومة .

ووجدت شعوب جمهوريات البلطيق (أستونيا ، لاتفيا ، ليتوانيا) سرها في تراثها الشعبي الذي حافظت به على شخصيتها ضد مؤامرات التذويب والطمس ، فامتلأت ساحات طرقها دقا بالاقدام وايقاعا بالايدي ودفقا بالانغام . . .

عرفت تلك الجمهوريات تراثها الشعبي فامتلكت سر المقاومة . . . .

زرقة البحر هنا نادرة .. تمعن وتنظر اليه مليا ... فيظهر لك رماديا .. أو بلون الرمل .. تسأل عن تفسير .. فيجيبونك : .. ربما لانه غير عميق فإن لون الرمل يطغى على لون مياهه . وربما لأن السماء التي تظلله دائمة الغيوم ، لذلك فإنه اكتسب لونها .

تبحث فتجد تفسيرا في الحكايات الموضوعة .... تقول احدى الحكايات ..... : -

كانت الزرقة في البدء هي الطاغية على لون البحار والأنهار في تلك المنطقة ، تماما كالكثير من البحار والأنهار في العالم . الا أن كثافة الغيوم واستمرار احتلالها لمساحة السماء طيلة الكثير من أيام السنة طارد زرقة البحر وأزعجها .

فما كان منها الا أن غادرت المكان احتجاجا ، فحل مكانها لون الرماد الذى يشابه لون بعض الغيوم .

الا أن الزرقة قبل ان تغادر أحبت ان تترك أثرا لها فتركته في العيون .... فجاء الكثير منها أزرق صافيا ، وأحبت الغابة أن تأخذ نصيبها في التأثير فأضافت لونا ثانيا على العيون فتآخى الازرق مع الأخضر !

هذه حكاية مؤلفة لتفسير لون بحر البلطيق الرمادى أو لون عيون سكان مناطقه الزرقاء والخضراء .. قد تصدق وقد لا تصدق ... الا أن فيها طرفة الحكايات وخيالها الواسع .

واذا كنا قد بدأنا استطلاعنا بحكاية ، فعلينا اذن ان نعرف حكاية هذا الحشد الهائل من البشر الذى تحشده جمهوريات البلطيق السوفياتية الثلاث : استونيا ، لاتفيا ، ليتوانيا ، خلال ثلاثة أيام هي ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ من شهر تموز - يوليو كل خمس سنوات ؟

أرض الفولكلور

يطلقون عليه عيد الأغنية والرقص الشعبي ، ويسميه البعض عيد التراث الشعبي ، اذ أن الاحتفال لا يقتصر على الأغنية والرقص الشعبي ، بل يتم الاحتفال بالأزياء والمصنوعات الشعبية أيضا ، كما أن منطقة بحر البلطيق كلها يسميها البعض من قديم الزمان « أرض الحكايات » .

لكن لماذا اختاروا الأيام الثلاثة من شهر تموز - يوليو لاقامة الاحتفالات ؟ ولماذا يقام الاحتفال كل خمس سنوات ؟

وما العمق التاريخي لهذه الاحتفالات ؟

وما سبب قيامها ؟ ولماذا يبرز الاصرار على اشراك أكبر عدد ممكن من المحترفين والهواة في الغناء والرقص بهذه الاحتفالات ؟

وما هي مضامين الأغاني التي تغنى أو غنيت ؟

سمعنا إجابات عدة عن هذه الأسئلة وغيرها من مسؤولين في عواصم هذه الجمهوريات .

في تالين عاصمة جمهورية استونيا .... قال لنا (المرموس) النائب الأول لوزير الثقافة: إن بداية قيام الاحتفالات في جمهوريات استونيا تعود الى سنة ١٨٦٩وبالذات في مدينة طارطو العاصمة الثانية للبلاد والمشهورة بأنها مدينة العلم في الجمهورية .

ثم توالى قيام الاحتفالات بعد ذلك كل خمس سنوات تقريبا في مدينة تالين العاصمة .

أما سبب قيام هذه الاحتفالات المباشر والدقيق فهو غير معروف ، لكننا نعرف أن بلادنا كانت محطة صراع بين القوى المحيطة : دنماركيون وسويديون وقياصرة روس وبارونات ألمان وغيرهم ، كلهم تناوبوا على حكم استونيا ومناطق البلطيق الأخرى ، الا أن الشعب الاستوني كان دائما يبحث عن وحدته وحريته فجاءت الأغنية والرقص كتعبير ثقافي مميز لهذا الشعب ، انها تعبير عن نهضة ثقافية ووعي قومي أخذا في الانتشار بين أفراد الشعب ، وعليّ أن أقول بأنه ساد وعي ثقافي وعلمي وتعليمي في تلك الفترة حفز على البحث عن جذور قومية متميزة فجاءت احتفالات الأغنية والرقص الشعبي .

الجوقات الشعبية كانت تقيم رقصاتها وحفلاتها الغنائية في كل المناطق الأستونية فارتأوا توحيد هذه الاحتفالات أو على الأصح جمعها في احتفال كبير لتكون مؤشرا إلى روح هذا الشعب المغايرة لحكامه آنذاك فحصل ما حصل منذ سنة ١٨٦٩ م ، واستمر هذا التقليد ...... حتى يومنا هذا، وقد اشترك في مهرجان الأغنية لهذا العام ما يزيد على ٣٥ ألف مشترك ومشتركة .

واشترك في حفلات الرقص الشعبي ما يزيد على ١٠ الاف راقص وراقصة ، وهذا العدد الكبير تم

جمهوريات صغيرة في مساحات كبيرة

غربلته من حوالي ١/٢ مليون اختيرناهم في السنوات الخمس السابقة . وعليّ أن أذكر أن ما يزيد على ٢٥٠ ألفا شهدوا احتفالات هذا العام من داخل استونيا ومن خارجها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي أو من الدول الغربية كفنلندا (يبعد الشاطىء الفنلندي حوالي ٩٠ كيلو مترا عن شواطىء استونيا) والسويد والدنمارك وغيرها من دول ، كما ان بعض الفرق من هذه الدول تشارك في تقديم أغانيها ورقصاتها سواء كان في المهرجان الأساسي أو في الحفلات التي تليه ، في الحدائق العامة أو في حديقة البيت التقليدي المكشوفة في منطقة روكاماريا .

وطبعا إننا نطور في الألحان التقليدية كما نطور في الكلمات ، ومن الطبيعي ان تكون كلمات الأغاني هذا العام متوافقة مع الذكرى الخامسة والأربعين لاعادة السلطة السوفيتية الى جمهوريتنا ، والذكرى الأربعين للانتصار على الفاشية في الحرب العالمية الثانية .

التعبير عن أصالة الشعب

أما السيد (فاسيفالدس لامس) مدير إدارة المؤسسات التثقيفية في وزارة الثقافة . . . في جمهورية لاتفيا وعاصمتها مدينة ريغا فإنه قال :

الاحتفالات في جمهوريات البلطيق السوفيتية الثلاث تبدأ في أيام موحدة ، وقد بدأت احتفالاتنا سنة ١٨٧٣ أي بعد حوالي ٤ سنوات من بدء احتفالات جمهورية استونيا ، وقد اشترك في مهرجان هذا العام ما يزيد على ثلاثين ألف فرد في فنون الغناء والرقص الشعبي والحرف اليدوية واستضفنا حوالي ٥٠٠ فرد من الفرق الشعبية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي . ودائما فان نائب رئيس مجلس الوزراء أو من ينوب عنه يرأس اللجنة التحضيرية لهذه النوعية من المهرجانات ، وهكذا يتم الأمر في الجمهوريتين المجاورتين .

وأثناء مسيرة الفرق فان السكرتير الأول للحزب ورئيس مجلس السوفيت في الجمهورية ورئيس الوزراء وبقية المسؤولين يكونون على رأس استعراض المشتركين في المهرجان .

وتطوف المسيرة حوالي ٥ كيلومترات من ميادين المدينة وطرقها لتصب في الملعب الرئيسي لتبدأ بعدها الحفلات الغنائية والراقصة .

والمهرجانات قامت للتعبير عن أصالة الشعب واظهار ملامح من ثقافته وتقاليده المغايرة لتقاليد حكامه الأجانب وثقافتهم خاصة البارونات الألمان الذين حكموا (لاتفيا) ما يزيد على سبعة قرون .

وسبب اختيار تاريخ موحد لاقامة المهرجانات يعود الى أن السلطة السوفيتية واعلان الجمهورية تما في الأيام ذاتها في الجمهوريات الثلاث . سألت : **هل تضعون في حسابكم هدفا سياحيا لهذه المهرجانات اضافة للهدف الثقافي ؟**

ـ الهدف السياحي وارد طبعا ، لكنه ليس

ستاد مدينة تالين بحر من الجماهير والألوان .. والفن ضرورة كالماء والهواء

تالين القديمة .. عراقة خلدها الادريسي في خرائطه

أ ـ فتيات بعمر الزهور .. وعزف شنف حتى آذان الحجر

وللأطفال دورهم أيضا في المهرجان

كفى قمعا واهدار دم .. صيحة أم تجاويت في هذه الساحة سنة ١٩٠٥ بمدينة تالين ـ

الأساسي ، فهناك ما هو سياسي وثقافي وهما أهم ، ان الأغنية وسيلة من وسائل التثقيف السياسي والرقص والحرف اليدوية أيضا .

ان الاحتفالات تعبر عن أصالة ثقافية واعادة تقدير لبعض الفنون وتطويرها وارتفاع بذوق وثقافة الجمهور .

■ **ألا يمكن اقامة المهرجانات في الجمهوريات الثلاث في أيام مختلفة ما دمتم تأخذون الهدف السياحي أو حتى الأهداف الأخرى في الحسبان ؟**

- ان كل جمهورية من الجمهوريات الثلاث تريد الاحتفاظ بالموعد الأصلي لاقامة المهرجانات كنوع من الاعتزاز بتواريخ معاركها الوطنية ، والمباحثات جارية في هذا المجال للاتفاق على مواعيد مختلفة

■ **هذا الحشد الكبير من المشتركين في شتى الفعاليات .. الا يؤثر على العمل والانتاج ؟**

- سؤال مشروع ، الا أن التنظيم الجيد ، والمبادرات الجيدة أوصلتنا للتغلب على هذه المشكلة ، صحيح إن آلاف البشر يتغيبون عن أعمالهم بسبب مشاركتهم في الاحتفالات ، الا أن زملاءهم يقومون بأعمالهم ويقدمون على ذلك عن طيب خاطر ، ويجب ان تضع في ذهنك أمرا : إن آلاف المشتركين في الاحتفالات لا يتقاضون أى مقابل مادى على ما يقومون به ، إن اشتراكهم في الاحتفالات يعدونه من نوع الواجب الوطني ، والذين يحلون مكانهم في العمل ... يعدون ما يقومون به واجبا وطنيا أيضا .

نضج الوعي القومي

أما السيد (غريش كاقيشيوس) رئيس جمعية الحرف الشعبية في جمهورية ليتوانيا حاليا ورئيس ادارة الثقافة السابق في مدينة فيلنوس لمدة تزيد على ٢١ عاما فإن حديثه توزع على جانبين : -

- الأول انصب على جمعية الحرف الشعبية ودورها وما تقوم به .. قال : هذه الجمعية وحيدة من نوعها في الاتحاد السوفيتي ، انها تضم في عضويتها حوالى ٢٥٠٠ عضو من جميع مدن جمهورية ليتوانيا وقراها . وقد تأسست سنة ١٩٦٦ ، ولها خمسة فروع في المدن الرئيسية ، والفروع تشرف على الانتاج في مناطقها ، والمتفرغون للعمل في الجمعية ٥٧ فردا فقط ، أما الباقون فإنهم ينتجون أعمالا فنية في أوقات فراغهم .

أما أهم المواد والمصنوعات التى ينتجها فنانونا فهي : أعمال التريكو والصوف والغزل والنسج والسيراميك ، والمعادن والجلد وتعشيق الزجاج وانتاج السلال ، والنحت على الحجر والخشب الخ .

وليتوانيا مشهورة بنحتها على الخشب منذ زمن بعيد ، وأقيمت فيها مجمعات من المنحوتات الخشبية لضحايا الحرب العالمية الثانية ، ولدينا مجمع من المنحوتات الخشبية تصور الأساطير الشعبية المتداولة في استونيا .

الثاني : متعلق بمشاركتهم في مهرجان الأغاني والرقص الذى عرضوا في معرضه الخاص حوالى ألفي قطعة فنية حرفية .

وأضاف : ان مهرجان الرقص والغناء في مدينة فيلنوس هو كغيره من المهرجانات في عواصم جمهوريات بحر البلطيق ، أى يقام بنفس التاريخ وتشارك فيه مئات الفرق الموسيقية والراقصة ، وقد تأخرت ليتوانيا عن اقامة الاحتفالات الشعبية تأسيا بشقيقتيها استونيا ولاتفيا ، إذ أن أول احتفال منظم في الجمهورية أقيم سنة ١٩٢٤ .

■ **وما سبب ذلك ؟**

قال : من المؤكد أن الأغنية موجودة منذ وجد الانسان وكذلك الرقص ، إلا انني أعتقد بأن السبب مرتبط بنضج الوعي القومي ، ان مهرجانات الغناء والرقص ليست مقطوعة الصلة بالوعي السياسي القومي ، وبما ان ليتوانيا كانت وما زالت منطقة زراعية ، لذلك فان الوعي القومي تأخر فيها بالافصاح عن نفسه .

واستنادا الى هذا العامل ذاته فان الاحتفالات الشعبية الكبيرة تأخرت في ليتوانيا عما عداها من جمهوريات .

مشاهدات وانطباعات

تالين : وصلناها بعد رحلة من موسكو بوساطة القطار استغرقت ١٤ ساعة ونصف الساعة ، قطعنا فيها حوالى ألف كيلومتر .

من يريد معرفة بعض ملامح الطبيعة السوفياتية فعليه بركوب القطار ، غابات وأنهار وزراعة

وحشائش خضراء ، لم أر مساحة غير خضراء على الجانبين ، كانت الخضرة سابغة وكانت الشمس تلعب لعبتها في إضفاء الاضواء والظلال على المساحات الخضراء ، التماعة مبهرة لاشعة الشمس من خلال الأغصان ، ثم تختفي الاشعة ، ثم تعود مرة أخرى وهكذا إلى ان حطت مرساتها في عالم آخر .

وصلنا مدينة تالين في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم السبت ١٩٨٥/٧/٢١ . صغار وكبار شبان وشابات ، شيوخ وعجائز ، الجميع يلبسون ملابس وطنية جميلة مختلفة الألوان والأشكال يتنقلون من مكان الى آخر . . ويتجهون الى هدف محدد على ما يبدو .

قال مرافقنا « بوريس بيتسكي » المستشار في قسم الشرق الأوسط في وكالة نوفوستي للانباء والذى أمضى في الكويت قرابة خمس سنوات مراسلا للوكالة : إنها الفرق الشعبية التي ستشترك في عرض اليوم واحتفالاته .

ـ جماعات أخرى تمر . . وألوان أخرى لملابس فولكلورية مصنوعة بواسطة اليد .

ـ أصوات صنوج وطبول تدق . . . .

ـ أسرعنا بوضع حقائبنا في الفندق وهرعنا الى مكان العرض .

آلاف الناس موزعون على جانبي الطريق الرئيسي في المدينة ، والعرض لما يبدأ بعد ، توغلنا قليلا وارتقينا مكانا مرتفعا ، ودخل زميلي المصور الى قلب الحشود التي بدأت مقدمتها تطل .

كانت الغيوم السوداء تحتل أركاناً كثيرة من السماء ، وكان المطر يرش حبيباته كأنها العطر على الناس ، آلاف المظلات برزت وتحت الرؤوس . . ورود وفراشات وحمائم حقيقية واصطناعية يحملها العارضون ، الصنوج والطبول والابواق ترج المكان ، الارجل تضبط خطواتها على أنغام الموسيقا المنظمة وإيقاعها،والأيدى تتجاوب وتتشابك مع غيرها ، عمال وفلاحون وطلبة وموظفون ، ومحاربون قدماء وربات بيوت ، يتزيون بأزياء وطنية شعبية جميلة . . . . . تمتع النظر . قوس قزح تحلل فيها فأعطاها الرونق ، . . ووجوه جميلة ومعبرة تحيّي رجال الدولة الذين يقفون على المنصة الرئيسية .

غناء منسق مع الموسيقا وهتافات جماعية تشق عنان السماء . . . . طوفان من البشر ، وألوان الطيف تتوالى ، زهور تحملها زهرات . . وحمائم وفراشات وسنابل قمح ، طائرة التصوير تذهب وتعود ، تنتقي وترصد . . . طوابير الاستعراض تتوالى ، حوالى خمسة كيلو مترات ذرعوها مشيا من ساحة النصر في المدينة الى القاعة المكشوفة خارجها .

جبل البشر لم ينقطع ، تصفيق وهتافات ، وموسيقا وأغنيات .

وموجات فرح تغطي الوجوه والمكان . . . . والحشود ثابتة في أماكنها تتجاوب وتتفاعل وتحيي وتصفق .

مضت ثلاث ساعات والالوان والاشكال تتابع لكنها لم تكرر نفسها . . ظلت دقات الموسيقا ترن في أذني ، واستمر الفرح وبشر الوجوه عالقا في ذاكرتي كوشم مستديم .

الأغنية التي توحد

نركض مهرولين من جديد نحو الملعب المكشوف . . . . . .

لا مكان لرجل . . . البعض شخص واقفا وآخرون افترشوا المكان ، كانت الغابة والبحر خلفية للمكان ، ولهيب الشعلة يتمايل ويتراقص . . كأن نشوة وصلته كما وصلت الى غابة البشر التي جلست أو وقفت قبالة نصف القبة الهائلة .

قيل ان عدد المغنين والمغنيات وصل الى ٢٥ ألفا وقيل ان عدد الجمهور وصل الى مائتي ألف .

معرض زهور كانت ملابسهم ، وصوت الموسيقا وأصواتهم كانت تسرى في الاجساد كخدر لذيذ ، آذان تستمع بحساسية فائقة والغناء كان يوحد الناس .

و المايسترو » مجرد نقطة في بحر المغنين والمغنيات ، لا يظهر منه إلا إشاراته وحركاته . . . وبحر العازفين والمغنين منضبط كأدق ما يكون الانضباط .

أحواض أزهار وحشائش بجانبك ، لا وردة قطعت ، ولا حشيشة قصفت ، أجزم فأقول إنهم عاشقون متيمون بالورد والأزهار .

تنتهى الاغنية ، بحر الآلاف يتحرك بانتظام . .

بيانو كنيسة الدوم في ريغا ، أكبر بيانو في الاتحاد السوفيتي

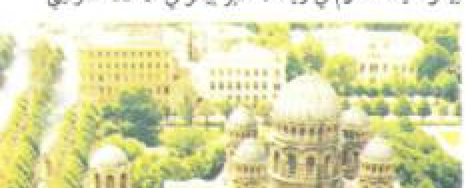

عراقة بناء وشجر في مدينة ريغا

أيام مضت .. وأيام جديدة
أخذت ختمها من هذه الابتسامة

غابة القرية التقليدية تستعيد جزء من أيامها الماضيات في مدينة ريغا

عندما كان للنازية سطوتها
وقوتها فان آلاف البشر ذهبوا
ضحية لها في هذا المعسكر في
مدينة ريغا

ثم يأتي غيره .. وغيره .

شارك المطر في التغريد والغناء .. فظهرت غابة المظلات بهدوء .

غنوا « الكلاسيكي » ، وغنوا المعاصر ، وجددوا في الكلمات والألحان ، غنوا للحرية ، للسلام ، للوطن الذي فدته الاجيال بأغلى ما تملك ، هكذا كان الرقص أيضا وهكذا تتالت الفرق ... وهكذا اختلط حابل الموسيقا بنابل الغناء ، وترجمت الأيدي والأرجل إيقاعاتها الموزونة .

كان الصوت شراعاً ، والموسيقا والنغمات أمواجاً ، والناس بحراً وسفينة .. وعواصف .. عواصف .. من الحركات والايقاعات . التقليدية والمطورة أيضا .. كانت تتالى وتتابع وتنحفر عميقاً في الحواس والذاكرات .

يأسرك الفن ويسليك الحركة ، فلا تجد نفسك في اليوم التالي الا في حديقة « الروكاماريا » .

بيوت تقليدية مخروطية الشكل ، جوانبها من خشب وسقفها من قش ، هذا هو البيت الأستوني التقليدي .

وضعوا فيه كل الأدوات التي كانت تستعمل في زمن مضى ، إنه متحف الماضي ، هذا البيت لأدوات الصيد أو الحياكة ، هذه خزائن قديمة وتلك هي الأسرّة .

حفظوا البيت القديم والأدوات .. للعبرة والذكرى .

البيوت موزعة بين أشجار غابة ، ومساحات الخضرة بينها سابغة وفي احدى الساحات جاء الرقص والغناء أيضا . فرقة استونية ، ثم سويدية ، رقص وغناء وموسيقا ولعب ، وغيمات فرح ، بل أمطار فرح .

طوفان موسيقا

ذهبنا الى المدينة القديمة في المساء .. تحولت الكنيسة القديمة الى دار للبلدية ثم الى متحف ، أقواس وما يشبه مئذنة وقباباً بأشكال هندسية مألوفة للشرقي . الباحة الكبيرة مرصوفة بأحجار البازلت السوداء .. ونغم الكمان المدرب يسري في المكان ، فرقة أخرى من طلبة كليات الموسيقا تعزف ألحانا رقيقة وناعمة لكبار الموسيقيين « الكلاسيكيين » .

أعمارهم لا تتجاوز الخامسة عشرة ، مع ذلك فان عزفهم كان يؤاخي الكمال ويترافق معه .

ينهون عزفهم ، والناس وقوف ينتظرون ، علّ العزف يعود .

نتحرك الى جهة أخرى .. احتلت احدى الفرق الموسيقية حديقة وأخذت تعزف وتغني ... والناس عليها شهود ومتفرجون .

في ذلك اليوم « بتالين » المدينة .... كان البشر محاصرين بطوفان موسيقا وعواصف رقص وسحابات من فرح .

عودة الى المكان

تالين عاصمة جمهورية استونيا احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي الخمس عشرة ، عدد سكان الجمهورية حوالي مليون ونصف ، وعدد سكان المدينة حوالي ٤٦٤ ألفا ، تبلغ مساحة الجمهورية حوالي ٤٥ ألف كيلو متر مربع ، اللغة المتداولة هي اللغة الاستونية تليها الروسية . وتبرز في اللغة والعادات تأثيرات فنلندية نظرا لقرب البلدين كما أشرنا ، كما تظهر تأثيرات ألمانية وروسية أيضا ، تقع جمهوريات بحر البلطيق الثلاث في الشمال الغربي من الاتحاد السوفيتي . يحد استونيا من الشمال خليج فنلندا ، ومن الجنوب جمهورية لاتفيا ، ومن الشرق جمهورية روسيا ، ومن الغرب بحر البلطيق .

تعاقبت على استونيا مجموعة من القوى المحتلة أولها كانت مجموعة من البارونات الألمان ودام اقطاعهم من القرن الثالث عشر حتى أواسط القرن السادس عشر ، وفي نهاية هذا القرن تم تقسيمها بين السويد وبولندا والدنمارك ، وفي بداية القرن الثامن عشر سيطرت عليها روسيا القيصرية ، ثم أخذت تنمو فيها النزعات الاشتراكية والديموقراطية ، وقامت فيها مجموعة من الثورات المشابهة لثورات الروس سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٧ .

وفي سنة ١٩١٨ تم الاعلان عن قيام الجمهورية السوفيتية الا أن البورجوازية الاستونية استطاعت إسقاط الجمهورية السوفيتية وأعلنت عن

المر موس

غريش كافيشيوس

المهندس فاليلوس

قيام جمهورية بورجوازية سنة ١٩١٩ ، وحدث انقلاب فاشي تجاوب مع انتشار الفاشية والنازية في أوروبا سنة ١٩٣٤ ، ثم حدث احتلال مباشر من قبل الالمان سنة ١٩٤١ ، وحرر الجيش الأحمر والمقاتلون الاستونيون البلاد سنة ١٩٤٤ ، وتم الاعلان عن قيام جمهورية التحقت باتحاد جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

تذكر المصادر أن الجغرافي العربي الأدريسي ضمن خريطته عن العالم اسم « كلاوانى » ويعتقد ان هذا الاسم يعود الى مدينة تالين المشهورة بقلاعها منذ ذلك الزمن ، أي سنة ١١٥٤ م .

وقد جاء في كتاب « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » للمؤرخ كراتشكوفيسكي وترجمة صلاح الدين هاشم ما يلي :

« وقد بلغت معرفة الأدريسي شمالا بلاد البلطيق »

« سكيك » تالين

أزقة المدينة القديمة تشبه أزقة أية مدينة قديمة في الكثير من بلاد الدنيا ، طرق ضيقة مرصوفة بحجارة البازلت السوداء الحمراء الزرقاء الداكنة والغريب انها تسمى باللغة الاستونية ـ « السكيك » تمعنت في الكلمة فوجدت انها نفس الكلمة العربية الفصيحة التى تعني الطرق الضيقة ، قيل لى لاتعجب : فقد وجدوا الكثير من العملات العربية مدفونة بين اثار المدينة بل وجدوا سيفا مكتوبا عليه بلغة عربية واضحة اسم الامير العربي الذى أهداه الى أمير استونى .

« تالين » مدينة هادئة ونظيفة ، وبين كل حديقة واخرى فيها حديقة ثالثة منسقة على احسن ما يكون التنسيق ، وتمتلىء بالاشجار والأزهار والتماثيل المنحوته نحتا دقيقا بيد خبير بالصنعة تماما مثل باقى المدن في الجمهوريات الثلاث . يستفزك هدوء المدينة وهمس ناسها وقلة عددهم ، وقلة عدد السيارات فيها ، فتخال ان الاحياء السكنية لاسكان فيها !

تحاول كسر رتابة الصمت فتستعد لاطلاق عنان صوتك غناء أو صياحا . . . لكن وفي اللحظة الاخيرة . . فأنك تهمس بضع كلمات تماما كما يفعل الآخرون . تالين ميناء كبير . . ومدينة ستبقى مشروع بناء كبير يتوسع دائما كما يقولون عنها هناك .

تعتمد في حياتها على الانتاج الصناعي من الخشب والورق والبتروكيماويات والصناعات التحويلية الدقيقة والزراعة وصيد السمك وتعليبه .

نسبة النساء تصل الى ٥٥٪ من عدد سكان

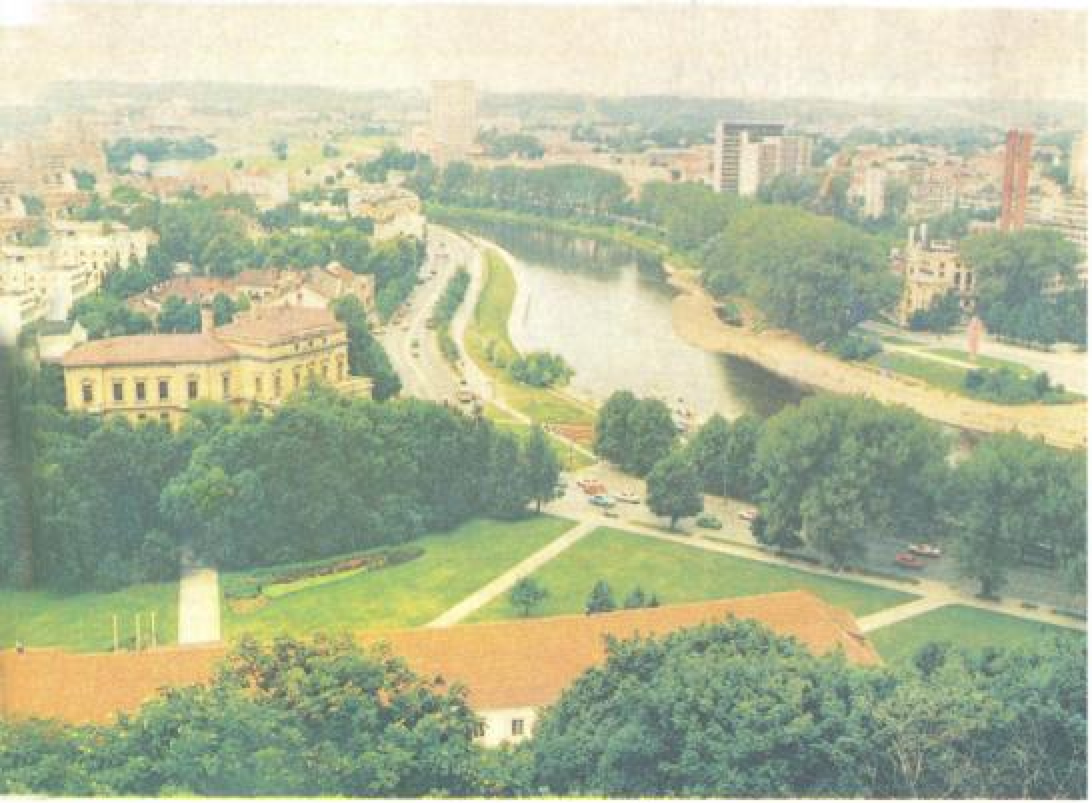

نهر وغابات وأبنية قديمة تجاور الحديثة هكذا هي مدينة فيلنوس

ساحة مدينة فيلنوس القديمة .. حتى المظلات حملت شكل الأزهار

عراقة بناء وأشكال مخروطية مائلة لتفادى تجمع الثلج أيام الشتاء

الأيادى الماهرة تبدع وتجدد في المصنوعات الشعبية

الجمهورية ، لذلك فان الايدى العاملة النسائية تزيد نسبتها على الأيدى العاملة الرجالية .

زادت نسبة الانتاج الصناعي في استونيا ٥٢ مرة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وتعتمد على ثروتها من الأحجار البترولية ، وتنتج ثروتها المائية ثالث نسبة انتاج كهربائي في العالم ، كما زادت نسبة الانتاج الزراعي وطباعة الكتب حوالى ٢٫٥ مرة منذ انتهاء الحرب .

أرض البحيرات والأنهار والغابات

تبوح لك ببعض أسرار طبيعتها قبل ان تخطو أية خطوة على أرضها ، ترصد وأنت في الطائرة خضرة طاغية وبحيرات وأنهارا كثيرة . وعندما تحط الطائرة في مطار عاصمتها « ريغا » تصل إلى اذنك معلومة تفيد بأن ثلث مساحة جمهورية « لاتفيا » بحيرات وأنهار والثلث الثاني غابات ، والثلث الأخير أرض زراعية .

يحدها من الغرب بحر البلطيق وخليج ريغا ، وفي الشمال تقع جمهورية استونيا السوفيتية ، وفي الشرق جمهورية روسيا الاتحادية ، وفي الجنوب الشرقي تقع جمهورية بيلوروسيا السوفيتية ، وفي الجنوب تقع جمهورية ليتوانيا ، مساحتها حوالى ٦٤ ألف كيلو متر مربع وسكانها يصلون الى حوالى مليونين وستمائة وأربعة آلاف نسمة .

ويبلغ عدد سكان العاصمة « ريغا » حوالى ٨٨٣ ألف نسمة . تعتمد في حياتها على الصناعة والتجارة والزراعة والانتاج العلمي ، من صناعاتها الالكترونيات والكهربائيات والحافلات الصغيرة والأدوية وصناعة الأخشاب والورق وتعليب الأسماك .

يخترق العاصمة نهر « دفينا » الشمالي ويسمى باللغة اللاتفية « دووجفا » ، عريض وواسع كأنه البحر ينبع من مرتفعات فالداي في وسط روسيا الاتحادية في منتصف الطريق بين موسكو ولينتغراد ، ينقسم الى قسمين عندما يصل الى حدود الأراضي البيلوروسية اللاتفية طوله ١٠٢٠ كيلومترا ، ومساحة حوضه حوالى ٨٧٫٩ ألف كيلومتر مربع ، واستهلاك مياهه يقدر بحوالى ٧٠٠ متر مكعب في الثانية ، أقيمت على مجراه ثلاث محطات كهرمائية إحداها في مدينة « ريغا » .

وهو أيضا مياهه رمادية تمخره البواخر واليخوت والقطع الحربية ، وعلى شواطئه عندما يتداخل بخليج ريغا . يقع ميناء المدينة وورشة تصليح السفن فيها ، وهو من أكبر الموانىء في الاتحاد السوفيتي .

وصلنا ريغا بعد ان انتهت احتفالات الأغنية والرقص بأيام قليلة ، مواعيد الاحتفالات موحدة كما أشرنا ، إنها تصادف ذكرى اعلان الجمهوريات السوفيتية في ٢١ يوليو من سنة ١٩٤٠ في جمهوريات البلطيق الثلاث .

اذن ما الذي سنشهده في المدينة ؟

ـ يجيبنا مرافقنا . . ستروت الكثير ولن تندموا .

ريغا مدينة قديمة ، شطرها القديم أوسع من شطر تالين القديم فيها نظافة وهدوء لكن ليس كتالين ، يقسمها النهر الى قسمين المدينة القديمة وتوسعاتها الجديدة ، والجانب الآخر الجديد . . القرميد الأحمر على البيوت القديمة لا زالت لبعضه لمعة التوهج عندما تتسلل اليه خيوط الشمس ، وبعضه فقد لونه الأصلي من طول الاستعمال .

بعض الكنائس تحولت الى متاحف ومعارض للفنون التشكيلية والنحتية المعشوقة من قبل الجماهير والموفورة كالهواء والماء في الساحات والحدائق العامة الكثيرة والجميلة تنسيقا وترتيبا وموقعا .

لا ضرورة لاعادة وصف ما يجرى أيام مهرجانات الأغنية والرقص الشعبي فقد أوفيناها حقها في مكان آخر .

الفن المقيم

أين نذهب اذن ؟

نذهب الى مسرح « زينتري » المكشوف في بلدة « جورمالا » التي تبعد ١٧ كيلو مترا عن مدينة « ريغا » ، ويعدونها مشفى جمهورية لاتفيا ودار ثقافتها وملهمة الشعراء والنحاتين فيها ، بيوتها موزعة في الغابة الجميلة الوارفة الظلال وطين نهرها « ليلوب » يقال إنه يشفي من أمراض كثيرة منها التهاب المفاصل والروماتزم .

غيوم السماء كثيفة سوداء ، ومطر شديد يتوالى هطوله ، كأننا في يوم شتاء عاصف وليس في أيام صيف !

- نصل الى نهاية الطريق ...... انه طريق البحر ......

مازال بعض الأفراد يداعبون أمواجه ، وآخرون ما زالوا على شاطئه ، وكلا الطائفتين في بلل من أمطار السماء ومياه البحر ، ففضل البعض البقاء في الماء ...... هم يعرفون مطر الصيف .... « وأهل مكة أدرى بشعابها » كما يقولون ، هجمة دقائق ويستكين صدر السماء ... ، ولكن صدر البحر كان هائجا ومائجا .

مع ذلك فان بعض الأفراد استمروا في مواجهته واحتضانه .

في الثامنة تماما بدأ العرض الغنائي الراقص ، السقف مغطى والجوانب مفتوحة ، الصالة امتلأت حتى آخرها .. رجال ونساء وأطفال وشيوخ وعجائز شخصوا بأنظارهم نحو خشبة العرض ، المعابر الرئيسية أغلقت والدخول منها ممنوع بعد الثامنة ، يمكن ان يتم ذلك استثنائيا من مداخل بأي مكانها في نهاية الصالة .

رقص وغناء شعبي من جمهوريات لاتفيا ، استونيا ، ليتوانيا ، بيلوروسيا ، وروسيا أيضا ، يجمع بين الباليه والرقص التقليدي ، هكذا كان القسم الأول من البرنامج .

وأزياء الفرقة التي يصل عددها الى حوالي مائة مغن ومغنية وراقص وراقصة كانت هي الأزياء الشعبية لتلك البلدان .

قال لنا رئيس الفرقة « أولدس جكاتا » الحائز على جائزة الدولة في الرقص الشعبي ... ان ما يقدمونه في الجزء الأول من البرنامج هو أغان شعبية مطورة لحنا وأداء وكلمات .

أما الجزء الثاني من العرض فقد كان محافظا على تقاليد الأغنية والأداء كما انتقلت اليهم ، لقد حافظوا عليها وقدموها كما عرفوها من أبائهم وأجدادهم .

هكذا مزجوا القديم بالحديث ، وهكذا كان الجمهور يتجاوب في بعض الأحيان لتلتحم الصالة بالمتفرجين غناء وتعبيرا ، لكن بهدوء واتزان ومشاركة منظمة دون ان يغادر أحد مكانه .

ذكريات وأنصبة تذكارية

في اليوم التالي قصدنا غابة سيلاسبيس ، تبعد عن المدينة مسافة نصف ساعة بالسيارة ، حاجز هائل ومخيف وطويل يغطي مجال الرؤية ، كان الابرز في معالمها ، انه الجدار الذي كان يفصل بين الموت والحياة ، طوله مائة متر وارتفاعه ١٢ مترا .

هنا كان معسكر الاعتقال النازي الكبير ، الداخل اليه كان قلما يخرج حيا ، لذلك بنوا الجدار الهائل الفاصل بين مرحلتين . في داخل المعسكر النازي الألماني ... كانت أدوات التعذيب والقتل والشنق واطلاق النار تتم يوميا ، أكثر من مائة ألف شخص ماتوا ودفنوا في مساحة صغيرة نسبيا .

استمر المعسكر قائما منذ سنة ١٩٤١ الى سنة ١٩٤٤ أي منذ الاحتلال الألماني النازي للاتفيا الى نهايته ، بعد ان حررها المناضلون اللاتفييون والجيش السوفيتي .

وقدمت لاتفيا اضافة الى الرقم السابق حوالي نصف مليون انسان راحوا ضحايا للنازية وأفكارها العنصرية .

ماذا وراء الجدار المخيف ؟

مجموعة نُصب أسمنتية كبيرة ضخمة تحمل معاني رمزية للمقاومة والنضال ، الانسان غير المستسلم .. ينحني ... لكن تعبيرات التصميم والمقاومة بادية على تقاطيع وجهه وجسده ، نصب يمثل التآخي والتضامن ، أم تحضن أطفالها ، كان الأطفال يموتون في المعسكر جوعا أو بردا ... أو حتى تعذيبا .

عروسان ومرافقوهما وصلوا ووضعوا باقات زهور على أماكن محددة ... انها عادة متداولة في الاتحاد السوفيتي .... أماكن الشهداء والضحايا من الجنود والمناضلين الذين وهبوا أرواحهم فداء الوطن .. تهدى إليهم باقات زهر من المقدمين على الحياة الزوجية وغيرهم وتوضع على قبورهم ، عروسان آخران .. وغيرهم وغيرهم ... تآخى الورد المسجى ... مع أبدان ربما لم تجد من يسجيها زمن موتها !

الدوم الكلاسيكي

وماذا بعد في المدينة ؟

. . في المدينة الكثير . . . هات وقتك واستعدادك واتبع . . . وتبعنا ، الساعة الثامنة مساء بالضبط . . أغلقت كاتدرائية الدوم في ريغا القديمة ، وامتلأت مقاعدها ببشر يعشقون الموسيقا الكلاسيكية عشقا عميقا واضحا يعبر عن نفسه بصمت متلهف ، وتصفيق غير مجامل عند انتهاء أية وصلة أو فقرة .

وكاتدرائية الدوم تحتضن أكبر أورغن في الاتحاد السوفيتي وثالث أكبر أورغن في الدنيا . . . . عزفوا عليه مقطوعات كلاسيكية (لباخ وليست وهايدن) وغيرهم ، وقد تم بناؤه سنة ١٨٨٤ وأضيفت اليه اضافات لاحقة في سنين لاحقة ، وتم اصلاحه بين سنة ١٩٦٠ و ١٩٦٢ خاصة بعد ان سرقت بعض أقسامه في سنين الحرب .

وتم اصلاحه ثانية بين سنتي ١٩٨١ ، ١٩٨٤ .

وفيه ٦٧٦٨ قناة مصنوعة من الخشب وبعض المعادن الخاصة .

والكاتدرائية التي تحولت الى متحف فني وقاعة لعزف الموسيقا الكلاسيكية وضع أساسها سنة ١٢١١ م ، وتم الانتهاء من بناء بعض قاعاتها سنة ١٢٢٦ ، ثم تعاقب عليها البناؤ ون والمهندسون بعد ذلك توسيعاً وتجديدا واصلاحا .

المتحف الغابة

وماذا بعد في برنامجنا ؟

زيارة لمتحف التاريخ التقليدي لجمهورية لاتفيا .

المتحف في مجمله غابة مساحتها حوالي ٩٧ هكتارا تقع بالقرب من بحيرة كيش ، اسمها حديقة أو متحف « بالووجي » بنيت سنة ١٩٢٤ ، وفيها ٩٠ . . قديما وثلاثة آلاف بيت صغير .

انها ظاهرة تتكرر في كل جمهورية من الجمهوريات الثلاث التي زرناها . . البيوت التقليدية القديمة وضعت فيها كل الأدوات القديمة التي كان يستعملها انسان الزمن الماضي ، وتبين جل نشاطاته من زراعة وحياكة ونجارة وصيد بحري ونهري وبري وتعلم وتعليم ، وحاجاته الخاصة لحفظ الملابس وأسرّة النوم وغيرها .

انها محاولة للاستعادة بين أجواءٍ وأدواتٍ لفترة زمنية مضت وانقضت ، وفترة زمنية نعيشها بتفصيلاتها وتنويعاتها وتغيراتها .

وفي المتحف ركن خاص للمصنوعات الشعبية التقليدية التي رأيناها في كل أسواق العواصم الثلاث وبعض المدن الصغيرة الأخرى التي زرناها .

هل هذا هو كل ما في الغابة ؟

لا . . إنها مكان مقصود للنزهة والترويح خاصة وان البحيرة بجانبها . وماذا أيضا ؟

جاءت الفرقة الشعبية بأغانيها وأزيائها وأهازيجها . منذ ان دخلت من بوابة الغابة . . . وهي تعلن عن نفسها بالملابس أولا وبالصوت الموقع ثانيا .

وفي باحة بيت قديم مبنية جوانبه من خشب وسقفه من قش بدأ الغناء اللاتفي الذي يردده الحصادون أيام الحصاد ، ثم أغاني الأمهات وهن يهدهدن أطفالهن ثم أغاني الصيادين ، آلات موسيقية بسيطة توقع الالحان فيا يشبه الربابة أو الكمان البدائي و « الشبابة » وأورغ صغير وطبلة ، هذه هي كل الآلات التي كانت متوفرة بين أياديهم .

بعض الأفراد من الجمهور كانوا يغنون ويتجاوبون مع المغنين والمغنيات ، ثم جاء دور الرقص واللعب الشعبية أيضا ، بعض الافراد من الجمهور شاركوا ، حتى السواح استهواهم مناخ الفرح والتوقيعات والترنيمات فشاركوا فيها .

معلومات وأرقام

لغة لاتفيا من اللغات الهندو أوروبية وفيها تأثيرات جرمانية وفنلندية وروسية وسويدية .

في الفترة من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر بدأت تتكون في لاتفيا الامارات الاقطاعية المحلية .

ثم جاءها الاقطاعيون الالمان واحتلوها منذ القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر .

وفي سنة ١٥٦٢ قسمت الأراضي اللاتفية بين بولندا والسويد وفي بداية القرن السابع عشر بدأت بعض مظاهر التكوين القومي تظهر في البلاد .

في سنة ١٧٢١ انضم جزء من أراضي لاتفيا الى روسيا القيصرية نتيجة لصلح لايتشاد بين روسيا القيصرية والسويد .

القلعة ـ الشعار ـ لمدينة تالين ـ أعلى
كنيسة الروم تحت الترميم ـ أسفل

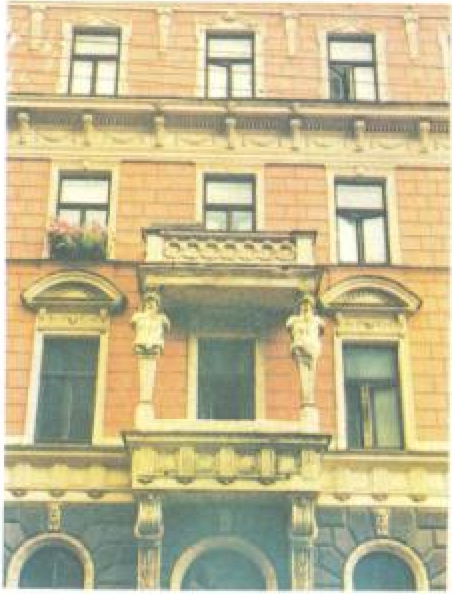

تماثيل وتشكيلات فنية على واجهات
البيوت في مدينة ريغا

الساحة والمسرح والبرج في مدينة فيلنوس

في سنة ١٧٩٥ اكتمل انضمام لاتفيا الى روسيا القيصرية .

في بداية القرن العشرين نمت الاتجاهات الديموقراطية الاشتراكية وشارك أفراد منها في ثورات ١٩٠٥ و ١٩١٧ التي قامت في روسيا القيصرية .

تم الاعلان عن قيام السلطة السوفيتية في لاتفيا سنة ١٩١٨ وفي سنة ١٩٢٠ ثارت البورجوازية اللاتفية وانتزعت السلطة وأقامت جمهورية بورجوازية .

في سنة ١٩٣٤ حدث انقلاب نازي فاستولى على السلطة ثم أسقط النظام النازي وأعيدت السلطة السوفيتية سنة ١٩٤٠ ، وفي ٢١ يوليو من سنة ١٩٤٠ أعلنت لاتفيا جمهورية سوفيتية وانضمت الى جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

احتلت المانيا النازية لاتفيا سنة ١٩٤١ .

وفي سنة ١٩٤٤ تم تحرير البلاد من النازية وأعيد انضمام لاتفيا الى جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

وجمهورية أخرى

نحط رحالنا في فيلنوس عاصمة جمهورية ليتوانيا ، الجمهورية الثالثة من جمهوريات بحر البلطيق السوفيتية . مساحة كامل الجمهورية ٦٥٫٢ ألف كيلو متر مربع ، عدد السكان وصل الى ٣٫٥٧٢ ملايين حسب احصاء عام ١٩٨٤ ، وعدد سكان العاصمة فيلنوس زاد على نصف المليون بحوالى ٤٤ ألف نسمة ، تحيط بجمهورية ليتوانيا جمهورية لاتفيا من الشمال وجمهورية بيلوروسيا من الشرق والجنوب ، وجمهورية روسيا وبولندا من الجنوب الغربي . سواحلها على بحر البلطيق تمتد الى ٩٩ كيلو متراً فقط ، والعاصمة فيلنوس تبعد عن شواطىء البحر حوالى ٣٥٠ كيلو متر ، بعكس عاصمتي جمهوريتي استونيا ولاتفيا اللتين تقعان على شواطىء البحر مباشرة .

تشتهر هذه الجمهورية كغيرها من جمهوريات البلطيق السوفيتية بثروة الكهرمان التي يجدونها على الشواطىء فيصنعونها فتأخذ شكلها الوهاج البرتقالي والزيتي الفاتح والغامق ، توجد في ليتوانيا حوالى ٣ آلاف بحيرة وحوالى ٢٠٠ نهر ، منها نهر نيرس وفيلنس اللذان يمران في مدينة فيلنوس .

أنشئت مدينة فيلنوس سنة ١٣٢٣ م ونافستها مدينة كونس وأصبحت عاصمة للبلاد بدلاً من فيلنوس بعد ان ضمت بولندا منطقة فيلنوس اليها اعتبارا من سنة ١٩١٩ .

عندما تستمع الى الاذاعة والتلفزيون في الجمهورية فإنك تخال نفسك في اليونان ، نفس نهايات الكلمات التي تنتهي بالواو والسين أو الالف والسين (فيلنوس كونس الخ) .

عندما طرحنا هذه التشابه بصيغة سؤال على البروفسور ادواردس فيلكس استاذ الرياضيات الاقتصادية في الاكاديمية الليتوانية . . قال : انه مجرد تشابه في نهايات الحروف فقط .

أما المهندس فاليلوس كبير مهندسي انتاج المشغولات الفنية في مصنع الانتاج التقليدي . . . . فقال :

أعتقد ان اللغة الليتوانية لها اتصال مباشر باللغة السنسكريتية ، وقد احتفظت اللغة الليتوانية بقواعد اللغة القديمة .

وبمناسبة زيارتنا لمصنع المصنوعات الشعبية الذي يشرف عليه المهندس من الناحية الفنية آثرنا ان نسجل بعض المعلومات الخاصة بهذا المصنع .

العمل هنا لا يتم بوساطة اليد ، بل بوساطة تقنية متقدمة تنتج المصنوعات الشعبية المعروفة مثل الاقمشة والمنتوجات الخشبية والاثاث التقليدي والعرائس والجلود والسلال والفخار والزجاج والكهرمان وغير ذلك .

وتتولى ادارة المصنع زراعة المواد الخاصة بالمصنوعات التي يتولاها المصنع .

ويعمل فيه حوالى ثلاثة آلاف وخمسائة عامل وعاملة ، وتبلغ نسبة التغيير السنوى في مواد الانتاج شكلا ومضمونا حوالى ٤٠٪ وهناك حوالى أربعة آلاف عامل وعاملة يعملون في انتاج المصنوعات المختلفة في بيوتهم .

ويتولى رسامون ومصممون متخصصون تصميم أشكال المصنوعات حسب المتطلبات والحاجات الاجتماعية واضاف :

اننا في عملنا نريد احياء التقاليد القديمة ، ليس

بغرض تقديسها لكن بغرض تطويرها والمحافظة على السمات القومية المميزة لها .

القومي والاتحادي

سألت : - أين يمكن ان تقف وتتحدد التقاليد المحلية القومية وأين يمكنها ان تتحد مع غيرها وتتداخل . أي باختصار كيف يمكن العمل بشرط ألاّ يتناقض القومي مع الاتحادي ؟

أجاب المهندس :

ان تحديد ذلك في نقاط محددة صعب الى حد ما ، ولأضرب لك مثالا : ان تقاليد الشعب الليتواني هي نفس تقاليد الشعب الروسي من حيث المضمون ، لكننا مع ذلك لا نستطيع ان نستورد تقاليد غيرنا أو ان نفرض تقاليدنا على غيرنا ، مع ذلك فإن التأثير المتبادل موجود ومتنام ، وحياتنا المشتركة تنتج تقاليدها الجديدة أيضا ، من هنا ينمو الاتحادي ويوسع حلقات تأثيره وانتشاره .

بوابة « السكيك » في تالين

معلومات وأرقام

يعود قيام أول امارة في ليتوانيا الى سنة ١٢٤٠ م ويقال انها امتدت من بحر البلطيق الى البحر الاسود .

تم توحيد ليتوانيا وظهرت التحركات القومية فيها بدءا من القرن الثالث عشر .

اخضعت الامارات الاقطاعية الالمانية البلاد اعتباراً من القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر مع انها واجهت مقاومة شديدة من قبل السكان .

وفي سنة ١٧٩٥ ضمت روسيا القيصرية ليتوانيا اليها باستثناء منطقة كلايدا .

وفي بداية القرن العشرين بدأت التكوينات الحزبية الاشتراكية تظهر في ليتوانيا وشاركت في مجمل الثورات التي قامت في روسيا القيصرية .

تم احتلال منطقة فيلنوس من قبل بولندا سنة ١٩١٩ .

أعلنت الجمهورية البرجوازية في كونس سنة ١٩١٩ .

حدث انقلاب نازى سنة ١٩٢٦ .

تم احتل الالمان ليتوانيا كلها سنة ١٩٤١ ، وتم التحرير في يوليو سنة ١٩٤٤ .

وبعد . . . منذ أن وطئت أقدامنا أول جمهورية من جمهوريات بحر البلطيق السوفيتية وجرعات فنونهم الشعبية تتسلل وتسرى إلى حواسنا تدريجيا . وأحيانا دفعة واحدة .

واستمر هذا السريان الى آخر لحظة . . الفن الشعبي لاحقنا حتى الي آخر مطار . . المشغولات الشعبية تحتل واجهات المحلات ، وقرع الطبول والصنوج والغناء الموسيقي لا زال صداه في طبلات الآذان . بل ان ما شاهدناه وسمعناه وأحسناه أصبح جزءا من تكويننا الثقافي . . . واختلطت أشكاله ومضامينه وتجلياته في تكوين ذاكراتنا .

الفن في تلك البلاد كالماء والهواء . . بل ضرورة حياة ، يقدرونه ، ويعشقونه ويحتضنونه كأغلى عزيز .

سلاما أرض الفولكلور والحكايات والهدوء والنظافة والفن . . وسلاما . . وتحية للفن الذى يطور الحياة ويخصّبها عطاء وتضحية . □

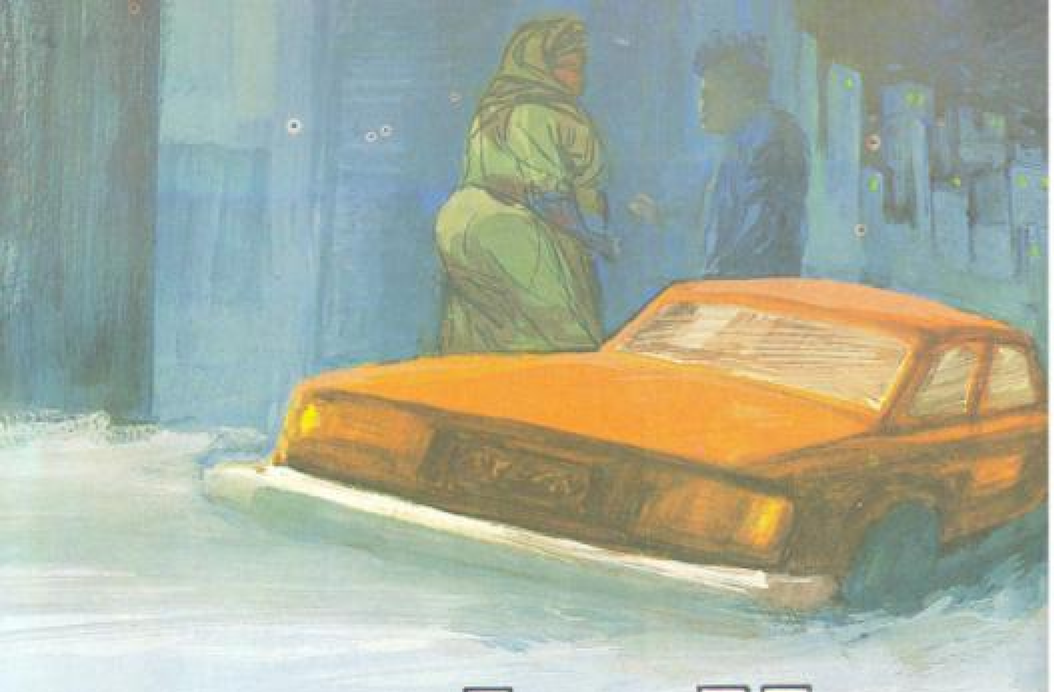

قصة قصيرة

الروائح

بقلم : خليل قنديل

على قارعة الطريق وقفت المرأة بعد أن كلّت قدماها من السير ، وهدها التعب ، وبدت بوقفتها المتهدلة المستكينة وكأنها كرة لحمية قابلة للتدحرج ، وشعرها مغبر ، يبدو وكأنه هارب بفوضى من تحت الشال الوسخ الذي تلف به رأسها ، بينما أخذت مسامها المغطاة بطبقة وسخ لزجة ترتفع وتنخفض مع حركة أنفاسها المتعبة

المرأة واقفة تراقب التدفق البشري برعب غرائزي ، كأنها ترى الناس لأول مرة . وصدى صوت الرجل الممتزج بالتبغ الرخيص والسعال ما زال يرد في صيوان أذنها :

ـ اذهبي وليبتلعك الشيطان ، أنا ما عدت قادرا على أن أسد رمق نفسي . . وهؤلاء (يقول ذلك وهو يشير ناحية الأولاد الذين تيبسوا خوفا في أماكنهم) .

ـ هؤلاء . . خذيهم وليرزقهم الله خارج هذا البيت . . أنا لا أريد أحدا منكم هنا ، هذا الصوت . . الصوت ذاته يتحشرج ، تحسه يخرج من أذنها يتبدد في الازدحام ويختلط مع روائح ـ التومباكو ـ العجمي وأصوات الباعة ورائحة الديزل والعرق عرق منتصف المدينة ورائحة النساء الأنيقات

تحرك يدها . . تصطدم أصابعها المتورمة بذراع بيضاوي ، يبدو مثل اللحم النيء . تضغط

ولامعا .. فيتحرك رأسها حركة غائمة ساهمة . قفز الى ذهنها حلم ليلة البارحة وتساءلت ببساطة متناهية :

ـ كيف تدخل أحلام العز والجاه والمال نوم الفقراء ؟ وقد أجابت ببساطة أيضا .. أليس لنا رؤوس مشابهة لرؤوس الأثرياء ؟ .

طأطأت رأسها وأطل عليها الحلم :

ـ .. ها هي مثل ـ مطرق الرمانة ـ طويلة نظيفة ويانعة ، تسير في حديقة غارقة في خضرة ضبابية ، وهي حافية متلذذة بملامسة العشب الندي لنعومة قدميها . وثمة طرق متعرجة تنتهي جميعا بطريق غامض متواصل مع بناء كبير أبيض ناصع ، وسط غمام يبشر بمطر هادىء .. وهي تمشي وتمشي منجذبة نحو روائح تكتنف كيانها ..

ـ آه .. مثل دعاية العطور التي رأيتها أنا والأولاد على تلفزيون الجيران .

كانت تقول هذا وهي تتألم من أصابع غليظة تقرصها في قفاها المترهل الكبير ، وصوت يجلجل داخل الغرفة الصغيرة :

« قومي .. نومة بلا قومة » .

.. ها هي تحشر جثتها الثقيلة وسط الناس .. تمد ساقها اليمنى ، تود أن تعبر الطريق . ورجل كهل يقف بجانبها يشدها من ردنها قائلا :

ـ (الى أين يا امرأة ، الشارة حمراء انتظري حتى يصبح لونها أخضر) تعاود الوقوف وهي تعاني من انقباض مفاجىء ، خجل أمي يلف ملامحها ، فتحاول أن ترفع رأسها قليلا ، وتوسع من حدقتي عينيها علها تقوى على التفكير . تحس بحزن ثقيل يربض فوق صدرها المكسو بثديين ثقيلين ، تحاول مرة أخرى التحلي بالثبات والقدرة على التفكير ، ترفع يدها .. تلامس بأصابعها شعرها ، وتقرص جلدة رأسها ، هذه هي المرة الاولى التي تحس فيها بأن لها رأسا وعليها أن تفكر .

« قبل عام فعلها معها .. في الشتاء يصبح العمال مثل الزوائد الدودية ، وهو رجل حين يفقد اللقمة يفقد إيمانه بكل شيء ، يصبح بعدها كل شيء حوله قابلا للضرب :

المصطبة ، الجدران ، لجن الغسيل ، حتى الصندوق العتيق الذي يستعمل اعتباطا كخزانة

ملابس ... يومها خرج عن طوره تماما ، ضرب أصغر الاولاد حتى نزف الدم من أنفه ، ومن بعدها أخذ يضرب الاولاد الواحد تلو الآخر ، وفي النهاية حاول أن يضربها برجله ، وعندما أزاحت جسمها قليلا ارتطمت رجله بالجدار ، وحينها جلس على الأرض متألما .. حالفا عليها بأغلظ الايمان أن تخرج .. أن ترحل عنه .

يومها خرجت من البيت . جالت الشوارع ، وقبل قدوم الليل بقليل عادت الى البيت ، وجدته في ساحة الدار يدخن ، وهو يشتم من صك أول قطعة نقود . وعندما أقبلت عليه نهض بطوله وهو يصرخ ، بينما اندفعت نحو أرجله وهي تبكي ، يومها هبط اليها بحنان مفاجىء وأمسك برأسها ، وامتدت أصابعه الغليظة الخشنة تمسح دموعها . وضمها اليه .. وبكى هو الآخر .

واليوم ، ها هي الشارة الخضراء تأذن للمارة في العبور ، وامرأة تعبر بجسدها الثقيل المترف بالدبق واللزوجة ، وتعطس فتأتي اليها روائح كثيرة غامضة توقظها تشدها لأيام خلت .. تحس باتساع لفتحتي أنفها .. وتشم تلك الرائحة التي تظل تزكم أعراس الفقراء ، رائحة الصابون الفونيك ـ فراش مطوي ، مصطبة نظيفة تلتمع بالكاز ، مياه غسيل ، وأناقة تظل مختبئة حتى تطل مرة واحدة في عرس أو ختان .

ها هي الرائحة ذاتها تتنشقها مختلطة برائحة المساء الصيفي في السوق ، فتشعر بتوحد غامض مع كل شيء حولها ، وبرغبة لأن تخرج من جلدها .

أطل عليها وجه أصغر الاولاد . رغبت لو أنها تستطيع الآن أن تضمه الى صدرها ، تشبعه تقبيلا .. مر في ذهنها الأولاد جميعاً ، وأحست بحرقة وهي تتذكر قولها له وهي خارجة من البيت :

ـ (هؤلاء ليسوا أولادي وحدي ... انهم أولادك أيضا .) تزداد حركة المارة ، واحتكاك الأجساد حولها ما انفك يلاصقها ، ويصب في أنفها روائح غريبة . ينتابها كابوس مفاجىء تتصور جثتها الثقيلة هناك في منتصف الدائرة المزروعة التي تتوسط السوق ، وهؤلاء جميعا نساء ورجال يتكومون فوقها يسدون نفسها ويضغطون عليها حركتها ، تشهق ، بتنفض جسدها ، وبحركة غرائزية تنجرف باتجاه شارع فرعي ، والشارع طويل ممتد أمامها ، والليل أقبل على المرأة الوحيدة . والتعب أخذ يسري في أوصالها مثل الخدر ، وهي تسير متهالكة ، تمر لحظات طويلة ، وتحاذيها سيارة فاخرة لونها أحمر تتوقف السيارة . يخرج من بابها الخلفي شاب صغير أرعن ، يحاول أن يهذب صوته وهو يدعوها للركوب . تنظر بعينين غائمتين الى داخل السيارة ، تحس بأن المقعد الخلفي المكتنز يدعوها للجلوس . يقرصها التعب فتلقي بجثتها الى داخل السيارة وهي تهمس :

ـ ما زالت الدنيا بخير .

تضج ضحكات فاجرة داخل السيارة فتفزع المرأة .. وتمتد يدها بسرعة مجنونة وهي تقبض على وسطها السفلي وتصرخ باسم زوجها :

ـ يا عبد الموجود .. يا عبد الموجود .. يا ..

لكن السيارة كانت مسرعة وهي تختفي نحو الأماكن المعتمة من المدينة . بينما كان عبد الموجودفي تلك اللحظة ذاتها ، يضم الاولاد اليه حزينا وهو يقول :

ـ لقد تأخرت أمكم يا أولاد .. المجنونة .. ألا تعرف طبعي ؟؟ !! □

خصال مشتركة بين
ابن خلدون والافغانى

ابن خلدون

الافغاني

يقول الأديب اللبنانى بولس سلامة : هناك تشابه واضح بين ابن خلدون والأفغانى ، فقد كان كلا الرجلين فيلسوفا ، آمن بالعقل وطاقته فراح يدعو بين قومه والمسلمين عامة الى دراسة الفلسفة والافادة منها ، وكان كلاهما سياسيا اتخذ الرئاسة هدفا له فى سبيل تحقيق أحلامه وأمانيه التى تعكس أحلام الامة وأمانيها .

والحق ان ابن خلدون فى بلاطات غرناطة وتونس وفاس والقاهرة في القرن الرابع عشر اشبه مايكون بجمال الدين في بلاطات كابل وطهران والقاهرة واسطمبول فى القرن التاسع عشر ، كلاهما كان يعمل عقله فى فهم الدين مجتهدا لامقلدا ، وكلاهما كان يسعى جاهدا فى اصلاح الشعوب عن طريق التوفيق بين قواعد ذلك الدين الصحيحة وبين قواعد علم الاجتماع الحديث .

وكان ان تصدى لهما جمهور الجامدين والحاسدين والمنافسين فى كل مكان نزلا فيه،وكل بلاط اقاما بين جنباته .

ترجمة الصور بين الفضاء والأرض

بقلم : طاهر سكر القيسى*

كثر الحديث فى الأونة الأخيرة عن الفضاء الخارجى ، سواء كان ذلك على شكل مقالات أو بحوث علمية ، وكذلك عن عملية التسارع التى ترصد لها وكالات الفضاء العالمية ميزانيات ضخمة لغرض استطلاع الفضاء وفى هذا المقال نسلط الضوء على الأساليب التى تتبعها بعض وكالات الفضاء الغربية

بسبب التطور السريع فى مجال الفضاء الخارجى فقدت حلقة وهمية بالنسبة للقارىء العربى ، تربط بين الانجازات الحديثة فى هذا المجال من جهة ، وبين الأسلوب والتقنية التى تطبق فيه من جهة أخرى .

فقبل أكثر من خمسة عشر عاما أطلقت ناسا - وكالة الفضاء الامريكية nasa أول قمر صناعى ضخم ، على أساس دراسة سطح الأرض من الفضاء الخارجى ، بطريقة التحسس عن بعد لبعض الجغرافيين والجيولوجيين وبعض اختصاصيى الطبيعة بعض المعلومات التى بمقدورهم أن يحللوها ويضعوها كحقائق ثابتة ، ولاتزال طريقة التحسس عن بعد هى الأسلوب الرئيسى المستعمل فى الاكتشاف ، سواء بالنسبة للأرض أو الكواكب الشمسية الأخرى ، وهذا المصطلح فى الحقيقة خاص بالجغرافيين اكثر من غيرهم ، وأول من استعمل هذا المصطلح هى الوكالة

* باحث عراقى يعمل فى وكالة الفضاء . الاوروبية بهولندا .

السابق ذكرها وهو يعني تجميع المعلومات عن شيء ما من مسافة ليست قريبة منه ، باستخدام أجهزة حديثة متطورة ، تقوم بالاستطلاع عن قرب نسبي ، وهذه الأجهزة تعتمد بصورة عامة على ما يسمى Multi- spectral scanners أي ماسحات تلفزيونية رادارية متعددة الطيف ، تقوم بالتقاط صور سطح الأرض على أساس انعكاس الضوء الشمسي . بمساعدة أجهزة الكمبيوتر ، تستخلص معلومات قيمة للغاية من تلك الصور حول المعادن ، الغابات ، الزراعة، المياه ، السكان ، وعلم البيئة ، بل ان أجهزة الأقمار الصناعية ذهبت أكثر من ذلك ، وسجلت في الآونة الأخيرة سير المعارك بين العراق وايران، وقدرت حجم قوات الطرفين ومواقع كل منها . ان الصور التي ترسل عادة قد تتجاوز (٣٠٠) الف صورة ، وبسبب التقدم الهائل في تقنية آلات التصوير خلال الستينيات والى الآن تمكنت الأقمار من إغناء محطات المراقبة الأرضية ، بمعلومات لاتقدر بثمن .

يرجع تاريخ التصوير الفضائي في الواقع الى الصاروخ الأمريكي 2 — V عام ١٩٤٦ الا ان الخطوة الأخرى المهمة في عالم التحسس عن بعد لم تحصل الا عام ١٩٦٥ ، عندما عاد طاقم المركبة جيمي ٣ بـ ٢٥ صورة ملونة عن الأرض ، بل واكثر من ذلك فأول مجموعة صور نادرة ورائعة للأرض كانت تلك الألف (١٠٠٠) صورة التي جمعت من خلال الرحلات العشر للمركبتين جيمي وأبولو ، ثم مالبثت وكالات الفضاء في السابق لتطوير أقمارها وأنظمة تحسها ، آخذين بعين الاعتبار موقع مدار القمر وزاوية ميلانه ، وأفضل ارتفاع ، ليتسنى له تجميع وتسجيل أفضل المعلومات حول التضاريس الأرضية .

ان القمر الصناعي عبارة عن صفائح معدنية ، تختلف في أشكالها ، لها احساس الكتروني (Senor) يسمى بـ Miltiscanners الذي هو بمثابة العيون للقمر يبصر بها ، وهذه العيون يمكنها أن ترى ما تعجز العين البشرية عنه ، بل انها تستطيع أن تلتقط الطيف الكهرومغناطيسي ، الذي يحوي على جزء من الطيف الشمسي solar — part ،

الصورة توضح رقم (١) الخليج العربي (٢) قطر (٣) البحرين

دلتا النيل من الفضا

والذى يسجل على مرايا من الطاقة تعرف بالطاقة المنعكسة تكون عادة قريبة من منطقة الأشعة تحت الحمراء التى لايمكن للعين البشرية ابصارها .

مشاكل التحسس عن بعد

ان عملية ارسال قمر صناعى للفضاء فى الواقع لايمكن النظر اليها كمعجزة ، بقدر ما ينظر الى البحوث والدراسات فى ذلك المجال ، فارسال القمر تحدده نتائج تلك الدراسات السابقة لاطلاقه ، ثم النتائج والوظائف التى يؤديها بعد استقراره فى المدار النهائى (جميع الأقمار الصناعية تطلق أولا فى مدار ابتدائى ، قبل أن تستقر فى المدار النهائى ، لأسباب علمية بحتة) وممارسة عمله ولذا نلاحظ فترات زمنية ليست قصيرة بين ارسال وآخر ، وهذه الفترات الزمنية هى مجال الدراسات والبحوث التى تكون متواصلة خلال (٢٤) ساعة يوميا ، وبدون عطلة نهاية الاسبوع كما هو حال العمل فى وكالة الفضاء الأوروبية منذ تأسيسها ، وهذا العمل ينصب أساسا على ايجاد حلول للمشاكل التى تواجه عمل الأقمار فى الفضاء، والمشاكل الأساسية التى تواجه عيون القمر الصناعى هى عجزها عن معالجة اللون الأزرق لفترة طويلة ، فالمعروف أن الضوء المنبعث من الشمس يرى من قبل العين البشرية كضوء أبيض تقريبا ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فهو مؤلف من الوان عدة ، السائد فيها هو اللون الأزرق والأخضر والأحمر ، ويعمل الغلاف الجوى على عمل وسط مبعثر ومفرق للزرقة (لهذا ترى لون السماء ازرق) فينعكس مقدار من هذا اللون غير المتناسب باتجاه عيون القمر التى قد تصاب بالعشى تجاه هذا اللون ، وبالتالى تصبح غير قادرة على مشاهدة ورؤية التضاريس الأرضية بوضوح ، الا أنه سرعان ماحلت هذه المشكلة بتطوير التصاميم للماسحات التلفزيونية الرادارية (عيون القمر) .

أما المشكلة الثانية فكانت حول كيفية العمل مع الأشعة تحت الحمراء غير المرئية ، المعكوسة الى عيون القمر ، والناتجة من الشعاع الشمسى ، فالموجات تحت الحمراء بما فيها الموجة الأولى والثانية ليس لها لون وهذا لا يمكن التعبير عنها تصويريا بالألوان الاعتيادية ، وهى بذلك تحجب كثيرا من المعلومات القيمة والثمينة ، التى تساعد على تخمين وتقدير ما على سطح الأرض ، الا أنها هى الأخرى يمكن تجاوزها وحلها .

والمشكلة الأخرى كانت ذات صبغة طبيعية مناخية بحتة ، فمثلا فوق الأرض الهولندية وبعض الجزر البريطانية تتداخل الغيوم والرطوبة مع أجهزة التحسس ، مما يعيق عملها بشكل شبه كلى ، ويعطى صورا غير واضحة ، فى حين ترى أن الصور المرسلة لمنطقة الشرق الاوسط (انعدام الغيوم تقريبا والرطوبة) غاية فى المتعة والوضوح ، خصوصا المناطق شبه الصحراوية من مصر ، وشبه الجزيرة العربية ، وبلدان الخليج العربى ، حيث المعالم الطوبوغرافية تظهر بدقة ، وهذا العامل المهم فى الوضوح لهذه المنطقة أولا ، ولأهمية المنطقة ثانيا ، وقلة تكاليف فن معالجة الصور المرسلة لهذه المنطقة ثالثا ، وعدم وجود غطاء نباتى كثيف يحجب الرؤيا عن القمر رابعا ، جعلها هدفا رئيسيا لعيون الأقمار الصناعية ، شرقية أو غربية ، ويمكن القول بشكل مؤكد أن منطقة الشرق الأوسط محفوظة ومعلبة فى برامج الكمبيوتر بكل تفاصيلها الدقيقة ، لدى وكالات الفضاء مع الخرائط الواضحة جدا بكل أنواعها ، وهذا ليس بغريب ، فالقمر الأمريكى landsat صور فى مرة واحدة فقط منطقة تقدر مساحتها بـ (٣٤) الف هكتار ، وأبرز المعالم الجيولوجية فى الشرق الأوسط ، خصوصا شبه الجزيرة العربية ، وأوضحت بعض التراكيب الجيولوجية أنها تضم مستودعات شاسعة من الماء أمكن تقدير طاقتها ، والشىء نفسه بالنسبة الى الثروات المعدنية ، بل أكثر من ذلك تحديد نوع الصخور التى تغطى المنطقة ، اعتمادا على الخاصية الانعكاسية لكل نوع من الصخور ، وهذه الخاصية هى بحد ذاتها امضاء أو توقيع الصخرة على هويتها ، وهنا لابد من الاشارة أن عمليات التجوية والتعرية Weathering and Erosion لعبت دورا مهما فى كشف معالم المنطقة .

تتم عملية التصوير كما هو معلوم على مبدأ الضوء المنعكس الى عيون القمر ، والألوان بصورة عامة

مترجمة الى درجات عددية ، لكل لون درجة معينة تمثل سطوعه أو بريقه،وعندما تنقل الصورة الى الأرض فأنها تنقل على هيئة ألوان (موجات) تترجم الى درجاتها ، وباستخدام الكمبيوتر (الذى سبق له أن احتفظ بدرجات الألوان) يعطى رقم أو درجة خاصة بكل لمعان لون معين معكوس من المعالم الأرضية : جبال ، بحار ، أو صحراء ، ومنه تخلق هيئة الصورة المرسلة فى الفضاء ، التى هى عملية ممتعة للغاية ، بقدر متعة اطلاق القمر نفسه بل أكثر .

إن مايحصل فى عملية تكوين الصور هو أن المعلومات العددية التى تمثل سطوع اللون تخزن على شرائط الكمبيوتر ، وهذا الأخير يعالجها على اساس مبدأ الألوان المضافة وهذا يعنى أن الصور المرسلة تضاف لها ألوان غير ألوانها الحقيقية ، كأن القمر قد عجز عن تحديدها أما الألوان التى يمكن للقمر والعين المجردة رؤيتها فلا يجرى عليها أى مزج أو اضافة فى الألوان غير الحقيقية وبذلك يمكن ملاحظة حتى الأشعة تحت الحمراء ، التى عادة ماتظهر باللونين الأحمر والوردى ، فى حين تمثل الألوان الزرقاء والخضراء المساحات المتحضرة ، (عناصر المدنية) الأزرق الفاتح يمثل المياه الضحلة ، الألوان الغامقة تمثل الأراضى الصالحة للزراعة ، أو الاراضى المحروثة المهيئة لزراعة المحاصيل ، أما ما يظهر من نسيج ملون فى الصور يشير عادة الى صخور ضعيفة الانعكاس ، الألوان المضيئة والصفراء تمثل سطح الصحراء .

ان الماسحات التلفزيونية ـ الرادارية المثبتة على القمر الصناعى ، وبمساعدة الموضع الجيد للقمر (مداره) يمكن لها التحسس عن التفاصيل بشكل رائع ، فعلى سبيل المثال كل مشهد يلتقط بهذه الماسحات قد يحتوى على أكثر من (٧٠٦) مليون عنصر من عناصر الصورة على حد الدقة ، والمشهد الواحد يمكنه أن يغطى مساحة تقدر بـ (٣٠٣٣) مليون هكتار ، وتلك العناصر الصورية أو عناصر المشهد المرسلة هى معدل انعكاس الضوء لكل جسم يقع تحت عيون القمر من المنطقة المغطاة ، الا أنه لابد من الاشارة فى هذا الخصوص بأن المعالم الكبيرة من التضاريس الأرضية هى التى تشاهد بوضوح ، أما

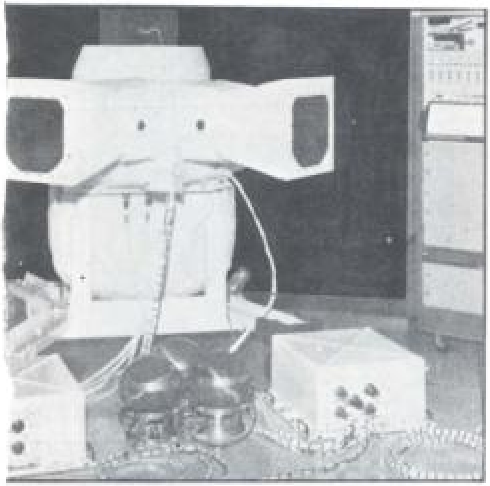

آلتا التصوير ARS و LFS وملحقاتها الالكترونية

الأخاديد الصغيرة،الحدائق ، طرق المرور الصغيرة ، المساكن الفردية ، التجمعات المتبعثرة ، الأنهر الصغيرة كلها لايمكن تمييزها بوضوح مباشرة ، فى حين أن المساحات المتحضرة ، الحقول الزراعية ، الانهار الكبيرة ، التراكيب الجيولوجية والغابات يمكن ملاحظاتها وتمييزها اضافة الى تحديد موقعها .

ان البحوث مستمرة بنجاح الى الآن فى وكالة الفضاء الاوروبية ووكالة الفضاء الأمريكية فى ايجاد آلات تصوير عملاقة دقيقة وحساسة لهذه الأغراض وغيرها ، وهذا ما نجحت فيه ، وتوصلت اليه (NASA) قبل شهرين ، ، وفى الوقت ذاته فان بعض البلدان المتقدمة سائرة فى البرامج الفضائية على اساس التحسس عن بعد ، ففى فرنسا عام ١٩٨٤ أرسل الى الفضاء نظام متطور جدا بقصد الرصد والاستطلاع ، وذلك من مستعمرتها جوانا (Guiana) ـ فرنسا لها ثقل كبير جدا فى وكالة الفضاء الأوروبية لما لها من خبرة وتقنية متقدمة فى هذا المجال ، والمكتب الرئيسى للوكالة مقره باريس ، والمستعمرة الفرنسية جوانا فى شمال أمريكا الجنوبية هى قاعدة الاطلاق للأقمار الفرنسية ، وبنفس الوقت قاعدة الاطلاق للوكالة الأوروبية بصفة

شبه الجزيرة العربية في الجنوب ، ويظهر خليج عدن ، واثيوبيا والصومال .

رسمية - وهذا النظام مصمم على أساس الطيف المتعدد والموجات الحساسة لجميع الألوان ، وفي اليابان لاتزال الجهود منصبة على اطلاق القمر الياباني الذي له مقدرة فائقة في التحسس والالتقاط ، من جهة أخرى تقوم محطات الرصد والمراقبة الأرضية في البرازيل والسويد وايطاليا واليابان والارجنتين واستراليا ،والهند وعلى مدار ٢٤ ساعة - تقوم بتسلم معلومات من الاقمار ، وصياغة نتائج بالتعاون مع أجهزة الكمبيوتر في تخمين وتحديد الثروات المعدنية والتنبؤ بالاحوال الجوية ، والظروف الطبيعية ، والتخطيط ، والسيطرة ، وللأغراض العسكرية والتجسس .

أضخم آلة تصوير

وكالة الفضاء الأمريكية ناسا قطعت أشواطا بعيدة جدا في الفضاء وهي أقدم وكالة فضائية في العالم ، وقد بدأت قريبا حقبة جديدة في عصرها ، تتمثل في التصوير المباشر للمنطقة المستهدفة ، وتمكنت جهود العلماء وتقنية الشركات من صنع أضخم آلة تصوير في العالم ، وذلك قبل أشهر قليلة جدا ، لاستخدامها في تصوير الكرة الأرضية من الفضاء ، وصور هذه الآلة من الوضوح والدقة بحيث لاتحتاج الى جهود لتفسيرها ، وقد أثبتت جميع الاختبارات على هذه الآلة كامل نجاحها .

أطلق على الآلة اسم (LFC) وهي الأحرف الأولى من LARGE FORMAT CAMERA والصور المأخوذة بهذه الآلة غاية في العجب والوضوح ، وبامكانها أن تغطي مساحة شاسعة ، وقد وضعت هذه الآلة على احدى الطائرات لاختبارها ، فاستطاعت أن تصور بكل دقة المنطقة المحصورة بين خليج المكسيك والمحيط الأطلسي (فلوريدا) ، وستستخدم في رحلات المكوك الأمريكي المقبل ، وليس المجال هنا لذكر المواصفات العلمية لهذه الآلة التي يصل وضوح صورها الى ٨٠٪ من الحقيقة والواقع ، وهي أساسا مؤلفة من آلتي تصوير (LFC) و (ARS) آلة التصوير الأولى (LFC) مهمتها تصوير سطح الأرض وماعليه ، أما آلة التصوير الثانية (ARS) فتقوم في الوقت ذاته بتصوير المجال الفضائي للنجوم (STAR FIELD) كذلك أوكلت لها (ARS) مهمة تصوير المسقط الأرضي للمساحة المحصورة بين الآلتين (LFC) و (ARS) ومن هنا نلاحظ قدرة هذه الآلة على التغطية والتصوير .

ان التسابق بين وكالات الفضاء قد خلق آفاقا جديدة وكثيرة وفي شتى المجالات ، ففي الرحلة المقبلة للمكوك الأمريكي يعتزم نقل بعض النباتات للفضاء (كتجربة) بقصد معرفة تأثير الجاذبية على النمو والاستطالة ، اضافة لذلك معرفة مدى تأثير الجاذبية على بعض صناعات الأدوية ، وفيما يخص الروابط الكيماوية للعناصر ولانعلم ماذا ستكون النتائج في السنوات القليلة المقبلة أحقا ثورة وانقلاب لكل شيء أم . . . □

وجهاً لوجه

د. اسماعيل صبري عبدالله و نجاح عمر

- التقنية لاتستورد .. ونحن نملك القدرة على ابداع تقنيات تتلاءم وظروفنا .
- لم يبق للعرب سوى بناء قوتهم الذاتية لمواجهة تحديات المستقبل .
- هناك اهدار لقدرات البحث العلمي المتاح في الوطن العربي .
- اننا بحاجة الى اعادة اكتشاف قضية الديمقراطية بوضعها المحوري في التنمية .
- اسرائيل ، لم تعد حليفاً أمريكيا ، ولكنها جزء لايتجزأ من الاستراتيجية الأمريكية .

في هذا اللقاء « وجها لوجه » يفجر ضيفنا أكثر من لغم وأكثر من قضية فالدكتور اسماعيل صبري عبدالله احد المثقفين العرب المتعددي الاهتمامات ، فهو رئيس منتدى العالم الثالث ومنسق مشروع المستقبليات العربية التابع « لجامعة الامم المتحدة » ورئيس جمعية التنمية الدولية .

ومن هنا فانه عندما يتحدث عن العرب والمستقبل ، يتناول القضية من كل جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وهو يضع اصابعه على القضايا الاكثر سخونة وحيوية . هذا اللقاء لقاء غير عادي ، فهو مع رجل خرج من السجن الى الوزارة . . وخرج من الوزارة الى صفوف المعارضة . .

وتجري هذا اللقاء الزميلة نجاح عمر من اسرة مجلة العربي .

« العلاقات الدولية ليست متكافئة . والنظام العالمي له قلب يسيطر . . يفكر . . ويخطط للقوى البشرية ككل ، واحيانا للفضاء الخارجي . لماذا لم نفكر نحن في مستقبلنا ، فكر فيه الآخرون لنا ، وحاولوا صياغته بما يخدم مصالحهم لانهم غير مكلفين برعاية مصالح الشعب العربي .

« فرق بين المستقبليات . والدراسات المستقبلية ، الاولى ، في الخمسينيات كانت تتخيل صورة المستقبل دون ارتباط بالواقع . بينما الدراسات المستقبلية الآن تحاول البدء من الواقع الراهن وتصوره «سيناريوهات» للمستقبل ، آخذة في الاعتبار اكبر عدد ممكن من المتغيرات المحلية والعالمية . لهذا فهي ـ اي الدراسات المستقبلية ـ اقرب الى الواقعية لانها تكشف عن علاقات حقيقية بين مختلف المتغيرات . »

تلك كانت بداية الحوار مع الدكتور اسماعيل صبري عبدالله ، عندما حاولت ان اضعه وجها لوجه مع المستقبل والواقع .

النفط والمستقبل

● لفترة قريبة . . كانت رؤية المستقبل نوعا من التنجيم . . ورجما بالغيب الآن ، اصبح الوضع شيئا آخر . اختلف الأمر واصبحت المستقبليات والدراسات المستقبلية علما له قوانينه وقواعده ، وأيضا له مراكزه العلمية التي تتولى هذه المهمة ، فأين وطننا العربي من هذا المتغير ؟

ـ في حدود علمي ، يعتبر الوطن العربي المنطقة الوحيدة بين مختلف مناطق العالم الثالث التي لايوجد بها اي مركز علمي للدراسات المستقبلية ، بعكس امريكا اللاتينية ، والهند . . بمعنى ان الدراسات المستقبلية ليست احتكارا للدول المتقدمة ، خصوصا ونحن في عالم تتداخل فيه مصائر الشعوب والأمم وتتشابك ، ويؤثر بعضها في بعض بحيث يستحيل تماما تصور مستقبل أي قطر أو مجموعة أقطار في الوطن العربي في عزلة عما يحدث في العالم . لهذا لابد من التفكير في المستقبل العربي . .

● اذن ، آن لنا أن نبدأ . فهل نستطيع أن نرسم ملامح المتغيرات القادمة ؟

ـ في ضوء ماهو متاح لنا من معرفة بالواقع العربي واتجاهات التطور الكامنة فيه ، والتي أمكن الحصول عليها خلال السنوات الخمس التي قررنا فيها بناء مشروع المستقبلات العربية البديلة . . وكذلك من خلال متابعة الدراسات المستقبلية في الخارج يمكن أن نشير الى متغيرات هامة على الاقل خلال العشر سنوات القادمة . ونستطيع ان نقطع بانتهاء الحقبة النفطية وعدم تكرار ماحدث في النصف الثاني من السبعينيات ، فكل تقديرات تطور العرض والطلب على النفط تشير الى أن سعر برميل النفط سيظل بصفة

عامة مابين ٢٠ و ٢٥ دولارا ، بشرط نجاح الاوبك فى عدم زيادة الانتاج .

● وماذا تعنى بالحقبة النفطية ؟

ـ ان مانعنيه بالحقبة النفطية هى السنوات التى شهدت الزيادة الضخمة والمفاجئة فى سعر النفط والتى حدثت فى ظروف اشتداد الطلب ، وهذا مانعنيه بالقول ان الحقبة النفطية لن تتكرر . نعم سيستمر هناك طلب على النفط ، وربما ارتفع سعره مابين ١٠٪ و ١٥٪ لكن بالقطع لن يرتفع السعر ٤٠٪ فى سنة واحدة وبالطبع فان لذلك مقدمات .

ان الازمة كانت عامل تنشيط لعمليات البحث والتنقيب ، واصبح هناك منتجون فى بحر الشمال والمكسيك . وفى نفس الوقت أدى ارتفاع سعر النفط الى اتخاذ الاجراءات الكثيرة لترشيد استخدامه ابتداء من اجراءات المحافظة على الطاقة والبحث عن مصادر اخرى بديلة مما أدى الى تطوير تقنيات انتاج اقل استهلاكا للنفط .

والاقتصاد الغربى يمر حاليا فى مرحلة ركود ولاينتظر ان يخرج منها على احسن الفروض ، ووفقا للمصادر الغربية ، قبل عام ١٩٩٥ . وهذا يعنى عدم زيادة الانتاج وبالتالى عدم زيادة فى الطلب بالنسبة للنفط .

ان ماجرى فى السبعينيات فى الجوهر هو تصحيح سعر كان منخفضا بشكل غير عادى ، وبعد ان تم هذا التصحيح أصبح يسرى على النفط مايسرى على غيره من المواد الاولية من متطلبات الاسعار فى السوق العالمية .

أما اثر ذلك كله فتراجع قدرة العرب على الضغط فى السياسات الدولية .

قوة الدائن وقوة المدين

● ولكن ، اذا كان سلاح النفط قد فقد وظيفته ، أو على الاقل لم يعد وسيلة ضغط سياسية . فماذا عن توظيف فوائض النفط فى الدول الغربية ، اذا كان عصر الضغط بالنفط قد انتهى . بالطبع لايمكن ان نقول اننا فى عصر الضغط بالاموال .

ـ ماحدث هو العكس تماما ، ان توظيف فوائض النفط فى الدول الغربية ، وبصفة خاصة امريكا ، اصبح وسيلة ضغط على العرب بينما كان العكس هو المفروض .

● كيف ؟

ـ فى علاقة المديونية ، ليس بالضرورة ان يكون الدائن هو الطرف الاقوى . فهناك القوة السياسية ، والوزن العسكرى . كل هذه الاعتبارات تشكل علاقة الدائن والمدين . مثلا بالمقاييس الاقتصادية فان الولايات المتحدة الامريكية أكبر بلد مدين فى العالم ومع ذلك فان سعر الدولار مرتفع ولايستطيع احد ان يمارس عليها اى ضغوط لتسديد الديون . على العكس من ذلك تماما يقع العالم الثالث بديونه تحت ضغوط لانهاية لها . وبالطبع فان الفرق بين الاثنين فى قوة كل منهما الذاتية .

● اذن ، ماذا يبقى للعرب ؟ لانفط ولا اموال ولاقوة تأثير خارجية ، فماذا يبقى للعرب من سلاح ؟

ـ لايبقى للعرب سوى بناء قوتهم الذاتية ، بمعنى التنمية الاقتصادية المستقلة والتكامل الاقتصادى . قوة العرب الاساسية هى انهم ١٨٠ مليونا ، اى مجتمع البشر فيه هم القوة الاساسية ، فلو تعلم الناس وصحت اجسامهم وعقولهم ، وانصرفوا الى الانتاج وبنوا صناعاتهم بما يمكنهم من بناء قوتهم العسكرية ، لو فعلوا ذلك لكان هذا هو المخرج الوحيد .

● يقودنا هذا الحوار من النفط الى الاستقرار الاجتماعى حيث المتغير الثانى القادم . فهناك توقعات لظاهرة سخط اجتماعى متعددة الاسباب ومتنوعة الاشكال فى معظم المجتمعات العربية ، سواء كانت دولا نفطية أو ذات عائد نفطى محدود ، ماذا عن مثل هذه التوقعات ؟

ـ ان خطورة هذه الاوضاع تتلخص فى امرين : الاول ، التوجه نحو البحث عن حلول فردية لقضايا

هى فى طبعها لاتحل الا على مستوى المجتمع

• مثلا ؟

ـ مثل اغنياء المصريين الذين يشربون ماء ايفيان ، ويتركون النيل للتلوث . هذا حل فردى لمشكلة اجتماعية . الذين يقتنون السيارات الفاخرة ومع ذلك لايستطيعون الهرب من مشكلة المرور . هذا حل فردى آخر لمشكلة اجتماعية . الدروس الخصوصية والمدارس الخاصة دون الاهتمام بتطوير التعليم .. هذه كلها حلول فردية لمشاكل اجتماعية .

أما الثانى ، فانتشار انماط استهلاك لاتتناسب والموارد الاقتصادية لمعظم البلاد العربية . كما هو الحال فى مصر حيث ان عدد اجهزة الفيديو منسوبا الى عدد السكان يجعلها اعلى مما هو موجود فى فرنسا أو المانيا الاتحادية .

إنه الخلل الخارج من مضخة النفط والذى لابد ان يجعلنا نتوقع حالات من السخط الاجتماعى الناتج عن تطلعات استهلاكية اكثر بالنسبة للافراد يقابلها امكانيات اقل لمعظم الاقطار العربية . هذه الحالة لاشك انها تدفع الى الهزات السياسية وسقوط بعض الانظمة بعد انتهاء تأثير المخدر المتمثل فى اموال النفط مع استمرار ألم السرطان ، اى التخلف .

أنواع من التبعية

• يبقى المتغير الثالث وهو التبعية فماذا عن مظاهر هذه التبعية ؟

ـ انها تبعية ذات اشكال صارخة . وتتمثل فى تبعية غذائية ، فكل الدول العربية تعانى من فجوة غذائية ناتجة عن تزايد فى السكان لايقابلها حتى الان محاولات تصد جادة على المستوى العربى .

فى السبعينيات كان املنا فى السودان ـ سلة غذاء الوطن العربى . فى الثمانينيات ، نرى المجاعة فى السودان وهنا يبدو واضحا اثر غيبة النظرة المستقبلية ، فالثروات النفطية استعملت فى اشياء كثيرة . دون ان يستثمر منها قدر يذكر فى التصدى للفجوة الغذائية . اى غياب الحل العربى .

ثم الديون ، وهى المظهر الثانى من مظاهر التبعية . وبينما نجد حجما كبيرا فى مديونية بعض الدول العربية . يوجد تركيز كبير لفوائض بعض الدول النفطية فى الولايات المتحدة الامريكية وبذلك يمكن ان نقول ان الفقر والثراء عوامل تبعية ، الا ان وراء ذلك ، على المستوى الاقتصادى اشكالا اعمق للتبعية الحضارية والفكرية

فاننا فى احسن الفروض نفكر من داخل الكتب التى تعلمناها فى الغرب . ويظهر هذا بشكل واضح فى هدر الحكومات العربية لقدرات البحث العلمى والتقنية فى الوطن العربى وحرص تلك الحكومات على الاعتماد على الخبرة الأجنبية . هذا على المستوى الفكرى ، اما على المستوى الحضارى فتتمثل التبعية فى ذيوع سلوكيات وانماط استهلاكية وقيم اجتماعية مستوردة من الغرب ، والخطر هنا هو ان هذه السلوكيات تشكل تطلعات الجماهير الاستهلاكية وتصبح بالتالي قوة ضاغطة على اى حكومة تريد الاتجاه لتنمية جادة .

ان مايجرى هنا ليس مصادفة . فالشركات الغربية الكبرى ، العربية الجنسية تستخدم كل وسائل الاعلام والاعلان لفرض القيم والسلوكيات التى تمكنها من ترويج منتجاتها .

• هل مايحدث هو مجرد الترويج لسلعة أم أن هناك مخططا اكبر لاستمرار تبعية الدول الصغرى .

ـ انا احذر من التفسير التآمرى للامور . ان ضغط السوق واليته سبب للتبعية . نحن فى عصر الاتصال السريع . ويكفى وجود اريال التلفزيون لكي يصلنا بأمريكا مباشرة . والمنع هنا ليس حلا . الحل فى تقديم البديل وهو الابداع . القدرات العربية غير موظفة والمقاطعة ليست حلا فى عصر الغاء المسافات والحدود . لاطريق امام العالم الثالث الا العمل والابداع الحضارى وتأصيل التراث .

العرب والتقنية

• الحديث عن الابداع الحضارى لابد ان يتطرق الى التقنية كيف تنظر الى علاقة الانسان العربى بالتقنية خلال الحقبة القادمة .

ـ اولا ، يجب ان نفهم أن التقنية لاتعني تقنيات مستوردة . لكنها تعني الابحاث والدراسات التي تطبق المعرفة العلمية لابداع تقنيات .. لهذا فالتقنية لاتستورد . ونحن نملك قدرة علمية تستطيع ان تبدع تقنيات تتلاءم وظروفنا .

● تعني ان هناك اهدارا للقدرات العلمية في الوطن العربي . أي شكل يأخذ هذا الاهدار

ـ ان اهدار الحكومات لقدرات البحث العلمي المتاح في الوطن العربي يتبلور في عدم استغلالها واللجوء الى الخبرات الاجنبية رغم وجود عدد ضخم من العلماء العرب ، وتوفر طاقات قادرة على تقديم البحث العلمي وتوظيفه في خلق تقنية محلية . فالطلب الاجتماعي للخبرات العلمية يتجاهل هذه القدرات المحلية ويتجه الى الخارج مما يؤدي الى وجود قدرات علمية غير موظفة على المستوى العربي ، وبالتالي عدم خلق التقنية العربية .

ونحن لدينا تجربة تاريخية في مصر . كان عبدالناصر يتميز بعدم الانبهار بالغرب اذ لم يزر في حياته بلدا غربيا ، وطالما وجد الخبير المصري ، كان عبدالناصر يفضل دائما الخبير المحلي ويرى ان خبرته لن تتطور اذا لم يعمل ، فكانت النتيجة ان ولدت في مصر خبرات تكنولوجية نادرة . كانت القاعدة ان كل مايمكن صناعته في مصر وبايد مصرية يستغنى فيه عن الاجانب . وكانت النتيجة ان استطاع المهندسون المصريون المزاوجة بين المعدات السوفيتية والغربية . وبالفعل اعيدت تصميمات بعض معدات السد العالي بناء على ما ابداه المصريون من ملاحظات وهناك تجربة أخرى ، فمعهد التخطيط في مصر لم تطلب منه جهة مصرية واحدة اي استشارة .. كل الهيئات تتجه الى الخبرة الاجنبية . والاكثر غرابة ان الهيئات الدولية تطلب من معهد التخطيط المصري ابحاثا ودراسات ، وتعقد الاتفاقات الخاصة بذلك ، بينما مصر تتجه الى الخبرات الاجنبية وهكذا تبدو الصورة الآن غير مبشرة . فالبحث العلمي يتدهور .. والجيل التالي ضعيف .. والتلاميذ جهلة ، اي يوجد اهدار كامل للطاقات والقدرات العلمية العربية .

العنف والركود الاقتصادي

● بالطبع لايمكن الفصل بين متغيرات المنطقة العربية ومايحيط بها من متغيرات دولية .. فماذا تقول الدراسات المستقبلية في المتغيرات الدولية خلال الفترة القادمة ؟

ـ اولا بالنسبة للدول الغربية ، فهي تعاني من ركود اقتصادي يقابله داخلها ازدياد قوة الاتجاهات الارهابية والفاشية . وبالتالي الاتجاه المتزايد الى العدوان على دول العالم الثالث . ليس هذا فقط .. بل ينعكس هذا حتى داخل البلدان الغربية ذاتها . فالاتجاه نحو العنف خارجيا ، يقابله نجاح ريجان في الانتخابات تعبيرا عن ذلك ، ثم كان تأييد الرأي العام الامريكي لغزو جرينادا ونيكاراجوا مؤكدا لوجهة النظر هذه . اي القاء العبء الاقتصادي على العالم الثالث ونقل الازمة الاقتصادية اليه .

● والعالم الاشتراكي اين هو من كل هذا ؟

ـ العالم الاشتراكي في حالة من اعادة تنظيم البيت بما يرفع من كفاءة الادارة الاقتصادية ويوسع الممارسة الديموقراطية . انهم هناك مشغولون بقضاياهم ودورهم يتوقف عالميا على وقوع حرب . ان الظروف مختلفة عما كانت عليه في الستينات .

● في ظل هذه الظروف يبقى السؤال الهام .. كيف ينعكس ذلك على الصراع العربي الاسرائيلي .. الحليف الاساسي ، ـ الاتحاد السوفيتي ـ مشغول بقضاياه الداخلية . الاسلحة العربية من احوال ومؤثرات دولية فقدت اهميتها . ماذا عن المستقبل في ظل هذه الظروف ؟

ـ اسرائيل لم تعد مجرد حليف امريكي ، ولكنها جزء لايتجزأ من الاستراتيجية الامريكية . هناك مثلا اتفاقية المنطقة الحرة . وهناك ايضا دعوة « اسرائيل » للاشتراك في حرب الكواكب . وهناك اخيرا استخدام « اسرائيل » لخدمة المصالح الامريكية في

جنوب افريقيا وسيري لانكا . كل هذا لابد ان يكون واضحا امامنا تماما .

● هذا بالنسبة « لاسرائيل » والولايات المتحدة الأمريكية فماذا عن « اسرائيل » والاتحاد السوفيتي ؟

ـ ان اي نجاح « لاسرائيل » يشكل مشكلة امنية داخل الاتحاد السوفيتي . في روسيا ٣ ملايين يهودي تحاول « اسرائيل » جذبهم . وصل الأمر الى انشاء محطة اذاعة خاصة موجهة لليهود السوفييت . الاتحاد السوفيتي يرى في ذلك احياء لشعور العداء للسامية ، ذلك الشعور الذي عانت الثورة الاشتراكية الكثير للقضاء عليه وبالمقابل ترى « اسرائيل » في قوة الاتحاد السوفيتي التهديد الوحيد لوجودها . فالعرب لايهددون « اسرائيل » الا بمشاركة السوفييت . اذن التناقض بين « اسرائيل » والاتحاد السوفيتي تناقض حقيقي ـ والمسألة تخرج عن دائرة الايديولوجيات . انها قضية صورة الاتحاد السوفيتي الدولية وامنه الداخلي .

يبقى بعد ذلك الطرف الثالث وهو « اسرائيل » ، فهي تعاني بدورها من ازمة اقتصادية ترتب عليها تزايد الهجرة خارجها . هذه الهجرة غالبا ما تكون من المثقفين والمهنيين من اصل اوروبي . معنى هذا ان الثقل الانساني داخل « اسرائيل » سيتكون من الدول الاكثر تخلفا وتطرفا . وبالتالي يصبح الاحتمال الوارد بالنسبة « لاسرائيل » هو الاكثر عنفا ـ فالجزء المقيم والضاغط هو الجزء المتخلف من اليهود الشرقيين ، وبمنطق العنصرية ، الفقراء اشد تعصبا من الاغنياء فقراء البيض في الولايات المتحدة اشد تعصبا ضد السود .

نقاط مضيئة في صورة قاتمة

● من كل هذا استطيع ان اقول ان الصورة تبدو قاتمة جدا . فالعالم يتجه الى العنف والعدوانية ، و« اسرائيل » تزداد تعصبا وقوة ، ومصاعب التنمية العربية تتزايد ، والحليف الاساسي مشغول ، ثم ماذا بعد كل هذا ؟ .

ـ الصورة ليست قاتمة تماما . . ففي ظل هذه الظروف والمتغيرات لابد ان نذكر بعض الاتجاهات التي يتزايد اثرها في الرأي العام العربي . منها اعادة اكتشاف قضية الديموقراطية بوضعها المحوري في التنمية ، ومقاومة الامبريالية بعد ان كانت قد تراجعت في فترات سابقة .

ومنها ايضا التواصل البشري بين الشعب العربي في اقطاره المختلفة الذي لم يكن يوما من الايام اعظم مما هو الآن ، رغم الخصومات بين الحكومات .

وكذلك احساس الاقطار العربية بعروبتها مما جعلهم في الخارج يتعاملون معنا كعرب بعد ان كانوا يتكرون علينا قوميتنا .

ثم هناك ايضا بداية العناية بالهوية الحضارية وادراك اهمية المحافظة عليها ـ وان كان هذا الاتجاه مازال يحتاج الى بلورة لانه مازال يعتمد على الرفض وليس الابداع .

ان المجتمع لا ينتظر ان يفكر له احد . والسياسي الكفء هو الذي يتحسس بلور التغير داخل المجتمع فيرويها ، ويتوقف مستقبلنا العربي على ذلك . □

■ ليس الاستبداد هو الأصل في الاستعباد ، فلولا الاستخذاء لما وجد الاستبداد ، ولولا العبيد لما وجد الأسياد (مكرم عبيد)

■ قال أحد المتصوفة : « نفسك ان لم تشغلها بالحق ، شغلتك بالباطل »

■ ان اولئك الذين يتنازلون عن حريتهم ، مقابل أمان مؤقت زهيد ، لا يستحقون الحرية ولا الأمان (فرانكلين)

صدر حديثاً

فهرس
مجلة العربي
في ثلاثة أجزاء

كشاف تحليلي بالموضوعات "جزءان" وبأسماء المؤلفين "جزء واحد"
لما نشر في مجلة العربي طوال ٢٥ سنة
من ديسمبر ١٩٥٨ إلى نوفمبر ١٩٨٣

ثمن الجزء الواحد ٢ دينار كويتي أو ما يعادلها
يُطلب من وزارة الإعلام - المكتب الفني - ص ب ١٩٣ الكويت

وعن طريق موزعي مجلة العربي في الأقطار العربية

حكايات شرق وغرب

اكسير الحياة في لبن البقر !

خرج المزارع اليوغسلافي هوسكا موريتا يبيع احدى بقراته في سوق القرية التي ولد وعاش فيها ولكنه لم يعد ، فقد كانت هذه هي آخر رحلاته . . لقد أحس هوسكا فجأة بالتعب فسقط على الأرض ومات . !

ولما عرف أهل القرية أن صديقهم العجوز قد رحل ، وقفوا في ذهول ، فقد كان الرجل رغم تقدمه في العمر يتمتع بصحة طيبة وقوة وحيوية . . وكانوا يسألونه عن سر حيويته ، فيقول : « انني لا أذهب الى فراشي بالليل لأنام ، الا بعد أن أنفض همومي وأغسل قلبي ! »

وعندما سألوا أبناءه وأحفاده عن عدد السنوات التي أمضاها على الأرض ! قالوا : « مائة وأربعة عشر عاما . . وربما أكثر . . فهو لا يذكر تاريخ ميلاده بالضبط . . لقد كان هوسكا أكبر المعمرين سنا في يوغسلافيا على أية حال . ! »

وعندما بدأوا يوزعون بقية بقراته على أبنائه وأحفاده وجدوهم يزيدون على المائة ! قال الأحفاد وهم يقودون بقراتهم أمامهم بعد أن حصل كل منهم على نصيبه : « لقد كان جده الكبير يحب البقر ، لانه كان يعيش على لبنها !

القناعة أنقذتهم من الموت

كانت مفاجأة للسيدة مارجريتا هاميل عندما دق جرس الباب ووجدت ساعي البريد يحمل اليها صندوقا صغيرا يحوي نوعا فاخرا من الشيكولاتة ، وقرأت السيدة اسم المرسل ، فوجدته ابنتها ماريان ، التي لم تنس عيد ميلاد امها فأسرعت ترسل اليها هذه الهدية الصغيرة التي وصلت في نفس اليوم الذي كانت تحتفل فيه الام مع جميع افراد اسرتها بعيد ميلادها الرابع والستين .

وفتحت الأم الأرملة الصندوق وراحت تقدم لأولادها الخمسة من زوجها الثاني ، ولأمها العجوز التي جاوزت الثمانين ولبقية افراد العائلة والاصدقاء الشيكولاتة التي أرسلتها لها ابنتها الوحيدة من زوجها الأول ، والتي لم ترها منذ سنوات طويلة بعد أن تزوجت ورزقت بأطفال .

ومد الجميع ايديهم واخذ كل واحد منهم قطعة من الشيكولاتة اللذيذة التي امتلأ بها الصندوق الفاخر . . وعندما حاولت الأرملة ان تقدم لهم قطعة اخرى . . اعتذروا وقالت الجدة العجوز : « احتفظي بما تبقى من قطع في الصندوق ، فسوف تذكرك بابنتك كلما عدت اليها لتأخذي قطعة منه » .

وفعلت ، وحملت الأم صندوق الشيكولاتة ووضعته في دولاب ملابسها بجوار صور ابنتها وزوجها واطفالها ، وعادت الى ضيوفها . . ولكنها ما كادت تصل اليهم حتى وجدتهم يتلوون من الألم الذي اصابهم في امعائهم . . ثم جاء دورها ، فقد وجدت نفسها تسقط على الارض ، ولكنها عادت تتحامل على نفسها حتى وصلت الى التليفون وسارعت تستنجد بالاسعاف التي وصلت بعد لحظات لتنقل مارجريتا واولادها وامها العجوز وضيوفها الى المستشفى .

وهناك اكتشف الاطباء أن الشيكولاتة كانت محشوة بسم قاتل . . وانه كان من الممكن أن يقضي عليهم لو انهم استجابوا لدعوة صاحبة الحفل وأكلوا قطعتين بدلا من قطعة واحدة .

وألقى البوليس في مدينة مونستر بالمانيا الغربية القبض على الابنة ماريان التي ارسلت الهدية ، ووجه اليها تهمة محاولة قتل جميع أفراد اسرتها .

وعندما قدمت الابنة للمحاكمة كشف المدعي العام عن الدافع الى ارتكاب هذه الجريمة . . لقد ربحت الجدة العجوز ما يوازي نصف مليون جنيه استرليني منذ عشر سنوات . . وارادت الابنة ان تفوز بهذه الثروة وحدها دون أن يشاركها فيها أحد ، فلجأت الى هذه الوسيلة للتخلص من جميع أفراد اسرتها .

وقال المدعي العام وهو يطالب بتوقيع أقصى عقوبة : « لقد كان الجشع هو الذي دفع الابنة الى ارتكاب هذه الجريمة ، وكانت القناعة هي التي انقذت افراد عائلتها الكبيرة من الموت ، فلولا اكتفاؤهم بقطعة واحدة من الشيكولاتة المسمومة لكانوا جميعا اليوم في عداد الأموات » . .

« الجراثيم » حملت هتلر الى الحكم !

« جاء هتلر الى السلطة في عام ١٩٣٣ ، بسبب وباء الانفلونزا ، الذى اجتاح المانيا ومنع جموع الشعب من الخروج من بيوتهم والذهاب الى صناديق الاقتراع . »

هذا هو الجديد في الكتاب الذى وضعه المؤلف الالماني هنريخ بول ، الحائز على جائزة نوبل للأدب .

فقد كتب هنريخ يقول انه كان صبيا في الخامسة عشرة من عمره في ذلك الوقت ، وكان يمضى سنى المراهقة في مدينة كولن بالمانيا ، وأنه كان يسمع الناس يتحدثون عن هتلر ، كما لوكان « نكتة » يضحك عليها الشباب قبل الشيوخ ، الى أن وقع الحادث الذى أثار موجة من الذعر والهلع في جميع أنحاء البلاد ، عندما ألقت قوات النازى القبض على سبعة شبان وقطعت رؤوسهم .

ويقول المؤلف في كتابه : « أى مستقبل ينتظر هذا الصبي ؟ » ان اسرته الكاثوليكية المتدينة سرعان ماعلمت بمعسكرات الاعتقال ، التى انتشرت في جميع أنحاء المانيا ! لقد كان الشعب يعيش في رعب ، وصراخ المعذبين يشق سكون الليل ، وملأ الشعور بالكراهية للنازى قلوب الرجال والنساء ، ولكنهم كانوا يقفون عاجزين تماما عن أن يفعلوا شيئا ازاء هذا الخطر الجديد ، الذي يتهدد حياتهم ومستقبلهم .

ثم يروى المؤلف في كتابه أنه رفض الانضمام الى الجيش النازى ، وكيف كان يهرب في الليل من مكان الى آخر ، حتى لايقع في أيدي رجال هتلر ، الذين انتشروا في طول البلاد وعرضها لتجنيد الشباب ، ولكن الخوف من الموت والرغبة في الحياة حتى في ظل الارهاب ، دفعا اسرته في النهاية الى شراء الصليب

النازى المعقوف . ولقد اكتشفت أنى شاب جبان » . هكذا يعترف الكاتب ثم يتساءل : « وأين هوالرجل الذى يستطيع أن يقف فى مواجهة الموت ؟ لقد خيرونى بين الانضمام الى الجيش أوقطع رأسى ، فدخلت الجيش وعشت الحرب بأهوالها ، وامتد بي العمر لأروى قصتى مع الحكم النازى فى المانيا . الأبطال وحدهم هم الذين لايخشون الموت . . . ولم أكن منهم . »

أقوى من الموت !

كان يحرص على اصلاح سيارة والده القديمة بنفسه كلما أصابها عطل . وفى أحد الأيام اضطر لارس لنج الشاب الذى لم يبلغ بعد عامه الثامن عشر ، الى النوم تحت عجلات السيارة ، ليفحص العطب الذى عطلها عن السير .

واعتمد الشاب على الرافعة التى ساعدته على أن يستلقى بجسمه كله تحت السيارة ، وانقضت بضع لحظات ، وفجأة هبطت الرافعة ، ونزلت السيارة الى المستوى الذى كانت عليه فوق الأرض . . نزلت بكل ثقلها على جسم الشاب الذى صرخ متألما يطلب النجدة .

واستمر الشاب يصرخ . فى البداية كان صراخه قويا ، ثم بدأ صوته يضعف ويضعف ، الى أن ذهب فى غيبوبة لم يعد يشعر معها بالضغط الذى كان يحطم عظامه .

ومرت ساعتان وحان موعد العشاء ، وخرجت الأم تنادى ابنها ، ولكنها لم تسمع جوابا ، وخطر لها أن تتجه الى مكان السيارة . . . ووجدته هناك مستلقيا تحتها بلا حراك ، فراحت تصرخ فى هلع ، ووصل صراخها الى أذنى الأب الذى كان يجلس الى المائدة فى انتظار مجىء ابنه ، فقفز من مقعده فى هلع ، وأسرع مهرولا الى الخارج . . كان الأب اولاف الذى يعيش فى مدينة ستوكهلم عاصمة السويد قد اقترب من عامه الخمسين . وكان يمشى بصعوبة بعد الجراحة الأخيرة التى أجريت له فى العمود الفقرى . . وكان نحيفا متهالكا يتحرك بصعوبة . . ولكنه لايدرى كيف استطاع فى تلك اللحظة أن ينسى آلام ظهره . . لقد انطلق حيث كانت تقف زوجته ، وقد استبد بها الرعب ، ولم يكن فى حاجة الى الانتظار لتشرح له ماحدث ، فقد أدرك على الفور أن حياة ابنه فى خطر

وأن عليه أن يعمل بسرعة أى شىء لانقاذه من موت محقق . ولم يتوقف ليفكر ، لقد اتجه بسرعة الى مقدمة السيارة ، وراح يرفع هذا الحمل الثقيل عن جسم الشاب الذى كان يلتقط أنفاسه بصعوبة وهو مغمى عليه .

وارتفعت السيارة بالقدر الذى سمح للأم بأن تجر ابنها من تحتها . . ونقل لارس الى المستشفى لاسعافه بالعلاج .

وقال الأطباء الذين تولوا علاج الابن ، وكانوا يعلمون بالجراحة الخطيرة التى أجريت للأب منذ بضعة أسابيع : « لقد كنا فى قلق شديد عليه ، فهو رجل ضعيف البنية . وقد تركته العملية الجراحية التى أجريت له شبه عاجز عن القيام بأى مجهود جسمانى . لقد حاول مرارا أن يرفع السيارة أمامنا ، كما فعل عندما كان ابنه يقترب من الاختناق تحتها ، ولكنه لم يستطع أن يحركها من مكانها . انه الحب . . حب الأب لابنه . . لقد حرك هذا الحب فى داخله قوة هائلة ، أنسته مرضه وحولته الى عملاق . » □

أول فبراير ١٩٨٦

موعدك مع

مجلة العربي الصغير

للفتيان والفتيات العرب

٦٤ صفحة بالألوان

مع مجلة داخلية خاصة في ٨ صفحات للصغار

تصدر أول كل شهر

احجز نسختك من الآن لأبنائك

لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتي
أو ما يعادلها
للنسخة الواحدة

الاشتراك السنوي
٣و٠٠٠ دنانير كويتية
للكويت والوطن العربي

٤,٥٠٠ دينار كويتي
أو ما يعادلها لباقي دول العالم

العبور فوق جبل طارق مرّة أخرى

بقلم : محمد التهامي *

طالما تحدث المؤرخون والكتاب عن الأندلس ، وأمجاد الحضارة الاسلامية في الفردوس المفقود . . ولكن الأمر الآن يحتاج الى مزيد من تسليط الأضواء على الوجه الاسباني الحديث ، حيث أحد مراكز الالتقاء المهمة بين الحضارتين العربية والأوروبية . . . وهذا هو ما يعرضه هذا المقال .

تشد انتباهي بين الحين والحين ومضات من نفثات الاقلام العربية في بعض الصحف والمجلات عن اسبانيا . ويثير أن تقف بي هذه الاقلام في سراديب التاريخ ، عازفة عن الاقتراب من اسبانيا المعاصرة ، التي لو امتدت اليها أبصارنا لوجدناها أقرب الدول الأوروبية الى العالم العربي والاسلامي ، فهي تكاد تلامسه حدودا ، وهي تشابهه مناخا ، وتلتقي معه روحا ومزاجا ، وترتبط به تاريخا ، وتتبادل معه مختلف المنافع والمصالح ، وتقوم بينها وبين جناحه الغربي الروابط والمشاكل .

والوعي العربي الحديث في أشد الحاجة واللهفة الى المعرفة الحضارية الحقيقية عن كنه الأوضاع الاسبانية المعاصرة في اطار اللحظة التاريخية المعاشة ، الخالصة من أحلام وآلام الرومانسية القديمة ، فقد توالت

* شاعر وكاتب . شغل عدة مناصب في الجامعة العربية كان آخرها مستشارا اعلاميا ثم مديرا لمكتبها في مدريد حيث اشرف على العمل الاعلامي والسياسي والثقافي العربي .

مراحل الزمن ، وتعددت وثبات العلم والاختراع ، وتطورت وتنوعت مفاهيم الناس ، وتقلبت وجوه الحياة أكثر من مرة ، واختلفت العلاقات والصلات والروابط بين الأمم ، وانقلبت فى كثير من الأحيان رأسا على عقب ، وتكررت الحروب المحلية والعالمية ، وتداولت الدول الكبرى مراكز القوى مرات ومرات ، ودخلت قارة جديدة بأكملها المحيط العالمى ، وولدت بها أكبر قوة معاصرة .

الأنــدلــس

فقد آن الأوان لأن تقودنا النظرة الواعية فى ضوء العلم الحديث الى أرض الواقع سياسيا واقتصاديا ، وأن نعيد النظر فى تحركنا فى محاولة لاستثمار الصلات القائمة بيننا وبين اسبانيا ، وليس الاندلس فقط ، فالأندلس الآن اقليم من أقاليم الدولة الاسبانية شأنه شأن اقليم « كتالونيا » واقليم « كاستيانا » واقليم (الباسك) وغيرها ، وليس اسبانيا والبرتغال أو شبه الجزيرة الايبيرية كلها كما سماها العرب قديما .

صحيح أن اقليم الاندلس له سمات متميزة عن بقية الأقاليم ، فهو الاقليم الجنوبي للدولة ، وهو الأقرب الى البلاد العربية ، وهو الأشد حرارة ، وهو الأخصب أرضا ، ولهجته الدارجة تختلف قليلا عن اللهجة الاسبانية الرسمية « الكاستيانا » وفيه الملكيات الزراعية الواسعة ، وفيه العمال الزراعيون الذين يكابدون ، وفيه أقوى مراكز الحزب الاشتراكى الحاكم ، واليه ينتمى السنيور « فليبي جونثالث » رئيس الوزراء الحالى ، والاندلس يطالب كما يطالب اقليم « الباسك » واقليم «كتالونيا » بمزيد من الاستقلال والحكم الذاتي .

جسور الحضارة

واذا وضعنا اسبانيا بين الدول الأوروبية جميعا ، وسلطنا على القارة كلها الأضواء فى مجال اكتشاف الطريق لاقترابنا منها ، يسفر الوجه الاسباني عن ملامح متميزة لا يمكن أن يخطئها منصف اوتى نعمة البصر وصفاء البصيرة .

من هذه الملامح ان الانسان العربي يحس فى الشارع الاسباني بكثير من الألفة والتعاطف لدى غالبية الاسبان ، ويلمس ذلك جيدا من تتاح له الاقامة هناك ، ولعل ذلك يفسر اتجاه عدد كبير من العرب الآن لقضاء الصيف على الشواطىء الأسبانية واقتناء المساكن فيها ، وبديهي أن مدى هذه الألفة يقاس بالمقارنة بما يلمسه العربي فى أية دولة أوروبية أخرى .

وليس المهم ان نوقف وقتنا وجهدنا على تحرى وبحث أسباب هذا التعاطف ودواعيه ، ونتعب أنفسنا وراء فلسفته ودوافعه ومدى شموله ، ولكن المهم أن نستثمر ذلك فى تمكين ما بيننا وبين هذا الشعب من علاقات اقتصادية فى المقام الأول ، ثم سياسية فى نطاق المنظمات الدولية وغيرها ، ثم إنسانية فى مجال الاختلاط سياحيا وتجاريا ، ثم أخيرا وليس آخرا ثقافية .

وللثقافة بيننا وبين اسبانيا وزن كبير ، فمن سبيلها يمكن ـ بعد زمن يطول أو يقصر ـ أن تصبح اسبانيا أقوى جسور الالتقاء بين الحضارتين العربية والأوروبية ، ذلك الالتقاء الذى نسعى اليه ، ومؤداه أن تتزاوج الحضارتان ، وأن تكون الثمار عندنا فى أصلها وكيانها ومبادئها وعقائدها عربية اسلامية ، وفى نتاجها مستفيدة فائدة كاملة بما حققته الحضارة الأوروبية من تقدم مادى علمي وفني مرموق ، وليس

ذلك بدعا أو غريبا على دارس التاريخ ، فقد اعتمدت عصور النهضة الأوروبية اعتمادا كبيرا على ما انتقل اليها عبر الجسر الاسباني من ثقافة وحضارة العرب ، ولا تزال آثار مدارس الترجمة فى « توليدو » طليطلة باقية ، ولا تزال خزائن الكتب العربية المخطوطة فى « اسكوريال » ما فتح منها وما لم يفتح حتى الآن تحكى حكاية المشوار الذى قطعته الحضارة العالمية الى مدارس وجامعات أوروبا ، فى الطب والرياضة والفلك والفلسفة والموسيقا ، وسنة الطبيعة أن ترتد الأمواج .

وللبحث هنا اطار عام يحدد الأوضاع ويوضح المداخل ، تدل عليه النظرة العامة الى الوضع الحالى فى اسبانيا .

التغيير فى اسبانيا

فقد خرج الشعب الاسباني لتوه من حكم فردى ، أجبر عليه بعد حرب أهلية طاحنة فقد فيها كثيرا من الحرث والنسل ، وقد استمر هذا الحكم الفردى حوالي أربعين عاما ، ساد فيها الرأى الواحد والمذهب الديني الواحد ، وزاد نفوذ الكنيسة والمؤسسات المفروضة ، والمجالس المعينة ، وتواتر العمل طوال السنين ، حتى خلق قوالب لها رسوخ لا يستهان به .

ـ ثم انتهى هذا الحكم أخيرا ، ووضع الدستور الجديد على أساس ديمقراطى وحرية العقائد والاديان عام ١٩٧٩ ، وتغير نظام الحكم بأسلوب ناجح استطاع فى زمن قياسى أن يغير الأسس ، ويبدل القواعد ، ويدفع الى الحركة المغايرة بنجاح دون اهتزاز او اضطراب يذكر ، فقد انطلقت خطا الحياة والحضارة معتمدة بحكم طبيعة الاشياء على القوالب القديمة أساسا ، محاولة فى ظل النظام الجديد الوصول الى التغيير التدريجى فالكامل ، فلم تعد الأوضاع العالمية والارتباطات الدولية ، وطبيعة الحياة المعاصرة تبيح تطور الطفرة ، والقفز السريع المباغت على الأوضاع السائدة .

العلاقات الثقافية

ويهمنا فى نطاق هذا الاطار العام تحديد ماهية ومدى العلاقات العربية الاسبانية ، والسبيل الصحيح الى استثمارها ، فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، ويقينى أن العلاقات الثقافية هى أهم هذه الوجوه وأبرزها ، فهى الأساس الذى تقوم عليه العلاقات الأخرى . فالثقافة حين تتصل ، يتصل الوجدان والشعور والفكر ، وتتيسر أسباب العلاقات الحياتية جميعها . . الاقتصادية والسياسية والانسانية .

ولنا فى اسبانيا نحن العرب المسلمين جذور ثقافية وبقايا حضارة أندلسية ، شارك فيها العرب والاسبان ، وحملها نتاج التزاوج بين العنصرين ثمانية قرون متوالية « ٧١١ ـ ١٤٩٢م » وهذه الجذور لا تزال ضاربة فى عمق التربة هناك والبحث عنها ميسور ، وتغذيتها ممكنة ، والعناية بها تستحق ما يبذل فى سبيلها من جهد ، ويمكن أن تؤتى ثمارها لو أحسنا المداخل اليها . .

وتلك الثقافة الاندلسية لا توليها الاغلبية الاسبانية الآن اهتماما يذكر ، ولا تقيم لها وزنا كبيرا ، وهذه حقيقة واقعة تتقبلها الأذهان الواعية دون حساسية .

أما فى مجال المستشرقين الاسبان ـ وهذه هى الفئة المهتمة بالثقافة الاندلسية ـ فيتقاسم الرأى فيها فريقان على قدر كبير من العلم والاحترام ، فريق يدرس ويحيط بالتاريخ الاندلسى ومنجزاته الثقافية ، ويقف عند حد العلم به ، ويعتبره ماضيا انقضى عهده وانقطعت صلته بالحضارة الاسبانية المعاصرة ، ولا تأثير له على الحركة الحضارية الآنية . ومن أشهر هؤلاء المستشرقين المعاصرين الأحياء الاستاذ « جرثيا جومث » رئيس جامعة مدريد المركزية الأسبق ، وله تلاميذه ، قال جرثيا جوميث في أثناء زيارته لجامعة القاهرة ، عندما سئل عن قصر الحمراء ومسجد قرطبة : « اننا ننظر اليها ونعتز بها كنظرتكم الى أهرام الجيزة » وصفق له السامعون دون أن يدركوا تماما ما يعنيه . . !

وفريق يدرس التاريخ الاندلسى ومنجزاته ويتتبعه كأصل فعال من أصول الثقافة والحضارة الاسبانية المعاصرة ، يؤثر فيها ويختلط بها ويوجهها ، وهذا الفريق يدعو الى احياء هذا التراث ، وتعليمه للمعاصرين ، ومن أشهر هؤلاء ـ الأستاذ (بدرو

ميدان خوسيه انطونيو قلب قرطبة اليوم، انه ميدان صغير ليس فيه من الطابع العربي شيء .

مارتنيث) رئيس جامعة مدريد المستقلة السابق ، وله تلاميذه . ويجري الحوار العلمى الرفيع بين المدرستين ، كل يؤيد رأيه ويدعو له بكل مايملك من علم ومنطق ، وصدى هذه المعركة بينهما محصور فى المجال العلمى ، ولم يمتد بشكل مؤثر فى الرأى العام .

الأبواب المتاحة

وأمام تنمية العلاقات الثقافية الاسبانية العربية أبواب كثيرة يحتاج كل منها الى تحرك فعال ، منها الدعوة الى تدريس الحقبة التاريخية الأندلسية فى المدارس ، وهذه الدعوة لها أنصار كثيرون من الأسبان ، ومنها تصويب المناهج الدراسية فى مختلف مراحل التعليم فى التاريخ والدين والادب ، وتصحيح مابها من أخطاء تسىء الى العرب والدين الاسلامى وتلاقى مابها من قصور ، وقد بدئت الخطوات في هذا السبيل،ومنها العناية بتعليم اللغة العربية للراغبين فيها من الاسبان ، وياحبذا لو فتحنا لهم باب معهد تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ، والتابع لمنظمة الثقافة والتربية والعلوم بالجامعة العربية ومقره فى الخرطوم ، ومنذ عام ١٩٧٨ خصصت خمس منح دراسية لاسبانيا ، ومدى علمى أنها لم تنفذ رغم الحصول عليها منذ هذا التاريخ .

ومنها تعليم التاريخ الأندلسى للتراجمة والمرشدين السياحيين فى مناطق الآثار الاسلامية ، كقصر الحمراء ومسجد قرطبة ومئذنة إشبيلية ، حتى يحسنوا شرح هذا التاريخ للسائحين ، تفاديا لما يقدمونه الآن من خلط ومعلومات مشوهة ، ومدى علمى أنه قد خصصت لهذا منح دراسية بجامعة بغداد ، منذ أمد طويل ، وأخشى الا تكون قد نفذت . □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

«ع»

العالم الثالث

مصطلح سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي يقصد به الدلالة على الدول التي لا تنتمي الى العالمين الأول والثاني ، وهما :

أ ـ الدول الصناعية المتقدمة وهي : الولايات المتحدة الامريكية وكندا وأوروبا الغربية واستراليا واليابان ونيوزيلندا .

ب ـ بلدان المجموعة الاشتراكية .

وقد كان أول من استخدم المصطلح (ألفريد سوفيه) في عام ١٩٥٦ واطلق التعبير على غرار التعبير التاريخي الشهير « الطبقة الثالثة » وهي الطبقة التي كانت تضم الذين لاينتمون الى طبقتي النبلاء ورجال الدين .

وانتشر المصطلح بعد ذلك وشاع استخدامه وبدأت محاولات جادة لوضع تعريف محدد واضح للمصطلح ، فبينما يرى البعض ان دول العالم الثالث هي التي لم تستفد من ثورة القرن التاسع عشر الصناعية أو ثورة القرن العشرين الاشتراكية ، يرى البعض أن دول العالم الثالث هي الدول النامية أو الدول الآخذة في النمو ، والدول المستقلة حديثا والدول المتخلفة .

وبغض النظر عن التسميات فان الدول التي يطلق عليها المصطلح تشترك جميعها في أنها تعاني من التخلف الاقتصادي بمعناه العلمي كظاهرة شاملة من حيث (تخلف هياكل الانتاج ، وضعف القدرة على التصدير والاعتماد على الذات وتعاظم نسبة الواردات وسوء الادارة ، .... الخ) .

وقد انتشر المصطلح في الادبيات المعاصرة ليوصف به موقف أو ظاهرة تنتمي الى هذا العالم .

ونتيجة لشيوع هذا التقسيم ، والانتباه العلمي الى الانقسام الذي يعيشه العالم ، فقد تبلورت مواد اكاديمية تهتم أساسا بقضايا التنمية التي هي الخلاص الحقيقي للعالم الثالث .

فترسخت في العشرين عاما الماضية دراسات التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية والتنمية السياسية وأصبحت هذه المواد حقلا واسعا للدراسات الاكاديمية والبحوث العلمية .

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى

وبينما يرى البعض أن التقسيم الى عوالم ثلاثة يكفى للتصنيف الدولى من حيث درجة التقدم والنمو فإن بعض دراسات التنمية ترى انه من الممكن تقسيم العالم الى خمسة (عوالم) هى الاول والثانى اللذان أوضحناهما ثم بعد ذلك العالم الثالث وهو يضم مجموعة الدول ذات المستويات الاقتصادية والتقنية المنخفضة ، والتى تحتاج الى تطور ودعم فى مجال التقنية واستخدامها ، وفى تطوير العلوم والنظم الاجتماعية اكثر من حاجتها الى المساعدة المالية ، وتندرج فى هذه المجموعة البلدان المنتجة للمواد الخام

العالم الرابع وهى البلدان المتخلفة التى تمتلك المواد الخام بقدر مناسب ، والكوادر البشرية والهياكل الاقتصادية ولكنها تحتاج الى تدفق نقدى ليساعدها فى اعطاء اقتصادياتها الدفعة المطلوبة .

العالم الخامس ـ وهو أكثر البلدان تخلفا ـ لانها لاتملك مواد خاما ولاكوادر بشرية ولايحقق انتاجها الزراعى اكتفاءا ذاتيا ، وبالتالى فان مشاكلها الاقتصـادية والاجتماعية تتفاقم وتتعقد فى دوامة خبيثة .

ولقد نجحت دول العالم الثالث فى تحقيق تكتل قوى امام العالمين الاول والثانى بتكتلها فى مجموعة عدم الانحياز سياسيا ، وتكتلها فى مؤتمر الامم المتحدة الاول حول التجارة والتنمية الذى عقد فى عام ١٩٦٤ ، فقد نجحت دول العالم الثالث فى الوقوف فى وجه الدول الغنية مطالبة باعادة النظر فى النظام الاقتصادى والدولى الذى يكرس تفوق دول الغرب ونهب ثروات العالم الثالث ، وبدأت مجموعة الدول النامية التى كان عددها فى هذا المؤتمر ٧٧ دولة بلغت الان ١١١ بلدا ، بدأت هذه المجموعة تطرح قضايا وافكارا رئيسية حول شكل العلاقة بين العالم المتقدم والعالم النامى ، فطرحت افكارا حول دور الشركات المتعددة الجنسية فى اقتصاديات الدول النامية وقضية نقل التقنية ، واصلاح النظام النقدى العالمى .

ورغم محاولات دول العالم النامى لإيجاد صيغة جديدة لشكل العلاقات بين الدول المتقدمة وبينها الا ان مصالح الدول المتقدمة والاحتكارات العالمية مازالت تسيطر على النظام الاقتصادى العالمى . □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الغدة الصنوبرية وأثرها في الحالات النفسية

كانت الفتاة تصاب بالاكتئاب في فصل الخريف والشتاء ، وكانت تتماثل للشفاء مع حلول الربيع وظهور شمسه الساطعة . فقد عانت من عصبية في المزاج وشعرت باللامبالاة وعدم الاكتراث سواء بالعمل أو اللهو أو غير ذلك ، وشعرت أيضا بميل الى الخمول والبقاء في السرير ، ولكنها سرعان ما شفيت من هذه الاعراض جميعا مع بداية أيام الربيع ، وهي أطول من أيام الشتاء كما هو معروف ، وتتيح للانسان مزيدا من الضوء وأشعة الشمس . .

وجاء يوم لم تشف فيه الفتاة من اكتئابها على الرغم من مضي اسابيع عديدة على حلول فصل الربيع . وتبين للطبيب النفسي المعالج أن استمرار الاكتئاب ، ـ خلافا للقاعدة ـ كان سببه السرداب الذي انتقلت اليه عائلة الفتاة وسكنت فيه ، وكان مظلما الى حد كبير ولا تدخله أشعة الشمس التي فاضت بها الشقة الأولى التي كانت تسكنها العائلة . أما العلاج الذي اختاره الطبيب فكان اليقظة « المبكرة » والخروج من البيت لتلقى اشعة الصباح الباكر . والغريب أن الفتاة شفيت تماما مما كانت تعاني منه .

ترى ، هل هناك علاقة بين الضوء ونفسية الانسان أو مزاجه ؟ وهل كان دعاة الطب الشعبي على حق حين أكدوا مرارا أن الضوء ذو أثر كبير في نفسية الانسان ؟

لقد بدأ الطب الحديث يولي هذه العلاقة اهتمامه ، وأقبل العلماء والاطباء النفسيون على اجراء البحوث والتجارب حتى توصلوا الى نتائج محسوسة نوجزها فيما يلي :

١ ـ ثمّ آفة يعاني منها البعض ويمكن تسميتها الآفة الفصلية .

٢ ـ ومن أعراض هذه الآفة الأرق والنوم المتقطع ، وفقدان النشاط والشهوة ، دون فقدان شهية الأكل ، فهذه تزداد وخصوصا بالنسبة الى الكربوهيدرات .

٣ ـ وتظهر هذه الآفة في فصلين من فصول السنة هما الخريف والشتاء ، وتختفي في الغالب في الفصلين الآخرين .

ومضى العلماء في أبحاثهم ودراساتهم حتى اهتدوا الى بيت القصيد . فثمة نتوء في قاعدة المخ هو الجسم الصنوبري أو الغدة الصنوبرية ، وهو المسؤول الأول عن تلك التغيرات ، فالغدة الصنوبرية تفرز مادة الملاتونين التي تساعد على النوم ، وتبعث على الاكتئاب النفسي والخمول العقلي ، وتبين للعلماء أيضا أن الضوء الساطع يحد من افراز هذه المادة ، ويحد بالتالي من الاكتئاب الفصلي الذي ذكرنا .

لا عجب اذن أن وجد الاطباء النفسيون العلاج الناجع لتلك الآفة في استيقاظ المكتئبين باكرا وفي تلقيهم لأشعة الشمس الأولى . .

هل يمكن التنبؤ بالبرق والسيطرة عليه ؟

ساد الاعتقاد ان البرق انما يحدث عشوائيا ويفاجىء الناس من حيث لايرونه .. وأنه اذا ضرب بقعة فانه لايعود الى ضربها مرة ثانية ...

ولم يغفل العلماء عن دراسة حقيقة هذه الظاهرة ولاسيما أن الكثيرين منهم كانوا يولون البرق ـ ولا يزالون ـ اهتماما كبيرا باعتباره مصدرا من مصادر الطاقة التي يمكن ان تعود على البشرية بخيرات هائلة فيما لو تمكن العلماء من السيطرة والتحكم فيه .

أما دراسة البرق من حيث عشوائيته وتكرار ظهوره في مكان واحد فقد حظيت باهتمام علماء البيئة في الولايات المتحدة الامريكية .. ونخص بالذكر منهم العالمين ، راؤول لوبتر ورونالد هل (Halle) .. فقد قاما بدراسة ١٢٠,٠٠٠ وميض من برق الصيف وذلك حول مدينة ونفر ... واستعملا في تلك الدراسة اجهزة سبر ورصد متطورة .. وتبين لهما ان ثمة مواقع تستأثر بالبرق اكثر من غيرها كشواطىء فلوريدا مثلا .. وتبين لهما ايضا ان للريح والطوبوغرافيا اثرا كبيرا في اجتذاب المزيد من البرق اذا هما تعاونا على نحو ما .. فمن ذلك ان نسيم البحر على شواطىء فلوريدا كثيرا ما يتسبب بالعواصف الرعدية فضلا عن البرق لدى التقائه بالمرتفعات القريبة من تلك الشواطىء ..

طاقة هائلة ولكنها كانت محدودة حتى الآن .. ترى هل يستطيع العلماء السيطرة على البرق وتسخير طاقته لفائدة البشرية

وقل مثل ذلك في منطقة كولورادو .. حيث تكثر العواصف الكهربائية فيما بين جبال روكي وسهول كناس ... فمن الممكن ان تتلقى هذه المنطقة حوالى ١٥ وميضاً برقيا في مساحة لاتزيد على ميل مربع واحد وفي فترة لاتجاوز ثلاثة شهور ..

ويتطلع العلماء الى اجراء دراسة واسعة لظاهرة البرق تشمل ارجاء الولايات المتحدة كلها .. وهم يعقدون الأمل على ان يأتي ذلك اليوم الذي يستطيعون فيه التنبؤ بوقوع البرق مسبقا وقبل وقوعه .

معالجة مرض باركنسون (parkinson)

نجح علماء جامعة إموري في اطلانطا في معالجة قرود ريزوس من مرض باركنسون . ومن المعروف ان أعراض هذا المرض تشمل ، فيما تشمل ، بطء الحركة وتصلبها والرجفة .. ومن المعروف ايضا ان مادة (دوبامين) ، وهي احدى مواد المخ الكيماوية ، تنقص بنسبة ملحوظة في المصابين بمرض باركنسون .

والجدير بالذكر أن جراح الاعصاب (روى باكاي) قام بزرع الخلايا التي تفرز مادة الدوبامين بالذات ... فقد انتزعها الجراح المذكور من مخ جنين قرد سليم ، لايزيد عمره على ٣٥ ـ ٣٧ يوما ، وزرعها في مخ قرد مكتمل النمو ومصاب بمرض باركنسون . فشفى هذا من الاعراض المذكورة وعوفي تماما .

الشفاء من مرض السكرى .. هل بات قريب المنال ؟

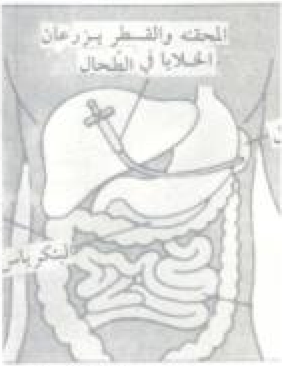

زراعة خلايا الانسولين

اشرنا في عدد سابق بايجاز شديد الى طريقة جديدة في معالجة مرض السكرى تبشر باحتمال شفاء ناجح وسريع لهذا المرض الخطير الواسع الانتشار . وقد وردتنا بعض التفاصيل عن هذه الطريقة الجديدة استوجبت تقديمها الى القراء دون تأخير فهي هامة بحد ذاتها وقد تؤدى الى فتح جديد بالنسبة الى مرض السكر يفوق كثيرا الفتح الذى حققه اكتشاف الانسولين في مطلع العشرينيات من هذا القرن ..

وأول مايذكر عن طريقة علاج السكرى الجديدة هو أنها عملية زرع .. ولكن الذى يزرع فيها ليس البنكرياس بكامله .. فهذه طريقة اخرى استأثرت باهتمام الاطباء في الولايات المتحدة واستراليا قبل نحو سنتين او يزيد وقد كتبنا عنها في حينه .. على انها لاتبشر بثمار طيبة في المستقبل .ذلك ان البنكرياس يشمل الخلايا التى تفرز الانسولين ويشمل أيضا خلايا أخرى تفرز هرمونات هاضمة ، تفيد اذا انصبت داخل الجهاز الهضمى وتضر كثيرا وتدمر الانسجة اذا تسربت خارجه .. ولما كان زرع البنكرياس بكامله لايضمن عدم تسرب هذه الهرمونات إلى خارج الجهاز الهضمى .. كان الشعور بالتشاؤم حيال طريقة زرع البنكرياس بكامله .

من هنا كان اهتمام الطبيبين دافيد شارب وبول لاسى في البحث عن طريقة أخرى جديدة تزرع جزءا محددا من البنكرياس هو الجزء بل الخلايا التى تفرز الانسولين (اى خلاياbeta) التى تسمى ايضا (islets) دون الجزء او الخلايا الاخرى التى تفرز الهرمونات الهاضمة التى قد تسبب ضررا كبيرا اذا هى تسربت الى خارج الجهاز الهضمى .

وشرح الطبيبان طريقتهما في المؤتمر الاخير لاتحاد مرضى السكرى الامريكى

١ - تؤخذ خلايا الانسولين (Beta) من جثة أحد الموتى في غضون ٢٤ساعة من موته ، وهما يعتمدان في ذلك على جهاز للقوة المطاردة ومصاف بحيث يستطيعان انتزاع ... و٢٠٠ خلية من خلايا Beta التى تفرز الانسولين .

٢ - ويشق بطن المريض ويفتح فيه جرح بطول ٧ بوصات تقريبا .. بحيث ينتهى هذا الجرح عند السرة .. ثم تحقن الخلايا في طحاله .. أما السبب في اختيار الطحال فهو ضمان حصول الخلايا على الكمية الكافية من الدم .

٣ - وقد اجرى الطبيبان هذه العملية على ٦ من مرضى السكرى .. ونجحت العملية نجاحا تاما في ثلاثة منهم نهضوا من فراشهم في صبيحة اليوم التالى للعملية .. ولم يظهر في أى من المرضى الستة أى رد فعل تسممي .. واستمرت الخلايا في افراز الانسولين طوال شهرين ونصف (حتى كتابة الخبر) .. ولايعرف بعد السبب الذى أدى الى فشل العملية في الثلاثة الآخرين .. ولعله العقاقير المضادة للرفض نفسها هى التى عطلت نمو الخلايا المزروعة ولربما كانت الخلايا الاخرى ... الخلايا التى تفرز الهرمونات الهاضمة هى التي تسببت بذلك الفشل اذ من الممكن ان تكون بعض هذه الخلايا واسمها (Dendritic) قد بقيت عالقة بخلايا Beta عند انتزاعها من الجثث وزرعها في أجسام المرضى الثلاثة .. فمن شأن هذه الخلايا ان تشطر أجهزة المناعة في الجسم فتساعد على مزيد من رفض الجسم لخلايا بيتا التي تفرز الانسولين .. لاعجب اذن ان ركز الطبيبان المعنيان على ضمان القضاء نهائيا على خلايا (Dendritic) وهى في الجثة وقبل انتزاع خلايا Beta .

٤ - والجدير بالذكر أن الطريقة نجحت نجاحا تاما في الحيوان . □

مكتشفون ومخترعون

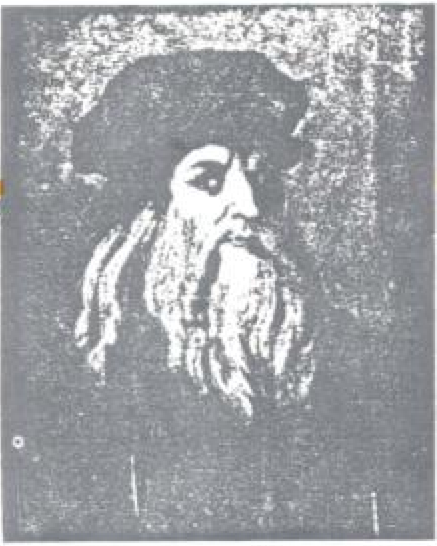

ليوناردو دافنشى ١٤٥٢ - ١٥١٩

رائد التقنية والاختراع فى التاريخ

قال بعضهم فى ليوناردو دافنشى انه عشرة عقول فى جسم واحد .. وقال آخرون انه ليس عبقرى زمانه فى فن الرسم فحسب ولكنه عبقرى التاريخ البشرى كله فى فن الرسم وفى علوم أخرى مختلفة .. فقد كان مهندسا عسكريا وموسيقيا ومهندسا معماريا ورسام خرائط وعالم رياضيات وعالم فلك وعالم حيوان وعالم نبات وعالم جيولوجيا وعالم طب وتشريح .. والغريب انه فى هذه المجالات جميعا ابدع ، وفاق اكثر المتخصصين فيها من ابناء زمانه .. والاغرب من ذلك انه سبق أكثر العلماء الذين ظهروا فى القرون الخمسة أو الستة التى اعقبت زمانه .. ووضع التصاميم الدقيقة الواضحة للكثير من المكتشفات والمخترعات التى ازدهرت بها العصور الحديثة،ويعجب المرء بعد هذا كيف تسنى ليوناردو تنمية مواهبه وصقل ملكاته واكتساب ما اكتسب من ذخيرة علمية وخبرة عملية .. دون التتلمذ على احد فى غير الفن ودون سفر يذكر .. او تجوال ..

ولد ليوناردو فى بلدة فنشى قرب فلورنسا سنة ١٤٥٢ ، ابنا غير شرعى لاحد المحامين الاثرياء .. ولم يتخل عنه ابوه ، بل انه احتضنه ورعاه وعهد به الى فيروكيو الفنان والرسام المعروف آنذاك وهو فى الخامسة عشرة من عمره . ذلك ان ليوناردو اظهر موهبة متميزة فى الرسم والهندسة منذ نعومة اظفاره .. هذا الى جانب الموسيقا وقد ابدع فيها فى وقت مبكر .. لاعجب اذن ان أذهل ليوناردو استاذه لا فى لوحاته الرائعة فحسب ولكن فى الرسوم والخطوط الاولية التى مهد بها لتلك اللوحات ايضا ... فقد تجلى فيها جميعا الرسم المجسم .. ذو الابعاد الثلاثة . وبدا ليوناردو وكأنه مفطور على ذلك اللون من الرسم الذى كان لايزال فى أول عهد فى تلك الايام والذى بذل استاذه فيروكيو قصارى جهده لاتقانه .. وهكذا بذ ليوناردو سائر فنانى عصره ، مايكل انجلو وروفائيل وبوتشيلى وسواهم ، ولما يبلغ الثامنة والعشرين من العمر .. وليس هنا مجال الحديث عن عبقريته الفنية .. وحسبنا الاشارة الى لوحة الموناليزا والعشاء الاخير ..

ويذكر عن ليوناردو انه كان طويلا مهيبا وقوى البنية ، وكان فارسا ممتازا ومبارزا جيدا .. وقد اجاد نظم الشعر والغناء والعزف .. على قيثارة صممها وصنعها بنفسه .

والغريب ان الفن لم يكن سبيل ليوناردو الى طلب الرزق ، فقد اختاره الدوق لودوفيكو سفورزا ليكون

المهندس العسكرى فى دولته الصغيرة ، أو دوقيته ميلانو . وانتقل بعد ذلك الى البندقية (سنة ١٤٩٩) وكانت في حرب مع تركيا . . وشغل فيها مثل المنصب الذى شغله فى ميلانو . . ومع انه لم يقر الحروب ، وقد قال فيها بأنها ضرب من « الجنون البهيمى » الا انه اخترع او وضع التصاميم الكافية لاختراع المدفع الرشاش والدبابة والغواصة وسترة الغوص الواقية كالتى يرتديها الغواصون او الضفادع البشرية . . وقل مثل ذلك فى القنابل النارية والجسور المتنقلة والعربات المصفحة . . الا ان ايا من هذه المخترعات لم يوضع موضع التنفيذ ، وذلك لا لعلة فى الاختراع نفسه ، وانما نظرا للتكاليف الباهظة التى استوجبها تحقيق ذلك الاختراع فى ذلك الزمن المتخلف تقنياً . .

ولعل الماء والهواء استأثرا باهتمام ليوناردو اكثر من اى شىء آخر . . وقد كتب الكثير عن امواج المحيط والشلالات . . وتفتيت الصخور بفعل الماء . . ثم عكف على دراسة ظاهرة الطيران فى الطيور ، كيف اقلعت وحلقت وكيف فردت اجنحتها حتى تسنى له آخر الامر اختراع الطائرة الشراعية . . والباراشوت وطائرة الهليكوبتر . . وبنى من الاقنية حول مدينة ميلانو مما لايزال يحظى باعجاب المهندسين والمتخصصين حتى الآن .

ويعتبر ليوناردو دافنشى رائد التقنية والثورة الصناعية التى اجتاحت اوروبا بعد موته بقرون . . فقد اخترع المفتاح الانجليزى (Monkey Wrench) والمرفاع النقال (Jacks) والمخرطة (Lathe) والمرفاع الترسي (Winch) . واخترع ايضا المرفاع الكبير (Crane) ، القادر على حمل كنيسة بكاملها . . والبستون (Piston) الذي يتحرك بالبخار ، ومحول الحركة (Differential Transmission) هذا الى جانب المقصات والبكرات والزمبركات ومحمل الاسطوانات (Roller Bearing) واجهزة القياس ، قياس الرطوبة وتقلبات الطقس والمسافات .

ووضع ليوناردو ايضا وصفا دقيقا لمحرك الاحتراق الداخل ولأجهزة خاصة بتسخير الريح لتوليد الطاقة واجهزة اخرى لتكييف الهواء داخل المنازل .

ولم يكن حظ ليوناردو من العلم اقل من حظه من التقنية . فقدا اشتغل في الفلك وسبق كوبر نيكوس فيما اشتهر به من مكتشفات تعرف بالثورة الكوبرنيكية . . واشتغل بالفيزياء والرياضيات وسبق جاليليو ونيوتن فيما اكتشفاه من قوانين الحركة وتسارع الاجسام الساقطة . واشتغل فى علوم الحياة والوراثة وسبق دارون ، وقد كشف عن جذور نظرية التطور . . . وكان ليوناردو فوق ذلك كله رائدا فى البصريات والهيدروليات (Hydraulics) وفيزياء الصوت والضوء . هذا بالاضافة الى علم التشريح الذى كان له فيه باع طويل . .

بقى ان نذكر ان ليوناردو اعتمد المشاهدة والتجربة سبيلا الى المعرفة . . فقد رفض النزعة السائدة آنئذ ومنذ القرون الوسطى ، نزعة الاخذ بما جاء فى الكتب والتسليم بما تناقله الخلف عن السلف . . واتجه الى الحياة والواقع . . وراح ينتهل منهما على نحو مباشر ويجرى من التجارب مايمكنه من التحقق مما انتهل . . وكأنه عالم من علماء القرن العشرين لا القرن الخامس عشر . وتجدر الاشارة الى ان ليوناردو لم يؤلف كتبا وان كل ماتعرفه عنه . . كل نظرياته ومكتشفاته وتصاميم مخترعاته ، انما نجده فى مذكراته التى ضمت نحوا من ٧٠٠٠ صفحة . .

وعاد ليوناردو بعد ذلك الى فلورنسا سنة ١٥٠٣ حيث تفرغ للرسم ، ثم توجه الى ميلانو فروما (سنة ١٥١٣) فبلدة امبوا فى فرنسا ، حيث حل ضيفا على الملك فرنسيس الاول ، وحيث توفى عام ١٥١٩ .

وقد يتساءل القارىء بعد هذا : أولم نبالغ كثيرا أو قليلا فيما ذكرناه عن ليوناردو دافنشى . . وهل يعقل ان يبلغ رجل من النبوغ والعبقرية وان يحقق من المنجزات مثلما نسبناه الى ليوناردو . .

ونتساءل نحن بالمقابل : ترى : هل وفقنا فى انصاف ليوناردو اعظم عقلية انجبها تاريخ الانسان . . وهل نجحنا فى ان نفيه حقه . . □

■ ابحث عن السعادة في عملك ، والا فانك لن تعرف ما هي السعادة

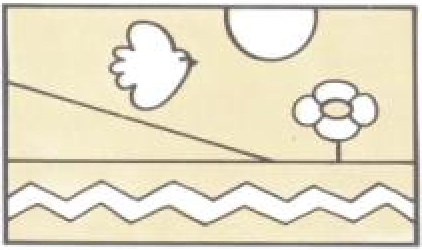

سلامة البشرية في سلامة البيئة

اكتشفت السلطات البرازيلية المعنية أن الموت كان نصيب كل من يسبح في احدى المناطق في نهر الامزون وبالتخصيص منطقة بارا ، وبالقرب من عاصمتها بلم بوجه اخص .. يصدق هذا على عشرات الفلاحين وخصوصا روموالدو كربر الذي يمتلك مزرعة كبيرة في تلك المنطقة ، والذي لم يكد يخرج من سباحته في ماء النهر حتى شعر بالقشعريرة ثم غط في سبات عميق،وغاب عن الوعي طوال أيام كاملة .. وقل مثل ذلك في حيوانات المنطقة وقد نفقت جموع كبيرة منها كما يستدل على ذلك من الصورة .

وقامت الدوائر المختصة بالتحقيق .. ومالبثت ان اكتشفت ان الأعمال التي تقوم بها بعض الشركات العاملة في المنطقة هي التي سممت المياه والتربة وأوراق الشجر فيها .. والمقصود هنا شركتان : شركة الكترو نورته الكهربائية ، وشركة داو الكيماوية الأمريكية .. فقد تعاونتا على رش تلك المنطقة بأحد المبيدات على نطاق واسع وذلك من أجل تعرية

الاشجار من أوراقها الخضراء ، لكي تتمكن الشركة الكهربائية من مد الخطوط والاسلاك دون أن تعترض سبيلها الاشجار وأوراقها . اما المبيد الذي استعمل لهذا الغرض فلم يكن سوى المبيد الذي حظرت استعماله أكثر الدول المتقدمة ، ويعرف باسم 245 T-وهو أحد المحتويات الرئيسية في عامل اورانج ، وهو المبيد الذي رشته الولايات المتحدة على الغابات في فيتنام فقضى عليها كلها تقريبا . وقد حظرت وكالة البيئة والتلوث في أمريكا معظم استعمالاته . والمبيد المذكور لايسبب الموت دائما ولكنه كفيل بالاصابة بالسرطان والتسبب في الاجهاض اذا لم يكن سما زعافا ينشر الموت بين الحيوان والانسان . .

ومما يذكر أن حوادث الموت والتسمم التي تسبب بها هذا المبيد عن طريق غير مباشر فاقت تلك التي تسبب بها على نحو مباشر . . ذلك أن علب المبيد الفارغة تركتها شركة داو هنا وهناك بدلا من أن تدفنها أو تتلفها بطريقة او بأخرى . . الأمر الذي حدا بالأهالي الى استعمال تلك العلب أكوابا لشرب الماء ومكيالا للدقيق . . فكان ما كان . وجدير بالذكر أن اهالي المنطقة اقاموا دعاوى عديدة على شركة الكهرباء يطالبون فيها بتعويضات على مافقدوه من محاصيل وماشية وأفراد من بني الانسان .

لبن الناقة . . خير من لبن البقرة

تعيش في شمال كينيا قبيلتان . . احداهما تشعر بالاكتفاء ويتمتع افرادها بصحة جيدة . . والاخرى تعاني من سوء التغذية والعطش - ولاسيما أيام القحط - وتسعى الى اصلاح الأوضاع بالمقايضة . . الحصول على الذرة مقابل الماشية . ولو أنك تعمقت قليلا في التعرف الى أسلوب حياة القبيلتين لوجدت الفارق الأساسي في الجمال . . فالقبيلة الأولى تعيش على لبن الناقة ، والقبيلة الثانية لاتولي الجمال أي قدر من الاهتمام .

ويعجب المرء كيف يمكن لهذه القبيلة الصحراوية أن تغفل عن الجمال ومزاياها فالجمل يصبر على العطش أكثر بكثير من الماشية . . وهو أقدر على استخلاص الغذاء والماء من النباتات الشوكية والمالحة . . كذلك ينجح الجمل حيث تفشل الماشية في امتصاص الماء من ثقوبة العميقة في الأرض ، وفي بلوغ قمم الأشجار برقبته الطويلة .

اضف الى ذلك كله مزايا لبن الناقة ، فهو أغنى من لبن البقر بالبروتين والماء ، ولايحتوي على المواد الدهنية بالمقدار الذي يحتويه لبن البقرة . . وفي ايام الجفاف والقحط حين يشح ماء الشرب يعمل جسم الجمل تلقائيا على رفع نسبة الماء في لبنه من ٨٤٪ الى ٩١٪ ويفعل ذلك بتحويل الماء الذي يختزنه الجمل في دمه لا في سنامه فيحول الماء من دمه الى لبنه ليصبح لبنه مشبعا بالماء . . وذلك من أجل صغاره ، وخشية أن تنفق عطشا . .

ثم ان انتاج الناقة الواحدة من اللبن في اليوم لايقل عن (٤٠) لترا ، فهو اذن يعادل انتاج بقرة الفريزيان في أوربا ، وهي البقرة التي يفاخر الاوروبيون بغزارة لبنها ، وأربعون لترا من اللبن كافية لتغذية ٢٠ طفلا كما هو معروف .

لماذا اذن كان الاقبال على اقتناء الماشية يفوق بكثير الاقبال على اقتناء الجمال ؟ وماهي الاسباب التي لاتشجع الناس على تربية الجمال ؟

سبب واحد فقط : هو أن الجمال لاتتكاثر بقدر الماشية ، ولاتبدأ تكاثرها مبكرا مثلها . . وهذه علة لايستهان بها ولابد من تخطيها اذا اتجهت الرغبة الى تشجيع الناس ، وسكان الصحارى بالتخصيص على تربية الجمال .

والظاهر أن لفيفا من العلماء أولوا هذه العلة اهتمامهم من الدراسات والتجارب العملية ، وعثروا على العقار المناسب الكفيل بتخطي العلة .

اما العقار فهرمون الخصوبة نفسه . . وقد نجح في جعل الناقة تحمل سنويا بدلا من مرة كل سنتين . . وكفل لها بداية الانجاب في سن الثالثة بدلا من الخامسة او السادسة وغني عن البيان أن هذه النتائج خطيرة للغاية ، ولابد أن يكون لها أثر محسوس في المستقبل القريب .

مكتبة العربي

كتاب الشهر

همّة الهُمَام في نشر الإسلام

همة الهمام
في
نشر الإسلام
١٣٠٢

تأليف : سامي فراشري

عرض وتعليق : د . محمد موفاكو

قبل قرن من الزمن استيقظ المسلمون على حقائق جديدة تتبلور ، ومسائل تثار ، وتحديات تفرض عليهم . وكان لابد للعلماء المسلمين من التصدي لكل هذه القضايا ، فصدر هذا الكتاب في استنبول باللغة العربية .

والى اليوم تحتفظ القضايا التي طرحها المؤلف بأهمية كبيرة ، يوجزها لنا العرض التالي للكتاب .

كتاب الشهر

قبل مائة عام ، وبالتحديد في عام ١٨٨٤ ، صدر في استنبول باللغة العربية كتيب بعنوان « همة الهمام في نشر الاسلام » للكاتب الموسوعي سامي فراشري . ومع ان هذا الكتاب صغير في حجمه ، الا أن القضايا التي طرحت فيه جعلته كتابا كبيرا من حيث الأهمية . وفي الواقع أن أهمية هذا الكتاب لاتبدو فقط في راهنية تلك القضايا التي طرحها قبل مائة عام ، بل في مراجعة تلك القضايا بعد مائة عام من طرحها ، لنرى ماذا بقي من راهنيتها .

وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا الكتيب ، في طبعته العربية على الأقل ، لم يحظ باهتمام ما ، على الرغم من الأفكار الرائدة التي طرحت فيه . وهكذا نأمل في هذه المناسبة أن تكون هذه الملاحظات نوعا من رد الاعتبار الى هذا الكتيب ، الذي كان يستحق على الأقل أن يطبع ثانية بعد مائة عام من صدور طبعته الأولى .

وقبل أن نتناول هذا الكتيب قد يبدو من المفيد أن نتوقف قليلا عند مؤلفه ، سامي فراشري ، الذي كان علما من أعلام عصره .

الكاتب والانجازات

ولد سامي فراشري سنة ١٨٥٠ في قرية فراشر Frasher ، في جنوب ألبانيا ، في عائلة تميزت بدورها الكبير في النهضة القومية الألبانية . وقد تميز سامي فراشري منذ طفولته باهتمامه باللغات والثقافات الكلاسيكية ، حتى أنه حين ذهب الى استنبول في الحادية والعشرين من عمره كان يعرف العربية والتركية والفارسية واليونانية والفرنسية والايطالية بطلاقة ، بالاضافة طبعا الى لغته الألبانية . وخلال اقامته الطويلة في عاصمة الامبراطورية العثمانية ، التي امتدت الى وفاته سنة ١٩٠٤ ، ألف حوالي ستين كتابا في مختلف اللغات ، وفي مختلف مجالات الثقافة . فبعد سنة من اقامته في استنبول نشر رواية « عشق طلعت وفتنة » ، التي تعتبر اول رواية في الأدب التركي ، ونشر بعدها عدة مسرحيات رائدة ، قبل أن يلتفت الى الأبحاث اللغوية والأدبية والتاريخية . وقد توج حياته بعمله الموسوعي الضخم « قاموس الاعلام » بأجزائه الستة التي صدرت في استنبول خلال ١٨٨٩ - ١٨٩٨ ، والتي تضمنت حوالي خمسة آلاف صفحة من القطع الكبير .

كان سامي فراشري قد تعلم العربية في طفولته ، ولكن معرفته باللغة العربية وثقافتها قد تعمقت كثيرا في استنبول حتى أنه ألف عدة كتب حول اللغة العربية وأدبها ، أو في اللغة العربية . وتجدر الاشارة هنا الى أن سامي فراشري قد عمل في طرابلس الغرب خلال سنة ١٨٧٤ مديرا لتحرير جريدة الولاية « طرابلس الغرب » التي كانت تصدر في العربية والتركية ، وخلال عمله نشر في هذه الجريدة كتابه « تاريخ طرابلس الغرب » ، كما أنه كتب خلال اقامته في طرابلس مسرحيته المشهورة « العهد » . أما فيما يتعلق بمؤلفاته في اللغة العربية وأدبها فيكفي أن نذكر هنا « القواعد الصرفية العربية » (١٨٨٧) و« القواعد النحوية العربية » (١٨٨٧) و« القاموس العربي التركي » (١٨٨٩) و« تطبيقات عربية » (١٩٠٠) و« منتخبات من أشعار علي بن أبي طالب » (١٩٠٠) ، فيما بقيت في مخطوطاته « منتخبات عربية » و« المعلقات السبع » الخ . وفي الواقع أن الكتيب الوحيد الذي صدر له في اللغة العربية هو « همة الهمام في نشر الاسلام » ، يدل على مدى سيطرة سامي فراشري على اللغة العربية . فباستثناء العنوان والمقدمة ، التي يبدو فيها مجاملة المؤلف للأسلوب السائد حينئذ ، نجد أن بقية الكتيب تتميز بأسلوب عربي متقدم على عصره .

ومن ناحية أخرى ، فإن مؤلفات سامي فراشري ، بالاضافة الى مقالاته الكثيرة التي نشرت له في الصحف والمجلات ، تكشف بوضوح عن مدى

المؤلف شمس الدين سامي بن خالد الفراشري

معرفته بالتاريخ الاسلامي ، وبشكل عام بالحضارة الاسلامية ، التي خصص لها كتابه « المدنية الاسلامية » ، الذي صدر في استنبول سنة ١٨٨٥ .

في كتابه الذي بين أيدينا ، « همة الهمام في نشر الاسلام » ، طرح المؤلف بعض الآراء المهمة حول انتشار الاسلام وآفاق هذا الانتشار ، بالاضافة الى عدة قضايا مهمة تتعلق به . وفي الواقع أن ما يهمنا هنا بشكل خاص تفحص بعض هذه الآراء الرائدة بعد مرور مائة عام عليها ، لنرى ماذا تحقق منها ؟ وماذا لم يتحقق ؟ .

السيف والقلم :

ينطلق سامي فراشري من أن الاسلام قد انتشر في البداية بـ « السيف والقلم » ، ووصل هذا الانتشار « من حدود الصين الى نصف فرنسا » ، حيث انبثقت ظاهرة حضارية فريدة من نوعها انتشرت بفضلها اللغة العربية كلغة حضارية عالمية ، وأصبحت تلك اللغة منتشرة في تلك المناطق التي كانت تشكل « نحو ثلثي الربع المسكون المعلوم عند المتقدمين » .

ومن هذا الواقع الحضاري الجديد يؤكد المؤلف على الحقيقة الجديدة في أن اللغة العربية قد أصبحت « لسانا عاما لجميع المسلمين ، «لغة علمية مشتركة بين العلماء الموحدين » . ومن هذا المنطلق بالذات ، أي كون اللغة العربية « لغة علمية مشتركة بين العلماء الموحدين » ، يبرر المؤلف تأليفه لهذا الكتيب باللغة العربية .

لقد رأينا كيف أن المؤلف ينطلق من أن الاسلام قد انتشر في البداية بـ « السيف والقلم » ولكنه يشير ايضا الى « انتشار الدين بنفسه بلا فاتح ولا سيف ولا جند » كما في الصين وأندونيسيا مثلا . وما يهمنا هنا أن المؤلف ، الذي يسلم بتوقف انتشار الاسلام بواسطة « الغزو » منذ عهد السلطان سليمان القانوني ، يعبر عن حماسه لنشر الاسلام بواسطة « التلقين والتبليغ » الذي يراه مناسبا أكثر لعصره . وفي سبيل هذا يطرح المؤلف مفهوما جديدا عن الجهاد لنشر الاسلام بواسطة « التلقين والتبليغ » كما يلي :

« فمن أراد الجهاد اليوم فليختر مشاق السفر وليسافر في الأقطار البعيدة . وفي هذا الجهاد غزو وشهادة كما كان في الجهاد بالحرب ، لأن من سافر في البلاد البعيدة والأقطار المجهولة لا يخلو من أن يتيسر له التوفيق بنشر الاسلام فيها فهو غاز ، أو أن يموت غريبا أو مقتولا فهو شهيد » .

ان هذا المفهوم الجديد عن الجهاد يتضح أكثر عندما يتعرض المؤلف لخبرة المبشرين في نشر المسيحية في آسيا وافريقيا . فمع اقتناعه بأن « دين الله قد ينتشر بلا سعي بشري » الا أن المؤلف يؤكد على أهمية تأسيس جمعيات لنشر الاسلام وتخصيص المساعدات اللازمة لها على نمط الجمعيات التبشيرية ، التي كانت تنشط حينئذ لنشر المسيحية . ويبدو لنا أن سامي فراشري من أوائل المفكرين المسلمين الذين دعوا الى نشر الاسلام باسلوب مغاير ، أي بأسلوب منظم بواسطة جمعيات تعتمد على مساعدات من مركز أو عدة مراكز لنشر الاسلام عن طريق الترغيب والاقناع .

ولكن على الرغم من حماس المؤلف لنشر الاسلام الا انه يرى حدودا لهذا الانتشار . فالمؤلف يرى أن انتشار الاسلام في أوروبا متعسر بل مستحيل ، لأن الأوروبيين ينقسمون حسب رأيه الى فرقتين « فرقة المعتقدين وفرقة المنكرين » . والمعتقدون هم « متعصبون في النصرانية ولهم بغض عظيم

كتاب الشهر

للمسلمين » ، على حين ان المنكرين « يزعمون أنهم مستغنون عن الدين » . ولذلك يرى المؤلف أن هناك نوعا من الحدود القائمة لانتشار كل من الاسلام والمسيحية ، بحيث أن مجال المسيحية يقتصر على أوروبا وأمريكا ، بينما مجال الاسلام هو في آسيا وافريقيا .

وانطلاقا من هذا كان المؤلف يراهن بتفاؤل كبير له ما يبرره حقا ، على انتشار الاسلام في الصين . فالمؤلف يشير الى الاحتياطي الهائل للإسلام في الصين ، نظرا لأن الصينيين أكبر أمة في الأرض ، الا أنهم كـ « رعية أغنام ، لأن دينهم الحاضر غير مساعد للحرب والشجاعة ولاللتمدن » . ولذلك يتخيل المؤلف ماذا يمكن أن يحصل لو أن الصينيين « أسلموا واتبعوا دينا يأمرهم بالغزو ، ويبشرهم بالشهادة اذا ماتوا لدينهم ووطنهم » ، الشيء الذي كان مجرد تخيله « يرهب أهل أوروبا » .

الرابطة اللغوية :

في نهاية هذا الكتيب يتعرض المؤلف الى قضية هامة ، الا وهي قضية الرابطة اللغوية - الثقافية بين المسلمين . فالمؤلف يفترض نظريا أنه من الأفضل لو كانت اللغة العربية لغة جميع المسلمين ، ولكن « لما كان مراد الله تعالى بخلاف ذلك ، ولما كان في الأرض أمم وأقوام مختلفة تتكلم بألسنة غير العربي ، فالأنفع لهذه الأمم أن تتكلم كل واحدة في لسانها » . ولكن مع ذلك يؤكد المؤلف على ضرورة الاهتمام بـ « تعميم اللسان العربي وتكثير عالميته ، لأنه رابطة قوية لاتحاد المسلمين » .

ان هذا الرأي لايتعارض ، كما يبدو للوهلة الأولى ، مع تأكيد سامي فراشري في بداية الكتيب في أن اللغة العربية قد أصبحت منذ ازدهار الاسلام « لسانا عاما لجميع المسلمين » ولغة علمية مشتركة بين العلماء الموحدين » . فالمؤلف يرى أن اللسان العربي « مخصوص للعلماء الذين يبذلون كل أوقاتهم في تحصيله ، ولا يمكن لكل أحد من تعلمه ، فيبقى عوام تلك الأمم والأقوام في الجهل ، والجهل مناف للاسلام ، وكثير من جهلاء تلك الأقوام غافلون عن حقيقة الاسلام وأحكامه المنيفة » .

وفي الواقع لقد شددنا على الجملة الأخيرة للمؤلف ، التي تعبر بحق عن واقع الشعوب الاسلامية غير العربية في ذلك الوقت ، لكي نضيف هنا أن سامي فراشري قام حينئذ بتسجيل خطوة جريئة ورائدة ، الا وهي ترجمة القرآن الكريم الى اللغة التركية ، ليكون في أيدي « العامة » وليس فقط في أيدي « الخاصة » ، إلا أن الأوساط الدينية المحافظة في استنبول عارضت حينئذ هذه المبادرة ، ومنعت نشر هذه الترجمة .

وعلى الرغم من تأييد المؤلف لقيام كل أمة اسلامية غير عربية بتدوين لغتها القومية ، الا أنه كان مع تدوين لغات الأمم الاسلامية بالحروف العربية ، و « تأليف كتب دينية وشرعية ومواعظ هادية في كل واحد من تلك الألسنة » لأن في هذا « خدمة عظيمة لنشر الاسلام » .

ان السنوات المئة ، بما شهدت من تقلبات وانعطافات هامة في العالمين العربي والاسلامي ، تدفعنا الآن الى اعادة تفحص ما ورد في هذا الكتيب ، لنرى مدى راهنية الأفكار التي وردت فيه .

في الواقع أن فكرة الجهاد بالمعنى الذي طرحه المؤلف ، أي نشر الاسلام بـ « التلقين والتبليغ » عوضا عن « الغزو » ، أخذت تبرز منذ ذلك الحين كتعبير عن تفهم جديد للواقع الذي كان يفصل بين عصرين : الانتقال من التصور التقليدي للعالم المنقسم الى « دار حرب » و « دار اسلام » ، الى التداخل بينهما ، وبالتحديد الى توسع « دار الحرب » على حساب « دار الاسلام » مع ما صاحب ذلك من انتقال المبشرين الى جوار المسلمين . ويمكن أن نشير هنا بشكل خاص الى السنوسية ، كتعبير عن هذا التحول ، التي ساهمت بأسلوبها الجديد في نشر الاسلام نحو الجنوب . ان النجاح الذي لاقته

السنوسية ، وبقية الطرق في افريقيا الشمالية كالتيجانية والقادرية الخ ، في نشر الاسلام في اتجاه الجنوب اي قلب أفريقيا يؤكد على كل حال توقعات المؤلف في كون افريقيا هي المجال الحيوي للاسلام . ومع ذلك لابد من الاعتراف هنا أن اسلوب تلك الطرق بقي متخلفا عن روح العصر ، ولم يتجدد بالمقارنة مع نشاط الجمعيات التبشيرية ، التي كانت حريصة على تكثيف خبرتها بتلك المناطق . وفي الواقع لابد أن نسجل هنا أن العالم الاسلامي كان حينئذ في حالة دفاع عن النفس ، وبقي حتى منتصف هذا القرن تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي ، بحيث ان التوازن كان مفقودا . ولكن مع استقلال الدول العربية والاسلامية ، وخصوصا بعد تدفق النفط وتضخم العائدات ، نشطت بشكل جديد الدعوة الى الاسلام عن طريق « التلقين والتبليغ » خارج الحدود التقليدية للاسلام . وعلى الرغم من الجهود التي بذلت ، والمليارات التي أنفقت ، لابد الآن من اعادة النظر في أساليب هذه الدعوة على ضوء النتائج التي حققتها .

التوقعات والواقع :

بعد مائة عام من نشر هذا الكتيب يبدو العالم الآن منقسما كما توقعه المؤلف س . فراشري : المسيحية سائدة في أوروبا وأمريكا ، والاسلام انتشر أكثر في افريقيا وآسيا . ان الاستثناء الوحيد هنا يتعلق بالصين ، التي كان المؤلف قد راهن كثيرا على مستقبل الاسلام فيها . وفي الواقع كانت الصورة تبدو وردية في بداية هذا القرن ، وتنسجم الى حد ما مع تفاؤل المؤلف ، الا أن التطورات اللاحقة في الصين امتصت تلك التوقعات الوردية(*) . وفيما يتعلق بأوروبا وأمريكا ، باستثناء الأقليات التي حلت وتجذرت فيها ، يلاحظ أن الوضع الذي كان يؤثر على انتشار الاسلام قبل مائة عام ، كما تحدث عنه المؤلف ، مازال قائما ، الا أنه تنوزع جغرافيا مع بعض التداخلات : فقد سادت الماركسية في أوروبا الشرقية ، بينما مازالت المسيحية تسود في القسم الآخر . ومع أن الأنظمة في اوروبا وأمريكا ، على اختلاف أيديولوجياتها ، انفتحت على الاسلام بعد « الصدمة النفطية » والثورة الايرانية ، الا أن ذلك كان لاحتواء « اللحظة التاريخية » فيما يضمن المصالح البعيدة لتلك الأنظمة . وبعبارة أخرى كان ذلك الانفتاح مقتصرا على القمة ، بينما بقيت الجذور في القاعدة على ما هي عليه ، لكيلا نقول أشد تعصبا من السابق ، الشيء الذي يبدو الآن بشكل أوضح بعد امتصاص آثار « الصدمة النفطية » وما آلت اليه أوضاع الثورة الايرانية الآن . وفي الواقع فان الموقف هنا من العرب ، في القاعدة وليس في القمة ، يرتبط بشكل وثيق بالموقف من الاسلام. وهكذا يمكن القول ان الاسلام عاد كما كان مرتبطا بشكل وثيق بالعرب ، بعد أن كان مرتبطا في عصر المؤلف بالعثمانيين . وبعبارة أخرى فإن أي تغيير سلبي أو ايجابي في الوطن العربي ينعكس بدوره على موقف الانسان الغربي من الاسلام . ولذلك فإن هذا الانسان لايحتاج الى دعاة رسميين ، لكيلا نقول ممثلين عن الأنظمة المختلفة التي ترسلهم ، بقدر ما يحتاج الى رؤية الوطن العربي في وضع أفضل ، كنموذج لما يمكن ان يقتنع به ، لأن الوضع الحالي يكفي لاحباط من هو على عتبة الاسلام لكيلا نقول من أسلم .

لقد تنبأ سامي . فراشري قبل مائة عام بانتشار اللغة العربية في العالم نظرا لارتباطها الوثيق بالإسلام . والآن ، بعد مائة سنة ، نرى أن اللغة العربية قد انتشرت فعلا وأصبحت لغة عالمية . ومن ناحية أخرى كان المؤلف قد تنبه منذ ذلك الحين الى أهمية تدوين لغات الشعوب الاسلامية غير العربية ، وبالتحديد الى استعمال الحروف العربية في تدوين تلك اللغات . وقد تزايد عدد لغات الشعوب الاسلامية غير العربية التي أخذت تكتب بالحروف العربية ، حتى وصل عددها الى ما يزيد عن ستين لغة ، ومنها حوالي ثلاثين لغة في افريقيا ، بحيث أصبحت الحروف العربية أكثر انتشارا في العالم بعد الحروف اللاتينية .

وعلى الرغم من أهمية هذه الرابطة بين الشعوب الاسلامية ، التي كان سامي فراشري قد تنبه الى

● حول هذا انظر كتاب فهمي هويدي « الاسلام في الصين » الكويت ١٩٨١

كتاب الشهر

مغزاها منذ ذلك الحين ، فقد بقيت في حاجة الى من يرعاها ويطورها . وفي الواقع ، لقد أدى عدم الاهتمام بهذه الرابطة الى أن تسقط الحروف العربية عن بعض اللغات لصالح الحروف اللاتينية التي كان هناك من يدعمها طبعا . ولابد أن نشير هنا الى الجهود المكثفة التي تبذلها الآن المنظمة العربية للثقافة والعلوم (الأليكسو) في تونس ، لكي تصبح الحروف العربية أبجدية دولية .

لغات . . . وحروف :

لقد مر القول ان الحروف العربية قد سقطت عن بعض اللغات لصالح الحروف اللاتينية . ومن المثير أن نذكر هنا أن المؤلف ، وعلى الرغم من حماسه هنا لتدوين لغات الشعوب الاسلامية بالحروف العربية ، قد ارتد لاحقا عن موقفه ، الى حد أنه لعب دورا مؤثرا في التخلي عن الحروف العربية لصالح الحروف اللاتينية في أهم تجربتين : العثمانية والألبانية . وفي الواقع لقد كان سامي فراشري قبل تأليف هذا الكتاب يتطلع الى أن تكتب لغته القومية (الألبانية) بالحروف اللاتينية . وفي هذا الاتجاه كان قد نشر مقالا في جريدة « صباح » خلال آذار ١٨٧٦ ، يطالب فيه بوضوح أن تكتب اللغة الألبانية بالحروف اللاتينية . وبعد عدة سنوات أي في (١٨٧٩) أسس في استنبول مع بعض الشخصيات القومية الألبانية « رابطة نشر الكتب الألبانية » التي كان رئيسا لها . وقد تبنت هذه الرابطة في السنة ذاتها الحروف اللاتينية كأساس للغة الالبانية ، وكان لنشر الكتب في هذه الأبجدية ضجة كبيرة في عاصمة الامبراطورية العثمانية ، حيث اعتبرت هذه البادرة « تهديدا لسلامة الامبراطورية العثمانية ولوحدة الاسلام » . وفيما يتعلق باللغة التركية ايضا كان سامي فراشري أول من طرح بشكل علني التخلي عن الحروف العربية ، ووضع أبجدية لاتينية للغة التركية ، وذلك في مقدمته للقاموس الفرنسي التركي التي كتبها في آذار ١٨٨٣ .

قد لايبدو من المستغرب أن يعود سامي فراشري بعد سنة واحدة من هذا ، أي في ١٨٨٤ ، الى التعبير عن موقف آخر في كتيبه الذي نشره حينئذ في اللغة العربية . الا أن هذا يبدو كموقف لحظي فقط ، لأن المؤلف سرعان ما تناساه في أعماله اللاحقة .

ان هذا العرض لا يغني عن قراءة هذا الكتيب الذي يستحق فعلا ان يرى النور ثانية . □

العدد القادم من

العربي

عدد ممتاز

الأبعاد الاستراتيجية للتنمية الثقافية في الوطن العربي

بقلم : رشيد خشانة

يبحث الدكتور محي الدين صابر ، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، في كتابيه الجديدين « قضايا الثقافة العربية المعاصرة » و « قضايا التنمية في المجتمع العربي » ، الصادرين في تونس مؤخرا ، قضية مركزية هي: الأبعاد الاستراتيجية للتنمية الثقافية في الوطن العربي .

ففي الكتاب الاول « قضايا الثقافة العربية المعاصرة » ، يحاول أن يرفع ما علق بعبارة « ثقافة » من لبس في اللغة العربية ، وهو لبس تلقى مثله في اللغات الأجنبية ، فكلمة Culture في الفرنسية والانجليزية تعاني هذا اللبس ، ولكن المدرسة الألمانية توسعت في دراسة ظاهرة « الكولتور » في تداخلها مع مفهومي المدنية و التقدم ، لذلك يقتبس د . صابر رأي ماك ايفر لالقاء بعض الضوء على هذه القضية ، فهو يميز بين الحضارة التي هي « مانحن » ، والمدنية وهي « ما نستعمل » ، يضاف الى ذلك أن التقدم مفهوم تقويمي مرتبط بالاتجاهات الفلسفية التي بدأت منذ عصر النهضة الاوروبية وتجسدت في مظاهر الثورات الصناعية . ويقترح الباحث مفهوما شموليا للثقافة يلخصه على النحو الآتي : « الثقافة تعني مجموعة النشاط الفكري والفني في معناهما الواسع وما يتصل بهما من مهارات . . . فهي موصولة بمجمل أوجه الانشطة الاجتماعية الاخرى ، مؤثرة فيها ، متأثرة بها ، معينة عليها ، مستعينة بها ، ليتحقق بذلك المضمون الواسع لها ، متمثلا في تقدم شامل للمجتمع في كل جوانب سعيه الحضاري » .

الثقافة ومسيرة العمل العربي المشترك

وينتقل من مجال المفاهيم الى مجال التعاون الثقافي في مسيرة العمل العربي المشترك ، فيقرر أن المعاهدة الثقافية كانت أول سعي في العمل العربي المشترك ، وأول وثيقة وقعتها الدول العربية بعد وثيقة انشاء الجامعة نفسها ، كما كانت الادارة الثقافية من أول الادارات المتخصصة التي قامت في نطاق الامانة العامة تنفيذا للمعاهدة الثقافية ، وبدأت الأمانة العامة في اقامة مؤسسات ثقافية ، فبدأت بمعهد المخطوطات العربية ، فمعهد الدراسات العربية العالية التي قامت لتعميق فكرة القومية العربية ، فالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط ، فالجهاز الاقليمي العربي لمحو

الأمية ، ثم قسم العلوم والتكنولوجيا . وقد توج ذلك كله بموافقة مجلس الجامعة في عام ١٩٦٤ على مشروع اتفاقية الوحدة الثقافية العربية ، ودستور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وبقيام المنظمة العربية كوكالة متخصصة في نطاق الجامعة العربية في ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٧٠ تجمعت الاجهزة الثقافية العربية في مؤسسة عربية واحدة .

ثم يلج المؤلف الى قضية جوهرية هي « قومية المعرفة » وهو مفهوم جديد صاغه د . صابر ويقوم على أساس من التكافل يكون فيه رأس المال العربي عاملا مشتركا وأساسيا في تكوين القدرة البشرية العربية ، ويتصل هذا المفهوم بفكرة تعميم الزامية التعليم الأساسي في الوطن العربي، بعد انشاء صندوق عربي يسهم فيه كل قطر عربي بما يستطيعه ، ويأخذ منه كل قطر ما يحتاج اليه .

هذا المفهوم هو في الواقع الركن الأول من استراتيجية الثقافة العربية التي خصص لها المؤلف كامل الجزء الاول من الكتاب الذي يحمل عنوان « نحو استراتيجية الثقافة العربية » ، أما الركن الثاني فهو النظام الاعلامي في مؤسساته المختلفة ومنها المؤسسات غير الحكومية كالصحف والمجلات والتنظيمات المهنية ، فيمايتمثل المقوم الثالث في نظام المعلومات وتطويره (تنظيم المكتبات والوثائق وتبادلها وتوحيد مصطلحاتها وعدالة توزيعها وحسن تزويدها) ، ويقترح د . صابر في هذا المجال انشاء مكتبة عربية مركزية ، وقد اتخذت « الالكسو » بعض الخطوات في هذا المجال . أما المقوم الرابع فهو الأمن الثقافي والذي يؤمن الضمانات التي تكفل التحكم القومي في البنى الاساسية لانتاج أدوات الثقافة ماديا واجتماعيا . ويتبوأ التراث مكانة مركزية في مفهوم الدكتور صابر للاستراتيجية الثقافية ، ذلك « أن الأمة العربية تمتلك موروثا فكريا وثقافيا لم يكد يتيسر لأمة من الأمم » ، الا أن مضمون الارث الثقافي ينطوي هنا على خلط بين ما هو عربي وما هو اسلامي ، فالمؤلف يعتبر الثقافة الاسلامية « مضمون الحضارة العربية كلها » ، ولكن الثقافة العربية كانت سابقة على مجيء الاسلام وهي الى اليوم نتاج لاسهامات كل العرب أيا كانت عقيدتهم ، أفلسنا نعتبر امرأ القيس وقس بن ساعدة وموسى بن ميمون وشبلي شميل و أحمد فارس الشدياق ولطفي السيد وسلامة موسى ولويس عوض وسواهم من أعلام الثقافة العربية ؟ ثم ان الثقافة الاسلامية في العصر الوسيط كانت تضم أقواما عدة كالفرس والاتراك . . . وهؤلاء جميعا انفصلوا عن الثقافة العربية وصارت لهم كياناتهم الثقافية القومية .

الأمن الثقافي والتعريب

في الفصل الثاني من الكتاب يحدد الدكتور صابر مفهوم « الأمن الثقافي » ومقوماته ومتطلباته ومؤسساته مركزا على الخطر المتمثل في ثورة المعلومات والحاسبات الالكترونية ، وتقنيات الاتصال الجماهيرية العملاقة ، والاقمار الصناعية والتوابع الفضائية ، وهي تقنيات « بقدر ما هي عون نوعي لتقدم الثقافة البشرية واغناء المعرفة الانسانية - ، كما يقول المؤلف - تشكل في الوقت نفسه خطرا متزايدا على المجتمعات المتلقية التي لا تملك حرية الاختيار أمام هذا الاقتحام الحضاري ، وهو أمر يفضي الى نتائج سلبية بالنسبة للثقافات القومية ، وتتعاظم هذه النتائج بمقدار عزلة تلك الثقافات وضعفها ، فهي تؤدي في المقام الاول إلى احلال ثقافات أخرى حتى على مستوى العادات والسلوك اليومي » . وانطلاقا من وعي هذا الخطر الداهم يحدد الدكتور صابر بعدين للأمن الثقافي العربي هما :

١ - بعد في مستوى التصور الفكري ، وتقديم بناء متكامل من التنظيم الاجتماعي ، أهدافا ووسائل ومؤسسات ، داخل اطار قومي .

٢ - بعد عملي يجسد ذلك التصور في اطار تنظيمي واجراءات قانونية وادارية لتنظيم المشروعات والبرامج التي تتناول مجالات مختلفة .

وينتقل المؤلف في الفصل التالي الى قضية أساسية هي من صميم الأمن الثقافي القومي وهي مسألة التعريب ، ويقرر أن التعريب « ليس جهدا لغويا فحسب ، ولكنه أيضا جهد حضاري للغة ، ووسيلة جوهرية من وسائل تحقيق أهدافها . فاللغة القومية باعتبارها وعاء الفكر العربي ، هي سبيل تحقيق الذاتية المبدعة التي بها يتم التحاور مع العالم الخارجي » . وبعد أن يعدد د . صابر تسعة أبعاد

يدعوها « الأبعاد الحضارية للتعريب » ، يخلص الى نتيجة مؤداها أن سبيل المعاصرة بالنسبة الى المجتمعات النامية هو خطط التنمية الشاملة المعلنة في كل مجتمع ، غير أن هذه الخطط ـ في ظروف تصورها وتنفيذها ، وفي حدود واقع تلك المجتمعات ـ تنتهي في أغلب الحالات الى تحقيق « المشاكلة » مع المجتمعات المتقدمة ، أي تحقيق التشبه بها .

أما الحالة المثلى ـ التي يدعو اليها المؤلف ـ والتي ينبغي أن تصل اليها المجتمعات النامية التي تهدف الى تحقيق المعاصرة الحقيقية ، فهي الوصول الى مرحلة (المشاركة) ، وهي مرحلة متقدمة على (المماثلة) .

وتتداخل هذه القضايا التي عالجها د . صابر في كتاب (قضايا الثقافة العربية المعاصرة) مع المشكلات التي يثيرها في كتابه الثاني (قضايا التنمية في المجتمع العربي) ، ويضم الكتاب سبعة فصول هي :

(من نقل المعرفة الى الابداع الذاتي) و (الأبعاد الحضارية لاستراتيجية العمل العربي المشترك) و (العوامل المعوقة لتطوير برامج تنمية المجتمع في الوطن العربي) و (العلوم الانسانية والتغيير الحضاري) و (مناشط التنمية في جنوب السودان) و (الاطار الحضاري للتقويم) و (تنمية المجتمع : أجهزتها وبرامجها) .

في الفصل الاول يحلل د . صابر مفاهيم المدارس الغربية للحضارة ويخلص الى القول بأن (الحضارة ـ أي حضارة ـ رؤية وممارسة ، هي نمط حياة متكاملة وتتصف بالنسبية ، بالضرورة) ويضيف أن البشرية شهدت لأول مرة حضارة تتصف بالاطلاق وتتجه الى الواحدية والى العالمية تتمثل في الحضارة المعاصرة ، القائمة على أسس موضوعية ، وانها لذلك ، (تملك قدرة ذاتية على التكاثر وعلى الانتشار ، ويمكن اقتناء مظاهرها في صورة سلع وخدمات) . أما التنمية وهي (إحدى اهم قضايا العصر الحديث) فليست الا نوعا من التغيير الحضاري المقصود والمخطط ، وبمعنى آخر هي تمديد وتوسيع لنطاق الحضارة التكنولوجية المعاصرة الى العالم كله ، ولكن هذا التوسيع لا ينفي الاختيار الايديولوجي لذلك فقد عمقت الحضارة المعاصرة ـ كما يقول المؤلف ـ (التعبير عن الايديولوجية الرأسمالية والايديولوجية الاشتراكية بالنسبة للدول المالكة (للتقنية) أما بالنسبة للدول النامية التي لا تملك التقنية ، فان التحدي أمامها عسير ، اذ هي محرومة من التملك الذاتي للتقنية لاسباب تاريخية أساسا ، ثم لاسباب سياسية واقتصادية بسبب احتكار الدول المتقدمة لأسرار التقنية الحديثة .

خيارات العرب المرة

ويمضي الباحث في تشخيص موقع الوطن العربي من هذا الصراع الحضاري الكوني فيؤكد في الفصل الثاني أن العرب أمام خيارين أحلاهما مر :

ـ فإما الاندفاع المحموم في تبني الأنماط الحضارية المعاصرة على حساب الأصالة .

ـ وإما الاعراض المتعصب وادارة الظهر لكل ما يدور في العالم وهو خيار لا يسلم في كل الحالات الا الى العزلة والانسحاب من الحياة الى المتاحف . وفي ضوء رفض هذين الخيارين العقيمين يرى د . صابر أن تستهدف استراتيجية التنمية العربية من خلال غاياتها الذاتية ، غايات قومية ، في اطار العمل الاقتصادي العربي المشترك ، لتحقيق التكامل وابراز الشخصية الحضارية العربية ، اعتمادا على القدرة الذاتية في الانطلاق للمستقبل . □

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : الرهينة .
اسم المؤلف : فريد مطيع دماج .
الناشر : دار الآداب - بيروت .
عدد الصفحات : ١٥٢ من القطع الصغير

هذه الرواية هي الأولى للقاص اليمنى فريد مطيع دماج ، يقدم خلالها صورة لتحليل بنية المجتمع اليمنى في أواخر عهد الامامة .

ومع أن الرواية تزخر بألفاظ وتعابير وأسماء محلية ، الا أنها ترسم لوحة اجتماعية شديدة الخصوصية ، عبر واحد من أشكال التعبير الأدبي ، التى لم تشتهر بها اليمن ، كما اشتهرت بفن الشعر مثلا .

اسم الكتاب : تشابك الجذور .
اسم المؤلف : أحمد عمر شاهين ، رضا الطويل
الناشر : دار شهدى للطباعة والنشر القاهرة
عدد الصفحات : ٢٠٠ من القطع المتوسط

كتاب جديد في سلسلة الكتب التى بدأت تظهر في العواصم العربية ، معرفة الأدب الصهيوني ودوره في صناعة وجدان العدو .

وفي الكتاب كثير من عناصر الجدة والريادة . أهمها أنه أول كتاب عربي يصدر مناقشا أدب وحياة أديب اسرائيلي واحد هو يهوذا عميحاى ، الذى يعتبر واحدا من أهم أدباء اسرائيل ، ورائدا من رواد حركة التجديد الادبي ، في مجالى الشعر والرواية .

ويتضمن الكتاب الذى كتب من منظور نقدى مختارات لعميحاى، ولعدد كبير من شعراء«اسرائيل» المعاصرين .

اسم الكتاب / رحيل ٧٨ .
اسم المؤلف / مهدى محمد على .
الناشر / مطابع وزارة الثقافة والارشاد دمشق
عدد الصفحات / ١٢٥ من القطع المتوسط .

الكتاب الشعرى الأول ، للشاعر الشاب مهدي محمد على ، الذى يحمل نفسا متميزا بين أفراد جيله من الشعراء .

وفي كتابه هذا تصوير فنى لعالم تتسع فيه ساحة الرعب ، وتضيق سبل الخروج والرحيل .

وقصائد الديوان التى تعكس هذه الأجواء تتميز ببساطة الكلمة وحدتها ، وباقتصاد لغوى فائق .

اسم الكتاب : القضية الاجتماعية في المسرح الحديث .
اسم المؤلف : وليد أبوبكر .
الناشر : دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع - الكويت .
عدد الصفحات : ١٣٧ من القطع المتوسط .

يتألف هذا الكتاب من قسمين ، يتناول الأول المسرح والتغير الاجتماعي في الكويت ، وفيه عرض ونقاش لمسار التغير الاجتماعي ، كما عبر عنه الفن المسرحي الكويتي ، الذي بدأ يأخذ شكله الخاص وطابعه المميز في بداية الستينيات .

ويتناول القسم الثاني القضية الاجتماعية في مسرحيات عبدالعزيز السريع من المنظور نفسه .

اسم الكتاب / سيارة صفراء بدون أرقام .
اسم المؤلف / مصطفى طيبة .
الناشر / دار العربي للنشر والتوزيع ـ القاهرة .
عدد الصفحات / ١٣٠ من القطع المتوسط .

هذه الرواية هي الأولى لمصطفى طيبة صاحب كتاب « رسائل سجين سياسي الى حبيبته » .

والرواية استعراض لمسيرة مجموعة من الشباب الوطني ، الذي تفتح وعيه في نهاية الحكم الملكي في مصر ، حيث الاضرابات والمظاهرات ، ومعارك الفدائيين ضد القوات البريطانية ، على ضفة قناة السويس .

وعلى هذه الأرضية الاجتماعية تتكسر مجموعة من علاقات الحب والبطولة والتضحية .

اسم الكتاب : مساء البلورات .
اسم المؤلف : عبدالقادر عقيل .
الناشر : دار الفارابي ـ بيروت ـ والمكتبة الوطنية وفروعها ـ البحرين .
عدد الصفحات : ١٢٠ من القطع المتوسط .

المجموعة القصصية الثانية للقاص البحريني الشاب عبدالقادر عقيل ، الذي قام أيضا بتصميم غلاف كتابه .

وخلال القصص الاثنتي عشرة التي تضمها المجموعة ، يرسم الكاتب جوا من الرعب والقسوة ، يقابله انكفاء نحو الداخل ، وهروب نحو عالم أكثر أمنا وبساطة .

تنويع جديد على فكرة انسحاق الانسان أمام كابوس الواقع ، وقصة انكسار الأحلام لجيل بأكمله .

اسم الكتاب : المرأة والقطة .
اسم المؤلفة : ليلى العثمان .
دار النشر : المؤسسة العربية للدراسات بيروت .
عدد الصفحات : ١٣٢ من القطع المتوسط

الرواية الاولى للقاصة الكويتية ليلى العثمان ، التي صدرت لها من قبل ٥ مجموعات قصصية ، تحلل من خلالها أجواء وعوالم المرأة الخليجية في مجتمع متحول .

وأجواء الرواية الجديدة لاتختلف كثيرا عن أجواء القصص السابقة ، لكنها هنا أكثر ثراء وتعقيدا ، وخلالها يتحرك الفتى سالم في عالم من القسوة والعنف ، في مجتمع الكويت قبل النفط . والرواية تحمل ارهاص التحول القادم في المجتمع .

اسم الكتاب / دروس من سورة يوسف
اسم المؤلف / د . عبدالعزيز كامل
الناشر / ذات السلاسل للطباعة والنشر الكويت
عدد الصفحات / ٢١٥ من القطع الكبير .

في هذا الكتاب الجديد ، لواحد من الكتاب الاسلاميين المتنورين ، ماهو اكثر من شرح وتفسير لسورة يوسف ، كما وردت في القرآن الكريم

ولايتوقف الكاتب عند الأحداث التاريخية ، ولا العناصر الدرامية التي تحتوي عليها القصة ، بل يتعدى ذلك ليربط الماضي بالحاضر ، ويرى من خلال قصة الصديق يوسف ذلك الصراع الأبدي بين الخير والشر ، والحق والباطل ، في أسلوب رشيق عرف به الكاتب . □

كل الفنون في مهرجان جرش

بقلم : وليد ابو بكر

بعد مرور خمس سنوات من عمر مهرجان جرش للثقافة والفنون ، أصبحت لهذا المهرجان شخصية تميزه ، فتؤكده من خلال البرامج التى تشارك فى احياء أيامه التى تمتد لأسبوعين ، انه يهدف الى أن يكون مهرجانا بعدة مهرجانات . . . فما هي المساهمات الفنية ، التي تؤكد مصداقية ما تذهب اليه ؟

لا يقتصر فى برامجه على لون ثقافى واحد ، بل يحتضن كل الألوان الممكنة ليكون فيه الشعر الى جانب المسرح ، والفنون الشعبية الى جانب فن الباليه ، انه مهرجان المهرجانات ، كما يصفه مديره د . مازن العرموطى ، أو يصف طموحاته المستقبلية على وجه أدق ، حتى يحقق الأهداف الأساسية التى ولدت فكرته من خلالها ، وهى أهداف تتعلق بانعاش الحياة الثقافية والفنية فى الأردن ، بدعم الكفاءات ، واتاحة الفرص لعرض انتاجها اضافة الى تدعيم أواصر التفاهم بين أبناء الوطن العربي ، وخلق جسور للاتصال الثقافى مع شعوب العالم ، وابراز الأردن كمركز من مراكز الاشعاع الثقافى ، الذى يساهم فى تنمية الذوق لدى زوار المهرجان ، من داخل الأردن وخارجه .

واذا كانت دورات المهرجان الثلاث السابقة قد حققت تطورا مطردا فى التنظيم وحجم المشاركة ، فان مهرجان جرش الرابع ، قد حقق قفزة كبيرة على

الحجاج .. مسرحيا

طريق تحقيق اهدافه ، وذلك من خلال حجم المشاركة المحلية والعربية والعالمية ، وتنوع هذه المشاركة بحيث استطاعت أن تقدم الثقافة والفن لكل الأذواق .

تنوع المساهمات

هذا التنوع جاء من خلال البلدان التي قدمت مساهماتها ، ومن خلال نوعية هذه المساهمات . وقد احتلت الفنون الشعبية حيزا كبيرا في نشاطات المهرجان . وجاءت هذه الفنون من بلدان عربية مختلفة : العراق ، تونس ، مصر ، اضافة الى الفرق الأردنية الكثيرة . كما جاءت من بلدان أجنبية مختلفة : بولندا ، كندا ، الولايات المتحدة الامريكية ، استراليا ، اسبانيا ، تركيا ، الاتحاد السوفياتي . وقد تميزت عروض هذه الفرق بأنها تعبر عن ثقافات الشعوب التي جاءت منها ، وخلقت بالتالي جوا من التواصل الثقافي القادر على اشاعة روح انسانية عالية .

وعندما خطت الفنون درجة أخرى ، استطاعت أن تقدم من خلال المسرح أعمالا متنوعة ، لا تشير الى تطور المسرح فحسب ، وانما الى خصوصية هذا الفن في البلد الذي يقدمه . وقد شهد المهرجان اثنى عشر عرضا مسرحيا ، تختلف في أساليبها وفي توجهاتها ، كان نصيب الأطفال منها أربع مسرحيات ، منها اثنتان من مسرحيات العرائس : علي بابا والأربعين حرامي (الأردن) ، وأبو علي (مصر) بينما فاجأت فرقة مدينة ميتز الفرنسية مشاهدي المهرجان بعرض للعرائس خاص بالكبار ، حمل اسم (طيران الاوز المتوحش) ، جعل هذا الفن يرتفع في قدرته على التعبير .

وقد تفاوتت العروض المسرحية في المهرجان بين العروض - المحاولات ، والعروض المتقدمة ، واستطاع جمهور المهرجان أن يستمتع بعرضين متميزين ، يشكلان مرحلة متقدمة من التفاعل مع الفن المسرحي ، كفن متكامل يطوع كل الفنون التي تشارك فيه لتعبر من خلاله . هذان العرضان هما : (الف حكاية وحكاية في سوق عكاظ) المسرحية التي كتبها د. وليد سيف وانتجتها نضال الأشقر خصيصا للمهرجان ، وأخرجها الطيب الصديقي ، واشترك في أدوارها ممثلون معروفون من الوطن العربي . أما العرض الثاني فقد اعتمد الفن (الكوريغرافي) الذي يستخدم اللغة الايمائية - دون اللغة الحوارية - في التعبير . والمسرحية من اعداد واخراج اللبناني وليد عوني ، واداته مع فرقة التانيت البلجيكية .

واذا كانت مسرحية (ألف حكاية وحكاية) قد أعدت خصيصا للمهرجان ، فقد كانت بحق احدى أهم الفعاليات التي شهدها المهرجان ، والمسرحية تقدم صورا من التراث العربي في قراءة مسرحية له . وقد اعتمدت في نصها على التأريخ للمجتمع العربي ، من خلال ما اختارته من أحداث بدأت واقعية ، ثم جنحت مع قسوة الواقع الى المخيلة . وقد اختارت المسرحية شكل سوق عكاظ التاريخي الشهير ، لتعيد قراءة التاريخ العربي ، فكرا وممارسة . ففي الوقت الذي كان فيه هذا السوق - أول أمره - مهرجانا للابداعات العربية - الشعرية على وجه الخصوص - تحول مع مرور الزمن الى محاكمة للابداع والفكر . وقد استدعت المسرحية شخصيتين من التراث العربي ، الأولى هي شخصية الجاحظ كمفكر واقعي ، والثانية هي شخصية جحا كضمير شعبي ، وخلقت بينهما لقاء في حلم تحول الى حوار . ومحاكمة للشخصيات التراثية التي توالت على السوق بعد ذلك ، من الشنفرى ، الى الخنساء ، فالحجاج ، فالمعتمدين عباد ، وملوك الطوائف ، انتهاء بشهرزاد الف ليلة وليلة وحكايتها عن ديك الجن الحمصي .

واذا كان الانسان قادرا على أن يستشف رؤية فكرية للتراث المعروض من خلال النص ، فانها لا تخرج عن محاولة المقارنة بين ما يكون عليه الواقع ، وما تلجأ الذاكرة الى اختراعه ، هروبا من هذا الواقع حين يسوء . لكن المشاهد - منفردة - كانت تقول كلمتها ، فهي تصور الخنساء حين يدخل الايمان قلبها ، فيغيرها كليا ويقتل فيها ذلك الحسّ الجاهلي الذي عايشته زمنا ، وهي تدين قسوة الحجاج التي رواها التاريخ وضخمتها المخيلة ، كما تدين تخاذل ملوك الطوائف ، الذي أضاع الأرض ، وتقف مع المرأة موقفا ايجابيا ضد شهريار الذي استباح دمها .

لكن المدهش في المسرحية هو ما استأثر به

الرقم التاسع

إخراجها ، فقد استطاع الطيب الصديقي أن يستخدم كل الأساليب المسرحية ، وأن يجمعها في كل واحد ، كما اهتم بالتفاصيل الصغيرة في العرض كله ، وكان يقدم مشاهد مبتكرة في الأداء المسرحي والأزياء والأدوات المسرحية ، بحيث لا يترك مساحة من زمن العرض خالية من حيلة مسرحية جديدة ومدهشة ، تخلق لونا من الفرجة الشاملة ، التي استغل فيها خشبة المسرح والساحة الأمامية وخلفية المسرح ، وحتى السور الذي يحيط بالمدرج الروماني الذي قدمت فيه المسرحية . وقد أعطاه المعمار الرابع للمسرح فرصة للحركة ، استغلها تماما لدرجة ادخال الممثلين على ظهور الخيل والحمير والبغال ، بشكل موظف توظيفا مدروسا لخدمة العرض ، فكان النجاح الكبير الذي حققته هذه المسرحية مرتبطا بقدرتها الهائلة على تقديم الفرجة التي يهتم بها المسرح الحديث ، بحيث تطغى على اللغة الصوتية ، التي تتحول الى واحد من العوامل التي تشترك في انجاح العرض المسرحي .

ولا شك أن قدرات الممثلين الأدائية قد ساعدت المخرج على تحقيق طموحاته في العرض ، وخصوصا أن اختيارهم قد تم من بين أبرز ممثلي المسرح العربي ، فاضافة الى نضال الأشقر والطيب الصديقي كان هناك قاسم محمد وسامي قفطان (العراق) ورفيق علي احمد (لبنان) وثريا جبران (المغرب) وعصام عبجي (سوريا) وسونيا مكيو (الجزائر) وعادل عفانة ومريم علاوي ولينا التل (الأردن) وآخرون .

واذا كانت هذه المسرحية قد أكدت أن المسرح فن مستقل ، وليس خطابة أو اداء صوتيا وحسب ، فان مسرحية الرقم التاسع قد الغت الحوار تماما . . ومع ذلك ظلت مسرحية متكاملة ، تتحدث في تسعة مشاهد إيمائية عن مراحل الحرب اللبنانية ، منذ بدأت حتى اللحظة الحاضرة ، مستعينة ، بالموسيقا التعبيرية ، وبصوت فيروز بين حين وآخر . وقد استطاع الأداء الجسدي أن يكون لغة حقيقية ، قادرة على توصيل ما تريد أن تقوله الى الناس ، خاصة وان هذه اللغة قد تم التعبير بها من خلال أجساد راقصين مبدعين ، ينتمون الى مدرسة موريس بيجار الشهيرة .

والباليه له نصيب أيضا

ولعل باليه (بحيرة البجع) الذي قدمته فرقة باليه مدينة (لندن) يدخل في اطار هذا الاتجاه في التعبير ، وان كان ينطلق من فن الباليه المستقل عن فن المسرح عموما . وبحيرة البجع التي ألفها تشايكوفسكي تستخدم الموسيقا كلغة تواصل ، ثم يجيء رقص الباليه ليعمق التعبير عن الأحداث والعواطف والانفعالات ، التي تتضمنها الحكاية المعروفة ، عن

أمير يدخل سن الرجولة ، فيلتقي وهو يصطاد بأميرة حولها ساحر بجعة ، ولا يفك سحره الا الحب ، وتتابع الباليه الحكاية من لحظة اللقاء الى مراحل الصدام مع الساحر ، حتى ينتهي الأمر بالبجعة الأميرة الى الانتحار ، ليبقى الحب وعدا للمستقبل ، يستطيع بقوته أن يقضي على الساحر .

ولأن الموسيقا شهيرة ، فان الفرق التي تحاول أن تؤدي الباليه تتنافس في اتقان الأداء . وقد استطاعت فرقة باليه مدينة لندن أن تقدم أداء متميزا ، اعتمد على الباليه الحديث الذي تمارسه ، والذي يخرج عن الاطار التقليدي في بعض المشاهد ، خاصة عند تقديم استعراض الأميرات ، حتى يختار الأمير عروسا له ، وعند تقديم نماذج من رقصات الشعوب في حفل يقام في القصر . ولكن الأساس الذي بني عليه العرض ، كان أساسا كلاسيكيا ، خصوصا في المشاهد التي أدت فيها الفرقة رقصات تعبر عن مواقف الدفاع ، أو الحزن ، أو الفرح .

وهذه العروض المتميزة ، التي أثرت المهرجان ، لم

طيران الأوز المتوحش

تقف في موازاتها عروض مسرحية أخرى تملك مقومات النجاح ذاتها . فالعروض المسرحية الأردنية كانت تتسم بالعفوية ، وبتقليد العروض الشائعة في المسرح التجاري ، وبغياب الاخراج عنها . وقد تميزت مسرحية (عمارة العلالي) قليلا بالفكرة التي تطرحها حول تحويل الأرض الزراعية الى ارض استثمارية ، وبأداء بعض ممثليها .

اتقان صوتي في عرض تقليدي

اما العرض المصري (الوزير العاشق) فقد كان عرضا تقليديا في معظم مشاهده - من ناحية الاخراج - بينما تميز أداء ممثليه (سميحة أيوب - عبدالله غيث ، حسين الشربيني ، وتميز صوت مؤدية الأغاني فيه (عزة بليغ) والمسرحية كتبها فاروق جويدة شعرا ، وأخرجها فهمي الخولي ، وهي تتحدث عن الشاعر الأندلسي ابن زيدون وحبيبته ولادة بنت المستكفي ، والمؤلف لم يلتزم بما جاء في التاريخ عن الحبيبين التزاما كليا ، فحول الشاعر الى مناضل في سبيل وحدة الممالك العربية ، من أجل الدفاع عن الوطن الذي يتعرض لهجمات شرسة من أعدائه ، اضافة الى المؤامرات التي تحاك داخله . ويبدو واضحا أن التطويع كان يهدف الى اسقاط التاريخ على الواقع العربي المعاش ، ويهدف ادانة الفرقة والصراعات ، والدعوة الى توحيد الصفوف في مواجهة العدو المتربص ، ولكن هذه الدعوة جاءت مباشرة في معظم حوار المسرحية ، مما حول العرض الى قصيدة طويلة وحماسية ، تمت تأديتها باتقان صوتي ، ابتعد بها عن روح المسرح الحقيقي ، مسرح الفرجة الشامل .

فنون أخرى

ولم يكن المسرح وحده هو الذي حقق النجاح في المهرجان ، فالفعاليات الكثيرة المشاركة حققت نجاحها أيضا . وقد كان الكثير من هذه الفعاليات مناسبا للمدينة التاريخية التي أعاقت بعض الحركة المسرحية ، وكان من أنسب ما احتضنته هذه ثلاثة معارض أساسية ، قائمة طوال أيام المهرجان ، هي

استعراض الفرق في الافتتاح

الفرقة الامريكية بريجام يونج

معرض الأردن عبر العصور ، الفن التشكيلي ، ومعرض الحرف والصناعات التقليدية .

ولعل معرض آثار الأردن عبر العصور هو أهم هذه المعارض جميعا ، بل يمكن اعتباره من أهم الفعاليات المشاركة في المهرجان ، بسبب أهمية ما يقدمه عن تاريخ الانسان في المنطقة ، ذلك التاريخ الذي يعود الى خمسين الف عام . وقد قسم المعرض الى فترات تاريخية ، وعُرضت في بعض الأقسام آثار نادرة ، لعل أبرزها هي جثة الطفل المدفون في جرة ، وجمجمة الانسان القديم ، بالاضافة الى التطور التدريجي للادوات التي كان الانسان يستعملها من الأدوات الحجرية ، الى البرونزية الحديدية كأدوات للصيد ، ومن الفخار الى المعدن ، الى الأدوات التجميلية كأدوات تساعد على الحياة ، اضافة الى الموزاييك الذي تنوعت أشكاله في المعرض ، والى العملات التي استخدمها من قطنوا المنطقة عبر العصور المختلفة . وفي الواقع أن وجود هذا المعرض الذي يختصر التاريخ ، ويقدم مراحله بشكل مادي منظم داخل مدينة جرش التاريخية ، يضيف الى المهرجان هيبة كبيرة يكتسبها من هيبة التاريخ ذاته .

أما معرض الحرف والصناعات اليدوية فقد تميز بالبساطة ، وقدم نماذج من الصناعات المعروفة في فلسطين والأردن ، ومنها صناعة الفخار والسجاد اليدوي والزجاج والصدف وخشب الزيتون ، وهي صناعات غالبا ما تلفت نظر السائح الأجنبي خاصة ، وأنها تبلغ حدا عاليا من الاتقان ، كما أن ممارسة هذه الصناعات داخل المهرجان تضفي جوا حيويا على المساحة التي تحتلها ، وتسمح للزائر بمراقبة الأيدي ، وهي تعمل بمهارة مدهشة .

وقد اختير قبو زيوس الغامض ، مكانا لمعرض الفنون التشكيلية ، وهو مكان مناسب لهذا المعرض بطوله ومساحة جدرانه ، وقدرته على اضفاء الجو اللائق بالفن التشكيلي الذي يجعل الاستجابة للأعمال المعروضة أعمق ، لكن مجموعة الأعمال التي عرضت في المهرجان لم تكن تملك تميزا يناسب مكان العرض ولا حجم المهرجان . وقد كان واضحا أن الاختيار تم مما هو متوفر ، ولذلك جاءت معظم الأعمال الفنية متواضعة ، بعضها لا يخرج عن اطار المحاولات ، مما يجعل اعادة النظر في الاختيار ضرورية في المستقبل ، خاصة وأن امكانية المشاركة العربية في مثل هذا المعرض تبقى احتمالا واردا وضروريا ، لأنها تفتح مجالا جديدا لمشاركة عربية شاملة ، مثل المجال الذي فتح للمشاركة العربية في الأمسيات الشعرية ، وفي عروض الفرق الفولكلورية الى حد ما .

بين الصراخ والشعر الحقيقي

ولأن المشاركة العربية في أمسيات الشعر كادت أن تكون تامة ، فقد بدا الشعر وكأنه أوسع نشاطات المهرجان نظرا لعدد الشعراء المشاركين من ناحية وللزمن الذي احتله الشعر في أيام المهرجان من ناحية أخرى . فباستثناء يوم الافتتاح ويوم الختام كانت هناك أمسية شعرية كل مساء في وقت من أفضل أوقات المهرجان . وكانت كل أمسية تضم أكثر من ستة شعراء وقد حظي الشعر بجمهور كبير ، لكنه لم يحظ باعجاب هذا الجمهور بشكل كامل ، فقد كان واضحا أيضا أن الرغبة في اقامة مهرجان شعري كبير ، وفي اتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من الشعراء للالتقاء بالناس ، قد حدت من القدرة على الاختيار ، ولذلك تفاوتت قدرات الشعراء ، فهبط مستوى بعضهم الى حدود الأناشيد الساذجة ـ التي حاولوا تغطية لتهافتها بالصراخ ، وارتفع مستوى بعضهم ـ الأقل عددا ـ الى مستوى الشعر الحقيقي .

واذا كان الشعر قد احتل مساحة زمنية وعددية تفوق ما يمكن أن يحظى به في أي مهرجان شعري متخصص ، فان محصلة ذلك لم تكن في صالح الشعر تماما ، لأن القليل الجيد خير من الكثير المختلط . . ولأن حسن النية في محاولة اتاحة الفرصة لا يجوز أن تكون على حساب الشعر ذاته ، خصوصا انه ما يزال الفن الأدبي الذي يجتذب الجمهور المتذوق ، كما أكدت امسيات جرش .

فنون شعبية

والى جانب الشعر كانت فنون الشعوب التي شاركت في المهرجان من الفعاليات التي جذبت

الجمهور اليها . فالساحة الرئيسية فى المدينة التاريخية كانت تغص بالناس يوميا ، وهم يتابعون عروض الفرق الشعبية الأردنية الكثيرة ، بما تقدمه من غناء شعبي ورقص ، ودبكة . وكانت استجابة الناس واضحة لهذه العروض ، التى قدمتها فرق من الجامعات والمدن الأردنية . يوحى تعددها باهتمام كبير بالمحافظة على الفنون الشعبية ، وهى محافظة تسير على أسس علمية فى جمع التراث الشعبى ، وتبذل فيها جهود كبيرة من المهتمين . لكن الملاحظ هو أن التشابه واضح بين معظم ما تقدمه هذه الفرق كما أن معظم الأداء ما يزال يحتفظ بالعفوية التامة ، وهذا أمر تخطته بعض الفرق الأجنبية المشاركة ، بينما حافظت عليه الفرق العربية ، مما يثير تساؤلا حول أسلوب التعامل مع الفنون الشعبية التعبيرية ، ولعل اجابة هذا التساؤل يمكن أن تجىء من خلال ملاحظة الفرق الأجنبية ، ففرقة « سيمد » السوفياتية مثلا ، غلب على أدائها الفولكلور الشركسى ، الذى يستطيع المشاهد أن يحس بروحه بوضوح ، كما يحس بهذه الروح وهو يشاهد عروض فرقة « نادى الجيل الجديد » للفولكلور الشركسى (الأردن) ، لكنه فى الوقت ذاته يستطيع أن يلاحظ التطوير الذى أدخل على أداء الفرقة السوفياتية ، دون ان يمس الروح الأساسية للفولكلور ، وهى الملاحظة التى يمكن الوصول اليها من مشاهدة فرقة « أزمير القومية للفولكلور » تركيا ـ خصوصا فى مجال الأداء الحركى ، فهذه الفرقة تغير أسلوبها بين لحظة وأخرى ، كما تغير تشكيلاتها على المسرح بسرعة لا تسمح للتكرار بأن يخلق شيئا من الملل لدى المشاهد ، ومع ذلك فان الاحساس بأنها تقدم فنا شعبيا خالصا لايفارق المشاهد ، بل ان اعجابه بما تقدمه قد يتعمق ، وهو يحس بأن الجهد الذى يبذل فى تصميم الحركة يستحق الاحترام .

ولعل فرقتين أجنبيتين قد شذتا عن الاتجاه : الأولى هى فرقة مانويلا كاراسكو للفلامنكو (اسبانيا) ، والثانية هى فرقة اطفال الهنود الحمر (الولايات المتحدة الأمريكية) . فالاولى قدمت الفلامنكو التقليدى براقصة واحدة ، ودون تنويع ، والثانية قلدت الهنود الحمر فى رقصهم وصراخهم ،

عرائس للكبار

وأثارت جوا من الحماس ، لا يكون الا لمرة واحدة ، خصوصا وان أعضاء الفرقة ليس بينهم أى هندى أحمر .

فى المقابل ، كان التنويع الذى قدمته فرقة بريجام يونج (الولايات المتحدة الأمريكية) ، مثار اعجاب شديد ، يغرى الانسان بأن يشاهد عرضها أكثر من مرة ، فهذه الفرقة من الشباب الجامعى ـ كانت أكثر الفرق المشاركة تنظيما ، وأكثرها اتقانا لعرضها وأكثر قدرة مخططة ومحسوبة على الاتصال بالناس . وتتألف هذه الفرقة من أربعين عضوا ، يقدمون عرضاً لتاريخ الرقص والموسيقا والغناء فى الولايات المتحدة ، عبر مئة عام (١٨٨٥ ـ ١٩٨٥) ، من خلال لوحات متقنة ومتكاملة ، يتبادل فيها الأعضاء أدوارهم فى الرقص والغناء ويتقنون هذه الأدوار ، حتى لتبدو المشاهد التى يقدمونها وكأنها مشاهد حقيقية من الزمن الذى جاءت منه ، خصوصا عندما يقترب الزمن مما تعيه الذاكرة ، أو مما سجلته السينما .

وقد كان عرض الفرقة ممتعا ، لا بتنوع مشاهده وحسب ، وانما بتنوع الأداء داخل المشهد الواحد أيضا . فالأداء ـ الرقص ـ كان لتجنب تكرار الحركة كليا ، وحتى فى المشهد الواحد ، كان راقص أو ـ زوج ـ من الراقصين يؤدى حركة مختلفة عن الآخرين ، لكنها فى مجموعها تشكل حركة متكاملة ، كما تلون العرض بحس كوميدى ، يساهم فى شد الانتباه اليه

بقوة ، وهو أمر تميزت به هذه الفرقة عن معظم الفرق المشاركة . كما تميزت في اطار الاتصال المدروس ، بتقديمها لبعض الأغاني العربية في نهاية العرض ، مما قربها الى قلوب مشاهديها . وقد كان واضحا أن هذه الفرقة تملك أهدافا ، وأنها ترسم كل خطواتها من أجل تحقيق هذه الأهداف ، من خلال الفن المتقن ، الذي عرضته في كثير من بلدان العالم .

ان وجود مثل هذه الفرقة في المهرجان ، يمكن أن يوحي للمهتمين بالفرق العربية بالاسلوب الذي يتم من خلاله بناء فرقة فنية ناجحة تحمل ثقافتها الى الشعوب ، وتنجح في ذلك خصوصا وهي تستند في معظم المشاهد الى نماذج من الفن الشعبي ، اضافة الى تقديم تاريخ الفن . . وهو الأمر الذي يضمن النجاح في كل مكان ، لأن الفن قادر على أن يحمل رسالته الى كل مكان .

الفكرة التي صارت مهرجانا

وقد كان مهرجان جرش الرابع للثقافة والفنون متقبلا لكل رسائل الفن التي احتضنها ، فأكد بذلك نجاحه الأساسي ، وأكد أن الارادة قادرة على أن تحقق الأهداف التي ترسمها ، ويمكن للانسان أن يحترم هذه الارادة ، حين يعرف ان المهرجان ـ خلال خمس سنوات من عمره ـ لم يكن يملك جهة ينتسب اليها ، فكل ما فيه تطوعي ، وكل الذي حققه حتى الآن ولد من فكرة ، لكن الفكرة صارت حدثا فنيا ، ثم صارت مهرجانا كبيرا يسهل الآن أن يقارن بالمهرجانات الدولية العريقة .

وعند هذه الخطوة الواثقة ، يبدأ المهرجان ـ كما اكد مديره ـ حساباته الجديدة ، لقد أكد وجوده كمهرجان مهم ، وعليه الآن أن يجد صيغة لهذا الوجود تؤهله للاستمرار والتطور ، وتسمح له بأن يفرد جناحي رعايته على فعاليات يختارها للمشاركة ، فيساهم في تنظيمها وتطويرها ، حتى يكون الفعل الذي يولد من وجوده أوسع .

كيف ستكون الخطوة التالية ، وأي اطار سيتخذه المهرجان لنفسه ، ليبدأ مع دورته القادمة عهدا جديدا ؟ ذلك ما ستقرره الحسابات التي تقوم بها لجنته العليا هذه الأيام . □

فرقة سيمد السوفياتية

محمود الزيودي مسؤول الفرق الشعبية في المهرجان

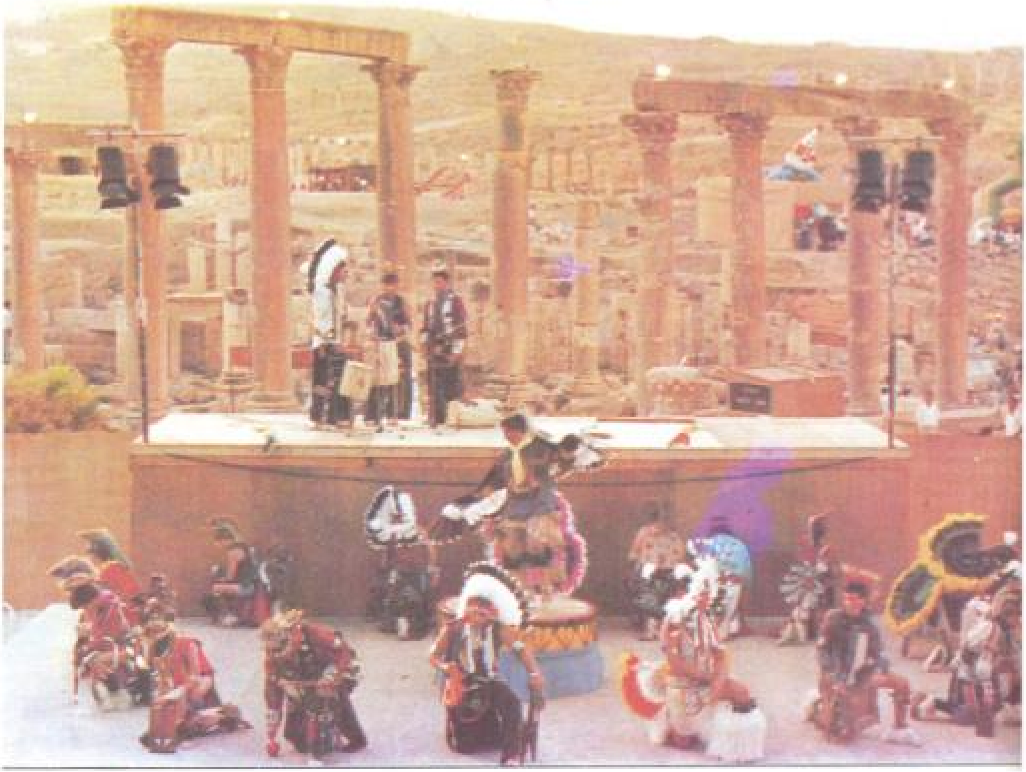

الهنود الحمر

ألف حكاية وحكاية

أشعة ليزر في عالم العيون

بقلم الدكتورة : سرى سبع العيش

اصبح لاشعة ليزر غزوات موفقة في عالم العيون سواء بالنسبة لقياس أبعادها وكثافاتها واستقصاء وظائفها ، أو بالنسبة للمعالجات والتدخلات الجراحية فيها . . وبالذات في الوقاية من العمى في داء السكري ومعالجة داء الزرق والاورام . . وفي هذا المقال نلقى ضوءا على دور اشعة ليزر في هذا الميدان الدقيق .

يترقب العالم بخشية وحذر ما يمكن أن تحدثه أشعة ليزر من تخريب للانسانية ، بعد أن احتوتها المعدات الحربية الحديثة بصورة مكثفة تكمن بها قدرات وفعاليات عالية هائلة توجه بها الصواريخ لتشطر وتدمر وتفرغ القنابل ، وتكمن في الفضاء ترقب ساعة الصفر لتصيب اهدافها الارضية فتحرق المدن وتبخرها في ثوان كأن لم تكن من قبل شيئا .

ويظل الوجه الآخر لليزر أمنا ونعمة وسكينة ، علاجا وشفاء تحتويه الاجهزة الدقيقة لتختصر المسافة من العتمة الى النور ومن العمى الى الابصار ومن الليل الى النهار ، تتسلل حيث لا تستطيع فعالية اخرى أن تتسلل بخفة ورشاقة ورحمة الى اعماق العين ، تلتهم الداء وتبخر الأذى فتفرق بين الألياف السليمة التي يجب أن تبقى وبين تلك التي تحوى العطب فتذاب

وتمحى ، تستبقي العرق الدموى الصحيح وتحرق وتبخر العروق الدموية المتطفلة المرضية ، فتقي العين من النزوف الصاعقة التي تحدث العمى .

ما معنى كلمة ليزر ومن أين جاءت ؟ إنها كلمة منحوتة من أوائل الحروف المشكلة لمعاني الكلمات التالية (التضخيم الضوئي بواسطة اشعاع منبّه الاصدار)

أشعة ليزر تعنى شعاعا نقيا قويا بأطوال موجات تتراوح بين ٤٥٠ ـ ١٠٠٠ نانوميتر . قد تكون زرقاء أو خضراء او حمراء اللون أو غير مرئية . والشعاع الدقيق هذا يستطيع أن يحدث حرقا في الانسجة الحية حال اسقاطه عليها ، وتعتمد القدرة على شدة الاشعة وزمن تعرضها وحجم البؤرة الشعاعية ، والاخيرة يمكن التحكم بها بواسطة عدسات تفرق الاشعة فتقاس بين ٢٥ ـ ٥٠٠ ميكرون حسب استعمالاتها في جراحة العيون المختلفة ، وقد بدأت استعمالات

أشعة ليزر في علاج بعض امراض العيون في بداية الستينات ، وكانت أول تلك الاجهزة تعتمد في انتاج أشعة ليزر على بلورات الياقوت الاصطناعي كوسط فعال ، ولذلك كان يسمى جهاز ليزر الروبي ، ثم ظهر الليزر الغازي واستخدم فيه غاز الهليوم والنيون وثاني اكسيد الكربون ، فظهرت اجهزة اشعة ليزر الاجونية والكربتونية وغيرها ، وقد استحدث في السنوات القليلة الماضية شكل آخر من أشعة ليزر يدعى YAG وذلك بانتاج وتضخيم اشعاعات كهرومغناطيسية بطول موجة ١٠٤٦ نانوميتر أي قريبة

من الاشعة تحت الحمراء ولما كانت هذه غير مرئية ارفق بها شعاع مرئي بطول موجة ٦٣٢ نانوميتر وذلك لغرض الاستهداف وتصويب ايقاع البؤرة الشعاعية على المنطقة المعالجة ، وهذه الاجهزة الجديدة تطلق قدرات عالية تتراوح بين ٥ ـ ١٥ ميلي جول ، ترسل مخروطا ضوئيا بزاوية ١٦ درجة فتحدث بؤرة شعاعية بقطر ٢٥ ميكرون ، وفي كل طلقة من هذه الاشعة يصدر عدد من النبضات يتراوح بين ١ ـ ٩ نبضات ، وتستغرق النبضة زمنا لا يتجاوز عشر نانوثانية (جزء من الف مليون من الثانية) ، في هذا النوع من الاشعة ذات القدرات العالية يكون الوسط الفعال سائل النيوديميوم المذاب في اكسيد كلوريد الصوديوم .

وتستعمل أشعة ليزر هذه لقطع محفظة العدسة الخلفية المتكثفة بعد عملية استخراج الساد أو تفتيته وقد اصبح استعماله ملازما لعمليات غرس العدسات في العين . . . .

ولما كانت استجابة الانسجة الحية للاشعة والانفعال بها تختلف بين شخص وآخر لذلك كان لابد لجراح العيون الذي يقوم بالمعالجة من خبرة

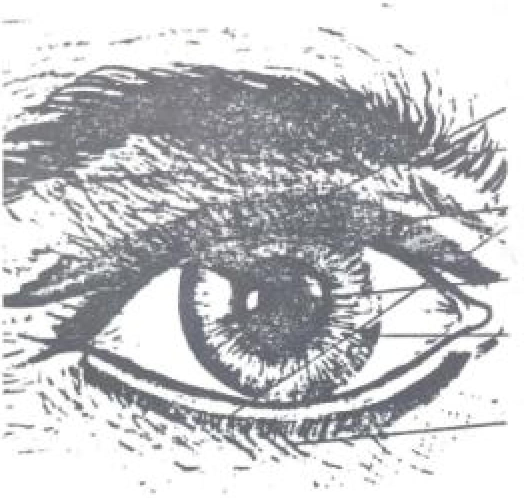

واسعة وحنكة بالموضوع ، لان الاشعة تتلف الانسجة الحية لذلك لا يجوز تسليطها الا على منطقة الاصابة المراد معالجتها ، وهذا يعني أن الأشعة لا يجوز مطلقا تركيزها على القرنية أو العدسة البلورية او القزحية عندما يكون المراد هو معالجة الشبكية وهي أعمق طبقة داخل العين ، والا كانت النتيجة استمرار حروق وأضرار في مناطق سليمة في العين قد تكون مضاعفاتها اضطرابات الرؤية وتضاؤلها وهذا ما ينبغي أن يتجنبه الطبيب المعالج .

وكذلك ينطبق الامر عندما يراد بالمعالجة الاجزاء الامامية في العين كما لو أريد تمزيق محفظة العدسة

وتبخيرها ، أو أريد استئصال ورم صغير في القزحية ، أو ابادة عروق دموية مستحدثة أو اجراء عملية لمعالجة داء الزرق في زاوية العين الامامية أو ثقب في القزحية لتصريف ماء العين ، يجب أن تدخل الاشعة بمقدار وحكمة وحيث يجب أن تكون ، فلا تستحدث آفات

رزمة من أشعة ليزر الياقوتية ، مركزة ومكثفة لتصبح مجرد بقعة ضوء صغيرة جداً . . . إذ لايزيد قطر البقعة ، وهي بقعة من الضوء الأحمر النقي على بضعة اجزاء من ألف جزء من المليمتر وتبلغ حرارتها ١٠ ملايين ضعف حرارة الشمس . . علماً بأنها ومضة لاتدوم سوى بضعة أجزاء من مليون جزء من الثانية . . فهذه الحرارة الفائقة وهذا التركيز المحكم هما اللذان مكنّا الأطباء من استغلال أشعة ليزر الياقوتية في معالجة سرطان الجلد ـ على نحو ما ترى في الصورة وفي إجراء عمليات العيون الجراحية .

وحروقا في الشبكية ولا تُخرّب المائع الزجاجي وتمزق الشبكية ـ لذلك لا بد من توسيع الحدقة بالأدوية اللازمة عند ادخال الشعاع الى الشبكية ، وبالعكس يجب عدم توسيع الحدقة بل يجب تضييقها عندما توجه المعالجة للقسم الامامي من العين فتمنع الاشعة من دخول اعماق العين .

أما المعالجات والجراحات التي يمكن أن تستفيد من اشعة ليزر فهي كما يلي :

امراض الشبكية :

الوقاية من العمى في داء السكرى : لان السكرى مرض يصيب العروق الدموية أولا بالاذى ، لذلك فالشبكية عضو مستهدف في هذا المرض معرض لاقسى انواع الاذى والانحراف والتخريب ، لما ينتشر في طياتها من عروق دموية ولانها تعتمد في غذاء طبقاتها الخارجية على المشيمة ذات العروق الدموية الوافرة ، فعندما تتأذى العروق الدموية تعجز عن تغذية الشبكية فتصاب هذه بنقص في الارتواء وتضطرب وظيفتها،ونتيجة لذلك تبرز فيها عروق دموية بدلا من العروق القاصرة ، ولكن العروق المستحدثة الشعرية ضعيفة ذات جذور سهلة التآكل والتهتك فتتمزق بسرعة وتسبب الانزفة المختلفة في العين وينتج عن ذلك حدوث التليفات وتعكّر المائع الزجاجي وتغيُّم الرؤية ثم العمى .

أشعة الليزر هنا تستطيع حرق العروق الشعرية المستحدثة الخبيثة فتقي العين من النزف وتوفر الغذاء للمناطق السليمة من الشبكية ، وهنا لا بد من تجنب حرق العروق الدموية الطبيعية والكف عن ورود المناطق الحساسة المركزية في الشبكية حتى لا يحدث تخريب بها ويسهل حدوث ضمور العصب البصري فالعمى .

ومع أن المعالجة بأشعة ليزر تستطيع أن تنقذ ٦٠٪ من المصابين باعتلال الشبكية نتيجة السكرى من العمى ، ولكنها لا تصبح ذات نفع اذا اجريت المعالجة في المراحل المتأخرة جدا وعند حدوث التليفات في الشبكية والنزوف المثرية في المائع الزجاجي ، وفيما عدا السكرى هنالك أمراض شبكية كثيرة يمكن ادخال أشعة ليزر في معالجاتها كالتمزقات

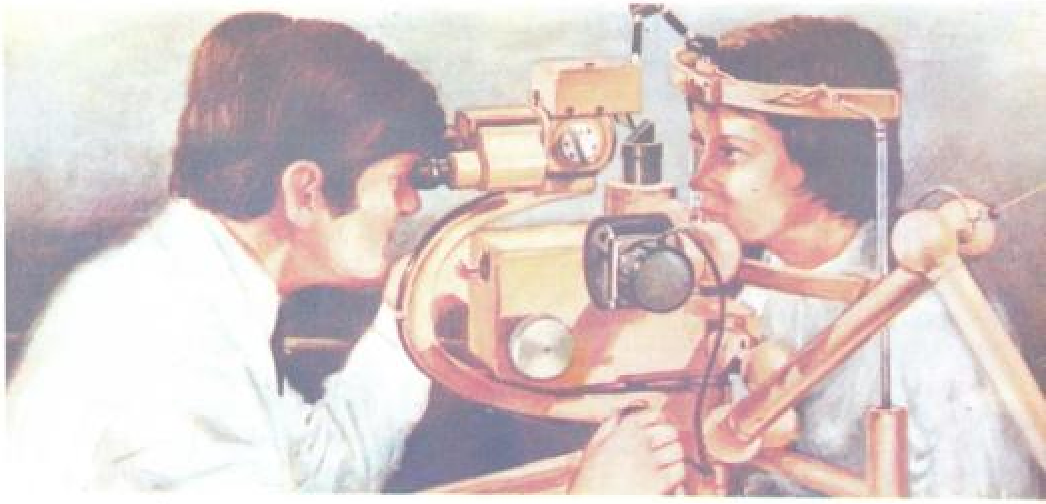

أحد الأجهزة المستعملة في عمليات جراحة العيون الدقيقة بواسطة أشعة ليزر الياقوتية المكثفة . . . لقد أمكن استغلال هذه الأشعة في لحم شبكية العين . . حيث تنفصل هذه عنها من الداخل .

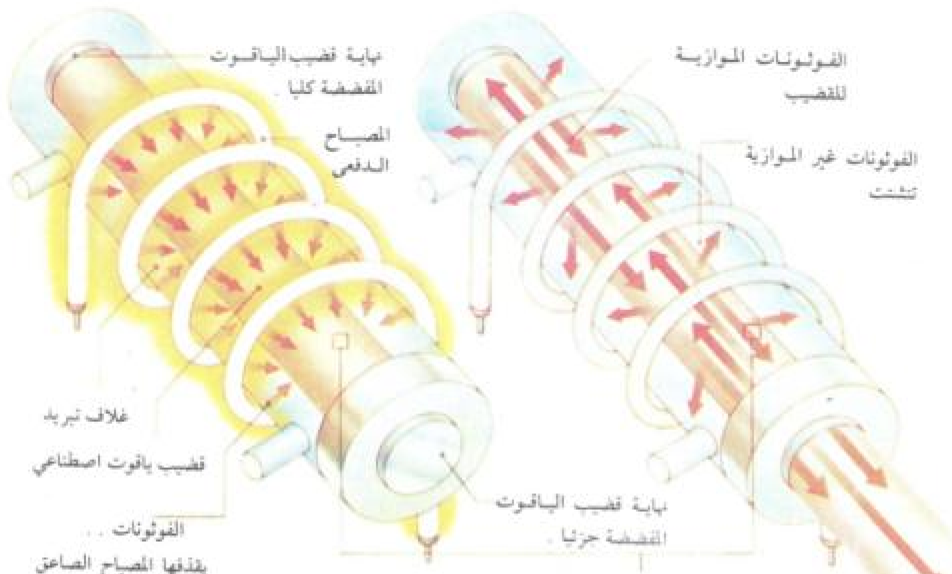

تكثيف أشعة ليزر ومضاعفة قوتها

والثقوب الشبكية الصغيرة ، وكذلك عند حدوث أمراض الشيخوخة في الشبكية حيث تتشكل عروق تسبب ارتشاح اللطخة الصفراء بالنزوف والترسبات الدهنية .

معالجة داء الزرق :

هذا الداء سبب في ٢٠٪ من حالات العمى في العالم ، يحدث فيه ارتفاع في ضغط العين ينتهي الى احداث تآكل وارتداد في العصب البصري وضمور فيه ، والعلة في هذا الداء هي قصور في تصريف ماء العين . فيختل التوازن المائي حيث ان افراز ماء العين دائم ثابت وتفريغه قاصر عاجز فاذا لم يعالج تصبح العين كالكرة الصلبة ويحدث نتيجة ذلك آلام شديدة واحمرار ودماع وصداع وفقد بصر مفاجىء تام أو جزئي ، وهذا هو داء الزرق الحاد ، أما في داء الزرق المزمن البسيط فالمرض يسير بهدوء وينسل تدريجيا ويأتي على البصر دون انذار فتضيق الساحة البصرية ويضمر العصب دون أن يستشار المريض بألم مفاجىء ، ويعتمد ظهور المرض بشكل حاد أو مزمن على اتساع أبعاد العين وخصوصا بالنسبة للبيت الامامي وزاوية العين ، فاذا كانت زاوية العين ضيقة وكان عمق البيت الامامي ضحلا اتخذ المرض شكلا حادا ، أما اذا كانت ابعاد العين واسعة والبيت الامامي عميقا وزاوية العين الامامية مفتوحة رحبة فالارجح أن يسير الداء بشكل مزمن هادىء ، في كلتا الحالتين تستطيع المعالجة بأشعة ليزر فتح مجاري الافراغ وتسهيل خروج الماء من البيت الامامي .

وتستطيع أشعة ليزر أن تخترق الالتصاقات فتكسرها وتبخرها ، وان تفتح زاوية العين المغلقة ، وأن تشق طرقا جديدة لتصريف إفراغ ماء العين حتى تحدث التوازن المائي وتضبط ضغط العين في الحدود الآمنة السليمة ، ولكن هل تتساوى جميع العيون وتستجيب للمعالجة بأشعة ليزر ؟ . . كلا . . . . فقد بينت الابحاث الحديثة اخيرا أن داء الزرق الشابي أو الطفولي هو أقل استجابة للمعالجة بأشعة ليزر منه في داء الزرق عند الكهول الشيوخ .

لذا لا بد من العودة للطرق الجراحية التقليدية في معالجة داء الزرق عندما تفشل المعالجة بأشعة ليزر .

معالجة الأورام :

مع أن المعالجة بأشعة ليزر قد تنجح في الاورام الصغيرة والاكياس المحددة والانتقالات السرطانية الى الشبكية ، ولكنها للاسف لا يركن اليها في معالجة الأورام الخبيثة الاساسية سواء في الغلاف المشيمي الوعائي أو في الشبكية،وهنا لا بد من العودة الى الجراحة التقليدية في تلك الاورام .

فحص انكسار الضوء :

صُنعت مؤخرا في بريطانيا آلة تعمل بأشعة ليزر تستطيع أن تتحرى ما إذا كان الشخص مصابا بقصر البصر أو مد البصر أو حرج البصر ، حيث تسلط أشعة الليزر المنطلقة من الجهاز على شاشة اسطوانية تدور ببطء فتنتج خيالا أحمر منقطا ، فعندما يجلس الشخص أمام الآلة ويبدأ الخيال يتحرك نحو الاعلى فمعناه أن الشخص مصاب ببعد البصر واذا تحرك الخيال الى الاسفل يعني أنه مصاب بقصر البصر واذا تحرك الى أحد الجانبين يعني أنه مصاب بحرج البصر ، فنظرة واحدة تكفي لتحدد ما اذا كان الشخص لديه اضطراب في انكسار الضوء او عدمه ، ولكن الآلة الثمينة هذه تفيد فقط في حالات الفحوص المستوعبة أي عند فحص اعداد هائلة من الطلاب أو عند تحري عيون الاطفال مثلا لمعرفة ما إذا كانوا مصابين بانكسار أم لا ، ولكنها للاسف ليست بتلك الدقة لتحدد بالسرعة ذاتها درجة سوء الانكسار او عدد الكسيرات اللازمة للتصحيح بالعدسات او درجة ميلان العدسات الاسطوانية اللازمة .

في التخطيط المجسم للعين :

إن التصوير المجسم للعين بابراز الابعاد الثلاثة للمناطق التشريحية في باطن العين يساعد على تحري الوظائف المتعددة في العين ، ويبرز بوضوح الآفات النسيجية والاضطرابات الحيوية بها وخصوصا فيما يتعلق بشبكية العين وعروقها الدموية وامراضها المختلفة ، فالصورة العادية لقاع العين تستطيع أن تسجل تفاصيل مستوى واحد من الشبكية مثلا ، أما التخطيط المجسم فيشكل مخططا يعطي معلومات

مفصلة في العين كلها ، ويمكن هنا تركيز البؤرة الضوئية على أي مكان في العين لتشكل لدينا مخططا حقيقيا دقيقا بأبعاده الثلاثة ، ويفيد التخطيط المجسم خصوصا في استقصاء أعماق العين ، عندما تكون العدسة مصابة بداء الساد،أو تكون القرنية كثيفة فاقدة الشفافية ، ولكن التصوير المجسم مازال في عالم المختبرات والابحاث يجرى على الحيوانات وخصوصا القطط ، لانه يتطلب سَبْرُ العين بادخال الياف بصرية تطلق أشعة ليزر على الشبكية ، ولما كانت الطبقة الباطنية تحت الشبكية عاكسة للاشعة عند القطط فهي تفيد في التصوير المجسم ، أما عين الانسان فهي لا تحوى تلك الطبقة العاكسة ، ولذا يتطلب الامر انبعاث أشعة قوية جدا ، وهنا الخشية من إتلاف الشبكية واحراق الخلايا النبيلة فيها .

قياس القدرة الفاصلة

إن تحرى **وظيفة النقل التحويري** أو المكيف عند قياس العدسات وقدرتها على نقل المعلومات قد هيأ لقياس القدرة والكفاءة النوعية في كلا المجالين الفراغي والزمني . وقد استحدث في السنوات الاخيرة مبدأ قياس القدرة الفاصلة في الجهاز البصري لبيان مدى رقي قدراته الناقلة أو المحولة وكفايتها ، فمثلا لاستيضاح دقة الصورة المشكلة في العين للجسم الموجود في الفراغ ، كانت حدة البصر تقاس بلوحة الفحص القياسية المألوفة ، الا أن هذا الاختبار لا يقوى على التمييز والتفريق بين ما أسهمت به بصريات العين وما قامت به القدرة العصبية الفاصلة أي وظيفة الدماغ في عملية البصر،وعندما لا تقوى الاوساط العينية على نقل صورة شكل دقيق التراكيب كما في حالة داء الساد العيني فمن الضروري استعمال وسائل تتجاوز طريق الاوساط الكاسرة في العين (القرنية والعدسة البلورية) للحصول على قياس لدقة الفصل التي تنتهجها الممرات الفيزيولوجية العصبية عبر الدماغ ، أي من الشبكية العينية حتى الدماغ لكي تقيم مدى الوظائف البصرية الكامنة والتي يمكن الاستفادة منها بالمعالجة ، وهنا يأتي دور الليزر بحيث يطبع معلومات بصرية على الشبكية دون أن تسير عبر بصريات العين (أي القرنية والعدسة البلورية) وذلك بوساطة المداخلة بأشعة ليزر ، وهذا ما عولت عليه الابحاث في السنوات العشرين الماضية ، فبفضل مبدأ استقصاء وظيفة النقل التحويري يمكن الحصول على معلومات دقيقة مفصلة عن كيفية تكوُّن الخيال المشكل على الشبكية ، وهناك مصدران من أشعة ليزر يستعملان لتشكيل أنماط متداخلة،وبتغيير المسافة بين النقطتين المشعتين تتغير مسافات التداخل على الشبكية فيقال إن التردد الفراغي قد تغير ، وقد أدرج اليابانيون في الاسواق التجارية جهازا للتداخل بواسطة أشعة ليزر يمكن استعماله في تلك الاغراض السريرية .

إن تقدير التكامل في السلسلة الشبكية ـ الدماغية للمرضى المصابين بداء الساد سيصبح لازما اجراؤه قبل أية عملية على داء الساد وترقيع القرنية وذلك لمعرفة النتائج التي سيحصل عليها المريض قبل اجراء العملية حتى لا يصاب بخيبة أمل اذا لم يتحسن بصره بعد المداخلة الجراحية الناجحة بسبب اكتشاف امراض في الشبكية أو في الشريط البصري من الشبكية الى الدماغ .

وهكذا فقد اصبح لاشعة ليزر غزوات موفقة في عالم العين سواء بالنسبة لقياس ابعادها وكثافاتها ، واستقصاء وظائفها ، أو بالنسبة للمعالجات والتدخلات الجراحية فيها ، فقطع الانسجة بأشعة ليزر أكثر سرعة وانتظاما وأقل تعرضا للنزوف والالتهابات،والتدخلات الجراحية لا تتطلب فتح الانسجة السطحية وقصها ، ولا تتطلب تخديرا عاما ، ولا اقامة في المستشفى فهي أكثر توفيرا لجهد الطبيب ووقته واقل معاناة واوفر زمنا للمريض،ولكن غلاء اجهزة الليزر الخاصة بطب العين وجراحتها ، يجعل كلفة المعالجة والاستقصاء موازية لماهي عليه بالتدخلات الجراحية والطرق المألوفة من المعالجات ، ولعل الزمن القريب سيكشف عن العجائب في ارتقاء المعالجة بأشعة ليزر .

□

الشمس .. خلف تجاعيد الأفق

شعر / عبدالستار سليم

الحركة الأولى :

يثب القلب بصدري كحصان
عندما يفجؤني الحب على الميناء .. في وقت السفر
ويكف الكون عن ايقاعه .. يضيع ثوان
وتلف الدهشة الحيرى رحاب الأرض
ترتاع - لدى البحر - الحكايات الصوارى
وقطارات البرارى ..
تتخلى عن مواعيد الرحيل
ينثني الغصن .. فيهوي .. فوق آبار العطش
وعصافير الندى المنثور تبكي .. حينما يضطجع
الفجر على سور البساتين التي كفت عن الاثمار
عاما بعد عام .

***

الحركة الثانية :

حين ودعتك .. أودعتك سري
قلت عنه كل ماعكن - عنه - أن يقال
ومضيت ..
ومضى قلبي يبني فوق نهديك جسورا
من أريج البرتقال ..
وطيورا من رمال البر .. والبحر .. وغابات
من الزيتون والتين الشهي الثغر
في ليل العناق
- آه .. ماأقسى الفراق -

***

الحركة الثالثة :

حين ودعتك .. سلمتك - في الليل -
دراويش التكايا
ومفاتيح الحكايا
والعواصم
ومقاليد التخوم
وتجاعيد المرايا .. وفناديل النجوم
وركبنا مهرة الريح التي تعدو
بغابات النخيل
(كان نهداك .. وأطفال قرانا ..
وحمامات الموانئ ..
لرحيلي .. أصدقاء)
- آه .. ماأحلى اللقاء -

***

الحركة الرابعة :

خرجت بيضاء - من جيب دجى الليل - يداك ..
جاءني صوت نداك
فاستعرت النجم .. والغيم .. وحيتان المحيطات
وحيطان المغارات .. القديمة
عليها تصرف عني نظرة كانت - لعينيك - بقلبي
فتعذبت كثيرا .. وتشرنقت بجنبي
وعلى السلم .. ألقيت لحوت البحر اوراق السفر
وتحديت نداءات الصوارى
كان نصف البدر يحبو ..
فوق غيطان الأفق
عندما جاء صدى الصوت
الذي كان له جل انتظاري ..

"يافا" مدينة الجمال والكفاح

بقلم : الدكتور عز الدين اسماعيل غربية

لم تبق المدن والقرى الفلسطينية التي تم احتلالها منذ سنة ١٩٤٨ على حالها ، بعضها تم نسفه وتدميره ، وبعضها أصابه الاهمال وعدم الاهتمام من قبل سلطة الاحتلال الصهيونية .

و « يافا » خصوصا الحي العربي منها أصابه الاهمال ، كما أصاب غيره من ممتلكات وأماكن العرب الفلسطينيين .

لكن كيف كانت « يافا » من قبل ؟ وما هو موقعها ودورها في حركة التاريخ ؟

هذا ، ما يجيب عنه هذا العرض .

يافا « عروس البحر المتوسط » تقع على هضبة شامخة ترتفع نحو أربعين قدما في مكان متوسط من الساحل الفلسطيني ، تضم ميناء طبيعياً ، وتشرف على السهل الساحلي ، تستقبل نسيم البحر الذي يكسب مناخها المعتدل رقة وجمالا ، وتحيط بها بساتين يانعة من البرتقال ، ينتشر عبيرها في أرجاء يافا وما حولها .

أنشأ العرب الكنعانيون يافا قبل حوالي خمسة آلاف سنة تقريبا ، وأطلقوا عليها اسم « يافي » ، اي « الجميلة » ، أو « ذات المنظر الجميل » ، واحتفظت بهذا الاسم على مر العصور ، فذكرها قدماء المصريين « جوبا » ، واليونانيون ، والرومانيون « يوبا » ، وعرفت باسم « يافا » أو « يافة » في العهد العربي الاسلامي ، وظلت تحمل الاسم حتى الآن ، وجميع هذه التسميات تؤدي الى معنى واحد مصدره « الجمال » الذي يعبر عنها وينبثق منها .

لعبت العوامل الطبيعية ، والبيئة ، والبشرية دوراً هاماً في نشأة يافا وتطورها ، فهي مدينة جبلة منيعة ، تتمتع بالرخاء ، وتتميز بكفاح أبنائها في تشييد صرحها الحضاري ، حيث بدأت بلدة صغيرة تتكون من بيوت قليلة العدد ، صغيرة الحجم ، بنيت من اللبن وانتشرت على جانبي التل في مواجهة البحر ، ثم امتد العمران حتى شمل التل بأكمله ، واحيطت بسور ضخم من الحجر ، يرتفع نحو عشرة أمتار ، أقيمت به عدة أبراج ، أما عرضه فكان يتراوح بين ثلاثة وأربعة أمتار .

وبجمالها تغنت النصوص المصرية القديمة ، التي تعود الى الألف الثاني قبل الميلاد ، كما ذكرت أنها تتمتع بنظام سياسي ، واجتماعي متميز ، وهو النظام الذي كان سائداً في المدن الكنعانية والسورية ، والذي يعرف بنظام « حكومة المدينة » التي يرأسها حاكم أو أمير يمثل قمة السلطة ، وتأخذ بأسلوب التعاون الكامل بين جميع سكان المدينة في وقت السلم وفي وقت الحرب على السواء .

ملتقى مدنيات شرق المتوسط

وتشير الادلة التاريخية إلى أن مدينة يافا كانت متفوقة في تلك الفترة المبكرة من حياتها ، وأن سكانها كانوا على مستوى حضاري يماثل المراكز الحضارية في وادي الرافدين ، ووادي النيل ، وسورية . كما كان ليافا دور متميز في النشاط البحري ، والتجاري الذي شهدته مدن الساحل الكنعاني الفينيقي في الألفين الأول والثاني قبل الميلاد ، حيث أصبحت يافا من المراكز الرئيسية لملتقى المدنيات في شرق البحر المتوسط ، وخصوصا حضارتي وادي النيل ووادي الرافدين ، ثم الحضارة الفينيقية ، والحضارة

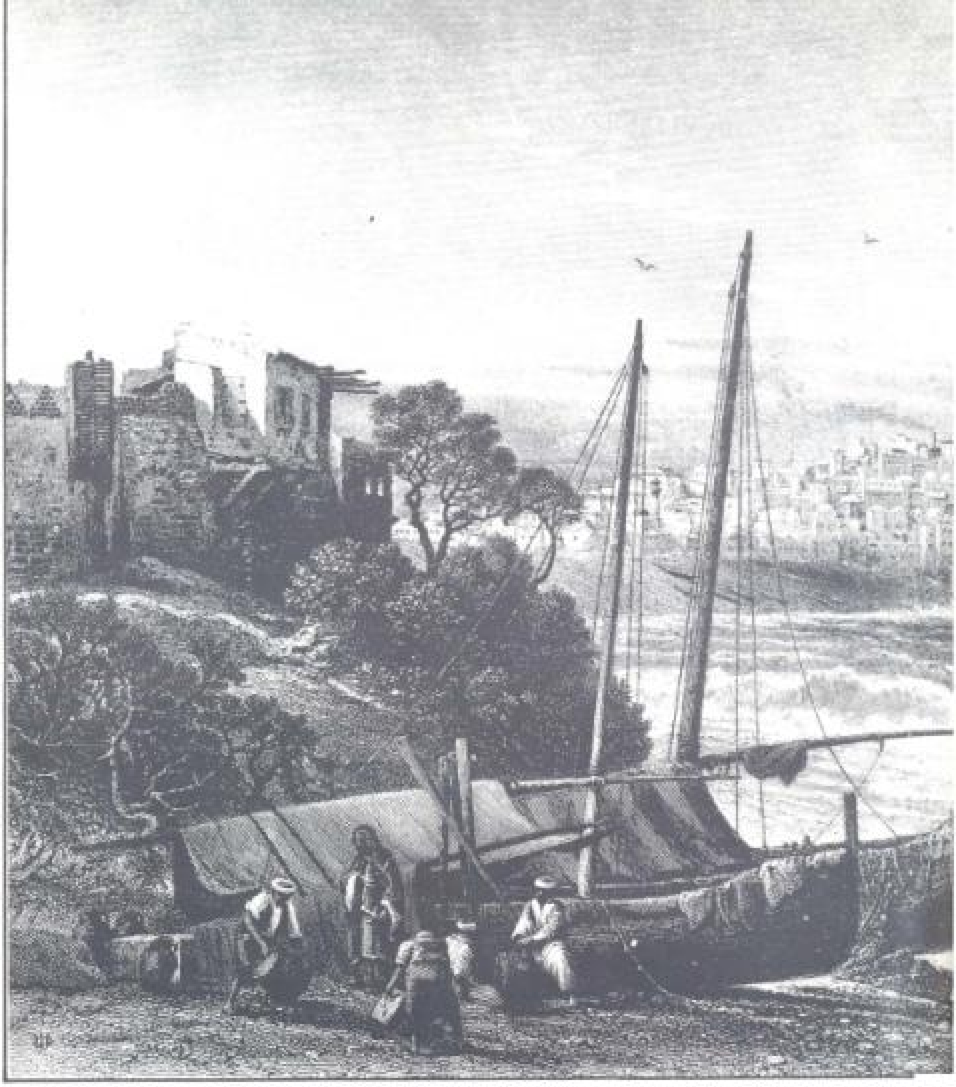

يافا منذ مئة عام ، كما صورها الفنان دافيد رويرتس ، مدينة للسلام والاحلام والاخاء الانساني

الاغريقية ، التي تركت آثارها في عقائد أهلها وفنونهم ، وأدت بالتالي الى انتعاش المدينة وتمتعها بقسط وافر من العمران . ومع ذلك فان الشواهد التاريخية تشير الى احتفاظ مدينة يافا بأصالتها الحضارية العربية المتميزة ، رغم اكتسابها للعديد من الأنماط الحضارية المجاورة والوافدة .

واستطاعت يافا ان تحافظ على هذا الوضع المتميز معظم مرحلة الألف الاول قبل الميلاد رغم تعرضها للسيطرة الأشورية في عهد « سرجون الثاني » ، وابنه « سنحاريب » عام ٦٠٩ قبل الميلاد ، ثم للسيطرة المصرية في عهد الفرعون المصري « نيكاو » ، وللسيطرة البابلية في عهد « نبوخذ نصر » التي استمرت حتى عام ٥٩٧ قبل الميلاد ، الى جانب تعرضها للحكم الفارسي عام ٥٨٦ قبل الميلاد .

وفي عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، دخلت مدينة يافا مرحلة جديدة متميزة من حياتها ، حين خضعت

لحكم « الاسكندر المقدوني » ، حيث تعرضت في هذه الفترة الى موجات من الاضطراب والتخريب ، نتيجة للصراع على السلطة بين خلفاء الاسكندر ، حتى استطاع « بطليموس الاول » ان يفرض سلطة البطالمة على فلسطين عام ٣٠١ قبل الميلاد ، والتي استمرت حتى عام ١٩٨ قبل الميلاد .

وتشير الأدلة الى أن يافا حظيت في هذه الفترة باهتمام خاص ، كمدينة ومرفأ هام على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، وأصبحت قاعدة هامة بين بلاد الاغريق والشرق ، في فترات تميزت بالاتصال الدولي والنشاط التجاري بين بلاد الشام ، والاقطار العربية المجاورة ، وبلاد اليونان ، وجزر البحر المتوسط ، فقد اتخذ اليونانيون من يافا قاعدة لنشاط الثقافة الهلنستية في فلسطين ، والأقطار المجاورة ، فاستوطنت المدينة جالية يونانية قامت بترميم أسوارها ، وأعادت بناء بعض منشآتها الهامة ، وفق الأنماط الحضارية اليونانية . كما وحد اليونانيون بين آلهتهم والآلهة الكنعانية ، وأنشأوا في يافا داراً لسك النقود ، لربط اقتصاد المدينة بالدولة اليونانية ، وغيروا اسمها الكنعاني الى « يوبا » ونسبوا تأسيسها الى أحد أبطالهم « كفيوس » زوج بنت ربة الريح . وفي عام ٢٠٠ قبل الميلاد استطاع « انطيخيوس الثالث » حاكم سوريا ان يقضي على الحكم اليوناني في يافا ، ويفرض السيطرة السلوقية عليها ، حتى عام ٦٣ قبل الميلاد ، حين غزاها القائد الروماني الشهير « بومبي » (بومبيوس) لتبدأ حلقة جديدة في تاريخ المدينة استمرت حتى سنة ٣٢٠ ميلادية ، واجهت فيها العديد من المشاكل ، حيث تعرضت المدينة خلالها للصراع والحروب بين بعض القادة الرومان ، ومنهم « ستيوس غالوس » ، و « فاسبسيان » عام ٦٨ ميلادية ، ونتج عن ذلك تدمير المدينة .

وقد تخلل الحكم الروماني في فلسطين فترات من المد والجزر للسلطة الرومانية ، وبسط نفوذ وسيطرة بعض الدول المجاورة ، فقد احتل الفرس يافا حوالي عام أربعين قبل الميلاد ، لفترة قصيرة من الزمن ، استمرت حوالي عامين ، كما استولت عليها « زنوبيا » ملكة تدمر (٢٦٧ ـ ٢٧٢ م) .

وفي عهد الامبراطور « قسطنطين الاول » (٣٢٤ ـ ٣٣٧ م) دخلت يافا في حوزة البيزنطيين وحظيت في هذه الفترة بمركز مرموق . وبعد اعتناق قسطنطين للمسيحية ، أولاها اهتماماً خاصاً لكونها الميناء الاول لاستقبال الحجاج المسيحيين القادمين لزيارة الأرض المقدسة ، الى جانب اقامة القديس بطرس ، أحد حواريي السيد المسيح ، بعضاً من الوقت في المدينة ، وهو الذي ينسب اليه اعادة الحياة الى « طابيطا » ، احدى فتيات المدينة ، بالاضافة الى نزول المائدة في بيت سمعان في المدينة ، مما جلب وفوداً مسيحية عديدة من كل مكان لزيارة قبر طابيطا ، وبيت سمعان .

الاسلام وتعزيز الوجود العربي

ودارت عجلة التاريخ ، فجاء الفتح الاسلامي في القرن السابع الميلادي ، وفيه انتعشت يافا بخاصة ، وفلسطين بعامة ، وواكب ذلك تعزيز الوجود العربي فيها ، ورفده بدماء عربية جديدة ، حيث سبقتها الموجات العربية القديمة ، من انباط ، حوالي ٥٠٠ قبل الميلاد ، وآراميين ، حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد وأموريين ، وكنعانيين ، حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، تلك الموجات التي كانت تتجدد وتوثق الروابط العرقية والثقافية بين فلسطين والجزيرة العربية الأم ، وكان من مظاهرها التضامن بين عرب فلسطين والشام مع اخوانهم العرب المسلمين للتخلص من حكم الروم في بلادهم .

وبفضل منزلة فلسطين الدينية أولاها الخلفاء الراشدون ، والأمويون من بعدهم رعاية لم يلقها أي بلد آخر من بلدان الفتح الاسلامي ، وقد انعكس أثر ذلك على أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية . وفي العهد الأموي برزت شخصية فلسطين العربية الاسلامية في المجالات الحضارية من فكر وتنظيم وعمران واقتصاد ، في وقت بلغت فيه الفتوحات الاسلامية اقصى اتساع لها ، وحظيت مدينة يافا بنصيب وافر منها ، وخصوصا بعد اقامة مدينة الرملة كعاصمة جديدة لفلسطين في عهد الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك على مسافة ١٨ كم جنوب شرق المدينة ، مما عزز مكانة مدينة يافا وربطها بروابط وثيقة بالرملة لكونها الميناء الرئيس للعاصمة الجديدة .

● جامع حسن بك في حي المنشية ١٩١٥

واستمرت يافا تحظى بنفس المكانة في العهود الاسلامية التالية ، إلا أنها تعرضت في أواخر العهد العباسي للعديد من الصراعات بين الدول المستقلةفي مصر وبلاد الشام ، ثم بينها وبين السلطات العثمانية في أحيان اخرى ، مما عرضها للتدمير والتخريب وتشريد سكانها عدة مرات ، وفي كل مرة استطاعت أن تعيد بناء نفسها وتحافظ على مكانتها .

وفي أثناء الحروب الصليبية تعرضت مدينة يافا أكثر من مرة للتدمير الجزئي والكلي ، فقد أدرك الطرفان المسلم والمسيحي الاهمية الاستراتيجية للمدينة في الدفاع عن الأماكن المقدسة في فلسطين ، وسيطرتها على الطريق البرى الهام المؤدي الى بيت المقدس ، مما جعلها هدفا رئيسيا للعديد من الغزوات الصليبية ، وتعرضها بالتالي للتخريب أحيانا والتدمير أحيانا أخرى ، حيث تعرضت للتدمير عند احتلال الصليبيين لها عام ١٠٩٩ م ، في أثناء الحملة الصليبية الأولى ، كما تعرضت للتدمير في عهد « الملك العادل » ، شقيق صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧ ميلادية ، كي لا يستخدمها الصليبيون قاعدة ضد المسلمين ، ولنفس الأسباب دمرت عام ١١٩٠ ميلادية .

وتكررت نفس الظاهرة في عهد المماليك عام ٢٦٧ ميلادية ، عندما هدمتها قوات « بيبرس » في أثناء تحريرها من الصليبيين ، وقد انتقى بيبرس بعض نفائس أخشابها ورخامها ، ونقله الى القاهرة ، وعمل منه مقصورة الجامع الذي يحمل اسمه .

وفي عام ١٣٣٦ ميلادية أمر السلطان « الناصر » (ناصر الدين محمود) بتدمير معظم منشآت المدينة الاستراتيجية ، عندما تعرضت للاحتلال الصليبي ، كما حدث نفس الشيء في أثناء غزوة بطرس الأول ملك قبرص للمدينة في فترة لاحقة .

وفي عام ١٥١٧ ميلادية دخلت يافا ضمن حكم الدولة العثمانية الذي استمر زهاء أربعة قرون ، شهدت المدينة خلالها الاستقرار حينا والقلاقل والاضطراب والدمار أحيانا أخرى .

ومن ابرز الأحداث التي تعرضت لها يافا في العهد العثماني ، المجزرة الرهيبة التي ارتكبها والى مصر « أبو الذهب » ، عندما احتلت قواته المدينة عام ١٧٧٠ ميلادية . كما شهدت المدينة نهضة عمرانية كبيرة في أواخر العهد العثماني على يد الوالي العثماني

« ابو نبوت » ، و « حسن بك » الذي يحمل احد المساجد فيها اسمه حتى الآن . وما زالت المساجد الضخمة وغيرها من المنشآت قائمة حتى الآن في المدينة وتشهد على تاريخها العريق .

وفي عام ١٩١٧ ميلادية سقطت يافا وفلسطين بعامة تحت سيطرة الاستعمار البريطاني الذي استمر حتى عام ١٩٤٨ ميلادية ، وشهدت المدينة خلال هذه الفترة أبشع ألوان الاستعمار والتآمر الصهيوني الذي كان جزءاً من المؤامرة الكبرى لاغتصاب فلسطين .

وعلى الرغم من قسوة وشراسة الاحتلال البريطاني ، الا أن المدينة استطاعت أن تقوم بنشاط اقتصادي واجتماعي ، وثقافي مرموق ، كما كان لكفاحها السياسي وثوراتها المتعددة ضد الاستعمار والصهيونية دور بارز في كفاح الشعب الفلسطيني .

لقد كانت يافا أحد أهم المراكز الرئيسة للنشاط الاقتصادي بمجالاته الزراعية والصناعية والتجارية والملاحية ، واشتهرت عالمياً بزراعة البرتقال وتصديره ، كما قامت فيها العديد من الصناعات ، ومن أبرزها المصنوعات الحديدية ، وصناعة الأخشاب ، والصناعات الجلدية ، وصناعة الزجاج ، وصناعة الصابون ، والصناعات الغذائية ، وكان مينلؤها الميناء الرئيسي الهام في تجارة فلسطين .

وشهدت يافا نشاطاً ثقافياً مرموقاً يتمثل في انتشار المدارس في جميع مراحلها ، وأصدرت مطابعها الصحف اليومية ، والمجلات الاسبوعية ، والشهرية ، وعقدت بها الندوات العلمية والثقافية ، كما تعددت بها النوادي العملية والثقافية ، الى جانب النشاط الرياضي الكبير ، الذي أحرزت فيه بطولات متعددة ، منها كرة القدم على المستوى الاقليمي ، والملاكمة على المستوى الدولي .

وفي مجال الكفاح السياسي كان ليافا كغيرها من المدن الفلسطينية نصيب وافر في هذا المضمار ، ومن أبرز أدوارها ، الثورة التي انطلقت من المدينة في أول أيام مايو (عيد العمال) عام ١٩٢١ ميلادية ، والتي بدأت بمهاجمة مراكز تجمع المهاجرين اليهود في حي المنشية ، شمال المدينة ، ثم ما لبثت أن انتشرت الثورة لتعم العديد من المدن والقرى في المناطق المجاورة وقد استمرت اسبوعين قبل أن تقمعها القوات البريطانية بكل وحشية وعنف ، وفرضت على المدينة الأحكام العرفية والغرامات الجائرة .

الدور النضالي

وفي عام ١٩٢٩ ميلادية استجابت يافا لثورة القدس ، فثارت المدينة ضد التواطؤ البريطاني الصهيوني ، وحدثت معارك عنيفة بين سكان المدينة والمستوطنين اليهود في مدينة تل أبيب ، انتهت بتدخل القوات البريطانية المحتلة الى جانب اليهود وقمعت الثورة بكل عنف .

واستجابة لقرارات المؤتمر الفلسطيني العام الذي عقد في آذار (مارس) عام ١٩٣٣ . م في يافا ، انطلقت من جامع المدينة الكبير مظاهرات جماهيرية تندد بالاستعمار والصهيونية سرعان ما تطورت الى ثورة مسلحة ، امتدت الى المدن والقرى المجاورة ، إلا أن قوات الاحتلال البريطانية استطاعت قمعها بكل عنف ووحشية ، مما أدى الى استشهاد عدد كبير من سكان المدينة والمناطق المجاورة .

ولم تهدأ روح الكفاح والثورة في مدينة يافا ، ففي ابريل عام ١٩٣٦ ميلادية ، اعلنت يافا تضامنها وتأييدها للاضراب العام الذي نادى به الشعب الفلسطيني ، للاعراب عن سخطه على الاجراءات التعسفية لسلطات الاستعمار البريطاني وللتآمر الصهيوني ضد عروبة فلسطين ، وقد استمر ذلك الاضراب الشامل ، الفريد من نوعه في التاريخ ، مدة ستة شهور ، تطور بعدها الى ثورة مسلحة . ولما عجزت القوات البريطانية عن قمع الثورة في يافا لجأت الى نسف المناطق الحصينة من المدينة بالمتفجرات . وكان ذلك من أبشع صور الاجرام البريطاني في المدينة .

أما كفاحها البطولي عام ١٩٤٨ ميلادية ، عام النكبة ، فقد شهد له الأعداء قبل الأصدقاء ، حيث واجهت المدينة القوات اليهودية المزودة بأحدث الأسلحة والمدعومة من قوات الاحتلال ، وصمد أهل المدينة صمود الأبطال في معركة غير متكافئة ، حتى كان يوم ١٥ مايو الذي شهد سقوط المدينة الباسلة وتشريد معظم أهلها . □

استراحة العدد

العلم

قال عليه الصلاة والسلام : من أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم . ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم .

الاذكياء والاغبياء

قال بعض الحكماء : أنني أفضل الاشرار الاذكياء على الاشرار الاغبياء ، لان الاذكياء ينامون بعض الوقت . والاغبياء لا يستريحون ولا يريحون .

الايمان واليقين

سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه : كم بين الايمان واليقين ؟ فقال : أربع أصابع . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : الايمان كل ما سمعته اذناك وصدقه قلبك ، واليقين ما رأته عيناك فايقن به قلبك . . وليس بين العين والاذن الا أربع اصابع .

ادب المرء خير من نسبه

يحكى أن صبيا تكلم بين يدى المأمون فأحسن . فقال له المأمون : ابن من انت ؟ فقال ابن الأدب يا امير المؤمنين . فقال نعم النسب يا بني ، وانشد قول سيدنا علي كرم الله وجهه :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يغنيك محموده عن النسب

****

الشرف

اجتمع العلم والثروة والتعاسة والشرف في مكان وقبل ان تغادره :

قال العلم : من يطالبني يجدني في الجامعة .

وقالت الثروة : اما انا ففي ذلك القصر الفخم .

وقالت التعاسة : اما انا ففي ذلك الكوخ الحقير .

أما الشرف فبقي ساكتا : فقال له الآخرون : نحن الآن سنفترق فاين نجدك ؟

قال الشرف : اما انا فمن يبرحني فلن يجتمع بي مرة اخرى . . . .

□□

البخل بالكلام

كتب رجل الى حكيم يقول : لم تبخل على الناس بالكلام ؟

فقال الحكيم : ان الخالق سبحانه قد خلق لنا اذنين ولسانا واحدا لنسمع اكثر مما نتكلم . . لا أن نتكلم اكثر مما نسمع .

□□

"فاريُوجت ٧٤٧"
تستعدّ للهبُوط...
مولينكس تدخل أجواء جديدة
مَع فاريُوجت ٧٤٧.
أرخوا
الحزام وابسطوا
البنطال حيث تهبط
مولينكس وتحطّ بخفّة وسهُولة
لتحديد ثناياه بفعالية البريتنغ
اضغطوا على البخاخ واضبطوا منسوب
البُخار بلمسة إصبع حسب القماش:
"فاريُوجت ٧٤٧" تُقاد بسهولة وتحطّ
بدقة لكن مفعُولها مُدهش.
جرّبوا مُولينكس وسافروا على متن
"فاريُوجت ٧٤٧"، ست مكاوٍ جميلة،
جذابة وفعّالة من مُولينكس.
مولينكس
صنع فرنسا
Moulinex
made in france

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

وصفات الريجيم بين الحقيقة والخيال

وصفات الريجيم بين الحقيقة والخيال !

بقلم : الدكتور ابراهيم أبو طاحون *

في الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية والكتب الشهرية ، تطالعنا باستمرار الوصفات السحرية التي ستخلصنا من كيلو غرامات وزننا الزائدة .

وتتلاحق الوصفات التي تصف نفسها بأنها ثورية وسحرية وفعالة ، وأن بمقدورها أن تكشف لنا عن السر « الكبير » وهكذا ، فبينما تعدنا احداها بان تصل لمتعتنا بطريقة الأكل ، تجد أخرى تعدنا بالحرمان .

وكل ما ينشر مع ذلك لا يذكرنا بالحقيقة الأهم : وهي « أن فهم سبب ازدياد وزننا يمكن ان يتم من خلال القضاء على العادات السيئة » التي نتناول بها طعامنا على سبيل المثال .

ولا يكفي « أن يكون ريجيم ما فعالا فقط » كي يكون مثاليا ، بل يجب أن لا يحمل معه كذلك أي خطر علينا . وحين ينهال سيل الاعلانات الدعائية ـ وخصوصا في فصل الربيع ـ حول المراكز الخاصة بتخفيف الوزن ، فحري بنا أن نعلم حقيقة ما تخفيه هذه الوعود الجذابة خلفها ، وذلك من خلال النظر اليها بعين خاصة ، كي نستطيع التمييز بين تلك الوصفات البطيئة ، لكنها أكيدة ، والأخرى السريعة ، ولكنها محاطة بالخطر .

اكتساب العادات

يبدأ اكتساب عادات الطعام بعد يومين أو ثلاثة من ولادة الانسان ، وكون الطفل يرضع من أمه ، أو يتناول حليبا تجاريا ، يلعب دورا هاما في هذه العادات ، بعد أن اثبتت دراسات جرت في بريطانيا على أن الرّضاعة تعطي قابلية للبدانة عند الأطفال .

وقد أجرى البحث على ٢٥٠ طفلا ، يبلغ عمر كل منهم ستة أسابيع ، ممن جاءوا للدنيا بولادة طبيعية ، وبعد حمل طبيعي وجيد ، وأثبتت نتائجه أن ٦٠٪ ممن كانوا يتناولون حليبا تجاريا قد اكتسبوا بداية تهبط نسبتها الى ١٩٪ عند الأطفال الذين كانوا يرضعون حليب أمهاتهم .

ولسبب غير معروف فقد درج الجميع على اعتبار الطفل السمين هو المتكامل صحيا ، وهو أمر يبرز واضحا من خلال مثل هذه الصور التي تطبع عادة على أغذية الأطفال ، والتي تظهرهم بخدود وأذرع

* دكتوراة في علاج القنوات الجذرية ، خريج كلية طب الأسنان ، ومساعد جامعي في جامعة أثينا .

منتفخة ، الأمر الذى يدفع كثيراً من الآباء لاشباع أبنائهم أكثر من اللازم ، كى يصبحوا صورة عن أطفال الدعايات هؤلاء متناسين أن هذا الطفل ذاته سيسعى فى المستقبل لتخفيف وزنه ، ليصبح أكثر شبها بأحد موديلات الدعاية ، وبينما تمد زجاجة الرضاعة الأطفال بسعرات كافية ، لكنها مع ذلك لاتمنحهم متعة الرضاعة من صدر الأم، وهكذا تبدأ دورة السمنة بفقدان القدرة على الاشباع لدى الأطفال الذين رضعوا من الزجاجة .

كذلك فالطفل الذى يرضع من ثدى أمه يتناول الحليب الذى يحتوى على أكبر قدر من الدهون ، ويعرف متى سيتوقف عن الرضاعة ، تلك المعرفة التى سيحملها معه عند بلوغه ونضوجه ، بينما وعلى العكس من ذلك سنجد الأطفال الذين اعتادوا على الرضاعة من الزجاجة يأكلون دوما حتى « التخمة » .

هكذا وكما يقول أحد أساتذة طب الأطفال حول هذا الموضوع : فأطفال الزجاجة قد حكم عليهم بالسمنة نتيجة للسيطرة السيئة على تغذيتهم . فهم يتناولون سعرات أكثر لاشباع شعورهم بالجوع ، ذلك الشعور الذى قد لا يكون له وجود ، حيث أنهم ولسبب العادة التى حملوها معهم من طفولتهم يواصلون تناول سعرات أكثر من تلك التى يحتاجونها .

واذا تركنا موضوع الزجاجة جانبا فالوالدان يقودان أطفالهم عادة لعادات سيئة على المائدة ، مثل تلك التهديدات التى تتكرر على مسامع الطفل من نوع « لن تنهض عن المائدة قبل أن تفرغ طبقك » وهى تهديدات تجبر الطفل على الأكل حتى وان لم يكن جائعا بالفعل .

كذلك فعبارة « كل حتى تصبح أفضل » تجعل الأطفال يعتقدون بأن جودتهم ترتبط مباشرة بتناولهم للطعام ، ورغم نسياننا للكثير من أمور طفولتنا عند البلوغ ، الا أننا جميعا وبلا وعى نتابع عادات الطعام التى اكتسبناها خلال تلك السنوات ، التى لا نتعلم فيها فقط ماهية الطعام الذى نفضله ، بل نتعلم فيها كذلك أين ومتى وكيف ومع من ؟

الوصايا العشر ضد السمنة :

١ ـ اشتر ميزانا جيدا لك وآخر للأطعمة التى تتناولها .

٢ ـ ضع هدفا بعيد المدى لتخفيف وزنك ، لكن

الوزن المثالي للنساء

الطول بالأمتار	هيكل رفيع بالكيلوغرام	هيكل متوسط بالكيلوغرام	هيكل ثقيل بالكيلوغرام
١,٤٧	٤٥ـ٤٢	٤٨ـ٤٤	٥٣ـ٤٧
١,٥٢	٤٧ـ٤٤	٥١ـ٤٥	٥٦ـ٤٩
١,٥٨	٥٣ـ٤٦	٥٣ـ٤٨	٥٩ـ٥٢
١,٦٣	٥٢ـ٤٨	٥٧ـ٥١	٦٢ـ٥٥
١,٦٨	٥٥ـ٥١	٦١ـ٥٤	٦٦ـ٥٨
١,٧٢	٥٩ـ٥٤	٦٥ـ٥٨	٦٩ـ٦٢
١,٧٨	٦٣ـ٥٨	٦٨ـ٦٢	٧٣ـ٦٥
١,٨٢	٦٧ـ٦٢	٧٢ـ٦٦	٧٨ـ٦٨

● ارتفاع النساء بكعب ٥ سم

الوزن المثالي للرجال

الطول بالأمتار	هيكل رفيع بالكيلوغرام	هيكل متوسط بالكيلوغرام	هيكل ثقيل بالكيلوغرام
١,٨٥	٥٤ـ٥٠	٥٨ـ٥٣	٦٤ـ٥٧
١,٦٣	٥٧ـ٥٣	٦٢ـ٥٦	٦٧ـ٥٩
١,٦٨	٦٠ـ٥٦	٦٥ـ٥٨	٧٠ـ٦٢
١,٧٢	٦٤ـ٥٩	٦٨ـ٦٢	٧٥ـ٦٦
١,٧٨	٦٨ـ٦٣	٧٢ـ٦٦	٧٨ـ٧٠
١,٨٢	٧٢ـ٦٧	٧٧ـ٦٩	٨٣ـ٧٤
١,٨٨	٧٥ـ٧٠	٨١ـ٧٣	٨٧ـ٧٨
١,٩٣	٧٩ـ٧٤	٨٦ـ٧٨	٩٢ـ٨٢

● ارتفاع الرجال بكعب ٢,٥ سم

لأجل تحقيقه فعليك ابتداء من اليوم مقاطعة الحلوى والأطعمة الأخرى التي تسبب السمنة .

٣ ـ لا تعمد الى القفز على احدى الوجبات ، فأنت في الوجبة التالية ستتناول طعاما أكثر .

٤ ـ اقطع الملح . فكثرته تحتجز الماء في الكائن ، وتأثيره سيء بشكل عام ، انتبه لتغذيتك ، مراعيا احتواءها على السعرات الكافية ، وتوخ الحرص في قراءة الأوراق المغلفة للأطعمة .

٦ ـ تناول طعامك في أطباق صغيرة ، فالطعام بداخلها سيبدو كثيرا !

٧ ـ تناول طعامك حين جلوسك على المائدة فقط ، بمعنى أن تمتنع عن التوقف أمام محال الشواء أو الفطائر أو الأطعمة السريعة بشكل عام .

٨ ـ لا تتناول طعاما حين اشتغالك بعمل ما ، فالمطالعة ومتابعة التلفاز والحديث على الهاتف مثلا كلها أمور تجعلك تأكل الكثير بلا وعي .

٩ ـ ضع برنامجا يوميا مكتوبا لما ستأكله ، على أن يشمل البرنامج كل شيء من طعام الافطار حتى قهوة الصباح .

١٠ ـ لا تأكل كل ما يوجد بداخل طبقك ، وتعلم في منزلك تناول القليل ، حتى يتسنى لك في حال جلوسك في أحد المطاعم ـ مثلا ـ أن تكتفي بقليل من السعرات .

طرق الريجيم

ولنتحدث قليلا عن طرق الريجيم التي تمارس في المراكز المتخصصة بذلك ، وخصوصا وان منها ما ذاع صيته .

ان مثل هذه المراكز تفشل تماما في تحقيق مهمتها ، لأنها تعمل على جعلك زبونا لها يتردد عليها باستمرار . وحتى أولئك الذين يصلون لها ويعيشون بداخلها كالسجناء فهم حال مغادرتهم لها يعاودون الأكل بنفس الشهية ، كما كانوا يأكلون في الماضي ، لعدم تعلمهم بها كيف يأكلون .

وكانت خريستينا او ناسيس قد ترددت على أحد هذه المراكز ، لكنها لم تنجح مطلقا في الوصول لمبتغاها ، بينما استطاعت بترددها على أحد الأطباء المختصين تخفيف وزنها ١٠ كغم ، اكتسبتها ثانية لأنها تتناول من ١٠ ـ ١٥ زجاجة مرطبات يوميا .

وهكذا يبدو من المؤكد أن الطريقة السليمة هي في أن يتعلم الشخص كيف يأكل ، فنحن جميعا قد

اعتدنا الى حد ما طريقة خاصة بنا في حياتنا وفي تناولنا للطعام ، لكن مع مرور الوقت ، يبدأ هدمنا يعمل ببطء أشد ، وهكذا فالطعام الذي كنا نتناوله دون أن يكون له عواقب سلبية على وزننا ، يعمل الآن على زيادته العمودية .

وهذا الأمر يسري بشكل خاص على الرجال ، بينما لا يسري مثل ذلك على النساء بسبب الدورة الشهرية التي تزيد بعض الهرمونات ، وتهدم الدهون بشكل أكبر . هذا سر اكتسابهن للوزن الزائد خلال أيام الحيض .

ولشرح ذلك نقول . بأن رجلا ما يقوم بعمل الريجيم ، يستطيع أن يفقد ١٠ ـ ١٢ كغم شهريا ، بينما لا يمكن للمرأة أن تفقد كل هذا الوزن .

لكن كيف تبدأ هذه العادات ، بعد أن ثبت لنا أنها هي ـ وليس الجوع ـ المسئولة مباشرة عن زيادة وزننا ؟ بعض العادات كما هو معروف تعمل لفائدتنا مثل التطلع يمنة ويسرة قبل عبور الشارع ، لكن بعضها يعتبر مدمرا مثل الأكل الاجباري والمضغ الذي يتواصل بلا انقطاع طوال النهار .

إعمل كثيرا لتبقى نحيفا

يقول الدكتور ستورت في كتابه « تحرك كثيراً وابق نحيفاً » بان « اولئك الذين يأكلون خلال ساعات الليل هم أفراد يشعرون بالعزلة ، بسبب عمل أو نوم باقي أفراد عائلتهم ، كذلك فالشعور بالوحدة أو الملل قد ينتابهم ، لأنهم يقللون من نشاطاتهم خلال تلك الساعات ، ويلجأون بالتالي لالتهام الطعام .

والحقيقة المرة بهذا الشأن ، هي أن أصحاب الوزن الزائد نادرا ما يشعرون بالجوع الحقيقي ، لذلك فمن النادر لهم أن يستمتعوا بالفعل بما يأكلون .

وقد قام الدكتور Stanely Schachter من جامعة كولومبيا ببحث تجريبي أثبت فيه صحة هذه

المقولة . وكانت خلاصة أبحاثه : « أن أصحاب الوزن الزائد لا يعرفون متى يكونون جائعين أو متخمين ، فهم لا يأكلون لأن معدهم خاوية . . .

وحسب أقوال استاذ علم النفس Leonard Cammer فالأكل يجلب الأكل ، ويسبب لصاحبه شعورا بالرثاء على حاله ، لانه لا يستطيع المقاومة والتوقف عن ذلك . فحين يقوم الانسان بالتحايل على مشاكله النفسية وجوعه النفسي بالأكل ، فهو يجعل من الطعام بديلا لكل ما يفتقده

الريجيم الجيــــد

ما هي المعايير التي يجب وضعها بعين الاعتبار للحكم على نوعية ريجيم ما بالجودة وعدمها ؟ لقد وضع الاتحاد الأمريكي لحماية المستهلكين المقاييس التالية :

١ ـ ان كان هناك من يتربص الربح من وراء طريقة محددة ببيع الأدوية وما يتعلق بذلك .

٢ ـ ان كان صاحب الطريقة قد قام بتجربتها على مئات أو آلاف السمناء ، ثم قام بعد ذلك بنشر النتائج في مجلة طبية معترف بها . واذا كان الجواب بالنفي فالطريقة ما زالت في طور التجربة ، ويمكن بالتالي عدم الاعتماد عليها .

٣ ـ ان كانت هذه الطريقة تستند الى « سر » لم يعثر عليه واحد من قبل ، واذا كانت النتيجة بالايجاب فينصح بعدم الاقتراب منها ، لان مثل هذه الأسرار لا وجود لها ، ولنتذكر دوما بأن أي طريقة للريجيم قد تمكننا من خسران مؤقت لشيء من وزننا ، لكن السر الوحيد يبقى في أن نعاود اكتساب هذا الوزن ثانية .

٤ ـ هل الطريقة متوازنة غذائيا ؟ واذا كان الجواب بلا فيجب توخّ الحرص ، فالطرق المتوازنة هي الوحيدة التي لا خطر منها ، ومثل هذه الطريقة ستقدم أنواعا مختلفة من الطعام ، تشمل جميع الأصناف الأساسية : لحم ، سمك ، مشتقات الحليب ، الخضراوات ، الفاكهة ، والحبوب .

اذن ما هي الخطوة الصائبة والسليمة في هذا الطريق ؟

والسؤال المطروح بعد هذا العرض : ما هي الطريقة السليمة لتخفيف الوزن ؟ وماذا يتوجب فعله كي نفقد وزنا كافيا بأمان وللأبد ؟

من المستحيل الاتفاق على طريقة يمكن اعتبارها ثابتة ومناسبة للجميع ، فالطريقة التي يحتاجها شخص معين قد تختلف عن تلك التي يحتاجها شخص آخر ، لاختلاف الافراد واختلاف الطاقة التي يستهلكها كل منهم .

ولا يمكن العثور على طريقة مناسبة في الوقت ذاته لأحد العمال ولامرأة كبيرة السن ولطفل في العاشرة من عمره مثلا ، رغم أن جميعهم يعانون من المشكلة ذاتها : السمنة .

وتزعم كثير من الطرق المتداولة صلاحيتها للجميع ، لكن المؤكد هو أن مثل هذه الطرق ستفشل في الوصول الى تحقيق مزاعمها ، وهو أمر يعني أن على كل منا بصفته فردا مستقلا ، أن يبحث من أجل العثور على الطريقة التي تلائمه لتخفيف وزنه .

والخطوة الأولى تكمن في التعرف على القيم الحرارية « السعرات » كي يتم التمييز بعد ذلك بين الأطعمة الغنية بالسعرات لتجنبها ، وتلك الفقيرة بالسعرات للجوء ليها . ثم علينا أن نعثر على أسباب اكتسابنا لكل هذا الوزن ، كي يتسنى لنا فيما بعد اجراء محاولة تخفيفه شيئا فشيئا : فمن غير المجدي أن نحاول التخلص من الوزن الذي يضايقنا بطريقة من تلك التي يسمونها سريعة ، وذلك لأن فقدان الوزن الزائد ببطء يضمن لنا عدم اكتسابه ثانية ، وسبب ذلك هو أننا نعتاد بهذه الطريقة على عادات تغذية جديدة ، سوف تمكننا آلية اكتسابها البطيئة ، من الاحتفاظ بها طوال حياتنا ، لاستبدال العادات فيما بعد بالمعلومات

وهكذا فالهدف هو أن نبقى نعج بالنشاط ، مع بقاء نسب ميزاننا ثابته ، ولا شك أن الطريقة الأكيدة في هذا المجال تبقى حساب السعرات ومقارنتها بمؤشر النشاط .

وبعد ، فالعرض الذي تقدم لم يكن يهدف لاضافة وصفة جديدة لتلك التي ضجت بها الأسواق ، لكنه يرميّ لالقاء الضوء على جوانب الموضوع المختلفة ، حتى يختار كل منا ما يتلاءم مع خصوصياته . □

كي تنمو ألف زهرة

يلملم العام أطراف أيامه الباقية ويمضي ، بكل ما فيه يمضي . . تنقص أعمارنا عاما ، تسقط أحلام لنا كنا نأمل تحقيقها ، وتولد أحلام جديدة ، ويمتلىء فمنا بالماء والمرارة لأصدقاء رحلوا وهزائم لحقت بنا ، وفي نهاية العام نشعر أن كل ما حولنا ليس جميلا بالقدر الذي كنا نتوقعه ونتمناه ، في مثل هذا الوقت من عام مضى .

وبرغم قسوة العام . . الا أنني غفرت له وتصالحت معه ، ففي ذات صباح مضى وجدت فوق مكتبي العدد التجريبي الأول لمجلة « العربي الصغير » . . وكانت المفاجأة !!! لا أزعم أنني فوجئت بها أو بصدورها ، فكلنا منذ شهور نعلم عن هذا المشروع الذي يجلس فريق عمله في غرفة خاصة . . مغلقة طوال الوقت ، رائحة التبغ والقهوة تملأ أرجاءها . . والألوان وقصاصات الورق . . تتناثر فوق الأرض والمكاتب . . وكلنا منذ شهور نرقب ما سيتوصل اليه هذا الفريق الذي يحمل أفراده جنون الفن وابداعاته ، ورقة الطفولة ونقاءها . . كان اختيارهم من بيننا عجيبا . . رائعا . . . فجميعهم فيهم هذه العذوبة الانسانية ورقة المشاعر . . وعمق التفكير والاهتمام . . وكلهم يحمل همّ أمته العربية على امتدادها بشكل أو بآخر ، وعندما وجدت نتاج ما توصلوا اليه رقص قلبي كطفل مرح مغتبط ، وتألق عقلي يحلم لأبناء هذا الوطن بعالم أسعد وأجمل ، ومع صفحات العدد أحسست أن هذا عمل غير عادي ، فلأول مرة في عالم صحافة الطفل تخرج مجلة او مطبوع ليخاطب الأطفال من سن ٦ سنوات حتى الرابعة عشرة ، فقد كانت الأزمة دائما أن مجلة الصغار تظل للصغار ، ولكنها تصبح دون مستوى الصبية في سن التاسعة والعاشرة ، ومجلات الصبية أكبر من مستوى الصغار في سن السادسة وما فوقها . . وكان حل هذه المشكلة في العدد التجريبي موفقا ومرضيا .

كانت أزمة مجلات الأطفال دائما أن تقدم هذا المزيج من اللهو والقصة والألوان والعلم ، ومتابعة العالم في كل ما حوله . . أي بمعنى أدق الاسهام في تنوير عقل الطفل العربي ، والرقي بذوقه ووجدانه . . وهذا ما أسعدني وصالحني الى حد ما مع عام مضى . . انها دعوة للقراءة والتوقع والترقب ، لعمل ابداعي انساني قادم ، أمل أن يسهم في أن تنمو في وطننا العربي ملايين الزهور .

محمود عبد الوهاب

هــو....

وَالِــدُه

عفـوا .. لاتتهموني بـالانـانيـة ولا بالجحود ، فلم يكن في طبعي أبدا نكران الفضل ، ولا التخلي عن مساعدة المحتاج ، ولم يكن في تصوري أبدا أن أضيق أو أضجر بما يحدث ، ولكن ضعوا أنفسكم مكاني ، وتصوروا ما يحدث ، واحكموا لي أو علي .

تزوجت منذ ثلاث سنوات ، وشاءت الظروف أن أسافر مع زوجي الى احدى البلاد العربية عقب زواجي بثلاثة أشهر ، ضمن أفواج الهجرة العربية الداخلية ، واستقرت بنا الحياة ، يوم عمل طويل وشاق في ظروف مناخية قاسية ، ولم يكن في هذا ما يسبب لنا ضيقا ، فنحن لم نسافر لنتنزه ، ولكن لنبذل جهدا ووقتا ونؤدي عملا مثمرا . وبعد فترة بدأت الأزمة . . . وصلتنا رسالة من والد زوجي يطلب فيها منه أن يرسل له مبلغا من المال ، للمشاركة في بناء بيت يبنيه له ، وتوالت الرسائل طالبة المزيد من الدفعات المالية . . دفعة من أجل أعمال البناء ، ودفعة من أجل الطابق الثاني ، وثالثة لأعمال النجارة ، ثم هموم التأثيث وغيرها ، وتوالت بعد ذلك طلبات ارسال أدوات كهربائية . . وثلاجة وغسالة ، ولم تنته الرسائل ولا الطلبات .

وعلى مدى أعوام ثلاثة ظلت طلبات أهله تتوالى . . بينما كنا قد رزقنا بطفل . . وكلما طلبت منه أن نخصص لطفلنا مبلغا من مدخراتنا لتأمين مستقبله . . أو نبدأ نحن في أن نؤمن لانفسنا بيتا ، أو على الأقل أن نستمتع باجازتنا الصيفية ، بدلا من قضائها في البيت لضيق ذات اليد . . كان زوجي يعترض ولايلقي لي سمعا . ويظل يحدثني عن ان المستقبل لنا ، وأننا سوف نحقق مانريد مع الوقت والزمن ، وانه لايستطيع أن يكون أقل من أخوته الذين يساهمون جميعا في تحقيق طلبات والدهم ، بما فيهم شقيقتاه اللتان لم تتزوجا بعد ،وكلما قلت له أن والده يزيد في طلباته ، وان ما يطلبه ليس لحاجة حيوية ، بقدر ماهو ترف ورفاهية زائدة ، وانه يجهد أبناءه ويشق عليهم ، كلما قلت هذا احتد زوجي وصاح بي ان هذا تدخل لايليق ،وان والدهم من حقه أن يطلب ما يشاء . . وانهم لن يوفوه حقه أبدا .

وعفوا . . لاتتهموني بالجحود . . ولكن كما قلت لكم ضعوا أنفسكم مكاني واحكموا لي أو علي .

هي

هي ....

.. وبارًّا بوالدي

● كنا ستة أبناء .. أربعة ذكور وفتاتان .. وكان والدنا موظفا بسيطا ، لايكاد راتبه المتواضع أن يوفر لنا نفقات الحياة والتعليم .. على كل حال تعلمنا جميعا حتى أنهينا دراستنا الجامعية ، ونذكر الآن كم كان ثمن ذلك كبيرا ، بدلة واحدة يتيمة كان يرتديها أبونا شتاء ، وما كان أطوله وأشد برده .. وقميصان يتبادلهما في الصيف .. وظل والدي يعمل حتى يوم احالته الى التقاعد .. كان يسير من البيت الى مقر عمله ليوفر ثمن المواصلات ، ويتعلل بقوله انها رياضة المشي التي تحفظ له صحته ، كان يقضي الساعات الطويلة في البيت ، يصلح مقعدا مكسورا أو منضدة ، وعندما كنا نجلس للطعام كان يوزع علينا اللحم الذي لم نكن نأكله كثيرا - ويظل هو متلكئًا في طعامه ، ثم يوزع علينا نصيبه مرة أخرى .. كانت أيام نحس بوقعها وآلامها

ونحس بالهم والأسى على وجهه الضاحك الطيب .. ومع الأيام والوقت والزمن فهمنا ... وكلما نضجنا كان فهمنا يزداد وتقديرنا يكبر .. واحساسنا بقيمة ما فعل يتعاظم .. وجاء زمان سداد جزء من الجميل .. ظروفنا أصبحت أكثر رخاء .. والأيام أهون ، والعيش أيسر .. فليس هناك أفضل وأروع من أن نحقق له ولو جزءا من أحلامه التي تنازل عنها طويلا من أجلنا .. طوال عمره كان يحلم بأن يبني بيتا فوق قطعة أرض صغيرة يمتلكها ، كان يدخرها للزمن اذا غدر به واختطفه من بيننا قبل إنهاء رسالته ، والحمد لله ان أبقاه معنا ولنا .. فعاد حلمه يداعب خياله ، ولم يكن أمامنا الا أن نحاول مشتركين أن نحقق له حلمه .. أو بعضا من حلمه .. وفاء وبرا وتقديرا .. حياته التي وهبها لنا راضيا لم يكن أمامنا أبسط من أن نجعل ما بقي له منها جميلا رغدا وسهلا .. ولكنها - زوجتي - سامحها الله - لم تكن معنا في الأيام التي مضت ، ولم تعش ما عشناه ، ولم يمتلىء قلبها رغبة في الوفاء والبر ثمنا لتضحيات ، نحن فقط الذين نعرفها .. ومهما حاولت أن أقول لها ان هذا بعض دين .. تقول وهل ينتظر أي أب من أبنائه رد ما فعل .. لو قلت ان هذا بر وتنفيذ وامتثال لما أمر الله به . تقول ولكن البر والطاعة لها حدود .. « برهم بفضل مالك وما يزيد عنك ، وليس بما يحتاجه صغارك » .. ولانها لم تعش ماعشناه فهي لن تقدر أبدا مانقدره .

هو

من الحياة

أمُّ الشَّهيد !

بقلم : منير نصيف

هل يكفى أن تدفن أحزاننا ؟ إن التخلص من الحزن وحده لا يكفى .. لا بد أن نفعل شيئا نخفف به من أحزان الآخرين .

أحبت الحياة والناس ، فقد علمتها أمها أن الحب هو أجمل شىء فى الوجود .. الحب بمعناه الكبير لكل من يشاركنا وجودنا فى هذا العالم المضطرب الذى امتلأ بالأحقاد .. وأحبت الجبل والسهل والبحر تلك التى نشأت فى أحضانها .. وكبرت الطفلة الصغيرة ، وتعلمت وأصبحت زوجة رجل طيب القلب كان يعمل روائيا .. وأنجبت منه أربعة أطفال : ثلاث بنات ، وولداً واحدا .

فى البداية كانت حياة الأسرة الصغيرة سعيدة هانئة فى ربوع هذا البلد الهادىء .. ومرت الأيام وكبر الأطفال الصغار ، وتزوجت البنات الثلاث ، وحملهن ازواجهن ليبدأن معهم حياة جديدة ، فى بلد بعيد لا يمت الى هذا الجزء من العالم الذى نشأن فيه بصلة .. وكانت الأم سعيدة رغم افتراقهن عنها .. فقد كانت رسائلهن اليها تحمل كل ما تتوق الأم الى سماعه !

وعاشت لابنها الذى ارتبط بالأرض التى أنجبته ، وأحبها ورفض أن يبتعد عنها ، حتى عندما فاز بمنحة دراسية فى احدى الجامعات الأوروبية بعد حصوله على البكالوريوس فى الهندسة الميكانيكية التى كان يعشقها منذ طفولته ، عندما كان يمضى الساعات يتأمل أصابع المهندسين الذين يعملون فى مصنع النسيج الذى يمتلكه جده !

وفجأة بدأت الحياة تضطرب فى البلد الصغير ، الذى كان ملجأً لكل باحث عن الهدوء وسط ربوعه وأشجاره الباسقة .. وشيئا فشيئا تحول الاضطراب الى حروب صغيرة ، ما لبثت أن كبرت واستعرت نيرانها ، عندما جاء العدو حاملا عدته وعتاده ، بحثا عن موضع قدم فى الأرض التى مزقتها الخلافات والمنازعات .

وجاء الشاب يوما يهمس فى أذن أمه : « أريد أن أشارك فى الدفاع عن بلدى يا أمى .. أريد أن أتقدم الصفوف ، ليكون لى شرف المساهمة فى صد هذا الاعتداء عن الأرض التى أحببناها !

واستبد الفزع بالأم وهى تستمع الى حديثه الهامس .. ولكنها عندما نظرت اليه وراحت تتطلع فى عينيه أحست أن أية محاولة ستقوم بها لاقناعه بالعدول عن القرار الذى اتخذه ، لن تفلح فى ثنيه عن عزمه .. لقد وجدت نفسها لأول مرة تتطلع الى وجه غريب لا تعرفه .. كانت تقاطيع وجهه تنطق بتصميم وعزم أكيدين .. كانت نظرات عينيه القوية الجامدة تقول لها : « لقد أصبحت رجلا يا أمى .. لم

أعد ذلك الطفل الصغير الذى كنت تخافين عليه من نسمة الهواء التى يحملها لنا الجبل ! » .

واصطنعت الأم ابتسامة ، ولكنها لم تنجح فى اخفاء الدمعة الصغيرة التى اختلطت بها ! وقالت : « الله يرعاك يا بنى .. اذهب .. وسأكون معك بقلبى فى كل لحظة ولا تنس أن هناك أما وأبا بجانبك وينتظران عودتك اليهما سالما ! » .

وفى صباح اليوم التالى جاء ليودعها وينحنى ليلثم يدها بشفتيه ثم عانق والده الذى راح يربت على كتفه ويدعو له .. ثم وقف الاثنان على باب البيت الخارجى يلوحان له بأيديهما .. ولم ينظر الفتى وراءه .. كان يمشى بخطا ثابتة قوية ، وقد ارتدى بدلته العسكرية .. وعندما وصل الى السيارة التى كانت فى انتظاره لتقله الى ميدان القتال على الحدود التى يرابط عندها العدو ، لم يستطع ان يقاوم الرغبة فى القاء نظرة أخيرة على البيت الذى احتضنه صغيرا .. وعلى الابوين اللذين كانا يتمزقان فى داخلهما خوفا عليه وحزنا على فراقه الى هذا العالم البعيد القريب الذى امتلأ بالنيران والدماء .

ومرت اسابيع طويلة انقطعت فيها اخبار المحارب الشاب عن والديه تماما .. كانت اخبار القتال الدامى تصلهما عبر اجهزة التلفاز والاذاعة ومن خلال ما كانت تحمله اليهما الصحف .. ولكن اين هو فى هذه المعارك التى يسقط خلالها العشرات كل يوم بين قتيل وجريح ؟ .

وجاء الخبر الحزين أخيرا : « لقد سقط الابن شهيدا .. مزقته قذيفة اطلقها العدو وهو يقاتل فى شجاعة .. لقد كان أحد اربعة من الجنود الذين تطوعوا للقيام بعملية انتحارية وراء خطوط العدو .... ونجحوا فى نسف الامدادات قبل وصولها .. ولكنهم لم يتمكنوا من العودة ...

كانت هذه هى آخر رحلة لهم فى القتال الذى استمر اسابيع طويلة على الجبهة .. لقد مات الابن بطلا !

ولكن الام الملتاعة رفضت أن تصدق ان ابنها ذهب ولن يعود .. فى الأيام الاولى بعد ان تلقت الخبر كانت تذهب الى غرفته وتجلس على المقعد الصغير أمام مكتبه تتأمل صورته وهو طفل بين ذراعى

والده .. وكانت تحدثه ، وتسمع صوته وهو يناديها عندما يعود من مدرسته في المساء .. كان كل شيء حولها في الغرفة الصغيرة يقول لها إن ابنها لم يمت .. ربما ذهب في رحلة طويلة بعض الشيء .. ولكنه لن يلبث ان يعود منها .. لقد وعدها قبل ذهابه بأنه سيعود اليها ، وهو لم يخلف وعداً طوال سني حياته قريبا منها .. في طفولته .. وفي صباه وشبابه وعندما رأته رجلا لأول مرة وهو يضع جسمه في بدلته العسكرية !

وكانت دموعها تبلل ذكرياتها عن تلك الايام الحلوة التي كانت ترعى فيها أبناءها وهم يحبون على شاطىء الحياة .. كانت تبكي ولكن في صمت حتى لا يسمعها والده وهي تنتحب !

ولكن احزان الام لم تدم طويلا .. فقد قررت أن تصنع شيئا من أجل ابنها الغائب .. انها لم تعد تحتمل الاستسلام لاحزانها .. لم تعد قادرة على الاستمرار في البكاء والحياة مع الذكريات .. انها تريد أن تحتفظ له بذكرى واحدة حلوة عطرة تبقى حية دائما ابداً في مخيلتها لا تفترق عنها ولا تفارقها .. ذكرى ذلك اليوم الذي وقفت ترقب فيه ولدها وقد اصبح رجلا !

ومضت بضعة شهور ، والحرب ما زالت دائرة والقتال الدامي يتفاقم ويحتدم ، ودماء الشهداء تروى الأرض الخضراء التي تحولت الى خرائب ودمار وركام .... وبحثوا عن أم الشهيد ووالده . ولكنهم لم يعثروا لها على اثر .. لقد تركا البيت والحي ، والبلدة حيث كانت أجمل سني حياتها واختفيا تماما ..

اين ذهبا ؟ لا احد يعرف .. هل سافرا الى بناتها اللائي يعشن في ذلك البلد البعيد سعيا وراء حياة آمنة وهربا من هذا الجحيم ؟ ربما !

وتشاء الصدفة وحدها أن يعود أحد زملاء الابن الشهيد الى البلدة بعد غيبة طويلة في جبهة القتال .. يعود بعد أن شفي تماما من الاصابة الخطيرة التي اضطر معها الاطباء الى بتر احدى ساقيه !

ويروي المقاتل قصته « لقد وجدتها .. ام صديقي الشهيد ووالده .. لن انسى ابدا ما صنعته هذه الام العظيمة من اجلي .. لقد حملوني الى مستشفى صغير يقع عند سفح الجبل ، كنت بين الحياة والموت .. في سيارة الاسعاف التي تقلني بعد اصابتي .. ولم اكن اشعر بشيء مما يدور حولي ، فقد كنت فاقد الوعي ، حتى الآلام التي نتجت عن اصابتي لم اكن احس بها !

« وعندما فتحت عيني بعد الجراحة التي اجريت لي وجدتها هناك تقف بجوار فراشي وتمسك بيدي وعرفتها على الفور ... إنها أم زميلي وصديقي الذي استشهد منذ عدة شهور .. كانت ترتدي ملابس الممرضات البيضاء وتضع على غطاء رأسها الهلال الاحمر .. قالت وهي تمسح العرق الذي كان يتصبب من رأسي ويملأ جبهتي : « أنت بخير يا بني ... سوف تعيش .. لقد كانت حالتك خطيرة ، ولكن الاطباء بذلوا جهدا كبيرا من اجل انقاذك من الموت !

« ومددت يدي أتحسس ساقي التي بترت .. ووجدتها تسرع اليها لتبعدها عن مكانها .. وتقول في صوت هادىء : « لم يكن امامهم الا ان يفعلوا ما فعلوا .. على أية حال ان الحياة بساق واحدة أفضل من لا حياة .. ثم لا تنس أن الطب قد تقدم وسوف يصنعون لك ساقا تستطيع أن تمشي بها ، وتعيش حياة طبيعية !

ومضى الشاب يكمل قصته : « لقد امضت النهار كله معي ... كانت تجلس بجواري ، وتتطلع الى بين الحين والحين ، وكأنها ترى في وجهي ابنها الذي ذهب ولن يعود ، كانت تحكي عنه ، وعن طفولته التي نشأت معه فيها وتذكرني باللحظات التي كنت ارافقه فيها الى البيت عندما كانت تقوم باعداد طعام الغداء لنا نحن الاثنين .

وعاد الاصدقاء والجيران يسألون الجريح العائد وهو يمضي في سرد قصته : « هي الآن تعمل ممرضة اذن في هذا المستشفى القريب من ميدان القتال ؟ وقال الشاب : « لا انها صاحبة المستشفى الذي يحمل اسم ابنها الشهيد .. لقد شيدته من مالها الخاص .. وهي التي اختارت ان تعمل فيه ممرضة ، تعنى بالجرحى الذين ينقلون اليه ؟

ووالده اين ذهب ؟ ماذا صنعت الأيام به ؟

انه يعكف على كتابة مؤلف جديد يروي فيه قصة البلد الذي احترق كل شيء فيه .. لقد لقيته قبل خروجي من المستشفى بيوم واحد وسألته عن العنوان الذي اختاره لكتابه .. فقال : انه « مأساة بلد ذبحوا أهله ! » . □

طبيب الأسرة

قضايا منزلية

احذروا عضة العنكبوت

بقلم الدكتور حسن فريد أبوغزالة

يخطىء أغلبية الناس في اعتقادهم أن العناكب انما هي نوع من الحشرات وماهي بالحشرات، فهي تختلف عنها اختلافا واضحا يميزها عن أبناء عمومتها من أنواع الحشرات، فصيلتها مستقلة تسمى بالعناكب، إلا أنها مع ذلك تنتمي هي والحشرات الى عائلة واحدة هي المفصليات.

هناك مايربو على ألفي نوع من انواع العناكب التي تتميز بوحدة الصدر مع الرأس، وبوجود ثماني أرجل في الجسم وثماني أعين في الرأس، بينما الحشرات لها ست أرجل فقط وزوجان من العيون وجسم ذو ثلاثة أجزاء منفصلة هي الرأس والصدر والبطن.

والعناكب لاتلسع أو تلدغ وانما تعض والقليل منها سام أو مؤذ، أشهرها مايسمى العنكبوت الناسك البني، وعنكبوت الأرملة السوداء، وعنكبوت أبو شبت (الشائع في البلدان العربية).

ان العنكبوت الناسك يتميز بلونه البني الداكن، وشكله البيضاوي الأقرب شبها بآلة الكمان وعيونه الست الامامية، وطوله الذي يتراوح بين السنتيمتر والسنتيمتر والنصف، وعضة هذا العنكبوت قد لاتؤلم أول الأمر ولكن بعد ساعات قلائل (٢ ـ ٨ ساعات) يبدأ الالم وتظهر منطقة حمراء مكان الوخز، تظهر وسطها حوصلة أو فقاعة محاطة بدائرة بيضاءويتلو هذا امتداد للاحمرار بصورة نجمية به تصلب، ثم يصبح اللون بنفسجيا داكنا يوحي بوفاة جلد المنطقة، مما ينتهي الى قرحة تدوم اسبوعين أو ثلاثة وربما تصبح قرحة مزمنة لاتلتئم، مما يحتاج معه المصاب الى عملية ترقيع جلدى.

ويصاحب هذه التغيرات الموضعية ردود فعل عامة كالحمى والضعف والتوعك العام والغثيان والآلام المفصلية، وربما الطفح الجلدى العام واليرقان والتشنج العام.

كما تعطي التحاليل المخبرية صورة فقر الدم، وزيادة الخلايا البيضاء مع ظهور الزلال والدم في تحاليل البول، ان علاج عضة العنكبوت الناسك هذه تتطلب وضع العضو المصاب في كمادات الماء البارد والثلج المجروش واعطاء العقاقير المضادة للحيوية والمضادة للحساسية (الكورتيزون ومضادات الهستامين).

أما عنكبوت الأرملة السوداء فهو أخطرها ويتميز بجسمه الأسود اللامع المستدير ، وطوله حوالى ١٥ مليمترا أما عرض بطنه فهو ١٠ مليمترات ، والانثى هي التى تعض دائما بينما الذكر مسالم اصفر اللون

وقد لايحس المصاب بعضة العنكبوت فى اول الأمر ولكن الساعات التالية تحمل له آلاما شديدة فى عضلات العضو المصاب ، بل كافة عضلات الجسم وخصوصا عضلات البطن (فى حالة عضة الساق) أو عضلات الصدر والكتف (فى حالة عضة الذراع) .

ومن المأساة أن تشنج العضلات وآلامها لاتنفع معه المسكنات العادية أبدا .

كما يصاحب هذا أعراض وعلامات عامة أهمها الصدمة العصبية والهذيان والغثيان وضيق التنفس والعرق البارد مع امساك شديد وحكه وتورم فى الجفون ، وربما تحدث وفاة اثر عضة الأرملة السوداء ولكنها نسبة ضئيلة لاتتجاوز ٢ - ٥ بالمائة فقط .

ومن الأنسب استعمال الكمادات الباردة فورا فوق موضع العضة ، ونقل المصاب الى المستشفى حيث يعطى علاجا مضادا يدعى انتيفنين Antivenin فى العضل مع حقن الكالسيوم فى الوريد بالاضافة الى الحقن المقاومة للتشنج والألم .

اما العنكبوت الشائع فى بلادنا فهو أبوشبت (بينما العناكب التى سبق ذكرها تعشش وتعيش فى القارتين الأميركيتين) الذي يفضل المناطق الحارة والمدارية فهو قليل الخطر لاتترك عضته أكثر من اثر موضعى خفيف يمكن التغلب عليه بوضع كمادات الماء البارد وبعض العقاقير المضادة للألم والحساسية ، ولكن لاحاجة للقلق من مضاعفات خطيرة كالتى تحدث مع العنكبوت الناسك أو عنكبوت الأرملة السوداء .

☆☆

بريد طبيب الأسرة

التوائم السيامية

● بين حين وآخر نسمع في الأخبار عن ولادة توائم سيامية ، فما الذي تعنيه هذه التسمية ، وماهو السبب ؟ ارجو الأفادة .

خ . أ . ع / الكويت

- لقد شاع اسم التوائم السيامية بين الخاصة والعامة على السواء في كافة انحاء العالم ، يطلق على كل توأمين ولدا ملتصقين ، والأصل أن يسميا بالتوائم الملتصقة . وولادة التوائم عند بعض الحيوانات أمر مألوف ، ولكن القاعدة عند الانسان ان تلد المرأة مولودا واحدا في الحمل الواحد ، حيث يلقح حيوان منوى واحد من الذكر بويضة واحدة من الانثى ، تنطلق كل شهر تقريبا من مبيض الأم ، وقد يحدث أن تتلقح بويضة الانثى استثناء للقاعدة بحيوانين منويين في وقت واحد ، أو أن بصير تكاثرها بشكل يؤدي الى تكوين مولودين في آن واحد ، ومن هنا يبدأ حمل التوائم ، غير أن اتساع الرحم قد لايسمح الا لواحد فقط في البقاء على قيد الحياة ، أو ربما اندمج الاثنان معا وانتهيا الى مخلوق واحد مشوه يدعونه بالمسخ لافرصة له في البقاء على قيد الحياة .

وقد يحدث أن يتم تكوين جنينين كاملين يرتبطان معا في موضع واحد ويولدان احياء ، ثم يعيشان فترة ما قد تطول أو تقصر ، وهذان هما التوأمان السياميان .

وقد سميا بهذا الاسم نسبة الى توأمين ولدا في سيام (تايلاند حاليا) من ابوين صينيين عام ١٨١١ ،

وكانا متصلين من أسفل الصدر ، سميا باسم تشانج وانج ، ولكنهما في عام ١٨٢٩ رحلا الى الولايات المتحدة ليعملا في سيرك مشهور يدعونه بارنوم ، وقد تزوجا اختين انجليزيتين ، ثم توفيا معا في عام ١٨٧٣ ، ومن بعدهما عرفت التوائم الملتصقة باسم التوائم السيامية ، بالرغم من أن ولادة التوائم الملتصقة أمر قديم من أمور الخلق ، غير أن أول حالة سجلتها قراطيس الطب كانت عام ١١٠٠ في استكلندا ، وقد عاشا في بلاط الملك جيمس الثالث .

كما اشتهر من هؤلاء التوائم أختان كانتا ملتصقتين من الردفين ، سميتا باسم روزا وجوزيفا ، ولدتا عام ١٨٧٨ في تشيكوسلوفاكيا ، وتوفيتا عام ١٩٢٣ ، بعد أن أصيبتا بالتهاب الكبد معا .

وهكذا جرى الاصطلاح بتسمية كل التوائم الملتصقة باسم التوائم السيامية ، من باب الشهرة للتوأمين تشانج وانج ، اللذين يولد على شاكلتهما ستة أو سبعة توائم كل عام في انحاء المعمورة على مايقدره أصحاب الشأن .

المرض الشبيه بالروماتيزم أو الروماتويد

● اصيب أخ لي بمرض الروماتيزم ، مما شوه أصابع يده ، وبالرغم من علاجه على يد كثير من الأطباء فلم نجد شفاءً على يد أي منهم ، فهل يمكن أن تدلونا على علاج لهذا المرض ، وما هو سببه ؟ علما بأن اسم المرض كما ذكر لي أحد الأطباء هو روماتويد .. ولكم وافر الشكر والتقدير .

ع . ع . ب

صنعاء

ـ هو من مجموعة الأمراض المعروفة بالأمراض الروماتيزمية ، بالرغم من أنه لا يعرف في لغة الطب مرض محدد باسم الروماتيزم ، وانما الأصل هو مرض الحمى الروماتيزمية ، غير أن الناس تعارفوا على اطلاق اصطلاح الروماتيزم على كل أمراض المفاصل وآلام العضلات والأعصاب .

ومن هنا كان اصطلاح المرض الشبيه بالروماتيزم ترجمة لاسم روماتويد Rheumatoid وهو الاسم العلمي لأشد وأقسى مرض من أمراض المفاصل المدعوة بالأمراض الروماتيزمية ، ولكنه ليس أكثرها انتشارا ، فهو لا يعدو ٢٪ في انتشاره بين السكان ، ولا تزيد حالاته الشديدة عن ١٠٪ من مجموع الاصابات ، والغريب أنه يصيب البالغين فيما بين سن ٢٥ ـ ٤٠ سنة ، ويستثني ما دون ذلك أو ما فوقه .

وفيما مضى كانوا يظنونه مرضا معديا ، الى أن استقر الأطباء على اعتباره شكلا من أشكال الحساسية الذاتية ، بمعنى أنه رد فعل في الجسم تجاه شيء ما في ذاته يعتبره دخيلا عليه ، مما ينتهي الى اضطراب في نشاط الغدد الصم ، وخاصة غدة الكظر أوالغدة (فوق الكلية)(Suprarenal) التي يحتل فيها افراز قشرتها لهرمون الكورتيزون ، وعليه فقد وجدوا تأثيرا سحريا لمركبات الكورتيزون على مريض الروماتويد ، ولكنه للأسف تأثير مؤقت لا يشفي المريض .

ان هناك تغيرات مرضية موضعية في المفاصل ، تبدأ في المفاصل الصغيرة الطرفية كالأصابع ، ثم تمتد الى المفاصل الكبيرة تدريجيا ، أضف اليها تغيرات ومعاناة عامة تتمثل في الحمى والهبوط العام ، وفقدان الشهية والنشاط . أما المفاصل فيصيبها التورم والتشوه نتيجة تآكل الغضاريف وتقرحها ، وسمك أغلفة المفصل المصاب ، والعلاج المناسب هو علاج يعتمد على تخفيف المعاناة والآلام ، ومنع تصلب المفاصل وتشوهها ، وأهم ماكان يستعمل قديما هو الكورتيزون ومركبات الذهب .

أما العلاج الحالي المعتمد فهو أقراص الاسبرين ، والعلاج الطبيعي ، وعدم الاجهاد من ناحية بالاضافة الى عدم الكسل والتكاسل من ناحية اخرى .

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

إعـرَابُ المنقوصْ

يقسم النحاة الاسم عدة تقسيمات باعتبارات مختلفة ، ومن ذلك تقسيمهم اياه بالنظر الى حرفه الأخير ، فيقسمونه أربعة أقسام : منقوص ومقصور وممدود وصحيح .

فالمنقوص عندهم هو الاسم المعرب الذي آخره ياء لازمة مكسور ما قبلها ، مثل النادي والنوادي . والمقصور هو الاسم المعرب الذي آخره ألف لازمة ، مثل : رضا ومصطفى ، وسمي مقصورا لقصر النطق بألفه والممدود هو الاسم الذى آخره الف زائده بعدها همزة ، مثل : زهراء وصحراء ، وسمي ممدودا لامتداد النطق بألفه حتى تظهر الهمزة .

والصحيح ما ليس بمنقوص ولا مقصور ولا ممدود ، مثل : قلم ، وكتاب ودفاتر .

ويعنينا هنا المنقوص واعرابه ، وقد سمي منقوصا لنقص حرفه الأخير (الياء) نطقا وكتابة في بعض المواقع أو التراكيب كما سترى .

ونلاحظ في البدء أن النحاة في تعريفهم للمنقوص يقولون : انه اسم ، وانه معرب ، وهو ليس على الدوام اسما ، وليس معربا ، بل هو أحيانا اسم ، وأحيانا صفة ، لأن الاسم يدل على مسمى (معنى أو ذات) ، والصفة تدل على موصوف .

قد يكون المنقوص اسم معنى وهو المصدر ، نحو « التولي » في قولنا « من الكبائر التولي يوم الزحف » أي الهرب من العدو أثناء القتال ، ومثله التصدي ، وكذلك : التلاقي كما فيما ينسب الى مجنون ليلى :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ومثله : التقاضي ، والتفاني ، والتراضي ، وقد يكون جمعا ، نحو : التعازي ، والتحاشي ، والتهاني ، والتصافي ، (جمع تعزية وتحشية ، وتهنئة ، وتصفية) .

وقد يكون المنقوص اسما دالا على ذات ، وهو كثير في الجموع ، نحو : الأماني (بتخفيف الياء فيه وفي مفرده) كما في قول المتنبي في أول قصائده حين قصد كافورا الأخشيدي في مصر :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يَكُنَّ أمانيا

ومن ذلك أسماء الأدوات جمعا كالاشافي (الأشفى : المخراز) أو جمع جمع ، كالأواني والاواعي (جمع آنية وأوعية ، والواحد إناء ووعاء) .

ومن ذلك أسماء أمكنة جمعا ، نحو المشاقي والمراقي ، والمعالي ، والمراسي ، والمشاتي ،

وقد لايكون المنقوص اسما بل صفة تدل على موصوف ، ولكن ينبغي أن نفرق بين نوعين من

الصفة ، لأنها إما أن تجرى على فعلها في الدلالة على الحدث ، ويمكن أن تعمل عمله ، وترتبط بموصوفها ، وهذه هي الصفة المحضة ، مثل « شاف » في بيت المتنبي السابق ، ومثل عم في قول زهير بن أبي سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم

فنحن نستطيع أن نقول : « هذا طبيب شاف دواؤه » ، « وهذا خصم عمٍ قلبُه » فالصفة هنا رفعت فاعلا ، ولو قلنا « شاف » أو « عم » مستقلة لم نعرف لها مسمى ، ومثل ذلك : الشجي والشاكي والمجتدي ، والمستعصي والمستهدي .

وكل منقوص هنا صفة لفاعل ، ومثلها جموع لصفة الفاعل ، نحو : البواكي ، النواجي ، العوادي ، الشواكي ، ومثلها جموع يدل مفرد كل منها على صفة تفضيل نحو : الأعالي والأقاصي ،

وهناك نوع آخر من الصفات ، لاتجري فيه ، الصفة على فعلها ، ولا تعمل عمله ، وتكون مستقلة عن موصوفها فتتخذ صورة الاسمية وهي ما يسميه النحاة « الصفة الغالبة » وهي تدل حينئذ على مسمى ، ومن ذلك في المفردات : القاضي (من يفصل في القضايا) والبادي (ساكن البادية) ، المغني ، الناعي (من يعلن الوفاة) ، الحادي (من يطرب وراء الابل) ، فنقول : القاضي عادل ، والناس سواسية : الحاضر والبادي ، وأطربني المغني ، وقول مهلهل في رثاء أخيه كليب :

كأني اذ نعى (الناعي) كليبا
تطاير بين عيني الشرارُ
فدرت وقد غشا بصري عليه
كما دارت بشاربها العقار

وهناك الصفة الغالبة في الجموع نحو : السواقي (القنوات أو الينابيع) كما في قول المتنبي :

قواصد كافور ، توارك غيره
ومن قصد البحر استقل السواقيا

وهل المنقوص معرب في كل موقع من الكلام ؟ والجواب أن الاعراب لايظهر في آخره الا حين يكون منصوبا فتظهر عليه علامة النصب وهي الفتحة ، ولا تظهر عليه في غير ذلك ، لثقل الضمة والكسرة على الياء في حالتي الرفع والجر كما قال النحاة وأصابوا ، ولكنهم لما لم يجدوهما ظاهرتين قدروهما ، وهذا تعسف لاحاجة اليه ، وهذا ومثله كل اعراب تقديري مما زاد في قواعد النحو فأطالها وعقدها وصعبها على كل متعلم ـ كان ينبغي حذفه ـ فاذا قلنا : القاضي عادل أو أعجبت بالقاضي العادل ، أغنى في الاعراب أن نقول : القاضي مبتدأ في محل رفع أو في محل جر بعد الباء . ومعرفة المحل مفيدة في اعراب التوابع كالعطف والتوكيد .

وقد تجوز الشعراء في هذه القاعدة على صور مختلفة ، فظهرت الضمة في المنقوص كما ظهرت الكسرة ، لاقامة الوزن ، وهذا نادر كقول المهلهل يرثي أخاه كليبا :

فابكين سيد قومه واندبنه
شُدّت عليه (قباطيُ) الأكفان
وبقلن من للمستضيق اذا دعا
أم من لخضبِ (عوالي) المُرّانِ(١)

أو قول عبد الله بن أبي صبح المزني في احدى نقائضه مع شاعر : (٢)

فإن كنتَ قد أبصرتَ من بعد غشوةٍ
فأهلا بما أحدثت من سَلْمِنا أهلا
فلستَ ـ ولا أطغى ـ بأول (عاشي)
عشا فجعلت القافيات له كُحْلَا

كما اختفت الفتحة لاقامة الوزن أيضا ، وهذا كثير ، كما في بيت ينسب لعنترة :

ان (الافاعي) ان لانت ملامسُها
عند التقلب في أنيابها العَطَبُ

وكقول أحد شعراء الحماسة :

يا أيها الراكبان السائران معا
قولا لسُنْبُسَ فلتقطف (قوافيها)

بل اختفت الياء أحيانا لاقامة الوزن ، كقول عبد الله بن قيس الرقيات :

لابارك الله في (الغواني) ، وهل
يصبحن الا لهن مطلب

---

(١) انظر ـ شعراء النصرانية ـ ١/١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) يراجع كتاب « التعليقات والنوادر » ج٢ /٢٥٩ لأبي علي هارون بن زكريا الهجري تحقيق الدكتور حمود عبد الأمير الحمادي .

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

من شمائل السيادة العربية

معظم ابيات هذه القصيدة من أشهر شعرنا العربي ، يحفظها ويرددها كثير من رجال الادب وهواته ، وكنا نحفظها منسوبة حينا الى الشاعر اليهودى الجاهلي السموأل بن عادياء ، وحينا الى المغنى العباسى اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، مع نقص أبيات عما هنا أو زيادة بعض ، فى نسبتها الى السموأل او اسحاق .

وكنا يوما مع بعض الادباء في مجلس الاديب الكويتى الاستاذ محمد صالح الابراهيم فاشار الى ان القصيدة وردت ايضا فى شرح حماسة ابى تمام للمرزوقى ، منسوبة الى الشاعر الاسلامى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى . وعن هذا الشرح نقلنا اياته دون زيادة ولا نقص . ويلاحظ ان الابيات التى تنسب الى هؤلاء الشعراء الثلاثة لاتخلو من تداخل ، لاتفاقها وزنا وقافية .

ويعنينا هنا انها ـ على اختلاف رواياتها ـ تمثل كثيرا من شمائل السيادة عند العرب .

اذا المرءُ لم يدنّس من اللؤم عِرضُه ... فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ [١]
وإن هو لم يحملْ على النفس ضَيْمَهَا ... فليس الى حُسنِ الثناء سبيلُ [٢]
تُعيِّرنا انا قليلٌ عديدُنا ... فقلْت لها : ان الكرامَ قليلُ
وما قلَّ من كانت بقاياه مثلَنا ... شبابٌ تَسامَى للعُلا وكهولُ [٣]
وما ضرَّنا انا قليلٌ وجارنا ... عزيزٌ ، وجارُ الأكثرين ذليلُ [٤]
لنا جبلٌ يحتلُّه من نُجيره ... منيعٌ يردُّ الطَّرْفَ وهو كَليلُ [٤]
رسا أصلُه تحت الثرى ، وسَمَا به ... إلى النجم فرعٌ لايُنالُ ، طويلُ
وإنَّا لَقومٌ ما نرى القتْل سُبَّةً ... إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ [٥]
يقرِّبُ حبُّ الموت آجالَنا لَنا ... وتكرهُه آجالُهم فتطولُ

ومـا مـاتَ مِـنّـا سـيـدٌ حَـتْـفَ أنـفِـه ... ولا طُـلَّ مـنـا ـ حيثُ كـان ـ قـتـيـلُ (٦)
تَـسيلُ عـلى حـدِّ الـسـيوفِ نفوسُنا ... وليـسـتْ عـلى غيرِ الـسـيوف تَـسيـلُ
صفَوْنـا فلم نـكـدُرْ ، وأخلصَ سِرَّنـا ... إنـاثٌ أطـابَـتْ حَمْلَـنـا ، وفـحـولُ
عـلَوْنـا الى خـيرِ الـظـهـور ، وحـطَّنـا ... لـوقـتٍ إلى خـيرِ الـبـطون نُـزُولُ
فـنحـنُ كـماءِ الْمُـزْنِ ، مـا فى نِصَـابِـنـا ... كَـهَـامٌ ، ومـا فينـا ـ يعـد ـ بَخيـلُ (٧)
ونُنْكِرُ ـ إن شئنـا ـ عَلى الـنـاسِ قـولَهُم ... ولا يُـنْـكِـرون الـقـولَ حـيـن نـقـولُ
اذا سَـيِّـدٌ مِـنَّـا خَـلا قـامَ سـيِّـدٌ ... قَـئـولٌ لمـا قـالَ الـكـرامُ ، فَـعـولُ (٨)
ومـا أُخْمِـدتْ نـارٌ لـنـا دون طـارقٍ ... ولا ذمَّـنـا فى الـعـالَمين نَـزيـلُ
وأيـامُـنـا مـشـهـورةٌ فى عـدوِّنـا ... لهـا غُـرَرٌ مـعـلومـةٌ وحـجـولُ
وأسـيـافُـنـا فى كـلِّ شـرقٍ ومـغـربٍ ... بهـا مـن قـراع الـدارعـين فُـلُـولُ
مـعـودةٌ أن لاتُـسـلَّ نِـصـالهـا ... فَـتُـغْـمَـدَ حتى يُـسـتـباحَ قَـبـيلُ
سَـلِى ـ إن جهلت ـ الـنـاسَ عنّـا وعنهمُ ... فـليس سـواءٌ عـالمٌ وجَـهـولُ
فـانّ بـنى الـدَّيـانِ قُـطْـبٌ لـقـومـهـمْ ... تـدورُ رحـاهـم حـولَهم وتجـولُ (٩)

---

١ ـ اللؤم : الصفات السيئة ، وعكسها الكرم والمروءة
٢ ـ اذا المرء لم يَضْبِر نفسه على المكاره لم يُحْمد
٣ ـ لاعار على قوم في قلة عددهم ، فالكرام دائما قلة ، وليس قليلا قوم يحبون المعالى شبابا وكهولا .
٤ ـ قلتنا لاتعيبنا ، فإنا نحمى من يحتمى بنا ، فيساكننا فى جبلنا الحصين
٥ ـ لاترى عارا فى ان نقتل فى سبيل الشرف إذا رأت ذلك قبيلتنا « عامر » و « سلول » .
٦ ـ لا يموت زعيم منا على فراشه ، بل فى الحرب ، ولابد ان نأخذ بثأر قتيلنا
٧ ـ انسابنا ـ آباءً وامهات ـ نقية كماء السحب ، وكل منا نافذ العزم جواد
٨ ـ كلما مات زعيم منا قام مكانه آخر يلتزم آداب الكرام قولا وعملا .
٩ ـ بنو الديان : بطن من بنى الحارث بن كعب الذين ينسب اليهم الشاعر « الحارثى » .
وكانت لهم الرياسة فى نجران باليمن . ويقال انهم بنوا كعبة فى نجران مضاهاة لكعبة مكة فى الحجاز .

٥

تحابُّــوا

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم اسس الحب والصداقة بين المسلمين منذ آخى بين المسلمين فى مكة ، ثم آخى بين المهاجرين والانصار بالمدينة ، فهو بهذه المؤاخاة يخلق رباطا جديدا بين الاصحاب قد يصل الى رباط النسب واحيانا يزيد عليه ، واستمر الرسول فى حياته اليومية يقوى هذا الرباط ويوصى به ، وفيما يلى بعض احاديث الرسول فى هذا المجال : خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، فكلما كان الانسان شديد الوفاء والاخلاص لصاحبه كان اقرب الى الله ، وقوله صلى الله عليه وسلم : لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابُّوا « اى حتى يحب بعضكم بعضا » .

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ المذنب والشهاب .. أيهما كتلة غازية مضيئة ، وأيهما كتلة صخرية ملتهبة ؟

٢ ـ بيض البط وبيض الاوز .. أيهما يحتاج الى ٢٧ يوما ليفقس .. وأيهما يحتاج الى ٣١ ـ ٣٥ يوما .. ؟

٣ ـ صادر امواله .. مامعنى الجملة الصحيح .. ؟

- وضع يده على أمواله واستولى عليها .
- طالبه بها ..

٤ ـ البوصلة المغناطيسية .. لاغنى عنها للبحارة والمستكشفين لمعرفة الاتجاهات .. ترى هل هناك بوصلة أخرى غير مغناطيسية لمعرفة الاتجاهات .. وماهي ؟

٥ ـ من هم الدهريون ؟ وماذا قالوا ؟

انهم جماعة من المفكرين :

- قالوا بقدم الدهر .. وجحدوا الخالق .
- قالوا بقدم الدهر .. ومجدوا الخالق .

٦ ـ الاسم « بهرنج » يطلق على مضيق بهرنج وعلى بحر بهرنج وعلى جزيرة بهرنج أيضا .. وهو اسم الملاح والمكتشف الدانمركي فيتوس جوناسن بهرنج (١٦٨٠ ـ ١٧٤١) .. ترى ما الاكتشاف الذي توصل اليه « بهرنج » هذا حتى أطلقوا اسمه على مضيق وبحر وجزيرة ؟

٧ ـ ثمة غدة هامة جدا في جسم الانسان (والحيوان) سماها السلف الصالح (المِعْقَد) أو (لوزة المعدة) أو (الحلوة) .. ترى ما اسم هذه الغدة في الطب الحديث ؟

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٥ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو فبراير ١٩٨٦ .

٨ ـ شجرة بَنيان تنمو في الهند وافريقيا ، وتعتبر من أضخم أشجار العالم . . ترى كم رجلا يستطيع الجلوس تحتها أو في ظلها . . ؟

● ٧٠ رجلا ● ٧٠٠ رجل ● ٧٠٠٠ رجل .

٩ ـ الاسكيمو . . هل يسكنون ألاسكا فحسب . . أم أنهم يسكنون أصقاعا شمالية أخرى غيرها ؟

١٠ ـ مارك توين هو الاسم الذي اشتهر به كاتب أمريكي شهير . . ترى ما اسم الكاتب الحقيقي ؟

١١ ـ عبارة « الستار الحديدي » عبارة شائعة في دنيا السياسة . . ترى من هو الذي صاغ هذه العبارة :

● تشرشل ● ستالين ● فرنكلين روزفلت .

١٢ ـ من هم أهل الحجر والمدر ؟

العدد ٣٢٥

ديسمبر ١٩٨٥

اكتب الحلول فى هذا "الكوبون" أوعلى ورقة منفصلة ترفقهامعه

الإجابة على الأسئلة :

١ - ....

٢ - ....

٣ - ....

٤ - ....

٥ - ....

٦ - ....

٧ - ....

٨ - ....

٩ - ....

١٠ - ....

١١ - ....

١٢ - ....

الاسم : ....

العنوان : ....

مسابقة العربي الثقافية

حل

١ ـ الحرب المقصودة هي حرب القرم التي أعلنها الانكليز والفرنسيون على الروس سنة ١٨٥٤ م ، والتي طال أمدها سنتين ، أي حتى سنة ١٨٥٦ . فقد لمعت في أثناء هذه الحرب الممرضة ، بل معلمة مهنة التمريض ، فلورانس نايتنجيل (١٨٢٠ ـ ١٩١٠) وهي بريطانية ، ولكنها ولدت في فلورانسة . .

٢ ـ البكتريا أكبر حجما من الفيروس . . الا أنها صغيرة هي الأخرى . . ففي الامكان جمع ٢٥٠٠ بكتريا في ١/١٠ أو عشر البوصة ، على أن تصف على خط مستقيم ، ولكن الفيروس أصغر من البكتريا بكثير ، فهو يبلغ نصف حجمها أو دون ذلك . . ولا يرى بالمجهر العادي ، وانما بالالكتروني فحسب .

٣ ـ تصلنا محمولة على الموجات الكهرومغناطيسية . . وكلمة راديو نفسها إنما تعني اصطلاحا ارسال البرامج الصوتية والمرئية محمولة على الموجات الكهرومغناطيسية ، فهي تشمل الاذاعة والتلفزيون والرادار أيضا . . والموجات الكهرومغناطيسية سريعة جدا . . وتبلغ سرعتها ١٨٦,٢٨٢ ميلا في الثانية . . فهي بسرعة الضوء اذن . .

٤ ـ مؤلف كتاب (مفاتيح العلوم) هو محمد بن أحمد الخوارزمي ، وهو من علماء القرن العاشر ، وقد ولد في بلخ ، وعاش في نيسابور في عهد السامانيين . . والكتاب المذكور يعتبر بحق أقدم موسوعة أو دائرة معارف عربية . .

٥ ـ الأكمة هي التل ، وجمعها أكم وإكام وآكام والأجمة هي المكان الكثيف الشجر . . مأوى الأسود . . وجمعها أجم وإجام وآجام (المعجم الوسيط) .

٦ ـ الكوبرا والبايثون والاناكوندا كلها أسماء ثعابين . . فهي متجانسة ، والاسم الرابع (الراند) هو النشاز ، فهو الاسم الذي تطلقه حكومة جنوب افريقيا على عملتها ، وذلك منذ سنة ١٩٦١ . . والاسم أطلق أصلا على احدى المناطق الغنية بالذهب والواقعة من ترانسفال في جنوب افريقيا ، حيث

مسابقة العدد ٣٢٢ سبتمبر ١٩٨٥

اكتشف الذهب لأول مرة سنة ١٨٥٤ .

٧ - القطب الشمالي الجغرافي والقطب الشمالي المغناطيسي متباينان ، ويقعان في مكانين مختلفين ، ويقع القطب المغناطيسي الى الجنوب من القطب الجغرافي وغير بعيد عنه .

٨ - السؤال هو : أيهما أكبر مساحة : تايلاند أم سيام ؟ (لاسيلان كما ورد خطأ) والجواب هو : تايلاند هي سيام .. وسيام هي تايلاند .. غيروا اسمها القديم ودرجوا على تسميتها تايلاند ..

٩ - ثمرة شجر النخيل يتغير اسمها تبعا لمراحل نموها كالتالي :-

أ - بلح ، ب - بسر ، ج - رطب ، د - تمر

١٠ - ورق التغليف أبيض ، لأنه يصنع من خشب أبيض أصلا .

وورق الكرافت محمرّ ، لأنه يصنع من خشب أحمر أصلا .

١١ - تحتاج صناعة الطن الواحد من الفولاذ الى ٢٧٠ طنا من الماء .. وتحتاج صناعة الطن الواحد من الصابون الى طنين فقط من الماء .

١٢ - جاك هنري دونانت (١٨٢٨ - ١٩١٠) هو مؤسس هيئة الصليب الأحمر الدولية .. أما الدولة العربية التي ارتبط اسمه بها فهي الجزائر .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٢ سبتمبر ١٩٨٥

الجائزة الأولى : نور الدين بنقصو - سلا - المملكة المغربية .

الجائزة الثانية : عبدالرحمن خضر - رام الله - الاردن .

الجائزة الثالثة : خالد ابراهيم شهابي - دمشق - سوريا .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - مرح مروان جميل - ص ب (١٩٠٢٨) الكويت .

٢ - موسى عبدالمجيد محمد عبابنه - اربد - الأردن .

٣ - حامد المصمودي - استاذ بمعهد ٢٥ جويليه - صفاقس - تونس .

٤ - نصر محمد احمد حسين - كلية الهندسة - بورسعيد - جمهورية مصر العربية .

٥ - صلاح ملكية - متوسطة ابن رشد - درارية - ولاية تيبازا - الجزائر .

٦ - كمال بكرى عبيد - بور سودان - السودان .

٧ - الشيخ حسين جمعة - بيروت - المزرعة - مدينة الكرامة - لبنان .

٨ - محمود محمد السمان - الرياض - المملكة العربية السعودية

معركة بلا سلاح

بطولة العالم للشطرنج بالمراسلة

واخيـرا تمكن الـلاعب الأمـريكي ف . بالـيـوسكـاس من الفوز بـبطولة العـالم للشطرنج بالمراسلة بعد ست سنوات من بدء مباراة البطولة في نوفمبر ١٩٧٨ . ورغم أن نتيجة المباراة لم تعلن رسمياً حتى كتابة هذه السطور فان عدد الادوار التي فاز فيها (١١ دوراً) يضمن له الفوز بالتأكيد حتى لو خسر الدور الذي لا يزال جارياً حتى الآن . أما المرتبة الثانية فمن الأرجح أن يفوز بها اللاعب الارجنتيني ج . مورجادو الذي يتقدم على منافسه الروسي ج . ساناكوييف بنقطتين .

ويحتاج الشطرنج بالمراسلة الى الكثير من الصبر وسعة الصدر اذ ربما يستغرق الدور الواحد عدة سنوات ، فمع أن الوقت المسموح للنقلة الواحدة لا يتجاوز ثلاثة أيام فان المدة التي تستغرقها الرسالة في البريد والتي لا تحتسب ربما تصل الى الشهر في بعض الأحيان .

ويقسم لاعبو الشطرنج بالمراسلة في المباريات الدولية الى مجموعات تتكون كل منها من سبعة الى عشرة لاعبين يقوم كل لاعب من أفراد المجموعة باللعب مع جميع أفراد مجموعته في آن واحد . ويصنف اللاعبون في خمس فئات تضم الفئة الاولى والثانية كبار الأساتذة والأساتذة وتضم الفئات الثلاث الأخرى اللاعبين من الدرجة الأولى والثانية والثالثة . ولاعبو الدرجة الثالثة هم في العادة من المبتدئين . وفي حال فوز اللاعب على فئته يرقى الى مستوى أعلى .

وهناك من المباريات ما يدخل فيه جميع اللاعبين على قدم المساواة بغض النظر عن مستواهم في اللعب ويختار المتنافس في هذه الحالة بالقرعة ، ويبلغ عدد المشتركين في مثل هذه المباريات آلافا ، فقد بلغ عدد المشتركين في مباراة كأس العالم الأولى للشطرنج بالمراسلة ٢٠٠٠ لاعب (١٩٦٥) في حين وصل العدد الى ٤٤٨٥ لاعباً ينتمون الى ٥٧ دولة في مباراة كأس العالم الخامسة (١٩٨١) . وقد بدأت مباراة كأس العالم الثانية في عام ١٩٧١ ولم يعلن عن الفائز فيها وهو اللاعب الروسي ج . نسيس Nesis حتى عام ١٩٨٣ وهكذا تكون مباراة الكأس قد استغرقت ١٢ عاماً كاملاً .

وقد اخترنا لكم الدور التالي من بطولة امريكا الاولى للشطرنج بالمراسلة بين بطل العالم الحالي (أسود) واللاعب الدولي و . ليستر (أبيض) .

١ ـ هـ ٤	هـ ٥
٢ ـ ح ـ و ٣	ح ـ جـ ٦
٣ ـ جـ ٣	و ٥
٤ ـ د ٤	و × هـ ٤
٥ ـ ح × هـ ٥	ح ـ و ٦
٦ ـ ف ـ ب ٥	ف ـ د ٦ ؟ !
٧ ـ ح ـ جـ ٤	ف ـ هـ ٧
٨ ـ د ٥	أ ٦
٩ ـ ف ـ أ ٤	ب ٥
١٠ ـ د × جـ ٦	د ٥
١١ ـ ح ـ هـ ٣	ب × أ ٤
١٢ ـ و × أ ٤	ت

أصبح الأسود يملك حزاماً قوياً من بيادق الوسط وفيلين مما يعوضه عن خسارة البيدق المزيل

١٣ ـ ح ـ أ ٣	ح ـ جـ ٥
١٤ ـ ح (هـ) ـ ج ٢	ف ـ جـ ٥
١٥ ـ ح ـ د ٤	و ـ جـ ٤
١٦ ـ و ـ جـ ٢	ح ـ و ٦
١٧ ـ جـ ٣	ح ـ ز ٤

١٨ ـ ز ـ ٣	و ـ حـ ٥
١٩ ـ ف ـ و ٤	ح ـ و ٦
٢٠ ـ ر ـ حـ ٣	ف × د ٤
٢١ ـ جـ × د ٤	ف ـ ز ٤
٢٢ ـ ف × جـ ٧	ف ـ و ٣
٢٣ ـ ز ٤	(انظر الشكل)
٢٣ ـ	و ـ ز ٦
٢٤ ـ ف ـ هـ ٥	جـ ٥
٢٥ ـ جـ ٧	حـ × ز ٤
٢٦ ـ ر ـ جـ ١	ز × حـ ٣
٢٧ ـ ر × حـ ٣	و ـ ز ١ +
٢٨ ـ م ـ د ٢	هـ ٣ +
٢٩ ـ م ـ جـ ٣	إجبارية . لو
٢٩ ـ و × هـ ٣	و ـ ز ٢ + أو
٢٩ ـ م × هـ ٣	و ـ ز ٥ +
٣٠ ـ م × و ٣	ح ـ هـ ٤ +
٣١ ـ م ـ هـ ٢	ر × و ٢ +
٢٩ ـ	و × و ٢
٣٠ ـ ف × و ٦	ر × و ٦
٣١ ـ و ـ جـ ٧ +	م ـ و ٧
٣٢ ـ ر ـ حـ ٢	و ـ ز ٣

٣٣ ـ م ـ ب ٤ موقف رائع ! ولكن الأسود قد أعدّ لكل شيء عدّته .

٣٣ ـ	هـ ٢ !
٣٤ ـ ر × هـ ٢	و ـ د ٦ + !
٣٥ ـ م ـ ب ٣	ف × هـ ٢
٣٦ ـ ح ٨ = و	ف ـ د ١ +
٣٧ ـ ر × د ١	ر × ح ٨

وليس أمام الأبيض سوى الاستسلام

حل المسابقة رقم (٣٤)

١ ـ	و ـ هـ ١ +
٢ ـ و × هـ ١	ف ـ هـ ٣ +
٣ ـ و × هـ ٣	ر ـ و ١ (كش مات)

مسابقة العدد رقم (٣٦)

مات في نقلتين

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٣)

سبتمبر ١٩٨٥

العدد ٣٢٢

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ حمدي نصار ـ شبرا / ج . م . ع
٢ ـ محمد فضل ـ عدن / اليمن
٣ ـ سامي اللحام ـ اربد / الاردن
٤ ـ محمد الدبيب ـ الرياض / السعودية
٥ ـ خير الدين التيجاني ـ تونس

الفائزون باشتراك ستة أشهر

شكور مصطفى ـ نيتها ملال / المغرب
٢ ـ مفيد ناصيف ـ ادلب / سوريا
٣ ـ فيصل المسعودي ـ سبيبه / تونس
٤ ـ دواورية كمال ـ قالمه / الجزائر
٥ ـ طارق محمد ـ الاسكندرية / ج . م . ع

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء ..

« حول الوضع الصحي في لبنان »

ومقترحات للعربي

● السيد رئيس تحرير مجلة العربي

مع كل عدد جديد من مجلة « العربي » ازداد ثقة وتقديرا لهذه المجلة التي تعبر عن تطلعات الأمة العربية ، وعن مستواها الحضاري ، وانه لمن الواجب علينا أن نكون أوفياء ومقدرين لأي عمل ، يسهم في رفع مستوى الأمة العربية والعالم الاسلامي الى المكانة التي تتطلع اليها ، وخصوصا في المجالات الثقافية ، ومن هذا المنطلق أود أن أتقدم لكم بهذه المقترحات لمجلة العربي .

١ ـ ادخال باب جديد على المجلة يعنى بالشئون الصحية ، على أن يتضمن كل عدد مقالة حول موضوع صحي معين ، وبشكل مبرمج ، وبذلك نسهم في توعية القراء على بعض القضايا الصحية التي تمر بهم ، وتؤثر في حياتهم وانتاجهم .

٢ ـ القيام بدراسة حول الوضع الصحي في كل بلد عربي ، وتوجيه الدعوة الى الدول العربية القادرة على المساعدة للحفاظ على صحة الانسان العربي .

وهنا أرجو أن تسمح لي بأن أطرح الموضوع الصحي في وطننا لبنان ، وأنا أتكلم هنا باسم المستوصفات الخيرية التي تعاني من المشاكل المادية ، ومشاكل نقص الأدوية ، والمعدات والتجهيزات الطبية ، وخصوصا أن لبنان يمر منذ ما يقرب من ١٢ سنة بظروف خطيرة ، تجعل من نقص هذه الأشياء مأساة مضاعفة ، ومن هنا فإننا نطرح هذا الموضوع ، لأنه من حقنا على إخوتنا العرب أن يساعدونا ، ومن حقنا على الصحافة العربية أن ترفع أصواتنا الى كل من يعنيه الأمر ، وأخيرا أدعو الله أن يوفقكم في أداء مهمتكم .

لبنان/ البقاع ـ زحلة
مدير مستوصف علي النهري
عمار حسني مهدي

العربي

ـ نشكر للأخ الكريم حسن تقديره ، ولعل في نشر رسالته ما يوصل صوته ، ـ الذي نضم صوتنا اليه ـ الى كل من يعنيه الأمر على حد تعبيره .

وبالنسبة لمقترحاته فنعتقد أن الاقتراح الأول الذي يدعو الى توعية صحية مبرمجة يتحقق من خلال ما ينشر في « البيت العربي » عن صحة الأسرة ، بالاضافة الى المقالات التي تعنى بقضايا الصحة العامة ، وتلوث البيئة ، ولا يكاد يخلو منها عدد من أعداد العربي .

أما اقتراحه الثاني حول دراسة الوضع الصحي في كل بلد عربي فهو أمر يخرج ـ في شكله العلمي الدقيق ـ عن طبيعة ما يمكن أن يقدم في هذه المجلة .

ملاحظات نقدية

● نشرت مجلة العربي في العدد/ ٣٢١/ مقالة للدكتورة سرى سبع العيش بعنوان (أمراض العيون هل تورث ؟) جاء فيها :

(فالخلية الطبيعية تحوى أربعة وعشرين زوجا من الصبغيات الموروثة ، ثلاثة وعشرون منها صبغيات تحمل الصفات الجسمية ، والزوج الأخير خاص بالجنس)

وأيضا/

(وقد يورث المرض العيني بنمط مرتبط بالجنس ، أي أن الصفة المرضية الموروثة تلتصق بأحد فرعي الزوج الرابع والعشرين من الجسيمات الصبغية ، الخاص بجنس الانسان ذكرا أو أنثى ....) .

ومن المعلوم أن العدد الصبغي المضاعف في الانسان السوى هو/ ٤٦/ صبغيا ، أي ثلاثة وعشرون شفعا (زوجا) من الصبغيات ، كما وجد من قبل جيوليفان عام/ ١٩٥٦/ وهي تقسم الى اثنين وعشرين شفعا من الصبغيات الذاتية أو الجسمية ، وشفع واحد من الصبغيات المتخالفة أو الجنسية .

ولقد كان من المعتقد سابقا أن العدد الصبغي هو/ ٤٨/ صبغيا كما اقترح من قبل عام ١٩٢٣ ، لكن تحسن دراسة الصبغيات والخلية ، وخصوصا دراسة الانقسام المتساوى (الخيطى) للخلايا الجسمية ساعد كثيرا في دراسة مفصلة ودقيقة لصبغيات الانسان ، وللطابع النووى ولاكتشاف العديد من الشواذ الصبغية ، وما تسببه من تشوهات جسمية مرافقة .

وقد ساعد في دراسة الصبغيات بشكل جيد استخدام طريقتين تقنيتين هما :

١ ـ معالجة الخلايا المزروعة بالكولساميد ، الذي يعطل مغزل الانقسام ، ويؤدى الى تجمع الخلايا المنقسمة في الدور الثاني من الانقسام ، وبذلك يتأمن العدد الكافي من الخلايا ، وهي في أحسن أدوار الانقسام ملائمة لدراسة الصبغيات .

٢ ـ معالجة الخلايا الحية بمحلول ذي ضغط حلولي منخفض (اسموزى منخفض) مما يؤدى الى انتباج الخلايا وازدياد حجمها ، وبذلك تتأمن بعثرة الصبغيات وانتشارها .

حيث تؤخذ المستعملة عادة لمثل هذه الدراسة من خلايا نقي العظم ، أو من عينات صغيرة من الجلد ، أو من كريات الدم البيضاء المأخوذة مباشرة من عينة من الدم الوريدى .

لذا اقتضى التنويه .

مع فائق تقديري للمجلة والعاملين عليها .

صبري عابدين
دمشق

تعقيب آخر حول الموضوع السابق

● أرجو أن تهتموا بشكل أكثر بالعلماء العرب في الماضي ، بالقاء الضوء على مخطوطاتهم ، وبعث تاريخهم المشرق الى الأذهان ، لأنهم كانوا في يوم من الأيام شعلة للعالم ، وروادا للمدنية وللتقدم ، بيد أن أجيالنا الجديدة لا تكاد تعرف شيئا عن هؤلاء العلماء وجهودهم ومواقفهم المشرقة ، وتقع هذه الأجيال في هوة الافتتان بعلماء الغرب وحدهم ، مع أن علماء الغرب أو المنصفين منهم هم الذين يقومون الآن بالقاء الضوء على جهود العلماء العرب والمسلمين في الماضي ، ان هذا الاهتمام يجب أن يأتي منا أولا ... وأن يمتد الى الاهتمام بجهود علمائنا في الحاضر ، لنربط بين الماضي والحاضر ، ونؤكد على قيمة العلم في حياتنا بعامة .

وفي اطار الاهتمام بالعلم أود أن أشير الى أنه يوجد

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء..

خطأ صغير في مقال « أمراض العيون ، هل تورث ؟ » بقلم الدكتورة سرى سبع العيش ، في العدد رقم ٣٢١ من مجلة العربي حيث تقول :

« ان الخلية الطبيعية تحوى أربعة وعشرين زوجا من الصبغيات الموروثة الخ . . . . »

والصحيح أن نقول : بأن عدد الأزواج الصبغية في الخلية الطبيعية ثلاثة وعشرون ، اثنان وعشرون منها تحمل صفات جسمية ، وواحد خاص بالجنس . وكذلك في نهاية الصفحة ١١٥ وبداية الصفحة ١١٦ تقول :

« ان الصفة الموروثة تلصق بأحد فرعي الزوج الرابع والعشرين في الجسيمات الصبغية بالجنس » .

والصحيح أن تقول : « تلتصق بأحد فرعي الزوج الثالث والعشرين في الجسيمات الصبغية الخاص بالجنس » .

سوريا ـ جامعة حلب
عبدالباسط أعرج
معيد بقسم الحيوان بكلية العلوم

حول التدخين

« هذا المبيد البشري »

● أود أولا أن أنوه بمقال « التدخين هذا المبيد البشري » الذي نشر في مجلة العربي عدد يوليو سنة ١٩٨٥ ، للدكتور بدوى بدران ، من حيث المحتوى وطريقة عرض الموضوع وتبويبه ، لكن ثمة خطأ حسابي ـ أغلب الظن أنه حدث سهوا ـ وأود التنبيه اليه ، وهو موجود في الصفحة ١٢٣ ، تحت عنوان فرعي « تأثير التدخين على القلب والدورة الدموية » .

الخطأ الحسابي الموجود : كمية ضخ القلب للمدخن في الدقيقة من الدم (٦) لترات ، وبذلك تكون هذه الكمية في الساعة ٦٠ لترا ، ثم في اليوم ٦٠ × ٢٤ = ١٤٤٠ لترا .

والصحيح كالآتي :

٦ لترات في الدقيقة (كمية ما يضخه القلب البشري)

٦ × ٦٠ = ٣٦٠ لترا في الساعة

٣٦٠ × ٢٤ = ٨٦٤٠ لترا في اليوم .

وهناك خطأ آخر علمي ورد على النحو التالي :

« هرمونات الغدة الفوق كلوية »

والصحيح هو الآتي : هرمونات الغدة الفوق كلوية أو الكظرية ، التي تسمى بالانجليزية Adrenal gland وهو الشائع علميا بين طلبة الطب ، وليست الأسماء اللاتينية في هذه الغدة الصماء بالذات ، رجاء مراعاة ذلك في المقالات التي يختص جزء منها بالشئون العلمية ، ومراجعتها من قبل المختصين والله الموفق .

جمهورية مصر العربية
د . **علي عبدالمقصود فرحات**
استاذ الفسيولوجيا كلية
الطب البيطرى ـ الجيزة

العربي

ـ لا نملك الا أن نسجل سعادتنا بهذه الظاهرة النقدية في حوار القراء لهذا العدد ، حيث تتابعت الرسائل التي تنقد بموضوعية وبهدوء وبرغبة صادقة في القاء الضوء على ما هو صواب ، واننا اذ نتوجه بهذه الملاحظات في الرسائل السابقة الى الأخوة الأعزاء كُتاب المقالات المعنية ، ونضعها في الوقت ذاته تحت أنظار المسئولين في المجلة ، فانه يهمنا تسجيل أن هذه الظاهرة ـ ظاهرة القراءة الفاحصة الناقدة ـ تضاعف من مسئولية كُتاب المجلة وقرائها والمسئولين فيها ، وتؤكد ما سبق أن أشرنا اليه في هذا الباب من أهمية التفاعل بين القراء والكتاب ، فالقارىء الواعي هو ضمير الكاتب ، وضمانة ارتقائه وتجدده ، وهو يؤكد صدق المقولة الشهيرة « ان الكاتب هو صورة قارئه » .

العربي

فهرس سنة

١٩٨٥

من العدد ٣١٤ إلى العدد ٣٢٥

السنة الثامنة والعشرون

حديث الشهر بقلم رئيس التحرير / د . محمد الرميحي

الموضوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
قراءة في مستقبل الوطن العربي	١	٨٥	٣١٤	٨
اليابان : مائة عام من النهضة	٢	٨٥	٣١٥	٨
التلوث، الدواء الفاسد، الغذاء المسموم: عصبة متآخية تهدد البشرية بالفناء!	٣	٨٥	٣١٦	٨
الانسان .. ذلك الهدف الأسمى	٤	٨٥	٣١٧	٨
الموروثات الشعبية كم فيها من ثابت وكم فيها من متغير ؟	٥	٨٥	٣١٨	٨
الابداع الثقافي ومعوقاته في الوطن العربي	٦	٨٥	٣١٩	٨
العنف والارهاب تجاه الآمنين هو سلاح الضعفاء	٧	٨٥	٣٢٠	٨
خطاب مفتوح الى النساء العربيات	٨	٨٥	٣٢١	٨
أيها السادة .. لقد اكتشفنا الأعداء .. انهم نحن .. ! النفط العربي .. قائد أم مقود ؟	٩	٨٥	٣٢٢	٨
مستقبل « الأوبك » .. هل تنهار الأوبك أو تقاوم ؟	١٠	٨٥	٣٢٣	٨
تعلم كيف تقرأ الناس ؟	١١	٨٥	٣٢٤	٨
الأبيض والأسود بين القهر والفقر في جنوب أفريقيا	١٢	٨٥	٣٢٥	٨

ديـــن

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
نظرة الى مستقبل العرب والمسلمين	د . احمد كمال ابو المجد	١	٨٥	٣١٤	٢٢
تراثنا بين ماض وحاضر	د . بنت الشاطيء	١	٨٥	٣١٤	١٠٦
من قضايا الاسلام والعصر :					
آفاق الاجتهاد	د . عبدالعزيز كامل	٢	٨٥	٣١٥	١٧
حتى تصحو الصحوة	د . حسان حتحوت	٣	٨٥	٣١٦	٢٤
الجامعة الاسلامية في ماليزيا	د . صفاء خلوصي	٥	٨٥	٣١٨	٩٨
الحاجة الى الاسلام في هذا الزمان	د . احمد كمال ابوالمجد	٦	٨٥	٣١٩	١٧
الحساب الفلكي في تعيين بداية الشهور القمرية	د . عبدالمنعم النمر	٦	٨٥	٣١٩	٢٩
هل آن الاوان لقول فصل في ترجمات تفسير القرآن ؟	د . حسن المعايرجي	٦	٨٥	٣١٩	٨١
لماذا كان الافطار على تمر ؟	حلمي الخولي	٦	٨٥	٣١٩	١٢٤
البيان في اسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	٧	٨٥	٣٢٠	٦٨
البيان في اسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	٨	٨٥	٣٢١	١٠٤
البيان في اسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	٩	٨٥	٣٢٢	٥٦
رؤية للاسلام	عبدالله زكريا الانصاري	٩	٨٥	٣٢٢	٦١
الحساب الفلكي في بداية الشهور القمرية	عبدو الأحمر	١٠	٨٥	٣٢٣	٦١
البيان في اسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	١٠	٨٥	٣٢٣	٦٦
مواقيت الصلاة والصيام في الشمال والجنوب	د . عبدالمنعم النمر	١١	٨٥	٣٢٤	٣٤
البيان في اسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	١١	٨٥	٣٢٤	٤٠
خواطر انتخابية : المرأة . . وديموقراطية الاسلام	د . حسان حتحوت	١١	٨٥	٣٢٤	٦٠
الفكر الاسلامي والاغلال الاختيارية	د . عبدالعزيز كامل	١٢	٨٥	٣٢٥	٢٥
البيان في اسباب نزول القرآن	حسين احمد امين	١٢	٨٥	٣٢٥	٥٦

سياسة واقتصاد

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
نظرة على الدراسات المستقبلية دوليا وعربيا	د . اسامة امين الخولي	١	٨٥	٣١٤	١٦
أيديولوجية التسلح	د . فؤاد زكريا	١	٨٥	٣١٤	٣٠
النمو الديموغرافي هل يغير وجه العالم ؟	د . فضل ابوبي	١	٨٥	٣١٤	٦٤
افكار مستقبلية للخروج من ازمة البطالة العالمية	د . رمزي زكي	١	٨٥	٣١٤	١٤٩
اسرائيل والسلاح النووي	د . عبدالرحيم حسين	٢	٨٥	٣١٥	٣٢

الموضـــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
ملاحظات على ايديولوجية التسلح	د . عبدالله العمر	٣	٨٥	٣١٦	٩١
معسكر السلام في الكيان الصهيوني	توفيق ابو بكر	٥	٨٥	٣١٨	٩٥
كيف تآمرت المانيا الأوروبية لتقسيم القارة الافريقية واستعمار دولها ؟	د . احمد الامين البشير	٦	٨٥	٣١٩	٩٣
ثلاثون عاما على مؤتمر باندونغ من موقف الحياد الايجابي الى الدعوة لاقامة نظام عالمي جديد	د . فؤاد مرسي	٧	٨٥	٣٢٠	٢٤
المفاوضات الدبلوماسية في السياسة الخارجية الكويتية	سليمان ماجد الشاهين	٨	٨٥	٣٢١	١٨
الامم المتحدة بعد اربعين عاما من قيامها	عبدالحميد الكاتب	٨	٨٥	٣٢١	٢٥
الجديد في الحوار الثقافي بين الشرق والغرب	د . حسام الخطيب	٨	٨٥	٣٢١	٣١
سوق السلاح ... تجارة ام سياسة ؟	امين هويدي	١١	٨٥	٣٢٤	١٦
هل التصنيع الحربي وسيلة لتحرير القرار السياسي ؟	امين هويدي	١٢	٨٥	٣٢٥	١٧
الدبلوماسية الاعلامية ذات الوجهين	حمدي قنديل	١٢	٨٥	٣٢٥	٣٨

عروبـــة

الموضـــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
التلفزيون الاجنبي واقع جديد .. ام نمط جديد ؟	د . محمد زكي	١	٨٥	٣١٤	١٢١
الاعلام العربي بين الواقع والطموح	د . محمد الأدريسي العلمي	١	٨٥	٣١٤	١٢٣
البث التلفزيوني والانسان العربي	سمر روحي الفيصل	٢	٨٥	٣١٥	٩٣
حول المقاومة الفلسطينية	ابراهيم الشيخ خليل	٢	٨٥	٣١٥	٩٥
الانسان والمستقبل والسلاح في الوطن العربي	د . عارف دليلة	٣	٨٥	٣١٦	٩٣
هجرة العرب الى امريكا	د . ميخائيل سليمان	٧	٨٥	٣٢٠	١٧
الدواء قبل الغذاء	د . غسان حتاحت	٧	٨٥	٣٢٠	٩٦
التباسات الأصالة والمعاصرة : الحضارة من حفنة تراب	محمد الأسعد	٧	٨٥	٣٢٠	٩٧
عروبة المغرب العربي	د . صالح الخرفي	٩	٨٥	٣٢٢	٤٨
التحدي العلمي الاسرائيلي للقارة العربية	د . عبدالمنعم عبيد	١٠	٨٥	٣٢٣	١٧
الجامعة العربية بعد ٤٠ عاما - دعوة للتأمل		١٠	٨٥	٣٢٣	٢٨
العمل العلمي العربي المشترك - ذكريات وآمال	د . اسامة امين الخولي	١٠	٨٥	٣٢٣	٣٠
مؤسسات التعاون العربي الافريقي .. ملاحظات اساسية	حلمي شعراوي	١٠	٨٥	٣٢٣	٣٦

استطلاعات الكويت المصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
أسابيع الكويت الثقافية : جسور للتواصل بين الاشقاء	صادق يلي تصوير اوسكار متري	١	٨٥	٣١٤	١٤٠
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : عشر شموع على طريق الثقافة والفكر في الكويت	حسن محمود عباس	٢	٨٥	٣١٥	١٦٤
الزي الكويتي بساطة .. وجمال	ثريا البقصمي تصوير : سليمان حيدر	٢	٨٥	٣١٥	١٧٣
زهرة « الأوركيد » مهرجان من الالوان في الكويت	وفاء طه ناجي تصوير : طالب الحسيني	٤	٨٥	٣١٧	٦٠
المرسم الحر وخمسة وعشرون عاما من الابداع	ثريا البقصمي تصوير : سليمان حيدر	٧	٨٥	٣٢٠	١٦٤
الساهرون والعيون نائمة ، وسائل متطورة لكشف الجريمة في الكويت	ريم الكيلاني	٨	٨٥	٣٢١	١٣٦

الاستطلاعات العربية والخارجية

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
صناعة السلاح العربي	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	١	٨٥	٣١٤	٣٦
من يتخذ قرارا بتصنيع السلاح ؟	محمود عبدالوهاب	١	٨٥	٣١٤	٥٥
سيبيريا بين اسطورة المنفى وحقيقة الحياة	سليمان الشيخ تصوير : طالب الحسيني	٢	٨٥	٣١٥	٣٦
ليبيا تكتشف نهرا في الصحراء	ريم الكيلاني تصوير : صلاح آدم	٣	٨٥	٣١٦	٣٦
« العربي » تدخل مصانع السلاح السعودي	يوسف الشهاب تصوير : فهد الكوح	٤	٨٥	٣١٧	٣٦
ملقا .. وصراع تحت الشمس	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	٤	٨٥	٣١٧	١٠٠
المياه العربية وصراع الوجود	سليمان الشيخ	٥	٨٥	٣١٨	٣٦
فنلندا .. الألوان والانغام	مصطفى نبيل تصوير : اوسكار متري	٥	٨٥	٣١٨	١٠٠
بروناي السلطنة .. والتحديات	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	٦	٨٥	٣١٩	٣٦

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
قصة مدينة : الكوفة نسيج من التاريخ والاسطورة والعلم	محمود عبدالوهاب تصوير : اوسكار متري	٦	٨٥	٣١٩	١٠٠
الزي العماني قوس قزح من الألوان الزاهية	ثريا البقصمي	٦	٨٥	٣١٩	١٧٤
سد مأرب واليمن الجديد	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	٧	٨٥	٣٢٠	٣٦
«التاترا» البولندية ارض الأسطورة والعنف والسحر الحزين	صلاح حزين	٧	٨٥	٣٢٠	١٠٠
جزيرة الحب المهلكة	صلاح حزين تصوير : اوسكار متري	٨	٨٥	٣٢١	٦٨
ثورة التاميل برميل البارود المتفجر في سيريلانكا	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	٨	٨٥	٣٢١	٨٤
الأمن الغذائي في برامج المنظمات والهيئات الدولية	صادق يلي	٨	٨٥	٣٢١	١٥٠
في تونس يحمون الفتيات من الضياع	محمود عبدالوهاب	٨	٨٥	٣٢١	١٦٠
هيروشيما تغني للحياة	منير نصيف تصوير : طالب الحسيني	٩	٨٥	٣٢٢	٦٨
من فوق جسر بين العرب وافريقيا	محمود عبدالوهاب تصوير : سليمان حيدر	٩	٨٥	٣٢٢	١٣٢
بومباي تحت العاصفة	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	١٠	٨٥	٣٢٣	٦٨
في يوبيله الفضي : السد العالي يتحرك	نجاح عمر تصوير : محمد يوسف	١٠	٨٥	٣٢٣	٩٠
قناة البحرين خطر اسرائيلي قادم	سليمان الشيخ تصوير : اوسكار متري	١٠	٨٥	٣٢٣	١٢٧
الحرير ملك الأنسجة	ريم الكيلاني	١٠	٨٥	٣٢٣	١٤٢
العربي تخترق ادغال (صباح)	سليمان مظهر تصوير : سليمان حيدر	١١	٨٥	٣٢٤	٦٨
الأسواق الشعبية في الخليج العربي	ثريا البقصمي	١١	٨٥	٣٢٤	١٣٢
الفن الشعبي عندما يقاوم في جمهوريات بحر البلطيق	سليمان الشيخ تصوير : اوسكار متري	١٢	٨٥	٣٢٥	٦٨

أدب ولغة

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الأدب الصهيوني الحديث كيف نشأ .. وما هي موضوعاته الأثيرة ؟	حلمي عبدالكريم الزغبي	١	٨٥	٣١٤	١٠٢

الموضــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
قراءة في رواية الجازية والدراويش .. للروائي الجزائري عبدالحميد بن هدوقة	ابوالمعاطي أبوالنجا	١	٨٥	٣١٤	١٥٥
رسالة القاهرة : عود على بدء	فاروق خورشيد	٢	٨٥	٣١٥	٣٠
باكستان .. واللغة العربية	د . احسان حقي	٢	٨٥	٣١٥	٩٦
الخليج العربي في الموشحات الاندلسية	عبدالرزاق البصير	٣	٨٥	٣١٦	٣٣
ماذا ولماذا وكيف نقرأ ؟	عبدالله زكريا الانصاري	٣	٨٥	٣١٦	٧٩
لماذا هذه الحرب .. على لغتنا الجميلة ؟	د . عمر موسى باشا	٤	٨٥	٣١٧	٧١
دعوة الى التجريب في أدب عزالدين المدني	د . سيد حامد النساج	٤	٨٥	٣١٧	١٤٢
الواقعية النقدية في عالم محمد عبدالملك القصصي	احمد محمد عطية	٥	٨٥	٣١٨	١١٦
رسالة المغرب العربي : زيادة تعميم « العربية » في قطاعات جديدة	رشيد خشانة	٥	٨٥	٣١٨	١٣٤
المفاجأة في قصص اوهنري	د . غسان حتاحت	٥	٨٥	٣١٨	١٦٠
شكسبير وشهرزاد	د . امين العيوطي	٧	٨٥	٣٢٠	١٢٤
ألف ليلة وليلة بين التحقيق الأدبي والتحقيق الجنائي	فاروق خورشيد	٧	٨٥	٣٢٠	١٣٢
من قتل اللغة العربية ؟	د . مصطفى ابراهيم شعبان	٨	٨٥	٣٢١	٥٦
رسالة المغرب العربي : ندوة حول كتاب العقل العربي	رشيد خشانة	٨	٨٥	٣٢١	٦٠
كتابات غير معروفة لسميرة عزام	وليد ابوبكر	١٠	٨٥	٣٢٣	١٢٤
حول مشكلات الحوار الثقافي	عبدالرزاق البصير	١١	٨٥	٣٢٤	٦٥
الأدب في افريقيا الجنوبية : اسم هذه الأرض جاء مني انا ..	د . عبدالقادر ياسين	١١	٨٥	٣٢٤	١٣٠

جمال العربية : صفحة لغة — بقلم : محمد خليفة التونسي

الموضــوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
ألفاظ التوكيد	١	٨٥	٣١٤	١١٠
كلّ وجميع وعامة	٢	٨٥	٣١٥	١٣٠
أسئلة وأجوبة لغوية	٣	٨٥	٣١٦	١٢٦
الجمل .. ذوات المحل من الاعراب	٤	٨٥	٣١٧	١٣٠
ما زال ولا زال	٥	٨٥	٣١٨	١٣٠
الخصم والتضوع والتوادي .. كلمات فصيحة	٦	٨٥	٣١٩	١٣٨
الدعاية والغواية	٧	٨٥	٣٢٠	١٢٨

الموضـوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
بين العدد والمعدود	٨	٨٥	٣٢١	١٩٤
الاعراب أحد قرائن النحو اللفظية	٩	٨٥	٣٢٢	١٩٤
النسب الى فَعِيلة وفُعَيلة	١٠	٨٥	٣٢٣	١٩٤
الوادي والأودية والوديان	١١	٨٥	٣٢٤	١٩٢
اعراب المنقوص	١٢	٨٥	٣٢٥	١٧٦

شـعـر وشـعـراء

الموضـوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
لابد ان نلتقي (قصيدة)	يعقوب السبيعي	١	٨٥	٣١٤	٦٣
كلاسيكية (قصيدة)	فاروق شوشة	١	٨٥	٣١٤	٨٠
هكذا غنى الآباء : حديثهن بشاشة ، وقتيلهن شهيد ـ جميل بثينة	محمد خليفة التونسي	١	٨٥	٣١٤	١١٢
ذكرى العيد (قصيدة)	عبدالعزيز جعفر	٢	٨٥	٣١٥	٢٨
الثلاثية الخالدة في شعر ابي القاسم الشابي	محمد الحبيب براهم	٢	٨٥	٣١٥	٨٦
العاذلون (قصيدة)	محمد القيسي	٢	٨٥	٣١٥	٩٨
وتر العروبة في قلب الشاعر الكويتي عبدالله سنان		٢	٨٥	٣١٥	١١٩
لقاء عند حرف محلق (قصيدة)	خالد سعود الزيد	٢	٨٥	٣١٥	١٢٠
القضية القومية في تجربة عبدالله سنان الشعرية	د . عبدالله العتيبي	٢	٨٥	٣١٥	١٢٢
شاعر يرثي نفسه مالك بن الريب التميمي	محمد خليفةالتونسي	٢	٨٥	٣١٥	١٢٨
تفسير ما لايفسر (قصيدة)	علي السبتي	٢	٨٥	٣١٥	١٦٢
وللطقس حال اخرى (قصيدة)	محمود مفلح	٣	٨٥	٣١٦	٥٠
الزاحفون والراسبون (قصيدة)	محمد الفايز	٣	٨٥	٣١٦	١٠٦
يسين شاعر القرية وعاشقها	د . مكارم الغمري	٣	٨٥	٣١٦	١٢٠
المؤنسة . . من شعر مجنون ليلى	محمد خليفةالتونسي	٣	٨٥	٣١٦	١٢٨
قصيدتان : الطعنة الحوية ـ انتظاران	عصام ترشحاني	٣	٨٥	٣١٦	١٣٦
الموت الجديد (قصيدة)	د . عبده بدوي	٤	٨٥	٣١٧	٢٢
رومانتيكية (قصيدة)	فاروق شوشة	٤	٨٥	٣١٧	٣٣
قصة انسان (قصيدة)	راضي صدوق	٤	٨٥	٣١٧	٨٨
كرم العرب	محمد خليفةالتونسي	٤	٨٥	٣١٧	١٣٢
تدخل العصر صقورا (قصيدة)	مصطفى احمدالنجار	٥	٨٥	٣١٨	٢٣
رؤيا (قصيدة)	عبد الفتاح الصبحي	٥	٨٥	٣١٨	١٢١
لامية العجم في شكوى الزمان للطغرائي	محمد خليفةالتونسي	٥	٨٥	٣١٨	١٣٢

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الخروج من دوائر الضياع (قصيدة)	عبدالله السيد شرف	٦	٨٥	٣١٩	٢٨
تقاسيم على الخفيف (قصيدة)	يوسف الخطيب	٦	٨٥	٣١٩	١٣٦
التدبير واليقظة في الحرب ـ لقيط بن يعمر الأيادي	محمد خليفة التونسي	٦	٨٥	٣١٩	١٤٠
بين المتنبي والنامي !	د . احسان عباس	٧	٨٥	٣٢٠	٣٠
لقاء في صفة المفرد (قصيدة)	محمد الفايز	٧	٨٥	٣٢٠	٣٤
وترية الكمان الأولى (قصيدة)	محمد حلمي حامد	٧	٨٥	٣٢٠	٥٥
هل انتهى زمان الشعر ؟	شوقي بغدادي	٧	٨٥	٣٢٠	٩٣
الشاعرة ملك عبدالعزيز	فاروق شوشة	٧	٨٥	٣٢٠	١١٣
ابو البنات	محمد خليفة التونسي	٧	٨٥	٣٢٠	١٣٠
تراتيل صوفية (قصيدة)	د . عيسى درويش	٧	٨٥	٣٢٠	١٩٤
انشودة الانتصار الفلسطينية	د . عبدالوهاب المسيري	٨	٨٥	٣٢١	٣٥
الشعر وعصر الكمبيوتر	عبدالله زكريا الانصاري	٨	٨٥	٣٢١	١١٠
نقش متأخر على عرش بلقيس (قصيدة)	سليمان العيسى	٨	٨٥	٣٢١	١٢٤
القيت في اليم قلبي (قصيدة)	د . نصار عبدالله	٨	٨٥	٣٢١	١٨٠
قتيل الحب	محمد خليفة التونسي	٨	٨٥	٣٢١	١٩٦
الهدية (قصيدة)	يعقوب السبيعي	٩	٨٥	٣٢٢	٨٧
من سلّم الطفلين للجلاد (قصيدة)	عبدالستار سليم	٩	٨٥	٣٢٢	١١٠
بيننا فنجان قهوة (قصيدة)	فواز عيد	٩	٨٥	٣٢٢	١٨٠
قصيدة ابن زريق البغدادي	محمد خليفة التونسي	٩	٨٥	٣٢٢	١٩٦
تاريخ الماء (قصيدة)	قاسم حداد	١٠	٨٥	٣٢٣	٢٤
لسان الدين بن الخطيب والنقد	د . احسان عباس	١٠	٨٥	٣٢٣	١٠٢
شعر الاضحاك عند العرب	د . توفيق الفيل	١٠	٨٥	٣٢٣	١٠٥
الفصول (قصيدة)	ابراهيم نصر الله	١٠	٨٥	٣٢٣	١٧٩
الدنيا دول	محمد خليفة التونسي	١٠	٨٥	٣٢٣	١٩٦
لقاء في المنامة (قصيدة)	محمد الفايز	١١	٨٥	٣٢٤	٢٢
الوطنية في شعر عبدالحميد الديب	حلمي الخولي	١١	٨٥	٣٢٤	٤٨
غارق في العيون (قصيدة)	فاروق شوشة	١١	٨٥	٣٢٤	١١٠
ابن الرومي يرثي ولده الأوسط	محمد خليفة التونسي	١١	٨٥	٣٢٤	١٩٤
لاتحييني غدا (قصيدة)	شوقي بغدادي	١٢	٨٥	٣٢٥	٣٠
الشمس خلف تجاعيد الافق (قصيدة)	عبد الستار سليم	١٢	٨٥	٣٢٥	١٤٨
من شمائل السيادة العربية	محمد خليفة التونسي	١٢	٨٥	٣٢٥	١٧٤

قصص

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الكابوس	د . محمد حسن عبدالله	١	٨٥	٣١٤	٩٦

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
من الخيال العلمي : رحلة الى كوكب المشتري (مترجمة)	رؤوف وصفي	١	٨٥	٣١٤	١٢٦
حفلة تنكرية	محمد عبدالملك	٢	٨٥	٣١٥	٧٦
الكاف (مترجمة)	د . محمود موعد	٢	٨٥	٣١٥	١٠٨
الزعيم ورسالة الفلاح (مترجمة)	محمد عبدالواحد	٣	٨٥	٣١٦	٨٦
المحطة التالية للصبر !	محمد الشاذلي	٣	٨٥	٣١٦	١٦٦
تقاطع الطرق بداية النهاية	يوسف الشاروني	٤	٨٥	٣١٧	٤٦
صالح ابو ستة أصابع	عبدالباري عطوان	٤	٨٥	٣١٧	٩٠
وجه في المرآة : رجل لايتجاوز الدقيقة الخامسة من عمره	ابوالمعاطي ابوالنجا	٥	٨٥	٣١٨	٣٣
الارث	جارالنبي الحلو	٥	٨٥	٣١٨	٨٣
الشرطي والنشيد (مترجمة)	حسن محمود عباس	٥	٨٥	٣١٨	١٦٢
بائع الليمون	عباس خضر	٦	٨٥	٣١٩	٦٠
حالة شك (مترجمة)	طارق يوسف اسعد	٦	٨٥	٣١٩	١٤٢
الغريب	رجب سعد السيد	٧	٨٥	٣٢٠	٨٨
مناسب من جميع النواحي (مترجمة)	د . عيسى المصو	٧	٨٥	٣٢٠	١٣٨
يوم امطرت السماء ذهبا (مترجمة)	ابراهيم عبدالله العلو	٨	٨٥	٣٢١	١٠٦
الشيخة صابرين	صلاح عبدالسيد	٨	٨٥	٣٢١	١٤٦
الشحاذ (مترجمة)	شوكت يوسف	٩	٨٥	٣٢٢	٤٢
القبر والقصر	يوسف الشاروني	٩	٨٥	٣٢٢	١١٢
ولادة (مترجمة)	محمود منقذ الهاشمي	١٠	٨٥	٣٢٣	١١٤
حكاية شخص هامشي جدا	محمد صوف	١١	٨٥	٣٢٤	٤٢
الذي مات خطأ (مترجمة)	د . محمود موعد	١١	٨٥	٣٢٤	١٤٤
الروائع	خليل قنديل	١٢	٨٥	٣٢٥	٨٨

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
قطع غيار بشرية بين عوالم غير مرئية	د . عبدالمحسن صالح	١	٨٥	٣١٤	٧٢
الكمبيوتر واللغة العربية .. تحد للمستقبل	د . نبيل علي	١	٨٥	٣١٤	٨٩
أورام الثدي والجديد في التشخيص والعلاج	د . فاطمة الغرباوي	١	٨٥	٣١٤	١٣٢
شعر المرأة تاج جمالها	د . نبيل سليم	١	٨٥	٣١٤	١٩٢
متى تصل رسائلنا الى الكون الخارجي ؟	د . فخري اسماعيل الحسن	٢	٨٥	٣١٥	٥٦
العقول الالكترونية هل أصبحت عبئا على البشرية ؟	د . عصام محمد عزو	٢	٨٥	٣١٥	٧٠

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
هل يتنفس البيض ؟	د . محمد نبهان سويلم	٢	٨٥	٣١٥	١٠٠
مرة اخرى . . نبض الحياة مع القلب الصناعي	د . هاني شحيبر	٣	٨٥	٣١٦	٥٢
أنظمة التحكم بواسطة الحيوانات	م . وسيم عبدالله	٣	٨٥	٣١٦	٧٢
مرض حب الشباب ليس حكرا على الشباب فقط	د . محمد عبدالله المشاري	٣	٨٥	٣١٦	٩٨
نظرة الى زحل اجمل الكواكب الشمسية	د . عبدالقوي زكي عياد	٣	٨٥	٣١٦	١٠١
تطور مهام مكوك الفضاء	م . سعد شعبان	٤	٨٥	٣١٧	٥٢
السيارة نعمة أم نقمة ؟	د . محمد علي الفرا	٤	٨٥	٣١٧	٧٨
اللثة هذا الجهاز النبيل !	د . حكم المأمون	٤	٨٥	٣١٧	٩٦
حرب خفية بتقنية غير بشرية	د . عبدالمحسن صالح	٥	٨٥	٣١٨	٥٦
ملوثات الهواء وطرق معالجتها	د . فاضل حسن	٥	٨٥	٣١٨	٧٢
أصابعك علاج للصداع	د . نبيل سليم علي	٥	٨٥	٣١٨	٧٥
الأجنة المجمدة . . حوار المستقبل	د . عامر هشام جعفر	٥	٨٥	٣١٨	٨٧
الجوع وأثره على جسم الانسان	د . فاطمة الغرباوي	٥	٨٥	٣١٨	١٢٢
رحلة داخل القرية البشرية	منير نصيف	٦	٨٥	٣١٩	٦٤
حول « أورام الثدي » تعقيب . . ورد على التعقيب	د . فاضل جميل الشيخلي د . فاطمة الغرباوي	٦	٨٥	٣١٩	٨٥
العطش عند الحيوان والانسان	د . صلاح بركات	٦	٨٥	٣١٩	٨٧
الليزر اشعة المستقبل	رؤوف وصفي	٧	٨٥	٣٢٠	٥٦
تلوث المياه واكتشافات جديدة	محمد عزو صفر	٧	٨٥	٣٢٠	٨٤
التدخين هذا المبيد البشري	د . بدوي بدران	٧	٨٥	٣٢٠	١٢٠
العقم عند النساء	د . انيس فهمي	٧	٨٥	٣٢٠	١٨٠
أمراض العيون هل تورث ؟	د . سري سبع العيش	٨	٨٥	٣٢١	١١٣
هكذا تشكلت القارات والمحيطات ، ماذا وراء مولد المحيط الجديد في جيبوتي ؟	د . فضل ايوبي	٨	٨٥	٣٢١	١٢٨
العالم ينتظر المذنب هالي . المذنبات جبال جليد في الفضاء	رؤوف وصفي	٩	٨٥	٣٢٢	٨٨
مذنب هالي زائر من أعماق الكون	م . سعد شعبان	٩	٨٥	٣٢٢	٩٦
تعلّم الطفل وهو جنين	د . نبيل سليم علي	٩	٨٥	٣٢٢	١٠٢
انهم يأكلون الفطر	فوزي عبدالقادر الفيشاوي	٩	٨٥	٣٢٢	١١٦
داء الكلب بين الانسان والحيوان	د . فؤاد فاضل الشيخلي	٩	٨٥	٣٢٢	١٧٤
الميكروبات وفساد الغذاء النباتي	د . حسين العروسي	١٠	٨٥	٣٢٣	٤٦
ماذا تعرف عن حمّى البحر المتوسط ؟	د . محمد بركات	١٠	٨٥	٣٢٣	٥٤
حول موضوع تلوث البيئة والتسمم الغذائي وسوء استعمال الدواء	د . نبيه الغبرة	١٠	٨٥	٣٢٣	٦٣
عجائب الكون الثلاث	د . فخري اسماعيل الحسن	١٠	٨٥	٣٢٣	١١١
اصابات الرأس واللحظات الذهبية	د . سامي محمودعلي	١٠	٨٥	٣٢٣	١٥٠
الانسان حيوان مائي !	موفق الدليمي	١٠	٨٥	٣٢٣	١٦٠

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
قراءة في البدن	د . محمدحكمت عبد الدايم	١٠	٨٥	٣٢٣	١٧٤
الخضراوات غذاء ودواء وعلاج	د . عزالدين فراج	١٠	٨٥	٣٢٣	١٧٦
رؤوس أقلام في طب المجتمع	د . حسين الوردي	١١	٨٥	٣٢٤	٥٤
الفضاء . . ساحة الحرب المقبلة	م . سعد شعبان	١١	٨٥	٣٢٤	٨٩
المركبات سريعة التبخر وتلوث البيئة	د . عدنان الظاهر	١١	٨٥	٣٢٤	١٠٤
الايدز . . قصة مرض وصرخة تحذير	د . عماد شمسي باشا	١١	٨٥	٣٢٤	١١٦
كائنات بحرية سامة	رجب سعدالسيد	١١	٨٥	٣٢٤	١٤٨
قسطرة الزهراوي . . كيف أصبحت آخر صيحة في الطب	د . سامي عزيز	١٢	٨٥	٣٢٥	٥٠
المغنيزيوم هل هو من متطلبات العصر أم هو لضرورة الشفاء ؟	د . صلاح بركات	١٢	٨٥	٣٢٥	٥٨
ترجمة الصور بين الفضاء والأرض	طاهرسكر القيسي	١٢	٨٥	٣٢٥	٩٢
أشعة ليزر في عالم العيون	د . سري سبع العيش	١٢	٨٥	٣٢٥	١٤٢
وصفات الريجيم بين الحقيقة والخيال	د . ابراهيم ابو طاحون	١٢	٨٥	٣٢٥	١٦٠

الجديد في الطب والعلم   اعداد : يوسف زعبلاوي

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
وسيلة جديدة وفعالة من وسائل منع الحمل ـ جهاز جديد لتشخيص ألم الظهر ـ قوة الابصار في الانسان والحيوان ـ وأخيرا نجحوا في ترميم وجه الملك فيليب الثاني	١	٨٥	٣١٤	١٧٨
الجديد في طب الأسنان ـ أحدث مكتشفات الفضاء ـ قياس عمر الخروق ـ الموجات فوق الصوتية وعمليات استئصال سرطان المخ	٢	٨٥	٣١٥	١٣٨
غطاء لعنق الرحم ـ مكيف جفاف ورطوبة ـ يرقان الأطفال وعلاجه ـ عشبة تشفي قروح مرضى السكر ـ مصيدة الكترونية جديدة للفئران	٣	٨٥	٣١٦	١٣٨
الجديد في مرض الايدز ـ بطل الملاكمة الأعظم يتماثل للشفاء ـ عقاران جديدان لعلاج الصرع ـ غاز الميثان في الجو	٤	٨٥	٣١٧	١٣٤
الصناعات في الفضاء ـ المدمنون جنسيا ـ الانحراف القاري ـ رموش طولها ٢ سم	٥	٨٥	٣١٨	١٣٨
انقلاب في صناعة الآلات الكاتبة ـ متى يموت الانسان ؟ ـ تقويم الاسنان بين القديم والحديث	٦	٨٥	٣١٩	١٤٦
عقار جديد للقلب ـ الصلع ثانية ـ حرب النجوم ما هي ؟ ـ الجديد في علاج مرض السكري	٧	٨٥	٣٢٠	١٤٣
الفهم واللغة في متناول القردة ـ البيت الأبيض يمنح الجائزة الأولى ـ معالجة الاكتئاب بالكهرباء ـ راصد الصلاة	٨	٨٥	٣٢١	١١٧

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
كومشو في رحلة حول العالم ـ قصة نجاح بطلها عربي مغترب ـ حقيبة يد فتاكة وخبيثة	٩	٨٥	٣٢٢	١٢٥
الكلى وكيف تعمل ؟ ـ قياس الأبعاد الفلكية أدق وأخطر من قياس أبعاد الغرفة	١٠	٨٥	٣٢٣	١٢٠
خلق الانسان من طين ـ مع الكذابين ـ الانزلاق الغضروفي ومعالجته بالانزيمات الغدة الصنوبرية وأثرها في الحالات النفسية ـ هل يمكن التنبؤ بالبرق والسيطرة عليه ـ معالجة مرض باركنسون ـ	١١	٨٥	٣٢٤	١٢٥
الشفاء من مرض السكري هل بات قريب المنال ؟	١٢	٨٥	٣٢٥	١١٤

سلامة البشرية في سلامة البيئة

الموضوع	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
حليب الأم هو الغذاء الكامل الذي يحتاج اليه الرضيع ـ بكتيريا تلتهم البترول ـ زوج الملكة يستقيل من أجل حماية البيئة ـ أشجار لاتهاجمها الحشرات ـ من أمراض البيئة	١	٨٥	٣١٤	١٧٤
غرامة ٢٠٠٠ مليون دولار ـ بسبب تلويث الشواطىء ـ البحرين .. تحذو حذو هولندة ـ محرك سيارات جديد لا يلوث الجو	٢	٨٥	٣١٥	١٤٢
تيار في المحيط الهادي يدمر المرجان وشعابه ـ المجاعة في أفريقيا لها أسباب أخرى غير القحط ـ البندقية .. هل بدأ انقاذها من الغرق ؟	٣	٨٥	٣١٦	١٤٢
عصير البرتقال سترتفع أسعاره عما قريب ـ هل تريد الاقلاع عن التدخين ؟ نباتات تبشر بتحقيق الأمن الغذائي	٤	٨٥	٣١٧	١٣٩
الحيتان .. هل تنتحر أم ماذا ؟ ـ قبرص .. تتلف البيئة العالمية ـ غرامة ١٠٠ دولار يدفعها المدخن	٥	٨٥	٣١٨	١٤٣
التربة تراب يعج بالحياة ـ البحر المتوسط والتلوث ـ من أجل المحافظة على الجنس	٦	٨٥	٣١٩	١٥٠
سمك السالمون والتوازن البيئي ـ الضوضاء .. جهاز التبريد أهم أسبابها ـ الرصاص أسوأ الملوثات جميعا	٧	٨٥	٣٢٠	١٤٧
السمك مصاب بالسرطان ـ البلدة الشمسية الأولى	٨	٨٥	٣٢١	١٢١
فاكهة الكيوي في نيوزيلندة ـ طريقة القضاء على النفايات الصناعية ـ حرب شعواء على الخمر	٩	٨٥	٣٢٢	١٢٩
الفزع من القات في العاصمة البريطانية ـ أخبار هامة للمدخنين	١٠	٨٥	٣٢٣	١١٨
العالم الثالث وقصة الأدوية القتالة ـ المناخ العالمي يزداد حرارة وينذر بكارثة	١١	٨٥	٣٢٤	١٢٨
المبيد الذي أباد غابات فيتنام يتلف غابات البرازيل ـ لبن الناقة خير من لبن البقرة	١٢	٨٥	٣٢٥	١١٩

طبيب الأسرة

اعداد : د . حسن فريد أبو غزالة

الموضوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
ماذا تفعلين لو أصيب ابنك بالغدة النكافية ؟ ـ ضرس العقل ـ اختبار الحمل ـ مقلة العين	١	٨٥	٣١٤	٢٠٦
ماذا أفعل لو أصيب ابني بحرق في الجلد ؟ ـ طنين الأذن ـ الكمادات	٢	٨٥	٣١٥	١٩٢
كيف تتعامل مع طفل مريض بالسكر ؟ ـ التطعيم ضد الجديري ـ الزمع ـ هرمون الغضب	٣	٨٥	٣١٦	١٩١
الاسعافات الأولية متى نقدمها في المنزل . . ومتى نلجأ الى الطبيب ؟ ـ بنك العيون ـ سن زائدة في الفم	٤	٨٥	٣١٧	١٩٢
لوقاية ابنك من أمراض الصيف ـ أمراض الجنس	٥	٨٥	٣١٨	١٩٢
أمراض الجلد والحساسية لدى الأطفال ـ القزم ـ التهاب المفاصل المزمن	٦	٨٥	٣١٩	١٩٠
ماذا تفعلين اذا أصيب ابنك بالحصبة ؟ ـ ظفر العين ـ القلق مرض العصر	٧	٨٥	٣٢٠	١٩٠
مشاكل التسنين عند الأطفال ـ النكهة ـ معامل روسوس ـ الصداع وضغط الدم	٨	٨٥	٣٢١	١٧٤
داء الكلب بين الانسان والحيوان ـ الحرقوص	٩	٨٥	٣٢٢	١٧٤
السكر وتسوس أسنان الطفل ـ الحاسة السادسة ـ الدهون المشبعة	١٠	٨٥	٣٢٣	١٦٩
ميزان الحرارة ضرورة لكل بيت ـ الحليب وغازات البطن ـ دوالي الساق	١١	٨٥	٣٢٤	١٧٤
احذروا عضة العنكبوت ـ التوائم السيامية ـ المرض الشبيه بالروماتيزم أو الروماتويد	١٢	٨٥	٣٢٥	١٦٩

تاريخ وتراث

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
طليطلة مدينة الثقافة والترجمة	د . سيمون الحايك	٢	٨٥	٣١٥	٦٤
تراث الانسانية	د . أحمد أبوزيد	٢	٨٥	٣١٥	١٤٥
الرمز بالحيوان في الأدب العربي القديم	د . وديعةطه نجم	٣	٨٥	٣١٦	٢٨
متتاليات هنغارية	جمال الغيطاني	٣	٨٥	٣١٦	١٠٨
حين كشفت الواح الطين أخطر سرقة ادبية وحضارية في التاريخ	محمد الأسعد	٣	٨٥	٣١٦	١٣٠
حصن ومسجد ومدرسة . . الاسهام الكويتي يعيد الحياة لمسجد السلطان حسن	عبدالغني محمد عبدالله	٤	٨٥	٣١٧	١٦٢
التراث بين الاحياء والاستلهام	د . فهمي جدعان	٥	٨٥	٣١٨	٢٤
تاريخ المستقبل	د . عبدالمالك خلف التميمي	٥	٨٥	٣١٨	٩٢
لحظات من الزمن العربي : رحلة الخراساني الى الموت	د . محمدالمنسي قنديل	٥	٨٥	٣١٨	١٦٧

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
ذكريات وصور رمضانية	عبدالرحمن الشرقاوي	٦	٨٥	٣١٩	٢٢
موضع تراثنا فينا	د . بنت الشاطيء	٦	٨٥	٣١٩	٧٢
ساليرنو . . جسر عبرته المعارف الطبية الاسلامية الى اوروبا .	د . حسن فريدأبوغزالة	٦	٨٥	٣١٩	١١٩
لحظات من الزمن العربي : الجبرتي يصوم رمضان	د . محمدالمثني قنديل	٦	٨٥	٣١٩	١٢٩
رحلة ابن بطوطة في عالم المرأة	د . سعيدعبدالفتاح عاشور	٧	٨٥	٣٢٠	٧٠
ابداع التراث	د . فهمي جدعان	٨	٨٥	٣٢١	٣٨
الذكرى الألفية للنديم : فهرست النديم أول موسوعة ببليوجرافية علمية	د . محمد حسن عبدالله	٩	٨٥	٣٢٢	٣٢
نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف لها قصة	شمس الدين باباخانوف	٩	٨٥	٣٢٢	٣٨
حول رحلة الخراساني الى الموت	السيد حسن قرون	٩	٨٥	٣٢٢	٦٤
دفاع ابي حيان التوحيدي عن احراقه لكتبه	د . جعفر هادي حسن	١٠	٨٥	٣٢٣	٤٢
هل الآثار لمن يصونها ؟	د . علي شلش	١٢	٨٥	٣٢٥	٣٢
العبور فوق جبل طارق مرة اخرى	محمد التهامي	١٢	٨٥	٣٢٥	١٠٨
« يافا » مدينة الجمال والكفاح	د . عز الدين اسماعيل غربية	١٢	٨٥	٣٢٥	١٤٩

تاريخ أشخاص

الموضوع	الكاتب	الشهر	السنة	العدد	الصفحة
وجها لوجه : الدكتور توفيق الطويل	د . نصار عبدالله	١	٨٥	٣١٤	٨٤
بنيامين فرانكلين		١	٨٥	٣١٤	١٧٧
جبرا ابراهيم جبرا	ماجد السمرائي	٢	٨٥	٣١٥	١١٣
فريدريك بانتينج مكتشف الأنسولين		٢	٨٥	٣١٥	١٤١
د . زكي نجيب محمود	د . عبدالغفارمكاوي	٣	٨٥	٣١٦	٦٤
هيرام مكسيم مخترع المدفع الرشاش		٣	٨٥	٣١٦	١٤١
د . مصطفى سويف	د . شاكرعبدالحميد	٤	٨٥	٣١٧	٦٥
لادسلاوجوزيف بيرو		٤	٨٥	٣١٧	١٣٨
د . عبد السلام العجيلي	م . خالد الجيوشي	٥	٨٥	٣١٨	٦٤
كريستوفر شولز مخترع الآلة الكاتبة		٥	٨٥	٣١٨	١٤١
جان ديزانتي	احمد الشيخ	٦	٨٥	٣١٩	١١٣
الكسندر جراهام بل مخترع التلفون		٦	٨٥	٣١٩	١٤٩

الموضـــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
عبدالرحمن الداخل يعود الى الاندلس	د . عفيف بهنسي	٦	٨٥	٣١٩	١٦٤
جاليليو		٧	٨٥	٣٢٠	١٤٦
غالب فرمان	سليمان الشيخ	٨	٨٥	٣٢١	٩٧
البرت اينشتين		٨	٨٥	٣٢١	١٢٠
عمر المختار شيخ الشهداء	وهبي البوري	٩	٨٥	٣٢٢	٢٤
الكسندر فلمنج مكتشف البنسلين		٩	٨٥	٣٢٣	١٢٨
د . ابراهيم عبده	د . احمدحسين الصاوي	٩	٨٥	٣٢٢	١٥٢
اسحق نيوتن		١٠	٨٥	٣٢٣	١٢٣
الطيب صالح	صلاح حزين	١٠	٨٥	٣٢٣	١٣٧
فرنان برودل عاشق البحر المتوسط	د . احمد ابوزيد	١١	٨٥	٣٢٤	٢٩
د . عبدالحميد يونس	فاروق خورشيد	١١	٨٥	٣٢٤	٩٧
« سيناي صفي » وجهود الدوغة	د . جعفر هادي حسن	١٢	٨٥	٣٢٥	٤٢
د . اسماعيل صبري عبدالله	نجاح عمر	١٢	٨٥	٣٢٥	٩٧
ليوناردو دافنشي رائد التكنولوجيا والاختراع في التاريخ		١٢	٨٥	٣٢٥	١١٧

تربية وعلم نفس

الموضـــوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
مشاهد العنف في التلفزيون	د . انيس فهمي	١	٨٥	٣١٤	١١٨
صغيرك وعالم جديد اسمه المدرسة	وفاء طه ناجي	١	٨٥	٣١٤	١٨٢
كيف نعامل المتفوقين ؟ مدرسة خاصة بالمتفوقين بسيبيريا	سليمان الشيخ	١	٨٥	٣١٤	١٨٧
حركاتك العصبية لها سبب !	ريم الكيلاني	١	٨٥	٣١٤	١٩٧
الأم لها دورها في بناء شخصية طفلها	د . محمد صادق زلزلة	١	٨٥	٣١٤	٢٠٠
دور الحضانة .. تعليم ام ترفيه ؟	د . غسان حتاحت	٣	٨٥	٣١٦	١٧٩
لماذا يتبول الأطفال رغماً عنهم ؟		٣	٨٥	٣١٦	١٨٨
أسرار الطب النفسي الأسري	د . عبدالرؤوف ثابت	٤	٨٥	٣١٧	٢٤
الأمية الجديدة عندهم وعندنا !	د . محمود الذوادي	٤	٨٥	٣١٧	٧٥
الجديد عن الفصام	د . فريد الكيلاني	٦	٨٥	٣١٩	٧٦
هل انتهى عصر المعلم ؟	ريم الكيلاني	٦	٨٥	٣١٩	١٨٠
اللعب واثره في التربية	راتب المسعود	٧	٨٥	٣٢٠	١٧٤
الشباب والادمان !	د . دري حسن عزت	٨	٨٥	٣٢١	٤٨
تعريب التعليم في الجامعات	عبد الرزاق البصير	٨	٨٥	٣٢١	٥٣
هل تخاف السفر بالطائرة ؟	د . فوزي عليان	٩	٨٥	٣٢٢	١٢١
قبل ان تحكي لأطفالك عن العفاريت	ريم الكيلاني	٩	٨٥	٣٢٢	١٥٨

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
اولادنا والمناورات الضارة	راجي عنايت	٩	٨٥	٣٢٢	١٦٤
توقيعك ماذا يقول ؟	ضياء القاروني	١٠	٨٥	٣٢٣	١٥٨
تجديد التربية مطلب حضاري قومي	د . عبدالله عبدالدايم	١١	٨٥	٣٢٤	٢٤
طبيعة الابداع	د . فاخر عاقل	١١	٨٥	٣٢٤	١٠٧
ازاحة الستار عن اسرار الالم	د . انيس فهمي	١١	٨٥	٣٢٤	١٦٤
لماذا مجلة جديدة للاطفال العرب ؟	عبدالتواب يوسف	١٢	٨٥	٣٢٥	٦١

فلسفة

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
وهم الأصالة والمعاصرة	د . فؤاد زكريا	٣	٨٥	٣١٦	٢٠
من حديث الحرية	د . احمدكمال ابوالمجد	٤	٨٥	٣١٧	١٧
أضواء من الفلسفة على: الحب كمثل اعلى للانسان	د . توفيق الطويل	٨	٨٥	٣٢١	٦٤
لغة الاعلام بين الفكر والمجتمع	د . محمد سيد محمد	١٠	٨٥	٣٢٣	٥٨

كتاب الشهر

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الاسلام الخوف والأمل	د . الحبيب الجنحاني	١	٨٥	٣١٤	١٦١
يهود الاسلام	د . احمدالامين البشير	٢	٨٥	٣١٥	١٤٩
تشريح السلطة	د . فتحي امين مجدلاوية	٣	٨٥	٣١٦	١٤٥
حول الفتح العربي الاسلامي لماوراء النهر	نادر خالدنصرة	٤	٨٥	٣١٧	١٤٧
المؤسسات الاجتماعية وحاجات العصر	د . امين الميوطي	٥	٨٥	٣١٨	١٤٥
العقل الياباني	د . فتحي امين مجدلاوية	٦	٨٥	٣١٩	١٥٣
مثلث الشؤم	نبيل ابراهيم	٧	٨٥	٣٢٠	١٥١
تأملات حول الحالة الراهنة للفنون الجميلة	زينب عبدالعزيز	٨	٨٥	٣٢١	١٨١
بريخت سيرة حياة	حسن محمود عباس	٩	٨٥	٣٢٢	١٨٣
وجوه عديدة لعاشق واحد اسمه مجنون ليلى	جليل العطية	١٠	٨٥	٣٢٣	١٨٢
الاكتشاف المحبط	د . أمين الميوطي	١١	٨٥	٣٢٤	١٧٩
همة الهمام في نشر الاسلام	د . محمد موفاكو	١٢	٨٥	٣٢٥	١٢١

مــن المكتبــة العربيــة

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
الهجرة الى النفط	حسن محمود عباس	١	٨٥	٣١٤	١٦٨
ذيول:مجموعة قصصية للكاتب الفلسطيني الراحل امين فارس ملحس	يوسف عبدالله محمود	٢	٨٥	٣١٥	١٥٨
الرجل المناسب	فاروق خورشيد	٣	٨٥	٣١٦	١٥٣
أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين	محمود بيومي	٤	٨٥	٣١٧	١٥٦
ثمرات في دفاتر الطفولة	فاضل خلف	٥	٨٥	٣١٨	١٥٤
الشورى وأثرها في الديمقراطية	د . عبداللهابوعزة	٦	٨٥	٣١٩	١٥٩
وعي الهوية العربية في الفكر التونسي الحديث	رشيد خشانة	٧	٨٥	٣٢٠	١٥٨
فتوح البهنسا كتاب شعبي في فتح العرب لصعيد مصر	فاروق خورشيد	٨	٨٥	٣٢١	١٨٧
صور مبتداها في يافا	احمد المصلح	٩	٨٥	٣٢٢	١٨٩
ثلاثية الرفض والهزيمة	جمال وردة	١٠	٨٥	٣٢٣	١٨٨
الموسوعة الفلسطينية	زياد عودة	١١	٨٥	٣٢٤	١٨٦
الابعاد الاستراتيجية للتنمية الثقافية في الوطن العربي	رشيد خشانة	١٢	٨٥	٣٢٥	١٢٧

الفنــون واللوحــات الفنيــة

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
حرب السينما والفيديو .. والمواقف العربية	صلاح دهني	٢	٨٥	٣١٥	٩٠
هلا أحدث النظر في هذا الصندوق .. التلفزيون قوة توجهنا .. ام نوجهها ؟	فاروق عبدالعزيز	٢	٨٥	٣١٥	١٣٢
التلفزيون قضية كل موسم	صلاح دهني	٣	٨٥	٣١٦	٩٦
عودة مهرجان دمشق للفنون المسرحية	وليد ابوبكر	٣	٨٥	٣١٦	١٥٩
الابداع ان يكون العلم حلما والفن حقيقة	د . ادريس سالم الحسن	٤	٨٥	٣١٧	٣٠
متابعة مسرحية الوزير العاشق في المسرح الحديث	فاروق خورشيد	٤	٨٥	٣١٧	١١٨
الرؤية الغربية للمرأة العربية بين الدعاية والواقع والتزييف	احمد رأفت بهجت	٤	٨٥	٣١٧	١٢٣
هل يعود عصر الخيل العربية ؟	راجي عنايت	٤	٨٥	٣١٧	١٧٤
ابناؤنا في خطر والتلفزيون هو السبب	ريم الكيلاني	٤	٨٥	٣١٧	١٨١
الصناعات الثقافية بين سلطاتنا عليها وسلطانها علينا	د . عبدالله عبدالدايم	٥	٨٥	٣١٨	١٦
ظواهر شعبية	فاروق خورشيد	٥	٨٥	٣١٨	٢٩

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
تأثير الموسيقا بين الوهم والحقيقة	محمد فتحي الحريري	٨	٨٥	٣٢١	٥٨
ثلاث نظرات على الصورة في الصحافة العربية	كامل زهيري	٩	٨٥	٣٢٢	١٧
مستقبل النشر العلمي في الوطن العربي	د . محمد محمد الجوادي	٩	٨٥	٣٢٢	٥٨
مسرح العرائس والطفل	حسين ابو زينة	١١	٨٥	٣٢٤	١٥٨
مرة اخرى حول الموسيقا بين الوهم والحقيقة	د . نبيل سليم علي	١٢	٨٥	٣٢٥	٦٥
كل الفنون في مهرجان جرش	وليد ابو بكر	١٢	٨٥	٣٢٥	١٣٢

البيت العربي (الأسرة والمرأة)

الموضوع	الكاتب	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
المراهقة المرحلة الحرجة في حياة الآباء والأبناء	وفاء طه ناجي	٢	٨٥	٣١٥	١٧٩
مراكز التنمية الريفية في ليبيا	ريم الكيلاني	٢	٨٥	٣١٥	١٨٣
تجربة لاعداد نموذج جديد للمرأة العربية					
الحكاية مرآة سحرية يتعرف فيها صغيرك على الواقع	وفاء طه ناجي	٣	٨٥	٣١٦	١٧٤
عطور باريسية	د . نبيل شعبان	٥	٨٥	٣١٨	١٧٤
الغيرة وحش بعيون خضراء	راجي عنايت	٥	٨٥	٣١٨	١٧٨
المشاركة في اعمال المنزل هل يتقاسمها الزوج مع زوجته ؟	وفاء طه ناجي	٥	٨٥	٣١٨	١٨٢
الأب المتسلط .. ماله وما عليه		٨	٨٥	٣٢١	١٦٥
هل يدوم الحب بين الزوجين ؟	راجي عنايت	١٠	٨٥	٣٢٣	١٦٣

أرقام — محمود المراغي

الموضوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
يحدث عام ٢١٥٠	١	٨٥	٣١٤	٢٨
خريطة الموت	٢	٨٥	٣١٥	٣٤
النفط والانقلاب !	٣	٨٥	٣١٦	٧٠
قمر عربي ينضم لرحلة اختصار الزمن والمسافة	٤	٨٥	٣١٧	٣٤
بدلا من النقل بالدواب	٥	٨٥	٣١٨	١٢٨
أمطار تقلل حجم الأسرة وأمطار تزيد هذا الحجم	٦	٨٥	٣١٩	٣٤
فقراء وأغنياء في رحلة التاريخ	٧	٨٥	٣٢٠	٢٨

الموضـوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
في أوروبا يريدون أطفالا أكثر	٨	٨٥	٣٢١	٤٢
عالم العقل الواعي والطفل اللقيط	٩	٨٥	٣٢٢	٣٠
المتهم البريء في أفريقيا	١٠	٨٥	٣٢٣	٣٦
بدلا من الملعب والمدرسة	١١	٨٥	٣٢٤	٤٦
للكبار فقط !	١٢	٨٥	٣٢٥	٤٨

قاموس العربي — اعداد : محمود عبد الوهاب

الموضـوع	الرقم	السنة	العدد	الصفحة
التضخـم	١	٨٥	٣١٤	٨٢
بروليتاريا ، بورجوازية	٢	٨٥	٣١٥	١٢٦
شوفينية ، شعوبية	٣	٨٥	٣١٦	٦٢
باندونج مؤتمر ابريل ١٩٥٥	٤	٨٥	٣١٧	٩٤
صهيونيـة	٥	٨٥	٣١٨	٧٠
نازيـة	٦	٨٥	٣١٩	١٢٢
الفاييـة	٧	٨٥	٣٢٠	١٩٦
ليبراليـة	٨	٨٥	٣٢١	١٢٦
راديكاليـة	٩	٨٥	٣٢٢	١٠٨
امبرياليـة	١٠	٨٥	٣٢٣	٥٢
ابارتيد « التفرقة العنصرية »	١١	٨٥	٣٢٤	٥٨
العالم الثالث	١٢	٨٥	٣٢٥	١١٢

نذكر فيما يلي الأبواب التي أغفلها هذا الفهرس العام لتعذر فهرستها ونذكر الى جانبها أسماء محرريها :

- **أقوال + العربي من ربع قرن** ـ سليمان الشيخ
- **استراحة العربي** ـ صادق بلي
- **من مكتبة العربي (مختارات)** ـ صلاح حزين
- **هو . . . هي** ـ محمود عبد الوهاب ـ ثريا البقصمي ـ ريم الكيلاني ـ وفاء ناجي
- **مساحة ود** ـ محمود عبدالوهاب
- **حكايات شرق وغرب + من الحياة** ـ منير نصيف
- **الشطرنج (معركة بلا سلاح)** ـ د . محمد حسن التيقي
- **العربي الصغير** ـ نجاح عمر ـ جنة القريني
- **حوار القراء** ـ يوسف الشهاب

الفهرس العام — اعداد : صلاح صادق

Learn English Direct From England!

Be specialist trained in written and spoken English — and increase your earning power!

A good command of English can ensure YOUR SUCCESS! It can improve your chances of PROMOTION — increase your EARNING POWER — get you a BETTER JOB and enhance your SOCIAL LIFE. You can acquire it quickly and easily.

When you can talk **fluently and effectively** – write **clearly and concisely**, you impress your boss – your colleagues and your friends.

You gain **respect — prestige**, and leave your business rivals behind you. It can mean **a prosperous new life for you and your family!**

To help **you be successful,** we offer you a unique, easy-to-understand, home-study training for a **Diploma in Business English.** It has been specially written by leading teachers and businessmen for people whose mother tongue is not English.

Your training teaches you both **written and spoken English** – and how to use it in your job. English grammar is made easy. You learn how to increase your vocabulary. You are shown how to construct sentences and paragraphs, and how to develop a good writing style. You are taught how to write business letters, office memoranda, minutes of meetings, reports, and lots more – including telex, telegrams, agendas, etc. **It is so effective that many successful people started this way.**

The spoken part of your training comes on 3 full cassette tapes. There is 155 minutes of recording time and you are given lots of practical work to do. Thus you learn how to speak English **clearly and distinctly.**

You need to work hard at your training, but you don't need any special **education or qualifications.** If you can understand this advertisement, your English is **good enough to understand** fully the training itself.

So, if you are dissatisfied with your present work, pay or prospects — or are ambitious and want the good things in life — why not send for free details NOW of how we can help you **to acquire a good command of English.** It's an opportunity you can't afford to miss. No obligation. Proof of big success by ordinary men and women. Write immediately to: Business Training Ltd, Dept: B/AAB 35, Sevendale House, 7 Dale Street, Manchester, M1 1JB, England.

BUSINESS TRAINING LIMITED

Dept. B/AAB 35,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester,
M1 1JB,
England.

C.A.C.C. Accredited

Please tell me about your home-study training and how I can obtain my specialist Diploma.

BLOCK CAPITALS PLEASE

Surname ....

Other names ....

Address ....

....

....

....

الخطوط الجوية الكويتية التي عودتكم على التطور
والتجدد المستمرين بتقديمها المقعد المريح على متن
طائراتها الجمبو، تقدم الآن اتصالاً هاتفياً مباشراً
بجميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى التحسينات
الدائمة في كافة الخدمات.

الخطوط الجوية الكويتية
KUWAIT AIRWAYS
ملتقى الشرق والغرب

CYAN

هناك مجموعة مصرفية واحدة فقط في العالم تساهم فيها الدول العربيّة جميعاً

كانت المراسلات المتبادلة بين الخليفة العباسي الكبير هارون
الرشيد وشرلمان مبادرة عربية رائدة في اقامة الصلات بين الشرق والغرب

دينار هارون الرشيد ـ ٧٨٩ ميلادية

ان مجموعة بنوك اليوباف Al Ubaf Banking Group هي المجموعة الوحيدة التي أحرزت نجاحا في اقامة الصلات بين الشرق والغرب عن طريق انشاء بنوك مشتركة في جميع المراكز المالية الدولية .

والدول العربية بأسرها البالغ عددها اثنتان وعشرون ممثلة كلها في المجموعة من خلال ٢٦ مؤسسة عربية .

وبالاضافة الى ذلك فان ٢٢ مؤسسة مصرفية من كبريات المؤسسات الدولية تساهم في بنوك المجموعة الى جانب المؤسسات العربية بغية تحقيق أهدافنا المشتركة .

وفضلا عن هذا فان تنوع عمليات البنوك المساهمة في المجموعة وانتشارها الجغرافي على الصعيدين المحلي والدولي ، يجعلنا في وضع متميز يتيح لنا النفاذ بيسر الى كافة أرجاء المعمورة .

وتقدم المجموعة للعملاء الخدمات المالية والمصرفية على نطاق بالغ الاتساع بفضل ما لديها من خبرات مهنية رفيعة المستوى تدعمها أحدث مبتكرات التكنولوجيا ، ومن دراية لا تضارع بالأوضاع المحلية .

اليوباف
AL UBAF
BANKING GROUP

البحرين	بنك اليوباف العربي الدولي
هونغ كونغ	يوبان انترناشونال ليمتد
لندن	يوباف بنك ليمتد ـ شركة اليوباف المالية المحدودة
لوكسمبورغ	يوباي البنك العربي الألماني وفرع في فرانكفورت
نيويورك	البنك العربي الأمريكي ـ يوباف وفرع في جزر كايمان
باريس	اتحاد المصارف العربية والفرنسية (يوباف) فروع في البحرين ـ سيول ـ سنغافورة ـ طوكيو
روما	يوباي البنك العربي الايطالي ومكتب تمثيل في ميلانو

بيروت	مكتب تمثيل
القاهرة	مكتب تمثيل

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت
العدد ١٩٥ أول ديسمبر ١٩٨٥

نجمة اشبيلية

تأليف : لوبي دي بيجا
ترجمة وتقديم : د. صلاح فضل
مراجعة : د. محمود مكي

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية
يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

الصهيونية غير اليهودية
جذورها في التاريخ الغربي

تأليف : ريجينا الشريف
ترجمة : أحمد عبدالله عبدالعزيز

المراسلات باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

الكتاب ٩٦ ديسمبر ١٩٨٥ ٥٠٠ فلس

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب المتابعة

مكتب المتابعة

المسابقة الثانية في البحث الاجتماعي

ينظم مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية

المسابقة الثانية في البحث الاجتماعي على مستوى الدول العربية الخليجية الأعضاء بالمجلس دولة الإمارات العربية المتحدة - دولة البحرين - المملكة العربية السعودية - الجمهورية العراقية - سلطنة عمان - دولة قطر - دولة الكويت وذلك في إطار الاحتفال بالأسبوع العربي الخليجي الثاني للعمل الاجتماعي، والمقرر تنظيمه في دولة البحرين خلال النصف الأول من عام ١٩٨٧م.

وتهدف هذه المسابقة إلى دعم حركة البحث العلمي حول واقع واحتياجات الحياة الجديدة في المجتمع العربي الخليجي، وتشجيع الباحثين والمشتغلين في الحقل الاجتماعي على الاهتمام في دراسة القضايا والمشكلات الاجتماعية في المنطقة العامة.

شروط المسابقة :

١- أن يعالج البحث إحدى القضايا أو الظواهر الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي الخليجي، ويمكن أن يغطي نطاق البحث المستوى الإقليمي الخليجي ككل أو المستوى القطري المحلي فقط.
٢- أن تتوفر للبحث الشروط العلمية المرعية.
٣- ألا يكون البحث قد فاز بجائزة في مسابقة أخرى.
٤- ألا يكون البحث قد تم تقديمه من قبل لنيل درجة علمية أو أكاديمية.
٥- ألا يقل عدد صفحات البحث عن ٥٠ صفحة فولسكاب ولا يزيد عن ١٠٠ صفحة فولسكاب.
٦- الموعد النهائي لاستلام بحوث المسابقة هو ١٩٨٦/٥/٣١م.
٧- يجوز لمكتب المتابعة نشر البحوث الفائزة وفقاً لما يراه مناسباً.
٨- البحوث التي لم تفز لا تعاد لأصحابها.
٩- يرسل البحث من ثلاث نسخ مكتوبة بخط واضح، وباللغة العربية، ويفضل أن يكون مطبوعاً، وعلى وجه واحد، وذلك على العنوان التالي:
قسم الشئون الاجتماعية - مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية ص.ب: ٢٦٣٠٢ - المنامة - البحرين.

جوائز المسابقة :

تمنح جوائز مالية للبحوث الثلاثة الفائزة على النحو التالي:

الجائزة الأولى: "١٥٠٠" ألف وخمسمائة دينار بحريني.
الجائزة الثانية: "١٠٠٠" ألف دينار بحريني.
الجائزة الثالثة: "٥٠٠" خمسمائة دينار بحريني.

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد فيما تنشر على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية.
- هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجواء المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.
- ميزانها الأساسي في اختيار المترجمات هو الجديد والهام.

- تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت

رئيس التحرير
أحمد مشاري العدواني

نائب رئيس التحرير
د. سليمان إبراهيم العسكري

****

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. خلدون حسن النقيب

مدير التحرير
عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب
□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

للمؤسسات:
١٢ ديناراً في الكويت
٤٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للأفراد:
٢ دينار في الكويت، دينار للطلاب
٢,٥ دينار أو ما يعادلها في الوطن العربي.
١٥ دولاراً أمريكياً في الخارج

للتوزيع في الكويت والخارج:
مجلة العلوم الاجتماعية

■ توجه جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية. جامعة الكويت ص. ب ٥٤٨٦ صفاة. الكويت
هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ مباشر ٢٥١٠١٨٨/٢٧٣/٢٥٠، تلكس ٢٦١٦ كويت

تصدر عن جامعة الكويت

■ فصلية ■ محكمة

تقدم البحوث الأصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية والإجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير
د. عبدالله العتيبي

مديرة التحرير
آمال بدر الغربللي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير
العنوان: ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت
هاتف: ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣
تلكس: ٢٢٦١٦ KUNIVER

****

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ تصل أعدادها الى أيدي نحو ٢٠٠،٠٠٠ قارئ

مجلة علمية محكمة

يحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية بأقلام نخبة من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون. وتقوم المجلة أيضا بإصدار مجموعة من الكتب العلمية المتصلة بالمنطقة، مع كتاب سنوي يضم ثبتا للوثائق والتقارير المتعلقة بشئون المنطقة خلال تلك السنة.

الإشتراكات

ثمن العدد: ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج.

الاشتراك للافراد: سنويا ديناران كويتيان أو ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية: سنويا ١٢ دينارا كويتيا أو ٤٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي).

العنوان: جامعة الكويت - الشويخ ص.ب ٧٢-٧٠ هاتف ٨١٦٧٩٩-٨١٦٨٠٧-٨١٦٨٢٤
جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير.

TOSHIBA TOKYO, JAPAN

INSTANT
سريع الذوبان
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
أضيف إليه فيتامين «أ» و «د»
أمّنوا لأولادِكم نمُوّاً مُتكامِلاً
نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري كامل الدسم مجفف
ذو جودة فائقة انتزع منه الماء فقط، فحين يُمزج بماء الشرب
الصافي يُصبح فوراً حليباً طازجاً، مغذ ولذيذ.
نيدو مغذٍ يحتوي على كافة العناصر الغذائية الهامة كالكلسيوم
والبروتين والفيتامينات التي لا غنى عنها للأولاد طوال فترة نموّهم.
نيدو طعمه لذيذ، يُحضّر بسرعة، ويحبّه أولادكم بارداً أو
ساخناً في الصباح والمساء وفي أي وقتٍ من النهار.
نيدو السريع الذوبان
كوبٌ من الحليب في أي وقت.
تقدمه نستله
Nestlé